

العدد الأول ١٠ يونيه ١٩٦٤ - ٢٩ محرم ١٣٨٤

فى هذا العدد

رئيس التحرير

على أدهم

تصدر عن الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

كلمة السيد نائب رئيس الوزراء للثقافة والإرشاد القومي

الدكتور محمد عبد القادر حاتم



وهذه مجلة جديدة

قال الله فى كتابه العزيز يخاطب نبيه الكريم : « اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم » ، وروى أن هذه الآيات هى أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى ، وفى هذا بيان من الله لفضل القلم والكتابة ، ولولاهما لم ينتشر دين ولم يصلح عيش ، وبهما انتقل الناس من ظلمة الجهل الى نور العلم ، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم الا بالكتابة ، وبها استقامت أمور الدين والدنيا .

فالكتاب اذن هو الوسيلة الأولى للعلم ، ذلك أنه مستودع الحكمة ، ومنار المعرفة ، وسجل لأخبار الأولين والآخرين ، وزاد الطالب ، وكعبة القاصد بل هو خير صديق وأخلص معين . لا تقوم نهضة الا به ولا تستقيم دعوة من دعوات الاصلاح الروحى أو المادى أو العقلى الا بهديه .

وقد كان للكتاب العربى فى ميادين العلم والفن والأدب ، أيام عز الدولة الاسلامية ، شأن عظيم [في] نشر نور المعرفة فى جميع أرجاء العالم ، وكان للكتاب والعلماء العرب فضل كبير فى قيام عصر النهضة فى أوربا ، وقد شهد لهم كثير من علماء الغرب والشرق بأنهم كانوا يمتازون بتحرى الدقة والأمانة فيما يكتبون أو يؤلفون .

وساير الكتاب العربى النهضة الفكرية والثقافية التى بدأت تنمو وتزدهر فى مصر منذ مطلع هذا القرن ، ثم قامت مصر قومتها الكبرى وظل الكتاب العربى الذى يصدر فى القاهرة يلقى التقدير الكبير ويحظى بالمكانة المرموقة لدى جميع الهيئات وبين مختلف دوائر العلم والأدب والقراء كافة فى البلاد العربية جميعا ، بل تجاوز بعض من روائع الكتب العربية هذا النطاق وانتشر فى بلاد المشرق والمغرب بفضل ترجمته الى كثير من اللغات الأجنبية .

ويطيب لى أن أقدم الى قراء العربية « مجلة الكتاب العربى » موقنا بأن المؤسسة فى اصدارها لها لتعتز بهذا الاسم ، ولا شك عندى أنها لن تدخر وسعا فى خدمة الكتاب العربى الذى هو من دعائم الوحدة العربية الكبرى ، وفى التمكين له ، فتعرف بالكتب العربية التى تصدر فى العالم العربى وغيره من الأقطار وتدرسها وتعالج ما يعترض النهوض بها وتوزيعها على أوسع نطاق حتى تخرج هذه الكتب الى الصعيد العالمى .

ويسرنى أن اذكر أن الوزارة قد حرصت فى هذه المجلة أيضا على تحقيق اشتراكية الثقافة ، فيسرت ثمنها على القراء .

وبعد فان من دلائل التوفيق أن تصدر هذه المجلة فى وقت تقاربت فيه قلوب العرب ، ولاحت بشائر الوحدة العربية الكبرى بفضل الايمان الصادق لزعيمنا وقائد نهضتنا الرئيس جمال عبد الناصر وما يبذله فى هذا السبيل من جهد دائب وعزيمة ماضية .

والله ولى التوفيق .





الكتاب ومكانته في الحضارة الحديثة



بقلم رئيس التحرير

ما أحسب أن هنـاك خلافا فى أن الـكتاب عامل هام من عوامل الحضارة الحديثة وأداة من خير أدوات التثقيف ، وأن تجـارة الكتب تؤدى خدمة جليلة للمجتمع الانسانى وأن من حقها ان تيسر لها الأسباب لأداء هذه الخدمة على الوجه المرضى .

ولـكل كتاب قصة حياة فهو يولد فى ذهن المؤلف ويرتدى الثوب الذى يخلعه عليه الناشر ، فالكتاب يمثل عملا خلاقا وعملا آليا معا .

وهناك وسيلتان لاكتسـاب تجارب الحياة ، الوسيلة الأولى ممارسة التجربة والتفرد باحتمال تبعتهـا ومعاناة نتيجتها ، والوسيلة الثانية هى مشاركة الآخرين تجـاربهم والافادة منهـا ، والطريقة الأولى بطيئة وشاقة ، والطريقة الثانية سهلة وميسرة ، ولا تكلفنا أكثر من قراءة الكتب فى عناية واهتمام .

والكتب تحمل حكمة الانسان من مكان الى مكان وعبر القرون المتوالية ، وكلما كانت أمينة صادقة لا تبلى جدتها ولا يعفى أثرها ، والتجارب المسجلة فى الكتب تتحدى حدود الزمان والمكان ، والذين يعدون أنفسهم عمليين ولا يعنون بالكتب عليهم أن يعلموا ان كل وسائل الراحة والرفاهية فى هـذا العصر مثـل الـكهرباء والسـيارات والطائرات وما الى ذلك من مظاهر المدنية كان اختراعها وما أدخل عليها من تحسين ثمرة من ثمرات تعـاون البشرية خلال مر العصور عن طريق الكتب .

ولقد نمت الحضارة فى عصرنا الحاضر وتعقدت أمورها وتكاثرت مشـكلاتها وأصبح كل شىء محتاجا الى الدراسة والممارسة ، وانسان العصر الحاضر فى حاجة الى ان يقرأ كثـيرا فى مختلف فروع المعرفة وألوان العلم برغم مراعاة التخصص فى ناحيـة من النواحى ، ولا نزاع فى ان الاذاعة والتليفزيون والأشرطة السينمائية أجهزة نافعة فى الاستزادة من المعلومات وتوسيع آفاق النفس ، ولكنها جميعها عون للكتاب ومكملة لرسـالته وليست منافسة له ولا ملغية لوظيفته .

وقد نتسـاءل فى المراحل الحاسمة والأزمات العصيبة التى تجتازها الانسانية فى هذا العصر هل عملت الكتب على ازالة الخلافات بين الأمم واطفـاء أحقادهـا وشحنائها ووجهت البشرية نحو الوحدة العالميـة أو فرقتها شيعا وأحزابا وطوائف متنافرة ومعسكرات متعادية ؟ حقيقة ان بعض الكتب لم تبشر بالسلام فى الأرض بل دعت الى حمل السيف وزادت الخلافات حـدة واسـتفحالا ، ولـكن الآثار الأدبيـة المشهورة وروائع المؤلفـات مثل روايات شكسبير وجيتى وسرفانتيز وغيرهم من أعلام الأدب العالمى وقمم الفكر العالمية كانت من عوامل التقريب بين الأمم وتوثيق العلاقات بين قلوب أفرادها وعقولهم ، ويمكن أن نقول ان كل كتـاب جيـد التأليف مستوف لشرائط الفن الصادق والعلم الصحيح يسمو الى مستوى الكتب التى تعين البشر على حسن التفاهم وسلامة التقدير لأنها على اختلاف أنماطها وتبـاين أساليب لغاتهـا تبين لنا أن الحياة الانسانية واحدة فى جوهرها المكون من المأساة والملهاة ونواحى الضعف وجوانب القوة ، وان كل انسان حينما يحين حينه يدرج فى قبره

وتطوى صفحته ويسدل عليه ستار الظلام الأبدى ، فكتاب مثل قصص الف ليلة وليلة أو رواية هملت أو الاخوة كرامازوف أو الحرب والسلم ترينا الكثير من جوانب النفس الانسانية فى مختلف العصور والأمم والجنسيات والبيئات وتجعلنا نقاسم أهلها شعورهم ونشاركهم فى احاسيسهم ، فهى تتجاوز بنا حدود القومية وحوائل الزمان والمكان وسائر موجبات التفرقة والخلاف ، ومتى تحرت الكتب الحق فى وصف تجارب الانسان وخفايا عواطفه كانت من عوامل توحيد الانسانية وزيادة ثروتها الفكرية .

ولكن هل سلمت الكتب من النقد هى وقراؤها ؟ كلا ، وهناك تهمتان كثيرا ما توجهان الى الكتب والقراء . التهمة الأولى ان الادب الخيالى سواء اكان شعرا أو نثرا يشجع قراءه على الاسترسال فى الأحلام ، ويجعل من الصعب عليهم أن يلائموا بين انفسهم وبين مطالب الواقع ، وفى هذا الاتهام مقدار يسير من الحقيقة ، ولكنه مع ذلك يقرن نوعا من الضعف البشرى باحدى الطرائق الخاصة للانغماس فيه ، والقائلون بهذا الاتهام يرون انه لو بطلت وسيلة هذا الانغماس لأخمدت الرغبة فى هذا التلهى ، ولكنه أمر يشك فى حدوثه ، وقد تلهينا قراءة الكتب عن القيام بأحد الواجبات ، ولكن لو نفقدت الكتب جميعها فليس من المؤكد عدم وجود وسائل اخرى للتهرب من اداء الواجب .

والاتهام الآخر أشد خطورة ، وهو أن حكمة الدارسين الذين قضوا معظم أوقاتهم فى الاطلاع على الكتب اقل مستوى وانأى عن الصواب من حكمة هؤلاء الناس العاديين الذين يستمدون حكمتهم من تجارب الحياة المباشرة ، ولا نزاع فى أن التجربة المستمدة من واقع الحياة ابقى أثرا من التجربة المأخوذة من الكتب ، ولكن اصلاح ذلك غير متوقف على الامتناع عن قراءة الكتب ، بل ربما كان ذلك ادعى الى اختيار كتب خير من الكتب التى ألفنا قراءتها ، واعداء القراءة يخلطون بين الظاهرة وأسبابها ، وقد تروعنا كثرة الكتب وتنوع موضوعاتها ، ولكن هذه الكثرة نافعة لأنها تفسح المجال لتنوع الأذواق واختلاف الملكات ، على ان الاستفادة الأكيدة من الكتب تحتاج الى الاستعانة بآراء النقاد المتخصصين الموثوق بنزاهة آرائهم وصحة احكامهم وواسع اطلاعهم ، وليس معنى ذلك ان نتلقى آراء امثال هؤلاء النقاد باعتبارها وحيا منزلا أو رأيا قاطعا مانعا فان النقاد من البشر معرضون للخطأ والصواب ، ولكننا نفيد مما يصيب فيه الناقد الممتاز كما نفيد مما يخطىء فيه وجه الصواب ، والنقد الموفق يلقى على المؤلفات ضوءا يعين على التذوق السليم والفهم الصحيح .

والفرد فى ظل النظم الديمقراطية يضطلع بمسؤولية هامة لأن له مشاركة فى توجيه سياسة الدولة وتصريف أمورها ، وكلما اتسع نطاق معرفته وسمت مداركه كان اقدر على النهوض بتبعاته وحسن القيام بواجباته ، والانسان الطبيعى بوجه عام فى حاجة دائمة الى الصقل والتهذيب ليصبح الانسان المتحضر العارف بتيارات عصره واتجاهات نزعاته ، ولا شيء اجدى عليه فى هذا السبيل من التوفر على الاطلاع والدرس ، وتقدير الأمور القائم على البحث والدراسة والاحاطة باطراف الموضوعات اقمن بان يهدينا الى الحلول الصحيحة والمعالجة النافعة من النظرة العجلى والارتجال الذى لا يقوم على دراسة وتعوزه سعة الدراية .

ومن مزايا حضارة العصر أنها جعلت الحصول على الكتب القيمة فى مختلف فروع المعرفة من المسائل التى تكاد تكون ميسرة لكل انسان يرغب فى الحصول عليها وذلك على خلاف العصور السالفة والحضارات القديمة التى كان الحصول فيها على الكتب يقتضى الفرد نفقات طائلة قد يعجز عن الوفاء بها ويروى عن الفيلسوف اسبنوزا الذى عاش فى القرن السابع عشر انه لم تزد كتب مكتبته على ستين كتابا ، وارجح أن سبب ذلك كان غلو ثمن الكتب وصعوبة الحصول عليها فى تلك الفترة ؛ وفى عهد لويس الرابع عشر كان عدد الكتب التى تظهر سنويا فى فرنسا لا يزيد عن سبعين كتابا

في حين ان آلاف الـكتب تظهر الآن سـنويا في مختلف الدول المتحضرة .

وقد كتب المؤرخ البريطاني الكبير ماكولي الى فتاة ناشئة يقول لها من رسالته « أشكر لك رسالتك الرقيقة ، ويسرني دائما أن تكون فتاتي الصغيرة سعيدة ، ولا شيء يروقني مثل أن أراها محبة للكتب مقبلة عليها ، لأنها حينما تبلغ من العمر ما بلغته ستجد أنها خير من أكل الفطائر والحلوى والألعـاب وسائر مشـاهد الدنيا ، ولو جعلني انسـان أعظم ملوك الدنيا وحباني بالقصور والحـدائق وأحسن الوان الأطعمة والعربات المطهمة وأفخر الثياب ومئات الخدم والحشم على شريطة الا أقرأ الـكتب لما قبلت أن أكون ملكا ، ولآثرت أن أكون رجلا فقيرا في عليّة وعندي مجموعة وافرة من الكتب على أن أكون ملكا زاهدا في القراءة » .

وعصرنا الحاضر عصر تجـارب في كل شيء في الأدب والفلسـفة والعـلم والاقتصاد ونظم الحكم ، والتجربة لـكي تسـتكمل نموها وتبرز قيمتها تحتـاج دائما الى الروح الناقدة وظهور مجلة الكتاب العربي ملائم لروح العصر وتلبية لحاجاته ومسايرة لاتجاهاته .



سطور من كتاب ..

« تعرضت العقول للخرافات والسـخافات والأسـاطير ، التي يتراكم بعضـها الى بعض ويتراكب بعضها فوق بعض، وصار العلم الى شيء من الاعجام واغلق بابه على أوساط الناس فضلا عمن هم أقل منهم واطبق على علماء الأمة وعامتها سحب متكاثفـة من الجهـل والتواء التفكير ، ثم الاستسلام والاذعان لكل ما يقال لهم وكل ما يراد بهم . وبعد الأمد الى أقصى حدود البعد بينهم وبين قـديمهم ، فنسوا تاريخهم ونسوا علومهم وما ترك الأولون فيها من الكنوز التي لا تقدر ولا تحصى والتزموا كتبا بعينها تتوارثها أجيالهم يفهمونها أو لا يفهمونها فليس الفهم هو الشيء المهم وانما المهم هـو ان تقرأ الـكتب الطوال في مجالس الدرس ، وتحفظ الـكتب القصار قبل الاختلاف الى مجالس الأساتذة » .

... مرآة الاسلام

الشرق الجديد

للدكتور محمد حسين هيكل

لكل ثورة فى تاريخ الانسان كتاب وعلماء وفلاسفة مهدوا السبيل اليها ، بما حاربوا من الجمود الذى ران على النفوس فى عصورهم ، وبما فتحوا به الآذان والعيون على مساوىء الحكم المستغل الفاسد الذى تحتجن فيه قلة وطنية منحرفة ، أو قوة أجنبية مستعمرة ، ثمرات الجهود الشعبية عن أصحابها ، وتفرض على السواد الأعظم الكادح حياة الجهالة والمرض والمسغبة ، ثم تنعم هذه القلة الوطنية الباغية أو القوة الأجنبية العدوانية ، نعيما ماديا مجردا من الانسانية ، تبنيه على أشلاء الضحايا الكادحين العاملين ...

هذه كلمة التاريخ من أقدم العصور ، وتلك مسيرة التقدم الانسانى والضمير البشرى فى سعيه نحو الكمال ، وفى نضاله كى يحقق للفرد أسباب الحياة المادية والعقلية والروحية الكريمة ...

كان ذلك فى الحضارة المصرية القديمة التى كفلت للانسان منذ آلاف السنين قدرا مذكورا من حرية الفكر والعمل ، وحققت لمن استظلوا بألويتها العدالة وفرص الحياة .. وكان ذلك فى الحضارات اليونانية والأشورية والفينيقية والسبئية والمعينية على أبعاد من التفاوت بينها ، بمقدار ما بلغته فى سبيل التقدم والارتقاء ..

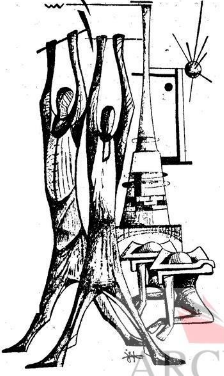
وكان ذلك حين جهد مفكرو أوروبا فى القرن الخامس عشر ، وفى مقدمتهم مارتن لوثر ، لكى يرفعوا عن كواهل أممهم سلطان الكنيسة المطلق الذى كبل ارادة الانسان وفكره ، بل استهان بالمعقول حتى امتد الى ادعاء المقدرة على الغفران لذنب المذنب ، والمحو لخطيئة المخطىء ، وبيع النعيم للانسان فى الحياة الأخرى ، احتيالا من بعض الناس لاشباع الغريزة الحيوانية فيهم ، وزيادة سلطانهم المادى ابتغاء الغلب فى هذه الحياة الدنيا ..

وكان ذلك فى النهضات والثورات التى شهدها العالم من قبل عصرنا ، وفى الثورات الكبرى من اليونان الى ايطاليا والى بلاد أوروبا المختلفة التى خلقت الانسان خلقا جديدا فى عصرنا هذا .

والحركات التحررية الأوروبية فى القرن الثامن عشر وما تلاها ، من أبرز الأمثلة لجهود الكتاب والعلماء والمفكرين فى تحرير الانسان .. فالعلماء الذين هاجر بهم الغزو التركى حينذاك من اليونان الى ايطاليا والى بلاد أوروبا المختلفة — هؤلاء العلماء هم الذين تقررت بهم حقوق الانسان ، وفى مقدمتها الحرية الفردية . وكانت هذه اليقظة السياسية ، وما نجم عنها من رخاء مادى ، هى السبيل الى تطور النظريات الاقتصادية ..

فبعد أن كانت الحياة الاقتصادية قائمة على أساس الاقطاع وتملك الأرض واسترقاق من عليها ، الغى الرق وبذلت الجهود الجماعية لتبرئة العالم من وصمة عاره ..

ومن بعد ذلك جاءت التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتتابعة ، وادت بآدم سميث ثم بجون ستيوارت مل الى تقرير المبدأ الفردى المطلق ، والى القول بأن « أول واجبات الدولة ، بل واجبها الوحيد ، أن تحمى الحرية الفردية فى الميدان الاقتصادى ، وأن تترك الناس



بقلم الدكتور سيد نوفل

يعملون احرارا متنافسين ، يثرى منهم الى غير حد من شاء ، ويموت جوعا من لم تمكنه مواهبه من الصمود فى ميدان المنافسة .. » .

وكانت الحجة التى اقاموا عليها نظريتهم هى مسايرة الطبيعة فى العمل لبقاء الأصلح ، وان مقياس الصلاحية هو القدرة على الغلب فى الحياة ، وأن على المغلوب أن يذعن للهزيمة ويموت جوعا ، أو يكتفى بما يلقى اليه من فتات موائد الغالبين ، حتى ينتهى الى الاندثار والفناء ، او تتهيأ له وسائل الغلب والقهر لغيره ، والمتاع بما يؤدى اليه الظفر والقهر للغير ..

وظلت هذه النظرية سائدة ، على درجات من التفاوت فى تطبيقها بالبلاد المختلفة ، طوال القرن التاسع عشر ، وعلى الرغم من ظهور الدعوة الاشتراكية فى بعض البلاد الأوروبية .

وبدات الاشتراكية يشتد ساعدها ، وترتفع قواعدها فى مطالع القرن العشرين ، وبدأ الفكر الاشتراكى الناهض يهتك أستار النظام الفردى ، وينعى عليه أنه فى مؤازرته لمطامع الفرد غير المشروعةوجشعهالذى لا حدودله ، ينسى الجماعة وينسى الشعبوالأمة . وعمت المناداة بأنالعدالة الاجتماعية تستوجب توزيع الثروات ، التى تم تملكها بوسائل مختلفة مشروعة فى القليل وغير مشروعة فى الكثير ..

وتأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى أوروبا بالحركة الاشتراكية ، فقامت فى المانيا الاشتراكية الديموقراطية ، وقامت فى فرنسا ألوان من الاشتراكية أوحت بها بيئتها وطبيعة العلاقات القائمة بين الطبقات الفرنسية ، وقام حزب العمال فى بريطانيا على الأساس الاشتراكى وانتشرت تعاليم تولستوى الاشتراكية فى روسيا ، ثم كانت الثورة الروسية فى عام الف وتسعمائة وسبعة عشر ..

وكان حظ مصر من الثورة العصرية ضد الاستبداد والاستغلال الفرديين عظيما .. فكانت المناداة بالعدالة الاجتماعية منذ ثورة الف وتسعمائة وتسعة عشر ، ثم كانت الثورة الاشتراكية العربية الكبرى فى مصر عام الف وتسعمائة واثنين وخمسين ، وكان هذا الانتقال التام من الحياة القديمة المتخلفة الباغية الى الحياة الجديدة المتقدمة العادلة التى نحياها الآن ، ويتمتع فيها المواطنون بحقوقهم ، ويبنون مستقبل أمتهم القوى الجديد ..

هذه طائفة من الأفكار الكثيرة ، التى سعدت بها فى قراءة البحوث التى كتبها المغفور له الدكتور « محمد حسين هيكل » منذ سنين ، وأخرجها

فى هذه الأيام نجله الأستاذ احمد محمد حسين هيكل المحامى ، فى كتاب : « الشرق الجديد » .

فالدكتور هيكل فى طليعة كتاب الثورة العربية فى مصر . ظهرت ثورته على أتمها منذ خمسين عاما فى باكورة انتاجه ، قصة زينب ، تصور حياة الريف المصرى ، وتدعو الى التشبث بالوطن وجميع مقوماته . وظهرت ثورته فى كتابه : « ثورة الأدب » يدعو الى قيم ومبادىء ثورية جديدة ، وظهرت فى تراجمه لكتاب الثورة الفرنسية التى أعلت مكانتهم فى أمتنا ، وفى تراجمه لاسماعيل باشا التى عرت مساوئه وكشفت جناياته على مصر فى عهد ملك ابنه ، وفى كتبه عن سيرة محمد وخلفائه التى وجهت العرب الى قوتهم الأصيلة ، وجلت حضارتهم العظيمة التى نشرت فى العالم ألوية الحق والعدل والمساواة والسلام ، وفتحت عيونهم على مستقبل قوى جديد لأمتهم ، تحيى فيه مجدها التليد وتستعيد دورها الخالد فى تطور أمتها ، وتطور الحضارة البشرية ..

وفى هذه البحوث التى يجمعها كتاب « الشرق الجديد » ، يدرس الدكتور هيكل الدوافع الثورية فى الشرق بأوسع معانيه التى تشمل العالم العربى أساسا ، ثم تمتد الى الشرق الأقصى ، وتشمل العالم الأسيوى الأفريقى . ويشرح العلاقات بين الشرق والغرب منذ العصور الوسطى الى عصرنا هذا ، وحركة النهضة فى الشرق منذ نهاية القرن التاسع ، وآثار الحرب فى حركة التجديد بالشرق ، ومستقبل هذه الحركة . كما يتحدث عن نهضة الهند ورسالة غاندى ومبادىء البوذية ، بوصفها جميعا عناصر متكاملة فى صورة واحدة . ويستفيض فى دراسة العلاقة بين الاسلام والنهضة الجديدة ، والصراع بين المطامع الأوروبية الاستعمارية وبين العالم الاسلامى ..

والدكتور هيكل يؤمن فى هذه الدراسات ـ ، شأنه فى جميع آثاره ـ بالايمان ومعجزته فى قوة الأفراد والأمم ، ويؤمن بأمته العربية وعظمتها وامكانياتها الضخمة ومستقبلها القوى المجيد ، ويكشف عن مساوىء الاستعمار ومداخله الباطلة ، ويقابل بين فتوح الاسلام الحضارية العمرانية وفتوح الاستعمار الأوروبى التى تنشر الجهالة والتخلف والفقر ..

ولقد عبر عن آمال أمتنا فى مستقبلها المجيد بعد ثورة الثالث والعشرين من يوليو لعام ١٩٥٢ ، حين عرف فى محاضرته بدار الكتب الوطنية بحلب فى عام ١٩٥٣ بالحركات الفكرية التى أدت الى ثورة مصر العربية ، فقال : انها « يقظة الأمم من ركود تألفه وتستنيم اليه ، فتؤدى استنامتها لهذا الركود الى انتشار العادات الضارة ، والعقائد السقيمة ، والمفاسد التى تصبح فى حكم العادات والعقائد . والتى تضر بالمجموع القومى ضررا يشعر به بادىء الرأى بعض الأفراد فينبهون اليه ، ثم ينتشر الشعور به فى طوائف الأمة المختلفة . فاذا علت الصيحة بمقاومة هذا الفساد لبى الشعب هذه الصيحة ، فكانت اليقظة ، وكانت الحركة الفكرية او التحريرية للقضاء على العادات الضارة والعقائد السقيمة والمفاسد الناشئة عنهما . وعند ذلك تتحرك نفسية الشعب الى امل اسمى ومثل اعلى يراد تحقيقهما للخير العام .

« ثم اذا الكيان القومى يقاوم ما اندس اليه من ضعف » واذا بناء الأمة الذى كاد يتهدم ويتداعى يعود متينا قويا ، واذا هذه الأمة تستظل بلواء من حرية الفكر يجدد فيها العزائم المنحلة والنفوس الضعيفة ، ثم اذا بها تندفع متحدة الكلمة متوثبة العزم لتنهض بالعبء الانسانى الذى يقتضيها التقدم فى طريق الكمال » .

سيد نوفل

الفــن والقوميّـة العربيّـة

تأليف : محمد صدقى الجباخنجى
عرض ونقد : الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

المكتبة الثقافية رقم (٩٨) ـ الناشر المؤسسة المصرية العامـــة للتـأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٦٠ صفحة .



صدرت عشرات من الكتب عن القومية العربية فى السنوات الأخيرة ، تحاول تحليل مفهومها ، وكشف النقاب عن مدلولها ، وتوضيح عناصرها ، ورد هذه العناصر الى أصول كبرى مستمدة من صميم الروح العربية . وتدور هذه الكتب ـ على وفرتها ـ حول فكرتين اساسيتين هما اللغة العربية ، والتـــاريخ المشترك بما يحمل من آلام وآمال . وقد يضيف بعض الباحثين عناصر اخرى كالجنس أو الثقافة أو الدين أو الحضارة . ولكن احـــدا ـ فيما أعلم ـ لم يجعل الفن أصـلا من أصول القوميـــة العربية ، سوى ما كتبه صاحب هذه المقالة فى كتابه الصغير الذى صدر فى المكتبة الثقافيـة (رقم ٢٧) منذ ثلاث سنوات ، بعنوان « القومية العربية » ، وقد أقيمت فيه القومية على أصول اربعة هى : اللغة والدين والفن والحضارة .

والفن ولا نزاع جانب أساسى فى التعبيرعن روح الأمم ، ولذلك كان من أهم المميزات التى تفصل قومية واخرى . ثم هو الى ذلك « لغة » تعبر بهـا الشعوب عن احساسها ومشـــاعرها وعواطفها بأسلوب آخر خلاف الألفاظ المنطوقة وما تدل عليـــه من معان ، ذلك الأسلوب هو الخطوط والألوان والأشكال والأصوات . وما دمنا قد سلمنا بلغة الكلام الأساس الأول للقوميـــة العربيـــة ، فلا غرابة أن تضاف لغة الفن الى ذلك الأساس .

لهذا السبب رحبت بصدور كتاب « الفن والقومية » للأستاذ الفنان محمد صـــدقى الجباخنجى ، لأنه محاولة للـكشف عن الصلة الوثيقة بين الفن والقومية التى ننادى بها اليوم ، ونسعى الى تنمية الوعى بها ، والتعرف على أسسها ومكوناتها .

ان تثبيت هذا الوعى بقوميتنا يحتاج فى هذا الجانب وحده ـ جانب الفن ـ الى أكثر من كتـــاب ، وأكثر من كاتب ، لابراز الجوانب المختلفة لقضية الفن فى علاقته بالقومية العربية .



حدثنا المؤلف عن قسم واحد من الفنون ، وأغفل الحديث عن القسم الآخر ، اذا أخذنا في الاعتبار قسمة الفنون الى تشكيلية وسمعية ، وأن الأولى تشمل العمارة والنحت والتصوير والزخرفة والنقش وما الى ذلك ، وأن الثانية تشمل الشعر والموسيقى والرقص وما يتفرع عنها . ويبدو ان المؤلف اقتصر على القسم الأول لأنه ميدان اختصاصه ، ويحسن الاحاطة به . وكنا نود أن يشمل العرض سائر الفنون ، وبيان أن أصولها ترجع الى أسس واحدة من القومية العربية . وهذا الاقتصار على الجانب التشكيلي لا ينتقص من مجهود المؤلف ، ولا من النظرية التي يذهب اليها في العلاقة . بين الفن والقومية العربية . وخلاصة هذه النظرية هي التي صدر بها كتابه في هذه العبارات :

« اذا قسنا العمل الفني بقدر ما يحتوى عليه من قيم فنية أو جمالية ، فاننا نستطيع القول بأن الفنون العربية مهما تنوعت مصادرها ، أو اختلفت البقاع التي أحاطت بها ، والعصور التي ازدهرت فيها ، فانها في جملتها فنون شعوب جمعتها وحدة اللغة ، ووحدة التفكير ووحدة الالهام » .

ومن الواضح أن المؤلف يتصور القومية العربية قائمة على دعائم ثلاث هي اللغة والفكر والشعور ، مما يجعل الشعوب التي تنطوى تحت جناحي هذه القومية تصدر في فنونها عن روح واحدة لا تخطئها العين .

وهذه دعوى لابد من اقامة الدليل عليها بالنظر في الفنون المختلفة لدى شتى الشعوب العربية في كل عصر من العصور ، وعلى مر الزمان. لذلك حدثنا عن فنون العمارة عند العرب متنقلا من الطراز الأموى ، الى العباسى ، والفاطمى ، والأيوبى ، والمملوكى . ثم تبع ذلك بالحديث عن الفن في ايران ، فجمع في براعة بين « الكتاب » وبين « البناء » ، واقتضى هذا الجمع التعرض لفن التصوير من العصر السلجوقى الى المغولى الى التيمورى ، الى مدرسة بهزاد والمدرسة الصفوية . ثم انتقل الى فن التصوير التركى ، والهندى ، والمغولى ، وأفرد للخطوط والزخارف المذهبة والملونة فصلا برأسه ، كما أفرد للفنون الفرعية كالخزف والحفر في الخشب والعاج وأشغال المعادن والزجاج والفسيفساء والنسيج والسجاد فصولا على حدتها .

ولا شك أن هذه الجولة بين فنون شتى ، وعصور مختلفة في كتيب صغير ، مع الاحاطة والدقة ، يدل على براعة الكاتب ورسوخ قدمه في التأليف المحكم ، المستمد من اشتغاله بالفن .

ولا نستطيع أن نقف عند كل فصل من هذه الفصول التي يوجد معظمها في المطولات ، ولكننا سنعرض لقضيتين مبتكرتين : الأولى قضية الفن اعربى هو أم اسلامى ، والثانية الرمزية والعضوية .

بدأ المؤلف جولته في الفن بالعصر الاسلامى ، ولم يكن غافلا عن العصر الجاهلى ، ولكنه أسقطه من حسابه عن قصد ، لأمرين : الأول أنه « لم يكن للصانع العربى الجاهلى مكانة أو فنون أصيلة في البناء أو التصوير أو النحت أو الزخرفة » (ص ٢٣) . والثاني أن « كل ما أمكن معرفته من فنون بادية الشام أو بلاد الأنباط أو اليمن كان متأثرا بالفنون الساسانية الايرانية أو الهلستينية البيزنطية » (ص ٢٣ — ٢٤) .

وان صح أن الفنون السالفة الذكر كانت متأثرة بالفن الساسانى أو البيزنطى ، فان الفن في اليمن والجنوب العربى كان في أكبر الظن أصيلا عربيا لم يتأثر الا بمقدار يسير بالفنون الأجنبية . والأجدر أن يقال ان ما كشف حتى اليوم من فنون وبخاصة في اليمن وجنوب الشام لا يعطى فكرة كافية للحكم على تلك الفنون ، مما يجعل وصف « الصانع العربى الجاهلى » بضعف المكانة في البناء والتصوير والنحت والزخرفة ، مع عدم أصالتها ، أمرا لا يعتمد على أساس سليم موثوق .

ولنسلم مع المؤلف بأن بداية الفنون الجميلة بمعنى الكلمة هو ظهور الاسلام ، فلماذا يسميه الفن الاسلامى لا الفن العربى ؟ وهل القول بالفن الاسلامى يؤيد قضية القومية العربية . ان قضية القومية ، والفن ، والعلم ، والفلسفة ،

اهى عربية أم اسلامية ، قضية عويصة شائكة ، اضطرب فى أمرها الباحثون منذ القرن الماضي حتى اليوم ، واختلفوا بشأنها فرقا ثلاثا ، البعض يقول بأنها عربية ، ويذهب البعض الآخر الى انهـا اسلامية ، وفريق ثالث أنها عربية اسلامية فى آن واحد .

وقد انعكست هذه الحيرة على فكر المؤلف ، فهو يقول تارة بفنون عربيـة ، واخرى بفنون اسلامية ، وثالثة بفنون عربية أسلامية ، يشير بذلك الى مسمى واحد بأسماء متباينة ، مما نجده مثلا فى بضع صفحات تحت الفصل الخامس بفنون العمارة عند العرب . يقول فى صفحة ٤٠ : « ان تطور الفنون الاسلامية وازدهارها يرجع الى نشاط الأسرات الحاكمة ... » وفى صفحة ٤١ : « ان الفنانين العرب كانوا يتنقلون فى انحاء الامبراطورية الاسلامية ... » وفى الصفحة نفسها : « ان حضارة وفنون العرب ان اختلفت فانما يكون اختلافها باختلاف الأقاليم التى قامت فيها .. » وفى الصفحة نفسها موازنة بين عناصر البناء الفرعونى والبناء الاسلامى ، وأنه لا يوجد ما يدل على اقتباس الفن الاسلامى من الفرعونى ، ثم بعد سطر واحد يقول : « على أن البناء العربى فى مصر لا يخضع لطراز واحد » . وبعد مناقشة أثر التوسع العربى ، ودخول كثير من الأمم فى الاسلام ، وتفاعل الحضارة العربية مع الحضارات السابقة ، قال فى صفحة ٤٣ : « وظلت الفنون العربية الاسلامية ابقى واوسع الفنون انتشارا .. » .

ان للمؤلف عذره اذا اضطرب بين هذه المفاهيم ، ولكنه مطالب أن يختار منها رأيا يستقر عليه ، وبخاصة لأنه يدافع عن دعوى وهى العلاقة بين الفن والقومية العربية . ولا غبار عليه اذا اختار الفن الاسلامى وعدل عن التسميتين الأخريين ، واختياره هذا لا ينقض دعواه ، لأنه انما يجعل الدين الاسلامى عنصرا من عناصر القومية العربية ، بعد انتشار الاسلام ، كما أن الأديان الأخرى من عناصرها كذلك قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره . وليست هذه النظرية بعيدة عن ذهن المؤلف ، لأنه يشير فى استهلال الفصل عن الفنون الفرعية ، الى أن « المنطقة التى تقوم فيها القومية العربية كانت مهد الديانات السماوية كلها كما كانت مهد حضارات أقدم الشعوب التى سكنت الأرض ، مما أدى الى طبعها بطابع روحى وثقافى جعلها تدخل فى دور جديد من التفتح والازدهار منذ القرن السابع للميلاد ، لتكون مركزا لاشعاع اكبر حضارة انسانية عرفها التاريخ » .

الحق ان معظم المؤلفين الأجانب يجمعون على تسمية هذا اللون من الفن اسلاميا ، ويصفون هذه الفنون بأنها اسلامية ، وتابعهم المؤلفون العرب فى ذلك . ولكن اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يسمى الفرنجة « الزخرفة » ، التى بها يتميز الفن الاسلامى بحق « أرابيسك » ، فينسبونها الى العروبة لا الى الاسلام . وهذا دليل على اضطراب مفهوم هذا الفن فى ذهن المؤلفين الأجانب انفسهم . فلا عجب ان يكون تحديد هذه التسمية موضع اختلاف واضطراب بين سائر الباحثين .

* * *

ومن فكرة « الأرابيسك » اى الزخرفة العربية — وان شئت التحديد فقل الزخرفة العربية فى ظل الاسلام — ندخل الى مناقشة القضية الثانية ، وهى الرمزية والعضوية . ويعرف المؤلف هذين العنصرين عند الكلام على فن العمارة عند العرب (ص ٤٤) بأن الرمزية ما يتبع الميل والاختيار والتفضيل ، والعضوية ما تقدمه الأرض من مواد صالحة للبناء . ويعرفهما فى الفصل الخاص بالكتاب والبناء فى ايران (ص ٨٨) بأن كل عمل فنى يخضع لعاملين أساسيين : أولهما يصدر عن الفنان نفسه وهو الرمزية ، وثانيهما ما تحتمه طبيعة المكان والبيئة وهو العضوية .

والذى يهمنا فى قضية الصلة بين الفن والقومية العربية هو الشطر الأول من دعامتى الفن أى الرمزية ، لأنهـا العامل المشترك بين سائر الدول العربية بصرف النظر عن البيئة المحلية التى يستخدم فيها المادة المتوفرة بها ، اللهم الا اذا جلبت هذه المواد من الخارج . وقد فطن المؤلف الى هذا العامل المشترك ، نعنى

الفنون الزخرفية العربية ، المسماة «ارابيسك» ، وهى الزخارف المؤلفة من الحروف الأبجدية ، او التكوينات الهندسية ، أو من تحوير الزهور وفروع النباتات وجذوعها واوراقها الى اشكال متشابكة ومتكررة ذات تكوينات مبتكرة مليئة بالحركة والحيوية . (ص ١١٧) . وهذه الزخارف نجدها سائدة فى تزيين المصاحف ، والكتب الخطية ، كما تزين الأبسطة والأقمشة والسجاجيد ، ثم انها تحفر على الخشب حلية للابواب والمحاريب ، ويطعم بها النحاس والفضة والذهب كالآنية والصوانى والمصابيح .

ولقد تطور هذا الفن الزخرفى وارتقى ، واصبح الطابع العام للحضارة العربية الممتدة من اقصى الصين شرقا الى اقصى الأندلس غربا . ويشاهد فى هذه الفنون فى شتى الدول «الأشرطة والجامات والنجوم متشابهة فى تكوينها وتوزيعها ودقة رسومها الهندسية أو النباتية او الخطية ، وهى العناصر الثلاثة الأساسية فى الفنون الزخرفية العربية » ص ١٢٠ .

ان طبيعة « الأرابيسك » التجريدية ، هى التى يسرت للفن العربى السيادة فى كل هذه الأمم المتباعدة الأطراف ، المختلفة النزعات والتراث ، لأن الفن التجريدى اعلى درجات الفن ، فهو يقصد الى أغراض زخرفية لا لغاية نفعية . بل لقد انتقل هذا الفن الى كثير من الدول المسيحية التى تأثرت بالعرب قبل عصر النهضة ، ولا يزال هذا التأثير واضحا فى ايطاليا وفرنسا الى اليوم .

فلم تكن جميع الشعوب التى حكمها المسلمون تدين بالاسلام ، كالحال فى الهند مثلا او الصين . ومن هذه الشعوب كالفرس من أسلم اهلها مع احتفاظهم بتراثهم القديم . ولذلك كان الفن الزخرفى اليق ما يقبله ذوق كل شعب ، مع توجيهه بما يلائم روح كل شعب . ومن هنا تجد الأرابيسك فى الصين او فى الهند فى العصر المغولى مختلفا عن الأرابيسك فى مصر فى العصر المملوكى أو فى الأندلس وهكذا . ففى ايران استعملت زخارف الحيوان أو رسوم الأشخاص او الزهور والورود ، وذلك بتأثير البيئة والتراث ، اما فى مصر فكانت معظم الزخارف هندسية ، مثال ذلك الأبسطة التى كانت تصنع فى الفسطاط ، وتوجد منها قطعة عليها تاريخ صنعها سنة ٢٠٢ هجرية تزينها زخارف مثلثة الأضلاع واخرى مستديرة ، وهذه القطعة محفوظة بمتحف الآثار العربية .

لهذا كله كان المؤلف على حق ان يختم كتابه بهذه الكلمة :

« نستطيع أن نستخلص أن تراث الفكر العربى تجمع على مر الزمن ، بعد أن أصبحت اللغة العربية لغة البلاد التى انتشر فيها العرب . فلم يكن هذا التراث ملكا خاصا لقطر من الأقطار ، بل كان تراثا مشتركا بين الدول العربية كلها ، تناقلوه بالرواية ، والكتاب ، والانتاج الفنى .

وكان الفن بدوره عاملا اساسيا فى حفظ هذا التراث الفكرى ، ومقوما لخلق الشخصية العربية ، ووحدها ، وقرب بين مثلها العليا ، فأصبح اللسان الناطق بشعور شعوب تعاونت على انماء مقومات الفكر والثقافة والفنون ، من أجل دعم وحدة القومية العربية » .

سطور من كتاب ..

والانسان المؤمن كالانسان المريد ، تصبح له قوة وفاعلية لتحقيق هذا الذى يؤمن به ويعتقده من المعانى والأفكار ، فيخرجها من حيز التصور الى دنيا التطبيق والواقع ، صورا محسوسة أو ملموسة أو مبادىء يعتنقها الكافة ، او نظما تطبق ، او اهدافا تحقق او انتصارات تحرز .

الطاقة الانسانية





نقد وتحليل الدكتور أنور عبد العليم

الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (٣٩٠ صفحة حجم متوسط)

لقد مر قرن كامل من الزمان منذ نشر داروين كتابه بعنوان « اصل الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعى » وهو الكتاب الذى ضمنه آراءه فى تطور الكائنات الحية ، ونفذت نسخه عقب طبعه مباشرة ثم أعيد طبعه مرارا ، كما ترجم الى عديد من اللغات المعروفة .

وفى الاحتفال بالعيد المئوى لنظرية داروين الذى اقيم بلندن عام ١٩٥٩ استعرض السير جافين دى بير Sir Gavin de Beer مدير متحف التاريخ الطبيعى المشهور البحوث التى أجريت فى المائة عام الأخيرة والتى تدعم هذه النظرية التى نعتها بقوله « ان هذه النظرية هى ثمرة بحث من أعمق البحوث التى أجريت فى سبيل الكشف عن الحقائق ، وقد صمدت فى حملتها لامتحان الزمان ، واعتقد الجميع فى صحتها اليوم » أضاف قوله « ويحق للعالم اليوم ان يحتفى بالعيد المئوى لميلاد أول قانون عام ينطبق على مملكة الكائنات الحية كلها ـ وذلك بنفس الثقة التى قبل (العلم) بهما من قبل اثبات كوبر نيكوس لدوران الأرض حول الشمس وقوانين نيوتن » .

ولم يكن هذا أول تقريظ لداروين ونظريته بعد مرور مائة عام على ظهورها ، بل كرمه من قبل الفيلسوف توماس هاكسلى عندما منحت جامعة كمبردج درجة الدكتوراه الفخرية لداروين عام ١٨٧٧ بقوله « منذ تلخيص ارسطو للعلوم البيولوجية الى وقتنا هذا ، لم يات بشر بعمل أعظم من كتاب أصل الأنواع لداروين فى شرح ظواهر الحياة وربطها حول فكرة اساسية » .

وبقدر ما حظى الكتاب المذكور بتاييد من رجال العلم فقد اثار وقت ظهوره عاصفة هوجاء وبلبلة بين الناس ، كما أثار حفيظة رجال الكنيسة لاتصاله بمسائل فلسفية ولاهوتية لها فى نفوسهم احترام وقدسية .

فما هذا الكتاب الذى أثار تلك الضجة وما مضمون النظرية كما وردت فى الأصل الانجليزى لداروين وفى الترجمة العربية التى للكتاب بقلم المرحوم الاستاذ مظهر ، وما هو دور داروين الرئيسى فى مذهب التطور نفسه ؟ ذلك ما سنلخصه للقارىء على هذه الصفحات .

مذهب التطور :

كان الاعتقاد القديم أن كل نوع من انواع الكائنات الحية التى تعيش على ظهر الأرض قد خلق خلقا منفصلا وأن هذه الانواع ثابتة

لا تتغير ولا تربطها ببعضها أية صلة . وفي القرن الثامن عشر حاول العلماء وضع تقسيم طبيعي للكائنات الحية النباتية والحيوانية قسمت بموجبه تلك الكائنات وفقا للصفات الظاهرية والتشريحية التي تجمعها الى قبائل وفصائل وعائلات واجناس وانواع . كما قسمت الانواع بدورها الى أصناف وسلالات . وقد وجد الناس من خبراتهم في الزراعة وفي تربية الحيوان أنه يصعب في كثير من الاحوال تمييز الأنواع والأصناف بعضها عن بعض أو حتى فصلها بصفات مميزة محدودة ، نظرا لتشابه الصفات وتداخلها بين الصنف والنوع ، كما قد يظهر من آن لآخر أصناف جديدة بالتهجين أو بالتلقيح الصناعي ، تحمل صفات جديدة تختلف عن صفات كل من الأب والأم لنفس الصنف الواحد، بل وأكثر من ذلك قد تظهر في الوجود أنواع جديدة تنأى بصفاتها عن الأنواع التي نشأت منها .

ومن هنا بدأ الشك يدب في الاعتقاد بمذهب ثبات الأنواع في الكائنات الحية ، وبدأ الاعتقاد يقوى في تطور الأنواع بعضها من بعض .

وبتقدم وسائل الدراسة واكتشاف المجهر اخذت فكرة التطور أول شكل علمي لها على يد العالم الفرنسي النابه لامارك Lamarck (١٧٤٤— ١٨٩٢ م) الذي عكف طوال سنوات عديدة على دراسة عدد كبير جدا من أنواع الكائنات الحية وقسمها تقسيما علميا مضبوطا في كتابه المشهور بعنوان « فلسفة الزولوجيا » الذي ضمنه آراءه في التطور العضوي وتتلخص في مبادىء ثلاثة :

١ — لا توجد فروق قوية بين الأنواع Species والأصناف Varieties ٢ — ان الانواع والأصناف قابلة للتحول ٣ — ان التحول « التطور » هو سنة الحياة وليس الثبات والاستقرار .

ويعزى لامارك « التطور » الى أثر البيئة التي يعيش فيها الكائن الحي . ويعتبر هذا العالم العبقري من غير شك مؤسس مذهب التطور وبذلك يكون قد سبق داروين بنحو ٥٠ سنة . بيد أنه لم يوفق في شرح أسباب التطور فكان يعتقد بتوارث الصفات المكتسبة وبأن الأعضاء تقوى بالاستعمال وتذبل وتذوى بعدم الاستعمال .

الظروف التي اخرج داروين فيها كتاب « أصل الأنواع » :

في أواخر عام ١٨٣١ وقع الاختيار على تشارلز داروين — وكان فتى يافعا حديث التخرج من الجامعة — ليصحب السفينة « البيجل » احدى سفن الامبرالية الانجليزية في رحلتها حول الأرض لاستكمال الخرائط الملاحية للبحرية ، وكان دوره على السفينة ثانويا للغاية فقد وكلت اليه مهمة جمع عينات ونماذج من الصخور والحيوانات والنباتات من الجزر والأراضي التي ترسو عليها السفينة المذكورة . وكان داروين باحثا موهوبا كثير التأمل والنظر ، امتاز بدقة الملاحظة والتأني والمثابرة على العمل . وقد راعته أنواع الحيوانات والنباتات التي تعيش على جزر الجلاپاجوس في المحيط الهادى ومدى التشابه أو التباين بينها وبين الأنواع المماثلة التي تعيش على سواحل أمريكا الجنوبية ، كما جمع حصيلة كبيرة جدا من عظام الحيوانات والنباتات والأصداف والحشرات وعكف على دراستها سنين طويلة وأيقن ببصيرته النافذة أن هذه الأنواع لابد أن تكون قد عمرت الجزر من القارة الأمريكية المقابلة في أزمنة خالية ، ثم انعزلت في بيئتها الجديدة المحدودة وتطورت . كما ان هذه العزلة واختلاف الظروف هي السبب في نشوء الفروقات في الشكل والصفات بين الأنواع المماثلة أو القريبة من بعضها . وكثيرا ما جال في خاطر داروين مثل هذه الأسئلة : « لو أن كل نوع من

الحيوان أو النبات قد خلق خلقا منفصلا كما هو الاعتقاد السائد » فلماذا اذن هذا التشابه الكبير بين الأنواع التى تفصلها بحار واسعة ؟ أو لماذا لا يكون كل نوع من الاحياء قد تطور من نوع سابق له فى الوجود ؟ ولماذا لا تكون الفروق البسيطة التى تميز الأنواع المتشابهة التى تعيش على الجزر المختلفة من مجموعة الجلاباجوس مردها الى انعزال كل جزيرة عن الأخرى ؟ » أو تلك الأمثلة الأخرى « اذا كانت الأنواع المختلفة قد خلقت خلقا منفصلا فلماذا يتكرر الخلق للنوع الواحد فى جهات متباعدة تفصلها حواجز جغرافية كمحيط أو جبال عالية ؟ أو لماذا لا يكون هناك أصل مشترك لحيوان المدرع الذى يعيش فى أمريكا الجنوبية اليوم وفصيلته التى انقرضت وتركت حفرياتها لتدل عليها ؟ ثم ان طبيعة جزر الجلاباجوس البركانية مشابهة لطبيعة الجزر الخضراء القريبة من أفريقيا ولكن الحيوانات التى تعيش على كل مختلفة ؟ اذن ليست الظروف الطبيعية هى التى تحدد أنواع الحيوان على كل جزيرة بقدر وجود أصل مشترك وصلات قرابة بين حيوانات الجزر الخضراء وحيوان أفريقيا أو بين حيوانات الجلاباجوس وأمريكا الجنوبية.

ولم يدرس داروين الحيوان فقط بل درس أيضا مملكة النبات وكان يعتقد أن أى قانون عام للتطور لابد ان يشمل النباتات أيضا باعتبارها كائنات حية . ووجد من التشريح المقارن أن هناك صلة قرابة بين الفصائل المتشابهة من الكائنات الحية ، كما أن هياكل الحيوانات متشابهة التركيب والتحورات التى تحدث فى العظام المختلفة انما تخدم غرضا خاصا يلائم حياة الكائن . كما وجد تشابها أيضا من علم الأجنة : فالأجنة حديثة التكوين لحيوانات مختلفة كالسمك أو الزواحف أو الطيور متشابهة الى حد كبير ، وقد تظهر فى الأجنة التراكيب الأثرية التى تختفى فى الحيوان اليافع . وبالاضافة الى ذلك استمد داروين ادلة تؤيد نظريته من علم الحفريات أيضا .

هذا وقد ضمن داروين آراءه فى التطور فى بحث صغير أعده للنشر عام ١٨٤٢ ونقحه فى عام ١٨٤٤ ولكنه لم ينشره وآثر أن يقضى خمسة عشر عاما اخر فى مزيد من البحث لتدعيم نظريته ، وان كان قد اطلع عليه بعض اصدقائه فى حينه

وفى تلك الأثناء كان هناك عالم آخر يدعى ألفريد راسل ولاس Alfreed Russel Wallace عمل فى الملايو بين سنوات ١٨٤٥ — ١٨٥٥ — يبحث فى نفس الموضوع الذى شغل بال داروين وتوصل مستقلا — وعلى غير علم بعمل داروين بل وقبل أن ينشر الأخير آراءه — الى نتائج مشابهة لآراء داروين عن أصل الأنواع. ومن استنتاجات « والاس » المشهورة قوله « ان كل نوع من الحيوان أو النبات أتى الى الوجود على اثر نوع مشابه له أو قريب منه . أو بمعنى اصح تطور من نوع مشابه سابق عليه » . وقد أرسل والاس رسالته الى داروين عام ١٨٥٨ ووجد الأخير تشابها فى النتائج التى توصل «والاس» اليها مع نتائجه وقال قولته المشهورة « لو اطلع والاس على بحثه الذى كتبه عام ١٨٤٢ ولم ينشره



لما استطاع أن يستخلص منه أكثر مما جاء فى رسالته » . وعرض الأمر على أمناء جمعية لينيوس اللندنية للتاريخ الطبيعى فأشاروا عليه بطبع كتاب أصل الأنواع الذى ظهر فى نوفمبر عام ١٨٥٩ . ومن ثم يتضح أنه من العدل والانصاف أن تنسب النظرية الى كل من داروين ووالاس مجتمعين ويرى هذا الرأى كثير من العلماء المعاصرين .

وقبل أن نلخص الأسس العامة لنظرية داروين ، نرى لزاما علينا أن ننوه بأن كتاب أصل الأنواع لا يعتبر كتابا سهل الاستيعاب ، بل ربما لا يجد فيه القارىء العادى ضالته المنشودة ، وقد يتوه بين أبوابه المحشوة بخلاصة

ثلاثين سنة من العمل العلمي الذي أراد داروين أن يؤيد بهوجهة نظره ، ناهيك بالأسماء اللاتينية والمصطلحات العلمية التي لا تخلو صفحة واحدة من صفحاته منها . ومما يؤيد ذلك ما ذكره السير فرنسيس داروين في كتابه عن والده بعنوان « تشارلز داروين : حياته ورسائله » وما له ما ذكره على لسان توماس هاكسلي « ان أصل الأنواع من أصعب الكتب استيعابا. ... ولا يزال رجال من افره اهل ذلك الوقت بعيدين عن تفهم حقيقة النظرية ..» (الترجمة العربية ص ٨٦)

ولا شك أن السيد المترجم قد بذل مجهودا جبارا في ترجمة هذا الكتاب ، ويبدو ذلك من محاولة انتقاء الألفاظ العربية الصحيحة والتنقيب في قواميس اللغة عن اصل الكلمات او محاولة ايجاد كلمات عربية جديدة للمصطلحات العلمية الأفرنجية ، وبعضها غير متداول في لغة العصر اليوم وذلك مثل كلمات : السباذج والجلكيات والترمة والصلول والتفطير والصعابير والسفل وحونبي والغرلي والشمزى والأرطان والايدويات والسطرنة والسحلبيات والسنى والاناعيم والدرداوات والبردوغيات وأحند الخ . وربما كان الباعث على ذلك أن الأستاذ مظهر كان قد ترجم فصولا من هذا الكتاب في أوائل هذا القرن ولم تكن اللغة العلمية العربية مألوفة في ذلك الوقت . أو ربما كان الباعث أيضا زيادة في الحرص منه . وان كان لنا رأى آخر يتلخص في وجوب استعمال اللغة السهلة المتداولة والتبسيط قدر الامكان والاقتصاد في استعمال الكلمات غير المألوفة حتى تحقق مثل هذه الترجمات للكتب العلمية الهدف المقصود منها .

ولا شك في أن صعوبة الكتاب نفسه قد حدت بالمترجم أيضا ان يكتب له مقدمة طويلة جدا استنفدت مائة صفحة مطبوعة أى نحو ثلث متن الكتاب المترجم نفسه ، بسط فيها المذاهب والفلسفات القديمة في النشوء ، والآراء القديمة عن أصل الحياة ، وترجمة لداروين مستقاة من كتاب ابنه « البر فرنسيس » المشار اليه سابقا . وكان من الممكن ان تختصر هذه المقدمة كثيرا وان تشمل خلاصة للآراء الحديثة التي تؤيد وجهة نظر داروين ، وبخاصة بعد استكشاف قوانين الوراثة والطفرة (واجراء البحوث التجريبية في التطور .

ملخص نظرية داروين :

تنبني نظرية داروين عن أصل الأنواع على ثلاث حقائق كبرى واستنتاجين :

١ ـ أما الحقيقة الأولى : فان الأنواع تتكاثر وفقا لنسبة هندسية ، وحتى الأنواع بطيئة التناسل نسبيا مثل الانسان يزداد عدد أفرادها بسرعة . وقد وجد داروين أن السكان في عصره تضاعف عددهم على مدى ربع قرن ، وكان قد قرأ رسالة « مالتوس » عن ازدياد السكان التي نشرت عام ١٨٣٦ ، كما أن الكائنات المختلفة تنتج خلايا جنسية بكميات تصل الى حد الاسراف

٢ ـ أما الحقيقة الثانية فهي : أن عدد أفراد النوع الواحد من الكائنات يبقى ثابتا على الرغم من وفرة الخصب والتكاثر . واذا فرض جدلا أن ذرية أحد الأنواع عاشت كلها وتناسلت باستمرار لما كان هناك متسع على سطح الأرض لنوع معين من حيوان أو نبات .

٣ ـ ومن هاتين الحقيقتين استنتج داروين استنتاجه الأول المشهور وهو :

« اذن هناك تنازع على البقاء ولا بد من ضحايا » .

ولم يقصد داروين بالتنازع حربا بين الكائنات بالمخالب والاسنان فحسب ، بل قصد أيضا اعتماد بعض الأنواع على بعضها الآخر ، وعلى البيئة في سبيل البقاء . وكذلك على امكانيات نجاح الذرية .

وضرب مثلا لذلك بحقل « تذرو » اليه الريح بذور نباتات شتى ، وينزل المطر فتأتي الطيور تأكل بعضها والحيوانات الأخرى ترعى أنواعا منها ، وتبقى في النهاية نسبة معينة من النباتات يكتب لها البقاء في هذا الصراع . وعلى ذلك فهناك قوى طبيعية تحدد من كمية ونوع كل نبات أو حيوان على ظهر البسيطة .

أن هذه القوى تعمل في الواقع على حفظ توازن أنواع الحياة في أى بيئة وتحدد عدد أفرادها سواء أكانت هذه البيئة غابة أم بركة ماء أم مرعى طبيعيا .

٤ ـ أما الحقيقة الثالثة ، فهى أن جميع الكائنات الحية يختلف بعضها عن بعض ، ولا يوجد كائنان يتشابهان تشابها تاما من كافة الوجود ، حتى أفراد النوع الواحد تختلف فيما بينها ضعفا وقوة وطولا وشكلا وخصبا ومقاومة للأمراض ، ان لم يكن ذلك فى كل التفاصيل ففى صفات دقيقة للغاية .

٥ ـ ومن هذه الحقيقة السالفة استنتج داروين استنتاجه الثانى المشهور وهو « ان بعض الأفراد أو السلالات تنجح أو تتفوق على غيرها فى التنازع على البقاء . وهى تلك الأفراد أو السلالات التى لها من الصفات ما يجعلها أكثر ملاءمة لظروف البيئة التى تعيش فيها أو تهاجر اليها » .

وهذا ما عبر عنه داروين « بالانتخاب الطبيعى » وبالبقاء للأصلح .

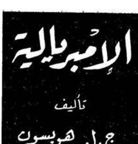
ويتضح الفرق بين داروين ولامارك فى تعليل التطور من المثال الكلاسيكى عن طول رقبة الزرافة ؛ فبينما يرى لامارك ان الزرافة اكتسبت هذه الصفة لاضطرارها لأن ترفع رأسها باستمرار لتأكل أوراق الأشجار مع الغصون المرتفعة ، أو ما معناه ملاءمة العضو للوظيفة ـ يرى داروين أنه كان ثمة زرافات ذوات رقبة طويلة قديما ، انتخبت من بينها تلك التى تمتاز بطول الرقبة وكان لها وحدها القدرة على البقاء والتناسل . أما الأخرى التى لم تستجب لتغير البيئة فقد انقرضت من الوجود .

أو بمعنى آخر ان صفة الطول فى رقبة الزرافة اكتسبت عن طريق الانتخاب الطبيعى .

وجدير بالذكر أنه حتى وفاة داروين لم تكن قوانين الوراثة المعروفة بقوانين مندل قد اكتشفت بعد ، كما لم تكن نظرية الطفرة للعالم الهولندى هو جودى فريز قد ظهرت . وبعد ظهور هذه القوانين وتلك النظرية حقق العلم مزيدا من التأييد لنظرية داروين . ويتضح ذلك من السيل الجارف من البحوث الوراثية على الكائنات الحية التى نشرت وقد اتسمت تلك البحوث بطابع البحث التجريبى فى التطور .

وأصبح هناك مفهوم جديد لعملية الانتخاب الطبيعى يعتمد على تركيب البنية الوراثية نفسها وما يطرأ عليها من طفرات . ومن ثم فانه *يمكن القول وفقا للنظرية الحديثة بأن التطور يعتمد أساسا على تغيرات فى « الناسلات »* (وهى الجينات أو حاملات صفات الوراثة كما أن الطفرة من شأنها أن توفر « المادة الخام » او الصفات الجديدة بمعنى أصح اللازمة لعملية *التطور ، ويتحكم الانتخاب الطبيعى فى توجيه* هذا التطور عن طريق اظهار تلك الصفات فى الزمان والمكان المناسبين . ولزيادة الاطلاع فى هذا الموضوع نحيل القارىء الى كتابنا بعنوان « قصة التطور » الذى ظهر فى سلسلة كتب المكتبة الثقافية .





ترجمة : عبدالكريم أحمد
مراجعة : علي أدهم

بقلم الدكتور راشد البراوى

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ٤٠٨ صفحة من القطع الكبير ، الثمن ٢٧٫٥ قرشا .

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر عملية محمومة واسعة النطاق للاستيلاء على المناطق والبقاع التى لم تكن مملوكة لاحد ، ففيما بين عامى ١٨٧٠ ، ١٨٩٨ استولت بريطانيا على ما مساحته ٤ ملايين ميل مربع ويضم ٨٨ مليون نسمة ، وأضافت فرنسا الى ممتلكاتها القديمة ما يقرب من تلك المساحة وان لم يتجاوز السكان ٤٠ مليونا ، وكذلك فعلت ألمانيا وبلجيكا وحتى البرتغال ، بل لقد اجتذبت هذه العملية بلدا على الجانب الغربى من المحيط الأطلسى ، هو الولايات المتحدة الأمريكية ، ظل يؤمن غالبية أهله بما أطلق عليه فى ذلك الحين عبارة العزلة المجيدة .

ويلاحظ أن هذا التوسع « كان كله متجها الى الاستيلاء السياسى على مناطق استوائية أو تحت الاستوائية لاتسمح باستيطان الرجل الأبيض بعائلته فيها » وأن « جميع الأراضى مزدحمة بسكان من السلالات الدنيا » .

هذه العملية هى ما تعرف باسم الامبريالية الحديثة ، وكانت حرية أن تلفت نظر المراقبين والباحثين ولكن دون أن يحاول أحد منهم أن يتعمق فى البحث والتحليل حتى يصل الى جذورها الحقيقية ، الى ان صدمجون ا.هوبسون عالم الفكر بكتابه « الامبريالية » الذى أصدره لأول مرة فى عام ١٩٠٢ ، ثم أخرج الطبعة الثانية بعد ذلك بثلاث سنوات وقد أدخل عليها اضافات رقمية أساساحتىتكون أدنى الىتصويرالواقع .

أخذ هوبسون يناقش الأسباب التى كان الساسة والاقتصاديون وخلافهم يبررون بها عملية التوسع الاستعمارى وكان فى مقدمة تلك الأسباب ما تعلق بالقيمة التجارية للامبريالية ولكنه تناول ارقام التجارة الخارجية البريطانية خلال الحقبة التى يبحثها ، فخلص الى نتائج لها أهميتها وهى « أن تجارة بريطانيا العظمى الخارجية تكون قدرا ضئيلا ومتناقصا بالنسبة لصناعتها وتجارتها الداخليتين ، وأنه فيما يتعلق بالتجارة الخارجية لاتمثل التجارة مع الممتلكات البريطانية الا قدرا متناقصا بالنسبة الى التجارة مع البلاد الأجنبية .. (وأن) التجارة الاستوائية — وبخاصة مع الممتلكات الاستوائية الجديدة — أضألها وأقلها تقدما » . أما أن الامبريالية كانت متنفسا للسكان ، فقول غير صحيح لأن « مجموع المهاجرين من البريطانيين لايمثل نسبة كبيرة من السكان ، وقد تناقصت هذه النسبة بشكل محسوس خلال سنوات التوسع الامبريالى » . حقيقة قد توفر الامبريالية الحديثة كمية محدودة من الوظائف العسكرية والمدنية للطبقات العليا ذات النفوذ ، أو لبعض المهندسين ورجال الارساليات والباحثين عن المعادن والمشرفين على المشروعات التجارية والصناعية ، ولكنها « عامل لا أهمية له مطلقا فى تيسير فتح آفاق للعمل » .

ويسخر هوبسون مما يقال دفاعا عن الامبريالية أنها تؤدى الى انتشار الحرية وفنون الحكم التى

عرفتها البلاد المتقدمة ، والأحرى أنها وسعت من نطاق الاستبداد • فالأراضي والسكان الذين ضممناهم نحكمهم ... بأساليب أوتوقراطية بحتة» ، وكذلك لا أساس علميا لأسطورة «رسالة الرجل المتمدين » وواجبه الذي يحتم عليه فرض حضارته على الشعوب الأقل كفاءة ، فالواقع أن الذي حدث هو أن الشعوب المتأخرة التي فرضت عليها السيطرة كانت تباد اذا لم تكن تصلح للعمل كما حدث للبوشمن والهوتنتوت ، أو تحول الى نوع جديد من الرق هو السخرة اذا كانت صالحة لمزاولة الأعمال وضروب النشاط الانتاجي مما يحقق صالح الامبريالية .

اذن ، ما جوهر الامبريالية الحديثة ، وبعبارة أخرى ما أصولها الاقتصادية ؟ وفي الاجابة عن السؤال تبدو المساهمة الحقيقية من جانب هوبسون ، في تاريخ تطور الفكر الاقتصادي • ان نشأة الامبريالية الحديثة مرتبطة بالورطة التي تعرضت لها الرأسمالية الحديثة . ان عدم المساواة في الدخول أدى الى موقف متناقض لايستطيع فيه الأغنياء والفقراء أن يستهلكوا القدر الكافي من السلع ، ونتيجة لهذا يضطر الأغنياء الى الادخار ، ولكن المشكلة تتعلق بالكيفية التي يمكن بها استخدام المدخرات ، وأجاب هوبسون أن المدخرات التي يكونها الأغنياء آليا يمكن استثمارها بحيث لا يصحبها ازدياد الانتاج في الداخل ومعنى هذا أنه يمكن استثمارها فيما وراء البحار . فالامبريالية في رأيه اذن هي محاولة يقوم بها كبار الذين يتحكمون في الصناعة لتوسيع المجرى الذي ينساب فيه فائض ثروتهم عن طريق البحث عن الأسواق الأجنبية والاستثمارات الأجنبية التي تستوعب ما يعجزون عن استخدامه في داخل بلادهم ، من السلع ورأس المال • ومعنى هذا أن التركز الرأسمالي الهائل لم يعد يجد له متنفسا الا فيما وراء البحار ، ومن هنا كان هذا التسابق المحموم الذي شهده الجزء الأخير من القرن التاسع عشر • وبهذا التحليل كشف هوبسون الغطاء عن حقيقة الامبريالية بعد ان بدد الأسباب والمبررات التي لاتتصل بهذا الجوهر •

ولكن هذا التحليل ينطوي على نتائج بالغة الخطورة • فعملية التوسع الامبريالي الحديث لم يقم بها بلد واحد أو شعب واحد ، وانما كانت سباقا اشتركت فيه بلدان عدة وشعوب عدة ، كما يتضح مثلا من تقسيم أفريقيا حيث حصلت على الأنصبة ، وان لم تكن متكافئة ، بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا ، لتكون سوقا هائلة لرأس المال والسلع ومصدرا ضخما للمواد الأولية . وفي سبيل هذا التوسع ومن أجل المحافظة بما يتم الاستيلاء عليه وللحيلولة دون عدوان عليه من جانب المشتركين في السباق أو الذين ظلوا خارجين عنه ، تعمل الدول الامبريالية على خلق الأداة العسكرية التي تكفل لها تحقيق هذه الأغراض • وبهذا تصبح الامبريالية طريقا يقود الى الحرب • انها عملية دنيئة تتنافس فيها البلاد الرأسمالية من أجل الحصول على منابت تنمو فيها ثرواتها المعطلة ، وبعبارة أخرى انها عملية توحي باراقة الدماء .

هنا تبدو اهمية بل وخطورة التحليل الذي يقدمه هوبسون • فاذا كان كارل ماركس قد سبق أن قال ان الرأسمالية الحديثة تحفر قبرها بيدها بسبب ما تنطوي عليه من المتناقضات ، فان هوبسون سار خطوة أبعد فاوصى بأن الرأسمالية قمينة أن تقضي على العالم كله • وهذه هي النظرية التي تلقفها لينين وصاغ منها نظريته المعروفة « الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية » •

ويلخص هوبسون الآثار السياسية للامبريالية الجديدة بهذه العبارات القوية « انها خطر دائم على السلام ، اذ تهييء اغراء مستمرا للقيام باعتداءات جديدة تسكنها أجناس أدنى ، واشعال الفتنة بين أمتنا والأمم الأخرى ذات المطامع الامبريالية المنافسة ••• (و) تؤدي الى ضياع الموارد البشرية والأخلاقية ••• (و) تستهلك ... الموارد المالية للأمة في الاستعدادات الحربية وتوقف صرف الدخل الجاري للدولة على المشاريع العامة المنتجة ، وتحمل الأجيال القادمة أعباء ديون ثقيلة ... واخيرا : ان روح الامبريالية وسياستها وأساليبها على عداء مع أنظمة الحكم الذاتي الشعبي ، وتؤيد صورا من الطغيان السياسي والسلطة الاجتماعية تعتبر العدو الميت للحرية والمساواة الحقيقيتين » .

ان أحدا قبل هوبسون لم يحلل الامبريالية الحديثة بمثل هذه الدقة ، ولم يفضح شرورها بالنسبة الى الدول التي تخضع لها والدول التي تمارسها ، بمثل هذا الوضوح • هذه الحقائق كانت المادة التي امتصتها الماركسية . فاذا كانت الامبريالية وليدة التطور الذي طرأ على الرأسمالية، واذا كانت بمثل هذا الخطر على السلام العالمي وعلى الأمن والتقدم والحرية في الداخل ، فلا سبيل اذن الى القضاء عليها الا بتحطيم الأساس الذي تقوم عليه ، أي النظام الرأسمالي نفسه •

هذا هو الكتاب الذي اعتبر صدوره ثورة في عالم الفكر الاقتصادي ، بما طلع به من نظرية تستند الى الحقائق والأرقام • أما الترجمة العربية فانها تمتاز بالأمانة والنزاهة اذ حرص المترجم على أن ينقل أفكار المؤلف كما صاغها ، وأضفى عليها وضوحا بفضل سلامة الاسلوب وجزالته ، مما يدل على تمكن من لغة الأصل ومن لغة الترجمة .

بعض مشكلات الفلسفة

لوليم جيمس

ترجمة الدكتور محمد فتحى الشنيطى

مراجعة الدكتور زكى نجيب محمود

بقلم: الدكتور عثمان أمين

انقضى أكثر من نصف قرن على وفاة وليم جيمس امام الفلسفة الأمريكية المعاصرة ، وما يزال أثره قويا عميقا لا فى العالم الجديد فحسب ، بل فى غير واحد من أقطار العالم القديم أيضا . ولو تصفحنا ما كتب عن فلسفته وما نقل من مؤلفاته الى لغتنا فى العشرين سنة الأخيرة لأيقنا بأن رائد الفلسفة المعاصرة فى أمريكا قد ظفر فى بلادنا بأوفى قسط من العناية والتقدير : فمنذ أكثر من ربع قرن ظهر أول عرض لفلسفته باسم « البراجماتزم او مذهب الذرائع » بقلم الأستاذ يعقوب فام . وفى صيف سنة ١٩٤٠ ، (بمناسبة انقضاء ثلاثين سنة على وفاة الفيلسوف) نشر كاتب هذه السطور ترجمة كاملة لمقال رائع عن وليم جيمس ، كتبه الفيلسوف الفرنسى الكبير برجسون ، تقديما للترجمة الفرنسية لكتاب « البراجماتية » . ومنذ ثمانية عشر عاما ترجم الدكتور محمود حب الله كتاب الفيلسوف الموسوم باسم « ارادة الاعتقاد » ؛ وفى سنة ١٩٥٧ نشر الدكتور محمد فتحى الشنيطى اول دراسة وافية عن « وليم جيمس » وفلسفته . وفى السنة التالية نشر الأستاذ محمود زيدان بحثا عنه كان قد قدمه لنيل الماجستير فى الفلسفة من جامعة القاهرة . وفى سنة ١٩٦١ ترجم الدكتور محمد على العريان كتاب « أحاديث للمعلمين والمتعلمين » . وها هو ذا الدكتور محمد فتحى الشنيطى يعود الى وليم جيمس ، فيتحفنا بترجمة لكتاب له نشر بعد وفاته بعنوان « بعض مشكلات الفلسفة » .

وفلسفة جيمس ، كما قيل ، أثر لفلسفة عصره ، والغالب عليها مذهب « كانط » ومذهب التطور ؛ ثم هى أيضا أثر للبيئة الأمريكية ، والغالب عليها النفور من البحث النظرى المجرد والاعتداد بالنتائج العلمية الواقعة . من «كانط» استمد جيمس فكرته من أن للعقل الانسانى حدودا لا يسوغ له أن يتخطاها ، ومن مذهب التطور أن التغير سنة الواقع ، ومن البيئة الأمريكية أن العمل المنتج مقدم على النظر المتأمل ، وأن الحقيقة مقياسها النجاح والتأثير . لذلك وجدنا جيمس يدعو الى البراجماتية ويؤيد مذهب الحرية ، ويتصور الكون متكثرا متعددا ، فيهاجم المذهب الواحدى والمذهب الجبرى ، « ويدع مستقبل العالم معلقا يحتمل امكانيات عدة يتوقف تحقيقها على فعل الكائنات التى تقرر مصيره » ، ويبين أن للانسان حقا مشروعا فى الاعتقاد بالدين ، وأن التجربة الدينية حقيقة واجبة الاحترام ولا تقل شأنا عن التجربة العلمية ان لم تكن اغنى وأعمق منها ؛ وعلى هذه التجربة تقوم العقائد الثلاث التى هى عماد الحياة الدينية : ان عالم الشهادة جزء من عالم الغيب ، منه يستمد كل قيمته ومقوماته ؛ وأن غاية الانسان الاتحاد بهذا العالم الغيبى ؛ وأن الصلاة وسيلة لتحقيق هذه الغاية .

ولباب المذهب البراجماتى الذى دعا اليه « جيمس » أن الحقيقة هى ادنى الى أن تكون « اختراعا » من أن تكون « اكتشافا » . الحقيقة — كما عبر برجسون — « قد صنعت شيئا فشيئا بفضل الجهود الفردية لعدد عظيم من المخترعين . ولو لم يكن أولئك المخترعون موجودين أو وجد غيرهم لكان لدينا مجموعة من الحقائق تختلف كل الاختلاف عما لدينا اليوم . واذن فبناء الذهن الانسانى انما هو الى مدى

بعيـــــد من عملنـــا ، أو على الأقل ، من عمل نفر منـــا . وهنا فيما يبـدو الدعوى الكبرى للمذهب البراجماتى وان لم يصرح بها تصريحا . وبهـــذا تكون البراجماتيـة استمرارا لمذهب كانط ، كان كانط قد قال ان الحقيقة تقوم على البنيـــة العامة للذهن البشرى ، والبراجماتية تضيف ، أو على الأقل تتضمن القول بان هيئة الذهن البشرى هى نتيجة للسعى الحر الذى يقوم به عدد من الأذهان الفردية » .

اما كتاب « بعض مشكلات الفلسفة » الذى نقـله الدكتور الشنيطى الى العربيـة فهو فى الحقيقة مشروع كتـاب بداه الفيلسوف ومات قبل أن ينجزه ، ونشره ابنه سنة ١٩١١ ، وقدم له مقدمة وجيزة (لا ندرى لم اغفلها الدكتور الشنيطى فى الترجمة العربية) ، ومنها نتبين ان وليم جيمس كان يأمل أن يختتم حياته بكتاب يبسط فيه مذهبه الفلسفى الذى « لبث حتى ذلك الحين اشبه بقبة بنيت من جهة واحـــدة فقط » ، وانه عكف سنوات على تقييد آرائه فى عدد من المشكلات الميتافيزيقية ، وانه شرع يكتب هذه الصـفحات بداية لكتاب أراد « أن يكون فى متناول الميتـافيزيقيين » ، وأن اتمام الكتاب كان من أعز آماله ، ولكن حال دون ذلك اعتلال صحته واضمحلال قواه ، فلم يستطع ان يكتب فيـه الا فصولا متفرقة ، وعاجلته المنية قبل أن يتيسر له مراجعتها وتنقيحها . ومن هذا التقديم نعلم كذلك أن العنوان الذى اختاره وليم جيمس لكتابه هو « بداية لمدخل الى الفلسفة » وهنا نلاحظ أن « روجيه بيكار » الذى قام بترجمة الكتاب الى الفرنسية قد التزم هذا العنوان واردفه بعنوان اصـــغر : « بعض المشـــكلات الميتافيزيقية » .

ويقع الـكتاب المنشور فى ثلاثة عشر فصـلا تتناول الكلام فى الفلسفة ونقادها ، وفى مشكلات الميتافيزيقا ، ومشكلة الوجود ، والمدرك الحسى والتصور ، والواحد والكثرة ، ومشكلة الجدة ، والجـدة واللامتناهى ، والجدة والعلية . وقد أضيف الى هـذه الفصول ملحق عن « الايمان وحق الاعتقاد » .

واذا استعرضنا فصول الكتاب فصلا فصلا تبينا من موضوعاتها أن ما كتبه چيمس انما كان كما قال هو نفسه بداية أو تمهيدا لنسق شامل ينتظمها جميعا . فبعد أن استعرض فى الفصل الأول معـانى الفلسفة ، وقيمتها واعتراضات خصومها ، وردوده هو على تلك الاعتراضات ، انتهى الى أن الفلسفة بكل ما للكلمة من معنى ، انما هى « الانسان المفكر » ، وانها اعمال الفكر فى المعانى والأمور العـامة . لكن الانسان سواء أكان بصدد معان عامة أو خاصة يتبع فى تفكيره طريقـــا واحـــدا دائما : فهو يلاحظ ، ويميز ، ويعمم ، ويصنف ، ويبحث عن العلل ، ويبين الأشباه والنظائر ، ويقيم الفروض ، وأن ما طرأ على الفكر الانسانى من تغيرات هامة فى العصر الحديث هو اصطناعه قسطا اكبر من الحيطة فى تقرير ما اقتنع به ، واعتياده السعى الى التحقق من صحة اقتناعه ما وسعه ذلك . ويدور الفصل الثانى على الميتافيزيقـا وطبيعتها ، ومشـكلاتها فيقـدم لنـــا نماذج مختلفـة من المشـكلات الميتافيزيقية : ما الأشياء وما الأفكار ، وكيف يتم الاتصال بينها ؟ وما معنى الحقيقة ؟ والعالم أهو متنـاه أم غـير متنـاه ؟ وما طبيعة المكان والزمان ؟ وما صلة الذهن بالموضوع ؟ وما مبادىء العقل ؟ الخ . وفى الفصل الثالث يبسط الكتاب مشكلة الوجـود ، مبينا انها من أعقد المشكلات فى الميتافيزيقا ، وقد بذلت لحلها محاولات كثيرة منذ أيام « برمنيدس » و « زينون » ، وتفاوتت فى معالجتها طرائق العقليين والتجريبيين ، ولكن لا يبدو أن أيا من الحلول التى قدمهـا الفلاسفة على اختـلاف نزعاتهم ، وتبـاعد أزمانهم قـد اســتطاع أن يثبت على النقد أو يشفى غليل العقل : « اننـا ها هنا جميعـا متسولون ، قد اكثرنا من السؤال عن الحقيقة ... ولا خلاف عنـــدنا جميعا فى ان الواقع شىء « معطى » ، مبـــذول ، أو شىء « قد وجـــد من قبل » ، ولا نستطيع ان نفبره ولا أن نجـاوزه ؛ لقد تشكل من ذاته على وجه من الوجوه ، ومهمتنا بشأنه أولى بأن تكون تفسيرا لما هو عليه ، من أن تكون تسـاؤلا عن المصـدر الذى منـه جاء والسبب الذى من أجله وجد » .

ويعرض الكتاب فى الفصل الرابع لمشكلة الفرق بين الأشياء والأفكار ، أو بين الأحاسيس والتصورات ، ويتحدث عن مضمون التصور ووظيفته ، وعن « نظام الفكر » ، وعن حياة الانسان العقلية من حيث هى استعاضة عن مجموعة الأحاسيس بمجموعة التصورات ، مبينا مختلف الآراء فى المعرفة « التصورية » عند العقليين والتجريبيين ، ومعقبا بايراد المنهج البراجماتى فى اختبار التصورات ، وقاعدته التعويل على التجربة الانسانية ، والتساؤل بصدد كل تصور عن الاختلاف الذى يحسه الانسان حين يكون هذا التصور صادقا او كاذبا : « فان كنت لا تجد اى اختلاف فى الحالتين فمعنى هذا أن تصورك لا يمثل فكرة متميزة » . وينتهى چيمس الى بيان أن التصورات ضرورية لحياة الانسان الواعية : انها تخلق قيما جديدة فى حياتنا العملية اليومية ، وتزودنا بشبكة كبيرة من العلاقات بين عناصر الأشياء نسترشد بها ، ان عاجلا أو آجلا ، لهداية طريقنا . والفصول التالية من الكتاب لا تخرج فى مضمونها عما نجده فى مؤلفات چيمس السابقة : « اصول علم النفس » ، و « ارادة الاعتقاد » و « انماط متنوعة من التجربة الدينية » و « الكون المتعدد » و « معنى الحقيقة » و « مقالات فى التجريبية الجذرية » (١) و « البراجماتية : أو اسم جديد لأساليب من التفكير قديمة » . ولعل أكبر فائدتها أنها تواصل السير فى طريق النتائج التى بلغها «چيمس» فى دراساته الأولى ، عن الواحد والكثير ، والحرية ، والجدة ، والعلية ، وتعيد تقريرها وتحريرها فى نظام نسقى جديد .

ولا نزاع فى أن چيمس قد تبوأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام ، فاستطاع ان يبث فى التفكير الفلسفى فى بلاده روحا فتية زاهرة ، اكسبته حياة وخصبا ، ومدت رحابه الى العلم والأدب والفن ، وهيات له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجدد النامى بأوفى نصيب .

ولوليم چيمس راى مشهور مؤداه ان المزاج الشخصى يفسر الى حد كبير فلسفة الفيلسوف ، وهو يذكر فى هذا الصدد عبارة للشاعر الانجليزى « كولريدج » ، وهى أن « كل انسان يولد اما افلاطونيا او ارسطيا » . ونحن نفسر هذه العبارة على نحو يختلف قليلا عن تفسير چيمس ، فنقول ان ما اراده الشاعر هو أن المفكرين عموما ، والفلاسفة خصوصا ، اما أن تكون نزعتهم فى النظر الى العالم نزعة مثالية أو ان تكون نزعتهم واقعية . والمثاليون اصحاب مبادىء ، اما الواقعيون فأصحاب وقائع . ولما كانت المبادىء كلية والوقائع جزئية فطريق المثاليين السير من الكل الى الأجزاء واستخلاص الوقائع من المبادىء ، وطريق الواقعيين هو السير من الأجزاء الى الكل ، واستقراء المبادىء من الوقائع . واكبر ممثلى الاتجاه المثالى فى العصر القديم افلاطون ، وفى العصر الحديث ديكارت و « فشته » وهيجل ، كما أن اكبر ممثلى الاتجاه الواقعى فى العصر القديم أرسطو ، وفى العصر الحديث لوك وهيوم وميل . وربما امكن أن يقال ان « كانط » هو أول فيلسوف فى العصر الحديث جمع فى فلسفته بين الاتجاهين . ولعل چيمس من القلائل فى عصرنا هذا ، الذين استطاعوا أن يؤلفوا بين المثالية والواقعية تأليفا فريدا : فهو مع ميله القوى الى تجارب الحياة ووقائعها (كما يتضح من مقالاته التى جمعت تحت عنوان « التجريبية الجذرية » نجده لا ينى عن التفكير والكلام عن المبادىء والمثل العليا (كما يتضح من كتابه « أحاديث للمعلمين والمتعلمين » .

وبعد فهذه الترجمة العربية لكتاب « بعض مشكلات الفلسفة » فى جملتها امينة دقيقة ، وفيها سلاسة وسهولة ، وأسلوبها العربى فى أكثر المواضع مشرق مبين ؛ وهذه ولا شك مزايا بارزة لا يستهان بها ، وقل ان نعثر عليها فى الآثار المترجمة الكثيرة التى تخرج بها علينا دور النشر العربية هنا وهناك ، من حين الى حين .

(١) يعنى بالجذرية : القاطعة او الحاسمة لا الأصيلة أو الأصلية .



ترجمة : محمد مفيد الشوباشى
مراجعة : على أدهم

تنفرد هـــذه القصة من بين أعمال الروائى والشاعر العظيم توماس هاردى بمزية واضحة هى الاشراق والبهجة . فما أشـــد ما اشاعه هاردى فى اعمـــاله الفنيـــة من روح الكآبة والتشاؤم . ولا يكاد يوجد له نظير فى القدرة على مزج الجمال بالأسى والمتعة الفنية بالانقباض الذى يزهـــد القـــارىء الحساس فى الحياة والنـــاس . فانغـامه فى شعره وقصصه على السواء حزينـــة . وابتســـاماته الكثيرة تقطر سخرية رحيمة حكيمة . وما من قارىء اتى على روايتـــه « تس سـليلة آل دربرفيل » الا ولزمته من شاعريتها الحزينة ظلال قاسية لم يستطع الخـلاص منهـا الا بعـــد ايام وايام . وأما شعره الذى ينبض عذوبة ورقة وأسى فما أشبهه فى جماله وجلاله بانبعاث الربيع فى الف زهرة مونقـــة تتيه بالوانهـــا وعبيرها الفواح وأوراقهـا الرفافة ، ولكنها بلا استثناء ازاهير أنبتتها الحياة فى حفل من زينتها باثقة بين شقوق الأحجار ... احجار قبور غفل من الأسماء فى رحب من الأرض لا يدرك الطرف مـــدى اندياح مروجها الخضراء ! .

اما نافخ البوق فما اقل عنـــاصر الـكآبة والتشاؤم فيها اذا قيست بهذا المقياس . اما اذا وزنت بغـــيره من المقاييس فالأسى والتشاؤم يسريان سريانا لا يبعد كثيرا عن ظاهر مرحها . فما أن ينبش القارىء فى هـذا الموضـع أو ذاك حتى يجد على غور قريب من السطح الضاحك جمجمة فارغة العينين تطل عليه بحديث طويل عن مصير الانسان وافراحه العابرة ... !

بقلم : الدكتور نظمى لوقا

وحسبك فيها من دواعى الاسى والتشاؤم غير السافرين ان شر الأخوين بطليهـــا هو الذى يقسم له على الدوام أن يكون صاحب الحظوة . حتى كأنما مناعم هذه الدنيا نصيب مقدر لأخى التفاهة والسطحية والنزق ، يجزى على تقلبه بالوفاء وعلى اســـاءته بالبر والدعة والنعماء ! اما البطل بالمعنى الأخلاقى والنفسى وبكل مقياس ســـليم من مقـــاييس النخوة والاباء والايثار والسماحة مقدرة المقدور أن يجزى على الوفاء بالتنكر وعلى النبل بالاهدار وغصص الحرمان !

حسبك هذا من ظلم يغشى جو القصة بالظلام من مبدئها الى الختام . ولكن هاردى يرسل فى جوف هـــذا الظلام من افانين النغم الطروب

نافخ البوق

ومرح الشباب ونزقه ما يضيء جنباته وينسى القارىء وحشته . فكأنما يريد هاردى بذلك أن يضاعف من وطأة تشاؤمه اذ يجعل القارىء الذى يأخذ الأمور بظواهرها - وما أكثر هذا القارىء ! - ينتهى من الرواية وهو مأخوذ برنة الطرب والبهجة فلا يلقى باله الى المصير الأسيف الجائر الذى انتهى اليه ذلك الفتى النبيل نافخ البوق الذى استمدت القصة العظيمة عنوانها من كنيته . فيكون المظلوم المسكين قد حرم من حقه فى السعادة حيا ومن نظرة التقدير وعبرة الأسى على مصيره ميتا . وهكذا يكون هاردى قد قرر ان الفاضل الشهم خليق فى هذه الدنيا أن تذهب ريحه فى مهرجان الأباطيل الزائفة فلا يقام له وزن وهو يعانى حياة الواقع ، ولا يظفر بما هو حقيق به من الاكبار وهو صورة فنية بين دفتى كتاب يغلبه على اهتمام القراء فيه من هم دونه فى كل شيء .

ومن السخرية حقا أن كثيرين من المعلقين قالوا ان رواية نافخ البوق كل ما فيها مشرق . وان الجانب المظلم منها هو اطار الأحداث التاريخية التى تصور عصر نابليون الأول ومحاولاته غزو الجزر البريطانية . فما أعجب ان تعتبر هذه الأحداث اشد سوادا بواقعها الأصم من سواد القسمة الجائرة التى حاقت بالفتى نافخ البوق نفسه .

ولعل المسئول عن هذه الخديعة ما بلغه المؤلف العظيم من براعة فائقة فى تصوير شخوص روايته ببساطة موضوعية جبارة . فقد خرجت البطلة الشابة الحسناء « آن » وأمها وعاشقا آن الشقيقان النوتى ونافخ البوق وغير هؤلاء من الشخوص من ريشة توماس هاردى مصور الريف الانجليزى الساحر وهم يضجون بالحياة البسيطة الصادقة فاستولت هذه البساطة المرحة على الباب القارئين والهت اكثرهم - بل والهت الأكثرين من الملقين والناقدين - عما وراء ذلك المظهر المائج بالحبور والبساطة من معان خفية وظلال للأسى مثلما تخفى الأودية السحيقة عن عيون جمع صاخب فى يوم عيد كثر فيه الضباب وعب فيه الناس من خمر الدنان وخمر النشوة فوق المألوف .

كان هاردى شاعرا ورساما . وهو فى أسلوبه القصصى ينهج نهج الشاعر والرسام . فما أشد عنايته بخلجات النفوس وتقلبات العواطف وهجسات الأوهام شأن الشاعر المرهف الملهم . وما اشد عنايته بتسجيل التفاصيل الدقيقة للأبنية والأثاث والثياب والوانها ، والطبيعة ومناداحها فى كل فصل من فصول السنة وكل آونة من الليل والنهار . وكان من محاسن التوفيق ولا مراء أن تعهد المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر الى مترجم ذى باع فى الأدب والشعر هو الأستاذ محمد مفيد الشوباشى فى نقل هذا العمل القصصى البارز الى اللغة العربية فى هذا الثوب الأمين الجميل المحبوك .

وكاتب من طراز هاردى ليس من أيسر اليسير نقله الى اللغة العربية . فهو على بساطته وشفافيته دقيق الأسلوب فخم الديباجة ، السخرية تشيع فى تعبيراته بصورة خفية . فعندما يعد الأب الطحان وليمة عرس حافلة لابنه روبرت النوتى العائد من البحار وتهرب العروس تحت جنح الليل يخشى الرجل على كل ذلك الطعام الجيد أن يتطرق اليه الفساد فيقرر



الانتفاع به فى وليمة عرسه هو بالأرملة المهذبة الراقيــة والدة آن ! وكان شفيع الأرمل والأرملة انهما يتزوجان فى هذا الوقت على الفور : « حتى يحولا دون تبذير المأكولات المعدة للعرس . لقد شعرا بانه ممـا يوجب الف حسرة أن يدعا تلك الخيرات الطيبـــة تفسد لحاجتهـا الى حفلة تستهلك فيهـــا . فاهتديا آخر الأمر الى تلك الفكرة » .

يورد هاردى المسألة بهذه البساطة فيصور لنــا بذلك التصرف عشرات الأشياء من طباع اهل الريف فى ذلك الاقليم من انجلترا . ولا يخلو المؤلف من الدعابة التى تتخفى تحت ستار الجد الجاد . فحين يلتقى صاحب الطاحون بابنه يفسر له الموقف قائلا :

« ــ لقد وجدت لدى السيدة جارلاند اشفاقا شـــديدا علىّ بسبب ما تجشمته من تنظيف البيت ســـدى (!) وتزويده بمؤن ستذهب بددا . مما حدا بها الى قبول طلبى يدها . ونحن ننوى تنفيـــذ الأمر على الفور قبل ان تفسد الفطائر والكعك وما تحوى القدر من مأكول . والحق ان هذه كانت فكرة طيبة منى ومنها . وانى لسعيد لانتهاء الأمر على هذا النحو ! ولكنى كنت اخشى ان يؤذى شعورك قيامنـــا باعداد معدات زواجك ثم استعمالها لزواجى أنا ! .

فقال الفتى فى شهامة :

ــ لا ، ان ذلك لن يؤذى شعورى . بل سأجد فى غمتى عزاء اذ احس أن الطعام الفاخر والخمر وملابسك الجـــديدة المدهشة واغطية الموائد الباهرة التى اشتريتها ســتكون ذات فائـدة كما لو انى انا نفسى الذى تزوج ... ولكن لا تتوقع منى أن احضر الحفـل . وفى مقدورى كما تعلم ان اتوارى فى ذلك اليوم بسهولة .

فقال الأب :

ــ ليقبض الشـــيطان روحى فيما اذا كنت طلبت الزواج بهـا وانا اعلم ان ذلك سيؤدى بك الى الابتعــاد عن المنزل ... وتأكد يا بوب أنى ساجد وسيلة لتـدارك الأمر ، وصبغ العرس بصبغة الوقار بحيث يغـْدو ذا طابع حزين كما ينبغى . ان الحفل على وجــه الاجمال سيكون شبيها تمام الشـــبه بالمأتم ! سأعدك بهذا اذا وعدت بحضوره ! .

فقال الفتى وهو متألم :

ــ فى هذه الحالة ساحضر ! » .

اليس هذا الموقف على بساطته البالغة حافلا بالسخرية والفكاهة . ولكنها فكاهة قاتمة كتلك الفـــكاهة التى تومض بهـا عينا شخص تنطق اســـارير وجهــه جميعا بما ينطوى عليه من مضاضة الأسى والألم ؟! .

وضرب آخر من الفـكاهة يكتسى فيه الجد بمظهر الهزل ، ولكن فى غير مضاضة أو اكتئاب هو موقف التدريب العسكرى للمسنين والكهول من الريفيين على أعمال الدفاع المدنى ومقاومـة الغزو . فهذا موسيقى الكنيسة يقاطع الجاويش المدرب ليستأذنه فى الذهاب الى البيعة لاصلاح اوتار كمنجتــه الكبيرة قبل بداية القــداس ، فيصيح به الجاويش :

« ــ كيف يمكن أن تفـكر فى نزهة من قبيل الذهاب الى الكنيســة وموطنك على وشـــك التعرض للغزو ؟ حسبك أن التدريب العسكرى ينتهى قبل ميعاد الـكنيسة بثلاث دقائق على حسب القانون . وبيننـــا وبين ذلك الميعاد ربع ســـاعة ... والآن ! عليكم لدى سماع كلمة « عمرو البنـــــادق » أن تقوموا بحركة حشو البارود فىخزانة الزناد (على فرض ان ما بأيديكم



بنادق وليست عصيا ! » على ان تبقوا ثلاث اصابع وراء الزناد . ثم اغلقوا الخزانة . وضموا ذراعكم اليمنى بخفة الى جسمكم . وكان ينبغى قبل هذا أن اخبركم ان تمسكوا بالخرطوشة ، وهى معدة ، وترفعوها بحركة سريعة الى فمكم . وتقضموا أعلاها عن آخرها ... ولكن اياكم ان تبتلعوا قدرا كبيرا من البارود حتى لا تسعلوا وتبصقوا بدلا من الانتباه الى تدريبكم ... ولكن من هذا الرجل الذى يتكلم فى الصف الخلفى ؟ .

— من فضلك يا سيدى ! انه انطونى كريبلسترو . وهو يريد ان يعرف كيف يتسنى له ان يقضم طرف خرطوشته وقد خلا فمه من الأسنان ؟ .

— أين عبقريتك الحربية يا رجل ؟ ارفع خرطوشتك الى فم الرجل الواقف الى يمينك ودعه يقضمها لك ! » .

أليست هذه صورة دافقة الحيوية لشجاعة هذا الشعب من الفلاحين المسنين فى مقاومة غول أوربا الذى لا يقهر ، وهم يأخذون مأخذ الجد الذى لا مزيد عليه تدريبهم بأيدى الفئوس على استعمال البنادق ؟! واعجب من هذا أن يكون ذلك الجاويش المدرب نفسه جنديا غشيما جدا لم يتلق من التدريب العسكرى الا ثلاثة أسابيع لم يكن معلومه فيها فوق مستوى الشك ، ولذا نجده يقول لاولئك المتطوعين من الفلاحين :

— اذا ارتكبت خطأ فانى أكون شاكرا كل الشكر لأى صديق منكم يردنى الى الصواب . فأنا نفسى لم انخرط فى سلك الجيش الا منذ ثلاثة أسابيع . ونحن جميعا بشر معرضون للخطأ ! .

وعلى هذا النحو المائج بالحياة البسيطة الصادقة والفكاهة التى تدل على الحكمة والحقيقة الجادة اكثر مما يدل عليها الجد الصارم تمضى صفحات الكتاب حافلة بالتشويق والامتاع لكل قارىء بوجه عام ، ومتيحة للقارىء المتأمل الفطن منادح من استبطان الحقيقة الرصينة الأسوانة تحت مظاهر هذه الألوان ذات البريق والرونق والافتتان بالحياة .

ونحسب انه لا يغض من قدر الكتاب أن نقف قليلا عند كلمة هنا وكلمة هناك ...

ان الأستاذ المترجم يقول فى الصفحة الثالثة وفى صفحة ١٢ أيضا « قصة الأمراء الحكام » ويعنى بذلك تلك الملحمة الدرامية التى نظمها توماس هاردى وتعتبر آيته الكبرى حول حروب نابليون وجعل عنوانها «العواهل» . ولا اعتراض لنا على ترجمة ذلك العنوان بالأمراء الحاكمين او الأمراء الحكام . ولكن ما نأخذه على المترجم الفاضل اصراره على وصف ذلك العمل الشعرى التمثيلى بأنه « قصة » . وهو عمل اشهر من ان يجهل دارسو الأدب مكانته الرفيعة لابين أعمال توماس هاردى الشاعر العظيم فحسب ، بل وباعتباره أيضا آخر ملحمة عظيمة من ملاحم الشعر فى اللغة الانجليزية .

هفوة عالم ولا شك .

واحسب أيضا ان المترجم الشاعر الأديب قد أسرف على نفسه وعلى المؤلف فى التزام أمانة الترجمة التزاما جار على روح اسلوب هاردى فى سبيل التمسك بالحرفية فى بعض المواضيع اضرب مثلا لهذا ثلاثة تعبيرات فى صفحة واحدة فتحتها اعتباطا وهى صفحة ٥٧ : « انا لم أرد أن أستشير الشاب . فذلك لا يستحق شيئا . ثم أن مجيئك كان وديا بمقدار كاف » .

الست تجدغضاضة فى قوله «فذلك لا يستحق شيئا . ثم ان مجيئك كان وديا بمقدار كاف » . ما أشبه ذلك التعبير بلغة أصحاب المعامل الكيماوية ، لا بأحاديث سواد الناس او بأساليب الأدباء .

وبعد سطور يصدم القارىء تعبير آخر يجافى السلاسة :

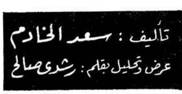
— انه من الخير كذلك الابقاء على حسن الجوار مع الناس « اذا لم يكونوا غير مطاقين اطلاقا » ! .

وهذا القبيل من الهنات نعيذ منه شاعرية المترجم الأديب ، وكنا نود ان يبرأ منه هذا الجهد الضخم الطيب .

ولم أر فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

كما يقول ابو الطيب .

الفن الشعبي والمعتقدات السحرية





ينبغي لنـــا ، ونحن نعرض كتـاب « الفن الشعبي والمعتقـــدات السحرية » أن نذكر أن الأستاذ سعد الخادم ، مؤلف هذا الكتاب ، أصدر في السنوات الأخيـرة ، مجموعة من الدراسات التي تغطي الفنون الشعبية التشكيلية ، فاظهر كتبا في الأزياء الشـــعبية القومية ، وفي الصناعات الشعبية ، والفخـار ، كما انه اشترك مع الأسـتاذ موريس بوڤييه ، عام ١٩٥٧ ، في عرض مجموعة من نماذج الأزياء والصــناعات والصور الفوتوغرافية المأخوذة لمظاهر الفنون أو العادات الشعبية .

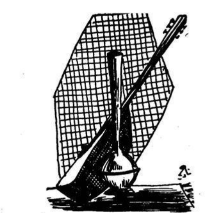
محتويات الكتاب

وأما كتابه « الفن الشـعبي والمعتقدات السحرية » فيتناول العلاقة بين طقوس السحر ومعتقـــدات العامة القديمة وبين فنونهم المنظورة ، ومنهـا الأنسـجة والحلى والتمائم وبعض الصناعات . والـكتاب يقع في أربعـة أبواب أولها معقود للسحر والفن الشعبي في العصر الحجري القـديم . والثـاني مخصص لهـذا الموضوع في العصر الحجري الحديث ثم يأتي البـــاب الثـالث فيتنـاول الموضـــوع ذاته في الحضـــــارة الفرعونيـــة ، وينتهي الـكتاب ، بفصل عن الفن وطقوس السـحر في الحضارتين اليونانيـة والرومانية . والمؤلف يحدد الغرض من كتابه حين يقول لنا أنه يريد أن يعطي القارىء فكرة ولو تمهيدية عن « شمول الحركات الفنية في الحضارات القـــديمة التي أثرت على فنون بلادنا » ويقول لنـا كذلك ، أنه يريد أن يظهر « الصلة بين انواع السحر وبين الفن »

ويختار المؤلف ، أكثر شـواهده ، من تاريخ المجتمعـات الانسانية الغابرة ، وقد يعرج على بعض العادات أو الشواهد الفنية ، التي ترسبت من الماضي ، وما برحت تجرى في الاستعمال حتى الآن .

ولهذا السبب ، تبدو أهمية قائمة المراجع العربية والأجنبية ، الملحقة بآخر الكتاب ، والتي تضم ٥٧ مرجعا ، يضـاف اليها مجموعة الصور الفوتوغرافيـة لنماذج مختلفة من الفنون التشكيلية الشعبية . ذلك أن المؤلف استقى أغلب مادته ، وفحص عنها ، من ثنايا قراءاته في المراجع المذكورة ، ثم هو استقصى بعض العادات أو المعتقدات أو نماذج الفنون الجارية في الاستعمال .

ويبين المؤلف ، نظرته الى ملامح الفن الشعبي ، الذي تناوله بالدرس ، فيقول لنـــا ، ان الفنـــان القـــديم ، انتج فنـــه ، بوازع من الظروف



الاقتصـــادية : « القوت ووفرته » وبوازع من العوامل الاعتقـــادية « الديانات والعبـــادات والسحر » . فالفن الشعبى ، كما يراه المؤلف فن غائى عمـــلى . يـكفى ضرورات العيش أو ضرورات الظن الغيبى ، وهذا الفن ، لم ينبع من الاحســـاس الفردى المطلق بالجمال ، ولم ينشأ فى أوقات الفراغ .

ويشرح المؤلف ، كيف اختلط التعبير الفنى بمراسم الســـحر وعقـــائده ، وكيف درجت الفنون ، فى دائرة المعتقدات الشـــعبية .

الأثريات الشعبية والفولكلور

ويقودنا منهج الكتاب وميدانه ، الى ان نسأل انفسنا : اين يقع هذا النوع من الدراسة ؟ هل هو يقع تحت ما نســـميه بالمأثورات الشعبية المعاشـــة ؟ اى الآداب والفنون والعوائد ، التى يستـخدمها الشعب فى حياته الراهنة ؟ والتى وصلت اليه ، وتلقاها ، عن الأجيال الســابقة ، فحفظتها الرواية الشـــفاهية ان كانت ادبا ، أو حفظها التقليد والمحاكاة ان كانت فنا تشكيليا ؟ . او ان هـــذا النوع من الدراسة يقع تحت قسم معين من اقســـام الفولكلور ؟ نحن نميل الى أن نضـــعه تحت ما نســـميه بالأثريات الشـــعبية (Antiquitas Popularis) أو ما نســـــميه بالاثريات الدارجـــة (Antiquitas Vulgares) . ونعنى بذلك ، أنه يبحث أكثـــر ما يبحث فى مـــادة دراســـة ، كانت موجـــودة ومتـــداولة فى بعض عصـــور التاريخ ، وكانت شعبية الجوهر والمنمى ، ثم درست وتلاشت ، وإذا ترسبت منهـــا بقايا ، فجوهرها اختفى ولم يعد جازيا فى الاستعمال .

واما الشواهد القليلة ، التى يحيلنا اليها المؤلف عن التراث الشعبى المعاشى ، فتحتل مكانة ثانوية فى البحث ، وتأتى فى مجال التعقيب لا التصوير .

وليس فى وصفنا لجنس هذه الدراسة بانها « أثريات شعبية » ما ينتقص من قيمتها . غاية الأمر ، نحن نريد ان نحدد جنسها ، لنرى طبيعتها ، ومكانها من الدراسات الفولكلورية بعامة

والواقع ان هـــذا النوع من الكتابات ، بدرت أوائله ، منذ قرون عديدة ، فالمصادر الأولى ، التى يشـــير اليها مؤرخو الفولكلور فى العادة ، هى «كتابات تصف العادات والعقائد فى المجتمعات القديمة » .

وقد اصـــطلح مؤرخـــو علم الفولكلور على تسمية هذا النوع من التآليف ، باسم « الأثريات الشعبية » .

وكانت بواكيرها الأولى ، قد ظهرت أثنـــاء الحضارات القديمة ذاتها .

فكتابات « هـــيرودوت » عن مصر ، ليست تاريخا خالصـــا ، بل هى مزاج من الكتابات الأثنوجرافية والتاريخية .

ومقالة "Germania" لتاسيت Tacitus الرومانى ، مزاج من التـــاريخ والاثنوجرافيـــا والمقالة الاجتماعية السياسية (١) .

وكتـــابات الرحالة والجغرافيين من العرب ، الأوائل ، وكذلك كتب الأخبـــار والأنســـاب ومجالس الأدب ، بل العلوم الطبيعية والفلكية ، تشتمل على شـــواهد من العقـــائد والعـــادات — وأحيانا الفنون — الشعبية القديمة .

وكتاب مثل مقدمة ابن خلدون ، تختلط فيه النظرية التاريخية العقلية ، ونظريات الاجتماع الرائـــدة ، بشـــواهد من الســـحر والـكيمياء الشعبية ، والعادات ، وشىء من الأدب الشعبى .

وتحفل عصور النهضـــة التى عادت بالفكر ربطه الى الكلاسيكيات ، وعصر ازدهار التجارة فى أوروبا ، ونشـــاط حركات الـكشف ، ثم الاستشراق — بكتابات شـــهيرة عن الأثريات الشعبية ثم تتدرج هذه التآليف ، الى ان نجد مطـــابع أوروبا ، فى القرن الســـادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، تخرج مؤلفات صريحة فى هذه الناحية . ومنها فى بريطانيا كتاب هنرى بورن (Henry Burne) الموسوم باسم (Antiquitas Vulgares) — الذى ظهـــر عام ١٧٢٥ — ١٨٢٥ — وبعـــد خمسين سنة أو نحوها صدر كتاب « ملاحظات على الأثريات الشـــعبية (٢)

(١) صفحة ٨ من كتاب : Folklore Research Around The World طبعة ١٩٦٢

(٢) Observations on Popular Antiquities



لجون براند ، ثم اطّرد نمو هـــــذا النوع ، أثنـاء القرن التاسع عشر ، مستفيدا من نشوء علم الانسـان وعلم الأجناس ، ومن دراســـة الجماعات البدائيـة ، حتى يبلغ مداه فى معجم شـــهير هو « العقـــائد والفولكلور ــ قاموس للعقائد القومية والخرافات والعوائد الشعبية ، فى ماضـيها وحاضرها ، مع مقابلها الأجنبى والكلاسى » (١) .

ولا ريب فى أن تقدم دراسة العادات والأجناس والثقافات فى الطبقـات الشعبية بأوروبا ، وفى المجتمعـات المتأخرة ، فى قلب أستراليا ، وأعماق افريقيا ، وأمريكا ، قد أمد المعنيين بهذه الناحية ، بذخيرة من الأمثلة والاستنتاجات ، مما جعلهم قادرين على عقـــد المقارنات على نطاق الميراث الشعبى العالمى .

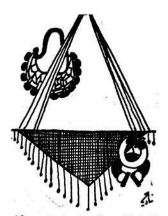
وموسوعة « الغصن الذهبى » للعـلامة سير جيمس فريزر ، أظهر مثـال ، على استـفادة البـاحث ، بما حققتـه الجهود السابقة عليه والمعاصرة له .

غير أن هذا التيار كله ، بما حقق من نتائج ، وما يؤخـذ عليه من قصور ، لم يكن هو ذاته ، علم الفولـكلور البحث . فمنذ البداية ، حاول علم الفولكلور أن يميز نفسه عن علوم «الأثريات» و « التــــاريخ » و « علم الانســـان » و « علم الأجناس » وغيرها من الانسانيات .

ونحن نذكر نص الخطاب الذى وجهه جون تومز ــ الذى اشتق تعبير الفولكلور عام ١٨٤٦ ــ الى الأثنيوم ، وحاول فيه أن يميز بين الفولكلور ــ أى المأثورات الشـــــــعبية ــ وبين الأثريات الشعبية الدارسة .

وحقا ، لم يكن فى مقدور تومز ، أو معاصريه أن يحولوا دون غزو العلوم الاجتماعية والنفسية واللغوية ، لهذا العلم الجديد .

فقـد شـهد القرن التاسع عشر ، بخاصة ، ظهور مدارس فولـكلورية تنتمى الى نظريات ومناهج العلوم الأخرى ، فكان يعقوب جريمه ،



مؤسس علم الفولــكلور الحـديث ، وكان بنفى ، صـاحب الدراسات الاستشراقية ، هو نفسه صاحب مجموعة من الآراء ذات الفعالية فى أصـل الحـكايات الشـعبية ، وكان علماء الأنثروبولوجيا ، هم أنفسهم ، أصـحاب آراء مؤثرة فى تفسـير المأثورات الشعبية ، وكانت نظريات فرويد تغزو عقول الفولكلوريين عنـد ظهورها . ولقد ظل الأمر كذلك ، الى أن تكاملت لعلم الفولكلور ، مناهج بحثه الخاصة ، ونعنى بها مناهج المدرسة الفنلندية ، أو مناهج المدرسة الجغرافية التاريخية .

وطوال أجيـال الآن ، ودراسة الفن الشعبى أو المـأثورات الشعبية ، تتجه أول ما تتجه الى جمع النماذج من مواطن اسـتعمالها ، فنأخذ الأدب من أفـواه رواته ، والألبســة من فوق أبدانهم ، والصـناعات من داخـل دورهم ، والزخـارف والنقوش ، من فـوق أبوابهـم ، وحوائط بيوتهم ومن أسواقهم ... الخ .

وهذه المـادة المعاشة ، المادة التى يستخدمها الرجل أو المرأة الشـعبية ، هى الحصيـلة والذخيرة التى تتيح لنا ، أن ندرسها ، ونقارن بين أنواعها ، ونحللها ، ونختبرها . فاذا شئنا أن نجلو أسرارها ، كان من حقنـــا ، لا بل من واجبنــا ، أن نستعين عليها ، بأوسع المعارف العلمية ، سواء فى ذلك أن نستعين بالانسانيات ، أو بالعلوم الطبيعية ، أو النفسية أو أن نجـد فى الحفريات والتاريخ ، فى الجغرافيا ، ونظريات الاجتماع ، ما يعيننا .

الفولكلور وعلم التاريخ

ذلك أن الفولــكلور هـــو علم المـــأثورات الشعبية المعاشة قبل أن يكون علم تاريخ وقبل أن يكون علم الأثريات الشعبية وهو علم الثقافة الشعبية المعاشـــة قبل أن يكون علم الثقافة الدارجة الدارســـة . واذا كان غرضه ــ كما يقول الأسـتاذ الكزاندر كراب فى كتابه « علم الفولكلور » أن « يحاول اعادة انشاء الحيـــاة الروحية الدارجة» فانه يختلف فى غايته ووسائله ومجاله عن علوم التاريخ والأثريات .

(١) Faiths and Folklore — A Dictionary of National Beliefs, Superstitions and Popular Customs, Past and Current with their Classical and Foreign Analogues — by Carew Hazlitt — 1905.



والكزاندر كراب نفسه – وهو حجة وعمدة فى علم الفولكلور المعاصر – يحذرنا من أن نعتمد فقط على التاريخ . لأنه يرى أن التاريخ « علم الوثائق » ، وانه ينتهي حين تنتهي هذه الوثائق ، فكيف نعول عليه وحده فى دراسة مادة غير وثائقية بطبيعتها ؟ وكيف يجوز لنا أن نأخذ بنتائجه وحده ونطبقها على مادة الفولكلور التى تمتاز بأنها شفاهية اذا كانت أدبا ، ومتوارثة ، ومجهولة المؤلف وغالبا ما تكون مجهولة المصدر ؟ .

ويذهب كراب ، فى شكه العلمى ، الى تفنيد كافة النتائج التى قالها علماء علم الانسان وعلم الأجناس عن أصول الحكاية أو الأسطورة أو الخرافة أو المثل أو الأغنية الشعبية ، ويقول لنا أن هذه النتائج «مزاعم» تقفز الى الشكليات ، دون أن يستند الى فحص شامل وكامل للجزئيات .

وان دراسة الثقافة الشعبية على نطاق المجتمع البشرى كله ، أمر لا يستسيغه علم الفولكلور . فالصواب ، أن نبدأ من الطريق المضاد ، فنجمع ونسجل ، نماذج الفن الشعبى ، من الميدان ، ثم نخضعها للتصنيف العلمى ، ونحللها الى الفقرات Items أو نقارن بين نصوصها التاريخية historical Versions . ان وجدت ونصوصها المحرفة أو المستحدثة أن كانت هناك صلة يقينية ثابتة بين النص المعروف والنص الشفاهى .

وعند تطبيق هذا الرأى ، نرى علم الفولكلور ، يستبعد من رحابه ، الدراسات التى خالطته كثيرا ، وسميت بالشعبيات . ذلك انه يترك حياة الماضي لعلوم التاريخ والآثار ، ويركز جهوده على الحياة الشعبية الحاضرة . ثم انه لا يتصدى للحياة الشعبية على اطلاقها ، باعتبارها اطار الانسانية جميعا ، وانما هو يركز على الحياة الشعبية ، فى اتصالها بثقافة أمة معينة من الأمم ، أو ثقافة مجموعة شعبية داخل هذه الأمة ، أو ثقافة بيئة محددة معلومة .

وعلى ضوء هذا ، لنا أن نعتبر مظاهر الحياة اليومية عند الفراعنة ، موضوعا خاصا بعلم الآثار أو علم التاريخ ، فى حين نعتبر مظاهر الحياة اليومية الراهنة فى بلادنا ، موضوعا خاصا بالفولكلور المصرى أو الفولكلور العربى .

وحين نواجه بقايا مترسبة . من الماضي البعيد ، نهتم أول ما نهتم ، بوجوه استعمالها الحالية ، ودلالتها الراهنة ، فاذا أردنا أن نحللها ، كان علينا أن نطبق منهاجا فولكلوريا مما استقرت عليه آراء العلماء الموثوق بهم .

ولنأخذ مثالا ، فقرة ، وضع الطفل فى صندوق والقائه فى نهر ، ثم انقاذه ، وعودته الى الحياة بل المجد .

هذه الفقرة – كما يدلنا سير جيمس فريزر – موجودة فى حكايات واساطير ما بين النهرين ، والسند والكنج ، والنيل وغيره من الأنهار .

تنظر اليها الانثروبولوجيا من زوايتها الكلية ، ودلالتها الثقافية .

وأما دارسو الحكاية الشعبية ، فيضعون أيديهم أولا ، على أكثر عدد ممكن من نصوصها المستحدثة (الشفاهية) وينظرون اليها ، وسط بيئتها الجغرافية والاجتماعية المحددة ، واذا ثبت لهم أن هيكلها الرئيسى (Norm) متماثل مع هيكل الأسطورة المعروفة أو الحكاية المعروفة ، كان عليهم بعد ذلك أن يتقصوها ، خلال الصور التاريخية الأخرى ، التى تنتسب الى القرون الواقعة بين عصر الفراعنة مثلا ، وحياة النص المعاش .

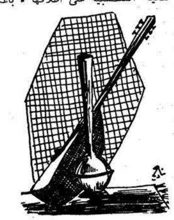
ولعلهم ، يستعينون فى تحليلها ، بدراسات الهجرات البشرية ، أو تطور انماط الثقافة ، أو دراسة أساليب العمل ، أو التاريخ أو علوم اللغة أو غير ذلك .

الظاهرات الروحية والظاهرات المادية

وحقا ، يثور الجدل أعظم الجدل ، حول الفنون التشكيلية عموما ، وهل تدخل فى نطاق المادة الفولكلورية أو تخرج عنها ؟ .

وينقسم الرأى فى هذه المسألة الى قسمين : فريق يرى أن مادة الفولكلور هى فقط الحكايات والأمثال والألغاز والنداوات والأساطير والخرافات والأغانى والموسيقى والرقصات وما يحيط بهذا كله من عادات وعقائد .

وهذه الأنحاء ، تسمى « الظاهرات الروحية » .



وفريق آخر يضم اليهـا ، فنون الزخرفة والوشى ، والنحت ، والتصوير ، والصنائع ذات الغاية الاستعمالية متى كانت لها قيمة جمالية وهذه الأنحاء يسمونها « الظاهرات المادية » .

والرأى الذى استقرت عليـــه لجنة الفنون الشعبية بمجلس الآداب والفنون ، هو الرأى الثانى ، الذى يأخذ بالتوسع ، فى تحديد مجال الفولكلور وبالتالى فى تحديد دراسته .

وبالرغم من هـذا ، فمن الخير أن يربط الباحث فى الظـاهرات المـادية ، بينها وبين الظاهرات الروحية ، لأن الثانية هى الأصل .

وانى لأتصور ، أنه يمكن — دون خطأ كبير — ان ندرس فرعا من فروع الأدب الشعبى ، دون ان نعرج على الظـاهرات المادية ، لكنى لا أرى صوابا ، فى أن ندرس الأنسـجة الشعبية مثلا ، دون ان نعرج على وفرة من شـــواهد الحكايات والأزجال والأغانى والعادات ، التى تلقى أضواء على دلالات هذه الأنسجة . ذلك ان الفولكلور ، فى حقيقته ، هـــو رد الفعل التلقائى للانسان الدارج ازاء الحيـــاة وستظل التلقائية ، تجد افتنانها الأول ، فى النغم والحكمة والاشارة ، والشفاهية ، قبل أن تجده فى تكنيك الصنعة ، وخبرة تطويع المادة الخارجية .

تقييم الـكتاب

على أن كتاب « الفن الشعبى والمعتقدات السحرية » ، وقد أثار فى الذهن هذه المسائل وأكثر ، جـدير بأن يقرأه القارىء ، ويفسح له مـكانا فى مـكتبته . وهو جـــدير باهتمـام المتخصصين ، فى الفنون بعـــامة ، وفى الفنون الشعبية سواء بسواء .

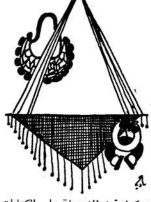
ولقد أضاف المؤلف بكتابه هذا جهدا طيبا الى الجهود السابقة ، ويكفيه أنه يرتاد الطريق الى دراسة الفنون التشكيلية الشعبية ، حيث تندر الكتابات العربية ، وحيث يحجم اساتذة الفن التشكيلى عن الخوض فيه .

وانه لأمر يدعو للأسف ، أن يتخلف التأليف فى هـــذه الفنون عن التـــأليف فى شـــقيقاتها من الفنون القولية الشعبية .

ولولا جهود سعد الخادم ، وبعض الجهود الأخرى التى بدرت اخـــيرا ، لظل مجـــال الفن التشكيلى الشعبى ، منطقه مغلقة .

المستشرقون والمستغربون

ومما يدعـــو للأسى كذلك ، أن تظـــل أهم الكتابات فى مجال هذا الفن التشكيلى الشعبى ، مشـــغولة باسماء نفـــر من الاجانب وانصاف الأجانب ، مستشرقين ومستغربين . فتـــاريخ الصـــناعات اليـــدوية والحرف — كما نعلم — ما برح رهن المؤلفـــات الفرنســـية والألمانيـــة والانجليزية على الأغلب وقائمـــة بيليوجرافية ،



مثل قائمة ليمان كولدة ، المشتملة على الكتابات والمخطوطات الخاصة بحياة الفلاح المصرى فيما بين ١٧٩٨ و ١٩٥٠ ، تدلنـــــا — على أنه باستثناء الآداب الشـــعبية — تعزز كتابات المستشرقين والمستغربين ، أكثـر ممـــا تعزز الكتابات العربية .

وخذ مثـــلا العقائد الشعبية ، ستجد فيها — على سبيل المثـال — مقالات لجورج بشتلى بالفرنسية صادرة فى مجلة الجمعية الجغرافية عن التمائم والعادات المصاحبة لها (١) وستجد مثلا ، مقالا فى مجلة « مان » (٢) عن الصلة بين تميمة مثلثة قوقازية وتميمة مصرية .

واذا عدنا الى الاعداد الأسبق زمنا من مجلة الجمعيـــة الجغرافيـــة (٣) قرأنا عن الخرافات الشعبية المصرية .

وقد نقرأ فى عديد من المراجع الأخرى ، عن العقائد الشعبية كما تظهر فى سـلوك الناس الشعبيين أثنـــاء المواسم وزيارات الأضرحة ، وتبعا لأحداث التقاويم .

ويغلب على هذه الكتابات ، — ايا كان تأثرها بالعلوم الاجتماعية الحديثة — نظرة « السائح » المستعجل ، او العـــاجز عن فهم روح الشعب واعماق طبائعه وحقيقة دوافعه .

وأسهل الأمور ، أن يتوهم الســـائح او الذى ينظر نظرته ، أن العادات والعقائد الجارية ، هى صورة متدهورة لعادات الفراعنة وعقائدهم .

ومن الناحيـــة العلمية الصرفة ، ينبغى أن يكف الباحث فى التراث الشعبى ، عن الانبهـــار أمام التماثل الجزئى ، أو التقـــارب الجزئى ، بين بعض عناصر الســـلوك المعاصرة ، والسلوك الشعبى القديم .

ولعل دراسة الفولكلور بالذات ، أن تكون من أكثر الدراسات احتياجا الى أصالة الوازع والاحساس القومى .

واذا استطاع المستشرقون والمستغربون ان

(١) عدد نوفمبر ١٩٢٩ .
(٢) عدد مارس ١٩٣٨ .
(٣) العدد السادس ١٩٠٩ .

يدرسوا مفردات اللغة الفصحى أو العاميات ، فانهم يعجزون — بالتأكيد — عن فهم نماذج الأدب الشعبي أو الفن الشعبي ، أو العادات الشعبية . فالمطلوب هنا ، أن يخالط الدارس البيئة مخالطة تبدأ مع الميلاد وتنتهي بالوفاة ، وأن ينتمي الدارس بعواطفه الى الحياة الشعبية فعلا ، فيحبها ، وينتشي بها ، ويتأملها ويعشقها . ويكتشفها ، على ضوء هذا الحب ، والعلم .

ولهذا كله ، نقول في الحاح ، ان « تمصير » الدراسة الفولكلورية ، ضرورة علمية ، وقومية .

ولهذا ، نرحب ، أشد الترحيب ، بجهد المؤلف وغيره ممن يكتبون في الفولكلور العربي المصري . لأنهم وحدهم الذين يستطيعون أن يشقوا طريق هذا العلم الجديد ، ويرسوا قواعده ، ويقيموا صرحه .

الخلاصة

ونستطيع أن نجمل حديثنا ، في أننا نعتبر « الفن الشعبي والمعتقدات السحرية » دراسة في الأثريات الشعبية ، ونود أن يتجه المؤلف في دراساته المستقبلة ، الى استقصاء المادة المعاشة اولا ، ثم الاستعانة عليها ، بما يشاء من معارف . ونحن نعتبر ، ان دراسة الأثريات الشعبية بعامة ، هي طابع مرحلة الزيادة في علم الفولكلور ومهما تذرعنا فيها بنتائج العلوم الأخرى ، فانها لا تصمنا في قلب علم الفولكلور ، ذلك أنها بطبيعتها تتعامل مع مادة تاريخية ، في حين يتعامل الفولكلور مع المادة المعاشة .

ونعتبر كذلك ، أن الكتابة في الفن والعقائد ، قد درجت على أيدي بعض المستشرقين والمستغربين ، يسوقها وهم أساسي ، يبدو في هذا التأكد على أهمية التماثل الجزئي أو التلاقي الجزئي بين بعض النماذج أو أنماط السلوك . وان المؤلف العربي . مطالب بأن يشك في هذا الجهد السابق عليه ، ويتخذ — منهجا عكسيا — ذلك انه أقدر من الآخرين على الاحساس بظلال الدلالات ، فضلا عن خطوطها الرئيسية .

ومع هذا ، فكتاب « الفن الشعبي والمعتقدات السحرية » يظل في رأينا ، عملا له أهميته ، وقدره ، خاصة وأنه يسد حاجة ، ويملأ فراغا ، ويعطي ناحية لا يحمل أعباءها الا عدد قليل جدا من أساتذة هذه الفنون ولا نزاع في أن فضلا ظاهرا يعود الى سعد الخادم في أنه ابرز الى الوجود هذا النوع من الدراسات العربية في الفنون التشكيلية الشعبية .

ويحق للباحث بعد ذلك أن يلاحظ أن الدراسات الفولكلورية ، في بلادنا أصابت تقدما ملحوظا ، وانها تشق طريقها بسرعة غير قليلة ، وتصل في مجموعها الى مستويات رفيعة . فالى سنوات مضت ، كان عدد الكتب التي تملكها خزائن الكتب العامة ، وتتصل بالفولكلور ، لا يعدو الثلاثة ، وكان عدد الدراسات العلمية ، لا يجاوز عدد اصابع اليد .

غير أن رعاية الدولة للفن الشعبي ، وتفتح الروح القومية — وهي التي تبعث الاتجاه الى الفولكلور قد أتاح للمكتبة العربية في مدى سنوات قليلة ، دراسات متوالية ، بعضها في الأدب ، وبعضها في الفنون التشكيلية ، وبعضها في علم الفولكلور نفسه .

وأثر ذلك كله ، في اتجاه الباحثين العرب خارج الجمهورية العربية ، فصدرت في الحجاز والعراق وسورية ولبنان والمغرب العربي ، دراسات حديثة تنحو نحو الدراسات الفولكلورية عندنا ، وتستند الى جهد العاملين في هذه الميادين بيننا .

ومؤلف « الفن الشعبي » ليس فقط دارس فن ، بل هو عامل نشيط ، في لجنة الفنون الشعبية منذ انشائها . والى هذه اللجنة ، وجهود الباحثين بالطرائق العلمية خارجها ، يدين انبعاث حركة الفولكلور العربي في بلادنا . وينذر بأن ، يرسي — كما نرجو — قواعد منهاج يطابق حاجات الفولكلور العربي بعامة . وعندما يبدأ السير على الطريق السوي ، تقترب الغاية ، وتقصر المسافة ، وتتحول البشرى الى حقيقة .



مبادئ النقد الأدبي

تأليف : ا . ريتشاردز

ترجمة : الدكتور مصطفى بدوي

نقد : الدكتور ماهر حسن فهمي

أجمع النقاد على أن كتاب « مبادىء النقد الأدبي » لريتشاردز من الكتب القليلة التى لاغنى عنها لكل ناقد ، أو مهتم بالنقد الأدبي ، وهو أهم كتب المؤلف نفسه على الاطلاق . ولكن قارىء الكتاب يجد أمامه بعض الصعوبات التى قد تحول بينه وبين الفهم المباشر لمضمون الأفكار . وأول هذه الصعوبات أسلوب المؤلف العلمى المتزمت . وقد قصد ريتشاردز قصدا الى استخدام تلك اللغة ، والى اختيار كثير من العبارات ، رآها على التوائها أدق وأقوى على الاشارة من الأسلوب المباشر والألفاظ غير المحدودة المعنى . ولاترجع صعوبة الكتاب الى لغته وحسب ، ولكنها ترجع كذلك الى محاولة المؤلف الربط بين مسائل النقد الأدبي وعلم النفس ، وتشير نظرياته معتمدا على النتائج التى أسفر عنها علم الأعصاب .

ويبدأ المؤلف الفصل الاول من كتابه عارضا فوضى النظريات النقدية بالرغم من وفرة المادة تحت يده ، بخلاف عالم النفس مثلا الذى لايكاد يجد من الحقائق قدرا كافيا يمكنه من القيام ببحثه ، وبالرغم من أن الذين عرضوا تلك النظريات من كبار المفكرين . ويرى أن علم الجمال قد جنى على النقد حين أشاع بعض الاصطلاحات الزائفة مثل « الحالة الجمالية » و «الانفعال الجمالى» ، ويرى أن هذه الاصطلاحات لا تخرج عن كونها أوهاما . فالتجربة الجمالية لا تحوى أى عنصر فريد ولكنها تتميز عن غيرها من التجارب بأنها أدق منها تركيبا وأكثر نظاما . « اننا حين نتأمل لوحة فنية أو نقرأ قصيدة من الشعر أونستمع الى قطعة موسيقية لا نضع شيئا يختلف كل الاختلاف عما نضعه حينما نذهب الى معرض الصور أو حينما نرتدى ملابسنا فى الصباح » . وهكذا يحاول ريتشاردز أن يقضى على النظريات التى تفصل فصلا جوهريا بين تجارب الفن والتجارب الأخرى فى الحياة . ويهاجم أصحاب نظرية الفن للفن الذين يرون الشعر عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا وليس صورة من العالم الحقيقى . ويرى أن كل ما تحتويه التجربة الشعرية انما جاء عن طريق انملاقة بينه وبين الحياة ، وليس لعالم الشعر بأى معنى من المعانى وجود يختلف عن بقية العالم .

ومن الأوهام التى يحاول المؤلف أن يقضى عليها ، الأوهام التى تخلقها اللغة . فقد تعودنا أن نخلع الصفات على الأشياء ، فنقول مثلا هذه اللوحة جميلة ، كما لو كانت هناك حقا صفة « الجمال » قائمة بذاتها ذات وجود خارجى ، يمكن أن ننسبها الى اللوحة ، بدلا من أن نقول ان اللوحة الفنية تحدث فى نفوسنا تجربة لها قيمتها . فالواقع أن الملاحظات التى نقولها بوصفنا نقادا تتعلق بحالات شعورية . كذلك استعمال النقاد للقوالب مثل « البناء » و « التصميم » و « الشكل » و «الايقاع » و « التعبير » وما اليها ، فحينما ترد هذه الالفاظ فى الكلام نجدها فى أغلب الأحيان عبارة عن مجرد فجوات ، وواجب أية نظرية فى النقد أن تجد لكل من هذه الألفاظ بديلا من الممكن تفسيره . من أجل ذلك كله كان هذا الخلط فى أسلوب النقاد وفى أحكامهم أيضا .

والنقد الأدبي فى عرف ريتشاردز يقوم على شيئين رئيسيين : أولهما تفسير عملية التوصيل وثانيهما تفسير القيمة . ومعظم خصائص الذهن البشرى التى تميزه عن غيره ترجع فى رأيه الى كونه اداة توصيل . وتظهر عملية التوصيل فى أسمى صورها فى ميدان الفنون . ومن المؤكد أن الفنان لاينتج لنفسه وحده ، وانما يهمه أن يوصل فنه الى الآخرين ، وأن يشعروا بقيمة عمله ، فهو يسعى لخلق شىء احدى صفاته أنه

صالح للتوصيل وأن كان الفنان لايهتم عادة بذلك أثناء عملية الابداع الفنى بطريقة واعية . ولكن المؤلف يعود فيرى أن التجارب الفعلية التى يمر بها الناس ، حتى أفضل النقاد ، حين يقرأون ما يسمى « القصيدة الواحدة » انما تختلف اختلافا شاسعا فيما بينها ، فمن النادر أن تتشابه تجارب القراء لقصائد معينة . فالتوصيل باعتباره عملية نقل كامل أو مشاركة تامة فى نفس التجربة أمر لايحدث . وموضوع معقد مثل المنظر الطبيعى يمكن للناس أن يختاروا منه أشياء كثيرة مختلفة نتيجة لاختلاف مواضع اهتمامهم . أما اذا كان الموضوع أقل تعقيدا مثل « رجل نائم فى كنيسة » فيمكن الاشارة اليه ونحن واثقون من قدرتنا على التوصيل ، وان كنا نجد فى هذه الحالة أيضا اختلافا فى الاستجابة . فقد يبعث هذا المنظر على الغضب لدى أحد الأشخاص ، بينما يكون مثار تسلية لدى شخص آخر . والكلمة الواحدة يتفاوت هذه الكلمة . فتأثير أى عنصر يعتمد على العناصر تأثيرها حسب الكلمات الأخرى التى ترد بينها الأخرى التى توجد معه . ويمكن القول بوجه عام ان الشعر يفوق النثر فى ذلك لأن السياق يحدد معنى كل لفظ تحديدا أكمل فى حالة الشعر منه فى حالة النثر . ويواصل ريتشاردز دراسته من زاوية التوصيل لعدة مشكلات كالتباس الفهم والشعر الردىء واسترجاع التجربة . فالرجل العادى يختلف عن الفنان فى أنه مضطر فى أغلب الأحيان الى أن يكبت فى نفسه معظم الدوافع التى يثيرها الوضع الخارجى الذى يوجد فيه ، على حين أن الفنان متى وجد فى نفس الوضع كان أقل قمعا لدوافعه لأنه يتميز بقدر غير عادى من يقظة الشعور ، فهو أكثر توازنا من غيره . وعن طريق فكرة المؤلف عن التوصيل أيضا يضع لنا تعريفا للقصيدة فهى عنده « مجموعة من التجارب لاتختلف — فى أى من صفاتها الا بمقدار معين — عن التجربة المثلى وهى تجربة الشاعر حين يتأمل القصيدة بعد فراغه من كتابتها » . وهى مجموعة من التجارب لأن النقاد فى رأيه لا يستطيعون أن يمروا بنفس تجربة الشاعر ، وفى هذه الحالة يكون الشخص الذى تقترب تجربته من التجربة المثلى — بالرغم من صعوبة ذلك — هو الذى فى مقدوره أن يحكم على القصيدة .

أما الأمر الآخر الذى يقيم عليه ريتشاردز كتابه فهو القيمة . ويستعين فى دراسته باكتشافات علم النفس وعلم الأعصاب — فالدوافع والنزعات تتضارب فى النفس ، ولا يكون النظام الذى تصل اليه كاملا أبدا . وبسبب كبت بعض هذه الدوافع اضطرابا فى نشاط الفرد . والقيمة هى القدرة على اشباع الرغبة ، والشىء القيم هو الذى يرضى أحد دوافع النزوع دون أن يتضمن ذلك كبت دافع آخر مساو له أو يفوقه أهمية » . فليست اللذة اذن هى غاية الفن ولكنها عامل مصاحب لبلوغ الفن غايته وهى انقضاء على الفوضى والاضطراب والتوفيق بين الدوافع المتصارعة . « وليس افتراضنا أن القارىء الكفء يجلس للقراءة من أجل اللذة بأقل سخفا من افتراضنا أن عالم الرياضة يحاول حل معادلة رياضية من أجل اللذة التى يعود بها حلها عليه » . ومعظم مافى آثار الشعر من قيمة لايمكن وصفه الا فى حدود التوازن بين الدوافع وازالة التوتر . والعقل نفسه ليس الا جزءا من نشاط الجهاز العصبى الذى يقوم بعملية التنسيق بين الدوافع ، والأحداث الذهنية فى ذاتها أحداث عصبية . وحينما يقرأ الرجل العادى القصيدة تنشط فى نفسه دوافع كان يتحتم كبتها فى حياته اليومية ويتحقق بينها نظام لا يألفه فيشعر « كما لو كانت تنقشع عن عينيه سحابة الألفة والاهتمام بالذات التى تحجب عن ناظرية تسعة أعشار الحياة ، فيحس بالحياة فى نفسه على نحو غريب ويستيقظ لحقيقة وجوده » . وتلك قيمة الفنون الحقيقية فى نظر ريتشاردز . على أنه يتصل اتصالا وثيقا بهذه الناحية صلة الفن بالأخلاق . فهو يخالف النقاد الذين يفصلون بين النقد الأدبى والأخلاق . فالناقد لا يستطيع أن يتجاهل بعض الاعتبارات الخلقية أو الأفكار القيمية . ويأخذ على علم الأخلاق أنه حصر التفكير فى حدود المجردات الكبرى مثل الفضائل والرذائل ، وحاول أن يجد القيمة فى اتباع القواعد المجردة والقوانين العامة للسلوك ، ولم يدرك أن القيمة تكمن فى الجزئيات التى تتألف منها استجابات الانسان ، والخير لايصدر الا عن تنسيق الاستجابات . فالفن مرتبط ارتباطا شديدا بالاخلاق لأنه هو الذى يعنى بالتفصيلات والجزئيات المؤثرة فى استجابات الانسان ، ولا يمكن أن يحيا الفرد حياة ممتازة اذا كانت استجاباته الأولية فى حالة فوضى . ومن هنا كان الشعراء وحدهم وليس الوعاظ هم الذين يضعون أسس الأخلاق . واذا كان التناسق بين عدد من الدوافع لايحدث غالبا أى فعل صريح ، فان الفعل الصورى والشروع فى الفعل اللذين لا يصلان الى مرحلة الحركة العضلية الفعلية انما هما أهم بكثير من العقل الصريح عند الانسان الناضج .

ولكن اذا كانت هذه هى صلة الأخلاق بالشعر ، فما صلة الشعر بالعلم أو بالصدق . يرى المؤلف أن الشعر لايعيبه كذب الاشارات فيه ، ويختلف قبول الكلام فيه عن تصديق القضايا العلمية . فنحن نصدق قضايا الشعر

تصديقا يختلف عن تصديقنا لقوانين الطبيعة . فقبول القضية فى الشعر مؤقت ، ومع ذلك فالحالة الذهنية العامة التى تتلو قراءة القصيدة تبدو لنا قريبة جدا مما يوصف بحالة التصديق، ولكنه ليس أكثر من احساس بالتصديق . والمصدر الحقيقى لهذا الاحساس هو ما يعقب عملية التكيف وتنسيق الدوافع من احساس بالراحة وبالنشاط الحر واحساس بالقبول .

وقد أخذ عليه المترجم – الدكتور مصطفى بدوى – تلك الفكرة العجيبة فكرة الاحساس بالتصديق . واذا كانت هذه الاحساسات تستطيع أن تولدها « جرعات من الكحول » كما يقول ريتشاردز نفسه ، فما الفرق اذن بين قراءة قصيدة وبين تناول جرعة من الكحول ؟ ومن المسلم به أننا لا نقرأ القصيدة بقصد الوصول الى المعرفة العلمية ، ولكن هذا لايعنى أننا لانهتم بالمضمون الفكرى . ورأيه هذا يجعلنا نحار أمام الشعر العلمى أو الذى يتضمن القضايا العلمية والشعر الذى يعرض لقضايا اجتماعية واقعية هل نرفض مثل هذا الشعر أو نسلم بمضمونه؟ اذا سلمنا بمضمونه – ولاشك فى تسليمنا – فقد نفينا رأى المؤلف دون ريب .

والمؤلف قد هاجم من قبل الجماليين الذين فصلوا الأدب عن الحياة ، ومع ذلك فهو يجعل الشعر مواقف عاطفية ويفصله عن المعتقدات ، وبذلك يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الجماليون .

وقد أخذ عليه كذلك « ر. هاملتون » كثيرا من آرائه المتطرفة . فيرى من الوهم أن نضع قيمة الشعر فى الجهاز العصبى ، والواقع أنه لا توجد لدينا قيم من أى نوع الا من حيث كوننا كائنات شعورية ، ولن تهمنا سلامة جهازنا العصبى الا باعتبارها أساسا للسعادة البشرية. ان الدكتور ريتشاردز برأيه هذا يبدد صفة التجربة حين نتحول عن استمتاعنا بالتجربة ونعنى بدلا من ذلك بالعلامات التى تدل على سلامة أعصابنا . ويفرق هاملتون بين التجربة الشعرية والتجربة العادية ، لأن الأخيرة ترتبط بالمصالح وبالفعل الحقيقى ، أما التجربة الشعرية فلا يتعدى نشاط الدوافع فيها الفعل الصورى.

واذا تساءلنا عن موضوع القيم الأخلاقية وجدنا الأخلاق تهتم أولا بكيفية سلوك الناس فى العالم الحقيقى ، فالاستجابة هنا لاتكمل دون الفعل الصريح ، وقد يكون الفعل من النوع العضلى الفج مثل الأخذ بخناق قاتل . فميدان الشعر وميدان الأخلاق متمايزان ، والموقف الشعرى موقف قبول شامل . ومن العبث أن نؤكد تفوق العقل الصورى أو نسمو خلقيا بالشاعر ونجلسه على عرش الأخلاق .

واهتم هاملتون بتفسير التجربة الشعرية مخالفا فى ذلك رأى ريتشاردز . فالقارىء الحساس يستطيع أن يحصل فى رأيه على تجربة تشبه الى حد كبير تجربة الشاعر. ولكنه لن يستطيع أن يحصل على هذه التجربة دفعة واحدة فهناك حقيقة مؤكدة وهى أن التجربة التى أحدثت القصيدة ليست حدثا واحدا مؤقتا يبدأ وينتهى فجأة ، ولكنها عملية تمر بعدة مراحل . وأولى هذه المراحل ، مرحلة التهيؤ ، فلكل قارىء وضعه وصفاته الخاصة به ، حينما يقدم على قراءة القصيدة ، ولذلك عليه أن يمر بعملية تكييف وتعديل ، قد تكون سريعة بحيث لا يشعر بها ، وقد تكون صعبة حين يجد نظرة الشاعر للأشياء تخالف نظرته ، وقد يصطرع مع معنى غامض قبل أن يتمكن من الاستمتاع بالقصيدة . ولانستطيع أن نعيش تجربة القصيدة الا حينما نذلل أمثال هذه الصعوبات ، وبعد أن نصل الى فهم لها قوامه المشاركة الوجدانية . والواقع أن رأى ريتشاردز يوقعنا فى فوضى نقدية كالتى شكا منها حين يتصور كل ناقد . وقد مر بتجربة تختلف عن تجربة الشاعر . فالناقد بحكم ثقافته وتجاربه يستطيع أن يعيش تجربة الفنان وأن ينقلها نقلا أمينا ، ولعل الذى دعا ريتشاردز الى رأيه هذا أن بعض طلبته أو من ليست لهم دراية عالية اختلفوا حول قصيدة معينة ، غير أن هذا لا يدعونا الى التسليم بنتيجته .

ومهما اختلفنا مع المؤلف فالذى لا شك فيه أنه قد أثر فى حركة النقد تأثيرا جوهريا فى أوربا وأمريكا فقضى على نظرية الفن للفن وأكد أهمية توازن الفنان فلم يعد ذلك الفوضوى الذى يعرف الناس صورته وبنى النقد الحديث على أساس الالتفات الدقيق الى بلاغة اللغة بما فيها من رموز وتشبيهات واستعارات . وقد قال أحد النقاد مصورا أهمية نظريات ريتشاردز « انه يفيدنا عندما يخطىء أكثر مما يفيدنا غيره عندما يصيب » .



فريضة إسلامية

تأليف : الأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد
بقلم : محمد خليفة التونسي

نهضة التفكير الاسلامي في العصر الحديث نهضة جبارة يغتبط بها كل رشيد محب لخير الانسانية ولو لم يكن يدين بالاسلام ، فما من نهضة فكرية دينية الا وهي في لبابها نهضة انسانية : تدعم الثقة والايمان بالانسان ، وتؤكد توفيقه في جهاده ، وتفعم قلبه بالسكينة والاطمئنان الى وجوده وتحفزه الى عمل الخير أو ما يراه خيرا ، اما عن طاعة للواجب ان كان ينتظر من وراء مسعاه تحصيل ثواب أو اتقاء عقاب ، وأما تطلعنا الى الكمال ان كان مدفوعا الى عمل الخير لأنه أفضل وأجمل .

وندع هنا الاديان العقلية فردية وجمعية ، وهي التي تعتمد على خواطر العقل المحض عند الفرد الذي ينطوي عليها وفق مستواه ، أو عند الجمعية التي تتواطأ عليها وفق مستواها ، ولا تعتمد على الوعي النوعي العام من جانب الروح والضمير الى جانب العقل أيضا ، فهذه الأديان العقلية بنوعيها مبخوسة الحظ من الانسانية روحيا وخلقيا ثم عقليا أيضا ، وان ظهرت في صورة عقلية باهرة أو فاتنة للأغرار ، فانما هي أشبه بالشهب ، لا تتوهج الا لحظة حتى تتبدد وتنطفىء سريعا ، أو أشبه بأزياء المواسم الوشيكة : تظهر معها فجأة ، وتنتهي بانتهائها على عجل .

فالدين العقلي الفردي (أو الوجودي) الذي يركبه عقل انسان – ولو كان اكبر العقول – منتزعا اياه من مجرد أفكاره بمعزل عن تيار حياته النوعية انما هو كمزقة من جلد رأسه ، فلا تنزع حتى يسرع اليها العطب والفساد ، وأسرع منه انحلالا كل دين عقلي تتواطأ عليه جمعية معينة – ولو كانوا أصحاب أكبر العقول ليركبوه من مجرد أفكارهم بمعزل عن التيار الحيوي العام ، فهو أشبه بمزق جلدية من رءوس عدة تختلف بينها فصائل الدم، فليس لنسيج حيوي أن يلأمها أو يلحمها ، ولهذا لا تكاد تلفق حتى تتهافت وتتبدد ، فيدركها العطب والفساد بأسرع من سابقتها . ولسنا نقول في هذه الأديان العقلية بنوعيها – وان كانت ذات دلالة انسانية – الا ما قال « لسنج » الحكيم الألماني « الدين العقلي خلو من العقل والدين معا » .

وليس بالدين دين يحيط به عقل الانسان الذي خلقه لأنه من خلقه ، وينبغي للدين أن يستوعب الانسان كله ويلفه بالكون كله ولايمكن أن يكون هذا الدين من خلق عقل الانسان ، فالدين العقلي كأنه ظهيرة في نهار صيفي مشرق لا ضباب فيه ولا سحاب ، ولا يكون الدين – حتى من وجهة العقل – الا كيوم شتوي كامل فيه المكشوف والمستور ، ومجاهله أكبر من معارفه .

وكيف يصح نظام عقلي – والعقل لا يستوعب الانسان كله فضلا عن الكون كله – اذا لم يكن للمجهول في حسابه حظ وافر ؟ وكيف يصح دين من جهة العقل – والدين أكبر من العقل كله – اذا لم تكن حظوظ المجهولات في هذا

(*) كتب هذا المقال قبل وفاة الأستاذ العقاد رحمه الله .

الدين أكبر من حظ المجهول فى كل نظام عقلى أضعافا مضاعفة .

وقريب من هذا النوع فى الاديان ما يمكن أن يسمى الأديان السلطانية ، وهى كل دين تفرضه حكومة على رعاياها مستعينة بحولها وطولها ، سواء اتجه الدين بالرعايا الى عبادة حاكم أو وثن أو الغيبى ، فهو لايطاعولا يستقر فى النفوس - ولو كان واضعوه أكبر المشترعين عقلا وأعمقهم فقها وأحكمهم سياسة - الا مع احتفاظ الحكومة القائمة عليه بسلطانها ، فاذا زالت أو وهنت فسرعان ما يدركه العطب والفساد ، وقد تأتى حكومة فتغير المراسيم بمثلها، وهكذا دواليك .

ومن أمثاله قديما دين أخناتون فى مصر ، وعبادة الملوك والأباطرة عند الفرس والرومان.

بقيت الأديان الفطرية ، ونسميها كذلك لاعتمادها على الفطرة ، وهذه - وغيرها من مذاهب الاصلاح التى تعتمد على الفطرة - تتفتح لها البداهة الجماعية ، أو يعتلج بها الوعى الجماعى للأمة كلها أو للانسانية كلها ، وان هجست خواطرها أولا فى نفس عظيم ملهم هو أصلح من سواه لتمثيلها والنهضة بها واذاعتها فى غمار الناس وهذا العظيم - لكفايته - هو الذى يختاره الله ، وهو « أعلم حيث يجعل رسالته » .

وهذه الأديان الفطرية كلها جماعية ، ولكن منها أديان خاصة يمكن أن نسميها الأديان القومية أو القبلية لانحصار دعوتها فى قوم أو قبيلة لا تعدوها ، وأديان عامة يمكن أن نسميها الأديان الاممية أو العالمية لاتجاه دعوتها الى الناس جميعا ، وهذه كتلك انسانية ، غير أنه لاخفاء على أولى البصائر أن الدين العام أعظم انسانية من الدين الخاص ، فهو أفضل انسانيا منه .

فالدين العام مفتح الأبواب لجميع الناس لا يفرق بين أحد منهم فى البشرى بنعمة الله ورضوانه ، والخاص يحتكر هذه البشرى لقبيلة معينة ، ويوهم أتباعه أنهم « الشعب المختار » من معبودهم الذى « اختاروه » وهذه الأديان تبدأ انسانية ، ولكنها - لتبدل دواعى أحكامها وقصورها عن مجاراة الغبر المتوالية - يقل حظها من الانسانية حتى يزول ، فما أسرع ما تجف حيويتها حين تتجمد على المراسم والشعائر الظاهرية ، ثم تنقلب بالفخر الأجوف عدوة للانسانية ، وهذا التخصيص الذى لا علة له الا الأثرة للوقاية أولا ، سرعان ما يميل مع الاثرة الى العدوان أخيرا ، وسرعان ما يمسخ نفس المتدين به مسخ الحياة ويعفنها عفن الموت ، ويفسد فى تقديره معنى الدين - أى دين - ومعنى الانسانية ثم معنى الربوبية أيضا ، ويزج به فى حرب فى صف قبيلته ضد غيرها ، ثم فى حرب ضد أفراد قبيلته ثم فى حرب ضد نفسه وربه أيضا « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون » وهذا دأب كل خطة أو سياسة مقفلة تنحصر فى طائفة أو قبيلة أو أمة لا تعدوها الى الانسانية جميعا .

وهذا ما يدل عليه ادنى نظر فاحص لتاريخ الأديان الخاصة ومعبوداتها وعابديها ، فهم همج يبدون على حظ من الأريحة الانسانية ثم ينقلبون ضراة باللؤم والشر مهما يرتقوا ظاهرا فى الثقافة والحضارة التى يستعيرونها من غيرهم ، وليس مظهرهم المهذب حينئذ غير كساء مزخرف صنعه غيرهم فلبسوه هم ، ولكن على امزجة واخلاق همجية وضرة مع المبالغة فى الفخر الأجوف .

وليس كذلك الدين العام الذى يفتح أبوابه لكل طارق ، ولا يكتفى بتفتيحها حتى يدعو النائين عنها الى ولوجها ، مبشرا اياهم بالأخوة الانسانية بل الأخوة الكونية فى حضانة رب واحد يشمل المخلوقات أجمعين بنعمته ورضوانه ، فهذا الدين متجدد بتجدد الداخلين فيه ، متسع الآفاق لأنه مهيأ لقبولهم على اختلاف الألسنة والألوان والعصور والأوطان .

وليس للدين - أى دين - وجهة غيره الانسانية ، فهو انسانى فى غايته وان لم نعده انسانيا فى مصدره الأول ، ولذلك كانت قيمة الدين انسانيا بقدر حظه من الانسانية ، ومن معانى انسانيته أن يعم الناس جميعا ، فيعرف لهم حقوقا وواجبات مشتركة متبادلة تقوم على العدل والاحسان معا فى حدود الطاقة الانسانية،



فريضة إسلامية

سواء فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، أو علاقاتهم أفرادا وجمعا بالعالم من حولهم ، وبربهم الذى يوالونه وهو من وراء كل ذلك محيط . وفى هذا الدين يشعر المتدين بالولاء الانسانى والولاء الكونى معا ، فتتسع انسانيته حتى يشعر بالأخوة الانسانية لكل انسان : عدوا كان أو صديقا ، ويشعر بأخوته الكونية لكل المخلوقات حوله ، ويشعر بالبنوة معها فى حضانة أب واحد هو ربه وربها أجمعين .

فأصلح الأديان الفطرية العامة للانسان ، هو أوفرها حظا من الانسانية ، وهو — من ثم — أنهض لقوتها وأعذر لضعفها ، وأشمل لها بكل من فيها وما فيها مع الأخوة الانسانية ثم الاخوة الكونية ، فاذا اغتبطنا بكل نهضة فكرية لدين فطرى عام بقدر حظه من الانسانية — وهذا ما ينبغى انسانيا — فانا لا نجد دينا يفوق الاسلام فى شموله للانسانية فى كل وجه من وجوهها وبكل معنى من معانيها ، ومن هنا غبطتنا الكبرى بنهضة الفكر الاسلامى فى العصر الحديث وتوقعنا أن تسلس هذه الغبطة فى نفس كل رشيد محب للخير الانسانى ، ولو لم يكن يدين بالاسلام .

أما وفاء الاسلام كأرقى ما يفى دين بمطالب الانسانية بكل معانيها وفى كل اتجاهاتها فهذا ما تكفل بتجليته فى صورة مبينة وافية — هذا الكتاب الذى نقدمه مع الغبطة الى قرائنا ، وهو « التفكير فريضة اسلامية » لاستاذنا الكبير عباس محمود العقاد . واما الأدلة على النهضة الفكرية الاسلامية اليوم فكثيرة ، ولو لم يكن دليل على هذه النهضة المرموقة الا هذا الكتاب لكفى ، بل لاغنى وأثرى .

قلنا هذا الكتاب ولو قلنا « الكتيب » — مراعاة لصغر حجمه — لما ظلمناه ، فصغر حجمه مع وفائه بموضوعه الخطير من أبرز مزاياه ، ومن هذه المزايا أيضا سهولته وبساطته حتى لاخفاء به على ناشىء ذى حظ مألوف من جد وفهم، وان كان الكتاب مذخور المتع والفوائد لأكبر العقول ، وأوسعها اطلاعا على الاسلام وغيره من الأديان والفلسفات ، سواء كان قارئه من المسلمين أو غير المسلمين ، فالفاظه تشف عن كل معانيه ، ومعانيه تسابق ألفاظه الى الظهور — ولكنها فى ظهورها كجبال الثلج الباذخة وهى تعوم ، فما فوق الماء منها يملأ العين والقلب ، غير أن تسعة أعشارها تحت الماء ، وهى أصل وأكبر ، فمن قنع بظواهرها القريبة المكشوفة لم يقنع بقليل ، ومن استطاع أن يحيط ببواطنها فى أغوارها العميقة فهو ذو الحظ العظيم ، وكل انسان بقدرته وألفته رهين .

ومن مزايا الكتاب تفرغه لهمته العظيمة وهى تجلية الصورة العقلية للاسلام أو «ايديولوجيته» دون التعرض لغيره من الأديان، بمجادلة حسنة أو سيئة ، لا تصريحا ولا تلميحا .

ومن مزاياه أنه يحتوى معظم «الأيديولوجيه» الاسلامية ، وهى النظرة التى تكشف روح الاسلام وتجمع حولها فى نسق واحد متكامل جميع نظراته الى مجالات الحياة على اختلاف وجوه النشاط فيها — ولست أعرف بين كتابنا الاسلاميين فى العصر الحديث — وهم كثير بحمد الله — غير رجلين يمكن ان يقال أنهما استنبطا للاسلام « ايديولوجية » وافية ، ومكنا للقراء أن يفهموا الاسلام فى صورة جديدة شاملة : أحد هذين الرجلين الامام محمد عبده، وثانيهما الاستاذ العقاد ، فايدلوجية الاسلام بما كتب كل عنهما يمكن ان تقف فى شجاعة مقابل الأيديولوجيات التى يزدحم بها عصرنا والتى تهاجمنا من الشرق والغرب ، ويستطيع المسلم اذا وعى هذه الأيديولوجيه أن يقابل تحدى كل هذه الأيديولوجيات له ولدينه ، وهو على ثقة من أن دينه لا ينهزم امامها وان لم يغلبها ، بل لابد أن يغلب فى ميادين كثيرة ، ويثبت للمقاومة فى ميادين أكثر ، لابسلطان قاهر ولا حيلة خادع بل بما لبنية هذا الدين من حيوية ضخمة متجددة شاملة ، وما لرسوله من اعجاب ممتد الصلات بينابيع الحياة فى كل جوانب النفس الانسانية .

ومن مزايا هذا الكتاب أنه لا يكتفى بتوضيح هذه الأيديولوجية أو معظمها نظرياً بل يتناولها عاملة فى تطبيقاتها التاريخية خلال عصور القوة وعصور الضعف بين المسلمين ، فيبرز فضلها على المسلمين وغيرهم فى النهضات بحجج بينة حاسمة ، ويحسن الاعتذار لأهلها عند العثرات بحجج لايدفعها عادل رشيد ، كما يبين ما جنت على الاسلام العوامل المصطنعة التى سلطت عليه من أهله ولاسيما العوامل السياسية حين حاولت تحريفه عن مواضعه لخدمة مآربها العوجاء ، ويبين كيف قاوم الاسلام هذه الكوارث الداخلية الخفية كما قاوم الكوارث الخارجية المسلطة عليه من أعدائه الصرحاء حتى خرج بفضل حيويته والأعجاب برسوله سليما بل منتصراً ، وان هزم وأصيب فى معارك كثيرة ، وربما كان فضل الاسلام على أهله وهم مقهورون أكبر من فضله عليهم وعلى عدوهم وهم غالبون ، لأنهم لم يئولوا الى ملجأ غيرهفىمقاومة أعدائهم وأعدائه من الداخل والخارج ، وكثيرا ما كان هؤلاء الأعداء أوفر عددا وأقوى جندا ، وأكثر ثراء ، وارقى مدنية وحضارة .

هذه بعض مزايا الكتاب ، لم يخرج الأستاذ العقاد فى بيان واحدة منها عن حدود الانسانية العامة التى تقيد كل انسان على سبيل الاستلزام من انسانيته لا الالزام لها ، أو على سبيل « الانبغاء » لها عند الأكفاء لا على سبيل الوجوب أو « الفرض » من الخارج كما يرى غير الأكفاء .

وقد أشرت يوما الى أن « العقاد محامى العظماء » ونشرت فى هذا الموضوع فصلا طويلا، وأشير هنا بمناسبة هذا الكتاب الى أنه « محامى الاسلام » أو « حجة الاسلام » كما كان الوالد — رحمه الله — يقول وهو يدعوه « الشيخ عباس محمود العقاد » — ناطقا « القاف » بلهجتنا الصعيدية .

وتتضح « أيديولوجية الاسلام » أو ما تناوله منها هذا الكتاب وفق عناوينها الآتية : —

١ — فريضة التفكير فى كتاب الاسلام ٢ — الموانع والأعذار ٣ — المنطق ٤ — الفلسفة ٥ — العلم ٦ — الفن الجميل ٧ — المعجزة ٨ — أمام الأديان ٩ — الاجتهاد فى الدين ١٠ — التصوف ١١ — المذاهب الاجتماعية ١٢ — العرف والعادات ١٣ — خاتمة .

وتتضح روح « الأيديولوجية الاسلامية » وأسسها فى الفصلين الأولين ثم السابع حتى العاشر وأما تطبيقها كما كان فى استقامته وانحرافه وتعديله وأسباب كل منها — ففى بقية الفصول ، ولو كان ترتيب الكتاب الى لرتبتها وفق ذلك بين التأسيس والتطبيق ، لولا أن الكتاب كله يقرأ فى جلسة واحدة . وللقارىء الذى لا يعنيه فى تعجاله الا المسلك الفطرى العملى فى الاسلام بين المسالك المتشابكة اليوم فى الأيديولوجيات والنظم والمذاهب المختلفة — ان يكتفى من الكتاب بفصول ثلاثة هى الخامس والحادى عشر والثانى عشر ، ففيها يعرف كيف يسلك وفق مايرضى الاسلام والعقل معا بين المزالق الخطرة ، دون أن ينحرف وراء الطائشين أو المغرضين من أدعياء الغيرة على الاسلام باسم المحافظة على تراثه ، أو باسم التجديد فيه ، فقد نبغت بيننا منذ سبعين سنة حركة قد لا ينقصها الاخلاص بقدر ما ينقصها الوعى ، وقد اشتد خطرها وانتشراليوم أوسع من ذى قبل ، وأهلها يقفون على أعتاب دور الكشوف فى العلم والصناعة فى الغرب ، فلا ينجم كشف هناك حتى يميلوا الى نصوص الاسلام يحرفون كلمها عن مواضعه، ليقولوا بملء أفواههم : ان الاسلام قد اهتدى الى هذا الكشف قبل علماء الغرب ببضعة عشر قرنا، وفاتهم — فى عجلتهم — أن يدركوا أن النظريات والخطط ينسخ جديدها قديمها ، وأن ربط الاسلام باحداها يعرضه للاضطراب كلما نبغ جديد منها فهدم قديما ، وأن تاريخ الكشوف العلمية هو تاريخ لتصحيح أخطائها ، كما يفوتهم — أحسنوا النية أو أساءوها — أن زعمهم لو كان صحيحا لأثبت الجهل المطبق على كل من سبق من المسلمين لانهم لم يهتدوا الى هذه الكشوف المزعومة قبل ذلك ، من تلك النصوص التى كانت بين أيديهم يتعبدون بتلاوتها والنظر فيها ليل نهار .

وأبعد شططا من ربط نصوص الاسلام



بالكشوف العلمية ونحوها – ربطه بالمذاهب والتقاليد الاجتماعية ، والهوى هنا أوضح ، وجرائره أوخم ، فكل صاحب هوى فى نشر مذهب اجتماعى أو تقليد ثم تثبيته – أيا كانت أسباب هذا الهوى – يحاول أن يؤول نصوص الاسلام ويحرف كلمها عن مواضعه لتأييد هواه، اعتمادا على ان « القرآن حمال أوجه » كما قال الامام على ، وأن أمتنا تستجيب لكل دعوة أو دعوى تتمسح باسم الدين ، فضلا عن أن تقال على لسانه · حتى الشيوعية – وهى مادية تنكر الله والاديان وتحاربها – يحاول دعاتها هنا أن يجعلوها اسلامية ، وان كانوا يقنعون بهذا التمسح ويرونه لازما – كما يوجب تكتيكهم أو تحريكهم لقيادة الدعوة – ريثما يتيسر لهم النصر ، فاذا نجحوا فى ذلك كشفوا عن نواياهم ضد الأديان جميعا وأهلها عاجزون ·

الا ما أكثر هذه الدعوات والدعايات التى ترتفع بيننا بالحق أو الباطل سواء كانت بواعثها خالصة أو مزغولة ، وأغراضها حسنة أو سيئة، ووسائلها أميل الى البطش والقهر أو الى الحيلة والخديعة ، ونحب أن نلفت نظر المخلصين من أصحاب هذه الدعوات والدعاوى والدعايات أن طريقهم فى التوفيق بين الاسلام والعلم أو بينه وبين المذاهب والتقاليد الاجتماعية طريقة عقيم، ولا رواج لأقاويلهم الا عند أمثالهم من أنصاف المتعلمين الذين يغلب عليهم الحذلقة وحب الجدل الرخيص ، فأما الدهماء فهى على اسلامها المأثور ، وأما الخاصة فلا جدوى عندهم للحجج الخطابية التى يسوقها هؤلاء المتحذلقون المخلصون فى بيان مفاخر الاسلام ، وقد أشرنا فى كتابنا « التسامح فى الاسلام » الى عقم هذه الطريقة حين حاولنا الالماع الى أيديولوجية الاسلام لبيان أسس التسامح فى الاسلام داخل نطاقها ، وأشرنا الى أن الاسلام اتجه الى العقل منذ أول خطاه كما يظهر من أول آية نزلت على النبى عليه السلام « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ، وكان الاسلام أول دين اتجه الى العقل ، بل هو الدين الأوحد الذى اتجه اليه .

ولكن هذا شىء واظهار الحذلقة وقوة الجدل فى فهم نصوص الاسلام ، أو استخدامها لتسويغ الانحرافات المذهبية شىء آخر ، ويغلب على من يفسرون نصوص الاسلام وفق آخر الكشوف طابع الحذلقة وحب الجدل ، وهم لايتجهون باقوالهم فينجحون فى اثارة اللغط والفخر الرخيص الا عند المطبوعين أمثالهم على الحذلقة والجدل ·

وهؤلاء المفسرون تعرفهم بسيماهم : وهى عدم تعمقهم فى الدين وعدم تعمقهم فى العلم معا ، وكل بضاعتهم من الدين والعلم اضغاث معلومات مبتسرة فجة من هذا أو من ذاك · وما أشبه هؤلاء بأصحاب الكلام الذين ألف لهم فيلسوفنا « ابن رشد » كتابه « الكشف على مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة» فهؤلاء المتكلمون أهل جدل ، وأدلتهم لاتجدى فى دعم الاسلام لا عندالعامة ولا عندالفلاسفة وبخاصةالمفكرون .

وفضل الأستاذ العقاد فى هذا الكتاب أنه يبعدنا عن مزالق الخطر من هؤلاء المتحذلقين وأولئك المغرضين ونختم القول بملاحظة جانبية أو هى تبدو مبتورة عن الكتاب مع أنها قوية الصلة بموضوعه وبمؤلفه ، وعدد فصول الكتاب هو الذى يوحى بهذه الملاحظة ، ونحن نقول انها اثنا عشر فصلا وخاتمة لمن يتشاءمون من العدد (١٣) ، ولا جناح علينا ان نقول أنها «١٣» لمن يأخذون بمنهج استاذنا العقاد فى رحابة نفسه وجبروت عقله ، وان كانت أسبابه غير اسبابهم فى هذا المنهج ، ومنهج أستاذنا فى كل ما يتشاءم به الناس لغير سبب عقلى أن يلقاه بالتحدى والانكار وان لم يسلم من جرائره ، وهذا العدد مما يتشاءم به كثير فيلقونه بظلم الوحشة والقطيعة ، ولكن كيف لأستاذنا بتفكيره – ولا نقول بعدله فحسب – أن يتلقى هذا العدد المسكين بظلم التشاؤم وجرائره دون سبب عقلى ؟ أليس دينه أو نظره الدينى – هنا على الأقل – يفرض التفكير الطليق عليه وعلى كل من يعتنق دينه ؟ أليس اسم كتابه « التفكير فريضة اسلامية » ؟ انه عنوان يدل على طبيعة التحدى فى استاذنا

أمام ما يراه من الاباطيـــل ، فلا يصالحهـــا ولا يتاركها ولكنه يلقاها بعكس مزاعمها ، فيبدو كدفاعه لها هجوما عليها ، فالاسلام لا يسمح للعقل بالتفكير فحسب ، بل يراه فريضة عليه ٠

والاسلام – كما يعتقده الأستاذ – يأخـذه بالتفكير الطليق فى كل شيء ، ومن ذلك آراء الناس فى الاشياء حتى الدين ، وما هو أقل من الدين قدرا ، فكيف يلقى هذا العدد بظلم التشاؤم وان كثر حوله المتشائمون به ، لاشك أن هذا التشاؤم ظلم واضح ، وليست اسباب التشاؤم كلها عقلية وان كانت معقولة ، ولكن أئذا جند كل جبابرة العقول جميع براهينهم العقليـــة المقنعة المفحمة ليبينوا لهؤلاء المتشائمين سخف تشاؤمهم وتهافته وضرره وخلوه من كل ما يمت بسبب الى العقل أو العدل – أترى هذا الجهـد يشفيهم من هذه الآفة النفسية الصغيرة وهى آفة لاعنة ملعونة ؟ أو يحملهم ذلك على قبول هـذا العدد وحده ، ان عجز أن يشفيهم من آفة التشاؤم من أساسها ٠

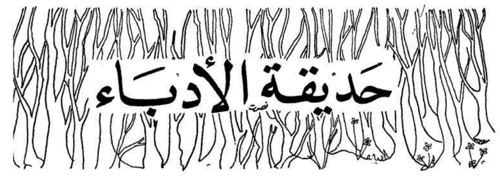
هنالك الأمزجة والطبائع ثم المناشيء ، ثم العـادات التى تكاد تكون كالغرائز فى تسلطها الغلاب على أصحابها المساكين ٠ وكل ما للعقول من حول وطول لا يكاد يجدى شيئا أمام أصغر آفة نفسية من آفات تلك القوى العاتية الراسخة، بل أمام أصغر الموضوعات التى تثيرها ، فهل الى علاج من سبيل ؟ ٠

أنستهين بالعقل اذن ، أو نطنز به ، (أو نظرز فيه) ، أو ننعر فى قفاه ، أو نخرج السنتنا له كدأب الأشـقياء من الصـــغار ، أو الأراذل من الدهماء ؟ انا اذن لخاسرون ، وان خسارتنا لتمتد من أول شوط فى الحياة الى آخر أشـواطها ٠ لا لأن هـــذا يخالف العرف المرعى من الآداب والعادات الجارية ، فهذه المخالفة خطب يهون ، ولـكن لأن الاستهانة بالعقل اهـدار للانسانية التى لاشرف لها أشرف منه ، وهى بكل شرف غيره دون الحيوانيـــة وشر منها ، فان فطرة الحيوان كافيـــة فى تدبير مصـــالحه الحيوية جميعـــا ، وأما فطرة الانســـان فلا تكفى لتدبير اهـون مصـــالحه بغير هـــداية من عقله ٠ وما ترك الناس هداية العقـل فى تدبير مصالحهم : من المكنسة التى ينظفون بها دورهم ، واللقمة التى تقيم أودهم ، الى الحكومة التى ترعى أمورهم ، والدين الذى ينظم معاشهم ومعادهم الا وقعوا فى وصاية الجهالة المتجبرة الحمقاء ، الى أن تسلمهم الى قبضة الحيوانية المتوحشـة العمياء ، فتنكسهم الى فوضى الغابات والكهوف بشرائعها وقيمها ، ولا تتركهم حتى تقضى عليهم وعلى نفسها ، أو يقعوا فى عبودية غيرهم فان لم تكن فيهم بقية صلاح عاشوا وماتوا عبيدا ، وان تكن فيهم بقية صلاح كافية اعتبروا وكافحـوا ولكن فى هداية العقل ، ولا يملكون أنفسـهم انسانيا حتى يستضيئوا بنوره فى الكبــائر والصغائر جميعا ٠

فسواء انتصر العقل أو انهزم فلا غنى بغيره عنه ، ولا عن أهون مزاياه ، وليس يستغنى عن أهون هذه المزايا ولو للحظة فى أدنى أمر الا من يكون ميتا كحى ، أو جثـــة اخطأها الدفن ، أو حيوانا فى مسلاخ انسان ٠ وليس انسانا من لا يكون مع العقل أولا وآخرا ودائما ، يجـاهد تحت رايته منتصرا ومنهزما ولعل الجهـــاد معه فى هزيمته أولى من الجهاد معه فى انتصاره ، فما انهزم العقل فى أهون معركة ولو للحظـــة الا كانت هزيمته آية تمرد حيوانى يتهـــدد الانسانية فى كل مزاياها وقيمها ومغانمها من الثقافة والحضارة بالدمار ، فليكن شـــعارنا انسانيا «العقل ، وكل العقل ولا غنى عن العقل» ولنكن معه دائما ، أو فلنستعد للعودة الى فوضى الغابات والكهـــوف ، أو للعبودية فى قبضـــة الأشرار ٠

وما دام العقل أشرف مزية انسانية فالتفكير أشرف فريضة انسانية ، وحسب دين قـــدرا بمعيار الانسانية أن يتسع لكل مزاياها ، وعلى رأسها العقل ، فيكون التفكير من فرائضه ، وهذا الدين هو الاسلام : تعاليمه هى تعاليم الانسانية ومزاياه هى مزاياها ، فاذا قلنا فى نشاط : انه انسانى ، فكأنا نقول : انه اســلامى ، أو نحن نقول هذا وهذا فى وقت واحد بمعنى واحد ، واذا قلنا : « التفكير فريضة انسانية » فانمـا نعنى « التفكير فريضة اسلامية » ، دون الرجوع الى سند غير ذلك ٠ فعلاقة الفرضية بين العقـل والتفـكير انسانيا هى العلاقة بينهما اسلاميا ، وهى علاقة استلزام كما يعرف الأكفاء ، وليست قط علاقة الزام كما يتوهم غير الأكفاء ، وهذا ما ننتهى به مع خاتمة هذا الكتاب القيم «التفكير فريضة اسلامية » ٠

محمد خليفة التونسى



تأليف : الأستاذ طاهر الطناحي
بقلم : الدكتور أحمد أحمد بدوى

كتاب جمع فيه صاحبه باقة مزدهرة ، مؤلفة من عشرين كاتبا وشاعرا وباحثا من المعاصرين الممتازين ، كأحمد لطفى السيد ، وعباس العقاد ، وميخائيل نعيمة ، وأحمد أمين، وطه حسين ، وغيرهم · وكانت الشخصية الحادية والعشرون نابغة الغناء أم كلثوم · ومن بين هذه الشخصيات كاتبتان باحثتان ·

والحق أن دراسة المعاصرين والكتابة عنهم عمل نافع وضرورى ·

أما أنه نافع فذلك لأن المعاصرة يسهل معها معرفة كثير من الحقائق التى اذا سجلت فى أمانة كانت عونا للباحثين ، ونورا يكشف عن الكثير من خصائص انتاجهم ، ونواحى هذا الانتاج ، قبل أن تضيع المعالم التى يمكن أن يفهم فى ضوئها ما أشار اليه الكاتب أو الشاعر من أحداث العصر ، وكانت بعدئذ كنزا للتاريخ تعود اليه الأجيال المقبلة فى دراساتها ·

وأما أنه ضرورى فذلك لأن الأحياء المعاصرين يستطيعون تصحيح الوقائع ، وتأكيد النتائج التى يصل اليها الباحثون ، وفى ذلك خير للتاريخ والنقد ·

وقد أراد مؤلف الكتاب أن يصور الشخصية التى يتناولها أقوى ما يمكن من التصوير المعبر عن احساسه وعاطفته ، فآثر أن يرمز لهذه الشخصيات برموز حيوانية ، تصور أعمق مافى هذه الشخصيات من السمات والمزايا ، فرمز لاحمد لطفى السيد مثلا بالنسر ، ولعباس العقاد بالعقاب ، وللدكتور ابراهيم ناجى بالسنجاب ، ولأحمد رامى بفراشة الازهار ، وهكذا اختار لكل شخصية ما يرمز لها من الحيوان ·

ومعنى ذلك أن السمة الأساسية لهذه الشخصية تتمثل أوفى تمثل فى هذا الحيوان المرموز به ، ويكون ذلك وسيلة لتصور الشخصية كما ينبغى أن تتصور · وخذ لذلك مثلا أن تصور انسانا يتكلم من غير أن يفهم ، فان تقول : انه ببغاء يصوره للسامع أوفى تصوير وأقواه ·

كانت مهمة الكاتب فى اختيار هذا الرمز مهمة عسيرة شاقة ، فان ذلك يحتاج الى ذكاء ونفاذ بصيرة ، ورهافة حس ، ويتطلب دراسة عميقة لمعرفة أغوار الشخصية ، وأعماق نفسيتها، وادراك سماتها الظاهرة والخفية ، حتى اذا انطبع أثر ذلك فى نفس الأديب أراد أن ينقل هذا الأثر الى سامعه ، فيمضى الى الطبيعة يلتمس عندها من الحيوانات ما يستطيع به أن ينقل الأثر الذى انطبع فى نفسه الى القارىء أو السامع · وعلى هذا النحو جرت ضروب البيان من تشبيه واستعارة ·

وعنى صاحب الحديقة ، وهو يختار رموزا لشخصياته بالناحية النفسية لها ، فتجده مثلا يرمز لأحمد رامى بالفراشة ، فهو « من فراش الليل يهوى الضياء ... وقد يكون رامى من فراش النهار ، مما يستاف بدائع الازهار ، ويستقبل الشمس فى موكب الأنوار ، ويهيم فى

حدائق مع الأطيار ، متأرجحا بجناحيه كلما نئى الربيع ، وابتسم الكون ... والفراشة تهوى الجمال ، وتعشق النور ولو كان نارا ، وهى من أحسن الأحياء ذوقا ، وأخفها ظلا ، لا ثقل فيها ولا استثقال ، ولا عداء منها ولا اعتداء ، بل قد يثقل عليها الغير فلا تثقله ، ويعتدى عليها فلا تعتدى عليه ، ... وكذلك رامى منذ نشأ : يهيم فى وادى الجمال ، ويعيش بين رياض الخيال، ولا تطيب له الحياة الا اذا كان بين بنات الشعر ، وكواكب الغناء هائما سعيدا » .

وفى بعض الأحيان تكون الصلة بين الرمز وما يرمز له صلة نفسية وجسمية معا ، كما نجد ذلك عندما اتخذ الديك الهندى رمزا للشاعر محمد مصطفى الماحى ، فهذا الأديب الشاعر فى نسبته الى ذوات الأجنحة أقرب فى شخصيته الى الديك الهندى ، فهو من أكبر الشعراء حجما ، ومن أوجههم شكلا ، ومن أحسنهم ذوقا وهنداما » .

وتلك ناحية جسمية ظاهرة تجمع بينهما .

أما الناحية النفسية فعندما يقول الكاتب : « وقد عرف الديك الهندى بين الطيور الداجنة بالسخاء والحب ، وذلك أنه ينقر الحبوب ، ويحملها بمنقاره الى دجاجته ورفاق حياته ويحرص على اطعام دجاجته ، ويؤثرها على نفسه فى الكثير من الطعام ، فاذا ظفر بشىء من الحبوب، ودجاجاته غائبات دعاها اليه ، وقنع منها بدون حاجته ، وقدم لها النصيب الأكبر » .

« وكذلكديك الشعر : الأستاذ محمد الماحى ، فهو على الرغم من أنه دمياطى والدمياطيون مشهورون بحب الاقتصاد ، متهمون بالبخل والانطواء — كريم غاية الكرم ، سخى فى مآدبه غاية السخاء ، اجتماعى يحب الناس ويحبه الناس » .

ولكن الكاتب لا ينسى ، بعد أن يتحدث عن الصلات التى تربط بين الرمز والشخصية التى يرمز الحيوان لها — أن يذكر الفروق التى بينهما، فالأستاذ العقاد مثلا يختلف عن العقاب الذى اتخذ له رمزا بأنه لايرحل كثيرا ، ولا يسافر من قطر الى قطر ، أما العقاب فهو سريع الطيران ، يفطر فى العراق ، ويتغدى فى اليمن ، ويتعشى فى مصر ، ويرحل كثيرا ، ولكنه لا يفقه شيئا من أمور البلدان .


أحمد لطفى السيد

وكان المؤلف موفقا فيما اختاره من تلك الرموز ، اذا استثنينا القليل الذى سنذكره عند الحديث عن مآخذنا على الكتاب .

ولا يقف الكاتب عند عقد الصلة بين الرمز والشخصية ، ولكنه يمضى محاولا أن يرسم لها الصورة النفسية ، وأن يلم بالجوانب المختلفة لنشاطها الفكرى ، وأن يسجل طباعها وعاداتها، ويروى الكثير من أحداث حياتها .

لا يحاول صاحب الحديقة أن يترجم لمن يتحدث عنه ، فيتتبع حياته منذ نشأته ، ويخطو معه فى الحياة خطوة خطوة ، فلم يكن ذلك من أهداف الكتاب ، ولكنه يحاول أن يرسم الشخصية ، ويصور النواحى المختلفة لجهودها فى ميدان التفكير والوجدان ، وبذلك يستطيع القارىء أن يقدر الشخصية ، ويضعها فى مكانها بين الرجال العاملين ، وهو بهذا يصل الى اللب من دراسة الشخصية . والهدف الذى يسعى اليه كاتبو التراجم الذين يتتبعون مراحل الحياة ، ويقدم للأجيال القادمة رأى معاصر يضعه الدارسون فى مكانه من التقدير عندما يتناولون بالدرس هذه الشخصيات .

ولنأخذ لذلك مثلا حديثه عن « توفيق الحكيم » الذى رمز له بعصفور من الشرق ، فان الكاتب يمضى عاقدا الصلة بين توفيق والعصفور ، ويتلمس السمات النفسية لأديبنا الكبير ، فيسجل له منها أنه يسأم المجتمع ، ويسأم الناس ، يهوى الانطواء على نفسه ، والسكون فى الليل ، ولا ينغمس فى الاجتماعيات، ويتجه الى جهوده الأدبية ، عارضا بعضها ، ملخصا موضوعه ، كتمثيلية « الضيف الثقيل » التى كتبها « الحكيم » عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، عندما كان المجتمع المصرى يسعى للتخلص من الاحتلال البريطانى ، فدفعته الهزة الوطنية الى كتابة هذه التمثيلية التى ترمز الى معنى الاحتلال ·

ويعرض المؤلف تطور الكتابة المسرحية عند توفيق الحكيم ، وكيف انتقل من جو الموضوعات القومية ، الى جو الموضوعات الانسانية ، ثم الى جو الموضوعات الواقعية حين استمد زاده من واقع الحياة ، ومن المجتمع الانسانى الجديد ·

وأشار الكتاب الى سفر الكاتب المسرحى الى الغرب ، وتأثره بما فيه من آراء ، وذكر بعض آثاره القلمية ·

وعلى هذا النحو تقريبا يجرى الكتاب فى عرض شخصياته ، مضيفا الى ذلك بعض ما قد يكون للشخص من آراء فى الحياة ، أو نظرات فى المجتمع ، أو ما قد يكون له من عادات أو مر به من أحداث ·

وتعود قيمة الكتاب ، فضلا عن ذلك ، الى انه قد روى أمورا شاهدها المؤلف بنفسه ، يتحدث عن الأستاذ العقاد فيقول : « اجتمعت معه ذات مرة فى ندوة أقامتها مجلة الهلال عن « الفكاهة وأثرها فى المجتمع » وقد حضرها المرحوم نابغة التمثيل نجيب الريحانى ، والمرحوم الكاتب الاجتماعى محمد خطاب ، والأستاذ بديع خيرى ، والمرحوم عبد الحميد عبد الحق ، فكان عباس العقاد أعلمهم بالنادرة الطريفة ، وأطبعهم فى الفكاهة ، وأسبقهم الى رواية الطرائف المثيرة للضحك ، واشاعة المرح فى المجلس » ·

ويقول عن الدكتور أحمد زكى : « ولقد عشت معه عدة سنوات فى رياسة تحرير الهلال، وبعد هذه الرياسة ، فرأيتنى أعيش الى جوار مدرسة فى العلم ، ومدرسة فى الأخلاق والتجارب


طه حسين

المفيدة ، فكنت انا وزملائى نقدره لعلمه وفضله، ونكبره لأخلاقه وصفاته ، ونتخذ منه قدوة حسنة فى حسن المعاشرة ، وسعة الصدر ، والسمو عن الصغائر ، *ونرى فيه من التواضع الكبير* ما يزيدنا اعجابا به ، واكبارا لشخصه » ·

ومن أجل ذلك لانغالى اذا قلنا : ان هذا الكتاب سيكون من المراجع لمن يريد دراسة هذه الشخصيات ·

كما أنه يروى أمورا كانت مجهولة لجمهور القراء ، وساعده على الوصول اليها اتصاله بأصحابها ، كهذا النشيد الوطنى لفكرى أباظة الذى كان فى المقدمة بين أناشيد ثورة سنة ١٩١٩ م· وقد أذاعه الوفد المصرى يومئذ، ووزعت نوتته الموسيقية فى أنحاء البلاد ، وأنشدته الجماهير الثائرة ، وكان من هذا النشيد :

أبناء الوطن ، هلموا
وسيروا الى الأمام
ارفعوا الصوت قويا
فالحر لا يضام

وقد استطاع بسبب هذا الاتصال أن يروى الكثير عن أحوال من اتصل بهم ، وعن طفولتهم ودراستهم ·



توفيق الحكيم

وهو بذلك يشرح كثيرا من الحقائق التي تخفى على الناس ، فتلقيب « أحمد رامي » شاعر الشباب ، قد يفهم منه أنه لقب بذلك لأنه عاصر طائفة من كهول الشعراء ، كشوقي وحافظ ومطران ، ولكن الكاتب يبين سبب ذلك بأنه كان بعد عودته من باريس ينشر قصائده ومقطوعاته الشعرية في مجلة تدعى «الشباب» وكان صاحب هذه المجلة حين ينشر هذه القصائد والمقطوعات يلقبه بشاعر الشباب ، أي شاعر مجلة الشباب ، ولكن الناس نسوا هذه المجلة ، وصار الاستاذ « أحمد رامي » يلقب بهذا اللقب، حتى بعد احتجابها عن القراء .

ولصاحب الحديقة نظرات في شخصياته وآثارها ، تدل على دراسته لهذه الآثار ، وكثيرا ما يرجع الى الأسباب والنتائج ، وسوف تأخذ هذه النظرات مكانها عند الدارسين ، تضيء لهم الطريق من ناحية ، ويناقشونها من ناحية أخرى.

يتحدث مثلا عن شعر رامي ، فيلحظ فيه أنه تسوده الفجيعة والحزن والأسى والقلق والأنين ، ويرجع ذلك الى حياته التي عاشها منذ الصبا ، ومامر به من متاعب وأشجان ، فقد ذاق مرارة اليتم في حياة والده وبعد وفاته ، فقد كان هذا الوالد طبيبا موظفا أمضى معظم حياته بعيدا عنه بالسودان ، وقد عاش مع والدته في هذا القطر الشقيق ، أما أحمد رامي فقد عاش مع جده وعمه بالقاهرة ، فحرم حنان والده في صباه وشبابه .

ويقول عن « أمينة السعيد » : لعلي لا أكون مبالغا اذا قلت : ان أمينة السعيد أول كاتبة بعد فقيدة الشرق : باحثة البادية ، تهتم بالشئون الاجتماعية اهتماما شخصيا متصلا بالحياة العامة . بل لعلها أوسع مجالا من الباحثة في معالجة الحياة الاجتماعية ومافيها من مشاكل منوعة ، لأن مشاكلنا اليوم لم تقتصر على المشاكل الاجتماعية المحدودة التي كانت بالأمس ، بل تعدتها الى مشاكل نفسية ،وانسانية ، وشخصية، وعائلية متعددة ، لم يكن يعانيها مجتمعنا العربي قبل تعدد مشاكله ، واتساع أحواله ، واشتراك المرأة في ألوان من الاعمال العامة ، مع اختلاف في التربية والتقاليد في جيلنا الأخير عن الأجيال الماضية . وأستطيع أن أزعم أنني لا أعرف كاتبة عربية عنيت بأحوال قرائها وما يشعرون به من آلام الحياة ، كما عنيت هذه « الزرقاء » الرقيقة القلب » .

ويبدي رأيه في « أم كلثوم » وهل لها مدرسة في فن الغناء ، فيقول : « ورأيي أنه اذا كان للبلبل مدرسة تأخذ عنه كان لأم كلثوم مدرسة ذات تلاميذ وفصول » .

وينظر الى أغاني أم كلثوم نظرة فاحصة شاملة ، فيرى « قيثارة الله » محافظة على قوميتها العربية ، لاتغني الا للعرب ، أو لسيد العرب : محمد ، أو في الأحداث العربية الكبرى . وتكاد تكون مجموعة أغانيها وأناشيدها وما غنت من قصائد سجلا من سجلات التاريخ العربي . حين يسجل تاريخنا الحديث ... ولم تخرج بالغناء عن أصوله الفنية ... فلم تعبث بالغناء . كما يعبث العابثون ، أو تدخل فيه ما ليس منه باسم التمدن والتجديد . أو تنزل به الى الخلاعة والمجون » .

ولم يؤلف صاحب الحديقة كتابه الا بعد أن اتصل بالآثار القلمية للشخصيات التي جمعتها حديقته ، وقرأ الكثير منها ، مما ساعده على استخلاص الأحكام التي سجلها لهم . ولكن لم يكن من أهدافه أن يقف عند كل أثر يدرسه ويحلله ، لانه يريد أن يرسم الصورة العامة ، ويسجل انطباعاته ازاء هذه الشخصية ، مواصلا تحليل تلك الآثار الى فرصة أخرى .



احمد رامی

ولكنه قد يتعرض لبعض هذه الآثار ، اذا كان ذلك ضروريا لاكمال الصورة التى رسمها، كما فعل فى كتاب « مجمع الأحياء » ، للأستاذ العقاد ٠

ولصاحب الحديقة ذوق جيد فى اختيار ما يعرضه من آثار هذه الشخصيات ، فهو يختار مالم يكن متداولا بين أيدى الناس ، كهذا الشعر الذى أورده للدكتور طه حسين ، أو مافيه متعة وفائدة معا ، كما فعل عندما نقل رأى الدكتور أمير بقطر فى التربية والتعليم ٠

لقد عرض الكتاب صورا سريعة تلم بأهم مافى هذه الشخصيات من السمات ، وهو لذلك مشوق تمضى فى قراءته مستمتعا من فصل الى فصل ، شاعرا بالمتعة ، تود لو طال الكتاب ، لأنك تستشف منه عاطفة المؤلف نحو هذه الشخصيات ٠

غير أن لنا عليه بعض المآخذ التى لا تقلل من قدر الكتاب ، ولا تضع من جهود مؤلفه :

فمن ذلك أنه لم يسجل من جوانب هذه الشخصيات الا الناحية المضيئة ، المشرقة ، فلم نره قد وجه نقدا واحدا الى شخصية منها ، ولعل ذلك راجع الى أن نفس الكاتب خيرة سمحة ، ترى فى الناس الجانب الخير السمح ، أو الى أنه رأى أن هؤلاء الذين أجهدوا أنفسهم فى خدمة بلادهم من ناحية الفكر جديرون بالتحية ، خلقاء بالتكريم ، أكثر من أن يسجل عليهم نواحى النقص والتقصير ، أو الى أنه رأى أن هذه الدراسات القصيرة لاتتسع لذكر هذه الجوانب،

ومن ذلك غموض الرمز لشخصية « أمينة السعيد » ، فلسنا ندرى ان كانت تشبه « زرقاء اليمامة » أو أنها تشبه « اليمامة » ، لأن الصورة التى رسمت لها فى الكتاب قد أطالت فى الحديث عن زرقاء اليمامة وبعد نظرها ، وأن السيدة أمينة السعيد تسبقها فى بعد نظرها ، ولكن المؤلف بعد ذلك يقول : « وقد اخترت لأمينة السعيد « اليمامة » ، وهى صنف جميل من أصناف الحمام ، وحشى غير مستأنس ، ظريف يميل الى العزلة ، ويسجع فى الصباح مع البلبل والعندليب » ٠

ثم يعود فيقرر أن أمينة السعيد ليس فيها من الوحشية ما فى اليمامة ، ولكن فيها من اليقظة وسرعة الخاطر ما فى هذا الطائر الجميل ، ولكن الحمام بجميع ألوانه فيه هذه اليقظة وسرعة الخاطر ٠ ويقرر الكتاب أنها أول فتاة مصرية لعبت التنس فى ساحة الجامعة ، فهى اذا ليست ميالة الى العزلة ، ولكنها اجتماعية ، فماذا بقى اذا من صفات اليمامة الا أنها تسجع فى الصباح ، وهى لا تنفرد بهذا السجع ، بل الحمام كله يسجع ، وقد سجل الشعر العربى هذا السجع منذ القدم ٠

ولهذا كله أرى أن يبحث المؤلف عن رمز جديد ٠

وكذلك الرمز الذى رمز به لبنت الشاطىء، فهل هو « البطة » ، واذا كانت البطة رمزا لها فما الصلة التى تجمع بينهما ؟ لانها اذا كانت تهوى الأسماك فالمؤلف يعلم أن جميع أهل دمياط يحبون الأسماك ، واذا كانت تعيش فى حجاب من اسم مستعار فالبطة لاتحتجب ، سواء أمشت فوق اليابس ، أم سبحت فوق سطح الماء ٠

ورمز الببغاء وان وصف بالنجيب لا يمثل سليمان نجيب ، لان الذى يسبق الى الذهن عند ذكر الببغاء انما هو ترديد الكلام من غير فهم ولا ادراك ، ونجابة الببغاء لاتزيد على أن يكون

قادرا على ترديد الكلام ، لا على فهم ما يكرره من الكلام .

ولم يبين الكاتب الصلة الوثيقة التى تربط بين الطاووس وميخائيل نعيمة ، سوى أنه نشأ كذلك فى أحضان الطبيعة ، لأن كثيرا من الحيوان كذلك ولأن السمة البارزة فى الطاووس هى الاعجاب والزهو والمنظر الرائع ، والتشابه ينبغى أن يكون فى الصفات البارزة ، فأما الزهو والغرور فقد نفاهما الباحث عن ميخائيل ، وأما الجمال الظاهرى فلم يدلنا عليه مؤلف الحديقة .

ومن هذه المآخذ ما جاء به المؤلف من الاستطراد فى موضعين :

أحدهما شخصية بنت الشاطىء ، فان المؤلف لم يكد يتحدث عن اعجاب بنت الشاطىء بفلسفة أبى العلاء وأدب أبى العلاء ، حتى مضى يتحدث عن أبى العلاء ، وفلسفة أبى العلاء ، وموقفه من المرأة ، وظل فى الحديث عن المرأة الى آخر المقال ناسيا بنت الشاطىء .

وثانيهما صورة سليمان نجيب حيث استطرد الكاتب الى بهاء سعد زغلول ، وما لقنه اياه النقراشى مما اغتاظ له الدكتور محجوب ثابت .

ومنها أن صورة ميخائيل نعيمة تحتاج الى مزيد من الايضاح من ناحية التجديد الذى قام به ، لأن صورة هذا التجديد غامضة لم تتضح ، وأغلب الظن أن وضوحها فى ذهن الكاتب جعله يراها واضحة فى أذهان الناس ، وأنه غير مطالب بشرحها وتوضيحها .

وآخر ما يؤخذ على الكاتب أن أسلوبه مشرق واضح ، ينقل معانيه الى قرائه فى رفق ويسر، ولذلك عجبت عندما رأيته فى أحيان نادرة يستجلب الجمال بالسجع ، مما دعاه ، من أجل الحرص عليه ، الى الترادف ، وانظر الى هذه المقدمة التى وضعها فى صدر صورة نسر الجيل: أحمد لطفى السيد ، اذ يقول عن النسر : «أرفع ساكنات الجبل مأوى ووطنا ، وأرقى ملوك الغابات فكرا وذهنا » اذ ما الفرق بين المأوى والوطن ، والفكر والذهن ، وكذلك لاتجد فرقا فى المعنى بين هاتين الجملتين المعطوفتين : « أقوى السابحات فى الجو بصرا ، وأبعدها مرمى ونظرا » ، ولافرق بين الغربة والاغتراب ، ولكنه جاء بالكلمتين (ص ٤٢) ليمكنه أن يأتى بجملتين مسجوعتين .

ان أسلوب الكاتب كما ذكرنا أسلوب مشرق واضح ، فليبرئه من هذا السجع المتكلف، وهو نادر فى الكتاب .

وبعد فتلك هنات قليلة الى جانب ما أمدنا به الكتاب من معارف ونظرات جديرة بالدراسة والتفكير ، مما جعلتنى سعيدا بصحبة هذا الكتاب .

الدكتور أحمد أحمد بدوى

سطور من كتاب ..

فالاشتراكية كانت تعنى ، عندما استعملت فى اول الأمر ، التنظيم الجماعى لشئون الناس على أساس تعاونى ، وهدفها الذى تعمل له هو سعادة الجميع ورفاهيتهم ، ووضع «السياسة» فى مرتبة تالية من الأهمية بالنسبة للاهتمام بانتاج الثروة وتوزيعها ، وبتقوية المؤثرات الاجتماعية فى تربية المواطنين طوال حياتهم على أنماط السلوك التعاونى ، باعتباره ضد الميول والمعتقدات الاجتماعية التنافسية . ويتبع ذلك أن جميع الاشتراكيين كانوا يهتمون اهتماما عميقا بالتربية ، واعتبروا التربية الاجتماعية الطيبة حقا أساسيا من حقوق الانسان ..

تاريخ الفكر الاشتراكى



مسرحية
للاستاذ توفيق الحكيم

•

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

شهر زاد قطعة فنية من مسرح الحكيم ، طالعنا بها منذ سنين بعد مسرحية «أهل الكهف»، ولعلها أدق من سابقتها فى ذوقها الفنى وأرق ، وأرهف منها فى الحس وألطف ، ولعل جوها الشرقى أمتع منظرا وأوقع سحرا ، وروحها الصوفى أعرق تأصلا وأعمق سرا .

ونحن نعرف الأميرة شهر زاد التى تتمثل فيها عبقرية فن القصص وروح السمر ، ونتمثلها – كلما ذكرت – بأحاديثها المشوقة المتنوعة الأفانين ، وحكاياتها الممتعة التى لا ينضب لها معين ، بين يدى الملك الأسيوى شهريار ، وقد تحجر قلبه وغلظ طبعه ، تنتقل به مأخوذا مدهوشا ليلة بعد ليلة من قطر الى قطر ، فى أجواء شتى ، وآفاق سحيقة ، فى مختلف العهود والأزمنة ، متنقلة من بلاد الفرس فى عهد آل ساسان الى بخارى وسمرقند فى أرض تركستان ، ومن أطراف الصين الى نهر السند وجزائر الهند، فضلا عن العراق فى العصور الوسطى حيث البصرة وميناؤها التجارى وفرضتها الكبرى ، وحيث بغداد مدينة المنصور قاعدة الخلافة العباسية فى أزهى أيام هارون الرشيد ، ومن بعدها الديار الشامية وأخيرا القاهرة الفاطمية بأحيائها الشعبية المزدحمة المزدهرة ، وهنا وهناك تختلط شهرزاد ومعها شهريار بأجناس البشر مختلفى السمات والألوان ، متباينى التقاليد والعادات والأزياء ، متعددى الملل والنحل والأديان ، متغلغلة معه فى كل بلد من هذه البلاد وفى كل جنس بشرى من هذه السلالات ، بين طبقات المجتمع ونماذج الأفراد ، على تفاوت الطبائع والأمزجة والدرجات من ملوك ومماليك وسراة وصعاليك ، وتجار وحمالين ، وصاغة وصيارفة وصيادين ، ورحالة مقاحيم يجوبون القفار ويركبون أهوال البحار ، والى هذا وذاك تتوغل به فى الزمان القديم ، زمن الاساطير فيما قبل التواريخ عند أهل الحضارات الأولى فى مصر واليونان والرومان ، وتعرج به وتغوص معه لاستطلاع الأسرار الطبيعية والعلاقات الخفية بين العناصر الطبيعية وغير الطبيعية ، فى عالم الانس وفى عوالم الجان ، أيام سليمان وما بعدها من الزمان . فلا غرو ان قلنا انها رحلة لا تقاس بها رحلة الأوديسة الهومرية ، رحلة شائقة طويلة مدهشة تجمع بين الغرائب الواقعية والخوارق الأسطورية . ولقد طافها الملك شهريار مع ذلك دون أن يبرح قصره ، طافها وهو فى مقصورته متمددا على أريكته ، متكئا على وسادته ، يصغى كل مساء الى حديث شهرزاد ، طوال ألف ليلة وليلة ، مرت وكأنها ليلة من فرط ما كان من سحر شهرزاد فى أنس محضرها وخلابة حديثها ، وطرافة قصصها ، وغزارة علمها ، ورجاحة عقلها وبعد أغواره ، ورحابة عالمها وعمق أسراره .

هذه الرحلة ، رحلة ألف ليلة وليلة ، التى تحدثت بها شهرزاد، وعاشتها مع الملك شهريار، لم يتناولها مؤلفنا العصرى كغيره بالاعادة وبالتكرار ، مع شىء من التغيير والزيادة والاختصار ، بل آثر أن يبدأ من حيث انتهت : وهو فى استئنافه لها يتوخى أن يظهرنا على ماكان من أبطال القصة – وهما شهرزاد وشهريار – فى مستأنف حياتهما بعد ما كان من زواجهما .

وها نحن أولاء فى مسرحية الحكيم نلتقى بهما : شهرزاد وشهريار ، فكيف نجدهما ؟

لقد كان شهريار عبد الجسد ، يبنى كل ليلة بعذراء يستمتع بها ، وفى الصباح يقتلها . وكذلك كان – ليلة استقبل شهرزاد – يشتهى منها المتعة بجمالها الغض البهى كالزهرة ، وجسدها البض الشهى كالثمرة ، فلما أخذت تحدثه حديثها الممتع الطلى ، مستفتحة كل ما اجتمع فى خزائن صدرها من روائع القصص وبدائع الخيال ورقائق الشعر ، لم يعتم هذا

جميعه أن فعل فيه فعل السحر ، فتفتحت مغاليق قلبه الموصد ، وتحرك ما تحجر منه وراء شغافه، وارتجف كل وتر من نياطه بعد ما كان من جفافه، فاذا هو يحب ، يحب هذه العذراء شهرزاد حبا لم يكن من قبل بالمعهود ، انه حب من نوع جديد، فليس هو من قبيل ما كان ، ذلك الحب الحسي، حب الجسد الشهوان ، ولكنه حب القلب والوجدان . ثم لم تلبث هذه العاطفة بدورها أن أخذت تهدأ نارها ويهدأ أوارها ، حتى تحولت النار الى نور ، فهو اليوم غيره البارحة ، انه لم يعدبأمن للعاطفة ، انه اليوم يحيا للعقل وبالعقل، ولاغاية لهغير المعرفة.واذا كانت شهرزاد مازالت تعنيه ويهتم لها ، فليس ذلك منه اشتهاء جسديا ، أو ميلا عاطفيا ، وانما هو الشوق الى معرفة سر جمالها وكنه سحرها ، وما وراء هذا الصفاء في عينيها ، هذا الصفاء العميق الذى هو فى غموضه



أغمض من الخفاء . انه يريد الغوص فى الأغوار للوصول الى القرار ، انه لا يريد الاحتباس فى الحدود الضيقة ، بل الانطلاق الى حيث لا حدود، انه الآن عقل محض ، لا يعنيه من الحياة ما يعنى سائر الأحياء ، وانما الذى يعنيه هو أن يبلغ عن طريق التأمل النظرى والتجريد الفلسفى الى المعرفة الشاملة ، معرفة ما وراء الظواهر من حقيقة مجردة .

هذا هو شهريار كما يرتفع عنه الستار فى مسرحية الأستاذ توفيق الحكيم منذ أول البداية. لقد كان العهد به فى الليلة الأخيرة من حكايات ألف ليلة وليلة يستمع الى كلمة الختام من شهرزاد ، وقد قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وقالت : « يا ملك الزمان ، انى جاريتك، ولى ألف ليلة وليلة وأنا احدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين ، فهل لى موضع فى جنابك لطمع حتى أتمنى عليك أمنية ؟ . فقال لها الملك «تمنى تعطى يا شهرزاد» ، فنادت شهرزاد فى طلب أولادها الثلاثة ، وكانوا أطفالا صغارا ، أكبرهم فى الثالثة من عمره . فجاءوا بهم ، أحدهم يمشى والثانى يحبو والثالث رضيع . فوضعتهم شهرزاد قدام الملك ، وقبلت الأرض بين يديه وقالت « يا ملك الزمان ، هؤلاء أولادك، وقد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل اكراما لهم ، فانك ان قتلتنى صار هؤلاء الصغار من غير أم ، فلا أم لهم غيرها تحسن القيام على تربيتهم بعدها » . فما كادت تبلغ الى هذا الحد من كلامها، حتى بكى الملك ، وضم أولاده الى صدره وقال : « والله انى قد عفوت عنك من كل شىء يضرك ».

وشاع الخبر فى قصر الملك ، حتى انتشر فى المدينة ، فعمت الأفراح قاصيها ودانيها ، وأرسل الملك الى جميع العسكر ، فحضروا . ثم أرسل فى طلب أبى شهرزاد ، فخلع عليه خلعة سنية بعد أن شكره على ما كان من تزويجه ابنته شهرزاد ، العفيفة العاقلة المثقفة الذكية ، التى كانت سببا فى توبته عن قتل بنات الناس من فرط ما كان من نقمته على جنس النساء . ثم خلع على الوزراء والأمراء وأرباب الدولة كافة . وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوما ، فزينوها زينة عظيمة لم يسبق مثلها ، وتصدق الملك على

الفقراء ، وعم باكرامه سائر رعيته وأهل مملكته ·

وهكذا يظهر تفاؤل القصة القديمة فى مغزاها الخفى التقليـدى ، بما فيـه من رد الطمأنينة للرجل ، ورد الاعتبار للمرأة فى نظره ·

ولكن هذا كله كان عند مؤلفنا الحكيم من بوادر الغرور، وفى دوامه مخالفة لطبيعة الأمور: ان شهريار الرجل قد يتغـير ، ولكن الأنثى الخالدة — كالطبيعة نفسها — لا تتغير ·

وهكذا تتكرر المأساة فى مسرحية الحكيم ·

وقد رأى مؤلفنا أن يعود الى الأطوار التى تعاقبت فى آناء متفرقة على شهريار نفسه ، مجتمعـة فى شـخصه ، ليجلوها فى مسرحيته موزعة على شخوص ثلاثة :

فهذا العبد الأسود اللون ، الوضيع الأصل، القبيح الصورة يرمز للشهوة الحيوانية ، وعلى هذا الوصف تلقاه شهرزاد « الأنثى الخالدة » ، وهى تلقاه فى حلك الظلام ، وتلزمه الا يطرقها الا خفية مع الليل ، وتستنكر معه العلن ، وتحذره من أن يدركه الصباح فى خدرها فيقتل ·

وهذا الوزير الفتى ، مثال الجمـال فى الخلقة والخلق ، يحب كما يخلق برجل جميـل مثله أن يحب المـرأة الجميلة ، انها معبودته لاعشـيقته ، وهو يأبى لهـذا الحب أن يكون حسيا ، ويبلغ تساميه للحب غاية علاه، فلايسمح له أن يكون الا قلبيـا ، ومن ثمة كان الوزير فى المسرحية يرمز الى عكس ما يرمز اليه العبد ، انه يرمز الى الحب العذرى الخالص ، الى القلب ·

أما شهريار من بعد أن زادت حـكايات شهرزاد من خبرته بالحياة ، وكشفت لبصيرته فى تلك الآفاق التى لايحصى لها عـدد ، أعماقا للتأمل بلا حد ، فانه لم يبق ذلك الطفل الكبير الذى كان من قبل فى طور اللعب بالأشياء ، بل أصبح الآن فى طور التفكير فيها ، انه اليوم فكر مسترسل شارد بعيد عن مظاهر الحياة ، ينقب فى الأعمـاق عن كنـه الأشياء ، انـه يطلب المجهول ·

وفى وسط هؤلاء الثلاثة الذين لا يمثلون من الطبيعة غير أجزاء ، تتمثل لنا شهرزاد كالكل الذى لايتجزأ ، انها كالطبيعة تشتمل على الرفيع والوضيع ، وهى كالطبيعة تتراءى لهؤلاء الثلاثة، فيرى كل فيها مرآة نفسه : فهى عند العبد حس مادى ولذة مشبعة · وهى عند الوزير مثال أعلى للجمال قلبا وقالبا · وهى عند الملك سر عميق ينطوى على نواميس خالدة تجرى على مقتضاها حركات الحيـاة وسكناتها ، ويتحدى لغزه المعرفة ·

ومن عجائب الاتفـاق أن هذه المعانى التى اقتضت القصة الرمزية اجتماعها فى شهرزاد ، لهـا سـندها المدعم فى الحكاية الأصـلية : فشهرزاد الى كونها مثل غيرها من بنـات حواء تخضع لمطالب المرأة الجسدية ، فانها ابنة وزير من أهل الفضل كريمة المحتد نبيلة الأصل كما يدل اسمها نفسه فى الفارسية ، وقد شاء لها كرم عنصرها وطيب أرومتها أن تعرض نفسهـا طواعية ليتزوج منها الملك الغشوم قاتل زوجاته، وأن تقدم مختارة جيدها الرقيق الغض ليكون عرضة لسيف جلاده ، فادية بحياتها — على ضعف الأمل — حياة غيرها ، انقـاذا للعذارى من هذا الحيف الراصد لهن ، فهى اذن ذات قلب كبير · ثم هى لا محالة — بطبيعة التربية فى قصر والدها الوزير — ذات ثقافة عالية ، وحذق لفنون الأدب والشعر ، وعلم بالتاريخ ومضارب الأمثـال والعبر ، فهى اذن عقل كبير · فليس هنا بأية حال من الأحـوال تجـوز وغلواء خيـال فى تصويرها جامعة للجسد المنعم النضير ، والقلب الفيـاض بالشعور ، والفـكر الواعى المحكم التدبير ·

ولقـد احتاط صـاحب المسرحية الحـكيم لرموزه هذه من أن تظهر مجرد رموز متحركـة تشخص ما وضعت له فى خطى آلية وعزيمـة



صلبة حديدية ، فأضفى عليها مخايل الأحياء من تردد وتشكك ونوبات ضعف وانتكاس بحكم ما هو مركب فى الطبيعة البشرية من العوامل المتضاربة والدواعى المتداخلة ، بحيث اذا صحت الغلبة لبعضها فان المغلوبة لا تنعدم ، بل لها فى النفس بين الفينة والفينة تخبط المقيد وانتفاضة لضغوط عليه . ومن ثمة نرى الوزير الجديد شاب قمر الزمان – وأن كان فى حبه لشهرزاد عذريا طاهرا يحفظ لصديقه الملك غيبته ويرعى حرمته ويذكر مودته – يضطرب أشد الاضطراب عند خلوتها به ، ثم هو يبدو أحيانا كأنما يسوءه ان تعطف على صديقه وزوجها أيسر العطف ، كما أنه فى آخر الأمر يتجرع المرارة من غيرته الخفية بمجرد التفكير فى العبد . كذلك نرى شهريار وقد باشرت الحسيات حواسه حتى مل جوارها ، وتشبعت بالعواطف مشاعره حتى لفظها ومجها ، وتعالى عن كل ما هو حس وشعور، يعود – فى فترة يأس من المعرفة – الى شهر زاد يسكر عطشه من كأس ثغرها اللؤلؤى ، ويستظل من رضمائه بعناقيد غدائرها المتهدله ، ويوسد رأسه المتصدعة حجرها ، ويريدها على أن تنشده شعرا أو تغنيه اغنية أو تقص عليه قصة .

وما تبدلت الرموز غيرها من أجل هذا ، وانما هى عوارض من أمارات الضعف البشرى، ثم تستأنف هذه الرموز البشرية سيرتها المرسومة ، ودورتها المقدورة فى افتنان وروعة .

وقد اختار مؤلفنا للقصة بداية ليس أصلح منها مدخلا للرواية ، من حيث تهيئة الجو والدلالة على المعنى . فثمة طريق قفر والليل حالك ، والى ناحية منزل منفرد على بابه مصباح مضىء . وفى هذا الموقف يطالعك المؤلف على الفور بسحر الساحر ، ولغز الجنس وسطوة الشهوة باللمسات الأولى من ريشته :

الساحر : (يقود جارية الى المنزل) ماذا يقول لك هذا الغريب الأسود ؟

الجارية : يسألنى عن سر فرح المدينة ، فأجبته هو عيد العذارى للملكة شهرزاد .

الساحر : وما لفرائصك ترتعد ؟

الجارية : (همسا) لست أدرى .

الساحر : ألم أحذرك من أن تقربى هذا العبد الهرم ، فان فى عينيه نظرات الفجرة .

الجارية : (همسا) ليس هرما .

الساحر : بم تهمسين كمن به مس ! هاتى يدك ولندخل . لعلك ارتعت من قبح هذا الرجل ؟ .

الجارية : (همسا) ليس قبيحا .

(يدخلان المنزل . يظهر العبد يتبع نظراته الجارية ...)

العبد : ما أجمل هذه العذراء ، وما أصلح جسدها مأوى ؟ .

صوت « من خلفه » : مأوى للشيطان أم للسيف ؟

العبد : (يلتفت) أهذا أنت ؟

الجلاد : (يظهر) عرفتنى ؟

ثم لايطول بك الانتظار فى هذا الموقف بمسمع من هذه الكلمات المتقطعة المتبادلة حتى تعلم كل ما طرأ على حياة شهريار الذى كنت تعرفه ، من تغير بعيد الأثر ، وما يحيط به اليوم من ملابسات وظروف . انك تتسلم بين اصابعك أطراف خيوط القصة جميعها ، وتتابع فى لذة مشوقة حركات نسجها لحمة وسداة ، وترى كيف يعارض حائك القصة بين شهرزاد وقلب الوزير المتأجج فى منظر ، وبينها وبين عقل الملك السابح فى زرقة أحلامه الصافية فى منظر ، وما يزال حائك القصة يداول بين هذه الخيوط المختلفة الاصباغ ، حتى يخرج لنا منها طراز من النسج كالسجف الشرقية ، خسروانى الوشى – بديع التهاويل والأشكال ، ساحر الألوان كقوس الغمام . حتى اذا أزف الختام أبى المؤلف الحكيم على العبد قتله استرخاصا له وكرامة للمنية أن تكفر عن خسته ، بل ادخر المصرع الفاجع للوزير الذى ضاق الواقع عن قلبه الكبير ، فلم يستطع ان يحيا بعد أن تحطم مثله الأعلى .

أما شهريارفانه بعد سفرقصير ، عادالىخدر شهرزاد ، ولكنه لم يعد فى هذه المرة عودة الملك شهريار الزوج الغيور – كما كان العهد به منذ

زمان ـ ليقتل الزوجـة والعبد . بل شهريار الباحث المتحير اليائس من البشرية ، المتعالى على سائر الحواس الجسدية والمشاعر العاطفية فهو يعود لمعاودة الدرس الموضوعى المجرد عن الهوى والمصلحة الأنانية ، على أمل الوصول الى كنه سر من أسرار الحقيقة الكلية ، فلا يجنى من عودته غير المزيد من حيرته . فيرحل ثانية عن الأرض موغلا فى غيبته ، فى سفره البعيد الطويل نحو المجهول الذى لا أمل للعقـل فى ادراكه مهما أوغل فى اتاويه شـعابه . مسكين شهريار ، لقد أراد أن يحيا خالصا للعقل ، فلم يكن نصيبه غير الحيرة والقلق والفشل . لقـد انتقمت منه الحياة لأنه زعم لنفسه القدرة على أن يحيط بها عقله ، وتتحكم فيها ارادته ، وهى أعظم من أن ينعزل عنهـا فرد على الاطلاق ، وأوسع من أن تنحصر فى نطاق .

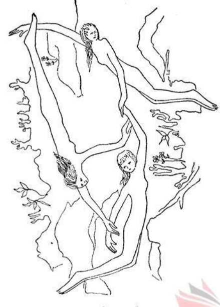
ولئن كان المؤلف قد نحا نحو الرمزيين فى قصـته ، فانه لم يصنع من رمـوزه فيها ـ مثل بعضهم ـ لغزا مغلقا ولا شبه مغلق ـ بل لم يهن عليـه أن يترك رمزا من رموزها ـ على قرب منالها وقلة تعويصها ـ لفطنة القراء ، وبخاصة الذين ألفوا هـذا النحو فى التأليف الغربيـة ليستنبطوها استـنباطا ، بل آثر أن ينص على تفسيرها نصا فى ظاهر سطوره أثناء الحوار ، فلم يدع لأحد دون فهمها على وجهها الصحيح عذرا قائما أو حجة مقبولة .

وقد اصطنع المؤلف ما يصطنعه أهل مذهبه من أساليب العرض والكتابة ، فشخوصه معروفة النظائر فى الواقع ، ولكنها تبدو لعياننا من مادة أشف من مادتنا ، وتروح وتجىء فى جو أخف مما نعيش فيه ، فكأنما هى من عالم الأحـلام نحسها بالحس الباطن ، وكأنها لا تتحرك بمحرك فيها من ارادتها بل تحركها قوة مستعلية عليها ، خارجة عنها ، فهى مسوقة من حيث لاتدرى الى حيث لاتدرى ، ولا طاقة لها على التوقف والمغالبة . ثم هنالك السحر والكهانة ، والفلتات المنبئة وأحاسيس النفس السابقة المؤذنة بوقائع غامضة لاحقة . وهذه جميعها مفرغة من سياق شعرى يتمشى فيه النغم ، وتنتظم الموسيقى نسقه من مبدئه الى منتهاه ، ويعتمد على الاشارة المقتضبة والتلبيس ، ويتجنب البسط والتقرير ، وتكرر فيه العبارة الواحدة مرات وتكثر فيه الكلمات البارعة والكنايات المحجبة ، ولو شئنا أن نسوق الأمثلة لضـاق المجـال ، لأن كل صـفحة فى المسرحية صالحة للاستدلال ، فلنكتف اذن بهذا المثال : ـ



شهريار : شهرزاد ...
شهرزاد : لماذا تنظر الى هكذا ؟
شهريار : لاتسخرى منى .
شهرزاد : أنت لا تصلح حتى للسخرية منك
شهريار : ماذا تقولين ؟
شهرزاد : تريد أن تعرف منى ماذا ؟ .
شهريار : أنت لاتجهلين ما أريد .
شهرزاد : تريد أن تعرف من أنا ؟
شهريار : نعم .
شهرزاد : أنا جسد جميل ، هل أنا الا جسد جميل .
شهريار : سحقا للجسد الجميل .
شهرزاد : أنا قلب كبير ، هل أنا الا قلب كبير
شهريار : سحقا للقلب الكبير .
شهرزاد : أتنكر أنك عشقت جسـدى يوما ، وانك أحببتنى بقلبك يوما .
شهريار : مضى كل هذا ، مضى .
شهرزاد : لمـاذا ، ما الذى بك ؟ أقسم أنك جننت . أجهـدت عقلك حتى اضطرب . اى سر تبحث عنه أيهـا الأبله ؟ الا تراك تضيع عمرك الباقى وراء استطلاع خادع .

شهريار : وما قيمة عمرى الباقى •
شهرزاد : وما أدراك أن ما تطلب موجـــود .
أترى شـيئا فى ماء هذا الحوض ؟
أليست عيناى أيضا فى صفاء هــذا
الماء ؟ أتقرأ فيهما سرا من الأسرار ؟
شهريار : تبا للصفاء وكل شىء صاف ... لشد
ما يخيفنى هـذا الماء الصـافى ...
ويل لمن يغرق فى ماء صـاف ...
شهرزاد : ويل لك يا شهريار •
شهريار : الصفاء ... الصفاء قناعها •
شهرزاد : قناع من ؟
شهريار : قناعها هى ... هى ...
شهرزاد : انى أخشى عليك ياشهريار •
شهريار : قناعها منسوج من هذا الصفاء ...
السماء الصافية ، الأعين الصافية ،
الماء الصافى ، الهواء ، الفضاء ، كل
ما هو صاف . ما بعد الصفاء ؟ ان
الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء .
شهرزاد : كل البلاء ياشهريار انك ملك تعس،
فقد آدميته ، وفقد قلبه .
شهريار : انى براء من الآدمية ، براء من القلب،
لا أريد ان أشعر ، أريد أن أعرف .
شهرزاد : تعرف ماذا ؟ ليس ثمة ما يستحق
المعرفة .
شهريار : كذب ومكر • هاتى الجواب اذن عما
أسألك عنه ، هذا غاية ما أطلب فى
الحياة .
شهرزاد : سل ما شئت •
شهريار : من أنت ؟



شهرزاد : (باسمة) : أنا شهرزاد •
شهريار : كفى عن الحب والدوران ؟ أعرف أن
اسـمك شـهرزاد ، لكن من تكون
شهرزاد ؟ .

وهكذا تسير الحياة ـ فى مسرحية الحكيم ـ بين شهرزاد وشهريار ، بين المرأة والرجل . انها تريده على أن يعود الى الواقع ، ولكنه معلق أبدا بين السماء والأرض ، أنه يدور بينهما حتى اذا صار الى نهاية دورة ، ابتدأ الدورة من جديد .

فلنسجل اذن لمؤلفنا المسرحى نجاحه العظيم، ولنحيه واثقين انه فنان حتى أطراف أنامله .

سطور من كتاب

« ان معتنق المـذهب العملى يدير ظهـــره للمعنويات ، وعدم الكفاية ، وللحلول الشفوية ، وللمبـادىء الثابتة ، والأنظمة المغلقة . ويتجه نحو الواقعية والكفاية ، ونحو الحقائق والعمل والقوة . فبينما نجد المثالى يقول ان النظريات تعمل لأنها صحيحة ، نجد أن العملى يقول ان النظريات صحيحة لأنها تعمل ، والمذهب العملى يشجع الانســان على قبول اى شىء عملى قدير ومرض ، فهذا المذهب اذن طريق الى الحقيقة عن طريق العمل » .

أسس التربية البدنية

أبو هريرة راوية الإسلام

تأليف : محمد عجاج الخطيب
بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

١ - هذا عنوان كتاب بقلم ولدنا الأستاذ محمد عجاج الخطيب ، وقد جاء ذلك الكتاب فى وقت الحاجة اليه ، فان سلسلة الهدم للسنة متصلة مستمرة ، وقد لبست فى هذا الزمان لبوس الطعن فى أبى هريرة ، والتشكيك فى رواياته ، ذلك أنه أكثر الصحابة رواية ، وان لم يكن أعظمهم دراية ، وان كثيرا من أحكام العبادات والمعاملات مروية عن طريقه ، فالتشكيك فى روايته تشكيك فى كثير من الأحكام الاسلامية ، ثم يرتقى العابثون الهدامون من الطعن فى أبى هريرة الى الطعن فى السنة كلها ، والى الطعن فى الأحكام الشرعية المأخوذة منها ، ثم تجريد القرآن من السنة التى تبينه ، والهدى المحمدى الذى يوضحه .

ولقد تجرأ أناس هنا وفى باكستان وغيرها من البلدان الاسلامية ، تدعو الى الا يستعان على فهم القرآن الا بالقرآن مطرحين السنة اطراحا ، حتى لقد ذهب بهم فرط غلوهم الى ان ينكروا السنة المتواترة ، فأنكروا فرائض الصلاة ، وادعوا أن الصلاة الثابتة بالقرآن هى ركعتان ، وألفوا هنا وفى باكستان جماعة تلم شملهم ، ويرتكز فيها اثمهم ، وكانت جماعتهم هنا تؤلف الكتب الطوال ، وتسود الصفحات الكثيرة ، ولكن نور الحق طمسهم ، وظلام الباطل أخفاهم ، وأصبحنا لانسمع لهم لاغية ، بعد أن أهلك الله تعالى كبيرهم ، وأخذه الى جهنم وبئس المصير .

وان هذه الفئة الآثمة كانت ممن يعاضد الطعن فى السنة جملة وتفصيلا ، ويختارون أبا هريرة ذريعة للطعن يتقولون عليه الاقاويل ، ويثيرون حوله الاتهام .

٢ - وان الطعن فى السنة هو السبيل الوحيد الذى ظن الكائدون للاسلام أنهم يستطيعون أن يأتوه من جانبه وانها الثغرة التى يستطيعون أن ينفذوا منها الى هدمه ، ولكن سهامهم ترتد دائما الى نحورهم ، فما ظنوه سببا للهدم قد التوى عليهم فهدمهم .

ان الديانات السماوية التى سبقت الاسلام استطاع الهدامون أن يأتوها من كتبها التى بينتها ، ومن أصولها التى قامت عليها ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا من هذه الكتب ، فلما حاول الهدامون ذلك وجدوا القرآن الكريم كالعلم الشامخ تتحطم رءوسهم حوله ، ولا ينالون منه مأربا ، ولا يصلون فيه الى غاية ، لأن الله تعالى حفظه باقيا خالدا الى يوم القيامة كما قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » ولأن القرآن نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه ، وأقرأه أصحابه ثم اقرءوه من بعدهم ، حتى صار متواترا فى هذا الوجود ، لا بالفاظه فقط ، بل بطريق النطق بحروفه ، فأنها هى الأخرى متواترة تواتر ألفاظه ، وهو فى نسق بيانى لا يحاكى ، ولا يستطيع أحد من البشر أن يأتى بمثله ، وانه يعلو ، ولا يعلى عليه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

٣ - ومنذ أخذ الاسلام يدخل فيه الناس أفواجا أفواجا ، ويصل الى القلوب بنوره وهدايته ، وأهل الزيغ يريدون أن يهدموه ، ولم يجدوا الا السنة موضعا لهدمهم ، ليتجرد القرآن عن بيانه ، وبهذا الطريق يصلون الى الاسلام ليهدموه ، والى القرآن ليجف ، ولا يكون هدى وشفاء للمؤمنين .

ولقد ذكر لنا الشافعى فى رسالة الأصول ، ورسالة جماع العلم انه التقى بالبصرة - عش الفرق المنحرفة - من ينكر السنة كلها ولا يعترف الا بالقرآن مصدرا مبينا ، وقد جادلهم بالتى

هي أحسن حتى أفهمهم بظاهر الحال ، وان كانوا في طوية أنفسهم لم ينخلعوا عن تفكيرهم ، لانهم لم يكونوا طلاب حق ، فيقنعهم الدليل ، أو يسكتوا عند العجز عن الحاجة . بل انهم طلاب الباطل، وللباطل لجاجة ، ولما أفحمهم الشافعي في ادعائهم أنه لاحجة الا القرآن جاءوا من ناحية أخرى ، وهي انكار الحديث غير المتواتر ، أو ما يسميه الشافعي حديث الخاصة ، أو خبر الخاصة والنتيجة من الانكار الثاني هي عين النتيجة من الانكار الأول، لأن الاحاديث التي ثبت تواترها عددهامحدود فيما عدا أصول الفرائض ، والكثرة الكاثرة من الاحاديث النبويه أخبار آحاد ، فاذا أنكروها فقد وصلوا الى ما ابتغوا من الهدم مستترين بستار الاستيثاق من النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أن الناقلين ثقات ، لا تأتي الريبة اليهم ، ولا يشك في نقلهم ، وقد جادلهم الشافعي في هذا الانكار ، كما جادلهم في الأول ، وأفهمهم فيه كما أفهمهم في الأول ، فسكتوا ولكن على نية الهجوم من جانب آخر ، فهم خصوم متربصون، وليسوا طلاب حق مهتدين ، ولنذرهم في ريبهم يترددون ، ومهما يكن حالهم بعد مجادلة الشافعي لهم ، فانهم قد طووا في لجة التاريخ ، وأخذتهم غمراته . وصاروا نسيا منسيا .

٤ – ولقد كان ينتأ في التاريخ من وقت بعد آخر ، رءوس كرءوس الشيطان تقول مثل ذلك الافك ، ولكن كانت صيحاتهم تذهب في واد ، فلا يحس بها أحد ، لأنهم لم يكونوا في لجاجة الأولين ، وكانت السنة النبوية قد دونت في صحاحها ونقحت رواياتها ، ودرست دراية ورواية ، ونقدت كما ينقد الصيرفي دراهمه ، ولا تعلم الانسانية عناية بدراسة المأثور من القول كما عنى بدراسة السنة .

ولكن قوى الهدم لاتزال متربصة مترقبة لا تألو الا خبالا ، وقد تجمعت تلك القوى في طائفتين – احداهما – طائفة اسلامية تؤمن بالله على حرف تخالف في منهاجها طريقة جمهور المسلمين ، أو كما تسميهم العامة ، تنكر السنة التي يعرفها الجمهور الا ما يتفق مع ما عندهم ، وهؤلاء أخذوا يهاجمون السنة المروية رواية صحيحة عند جمهور المسلمين ، واتخذوا من أبي هريرة والطعن فيه سبيلا لهدم غيرهم حتى ان بعضهم ليقول في أحد كتبه ، حسبنا أبو هريرة لنرد السنة كلها .

والطائفة الثانية طائفة لا تؤمن بالله ولا برسوله ، وهم الذين يسمون في الدراسات العلمية المستشرقين ، وأولئك يدرسون الاسلام ليثيروا الشك حول حقائقه ، وينقلوا الى أقوامهم ما يضعف شأن الاسلام ويوهنه ويطمس نوره، ويطفيء ما ينير السبيل أمام معرفته .

وقد التقت الطائفتان على تخير بعض شخصيات الرواة ، وتجعلها موضع هجومهم ، وهدفهم المنشود لاطفاء نور الاسلام ، فنالوا من الشخصيات البارزة من علماء المسلمين ، وتناولوا نتائج تفكيرهم بالتوهين ، وانكار مزاياها ، ولم يسلم منهم عالم ، ولا تكاد تجدهم يثنون على عالم اسلامي ثناء مطلقا ، ولنترك الطائفة المسلمة ولنتجه الى الأخرى فنقول لقد أراد الأوربيون نقض الاسلام من قواعده ، فاختصوا السنة بالنقض والانكار، فمنهم قوم اشاعوا القالة على السنة مطلقا ، وأنكروها انكارا مطلقا ، حتى لقد قال طاغوث منهم يوليه أمثاله من المفسدين ثقة مطلقة ، لانه يأتيهم بما يشتهون ، ويبتغون ، ولا يبغون الا فسادا ، قال ان السنة قد اصطنعت في القرن الثالث الهجري ، وتلك فرية افتروها ، فالسنة كانت معلومة يتلقاها العلماء ، ولما أخذت تدون كانت مذكرات ، فدونت السنة في أول القرن الثاني الهجري في موسوعات ، وكانت من قبل تدون في مذكرات كانت المذكرات بها ، في عصر الصحابة ، ثم كثرت في عصر التابعين ، ثم دونت في موسوعات في عصر الأئمة المجتهدين ومع هذا التاريخ الثابت ، والحق الناصع ، والبرهان الساطع لجوا في افترائهم ، فلنذرهم في طغيانهم يعمهون .

وجلهم قد اتخذوا أبا هريرة قنيصة لهم لينالوا الاسلام من جانبه ، فرموه بأنه كذب على رسول الله تعالى وافترى ، وأنه قال مالم يسمع، ولم يهمهم أن يبقوا في تناقض ، كيف يدعون اصطناع السنة في القرن الثالث وينسبون

الاصطناع الى صحابى كان فى القرن الاول ، ولكن التناقض لايضيرهم مادام هدفهم الهدم والتشكيك ، واثارة الغبار ، وتعكير الجو العلمى ، فيخبطون باليمين وبالشمال مادام الهدم مقصدهم والتشكيك غايتهم ، وطمس معالم الحق مبتغاهم ، ومادام الذين يستمعون اليهم من أقوامهم يتبعون اهداءهم . وليس العجب من أن يقولوا ، ويعظموا الافتراء ، وانما العجب أن يسموا ذلك منهاجا علميا ، وتدقيقا فى البحث والأعجب من كل هذا أن يجىء كتاب مسلمون ، فيتبعوهم على غير علم ، ويحسبوا أنهم يختارون منهاجا أقوم ، وسبيلا أهدى ، وما يتبعون الا الضلال أن يتبعون الا الظن وان أكثرهم لا يعقلون .

٥ - وماذا قالوا عن أبى هريرة الذى نصبوا له أدوات الهدم ، وصوبوا اليه السهام ؟ قالوا كيف يروى تلك المجموعات الكبرى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يصاحبه الا أربع سنوات ! وكيف يؤخذ بها مع هذا الريب، ونقول لهم ان مصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم أربع سنوات ليست زمنا قصيرا ، بل هى زمن طويل يكفى لرواية هذه المجموعات وأكثر منها ، وبين أيدينا رواية كتب فقه الشافعى ، لقد رواها الزعفرانى عنه فى بغداد فى مدة دون هذه المدة ، ورواها عنه فى مصر ربيع بن سليمان المرادى فى مدة تقارب هذه المدة ، وهى مجموعات ضخمة ، تتناولها مجلدات ضخام .

ولو علم أولئك الذين لا يتكلمون عن علم ان هذه السنوات الأربع التى استغرقت الجزء الاخير من حياة النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيها الاحكام التكليفية العملية ، ففيها نظمت العلاقات فى المعاملات الدولية ، والعلاقات الاجتماعية ، والنظم المالية ، وتقررت كل مبادىء الاسلام ، فمن بعد غزوة خيبر استقرت الدولة الاسلامية ، واتجه النبى صلى الله عليه وسلم الى بيان النظم الاسلامية فى الأسرة ، والمجتمعات صغيرها وكبيرها ، ببيان ما اشتمل عليه كتاب الله تعالى منها ، وتبليغ رسالة ربه فيها من غير وهن ولا تقصير ، فهذه السنوات الأربع هى خير سنوات الاسلام فى بناء الدولة الاسلامية بالأحكام والقوانين .

وان أبا هريرة رضى الله عنه ، قد اختص من بين الصحابة بدوام الصحبة والملازمة ، فقد كان كبراؤهم مع قيامهم بحق الجهاد ، وعلمهم الكامل بحقائق الاسلام التى تلقوها عن الرسول ، كان لهم أموال تشغلهم وأسر يرعونها ، أما هو فقد كان من أهل الصفة الذين التزموا المسجد ليلهم ونهارهم ، واختص هو من بينهم بأنه كان فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن ثمة ما يسوغ الشك فى تلقيه أحاديث الأحكام كلها أو جلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان له ملازمة وفيه ذكاء ، وكانت الملازمة فى وقتها ، اذ نزلت فى هذه السنين الاربع أحكام المعاملات والاسرة كما نوهنا .

٦ واذا كان المغرضون والمفسدون والعابثون والموزورون ، والمستأجرون قد نالوا من أبى هريرة ، فقد تصدى لهم كتاب (أبو هريرة راوية الاسلام) وتتبع ما أثاروه من شبهات حول شخصه وعلمه فأزالها وجلى صفحة أبى هريرة نقية ظاهرة بعيدة عن كل ريب .

لقد تتبع حياته فقدم صفحة طيبة من سيرة رجل امتاز بالطيبة والتقوى ، أسلم عندما بلغه نبأ الدعوة المحمدية والنبى صلى الله عليه وسلم لم يهاجر ، ولكنه لم يتمكن من الصحبة الا قبل وفاة النبى عليه السلام بأربع سنين ، ثم بين الكتاب حياته مع النبى وقربه منه .

ثم بين أمرا جديرا بالاعتبار والنظر ، وهو أنه كان حريصا على أن يستحفظ على كل كلمة يقولها النبى عليه السلام ، ويراجعها بعد أن يغادر مجلسه ، فما كان أبو هريرة يكتفى بالسماع ، « بل كان يراجع حديثه عليه الصلاة والسلام ويكرره فى المسجد وفى الطريق وفى بيته ليلا ونهارا .... قال أبو هريرة « جزأت الليل ثلاثة : ثلثا أصلى ، وثلثا أنام ، وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله » (١) .

ولقد قالوا ان عمر نهاه عن كثرة التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان ذلك دليل اتهامه ، وهذا كلام لايدل على ما يريدون ،

---

(١) الكتاب صفحة ١٥٨ نقلا عن طبقات ابن سعد .

انه لا تلازم بين النهي والشك ، وذلك لأن عمر رضي الله عنه كان يدخر دائما أحاديث رسول الله ليؤخذ بها فيما يعرض للناس ، ولا تروى لذاتها، بل تروى لأنها علاج لحال قائمة ثابتة ، فاذا وجدوا علاجها فى الكتاب أخذوا به ، والا التمسوا سنة تعالج الأمر ، وأبو هريرة كان يروى الحديث ، وكأنه يتعبد بروايته ، ولقد قام الدليل على أنه لم يكن متهما عند أمير المؤمنين عمر ، بدليل أنه ولاه ولاية المال فى بعض النواحى ، ولما عزله وحاسبه تبينت نزاهته ، فأراد أن يوليه للمرة الثانية فأبى وقال انى أخشى الله مقلب القلوب .

ولقد بين الكتاب الذى نقدمه قبول الصحابة لأحاديثه عن رسول الله ، ولم يرد عمر حديثا له، ولقد سأل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : أتنكرين مما أقول شيئا ، فلم تنكر ما رواه . لكن قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردكم (١) .

هذا هو الأمر الذى أنكره الامام عمر رضى الله عنه ، وهو سرد الأحاديث سردا ، بأن يجلس وحوله ناس ، فيقول قال الرسول ويتبع ذلك بروايات أحاديث مختلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يقول عدة أحاديث قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة مواضع مختلفة الأزمان ، فيقولها هو فى وقت واحد ، وقد كان يتعبد بذلك ، وعمر ما كان يروى الرواية الا عند الحاجة اليها ، وهدفه هو الفتوى والعمل ، أما أبو هريرة فهو يريد الرواية لذات الرواية، مجتهدا فى أنه يتلقى الأخلاف عنه أكثر ما يحفظ، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على نقل مقاله ينقله السامع كما وعى ، فرب حامل فقه لافقه له ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، كما روى عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ولحرص أبى هريرة على أن ينقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأخلاف ، أملى حمل ما فى وعائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلميذه همام بن منبه ، فجمع ذلك

(١) هذه الأحاديث الشريفة رواها صاحب الكتاب فى ص ١٤٢

التلميذ الوفى ما أملاه عليه أستاذه فى صحيفة سماها « الصحيفة الصحيحة » .

ولقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة رضى الله عنه ، فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين فى دمشق وبرلين ، ووجدت لهذه الصحيفة نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية(٢) » .

وقد أخذ الامام أحمد عددا كبيرا من هذه الصحيفة ووضعها فى كتابه « فى سند أبى هريرة » .

٧ – ولو اتجهنا الى ماوراه الصحابى الجليل أبو هريرة ، ودرسناه دراسة ذاتية لوجدناه صادقا كل الصدق فى نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يدفع كل ريبة يثيرها أعداء الحق والصدق .

وذلك أننا لا نكاد نجد حديثا يشذ عن الحقائق الاسلامية ، بل هو يؤيدها ويزكيها ، وان أبا هريرة لا ينفرد برواية حديث ويكون فيه ما يخالف القرآن الكريم ، وان الروايات الأخرى عن طريق بعض الصحابة الآخرين كعبد الله ابن عمرو بن العاص تتلاقى فى الصدق مع رواية أبى هريرة .

وحسبك أن تعلم أنه روى حديثا أجمع الرواة من الصحابة على صدقه ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » حتى لقد قال علماء الحديث أن هذا الحديث متواتر ، ولكن من لادين لهم ولا خلق يتهمون راوى هذا الحديث بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ينوى أن يكذب على الرسول الكريم ماروى هذا الحديث الشريف .

٨ – لقد اتهم المفترون أبا هريرة بالجهل ، ولو قرءوا ما رواه لرأوا أن ما يدعونه عليه من جهل يأتى على دعواهم بالنقض ، أو ينقض افتراءهم ، ويرد عليهم كذبهم ، فان المرويات التى رواها فيها من دقائق الفكر ، مالا يمكن أن يخترعه جاهل ، وهى فوق على العالم ، الا أن يوحى

(٢) الكتاب ص ١٤٤ .

اليه . ومن ذلك مثلا . ما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، امام عدل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وما رواه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

ومن ذلك أيضا ما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال : « قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، أى الصدقة أفضل ! قال : « ان تصدق وأنت صحيح حريص، تأمل البقاء وتخشى الفقر ، ولا تمهل ، حتى اذا بلغت الروح الحلقوم قلت لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان ... (١) »

هذه أحاديث رواها ذلك الصحابى المفترى عليه ، وافتح أى كتاب من صحاح السنة فستجد من رواية أبى هريرة الشىء الكثير الذى تشم منه العبقة النبوية ، والحكمة المحمدية مما لا يمكن أن يكون من أقوال رجل لا يوحى اليه مهما يكن علمه .

فان كان أبو هريرة جاهلا كما يدعون فكيف يتصور أنه اخترع ذلك ، انها دعوى باطلة ، وهى دعواه الافتراء على رسول ، وان ادعاء الجهل على أبى هريرة يؤدى الى عكس ما يريدون ، وينقض ما يفترون ولكن الله تعالى ينصر الحق ، ويأتى بدليله من أقوال المبطلين .

وبعد فان أبا هريرة قد حمل لنا مع صحب كرام سنة رسول الله ، وتبليغ الرسول لرسالة ربه ، أثابهم الله تعالى عنا وعن الاسلام خيرا ، ونفعنا بعلم النبوة .

---

(١) هذه الأحاديث الشريفة رواها صاحب الكتاب فى الصفحات ١٧٨ ومابليها ، وروى الكثير منها .

إيولف الصغير

تأليف : هنريك إبسن

ترجمة : محمود سامى احمد

مراجعة : الدكتور عبدالحميد يونس

تقديم : الدكتور عبدالرحمن بدوى

بقلم : دريني خشبة

لا يمكن أن يمل الانســـان من القراءة عن ابسن ولا أن يمل الكتابة عنه .. وجميع من لهم صلة بالمسرح أو مشـــاركة فى الأدب المسرحى والفنون المسرحية ، يغرقون لآذانهم فى ابسن ، فهم لا ينفكون يقرأونه ويتدارسونه ، وكـذلك يفعـــل نقاد المسرح والأدب المسرحى والفنون المسرحية ، بل لعل هؤلاء أكثر الناس اهتماما به، لأنهم يعدونه ، بل هو بالفعل ، زعيم النهضـــة المسرحية الحديثة .. النهضة التى غيرت المسرح الحديث ، وحولت تياره من قصور الملوك ودنيا الأمراء والطبقة العظاميـــة الى عالم الطبقـــة البورجوازية ومن تزخر بهم هذه الطبقـــة من أصحاب رءوس المال وزعماء الميادين الاقتصادية من تجار وصناع وصيارفة وأطباء وقسس .. وفنـــانين : وقد كان كثير من الفنانين فى عصر ابسن بورجوازيين فيما ينتجون من فنونهم .

وابسن يستحق كل تلك العناية ، بل يستحق ماهو أكثر منها . فهو زعيم المذهب الواقعى .. مذهب المشكلات والقضايا والأفكار .. وهو وان يكن قد فتح المجال على مصراعيه لقضـايا الناس ومشكلات العائلات وآفات المجتمع وخبايا النفس البشرية ، قد فتح المجال أيضا لفروع جـديدة لهذا المذهب الواقعى . وقد تعددت بفضله فروع الواقعية الجديدة من تعبيرية وسريالية ووجودية وصوفية ومستقبلية وتأثرية ... وغير هـــذه وتلك من الأزياء المسرحية التى لا تنى تظهر فى حقول المسارح والمسرحية التجريبية فى أوروبا وفى أمريكا وفى أماكن أخرى من العالم .

وابسن زعيم المذهب الواقعى شاعر أصيل كتب عددا من مسرحياته الاولى بالشعر ، ولما هجر النظم الى النثر لم يتجرد مطلقا من روح الشعر.. وهو يلجأ الى ما يلجأ اليه الشعراء الأصليون من هذا الغموض الذى يغلف أفكارهم جميعا ... ثم هو يضاعف غموضه باستعماله الرمز الذى كان كثيرا ما يضطر اليه اضطرارا ... لأنه كان يحمل قلما أقسى من المعول يهـــدم به المجتمع ، لا فى بلده فقط ، بل المجتمع فى كل مكان .. المجتمع بما ران عليه من نظم عتيقة بالية تقوم على النفاق الاجتماعى وعلى الدجل وعلى الاستغلال الخسيس وعلى الخرافات الدينية والفكرية وعلى استعباد القوى للضعيف والغنى للفقير ... وقـد عرف فيه مواطنوه هذا ولم ينسوه ، فجعلوا على قبره يدا تمسك بفأس . رمزا لما كان يقـــوم به من هدم وتدمير لم يسلم منهما أى ميدان من ميادين الحياة .. خارج النفس البشرية وداخلها .

ولهذا .. لا نرى بدا من تحذير شبابنا من ابسن .. ابسن الذى نحترمه ونجله .. ونوصى شبابنا جميعا بدراسته وامعان التفكير فيه .. والتفكير فيه بعقلية الناقد الواعى المستقل الذى لا يتأثر الا بالحق ، ولا يتحمس لكل ثورة فكرية لا تهدف الا الى الهدم المدمر ، مهما كان ما تهدمه شيئا صالحا .. ولايعيبه فى عين المفكر الهدام المدمر الا القدم ... نقول اننا يجب أن نكون على حذر ولا ســـيما اذا كان المفكر الذى نقرؤه يهدم ولا يبنى لنا شيئا .. يقضى على قديمنـا ولا يقيم مكانه شيئا جديدا .. وابسن على علو كعبه فى كتابة المسرحية المحبوكة البـاهرة فى

معظم الأحيان هو من هذا الصنف الذى هـــذا شأنه ، ولذلك يجب أن نحـــاذر فلا نندفع فى تقديسه والأخذ بكل ما يقول والايمان الأعمى بكل ما يذهب اليه من آراء ٠٠ وبخاصة تلك الآراء التى يزلزل بها العقائد المقدسه التى لها الاعزاز كل الاعزاز فى النفوس .. وفى مقدمتها ــ بكل صراحة وفى غير التواء ــ الدين القيم الخالص الذى هو المرفأ الأمين تلوذ به سفينتنا الروحية كلما اجتاحتها العواصف وأحاطت بهـــا الأنواء فلا يكون لها عاصم منها الا الضراعة الى اله رحيم يفتح لها أبواب الأمل وينجيها من ظلام اليأس القاتل والقنوط المؤلم الذميم ...

لقد لقى ابسن زعيم الوجودية كيركجارد فى رحلتيه الاولى والثانية الى أوربا فتشبع بآرائه فى التحرر الـــدينى وعتق النفس الانسانية من الخرافات والضلالات .. وهذا كله خير لو أنه وقف عندما كان يؤمن به هذا الزعيم من هـــذا التحرر وذلك العتق مع الايمـــان بوجود واجب الوجود الذى لاسبيل الى انكاره ٠٠ لكن ظروف ابسن والمرارة التى كانت مترسبة فى نفسه من ظروف حياته وموقفـــه من المجتمع النورويجى والحكومة النورويجية التى ظلت فترة طويلة تنكر فضله وتقاوم آراءه ولاسيما فى الحكم ٠٠ مما أشرنا اليه فى مقدمتنا لأعمدة المجتمع (العـــدد الثانى من سلسلة روائع المسرح العالمى) ٠٠ ثم تأثر ابسن الشديد بكانت (فى تقديسه للواجب والآمر المطلق والشخصية الانسانية التى يجب أن تعامل دائما على أنها غاية وليست وسيلة ٠ ثم تأكيده للفردية الصلبة الشامخة التى تحرص على حقوقها وتؤكد استقلالها ضد الناس والمجتمع والدولة) (كما تأثر بفيشته فى تقديسه للأنا والذات الأخلاقية وجعل الكون ينبثق عن الأنا ، وأعلى مراتب الأنا هو أنا الفنان ، انه الأنا العبقرى ذو السلطان الشامل على الأحياء والأشياء) ٠

(وكان متشائما فيما يتصل بالماضى والحاضر والمستقبل معا .. متشائما فيما يتعلق بعلاقات الرجل مع المرأة ، وعـــلاقات الفرد مع المجتمع وعلاقات الانسان مع الله ٠ ومد تشــــاؤمه الى مثالياته : لقد كان مثاليا طموحا يرنو ببصره الى أعلى القيم ، ولكنه لم يجد فى الواقع غير أوضعها، فتشاءم من الانســـان ومصيره وامكان اصلاحه واصلاح العالم .. لكنه لم يكن من الرومنسيين الحـــالمين ذوى النفوس الرخوة الذين قلبوا تشاؤمهم الى عاطفية رخيصة تعطف على الفقراء والمحرومين والمستضعفين فى الأرض ، لأنه رأى أن ما يحتاجه الانسان ليس الرثاء والعطف ، بل العدالة ، والغضب للظلم(١) ...) .

لذلك كله لانجد بدا من تحذير القارىء من ابسن فلا يندفع فى تحمســـه له اندفاعا أعمى ولا سيما اذا قرأ مسرحيته هذه: «ايولف الصغير» التى يصور لنا فيها حياة أسرة تتألف من زوجين: ألفريد أولمرز من ذوى الأملاك وأصحاب المزارع والغابات ومن رجال الفـــكر ، وكان يعمـــل بالتدريس فيما مضى ٠٠ ثم زوجته السيدة ريتا تلك التى سنرى من خلقها وتكوينهـــا الطبيعى عجبا ٠٠ وابنهما الصغير الأعرج ايولف الذى سـقط مرة سقطة أورثته هذا العرج الذى كان له أثره العميق فى نفسية والديه ولاسيما الأب المسكين ٠ وللزوج أخت غير شقيقة تعمل مدرسة فى مدينه قريبة جاءت فى هذه المسرحية لزيارة مزرعة أخيها ٠٠ حيث تلتقى بمهندس شـــاب يدعى بورغيم يعمل فى تعبيد الطرق وشقها بين أكناف الجبال لا نلبث أن نعرف أنه يهيم بآستا حبا ويريدها زوجة له ٠

وفى المسرحية شخصية سادسة غريبـــة سماها الأخ الصديق المترجم « زوجة الفـــأر » وسماها الأخ الصديق المقدم « سيدة الفئران » والأفضل أن نسميها « عجوز الفيران » فكلمة Wife تعنى أول ما تعنى المـــرأة العجـــوز الحيزبون التى تؤمن بالخرافات ٠٠ وهذا هو دورها فى تلك المسرحية ٠٠٠ أما عجوز الفيران هذه فعملهـــا هو التجـــول بين القرى الجبلية النورويجية حاملة كلبا أسود قبيح الشـــكل ومعها زمارة أو مزمار اذا نفخت فيه بطريقتهـــا الخاصة ظهرت فيران القرية مسحورة بهـــذا الزمر ٠٠ وتتبع عجوز الفيران التى تتوجه الى الفيوردات أو شقوق الماء وخلجانه المســـتطيلة الوعرة التى يحفل بها شـــاطىء النورويج ٠٠

(١) من مقدمة ايولف الصغير ٠

فاذا ركبت المرأة العجوز أحد الزوارق وضربت في مياه الفيورد تبعتها الفيران وغرقت في أعماق اليم ، وبهذا تتخلص القرى من تلك القوارض التى تكثر هناك وتتـــلف الحرث والزرع وكل ما يختزنه القرويون من خير ٠

وهذه هي شخصيات المسرحية الست ٠٠ والمسرحية من ثلاثة فصول ٠

وفي الفصل الأول نكون في غرفـــة جلوس ببيت أولمرز ، وهي حجرة جميلة مطله على حديقة المنزل الريفى القائم باحدى مزارع صاحب الدار قريبا من احدى الفيوردات ٠٠ وقد عاد أولمرز توا من رحلة فوق الجبال كان يقوم بها ثمة انتجاعا للراحة وتنشيطا للفكر ٠٠ وكان قد ذهب هناك ليتم تأليف كتاب عن « المسئولية الانسانية » كما يراها هو فلبث في الجبال ستة أسابيع أو أكثر ، ثم عاد ولم يكتب منه شيئا ... وفي الغد تأتي أخته آستا من المدينة لتطمئن على صحة ايولف ٠٠ ابن السنين التسع .. فتفاجأ بأن أخاها قد عاد فجأة .. وقبل الموعد الذى كان قد حدده لتلك العودة بخمسة عشر يوما ٠

وتكون هذه هي أول مرة بعد سنين عشر يغيب فيها أولمرز كل تلك المدة عن زوجته .. وعن هذا نرى ريتا تتحدث الى أخت زوجهـــا آستا ... كما يتحدثان عن ايولف المسكين وشدة عناية أبيه به عناية تقول ريتا انهـــا أصبحت شغل أولمرز الشاغل ٠

ويدخل أولمرز فترحب به أخته وتسأله عن كتابه : « المسئولية الانسانية » فيقول انه لم يخط فيه حرفا .. لأن الانسان يضيع وقته في التفكير ولايقيد من تفكيره على الورق الا القليل الذى لاقيمة له ، وان شخصا آخر ســـيأتي من بعده ليقوم بكتابة الكتاب خيرا منه ... وهنـــا يهتز ايولف الصغير طربا وزهوا .. لأنه يدرك أن أباه انما يقصده ... ويتحدث الى أبيه عمـــا يتمناه من أن يستطيع تسلق الجبال مثله .. وأن بورغيم المهندس أهدى اليه قوسا وعلمه كيف يرمى عنه سهامه ، وأنه سيطلب منه أن يعلمه السباحة لأن أترابه جميعا يعرفون السباحـــة الا هو ٠٠ وأنه يريد أن يكون جنديا شـــجاعا عندما يشب ويكبر ...

لكن أباه يحتضـــنه في حنان ويقول له ان ثمة ما يمكن أن يتعلمه خيرا من ذلك كلـــه ... يقصد طبعا الاشياء التى لاتقف رجله العرجاء حائلا بينه وبين تعلمها ٠

ثم تذكر عمته آستا تلك المرأة الشـــمطاء عجوز الفيران .. أو فارج كما يسميها الناس .. وفارج معناها الذئبة .. وأنها تميت الفيران على الصورة التى قدمنا .. فيشطح خيال ايولف ٠

ويطلب أولمرز من ابنه أن يذهب الى الشاطىء ليلعب مع أترابه من الأولاد الآخرين .. فيقـــول ايولف انهم أولاد شياطين ولا يحبونه .. لانهم فقراء ويمشون حفاة .. ولهذا فهم يحسدونه لانه يلبس خيرا مما يلبسون ...

وتدخل عجوز الفيران التى قالت آســـتا انها شهدتها أمس وهي تقوم بعملها فتذكر أنهـــا ظلت طوال ليلة أمس تؤدى عملهـــا في اغراق الفيران ... ويرى ايولف ذلك الكيس الكريـــه الذى تحبس فيه كلبها فيذعر منه أول الأمر .. ثم يقترب منه مدفوعا بغريزة حب الاســـتطلاع ويشرع في تحسيسه .. ثم تصف عجوز الفيران عملها وكيف أنها تغرى الفيران بزمارتها حتى يتبعوها فتغرقهم في أعماق الفيورد ... وتسألهم عما اذا كانوا في حاجة اليها في هـــذا المنزل الريفي ، فاذا قالوا انهم لا حاجة بهم اليهـــا استأذنت وانصرفت ... وكأنما سرقت تفكير ايولف..فيتسلل ليتبعها دون أن يلحظه أحد...

ويكون مع آستا حقيبة احتفظت فيها ببضعة خطابات تركتها لها أمها المتوفاة .. فاذا سألها عنها أولمرز قالت له انها ستحدثه عما في بعضها يوما ما ...

وتعود ريتا الى ذكر عجوز الفيران فتقول انها كانت تشم في حضرتها رائحة المقابر ... لكن أولمرز لا يلقى بالا الى ما تقول .. ويحمـــلق في الفضاء ثم يقول انه كلما ألقى نظرة على حياته — وعلى حظه — في السنوات العشر — أو الاحدى عشرة — الأخيرة ، خيل اليه أنها تكاد تشبه قصة خيالية أو حلما ... وأنه ذهب الى الجبال وبقى هناك كل تلك الأسابيع لأنه لم يعد يجد الراحة التى ينشدها في مكتبه فلا يجدها ... لقد كان يجلس منحنيا على مكتبه يوما بعد يوم ٠٠ وكثيرا ما كان

يظل هكذا الى منتصف الليل .. يكتب ويكتب في كتابه الضخم ... ثم بدأت فكرة الكتاب تتحول عنه ، ثم أخذ يقلقه أكثر وأكثر تذكر الواجبات العليا الملقاة على أكتافه .. وأعظم هذه الواجبات واجبه نحو ايولف المسكين الذى لا شفاء له من عاهته انه سيعمل على تجنيبه الالم الذى يحس به في أعماق نفسه لعجزه عن انجاز الأماني التي كان يحلم بانجازها .. انه سيحاول اكمال الامكانيات الطيبة التي تجيش بها نفسه الطفلة .. وسيتعهد كل بذور الخير التي في طبيعته حتى تزدهر وتثمر ... ولما كان من المحال أن يقسم نفسه بين أعماله في المزرعة والغابات والبيت وبين ايولف فسيكرس نفسه لايولف ليجعل منه الرجل المثالي الكامل للشعب الانساني كله .. وهو لهذا سيكف عن كتابة شيء في كتابه « المسئولية الانسانية » ، وحسبه أن ينفذ فكرته عمليا في تنشئة ايولف ...

ويدخل بورغيم .. هذا الشاب المرح المنتصب القامة .. النقيض من أولمرز الضعيف النحيف فيسلم ويقول ان عمله في شق الطرق قد انتهى وهو لهذا سيعود الى بلدته ، ثم يستأذن في اصطحاب آستا برهة لأن عنده ما يود أن يقوله لها .. فتخرج معه آستا ، ويطلب أولمرز منهما أن يلاحظا ايولف عند شاطيء الفيورد .. أو في الحديقة .

وعند هذا الحد من الفصل الأول نصل الى نقطة من أخطر نقاط المسرحية .. نقطة بشعة تسم تفكير ابسن بالشذوذ والانحراف عما عودنا اياه من صداقته للمرأة واعزازه لها .. بل تنكره لغريزة الأمومة التي هي أقوى الغرائز الانسانية ، بل الحيوانية جميعا ، الغريزة التي تثبت بالتجارب العلمية أنها أقوى من غريزة الجنس التي قال بها فرويد .

ذلك أن ريتا لا تكاد تخلو الى زوجها بعد خروج آستيا وبورغيم حتى نراها تنقلب الى وحش جنسي مجنون .. بل هولة مسعورة تشكو من انصراف زوجها عنها وانشغاله بايولف عنها .. وهي في تلك الثورة الجنسية تتمنى لو أنهما لم يرزقا ايولف .. بل تتمنى لو زال هذا الطفل — المسكين المعذب الجدير بالعطف وبالرثاء — من الوجود حتى لا يقف حائلا بينها وبين وحش الجنس الذى لا تفكير لها الا فيه ... ثم هي لاتقف عند هذه السقطة .. وبالاحرى .. لايقف ابسن عند هذه السقطة .. بل هي تهدد زوجها بأنه اذا ظل سادرا في غيه هذا بالانصراف عنها الى ايولف فانها لن تجد بدا من القذف بنفسها — لا من فوق جبل — بل في أحضان أول عاشق.. بل في أحضان هذا الشاب القوى الفتي بورغيم.. هكذا .. وبهذا الأسلوب الصريح المكشوف : ثم هي لا تتهم ايولف — ابنها — بأنه هو وحده الذى سلب منها زوجها ، بل تشرك معه آستيا أيضا .. ولذلك يجب أن يمحى من الوجود كل من ايولف الصغير .. وآستيا معه .. آستيا التي تتهمها بأن شيئا ما بينها وبين أخيها ! ... بل هي لاتقف في كراهيتها الحمقاء العمياء عند ايولف المسكين وآستيا .. انها تكره كل عمل يقوم به زوجها ويفصل بينه وبين وحش الجنس الذى يستبد بها .. كل عمل .. حتى القراءة والكتابة والتأليف :

وهاهي ذى تقول له انها عندما تسلمت برقيته أمس ينبئها فيها بعودته من رحلته بعد كل تلك الغيبة قامت فازينت وتركت شعرها مهدلا فوق كتفيها ولبست قميص عرسها وأضاءت المصابيح الحمراء وزجاجات الشمبانيا ... فلما جاء ... ولم تكن تحلم الا بأن يحتويها ملء ذراعيها .. لم يحفل بها .. وراح يكلمها عن ايولف .. ثم تركها وذهب يغط في نومه ... لقد تغير .. خضع لقانون التغير الذى لاينفك يعمل عمله في الدنيا وفي الناس ...

— انك اذا قسمت نفسك يا أولمرز بيني وبين أى شخص آخر فسأنتقم .. سأذهب وأرمي نفسي بعيدا..سأرمي بنفسي بين ذراعي أول رجل يعترض طريقي ... أوه !..انك لاتعرف ما الذى سأتحول اليه اذا امتنعت عن حبي... ثم ... لماذا لا أنصب شراكي لمهندس الطرق هذا الذى يحوم حول منزلنا ؟ .. انني لا أمزح .. لأنه يليق تمام اللياقة كأى رجل آخر .. انني سأنتزعه من شخص آخر .. تماما كما فعل ايولف معي ..

— أتجرؤين على القول بأن صغيرنا ايولف قد فعل هذا ؟

وتجيبه بما يشبه الايجاب ، بل بما هو شر من الايجاب .. انها تتهم طفلها المسكين بأنه كان يحسدها .. بل ان أخته آستا - تلك المخلوقة الشريرة - كانت ولا تزال تحسدها ..

وتعود آستا وبورغيم من نزهتهما .. ولكن الجميع يسمعون ضجة الأولاد عند الشاطىء .. ضجة فيها أصوات منزعجة مذعورة ..

لقد سقط أيولف فى ميـــاه الفيورد وهـو يتابع عجوز الفـــيران بعينيه .. وغرق .. ولم *يحاول الأطفال أن ينقذوه* .. مسكين ايولف .. لقد غاص فى الاعماق . .. ولم يعد باقيا منـــه الا عكازه الطافى فوق سطح الماء !

وفى الفصل الثانى نرى أولمرز هو وأخته آستا عند واد صغير ضيق فى ناحية من أملاكه عند الفيورد الذى غرق فيه ايولف .. وأولمرز يقلب عينيه فى سطح الماء وفى أعماقه .. وقد استولى عليه طائف من القنوط الأسود واليأس القاتل .. وكأنه فى حلم أو كابوس يبحث فيه عن جثمان ولده المسكين .. وقد زاحت أختـــه تواسيه وتحاول ايقـــاظه من أفكاره القـــاتلة السود .

ان ثمانى وعشرين ساعة فقط قد مضت على غرق الطفل ، وانتقاله من تلك الحياة الدنيا .. وابتعاده عن أبيه ابتعادا سحيقا .. وتركه أباه تتقاذفه الأفكار السود .. انه يحار فى مشكلة الحياة والوجود والقدر .. التى لا يمكن أن تكون كلها أشياء بلا معنى ! .. لقـد كان ايولف بدأ يقف على عتبة الحياة .. فما معنى أن تأتى تلك المرأة الحيزبون عجوز الفيران .. فارج الذئبة - لتجتذبه كما تجتذب فيرانها .. وليتبعها كمـــا تتبعها الفيران .. وليغرق .. ولينتهى .. وليحطم كل الآمال التى كان أبوه يعلقها عليه .. من أجله هو ... هل يمكن أن يكون كل ما حدث من ذاك لا سبب له ولا معنى .. ؟ ومع ذلك فنظام الحياة يريده ...

وتخيط له آستيا بعض الشرائط السوداء على كمه وقبعته .. ويسألها : « أين ريتـــا ؟ » فتقول له انها تتنزه مع بورغيم !

تتنزه مع بورغيم ... مع بورغيم ولما يمض على غرق أيولف أكثر من ثمانى أو تسع وعشرين ساعة ! ... ومع بورغيم بالذات !

ويطول الحديث بين آستا وبين أولمرز .. ويستذكران الماضى البعيد اذ هما طفلان .. أيام أن كان يدعوها ايولف أيضا .. ويقول ان ذلك *يشده الى ولده حتى ليود أن يذهب اليه .. فى* الأعماق ... ثم اذا هو يكشف *لها* عن ضـــيقه بريتا زوجته ... كما يكشف لها عن سر قديم رهيب .. ان أباها لم يكن يحبها كما ينبغى .. كما كان يقسو على أمها أيضا ...

ولكن ريتا وبورغيم يقبلان فينقطع الحديث..

وبعد قليل تذهب آستا وبورغيم عامدين ليخلو الجو للزوجين اللذين يعودان الى الحـديث عن أيولف وعن الأولاد الفقـراء الذين لم يخفـــوا لنجدته .. وعن قول هؤلاء الأولاد انهم رأوه فى قاع الفيورد وكانت عيناه مفتوحتين الى أعلى ..

ويطول الحديث حول ذينك العينين الواسعتين المفتوحتين .. ويشتد أولمرز فى عتبه على زوجته لما أرادت من فناء ايولف وزواله من هذا العـــالم كى يخلص لها وجه أولمرز ... فاذا قالت انها لم تقصد هذا قط ولم يخطر لها ببال،وأن الذى كانت تريده هو ألا يفصل بينهما .. قال لهـــا انه لن يفصل بينهما بعد اليوم ... وأنها لم تحبه قط حبا حقيقيا صادقا . فتقول معتذرة بأقبح الأعذار انه لم يدعها تحبه .. لأن شخصا آخر وقف بينه وبينها .. اما هذا الشخص فهو عمته آستا .

حجة داحضة .. ومنطق أعرج عجيب ... يزيده بطلانا تصريح ريتا بعد ذلك بأنهـــا هى وزوجهـــا تعجب كيف يحزنان كل هـــذا الحزن على طفل صغير أجنبى عنهما ! .

ولم يثر أولمرز هذه المرة أيضا .. كما لم يثر حينما هددته بالارتماء فى أحضان برغيم اذا هو لم يشبع رغباتها الجنسية .

ان الذى يفزعها الآن ليس موت ايولف .. لكنه حزن أبيه عليه .. وهى تشكو من هذا الحزن وتقول له : « يخيل الى أن هذه الحالة ستنتهى بنا أى اليأس .. الى جنوننا نحن الاثنان .. فليس فى استطاعتنا أبدا - أبدا - أن نصلح الأمور ثانية ... »

ويقول لها - دون أن يحطم رأسها - انـه رأى ايولف أمس فى المنام وهو يجرى مع الأولاد

وكان ليس به شيء .. « فكم شكرت وطلبت له الرحمة ! »

وتنتهز ريتا هذه العبارة التى أفلت بها لسان زوجها فتسأله : « ومن الذى شكرته وطلبت منه الرحمة يا أولمرز ؟ » كأنها تعرف أنه رجل لا يؤمن بالله بارىء السموات الرحمن الرحيم الذى يجأر اليه كل محزون بالدعاء .

– « لم يكن ما حدث الا حلما كما تعلمين :

– « بل هو شخص لا تعتقد فيه ولا تؤمن به أنت نفسك !

– « ومع ذلك ، هذا ما شعرت به .. كنت نائما بالطبع .

– « ليس لك أن تعلمنى الشك يا أولمرز !

– « وهل يحق لى أن أتركك تعيشين فى هذه الدنيا والخرافات الكاذبة تملأ رأسك ؟

– « ذلك أفضل .. اذ أجد شيئا ألجأ اليه.. أما الآن فاننى بكليتى فى البحر »

ويورطها بايمانها فيقول ما ملخصه انها اذا كانت تؤمن باله يضمن لها السعادة بعد الموت .. فلتتفضل فلتغص مع ايولف فى أعماق اليم .. بمطلق حريتها .. وتترك كل شيء خلفها بمطلق حريتها .. وتنبذ كل حياتها الأرضية بمطلق حريتها ... لكنها لاتجرؤ .. لاتجرؤ ..

ويستطرد الحديث بينهما ويشتد حتى تحضر آستا وبورغيم .. وتحاول آستا تهدئة هذا الجو المشحون المكهرب .. لكن ريتا تغمزها .. فيقول أولمرز ان له كلمة مع آستا .. ومن ثمة تنصرف ريتا مع أولمرز .

ريتا تنصرف مع أولمرز .. مرة ثانية !! فوا عجبا !

ويخلو الجو لأولمرز وآستا فاذا هو يقول لها ان بقاءه مع ريتا أصبح شيئا غير محتمل .. لأنه يجعل من كل منهما مخلوقا شريرا ملؤه البغض ... انه يريد أن يقف وحيدا فى العالم كما كان هذا شأنه فى الماضى .. أو يعود الى آستا التى كان يعيش معها .. يعود اليها ليتطهر وتسمو روحه .. فالحب المتبادل بين الأخ وأخته هو العلاقة الوحيدة التى لا تخضع لقانون التغير .

وهنا تحدث مفاجأة مذهلة ... ان آستا تقول ان الخطابات التى تركتها لها أمها تثبت بما لا سبيل الى دحضه أنها ليست لأولمرز بأخت ! حتى ولا بأخت غير شقيقة ! وله أن يقرأها ليستيقن من ذلك اذا شاء . فيالها من مفاجأة !

ويريد أن يجادل فتمنعه .. وتقوده معها الى ريتا .

وهكذا ينتهى هذا الفصل الذى نخرج منه بما اتهم كل من الزوجين صاحبه به .. الزوجة تتهم زوجها بأنه لم يكن يحب ابنه عن مجرد شعور بالحب ، ولكنه لمجرد محاولته أن يجعل منه معجزة ... ! والزوج يتهم زوجته بأنها لم تحب ايولف يوما ما .. لأنه كان يقوم بينها وبين زوجها حاجزا كما تدعى .. ولما مات أصبح حاجزا أكبر وأمنع مما كان من قبل .

وفى الفصل الثالث والأخير نكون فوق رابية فى حديقة أولمرز مكسوة بالأشجار .. ونكون مع آستيا وبورغيم أولا .. بورغيم الذى كان يبحث عن آستيا ليودعها الوداع الأخير .. وكانت ريتا قد كلفته بتنكيس علم فوق سارية وما كاد ينتهى حتى راحا يتحدثان عن السعادة ، وعن عجز الانسان عن تحقيقها الا اذا كان يقتسمها مع انسان آخر ... ثم يتحدثان عن قانون التغير الذى لاينفك يعمل عمله فى الأشياء والناس جميعا .. القانون الذى تؤمن به آستا ويؤمن به أولمرز .. ولا يؤمن به بورغيم ... ثم يفاجئها بورغيم بالاصرار على أن تكون شريكة حياته .. لأنه مسافر الساعة .. وقد لا يلتقيان بعد ذاك .. الى الأبد فلماذا يفلتان من تلك الفرصة ليحققا السعادة ويقتسماها سويا ؟ !

وتكاد آستا ألا توافق على ما يعرضه عليها بورغيم .. ويوشك أن ينصرف لكى يلحق بالقطار .. وليفارقها الى الأبد ، لولا أن يدخل أولمرز الذى يلاحظ استعداد آستا للسفر فيتحدث عما يخامره من شعور بالقلق والخوف من حياة الوحدة .. ويطلب اليها أن تبقى معه ... انها ايولف الكبير بالقياس اليه .. بعد أن مات ايولف الصغير .. فاذا قالت له انه لن يكون هنا وحيدا .. فمعه ريتا .. تجهم وجهه واربد .. وطلب الى بورغيم أن يسافر وحده .. لأنه لن يستغنى عن آستا ...

وهنا تدخل ريتا .. وتدخل وقد أوشكت المسرحية على نهايتها .. حيث يقع التحول المفاجىء في مجرى الحوادث ... التحول غير المعقول الذى يوقعنا فى حيرة من أمر ابسن فى بنـــاء تلك المسرحية بالذات •

تدخل ريتا لتطلب منهم ألا يفروا منها .. كلهم ! فاذا ذكرتها آستا بأنها كانت قد صرحت بأنهـا تؤثر الوحـدة وتفضلها .. أجابتها بأنها لا تجسر .. لأنها ترى عيونا كبيرة مفتوحة مثبتة عليها ... وهى لذلك تخاف .. وتتوسل الى آستا أن تبقى لتؤنس وحدتها ووحدة أولمرز .. وسط هذا الجحيم من الآلام والأحزان ووخز الضمير .. انها يجب أن تبقى لتملأ مكان ايولف ولتقتسم معهما حياتهما المعذبة ••

ولكن آستـا تفزع من مجرد الفكرة .. وتنظر الى بورغيم .. ويفهم بورغيم ماتريد .. فيأخذ ذراعها .. وينصرفان نحو الباب •

ويقول لها أولمرز انه يخيل اليه أنها تفر :

— « نعم يا ألفريد .. اننى أفر ! (وتقولها فى ألم مغالب)

— « تفرين — منى !

— « منك — ومن نفسى أيضا

— « وى ...

وتخرج مع صاحبها لتلحق بالقطار .. القطار نفسه الذى يسافر به بورغيم

وبعد أن يستيقظ أولمرز وريتـــا من هول المفاجأة يقول أولمرز ان ايولف قـــد ذهب الآن ثانية .. ولم يترك وراءه أى أثر .. فـــاذا قالت ريتا انه لم يترك سوى العكاز انخلع قلب أولمرز .. وغرق الزوجان فى طوفـــان من الهـــواجس والذكريات والأخيلة الحزينة .. فاذا أفاقا مما هما فيه راحت ريتا تقترح على أولمرز أن يعود الى عمله لكى يحيا حياته .. ولتحتمل معه أعباء تلك الحياة .. وليهتبلا من حياتهما المشتركة قدر ما يستطيعان انتزاعه من الزمن ...

ثم يسمعان أصوات استغاثة من أطفـــال يستصرخون من بعيد فتسأله ريتـــا أن يخف لنجدتهم .. لكنه يرفض .. لأنهم لم يخفوا لنجدة ايولف .. فتقول له انه حينما يذهب ويتركها وحيدة فانها ستذهب هى الى أولئك الأطفـــال لتجمعهم ولتعـــود معهم الى المنـــزل لتحبهم .. ولتعيش معهم .. وتعنى بشئونهم .. وسيقيمون فى حجرات ايولف ويقرأون كتبــه • ويلعبون بلعبه ... فاذا أنكر عليها استطاعتها القيام بهذا العمل قالت انها ستعلم نفسها القيام به .. ستمرن نفسها وتهذبها •

ويتم التحول المفاجىء بقـول أولمرز وقول ريتا وهى تشجعه :

« الحق أننا لم نعمل شيئا فى سبيل الفقراء الذين تحتنا ... اننا نملك الـــذهب والغابات الخضر .. لكن أيدينا كانت مقفلة فى وجوههم .. وكذلك قلوبنا .. ولذلك لم يفكروا فى المخاطرة لانقـــاذ أيولف ... فعلينـــا أن نخفف من ويلات هؤلاء الفقراء المهملين .. ونرفع نصـــيبهم فى الحياة .. واذا استطعنا أن نفعل ذلك .. لم تكن حياة ايولف عبثا .. ولا انتزاعه منا عبثا أيضا .. وليكن قيامنا بهذا الواجب صادرا عن شعورنا المطلق « بالمسئولية الانسانية ! »

— « ان أمامنا يوما مثقلا بالأعمال يا ريتا

— « وسترين اننا بين وقت وآخر سنجد يوم سبت نرتاح فيه

— « وربما عرفنا اذ ذاك أن الارواح معنا

— « الأرواح !!

— « نعم .. ربما يكونون حولنـــا .. هؤلاء الذين فقدناهم

— « ابننا ايولف الصغير .. وكذلك ايولف الكبير !

ويعاهدها أولمرز على أنه سيكون معينهـا فى فعل هذا الخير !!

فهـل رأيت أننـــا كنـــا على حق فى وجوب التحذير من ابسن .. والاقبال عليه بعين النقد .. وعدم المبالغة فى تقديسه ..

وهل فى الدنيا زوج يقف من زوجته هـذا الموقف الذى تصور ابسن أن يقفه أولمرز من ريتا بعد الذى هددته به من الارتماء فى أحضـــــان بورغيم .. واصرارها على ذلك •• وانصرافهـــا أمام عينيه مرة وأخرى للتنزه مع بطل أحلامها !

وهل ثمة داع لاضطلاع كل منـــا بالمسئولية الانسانية أن نكفر بوجود الاله الرحمن الرحيم واعتبار الايمان به وتصوره خرافة من المخلوقات .. لكى نحيا حياتنا عن بينة !

ثم ما هذه الرجعة .. رجعـة أولمرز .. الى

الايمان بالأرواح .. أرواح موتانا .. وأنها ترفرف من حولنا .. ثم الاصرار على انكار الروح الأعلى ؟

ولا نعود فنتساءل عن تلك الام التى تنكرت لغريزة الأمومه فكرهت ولدها وتمنت زواله لكى تستمتع استمتاعا جنسيا خسيسا بفحلهـــا .. ولا نقول زوجها .. مع أن كثيرا من اناث الحيوان يقتل الآباء محافظة على الصغار ومن هؤلاء العقارب والنحل .

كيف تصور ابسن وجود مثل تلك الام ؟ أم هو الشذوذ والنشوز فحسب ؟

لهذا أوصينا بوجوب الحذر من ابسن وان كنا من أشد المعجبين به ... فنحن فى فترة تطور ونشوء وتحول .. وواجبنـــا أن ننتقى وندرس ونتنخل كل مايرد الينا من الخارج ، ونكون على حذر منه .. نقرؤه كله اذا استطعنا .. وننقله كله وبحذافيره الى لغتنا .. ولكن ندرسه وننقده ونكون على حذر منه .. فلا نســـمح لأنفســـنا بتقديسه حتى لا ينسخ شخصيتنا ولا يمســـخ مقوماتنا .. نأخذ منه خيره .. ونتقى شره .

لقد تناول ابسن فى هـــذه المسرحية التى ظهرت سنة ١٨٩٥ موضوعا كان قد تناوله من قبل فى مسرحيته : « السيدة من البحر » والتى ظهرت فى مجموعتنا هذه روائع المسرح العالمى باســـم : « حورية من البحر » . وهى أولى رمزياته التى كتبها نثرا وان احتفظ لها بجوها الشعرى وصبغتها الشاعرية .. والتى قدم لنـــا فيها دراسة نفسية (سيكلوجية) للمرأة التى تحررت من حبها لشخص غريب غير زوجها .. وذلك حينما ترك لها زوجها الحبل على الغارب تفعل ما تشاء وتختار لقلبها ومشاعرها من تريد وما تريد .. وقـــد ظهرت « السيدة من البحر سنة ١٨٨٨ » ومع ذلك فقد عاد الى الموضـــوع نفسه فى مسرحيته « شيخ البنائين » التى ظهرت سنة ١٨٩٢ ، والتى عابها النقاد باستعمال ابسن الرمز فيها فى موضوع كانت الواقعية فيه أبدع وأولى .. اذ نرى المهندس المعمارى صـــولنس ينفض ذات نفسه للفتاة الشابة اليـــافعة هيلدا ويروى لها أحداث ماضيه ويسرد عليها ما حقق من الأعمال التى كانت تراوده بتحقيقها نفسه ..

ولسنا ندرى لماذا عاد ابسن الى موضـوعه هذا الذى كان قد هجره الى موضوع أعظم منه فى أحسن مسرحياته جميعا .. وهى هيدا جابلر التى ظهرت فى مجموعتنا هذه أيضا من سلسلة روائع المسرح العالمى .. والتى كتبها ابســـن سنة ١٩٠٠ وقدم لنا فيها دراسة نقية خالصة ميسرة للسيدة هيدا جابلر .. تلك المرأة المرهفة المشاعر المفرطة فى أحاسيسها والتى لاتنفـك تصبو الى احتياز مالا تملكه يداها ، وتضـــيق بكل من حولها لأنهم لا يولونها ما تحسب أنهـــا حقيقة به من عناية ورعاية وحسن اهتمام .

أما البناء الدرامى لمسرحية « ايولف الصغير » فلا يخلو من تلك العيوب التى تعلق غالبـــا بالمسرحيات الرمزية .. عيوب الغمـوض واللف والدوران حول فكرة بعينهـــا لا يكاد الكاتب الرمزى يفلت منها الى غيرها الا بشق النفس ... هذا الى ما يلاحظه القارىء أو المتفرج من وسائل خروج الشخصيات أو دخولها بحجج مفتعـــلة يبدو فيها التكلف .. مع أن المعروف عن ابسن انه سيد الكتاب المسرحيين جميعا من حيث الحبكة المسرحية الجيدة والبناء الدرامى المتقن الذى بذ فيه أستاذه سكريب نفسه ... أضف الى ذلك العيب ما لاحظناه من قبل من هـــذا التحول الفاجىء فى موقف المسرحية كله .. ذلك التحول الذى يضعف من تأثيره فى نفوسنا ما شوه به المؤلف شخصياته من قبل .. ولاسيما شخصيتاه ريتا والمرز .. بل ايولف أيضا – اذ وصم ريتا بما وصمها به من غلبة الجنس عليها غلبة قـــد تتنزه عنها البغايا ... كما وصم أولمرز ببرود الطبع برودا لا يتســـم به الا كل ديوث لا يقيم لحرمات الزوجية أدنى وزن .. ثم وصمه بعـــد ذلك بأن حب ايولف لم يكن هو الدافع لحزنه عليه .. بل كان الدافع الى ذلك هو ما كان يتمناه من خلق آية ومعجزة من ابنه الكسيح أو الأعرج .. بالرغم من هذا الكســاح أو العرج .. فلما مات ايولف ، ضيع على أبيه ما كان يتمنى من ذاك .. فكان حزنه وكان آساه ...

أما ايولف فقد أنطقه ابسن بكلمـــات نعى فيها على الأولاد الفقراء أنهم يحسدونه .. وكان يقولها ـ هذا الطفل البرىء المسكين الذى ظلمه الجميع حتى المؤلف ! ـ فى نغمـــة من الزهو والكبرياء .. وهى النغمة التى أضعفت شخصيته فى نفوسنا بالرغم من حزننا عليه ورثائنا له ... ولكن ...

هل يقـدح هـــذا كله فى ان المسرحية رائعة من روائع ابسن ؟ كلا .. والشرط الوحيد أن نقرأها أو نمثلها بعين الناقد الحذر ..

دريني خشبه

حضارة العراق القديمة

للدكتور نجيب ميخائيل

عرض وتعقيب

الدكتور عبد العزيز صالح

ربطت بين مواطن العمران فى شرقنا القديم روابط جنسية ولغوية وطبيعية واقتصادية ما زلنا نلمس آثارها فيما نعرفه الآن باسم الشرق العربى أو العالم العربى ، أى فيما يتضمن شمال افريقية ومصر والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ، مع اختلافات محلية حتمها اختلاف الموقع لكل طرف من أطراف رقعة الشرق الواسعة ومدى توفر فرص الاتصال التى تهيأت له مع ما يجاوره من بقاع العالم القديم .

وليس من الغريب أن يحظى تراثنا الشرقى المجيد بعناية المؤرخين المصريين ، لا سيما فيما يختص بحضارة بلاد النهرين ، وهى أقرب ما يعرف بحضارة النيل من حيث القدم والثراء والطابع المتميز واستمرار التطور فى الفكر والمادة . فكتب عنها فى مصر كل من الدكتور عبد المنعم أبو بكر فى كتاب « حضارة مصر والشرق القديم » ، والدكتور أحمد فخرى فى كتابه « دراسات فى تاريخ الشرق القديم » ، والأستاذ محرم كمال فى ترجمته لكتاب ل . ديلابورت بعنوان « بلاد ما بين النهرين » ، والدكتور حسن الباشا فى كتابه « تاريخ الفن العراقى القديم » ، ثم الدكتور نجيب ميخائيل فى كتابه « حضارة العراق القديمة » . ويعتبر هذا الكتاب الأخير أول كتاب عربى (فى مصر) خصص بأكمله لتاريخ العراق القديم وحضارته ، وقد تضمن ٣٧٧ صفحة وثبتا كبيرا للمفردات وآخر للمراجع الرئيسية التى تناولت فروع الحضارة العراقية القديمة ، وان كان مؤلفه لم يلتزم باثبات مراجع كل نص ورأى فى صلب الكتاب وسياق صفحاته ، تخفيفا فيما يبدو عن قارئه .

وجرت فصول الكتاب على الطريقة الموضوعية ، أى طريقة بحث موضوع حضارى اثر موضوع ، وليس طريقة بحث حضارة عصر اثر عصر . فتتبع مؤلفه خصائص الأسرة العراقية بتقاليدها ومساكنها وأزيائها فى كل عصورها القديمة ، وتتبع نظم الحكم وأوضاع الطبقات وتطور التشريعات فى العصور السومرية والأكدية والبابلية والأشورية والكلدانية ، وجرى على المنوال نفسه فيما يختص بالعقائد الدينية والحياة الاقتصادية والفنية والعلمية والأدبية والأسطورية .

وتسمح هذه الطريقة لقارئها بالتركيز ، حين قراءة كل فصل من فصول الكتاب ، فى مظهر حضارى واحد متصل الحلقات ، ولو أنها لا تغنى الفكر والمادة ، ولها ميزاتها ونقائصها . وقد آثر الطريقة الموضوعية من المؤلفات العربية والمعربة التى كتبت عن حضارة العراق كتاب دى لابورت الذى ترجمه الأستاذ محرم كمال ، وجزء من كتاب الأستاذ طه باقر عن « تاريخ العراق القديم » فيما أذكر ، وقد نشر ببغداد . فضلا عن مؤلفات أجنبية كثيرة .

وهيأ المؤلف مادة دسمة لقرائه بأن ضمن كتابه ترجمة شبه كاملة لعدد من النصوص الرئيسية لا سيما نصوص تشريعات اشنونا

وايسن وبابل وآشور ، وأساطير بداية الخليقة والطوفان ، وذلك ممـــا يسمح للقـــارىء بأن يستخلص منهـــا ما يتفق مع دراساته الى جانب ما يقدمه المؤلف اليه من استنتاجاته . واستشهد بفقرات ممتعة من الأدب الفلسفى الذى اعتزت به بلاد العراق القديمة .

واذا كان ثمة ما يضاف الى التعريف بهذا الكتاب فهى ملاحظات عابرة لا تقلل من أهميته ، ولا تقتصر عليــه وحده ، وانما تعترض كل من يكتب بالعربية عن حضارات الشرق القديم .

ومن هـــذه الملاحظات التقيد أحيانا بألفاظ أجنبية توفر لها الشيوع نتيجة لسبق الباحثين الأجانب فى دراســة تاريخ الشرق القديم وكثرة مؤلفاتهم عنـــه ، مثـل لفظ « ميزوبوتاميا » الاغريقى الأصل الذى ترجم فى هذا الكتاب وفى كتب عربية كثيرة بمعنى « بلاد ما بين النهرين » وهى ترجمة أمينة ، لولا أنه ينبغى أن يقدر الى جانبهـــا أن مراكز الحضارة العراقية القديمة لم تقتصر على ما بين النهرين ، وانما امتـــدت الى ما حول النهرين أيضا ، بل ان طائفة من اقدم هـــذه المواطن مثل العبيد واريدو وأور ومارى قامت غربى نهر الفرات وليس فيمــا بينه وبين دجلة ، وهـــكذا الأمر بالنسبة الى اشنونا وكالح ونينوى التى قامت شرقى نهر دجلة وليس فيما بينه وبين الفرات .

ويبدو أن الاغريق انفسهم فطنوا الى قصور لفظ ميزوبوتاميـــا (الذى يمكن تقريبه الى تسميته أرض الجزيرة فى العصور الاسلامية) ، فأضـــاف بعضهم اليه لفظ « باراپوتاميا » أى ما وراء النهرين أو ما حولهما .

وهـــكذا يحسن أن نقول فى مؤلفاتنا العربية « بلاد النهرين » وليس « بلاد ما بين النهرين » . واذكر أن بعض اخواننا العراقيين استخدم تعبير « حضارة الرافدين » عنوانا لكتابه ، وهو عنوان مقبول ، لولا أن روافد النهر فيما هو معروف ، غير النهر نفسه .

وملاحظة أخرى نعـــانى جميعا منها ، ولم أتردد فى تسجيلها فى مقدمتى عن كتاب حديث أعددته عن حضارة بلاد النهرين القديمة ، وهى الاضطرار أحيانا الى نقل بعض ألفاظ السومرية والسامية العراقية القـــديمة بمنطوقها الأولى الشائع الذى نشرت به .

والعلة فى هـــذه النقيصـــة التى لا تظهر فى مؤلفاتنـــا وحـــدها وانما فى مؤلفـــات اخواننـــا العراقيين انفسهم هى نفس العـــلة فى الملاحظة السابقة ، أى سبق الأجانب عنـــا فى دراسة تاريخ العراق القـــديم ، ثم ندرة المتخصصين العرب فى فقه الكتابة المسمارية . وذلك فى الحق ما ينبغى علينا أن نعمل على سد وجوه النقص فيه وفاء لحق تاريخنا الشرقى الواسع المجيد .

وثمة ملاحظة عابرة ثالثة ، عما يجرى عادة فى أغلب كتبنـــا العربية عن تصـــوير انكشاف حدود العراق للهجرات القديمة كأنه شر كله ، مع أن الهجرات التى نزلت العراق لم تكن كذلك دائما . فالهجرات المدمرة أو السلبية فى تاريخ العراق القديم كادت تقتصر على هجرات أهل الجبـــال الشماليين وغزوات السلب والنهب السريعة المنقطعة سواء أكانت من الساميين أم من الآريين . أما الهجرات الكبيرة التى شهدها العراق القـــديم فكانت لها وجوهها الطيبة الى جانب وجوهها الســـيئة . فما من شك فى أنها حالت من ناحيـــــة دون الاستقرار السياسى الطويل الذى نعمت مصر القـــديمة به أكثر من العراق ، وحالت دون الاحساس الكامل بالوحدة القومية الشاملة التى اعتزت مصر القديمة بهـــا دون العراق ، ولـــكنها فى الوقت ذاته زودت العراق بدماء فتية جددت حيويته واحتضنت حضـــارته أكثر من مـــدة ، ينطبق ذلك على السومريين أصحاب الحضارات الأولى التليدة الذين ما زال الشك يحيط بحقيقـــة موطنهم الأصـــلى وجنسهم الأصـــلى ســـواء أكانوا من الســـاميين أم من الآريين أم كانوا بين بيّن . وينطبق على الهجرات الأكدية الســـابقة التى حقق زعماؤها للعراق وحدته السياسية لأول مرة فى تاريخـــه خـــلال القرن الرابع والعشرين ق . م ، بل وينطبق كذلك الى حـــد ما على بعض الهجرات الآرية كالجماعات الحورية التى قد لا يكون من قبيل المصادفة أن ظهرت أقدم تشريعات معروفة فى دولة آشـــور فى أعقاب دخولهم اليها ، حـــوالى القرن الخامس عشر ق . م ، بالذات .

هذه ملاحظات عابرة ساقنا اليها استعراض كتاب « حضارة العراق القديمة » الذى عرض صاحبه موضوعاته بأسلوب جزل واضح وأضاف به الى المكتبة العربية فى مصر حصيلة جديدة ، وجعله جزءا سادســـا فى سلسلة كبيرة عنونها جميعها باسم « مصر والشرق الأدنى القديم » .

الأدبُ ومذاهبُه

تأليف : الدكتور محمد مندور

بقلم جمال بدران

الناشر : مكتبة نهضة مصر .
عدد صفحـــات الكتاب ١٧٦ صفحة من القطع الصغير . الثمن ٢٥ قرشا .

يعرض المؤلف فى كتابه لـــمدارس الأدب ومذاهبه عبر التاريخ .. وذلك فى عرض مبسط مركز .. يلائم كل راغب فى الالمام بشيء عن هذه الجماعات وهذه المصطلحات التى تتناقلها الألسن والأقلام ، ويمهد الطريق لمن استهواه مذهب من هذه المذاهب كى يدرس فيـه ويتعمق . يضم الكتاب بين مقدمته القصيرة وخاتمته اثنى عشر مذهبا فى تسلسل تاريخى مقبول .. اذ يبدأ بعد محاولة للتعريف بماهية الأدب ومفهومه عن طريق مناقشة تعريفين رئيسيين هما « الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية » و « الأدب نقد للحياة » .. وهل كان معنى التجربة البشرية هو أن تكون شخصية أم يتسع مداها فتكون شخصية وتاريخية وأسطورية واجتماعية بل وتجارب خيالية ايضا ، وهل معنى نقد الحياة أن يكون النقـــد تمييزا للعناصر المكونة لها أم تقييمها والحكم بجودتها أم رداءتها ..

والواقع أن تعريف الأدب على هذا الأساس لابد وأن يخضع حتما لهذا الاختيار الذى قصره الدكتور مندور على مجرد المقارنة بين هـــذين التعريفين . ثم يسرد الـكتاب بعد هذه المحاولة التعريفية فى عرض شديد الايجاز لفنون الأدب من نثر وشعر وما يحتويان من كتابات فلسفية وتاريخية واجتماعية وقصة وأقصوصة ومقـــالة وتراجم ومسرحيات وأشعار ملاحم وتمثيل وغناء الخ .
ثم يبدأ المؤلف فى التحدث عن هذه المبادىء .. لكنه يستدرك مؤكدا أن العرب لم يمذهبوا أدبهم أو يسندوه الى أسس فلسفية أو نقدية واضحة .. فلم يظهر لهم الا مذهب البديع متبلورا فى العصر العباسى ، وكان كله ثورة على عمود الشعر .. فألف عبد الله بن المعتز كتابا أسماه « كتـــاب البديع » جمع فيه وحلل كل ماكتبه المحـدثون وقتذاك للكشف عن أسرار ابداعهم ، ثم وضع عبد القاهر الجرجانى كتابيه « دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة » للبحث فى نظم الجمل وتجديد ارتباط أجزائها .. الأمر الذى جعل من مذهب البديع عقبة لعدة قرون فى طريق اللغة العربية وتطور آدابها .

أما أول المذاهب تبعا لتاريخ ظهورها فهو مذهب الكلاسيكية .. حيث ظهر بعد حركة البعث العلمى فى القرن الخامس عشر الميلادى فى ايطاليا ثم تبلور فى فرنسا . ويعتمد أساسا على بعث الثقافة والآداب اليونانية واللاتينية .. وذلك عن طريق تحليلها لاستخلاص مميزاتها وعناصر جمالها التى جعلتها تخلد حتى يومنا هذا ، وقد اعتمد دعاة هذا المذهب على الأصول النظرية التى وضعها ارسطو فى كتابه « الشعر » عن الدراما والملاحم .. الا أن أغلب اهتمام دعاة الكلاسيكية مثل راسين وكورنى وموليير كان مقصورا على فن الدراما .. والتراجيديا خاصة . ومن خواص هذا المذهب جودة الصياغة اللغوية وفصـــاحة التعبير فى غير ما تكلف أو زخرفة لفظية .. أى جودة عبارة ووضوح . ولهذا فان الكلاسيكية تعتمد على العقل الواعى المتزن دون ما اعتبـــار للعواطف أو الغرائز .. فاذا ما كان دعاته قـــد اقتصروا على الدراما فمـــا ذلك الا لأنهم قد اعتبروها المجال الوحيد المطابق للحياة .. والتى وجب عليها عندئذ أن تتوافر فيها الوحـــدات الثلاث ألا وهى الموضوع والزمان والمكان .

الا أن هذا المذهب قد هوجم مهاجمة عنيفة في القرن الثامن عشر عندما ظهرت الطبقة البورجوازية .. فأراد أدباؤها ومفكروها بعد أن أشعلوا الثورة الفرنسية أن يعرض المسرح لمشاكل حياتها .. ومن ثم فان دراما بورجوازية قد نبعت من هذا الاتجاه وتختلف عن الكلاسيكية فى موضوعها وشخصياتها ونوع المشاكل التى تعرضها .. ومع ذلك بقيت الكلاسيكية طوال هذا القرن تقاوم بقواعدها الناقصة حتى ظهور الرومانسية فى القرن التاسع عشر .

ويحدثنا المؤلف عن الرومانسية فيقول انها لم تكن مذهبا له مقوماته من أصول وقواعد ملزمة .. بل كانت ثورة على كافة الانماط والقيود، وما كان لها أن تستقر أو تكتسب أرضا من المذهب الكلاسيكى مالم يكن هناك عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية خلقت هذه الحالة النفسية المميزة للمذهب الرومانسى فى فرنسا.. اذ أصبح الشعر وسيلة التعبير عن النفس بعد هزيمة نابليون .. لا باعتبار أن الشعر محاكاة للطبيعة والحياة وانما خلق لها ، ولا باعتبار أن أداة الخلق هى العقل أو الملاحظة المباشرة وانما هى الخيال الذى يؤلف بين عناصر الواقع المشتتة وبين ذكريات الماضى وآمال المستقبل .. كل ذلك فى عمق ووضوح يكسبان العمل الفنى تجربة بشرية حقيقية صادقة .. سواء أكانت فى مجال الشعر الغنائى أو فى القصة أو فى المسرح .. لكن الدكتور مندور يصدر حكما يكاد أن يكون قاطعا .. فيقرر أن المسرح الرومانسى ما كان له أن يزدهر مالم يكن معتمدا على موهبة خارقة تميز بها شكسبير دون غيره .. الأمر الذى لم يجعل أحدا من مؤلفى المسرح الرومانسى يدانيه فى وفرة وقوة انتاجه .. ذلك الانتاج الذى يجمع بين نفاذ العقل وعنف الخيال وقوة الاثارة العاطفية.. حتى الشعر الغنائى فان الأمر قد انتهى به عند المقلدين وضعاف الملكات الى ما يكاد أن يكون هذيانا حسيا ، وليس باعتباره غاية جمالية بل باعتباره وسيلة رخيصة فى التعبير عن مجال ضيق ألا وهو مجال الذات .. كل هذا فى تحلل واهمال للصياغة اللغوية وجمالها .. مما جعل هذا المذهب يستأهل أن يوصم بأنه أدب الأبراج المعزولة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. فأفسح بذلك مجالا لنمو المذاهب الاخرى من واقعية تشاؤمية يحتضنها بلزاك وموباسان وفلوبير وتوماس هاردى ، الى واقعية اشتراكية متفائلة بايجابية الانسان وخيريته ينادى بها أمثال سيمونوف فى أيامنا هذه . ومن طبيعية غير قانعة بالملاحظة فتحتم الاستعانة بالتجربة والبحث العضوى والخلقى كما فعل اميل زولا فى قصصه « الحيوان البشرى » الى فنية وبرناسية تتحمسان لمبدأ الفن للفن كغاية موضوعية تخلق الجمال لا القبح وتغذى الروح لا الحس وذلك على أيدى جوكنت دى ليل وجوتييه. ومن رمزية تعتمد على اللغة وألفاظها فى سبرغور الذات والتعبير عن خيالها وتصوراتها عند ستيفان مالارميه وادجارألانبو ، الى رمزية موضوعية تعالج مشاكل الانسان وأخلاقه عن طريق الخيال أيضا وتصوراته بأن تجسم الأفكار المجردة وتحركها فى أحداث تتفاعل لتوضيح حقائق فلسفية هى فى واقعها مشاكل وأخلاق الانسان كما فعل ابسن فى مسرحية « الأشباح » ، وكما فعل جيروم ك. جيروم فى مسرحية «صفقة الشيطان». ومن مذهب الفرويدية الذى اعتمد على ما اكتشفه فرويد من خفايا النفس وتحليل غوامضها بوضوح فى مسرحيات برنشتين الفرنسى ، الى السيريالية التى تعمل على التحلل من واقع الحياة الواعية الى واقع المكبوت داخل النفس البشرية دون تقيد بقاعدة أو أصل . ومن وجودية تنكر كل ماعدا الحقيقة اليقينية الوحيدة فى الوجود ألا وهى حقيقة التفكير .. تنكر كل ما عداها فى اصرار وفى ثورة على كل ما هو متوارث من عرف وخلق وتقليد مثلما نسمع من سارتر لكنه لايغفل تحديد هدف للانسان هو تحقيق الوجود ذاته فى حياة فردية أولا ، ثم فى تضامن بشرى بعدئذ .. ، الى ثورة عارمة على المسرح التقليدى تمثلت فى اتجاهات ثلاثة هى .. الأوتشرك أو التحقيق الصحفى مجسما فى أحداث وشخصيات وحوار .. والمسرح الملحمى أو مسرح استصدار الأحكام من الجمهور فى قضايا يحتم المؤلف لها نوع الحكم المطلوب على أساس مهارته فى عرض

قضيته سياسية كانت أم اجتماعية أم انسانية ـ ولانرى كاتبا طرق هذا الأسلوب غير برتولدبريخت دون ماتقيد بحبكة أو بناء درامي أو وحدة موضوع .. وكم كنا نود أن يشير السيد المؤلف الى نظرية الاغراب التي بنى عليها بريخت مسرحه بأكمله .. ومسرح اللامعقول الذي يعتبر صرخة لاثورة .. لأنه لايخضع لأي قدر من المنطق أو الأصول .. فمن الاستحالة أساسا أن نحكم العقل في فهمه لأنه ناجم عن القلق والعجز اللذين يحولان دون الانسان ومعرفة مصيره .. وذلك في تشاؤم نفسي واجتماعي قاتم عند صمويل بيكيت وأضرابه .

كل هذه مذاهب أدبية يحتويها الكتاب .. فهل غيرت اختلافاتها في حقيقة الأدب وغاياته؟.. ان الاجابة على هذا التساؤل تقتضينا أن نستقرىء على المدى التاريخي هذه الغايات المختلف عليها.. فنجد أنها قد تركزت في اتجاهين متعارضين تعارضا سطحيا فقط .. هما الذاتية والموضوعية وفي امكانية اكتفاء الأدب بقيمته الجمالية دون القيم النفعية الأخرى • ثم نخرج من هذا الحصر الى أنه لا خلاف حقيقيا بين هذه الغايات ، وانما الجدل كله يتخذ أساسه من موقف الأديب ازاء موضوعات الأدب .. ان كان لابد له من أن يلتزم برأى أمام موضوع كتابته أم لا .. فهل التزم كاتبنا برأى في موضوع كتابه هذا ؟ .. اننا هنا في هذا الكتاب نقرأ أدب وصف لا أدب انشاء .. ولهذا وجدنا الدكتور مندور يتخذ موقف العارض المحايد ، أو موقف العالم الوضعي الذي يترك لظواهر بحثه ان تفصح عن نفسها فتؤدي الى نتائج قد تكون في صالحها فتبقى عليها ، أو تكشف عن نقاط ضعفها التي تتهددها•ولهذا كان من الصعب أن نتتبع آراء الناقد واتجاهاته في هذا الكتاب .. ومن ثم فقد وجب علينا أن نلجأ الى كتاب آخر من كتبه التي ترضى فينا هذه الرغبة وليكن كتاب «الشعر المصرى بعد شوقي».. فالى هذا الكتاب •



◎ ◎ ◎

سطور من كتاب ..

« حين يقول البعض ان خلايا النحل أعمال فنية ، فان هذا القول لن يخرج عن كونه مجرد تشبيه ، لأنه ما دام انتاج هذه الخلايا لم يجيء نتيجة لتأمل خاص ، بل جاء نتيجة لغريزة أو طبيعة مفطورة في النحل « فليس هناك محل لاعتباره « عملاقيا » ، اللهم الا اذا نسبناه في هذه الحالة الى الخالق نفسه . ومن هنا فان لفظ « العمل الفنى » لا يمكن أن يصدق على الانتاج الطبيعي أو الآثار الطبيعية ، مهما كان جمالها ودقة صنعها بل هو يصدق فقط على المنتجات البشرية التى صدرت عن تأمل فكري أو عن ادراك سابق لغاية متصورة أريد تحقيقها » .

كانت أو الفلسفة النقدية

وفـــاة العـــقاد

في يوم الخميس الموافق ١٢ من مارس الماضي توفي الأستاذ عباس محمود العقــاد ، وكانت وفاته قبيل قدوم الربيع الذي أشاد به في شعره، وبموت العقــاد يغيب عن ميدان الأدب العربي ومجال الثقافة في الشرق العربي شخصية عظيمة لشاعر كبير وكاتب نادر المثال قليـــل الأنداد لا في هذا العصر وحده بل في مختلف عصـور الأدب العربي ، وقد كان لموته هزة في العـالم العربي الذي قدر أدبه وعرف له مكانته وفضله، وليس من الميسور استيفاء الكلام في تقدير أدب العقاد ومتابعة مراحل حياته الثرية في هـــذا المقام فان هذا هو العمل الذي سيضطلع به نقاد الأدب والمؤرخون في المستقبل القريب ، ولقـد شعر العـالم العربي بجسامة الخسارة في فقد العقاد وفداحــة الخطب ، وقد أصابت العقاد وعكة أمل أصدقاؤه ومريدوه أنه سيتغلب عليها بارادته القوية وبذلك النظام الصارم الذي كان يتبعه في حياته ويعاود نشاطه ويستأنف جهــاده ولكن الموت تسلل اليه خفية وهو لا يقبل الفداء في العظماء مهما سما قدرهم وذاع فضلهم .

ولقد كان العقاد عظيما بروحه العالية وخلقه العظيم وعلمه الغزير وعقليته الجبارة الممتازة ، وكان بحق عملاقا بين كتاب العصر كثير الجوانب متسع الآفاق ، وليس أدل على فضله وقوة تأثيره من أنه قد احس بفقده وأسف عليه حتى الذين كانوا لا يكفون عن مناوأته في حياته ويحاولون نقص آرائه ونقد أحكامه .

وقد عاش العقاد مخلصا لطبيعته مؤمنـــا بنفسه وأبيا عيوفا مترفعا يعرف لنفسه حقهـا ويصون كرامتها ، وقد وضع اباؤه موضـــع الامتحان العسير مرات عدة ولكنه خرج من المحن والامتحانات دون ان يلين له عزم أو أن تطاطىء له هامة .

ولقد حافظ العقاد على كرامة الأدب ومكانة الفكر حتى في الأوقات العصـيبة التي لم تـكن تعرف فيها للأدب مكانة ولا ترعى له كرامــة ، وقد أظهر العقاد أن الكرامة فوق المـال وفوق الجاه وان لها في هذه الدنيا المكان الأول وللحياة المكان الثاني .

وكان العقاد متدينا حق التـــدين ، وكان أساس تدينه الايمان بالقيم المطلقـة قيم الحق والخير والجمال .

وقد عرف العقاد بالمثـابرة الدالة على قوة الارادة ومضاء العزيمة وخاض معارك النقـــد وتيارات السياسة ، وكان مع جـــديته وقوة تماسك شخصيته مأنوس المحضر جذاب الحديث يمزج الجـد في حـديثه بالأطروفة المستبدعة والنادرة المستملحة ، وكان يؤمن بالحيــاة ولم يعصف بايمانه بها ما كان يراه من اعوجاج بعض النفوس ومظاهر التواء الأخلاق وفساد الطبائع ، وذلك لأنه كان يثق بعظمة الانسان وبطولته ولم يكن من هؤلاء الذين تروعهم مشكلات الحيـــاة ومتناقضاتها الكثيرة فيلوذون بالأبراج العاجية.

ولقد خاض العقـــــاد لجج السياسة لان السياسة كانت في رأيه لونا من ألوان الأخلاق كما كان يراها فلاسفة اليونان ولم يذهب مذهب مكيافللي في فصل الأخلاق عن السياسة ، فلم يقتحم ميدان السياسة لطلب السيطرة والنفوذ أو الجاه وانما لينصر مذهبا ويؤيد فكرة وليطلب لبلاده الحرية الكاملة والاستقلال غير المنقوص.

ولقد عاش العقاد يليح لأمته بالمثل العليـا ويعرض عليها صورا مختلفة من الوان البطولة ولم يكتف بالاشادة بأبطال الاسلام وعباقرته بل تناول غيرهم من عظماء العالم وأبطاله ودافع عن امجاد الاسلام وحضارة الشرق دفاع العالم القوى الحجة المتمكن من موضوعه والمحيط بأطرافه .

وقد كان العقاد في طليعة رواد العصر ولذلك لم يكن طريقه مفروشا بالورد وانما كان ممتلئا بالأشواك غاصا بالعقبات وكان العقاد بطلا موفقا في تلك المعركة الأبدية الناشبة بين النور والظلام والجهل والمعرفة ولئن كان قد غاله الموت واحتواه القبر فان آثاره الخالدة ومواقفه المشرفة ستبقى ذخرا للأجيال القادمة ، وقد ترك العقاد أبنـــاء الفناء ليملأ مكانه في ركب الخالدين .

علي أدهم

تعريفات

السد العالى ثورة شاملة

الناشر : الدار القوميـــة للطباعة والنشر
بقلم : محمـد حسنى أمين

كتاب يحوى كل ما يجب أن يعرفـه المواطن عن السد العالى . فهو يتحدث فى الباب الأول عن تـكاليف المشروع ، وفوائـده بالنسـبة الحكومة والشعب فى الجمهورية العربية المتحدة وفى جمهورية السودان ، كما أوضح دور السد العالى فى المجتمع الاشتراكى الجديد ، وارتباطه بالحياة الزراعية وبالمواطن الفرد . وعرض فى الباب الثـانى لضرورة ضبط مياه النيل ، من اجل الزراعة وصيانة الاقتصاد ، وكذلك عرض للأسس الفنية للمشروع وتنفيذه ، مع الاشارة الى الأهميـة العظمى للسد العالى بوصفه أعظم مشروع من نوعه فى العالم . وفى الباب الثالث تحدث عن معركة التمويل ، وكفاح الشعب فى سبيل تنفيذ المشروع ودور السد على مسرح السياسة ، ثم انتصار سياسة عدم الانحياز . والى جانب هـذا تضمن الكتاب عدة ملاحق وصـور وخرائط واشـكال لتوضيح المـادة العلمية .

الغـابة

تأليف : مصطفى محمود
القاهرة . دار النهضة العربية ١٩٦٣

« حينما بدأت اكتب عن رحلتى فى الغـابة كان فى ذهنى أن ارى ما شاهدت من انطباعات فى سياق فنى قصصى ... وفى الجزء الأول من الـكتاب كان هـذا هـو الطـابع الملحوظ فى الاسلوب .. ولكن الموضوع لم يلبث أن تحول بين يدى بعد ذلك الى دراسة علمية .. أتقصى فيها المراجع وابحث فى بطون الكتب ... وأحاول أن أجمع الى شـهادة الرؤيا وشهادة الحواس جهود الباحثين الذين عاشوا أعمارهم فى هـذه المجاهل البعيدة » .

هكذا استهل الأستاذ مصطفى محمود مقدمة كتابه عن رحلتـه الأخيرة الى تنجانيقا وكينيا والسودان ... وهو يعطينـا فكرة واسعة عن تلك البـلاد التى كنا الى عهد قريب نجهل كل شيء عنها ، وحتى القليل الذى أتيح له أن يغير أيضـا من الكتب الأفرنجية التى ألفها نفر من الرحالة والمبشرين ... وشذاذ الآفاق ، فانه لم يصل الى الحقيقة مجردة من كل غرض ، وانما كان للحقيقة كما يفهمها هؤلاء الكتاب معنى آخر غير معناها المعروف .

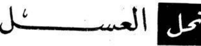
وتلوح — من خـلال الكتاب — بعض آراء المؤلف الجريئـة فهو متشائم من المدنية يود لو رجع الانسان الى حالته الهمجية الأولى حيث البراءة والوداعة والطفولة ، وهو هنـا يبشر بآراء روسو التى سبق أن تبين بطلانها ، ونسى أن الهمجية تحوى من الشر أضعاف ما تحوى من الخير . وقد أشـار الى ذلك اشـارة غير مقصودة حيث يقول « وحرب الطبيعة » ناشبة على أشـدها ... الحباحب تأكل البعوض . والضفدع يأكل الاثنين ، والأسماك تأكل الكل ، ثم يذهب الجميع فى جوف التمساح فى صمت بينما يطل القمر شـاحبا يغلفـه الضبـاب والبخار » .

والـكتاب — عدا هـذا — مجهود طيب فهو يصور لنـا مدى ما وصـل اليـه الاسـتعمار الانجليزى فى تلك البـلاد من انانية بشـعة واستغلال لا حـد له ، وكما يرويه المؤلف عن المواطن التنجانيقى المنكسر « ان مشـكلتنا — يا سيدى — أن الأرض كلها فى يد الانجليز ، والتجـارة كلهـا فى أيدى الهنود ... ونحن ضائعون بين الاثنين . انك تتفرج الآن مبهوتا على جمـال بلادنا وروعة بلادنا ، ونحن مثلك نتفرج ولا نملك الا أن نتفرج . كل شيء فى أيدى الآخرين ونحن ننظر ونتحسر » .

وبقدر ما حمل المؤلف على المبشرين المسيحيين الذين أضحوا « أدوات طيعة فى يد المستعمرين ، ولم يبشروا بالمحبة بقدر ما بشروا بالكراهيـة وبثوا الفرقة والانفصـال بين جنوب السودان وشماله بقـدر ما حمل على المبشرين المسلمين « فللحقيقة والتاريخ لم يفعل المبشر الاسلامى

شيئا يذكر ، وكان هم الشيخ الذى يبعث الى هذه المجاهل الجنوبية ان يسأل عن مرتبه ، ويطمئن أولا على مشتملات السكن والأكل والشرب والتحويش التى تتوفر له » .

ومن مغالطات الاستعمار ما أشاعه عن جماعة الماو ماو المعروفة والتى كان مجرد ذكرها يضفى ظلالا من التوحش والهمجية على غير حقيقتها . يقول المؤلف « وكلمة ماو ماو التى تجرى على الألسن كهمهمة بربرية لا تدل على حقيقة هذه القبيلة العجيبة ، حيث كل عادة وكل عرف وكل تقليد من تقاليدها غنى بانسانيته ... ولا غرابة فى أن تمنحنا هذه القبيلة انسانا مثل ... جومو كينياتا » .



ترجمة : الدكتور عبد الخالق وفا
القاهرة . دار النهضة العربية
بقلم : جون ليولن
مراجعة : الدكتور محمد قدرى لطفى
بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٩٦٤

نحل العسل ... أحد كتب سلسلة « ألف . باء » التى طلعت بها علينا مؤسسة فرانكلين فى الشهور الأخيرة . وقد سجل الكاتب فى أسلوب سهل جذاب وبطريقة عملية سليمة وبرسوم بديعة كيف تعيش النحلة ، هذه الحشرة الغريبة التى طالما قرأنا عنها وعن نوادرها فى بطون الكتب وعلى ألسنة الرواة . ويدخل المؤلف معنا خلية النحل ، تلك القلعة الرهيبة التى تحكمها أنثى يدعونها بالملكة ، ويقدمون لها فروض الولاء والطاعة . والذكور فيها يعيشون عالة على الأناث ... كسالى لا يعملون شيئا عدا الأخصاب ، فاذا تم ذلك كان مصيرهم على ما تهواه الشغالة ... فاما الموت أو الطرد . والطرد أبشع من الموت ، اذ يخرج الذكر الى الخلاء وحيدا .. عاطلا .. لا يعرف صنعة ولا يدرى من أمره شيئا ... حتى يموت من الجوع والبرد .

وفى مدينة النحل شوارع ومنعطفات ، كلها نظيفة كالصفحة التى نأكل فيها ... ويقوم على الحراسة شرطة تطارد اللصوص ، وتحارب أى معتد أو دخيل .. وبها أيضا فريق يعمل على ترطيب الجو ورش الأرض بالماء ... وحين يشتد البرد يقوم فريق آخر بتدفئة الهواء بواسطة غدد خاصة فى الجسم ، أما بقية الشغالة فتقوم باستجلاب الرحيق واطعام الذكور وامداد صغار النحل ... والأطفال بالهلام الملكى اللذيذ الذى يعرف فى بعض الأحيان بلبن النحل .

ويوضح الكتاب الدور الهام الذى يقوم به النحل فى حياتنا ... وماذا تعلم منه الانسان وماذا استفاد ... وفى النهاية يقول الكاتب .

أجل أننا ما زلنا نتعلم من النحل .

وان مدينة النحل تسير بنظام يدعو الى العجب .

واننا لنشكر للنحل ما يزودنا به من العسل والشمع ، وما يقوم به من مساعدة فى تلقيح الأزهار والحدائق والمحصولات .

وانا لنقدر للنحل نظافته ، واقباله على العمل . ولكننا رغم ذلك كله لا يعجبنا من النحل أنه لا يعرف الشفقة ولا يهتم بغيره من النحل .

عليك أن تفكر فى هذه الأمور جميعها عندما ترى نحلة منهمكة فى عملها ... اشكرها واشفق عليها .

اظهر اعجابك بها ودعها تعيش .

أزمة الوحدة الأمريكية ومستقبل منظمة الدول الأمريكية

ترجمة : احمد حسن ابراهيم
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
تأليف : وليام مانجر
مراجعة : حسين الحوت

الاستاذ وليم مانجر هو السكرتير العام المساعد لمنظمة الدول الأمريكية التى كان الهدف من قيامها فرض النفوذ الأمريكى على نصف الكرة الغربى ، خلف ستار الجامعة الأمريكية وحماية العالم الجديد من الخطر الذى يتهدده من العالم القديم . وقد عرض المؤلف لأصول الاقليمية فى الأمريكتين ، والتى كانت سببا فى قيام المنظمة ، وبين أمونرو الشهيد فى السياسة الأمريكية كما تحدث عن أصول المنظمة التى ترجع الى سنة ١٨٨٩ ، واصدار الميثاق الخاص بها فى بوجوتا سنة ١٩٤٨ . ويوضح المؤلف « ان حاجة منظمة الدول الأمريكية الكبرى فى الوقت الحاضر هى القيادة والتوجيه والادارة ، وكانت هذه الصفات ضرورية دائما ، ولكنها الآن ضرورية أكثر من أى وقت مضى » .



قصة فرسان العمل

القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤
بقلم : جمال البنا

كتيب صغير يتناول فيه المؤلف تاريخ الحركة النقابية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبخاصة فى الثمانينات من القرن الماضى ، والتى كانت تتزعمها هيئة فرسان العمل ، كما عرض المؤلف لزعماء تلك الحركة ، وشرح — فى اختصار — النضال بين اتحادات العمال وبين الراسماليين من أصحاب المصانع والمناجم حتى كتب النصر للعمال فى آخر الأمر .

والكتاب مفيد من الناحية العملية نظرا لندرة ما يعرفه الجيل الحاضر عن تاريخ الحركات العمالية والنقابية بالخارج . ولعل المكتبة العربية تطلع علينا فى القريب بكتاب يسجل الحركات المماثلة فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتى كان لها دورها الفعال ابان الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩ . كما أن الكتاب يعطينا فكرة جيدة عن مأساة يوم ٤ مايو ١٨٨٦ الذى اضحى عيدا للعمال فى جميع انحاء العالم .

غير أن الكاتب اهمل اهمالا لا يكاد يكون تاما ، مقدمات الحركة النقابية فى الولايات المتحدة ، ومدى تأثير الثورة الصناعية التى قامت خلال هذا القرن على التوازن الاقتصادى ، والعلاقة بين أصحاب المصانع والعمال ، كما أن الكاتب لم يوضح أثر الحركة النقابية فى الولايات المتحدة على الحركات النقابية فى العالم .



كتب عالمية ملخصة

الثمن : ٢٥ قرشا
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤
عدد الصفحات : ١٨٥ صفحة

ألمت بعالمنا فى الآونة الأخيرة أحداث خطيرة ، لا يكفى أن نتتبعها من خلال الصحف والاذاعات ... ومن هنا تبدو اهمية هذا الكتاب الذى يضم تلخيصات لأربعة وعشرين كتابا عالميا ، فى مختلف فروع السياسة والاقتصاد ، من الكتب التى ظهرت خلال العامين الماضيين ، مكتوبة بأسلوب سهل وواضح ، يناسب القارىء العادى والمتخصص على العموم .

ومن أهم الكتب التى جرى تلخيصها فى هذا الكتاب ، « أسرة كيندى الممتازة » ، فكثير من القراء لا يدرون شيئا عن أسرة الرئيس الراحل ، ولا يعرفون انه كان حصادا لظروف التربية الممتازة . فقد نشأ الرئيس كيندى فى أسرة عصامية ، لم يكن لها شىء فاضحى لها كل شىء ، وليس ببعيد أن تكون عائلة كيندى ثالث عائلة أمريكية يتولى اثنان من ابنائها رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن الكتب الأخرى الهامة كتاب زامبيا ، الذى يشبه من نواح عديدة كتاب الدكتور محمد حسين هيكل « مذكرات فى السياسة المصرية » اذ يستعرض المؤلف — وهو كينيث كاوندا الزعيم الأفريقى المعروف من خلال حياته ، التطورات السياسية التى ألمت بزامبيا — روديسيا الشمالية — وأبرز فيه أن الصراع العنصرى هو السمة البارزة لنهضة أفريقية الحالية ، خصوصا فى افريقية جنوب الصحراء .

وهاجم المؤلف اتحاد روديسيا الشمالية مع روديسيا الجنوبية ونياسالاند ، وأوضح أن الغاية من هذا الاتحاد هو تأكيد سيطرة الأوربيين على العناصر الأفريقية الناهضة .

وكتاب تاريخ الاشتراكية البريطانية تأليف بير ، يتناول مرحلة هامة من تاريخ الاشتراكية فى بريطانيا ، وهى حركة أنصار الميثاق فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، والتى كان لها اكبر الأثر فى تطور الحياة النيابية هناك ، وفى التعديلات التى اجريت على الدستور الانجليزى ، وكان من شأنها توسيع القاعدة الشعبية ، وتحقيق أمنيات الطبقات العاملة .

ومن اجل هذا نالت هذه الحركة تقدير كارل ماركس الذى يقول « ان الديمقراطية فى بلجيكا وأنصار الميثاق فى انجلترا هم الديمقراطيون الحقيقيون » .

تلك نماذج ثلاثة لبعض الكتب التى ورد تلخيصها فى الكتاب ، وهى كما يبدو تتناول موضوعات جديرة باهتمام القارىء . ولكن الكتاب لا يخلو من بعض الأغلاط النحوية ، والافاضة فى تلخيص بعض الكتب ، واهمال بعضها الآخر ، أو الخروج على موضوع الكتاب . هذا اذا ذكرنا أن بعض القضايا الهامة ، مثل مشاكل التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة وفى جنوب افريقية ومشكلة فلسطين والنزاع بين أندونيسيا وملاييزيا لا نجد لكل هذا مكانا فى الكتاب . عسى أن يراعي هذا في المستقبل .

إقامة الحياة الديمقراطية السليمة

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤
عدد الصفحات : ١٠١ صفحة

من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر

الثمن : ١٥ قرشا

كتاب جديد في موضوعه ، يتناول جوانب من خطب السيد الرئيس جمال عبد الناصر واحاديثه وبعض ما ورد في الميثاق الوطني ، مرتبا على حسب الموضوعات في نظام حسن وتنسيق جميل .

وقد أوضح السيد الرئيس الطريق الى الديموقراطية السليمة ، وزيف ديموقراطية الساسة المحترفين في العصر السابق على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والذى يبدو بجلاء في موقف هؤلاء الساسة من المبادىء الستة المشهورة للثورة . كما اشار الى التحالف بين الاستعمار والرجعية ، من اجل اعادة النظام القديم بما فيه من خطر على آمال الشعب في اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

وأوضح السيد الرئيس عقم نظام الأحزاب السياسية ، وعدم ملاءمته للأوضاع الراهنة في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة العربية لأن « نظام الحزب الواحد لن يكون هو المعبر عن ارادة الشعب الواحد المتحد » كما ان الدول الاستعمارية تستغل نظام الأحزاب المتعددة « لكى تفرق الشعب الى فرق متناحرة فيسهل على الاستعمار البقاء » .

• هناك من يقول : أن الاتحاد القومى فشل وفقد الصلة بالجماهير ... انا اعتقد أن الاتحاد القومى كان به عيب واحد ... هو اننا تركنا الفرصة للرجعية لتتسلل اليه وتسيطر على المناصب الرئيسية ... اما من النواحى الأخرى فان الاتحاد القومى قام بدور كبير وقام بدور فعال للاتصال ... » .

والكتاب يعطينا فكرة جيدة عن الاتحاد الاشتراكى العربى ، والسبب في قيامه ، والتنظيمات التي يحتويها ، والفئات التي من حقها المشاركة فيه . كما أوضح الحقوق والواجبات اللازمة لكل من العضو العامل والعضو المنتسب في الاتحاد يقول : « ان على عضو الاتحاد الاشتراكى العربى أن يتصل بالجماهير ، ويتعرف على مطالب وآراء ومشاكل الناس ، ويقترح في داخل لجان الاتحاد الاشتراكى الوسائل لحل هذه المشكلات ، كما ان له حق النقد ، وله أن يمارس حق نقد أى تنظيم للاتحاد حتى اللجنة التنفيذية العليا ، ولكن عليه أن يقبل رأى الأغلبية لأنه لا يمكن ان نصل دائما الى اجماع في الآراء ..

« ومن حقوقه أيضا أن ينتخب في جميع اللجان الموجودة في التنظيم حتى اللجنة التنفيذية العليا التي تنبثق عن المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى العربى ...

« أما العضو غير العامل أو العضو غير المنتسب والذى يريد أن ينضم الى عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى فعليه أن يقدم طلبا للجنة أو للوحدة التأسيسية المحلية التي تنظر في طلبه ، وترفضه وتقبله كعضو عامل ، أو ترفضه لأنه مستغل مثلا » .

صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل

القاهرة . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣
تحقيق وتقديم : الدكتور محمد انيس

توفر الدكتور محمد أنيس ــ أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة القاهرة ــ منذ بعيد على دراسة تاريخ الحركة القومية في مصر حتى الم بها في كثير من نواحيها وخوافيها .

وهو في هذا الكتاب الصغير يتعرض للحقبة الأولى في حياة الزعيم مصطفى كامل ، وجهاده المشرف من أجل الاستقلال وجلاء المستعمرين عن أرض الوطن . ففى غضون عام ١٨٩٥ سافر مصطفى كامل الى أوربا للدعاية ــ وهو شاب صغير ــ للقضية المصرية ، وقد حقق في ذلك نتائج طيبة ، وهذا يبدو بوضوح في الرسائل المتبادلة بينه وبين عبد الرحيم أحمد صديقه وكان يشغل منصبا كبيرا في السراى ، وكذلك في التقارير التي كان يبعث بها الى الخديو عباس حلمى الثانى من غير علم الانجليز .

وقد درس الدكتور محمد أنيس هذه الخطابات دراسة طيبة وان لم تكن وافية ، فالخطابات تحتاج الى شروح وتعليقات عديدة لبيان ما غمض من حوادث وتوارى من اشخاص .

ومع هذا فقد كانت مقدمة الكتاب عملا ممتازا ،

تنـــاول طبيعـــة العلاقات بين مصطفى كامل والخديو ، قبل أن تتغير هذه العلاقات فى عهـد الوفاق بين السلطتين الشرعية والفعلية . ونلمح فى الخطابات أيضا جانبـا من مناورات الساسة الفرنســـيين المحترفـين الذين كانوا يوجهـون القضــية المصرية ، فى الوقت الذى يشـاءونه والوجهة التى يريدونها . وما جرى من صدام بينهم وبين بطلنا الشاب ، حتى انتهى الأمر الى اســـتدعاء مصطفى كامل وعـودته الى مصر وحصول الجفوة بينه وبين الخديو .

على أن أبرز ما يبــــدو فى الخطـابات ذلك المشروع الذى اقترحه مصطفى كامل ، بأن يتولى الدفاع عن القضية المصرية مصريون مخلصون يجعلون مصلحة الوطن نصب أعينهم ، على خلاف الساسـة الفرنسيين الذين تولوا زمام الـدفاع عن تلك القضية ، وجعلوها تجارة يربحون من ورائها . وشرح ذلك بقوله « ان الفرق جلى بين خـــدمة المصرى لمصر والفرنســـاوى لهـا ، فالفرنساوى يدافع عن حقوق فرنسا فى مصر ، وأما المصرى فدافع عن مصر نفســـها ، والفرق واضح جلى » .

واخيرا .. فان تحقيق الدكتور محمد أنيس لهذه الخطابات وتقديمه لها عمل له نتائجـــه الطيبـــة على المشروع الذى أعدته وزارة الثقافة والارشـاد القومى ، من أجل اعادة كتابة التاريخ المصرى الحديث ، حيث أن الوثائق المعاصرة هى أهم ما يعول عليه الباحث الصحيح فى دراســة تاريخنا الحديث وتنقيتـــه من الشوائب التى طالما علقت به على مر الأجيال .

اليمن ذلك المجهول

القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣
بقلم : أنيس منصور

سجل الأستاذ أنيس منصور فى هذا الكتاب خواطره من خلال رحلتــه الأخيرة فى الصيف المــاضى الى بلاد اليمن مع طائفـة من الأدباء العرب ، وكم كان جميلا أن يجعل المؤلف فى صدر كتابه هذين البيتين لشاعر اليمن محمد محمود الزبيرى .

مـــا لليمانيـــين فى لحظـــاتهم
بـؤس وفى كلمــــاتهم آلام
جهـــل وأمراض وظلم فادح
ومخافـــة ومجاعـــة وامـام

وقـــد اختـــــار المؤلف من تاريخ اليمن ومما يشـــاهده مادة شائقة فكهة . فهو يروى لنا ما سمع به عن الســـدود الثمانين التى كانت فى بلاد اليمن قبل حكم الأئمة ، وبخاصة سـد مأرب العظيم ، وحكاية بلقيس وسليمان الحكيم ، والبيوت التى ترجـع الى آلاف السنين والتى كانت تماثل ناطحات السحاب فى عصرنا الحديث ، وشجرة البن التى ولدت فى الحبشـــة وماتت فى اليمن « والقـــات » الذى أضحى « قوت » الشعب اليمنى ، « واســـانسير » قصر الامام الذى يرتفع وينخفض بأيدى النـــاس ... ثم حكاية المؤلف مع « سيف الاسلام فلان فى حديقة الحيوان » .

يقول الكاتب « واستطاع الأئمة الخبثاء أن « يبرجلوا » عقول الشعب بالأمامة المقدسة ، فالأمام لا يخطىء ، وهو معصوم لانه يرى بنور الله ، والويل لمن خالف الامام أو لمن فكر فى مخالفة الامام ... ومن تعاليم الأئمة أن من أنكر على الامام بقلبه فهو فاسق ، وبلسانه فهو كافر ، ويبدو فهو محارب لله » .

ويقول أيضـــا « وقصة البن والقات ... قصة واحـــدة ، وهناك حيوان واحد هو الذى نقل البن والقات من الحبشة الى اليمن . هـــذا الحيوان الطيب المسكين .. المجرم فى الوقت نفسه .. هو المعزة » .

ويؤخـــذ على المؤلف أمران . الأول : اغفاله الحقيقة التاريخية فى بعض فصول كتابه . فهو يقول ــ على سبيل المثـــال ــ « وكان جيش عمرو بن العـــاص الذى دخل به مصر من أهل اليمن ، وجيش معاوية الذى دخل به الشام ، وجيش عبـــد الرحمن الداخل الذى فتح به المغرب ... وجيوش عربية أخرى كلها من أهل اليمن » . والصحيح أن جيش عمرو لم يكن كله من أهل اليمن ، وانما كانت بعض كتـائب هذا الجيش من العرب العدنانية ، كما أن معاوية لم يفتح الشام . أما عبد الرحمن الداخل فلم يفتح المغـــرب ، وانمـــا فتح الأندلس وأسس الامارة ثم الخلافة الأموية هناك .

والأمر الثـــانى : انه قلما يتحدث المؤلف عن مشاهداته فى المدن اليمنيـــة على غير ما ننتظر منه ، ولربما كان له بعض العذر فى ذلك ، لأنه لم يتيسر له الطواف بأرجاء اليمن جميعها .

بيد أن للكتاب قيمته فى ناحيتين . الأولى : هى أنه فى طليعـــة الكتب التى تناولت اليمن « على الطبيعـــة » . والأخرى : هى أسلوب الكتاب الشائق الذى يجعلك لا تمل من قراءته وتنسى نفسك بين صفحاته .

كتب وردت للمجلة

١ ـ **سويسرا شعبها وأرضها**

تأليف : ليليان براجدون
ترجمة : كمال الملاخ
الناشر : مكتبة مصر ـ ٢٥ قرشا

٢ ـ **يوم مدرسي مفيد**

تأليف : ڤيولاتيمان
ترجمة : نظمى خليل
الناشر : الالف كتاب ـ ٥ قروش

٣ ـ **كيف نفهم أطفالنا**

تأليف : دوروثى ، باروخ
ترجمة : نظمى خليل
الناشر : الألف كتاب ـ ٦ قروش

٤ ـ **حرفية المسرح**

تأليف : براد بيرى ، هوارد
ترجمة : رأفت الدويرى
الناشر : الألف كتاب ـ ٥ر٧ قروش

٥ ـ **الحل الأوحد**

ترجمة : فؤاد الركابى
الناشر : الشركة العربية ـ ١٥ قرشا

٦ ـ **الرعب**

تأليف : جراهام جرين
ترجمة : على محمد على
الناشر : الدار القومية ـ ٥ قروش

٧ ـ **محاضرات جلسات مباحثات الوحدة**

تأليف : لجنة من الدار القومية
الناشر : الدار القومية ـ ١٥ قرشا

٨ ـ **الصندوق الفضى**

تأليف : ج جالزورثى
ترجمة : رأفت الدويرى
الناشر : الدار القومية ـ ٢٠ قرشا .

٩ ـ **الاشتراكية العربية كفاية وعدل**

تأليف : ثابت الطناحى
الناشر : الدار القومية ـ ٤ قروش

١٠ ـ **استعباد المرأة**

تأليف : على محمد على
الناشر : الدار القومية ـ ١٨ قرشا

١١ ـ **شواين‌لاى وقفزة الصين الى الامام**

ترجمة : محيى الدين فوزى وآخر
الناشر : الدار القومية ـ ٢٠ قرشا .

١٢ ـ **حقائق وارقام**

تأليف : لجنة من الدار القومية
الناشر : الدار القومية ـ ٢٥ قرشا

١٣ ـ **جناح الأحداث**

تأليف : چين شزال
ترجمة : عبد السلام القفاش
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ ١٢ قرشا

١٤ ـ **أو آى صق**

تأليف : يابى
ترجمة : سامى الدروبى
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر

١٥ ـ **خمس سنوات فى المسرح**

تأليف : أحمد حمروش
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ ٢٠ قرشا

١٦ ـ **الشرق الأوسط والحروب الصليبية (الجزء الأول) .**

تأليف : الدكتور الباز العرينى
الناشر : النهضة العربية .

١٧ ــ الطبيعة والاغريق
تأليف ايروين شرو دنجر
ترجمة : عزت قرنى
الناشر : النهضة العربية ــ ٨ قروش

١٨ ــ اسپينوزا
تأليف الدكتور فؤاد زكريا
الناشر : النهضة العربية ــ ٦٠ قرشا

١٩ ــ انتشار الاسلام فى القارة الافريقية
تأليف : الدكتور حسن ابراهيم حسن
الناشر : النهضة المصرية ــ ٣٥ قرشا

٢٠ ــ الاشتراكية والتربية
تأليف : الدكتور محمد جمال صقر .
الناشر : دار الكتاب العربى ــ ٣٠ قرشا

٢١ ــ النقد الادبى الحديث
تأليف : الدكتور محمد غنيمى هلال
الناشر : النهضة العربية ١٢٠ قرشا

٢٢ ــ صناعة الحلويات
تأليف : الدكتور محمد ممتاز الجندى
الناشر : الأنجلو المصرية

٢٣ ــ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال القسم الثانى
تأليف : الذهبى
تحقيق : على محمد البجاوى
الناشر : احياء الكتب العربية

٢٤ ــ شرح نهج البلاغة (الجزء ١٨)
تأليف : ابن أبى حديد
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
الناشر : احياء الكتب العربية

٢٥ ــ النسخ فى القرآن الكريم (المجلد ١)
تأليف : الدكتور مصطفى زيد
الناشر : الفكر العربى

٢٦ ــ النهاية فى غريب الحديث والأثر الجزء الأول
تأليف : ابن الأثير
تحقيق : طاهر أحمد الزاوى وآخر
الناشر : احياء الكتب العربية

٢٧ ــ النقد الأدبى ومدارسه الحديثة (جزآن)
تأليف : ادموند ولسون وآخرين
ترجمة : الدكتور احسان عباس وآخر
الناشر : دار الثقافة بيروت ــ ١٢٠ قرشا

٢٨ ــ دراسات فى الأدب العربى
تأليف جوستاف فون جرينباوم
ترجمة : الدكتور احسان عباس وآخر
الناشر : دار مكتبة الحياة بيروت ٧٥ قرشا

٢٩ــ حركة البعث فى الشعر العربى الحديث
تأليف : الدكتور ماهر حسن فهمى
الناشر : النهضة المصرية ــ ٢٥ قرشا

٣٠ ــ طائفة الاسماعيلية(تاريخها. نظمها. عقائدها)
تأليف : الدكتور محمد كامل حسين
الناشر : النهضة المصرية ــ ٢٥ قرشا

٣١ ــ الفردية قديما وحديثا
تأليف : چون ديوى
ترجمة : خيرى حماد
الناشر : مكتبة الحياة بيروت ــ ٢٥ قرشا

٣٢ ــ فلسفة الحياة العامة
تأليف : والتر ليبمان
ترجمة : عثمان نويه
الناشر : فرانكلين والنهضة المصرية ــ ٣٠ قرشا .

٣٣ ــ الاسلام فى القرن العشرين (طبعة أولى)
تأليف : عباس محمود العقاد
الناشر : الكتب الحديثة ــ ١٢ قرشا

٣٤ ــ دراسات اسلامية
تأليف : ج. رينتز وآخرين
ترجمة : الدكتور أنيس فريحة وآخرين
الناشر : دار الأندلس بيروت ــ ٨٥ قرشا

٣٥ ــ المجتمع
تأليف : ماكيڤر
ترجمة : الدكتور على أحمد عيسى
الناشر : النهضة المصرية ــ ٦٠ قرشا

٣٦ ــ مداخل الى فلسفة الحضارة الانسانية
تأليف : أ. كاسيرر
ترجمة : الدكتور احسان عباس
الناشر : دار الأندلس بيروت ــ ٨٥ قرشا

٣٧ ــ أزمة الانسان الحديث
تأليف : تشارلز فرانكل
ترجمة : الدكتور نقولا زيادة
الناشر : مكتبة الحياة بيروت ــ ٤٢ قرشا

٣٨ ـ **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة**
تأليف : محمد خلف الله
الناشر : النهضة المصرية ـ ٨٠ قرشا

٣٩ ـ **الآلهة عطاش**
تأليف : أناتول فرانس
ترجمة : عادل زعيتر
الناشر : النهضة المصرية ـ ٤٥ قرشا

٤٠ ـ **تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى (طبعة أولى)**
تأليف : الدكتور على محمد حمودة
الناشر : الكتاب العربى ـ ٦٠ قرشا

٤١ ـ **يأجوج ومأجوج**
تأليف جابرييل آرو
ترجمة : الدكتور لطفى فام
الناشر : النهضة العربية ـ ١٠ قروش

٤٢ ـ **مشكلات علم النفس**
تأليف : هـ . أيزنك
ترجمة : الدكتور جابر عبد الحميد جابر
والدكتور يوسف محمود
الناشر : النهضة العربية ـ ٤٥ قرشا

٤٣ ـ **الوسائل التعليمية والمنهج**
تأليف : الدكتور أحمد خيرى كاظم
والدكتور جابر عبد الحميد جابر
الناشر : النهضة العربية ـ ٦٠ قرشا

٤٤ ـ **ماهى الوراثة**
تأليف : جولد شميدت
ترجمة : الدكتور مصطفى طلبة
الناشر : النهضة العربية ـ ٢٣٫٥ قرشا

٤٥ ـ **المجتمعات الحشرية**
تأليف : هارولد باستان
ترجمة : الدكتور محيى الدين محمد ابراهيم
الناشر : سجل العرب ـ ١٨٫٥ قرشا

٤٦ ـ **القرآن والعلم**
تأليف : أحمد محمود سليمان
الناشر : الدار القومية ـ ٢٠ قرشا

٤٧ ـ **اليمن ذلك المجهول**
تأليف : أنيس منصور
الناشر : الدار القومية ـ ٢٠ قرشا

٤٨ ـ **من أعلام الأدب الأوروبى**
تأليف : على كامل
تقديم : عبد الرحمن صدقى
الناشر : الدار القومية ـ ١٧ قرشا

٤٩ ـ **بين يدى الله**
تأليف : عبد الرزاق نوفل
الناشر : النهضة المصرية ٢٠ قرشا

٥٠ ـ **المعنى الاجتماعى للملكية**
تأليف : أنور عمر
الناشر : النهضة المصرية ـ ٣٠ قرشا

٥١ ـ **حياة محمد الروحية**
تأليف : الدكتور على عبد الجليل راضى
الناشر : النهضة المصرية ـ ٥٠ قرشا

٥٢ ـ **ظلال مضيئة**
تأليف : محمود تيمور
الناشر : النهضة المصرية ـ ٣٠ قرشا

٥٣ ـ **الطريق الابيض**
تأليف : الدكتور حسين مؤنس
الناشر : النهضة المصرية ـ ٣٠ قرشا

٥٤ ـ **جزيرة العرب فى القرن العشرين (طبعة رابعة)**
تأليف : حافظ وهبه
الناشر : النهضة المصرية ـ ٩٠ قرشا

٥٥ ـ **نهر النيل (طبعة خامسة)**
تأليف : الدكتور محمد عوض محمد
الناشر : النهضة المصرية

٥٦ ـ **المنطق الصورى والرياضى (طبعة ثانية)**
تأليف : الدكتور عبد الرحمن بدوى
الناشر : النهضة المصرية ـ ٥٠ قرشا

٥٧ ـ **اقتصاديات العالم العربى من الخليج الى المحيط**
تأليف : الدكتور راشد البراوى
الناشر : النهضة المصرية ـ ٥٠ قرشا

٥٨ ـ **الفكر الأوربى فى القرن الثامن عشر (جزآن)**
تأليف : بول هازار
ترجمة : الدكتور محمد غلاب
الناشر : لجنة التأليف والترجمة

٥٩ ـ **مختصر دراسة للتاريخ (جزآن)**
تأليف : أرنولد توينبى
ترجمة : فؤاد شبل
الناشر : لجنة التأليف والترجمة

٦٠ ـ **تاريخ الأدب الجغرافى والعربى(القسم الأول)**
تأليف كراتشكوفسكى
ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم
الناشر : لجنة التأليف والترجمة

خطة مجلة الكتاب العربي

(١) تناول المؤلفات العربية الحديثة والقريبة العهد فى الظهور فى مختلف انحاء العالم العربى بالتحليل الذى يجلو موضوعها ويحلل فكرتها ويزن قيمتها .

(٢) تتناول المجلة من الحين الى الحين بعض الكتب القديمة احياء لتراثنا الأدبى ولربط الحاضر بالماضى والتعريف بمدى ما بلغه المؤلفون المتقدمون من المستوى الثقافى وتأثيرهم فى الحضارة .

(٣) أن يعهد فى الكتابة عن المؤلفات حديثها وقديمها الى كتاب تراعى ناحية تخصصهم فى الموضوعات التى يسند اليهم تناولها جهد الامكان ليكون لاحكامهم قيمتها ولتقديراتهم وزنها وليفيد القارىء من ملحوظاتهم ويهتدى بتحليلهم .

(٤) ان يخصص قسم من المجلة للحديث عن المجلات العربية المعاصرة يشار فيه بوجه خاص الى الموضوعات الهامة التى ظهرت بها لاستيفاء بيان تيارات الفكر المعاصر .

(٥) وارى أن يكون فى صدر كل عدد من المجلة فصل افتتاحى يتناول كتابا له اهمية خاصة أو بعض الكتب معا التى تمثل نزعة جديدة أو اتجاها هاما .

(٦) أن يكون فى كل عدد كلمة موجزة عن نواحى الثقافة المختلفة التى تمت بأسباب الى رسالة المجلة .

(٧) ان تعنى المجلة بالكتابة عن الكتب التى تترجم الى اللغة العربية لبيان قيمتها وتعرف الأحوال الثقافية والحركات الفكرية فى شتى أنحاء العالم .

(٨) ولما كانت المجلة مهما اتسع حجمها وكثرت صفحاتها لا تستطيع استيفاء عرض جميع الكتب التى تخرجها المطابع لذلك لابد من اختيار ما هو اهم وايثاره على ما هو اقل أهمية ، فالى جانب الجزء الأكبر من المجلة الخاص بعرض الكتب الهامة ونقدها نخصص بضع صفحات للتعريف الموجز بسائر الكتب يذكر فيه موضوعها ومكان طبعها وعدد صفحاتها مع ذكر ما تيسر من المعلومات عن مؤلفها وقيمتها بوجه عام حتى يمكن الاستفادة منها .

(٩) العمل على الاتصال بدور النشر فى مختلف نواحى العالم العربى للحصول على الكتب التى تصدرها للتنويه بها وتقديمها للقراء .

(١٠) أن يخصص بعض الصفحات للاعلانات عن الكتب .

(١١) العمل على تعرف العقبات القائمة فى طريق توزيع الكتاب العربى على أوسع نطاق تأييدا للروابط الثقافية وتشجيعا للمؤلفين ودور النشر .

(١٢) ستتحرى المجلة فى عرضها للكتب ونقدها لها الموضوعية التامة والبناء والتوجيه لا الهدم وتثبيط الهمم .

مطبعة مصر



العدد الثانى ١٠ يوليه ١٩٦٤ - أول ربيع الأول ١٣٨٤

فى هذا العدد

رئيس التحرير
على أدهم

تصدر عن الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الواجبات والحقوق

تأليف : ماتزيني

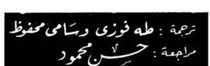
من مأثور القول ان الانسان اذا طلب الأفكار الجديدة فعليه بقراءة الكتب القديمة ، وانه اذا التمس الأفكار القديمة فعليه بقراءة الكتب الحديثة ، وليس أدل على صدق هذا القول المأثور من كتاب « واجبات الانسان » الذى كتبه الزعيم الوطنى الايطالى جوزيبى ماتزينى منذ مائة سنة ونيف وصدره بنداء الى العمال الايطاليين يقول فى مطلعه(١) أريد أن أتحدث اليكم عن واجباتكم بما يمليه على قلبى - عن أقدس الأشياء التى نعرفها ، عن الله ... الانسانية ... الوطن ... الأسرة ، أعيرونى أسماعكم بحب واخلاص ، كما أحدثكم وأنا أحبكم وأخلص لكم القول. ان ما أسوقه اليكم من حديث أقتنعت به بعد تفكير استغرق سنين طويلة قضيتها فى مرارة الألم والتبصر والبحث ، انى أحاول وسأظل احاول تأدية الواجبات التى سأذكرها لكم ، سأحاول ذلك مادمت حيا وبكل ما تسمح به قواى ، ومن الممكن أن أخطىء ، ولكنه لن يكون خطأ القلب ، وقد أنخدع ولكنى لن أخدعكم ، فاستمعوا الى كما يستمع الأخ لأخيه ، ثم احكموا على أقوالى فيما بينكم وبين أنفسكم بكامل حرياتكم ، فكروا فيما أقول وهل هو الحقيقة ، وتخلوا عنى اذا بدا لكم فيه وجه الخطأ ، ولكن سيروا معى ، واعملوا بتعاليمى اذا ما وجدتم أننى رسول من رسل الحق . ان الخطأ كارثة يبكيها الانسان ويرثى لها ، ولكن معرفة الحقيقة وعدم التوفيق بينها وبين العمل انما هو جريمة تحرمها القوانين والشرائع الوضعية » .

وقد بين ماتزينى فى هذا الكتاب القيم واجبات الانسان نحو الله والقانون وواجباته نحو الانسانية والوطن والأسرة ، وواجباته نحو نفسه ونحو الحريه والتربية ببلاغته المعهودة ومنطقه الواضح المتماسك وحماسته المشبوبة التى لم تطفىء وقدتها ما تعرض له من الهزائم وخيبة الأمل وما انتابه من الشكوك المؤلمة والأزمات النفسية الحادة ، ومس فيه مسا رقيقا علاقة الواجبات بالحقوق وان علينا ان نعرف الواجبات التى تفرضها علينا انسانيتنا قبل المطالبة بالحقوق ، وأشار الى المثل العليا الأخلاقية والسياسة التى كانت تلهم رسالته السياسية الثورية ، وقد حذر فيه العمال من الانغماس فى النزعة المادية والأخذ بالمبادىء المكيافلية وفرط الاهتمام بطيبات الدنيا والاسراف فى طلب المنافع والفوائد ، ومع تأكيده لأهمية المسائل الاقتصادية أوصى العمال بعدم جعلها مسيطرة على القيم العليا للحياة ، وانتقد الفلسفة النفعية لأنها تتجاهل أن الانسان لايعيش بالخبز وحده .

ولكن لماذا رأى ماتزينى أن يتحدث الى العمال عن واجباتهم قبل أن يتحدث اليهم عن حقوقهم؟ انه يقول لهم(١) فى المجتمع الذى يضطهدكم فيه الجميع برغبتهم أو بغير رغبتهم والذى يمتنع عليكم فيه ممارسة الحقوق الخاصة بالانسان ، والذى فيه البؤس نصيبكم ، وما يسمى السعادة نصيب غيركم من طبقات الناس ، لماذا أحدثكم فى مثل هذا المجتمع عن التضحية بالنفس بدلا من أن أحدثكم عن الغلبة والانتصار ، وأحدثكم عن الفضيلة والاصلاح الأخلاقى والتربية بدلا من أن أحدثكم عن العيش اللين والرغد المادى ؟ هذه مسألة يجب على أن أجيب عنها لأوضح الفرق

(١) ص ١١ من كتاب واجبات الانسان ترجمة طه فوزى وسامى محفوظ .

(١) نقلت هذا الجزء ء الترجمة لكتاب واجبات الانسان ، ولم أجده فى ترجمة الأديبين طه فوزى وسامى محفوظ المنقولة عن الايطالية مباشرة .



الناشر : دار الكرنك
بالاشتراك مع الألف كتاب
١٧٢ صفحة قطع كبير

بين مدرستنا وغيرها من المدارس التى يبشر بها فى أوروبا ، ولأنها – علاوة على ذلك – مسألة سرعان ما تظهر فى تفكير عقل العامل الشقى الغاضب » .

ويستطرد قائلا بلسان حال العمال(١) نحن فقراء مستعبدون متعوسون ، تحدثنا عن أحوال مادية أحسن من أحوالنا وعن الحرية والسعادة ، وقل لنا هل قضى علينا بالشقاء الأبدى ، أو هل نحظى بالسعادة نحن كذلك ؟ بشر بالواجب لسادتنا وللطبقات الأعلى منا التى تعاملنا كأننا آلات وتحتكر النعم والخيرات التى هى من حق الجميع ، حدثنا عن الحقوق ، وحدثنا عن طريقة الدفاع عنها وحدثنا عن قوتنا ، وانظر حتى يكون لنا كياننا المعترف به ، وحدثنا بعد ذلك عن الواجبات والتضحية » .

ويتبع ذلك ماتزينى بقوله(٢) هذا ما يقوله الكثيرون من عمالنا ، وهم يتبعون أساتذة وجماعات تستجيب لرغباتهم ، وهم ينسون شيئا واحدا ليس غير ، وهذا الشىء هو ان هذه النظرية التى يثيرونها قد بشر بها ودعى لها خلال خمسين السنة الأخيرة ولم يسفر ذلك عن أقل تحسين فى أحوال العمال المادية » .

ويستطرد ماتزينى فى الحديث ويوضح ان الثورة الفرنسية قامت على المطالبة بالحرية وحقوق الانسان ، وان الثورات التى تلتها أيدت اعلان حقوق الانسان وآكدتها واستكملتها ، فعرف كل فرد حقوقه وأصر عليها واستمسك بها ، وكانت هذه الثورات تطالب بالحرية لأن الحرية هى الوسيلة الى الحياة الطيبة والعيشة السعيدة الراضية ، وكانت كل المذاهب الثورية تبشر بأن الانسان قد ولد للسعادة وأن من حقه أن يعمل على نيل السعادة ويتوسل الى ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وأنه ليس من حق أى انسان أن يعترض سبيله ، وأن من حقه أن يزيل كل العقبات التى تقوم فى طريقه ، وقد استطاع الانسان أن يقهر العقبات ويظفر بالحرية ، وقد ظلت الحرية سنوات عدة فى مواطن جمة ومازال فى بعض تلك المواطن، ولكن هل تحسنت أحوال الناس ؟ وهل ظفر الملايين من الكادحين بما كانوا يؤملون من العيش اللين والنعيم الموعود ؟ كلا بل ازدادت أحوالهم سوءا فارتفعت أسعار الحاجيات وهبطت أجور العمال وتكاثرت الأزمات وتوالت الهجرات ، فلماذا لم تحسن نظرية حقوق الانسان الاحوال ولم توزع الانتاج توزيعا عادلا لامتساويا بدلا من أن يظل فى أيدى القلة لا فى أيدى الكثرة الكاثرة ؟ ولماذا لم يؤد تقدم الصناعة والتجارة الى تحسين أحوال الكثرة وانما أدى الى رخاء القلة وترفها ؟

الجواب عند ماتزينى واضح لمن أراد أن يبصر ويتدبر ، فالناس كما تكونهم التربية ، وهم يعملون حسب المبادىء التى يتلقونها ، فقد قامت الثورة الفرنسية والثورات التى تلتها فى رأى ماتزينى على المطالبة بحقوق الانسان وظفرت بحرية الفرد ، ولكن ماقيمة هذه الحرية لمن لايستطيع ممارستها ؟ وماذا تجدى حرية التعليم لمن لايجد متسعا من وقته للتعلم ؟ وماذا تنفع حرية التجارة لمن لا يملك شيئا ليتجر به ؟

وفى شتى الأمم التى أعلنت فيها حقوق الانسان كان المجتمع مكونا من أفراد قلائل يملكون الارض ويحوزون رؤوس الأموال وأكثرية ساحقة لا تملك شيئا فهى مضطرة ومرغمة على أن تخدم تلك الفئة القليلة بالشروط التى تمليها عليها هذه الفئة المسيطرة لكى تعيش ، وأفراد هذه الكثرة الساحقة يقضون حياتهم فى العمل الممل الرتيب ، فما قيمة الحرية لهؤلاء الذين يجاهدون ويكدحون فى سبيل الحصول على لقمة الخبز لسد نهمة الجوع ؟

كان لابد من تقليل ساعات العمل وتحسين

(١) هذا الجزء نقلته عن الترجمة الانجليزية .
(٢) هذا الجزء نقلته عن الترجمة الانجليزية .

أحوال هؤلاء العمال لتصبح الحرية لها قيمة .
ولكن لماذا يقوم الأفراد القلائل أصحاب الثروات الطائلة والجاه العريض بذلك ؟ أليس العيش الناعم هو أسمى مطالب الحياة ؟ اليست النعم المادية مفضلة على كل شيء ؟ فلماذا يقللون من أسباب استمتاعهم من أجل الفقراء والمحتاجين؟ ليحاول كل انسان أن يعمل لنفسه فالمجتمع قد ضمن الحرية لأفراده ، تلك الحرية اللازمة للطبيعة البشرية ، فاذا كان هناك من عاقته ظروف حياته عن الانتفاع بهذه الحرية الممنوحة له فليرض بما قسم له ولا يلومن غيره من الناس .

وأصبح موقف الأغنياء الميسورين ازاء الفقراء المعسورين هو الموقف الذى يقفــه كل فرد فى المجتمع من غيره من الأفراد ، فكل انسان يسعى لنيل حقوقه ويعمل على تحسين أحواله دون أن يفكر فى غيره ، وحينما تتصـادم الحقوق تقع المعركة ، وكأنها معركة لاتراق فيها دماء لأنهـا معركة ختل ودهاء ، وهى معركـة أقل رجولة ولكنها ليست أقل فتكا وتدميرا ، ينتصر فيهـا الأقوياء بعتادهم المهيأ ويسحقون الضعفاء ، وقد دربت هذه الحرب النـاس على الأثرة والشره المادى ، وقضت حرية الاعتقاد على عقيدة الجماعة كما أوجدت حرية التعليم الفوضى الاخلاقية وأصبح الناس لا رابطة تربط بعضـهم بالبعض الآخر ولا جامعة تجمعهم ولا هدف يؤلف بين قلوبهم ويضم شملهم الشتيت ، ومادام كل انســان ينشد المتعة ويجرى وراء مصلحته الخاصة فهو لا يبـالى بغيره من الناس ولا يتورع عن وطئهم بالأقدام فى سبيل الوصول الى أغراضه ، فالناس اخوان فى الظاهر وأعداء فى الواقع ، وهذا فى رأى ماتزينى سببه التعلق بفكرة «حقوق الانسان» واهدار فكرة معرفة الواجبات المفروضة عليه .

ويقول ماتزينى ان الحقوق موجودة من غير شك ، ولكن حينما يصطدم حق بحق فكيف توفق بين الاثنين دون الرجوع الى شيء أسـمى من الحقوق كلها ؟ وحينما يصـطدم حق فرد من الأفراد أو حقوق أفراد كثيرين بحقوق الوطن فالى أى محـكمة تحتكم ؟ واذا كان حق الظفر بالعيش الراغد يخص كل انسان فمن الذى يفض الخلاف بين الصانع وصاحب المصنع ؟ واذا كان حق الوجود هو الحق الأول لكل انســان فمن الذى يطالب بالتضحية بهـذا الحق من أجل الناس ؟ وهل نطالب به باسم الوطن أو باسم المجتمع أو باسم اخواننا البشر ؟ وماهو الوطن فى رأى أصحاب فكرة حق الانسان ؟ انه المكان الذى نضمن فيه حقوقنا الفردية ، وليس المجتمع بموجب ذلك سوى مجموع أفراد قد اتفقوا على التساند لتحصـيل الحقوق الفردية ، فكيف نطلب الى المجتمع بعد ذلك التضحية بهـذه الحقوق ؟ وبعد ان ظللنا نتحدث السـنوات الطويلة عن المصالح المادية كيف نطلب الى الأفراد الاعراض عنها والزهد فيها ؟

والثورات التى تلت الثورة الفرنسية كانت كلها ترمى الى تأكيد الحقوق لا الى الاعتقـاد بالواجبات ، ولقد جاهد الناس فيها باسم المطالبة بتحسين الأحوال ورفع مستوى الحياة وحرية التفكير ونيل المناصب السامية وتمكين الاكفاء من الوصول اليها ، ولكن بعد أن ظفر النـاس بالحقوق المطلوبة وتيسرت لهم السبل الى المناصب وأخذوا حظهم من العيش الرافه وتقـلبوا فى أعطاف النعمة بعد الضيق والحرمان نسى الظافرون منهم أمر الشعب ولم يشغلوا أنفسهم بالتفكير فيه ، وهم ليسوا خونة ، وانمـا النظرية التى تبعوها هى الخائنة الغادرة !

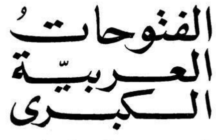
والذى يؤمن بنظرية الحقوق وحدها كيف يعمل للغاية المشتركة والهدف العـام ؟ وكيف يحمل نفسه على انماء الفكرة الاجتماعية ؟ واذا استمسك انسان بنظرية الحقوق وأبى مناصرة اخوانه البشر فهل من حق الأغلبية ارغامه على خدمتها ورعاية مصالحها ؟ وبأى حق تعاقبه ؟ وكيف تثبت للفرد ان عليه اخضاع ارادته لارادة اخوانه العامة سواء أكانوا اخوانـه فى الوطن أو اخوانه فى الانسانية ؟ لاسبيل الى ذلك الا عن طريق السجن أو انزال العقوبة ، ولكن هذا حرب ونحن نريد السلم لا الطغيان ونحن نريد التربية والتهذيب .

ونظرية الحقوق تمكننا من ان ننهض ونكتسح العقبات ولكنها لا تمكننا من توحيد العنـاصر وتقوية الروابط ، والاقتصار على طلب المعيشة

اللينة ينشىء رجالا أشرين يعبدون المادة ، والنظرية الاسمى من ذلك التى ترشد الناس الى سبيل اقوم وتعلمهم الاستمرار فى التضحية وتقوى أواصر القربى بين البشر هى نظرية الواجب ، ويقتضى الواجب ألا يعيش الانسان لنفسه وحدها وانما يعيش كذلك للغير ، وليس هدف الحياة ان يوفر كل فرد السعادة لنفسه فحسب وانما هدفها هو ان يعمل على توفير السعادة لاخوانه البشر ، فيحارب الباطل ويقر الحق ويدفع الظلم من أجلهم ، وليس معنى ذلك ان يهدر حقوقه وانما معنى ذلك ان الحقوق لا توجد الا نتيجة لواجبات تقوم بها ، وان علينا ان نبدأ بالواجبات لنصل الى الحقوق ! وليس معنى ذلك الزهد فى المطالب المادية ، وانما معناه اتخاذها وسيلة لاغاية فماتزينى اذن يدعو الى معرفة الواجبات قبل المطالبة بالحقوق .

وقد تأثر ماتزينى فى آرائه الاجتماعية بالمفكرين الاشتراكيين الفرنسيين وبخاصة مدرسة سانت سيمون ، ولكن الحوادث اتجهت اتجاها آخر ، وفى الدولية الاولى سادت آراء ماركس وآراء باكونين ، ولم يكن ماتزينى الرجل الذى يغتنم الفرصة ويعدل آراءه مجاراة للظروف ولذلك فقد فى المرحلة الأخيرة من حياته الكثير من أنصاره ، وقد لقى ماركس وباكونين فى ابان انعقاد الدولية الأولى ، ولكن سرعان ما ظهر اختلاف وجهات النظر بينه وبين اتجاهات الزعيمين الشهيرين ، ولم يسترح ماتزينى لفكرة حرب الطبقات التى نادى بها ماركس ، وظل حريصا على رسالته القومية الدينية ، وكان ماتزينى يفضل النظام الاشتراكى الذى تتولى فيه الدولة شؤون الصناعات الاساسية وتترك سائر وسائل الانتاج فى أيدى شركات تملك رأس المال والارض وتضمن لأعضائها أجورا تكفى لسد حاجاتهم ويوزع فائض رأس المال على حسب نوع الخدمة التى تؤدى ، وكان أهم ما يستأثر بجهد ماتزينى هو توطيد النظام الجمهورى على أساس الوحدة القومية ، وقد أخذ عليه بحق أنه لم يقرن الثورة التحررية بالثورة على النظام الاقطاعى الذى كان يسود ايطاليا فى أثناء حياته، وتمتاز نزعة ماتزينى القومية بأنها نزعة قومية انسانية تنشد السلام والاخاء والحرية ، فهى ليست نزعة عدوانية مثل بعض النزعات القومية عند غيره من دعاة القومية ، وقد كان ماتزينى مثاليا فى نبل حياته واستقامة تفكيره ، وكان مرهوب السطوة من الطغاة والمستبدين فى عصره ، قال عنه الوزير الرجعى الخطير مترنخ « طوع يدى ورهن اشارتى جيوش متحدة حاربت بشجاعة برغم كونها مكونه من شعوب مختلفة، وقد استطعت أن أقرب الأسباب بينى وبين الملوك والاباطرة والسلاطين ، ولم يستطع شى، ولا انسان ان يقيم فى طريقى صعوبات أشد من الصعوبات التى خلقها لى هذا الشيطان الايطالى النحيف الهزيل الشاحب الوجه الفقير والذى أوتى بلاغة العاصفة المدوية وقدرة اللص وعدم يأس المحب الولهان وباختصار أقصد هذا الماتزينى » وهى من غير شك شهادة بالفضل وعظم المكانة من كبير الرجعيين فى عصره لرائد من أعظم رواد الاستنارة والتحرير والاصلاح الذين عرفهم العالم ، ولكل عصر مشكلاته الخاصة التى يقدم لها مفكروه الحلول المختلفة ، وقد تختلف مشكلات عصرنا عن مشكلات عصر ماتزينى فى الشكل أو فى الجوهر ، ومهما يكن من الامر فان الحلول التى يقدمها رجال من طراز ماتزينى لمشكلات عصورهم جديرة بأن ندرسها ونفيد منها ، وخليقة بأن تلقى ضوءا على المشكلات التى يواجهها عصرنا ومجتمعنا ، ومن حق الأديبين اللذين قاما بنقل هذا الأثر النفيس من اللغة الايطالية الى اللغة العربية الشكر والتقدير لاختيارهما الحسن ومابذلا من جهد .

علي أدهم



تأليف : جون باجوت جلوب
تعريب وتعليق : خيرى حماد



٥٧٠ صفحة – من القطع الكبير ث ٦٥ قرشا

مؤلف هذا الكتاب التاريخى الكبير ليس جديدا على العرب ، فقد عاش بينهم قرابة ثلاثين عاما ، يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون. وخالطهم فى معيشتهم ، ولبس ثيابهم العربية، ونام نومهم فى البادية حينا ، وفى الحاضرة حينا . وتعلم لغتهم ولهجاتهم فأجادها ، وشارك فى القيادة العسكريه لبعض جيوش العرب ، ولكنه كان – على الرغم من صداقته الظاهرة للعرب – انجليزى الفكرة استعمارى النزعة ، غربى النظرة الى العرب والى كل ماهو عربى ، سواء أكان فى القديم أم الحديث .

ولم تنقطع صلة الرجل بالعرب منذ أرغم على ترك بقعة من أرض العرب عاش فيها ذلك الزمان كله ، فترك العصر الحديث ومشكلاته وتياراته القومية التى أجترفت أمامها كالسيل كل مكابر ، وراح يتلفت وراءه الى تاريخ العرب فى القديم ، مدفوعا بما كان للعرب من أمجاد فى التاريخ ، ومتأثرا قول هيرودوت أبى التاريخ: « على الزمن ألا يمحو الماضى من تاريخ الانسانية، وعلينا ألا ننكر على الأعمال العظيمة الرائعة حقها فى الشهرة » .

على أن انبهار الرجل بتاريخ العرب القديم وبأمجادهم العظيمة الماضية لم يغلب على الروح الاستعمارية فيه ، ولم ينزع مافى صدره من غل للعرب المحدثين ، لأنهم كشفوا خبيئته ، وعرفوا حقيقته ، فلما راح يؤرخ للفتوحات العربية الكبرى ، ويؤرخ للتاريخ العربى الاسلامى الذى أدار محمد عليه السلام قيادته ، وحدد وجهته، ويؤرخ لغزوات محمد ، وتمكينات أبى بكر ، وفتوح عمر ، وأسطول معاويه ... لما راح يفعل ذلك فى هذا المجلد الضخم المتلاطم الأمواج ، غلبته نزعته الاستعمارية ، وطبيعته الأجنبية ، فراح يخلط بين غث وسمين ، ويمزج فى الأخبار والروايات بين صحيح وعليل ، وقد يميل الى الواهن من الآراء والمتهافت من الأفكار اذا كان فى ذلك ارضاء لنزعته ، واشباع لشهوته ... وقد يفر من اجماع التاريخ ، الى الرأى المفرد أو الى خبر الواحد اذا كان فى ذلك نقص من قدر العرب أو تهوين لشأنهم أو غمز فى كيانهم.

والحق أن الرجل – لكى يخرج هذا العمل التاريخى الضخم – رجع الى كثرة من المراجع والمصادر العربية وغير العربية ، وقرأ كثيرا حول السيرة والرسول والخلفاء الراشدين والفتوح ، وأفاد من كل ذلك فى تكوين الهيكل الضخم لبحثه الواسع ، حتى جاء كتابه هذا موسوعة جامعة للتاريخ العربى الاسلامى حتى بداية الدولة الأموية . وعلى الرغم مما أفاده جلوب من المؤرخين العرب ومن تواريخهم ، فانه قد حمل فى المقدمه عليهم واتهمهم بسوء التقدير ، وانعدام الدقة ، وقلة الاهتمام بالحقائق والأرقام والعمليات العسكرية ، وفساد الفهم للمعارك والحملات الحربية التى يتحدثون عنها، وعدم التثبت من الأحداث ، وعدم الموازنة والمقابلة

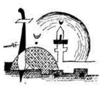
الواعية بين الروايات المختلفة بل الاكتفاء بسردها كلها دون تمحيص لها .

ونسى الرجل فى غمار الاتهام أن المؤرخين الاولين من العرب - فى ظروف الأمية العربية والتدوين والكتابة - كانوا جامعين للأخبار أكثر مما كانوا مؤرخين لها أو معلقين عليها . ونسى الرجل كذلك أن تواريخ اليونان والرومان القديمه فيها كثير من هذا الذى عابه على العرب ، فلا تكاد تخرج من حادثة واحدة فيها بوجه صحيح . ولكن جلوب الانجليزى عمى وصم عن سوءات التاريخ غير العربى وعن مآخذ المؤرخين غير العرب ، وكأنه جرى فى هذا على المثل العربى القائل : « حبك الشيء يعمى ويصم » .

أما معرب هذا الكتاب فهو عربى كريم شارك فى اثراء المكتبة العربية الحديثة بتعريب طائفة من الكتب الأجنبية . من أمثال «الاصلاح الزراعى والانماء فى الشرق الأوسط » لدورين وارينر ، « كيف تفكر أفريقيا » لأبراهام . و « الطريق الى السويس » لأرسكين تشايلدرز و « يوميات جوبلز » لهلمت هايبر ، و « السياسة بين أصدقائها وأعدائها » لبرنارد كبريك ، و « الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية » لجوزيف شومبيز ، وغيرها مما ليس هنا مجال حصره .

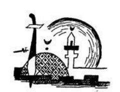
ومزية الأستاذ خيرى حماد بين المعربين والنقلة المحدثين أنه دقيق الترجمة ، كثير التعليق والتنقيب على مايعربه ، حتى لتزدحم صفحات الكتب التى يترجمها بهذه التعليقات الكثيرة المفيدة المتناثرة هنا وهناك . وبهذا يضيف الى فضل الترجمة وعنائها فضلا وعناء آخر ...

وما وجدت فيما ترجم أخيرا من كتب الى اللغة العربية كتابا احتشدت فيه التعليقات والتعقيبات كما حدث فى كتاب « الفتوحات العربية الكبرى » ، فقد كان المعرب واقفا للمؤلف المؤرخ الانجليزى بالمرصاد ، يرده الى الصواب تارة ، ويصحح له الأوهام تارة ، ويكشف عن سوء نيته فى معاداة العرب ثالثة . ثم يتعقب مصادره ومراجعه ، حتى اقتضاه ذلك الرجوع الى كثرة كاثرة من مصادر التاريخ العربى الاسلامى ، مع ما نعلمه من شدة العناء فى البحث فيها ، وخلوها من الفهارس المتنوعة المسعفة ، وما يتطلبه ذلك من جهد ووقت ومعاناة ومداومة على البحث والتنقير .



ويخيل الى أن المعرب يسىء الظن بالمؤلف الانجليزى حتى قبل أن ينهض بتعريب كتابه . فقد كان يظن أن الله فتح على جلوب ببحث فى تاريخ العرب من الزاوية العسكريه ، وتحليل الأحداث هذا التاريخ ووقائعه وتفسيرها على ضوء معلوماته العسكرية وخبرته بالبلاد التى وقعت فيها هذه الأحداث ، أو لعل جلوب ((قد عثر فى بعض الكتب الرومانية أو البيزنطية على أشياء نجهلها . أدرجها فى كتابه ، وربط بينها وبين روايات التاريخ العربى ، ليخرج لنا من كل ذلك بشىء جديد) . وبالطبع لم يجد المعرب فى الكتاب شيئا من هذا . وانما وجد حوادث مستمدة من كتب التاريخ والسير العربية ، كابن هشام وتواريخ الطبرى والبلاذرى ومحمد الخضرى (ولكن أهم مافى الكتاب هى المحاولة البارزة فى كل ناحية من نواحيه للتشويه والتضليل ورسم الصورة الزائفة التى تشكك القارىء فى الشخصيات العربية العظيمة ، ابتداء من النبى صلى الله عليه وسلم . وانتهاء بصغار القادة) .

هذا هو رأى المعرب فى كتاب جلوب اجمالا، ويضاف اليه أن كل مافى الكتاب من جدة : (هو الربط بين الأحداث وصوغ قصتها على أساس الاتساق الزمنى ، مع بعض الاستنتاجات والآراء الخاصة التى لاتتطلب خبرة جنرال عسكرى ، أو عالم بفنون الحرب وخططها ، وانما يمكن أن يصل اليها كل باحث يتوخى فهم الأحداث وتفسيرها) .



ومن هذه الريبة المحيطة بنية المؤلف المتعصب كانت تعليقات المعرب الكثيرة ، وكانت وقفاته العديدة مع جلوب فى كل مايوهم الغرض والهوى والحملة على العرب أو الغمز فيهم · وقد أحسن المعرب بهذه التعليقات آيما احسان : أحسن بها الى قومه العرب ، وأحسن بها الى الحق والحقيقة التاريخية ، وأحسن بها الى العلم الذى يجب أن يتجرد صاحبه من نوازع الهوى والتعصب ·

وما أجمل احسان المعرب وهو يصحح خطأ المؤلف المتكرر من أن أبا جهل هو عم النبى عليه السلام ، حتى لقد وضعه فى جدول نسب قريش بجوار حمزة والعباس وأبى طالب وعبد الله وأبى لهب وغيرهم من أبناء عبد المطلب ··· وأوضح المعرب أن أبا جهل هو عمرو بن هشام من بنى عبد الدار لامن بنى هاشم بن عبد مناف · وقد تكرر هذا الخطأ بضع مرات فى بضع صفحات· وصححه المعرب كل مرة ... وقد كان تصحيح المعرب لهذا الخطأ فى شيء من الغيظ ، والحق أنه لما يغيظ أن يخلط مؤرخ بين أبى جهل وأبى لهب ، ثم يزعم لنفسه العلم والدقة والمنهج العلمي، ويحمل فى الوقت نفسه على مؤرخى العرب ويتهمهم بعدم الدقة وتحرى الصواب ·

ومن احسان المعرب تصحيحه (صفحة ٦١) لما زعمه جلوب من اسم زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم السيدة خديجة ، فقد ذكر أنه زيد بن الطفيل · فخلط بين نفيل وطفيل ، وهو وهم كبير ...

ومن احسان المعرب تصحيحه لعدد النفر من الخزرج الذين عرض النبى نفسه عليهم قبيل مؤامرة قريش على مقتله · فقد ذكر جلوب (صفحة ٧٢) أنهم سبعة من رجال يثرب ، فصححها المعرب بأنهم ستة رجال لاسبعة · كما قالت كتب السيرة · والمعرب على حق ، فقد عدهم ابن هشام بضبط الحروف والعبارة ، وقال « ان عددهم ستة كما ذكر لى » ، ثم أخذ ابن هشام بعد ذلك يذكر أسماءهم واحدا واحداً ، وأسماء آبائهم وأجدادهم وينسبهم الى قومهم (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨) · فلما جاء المرحوم الأستاذ محمد رضا يعدهم فى كتابه النفيس : « محمد — طبعة عيسى الحلبى » زاد عليهم أبا واحد منهم ، على سبيل التداخل فى الأسماء ، فكان بذلك عددهم سبعة مع أنهم ستة· ومن هذا المأتى انزلق جلوب الى هذا الخطأ الذى يؤكد لى أنه اعتمد على كتاب الأستاذ محمد رضا·

والحق أن حسنات المعرب فى هذا الكتاب كثيرة ، وخاصة فى رده على مزاعم المؤلف ومفترياته ومغامزه التى لاتقف عند حد · ففى صفحة ١١٦ يتهم أتباع النبى بالاغتيال واللجوء الى وسائل الارهاب · ويزعم أن النبى عليه السلام أوفد الى مكة رجلا لاغتيال أبى سفيان ولكن الخطة لم تنجح · ويناقشه المعرب فى هذا ويكشف عن حقده الدفين للاسلام واخفائه غدرات المشركين ·

وفى صفحة ١٢٦ يجترىء المؤلف الانجليزى فى قحة فيزعم أن محمدا لم يكن فى الحقيقة قائدا عسكريا ذا مواهب عسكرية بالغة ... فيعقب المعرب على ذلك بكلام وجيز دقيق ، ولو شئنا أو شاء المعرب أن يطيل لأشرنا الى كتاب «العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول » للضابط محمد فرج ، فهو ثمين منصف فى هذا الموضوع ·

وفى صفحة ١٢٩ يثير المؤلف الحقود شكوكا حول الرسل والرسائل التى بعث بها النبى عليه السلام الى الأمراء والملوك · فلا يسكت الأستاذ خيرى حماد على هذه الجراة الباطلة ، ويعقب متسائلا عن علة التشكيك فى هذه الرسائل التى أجمعت كتب السيرة والتاريخ الاسلامى على وجودها ونقلت نصوصها · وأسماء الذين حملوها وسفروا بها ، وكيف استقبلها الملوك وردوا عليها. ويقول المعرب بعد تعليق طويل ممتع : (هل يمكن

لمؤرخ يدعى الموضوعية أن ينكرها الا اذا كان يريد المغالطة ويريد التشكيك فى صحة التاريخ الاسلامى ؟) .

وفى صفحة ١٥٠ يكرر المؤلف الحقود تلك النغمة المرذولة والشنشنة التى نعرفها من أخزم... من اتهام النبى بأنه كان مزواجا محبا للنساء... فيرد المعرب على هذه التهمة التى طالما استخدمها أعداء الاسلام للطعن فى نبيه ، وبهذا ينسحب الطعن الى الاسلام نفسه ، وهذا هو هدفهم الذى لايغفلون عنه ، وداؤهم الذى لايبرءون منه ...

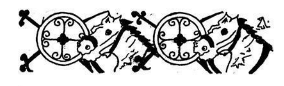
وهكذا يمضى المعرب فى احسـانه بردوده ودفاعه فى صفحات كثيرة (انظر على سـبيل المثـال ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢١٠ - ٢٣٤ - ٢٤٩ - ٢٩٢) .

على أن تحمس المعرب للرد على جـلوب وتخطئته وتوهين كلامه قد جره بعض الحين الى أن يعارض المؤلف دون أن يكون بين يديه دعامة من دليل ، أو سند من حجة ، حتى لقد يركب فى ذلك مركبا يخالف المنهج العلمى الذى يسير عليه العلماء حين يؤلفون أو حين يناقشون :

● ففى صفحتى ٨٥ ، ٨٦ أشار المؤلف الى حادث تأبير النخل - أى تلقيحه - الذى وقع من النبى عقب هجرته الى المدينة ، فقد لاحظ عليه السلام أن أهل المدينة يؤبرون نخلهم ، فمنعهم من ذلك . ولما لم تثمر النخيل عاد فصرح لهم بالتأبير ، فانهم أعلم بشئون دنياهم . وقد علق الأستاذ خيرى حماد على هذه الحادثة بأنها (لم ترد الا فى كتاب واحد من كتب التاريخ الاسلامى، فى حين لم تشر اليها كتب السيرة الصحيحة ، مما قد يوحى باختلاقها من قبل بعض الشعوبيين).

وفى هذا التعليق تهجم من الأستاذ المعرب المعلق على العلم وعلى التاريخ وكتب الحديث الصحيحة. فقد وردت هذه الحادثة - التى سماها المعرب قصة - فى صحيح ابن حبان ، وهو من أوثق كتب الحديث ، هكذا : (قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل - أو يلقحون - فقال : ماتصنعون ؟ قالوا شيئا كانوا يصنعونه، فقال : لولم تفعلوا لكان خيرا ، فتركوها فنفضت - أو نقصت - فذكروا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : انما أنا بشر ، اذا حدثتكم بشىء من آمر دينكم فخذوا به ، واذا حدثتكم بشىء من دنياكم فانما أنا بشر) . وهذا الحديث رواه أيضا الامام مسلم (ج ٢ : ٢٢٣) وقد روى هـذا الحديث باسناد آخر ، وجاء فيه قوله عليـه السلام : أنتم أعلم بشئون دنياكم . رواه الامام أحمد بن حنبل فى المسند (جـ ٦ : ١٢٣ طبعة الحلبى) . وفى المسند طبعة دار المعارف بتحقيق المرحوم أحمد محمد شاكر (جـ ٢ حديث رقم ١٣٩٥) ، ورواه ابن ماجة فى سننه(جـ ٢ : ٤٨)، ولم ينكر أحد من علماء المسلمين هذا الحـديث الثابت الصحيح ، بل استند اليه بعضـهم فى اثبات سلطان العقل للعلوم الدنيوية التى لا شأن لسلطان الاسلام فيها (انظر كتاب « حرية الفكر فى الاسلام » للأستاذ عبد المتعال الصعيدى - ص ٢٥) ، وقال بعضهم ان الفرق بين شئون الدين والدنيا انما هو فى أمور الصناعات والأمور المادية والتجارب وما اليها ، أما ما يتصل بأمور الناس فى الدنيا ومعاملاتهم فهذا من أمور الدنيا يقينا (انظر صحيح ابن حبان - تعليق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر - ص ١٥٧) .

● ومن التعليقات التى تهجم فيها المعرب على العلم بدون حق ولاسند ولامعرفة انكاره فى صفحة ٣٣٦ ما قرره الخليفة عمر بن الخطاب من « عدم السماح لغير المسـلمين بالعيش فى الجزيرة العربية » ، فقد أنكره المعرب وعلق عليه قائلا: «لا أدرى من أين جاء المؤلف بهذه الرواية ؟» كما أنكر أن عمر استند فى قراره الى حـديث للنبى عليه السلام على فراش الموت . والمسألة حقيقة تاريخية ثابتة لاتحتاج الى مثل هذا الانكار من المعرب . فقد ذكر المقريزى فى كتابه « امتاع الاسماع : ٥٤٦ » أن بعض نسـاء النبى كن يتذاكرن فى مرض وفاته كنيسة رأيتها فى أرض الحبشة وعليها تصاوير ، فأنكر عليه السـلام التصاوير والقباب ، وقال : (لايبقين دينـان



بأرض العرب) . وفى صحيح البخارى (ج ٦ ص ٩) أن النبى عليه السلام أوصى فى مرضه الذى توفى فيه بثلاث وصايا . أولها : (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب) . وفى مسند ابن حنبل عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع الا مسلما) .

والحديث الذى استند اليه الخليفة عمر فى اخراج المشركين من الجزيرة العربية ، والذى لم يقع للأستاذ المعرب ، فجره الى الانكار والاستفهام والافتاء بغير علم — من الأحاديث الصحيحة الثابتة ، وقد جاء فى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والدارمى ومالك وابن حنبل والطيالسى .

● ومن انكارات المعرب التى لم يستند فيها الى علم ما جاء فى صفحة ١٤١ خاصا ببيعة النساء يوم فتح مكة وحديث هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان مع النبى عليه السلام وهى مختمرة ، فقد علق عليها المعرب قائلا : (انه لم يستطع العثور على تأييد لهذه الرواية فى كتب السيرة). والسيد خيرى حماد يعلم أن سيرة ابن هشام ليست كل كتب السيرة ولا مصدر أخبارها الوحيد ، ففى كتب التاريخ الوثيقة أخبار لم تات فيما وصل الينا من كتب السيرة ، ومنها هذا الخبر الذى رواه المقريزى المؤرخ فى كتابه «امتاع الأسماع » ، وهو حجة فى سيرة الرسول عليه السلام ، وفيه أخبار لم تات فى كتب السيرة . والخبر كما أورده المقريزى طريف (جـ ١ ص ٣٩٢) ، وقد نقله الأستاذ المرحوم محمد رضا مؤرخ السيرة المعاصر فى عبارات أخر ، ولعله استقاه من مصدر آخر غير الامتاع للمقريزى (انظر « محمد » — لمحمد رضا — ص ٤٣٤ — طبعة عيسى الحلبى) .

● وفى صفحة ٦٠ يذكر جلوب الانجليزى نقلا عن بعض المصادر العربية الاسلامية أن زيد ابن حارثة مولى النبى عليه السلام ينتمى الى قبيلة « أضرة » العربية المسيحيه التى كانت تقيم فى جنوبى سوزية ، فيعقب الأستاذ المعرب على هذا أن مؤرخى العرب أجمعوا على أن زيدا من بنى كلب لامن بنى أضرة . وفى هذا الكلام بعض الحق ... وان كان الحق أن المؤرخين والنسابة قد اختلفوا فى نسب زيد بن حارثة اختلافا كبيرا، فهو عند ابن سعد(زيد الحب بن حارثة، بن شراحيل، ابن عبد العزى ، بن امرىء القيس ، بن عامر ، ابن النعمان ، بن عامر ، بن عبدود ، بن عوف ، ابن كنانة ، بن عوف ، بن عذرة ، بن زيد اللات، ابن رفيدة ، بن ثور ، بن كلب ... الى أن يبلغ به يعرب بن قحطان) ، ويزيد بعض المؤرخين كعبا بين شراحيل وعبد العزى (انظر محمد رضا ص ٩٠) . ويقول المعرب انه كان يسمى زيد بن حارثة الكلبى ، ونقول له نحن أيضا ان بعض المؤرخين سماه : زيد بن حارثة الكعبى . فهو تارة كلبى ، وتارة كعبى ...

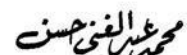
● وفى صفحة ٤٠ مثال لاصرار المعرب على تخطئة المؤلف حتى ولو كان على صواب . فقد ذكر جلوب أن تيتوس الامبراطور الرومانى طرد اليهود من القدس فى عام ٧٠ للميلاد ، ولكن المعرب يناقضه قائلا : الصواب عام ٧٩ ميلادية. ولا أدرى علام يستند المعرب الى هذا ؟ فكل كتب التاريخ ودوائر المعارف — مابين أجنبية وعربية — تؤرخ هذا الحادث سنة ٧٠ م لاغير (أنظر تاريخ العرب للدكتور حتى جـ ١ ص ٨١ و NEWS OF THE WORLD صفحة ٤٨ ، وموسوعة NUTTAL مادة TITUS و «معلمة لاروس » وغيرها .

● وفى صفحة ٣٨ يذكر المؤلف الانجليزى أن الجنوب العربى كان من مستعمرات الفرس فى القرن السادس الميلادى ، ويصحح المعرب هذا منكرا أن يكون الفرس قد استعمروا الجنوب العربى ، ولكنهم (حاولوا استعمار اليمن وحكمه ، ولكن أيامهم فيه كانت معدودة) . وكلام المعرب هنا يحتاج الى شىء من البيان الدقيق ، فان سيف بن ذى يزن لما استعان بملك الفرس لطرد الأحباش من بلاده ، أمده هذا بجيش فارسى بقيادة « وهرز » سنة ٥٧٠ م فهزم الأحباش وطردهم من اليمن ، ولكن الفرس حلوا محل الأحباش ، وكانوا يتدخلون فى شئون

اليمن حتى جعلوها ايالة فارسية خاضعة لسلطانهم ، وظلت كذلك حتى سنة ٦٢٨ م حين اعتنق « باذان » – عامل الفرس على اليمن – الاسلام فى عهد النبى عليه السلام ٠ ومن هنا ندرك أن اليمن ظلت أيالة – أو مستعمرة فارسية مدة ثلاثة وخمسين عاما ٠٠

وبعد : فهذه أمور ومسائل أقف فيها موقف المخالف من الأستاذ خيرى حماد ، وهو خلاف نرجو من ورائه الوصول الى الوفاق ، والى الحق الذى نهدف له جميعا ، ونسعى اليه ، ولا أحسبه الا حريصا عليه ، حفيا به ، فان العلماء الحقيقيين لايغضبون حين يوجه النقد اليهم ، ولكنهم – على الأقل – يرحبون لأن الناس يقرءون لهم ، ويهتمون بهم ، ويصبرون على معاناة البحث معهم ، تقديرا منهم لجهدهم ، ومعاونة منهم لهم فى الزام الحجة، ووضوح المحجة ٠

والله يوفق خطوات مترجمنا العربى الكبير٠





سطور من كتاب ....

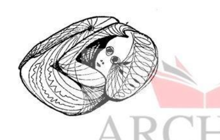
ومن عجائب الأقـــدار أن الله نجى موسى بالبحر من فرعـون ، وأغرق فى البحر فرعون على يد موسى ومغزى هذا أن الله يعبـد للظالم قذيفة من صنع يده ، وأنه يتخذ للظالم مقبرته التى تواريه مما كان يعـير به فرعون موسى ٠ فكان موسى قذيفة أطاحت بفرعون وعرشـــه ، وتعاظم فرعون بالأنهار تجرى من تحته فابتلعته البحار ، وفى هذا أكبر عبرة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ٠

٠٠٠ الى القرآن الكريم



كتابة التراجم من أهم فنون الكتابة وأنفعها للقارىء ، لأنها تتناول من الحياة ألوانا متعددة، وتطلعه على أنواع من التجارب التى مارسها كل مترجم له ، فتكسبه ثروة وافرة من المعارف لاتتاح له فى غير قراءتها ، وتكشف له عن عدة أمور غامضة، وقد تحل له عدة مشاكل من مشاكل الحياة التى صادفها غيره ، وتنير له سبيل النجاح وطريق الفشل ، ويهتدى بها الى خير المبادىء التى ينبغى أن تكون دستورا لحياة الكرامة والحرية، وحياة الشرف والأستقامه ٠

وقد كان المعروف أن أعلام العلم والفن والاجتماع لايكتبون عن أنفسهم ولا يترجمون حياتهم ، وانما يترجم لهم غيرهم ممن عرفوهم أو درسوا آثارهم ٠ ولكننا رأينا فى العصر الحديث طائفة منهم ترجموا لانفسهم تراجم شائقة ولاريب أن هذه التراجم التى يكتبها أصحابها خير من غيرها للتاريخ وللمؤرخين ، بل للعلم والفن ، لأنها تعطينا الخطوط الصادقة لحياة المترجم وأعماله وتجاربه ٠ وهو أصدق راو عن نفسه ، وأصح ثقة فيما يقول عن حياته ، وخصوصا اذا كان دقيقا فى روايته ، صريحا فيما يعرضه لقرائه ، متوخيا الفائدة العلمية والأدبية والاجتماعية ٠

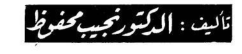


وهذا ما نراه فى هذا الكتاب الجديد «حياة طبيب» ٠ فقد توخى فيه الدكتور نجيب محفوظ أن يسجل صورا كاملة لحياته وللاحداث التى مرت به منذ ولد فى الخامس من يناير سنة ١٨٨٢ م فى مدينة المنصورة الى اليوم ٠ وذلك فى أكثر من خمسة وثلاثين فصلاً تضمها مائتان وخمس وثمانون صفحة كبيرة ٠ وهى مزيج من الذكريات الشخصية والذكريات العامة والنظرات العلمية والتجارب الطبية التى مارسها أو مرت به فى مدى عمره المبارك ، وكان لها أثرها العظيم وقيمتها التاريخية فى الفن الذى تخصص فيه ٠ وهو « طب الولادة وأمراض النساء » ٠

ولهذا كان للكتاب قيمته العلمية التى تستحق الدراسة ، ولمؤلفه واجب العناية بحياته الممتازة ، فهو ليس طبيبا فحسب ، ولا عالما فحسب ، بل هو نطاسى نابغ متخصص جدير بان تسجل حياته وتدرس ليستفيد منها شباب الجيل ٠

فقد حصل على مؤهلات طبية ، وتقدير علمى دولى ، وجوائز علمية فى مصر والخارج لم يحصل عليها طبيب فى « طب الولادة وأمراض النساء » حتى الآن ٠ وقد ألف ستة مؤلفات نفيسة بالعربية والانجليزية فى هذا الفن منها : « الثقافة الطبية والطب البشرى عند العرب » ٠ و « الموسوعة العلمية فى أمراض النساء والولادة » ٠ وهى فى ثلاثة مجلدات تبلغ ١٣٥٠ صفحة وكتب أكثر من خمسين بحثا طبيا فى المجلات الطبية العالمية ٠ وهو أول من أسس « قسم أمراض النساء والولادة » بالقصر العينى ، وأول من أسس أول





الناشر : دار المعارف
بالاشتراك مع المؤلف
٢٨٥ ص قطع كبير

عيادة للحوامل فى مصر وأول مركز لرعاية الطفل ، ومدرسة الممرضات والمولدات ، وأول متحف للولادة وأمراض النساء على نفقته الخاصة، ثم أهداه للدولة • وقد قام بتأليف « جمعية الولادة وأمراض النساء المصرية » التى تقوم بدور هام فى البحث العلمى والثقافى والخدمات الطبية - هذا الى مااشتهر به من نبوغ فى علاج المريضات وانقاذهن من الموت •

ولذلك تبوأت حياة الدكتور نجيب محفوظ مكانتها التاريخية • وقد أحسن كل الاحسان فى كتابتها بنفسه • ورسمها رسما دقيقا يتفق ودقته فى فنه ، وأعطانا نفسه وأعماله شرحا وتحليلا لكل مارآه وشاهده ، بل شرح حياته تشريحا تاريخيا ، فلم يترك شيئا الا وضحه وفسره بأسلوب سلس جميل مع الايجاز والتركيز والأفادة العلمية والاجتماعية •

ومن الغريب أن هذا الطبيب النابغ الذى أنقذ آلاف الأطفال من الموت عند الولادة ، قد ولد هو بحالة أيقن الدكتور ومساعدته اللذان قاما على ولادته أنه فقد الحياة ، فهو يقول فى حادث ولادته :

« بعد تسعة أشهر كاملة قضيتها فى بطن أمى ، فى عالم الظلام ، خرجت الى عالم النور فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٨٨٢ م • وكان اليوم يوم الخميس ، ولم استقبل عالم النور بالبكاء والصياح، ولم تكن يداى مقبوضتين، كشأن الطفل ساعة يولد ، بل كنت مسترخيا كل الاسترخاء ، لانبض ولاتنفس وذلك مايسمونه فى الطب : « اسفكسيا بيضاء » • وهى أسوأ درجات الاختناق الشديد • فقد لبثت والدتى فى مخاضها ثلاثة أيام بلياليها وكنت وليدها الثامن • وهى يومئذ فى الخامسة والأربعين • وقد قررت الحكيمة « بهانة » وزوجها « الدكتور منصور » • وهما اللذان لازما والدتى فى مخاضها الطويل ان المولود فقد الحياة ، فوضعت فى صينية بجانب نافذة مفتوحة ، ولم يقطع حبلى السرى ، الى ان جاءت خالتى السيدة «هنا»، وأسرت الى الحكيمة أن المولود يتنفس على ضعف فعملت الحكيمة على انعاشى بما تعلم من الوسائل، ولكن تعرضى للهواء البارد أمام شباك مفتوح ، والشتاء فى ابانة ، كان له فى صحتى أثر سىء عانيت منه شهرين ، بل أكثر •

« وهكذا استقبلت الحياة برضا واستسلام• وبودى حينما يسترد الله وديعته أن أتلقى ذلك بابتسامة وثقة ورجاء •• »

وقد تحدث الدكتور نجيب عن ذكريات الطفولة والتربية المنزلية ، وعن الدراسة ، ووصف لنا مدرسة الطب ، وقصر العينى منذ ستين عاماً • وجهاده وهو فى السنة الرابعة النهائية من مدرسة الطب فى مكافحة وباء الكوليرا الذى دهم البلاد المصرية فى سنة ١٩٠٢ م، وكان له الفضل فى اكتشاف البئر الموبوءة فى

قرية « قوشا » بميكروب هذا الوباء ، حتى أمكن القضاء عليه فى الصعيد •

وحينما وصف مدرسة الطب أثناء دراسته مع زملائه فى المدرســـة لم يفته أن يتحدث عن حالتها الاجتماعية الى جانب حالتها العلميـــة ، وما شاهده من مزالق الأخــلاق بين الطلبــة والطالبات على الرغم من أنه كان فى المدرسة وقتئذ قسمان : قسم للرجال ، وقسم للحريم • وكانت الطالبات وقتئذ يلبسن فى المدرســة البرقع الأبيض المعروف باسم « اليشمك » • ومع ذلك فان التقسيم بينهن وعدم الاختلاط الدائم لم يمنع من وقوع أخطاء خلقية • وقــد روى الدكتور صورة مما وقع فى ذلك الزمان فقال :

« كان عمل الطلبة فى المستشفى موزعا بين قسم الرجال وقســـم الحريم ، فمن حقهم فى ساعات العمل المعينة أن يدخلوا قسم الحريم لتسجيل المشاهدات فكان ذلك مدرجة للاختلاط بين الطلبة وطالبات مدرســة التمريض اللائى كن يقمن بعمل الممرضات ، وكانت الطالبـات يغطين وجوههن بخمار أبيض (يشمك) • ومما يؤسف له حقا أنهن لم يكن جميعا يؤثرن الحشمة والتزام الحياء • وكان بعض الطلبة يبـــادلون بعضهن المداعبات والمغازلات • وقد سقط فى شباكهن نصف الطلبة • وكانت بينهن اثنتان من ذوات الجمــال والاغراء ، وانتهى الأمر بأن اختص كل طالب بواحدة من هؤلاء الطالبات • وكانوا يظنون أن أمرهم يبقى مكتوما ، ولـــكن سيرتهم افتضحت فى داخل المستشفــى وفى خارجه •• !!

«واذا كانت قدماى لم تنزلقا فى هذا السبيل، فالفضل فى ذلك يرجع الى النصائح التى كانت تتعهدنى بها أمى فى صباى ... »

وهذا الحادث يدلنا على أن الحجاب والتحفظ فى الاختلاط ولباس اليشــمك وارتداء الملابس الطويلة الكاسية لم يمنع ذلك كله من الوقوع فى هذه المزالق •

وانما المعول فى التمسك بالاخلاق الفاضلة فى دور التعليم والأماكن الأخرى ، على التربية الاخلاقية التى تعصم من الانزلاق فى مثل هذه الأخلاق التى تنافى كرامة العلم والتعليم ، وتسىء الى الآداب العامة •

وقد روى الدكتور نجيب عدة أحداث وقعت له فى علاجه للمرضى ، وعدة أخطار تعرض لها أثناء عمله أو فى حياته الاجتماعية ، أو فى أثناء سفره فى الخارج • وما شاهده من الأحـداث الخارجة التى يعجز العقل عن تفسيرها •• قال:

« صادفنى كثير من الأحداث الخـــارقة ، تخـــالف المألوف ، وتخرج على السنن الطبيعية المعهودة • وقد عجزت عن ان أجد لها تعليـــلا يقبله العقل ولم يهتد العلماء بعد الى ما يكشف لنا الغامض من أسرار المخ ، ومدى امكانياته...»

ثم روى عدة حوادث من هذا القبيل • نذكر منها هذه الحادثة :

« حدث أثناء الحرب العالمية الأولى أن سيدة فرنسية • وهى زوجة أحد رجال السلك السياسى فى سفارة فرنسا بمصر ، أصابها ما يستدعى اجراء جراحة كبرى ، فأدخلتها المستشفى • ولما شرعنا فى تخـــديرها بمزيج من « الكلوروفورم والأثير » هاجت وجعلت تغنى باللغة العربية فى لهجة تونسية قائلة :

« يابنت يابيضـــا وجننتينى
جبت النبيت الأبيض وسكرتينى»

« ولما عادت السيدة الى سريرها بعد انتهاء الجراحة ، ذهبت اليها للاطمئنان بعد أن أفاقت من المخدر ، وقلت لها باللغة العربية : «مبروك» فلم تفهم قولى ، فذكرت لزوجها ما كان من غنائها باللغة العربية أثناء التخدير ، فقال : « لعل السر فى ذلك أنها ، وهى طفلة منذ عشرين سنة ، عين أبوها فى منصب بالسفارة الفرنسية فى تونس، فاستأجر لطفلته مربية عربية تونسية • وبعد أربعة أعوام ، عادت الأسرة الى فرنسا ولم تغادرها ، فلابد أن الفتاة تعلمت من حاضـــنتها التونسية بعض الأغانى العربية فى تلك الحقبة الماضية البعيدة

« وفى اليوم التالى ذكرت الممرضة للسيدة قصة غنائها بكلمات عربية ، فلم تصدق ، وقالت هذا مستحيل ، ولم تذكر حرفا واحدا من الأغنية التى ترنمت بها فى تخديرها » !

ويفسر الدكتور نجيب هذه الحادثة « ان

الذاكرة تتألف من « الكترونات » تتكدس فى المادة السنجابية للمخ ، وتظل راكدة حتى ينزاح عنها العقل الواعى فتنطلق » .

ولعله يريد بهذا التفسير أن الأغنية العربية التى حفظتها فى طفولتها السيدة الفرنسية ، ونسيتها بمرور الاحداث والزمن قد اختزنت واختبأت فى الوعى الباطن حتى اذا سكن عنها الوعى الظاهر بتأثير المخدر انطلق الوعى الباطن يخرج ما اختبأ فيه . وهذا ما يفسره علماء النفس بطريقتهم .

وقد ختم المؤلف كتابه بثلاثة فصول تضمنت عدة نظرات كونية وتأملات اجتماعية وآراء فلسفية وأدبية . وهى بهذه العناوين : —

١ — « سر الخليقة » . ٢ — « يد القدر » .
٣ — « الحياة وهل هى جديرة بأن نحياها » .

وقد تحدث فى الفصل الأول عن بعض مشاهداته لسر الطبيعة ، وكيف كان . فى مبدأ دراسته للطب تسيطر عليه شكوك وشبهات تتصل بالعقيدة ومعرفة الخالق . وكان منشأ هذه الشكوك حين تلقى الدرس الأول من الدكتور بيتر Bitter أستاذ «قانون الصحة» . وموضوعه « ان المادة لاتفنى » فقال فى نفسه : اذا كانت المادة تتحلل ، ثم تعود سيرتها الأولى . والمادة الأرضية هى كما هى لاتزيد ولاتنقص الا بما يتساقط عليها من نيازك السماء من حين الى حين — فكيف يقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ؟

وقد استبدت به الحيرة ، ولكنه ما لبث بعد تقدمه فى دراسة الطب أن رسخ ايمانه رسوخا لايتزعزع بقدرة الله العظمى . ووجد فى هذه القدرة المدبرة ما لايمكن ادراكه بعقولنا . وقد ضرب لذلك مثلا بقانون « حفظ النوع » فى الكائنات الدنيا كالميكروبات التى ليس لها جهاز عصبى ولامخ ، وانما هى خلية من «البروتوبلازم» لها خصائص الأجهزة جميعا . ولها أعمال عجيبة فى المحافظة على نوعها — كما أعطانا عدة أمثلة لكائنات أخرى تدل أعمالها وحياتها على وجود اله قادر مدبر قد منحها من الخصائص ما تستطيع به أن تحيا وان تدافع عن حياتها كسائر المخلوقات .

وهنا نعرض لرأى المؤلف فى فصل « يد القدر » . فقد تحدث فيه عن القضاء المحتوم والقدر المكتوب ، فقال : « ... لا أطمئن الى أن الله الذى ليس لكماله حد يعاقب أمرأ على شر فرضه عليه فرضا ولا حيلة له فيه كما أنه لايثيب امرأ على خير لم يكن له فضل فى اختياره .

« والتمادى فى الركون الى أن الانسان لم يكن يستطيع التخلص مما فعل ، يسوغ لبعض ذوى العقول السقيمة أن يترددوا فى مهاوى الرذيلة ، وان ينساقوا فى تيار الغواية ، وفى الحمل على الأقدار سبيل التبرؤ والاعتذار .

« وانما يضع الله أمام الناس طريقين ، ويترك لهم حرية الاختيار وقد أرسل اليهم كلمته ، وفيها يهديهم الى سواء السبيل ، فان سلكوه فلهم فى ذلك فضل ، وان لم يسلكوه فوزرهم على أنفسهم .. »

وهذا تفسير سليم لاريب فيه عند أكثر العلماء . ولكن المؤلف تحدث فى آخر الفصل عما انتاب الشرق من التخلف فى العصور المتأخرة ، وأسند السبب فيه الى اعتقاد الشرقيين بالقضاء والقدر أو بما يعبر عنه مثل عامى يقول : تجرى جرى الوحوش ، وغير رزقك ماتحوش » . ثم نقل كلمة من « كتاب كليلة ودمنة » على لسان الظبى الذى سقط فى الشرك يجيب بها « الجرز » : « وهل ينفع الكيس مع المقادير شيئا ؟ » .

والحقيقة أن تخلف الشرقيين فى العصور المتأخرة لم يكن لاعتقادهم بالقضاء والقدر ، فكلهم يعتقدون بأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وانما تخلفوا فى هذه العصور لتخاذلهم ومنازعاتهم وأطماع أمرائهم وحكامهم ، واسرافهم فى اللهو واللعب وممارسة الشهوات ، وغفلتهم عن توفير العدة والقوة ، وركونهم الى الكسل والتواكل ، وايثارهم للنعومة والرفاهية ، وتركهم للتعاون فى الوقت الذى عمل فيه أعداؤهم فى الغرب

لتوفير أسباب القوة والعدة ووسائل التقدم العلمى والاقتصادى والحربى ·

نعم كان فى الشرق « طائفة الجبريين » ، ولكن هذه الطائفة التى تقول بأن الانسان مجبر فى كل أحواله ، قد انقرضت فى أواخر القرن الرابع الهجرى ولم يبق لها أثر ·

وفى فصل « الحياة وهل هى جديرة بأن نحياها » انتقد رأى سليمان الحكيم الذى حين رأى المظالم التى تجرى تحت الشمس غبط الاموات أكثر مما غبط الأحياء وفضل على كليهما من لم يولد فى هذه الدنيا ·· كما أنه انتقد رأى فيلسوف المعرة الذى قال :

تعب كلها الحياة فما أعـ
جب الا من راغب فى ازدياد

ويقول الدكتور نجيب محفوظ : « والذى أشعر به من صميم قلبى أن الحياة جديرة بأن نحياها ، لما تواتينا به من لذة الكفاح ، وما تمدنا به من كنوز المعرفة وما توقظ به عقولنا وترهف عزائمنا فى كفاح المجهول ·· »

وليس فى الكتاب ما يؤاخذ عليه مؤلفه الا أنه فى بعض فصوله ذكر بعض الذكريات البسيطة الخاصة جدا وبعض الأسماء والتفصيلات اليسيرة التى لا يحتاج اليها القارىء ، وهى ليست جديرة بالذكر فى حياة تاريخية كحياة الدكتور نجيب محفوظ · وقد ختم الكتاب بقوله :

«ولو كان لى أن أوجز خلاصة ما قرأت وما سمعت وما رأيت من طبيعة الخير والشر فيمن صادفتهم من الناس فى حياتى ، لقلت : انى عرفت عمق الهوة التى قد ينحدر اليها من يبتعدون عن الله ، ولا يفكرون الا فى أنفسهم ، كما عرفت سمو الأوج الذى يبلغه من يتجهون الى الله ، ويفكرون فى الآخرين » !

وهذه العبارة تتفق وتلك الحكمة المأثورة التى سجلها على أول صفحة من الكتاب وهى : « اذا لم تكن قد أعطيت الناس نفسك ، فانت لم تعطهم شيئا » ·

طاهر الطناحى

سطور من كتاب ....

ومن هنا نرى أن متطلبات بناء الدولة ،تؤثر فى كل مرحلة من المراحل ، على الشئون الخارجية . فالسياسة الخارجية بالنسبة للدولة الجديدة هى فى الواقع سياسة داخلية ، تتبع بأساليب آخرى · انها سياسه داخلية تنفذ وراء حدود الدولة نفسها · وكثيرا ما تشعر الدولة الجديدة التى تحررت مؤخراً من السيطرة الاستعمارية ، والتى تعى وعيا كاملا عجزها ، بالشك فى فكرة « الاعتماد » اذ أنها تمثل لها خطر تجدد سيطرة القوى على الضعيف ·

... الحياد وعدم الانحياز



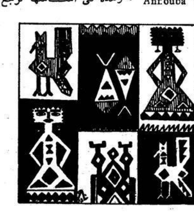
تناول مؤلف هذا الكتاب موضوعا له أهميته وخطورته فى تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فى مجالها الحيوى ، الذى يمتد من العراق شرقا الى ساحل افريقية ، المطل على المحيط الاطلسى - بحر الظلمات - غربا ، وتقبع فى جانب هذه المنطقة الشرقى أمة العرب ، التى أخذت ترسل مجموعاتها القبلية ، بسبب ما أصابها من الجفاف والتغيير المناخى ، الى الاقاليم المجاورة وبخاصة الى الجانب الغربى للبحر الأحمر . ولا شك فى أن اختيار هذا الموضوع لدراسة عالية - (جامعية) كان اختياراً موفقا ، فتح الطريق أمام الباحث الراغب فى الاستزادة ، لمواصلة البحث وتحقيق المصادر والروايات التى جاءت فيها بمقارنة بين مختلف النصوص .

وقد أعطى المؤلف لكتابه عنوانا واضح المعالم ، وهو « الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى » ، وهذا مما يحدد موضوع البحث وهو دراسة دخول الاسلام الى حوض وادى النيل الاوسط وعراكه مع النوبة ، وبخاصة لم تكن الدعوة المسيحية قد دخلت الى هذا الاقليم الا فى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ، أى قبل وصول الدعوة الاسلامية الى نفس المنطقة بحوالى قرن من الزمان ، وتحديد منتصف القرن السادس الميلادى لا ينفى أن المسيحية ، قد دخلت البلاد قبل ذلك ، غير ان هذا التاريخ ، هو الموعد الذى اعتنق فيه البيت الحاكم الدين المسيحى ، أما المسيحية فقد وصلت الى النوبة منذ أول دخولها الى اقليم مصر .

واذا رجعنا الى محتويات البحث نجد ان موضوع الدراسة ، مقسم سبعة فصول ، الاول والثانى منها عن النوبة فى اقليمها وأسمائها المختلفة ، ثم بلاد النوبة قبيل دخول المسيحية ومراحل تاريخها ، ويشغل الفصلان الثالث والرابع موضوع دخول المسيحية الى النوبه ، ثم النظم والحضارة فى ممالك النوبة . وشغلت هذه الفصول الاربع حوالى نصف مجموع الصفحات من الكتاب ، ويأتى بعد ذلك الفصل الخامس عن « النوبة والعرب » ، وبهذا ترك المؤلف لانتقال الحكم الى يد العرب فى مملكتى مقره

(دنقلة) وعلوه ثم قيام دويلات ومشـــيخات اسلامية فى المرحلة الأولى ثم دخول هذه الدويلات والمشيخات فى المرحلة الثانية فى زعامة شيخ لعبد اللاب الذى كان مركز زعامتـــه فى القرى الواقعة عند خانق الســـبلوقة (بين الخرطوم وشندى) وفى المرحلة الثالثة دخلت هـــذه المجموعات وزعامتها فى حلف مع الســـلطان السنارى ، ترك لهذا الموضوع الكبير المتســـع الأطراف حوالى الثمانين صفحة ، أى ربع المجموع الكلى لصفحات الكتاب بما فيها الملاحق والفهارس اللذين يشغلان حوالى الثمانين صفحه ، وهـــذا بلا شك قليل جدا بالنسبة لموضـــوع ، يعتبر الأساس فى البحث المتعدد الأطراف ، ويبدو ان المؤلف له عذره فى هذا الوضع ، وذلك يرجع الى عدة أسباب ، لم يكن من اليسير التغلب عليها ، وهى العدد القليل من المصادر العربيه والأجنبية التى عالجت هـــذه الفترة من الزمن من تاريخ انتشار الاسلام الى حوض وادى النيل الأوسط، وهى لاتزيد عن اثنين أو ثلاثة ، وهنالك عـــدة مقـــالات فى دوريات مختلفة ، مكتوبه بلغـــات أجنبية ، وقد اهتم المؤلف فى الحصول على عدد منها .

وتتعرض فيما يلى الى ما جاء فى هذا البحث، فالمؤلف تحدث فى فصول كتابه الأولى عن جماعة النوبة ، وذكر عددا من الأسماء التى أطلقت على هذه المجموعات ، ومنها نوبا ونوباديا أو نباطيا، وأنوبه Annouba ، وهذه فى أســـاسها ترجع



اصلا الى حرفين ساكنين الباء والنون ، وأشار الى ان هذه المجموعة قد اتخذت من الضفة الغربية لمجرى نهر النيل ، ولم يتعرض المؤلف الى الدور الهام الذى لعبه هؤلاء فى سقوط مملكة مرو ، فقد جاء هؤلاء من الغرب الى هذه المنطقة ، التى يعتقد أنها كانت شمال الخرطوم ، وعندما تكاثرت أعـــدادها وقويت شوكتهم تغلبوا على الأسرة الحاكمة فى مملكة مرو ، فاضطرت الى الخروج من عاصمتها الى الغـــرب ــ فى كردفان ــ حيث اتخذت مقامها ، واشتبك هؤلاء النوبة مع نجاشى الحبشة حيث قام بغزوهم وتخريب مدن مملكة مرو من منطقة بربر شمالا الى علوة جنوبا ، وكان ذلك الغزو فى حـــوالى منتصف القرن الرابع الميلادى، وبهذا يحتمل أن الاسرة التى كانت تحكم مملكة مرو قد خرجت من وطنها فى حوالى نهاية القرن الثالث الميلادى .

كذلك لم يتعرض المؤلف لأصل لفظ نوبة ومترادفاته التى أطلقت على هذه المجموعة ، بل أكتفى باشـــارة عارضـــة الى لفظ نب Nubu فى اللغة المصرية القديمة ومعناه ذهب ، والواقع أن هذا اللفظ لا يمت بصلة الى اللفظ الذى أطلق على مجموعة النوبة ، بل انه لفظ مأخوذ من لغة أجنبية . ليست افريقية حيث تسود عدة لغات ترجع فى أصولها الى مصدر أم واحدة . وهذه اللغة الأجنبية التى أخذ منها هذا اللفظ ، هى لغة الرومان الذين أطلقوا على هذه المجموعة لفظ « نوماد » Namad أى بدو ، ســـكان مشـــارف الصحراء ويمارسون تجـارة التوابل ويقومون بتربية الماعز ، وعرفت هذه المنطقة التى سكنها هؤلاء نوماديا "Nomidia" فى ليبيا . وحـــدث تغيير فى الحرف الساكن الثانى وهو الميم بحرف الباء ، وهذا الاستبدال معروف فى اللهجـــات الحامية المختلفة . وانتقـــل هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم « نوبة » أو مترادفاتهـــا الى حوض وادى النيل جنوب الشـــلال الأول فى ثلاث مجموعات ، جاءت أولاها الى المنطقة الواقعة على ضفة النيل الغربية أمام مملكة مرو ، وثانيتهـــا مجموعة المقرة أو الماكورة التى جاءت الى منطقة «المقرة» أو دنقلة ، ثم ثالثتها مجموعة النوبة التى جاءت من الواحـــات المصرية فى حوالى القرن

الثالث الميلادى بدعوة من دقلديانوس للسكن فى جنوب الشلال الأول للمحافظة على حدود مصر الجنوبية ، أما منطقـة المحس أو أرض الحجر والواقعة جنوب وادى حلفا فسكانها لم يخرجوا من موطنهم كما فعلت المجموعات التى يطلق عليها نوبا أو نوبة ، والمعروف ان هؤلاء النوبا والنوبة قد خرجوا من حوض وادى النيل فى زمن بعيد قبل الميلاد الى الغرب والشمال الغربى ووصلوا الى ساحل المغرب الاقصى وانتقلوا الى جزائر المحيط الاطلسى ، وعادوا بعد ذلك الى حوض النيل بسبب الجفاف الذى حول الأراضى الخصبة الى صحراوات وهبط مستوى المياه الجوفية تدريجيا ، فكان لزاما عليهم ترك الموطن غير الملائم للحياة .

ويذكر المؤلف فى صفحة ١٠ أن أهل النوبة ينقسمون خمس مجموعات رئيسية ولم يذكر سوى أربع مجموعات ، ربما سقطت المجموعة الخامسة على حسب تقديره خلال طباعة الكتاب ، وربما كانت هـذه المجموعة الخامسة هى نوبا جبال كردفان . والملاحظة أن المؤلف قد فصل بين الفادجة والمحس وجعلهما مجموعتين وهم فى الواقع من أصل واحد ولهجتهما متحدة ، ويكونون مجموعة واحدة .

وننتقل بعد هذا الى دخول العرب المسلمين الى حوض وادى النيل الأوسط ، الموضوع الذى خصص له المؤلف الفصل الخامس « النوبيون والعرب » ، واعتمد المؤلف فى بحثه على مصادر كثيرة كانت فى حاجة شديدة الى تمحيصها وتحقيق ما جاء فيها فهى تقول بما يشير الى أن العرب المسلمين قد جاءوا فى كثرة عن طريق برزخ السويس . فاذا أخذنا بعين الاعتبار أعداد القوات العسكرية التى جاءت مع الولاة الى مصر وشمال افريقية عن طريق برزخ السويس ، واسقطنا هذه الأعداد الكبيرة من تقديرنا الكلى لوجدنا أن العرب المشتغلين بالحرف والمهن الذين جاءوا عن هذا الطريق لايزيد عن حوالى عشرة فى المائة من العدد الكلى ، واذا قارنا هذا العدد مع المجموعات التى دخلت حوض وادى النيل الأوسط عن طريق البحر الأحمر مباشرة لوجدنا ان عدد هؤلاء كان أكثر من المجموعات التى دخلت عن طريق برزخ السويس ووجدنا بالاضافة الى ذلك ان هؤلاء الذين دخلوا مباشرة الى حوض وادى النيل الأوسط كانوا من رجال الأعمال ونسبة قليلة منهم من رجال الدين الصوفية .

ونجد أيضا ان معالجة هذا الموضوع كانت على ضوء عدد من المصادر التى لم تحقق نصوصها ، وجعلت ماكتبه المؤلف صورة لما ورد فى تلك المصادر دون الوصول الى رأى بعد تقييم مختلف الآراء والنظريات .

ويقول المؤلف فى صفحة ١٠٧ ما يشير الى أن الاتصال كان قويا بين الجزيرة العربية وبين حوض وادى النيل الأوسط ، وأن العرب قد اتخذوا لهم مراكز على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ومنها توغلوا الى داخل القارة الأفريقية . وطبيعى أن هؤلاء العرب الذين جاءوا الى ساحل البحر الأحمر الأفريقى قد جاءوا عبر زمن طويل بدأ بالقرن الأول الهجرى عندما حاول القراصنة من ساحل البحر الأحمر الافريقى الهجوم على جدة فى عام (٧٠٢ م) وخشى المسلمون أن تمتد يد هؤلاء الى الداخل فتصل الى الأماكن المقدسة لذلك عمدوا الى احتلال مجموعة جزائر دهلك وامتد احتلالهم الى الشاطىء حيث أقاموا مراسى تجارية فى عيذاب وسواكن وباضع ، وكانت بذلك سفن عربية تمخر عباب البحر الأحمر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، وهذا يدحض الرأى الافرنجى القائل بأن العرب كانوا يكرهون البحر والسفر فيه .

ويجدر بنا أن نشير أيضا الى أن دخول جماعات عربية مسلمة قد كان فى القرنين الأولين لظهور الدعوة الاسلامية ، وقد دخل هؤلاء كما يذكر بدج من ساحل البحر الأحمر عبر منطقة مملكة مرو الى علوة والمدن الأخرى على حوض وادى النيل الأوسط وما حواليه . ونشير الى قيام دولة اسلامية فى حوض القاش - فى غرب الارتيريا والتاكة - فى حوالى القرن الرابع الهجرى ان لم يكن قبل ذلك بزمن ليس بالقصير - ويقول ابن حوقل أن سلطان هذه المنطقة ، التى كانت تعرف بارض دجن ، كان مسلما يتكلم العربية

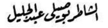
وكانت ولايته عن صاحب علوة المسيحية .

ويقول المؤلف انه قد سمح للعرب المهاجرين والمترددين على سوبا للتجارة وغيرها ببناء مسجد في العاصمة والمعروف أنه كان للعرب حينذاك رباط خاص بهم ، ومن الطبيعي ان بناء هذا الرباط لم يكن في فترة قصيرة من الزمن ، بل كان نتيجة لعمل مستمر لأكثر من قرن من الزمان . ويجمل بنا أن نشير ونحن في حديث عن المسجد ، أن النص الذي نقل عنه المؤلف : عن ترجمة عربية لكتاب الدعوة الى الاسلام لمؤلفه توماس ارنولد ، جاء فيه أن العرب أقاموا مسجدا بينما أن النص في الانجليزية يقول أنهم طلبوا السماح لهم ببناء مسجد ، وهنالك فارق واضح بين طلب السماح بالبناء وبين اقامة البناء ، وبخاصة في بحث علمي .

وننتقل الآن الى الفصل الأخير من الكتاب وهو الفصل السابع الخاص « بسقوط علوة المسيحية وانتشار الاسلام والثقافة العربية » . وهذه نقطة خطيرة وكاملة الخطورة في دراسة مراحل انتشار الرسالة الاسلامية في حوض وادي النيل الأوسط ، الأمر الذي كان يتطلب دراسة للمجتمع وتكوينه وتقاليده وظروف بيئته . فالدمشقي يذكر (١٢٥٦/١٣٢٧ م) أن ملك علوة يسكن مدينة كوسة (قوص الواغلة لا مدينة سوبا أي أن حكومته قد تركت مركزها وذهبت بعيدا في كردفان ، ويضيف المؤلف « وعلى الرغم من انتقال العاصمة من سوبا الى كوسة واستيلاء القبائل العربية على معظم أقاليم علوه ، فان هذا لايعني سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل . ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الاقاليم لأسباب واضحة منها « عدم انقياد بعضهم الى بعض ، فصاروا شيعا لهذا العهد – (ومصدره في ذلك قول ابن خلدون العبر ج ٥ ص ٤٢٩) وهذا في الواقع في حاجة الى دراسة جديدة ، فالعرب الذين يشير اليهم ابن خلدون هم عرب البادية ، أما الجماعات العربية التي أقامت الحكم في حوض وادي النيل الأوسط – وبخاصة في منطقتي البسطانة والنيل الازرق قد جاءوا من الساحل الافريقي الشرقي عبر أثيوبيا وغيرها ومارسوا الحياةالتجاريةوخبروها كما مارسوا تقاليد وعادات تجارية هامة . ويقول المؤلف أن ظهور عدة ممالك ومشيخات اسلامية في حوض النيل الاوسط كان له آثار خطيرة في تطوير الحياة الاجتماعية والسياسية كذلك ، مما ساعد على زوال الأسس التي قامت عليها المملكة المسيحية » وهذا القول الذي جاء في صفحة ٢٠٤ يدحض قول ابن خلدون بأن العرب كانوا شيعا لهذا العهد كما جاء في صفحة ٢٠٣ والمؤكد أن خروج ملوك علوة الى كردفان واتخاذهم قوص الواغلة مركزا لهم قد أبعدهم عن الحكم منذ القرن الرابع عشر الميلادي .

أما عن أصل البيت الحاكم الذي جاء الى سنار في حوالي النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي ، فالآراء والنظريات عنهم عديدة ، غير أنه من السهولة بمكان مقارنة هذه الآراء مع التطورات في الاقليم الكبير الذي يمتد من ساحل شرق افريقية وهضبة البحيرات جنوبا الى مصر شمالا ويمتد غربا الى المغرب الاقصى والاندلس وغيرها فان ذلك يمكن من الوصول الى رأى سليم . فالفونج وهم ملوك سنار كانوا من الأمويين وصلوا الى ساحل شرق أفريقية وانتقلوا الى الشمال وتصاهروا مع بيت السلطان مكنز الذي كان يحكم في غرب الارتيريا وهم الذين ورد ذكرهم في المخطوطات المحلية بابناء بيت عين الشمس أو الأونساب نسبة الى حوض نهير أو نسبه الى الذي كانوا يسكنونه قبلا .

ونختم هذا العرض بالشكر للمؤلف على جهده المضنى لاخراج هذا العمل المفيد .





هذا كتاب فى تاريخ الصحافة الأمريكية — تلك الصحافة التى تتمتع بقدر كبير من الحرية يحسدها عليه كل من نزح الى تلك البلاد أو رجع منها . ولا عجب فى ذلك فالصحفى الأمريكى هو الرجل الذى يعيش فى قلب الحياة الأمريكية أكثر من غيره . وهو الرجل الذى يعتبر نموذجا يحتذى فى الصحافة الى يومنا هذا . ثم هو الرجل الذى أتيحت له من الامكانيات المادية والطباعية مالم يتح لسواه .

ويشتمل الكتاب على فصول :

أولها — الصحافة الأمريكية فى عهد الاستعمار البريطانى .

ثانيها — الصحافة الأمريكية فى العهد الجمهورى .

ثالثها ورابعها — الصحافة الأمريكية فى القرن التاسع عشر .

وخامسها — الصحافة الأمريكية فى عهد التكتلات الصحفية أو ما يسميه المؤلف « عهد الامبراطوريات فى ورق الصحف » .

وسادسها — دنيا الأنباء . وأهم ما جاء فى هذا الفصل الأخير حديث المؤلف عن المؤتمرات الصحفية وكيف أصبحت ضرورة من ضرورات « البيت الأبيض » . ثم حديثه كذلك عن رؤساء الجمهورية من زاوية اعلامية .

وختم المؤلف كتابه بكلمة عنوانها : هل يختفى الصحفى ؟ أشار فيها الى المنافسة القائمة بين الصحافة الحديثة والراديو والتليفزيون وأقسام العلاقات العامة فى دور الحكومة والشركات والمؤسسات وغير ذلك من وسائل الاعلام المعروفة فى عصرنا هذا . ثم تساءل بعد ذلك : هل فى استطاعة الصحفى أن يشق طريقه وسط هذا الزحام ؟ وهل هو على دعواه القديمة من أنه يمثل ضمير الشعب وانه معلم هذا الشعب وأنه غيور على حرية الرأى التى يحرص عليها الشعب . غير أن اجابة المؤلف حملت طابع الشك فى صدق هذه الدعوى .

الصحافة الأمريكية فى عهد الاستعمار والسمات العامة لهذه الصحافة

يحرص القارىء دائما على أنه يعرف ماهى أول صحيفة ظهرت فى البلد الذى يقرأ شيئا عن تاريخ صحافته ٠ ويجيب المؤلف عن ذلك بأن أول صحيفة ظهرت فى أمريكا هى صحيفة الحوادث العامة : لصاحبتها بنيامين هيريس :

Public Occurrecies

وذلك فى مدينة بوسطن سنة ١٦٩٠

وكان الطابع العام لهذه الصحافة فى طورها الأول سمات عامة منها :

أولا ـ ان الصحافة الأمريكية كانت تقوم على فئتين من الناس هما فئة أصحاب المطابع ، وفئة مديرى مكاتب البريد ٠ وكان رجال الفئتين معا مدفوعين الى ذلك بعامل الرزق والرغبة فى زيادة الدخل ٠

ثانيا ـ أن صحف العهد الأول انما كانت تصدر فى الموانى الأمريكية ٠ وكان الهدف الأساسى من الصحف التى تصدر فى الموانى هو تزويد التجار بالمعلومات الضرورية عن السفن الآتية عبر المحيط ٠ ثم لم يكن الا بعد منتصف القرن الثامن عشر ان انتقل مركز الثقل الصحفى من الموانى الى المدن ٠ وأصبح لها طابع جديد يخالف الطابع التجارى البحت الذى كانت عليه من قبل ٠ كما أصبحت الصحف تشتمل كذلك على بعض الأخبار المحلية للمدينة ٠

ثالثا ـ دفاع الصحافة فى ذلك الطور عن الحرية ، نعم ساندت الصحف زعماء الحرية من أمثال « چيمس فرانكلين » ، « جون بيتر زنجر »٠ وقد قام الأخير بحملة عنيفة ضد احدى الولايات فقبض عليه الحاكم ومنع المحامين من الدفاع عنه٠ ولكن كبير المحامين فى فيلادلفيا تطوع للدفاع عما سماه اذ ذاك « حق الاعتراض العلنى على مساوىء السلطة » ٠ وقال ان هذه القضية ليست قضية الطابع ولا قضية الصحيفة ولكنها قضية الحرية ٠ ولهذا حكم بالبراءة لزنجر ٠ وكان ذلك أول انتصار لحرية الصحف الأمريكية.

رابعا ـ ومن سمات الصحف فى ذلك العهد كذلك ميلها الى احتذاء صحف انجلترا فى التحرير والاخراج ، ورغبتها فى تقليد كبار الكتاب الانجليز من أمثال : ستيل واديسون وديفو ٠ وكان الصحفى الأمريكى چيمس فرانكلين من أكبر الدعاة الى تلك الحركة ٠

ولقد عرض المؤلف لأبطال الصحافة الأمريكية فى عهد الاستعمار وذكر آكثرهم ٠ ولكن نسى الاشارة الى أخطر ثائر تزعم حركة الدفاع عن القضية الوطنية الأمريكية ٠ ونعنى به « توماس پين » Paine ، ففى سنة ١٧٧٤ وفد هذا الثائر الى أمريكا وقام على تحرير صحيفة (بنسلفانيا ما جازين) ٠ وفيها كتب فى تفضيل الجمهورية على الملكية ، وشن أقوى حملاته على التفرقة العنصرية ، ودعا الى تحرير الزنوج ، كما دعا الى تحرير المرأة ٠ ويقول چورج ڤيل فى كتابه عن تاريخ الصحافة فى أوروبا وأمريكا : ان هذا الرجل لقى من النجاح ما اذهل الثوار أنفسهم وأدركوا معه جميل صنع القدر بهم اذ هداهم الى عبقرى مثله ٠

الصحافة الأمريكية فى العهد الجمهورى

فى عام ١٧٩٨ بدأ حكم الاقطاع ينهار فى أوروبا بعد أن سيطر عليها نحوا من عشرة قرون ٠ ودارت المناقشات حول نوع الحكم الذى يجب أن يسود أمريكا ٠ واشترك فى الجدل كل من هاملتون ، وجيفرسون ، وراندولف وغيرهم ٠ وكانت الصحف جزءا من هذا التطور ٠ وكان عصر الثورة قد جعل من الصحيفة ندوة ٠ وأصبح الصحفى الأمريكى محررا أكثر منه صاحب مطبعة فقط ٠ وأصبحت الدعاية ، فى الصحف وهى الساعد الأيمن لكل نشاط سياسى من جانب الاحزاب والهيئات العامة ٠ وكانت الصحف تحصل على الأموال السرية من هذه الاحزاب ٠ وكانت هذه الاموال تعطى للصحف على أنها معونات مالية ـ لا لشراء ذممها ولكن لمساعدتها على المضى فى خطتها الحزبية وتهيئة المجتمع الأمريكى لتغير أفضل ٠

هنا اتسع المجال لظهور شخصيات جديدة فى عالم الصحافة منها شخصيات بنيامين راسل ٠

وكان من أكبر الدعاه لحركة اتحـــاد الولايات الأمريكية • وقد نشر فى صحيفة رسما يمثـــل « صرح الاتحاد » • وكلما تم تصديق ولاية من الولايات على هذا الاتحاد أضاف عمودا جديدا الى هذا الصرح !

كما شهدت الصحافة الأمريكية كثـيرين من العمالقة والنابغين فى هـــذا الميدان • منهم نوح ويستر الأمريكى ، ووليم كولمان ، ووليم كالين ، وفيليب فرينو • وكان هذا الأخير يمتاز بثقافته الجامعية العميقة • وكان من دعاة الجمهورية • ومن شوامخ الصحافة اذ ذاك «بنيامين فرانكلين» حفيد فرانكلين الكبير • وكان عدوا لدودا للرئيس واشنطون • وكان يقول فيه : اذا كانت هناك أمة يستطيع أن يفسدها رجل فان الأمة الأمريكية قد أفسدها واشنطون » •

الصحافة الأمريكية فى القرن التاسع عشر

بلغ عدد الصحف الأمريكية فى عام ١٨٣٠ سبعمائة صحيفة منها خمس وستون من الصحف اليومية • وفى عام ١٨٤٠ بلغ المجموع ١٤٠٤ منها ١٣٨ صحيفة يومية • أما التقدم الفنى لهـــذه الصحف فكان بطيئا وتحولت المســـتعمرات الى ولايات فقويت الروابط بين الصحافة والسياسة والنهضة وازدادت العنايه بالصحف السياسية• غير ان ذلك لم يؤثر فى حركة الصحف التجارية فان الهيئات السياسية تجىء وتذهب ولكن التبادل التجارى باق الى الأبد • من ثم أصبح ٦٠ ٪ أو ٨٠ ٪ من مادة الصحف اعلانيا بحتا • ومن تلك الصحف التجارية نبعت فكرة الدعوة الى انشاء وطن قومى لليهود (أبنـــاء موسى المنكوبين فى الأرض) • فقد أعلن الصحفى اليهودى نوح عن عزمه على انشاء هـــذا الوطن القومى فى الأرض المعروفة باسم « جراند ايلاند » فى نهر نياجرا •

وبالفعل أنشأ مدينة هناك سماها « ارارات » • ودعا اليهود فى العالم كله اليها فلم يستجب له يهودى واحدا !

وأخيرا نصل الى حركة التجديد فى منتصف القرن • فنجد هذا التجديد أثرا من آثار التقدم الصناعى الذى ساد البلاد بعـــد عام ١٨٣٥ • فتقدمت الصحافة فى اخراجها وظهرت فى صورة جديدة كل الجدة •

لقد كانت الصحف فى العهود الماضية عبارة عن أعمال اضافية يقوم بها أصحاب المطابع ومديرو البريد فى القدر الأول • وعندما اتسع المجتمع الأمريكى فى القرن التاسع عشر ازداد اتجاهه نحو التخصص • فأصبحت هناك صـــحف سياسية وأخرى زراعية وثالثة ادبية أو فنية وهكـــذا • وساعد التقدم الآلى على حرية الصحف • ولكنها حرية لها ثمنها كسائر الحريات الأخرى •

وانتشر البرق وأصبحت المسافة بين أوروبا وأمريكا تقـــدر باثنى عشر يوما فانعم ذلك على الصحافة بنعمة أخرى - عدا الحرية - هى نعمة الجدة • وبدأ الأمريكى فى النصـــــف الثانى من القرن قصة غرامه (بالسرعة) •

وكان من آثار هذا التغير الواسع الذى طرأ على الحياة الأمريكية أن ظهرت الصحافة الزهيدة الثمن - أو - (صحافة البنس) وتسمى كذلك (صحافة الجماهير) • وكانت أول تجربة ناجحة لها فى صحيفة(الفن)لصاحبها بنيامين داى صاحب مطبعة ماساشوستس ولأول مرة فى التـــاريخ قام بتوزيع صحف البنس باعة الصحف فى المدن• وكان هذا تجديدا له جهاد فى عالم الصحافة •

ونبغ فى تلك الآونة عدد كبـــير من رجال الصحف منهم على سبيل المثال : جيمس جوردون

بينيت (أبو الصحافة الحديثة في أمريكا) وصاحب (النيويورك هرالد)التي صدرت في سنة ١٨٢٥.
ثم هوراس جريلي صاحب جريدة النيويورك تريبيون الصادرة في سنة ١٨٤١ . وقد أفلح جريلي هذا في تنبيه العالم الى أنه من الواجب أن تكون للصحيفة اذن تصغى بها لشكايات المعذبين في الارض ، وأن يكون لها قلب تحس به الاضطهاد والاهانة في كل بقعة من بقاع هذه الارض ، وأن يكون لها حس تستنكر به الجرائم التي تحدث في أية لحظة من لحظات الحياة على هذه الأرض»!!

ثم من شوامخ الصحافة في ذلك القرن كولن برابنيت صاحب جريدة اليوست الصادرة في سنة ١٨٢٩ . وكانت هذه الأخيرة جريدةلعلية القوم . وكان توزيعها متوسطا لهذا السبب .
ومن نوابغهم كذلك هنرى رايموند . وهو أشهر من كتب في صحيفة النيويورك تايمز الصادرة في سنة ١٨٥١ . وكان ظهورها حدثا هاما في تاريخ الصحافة .

ومنذ ذلك الوقت أحس الناس أن انشاء جريدة قد أصبح باهظ التكاليف . وهنا اتجه التفكير الى ما يسمى : « بالتكتلات الصحفية » — نعنى ظهور الجرائد والمجلات في كتل تضم كل كتلة منها عددا من تلك الصحف ، يساعد الغنى منهـا الفقير والقوى منها الضعيف دون علم من القراء أنفسهم .

ظهور المندوب الصحفي في الميدان

وقبل الكلام عن هذه التكتلات يجمل بنا أن نشير الى الدور العظيم الذى قام بـه شخص جديد طرأ على ميدان الصحافة وهو « مندوب الأخبار » الذى يجلب لها هذه الاخبار من الأماكن القريبة والبعيدة .

والواقع أنه لم يكن هناك فرق واضح بين صحف الأقاليم والصحف الكبرى غير (الأخبار) وقدرة الصحف الكبرى على تغطيتها الى الحد الذى تعجز عنه صحف الأقاليم ، ثم كانت الحرب الاهلية نقطة تحول في عملية استيفاء الانباء .
فقد ذهب أكثر من مائة مراسل الى ساحة القتال. وانفقت (النيويورك هرالد) وحدها نصف مليون جنيه لتغطية أنباء الحرب . وبظهور مندوب الأخبار ظهر منافس خطير للصحفى الأمريكى سواء كان هذا الصحفى صاحب مطبعة ، أم كان من الكتاب الموهوبين ذوى الثقافة العالية . اذ ذاك كان المندوب الصحفي يتجه الى أن يكون جنديا من جنود المشاة في الخطوط الأمامية لجيش صاحبة الجلالة الصحافة . واتسع المجال أمام هؤلاء المندوبين أو المراسلين لكى يدونوا في السجل الصحافى فصولا هامة في تاريخ الرأى العام الأمريكى .

عصر التكتلات الصحفية أو عصر الامبراطوريات في ورق الصحف

وفي ختام القرن سيطرت على مجالس الصحف طبقة جديدة قل فيها السياسيون والأدباء ، وحل مكانهم أصحاب الملايين ورءوس الأموال . وصادف ذلك تقدم الطباعة . فلم تأت سنة ١٨٩٥ حتى كانت شركة (هو) تملك آلة للطباعة تضم ثمانى اسطوانات كل واحدة منها تتسع لأربع صفحات وتنتج في الساعة أربعة وعشرين ألف نسخة، لجريدة من اثنين وثلاثين صفحة . أما الورق فقد ارتفع انتاجه في نهاية القرن وانخفض سعره . ثم ظهرت آلة اللينوتيب التى تصف الحروف صفا (أوتوماتيكيا) أى تلقائيا ثم ترفع الحروف لتستخدم في السطر . ثم تصب الحروف المستعملة مرة أخرى وهكذا .

لذلك اضطر أصحاب الصحف الى الاستدانة. ولجأوا كذلك الى الاعلان . وظهرت حاجتهم الماسة

الى رءوس الأموال . وبدا ذلهم للقارىء . فراحوا يغرونه بالاثارة ونشر الفضائح الكثيرة . وكان من دعاة هذا الضرب الأخير من الصحف : « جوزيف بوليتزر » فى جريدة (نيويورك ويرلد) الصادرة فى عام ١٨٨٣ . وكان بين رسوم هذه الجريدة رسم يمثل طفلا فى قميص أصفر اللون فضفاض أطلق عليه المحرر اسم « الغلام الأصفر » وهو الذى أوحى بعد ذلك باسم الصحافة الصفراء وهو اسم يطلق على الصحافة التى تبنى على الاثارة .

وفى سنة ١٨٩٥ ظهر لبولتزر ، منافس خطر هو : هيرست مضى فى خطة الاثاره منذ كما تقدمت سنة من عمره وهو يكشف فضائح ١٠ أخطاء الأمريكى ويمثل الصحافة الصفراء فى أزهى صفرتها .

بهذه الطريقة تحول النفوذ الصحفى من كاتب المقال الى كاتب الأخبار - أو على الأصح - كاتب التحقيقات الصحفية وهى الفن الصحفى الذى استحدثه القرن العشرون وأصبحت له الصولة الحقيقية فى ميدان صاحبة الجلالة الى اليوم .

الدكتور عبد اللطيف حمزة



سطور من كتاب ....

عجبت للقوم : أطماع مفرقة
قد ضمها لاغتيال الشرق آراب

ابن البتول الطهور الحى قد نسيت
آلامه ، وتناسى الغدر أصلاب

تحالفت عصبة منهم يقودهم
عاد على الحق نهاز ووثاب

تحالفت وفلول الغدر ، وائتمرت
فالضد للضد أنصار وأحباب

موسى وعيسى براء من شرورهم
فما لهم فى أصول الخير أنساب

... صدى ونور ودموع

بينيت (أبو الـ
(النيويو... في وقت...

...وم عند العرب

تأليف : قدري حافظ طوقان

الناشر مكتبة مصر بالاشتراك مع مشروع الالف
كتاب ٢٣٨ صفحة قطع متوسط



يعرفنا هذا الكتاب بمشاهير علمائنا العرب وما خلفوا من تراث علمي يعتد به · وهو يتكون من بابين قوام أولهما ستة فصول يبين فيها المؤلف مآثر العرب فى علوم الطب والصيدلة والكيمياء والأحياء والفيزياء والرياضة والفلك والجغرافيا، وهي تتضمن مجموعة ما انقسمت اليه العلوم الأساسية فى العصر الحديث ، مما يدرس فى الجامعات . وفى الفصل الأخير من هذا الباب تعقيب طريف عن النزعة العلمية فى تراثنا العربى.
أما الباب الثانى فهو انما يتضمن نبذات موجزة عن مشاهير العلماء من أمثال جابر بن حيـان ، والخوارزمى ، والكندى ، والجاحظ ، وثابت بن قرة ، وأبو بكر الرازى ، والفارابى ، وابن سينا، وابن الهيثم ، والبيرونى ، وابن حزم الاندلسى ، والغزالى، والادريسى، وابن النفيس، وابن البيطار، والطوسى ، وابن خلدون ·

والحق لقد بذل المؤلف جهدا ظاهرا حيـال نقطة بالذات ، وهى أن يدلل بالحجة الدامغة آن العـرب قـاموا بـدورهم فى بنـاء صرح الحضـارة وخـدمة العلم بما تم على أيديهم من أعمال جليلة فى شتى الميادين والمجالات التى كانت بمثابة الأسس التى وضعت بذور النهضة العلمية الحديثة ، وأنهم حملوا راية العلم عالية خفاقة ، وأطلقوا العنان للتفكير الحر السليم ابان حضارتهم وانقذوا تراث الاغريق وغيرهم العلمى من الاندثار ابان العصور الوسطى المظلمة التى شن الغربيون فيها حربا لاهوادة فيها كادت أن تقضى على معالم تلك الحضارات بشتى الطرق ·

وكان الدافع الذى حفزه على كتابة هذا المؤلف القيم الذى يعتد به أعتقاد الكثير من الناس سواء فى الشرق أو فى الغرب أن العقل العربى لم يقدم

فى جميع مراحله خدمات علمية جليلة يعتد بها ، على غرار ما فعل الغربيون على يد أمثال جوهان كبلر ، واسحق نيوتن ، ولوى باستير مثلا . وهو يعزو هذا الجهل لفضل العرب الى تحايل بعض مؤرخى الفرنجة ، اما عن قصد منهم أو عن جهل لديهم ، باغفال هذا التراث ، كل ذلك الى جانب اهمال العرب أنفسهم لتراثهم وتاريخهم المجيد ، اللهم الا اذا استثنينا بعض الكتاب المعاصرين من العرب والفرنجة المنصفين من أمثال سارطون، ونيكلسون ، ودىفو ، وكاجورى ، ووايدمان ، وماكس مايرهوف ، وكمستون ... مما يحملنا على الجزم بأنه لولا جهود العرب التى بذلت فى ميادين العلم والمعرفة لبزغ فجر النهضة الأوربية فى القرن الرابع عشر من نفس النقطة التى بدأ منها العرب نهضتهم العلمية فى القرن الثامن الميلادى .

ومهما يكن من شىء فان الذى يقرأ الكتاب انما يخرج بالنتائج الهامة الآتية :

١ ـ لم يكن العرب مجرد حملة لمشاعل الثقافة الاغريقية نقلوها أو ترجموها دون اضافات أصيلة تمت على أيديهم .

٢ ـ توفرت لدى العرب العقليات التى يعتد بها ، والتى تضاهى ما يفاخر به الغربيون ويضربون به المثل من آن لآخر فى كتاباتهم ومؤلفاتهم . هذا كما ثبت أنهم قابلون تماما لهضم الحضارات المختلفة ومسايرتها ، بما يتوفر لديهم من ذكاء وحيوية وخيال خصب فسيح ، وحرية تامة مطلقة لاتتقيد بعقيدة خاصة ولاترتبط باملاء معين .

٣ ـ كان العرب من ذوى العلم التجريبى ، الذى يقوم على أسس المشاهدة والقياس ، والذى هو دعامة النهضة الحديثة فى أوروبا .

٤ ـ استحدث العرب كثيرا من العلوم كما أنجزوا العديد من الاضافات ، مثل الاحصاء ، والعشرى ، واستعمال الصفر لنفس الغرض الذى نستعمله له الآن ، واستعملوا الجبر بعد أن وضعوا أسسه ، وصاغوا حساب المثلثات فى قالب علمى منظم مستقل عن الفلك ، مما حمل بعض الكتاب على اعتباره علميا عربيا . هذا كما تقدمت العلوم الجغرافية على أيديهم ، بان صححوا أخطاء بطليموس ، وكشفوا عن مناطق لم تكن معروفة فى بعض القارات القديمة . وهم أول من وضع أصول الرسم على سطح كروى . أما فى الكيمياء فقد عرفوا التقطير والترشيح والتبلور ، وكشفوا بعض الحوامض والمركبات الكيميائية . ولهم السبق فى تحضير حامض الكبريتيك ، وحامض الأزوتيك ، وماء الذهب ، والصودا الكاوية . هذا كما حصلوا على الزرنيخ وغيره من المواد التى تستخدم فى الصناعات الحديثة ، لصناعة الصابون ، والورق، والأصبغة ، والمفرقعات ، والأسمدة الصناعية .

٥ ـ لم يقف العرب عند حد الشرح ، بل خرجوا الى منهاج جديد فى بعض البحوث الفلسفية. ولقد سلك فلاسفتهم مسلكا مستقلا غير تابع لما فسر به القرآن .

٦ ـ أما فى مجال الفلك فقد وثبوا وثبات جبارة ، بأن نقلوا كتب الأقدمين من الاغريق والفرس والسريان والهنود ، وصححوا ما فيها من أخطاء مع التوسع الى حد بعيد . وتمت على أيديهم كشوف جليلة ، كان أساسها الرصد الفعلى وليس مجرد النظريات الخيالية . كل ذلك بالاضافة الى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم الذى كان مستحوذا عليه . وهم أول من أوجد بطريقة علمية أطول درجة من خط نصف النهار.

٧ ـ ولم تكن الفيزياء أقل نصيبا من غيرها من العلوم كما يدعى أغلب كتاب الفرنجة. فقد كانوا أول من نادوا بالأخذ بالاستقراء والقياس



والتمثيل ، ولزوم رصد ماهو قائم فعلا فى عالم الطبيعة . وعلى هذا الأساس وصل العرب فى علم البصريات (الضـــوء) الى أعلى المراتب . ويعتبر ابن الهيثم رائد هذا العلم فى مستهل القرن الحادى عشر الميلادى .

٨ ـ انقذ العرب علوم الطب من الاندثار ، وجعلوا الجراحة قسما منفصلا من أقسامها ، وأنشأوا المستشـــفيات . كل ذلك الى جانب تشييد أسس الصيدلة وانشاء مدارسها . وقد استنبطوا العديد من العقـاقير ، وشرحوا طرق استخدامها لمداواة المرضى .

ولقد كانت للعرب أساليبهم المتطورة التى يسلكونها فى كتاباتهم . فهى فى صدر الاسلام غيرها فى العصر العباسى الذى ازدهرت فيـــه العلوم ، الا أنهم تميزوا دائما بالدقـــة وتحرى الحقيقه قدر المستطاع . ولعل الذى أثار فيهم تلك الروح جمع الأحاديث النبوية . هذا كمـا دخلت أصول المنطق الذى نقـــلوه عن الاغريق ضمن أساليبهم ، وسيطرت الى حـــد بعيد على كثير من علمائهم .

وكان طبيعيا أن تتباين الأساليب وتختلف بتباين العلماء والكتـــاب : فمنهم من جمع فى أسلوبه بين الأدب والعـــلم ، ومنهم من تميزت كتاباته بالدقة والوضوح ، كما سار آخرون فى بحوثهم التى شملت مختلف الفروع على منهـاج لايختلف كثيرا عن الطرق الحديثة ، مما يدل على أنهم عرفوا مثل هذه الطرق التى تعد من مبتكرات هذا العصر . وحتى فى البحوث الدينية سلك بعض علمائهم مسلكا علميا فيما وضعوا من رسائل يعتد بها .

وعلى أية حال ، فان أهم مميزات كتاباتهم الجمع بين العـلم والأدب . أو الأدب ونواحى المعرفة الأخرى كالفلسفة والتاريخ . فتجد من بين علمـــائهم من جمع بين روائع الأدب ودقائق العلم ، كما هو الحال فى كتاب الخوارزمى فى الجبر مثلا ، حيث يفرغ المؤلف المادة الرياضية فى أسلوب أخاذ ينم عن أدب رفيع . هذا كمـا أن كتب البيرونى انما تبين فى جلاء ووضـــوح تعانق الأدب والرياضيات ، على غرار ما جاء فى كتابه (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) . وكان للجاحظ فضله على الأدب والفلسفة معـــا ، فرسائله واضحة الأسلوب غريزة المعنى لهـــا مالها من الموضوع والشكل . وحتى رسالته فى الهجاء استطاع أن يجعل لها موضوعا علميا .

وعندما نسير هكذا مع الكتاب من صفحـــة الى أخرى نجد العديد من الأمثلة التى توضـــح النزعة العلمية فى التراث ، العربى ، والميل الى التجديد والتحرر والايجاز والتعمق ، والنظام والجرأة فى الرأى ، والاخلاص للحق والشـــك والتجربة . ومن علمـــاء العرب من تميز فى أسلوبه بالتوفيق بين الشريعة والفلسفة ، كمـا فعل ابن رشد الذى اشتهر بالنقد . وقد اقتبس الغربيون من فلسفته ما حملهم على حل عقـــال أفكارهم ، وفتح أمامهم أبواب البحث والمناقشة، وساعد على ذلك الشك والتجربة اللـذين نادى بهما نفر منهم كما يقول أبو هاشـم النصرى : (الشك ضرورى لكل معرفة) . أما من حيث الدستور الذى وضعه بعض العلماء العرب للبحث العلمى والفلسفى فقد وصفه فريق من العلماء بأنه أسلوب محكم رائع ، وربما كان وليد المنطق الذى ورثوه عن الاغريق ، أى أنه مســـتمد من أصل اغريقى قديم ، الا أنه بطبيعة الحال ليس فى ذلك ما ينقص من قدرهم العلمى ، فالعـــالم دائما انما ينقل عن غيره ويزيد عليه ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ونحن نعود لنؤكد مرة أخرى أنه وجد من بين علماء العرب من كشف عن عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن كما فعل ابن الهيثم فى علم البصريات ، الذى اذا ما عثرنا فيـــه على بعض النقص أو العيوب فذلك أمر طبيعى فى البحث العلمى . أما من حيث التعريف بعلمائنا العرب كما جاء فى الكتاب فهذا أمر يطول شرحه ، ولسنا فى مقام سرد أعمالهم ، ألا أننا نكتفى هنا بسرد ما جاء على لسان بعض الفرنجة والمحققين العرب

١ ـ جابر ابن حيان : (... ان لجابر بن حيان

فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق ...)ـ برتيلو ـ .

٢ ـ الكندى : (... الكندى من الاثنى عشر عبقريا الذين هم من الطراز الأول فى الذكاء) ـ كاردانو ـ .

٣ ـ البتانى : (... من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله) ـ لالاند ـ .

٤ ـ ابن سينا : (... ابن سينا أعظم علماء الاسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين ...) ـ سارطون ـ .

٥ ـ ابن الهيثم : (قلب الأوضاع القديمة ، وأنشأ علما جديدا أبطل فيه علم المناظر ، وأنشأ علم الضوء الحديث ، وان أثره فى الضوء لايقل عن أثر نيوتن فى الميكانيكا) ـ مصطفى نظيف ـ .

٦ ـ الغزالى : (... الغزالى أعجب شخصية فى تاريخ الاسلام ... ـ دى بور ـ .

٧ ـ الادريسى : (... أن كتاب الادريسى فى الجغرافيا أعظم وثيقة علمية جغرافية فى القرون الوسطى ...) ـ دائرة المعارف الفرنسية ـ .

٨ ـ ابن رشد : (... ابن رشد فيلسوف متين متعمق ، صحح كثيرا من أغلاط الفكر الانسانى ، وأضاف الى ثمرات العقول ثروة قيمة لايستغنى عنها بسواها ...) ـ بيكون ـ

٩ ـ الخازن : (... ان كتاب ميزان الحكمة للخازن من أجل الكتب العلمية وأروع ما أنتجته الفرنجة فى القرون الوسطى ...) ـ سارطون ـ

١٠ ـ ابن خلدون : (... ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ . وهى بلاشك أعظم عمل من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان ومكان ...) ـ توينبى ـ .

والنقد الوحيد الذى يمكن أن يوجه الى الكتاب هو الاسراف فى المدح دون ذكر النقائص وتفاصيلها . ولعلنا نلمس من تراثنا العلمى القديم جانبا من المزج بين فروع العلم والمعرفة المختلفة ، الى جانب ما للأوهام القديمة من أثر وعدم الفهرسه السهلة التى تجعلك تقف على ما تريد فى لحظات كما نفعل اليوم فى كتبنا العلمية .

الدكتور محمد جمال الدين الفندى



الشعـــر والتأمل

تأليف : روستريفور هاملتون

كان مؤلف هذا الكتاب أمينا حقا حينما قال فى أول عبارة له من مقدمة كتابه : « منذ فترة لا تزيد كثيرا على عامين خيل الى أنه لا بأس من أن أشتغل بنقد الشعر فى المجالات الأدبية وهى مهمة لم أضطلع بها من قبل ، لذلك أخذت ادرس المبـــــادىء الأولية للنقد .. » ، ولكن أليس من المفزع حقا أن يبدأ انسان لا علاقة له بالنقد فى دراســـة المبادىء الأولية فاذا هو بعد مضى عامين يؤلف كتابا فى النقد يحمل هـــذا العنوان الخطـــير « الشـــعر والتأمل » ؟ وليت الكتاب مع ذلك ينم على التواضع الخليق بمثل مؤلفـــه ؛ فهو يهاجم فى عنف وقسوة الناقد المشهور أ . أ . رتشاردز فى كتابه « مبادىء النقد الأدبى » ويسفـــه آراءه ، حتى ليخيل لقـــارىء الكتاب — حين يفرغ منه — أنه قرأ مقالا مسهبا فى نقد رتشاردز .

ولست أدعى أن رتشاردز فوق النقد ؛ فهو صاحب نظرية قد تقبل وقد ترفض ، ولكن ليس من العدالة أن يتسلق كاتب على كتفيه ثم يقصم ظهره . ورحم الله شاعرنا القديم حين قال :

أعلمـــه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

غير أن هاملتون — مؤلف الـــكتاب — لم يكن ساعده قد اشـــتد حين رمى رتشاردز بالجهل والخطأ » ولـــكنها — للأسف — آفـــة الاشتغال بالنقد ؛ فما أيسر أن يقرأ انسان كتابين أو ثلاثة كتب فى « المبادىء الأولية » للنقد حتى ينصب نفســـه ناقدا ومؤلفا فى النقـــد ، وحتى يقذف الرؤوس بالحجـــارة . وكان أولى بهـــاملتون أن يتريث كثيرا قبل أن يقدم على التأليف فى نظرية الشعر حتى تنضج فى نفسه الخبرتان التجريبية والتحصيلية على السواء .

لقد كان طموح هاملتون فى هذا الكتاب أكبر من قدرته ؛ فقد أوقع نفسه فى ميدان تلتقى فيه دراســـات شتى ، جماليـــة ، ونفسية ، وخلقية ، واجتماعية ، فضـــلا على الخبرات الفردية الـــكثيرة فى هـــذا الميدان ، الناتجة عن التجربة العمليـــة . ولهذا كان طبيعيا أن نجده كثير الاضطراب فى هذا الميدان الزاخر بالمعرفة والخبرة ، يريد أن يشق لنفسه فى هذا الزحام طريقا ولكنه ما يكاد يخطو خطوة حتى يتراجع خطوتين ، ويظل هكذا حتى اذا اجمل لنـــا فى النهاية وجهة نظره أحسسنا أنه يقـــدم الينا مسلمات أوليـــة أو بدايات افكار تحتاج الى متابعة وتعميق وتأصيل .

وبسبب هذا الاضطراب وعدم وضوح الرؤية وتسلسل الفـــكرة اكتسب الـــكتاب شيئا من الصعوبة ؛ فكثير من الفقرات ، بخاصـــة تلك التى يناقش فيها رتشاردز ، يصعب الخروج منها بفـــكرة أو رأى أو معنى واضح ، بل اننـــا لا ندرى فى بعض الأحوال أهو ينقض ما يقول به رتشاردز أم يأخذ به . وقد يخطر لنا هنا دور المترجم ، فنتوقع أن الترجمة ذاتها كان لها دخل فى هـــذا الاستغلاق ، وهذا شىء لا يمكن أن ننفيه ، وسوف نرى أمثلة تؤكده ، ولكن المؤكد كذلك أن المؤلف نفسه لم يكن واضحا فى تفكيره وفى مناقشاته الجزئية ، فى المادة التى بنى منها فصول الـــكتاب ، وان كان واضـــحا فى النتائج التى لخص بهـــا الكتاب . وطبيعى أن وضوح النتائج لا يشفع لغموض المقدمات ، فربما كانت

ترجمة : الدكتور محمد مصطفى بدوى

مراجعة : الدكتورة سهير القلماوى

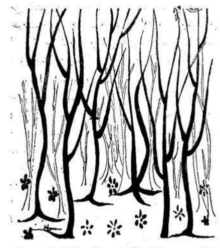
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، ٢٣٠ ص قطع متوسط ، ث ٢٥ قرشا .



طريقة استخراج هذه النتائج اهم لدينا من النتائج ذاتها ، بخاصة اذا كانت هذه النتائج — كما قلنا — لا تعدو أفكارا أولية فى النقد بعامة وفى نظرية الشعر بخاصة .

اننا نستطيع أن ندرك من تلك النتائج — على سبيل المثال — أن موقف المؤلف من نظرية الشعر موقف جمالى صرف ، حين يقول لنا « ان مركز الدراسة فى نظرية الشعر هو طبيعة التجربة الشعرية فى ذاتها ولذاتها » (ص ١٠٣) . ونجد فى الفصل الأول عبارته التى يشرح فيها هذا المعنى حين يقول : « وقيم الشعر كغيره من الفنون الأخرى متميزة عن قيم الأخلاق ، كما هى متميزة عن قيم التفكير . وينبغى الحكم على الشعر من حيث هو شعر طبقا لنوع التجربة الخيالية التى يمدنا بها فحسب ، ولا يجوز الحكم عليه بمعيار ما فيه من خير خلقى ، أو بمعيار صدقه بالنسبة لشىء يقع خارجه » . (ص ١٩) هذا الموقف الجمالى الواضح سرعان ما يتزعزع — أو يبدو أنه يتزعزع حينما نقرأ قول المؤلف (ص ٢١) : « ومن المسلم به حين يتوافر لدينا احساس جاد بالقيم يصبح فى مقدورنا عادة أن نقبل من أجل التجربة الخيالية موقفا خلقيا او دينيا خاصا يؤمن به الشاعر حقا ويعارض موقفنا كلية » . أتراه يعنى ان هذه القيم التى يؤمن بها الشاعر حقا لا دخل لها فى تجربته الجمالية ابتداء وانها قيم منفصلة ؟ هذا ما يعنيه المؤلف بعينه ، وهو عندئذ يجد نفسه قد تورط فى مزلقين :

الأول : هو ضرورة أن تتم التجربة الشعرية بعيدا عن معتقدات الشاعر والقيم التى يؤمن بها ،



أو لنقل عن موقفه العام من الحياة ، ولا يستطيع احد أن يتصور فى الواقع هذا النوع من التجربة .

والثانى : هو أن نشتق معايير الحكم على التجربة الشعرية من ذاتها ، وهو الأمر الذى فشل المؤلف نفسه فى الوصول اليه . وقولنا أن قيمة التجربة الشعرية كامنة فى ذاتها لا يعنى أن التجربة منفصلة عن الحياة بقوانينها . وما يقول به المؤلف بعد ذلك من اختلاف التجربة التأملية عن التجربة العادية لا يغير من حقيقة أن القيم التى توزن بها هذه التجربة وتلك ليست قيما شكلية صرفا بمقدار ما هى قيم تتعلق بالمضمون .

ولهذا نجد المؤلف قد عاد فى نفس الصفحة يقول : « وبالاجمال فان طبيعة معتقداتنا لها تأثيرها — ولن أقول لها تأثيرها الكبير — على مستوى تجربتنا . أما نوع تجربتنا فلن يتأثر فى شىء مهما يكن عقم نظريتنا فى العالم ؛ فنحن سنظل ننتج ونستمتع بأشياء جميلة حتى حينما تكون نظريتنا فى الأخلاق والميتافيزيقا مجدبة . وفى الواقع أن مستوى الابداع والاستمتاع على السواء سينزع حينئذ الى الهبوط ، فقد نتردى فى هوة « الفن لأجل الفن » التى يقصر فيها الفن اهتمامه على القيم الحسية مجردة عن الحياة . ولكن حتى لو أصبحت التجربة الشعرية مقصورة على الكمال الشكلى السطحى الثانوى فانها ستظل حينئذ من نوع متميز

من التجارب الأخرى ، باعتبارها متعة خيالية خاصــة يولدها نظام معين للكلام ، ومن حيث انها كذلك تكون جـديرة بالدراسة الخاصــة التى ستقوم بها نظرية الشعر » .

وهكذا يضطرب المؤلف بين التسليم — الى حد ما — بأهميــة القيم التى يؤمن بها الشاعر فى تكييف تجربتهالشعرية وبين التجربة الشعرية منفصلة تماما عن هــذا النوع من القيم . وهو يبرر لنفسه هذا الاضطراب بحديثه عن « نوع التجربة » و « مستوى » التجربة ، وهو تمييز مفتعل ، وفصل بين شـــيئين غير منفصــلين ؛ فليست نوعية التجربة كافية للحكم ، لأنهـــا لا تتضمن التنويع اللانهائى الذى تشمله الأحكام النقدية ، وهى لذلك خارجة عن ميدان التقدير ، وانما يفتح الباب لهذا التقدير اعتبار مستوى التجربة الخياليــــة التى تقــدمها القصيدة . وبعبارة موجزة نقول : اننا لا نستطيع أن نحكم على التجربة الا بمقدار ما تعطينا .

ويعود هذا الاتجاه الجمالى الشكلى الصرف مرة أخرى للاضطراب حين يتحدث المؤلف عن موضـــوعية الجمال فيرفض أن يكون الجمال موضوعيا ، فى حين أن القول بموضوعية الجمال هو القول الذى يتسق واتجاهـــه . فما دامت قيمــة التجربة فى ذاتهــا ولذاتها ، وما دامت التجربة القاصرة على « الكمال الشكلى » ما تزال تجربة من نوع متميز من التجــــارب الأخـرى باعتبارها متعة خيالية خاصة ، فالمفهوم عندئذ أن تكون القيمــة الجمالية قائمة فى الشىء ذاته وليست قيمــــة خارجيــــة نستكشفها فيــه او نضفيها عليـــــه ، أى أن يكون الجمـــــال موضوعيا . ولكننا نجد المؤلف يتناقض مع نفسه حين يأخذ فى مناقشة رأى « ستيردج مور » الذى يقول : « ان الجمال لا يقل موضوعية عن الضوء ، وان كان اعجابنا به يتوقف على كمال ملكاتنا مثلما يتوقف ادراكنا للضوء على سلامة أعيننا » ؛ فهو يرد عليه بقوله : « ليس الضوء ولا الجمال موضوعين ، بمعنى أنهمـــا موجودان من حيث همـــا ضــوء أو جمال مستقلين عن الذات . وحين نصف الضـــوء بأنه موضوعى فاننا نقصد هذا المعنى المحدد ، وهو أن ادراكه لا يختلف من ذات الى أخرى ولكنه مشترك بين الذين لهم رؤية ســليمة جميعا . **ولكن الجمال ليس موضوعيا حتى بهـــذا المدلول الضيق ،** وذلك لأن ادراكه يختلف من ذات الى أخـرى وليس هناك فعلا عاملمشترك بين هذه الادراكات المتباينة » . (ص ٥٩) .

ثم يمضى المؤلف فى البرهنة على أن الجميل فى ذاته غير قائم . فالصورة الجميلة فى ذاتها غير موجودة ؛ « لأنه يستحيل أن توجد بهذا المعنى منفصلة عن علاقتهـــا بذات واعيــة ... ومن الطبيعى أن يعتقــد الناس عامة أن الصـــــورة ببساطة موضوعية وذلك لأن الذات تبدو سلبية تماما ، وماعلى المرء الا أن يفتح عينيه لكى يراها ، ولـكنه من الواضـــح أن الصـــورة ليست موضوعية بمعنى أنه من الممكن أن نستغنى فيها عن الذات » . (ص ٦١) .

وكل هذا الجدل يعنى فى وضوح أن المؤلف قد تراجع عن فكرته السابقة فى « الكمال الشكلى السطحى » بوصفه القيمة الثابتـــة للتجربة الخياليـــة حين تتحقق فى عمل فنى كالقصيدة مثلا ؛ فلم يعد « نوع » هذه التجربة كافيا ، لأنه لابد من ذوات مختلفة تتلقى هذه القصيدة أولا ، ولابد أن تختلف هذه الذوات فى مدى رؤيتها وتقديرها أخيرا . ولا أحسبه بهذا قد ذهب الى أبعد من النظرية التوفيقية بين الذات والموضوع فى ادراك الجمال . فهو يقف وسطا بين نظرية أفلوطين التى تقول : « ان النور ذاته يتلاشى اذا لم يوجد فى العالم سوى عميـــان » والنظرية الموضوعية التى تقول ان الصورة المعلقة على جدار أحد المتاحف ستظل هناك محتفظة بقيمتها الجمالية وان لم نبصرها أو أن نحن مـــررنا بها مر الكرام .

والحق لقد أجهد المؤلف نفسه — دون طائل — لكى يتخـــذ لنفسه موقفا وســـطا غير الموقف المشهور ، فاذا هو يضطرب بين الموقف الجمالى الصرف وهـــذا الموقف الوسط بين موضوعية الجمال وذاتيته . وهـــو يصوغ هذا الموقف صياغة نهائيـــة حين يقول : « ان الجمال فى

موضوع التجربة الجمالية ، فحينما تكتمل هذه التجربة ننسى أنفسنا ويكاد يختفي التمييز بين الذات والموضوع ، اذ نفقد ذاتنا في الموضوع ونستمتع بنشوة التأمل (بالمعنى الدقيق لكلمة نشوة) بعيدا عن الفعل وبعيدا عن التفكير ، مهما أسرع التفكير والفعل في أن يتبعا هذه التجربة » وان الموضوع الذي نتأمله ليس الا الثورة الحاضرة لشعورنا » . (ص ١٢٦ - ١٢٧) .

وكما يظهر الاضطراب في الجانب النظري من هذا الكتاب تتضح كذلك صورة منه عند الأمثلة التطبيقية . وسنقف عند مثال من دراسته العملية . فقد أورد عن (سيمونز) خبرا يقول ان (ارنست دوسون) يقر بان مثله الاعلى في الشعر هو هذا البيت للشاعر الأمريكي (پو) "Poe"

The viol, the violet, and the vine

كما أنه كان يرى ، وهذا واضح من تفضيله لهذا البيت ، « أن الحرف « v » هو أجمل الحروف في اللغة الانجليزية ، وانه لا يمكن للشاعر أن « يفرط في استخدامه في شعره » .

وواضح أن المؤلف يشايع هذا الرأي الذي يجعل لأحد حروف اللغة جمالا خاصا ، بل يجعله أجمل حروف اللغة ، أي أنه يتسق في هذا مع وجهة النظر القائلة بموضوعية الجمال . ثم اذا هو يواجه رتشاردز اذ يقول : « لا توجد مقاطع أو حروف متحركة تتصف بطبيعتها بالحزن أو الفرح وان ذلك العدد الكبير من النقاد الذين حاولوا تحليل آثار القطع الأدبية الى ما تتألف منه من حروف ساكنة ومتحركة انما كانوا يقومون بعملية مسلية فحسب ... ولا يحدد الصوت ذاته طريقة تأثيره بقدر ما تحددها الظروف التي يدخل فيها هذا الصوت » (ص ٩٣ - ٩٤) وهو رأي يبدو لنا سليما ورصينا ، وهو يتمشى مع النظرية الجمالية المعقولة وهي أن الجزء في ذاته لا يوصف بالجمال أو القبح ، وانما يحدد قيمة وصفه ودوره في السياق العام . ولكننا نجد المؤلف وقد ووجه بهذا الرأي السديد يحتال للوقوف الى جانب الرأي الأول ونقض رأي رتشاردز فيقول : « ويبدو لنا جليا أنه اذا عدنا الى بيت (پو) استطعنا أن نحصل على تجربة جمالية منه ، تجربة يحتل فيها الصوت مكان الصدارة في اهتمامنا . وليست الصورة البصرية أو الايحاءات التي تقع في مؤخرة التجربة بحيث أنها ستؤثر كثيرا (كذا) في طريقة تأثرنا بالصوت أو ستزعجنا وتشتت اهتمامنا وتحوله بعيدا عنها . وحينما ينسق الاهتمام غير الجمالي تجربتنا نستطيع أن ندرك على انفصال تكرار الحرف « Y » ، الا أننا لا نستطيع أن ننتقل من ادراكنا العقلي للحرف « Y » الى تذوقنا الجمالي له ؛ فلا يوجد حرف ساكن « جميل » أو حرف متحرك « فرح » منفردا . وبهذا المعنى نجد أن الدكتور مصيب في قوله وأن ملاحظته لها قيمتها . ومع ذلك فحينما نقارن بيت (پو) بأبيات أخرى تتميز بغلبة الحرف « Y » فمن المرجح أننا سنتفق على ان هذا الحرف له قيمة خاصة باعتباره عنصرا من العناصر التي يتألف منها صوت الشعر ، وانه على نفس المنوال توجد حروف متحركة أو مقاطع معينة يبدو أنها وان تكن فرحة في ذاتها يسهل ادخال الفرح فيها عن غيرها » . (ص ٩٥) .

ففي هذا المثال التطبيقي يتضح لنا مرة أخرى كيف أن المؤلف يشايع القول بأن الجمال خاصية في الشيء ذاته ، وأن استمتاعنا بالشيء الجميل يرجع الى تلقينا المباشر له من حيث هو ، دون دخول أي نوع آخر من الاهتمام ، سواء أكان عقليا أم خلقيا . وهو اذ يتفق مع رتشاردز في رأيه لا يصنع ذلك الا ليعود الى نقضه دون أي مناقشة مقنعة .

ولكي يتسق المؤلف مع نفسه نجده يذهب الى أن الشاعر لا يقدم الينا تجربة واضحة في نفسه أو معروفة له ؛ فهو حين يبدع يصنع شيئا آخر مخالفا تماما لتجربته الأولى . ان القصيدة - عنده - تجربة جديدة دائما ، حتى بالنسبة للشاعر نفسه . وبناء على هذا يكون من العبث أن نحكم على القصيدة بشيء وراءها نفترضه ، بشيء وراء الألفاظ وتنسيقها الخاص في القصيدة .

والمؤلف يصنع هـــذه المقدمات لكى يصل مسألة جوهرية فى الفن بعـــامة ، وهى مسألة توصيل التجربة . أيقصد الشاعر حقا ان يوصل الينا تجربة بعينهـــا حين يقدم الينا قصيدته ؟ يقول المؤلف « من الأجـدى ألا نعتبر الشاعر موصلا وانما نعتبره خالقا ؛ فهو حينما ينجح فى خلق شىء لنفســه لا داعى له لأن يقلق على الايصال ، اذ أن قصيدته تصبح حينئذ ايصالا بالضرورة ، بمعنى أنهـا توفر للقـراء الذين لا تختلف أذهانهم فى تركيبهـا اختلافا شاسعا عن ذهنه ، تجربة **جديدة** قيمة تشبه الى حد ما التجربة الجديدة القيمة التى يعطيهـــا لهم » . (ص ١٧٧) .

وخلاصة هذا القول أن الشاعر لا يخلق لأحد وانما هو يخلق لنفسه ، وهو لا يريد أن يوصل أى نوع من الخبرة سوى الخبرة الجمالية الماثلة فى كمال الشكل الفنى الذى ينجزه . وهى فكرة هزيلة تثبت التجربة عكســـها ؛ فقـد أحس الشعراء على الدوام أنهم أفراد فى جماعة وأنهم يبدعون من أجل هذه الجماعة . وليس الشعر مجرد خبرة جمالية وانما هـــو كذلك خبرة انسانية . ولا أحسب كبار الشعراء يريدون — ولا نحن — أن نكتفى بتأمل الشـكل الجميل الذى يقدمونه الينا ؛ فالمؤكد أنهم كانوا دائما يعبرون عن موقفهم من الحياة وفهمهم للانسان ، وهم من خلال عملهم الفنى يفتحون لنا النوافذ التى نطل منها على جوانب شتى من الحقيقة ونحن حين نتأمل القصيدة — حتى عندما يكون هدفنا هو مجرد التذوق لا التقدير والحكم — فاننا نتأمل فيها الخبرة الانسانية ، والرعشة التى تسرى فى أوصـالنا عندئذ ليست نتيجة الاطار الجمالى الصرف . ومن ثم فاننا لا يمكن أن نستريح لقول المؤلف : « مهما كانت طبيعة الشىء الذى تتضمنه أو لا تتضمنه هذه التجربة فان غاية الشعر الحقيقيةالخاصة به هى التجربة لذاتها لا من أجل ما تتضمنه » . (ص ١٨٤) فالفصل بين التجربة وما تتضـــمنه فصـــل متعسف لا يمكننا أن نتصـــوره أو نمارســه ممارسة عملية .

***

وبعد فقد آن الأوان لأن نقف — كما وعدنا — عند الترجمة ؛ فقد ساعد اضطراب الترجمة فى بعض الأحيان على اضطراب الكتاب . وفيما يلى بعض الأمثلة :

١ — (ص ٦) : لذلك اخذت أدرس المبادىء الأوليــة للنقد ، **ولا سيما على ضـوء** النظريات الحديثة . والصواب ... بخاصة فى ضوء .

٢ — (ص ٢٩) : الا أن هـــذه الكلمة **الأوسـع « دافـع » والتى** ســـتقابلنا ... والصواب : الا أن كلمة « دافع » هذه الأوسع نطاقا من غيرها ، والتى ..

٣ — (ص ١٥٥) : يبدو لنـا أن الدكتور رتشاردز متسرع فى حكمه **على** خطل برادلى . وجود (على) فى هذا النص يؤكد وجود الخطل قبل الحكم ، فى حين ان المؤلف يشايع برادلى ويود الدفاع عنه ونفى ما رماه رتشاردز به من خطل . ولهذا فالصواب هو : ... متسرع فى حكمه بخطل ...

٤ — (ص ٨) : وهو كتاب له اهميـــة **غير عادية** ... والصواب : أهمية فائقة .

٥ — الكلمة a«s» ، والصواب بوصفه . انظر ص ٢٢ — ٣١ .

٦ — استخدام كلمة (يعتبر) ترجمة الكلمة Consider ، والصواب بعد .

٧ — (ص ٢٤) : وكما يحـــذرنا الدكتور رتشاردز قد نتهاون ونفسر .. والصـــواب — تحاشيا لهذا الاضطراب — هو : وقد نتهاون — وهـــذا ما يحذرنا منـــه الدكتور رتشاردز ونفسر ..

٨ — (ص ٢٨) : كان **ولن** يزال ، والصواب : ولا يزال ..

٩ — (ص ٣٣) : فهـــل الســيكلوجيا أو بالأحرى **أن** نقول هل الفسيولوجيا .. فالصواب أن نقول : فهل الســيكلوجيا ، أو بالأحرى هل الفسيولوجيا ... أو ان نقول : فهل السيكلوجيا ، أو الأحرى أن نقول هل ..

١٠ — (ص ٣٥) : ... بل **ولا** ... ، الواو زائدة .

١١ ــ (ص ٦٧) : ترجمة كلمة ode بكلمة نشــيد . وال ode قصيدة غنائية تزاوج بين العاطفة والفكر ، والأحرى أن تترجم هنا بكلمة انشودة . انظر أيضا ص ١٥٨ .

١٢ ــ (ص ٧١) : الشيء **الهام** ، والصواب : المهم . انظر أيضا ص ١٢٧ ــ ١٣٤ ــ ١٣٩ .

١٣ ــ (ص ٨٦) : يعطونه للغير ، والصواب : لغيرهم .

١٤ ــ استخدام (طالما) فى غير معناها ؛ فهى تعنى (كثــر ما) ، والصــواب : مــا دام . ص ٩٢ ــ ١١٤ ــ ١٨٨ .

١٥ ــ (١٠٧) : نجــد أن هاتين الصفتين تفسران الى حد ما **لماذا** كان التأمل ميسورا عند الشرقيين . والصــواب : ... تفسران السبب فى أن التأمل ميسور ..

١٦ ــ (ص ١١٨) : ولذلك فربما من جهة الأولوية الزمنية ليست التجربة الجمالية ... والصــواب : ولذلك فربمــا لا تــكون التجــربة الجمالية ــ من جهة الأولوية الزمنية ــ ...

١٧ ــ (ص ١٣٦) استخدام كلمة (العديد) والمقصود هو (الكثير) ؛ فالعديد لا يعطى معنى الكثرة .

١٨ ــ (ص ١٥٤) : المــلاح **الغــــابر** The Ancient Marinet وفى ص ١٦٠ المـــلاح **العتيق** .

١٩ ــ (ص ١٨٤ ــ ٥) : ولــكن لنتخيل مقدار الحقائق المتناقضة التى كان سيجب علينا أن نجابهها لو ... والصواب : ... التى كان من المحتم علينا مواجهتها لو ...

٢٠ ــ (ص ١٨٧) : ولما كانت هذه الحاجات البشرية ملحــة ومقيــدة لذلك لن نســتطيع أن نمسها بسهولة ... فضياع الترقيم فى هــذه العبــــارة يشتت المعنى ؛ فنحن فى حاجة الى أن نضيف (فاء) اما الى (لذلك) أو الى (لن) ، ويتبع هذا أن نضع فاصلة قبل لذلك أو بعدها .

٢١ ــ (ص ١٩١) : آه يا وردنورث اننـــــا لا نستقبل الا ما نعطيه .

وفى حياتنا وحدها تحيا الطبيعة .
ان ثيــاب عرسها هى ثيــاب عرسنا ، واكفانها هى أكفاننا .

واعتقد أن الترجمة تكون أدق لو أننا قلنا :

آه يا وليام ! اننا لا نستقبل الا ما نعطى .
وفى حياتنا وحدها تحيا الطبيعة .
وحلة العرس التى ترتديها هى من صنعنا ، ومن صنعنا كفنها .

وفى هذا توضيح للمعنى الذى يقصده الشاعر ، وهو أننا نحن الذين **نضفى** على الطبيعة المعنى . وبعد فقد سعدت برحلتى مع هذا الكتاب وان لم أتمتع به .

الدكتور عزالدين إسماعيل

• • •

دون جوان

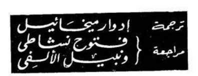
تأليف : موليير

ليس من شــك فى أن « الادارة العـامة للثقافة » حين فكرت فى اصدار سلسلة « روائع المسرح العالمى » كانت تهدف الى خدمة القراء وكتاب المسرح ورجاله على السواء ، أى ان هذا الهدف ذو طابعين ثقافيين : هما الطابع الأدبى والطابع المسرحى . فكتب هذه السلسلة لا ترمى فحسب الى امتــاع القارىء ، وانما أيضا الى اطلاعه على نماذج من المسرحيات العالميـة من شانها أن تحضـه على عقد المقارنة بين روائع المسرح الغربى وبين ما يقدمه اليه المسرح المحلى ، الأمر الذى يخلق أو يصـقل لديه ملكة النقد ، ويضاعف طموح آماله من أجل نهضتنا المسرحية المعاصرة .. ثم ان هـذه النماذج ــ من ناحية اخرى ــ تبصر كتابنـا المسرحيين « بالكيف » الذى ينبغى عليهم أن يحاولوا تحقيقه .. وبديهى أن تنميـة ذوق القـارىء ، وصقل استعداد الموهوبين فعلا من كتابنا المسرحيين يؤديان حتما الى الارتقاء بالمادة التى تقدم الى مسارحنا ..

فمن المؤكـد ــ مثـلا ــ أن معظم مسرحياتنا الكوميـدية الحالية لا تنتمى الى الكوميـديا الحقيقية بقـدر ما هى مسرحيات هزلية أو "Farce" كما يقول الفرنسيـون . واذا كنا لا نفتقر الى الممثل الناجح فاننا لا نزال فقراء الكتاب المسرح الذين يمكن أن نقول عنهم أنهم لا يستخفون بعقول النـاس برداءة المادة التى يدفعون بهـا من أجله الى المسرح .. سلسلة « روائع المسرح العـالمى » اذن تسهم اسهاما فعالا فى نهضتنا الأدبية والمسرحية .

وطبيعى أن تأخذ سبع أو ثمان من مسرحيات موليير أمكنتها فى « بهو » هـذه السلسلة الطويل .. صحيح أن مسرحية « دون جوان » ليست من أروع ما كتب موليير (وانا اقارن هنا موليير صاحب « المتزمت » أو « البخيل » أو « النساء العالمات » .. بموليير كاتب مسرحية « دون جوان » ، فهذه الأخيرة جيدة فى ذاتها من غير شك) ولكنها هامة على كل حال بسبب الظروف التى كتبت فيها ؛ تلك الظروف التى يتطرق الحديث عنها بالضرورة الى كفاح موليير فى سبيل فرض فنه الأصيل رغما عن مناهضـة طبقتى الاسـتقراطية ورجال الدين . انها من حيث الصـدى الذى أحـدثته امتداد لمسرحية « طرطوف » (Tartuffe) .

لم تكد مسرحية « طرطـوف » تمثـل أمام لويس الرابع عشر فى قصر فرسـاى (١٢ مايو ١٦٦٤) حتى أثارت حفيظة رجال الدين ، كما أغضبت الملكة الأم آن النمســاوية - Anne d'Autriche ، التى استغلت حاشيتها ضـد موليير . وبالرغم من أن الملك كان راضيا عن هذه المسرحية فقـد نصح الكاتب « بعدم اغضاب المتدينين » اثر تدخل كبير أسـاقفة باريس . وحظر تمثيل المسرحية أمام الجمهور ، وتعرض



الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٤٩ ص ، قطع صغير .

موليير لهجوم احمق ، فوصفه احد رجال الدين بأنه « شيطان مجسد يرتدى زى انسان » ، ونادى بحرقه حيا « كجزاء دنيوى ريثما يذوق عذاب جهنم » .. وظلت « طرطوف » تعيش فى الخفاء : تمثل فى قصر شقيق الملك أو فى غيره من قصور بعض أعضاء الأسرة المالكة .. ثم مثلت أمام الجمهور باسم جديد « المنافق » (٥ أغسطس ١٦٦٧) باذن شفوى منحه الملك قبل سفره لحرب الفلاندر ، ولكنها حظرت من جديد فى اليوم التالى بأمر من رئيس البرلمان لاموانيون (Lamoignon) الذى قال لموليير حين ظفر بمقابلته بفضل صديقهما المشترك بواليو (Boileau) انه يرى أن المسرحية رائعة ، ولكن لا يليق بالممثلين أن يلقنوا الناس مبادىء الدين وليس من حق المسرح أن ينشر الانجيل ! ولذلك فليس فى وسعه أن يأذن باعادة تمثيلها فى غيبة الملك .. وجن جنون موليير وأبى أن يرضخ للأمر الواقع ، فبعث الى الملك ــ الذى كان فى معركة الفاندر ــ برسولين يحملان اليه التماسا جديدا (كان الأول فى اغسطس ١٦٦٤) ، الا أن قلق لويس الرابع عشر بسبب عنف حملة الهجوم على موليير حدا به الى أرجاء حسم المشكلة حتى يرجع الى باريس .. ثم فجأة (سبتمبر ١٦٦٨) قرر الملك رفع الحظر عن « طرطوف » فكان استئناف تمثيلها (٥ فبراير ١٦٦٩) نصرا حقيقيا لموليير والمسرح على السواء . وهكذا استمر كفاح موليير قرابة خمسة أعوام من أجل مسرحية كل ذنبها أنها تصدت لنفاق من يتظاهرون بالتدين : يقول بوردالو (Bourdaloue) فى خطبة دينية له عن « النفاق » : « ان التدين الحق والتدين الزائف يتشابهان من حيث الشكل الخارجى ، ولذا فان التنديد بهذا يسىء حتما الى ذاك » .

والصلة وثيقة بين محنة « طرطوف » وكتابه « دون جوان » ، بل ان بينهما قرابة معنوية . لقد كادت تلك المحنة أن تقضى على كيان فرقة موليير (كانت تسمى « فرقة شقيق الملك » فى ذلك الوقت) فقد كانت اضطرت خلال سنة كاملة الى تمثيل مسرحيتين اثنتين احداهما تراجيديا لراسين . وكان لابد من تقديم شىء جديد الى الجمهور .. صحيح كان موليير قد شرع فى كتابة « المتزمت » (Le misanthrope) ولكن بخطى وئيدة لأنها كانت أقيم من أن يرتجل تتمتها . هنا الح عليه أعضاء فرقته فى الاسراع بكتابة أسطورة دون جوان بطريقته الخاصة حتى تستطيع هذه الفرقة أن ترسخ فى منافستها لفرقة الايطاليين ، وهم الذين أحرزوا نجاحا فائقا بتمثيلها . على أن هناك أسبابا قوية أخرى دفعت موليير الى كتابة « دون جوان » ، وأول هذه الأسباب ما شعر به من مرارة عاصفة أثر حظر تمثيل « طرطوف » . يقال انه فكر حينذاك فى العدول عن الكتابة والتمثيل ، ويقال انه أسدى ــ حينذاك أيضا ــ الى شاب يطمح الى مزاولة مهنة المسرح نصيحته المعروفة التى تهدف الى انتزاع مشروعه من ذهنه : « ربما تظن أن لهذه المهنة مفاتنها ؛ انك مخطىء .. حقا اننا نبدو مقربين من الأشراف ، ولكنهم يخضعوننا لملذاتهم .. أما بقية الناس فتنظر الينا نظرتها الى أشخاص ضائعين يثيرون

احتقارها ... » وتفاقمت حال موليير الى حد اليـأس ثم استحالت الى ثورة عارمة أراد ان ينفس عنها بثأر مزدوج : الانتقـام من رجال الدين بمسرحية ظـاهرها التـكفير عن « اثم » قديم ، باطنها هجاء جديد مقنع ... والانتقـام من الارستقراطيين المتعطلين الذين يأتون جميع الموبقات ، ولا يتورعون عن اغواء زوجات الطبقة البرجوازية وفتياتها ، أمثال كونت دى جيش (de Guiche) ، الذى كان لا يكف عن مغازلة زوجته ! .

وموضوع « دون جـوان » بسيط لا تعقيد فيه ؛ وهو يدور حـول أفعال وآراء شاب من الاشراف فاسـق ، فظ ، ينـكر جميع القيم الانسانية ويجـد لذة فى الهرطقـة ... ثم يجد جزاءه المحتوم : حدث ذات يوم أن كان فى غابة بصـحبة خادمه سجاناريل (Sganarelle) وتقدم من قبر الحـاكم الذى كان قد قتله منذ ستة اشهر ، فانفتح القبر ، وظهر تمثال الحاكم ؛ واذا دون جوان يدعوه – بدافع من التحـدى – الى تناول العشاء معـه .. ويحضر التمثال الوليمة ، ثم يدعو الفاسق بدوره .. ويحضر دون جـوان حيث كان ينتظره غضب السماء الحانق على جرائمه : الصـاعقة تنزل بعنف مدو ، والبرق يتتابع بشكل رهيب ، والأرض تنشق لتبتلعه وهو يلتهب بألسنة النيران .

وهذا الموضـوع مستمد من أسطورة قديمة يرجع أصلها الى مسرحية اسبانية مثلت حوالى عـام ١٦٢٠ اسـمها « خادع أشـبيليه » (Trompeur de seville) لتيرسو دى مولينـا (Tirso de Molina) واسمه الحقيقى (Gabriel Tallez) .. وقـد دخلت هـذه الأسطورة ايطاليا بفضل جيلبرت (Gilberto) وسيكونينى (Cicognini) .. ثم مثلتهـا فى باريس بنجـاح كبـير فرقة لوكاتيللى (Locatelli) وفى عام ١٦٥٨ نشر الممثل الفرنسى Dorimond فى ليون اقتباسا من مسرحية چيلبرتو .. وفى العام التالى مثل Villiers فى مسرح بورجنى (Bourigogne) اقتباسا جديدا (نشره فى عام ١٦٦٠) .. ويبـدو ان موليير قد اطلع على سيناريو لوكاتيللى ، ومسرحية سيكونينى ، والمسرحيتين الفرنسيتين المقتبستين (عنوانهما واحد هو « وليمـة التمثال أو الابن المجرم » (Le Festin de pierre ou le fils criminel) (١)

اتم موليير كتـابة مسرحيته دون چوان فى فى أوائل فبراير ١٦٦٥ ، واستطاع أن يقـدمها للجمهور فى ١٥ فبراير بمسرح الباليـه روايال (Palais - Royal) وبلغ بنجاحها انها كانت تغل ايرادا يوميا يبلغ قرابة ألفين من الجنيهات ؛ بل ان هذا الايراد وصل الى ٢٣٩٠ جنيهـا فى اليوم العاشر من بدء تمثيلها . الا أنهـا حركت ضغائن أعدائه الذين وقفوا – بالرغم من عطف الملك – فى انتزاع اذن بحظر تمثيلهـا بعد أن قدمت خمس عشرة مرة (٢٠ مارس ١٦٦٥) .

اتهم محام بالبرلمان موليير بالالحاد فى كتيب أحرز نجـاحا كبـيرا اذ طبـع خمس مرات (اسـمه : ملاحظـات على كوميديـا موليير المسـماة وليمـة التمثـال) ، وزعم أن المسرح بسببه متمرد على الكنيسة ، وان موليير يستحق الاعـدام (يقـال ان باربييه دوكور Barbier d' Aucour هو صاحب ذلك الاسم المستعار (Rochemont) .. وارتفعت من الكنائس صـيحات رجال الدين الذين نددوا بمسرحية موليير بوصفها مظهرا جديدا لكفره . وفطنت الطبقة الارستقراطية الفاسقة المستغلة الى أنها هى الأخرى مقصودة بالهجاء ... ودلل جميع أعداء موليير على سوء نية موليير باختياره سجاناريل (Sganarelle) مدافعا عن الدين : لأن خادم دون جوان هـذا تافه العقليـة ، ضعيف الحجـة ، جبان ؛ يقول امير كونتى : « ان موليير قد عهد بقضية الله الى خادم يطلق لسانه بشتى السفاهات » والغريب أن موليير لم يبذل هذه المرة اى جهد من أجل استئناف

---

(١) انظر الدراسة القيمـة التى قدم بها لترجمة المسرحية الفنان الموهوب نبيل الألفى .

تمثيل مسرحيته ؛ لعل شعوره بأنه أشبع رغبته في الانتقام كان كافيا لاراحة أعصابه ! .

ولقد شجع موليير على نشر مسرحيته ما حققته في البداية من نجاح ، فحصل على اذن بطبعها قبل منع تمثيلها بعشرة أيام ؛ الا أن قرار الحظر لم يكن من شأنه ان يطمئن الناشر ، فظلت محفوظة الى أن تكفل ڤينو (Vinot) ولاجرانج (La Grange) — بعد وفاة موليير — بطبعها في عام ١٦٨٢ بعد ان حذفا منها أجزاء كثيرة ... ولم تنشر غير منقحة الا في عام ١٨١٩ (نشرها اوچيه Auger) ، وان كانت قد ظهرت في طبعات مزيفة ببلجيكا (١٦٨٢ وهولندة (١٦٨٣ ، ١٦٩٤) .

ومسرحية دون چوان عمل فجائي مرتجل ، تعجل موليير في كتابتها ، وفي ظروف قاسية : ظروف حياته الزوجية ، وظروف فرقته على السواء . صحيح أنه ينقصها التماسك في بعض أجزائها ، ولكنها تضم أجزاء رائعة على كل حال . انها دراسة سيكولوجية عميقة ؛ حتى الشخصيات الثانوية (مثلا شارلوت وبيرو) لها من الملامح ما يدل على عمق موليير في تحليل العواطف والانفعالات الانسانية .

وهو لا يتقيد فيها بالقواعد الكلاسيكية : فيها دراسة شخصيات ، وفيها مزيج من الكوميديا الجاده والتراچيديا ، فضلا عن أنها لا تخلو من العبارات الهزلية .. ولم يحدد الكاتب زمن الحوادث التي تدور فيها لينسينا انه لا يلتزم بوحدة الزمان (٢٤ ساعة) كما أنه لا يطبق قاعدة وحدة المكان ؛ نعم ان حوادثها تدور كلها في صقلية ، ولكن في أماكن مختلفة .. أما وحدة الحركة فهي غير واضحة المعالم . والهدف من هذه المسرحية لا هو امتداح الدين » ولا هو الثناء على الألحاد ، وانما هو — كما قلنا — الثأر لمسرحية « طرطوف » التي قاست طويلا من عنت المناهضين ؛ من هنا نجد فيها أن موليير — على حد قول أحد النقاد — قد غمس قلمه في مداد ملتهب ، وان بعض عباراته تصطبغ على الورق بلون أحمر ! .

اسمع بعض ما يقوله عن النفاق على لسان دون چوان : « ان النفاق رذيلة شائعة ، وجميع الرذائل الشائعة تعتبر فضائل ... لقد صار للنفاق اليوم مزايا عجيبة ... انه رذيلة ممتازة تكمم بيدها أفواه الناس جميعا وتأمن من العقاب في طمأنينة .. » .

لعل القارىء قد أدرك الآن أن مسرحية كهذه من مسرحيات موليير حقيقة فعلا بأن تنقل الى اللغة العربية ؛ ومن أجدر بالترجمة من موليير ! قيام الأستاذ ادوار ميخائيل بهذه المهمة يستحق اذن الثناء . على انه كان بودي أن أختم مقالي بهذه الكلمات ؛ الا أننا في نهضة أدبية ومسرحية كبرى كما قلت في مستهل هذا البحث الموجز ، وليس أخطر على النهضات من النفاق ، أو المجاملة وهي بدورها ضرب من النفاق أيضا . ان النقد البناء احدى دعامات الانتاج المثمر ، يدل في غير تضليل ، وبوجه في غير هوى ، ويسعى الى التقريب من الكمال ... ليسمح لي اذن الأستاذ ادوار ميخائيل ان أقول له انه لم يتأن في ترجمته ، وان أقول للقراء ان هذه الترجمة ليست في المستوى اللائق بموليير . انها تزخر بالأخطاء ، وتتميز في كثير من عباراتها بالركاكة . نعم ان صاحب مسرحية دون چوان لم يكتب دائما بأسلوب رصين لأنه كان يعير كل شخصية من شخصياته الأسلوب الذي يلائم ثقافتها ومستواها الاجتماعي ؛ ولكني أشك في أن يكون المترجم . قد اقتدى به في هذا المجال .. وهو لن يزعم انه توخى في ترجمته أن تجيء صالحة للتمثيل في مسارحنا ! لأن مؤسسة التاليف والترجمة شيء ، والمسرح شيء آخر . المؤسسة تحرص على الترجمة الأمينة التي تحافظ على سلامة النص ، والمسرح من حقه — أو على الأقل يستطيع — أن يدخل على هذا النص ما تفرضه بيئتنا من تعديلات .. بل حتى هذا أشك في مشروعيته ! .

المهم هو أنني سأقصر تعليقي على منظر واحد من كلّ من فصول المسرحية الخمسة :

أولا : (المنظر الأول من الفصل الأول) : ان تعبير « et l'on apprend avec lui à devenir honnête homme » ليس معناه « ... ويعلمهم الكرم » ! لقد كتبت مسرحية دون جوان فى زمن (القرن السابع عشر) كانت فيه لكلمتى honnête homme مدلولات كثيرة ، منها « انسان فاضل » أو « انسان مجامل » ، ولكن لم يكن من بينها معنى الكرم على كل حال ...

وحين يقول « سجاناريل » « لجسمان » فى حديثه : « mon ami » ليس من حق المترجم أن يتدخل فى شئونه الخاصة فيحرف قوله لأن الصداقة العادية لا تكفيه ، وانما هو يريد منه أن يقول : « يا صديقى العزيز » ... وعبارة « protestations ardentes » ، التى يترجمها الأستاذ ادوار : « مظاهرات الحب الملتهبة » ؛ ، الا تذكر كلمة « مظاهرات » فيها بالتصفيق والهتاف والصياح ؟! .. ويقول المترجم : « ... ولا أستطيع أن افهم كيف أنه بعد كل هذا الحب ، وبعد كل هذا التهافت ... وكل ما ابداه نحوها من الدفاع » ؛ ما معنى هذا ؟ وأين وجد كلمة « دفاع » فى النص الفرنسى ؟ .. ونقرأ فى النص الفرنسى هذا الحكم الذى يصدره سجاناريل على سيده دون جوان :

« .. Don Juan mon Maître, le plus grand scélerat que la terre ait jamais porté, un enragé, un chien, au diable, un turc, un hérétique .. etc»

ويبدو أن المترجم قد اغفل ترجمة لفظ turc بدافع من الذوق والمجاملة ، الا انه قد فاته أن لفظ « تركى » هنا مستعمل فى المعنى المجازى ، اى أنه يعبر عن القسوة او الفظاظة ..

ثم هل تبيح اللغة العربية أن يقال « يخلف فى وعده » ؟ أو « اننى رحلت من قبله » ؟ .. أو « لقد اعترفت لك بهذا الاعتراف » ..

وهل يمكن أن نقرأ هذه العبارة : « لم يستطع كما تقول الا ان يجبرها ، على ان تأتى الى هنا جريا وراءه » .. دون أن نتصور الغير وقد سعت وراء دون جوان **عدوا** ؟ .. وهل يسمح النحو العربى بأن يقال : « ولكن دعنى **اقل** لك هذا » ؟ .. وحين يقول سجاناريل ما معناه « ولو قلت لك أسماء من تزوجهن فى جهات متفرقة ... » هل نستطيع أن نفهم فى غير التباس ما يعنى اذا قرأنا قوله فى هذه الترجمة « ولو قلت لك أسماء من تزوجهن فى **مختلف النواحى** » ؟ ثم تعابير كهذه ، أيليق أن ترد فى ترجمة لاحدى المسرحيات العالمية : « ان عواطفه قد تبدلت **من جهة** دونا الفيرا » .. « وهو لا يستخدم الا هذه الطريقة **لصيد** النساء » .. « **علما بأن** هذا كله ما هو الا صورة سريعة لشخصيته » ..

ثانيا : (المنظر الثالث من الفصل الثانى) : يصفع دون جوان الفلاح بييرو أربع مرات ، ولكن الأستاذ ادوار ميخائيل يشفق على الخادم المسكين أو يشفق علينا نحن من تصور تلك القسوة فيجعل عدد الصفعات اثنتين لا اربع !

ويقول بييرو لخطيبته شارلوت : J'aime mieux te voir crevée que de te voir à un autre » ومعنى هذا من سياق الحديث أنه يفضل أن تهلك (أن تموت) عن أن يراها زوجة لشخص آخر ... الا أن مترجم المسرحية يشوه هذا المعنى ، ويذهب فى تصوره الى أبعد مما يتصوره بييرو .. انه يحدد بالدقة طريقة الموت التى يجب أن يفضلها بييرو لخطيبته ان هى استجابت لاغواء غيره ! ، يقول : « ... أفضل أن أراك مشنوقة على أن اراك مع غيرى » ! ... ويقول بييرو لدون جوان الذى يريد أن يعتدى عليه

بالضرب : «أنا لايهمني شيء» ، فيرد عليه قائلا : «Voyons cela» ومعنى هذه العبـــارة « لنرى ذلك » ، الا أن الأستاذ ادوار ميخائيل يترجمها « جرب ذلك » ! فماذا عسى بيرو أن يجربه ؟ ان دون جوان لم يدركه بعـــد ، وهو ـ كما يقول النص الفرنسي ـ يجـرى وراءه للحاق به ؟ .

ثالثا : (المنظر الثاني من الفصل الثالث) : يقول الشحاذ لدون جوان وخادمه وهو يحذرهما من اللصوص المنتشرين فى الغابة التى ســيمران بها وهما فى طريقهما الى المدينة :

"...depuis quelques temps, il y a des voleurs ici autour" ، أى منـــذ فترة واللصـــوص منتشرون حـــول هـــذا المكان ... ما طـول هـــذه الفترة ؟ لا ندرى ... ولـكن مترجـم المسرحية يتطوع بتحديدها فيقول : « ... لأنه يوجد بعض اللصوص قد انتشروا هنـــا وهناك **منذ عشرة أيام** » ! هذا التحديد ليس من حق من يحرص على الأمانة فى الترجمـة ... وبعد أن يتلقى الشحاذ شكر دون جوان على ما أسدى اليه من نصيحة ، يلتمس منـــه الاحســـان "Si vous vouliez, Monsieur, me Secourir de quelque aumône"

ومعنى هذه العبارة ببساطة «هل لك ياسيدى أن تعينني بصـــدقة » .. ولكن الأستاذ ادوار يترجمها هكذا : «ان اردت يا سيدى انتساعدنى ببعض الاحســـــان ؟ » !! .. ويترجم تعبير "prier Dieu" الذى يـــرد عــــــدة مــــرات فى النص ب « يصلى لتمنح السماء ... » وكنت أفضل أن تكون الترجمة « ادعو السماء أو ادعو الله » ... ثم هل يستطيع أن يكتب العبـــارة التالية أكثر من مرة دون أن يسىء الى اللغـــة العربية : « أعطيه لك » ؟ .. وينتهي الحديث

بين الشحاذ ودون جوان الذى يلمح فى الغابة مشاجرة غير متكافئة بين رجل وثلاثة آخرين ، ويختتم موليير هذا المنظر بهذه العبارة الانتقالية التى يضعها بين قوسين : "Il court au lieu du combat" ومعـــناها « ويسرع الى مكان المشاجرة » .. ولكن المترجم يملأ قوسيه بكلمة واحدة لا تمهـــد القارىء للمنظر التالى هى : (ويخرج) ! .

رابعـا : (المنظر الأول من الفصل الرابع) : يقول دون جوان فى هذا المنظر القصير :

"... et nous pouvons avoir été trompés par un faux jour, ou surpris de quelque vapeur que nous ait troublé la vue" وينقل الأســـتاذ ادوار هـــذا القول بالعبارة التالية : « ... ولعلنا خدعنـــا فى نهار ملبد بالغيوم » أو لعلنا فوجئنا بشىء من الاضطراب صـــعد الى رؤوسنا فاختلط بالوهم نظرنا » ! أيصعد الاضطراب الى الرؤوس ؟! أيختلط النظر بالوهم ؟! .

خامسا : (المنظر الثالث من الفصل الخامس : يستعمل المترجم فى هذا المنظر كلمة « اعتزال » ترجمـــة لـكلمة "retraite" أكثر من مرة ، واظن أنه أراد أن يقول « انعزال » لا سيما أنه لا يذكر لنـــا ما تعتزله الفتاة ، ذلك لأن الأمر يتعلق بدخول فتاة احد الأديرة ... ويحاول دون جوان أن يتملص من وعــــده بالزواج من الفير ، ويقول لأخيها :

"... et qu'avec elle assurément je ne ferais point mon salut" ، ولكن الأستاذ ادوار يترجم هذه العبارة ترجمة غامضة ركيكة معا فيقول : « ... وانني لن أحصل على خلاص نفسى طالما كنت معها » ! ويرد دون كارلوس بقوله :

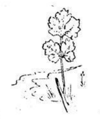
"Croyez-vous, D. Juan nous éblouir ces belles excuses"

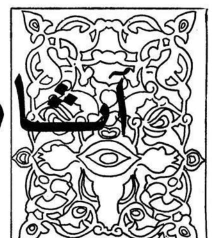
اى«وهل تظن يادون جوان انك تبهرنا(أو تقنعنا) بهذه الذرائع الخلابة ؟ » ولكن الأستاذ ادوار أعطانا هـذه الترجمة التى جعلتنى انتفض : « وهـل تظن اننى سأكتفى بمثل هذه الخطب والمواعظ ؟ » .. ويصر دون جوان على موقفه فيقول له دون كارلوس :

"Vous aurez fait sortir ma sœur d'un couvent pour la laisser ensuite" أى : « انك تكون قـد أخرجت أختى من دير لتهجـرها (لتتخلى عنها) بعد ذلك » .. ولكن المترجم يتصرف على النحو التـالى : « ماذا ... وهل تظن أنك بعـد أن اخرجت أختى من الدير ، تستطيع أن تهجرها بعـد ذلك ؟ » ! المعنى محرف تحريفا بينا ، وتكرار كلمة « بعـد » يسبب ركاكة العبارة ... وركيك أيضا هـذا التعبير « ماذا ؟ السماء دائما » الذى يقابل فى النص الفرنسى Et 'quoi, toujours le ciel" (الذى يعنى ببســاطة : « انك لا تكف عن ذكر السماء ») ... وركيكة كذلك هـذه الجملة « ولكن أعلم أنه ليس أنا الذى يريد المبارزة » .. أما هذه العبارة « أطلب الترضية من السماء ، التى تريد أن تترجم لنا قول دون جوان لدون كارلوس: "Prenez-vous en au Ciel" فهى تخفق كل الاخفاق فيما أرادت ، لأن العبارة الفرنسية تعنى : « عليك أن تحمل السماء هذه المسئولية ؛ او « عليك أن تلقى التبعة على السماء » ..

لقد أطلت ؛ ومع ذلك فلم اتنـاول بالتعليق على الترجمة سوى خمسة مناظر من السبعة والعشرين التى تحتوى عليها المسرحية . ان الترجمة الأمينة التى لا تتقيد « بالحرفيـة » الا بالقدر الذى يقتضيه احترام فكرة المؤلف لهى نوع من الخلق الفنى . وهذا الضرب من ضروب الترجمة هو الذى نحتاج اليه فى محاولتنا والاستفادة من التراث الغربى . ومن المفروض أن يثق القـارىء فيمن يترجم له ، وليس من المفروض أن يعكف كل قارىء على مقارنة كل نص عربى بالنص الأجنبى المترجم ؛ ولو أن هذا يسير عليه لكان أيسر منـه أن يرد المصـادر الأصلية دون حاجة الى وساطة المترجم . ان الترجمة الحقيقية فن كما قلت ، وليس فى وسع كل انسان أن يوفق فيها مهما اعتمد على بضعة معاجم ، ذلك لأن هنـاك شيئا اسمه « روح النص » ، ولأن اتقان لغة واحدة لا يكفى للقيام بترجمة قوية أمينة لا تهزأ بعقول القراء . كيف يكون الحال اذن اذا كان المترجم لا يجيـد لغـة واحـدة ؟ انه يشوه أفـكار المؤلف وبأسلوب ركيك ... ولست أقصد بهذا الكلام ان اغمز مترجم مسرحية « دون جوان » لموليير .. فانا وان كنت لا أعرفه الا أننى ألمس قـدرته على الترجمة الجيـدة ان هـو أبطأ فى انتاجه أولا ، وحرص على تنقيح أسلوبه بعد ذلك ..

الدكتور على درويش

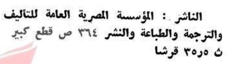




آثار باحثة البادية

جمع وتبويب : مجد الدين حفني ناصف

تقديم : الدكتورة سهير القلماوى



الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٣٦٤ ص قطع كبير ث ٣٥ر٥ قرشا

كان جميـــلا من المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر التابعـــة لوزارة الثقافة والارشاد القومى أن تخصص هذا الكتاب فى سلسلة « تراثنا » للمجموعة الكاملة لأعمال أديبة مصرية مرموقة من أوائل أديباتنا الرائدات فى العقـــدين الأولين من هـــذا القرن العشرين ، وهى الأديبة العريقة فى نسبها الى الأدب ، السيدة ملك بنت الأديب الشاعر حفنى ناصف ، خدين شـــاعر النيل حافظ ابراهيم وأحد القلة الذين تركوا أثرا واضحا فى نهضة الأدب العربى منذ أواخر القرن التاسع عشر .

وكان توفيقا محمودا أن يضطلع بجمع آثار هذه الأديبة المرموقة أديب آخر هـــو الشقيق الأصغر للسيدة ملك ، بل لعله كان يحتل لديها منزلة الأبن لقيامها على رعايته منـــذ طفولته الباكرة بعد وفاة أمهما .

ويزيد من قيمة هذا التوفيق أن تتولى أديبة عالمة من معـــالم نهضتنا النسائية المعاصرة فى الأدب وفى الجامعة هى الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى بانشـــاء تلك الدراسة الجيدة التى تصدرت هذه الآثار المجموعة لباحثة البادية .

فقيام الدكتورة سهير بالذات بهذا العمل بمثابة تنويه لطيف لبق بأن الأرض التى وقفت باحثة البادية نفسها على حرثها وسقيها — وهى أرض تحرير المرأة عقليا واجتماعيا وثقافيا على وجه الخصوص — قد زكا نبتها وآتى ثمراته الطيبة بعد وقت قصير فغدا بهجة للعين وغذاء طيبا للعقول والأذواق .

وكانت الدكتورة سهير على العهد بهـــا فى تحرى الدقة والأمانة فى وزن الأعمال الأدبيـــة وما يترتب عليهـــا من آثار بميزان العلم الذى لا يفتات على خصم ولا يحابى صديقا . فلا يشعر القـــارىء بشىء من التعصب العاطفى من سيدة لســـيدة أخرى فى مضمار الانتصار للمرأة . فلو صدر ما كتبته الدكتورة سهير من قلم رجل منصف لما وسعه أن ينقص مما كتبته شيئا ، بل لعله كان حريا أن يزيد عليه أشياء فى معرض التنويه والاعجاب . بيد أن الكاتبة العالمة آثرت فيما نعتقد الأخذ بالأحوط فأسرفت فى الحياء

ارضاء للحقيقـــة التى لا يعرف البحث العلمى له مطلبا سواها .

« ان جهاد الأول ليس خطوات نستفيد منها فى أننا نستطيع أن نسير الى ما بعدها فحسب ، ولكنها خطوات تعين بخط سيرها الذى سارت فيه منهاج المستقبل وخطة الغد ... والحديث عن ملك حفنى ناصف فى حد ذاته ليس متعة فحسب ، ولـكنه فائدة عظمى ودرس لا يمكن الا ان يكون موحيا فى كل ظرف وزمان » .

بهذا القصد المستقيم فى القول مهدت « باحثة الجامعة » لدراستها عن آثار « باحثة البادية » . ثم اتبعت ذلك بالمقياس الوحيد السديد المتفق عليه بين جميع الدارسين منذ عهد بعيد :

« لا تظهر قيمة جهـد المصلحين الا اذا تأملنا الحالة قبل دعوتهم ثم تأملناها بعـد أن أثمرت هذه الدعوة بشكل أو بآخر . لذلك لابد لنا من أن نلقى نظرة عامة على أحوال المرأة فى النصف الثانى من القرن الماضى لنرى الى أى حد أفلحت دعوة قاسم أمين وباحثة البادية فى تغيير الحال .

ولا يمكن لدعوة اصلاح ــ مهما يكن شأنها ــ أن تقتصر جـدواها على الزمن القريب أو التغيير المباشر الذىأحدثته . ان ثمرات الاصلاح ــ مهما صغرت ــ لبنات فى البناء يأخذ كل منها مكانه ويشد بعضه بعضـا فى سبيل ارتفـاع البنيان الشامخ : بنيان كمال الانسان وسعادته . وآثار كل دعوة اصلاح هى لبنات فى كل ما وصلت اليه المرأة اليوم وكل ما ستصل اليـه غدا فى سبيل أن تمكن من أن تؤدى دورها الرئيسى فى الحياة : أن تسعد نفسها وتسعد من حولها وتسعد جيلا لاحقا بكل ما يمكن أن تتقن من عمل ، وتقـــدم من صبر ودأب وتضحية ... » .

وعلى هـذا النهج الواضح السليم أمسكت الدكتورة سهير بطرف الخيط فى نهضـة المرأة المصرية الحديثة . وكانت هـــذه البداية رجلا لا امرأة . وهـــذا الرجل « شيخ » أزهرى فى فى نشأته ومثقف تقدمى فى عقليتـه وثقافتـــه الأوربية . وهـذا الأزهرى التقدمى هو الرائد العظيم « رفاعة رافع الطهطاوى » عضو البعثة الى فرنسا على عهد « محمد على » .

« وكان الطهطاوى أول صوت ــ فيما أعرف ــ نادى فى مصر الحديثة بوجـوب تعليم البنات ورفع الحجة السخيفة الواهية التى تقول : تعلمت المرأة فانها تتقن كتابة خطابات الغرام بل دافع عن وجوب تعليمها كل علم ممكن ، فلابد أن تسلح لكل احتمال » .

وهكذا « تحمس الطهطـــاوى بالقدر الذى يسمح به زمانه للاصـــلاح الاجتماعى ولتعليم المرأة » . ولكن « بعـــد أن سارت مصر شوطا نحو التقدم جاءها سر الاستبداد والظلم المنيع ، ليحول دون تدفق الحياة الطبيعية ، وأصيبت الحيـــاة بشـلل وأصيبت دعوة الطهطاوى فى السياسة الديموقراطيـة والاصـلاح الاجتماعى بشلل أيضا ، فنامت دعوة اصلاح أحوال المرأة طويلا » .

وتصف الدكتورة أحـوال المرأة المصرية فى آخر القرن الماضى مستشهدة بأقوال من وصفوها من الرحالـــة الأجانب ، فاذا هى : « تلك التى اذا سارت فى الشارع بدت وكأنها خيمة متحركة! ــ على حـــد تعبيرهم ــ وبيتها ــ فى الأغلب ــ لا نظام فيه ولا ذوق بل ولا نظافة . لقد فقدت بحكم الجهل المسيطر على عقلهـا لذة الاهتمام بالبيت . الطعام أهم ما يشغل نهـــارها ... والبيت كله فى الأغلب والأعم مرجـــل يغـــلى بالضرائر ، وسلاح الطـــلاق مسلط عليـــه ، والأقارب والأبناء غير الأشقاء والسرارى يعيشون فى معمعة . وعلى قمة الجبل فى ميدانها رجل مفروض فيــه أن ينفق وأن يحكم ، فهو ينفق حسبما يروق له ، ويحكم قدر ما يستطيع ! » .

لذلك كله « كان ظهور ملك باحثة البـــادية كاتبة وداعية ومصلحة من صميم البيئة المصرية حدثا هاما فى تاريخ المرأة ، وبشيرا بآثار أعمق وأقوى ... وهى بنت أبوين مصريين يعيشان فى بيئة مصرية صميمة » .

وكان ظهور باحثة البـــادية ابان دعوة قاسم أمين الجريئة لتحرير المرأة ، « فدعت كما دعا الى أن تحرر المرأة ، وان سمت التحرر اصلاحا وسماه هو تحريرا » .

ومن هذا التصوير للبيئة والظروف تدرجت الدكتورة سهير الى تاريخ حياة « باحثة البادية » وبيئتها الأسرية والاجتماعية والعقلية الخاصة بها . فكانت أول فتاة حصلت على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية ثم على دبلوم المدرسة السنية ، وقرأت فى تلك الأثناء كتب الفحول من الشعراء الأقدمين على والدها الأديب الشاعر المعلم القاضى حفنى ناصف بك .



وتمضى الدكتورة فى تتبع مراحل حياة « ملك » فى العمل ، وفى الكتابة ، وفى نظم الشعر ، وفى رعاية الأسرة بعد وفاة والدتها ، وفى النشاط الاجتماعى ، وفى التدريس ... الى أن تزوجت من شيخ العرب عبد الستار الباسل بك من رؤساء القبائل العربية فى اقليم الفيوم ، وهو رجل ممن نالوا قسطا من التعليم العصرى ، وزفت اليه ملك ورحلت معه الى البادية . ومنذ ذلك الحين صارت تنشر مقالاتها بتوقيع « باحثة البادية » .

وترجع الدكتورة سهير الى شقاء ملك فى حياتها الزوجية بتلك البادية كثيرا من عناصر أدبها وملامحه النفسية الحزينة . فقد كان زوجها العصرى الوجيه « رجلا يمارس حق الرجال الذى به استبدوا فى عصره : حق أن يعيش كما يهوى والمرأة الى جانبه جزء مكمل لوجوده ، أو تحفة ثمينة يفخر بأنه يحوزها .

ولم تكن ملك بعد كمال **نضوجها ونضوج** شخصيتها الفذة بقادرة على أن تكون مجرد ملحق لانسان مهما يكن » .

وهو كلام جميل فى مجموعه . ولكنى أحب ان أتلبث قليلا عند كلمة وردت فى كلام السيدة الدكتورة سهير القلماوى . وهى كلمة « نضوج » هذه ... فانى أحسب الصواب هو « النضج » لا « النضوج » ... أم لعل فيها قولين ... ؟ أو لعله ايثار الخطأ الشائع على الصحيح المهجور .. ؟ ربما .. ! .

وكلمة اخرى جاءت بعد تلك ببضع سطور ، عند قول الدكتورة :

« وفى هذه السنوات الاحدى عشرة التى قضتها ملك باحثة للبادية استعلت فى نفسها تلك النار المقدسة التى دار بينها وبين « مى » فيما بعد الحديث عنها : تلك النار التى ألهبت قلبها فجعلتها تكرس اللسان والقلم للدفاع عن قضية المرأة والمطالبة بحقوقها » .

وكلمة « تكرس » هى التى أعنيها . فأحسبها ليست من العربية الأصيلة فى شىء ، وان كانت من الخطأ الشائع على الألسنة فى الخطب ، وعلى الأقلام فى صفحات الكتب . ومبلغ علمى أن الكلمة نصرانية معربة . وأحسب المقصود هنا . تخصص .

وفيما خلا هذا « التبسط » فى مواضع قليلة من تعبيرات هذا البحث لا يجد القارىء الا كل ما فيه متاع للذهن من التمحيص ونزاهة الرأى وثاقب النظر .

أما المجموعة نفسها التى يتكون منها صلب الكتاب فيكفى فى تمجيد صاحبتها الراحلة أن معظم ما طالبت به فى جرأة تصل أحيانا الى الفدائية التى تعرض صاحبتها للمعاطب والمكاره — أقول أن معظم هذه المطالب العسيرة البعيدة المنال وتتئذ حققها المد الطبيعى للمجتمع المتطور . وهذا التحقق نفسه دليل فضل لها .

فلئن أخذنا اليوم دوران الأرض حول الشمس مأخذ التسليم الذى لا يثير عجبا ولا تساؤلا لأنه بديهى ، فالفضل فى ذلك لجاليليو وأمثاله ممن لولاهم لظل هذا الرأى البديهى خارقة نقابلها بالانكار الشديد .

وثمت شىء آخر نحب أن نسجله لباحثة البادية : ان نصاعة رأيها وقوة منطقها يطلان علينا حتى اليوم من سطورها ، ونحن ما نحن اليوم من شيوع التعليم والمنطق العقلى بيننا .

فناهيك بتلك المزايا فى ذلك العهد الذى كانت المرأة فيه قرين الدابة وصنو الطنافس والزخارف العجماء والصماء على أحسن التقدير .

ولئن قيل ان الثواب على قدر المشقة ، فجدير بنا أيضا أن نقول أن النبوغ على قدر الجهالة ، والسمو على قدر الاسفاف . وأدعى للاعجاب أن يكون ذلك كله فى أسلوب مشرق ألاق :

« وظيفة المرأة هى اسعاد الكون وتخفيف متاعبه . وظيفتها نافعة وضرورية كوظيفة الرجل . ولكن الجهل أفسد خلقها وجعلها ترضى بأن تكون أنثى لا غير فاحتقرها الرجل لأنها هى احتقرت نفسها أولا وجهلت قدرها . وماهلك امرؤ عرف قدر نفسه ! » .

كلام محكم واضح النهج متين النسج ! .

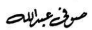
وعلى هذا النسق كلام باحثة البادية كله ، لا يقع القارىء منها على سقطة فى التعبير أو ركاكة فى المنطق أو تهافت فى الحجة . بل لعلها الى التحفظ والاحتجاز اقرب منها الى التهور والاندفاع . فهى لا تطلب حقوقا للمرأة على طريقة « المزايدة » المعهودة عند بعض ادعياء التحرر ، أو بعض « المقلدين » فى التقدم ! وهى ليست من الداعيات الى التمرد والشطط والطفرة ، بل تؤثر الأناة والاصلاح المتطور الرصين عن طريق التربية وبث الوعى والتخطيط .

وانه لنهج قويم كريم . لن تفرغ حاجتنا اليه فى حياتنا الناهضة . وكفى صاحبته فخرا اننا قطعنا الشوط الذى صبت اليه وزدنا عليه . وان من بيننا اليوم العالمة المصرية التى كتبت عنها بحثا جليلا ، وان عشرات الألوف من المصريات يقمن بالتعليم ، وان عدد الطالبات يكاد يقارب فى بعض كلياتنا عدد الطالبين .

ولست أدرى ماذا كانت حرية أن تقول باحثة البادية لو رأت باديتنا وحواضرنا اليوم . هل كانت تنادى بمزيد من التحرر ، أم عساها كانت تجنح الى المطالبة بشىء من التريث والاحجام ؟ .

أكبر الظن انها كانت ترضى عن كثير . ولا ترضى أيضا عن كثير . ولكن ابتسامة الرضا عما تحب ستكون أكبر من نظرة الاشفاق مما لا تستسيغ ...

رحم الله باحثة البادية بما نبهت وبما دعت وبما دبجت ..





فن الخطابة

تأليف الدكتور احمد محمد الحوفي

الناشر : مطبعة الرسالة

٢٧٤ ص قطع متوسط

عرفت الانسانية الخطابة فنا فى طليعة الفنون ، وهى وفن الشعر أقدم فنون الأدب على الاطلاق ، اذ هما فى جملتهما حديث عن النفس ، هى حديث عن آراء وأفكار ومثل وعقائد يؤمن بها الخطيب ويدعو اليها ، وهو حديث عن عواطف وانفعالات وتجارب . وكلاهما أحس الانسان بالحاجة اليه ليفضى بما يريد الاقتضاء به مما يحقق للنفس أو للحياة غاية من الغايات .

وكذلك عرفت الانسانية الخطابة علما أو لونا من ألوان المعرفة منذ امتهنها جماعة السفسطائيين ومنذ أخذوا فى تعليم أبنـاء اليونان اصول هذا الفن وقواعده التى تجعل منهم خطباء قادرين على اختلاب العقول والاستيلاء على القلوب وقيادة الجماهير الى ما يريدون قيادتها اليه .

وقد تمثلت الصورة الـكاملة لتلك الأصول والقواعد فى كتاب « الخطابة » الذى ألفه المعلم الأول أرسطو . والخطابة عند أرسطو متصلة بالجدل ، وكلاهما يعنى بأمور يمكن معرفتها من غير التجـاء الى علم بعينه ، لأنها أمور يمارسها النـاس بدرجات متفاوتة ، وكل انسان يحاول ما اسعفه الجهـد أن يعارض حجة من الحجج وأن يدعمها . ولكن النظر فيما يؤدى الى انجاح هذا العمل يستلزم أن تكون هناك طريقة وأن يكون هناك مجال للتوجيه .

وقد تحدث أرسطو حديثا مستفيضا فى كتابه عن الخطابة ، ودرس حاجـة المجتمعات اليها ، وعرّف بأقسامها وأجزائها وموضوعاتها وعبارتها فى دراسة واسـعة تنهج نهجا تعليميا ونقديا فى الوقت نفسه . وظل كلام أرسطو اماما فى أصول فن الخطابة ، كما ظل كلامه فى فن الشعر اماما فى أصول الشعر ، لكل من يتحدث فى أحد هذين الفنيين ، وأصبح الكتابان من تراث الانسـانية الخالد حتى يومنا هذا .

وفى قـديم تاريخنا الأدبى تحدث الجاحظ (٢٥٥ هـ) فى كتاب «البيان والتبيين» عن هذا الفن عند العرب ، كما تحدث عن أعلامه ومحاسنهم ومثالبهم ، وعرض لمواقفهم وتقاليـدهم ، وأشاد

ببيانهم وقدرتهم على الارتجال فى دراسة مفصلة ممتعة تقرأ فيهـــا عاطفة صادقة نحو العرب ، ودفاعا مجيدا عن أصالة هذا الفن عندهم ، بعد موازنات جيـــدة بينهم وبين غيرهم وقد عرف العرب كثيرا عن خطابة اليونان والفرس والهنود وخطبائهم بعد أن احتكوا بهم ، وبعد أن قرءوا كتبهم .

وكان من الطبيعى فى نهضتنا الحديثة أن يأخذ فن الخطابة حظه من الدرس والعنـــاية بجانب الفنون الأدبيـــة الأخرى ، وكان من أثر هـذه العناية كتابان ، هما كتاب « الخطابة » الذى الفه الدكتور نقولا فياض ، وكتاب « علم الخطابة » الذى ألفه الأب لويس شـــيخو اليسوعى وأميل اده . كما ظهرت ترجمـــة حـــديثة لخطابة أرسططاليس بقلم المرحوم الدكتور ابراهيم سلامه ثم كان هذا الكتاب الذى تتحـــدث عنه فى هذه الكلمة ، وهو كتاب « فن الخطابة » .

والدكتور أحمـــد الحوفى واحد من أولئك الرجال الذين أذووا نضرة حياتهم وزهرة شبابهم فى تحصيل العلم وتعليمه ، حتى انتهى به جهاده الى وظيفة الأستاذية فى كلية دار العلوم ، وهو رجل خصب القريحة واســـع الثقافة فى علوم الأدب ، وقد أمدت هذه القريحة المواتية والقلم المطاوع المكتبة العربية بنحو عشرين كتابا تدل على غزارة المعرفة بالأدب قديمهوحديثه وكتاب « فن الخطابة » الذى نقدمه اليوم أحد الجهود الصادقة الموفقة التى بذلها وما يزال يبذلهـا الدكتور الحوفى فى صبر لا يتسرب اليه ملال ، وفى همة لا يدركها كلال .

وكانت الكلمة الأولىفىفن الخطابة للمرحوم الدكتور ابراهيم سلامه ، وهى فى مجملها كلمة تحية وتقدير ، فرأى الكتاب محققا للفكرة التى وضع من أجلها ، قاصدا الى الغاية التى هدف اليها المؤلف من سبيل قريب ، وانه الأول من نوعه بين المؤلفاتالحديثة التىتعرضت للخطابة « فما سبقه من الكتب كان يعنى بناحية واحدة فقط ، هى الناحية التى يجـــد فيها المؤلف نفسه ، لأن المؤلف ينزع الى نفسه ، تدفعــه الى ناحية الافكار التى جمع ثقافته حولها .. »

ثم يقول ان فن الخطابة جاء مترجما للحديث بفنيته ، ومعبرا عن القديم بمادته ، وانه تناول فى موضوعه كل ما يتصل به الموضوع اتصالا مباشرا مما له علاقة بعلمالنفس وعلم الاجتماع، الى يقظته لـــكل ما قيل فى العصر الحديث ، ولكل ما نشأ عن التطور الحديث » .. ثم ندع المقدمة » أو كلمة التقدير أوالمجاملة ، الى عرض سريع لما اشتملت عليه الفصول التسعة التى ينتظمها الكتاب ..

والفصل الأول من هذه الفصول تكلم فيه المؤلف عن الخطابة والخطيب ، فأورد عـــدة تعريفات لها ، وشرح قيمتهـا ، وما يـــدعو لدراستها . ثم تكلم عن عدة الخطيب وصفاته، وهى : الاستعدادالطبيعى ، واللسنوالفصاحة، وسعة الثقافة ، ومعرفة نفسية السامعين » وسرعة البديهة ، وحرارة العاطفة ، وروعـــة المنظر وجودة الالقاء ، وســـمو الأخلاق ، ثم موازنة يسيرة بين الخطيب والشاعر ، ثم بينه وبين الممثل .



وتحدث فى الفصل الثانى عن نشأة الخطابة وعوامل رقيها ، وهى الحرية ، وطموح الأمة ، والأمية ، وسرعة البديهة،والأحداث السياسية والدينية والاجتماعية ، والحروب والثورات ، والأحزاب السياسية وغيرها .

وتحدث فى الفصـــل الثالث عن نفســـية الجماعة ومسلك الخطيب . وفى الفصل الرابع درس أنواع الخطـــابة ، فعرض تقسيم أرسطو

اياها الى خطابة استشارية ، وخطابة قضائية ، وخطابة استدلالية . واتجاه كل منها وغايته ، ثم نقد هذا التقسيم ، ودرس التقسيم الحديث الى خطابة سياسية ، وقضائية ، وحفلية ، ودينية ، وحربية .. وذكر خصائص كل نوع منها وتاريخه وغايته واعــلامه من القدامى والمحدثين .

وفي الفصل الخامس تعرض المؤلف للأجزاء التقليدية للخطبة ، وهى المقدمة ، والعرض ، والتدليل ، والتفنيد ، والخاتمة ، وقد درس هذه الأجزاء ، وترتيبها ، وخصائصها ، وأمثلتها فى ست وعشرين صفحة .

أما الفصل الســـادس فقد تكلم فيه عن الأسلوب الخطابى ، ووازن بينه وبين الأسلوب الكتابى ، وعرض لقضية اللفظ والمعنى ، ثم شرح خصائص الأسلوب الخطابى ، وهى عنده الاطناب ، والوضوح، واثارة الشعور، وموسيقى الأسلوب ، والقياس المضمر .

وتكلم فى الفصل الســـابع عن الارتجال فى الخطابة والاعداد لها . وخصص الفصل الثامن للحديث عن تصور الأمم للخطابة ، فتحـــدث عن اليونان وأورد نموذجين من خطب ديموستنيس ثم عن الرومان وشـــيشرون ، ثم عن العرب والمحدثين ، ثم تكلم عن المرأة والخطابة .

وخصص الفصـــل التاسع للحـــديث عن الخطابة السياسية في العصر الأموى .

هذه هى فصول « فن الخطابة » أشرنا اليها بايجاز ، لكى نبين الموضوعات الكثيرة التى عرض لها الكتاب ، والتى عالجها علاجا جيدا واعيـــا يشهد لصاحبه بالاحاطة بموضوعه والالمام بأكثر أطرافه التى يعنى القارىء الالمام بها . كثير من هذه الموضوعات جديد فى تناوله ، ولا ســـيما الفصـــل الثالث والفصـــل السادس والســـابع والثامن والتاسع ، ونعنى بجدة التناول أن هذه الموضوعات درس بعضها أو أجزاء منها فى كتب الأدب العام ، ولكنها حظيت فى هذا الكتاب بشىء من التفصيل وكثير من التنظيم ، ولا شك أن هذا الكتاب المتخصص هو فطنة التفصيل وفطنة التنظيم أيضا ، ومن هاتين الجهتين تلتمس ميزة



الـكتاب التى يفضل بها من الجهود والتأليفات التى سبقته فى فن الخطابة .

ولا يمنعنا تقدير الجهود المشكورة التى بذلها الدكتور الحوفى فى هذه الموســـوعة الخطابية فى وعى واخلاص لم بهما شتات هذا الفن ، ووصل بهما قديمه بحديثه ، من أن نبدى بعض الملاحظات لتكون كلمتنا مشاركة بناءة فى خدمة الموضوع وبعض هذه الملاحظات يتصل بالشكل وبعضـــه يتصل بوجهة نظر تفيد من هذا البحث القيـــم الذى يثير كثيرا من الفكر والآراء التى تتصـــل بموضوعه .

وأولى هذه الملاحظات عناية السيد المؤلف بابراز بعض الأفكار التى تناولها فى صلب كتابه وكتب لها عنـــاوين كبيرة لا تقل فى حجمها او مساحتها عن حجم عنوان الكتاب الخارجى فى حين أن بعض هذه الأفكار لا يصل الاهتمام بها الى هذه الدرجة من العناية فالعنوان يشـــوقك بجمال خطـــه الذى تأنق فيـــه شيخ الكتاب المعاصرين سيد ابراهيم فى حين أن عنوانا جزئيا كان فيه الكفاية للـــدلالة على المراد ؛ ولو كان الموضوع يستحق مثل هذه العناية فان الدراسة التى جعلت لها هذه العناوين الكبيرة دراســـة موجزة الى أضيق حدود الايجاز الذى يـــدعو الى ادماجها فى غيرها ؛ ولا احب أن أدع هـــذه الظاهرة ــ وان كانت تتصل بالشـــكل ــ دون تمثيل ، ففى رأس الصفحة (٤٣) عنوان كبير بالخط الفارسى الجميل هو «الخطيب والشاعر» واذا نظرنا الى ما تحت هذا العنوان الجميـــل

الكبير الذى كان رأس صفحة وشغل موضع أربعة أسطر ألفيناه أقل من صفحتين . وكذلك فى رأس الصفحة (٤٥) عنوان كبير بالخط الفارسي الجميل هو « الخطيب والمثل » فى حين أن الموضوع كله بما فيه العنوان لايتجاوز صفحة واحدة هى صفحة (٤٥) ثم ينتقل فى الصفحة التالية (٤٦) الى فصل جديد هو الفصل الثانى الذى عقده لدراسة نشأة الخطابة وعوامل رقيها.

وأعتقد ان فى أمثال هذا كثيرا من الاسراف، وكثيرا من الترف الذى أعتقد أن المؤلف لايحرص عليه حرصه على الدرس المستفيض العميق . كما اعتقد أن الموضوع الأول بخاصة « الخطيب والشاعر » كان يتسع لدراسة أوسع وأعمق أكثر من القول بأنه كان فى العرب شعراء خطباء من أمثال عمران بن حطان ، ودغفل ، ونصر بن سيار ، وبشار بن برد ، والطرماح بن حكيم ، والكميت ، وكلثوم بن عمرو العتابى ، وسهل بن هارون ، وأن حافظ ابراهيم كان يلقى قصائده القاء الخطيب المصقع المجيد ، فيتأثر بها سامعوه أكثر من قارئيه ، وان الجارم كان يفتن فى القاء شعره فيخلب ، بينما لم يلق شوقى قصيدة من قصائده ، وانما كان يتخير من يلقيها فى المحافل ، وأن فى الفرنجة كثيرا من الشعراء الخطباء مثل لامارتين الذى هز المنابر بخطابته ، كما هز القلوب بشعره ، ومثل جورس الخطيب الشاعر الذى كان فى العشرين من عمره يمشى على شواطىء الكمارون مرددا فى الفضاء نثره الشعرى الرائع ، وكليمانصو شاعر فى كتابته وخطابته ، وبيرون خطيب فى شعره !

كنت أعتقد أن الموضوع يتسع لأكثر من هذا ، فيبحث بحثا مفصلا عن أصالة هذين الفنين — الخطابة والشعر — مع تفصيل مجال كل منهما ، وشرح العوامل التى جعلت من هذا الأديب شاعرا ، وجعلت من غيره خطيبا ، أو جعلت من اديب واحد خطيبا شاعرا فى وقت واحد ، وهى عوامل نفسية واجتماعية كثيرة معروفة .

ولا أحب أن أدع هذا الموضوع بعد أن استوقفنى قول الدكتور الحوفى فى الموازنة بين الخطيب والشاعر ، أو بين الخطبة والقصيدة « وللقصيدة وحدة عضوية ، أما الخطبة فانها ذات أجزاء ومراحل فى أكثر الأحيان » فلست أفهم على التحديد ما يريد الكاتب ان يقول الا ما يدل عليه ظاهر عبارته ، وهو أن للقصيدة وحدة عضوية ، اما الخطبة فلا وحدة عضوية لها لأنها ذات أجزاء ومراحل فى أكثر الأحيان !

واذا كان هذا هو المعنى الذى يريده الدكتور الحوفى فانى لا أوافقه عليه ، بل اخالفه فيه ، وأذهب الى أن العكس هو الصحيح ، لأن تكوين الخطبة من أجزاء ومراحل لا ينفى اجتماع الوحدة العضوية لها ، لأن كل جزء من أجزاء الخطبة مرتبط بما قبله ، ومرتبط كذلك بما بعده ، وهذا الارتباط ينبغى أن يكون شديدا بين الأجزاء ، وكل ما يمكن أن يضاف أو ألا يضاف — كما يقول ارسطو — دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءا من الكل . والوحدة العضوية فى الشعر تكلم عنها أرسطو فى لونين فقط من ألوان الشعر هما شعر الملاحم والشعر المسرحى أما الشعر الغنائى فقد اغفل أرسطو الكلام عن الوحدة فيه ، بل لا نجد فى كتاب « فن الشعر » حديثا أى حديث عن الشعر الغنائى . ويعرف صديقنا الدكتور الحوفى أن أكثر القصائد العربية المأثورة تفقد هذه الوحدة العضوية وتتعدد فيها الموضوعات .

أما الخطب والرسائل فانهما الأصل فى هذه الوحدة ، وليس تكونهما من اجزاء سببا من أسباب فقد تلك الوحدة كما يرى الدكتور ، فان كل عمل أدبى منظوما أو منثورا لا بد ان يتكون من أجزاء . والذين نشدوا هذه الوحدة فى الشعر من نقاد العرب انما قاسوا الشعر فى هذه الناحية بالخطبة والرسالة أى أن الخطبة والرسالة هما الأصيلتان فى تلك الوحدة، ووحدة الشعر تقاس بالوحدة فيهما ، فالحاتمى (ت ٣٨٨ هـ) يمثل القصيدة بالانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالمه، ثم يقول : وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها

واعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل منها جزء عن جزء » ..

والأصل فى ذلك أن الخطيب والكاتب ، كلاهما يعالج موضوعا واحدا فى الأغلب ، لأن لدى الخطيب فكرة ينادى بها ، ومبدأ يدعو اليه ، وهو الذى حفزه للكلام ودعاه للخطابة ، فالوحدة موجودة بطبيعتها فى الخطبة ، وكذلك فى الرسالة اذا كانت ذات هدف يرمى الكاتب الى تحقيقه منها .



ومن هذا يؤخذ على الدكتور الحوفى قوله عن العرب فى معرض كلامه عن الخطابة فى تصور الأمم : ان العرب فى الغالب لم يتصوروا الموضوع وحدة ذات معان مرتبة كما تصور اليونان والرومان ، وانما كانت لهم لفتات ونظرات الى ما يهمهم من الموضوع ، فلا يستقصون ولا يرتبون الأفكار ، ولعل سبب ذلك شيوع الارتجال ، واستشهد على ذلك بقول الجاحظ « وكل شىء العرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة ولا استعانة ، وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام » .... وكأنه حسب أن الارتجال ينافى هذه الوحدة ، وكأنه يراها لا تتحقق الا بالاعداد والروية والتحبير . وليس الرأى عندنا ذاك ، فليس الارتجال الا آية القدرة والتمكن ، ومعنى كلام الجاحظ واضح ، وهو أنه يريد أن يقول ان ما يدركه العرب بديهة وارتجالا لا يتأتى لغيرهم الا بعد معاناة ومكابدة ، وهذه عبارة الجاحظ صريحة « فما هو الا أن يصرف — الخطيب العربى — وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولايدرسه أحدا من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون» وشتان بين مفهوم هذا الكلام وغايته ، والوحدة التى لا يتعلق بها شىء من هذا الكلام !

وكنا نتوقع فى بحث متخصص فى فن الخطابة يدرسها عند العرب وعند اليونان والرومان أن يتتبع ما ذكره الجاحظ من أن ابراهيم بن مخرمة السكونى الخطيب كان « يعلم فتيانهم الخطابة » فان هذه العبارة الموجزة تفتح لنا آفاقا فى دراسة الخطابة عند العرب ، وتدل على عظم تأثرهم بتعاليم السفسطائيين الذين كانوا يعلمون أبناء الأشراف، الخطابة ، وتدلنا فى الوقت نفسه على أن الخطابة أصبحت عند العرب اذ ذاك علما له أصوله وله معلموه وله تلامذته ، كل ذلك كان فى حاجة الى دراسة وتتبع واستقصاء وقد وجد الدكتور المفتاح فى هذه الكلمة الموجزة ، ولن يقنعنا منه مع هذا النص الصريح أن يقول لنا « اذا كان اسحاق بن حنين قد ترجم كتاب الخطابة لأرسطو فان أثره كان ضعيفا فى الخطباء ، لأنه لم يشع بينهم ، ولأن الفطرة غلبت عليهم ، ولأن الخطابة لم تكن تعلم كما كانت تعلم عند اليونان والرومان » !

ثم أن المؤلف يكبر من شأن الاعداد ، ويغض من شأن الارتجال فى الخطابة ، ويقول فى ذلك « للاعداد مزايا ، لأن الاساليب المرتجلة أقل بهاء ورونقا من المعدة ، أما الأفكار المرتجلة فانها فجة مبتسرة اذا قيست بالأفكار المدروسة الناضجة المختمرة . ثم ان ظهور الخطيب أمام الجمع بمظهر المجازف الذى لم يعد القول فيه اعتداد بالنفس واستهانة بالحاضرين ، وتبجح بعدم الاهتمام ، ودعوى أن خاطر الخطيب أسرع من خواطر الناس ، وهذه كلها صفات لا ترتضيها الجماعات » .

وليس من شأن الخطيب أن يكون مجازفا، بل لا بد أن يكون صاحب رأى ومبدأ وعقيدة

وهذا الرأى أو المبدأ أو العقيدة هو الذى يدفعه دفعا الى القول ، فاذا لم يكن ثم شيء من ذلك فان الخطبة لا أصل لها ولا أساس ، وما الذى يدعو الى حشد الناس او جمعهم غير ذاك ؟ ولا يكون خطيبا من يجمع الناس لهم، ثم لايسمعهم الا ثرثرة وهذيانا .

وعلى كل حال فان الأساس فى الخطبة ان تكون قولا . وقراءة الكلام المكتوب خطابة من باب التجوز أو التساهل ، بعد أن عرفت أدوات الادب ، فهنالك كلام منظوم ، وكلام منثور ، والمنثور قولى وكتابى ، والأول أداته اللسان والآخر أداته القلم ، وليس من يجيد صناعة القلم مجيدا الوقوف امام الجموع ، لأن مواجهة الجماهير والتحدث اليهم فن آخر له عدته وأدواته التى شرح الدكتور كثيرا منها . ونحن نتردد كثيرا فى قبول قول الدكتور ان الاعداد فى الخطابة العربية كان أكثر شيوعامن الارتجال، لأن ما ساقه من الأمثلة لا ينهض دليلا على الاعداد كما نفهمه ، كقوله فى حديث يوم السقيفة ان أبا بكر رضى الله عنه قال انه ــ فى طريقه من بيت الرسول عليه الصلاة والسلام الى سقيفة بنى ساعدة ــ كان يزور (يعد) كلاما يقوله فى الجمع . وقول عمر بن الخطاب انه كان قد زور (أعد) مقالة قد اعجبته يريد ان يقولها قبل أبى بكر !

فهل نستطيع أن نجازف ونسمى هذا اعدادا ؟ لقد عرف أبو بكر وكذلك عرف عمر باجتماع المسلمين فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فيمن يخلف رسول الله ، فخطر لكل واحد منهما (فى الطريق) ما يمكن ان يقول وما يمكن أن يحمل المسلمين عليه فهل يمكن اعتبار هذا الخاطر (فى الطريق) اعدادا كما يفهم من معنى الاعداد ؟!

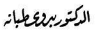
ولست أشك فى أن الذى يقرأ هذه الموسوعة الخطابية الجامعة لابد أن تثيره الأفكار المبثوتة فى تضاعيفها ، ومن خصائص البحث الجيد ان يثير الأفكار فى نفس قارئه ، وليست حسنة الموافقة بأوقع من حسنة المخالفة ، لأن المخالفة دلالة الحيوية فى البحث ، ومن المحال أن يذهب أحد الى ان قولا بالغا ما بلغ من الجودة والأصالة هو القول الفصل أو الكلمة الأخيرة فى أية قضية من قضايا الأدب والفن .



ولقد أجاد المؤلف فى الفصل التاسع الذى خصصه لدراسة الخطابة السياسية فى العصر الأموى ، فدرسها دراسة مفصلة على نحو مبتكر ، اذ شرح عوامل ازدهارها وخصائصها الفنية ، وصحح كثيرا من الأوهام التى تتصل بخطابة الأمويين ، وما كان يقال عن طابع العنف والتهديد فى خطب الخلفاء ، وبين الدكتور أن العنف والتهديد كان طابع خطب الأحزاب المختلفة من غير تمييز بين حزب وحزب .

وكانت اجادة الدكتور فى هذا الفصل تطمعنا فى الظفر بدراسة مفصلة للخطابة عند العرب فى سائر عصورها ، وتنتظم عوامل ازدهارها وأسباب تخلفها ، لأنا لا نجد أسبابا جوهرية تدعو الى ايثار هذا العصر دون غيره من الأعصر بالدراسة الواعية ، بل ايثار الخطابة السياسية بالذات دون غيرها من فنون الخطابة.

ان من حق الأدب العربى الذى تخصص فيه الأستاذ وأصبح حجه فيه يطالبه ببحث جديد عن خطابة العرب وفنونها ومناهجها فى سائر العصور ببيانه المشرق وعلمه الغزير ، وما ذلك على دأبه واخلاصه بكثير .


الدكتور بدوى طبانة



تأليف : الوليد بن عبيد أبي عباده
شرح وتحقيق وتعليق : حسن كامل الصيرفي

الناشر : دار المعـارف ، ٦٣٩ ص ، قطع متوسط (من ذخائر العرب) ث ١٢٥ قرشا

الحديث عن البحترى حديث مستفيض متعدد الجوانب ، لاتمجه الأسماع ولا تهوم فيه العيون، ففى شعره مجال للتأمل والكثير من قصـائده يزخر بالشخوص والأجواء وتحفـه الأخيـلة والأصـداء لما امتاز به عن غيره بجزالة اللفظ وعذوبة الجرس ومتانة الحبك وبراعة التصوير.

ورواية الشعر اليوم غيرها بالأمس البعيد ، فقد كان الشعر لسان العرب يرتكزون عليه فى منطقهم ويدفعـون به فى حجتهم ، دافعهم فى الحرب والسلام ، ومنذ نشأته فى البداوة كان يعتمد على سرد الرواية والحفظ ، ويقول ابن سلام عن ابن عون عن ابن سيرين : قال عمر الخطاب ، كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه .

وجاء الاسلام فتشاغلت العرب عن الشعر بانصرافهم الى الجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته . فلما انتشر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا الى كتاب محفوظ وانما تذاكروه بالرواية والحفظ .

وهلك من العرب من هلك فحفظ أخلافهم أقل ما ورثوه من الشعر ، وذهب عليهم منه كثير ، ويروى عن النعمان بن المنذر أنه كان لديه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به، وصار ذلك الى بنى مروان من بعده . وعن يونس ابن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم من الشعر مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

فلما راجت رواية الشعر وذكر أيامهـا ومآثرها واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وأرادوا أن يلحقوا غيرهم قالوا على السن شعرائهم ما يضاهى غيرهم ثم كانت الرواة فزادوا فى الأشعار التى قيلت ، وأضافوا اليها وبدلوا ، وربما اختلقوا أبياتا ليس لها نص لأسباب عدة منها المباهاة والفخر أو النيل والانتقاص .

وعلى ما يقال كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حمـاد الرواية وكان ينتحل ويؤلف ، غير موثوق به يزيد فى الأشعار وينحل غيره شعره . ويروى عنه أنه قـدم البصرة على واليها بلال بن أبى بردة ، فلما حـدثه ، قال بلال : ما أطرفتنى شيئا ، فعاد اليه وأنشـده قصيدة للحطيئة فى مدح أبى موسى ، فعلق بلال بقوله : ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ؟ أنا لا أعلم به وأنا أروى شعر الحطيئة ... ولكن دعها تذهب فى الناس .

وقيل العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر .

وفى الدولة الأموية ظهر شـعراء عظام كالأخطل وجرير والفرزدق والراعى والنمـيرى وابن قيس الرقيـات والكميت وزياد الأعجم وغيرهم ، فكان رواتهم يضيفون ويحذفون دون أن يعترضهم مغن أو يردهم ناقد لتباين الظروف واختلاف المواضع اما لدفع كريهة أو لجلب منفعة وبعد أن أخذت القبائل تتجمع فى كيان الدولة وتسكن البلدان والأمصار ، وكانت المجـالس تكتظ فى الأسواق وفى المسـاجد ودور السراة

والقواد والخلفاء وشيوخ القبائل الضاربة في الصحراء ٠

وكان الخلفاء يعنون بالشعر وحفظه ويوصون مؤدبي أولادهم بتلقينهم أحسنه وأصفاه ، فكان مما أوصى به هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي مؤدب ولده : أن أول ما أوصيك به أن تاخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشرا يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ، ثم روه من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم هجاء ومديحا ، وبصره بالحلال والحرام والخطب والمعازي ، وأوصى المنصور شبيبا القاضي مؤدب ولده المهدى بأن يعلمه الشعر ويوجهه اليه فحفظ منه الكثير ولذلك كانت مجالس المهدى في ولاية العهد وفي أيام خلافته عامرة بالشعراء يتذوق قصائدهم وينقدها ويبين أخطاءها ويجزيهم أحسن الجزاء ٠ وسأل الرشيد يوما ولده المعتصم، ما فعل وصيفك فلان ؟ فأجاب : مات واستراح من الكتاب ، فغضب الرشيد وقال له : أوبلغ منك الكتاب هذا المبلغ ؟ والله لا حضرته أبدا ٠ ووجهه الى البادية ، فتعلم وحفظ الأشعار بها ٠

وفي العصر العباسي انتشرت الكتابة ، وأخذت سوق الوراقين والنساخ في الرواج ، وكانت لهم حوانيتهم التي يدلف اليها الشعراء والكتاب للاملاء والتدوين فتتداول النسخ من يد الى يد ومن دار الى دار بين الحذف والتنقيح أو الاضافة والتعديل الى أن تندثر في خزانة لايطرقها طارق أو تنظرها عين فطمست دواوين شعراء كبار أمثال بشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحترى، وما ظهر منها دخلت عليها أشعار أخرى لم تكن لأصحابها وذلك بفعل الحوادث والتعصب بين الجماعات وأصحاب المذاهب ٠

وفي روايات الأغاني عن عهد أبي تمام : وفي عصرنا هذا من يتعصب له ـ أي لأبي تمام ، فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون الفسحة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم أنهم لم يبغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلب الرئاسة ٠ وليست اساءة من أساء في القليل وأحسن في الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت اساءته ثم أحسن لم يقل له عند الاحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسط في كل شيء أجمل ٠

وروى بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها الا في بيت واحد ، فسأله : يا أبا تمام ، لو ألغيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب ، فأجابه : أنا والله أعلم منه مثلما تعلم ، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح ، وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوى بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر ٠

وأدرك البحترى أبا تمام في أول شبابه ودرس عليه ، وقربه أبو تمام وأعانه وقدمه الى محمد وحبه من وجوه العرب كأبي سعيد محمد ابن يوسف الثغرى وآله وأبي الحسن الهاشمي وعلى بن مر ومالك بن طوق وأحمد بن محمد الطائي وآل حميد الطوسي وغيرهم من سراة العهد فقربوه وأعجبوا بشعره وأجازوه واستزادوه ٠

ومات أبو تمام وعاش البحترى بعده محط الأنظار مرموقا من الولاة والحاكمين حتى وصل الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل وكان أديبا ذواقة للشعر ومن بعده الى الخليفة نفسه الذي أدناه من مجلسه وجعله من خاصته وندمائه المقربين ثم شاعر النصر :

فالبحترى ربيب نعمة أبي تمام باعترافه وفيما نظمه من معانيه ، ولا عبرة بتنفيذ (الآمدى) في حوار صاحبيه اذ يقول على لسان صاحب البحترى ، أما الصحبة له (أي لأبي تمام) فما صحبه ولا تتلمذ عليه ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ... فان كان هذا صحيحا ـ في اعتراف البحترى به ـ فهو للبحترى لا عليه ، لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام كثير الاختلاف ، وشعر البحترى شديد الاستواء ، والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد

اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلوا علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا ، وأن البحترى يعــلو بتوسط ولا يسقط . ومن لا يسقط ولا يسف أفضل ممن يسقط ويسف . وفى رأينا أن هذا افتيات على الحق ، وتعصب لا محـــل له لأن أبا تمام له ميزات كثيرة يبز البحترى فيها وفى ذكرها خروج بنا عن موضوع المقال .

احتفى القوم بالبحترى واستعذبوا شعره شانهم شأن جميع العرب بما ورثوه كما قلت من حب الشعر وتمجيده ، فهم بما مدحوا كانوا يرون ما فيهم فتهزهم الأريحية للبذل والعطاء والمودة ويولد روح التعاطف بينهم .

كان البحترى يقر بفضل ما وصل اليـــه وينسبه الى أبى تمام ، ويقول : ما أكلت الخبز الا به ، وعن أبى بكر الصولى : حدثنى على بن اسماعيل النوبختى ، قال لى البحترى ، والله يا أبا الحسن لو رأيت أبا تمام الطائى ، لرأيت أكمل الناس عقـلا وأدبا ، وعلمت أن أقل شىء فيه شعره .

وتزعزع كيان الدولة وقتـــل المتوكل ، واستولى الموالى الاتراك على الحكم ، واقتسموا على أنفسهم بعضهم على البعض ، وشاع الاغتيال وكثرت الشيع والدسائس ، ووقف البحترى فى مهب الريح يواجه كل اتجاه وهو آمن على خوف يمدح هذا وذاك ويساير الحكم أنى يكون ، يهجو النائى البعيد ويمدح الدانى القريب حتى قيـل انه هجا نحوا من اربعين رئيسا ممن مدحهم منهم خليفتان هما المنتصر والمستعين وساق بعدهمـا الوزراء والكتاب ومن جرى مجراهم من القضاة والعمال بعد أن مدحهم وأخـــذ جوائزهم ، وأن حاله فى ذلك تنبىء عن سوء العهد وخبث الطريقة كما أشار المرزبانى .

ويروى صاحب الاغـانى عن ابن البحترى (أبى الغوث) أنه : لما حضرت البحترى الوفـاة دعا به ، وقال : اجمع كل شىء قلته فى الهجاء ففعل ، فامره باحراقه قائلا : يابنى هـذا شىء قلته فى وقت ، فشفيت به غيظى ، وكافأت به قبيحا فعل بي وقد انقضى أربى فى ذلك ، وأن بقى روى ، وللناس أعقاب تورثهم العـــداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لافائدة لك ولا لى فيـــه .. واستطرد أبو الغوث ، فعلمت أنه نصحنى وأشفق على فأحرقته .

فاذا كان هذا شان البحترى نفسه فى شعره، فما بال ما كان عند ممدوحيه وهم خصوم وأعداء فى ذاك العصر غير المأمون ، لاشك أن نســـخ ديوانه قد امتدت اليها يـد البتر والتشـــويه أو زيد عليها نظم غير نظمه أريد به تغيير المعنى على ما يقضى حامل كل نسخة . وفى مثل هذا التغيير يقول الدكتور « محمد صبرى » فى كتابه البحترى (٤ الشوامخ) أن الشاعر الكبير ينقح شعره طول حياته ، وهذا هو السر فى اختلاف نسخ الديوان وتنوع الروايات ، فقد يتفق لنا أن نجد فى احدى النسخ الخطية بيتا أو أبياتا ســاقطة من قصـــيدة منشورة فى الديوان ، فيتبين لنا من مقارنتها ببقية القصيدة أن الشاعر قصد فعلا أسقاطها من شعره ، فليس من العدل ادخالها فيه ، وانما يكتفى بالاشارة اليها . وقد كانت جميع النسخ فى أيام أبى العلاء أى منـذ القرن الرابع مشوهة مغلوطة لاختلاف الروايات المنقولة ولاختلاف السماع ، وقد تبين لنا ذلك بعد درس طويل ، مما لاريب فيـــه أنه لأجل تيســـير اقتناء نسخ عـــديدة من الديوان كان النساخ يجتمعون فى مكان واحد ويكتبون تحت املاء واحد منهم ، ولما كان أكثر النساخ فقهاء سقيمى الفهم كان كل منهم يسمع ما يســـيغه فهمه وأذنه ، فتخرج النسخ منذ البداية معتـلة ثم يتعاقب اعتلالها ويزداد بتعاقب العصـــور والنساخ .

طال بنا الحديث وكاد يخرج عن نطاقه ، ولنعد الى المجلد الأول من ديوان البحترى الجديد الذى عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه صديقنا الأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى وطبعته دار المعارف فى ذخائر العرب .

وهذا الديوان الجديد لم يبز كل ديوان سبقه لشعر البحترى فحسب ، وانما ظهر كأحسن

ما يظهر به ديوان لشاعر ضخم كالبحتري ، وحبذا لو نحا جامعو دواوين شعراء العرب الفحول هذا المنحى العميق الذي صرف فيه الصديق الصيرفي زهاء خمسة عشر عاما في جهد عنيف ، اذ «راجع» الطبعة الجديدة على خمس عشر مخطوطة ومطبوعة والمخطوطات صورها من باريس والأستانة وليبزيج وميونيخ والمدينة المنورة والقاهرة . وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض في الروايه والدقة في تلك الرواية ، كما يختلف بعضها عن بعض في النقص أو الزيادة في عدد القصائد وعدد الأبيات بل في ترتيب الأبيات كذلك ، وأحيانا في مناسبة القصيدة »

ويكفي كل هذا عناء ما تكلفه وأرهقه من مراجعة النصوص والأبيات ناهيك بالشرح والتفسير وشرح الكلمات وذكر الوقائع وتاريخ الممدوحين. فهذا جهد شاق ينوء به أفراد يشتركون فيه ، فما بال فرد واحد كرس نفسه له وتحمله بصبر وعزيمة بدافع اعجابه بالبحتري ودراسته له .

ويذكر الأستاذ الصيرفي أنه « كم من مرة حدثته النفس بالتوقف عن هذا الأمر ، وتخليص النفس من هذا الأسر ، والبعد عن هذا الطريق الوعر ، ولكن هاجسا خفيا كان يهتف بي الا أترك الأمانة التي قيضتني الأقدار لها عن غير علم بألا أدع شعر هذا الشاعر الفنان ينشر على الناس في مظهر لا يليق بجمال شعره في حين يظهر شعر من هم أقل مرتبة منه في مظهر أنيق وعلى جانب كبير من الدرس والتحقيق » .

واننا لنحمد الله على أن طاوع هاجسه وأدى الأمانة بما يرضى الضمير والنفس معا ، فاظهر المجلد الأول من الديوان«مقدرا لمعاونيه في اصداره معاونتهم له في افساح الطريق » .

وانه لمشكور على ما صنع ، وما اداه للأدب الحق من واجب مضاعف . وفي المجلد غلطات مطبعية لايخلو منها كتاب مطبوع مهما حاول واصفوه وناشروه ، وهي هنات لا مأخذ عليها ، وكنا نحب لو ألحقها الأستاذ الصيرفي في نهاية كل مجلد من الديوان مع الاستدراك ليسهل على القارىء مراجعتها أو الرجوع اليها ، ويخيل لنا أنه آثر الحاقها في آخر مجلد من الديوان .

كذلك لا حظنا في بعض القصائد أنه ترك بعض الأبيات على علها وصححها في الشرح (الحاشية) ، فمثلا في القصيدة ٤٩ ص ١٤٢ قال البحتري يهجو الحسن بن القاسم القضاعي (البيت الثاني) .

فقلت لما آتى دهياء معضلة
أبل وجدد متى أحدثت ذا النسب

وذكر في الحاشية : هكذا ورد عجز البيت، ولعل وجهه الصحيح ؟

« ابن وحذر متى أحدثت ذا النسبا »

والمفروض أن الأبيات المغلوطة تصحح في القصيدة ويشار في التعليق الى خطأ الأصل لتكون القصيدة سليمة لايقف القارىء في تلاوتها وتقطع عليه تفكيره مع خيال القصيدة وصورها

وفي القصيدة التي يمدح فيها أبا سعيد الثغري ص ١٩ البيت ٥٥

فاذا ما رياح جودك هبت صـ
ـار قول العذال فيها هباء

وصحة الشطرة الأولى تنتهي بكلمة (هبت) وتبتدىء الشطرة الثانية بـ (صار) على وزن النغم والمفاعيل .

وفي القصيدة ٣ يمدح أبا جعفر محمد بن علي القمي ص ٢١ :

ملك أغر لآل طلحة فخره
كفاه أرض سميحة وسماء

والحاشية تنوه أن تنسخ أرذ رو رز نط تضع نجره أي الأصل مكان (فخره) ، والأولى أوقع من الثانية في نظرنا .

وفى القصيدة ٢١٥ ص ٥١٤ فى أبى مسلم الكجي وأسد بن جهور ، البيت الثانى :

لم أر كالبحر لم يرحم معـذبه
والوصل لم يعتمد معطاه بالحسد

فالشطرة الأولى مختلفة ، وربما كانت (لم أتق كالبحر لم يرحم معذبه) .

وفى الصفحة الأولى فيما ذكره أبو هـلال العسكرى عن القصيدة التى قيلت فى دينار بن عبد الله التى أولها «ألم تر تغليس الربيع المبكر» فجاءت كلمة (تفليس) بدلا من تغليس (بالغين).

وهذه كما قلنا هنات لم يسلم منهـا كتاب مطبوع ولا تمس المجهود الرائع .

أما شعر البحترى وأثره وخاصيته ، وموازنته بغيره من شعراء العربية ، وحيـاته السياسية والفكرية والاجتماعية فهذا له مجال آخر لايتسع له هذا الباب .

وانا لنرجو للصديق الأستاذ الصيرفى كل التوفيق فى اتمام سائر المجلدات ليتم الديوان على هذا النهج الدقيق فيزود المكتبة العربية بما هى فى حاجة اليه .

والمجلد يشتمل على ٢٥٩ قصيدة من حرف الألف الى حرف الدال ويقع فى ٦٣٨ صـفحة

وللصديق بعد هـذا أجمل التحية وحسن التقدير .

عبد السلام رستم



سطور من كتاب ...

انني أرتعد عندما أتصور شباب ١٩٦٤ ،لايقدر هذا التطور الخطير قدره ، لأنه نما وكل الأحداث حوله تحاول أن تقدم اليه حقه فى الحياة والعمل والفرصة المتكافئة ، لأنه لم يع تاريخه القريب قبل الثورة ، ولم يعرف كم عانى الجيل الذى سبقه وكيف كانت تحكم بلاده ؟

... قصة ملك و ٤ وزارات

الاشتراكية والتربية

تأليف
الدكتور محمد جمال صقر

الناشر : النهضة العربية .
٢٢٤ ص قطع متوسط . الثمن : ٣٠ قرشا

هذا الكتاب يتناول موضوعات التربية، ويعالج مشكلاتها ، فى ضوء التطورات الحديثة التى طرأت على مجتمعنا الجديد — مجتمع الثورة الاشتراكية — ويستوحى من هذه الثورة مفاهيم جديدة للتربية والتعليم توائم هذا التطور ، وتجعل من المدرسة أساسا راسخا فى بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد .

وكان لابد لعلماء التربية أن يعيدوا النظر فى مناهجهم وآرائهم بعد هذه الثورة الاشتراكية، التى قلبت الأوضاع ، وحطمت التقاليد ، وأذابت الفوارق ، وغيرت وجه الحياة ، كان لابد من ثورة تربوية تتجاوب مع هذه الثورة ، وكان لابد من اعادة النظر فى مخطط التعليم ، ودور المدرسة الحديثة فى بناء المجتمع الاشتراكى ، ومعالجة طرق التدريس التى تدعم هذا البناء ، واعداد المدرس الصالح للمشاركة فى خلق هذا المجتمع .

وكل هذا تناوله الدكتور محمد جمال صقر فى كتابه « الاشتراكية والتربية » بأسلوب العالم المتمكن من مادته ، والمؤمن بمجتمعه الجديد ، المدرك لحاجاته ومطالبه ، الواثق من رسالته . فجاء كتابه فتحا جديدا فى عالم التربية الاشتراكية ، وثورة على القديم البالى من نظريات التربية القائمة على الأثرة والأنانية وتمجيد الفرد ، ودعوة الى انقلاب شامل يجعل التربية فى خدمة المجتمع ، واستخدامها فى بناء الاشتراكية التى تدعو اليها الدولة .

والكتاب يقع فى ٢٢٣ صفحة من القطع المتوسط ، وأخرجته مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ويشتمل على مقدمة وستة أبواب .

وفى المقدمة يشرح المؤلف مفهوم التربية بأنها وظيفة اجتماعية ، تستمد ضرورتها ، وتكتسب مدلولها ومفهومها الحقيقى من الأهداف التى تعمل على تحقيقها ، ومن الغايات التى تسعى الى الوصول اليها ، فهى بهذا المفهوم ليست الا تعبيرا وانعكاسا للاتجاهات السائدة فى المجتمع ، هذا ولما كانت النظم التربوية منذ القدم تهدف دائما الى اعداد الفرد لنوع خاص من الحياة ، وتهيئته للتكيف والتلاؤم مع واقع حى وظيفى ، فقد تعددت الأنماط الثقافية والتربوية عبر التاريخ ، وأصبح لكل مجتمع أنماطه التربوية والثقافية التى تتلاءم مع أوضاعه ومطالبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فرأينا فى العصور القديمة تربية أسرية ومدنية، وفى العصور الوسطى تربية دينية وعالمية ، وفى أوائل هذا القرن تربية قوميه ودينية ، ثم أصبحت سياسية وعلمية وتكنولوجية فى العصر

الحديث • أما الآن فان المجتمع الاشتراكى حين يضع نظاما للتعليم لابد أن يكون هدفه اعداد المواطن الذى يتأثر بما طرأ على المجتمع من تغييرات، والذى يعمل من أجل تدعيم البناء الجديد للمجتمع ، والحفاظ عليه وربط حياته وتفكيره بالنظام الذى سيكون اطارا لحياته ونموه وازدهاره ومعيشته الواقعية ، لأن فكرة المجتمع الاشتراكى تطهير العقول والعلوم والفنون من رواسب التحكم بكل أنواعه ، والسيطرة بكل مظاهرها ، ولأن ما طرأ على هذا المجتمع الاشتراكى من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية يستتبع تغييرا جوهريا فى اعداد النشء عن طريق التربية والتعليم ، وعن طريق ثقافة تلائم النظام الاشتراكى ، وتصلح له •

وفى الباب الاول يذكر المؤلف كيف أن العالم يتجه الآن نحو الاشتراكية ، وأن المبادىء والأفكار التقدمية تنتصر فى عصرنا الحديث ، وبخاصة فى الدول النامية ، التى تحررت من السيطرة الأجنبية ، ومن قبضة الاستعمار ، ولقد تعددت نظم الاشتراكية ووسائل تطبيقها رغم اتفاق الناس جميعا فى فهم معناها الواسع ، وذلك لاختلاف ادراك الشعوب للفلسفة الاشتراكية وأسلوبها • وهى فى نظرنا محاولة لاقامة مجتمع ينظر فيه الناس بعضهم الى بعض كاخوة ، ويؤثرون التعاون على التنافس والتطاحن بمعناهما البغيض ، والاشتراكية فى نظرنا – فوق ذلك – أكثر التنظيمات الاجتماعية احتكاما الى العقل ، وأكثرها عدالة وكفاءة•وهناك أسباب كثيرة تفسر تحول الناس الى الاشتراكية : منها تطلعهم الى تحقيق الأمن المادى والأمن المعنوى لأفراد المجتمع فى ضوء التقدم العلمى السريع ، والتغيرات التى طرأت على التشكيل الاجتماعى، والمشكلات التى تواجه الطبقات الكادحة ، كانخفاض مستوى المعيشة بين هذه الطبقات ، وحرمانها من ساعات الفراغ والراحة • من أجل هذا كان لابد من التطلع الى النظام الاشتراكى كعلاج لهذه الحالات ، حتى يمكن فى ظله تغيير النظام الاقتصادى الذى حال دون سعادة المجتمع ، وهذا يستتبع تغيير المبادىء السياسية، والمفاهيم الثقافية ، ووضع نظام جديد للانتاج، وصور جديدة للحكم ، ومجموعة جديدة من القيم والأخلاق ، واعادة تنظيم الروابط الاجتماعية والاقتصادية لطبع المجتمع بالطابع الاشتراكى الجديد •

والمجتمع الاشتراكى فى حاجة الى الحرية الفردية والعقلية النقدية ، ويعتمد على الأصالة فى التفكير ، وعلى الذكاء العملى بأسمى معانيه • والذكاء لا يعتبر فى نظر الاشتراكية القدرة على الفهم أو على التأمل ، وانما يعتبر أداة للعمل ، وعن طريقه يتحقق الخلق والابداع فى ميادين التشريع والعلم والأخلاق لمجتمع تحددت سماته وصفاته وملامحه وأهدافه المميزة ، كما لا يخرج التفكير عن كونه صورة من صور العمل الهادف• وعلى ذلك تكون الحياة فى المجتمع الاشتراكى معناها العمل لتحقيق أهداف معينة ، تتطلب نشاطا مستمرا من نوع ونمط معينين ، وهنا يبدأ دور التربية فى قيادة الأفراد وتبصيرهم بالمشكلات الحقيقيه والواقعية التى تواجههم فى الحياة ، وفى خلق القيم الجديدة التى تجعل هدف الدراسة ليست شخصية الفرد السيكولوجية صاحبة الكيان المستقل ، وانما شخصية الفرد فى تفاعله المستمر مع الوسط أو البيئة التى تحيط به • وفى كل مجتمع يثور على الأنظمة القديمة ، ويختط نظاما جديدا • توجد مشكلتان رئيسيتان تتطلبان العلاج : أولاهما هى كيفية اعطاء المواطن العادى احساسا أكبر بالمساهمة فى نهوض البلاد ، وثانيتهما غرس المزيد من الاعتزاز بالنظام الجديد ، ولذلك تفرض الاشتراكية على المواطن بذل الطاقة لتحقيق الأهداف العليا ، والانتصار الدائم للفرد على نفسه لصالح الجماعة ، وتفرض على الدولة توجيه التعليم ومراقبته والاشراف عليه لتمكين المواطنين من الايمان بهذه المبادىء والعمل بها ، فرسالة التربية فى المجتمع الاشتراكى هى أن توضح للفرد الغرض الذى ينبغى أن يكافح من أجله ، والعدو الذى يكافح ضده ، وطريقة الكفاح التى يتبعها ، وتسلحه بالحرية الذى يجعل من تفكيره أداة للخلق لا أداة لتحصيل المعرفه ، وبذلك

تصبح العقلية النقدية فى المجتمع الاشتراكى عنصرا بناء لا عنصرا هداما ، تقدس الانتاج ، وترى فى العمل المحور الرئيسى لكل نشاط ، بشرط أن يكون عملا انتاجيا مثمرا ، يستمد طاقته المادية من الطبيعة لصالح الجماعة . ان العمل من أجل زيادة الانتاج هو أساس الفلسفة التى تقوم عليها الاشتراكية والثورة الاشتراكية فى ميدان التربية ضرورة حتمية،لأنها تمثل المصالح الحقيقية للأفراد ، الذين تتكون منهم الجماعة الانسانية .

وفى الباب الثانى يعقد مقارنة بين التربية القديمة التقليدية التى تهدف الى ادماج الفرد فى حياة الجماعة ، مع المحافظة على الأوضاع القائمة، والقيم السائدة فى المجتمع ، واعتبارها مقدسات ينشأ الفرد على احترامها ، سواء أكانت اجتماعية أم فنية أم اقتصادية ، وبين التربية الاشتراكية التى تطور مدلولها تطورا يغاير المدلول القديم للتربية ، ولم يعد مفهوما غير قابل للنقد أو التجريح ، ولم تعد قيمها تفرض على الناس عن طريق سلطة خارجية . وهذه التربية تهدف الى تنمية الحياة الاجتماعية ، بقصد تحقيق الانتقال من التجانس غير المنظم الذى كانت تفرضه التربية التقليدية ، الى التنوع المنسق على حد تعبير « هربارت سبنسر » وتهيئة الفرد واعداده لكى يتكيف مع الحياة فى المجتمع الجديد ، وتوعيته بالاتجاهات الجديدة لهذا المجتمع بقدر ما تسمح به امكانياته . وبهذا تعمل التربية الاشتراكية على تكوين وتنمية الوحدة العضوية للحياة الاجتماعية ، وادماج نشاط الفرد مع نشاط أقرانه ، بعيدا عن الأثرة والأنانية ، وبذلك تقود هذه التربية الفرد الى تقبل الواجبات الاجتماعية . فى حرية ، وتسوقه الى العمل والانتاج فى تناسق ، حتى يصل فى النهاية الى ما نسميه العقد الاجتماعى ، الذى يرضاه ويسعى الى تحقيقه كل مجتمع اشتراكى تقدمى .

والاتجاهات التربوية فى المجتمع الاشتراكى - الذى عقد من أجلها هذا الباب - ينبغى أن تحقق هدفين :

أ - العمل على اعداد الفرد للتلاؤم السريع مع الحياة الجديدة ، باندماجه فى الحياة الاجتماعية ، ومشاركته فيها مشاركة فعالة ، والعمل على اتاحة الفرصة للطفل كى يعتاد الاستقلال فى الرأى والتفكير ، ويتمكن من التكيف مع الحياة فى مجتمع دائم التطور .

ب - خلق الوعى الاجتماعى ، وتنمية الشعور بالمسئولية نحو الغير ، ونحو المجتمع .

والمدرسة بحالتها الراهنة لا تستجيب لظروف الحياة الجديدة لمجتمعنا الاشتراكى ، اذ انها لا تعرف الحياة الا عن طريق الكتب والدروس ، بينما يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع الحقيقى ، وأن تعمل فى نفس الوقت على التلاؤم مع طبيعة الطفل ، واعداد الشباب ، عمليا واجتماعيا وأخلاقيا للشعور بالتوافق مع الأوضاع والقيم التى تسود المجتمع الجديد ، فتكون المدرسة ميدانا لممارسة الحياة الاشتراكية الحقة بأسهام التلميذ فى تحمل تبعاتها ، وتفهم حقوقه . ومهمة التربية الاشتراكية خلق جيل جديد يكون أكثر تآلفا وتعاونا وميلا لحل المشاكل الاجتماعية ، دون رغبة أو رهبة . ثم تنمية شخصية الفرد وخلقة اللذين ستقاس بهما قيمته الاجتماعية ، ثم امتداد التربية الى ميادين كانت تعتبر حتى الآن على هامش الثقافة الحقيقية ، كالعمل اليدوى ، وبخاصة فى السنوات الأولى للطفل ، وازالة الفوارق بين العمليات العقلية واليدوية وفقا لأحدث نظريات التربية من أن الانسان « يفكر بيديه » والذكاء العملى ليس أقل قيمة من الذكاء النظرى ، لأن العمل هو المصدر الوحيد للثروة فى المجتمع الاشتراكى ، ولذلك يجب اعادة النظر فى طرقنا التعليمية ومناهجنا على ضوء أهمية العمل اليدوى . وخلق مدرسة جديدة تلائم ظروف الحياة الجديدة لا تقوم التربية فيها على الخوف والنفاق والوصولية والمنافسة ، وتحديد المناهج بحاجة المجتمع وامكانيات الطفل وقدراته؛ فان الطفل منذ ولادته يجب أن ينظر اليه على أنه غريب بالنسبة لتركيب المجتمع ، ومن هنا كانت ضرورة التربية ليتكيف الطفل مع المجتمع الذى يعيش فيه ؛ ولا توجد تربية بدون مجتمع يرعى

نمو الطفل وبقاءه • فالتربية وسيلة الاستمرار الاجتماعي ، وهدفها ايجاد التوافق بين الكائن الحي (الطفل) وبين المجتمع الذى يعيش فيه • ولذلك يتحتم فى مرحلة الثورة أن يتولى المجتمع بناء المؤسسات التربوية ، لتدعيم البناء الجديد •

لقد كانت المدرسة وما تزال فى البلاد الرأسمالية أداة برجوازية للسيطرة والتحكم هدفها خدمة الطبقة الحاكمة ، أما فى المجتمع الاشتراكى فلا بد أن تتحول المدرسة الى أداة لتذويب الفوارق ، واعادة بناء المجتمع على أساس اشتراكى ، وأن تهيىء الفرص للتلميذ لكى يعيش فى المدرسة حياة « العمل الانتاجى » فتتلقاه كالعجينة اللينة لتهيئة للاندماج فى حياة الجماعة العاملة •

وفى الباب الثالث تناول التخطيط التعليمى للمجتمع الاشتراكى،وأبان أن كل ما أدخل على أنواع التعليم من اصلاحات لم يتجاوز السطح الظاهرى من اضافة بعض المواد أو زيادة بعض سنى الدراسة أو اختصارها ، مع أن المطلوب هو التغيير الجذرى فى نظم التعليم ومناهجه فى جميع المراحل ، وخلق روح تعليمية تتلاءم مع مجتمع اشتراكى حى ، تعمل على تنميته والدفاع عنه ، والحفاظ عليه • وكل ذلك يتحقق بتمتع الفرد بالبقاء أطول مدة بالمدرسة ، فيمتد سن الالزام حتى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة مع التوسع فى كل أنواع التعليم ، وبخاصة أنواع التعليم التى تساعد على التقدم الزراعى والصناعى ووفرة الانتاج ، والعمل على تنمية قدرات التلميذ وامكانياته ليستخدمها فى صالحه وصالح الجماعة التى هو عضو فيها ، وتأمينه ضد العسر الاقتصادى بكافة أنواعه ، وضد المرض ، وضد الاضطرابات الانفعالية ، وضد العدوان الفردى أو الجماعى • ولأجل أن يضمن المجتمع الاشتراكى لكل فرد حياة كريمة منذ طفولته يلزمه أن يعمل على اقامة نظام للتعليم يحقق غرضين :

(١) تهيئة الفرص التى تتيح لكل فرد أن يحقق امكانياته الحاضرة والمستقبلة ، وذلك يجعل نظام التعليم من المرونة بحيث يستجيب الى ميول الأطفال المتعددة •

(٢) ينبغى ايجاد نظام موحد للتعليم يجد فيه جميع الأطفال فرصا متعادلة ، واتاحة الفرصة لكل طفل حسب استعداده ليفيد من عناصر الثقافة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، واعداده اعدادا انسانيا متكاملا بكل ما تحتويه كلمة الانسانية من معان •

ان الاشتراكية تتطلب تعليما متعدد النواحى يشمل دراسة الأسس العلمية العامة لجميع طرق الانتاج ، واستخدام الأطفال للأجهزة أو الأدوات والآلات التى تستعمل فى الصناعات المختلفة ولذلك يجب أن تكون المدرسة متعددة النواحى فى مراحلها الاولى ، ويتحتم أن يمارس التلميذ فيها النشاط اليدوى فى « ورشة المدرسة » أو فى المصانع المجاورة • والمدرسة المتعددة النواحى هى وسيلة المجتمع الاشتراكى فى اعداد العمال المهرة والصناع المتازين ، وهى التى تحقق المبدأ الاشتراكى القائم على الصلة والرابطة بين هذه العناصر الثلاثة : العمل ـ الطبيعة ـ المجتمع . وفى المرحلة الثانوية يتحتم التخلى عن نظام تقسيم الثقافة ، والفصل بين الأقسام الذى ينتهى بامتحان الثانوية العامة ، وأن نقرر تعليما منسقا يصل الى نهاية موحدة تستجيب للاتجاهات الحديثة فى المجتمع ، فينقسم ثلاثة أقسام ـ القسم التكنيكى ـ قسم العلوم ـ قسم الآداب والفنون • ويجب أن تكون هذه الأقسام الثلاثة متعادلة فى القيم بالنسبة للحياة الاجتماعية • أما فى التعليم العالى والجامعى فبجانب اعداد النخبة الممتازة من المفكرين ، لابد لنا من نخبة ممتازة من أصحاب الذكاء العملى ، وأصحاب الأفعال لا الأقوال ، ولابد أن تتجه الجامعة نحو ثقافة جديدة تعمل على تنظيم المجتمع ، وازدهار العمل الانتاجى ، وأن يكون التعليم فيها مباحا للجميع على أساس الاستعدادات الفردية ، والقيمة الثقافية للفرد ، وأن تترك للتعليم العالى مهمة تخريج الفنيين ذوى الكفاية للنهوض بالبلاد فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة •

وتناول المؤلف فى الباب الرابع المناهج فى المدرسة الاشتراكية فقال : تتطلب التربية الاشتراكية أن يكون للمناهج وجهان : أحدهما يتصل بالثقافة العقلية بالنسبة للفرد ، والثانى يتصل بالثقافة الاجتماعية بالنسبة للجماعة . والمناهج الاشتراكية تتخذ ميول التلاميذ نقطة بداية ، وتعمل على تنميتها ، واتساع دائرتها داخل الاطار الاجتماعى ، ويجب أن يكون الهدف الذى يعمل من أجله المعلم والتلميذ هو «أن المعرفة فى خدمة المجتمع» ، وان غايتها العمل على رفاهية المجتمع عن طريق العمل والانتاج ، وأن مهمة « مدرسة العمل » هى اعداد المواطن الذى يكافح من أجل بناء وحماية النظام الاشتراكى ، وأن هدف المناهج الاشتراكية هو أن يتعلم الطفل فى المدرسة كيف يتصرف على الطبيعة الخارجية، وبالذات كيف يستغلها ويستثمرها بالعمل .

وتكلم فى الباب الخامس عن طرق التدريس فى التربية الاشتراكية فذكر أن هذه التربية تطالب باحلال العمل محل التعليم ، أو بعبارة أصح بالتعليم عن طريق العمل،وذلك باحلال العمل الجماعى محل التعليم الجماعى باستخدام « طريقة المشروع » . واحلال العمل بطريقة الجماعات والتعاونيات المدرسية محل التعليم المتبادل ، ثم أفاض بعد ذلك فى شرح العمل الجماعى وطريقة المشروع ، وخلص من هذا الشرح الى أن أساس التربية الاشتراكيه السليمة هو الدراسة بطريقة الجماعات ، حيث تفنى شخصية الفرد ، وتنمحى أنانيته فى سبيل المجموع ، أو بطريقة التعاونيات المدرسية التى تكون شخصية الفرد باسهامه فى تحمل الأعباء والمسئوليات .

وفى الباب السادس قال : لابد للمجتمع الجديد من معلم جديد ، فينبغى توجيه العناية الى اعداد المعلم الاشتراكى ، الذى هو رائد الثورة التربوية ، ولن يكون عمل هذا المعلم القاء مجموعة من القيم والمعارف التى يرى فيها خير التلميذ فحسب ، وانما يتحتم عليه أن يساعد كل تلميذ على اكتشاف وتحقيق التركيب الجديد الذى ستتكون منه ثقافته الجديدة ، واعداده للعقلية المشتركة ، وأن ينسق بين الاعداد الاشتراكى لتلاميذه وبين المادة التى يدرسها . والواقع أن الغالبية من المعلمين لايزالون يعتقدون أن رسالة المدرسة هى تلقين التلاميذ الأفكار والمعلومات والحقائق التى حددتها المناهج ، والحقيقة أننا فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا لايمكننا الا أن نستنكر طرق التعليم والتربية التى لاتتجه نحو اعداد المواطن الجديد . والمعلمون ليسو دائما على معرفة بالفلسفة الجديدة لمجتمعنا الاشتراكى ، بالرغم مما يوزع عليهم من منشورات وتوجيهات ومحاضرات ، ولايزالون تنقصهم الدراسة العميقة الجدية لأصول وفلسفة التربية الجديدة . اذ من أهم واجباتهم أن يدركوا — أولا وقبل كل شىء — أن الاشتراكية نظرية اجتماعية تربوية ، شديدة الارتباط والصلة بتطور مجتمعنا الحالى، فعلى المعلمين سواء فى معاهد المعلمين أو كليات التربيه أن يدرسوا مذهبنا الاشتراكى بدقة وعناية ، وأن يمحصوا مدلولاته ومفاهيمه التربوية الجديدة ، ولن يكون المعلم صالحا لعمله فى الميدان الجديد الا اذا كان اشتراكيا ، متحليا بصفة القيادة ، ملما بطرق التربية الجماعية ، ذا ثقافة جامعة طابعها حب العمل ، وأن يكون لديه الاستعداد الكافى لكى يفيد ويستفيد من وسائل الاعلام الحديثة ، وأن يجعل نصب عينيه دائما أن أهداف التربية هى أهداف الحياة .

وفى الخاتمة التى كتبها المؤلف فى ذيل كتابه قال : لن تكون هناك ممارسة ثورية اشتراكية بدون نظرية تربوية اشتراكية ، وان المدرسة هى أولى المؤسسات التى تعد الأفراد للحياة فى المجتمع الذى ننشده ، والمدرسة الاشتراكية توجه الطفل نحو (التكنيك) وعن طريقه الى الرفاهية التى يجلبها الرخاء الاقتصادى، ولهذه المدرسة نتائج تربوية هامة : فهى تخضع العلم الحقيقى للانتاج ولاتعترف بالعلم النظرى وحده ، أو العلم لمجرد العلم ، ثم هى تجعل النشاط العقلى يبحث دائما عن المفيد والمثمر ، اما البحث العقلى الخالص فلامكان له فى المدرسة الاشتراكية .

محمود الجرسى



الشعر المصري بعد شوقي

(الحلقة الأولى)



الناشر : مكتبة نهضة مصر
١٣٠ صفحة قطع متوسط
ث : ٢٥ قرشا



كتاب الشعر بعد شوقي في الحلقة الأولى جدير بالوقوف عند كل سطر من سطوره وقفة تأمل ونقاش .. فبالرغم من أنه كتاب جمع عدة محاضرات عمادها الاطالة والشرح الا أن السيد المحاضر أو المؤلف آثر التركيز على الاطالة .. فحتم على القارىء أن يظل على قدر من الافاقة أمام كل لفظة قيلت، أو كل قضية أثيرت ـ وما أكثرها .. ولكنها افاقة مستحبة .. فهي تجهد الذهن في غير املال بل بتفاعل وحمية ينسيان القارىء ما أرهقه .

يبدأ الدكتور مندور كتابه بفصل عنوانه « بين القديم والجديد » .. ليثير فيه قضية هامة هي أن الشعراء الشبان الذين ثاروا على امارة شوقي للشعر لم تكن قدراتهم أو ملكاتهم الشعرية واحساساتهم الموسيقية بالقوة التي تقيم للشعر امارة غير امارته .. ذلك على الرغم من تسلحهم بالثقافة الغربية الواسعة .

وكل الذي أمكنهم تحقيقه هو أن وجهوا الأذهان الى شعر عربي حديث ذي وجهات انسانية أكثر خصبا واصالة .. ومن ثم فانهم أقرب الى النقد والتوجيه منهم الى الاشعار والابداع ، حتى خليل مطران فبالرغم مما كان يتمتع به من موهبة شعرية مبدعة .. الا أن أشعاره لم تتغلغل في صفوف الشعب نظرا لما فيها من تركيب دقيق مغلق وبعد عن مشاكل المجتمع .. ثم يستشهد المؤلف بقول للعقاد في تلك الآونة حول مفهوم الشعر .. « الشاعر العظيم من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها، وفرية الشاعر ليست في قوله لك عن الشيء ماذا يشبه ، وانما مزيته أن يقول ماهو ، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به » . ثم يفرد الدكتور مندور بابا للنقد التطبيقي الذي رفع رايته كل من العقاد والمازني في كتابهما « الديوان » .. حيث نجد فيه نداء جديدا يحتم على الشعراء أن يلتزموه .. ألا وهو « الوحدة العضويه أو المعنوية للعقيدة » . والاهتمام بالجواهر لا الأعراض في بنائها ، ويلزم الشعراء المحدثين بالتخلص من نهج القدامى وما سار عليه أعلام

حركة البعث الأدبى مثل البارودى فى الشعر وعبد الله فكرى فى النثر والشيخ حسين المرصفي فى النقد .. ولو أن أغلب ما وجه من هجوم كان موجها الى الشعر خاصة الا أننا نستطيع أن نرجع هذا الى عامل طغيان شعر شوقى وحافظ على كل ماعداه من مجالات الأدب • لكن الدكتور مندور يرى فيما وجهه كل من العقاد والمازنى الى الشاعرين من نقد بل وتقريع قد جانب الصواب وكان أقرب الى التجنى والهدم منه الى الانصاف والبناء .. واستشهد فى ذلك ببعض أبيات لامراء فى تكامل ابداعها الفنى ليبرز مقدار هذا الحامل الذى ارتكبه أصحاب مدرسة التجديد.. كقول شوقى :

مصر الأسيفة ريفها وصعيدها
قبر أبر على عظامك حان

وقوله ..

بالله فتش عن فؤادك فى الثرى
هل فيه آمال لنا وأمانى •

وحين يقول ..

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان •

ثم يضيف المؤلف الى ذلك قائلا .. ان الخلاف بين أنصار الجديد وأنصار القديم كان حول ديباجة الشعر وخصائصها ، وحول المعانى التى يباح التجديد فيها .. ثم قيمة هذه المعانى من الوجهتين الانسانية والجمالية •

لكننا هنا لانستطيع آن نحكم - كقراء - لصالح طرف من الطرفين .. حكما عادلا الا من خلال توضيح أمور ثلاثة .. أولها .. طبيعة المرحلة التى عاشها الطرفان • وثانيها .. مدى التفاعل والاستجابة بين كل من الطرفين وبين متلقى انتاجهما وقتذاك من أبناء المجتمع العربى • وثالثها .. هل كان اقتصار النقد على الشعر وتجديده مرجعه الى قوة الشاعرين وشاعريتهما، أو لاحتياج الفكر الى هذا النوع من الابداع احتياجا ملحا •

ولذا فانه يصبح من حقنا استجلاء موضوع هام هو هل فى استطاعة الناقد نقد نتاج أدبى لمرحلة سابقة .. دون أن يجرب معاناة الانتاج الادبى ، ودون أن يمنع مؤثرات عصره الذى يعيش هو فيه .. أو يكفينا فى هذه الحال أن نفسر ونحلل فقط ؟ ..

هذه أسئلة اعترضتنى وأنا أواصل قراءة الباب الثالث من الكتاب عن الشعر التقليدى .. اذ نجد أن المؤلف قد جار على شاعرية الجارم فلم يدع له متنفسا لحسنة .. الأمر الذى جعلنى أشفق عليه من هذا الجور ، وأستحلف الناقد متسائلا .. من هو الشاعر أو الأديب الذى ظل طوال حياته الأدبية على مستوى رفيع من الاجادة وحسن الاختيار لم ينخفض عنه ولو مرة .. ؟ فما بالك بالجارم الذى محوت عنه أى ذرة من الاحساس الشعرى على الاطلاق !!

أما اذا انتقلنا الى الفصول الثلاثة التالية لوجدناها قد انصبت على شاعرية كل من العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، ونقدها نقدا تطبيقيا .. هدانا فيها الدكتور مندور الى نماذج ونتف من أشعارهم .. ثم عمل بمشرطه تشريحا وتفنيدا .. تارة بالتحليل الدقيق ، وأخرى بالتأويل البعيد .. واستهل هذا كله بمسلمة نافية .. فأنكر عليهم أنهم درسوا فى مطلع شبابهم دواوين الشعر الانجليزى فى أصولها.. وانما كان منهلهم مجموعة المختارات الشهيرة عند الانجليز باسم « الكنز الذهبى » التى قد كان جمعها فرانسيس پالجريف طبقا لمنهجه فى الشعر المتميز بالذاتية أو الوجدان .. فاقتصر فى جمعه لمواد الكنز الذهبى على الشعر الغنائى ولم يفسح مجالا للموضوعى من الشعر• ويخرج الدكتور الناقد من هذا بحكم قاطع .. هو اقتصار هؤلاء الشعراء الثلاثة على الوجدان فى شعرهم .. لكن خليل مطران المعاصر لهم هو الذى تميز عليهم بولوجه مجال الموضوعية ..

ويقتضينا الأمر هنا آن نعرف أولا ماهية الوجدان أو الذاتية ، ثم نطابق بين هذا الحكم القاطع وبين نتاج هؤلاء الثلاثة • فيقول الدكتور

مندور أن شعراء مدرسة التجديد قد اختلفوا فى معنى الوجدان ومضمونه .. فمن البين أن يجد الشاعر فى أعماقه أو وجدانه فكرا ، وقد يجد عاطفة وقد يجد خيالا كذلك .. فمضمون الوجدان هنا متفاوت الأشخاص ..

لكننا لو التزمنا المنهج العلمى فى دراسة النفس .. لعرفنا أن التفكير مجرى من المعانى التى تثار فى المجال الذهنى ازاء موقف ما ، وأن هذه المعانى يتم تكوينها بعمليات عقلية رتيبة هى التجريد والتعميم والتصنيف .. ووساطة كل هذا رموز لغوية تكثر أو تقل تبعا لمدى تجرد المعنى عن الأعراض الحسية الفردية .. ومن هنا نلمس مدى الأصالة الكامنة فى الجوهر دون العرض ، فندرك مدى الصدق النفسى الذى دعت اليه مدرسة المجددين فى الشعر .. أى أن تفاوت المضمون الوجدانى لدى الشعراء الثلاثة لايؤثر بحال على جوهر مذهبهم فى تجديد الشعر .

فاذا ما تذكرنا أن عملية الابداع الشعرى — كما يقول هيجل — يستعين الفنان لها بعقل ايجابى نشط وحساسية حية عميقة ، وأن خطوات الابداع الشعرى عبارة عن وثبات متتالية لتكوين كل مترابط .. لقدرنا مدى أهمية دعوة العقاد لبناء شعر عربى جديد .. على أساس علمى راسخ .. آلا وهو أساس الوحدة العضوية للقصيدة .

ولننتقل سويا الى فردية العقاد وذاتيته ..

ونتبادل الرأى معا .. هل الذاتية عيب من عيوب الشاعر أو حتى الناقد ان كان صاحب مبدأ فى مفهوم ما ينقده !! ؟ .. اننى أجد الاجابة على تساؤلى عند تولستوى حين يقول .. «طالما تخيلت نفسى رجلا عظيما يكتشف الحقائق لخير الانسانية .. فكنت أنظر لسواى من الآدميين وأنا أشعر بقدرى » . وهاهو جوركى ينفعل بما يقارب هذا المعنى فيقول .. « كنت أرى أننى فهمت وأحسست أشياء معينة بطريقة تخالف طريقة الناس وفى ذلك الحين بدأ الناس بالفعل ينظرون الى كقصاص مشوق » . فذاتية العقاد

هنا لم تكن قاصرة أو سلبية .. وانما هى كحال كل عبقرى يحقق من خلال «الأنا» خير « النحن » وهذا هو ماحدث فعلا ويحدث الآن فى تيار الأدب .

ومن خلال هذا المفهوم كان لابد أن ننظر الى شعر مدرسة العقاد ، وأن نلتزم جانب الانصاف فلانبتر عنصرى التفاعل كما وجدنا فى الكتاب حين يقول « أثر المحدثون فى مدرسة الديوان — أى مدرسة العقاد — دون أن تؤثر هى فيهم » .

ثم نلمس طوال عملية النقد التطبيقى لشعر العقاد أن الدكتور مندور قد التزم بالمذهب التأثرى فى النقد .. اذ أخذ يبرز فى كل صفحة فكرة أن الجانب العقلى لدى العقاد قد تغلب على شاعريته فأبعدها عن الرقة والحساسية المتطلبتين لكل قصيد ، وأن كبرياءه واحساسه بعظمته مع غفلة الناس عنها قد شغلاه عن محاولة الاجادة فى شعره .. ولا أدرى لم يحضرنى هنا شبح المتنبى شامخا بأنفه ليباهى بشخصه شعرا لايبارى فى مجال الفخر جودة وجزالة .. أما ان كان هذا البيت يعجب أو لايعجب .. فأمر هذا موقوف على مدى التذوق وكيفيته .. وهنا يكون طريق النقد قد قطع عند ثلثه فقط .. فلا صلة لنا فى اقناع أحد كى يعجب بهذه الأبيات القائلة :

والشعر ألسنة تفضى الحياة بها
الى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة
خرساء ليس لها بالقول تبيان

أو حتى وهو يصف الأحجار تحت ضوء القمر فى أسوان مثلا ..

ولما رأوها يشبه الخلق صنعها
تغالوا فقالوا الانس قد مسخت صخرا
لقد أكبروا الا على الله خلقها
فقالوا براها ، ثم أصمتها قهرا .

ذلك لأن الجلال والجمال فى هذه النماذج وغيرها لايصح أن يوجه النظر اليها ، وانما يحس بها ، ننفعل بها ليتردد صدى معانيها فى

جنباتنا . ولن يتحقق هذا الا اذا كانت درجة استيعابنا من الرحابة لتسمح باكمال عملية النقد .. حتى لانقتصر على جانب ايديولوجى أو آخر تأثرى .. وهاهو ذا أستاذنا الدكتور يضيء لنا الطريق الى شعر عبد الرحمن شكرى وشاعريته .. وذلك فى دراسة نقدية منصفة .. تبرز لنا عناصر الجمال لا القبح مع غوص وراء المصادر والأهداف .. فعرفنا أنه قد جمع بين الفكر والعاطفة الشاكية للذين اقتسمهما كل من العقاد والمازنى .. فأصبح شعره معروفا بالتأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى .. لكنه استبطان مشوب بتشاؤم ممض يرده المؤلف الى مالاقاه من عنت واضطهاد ، وما قوبل به من جحود ونكران، ونتيجة يأس من تغلب الخير على الشر لدى الناس .. والواقع أن اعترافات عبد الرحمن شكرى التى بنى عليها الدكتور مندور نظريته هذه لاتكفى لسبرغور هذا الشاعر .. لأننا نعرف أنه كان يعيش معيشة رغدة ، وكان يتمتع بشخصية قوية الارادة تدفع به الى تحقيق آماله العراض .. لكنه لايغتر بالنجاح بل يسخر منه ويقول محدثا اياه

أنت سحر يكسو القبيح جمالا
وينيل الوضيع أفق العلاء
وينيل القمىء أجنحة النسر
فيغدو لقومه كسماء

وانما الأرجح أن تشاؤمه راجع – كما يقول الأستاذ على أدهم – الى دخيلة نفسه هو .. لأنه « رجل متشائم بمزاجه لا بتفكيره ، ومرد النغمة الحزينة السارية فى اشعاره الى هذا المزاج المتشائم المتطير » . فهاهو ذا يقول واليأس يطغى على نفسه ..

كم قد أسفت على الدنيا وباطلها
فما أسفت على شيء سوى الأسف
وكم سخرت من الاقدار فى صلف
فما ندمت على شيء سوى الصلف.

ثم يشير فى آخر الكتاب الى جماعة أبوللو اشارة عابرة لايتسع لها مجال الكتاب .. لكنه أنبأنا بأنها مدرسة تعتبر امتدادا للشاعر خليل مطران .. خاصة وأن مؤسسها أحمد زكى أبو شادى كان من المنتمين الى موضوعيته فى الشعر .

وعند هذا الحد ينتهى الكتاب بعد أن شحن أذهاننا بهذه القضايا الفكرية .. ليحيلنا الى أصول هذه الأشعار ودواوينها .. لا كقراء وانما كذواقة .. نتلذذ بهذا ونأنف من ذاك ، دون أن نشيح الطرف عنه ، بل نزيح الغشاوة من فوقه.. ويكفى الكتاب ومؤلفه فخرا بهذا .

جمال بدران

سطور من كتاب ....

«أبا الرحمات ، لم أيقظتنى من الارض الصامتة وحكمت علىّ بلعنة الميلاد ؟
لم انتزعتنى من السكون ، واختطفتنى من الظلام، وخلقت من نورك عطية جحودا ؟
لم دفعت الى الوجود كائنا هو نقيضك ، ونفخت الشقاء فى قطعة من الثرى ؟ »

.... الوالد والولد

نظرة فى إعادة كتابة تاريخنا القومى

١ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (الجزء الأول) .
تحقيق وتقديم : الدكتور محمد أنيس .
القاهرة . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ ـ ٣٢٢ صفحة .

٢ ـ ثورة شعب .
تأليف : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .
القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٤ ـ ٣١٤ صفحة .

٣ ـ لطفى السيد والشخصية المصرية .
تأليف : الدكتور حسين فوزى النجار .
القاهرة · مكتبة القاهرة الحديثة ـ ١٩٦٣ ـ ١٥٩ صفحة .

٤ ـ حديث الأجيال .
تأليف : محمد على غريب . تقديم : الدكتور عبد اللطيف حمزة .
القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣ ـ ١٢٩ صفحة .

من الشواهد الحسنة التى تدل على نضج الوعى الوطنى لدى الجيل الحاضر ، ما جرى فى الآونة الأخيرة من اهتمام بدراسة تاريخ الحركة الوطنية ، ومراحلها التى توالت خلال القرن الذى مضى والقرن الذى نعيش فيه . ولقد مرت دراسة التاريخ المعاصر بمراحل صعبة ، وذلك نتيجة لعوامل عديدة . أهمها :

أولا : ما جرى من زيف وتضليل على أيدى المؤرخين من علماء الاستشراق ودعاة الفكرة الاستعمارية ، وبخاصة ابان عصر الاحتلال .

وثانيا : ما قامت به السراى وبخاصة فى عهد الملك فؤاد من شراء ذمم بعض المؤرخين والعلماء من المصريين والأجانب .

وثالثها : يتصل بالعاملين السابقين ، وهو تأرجح المؤرخين من رواد المدرسة المصرية الحديثة بين الأحزاب السياسية ، على اختلاف ميولها ونزعاتها ، والصلات التى تربط بعضا منهم برباط وثيق ... ومريب بقصر عابدين وقصر الدوبارة .

بيد أنه كان من النتائج التى أدت اليها الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩ أن بدأ اهتمام الجيل الجديد من المثقفين وحملة الأقلام بدراسة التاريخ الحديث للشعب المصرى ، دراسة واعية تنم على شعور فياض بالوطنية ، وحرص على الأمانة الفكرية والولاء العظيم . ولكن هذه المدرسة الوطنية الواعية لم تكن لتتحرر تماما من رواسب الماضى ورواسب السياسة الحزبية . ومع هذا فانها أدت واجبها بقدر ما تستطيع ، وكان هذا الدور من علامات الطريق فى دراسة نهضتنا الوطنية الحديثة .

هذه المدرسة التى نتحدث عنها ، تدين بوجودها الى ثلاثة من الرواد أو اربعة ، وهم عبد الرحمن الرافعى ومحمد صبرى ومحمد شفيق غربال ... ثم محمود فؤاد شكرى .
وقد أتى بعد هذا الجيل جيل آخر من المؤرخين « استطاع ـ فى ظروف أحسن ـ ان يكون أدق فى حكمه بالنسبة للجيل السابق عليه . ولكنه رغم هذا لم يسلم من الميول والأهواء ورواسب السياسة الحزبية القديمة . والاتجاه السائد لدى مؤرخى هذه المدرسة

ينحصر في أمرين . الأول : دراسة تاريخ الحركة الوطنية من خلال تاريخ الأحزاب التي أسهمت في هذه الحركة ، وتراوحها بين القوى السياسية المسيطرة في هـذه المرحلة . والاتجاه الآخر : هو دراســة حركة المقـاومة الشعبية والأجهزة السرية خارج نطاق الأحزاب .

على أن كلا الاتجاهين لا يستغني عن اتجاهين آخرين هما من اللوازم الأساسية ، ونحن بصدد اعادة كتـابة تاريخنـا القومي . الأول : هو الاهتمام بالصـحافة الوطنية التي نشأت في بلادنا منذ عصر اسماعيل ، فلقد كانت هـذه الصحافة على اختلاف نزعاتها تعبر أصدق تعبير عن هـذه النزعات . فكانت كل من صحيفتي المقطم ومصر تعبران عن وجهة النظر الاستعمارية وكانت اللواء والدستور تعبران عن وجهة النظر الوطنيـة في اطـار العثمانية . وبين هذين الاتجاهين كانت تقف الأهرام التي كانت تميل — بحكم أن مؤسسيها من أهل الشـام — الى فرنسـا . وكانت المؤيد هي صحيفة القصر . في حين كانت الجـريدة تعبر عن وجهـة نظر المثقفين وملاك الأراضي في الفريق المعتدل .

والاتجاه الآخر : وهو يختص بتـاريخ الحركة الوطنية في أعقاب الحرب العظمى الأولى ، فالى جانب دراسة اتجاهات الأحزاب السياسية منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، يجب أن ننتبه الى ظاهرة هامة جدا ، وهي دراسة تاريخ الحركة الوطنية عن طريق الشخصيات التي كان لها دور هام في هـذه الفترة . لأن الأحزاب السياسية ليست مقياسا يسلم من النقد . وذلك لسببين . الأول : وهو التلون الذي أصاب بعض هـذه الشخصيات في الظروف المختلفـة ، فصدقي باشـا كان في أول أمره من المؤسسين للوفد المصري الذي يرأسه سعد زغلول ، من أجل الحصول على استقلال مصر اسـتقلالا تاما ، وكان أحد أربعـة ذهبوا الى المنفى في مارس سنة ١٩١٩ . ولكن لم يلبث أن خـرج على الوفد في خلال هذا العام ، ثم انضم الى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلي يكن ، ولكنه لم يلبث أن اسس حزب الشعب الذي خرج به على أجماع الأمة ، وكانت فترة حـكمه الأولى ١٩٣٠ — ١٩٣٣ هي العهـد الأسود للدستور وللحياة النيابية في مصر .

الى جانب هذا الفريق ، يوجد فريق آخر تلاءم مع الظروف وأن لم يصبه التلون الدفين . هذا الفريق يمثله بوضوح احمد لطفي السيد ، فقد كان من زعماء الفريق المعتدل قبيل الحرب العـالمية الأولى ، ثم انضم الى المتطرفين بعد الحرب ، وشارك مشـاركة فعالة في النضال الوطني الـذي انتهى بتصريح ٢٨ فبـراير . ثم خرج على الوفد ، ولكنه لم يشارك في الأحزاب السياسية التي توالت بعد التصريح ، وكان في الفترة السـابقة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من المعارضين لمعاهدة قصر الزعفران ١٩٣٦ ، ثم اتفاق صدقي — بيفن ١٩٤٦ .

ومن هنـا تبدو أهمية كتاب فقيدنا العظيم عباس محمود العقاد عن الزعيم الخالد « سعد زغلول » ، وكتاب الدكتور حسين فوزي النجار عن « لطفي السـيد والشخصية المصرية » . هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن .

وبالمثل فانه من الصعب جدا أن نحكم حكما مطلقا على حزب من الأحزاب ، وهـكذا يبدو الخطأ الذي وقع فيـه صاحب كتاب « حديث الأجيال » . فانه افترض أن حزبا مثل الحزب الوطني ، هو الذي كان يمثل الوطنية الصادقة ، لا لشيء الا لأنه سار على هدى مبادىء الزعيم مصطفى كامل . لأن الحقيقة ان زعامة الحزب الوطني للحركة الوطنية في مصر قد انتهت على حسب ما يبدو من كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعي — وهو أحد كتاب هذا الحزب ومن قادته المعروفين — انتهى هذا الدور عند الشرارة الأولى للثورة المصرية ١٩١٩ . بل ان هناك نقطة هامة أغفلهـا كثير ممن أرخوا للحركة الوطنية وللأحزاب التي خرجت منها . هذه النقطة هي أن الأحقـاد الشخصية ثم الحزازات الحزبية قد غيرت موقف رجال هذا الحزب بعد الثورة ، لأنهم وجدوا أن الحركة الوطنية وتأييد جماهير الشعب أضـحى احتـكارا في ايدي القيادة الوطنية الجديدة التي يمثلها حزب الوفد . ومن

هنا كانت بعض عناصر الحزب الوطنى ذات اتصال وثيق برجال القصر وبالأخص الأمير عمر طوسون ، حتى أن النيـة اتجهت وقتئذ الى تشكيل وفد آخر ينافس الوفد الذى اختارته الأمة والجمعية التشريعية الممثلة لها . فكان هذا عاملا على تفتيت القاعدة الوطنية وانصراف الأذهان عن اهم قضايا الوطن .

ونحن لا ننحاز الى حزب من هذه الأحزاب انما الحقيقة – كل الحقيقة – ان الحزب الوطنى كان له دوره المشرف فى عهـد زعيميه الكبيرين مصطفى كامل ومحمد فريد ، وينتهى هـذا الدور باندلاع الثورة ووفاة محمـد فريد فى المنفى . اما حزب الوفـد فمن الممكن ان نعتبر دوره الوطنى العظيم قد انتهى فى كثرته بوفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ ، ثم تلاشى تماما هذا الدور سنة ١٩٤٢ .

وهـكذا تبـدو لنـا ثانية اهميـة دراسة الشـخصيات وتراجم العظمـاء ، الى جانب دراسة المصادر التاريخية الأخرى .

ويظهر شيء آخر من خـلال كتاب الأستاذ محمد على غريب ، هذا الشيء هو ان الأسلوب الصحفى قد يسيء – فى بعض الأحيـان – الى الحقائق التاريخية الصحيحة ، أو هو قد يأتى لنا ببعض القشور أو يذكر أسماء الأشخاص فى خبط وخطـأ كبيرين ، فى حين ان الرجوع الى ابسط كتاب يتناول تاريخنا المصرى يغنينا عن هذه السقطات .

وعلى خلاف هذا الكتاب يبدو لنا « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » من احسن الكتب التى تناولت تاريخ الحركة الوطنية فى وقت من أحرج اوقاتهـا ، فالمعروف أن الدكتور محمـد أنيس من الدارسين الذين توفروا منـذ بعيـد على دراسـة التاريخ المصرى ، وكان من أوائل من التفتوا الى اهمية الوثائق فى دراسة هذا التاريخ وفى العـام الماضى صـدر كتابه عن المراسلات بين مصطفى كامل وولاة الأمـور فى السراى . أما الكتاب الذى نحن بصدده الآن فقد كان فى الأصل مقالات نشرها بجريدة الأهرام فى سنة ١٩٦٣ ، تناول فيهـا جانبا واسعا من هذه المراسلات التى دارت بين سعد زغلول رئيس الوفد وعبـد الرحمن فهمى سـكرتير اللجنة المركزية للوفد .

والمفروض فى الكتاب – كما يبدو من عنوانه – أن يقتصر على المراسـلات بين سـعد زغلول وعبد الرحمن فهمى . ولكن الأستاذ المحقق لم يلبث أن قسم هـذه المراسلات الى مجموعات ثلاث . الأولى : وتضم خطـابات سعد زغلول الى اللجنة المركزية للوفد . والثانيـة : تضم تقارير عبـد الرحمن فهمى الى سعد زغلول . والثالثة : تضم خطابات لسعد زغلول وعلى ماهر ومحمد كامل سليم ، وخطابات وأوراق أخرى . هذه المراسلات تمت فى غضون عام الثورة والعام الذى يليه .

وفى مقـدمة الكتاب تنـاول الأستاذ المحقق حياة عبـد الرحمن فهمى ، وأوضح ظروف نشأته الوطنية ، والدور الكبير الذى قام به ابان الثورة المصرية والحركة العمالية ، ثم الظروف التى أدت الى انفصـاله عن الوفـد . وشرح ما استنبطه من خلال المراسلات ، وقد وفق فى هذا كله الى حد بعيد .

والدكتور محمد انيس اسـتطاع ان ينجح كأستاذ متخصص فى التاريخ الحديث ، فى حين أن الدكتور سـعيد عاشور يمثل وجهة نظر أخرى . وكتابه « ثورة شعب » مجهود طيب من استاذ غير متخصص ، والمهم فى هذا الكتاب أنه يحوى دراسـة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تشغل الجانب الأكبر منه فتحدث عن أسباب الثورة ، والمقدمات التى أدت اليها ، ثم قيامها والأهداف الجليلة التى تحققت بفضلها . وهو يطالعنا لأول مرة بمعلومات طريفة واسرار لم نقف عليها فى بعض الكتب التى تناولت عهد الثورة .

غير ان الـكتاب من نواح عديدة يحمل طابع الذكريات ، وهو فى عرضـه لتـاريخ الحـركة الوطنية ، قد ينحاز الى وجهة نظر معينة ، هى وجهـة نظر رجال الحزب الوطنى ، وان لم يكن بذلك الوضوح الذى يبدو من كتاب « حـديث الأجيال » . وعدا هذا فان الكتاب مفيد ومناسب للقـارىء غير المتخصص وللجمهور على وجه عام .

وإذا كنا لا نستطيع دراسة حركة الجامعة الاسلامية دون الرجوع الى جمال الدين الأفغاني ، كما أنه لا يمكن دراسة حركة الجامعة العربية دون الرجوع الى عبد الرحمن الكواكبي ... وعزيز على المصري . فانه لا يمكن دراسة حركة الجامعة المصرية دون الرجوع الى أحمد لطفى السيد ، ومن هنا يبدو أثر التراجم وعبقرية البطل فى سرد أحداث التاريخ .

ولطفى السيد من ابرز رجالات النهضة المصرية ، وابعدهم اثرا فى ميادين الفكر والسياسة والأدب ، وليس بعجيب أن يكون من جملة الزعماء والعباقرة من رجال الاصلاح الذين ورد ذكرهم فى الميثاق ، الى جانب سعد زغلول ومحمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين . ونحن منذ بعيد متشوقون الى أن نعرف حياة هذا الرجل ، ولست أعرف كتابا اختص بلطفى السيد ، الى جانب هذا الكتاب سوى كتاب الدكتور عبد اللطيف حمزة الذى ألفه قبل عشر سنوات ضمن سلسلة « أدب المقالة الصحفية » .

هذا عامل هام . والعامل الآخر أن صاحب الكتاب كانت تربطه بأستاذ الجيل روابط عديدة من القرابة والتلمذة ، وهو الى جانب هذا توفر على دراسة السياسة وبيان العوامل الخفية والظاهرة — فى تحركات التاريخ وتقلبات الأحوال والظروف ، وله كتاب جيد بعنوان « السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط » .

وهو من الكتاب الذين عنوا بالأسلوب الجزل والعبارة المنيرة ، الى جانب الفكرة الواضحة والمعانى العميقة ، وهو عين اتجاه لطفى السيد .

والحديث عن الشخصية المصرية يشغل نصف صفحات الكتاب ، فهو يتناول هذه الشخصية بالتحليل والمناقشة ، ويستعرض لنا آراء لوبون وولز ورينان ، وكيف أن الشخصية المصرية لم تتغير خلال الأحقاب المتباعدة من التاريخ ، وان جرى لها تعديل فى ظاهرها وفى صورتها العامة . هذه الشخصية أبرز سماتها وحدة الشعور وعمق الأصالة الدينية ، ولكن هذا الرأى يؤدى بنا الى القول بثبات المميزات القومية national character وبقائها ، كما كان يرى لطفى السيد ، وقد وضحه الأستاذ العقاد فى كتابه عن « سعد زغلول » . بيد أنه تبين بعد التطورات التى استجدت على العالم فى السنوات الأخيرة وبعد التقدم العلمى الهائل أن الصفات القومية تتغير فى الظاهر وفى المضمون معا ، رغم أن هذا التغير قد لا يكون ذا نسبة واحدة فى جميع الأحوال .

أما حديث المؤلف عن لطفى السيد وموقفه من الشخصية المصرية ، فقد خرج علينا بالمعالم الرئيسية لهذا الموضوع ، ولكنه أغفل عدة أمور هى جديرة بالتسجيل فى كتاب يتحدث عن الشخصية المصرية وعن لطفى السيد . فنحن لا نعرف بالضبط ماذا كان موقف لطفى السيد من الحركة القومية العربية ، ومن التيارات الحديثة التى أتت بعد الحرب العالمية الأولى .

والذى ندريه جميعا أن لطفى السيد لم يكن راضيا عن فكرة الجامعة الاسلامية ، الا اذا كان فيها الخير لمصر وجاراتها (١) . ويبدو أنه كان ينظر الى الجامعة العربية نفس النظرة ، وقد كانت له مساجلات عدة مع فيلسوف القومية العربية أبى خلدون ساطع الحصرى (٢) . ونحن اذا راجعنا نظرية لطفى السيد فى الديموقراطية ، لعرفنا أنه كان يسلم للكثرة بحقها اذا لم تكن فى جانبه ، ولعل هذا كان السبب فى خروجه على سعد زغلول (٣) ، ولعله كان أيضا سببا فى رضائه عن فكرة الجامعة العربية فى آخر الأمر .

والمؤلف يشير الى دور طلعت حرب الكبير فى استقلال الاقتصاد المصرى ، حتى يكون ذلك وسيلة للاستقلال القومى الكامل . ولكنه لم ينتبه الى أهمية دور لطفى فى هذه الناحية ، فقد أبرز — بتفكيره المنطقى السليم — ان « الاستعمار فى نظر الدول المستعمرة على العموم وانكلترا على الخصوص غرضه الأول الكسب المالى » (٤) . ولهذا فهو قد دعا الى شراء أسهم من الدين المصرى بالمال الاحتياطى وتأليف النقابات الزراعية ، وانشاء بنك زراعى أهلى .

وبعض المؤرخين — ومن بينهم الدكتور محمد أنيس — يأخذون على لطفى السيد تغير موقفه بعد الثورة المصرية ١٩١٩ ، وقد كان واجبا على المؤلف أن يشرح لنا موقفه هذا ، ولماذا خرج على سعد زعيم الأمة ، وانضم الى عدلى رئيس الحكومة . الى جانب أنه تحرك بعض الشىء عن آرائه المتحررة التى طالعنا بها على صفحات الجريدة فى أوليات هذا القرن ... وماذا كان موقفه من الاشتراكية ؟؟ .

أما كتاب الأستاذ محمد على غريب ... فهو كتاب ذكريات ... ذكريات أب وابن ... ثم حفيد . عاصروا جميعا حقبة واسعة من تاريخنا الحديث تبدأ من تاريخ حفر قناة

(١) الجريدة : ٢ ديسمبر ١٩١٢ .
(٢) ابو خلدون ساطع الحصرى : آراء واحاديث فى القومية العربية ١٩٥١ .
(٣) العقاد : المجلة . عدد ٧٦ أبريل ١٩٦٣ .
(٤) الجريدة : ٢١ ديسمبر ١٩٠٩ .

السويس حتى بزوغ الفجر الجديد ... فجر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجلاء المستعمرين عن أرض الوطن . ولا أدرى ماذا يكون الحكم الصحيح على هذا الكتاب ؟ انه ليس تاريخا ولا قصة ولا ترجمة لواحد من المشاهير ، ولكنه انطباعات ثلاثة أجيال بين دفتى كتاب .

والكتاب كان فى الأصل « أضمامة من الأوراق » على حد قول الأستاذ المؤلف ، دفعها اليه صديق يعرفه منذ ربع قرن . وهذا الصديق - كما يبدو من صفحات الكتاب - هو الحفيد محمد عبد البديع السهلى ، مشبوب الوطنية ، ولكنه كان ينظر اليها من وجهة نظر معينة ... وضيقة . وهذا سوف يطبع تلك الذكريات بطابع خاص ، قد يجعلنا نرمى الحفيد (الصديق) بأنه انحرف بعض الشيء فى حكمه على بعض رجالات العصر السابق للثورة المصرية ١٩٥٢ .

ومآخذنا على الكتاب تنحصر فى أمرين . الأول : يتصل بالمؤلف . والآخر يتصل بالصديق الذى أوحى الى المؤلف بأن يسطر هذا الكتاب . فالمؤلف يحدثنا مرتين عن عبد العال فهمى بوصفه واحدا من زعماء الحركة الوطنية قبل الاحتلال ، الى جانب شريف باشا والبارودى وعرابى ؟ ونحن لا نعرف واحدا من زعمائنا الوطنيين بهذا الاسم . وأحسب انه يقصد عبد العال حلمى أو على فهمى اللذين كانا يشكلان الى جانب أحمد عرابى ثالوث الحركة الوطنية ١٨٨١ - ١٨٨٢ . وقد يرجع هذا الخلط الى الصديق صاحب الأضمامة ، ولكن كيف فات صوابه على الأستاذ محمد على غريب ، وهو صحفى قديم ، وكان له نشاط أدبى وسياسى معروف ، والدكتور عبد اللطيف حمزة ، وهو أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة . وأرى ان السبب فى هذا يرجع الى ان المؤلف لم يكن دقيقا فى كتابته ، لأن الكتاب لمحات من تاريخ مصر فى عهدها الماضى ، يجب ان تتناولها يد المؤلف بالحبك والتنسيق وبيان الصواب ، حتى تكون هذه اللمحات كتابا يخرج به على الناس .

ويبدو هذا أيضا فى حديث الجد عن « العريف » ، وهى تسمية حديثة لرتبة عسكرية لم نسمع بها فى القرن الماضى ... ومن الغريب ان المؤلف يجعل الرئيس الأمريكى ويلسون رئيسا لمؤتمر الصلح الذى انعقد فى باريس بعد الحرب العالمية الأولى ، على حين اننا من قراءة أى كتاب صغير تناول تاريخ هذه الفترة نعرف ان رئيس المؤتمر كان جورج كليمنصو نمر السياسة الفرنسية الشهير .

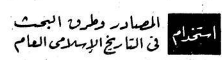
أما الصديق فنلمح فى روايته بعضا من التحامل (المرير) على نفر من زعماء الوطنية فى العهدالماضى ، نذكرهم دائما بالخير والاحسان . وهذا يبدو بوضوح فى حديث الابن عن الثورة المصرية ١٩١٩ ، فسعد زغلول فى نظره كان يقيم فى قصره المنيف «ويتمرغ على الحرير والدمقس ، وعلى مرمى بصره لا يرى سوى حديقة قصره الغناء ، تتناجى فوق غصونها المورقة الطيور بأغاريدها الشجية لتحية صاحب هذا القصر السعيد » . وهو لم يكن لديه اى نبأ عن قيام الثورة فى مصر ، لم يكن يطيقها أو يحبها ، وصحافته صحافة ماجنة . أما صحافة الحزب الوطنى الذى تغير وتبدل بعد سنة ١٩١٩ ، وصار ذيلا من ذيول القصر وأداة من أدواته ، فهى الغاية فى فن التحرير ... الوطنى .

والذى اراه أن ذاكرة المؤلف ... أو الصديق ضعيفة الى حد خطير ... لقد نسى أن سعد زغلول هو الذى ذهب الى دار الحماية يطلب الاستقلال ، ونفى مرتين وهو شيخ كبير ، اصطلحت عليه طائفة من الأمراض والعلل . ولم يتول الوزارة سوى مرة واحدة ، مكث خلالها شهورا قليلة ، وكان ذلك باجماع من الأمة ، وسقطت وزارته بسبب حادث السردار . وتقول الدراسات الحديثة ان هذا الحادث كان مدبرا من جهة المندوب السامى لاسقاط اول وزارة وطنية ، كانت موضع الرضاء الكامل من الشعب ورغما عن قصر عابدين وقصر الدوبارة . لقد نسى المؤلف كل هذا فى غمرة تحمسه لحزب بدأ وطنيا ، وانتهى نهاية لا تشرف ماضيه العظيم ... اذا كان المؤلف قد نسى كل هذا ، فانى أشير عليه بمراجعة الباب الثالث من الميثاق « وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة ، يقود النضال الشعبى العنيد ، الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة اكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم » .

... ورغم كل هذا فالكتاب مجهود طيب به لمحات ساذجة ولكنها ذكية ، فيما عدا هذه السقطات التى كان على المؤلف ان يرتفع عنها فى عصر نقوم فيه حركتنا الوطنية تقويما نزيها لا تعصب فيه ولا تحامل ولا انحراف .

عبادة كحيلة

تعريفات



تأليف : الدكتور على ابراهيم حسن .
مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣ – ٢٠٣ صفحات
قطع كبير .
ث ٣٠ قرشا .

من بين التطورات التى جدت فى دراسة التاريخ الاسلامى الوسيط ما جرى فى السنوات الأخيرة من اهتمام بدراسة الكتب القديمة والبحث فى نشأة التدوين التاريخى عند العرب ومناهج البحث فيه وبيان الاتجاهات التى سار فيها هؤلاء المؤرخون على تباين نزعاتهم الدينية وأهوائهم السياسية والشخصية وتراوح قدراتهم الذهنية فى مجالات البحث والتفكير .

ومن هذه الكتب التى تمهد الطريق أمام الدارسين كتاب الأستاذ على أدهم بعنوان « بعض مؤرخى الاسلام » وكتاب الدكتور حسين نصار بعنوان « نشأة التدوين التاريخى عند العرب » ثم الكتاب الذى نحن بصدده الآن .

والأستاذ المؤلف له عهد طويل بدراسة التاريخ الاسلامى وله كتب كما ان له أبحاثا متعددة فيه .

يبدأ الكتاب بمقدمة يسيرة فى التاريخ الاسلامى العام وفى التاريخ المصرى الوسيط ثم يستطرد بنا فيتحدث عن طرق البحث فى هذا التاريخ وتناول المصادر الأساسية التى يعول عليها مثل أوراق البردى والكتابات الأثرية الى جانب كتب التاريخ والجغرافية والأدب .

ووجه الفائدة من الكتاب يرجع الى أنه من الكتب القليلة فى موضوعها هذا الى أن المؤلف قد عرض لنا عرضا طيبا المصادر الهامة فى دراسة التاريخ الاسلامى . بيد أنه لم يتعرض لهذه الكتب بالنقد والتحليل ومعرفة الاتجاهات السياسية والدينية لهؤلاء المؤرخين ، والأهواء التى قد تنحرف بهم عن الأمانة المطلوبة حتى يكون هذا عونا للباحث الجاد .

والمؤلف فى عرضه لكتاب الأغانى – وهو أكبر موسوعة أدبية وتاريخية فى الاسلام – يذكر أن جمال الدين بن منظور – صاحب لسان العرب – قد اختصر هذا الكتاب فى ثلاثة مجلدات كبيرة الموجود منها الثانى فقط وهو مخطوط بدار الكتب وقد كان أجدر بالمؤلف أن يذكر أن هذا الكتاب سبق له أن طبع قبل ثلاثين عاما وذلك فى المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة وهى طبعة جيدة كان يجب أن تسجل فى كتاب يبحث فى مصادر التاريخ الاسلامى .

والى جانب هذا توجد بالكتاب (كلمات أعوزتها الدقة فى الترجمة) مثل تعريب المؤلف لموسوعةفان برشم المعروفة corpus Inscriptionum Arabicarum صح أن نقول « جامع أو موسوعة النقوش العربية » وليس « جامع الكتابات التاريخية » كما يتضح من الكتاب . وهو يطلق على كتب التاريخ التى تناولته سنة فسنة اسم السنويات على حين أن الاسم الشائع والمتداول لدى المؤرخين هو الحوليات .

الى جانب هذا فان المؤلف فى الباب الخاص بمصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة لم يابث أن عرض لكتب كاترمير ونيكلسون وفييت وميور وارنولد وحسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن وغيرهم . وكم كنا نود أن يورد المؤلف ثبتا يكون أوسع بالنسبة للمؤرخين الأجانب والعرب على السواء .

ملامح الحضارة العربية الإسلامية

بقلم : فرنشيسكو جبريلي

ترجمة : محمد حسن خلاف

القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣

الاستاذ جبريلي مستشرق ايطالي كبير له دراسات وأبحاث مستفيضة عن الحضارة الاسلامية ، وهو فى هذا الكتاب يتخذ نهج برنارد لويس فى كتابه المعروف « العرب فى التاريخ » . فعرض لعصر ما قبل الاسلام ، ثم تتبع تاريخ العرب خلال العصور الاسلامية حتى العصر الحديث فى أسلوب سهل ميسر .

غير أن فى الكتاب من نقاط الضعف ما يرجع الى المترجم وقد يرجع الى المؤلف ، فالترجمة فى بعض أجزائها سقيمة كأن يقول المترجم « ولكن قوة العنصر التركى ظهرت واضحة عن طريق الجنود المرتزقة من الأتراك الذين كانوا حراسا للخليفة ، واحتلوا مكان الفرس ، وفى سنة ٨٦١ قتل المتوكل عن طريقهم » . ومن الأخطاء الأخرى أنه ترجم Brussa — وهى مدينة كانت تتبع الدولة العثمانية ويسميها الأتراك بورصة — ترجمها على أنها بروسيا وهذا خطأ شنيع . وكذلك حين يقول « بربر المغول » فى حين أن الترجمة الأمينة لها المتوحشون أو الهمج . وكلامه عن معركة أنقرة سنة ١٤٠٢ يبدو منه أن العثمانيين انتصروا فيها على البيزنطيين ، والحقيقة أن العثمانيين منوا فيها بالهزيمة على يد تيمورلنك الفاتح المغولى الكبير .

هذا .. ومن بين الأغلاط التاريخية الأخرى التى تنسب الى المؤلف ، أو قد ترجع — كما أسلفنا — الى عدم دقة الترجمة ما يأتى « وفى خلال القرون الخمسة الأولى التى عاشتها الخلافة العباسية ، نجد أن هذه الفترة هى العصر الذهبى للحضارة والثقافة الاسلامية التى تتفق خطوطها مع الازدهار السياسى للعروبة والخلافة وخاصة فى العصر العباسى » . ... ولم يقل أحد ان العرب كان لهم التفوق السياسى خلال عصور الخلافة العباسية ولربما كان لهم هذا التفوق بالنسبة لعصرها الأول الى جانب الفرس ، ولكنه لم يكن كذلك فى جميع عصورها .

ومن الأغلاط الأخرى ما كتبه المؤلف « وقامت الحرب الصليبية الثالثة فوقعت اذ ذاك أقوى معارك الكفاح ، فقد واجه بطل الاسلام والمسلمين صلاح الدين القوى الأوربية كلها ، وعلى رأسهم ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، فضلا عن ملوك الصليبيين أنفسهم ، واستطاع صلاح الدين البطل أن ينتصر عليهم فى موقعة حطين » . والحقيقة أن موقعة حطين لم تأت خلال الحملة الصليبية الثالثة أو بعدها ، وانما أتت قبلها وبالتحديد فى سنة ١١٨٧ ، على حين أن الحملة لم تبدأ الا فى سنة ١١٨٩ .

وأخيرا .. فان الكتاب يبدو من عنوانه أنه يتناول الحضارة العربية الاسلامية ، ولكن المؤلف لم يلبث أن جعل جل همه فى التاريخ السياسى ، وأغفل اغفالا يكاد يكون تاما الحضارة الاسلامية . ومهما يكن من أمر فالكتاب مجهود طيب لمؤلفه ، وكان أجدر أن يترجم ترجمة أمينة دقيقة لا يسودها طابع العجلة والارتجال .

سوريا .. شعبها وأرضها

ترجمة : كمال الملاخ

تأليف : ليليان براجدون

تقديم : الدكتور عز الدين فريد

الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — ١٩٦٤ — ١٥٥ صفحة .

هذا عمل علمي وأدبي ممتاز من ابداع كاتبة سويسرية الأصل أمريكية الوطن والنشأة .

تناولت فيه بأسلوب شائق سويسرا - شعبها وأرضها - وسرحت بنا عبر التاريخ تستمد لمعا من أخبار هذا البلد العريق فى الحرية والديمقراطية .. والجمال . ولا تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب أنه غريب عن الذوق العربى وديباجته الأدبية ، وذلك بفضل المجهود الطيب الذى بذله الأستاذ كمال الملاخ ، وبفضل المقدمة الحسنة للدكتور عز الدين فريد .

والكتاب ليس مجرد لمحات خاطفة يطغى عليها الأسلوب الصحفى المرح ، كعهدنا بكتب جون جنتر وانيس منصور ، وانما هو وسط بين هذا وبين كتب الرحالة العربى الكبير محمد ثابت • فهو دراسة علمية أدبية تاريخية تنتقل بك فى رحلة عبر الزمان والمكان الى حيث الوداعة والطمأنينة والجمال •

وسويسرة - كما يتضح من الكتاب - جمهورية تتألف من اثنتين وعشرين مقاطعة Canton ، لكل منها استقلالها الذاتى الذى يماثل من نواح عديدة الاستقلال الذى تتمتع به كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ، فى حين أن مساحة سويسرة بأكملها أقل بكثير من مساحة بعض ولايات أمريكا .

والأغرب من هذا أنه طالما نشبت حروب عديدة بين هذه المقاطعات وبعضها البعض « ولكن هذا - عندما يحدث - كان يتخذ طابعا محليا داخليا كالخلاف الذى قد ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين الأخ وأخيه ، فاذا ما لاح عدو مشترك دفنت الأحقاد واجتمعت الكلمة ، وهب الجميع كرجل واحد فى وجه الخطر الذى يتهددهم . فلا مجال لخائن أو عميل ، ولا هدف سوى المحافظة على الحرية والاستقلال » .

ومن الغريب أيضا أن كثرة أهل سويسرة - ويسكنون ست عشرة مقاطعة - يرجعون فى أصلهم الى الشعب الألمانى . ومع هذا فانهم عاشوا مع اخوانهم من الذين يتكلمون الفرنسية أو الايطالية فى دعة ومحبة وتواد ، على الرغم من العداء الذى استمر أحقابا عديدة بين اللاتين والجرمان ، وعلى الرغم من انقسام شعبها بين كنيسة روما وكنيسة أهل الشمال .

وثمة صفة أساسية يتسم بها السويسريون ، وتميزهم عن شعوب العالم كافة ، وهى ميلهم الى السلام ومحافظتهم عليه ما استطاعوا . ومن أجل هذا كان حياد سويسرة أمرا معترفا به منذ سنة ١٨١٥ ، كما أن دستورها من أقدم دساتير أوربا ولم يحصل له تعديل منذ سنة ١٨٧٤ . ولم تشارك سويسرة فى أى تكتلات سياسية ، أو أحلاف عسكرية قد تحيد بها عن طريق السلام . وهى لم تشارك أيضا - وهى مصنع السلام - فى هيئة الأمم المتحدة ، حتى لا تزج بنفسها فى خضم السياسة الدولية ومشاكلها المعقدة . وان لم يمنعها ذلك من أن تكون عضوا فى المنظمات ذات الصفة الانسانية والتى تتبع الهيئة ، مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسكو .

بيد انه ليس بغريب أن تسود الروح العسكرية بين السويسريين ، فالمواطن مستعد دائما لأداء واجبه الوطنى حتى سن الستين ، ولا شك أن تلك الروح العظيمة موجودة لدى السويسريين منذ وليم تل بطل ملحمة شيلر الشهير . ويحكى أن هتلر - عندما كان فى أوج سطوته وغروره - فكر فى أن يجتاح بجنود العاصفة تلك البلاد المنيعة ، ولكنه عدل عن ذلك حتى لا يفقد نصف مليون من خيرة جنوده فى مغامرة غير مأمونة العواقب .

ومن قديم كانت سويسرة ملجأ وملاذا للأحرار من كل مكان ففى جنيف ولد الفيلسوف الانسان جان جاك روسو الذى دعا الى الحرية والاخاء والمساواة ، قبل أن تصبح تلك المبادىء حقيقة واقعة فى حروب الثورة الفرنسية . كما أن دعاة الاصلاح الدينى - مثل أرازموس وكلفن وتسفنجلى - وجدوا فيها المعقل الأمين والاتباع المخلصين . وقد ساعد كل هذا على ارتقاء البلاد فى مناحى العلم والمعرفة ، وليس أدل على ذلك من أن الفضل فى ازدهار صناعة الساعات

فى سويسرة يرجع الى الهجونوت الفرنسيين الذين هاجروا الى هناك فى عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا .

والسويسريون قوم حريصون على المبادىء ، لا يتخلون عنها رغما عن العواصف والأنواء ، وقد هلك الحرس السويسرى وهو يدافع عن لويس السادس عشر بازاء الرعاع والغوغاء من اهل باريس ، ولهذا كان السويسريون هم الجنود الأثيرون لدى بابوات روما حتى وقتنا هذا .

وهم أيضا قوم عاطفيون بطبيعتهم وتشملهم روح المحبة للشعوب كافة وعلى هذا كان جان هنرى رونانت هو صاحب فكرة الصليب الأحمر بعد ما رأى من فظائع حرب التحرير الايطالية ، وبفضله انعقد أول مؤتمر دولى للصليب الأحمر فى جنيف سنة ١٨٦٤ ، ولا تزال هذه المدينة مستقره الدائم حتى اليوم ، الى جانب كونها مستقرا للهيئات والمؤتمرات الدولية التى تعنى بشئون السلام ، وبخاصة عصبة الأمم التى انهارت فى مستهل الحرب العالمية الأخيرة .

جملة القول أن هذا كتاب ممتاز ، يضم بين دفتيه ما يجب أن يعرفه القارىء عن سويسرة – جنة أوربا – وقد وفقت الكاتبة حين طعمت الكتاب بزبدة من الصور البديعة هى ترجمان صادق لسويسرا وتعبير امين عنها .

فلسطين والضمير الإنسانى

بقلم : محمد على علوبة

تقديم : طاهر الطناحى

القاهرة : دار الهلال ١٩٦٤ – ٢٢٥ صفحة – ١٠ قروش .

الأستاذ محمد على علوبة واحد من رجالات الحركة الوطنية فى مصر منذ أن بدات فى أوليات هذا القرن ، فقد كان أحد أعمدة الحزب الوطنى ابان زعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، ثم شارك فى الوفد المصرى الذى شكل بزعامة سعد زغلول من أجل الحصول على استقلال مصر استقلالا تاما . وبعد ذلك انضم الى حزب الأحرار الدستوريين فى جملة أعضاء الوفد الذين خرجوا على زعيمه . وآثر أخيرا ان يستقل عن الاحزاب السياسية وتشعب أهوائها ومسالكها حتى توفاه الله فى سنة ١٩٥٦ .

وعلى هذا فقد كان الأستاذ محمد على علوبه رائدا من رواد الاصلاح والمطالبة بالاستقلال .. ولكن الغريب فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده ان الأستاذ المؤلف كان فى طليعة المصريين الذين انتبهوا الى عروبة مصر فى عصر كان الشغل الشاغل للساسة هو العلاقة بين مصر والدولة المستعمرة الغاصبة . وفى سنة ١٩٣٠ كان الأستاذ علوبة أحد من أسهموا فى الدفاع عن العرب فى قضية حائط البراق المشهورة حتى كلل مسعاه بالنجاح .

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قبل وفاة الأستاذ المؤلف وحاز الرضا من السيد رئيس الجمهورية وكم كان توفيقا من دار الهلال ان تتولى اعادة طبع الكتاب فى ظروف نحن أحوج فيها الى أن نعرف كل شىء عن القضية الفلسطينية .

ويبدأ المؤلف كتابه بالحديث عن تاريخ اليهود فى فلسطين ويفند حقوقهم المزيفة فى أرض الميعاد . ومأساة فلسطين وكيف بدأت . وخرافة الشعب المختار وأساليبه فى استدرار دموع العالم وأطماع الصهيونية التوسعية من الفرات الى النيل .

وفى الكتاب بعض الحقائق التى لا يزال يجهلها كثير من المثقفين من العرب والأجانب ، اظهرها المحاولات التى بذلها اليهود منذ بعيد لافساد الاسلام والمسيحية على السواء فى شكل الماسونية والدعوات الشيوعية وأندية الروتارى

كما تحدث المؤلف عن الموقف الذى اتخذته الدول الكبرى من المسألة الفلسطينية ، وعن تنكر هذه الدول للوعود التى بذلتها للعرب والمثلة فى مراسلات الحسين – مكماهون . وعن وعد بلفور الذى حاز الرضاء الكامل من الرئيس ويلسون صاحب النقاط الاربع عشرة المعروفة والتى تنكر هو نفسه لها . كما لم يغفل المؤلف أن يتناول بالتحليل أسباب النكبة ومنها الموقف الذى اتخذته بعض الحكومات العربية من القضية الفلسطينية وكان مغايرا لآمال شعوب هذه الحكومات .

وفى الأجزاء الأخيرة من الكتاب يتكلم المؤلف عن الوسائل الناجعة لمواجهة اسرائيل ، وعنده أن الحصار الاقتصادى هو أهم وسيلة يجب ان تتخذها الحكومات العربية فى هذا الصدد . لأن الأساس فى وجود اسرائيل هو المعونات التى تحصل عليها من الدول الغربية ، والعلاقات الاقتصادية التى تربطها بالبلاد الأخرى .

والكتاب – الى هذا – يحوى بحثا عن الديموقراطية والاسلام استطاع فيه المؤلف ان يبرهن على أن مبادىء الحرية والشلل الديموقراطية ذات جذور عريقة لدى العرب والمسلمين .

جوائز الأدب العالمية
(مثل من جائزة نوبل)

تأليف : عباس محمود العقاد

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – ١٩٦٤ – عدد الصفحات – ١٢٨ .

من أبرز الجوائز العالمية التى تمنح بين حين وحين للصفوة من الأدباء والعلماء ، ودعاة السلام من الساسة والزعماء ، تلك الجائزة التى هى موضوع الكتاب الأخير للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .

والحديث عن جائزة نوبل حديث طويل ، يؤدينا الى الخوض فى مدى أحقية كل كاتب وزعيم نال هذه الجائزة لهذه الجائزة ، مع الاشارة الى هؤلاء الذين يرتفعون عن المستوى العام لها ولم ينالوها معجدارتهم واستحقاقهم .

وأبرز ما فى هذا الكتاب الصغير أمران . الأول : ان صاحبه أديب عربى كبير ومفكر عملاق ، أجدر بالجائزة التى تحدث عنها من آخرين غيره لم يصلوا الى درجة من العظمة التى ارتفع هو اليها . والثانى : ان الكتاب بعض من حصيلة اطلاع الأستاذ العقاد على عيون الأدب الغربى وفحول الشعراء والمفكرين الذين عظم شأنهم وطار ذكرهم ، فتهيأ له أن يحكم الحكم الصائب عن جدارة من استحقوا الجائزة ، ومن كانوا أهلا لها ولم تكن من نصيبهم .

وقد تضمن رأى الأستاذ العقاد فى جائزة نوبل فى الفقرة الآتية « ان لجنة نوبل ليست بالمعصومة من عوارض المحاباة والخطأ ، ولا من النقص فى معايير النقد والتمييز ، ولكنه حكم لا تنفرد به اللجنة السويدية وحدها ولا تسلم منه ، على عمومه جماعة من بنى الانسان فى كل زمان ومكان » . وقد شرح الأستاذ العقاد هذا فى الفصل الأخير من الكتاب ، ورده الى عوامل عدة . أولها : ان لجنة الجائزة تنظر فى أعمال المؤلفين خلال سنوات متوالية فى أمم مختلفة ، وقد يستحقها فى هذه السنة من هو اقل استحقاقا لها قبل عشر سنوات . والثانى : لأن المحكمين يتغيرون وتتغير الأذواق والمقاييس معهم بين حقبة وحقبة ، وبين مدرسة ومدرسة من مدارس النقد والتفكير . والثالث : لأن اللجنة مضطرة الى اجتناب الشبهات والحذر من تمييز أمة واحدة بين الأمم بنصيب من الجوائز ، يزيد على نصيب غيرها عند المقارنة العامة . والرابع : ما يعرض من ازمات سياسية وحروب ، فلا يسع اللجنة الأدبية أن تحكم لأديب مستحق للجائزة ،

يعتبر الحكم له حكما لأمته أو لقضيـة بلده فى معركة الخصومات الدولية . والخامس : وهو يهمنا نحن العرب ويختص بغلبة النفوذ اليهودى على معاملات السويد الدولية ، لأنها أمة كثيرة العلاقات بالتجارة الخارجية ، ومبادلات العملة على الخصوص .

بيد أن من أسباب التفاوت فى التقدير ما يتصل بالتغيـير الذى طرأ على المثل الأعلى فى القرن العشرين ، وتضاؤل النظرة الدينية اليه « بعد أن هبـط السوبرمان الذى نادى به نيتشه من الآفاق العلوية حيث كان يعيش ، وغلبت عقيدة الواقع المادى على نفوس الناس « ثم أصبح قصارى الأمل فى مصير الانسان أن يروض نفسه على مواجهة اليأس والتسليم بضرورة الوجود : تسليم قوامه الضرورة المقضية ، ولا قوام له من الرجاء فيما وراء العيان ، ولا فى نحلة البطولة أو نحلة السوبرمان ... وكان آخر ذوى الأفكار من مستحقى الجائزة أديبا يتكلم بلغة الفلسفة ، كأنه السياسى الذى يتكلم بلغة « الدبلوماسية » حـين يقول « اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون » ... وهكذا انتهى المطاف برسالة نوبل فى طلاب المثل الأعلى ، ولا نخاله مرتفعا الى قمة تعلو على هـذه القمة » الى مدى سنوات مقبلات » .

وحديث الأستاذ العقـاد عن المثل الأعلى يضطرنا الى الحديث عن مدى الثبات من ناحية ودرجة التغير التى تطرأ عليه بين حين وحين من ناحية أخرى . والذى أعتقده أن المثل الأعلى قضية تشـبه من نواح متعددة قضية المميزات القوميـة فى الأمم National character ، فموقف الأستاذ العقاد من المثل الأعلى واضح فى هـذا الكتاب ، وموقفه من المميزات القومية ردده فى بعض كتبه وأحاديثه ، وبخاصة فى كتابه الضخم عن الزعيم الخالد « سعد زغلول » . وهو يرى أن المميزات القومية ثابتة وجـوهرها لا يتغير ، والواقع أننـا اذا سلمنا بهذا المفهوم ، فان المثل الأعلى يكون أكثر ثبوتا من المميزات القومية على خلاف ما يظهر من كتاب العقاد الأخير .

... والكتاب ـ عدا هـذا ـ عمل ممتاز لعملاق الفكر العربى ، يتناول فيه جائزة نوبل وسيرة صـاحبها الذى كان يملك مصانع تنتج أسلحة الحرب والدمار ، ثم آمن بالسلام وعمل على أن يسـود بين بنى الانسـان على اختلاف شعوبهم وأوطانهم » فاشتملت وصـيته على خمسـة أنواع من الجوائز وهى جائزة علم الطبيعة ، وجائزة علم الكيمياء ، وجائزة الطب والتشريح ، وجائزة السلام ، وجائزة الأدب . والجائزة الأخيرة هى موضـوع كتاب الأستاذ العقاد الذى كان فى الأصل مجموعة من الأحاديث الاذاعية للكاتب الكبير ، تفضل فطلع بها علينا فى هذا الكتاب . ومن هذا يبدو أن الكتب الأخيرة التى صدرت للأستاذ العقاد تحمل طابع الخبرة الشـخصية مثل رجال عرفتهـم واليوميات وجوائز الأدب العالمية . وهـذا لا يكون الا من أديب كبير ملأ الأدب العربى علما فاراد أن يملاه ثقافة ... وقد كان .

كتب وردت للمجلة

١ ـ **ثورة شعب**
تأليف د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، ٣١٤ ص ، ١٧×٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

٢ ـ **مبادىء النقد الأدبي**
تأليف ١٠١٠ رتشاردز ، ترجمة د. مصطفى بدوى ، مراجعة د.لويس عوض ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ٣٧٨ ص ، ١٧×٢٤ سم .
ث ٤٢ قرشا

٣ ـ **دراسات فى النفس الانسانية**
تأليف محمد قطب ، دار القلم ، ٣٨٤ ص ، ١٧×٢٤ سم .
ث ٥٠ قرشا

٤ ـ **لك اغنى**
نظم محمد حليم حامد غالى ، تقديم ومراجعة صالح جودت ، دار الكرنك بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١١٠ ص ، ١٣٫٥×٢٠ سم
ث ١١٫٥ قرشا

٥ ـ **النظرة العلمية**
تأليف برتراندرسل ، تعريب عثمان نويه، مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع الادارة الثقافية بالجامعة العربية ، ٢٥٨ ص ، ١٤×١٩ سم

٦ ـ **الانسان والأخلاق والمجتمع**
تأليف جون كارل فلوجل ، ترجمة عثمان نويه ، مراجعة الدكتور عبد العزيز القوصى ، دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢١١ ص ، ١٤×١٩ سم

٧ ـ **السلام العالمى فى العصر الذرى**
تأليف برتراندراسل وآخرين ، ترجمة ومراجعة دكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن وعثمان نويه ، دار النشر المتحدة بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢١٧ ص ١٤×١٩ سم
ث ٢١ قرشا

٨ ـ **قضايا اندلسية**
تأليف الدكتور بدير متولى حميد ، دار المعرفة ، ٤٢٥ ص ١٤٫٥×٢٢ سم

٩ ـ **تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق**
تأليف الدكتور عبد المنعم عبد العزيز المليجى ، تقديم الدكتور مصطفى زيور ، دار المعارف بمصر (منشورات جماعة علم النفس التكاملى) ٣٣٥ ص ١٦×٢٣ سم

١٠ ـ **أسس الخدمة الاجتماعية**
تأليف اليزابيث نيكولدز ، ترجمة أحمد عبد الرحمن حمودة ، دار المعرفة ، ٢٧٥ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٥ قرشا

١١ ـ **العلم والديمقراطية والاسلام**
تأليف همايون كبير ، ترجمة عثمان نويه ، مراجعة محمد مصطفى حلمى ، دار الهلال بالاشتراك مع الادارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٥٨ ص ١٧×٢٤ سم

١٢ ـ **المجتمعات الحشرية**
تأليف هارولد باستن ، ترجمة الدكتور محيى محمد ابراهيم ، مراجعة الدكتور محمود حافظ ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢٢١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٨٫٥ قرشا

١٣ ـ **الجنة العذراء**
تأليف محمد عبد الحليم عبد الله ، مكتبة مصر ، ٢٢٢ ص ١٣٫٥×١٩ سم

١٤ ـ النظرية الاقتصادية والدول النامية

تأليف جنار ميردال ، ترجمة ابراهيم الشيخ، مراجعة حسين الحوت ، الدار القومية للطباعة والنشر (سلسلة اخترنالك)١٣١ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٠ قروش

١٥ ـ مرآة الاسلام

تأليف الدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ٣١١ ص ١٤×١٩ سم

١٦ ـ تاريخ الأدب الروماني

تأليف الدكتور أحمد عبد الرحيم أبوزيد، دار النهضة العربية ، ٢٥٦ ص ١٣٫٥×١٩ سم

١٧ ـ نحو تكافؤ الفرص فى التربية

تأليف پيبرجوڤينى ، ترجمة محمد ابراهيم زكى ، مراجعة دكتور سلامه حماد ، دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٣٣ ص ١٣٫٥×١٩ سم
ث ٩٫٥ قروش

١٨ ـ أحزان نوح

تأليف شوقى عبد الحكيم ، الدار القومية ١٧×٢٤ سم (مذاهب وشخصيات)
ث ١٥ قرشا

١٩ ـ ادجار آلان بو (دراسة ونماذج من قصصه)

دراسة وترجمة دكتور أمين روفائيل ، مراجعة دكتور يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١١٨ ص ١٤×١٩ سم
ث ٣٩ قرشا

٢٠ ـ تمثيليات الفصل الواحد (لمسرح الهواة)

جمع ماكس هـ. فولر ، ترجمة كامل صليب ومحمد عوض الله ، مراجعة حسن محمود ، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٤٧٩ ص ١٤×١٩ سم
ث ٢٢٫٥ قرشا

٢١ ـ صدى ونور ودموع

تأليف حسن كامل الصيرفى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ٣١٤ ص ١٤×١٩ سم

٢٢ ـ شرق وغرب نحو تفاهم متبادل

تأليف چورچ فراديبه ، ترجمة محمد ابراهيم زكى ، مراجعة دكتور سلامة حماد ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٠٧ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٢ قرشا

٢٣ ـ الحرب والمدنية

تأليف أرنولد توينبى ، ترجمة أحمد محمود سليمان ، مراجعةالدكتور محمد أنيس ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٨٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٣ قرشا

٢٤ ـ استعباد المرأة

تأليف على محمد على ، الدار القومية للطباعة والنشر (من الشرق والغرب) ١٥٦ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٨ قرشا

٢٥ ـ كنوز العلم فى أسئلة وأجوبة

تأليف وليم ڤرجارا ، ترجمة وتقديم الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد صابر سليم ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ٤٢٤ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

٢٦ ـ عجائب العلوم

● ترجمة عزيز محمد حبيب ، مراجعة محمد عاطف البرقوقى والدكتور محمد خليفة بركات ، المؤسسة العربية الحديثة بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٢٩٣ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٢٦٫٥ قرشا

٢٧ ـ **مذكرات عن الاحصاء فى خدمة التخطيط**

تأليف الدكتور حسن محمد حسين ، دار النهضة العربية ، ١٤٣ ص ١٧×٢٤ سم

٢٨ ـ **مسرحيات لوركا**

تأليف فدريكوغرسيه لوركا ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار النهضة العربية ، ٢٢٤ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

٢٩ ـ **الطلب الفعلى**

تأليف الدكتور رفعت المحجوب ، دار النهضة العربية ، ٣٤٧ ص ١٧×٢٤ سم

٣٠ ـ **أسس علم الاجتماع**

تأليف الدكتور حسن شحاتة سعفان ، دار النهضة العربية، ٣٤٢ ص ١٧×٢٤سم طبعة سادسة .

٣١ ـ **المالية العامة (جزء أول .. النفقات العامة)**

تأليف الدكتور رفعت المحجوب، دار النهضة العربية ، ١٥٧ ص ١٧×٢٤ سم .

٣٢ ـ **المثل السياسية**

تأليف دليل بيزنز، ترجمة لويس اسكندر، مراجعة الدكتور محمد أنيس،مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ٣٩٥ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥ر٢٥ قرشا

٣٣ ـ **علم الحيوان (الجزء الأول)**

تأليف پاركروهاسويل ، ترجمة دكتور فؤاد خليل وآخرين ، مراجعة دكتور كامل منصور ، مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ٥٥٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥ر١٢٢ قرشا

٣٤ ـ **حول العالم فى ثمانين يوما**

تأليف جول ڤيرن ، ترجمة أحمد محمد رضا وأحمد صفى الدين خاطر ، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الحميد الدواخلى ، مؤسسة التضامن العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٣٣٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

٣٥ ـ **أزمة الحرية فى عالمنا**

تأليف خالد محمد خالد ، مكتبة وهبة ، ٢٨١ ص ١٤×١٩ سم
ث ٢٠ قرشا

٣٦ ـ **التجارة الدولية**

تأليف سعيد النجار ، دار النهضة العربية، ٤١٥ ص ١٧×٢٤ سم (طبعة ثانية)

٣٧ ـ **التجارة الدولية**

تأليف الدكتور صلاح الدين نامق ، لجنة البيان العربى ، ٦٦٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٠٠ قرشا

٣٨ ـ **الحياد وعدم الانحياز**

اعداد لورنس مارتن ، تعريب وتعليق خيرى حماد ، الدار القومية للطباعة والنشر (كتب سياسية) ، ٣٥٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

٣٩ ـ **شواين‌لاى وقفزة الصين للامام**

تأليف محيى الدين فوزى وابراهيم عارف كيره ، الدار القومية للطباعة والنشر(مذاهب وشخصيات) ١٦٠ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

٤٠ ـ **مبادىء الاقتصاد**

تأليف سعيد النجار ، دار النهضة العربية، ٥٥٤ ص ١٧×٢٤ سم .

٤١ ـ **نظرية الاعتداء المادى فى القانون الادارى**

تأليف الدكتور مصطفى كيرة ، دار النهضة العربية ، ٣٥٤ ص ١٧×٢٤ سم

٤٢ ـ **صناعة النقل**

تأليف الدكتور أحمد أبو اسماعيل ، دار النهضة العربية ، ٣٧٣ ص ١٧×٢٤ سم

خطة مجلة الكتاب العربي

(١) تناول المؤلفات العربية الحديثة والقريبة العهد فى الظهور فى مختلف أنحاء العالم العربى بالتحليل الذى يجلو موضوعها ويحلل فكرتها ويزن قيمتها .

(٢) تتناول المجلة من الحين الى الحين بعض الكتب القديمة احياء لتراثنا الادبى ولربط الحاضر بالماضى والتعريف بمدى ما بلغه المؤلفون المتقدمون من المستوى الثقافى وتأثيرهم فى الحضارة .

(٣) أن يعهد فى الكتابة عن المؤلفات حديثها وقديمها الى كتاب تراعى ناحية تخصصهم فى الموضوعات التى يسند اليهم تناولها جهد الامكان ليكون لاحكامهم قيمتها ولتقديراتهم وزنها وليفيد القارىء من ملحوظاتهم ويهتدى بتحليلهم .

(٤) ان يخصص قسم من المجلة للحديث عن المجلات العربية المعاصرة يشار فيه بوجه خاص الى الموضوعات الهامة التى ظهرت بها لاستيفاء بيان تيارات الفكر المعاصر .

(٥) وارى أن يكون فى صدر كل عدد من المجلة فصل افتتاحى يتناول كتابا له اهمية خاصة او بعض الكتب معا التى تمثل نزعة جديدة او اتجاها هاما .

(٦) أن يكون فى كل عدد كلمة موجزة عن نواحى الثقافة المختلفة التى تمت بأسباب الى رسالة المجلة .

(٧) ان تعنى المجلة بالكتابة عن الكتب التى تترجم الى اللغة العربية لبيان قيمتها وتعرف الأحوال الثقافية والحركات الفكرية فى شتى أنحاء العالم .

(٨) ولما كانت المجلة مهما اتسع حجمها وكثرت صفحاتها لا تستطيع استيفاء عرض جميع الكتب التى تخرجها المطابع لذلك لابد من اختيار ما هو أهم وايثاره على ما هو اقل أهمية ، فالى جانب الجزء الأكبر من المجلة الخاص بعرض الكتب الهامة ونقدها نخصص بضع صفحات للتعريف الموجز بسائر الكتب يذكر فيه موضوعها ومكان طبعها وعدد صفحاتها مع ذكر ما تيسر من المعلومات عن مؤلفها وقيمتها بوجه عام حتى يمكن الاستفادة منها .

(٩) العمل على الاتصال بدور النشر فى مختلف نواحى العالم العربى للحصول على الكتب التى تصدرها للتنويه بها وتقديمها للقراء .

(١٠) ان يخصص بعض الصفحات للاعلانات عن الكتب .

(١١) العمل على تعرف العقبات القائمة فى طريق توزيع الكتاب العربى على أوسع نطاق تأييدا للروابط الثقافية وتشجيعا للمؤلفين ودور النشر .

(١٢) ستتحرى المجلة فى عرضها للكتب ونقدها لها الموضوعية التامة والبناء والتوجيه لا الهدم وتثبيط الهمم .

مطبعة مصر

مجلة الكتاب العربي

العدد الثالث • ١٠ اغسطس ١٩٦٤ • ربيع الآخر ١٣٨٤

فى هذا العدد

رئيس التحرير
على أدهم

تصدر عن الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خواطر عن القراءة والكتب



بقلم: رئيس التحرير

تعويد الأفراد عادة القراءة وحب الاطلاع من المسائل الهامه التى تعنى بها الأمم الآخذة بالنظام الديمقراطى ، وذلك لأن الحكم فى الأمم الديموقراطية الحقه يقوم على اشراك جميع أفراد الأمة فى احتمال تبعاته وتوجيه سياسة الدولة ، ولن يتم ذلك على وجهه الصحيح الا اذا كان هؤلاء الأفراد جديرين بهذه المشاركة ، ملمين بحقيقة الاحوال ، ولهم خبرة واسعة ، ومعرفة مستفيضة، ولن يتيسر لهم ذلك الا اذا أوتوا بسطة فى العلم، واحاطة بأطراف المسائل تمكنهم من ابداء الرأى الصحيح، وتقدير وجهة النظر الصائبة ، والسبيل الوحيد لذلك هو موالاة الاطلاع ، والقدرة على الاحاطة بمختلف الموضوعات سياسية كانت أو اقتصادية أو علمية أو أدبية أو اجتماعية .

ومن أجل ذلك تعنى الأمم الديموقراطية المتقدمة بتعميم عادة القراءة وتوسيع نطاقها عن طريق الاستكثار من المكتبات وترغيب أفراد الأمة فى الاطلاع وتيسيره لهم ، وتقريب أسبابه للجميع ، وتبدأ هذه العملية منذ تنشئة الفرد فى دور الطفولة حتى يكتسب عادة القراءة وينشأ ميالا بطبيعته الى موالاة الاطلاع والاستزادة من المعرفة والاستنارة .

وكلما اتسع نطاق التعليم وتكاثرت المدارس والجامعات على اختلاف أنواعها اشتد الاقبال بطبيعة الحال على القرآءة وذاعت الكتب والصحف والمجلات ، ومن الفروق الملحوظة بين العصور التى يسود فيها النظام الارستقراطى والعصور التى تسود فيها الديموقراطية مسألة تيسير المعرفة والعناية بها ، فالنظام الأرستقراطى فى جوهره يتجه عادة الى حصر المعرفة فى طبقة خاصة ، أما النظام الديمقراطى فانه يرمى الى مشاركة طبقات الأمة جميعها فى المعرفة ، لأن المعرفة قوة ومن الخطر حصر هذه القوة فى حيازة طبقة خاصة ، وكانت الطبقة الارستقراطية تستأثر بالحكم ، وتنفرد به ، فلم يكن هناك موجب فى زعمها لتثقيف أفراد الشعب ورفع مستواهم الفكرى .

ومن أقوال الناقد هازلت ان أعظم متعة فى الحياة هى متعة القراءة والاطلاع ، والقراءة عند هازلت وأمثاله من الولوعين بها ليست واجبا مفروضا ، ولاتكليفاً مملا ، وانما هى نزهة جميلة ورياضة مستحبة ، والكتاب باب يفضى الى الفردوس الذى لايسمع فيه لغو ولاسخف اذا أحسن اختياره ، وقدرت قيمته .

ويختلف موقف الناس من القراءة ، فمنهم من يرون فى القراءة سبيلا لقتل الوقت ودفع الملل، ومنهم من يرى فيها طريقا لتكوين الشخصية، وبناء الأخلاق ، وتقوية التفكير ، على أن الفرد قد يقرأ للاستفادة وتحصيل المعلومات ، وقد يقرأ للتسامى والتحليق فى الأجواء العالية والاقتراب من ذوى العقول الراجحة ، ومهما أوتى الانسان من القدرة على التحصيل فان صقل جانب كبير من تفكيره ، وتوطيد ثقافته ، واستكمال عناصر شخصيته متوقف على نوع الكتب التى يقرؤها

ولانزاع فى أن الكتب المتهافتة التأليف تنهب الوقت الذى كان يحسن ان يقضى فى أغراض أنبل وأشياء أنفع .

وكلما تكاثرت الكتب والمؤلفات فى موضوعات شتى أصبح اختيار ما نقرأ أصعب وأعقد ، وأصبحت القدرة على التمييز والمفاضلة أخطر وألزم ، وكلما ازدادت الكتب زيادة مطردة ازدادت معها صعوبة الاختيار ، والواقع أن صعوبة اختيار الكتب التى يقرؤها الانسان ويخصها بعنايته وتقديره مسألة قديمة واجهت الانسان قبل عهد الطباعة ، وطالما رددت الناس أن الكتب كثيرة فماذا نصنع وكيف نختار ؟



ولا نزاع فى أن الكتب كثيرة ومتفاوتة القيمة، ولكن مما يهون مشكلة الاختيار ان الكتب القيمة الممتازة الجديرة بالعناية والدرس دائما قليلة ، وفى بعض الأحيان تكون نادرة ، وحتى فى هذا العصر الذى كثر فيه فى أنحاء العالم تدفق الكتب فى مختلف الموضوعات واعادة طبع الكتب القديمة فان الكتب الممتازة الجيدة ليست بالكثرة الرهيبة التى تروع وتهول ، وسائر الكتب العادية لا صعوبة فى الاختيار بينها لأن القارىء الذى يعنى بها انما يقصد تزجية الوقت ، والذى يقصد أن يتسلى بقراءة قصة غرامية أو رواية بوليسية سيقنع بما يصادفه ويقع فى يده ، ولايطيل التدقيق فى المراجعة والاختيار لأن غرضه قتل الوقت لا الفائدة ، وأمثال هذه الكتب يلتهمها الناس كما يلتهم الأطفال الحلوى، وليس هذا اللون من ألوان القراءة من قبيل المتعة التى تسمو بالنفس وتغذو القلب .

وكثير من الناس يقرءون ، وتتناول قراءتهم موضوعات منوعة ، ولكن القليلين هم الذين يحسنون فن القراءة ، ولعل السبب فى ذلك أن أكثر من يقرءون يشرعون فى قراءة الكتب وفى أدمغتهم فكرة سابقة عما يجب أن يكون عليه الكتاب ، فاذا اتجه المؤلف اتجاها يخالف مارسموه له مقدما ونهج نهجا آخر ضاقوا به ذرعا ، وأبوا متابعته أو تابعوه فى شيء من التكلف والتحامل ، واقبالنا على قراءة كتاب من الكتب ونحن نحمل معيارا خاصا قد يمنعنا من أن نضع أنفسنا موضع المؤلف ، ولذلك قد تغيب عنا وجهة نظره ونسيء فهمه ، والكاتب مثل المتحدث فاننا لا نفهم وجهة نظر محدثنا الا اذا أصغينا اليه وأعطيناه الفرصة ليقول ماعنده ويوضح رأيه دون أن نعترضه أو نثيره، وأكثر الناس لا يصبرون على الكتاب ولايصابرون ، والقراءة الصحيحة فى رأيى تحتاج الى كثير من الموضوعية أو التجرد الى حد كبير من الاهواء والميول والنزعات ، وهو أمر ليس بالسهل ، ولكنه فيما أقدر السبيل الوحيد للحكم الصادق على مانقرأ ، ولابد لذلك من رياضة وتدريب ومران لأن مطاوعة الأهواء أغلب والتأثر بالأحكام السابقة شديد الاستيلاء على النفوس ، وفى عصور النزعات السياسية الغلابة والاعتقادات السائدة تصبح الحاجة الى ذلك أمس لتتسع آفاق التفكير وتكثر وجهات النظر ويتجنب خطر الضيق والتعصب والتحزب .

وعالم الكتب فى العصر الحاضر بوجه خاص حافل زاخر ، ففى كل منحى من مناحى المعرفة وفى كل مادة من مواد العلوم وفرع من فروعها مؤلفات جليلة الشأن عظيمة النفع ، ملأى بطريف المعلومات ومستحدث الآراء وناضج البحوث وقيم الفصول ، ولكى يساير الانسان عصره ويرتفع الى مستواه ويتعرض تياراته الفكرية واتجاهاته الثقافية لا محيص له عن الامعان فى الاطلاع وادامة التلفت الى الآفاق الجديدة والكشوف والابتكارات المستحدثة .

وظواهر الحال تدل على أن أقل تواكل وأيسر اهمال فى تتبع هذه الحركات مما يجعل الانسان متخلفا عن عصره عائشا فى غير زمنه ، فسعة

الاطلاع والالمام بمختلف الثقافات من مستلزمات هذا العصر وأوجب واجباته •

ولكن ادمان القراءة ومتابعة الاطلاع واطالة المكث بين الكتب قد تكون عقبة فى سبيل التفكير الحر المستقل ، وقد ترهق الذهن وتضعفه وتشل حركته وتقضى على استقلاله ويصبح بذلك ضررها أكثر وأخطر من نفعها •

والحقائق والمعلومات التى نتلقاها من الكتب قد تثقل رؤوسنا وتزحمها وتشيع فيها الفوضى والاضطراب ، والرجل الذى يقرأ كثيرا تلتقى فى عقله ضروب مختلفة من الأفكار والآراء وقد تظل هذه الأفكار والآراء غرائب وضرائر لاتربطها بعضها ببعض رابطة ولاتوحدها جامعة ولاينظمها سلك •

والانسان فى أثناء القراءة يترك لغيره التفكير ويصاحبه وقد ينساق معه ويندفع فى تياره ويستأسر له ويستعبد لأفكاره ، وهذا هو خطر القراءة التى لايصحبها التفكير ولاتتلوها المراجعة وارسال النظر فيما قرأه الانسان ، وتقليبه على جوانبه لتتبين فيه الطيب من الخبيث والصالح من الفاسد •

واذا غفلت الفكرة الناقدة وضعفت قوة التمييز اطمأن العقل الى الخضوع والاستسلام، وتقبل الآراء المتناقضة ، والمعلومات الزائفة ، وعجز عن التوفيق بين الآراء المختلفة ، وتوحيدها والملاءمة بينها ، وضل فى تيهها ، وأفلت من يده زمامها ، وعجز عن السيطرة عليها وتسخيرها والافادة منها ، والعقل الذى يضل طريقه ،وتثقله معلوماته ، تجد صعوبة كبيرة فى تحديد غايته، واذا عرف غايته وهدفه عجز عن بلوغهما ، ولذا قد ترى فى بعض مدمنى القراءة تهافتا فى المنطق، وانحرافا فى الآراء ، وسخفا فى التفكير ، لاترى له نظيرا فى العامة أو أشباه العامة من أصحاب المعرفة القليلة ، والذين يعيشون فى آفاق جد محصورة قد يحسنون الاستفادة من التجارب ، ويفطنون لعبر الحوادث واحتكاكهم بأهل الرأى والراسخين فى العلم فتصقل عقولهم وترقى مداركهم ، وقلة العلم يمكن اصلاحها والاضافة اليها والمحافظة عليها فينمو العلم ، والعلم الكثير مثل المال الكثير قد يغرى بالاهمال والتطبيع ويساء الانتفاع به •

ولا خير فى الاطلاع وادمان القراءة اذا لم يصحبهما التفكير المستقل الحر وحقيقة ان المشتغل بالمسائل العلمية والأدبية فى حاجة ماسة الى اطلاع واسع وقراءة منوعة ، ولكنه مع ذلك اذا لم يستطع عقله السيطرة على ما يقرأ واجادة هضمه واعتصاره والانتفاع به واستثماره واضافته الى محصوله الخاص وطبعه بطابعه كانت القراءة من أسباب التقصير ودواعى التخلف لامن حوافز السبق والتبريز والتقدم •



التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين

تأليف : خيرى حماد

الناشر : الدار القومية
٤٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ٤٠ قرشا

دخل العمل العربى فى قضية فلسطين مرحلة تاريخية جديدة منذ نهاية العام الماضى . وذلك حين وجه الرئيس جمال عبد الناصر دعوته القومية من بورسعيد ، فى الاحتفال بعيد النصر السابع ، للثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين .

لقد دعا الرئيس العربى الى التعاون بين الدول العربية ، مواجهة للخطر الاستعمارى الصهيونى الجديد ، ممثلا فى تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن . وأكد الرئيس فى هذا المقام أن اعتبار العلاقات الرسمية ، وما يشوبها من ظلال نتيجة محتومة للتطور العام الشامل فى الحياة العربية ، انما هو أمر عرضى ، ينبغى أن يتلاشى فى لحظات الحسم المصيرى ، وأمام واجب التعاون فى درء الأخطار العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على سواء ، وفى كفالة المصالح العليا المشتركة لأقسام وطننا الكبير جميعا . كما أوضح أن الهدف يجب أن يكون وضع خطة صريحة حاسمة ، ترتفع الى مستوى المسئولية وتبعاتها الضخمة . وفى سبيل هذا الهدف القومى السامى يجب أن يجتمع رؤساء الدول العربية : ملوكا ورؤساء جمهوريات ، فى نطاق جامعة الدول العربية ، لوضع الخطة القومية فى معالجة قضية فلسطين . والجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتوفير الجو الصالح لنجاح هذا المؤتمر الكبير ، كما أنها تفتح بهذه الدعوة صفحة جديدة فى العلاقات العربية ، وتضرب صفحا عن الماضى بآلامه وأوزاره . وهى فى ذلك تشعر أن هذا الموقف من واجباتها ، المتكافئة مع مسئولياتها فى معركة المصير العربى ...

وأنعشت هذه الدعوة آمال أمتنا ، وتخطت بحكمتها وقوتها جميع السدود والعقبات ، وبطلت أمامها المؤامرات الاعلامية والسياسية المتشابكة، التى دبرها الاستعمار والصهيونية ، والدسائس التى بذراها فى الميدان العربى والصعيد الدولى ، للحيلولة دون نجاح الدعوة ، ولتلافى الاجتماع الكبير ...

ولازلت أذكر بالسعادة كيف كانت المهمة ميسرة لى ، حين سعيت الى السفراء العرب بالقاهرة ، أحمل دعوة القومية ، وكيف وجدت التقبل الرائع من الحكومات ورؤساء الدول العربية ، رغم ما كان يخيم على جو العرب من سحب الخلاف ، ويدب بينهم من عوامل الشقاق .

وهكذا أمكن الحصول على موافقة الملوك

والرؤساء العرب فى مدى أربعـــة أيام فقط : موافقتهم الاجماعية على حضـور المؤتمر ، وعلى تحديد موعده فى الثالث عشر من يناير (كانون الثانى) لعام ألف وتسعمائة وأربعة وستين ...

وتلك روح جديدة ، لم تشهدها الجامعـــة العربية قبلا ، فى توجيه الدعوات وفى تقبلها ، بالنسبة لاجتماع عادى على مستوى السفراء فقط، فما بالك باجتماع تاريخى غير مسبوق النظير ، يضم رؤساء الدول ذاتهم بمسئولياتهم وظروف أعمالهم ، ويعالج قضية العرب الأولى فى فلسطين، ويواجه المطامع الاستعمارية الصهيونية المتحالفة فى اسرائيل ، والقوى الدولية التى تشـــد أزر القلعة العدوانية القائمة فى قلب وطننا الكبير ، سلبا لحقوق شعب عربى مقدسة ، وكفـــالة للاستغلال والسيطرة الأجنبية غير المشروعة على مقدراتنا وطاقاتنا البشرية والطبيعية الضخمة ، وتهديدا لأمن أمتنا وتقدمها وقوتها ووحدتها ؟ !

واجتمع مؤتمر القمة العربى الأول فى الموعد المحدد له ، يضم ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم من المحيط الى الخليج .

وأسفرت مقررات الملوك والرؤساء ، المتخذة فى السابع عشر من يناير الماضى ، عن وضـــع مخطط عربى مفصل متكامل لتحرير فلسطين ، ودفع الأخطار العدوانية الصهيونية الممثلة أخيرا فى تحويل مياه نهر الأردن ، والمحاولة الاسرائيلية الجريئة لحرمان العرب من حق الانتفاع بمياههم التاريخية ، واثقال حركة التقدم العربى الصاعد بأعباء جديدة من الحرمان ..

وقامت الخطة العربية على تهيئة الجو للعمل العربى المشترك الفعال ، بتصفية الخـــلافات العربية ، وبتوحيد القيادة العسكرية والأسلوب السياسى ، وبناء الوحدة الاقتصادية ، وتنسيق المخطط الاعـــلامى العربى ، وتنفيذ المشروعات الفنية التى تمكن العرب من الاستعمار فى الانتفاع بمياههم وتنمية هذا الانتفاع ، واحباط أهداف العمل الاسرائيلى العدوانى الجـــديد ، وابراز الكيان الفلسطينى قوة تحمل مسئولياتها القومية والدولية فى حركة التحرير الفلسطينى ...

واضطرب المعسكر الصهيونى واضطر الى تبديل سياسته .

فقد كانت سياسة اسرائيل ، قبل مؤتمر القمة العربى ، تقوم على التحدى ، والاستثارة للعرب ، والانكار المتصل لحقوق الفلسطينيين فى وطنهم السليب ، والادعاء بأن لدى اسرائيل من القوة ما يمكنها من تنفيذ مشروعها العدوانى على المياه العربية .

فلما دخل النضال القومى العربى ضـــد الصهيونية الاستعمارية مرحلته الجديدة ، وظهرت روعة الدبلوماسية العربية الجماعية حين أخـــذ كل رئيس دولة أو وزير عربى يتحدث باسم الدول العربيـــة جمعاء ــ ركزت اسرائيل دعايتها المضللة فى أنها لن تأخذ من المياه أكثر من القدر الذى يجرى فى أراضيها ، وأنها تطلب السلام والتعاون ، وتنادى بتجريد منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة وتحييدها ، والتمست من الـــدول الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكيـــة الحماية لسلامتها .

وتناست اسرائيل وجودها الاســـتعمارى وأعمالها العدوانية المتصلة ، وتحديها ، وتنكرها لقرارات الأمم المتحدة ، وأن مشروعها بتحويل مياه الأردن يحرم العرب من مياههم النابعـــة والجارية فى أراضيهم ، وأن السلام لايمكن أن يستقر الا على العـــدل وتصـــفية الاســـتعمار والعنصرية ، اللذين تمثلهمـــا بوجودها فى قلب العالم العربى ...

هل كانت هذه الدعوة القومية ، الموجهة من الجمهورية العربية المتحدة ، حدثا جـــديدا فى تاريخ نضالها البطولى منذ الثورة العربية الكبرى فى مصر لعام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، وعملها الدائب لاعلاء كلمـــة العروبة ، ونصرة قضاياها العادلة ، ودعم السلام القائم على العدل؟

وكيف قدر لهذه الدعوة أن تلقى النجاح الباهر ، رغم ما كان يتوقعه المراقبون السياسيون

– وخاصة فى العالم الخارجى – من استحـــالة اجابتها ؟

وما هى المقدمات والأسباب التى مهـــدت لنجاحها ؟

وما هو الطور الجديد الذى دخلته الجامعة العربية بمؤتمر القمة ومقرراته ؟

وما هى طبيعة هذه المقررات ودلالاتها ؟

وما هى الخطوات التى تمت فى ســـــبيل تنفيذها وجنى ثمراتها ؟

وما هى آثار هذا المؤتمر فى المجال القومى ، والصعيد الدولى ، وفى اسرائيل والقوى المؤيدة لها ؟

وما هى نتائج نجاح مخططاته الذى تشير اليه جل المقدمات الماثلة أمامنا ؟

وما هى معقبات فشله الذى يجب أن تتضافر جميع الجهود العربية المخلصة لتفاديه ؟ !

هذا طرف من الافكار التى جالت بذهنى ، والمسائل التى تصورتها ، حين أخذت أتأهب لمطالعة كتاب السيد خيرى حماد الجـــديد : التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين ..

ولقد عالج المؤلف فى صفحات كتابه الاربعمائة والخمسين قضية فلسطين منذ بدايتهـــا ، حتى مراحلها الأخيرة ، حين تحركت فى مجلس الجامعة العربية فى صيف العام الماضى ، والجهود العربية فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة ، ومؤتمر القمة العربى ، والأعمال التنفيذية لمقرراته فى الميادين السياسية والدفاعية والفنية والاعلامية ،والخطوات التمهيدية لقيام الكيان الفلسطينى ، ومؤتمر القدس فى الثامن والعشرين من مايو الماضى .. ثم ذيل المؤلف الكتاب ببعض الوثائق ..

واذا كان الجهد المشكور للسيد خيرى حماد انما هو فى ميـــدان الترجمـــة ، والجمع لما ينشر أو يؤلف فى موضـــوع أو قضـــية معينة ، وترتيب ما تناوله الكتاب والسياسيون ، وظهور العاطفة المتدفقة فى تعليقاته – فهذا الطابع أبرز ما يكون فى هذا الكتاب ...

وفى تسعين صفحة من الكتاب تناول المؤلف قضية فلسطين كما تصورها منذ البـداية حتى توفى المرحوم أحمد حلمى عبد الباقى فى خريف العام الماضى ، واختيار مجلس الجامعة العربيـة السيد أحمد الشقيرى ممثلا مؤقتاً لفلســـطين لدى المجلس ..

وفى تسعين صفحة أخرى ، أو الى الصفحة الرابعة والثمانين بعد المائة ، تناول المؤلف قضية فلسطين فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة ، وأورد خلاصة وافية لتقرير مدير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ، وأقوال المندوبين العرب وغيرهم ، والقرار الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة، والمناورات التى سبقته ..

وفى مائة وثمان ستين صفحة أورد تراجم كاملة لنصوص الخطاب القيم الذى القاه السيد / محمود رياض ، رئيس الوفد الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الدورة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، والخطب الجامعة التى ألقاها السيد أحمـــد الشقيرى رئيس الوفد الفلسطينى لدى هذه الدورة .

وفى خمس عشرة صـــفحة أورد استنتاجاته وآراءه فى هذه الدورة التى تعتبر خلاصة وافية لما أورده عن قضية فلسطين فى كتابه السابق : قضايانا فى الأمم المتحدة ..

وفى عشرين صفحة تحدث عن مؤتمر القمة العربى ، منذ وجهت الدعوة اليه حتى صــدرت قراراته ، واتخذت طريقها التنفيذى فى أجهزة الجامعة العربية المختلفة ..

وبعد أن أورد خلاصة لما دار فى مؤتمر العمال العرب بغزة فى مارس الماضى ، وأقوال خطبـائه ومقرراته ، انتقل الى الكيان الفلسطينى . فتحدث عنه فى ثمانى عشرة صفحة تضمنت خلاصة وافية لمشروعى الميثاق الوطنى الفلسطينى ومنظمـــة

التحرير ، كما وضعهما مندوب فلسطين لـــدى الجامعة وآراء المؤلف فيهما ...

وبعد ذلك ذيلّ الكتاب بأربعين صفحة ، هي ثلاثة عشر من « الملاحق والوثائق » • وجميعها قد تم نشره فى الصحف أو المؤلفات الخاصة بفلسطين من قبل •

وتتضمن هذه الملاحق وعد بلفور ، وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ورســالة الرئيس العربى الى الرئيس كنيدى ، والملحق الخاص بفلسطين فى ميثــاق الجامعة العربية ، والفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الخـــاص بعودة الفلسطينيين الى ديارهم ، وقسما من بروتوكول حكماء صـــهيون على علاتهــا ، ودعوة الرئيس العربى الى مؤتمر القمة ، ومذكرة وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة فى الموضوع ، والبيان الذى أذاعه المؤتمر ، ومشروعى الميثــاق الوطنى الفلسطينى ومنظمة التحرير اللذين وضـــعهما الأستاذ أحمد الشقيرى ، وقرارات مؤتمر اتحاد العمال العرب بغزة ، ورد العمال العرب على عمال أمريكا الذين خدعتهم المزاعم الصهيونية ، ودراسة مقارنة لمشروعات مياه نهر الأردن منقـــولة عن مطبوعات الجامعة العربية •••

وأرى لزاما على — فى موطن التعريف بهذا الكتاب النافع ، الذى يقدم مادة قيمة لشبابنـا وللمعنيين بدراسة قضية فلسطين — أن أبـــدى ملاحظات قليلة •••

الأولى ، أن المؤلف أدخل مادار فى مجـــلس الجامعة العربية لصيف العام الماضى ، وفى الأمم المتحـــدة للخريف الماضى ، فى باب التطورات الهامة الأخيرة فى قضية فلسطين ، وغلب حديث الماضى على حديث الحاضر •

ولاريب أن مادار فى مجلس الجامعة ذاك كان يمثل نكسة فى العمل العربى لقضية فلسطين ، اذ ظهر اتجاه الى التنصل من التزامات سابقـــة تقدمية فى هذه القضية ، وخاصة بالنسبة للكيان الفلسطينى...كما أن السياسة العربية والأسلوب العربى فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة كانا تكرارا للسياسة وللأســـلوب العربيين فى الدورات السابقة، وخاصة منذ عام ألف وتسعمائة وستين..

والثانية ، أن المؤلف افتتح كتابه قائلا :

« عادت قضية فلسطين بعد اغفاءة طويلة ، استغرقت خمسة عشر عاما ، الشغل الشـــاغل لدنيا العرب » •

والانصاف يقتضى القول بأن قضية فلسطين، ومأساة المجتمع الدولى المعاصر فيها ، لم تنم قط، وانما ظلت قوة متحركة فعالة ، تخلق وجه الحياة العربية خلقا جديدا ، وتساهم مساهمة فعالة فى نقل أمتنا من القديم الى الجديد ، وتبدل نظمـــا بنظم ، وتثبت وجودها بشتى الطرق فى المجتمعات الدولية ، ويحبط الايمان القومى بها محـــاولات الاستعمار والصهيونية المتصلة لتصفيتها ...

والثالثة ، القول بأن قضية فلسطين هى العقبة الكأداء التى تقف فى طريق تحقيق أهداف الأمة العربية فى التحرر والاشتراكية والوحدة •

وكنت أفضل القول بأنهـــا من المحركات الأساسية للسير فى طريق بلوغ هذه الأهداف ، وأن أدوات الاستعمار والتخلف التى تحـــاول عبثا تعطيل مسيرة أمتنا ، انما تحاول فى الواقع تعطيل العودة الى فلسطين •

والرابعة ، القول بأن ســـلاح البترول كان عاملا سلبيا فى معركتنا الماضية ، ويجب أن يكون عاملا ايجابيا حاسما فى معركتنا المقبلة » •

والحق أن عامل البترول لم يكن عاملا مؤثرا فى معركة فلسطين الماضية ، ولم يكن حينذاك قوة فعالة فى الصناعة والاقتصاد الغربيين ••• فقد كانت قوته فى هذه السنوات التى أعقبت مأساة فلسطين ، وليس فى الســـنوات التى سبقتها ..

والخامسة ، القول بأنه يرجع السبب الأول

فى ضياع فلسطين ، الى الخطأ الجذرى فى المفاهيم، اذ كنا نرى حتى سنوات قليلة أن خصمنا هو اسرائيل وليس الخصم الحقيقى وهو الاستعمار. وذلك أمر تلافته الجزائر حين نازلت الاستعمار الفرنسى لا المستوطنين الأجانب فانتصرت .. فالمؤلف هنا ينسى أن الحركة الكبرى ضد الاستعمار بدأت فى العقد السادس من هذا القرن، وأن ثورة الجزائر نظمت فى عهد الثورة العربية الجديدة ، وفى ظروف وأوضاع تختلف تمام الاختلاف عن الظروف والأوضاع التى أحاطت بقضية فلسطين فى عهد ضياعها ، وأن الاستعمار البريطانى والفرنسى والايطالى والأسبانى كان يسيطر على العالم العربى ويكبله فى عهد المأساة الفلسطينية . وأننا يجب أن نذكر الثورة العربية فى عام اثنين وخمسين ، ومؤتمر باندونج ، والنصر على العدوان الثلاثى فى عام ست وخمسين، حين نذكر النصر الجزائرى ، وأن من المتعين التعمق فى دراسة الأوضاع المختلفة حتى تنتهى الى الرأى السديد الناجح ..

والسادسة ، القول بأن قضية فلسطين ضاعت لأن الجامعة العربية تولتها .... والحق ان الجامعة العربية ليست دولة فوق الدول ، وأنها جامعة الدول العربية ، وأن مافى هذه الدول – أو فى مجموعها – من قوة أو ضعف ينعكس عليها ..

والحق كذلك أن الجامعة العربية – على ما فيها من ضعف فى الماضى – قد حالت دون تصفية قضية فلسطين ، وتصيد الدول العربية واحدة بعد أخرى خضوعا للمحاولات الاستعمارية المتصلة لتوقيع العرب الصلح مع اسرائيل .. وهذا الموقف السلبى الناجح ، هيأ للقوى الثورية التقدمية فى أيامنا هذه أن تعمل بأسلوب جديد لتحرير فلسطين ..

والسابعة ، القول بأن عدم الامداد الكافى بالأسلحة والذخائر للنضال العربى فى فلسطين هو سبب المأساة ...

فالحق أن العرب لم ينهزموا عسكريا فى فلسطين ، وانما هزموا سياسيا بمؤامرات الاستعمار مع أدواته العربية ... وكلنا نذكر التقدم العربى الساحق فى مختلف الميادين لمنتصف عام ثمانية وأربعين ، وان الهدنات والخيانات هى التى أدت الى الهزيمة ، وان العرب لو اجتمعت كلمتهم وطهرت صفوفهم ما استطاعت قوة العصابات الصهيونية أن تهزمهم ..

والثامنة ، الاحصاءات التى تضمنها الكتاب عن البترول العربى ، وحاجتها الى المراجعة والتحقيق ..

والتاسعة ليس للمؤلف يد فيها وهو الاعتماد على ما تنشره الصحف فقط فى الحديث عن مؤتمر القمة العربى ووسائل تنفيذها .

هذه ملاحظات عابرة لاتقلل من نفع الكتاب وفائدته للمكتبة العربية ، نفعا وفائدة يشكر عليهما المؤلف ..

وحق علينا فى هذا المقام ، أن نورد بعض الحقائق التى سجلها المؤلف فى كتابه ، فهى عنوان الروح التى سادته ، والتى يجمل أن نفيض بها افئدة أبناء امتنا اجمعين ، فى نضالهم المقدس لتحرير فلسطين العربية ، ولكفالة الوحدة والقوة والتقدم لوطننا الكبير .

وخلاصة هذه الحقائق ، هى أن فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين ، وان استعادتها انما تكون على أرض فلسطين ذاتها وبأساليب قوية سليمة ، وأن اسرائيل والصهيونية العالمية ليسا وحدهما أعداء الحق العربى ، بل أن عدوه الأول

هو الاستعمار خالق اسرائيل وراعيها لتحقيق مطامعه غير المشروعة ، وان معركة فلسطين هي معركة الأمة العربية جمعاء في وطنها الكبير الممتد من المحيط الى الخليج ، وان كان أبناء فلسطين بحكم الواقع والضرورة هم طليعة التضحية والفداء في خضمها ، وكانت القوى الثورية والتقدمية هي عدتها المظفرة ، وان حركة الوحدة والتقدم العربيين هما الدعامة الأولى لتحرير فلسطين ، وان علينا أن نستخدم جميع الأسلحة التي في أيدينا لمواجهة الخطر الصهيوني الاستعماري التوسعي ، وفي مقدمتها سلاح البترول ، وان الجمهورية العربية المتحدة بفضل طاقاتها وتقدمها ، وقيادتها الواعية المؤمنة ، هي قاعدة العمل القومي من أجل فلسطين ، والى جانبها يقف جميع العرب ، الرسميين وغير الرسميين ، المؤمنين بالحرية ووحدة النضال العربي ...

أما المرحلة الحالية في قضية فلسطين خاصة ، وفي التطور العربي عامة ، والجواب عن المسائل التي أشرت اليها في صدر المقال ، فجديرة بالبحث والدرس ، بأسلوب علمي صحيح ، وبالعمل لتعميق المفاهيم العربية الجديدة ، وبمضاعفة الجهود ، تحقيقا للأهداف القومية ، ودرءا للأخطار والمؤامرات الاستعمارية الصهيونية المشتركة ، التي تزداد ضراوتها وتقاتل في يأس معركتها الأخيرة الخاسرة ، وتحاول بشتى الوسائل تعطيل مسيرة أمتنا المظفرة ..

لكن الحق لابد أن ينتصر ..

والنصر دائما لقوى التقدم والعدم والسلام .

الدكتور سيد نوفل

سطور من كتاب ..

ــ هل تؤمن بالوراثة يا سيد حمودة ؟ .
ــ يعني ؟ .
ــ لا لا لا لست أقصد وراثة الأرض عن الأب او الجد ، فهذه بيني وبينك لا يجب أن نؤمن بهــا .
ــ لمــاذا ؟! .
ــ لماذا ؟ لأن تزويرها سهل ، سهل جدا .. أنا أتكلم عن وراثة أخــرى .. وراثة الطبــاع والخصال والعادات .

الجنة العذراء

فلسفة الحياة العامة

بقلم
والتر ليبمان

كانت الديموقراطية كما تولدت عن المبادىء التى تضمنتها الثورات الثلاث ، البريطانية فى القرن السابع عشر ، والأمريكية والفرنسية فى القرن الثامن عشر ، الهدف الذى يسعى الى تحقيقه أصحاب المذهب الليبرالى فى أوربا وفى خارجها، وكان كل نجاح لهذا الهدف تعزيزا للفلسفة السياسية التى تقوم عليها هذه الديموقراطية الغربية ، حتى أن ثورة مارس ١٩١٧ فى الروسيا كانت فى جوهرها سعيا وراء مثل هذا الهدف ، وكاد يخيل للكثيرين أن الديموقراطية نوع من نظام طبيعى أو هى نظام طبيعى .

ثم سارت الأمور فى اتجاه مخالف فانقلبت ثورة مارس الروسية الى ثورة شيوعية ، وانهارت الديموقراطية الايطالية لتعقبها الدكتاتورية الفاشية ، وصعدت النازية على أنقاض جمهورية ويمار فى ألمانيا ، ونشأت أنظمة دكتاتورية بدرجات متفاوتة فى بولندا والمجر ويوغوسلافيا والبرتغال وأسبانيا واليابان . ووقفت الدولتان الديموقراطيتان فى أوربا ، بريطانيا وفرنسا ، تشهدان هذه الأحداث ، وتشهدان النازية والفاشية تتخذان موقفا عدوانيا ، بل واضطرتا الى التسليم لهتلر فى ميونخ ، بينما راحت الديموقراطية الأمريكية تحاول أن تنعم وراء ستار العزلة ، بدا أن الديموقراطية أصبحت تفقد الارض ، وأخذ دعاتها يحاولون تعرف السبب .

هل هى نظام لم يعد صالحا لتطوير الأمم ؟ أم أنها تعانى من أمراض شديدة ؟ وهل هذه الأمراض مما يمكن الشفاء منها أو أنه لا رجاء فى هذا ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة وأمثالها وضع والترليبمان كتابه « الفلسفة العامة » الذى بدأ كتابته فى عام ١٩٣٨ ، ثم ألقى بمسوداته جانبا بسبب التطورات الخطيرة فى العالم ، وعاد الى الكتابة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

والكتاب دفاع عن الديموقراطية ، وقد أوضح المؤلف غرضه منذ البداية فقال (لعله يحسن بى

ترجمة : عثمان نويه
الناشر
مؤسسة فرانكلين
بالاشتراك مع
مكتبة النهضة المصرية
٢٥٤ ص • قطع متوسط

قبل أن أمضى فى البحث أن أؤكد أنى أومن بالحرية والديموقراطية ... وأرجو أن تستطاع المحافظة على كل من الحرية والديموقراطية قبل أن تحطم احداهما الأخرى) ٠

يأخذ المؤلف بعد ذلك فى توضيح ما يعده « علل الدول الديموقراطية » ، فاذا فى مقدمتها أن « صار للجمهور رأى غلاب فى هـذا القرن ، وقد أثبت أنه حكم خطر فى أحـكامه حين تكون القضية المعروضة قضية حياة أو موت » ، بل ان هذا الجمهور (أو الرأى العام) يجبر الحكومات على ارتكاب الخطأ ٠ « ان سجل التاريخ يشهد بأن الشعب فى الديموقراطيات ، بعد أن تحققت له السيادة فى هذا القرن ، جعل من أصعب الأمور على حكوماته أن تستعد حق الاسـتعداد للحرب أو للسلم » ، ولاغرابة فى جنوح الرأى العام الى الخطأ « فالقرارات الاستراتيجية والدبلوماسية تحتاج الى نوع من المعرفة ، فضـلا عن الخبرة والحكم المتزن » ٠ وازاء هذا نجـد الساسة الديموقراطيين وهم فى بحث دائم عن المنـاصب « محرومين من الاستقلال » لأن عليهم أن يتملقوا الجماهير ، و « طريقهم الى التقدم هو التهـدئة والرشوة والاغراء » ٠ ومن هذا كله تتضح علة الديموقراطية فى هذا الاضعاف لقوة الحكومة ، وهـذه العلة يمكن أن تكون قاتلة لبقاء الدولة كمجتمع حر ٠

حقيقة يعتبر اشتراك الشعب فى الحكم من دعائم الديمقراطية ، ولكن يجب على الحكومة أن تكون قادرة على الحكم ، ويجب تمثيل الشعب حتى لايكبت أو يقهر ، وتعتمد سلامة النظـام الديموقراطى بخاصة على العـلاقة بين السـلطتين التنفيذية والتشريعية ، فاذا سـلبت احـدى السلطات شيئا من سلطات الأخرى كان معنى هذا اختلال النظام الدستورى ٠

كذلك ضعفت سلطة رئيس الحكومة الى حد كاد يصيبها بالعجز من جراء ضغط المجـالس النيابية ورأى كتل الجماهير ، وهذا الاضعـاف لسـلطة الحاكم قد دفع الدول الديموقراطيـة الى ارتكاب أخطاء تكاد تعد فى مرتبـة الكوارث القاتلة ، كما أن المجالس النيابية تحولت فى معظم الدول الديموقراطية من حامية للحقوق المحليـة والشخصية الى « مجموعة عظامية مغرورة تهـدد أمن الدولة وتخل بالتزاماتها وحرياتها » ٠

هذا العرض الذى يقدّمه والترليبمان يمكن أن نستشف منه مايهدف اليه ، ومايشاركه فيه الكثيرون من المؤمنين بالديموقراطية كما عرفهـا المجتمع الغربى ، وهو أنه يجب الى جانب تمثيل الشعب واشتراكه فى الحكم ، أن تلتزم كل من السلطتين التنفيذية والتشريعية حدودها ، ويجب أن تكون السلطة التنفيذية من القوة بحيث تتمكن من القيام بواجباتها ازاء المسائل الخطيرة وذلك على ضوء ما تملك من خبرة ومعرفة ٠ فالعـلاج اذن هو قيام حكومات قوية قادرة على التصرف مع المحافظة فى الوقت نفسه على العنصر الثانى فى الديموقراطية وهو تمثيل الشعب ٠ ان تحقيق التوازن بين الجانبين هو الهدف الذى يجب العمل على تحقيقه والبحث عن الوسائل المؤدية اليه ٠

ويتحدث الكاتب عن « الثورات الاستبدادية المضادة » كالثورة الشيوعية السوفييتية والفاشية الايطالية والاشتراكية الوطنية الالمانية وغيرها ٠ فى كل هذه الثورات خصيصتان مشـتركتان ، احداهما أن السلطة الحاكمة منفصلة عن جمهرة الناخبين ، والثانية أن السلطة السـياسية التى سلبت من الناخبين والأحزاب ورؤساء الأحزاب، تكون فى يد صفوة تتميز من جمهرة الناس بتدريب معين وولاءات معينة ٠ ويرجع المؤلف هذه الثورات وأمثالها الى ما يدعوه «طريقة الثورة اليعقوبية » حيث يستولى الشعب على السـلطة عن طريق الاطاحة بالطبقة الحاكمة وتصفية امتيازاتهـا وسلطاتها ، وهذه هى فكرة الثورة الديموقراطية التى دعا اليها المفكرون الفرنسـيون فى القرن الثامن عشر ونفذها حزب اليعاقبـة اثناء الثورة الفرنسية ٠ وتطورت هـذه النظرية على أيدى ماركس وانجلز اللذين استخدما فى الدعوة الى الثورة الواردة فى البيان الشيوعى الصادر عام ١٨٤٨ ، نفس العبارات التى استخدمها اليعاقبة قبل ذلك ٠ لقد لاحظ الرجلان أن الثورة الفرنسية

لم تخلق المجتمع الكامل وما حل عام ١٨٤٨ حتى ظهر الرأسماليون الطغاة ، وهنا دعوا الى الثورة التالية تقوم بها البروليتاريا والتى سوف تسفر عن مجتمع لاطبقى خال من القهر والضعف ويتمتع فيه الجميع بالحرية • ثم جاء لينين الذى « تخلى عن الوعد الساذج الخلاب بأن النعيم المقيم سيأتى من تلقاء نفسه ببساطة ، نتيجة للعمل الثورى، وأبدل بهذا عقيدة رهيبة تقول بأن النعيم المنشود لايتحقق الا عن طريق عملية طويلة لانهاية لها ، عن طريق ثورة غير محدودة ، تبيد كل المعارضة الظاهرة والكامنة » •

وهنا نسأل : هل لنا أن نفترض سلفا وجود فلسفة للحياة العامة ، هل توجد مجموعة من المبادىء الايجابية والمعتقدات الايجابية لايسع المواطن الصالح أن ينكرها أو يتجاهلها ؟ الجواب على السؤال هو«نعم»عند الكاتب ، لأن الخصائص العقلية للنـاس يمكن أن تتمخض عن مفهـوم مشترك للقانون والنظـام يعترف به الجميع ، ومعنى هذا « أن المجتمع الكبير المتعدد العناصر لايمكن حكمه دون الاعتراف بأنه يوجـد ، فوق تعدد صوالحه ، نظام عقلى يستهدى بقانون أسمى، مشترك بين الجميع • وهذا القانون المشـترك **طبيعى** بمعنى أن كشفه ممكن عن طريق أى منطق عقلى » •

ومن رأى الكاتب أن عملية انقاذ الديموقراطية رهينة بما يدعوه « احياء فلسفة الحياة العامة » لكن ذلك لايكون باثارة الحماسـة عن طريق البلاغة للارتفاع بالناس الى مسـتوى الخطر ، ولا يكون أيضا بالتأسف والأسى على عظمة الماضى وأمجاده ، وانما لابد من ايجاد طريق يعيد ثقة الناس فى سلامة المقاييس العامة ، وبعبارة أخرى يجب « احياء العقائد التى نبعت منها أخلاقنـا السياسية » •

هذه الآراء التى يوردها والترليبمان ان هى الا انطباعات نتيجة المشاهدة والتجربة ، فالكتاب لايقدم لنا نظرية معينة كما تفعل كتب الفلسـفة السياسية ، ولكنه يسجل مظاهر قائمة ويحاول الكشف عن أسبابها حتى تتبين الوسـائل التى ينبغى أن تتبع لازالة هذه الأسباب ، كمـا أنه انعكاس لشعور من القـلق ازاء مسـتقبل الديموقراطيـة الغربية بعد الانتكاسـات التى تعرضت لها منذ الحرب العالمية الأولى • ومع ذلك فانه يوحى بضرورة المرونة فى تفسـير وتطبيق الكثير من المقومات التى تسـود المجتمعـات الديموقراطية ، « وهكذا يمكن – بل ينبغى – أن ينظر الى قوانين التملك ، وأن يعاد فيها النظر ، وأن تعدل اذا اقتضى الأمر بحيث يتحدد نموذج للحقوق والالتزامات يكون من شأنه تحقيق أهداف المجتمع » وللكاتب عبارة لها أهميتها ، فلكى نهيىء الناس للايمان بفلسفة الحياة العامة لابد من تبيان الأهمية العملية لهذه الفلسفة وانتاجيتها •

والترجمة العربية جديرة بالتهنئة اذ ليس من السهل نقل المؤلفات المتصلة بمسائل الفلسـفة ، السياسية والاجتماعية والاقتصـادية ، فاذا لم تراع الدقة فقدت الكثير من معانيها ، وهـذا ما حرص المترجم على تجنبه فجاء النص العربى واضحا كل الوضوح ، ومعبرا تمـاما عن أفكار المؤلف وهو ما تبيناه وقد سبق لنا قراءة الأصل الانجليزى •

الدكتور راشد البراوى

• • •

تراثنا

تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور

تأليف : محيي الدين بن عبد الظاهر



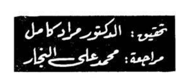
الناشر مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر
بالاشتراك مع الشركة العربية للطباعة والنشر
عدد الصفحات : ٣٢٩ ص القطع ٢١ × ٢٩ سم

يتمتع عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون(١٢٧٩ - ١٢٩٠)بأهمية خاصة فى تاريخ دولة المماليك بمصر والشام . ففى ذلك العهد بالذات أخذت الأوضاع تستقر لحكم المماليك ، كما أخذت النظم التى ميزت تلك الدولة تتبلور لتضفى عليها طابعها الخاص الذى ميزها طوال تاريخها .

ثم أن السلطان المنصور قلاوون صادف فى عهده جميع أنواع الصعاب والأخطار التى صادفها غيره من سلاطين دولة المماليك فى ذلك الدور الأول من تاريخ تلك الدولة ، مما جعل عهد المنصور قلاوون حافلا بكافة ألوان النشاط الذى ميز ذلك العصر . فالسلطان قلاوون نفسه لم يتمكن من اعتلاء دست السلطنة الا بعد سلسلة من المؤامرات أدت الى عزل ابنى الظاهر بيبرس واحدا بعد آخر . وخلال المدة التى حكم فيها ابنا بيبرس تظاهر قلاوون بالزهد فى السلطنة والحرص على احترام حقوق ذرية بيبرس ، حتى استطاع التمكين لنفسه والتخلص من خطر منافسيه ، وعندئذ أعلن فى صراحة أن « المملكة لاتقوم الا برجل كامل » ، فكان ذلك ايذانا بقيام المنصور قلاوون فى السلطنة سنة ١٢٧٩ .والملاحظ أن هذا الأسلوب فى الوصول الى العرش أصبح الأسلوب الشائع الذى اتبعه كثير من سلاطين المماليك .

كذلك لم يكد المنصور قلاوون يعتلى عرش السلطنة حتى تعرض للمؤامرات التقليدية التى تعرض لها معظم سلاطين المماليك من جانب الأمراء المنافسين . وقد خرج الأمير سنقر الأشقر نائب الشام عن طاعة قلاوون ، بل تمادى الأمير سنقر وأعلن نفسه سلطانا على الشام ، الأمر الذى استنفد من قلاوون جهدا كبيرا حتى تمكن من اخضاع تلك الحركة والقضاء على نفوذ الأمراء المناوئين .

وكان من الطبيعى أن يصطدم السلطان قلاوون بأكبر خطرين خارجيين هددا الوطن العربى فى الشرق الأدنى فى ذلك العصر وهما خطر المغول وخطر الصليبيين . أما عن مغول فارس فقد استمروا بعد عين جالوت يهددون دولة المماليك فى الشام بين حين وآخر ، وفى كل مرة تخرج الجيوش من مصر لدفع خطرهم ، فيرتدون الى العراق ومعهم ما استطاعوا جمعه من الأسلاب والغنائم. وقد حدث فى أوائل عهد المنصور قلاوون أن أوغل المغول فى شمال بلاد الشام سنة ١٢٨٠ واستولوا على بعض أعمال حلب ، ولكن جيوش المنصور قلاوون وقفت لهم بالمرصاد وأنزلت بهم هزيمة قرب حمص سنة ١٢٨١ ، مما جعل أبغاخان يعود مندحرا الى بغداد . وقد خلف أبغا فى حكم





مغول فارس أخوه تكودار الذى تسمى باسم أحمد، ودارت بينه وبين السلطان قلاوون مراسلات على جانب خطير من الاهمية حول ضرورة جمع كلمة المسلمين وترك المنازعات حقنا للدماء .

وأما عن الخطر الصليبى ، فان السلطان المنصور قلاوون وجد لزاما عليه أن يتابع سياسة الظاهر بيبرس فى تقويض أركان البناء الصليبى بالشام . واذا كان الظاهر بيبرس قد استرد مدينة أنطاكية من الصليبيين ، فان المنصور قلاوون أخذ يوجه جهوده نحو استرداد المركزين الكبيرين المتبقين للصليبيين بالشام وهما طرابلس وعكا . وفعلا نجح المنصور قلاوون فى استرداد طرابلس واستعد لتوجيه ضربته ضد الصليبيين فى عكا عندما دهمه الموت فجأة فى نوفمبر سنة ١٢٩٠ . وربما ارتبط بالتيار الصليبى العام فى ذلك العصر الحروب التى قام بها سلاطين المماليك ضد مملكة النوبة المسيحية. ذلك أنه وجد فى النوبة وشمال السودان مملكة مسيحية دأب ملوكها على الاغارة على أطراف مصر الجنوبية للسلب والنهب ، مما جعل سلاطين المماليك يهاجمون تلك المملكة ، بعد أن رأوا فى ذلك تحقيقا لسياسة الجهاد من ناحية وتأمينا لأطراف دولتهم من ناحية أخرى . لذلك أرسل السلطان المنصور قلاوون حملتين الى النوبة سنة ١٢٨٦ والثانية سنة ١٢٨٩ ، وكان لهاتين الحملتين شأن كبير فى تاريخ العلاقات بين مصر والنوبة فى العصور الوسطى .

ومن هذا كله يتضح أن عصر السلطان المنصور قلاوون كان عصرا زاخرا بالأحداث حافلا بالنشاط فى الداخل والخارج . فاذا أضفنا الى هذا النشاط أن المنصور قلاوون هو المؤسس لطائفة المماليك الجراكسة الذين أكثر من شرائهم وخصص لهم أبراجا بالقلعة يقيمون فيها، وأن المنصور قلاوون نجح بفضل ما قام به من نشاط واسع وما حققه من مجد وانتصارات أن يمكن لبيته ، مما جعل منصب السلطنة يستمر فى اعقابه نحوا من مائة عام – وذلك لأول مرة فى تاريخ سلطنة المماليك الذى لم يعترف بمبدأ الحكم الوراثى – ، أدركنا فى النهاية مدى أهمية عهد المنصور قلاوون ومكانته بين سلاطين المماليك.

***

وكان من الطبيعى نظرا لهذه الأهمية لعصر السلطان قلاوون أن تحظى الكتابات التاريخية عن ذلك العصر باهتمام المؤرخين وعنايتهم ، وبخاصة اذا كان بعض هذه الكتابات دونها معاصرون عاصروا المنصور قلاوون وشاهدوا بأعينهم الأحداث الكبيرة التى حفل بها ذلك العصر . ومن بين هذه الكتابات – وهى قليلة – تحتل الصفحات التى دونها محيى الدين بن عبد الظاهر مكانة بارزة تسترعى اهتمام المؤرخ وعنايته .

ذلك أن محيى الدين بن عبد الظاهر لم يكن مجرد كاتب معاصر لمس التيارات المعاصرة أو سمع من بعيد عن الأحداث الدائرة ، وانما ترجع خطورة ابن عبد الظاهر الى أنه ولى ديوان الانشاء فى عهد السلطان المنصور قلاوون . واذا ذكرنا ديوان الانشاء فاننا يجب أن نذكر الديوان الذى تركزت فيه جميع أسرار الدولة الداخلية والخارجية، والذى كانت تصدر منه كافة المكاتبات للملوك والنواب والأمراء . ومعنى ذلك أن صاحب هذا الديوان كان مطلعا على مالم يطلع عليه غيره من كبار رجال الدولة ، فاذا كتب تاريخا للعصر الذى عاش فيه، فهو يكتب عن ثقة ، ويعتمد فيما يقرره على مابين يديه من وثائق ونصوص وأسرار ربما لم يتح لغيره الاطلاع عليها . وهذا هو السر فى أهمية ما كتبه محيى الدين بن عبد الظاهر من كتابات تاريخية عاصر أحداثها ، ومنها

الكتاب الذى نحن بصدده ، وهو كتاب تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور (قلاوون).

***

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور مراد كامل وراجعه الأستاذ محمد على النجار ، ونشرته الادارة العامة للثقافة بوزارة الارشاد القومى فى سنة ١٩٦١ . وذكر المحقق فى مقدمة الكتاب أنه عثر على النسخة الخطية التى اعتمد عليها فى نشره فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٠٤، وأن هذه النسخة الخطية انما هى جزء من كتاب تشريف الأيام والعصور وليست الكتاب كله ، حيث انها تبدأ بحوادث سنة ٦٨٠ هـ فى حين يبدأ حكم السلطان المنصور قلاوون ٦٧٨ هـ .على أن المحقق حاول أن يسد هذا النقص فى الكتاب، فنقل ما كتبه المؤرخ ابن الفرات فى تاريخه عن السلطان المنصور قلاوون فيما بين سنتى ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) ، ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ، وجعل ذلك مدخلا للمتن الذى عثر عليه من مخطوطة تشريف الأيام والعصور ، حتى تكتمل أمام الباحث الصورة عن عهد السلطان قلاوون .

ولا يستطيع أحد أن ينكر الخدمة الكبرى التى قدمها المحقق للمشتغلين بتاريخ العصور الوسطى العامة وتاريخ مصر ودولة المماليك خاصة بنشرة هذه المخطوطة . ويكفى أن نشير الى أنه أتاح لهم فرصة دراسة المصدر الأصلى الذى أخذ عنه معظم المؤرخين والكتاب الذين تعرضوا فى كتبهم لتلك الحقبة الهامة ، أمثال القلقشندى والمقريزى وأبى المحاسن والعينى وابن حجر وغيرهم . ثم ان المكانة الشخصية التى حظى بها ابن عبد الظاهر عند السلطان قلاوون وأهمية مركزه ووظيفته ، كانت - كما سبق أن أشرنا - كفيلة بأن تجعل كتاباته موضع ثقة المشتغلين بالتاريخ . هذا الى أن أهمية ابن عبد الظاهر لاتقتصر على عهد السلطان قلاوون وانما تمتد الى عهد السلطان الظاهر بيبرس من ناحية وعهد الأشرف خليل بن قلاوون من ناحية أخرى ، الأمر الذى جعل من ابن عبد الظاهر العمدة فى تاريخ تلك الحقبة الهامة ، فضلا عن تمكينه من الربط بين الاحداث السابقة واللاحقة ربطا جميلا محكما .

والواقع أن الأستاذ المحقق بذل جهدا كبيرا مشكورا فى نشر هذه المخطوطة واستكمال النواحى الناقصة أو المفقودة منها وشرح الجوانب المبهمة أو الصعبة فى المتن . ولكن مع اعترافنا بعظم الجهد الذى بذله المحقق وتقديرنا لأهمية الخدمة التى أداها للمشتغلين بالتاريخ ، الا أن لنا بعض ملاحظات لاينبغى أن تقلل من قيمة ذلك الجهد وتلك الأهمية . ونكتفى من تلك الملاحظات بما يلى : -

أولا : ذكر لنا المحقق أنه اعتمد فى تحقيق المخطوطة على نسخة وجدها فى المكتبة الأهلية بباريس . ولكنه لم يشر الى جهود أخرى كان يمكن أن يقوم بها لمحاولة العثور على نسخة أخرى من هذا الكتاب تجعل عملية التحقيق أكثر أمنا وصحة . ولو ذكر المحقق أنه حاول الاتصال ببعض المكتبات العالمية حيث تتوافر المخطوطات العربية - فى اسطنبول والأناضول وروسيا والمتحف البريطانى ... - للاستفسار منها عن مخطوطة بهذا الاسم أو حول ذلك الموضوع لكان هذا أدعى الى زيادة الثقة بالعمل الذى نهض به . وقد دلتنا التجارب على أنه ليس أخطر فى نشر المخطوطات من الاعتماد على نسخة واحدة الا فى حالة الضرورة القصوى ، عندما يعلن المحقق أنه عجز تماما عن الحصول على نسخة أخرى من المخطوطة التى ينهض بنشرها . ذلك أن كثرة ما اعترى المتون - على مر السنين - من تحريف وتشويه ومسخ - يجعل من الخطورة بمكان الاعتماد فى نشر أية مخطوطة على نسخة واحدة ، بالغة ما بلغت من الدقة .

ولا أريد أن أؤكد وجود نسخ أخرى من هذا الكتاب فى بعض المكتبات العالمية فى الخارج ،

ولكن كل ما استطيع أن أؤكده هو أنني شخصيا بالبحث في دار الكتب المصرية بالقاهرة عثرت على نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية تحت رقم ٢٢٢٦ بعنوان « تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور – الجزء الثاني » . ومن الواضح أنه لو حاول المحقق البحث في القاهرة نفسها لعثر على هذه النسخة ، ولاتخذها أساسا للمقارنة بينها وبين مخطوطة باريس ، مما يجعل عمله أكثر دقة ورسوخا .

ثانيا : كانت النتيجة الحتمية لاعتماد المحقق على نسخة واحدة في تحقيق المخطوطة هي احتمال وقوع الخطأ . من ذلك ما حدث من تداخل واضح وارتباك ظاهر في صفحات ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ من الكتاب المطبوع ، فتداخلت أخبار حملات قلاوون على النوبة مع أخبار الحملة التي أرسلها ابنه الأشرف خليل بقيادة الأمير عز الدين الأقرم . وفي صفحة ١٥٣ من الكتاب المطبوع يروى النص قصة حملة السلطان قلاوون ضد الصليبيين بالشام وينتقل النص فجأة الى أعمال جيوش المماليك في النوبة ، فيقول « فوجدوا على ذلك الماء من خبرهم أن الملك آني له يومان منذ رحل الى جهة الانج ... » ، مما يشعر القارىء أن أعمال المماليك في النوبة انما هي جزء من أخبار حملة قلاوون ضد الصليبيين بالشام . ومثل هذا الخلط يوجد في صفحتى ١٥٤ ، ١٥٥ ، الأمر الذى أفسد المتن في ذلك الجزء من الكتاب .

ثالثا : أحسن المحقق صنعا بالترجمة التي أوردها في صدر الكتاب عن مؤلف صاحب المخطوطة محيى الدين بن عبد الظاهر ، فقد كانت هذه الترجمة لابد منها لايضاح مكانة المؤلف والتعريف به وابراز أهمية كتابته . ولكن لست أدرى ما الحكمة في أن المحقق حاول أن يحشر في الصفحات من ٣٥ حتى ٤٢ كلاما بسيطا عن نشأة المماليك ونظم الحكم في دولتهم وكيف انتقلت السلطة اليهم . هل ظن المحقق أنه من الممكن أن يرجع باحث الى كتاب معاصر مثل تشريف الأيام والعصور وهو يجهل من هم المماليك وكيف وصلوا الى الحكم ؟ وربما كان من الممكن أن تكون لهذه المقدمة فائدة لو أن المحقق أتى فيها بجديد ، ولكنها للأسف لم تتعد مستوى مايدرسه تلاميذ المدارس ، ولاتتناسب مطلقا مع قيمة المخطوطة ومستواها العلمي .

ومثل ذلك يقال عما كتبه المحقق عن السلطان المنصور قلاوون نفسه ، اذ كان أجدر به أن يكتب مقدمة قوية عن أهمية عهد المنصور قلاوون في تاريخ المماليك ، ولكنه للأسف ركز معظم كلامه على العلاقات الخارجية في عهد المنصور قلاوون ، وأغفل كثيرا من التيارات الهامة التي حفل بها ذلك العصر . فهو مثلا لم يشر الى تكوين فرقة المماليك الجراكسة أو البرجية في عهد قلاوون ، وهي الفرقة التي صارت لها أهمية كبيرة في مستقبل الأحداث .

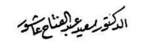
رابعا : حرص المحقق على استخدام لفظى « الملوكى » و « الملوكية » أكثر من مرة في مقدمته وحواشيه . ولعله قد آن الأوان لكي نتخلص من هذا الخطأ اللغوى الواضح . فصحة النسبة الى المماليك هي«المماليكى» و «المماليكية»، لأن قاعدة الجمع الى الفرد في النسبة لم يطبقها العرب الا في اسم الجنس ، ولهذا قالوا رجل شعوبى وانصارى . ولم يستثن من هذه القاعدة سوى الاعلام وماخيف فيه اللبس . وعلى ذلك فان النسبة الى المملوك المفرد في اللغة غير صحيحة وصحتها مماليكى .

خامسا : ومن البدع المستحدثة عندنا في السنوات الأخيرة هي أن يعمد ناشر المخطوطة الى حشد عدد ضخم من الملاحق في نهاية المتن . وربما كانت هذه الملاحق على جانب كبير من الأهمية والفائدة اذا روعي في اختيارها شرطان اساسيان : **الأول** : هو الجدة بحيث لم يكن سبق نشرها ولا يستطيع قارىء النص الأصلى أن يرجع اليها في سهولة والشرط **الثانى** ارتباطها بالمتن ارتباطا قويا يجعل من الضرورى للقارىء الاستعانة بها في فهم بعض أجزاء المتن.ويترتب على هذين الشرطين الاقتصاد في تلك الملاحق بحيث لاتصبح كالجراد الذى يحجب قرص الشمس . ولكن الملاحظ على كثير من المخطوطات التي قامت على نشرها ادارة حكومية – مثل وزارة الثقافة والارشاد – الاسراف في حشد عدد كبير من

الملاحق فى نهاية كل مخطوطة ، حتى لقـد فاق حجم المـلاحق فى بعض تلك الكتب حجم المتن الاصلى • ولست أدرى ما الحكمة فى أن يورد المحقق نصا طويلا منقولا نقـلا حرفيـا عن القلقشـندى أو ابن تغرى بردى أو المقريزى أو ابن الفرات ... وجميع هذه المؤلفات مطبوعة فعلا ويستطيع القارىء أن يرجع اليها فى سهولة• وكان يكفى أن يشير المحقق فى حاشية من سطر أو سطرين الى موضع النص أو الترجمـة فى الكتاب المطبوع •

على أننى لا أريد أن ألقى باللوم كلـه على المحققين والناشرين وانمـا يبدو لى أن وزارة الثقافة والارشاد يجب أن تتحمـل جزءا من مسئولية ذلك الحشو الكريه ، لأن الحقيقـة المكشوفة هى أن هذه الوزارة تكافىء المحققين بعدد الصفحات والملازم دون تقرير لقيمة الجهـد المبذول فى تحقيق المخطوطة • ومادام المقياس والجزاء بالكم لا بالكيف ، فليحاول كل محقق أن يحشر فى ختام المتن الذى حققه أكبر قدر ممكن من الصفحات النافعة وغير النافعة طمعا فى كرم العطاء •

وبعد ، فان هذا النقد الموجز لكتاب تشريف الأيام والعصور لم يقصد به سوى البناء والاشادة بما فى الكتاب من حسـنات • فالشىء لاتبدو حسناته الكبيرة الا بالاشارة الى مافيه من عيوب صغيرة • والجهد الذى بذله محقق الكتاب أعظم من أن يحاول انسان أن يقلل من شأنه • وحسب الدكتور مراد كامل أنه أمدنا بمتن مطبوع مصحح مشروح لمرجع من أخطر المراجع التى لاغنى عنها الباحث فى تاريخ المماليك •


الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور



سطور من كتاب ...

« انه لمن الممتع أن نرقب ضفة تكسوها العديدمن النباتات من كل الأنواع ، تصدح بها الطيور على الشجيرات وتحوم فيها الحشرات من كل صنف ، وتزحف الديدان مخترقة التربة الرطبة ، ثم نتأمل كيف أن تلك الصور الحية المبنية أحسن بنيان والتى يختلف بعضها عن البعض كثيرا والتى يعتمـد كل منهـا على الآخـر بكيفية غاية فى التعقيـد ؛ كيف نشـأت كلها بقوانين تعمل حولنا » ..

• .. الجزء الثانى من أصل الأنواع



تمت ترجمة هذا الكتاب الشهير باشراف وزارة التعليم العالى ، ونشر فى سلسلة الألف كتاب ، ونشرته مؤسسة سجل العرب . والترجمة فى مجموعها جيدة ، ولكننا نريد قبل التعرض لحديث الترجمة ، أن نخوض فى حديث الكتاب نفسه ، وحديث مؤلفه الذى نال شهرة عريضة ، وهز انتحاره وهو فى أوج شهرته وجدان القراء فى جميع أنحاء العالم منذ زمن غير بعيد .

ويخيل الينا أن من يتأمل كتاب « وداعا للسلاح » حرى أن يجد فى جوه ، وفى فلسفته العامة ما يفسر اقدام أى انسان له مثل هذه الفلسفه على وضع حد لحياته .

وأول ما يواجهنا فى الكتاب الذى تدور أحداثه فى الجبهة الايطالية أثناء الحرب العالمية الأولى تلك النزعة الحسية التى يدين بها البطل رواية القصة . نزعة حسية يائسة ومستهينة فى وقت واحد . فهو غير متفق فى يأسه مع رجل كريم النفس مثل أبى العلاء الذى يقول :

تأملنا الزمان فما وجدنا
الى طيب المقام به سبيلا

فأصبح واحد الرجلين اما
مليكا فى القبائل أو أبيلا

والأبيل هو الراهب المعتزل الزاهد المتنسك . وقد اختار المعرى أن يكون ذلك الأبيل لأن مقاليد الملك لم تكن فى متناول يده .

أما همنجواى فى « وداعا للسلاح » فلا يرى الى طيب المقام سبيلا ، ولكنه يتهالك على كل لذة عابرة ، فيرشف منها أو يعب فى يأس من دوامها ، وفى يأس من جدواها ، وبطله يسرف فى احتساء الخمر ، ولايقيم لحياته وزنا ، وينظر الى الكوارث فى تلك الحرب تصيب الناس وتصيبه بلا احتفال . وان كانت غريزة حب الحياة تدفعه الى الهرب دفعا حين يتهدده الهلاك فى محاكمة ميدانية ظالمة .

البطل ليس وحشا ضاريا ، لأنه لايؤمن بالضراوة ، ولا يجد همة كافية لها . فلابد للضارى أن يكون متكالبا على غايته . وهو ليس متكالبا على شىء . فهو ان أدرك ما يصبو اليه بأيسر جهة فبها ونعمت ، وان فاته فلا حزن ولا حسرة . فكل فوت تغسله كأس من الخمر أو كأسان ...

أن اجتذب أنفاسي فوثقت أني عدت الى الحياة • كانت الأرض من حولنا ممزقة ، ولما أفقت وجدت قطعة من الخشب على جبهتي • وفي هذه الدوامة التي كانت تدور في رأسي سمعت شخصا يبكي حتى ظننت بكاءه عويلا ، فحاولت أن أسعى اليه ، ولكني وجـدت نفسي غير قـادر على الحراك • وسمعت المدافع تدوى ، ورصاص البنادق عبر النهر وعلى طوله ، ثم رأيت وهجا شديدا منبثقا من صواريخ ترتفع ثم تنفجر وتسبح أضواؤها في الفضاء بيضاء اللون ، وسهاما نارية تعلو ، يعقب كل هذا دوى القنابل ... مر كل هذا في لحظات قصار ، ثم سمعت رجلا بجواري يناجي أمـه : « آه يا أمي » فجمعت قواى ودرت حول نفسي حتى لمسته • لقد عرفته • انه « باسيني »• لقد صرخ عندما مسسته.وفيما بين الظلمة والنور استطعت أن أرى ساقيه وقد امتـدتا نحـوى وتحطمتا فوق الركبة • لقد بترت احداهما ، أما الأخرى فكانت معلقة بخيط رفيع من أعصابه وسرواله ، ملقاة كأن لم تكن موصولة بجسده ، وهو يعض ذراعه ويئن أنينا موجعا ويقول « آه يا أمي ! امتنى يارب ! يامريم الحبيبـة أميتيني وأوقفي آلامي ! » ••

لكأنك تشهد لقطة سينمائية ، الصـورة والحوار هما اللذان يخاطبان وجدانك • والمؤلف دوره كدور المخرج ، لايتكلم الا من خـلال الصورة والحوار ...

وقد يقول بعض الناس أن السـينما هي المقصودة بهذه الكتابة • ولعل هذا التأثير ظاهر في كتـابة كثيرين من القصاصـين الأمريكيين والأوربيين المعاصرين .. ولكن الأقرب من هذا الى الصواب أن « عقليـة السينما » طغت على أبناء عصرها ، فصار أسلوبهم هو أسلوبها ، حتى وان لم ينظروا الى اخراج أعمالهم القصصـية على شاشتها •

وفي المناسبات القلائل التي يجنح فيها الى شيء من عمق التفـكير ، يورد ذلك في حـوار خاطف • ولعل أبرع هذه المناسبات النـادرة مناقشة دارت بين البطل وبين كونت ايطـالى طاعن في السن محب لمباهج الحياة :

ـ انك راجح العقل ياكونت

ـ كلا • انها الأكذوبة الكبرى التي يسمونها حكمة الشيوخ • انهم لايصبحون أكثر حكمة ، بل أشد حذرا !

ـ ربما كانت هذه هي الحكمة بعينها

ـ انها حكمة غير مستحبة ! خبرني : ما أثمن شيء لديك ؟

ـ شخص أحبه •

ـ وكذلك أنا !

وندع الكتاب وكاتبه لنتحدث قليـلا عن الترجمة العربية • وهي كما قلنا آنفا جيدة في مجموعها ، وان كانت لنا عليها ملاحظات قليلة جدا .. لا تقلل من قيمتها وجهد صاحبها •

من ذلك مثـلا (في ص ٣٥) قول المترجم ـ والحديث عن السيارات وقطع الغيار الخ :

ـ أين مستودع الغاز الآن ؟

والمقصود ليس الغـاز ، بل البنزين ، وان كان الانجليز يستخدمون هـذه الكلمة في الاستعمال الدارج ، مثلما نسمى نحن الكيروسين « الجاز » • والغاز كما نعلم حالة من أحوال المادة الثلاث وهي : الغازية والسيولة والصلابة •

وقوله في ص ٤٦ ـ من الحديث عن اللغة الايطالية :

ـ اني « لن » أتعلمها في ١٥ يوما • لقـد ظللت أدرسها شهورا •

والمقصود طبعا هذا المقام « لم » أتعلمها •



وقوله فى ص ١٤٠ :
– ولكن لم « يأتينا » أحد
والصواب طبعا لم « يأتنا » .
وقوله فى ص ٣٥٧ :
– وراء « تاجليامنتو »
والاسم ايطالى ، والجيم قبل اللام لاتنطق ، وصوابه تاليامنيتو .

وقوله فى ص ٤٤٥ ومابعدها – والحديث عن البطل وصاحبته حين اجتازت معه الحــدود الى ايطاليا فكان لابد أن يفسر الأمر لحراس الحدود:
– كنت أدرس العمارة فى ايطاليا . و «ابنة عمى » هذه تدرس الرسم .

والصواب ابنــة عمتى أو ابنــة خالى أو ابنة خالتى ، فهذه لها لفظ واحد فى الانجليزية مع « ابنة عمى » ، ولكن بنت العم يتفق اسمهـــا فى جواز السفر مع اسم البطل ، باعتبار جدهما لأبويهما واحدا ، وهذا غير الواقع لأن الفتاة من ذوى قرباه . فلا يمكن أن يعنى أذن أنها بنت عمه حتى لا يكتشف الحراس كذبه ، ولا يبقى الا ان يكون معنى الكلمة هنا « ابنة » الخال أو الخالة أو العمة ، لأن اسم جدها لأبيها فى جواز سفرها عندئذ لا يلزم أن يكون مطابقا لاسم جده لأبيه .

وهى من الســهوات المألوفة فى أعمـــال المترجمين، ومن الميسور تحاشيها بشىء من التبصر كى تبرأ الترجمة الجيدة من شائبة لا موجب لها.

الدكتور نظمى لوقا



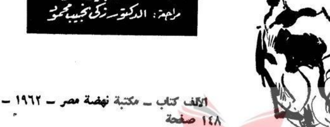
سطور من كتاب ...

« يا الهى شــد ما يبدو الوقت قصيرا أحيانا اذا قيس بالأرقام على حــين تتمزق الأعصــاب من طوله تمزقا . وما هــذه العادة الوحشية الجديدة ! . انه يجلس هذه الجلسـة لا ليحادثها ولا ليلاعب لولو ولكن ليشرب الخمر ، ويمعن فى الشراب ليلة بعد أخرى . ويفرط فى التدخين فدائما تتلوى حول رأســه سحاباته الشاحبة . الا ما أفظع هذا كله » ..

... دنيا الله

سقراط





الألف كتاب ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٦٢ ـ
١٤٨ صفحة

سقراط شيخ الفلاسفة ، أستاذ أفلاطون ، وراسم طريق الفلسفة لأرسطو ومن جاء بعدهما. سماه العرب سقراط الالهي تشريفا وتكريما . أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، وحوّلها من النظر في الأمور الطبيعية الى البحث في النفس الانسانية · أرسى قواعد الفلسفة الأخلاقية ، ووضع الطريقة السقراطية المعروفة باسم التهكم والتوليد ·

شارك السفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد في حركتهم التي كانت تبحث في نواحي النشاط الانساني من لغة وأدب وفن ودين وسياسة وتعليم ، وغاص معهم في الأصول التي يعتمد عليها المجتمع البشري ، ومعرفة القوانين التي تحكم العلاقات بين الناس · ولكنه اختلف عنهم في أمرين أساسيين : الأول أنه لم يكن يأخذ أجرا على التعليم ، والثاني أنه كان يطلب الحق على حين كان السفسطائيون يطلبون الغلبة ولو كان ذلك على حساب الحق ·

وعلى الرغم من ذيوع صيته ، وكثرة تعاليمه، لم يدوّن بقلمه سطرا ، ولم يخلف لنا كتابا · وكل ما نسب الى سقراط أقاويل ومحاورات سجلها تلميذه أفلاطون في محاوراته، أو زينوفون في مذكراته ، أو أرستوفان في تمثيلية السحب، أو أرسطو في بعض كتبه · ويعد هؤلاء الأربعة المصادر الرئيسية عن آراء سقراط · ولم يكن المؤرخون منذ الزمن القديم حتى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يشكون في هذه الأفكار التي وردت على لسان سقراط ، بل يعدونها معبرة حقا عن فلسفته · غير أن النزعة النقدية التي شاعت في القرن الماضي تبغي التثبت من صحة الروايات التاريخية ، لم تلبث أن طبقت على سقراط ، وأعلن كثير من الباحثين شكهم فيما نسب الى سقراط ، وزعموا أن أفلاطون ، وهو المصدر الرئيسي عن سقراط ، انما اتخذ اسم أستاذه « قناعا » يخفي وراءه آراءه الأفلاطونية · وتطرف أحد الباحثين فذهب الى أن سقراط شخصية خرافية ليس له حقيقة تاريخية، وتوسط البعض الآخر من الباحثين وقسموا المحاورات

الافلاطونية قسمين ، الأول يعبر عن أفكار سقراط ويشمل محاورات الشباب من مثل بروتاجوراس وجورجياس وهبياس وغيرها الى الكتب الثلاثة الأولى من الجمهورية ، أى قبل أن يفتح أفلاطون الأكاديمية ، والثانى يعبر عن أفكار أفلاطون ، وهى المحاورات التى دوّنت بعد ذلك وتنتهى بمحاورة القوانين • واطمأن الناس الى هذه النتيجة الأخيرة التى أجمع عليها معظم المؤرخين الألمان والفرنسيين ، وخلاصة بحثهم أن نظرية المثل أفلاطونية ، وأن المباحث التى تدور حول الفضيلة سقراطية •

وفى وجه هذا التيار الجارف الذى يكاد يشبه الاجماع نهض الأستاذ الفرد تيلور ، الحجة فى دراساته عن أفلاطون ، وصاحب الكتاب المشهور « أفلاطون الرجل وفكره » ، فكتب هذا الكتاب عن سقراط ، يثبت فيه أن أفلاطون لم يتخذ سقراط « قناعا » يتستر وراءه ليعرض من خلاله أفكاره هو • وفى الوقت نفسه أخذ يرسم صورة لحياة سقراط منذ نشأته حتى وفاته ، معتمدا على مختلف المصادر الرئيسية والثانوية ، المعاصرة والمتأخرة ، على حد سواء . فأبرز لنا صورة فنية رائعة تليق بأحد قادة الفكر وعباقرة الفلسفة • وأخذ يفند سائر الروايات القديمة واحدة بعد أخرى مبتدئا برواية أرستوفان •

أرستوفان شاعر الملهاة – الكوميديا – فى القرن الخامس ، اتخذ من شخصية سقراط المحور الرئيسى الذى تدور حوله تمثيليته ، وقدمها للمسرح سنة ٤٢٣ أى قبل الحكم على سقراط بثلاثة وعشرين عاما – ولد سقراط ٤٧٠ وتوفى ٣٩٩ – وكان لعرضها أثر فى الحكم عليه فيما بعد ، لأنه صور سقراط فيلسوفا طبيعيا ، ينكر الآلهه ، ويعلم الشباب الجدل ، وفى هذه التمثيلية بالذات يتعلم شاب الثورة على أبيه •



وقد وردت اشارات فى محاورة « فيدون » التى كتبها أفلاطون تؤيد اشتغال سقراط فى بدء حياته بالفلسفة الطبيعية ، ثم عدوله عنها • ذلك أنه اشترى كتاب انكساجوراس فى الطبيعة، وقرأه ، وأعجب به ، ولكنه رأى تفسيره للظواهر ماديا بحتا يغفل النظر الى « الغاية » ، مثل تفسير جلوس شخص على كرسى بانثناء العظام وانقباض العضلات دون النظر فى « العلة » التى من أجلها جلس • ولا غرابة فى أن يتعلم سقراط العلم الطبيعى السائد فى عصره ، والمأثور عن المدرسة الأيونية ممثلة فى طاليس وأنكسمندر وأنكسمانس، والتى كانت ترد المادة المتحولة الى مبدأ واحد • ويتمثل هذا التحول فى انتقال النار الى هواء الى ماء الى أرض بالتكاثف ، ثم تحولها بالعكس بالتخلخل • ولم تكن هذه المدرسة هى الوحيدة التى عرف سقراط آراءها ، فقد كان فى شبابه تلميذا لأحد أتباع هرقليطس صاحب القول بالتغير مبدأ للوجود ، والتقى كذلك بزينون الايلى وأستاذه بارمنيدس ، وناقشهما فى فلسفة الوجود ، مما نجده مصورا فى محاورة بارمنيدس الأفلاطونية •

ويبدو أن سقراط بعد أن طاف بسائر المدارس الفلسفية القائمة فى اليونان آنذاك ، اصطنع المبادىء الفيثاغورية آخر الأمر ، ولعله كان رئيس شعبة لهذه المدرسة فى أثينا ، ذلك ان كل الذين يلتقون به فى السجن ليلة تناوله السم فى المحاورة المعروفة باسم فيدون والذين تذكر أسماؤهم من أصحابه ان كانوا على سفر ، فمن الذين حضروا بالفعل سمياس وقبيس وهما من تلامذة فيلولاوس الفيثاغورى المشهور ، ثم اقليدس وتربيون وكلاهما من ميجارا ، وأولهما مشهور بنظريته فى الجمع بين الوجود والخير ، وهؤلاء وغيرهم لم يكونوا مواطنين أثينيين بل كانوا من مدن أخرى يونانية ، اجتمعوا على مائدة الفكر ، وربطت بينهم أواصر الوفاء برباط سرى•

ذلك أن الفيثاغورية كانت الى ذلك الحين مدرسة « سرية » أو بالاصطلاح الاسلامى « باطنية » ، وكانت تعاليمها رياضية ونفسية ، ففى الرياضة تجعل العدد والنغم والتناسب مبادىء الموجودات، أما من جهة جانبها النفسى والدينى فانها تقول بتناسخ النفس ووجوب السير فى طريق الزهد والتطهير • وقد استمرت الفيثاغورية محتفظة بطابع السرية مع الجمع بين الرياضيات من حساب وهندسة وفلك وموسيقى وبين البحث فى النفس حتى انتقلت الى الاسكندرية ومنها الى العرب ، واصطنع تعاليمها فى الاسلام جماعة اخوان الصفا بوجه خاص •

ولكن سقراط لم يتابع المذهب الفيثاغورى فى خلود النفس على طول الخط ، بل اعترض على هذا المذهب • ففى فيدون عدة أدلة على خلودها ومباينتها للبدن ، منها دليل التضاد ، ودليل البساطة والتركيب ، ودليل الانسجام ، أى أن النفس أشبه بالنغم الذى يصدر عن القيثارة ، باعتبار أن البدن يشبه القيثارة • ثم دليل التذكر الذى يفضى الى التناسخ ، بمعنى أن النفس لأنها كانت تعيش معيشة سابقة فانها تتذكر ما كانت تعرفه من قبل ، ثم دليل المثل•

ونود أن نقف بعض الشىء عند هذا الدليل، لأن الباحثين مختلفون فى شأنه أهو سقراطى أم أفلاطونى • وقد ذكرنا أن معظم المحدثين يقررون أن نظرية المثل فى شكلها المعروف أفلاطونية ، غير أن تيلور ، وكذلك زميله برنت ، يذهبان الى أن نظرية المثل من فكر سقراط ، ونحن نرى أن هذا الرأى لايتفق مع واقع الفلسفه السقراطية •

السقراطية فى أساسها « حوار » ، لمحاولة الوصول الى الحقيقة ، وهذا الحوار لايفرض فيه الرأى على سبيل التعليم، بل تجرى المناقشة حرة، يدعى فيها سقراط الجهل ، ويسخر من محاوره، ويوقعه فى التناقض ، ويلجئه الى النظر فى نفسه لاستخلاص الحقائق بنفسه • وبعبارة أخرى أى شخص يستطيع اذا تحرر من قيود التقليد أن يصل الى معرفة حقيقة الأمور الخلقية والدينية والسياسية والاجتماعية والنفسية •

وهذه الطريقة السقراطية تعرف باسم التهكم والتوليد ، ولاتزال تستخدم حتى اليوم فى التربية، وهى من أفضل الطرق • ولابد فى هذه الطريقة من مناقشة بين معلم ومتعلم • وليس من الضرورى أن يصل المتحاور الى الحقيقة ، ولكن المهم ان ينظر ويفكر وينفض عن نفسه غبار الجمود • وليست الحقائق الانسانية ثابتة ، على الرغم من محاولة سقراط البحث عن « الحد الكلى » الذى يشملها ، لأنها أمور تخضع للقيمة ، وللمزاج ، واعتبارات العصر والبيئة • ولذلك لم يدخل أرسطو الأخلاق فى جملة العلوم النظرية ، وعرف الفضيلة بأنها ملكة اختيار الوسط العدل بين افراط وتفريط ، مثال ذلك ان هذا الفعل قد يكون شجاعة فى وقت ومكان ، وقد يكون تهورا أو جبنا فى وقت آخر ومكان آخر •

أما منهج أفلاطون الذى يتميز به فهو «الجدل» الذى يتم بين الشخص ونفسه ، فى داخل نفسه ، ومنه جدول صاعد نحو المثل حتى اذا بلغها الفيلسوف ، عاد مرة أخرى يطبقها على العالم المحسوس •

صفوة القول : تتلخص الفلسفة السقراطية فى المبادىء الأربعة الآتية وهى : (١) التهكم والتوليد (٢) اعرف نفسك (٣) انزال الفلسفة من السماء الى الأرض • (٤) معرفة الحد الكلى • وهذا المبدأ الأخير هو الذى تدور عليه فلسفته الأخلاقية فى العبارة المشهورة : العلم هو الفضيلة •

وعلى الرغم من ان أفلاطون كان تلميذ سقراط، بل أبرز تلاميذه ، الا أنهما متميزان من حيث النشأة والمزاج • فسقراط شعبى ، من طبقة العمال أو الصناع ، فقد قيل انه كان يتكسب من صناعة التماثيل ، وكان فقيرا ، يمشى حافى القدمين ، لايملك الا عباءة واحدة يلبسها صيفا وشتاء ، وكان الى ذلك دميم الخلقة ، قوى البنية، وهو محارب قوى ، لاتطيح الخمر برأسه اذا أسرف فى الشراب ، ولم يكن مدمنا • أما أفلاطون فأرستقراطى النشأة ، من أبناء ملوك أثينا ، رقيق الحاشية ، جميل الصورة ، نحيل الجسم ، أدنى

الى الزهد بحكم بنيته ، متأنق الملبس ، تلعب السياسة بخياله ، ولذلك ظل طول حياته يفكر فى اصلاح الدولة عن طريق الحاكم الفيلسوف ٠

وبعد ، فان سقراط « مشكلة » ، وستظل هذه المشكلة بغير حل ، تتارجح بشأنها الأبحاث، وبعد البحث الذى كتبه تيلور — وافقته أم لم توافقه على ما جاء فيه من آراء — من أروع البحوث وأعمقها وأعظمها احاطة وأكثرها أصالة ٠

***

أوردنا فى العرض السابق نقدنا على المؤلف، وهو فى أساسه يتلخص فى تطرفه فى اعتبار الآراء الأفلاطونية وعلى رأسها نظرية المثل ، سقراطية ٠ مما لانوافقه عليه كما لايوافقه جمهرة الباحثين ٠

وننتقل الى نقدنا عن الترجمة العربية ، نجمله فيما يلى :

(١) الكتاب جليل ، ومرجع هام فى فلسفة سقراط ، رأت وزارة التعليم العالى أن تترجمه فى سلسلة مترجماتها فى « الألف كتاب » ، وأجزلت العطاء للمترجم والمراجع ، لم تبخل عليهما بالمال ، ثم أصدرته فى هيئة هزيلة ورقا وطبعا ، مما لا يحفز القارىء على الاقبال عليه ، وتفتح نفسه لقبوله ٠ وهذه ملاحظة عامة تنصرف الى معظم الكتب المطبوعة فى هذه السلسلة ، مما يفقدها قيمتها ، نرجو أن تتلافاها الوزارة ، فلا تبخل بالمال اليسير فى ناحية الطباعة الجيدة استكمالا للفائدة ٠

(٢) رسم الأسماء اليونانية بالعربية :

الكتاب حافل بالأسماء اليونانية ، وبعض هذه الأسماء أصبح متداولا معروفا فى اللغة العربية، جاريا ومستعملا فى الكتب التى تؤرخ للفلسفة اليونانية والأدب اليونانى ٠ ويبدو أن المترجم أخذ بالرسم الموجود فى اللغة الانجليزية دون الرجوع الى الأصل اليونانى ، أو مراعاة طبيعة اللغة العربية ٠ مثال ذلك :

(أ) أيسكينس ، هكذا يكتبه المترجم ، وهو بالانجليزية Aeschines ٠ (ص ٣) ٠ والنطق اليونانى هو « أيسخينس » بالخاء ٠

(ب) اكسينوفون Xenophon ، وردت كذلك ص ٣ ، وفى ص ١ وما بعدها «زينوفون» والرسم الصحيح طبقا لليونانية هو الأول ، ولكن الثانى أخف فى العربية ٠ وكان ينبغى التوحيد ، والأخذ برسم واحد ٠ والنطق الذى استخدمته فى كتابى «فجر الفلسفة اليونانية» ، وفى كتابى«أفلاطون». هو « زينوفون » ٠ أما عند ترجمتى للفصل الخاص بهذا الشخص فى «تاريخ العلم» لسارطون ، فقد رأى المشرفون على الترجمة أن يكون«أكسينوفان»، ولم أوافقهم على ذلك ٠

(ج) أقريطون ، (اسم المحاورة المعروفة) ص ١٨ ، وفيها خطأ مطبعى نتجاوز عنه لسوء الطباعة اذ وردت أتريطون — وجاء فى ص ٢٦ « كريتون » ، اعتمادا على الرسم الانجليزى Crito ٠ وكان ينبغى مسايرة للرسم الانجليزى ان يقال « كريتون » ٠

(د) القبيادس، وقد رسمها المترجم الكبيادس ص ٢٨ ، بالكاف ، وكذلك كلما وردت بعد ذلك.

(هـ) ديمتريوس الفاليرومى ٠ Demetrius J. of Phalerum والنسبة فى العربية هى الفالرى ، لأن فاليروم تصريف أجنبى ليس الا ٠ (ص ٢٩) ٠ وذلك كما فعل المترجم (ص ٥٠) بالنسبة لتارنتوم

(و) هيبوقراط Hippocrates (ص ٤٥) ، والرسم المعروف منذ أيام العرب « أبقراط » ٠

(ز) ارسطو جزينوس التارنتى Aristoxenus of Tarentum(ص ٥٠) ، والتارنتى هى النسبة الصحيحة كما أشرنا عند الكلام عن الفالرى ٠ أما أرسطوجزينوس فصوابها أرسطوكسينوس ، أو أرستوكسينوس ٠

(ح) شارميدس (ص ٢٣) Charmides . وفى ص ٦٧ ، خرميدس ، وهو الصواب ٠

(ط) ديمون (ص ٤٤) Damon ، دامون (ص ٦٨) وهو الصواب ٠

(ى) سوفوكليز (ص ٧٠) ، يوربيديز

ص ٦٨ ، ليزياس (ص ٦٧) ، وصحتها بالسين لا بالزاى ، كما رسمها (ص ٢٤) سونوكليس ، ريبدس .

ولسنا بمعرض احصاء كل الأسماء التى وردت ، وانما نود التنبيه على التزام رسم واحد، وأن يكون هذا الرسم هو الذى جرى العرف عليه فى الاستعمال ، وأن يكون أقرب الى النطق اليونانى .

(٣) ترجمة بعض المصطلحات :

(أ) مذكرات زينوفون Memorabilia ، وهو المصدر الثانى الرئيسى الذى نعتمد عليه فى معرفة آراء سقراط . وقد ترجم هذا المصطلح تارة مذكرات ، وتارة أخرى ، وهو الأغلب ، (ذكريات)، على سبيل المثال مذكرات ص ٧٩ ، ذكريات ص ٨ ، ٣٤ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، الخ . والمذكرات أصح .

(ب) النفس Psyche .

ذكرنا من قبل أن عناية سقراط كانت البحث عن النفس ماهى ، وتدور محاورة فيدون بوجه خاص عن خلودها . ولكن المترجم خلط بين « النفس » وبين « الروح » ، وهما باليونانية مختلفان ، وكذلك بالانجليزية ، فالنفس psyche أو soul والروح pneumma أو spirit . وقد عنى المؤلف بايراد المصطلح اليونانى وهو Psyche الى جانب soul . ومن هذا المصطلح اليونانى اشتقت لفظة « البسيكولوجيا » للدلالة على « علم النفس » ، وذلك فى العصر الحاضر . أما الروح فلم ترد فى الفلسفة اليونانية الا منذ الرواقيين . وقد اختلف القدماء من فلاسفة اليونان فى أمر النفس ، فبعضهم ذهب الى أنها مادية ، فهى ماء أو نار أو هواء بحسب الطبيعيين الأولين ، أو هى نغم وتناسب عند فيثاغورس ، أو أنها مغايرة للبدن منفصلة عنه تحركه ، أو بها تحصل المعرفة كما هى الحال عند سقراط وافلاطون ، ومنها النفس الشهوانية والغضبية والعاقلة بحسب القسمة الثلاثية . وقد اعترض أرسطو على هذه النظريات كلها، ونادى بأن النفس لاتعدو أن تكون « صورة » الجسم الحى ،



وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة، كما جاء فى تعريفه . بعبارة أخرى النفس عند أرسطو هى مجموع الوظائف الحيوية ، من تغذ ونمو وتوليد وحس وحركة وتخيل وتفكير ، توجد بوجود الكائن الحى ، وتفنى بفنائه . ولم يكن البحث فى أثناء القرنين السادس والخامس عن الروح .

(ج) كانت عناية سقراط — كما ذكرنا — هى البحث عن النفس وحقيقتها ، ولذلك قال قولته المشهورة « اعرف نفسك » ، ولم يقل « اعرف روحك » . ان معرفة النفس حقيق بأن يوجه المرء فى الطريق المستقيم ، ويستطيع اذا انكشفت له حقيقتها أن يعرف الحقائق ، وأن يميز بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح . وهذا يطابق المبدأ الأخلاقى الذى اتخذه شعارا من أن العلم هو الفضيلة .

وبهذه المناسبة نشير الى أن المترجم أغفل نقل مصطلحين وردا باليونانية وكان يستطيع سؤال احد المختصين ، وهما σοφαὶψυχαί ، وترسم بالحروف اللاتينيه كما يأتى Sosphai psychai أى حكماء النفس ، والثانى φιλοψυχία philopsychia ومعناها محب النفس . (ص ١١٤) .

(د) hetairos ، التى تعنى المرافق أو « الصفى » ، هكذا (ص ٥٣) . والمصطلح يونانى، عرفه العرب ، وترجموه بقولهم « صاحب » ، مثال ذلك أنكسمندريس صاحب طاليس ، وأنكسمانس صاحب أنكسمندريس . ولم يكن لسقراط تلاميذ بالمعنى المفهوم من لفظ التلميذ الذى يدرس على

معلم ، ولكن كان له «أصحاب» ، بدلا من مرافقين أو أصفياء .

(هـ) الفضيلة الوضيعة ، هكذا (ص ١٢٠) ، وهى بالانجليزية Vulgar Virtue . وفى هذه الترجمة تناقض ، لأنه لايمكن أن تكون الفضيلة بحكم فضلها وضيعة ، والفضائل متعددة ولكن قد يكون بعضها أفضل من بعض ، أو أكثر فضلا . والمقصود «الفضيلة العامية » . وهى تلك التى اصطلح الناس عليها عرفا ، والتى يحترمها الناس فى الظاهر ، دون اعتماد على أساس من « العلم » أو المعرفة الصحيحة بماهيتها .

(و) ideai مذهب الصور ، أو الأنماط ، هكذا (ص ١٣٩) . والمصطلح الأجنبى مأخوذ عن اليونانية ، وقد تطور معنى idea فكان فى الأصل هو الشكل ، وأصبح عند سقراط وأفلاطون ، « المثال » ، وعند أرسطو « الصورة » . قد يقال تجوزا عن أفلاطون ان مذهبه هو «الصور» ، ولكن الأصح والأدق هو « المثل » ، وهو الأشيع والأشهر ، منذ العرب حتى الآن . وقد أورد المترجم مصطلح المثل بعد قليل ، ولكن أكثر استعماله هو الصور . ولكنه أخطأ دون ريب حين قال ص (١٣٨) أن الشىء الجميل يساهم فى « فكرة » الجمال . والفكرة ههنا تقابل idea فيكون المقصود المثال ، أو ان شاء الصورة . أى

أن الشىء الجميل « يشارك » فى مثال الجمال . ولفظة « المشاركة » وهى المصطلح الفنى بدلا من قوله يساهم . لأن نظرية أفلاطون فى المثل — أو نظرية سقراط بحسب تأويل تيلور — هى أن الأشياء المحسوسة توجد اما لأنها تشارك فى المثال ، أو لأنها تشبه المثال . وقد كان أفلاطون يقول فى أول الأمر بالمشاركة ، ثم بانت له اعتراضات اضطر معها الى القول بالمشابهة . ولما كان لفظ « المشاركة » وهو المصطلح الفنى غائبا عن ذهن المترجم ، فقد اضطر الى ترجمة هذا الفعل بقوله « تأخذ بنصيب » ، مثال ذلك ص ١٤٠ : «الأشياء التى تأخذ بنصيب من الصورة الكلية قد تكون كثيرة بغير حد » The things 'which partake of the Form' may be indefinitely many ...

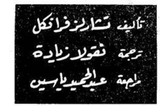
والترجمة الصحيحة هى : الأشياء التى تشارك فى المثال ، قد تكون كثيرة بغير حد ...

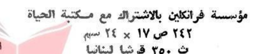
وقفنا عند بعض المصطلحات ، وعند رسم بعض الأسماء ، ولم نتحدث عن ترجمة العبارات ، وهى فى جملتها مطابقة رشيقة ، لولا الانحراف الذى ذكرناه فى بعض المصطلحات .

الدكتور احمد فؤاد الاهوانى

◎ ◎ ◎







مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة الحياة
٢٤٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٣٥٠ قرشا لبنانيا

انها ولاشك أزمة الانسان الأوربي الحديث ، الذي كاد يفقد الايمان بعقله ، وينكر ارادته وقدرته على اختيار مصيره .

ويبدو أنه ما من عصر اشتد فيه ايمان الانسان بعقله واعتداده بقوته حتى أعقبه عصر كانت الاستجابة فيه للعقل عكسية .

وحسبنا أن ننظر فى تاريخ الفكر الفلسفى على مداه الطويل فنجد تغلب التصوف والدين على الفكر اليونانى فى عصره الهلنستى المتأخر بعد أن توج العصر الكلاسيكى العقل ورفعه الى أعلى مكان. ويكاد ينطبق هذا الرأى على تاريخ الفلسفة الاسلامية ، اذ لم يغلب التصوف فيها الا بعد أن ظهرت الفلسفة العقلية مع الكندى والفارابى وابن سينا . وفى العصر الحديث نجد أن النزعة العقلية قد بدأت تسود أوربا منذ القرن السابع عشر ثم تبلورت فى حركة التنوير ، وكان ڤلتير من أشهر أعلامها .

واستطاعت الفلسفة العقلية أن توفق مع النزعة التجريبية عند الانجليز خاصة مع جون لوك ، وجيمس استيوارت مل ، واستمرت فى العصر الحديث مع برتراندرسل .

والجانب السياسى لهذه الفلسفة العقلية ، هو ما يعرف اليوم بفلسفة اللبراليين أو فلاسفة المذهب الحر Liberalism وقد ذهبت فى المجال السياسى الى تأكيد الحريات المدنية وأخذت بالنظم البرلمانية متبعة فى ذلك نظرية توازن القوى .

أما فى المجال الاقتصادى فقد نادت بحرية العمل Laissez faire وان كانت قد تطورت فيما بعد بما أدخلت من نظم الضمانات الاجتماعية .

وقد تكون كتابات ڤلتير ولوك وجوان استيوارت مل من أهم الأسس الفلسفية للديمقراطية ، ولكنها لا تقوم مثلا مقام كتاب رأس المال بالنسبة للمركسية وقد يكون هذا النقص من الناحية النظرية مما يجعلها أكثر مرونة وأسهل تطورا مع أحداث التاريخ .

وقد ادعت الفلسفة اللبرالية اعتناقها للتفسير العقلى للحياة الانسانية ، وأخذها بنتائج العلوم

التجريبية ، ومن ثم قدرة الانسان على اختيار القيم التى توجه مصيره • وذهبت الليبرالية أيضا الى القول بانفصال الكنيسة عن الدولة وتبنت نزعة علمانية دنيوية •

ولكن الاستجابة العكسية لهذه الفلسفة الليبرالية بدأت تظهر وتقوى منذ نهاية القرن التاسع عشر ، كما نجد مثلا فى فلسفة شهوبنهور وبرجسون •

ورغم ما حققه العصر الحديث من معجزات للعلم والتكنولوجيا ، الا أن الثورة على الانسان المعاصر الذى سيطر بعقله وعلمه على الكون بدأت تشتد وتقوى اذ أنه رغم كل ذلك لم يحصل الانسان الحديث على السعادة ولا الطمأنينة ، ومازالت قيمه فى تخبط ووجوده مهدد بالقلق •

واشتدت صيحة فلاسفة الغرب ينذرون الانسان الغربى صاحب الحضارة وسيد العالم بأن أخطارا جسيمة تهدده وأنه يسير الى حتفه مالم يخفف من كبريائه ويعيد النظر الى قيمه التى يلتزم بها فى وجوده •

وما كانت هذه الدعوة لتعلو وتشتد مالم تكن الحضارة الغربية مهددة اليوم •

فالحركات التحررية فى أنحاء العالم المختلفة، وصحوة المارد الشرقى فى القارتين الآسيوية والأفريقية قد بدأت تظهر له أن حضارته ليست وحدها الحضارة المثلى وان قيمه مازالت رغم التقدم العلمى فى حاجة الى كثير من التفكير والتعديل •

والكتاب الذى نحن بصدده ليس فى الواقع الا دفاعا عن فلسفة الليبرالية وممثلة النزعة العقلية العلمية فى العالم الغربى •

ومؤلفه تشارلس فرنكل من أشهر أساتذة الفلسفة بالجامعات الأمريكية •

وقد عرض فيه للفلسفات التاريخية المعاصرة والمعارضة للمذهب الليبرالية • وقدم رده عليها ودفاعه عن منطق الليبرالية فى التاريخ الانسانى، وهو دفاع كما يقول عن قيمة العقل هبة بروميثيوس الى الانسان الذى به أسس الحضارة وارتقى بمختلف الفنون •

وقد عرض فرنكل لأربعة مذاهب فلسفية ، يحمل كل منها على أساس من أسس الفلسفة الليبرالية • ويبدأ بحملة الأستاذ جاك ماريتان Jacques Maritain الذى يعد هو واتيان جلسون من أهم ممثلى الفلسفة الكاثوليكية المعاصرة •

ويحمل ماريتان على الأساس التجريبى فى الأخلاق المعاصرة • وموجز نظريته فى التاريخ ، أن أى مجتمع بشرى يحتاج الى مجموعة من القيم المطلقة ذات المصدر الالهى الذى يعلو على الانسان • أى أن مصدر القيم لايجوز أن يرجع الى الانسان نفسه ، والا فانه سيكون طرفا وقاضيا فى نفس الوقت •



اذن لابد لكى يحتفظ المجتمع البشرى باستقراره وخضوعه للسلطة السياسية من وجود حقائق مطلقة يسلم بها الأفراد جميعا •

كذلك ضللت النزعة الانسانية الحديثة معنى التاريخ ، لأنه فى رأى ماريتان ، مالم يكن هناك غاية مطلقة خارجية تحكم بها على التاريخ فلن تعرف له معنى ، وهكذا انتهت النزعة الانسانية بالرجل الحديث الى نزعة عدمية •

ويرد المؤلف على جاك ماريتان ، فيقول ان الفلسفة الحديثة النسبية فى الأخلاق لاترفض المبادىء العامة للأخلاق ولكنها تبين الاختلاف فى تطبيق هذه المبادىء تبعا للظروف المختلفة للانسان •

أما رد مارتيان المبـــادىء الأولية والقيم المطلقة الى مصدر لاسبيل للعقل الانسـانى أن يعرفه فينتهى الى نوع من الصوفية ، ذلك لأن اللبرالية تعتقد أن اختيار الانسان لمجموعة من القيم أمر يتعلق بحريته وارادته ولايمكنه أن يعتنق هذه القيم الا بعد أن يتحمل مسئوليتها خـيرها وشرها على السواء •

ولا يضير اللبرالية آن تتعرض القيم والمبادىء الأخلاقية للشك لأنها نسبية •

فتفسير الفلسفة اللبرالية لاتصاف مبادئهـا بالنسبة والشك يعنى أنها محدودة بالملاحظات والتجارب الانسانية ، وأنها قد تتغير فى المستقبل. ولكن ذلك لايعنى آنه ينتظر هدمها لا محالة مالم يوجد دليل واقعى ضدها • وانمـــا هو مجرد احتمال منطقى فى المستقبل •

على أن أهم فلسفة مسيحية للتاريخ تعارض اللبرالية فى أمريكا اليوم ، هى فلسفة راينهولد نيبور Reinhold Niebuhr ، الذى يعد خير من يتكلم باسم الوجودية فى أمريكا • لكن فلسفة الوجودية تتخذ ذلك الاتجاه اللاهوتى الدينى الذى يعرف عند كبار مفكرى الوجودية المسيحية آمثال كيركجارد •

وقد تأثر نيبور بفكرة الخطيئة الأصلية • ويعنى مذهب الخطيئة أن وجود الشر فى العالم ليس مجرد نتيجة لنظم اجتماعية غير صالحـــة أو الجهل البشرى ، ولكنه نتيجة لانحراف أساسى فى طبيعة النفس البشريه ذاتها •

وتتدخل الخطيئة الأصلية فى سير التاريخ البشرى ، حتى فى خير العوالم الممكن وجودها ، لابد للحياة البشرية من أن تنطوى على تناقض ثابت •

ذلك لأن الانسان مخلوق محدود وهو من ناحية أخرى غير محدود برغباته •

انه على حد قوله مخلوق وخالق لتاريخه فى نفس الوقت • والنتيجة أن يظل هناك احساس أساسى واضح فى حياة الناس هو الشعور بالقلق.

وليس هذا القلق خوفا من شىء محـدود ، كما أنه ليس ناجما عن أشياء معينة يمكن أن يعالج بأساليب عملية معينة ، انه شعور جميع الناس بأنهم لايدركون المطلق • وهذا القلق هو أيضا مصدر الاستعداد للخطيئة فى الانسان •

وعلى العموم يرى نيبور أن ثمة مطلقا يقع خارج التاريخ لايمكن للناس فهمـــه ، ولكنهم مضطرون الى الاعتراف بوجوده •

وينتهى نيبور الى مثل ما انتهى اليه ماريتان من اثبات وجود المطلق ، ولكنه يتفق مع النسبيين المحدثين فى أن هذا المطلق لايمكن بلوغه •

لذلك فهو يوجه النقد للبرالية لأنها اقترفت أكبر خطيئة فى محاولتها نكران الخطيئة ، ذلك حين اعتقدت بأن بامكان الانسان تحقيق الكمال البشرى دون حد وفى اعتقادها أيضا أن الانسان حين يتقدم فى المعرفة يتقدم أيضا فى الفضيلة ، وكذلك فقد اتخذ الانسان الحديث من العلم نبيا كاذبا •

ويمكن فى رأى المؤلف الرد على مذهب نيبور فى نقطتين رئيسيتين :

أولا : فى فهمه للحرية على أنهـــا حرية مطلقة لكنهـــا تصدم بوجود قوانين خارجية تقيدها •

وليس هذا الفهم صحيحا ، حيث أن وجود قوانين ســـببية ضرورية فى الخـــارج لاترغم الانسان على شىء فتقضى على حريته • وانها تفهم حرية الانسان فى حدود معرفته بهذه القوانين •

وثانيا : اعتراض نيبور على النظرة اللبرالية للطبيعة الانسانية فى اعتقادها بصـــلاح هذه الطبيعة وقوله بالخطيئة الأصلية •

ويرجع مصدر اعتقاد اللبرالية فى صـــلاح الطبيعة الانســـانية الى الفيلســـوف الفرنسى كوندورسيه Condorcet فى مؤلفــه « خلاصة العقل البشرى » •

وقد ذهب الى أن سعادة الانسان وفضيلته تزداد بمقدار تقدم المعرفة الانسانية •

ولا يعنى كوندرسيه تماما أنه كلما ارتقت معرفة الانسان كلما زاد نصيبه ضرورة من الأخلاق والسعادة ، ولكنه يعنى فى الواقع أن المعرفة تعطى الانسان قوة يمكن استعمالها فى الخير أو فى الشر ، ويرى أنه بهذه المعرفة يرفع من شأن الفضيلة ، لأنها تجعله أقدر على حماية نفسه من رذائل الآخرين •

والنقد الثالث للفلسفة اللبرالية ، أثاره الفيلسوف الاجتماعى كارل مانهايم Carl Manheim مؤلف كتاب العقائدية والمدينة الفاضلة Ideology and Utopia الذى ولد بهنغاريا ثم تولى استاذية علم الاجتماع بألمانيا ثم غادرها الى بريطانيا حيث أصبح أستاذا فى كلية لندن للعلوم الاقتصادية ، وظل بها الى حين وفاته عام ١٩٤٧ • وقد تأثر مانهايم بما يسمى بعلم اجتماع المعرفة • اذ ذهب الى أن التنظيم الاقتصادى والواقع الاجتماعى انما يحدوان آراء الناس وعلى ذلك فان آراءهم هى نتاج نظمهم الاجتماعية وليست نظمهم الاجتماعية نتاجا لآرائهم • وأكثر ما يصدق هذا الرأى يكون فى تفكير الناس فى العلوم الانسانية كالتاريخ والسياسة حتى لايمكن أن ينتهى فيهما الى أى حقيقة موضوعية •

وعلى ذلك ، فان الحقيقة فى الظواهر الانسانية لا يمكن أن تصل الى موضوعية الحقيقة فى الظواهر الاجتماعية •

ويمكن قبول رأى مانهايم ولكن الى حدما لأن معرفة الانسان سواء كانت فى العلوم الطبيعية أو الانسانية انما تعتمد على الانتقاء وعلى العوامل الذاتية المؤثرة فى المعرفة •

أما الأهواء التى يزيد تأثيرها فى العلوم الانسانية فيمكن عمل حسابها حتى نصل الى معرفة موضوعية فى التاريخ وفى غيره من العلوم الانسانية •

وعلى ذلك تذهب اللبرالية الى خلاف ما يذهب اليه مانهايم من وجود حقيقة موضوعية فى العلوم الانسانية يمكن التركيز عليها لا على آراء الأفراد الذين يلاحظونها •

وأخيرا يعرض فرنكل فى هذا الكتاب أهم ما عرف من نقد للنظرية اللبرالية المعاصرة فى التاريخ وهى نظرية توينبى Toynbee فى التحول التاريخى Trans-figuration of History وتعد دراسة توينبى للتاريخ بالنسبة للعصر الحالى بمثابة ما كان لمركس فى القرن التاسع عشر وڤولتير فى القرن الثامن عشر ، ويكاد اتجاهه الخلقى والدينى يذكرنا بمدينة الله للقديس أغسطين •

وقد نظر توينبى الى الحضارات المختلفة التى توالت خلال التاريخ البشرى وحددها باحدى وعشرين حضارة • ثمان منها لاتزال قائمة ، ومن أهمها حضارة المجتمع الغربى •

ويذهب توينبى الى أن أهم ما يدفع الانسان الى بناء الحضارة ، وانتقاله من الحالة البدائية الى المستوى الراقى هو محاولة التحدى لمغالبة صعوبات حتى لو كلفته حياته ثمنا لذلك •

وعلى العموم فان الرأى القائل بأن الحضارة نتاج أحوال ملائمة فى تربة خصبة ومناخ معقول رأى خاطىء • ويزداد اهتمام توينبى بتفسير أسباب تدهور الحضارة وذبولها ويضع قانونا لهذا التدهور ويحاول أن يطبعه على حضارة الغرب فيضع يده على العلل التى تسربت الى كيانه الروحى والخلقى ويحاول وصف الدواء الذى يمكن به انقاذه من المصير المؤلم • ويركز توينبى اهتمامه على الدور التاريخى الذى يمكن أن تضطلع به فئة من الموهوبين الذين يستطيعون برؤاهم (الأثيرية) الخلاقة أن يقدموا الحلول للمشاكل التى تجابه عامة الناس •

ويرى كذلك أن أمل الانسانية هو فيما يمكن التمسك به من المثل الروحية التى جاءت بها الأديان جميعا وعادة تنظيم النظم السياسية

والاجتماعية بما يتفق والقيم الخلقية وبهذا وحده يمكن انقاذ الحضارة الغربية .

ويأخذ المؤلف على توينبى القيمة الزائدة التى وضعها فى نظرية تحدى الانسان ومقاومته للصعاب التى افترض أنها سبب نشأة الحضارة .

كذلك رأيه فى امكانية تطبيق قانون واحد على نمو الحضارات المختلفة وذبولها ومحاولته تفسير طريق الخلاص للحضارة الغربية بالرؤى الروحية والالهام . ورغم نقد المؤلف لتوينبى فى النقطة الأخيرة الا أنه يبدو أن فى دعوة توينبى للغرب الالتزام بالمثل الأخلاقية فيه كثير من الصدق والأمانة من عالم له مواقف مشرفة من بحثه للتاريخ .

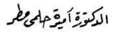
فقد بين توينبى فى دراسته لتاريخ العالم ما كان للعرب من حضارة زاهرة بفضل تمسكهم بالقيم الروحية الخالدة كما أنه القائل: ان اليهود قد فعلوا بالعرب ما قد فعلته النازية باليهود فى المانيا ، فضرب مثلا للروح العلمية الصادقة الخالصة من كل غرض أو هوى .

وأخيرا ليس لنا نقد على ماذهب اليه المؤلف من ضرورة التمسك بالعقل ، ومن الايمان بحرية الانسان فى اختيار مثله وتحديد مصيره . كما اننا لانرى فى تقدم العقل البشرى فى العلم والتكنولوجيا أى خطر على مستقبلنا ، بل هو طريق شعبنا الى التحرر والى ملاقاة كل أنواع الصراع التى تعترض طريقنا نحو حياة أفضل .
ولنا كلمة عن فكرة الحرية التى عرضت فى هذا الكتاب فحريتنا فى مجتمعنا العربى الحديث ليست حرية الاستغلال والاحتكار فى الغرب الرأسمالى ، وانما حريتنا مرتبطة بوعينا لقوانين التطور الاجتماعى، ومن ثم امكانية التصرف فى حدود هذه القوانين .

من جهة أخرى فاننا لاننكر فى فلسفتنا التاريخية على الأفراد امكانية التأثير فى توجيه التطورات الاجتماعية والسياسية بما لهم من قدرات ومواهب ، ولكننا نضيف أيضا أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى توجيه سير التاريخ .

ويمكن فى النهاية أن نقول ان كتاب أزمة الانسان الحديث لتشارلز فرانكل ، كتاب جدير بالقراءة لما فيه من عرض لأحدث نظريات فلسفة التاريخ التى تسود العالم الغربى فى عصرنا الحالى .

كذلك يشكر للمترجم ما بذل من جهد فى سبيل ايضاح الأفكار والقضايا بأسلوب عربى جيد ولغة رصينة .



مسرح برناردشو

تأليف: الدكتور علي الراعي

مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
٤٢٢ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ٣٥ قرشا

أعود سعيدا للكتابة عن شو ، هـذا الرجل الشامخ ، بمناسبة كتاب الصديق الدكتور علي الراعي عنه : «مسرح برناردشو» ·· وهو أحسن كتاب ظهر باللغة العربية عن أحسن كاتب شغل العالم الحديث كله بآرائه وأفكاره وروحه الثورية العارمة ثلاثة أرباع قرن من الزمان .. ولن ينفك يشغله عصورا متتاليه .. بل أغلب الظن أن العالم لن ينسى شو ، ولن ينقطع عن الانشغال به وبآرائه ·· لأن شو كان يهدم العالم الذي نعيش فيه ويسخر منه ويتهكم عليه ، ثم يحاول بعد ذلك أن يبنى عالم المثل .. عالم السوبرمان ·· وبناء عالم المثل والسوبرمان ليس عملا سهلا يمكن القيام به في جيل أو جيلين أو عشرة أجيال ، بل هو عمل يمكن أن يستغرق تاريخ الانسانية كله... ولعل الذين يتصورون أنه عمل يسير يمكن اتمامه عن طريق النظم والقوانين والاتفاقيات الدولية والتبشير الواسع لهـذه النظم وتلك القوانين والاتفاقيات بين الشعوب أينما كانت ·· لعل هؤلاء لا ينظرون الى المشكلة الا من خارجها حينما ينسون أن بناء عالم المثل والسوبرمان لا يمكن أن يقوم ويستقر الا اذا قام واستقر أولا في أعماق نفوس البشر وأشرق بنوره في أغوار قلوبهم ، بعد مغالبة غرائزهم وترويضها على الخير والمحبة والعدالة وتذوق الجمال ... ولعل انشغال شو بهذا كله قد استغرق حياته الفنية والأدبية كلها، وجعله يتلمس الوسائل المختلفة للقيام به ، و « الدعايه » له ... بالكتابة ، كتابة المقالات وفصول النقد ، والخطابة ·· الخطابة في كل مكان..حتى على عربات اليد وفي ميدان پيكادللي .. ثم بتأليف الروايات والقصص .. ثم بالانصراف عن القصص ، تلك الوسيلة البطيئة ، الى كتابة المسرحيات ، وانشاء المسرح الجـديد ، مسرح الدعايةوالأفكار الملىء بالفكاهة الجديدةوالسخريات اللاذعة .. المسرح الثائر على المسرح التقليدى .. مسرح شو .. الذي يحدثنا عنه الدكتور الراعي حديثه الأكاديمي الخصب العميق ، الحـديث الذي يجب أن نتسلح له ، لكي نفهمه وننتفع بما فيه · بقراءة شو كله .. مقالاته وكتبه وقصصه ومسرحياته ومقدمات تلك المسرحيات ومؤخراتها، وملحقاتها المسرحية أيضا .. وبما ثار حول هـذا كله في الصحافة العالمية من ألوان الجدل واللجاج والمناقشات الحامية ، وما ألف عنه من كتب طويلة ضافية ، وما علق به شو نفسه عن تلك الكتب ... فان لم نتسلح بهذا كله ضاع علينا جانب كبير مما في هذا الكتاب الثمين من مناقشات وتحليلات واستنتاجات يعرضها المؤلف الفاضل وهو يفترض أننا عليمون بشو كله .. بما كتبه وبما فكر فيه وبما يدعو اليه ·· وبما كتبه الكاتبون والنقاد .. خصوما ومعجبين .. من فصول ومقالات وكتب.. والمؤلف معذور في ذلك .. فمادة الكتاب وضعت أصلا بالانجليزية لتكون رسالة لنيل درجـة الدكتوراه .. ومن ثمة كانت مادة معدة للمناقشة

إن مجلة الكتاب العربي إذ تنشر للأستاذ المرحوم درينى خشبة مقالة عن مسرح برنارد شو ـ ليؤسفها أن تنعى لقرائها وفاة هذا الأستاذ الذى وقف حياته وقلمه لخدمة المسرح وثقافاته فى حدب ومثابرة نادرين ولسوف نجد فى كتبه ومقالاته عوضاً عما افتقدناه فيه من روح نابضة وثابة أسكنه الله فسيح جناته

أمام لجنة من الأساتذة الجامعيين الملمين بدقائق الموضوع .. بل الذين عرفوا شو ودرسوه وتولوا دراسته لطلابهم .. بل الذين درسوه وكتبوا عنه للعالم كله .. بل الذين قرأوا الرساله مقـــدما ونقدوا ما فيها وناقشوا كاتبها..العربى المصرى.. أمام جمهرة غالبيتها من المتأدبين الانجليز العارفين بشو... ثم تكون نتيجة ذلك كله الاعجاب بالكاتب المصرى والثناء عليه ومنحه درجة الدكتوراه .

ونحن نقول هذا لا لمجرد الثناء على المؤلف .. الذى يستحق الثناء الغزير .. ولكن لنفسر هذا العمق الذى تتسم به الرسالة ، والذى يصـــل أحيانا، بل أحيانا كثيرة..الى حد الالغاز،ولاسيما على القارىء العربى الذى لم يتسلح لقراءة مسرح شو بقراءةشوكله..مقالاته وكتبه ورواياته ومسرحياته ومقدمات تلك المسرحيات ومؤخراتها وما علق به شو عليها وما رد به على النقاد وما ألفه المؤلفون عنه وما أرجف به المرجفون حوله وما دبجته أقلام المعجبين به عنه ... بل قراءة حياة شو ودراسة العصر الذى عاش فيـــه والالمام بمعالم العصر الفكتورى وما كان من الثورة الصناعية والمجتمع الصناعى .. ثم ظهور الحركات الاشـــتراكية المناهضة للرأسمالية واعتناق شو للمبـــادىء الاشتراكية وانخراطه فى صفوف الفابيين أولا ثم غلوه مع الغلاة فيما بعد ومعرفة من تتلمذ عليهم من كتاب العالم ودعاته وفلاسفته وفنانيه ... والمامه بتاريخ المسرح والمسرحية فى جميع العصور وتخيره لطرق التفكير التى توائم منهاجه فى بث فلسفته، ثم وقوفه على ألوان الصنعة المسرحية ، أو التكنيك المسرحى ـ المختلفة وتخيره منها ما يصلح لبث آرائه ولخلق المسرح الذهنى الجديد ...

القارىءالعربى مطالب بأن يلم بهذا كله قبل أن يقرأ (مسرح برناردشو) فى صـــورته التى أخرجها لنا المؤلف ... ولعل من التعسف مطالبته هو بشيء من هذا العبء تخفيفا عن القارىء العربى، أو رحمه بجمهور القراء من العرب ورفقـــا بهم أن ينهضوا بهذا العبء كله .. وهو عبء ثقيـــل فادح يكلفهم مالا طاقة لهم به ..لأن قراءة أثر واحد من آثار شو الأدبية .. أو المسرحية .. عبء ثقيل وحده .. ويشهد على هذا تلك الدراسات الجميلة الخصبة التى تناول بها على الراعى عددا من تلك الآثار ، وما عرضه علينا فى ثناياها من اختـــلاف آراء النقاد فى أمر شو .. بل اختلاف شو نفسه فى أمر نفسه .. وفى أمر هؤلاء النقاد .. وفى أمر مسرحياته ، أو بعض مسرحياته .. ولاسيما تلك المسرحيات التى كان يكتب لها مقدمات ضافية ، أو مؤخرات ضافيه .. أو يجعل لهـــا « ملاحق » مسرحية .. فتبدو بعض تلك المقدمات والمؤخرات والملاحق مما يحمل بعض التنـــاقض وماورد فى المسرحيات الأصلية ، أو مالا يتصل بصلة بما جاء فيها .

على أن الكتاب لو لم يكتب من أجل المهمة التى كتب من أجلها لكان حريا أن يشتمل على مقدمة واسعة يحيط فيها المؤلف بما لابد للقارىء العربى أن يحاط به من أنباء شو ومن تفصيلات حيـــاته

الأولى .. وهى تلك التفصيلات الطريفــة التى رشحت صاحبها لاحتلال هذه المكانة الرفيعــة السامقة التى احتلها...التفصيلات التى ربما كانت منبعا لمعظم ما اسفرت عنه حياة شو المستقبلة من نتائج وثمرات . وقد كانت هذه المقدمة كفيــلة بأن تريح القارىء من تجشم الرجوع الى الاصول الأدبية ، كتبا كانت هذه الأصول أو بحوثــا أو مسرحيات ، والتى لا يمكن أن تفهم معظم مادة الكتاب الا اذا كان القارىء على المام ، أو حتى شبه المام ، بهـا .. وكنـا بهذا نضمن ألا ينصرف كثير من القراء عن مواصلة قراءته لأنهم يجدون أنفسهم أمام ما يشبه المجهولات ، لقلة احاطتهم ســلفا بالأصول التى يتحدث عنها هذا الكتاب الرائع .

***

والكتاب بحالته تلك يتألف من مقدمة خاطفة لاتزيد على صفحة وربع الصفحة ... وكنا نتمنى لو كانت مائة صفحة أو مائتى صفحة .. ثم من قسمين ، يتحدث المؤلف فى القسم الأول منهما عن مصادر شو التكنيكية .. وبالأحرى ، مصادر صنعته المسرحية ... كما يتحدث فى القسم الثانى عن مصادره الفكرية .. وتأتى بعد ذلك خاتمة قصيرة أيضا .. كنا نتمنى لو استطالت استطالة تجعلها أشبه بالتطبيق العام ، وتلخيص ما قدمه المؤلف حتى يحيى فى ذاكرة القارىء ما أوشك أن ينساه بطول مدة القراءة .. ويلى ذلك ثبت طويل حافل بالمصادر .

والقسم الأول يتكون من خمسه فصــول ، يتناول الفصل الأول منها « شو الروائى وكاتب النشرات » وينتهى فيه المؤلف الى أن شو حينما انتقل من كتابة الروايات الى كتابة المسرحيات لم تتغير موضوعاته ولا نظراته ، وانما تغير اللون الأدبى الذى اتخذه سبيلا للتعبيــر عن هــذه الموضوعات والنظرات ... وهذا الحكم السريع برغم ما ينطوى عليه من حق يكاد يشتم منـــه ما يقضى على شو بالجمود .. وبأنه لم يكن كاتبا متطورا .. وأنه ظل على آراء واحـــدة وكاتب موضوعات واحدة من ستين أو سـبعين عاما .. فكيف ؟ والمعروف من حياة شو وكتبه أنه بدأ فنانا ثم انتقل من عالم الفن الى عالم الفكر فغرق فيه الى أم رأسه ، وأنه كان اشتراكيا فابيا مسالما فى أول الأمر ثم غلا فى اشتراكيته غلوا شديدا حتى كاد أن يبذ الشيوعيين .. وبالرغم من هذا كله فقد كان علماء الاشتراكية يضحكون من آراء شو فى الاشتراكية ، ويسخرون منها ، كما كان هو يبادلهم سخرية بسخرية ... فكيف أسرع المؤلف فقرر هذا الجمود وهو يورد مايبغيه فى صفحة ١٨ ؟

ويتناول المؤلف بالتحليل روايات شـــو الخمس .. التى لم تظفر احداها بأى قدر من النجـــاح .. فيبدع كل الابداع ، ويظهرنا على الجراثيم الدرامية التى تشتمل عليها تلك الروايات.. ثم يوازن بين كثير من المواقف والشخصيات فى هذه الروايات وبين مثيلاتها فى المسرحيات التى كتبها شو بعد ذلك، فيشبع ويمتع..لكنه، فى تيار الحديث الجارف، يفاجئنا ببعض التعبيرات السريعة التى لم نفهم ماذا يقصــــد منها ... ومن ذلك قوله فى أول صفحة من هذا الفصل : « ان الصنعة التى انتهى اليها برنارد شو بعد رواياته الخمس كانت هى نفسها نتيجة تفاعل مثلث قام بين موضـــوعات رواياته ... » ثم نبحث عما هو هذا التفــــاعل المثلث فلا نجد له تفسيرا .

ومع اعترافنا باختلاف وجهـــات النظر فى تقرير مسميات للمصطلحات المسرحية، أو الدرامية بمعنى أصح – باللغة العربية .. فاننا كنا نطيل التوقف عند بعض هذه المصطلحات التى وضعها السيد المؤلف وبنى عليها استنتاجات كثيرة .. ومن ذلك مثلا هذه « النهاية الباردة غير المتوقعة» أو ال Studied Onti-Climax ، والذى يجمع عليه علماء المسرح أن ال anti Climax ليست نهاية ولكنها عند سوبل Sobel « مشـــهد أو حادث بادى الغثاثة أو أقل أهمية من الذروة السابقة » ، وعند بومان وبول Bawman & Pall شىء يقرب من هذا ، أو « نقطة فى قطعة مسرحية تأتى بعد الذروة قد تؤكد معنى هذه الذروة بقدر من التوتر أقل مما اشتملت عليـــه الذروة ، أو لمجرد التقليل من أثر الذروة الى حد السخف والغثـــاثة أحيـــانا » ... ولا يخـــرج معنى ال Qmti - Climax عن هــذا فى معظم المصادر

المهمة التي أوردها السيد المؤلف في نهـــاية الكتاب ... وعلى هذا يقع التجوز فيما ذهب اليه من أمر هذا المصطلح .. ثم التجوز في التطبيق أيضا .

ومن ذلك أيضا قوله : « المسرحيه الروائية ذات المنشور » في مقابل : The pamphlet-navel dyoma ... فالمنشور هنا كلمـــةمضلله وان تكن مما تعنيه كلمة Pomphletالتي تعني هنـا الدعاية ، أو الدعاوة ٠٠ وكان الأفضل أن يقال : « مسرحية الدعاية الروائية » ٠٠ وكان هذا يفيد المعنى العام المقصـود ويفيد التطبيق ويجلوه ٠

ومن هذا أيضا ترجمة لفظة Ftlis بـ«أضداد» في التعليق على مسرحية « الاشـــتراكي غير الاجتماعي » وقول السيد المؤلف «ان الشخصيات الأخرى في هذه المسرحيه تصبح ازاء شـــخصية تريفيوس مجرد أضداد Foils تتحدد بالمقارنة بها هذه الشخصية » .. قول فيه بعض التجوز على المعنى المسرحي المقصود من لفظة Folis التي تعني «الندية» في الشخصية أو الشخصيات التي تقابل شخصية البطل .. وعلى ضوء هذه الندية- وليس الضدية - تتحدد شـــخصية تريفيوس في المسرحية المذكورة ٠

ومن ذلك - وان يكن هذا في الفصل الثاني من القسم الاول - تعريف السيد المؤلف للفظة بيرليسك burlesque من أنه : «نوع من التاليف الشعري أو الروائي أو المسرحي يهدف الى السخرية من الأفراد والعادات والأنظمة عن طريق محاكاتها جميعا بطريقة تبرز فيها المقارنة الشديدة بين سخافة الموضوع وتفاهته من جهة ، وبين الطريقة التمجيدية التي يتناول بها الموضوع من جهـــة أخرى ، أو بين جدية الموضوع وســـموه وبين الطريقة النزقة التي يتناول بها » ٠٠ والمعنى الذي تضمنه هذا التعريف فيه كثير مما تعنيه اللفظه ، الا أن التاريخ المسرحي لهذه الكلمة ، كما أورده قاموس اللغـــة المسرحيـــة (بومان وبول) وغيره من المصادر يقطع بأن الكلمـــة في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت تعني : «تمثيلية تحاكي محاكاة هزلية احدى المسرحيات (أو أي لون آخر من ألوان التاليف) وذلك بالتمثيـــل الهزلي ، ثم اخذت معنى جديدا في القرن التاسع عشر ، أو القرن الـــــذي لمع في أواخره نجم برناردشو المسرحي ، فأصبحت تعني هجائيـــة تمثيلية أخف مادة وأقل في صبغتها الأدبية ، وأكثر تناقضا ومنافاة للمعقول ... ثم أصبحت تعني في القرن العشرين أي حفلة أو عرض ترفيهي هازل يصور بطريق المقابلة والتباين الشـــديد الصارخ مضامين الأشياء الجدية ومحتوياتهـــا وشخصياتها ومقابلتها بأضادها والاستعانة على ذلك بالغناء والرقص والسخرية في كثير من الأحيان بالشخصيات العامة البارزة والأحداث الجارية ..

وفي هذا تقترب البيرليسك من البيرليتا burlatta ومن الاكسترا ڤاجانزا extrravajanza .. كما تعني أيضا ، في القرنين التاســـع عشر والعشرين عرضا هزليا هابطا تظهر فيه الفتيات متجردات أو شـــبه متجردات بحيث يتبـــادلن مع الممثلين الفكاهات البذيئة ويتغنـــين الأغاني الرخيصة ويقمن بالرقص المفضوح المثير والأعمال المخجلة .. ومن معانيها أيضا الكاريكاتير الفاضح الذي يقلب مافي بعض الشخصيات الفاضـــلة من محامد رذائل مضحكة ... الخ ...

وهذه التعريفات كلها ظهرت في كثـير من مسرحيات شو .. سيد كتاب المسرح الساخرين الذين لم يقتصر تشهيرهم على الأفراد فقط بل على الأمة الانجليزية كلها حكومة وشعبا ٠

ولايفوتنا أن نشير الى ابداع السيد المؤلف فيما علل به مقدمات ومؤخرات وتوجيهات شو المسرحية في هذا الفصل الأول مما يجب أن يعيه القراء والمخرجون والدارســـون ليفهموا الكاتب العظيم على حقيقته ٠

والفصل الثاني يتناول اســـتخدام شـــو للبيرليسك والفارس والميلودراما ويبين أسباب استخدامه لكل منها والمزج بينها أحيانا أو بين اثنين منها .. وكيف كان يستعين بالبيرليسك على السخرية بالمسرحية ذات الشعر المرسل في عصر اليزابث والسخرية أيضا بالميلودراما الحديثـة وتسخيفها .. ويضرب المؤلف على ذلك أمثالا فذة من مسرحيات شو ... وان كان لنا اعتراض على هذه الأمثال فهو أن ترجمتها الى العربيه .. وان كانت باللغة الدارجه .. تفقدها قدرة القارىء على تطبيق أصول صنعة شـــو التي لا يمكن ان

تتجلى الا فى لغتها الأصلية لما لها من علاقة بأصول الشعر الاليزابيثى المرسل وأوزانه وموسيقاه مما يضيع كله فى الترجمة (انظر ص ٩٣) .

وفى هذا الفصل أيضا بيان جميل لثورة شو على المسرحية ذات الحبكة الجيدة .. وكيف أن ثورته هذه كانت سببا فى كثير من الأحيان فى ضعف بناء عقد مسرحياته .

وكم كنت أود لابننا الأستاذ مخرج ملهاة كانديدا أن يقرأ ما كتبه المؤلف عن هذه الملهاة ليستعين بما كتبه فى اخراجها ، وليتلافى بعض ماند عن فهمه فيها حين غاب عنه استغلال عنصرى الفارسى والرومانتية استغلالا كان خليقا أن يثير عواصف من الضحك يعتمد عليها نجاح المسرحية.

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث عن أثر ابسن التكنيكى فى شو .. ويبين كيف ان شو ، فى انجلترا ، ورث نفس الموقف الذى وجد ابسن نفسه فيه فى النورويج .. كما أنه استجاب لموقفه هذا بمثل ما استجاب ابسن له ... ويعرض علينا آراء شو فى أستاذه ابسن ، وما بينه فى بحثه عنه « جوهر الابسنيه » من اقترابه منه أو بعده عنه ... ثم يقارن المؤلف بين كثير من مسرحيات ابسن و ومسرحيات شو ، ولاسيما بين « بيت الدميه » و « كانديدا » ليظهرنا على فرق بينهما وصلة الأستاذ بالتلميذ وفلسفة كل منهما ازاء الثورة الاجتماعية التى كان ينشدها.. مما لاسبيل الى تلخيصه هنا ، ومالابد من الرجوع الى تفصيله والاستمتاع به .

وفى الفصل الرابع يطالعنا المؤلف بثروة مسرحية لم يسبقه اليها أحد فيما كتب عن شو باللغة العربية .. أنه يتحدث عن تأثر شو بالكاتب الانجليزى المسرحى و.س. جيلبرت من كتاب العصر الفكتورى المرموقين .. الكاتب « ذو الاسلوب الرشيق والفكاهه العذبه والفكرة الأنيقة وصاحب الأوبرات الخفيفه التى كان يضع موسيقاها صديقه الموسيقار ساليفان ، والتى لاتزال تمثل حتى اليوم » ولقد كان المعروف أن شو ورث هذا كله عن مواطنه آوسكار ويلد ، فاذا جيلبرت هو النبع الأول الذى استقى منه شو وظل متأثرا به ... ونعود الى ما ذكرناه عن البرليسك والبيرليتا والاكسترا ڤاجانزا فنرى السيد المؤلف يستدرك هذا كله فى حديثه عما ورثه شو من صنعة جيلبرت ... « والحقيقة أن دين شو لجيلبرت دين عظيم..لقد كتب شو بعضا من مسرحياته بطريقة تسلكها فى عداد الاوبرا كوميك على الأسلوب الجيلبرتى .. وهو الى هذا قد تبنى عنصرين هامين من عناصر الاسلوب الدرامى الخاص بجيلبرت ، الا وهما عنصرا « الحكاية الخرافية » والاكسترا ڤاجانزا .. والعنصر الأول نجده ممثلا فى مسرحيتى «الانسان والسلاح» و « بيجماليون » والثانى فى « عربة التفاح » التى يسميها شو : « اكسترا ڤاجانزا سياسية » .

ألا ما أعظم هذا الفصل فى كتاب على الراعى!

ثم ينتقل فى الفصل الخامس والأخير من القسم التكنيكى الى الحديث عن شو وكوميديا النقد الاجتماعى ، ولنرى الى أى حد تأثر شو فى هذا الميدان بغيره من الكتاب الاجتماعيين بالرغم مما اختص هو به من ميزات وسمات تكاد تجعله فارس هذه الحلبة ... ولنرى كيف كان شو يتأثر بأرستوفانز ويأخذ بمقاييس الوحدة الفنية فى ملاهيه أكثر مما يأخذ بمقاييس الوحدة عند سوفوكلس ... عاقدا هنا مقارنات جيدة بين فن جيلبرت وفن أرستوفانز ، وبينهما وبين شو.. وميله الى كثرة النقاش بل اللجاج فى ملاهيه بما يميزه عن جميع من تأثر بهم وأخذ عنهم . غير ناس أن يشير الى أئمة كتاب الملهاة الاجتماعيه ، كموليير مثلا ، ملخصا لنا كتاب أو جستان هامون الناقد الفرنسى فى دراسته المقارنة بين أعمال شو وأعمال موليير .. ثم ما كتبه أندريه مورو عن أعمال شو .. وما كتبه غير هؤلاء جميعا عن الكاتب الساخر الاجتماعى العملاق .. فيجيد اجادة تامة .

***

أما القسم الثانى من الكتاب ، وهو القسم الخاص بأفكار شو ، فهو بالرغم من قصره ، وبالرغم من أننا نتمنى أن يكون أضعاف الحجم الذى ظهر فيه ، فهو قسم حافل يتحدث فى الفصل الأول منه ـ أى الفصل السادس من الكتاب

كله - عن مدى تأثر شو فى أفكاره بعامة بكاتبين من روسيا هما تولستوى وتشيخوف .. ويقول بما قاله بعض دارسى شو ، ان الكاتب الأيرلندى قد أخذ، باعترافه فى كتاب بعث به الى تولستوى، فكرته عن الدين وسخريته به أحيانا ، ثم ايمانه بتلك القوى الخافية المبهمة المستورة التى تكمن وراء أرواحنا .. عن تولستوى ، وذلك عندما قرأ مسرحيته سلطان الظلام .. التى تأثر ببطلها نكيتا فأعاد تصويره وهو يكتب مسرحيته «بلانكو بوسنيت» .. ومسرحيته «تلميذ الشيطان».

ونحن لا نعارض فى هذا بعد أن اعترف به شو نفسه .. على أننا لا يمكن أن نغض الطرف عن تأثر شو بأستاذه ابسن فى كل من صنعته وأفكاره..وبخاصة فى موقفه من الدين والمعتقدات العامة .. ولانحسب أن أحدا أصبح يجهل تأثر ابسن نفسه بموقف زعيم الوجودية كير كجارد من الدين وظهور هذا التأثر فى أكثر من مسرحية لابسن ... الذى آلى على نفسه أن يعيد التفكير فى كل ما غرسه أبواه فى نفسه من أمور الدين، فاذا اطمأن الى شىء منه أخذ به ، والا ... وهذا هو ما نقرؤه على لسان براندونورا وغيرهما من أبطال ابسن .. وهو نفسه مافعله شو ، وأنطق به ألسنة كثير من أبطاله ...

والكاتب الروسى الآخر الذى تأثر به شو هو تشيخوف العظيم الذى اختمرت فى رأسه ، بقدر ما اختمرت فى أدبه بذور الثورة على هذا المجتمع الفاسد المتعفن الذى كان يحيا فى روسيا كما كان يحيا المجتمع الفكتورى - البورجوازى - فى بريطانيا ... ومناط تأثر شو بتشيخوف هو الخلط فى واقعيته القريبة من المذهب الطبيعى بكثير من عناصر المذهب الرمزى .. ناهجا فى ذلك ، هو وتشيخوف ، نهج ابسن فى مرحلته الوسطى ، « مرتفعا فوق المذهب الواقعى الصرف بادخال مايسميه آلا رديس نيكول « الفانتازيا الخيالية » تارة و « العناصر فوق الواقعية تارة أخرى » .. بحيث يجعل شو شخصياته تقول « ليس فقط مالا تستطيع اكراه نفسها على قوله فى الحياة الواقعة - حتى بفرض أنها تفهم نفسها فهما كافيا .. بل تقول الحقيقة العارية ، مقدمة بطريقة علمية .. جامعا بهذا بين أقسى درجات الافتعال وأعمق درجات الطبيعية » ... وهذه الى حدما هى طريقة جيلبرت .. وهى احدى وسائل تعميق المسرحية الواقعيه ... وفى رأى ت٠س٠ اليوت أن الشاعر فى شو قد ولد ميتا ... وهذا حق .. كما يقول المؤلف الذى يعتقد أن شو أشد قربا من تشيخوف من روح الكوميديا .. وهو يعقد مقارنة بديعة بين مسرحيتى « بستان الكراز » لتشيخوف و « منزل القلوب المحطمة » لشو ؛ ليظهرنا على مدى تأثر شو بالكاتب الروسى .. ذلك التأثر الذى يجاوز السطح .

وفى الفصل السابع يعود المؤلف الى ابسن ليحدثنا عن أثره التكنيكى فى شو .. وعدم انخداع شو نفسه بتفضيل بعض النقاد اياه على ابسن وجهره بأن ابسن أديب ومفكر ضخم لايدانيه فى أدبه وتفكره حتى شيكسبير الذى يبدو قزما اذا ما قورن بأبسن ...

والفصل ممتع حقا .. وان لم نجار شو فيما ذهب اليه فيه من موقفه من شيكسبير الذى لن يستطيع احد هدمه .. ولا نسيان عشرين على الأقل من مسرحياته الكبيرة الخالدة .. فى الوقت الذى أخذ الكثير من مسرحيات ابسن يستهلك باستهلاك القضايا والمشكلات التى تناولتها .

أما الفصل الأخير فيتحدث عن أثر أفكار شو على فنه .. وينقل المؤلف عن اريك بنتلى - الناقد الأمريكى قوله : « ان شو فنان فى المحل الأول .. ومسرحياته لا يمكن أن تنفصل عن أفكاره ، ذلك أن شو ، ومثله فى هذا مثل كل فنان أديب ، انما هو من ذلك الطراز من الفنانين الذى يسميه فلوبير .. « مثلث الفكر » ، أى الفنان الذى يفكر بخياله على عدة مستويات فى وقت واحد ٠ وبالرغم من أنه يتخذ مادة له موضوعات مجردة مثل الاقتصاد ، فان علاجه لهذه الموضوعات ليس مجردا بدوره .. انه علاج فنى .. ان شو لايبشرنا فحسب بفضائل العاطفة، بوصفه فيلسوف « اللامعقولية » . بل انه كذلك يجسد العاطفة أمامنا كما يفعل الفنان ٠ وبين أعمق ما يجسده لنا شو من أحاسيس شعور

واضح بفشل تلك « الافكار » التى تعتبر عادة جماع شو نفسه » .

والظاهر أن خطأ مطبعيا قد وقع فى الاشارة الى المصدر الذى نقل عنه المؤلف هذا الكلام عن بنتلى ، فقد أورد أن المصدر مذكور بالصفحتين (٢٠ و ٢١) فاذا المصدر المذكور ثمة مقدمة شو لمسرحياته الثلاث للطهريين .. وقد رجعت الى كتاب بنتلى المنشور أول مانشر سنه ١٩٤٦(وليس سنة ١٩٤٧) واسمه « الكاتب المسرحى بوصفه مفكرا The Playwrijht as Thinker فلم أجد تلك الفقرة فى الفصول الثمينة التى استعان بها السيد المؤلف من غير شك ... وقد وقفت أيضا عند عبارة فلوبير التى يصف فيها الفنان بأنه شخص « مثلث الفكر » وأردت أن أفهم ماذا يعنى بمثلث الفكر هذه فلم أجد التعريف — الذى صدمنى فى أول الكتاب .. يلقى ضوءا على ما يقصده فلوبير .. لأن قوله : « أى الفنان الذى يفكر بخياله على عدة مستويات فى وقت واحد » لا يمكن أن يجعل الانسان مثلث التفكير ! ثم مامعنى أن يكون شو فيلسوف « اللامعقولية ! » ولذلك رجحت أن خطأ مطبعيا لابد أن يكون قد وقع

والفصل بعد هذا فصل طيب .. وان كنت أحب لو أن المؤلف ناقش لنا أفكار .. شو نفسها ولم يكتف بمناقشة آثارها فى فن شو .. لأن مسرح شو مسرح أفكار قبل أن يكون مسرح تكنيك .

***

وبعد ، فقد أوشكت الصفحات التى تحددها هذه المجلة لكل مقال على الانتهاء ، ولذلك اختصر مضطرا ، واعتذر عما يلحظه القراء من هذا الاختصار فى عرض جوانب الكتاب ، لأقول اننا كنا نود من على الراعى أن يضاعف لنا من حجم كتابه لتتضاعف متعتنا به ، واننا ، كما وددنا لو أنه كتب لنا مقدمة طويلة مستفيضة يمهد بها لشو ، كنا نود ألا يفوته عقد خاتمة طويلة مستفيضة يعرض لنا فيها تأثير شو فى كتاب عصره والعصور التاليه .. أولئك الذين يسميهم مؤرخو المسرح والمسرحية : تلاميذه وزملاءه فى السفر Disciples & Felor-travellers

وثمة ملاحظات عارضة .. أو .. قشرية .. كنت أفضل أن يبرأ منها هذا الكتاب الثمين الذى لا أقول الا أن العجلة فى نقله الى العربية هو الذى أوقع الصديق المؤلف فيها .. وهى هنات من التعبير الذى تعيبه اللكنة أحيانا .. وبغير قصد طبعا .. وذلك بفعل الترجمة ...

كذلك كنا نفضل أن يثبت المؤلف أسماء مسرحيات شو بلغتها الأصلية وألا يكتفى بترجمتها العربية التى كثيرا ما تكون ترجمة مضللة لاتؤدى معنى الاسم الأصلى ... كما كنا نود لو وضع المؤلف فهرسا مفصلا لرؤوس الموضوعات المهمة التى يوردها فى كل فصل ... ووضع فهرس أبجدى بآخر الكتاب ، شأن كل المؤلفات الاكاديمية ، تيسيرا للباحثين الذين يهمهم الكتاب قبل غيرهم من عامة القراء .

وختاما ...

تهنئات حارة ومن صميم القلب لعلى الراعى.

دريني خشبة



تاريخ الأدب العربي

الجزء الأول

العصر الجاهلي

تأليف : الدكتور شوقي ضيف

دار المعارف، ٤٣٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

هذا جزء من أجزاء سوف تؤرخ للأدب العربي منذ كان أدب عربي الى عصرنا الحديث ، وسوف يبسطه مؤلفه على عصور خمسة :

١ ـ العصر الجاهلي ، وينتظم ماسبق الاسلام .

٢ ـ العصر الاسلامي ، وينتظم الحقبة التي امتدت منذ ظهور الاسلام الى سقوط الدولة الأموية (سنة ١٣٣ هـ) .

٣ ـ العصر الثالث ، وهذا سوف يقسمه المؤلف الى قسمين :

أ ـ القسم الأول ، وينتظم العهد العباسي الأول الذي ينتهي بانتهاء خلافة الواثق سنة ٢٣٢ هـ .

ب ـ القسم الثاني ، وينتظم العهد العباسي الثاني الذي ينتهي باستيلاء البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

٤ ـ العصر الرابع ، وهو عصر الدول والامارات الذي ينتهي بظهور العصر الحديث .

٥ ـ العصر الخامس ، وهو العصر الحديث .

ويلاحظ أن المؤلف لم يربط العصر الرابع بنهاية تكون في الوقت عينه بداية للعصر الحديث.

ولقد أشار المؤلف (ص ١٥) الى أنه سوف يؤرخ للعصرين الرابع والخامس ناظرا للاقاليم، وعلى هذا فسوف يجعل لكل اقليم جزءا خاصا به .

والكتاب الذي بين أيدينا هو الجزء الاول من هذه السلسلة التي وعد المؤلف وصلها ، وهو يؤرخ للعصر الجاهلي ويقع في نحو من ثلاثين وأربعمائة صفحة من الحجم الكبير .

وقدم له المؤلف بمقدمة قصيرة لاتتم الصفحتين أشار فيها الى من سبق بالتأليف في هــذا الباب وخص بالذكر بروكلمان في كتابة تاريخ الأدب العربي . غير أنه أخذ عليه استقصــاءه الواسع للحياة الفكرية الى جانب الحياة الأدبية وتتبع الآثار المطبوعة والمخطوطة في مشــارق الأرض ومغاربها الشيء الذي فوت عليه ـ أعني بروكلمان ـ العناية ببحث الظواهر الأدبية في عصورها المختلفة كما فوت عليه بحث الشخصيات الأدبية بحثا تاريخيا نقديا تحليليا .

وانتهى المؤلف من هذا الى النهج الذي رسمه للتأريخ للأدب العربي وأن هذا النوع من التأليف في حاجة ماسة الى طائفة من الأجزاء المبســوطة تناقش عصوره من الجاهلية الى عصرنا الحاضر ، كما تناقش الأدباء في تلك العصور مناقشــة مسهبة لتكشف بذلك كل عصر انكشــافا تاما بيئة ورجالا .

وعلى هذا المنهج الذي رسمه المؤلف لنفسه مضى المؤلف في كتابه هذا ، فمهد بكلمة عن معنى كلمة أدب ملخصا ماقيل في ايجاز ، كما مهــد

بكلمة عن مدلول تاريخ الأدب • وفيها يعود الى ما أخذه على بروكلمان وجورجي زيدان من بعده من تلك النظرة التوسعية التي طغى فيها التأريخ للحياة الفكرية عامة على التأريخ للحياة الأدبية خاصة ، عارضا بعد ذلك رأى سانت بيف Sainta Beave القائل بالعناية بدراسات الأدباء وتعرف حياتهم المادية والمعنوية •

ثم رأى « تين » الذي يبنى تاريخه للأدب على الجنس والزمان والمكان وأثر هذه العوامل الثلاثة فى أدب الأديب •

وأخيرا رأى برونتيير القائل بأن الفنون الأدبية مثل الكائنات الحية تخضع للتطور •

وانتهى المؤلف بعد هذا العرض الى تأكيد منهجه فى موسوعته الأدبية فيقول :

وسنحاول أن نؤرخ فى أجزاء هذا الكتاب للأدب العربى بمعناه الخاص – يريد الاقتصار على الحياة الأدبية لا الاسترسال فى الحياة الفكرية – مفيدين من هذه المناهج المختلفة فى دراسة الأدب وأعلامه وآثاره فنقف عند الجنس والوسط الزمانى والمكانى الذى نشأ فيه الأديب ولكن دون أن نبطل فكرة الشخصية الأدبية والمواهب الذاتية التى أفسح لها « سانت بيف » فى دراساته ، وكذلك لن نبطل نظرية تطور النوع الأدبى (ص ٦٣) •



ثم عقب على هذا التمهيد بتقسيم تاريخ الأدب على تلك العصور التى قدمناها لك • وفصول الكتاب بعد هذا تشمل :

١ – فصلا أول – عن الجزيرة العربية وتاريخها القديم ، ينتظم : صفة الجزيرة العربية ، الساميين ، العرب الجنوبيين ، العرب الشماليين ، النقوش ، نشأة الكتابة العربية • ويضم هذا الفصل احدى وعشرين صفحة •

٢ – فصلا ثانيا – عن العصر الجاهلى ، وينتظم ، تحديد العصر ، الامارات العربية فى الشمال (الغساسنة – المناذرة – كندة)، مكة وغيرها من مدن الحجاز ، القبائل البدوية ، الحروب والأيام – ويضم هذا الفصل تسعا وعشرين صفحة .

٣ – فصلا ثالثا – عن الحياة الجاهلية ، ينتظم: الأحوال الاجتماعية ، المعيشة والمعارف ، الدين ، اليهودية والنصرانية • ويضم الفصل ثمانى وثلاثين صفحة •

٤ – فصلا رابعا – عن اللغة العربية ، ينتظم : العناصر السامية القديمة ، اللهجات العربية القديمة، نشوء الفصحى ، اللهجات الجاهلية ، سيادة اللهجة القرشية • ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٥ – فصلا خامسا – عن رواية الشعر الجاهلى وتدوينه ، ينتظم : رواية العرب للشعر الجاهلى ، الرواة المحترفين ، التدوين ، قضية الانتحال ، أهم مصادر الشعر الجاهلى. ويضم هذا الفصل خمسا وأربعين صفحة •



٦ – فصلا سادسا – عن خصائص الشعر الجاهلى ، ينتظم نشأة الشعر الجاهلى وتفاوته فى القبائل غنائية الشعر الجاهلى، موضوعاته ، خصائصه المعنوية ، خصائصه اللفظية • ويضم هذا الفصل خمسين صفحة •

وبعد هذا يبدأ المؤلف فى عرض الشعراء فى فصول من الكتاب فيجعل :

٧ – فصلا سابعا – عن امرىء القيس ، ينتظم : قبيلته وأسرته ، حياته ، ديوانه ، شعره • ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٨ – فصلا ثامنا – عن النابغة الذبيانى ، ينتظم: قبيلته ، حياته ، ديوانه ، شعره • ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٩ – فصلا تاسعا – عن زهير بن أبى سلمى ، ينتظم : قبيلته : حياته ، ديوانه ، شعره• ويضم هذا الفصل ثلاثا وثلاثين صفحة •

فصلا عاشرا – عن الأعشى ، ينتظم : قبيلته وحياته ، ديوانه ، شعره • ويضم هـذا الفصل أربعا وثلاثين صفحة •

ثم عقب المؤلف بذكر طوائف من الشعراء خصهم بفصل وهو :

١١– الفصل الحادى عشر ، وينتظم : الفرسان (مهلهل ، عامر بن الطفيـل ، عنترة) ، والصعاليك (تأبط شرا ، الشنفرى ، عروة ابن الورد) ، ثم شعراء آخرين (السموأل، عدى بن زيد ، أمية بن أبى الصـلت) • ويضم هذا الفصل ثلاثا وثلاثين صفحة •

وينتقل المؤلف بعد هذا الى النثر فيخصـه بفصل ، وهو :

١٢– الفصل الثانى عشر ، وينتظم : صور النثر الجاهلى ، الامثال ، الخطابة ، سجع الكهان. ويضم هذا الفصل تسعا وعشرين صفحة •

ثم يختم المؤلف كتابه بخاتمة تنتظم : خلاصة وتعليقا •

اما الخلاصة فهى اجمال واصف لخطوات المؤلف فى كتابه خطوة خطوة ، تكاد تجمع بين يديك نقاط الكتاب ، ورؤوس موضوعاته •

وأما التعليق فهو نوع من الايضاح المتم يعلل فيه المؤلف تركه التفصيل عن شعراء جاهليين ، ويجعل علته فى قلة ماصح لهم من شعر ، وندرة ما أثر لهم ، وأن بعضهم كان صورة من غيره •

والمؤلف يلخص ذلك كله فى كلمته الأخيرة التى ختم بها تعليقه حيث يقول :

« وواضح من ذلك كله أننا لم نتســع فى الترجمة لشعراء الجاهلية لقلة ما بأيدينا من شعر وثيق لهم يقفنا على خصائصــهم ، ومن ثم اكتفينا بالترجمة للطبقة الأولى منهم ، تلك الطبقة التى عنى الرواة بدواوينها وأجمعوا على تقدمهـا وأنها لاتبارى فى حسن الديباجة ورونق الكلام »•

وأهم ما يلفتك بعد الاســتيعاب الكـامل والاستقصاء الدقيق وقفات للمؤلف كثيرة ناقش فيها فى بيان بين وحجة حاجة آراء المستشرقـين وغير المستشرقين حول سيادة لهجة قريش ، ثم حول انتحال الشعر الجاهلى ، ووقفات أخرى له فى الحكم على قدر الشعر الجاهلى كيفا لاكما •

ونحن اذا تتبعنا الدراسات الأدبية فى المحيط العربى نجد أنها تتدرج تحت ألوان مختلفـة لا ينهض كل لون منها بتصوير صورة كاملة وتكاد هذه الألوان مجتمعة تصور صـــورة قريبة من التكامل •

فمنذ كان الأدب رواية عاشت فى ظل تلك الرواية دراستان دراسة جامعة ودراسة ناقدة ، فكنت تسمع للحافظ الذى يجمع فى صـــدره مايجمعه كتاب ، كما كنت تسمع للناقـــد الذى يشافهك مستجيدا ومستقبحا بما يحضره •

وحين انضبطت الرواية بالتدوين ظهرت الى جانب هاتين الدراستين – اعنى الجامعة والناقدة– دراسة ثالثة كانت غير مستكملة فى عصر الرواية ثم كملت فى عصر التدوين ، وأعنى بها الدراسـة المبوبة التى عنيت بتقسيم الأدب أغراضا وجمع ماقيـــل حـــول كل غرض • وظاهر أن نمو الدراسة الناقدة هو الذى أرخى لنمو هـــذه الدراسة المبوبة •

ثم انضم الى هذه الدراسات الثلاث دراسة رابعة حول حياة الشاعر كانت قاصرة أول الأمر على ما يربط بين شعر الشاعر والأحداث التى أثارته ثم اتسعت شيئا فترجمت للشاعر جملة •

وعاشت البيئه الأدبية العربية على هـــذه الألوان من الدراسات التى تمثلها كتب أربعة : كتب جامعة • وأعنى بها الـــدواوين وما يقرب منها ، وكتب ناقدة ، وأعنى الكتب التى ناقشت الشعر وناقشت الشعراء ، وكتب مبوبة ، وأعنى بها كتب الأدب التى عنيت بالاختيـــار وتبويب الادب على أغراض ، ثم كتب التراجم التى عنيت بجمع ما للشاعر خبرا ونظما •

وحين بدأت الدراسة الأدبية تدخل علينـــا معاهدنا الأدبية المعنية بتلك الدراسة كانت صورة من هذا كله، تجمع أشتاتا من هنا وأشتاتا من هناك. وعلى قدر قصور تلك الدراسات كان قصـــور الدارس فنشأ صورة من تلك الكتب الأربع جملة، أو صورة للغالب منها على طبعه وتذوقه •

وخطت تلك الدراســـات الأربع ، أو تلك الكتب الأربعة ، خطوة جـــديدة ، وكانت تلك الخطوة التى كان نهجها الربط بين الأديب وبيئته

زمنه . ومن هنا نشأت الدراسة الخامســـــة ، أو الكتاب الخامس الذى يمهد بتصوير البيئة وتصوير الزمن وما يضم من ثقافات مختلفة ايمانا بأن الاديب لا يكون صـــادق الشـــعر الا اذا تادب بما حوله حتى لاينطق منقوص الفكر منقوص التصوير .

واختلفت كتب المرحلة الخامسة ايغالا فى هذا الاستيعاب وتخففا منه وكانت لها صورتان : تلك الصورة التى سبق بها بروكلمان وجرى فيها على أثره جورجى زيدان ، ثم هذه الصورة ، أعنى المخففة ، التى تجردت من العرض الفكرى العام فى صورته العامة واجتزأت بعرضه فى صورته الخاصة ، أعنى الاجتزاء بالاشارة اليه نتيجـــة لا تفصيلا .

ونحن مع ميلنا الى جانب المؤلف فى التخفف من العرض العام لا نعنى حرمان هــذه المرحلة الخامسة من عرض خاص ، اذ الحياة الأدبيـــة صورة من الحياة العامة بجميع مظاهرها ، ومن لم يستجل الحياة العامة لا يستطيع أن يســـتجلى مظهرا من مظاهرها ولا يكون صادق الحـــكم ان حكم .

غير أننا بعد هذا مازلنا نفتقد مرحلة سادسة أو « كتابا سادسا » يكون صورة لهذه المرحـــلة السادسة .

فانا أومن أن الادب هو لسان المجتمع ، ومن هنا كان شرط من اشــترط الربط بين الاديب وبيئته وزمنه . والبيئة التى تنبت المستنبت حين تجدب ، والعامر حين تقفر ، والمعلم حين تجهل ، والطبيب حين تعتل ، يجب أن تنبت على رأس هؤلاء الاديب الذى ينفث فى روع النـــــاس من روعه بما أحس . والزمن الذى يخلق الثائر حين البغى ، والهادى حين الضلال ، والذائد حين العدوان ، يجب أن يخلق قبل هؤلاء جميعـــا الأديب الذى يحس هذا كله ويصور هذا كله أدبا .

فان أظلت البيئة أديبا لايصور بيئته ، أو ان أظل الزمن أديبا لايصور زمنه كان أدب هـــذا وأدب ذاك لهوا من اللهو .

وهل مؤلف هذا الكتاب قصد الى هذا حين أشار الى الجنس والوسط والزمن ، ثم حين أشار الى ما انتواه من أن يجعل لكل بيئة دراســـة حين توزعت البيئات العربية .

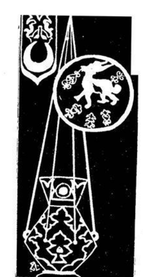
ونحن بعد هذا بوعد المؤلف مطمئنون الى تحقيق هذه المرحلة السادسة التى سوف يعرض فيها الأدب مع البيئة والزمن والتى لاشك سوف تخلق مذاهب أدبية تحل محل تلك الأشكال التى خلناها مذاهب وقسمنا أدبنـــا بينها ، وأعنى بها المدح والهجاء والرثاء والغزل وما اليها .

ابراهيم الابيارى

سطور من كتاب ...

« من الضرورى لفهم تنظيم الفن التصـــويرى الحقيقى ، أن يتم توضيح ذلك فى شكل يعتمد على محورين ويمتد فى ناحيتين . وسوف أسمى أحد هذين المحورين المحور التشبيهى التعبيرى ، وأسمى الثانى المحور التقليدى الفردى » ..

... الفن والحياة



المدخل إلى التصوف الإسلامي

تأليف : محمود أبو الفيض المنوفي

الدار القوميــــة للطبـــــاعة والنشر
١٤٢ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٥ قرشـــا

هذا الكتاب حلقة فى السلسلة التى تصدرها الدار القومية للطباعة والنشر تحت عنوان «مذاهب وشخصيات» ٠ وهو كما يبدو من عنوانه مدخل لدراسة التصوف الاسلامى بمثابة التمهيد الذى يهيىء القارىء لان يتعرف على المبـــادىء الأولية للتصوف الاسلامى ، ويهيىء له سبيل الوقوف بعد ذلك عند الحقائق العليا والدقائق العويصـــة التى ينطوى عليها هذا التصوف ، والتى أودعها أصحابها من أرباب الأذواق والأحوال الروحية صفحات كتبهم ودواوينهم ، وما أحفلها بهــذه الحقائق والدقائق ، وما أشملها لهذه الأذواق والأحوال التى كثيرا ما تدق عن فهم القـــارىء العادى ، فاذا هو عندئذ فى حاجة الى مثل هــذا التمهيد من ناحية ، والى شرح نصوص الصوفية أنفسهم من ناحية أخرى ٠

ويتبين هذا الاتجاه التمهيدى فى كتـــاب (المدخل الى التصوف الاسلامى) اذا لاحظنا أن المؤلف قد وضع أو هو بسبيل أن يضع كتـــابا شاملا يكون لعلم التصـــوف كالأم ولطلابـــه وعلمائه كالمرجع ، أو كدائرة معارف مصـــغرة شاملة لعـــلوم الصوفية ، وأقوالهم وأحوالهم ، ومقاماتهم ومصـــطلحاتهم ، ومايبنون عليه من سلوك ، وما يبتغون من وراء هذا كله من انكشاف الحقيقة واضحة مشرقة ، ولتحفظ قواعد التصوف الاسلامى الحقيقى مصفاة من الشوائب الدخيلة التى علقت به ، بحيث يتبين لمن يلم بهذا المرجع أطراف هذا العلم من علمية وعمليه ، ومن أصول وفروع ، ومن مبادىء وقواعد ، ومن رجال صدرت عنهم أقوال وأفعال ، وتعـــاقبت عليهم أذواق ومواجيد وأحوال ، وأخضعوا أنفسهم لرياضـات ومجاهدات ، وامتلأت قلوبهم بأسرار المشاهدات وأنوار المكاشفات ، وعبروا عن الحقـــائق التى تجلت لسرائرهم وضمائرهم فى الفاظ وعبارات، منها كثير من الرموز والاشارات ، وهاهنا غموض وابهام وخفاء ، فلابد من الشروح والتعليقات ٠ وقد سمى المؤلف كتابه الذى يعرض لهذا كله (معالم الطريق الى الله) فى الجمع بين الشريعة *والطريقة والحقيقة* على ضوء من هدى *الاســــلام* والايمان والاحسان ٠ ومن هنا يمكن أن يفهم لم سمى المؤلف كتابه الذى نعرض له بالتحليـــل والنقد (المدخل الى التصوف الاسلامى) : فهو بالنسبة الى كتابه (معـــالم الطريق الى الله) كالمـدخل الذى يدخل منه القارىء ٠ واذا كان ذلك كذلك فلابد عند المؤلف من أن يستوعب

القارىء كتاب المدخل استيعابا ممحصا حتى يتمكن من ارتياض مفاوز التصوف عموما ، وفهم كتابه (معالم الطريق الى الله) خصوصا .

ويشتمل كتاب (المدخل الى التصوف الاسلامى) على عدة فصول متفرقة فى موضوعات متنوعة من الموضوعات التى يوردها عادة المؤلفون الصوفيون على أنها تمهيدات يقدمونها بين يدى السالكين والمريدين والقراء العاديين وغير العاديين ممن يصيبون فى قراءتها منافع كثيرة أو متعا لطيفة تتفاوت لدى كل منهم بتفاوت وجهات النظر ، أو تتوافق لديهم أو لدى بعضهم على الأقل باتفاقهم عند ملتقى الغرض الذى يريدون أن يحققوه جميعا أو يحققه كل منهم فيما بينه وبين نفسه تارة وفيما بينه وبين أشباهه تارة أخرى ، وفيما بينه وبين ربه أطوارا ، وهو أن يأخذ الانسان نفسه بما يحقق له كمال العلم وكمال العمل فى حياته الروحية ، اهتداء الى المعرفة اليقينية ، وابتغاء للسعادة الحقيقية .

أما هذه الموضوعات المتنوعة فى تلك الفصول المتفرقة التى ألف بينها صاحب (المدخل، ومعالم الطريق الى الله) ، فهى على الترتيب : ماهية التصوف ، والفرق بين الزهد والتصوف ، ونشأة التصوف الاسلامى ورجاله ، وأن هذا التصوف مستمد من السنة ، وأصول التصوف وقواعده ، وأنه علم التقوى وعلم الباطن الذى يتفق مع علم الظاهر من وجه ، ويختلف عنه من وجه آخر ، ومواجيد أهل التصوف ومعارفهم وحقيقة عقيدتهم ، وحقيقة وحدة الوجود عند أهل التصوف الاسلامى الحق ، والفرق بين الفلسفة والتصوف ، والانسان ومقامات السلوك ، والنفس ومراتب السلوك . فكل أولئك موضوعات لفصول الكتاب التى حشد المؤلف فى كل منها كثيرا أو قليلا من المعلومات الطريفة ، والنصوص القيمة ، وأعمل فى هذه النصوص وتلك المعلومات فكره وذوقه على قدر ما وسعه جهده المحمود .

على أن هذا الترتيب الذى التزمه المؤلف فى وضع فصول كتابه على ذلك الوجه قد يوهم بأن موضوع كل فصل من فصوله مختلف عن موضوع غيره من الفصول الأخرى ، ومن هنا كان لكل فصل عنوان خاص من شأنه أن يوحى الى القارىء بأنه سيقرأ فى هذا الفصل مالم يقرأ فى سابقه أو مالن يقرأ فى لاحقه ، والوقع أن الامر ليس كذلك: ذلك بأن المؤلف قد أورد معلومات بعينها فى أكثر من فصل ، وكان ايراده لها ، واستنتاجه منها ، هما هما بعينهما فى كل الفصول التى تحمل عناوين مختلفة ، وتعرض لموضوعات متباينة ، هذا من ناحيته ، ومن ناحية أخرى يؤخذ على المؤلف أنه عدد بعض الفصول ونوع عناوينها ، وجعل من كل فصل منها موضعا الدراسة مسائل تظهرها عناوين الفصول المختلفة وكأنها مسائل مختلفة هى الأخرى ، والواقع أنها مسألة واحدة كان ينبغى أن تتناول بالدرس والتحليل من كل وجوهها وعرضها فى صورة متسقة فى فصل واحد :

فمن هذا القبيل مثلا الفصول الأربعة التى تحمل هذه العناوين : « ما التصوف » ، « عود الى اسم التصوف . . . وهل التسمية مشتقة أو لقب» ، « تعريفات للتصوف الاسلامى » ، « الفرق بين الفلسفة والتصوف » : فكل أولئك فصول تعرض لموضوع جوهرى بعينه هو « ما هية التصوف الاسلامى » ، وهذا الموضوع الجوهرى هو الذى يستوعب بطبيعته كل الموضوعات والتعريفات ، وكل الالفاظ والعبادات ، وكل النصوص والمعلومات ، التى وزعها المؤلف هذا التوزيع المتفرق على هذا الوجه الذى نجده فى هذه الفصول الأربعة ، وما كان احراه أن يجمعها ويؤلف بينها تأليفا متسقا يجعل منها فصلا واحدا فى الابانة عن معنى التصوف الاسلامى حقيقته وموضوعه ومنهجه وغايته ، بحيث يتكشف هذا كله من خلال النصوص ، كما يتفق مع طبيعة الموضوع من ناحية ، ومع منطق الأفكار ودلالات الألفاظ والعبارات على معانيها الحقيقية من ناحية أخرى .

ومثل هذا يمكن أن يقال فى الفصلين اللذين يحمل أحدهما عنوان : « مواجيد أهل التصوف »، ويحمل الآخر عنوان : « الكلام عن معارف الصوفية واظهار حقيقة عقيدتهم » ، فما كان أحراهما بالتوحيد ، أو بأن يكون بينهما رابط ظاهر عند التأليف بينهما ، اذ المواجيد هى قوام التصوف ومجمع بنائه ، ولا سبيل الى عرفان

العارفين بالمعنى الصوفى الخالص الا أن تكون أنوار الحقائق وأسرار الدقائق قد فاضـــت على قلوبهم فى مواجيدهم من لدن ربهم .

وكذلك الفصلان اللذان وضع أحدهما عنوان « الانسان ومقامات السلوك » ، ووضع الآخـر تحت عنوان « النفس ومراتب السلوك » : فلست أدرى لم فرق المؤلف بينهما هكذا ، ولم وضعهما تحت هذين العنوانين المختلفين ، الا أن يكون الانسان الذى يمر بمقامات السلوك شـــيئا ، والنفس التى تختلف عليها مراتب السلوك شيئا آخر ، أو تكون نفسا لشيء آخر غير الانسان من ناحيه ، والا أن تكون مقامات السلوك شيئا ، ومراتب السلوك شيئا آخر من ناحيـة أخرى . أما وأن النفس هى نفس الانسان ، والسلوك هو سلوك الانسان ، أو سلوك النفس بالانسان فى مقامات هذا السلوك التى هى مراتبه المتعاقبة ، فما أحرى المؤلف أن يجمع بين هذين الفصلين فى فصل واحد يتناول فيه النفس الانســـانية فى سلوكها الى الله من خلال هذه المقامات أو المراتب.

وليس من شك فى أن الفصول قد تعددت ، والمعلومات والنصوص قد تكررت ، وكان ينبغى للمؤلف أن يركز وينسق هذه ، ويوحد ويؤلف بين تلك ، الا أنه لم يقيد نفســـه بمنهج علمى وضابط فكرى، بحيث يضع كل فصل فى موضعه، ويضع كل المعلومات والنصوص المؤتلفـــة فى الفصل الذى يجعل منها نسقا واحـــدا مؤتلف الأبعاض متسق الأجزاء ، حتى لايتألف فصل من عناصر كان ينبغى أن تدخل فى تأليف فصــل آخر ، وحتى لاتتعدد فصول لاغناء فى تعددها ، بقدر ما فيها من تكرار ، وما تؤدى اليه من تناقض فى الافكار .

على أن تحـــرر المؤلف من المنهج العـــلمى والضابط الفكرى لم يقف به عند هذا الحد ، بل أوقعه فى شيء آخر يكاد أن يكون شائعا فى كل الكتاب ، وهو أن الالفاظ لم تحـــدد عنده تحديدا مستقيما ، كمـــا أن الدلالات التى تدل عليها هذه الألفاظ قد تعددت بتعدد ألفاظها ، ومن هذه الألفاظ ما اصطنعه المؤلف على أنه مرادف لألفاظ أخرى ، أو دال على معنى له دلالته فى لفظ آخر ، ومن هنا اختلطت الألفاظ ، وتشابهت الدلالات ، وترتب على هذا أن أصبح التعريف الواحد قولا شارحا لأكثر من شيء واحد ، وأكبر الظن أن كل أولئك ليس من المنطق فى شيء :

ففى الفصل الذى يعرض فيه المؤلف لماهو التصوف ، نراه يورد كثيرا من تعريفات التصوف ونصوصه التى تصـــور معانيه المختـــلفة عند الصوفية المتقدمين والمتأخرين من أمثال الجنيد ، وأبى حفص ، والسهروردى ، وسهل بن عبد الله، والشبلى ،ورويم بن أحمد البغـدادى ، ومعروف الكرخى ، وابى تراب النخشبى ، وعبد السلام ابن مشيش ، وتلميذه أبى الحسن الشـــاذلى ، السيد زين العـــابدين ، والسرى ، وذى النون المصرى ، وأبى السعود بن أبى العشائر ، والغزالى، الى غير هؤلاء من الـــذين لم يذكرهم المؤلف بأسمائهم ، وانما أشار اليهم بقوله انهم من بعض العارفين أو من شيوخ التصوف . وبعد أن سرد المؤلف هـــذه التعريفات كما وردت فى كتب الصوفية على ألســـنة أصـحابها ، أوجز رأيه فى كلام يتضمن شرح أقوال القوم فى معنى الصوفى لافى معنى التصوف فقال : « ان الصوفى المتحقق فى عرفى واعتبارى انما هو شخص أحبه الله أولا، فهيأه لحبه ، وزوده بخصائص عقلية وقلبية تميزه من غيره من العباد والزهاد والصـــالحين ، وتلك الخصائص هى الذوق السليم والطبع المستقيم والنظر البعيد ... » (ص ١٥) فكان المؤلف قد عقب برأيه هنا فى معنى الصوفى على تعريفات عدة بعضها تعريفات للتصوف، وبعضها الآخر تعريفات للصوفى أو للصوفية . وهذا يعنى أنه قد جعل من العلم والمشتغلين به شيئا واحدا ، ومن هنا كان تعقيبه على هذه التعريفات وتلك باظهار معنى الصوفى على الوجه الذى أثبتناه آنفـــا ، فكأن التصوف والصوفى والصـــوفية عند المؤلف شيء واحد ، أو هى أسماء عدة يمكن أن يدل بأحدها على مايدل عليه الآخر .

وكذلك فعل المؤلف بما قدم بين يدى هـــذه التعريفات التى بعضها للتصوف ، وبعضها الآخر للصوفى ، وطائفة ثالثة منها للصـــوفية ، كأن التصوف والصوفى والصوفية كلها عنده سواء ،

وما يعرف به أحدها يمكن أن يعرف به الآخر . وتلك لعمرى هنة من هنات المنهج الذى درج عليه المؤلف فى كل كتابه ، أو من هنات التحرر من المنهج العلمى السليم والضابط الفكرى المحدد للألفاظ ودلالاتها على وجه مستقيم ، اذ لو قد حددت الالفاظ تحديدا دقيقا ، وقدمت التعريفات تقديما صحيحا ، بحيث صنفت تصنيفا منطقيا متمشيا مع طبيعة الأشياء من ناحية وملائما لقواعد المنطق من ناحية أخرى ، لكان العرض أسلم وأقوم ، ولكانت النتائج أدق ، والثمرات أنضج .

ومهما يكن من شيء فان فيما قدمه السيد محمود أبو الفيض المنوفى فى مدخله الى التصوف الاسلامى لمعلومات ومعارف ، ونصوصا تنطوى على كثير من اللطائف ، فيها متاع روحى للقراء ، كما أن فى ايرادها مجتمعة فى هذا المدخل ما يدل على ما احتمله المؤلف فى الجمع بينها من مشقة وعناء ، فلا أقل من أن أقدم اليه ماهو خليق به من حمد وثناء .

الدكتور محمد مصطفى حلمى

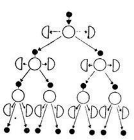


سطور من كتاب ...

« يا نصف الليل ! .. لبئس أنت من ساعة شر ! .. لست متطيرا ، ولكنى طالما أوجست خيفة من هذه الساعة . لقد ألقى فى خلدى أنى اذا مت يوما فعند منتصف الليل أموت ، أاذن سأموت يوما ؟ كيف ذا ليت شعرى ؟ أأموت أنا ؟ أنا الذى اتكلم ، أنا الذى أشعر بنفسى ، والمس نفسى ، أيمكن أن أموت ؟ يشق علىّ أن أعتقد ذلك » ..

... رحلة حول حجرتى

الطاقة النووية في ال...



تأليف : د
ترجمة : الدكتو
مراجعة : الدكتو

منشـورات لجنـة التأ... ترجمـة والنشر
٢٣٩ صفحة .

نحن حقيقة فى مسيس الحاجـة الى الكتب التى تبحث فى موضوع الطاقة وبالأخص الطاقة الذرية ، أو الطـاقة النووية بتعبير ادق فالعالم اليوم يعيش فى عصر الـذرة وان كانت البشرية ما زالت على عتبته لم تتوغل فيه بعد . ومن حق القارىء العربى كزميله الأوروبى والغربى أن يجد بين يديه عديدا من الكتب المؤلفة والمترجمة التى توضح له أساليب هـذا العصر ووسائله وسماته ومقوماته ، وتعرض لحاضره ومستقبله حتى يكون على بينـة من أمره وحتى يدرى ما يجرى فى العالم الذى يعيش فيه من تطورات وتغييرات .

والـكتاب الذى تعرض له اليوم ، محاولة فى هذا الاتجاه ، وهى محاولة قيمة فمؤلف الكتاب عالم انجليزى أشهر طويل البـاع فى موضوع الطـاقة النووية كما أن من قام على نقله الى اللغة العربية أستاذان جليلان هما الدكتور محمد مرسى أحمد والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى وهما من ذوى المـكانة الرفيعـة فى الأوسـاط العلمية . فالدكتور محمد مرسى أحمـد شغل منصب الأستاذية فى الجامعة سنين عديدة ، وهو اب الرياضيات فى بلدنا وزميل المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه وبحوثه العلمية المتخصصة والعامة عديدة ومتنوعة وهو اليوم فى منصب المدير لاحدى جامعاتنا . أما الدكتور أحمـد عبد السلام الكردانى فقـد مارس مهنة العلم والتعليم والاشراف التربوى لسنين عـديدة فى وزارة التربية والتعليم وهو من الرواد الأوائل فى تبسيط العلوم ، اذ ساهم بقسط وافر فى هذا الميدان بمؤلفاته ومترجماته . فمؤلف الـكتاب اذن عالم كبير ؛ ومن نقله الى العربية ممن رسخت اقدامهم فى العلوم والمعرفة .. وموضوع الكتاب من موضوعات الساعة فلنا اذن بعد كل هذا ان نتوقع قراءة كتاب ممتاز له قيمته وله مكانته .. والـكتاب بحق كتاب متميز ، وأسلوبه العربى أسلوب واضح سهل ، فاللفظ على قدر المعنى ، والدقة متوخاة فى الترجمة الى حد بعيد ..

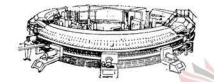
ومما تجدر الاشارة اليه أن فى نهاية الكتاب كشـافا يحوى المصطلحات العلمية الواردة فى الكتاب مع ترجماتها العربية ويربو عددها على أربعمائة مصطلح ، وهذه حسنة كبيرة وخاصة فى هذا الوقت الذى نشطت فيه حركة ترجمة العلوم الى اللغة العربية لأن فيه مساهمة فعلية فى تسهيل عملية الترجمة وتبسيطها واضافة زخيرة علمية الى لغة الضاد نحن فى أشد الحاجة الى مثيلاتها .

وما يعرف به احدها بمكونية فى الصناعة » وتلك لعمرى هنة ، رجل الصناعة المتخصص المؤلف فى - العام على حد سواء .

المنم العصر الذى نعيش فيه هو عصر الطاقة الذرية ، ولكن ما استكشف حتى اليوم من الذرة ، وما أمكن التحكم فيه من طاقتها ليس الا أقل القليل ؛ ويوم يتوصل العالم الى اكتشاف كيفية التحكم فى ادماج العناصر الخفيفة وهو نوع التفاعل الذى يحدث فى القنبلة الأيدروجينية فان معين الطاقة سيكون فعلا غير محدود اذ يكون من المستطاع عند ذلك استخدام مقادير الأيدروجين الضخمة الموجودة بمياه المحيطات لتوليد القوة ، ويدخل الجنس البشرى فى عصر يختلف اختلافا كبيرا جدا عن كل ما مر به من قبل ، عصر يمكننا أن نطلق عليه « عصر القدرة التى لا حد لها » .

ونحن الذين نعيش اليوم ، قد لا ندخل بأنفسنا هذا العصر الجديد ، عصر القدرة التى لا حد لها الا أننا على الرغم من ذلك ، نتابع أوجه نشاطنا العادية وحياتنا اليومية ، بينما تظهر فى الأفق الأشعة الأولى لمستقبل يلمع لمانا لا يتصوره العقل ، وما يهدف اليه هذا الكتاب هو اعطاء القارىء فكرة أو انطباعة ذهنية لما هو جار فى الوقت الحاضر وللصورة التى تبدو عليها الصناعة الآلية فى ضوء القدرة النووية الحالية وما ينتظر لها من تطورات فى المستقبل ، وبذا يجد القارىء عونا على شق طريقه فى عالم القدرة النووية المتوقع وعلى رؤية الكيفية التى ستتأثر بها الصناعة الآلية ورؤية الاتجاهات التى ستبدو فيها الحاجة ماسة الى منتجات جديدة وصناعات أو حرف جديدة وأساليب للحياة جديدة .

بدأ الكتاب يعرض مصادر الطاقة المختلفة الموجودة لدى الانسان من فحم وزيت وغاز وقدرة مائية وأخشاب وقدرة بشرية وتطور استخدامها خلال التاريخ البشرى وكيف أن الانسان كان يعتمد أول الأمر على عضلاته وعلى منتجات النبات كالخشب حتى ظهر المحرك البخارى فبدأ ينتفع بمدبرات الطاقة الهائلة الكامنة فى الفحم . ثم قارن المؤلف بين مدخرات العالم من الطاقة واحتياجاته فى الوقت الحاضر ، وانتهى الى انه اذا أمكن رفع استهلاك الفرد من الطاقة الى المستوى الأمريكى واستمدت هذه الطاقة من المصادر المألوفة فان الانتاج العالمى الحالى لهذه المصادر يجب أن يتضاعف ٥٪ من المرات ؛ وحتى على فرض بقاء عدد سكان العالم على ما هو عليه الآن فان مدخراته من الفحم ، اذا استخدمت بهذا المعدل ، لن تكفى لأكثر من ١٥٠ سنة .



ومع هذا فالتقارير الحديثة الخاصة بالاستخدامات السلمية للطاقة الذرية تبين أن العالم غنى باليورانيوم وما فى متناول يدنا منه الى جانب المصادر الأخرى يجب أن يكفينا لمدة ٢٠٠٠ عام وفى خلال هذه الفترة لابد أن يكتشف الانسان اطلاق الطاقة النووية من عملية اندماج ذرات الأيدروجين بصورة يسهل التحكم فيها ، كما يحدث فى قلب الشمس ، فمقادير الطاقة الهائلة التى تتدفق باطراد من الشمس مستمدة من تفاعل اندماجى أيدروجينى تتحكم فيه الطبيعة أو الفطرة . وهدف الانسان فى الوقت الحاضر هو أن يصنع لنفسه صورة مصغرة لشموس تجرى فيها العمليات التى تجريها الطبيعة فى الشمس ، وعليه أن يحقق هذا الكشف قبل ان ينفد ما لديه من الفحم واليورانيوم .

فالوضع الراهن بالنسبة للطاقة فى العالم بوجه عام ملىء بالصعوبات ، ومن الواجب على جميع المشتغلين بالصناعة ، حتى ولو كانت صناعاتهم تبدو لأول وهلة عديمة الصلة بتاتا بالطاقة النووية « أن يتعرفوا على الأساليب الفنية

لاستخدامات هـذه الطاقة ، وأن يألفوها حتى يتمكنوا من اقتبـاس ما قـد يحسن عملياتهم الصناعية ويسير بانتاجهم قـدما الى الأمام ، ويجعلهم يتطـورون مـع احتيـاجات العصر وامكانياته .

وقد عرض الكتاب لطبيعـة الطاقة النووية وشرح معنـاها ، وتتبع أصولها التاريخية منذ اكتشاف النشاط الاشعاعى عام ١٨٩٦ فتجارب رذرفورد للتعرف على تركيب الذرة واكتشاف شـادويك للنيوترون وتجارب فرمى وكورى وانشـطار اليـورانيوم على يد كل من هان وستراسمان عام ١٩٣٨ وهو الكشف الذى فتح الآفاق أمام التفاعلات النووية المتسلسلة وتبعـه التحكم فى التفاعل المتسلسل لانتاج المفاعلات . واستعرض المؤلف بعـد ذلك مختلف أنواع المفاعلات النووية .

وفكرة هان وسـتراسمان أن اليورانيوم ، اذا ما قذف بالنيوترونات ، كانت نواته الثقيلة عرضة للانفلاق الى جزئين متساويين تقريبا مع انبعاث كمية هائلة من الطاقة . ومجموع كتلتى الجـزئين أقل بكثير من كتلة نواة اليورانيـوم الأصلية . هذه الكتلة المفقودة ـ المساوية للطاقة التى كانت تربط فى أول الأمـر أجـزاء نواة اليورانيوم ـ هى التى تعود للظهور على صورة طاقة حركة فى الشظايا المتناثرة .

ثم ثبت بعـد ذلك أن كل انشـطار لنواة اليورانيوم ينتج ، علاوة على الشظيتين الكبيرتين ، عـدة نيوترونات ، وبالطبع يمكن لكل من هذه النيوترونات أن يسبب انشطارا لنواة يورانيوم جـديدة وهـكذا تم كشف التفـاعل النووى المتسلسل .

فالفكرة الأساسية فى انطلاق الطاقة النووية بسيطة للغاية ، وهى تتألف من وضع نوى ذرات مناسبة بعضها قريبا من بعض حتى ينشأ فيما بينها تفاعل متسلسل محدثا مجموعة من نوى جديدة كتلتها أقل من كتلة النوى الأصـلية ، وهذه النوى الجـديدة تتحرك بطاقة تساوى الكتلة التى اختفت أثناء حدوث التغيير .

ومع أن الفـكرة فى حـد ذاتها بسيطة فان تطبيقها عمليا قد تطلب جهودا علمية جبارة . والى الآن فان اطلاق الطاقة النووية اطلاقا متحكما فيه متوقف تماما على استغلال اليورانيوم وهو المادة الوحيـدة الموجودة فى الأرض التى يسهل تعريضها للانشطار . ويتألف اليورانيوم الطبيعى من نظـيرين أى طرازين من الذرات يختلفـان اختـلافا طفيفا فى الكتلة هما يورانيوم ٢٣٨ ويورانيوم ٢٣٥ . ويوجـد النظير الأخير وهو الخفيف بنسبة ١ : ١٤٠ ، وهـو وحده النظير الذى يسهل انشطاره . ويضـاف الى هذا أن يورانيوم ٢٣٨ ، وهو الذى يكون النسبة العظمى من كتلة اليورانيوم الخـام يمتص النيوترونات بشراهة ، ومن ثم فان نيوترونا طليقا فى كتله من اليورانيوم الخام فرصـته ضعيفة فى احداث الانشطار لسببين : فهنـاك ذرات يورانيوم ٢٣٥ قليلة جدا نسبيا كما أن النيوترون الطليق نفسه عرضة لأن تأسره وتستحوذ عليه ذرات يورانيوم ٢٣٨ الموجودة بكثرة جدا ، وبذا فلن ينشأ تفاعل متسلسل تلقائى فى كتلة من اليورانيوم الطبيعى النقى .

وطبيعى أن احـدى طرق جعل التفـاعل المتسلسل محتمل الوقوع هى فصل اليورانيوم ٢٣٨ عن اليورانيوم ٢٣٥ ، وهـذه عملية صعبة جدا . ولكن هناك خاصية فى اليورانيوم الطبيعى تسمح باحداث التفاعل المتسلسل فيه صناعيا أى بطريقـة مفتعلة أو مصطنعة ، فالتفـاعل المتسلسل لا ينشـأ من تلقاء نفسه لأن النظير الثقيل ٢٣٩ يمتص بسهولة النيوترونات السريعة التى تنطلق فى أثنـاء الانشـطارات العرضية لليورانيوم ٢٣٥ ومع ذلك فقـد وجـد أن النيوترونات البطيئـة أقدر بكثير جدا من النيوترونات السريعة على احداث الانشطار فى اليورانيوم ٢٣٥ ؛ وحـين تبطىء حـركة هـذه النيوترونات الى الحد المناسب فانها تحـدث الانشطارات بأسرع من امتصاص اليورانيوم ٢٣٨ للنيوترونات الناتجة .

هذه الخاصية هى التى مكنت العـالم فرمى من بناء أول مفاعل ذرى بطىء عام ١٩٤٢ . وقد

اثبت فرمى أن النيوترونات تبطؤ حركتهـــا اذا ما اصـطدمت بجسيمات أخرى خفيفة كذرات الكربون أو البيريليوم أو الأيدروجين . وتسمى هذه المواد المستخدمة فى تبطئة حركة النيوترونات باسم الملطفات أو المهـدئات . وقـد كون فرمى مفاعله كما يلى : ... وضع قطعا من اليورانيوم الطبيعى فى كتلة كبيرة من الكربون مبنية بطوب من الجرافيت فـكانت النيوترونات السريعـة الناتجة من انشطار اليورانيوم تبطىء حركتهـــا بتكرار اصـطدامها بذرات الكربون حتى أمكنها احداث الانشطارات فى اليورانيوم ٢٣٥ بأسرع مما يمتصها اليورانيوم ٢٣٨ . وبالعنـــاية فى تصميم أحجام قطع اليورانيوم والفحم وترتيب أوضـــاعها فى المفاعـل تقـل فرص أسر ذرات اليورانيوم ٢٣٨ للنيوترونات .

ويعتبر مفاعل فرمى مثـالا للمفاعل النووى البطىء لا سبيل لانفجاره . وتتوقف القدرة التى يولدها المفـاعل على قوة انسياب النيوترونات المتدفقـــة داخل قلبــه أو نواته فقد تعبر كل سنتيمتر من هـذا القلب مـلايين الملايين من النيوترونات فى كل ثانية مكونة شعلة نيوترونية تحترق فيها مواد الانشطار كما يحترق الوقود فى أفران الفحم .

ويبين لنا مفاعل فرمى المبادىء الأساسية التى تنطوى عليها المفاعلات النووية الحديثة ، فالمفاعل النووى يحتـــاج الى وقود نووى والى مهدىء كالماء الثقيل والى مبرد للتخلص من الحرارة . وقد شيدت أنواع عديدة من المفاعلات فى جميع أنحاء العالم .

وأول منشأة للقدرة النووية لتوليد الكهرباء للأغراض الصناعية شيدت فى روسيا عام ١٩٥٤ ، ويستخدم المفـاعل وقود اليورانيوم ومهدئا من الجرافيت ، والماء العادى كمبرد ويولد ٥٠٠٠ كيلووات من الـكهرباء . ويجـرى انشاء محطة قدرة نووية ذات ١٠٠,٠٠٠ كيلو وات من القدرة النافعة .

وفى بريطانيا ، افتتحت فى أكتوبر ١٩٥٦ منشأة كالدرهول لانتاج القـــدرة النووية . والمفاعل البريطانى مهـدأ بالجرافيت ومبرد بالغاز وقد بلغت التكاليف الفعليـــة للمنشأة ١٦٪ مليون جنيه . وسيتم عام ١٩٦٥ بناء اثنتى عشرة محطة لتوليد القـــدرة النووية طبقا لبرنامج الحكومة الخاص بالقـــدرة النووية . والحافز الرئيسى لهذه السرعة فى التطور هو أن مصادر بريطانيا من مواد الوقود المألوفة وهى الفحم والزيت والغاز والماء محدودة ، ومن ثم كانت حاجتها الى وقود اضافى بديل أشد ضرورة والحاحا منها بالنسبة لبلاد متراميـــة الأطراف كالولايات المتحـــدة أو روسيا التى لا يزال عندها احتياجات كبيرة من الوقود المألوف .

ولم تتابع الولايات المتحـــدة فى سرعة كبيرة تشييد منشآت توليد القدرة النووية الصناعية لسببين الأول عظم مصـــادر القـدرة المألوفة والثانى حرصها على التحديد الاقتصادى الدقيق للأعمال . وخطة المسئولين الأمريكيين فى هـــذا الصدد هى استكشاف امكانيات أنواع كثيرة من المفاعلات ليصلوا الى اختيار افضلها . وبتوجيه جهودهم الى البحث عوضا عن توجيهها الى اقامة المنشآت فى الحال ، فانهم يأملون فى التوصل ، مستقبلا ، الى تصميمات ذات كفاية ممتازة غير عادية تثبت تفوقها وقـدرتها . والمفاعلات التى تشيد الآن فى الولايات المتحـــدة لتجرى عليها البحوث تـستخدم مهدئات ومبردات مختلفـة كالماء العادى والماء الثقيل والجرافيت والصوديوم السائل .

وعرض الـكتاب بعـد ذلك الى استخدامات النظائر المشعة فى الصناعة الآلية ، فقد مكنتنا تلك الآلات الدقيقـــة من متابعة الخطوات والمراحل لكثير من العمليات التكنولوجية بدقة متناهية لم تكن متاحة بالوسائل العادية . وان التطبيقات العملية للنظائر المشعة فى الصناعة لا تفتأ تنمو وتنتشر باستمرار فى اتجاهات جديدة متعددة .

ثم تحـــدث المؤلف عن الطرق المستخدمة فى استكشاف اليورانيوم والبحث عنـــه ووسائل

استخلاصه من خاماته ، والاحتياطات اللازمة لوقاية العاملين فى هذه الصناعة الجديدة .

وبعد ، ان هذا الكتاب لابد أن يقرأه المسئولون عن الصناعة فى بلدنا ، والعاملون فى هذا الميدان من مهندسين وعلميين واقتصاديين حتى يمكنهم أن يتابعوا المشروعات الهندسية العالمية للقدرة النووية ؛ وحتى يمكنهم أن يطوروا صناعاتهم ويستخدموا الأساليب الفنية الجديدة ... ان الآلات والمواد التى خرجت الى حيز الوجود من أجل استخدامها فيما يتصل بالطاقة النووية ستجد لها منافع واستخدامات فى الصناعات القديمة ، ولنذكر مثلا لذلك ... ان عدادات جيجر التى تمت وتطورت أثناء دراسة الطبيعة النووية تستخدم الآن فى صناعة البترول بكميات كبيرة ، فالأساليب الفنية للصناعة النووية ستطبق وتنفذ فى الصناعات القديمة ، فعلينا أن نتابع التقدم ، ونتابع التطور ونسير مع الركب مسلحين بالعلم والمعرفة والوعى ... وفقنا الله جميعا الى خدمة الوطن العربى الكبير ..

جمال الدين محمد موسى



سطور من كتاب ...

« لكى نحكم على دانتى يجب أن نرفع انفسنا الى مستواه . ليكن مفهوما تماما اننا ، من الناحية الواقعية ، لسنا دانتى وليس دانتى نحن ، ولكن فى لحظة الحكم والتعامل هذه تتشابه روحنا مع روح الشاعر ، وفى هذه اللحظة نصبح نحن وهو شيئا واحدا » ..

... علم الجمال والنقد الحديث

تكيف الكفيف

هذا كتاب ألفه أمريكيان هما « هكتور تشيفنى وسيدل بريفرمان » ، ونشراه بمدينة نيويورك سنة ١٩٥٠ ، وقام بترجمته الى العربية الدكتور محمد عبـــد المنعم نور مدير المركز النموذجي لرعاية المكفوفين بالزيتون ، فهو ذو صلة بموضوع الكتاب وله دراية فيه ، وقام بمراجعته الدكتور عبد الحميد يونس ، وهو من المكفوفين المعاصرين اللامعين ، وممن اتصلوا فـكريا وعمليا بتوجيه المكفوفين فى بلادنا .

وقد طبعت الترجمـــة العربية فى « مطابع البلاغ » ، ونشرتها مؤسسة مطبوعات آلبلاغ سنة ١٩٦١ ضمن سلسلة « الألف كتاب » باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، بمعـاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وتقع الترجمة فى أربعمائة صفحة من الحجم المتوسط .

وقد جاء فى صدر الكتاب كلمة لجوتة تعتبر كالشعار يقول فيهـا : « اذا ظن احدهم أنه حر لا يلبث أن يجد أنه مقيد ، فاذا ما كان شجاعا واعترف بقيــده ، كان ذلك بداية شـــعوره بالحرية » .

وهذا الشعار مناسب لموضوع الكتاب ، لأن كف البصر قيــد يصيب الانسان ، فاذا تجاهل هذا القيد ولم « يتكيف » معه كان بلاء عليه ، وزاده قيودا الى قيده ، كما أنه اذا استسلم للقيد وجمد داخله أسلمه الى اليأس والقنوط .

ولقد تحدث الكتاب خلال صفحاته الأربعمائة عن موضوعات كثيرة منهـــا : التكيف والعاهات ــ التكيف العاطفى ــ بيئـــة الكفيف ــ البصر والجمال ــ المغالاة فى تقدير البصر ــ الاندماج فى المجتمع ــ الكتابة البارزة ــ تشابك الحواس ــ الانفعال النفسى عند المكفوفين ــ الطفل الكفيف ــ العناية بالكفيف قبل كف البصر وبعده ــ انعزال الـكفيف عن المجتمع ــ مؤسســـــات الرعاية للمكفوفين ــ من يصلح لتدريب المكفوفين .. الخ

والفكرة المسيطرة على الـكتاب هى الدعـوة الى اشراك المكفوفين فى المجتمع ، وتدريبهم على أعمال تفيدهم وتفيد غيرهم ، كما يحاول الكتاب أن يثبت أن المكفوف رجل طبيعى كالمبصر ، وان مشكلاته الشخصية لا تختلف عن مشـــكلات الناس التى يقابلونها فى حياتهم وتجاربهم .

ويقول المؤلفان « ان هذا الكتاب محاولة لهدم الخرافات القديمة التى شـــاعت عن الحيـاة العاطفية للمكفوفين ، ولـكنـه فى الوقت نفسه محاولة لاضافة معلومات ايجابية خاصة بنشاط المكفوفين عقليـا وجسميا ، وسيتناول بالبحث الدقيق ما هية الأمور التى يجب على المكفوفين التكيف ازاءها » .

والواقع ان الكتاب جهد كبير ، وعلى الرغم من اشتغالى بالبحث فى موضوعات المكفوفين منـذ اكثر من عشر سنوات ، وتأليفى فيها كتابا بعنوان : « فى عالم المـكفوفين » من جـزءين فى ثمانمـائة صفحة ، فقد استفدت من الكتاب أمورا كثيرة .

ويلاحظ الكتاب ملاحظـة أساسية تتحكم فى توجيه بحثـــه ودعوته ، وهذه الملاحظة هى أن محاولة الناس الانتفاع بجموع المكفوفين وطاقاتهم وجهودهم قد تأخرت كثيرا خلال قرون التاريخ ، وكان الواجب أن تسبق وتتقـــدم زمنيا ، حتى لا يظل المـكفوفون كل هـــذه العصور معزولين محرومين بلا عمل ولا هدف ! .

***



تأليف : هيكتور تشيفتي ، سيدل بيقرمان
ترجمة : الدكتور محمد عبد المنعم نور
مراجعة : الدكتور عبد الحميد يونس

مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مطبوعات البلاغ ، ٣٩٧ ص ١٤ × ٢٠ سم .
ث ٣٣ر٥ قرشا

والكتاب عنوانه « تكيف الكفيف » ، فما معنى التكيف ؟ .

ان المؤلفين يشيران هنا الى قصور اللغة وعدم دقتها أحيانا فى اعطاء الكلمات المضبوطة التى تؤدى المعنى المراد بدقة وكمال ، مع انه « يجب أن تحمل التعبيرات معانى دقيقة محددة ، والا أصبح تنظيم المعلومات بطريقة تجعلها واضحة للجميع أمرا ميئوسا منه » .

والتكيف معنى يشمل جهات كثيرة : ولذلك نرى الباحثين يخصون هذه الكلمة بوصف مميز ، ليحددوا المجال الذى يتعلق به التكيف المراد لهم ، فيقولون مثلا : « التكيف الاجتماعى » أو « التكيف الاقتصادى » أو « التكيف البدنى » الخ ..

وقد عرف الكتاب « التكيف » بأكثر من عبارة ، فقال عن تكيف الكفيف انه « خلاصة رد الفعل عند الشخص الذى يفقد بصره » ، وقال عن تكيف الانسان بصفة عامة : « التكيف هو قبول الفرد لما يعرف أنه حقيقة ورضاؤه به » . ثم قال عن التكيف بالنسبة الى الفرد سواء أكان مبصرا أم كفيفا هذه العبارة :

« ان التكيف فى كل عضو حى عملية مستمرة تقريبا ؛ ومع كل تغيير فى البيئة الطبيعية تدعو الحاجة الى التكيف ، فالتغيير من الحر الى البرد ، ومن الارتفاع الى الانخفاض ، ومن الليل الى النهار ، ومن غذاء الى آخر ؛ كل هذه وأمثالها تجعل العملية مستمرة .

والحاجة الى التكيف تنبعث من عوامل داخل جسم الانسان نفسه ، ومن عوامل خارجية أيضا فالتغيرات الهرمونية فى دور المراهقة مثلا تدعو الى اعادة تنظيم القوى . وفى الانسان بنوع خاص تعظم الحاجة الى اليقظة الدائمة ضد أى تغير ، وهو ممكن أن يحدث فى أى وقت .

وعملية التكيف هذه تشغل كل الجهاز اللاارادى فى الانسان وجزءا كبيرا من عقله الواعى . أما الغرض من هذه العملية فهو بعبارة بسيطة الاحتفاظ بالمعيشة فى أحسن حالاتها ، وأما الباعث الى ذلك فهو بعبارة بسيطة أيضا غريزة حب البقاء » .

ونستطيع أن نقول ان تكيف الكفيف هو تقبله لحالته التى صار اليها ، مع عدم سكوته عليها أو جموده معها ، بل هو يتغلب على الصعوبات التى تنشأ عن فقد البصر ، ويحاول

ان يحتفظ بخطواته فى طريق الحياة على قدر ما يستطيع .

واذا كانت هنـــاك دواع تدعو الانســـان الى التكيف المستمر ، كداعى غـريزة حب البقاء ، وداعى تعويض الحاسة المفقودة ، وداعى الملاءمة مع البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وداعى التخلص من المآزق والشـدائد ، فانه لا ينبغى أن نترك الكفيف لهذه الدواعى وحدها ، فقد يتأبى عليها لخوف أو قلق أو استسلام أو عناد أو يأس ، بل « ان تقـــديم » فرصة التكيف كاملة للكفيف ، وفرض الضرورة الملحــة عليـــه للتكيف ، وازالة عوامل الخوف تحت ارشـــاد الأخصائيين » كل هذا يعاون على تكيف الكفيف تكيفا ســـليما ، وينتج عنه استجابة عظيمة من المكفوف فى غالب الأحيان ! .

***

ويبدأ الكتاب بعبارة تذكرنا بالقول المشهور : « مصائب قوم عنـــد قوم فوائد » فنحن نشكو من مادية العصر الذى نعيش فيه ، ولكن المكفوف يفرح لهذه المـــادية من بعض الجهات ، وليس فرحه هنـــا ناشـــئا عن استخفافه بالنواحى الروحيـــة والأدبية ، فقد يكون المكفوف اكثر احساسا من سواه بهذه النواحى ، ولكن هذا العصر هيـأ للمكفوف آلات وأجهزة كثيرة جعلته يتمكن من التعلم والتثقف والمشاركة الواسعة فى الحياة ، ومن هذه الآلات جهاز الكتابة البارزة ، والمذياع ، وآلات التسجيل « والكتب الناطقة ، وغيرها من وسائل التعليم والتدريب فى مدارس المكفوفين ومعاهـدهم الحديثـة . ومن الواجب استغلال هذه الآلات على أوسع نطاق فى تكيف الكفيف .

والكتاب يشير الى قيمـــة البصر ، والى قوة اعتماد الانسان عليه فى الادراك وفى التصرف ، فهو عنـده كالقائد للجهاز الحسى : « والنظر له اهميته الكبرى بالنسبة للانسان ، فقد استرشد به فى بنـــاء الحضارة ، الا أنه لا يقنع بأهميته الحقيقية ، بل يغالى فى تقدير صوره فى الحياة ، ويعزو اليـــه من القيم مالا دخل له بها » وهو يتجاهل ما تنقله اليـــه الحواس الأخـرى من المعلومات ، بل ينسب هـذه المعلومات الى بصره فقط ، ويظن الانسان دائما انه قد رأى ما سمعه، أو شعر به ، كما أنه يعتبر ما سمعه أو شعر به صورة بصرية .

وبالرغم من أن البصر يتأخـر ظهـوره فى نمو الطفل ، الا أنه يحتل بسرعة مكان القيادة بالنسبة للجهاز الحسى ، ونجـــد ان الانسان يميل الى الخلط بين قدرته على الادراك وقدرته البصرية » حتى فى الأســـاليب والتعبـيرات نجد الانسان يستعمل كلمة « الرؤية » ومشتقاتها فى المعقولات والمعنويات ، فيقول : « فلان يرى المقصود » أو « يرى المعنى » أو « يرى القضية » ... الخ .

ولكن هـذا البصر الذى يعطيه الانسان كل هذه الأهمية ليس هو كل شىء فى حياة الانسان ، ومع منافعـــه التى لا تجحـــد توجد له أخطار واضرار ، فهناك « انحرافات جنسية بصرية » ، والكتاب يضرب على ذلك مثلا من حالة الطفل الصغير ، فهو « محب للاستطلاع بفطرته ، وهو شغوف بمعرفة كل الحقائق المحيطة به ، ولكن الحقائق الجنسية محظور اطلاعه عليها ، وهذا الحظر يعطى الطفـل أول فكرة عن أن موضوع الجنس جزء منفصل عن الحقيقة .

وقد تؤدى المعاملة الطائشة أو القمع أو العقاب أو غيرها من الطرق التى قد تستعمل فى مثل هذه المواقف الى تثبيت غريزة التجسس على ما هو محظور ، بحيث تظل على نفس المســتوى الذى كانت عليه فى الطفولة طول حياة الفرد ، ويظل حتى آخر ايامه يشعر أن شيئا مهما من المعلومات قد حجب عنـــه . وقـد يكون هذا التثبيت للغريزة بسيطا أو شديدا ، وقد يمكن التغلب عليه بحكمة فى سنوات الطفولة التالية .

أما فى حالة عدم التغلب عليه فيؤدى ذلك الى احد أمرين : اما أن يظل الانفعال الخاص بالبصر دون اشباع ، مهما نظر البالغ الى ما منع عنه وهـو طفل ، وقد يبحث عن مناظر اشد تأثيرا بأمل تقوية غريزته ، أو قد يعلى هذا الدافع الى التطلع ، محولا اياه الى النواحى الاجتماعيـــة

المفيدة ، ومقدما للمجتمع لونا آخر من التجسس المفيد ، كالتعرف على المجهول ، ومثل هؤلاء بعض أطبائنا النفسانيين الممتازين » .

وبعد أن يتحدث الكتاب عن أنواع كف البصر يشير الى نوع منه ، هو كف البصر النفسى بسبب هزة عصبية ، وهو يعتبر « كظاهرة من الأمراض النفسية التى تحدث فى أثناء الحروب ، وسبب هذه الظاهرة هو التوقف المباشر لقوة العصبية ، يؤدى الى كف البصر دون حدوث أى تغيير محسوس فى العين ذاتها ، وتحدث هذه الظاهرة كتحقيق للرغبة فى الهروب من موقف صعب لا يمكن احتماله أبدا ، ولو لفترة محدودة ، وحدوثها يعطى للفرد سببا وجيها للتقهقر دون اثارة أى شعور بالذنب الذى يصاحب التهرب .

ويحدث كف البصر النفسى أيضا كعقاب مباشر اذا ما رئى الفرد ، أو اذا ما كان الرائى للمحظور رؤيته ، وهذه الحالة تشبه حالة عقدة الأخصاء .

فالحقيقة والصراع الذى ينشأ نتيجة ادراكها أو عدمه هى المجال الذى تنشأ عنه المتاعب النفسية للعين ، وتنمحى عادة الحقائق التى لا يمكن مواجهتها ، أو التى يجب عدم مواجهتها » .

ويقرر الكتاب أن الاضطرابات البصرية والأمراض الخطيرة للعين تحدث من الانحراف الجنسى ، أو من نزوات الفسق ، أو الكبت ، أو الخوف والرهبة ، أو الفشل فى الحب ، أو الشعور بالذنب .

ويلاحظ أن كلمتى « الظلام » و « النور » يشيع استعمالهما فى مجال المكفوفين ، بحيث أصبح من العسير نزعهما لو اردنا ذلك أو حاولناه ، ومن النادر ان نجد كتابا يعالج أى مشكلة من مشكلات المكفوفين دون أن يحمل عنوانا يشير الى الظلام ، واذا تحدث الكتاب عن أمل من آمال المكفوفين استعمل كلمة « النور » أو « الضياء » ، وأكبر جمعية لخدمة المكفوفين فى أمريكا تسمى نفسها « المنارة » ولليهود فى أمريكا معهد للمكفوفين كتبوا على واجهته : « الى كل الذين أودعوا الظلام فى عالم كله جمال باهر نقدم النور » .

ويعلق الكتاب على أمثال هذه العبارات والألفاظ بقوله : « ان أمثال هذه العبارات وان بدت لذيذة على السمع ، الا أنها تعمل على تأييد فكرة بقاء المكفوفين فى حالة من الظلمة والكآبة الدائمتين ، كما أنها توحى على الدوام بفكرة الفراغ » .

وكأن المراد من وراء ذلك التعليق هو الحرص على عدم اشعار المكفوف بأنه يعيش فى ظلام ، بينما غيره يعيش فى النور ، مع أن المكفوف منذ ولادته لا يشغل نفسه كما نشغل نفوسنا بالنور والظلام ، وانما ينبغى أن نحرص على هذا كيلا نشعر المكفوفين بمعانى الحرمان فيميل الى القنوط فيصعب تكيفه مع المجتمع .

***

ثم ان التكيف درجات .

يلاحظ الكتاب فى براعة أن الذى كف بصره نهائيا يكون اقرب الى التكيف وأقدر عليه ممن كف بصره كفا جزئيا ، ويقول : « الواقع أن من يفقدون البصر تماما هم أسرع المكفوفين فى التكيف » ، وكان من واجب الكتاب أن يعلل لذلك ، ويبدو أن السبب هو ان المكفوف نهائيا قد استقر على وضع ، وقديما قيل : « اليأس احدى الراحتين » فهو يبنى تكيفه على حالته التى بلغت نهايتها ؛ وأما الذى يملك جزءا من البصر فانه يشعر بالحيرة والاضطراب ، اذ لا يسهل عليه أن يعتبر نفسه مكفوفا نهائيا ، كما لا يستطيع أن يتصرف تصرف المبصر الكامل ، ولذلك يتأرجح حينا أو احيانا بين الطرفين ! .

ولقد تحدث الكتاب عن تاريخ انشاء المدارس للمكفوفين ، وقد بدأ انشاء هذه المدارس فى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث افتتح « فالنتين هوى » الفرنسى مدرسة لهم بباريس سنة ١٧٨٤ ، ثم قاده « جوهان كلين » النمساوى بانشاء مدرسة فى فينا سنة ١٨٠٤ ، ثم انشأ « صمويل جريدلى هاو » الأمريكى مدرسة ثالثة

فى الولايات المتحدة سنة ١٨٣٢ ، ثم اخـذت مدارس المكفوفين تذيع وتشيع ، وتبذل جهودها المختلفة لتكييف المكفوفين وتوجيههم وتعليمهم وتدريبهم وتمكينهم من اخذ حظوظهم من فرص الحياة .

و « هـوى » الفرنسى أول هـؤلاء الثلاثة السابقين هو الذى اخترع طريقة ابراز الحروف من أى نوع كانت على الورق للمكفوفين . وقد تحدث الكتاب بهذه المناسبة عن « لويس برايل » الفرنسى المولود سنة ١٨٠٩ والذى فقد بصره وسنه ثلاث سنوات ، واهتم بالمكفوفين ، واخترع طريقـة فى الكتابة البارزة التى اشتهرت بين المكفوفين ومعلميهم باسم « طريقة برايل » ! .

ويلاحظ الكتاب أن تاريخ المكفوفين قد مر بثلاث مراحل تعرضوا لها تباعا ، والمرحلة الأولى هى مرحلة التسول والشحاذة وحرمان الكفيف من التقـدير والعمل ، والنظر اليه على انه بائس مسكين لا يستحق غير الرثاء والاشفاق ، والمرحلة الثانيـة هى مرحـلة الملاجىء والجمعيات والمستشفيات وبيوت الصـدقة والاحسـان ، والمرحلة الثالثة هى مرحلة الاندماج ، أى مرحلة احتلال الكفيف لمكانته فى المجتمع .

ومما يجب أن يرسخ فى أذهاننـا ويتأكد فى مفاهيمنا أن الرثاء والشفقة والصدقة ليست هى الوسائل الفعالة المجدية لعلاج مشكلة المكفوفين ، بل قد تضر هذه الوسائل أحيانا أكثر مما تفيد ، ويرى الكتاب أن الرثاء الذى يوجهه الناس الى المكفوفين يقف حائلا بينهم وبين التكيف ، لأنه يكسو المكفوفين برداء من الكآبة والسقم ، ويعمل على عزلهم عن الهيئة الاجتماعية .

ثم يقول الـكتاب : « على أن الـكفيف يحس بعطف أخيه الانسان عليه ويقدره ، وفيما يراه من دليل على حسن النيـة والمحبة يجد أكبر تعويض على فقد عنصر هام فى الحياة ، أما الرثاء فيـدركه على الفور ، فهـو قسـوة مستترة ومتولدة عن الخوف ، تهـدم ما يبنيه العطف والرحمة .

ان الشفقة تجد رمزا لها فى الكفيف الذى ـ بعد مغادرته للمدرسة التى تعلم فيها ـ يمشى بخطوة ثابتـة وسرعة متزنة نحو غايتـه التى ينشدها ، الا وهى أن يحتل مكانه بين المبصرين ؛ أما الرثاء فيتمثل فى ذلك المتسول الذى يذرع الطرقات بملابسه الرثة وعلامات البؤس بادية على وجهـه ، ويحمل آلة موسيقية مثبت بها صندوق صغير معدنى يلقى فيه المارة ما تجـود به نفوسهم ، وهذا المسكين يمر بين الجموع وفى قلبه كراهية لنفس الأشخاص الذين تهز مشاعرهم مأسـاته الأليمـة ، وفى نفسه تصميم على أن يستولى منهم على كل ما يستطيع مظهره هذا ان يخرج من جيوبهم » .

***

والواجب علينا تجاه الـكفيف أن ندفعه الى الحركة منـذ بداية الطريق حتى لا يركن الى الجمود والخمول والانزواء ، ولا ضير اذا اصطدم بجسم صلب وهو يتعود الحركة والتنقل ، فان كل الأطفال معرضون لأمثال هـذه الصدمات ، ولو منعناهم من الحركة لوقايتهم من أمثـال هـذه الصـدمات لمـا تعلموا الحركة أبدا ، ولو تركنا الطفـل الكفيف دون أن نعوده على الحركة لجلس ساكنا لا يتحرك معظم وقتـه ، وهـذا يضيق دائرة اختباره ، ويحد من نمو جهازه العصبى وحينئذ تصدق الملاحظة الواردة فى دائرة المعارف البريطانية التى تقول ان فقدان البصر يؤدى بطريق غير مباشر الى الجمود وعدم الحركة ، فاذا لم نشـجع الطفل الـكفيف على الحركة بقى منزويا وحده فى سكون ، واذا ما غادر مكانه تحرك بخوف وجبن ، وهـذا الجمود الجسمى له آثار سيئة ، فضلا عن أنه يعطل النمو العقلى .

والمكفوف يستطيع أن يتعلم الحركة فى سهولة ويسر فى محيطه المعروف لديه اذا لم يمنع من ذلك ، وهو يستطيع بهـذه الحركة أن ينسق قواه ، ويسـتخدم أعضـاءه ، ويهيىء نفسه للمشاركة فى الحياة .

وعـدم تعويد الطفل الحركة يولد فى الطفـل ـ كما يذكر الكتاب ـ الشعور بأنه منبوذ وغير

مرغوب فيه ، والشعور بأنه غير صالح للحياة . وانه ناقص وغبى ، والأطفال بطبيعتهم يكرهون كرها شديدا أن يظن أحد فيهم أنهم أغبياء .

ويعطى الكتاب أهمية كبيرة لتدريب المكفوفين ، ويلاحظ أن المجتمعات قد أهملت هـذا التدريب قرونا طويلة ، بينما كان الواجب أن يأخذوا به منذ عهد قديم ، وأن أهل الحضـارة أنفسهم تأخروا فى الأخذ بنظام تدريب المكفوفين ، حتى ان أمريكا التى أخذت بالتدريب فى كل شيء ، لم يبدأ فيها تدريب المكفوفين الا متأخرا .

ويطالب الكتاب بالعناية بتيسـير « الكلب المرشد » للكفيف ، وهـو الـكلب المدرب الذى يصاحب الكفيف فى تحركاته وتنقلاته ، ويجنبه الـكثير من الأخطـار والمآزق ؛ ويبين الكتاب ما يحتاج اليـه استعمال الـكلب المرشد من تدرب وصبر ، حتى يمـكن الانتفـاع بثمراته الكثيرة .

كما يتحـدث عن نظـام « المصنع المحمى » للمكفوفين ، وهو المصنع الذى تخصصه الدولة للمكفوفين كى يقوموا فيه بانتـاج سلع معينة تحميها الدولة من أخطار المنافسة ، ومن التأثر بهزات « العرض والطلب » ، واذا كانت هناك ملاحظات على هذا النظام ، فان الكتاب يقرر أنه طريقة حققت نجاحا كبيرا فى أمريكا .

ويتساءل الكتاب عن الأجدر بتدريب المكفوفين : أهم المبصرون أم المكفوفون ؟ .. « يصر المكفوفون على أنهم — دون غـيرهم — يستطيعون القيام بهـذه المهمة . ولا شك أن المكفوفين على مر الأجيال هم الذين يرشدون أمثالهم الى عالمهم ، وحديثو العهد بفقد البصر أميل الى قبول الارشاد من الـكفوفين منهم الى قبـوله من المبصرين . وعندما يحتدم الجدل على هذه النقطـة بالذات يصر المكفوفون على أن يكون المعلمون بالمنازل من المكفوفين أيضا .

والجواب عن هذه النقطة من غير اشتراك فى الجدل نفسه هو أن الكفيف عدم النفع كالمبصر أو أقل نفعا منـه اذا كان لا يعرف كيف يدرب زميله ، وقبل أن يمكن الاسـتفادة من طرق التـدريب يجب أن يكون هنـاك مرشـدون مدربون » .

ولا ينسى الكتاب أن يشير فى عناية الى المؤتمر الدولى للمكفوفين الذى انعقد فى اكسفورد سنة ١٩٤٩ ، وهو المؤتمر الذى أصدر وثيقة « حقوق المكفوفين » ، وقد اشتملت هـذه الوثيقة على طائفة من الأمور خلاصتها ما يلى :

١ — يجب أن يكون هناك تعريف لكف البصر فى كل الأقطار .

٢ — يجب احصاء جميع المكفوفين فى العالم .

٣ — يجب وضع نظـام لتدريبهم وتهيئتهم للعمل .

٤ — لا يصح أن يرفض طلب العمـل بسبب فقدان البصر .

٥ — اذا تعرض الـكفيف لمنافسة غيره وجب توفير العمل للكفيف فى مصانع خاصة ترفع فيها الأجور الى مستوى المعيشة اللائق .

٦ — يجب توصـيل العمل الى البيت للذين لا يستطيعون مغادرة بيوتهم .

٧ — يجب على الأمة أن تضمن للـكفيف حدا أدنى للمعيشة على الأقل .

٨ — يجب على الأمة ان تقـدم اعانة مناسبة يتساوى فيها جميع المكفوفين لمواجهة التكاليف الاضافية الناشئة عن فقدان البصر ، وأن تنظم هذه المعونة فى برنامج خاص بالضمان الجماعى ، أو تكون ضمن تشريع يتناول المكفوفين وحدهم .

٩ — على الأمـة أن تنظم للمكفوفين الذين لا يستطيعون مغادرة منازلهم زيارات وخدمات منزلية ، على أيدى فئـة متخصصة تتكون منها نواة من المـدربين المؤهلين ، على أن يكون منهـم مكفوفون كلما أمكن ذلك .

١٠ – وفيما يتعلق ببيوت المسنين والضعفاء من المكفوفين يجب أن يتوافر فيهـا السكن المناسب للمتزوجين ، حتى ولو كان أحد الزوجين كفيفا فقط .

١١ – يجب على الحكومات المحلية أن تتحمل تبعة القيام بهذه المطالب .

١٢ – يجب على الحكومات ان تشجع المجهودات التطوعية لخدمة المكفوفين وتعاونها .

١٣ – يجب أن تعطى الفرصة الكاملة فى كل وقت لكى يعرب المكفوفون عن آرائهم ورغباتهم .

١٤ – يجب أن يقوم بتعليم المكفوفين أساتذة مشهود لهم بالكفاية ، حتى يستطيع المكفوفون أن يسهموا فى حياة المجتمع اسهاما كاملا ، ويعملوا على تقويته .

***

هـذا وفى الكتاب طائفة من الآراء والملاحظات جديرة بالنظر والتأمل :

منها انه يربط بين العنـاية بالمكفوفين ووقوع الحروب العامة ، والسبب فى ذلك هو كثرة من يفقد بصره من ضحايا هذه الحروب ، وخصوصا بعـد استعمال الغازات والمفرقعات والقنابل فى تلك الحروب ؛ ولقد انشىء معهد لمكفوفى الحرب فى بريطانيا ، وآخر فى أمريكا خلال الحرب العالمية الأولى ، وكذلك ازدادت العناية بالمكفوفين خلال الحرب العالمية الثانية وعقيبها .

وبعض الذين يعنون بالمكفوفين يستجيبون فى هذه العنـاية لحوافز تتصل باصابتهم ببعض وجـوه النقص الحسى فى بدنهم أو صحتهم ، ولذلك يربط الكتاب بين عناية الرئيس الأمريكى « روزفلت » بالمكفوفين وبين اصـابته بشلل الأطفال ! .

ومن هذه الآراء دفاعه عن المكفوفين فى الناحية الخلقية ، فيقول : « الرأى المتطرف القائل بأن المكفوفين بوجه عام ميـالون الى الفساد الخلقى لا أساس له من الواقع » . وقد سبق لى فى سنة ١٩٥٦ أن قلت فى الجزء الأول من كتابى « فى عالم المكفوفين » ضمن فصـل طويل عن اخلاق المكفوفين هـذه العبارة : « حين ننظر فى أمر الأخلاق عند المكفوفين نجد أنها شغلت من حياتهم جانبا كبيرا ، واستـأثرت من عنايتهم بنصيب جليل ملحوظ وحين نراجـع تراجم المكفوفين السابقين نجـد أكثرهم قد احتفظوا بمقومات اخلاقهم ، وعصموا أنفسهم من الخنا والسوء ، ونجد التاريخ يصفهم بجمال الشيم وعلو الهمم ، ومنهم قلة حادت عن هذا الصراط ، وذلك شأن كل مجموعة من النـاس ، يوجد فيها الطيب والخبيث ، ولكن العبرة بالأكثرية والأغلبيـة ؛ والتـاريخ يحدثنا بأن أكثر المكفوفين فى أغلب عصوره كانوا ممن يحرصون على تهذيب نفوسهم ، وتجميلها بالطباع الكريمة والأخلاق السليمة » .

***

ومن الأمور اللافتة للنظر فى الكتاب أنه يصحح الرأى الشـائع الذى يقول ان كف البصر يزيد فى القوة الجنسية ، واذا كانت هذه الناحية تبدو على كثير من المكفوفين ، فليس ذلك راجعا الى كف البصر ، وانما السبب فيها هو اعتياد الجلوس والفراغ ، واعتيـاد الفراغ يساعد عند المبصرين والمكفوفين على ارتكاب الرذائل وبخاصـة الجنسية منها ، ولعل هذا الرأى يؤيده قول الشاعر العربى :

ان الفراغ والشـباب والجدة
مفسـدة للمرء أى مفسـدة !

بل يلاحـظ الكتاب أكثر من هـذا ، وهو أن البصر عامل له قوته فى الاستثارة الجنسية ، ويتوسع فى هذه الملاحظـة حتى يقول : « من الواضح أن العين قد تسـتبدل وتصبح رمزا للأعضاء التناسلية عند الذكر أو الأنثى ، ولا شك أن سبب عمليـة الاستبدال هذه هو الشعور بالذنب والخوف من العقاب الاجتماعى ، وبذلك يمكن أن ترمز العـين للعضو التناسلى بحيث تولد لذة جنسية » . وهذا القول يذكر بما جاء فى الحديث النبوى الشريف : « العين تزنى » .

ويتحدث الكتاب عن العين الحاسدة وقوة تأثيرها ، فيقول : « ان العين ليست قادرة على استقبال الشر فحسب ، بل هى قادرة على نقله ايضا ، فالبصر يستوعب ويسقط معا » .. وهذا الكلام يذكرنا بالحديث النبوى القائل فى شأن تأثير العين الحاسدة : « ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

وينقل الكتاب عن « جريناكر » رأيا مثيرا هو أن العين أقل أجزاء الوجه تعبيرا عما فى نفس صاحبها ، ولا شك أن هذا الرأى يثير دهشة ، وبخاصة دهشة الشعراء الذين طالما تحدثوا عن أنباء العيون ! .

ويلح الكتاب فى انكار ما هو شائع من أن المكفوف تنمو فيه حاستا اللمس والسمع ، بل ينكر نظرية « التعويض » عند الكفيف ، ويعتبرها زعما باطلا ، ولكن الكتاب يعود فيخالف ذاته حين يذكر أن حاسة السمع عند الكفيف تقوى قوة غير عادية ، وقد تحدثت عن هذه الناحية بتوسع فى الجزء الأول من كتابى « فى عالم المكفوفين » ، وأوردت عشرات من الشواهد التاريخية السابقة والمعاصرة على أن حواس الكفيف تقوى بسبب فقدان البصر ، وقد قلت فيما قلت .

هناك من يعتقد أن الله سبحانه يهب المكفوف قوة من عنده ، يستطيع بها أن يكون ذكيا دقيق الاحساس والادراك ، ويعارض فى ذلك الاعتقاد بعض الباحثين ، ويرى أن الأمر لا يعدو استغلال ملكات ومواهب عند المكفوف ، فهو حين يفقد بصره يعمد الى غير البصر من حواسه يستخدمها ويستغلها ويثير قواها ، فيكون له من وراء ذلك الاستغلال دربة وحيلة وحسن تصرف .

ويقول ذلك البعض : نحن لا نثبت للمكفوفين قدرة خارقة فيما يتعلق بالذكاء أو الادراك ، ولكننا نرى أن تدريب الحواس ، مع الرغبة ، مع حضور الذهن ، مما يؤدى الى براعة المكفوف بهذه الصورة ، حتى ليبدو أحيانا وكأنه أبرع من المبصر » ! .

***

ويقرر الكتاب حكما يحتاج الى مراجعة وتمحيص ، فيقول ان الأديان كلها ذكرت كف البصر كعقاب سماوى ؛ ولا يمكن قبول هذا الحكم على اطلاقه ، لأن الدين الاسلامى لا ينظر الى كف البصر هذه النظرة ، وقد تحدث القرآن عن كف البصر الذى أصاب أحد أنبيائه ، ولا يوجد فى هذا الحديث ما يشم منه رائحة التذكير بالعقاب ، بل جاءت فى القرآن سورة تدور حول الكفيف ، وفيها تقدير للكفيف وتنويه به .

والقرآن الكريم يقول : « ليس على الأعمى حرج » وأخبر الرسول أن من فقد بصره فى سبيل الله لا يدخل النار ، والحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه يقول : « اذا أخذت كريمتى عبدى (أى عينيه) فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة » . ويمكن للقارىء أن يعود الى فصل « أسباب كف البصر » فى الجزء الأول من كتاب « فى عالم المكفوفين » ، وفصل « الرسول والمكفوفين » فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ليرى أن نظرة الاسلام يختلف اختلافا واضحا عما قرره كتاب « تكيف الكفيف » فيما يتعلق بنظرة الأديان الى كف البصر .

***

ومن الملاحظات التى نلاحظها على الكتاب أنه قال بعد أكثر من مائة صفحة من صفحاته هذه العبارة :

« وبين اليهود استطاع بعض المكفوفين أن يصلوا الى مستوى خاص بوساطة حفظ الشريعة عن ظهر قلب ، وحدث مثل ذلك أيضا فيما بعد البلاد الاسلامية » .

هذه أول اشارة ترد فى الكتاب الى المكفوفين فى المجتمع الاسلامى ، وهى اشارة لا تكفى ولا

يحوى مئات الأمثلة على نبوغ المكفوفين المسلمين تغنى ، فان تاريخ المكفوفين فى العالم الاسلامى فى الحفظ وغيره ، وهناك الظاهرة الواضحة فى المجتمعات الاسلامية ، وهى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وأكثر حفاظه من المكفوفين ، وبالرجوع الى كتاب « فى عالم المكفوفين » نجد تراجم لأكثر من مائة وخمسين علما من أعلام المكفوفين الاسلاميين الذين نبغوا نبوغا منقطع النظير ! .

ويقول الكتاب أن الناس فى الماضى كانوا يعتقدون أنه « ليس من طاعة الخالق أن يوفروا للمكفوفين عملا » ، وهذا حكم يسوده التعميم ، وينقصه الدليل ، وتهون المغالاة من قيمته ! .

***

وبقى أن نقول كلمة عما للمترجم وعما عليه :
لقد أحسن المترجم بترجمة هذا الكتاب ، لاحتياجنا اليه والى أمثاله ونحن نحاول أن نلحق بالذين سبقونا فى مجال خدمة المكفوفين وتوجيههم وتدريبهم ، وقد بذل المترجم مجهودا مذكورا فى هذه الترجمة ، وان بدت بعض العبارات أو الفقرات يعتورها نصيب من الغموض أو التفكك ، وذلك بحكم التخلخل الذى ينشأ عن التفاوت بين الكتاب فى لغته الأصلية ، والكتاب فى لغة يترجم اليها ، ولكن هذه الملاحظة لا تبخس جهد الترجمة وقيمتها .

وكنت أتمنى لو أن المترجم وضع بين يدى الكتاب مقدمة يبين للقارىء العربى الأسباب الذى دعت الى اختيار هذا الكتاب للترجمة ، والفائدة المرجوة من وراء نقله الى اللغة العربية ، والمنهج الذى سار عليه المؤلفان فى كتابهما ، ولكنى فوجئت فى أول الكتاب بالعنوان ثم الاهداء من المؤلفين ، ثم الدخول فى النص المترجم ! .

وتمنيت لو أن المترجم عرفنا بالمؤلفين ، وأحدهما كفيف ، والآخر مبصرة تدير عيادة نفسية ، وهما أمريكيان ، وهذه الأمنية تذكرنا بملاحظة تتعلق بها ، وهى أن الكتاب قد ورد فيه طائفة كبيرة من أسماء الأعلام الأجانب الذين لا يعرف القارىء العربى عنهم شيئا ذا بال ، من أمثال هذه الأسماء :

رتشارد فرنش – كاتسفورت – هارى بست – فرانسس كامبل – هاينز – وايلد – ويتكن – كنزى – كرافت ايبنج – فرنشزى – هارت – هبش – هنرى هاربر هارت – انجلش – بيرسون – انمان – لندنر – مالف – ود وارد – سومرز – كروفورد – وغيرهم .
فهلا كان من الخير أن يعطى المترجم لكل منهم تعريفا سريعا فى سطرين أو ثلاثة ، حتى يأنس بهم القارىء ، ويعرف عن كل منهم لمحة تقربه منه ؟ .

ولقد مضى المترجم فى نقل فقرات الكتاب دون أى تعليق أو تفسير ، حتى أتم مائة صفحة اتسمت بما يمكن أن نسميه « الترجمة الصماء » ؛ وفى الصفحة المائة يتعرض المؤلفان لمغالاة بعض الناس فى تقدير وظيفة العين ودلالتها على العواطف الشخصية ، فيقولان : « ان المغالاة فى تقدير العين ووظيفتها فى الأبصار يزيد بشكل ملحوظ الى حد الاعتقاد بأن العين تعبر عن العواطف ، وأنها قد تدل على أخلاق صاحبها ، كما تظهر عيون راقصة ، كما توصف العينان بانهما قاتمتان أو مظلمتان ، أو يمكن فهمهما ، أو كما يقال أحيانا عيون مرحة وعيون حزينة ؛ ومن الواضح أننا ننظر الى العين حينما نريد معرفة سريعة لصفات الآخرين ، والنتيجة التى نصل اليها بهذه الطريقة تعتبر من قبيل الفراسة » .

وهنا – ولأول مرة منذ بداية الكتاب – يعلق المترجم فى الهامش بقوله : « يذكر بعض الكتاب العرب ، ومن بينهم الدكتور حسين فوزى أن العين تدل الى حد كبير على أخلاق صاحبها ، ولكن الأذن أصدق من العين من هذه الوجهة ، فاذا أغلق شخص عينه ، واستمع لصوت شخص آخر ، استطاع من الصوت وحده أن يتعرف على جوانب شتى من شخصيته » .

وأظن أن الحكم هنـــا غير مسلم على « طول الخط » ، فقد تخـــدع الأذن كما تخدع العين ، وطالما ســـمعنا أصواتا لأناس قبل أن نراهم ، فتصورناهم على أوضاع أو صفات ، ثم رأيناهم بعد ذلك فخابت الظنون ، واتسعت هوة الخلاف بين السماع والمشاهدة ! .

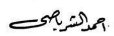
وكان يمكن للمترجم أن يعلق على قول الكتاب ان كرتشمار الألماني وواج الانجليزى قد سبقا الى جمع تاريخ المكفوفين . كان يمكنه أن يعلق على ذلك بذكر مؤرخ عربى قديم قد سبق الى وضع كتاب فى تراجم المكفوفين ، وهو صلاح الدين الصفدى صاحب كتاب « نكت الهميان فى نكت العميان » الذى ترجم فيه لعدد كبير ضخم من أعلام المكفوفين فى تاريخ العروبة والاسلام .

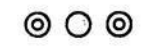
ولقد ذكر الكتاب أن نسبة المكفوفين فى مصر أربعة أو خمسة فى الألف ، وأنها بلاد المكفوفين ، وكان يمكن للمترجم ان يعلق هنا فيذكر مثلا أن نسبة المكفوفين فى مصر كانت خمسة ونصفا فى الألف سنة ١٩٣٧ ، ولكن هذه النسبة انخفضت الى أربعة فى الألف سنة ١٩٤٧ ، وكتاب « تكيف الكفيف » نشر سنة ١٩٥٠ وترجم سنة ١٩٦١ ولا شك أن نسـبة المكفوفين قد تغيرت ، اذ أن جهودا كثيرة قد بذلت لتخفيف نسبة المكفوفين ، ونحن نحاول منذ سنوات التخلص من سبة هذه التسمية : « بلاد المكفوفين » ! .

ولقد ترجم المترجم كلمة « Blind » بكلمة « كفيف » ولم يســـتعمل كلمـة « أعمى » أو « ضرير » أو « أكمـه » وهـــذا تصرف حسن وقد دعوت الى ذلك بحرارة فى كتابات لى سابقة ، وفى كتاب « فى عالم المكفوفين » ، ولكن المترجم نسى فاستعمل مادة « العمى » بدل كف البصر ، وكلمة « أعمى » أو « عميـــان » بدل كلمـــة « مكفوف » أو « مكفوفين » ، وذلك مثـــلا فى الصفحات ٣٢ ، ١٦١ ، ٢٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ... الخ .

وهنـــاك عبارات فى الـكتاب يحتاج القارىء المتوســـط الى شرحها أو تبســـيطها ، مثـــل : « سيكلوجية اكلينيكية مستقلة » .

ولكن هذه الملاحظات العابرة لا تغض من قيمة الكتاب ، ولا من قيمة الجهد الواضح الذى بذله المترجم فى نقل هذا الكتاب المفيـــد الى لغتنا ، لأننا فى أشد الحاجة اليه والى أمثاله من الكتب الهادفة القيمة ! .







الفرد فى فلسفة شوبنهور

تأليف: فؤاد كامل

دار المعارف • ٢٩٠ ص ١٤ × ٢٠ سم •

لم يكن لفلسفة شوبنهور وهى الفلسفة التى ترى الوجود خلال صورته لدى الانسان أن تخلو من شرح وتفسير لكيان الفرد . ان العالم هو فكرتى وفكرتك وفكرة الآخرين ولكن هذه الفكرة ليست قسطا مشتركا بقدر ما هى ابداع شخصى للذات حيال الموضوع . ان العالم فكرة . وهذا يؤكد ترابط الذات والموضوع . ولكنه مع ذلك لا ينتقل بين ذوات كثيرين بحيث يخلق نوعا من الانسجام الكلى بين مجموعة من الأفراد . ولهذا كان للفرد الواحد قيمة كبيرة فى فلسفة شوبنهور ولهذا أيضا استطاع فؤاد كامل أن يلتقط هذا الخيط الفريد ليبـدأ من عنده النسيج للثوب الأنيق الذى أضفاه على فلسفة شوبنهور .

ومن جهـة أخرى نستطيع أن نشعر الى أى حد أراد شوبنهور أن يعارض فلسفة هيجل والى أى حد اكتشف فؤاد كامل هذه المحبة المفقودة فى فلسفة كل من الرجلين فأراد أن يعكسها فى شرحه الدقيق لمعنى الفرد فى الموقف الذى حرص عليه شوبنهور . ففى الوقت الذى أراد فيـه هيجل أن يقيم الدولة على أسـاس الاحساس بحقيقـة المجموع وظهور الروح الكلية فى مكان الأفراد نجـد شوبنهور على خلاف ذلك ينشىء منصبا كاملا متناسـقا مع احساسات الفرد وتصوراته . أو بعبارة أخرى كان هيجل يشرح لتلاميذه أن الرجل لا يستحيل الى حياة فردية الا بمعارضته وباتحاده بالعناصر الأخرى وبكل اللانهائية فى الحياة الفردية الموجودة خارجه . فهو موجود فقط ما دام الكل فى الحياة متقسما بحيث يكون هو جزءا والكل الباقى جزءا آخر . وفى الوقت نفسه انه موجود فقط ما دام غير مكون لأى جزء وما دام لم يفصل منه شىء . فنحن نحيا فى رأى هيجل حياة لا نهائية لتعدد لا نهائى وهذا التعدد منقسم الى مالانهاية له من الاتحادات والانفصالات اللانهائية وليس هذا الكل المنقسم والمتحـد الا الطبيعة . والناس عبارة عن تعبير صادر عن هذه الطبيعة . ولم يشغل هذا الجانب من الموازنة بين موقف هيجل وموقف شوبنهور مؤلف الكتاب الا فى لحظة عابرة فى نهاية الكتاب الختامية حين أراد أن يقوم بتحليل شامل لفكرة الفردية والشخصية والدولة والأسرة . فهذه المشكلة لم تأخذ سوى جزء بسيط من اهتمام المؤلف حـين قال : ولم تكن النزعات التاريخية غير امتـداد لتلك **النزعات الطبيعية فى الفلسفة** الألمانيـة ، اذ لم تكن الروح التى تدفع هؤلاء الفلاسـفة الى الدراسـة التاريخية روحا علمية صرفة تهدف الى دراسة الماضى دراسة نزيهة ؛ فانهم اذا كانوا يريدون بفلسفة الطبيعة ان يجرفوا الكائنات الجزئية فى تيار الحياة الشاملة الكونية ، فانهم حاولوا بفلسـفة التاريخ أن يعثروا على جذور الحاضر الضاربة فى الماضى البعيد ليصلوا من ذلك الى كنه الشعب الألمـانى ، وليقرروا له ماهيـة ثابتـة لا يعتورها الزمان بتغيير ، وهذه

الروح نتيجة طبيعية لجنون القوميات الذى بلغ اشده فى ألمانيا فى ذلك القرن

ويستمر فؤاد كامل فيقول : ويهمنا من هذه الروح أنها كانت معادية تماما لفكرتى الفردية والشخصية ، وكان « كنت » وتلاميذه يؤلفون فى الميتافيزيقا المذاهب المنافية تماما لهاتين الفكرتين . وقد رأينا أن شوبنهور لم يسلم من تأثير هذه الروح ، فأصبح مذهبه محاولة قوية للقضاء على الفردية والشخصية ، وهذا ما حاوله هيجل أيضا تحت ستار « الروح المطلقة » وبرغم التناقض الحاد بين هذين الفيلسوفين اذ يميل أحدهما الى الاتجاه العقلى الصرف ، ويمثل الآخر الاتجاه اللاعقلى ، فانهما يتفقان تماما فى الرغبة الأكيدة التى يشعر بها كل منهما للقضاء على الفردية : هذا بفكرته عن الروح المطلقة وذلك بفكرته عن الارادة .

وهذه هى المرة الوحيدة التى يرد فيها ذكر هيجل بين دفتى الكتاب على الرغم من أنه أقام موازنات كثيرة بين شوبنهور وبين الآخرين . ولكن هذا لم يمنع فؤاد كامل من أن يقدم شرحا وافيا لموقف شوبنهور نفسه من هذه النقطة حين قال فى تذييل صفحة (٩٧) ان شوبنهور كان يفضل الملكية الوراثية اذ توجد فى هذه الحالة أسرة لا تنفصل مصلحتها عن مصلحة الدولة . ومضى فؤاد كامل يشرح الموقف الذى استقر عليه شوبنهور وأشار الى أنه من بين النظريات التى يعارضها شوبنهور النظرية القائلة بأن الدولة وسيلة للسمو بنا أخلاقيا ، وأنها تنشأ عن التطلع الى الفضيلة وانها موجهة تماما ضد الأنانية . فهذا خطأ فى اعتباره لأن الارادة وهى الحرية الخالدة لا يمكن ان يؤثر عليها فعل خارجى أو تدخل أيا كان نوعه . ونظرية أخرى ليست أقل خطأ وهى النظرية القائلة بأن الدولة هى شرط الحرية بالمعنى الأخلاقى ومن ثم للفعل الأخلاقى ، والواقع أن الحرية تقوم عبر عالم الظواهر ، وبالتالى عبر كل الهيئات الانسانية ..

والدولة انما تولد من الأنانية ولكنها أنانية تتعالى فوق وجهة النظر الفردية لتحتضن الأفراد جميعا ، وتعمل لمصلحتهم جميعا ككل ، اى لأنانيتهم ، فهى تفترض مقدما أنانية الأفراد كما أنها لا تعتمد على أخلاقيتهم أو على احترامهم للقانون بدوافع اخلاقية صرفة ، والا لأصبحت الدولة بهذا المعنى شيئا سطحيا ، فهى لا تحارب الأنانية وانما النتائج الضارة التى تنشأ عن الأنانية . ثم يعترف فؤاد كامل فى تذييل صفحة (٩٩) بأن نظرية شوبنهور فى الدولة يشيع فيها التشاؤم كما يشيع فى كل جزء من فلسفته . فالدولة لا تستطيع أن تحقق السعادة الكاملة للأفراد لأن طبيعة الحياة نفسها تقتضى وجود الشر . فاذا تم للدولة نفى الآلام المختلفة التى تكتنف حياة الأفراد ، فانها لن تستطيع أن تطرد الملل الذى يحل محل هذه الآلام جميعا ، واذا



تمكن من رفع الظلم والخلافات عن أفرادها فانها لن تستطيع منع الحروب ، واذا استطاعت منعها فهى لن تستطيع محو الشرور التى تصاحب ازدياد السكان على الأرض زيادة فاحشة .. وهلم جرا .

ويلخص شوبنهور تعريفه للدولة بقوله : الدولة وسيلة تستخدمها الأنانية المستنيرة بالعقل لكى تتجنب الآثار الضارة التى تنشأ عنها والتى ترتد ضدها . وفى الدولة يسعى الفرد الى الخير العام لأنه يعلم أنه يعود اليه فى نهاية الأمر . فالأنانية هى التى تدفع الفرد أولا وأخيرا الى المحافظة على المجموع .

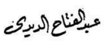
والواقع أنه لابد لنا أن نمتدح لفؤاد كامل طريقته وأسلوبه الهادىء فى مناقشة كل نظريات شوبنهور التى تتعلق بالفرد . ولا أتصور أن من بين كتاب الموضوعات الفلسفية من يصل الى هذه الدقة والوضوح عند تعبيره عن قضايا الميتافيزيقا . ومع ذلك فلم يقم فؤاد كامل بدور العارض أو الشارح لفلسفة شوبنهور فقط لأنه لم يكن يكتفى بالتعليل والتفسير وكثيرا ما كان ينفذ بعبارة نقدية واضحة الى صميم المبادىء والأفكار الخاصة بشوبنهور . فملاحظاته فى نقد مواقف شوبنهور مستمرة مع عرضه لفلسفته ذاتها وتشعر دائما بشخصية فؤاد كامل وقد استوعبت الموضوع الذى تقدمه الينا فى ثقة واعتزاز .

وهذا لم يمنع أن تمر بعض الأخطاء العرضية فى تناول المصطلحات اعتقد أن المؤلف لم يقع فيها قصدا وأنها جاءت نتيجة تزاحم الأفكار عند مراجعته للكتاب . فكلمة Grundlos الألمانية التى وردت فى صفحة (١٢) كان معناها تماما هو كما ذكره المؤلف بلا أساس . أما فى صفحة (٩٠) من الكتاب فيقول المؤلف : فلماذا اذن يجعل شوبنهور نزوع الارادة يقتصر على الشر وحده ؟

واذا كانت الارادة شرا ، فكيف يمكن أن يوجد الخير فى الوجود ؟ كان الأحرى بشوبنهور أن يجعل الارادة مبدأ محايدا ، فلا هى الى الخير ولا هى الى الشر ، ما دام قد جعل الحرية جوهرها ، بل انه يصف هذه الحرية بكلمة جاكوب بوهمه Jacob Bohme المتصوف الألمانى فيقول عنها انها Urgrund أى بلا أساس .

وليس بين يدى النص الألمانى حتى أراجعه مع فؤاد كامل عند مطالعتى للعالم كارادة (الجزء الأول) فى الصفحتين (١١١) ، (٢٨٦) اللتين ذكرهما فى الحالتين . ولكن ترجمته بلا أساس للمصطلح الأول صحيحة لا شك فى ذلك عند وصفه للارادة عند شوبنهور . أما فى الحالة الثانية فالكلام متعلق بوصف الحرية . وكلمة Urgrund التى وصف بها الحرية معناها على العكس مما ذكره فؤاد كامل الأساس الأول الخلاق المبدع . لذلك أنا أعتقد أن ثمة خطأ خارجا على ارادة المؤلف وأنه يرجع فى الغالب الى التقاط متعجل للكلمات فى الموقفين . كذلك ترجمته بالمولد لكلمة génétique والصحيح الناسلى .

وهناك شىء آخر أود أن احذر منه فؤاد كامل وهو أنه قد بدأ يخضع أكثر مما ينبغى فى نظراته لآثار حبه وقراءاته لبرديائيف . ولم يستطع فؤاد كامل ان يتخلى عن كثير من هذه الآثار عند معالجته لنظريات شوبنهور . ولكن هذا السبب نفسه هو الذى جعلنا نستمتع بالصفحات الأخيرة من الكتاب التى صار فؤاد كامل يعدد فيها الملامح التقديرية التى يراها فى فلسفة شوبنهور بالنسبة الى الموقف الفلسفى المعاصر . اننى اهنىء فؤاد كامل وأتمنى أن يخرج لنا نتاجا جديدا على هذا النمط وبهذا الأسلوب الحى الرصين .



رحلة حول حجرتي

تأليف: جزافييه دوميستر
ترجمة: احمد ابو الخضر منسى
مراجعة: الدكتور يحيى الخشاب

الناشر: دار الفكر العربي بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب
١٦٨ ص ١٤×٢٠ الثمن ٩ قروش

وددت أن أقوم بهذه الرحلة مع المؤلف لأسجل عليه كل خطواته ولفتاته ، بل كل زفرة تنهدها عند كل اكتشاف توصل اليــه فى رحلته تلك الفريدة .. لكننى أفقت الى نفسى بعـد لحظة اعجاب بهذا العنوان « رحلة حول حجرتى » .. ذلك لأننى عنـدما وقع ناظرى على اسم المؤلف الـكونت جزافييه دوميستر .. طـابت نفسى واطمـأنت .. اذ أنه لن يدخر وسعه فى رصد دقائقها بين طيات هذا الكتاب ، ومؤلف الرحلة هذه كاتب نابه ، متمكن من قلمه فتميز بأسلوب رقيق ، وألم بأصول الـكتابة فى مثـل هـذه الموضوعات فابعدها عن عوامل الملل ، وللمؤلف غير هـذه الرحلة كتـابان هما « أبرص مدينة أوست » و « السيبيرية الشابة » (١) .. نرجو ان يحتضنهما مترجم دءوب مثل الأستاذ أحمد أبو الخضر مترجم هـذه الرحلة .. ذلك لأنهما يتسمان بالعمق والروحانيـة فى عصر كانت القيم فيه قد تبدلت معـاييرها ومفاهيمها أيام الثورة الفرنسية .. فآثر جزافييه العزلة ليدبج فيهـا خلجات نفسه وانطباعاتها .

ورحلتنـا التى نحن بصـددها تتمثل فى الأحـداث التى عاشها المؤلف ، وأخـذ يصب انفعالاته بها وأحاسيســه نحوها فى مذكراته من داخل حجـرته ، أو بالأصح من داخـل عقـله ومشاعره ، فاستغل طوال رحلتـه ضمير المتكلم زيادة فى الحبكة وقوة فى الايحـاء الذى يقتضيه هذا النوع من الأدب ، ثم استخدم طبيعة المكان الضيق فى تركيز المعانى التى يقصدها من الأحداث فى غير ما اسراف أو املال .

بدأ المؤلف رحلته بوصف دقيق لأبعاد حجرته وما تحتويه من لوحات زيتيــة ، ومن سرير ذى لون وردى هادىء تشـع عليـه الشمس بنورها فى الصباح اشراقة وضاءة .. فتسلمه لتخيلات وذكريات ، منها المبهج ومنها المقبض .. فيلتفت الى نفسه كانسان ، يراه قد اشتمل على شقين ــ نفس وبهيمة ــ تلاحما وتداخلا بحيث تركب النفس بهيمتهـا فى تفوق محبوب حتى يمكن التمييز بينهما . وهنا يفصح المؤلف عن مفهومه الخلقى فيقول بضرورة معرفـة الانسان كيف يربى هذه البهيمة كى يمكنها أن تتصرف لنفسها بنفسـها للخير ، بينما تكون النفس قد استطاعت أن تتحرر من ربقة الاقتران بهـذه البهيمة فتنطلق محلقة فى السماء .

لكن المؤلف ما يلبث أن يشعر بأن رحلة بهذه البداية كفيلة بأن توقف القارىء عن مواصلتها .. فيعتذر لنـا مستدركا ، ويعرج بنا على لوحة زيتية تصور الطبيعة فى عظمتها وبهجتها مما أثار فى نفســه أياما خوالى وشجنا .. لكننا لا نلبث أن نفيق على شىء هام .. هو أن هذه الصورة التى وصف دقائقهـا تؤكد مفهومه الذى أفصح لنا عنـه عن تكوين الانسان بشقيه ، ويأخذ فى محاولة تخليص النفس أو تحريرها من ربقـة بهيمتها هذه .. فيشطح بهـا أو بنا على حد سواء ــ على شريطة أن نحلق معـه فى السماء بنفوسـنا فقط ــ بينما تواصل بهيمته القيام بعمل آلى خالص .. ألا وهو اعـداد الطعام للافطار .. لكننا ــ واحسرتاه ــ نتأوه معه الما

(١) "Le Lepreux de la cité d'Aoste", "Le Jeune Siberienne."

من جمرة نار تحرق أصابع هــــذه البهيمة .. فتعيد النفس وتعيدنا معها اليها دون ان نستطيع خلاصــا أو فكاكا ، فينتقل بنا الى لوحة أخرى لمدام دوهو كاستل حبيبته فى صباه ، ويرجونا ان نشاركه فى ازاحة الغبار عنها ليلقى نظرة عليها ويناجيها مناجاة روحانيــة « تعالى أضمك الى صدرى يا روح فؤادى ويا شطر وجودى ..» ويواصل ذكرياته معها عندما كانا يصعدان تل مدينة تورين .. فنعيش معه فى اندماج لا ارادى حتى يتسلل هو منســحبا الى واقع حجرته لنفيق على صــوت خادمه المخلص جوانيتى ، ويأخذ فى اطراء خــلاله وتصرفاته الهادئة التى كانت وســيلة لكشف طبيعــة حبيبته هذه ، وما اقترفته نحوه من اهمال وخيانة لحبه .. وهنا نجد ان بهيمته تتغلب على النفس فتجعله يحس بأن الصورة لا تأثير لهــا عليه لأنها مجرد سطح مستو ذى ألوان .. ثم ينقل لنا مواقف انسانية مع خادمه تارة ومع كلبته روزين تارة أخرى ليبين لنا مدى الأصالة والاخلاص الكامنين فى الحيوان عن دوهو كاستل التى خانته .. لكنه لا يحب أن ينســاها بل لا يرضى أن يكرهها .. لا رأفة بهــا وانما لأن قلبه عامر بالحب .. حب كل النســاء وكل ما فى الطبيعة من جمــال حتى ولو ذاق منها الأمرين ، وبينما هو فى فورة حبه العارم يلمح لوحة بارزة فى جانب آخر من حجرته على نقيض طبــاعه تماما .. اذ انها تمثل رجلا يدعى البير يقف فى جمود وتعــال كمن قد قلبه من حجر بينما شارلوت تهتم بحبه متدلهة فتركع عند قدميه مستعطفة .. وهكذا تزدحم الطبيعة بالمتناقضات والحظوظ المتباينــة التى تذكره بصــديق له حميم مات من زمن على فراشــه بالقرب من مكان هــذه الصورة .. فيحدثنا المؤلف قائلا .. « وما كانت الطبيعــة لتكترث بحظوظ النــاس ... كل شىء فى دار الموتى يحتسى كؤوس الفرح والحياة الدافقة : اذ يضرب الليل بأرواقه واذ القمر باهــر الأنوار ، واذ أنا بأكناف التأمل لائذ ، قرب تلك البقعة الموحشة ، أسمع الصرصور يشدو واثبا طروبا بغنائه لا يسأم منــه ولا يرتد دونه حسيرا ، وقد خنس تحت بساط من العشب فوق قبر صاحبى الذى جلله الصمت والسكون » .

ويمضى بنا فى وصف صور عديدة فى حجرته تثير لديه ما اندفن من ذكريات حتى يتــذكر نقاشه مع مدام دوهو كاستل حول افضلية الفن التشــكيلى على فن الموســيقى .. وما كان لكل منهما من مبررات لوجهتى نظريهما .. لكنه يحسم أمر هــــذا الخلاف بشخوصه امام المرآة مؤملا اختراع مــرآة لابراز حقيقــة النفوس .. ممــا يجعلنــــا نحس بأنه ذو مذهب تأثيرى فى فن الرسم .. ذلك لأن المرآة بطبيعتها تشف صورة كل من ينظر فيها ، ولابد أن يرضى عن نفسه من خلالها .. فما بالك لو كانت مرآة تســبر الغور وتكشف ستر النفوس .. راضية كانت أم غير راضية .. لابد أن تنطبع على الناظر لهــا آثار ناتجــة عن حــكمه على نفسه وما برز له من دخيلتهــا .. وتسوقه هــذه المعانى الى الــكلام ثانية عن الانسان وعن شقيه المكونين له .. ولكن فى صــورة حــوار نابه مثــير ينتهى بتناول الطعام كرمز لاشباع البهيمة الانسانية ، ومع ذلك نحس أن هذا المؤلف الرحالة يستكثر انتصار هذا الشق البهيمى .. فيطوف بنــا فى أعماق تمثال أبيه الرابض على مكتبه ، ويتساءل متحديا أمهر المثالين أن يبدعوا تمثــالا لأبيه يبرز من سماته كريم شمائله وطيب نفسه ، ثم يستطيع اقناعنا بأن نحزن معه عليه لأنه لم يعد بمستطيع زيارة قبره فى الوطن الذى طردته منــه الثورة الفرنســية .. ولا ينسى المؤلف هنا أن يلمز هؤلاء الثوار الذين طردوه من وطنه .. فيتخيل بين أوراق مكتبــه اشــباحا لأبقراط وأفلاطون وبيريكلس واســبازيا زوجــة بيريكلس الزعيم والخطيب اليونانى المشــهور .. فيتحدثون عن الطب أولا ، ويبدو من سير المحاورة نزعة المؤلف التشــاؤمية فى موقفه من العلم الذى يقول عنه « الا ان أسرار الطبيعــة لفى حجاب عن الموتى والأحياء كافة ، ان الذى خلق الخلق ودبر الأشياء هو وحده العليم بالسر الأعظم الذى كد الناس ليعرفوه » . ثم لا يفتأ يحدث الأرض التى أقام فيها منفيا .. فيستطيبها ويعلن أنه حر طليق فى هذا المكان بعيد عن وطنه الذى أبعدوه عنه .

ويعود في رحلته الثانية الى حجرته المحطمة في تورين من جـراء مدافع الغزاة الفرنسيين ، ويستأجر حجرة جديدة في الطابق الخامس .. يحس فيها بعزلة حبيبة الى نفسه بعد أن تركه خادمه المخلص ليتزوج ، وبعد أن أودع كلبته العجوز لدى راهبة للعناية بها .. فيحدث عزلته مستطيبا « يا عزلتي ما أحـلاك ! لقـد عرفت محاسنك التي تسكرين بها عشاقك . الا بؤسى لذلك الذي لا يستطيع الانفراد بنفسه يوما في حيـاته دون أن يدهى بكرب الضجر ، ومن هو أحب اليه أن يحادث الحمقى على أن يتحدث الى نفسه ! » .

ويبدأ رحلته هذه المرة بشيء من الطرافة .. اذ يتخيل نافذة حجرته ظهر الحصان الخشبي المعروف في الف ليلة وليلة ويركب نافذته على هذا الأساس .. مدليا قدمه اليمنى في الطريق ، واليسرى في حجرته .. ويشخص بناظريه نحو السماء محلقا بين النجوم ليصطحبنا معه في رحلة الليل ، ثم يرفع عقيرته بأشعار للشاعر أوسيان شاحذا بها قريحته في تسجيل خواطره عن رحلته فتصطدم رأســه الســاخنة بأعلى النافذة .. ويتوقف عن الرحـلة قليـلا ليستعيد قواه وأنفاسه .. لكنه يفاجأ بزوج جارته يصعد اليه لائما له احداثه ضوضاء تقلق زوجته المتعبة .. فتبتئس نفسه لهذا اللوم أو التقريع غير المنتظر ، ويزداد في عزلته انكماشـا ويأسا من الخير بين البشر .. وهنا يسوق لنا صورة أدبية رائعة يبغي منها هذا المعنى في نفوسنا .. اذ يذكر انه قد عثر في درج مكتبه على لعبة لحمامة بيضاء كان قد ابتكرها صنعا ، وكان يقصد منها أن تطير في الفضاء لتنافس صويحباتها الحقيقيات ، فزودها بنوابض تدفعها الى الانطلاق ، وعندما بدأ في اجراء تجربته ، كانت اللعبة قد انطلقت في فضاء الحجرة لتسقط أمام كلبته الســابقة روزين ، وكانت تتلهف شوقا الى مثل هذا النوع من الأكل .. لكنها لم تحرك ساكنا ، وأشاحت بوجهها أنفة من هذا الهراء .. ثم نلحظ أنه وهو يحكي هذه الذكرى الصغيرة يرفع برأسه الى السماء المظلمة فيرى سربا من طيور الكراكي يحلق طليقا في هذا الفضاء العلوي ، ولا يلبث أن ينتشلنا من الابتئاس الذي شـاركناه اياه .. فينزلنا من عليائنا بين طيور الكراكي .. لنسمع معه صوتا عذبا يشدو بأنشودة حبيبة الى نفسه — وهنا نلحظ انه لم يعد ملتزما بمذهبه أو بمفهومه عن الانسان وعن شقيه المكونين له ، بل صار يستعين بكل منهما في تناوب أحيانا وفي تلازم أحيانا أخرى — فنراه بعـد أن ننزل معه من السماء الى هذه الصورة الحالة فوق الأرض أقرب الى تحطيمها منه الى اكمالها .. فيعلمنا بانه أخذ يبحث عن مصدر هذا الصوت المنساب في عذوبة ، ووجده منبعثا من شرفة جارته المريضة في الطابق أسفله ، فاذا ما سألتني أيها القارىء وكيف عرفنا منه ذلك ؛ أحيلك آســفا على قصص بوكاشيو في مكائد النســاء .. لتتصور معي كيف غامر صاحبنا بحياته متدليا في فضاء الطريق حتى صار معلقا نصفه في الهواء ليتمكن من رؤية صاحبة هــذا الصوت ، بل أخذ يصفها من خلال موقفه ذاك الى أن نهرها زوجها وأمرها بالدخول واغلاق الشرفة ، ويبدو أن جزافيه هنا احس بالفكاهة المسيطرة على موقفه الحرج ذاك .. فآثر هذا الجانب على العنصر الرومانسي الرقيق .. فاندفع في اكمـال هــذه الفكاهة ولو على حساب الصورة الأدبية التي بدأها .. فأعلمنا بأن وطواطا وجد صاحبنا على هذه الحال .. فظنه مدخنة بارزة في الطريق لم يلبث أن علق بهــا .. فكانت صدمة عنيفة لأذنه وصدغه .. دفعته الى الصياح فزعا في هذا السكون .. اننا قد نتقبل من الكاتب لجوءه الى هذه الوسيلة للتخفيف من حدة موقف أحاط به الاملال من كل جانب ، ولكن بشرط أن يكون هذا الموقف غير متعارض مع هــذه الوسيلة .. فما بالك ان كان هـذا الموقف في ذاته جادا كل الجـدية لدرجة أننـا نقرأ خلاله مناجاته للنجوم ونقرأ له أنه مغيظ حزين لعــدم اهتمام الناس بالتطلع الى النجوم قدر تهالكهم على رؤية الملاهي والمسرحيات ، ويتمنى لو اسـتطاع مهندس أن يقيم حاجزا يحجب هــذه السماء بنجومها عن الناس ليعرفوا مبلغ قيمتها فيتهافتوا على حجز أماكن لرؤيتها منها ، بل يتمنى ان يضع هو نظاما

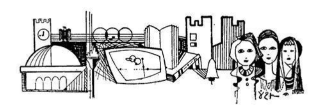
جـديدا للكون والزمن .. ويشرع فى ذلك فعلا بانكار ما يسمى بالزمن ــ فما هـو الا نتاج من عانوا ثقـل الملـل ــ لأنه لا يدرك وانمـا يحس بالحواس فقط .. وعندما نهيىء أذهاننا لمناقشة هذا المفهوم .. نراه يهرب منـا الى هذه النهاية المضحكة .. ألا وهى اعجاب الوطواط بهذا الجسم المدلى ... لـكننى ماذا أستطيع أن اقـوله ازاء رحلة كهذه .. لابد وأن نرى فيها الأعاجيب !! .

لكنه قرب آخر الرحلة يثير أمامنا مشكلة أخرى نعيشها جميعـا .. ألا وهى الصلة بين القلب والعقل او بين العاطفة والحكمة ، ويحاول أن يصل الى تفضيل واحـدة على أخـرى فلا يستطيع الا اقتراح اسـناد تلك المهمة الى رجل !! رجل قطع رأسه وبتر قلبه فاصبح منهما خلوا ومن تأثيرهما متحررا .. وأنى له بهذا الرجل العادل على هذه الشاكلة .. ولهذا يركبه التشاؤم .. فينادى الناس ناصـحا لهم بالتعقل لأنهم جميعا الى فناء .. ولا يلبث أن يلمح النجم القطبى فى السماء .. فيزمع الرحيل الى الشمال على هديه ، ويتساءل ما هى السعادة وما هو الخير ، ثم يثير مسـألة هامة بالنسبة له ولنا .. وهى عوامل ارتباطه بوطنه والسر الكامن وراء محبته له .. لكن النجم يختفى أثناء أسئلته العديدة هذه .. كمن فقـد الهداية .. فيلكز حصانه الخيالى بقدميـه ليسرع به خلف النجم .. لكن حائط النافذة يدمى قدميـه عندما لكزه بشدة وهو واهم .. فيفيق متألما على ارتباطه بحقيقة الأرض المحيرة .. وتنتهى رحلتنا معه الى هذا الحد .

وهنا نتساءل ونقول .. هل أفلح المؤلف فى اكتساب قراء اللغة العربية لمصاحبته فى هذه الرحلة ؟ أو بالأصح هل احتفظت الترجمـة العربية بروح النص الأصلى وأسلوب مؤلفه ؟ . اننى أستطيع القول بأن الترجمة قربت هـذا اللون من الأدب الى الذوق العربى .. فى صياغة لغوية جزلة . يذكرنا بأسلوب اليازجى .. الا أن هذا الأسلوب ان كان يصلح لذوى الجبـاه العريضة ، فانه من الصعوبة بمكان أن يضم اليـه من عداهم من القراء .. ومع ذلك فانه يشجع كل راغب فى استيعاب دقائق اللغـة على الالمام بتفاصيلها ، الا أننا لو ربطنا بين هذا وبين مقتضيات التفاعل والاندماج بين القارىء وبين ما يقرأه من قصة او مسرحية أو .. رحلة .. للمسنا أن الاغراب فى اللفظ واضطرار القـارىء للرجوع الى الهوامش والقواميس للكشف عن معناه يعوق تحقيق هذا الهدف المطلوب .. والترجمة مليئة بهذه الألفاظ مثل « لا يتكاءدنى » هوشات الأسواق فى صفحة ١٣ ، تمشى الخيزلى ، مقعنسسا فى صفحة ٢٢ ، ما ترمرم فى صفحة ٣٥ ، كشقق الخز او سفائف الحماة فى صفحة ٧٧ ، البربط فى صفحة ٨١ ، متلفعا بمدرعة فى صفحة ٨٣ ، بيتا حريدا فى صـفحة ٩٦ ، يحادث النوكى فى صفحة ٩٧ ، جرفتنى أواذيها فى صفحة ٩٨ ، طلب عيبتى فى صفحة ٩٩ ، فى بلهنيـة ورفاغة صفحة ١٠٨ ، حنادس ظلامها صفحة ١١١ وغير هذا كثير » .

الا أننا يمكننا أن نعتبر هذا الاغراب المؤدى الى عرقلة الارتباط الذهنى بسياق الرحلة .. يمكننا أن نعتبره رياضة ذهنية ، تريح الذهن من نوع من المتابعة ليبحث عن معنى جديد يعاود بعده هذه الرياضة ، كذلك نحس بأن الأسـتاذ المترجم اذا ما وجـد حكمة او بيتا من قصيد عربى يليق بموقف من مواقف الرحلة .. فلا ضرر من سوقه مع بقيـة الترجمة مثل « فينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير .. فى صفحة ٧٢ » ، « كأنها نائحة تفجع .. تبكى لشجو وسواها الموجع .. فى صفحة ١٣٤ » ومع ذلك فان الكتاب كترجمة يعتبر جهدا أدبيا مشكورا نظرا لما هو معروف عن أسلوب جزاقيبه من تعقيد غامض فى غالب الأحيـان .. بسـطه لنا المترجم فى رصانة ووضوح .. جعلاه فى متناول الناطقين بالضاد .

جمال بدران





قادة فتح العراق والجزيرة

تأليف : اللواء الركن محمود شيث خطاب
القاهرة : دار القلم ١٩٦٤ — ٤٨٦ صفحة
٦٠ قرشا .

مؤلف هذا الكتاب ضابط عراقي كبير ، أتيح له منذ بعيد أن يتوفر على كتب التاريخ العربي ، وأن يلم بخوافيه من نواح عديدة . وقد دفعه الى هذا ما يجده من تقصير لدى أبناء هذا الجيل نحو الرواد الأول في سجل نهضة العرب ، وفي تاريخ عظمة الاسلام .. يقول المؤلف « ان معرفة الماضي هي وحدها تطوع لنا تصوير المستقبل ، وتوحد جهودنا الى الغاية الجديرة بتراثنا العظيم ، فالماضي والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل الى انفصامها ، ومعرفة الماضي هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر ومعرفة المستقبل .

« ان معرفة حقيقة تاريخنا ومعرفة سيرة (روح) هذا التاريخ وهم قادة الفتح وقادة الفكر هي مصل وقائي للعرب والمسلمين تصونهم من الانحراف في مجرى التيارات الفكرية الدخيلة التي لا تنبع من صميم تربة وطننا ولا تمت بصلة الى تراثنا وعقائدنا كما أن المراجع القديمة يشوبها اضطراب والمراجع الحديثة اقتصرت على أشهر مشاهير القادة » .

وقد عالج المؤلف تاريخ الفتوحات في العراق والجزيرة علاجا جديدا ، وهذا يبدو في انه أرخ لحياة قادة هذه الفتوحات حسب تسلسلها في منطقة جغرافية معينة ، ويبدو أن هذا ما سوف يفعله في كتبه القادمة ، حتى يؤرخ لفتوحات العرب في المشارق والمغارب كافة . الى جانب هذا فهو قد تحدث عن القائد في حياته الخاصة وعن مكانه في التاريخ حديثا لا يقل اهمية عن دوره الكبير في الفتوحات .

وشيء آخر جديد اتى به المؤلف اذ انه لم يقتصر في كتابه على ذكر مشاهير القادة الذين لا يكاد يخلو من ذكرهم كتاب مثل سعد والمثنى وخالد ، وانما اهتم كذلك بالأبطال الذين لعبوا دورا كبيرا في الفتوحات ، ولم ينالوا التقدير الكافي من جهة من ألفوا في التاريخ الاسلامي .

ومع أن الغاية من الكتاب هي سرد لتاريخ اثنين وعشرين قائدا في بلاد العراق والجزيرة الا أن المؤلف — تدفعه في هذا عوامل عدة — اتجه الى أن يؤرخ أيضا لفتح أذربيجان واصبهان وكرمان وأرمينية والرها وغيرها من المدائن والبلدان التي تقع خارج المنطقة التي يبحثها . هذا الى أن النزعة الوطنية لدى المؤلف أدته الى أن يغمض الطرف عن بعض الهنات لنفر من الفاتحين العرب أمثال المغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة أو يعتذر عنها .

ولم ينس المؤلف أن يدعم كتابه بخرائط وصور وجداول زمنية توضح الصورة التي رسمها لنا عن هؤلاء القادة ، وأن يتحدث في صدر الكتاب عن مقدمات الفتح وأحوال البلاد المفتوحة ، كما أعطانا فكرة طيبة عن حكمة الفتوحات المشهورة . الاسلام أو الجزية أو القتال ، ودافع عن وجهة نظر الغرب في هذا دفاعا صادقا مرضيا .

ولا يسعنا أخيرا الا أن نردد مع المؤلف « ان قصة حياة هؤلاء الأبطال تبهر العقول والابصار فهل ستصمت الأصوات المنكرة التي عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخا وتراثا من وراء الحدود أم على القلوب اقفالها !!

معركة العلمين

بقلم : مايكل كارفر
ترجمة : محمد ابراهيم عبد العزيز
مراجعة : حسين الحوت
الدار القومية للطباعة والنشر . (من الشرق والغرب) ١٦٦ صفحة ـ قطع كبير ـ ١٥ قرشا

فى أكتوبر عام ١٩٤٢ بدأت معركة العلمين ، وكانت ايذانا بتحول المد فى صالح الحلفاء ، بعد ثلاث سنوات تلاحقت خلالها ضربات المحور الواحدة تلو الأخرى . وقد أتيح للمؤلف ـ وهو بريطانى ـ أن يلم بأحداث هذه الملحمة الكبرى ، فهو قد عاصرها ، ووقف على عديد من الوثائق الهامة التى لم تتوفر لغيره ، كما يبدو أنه كان على اتصال ببعض من أسهموا فى هذه المعركة .

وروملِ من القواد الذين دخلوا التاريخ من أرحب أبوابه وأوسعها ، وهذا يبدو بوضوح فى الاستراتيجية المعهودة عنه والتى تنحصر فى سرعة الانقضاض وتوجيه الضربات ثم الانسحاب السريع وترقب الفرص . هذه الاستراتيجية التى من أجلها عرف « بثعلب الصحراء » .

ولكن هناك من الأسباب ما كان مقدمة للانتكاسة التى جرت فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، فقد كانت الاتصالات بين الفيلق الأفريقى وبين الفوهرر مقطوعة أو شبه مقطوعة وطريق الامدادات عبر الصحراء طويل تكتنفه الصعوبات ، *والتآلف غير موجود بين الايطاليين والألمان* . ولربما كان من الممكن أن تتغلب عبقرية روملِ على كل هذا لولا وجود قائد لدى الانجليز من طراز مونتجومرى .

وقيمة الكتاب الحقيقية تبدو فى انه من الكتب القليلة التى تناولت معركة العلمين ، اذ ان أغلب الكتب التى أرخت للحرب العالمية الثانية كانت تركز على غزو أيزنهاور لشمال أفريقية سنة ١٩٤٣ ، وعلى الزحف الكبير على نورماندى سنة ١٩٤٤ ، وفى اعتقاد المؤلف ـ وهو صادق فى هذا كل الصدق ـ ان نقطة التحول فى الحرب العالمية الثانية كانت فى ستالنجراد وفى العلمين .

وقيمة الكتاب تبدو أيضا فى اعتدال المؤلف وحيدته فى اصداره للأحكام ، فلم يكن التحيز لأبناء جلدته ظاهرا الى حد كبير . ويبدو أنه ـ ويشاركه فى ذلك كثير من الغربيين ـ يعطف على روملِ القائد الألمانى الكبير ويكن له من التقدير ما لم يكن يعطى لقائد مهزوم ومعاد لبلاده .

وكنا نود لو أن المؤلف أشار اشارة متسعة الى تفكير الانجليز خلال أيام الحرب الكالحة فى اغراق الدلتا بقطع الجسور لما أيقنوا بفشل خططهم امام الهجوم الألمانى الكاسح . هذا الى أن المؤلف لم يشر الى الموقف الداخلى فى مصر وأثره على الموقف الخارجى فى الميدان .



أحمد زكى الملقب شيخ العروبة

بقلم : أنور الجندى .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
٣٠١ صفحة ٥ قروش

اهتم الأستاذ المؤلف منذ بعيد بدراسة الحياة الأدبية المعاصرة ، وله فى ذلك كتب عديدة منها كتابه عن الزهاوى وكتابه عن زكى مبارك ثم هذا الكتاب .

وأحمد زكى من أبرز رواد النهضة العربية الحديثة ، ولد يوم أن بدأت هذه النهضة ، وله دور كبير فيها وبخاصة فى احياء التراث العربى ، وفى مجالات التأليف والترجمة والتحقيق اللغوى والتاريخى ، وله مساجلات عدة مع علماء الاستشراق فى المؤتمرات التى واظب على حضورها ، كما أنه اسهم بدور فعال فى المعارك الأدبية مع خصومه وأصدقائه على السواء .

وساعده فى هذا مكتبته التى حوت من المؤلف والمطبوع آلاف الكتب وعرفت بالخزانة الزكية

على مثال الخزانة التيمورية ، وساعده أيضا ما طبع عليه من جد ومثابرة وجد على البحث وأبرز ما يبدو فى شخصية « شيخ العروبة » انه كان من أوائل المصريين الذين فطنوا الى حقيقة وضع مصر وموقعها من الأمة العربية وكان من المسهمين فى قضية فلسطين يوم أن لاحت فى أفق السياسة العربية ، ولعل هذا كان السبب فى اهتمامه العظيم باحياء التراث العربى . الى جانب انه كان ذا عقلية موسوعية جبارة ، حوت من صنوف المعرفة وفروعها الشىء الكثير . وساعد على هذا رحلاته التى بدات منذ أن كان فى الخامسة والعشرين طوف خلالها كثيرا من بلاد الشرق وأوربا عضوا فى الهيئات والمجامع العلمية المختلفة .

لقد اجتمع هذا كله عند أحمد زكى ، ومع هذا فانه كان من المفكرين الذين عاشوا على هامش السياسة ولكنه أسهم فيها بدور كبير ، فقد كان من فريق المعتدلين الذين لم يماشوا دعوة مصطفى كامل ، ولهذا كان أحمد زكى أميل الى القول بالاصلاح فى الداخل قبل تغيير الوضع السياسى .

والكتاب جيد لولا انه يؤخذ على المؤلف أمران . الأول : انه أخطأ فى تاريخ وفاة السيد جمال الدين الأفغانى ، فالحقيقة انه توفى سنة ١٨٩٧ وليس سنة ١٨٩٣ كما ورد فى الكتاب . هذا الى أنه يذكر فى أوائل كتابه أن محمد عبده ولطفى السيد وغيرهما من المصلحين كانوا يميلون الى جانب المعتمد البريطانى ولم يوضح لنا بالضبط كيف كان هذا ولماذا اتخذوا هذا الموقف ، حتى لا يلتبس الأمر عند القراء وخاصة متوسطى الثقافة وغير المتخصصين منهم .

المشاعل

تقديم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد
نظم : كامل أمين
القاهرة : عالم الكتب ١٩٦٢

فى هدوء ودون أية جلبة ظهر ديوان المشاعل للأستاذ الشاعر كامل أمين ، وكثير من المثقفين وحملة الأقلام لا يعرفون شيئا عن صاحب الديوان . وللحقيقة والتاريخ فان المشاعل ديوان يجب ان يقرأ ، وأن يعاد تقويمه من جديد فى دنيا الأدب وبعد سنتين من صدوره .

والطابع السائد فى الديوان هو الحزن والألم ... والتشاؤم ، ويلوح هذا بوضوح فى ملحمته الشجية التى يخاطب الشاعر فيها روح ولده المتوفى :

ولدى : صباح الخير يا طفلى الصغير
يا قلب نور الفجر فتحه الندى بدم العبير

انى أتيت اليك يا ولدى بماضى الضرير
أتحسس الدنيا اليك على الشواهد والقبور

على أراك من التراب كما رأيتك فى الشعور
خذ ذلك الاكليل ياولدى من الخوص الكسير

فالخوص يكفينا اذا لم نمتلك ثمن الزهور

واسمعه أيضا حيث يقول :

عشت كالتائه لا أدرى لمن أحيا الحياة
النفسى أم لغيرى أم لسر لا أراه

كلما ضمدت جرحا من جراحى قلت آه
فالأسى كالجرح يبكى للمآسى والاساه

بيد ان هذه النزعة المخيمة على نفس الشاعر لا تستغرق كل أجزاء ديوانه فمن شعره الوطنى تحيته الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

اذا عددت الأيام ذقناك باسما
كأنك شهد ذاقه ثغرنا المر

وان أقفرت دنياك اقبلت ناضرا
كأنك فيها خير ما أورق العمر

وان كفر الانسان لاقاك مسلما
كأنك آيات بها يمحق الكفر

كأنك من أهل السماء على الثرى
تطيب بك الدنيا ويحيا بك البر

والأستاذ كامل أمين من الشعراء المجددين ،

وهو فى هـذا المجال عالج مشكلة القافية اذا ما طال المقام وتعددت المشاعر والأحاسيس ، فقد ساد نظام المقطوعات مكانا فسيحا فى ديوانه . وهو لم يتقيد بعدد معين من الأبيات فى كل مقطوعة يساوى عدد الأبيات فى المقطوعة الأخرى كما أنك تنتقل بين هذه المقطوعات فى سهولة ويسر بديعين . وفى قصيدته عن ولده يقول على لسان الطبيب :

اذهب به ولسوف يمتعه العلاج غدا بصحه
أما وقد نصح الطبيب فاننى قدرت نصحه
وفهمت من هذى النصيحة انه يدرى بحالى
فالطفل تنهشه المواجع والدواء اليوم غالى

غير أنه يؤاخذ على الشاعر ان قصائد ديوانه غير مرتبة حسب الموضوع أو الزمن أو القافية . كما أن شعره احتوى بعض الكلمات المبتذلة البعيدة عن الذوق العربى . مثل دكتور وبترول ومصحة وفنجان . وتوجد أيضا بعض الأسماء التاريخية التى تحتاج الى شرح مثل يوشع وقادش وحطين وسدوم . وبالديوان أغلاط تاريخية مثل :

حيوا وزارات الأنابيب التى
تنساب من حيفا بدم الموصل

فلا توجد أنابيب زيت تربط بين الموصل وحيفا ، حيث أن المدينة الأخيرة تقع فى فلسطين المحتلة منذ أكثر من خمسة عشر عاما .

والديوان به بعض الأبيات السقيمة الضعيفة فى البناء والتركيب :

يقولون عهد الشعر فى اللوعة انقضى
وأصبح شعر اليوم فى الحرب والقتل

أجل كله شعر ولكن من بكى
على الحب لا يبكى على الثوب والأكل

ومن أبيات الديوان ما هو مقتبس من الشعراء القدامى :

كلانا غريب أيها النخل فى الربى
تغربت لكنى تغربت فى اهلى

نجد هنا روح صقر قريش عبد الرحمن ابن معاوية الداخل وهو يتناول نفس الموضوع :

يا نخل أنت فريدة مثلى
فى الأرض نائية عن الأهل

او يقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض العزب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى
وطول التنائى عن بنى وعن اهلى
نشأت بارض انت فيها غريبة
فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى

جملة القول ان الديوان عمل فنى طيب ، يحتاج الى اعادة تقويم وعدالة تقدير . وقد كان أجدر بالشاعر أن يجدد فى موضوعاته ، لا أن يقتصر على الأبواب التى طرقها من قبل عديد من الشعراء . فانه لو فعل هذا لبلغ مدى بعيدا من الاجادة والبراعة ، قلما يرتفع اليها غيره من أهل الشعر أو منثور الشعر .

انتصار مصطفى رشيد

تأليف : الدكتور عبد العزيز رفاعى .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ المكتبة الثقافية ـ ١٢٤ صفحة ـ ٢ قرشان .

كانت مطالع القرن التاسع عشر بداية النهضة الحديثة فى تاريخ مصر ، ففى تلك الآونة استطاعت مصر أن تنفض عن كاهلها غبار تركة مثقلة بالجهالة والتأخر والركود ، ورثتها عن تلك

القرون التعسة التى عاشتها فى ظل الخلافة العثمانية .

وقد قدر للحملة الفرنسية التى أتت عام ١٧٩٨ أن تكون فاتحة خير الى جانب ما سببته للمصريين من أذى وعذاب ، بيد أنها كانت تطوى فى ثناياها بداية التكالب الاستعمارى على الشرق ، ونبهت اذهان الانجليز الى حقيقة الدور الممكن أن تقوم به مصر فىالاستراتيجية الدولية وفىالحروب النابليونية . ومن هنا بدأ التفكير فى حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

لم تكن هذه أول مرة يأتى فيها الانجليز الى مصر ، وانما سبق لهم أن أتوا ليخرجوا الفرنسيين منها ومكثوا بها حتى سنة ١٨٠٣ ، ولكن الجديد فى حملة فريزر أن تركيا كانت قد انحازت الى جانب فرنسا رغم الدرس القاسى الذى عانته فى سنة ١٧٩٨ ، فاتجهت نية الانجليز الى الرد على التحالف الجديد على أن يكون هذا الرد فى مصر .

استطاع الانجليز أن يدخلوا الاسكندرية وذلك بفضل خيانة حاكمها التركى والرشوة التى نالها من فريزر ، وكانوا يتصورون أنه من الممكن أن يحرزوا هذه الانتصارات السريعة التى أحرزها من قبل نابليون فى سنة ١٧٩٨ . ولكن الفرق كبير بين فريزر ونابليون ، كما أن الفرق كبير أيضا بين الشعب المصرى فى سنة ١٧٩٨ ونفس هذا الشعب فى سنة ١٨٠٧ ، لأن الأحداث التى توالت منذ الفترة الأخيرة من حكم المماليك والحملة الفرنسية وما أتى بعدها من صراع بين الأتراك والمماليك ثم الألبان والأحداث التى مهدت لتولى محمد على باشوية مصر . كل هذا شارك فيه الشعب مشاركة فعالة ، هيأت له الكثير من الحنكة السياسية والمهارة الحربية والمتانة فى وعيه القومى والحرص على حقوقه أكثر من أى وقت مضى .

وفى رشيد تجلت عبقرية هذا الشعب ، واستطاع أن يلقن هؤلاء الذين دوخوا نابليون فى أوربا وفى جبهات أخرى من العالم ، استطاع أن يلقنهم درسا وعوه وحفظوه مدى سبعين عاما وقبل أن تأتى نكبة سنة ١٨٨٢ .

وكانت لهذا النصر نتائجه الباهرة ، وكانت له أيضا نتائجه الحزينة ، فقد خرج الانجليز ولكن محمد على لا يزال يتربص ، فقد راعه ما رآه من بسالة هذا الشعب ودوره البطولى الجبار فى صد العدوان ، وخشى منه على نفسه . ومن هنا حدثت الانتكاسة الأولى وهى بتر الزعامة الشعبية ممثلة فى السيد عمر مكرم ، وهذا ما عبر عنه المؤلف بقوله « وجد هذا الباشا الطموح المستبد ، أن المقاومة الشعبية بعد الجلاء قد استنفدت أغراضها بعد أن رفعته الى دست الحكم وحمته من الدسائس فى الخارج والداخل ، ووقفت تحميه فى حمايتها للبلاد من شرور الحملة الانجليزية وساندته ضد المماليك ، فارتد بكافة الوسائل لاخمادها ، ونقل قيادة الأمور فى مصر الى يديه وحده .

« وبدأ محمد على يسفر عن طبيعته ، بعد الجلاء فى وضوح لبلوغ أهدافه بوسائل القهر والتهديد والتشريد ، واشاعة الرعب ، ليحل ذلك محل تلك البذور الأولى التى رسبت فى مجرى الوعى القومى المشرق » .

بيد أن هذه الروح القومية العظيمة قدر لها أن تعبر عن نفسها أصدق تعبير فى عهد حفيد هذا الباشا وفى السبعينات من نفس هذا القرن مما كان ممهدا للحركة العرابية .

كامل كيلاني الرائد العربي لأدب الأطفال

بقلم : عبد الغنى البدوى .
القـــاهرة : الدار القوميـــة للطباعة والنشر
١٩٦٤ — ١٢٤ صفحة .

أدب الأطفال ضرب من ضروب الأدب ولون من الوانه عرفه الغربيون منـــذ بعيـــد ولا يخفى أثره فى تربية النشء وغرس الأخلاق القويمة فيهم . وليس أدل على هذا من تنويه روسو وهو أحد فلاســـفة الثورة الفرنسية بروبنسون كروزو رواية دانيــل ديفو الخالدة . وقد كانت توجد فى الأدب العربى بذور طيبـــة تصلح لنمو هـــذا الفن وأن تكون أساسا وطيداً له . ويظهر هذا بوضوح فى رواية حى بن يقظان لابن طفيل وفى بعض حـكايات ألف ليلة وليلة . ولـكن عصور التـدهور التى مرت بها الأمة العربية فيما بعد حالت وهذا التطور .

ومن هنـــا يأتى تقدير الجهد الذى قام به المرحوم الأستاذ كامل كيلانى فى نهضة هذا اللون من الوان الأدب ... والتربية . ولا يوجد أديب شـــاب لم يتتلمذ على كتب الكيلانى أو يحظى بطرف منها . فالرجل قد وعى كثيراً من الكتب التى تعد من تراث الانسانية ثم صاغها من جديد فى عبارة سهلة ميسرة وفى اسلوب رائق جميل يتناسب مع الأطفـــال على اختـــلاف أهوائهم ومشاربهم وفتح البـــاب من بعده لجيل جديد من ناشـــئة الأدباء يترسمون خطاه ويسيرون فى طريقه .

والكتاب الذى تناول سيرة أستاذ أدب الأطفال لم يتناول الا جانبا يسيرا من هذا الأدب ودور الفقيـــد فيـــه . وقد كنا نحسب أن الأستاذ المؤلف سوف يبرز لنا أهميةهذا الدوركما يجبأن تكون . وحتى نضع المرحوم كامل كيلانى فى المكان اللائق به ولكنه بدلا من هذا جعل لرحلات الفقيد وحياة ابن طفيل صاحب كتاب حى بن يقظـــان مكانا أوسع مما يجب كما أتى بنصوص عـــديدة نقلها كما هى دون أن تكون لها أهميـــة بالنسبة لموضوع البحث .

والكتاب يمتاز بأنه الأول فى موضـــوعه وقد ابرز لنا جانبـــا من حياة الأستاذ كامل كيلانى وادبه لم يكن يعرفه كثـــيرون فهو شاعر وان لم يكن له ديوان مطبوع وقد توفر على عيون الأدب العربى شعره ونثره بالشرح والتحقيق وكان له بعض الفضل فى اعادة تقويم نفر من أدبائنـــا القدامى مثل أبى العلاء وابن الرومى وابن زيدون وغيرهم .

أمى مختارات ورسائل وأمنيات

١٩٦٤ — ١٧١ صفحة .
القـــاهرة . الدار القومية للطبـــاعة والنشر

الأم معنى جميل من معانى الحب والاخلاص . والتضحية . وفىهذا الكتابالذى دبجته السيدة الفاضلة زينـــات الجداوى شرح جميل لمعنى جميل ضمنته تصـــاوير عديدة ومشاعر مخلصة من هـــذا الحب الخالد والحنان الذى لا يفنى بتباعـــد الأيام والعصور . فهى تشرح لنا كيف بدات فـكرة عيـــد الأم مع فكرة نيرة من افكار الأستاذ على أمين وكيف أن جذر هـــذه الكلمة الطيبة والأصل فيهـــا واحد على كل لسان فى كل زمان .

والسيدة صاحبة الكتاب لم تقتصر على هـــذا فهى قد أتت بنخبـــة من احسن ما كتب نفر من قادة الرأى فى الفكر والسياسة والأدب فى الشرق والغـــرب نجلهم جميعـــا ونعرف لهم فضلهم وسبقهم فجعلت للامتاع الأدبى مكانا فسيحا فى كتابها البديع . وكان من جملة ما ورد عـــدة ابيات للمرحوم الأســـتاذ الـكبير عباس محمود العقاد يقول فيها :

حسبت الأمومـــة أخت الـــدوا
م وخادعت ظنى عليهـــا دواما
وافحمنى فيـــــك خطب النعـ
ى وفى غـــيره ما شكوت الفحاما
تعجب قـــوم لشـــيخ بكى
أكان المشيب لدمعى فطـــاما
وأم لمـــا دون عشر تعـــز
ز فراقا فـكيف لسبعين عاما .



١ ـ ما يقال عن الاسلام

تأليف عباس محمود العقاد ، مكتبة دار العروبة ، ٣٥٦ ص ١٤×٢٠ سم

٢ ـ تاريخ الاسلام فى الهند

تأليف عبد المنعم النمر، مكتبة دار العروبة، ٤٧٦ ص ١٧×٢٤ سم (طبعة أولى)

٣ ـ ديوان مجد الاسلام

تأليف أحمد محرم ، تصحيح ومراجعة محمد ابراهيم الجيوشى ، مكتبة دار العروبه ، ٤٥٣ ص ١٧×٢٤ سم

٤ ـ الحلال والحرام فى الاسلام

تأليف يوسف القرضاوى ، مكتبة دار العروبة ، ٣٣٥ ص ١٧×٢٤ سم

٥ ـ على هامش الطب

تأليف الدكتور سليمان عزمى ، دار القلم بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، (جزءان) الأول ٣٥٥ ص ، الثانى ٣٧٠ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٤٫٥ قرشا

٦ ـ نيجيرية وداهومى والكاميرون

تأليف محمد اسماعيل محمد ، مؤسسة روزاليوسف بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢٤٧ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٢٫٥ قرشا

٧ ـ نمو الحضارة

تأليف و٠ج پرى ، ترجمة لويس اسكندر، مراجعة على أدهم ، مؤسسة روزاليوسف بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢٣٦ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١١ قرشا

٨ ـ عمالقة الادب

تأليف برتون راسكو ، ترجمة ومراجعة درينى خشبة وأحمد قاسم جودة ، مؤسسة روزاليوسف بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب (ثلاثة أجزاء) ٧٤٢ ص ١٤×٢٠سم
ث ٤٤٫٥ قرشا

٩ ـ ذكريات المدرسة

تأليف يوڤانى موسكا ، ترجمة أحمد محمد جاد الحق وآخرين مراجعة طه فوزى ، دار الهلال بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ١٩٦ ص ١٧×٢٤ سم

١٠ ـ التربية والصحة النفسية

تأليف و٠د٠ وول، ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ ، مراجعة الدكتور عبد العزيز القوصى ، دار الهلال بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٣٠٩ ص. ١٧×٢٤ سم .

١١ ـ الصراع فى الوجود

تأليف بولس سلامة ، دار المعارف، ٤٦٠ص ١٧×٢٤ سم

١٢ ـ أمهات الأفكار السياسية الحديثة

تأليف دكتور محمد طه بدوى ، دار المعارف، ١٥٢ ص ١٧×٢٠ سم

١٣ ـ قصة الطاقة الذرية

تأليف لورافيرمى ، ترجمة عمر كامل الوكيل ، مراجعة وتقديم الدكتور زكى نجيب محمود ، مكتبة الأنجلو المصريه ، ١٧١ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٠ قرشا

١٤ ـ الاستعمار البرتغالى فى افريقيا

تأليف چيمس دفى ، ترجمة الدسوقى حسنين المراكبى ، مراجعة وتقديم دكتور محمد صبحى عبد الحكيم ، ٢٧٩ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣٥ قرشا

١٥ ـ **اليوجا والشباب الدائم**

تأليف عباس محمد المسيرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٢٨ ص ١٧×٢٤ سم (طبعة أولى)

١٦ ـ **ألعاب الناشئين**

تأليف محمد عادل خطاب ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٢٤ ص ١٧×٢٤ سم

١٧ ـ **التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى**

تأليف الدكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصريه ، ٤٣٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٩٥ قرشا

١٨ ـ **سيراليون وليبيريا**

تأليف محمد اسماعيل محمد ، مؤسسة سجل العرب ، ٢٥٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢١ قرشا

١٩ ـ **ليبيا بين الماضى والحاضر**

تأليف الدكتور حسن سليمان محمود ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٤٣٧ ص ١٧×٢٤سم

٢٠ ـ **شتاء السخط**

تأليف چون شتاينبك ، ترجمة نور الدين مصطفى ، مراجعه مصطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ٤٦١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٥ر٥ قرشا

٢١ ـ **مدخل لفلسفه التاريخ**

تأليف و٠هـ٠ وولش ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، مراجعة محمد بكير خليل، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢٣٦ ص ١٧×٢٤ سم

٢٢ ـ **الاخراج المسرحى**

تأليف كونراد كارثر ، ترجمة رافت أخنوخ الدويرى ، مراجعة كامل يوسف ، دار النهضه العربية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٢٥ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٧ قروش

٢٣ ـ **كيف نفهم أطفالنا**

تأليف دوروثى و٠ باروخ ، ترجمة نظمى خليل ، مراجعة نوال عيسى ، دار سعد مصر بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ١٠٦ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٦ر٥ قروش

٢٤ ـ **السل مرضى ومشكلة اجتماعية**

تأليف الدكتور عمر محمود سليمان ، مقدمة الدكتور عبد العزيز سامى ، دار سعد مصر بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٦٤ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٩ قروش

٢٥ ـ **العقد الاجتماعى**

تأليف لوك ، هيوم ، روسو ، ترجمة عبد الكريم أحمد ، مراجعة توفيق اسكندر، دار سعد بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ٤٠٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٥ قرشا

٢٦ ـ **كليوباترة**

تأليف زكى على ، لجنة البيان العربى بالاشتراك مع مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٦٤ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٣ قرشا

٢٧ ـ **تاريخ الأدب الرومانى**

تأليف الدكتور أحمد عبد الرحيم أبوزيد ، دار النهضة العربيه ، ٢٤٩ ص ١٤×٢٠سم (جزء أول)

٢٨ ـ **اينشتين والنسبية**

تأليف مصطفى محمود ، دار النهضة العربية ، ٧٨ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

٢٩ ـ **المعذب لنفسه**

تأليف ترنتيوس أفير ، ترجمة الدكتور محمد سليم سالم وأحمد رفعت، مراجعة الدكتور محمد صقر خفاجه دار النهضة العربية ، ١٠٣ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٦ قروش

٣٠ ـ **اليك ياولدى**

تأليف عبد الصبور مرزوق ، تقديم صلاح الدسوقى ، دار النهضة العربية ، ١٩٥ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

٣١ ـ **الثورة فى الأدب الجزائرى**

تأليف صلاح مؤيد ، تقديم أحمد توفيق المدنى ، مكتبة النهضة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٥١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٠ قرشا

٣٢ ـ **انتشار الاسلام فى القارة الافريقية**

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصريه (طبعة ثانية) ، ٢٤٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٥ قرشا

٣٣ ـ **المعز لدين الله**

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور طه أحمد شرف ، مكتبة النهضة المصرية ، (طبعة ثانية) ، ٣٤١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

٣٤ ـ **حياة فرانكلين روزفلت**

تأليف كاترين أونيزيير ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، مكتبة النهضة المصرية، ٢٢٤ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٥ قرشا

٣٥ ـ **مصرفى العصور الوسطى**

تأليف الدكتور على ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، ٥٧٠ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

٣٦ ـ **تاريخ الدولة الفاطمية**

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، ٧٤٠ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

٣٧ ـ **أحاديث عن القانون الأمريكى**

تأليف هارولد ج. برمان ، ترجمة ومراجعة الدكتور محمد فتح الله الخطيب والدكتور مصطفى أحمد فهمى ، مؤسسة فرانكلين ، ١٧٨ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

٣٨ ـ **الانسان والطبيعة**

تأليف هنرى ثورو وآخرين ، ترجمة الدكتور نظمى لوقا ، مؤسسة فرانكلين ، ١٤٢ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٨ قرشا

٣٩ ـ **الأبرياء**

تأليف وليم أرشيبالد ، ترجمة تماضر توفيق ، مراجعة حسن محمود ، مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع الأنجلو المصرية ، ١٠٥ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

٤٠ ـ **الغريب فى عالم الحيوان**

تأليف روبرت لمون ، ترجمة الدكتور كامل عطا ، دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ١١٩ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣٠ قرشا

٤١ ـ **البحث عن المعرفة**

تأليف كلنتون هارتلى جراتان ، ترجمة عثمان نويه ، تقديم صلاح دسوقى ، مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع الأنجلو المصرية ٤٣٧ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٦٥ قرشا

٤٢ ـ **آليوم الموعود**

تأليف نجيب كيلانى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ٢٧٠ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

٤٣ ـ **الحل الأوحد**

تأليف فؤاد الركابى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٢٠ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

٤٤ ـ **فى سبيل الحرية**

قصة الرئيس جمال عبد الناصر ، بقلم عبد الرحمن فهمى ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ٤١٩ ص ١٤×٢٠ سم

٤٥ ـ **سبارتاكوس**
تأليف هوارد فاست ، ترجمة أنور المشرى ، مراجعة على أدهم ، دار الكرنك (الجزء الثانى) بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٣٤٨ ص ١٤×٢٠ سم

٤٦ ـ **ثلاث مقالات عن السكان**
تأليف توماس مالتس وآخرين ، ترجمة محمد مرسى أبو الليل ، مراجعة الدكتور عز الدين فريد ، دار الكرنك بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٨٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٢٫٥ قرشا

٤٧ ـ **فى الميزان الجديد**
تأليف الدكتور محمد مندور ، مكتبة نهضة مصر ، ٢٤٠ ص ١٧×سم
ث ٣٥ قرشا

٤٨ ـ **التربية فى المجتمعين اليونانى والرومانى**
تأليف فتحية حسن سليمان ، مكتبة نهضة مصر ، ١٣٤ ص ١٧×٢٤ سم

٤٩ ـ **المذهب التربوى عند الغزالى**
تأليف فتحيه حسن سليمان ، مكتبة نهضة مصر ، ٧١ ص ١٧×٢٤ سم

٥٠ ـ **السيرة النبوية**
تأليف أبو الفداء اسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، عيسى البابى الحلبى وشركاه (الجزء الأول) ، ٥٣٦ ص ١٧×٢٤ سم

٥١ ـ **من توجيهات الاسلام**
تأليف الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم ، ٥٦٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٧٠ قرشا

٥٢ ـ **فى الايمان والاسلام**
تأليف أحمد حسين ، دار القلم ، ١٩٨ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

٥٣ ـ **قالوا**
تأليف أنيس منصور ، دار القلم ، ١٩٠ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٠ قرشا

٥٤ ـ **مع الشعراء**
تأليف حارث طه الراوى ، دار القلم ، ٢٢٤ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣٠ قرشا

٥٥ ـ **معركة العلمين**
تأليف مايكل كارڤر ، ترجمة محمد ابراهيم عبد العزيز، مراجعة حسين إلحوت، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٦٦ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٥ قرشا

٥٦ ـ **البرتغال فى افريقيا**
تأليف چيمس دفى ، ترجمة جاد طه ، مراجعة شوقى الكيال ، الدار القوميه للطباعة والنشر ، ٢١٣ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥ قروش

٥٧ ـ **التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين**
تأليف خيرى حماد ، الدار القوميه للطباعة والنشر ، ٤٥١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

٥٨ ـ **انتصار مصر فى رشيد**
تأليف الدكتور عبد العزيز رفاعى ، مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر (مكتبة ثقافية) ، ١٢٤ ص قطع صغير ·
ث (٢) قرشان

٥٩ ـ **حسان بن ثابت شاعر الرسول**
تأليف الدكتور سيد حنفى حسنين ، مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر (أعلام العرب) ، ٢٣١ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٥ قروش

٦٠ ـ **مشوار طويل**
تأليف عبد المعطى المسيرى ، مؤسسة التأليف والترجمة والطباعه والنشر ، ٩٢ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٧ قروش



العدد الرابع / ١٠ سبتمبر ١٩٦٤ / ٤ جمادى الأولى ١٣٨٤

فى هذا العدد

رئيس التحرير
على أدهم

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو - القاهرة - ت ٩١٠٣٧٧ / ٩١٠٤٢٠

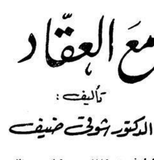


أضـــواء على أدب العقاد

ليس أدل على فضل المرحوم الأستاذ العقاد وعلو مكانته ومدى تأثيره فى نفوس معاصريه من تلك الفصول والبحوث التى أخذت تتوالى منذ وفاته فى الصحف والمجـــلات الأدبية فى مختلف أنحاء العالم العربى متناولة النواحى المتعددة من أدبه وفلسفته وثقافته وشخصيته والنظر اليها من زوايا مختلفة وبوجهات نظر متباينة ، وقد أعاد العقـــاد فى ذاكرة كثير من قرائه تلك الكلمة المأثورة التى أرسلها ابن رشيق فى القرن الخامس الهجرى حينما تحدث عن أبى الطيب المتنبى وهى قوله « ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس » وقد ملأ العقاد الدنيا أدبا وحكمة فى أثناء حياته وكان مثلا يحتذى فى شمول التفكير وعمق الثقافة والاخـــلاص للأدب والفكر فمن حقه أن يشغل النـــاس بأدبه وسيرته بعد وفاته ، وقد انتضى الدكتور شـــوقى ضيف عزمه وتوفر فى الأشهر القلائل التى تلت وفاة العقاد على اخراج مؤلفه الجديد فى سلسلة اقرأ « مع العقاد » وهو فيما أعلم دراسة شـــاملة لأدب العقاد ، تناول فيها الدكتور شوقى جوانبه المختلفة ومؤلفاته العديدة بالتفسير البليغ والتحليل الواعى ، وهى دراسة تنير الطريق وتمهد السبيل لمن يكتب بعده عن أدب العقاد وســـيرته ، والدكتور شوقى مؤرخ آدب بارع العرض دقيق الفهم واضـح التفكير حسن التنسيق وناقد متزن الأحكام برىء من الأهواء وهى صـــفات يحسن اجتماعها فيمن يتصدى للكتابة عن العقاد ، ويمتاز كتاب الدكتور شوقى باعتـــدال أحكامه وسعة احاطته بأدب العقاد ، وقد استهل كتابه بقوله فى المقدمة « لم يكتسب العقاد مكانته الأدبية الرفيعة من جاه ولا من وظيفة ولا من لقب علمى ، انما اكتسبها بكفاحه المتصل المنيف الذى يعد به أعجوبة من أعاجيب عصرنا النادرة ، فقد تحول بعد حصوله على الشهادة الابتدائية يزود نفسه بالمعارف زادا وافرا ، واحتل الأدب قلبه وشغله عن كل متاع فى دنياه مســـتأثرا بكل ما فيه من قوة وفكر وعاطفـــة ، ولا يخطو فى العقد الثالث من عمره خطوات حتى يفجأ البيئات الأدبية فجآت متوالية بما ينقل عن الغرب من آثار محللا وناقدا مستنبطا مناقشا ، وبمـــا يرسم للشعر العربى من وجهة جديدة تتأثر فيها ملكات الشاعر بما يتجاوب حوله من موسيقى الطبيعة واصداء الجمال » .

وقد وقف الفصل الأول من الكتاب على سيرة العقـــاد موضحا كفاحـــه المرير فى شق طريقه ومغالبتـــه المرض بعزيمته الصـــارمة ، وكيف خاض لجج السياســـة دون أن تغلبه على أمره التيارات المتعارضة ، وكيف ظل محتفظا باستقلال رأيه وكرامته الانسانية فى غمار الأخطار المحدقة والمغريات الجذابة .

وتناول فى الفصل الثانى العقاد الكاتب واصفا شخصيته ومزاياه الوراثية والفطرية والمكتسبة وأنه ورث عن أبيه الجد والوقار ومحاسبة النفس كما ورث عنه وعن والدته نزعة دينية استكنت فى ضـــميره اذ كانا شـــديدى الايمـــان كما ورث



دار المعارف ، ١٧٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥ قروش

عنهما محبة النظام اذ كانا يحرصان على الدقة فى مواعيد الصلاة ومواعيد وجبات الطعام وبعد وصف ملامح شخصيته وملكاته الذهنية انتقل الى الحـديث عن مؤلفـاته وفصوله الأدبية وعبقرياته ، وتحدث فى هـذا الفصل عن رواية سارة وهى القصـة الفريدة الطويلة التى كتبها العقاد ، ورأى الدكتور شوقى ما يدعو الى الغرابة فى أن العقاد لم يحاول أن يكتب قصة ثانية بعد سـارة يعرض فيهـا جانبا نفسيا غير جانب الشـكوك التى تطيف بالعاشق ، وحاول تعليل ذلك فقال « ربما كان السبب الحقيقى فى ذلك أنه كان يؤثر فى كتابته الأداء المركز ، وأنه لم يكن يرى القصـة طيعة لهذا الأداء » ، والظاهر أن الدكتور أحس أن هذا التعليل ليس كافيا فاتبع ذلك بقوله « وأيضا فانه كان شاعرا ، وكان يرى الشعر أقوى وأحـد فى التعبير عن العواطف من القصة ، وربما آمن بأنه أكثر منها بقاء وخلودا فآثر أن يتخذه أداة وعنوانا لأدبه وفنه » وربما كان هذا التعليل أرجح وزنا وأقرب الى الصواب من التعليل السابق لأن أسلوب العقاد مع شدة توخيـة التركيز والدقـة كان فيه من المرونة والقدرة على التصرف والثروة اللغوية ما يمكنه من الملاءمة بين الموضوع الذى يتناوله وأسلوب أدائه ولو أن ملـكاته الأدبية واتته فى الاتجاه الى الأدب القصصى لاستطاع أن يطوع أسلوبه لهذا الاتجاه ، وأرجح أن ملكات العقاد الأدبية ونوع خياله فى حاجة الى بحث أوفى ، وعندى أن ملكات



دار الهلال (سلسلة كتب شهرية)٣٤٥ ص
١٤ × ٢٠ سم ث ١٢ قرشا

العقاد النفاذة الناقدة كانت أقوى وأكثر فاعلية من ملكاته الخالقة الموجدة ، وهو يشبه فى هذه الناحية الكاتب البريطانى الكبير توماس كارلايل ، وقد اتجه كلاهما الى كتابة الفصول الأدبية فى النقد والتاريخ ، وقد كان كارلايل بارع التصوير للشخصيات قوى الخيال ولكن خياله مع ذلك لم يكن من نوع الخيال المبدع الخلاق وانما كان خيالا نفاذا يستطيع أن يصل الى خفايا الضمائر وبواطن الأمور ، ولذلك تجلت عبقريته فى الصور التاريخية التى يعرضها على قرائه كما تجلت مقـدرة العقـاد فى أروع صورها فى عبقرياته ، والعقاد شاعر غنائى من الطراز الأول والشعر الغنـائى فى صميمه يقوم على وصف الحـالات النفسية والعواطف الفردية ولا يتسع فيه المجال لخلق شخصيات ، فشاعرية العقاد نفسها صدى لملكاته الأدبية المتجهة الى ناحية النقد والنفـاذ لا الى ناحية الخلق والايجاد .

وفى الفصل الثالث تناول الدكتور شوقى العقاد الناقد ، ووضح فى هذا الفصل مذهب العقاد فى فهم الشعر ووظيفته وغايته ، وكيف كان هـذا الفهم للشعر يغـاير فهم مدرسة الأحياء والبعث التى انضوى أصـحابها تحت لواء البارودى من أمثال شوقى وحافظ ، ويقول الدكتور شوقى عن هذه المدرسة انها « ردت على الشعر العربى ديباجتـه المشرقة وحررته من أثقـال القيـود اللفظية البديعية وغير البديعية ، كما حررته من الابتذال والاسفاف ، ووجهته الى التعبير عن

مشاعرنا السياسية الوطنية وجوانب حياتنا الاجتماعية وعواطفنا الدينية والعربية ، وعنى شوقى خاصة بأمجادنا الفرعونية ، غير انه هو ورفاقه لم ينقلوا الشعر نقلة واسعة ، فقد ظلوا متمسكين بأصوله التقليدية فى الصياغة ، وظلوا يمدحون الخديو عباس ، بينما الشعب من ورائهم يكره الخديو كرها متأصلا فى نفسه له ولأسرته التى ظلمت مصر وطالما عبثت بحقوقها، وبذلك اضطرب المثل الأعلى للشعر فى نفوس أصحاب هذه المدرسة ، ولم تستطع أن ترد للشاعر حريته الصحيحة ، بل قيدتها بملق لعله كان رياء كله ونفاقا ، وأيضا فانها قيدتها بمقاصد الشعر القديم وأغراض غير صادرة عن عواطف صادقة الا قليلا » .

ومدرسة العقاد والمازنى وشكرى ثارت على هذه المدرسة لأنها ــ حسب رأى الدكتور شوقى « توغلت فى قراءة الآداب الغربية على اختلاف شعوبها وأدبائها ونقادها ، حتى استوت لها صورة من الشعر تخالف فى خطوطها وظلالها صورة شعر مدرسة الأحياء والبعث أشد المخالفة ، صورة تقوم على أن الشاعر ينبغى أن يعبر فى شعره عن روح أمته وعن نوازع نفسه ودوافعها الانسانية وعن الطبيعة وحقائقها الكونية نافضا عنه صور الملق والرياء ، وهو فى تعبيره عن روح الأمة لا يقف عند الظواهر والأسماء والتواريخ والأحداث ، بل ينفذ الى ضميرها الداخلى شاعرا بقومه فى جميع ما ينظم من موضوعات حتى فى مظاهر الطبيعة وعواطفه الانسانية العامة ، وهى صورة لابد أن تعود للشاعر فيها حريته ، فلا يتقيد بالصياغة القديمة ولا بنقوشها الزخرفية، انما يتقيد بأداء المعانى فى عباراتها الصحيحة التى تستوفيها ، وأيضا لا يتقيد بقيود القوافى الثقيلة المعروفة فى القصيدة الموروثة ، بل لا بأس احيانا من المغايرة بين القوافى ، بل لا مانع من أن ينظم من الشعر المرسل اذا وجد ذلك اكثر وفاء بمقصده » ونقل الدكتور شوقى من المقدمة التى كتبها العقاد للجزء الثانى من ديوان شكرى والمقدمة التى كتبها للجزء الأول من ديوان المازنى ما يؤيد رأيه .

وقد استخلص الدكتور شوقى من ذلك « أن صيحة العقاد فى سنة ١٩١٤ تتطابق تمام التطابق مع صيحة أصحاب الشعر الحر فى أيامنا بحيث يمكن أن نعد العقاد فى هذا الحين من أنصار ذلك الشعر الذى تحرر من القافية تحررا تاما ، على أنه عاد يخفف من حدة دعوته فارتضى أن تظل القافية فى الشعر الغنائى أما فى غيره فينبغى أن تحطم أغلالها تحطما تاما » .

والواقع أن موقف العقاد من الشعر المرسل الحديث يحتاج الى مزيد من البيان والاستيفاء ، وربما كان زملاء العقاد من أعضاء لجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب الذين استمعوا الى آرائه ومناقشاته فى هذا الموضوع أقدر على توضيح وجهة نظره ، ولا أذكر أنى قرأت له بحثا مفصلا فى هذا الموضوع .

واستطرد الدكتور شوقى الى الحديث عن نقد العقاد لشوقى فى كتاب الديوان وغيره من الفصول الأدبية التى كتبها بعد ظهور الديوان وأشار الى رأى العقاد فى الوحدة العضوية للقصيدة وعدم توفرها فى شعر شوقى ، فالقصيدة كما يقول العقاد « ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه ، بحيث اذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هى كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولا قوام لفن بغير ذلك » .

ويستخلص الدكتور شوقى من ذلك « ان القصيدة ليست خواطر مبعثرة تتجمع فى اطار موسيقى ، وانما هى عمل تام الخلق والتكوين

تتناسق فيه جزئيات معانية وتترابط الخواطر الوجدانية والفكرية ترابطا دقيقا ، وبذلك يعد العقاد من أوائل من أرسوا هذه القاعدة فى نقدنا الحديث » ولرأى العقاد فى الوحدة العضوية للقصائد خطورته ، والغريب ــ فى مدى ما أعرف ــ أنه لم ترد أية اشارة الى هذه الوحدة العضوية فى فصول النقد التى كتبها صاحباه المازنى وشكرى ، وقد اعتاد شكرى ابتداء من الجزء الثالث من ديوانه الى الجزء السابع أن يصدرها بمقدمة يتحدث فيها عن الشعر وطبيعته ، ولم يشر فى هذه المقدمات الى الوحدة العضوية، وفى نقده لشعر عبد الحليم المصرى الذى كان ينشره فى جريدة عكاظ الأسبوعية لم ترد كذلك أية اشارة الى الوحدة العضوية ، وقد نقد المازنى شعر حافظ فى سلسلة من المقالات نشرها فى عكاظ وجمعها بعد ذلك فى كتابه « شعر حافظ » ولم يشر كذلك فى خلال نقده الى الوحدة العضوية ، فالعقاد قد انفرد بين دعاة المذهب الحديث بالدعوة الى الوحدة العضوية ، وأحسب أننا لو حاولنا تطبيق نظرية الوحدة العضوية على قصائد المتنبى وأبى تمام والشريف الرضى وغيرهما من كبار شعراء العربية لوجدناها غير متوفرة فيها فهل نعتبر تلك القصائد خواطر مبعثرة وجزئيات متناثرة ؟ أعتقد ان المسألة فى حاجة الى اعادة النظر وتقليبها على وجوهها المختلفة ، والقصيدة القائمة على خاطرة مفردة وعاطفة غالبة يمكن أن تصدق فيها الوحدة العضوية ولكن القصيدة التى تحوى خواطر عدة ويعالج فيها الشعر عواطف شتى هل نازم الشاعر فيها كذلك بالوحدة العضوية ؟ والقصيدة كما نعهدها فى الأدب العربى قد تكون وأكثر ما تكون « خواطر مبعثرة تتجمع فى اطار موسيقى » فما رأى الدكتور شوقى فى ذلك ؟ ان العقاد ناقد قدير وأديب من الطراز الأول ولكن بعض آرائه تحتاج الى مناقشة ، والعقاد يفيد قارئه ويمتعه سواء وافقه فى أحكامه جميعها أو وافقه فى بعضها وخالفه فى بعضها الآخر .

ويمضى الدكتور شوقى متحدثا عن دراسات العقاد الأدبية ويخص منها بالذكر دراسته الشائقة لابن الرومى فى كتابه « ابن الرومى : حياته من شعره » وقد وقف الدكتور شوقى قليلا أمام قول العقاد فى أول سطور الكتاب « هذه ترجمة وليست ترجمة لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فأحرى بها أن تسمى صورة حياة » ويعلق الدكتور شوقى على ذلك بقوله « والكتاب فى واقعه ترجمة وصورة حياة معا ، أما انه ترجمة فلأن العقاد يستوفى فيه عصر ابن الرومى واخباره وظروفه ، وأما انه صورة فلأنه دراسة نفسية لابن الرومى وملكاته وعبقريته وفلسفته ، وحتى العصر يفارق طبيعته التاريخية ويصبح صورة دقيقة للقرن الثالث الهجرى وحياة الناس فيه ونفسياتهم وما وقع عليهم من ظلم الأقطاع وما عاشوا فيه من فوضى سياسية وترف ولهو ، وما تنفسوا فيه من فكر وشعر ودين وخلق » .



وقول العقاد « ان هذه ترجمة وليست بترجمة » فيه تناقض واضح ، وصحيح ان الترجمة « يغلب أن تكون قصة حياة » بل هى لا تستطيع الا ان تكون قصة حياة ما دمت تكتب الترجمة لكائن حى اما اذا كنت تكتب الترجمة لجماد من الجمادات فهذه هى التى يمكن أن تكون « صورة » وليست « ترجمة » وكتاب العقاد فى واقعه ترجمة بارعة لحياة ابن الرومى تقدم له صورا منوعة عن حياته شأن كل ترجمة تصدر عن كاتب فنان مثل العقاد ، والتفريق هنا بين الترجمة والصورة ليس له لزوم بل هو يدعو الى الغموض والالتباس .

واتبع الدكتور ضيف حديثه عن كتاب ابن الرومى بالحديث عن كتاب « شعراء مصر وبيئاتهم » وهو من خير ما كتب العقاد ، وقد استطاع العقاد فى هذا الكتاب القيم أن يبرز لنا

ملامح الشعراء المصريين واضحة جلية فى ايجاز بليغ وتصوير بارع دقيق .

وقد عقد الدكتور شوقى الفصل الخامس للحديث عن العقاد الشاعر وتحدث فى هذا الفصل عن ديوانه الأول بأجزائه الأربعة وديوان وحى الأربعين وهدية الكروان وعابر سبيل وأعاصير مغرب وما بعد الأعاصير .

والشعر عند العقاد كما رأى الدكتور شوقى نفثة من نفثات الروح الالهية وليس وحيا من الشيطان كما كان يقول شعراء العرب وقد أجاد فى وصفه اتجاهات العقاد الشعرية وأسلوبه فى الوصف والغزل .

وقد أشار الدكتور شوقى الى سمة هامة فى شخصية العقاد ، وهى ثباته على آرائه ادبية وغير ادبية ، وعلل هذه السمة بقوله « ربما كان فى ذلك ما يدل على وضوح الرؤية عنده وأنه كان نافذ البصيرة بحيث عثر دائما على الآراء التى ينبغى أن يعتنقها ، وكثير منها اعتنقه منذ زهاء خمسين عاما وظل لا يحيد عنه قيد شعره ، وكأنما امتزج بشغاف قلبه . . . فهو لا يستطيع عنه حولا » والواقع أن العقاد كان يحرص دائما على الا يناقض نفسه .

ويرجع الدكتور شوقى آراء العقاد فى المرأة الى ما قراه عند شوبنهاور من القدح فى المرأة ، وأضيف الى ذلك أن العقاد قد قرأ كذلك كتاب المفكر النمساوى أوتو ڤايننجر المسمى « الجنس والأخلاق » وهو فى تقديرى أشد حملة فكرية وجهت ضد المرأة ولست أشك فى أن العقاد برغم ما عهدته فيه من استقلال الرأى وحرية التفكير قد تأثر بهذا الكتاب بوجه خاص الى حد كبير .

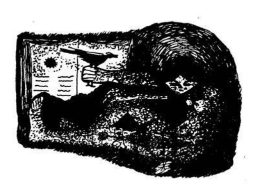
وذكر الدكتور شوقى ان تعريب التعليم فى المدارس وجعل اللغة العربية لا اللغة الانجليزية لغة المواد المختلفة قد تم فى العهد الذى كان فيه الزعيم الكبير سعد زغلول وزيرا للمعارف والذى أعرفه هو أن تعريب التعليم قد تم فى العهد الذى كان فيه أحمد حشمت باشا وزيرا للمعارف .

وكتاب الدكتور شوقى ضيف يعطى القارىء فكرة عامة صحيحة عن ادب العقاد ومؤلفاته وقد تابع فيه سيرة العقاد منذ طالعة أمره ومستهل نشأته وفى بواكير شبابه حتى شيخوخته واخريات أيامه بفكر قويم ومنطق سليم .

وهذا الكتاب الثانى كتاب للأستاذ العقاد ، قدم له الأستاذ طاهر الطناحى بفصل شائق عن « الكتاب والكاتب »، وكان الأستاذ طاهر حينما أصدر العقاد ديوانه « وحى الأربعين » وهو فى الرابعة والأربعين من عمره قد اقترح عليه ان يكتب للهلال فصلا فى هذا الموضوع بعنوان « بعد الأربعين » يصف فيه حياته النفسية وحالته الفكرية فى هذه السن ، ويقول الأستاذ طاهر ان هذا المقال هو أول مقال كتبه العقاد عن نفسه بأسلوبه العلمى التحليلى .

وبعد عشر سنوات اقترح الأستاذ طاهر عليه أن يكتب مقالا بعنوان « وحى الخمسين » وقد تناول العقاد فى هذا المقال حياته وحياة امثاله ممن بلغوا هذه السن والحالات النفسية التى تعتورهم .

ويبين الأستاذ طاهر من المقالين أن كتابة العقاد عن نفسه وترجمته لحياته تختلف عما كتبه الكثيرون من رجال الفكر والأدب والاجتماع عن حياتهم ، فبعض هؤلاء العلماء والأدباء والساسة — كما يقول الأستاذ طاهر — قد ترجم لحياته فى أسلوب تاريخى ، وبعضهم فى صيغة مذكرات أو ذكريات ، وآخرون صوروا حياتهم فيما يشبه الاعترافات مع الاكتفاء بالأهم والمهم من الأحداث وأدوارهم فيها . . . أما كتابة العقاد عن نفسه فهى كتابة لها طابع جديد فى كتابة التراجم ، كتابة ليست شخصية بحتة ولا سردا لأحداث مرت به أو عاش فيها وكان له فيها دور من أدوارها فحسب ، بل هى كتابة بحث عالم وفنان نابغ تعود النظر فى مسائل العلم وقضايا الفن والفكر ، وجال فى شئون الفلسفة وعلم النفس والأدب والتربية والاجتماع ، وتمرس بتجارب الحياة ومارس حلوها ومرها ، وخرج منها بخبرة العالم ، وعبرة المفكر ، وحكمة الفيلسوف » .



وقد استكتبه الأستاذ طاهر بعد المقالين المذكورين فصولا فى الهلال عن ايمانه وعن أبيه وفصولا أخرى اربت على الثلاثين فصلا ، وقبيل وفاته بشهر حادثه فى جمع هذه الفصول وما نشر فى موضوعها فى بعض المحلات الأخرى ، وما كاد ينتهى الأستاذ طاهر من جمع هذه الفصول حتى مرض المرحوم الأستاذ العقاد وعاجلته المنية .

وقد اختار الأستاذ طاهر لهذا الكتاب عنوان « انا » ، وهو يرى أنه لو كان الأستاذ العقاد حيا لما رفض هــذا العنوان ، وحجة الأستاذ طاهر فى ذلك أن العقاد كان يترك له عنوان بعض مقالاته التى ينشرها فى مجلة الهلال وأسماء بعض كتبه التى نشرتها سلسلة كتاب الهلال ثقة منه باختياره الاسم المناسب ، ويا ليت العقاد كان حيا لنسمع رأيه فى تسمية كتابه فى هذه المرة ! .

وحياة العقــاد كثيرة الجوانب وكتاب « انا » مرجع هام ووثيقة صحيحة لمعرفة الكثير عن حياة العقاد النفسية والشخصية ففى الكتاب فصول عن أبيه وأمه وبلدته وذكريات طفولته وأساتذته وفصول عن هوايتــه للقراءة ومنهجه فى كتابة المقالات وطريقته فى تأليف كتبه والكتب التى كان يريد أن يكتبها ولم تيسر له ظروف الحيـــاة كتابتها ، وما تعلمه من أوقات الفراغ وأحـــرج ساعات حيــاته وخواطره عن الصحة والمرض واعترافاته ووصف مكتبته ، وفصــول الـكتاب جميعها بأســلوب العقاد الممتع الذى يجمع بين الرصانة والمتانة وسهولة الأداء وبراعة العرض وفنية السرد مما يحتم على دارسى أدب العقاد وشخصيته الرجوع اليه والاعتماد عليه .

ولا يمكن الا أن يعاودنا الأسف على وفاة العقاد حينما نسمعه يقول فى صفحة ١٣٢ « وبقى كتاب عن « الغزالى » الفيلســوف الذى يصـــارع الفلاسفة ، والفقيه الذى يؤدب الفقهاء ، والمتصوف الذى يكشف عن حياة عالم الخفاء ، كما يكشف عن عالم الشــهادة ، وليس فى المشرق والمغرب من هو أرجح فكرا وأصفى عقلا وأقوى « دماغا » من هذا الأمام الجليل ، ولولا اتساع الأفق الذى تدفعنا اليه الكتابة عنه لبدأت بترجمته ونقده قبل ابن ســينا وابن رشد وغيرهما من حكماء المشرق والمغرب ، ولعله مانع وشيك أن يزول ، لأنه مانع يقتضينا واجبين معــا ، اذا كان العمل السهل يقتضينا واجبا واحدا لا موانع فيه » .

ويحدثنا العقـــاد فى صفحة ٢٦٧ عن طبيعته الانطوائيـــة وميله الى العزلة فيقول « وأول ما أعترف به أننى مطبوع على الانطواء ، وأننى مع هذا خال بحمد الله من العقد النفسية الشائعة بين الأكثرين من أندادى فى السن ونظرائى فى العمل وشركائى فى العصر الذى نعيش فيه ، ولقد ورثت طبيعة الانطواء من أبى وأمى ، فلا أمل الوحــدة وان طالت بغير قراءة ولا تسلية ، ولا أزال أقضى الأيام على حدة حيث يتعذر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات » .

وفى صفحة ٢٧٠ يذكر لنا العقاد جانبا من سماته النفسية فى قوله « أعترف بأننى أحب الشــهرة والخلود ، ولكننى أعترف كذلك بأننى لا اطلبهما بثمن يهيض من كرامتى ، وأننى اذا أحسست أن انسانا يمتن على بشهادة يبذلها أو شهادة يمنعها فلا نصيب له عندى غير التحدى الذى يذهب به الى الحائط ... ولتذهب الشــهرة وليــذهب الخلود معها الى الشيطان » .

ومما يلفت النظر فى الكتاب رأى الأستاذ العقاد فى القصة ، فهو يرد على صاحبه الذى كان يجول معه فى مكتبته حينما قال له « ما أصغر نصيب القصص من هــذه الرفوف ! » « نعم ، وانه

لو نقص بعد هذا لما أحسست نقصه لأننى – ولا أكتمك الحق – لا أقرأ قصة حيث يسعنى أن أقرأ كتابا أو ديوان شعر ، ولست أحسبها من خيرة ثمار العقول » .

ولما قال له صاحبه « كيف ؟ أليس فى الرواة والقصاصين عبقريون نابهون كالعبقريين النابهين فى الشعر وسائر فنون الآداب ؟ » أجابه قائلا « بلى ، ولكن الثمار العبقرية طبقات على كل حال وقد يكون الرواية أخصب قريحة وأنفذ بديهة من الشاعر أو الناثر البليغ ، ولكن الرواية تظل بعد هذا فى مرتبة دون مرتبة الشعر ودون مرتبة النقد أو البيان المنثور ... والمثل هنا أقرب الى الايضاح من سوق القضية بغير تمثيل ، ان الحديقة التى تنبت التفاح لا يلزم أن تكون فى خصبها ووفرة ثمراتها أوفى من الحديقة التى تنبت الجميز أو الكراث ، ولكن الجميز والكراث لا يفضلان التفاح وان نبتا فى أرض أخصب من الأرض التى تنبته وتزكيه » .

ويسترسل العقاد قائلا « ونحن نقرأ القصص التى تجود بها قرائح العباقرة من امثال ديكنز وبيراندلو فنؤمن بتلك العبقريات التى لا تجارى فى هذا المضمار ، ولكن ايماننا لها لا يلزمنا أن نضع القصة فى الذروة العليا من أبواب الأدب ، ولا يمنعنا أن نقدم عليها غيرها فى التقدير والتمييز » .

ولما سأله صاحبه عن المقياس الذى يرتب به هذا الترتيب أجاب قائلا « لعله مقاييس شتى لا مقياس واحد ، ولعل الناس يختلفون فيها كاختلافهم فى كل شىء يرجع الى المشرب والتعبير ، غير اننى اعتمد فى ترتيب الآداب على مقاييس يغنيانى عن مقاييس اخرى ، وهما الأداة بالقياس الى المحصول ، ثم الطبقة التى يشبع بينها كل فن من الفنون ، فكلما قلت الأداة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والأدب ، وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال الى النزول والاسفاف ، وما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات » .

ويقول العقاد عن الطبقة التى تروج بينها القصة « لا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الأدب ، سواء نظرنا الى منزلة الفكر أو منزلة الذوق أو منزلة السن أو منزلة الأخلاق ، فليس اشيع من ذوق القصة ولا أندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة ، وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة ولا أصعب من تحصيل الذوق الشعرى الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين » .

والشعر الجيد هو أرقى فنون الأدب كما رأى بحق الأستاذ العقاد ، ولكن تقديره لأدب القصة بوجه عام لا يرضى بطبيعة الحال انصار أدب القصة ، ومهما يكن من الأمر فان الآراء التى تصدر عن مفكر ممتاز وناقد قدير مثل العقاد جديرة بالنظر والمناقشة الجدية .

وقد أحسن الأستاذ طاهر صنعا بجمع اشتات هذه الفصول الجيدة الممتعة فى كتاب واحد واستحق الشكر والتقدير من قراء العربية ، وسيكون هذا الكتاب مرجعا أصيلا لا غنى عنه لقراء أدب العقاد ودارسى آثاره .

على أدهم



مشروع الألف كتاب بالاشـــتراك مع مطبعـــة أطلس ٣١٣ ص ٢٠×٢٩ سم ٠ ث ٥٨,٥ قرش

قد يكون فى وسع التفسيرات الاجتماعيـــة أن تعلل ظهور مذهب فلسفى كالوجودية من حيث هو ظاهرة فكرية عامة تتمثل فى عصر معين ، ولكن هذه التفسيرات تعجز قطعا عن أن تعلل سبب ايمان هذا الشخص أو ذاك بالمـــذهب الوجودى ٠ فتحمس شخص معين ، دون غيره ، للمذهب الوجودى ، هو أمر لا يعلله الا التكوين الفردى لهذا الشخص ، والظروف الفردية التى مر بها فى حياته ٠ ومن المؤكد أن مؤلف هذا الـكتاب ، وهـو الفيلسـوف الروسى نيكولاى بردیایف ، هو شخص توافرت له جميع الصفات التى تحتم على المرء ، ان كان مفكرا ، أن يسير فى الطريق الوجودى ٠ والأهم من ذلك أنـــه يشعر شعورا تاما بوجود هذه الصفات فيـه ، ويحللها ويعرضها بطريقة دقيقة فى كتابه هذا الذى هو ترجمة ذاتية لحياته ، وتحليل فكرى وفلسفى ونفسانى عميق لذاته فى نفس الوقت.

فالنزعة الفردية ، التى هى من أهم خصائص التفكير الوجودى ، تتمثل فى بردیایف منذ اللحظة الأولى لحياته ؛ اذ أنه أرستقراطى النشـــأة ، عرف أفراد كثيرون من أسرته حيـاة الرهبنة ٠ ويصف هو نفسه نزوعه الى الفردية وصفـــا دقيقا ، حتى لقد اعترف بأنه يكره التشـــابه العائلى ويكاد يراه أمرا مشينا (ص ١٤) ، وهو اعتراف غريب يكشف لنا عن نفســية بلغ من كراهيتها لأى عنصر مشترك بين الناس أنهـــا تأنف من أن يكون الشخص شبيها بأخيـــه أو أبيه !

ولكن ربما كان الاغرب من ذلك قول بردیایف انه شعر منذ اللحظة الأولى لولادته بأنـه نزل عالما غريبا عنه ، وأحس بالتصدع فى موقفه من العالم والحياة ، وخاض معـــاركه مع العـــالم

« لابوصفى انسانا يريد أو يستطيع أن يغزو هذا العالم ويخضعه لنفسه ، بل باعتبارى شخصا يريد أن يحرر نفسه من هذا العالم ، ويرفض تسلط هذا العالم على حياة الناس » . (ص ٣٢) . وبعبارة أخرى فانت تشعر منذ اللحظة الأولى أن نزعة بردياييف الفردية تصل الى حد أنه يتمنى ألا يكون انسانا يعيش فى عالم الناس ، وانما كان يود لو كان مخلوقا ملائكيا أو شيئا آخر غير البشر . وليس هذا الذى نقوله مبالغة ، وانما هو أمر يطالعك مرارا على صفحات الكتاب . فهو ينفر من الجسد الانسانى ويقول : « وانا أتمتع بجسد قوى ، حسن البناء، ولكنى أشعر بنفور من وظائفه الفسيولوجية » (ص ٣٣) ، ويقول أيضا : « ان احتياجات الجسد لم تبد لى ذات أهمية على الاطلاق » (ص ٣٥) وهو يصف الجنس بأنه « غير صحى، وغير نقى » ، وكذلك بأنه « دليل على الوضع الساقط للانسان » (ص ٧٥) ، ويلخص موقفه فى هذه المسألة كلها بقوله : « لم أشعر اطلاقا بأننى جزء من العالم الموضوعى ، أو بأننى أحتل فيه مكانا محددا أو مركزا معينا » . (ص ٤٣) وهذا هو موضع الغرابة فى هذا النوع من الكتاب ، وهو أيضا موضع الطرافة فى قراءة مؤلفاتهم . ذلك لأن من صفات الانسان الحق أنه يود أن يعلو على انسانيته ، غير أن الشخص السوى يفعل ذلك من خلال انسانيته ذاتها ، أعنى أنه يتجاوز الانسان بقدرات الانسان ذاتها ، أما الشواذ من ذوى النزعات الفردية فانهم يرفضون الوضع الانسانى بأكمله ، ويتمنون لو كانوا شيئا أعلى من الانسان . ولما كانت وظيفة كل فلسفة ، وكل نشاط روحى بوجه عام ، هى أن تحلل مشكلات الانسان ذاته، بكل جوانبه المادية والروحية ، الجسدية والعقلية ، وتحاول الاتيان بحلول تلائم الانسان فى وضعه الحالى ، فانا نستطيع أن ندرك الى أى حدتبتعد الفلسفات الفردية المتطرفة عن الهدف الصحيح للفلسفة ذاتها . ومع ذلك فان هذا الابتعاد ذاته من أسباب طرافة هذه الطريقة فى التفكير : فهى تمثل تجربة غير مألوفة يستمتع الانسان بالاطلاع عليها حتى لو لم يكن يقبل كل مافيها من مضمون فكرى .

ويطبق بردياييف موقفه العام ، وأعنى به « رفض العالم » ، على مختلف المجالات التى يندمج فيها . فهو أولا متباعد عن الحياة : « كنت أشعر دائما بأننى على مسافة مما يدعونه عادة بالحياة . والحق أننى أبغض تلك الحياة المزعومة بغضا ايجابيا » . (ص ٣٣) . وهو ثانيا متباعد عن الناس نفور منهم : « ولقد قطعت صلتى دائما بكل جماعة أنتميت اليها ، ولم أستطع قط التكيف مع اى تجمع ، كما لم أتمكن اطلاقا من مجاراة التيار السائد حولى ، أو الخضوع لأى انسان أو لأى شىء » (ص ٢٦). وعندما اندمج — رغما عنه — فى تلك التيارات الاجتماعية العاصفة التى اجتاحت روسيا فى الربع الأول من القرن العشرين ، تصارع فى نفسه من المتناقضات ما جعل من المستحيل عليه أن يندمج فى أية جماعة أو أى مذهب . فهو أولا أرستقراطى يعتز بأرستقراطيته : «ولا مناص من الاعتراف ... بأن طريقة الحياة الوحيدة التى خلقت لها هى حياة الجنتلمان الروسى الريفى ، فمازلت — بمعنى من المعانى — أعتز بهذه الحياة وأشعر بالحنين اليها حتى اليوم » (ص ٢٧) . ولكن لديه من جهة أخرى ميول اشتراكية حتمتها طبيعة العصر الذى عاش فيه . ولم يستطع بردياييف أن يتغلب قط على هذا التعارض بين النزعات المحافظة والارتباطات الاقطاعية ، وبين الميول التقدمية الاشتراكية فى تفكيره . وفى هذا التعارض نمت شخصيته ، واليه ترجع مأساة حياته .

فهو من جهة عدو للثورة الشيوعية التى نفته من بلاده ، ولكنه من جهة أخرى لايعطف على



النظام القديم ، ويؤمن بأن ذلك النظام كان يجب أن يزول · وهو أثناء اقامته في ظل النظام الشيوعي ، يهاجم الشيوعية بعنف في سبيل الدين ، أو في سبيل حرية الروح بوجه عام : « فاذا كنت أعارض الشيوعية ، فما ذلك الا على أساس حرية الروح ، لا لأنني أرغب في الابقاء على هذا النظام الاجتماعي أو السياسي أو ذاك » (ص ٢٣٤) · ومع ذلك ، فان هذا الذي طرد من روسيا السوفيتية بسبب ميوله الدينية التي كان يدعو اليها علنا في كل اجتماع يقصده ، لم يشعر بالراحة في الاجتماعات التي كانت تقيمها الطوائف الدينية في المنفى (ص٢٥٥)· وبالمثل فانه ، رغم كونه قد نفى لميوله اليمينية في السياسة ، يتحدى شعور المهاجرين أو المنفيين اليمينيين بآرائه اليسارية ، ويقف منها موقفا مضادا معاندا ، فيقول ان « الموقف الذي اتخذته الغالبية العظمى من المهاجرين يجعل الاتجاه نحو اليسار بالنسبة اليها لايزيد على كونه مجرد احترام أولى للذات » (ص ٢٧٠) ·

وهذه الفقرة الأخيرة تكشف عن صفة أساسية في شخصيته: هي المخالفة لأجل المخالفة: فهو مع الماديين متدين ، ومع المتدينين مخالف للدين · وهو بالنسبة الى عائلته المحافظة الرجعية ثائر سياسي ، وبالنسبة الى الثوار محافظ رجعي· والذي يحدث عادة هو أن النقاد يصفون هذا النمط من الناس بأنه لايريد أن يكون في هذا الجانب أو ذاك ، وانما يريد أن يكون نفسه فحسب · ومع ذلك فالأمر يصل ببرديايف الى حد ألا يكون نفسه أيضا : فهو في كل أوصافه لذاته يبدي عدم الرضا عن نفسه ، ولا يفخر بشيء من خصاله ، وكتبه كلها لاتعجبه ، فيؤكد « ان شيئا منها لا يرضيني في نهاية الأمر » ، فهو اذن شخص نافر حتى من نفسه · ولعل هذا

مايفسر قوله ان ميوله الحقيقية تتجه نحو الفوضوية (ص ٣٠٧) ، وتأكيده ، قرب نهاية الكتاب ، انه يجد نفسه « ممزقا » ، ولا يرى حلا قاطعا حاسما (ص ٣١٢) ·

فاذا حاولنا أن ننفذ الى شيء من المضمون الفعلي لتفكيره من وراء هذا التمزق والتناقض الذي لايحل ، لوجدنا فكرة أساسية تتردد في كل تعبير له عن فلسفته الخاصة ، هي فكرة الحرية · ومن الطبيعي ، بعد كل ما رأيناه عن تكوين برديايف النفسي ومزاجه الشخصي ونظرته العامة الى الحياة ، أن تكون فكرته عن الحرية فكرة غير مألوفة على الاطلاق · فهو أولا يحدد موقعها العام في فلسفته فيقول : «فالحرية هي المصدر الأول للوجود وشرطه · ولقد وضعت **الحرية** بدلا من **الوجود** في أساس فلسفتي » (ص ٥٥) · ثم يبدأ في تحديد مفهوم الحرية عنده فيقول : « وقد وجدت من نفسي الشجاعة في الاعراض عن أشياء كثيرة في الحياة ، ولكنني لم أتخل مطلقا عن أي شيء باسم الواجب أو خضوعا للأوامر والنواهي » · ففهمه الخاص للحرية اذن يعد الخضوع للواجب قيدا ثقيلا يتنافى مع الحرية الصحيحة · ويبدو هذا الفهم غريبا من الوجهة الفلسفية اذا أدركنا أن فيلسوفا مثل كانت يرى أن الحرية تتمثل أوضح ما تكون في أداء المرء للواجب ، ويضع مجال الواجب والحرية في مقابل مجال الطبيعة والحتمية · ويزداد العجب اذا أدركنا أن برديايف ، الذي ينادي بحرية يعد أداء الواجب عبودية بالنسبة اليها ، من أشد المعجبين بكانت ، وبتمييزه الأساسي بين نظام الطبيعة ونظام الحرية ·

وهو ينزع عن الحرية أي مضمون سياسي أو اجتماعي · فالحرية عنده « ليست ديمقراطية بل أرستقراطية · (وهي) لاتعني الجماهير الثائرة وليست ضرورية لها ، بل ان عبء الحرية أثقل من أن تحتمله تلك الجماهير · والوجود الانساني خاضع لرمزي الخبز والحرية ، ممزق بهما · والثورات في أغلب الأحيان ترفض الحرية باسم الخبز » · (ص ٢٢٣) · ولا مفر لي هنا من أن أتساءل : لماذا نضع هذا التقابل الأساسي

بين الخبز والحرية ؟ أليس الخبز ذاته حرية - أعنى تحررا من الجوع ، وهو أول أنواع التحرر، والشرط الذى لاغناء عنه لاكتساب أى نوع آخر من الحرية ؟ وما قيمة الحرص على حرية الثقافة وحدها ان لم يكن الخبز موجودا ، أعنى اذا كانت الاغلبية جائعة ؟ لنفرض أن مثقفا مخلصا خيرٌ بين هذا الامر وذاك ، فايهما ينبغى عليه أن يختار ؟ ان أفضل الامور ، بطبيعة الحال ، هو الجمع بين الحريتين ، ولكن ينبغى أن نذكر على الدوام أن الخبز ليس مضادا للحريه وانما هو شرطها الأساسى ، وأن على المثقف أن يحارب فى سبيله قبل أن يحارب فى سبيل أية حرية أخرى .

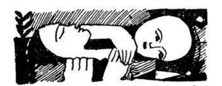
ومن الطبيعى ، طالما أن هذه هى طريقة برديايف فى فهم فكرة الحرية ، الا يجد مكانا لنفسه بين كل جماعات الثائرين الذين نادوا بشعار الحرية فى أوائل القرن العشرين . والواقع أن كتابه هذا وثيقة هامة فى تاريخ الفترة التى سبقت الثورة الروسية ، وكذلك الأعوام الأولى من هذه الثورة . صحيح أن هذه الوثيقة قد كتبها شخص له ميول فردية واضحة، ولكن الأهم من ذلك أنه شخص شارك فى الأحداث ذاتها الى حدما ، كتب باخلاص وأمانة يندر أن يكتب بهما من شهد تلك الأيام العصيبة من تاريخ روسيا الحديث . ولا أدل على ذلك الاخلاص من شعور الحنين الذى يظهر فى كتابه بصورة ضمنية مستترة ، والذى يأبى أن يعلنه فى ذلك الكتاب جهرا - أعنى الحنين الى بلاده، والرغبة الخفية فى مشاركتها مصيرها أيا كان ، وولاءه لهذه البلاد أيام محنتها أثناء الهجوم النازى ، على عكس معظم المهاجرين الروس ، ونفوره الواضح من التعقيدات النفسية التى تتحكم فى سلوك هؤلاء المهاجرين .

ومع ذلك فان برديايف لم يكن من النوع الذى يقبل أن تستقر الأمور فى أى وضع ، حتى لو كان وضعا ثوريا تمناه هو ذاته منذ البداية. ان فى نفسه عنصرا فوضويا اعترف به هو ذاته حين قال « ان ميولى الكامنة فى أعماق نفسى تتجه نحو الفوضوية » (ص ٣٠٧) . وهذه الميول الفوضوية تجعله ينزع الى المضى فى الثورة الى مالانهاية ، ويرى أن الثورة التى تنجح شىء مناقض لذاته : لأنها ستصبح نظاما قائما ثابتا، وتفقد طبيعتها من حيث هى ثورة . ولكن الشىء الذى فاته هو أن الثورة المستمرة بدورها مناقضة لذاتها : اذ أنه سيتعين عليك أن تثور على ماكنت تتخذه فى البداية هدفا ومثلا أعلى تسعى الى تحقيقه . انه يود أن يثور على كل نظام ، حتى لو كان ذلك الذى دعا اليه طوال حياته ، اذ أن لديه ميلا شخصيا الى التمرد على كل ماهو ثابت: « وقد انبثق الدافع الثورى عن عجز فطرى عن الخضوع لنظام العالم ، والانصياع لمطالبه ، فلهذا الدافع اذن دلالة شخصية فى المقام الأول ، لا دلالة اجتماعية . لقد كنت معنيا بثورة الشخص الانسانى ، لا بثورة الشعب أو الجماهير » (ص ١١٣) . وهو يزيد فكرته هذه ايضاحا فيقول : « كل ثورة سياسية تنهار بسبب انتصارها نفسه ، فلابد أن يكون موضوع الثورة الحقيقية هو الانسان ، لا الجماهير أو السلطة السياسية . والثورة الشخصية هى وحدها التى يمكن أن تسمى ثورة » . ولكن ، كيف يترجم هذا الكلام الى لغة الناس والمجتمع ؟ وماذا تكون قيمته اذا حاولنا أن نطبقه على مستوى الشعوب أو الدول ؟ ألا يرحب أكثر الناس رجعية بهذا الرأى الذى يريد أن يحصر الثورة فى نفس الفرد وحده ، ولا يقبل أى مظهر اجتماعى أو جماهيرى من مظاهرها ؟ لاشك أن هذه الآراء كانت كفيلة باسعاد قيصر روسيا الى أقصى حد ، لو كانت هى التى طبقت بالفعل : فالثورة الفردية قد لاتتعارض قط مع الرجعية الاجتماعية ، وهى دعوة لاتقبل الترجمة الى لغة المجتمع .

على أن أكمل تعبير عن موقف برديايف من العالم ، هو مايسميه بنزعته الأخروية . فالقوة الدافعة الأولى فى هذه النزعة هى شعور بالسخط على العالم والسأم منه : « أهذا العالم الساقط المنكوب ... يمكن أن يمتلك واقعا صادقا أصيلا؟ أليس الانسان مدفوعا بطبيعة الأشياء نفسها للبحث عن واقع يعلو على هذا العالم ؟ » وهكذا ترتبط النزعة الأخروية والدينية برفض

أساسى للعالم ، وباحساس قوى بأنه لايجد لنفسه مكانا فيه ، وهو احساس ولده الاخفـــاق فى التكيف مع أى وضع وأى مذهب • فمن الطبيعى أن يلجأ ذلك المغترب فى هذا العالم ، الى عالم آخر يلوذ به ويركز أفكاره فيه ، ويتخذه مهربا من كل مايراه فى عالمنا من « الحقد والقسوة والأنانية » (ص ٢٨٦) •

أن عنصر الطرافة والتشويق فى هذا الكتاب هو أنه وصف بليغ دقيق ، وتحليل بارع ، لنفسية شخص أخفق تمـــاما فى التكيف مع أسرته ، ومجتمعه ، وعصره ، بل مع الحياة ذاتها • ولقد ذكرت من قبل أن فى كتاباته شواهد تدل على أنه كان يتمنى ألا يكون انســـانا ، ويود فى قرارة نفسه لو كان ينتمى الى عالم يعلو على عالم الانسان. ومع ذلك ففى نفسيته عنصر يصعب تعليله ، هو حبه للحيوانات ، الذى وصل الى حد بكائه بشدة عند موت قطه الأليف • وموضع الغرابة هنا أن يتمثل هذا الحب الهائل للحيوان لدى ذلك الذى كان يكره الجسد ووظائفه الفســيولوجية وينفر منهما أشد النفور • ولكن ربما كانت هذه الظاهرة تخضع لنفس التعليل : أعنى كراهيته لعـــالم الانسان ، ورغبته فى الهروب منه الى مستوى أعلى أو مستوى أدنى من مستويات الحياة •



وأود أن أعرب هنا عن اعجابى بالمجهود الذى بذل فى ترجمة الكتاب ، وبالمســتوى الرفيع الذى بلغه أسلوب هذه الترجمة • ولقـــد كنت أود أن تسبق الترجمة مقدمة للمترجم أو المراجع ، يوضح فيها على الأقل شيئا عن شخصــية المؤلف ، وعن كتاباته الأخرى ، ويعرف القارىء بأن الترجمـة العربية انما هى للترجمة الانجليزية ، لا للأصل، ويذكر اسم المترجم الانجــليزى ودار النشر ، الخ ... كذلك كنت أود أن تزاد الهوامش قليـــلا لشرح بعض المصطلحات أو كتابة نبذات مختصرة عن بعض الشخصيات الهامة • ولعل من الأمثلة التى تثبت ضرورة هذا المطلب ، أنه قد وردت فى هوامش الكتاب ، فى النصف الأول ، الحروف : ى•ر• ، دون اى ايضاح ، ثم أوضحت هـــذه الحروف فى النصف الثانى من الكتـاب باسم « يوجين راب » ، ولكن مازلنا لانعلم من هو صاحب هذا الاسم •

كذلك فانى لا أوافق على طريقـة كتابة اسم المؤلف (برديائف) بالهمزة ، فالهمزة لا وجود لها فى النطق الصحيح لهذا الاسم ، وانما تحل محلها ياء مكســـورة ، مع تطويل الألف الوســـطى وتضخيمها •

ومما يؤسف له أننى لم أستطع العثور على الأصل الانجليزى الذى ترجم منه الكتاب ، حتى ستطيع اجراء المقارنة على النص بدقة • ومع ذلك فقد استنتجت الأصل فى بعض الأحيان، ووصلت ن ذلك الى بعض النتائج ، التى أرجو أن أعرضها هنا تحقيقا للمصلحة العامة :

فهناك أولا أخطاء أرجح أنها مطبعية ، مثل « وكان تصورى لهذه الرســالة **شبيه** من بعض لوجوه ... » (ص ٩٣) ، وكذلك « وقد بهرنى لانجلو كاثوليك بأنهم **متنبهين** لقضايا المجتمع لحديث » (ص ٢٥٧) ، ومثل « لم أنجح فى نتاج شىء **ذا** قيمة باقية » (ص ١٦٢) •

ـ وفى ص ٨ ترد عبارة « وأنا لست شاعرا، بل **فيلسوفا** » ، ومثلها فى ص ٣١٢ « فأنا ... لست لاهوتيا ، بل **فيلسوفا دينيا** » • ولما كان لتقدير هنا هو : « أنا لست شـــاعرا ، بل أنا يلسوف » ، فلا بد من أن تكون هذه الأسماء مرفوعة •

« وكنت أكتب **مقـــالات** جيدة ، على الرغم من عجزى عن الهجاء » • (ص ٢٣) ولاشك أن المقصود هنا هو « موضــوعات الانشـــاء » ، لا المقالات ، لاسيما وأن موضوع الكلام هو الفترة المبكرة من التعليم المدرسى للمؤلف •

ـ « وقلمـــا كنت أخطىء **عن الثور** » • (ص ٢٥) • وقد وردت هذه العبارة فى سياق

حديثه عن اجادته اصابة الهدف • وهى ترجمة لكلمة bull's eye ، التى تعنى « مركز الهدف» أو « النقطة المركزية فى الهدف » ، لأن من غير المعقول أن يصيب شخص رقيق محب للحيوانات، مثل بردياييف ، عين الثور حقا •

– « وانى لأشعر أننى تريب كل القرابة من عنصر النار ، وأننى غريب عن **عناصر الارض** والماء » (ص ٣٧) • وطالما أن الموضوع هنا هو « العناصر الأربعة » المعرفة ، فمن الواضح أن المقصود هو « التراب » الذى تعبر عنه ، وعن معنى « الأرض » ، كلمة انجليزية واحدة هى earth

– « وأنا غريب عما يعرف **بالاقتراب** الرومانتيكى من الواقع » • (ص ٣٩) • أرجح أن الاصل هنا كلمة approach ، وترجمتها : الموقف ، أو النظرة الى ...

– « دكاترة الكنيسة » (٨٩ ومواضع أخرى)، والمقصود هنا علماء الكنيسة أو فقهاؤها •

– تكررت كلمة « **الاحالات العقلية** » كثيرا (٩٤ ، ١٠٠) وأرجح أنها ترجمة لكلمة rationalization التى تعنى « التبريرات العقلية » أو « التبريرات » فقط •

– كذلك تكررت كلمة «الأرثوذكسية» مرارا، بمعنى غير معنى المذهب المسيحى المعروف ، كما فى قوله ان الماركسيين الروس « أحسوا منذ البداية بأننى لست **أرثوذكسيا** بما فيه الكفاية»، (١٢٥) وأنا أفضل فى هذه الحالات لفظ « الاتباعية » ، لأن القارىء العربى لايعرف عن الأرثوذكسية الا المذهب المعروف •

– كذلك تكررت عبارة «الكاثوليكية الرومانية» (ص ٢٥٥ مثلا) ، وهذا المذهب يسمى فى العربية بمذهب الروم الكاثوليك •

– تركت بعض المصطلحات غير الانجليزية دون ترجمة ، كالمصطلح الألمانى Beurussteid berhaupt (ص ١٢٧) وترجمته « الوعى على اطلاقه » أو « مطلق الوعى » ، وكذلك اللفظ الروسى sobornoat الذى يظهر بوضوح من السياق أنه يعنى « الثقافة الجامعة أو الشاملة » . ومن ذلك أيضا عبارة « القومية الألمانية التى تصدر عن الاحساس بالدونية القومية » أو بالـ attackgelnngsbederfnis (ص ٢٥٧) ، ومعناها « الحاجة الى احترام الآخرين أو تقديرهم ، أو رغبة الناس فى أن يكونوا شيئا مذكورا » وهناك أيضا عبارة Logik des Sollens (**هامش ص ١٠٠) وقد** ترجمت « بالأخلاق المنطقية » ، وصحتها منطق الوجوب (الأخلاقى) » •

– تكرر لفظ « النثرية » فى سياق غريب عنه ، كما فى العبارتين الآتيتين : « ولم آتمالك نفسى من الشعور بالاختناق لنقص الحرية الباطنة ، وبسبب التعصب **والنثرية** اللذين يسودان المكان » (ص ١٢١) وكذلك « ولكن عقلى كان مكدودا من هذا البحث وسط **النثرية** السائدة » (ص ١٣٦) • وربما كان الأصل هو الصفة prosaice أو احدى مشتقاتها ، وهى تعنى الجمود أو الرتابة أو السطحية أو التفاهة •

– « والوحى الذى يأتى الينا عن طريق التاريخ والتقليد » (ص ١٧٠) ، وقد تكون فى الأصل كلمة tradition ، وتعنى « التراث » فى هذا السياق •

– « ولكننا لم **نهجم على** مشكلة العزلة نفسها » (ص ١٦٤) • قد يكون الأصل هنا لفظ attack ، ومن معانيه «نخوض» أو «نعالج» .

على أن هذه الملاحظات المتفرقة لاتقلل على الاطلاق من قيمة الترجمة وما بذل فيها من جهد كبير جاءت معه عبارات الكتاب سلسة مترابطة ، مما يجعل قراءة الكتاب متعة لاشك فيها •

الدكتور فؤاد زكريا

النقد الأدبي ومدارسه الحديثة

تأليف: ستانلي هايمن

ترجمة: الدكتور إحسان عباس
الدكتور محمد يوسف نجم

بيروت ٦٩٠ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٤٥ قرشا

كان من الطبيعي أن تتعدد مدارس النقد الأدبي في هذا العصر الحديث ، وأن تختلف مذاهب النقاد باختلاف المناهج التي يصدرون عنها ، والعلوم التي يفيدون منها ، ولقد أحس الرأي العام الأدبي منذ فترة ما بين الحربين العالميتين بالحاجة الملحة الى مذهب تكاملي واحد يحدد دائرة الأدب ، ويكتشف بواعثه ووظائفه ، ويستخلص دلالاته ورموزه وعناصره ، وان عز ذلك ، فليس أقل من محاولة جادة تدرس هذه المذاهب والمناهج ، وتستبين المشترك بينها ، وتعمل عن وعي وذوق على التوفيق بين الصالح منها .

وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم وهو « النقد الأدبي ومدارسه الحديثة » من هذه المحاولات الجادة المتخصصة ، ومؤلفه « ستانلي هايمن » الذي يسهم في تبصير الرأي العام الأدبي بأمريكا عن طريق الصحافة ومنبر الجامعة . وليس من شك في أن هذا الجمع بين الصحافة الأدبية والدراسة الجامعية يجعله أوسع أفقا ، وأحد نظرا ، وأوضح عبارة ، ومن حسن الحظ أنه ليس اكاديميا تقليديا في تخصصه الأدبي ، فهو من المعنيين بالأدب الشعبي ، ولهذه الحقيقة دلالتها البارزة التي تضيف الملاحظة الواقعية الى المناهج النظرية والتحليلية ، والتي تضع الشخصية الفردية في مكانها من الاطار الاجتماعي والثقافي والحضاري . ولقد أحس المؤلف بحاجة الرأي العام الأدبي الى وضع المدارس النقدية الحديثة في نطاق اللغة الانجليزية على المشرحة ، وتخير احد عشر ناقدا يشخصون مختلف الاتجاهات في النقد الأدبي وحاول بعد هذا التشريح أن يتصور « الناقد المثالي » يتلقى الأدب ببصيرة الفنان ، ورؤيا الشاعر ،و تجربة العالم التطبيقي .

واذا كان القراء في أوروبا وأمريكا يستشعرون هذه الحاجة الماسة الى نظرية متكاملة في النقد الأدبي الحديث أو — على الأقل — يطالبون بالتوفيق بين مختلف المدارس الأدبية ، فان الأدب العربي المعاصر أشد حاجة الى الاتفاق على طبيعة الأدب ومنهج تلقيه وتذوقه ونقده ، بل أن المبدعين أنفسهم يفتقرون عندنا الى الادراك الصحيح للعمل الأدبي ووظيفته ، ولذلك كان المترجمان الفاضلان : الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، موفقين في نقل هذا الكتاب الى قراء العربية ، وفاء بهذه الحاجة ، وهما ايضا من الجامعيين المتخصصين في الأدب بصفة عامة ، وفي الأدب العربي بصفة خاصة ، وقد جمعا بين تحقيق التراث العربي التقليدي ، وبين تقويم الأدب العربي المعاصر ، وكانا بذلك من أكثر الدارسين شعورا بافتقار المكتبة العربية الى الكتب الجادة التي يحاول أصحابها تخطيط منهج نقدي شامل يفيد من ثمرات العلوم الحديثة افادته من تحليل الاتجاهات الأدبية السائدة . ولابد لنا أن نسجل هنا أن بعض المدارس الواردة في هذا الكتاب ليست غريبة على المثقفين العرب ، وهناك من الأعلام الذين ذكرهم المؤلف من هو بمنزلة الأستاذ من بعض نقادنا المحدثين أمثال « رتشاردز » و « ت — س اليوت » .

وكان لزاما على المؤلف أن يوطىء لهذه المدارس
احدى عشرة بمقدمة يصف حالة النقد الحديث
نطاق اللغة الانجليزية ، وهى بمثابة المهاد من
صورة ، وأول ما يستوقف النظر فى هذه المقدمة
حاولتـه تحديد المصطلح « الحديث » أهو
صطلح زمنى يساير المصطلح التـاريخى ...
هو مصطلح فلسفى يتصل بتصور معين للأدب
ميزه عن غيره من التصورات ؟ والمؤلف يقول :
.. يمكننا القول بأن النقد الأدبى الحديث يبدأ
فلاطون وأن ارسطو طالب مضى فيه ووسعه ،
ان هذين الرجلين هما — على التحقيق —
ائداه العظيمان ، حين سبقا الى أشياء كثيرة ،
فيما سـبقا اليـه كثير من التطبيق النقدى
عاصر » .. وقرن الى هذين المعلمين العظيمين
ائدا آخر نجم فى انجلترا فى القرن التاسع عشر
و « كولردج » فى كتـابه « السيرة الأدبية »
هؤلاء الثلاثة عنده هم القمم الشوامخ التى تعد
مثابة المعالم الرئيسية فى تاريخ النقد الأدبى .
لم يغفل أعلاما كثيرين ظهروا على مـدى القرون
العصور القديمة والوسيطة والحديثة فى نطاق
حضارة الأوروبية وحدها ، من أمثال بترارك
دانتى وبوكاشيو وفيكو ومونتسكيو وهردر
لسنج .. الخ .

ويثبت المؤلف فى هـذه التوطئة افادة النقد
لأدبى من مختلف المعارف والعلوم والفلسفات ،
يبين تأثر بعض النقاد بالعقائد ونزعات التصوف
هو يقول « ... أما العلوم الطبيعية والحيـوية
قد أمدت النقد بعناصر أساسـية كالطريقـة
تجريبية نفسها ، ونظريات ذات فائدة مجازية
ظيمة مثل التطور ، ومبادىء مثل النسـبية
المجال واللامحدودية . أما الفلسـفة فمع انها فى
قديم لم تعن بالأدب الا تحت ستار علم الجمال ،
قد أثبتت اليوم فائدتها للنقد وخاصة فى باب
لمصطلح الأخـلاقى والميتافيزيقى ، وبه يستطيع
نقد أن يواجه مسألة العقيدة ومشكلات أخرى
ات قيمة بالغة ... وهنالك عدد من النقاد قد
خلط مبادىء الدين وتجليات التصـوف على
أدب » ..

وأوضح هايمن الفروض الأساسية فى الفكر
الانسانى الحديث ، والتى يعود الفضل فيها الى
أربعة من الفلاسفة كشفوا عن نواميس التغير فى
الطبيعة وسلوك الانسـان وأولهم داروين الذى
جاءت منه الفكرة القائلة بأن الانسان جزء من
النظام الطبيعى وأن الحضارة تطورية ، وثانيهم
ماركس الـذى ذهب الى ان الادب يعـكس
ولو بطريقة معقـدة ملتوية أحيانا العـلاقات
الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر او ذاك ، وثالثهم
فرويد الذى يرى أن الأدب تعبـير مقنع ، وأنه
تحقيق لرغبات مكبوتة — قياسا على الأحلام —
وان هذه المقنعات تعمل طبقا لمبادىء معروفة ،
وآخرهم فريزر الذى درس السـحر البدائى
والأسطورة والشعيرة البدائيتين ، ورأى أن هذه
الظواهر كلها تكمن فى أسـاس أرفع النمـاذج
الأدبية .

وأهم فارق لاحظه المؤلف بين النقـد الأدبى
المعاصر وبين النقـد الأدبى السابق له هو : أن
النقد الحديث يتميز عن غيره بغياب مبدأين كانا
يحتلان مقاما رئيسيا فى الماضى كلما جرى الحديث
عن الأدب وهمـا : أن الأدب نوع من التعليم
الاخلاقى ، وأنه فى أساسه نوع من اللذة أو المتعة ،
ويصرح فى مقدمته بأن النقد الحديث يحاول أن
يتطور ليكون علما كسـائر العلوم ، ويحكم على
مستقبله فى هذه الناحية بقوله : « أما فى المستقبل
الذى يمكن التكهن به والحـكم عليـه ، فالنقد لن
يصبح علما — .. ولـكنا نتوقع منـه أن يزداد
تدرجا فى الاتجاه العلمى أى نحو تكوين منهجية
شكلية ، ونظام للمعالجة قابلية للنقل والاحتذاء
موضوعيا .. »

والى جانب هذه المحاولة من النقد الأدبى للسير
فى طريق العلم ، فاننا نجـده يتجه فى الاتجاه
الديمقراطى ، وذلك بتوسيع جمهور المتـذوقين
الذين يستطيعون مجاوزة التذوق الى النقد ،
ولعله سيصبح — كما قال بيرك — فرعا من النقد
الذاتى ، أى نقد الانسـان لنفسه ، ومن الخير
أن نثبت هنا عبـارته فهو يرى : « ان المقياس
الحقيقى للفنون فى طوق كل انسان ، وان ملاحظة

ما هو شائع فى الطبيعة ، بل أحيانا ما هو حقير واه. ليمنح المرء الأنوار الهادية حيث يكون لأعظم الحكمة وأسنى الجهد اللذين يفضان من شأن هذه الملاحظة أثر فى تركنا سادرين فى الظلام .. ! »

ويجب ألا تشغلنا مهاد الصورة عن المشهد نفسه الذى يتألف من احدى عشرة شخصية بجميع أبعادها النفسية والفكرية ، ولسنا ندرى الأساس الذى دفع المؤلف الى ترتيبها على هذا النمو المتتابع ، وكم كنا نود أن تقتفى أثره ، وان نواجه كل شخصية فى موضعها الذى أريد لها من الكتاب ، ولكننا نتخير فى نطاق هذا المقال المحدود شخصيتين اثنتين تمثلان اتجاهات رئيسية لا تزال تؤثر في النقد الأدبي ، وتطبعه بطابعها حتى خارج اطار اللغة الانجليزية .

وهنا نقف وجها لوجه أمام الشخصية الأولى التى عمقت تيارا ديمقراطيا وقوميا فى آن واحد ، وهى السيدة « كونستانس رورك » الناقدة التى وفقت فى رد الفن الشكلى الى المأثورات الشعبية ، كما عنيت بالكشف عن مأثورات شعبية أمريكية وتصنيفها واشاعتها لتكون اطارا ثقافيا يرتكز عليه القانون فى المستقبل وهذه المحاولة من الأهمية بمكان عظيم ، فان أمريكا بعد حرب التحرير ، بل وبعد الحرب الأهلية ، كانت تفتش عن شخصية مستقلة بوجدانها عن زمر المهاجرين من أقاليم أوروبية شتى ، ولذلك تعد « كونستانس رورك » من العاملين على تأصيل وجدان أمريكى كان قبلها مفرق العناصر ينزع الى الوحدة والظهور . وهو فى الوقت نفسه يساير ازدهار المعارف المتصلة بسلوك الآحاد العاديين والقطاعات الشعبية فى مختلف البيئات ، وما يكمن فى نفوسها وعقولها من رواسب متوغلة فى القدم تصوغ تقاليدها ومراسيمها وعاداتها وطرائق تعبيرها وتفننها . وهى ترى أن الارتباط الوثيق لفن الشعب وآداب الشعب ليس فى النسيج السطحى المؤلف من عبارات شعبية منظومة وغير منظومة ، وانما يكمن فى النماذج الكبرى للشعائر البدائية ، أى فى الأساطير العظيمة .

وأهم حقيقة كشفت عنها الآنسة رورك هى ، أن المأثورات الشعبية لا توجد فى مضامين الأدب والفن وحدها ، ولكنها توجد كذلك فى الشكل . والدارس لانتاجها كله يجد أنها تحولت بعد فترة من النظر الى المأثورات الشعبية من ناحية الجمع والسرد والاعادة « الى مجال النقد الشعبى الجاد ، وليس النقد الشعبى كبعض النماذج الأخرى من النقد المعاصر ، طريقة مفردة ، ولكنه عدد من الطرق المكنة تشترك فيما بينها فى مادة واحدة » . ونستطيع القول بأن هذه الناقدة يمكن أن تنسب الى مدرسة « هردر » . وهى توضح « كيف بدأت بنظرية مونتين » فى الشعر الشعبى ، أو الشعبية التى قال فيكو بوجودها عند البدائى ، مستمرة فى الانسان الطبيعى عند روسو ، متطورة فى نظرية هردر عن الفنون الشعبية باعتبارها قاعدة وقوة مشكلة للفنون الجميلة فى الشكل والروح والتعبير ، متضائلة فى نزعة القدم عند شليجل والأخوين غريم » .

واعتمدت رورك على حسن ذوقها وفراستها لتتجنب الشطط فى الأحكام على الفنون والآداب المعاصرة ، وبذلك لم تقع فيما وقع فيه تولستوى حين فضل فى كتابه المشهور « ما هو الفن » تمثيلية صامتة من صيد الغزلان بين قبيلة الفوجل على مسرحية « هملت » التى يجمع الرأى العام الأدبى على أنها من روائع الأدب فى كل زمان ومكان !! وتنكبت بنزعتها الديمقراطية عما وقع فيه دعاة العنصرية التى بلغت قمتها فى النازية المتصورة ان السلالات البشرية انما تتفاضل بعظامها ودمائها ، وكأن الفكر أشعاع ينعكس عن اللحم والدم والعظام .. !! ومع أنها كانت شادية فى طريق وعر غير مأنوس ، الا أنها استطاعت أن تدخل فى اعتبارها ما يصدر عن بقايا الهنود الحمر وجماعات الزنوج وزمر الوافدين الى أمريكا ، لكى تتبين الجذور العميقة للتعبير الدرامى والفكاهى ، وهى جذور تفرض نفسها على الشكل والمضمون جميعا « وألقت عنها النزعة القومية المبدءة عن العنصرية بالديموقراطية الليبرالية » فأصبحت تعد بحق المستخلصة للأصول والجذور الشعبية فى الفن الشكلى ، والجامعة لمأثورات شعبية يستطيع

فنانو المستقبل الارتكاز عليها وتطويرها ، والمنبهة الى مظاهر حضارية فى الماضى لم تدرك على وجهها الصحيح .

اما الشخصية الثانيـــة التى انتخبناها فهى شـخصية « ايفور ارسترونج رتشاردز » الذى جعل النقـــد تفسيرا يكافىء مضمونه الانســـانى العميق الشامل . ويسلم هايمن بأن هذا الناقد العظيم هو خالق النقـد الأدبى الحديث بالمعنى الحرفى لهذه العبارة ، ويصفه فى موضع آخر من كتابه بأنه معلم بارز من معالم تاريخ النقد الأدبى لا يكاد يسبقه على الطريق غير أفلاطون وأرسطو وكولردج . ولم يشغل هـــذا الناقد باله كثيرا بالعلاقة بين القصيدة ومبـــدعها بقـــدر ما شغل نفسه بما ينبغى من اتصال بين القصيدة وبين الجمهور المتذوق لها ، المتفـــاعل معها ، ومن هنا كان احتفـــاله بالتبليغ ، وكانت عنايتـــه القصوى بالدلالات على اختلافها ، ومن هنا أيضا تدرج فى وصف منهجه بالدلالات أولا ، وبالبلاغة أو الخطابية ثانيا ، وبالتفسير آخر الأمر .

وأدت مواجهته الواقعيـــة المتعمقـــة للأشعار والقصائد الى ان يسوى بين التجربة العـــادية وتجربة الفنان الشاعر ... بين التجربة الشعرية والتجربة الذوقية فهو يقول « ليس لعالم الشعر ، بأى معنى ، واقع مخالف لســـــائر ما فى العالم ، وليست له قوانينـــه الخاصة ، ولا خصـــائص مستمدة من دنيا أخرى غير هذه ، فانه مصنوع من تجارب هى من نفس أنواع التجـــارب التى تتأدى الينا بطريق أخرى . وكل قصيدة على وجه التحـــديد ، قطعة محـــدودة من التجربة ، لأنهـــا منظمة تنظيما أعلى وأشد ارهافا من التجارب العادية التى تتأدى الينا من الشوارع أو البطاح ، فهى تجربة هشـــة ناعمة ، ولكنها أكثر التجارب قبولا للنقل والايصال » .

وبهذين الركنين : التجربة من ناحية ، والايصال أو النقل من ناحيـــة أخرى ، تحول رتشـــــاردز بالنقد الأدبى من النظر الشخصى الى التطبيق الذى يقترب من العـــلم ، ونتيجة هذا أن التجربة الشعرية يمكن أن تقاس على تجربة أخرى ، وأن معيارا ما يمكن أن يستخلص من هذا القياس ، واكب الناقد الألمعى على مختلف وجوه الدلالات ، ووضع لها نظرية علمية أو شبيهة بالعلمية ، وهو فى هـــذه الناحية قريب الشـــبه بأئمة البلاغة العربية ، وقد أفاد من طرائق البحث الأدبى على وجه التحديد ، وعلى الرغم من معاييره التى تقرب منهجه من الموضوعية العلمية فانه يتسم فى الوقت نفسه بخصائص ذاتية تدور حول محور واحد هو ما تعارفنا على تسميته بالذوق الأدبى .

ولقد رأى ســـتانلى هايمن أن يقدم فى ختام كتابه اقتراحا يجعـــل الجهود النقدية تتكامل مناهجهـــا وهـــو العمل التعـــاونى بين النقاد المتخصصين طبقـــا لتخطيط مدروس ، ويرى أن تنفيذ هذا الاقتراح يمكن أن تضطلع به المجلات الأدبية بحيث تفرد بعض أعدادها لشخصية أو عصر أو مذهب أدبى ، ولمـــا كانت الصـــحافة لا تستطيع أن تسيطر على آراء النقاد واتجاهاتهم سيطرة كاملة تطوعها للتخطيط الدقيق ، فقـــد اتجـــه هايمن صوب الجامعات التى تملك الأموال والمناهج والأســـاتذة ، وهو يتساءل هل تقبل الجامعات ، « أن تشغل نفســـها بنشاط كالنقد على شكل مجـــلة أو سلسلة من الكتب أو حتى بتنظيم دراسة الأدب فيها على هذا النحو ؟ » ..





وهو يقول « ان كل الأعمال الأدبية العظيمة وكل الروائع فى الأثر الأدبى العظيم ، وكل الأدب الحديث الجاد ، كل هذه ذات مستويات متعددة ، ولذلك يجب أن يكون لدينـــا نقد متعـدد المستويات ليستطيع معالجتها » .

ونحن نتساءل بدورنا هل من الممكن ان يحقق أساتذة الأدب والانسانيات والنقاد هذه الفكرة التعاونية فيما بينهم لكى يستخلصوا من الاجتماع والمدارســة نقدا ادبيـــا تكامليا يصحح المفاهيم ، ويتفق على المصطلحات ، ويضبط المناهج ، ويصقل الأذواق ؟ .

وهو سؤال تنوب الحياة عنا فى الاجابة عليه ، وحسبنا أن نســجل أولا ان هذا الكتاب جدير بالدراسة والاهتمام ، وأن الأستاذين المترجمين قد أسديا خدمة جليلة الى تقديم الأدب بعرض هذه الاتجاهات والأفكار ، وكاتب هذه السطور يدرك قبل غيره مشقة الترجمة وبخاصة فى مثل هذه الفصول الجادة التى تتعدد فيها زوايا النظر ، والتى تفيـــد من معارف وعلوم مختلفة تشمل الانسان والطبيعة معا .

ولولا هنات يسيرة هنا وهناك ، ولولا جفاف يبدو أحيانا فى الأسلوب لكانت ترجمة مثالية . والكتاب مع ذلك محصور فى نطاق اللغة الانجليزية ، وان برزت فيه المؤثرات التاريخية والفكرية خارج العالم الانجليزى والأمريكى ، وليس من شك فى أن العالم يحفل باتجاهات أخرى تشبه ما أورده الكتاب ، وقد تتفوق عليها وتمتاز عنها ، كما أنه يحلل مدارس ظهرت أو تكاملت فيما بين الحربين العالميتين ، والواقع أن دنيـــا الأدب قد أصابها تعديل أساسى بعد ذلك ، لابد أن يترك طابعه على ابداع الأدب وتذوقه ونقده جميعا ... ولكن تحيتى للزميلين الجامعيين اللذين نقلا هذا الكتاب الى العربيـــــة ، العنـــاء الذى بذل فى عرضـــه وتحليله .

الدكتور عبد الحميد يونس



سطور من كتاب .....

« ان التعاون الدولى يتطلب أكثر من مجرد النيات الطيبة ، فعندما يتزوج الفتى فتاته التى يحبها فان حبهما يســـــاعد كثيرا على التوافق بينهما ، ولكنهما سرعان ما يتبينـــــان أن كثيرا من خصالهما انما تناسب الحياة الانفرادية أكثر مما تناسب الحياة الزوجية ، ومن ثم يجدان نفسيهما يواجهان مشكلة تعلم الحياة المشتركة التى هى فى الواقع من مشكلات العقـــل أكثر ممـــا هى من مشكلات العاطفة .. وهذا القياس ينسحب على العلاقات بين الدول » .

... النظام الدولى والسلام العالمى

خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال



تأليف : ابراهيم حمادة

المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ،
٢٠٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

عاصرت ، مرحلة من تأليف كتاب « خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال » ، فصاحبه الأستاذ ابراهيم حمادة ، كان يلقانى فى المعهد العالى لفنون المسرح ، فيحدثنى عن مخطوطة « تيمور » أو عن كتابات جورج يعقوب وبولى كالا فى هذا الفن .

وكنت الاحظ أن المؤلف ، يتريث فى فحصه عن الحقائق ، وضبطه للوقائع ، وكنت أتوسم فيه ، أنه سيضيف الى المراجع العلمية ، مرجعا آخر ، له قدره ومكانته .

وحين فرغ المؤلف من كتابة موضوعه منحنى فرصة قراءة المخطوط قبل أن يبعث به الى المطبعة .

وعشت ليالى ممتعة مع هذا المخطوط ، ثم قرات الكتاب مطبوعا ، وتأملته وقد استوى على قوائمه ، واتخذ شكله الأخير .

محتويات الكتاب

ونستطيع أن نجمل محتويات الكتاب فى أن المؤلف عالج فن خيال الظل ، من زوايا متعددة فتناول فن تحريك الدمى ، ونشأة المخايلة ، وهجراتها الى العالم العربى ، ثم هجراتها الى أوروبا .

وافرد بابا للقره قوز التركى .

وهذه الأبواب الأولى ، هى بمثابة المدخل والتمهيد ، للبحث . ذلك أن الفصل الرابع ، يتناول حياة محمد بن دانيال الموصلى ، الذى تنسب اليه نصوص « البابات » أو الفصول التمثيلية التى شاء القدر ، أن تشغل الباحثين ، مستشرقين وغير مستشرقين .

وجعل المؤلف الفصل الخامس من دراسته لاستقصاء التمثيليات الدانيالية — ثم ختم الكتاب بالتعرض لتمثيليات طيف الخيال وعجيب وغريب والمتيم والضائع والغريب .

تحريك الدمى والمخايلة

والرأى الغالب عند الدارسين الذين بحثوا تاريخ « تحريك الدمى » أن صناعة العرائس وتشكيلها ، واستعمالها لغايات اعتقادية ، نلقاها فى الحضارات القديمة ، ذلك أن نحت الدمية ، أو صنعها ، قد رافق المراسيم العقائدية ، التى درجت مع الانسان ، فى غابر حياته ، فكان فى مصر القديمة ، عرائس تظهر فى احتفالات ايزيس واوزيريس ، وقد حدثنا عنها هيرودوت ، وعرائس أخرى ، نرجح أنها كانت تلقى فى النيل ، تقربا اليه ، حين كان الظن أنه قوة مقدسة ، تفيض بالخير ، أو ترسل الدمار .

ولا ريب فى ان حضارات الشرق الأخرى ، كحضارة ما بين النهرين ، أو حضارة أحواض أنهار السند والكنج وأنهار الصين ، قد شهدت

هى الأخرى ، ظهور العرائس فى المناسبات والمراسم الاعتقادية . واذا كان علماء التراث الشعبى يحدثوننا عن انتقال « أدوات العقائد » الى مجال اللعب واللهو ، وكيف أن هذا الانتقال ، يعبر عن مرحلة مترفة من الثقافة ، والحضارة ، فمن المرجح ، أن يكون استخدام العرائس ، فى المراسم الدينية القديمة ، وفى الطقوس السحرية الغابرة ، قد سبق استخدامها فى مجالات اللهو واللعب . أو لعله ، كان أظهر فى مجال الاعتقاديات ، منه فى مجال البشرية .

على أن الثابت ، أن العرائس القديمة ، فى الشرق الأدنى على الأقل بما فى ذلك بلاد الاغريق . لم تتدرج الى مسرح خيال الظل . فى بدء استعمالها . فغاية ما تعطيه الشواهد التاريخية لنا ، انها كانت تتحرك بواسطة خيوط — كتلك العرائس التى قال هيرودوت انه رآها فى مصر — أو كانت تتحرك بواسطة الأصابع ، كتلك العرائس اليونانية أو الهندية ، التى حدثنا عنها « منزل » .

وظل الأمر كذلك ، الى ان خالط العرب ، حضارات الهند والصين ، وجنوب شرق آسيا .

الاختلاف حول الوطن الأول للمخايلة

وعن طريق المخالطة ، والهجرات الثقافية ، ارتحل فن المخايلة — كما ارتحلت عناصر فنية وثقافية أخرى — فى اتجاه الغرب ، فاستقرت فى بلاد الشرق الأدنى ، وتفاعلت وانشقت عن تكوينات جديدة ، وصيغ مستحدثة . ثم وصلت الى أوروبا ، من خلال طرق الهجرات الثقافية الشهيرة ، التى تشمل جنوب شرق أوروبا وجنوبها

ويبدو أن فن المخايلة ، تعرض لموجات الازدهار والارتحال والانهيار والأزدهار من جديد ، وهى هذه الموجات التى أصابت فنون الشرق الأوسط ، فى عصوره الوسطى . وحين شرع بعض علماء الشرقيات ، يدرسون فن المخايلة ، اثر عثورهم على مخطوطات قديمة شيئا كمخطوطات استنبول والمنزلة — كان عليهم ان يحددوا من أين وفد هذا الفن ؟ وأين كانت نشأته الأولى ؟ .

وكيف ارتحل من الشرق الأسيوى الى الشرق الأسيوى الافريقى الأوروبى ؟ وانقسم الرأى كالعادة ، فى مشكلة « نشوء هذا الفن ومصادره الثقافية » . فريق ، تغلب عليه النظرة الشرقية الآرية ، يبادر فينسب الى الهند أنها هى الوطن الأصلى لهذا الفن .

وفريق آخر ، يرى أن الصين هى التى كانت أول موطن لهذا الفن .

ويتذرع كل فريق بمجموعة من الشواهد والاستدلالات ، يدعم بها رأيه . لكن الأمر اليقينى الثابت — على الاقل بالنسبة للفولكلور — انه من العسير أن نقطع قطعا باتا ، بأن تكون الهند أو الصين ، أول موطن لفن المخايلة . ذلك أنه لا توجد لدينا النصوص الكافية من تمثيلياته القديمة . وأغلب ما يشير اليه الدارسون ، يقع تحت قسم الشواهد المنتزعة من الآداب الفصحى والتواريخ الرسمية .

وانه لأمر لافت للنظر كذلك ، أن نلاحظ ان فن المخايلة درس من بيئات ثقافية كبرى ، مثل البيئة الآرية الهندية ، فى حين أنه بقى منتشرا فى جاوه أو سومطرة او غيرهما من جزر الهند الصينية .

والحق ، انه من المتعذر أن ننظر الى فن الخيال ، من زاوية موطنه الأول أو هجراته ، فتلك مشكلات يقع عتوها على علم الوثائق ونعنى به التاريخ .

أما الذى يعنينا ، ويرقى الى مستوى اهتمام البحث اليقينى ، فهو فنية هذا الفن ، ودلالته ، وصلته بالفنون الأخرى . واتصاله بحركة التراث الشعبى بعامة .



فن المخايلة فن شعبى

نريد بهـــذا ، أن نحدد نوع هذا الفن . كما نعرفه فى شرقنا الادنى .

جاءنا هـــذا الفن ، وذاع بين أسلافنا ، فى ظل ظروف ثقافية معينة . فاذا قلنا أنه جاءنا بعد أن نضجت مخالطة البيئة العربية ، والبيئات الأسيوية ، فان ذلك يقع فى مرحلة انشاء الأعمال الأدبية الـكبرى فى الأدب الشعبى . وليس من الصدفة أن يتقارب وقت تدوين السير ، وذيوع ألف ليلة ، وذيوع الحكايات المرحة MerrryTales وحكايات الحيوان Animal Tales ، وحكايات الجان Fairy Tales . والنوادر الساخرة والماجنــة والفاحشة واستواء الأزجال والأغانى الناشئة .

لقد بدرت فى الثقافــة الشـعبية عصر ـ على الأقل ـ ومنذ القرن العاشر والحادى عشر ، بوادر التكوينات الأدبية الشعبية الكبرى ، واستقامت هـذه التكوينات ، واستوت ، فيما تبع ذلك من قرون . فاذا جاء الى هذه البيئة فن تمثيلى ، يستطيع أن يخاطب تقاليدها ، ويستند الى بعض عناصرها ، ويساير اتجاهاتها ، فسيجد فيها ، تربة خصبة .

كذلك كان شأن خيال الظل . جاءنا ، والآداب الشعبية تتفتق عن أعمالها القادمة الكبرى .

وجاءنا ، وقـد تجـرد من ســـواره الوثنى والاعتقادى ، اداة لهو وفن .

وجاءنا ، وجمهور الفن الشـــعبى ، مهيئــا لاحتضان الأنواع الجديدة . فكان أمرا طبيعيا ، أن يزدهر فى مصر ، ويصـــل الى مســـتويات جديدة .

ابن دانيال الموصلى

واذا كان فن المخايلة ، اقدم تاريخا فى الشرق العربى ، من تمثيليات ابن دانيال ، الا أن البابات المنسوبة الى هذا الفنان ، هى التى أثارت اهتمام الباحثين ، كما قلنا .

ولد شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعى قبل أن ينتصف القرن الثـــالث عشر الميلادى ، وعاش فى الموصل بعض الوقت ، لـكن موجات الدمار التترى اجتاحت المدينة ، ففر مع غيره من الفنـــانين والأدباء والعلمــاء الى مصر القاهرة ، التى كانت موئل الحضـــارة الاسلامية رسوخا وقدرة ، ومعقلها امتناعا على الغزاة .

وفى القاهرة ، تدرب ، وتفتح ، وعاش . فأكمل تعليمه الدينى والأدبى ، والعلمى وصار حكيما يداوى العيون ، فافتتح « دكانة » فى باب الفتوح يكحل عيون الناس .

وفى استطاعتنا ، أن نتصوره ، شابا لماحا ، يعيش فى أســوان القاهرة ، وتحت ظلها ، يجرب حياة الفن ، واندفاعات الشباب ، يلهو ويسرف فى اللهو ، يتأثر بذكاء الانســـان المصرى الماثلة ـ قطعا ـ فى السوق ، ويتأثر بروح السخرية ، ودقة الملاحظة التى كانت تحاصره وتصل اليه ممن يسمع ، ويخالط ، ومما يرى ويشاهد .

أفاد ابن دانيال ، من مواهبه ، لكنه أفاد من البيئة الخصبة التى أتاحتها له مصر .

واتسمت سنوات عمره الأخــيرة ، بالراحة والاستقرار .

وحين تقـدمت به السن ، رنت فى أشعاره ، نزعة صوفية .

وفى مطالع القرن الرابع عشر ، مات شمس الدين بن دانيال .

تمثيليات ابن دانيال

يشـير الباحثون الى تمثيليات ابن دانيال ، فيذكرون مخطوطة استنبول التى يرجع تاريخها الى سنة ١٤٢٥ م . أو الى **المخطوطة التيمورية** وهى أحدث تاريخا .

والمخطوطات الموجـــودة ، من عمل نساخ ، تدخلوا ـ بالطبع ـ فى تدوين النصوص وذلك أمر طبيعى ، بالنسبة لفن شفاهى مثل المخايلة ، ولكتابات جاءت بعد ابن دانيال بقرن أو يزيد .

وأهم من لفت الأنظار الى فن المخايلة المستشرق جورج يعقوب ، صاحب اليد الطولى فى دراسة تاريخ هذا الفن ، والمستشرق پول كالا ، الذى زار مصر ، أكثر من مرة ، وعثر على مخطوطات أخرى لتمثيليات خيال الظل .

وأما مؤلف كتابنا الراهن ، فقد عرض لهذه المسرحيات الشعبية ، مسلطا عليها ، مقاييس ثقافته النقدية ، والأخلاقية ، محاولا ان ييسر على القارىء ، فقدم شيئا من التبويب عند ايراده النصوص ، وطبق على النصوص مقاييسه الأخلاقية ، فحذف منها الأجزاء الجنسية والفاحشة ، ونقاها من العبارات الموغلة فى الجنس .

تصور هذا الفن

وقد نتفق مع المؤلف فى أنه ينبغى حذف هذه الأجزاء عند طبع كتاب ، يتداوله القراء بدون تمييز .

وقد نتفق كذلك ، ان البحث العلمى ، البحت ، لا يانف من النظر الى المخطوطات المذكورة ، كما هى ؛ ولا يرى مانعا يمنعه من أن يدرسها كما هى . وقد يتحرر البحث العلمى البحت ، من مقتضيات النشر العام .

ولكنا نتساءل عن تصور المؤلف لفن المخايلة كيف كان ؟ .

اتخذ المؤلف موقفا صارما ، من نصوص تمثيليات خيال الظل ، ثم استطرد من هذا الموقف يعيب على المخايلين « فجورهم » ويكاد القارىء أن يشفق على المؤلف من الغضب الغاضب الذى اعتمل فى نفسه ، وهو يهاجم هذا اللون من التمثيل ويزرى عليه .

غير أن نظرة الباحث الى فنون العصور الوسطى ، ينبغى أن يأخذ فى اعتبارها ، حالة البيئة العامة ، والثقافية كذلك فنحن نعرف أن كافة أنواع فن الملاهى الشعبية فى أوروبا من فن الرواية والنوادر الى فن التمثيليات المرتجلة الى غير ذلك ، كانت تحمل كمية هائلة من هذه الألفاظ والصور الحسية .

ومع هذا ، يحاول العلماء عند دراستها أن يتفهموا ، طبائع هذا اللون من التأليف وملامحه ودوافعه وتطوره .

ونحن ، نزعم ، ان كمية المجون فى خيال الظل أقل من الكمية الماجنة الموجودة فى الخرافات الفرنسية لعصرها الوسيط ، أو الموجودة فى الحكايات المرحة ونوادر الحيوان الأوروبية التى درسها علماء الأدب الشعبى هناك .

ومن الأمور الجديرة بالاعتبار ، أن نرى مجال خيال الظل ، على اتساعه ، واختلاف أغراضه ، فنحن نعرف أنه ، حمل الى الجمهور ، روحا رفيعة حين خاطبهم متأثرا بالتصوف ، أو حين دعاهم الى نقد المجتمع الاقطاعى والضحك منه ، أو حين صور نزواتهم ومسالك عاداتهم ، أو حين صرح تصريحا بروح الوطنية ، كما فعلت بعض مشاهده أثناء حرب الاستقلال اليونانية ، وأثناء الحركة الوطنية التى اشتعلت فى الجزائر ضد الغزاة الفرنسيين ، أو أثناء تغطية روح المقاومة المصرية ، للنفوذ الأجنبى . فالخيال اذن ، كان وسيلة لهو ، وكان وسيلة توجيه ، وكان يرتفع الى المعانى الروحية الجليلة ، ويهبط الى النزوات الدارجة .

واذا تصورناه ، فى كامل مجالاته ، رجحنا أهميته ، على مثالبه .

التعريب والتمصير

والمؤلف ــ بعد ذلك ــ ينتبه الى أسلوب البابات التى أنشأها ابن دانيال ، فيقول لنا ، انها تتسم بالطابع الفصيح أكثر من اتسامها بالطابع العامى .

وهنا ، يحق لنا أن نلاحظ ، أن فصحى التمثيليات ، كفصحى الف ليلة ، ليست نقية ، خالصة ، بل هى أقرب ما تكون الى لغة أوساط الناس ، فى زمان هذه الآثار .

ولا يحق لنا أن نغفل ــ عند التقييم ــ ملامح الشعر الشعبى التى بدرت فى ثنايا هذه المؤلفات .

ولقد رجوت أن يتطرق المؤلف فى دراسته الى ظاهرة ، هامة حقا . تلك هى ظاهرة « تركية خيال الظل فى مصر » ثم تعريبه وتمصيره . تدعونا الشواهد الى الظن بأن خيال الظل الذى بدا عربيا فصيحا ودارجا ، قد اشتمل ــ على مفردات وعبارات تركية غير قليلة ، حين اشتد نفوذ المماليك والأتراك ، وبعد ما كان خيال الظل

يخاطب العامة ، وبعض القصور ، دخل قصور المماليك والأتراك ، والتمس الرزق فى رحاب من لم يكونوا يعرفون العاميــات العربية . وحدث نفس الشيء ، للأغنية ، الشعبية .

ولا نزاع فى أن هنـاك صلة وثقى بين المخايلة والموسيقى . ونحن نعرف ، أنه مع تنبه الروح الوطنية فى القرن التاسع عشر ، وتحرك الجمهور الوطنى ، مالت الأغنيــة عن المزاج التركى الى المزاج المصرى ، حتى تخلصت شيئا فشيئا من التراكيب التركية ، ثم تحقق لها ــ فى هذا القرن ــ التحرر الكامل من قبضة المزاج التركى . ويحدثنا لانداو عن شيء كهذا وقع لنصوص خيال الظل ، فقد تعربت وتمصرت فى سياق مماثل .

تقييم الكتاب

وعند تقييم هـــذه الدراسة الجادة ، ترجح كفتهـا ، وتبرز أهميتهـا ، ليس الآن فقط ، بل فيما يأتى من ســنوات قادمة . ذلك أنها من الدراسات ، التى تملأ فراغا ، وتملؤه عن جدارة .

وموضوعها ، يقع من اهتمام الباحثين واهل الفن ، حيث تقع مســائل على أخطر جانب من القيمة .

انها ، تعيننا على أن نتصور حلقة من حلقات الدراما العربية . ولعلنا ، من أكثر الناس ، ايمانا بأن فن الدراما ، ليس بالضرورة وفقط ، فنــا خلقته اليونان ، أو حفظته أوروبا .

نحن نرى أن الأصول الدراميــة ، وجدت فى بيئتنا العربيــة والمصرية واستمرت ، وأعطتنا ما نستحق أن ندرسه ، ونتفهمه .

واذا قلنا الأصول الدرامية والأشكال القومية لهــا ، طالبتنــا الكوميديا المرتجلة Commedia dell' Arte ، التى ذكر شــواهدها ، المــرة بعد المرة ، رحالة أوروبيون زاروا مصر قبل أن تجيئها الحملة الفرنسية ، والتى ذكر شواهدها كتاب فرنسيون ودينمركيون وانجليز ، فى مطالع القرن الماضى .

والى جــوار جــوقات التمثيـل المرتجل ، استخدم الفنان فى بلادنا فن المخايلة والأراجوز المصرى ، ليجد مشاهد تمثيلية من نوع خاص .

وحصيلة هذا الفن الكوميدى المعتمد على الأداء البشرى والفن العرائسى المعتمـــد على تحريك العرائس أو القاء ظلالها ــ جدير بأن يكون المدخل فى تاريخ المسرح العربى . وليس معنى هذا ، أننا ننفى أن المسرح بمعناه الأوروبى ، قد عرفناه فى القرن التاسع عشر ، فرنســـيا أول الأمر ، ثم عربيا ، ولكنا نقول ، اننا قبل أن نعرف هـــذا المسرح ، كان عنـدنا أصول درامية ، وكان فن المخايلة احد وسائلها ، ومجالات تقديرها .

وانه لأمر يثير التأمل ، أن ينتبه نفر من كبار كتاب المسرح العاملين الى اهمية تقاليد الشرق فى المسرح العالمى فيستخدمون الأقنعة أو يتمثلون تحريك الدمى وأن يبلغ ذلك الأثر مداه فى مسرح برتولت بريخت الذى استوحى مسرح الصين ، ثم فن يوجين اينسكو ــ نقيض بريخت ــ الذى يصارحنا بأن لمسرح الشرق منطقا أعمق وأقوى من مسرح الغرب .

ثم يأتى الاخراج ــ البالغ الحداثة ــ فيستعين بظلال الخيال ، وشيء من المخايلة ، حين يستعين كذلك بالأقنعة والرواية ، والأناشيد التى هى ــ عنصر لا غناء عنه ــ فى مسرح خيال الظل .

لقد كنا نتوقع من المؤلف ، وهو باحث ممتاز فى الأدب المسرحى ، أن ينتزع من صــفحات الكتاب ، مساحة يخصصها لامتدادات فن خيال الظل فى فن الدراما الحديثة ــ ذلك أن هـــذا الفن الذى طاردته السينما ، حينما التقت به ، قد وجد متنفسا حديثا ، فى بعض أنحاء المسرح العالمى الحديث .

ويبقى ، ونحن نختم هذا العرض والتحليل ، أن ننوه بمنهج الباحث وثقافتـــه ، ودأبه على التدقيق ، وكل ذلك يضفى على كتابه ، قيمة ، وطلاوة فكرية ، لا ينافسها الا صدق الرغبة التى حدت بالمؤلف ، أن يسهر الليالى وهو ينقب عن فن تمثيلى كان له شأنه ، وكان مدعاة للتسرية ، والفكر ، وصار الآن ، ــ أو قل ينبغى أن يصير ــ مصدرا للبحث ، بل مصدرا للفن اذا شاء الفن أن يتساوى مع الاصالة والتقاليد .





تاريخ الفكر الاشتراكى

الرواد الأول من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٥٠

تأليف: ج. هـ. كول
ترجمة: عبد الكريم احمد
مراجعة: على أدهم

صدر هذا الكتاب ناطقا باللغة العربية فى فترة حاسمة من تطور بلادنا التاريخى . ففى هـذه الفترة كان النقاش والدرس عن الفكر الاشتراكى العالمى والتطبيق الاشتراكى العربى هو المحور الأساسى فى الجو الثقافى فى مصر . ولذلك فقـد استقبله المثقفون استقبالا حسنا لأنه يمثل خطا فكريا صحيحا يجب أن ينتشر ويزداد عمقا . وهذا الخط الفكرى الصحيح هو الذى يجعلنا نقرأ ونعرف وندرس ما كتبه الآخرون عن الاشتراكية وكيف تطور تاريخها ولماذا اختلفت مدارسـهـا وما هى نقاط اتفاقهم وخلافهم . وكلما ازدادت التراجم والمؤلفات وكلما عرضت آراء المفكرين على مختلف مدارسـهم وجماعاتهم كلما كان أحسن وأفضل .

وفى تيار هذا الاستبشار كانت هناك نقطة خوف جاءت نتيجة لسابق محاولة لترجمة هذا المؤلف فى لبنان ، فكان أن ظهرت ترجمة الجزء الأول فقط ثم توقفت الترجمة بعد هذا ولم تصدر باقى الأجزاء . ولـكن سرعان ما اختفت نقطـة الخوف هذه اذ توالى صدور الأجزاء التالية ، وتستعد المؤسسـة المصرية حاليا لاتمام نشرها جميعا .

وقبـل أن نعرض لمضـمون الـكتاب نسرع أولا باستعراض الشكل ، فنجد الترجمة تصدر فى سلسلة الفكر السياسي والاشتراكى التى تصدرها المؤسسة ، وعلى الرغم من أن عـدد صفحات الترجمة يصل الى حوالى ٤٠٠ صفحة فان الثمن زهيد جـدا فهو ٢٧ قرشا مصريا فقط ، وقد اكتفى المترجم بالتقديم الذى كتبه الأستاذ كول عام ١٩٥٢ ، ولكننى آخذ عليه أنه لم يكتب مقدمة خاصة يعرف بالمؤلف ويعرف بالأجزاء والمجلدات التى انقسم اليهـا هـذا التأريخ الكبير للفكر الاشتراكى . كما الاحظ أن سنة الطبع لم تكتب على الترجمة العربية وهذا نقص يجب تلافيه اذ يسبب متاعبا للدارسين الذين يرغبون فى الاشارة اليه كمرجع فى بحوثهم الأكاديمية .

وقد أضـاف المترجم الى الـكتاب قاموسا للمصطلحات السياسية الواردة فى الكتاب ، وهذا جهد حميد يجب الاشادة به . ويرجع هذا الى أن الترجمة للفكر السياسى من الوجهة الأكاديمية ما زالت فى بدايتها فى الفكر العربى وقد سبب هذا انتشار عـدد من المصطلحات والترجمات للكلمة الواحدة . ومثل هذا فيه اجتهاد واضح . ولكن الأستاذ المترجم أجملها فى قاموس ملحق بكتابه وحبذا لو قام كل مترجم بمثل هذا العمل ، وعلى هـذا نستطيع أن نقدم للقارىء العربى مجموعة متكاملة من ترجمة المصطلحات وفيهـا الشىء الكثير الذى لم يتداول من قبل فى بلادنا .

وحين ننتقل للموضوع نجد أن كول قصد أن يقدم تاريخا عاما للفكر الاشتراكى ، ولهذا فقد

أوضح هذه النقطة فى تقديمه للكتاب بأنه لا يقدم تاريخا للاشتراكية انما هو يقدم تاريخا للفكر الاشتراكى . وقد أشار الى انه قسم الدراسة الى مراحل تاريخيـــة متتابعة وأن هذا المجلد يشمل التطور الفكرى التاريخى حتى عام ١٨٥٠ مع اغفاله لبعض الرواد الذين وجد أنه من الأفضل أن يكتب عنهم فى المجلد الثانى الذى يلى هـــذا الجزء .

ولقـــد بدأ الأستاذ كول فى حديثه بالبداية المنطقيـــة التاريخيـــة حين عقد الفصل الأول عن تعريف الاشتراكية ، ولذلك فقد راجع السجلات التاريخيـــة لظهور لفظى اشتراكية واشتراكى، فوجدهما فى حـــدود ما يعرف أن أول ظهورهما مطبوعين بالايطالية فى سنة ١٨٠٣ ولكن بمعنى لا صـــلة له مطلقا بأى من معانيهما اللاحقة . ثم استطرد البحث التـــاريخى وتنـــاول استعمال الألفاظ فى كل من المدارس والأفكار التى ظهرت بعد ذلك منذ سان سيمون حتى ماركس .

وما أن ينتهى هذا الفصل الأول حتى يبدأ المؤلف رحلتـــه التاريخية الكبرى بقيام الثورة الفرنسية العظيمة عام ١٧٨٩ ، ويناقش لماذا اختار هذا التاريخ ، وبعد هذا يدرس ثورة الأكفاء التى تزعمهـــا جراكوس بابيف والتى أظهـــرت معنى صراع الطبقات ، وخلال هذه الدراسة لا ينسى المؤلف مقتضيات النسيج التـــاريخى الواجب لدراسة هذه الفترة فهو يمسك بخيوط اليعاقبة وغيرهم من التيارات الفكرية والحزبية فى هذه الفترة ، ويلى هـــذا الفصل انتقال الى بريطانيا فى الفصل الثانى حيث يقرر أن بريطانيا فى القرن الثامن عشر لم تعرف حركة تقارن بحركة بابيف ، وفى نفس الصناعة الفـكرية التى شاهدناها فى الفصل الأول يعمـــد المؤلف الى الحـــديث عن جودوين وبين وشارلس هول .

ويكون هـــذا تمهيدا لظهور سان سيمون أول الاشتراكيين الطوبيين والذى يشترك معه فى هذا اللقب التاريخى فوريبه وروبرت أوين . ولكن المؤلف يعتبرهم أنهم كانوا أساســا من أصحاب النظريات التى تمت الى فترة ما بعـــد الثورة الفرنسية ، وان كلا من سيمون وفوريبه من علامات الطريق فى النمو التاريخى . ولكن على الرغم من كل هـــذا فالمؤلف يقول انه لا يمكن وصف أى منهمـــا بأنه اشتراكى حقيقى بالمعنى الذى يستعمل فيـــه هذا المصطلح عادة الآن .

وبعد أن يستعرض دورسان سيمون واتجاهاته يبدأ فى تحليل لمدرسته التى اجتمعت على كتابه المسيحية الجديدة باعتباره وصيته . وفى هـــذا الجزء من الدراســـة يناقش المؤلف بتفصيل تاريخى لمختلف الآراء والمفـكرين الذين تشربوا هـــذه الفلسفة الســـان سيمونية أو زادوا عليها أو تعلقوا بتنفيـــذها والمشروعات التى فكروا فى تنفيذها وما دار بينهم من خلافات . ويأتى بعد هـــذا فوريبه ومدرسته ويناقش المؤلف أفكاره الاقتصادية وما ظهر فى فلســـفة فوريبـــه من اتجاهات دينيـــة ، ثم أسهب فى الحـــديث عن مدرسته وتلاميذه ، وكيف أن مذهب فوريبه كان أعمق أثرا فى الولايات المتحـــدة منه فى بريطانيا العظمى أو حتى فى فرنسا . وختم البحث بأن مذهب فوريبـــه كان أقوى ما يكون فى محاولته اظهـــار الحاجة الى جعل الأنظمـــة الاجتماعية ملائمة للرغبات البشرية الفعلية .

وينتقل بعد هذا المؤلف الى كابيه والشيوعيون الايكاريون ثم ســـيسموندى ليصـــل الى أوين والأوينيـــة — ويرى أن أوين مر بمرحلة أولى انتهت عنـــدما عاد من أمريكا الى بريطانيا فى عام ١٨٢٩ . وانه بعد عودته وجـــد المجتمع الانجليزى فى تغير نتيجة للتقدم السريع للثورة الصناعية ، ووجد التعاونيـــة تنتشر فى انجلترا على أساس أفكاره التى أثارت نقاشا فكريا ظهرت فيه أسماء هودجسكين وجراى وتومسون . ويلى هذه الفترة ظهور النقـــابات العمالية وجهود أوين فى انشاء اتحاد عام للنقابات ولكن بهزيمة النقابات فى سنة ١٨٣٤ انتقل مركز الاهتمام فى بريطانيا من مجال الكفاح الصناعى الى الكفاح السياسى وعبر عن هذا عريضة الشعب ونمو الحركة العرائضية .

ويعود المؤلف بعد هذا الى فرنسا حيث يظهر بلانكى ويستعرض نشـــاطه الثورى حتى تطلق سراحه ثورة ١٨٤٨ ومعه زميله باربيس ، فيجد زعيما جـــديدا هو لويس بلان قد أسهم فى الفكر

الاشتراكى لدرجة أن كول يقول انه يمكن اعتباره بلا تجن أحد رواد الاشتراكية الديموقراطية ، ولا ينسى المؤلف أن يتحدث عن فلورا تريستان اذ يقول ان هنـاك امرأة واحدة وهى شخصية غريبـة فى ذاتها كان لها حق واضح ولو فى دور صغير فى هذا التاريخ . وبعد لامنيه يأتى برودون الذى يأخذ مجالا واسعا فى الدراسة .

وأخيرا ينتقل المؤلف الى الاشـتراكية الألمانية والحديث هنـا مدخل الى الحديث عن كارل ماركس وانجلز والبيان الشيوعى . وعلى الرغم من أهميـة هـذه الفترة والدور الكبير الذى اضطلع به كارل ماركس وزميله وآثارهما الضخمة فى الفكر الاشتراكى بعد ذلك ، الا أننى أعتقد أن الدراسات التى كتبت عن هذه الفترة التاريخية وهذان المفكران دراسات كثيرة وواسعة ومقروءة فى جميع اللغـات المعروفة . ونحن هنا فى بلادنا العربية قد قرأنا دراسـات متعددة حول هذا الموضوع من وجهـات نظر متعارضـة . ولكن قراءاتنا العربية لم تكن أبدا متسعة بهذا القدر بالنسبة للجـذور الفكرية السابقة على ظهور ماركس والماركسية . وقد يكون هذا عذرى فى أننى حاولت الاستطراد فى القسم السابق مع علمى بأهمية ما ترتب على هذه الفترة التاريخية الأخيرة والفكر الماركسى عامة ومدارسه المتعددة الواسعة التأثير .

وقصة ظهور كارل ماركس وانجلز وأفكارهما وصراعها فى الفكر الاشتراكى معروفة ولكن كول أعطاها من دقته التاريخية ومن عمق فكره العلمى فجاءت فى عـدة فصول متتابعة فى هذا الكتاب عرضـا شيقا ، وبهذه المناسبة نذكر للأستاذ المترجم اسهامه فى عرض هذه الفترة فى ترجمته لكتاب اسيا برلين عن كارل ماركس وقد نشرته المؤسسة المصرية العامة للتاليف التى تنشر هذا الكتاب أيضا . وتتضح قيمة الأستاذ كول العلمية فى عرضه ومناقشـته للبيان الشيوعى وتعليقاته عليه .

ويختتم المؤلف هذا الجزء بفصلين عن متزينى وثورات عام ١٨٤٨ ثم الاشتراكيين المسـيحيين وبالذات فى انجلترا . وهذه نقطة هامة يجب أن يعرفها الذين يتعرضون لدراسـات الاشتراكية الأوروبيـة المعاصرة بالذات وظهور الأحـزاب الاشتراكية المسيحية ونقابات العمال المسيحية ولها دورها الواضح فى حياة غرب أوروبا فى الفترة الحالية .

وتكون خاتمة الكتاب تلخيصا لكل ما عرضه المؤلف فى هـذا المجلد ويحتل عشرين صفحة من الترجمة .

وخلاصة القول أن الأستاذ كول قد قدم فعلا زادا فكريا ضخما للفكر المعاصر حين عرض لنا تاريخ الفكر الاشتراكى فى هذه المجلدات المتتابعة ومهما كانت الاختـلافات المذهبية بين المدارس الاشتراكية الا أننا يجب أن نعترف بأنه أسهم فعلا فى عرض تاريخ الفكر وأن هذا لا ينقص من قدره العلمى ومجهوده الفـكرى مهما اختلفنـا معه فى وجهات النظر .

ومن حق المترجم أن يعرف رأينا ، فهو قد أقدم على الترجمة فى ميـدان عسر الهضم متشعب الاتصالات بالفلسـفة وبالتاريخ . ولكنه مع هذا قد فهم فهما عميقـا وواضـحا معنى ومفهوم الفلسفة السياسية عامة والفلسفة الاشتراكية خاصة . وتبدى كل هذا فى اللغة السهلة العبارة السليمة الصياغة الدقيقة الترجمة لما كتبه كول فعلا وهدف اليه من هذا المؤلف . كما نسجل له الصبر وقوة الاحتمال والمثـابرة على متابعة الترجمة لهـذا السفر المتعدد الأجزاء . وهذا واضح فى الترجمات العديدة التى قدمها فى فترة زمنية قصيرة .

دكتور عبد الملك عودة

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

تأليف : كامل السوافيري

مكتبة نهضة مصر عدد الصفحات ٦٦٠
ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ١٣٥ قرشا

في الوقت الذى نعيش فيه مع أبناء مؤتمر القمة العربى من أجل وطننا الكبير ، ومن أجل فلسطين ، تطالعنا هذه الدراسة الجادة للشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين .

وحديث فلسطين محبب الى النفس لا تمله مهما طال وطال ، بل لعلها تستزيد منه دائما ليثير فيها الأشجان والألم ، ومن ثم يدفعها للنضال من أجل الحق السليب .

وقد أجاد المؤلف ، وهو من أبناء المحنة ، عرض مأساة فلسطين فى مختلف مراحلها ، منذ أن كان بلدا عربيا عريقا ينعم أهله بالجمال والرخاء الى أن عصفت به روح الشر فبدلت ملامحه وتركت أهله للضياع والألم .

* * *

وليس الكتاب مجرد بحث أوحت التجربة الذاتية لصاحبه ــ كواحد من أبناء المحنة ــ أن يقدمه الى القراء مشاركا به فى انصاف وطنه ، ولكنه قبل هذا رسالة جامعية تقدم بها لدرجة الماجستير فى الآداب من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وعلى طريقة الأبحاث الجامعية يتكون الكتاب من أربعة أبواب وتمهيد . والتمهيد كله مركز حول تصوير مركز فلسطين قبل المحنة من نواحيها التاريخية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، كما تحدث فيه عن مكانها فى موكب الأدب العربى .. ثم .. عن الصلة المزعومة لليهود بها .

وفى السطور الأولى من التمهيد يحدد المؤلف مركز فلسطين فى الوطن الكبير بقوله « انها قلب العالم العربى على الخط الممتد بين القاهرة ودمشق ، وهى الجسر الوحيد الذى يصل آسيا العربية بأفريقيا العربية ، وهى منفذ جزيرة العرب كلها الى البحر المتوسط ، والمركز التجارى الهام بين أوربا وآسيا » .

وبعد وصف جغرافى لفلسطين يعود الى حديث عروبتها فيؤكد أن فلسطين عربية ، وأن شعبها منحدر من أصلاب القبائل العربية التى تتابعت موجات هجرتها من جزيرة العرب عبر أزمنة سحيقة موغلة فى جذور الزمن قبل الميلاد ، وبعده، ثم من القبائل العربية التى استوطنت فلسطين بعد الفتح الاسلامى ، والذين استعربوا منهم بعد انتشار الاسلام .

* * *

ويخرج من هذا لمناقشة صلة اليهود باسرائيل فيضع بين أيدينا هذه الحقائق التى يهمنا أن يقف القارىء عليها : حين طرد بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام ودعاهم لدخول الأرض المقدسة أجابوه « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » فكتب الله تحريما عليهم سنوات طوالا عرفت بسنوات التيه فى فيافى سيناء .

- حوالى سنة ١١٨٦ ق . م . ذهبوا اليها غزاة بقيادة يشوع بن نون واستطاعوا اخضاع جزء منها .
- فى سنة ٧٢١ ق . م . وقعت فلسطين



كلها فى قبضة الأشوريين الذين قضوا على مملكة اسرائيل وأسروا رجالها وقادوهم الى «نينوى» وأسكنوهم مكان السامريين فى العراق .

● وجاء البابليون سنة ٥٨٦ ق . م فضربوا الهيكل اليهودى وهـــدموا المدينة وسبوا معظم السكان الى بابل . وبعد هذا خضعت فلسطين فى فترات تاريخية متعاقبة للفرس فاليونان ، فالرومان .

● وفى سنة ٧٠ ق.م . حاصر القائد الرومانى الشهير طيطس مدينة القدس بجيش كانت احدى فرقه عربية ، ودخلهـــا عنوة فأجهز على البقية الباقية من اليهود ، وأحرق الهيكل وهدم المدينة ، وبهذا خلت فلسطين نهائيـــا من اليهود ، ومحى منها كل أثر لهم .

● فلما كانت معركة « اليرموك » بعد الفتح الاسلامى خرجت فلسطين من القبضة الرومانية وعادت الى أصلها العربى .. حتى كانت المأساة .

ومعنى هـــذا أن فلســطين ــ على أســـوأ الاحتمالات ــ ظلت عربية طوال خمسة عشر قرنا من الزمان منذ ما قبل الفتح الاسلامى الى اليوم ، الأمر الذى يجعل ادعاء الصهيونية لهـــا مجافاة صريحة للحق والتاريخ .

* * *

وفى الفصــــل الأول من الكتاب حديث عن الصهيونية العالمية ، وهو حديث لابد منه لكل من يعالج مأساة فلسطين لأنها ليست سوى واحدة من الثمرات البغيضـــة التى أثمرتها الحـــركة الصهيونية الآثمة . ولقد أشار المؤلف فى (ص ٦٢) الى المؤتمر الصـــهيونى الذى عقـــد فى سويسرا عام ١٨٩٧ وظهرت فيه نظرية الدولة اليهودية ، وقرار اتخاذ فلسطين وطنا لها .

وكنت أحب ــ وقد رأيته يستطرد فى أكثر من موضع ــ أن يستطرد الى ما أذيع ونشر من قرارات هـــذا المؤتمر الخطير الذى اثبتت فيـــه الصهيونية أنها حركة عدوانية مدمرة ، لا ضـــد العرب وحدهم ، ولكن ضد البشرية كلها ، فقد قرروا فيه العمل لتقويض الحكومات غير الموالية لليهود ، والتســـلل للســـيطرة على الحكومات القوية فى العـــالم كما يعملون اليوم فى أمريكا ، والعمل المنظم للسيطرة على الحكومة العالمية مهما تكن التضحيات وأيا كانت الوسائل ، وتصرفات اليهود بعد هـــذا ، وفظائعهم فى دير سنيد ودير ياسين وغيرهما لم تكن الا تطبيقا لما تقرر فى ذلك المؤتمر .

ويتابع المؤلف حديثه حتى يصل بنا الى عام ١٩١٧ الذى توجت فيه سلسلة الغدر البريطانى بصدور وعد بلفور الذى أعلنه للمليونير اليهودى « أدمون روتشيلد » معلنا فيه « العطف على تأسيس وطن قومى لليهود » .

وقد كان من الضرورى أن يحـــدثنا المؤلف هنا ــ وهو رجل متســـع آفاق المعرفة ــ عن المصالح المتبادلة بين الاستعمار والصهيونية ورأس المال اليهودى . فان آل « روتشيلد » هؤلاء هم الذين سولوا لبريطانيا عام ١٨٧٥ م مشروع شراء حصة أسهم مصر فى قناة السويس ، وكتبت « التيمس » أيامها تقول ما معناه « الآن تمت لنا السيطرة على مصر » ــ لا سيما وأن المؤلف قد أمسك بطرف هذا الخيط عندما نقل تصريح احد الـــكتاب الانجليز « .. ان الخطر على قناة السويس لا يجىء من الغرب بل من الشرق ، فمن ناحية فلسطين يجىء الخطر الجدى دائمـــا ولذلك كان قبض بريطانيا على فلسطين مصلحة امبراطورية من الطراز الأول » .

* * *

ويتحدث الفصـــل الثانى من الـــكتاب عن فلسطين فى ظل الانتـــداب البريطـــانى حديث

ابن البلد الخبير بدورها ومسالكها ، والحافظ الواعى لكل فصول القصة .

وأمتع صفحات هذا الفصل تلك التى تحكى قصة الأرض الفلسطينية ، وكيف انتقلت الى أيدى اليهود ، فهو يثبت بالأرقام أن ما كان يملكه اليهود قبل الانتداب كان حوالى ٥ر٢٪ ارتفع فى ظل الانتداب الى ٦٪ ، وأن السيطرة التى انتهوا اليها لم تحدث فعلا الا بعد المأساة .

وهنا يقف الكاتب ليجيب على السؤال الذى تعلق على الشفاه طويلا : لماذا باع الفلسطينيون الأرض لليهود .. لماذا ؟! فيؤكد بالأرقام ايضا أن ٧٠٪ من الذين باعوا الأرض كانوا من أسر غير فلسطينية تملكت الأرض فى ظل السيطرة العثمانية وغير العثمانية ، وكان من اليسير عليها أن تتركها مقابل العروض اليهودية الضخمة لأن الأمر كان فى نظرها .. مجرد تجارة .

أما الفلاح الفلسطينى فكما أثبتت لجان التحقيق يحب أرضه ، ولا ينزل عنها الا تحت ضغوط لا يقوى على صدها . وهذا الواقع لا يمنعنا من الاعتراف بانه قد وجدت فى فلسطين قلة من ضعاف النفوس باعت أرضا لليهود .

وقد سجل المؤلف تجربته الذاتية مع الأرض والتى هى صدى تجارب الآخرين فى قوله :

« ونحن أطفال طالما ناجينا الروابى الموشاة بالزهر ، والأشجار المحملة بالثمر ، وأفضينا اليها بأسرارنا ، ولثمنا الثرى الندى ، واحتضنا كثبان الرمل . كنا نزور الحقول فى الصباح والمساء ، ونرقب نمو الزرع يوما بعد يوم . كان حبنا للأرض يعادل حبنا للحياة » .

وبمقدار هذا الحب للأرض كانت الثورة وكان السخط على الذين باعوها .. استمع الى ابراهيم طوقان :

باعوا البلاد الى أعدائهم طمعا
بالمال لكنما أوطانهم باعوا
قد يعذرون لو ان الجوع أرغمهم
والله ما عطشوا يوما ولا جاعوا
تلك البلاد اذا قلت اسمها وطن
لا يفهمون ودون الفهم أطماع

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصم خداع
لقدجنيت‌على‌الأحفاد ، وا لهفى
وهم عبيد وخدام ، وأتباع
وغرك الذهب اللماع تكنزه
ان السراب كما تدريه خداع
فكر بموتك فى أرض نشأت بها
واترك‌لقبرك أرضا طولها باع (1)

وفى الفصل الثالث حديث عن الكفاح القومى لشعب فلسطين الذى قسمه المؤلف الى خمسة أدوار تبدأ منذ عام ١٩١٧ أى منذ صدور وعد بلفور ، وتنتهى بحرب فلسطين .

وأساس الكفاح‌فى‌هذه الفترة تنظيم‌المقاومة والتعبئة الفكرية والشعورية عن طريق المنظمات التى تقود الجهاد وتوجهه . وعلى الرغم من أن طابع الفترة كان توجيهيا فقد حدث خلالها صدامان كبيران راح ضحيتهما عديد من الشهداء وهما صدام « يافا » سنة ١٩٢١ ، وحادث « البراق » أو « حائط المبكى » سنة ١٩٢٨ .

وقد سجل الشعر هذه البطولات فى عديد من القصائد نختار منها لابراهيم طوقان قصيدته « الشهيد » والتى يقول فيها :

عبس الخطب فابتسم
وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى
ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم
يثنه طارىء الألم
نفسه طوع همة
وجمت دونها الهمم
تلتقى فى مزاجها
بالأعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم
الى الراسخ الأشم
وهى من عنصر الفداء
ومن جوهر الكرم

(1) من قصيدة عنوانها « الى بائعى الأرض » ص ٢٠٨ بالكتاب .

ومن الحق جـــذوة
لفحهـا حـرر الأمم

وفى الدور الثانى يتغير وجه الكفاح من مقاومة اليهود وحدهم الى مقاومة الانجليز باعتبارهم المسئولين الأول عن كل ما حدث فى فلسطين . وكان أبرز معالم المقاومة اعلان العصيان المدني للحكومة المنتدبة والامتناع عن دفع الضرائب لها ، كما تميزت بظهور الفدائيين الذين أقضوا مضاجع الانجليز ، وسجلوا صفحات رائعة للبطولة وقف الشعر طويلا عندها فى مثل هذه القصيدة التى تصور تربص الفدائى بالعدو :

هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئى يا عواصف
خجلا من جراءته

***

صامت لو تكلما
يلفظ النار ، والدما
قل لمن عاب صمته
خلق الحزم أبكما
وبلادا أحبها
ركنها قد تهدما
وخصوما ببغيهم
ضجت الأرض والسما
مر حين فكاد يقـ
ـتله اليأس انما
هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئى يا عواصف
خجلا من جراءته

وكان الدور الثالث ثورة على قرار التقسيم الذى اقترحته لجنة بريطانية ، وبدأت باغتيال حاكم منطقة الجليل البريطانى بمكتبه ، وردت الحكومة البريطانية بحملة ارهاب واعتقالات واسعة راح فيها أكثر من ثلاثة آلاف شهيد . وآلاف لا يحصون من الجرحى والمعتقلين والسجناء . ولكن هذا لم يفت فى عضد المقاومة الوطنية التى ظلت تناضل حتى انتهت الحرب العالمية الثانية وتكونت الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ وجاء فى احدى مقرراتها :

« ان فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وان حقوق العرب فيها لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى » .

وتطورت الأحداث بعد هذه الفترة فأصبح مصير القضية رهنا بارادة الأمم المتحدة التى كان يسيطر عليها حلفاء اسرائيل ، ومن ثم كان قرار التقسيم ، وكان التأييد السرى والعلنى لليهود .. وبعدها كانت الحرب .. وكانت المأساة .

ولقد سجل الشعر العربى الحديث كل حدث من أحداث هذه القضية العربية الكبرى سجل وعد بلفور وتساءل لماذا لم يأخذ اليهود الى « لندن » بدل أن يهب لهم فلسطين وبأى حق يسمح لنفسه بالتصرف فيما لا يملك :

ألا ليت « بلفور » أعطاكم
بلادا له لا بلادا لنا
فلندن أرحب من « قدسنا »
وأنتم أحب الى « لندنا »

ويقول لليهود :

فان تهجروها فذلك عار
فان فلسطين ملك لنا
وأما أبيتم فأوصيكم
بأن تحملوا لكم الأكفنا
فانا سنجعل من أرضها
لنا وطنا ولكم مدفنا

وسجل قصة الأرض ودعا للحرص الشديد عليها مثل :

من يصم عن مبيعه الأرض يحفظ
بقعة تستريح فيها عظامه

ومثل :

وجدتم لكم أرضا بها تدفنونه
فهل عندكم أرض لأمواتكم غدا

وحذر من الخلاف ومن الحرص على الزعامات الفارغة :

والله لا يرجى الخلاص وأمركم
فوضى وشمل العاملين ممزق

أما الزعامـة فالحـوادث أمهـا
تعطى على قـدر الفـداء وترزق

وسجل الدعوة الى القوة حين أصبح الحق وحده لا يكفى :

بالمدفع استشـهدى ان كنت ناطقة
أورمت أن تسمعى من يشتكى الصمما

كما هاجم الحكام المقصرين والخونة وثار أعنف الثورة عليهم وعلى سبيل المثال تجىء هذه القصيدة التى صاغها محمد العدنانى عندما فرضت هيئة الأمم الهدنة فأذعن لها الحكام :

يا رعاديـد .. يا غنم
غادروا هيئـة الأمم
كيف تخشـون ويحـكم
زمـرة باعت الـذمم
ان مـن أضرم الـوغى
نـازل المـوت واقتحم

بل لقد سجل الشعر أدق اللحظات الحالكة حين وقعت المأساة ودفعت بعض الشعراء الى الكفر بكل شىء حتى بالعرب والعروبة كما يقول مصطفى الكيلانى :

رضيتم بأصـفاد العبيد فيا لها
عبودية يرضى بهـا العرب مذهبا
أيعرب . يدرى أن غـدوتم أذلة
لعمرى لقـد سودتم وجه يعربا
بنى العرب قد برأت منكم محمدا
فما كان الا ثابت الجـأش أغلبا

أما المأساة نفسها فقد كانت الكارثة المذهلة التى رجت أفئدة الشعراء جميعا بالألم واللوعة ، وانطقتهم بالثورة والرثاء ، ومن أمثلتها قصيدة الناعورى :

سقطت تضرجها الدماء على الثرى
ومضت كحـلم كان فى الأحـلام
وتمزقت بيـد الخيـانة والخنا
أعلامهـا الغـراء وهى دوامى
أعراسـها انقلبت مآتم مـرة
دميت بهن حنـاجر الأيـام
وقبـابها .. لله ما لقبـا بهـا
عاد الشـموخ بهـا ذليل الهام

صـوت الأذان أبح والأجـراس ما
عادت ترن كعـهدها مـن عـام
والسـامرون تبـددت حلقاتهم
وتشردوا كجمـاعة أيتـام
ضاعت فلسطين الشـهيدة وانطوت
واحسرتاه لعهـدها البسـام

وبعد المأساة صور الشعر فاجعة اللاجئين وبؤسهم القاتل وهذه فدوى طوقان :

وكان هنـاك وراء الدخان
قطيع تشتت فى كل بيـد
قطيع وديع .. بقيـة قومى
فهـذا شريد وهـذا طريد
تظللهم فى العـراء الخيـام
وقد أخلدوا فى هـدوء بليد
قصـارى مطامحهم لقمة
مغمسـة بهـوان العبيـد
تجـود بهـا كف جلادهم
لتخـديرهم كل صبح جديد

وبعد الفاجعة نرى الشعر الحديث يسجل انطباعاتهـا المؤلمة فى كل النفوس وفى نفوس الفلسطينيين خاصة أولئك الذين يشتعل الحنين فى قلوبهم للعودة الى ديار هجروها وراحت منهم والأمم من كل ما وضعته الأقدار على طريقهم من فظائع وأهوال : وهذا هارون هاشم رشيد يقول فى قصيدته « وداع نازح » .

أخى .. لا تلمنى ان بكيت على عمـرى
ألست ترى ما يضمر الدهر من غدر
أكنت قبيـل اليوم تحـلم أننـا
سـيقذفنا قفـر محيـل الى قفر
وهل خطرت يوما بذهنـك أننـا
سنأكل من عـدم ونشرب من فقر ؟
شـباب لنـا مثـل الزهور تشتتوا
فيقـذفهم قطـر غضوب الى قطـر ..

وهكذا استمر الشعر يواكب المأساة مرحلة بعد مرحلة ، ويسجل كل أحداثها بعمق وحرارة ، وواقعيـة فجرتها المأساة فى وجدان الشعراء فأفاضوا فى كل موقف ، كما كانت المحنة دافعة الى تنشيط ألوان من الشعر القصصى والملحمى .

وجملة القول أن مأســاة فلسطين كانت ذات أثر ضخم فى شعرنا العربى الحديث حيث كانت روحا لعشرات الدواوين التى اســتلهمت المأســاة ومظاهرها ، وكان دافعا الى اندماج عـــديد من الشعراء فى التيار القومى الذى لم يكونوا قبلهـا من رجاله ، وقبل هذا كانت نقطة انطلاق كبرى للثورة على كل الأوضاع الفاسدة والرجعية التى كانت تسد آفاق المجد أمام أبناء وطننا الكبير .

مأساة فلسطين هى التى جعلت شعرنا الحديث شعر العروبة والقومية والوطنية والسياسة وهى التى فجرت على ألســنة الشعراء أحاديث القوة والوحــدة والتحرر واعادة بنــاء المجتمع العربى من جديد . وكل هذه معان وقف الكاتب عندها وقفات مشكورة جيدة ، تجعل من الكتاب مرجعا قيما لا غنى عنه .

بقيت كلمات لابد منها هنا أحب أن يسمعها مع المؤلف أساتذتنا فى الجامعة ، وهى مسألة الكم والضخامة فى الأبحاث تو كوندريا والميكروسومات ، شبه ظاهرة فى معظم ما نقتـ وتــكام عن تخليق أساتذة الجامعة يسيئون الظن بأسوآليتهــــا ، فقرهم فى المعرفة ، ومن ثم يطالبون الكـ وسومات الطلاب بتسجيل كل شىء ، حتى مالا يكون أشار الضرورى تسجيله ، فلم هذا ولماذا لا تكون الأبحاث من التركيز والايجاز بحيث تسهل الافادة منها بدل أن تصبح عبئا على القارىء والدارس معا ؟ .

ومسئولية المؤلف فى نظرى تجىء من انه قرر لنا فى « المقدمة » أنه يقدم هذا العمل ككتاب للسوق بعد ما نال به درجته الجامعية ، وكنت أحب له أن يتخفف ويخفف علينـــا وعلى القراء كثيرا من الأثقال التى تفرضها الجامعة .

كما أهمس فى أذنه بضرورة الحــذر من طبيعة مهنة التدريس التى يبدو أنها ستزاحم عنـــده طبيعــة الكاتب ، والثانيــة فى رأينا خير له من الأولى .

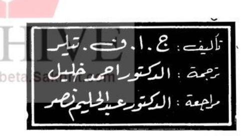
عبد الصبور مرزوق

سطور من كتاب .....

« ياشعوب العالم ·· دافعوا عن : أوطانكم.. وأعراضكم ·· وأرواحـــكم ·· وأموالكم ·· وأديانكم · فالحية الرقطاء ــ رمز الصهيونية ــ ترقص فرحة ــ أن قد آن لها أخيرا أن تلف جسمها حول العالم ، واضعة موضع التنفيذ : مقررات حكمائها السرية » ·

... لهذا أكره اسرائيل

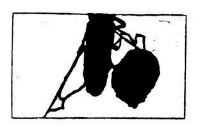
بعض أسرار الحياة في الخلية الحية

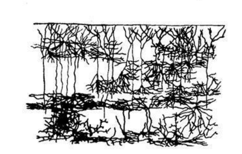


الكتاب يحتوى على عشرين بابا ومكون من ٢١٧ صفحة ، ومدعم بأشكال توضيحية وصور فوتوغرافية دقيقة ملتقطة بالميكروسكوب الألكترونى . وقد عالج فيه المؤلف ، بأسلوب مبسط شائق ، بعض أحداث خلايا الكائنات الحية ، واستخدم أمثلة ملموسة لتوضيح ما جد من النظريات والحقائق العلمية الحديثة . كما أن الكتاب مترجم بأسلوب سليم واضح يمكن القارىء متابعته بسهولة .

وقد تكلم المؤلف على تركيب الخلية الحية ، فتناول بالتفصيل البروتينات التى توجد بنسبة كبيرة فيها ، كما شرح التفاعلات الكيميائية التى تتم داخل الخلايا ، والانزيمات التى تسرع من هذه العمليات ، وكيفية عملها ، والفيتامينات بأنواعها ، وأهميتها فى غذاء الكائن الحى ، واعتبرها مرافقات للانزيمات أو تدخل فى تركيبها وذكر أنه يمكن الآن تحضيرها أو تخليقها فى المعمل ، وكذلك مضاداتها ، التى تفسد من عمل هذه الانزيمات وأشار الى أن هذه المضادات ولو أنه يمكن الاستفادة منها فى الحد من نمو الكائنات الدقيقة المتطفلة على الحيوانات أو الانسان كالبكتيريا أو الفيروسات الا أن لها نفس التأثير السيىء على خلايا العائل ، وأشار الى أن بعض المضادات الحيوية ، مثل الكلوروما يستين والستربتومايسين يتوفر فيها التأثير الفعال على عامل المرض وليس لها تأثير ضار على العائل ، ولذا فهى تستعمل بنجاح فى مكافحة أمراض كثيرة كالتيفوس والسل ، كما انه يمكن تخليقها فى المعمل

دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢١٥ ص ١٧ × ٢٤ سم





بسهولة . وأشـــار المؤلف الى أهمية الفلزات للـكائنات الحيـــة ، فبعضها يدخل فى تركيب بروتينـــات الخلايا الحيـة وكذلك فى تركيب الانزيمات ، كمـــا أن بعضها يلزم لنمو النبات والحيوان ، وبعضـــها يدخـل فى تركيب بعض الفيتامينات الأساسية .

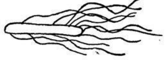
وتكلم المؤلف عن عملية انقسام الخلايا ، ذاكرا انه فى الانقســـام البسيط تنشق الصـبغيات طوليا ، ثم يتباعد الشقان ، وهذا التنظيم يؤمّن وجود مجموعة كاملة من الصفات الوراثية فى كل من الخليتين الجديدتين . أما فى الانقسام الجنسى ، فان عدد الصبغيات يختزل للنصف ، كما يحوى كل مشيج مجموعة متبادلة من صفات الوالدين ، ويعتبر هذا النوع من الانقسام الوسيلة الفعالة لنشر وتجميع الصفات الوراثية . أما مادة النواة فأساســـها حامض دى أوكسى ريبونوويك (ح . د . ن) ، ويتركب كل جزىء منـــه من سلسلة قوامها مجاميع فسفورية وسكرية وقاعدية والأخيرة هى التى بواســـطتها يزدوج الخيط الصبغى بعد تكوينه لخيط جديد مشابه له تماما ويرجع الازدواج لقدرة هذه المواد القاعدية على التكامل والترابط بين الخيطين القديم والحديث . كل هذه الصفات تضمن تكوين نواتين جديدتين يحمل كل منهما المجموعة الوراثية الأصلية بنفس الترتيب . وشرح المؤلف الطرق الكيميائية التى تحدث فى أكسدة واحراق السكريات للحصول على الطـــاقة اللازمة لاتمام العمليات الحيوية والقيام بالعمل العضلى ، وذلك بتكوين مركبات فسفاتية غنية بالطـــاقة ، ووصـف محتويات السـيتوبلازم من الميتوكوندريا والميكروسومات ، وتحت الميكروســـــومات وتــكلم عن تخليق البروتينـــات فى الخليـــة وآليتهـــا ، وذكر أنها عملية معقدة مركزة فى الميكروسومات ومن المحتمل فى تحت الميكروســومات . واشار المؤلف الى أن الحامض النووى (ح . د . ن) هو أساس تركيب مادة الجين ، وأن التجارب على بعض أنواع البكتيريا تؤكد أن هذا الحامض هـو المادة الوحيدة التى تسلك مسلك الجين ، وانها اذا أضيفت الى الـكائن سببت له تغييرا وراثيا ثابتا أى أدت الى الطفرة ، ثم تكلم عن الطفرات وذكر أن معلوماتنا عنها قد تجمعت من تجارب أجريت على حشرة ذبابة الفاكهة التى تتميز بوفرة الانتـــاج ، وسهولة تكوين الطفرة فيها ، كما أنها تحتوى على الصبغيات اللعابية الضخمة حيث يسهل فيهـــا تتبع التغيرات الصبغية المصاحبة للطفرة . والطفرة تؤدى الى التطور وذلك بفعل عمليـــة الانتخاب الطبيعى التى تجمع الصفات الأفضل لكل نوع من هـــذه الطفرات على مر الزمن .

وشرح المؤلف التأثير الضار للأشعة المؤينة ، مثل الأشعة السينية والاشعاعات الذرية ، على الخلايا الحية ، فهى تنفذ خلالها وتحدث تغييرات كيميائيـــة فيهـــا ، كما أنها تحدث طفرات فى الجينات ، وتتأثر بعض أعضاء الجسم بسرعة من الاشعاع مثل الغدد الليمفاوية ونخاع العظام ، كما أنها تقصر من عمر الانسان الذى يتعرض لها وتسبب له الأورام السرطانية مثل سرطان الرئة والعظام واللوكيميا . والاشـــعاع يسبب تفتت الصبغيات فى الخلية وهذا يؤدى الى خلل فى عملية الانقسام وحدوث الطفرات . وقد أكتشفت مواد كيميائيـــة تعرف بالموتاجينات ، ومن ضمنها غاز الخردل وبعض الهيدروكاربونات ، لها القدرة على احداث الطفرات وتحطيم الصبغيات ، واحداث السرطان مثل الاشعة المؤينة . وذكر المؤلف قدرة الاشعة السينية على احداث الطفرات فى الكائنات الدقيقة مثل فطر نيروسبورا التى أمكن بها اثبات العلاقة بين الجين والانزيم وكذلك اختلاف تأثير الجينات .

وتكلم عن الفيروسات ، وحجمها بالنسبة للبكتريا ، وأشكالها المختلفة والأمراض التى تسببها للنبات والحيوان . وتركيبها الكيميائى هو مركبات من حامض النوويك والبروتينات . وذكر أنها عالية التخصص عند الاصابة بالمرض ، وأحيانا تكون خاصة بسلالة معينة لنوع واحد من الكائنات . والفيروسات لها صفات المادة الحية كالتكاثر الا أن حجمها الصغير جدا وقابليتها للتبلر تقربانها جدا من المادة غير الحية . وأشار الى وجود الفيروسات التى تهاجم البكتريا وتعرف بالبكتيريوفاجات ، وذكر أن حامض النوويك فقط الموجود بالبكتريوفاج هو الذى يدخل الخلية البكتيرية ويسبب تكوين بكتيريوفاج جديد وأحيانا مركبات لم تكن موجودة أصلا ، أما المادة البروتينية فتبقى خارج الخلية البكتيرية .

واعتبر المؤلف الكائن الحى مكونا من مجاميع من الخلايا تختص كل مجموعة منها بوظيفة معينة ، أما فى الكائنات وحيدة الخلية فان الخلية تقوم بجميع الوظائف وتختلف هذه الوظائف فى كل من النبات والحيوان . ثم تكلم عن المواد المنشطة للنمو (الأوكسينات) فى النباتات ، الطبيعية والمخلقة فى المعمل مثل مشتقات حامضى الأندول حليك وفينوكسى خليك وحامض الجبرليك ، وكذلك الهرمونات فى بعض الحشرات مثل الهرمون الحدثى الذى تفرزه غدة كوريس ألاتم . وذكر المؤلف أنواع الهرمونات المختلفة التى تفرزها الغدد الصماء فى الحيوان والانسان مثل الثيروكسين الذى تفرزه الغدة الدرقية والانسولين الذى يفرزه البنكرياس ، والأدرينالين الذى تفرزه الغدد الكظرية ، والهرمونات التى تفرزها الأعضاء التناسلية فى الذكر والأنثى وهرمونات الجدد النخامية ، وذكر بالتفصيل الأعراض التى تظهر على الجسم عند نقص أو زيادة افراز هذه الهرمونات ، كما أنه أشار الى أن بعض هذه الافرازات لم يتمكن من تخليقه فى المعمل وما زال اعتمادنا فى الحصول عليه باستخلاصه من الحيوان .

وتكلم المؤلف عن الأجسام المضادة ، وكيف أن جسم الكائن الحى يمكنه افرازها لكى تتغلب على الكائنات الغريبة من بكتيريا وفيروسات التى تهاجمه وتسبب له الأمراض المختلفة وتبقى هذه الأجسام المضادة فترة طويلة من الزمن وتكسبه مناعة ضد هذه الأمراض . وتكلم عن الأنتيجينات وهى مواد اذا حقن الحيوان بها فان لها القدرة على تحفيز تكوين الأجسام المضادة به ، وهى مواد بروتينية ذات تخصص عال وكمى ، وتوجد ضمن بروتينات مصل الدم فى الجزء الذى يعرف بجاماجلوبيولين ، كما أن مراكز تخليق الأجسام المضادة توجد فى بعض خلايا الجهاز الليمفاوى وتصل الى الدم عن طريق الأوعية الليمفاوية .



ثم تكلم المؤلف عن ميكانيكية المناعة وما لها من اضرار ، فذكر أن دم الانسان يفرز مواد مضادة لأى بروتين أجنبى يدخله بكثرة فيكسبه مناعة الا أنه يسبب له أمراض الحساسية ، وظاهرة وجود مواد مضادة فى الدم يظهر أثرها عند خلط دم فردين ليسا من فصيلة واحدة مما يسبب تخثر الدم . وذلك لأن الكرات الحمراء تحوى أنتيجينات معينة بينما المصل يحوى مواد مضادة لأنتيجينات أخرى غير السابقة ، وهذه المواد المضادة تتفاعل مع أنتيجيناتها اذا انتقلت للفرد من دم غريب مسببة الوفاة . كما وجدت مجاميع اخرى من فصائل الدم عرفت بالعامل الريسسى الذى ينتج أنتيجينات خاصة ويوجد فى ٨٠٪ من الناس ، واذا ورث الجنين هذا العامل من والده ، وكانت الأم خالية منه ، نتج عدم توافق بين دم الأم والجنين قد يؤدى الى وفاة الأخير لتخثر دمه بمفعول مواد مضادة تتكون فى دم الأم نتيجة لتسرب أنتيجينات الجنين الى دمها . كما أن المواد المضادة تظهر فى حالة تطعيم جلد بجلد غريب مما يؤدى الى تعفن الأخير ما عدا فى حالة التوائم المتشابهة التى تحمل نفس التركيب الوراثى ، وقد وجد بالتجربة أن تكوين المواد المضادة يأتى فى مرحلة متأخرة من حياة الكائن ، كما أن تعرضه

للأشعة السينية يفقـــده القدرة على انتاج مواد مضادة .

ثم تكلم المؤلف عن السرطان ، والنظريات الثلاث التى تفسر مصـــدره ، فالنظرية الأولى تعرف بنظرية الطفرة ، وتفسر حدوث السرطان بتكوين طفرات فى الخــلايا ينتج عنها تغيير أساسى فى نوعيتها ، وينشأ عن ذلك نوع جديد منها يمكنه غزو أنسجة الجسم الأخرى ، ويؤيد هذه النظرية أن المواد الكيميائية التى تحدث السرطان كثيرا ما تكون مسببة للطفرات ، وقد تستعمل هــذه المواد كمواد مضادة للسرطان لقدرتها على التفاعل مع الحامض النووى (ح . د . ن) للصبغيات فيختل انقسام الخلايا السرطانية وتموت ، والأشعة المؤينة لها نفس التأثير المماثل للمركبات الكيميائية فى احداث السرطان وقتل الأورام السرطانية . والنظرية الثانيـــة ، وهى النظرية الفيروسية القائلة بأن السرطان أساسه عامل فيروسى يظهر خطره بوضوح عند ضعف الخلايا أو مرضها ، وقد يتحول أحد الجسيمات الطبيعية فى الخلية الى فيروس اذا تعرض الى مادة مسببة للسرطان . والنظرية الثالثة وهى النظرية الأيضية (عمليات التحول الغذائى) وتفسر حدوث المرض بتغير فى نشاط الأنزيمات ، فبعضها يزيد وبعضها يقل عن الحالة الطبيعية وبسبب هذا اختلافا فى العمليات الايضية فى الخليـة ، ويكون هذا محفزا لانقسام الخلايا بمعدل غير طبيعى ، وقد ينشأ السرطان نتيجة لاضطرابات فى افرازات الغدد الصماء من هرمونات نتيجة لكبر السن .

وتكلم المؤلف عن نشأة الحياة والمادة الحيـــة فى الكون ، وفسرها بثلاث احتمالات ، أولهما هو أن الحياة لم تنشأ فى دنيانا هذه ولكنها وصلت الى عالمنـا فى صورة جراثيم من عوالم أخرى ، وثانيهما أن الحياة نشأت فعلاً على هذا العالم ، الا أن الظروف على سطح الأرض قد تغيرت كثيرا بحيث اختفت التفاعلات التى تؤدى الى ظهور الحياة ولم يعد لها وجود ، والاحتمال الثالث هو أن الخطوات المؤدية لخلق الحيـاة من المواد غير العضوية لا تزال مستمرة فى العــالم الحاضر اما بمكان مجهول أو بدرجة دقيقة لم تكتشف بعد . ثم تكلم المؤلف عن عملية البناء الضوئى فى النبات وأشار أنها العملية الأساسية التى تعتمد عليها الحياة على سطح الأرض ، وقد وجد أن عملية تكوين السكريات والمواد الكربوهيدرائية تتم على عـدة خطوات ، وبذلك يستفيد النبات من تكوين مركبـــات وسـطية يحتاجها خلاف السكريات ، كما أن هذا الاحتياج لا يؤثر على سير التفاعل تجاه تكون السكريات .

ثم تكلم المؤلف عن الخلايا المختصة بعمليات معينة فى الحيوان مثل الخلايا التى تبنى العظام وتنتج الأظـافر والشعر وتفرز اللبن . كما أنه تناول بالتفصيل الخلايا التى تمنح الحركة للحيوان مثل العضلات وأعضاء الحساسية والأعصاب . فذكر ميكانيكية انقباض العضلات ، والتفاعلات الحيوية التى تزودها بالطاقـة اللازمـة لهـــذا الانقباض ، وذكر كيفية انقباض العضلة بالاشارات العضبية وذلك بافراز مادة الاسيتايل كولين . وتكلم عن الحساسية فى الكائنات الحية مبتدئا بالحساسية للحرارة والضوء والمواد الكيميائية فى الكائنات البدائية ، أما الكائنات الراقية فانها تتميز بوجود أجهزة حساسية دقيقة فوق العادة تتأثر بكميات ضئيلة من المؤثر وعلى مسافات بعيدة ، ومن أمثلتها نمو حاسة الشم فى الكلاب والحشرات . وتكلم عن العين البشرية التى تعتبر من أدق أجهزة الحساسية وأعقـدها تركيبا ، وشرح كيفية عملها . وتكلم عن الأعصاب ، وهى الروابط بين أعضاء الحساسية والعضلات عن طريق المخ ، ووصف تركيبها ، وشرح كيفية حدوث السيال العصبى داخلها .

ووصف تركيب المخ فى الحيـوانات الراقيـة والانســـان ، وتكلم عن الحركات الانعكاسيــة اللاارادية فى الحيوانات البدائيـــة والراقيـة ، والحركات الارادية التى توجـد فى الحيوانات الراقية فقط . وذكر النشاط الكهربى الموجود بالمخ الذى يمكن رسم ذبذباته وموجاته باستخدام مكبرات الكترونية . ومخ الحيوانات ، وخصوصا الآدميين ، آلة أساسها التنسيق بين أعداد ضخمة من الانطباعات الحسية المستقلة ، ويساعد على تفسير هذه الانطباعات معلوماتنا وتجاربنا السابقة

التى توجد فى الذاكرة . ويمكن القول بأن الذاكرة هى نوع من الأثر الدائم الذى تتركه الانطباعات الحسية فى خلايا المخ . وسجل الذاكرة قادر على اعادة اخراج نسخة من هذه المؤثرات بحيث يمكن مقارنتها مباشرة بالمؤثرات الحديثة الواردة من الحواس . وتكون خبرتنا فى أى لحظة عبارة عن مزيج من الصور الحسية التى تمضى فى هذه اللحظة وما نتذكره من الماضى ، كما يختزل المخ الرسائل التى ترد اليه من الحواس الى صورة مفيدة بايجاد طرز ذات أهمية فيها .

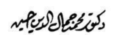
ثم تكلم المؤلف عن الأعمال التى يقوم بها الحيوان ، فبعضها يتم بالغريزة ، والآخر يتم بالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ ، وذكر انه لابد من وجود عنصر الذاتية فى استجابة الحيوان لاحساساته كما أن له ارادة حرة فى اختيار افعاله .

وأشار المؤلف أن الانسان يتميز عن الحيوان بقدرته على استعمال الآلات والتفاهم باللغات والآلات تخضع لسيطرة المخ بنفس الطريقة التى تخضع بها الأطراف نفسها ، اما اللغة فقد بدأت كارتباط بين أصوات وحركات عضلية تلازمها وبين أسس الصورة الحسية ، ويهيىء العقل البشرى ، بتطوره ، امتدادا كبيرا لهذا النوع من الارتباط .

وذكر المؤلف أن الانسان قد أخترع آلات تقوم بأعمال ذهنية مشابهة لأعمال المخ الا أنها تمثل جزءا صغيرا من عمل الفرد الكامل ، ثم تكلم عن كيفية استقبال وانتقال الاشارات بين الألياف العصبية ، وقد شبه الخلية العصبية بمجدد التيار الكهربى الذى يكرر الاشارة ذات القوة الكافية ، وهناك أيضا خلايا عصبية أخرى يتم فيها ترجمة هذه الانطباعات وتفسيرها فى سجل الذاكرة ، وعلى ذلك فالآلة الحاسبة لكى تشبه المخ يجب أن تكون مهيأة للتحور بصفة مستمرة لكل عملية تقوم بها حتى يمكن الربط بين ما تستقبله وبين التجارب السابقة .

ثم تكلم المؤلف عن الموت والشيخوخة ، فقال ان من أسباب موت الخلايا هو أن أى مجموعة منها تدخل فى دور المنافسة مع خلايا أخرى نتيجة للتكاثر واستهلاك الغذاء ، او أن مجموعة الخلايا تتلف بيئتها بما تنتج من مواد لا يمكنها النمو فيها وفى الكائن عديد الخلايا قد تتراكم هذه المواد تدريجيا داخل جسمه حتى يؤدى ذلك الى موته . أما الشيخوخة فهى أن يفقد الفرد كفايته فتصبح العمليات الجسدية أكثر بطأ يصحبها تغيرات تؤدى الى الانحلال ، فيصعب بذلك اصلاح التلف مؤديا ذلك الى الموت . وعمر الكائن يتناسب مع حجمه ومع المدة التى يتم فيها نضوجه . كما أن امكان حدوث التطوير يزداد كلما كانت الفترة بين جيلين متعاقبين أقصر ما يمكن .

ثم اختتم المؤلف الكتاب بالكلام عن تطور الحياة فى الكون حتى تصل الى المجتمع البشرى الراقى الذى يعتمد عليه الفرد اعتمادا كبيرا ولا يمكنه الحياة بدونه ولذا فان حياة الفرد عبارة عن تفاعل بين مجموع الأفكار السائدة فى مجتمعه وبين تجاربه الشخصية وذكر أنه كما أن للكون بداية فان له نهاية وهذا دليل على وجود الخالق العظيم .



روائع المسرح العالمي

مأساة الدكتور فاوستس

تأليف
كريستوفر مارلو

ترجمة: نظمي خليل
مراجعة: الدكتور عبد الله عبد الحافظ متولي

المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ،
١٢٦ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٠ قروش

مضمون مسرحية فاوستس يرجع في الواقع الى أصل قصصي ظهر في عصر « الرينيسانس » الذي بدأت فيه الشخصية الفردية تظهر الى الوجود وتحاول نبذ قيود القرون الوسطى . فهي قصة حديثة بالرغم من أن هناك نقط تشابه بينها وبين أساطير الاغريق عن ثورة العمالقة وهم طبقة فوق البشر هجموا على السماء للانتقام من الكرونيد عائلة الاله بالأولمب . الا أن التشابه يتجلى بوضوح بين القصة ومعتقدات الأمم الشرقية أمثال الهنود والفرس وبعض الديانات القديمة في تصويرها للشيطان . فالشيطان في الأصل كان من ملائكة الشر مما دعا السحرة ودارسي السحر أن يخطبوا وده لأنهم يعتقدون انه سرق حجر الحكمة من سليمان الحكيم الذي استطاع بهذا الحجر ان يكون حكيما عالما قويا قادرا على الاستمتاع بكل اللذات . وبعد أن سرقه قذف به في البحر حتى لا يستحوذ عليه أحد الا باذنه ، فكان لزاما على من يمارس السحر أن ينال هذا الحجر الذي يطوع له كل شيء يشتهيه ، ولابد أن يستأذن الشيطان ويفاوضه ويوقع معه العقود يكتبها بدمه ، بل يبيع نفسه له .

والفكرة الفاوستية قديمة قدم الانسان ، فآدم قد أغواه الشيطان فأكل من الشجرة المحرمة ، وحكم عليه ان يقضي الحياة كادا ليصل الى غايتها بسعيه . ومن هنا أصبح للشيطان على الانسان سلطة ، فتولته منه الخشية ، ونشأت عنده فكرة الاحتفاء به بالقرابين اما ليبتعد عنه أو ليستعين به عن طريق السحر . وفي القرن السادس ظهرت أسطورة ثيوفيلس Theophilus الذي يتخلى عن روحه للشيطان جزاء متعة دنيوية . واستمرت هذه الأسطورة موضوعا محببا لكتاب المسرح حتى القرن الرابع عشر ، وان كان ثيوفيلس قد نال الخلاص ونجا من اللغة الأبدية ، التي انتهت بها حياة فاوستس بعد ذلك .

وما زال الشيطان يزداد قوة حتى جاءت القرون الوسطى وكثر مزاولو السحر ومؤاخو الشيطان ، وشاع أن من يؤاخي الشيطان يكتسب قوة خارقة للعادة ، وانتشرت المخطوطات التي تذكر طرق مزاولة السحر لنوال حجر الحكمة الذي يبلغ به الانسان أمله وأمنيته . ولما جاء عصر النهضة بلغت سلطة الشيطان ذروته ، حتى أن المصلح مارتن لوثر كان يعتقد أن الدنيا مليئة بالشياطين ، وكتب في ذلك عدة كتب يتعلم منها المسيحي كيف يحارب الشيطان .

على أن الأصل التاريخي لقصة فاوستس التي ملأتها المبالغات ، يرجع الى عام ١٤٨٠ حين ولد فاوستس في بلدة المانية صغيرة وكان زميل مارتن لوثر في الدراسة ، ولكنه اتجه بعد ذلك الى دراسة السحر واشتهر به الى أن مات عام ١٥٤٠ . واختلف الناس حول حياته وسحره ، فاتهمه فريق بالشعوذة ، واضفى عليه الفريق الآخر قدرات خارقة . ونظرا لما حول قصته من جراة نادرة ، فهو لم ينقص على عقبيه مرة واحدة خلال صحبته للشيطان شأن غيره ممن آخوا الشياطين ، لذلك خلدت قصته . وقد ولدت القصة في حياة فاوستس الا أنها تشعبت واضيفت اليها الأعاجيب بعد موته عن أعماله وشخصيته . وفي عام ١٥٧٠ كتبت مخطوطة عن أعماله الخارقة ، كأن يقدم لضيوفه مآكل ومشارب يأتي بها من قصر ملك انجلترا وهو في ألمانيا ، ثم يأخذهم للرقص في القصر نفسه طائرا بهم في الهواء وأشباه ذلك من الخيالات . وأول كتاب شعبي طبع عن الدكتور فاوست ظهر في « فرانكفورت » عام ١٥٨٧ ويسمى Spies وكان القصد منه العبرة والتحذير من مغبة مصاحبة الشيطان فذكر ما كان يفعله فاوستس من مغامرات وانكباب على الحياة المادية الشهوانية ، واختتم حياته مصورا اياه في صورة انسان محطم يرتعد خوفا من نهايته السيئة في الجحيم .

وترجع معرفة الكاتب المسرحي الانجليزي « مارلو » لقصة فوستس الى المامه بترجمة انجليزية لها ، وجد فيها مادة لخياله وشبها بينه وبين بطل القصة ، فكلاهما من أسرة فقيرة ، ولكن نفسيته المتوثبة تريد أن تقتحم كل العقبات لتصل الى الذروة ، بل تريد ان تتخطى حجب الغيب ، وكلاهما كان مقررا أن يدرس اللاهوت فهجره الى السحر والعلوم الغيبية . وقد درس مارلو في « كيمبردج » ونال درجة الماجستير ، وتبدو انطباعات كيمبردج في مسرحيته هذه فترى اشارات للرداء الجامعي والحياة الجامعية ، كما ظهر فيها دراسة مارلو للفلسفة والفلك ويتضح ذلك في محاورات فوستس وميفيستو فيليس . وقد أقام مارلو في لندن فترة من الزمن في عصر



الملكة اليصابات الأولى ، وفي ذلك الوقت كان المسرح يتقدم بخطى سريعة ، فالترجمات الكلاسيكية بدأت تغزو السوق الأدبية ، وبدات مآسي الكاتب الروماني Seneca وملاهي Plautus تمثل نماذج طيبة يحتذيها كتاب أوربا . ولا ننسى ما أحدثته التيارات الفكرية في عصر النهضة من بعث حركة العلوم والكشف الجغرافي وازدياد قيمة الفرد ، كل هذه العوامل احدثت ثورة فنية وذهنية فاخذت المسرحية تلقى وراء ظهرها مسرحية المعجزات والمسرحية الأخلاقية .

واستناد مارلو من الاشارات الكلاسيكية مع صياغتها في قالب عصر النهضة ، فأشار الى الاسكندر وعشيقته ، والى هومر وأشعاره والى هيلين ملكة جال طروادة . ولكنه لم يستفد باتساع رقعة الحوادث التي يتضمنها الأصل الألماني الذي أخذ عنه ، والذي يجوب فيه فوستس البقاع وأشهر بلاد العالم ، واختصر الأحداث سعيا وراء التركيز المسرحي ، فلا نجد الا اشارات في المشهد الأول من الفصل الثالث عن نابلي والبندقية وروما . ولا ننسى أن شخصية فاوستس عند مارلو لم تنغمس انغماسا كليا في لذة الحواس ، اذ هو في الأصل مفكر وفنان دفعه

طموحه الى الهـــلاك ، الأمر الذى يضفى على المشاهد الأخيرة قوة واثارة . والحق أن مارلو برغم تمشيه مع هيكل الترجمة الانجليزية ، قد أطلق لخياله المبدع العنان .

وقـــد تأثر مارلو « بمكيافيلى » فى حياته وفى تصوير شـــخصياته . والحقيقـــة أن الرغبة والطموح فى عصره قد تضـــافرا فى كل الدويلات الايطالية على رفع القراصنة الى مناصب الحكم فى الامارات والدوقيات ، ومن هنا كانت مغامرات ايطالية لها دوافع ومحركات واقعية ، نجد ذلك فى فاوستس ونجـــده فى الافتتاحية التى كتبها مارلو لمأساة يهودى مالطة حيث يقول : « ثم دعهم يعلمون أننى أدين بما كان يدين به مكيافيللى ولست أقيم وزنا للنـــاس ، ولهذا لا أهتم بما يقولون . » .

فالاستحواذ على القوة بأى سبيل هو هدف ابطاله ، ومعظمهم أشخاص عاديون يمتد بصرهم الى أمنيات فوق طاقتهم وهذا مما يضاعف قيوده فى مسرحياته . وهنا يختلف تصوير البطل عنده عن الصورة التى رسمها ارسطو من قبل للبطل وقرر أنه لابد أن يكون من النبلاء . وشخصية فاوستس كما رسمها مارلو ، واهتمامه بالتركيز عليها فى مسرحيته ، صـــورة من اهتمام العصر بقيمة الفرد ، كما أن شخصية الملاك الخير والملاك الشرير من آثار مسرحيات العصور الوسطى . والحوار هو الذى اســـتطاع أن ينمى جوانب شخصية فاوستس وأن يكشف لنا عن داخليات البطل فنرى شعاعات من الخير ما زال يتذبذب كضوء القنديل الباهت ، وان كان مظهر الشخصية قاتما شريرا .

ولـكن مسرحية فاوستس لمارلو تفتقر الى الاهتمام بالشخصيات الثانوية ، فالبطل يكاد يقف وحده لا يجد من يصارعه ، وهى شخصيات مندمجة فى الشر ، الا اذا استثنينا الملاك الخير والعجوز وهما شخصان لم يلمسهما يراع مارلو الا لمسا خفيفا باهتا . ولا نستطيع أن نتجاهل افتقـــار المسرحية الى الشخصية النسوية ، فلا نجد الا شبحا لهيلين الاغريقية الناشئة ، وان كنا نعرف أن عصر النهضة لم يفسح للمراة المجال الا بشق النفس ، كما أن فلسفة مارلو ومكيافيللى تؤثر الرجل على المرأة .

والصراع فى المسرحية ، يتجلى فى ذلك التوتر النفسى الذى يمزق جوانب الشخصية أكثر مما يتجلى فى صراع بين الشخصـــية والظروف الخارجية . ففاوستس لا يبغى الا العلم الذى يستطيع من ورائه السيطرة على العالم ، ويكرر كلمة السيطرة فى أكثر من مناسبة . ومن أجل ذلك تنازعه نفسه بين الخير والشر . ونرى الملاك الخير والشرير يتقاذفان عقل فوستس ، فالنزاع بينهما هو فى الحقيقة تصوير لنزاع الضمير . ثم نرى الملاك الخير بعد كل صراع يخضع للشرير وينتهى بأن يهجـــر فوستس فى يأس لمصـــيره المحتوم . فبعـــد ظهورهما أول الأمر يحـــدث فوستس نفســـه ويفكر فى الوعود الخلابة التى القى بها الملاك الشرير ، بأنه سوف يكون سيدا ومسيطرا على الأرض والسماء فيغتر ، ويلجأ لصديقين يعلمانه السحر ، معبرا عن سخطه على الفلسفة والقـــانون والطبيعـــة واللاهوت التى لا تمنحه تلك السيطرة التى يسعى اليها . ويتمكن من تســـخير الجن وتحقيق المعجزات ، ولـــكنه ضميره لا يدعه يهنأ باللذة الخالصة ، حتى بعد الارتباط النهائى بالشيطان فنسمعه يردد « انى عندما أشـــاهد السماوات اشعر بالندم فالعنك أيها الشيطان الخبيث . » « فان أك شيطانا ، فقد يرحمنى الله ، أن قلبى قد تحجر فلا استطيع التوبة » . وتبلغ قمة اليأس فى هذا الصراع حين يردد أخيرا « اذهب أيها الروح الملعون الى جهنم البشعة ، فانك أنت الذى خلعت اللعنة على روح فوستس المعـــذب ، هل فات الأوان ؟ » وهنا تقترب النهـــاية ويحل الموعد الذى ضربه له الشيطان ليصعد بروحه الى الجحيم .

على أن الحبكة المسرحية واهية كما نرى ، فما هى الا مجموعة من المشـــاهد المتتابعة تفتقر الى التماسك والتكامل الا اذا اســـتثنينا فكرة دورانها حول شخصية واحدة . وهنا كان دور « الكورس » محاولة ربط المشاهد وملء الثغرات الزمنية والحركية بين مشهد وآخر . ومحاولة مارلو ادخال عنصر الفكاهة فى المسرحية محاولة

غير ناجحة حين رسم تاجر الخيول الذى اختفى تحته الحصان وتركه عائما فوق كومة من القش ، فهى محاولة فجة لا تقارن بالعناصر التى صدرها شكسبير المعاصر له . والمسرحية هادفة كما نرى ولكن حين يلبس المؤلف رداء الناصح ويردد مواعظه فى أسلوبه المباشر عندما تنتهى المسرحية ، تختفى براعة العرض تماما وعمق الهدف ، فلا تمس القلب كلماته ، وانما يمر بالسمع مرورا عابرا ترديده لهذه الأبيات :

« لقد ذهب فاوستس : فاتعظوا بسقوطه الجهنمى .

فان حظه الشيطانى قد يدفع العقلاء للاعجاب بما لا تقره الشرائع .

كما ان نقمته قد تعزى بعض العقلاء المتطلعين لمزاولة ما لا تأذن به السماء » .

ولعله قد اتضح لنا أن مسرح مارلو لا يعنى بالتكنيك المسرحى التقليدى القائم على العرض والعقدة والحل ، وانما يبنى مسرحياته على الصراع النفسى المتدرج الذى يكشف عن جوهر الانسان وهو يصارع الخير والشر فى الحياة من أجل تحقيق آماله . فالوحدة الأساسية فى فاوستس هى اذن الشخصية الانسانية وليست الحدث ، وهى الشخصية التى تصارع نفسها فى المونولوج الداخلى أكثر مما تصارع غيرها فى الحوار الخارجى . ولكن الروعة الفنية لشعر مارلو ، وقدرته على أن يسبر غور بطل المسرحية « فاوستس » فى ذلك التحليل النفسى الذى يبلغ مداه فى نهاية المسرحية ، قد طغتا على بعض جوانب الضعف فى المسرحية . يقول « هازلت » هناك عدد من السطور يبدو انه نبع من وهج الخيال ، وترك نارا ذهبية وراءه » . ولا شك أن الأبيات التى رددها فاوستس فى نهاية المسرحية ينطبق عليها هذا القول ، حين نسمع صرخته الحائرة :

لم يبق من العمر الا ساعة واحدة .
ثم تصب عليك اللعنة الأبدية .
قفى دون حراك أيتها الكواكب السماوية
حتى يتوقف الزمن ولا يحل منتصف الليل .
ويا عين الطبيعة الجميلة أشرقى ، أشرقى ثانية
ودعى العالم فى نهار دائم ، أو حولى هذه الساعة .
الى سنة أو شهر أو أسبوع ، أو يوم عادى .
حتى يتسنى لفاوستس الندم وانقاذ روحه .
وأجر على مهل ، على مهل يا جياد الليل .

وهكذا دفع مارلو المأساة بصهره روح المسرحية الأخلاقية فى قيم عصر النهضة ، ولهذا برزت شخصيته كأعظم كاتب تراجيدى بعد شكسبير فى نظر بعض النقاد ، رغم أنه ودع الحياة وهو فى التاسعة والعشرين من عمره . واذا كان النقاد قد سكتوا ولم يثبتوا بصراحة تأثر « جيته » الشاعر الألمانى بمارلو فى مسرحية « فاوستس » ، فمن المسلم به أنه فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، تسرب الأدب الانجليزى الى ألمانيا بعد أن كان مجهولا تقريبا ، وعرفت أعمال شكسبير وترجمت أعمال الأدباء الانجليز ومنهم مارلو الى الألمانية ، على أن التشابه واضح بين المسرحيتين خاصة فى بدايتهما حين يجلس فاوستس مقارنا بين العلوم التى توصله الى السيطرة ثم يختار السحر فى النهاية بتشجيع ميفستوفيليس .

ونقطة الخلاف بين فاوستس مارلو وجيته ، أن مارلو قد ختم مسرحيته بما ختمت به الكتب الشعبية القصة من نهاية محتومة للشرير . أما جيته فبطله ينجو من تلك النهاية ويخيب فأل الشيطان حين يقدم له متع الدنيا ، فاذا به يزداد منها نفورا ويستيقظ ضميره فى النهاية . على أن كلا النتيجتين من واقع الحياة الاجتماعية التى عاشها كل من الشاعرين . فمارلو عاش فى عصر كان سيف الاضطهاد فيه ما زال مسلطا يحكم بالموت على كل من يسعى وراء معرفة غير محدودة ، أما جيته فقد عاش فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فى عصر الحرية والخلاص . وقد وفق المترجم الى نقل المسرحية للغة العربية نقلا أمينا فى أسلوب فنى رصين ، وبذل جهدا واضحا فى محاولته تفسير اشارات المؤلف المسرحى الى أعلام من الاغريق أو أحداث تاريخية غامضة ، فى حواشى المسرحية الكثيرة .

دكتور ماهر حسن فهمى

طائفة الإسماعيلية

تأليف

الدكتور محمد كامل حسين

الناشر مكتبة النهضة المصرية :
١٨٦ ص ١٤ × ٢٠ سم • الثمن ٢٥ قرشا

هذا الكتاب هو الرابع من سلسلة الكتب التى أصدرتها المكتبة التاريخية باشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم .. وقد صدر بالقاهرة فى أول سنة ١٩٥٩ م ونشرته مكتبة النهضة المصرية وهو يقع فى ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط ..

ومؤلفه المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وكان عليه رحمة الله يعتبر بحق أول متخصص فى العالم العربى فى دراسة تاريخ الشيعة . وكل ما يتصل بهم . وأصدر كتبا عدة فى تاريخهم . وآدابهم .. فقد انقطع لهذه الدراسة ، وانفق فى سبيلها جهده ، وماله ، ووقته ، ولم تكن هذه الدراسة سهلة ككل الدراسات التى يتجه اليها الباحثون فيجدون من المراجع ما يعينهم على دراستهم ويوفر عليهم كثيرا من الجهد والوقت ، بل كانت دراسة شاقة عسيرة ، وذلك لأن الكتب المهمة فى تاريخ الشيعة غير متداولة . ولا سيما الكتب الخاصة بالاسماعيلية فقد كان دعاتها ولا يزالون يحرصون أشد الحرص على اخفائها ، ومنعها من التداول وجعلها قاصرة على محيطهم ، ولا سيما أمهات الكتب المتصلة بدعوتهم .. مما يضعف من عزائم الباحثين المنقبين ويصرفهم عن المضى فى دراساتهم ..

ولكن الدكتور عليه رحمة الله كان ممن تغريهم العقبات بالسير وراءها وبذل المحاولات للتغلب عليها وقد وجد هذا الميدان بكرا لم يحاول أحد من قبله اقتحامه فجمع عزمه وكرس جهده بل ماله وحيله أيضا للوصول الى هذه الكتب المهمة .. وكان كلما عثر منها على كتاب بدا كأنه عثر على كنز « توت عنخ آمون » وكم حدثنى عليه رحمة الله عن الحيل العجيبة التى كان يتفنن فيها للحصول على بعض هذه الكتب لوقت قصير أحيانا فيسارع الى تصويرها ثم يردها ..

وحينما كان بالهند مستشارا ثقافيا فى سفارتنا هناك كنت انا كذلك مبعوثا ثقافيا لاحدى جامعاتها وكثيرا ما جمعتنا حجرته الخاصة حيث كان لا يحلو له الحديث الا فيما استطاع العثور عليه من كتب عن الشيعة وما دفعه فيها من ثمن خيالى ..

وكان دائم الشكوى والتعجب من اخفاء المسئولين عن الاسماعيلية الآن الكتب المهمة الخاصة بها ، فان من الطبيعى أن أية دعوة تسعى الى نشر أصولها ومبادئها وتنفق الكثير من مالها وجهدها لتعمل بذلك على اغراء الناس بالبحث فيها أو اعتناقها .. ولكن القائمين بالدعوة الاسماعيلية يتجهون اتجاها عكسيا لذلك فكل همهم حبس هذه الكتب عن التداول . مما يجعل مهمة الباحثين الراغبين فى الوصول الى الحقائق عسيرة غاية العسر بل ربما تكون فى هذه الحالة مستحيلة ، ان لم يكن لدى الباحث حيل واتصالات خاصة كالحيل والاتصالات التى مهر فيها الدكتور ..

وقد تحدث عن ذلك فى كتاب له صدر منذ نحو خمسة عشر عاما وهو « فى أدب مصر

الفاطميــة » فقال فى مقدمته « فحرصنا على أن نرجع الى كتب دعوة الفاطميين ، وراعنـــا أن القاهرة التى انشـأها الفاطميون وكانت قاعدة ملـكهم الواسع لا تحتفظ بكتـاب واحد من كتب الدعوة ، فسعينا الى البحث فى غير مصر وكان السعى شـــاقا وعسيرا كلفنا من الجهد والمال الشيء الـكثير ، وما حيلتنا اذا كانت أكثر كتب الدعوة فى حوزة طاهر سيف الدين الذى لقب نفســه بسلطان البهرة وزعم أنه الداعى المطلق لامام مستور من نسـل الأئمـــة الفاطميين وهو شحيح بهذه الـكتب بدعوى أنهـا كتب الدعوة السرية ولـكن حجتــه فى ذلك أوهى من بيت العنكبوت ـ فان الأئمة الفاطميين ـ الذين ورث دعـوتهم ـ لم يســتروا علومهم بل عملوا على نشرها واذاعتهـــا ، وشجعوا العلم والعلماء ، وانشأوا دار العـلم وخزائن الكتب ليطلع عليها من يشاء متى يشاء .. ثم قال بعد حملة على مولانا طاهر سيف الدين . ومع ذلك كله ففى طائفة البهرة عـــدد من المثقفين زودونا بالكتب التى حرصنا على تقديمها للجمهور فقد أصدرت ست كتب فاطمية وســيتبعها غــيرها ان شاء الله » .

ومع أنه استطاع الحصول على بعض الكتب المهمة الا انه مع ذلك كان عنده نهم العلماء فى الحصول على زاد أكثر .. وظل كذلك يعترض على أخفائهم هــذه الكتب بعــد ما زالت الجفوة التى حصلت بينه وبين مولانا طاهر سيف الدين الذى نســتعرضه يقص على القــراء ضن هؤلاء بكتبهم وذكر نقاشا دار بينه وبين أحد علماء هذه الطائفة حول نقطة علمية أنكرها وذكر له الدكتور أنها موجودة فى كتبهم وذكر له أسماء هـــذه الكتب فادعى أن هـــذه الكتب محرفة « وأن النسخ الصحيحة فى هذه الكتب فى خزانة الدعوة بالهند ثم بعد عدة سنوات قدر لى أن التقى به فى الهنـــــد بل فى البلد الذى به خـزانة كتب دعوتهم فطلبت منـــــه أن يطلعنى على النسخ الصحيحة التى يحتفظون بها فوعدنى . وانتظرت أن يفى بوعده ولكنى عدت من الهند دون أن أقابله مرة اخرى » .

وقد كان يذكر لى رحمـــه الله ـ أنه تعرض لتهديدات كثيرة من جراء اقدامه على نشر بعض الكتب الهامة التى حصل عليهـــا ولحملته على مولانا طاهر التى ترى صورة منها فى تقديم كتابه « فى أدب الفاطميين » وان كنت أعرف أن هذه الجفوة قد زالت بعد ذلك .. كما أنه كانت له صلات وطيدة بأحـــد زعماء الاسماعيلية وهو « أغاخان » .

اردت أن أطيل بعض الشيء فى هذه الناحية لتعرف الظروف التى عاش فيها الدكتور مكافحا فى سبيل اقتحام هذا السد العلمى والتغلب على العقبات التى وقفت أمامه ..

لقد كانت كل دقيقة تمر عليه فى حياته تشغل نفسه بتعقب ما يتصل بالاسماعيلية وغيرها من كتب الشيعة بل كان على اتصال وثيق بدعاتهم فى الشام وغيرها .. وكانوا يثقون بهكواحد منهم ويعمل لفض الخلافات التى بينهم ويزورهم فى بلادهم . وحينما اتحـــدت مصر وسوريا كان يحدثنى عن الشيعة الموجودين هناك وصـــلته بهم . وكان يود لو امكن من القيام بعمل ما هناك لتدعيم الوحدة بما له من هذه الصلات الطيبة مع الاسماعيليين الموجودين هناك .. وكل هذا جعل بعض النـــاس يظنون انه شيعى كما كان يذكر لى هذه الاتهامات فى استخفاف وتعجب . ولعل هذا يصور لنا الى أى حد اندمج الدكتور المؤلف فى موضوعه وفنى فيه حتى اشتهر به .. ووجدنا أستاذه الدكتور طه حسين يشيد به فى احدى المناسبات ، ولعلها كانت بصدد الموسوعة العربية حين ذكر أنه يوجد لدينا عالم يكاد يكون موسوعة كاملة فى أمور الشيعة . وكان يقصد الدكتور محمد كامل حسين وان كان لم يصرح به لأنه لم يكن يوجد الا هو ـ ولعل تعيينـــه بالصفة أغناه عن تعيينه بالاسم ولو أننى وغيرى كنا نود أن يصرح به على ســــبيل الانصـاف والتقدير .

وهـــذا هو الذى جعل الدكتور أحمد عزت عبد الكريم يقول فى مقدمة هذا الكتاب « لا أكاد أعرف أستاذا تعشق موضوع تخصصه فأخلص له وبذل له من ذات نفسه وقلبه وعقله ، وفرغ له حتى لا يكاد يريم عنه كما فعل زميلى الأستاذ

الدكتور محمد كامل حسين ، فقد تخصص فى الدراسات الاسماعيلية منذ سنوات بعيدة وحشد لها جهوده ووقف عليها نشاطه حتى أصبح يحق — من روادها الأول لابن الناطقين بالضاد فحسب وانما بين سائر علمائها فى شتى أقطار الأرض » .

وقد استطاع الدكتور كامل حسين بوسائل مختلفة — وله فى ذلك قصص شائقة — استطاع أن يجمع لنفسه طائفةكبيرة من الكتب والرسائل المخطوطة فى تاريخ الفرقة الاسماعيلية وعقائدها قل — بل ندر — أن توافرت لغيره من الباحثين فى هذا الحقل ، واستطاع تبعا لذلك ان يخرج منها عدة كتب قيمة بعد تحقيقها .

هذه أضواء على المؤلف المرحوم أعتقد أنها كانت ضرورية للدخول فى موضوع الكتاب ..

***

وموضوع الكتاب كما عرفنا « طائفة الاسماعيلية — تاريخها . نظمها — عقائدها » ..

وقد ذكر المؤلف ان هذه الطائفة شغلت التاريخ وقتا طويلا . لا بآرائها الدينية فحسب بل بما قام باسمها من دول فى بقاع مختلفة من العالم الاسلامى وبما كان لهذه الدول من باس وسلطان فى العصور الوسطى خشى بأسها كل الدول المجاورة لها فى ذلك الوقت .. وكلنا يعرف الدولة الفاطمية التى حكمت مصر والشرق العربى والشمال الأفريقى الغربى زمنا طويلا ..

وقد عقد المؤلف الفصل الأول للكلام عن الاسماعيلية فى « دور التستر » ويراد بالتستر الدعوة الى مذهبهم وأمامتهم فى خفية من الحكام اتقاء لأذاهم .. ولما كانت الاسماعيلية فرقة من الشيعة فقد اقتضى الحديث عنها الرجوع الى نشأة الشيعة والأصول التى قامت عليها ..

والشيعة لفظ أطلق على المتشيعين لامامة على رضى الله عنه واحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكانت هذه النقطة هى الحد الفاصل بين أهل السنة والشيعة فى بادىء الأمر فقد كان أهل السنة يرون الحكم بواسطة الانتخاب واختيار الأحق بالخلافة أيا كان نسبه ولكن الشيعة يرون أن الرسول نص على الأمامة فى على وأن الأمامة منحصرة فى ذريته بالوصية .. وهى مسألة سياسية كما نرى ولم تباعد بين المختلفين عليها فى مسائل الدين أولا ولكنه بمرور الزمن ازداد الخلاف حدة وأصبح الاعتقاد بانحصار الأمانة فى ذرية على والايمانبالامام منهم أصلا من أصول العقيدة الشيعية بحيث لا يقبل من المسلم اى عمل اذا لم يؤمن بهذا الأصل ..

وكان الشيعة أو المتشيعون ينظرون الى الامام نظرتهم الى المنقذ لهم من الحكم الفاسد حكم الأمويين أو العباسيين أو غيرهم واضعين نصب أعينهم هدفا واحدا وهو تنصيب امام من أهل البيت يملأ الأرض عدلا ويقضى على الفساد . وباسم هذه الدعوة وبريقها الخاطف كانوا يجذبون الناس اليهم ويكتلونهم حولهم .. ولا شك أن نظرتهم الى توارث الحكام نظرة متأثرة بما كان حولهم من نظام الحكم الملكى فى ذلك الوقت وبما كان فى فارس قبل سقوطها فى أيدى المسلمين من نظرة التقديس والتأليه للحاكم وهى نظرة بعيدة كل البعد عن نظرة الاسلام للحاكم ..

وكان من آل البيت أفراد يثورون ضد الحاكم كما هو معروف فى تاريخ الدولة الأموية ثم العباسية التى كانت تخشى سطوة العلويين وتحاربهم يحاربونها ..

وكان الشيعة يتطلعون أولا الى أكبر افراد أهل البيت سنا لكنهم لما كثروا وصعب اختيار أكبرهم سنا اتجهوا الى اختيار أبرزهم فى الحياة العامة ثم الى اختيار المهم شأنا فى ذرية الحسين ابن على ولا سيما بعد ظهور جعفر الصادق وكان أعظم أهل البيت موهبة فى العلم والدين وقد توفى سنة ١٤٧ أى فى عهد الدولة العباسية ..

وبالرغم من أن جعفر الصادق كان محل ثقة الجميع سنيين وشيعيين ولم يدع لنفسه الامامة ولم يناد بها الا أن الشيعة اعتبروه اماما وانتسبوا اليه وبدأت به السلسلة الحقيقية للأئمة .. وان كانوا يصلونها بعلى رضى الله عنه نظرا لسلسلة النسب فقط كما اعتقد ..

ومع أن جعفر الصادق لم يدع لنفسه الامامة

فقد وجدنا الشيعة بعده يختلفون منهم من يقول بأنه أوصى بالامامة لابنه اسماعيل ومنهم من يقول بأنه أوصى لابنه موسى الكاظم نظرا لوفاة اسماعيل فى حياة أبيه ..

وهذا ما يدعو للتأمل .. فانه اذا كان جعفر لم يدع لنفسه الامامة فكيف يوصى بها لأحد أبنائه ؟ !!!

على كل حال افترقت الشيعة كما عرفنا فكانت الشيعة الاسماعيلية . والشيعة الموسوية .

فالشيعة الموسوية أتباع موسى الكاظم وهم الذين سلسلوا الامامة فى الأكبر سنا من عقبه الى أن أشيع بأن الامام الثانى عشر من هؤلاء الأئمةوهو محمد بن الحسن العسكرى قد اختفى داخل سرداب فى مدينة « سامرا » سنة ٢٦٠ هـ خوفا على نفسه من ظلم الحكام وسيبقى حيا ليخرج يوم القيامة ويملأ الأرض عدلا وهو المهدى المنتظر فى رأيهم وهؤلاء هم الشيعة الاثنا عشرية ويكونون أكثرية فى شيعة ايران والعراق وسوريا ولبنان واقلية فى غيرها من البلاد كالهند وشرق أفريقيا ..

أما الاسماعيلية وهى موضوع هذا الكتاب فان المؤلف يقول ص ١٤ — ان التاريخ يجهل جهلا تاما كيف بدأت الدعوة لأمانة اسماعيل بل لم يعرف التاريخ شيئا اسمه الاسماعيلية حتى اواخر القرن الثالث الهجرى ، .. ويقول المؤلف ان التاريخلهذه الفترة مضطرب أشدالاضطراب. ولعل السبب فى ذلك هو اختفاء الدعاة خوفا على أنفسهم مما جعل الكتابة عنها غير موثوق بها ويقول ص ٢٢ : « ان أول حركة اسماعيلية ناجحة هى تلك الحركة التى قامت ببلاد اليمن بزعامة ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن حتى استطاع أن يجمع حولهاعدد من القبائل ويؤسس باسم الامام الاسماعيلى (المنتظر) أول دولة اسماعيلية . وأخذ يدعو للامام الاسماعيلى فى الشرق ويرسل الدعاة الى بلاد المغرب الذين استطاعوا بث الدعوة بين القبائل باسم المهدى المنتظر حتى تأسست دولة اسماعيلية بالمغرب هى الدولة الفاطمية — كل ذلك والامام فى ستره وتقيته بالمشرق لم يعرفه الا من كان شديد القرب منه ..

وظل كذلك حتى اضطر للفرار من المشرق الى المغربتحت اضطهاد العباسيين لهومحاولتهم العثور عليه وقتله ووصل الى المغرب ووجد هناك أنصاره الذين التفوا حوله بزعامة أبى عبيد الله الشيعى ، وبدأ بذلك تأسيس دولة لهم هناك .. وبدأ بذلك « دور الظهور » بعد « دور التستر » ..

ويقول المؤرخ ان دور التستر هو السبب فيما أثير من شك حول نسب الفاطميين حتى فى ايامهم مما جعل أحد المصريين يكتب رقعة يضعها على المنبر ليجدها الامام الاسماعيلى الفاطمى العزيز بالله يقول فيها

انا سمعنا نسبا منكرا
يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقا
فأذكر أبا بعد الأب الرابع

الى آخر القصيدة التى يتحدى فيها كاتبها الامام أن يذكر له أبا بعد الأب الرابع ومعنى هذا أن الأئمة أنفسهم لم يكونوا يعرفون نسبهم ، ولعل الحادثة الأخرى التى حدثت بين المعز وعلماء مصر حين ذهبوا اليه ليذكر لهم نسبه فجرد سيفه وقال هذا نسبى ، ثم نثر عليهم الذهب ، وقال هذا حسبى ! حتى اشتهرت هذه العبارة . « ذهب المعز وسيفه ! » لعل فى قرار المعز الى السيف والذهب دليلا آخر على عدم معرفة الأئمة بسلسلة نسبهم الى فاطمة رضى الله عنها .. والا لأجابوا عن التحدى وعن أسئلة العلماء اجابة تسكت المتحدين والسائلين وتقنعهم وتريح الأئمة من بقاء التحدى والسؤال قائما يتردد على السنة الشعب ..

دور الظهور :

يتحدث المؤلف فى هذا الفصل عن نشأة الدولة الفاطمية فى المغرب ومحاولتها الاستيلاء على مصر واعتماد الاسماعيليين على الدعوة السرية وعلى ما نسميه الآن بالطابور الخامس فى البلاد التى تريد فتحها وكان طابورها من المتأثرين بدعوتهم وكانوا ماهرين فى الأنظمة السرية وفى

الدعاية ، كما كانوا يبثونه من أمان وأحلام ومن رغبتهم في تحقيق العدالة بين الناس أشبه بدعاة الشيوعية في هذه الأيام ، وذكر المؤلف ما كان في مصر على الخصوص من هؤلاء الدعاة أو من هذا الطابور الخامس قبل أن تدخل جيوش المعز الى مصر سنة ٣٥٨ هـ . وكل هذا مكن للاسماعيليين الفاطميين في مصر وسهل لهم فتح البلاد العربية والسيطرة عليها حتى كاد نفوذهم يسيطر على بغداد نفسها أو سيطر عليها بالفعل سنة ٤٥٠ هـ وخطب باسمه على المنابر لمدة سنة كاملة فيها .. « ولولا هزيمة الاسماعيليين الفاطميين أمام جيوش طغرل بك وانشغال وزرائهم بأنفسهم لاكتسح الاسماعيلية جميع البلاد الاسلامية في الشرق وأخضعوها لسلطانهم حتى جبال الهملايا » .

انقسام الاسماعيلية

وتجمعت أسباب متعددة لضعف الدولة الاسماعيلية في مصر ، وفي عصر الضعف هذا بدأ الاختلاف يدب بين الاسماعيليين فيمن ينصبونه اماما فانقسموا الى اسماعيلية نزارية نسبة الى نزار بن المستنصر بالله واسماعيلية مستعلية نسبة الى المستعلي بن المستنصر ابن أخت الوزير أفضل الجمالي سنة ٤٨٧ هـ وقبل هؤلاء قامت فرقة « الدرزية » سنة ٤٠٨ هـ وكان السبب في نشأة هذه الفرقة أن وفدا جاء من فارس الى مصر ونادى بالوهية الحاكم بأمر الله وعلى رأسه الدعاة : حمزة ، والدرزي ، وختكين ، وثار المصريون ضد هؤلاء وقتلوا ختكين وبعض أتباعه فهرب الدرزي وحمزة الى الشام واستطاعا أن يجدا شيئا من النجاح وجمعا حولهما أتباعا وكونا مذهبا خاصا وأتباعه يسمون بالدروز وهم الآن في الشام .. وقد اتخذت هذه الفرقة آراء وعقائد خالفت بها الآراء الاسماعيلية ، ولم يقف المؤلف عندها طويلا . وبهذا انقسمت الاسماعيلية الى ثلاث فرق : الدرزية ، والنزارية ،والمستعلية .

* * *

ثم عقد المؤلف الفصل الثالث تحت عنوان « اسماعيلية الغربية » ويريد بها الاسماعيلية المستعلية في مصر واليمن وبعض بلاد الشام .. وهم الذين اعترفوا بامامة المستعلي بالله ابن أخت الوزير أفضل الجمالي .. وقد ضعف حالهم في مصر ضعفا تاما لانصراف الأئمة الى اللهو والمجون وتلاعب الوزراء بهم حتى وجدنا المصريين يحاصرون أحدهم ويطلبون منه قتل ابنه فيجيبهم الى ما طلبوا حتى قضى عليهم نهائيا صلاح الدين الأيوبي في مصر سنة ٥٦٧ هـ .

ولكن اسماعيلية اليمن اتخذوا اماما لهم غير امام مصر وكونوا فرقة أخرى منبثقة من الاسماعيلية المستعلية عرفت باسم الاسماعيلية الطيبية أو « الاسماعيلية البهرة » وتحدث المؤلف بعد ذلك عن هذه الفرقة في اليمن وعن الدولة التي اقامها الصليحيون باسمها حتى ضعف شأنها وانقرضت سنة ٥١١ هـ وانصرف الاسماعيليون الى التجارة متسترين في عقيدتهم .. وبواسطة التجارة وتنقلهم بين اليمن والهند انتشر مذهبهم هناك ولا سيما في ولاية جوجرات شمال بومباي وان كان المؤلف يذكر أنها جنوب بومباي خطأ . واقبل بعض الهندوس على اعتناقها وعرفت الدعوة هناك باسم « البهرة » وكلمة « البهرة » يراد بها في اللغة الهندية التاجر « أو التجار » لأنهم جميعا اشتغلوا بالتجارة في اليمن وخارجها في الهند .

لكنها انقسمت فرقتين في القرن العاشر : فرقة البهرة الداودية ، وفرقة البهرة السليمانية » الأولى نسبة الى الداعي قطب شاه داود المتوفى سنة ١٠٢١ هـ والثانية نسبة الى الداعي سليمان ابن حسن الذي اعترفوا به داعيا سنة ٩٩٧ هـ .

وقد انتقل مركز دعوة الفرقة الداودية الى الهند في القرن العاشر الهجري وتسلسل فيهم الأئمة الدعاة معتبرين أنفسهم امتدادا للدعاة الفاطميين .. وداعيهم الآن هو الدكتور « ملا طاهر سيف الدين » وهو الداعي الحادي والخمسون من سلسلة الدعاة الطيبين وارثي الأئمة الفاطميين في مصر .. ومركزه « بومباي » وله سلطة واسعة على أتباعه وتنتقل الدعوة منه بالوراثة الى أكبر أبنائه ..

وكذلك داعي الفرقة السليمانية « علي بن

محسن » الذى يقيم فى اليمن ولذلك يتمتع كلاهما بالسلطة الروحية التامة على أتباعهما ، وهى نفس سلطة الأئمة فى العصور الوسطى .

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن تمسك الفرقتين بتقاليدهم القديمة وتعصبهم لمذهبهم مهما تطور الزمن وهذا أداهم للحرص الشديد على كتبهم والحفاظ عليها حتى لا يعرفها أحد . ومع ذلك فقد عرف بعضها وذكرها المؤلف وحقق كثيرا منها .. ويقول المؤلف ان عقيدتهم فى الظاهر لا تختلف عن عقيدة أهل السنة ولكنها فى «الباطن» بعيدة عنها كل البعد فهم يؤدون الصلاة كالمسلمين تماما ولكنهم يقولون ان صلاتهم للامام الاسماعيلى المستور ويطوفون بالكعبة ولكنهم يقولون انها رمز على الامام ، وهكذا لهم تأويلات باطنية لا يقرها أهل السنة .

وقد زرت « الجامعة السيفية » فى مدينة سورت بالهند بدعوة من مديرها السيد « يوسف نجم الدين » ابن الداعى « طاهر سيف الدين » وخالطت كثيرا منهم فوجدتهم يصلون معنا ولا يكادون يختلفون عنا ولكن المؤلف يقول ان لهم باطنا يخالف ما يظهرون .. وجماعتهم متماسكة مترابطة وعلماؤهم يتحدثون العربية ويدرسون بها فى جامعتهم .. وكثير من مدرسيها من اليمن . ثم انتقل المؤلف الى الفصل الرابع الذى تحدث فيه عن :

الاسماعيلية النزارية أو الاسماعيلية الشرقية فى فارس

وسميت شرقية لأن الذى قام بها رجل من فارس هو الحسن بن صباح الذى تعصب لامامة نزار بن المستنصر وأخذ يدعو له وسرعان ما استجاب الناس له فرارا من ظلم السلاجقة وكان يعدهم بالعدل وتوفير الحياة الرغدة على يد الامام كما كان شأن الدعاة دائما — وقد استطاع الحسن بن صباح أن يستولى على قلعة « الموت » جنوب بحر قزوين ويؤسس دولة قوية أثارت الرعب فى كل من حولها .. وقد تحدث المؤلف عن تاريخ الحسن بن صباح وكيف ربى أتباعه على الفدائية وقد عرفت به هذه الفرقة بأنها فرقة الحشاشين وهذا أحد أسمائها

وقيل فى سبب تسميتها بهذا الاسم استعماله للحشيش كمخدر لأتباعه الفدائيين حين يطلب منهم عملا فدائيا — ولكن المؤلف يرد هذا القول ولا يرتضيه ويستمر فى سرد مواقف هؤلاء الفدائيين ضد أعدائهم من المسلمين والصليبيين حتى سماها مؤرخو الغرب باسم « فرقة السفاكين » ثم يتحدث عن خلفاء الحسن ابن صباح الى أن جاء « هولاكو » المغولى واجتاح حصونهم ودخل قلعة « الموت » سنة ٦٥٤ هـ وتتبعهم بالقتل حتى قضى عليهم وعلى شوكتهم ولم ينج منهم الا القليل الذين فروا الى الهند وغيرها واشتغلوا بالتجارة .. وذكر فى آخر الفصل قائمة بأسماء أئمتهم أو حكامهم الذين كانوا يتخذون لأنفسهم لقب الدعاة .

الاسماعيلية النزارية فى الشام

وتحدث فى الفصل الخامس عن الاسماعيلية فى الشام وما وصلوا اليه من قوة فى عهد سنان باشا « شيخ الجبل » الذى وقف فى وجه صلاح الدين وتحداه الا أن صلاح الدين — كان حريصا على وحدة المسلمين — تصالح معه ليكونا قوة ضد الصليبيين مما كان سببا فى انتصاره فعرف له هذا الموقف وحفظ لهم حقوقهم .. ثم جاء المغول واجتاحوا الشام ولكنهم هزموا فى عين جالوت سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) وقوى الاسماعيلية بعض الشيء لكن الظاهر بيبرس هاجمهم سنة ٦٦٤ هـ واستطاع أن يقضى على شوكتهم حتى استسلموا له فعمل على الاستفادة من قوتهم .. وكان « شيحه » المدفون بدمياط من هؤلاء الاسماعيليين الفدائيين .. ولا يزال الاسماعيلية فى الشام الآن فى مدن سلمية والخرابى والقدموس ومصياف وبانياس والكهف .. ويعيشون فى سلام مع غيرهم من طوائف الشعب .

وقد لفت نظرى أن المؤلف كثيرا ما يضيف جملة (على ذكره السلام) بعد ذكر اسم الداعى على نحو ما يحرص عليه الشيعة مع أن المؤلف يذكر عن هذا الداعى أحيانا آراء له خارجة على الاسلام بعيدة كل البعد عن تعاليمه وروحه كما حصل مثلا فى ص ٨٢ و ٩٩ و ١٠٤ ، ولعله كان

يجارى الشيعة استرضاء للمعاصرين منهم الذين كانت له بهم صلات طيبة .. لأن هذا اصطلاح خاص بالشيعة ولا يستعمله أهل السنة الا عند ذكر الأنبياء ..

أغا خان

وفى الفصل السادس بدأ المؤلف يتحدث عن تاريخ أغا خان وأصل نشأته . وكيف أن الاسماعيليين بعد تشتت شملهم فى فارس أمام المغول قام رجل منهم يدعى « حسن شاه » بحركة جمعت حوله بعض الأتباع واستغله الانجليز ضد شاه ايران فقبض عليه ولكنهم سعوا للافراج عنه وأرسلوه لأفغانستان لخدمة أغراضهم هناك ففطن له الأفغان مما جعله يسارع بالرحيل الى بومباى بالهند ، حيث الحكم الانجليزى والتف حوله هناك بعض الاسماعيلية وأصبح اماما لهم ، ولما توفى سنة ١٨٨١ م خلفه ابنه « أغا على شاه » ولقب بأغاخان الثانى . وتزوج بابنة شاه ايران وأنجب منها « محمد الحسينى » وهو أغاخان المعروف الذى دفن بأسوان سنة ١٩٥٧ م وتعتبر اسماعيلية أغاخان فرعا من الاسماعيلية النزارية ، بينما طائفة البهرة فى الهند من الاسماعيلية المستعلية الطيبية .. وقد عنى المؤلف بابراز تاريخ أغاخان وخدماته العظيمة لطائفته وللمسلمين عامة فى الهند وخارجها .

خير من البقرة

وكانت له صلةخاصة بأغاخانوقد ذكر ما دار بينه ذات يوم وبين أغاخان أثناء اقامته بمصر اذ قال له « لقد أدهشتنى بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك الها ؟! فضحك طويلا حتى دمعت عيناه وقال :

ان القوم فى الهند يعبدون البقرة .. ألست خيرا من البقرة ؟!! .

ومن عجب أن المؤلف قال تعليقا على هذا الجواب : « فلم أحر جوابا على ذلك ... وأعتقد أن المؤلف كان عنده أجوبة كثيرة على هذا .. فعبادة البقرة وعبادة الانسان سواء فى الكفر والبعد عن الاسلام وكان يمكن للمؤلف أن يتحايل بعبارات مهذبة تناسب المقام ليرد على هذا الجواب .. ولكن هكذا كان .. وبعد أن طاف المؤلف مع الاسماعيلية منذ نشأتها وذهب شرقا وغربا ليتتبع فرقها وأحداثها حتى العهد الحاضر وقف فى الفصل السابع يتحدث عن أسرار نظام الاسماعيلية فأفاض فى بيان التكتيك الذى كان يتبعه هؤلاء فى دعوتهم وعن الألقاب التى كانوا يتخذونها والادعاءات التى كانوا يدعونها للتأثير على العامة .. ثم عقد الفصل الثامن للتحدث عن عقائدهم .

فأعاد ما سبق أن نبه اليه وهو أن الخلاف بين السنة والشيعة فى بادىء الأمر كان بسيطا يدور حول اختيار الامام ولكن بمضى الزمن استفحل الخلاف ودخلته أشياء وأشياء وسعت من شقته حتى أصبحت عقائد الشيعة بعد فلسفتها والآراء الجديدة التى أدخلت عليها تخالف كثيرا آراء الشيعة الأول . وتخالف مخالفة تامة آراء أهل السنة ..

وأشار المؤلف الى نقطة هامة فى عقائد الاسماعيلية وهى أنها تؤمن بالظاهر والباطن معا ويخطىء من يسميهم الباطنية لأنهم ينكرون الأخذ بالباطن فقط أو الظاهر فقط .. ويوجبون الأخذ بالاثنين معا ..

كما أبرز المؤلف اختلاف هؤلاء فى عقيدتهم حتى « اختلفت العقيدة الاسماعيلية فى كل قطر عما هى عليه فى قطر آخر فى الوقت الواحد » وعلل لذلك باختلاف عقلية الدعاة والأئمة واختلاف البيئات .. الخ .. وضرب أمثلة عدة لذلك من اختلاف كبار علمائهم فى تبيين عقائدهم حتى كان أحدهم ينكر على الآخر ما يذهب اليه ..

وذكر مثلا لذلك أحب أن أذكره هنا لاتصاله بما يشيع بين العامة بل والخاصة الآن عن كتاب يسمى « الجفر » فقد ذكر أصل هذا وأرجعه الى أيام الدولة الفاطمية حين زعم الدعاة فيها أيام المعز والعزيز ان الأئمة يعرفون الغيب وأنهم ورثوا علمه عن كتاب يسمى « الجفر » ورثوه عن جعفر الصادق . فانقسم الناس فى مصر بين مصدق ومكذب وسخر المصريون على عادتهم

من هذا الادعاء حتى ان العزيز بالله صعد المنبر يوم جمعة فوجد رقعة على المنبر كتب فيها :

بالظلم والجور قد رضينا
وليس بالكفر والحماقة
ان كنت أعطيت علم غيب
بين لنا كاتب البطاقة

فكان مثل هذا مع النكت المصرية اللاذعة سببا فى احجام العزيز عن ادعاء علم الغيب وسببا فى تطور العقيدة الاسماعيلية فى مصر واختلافها عنها فى فارس واليمن مع ما كان فيها ..

ويقول المؤلف ان اختلاف عقائد الاسماعيلية يجعل الحديث عنها عسيرا الا أن هناك أصولا اجتمعوا عليها أهمها وأولها ضرورة وجود امام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وقد أصبح هذا المبدأ أصلا من أصول الدين عندهم لا يؤمن من أنكروه .. ولا يقبل منه عمل الا اذا آمن به . « من أطاع الامام فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله » وقد أولوا القرآن لخدمة هذا المبدأ ، وفلسفوا قواعد التوحيد ومبادئه مما يتصل بالله جل وعلا لخدمة أغراضهم ولينتهوا منها الى القول « بأن كل الأسماء والصفات التى خلعت على العقل الكلى (المراد به الله عندهم) هى أيضا صفات وأسماء للامام ... فالامام اذن هو الواحد الأحد . الفرد . الصمد . المنتقم . الجبار .. الخ » ولذلك نرى ابن هانىء شاعرهم يمدح المعز فيقول :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

وقال آخر وهو أبو الحسن الأخفش يمدح الآمر بأحكام الله :

جل أن تدركه أعيننا
وتعالى أن نراه جسدا

ويقول المؤلف ان هذه الأوصاف لم يستطع الدعاة أن يجابهوا بها العامة أو المبتدئين بل كانت سرية فيما بين الدعاة انفسهم ومن ارتقى فى نظامهم حتى وصل الى مرتبتهم .

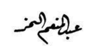
وقد افاض المؤلف فى بيان هذه العقائد التى يخرج القارىء منها بفكرة عامة وهى بعد هؤلاء بعدا تاما عن روح الاسلام السمحة ومبادئه القديمة .

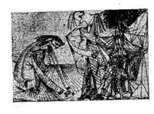
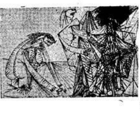
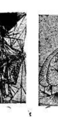
وبعد .

فلعل الماضى كان فيه ما يبرر التمادى فى مثل هذه الادعاءات والاختلافات .. أما فى عصرنا هذا وقد انتشرت فيه الثقافة ، ولم يعد من المقبول عقلا واقعا الاصرار على القول بوراثة الحكم وقصره فى ذرية على رضى الله عنه وهو أصل قيام الشيعة فاننا نرجو أن يعيد اخواننا النظر فيما أدخله الطمع فى الحكم والحرص عليه من أقوال وعقائد كان الغرض منها خدمة هذا المبدأ ، وأن نعمل جميعا على تقارب وجهات النظر .. حتى يتلاقى المسلمون جميعا على كلمة سواء تاركين الماضى للتاريخ المدون فى بطون الكتب متجهين الى حاضرهم عاملين على وحدة الصف بينهم .

ان الحكم الآن للشعوب ، ولمصلحتها هى لا لمصلحة فرد أو طبقة ، ومن الحكمة التجاوب مع واقع العصر الذى نعيش فيه ومع مقتضياته العقلية والثقافية ..

والله هو الهادى الى سواء السبيل .





فلسفة وفن

تأليف : الدكتور زكي نجيب محمود

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية .
عدد الصفحات ٤٢٤ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٧٥ قرشا

الدكتور زكي نجيب محمود قيمة ثقافية كبيرة ، استطاع ان يجمع في شخصه بين الفيلسوف والأديب وأن يعبر عن هذين البعدين في أسلوب بسيط واضح فيه شفافية الفكرة وفيه نغمية العبارة . فهو أديب بطبعه وان يكن فيلسوفا بإرادته ، أو كما قال العقاد عنه انه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة وكما قال هو عن نفسه : « فاذا تناولت فكرة فلسفية عالجتها بقلم الأديب ، واذا عالجت موضوعا من موضوعات الفن والأدب تناولته تناول الفيلسوف » .

وهذا صحيح ؛ فأنت اذا قرات الدكتور زكي نجيب محمود في الفلسفة لمست قدرته العجيبة على توضيح الفكرة وتبسيطها ، واذا قراته في الأدب لمست قدرته العجيبة أيضا على تعميق الصورة والارتداد بها الى جذورها البعيدة . فهو يحس ما يفهمه ويفهم ما يحسه .. وهذا هو الفيلسوف والفيلسوف الوضعي بصفة خاصة ، وذاك هو الأديب والأديب الفنان على وجه التحديد .

الفهم والاحساس اذن هما الركيزتان المحوريتان في حياة الدكتور زكي نجيب محمود الأدبية والفلسفية ؛ ولقد عبر عن نفسه أوجز تعبير وأوفاه حين أطلق على كتابه الحديث اسم « فلسفة وفن » ، فصاحب هذا الكتاب بحق هو الفيلسوف والفنان جميعا .

وكتاب « فلسفة وفن » . مجموعة من المقالات المختارة ، نشر بعضها وأذيع البعض الآخر ثم جمعت كلها في هذا الكتاب الذي هو بمثابة الجهد الخامس لفيلسوفنا الأديب بعد مجموعاته التي سبق نشرها وهي : « جنة العبيط » و « شروق من الغرب » و « الثورة على الأبواب » و « قشور ولباب » . ولو أننا حكمنا على هذا الكتاب في ضوء اخوته الذين سبقوه الى النشر لقلنا انه اكثرها نضجا وتكاملا ففيه سار الدكتور « في طريق متدرج الخطى من الانفعال المضطرب الى الفكر المستقر الهادىء ، وهو نفسه طريق السير من الشباب الى الكهولة ، ومن العاطفة المشبوبة الى سكينة الحكمة » . ومن ثم استطاع الدكتور أن يقدم مقالات هذا

الكتاب فى منظومة موحدة تؤكد مذهبه الوضعى العلمى التجريبى فى الفلسفة ، وتعمق فكرته عن الأدب والفن من حيث هما ضربان من ضروب الخلق المبتكر الجديد ، والكتاب بعد هذا كله يعد تسجيلا لقضيتى الشعر والفلسفة فى حياتنا الثقافية المعاصرة فهو يكشف عما يعانيه الفكر الفلسفى من أزمة الأصالة وما يعانيه الوجدان الشعرى من أزمة البحث عن شكل جديد .

***

ولا شك أننى أقـدم على عمل جرىء عندما أتعرض لكتاب أستاذى ومرجعى الدكتور زكى نجيب محمـود الـذى يخصنى بأبوتـه فوق استاذيته ، والذى أرى فيه ما يراه الابن فى أبيه فضلا عما يراه التلميذ فى أستاذه . ولكن عزائى أنه هو نفسه الذى علمنى شرف الكلمة وحرية الرأى وقال لى انهما أغلى شـيئين فى الحياة . لذلك لا أشعر بالحرج وأنا أتعـرض لـكتابه فأختلف معه فى بعض الآراء خاصة وانه يعلم أننى لا أدين بمذهبه الفلسفى وانما أقف فى الناحية المقابلة من حيث الاعتقاد . ومحور الخلاف بيننا أننى أومن بأن الشروق يكون من الشرق لا من الغرب ، وأننى منـذ كتابى الأول « حقيقـة الفلسفات الاسـلامية » وأنا أقوم بمحـاولة طموحه هى الاتجاه « نحو فلسفة مصرية » بعد أن التمست بداية التعرف على ملامحـــــــا الفلسفية الأصيلة فى المدرسة الاسلامية الكبرى التى بدأها جمال الدين الأفغانى محرر النفوس ، ومضى فيها محمد عبده محرر العقول واستوى على قمتها عباس محمود العقـــاد واضـع الأيديولوجية الاسلامية الحديثة . وهى المدرسة التى تشبه فى كثير من الوجوه مدرسة الفلاسفة الاغريق : سقراط وأفلاطون وأرسطو .

من هنا كانت أولى مقـالات هذا الكتاب هى أخطر مقـــالات القسم الخاص بالفلسفة ولذلك سنقف عندها وقفة طويلة .

التفكير الفلسفى فى مصر المعاصرة

هو عنوان هـــذا المقال الذى حاول الدكتور زكى نجيب أن يؤرخ فيه للتيارات الفلسفية التى سادت مناخنـا الثقافى منذ حوالى نصف قرن ، واعتمد فى تأريخـه على منهج التصنيف الذى ينظر الى الظاهرة الفكرية نظرة «استاتيكية» خالصـــة فيحدد مساراتها القائمة ويتنبـأ باتجاهاتها المســتقبلة ويضعـها فى مكانها من الظواهر الأخرى . وهى نظرة قريبـة من نظرة أرسطو السكونية الى الكون فى مرحلة التاريخ الطبيعى حيث كان ينظر الى ظواهر الـكون فى ذاتهـا ليضع كلا منها فى مكانه الخاص من الاطار الكونى العام .

هكذا رأى المؤلف أن قوام الفكر الفلسفى فى مصرنا المعاصرة هو الدعـــوة الى الحرية والى التعقيل ، وبناء على هذه الرؤية صنف القائمين بهـا الى هواة ومحترفين ، من هؤلاء « الهواة » جمال الدين الأفغـانى فى رده على الدهريين ، ومحمدعبده فىشرحه لمفاهيم العقيدةالاسلامية ، واحمد لطفى السيد فى قيادته لحركة التنوير ، وطه حسينفى ادخاله للمنهج العقلى فىالدراسات الأدبية ، وعباس محمود العقـــاد فى دعوته الى مسئولية الفرد امام عقله فى فكره وعقيدته . على أنه عاد فصنف هؤلاء « الهواة » انفسهم الى صنفين : أحـدهما يجعل الدفاع عن الاسلام محور تفكيره ، والآخر يجعل هدفه الرئيسى الدعوة الى قيم ثقافية جديدة .

هؤلاء هم « هواة » الفلســـفة الذين مهدوا الطريق لمحترفيها ، ومحترفو الفلسفة ينقسمون بدورهم الى نوعين : واحـد يتخذ من معطيات الفلسفة الغربية مادة لدراسته فيتناولها بالشرح والتفسير ، ويبحث الآخر فى قضـــية الفلسفة الاسلامية فيدافع عنهـــا ويحاول أن يبعثها من جديد . فأما عن نقلة الفلسفة الغربية « فما من مذهب رئيسى من المذاهب المعـــاصرة ، أو من المذاهب التقليـــدية الا وقد وجد له من بين فلاسفتنا نصيرا » .. هكذا رأينا من بينهم من يبرز فكرة المذهب العقلى أكثر مما يبرز فكرة الحرية الانسانية كما فعل الأستاذ يوسف كرم ، ومن يبرز فكرة الحرية الانسانية أكثر مما يبرز فـكرة المـذهب العقلى كمـــا فعـل الدكتور عبد الرحمن بدوى . ورأينا من بينهم أيضـــا



من يناصر المثالية مثل الدكتور عثمان أمين ومن يناصر التجريبيــــة مثل الدكتور زكى نجيب محمود . وأما عن بعثة الفلسفة الاسلامية فقد جمعت بينهم محاولة الدفاع عن هذه الفلسفة ضـد القائلين بأنهـا ليست الا اصداء لفلسفة اليونان وان فرقت بينهم سبل الدفاع أو مناهج البحث ، وأبرز أفراد هــذا الفريق : الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » والدكتور ابراهيم بيومى مدكور فى كتابه « فى الفلسفة الاسلامية ـ منهج وتطبيق » والدكتور احمد فؤاد الأهوانى فى كتابه « فى عالم الفلسفة » والدكتور على سامى النشــار فى كتابيه : « نشأة الفكر الفلسفى فى الاســلام » و « مناهج البحث عن مفكرى الاسلام » .

وبعد أولئك وهؤلاء جميعا يجىء نفر غير قليل ممن كتبوا فى الفلسفة بشكل أو بآخر .. من نشر للتراث ومن ترجمــة للفلسفة الغربية ومن تأليف مذهبى وغــير مذهبى وكانما اقتصرت مناشطهم فى الفلسفة على حالات التفرج السلبى والتأمل الحيادى .

تلك هى خطوط العرض فى هــذا المقــال التصنيفى .. القيم والخطير فى آن . وتتمثل خطورة هذا المنهج التصنيفى فى النظرة الجزئية الى الظواهر ، تلك النظرة التى تؤدى الى عزل الظاهرة وتناولها فى ذاتها دون اعتبار للعلاقات المتفاعلة بينهـا وبين بعضها الآخر من ناحية ، وبينها وبين التيارات الأجنبية المؤثرة فيها من ناحية اخرى . وهــذا من شأنه أن يفضى فى النهاية الى عدم الاستبصار بالمنطلق الحقيقى لظواهر التفلسف فى مصر المعاصرة ، ومن شأنه ايضا أن يبقى هذه الظواهر فى اطر جزئية مقفلة لاتربطها بالواقع العربى ولا بالواقع العالمى نظرة دينامية موحدة .

وتتمثل خطورة هــذا المنهج ايضا فى النظر الى الظواهر نظرة أفقية لا تمكننا من الارتفاع الى تقييم حـالات التفلسف بين فريق الهواة وفريق المحترفين . فمما لا شك فيه أن فريق الهواة كانوا أشبه بفلاسفة الاغريق من حيث صدورهم عن ذواتهم الأصلية وتعبيرهم عن واقعهم الخاص واستجابتهم لاحتياجاتهم الملحة من أجل التحرر والاستمرار ، وبذلك كانوا آصل بكثير من فريق المحترفين الذين هم فى الواقع أشبه بفلاسفة الاسلام ، أولئك الذين انبهروا بتراث الاغريق فاكتفوا بالنقل والشرح وفى أسـعد الحالات بمحاولة التوفيق بين العقل والنقل أو بين الحكمة والشريعة . وكذلك محترفوا الفلســفة فى مصر المعاصرة انبهروا بتراث الغرب فوقفت تطلعاتهم الفلســفية عنـد النقل والترجمـة أو الشرح والتفسير وفى اسـعد الحالات عنـد محاولة « الجمع بين الحرية والعقل » . ومن ثم فهم جميعــا مرايا عاكسة لمنتجات الفكر الغربى وليسوا نظائرمشعة «لوجهة نظرعربيةخالصة» . وليغفر لى الدكتور زكى نجيب انفعالى اذا قلت

انهم لا يعبرون عن « الفكر الفلسفي في مصر المعاصرة » بقدر ما يعبرون عن الفكر الفلسفي في أوروبا المعاصرة .

أما عن القسم الآخر من محترفي الفلسفة ، أولئك الذين حاولوا تعبئة جهودهم للدفاع عن قضية الفلسفة الاسلامية ضد متهميها بانها أصداء لفلسفة اليونان فقد داروا في نفس الحلقة المفرغة التي دار فيها الأقدمون ، اذ حاولوا الذود عن حياض الفكر الاسلامي والرد على مفهميه من المستشرقين . غير أن هذه المحاولة وان صدرت عن نوايا طيبة الا انها تفضي في النهاية الى نتائج سيئة لأنها تعمى بصائرنا عن الكنه الحقيقي للحضارة الاسلامية وتقطع ما بيننا وبين جذور الفكر الاسلامي الأصيل ، فضلا عن أنها محاولة عاطفية خالصة لا هي علمية ولا هي موضوعية . والاستثناء هنا بطبيعة الحال هو الشيخ مصطفى عبد الرازق في محاولته وضع أصول المدرسة الاسلامية الخالصة : « المدرسة التي أرادت أن تكشف كشفا حقيقيا عن عبقرية الحضارة والفكر الاسلامي في مصادره الأصلية ، قبل وبعد أن يتصل المسلمون وأن يعرفوا التراث اليوناني » . ثم الدكتور علي سامي النشار في اثباته « أن المسلمين لم يقبلوا المنطق اليوناني على الاطلاق ، وأنه كان لهم منهج خاص في جميع علومهم العقلية والأدبية واللغوية بل وفي علومهم العملية » ومن ثم نظر الى فلاسفة الاسلام على انهم دوائر منفصلة عن تيار الفكر الاسلامي الأصيل ، لفظهم المجتمع الاسلامي واعلن أنهم لا يمثلونه في شيء . وبعد ذلك يجيء كاتب هذا المقال في كتابه « حقيقة الفلسفات الاسلامية » الذي أثبت فيه أن الفلاسفة الاسلاميين سواء في المناهج التي بحثوا بها أو في القضايا التي بحثوا فيها أو في النتائج التي انتهوا اليها لم يعبروا عن روح الحضارة الاسلامية بقدر ما عبروا عن روح حضارة الاغريق ، ومن ثم فان أصالة الفكر الاسلامي تلتمس عند غير الفلاسفة .. عند علماء الكلام ومن بعدهم علماء أصول الفقه . على أنه عاد فنظر الى كتابات هؤلاء العلماء على أنها بداية التعرف على ملامحنا الفلسفية أو هي البواكير الأولى للفكر الفلسفي الاسلامي الذي ارتطم بمشكلات جديدة واحتك بثقافات جديدة ليسفر عن فلسفة عربية حديثة انبثقت من دعوة جمال الدين الأفغاني ورسخت بفضل تعاليم محمد عبده وبلغت قمتها على يد عباس محمود العقاد ، وذلك في كتابه القادم « العقاد الفيلسوف .. أو نحو فلسفة مصرية » .

وأخيرا تتمثل خطورة هذا المنهج التصنيفي في عموميته الشديدة ، فهو يدخل ضمن فريق الهواة من هو من المحترفين وأعني به الأستاذ الدكتور طه حسين الذي بدعوته الى « قيم ثقافية جديدة . وقيم أوروبية بنوع خاص كان أولى به أن يوضع ضمن فريق المحترفين بل هو في الواقع الأب الشرعي لهذا الفريق . وهنا كان أولى بالتصنيف أن يأخذ وجها آخر فيكون بين فريق « الجامعيين » وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، وفريق « الصحفيين » الذي تمتد جذوره الى الأفغاني ومحمد عبده ، ويبدأ بدايته الصارخة على يد لطفي السيد وعباس محمود العقادمارا بسلامة موسىواسماعيل مظهر منتهيا الى أنيس منصور ومصطفى محمود .

ذلك لأن الدكتور زكي نجيب محمود قفل دائرة الهواة دون الكتاب المحدثين ، وقصر دائرة المحترفين على أساتذة الجامعة مما استتبع اثارة هذا السؤال : ألا توجد اتجاهات فلسفية خارج أسوار الجامعة ؟ .

وعندي أننا نستطيع أن نلتقي خارج أسوار الجامعة باتجاهات فلسفية ربما كانت أكثر أصالة ـ وان كانت أقل ثقافة ـ مما نجده عند كثير من أساتذة الجامعة . فكتابات أنيس منصور على الرغم من كل شيء تعبر عن ذهن ذكي نظيف يتخذ من انفعالاته مادة لكتاباته فيصدر عن ذات نفسه لا عن غيرها من الذوات ، وتلك هي الوجودية الصحيحة التي يستقل فيها الفرد بتفكيره وشعوره دون أن ينتمي لهذا الفيلسوف او ذاك ، لأن الانتماء لأي فيلسوف وجودي يناقض الوجودية في أساسها . ومن هنا كانت وجودية أنيس منصور آصل من

وجودية الدكتور عبد الرحمن بدوى التى يصدر فيهـا عن هيدجر ، ووجودية الدكتور زكريا ابراهيم التى يساير فيها كيركجارد .

وكتابات مصطفى محمود هى الأخرى على جانب كبير من الدفء والأصالة ، فهى صدى مباشر لاحساسه بالحياة ، وتعبير صادق منفعل عن جيلنـا القلق الحائر الذى يضع مثالياته ويذهب هو نفسه ضحية التجربة ، والذى اطفأ مصابيحه بيده وأعماه الظلام فأصبح فى حاجة ماسة الى اضاءة مصابيح جديدة .

وليغفر لى الدكتور زكى نجيب انفعالى مرة اخرى اذا قلت اننا لو توسعنا فى كلمة « فلسفة » واستبدلناها بكلمة « فكر » لاستطعت أن أقول ان زعامة الفكر قد انتقلت الى أيدى المفـكرين الصحفيين كمـا بدأت على أيدى المفـكرين الصحفيين .

و « فلاسفة معاصرون »

هو عنوان القسم الثـانى من هـذا الكتاب والقسم الأخير من الجزء الخاص بالفلسفة ، وفيه يتناول الدكتور زكى نجيب محمود مجموعة من الفلاسفة المعاصرين يربط بينهم الخط العلمى التجريبى فى الفلسفة ، متمثلا تارة فى الواقعية البريطانية عند رسل ومور وهوايتهد ، ومتمثلا تارة أخرى فى البراجماتية الأمريكيـة عنـد تشارلس بيرس ووليم چيمس وچون ديوى ، هـذا فضلا عن الفيلسوف والشـاعر چورچ سانتيانا .

وفى هـذه المقالات تتجلى لنا ثلاثة جوانب فى ثقافة الدكتور زكى نجيب محمود ، يتجلى لنـا عقل الفيلسوف الفـاهم ، وأسـلوب الأديب العذب ، وحس الفنان المرهف . فهو يعرض لنا مذاهب هؤلاء الفلاسفة عرضا ان دل على شىء فانما يدل على قدرة الدكتور على فهم مذاهب الفلسفة والتعبير عنها ، وهى قدرة لم نعهدها فى غيره من أساتذة الفلسفة ، حتى ليصدق عليه قول العقاد فى كتابه : « أثر العرب فى الحضارة الأوربية » . « ان قوة التفكير تقاس بالقدرة على فهم ما يبتكره الآخرون كما تقاس بالقدرة على ابتكاره » .



وهو لا يعرض لنـا مذاهب هؤلاء الفلاسفة عرضـا اكاديميا مشـحونا بأقيسـة المنطق ومصطلحات الفلسفة ، بل يقدمهم الواحد بعد الآخر فى أسلوب أدبى ممتع يجمع بين شفافية الفكرة ونغميـة العبارة . بل هو والحق يقال يرسم لهم « صورا Portraits » تذكرنا بكتاب برتراند رسل المشهور « صور من الذاكرة » الذى قرانا فيه رسـل الأديب فضلا عن رسل الفيلسوف .

ولـكى نسـتمتع أكثر وأكثر بالدكتور زكى نجيب محمود راسم لوحات الفلاسفة ، نتنقل الى الجزء الثالث من هذا الكتاب والمسمى « فى فلسفة النقد الفنى » لنقف وقفة قد تطول عند أولى مقالاته وأكثرها أهمية :

الصورة فى الفلسفة والفن

ففى هـذا المقال يحاول الدكتور زكى نجيب محمود أن يرد الصـورة فى الفن الى أصلها فى الفلسفة ، متخذا من التصوير دون سائر الفنون مادة لموضوع بحثه . فيرى أن الصورة اما أن تكون مشيرة الى شىء فى الطبيعـة الخارجية ، أو تكون كيانا مستقلا بنفسه مكتفيا بذاته ، أو تكون مشـيرة الى شىء فى طبيعـة الفنان

بذاته ، وها هنا يكون ارتكاز العمل الفني على تكوينه البحت .

ففى الحالة الأولى « يحاكى » الفنان جزءا من العالم الخارجى ، وفى الحالة الثانية « يعبر » الفنان عن جزء من العالم الداخلى ، وفى الحالة الثالثة « يخلق » الفنان تكوينه الفنى خلقا لا يحاكى شيئا فى الخارج ولا يعبر عن شىء فى الداخل .

فاذا وقف الفنان حيال الطبيعة يريد تصويرها ، فانما يكون فى احدى حالتين : فاما أنه يريد تصوير الطبيعة فى ظاهرها ، وهذا هو النقل الحرفى الذى تأتى فيه الصورة انعكاسا تاما للأصل المصور . أو أنه يريد تصوير الطبيعة فى صميم حقيقتها ، وهنا يكون تصوير الحقيقة فى أشكال ثلاثة : —

١ — فاما ان يجعل تلك الحقيقة أشكالا هندسية : وهنا تكون النظرية الفيثاغورية فى الفلسفة هى ما يقابل التكعيبية فى الفن .

٢ — أو تجريدا للجوهر : وهنا تكون نظرية المثل الأفلاطونية فى الفلسفة هى ما يقابل الفن الذى يجرد الشىء من جوهره .

٣ — أو ابرازا لوظائف الكائنات فى فاعليتها ونشاطها : وهنا تكون النظرية الأرسطية فى أن الصورة هى ما ينطبع به الكائن الفرد بحيث ينتمى الى نوع معين ، هى ما يقابل الفن الكلاسيكى .

وهذه كلها تفسيرات للصورة فى حالة ما اذا وقف الفنان حيال الطبيعة يحاول تصويرها لا فى ظاهرها بل فى صميم حقيقتها . على أن الفنان قد يقف وقفة أخرى يحاول فيها أن يجعل عمله الفنى اخراجا لطبيعته هو الداخلية ، وهنا يكون التحليل النفسى للشعور واللاشعور هو ما يقابله فى الفن مدارس التعبيرية والسيريالية . وقد يقف الفنان وقفة ثالثة واخيرة يريد بها لفنه ألا يصور شيئا فى الخارج وألا يعبر عن شىء فى الداخل ، وهنا يكون استقلال الفن فى عالم وحده ، عالم ثالث ، بين



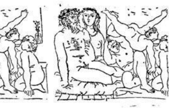
الطبيعة والذات ، هو ما يقابله التجريد الخالص فى الفنون .

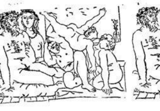
تلك هى وجوه الامكان التى تجىء عليها الصورة فى الفلسفة والفن ؛ عرضناها عرضا نتبين منه مقدرة الدكتور زكى نجيب محمود على هضم الفلسفة وتذوق الفن ، ومن ثم على توحيد الاتجاهات واقامة الروابط مما يسر التحليل والمقارنة واستخلاص النتائج العامة .

على أن الدكتور زكى نجيب محمود يكشف عن فهم عميق لمفهوم الفن الحديث حين يقول : « انه لا مندوحة لمن اراد أن يدخل عالم الفن الحديث عن اطراح مفهوم الفن القديم اطراحا تاما ، ومفتاح الدخول الى هذا العالم الفنى الجديد هو الا تنظر الى الصورة على أنها صورة لشىء مما يتبدى للعين » .

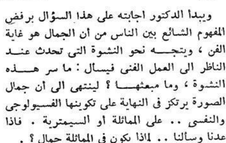
وهذا صحيح ، بل هو عين ما قلناه فى معرض الدفاع عن مسرح اللامعقول من أن عمل الفنان الدرامى الحديث ان بدا « لا معقولا » فلانه ابتكار ، والابتكار لا يكون كذلك الا اذا كان غير مألوف ولا معتاد . وان بدا عمله خاليا من المعنى فلانه لا يستطيع أن يفصح عن معناه ولأن الخلق نفسه هو المعنى . وان بدا أنه لا يدل على شىء فلأنه لا يصور شيئا وانما يخلق شيئا آخر جديدا . ومن هنا جاء بحث الفنان الدرامى الجديد عن عوالم اخرى جديدة ، وعن ايقاعات ومؤثرات جديدة ، بل وعن قيم ومبادىء فنية جديدة مغايرة لتلك التى اعتدناها من زمان فى الفن التقليدى القديم .

على أن الدكتور زكى نجيب محمود يعود فيطرح سؤالا على جانب كبير من الخطورة ، وأعنى به هذا السؤال : متى تكون الصورة « الفورم » جميلة ؟ .









ويبدأ الدكتور اجابته على هذا السؤال برفض المفهوم الشائع بين الناس من أن الجمال هو غاية الفن ، ويتجـه نحو النشوة التى تحدث عند الناظر الى العمل الفنى فيسأل : ما سر هـذه النشوة ، وما مبعثهـا ؟ لينتهى الى أن جمال الصورة يرتكز فى النهاية على تكوينها الفسيولوجى والنفسى .. على المماثلة أو السيمترية . فاذا عدنا وسألنا .. لماذا يكون فى المماثلة جمال ؟ .

أجاب الدكتور زكى نجيب محمـود بأن مبدأ السيمترية نفسه أو أن شئت فقل مبدأ الايقاع يمكن اعتبـاره شـيئا داخلا فى فطرة الانسان وطريقة تكوينه ، فالايقاع على فترات متساوية ظاهرة مألوفة فى طبيعة الانسان .. فبين ضربات القلب انتظام ، وبين وحـدات التنفس انتظام ، وبين النوم واليقظـة انتظـام وهـكذا ــ وعند الدكتور أن هذا الايقاع الفطرى فينا هو ما يجعلنا نتوقعه فى مدركاتنـا ، ونستريح اذا وجدناه ، ويصيبنا القلق اذا فقـدناه . من هنـا كانت السيمترية فى العمـارة ، وكانت المماثلة فى التصوير ، وكان الايقـاع فى الموسيقى ، وكان الوزن فى الشعر .

وبذكر الشـعر يمكننا ان ننتقل من البحث « فى فلسفة النقـد الفنى » الى البحث « فى فلسفة النقد الأدبى » وهو عنوان الجزء الرابع من أجزاء هذا الكتاب الذى ناقش فيه الدكتور قضية الشعر الجديد فى أربع مقالات .. المقالان الأوليـان ناقش فيهما الوجه النظرى لهذه القضـية ، وناقش الوجـه التطبيقى فى مقال « ما هكذا الناس فى بلادى » اشارة الى ديوان « الناس فى بلادى » للشاعر صلاح عبد الصبور ، ومقال « كان لى قلب » اشارة الى ديوان « مدينة بلا قلب » للشاعر أحمد عبد المعطى حجازى .

وربما كانت أهم هـذه المقالات جميعا من حيث تعبيرها عن رأى صـاحبها فى الشعر الجـديد مقال :

ما الجديد فى الشعر الجديد ؟

يبـدأ الدكتور زكى نجيب بمحاولة تعريف « الجديد » لكى يحدد مفهوم الشعر الجديد . وعند الدكتور أن الجديد هو ما جاء تعبيرا عن روح العصر ، أو هو « العصرى » الذى يتشرب القيم السائدة فى عصره دون أى عصر آخر بحيث لو ارتد بمعجزة الى عصر سـابق أو لاحق لـما أحس بالغربة الشديدة التى يؤثر عليها العدم ، كما حـدث لأهل الـكهف فى مسرحية توفيق الحكيم .

وهل ينطبق هذا التعريف على أنصار الشعر الجـديد وحـدهم ، وأشد الشعراء التزاما للقديم الا يعبر عن روح العصر ؟ .

لئن كان هذا هو المعنى الـذى يقصـد اليه أنصار الشعر الجـديد ، فلابد للسؤال فى رأى الدكتـور من سـؤال آخـر مؤداه : وماذا فى شعرهم ــ وليس فى شعر سواهم ــ مما يساير العناصر المميزة لعصرنا ؟ .

وهنا يناقش المؤلف قضية الشعر الجديد من كلا وجهيهـا : المضمون والشـكل ، أو الخبرة الشعورية والقالب الشعرى . فأما عن الخبرة الشعورية فلا يمكن أن تتخذ محكا للتفرقة بين جديد الشعر وقديمه وبالتالى لا يمكن أن تكون مسوغا لان يكون الأول جديدا والثانى قديما لأنه كما يقول الدكتور « اذا لم يتفرد كل شـاعر بخبرته الشعورية لما استحق أن يكون شاعرا على الاطلاق ، ودع عنك أن يوصف بكونه جديدا أو قديما » .

اذن فقـد سقطت قضية المضمون ولم تبق

الا قضية الشكل ، ولنعرف رأى الدكتور فيها هى الأخرى .

عند الدكتور أن الشكل والشكل وحده هو فيصل التفرقة بين الشعر القديم والشعر الجديد ، فالسمة المميزة للشعر الجديد هى التخفف من العناية بالشكل أو هى على الأقل عدم التزام الشاعر الجديد بالشكل التزام الشاعر الذى يحافظ على عمود الشعر الموروث . فاذا كان هذا هو الفرق بين الشعر القديم والشعر الجديد ، فرأى الدكتور زكى نجيب محمود أن « ما يسمى » « بالجديد » هو محاولة أريد بها أن تكون شعرا لكنها لم تبلغ أن تحقق لنفسها ما ارادت ، والفرق عندئذ لا يكون فرقا بين شعر « جديد » وشعر « قديم » بل يصبح الفرق فرقا بين الشعر وما ليس بشعر على الاطلاق .

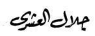
فعند الدكتور أن الشكل والشكل وحده هو ما يميز الفن فى شتى صنوفه ، وانه لو انهار الشكل لم يعد الفن فنا حتى وان بقى موضوعه كاملا لم ينقص منه شيئا . ويدلل الدكتور على أهمية الشكل فى الشعر بأن ما يخسره الشعر بالترجمة من لغة الى لغة اخرى أو بالنثر حين تنثر قصيدة الى نفس اللغة التى نظمت فيها « هو هذا وحده : هو الشكل » .

وما الشكل ؟ .

الشكل عند الدكتور هو : « ترتيب الكلمات على نسق معلوم بحيث يحقق نغما ، فاذا احتاج هذا النغم الى رابطة تربطه فى أجزاء القصيدة لجأت الى القافية واخترت لهذه القافية نفسها ترتيبا يحقق لهـا ما أردته منها ، وهو ربط الوحدة النغمية فى القصيدة » .

اذن فقد ضاعت على الشعر الجديد قضية الشكل كما ضاعت عليه قضية المضمون ولم يبق له شىء ، بل لم يعد له فى رأى الدكتور وجود على الاطلاق . وهنا نجد أن الدكتور زكى نجيب محمود سلالة عقادية أصيلة ، وأنه منغرس فى نفس التربة التى نبت فيها العقاد .

هذا هو كتاب « فلسفة وفن » للدكتور زكى نجيب محمود ، الفيلسوف الفنان الذى قد نختلف معه فى بعض الآراء ونتفق معه فى بعض الآراء ولكننا جميعا لا نملك الا أن نحبه ونحترمه لحضانته لقضايا الفكر وانفعاله بمشكلات الأدب وريادته لفضاء حياتنا الثقافية فى الوقت الذى تخلف فيه الآخرون فظلوا فى منطقة انعدام الوزن .



سطور من كتاب .....

« من أين تقدم أنت ياطفلى العزيز ؟
« من قمة البرد الشديد »
ماذا تود الآن ياطفلى العزيز ؟

« انى أتوق الى فتور نسيج ثوبك »
فلترقص الأعضاء فى ضوء الشموس
وعلى حفافيها تصاعيد العيون !

... مسرحيات لوركا

الفنّ الإسلامى فى العصر الأيّوبى

تأليف
الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق
الناشر
المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر
(المكتبة الثقافية) قطع صغير : ٢

بدأ المؤلف يقدم للكتاب مبينـــا أن العصر الأيوبى لم يكن ذلك العصر الذى اجتاحته الحروب ضد الصليبيين فقط بل شاعت فيه كذلك نماذج الفن الاسلامى الذى ازدهر وتحددت فيـه ملامح جديدة رغم أن العصر لم يستمر أكثر من ثمانين عاما ٥٦٧ - ٦٤٨ هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠ م٠ وبالنظر الى التاريخ نجد أن صلاح الدين الأيوبى لم ينشىء له عاصمة جديدة بمصر كما فعل أسلافه بل نراه يجمع الفسطاط والعسكر والقطائع والقـــاهرة ليربطها بسور عظيم ، ولايزال برج الظفر بجدرانه العظيمة وتخطيطه الجميل وزخارفه المحفورة فى الحجر وقبته الحجرية يؤكد عظمة وتقدم العمارة الحربية فى ذلك العصر ٠

لقد اختار صلاح الدين مكانا أمينا يشرف منه على البلاد ويحميه كيد الأعداء فبنى « قلعـة الجبل » ولاتزال الكتابة الأثرية التى تتوج أقدم أبواب هذه القلعة المعروف باسم (الباب المدرج) تتضمن نصا يشير الى أن صلاح الدين هو بانيها٠

ولعل أبرز مافى العصر الأيوبى من اهتمام بالفنون الحربية تلك الأبراج التى نشاهدها فى السورين الشرقى والغربى والتى تكشف لنا عن مدى تطور بناء الحصون والقلاع نتيجـة تأثرها بقلاع وحصون الصليبيين فى الشـــام - كذلك نرى أن طريقة ايصال المياه الى قلعة الجبل يدلنا على نضج الهندسة المدنية فقد كانت المياه ترفع من النيل بواسطة سواقى الى ترعـــة محفورة فى قناطر بنيت لأجل هذا الغرض ٠

ثم يحدثنا الكتاب عن اهتمام صلاح الدين بالجيش وخاصة الأسطول كما اهتم أيضا بالموانى فهناك لوحة تذكارية بمتحف الفن الاسلامى تخلد بعض المبانى التى شيدت من ناحية «باب سدرة» وهى مكتوبة بالخط النسخ الذى لم يكن شائعا فى مصر قبل ذلك العصر ٠



كذلك يشير الكتاب الى أن الفنان العربى تجلت عبقريته الخلاقة فى الكتابة العربية فهو لم يستوح فن الكتابة من الامم السابقة التى خالفها لما كان فى الحروف العربية من رءوس وأقواس وخطوط رأسية وأفقية أوحت له خلق عنـــاصر زخرفية شتى ٠

ولم يختف الخط الكوفى الذى كان شائعا فى مصر عصر الفاطميين - من مصر دفعة واحـدة بل ظل مستعملا الى جوار الخط النسخ على تحف كثيرة ، واستعمال كلا النوعين معا على تحفة واحدة من العـلامات المميزة للتحف الأيوبية والتى على أساسها نستطيع أن نرجح - فى بعض الأحيان - نسبة هذه القطع الفنية الى ذلك العصر ، وقد استمر استعمال الخط الـكوفى فى كتابة الآيات القرآنية والأوعية وسجلت النصوص التاريخية بالخط النسخ ٠

ومن أروع التحف الخشبية الأيوبية تابوت الامام الشافعى الذى صنع من خشب الساج الهندى وهو على هيئة منشور يعلوه جزء هرمى وجوانبه مغطاة بحشوات منقوشة بزخارف نباتية دقيقة الصنع وهذه الحشوات فى مجموعها تمثل أشكالا هندسية من نجوم ومثلثات والأجزاء الحابسة لها (السدايب) محلاة بخطوط متوازية محفورة زادتها جمالا .

ولم تظهر الحشوات بهذه الدقة الفائقة الا فى أواخر العصر الفاطمى وكان السبب فى استعمالها هو استيراد الأنواع الجيدة من الخشب ، الأرز والصنوبر والساج وأيضا استيراد الأبنوس والعاج فقد سببت الحروب الصليبية ارتفاع أثمانها مما حمل النجار المصرى على التدقيق فى استعمالها فلم يفرط فى أى قطعة منها مهما صغر حجمها .

وقد بنى صلاح الدين التربة التى يرقد فيها تابوت الامام الشافعى ولها باب بمتحف الفن الاسلامى وهو مكون من مصراعين من الخشب يغطى من الخارج بصفائح من النحاس تزينها قطع بارزة على هيئة نجوم وتظهر من الداخل الحشوات الخشبية ذات الزخارف النباتية الجميلة .

ولما توفى صلاح الدين ٥٨٩ هـ /١١٩٣ م . خلفه ابنه العزيز بالله عثمان الذى ترك لنا لوحة تأسيسية من الخشب تتضمن نصا بالخط النسخ تكشف لنا عن مدى عناية الأيوبيين بالصوفية والتصوف فلم يكن العصر الأيوبى عصر حرب وقتال بل اهتم بالدنيا والدين معا فالى جانب المشاهد والخوانق كانت تشيد المدارس والقياصر.

والخوانق تشبه الاديرة المسيحية تتكون من صحن مكشوف تطل عليه حجر صغيرة متعددة يعيش فيها المتصوفة ثم ايوانات اربع أكبرها ايوان القبلة حيث يقيمون صلواتهم .

أما القيصرية فهى السوق المسقوفة لحماية الناس من أمطار الشتاء وحر الصيف وتصطف الحوانيت على جانبيها ويبدو أنها من التأثيرات البيزنطية حيث أن الاسم مشتق من كلمة قيصر.

ومن أهم آثار الملك العادل سيف الدين أخو صلاح الدين . قبة الامام الشافعى وترجع آهميتها الى أنها الاولى من نوعها صنعت من الخشب الذى كسى بالرصاص وهى حافلة بالزخارف من الداخل والخارج على السواء ، تسودها الروح الأندلسية، ويعلو قبة الامام الشافعى مركب صغير مثبت فى هلالها ويرجع أن السبب فى انشائها هو أنها رمز لما عرف به الامام الشافعى من علم غزير فشبه بالبحر أو أنها كانت توضع بها الحبوب لاطعام الطيور أو أن هناك صلة بينها وبين مركب الشمس الفرعونية وهذا الرأى مستبعد لبعد الصلة التاريخية بين ظهورها فى الفن الاسلامى وظهور المركب الفرعونية فى العصور القديمة بمصر ويجاور تابوت الامام الشافعى تابوت زوجة الملك العادل وبالقرب منه أيضا ضريح فخر الدين اسماعيل بن ثعلب ولم تبق سوى واجهته الحجرية المكونة من مربعات عليها زخارف نباتية بديعة وكتابة نسخية وقد كان للصلات التجارية بين الأيوبيين والجمهوريات الايطالية أثر كبير فى توافد التجار الأجانب الى مصر فأنشئت لهم الخانات أو الوكالات وهى أبنية بها صحن مكشوف وغرف مختلفة وأماكن للدواب وكانت تتكون من عدة طوابق أعدت العلوية منها لنزول المسافرين وأما الطابق الأول فبعض غرفه تفتح على الصحن ليحفظ فيها التجار بضائعهم وبعضها يفتح على الخارج وتستخدم كحوانيت لبيع السلع أو مبادلتها خلف الكامل أباه العادل ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م وقد عنى بنشر المذهب السنى فأنشأ لهذا الغرض المدرسة الكاملية التى لم يبق منها سوى قطع من الجص المزين بزخارف نباتية تبدو فيها الروح الأندلسية وقد عرفت بمدرسة الحديث لاقتصارها على المشتغلين بدراسة الحديث .

ويشير المؤلف الى أن نظام الوقف كان له أثر كبير فى تطور واستمرار الفن الاسلامى ونضجه فقد كان من أهم أغراضه عمارة الأعيان المحبوسة لضمان بقائها واستمرار استغلالها أن كانت مما يستغل أو عمرانها ان كانت منشآت عامة ، كما ندين لنظام الوقف بما نجده فى الوقفيات من وصف لهذه العمائر يتضمن كثيرا من المصطلحات الفنية التى يحتاج اليها الباحثون فى الفنون .

وقد ورث العرب عن الأمم السابقة الاسطرلاب

ويوجد نموذج منـــه من عصر الكامل بالمتحف البريطاني بلندن مصنوع من النحـــاس ومزين بزخارف محزوزة وزخارف منزلة بالفضة تمثل عناصر نباتية وصور آدمية وحيوانية ٠

أما الحفر فقد كان معروفا عند العرب قبل الاسلام وأما التكفيت أو التنزيل ، فقد كان لنهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن استعمال الفضة الخالصة أو الذهب الخالص أثر فى ابتكار هذه الطريقة – وهى عبارة عن الحفر على المعدن حفرا عميقا ثم ملء الأجزاء المحفورة بالذهب أو الفضة ووصـــلنا من عصر الكامـــل ابريق بمتحف (المتروبوليتان بنيويورك) وهو مصـــنوع من النحاس المكفت بالفضة ويزدان سطحه بزخارف دقيقة ٠

توفى الكامل ٦٣٦ هـ/١٢٣٨ م٠ وخلفه ابنه العادل الثانى ووصلنا من عهده ثلاث تحف :

أولها محفوظ بباريس وهو عبارة عن خشت منزلة بالفضة وفى الخارج نقوش نرى فيهـــا مشاهد الصيد وهى تتسم بالحيوية والحركـــة وزخارف نباتية كما يقول ريس Rice – دارس هذه القطعة – انها فريدة من نوعهـــا فى الفن الاسلامى ، وثانيها صندوق اسطوانى من النحاس المكفت بالفضة بمتحف فيكتوريا بلندن ، أما التحفة الثالثة فهى مبخرة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وهى من النحاس المكفت بالفضـــة ويزدان بدن المبخرة بأحزمة ثلاث بأعلاها وأوسطها كتـــابة بالخط النسخ تنتهى بصور أشخاص فى مناظر صيد وطرب ويتخللها رسوم حيوانية ٠

خلف العادل الصالح نجم الدين أيوب ومن أبرز الآثار الأيوبية فى عهده المدرسة الصالحية التى عمت واجهتها التجاويف وقد اتخذت لفتح النوافذ فيها ، ومن أبرز الخطوط الجـديدة فى العمارة الأيوبية تلك المقرفصات والتى تعد أيضا من أخص خصائص الفن العربى ومن الجائز أنها تعريب لكلمة (كورفيس) اليونانية ولكنها فى الغالب جاءت من كلمة مقرفص العربية (أى يجلس القرفصاء) وهى تسمى فى المغرب بهـذا الاسم – وأيضا نلاحظ تطور قمة المئذنة التى أصبحت مضلعة الشكل ٠

وهناك ممر يقسم المدرسة الى قسمين بكل منهما قاعتان للمحاضرة بينهما صحن مكشوف وكل قاعة خصصت لتدريس مذهب من المذاهب وتؤدى احداهما وظيفة المسجد حيث يوجد بهـا محراب ومنبر لتأدية الصلاة ٠

ومن آثار الصالح نجم الدين خشت بمتحف الفن الاسلامى يحمل اسمه وهو مصـــنوع من النحاس المكفت بالفضة وعليه كتابة بالخط النسخ وخشت آخر بمتحف فرير بواشنجتن وهو أيضا من النحاس المكفت بالفضة عليه كتابات نسخية وكوفية وزخارف نباتية تعرف « بالارابيسك » تنتهى الفروع فيها برءوس آدمية وحيوانية وتبدو عليه التأثيرات المسيحية فهناك مناظر تصـــور العشارة – العذراء والطفل – العشاء الربانى ٠

ويشير المؤلف الى ازدهار التصوير فى عهد الصالح نجم الدين الذى عاش فى عهده العالم رشيد الدين الصورى صاحب كتاب الأدوية المزدان بصـــور كثيرة توضح مادته ٠

ويشير المؤلف الى ذيوع التصوير على مختلف التحف الخشبية والمعدنية والزجاجية وذلك على الرغم من اثارة الشبهات حول تحريمه الا أن المؤلف يشير الى الآية القرآنية (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ... قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) – من هنا يتضح أن الاسلام يوجهنا الى قيمة الفن فى الحياة ٠ ولكن كراهية الرسول صلى الله عليه وســـلم للتصوير فى المساجد فى بداية الاسلام راجع الى رغبته فى السمو بالاسلام كدين روحى مجرد من كل فكر مادى ٠

وعنـــدما توفى الملك الصـــالح نجم الدين ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م دفن تحت قبة غنية بعناصر فنية معمارية جـــديدة يستلفت النظر فيهـــا ١ – رخام المحراب الذى لم يصادفنا من قبل ٠ ٢ – استعمال الشبابيك من النحاس المزخرف ذى الأشكال الهندسية ٣ – استعمال الشبابيك الجصية ذات الزجاج الملون ، وســـد الشبابيك بالجص – كما يحدثنا المؤلف – عرف منذ عهـد

الدولة الأموية الا أن الفنان الأيوبى أدخل عليها الزجاج الملون ٤ – بقايا فسيفساء زجاجية فى طاقية المحراب وهذه ورثها العرب عن البيزنطيين.

ويشير الكتاب الى أن تطور فن القبة فى الفن الاسلامى يتضح متتابعا فى مصر فقد بدأت منذ العصر الفاطمى بسيطة محمولة على أربعة تجاويف ثم وصلت الى ثلاث طبقات أو حطات ، الطبقة السفلى تتكون من خمس حنايا والطبقة الوسطى انقسمت الى سبع حنايا والطبقة العليا انقسمت الى ثلاث حنايا وتكون فى مجموعها ما يعرف بالمقرنص .

لقـــد لمس الـــكتاب فى ثنـــاياه معظم الآثار الخشبية أو المعدنية فى العصر الأيوبى ثم تطرق الى أحد فروع الفن التى اختص بها ذلك العصر وهى رسم الزخارف بالمينا على الزجاج ، والمينا عبارة عن عجينة من الأكاسيد المختلفة التى تسحق مع قطع صغيرة من الزجاج ثم تخلط بمادة زيتية ثم تتحول الى محلول بواسطة الحرارة فى درجة معينة ، ويختلف لون العجينة باختـــلاف الأكاسيد فأكسيد النحاس يعطى اللون الأحمر مثلا ، ويفخر المتحف الاسلامى بحيازته لقارورة ذات شكل متناسق وزخرفة جميلة منزلة بالمينا تعبر عن ذوق رفيع .

ويختفى من مصر فى ذلك العصر الخزف ذو البريق المعدنى والذى ذاع فى العصر الفاطمى من قبل بسبب احراق مصانعه بالفسطاط وهجرة صناعه الى خارج البلاد وحل محله نوع من الخزف اصطلح على تسميته بالخزف الأيوبى ويمتـــاز بطينته الرقيقة وجمـــال تزجيجـــه وأرضيته الخضراء أو المائلة الى الخضرة وزخارفه السوداء التى تتميز بالمهارة فى رسم الفروع النباتية التى امتازت بأنها رفيعة ولها أوراق مدببة ورسمت عليها أيضا الحيوانات والطيور التى نلمس فيها الحركة والحياة وفى نهاية الكتاب اشـــارة الى استمرار ازدهار صناعة النسيج ويرجع المؤلف السبب فى ازدهارها الى التقـــاليد العربية الاسلامية مثل تقليد كسوة الكعبة وتفضـــيل العرب للثياب عند الاهداء وعادة منح الخلعـــة وأيضا استمرار (دور الطراز) الحكومية .

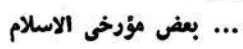
وبعد أن استعرض الكتاب أهم العنـــاصر الزخرفية الفنية والمعمارية التى برزت فى العصر الأيوبى والمح الى ما ابتكر منها والى ما كان شائعا منها ثم ازدهر أو تطور يختتم السيد المؤلف هذا الكتاب القيم بقوله « ان العصر الأيوبى يعد من عصور الانتقال التى تعتبر ذيلا لما قبلها وتمهيدا لما بعدها .... فانه – أى العصر الأيوبى – ان كان قد استفاد فعلا فى بعض نواحيه من التراث الفاطمى الا أنه قد مهـــد فى نواح أخرى للمماليك من بعده وأثبت كيانه وبرزت شخصيته فى فن الحفر على الخشب وفن تكفيت المعادن .

محمد محب منصور

سطور من كتاب .....

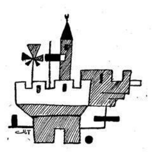
« التاريخ ليس لونا من ألوان الأدب فحسب، بل هو وثيق العلاقة بأسمى ضروب الأدب وهو الشعر ، وقريب الشبه به ، والواقع أن حاضرنا النثرى فى كل لحظة من اللحظات يتساقط ويهوى فى ليل الماضى الشعرى ، والمؤرخ الذى يستطيع أن ينشر لنا صحف الماضى المطوية لابد أن يستميله هذا الماضى ويثير عواطفه وشجونه ويأخذ عليه مسالك خياله وسبحات أوهامه .. أى لابد أن يصبح شاعرا الى حد ما » .





... بعض مؤرخى الاسلام





تأليف: محمد عطا

مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٣ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ٢٨ قرشا

يحكى كتاب المملوك العاشق عن هزيمة طومان باى سلطان مصر المملوكى أمام الأمير الغورى .. وتولى هذا الأخير سلطان مصر . وتفشل محاولات السلطان المخلوع فى الثأر لهزيمته واستعادة سلطته .. لأنه كان قد استعان بصديقيه المملوكين جانى بك والشامى بك .. فخاناه .. اذ دبرا فى الخفاء مؤامرة مع السلطان المنتصر وحاجب حجابه مصر اباى ووالى القاهرة المدعو طومان باى .. قتل من جرائها السلطان المخلوع ، لكن حارسه الأمين الأمير ألماس تمكن من الافلات وأخذ على عاتقه الثأر لدم سيده . وتدور أحداث الكتاب كلها بعدئذ حول هذا الفارس المخلص الشجاع ..

فيضيف السيد المؤلف الى الكتاب قصة حب بين هذا المغامر وبين الأميرة هند ابنة السلطان المقتول . فتبادله هند حبا بحب .. لكنه حب يلقى من العنت والدس الكثير على يد الخوند فاطمة زوجة أب هند ، وينقسم القصر بين مؤيد لحبهما مثل الوصيفة صباح والأغا مسرور ، وبين ساخط عليه معارض له مثل الوصيفة سناء . وما كان كره الخوند لهذا الحب الا لرغبتها فى تزويجها بمملوك من ذوى الحظوة والجاه اللذين تعبدهما ، لذا فان اختيارها كان قد وقع على حاجب الحجاب الجديد خير بك كى يكون زوجا لهند ، فتحقق لنفسها من خلاله مجدا سليبا ..

ويتدله ذلك العجوز بحب هند ، ويبذل فى سبيل القرب من قلبها كل نفيس .. فيستغل ماله ومنصبه ودهاءه لتحقيق رغبته .. دون أن يلقى لهثاته الخافقة التفاتا أو تجاوبا .

بينما نرى ألماس مطاردا لايجد مكانا يؤويه غير كيمان طولون بين منسر المحمدى الذين كانوا يهاجمون قصور المماليك وقوافلهم لينهبوها .. فيشاركهم مغامراتهم ويقتسم معهم مغانمهم ، ثم يتخلى المحمدى شيخ المنسر عن الزعامة لألماس .. ويصبح الأمير المملوكى شيخ منسر .. يتصدر عصابته فى كرات نهب جريئة .. الأمر الذى يستثير دهشة الناس فيتندرون بتهالك السلطان ومملوكيه .. وينتهز ألماس فرصة شعبية رجاله هذه !! ويتقرب من الأهالى ويستثيرهم للوقوف فى وجه السلطان ورجاله ويرفضون دفع ضريبة عشرة شهور مقدما من أجرة أملاك القاهرة والثغور، ويهجمون على قصور المماليك وينهبون ثرواتها ويصيبون طراباى .. لكنهم وقفوا عند هذا الحد دون مهاجمة قصر السلطان . ثم يتسلل ألماس بعد كل هذا الى هند ليضع بين يديها كل ما اغتنمه من جواهر ، وليبرر لها فعلته ويقنعها بقبول ما غنم كمقدم صداقه لزواجهما .

وتتوالى الأحداث ، فيكشف السلطان مؤامرة تدبر لخلعه يقوم بها والى القاهرة مصرباى فيقبض عليه ، ويطيب ألماس نفسا بهذا لانه

استراح من عدو لدود له يقض مضجعه ، ويواسيه حسن الطالع مرة أخرى .. فيفر جاني بك والشامي بك من سجنهما الذي أودعهما فيه الغوري بعد أن ساعداه في قتل السلطان طومان باي .. يفر الاثنان ويندما على فعلتهما ، ويتفق الثلاثة على تعبئة مقاومة منظمة ضد الغوري، فينجح الثلاثة في ضم فريقي مماليك الظاهر قنصوه والأشرف جانبلاط اليهم .. لكن لايلبث الحظ أن يتخلى عنهم فيهزموا هزيمة نكراء أمام السلطان وطراباي ، ويفر الثلاثة ليدبروا خطته للسطو على النعل المحمل برواتب الجند كانتقام ووسيلة لاثارة الجنود ، وينفذوا خطتهم ويفوزوا بألفي ألف دينار ، يتوجه ألماس بعدها توا الى هند مقدما لها نصيبه من هذا الغنم .. فيقابل خير بك بلباي خارجا من لدنها .. ومن هنا تبدأ صور من الصراع النفسي والغيرة المشبوبة لتدفع بأحداث الكتاب عدة دفعات تشكلت بمقتضاها موقف كل من الخوند فاطمة وهند والمملوك العاشق ألماس . اذ يضيّق رجال السلطان الخناق على جاني بك والشامي بك ويقتلاهما ، فيهرب ألماس الى الشرقية ، ويمكث لدى شيخ العربان عز الدين بن علاء الدين بن قرطام مدة عام ، يبدى خلاله من ضروب الشجاعة والاقدام الوانا في مقاومة حملات السلطان التأديبية .. مما دعى أهل القبيلة الى تلقيبه بصقر الشرقية . لكن هواه يغلبه على أمره ، فيدفع به الى رؤية هند ، ويصطحب معه الى القاهرة صديقه الجديد ابن بيسار .. وهناك وجدا أن قصر هند قد أمسى خرابا ، ويبحث ألماس عنها حتى يعثر عليها في قصر جديد ببولاق مع الخوند فاطمة التي دهمها مرض خطير، ويتمكن - بحيلة - من دخول القصر ، ويمضى الليل بطوله في حجرة حبيبته هند يستعيد معها الأيام الخوالي ليشطحا في الخيال بحثا عما سوف تأتي به أيام وأيام .. وفي الصباح يعود مع صديقه الى الشرقية حيث تدور معركة وحشية بين العربان وبين رجال كاشف الاقليم الجديد الأمير أقباى .. معركة تناثرت فيها مئات الرؤوس وقتل ابن بيسار وأسر ألماس . فكان وقوع الماس في الأسر قمة

الأزمة لدى هند ، ورأس الحربة التي استغلها خير بك بلباى والخوند في الضغط على هند لتقبل الزواج به مقابل ضمان الافراج عن ألماس .. خاصة وأنه كان قد تمكن من استصدار حكم من السلطان باعدامه .. وبين صدرين كلاهما قدمن صخر ، أو بين أمرين كلاهما جحيم .. تخضع هند لواقع المأساة .. فتعاهد العجوز بلباى على الزواج منه . ويهرول هذا الى السلطان متلعثما ليطلب سحب الحكم السابق والصفح عن ألماس، ويجاب الى طلبه بعد أن يكون قد دفع ألفي دينار لضحك الغوري على باى . ويصبح المحكوم عليه بالموت حرا ويتنسم أنفاس الحياة خارج السجن.. فينطلق الى ضالته هند مبشرا ومطمئنا .. بينما تتقلب هي على نصلين مصوبين نحو قلبها يتهدداه، لكنها تتماسك أمام الماس .. وتلقاه بالصد تظاهرا بالكره ومعلنة قبولها الزواج من العجوز بلباى .. فيفجعه النبأ ، وينسحب يجر أقدامه من هول المفاجأة .. ليخلى لها الطريق ، بينما يعتصر قلبها عذاب التضحية ، وتظل شاخصة اليه كمن تريد أن تشده لناظريها لئلا يختفى وترسل في أثره جواهر ودنانير مع الاغا مسرور كيلا تنحرف حاله . وفي تلك الأيام انتشر الطاعون في مصر واشتدت وطأة المرض على الخوند .. بينما الاستعدادات قائمة لعقد القران، لكن أخبار هذه الاستعدادات أغضبت السلطان عليه ، فاستدعاه اليه وأخذ في تأنيبه على عدم مراعاته لمشاعر الناس وأحاسيسهم .. اذ لم يخل بيت وقتها من مناحة ميت عزيز ، ويضطر بلباى الى تأجيل موعد قرانه لأجل غير محدد ، ثم ماتت الخوند فاطمة ، وبدأت هند تعاني الوحدة ، ويلح عليها الشوق الى ألماس .. فتبعث الأغا مسرور يتنسم لها أخباره ، ويكشف الأغا عن حقيقة سيدته وموقفها من الابقاء على حبه او الابقاء على حياته.. ويلح الأغا على ألماس في ضرورة الوقوف بجانب هند والأخذ بيدها في موقفها ذاك المحير .. ويتملكه تيار الذكريات جارفا أمامه كل كتل الغضب .. فتصفو روحه ، ويهديه فكره الى ضرورة ذهاب هند الى عمها الأمير سيباى نائب حلب بحجة مرضها .. وهناك حيث يمكنه أن

يلحق بها .. يستطيع أن يقنع عمها الذى يكره بلباى بموقفه ويتزوجها .

وتسير هذه الخطة على هواه ، ويودعها رجال بلباى عند أطراف الصحراء للاستشفاء عند عمها ثم تعود .. لكن ألماس يلحق بها كما رسم ، وتدور معركة بينه وبين بعض العربان الذين يسطون على القوافل انتصر فيها عليهم وشتتهم . وفى حلب يتزوج ألماس بهند ، لكن القدر لم يمهلهما غير سنوات قليلة ، بدأ العثمانيون بعدها فى غزو دولة المماليك ، فيموت ألماس وهو يدافع عن الشام مع الأبطال من بنى جلدته .



والى هنا تنتهى الأحداث التى تضمنها الكتاب .. والتى اقتصرت على حقبة من التاريخ معينة .. حقبة أفول نجم دولة المماليك وما يصاحبها من عوامل ضعف أدت الى هذا الزوال .. فهل استمتعنا بتلك الأحداث باعتبارها مكونات لقصة عامة أولا ، وقصة تاريخية ثانية؟.. أم نقف مع المؤلف عند النقاط المضيئة فقط التى سلط عليها أضواء فنه طوال هذا البناء الأدبى.. الا وهى المغامرات التى قامت بها الشخصية الرئيسية .. شخصية المملوك العاشق أو الأمير ألماس .. منذ نشأته فى كنف سيده السلطان حتى مماته .. ؟ .. حتى نخرج منها بأخبار وفيرة عن سيرة العاشق المملوك .. فنرى أن عشقه قد ساقه الى خوض غمار معارك مهلكة لامحالة .. لكنه يخرج منها سليما معافى .. مما يسوقنا نحن بدورنا الى أن نستشعر مذكرات أسامة بن منقذ المسماة بكتاب الاعتبار .. حيث تدور معظم مغامراته وتجاربه حول أستحالة موت الانسان قبل أن يحل أجله حتى ولو رمى بنفسه الى التهلكة . لكن مالنا وهذه المذكرات !! ومالنا بهذه الحيرة بين الاعتبارين .. كتاب سيرة المملوك ، أو القصة التاريخية للملوك !! طالما أن الأستاذ المؤلف قد صدر كتابه النابض بالحب والنزال بهذا التحديد القاطع « قصة تاريخية طويلة »..!!

فهل لنا أن نعتد بها ونعتمد عليها كمرجع فى دراسة تاريخية لهذه الحقبة ! .. هنا – ومن خلال القصة التاريخية « ويفرلى » – تتصدى للرد روح الاديب الاسكتلندى ولترسكوت الأب الأصلى لهذا النوع من القصص .. تتصدى لتؤكد عدم التقيد بحقائق التاريخ ، وخاصة ان كانت تقف عقبة فى سبيل فنية القصة .. ويبدو أن كاتبنا الأديب قد اختط نهج سكوت والكسندر ديماس من بعد فى هذا السبيل .. خاصة وأنه لم يزود كتابه بقائمة المراجع التاريخية التى استقى منها هذه الأخبار . ولهذا فقد وجب علينا أن نقرأ قصة « المملوك العاشق » على أساس المبدأ الذى سار عليه .. مبدأ الحرية القصصية .. فلا نطالبه بالتزام حرفية الأحداث التاريخية ، وأصبح لزاما علينا أن نقتصر فى نظرتنا للمملوك العاشق على مفهوم هذا النوع من القصة .. فهو عبارة عن سجل لانسان ما .. بتصرفاته العقلية .. وانفعالاته العاطفية .. فى قالب تاريخى . وعلى هذا فلابد أن يتوافر هنا عنصران .. عنصر الفهم لحقائق وروح الحقبة التاريخية المختارة ، وعنصر الفهم لأهمية هذه الشخصية المنتقاة من بين هذه الحقبة ودورها المتفاعل معها ...

فما الذى فهمناه من مضمون القصة ؟ .. اننا أمام مملوك مغلوب على أمره بسبب هزيمة سيده ، ويحاول استعادة ماء وجهه أمام ابنة هذا السيد المنكسر حتى ينال رضاها وحبها .. فكيف السبيل ؟ .. أن يقض مضجع السلطان المنتصر ، وان تمكن من الايقاع به هو وأعوانه فلاضير .. ولكن ماهى الوسيلة ؟ .. هل لجأ الى الشعب ليسانده ؟!!.. انه مملوك لايثق بقدرة هذا الشعب .. لذا فان المؤلف قد ألجأه الى جماعة من اللصوص .. ليسطو معها على القصور والبيوت يسلبها أموالها .. حتى عندما يضيق عليه الخناق ويهرب الى الشرقية يمكث لدى البدو فى الصحراء بعيدا عن المصريين ، وحين يهزم البدو

ويؤسر ألماس ثم يفرج عنه الغورى ينغمس فى المفاسد ويجلس فى « البوزة » مع النـــاس .. وكأنهم أهل المفاسد !! بل اننا نراه يســتعين بمملوكين كانا قد خانا سيده وتسببا فى مقتله.. فيسطو معهم على رواتب الجند وينهبونها . ويظل سائرا فى هذا الخط المنعزل عن المصريين والمعوج خلقيا الى آخر القصة .. حتى انه وهو خارج من مصر مهاجرا وراء حبيبته هند .. لايفوت المؤلف أن يذكر القارىء بلا أخلاقية الأعراب !! فتسطو جماعة منهم على الركب ويقف ألماس منهم منافحا ومدافعا حتى يشتتهم .

فان كان من فائدة عادت على القارىء فلابد وأنها النتيجة النهائية فى اعتبار هـذه الحقبة .. فترة لصوصية واختلال أمن شديدين .. ومن ثم يصبح أجدى بهذا المملوك أن يسمى باللص العاشق .. هذا اللص الذى سار على نمط واحد طول القصة .. لم تطوره أحداثها ، ولم تؤثر فيه شخصياتها الا فى حدود القاء الضوء على أخلاقه المملوكية . لكن أحداث القصـــة قد نجحت فى اعطائنا صورة واضحة لمعالم هذه الفترة فى مصر، وما كنت آمل فى شىء الا فى استغـــلال السيد المؤلف مبدأ الحرية القصصية الذى اختاره لقصته فى تقليم مضمونها .. خاصة وأن الشخصـيات كلها كانت جانبية ازاء الشخصية الرئيسية .. فكان فى مكان استغلال فاعليتها فى توضيح بعض المواقف مثل شخصية التاجر المصرى شمس الدين وابنه من بعده . ومع ذلك فقد عشت لحظات نعمت فيها بأحداث القصة ومواقفها العديدة كما لو كانت شريطا تصويريا يدور فى تؤدة وايقاع متمهل .. لايحتاج الى غير التفـــاتة من مخرج متمرس أو هيئة مهتمة بهذا النوع من الفنون .

جمال بدران

***

سطور من كتاب .....

«اننا نجهل جهلا تاما حقيقة العالم فى ذاته... اننا لاندرى عن العـــالم الا كيفية ادراكنـــا له بالحواس » . وكل ماندريه عنه هو أن العـــالم موجود . ولكن كيف ظهر الى الوجود ؟ هل خلقه فنان سام ، ويهديه عقل سام ؟ يجيب « كانت » عن هذه الأسئلة بقوله : « ان العقل الخـــالص لا يستطيع الاجابة عن هذه الأسئلة » ..

... أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم



رسائل وردود

جاءنا من الأستاذ محمود أبو رية بعنوان « لمحة في تقريظ الشيخ أبي زهرة لكتاب أبي هريرة » يقول فيه ...

.. وبعد أكثر من سبعة أشهر من ظهور هذا الكتاب الذي صنفه العجاج عن أبي هريرة يخرج الشيخ محمد أبو زهرة على الناس بتقريظ له نشر في العدد الأول من مجلة (الكتاب العربي ، الذي صدر في ١٠ يونية سنة ١٩٦٤(١) ولم يكد يبدو هذا التقريظ للناس حتى تساءلوا : لم تأخر الشيخ عن تقريظ كتاب (تلميذه) هذه الشهور الطويلة ؟ ونحن لايعنينا ان كان هذا التقريظ قد تأخر صدوره أو جاء في أوانه وانما الذي يهمنا هو التقريظ نفسه وقد رأيناه . وقد أقبلنا على قراءته وكان الظن – وبخاصة بعد آن جاء بعد هذا الزمن الطويل من ظهور الكتاب – اننا سنجد فيه شيئا ينفع العلم ، أو يؤيد الحق ، أو يفيد النقد ! ولكن خاب ظننا اذ لم نجد الا صفحات اسودت بكلمات ردد فيها الشيخ ما جاء في كتاب (أبو هريرة) ثم زاد عليها تأييدا من عنده وتحبيذا كان أول ما وقفنا عليه في هذا التقريظ ان الشيخ يذكر في زهو وفخر أن مؤلف كتاب (أبو هريرة) – ولده – أي تلميذه ، وكأن الشيخ وهو يستعلن بذلك انما يزدهي ويستعلي أن أصبح من تلاميذه من يؤلف الكتب ، وينشر في الصحف ! ولكن الحقيقة تنادى من وراء ذلك ان هذا التلميذ لم يبلغ سن الرشد العلمي بعد ! وآية ذلك أنه اعترف على نفسه بانه قضى ثلاث سنوات ! يحمل كتابه بين يديه ويدور به على من سماهم (العلماء) ليستعين بهم على اخراجه(٢) وان مطافه قد انتهى به الى (استاذه الجليل) الشيخ علي حسب الله فقرأه عليه وأمده بنصائحه(٣) . وبديهي أن الشيخ كان من الذين طاف العجاج بهم وانتفع بعلمهم – ومن يفعل ذلك لايعد – ولاريب – من المؤلفين المحققين – وأولى به ان يواصل الدرس والتحصيل الى ان يستوى ويستحصد ثم يخرج الى الناس بثمرات علمه ناضجا بغير أن يستعين بأحد أو يستند الى انسان !

ونحن قبل كل شيء لابد لنا من أن نصدق الشيخ في قوله ان (العجاج) ولده ولانشك في صحة هذه القرابة العلمية فان القرائن تؤيد ذلك وتؤكده ، وانت اذا درست كتاب (التلميذ) حق الدرس وقارنته بما أتى به أستاذه في تقريظه فانك ترى أوجه الشبه بينهما بادية – وبخاصة في اسلوب التعبير وطريقة التفكير ، والتماثل في العلم والتطابق في الفهم ومن أجل ذلك نجد تقريظ الشيخ مطابقا لما في الكتاب أو هو الكتاب مصغرا !

واذا كنا قد أشبعنا القول في نقد كتاب (أبو هريرة) وكشفنا عما يحمل من جهالات

(١) ظهر كتاب (أبو هريرة) في ١٩٦٣/١١/٧ .

(٢) راجع العدد ١٠٣٩ من مجلة الرسالة الصادرة في ، ديسمبر ١٩٦٣ .

(٣)صفحة ٧ من كتاب (أبو هريرة) .

ومفتريات ومغـــالطات وما الى ذلك – وذلك فى كتابنا (شيخ المغيرة) الذى سيظهر فى طبعتـــه الثانية قريبا ان شاء الله – فانا لانتوسع هنا فى الكلام عما جاء فى هذا التقريظ مما يستوجب النقد ونكتفى بالمامة وجيزة نشير فيها الى بعض أمثلة تبدو منها قيمته ، وتظهر مقـــدار وزنه ، وتوضح صدق ما قلنا .

قال الشيخ فى تقريظه أن أبا هريرة قد أسلم وهو فى بلاده (اليمن) عندما ســـمع بالدعوة الاسلامية !! وأنه قضى فى صـــحبة النبى أربع سنوات ، وهذا عين مازعمه العجاج فى كتابه وقد أثبتنا بالأدلة القاطعة – ومنها ماورواه البخارى عن أبى هريرة نفسه – من أنه لم يســـلم ولم يعرف الاسلام الا بعد وقعة خيبر التى كانت فى صفر سنة ٧ هـ وانه بعد ان قضى فى الصفة التى كان عريفا لها سنة وتسعة أشهر أقصاه النبى (ص) الى البحرين مع العلاء بن الحضرمى فى سنة ٨ هـ فجعلهالعلاء مؤذنا لهكما طلب هو منه ذلك بأنه لم يكن يحسن شيئا حينئذ غير التأذين ، وقد ذكر العجاج ذلك صراحة فى كتابه (صفحة ٩٠) .

فاذا كان أبو هريرة قد اعترف – كما روى البخارى – أنه أسلم فى صفر سنة ٧ هـ ثم أبعد الى البحرين فى سنة ٨ هـ فمن أين جاءت هذه السنين الأربع التى يزعم الشيخ وتلميذه أنـــه قضاها فى صحبة النبى (ص) !!

هذا مثل مما حمله كتاب (أبو هريرة) وجاء الشيخ فأقره فى تقريظه ..

واليك مثلا آخر من تقريظ الشيخ ذلك أنه زعم (أن أبا هريرة لا ينفرد برواية حديث ويكون فيه ما يخالف القرآن ونحن نسوق الى الشيخ حديثا واحدا انفرد أبو هريرة بروايته وخالف فيه القرآن مخالفة صريحة – وهذا الحديث رواه مسلم (فى صحيحه) ولم يستطع العلماء جميعا على كثرة ما حاولوا أن يدافعوا عن أبى هريرة فيه، ولا أن يدرأوا عنه تهمة الكذب على رسول الله ولما أعياهم الدليل جزموا بأنه تلقاه عن شيخه كعب الاحبار الكاهن اليهودى الكبير ! ذلكم هو حديث (خلق الله التربة يوم السبت) وهذا نصه :

« أخذ رسول الله بيدى !! فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ! وخلق فيها الجبال يوم الأحد ! وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل » فهذه سبعة أيام ! والتوراة والقرآن يقولان ان الله قد خلق الأرض فى ستة أيام وبذلك يكون أبو هريرة قد خالف القرآن وكذب على الرسول صلوات الله عليه – ومن العجيب أنكترى هذا (الصحابى الجليل راوية الاسلام قد صرح بسماع هذا الحديث من النبى ! بل بالغ فقال : ان النبى قد أخذ بيده وهو يحدثه به !!

واذا كان مثل هذا الحـــديث الذى صرح (بسماعه) من النبى (ص) قد ثبت انه قد كذب فيه وأنه تلقاه عن أكبر أحبار اليهود فى زمنه – فترى ماذا يكون الأمر فى الأحاديث التى تلقاها عتبة من غير النبى (ص) وهى تعد بالالوف ...

ولعل مولانا الشيخ يسمح لى بان أسأله – وأرجو أن لايغضب – ذلك أن يتفضـــل فيحل المشكل المعقد فى هـــذا الحديث وينتشل راوية الاسلام من الهوة التى تردى فيها لأن هذا الاشكال سيظل يسم أبا هريرة بميسم الكذب على رسول الله الى يوم القيامة .

ومما قرأناه فى هذا التقريظ أن الشيخ يرمى كل من يمس أبا هريرة بأنه (يطعن فى السنة)– وهذا نطق عجيب استغربنا كيف يصدر من مثله: لأن معنى ذلك أن السنة القولية كلها – وكل من حملوها عن النبى (ص) وعملوا بها ونشروها من كبار الصحابة وفضلائهم رضـــوان الله عليهم لايعدلون كلهم (أبا هريرة) وأنه وحده هو راويها حتى اذا ناله نقد فان هذا النقد يصيب السنة كلها! وهذا القول لايقره عليه عالم؛ذلك بان السنة المحمدية قائمة ثابتة لايضرها أن ينقص من رواتها

أبو هريرة ولاغير أبي هريرة – واذا لم يخلق أبو هريرة فانه لاينقصها شيء على أن هذا القول الذي ذكره الشيخ لايستقيم ولا يكون له معنى الا اذا جاء الخبر المتواتر بأن النبي قد قال(خذوا سنتي عن أبي هريرة) .

واذا كنت قد جئت في هذه الالمامة ببعض ما يلاحظ على تقريظ الشيخ ومسسته بالنقد مسا رقيقا رعاية لمكانته بين اخوانه وايثارا للايجاز فانه لايسعني الا أن أعترف بأني قد أفدت من هذا التقريظ فائدة عظيمة لم يظفر الناس بمثلها من قبل ! ولعل هذه الفائدة هي التي ساقتني اليوم الى كتابة هذه الكلمة بعد أن آليت على نفسي أن لا أرد على أحد من الذين انتقدوني عندما الفيتهم جميعا قد اتخذوا الشتم والقذف مذهبا لهم في جدالهم ذلك بأنه لايصح لي أن أجاريهم في مضمارهم وقد قال الشاعر :

اذا جاريت في خلق سفيها
فانت ومن تجاريه سواء

أما هذه الفائدة فهي أن مصنف كتاب (أبو هريرة قد نقل في الصفحة ٣٢٨ ومابعدها من كتابه كلمة عن ابن خزيمة وصف فيها من تكلموا في أبي هريرة بأنهم اما (معطل جهمي) أو (خارجي) أو (قدري) أو (جاهل) فجاء مولانا الشيخ وابتدع بعلمه واجتهاده وصفا طريفا لهم فقال « انهم طائفتان طائفة اسلامية تؤمن بالله على حرف .. وأخرى لا تؤمن بالله ولا برسوله وقد قضى بذلك الحكم المبرم على كل من انتقدوا أبا هريرة – ونحن منهم – ولا نعلم في أي الطائفتين قد سلكنا الشيخ غفر الله له .

هذه هي الفائدة التي عادت علينا من تقريظ مولانا الشيخ – ولا ندري والله اذا كان من يقضي على طائفة من المسلمين بهذا الحكم الخطير مسلما! فضلا عن أن يكون شيخا من شيوخ الدين ؟ أو أنه غير ذلك ؟ على أننا لانتورط فنقع فيما وقع فيه غيرنا فنخرج الشيخ من اسلامه ونكون بذلك من الجاهلين .

ولعل سائلا يسأل فيقول : من أين للشيخ أن يعرف درجات الناس في الايمان ، ومقدار وزنهم في الاسلام ، ويقطع بأن هذا مسلم وهذا كافرا وبأي حق يتدسس الى العقائد فيحكم فيها رأيه ، وهذا من غيب الله الذي استأثر بعلمه ولايدركه أحد من خلقه حتى الرسل صلوات الله عليهم الا بوحي من السماء .

ونقف عند هذا الحد من الكلام عن تقريظ الشيخ لكتاب (أبو هريرة) وفيما بيناه في تاريخ (شيخ المضيرة) وما رددنا به على كتاب (أبو هريرة) في آخر هذا التاريخ – وهو في الحقيقة رد على جميع من اشتركوا في تأليفه لبلاغ أي بلاغ .

وقبل أن نضع القلم نسر في أذن مولانا الشيخ كلمة نقول فيها : ان تقريظه هذا لم يكن له أي أثر في تغيير شيء من حقيقة تاريخ أبي هريرة لامن قريب ولا من بعيد ، ولا هو بدافع شيئا من التهم التي رمي بها على مد الزمن من لدن الصحابة الى اليوم .

واذا كان مولانا الشيخ قد دفعه الغلو في تقدير عمل تلميذه حتى قال : انه تتبع ما أثير من شبهات حول شخص أبي هريرة وعلمه فأزالها، وجلى صفحته نقية طاهرة » فانا نقول للشيخ في صراحة وصدق ان صفحة أبي هريرة لاينقيها ولايطهرها كتاب العجاج ولا ألف كتاب مثله ، وانما الذي يطهرها وينقيها هو أحد أمرين لاثالث لهما وام المنطق لم تلد غيرهما . فاما ان تجردوا كتب الحديث كلها مما فيها من الأحاديث التي

رواها أبو هريرة وفيها مافيها من المشـــكلات والخرافات التى تفضحنا عند سائر الأمم – مثل حديث (خلق الله البشرية يوم السبت) الذى تكلمنا عنه آنفا – وحديث لطمة موسى لملك الموت ففقأ عينه فصعد الملك الى الله ليشـكو موسى ! وحديث نزول الأنهار الأربعة من الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات – وهى خرافة هندية قديمة ، وحديث غمس الذباب فى الاناء ثم يؤكل مافيه بعد ذلك وغيرها مما ذكرنا فى أمثلة كثيرة فى كتابنا (شيخ المضيرة) تلك الأحاديث التى يعرونى الخجل من الناس عندما أنقلهـــا اليهم اما ذلك – واما أن تثبتوا أن جميع من رووا عنه قد كذبوا عليه ، وان الرجل فى نفسه برىء مما نسب اليـــــه .

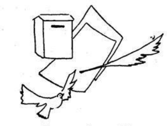
بذلك وحده لابغيره يصبح شخص أبى هريرة نقيـا طاهرا ، أما مضغ الكلام وعلك الحديث ، وتاليف الكتب وتقريظها فهذا كله لاينفع ولايفيد بل يذهب كله هباء .

والى اللقاء يامولانا الشيخ عندما تظهر الطبعة الثانية من كتابنا (شيخ المضيرة) ان شاء الله التى سأهدى اليك والى الشيخ على حسب الله نسخة منه لكى تعرفا منه تاريخ هذا الصحابى على حقيقته وترون كيف يكون التاليف العـلمى الصحيح ، ومدى معاناة البحث عن الحقائق وتمحيص الأخبار مما لا يمكن احتماله أو الصبر عليه الا بعد اطراح العواطف والأهواء ، والتخلص من الجمود وتقليد الآباء والسلام على من تبع الهدى .

محمود أبوريه

وحرصا من المجلة على توضيح الحقائق وعلى مكانة الصحابى الجليل ، فانها ترحب بالتعليقات على هذا الموضوع .

* * *



وجاءنا من القارىء باسم عبد الحميد حمودى ببغداد هذا التعليق على كتاب « دار السلام فى حياة أبى العلاء » تاليف الدكتورة بنت الشاطىء ومن السلسلة الثقافية التى تصـــــدرها وزارة الثقافة والارشـــاد فى الجمهورية العراقية .. يقول فيه :

« ودمشق عروس الشام الموموقة ، وواسطة عقدها المرموقة ، وأرجو أن يكون قد سلاه ماؤها عن ماء دجلة ، وقد كنت عرفته أن من رحل عن بغداد لم يجد منها عوضا ، وان وجد محلا مروضا، لأن غابر العالم بها غريض ، وصحيح الأدب فى سواها مريض » .

من هذا الجزء من رسالة أملاها أبو العلاء الى صديق له ومن أشياء أخرى تستند الدكتورة بنت الشاطىء الى أن أثر الرحلة الى بغداد فى حياة الشاعر العربى الكبير المعرى كان كبيرا أو عميقا، وأن هذا الكبر وهذا العمق قد ظهر أثره فى نتاجه وفى سلوكه الشخصى .

فهى تقول فى الصفحة ١٤ من هذه الدراسة « فاذا أخذنا سقط الزند ، أثرا فنيا معبرا عن ذاته فى الشطر الأول من حياته ، بدا لنا منـــه شخص آخر غير الذى عرفناه فى الفصـــــول والغايات ، وفى رسالة الغفران ، وفى روائع آثاره الأخرى التى يثبت أنه أملاها وهو رهين محبسيه – ومن مقابلة النصوص نستطيع أن نستبين أثر الرحلة البغدادية التى أحدثت التحول الحاسم فى حياته وفنه » .

واذا قالت بنت الشاطىء هذا القول ، وهى المتخصصة فى دراسة هذا الشاعر الكبير ، فاننا لابد أن نحترمه أولا وأن نطالبها بالدليل ثانيا .

وقد استطاعت الدكتورة بنت الشاطىء أن تضع أمامنا أدلة وافية على عمق التـــأثير الذى

تركته رحلة أبي العلاء الى بغداد ، فبعد أن أكملت وصف حياته في الشام ، تلك الحيـــاة المكابرة المجالدة الطموح التي يتميز بها معظم من رأوا أنفسهم أسرع على الدنيا من زمانهم، وأكثر طموحا مما هم فيه ، انطلقت في الحديث عن رحلته الى بغداد .

والواقع أن الدكتورة قد صورت جانبين من رحلته الى عاصمة الدنيا يوم ذاك ، جانب اصطدامه بهذا المجتمع الواسع الكبير ، بل تلقيه الاهانات احيانا على يد أبي الحسن علي بن عيسى الربعي أحد أساتذة النحو ببغداد وفي حضـــوره لمأتم الشريف الطاهر وفي مناقشته للشريف المرتضى حول شاعرية المتنبي ، وجانب الاهتمام من سائر أهل العلم والمعرفة به واحتفائهم بشخصـــه واكرامهم وتقديرهم لعلمه وأدبه .

وفي فصل « الرجعة الى المحبسين » تناقش المؤلفة جو أبي العلاء النفسي قبل عودته الى الشام وبعدها فتقول انه « استسلم للهزيمة وهو مقيم ببغداد ، حين أدرك بملء يقينه أن المكابرة ضالة وأن الأمل في النصر سراب ، وأن النضال عقيم ، وأحس الا مكان له في دنيا الناس ، وقد أعوزه عمى البصيرة وبلادة الحس والضمير ومرونة في الخلق والطبع ... » ص ٣٢ .

فتخرج المؤلفة من ذلك ان الانســـحاب عن الحياة كان نفسيا لعدم ملاءمة جو بغداد الاجتماعي والفكري المعتمد على مدح السادة واســـتملاح سخافاتهم لنفسية هذا الرجل القوى الشكيمة المعتز بعلمه وأدبه .

ولاتكتفي المؤلفة بذلك بل تستند الى رسائله (المطبوعة في اكسفورد) لتؤكد ذلك ، معتمدة على الرسالة الثامنة التي ذكر فيها اهتمامه بالانصراف الى العزلة مع (تقديره) لجو بغداد ، والرسالة السابعة التي بين فيها احترام جمهرة البغداديين له واعترافهم بعلمه .

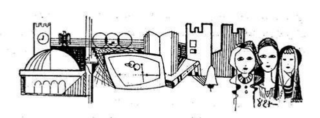
والواقع أن هذه الدراسة الموجزة الطيبة ، كان لابد لها من أن تطول قليلا لتجلو ما غمض من رحلة أبي العلاء الى بغداد فنحن نعلم أن كل فنان يلقى في حياته ما يصدم وما يدفع به الى أمام وقد لقى أبو العلاء الحالتين فما الذي جعله ينفر من بغداد رغم حبه لها ومناجاته اياها دائما ؟

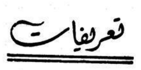
لقد اصطدم بمجتمعها المعقد ، هذا صحيح ولكن هل كان مجتمع الشـــام أقل تعقيدا من بغـــداد ؟ ، الواقع أنه لم يكن كذلك والا لذهب أبو العلاء الى عاصمة بلاده تاركا معرة النعمـــان الهادئة الساكنة التي تعود عليها الى جو الصخب الذي لايطيقه والذي يصرفه عن التفكير بجـــد الفيلسوف وبانسياح أفكار الشاعر .

نحن هنا لاننكر دور بغداد في حياة الشاعر ولكننا نؤكد أن المعري كان متهيئا نفسيا لحياة العزلة والكآبة هذه بسبب تكوينه البدني ورهافة شعوره كمبدع .

* * *

ختاما أتمنى للدكتورة المزيد من النجاح في ميدان البحث الأدبي الجدي على هذا النحو راجيا أن تتسع دائرة البحوث في أداب التراث الخالدة هذه لتجد فيها الناشئة ما يهديهم ويخلق منهم أدباء يقفون على أرض صلبة من حضارتهم الفكرية القديمة الطيبة .





تعريفات

تنمية العلاقات الإنسانية الديمقراطية

تحرير الجمعية الأمريكية للصحة والتربية الرياضية والترويح

ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ

مراجعة وتقديم : محمد على حافظ

مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين • ٦٢٥ صفحة ١١٥ قرشا •

لم تعد التربية كما كانت فى الماضى من اختصاص هيئة معينة ، وجماعة من الناس تقوم عليها ، وانما أصبحت الآن تمثل اجتماع الجهد من نواح عديدة فى قطاعات مختلفة ، وخاصة بعد التطور المتوالى فى الحضارة وفى العلاقات الانسانية ، مما يلزم معه بالتالى تعريف المواطن بواجبه ، وبالدور المفروض عليه فى المشاركة الحية والاسهام المستمر ، من أجل المشكلات المترتبة على الاجتماع البشرى ونموه المتزايد •

وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الأمريكى الكبير جون ديوى بقوله « ان الفكرة الأساسية فى الديمقراطية بوصفها طريقة للحياة هى — كما يبدو لى — ضرورة اسهام كل كائن بشرى فى وضع القيم التى تنظم حياة الناس المشتركة ، الأمر الذى يعتبر ضروريا من وجهة نظر الصالح الاجتماعى العام والنمو الكامل لأفراد البشر على حد سواء »•

وهذا الكتاب الذى نعرض له أسهم فى تاليفه مايزيد على أربعين كاتبا من صفوة المتخصصين فى هذا الموضوع ، استطاعوا جميعا أن يتوصلوا الى نتائج باهرة من وجهات نظر متعددة وترجمه وراجعه وقدم له أستاذان تخصصا فى شئون الصحة والتربية وعلم النفس•

وقد اختص الباب الأول بعرض وجهات النظر الأساسية للعالم المعاصر الذى نعيش فيه ، وخصائص السلوك الديمقراطى ، ومجالات التربية الصحية والتربية البدنية والترويح ، وماهية القيادة الديمقراطية • واختصت الأبواب الأربعة التى أتت بعد ذلك برسم البرامج المناسبة لمراحل العمل المختلفة ، ابتداء من الطفولة الى الرجولة والشباب ، مع بيان خصائص كل مرحلة والمفاهيم والاتجاهات التى ينبغى تنميتها ، ووسائلها وتقويم الجهود التى تبذل فيها ونتائجها •

حلقة المعرفة

تاليف : كاترين شيبن

ترجمة : السيدة تماضر توفيق • دار الفكر العربى • ١١٩ صفحة • ١٥ قرشا •

وفى فبراير عام ١٩٥٠ عقد أول اجتماع للجنة المساعدة الفنية بهيئة الأمم المتحدة ، فكان فاتحة خير للحضارة والعرفان ، وأتى اصدار هذا الكتاب فى عام ١٩٥٤ • وخلال هذه الفترة الوفيرة استطاعت اللجنة أن تأتى بنتائج طيبة ، من أجل النهوض بالبلاد المتخلفة والسير بها فى ركب الانسانية •

يقول المؤرخ الكبير أرنولد توينبى « ان عصرنا هذا سيبقى فى الأذهان، لابسبب ما اقترف

فيه من جرائم بشعة ، ولا بسبب ما ظهر فيه من اختراعات مدهشة ، بل لانه أول عصر منذ فجر التاريخ ، جرؤ فيه الانسان على أن يؤمن بأنه من الممكن عمليا جعل الحضارة الانسانية فى متناول الجنس البشرى بأكمله » .

والكتاب الى جانب هذا يعطينا فكرة جيدة عن تلك البلاد التى كانت معلوماتنا عنها ضئيلة ، ومشوهة ، ويبدو أن السيدة المترجمة قد بذلت جهدا موفقا فى نقل هذا العمل الى العربية . ولكن يؤخذ عليها أنها أخطأت فى رد بعض أسماء البلاد الشرقية الى أصولها المعروفة عندنا ، مثل كرمان وهمذان وبلوخستان ، وهى فى الكتاب قرمان وحمدان وبالوخستان ، كما أن Msnsoh Winds تعنى بالعربية الرياح الموسمية وليس رياح المونسون كما جاء فى الكتاب .

ثورة الفقراء

تأليف : رجاء النقاش

دار الآداب بيروت . ١٣٧ صفحة .

ث ٢٠٠ ق . ل .

قد لا توجد ثورة من الثورات التى مرت بها الانسانية فى تاريخها الطويل خلت من مفهومها الاقتصادى ومفهومها الاجتماعى ، الى جانب المفهوم السياسى لها . ومن أبرز هذه الثورات التى قامت من أجل رعاية حق العامل والفلاح ، تلك الثورة التى هى موضوع الكتاب الأخير للأستاذ رجاء النقاش ، استوحاه من خلال زيارته للجزائر الشقيقة فى غضون الصيف الماضى .

والحديث عن « ثورة الفقراء » حديث طويل، قد لايتسع له هذا المكان ، لان هذه الثورة قامت أساسا من أجل الحصول على الاستقلال ، واثبات الكيان العربى لتلك البلاد ، بعد عصور طويلة من القهر والاستعباد ، ولكنها الى جانب هذا قامت أيضا لتحرير الشعب من الاقطاع وسيطرة رأس المال ، ولتحريره من طبقة برجوازية فرنسية ، تساندها برجوازية صغيرة .

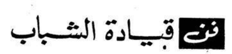
وقد عبر قائد هذه الثورة عن هذا بقوله «ان ثورتنا ليست ثورة كبار التجار أو الاقطاعيين ، ولكنها ثورةالفلاح والعامل وماسح الاحذية وأرامل الشهداء ... انها ثورة الفقراء » .

وعلى هذا فان الكتاب لم يكن عرضا لتاريخ الثورة الجزائرية الذى يعتقد البعض أنه ينتهى فى مايو سنة ١٩٦٢ ، بقدر ما كان عرضا لما أتى بعد ذلك ، وبخاصة عام ١٩٦٣ ، وهو فى تقدير المؤلف العام الحاسم فى تاريخ الثورة الجزائرية. ففيه بدأت تظهر المتناقضات على مسرح الاحداث، وبدأ نفر ممن كان لهم دورهم المشرف فى ثورة المليون شهيد ، يتربص بالقيادة الوطنية الجديدة، وبدأت تظهر حركات انفصالية تشبه من نواح عديدة ما جرى فى الكونغو منذ اللحظة الأولى لاستقلاله .

والدافع الأساسى لدى هؤلاء الذين انشقوا على الثورة الجزائرية بعد أيام الكفاح المرير حزازات شخصية واختلاف فى الأهواء والميول ، مع اتفاق عام على امان وطنية بعينها . ولايخفى أن بعض هؤلاء المنشقين كانوا ينفرون - بحكم مصالحهم وثقافتهم - من الاتجاه الاشتراكى الجديد الذى يحمل فى طياته خير العامل والفلاح وماسح الأحذية وأرامل الشهداء على حد قول قائد الثورة .

والكتاب الى هذا يضفى أضواء على شخصية الزعيم أحمد بن بللا شرح فيه تاريخ كفاحه الطويل الذى بدأ مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وخيانة الفرنسيين للوعود البراقة التى صرحوا بها ابان الحرب . كما يشرح لنا ما تعرض له هذا الرجل من محاولات اغتيال وسجن ودعاية مغرضة مسمومة ، ويحدد الأهداف الجليلة التى يرمى اليها وما تحقق منها بالفعل .

ومن المزايا الحسنة فى الكتاب والتى ينفرد بها عن كتب أخرى تعرضت لنفس الموضوع ، انه يحلل لنا بعض مشكلات الجزائر مثل مشكلة التعريب واحياء القصة القومية بازاء لغة الدولة المتغيرة الغاصبة ، كما أنه عرض لهذه المشكلات من وجهة نظر عربية أمينة بعد مشاهدة وتحقيق.



ترجمة : اسماعيل صفوت
تقديم : محمد طلعت خيرى
تأليف : دوروثى روبرتس
مراجعة : احسان العابد
مكتبة نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — ٢٥٥ صفحة — الثمن ٣٩ قرشا .

من الدراسات الهامة فى الاجتماع وعلم النفس تلك السلسلة التى تعنى بها مؤسسة فرانكلين بعنوان « مجموعة الكتب الدراسية والمراجع الأمريكية المترجمة » . وهذا الكتاب الذى نتناوله الآن هو أحد كتب هذه المجموعة ، والمعهود فى هذه الدراسات أن المدرسة الأمريكية مدرسة حديثة بالنسبة لها ، لأن الأصل فى الدراسات الاجتماعية والنفسية نشأ فى وسط أوربا . ومع هذا فقد قدر لهذه الدراسات أن تنمو نموا طيبا فى الولايات المتحدة ، وأول من طورها فى العالم الجديد هو العلامة الأمريكى المعروف الفريد كينزى الذى الف كتابه المشهور فى « السلوك الجنسى » .

وكتاب « فن قيادة الشباب » الفته باحثة امريكية لها عهد طويل بالتخصص فى هذا الموضوع وفى مسائل التربية ، وتناولت موضوع قيادة شباب المراهقين وتنظيمهم والمعاونة عليها ، والبرامج التى يجب مراعاتها بين جماعات الشباب والأساليب التى تساعد الكبار على معاونة المراهقين منهم فى تلك المرحلة الحرجة من حياتهم ، من أجل نموهم نموا عاطفيا وجسمانيا وعقليا ومن أجل تكيفهم مع المجتمع .

تقول الكاتبة « ان مقصد هذا الكتاب ، كان فى تأكيد وابراز أن المراهقين هم اشخاص عاديون ، اشخاص يحتاجون الى المعاونة الحكيمة والتوجيه الرشيد ، حتى يحققوا نموا سليما ويصلوا الى مرحلة من الرشد يشعرون فيها بالسعادة والحرية ، ويتحملون فيها المسئولية حيال انفسهم ، وحيال الآخرين » .

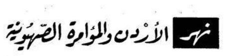
الهرم الـدفين

ترجمة : زكى سوس
تأليف : محمد زكريا غنيم .
راجعه : الدكتور محمد جمال الدين مختار
مكتبة مصر — ٢٢٥ صفحة . الثمن ١٣ر٥ قرشا .

مؤلف هذا الكتاب واحد من الرعيل الأول الذين اهتموا بالدراسات الأثرية فى مصر ، وله أبحاث عديدة فيها ، كثير منها مكتوب باللغة الانجليزية . وهو فى هذا الكتاب يشير الى كشف جديد طلع بهعلينا قبل سنوات وهو «الهرم الدفين» الذى ينسب الى ملك من ملوك الأسرة الثالثة ، وهو سخمّ خت . ولا أدل على اهمية هذا الاكتشاف من قول الأستاذ المراجع « وينتمى الهرم الجديد الى نفس الطراز الذى ينتمى اليه هرم زوسر ، فهو يمثل حلقة من حلقات تطور الأهرام ، بل هو يفوق هرم زوسر ضخامة ، ويضارعه فى كثرة الأبنية المتصلة به ووفرة المخازن التى تكتنفه وطول الأسوار التى تحيط به » .

ويتحدث الكتاب عن الخطوات التى حرص عليها المؤلف فى اكتشافه للهرم ودراسته له ، ذلك الاكتشاف الذى نال منه جهد ثلاث سنوات ، كانت تخيم عليه أثناءها سحابات من القلق والحيرة والترقب ، حتى استطاع أخيرا أن يصل الى هذا السبق الخطير .

ويشرح المؤلف فى الكتاب الفترة التاريخية التى عاشتها الأسرة الثالثة ، وظروف انشاء هذا الهرم ومحتوياته ، كما يشير الى هرم زوسر الذى يعد البداية فى عصر بناة الأهرام . وهو يشرح أيضا الصورة العامة للهرم والتوصل الى العثور عليه . هذا الى أن الكتاب يحوى أشكالا عديدة وصورا توضيحية ، مع الرجوع الى مراجع أفرنجية مفيدة .



القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤
بقلم : علي محمد علي

كتاب جيـــد يشرح فيـــه المؤلف ـ بأسلوب علمي ـ أصـول المشـكلة ، ويرجعها الى القرن التاسع عشر حين فكر اليهود لأول مرة في تعمير صحراء النقب التي تغطي نصف ساحة فلسطين ومدها بالمياه . ولـكن فكرة تحويل مجرى نهر الأردن ـ وهو النهر الرئيسي في فلسطين ـ لم تظهر الى الوجود الا في عهد الانتداب البريطاني على أيدي البعثـــات التي أوفدتهـــا المنظمات الصهيونية العالمية الى فلسطين . ولا يخفى أن الدافع الاقتصـــادي للمشروع ليس هو الدافع الوحيد ، بل هناك أيضـــا الدافع السياسي ، من أجل اقامة جـدار بشري يحوي خمسة أو ستة ملايين من اليهود بازاء الجبهة العربية القوية في مصر ، ومن أجل توطيد سلطان اسرائيل في خليج العقبة والبحر الأحمر .

كما عرض المؤلف للمشـــاريع الخاصة بتحويل مياه نهر الأردن عرضا مفصلا ، وبخاصة مشروع مين الذي ينسب الى أريك جونســـتون مبعوث الرئيس الأمريكي أيزنهـــاور الى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٣ . وأشـــار أيضـــا الى المشروعات الصهيونية المتطرفة ، والمشروعات العربية من أجل الحفاظ على حق العرب الطبيعي في ميـــاه نهر الأردن .

وفي الجزء الأخـــير من الكتاب ، أوضح المؤلف أن ليس من حق اسرائيل أن تحول مجرى نهر الأردن ، لأن في ذلك اضرارا بالدول العربية التي يمر النهر في أراضـــيها ، حسبما يقضي القانون الدولي والشواهد المماثلة في التاريخ ، أو حسبما أوضح ســـير هـــيرسن لوثر باخت ـ القـــاضي الانجليزي في محكمة العدل الدولية ـ من « ان جريان ميـــاه أي نهر دولي لا يمكن أن يخضع لسلطان دولة من الدول التي يمر بها تطبيقا للمبدأ القانوني المعروف في القانون الدولي العام والقائل بأنه لا يحق لأية دولة أن تحـــدث تغيـــيرات في أحوالها الطبيعية يكون من شأنها أن تؤثر في أراضي الدولة الأخرى » .

واخيرا .. فالكتاب دراسة علمية جادة لمشكلة ميـــاه نهر الأردن ، والمؤامرات الصهيونية التي تحاك من حوله ، وقد كان أجدر بالمؤلف أن ييسر مادته عما هي عليه كي تكون سهلة التناول لدى الخاص والعام . بيد أن قيمة الكتاب الحقيقية تبدو في أنه الأول في موضوعه ، كما أن المؤلف قد دعم كتابه بملاحق أفرنجية عديدة وخرائط توضح مادة الكتاب .



تأليف : الدكتور حامد حفني داود
دار الجهاد : ١٢٦ صفحة • ١٤×٢٠ سم •
ث ٣٠ قرشا .

لايقتصر الازدهار في الأدب العربي على العصر العباسي الأول الذي اخرج لنا جماعة من فحول هذا الأدب شـعره ونثره ، لانزال نعتز بهم ونعرف قدرهم وفضلهم ، وانما كان للعصر العباسي الثاني نصيبه من هذا الازدهار أيضا • ولعل أهم عامل في هذا الصدد هو ظهور عدد كبير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية ، ومن ثم فقد ساعد هذا الاستقلال على المنافسة بين الدول الجديدة في ميادين شتى ، من بينها ميدان الأدب •

وهذا الكتاب يبحث في تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني بطريقة جديدة ، فقـد انتهج المؤلف نهجا اقليميا في تتبعه لنشأة كل فن من فنون الأدب وتطوره في اقليم بعينـــه ، وعرض للأدباء الذين شاركوا في هذا التطور ، والظروف التي أحـــاطت بأدبهم ، ودور الملوك والأمراء في تشجيعهم • ولم يغفل المؤلف الحديث عن الفنون الأخرى والعلوم المتصلة بالأدب مثـل الفقه والفلسفة والتاريخ وعلم الكلام والجغرافية

وفي الباب الأخير من الكتاب قام المؤلف بدراسة تطبيقية ، فأرخ للجامع الأزهر ولديوان الانشاء ولأبي فراس الحمداني من الشعراء والصاحب ابن عباد من الكتاب .

وشيء آخر جديد أتى به المؤلف ، وهو أنه حدد الفترة الدينية للعصر العباسي الثاني بين سنة ٣٣٤ وهي السنة التي استولى فيها البويهيون على بغداد و سنة ٦٥٦ وهي السنة التي سقطت فيها الخلافة العباسية ، على خلاف ماهو معروف عند كثرة المثقفين من بدء العصر العباسي الثاني مع بدء حكم المتوكل سنة ٢٣٢ ، وهذا التقسيم الذي أتى به المؤلف أكثر منطقية من التقسيم المعروف للعصر العباسي والذي يحدد بسنة ٢٣٢ .

والكتاب مجهود طيب لمؤلفه ، فهو يضفي أضواء جديدة على هذا العصر الذي لم يكن يهتم به الناس الى وقت قريب . وقد كان أجدر بالمؤلف أن يتوسع في كتابته أكثر من ذلك ، لأن ما كتبه عن بعض شعراء هذا العصر وناثريه لم يكن كافيا، وقد أغفل اغفالا يكاد يكون تاما بعض أدباء العصر العباسي الثاني مثل ابن خفاجة وابن الخطيب والحريري وابن نباتة والشريف الرضى .

وبالكتاب بعض الأغلاط التاريخية ، ولنختر منه على سبيل المثال الفصل الأول من الباب الثاني الخاص بالأدب في الاندلس . وأول هذه الأغلاط ان المؤلف يجعل فتح الرومان لاسبانيا في القرن الثالث الميلادى والصحيح ان هذا الفتح كان في القرن الثاني قبل الميلاد اما ارسال موسى لطارق ابن زياد الى الاندلس فكان سنة ٩٢ وليس سنة ٩١ كما يظهر من الكتاب . وآخر ولاة الاندلس اسمه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وليس عبد الرحمن الفهرى . والحكم المستنصر الذى خلف عبد الرحمن الناصر في القرن الرابع الهجرى هو الحكم الثاني وليس الحكم الأول كما يرد عنه المؤلف أكثر من مرة .







● **أيديولوجيات الأمم الآخذة في النمو**

اعداد وتقديم بول سيجموند ، ترجمة تيسير محمود فهمى ، مراجعة محمد عبد الله الشفقى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ٣٣٥ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٠ قروش

● **مسلمة بن عبد الملك**

تأليف على صافى حسين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ٩٤ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ١٥ قرشا

● **أربع مسرحيات قصيرة**

تأليف بارى وآخرين ، ترجمة حورية جلال، مراجعة مصطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١٢٥ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١١٫٥ قرشا

● **حد الموسى**

تأليف و.س. موم ، ترجمة سليم الاسيوطى، مراجعة مصطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٤٨١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٨ قرشا

● **الأصول الجمالية للفن الحديث**

تأليف حسن محمد حسن ، دار الفكر العربى، ٢٥٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **نحو أبجدية جديدة**

تأليف عثمان صبرى ، مكتبة الانجلو المصرية، ٤٠٣ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

● **فن التخطيط**

تأليف س. واجل ، ترجمة دكتور راشد البراوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٤٠٥ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٧٠ قرشا

● **فن الماكياج للسينما والمسرح والتليفزيون**

تأليف فنسنت چ.كيهو ، ترجمة أمين سلامة ، دار الفكر العربى ، ٤٤٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٢٥ قرشا

● **العقل والعاطفة**

تأليف چين أوستن ، ترجمة أمين الشريف، مراجعة مصطفى حبيب ، مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٤٦٣ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٩ قرشا

● **ما يجب على المراهق ان يعرفه**

تأليف ليستركير كندال ، ترجمة دكتور محمد نسيم رأفت ، مراجعة دكتور محمد عبد العزيز القوصى ، مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ٨٧ ص ١٤×٢٠ سم .
ث ١٠ قروش

● **الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين**

تأليف كامل السوافيرى ، مكتبة نهضة مصر (طبعة أولى) ٦٥٣ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٣٥ قرشا

● **بزوغ العقل البشرى**

تأليف نورمان بريل ، ترجمة اسماعيل حقى، مكتبة نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ٣٣٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

● **لهذا أكره اسرائيل**

تأليف مقدم أمين سامي الغمراوي ، مكتبة النهضة العربية ، ٣٤٦ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **فكرة المسرح**

تأليف فرنسيس فرجسون ، ترجمة جلال العشري ، مراجعة دريني خشبة ، مكتبة النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٣٩٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **من توجيهات الاسلام**

تأليف الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم ، ٥٦٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٧٠ قرشا

● **فى الايمان والاسلام**

تأليف أحمد حسين ، دار القلم ، ٢٠٢ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

● **تاريخ الاسلام فى الهند**

تأليف عبد المنعم النمر ، مكتبة دار العروبة، ٤٧٦ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

● **الحلال والحرام فى الاسلام**

تأليف يوسف القرضاوى ، مكتبة دار العروبة ، ٣٣٥ ص ١٧×٢٤ سم

● **النصف الآخر**

تأليف عبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر ، ٢٩٧ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣٥ قرشا

● **جلفدان هانم**

تأليف على أحمد باكثير ، مكتبة مصر ، ١٥٦ ص ١٤×٢٠ سم

● **رسوم دار الخلافة**

تأليف أبى الحسين هلال بن المحسن الصابىء، تحقيق وتعليق ميخائيل عواد ، مطبعة العانى – بغداد ، ٢٠٦ ص ١٧×٢٤ سم

● **فضائل بغداد العراق**

تأليف يزدجرد بن مهمندار الفارسى ، تحقيق وتعليق ميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد – بغداد ، ٢٣ ص ١٧×٢٤ سم

● **وحدة التاريخ العربى**

تأليف دكتور حسين فوزى النجار ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٥١ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٧ قرشا

● **النظرة العلمية**

تأليف برتراندراسل ، ترجمة عثمان نوية، مراجعة دكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن ، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٥٨ ص ١٤×٢٠سم

● **بكالوريوس فى الآداب**

تأليف زارايان ، ترجمة دكتور مصطفى حسنين ، مركز كتب الشرق الأوسط بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٢٥٤ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٣٫٥ قرشا

● **الفكر الأوروبى فى القرن ١٨**

تأليف پول هازار ، ترجمة دكتور محمد غلاب ودكتور ابراهيم بيومى مدكور ، لجنة التأليف والترجمة بالاشتراك مع الجامعة العربية ، ٥٩٧ ص (جزءان) ١٧×٢٤ سم

● **المعز لدين الله الفاطمى وتشييد القاهرة**

تأليف ابراهيم جلال ، دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ١٤١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٥ قرشا

● **حلقة المعرفة**

تأليف كاترين شيبن ، ترجمة تماضر توفيق،

دار الفكر العربى ، ١١٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٥ قرشا

● **دراسات فى النفس الانسانية**

تأليف محمد قطب ، دار القلم ، ٣٨٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **الطاقة الانسانية**

تأليف أحمد حسين ، دار القلم ، ٥١٧ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

● **قضايا أندلسية**

تأليف دكتور بدير متولى حميد ، دار المعرفة، ٤٢٩ ص ١٤×٢٠ سم (طبعة أولى)

● **عجائب العلوم**

تأليف نخبة من العلماء ، ترجمة عزيز محمد حبيب ، مراجعة دكتور محمد خليفة بركات ومحمد عاطف البرقوقى ، المؤسسة العربية الحديثة بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٢٩٣ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٦٫٥ قرشا

● **تطور الفكر السياسى**

تأليف چورچ سباين ، ترجمة دكتور محمد فتح الله الخطيب ، دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ٢٦٦ ص ١٧×٢٤سم (الجزء الثانى)
ث ٥٥ قرشا

● **هل سيولد طفل سويا**

تأليف چون جولد ، ترجمة عفاف محمد فؤاد ، مكتبة الخانجى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، ٥٥ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٦ قروش

● **الرسم بالنور**

تأليف چون آلتون ، ترجمة ثريا حمدان ، مؤسسة التأليف والترجمة ، ٣٧٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٦ قرشا

● **اعرف نفسك**

تأليف پول هرفيو ، ترجمة نعمات عبد الله رشدى ، مؤسسة التأليف والترجمة ، ١٥٢ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٥ قروش

● **الثورة فى الأدب الجزائرى**

تأليف صلاح مؤيد ، مكتبة النهضة المصرية، ١٥١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٣٠ قرشا

● **تاريخ الفلسفة الأمريكية**

تأليف محمد فتحى الشنيطى ، مكتبة النهضة المصرية ٤٤٤ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

● **النهر**

تأليف رومر جودن ، ترجمة محمود عبد المنعم، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٥٨ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣ قروش

● **سرقة بنك انجلترا**

تأليف چون بروفى ، ترجمة أحمد فؤاد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٥٧ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣ قروش

● **الأشغال الفنية والثقافة المعاصرة**

تأليف سيونا يدميرى روبرتسون ، ترجمة دكتور محمد خليفة بركات ، مراجعة مصطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٢٦٨ ص ١٧×١٤ سم
ث ٢٧ قرشا

● **المختطف**

تأليف روبرت لويس ستيفنسن ، ترجمة

مراد الزمر ، مراجعة مصـــطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ٣٩٠ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥ر٣٣ قرشا

● **محمد فى التوراة والانجيل والقرآن**
تأليف ابراهيم خليل أحمد ، مكتبة الوعى العربى ، ١٦٢ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٢٠ قرشا

● **معالم تاريخ سودان وادى النيل**
تأليف الشاطر بوصيلى عبد الجليل ، مطبعة أبو فاضل ، ٣٠٨ ص ١٧×٢٤ سم

● **الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام**
تأليف دكتور على عبد الواحد وافى ، مكتبة نهضة مصر ، ١٨٢ ص ١٧×٢٤ سم

● **العلوم عند العرب**
تأليف محمد ابراهيم الصيحى ، مكتبة نهضة مصر ، ٨٣ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

● **الفردوسيكولوچية الجماعة**
تأليف دكتور جابر عبد الحميد جابر ودكتور عماد الدين سلطان ، مكتبة النهضة العربية، ٢٤٢ ص ١٤×٢٠ سم

● **الاتحاد الاشتراكي العربى وعاء الديمقراطية**
تأليف محمود متولى ، مكتبة النهضة العربية، ٣١٢ ص ١٧×٢٤ سم (طبعة أولى)
ث ٢٥ قرشا

● **تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى**
تأليف دكتور حامد حفنى داود ، دار الجهاد، ١٢٦ ص ١٤×٢٠ سم
ث ٣٠ قرشا

● **عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس**
تأليف محمد عبد الله عنان ، لجنة التأليف والترجمة ، ٥٦١ ص ١٧×٢٤ سم






العـدد الخامس ١٠ اكتوبر ١٩٦٤
٤ جمادى الآخـرة ١٣٨٤ هـ

رئيس التحرير : علي أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفي
سكرتير التحرير : جمال بدران

في هذا العـدد

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون : ٩١٠٣٧٧ / ٩١٠٤٢٠

ساعات مع المؤرخين

(١) عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس – القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية .

تأليف محمد عبد الله عنان .

٥٦٦ صفحة من القطع الكبير .

مطبعة لجنة التألف والترجمة والنشر .

◎

(٢) الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس .

المرحلة الأولى فى الصراع بين الشرق والغرب.

بقلم محمد على الفتيت .

٢٩٠ صفحة من القطع الكبير والثمن ٣٠ قرشا

مطابع الدار القومية .

◎

(٣) الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الأول فى عدوان الغرب –

بقلم محمد على الفتيت .

٤٣٦ صفحة من القطع الكبير والثمن ٥٠ قرشا .

مطابع الدار القومية .

◎

(٤) الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس . الجزء الثانى فى عدوان الغرب

بقلم محمد على الفتيت .

٤٨٤ صفحة من القطع الكبير والثمن ٥٠ قرشا .

مطابع الدار القومية .

◎

من سمات العصر الحاضر العقلية البادية العناية بالتاريخ ، فجمهرة القراء العاديين فضلا عن المثقفين ولعة بقراءة التراجم وسير العظماء بوجه خاص وتعرف الأحداث الجليلة التى أثرت فى تاريخ الانسانية بوجه عام ، ومن الملحوظ أن كثيرا من الكتاب البارزين فى الشرق العربى الذين يمثلون النزعات الفكرية السائدة قد أقبلوا على كتابة التراجم ووضع المؤلفات التاريخية متأثرين بروح العصر ، وهذه الظاهرة بادية فى الشرق والغرب ، وهناك من غير شك أسباب عميقة لهذه الظاهرة الملحوظة بعضها نفسى وبعضها اجتماعى وربما كان بعضها كذلك اقتصاديا ، والتخطيط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الذى تتبعه أمم كثيرة فى العصر الحاضر يقتضى معرفة واسعة بالحركات التاريخية وتطور الأحوال العالمية ، والشائع الذائع أن هذا العصر هو عصر العلم ولكن الواقع أنه كذلك عصر العقلية التاريخية ، وحاجتنا الى المعرفة التاريخية السليمة فى هذا العصر لا تقل أهمية بحال عن حاجتنا الى المعرفة العلمية الأصيلة .

والتاريخ يرينا كيف واجه القدماء مشكلاتهم وصارعوها وتغلبوا عليها أو كيف صرعتهم تلك المشكلات واستعصت عليهم لأنهم لم يحزموا

بقلم رئيس التحرير

(٥) ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ الجزء الأول .

بقلم محمد على الغتيت .

١٧٨ صفحة من القطع الكبير والثمن ٢٠ قرشا

مطابع الدار القومية .

◎

(٦) ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ الجزء الثانى .

بقلم محمد على الغتيت .

٥٢٢ صفحة من القطع الكبير والثمن ٥٠ قرشا

مطابع الدار القومية .

◎

(٧) موسى بن نصير .

بقلم عبد العزيز حافظ دنيا .

١٩٢ صفحة من القطع الكبير والثمن ٣٠ قرشا .

مطابع الدار القومية .

◎

(٨) مع ارنولد توينبى .

ترجمة محمد عبد الله الشفقى .

٥٩ صفحة من القطع الكبير والثمن ١٥ قرشا

مطابع الدار القومية .

◎

أمرهم وأخفقوا فىمواجهتها ، ويمكن أن نستخلص من ذلك أن أول واجبات المؤرخ الحق هو الاحتفاظ بحرية الرأى ، وتحرى الصدق فى القول ، والتزام النزاهة التامة فى تقرير الحوادث ، وعرض المشكلات ، وتقدير أعمال الرجال ، فلا يفسر التاريخ تفسيرا حزبيا ، ولا يشوه الحوادث محاباة لفريق ينتمى اليه ، ويحبذ سياسته ، بل يدرس كل قضية بفهم وبصيرة ويعرضها للقارىء بغير تحيز ولا تعصب ، أى أن يكون مؤرخا بمعنى الكلمة .

وطريق المؤرخ حافل بالصعاب والمزالق ، فكشف الحقائق فى غمار الأحداث المتوالية ليس من الأمور الهينة ، ولذلك قد وجد من يتشككون فى امكان وصول المؤرخين الى كشف تلك الحقائق المطوية ، وهناك خطران شديدان كثيرا ما يعرضان للمؤرخ وهما :

أولا اتخاذ التاريخ وسيلة للدعاية ، وباعث ذلك فى أغلب الأوقات المزاج الكلبى الذى يشك فى وجود الحق ، والتاريخ عند أصحاب هذا المزاج يمكن أن نصنعه كما نشاء ، ونتخذه وسيلة لتسويغ أية خطة والدفاع عن أى مبدأ من المبادىء ، أو غاية من الغايات ، ويكون التاريخ فى هذه الحالة خاضعا للنزعات الحزبية والأهداف النفعية ، ولا بأس فيه من التشويه

المتعمد واخفاء بعض الحقائق والمبالغة في اظهار حقائق أخرى قليلة الأهمية وتأكيدها ،

.. والخطر الثانى تأثر المؤرخ بذاتيته ومزاجه الشخصى ، ولا نزاع فى أن الانسان مهما تحرى الموضوعية فى كتابة التاريخ . فانه متأثر بوجهة نظره الخاصة وتقاليد بيئته والجو الفكرى لعصره. ولكن هناك فرق بين من يكبح جماح نفسه ويعودها على تحرى الحقائق وبين من يلقى قياده لنزعاته وأهوائه ، وهنـاك من يظنون أن المؤرخ الذى يتحرى الموضوعية يكون مجرد كاتب حوليات ومسجل حوادث ، ولكن محاولة المؤرخ أن يقول الحق ويقرر الواقع فى ضوء البحث الحر النزيه والتسامى على التحزب والأهواء لها قيمتها ، وفى أمثال هـذه الحالة يمكن استدراك ما فى وجهة نظره الخاصة من خطأ أو نقص .

والذين يقولون اننا نحن البشر لا يمكن أن نصل الى الحق المطلق يقفون من التـاريخ موقفـا انهزاميا غير جدير بالانسان ، وقد حاول المؤرخون المتـازون أن يتحروا الحق ، وبذلوا فى ذلك جهـدهم ، ووفق بعضهم الى حد لا بأس به ، والعجز فى الوصول الى الكمال لا يبرر اليأس من المحاولة ، وكبار المؤرخين لم يسلموا كل السلامة من آثار الميول والنزعات ولـكنهم مع ذلك قـد أخلصوا فى عملهم ووضعوا أسسا يمكن أن نبنى فوقها ، ونظلمهم اذا رميناهم جميعا بالتعصب والتحيز والخضوع للأهواء ووضعناهم فى صفوف الـكتاب الذين زيفوا التـاريخ وتعمدوا تشويه الحقـائق أو الـكتاب الذين يبنون على أسس ضعيفة من الحقائق أبنية شاهقة ضخمة ويحملون الحوادث تفسيرات عجيبـة أكثر مما تحتمل لمناصرة هدف من الأهداف أو تبرير موقف من المواقف .

والمؤرخ الحق يحب الماضى لذاته أولا ثم يحاول ثانيا أن يفيـد منه الحاضر ويلقى عليه ضوءا ، واذا لم يكن عندنا ميل الى معرفة الماضى لذاته أصبحنا لا نرى فى الماضى الا ما نريده فى الحاضر .

ولا نزاع فى أن المؤرخ يحتاج الى صفات كثيرة ومواهب مختلفة منهـا القدرة على استخلاص المسائل الجوهرية من بين التفاصيل الدقيقـة الكثيرة وصحة الحكم على الأشياء والفهم العاطف للأخلاق .

والكتب التاريخية الموضحة فى مطلع هـذا المقال تؤكد ذيوع النزعة التاريخية التى أشرت اليها .

وأولها وهو كتاب « عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس » للأستاذ عبد الله عنان من الدراسات الهـامة التى ظهرت فى هذه السنة ، وقد توفر الأستاذ عبد الله عنان على دراسة تاريخ العرب فى الأندلس منذ سنوات طويلة حتى أصبح حجـة قليل النظير فى معرفة دقائقـه وتحرى اخباره ، وهـذا الكتاب الأخير عن عصر المرابطين والموحـدين هـو العصر الثالث من كتاب دولة الاسلام فى الأندلس ويشمل القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ونرجو للأستاذ التوفيق فى مواصـلة جهوده المثمرة حتى يخرج القسم الثـانى ويستكمل بذلك تاريخ هاتين الدولتين الهامتين فى تاريخ المغرب وتاريخ الأندلس الاسلامية على السواء .

ويحدثنا الأستاذ عنان فى مقـدمة كتابه عن الباعث له على تأليفه بقوله « كانت الثغرة التى بقيت بين نهاية عهد الطوائف وقيام مملكة غرناطة وهى عصر المرابطين والموحـدين ، وهى ثغرة تستغرق من الزمن نحومائة وخمسين عاما — كانت دائمـا تروعنى بطول مداها ، وتشعب آفاقها ، وخصوصا بالمغرب ، ولكن كان لابد لاتمام المهمة التى كرست لها بقية حياتى ، وهى تسطير تاريخ الأندلس منذ الفتح الى النهاية ، أن أقتحم هذا الميدان الوعر ، وان أعكف على كتابة تاريخ هذا العصر بالرغم من كل ما يكتنفه من صعاب وغموض حتى تجبر الثغرة ، وتتصل المراحل ، ويغدو

تاريخ الأندلس والأمـــة الأندلســـية كله وقد استكملت حلقاته ، منذ بدايته الى نهايته » .

ولم يدخر الأستاذ عنان جهدا فى القيام بهذا العمل الشاق ، فنقب تنقيبا مستمرا فى مكاتب مدريد والاسكوريال والرباط وفاس والقاهرة ولندن واكسفورد والفاتيكان ، وتقصى المصادر والوثائق ، وزار عواصم المغرب ومنطقة جبال الأطلس ومدينـة تينملل مقر المهدى بن تومرت وتابع طريق مسير الجيوش المرابطية والموحدية الى شبه الجزيرة الاسبانية وزار مواقع العبور اليها من جانبى المضيق ، كما أنه لم يترك قاعدة او مدينة أندلسية قديمـة الا زارها ودرس معالمهـا وآثارها ، وعنى بوجه خاص بدراسة مواقع المعارك التاريخية العظيمة التى دارت بين المرابطين والموحدين وبين اسبانيا النصرانية سواء فى شنترين وشلب أو فى الأرك والعقاب كما زار القلاع المشهورة واعتلى آكامها وتجول فى هضابها ليكون وصفه لها أقرب ما يكون الى الحقيقة .

ولما كان الأســـتاذ عنان قد سبق أن عرض لتـاريخ نشـأة دولة المرابطين فى كتابه « دول الطوائف » وهو الجزء الثانى من كتاب « دولة الاســـلام فى الأندلس » وقيامها على يد عاهلها الغازى المظفر يوسف بن تاشفين لذلك بدأ كتابه هذا بالتحـــدث عن خاتمة عهد يوسف وظهور المهدى محمـد بن تومرت والصراع بين المرابطين والموحدين وقيام دولة الموحدين ونهاية الدولة المرابطية فى المغرب وسعى الموحدين فى توطيد دولتهم والقضاء على أعدائهم .

وتبرز من خلال هـــذه الحوادث المتلاحقة الملأى بالتقلبـات الكثيرة واقبال الحظ وادباره والحافـلة بالرجال ذوى المواهب المتنوعة أقـول تبرز ثلاث شخصيات تلفت النظر ، وهى شخصية يوسف بن تاشفين ، وشخصية المهدى بن تومرت وشخصية عبد المؤمن بن على ، وقد وضع المهدى الأساس الروحى لدولة الموحـــدين كما وضع عبد المؤمن أساس كيانها السياسى .

ويوازن الأستاذ عنان بين دولة المرابطين ودولة الموحدين فيقول « نشأت كلتا الدولتين ، المرابطية والموحدية ، فى ظروف متشابهة ، كأنما رسمت لكل منهما على نسق واحد ، فكلتاهما قامت على أسس دينية ، وعلى يد فقيه وداعية متعصب ، فكان داعيـــة الدولة المرابطية الفقيه عبد الله ابن ياسين ، وكان داعية الدولة الموحدية المهدى محمد بن تومرت ، وتحولت كلتاهما الى ملك سياسى على يد زعيم موهوب وقائد بارع ، فكان زعيم الدولة المرابطية الذى وطد دعائمها ، وشاد ملكها السياسى ، يوسف بن تاشفين ، وكان قرينه عبد المؤمن بن على هو الذى وضع أسس الدولة الموحدية ، ووطد دعائمها ، واستطاعت الدولة الموحـدية بعد أن قضت على الدولة المرابطية أن تسيطر على نفس الرقعة الاقليمية الشاسعة التى كانت تحتلها سواء فى المغرب أو الأندلس » .

ويصف الأســتاذ عنان شــخصية يوسف ابن تاشفين بقوله « أن شخصية البطل المرابطى العظيم تنطوى على كثير من الصفات اللامعة التى جعلت من حياته المديدة الحافلة نموذجا مثاليـا لهذا النوع من البطولة الساذجة الرائعة معا ، والواقع أن أروع ما فى صفاته تلك الهالة الوضاءة من البساطة المؤثرة التى لبثت شعار حياته كلها ، والتى لم تتأثر بتطورات الأحداث السياسية التى خاضها ، والفتوح العظيمة التى حققها ، والتى جعلت من الدولة المرابطية الكبرى فى ظله أعظم دولة قامت فى الغرب الاسلامى من حيث المدى الاقليمى ومن حيث القوى والمـوارد الزاخـرة ، اذ كانت تمتد من تونس شرقا الى المحيط الأطلنطى غربا ، ومن ضفاف نهرى الايبرو والتاجة فى شبه الجزيرة الاسـبانية شمالا الى قلب الصحراء الكبرى جنوبا ، فقد لبث البطل المرابطى عاهل هذه الدولة الشـامخة على حالته الأولى مذ كان

زعيما محليا من زعماء الصحراء بدويا متقشفا يرتدى الصوف الخشن ولا يلبس غيره أبدا ، ولم يتأثر طول حياته بأية نزعة من ترف القصور ولا عيشها الناعم ولا مغرياتها الفاسدة » ويصفه الأستاذ عنان الى جانب ذلك « بالذكاء والفطنة والعزم والشجاعة والحزم والكرم والجود والتقى والورع » .

ويوسف بن تاشفين خليق بهذه الصفات التى أسبغها عليه بحق الأستاذ عنان وان كانت الطريقة التى اتبعها فى معاملة المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف بالأندلس تدل على الغلظة والفظاظة ونقص الأريحية ، كما أن معاملاته لابن عمه الأمير أبى بكر بن عمر لم تكن تنطوى على تلك البساطة التى يعزوها اليه الأستاذ عنان ، وأحسبها تدل على أنه كان نهازا للفرص شأن الوصوليين من ذوى المطامع والطموح .

ويقول الأستاذ عنان عن المهدى بن تومرت « كان من أعظم الدعاة الدينيين وأغزرهم علما وأشدهم دهاء وأقواهم نفسا وأشدهم تأثيرا فى النفوس ، وكان الى جانب ذكائه يتمتع بمنطق قوى ومحاجة قاطعة وذلاقة مؤثرة ، يستميل الجموع برائع بيانه ووعظه ، وكان متمكنا من علوم القرآن والسنة ومن الأصوليين ، أصول الفقه وأصول الدين ، شديد التقشف والزهد والورع .. ولا يقبل على شىء من متاع الدنيا .. ولم يتحول عن ذلك حينما سما شأنه وأقبلت عليه الدنيا » .



والذى يتتبع سيرة هذا الرجل وأخباره ويرى انتحاله لصفة الامام المعصوم وشدة تعصبه وميله العجيب الى سفك الدماء وازهاق الأرواح واستحلاله سبى النساء والأطفال ونهب الأموال يدرك أن وراء مظهر هذا الزاهد المتقشف كان يتوارى دجال من أغرب الدجاجلة الذين عرفهم التاريخ يتخذ الدعوة لفضائل والغيرة على الدين وسيلة لبسط سلطانه وتحقيق نفوذه وسيطرته ويحاول أن يضفى على قسوته المتناهية الصفة الشرعية ، وقد شك فى هذه العصمة التى ادعاها خلفاء صفيه عبد المؤمن بن على بعد أن توطدت الدولة الموحدية وثبتت أركانها .

ويصف الأستاذ عنان عبد المؤمن بن على بقوله « كان الخليفة عبد المؤمن عبقرية فذة تنطوى على طائفة من أبدع الخلال التى تصاغ منها العظمة والبطولة ، وقد شادت هذه العبقرية دولة من أعظم الدول الاسلامية ... وشادتها فى ظروف صعبة وفى غمر الكفاح المضنى ومن امارات وقبائل بربرية متنابذة مفترقة الكلمة لم تعرف خلال حياتها الطويلة معنى للنظام والاتحاد .. فصاغ عبد المؤمن بعزمه وقوة نفسه وبراعته العسكرية والسياسية من هذه العناصر المضطربة الخصيمة كتلة متناسقة متعاونة متحدة ، وأنشأ منها الدولة الموحدية الكبرى ، أعظم الدول المغربية اطلاقا » .

وكان عبد المؤمن من غير شك قائدا موفقا وسياسيا مطبوعا ومن أقوى الشخصيات التى عرفها تاريخ المغرب .

وكتاب الأستاذ عنان فى مجموعه يقدم لقارئه صورة ناصعة لدولة المرابطين فى أوج سلطانها ونشأة الدولة الموحدية كما يصف الممالك الاسبانية النصرانية فى خلال العصر المرابطى وأوائل العصر الموحدى ، ويقدم وثائق مرابطية وموحدية لها قيمتها التاريخية ، ويمتاز أسلوب الكتاب بسلاسة عبارته وحسن تصويره للشخصيات والأحداث مع التحقيق والتمحيص وهو جدير بالشكر والتقدير من قراء اللغة العربية والمعنيين بتاريخ الدول الاسلامية عامة والمغرب والأندلس بوجه خاص .

وقد حاول الأستاذ محمد على الغتيت فى كتيبه الخمسة أن يتتبع الصراع بين الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس ، والجزء الرابع والخامس يشملان ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ .

ويقول الأستاذ الفتيت فى مقدمة الجزء الأول الذى قصره على المرحلة الأولى من مراحل صراع الشرق والغرب « قد حرصنا على أن نبرز فى هذه المرحلة ما ثبت لنا من أهداف الغرب التى ظل يعمل على تحقيقها فكتل قواه وركز جهوده من اجلها منذ الحروب الصليبية ، وكان فى طليعة هذه الأهدافالقضاء على البعث العربى والحيلولة دون بعث القوميةالعربية فى أية صورة منصورها باعتبار أن ذلك ، فى رأىالغرب ، بالاضافة الى أنه يشكل فى ذاته خطرا جسيما على سياسته ، فانه متى تحقق كان المقدمة التى تجر وراءها حتما وتلقائيا البعث الاسلامى ، فان بعث القومية العربية فى نظر ساسة الغرب هو الطاقة القوية التى متى انبعثت كان من المحتم أن تدفع المسلمين أمامها الى التجمع من جديد على الصورة القوية التى لا يمكن أن تتحقق الا فى ظل القومية العربية دون سواها من مختلف الحركات الاسلامية ، ولم يحد الغرب عن هذه العقيدة ـ منذ الحروب الصليبية حتى الآن ، بل أنه لم يجد فارقا بين القومية العربية وبين التجمع الاسلامى أو بين العروبة والاسلام .. والغرب يتهيب دائما خطر التجمع الاسلامى ويراه كامنا فى العروبة حيثما كانت لا فى الاسلام حيثما كان ، فقوة القومية فى البلاد الاسلامية غير العربية لا يرى فيها الغرب الا مجرد حركة قومية فحسب لا تتصل اطلاقا بالتجمع الاسلامى الذى يخيفه ، والحركات التى يقوم بها المسلمون غير العرب لا تعدو أن تكون فى رأى الغرب حركات سياسية ، فى حين أن مثل هذه الحركات فى البلاد العربية حيثما كانت حركات منطوية على البعث القومى والدينى الذى عرفه الغربيون بالتعصب الاسلامى ، وحرصوا على ترديد هذا التعبير كلما واجه الغرب هذه الحركات فى الشرق العربى » .

ويرى الأستاذ الفتيت أن سياسة الغرب نحو الشرق قد تطورت بطبيعة الحال تبعا لتغير الظروف عبر التاريخ ، ولكن تطوير هذه السياسة لم يصرف الغرب قط عن أهدافه الاساسية خلال الف سنة من التاريخ ، كما أن الخلافات التى وقعت بين الدول الغربية لم يفرق كلمتها بالنسبة لأغراضها الاستعمارية .

وعند الأستاذ الفتيت أن السياسة التى يسير عليها الغرب هى خلاصة ما حصل عليه من مختلف التعاليم والتجارب فى الحروب الصليبية وما بعد هذه الحروب حتى عصرنا الحاضر .

وقد تحدث الأستاذ فى الجزء الخاص بالمرحلة الأولى عن الحملات الصليبية وتسلل الغرب الى الشرق بدعوى حماية الأقليات ونظر الغرب الى مسيحيى الشرق ، وانتقل بعد ذلك الى المسألة الشرقية ومن رأيه أنها ظهرت بمولد النبى محمد وظهور دعوته الى دين جديد ، ويؤيد هذا الرأى بأقوال بعض المؤرخين الغربيين ، ويتحدث عن القضية العربية وغزوات الغرب لمصر والمسألة المصرية والحملة الفرنسية والغزو البريطانى الأول لمصر وعهد محمد على وموقفه من حركة البعث العربى والاسلامى والغرب ومصر .

وفى الجزء الأول من كتابه عن عدوان الغرب حاول الأستاذ الفتيت أن يجمع الوثائق التى كتبها مؤرخو الغرب أنفسهم وسطرها ساستهم وأولو الأمر منهم « لترتسم الصورة الصحيحة المتكاملة لعلاقة الغرب بالشرق » على حد تعبيره .

ويقول الأستاذ الفتيت فى هذا الصدد « ما من شك فى أن محاولة الكشف عن الوثائق الرسمية لسياسة الغرب عمل كان له رواد من مؤرخى الشرق من الغرب ، غير أن محاولتهم المشكورة لم تكن هدفا فى ذاته وانما كانت للاستشهاد أو لدعم بعض ما يحتاج المؤرخلدعمه من وقائع التاريخ ..



ولكننى أخذت على نفسى جمع تلك الوثائق فكانت هى الهدف » وقد استهل هذا الجزء بفصل عن الاستعمار الغربى واتبعه بفصول عن قناة

السويس وموقف دى لسبس وسياسة الخديو اسماعيل المالية والخديو توفيق والثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر .

وفى مقدمة الجزء الثانى يقول الأستاذ الغتيت « اصبح لزاما على كل من يتصدى لقضايا العرب أن تكون عــدته لذلك تثبيت وعيهم القــومى الجديد ، وتبصيرهم بموقف الغرب منهم والكشف عن أهداف سياسته ومراميها ووسائلها ، كشفا علميـــا لا يســتهدف الدعاية أو الاثارة وانمـا يستهدف الحقيقـــة ، ويقوم على أساس وقائع التاريخ الثابتة وما يعززها من الوثائق والادلة » .

ويشمل هذا الجزء المرحلة الثالثة من مراحل الصراع بين الغرب والشرق وهى تبدأ من نهاية الحرب العالمية الأولى الى حرب السويس ، وفى هذا الجزء فصول عن غزو الحبشة وغزو تونس وليبيا وتآمر الحلفاء على قضايا العرب والصهيونية وفلسطين وقضية سوريا ولبنان وتنافس الدول الغربيــة على بترول الموصل ، وفى كل فصل من هذه الفصول يقــدم الأستاذ الغتيت للقــارىء معلومات قيمة مؤيدة بالأسانيد الوثيقة والحجج الدامغة .

وفى مقــدمة الجزء الأول من كتابه « ثورات العرب » يقول عن الأمــة العربية « فى التاريخ شواهد لا يرقى اليهـــا الشك تؤكد أن الأمة العربية قد أمدت العالم بأقوى أسس الحضارة الانسانية فى شتى ميـــادين العلوم والفنون والآداب ، وضربت فى الخلق الرفيع ومبادىء العدالة أروع الأمثال ، فكانت فى ذلك كله المنارة التى شع منها نور العلم والمعرفة وقت ان كانت شعوب الغرب تتخبط فى دياجير الظلام » .

وتتناول فصول هذا الجزء مؤتمر الصلح والثورة الروســية والثورة الألمانية والولايات المتحدة والحرب العالمية الأولى والثورة التركية والثورة العربية وقد خصص الجزء الثانى للثورة المصرية وظهور الوفد المصرى بوصــفه وكيلا عن الأمة ومواجهــة ســعد زغلول للانجليز ونفيه وتصريح ٢٨ فبراير ومفاوضــة سعد لماكدونالد وسعد والتبليغ البريطانى .

وهـــذه الأجزاء الخمسة حافلة بالمعلومات ، ولم يكن الأستاذ الغتيت مبالغا حين قال فى مقدمة أحد هذه الكتب « هذا المؤلف هو ثمار لأكثر من غرس ، ثمار لدراســـات عكفت عليها عشرات السنين ، ثمار لتأملات فى أحداث التاريخ منذ أن كان للعالم تاريخ معروف » والمعلومات التى جمعها الأستاذ الغتيت فى مدى السنوات الطويلة على دسامتها وأهميتها كانت فى حاجة ماسة الى تنسيق أوفى لا يجعل القارىء يضل الطريق فى تيهها ، ويبدو لى أن الأستاذ الغتيت فى فورة حماسته خلال جمع هــذه المادة الوافرة لم يجد الوقت الكافى لتنسيقها وتبويبهـــا تبويبا فنيا يجعلها متماسكة الأجزاء حسنة التسلسل ، وربما كان من أسباب ذلك انه لم يكن له ســـابق عهـد بممارسة التاليف ، والواقع أن القدرة على جمع المعلومات المحصة المدعومة بالوثائق غير القدرة على التاليف الفنى الذى يحتاج الى مران وتدريب ونفحــة من الفن ، وقد أجاد الأســتاذ وأفاد فى الجمع والتحقيق ولكنه لم يبلغ ما كان يريده له القراء من اجادة التبويب والتنسيق ، وكتبه مع ذلك جديرة بالذيوع ، وأن يطلع عليها القراء فى الشرق العربى ، وبخاصة فى المرحلة الراهنة من مراحل التطور والانتقال .

وقد رأى الأستاذ عبد العزيز حافظ دنيا أن يزود المكتبة العربية بكتاب عن حيــــاة موسى ابن نصير وعصره ، وقد أحسن بذلك صنعا ، فموسى بن نصير من رجالات الاســلام الجديرين بان تعرف سيرتهم وينشر مطوى أخبارهم ، وهو من غير شك صاحب الفضل فى الاقدام على فتح الأندلس وتوطيــــد مكانة الاسلام فى المغرب ، وقد تتبع الأستاذ دنيا أخبار موسى منذ نشأته وعلاقتــه بالأسرة المروانية وولائه لعبد العزيز ابن مروان أخى الخليفة عبد الملك وأختياره واليا للمغرب وفتحــه للأندلس وكيف نكبــه الخليفة سليمان بن عبد الملك واهدر كرامته ولم يرع له مكانته وســابق حرمته وحسن بلائه فى الدفاع عن الاسلام وتوطيد أركانه .

والكتاب يقدم صورة واضحة لموسى بن نصير مع وصف ملابسات عصره والأحداث التاريخية

التى مهدت له السبيل ويسرت له القيام برسالته وقد لاحظت أن الأستاذ دنيا يخطىء من الحين الى الحين فى مسألة أنساب القبائل العربية ، ففى صفحة ٢٦ يقول « فجيش الضحاك يضم قبائل قيس اليمنية بفروعها المختلفة وجيش مروان يضم قبائل كلب » والصحيح أن يعكس الأستاذ دنيا ما ذكره فقبائل قيس ليست يمنية وانما هى عدنانية نزارية وقبائل كلب يمنية قحطانية ، ووقعة مرج راهط كانت انتصارا لليمنية على القيسية كما هو معروف ، وقد وقع الأستاذ فى مثل هذا الخطأ فى كلمة الختام فقال ان موسى ابن نصير ينتسب الى قبيلة ربيعة العدنانية ، والصحيح أن موسى ينتسب الى لخم والخلاف كما ذكر ابن سعد فى نفح الطيب هل هو لخمى صريح أو بالولاء ولخم تنتسب الى اليمن أو القحطانية ، ويقول الأستاذ « أن مؤسس قبيلة ربيعة هو ربيعة بن نصير اللخمى أحد ملوك اليمن والجد الأكبر للنعمان بن المنذر ملك الحيرة بالعراق ، وفى هذا الكلام الكثير من الخطأ والخلط ، فربيعة بن نصير غير ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان الذى تسلسلت من نبعته قبائل ربيعة ، وربيعة بن نصر لا نصير كما ذكر الأستاذ دنيا هو جد عمرو بن عدى أول ملوك الحيرة من آل نصر وهم لخميون أى من القبائل اليمنية القحطانية ، ولم يكن ربيعة بن نصر « أحد ملوك اليمن » كما قرر الأستاذ دنيا ولعله يعمل على تصحيح هذا الخلط فى الطبعات القادمة .

ولم يأخذ المؤرخون على موسى كثرة الدماء التى أهدرها فى استكمال فتح المغرب فحسب بل أخذوا عليه شيئا كان من أقوى أسباب نكبته ، وهو شدة جشعه ، فقد اتهم بسرقة المال فى وقت توليته خراج البصرة واصدر الخليفة أمره بالقبض عليه وعلم موسى بذلك فلاذ بمولاه عبد العزيز بن مروان الذى فياه ظل رعايته ، وحقيقة أن اختلاس الأموال كان من عيوب بعض الولاة فى ذلك العصر ولكن موسى بن نصير كان على ما يظهر مبرزا سباقا فى هذه الناحية ، وكان هذا الضعف الذى ابتلى به هذا الرجل القدير من اسباب نقمة عبد الملك عليه واستدعاء الوليد بن عبد الملك له ، كما أن فى معاملته لطارق ابن زياد حسب رواية الحميدى وابن حيان وغيرهما من المؤرخين ما يؤخذ عليه ، ويدل على طبيعة الحسد الغالبة عليه ، ومهما يكن من الأمر فان موسى كان خليقا بمعاملة اكرم من المعاملة القاسية التى عومل بها من هذا الرجل المفتون سليمان بن عبد الملك .

وكتاب « مع أرنولد توينبى » للأستاذ الشفقى استهله بفصل عن حياة المؤرخ الكبير ، ونقل فى فصل آخر الحديث الذى دار بين توينبى وكريستوفر رايت الزميل بجامعة هارفارد كما ترجم الفصل الذى كتبه توينبى نفسه فى الملحق الأدبى لصحيفة التايمز عن « حدود التحكم » وفصل لقاءات بين المدنيات وهو أحد فصول كتابه « المدنية تواجه الامتحان » .

والكتاب فى مجموعه يقدم لقارئه فكرة موجزة صحيحة عن راى توينبى فى التاريخ ونظريته فى الحضارات .



العقد الاجتماعي

تأليف

لوك
هيوم
روسو


روسو

ترجمة عبد الكريم أحمد ، مراجعة توفيق اسكندر
الناشر دار سعد مصر ، بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب
عدد الصفحات ٤٠٨ مقاس ١٧×٢٤ سم
الثمن ٢٥ قرشا

ما من فكرة سادت عصرا من العصور كما سادت فكرة العقد الاجتماعي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، رغم امتدادها التاريخي الى جمهورية أفلاطون وفلاسفة الأغريق فقد كانوا أول ـ كما يرى مفكرو الغرب ـ من أخرجها من حيز الأفكار الى حيز النظريات والمبادىء السياسية المدرسية ، وان كنا نرى أن فكرة العقد تبدو واضحة في قوانين حمورابي وحكم أمحوتب والوصايا العشر وتعاليم كونفوشيوس حين يقول عن الحكومة الصالحة أنها تكون « حيث يكون الامير أميرا والوزير وزيرا والأب أبا والابن ابنا » ، بل اننا لنرى مذهب روسو بينا في الكتاب الصيني القديم « الطريقة والفضيلة » أو « الدو ـ ده ـ جنج » الذي عرف قبل كونفوشيوس بزمن بعيد ،


لوك



هيوم

والذى رسم حدود المدينة الفاضلة قبل أن يراها أفلاطون أو يتبينها روسو فى العودة الى الطبيعة .

وأيا كانت فكرة العقد من القدم أو الحداثة فقد غدت وحى المثل السياسية للديمقراطية والدولة القومية فى العصر الحديث ، بل انها لتعد ايضا ملهما فذا لفكرة الجماعية والاشتراكية الحديثة كما كانت سندا للبابوية والامبراطورية والاقطاع فى العصور الوسطى ، كما يرى سير أرنست باركر الذى كتب المقدمة الرائعة لهذا السفر الذى نحن بصدده ، بل أنه ليرى أكثر من ذلك أن نظرية روسو فى العقد الاجتماعى سند قوى لليسارية المتطرفة كما هى سند قوى لليمينية الحادة ولن تجد فيها اتجاه الوسط المعتدل كما يعتقد الناس خطأ عن روسو . وهو الاتجاه الذى قامت عليه الديمقراطية البريطانية التى نمت على يد « الهويج » أو الأحرار الانجليز

وقد اتخذ العقد ــ سواء كان عقدا للحكم او عقدا للمجتمع ــ صوراً واتجاهات عديدة على يد الفلاسفة السياسيين ، اختار من بينها سير أرنست باركر أجزاء هذا الكتاب بحيث تمثل كما نعتقد الاتجاهات البينة للعقد بنوعيه كما تمثل الأصل التاريخى أو الطبيعى لفكرة العقد وقدم لها تلك التقدمة الرائعة التى تبين التطور التاريخى لفكرة العقد ، والعقد الاجتماعى بالذات ، كما تدفع تلك الاتجاهات للفلاسفة الذين اختار لهم وهم بترتيب وضعهم فى الكتاب ــ دافيد هيوم ، وجان جاك روسو ، وجون لوك ــ تدفعهم بعضهم ببعض ليخرج من تلك الدراسة المقارنة بالاتجاهات المتباينة لهؤلاء الفلاسفة عن العقد الاجتماعى وليبرز للقارىء فى صورة نقدية بليغة ــ تجىء ضمنا ولا يسفر الكاتب عنها اطلاقا ــ معقد السيادة على أن يطوع آراء العقد الاجتماعى وفقا لأغراضه ومراميه ، فقد أصبح العقد الاجتماعى لروسو انجيل الثورة الفرنسية وغدا كما يقول باركر أنشودة مديح فى الفردية (المقدمة ص ٣٥) ، والواقع كما يقول باركر (ص ٣٦) « أن اثر تعاليم روسو فى الثورة الفرنسية كان أقل بكثير مما اعتقده الناس ، والواقع أيضا أن فلسفته كانت أقل تجانسا بكثير مع فرنسا فى سنة ١٧٨٩ ، وأكثر تجانسا مع ألمانيا بعد ذلك بعشرين أو ثلاثين سنة (ألمانيا فيشته وهيجل) ، مما اعتقد مفسروها الفرديون ، والحقيقة أن فلسفة « العقد الاجتماعى » « فلسفة معبر » فهى تحدد مرحلة الانتقال من « القانون الطبيعى » الى تقديس الدولة القومية ، انها قد تبدأ مع « لوك » ولكنها تنتهى بالعودة الى تقديس الدولة كما جاءت فى « جمهورية أفلاطون » (وهذه هى العودة الحقيقية لروسو ، وليست العودة الطبيعية) ، « وهو اذ يعود الى أفلاطون يتوغل فى المستقبل وتصير فلسفته مقدمة لمذهب هيجل » .

وسنرى فى استعراضنا للكتب الثلاثة كيف تتفاوت الآراء بين روسو ولوك ، بل كيف تعبر على أشلاء فكرة تقليدية محافظة لدى هيوم وان اهتمت بابراز الاطار التاريخى لفكرة العقد أكثر مما اهتمت بوضع نظرية بعينها .

وأرى قبل أن أعرض لهذه الكتب الثلاثة أن أسير مع باركر فى مقدمته لها مكتفيا باستقصاء الفكرة التى ينشدها فى المقدمة دون أن أغوص فى تحليله للمؤلفين الثلاثة وأفكارهم الا فى الحدود

التى لا تمس عرضـــنا الخـــاص لآرائهم حتى لا يختلط الأمر على القارىء بين ما نراه وما يراه باركر فى مقدمته .

والواقع ان مقدمة باركر تقدمة مثمرة للقارىء الذى ينشد دراســـة العقد الاجتماعى دون أن يتكلف جهـدا فى الرجوع الى الأصول التاريخية والفلسفية لفكرة العقـــد وفلسفته فى مراجعها الأصلية العديدة .

ويرى باركر وهو يفنـد ما وجه لفكرة العقد الاجتماعى من نقـد : « انها ميكانيكية وليست عضوية فى تفسيرها للحياة السياسية وأنها فقهية وليست أخلاقية فى تبريرها للالتزام السياسى ، وأنها فرض اولى ولا تســـتند الى التـاريخ فى توضـــيحها للمجتمع الســـياسى والســـلطة السياسية » ، يرى أنها فكرة قديمـــة راودت الأجيال من قبل على أيام افلاطون فى القرن الرابع قبل الميـلاد وظلت سادرة تطلع خـلال الأحقاب حتى حامت على صفحات « الانسان ضد الدولة » لهربرت سبنسر فى أخريات القرن التاسع عشر .

ففكرة العقد الاجتماعى من حيث أنها تاريخية ترجع الى عهد بعيد بل اننا لنعود بها الى ما قبل أفلاطون كما قلنا ، حيث نرى جذورها فى فلسفات الشرق القـديمة ماثلة فى الصين وبابل ومصر الفراعنة ، بل ان الفكرة لتبدو واضحة فى الشرائع السماوية على الأقل ، من حيث الالتزام الأخلاقى ومن حيث الحق والواجب ، فحين يجمع الناس على اعتنـاق دين من الأديان تبرز مباشرة فكرة الالتزام بالحـدود التى جاءت بها الشريعة وهو التزام أخلاقى فى بعض نواحيه وهو التزام قانونى فى نواح أخرى شأنه فى هذا شأن الالتزامات التى يفرضها العقـــد الاجتماعى ، واذا كان العقـــد الاجتماعى تعبيرا عن الارادة الحرة لمجتمع بعينه ، فان اجتماع الناس على عقيدة من العقائد هو تعبير أيضـا عن ارادتهم الحرة فى اختيار تلك العقيدة وحين يجمعون عليها يلتزمون بطاعتها .

وحين يصدر أصحاب فكرة العقد الاجتماعى عن القانون الطبيعى فانهم يحملون القانون الطبيعى أكثر مما يحتمل .. فان القانون الطبيعى ، كما يبدو لأول وهلة ، ليس قانونا وضعيا ، وانما هو جملة قواعد تعارف عليها المجتمع وأقرها صيانة لوجوده ، تنبع من ذات الفرد واحساسه أكثر مما تنبع من تفكيره ، وحـين تتعـدى الأحساس الى التفكير ، تنطلق من اطـارها الطبيعى الى اطارها الوضعى ، لهـذا كانت فكرة العقد الاجتماعى فى منشئها تعبيرا عن الارادة الحرة للمجتمع ، وهى تسـتند الى حق الانســان الطبيعى فى الحرية والعدالة وهى فى هذا تنبع كالقانون الطبيعى من ذات الفرد واحساسه ، وحين تنطلق هى الأخرى من هذا الأسار الى التفـكير ، تنطلق من مرحلة العرف السائد الى التقنين والتشريع .

وثمة حقيقة يجب أن نتبينها ، وان غفل عنها كثير من فلاســـفة العقد الاجتماعى حين جهلوا أو تجاهلوا فى فورة حماسهم لنظرية العقـــد الاجتماعى أن المجتمع الانســانى ــ أى مجتمع انسانى ــ كائن عضوى أو أشبه ما يكون بالكائن العضوى ، ينمو بذاته ، وأنه حقيقة ــ كما يقول باركر ص ٣٦ ــ من حقائق التطور التاريخى ، لم ينشأ نتيجة تعاقد من أى نوع ، فى حين أن الدولة قد تنشأ نتيجة تعاقد ما ، وعلينا أن نفرق بين الدولة والمجتمع فى هذا ، فالمجتمع اذا كان كائنا عضويا يخضع لعمليات التطور والنماء التى يخضع لها الكائن العضوى وبالتالى لا يتم نتيجة لتعاقد يقوم بين أفراده ، فان الدولة على العكس قد تكون عملا انشائيا يقوم به أعضاء المجتمع ، فالدستور هو العقد السياسى الذى تتكون الدولة بمقتضاه ، وان كان من النـــادر أيضـــا ــ كما يرى باركر (ص ١٣) ــ أن تنشأ الدولة نتيجة تعاقد الا فى أعقاب الثورات كما حدث فى الثورة الفرنسية ، أو فى حالة الاتحادات الفدرالية كما حدث فى نشأة الولايات المتحـــدة الأمريكية ، وقد كان الاتحاد الاشتراكى العربى نتيجـــة تعاقد تضمنه ميثاق العمل الوطنى ، وقامت الجمهورية العربيـــة المتحدة فى ظله نتيجـــة لثورة ٢٣ يوليـــة سنة ١٩٥٢ .

ويستطرد باركر فى تتبع المنظور التـــاريخى لفكرة العقـد الاجتماعى فيقول أن البـــابوية قد احتضنتها « للحد من سلطة الملك » بمعنى أنه

« اذا تعدى الملك بأية صورة من الصور حدود العقد الذى اختير بمقتضاه ، فانه يحل بذلك الناس من التزام الخضوع له » .

الا أن فكرة العقد الاجتماعى لم تظهر فى صورتها النهائية الا فى كتابات القديس « توما الأكوينى » وان استمدت نظريته أصولها من الكتاب المقدس ومبادىء القانون الرومانى ونظريات أرسطو فى السياسة . ونراه يفرق بين ثلاثة مظاهر للسلطة ، فهى من حيث الجوهر من أمر الله ومن حيث الأسلوب من أمر الناس ولهم وحدهم أن يحددوا صورتها ملكية كانت أو أرستقراطية أو ديمقراطية أو مزيجا منها ، ومن حيث ممارستها فللناس وحدهم أن يقوموها والحاكم الطاغية عنده من حق الرعية الا تحافظ على العقد المبرم بينها وبينه .

وبهذا تبدو نظرية توما الأكوينى فى العقد الاجتماعى ملائمة تماما لطابع الحكم فى العصور الوسطى حيث تقوم العلاقة بين الأمير الاقطاعى وتابعه حين يتعهد التابع بالولاء لأميره وسيده على أن يقوم الأمير برعاية حقوقه وتنفيذ ما جاء فى اتفاقه معه حين خضع له وقبل مشيئته . كما كان الملك الاقطاعى يدخل بدوره فى تعاقد ضمنى مع أمراء الاقطاع التابعين له عندما يتبادلان معا قسم تتويجه . وفى ظل هذه النظرية يصبح للبابا الحق فى حرمان الملك من سلطته وهى المنحة الالهية اذا ما أذنب فى حق المانح .

وظلت نظرية العقدالاجتماعى تحملهذا الطابع اللاهوتى حتى القرن السابع عشر وكانت سندا قويا للأقليات الدينية فى تبرير مقاومتها أى اتجاه يرمى الى فرض دين الأغلبية عليها .

وتبرز فكرة العقد الاجتماعى خلال الصراع الدينى الذى ساد أوربا بعد ذلك فيرى كل فريق فيها سندا لدعواه ، وتظهر كتابات اللوثريين والكالفنيين وحتى الكاثوليك وهى تتخذ من نظرية العقد الاجتماعى سندا لقضاياهم الدينية .

الا أن فكرة العقد الاجتماعى لا تتبوأ اطارها الحديث كنظرية سياسية الا على يد هوبز ولوك وروسو ، ولا تكتمل دراسة النظرية دون دراسة التفكير السياسى لهؤلاء الثلاثة ، وهو ما قام باركر فى مقدمته لهذا الكتاب الذى جمع فيه بين لوك وروسو ، وان اغفل كتاب هوبز « العملاق » Leviathan ، الا أنه لم يهمل الخطوط الرئيسية لنظريته عن العقد الاجتماعى .

ولعله حين ضم رسالة هيوم عن « أصل العقد » دون عملاقهوبز قد وجد فيها ما ينشده وهو ابراز التطور المنطقى والتاريخى لفكرة العقد الاجتماعى فانها دون شك خير تمهيد لدراسة تلك النظرية ، فقد عرض هيوم فى أصل العقد لما يعرف « بعقد الحكم » وهو ما يطلق عليه بالفرنسية Pacte de Gouvernement) وهو ما يجب التمييز بينه وبين عقد المجتمع الذى يطلق عليه بالفرنسية Pacte d' Association ، اذ أن العقد الاجتماعى يتضمنها معا وان وجب التمييز بينها . فعقد الحكم هو العقد الذى يقوم بين الحاكم والرعية ، فاذا افترضنا أن هناك عقدا للحكم ، فعلينا أن نفترض قيام جماعة منظمة تربطها فعلا ارادة اجتماعية مشتركة ، هى التى اطلق عليها عقد المجتمع ، كما نفترض وجود حاكم يتحمل أعباء الحكم بالاتفاقمع هذه الارادة »وعلى هذا فان عقد المجتمع لابد وأن يسبق عند الحكم ، وان عقد المجتمع هو الذى يخلق الجماعة السياسية المنظمة اما عقد الحكم فلا يخلق شيئا سوى السلطة التى تمنحها الجماعة السياسية المنظمة للحاكم الذى ترتضيه ، وحين يجتمع عقد المجتمع الى عقد الحكم تتكون الدولة التى تقوم على أساس العقد الاجتماعى .

وفى تلك الحدود الضيقة من عقد الحكم يختلف لوك وروسو وهوبز كل منهم عن الآخر بالرغم من أن اهتمامهم جميعا قد انصب على عقد المجتمع دون عقد الحكم ، فلوك يرى أن المجتمع متى تكون قد يعين هيئة أو حكومة من الأوصياء . لا يعقد معها اتفاقا ولكن له أن يعزلها اذا ما نقضت شروط الوصاية وفقا لتفسيره لشروط الوصاية ، بينما يرى روسو أن المجتمع متى تكون يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه دون ما تفرقة بين حكام ورعايا مما ينتفى معه قيام أى نوع من التعاقد بين كليهما ، أما هوبز فيرى أن المجتمع بعد أن يتكون

قد يتنازل عن كل حقوقه فى السيادة ويسلمها لانسان فذ هو الذى يدعوه بالعملاق ليغـدو صاحب السيادة المطلقة دون أن يعقد اتفاقا مع المجتمع ولا يخضع بذلك لأى حد من الحدود التى يفرضها عقد الحكم .

ولا نحب أن نغرق مع روسو فى أحلامه فان نظريته لابد وان تنتهى بنا بالرغم من بروق الحرية والفردية التى تلمع فى حواشيها الى الجماعية أو النقابية أو تدفعنا فى ركاب الماركسية أو الهيجلية رغم ما بين الاثنتين من فروق جادة أو تحشرنا حشرا فى « دولة المدينة » City State، اذ لو كان للجماعة الصغيرة أن تحكم نفسها بنفسها دون ما تفرقة بين الحكام والرعايا كما كانت المجتمعات اليونانية القديمة ، فان ذلك يبدو مستحيلا بالنسبة للمجتمع الكبير ، وسنرى حتما أن نظرية « فناء الدولة » التى تنتهى اليها الماركسية تطل برأسها بين تعاليم روسو ، ويعلل باركر هذا الاتجاه عند روسو بالأثر الذى تركته حياته فى جنيف على تفكيره حتى غدا داعية فذا لنظام الكانتونات السويسرية ، ولكنه يرى أيضا أن عملاق هوبز يعتلى فى النهاية مركب روسو الحر ، فاذا كان « الفرد سيعطى نفسه للجميع — كما يقول روسو — وهو بذلك لا يعطى نفسه لأحد » ويبقى « سيد نفسه » فانه سيرى نفسه فى النهاية جزءا من كل ، هذا الكل هو عدد أفراد المجتمع الذى ينتمى اليه ، أى أنه يصبح جزءا صغيرا فى مجتمع طغاة ، ولا فرق بين الطاغية الفرد والطاغية عندما يكون « هيئة مندمجة » والعملاق هو العملاق فردا كان أو هيئة مندمجة .

ولا نحب أيضا أن نغرق مع لوك فى نظرته المحافظة التى غدت غذاء وسندا لحزب الأحرار الانجليزى والتى ألهمت نظرية العقد الاجتماعى بفيض من الأفكار المستنيرة كما لا نحب عملاق هوبز الذى يسوس المجتمع ويسوقه مرغما الى الاندماج ، ولكن ما نحب أن نقوله هو أن المجتمع اذ يتكون بذاته ويتطور الى كل متكامل مندمج انما يبحث عن سعادته ، وحين ينشد هذه السعادة يبحث عن مقوماتها من الحرية والعدالة ، وفى هذا نتفق فى المبدأ مع كل من روسو ولوك بل وهوبز أيضا ، وان اختلفنا معهم من حيث الشكل بمعنى أن شكل الحكم من حيث الوسيلة والغاية وممارسة السيادة يكون شكلا طيبا ومثمرا اذا ما حقق السعادة التى ينشدها الفرد والمجتمع ، وما من شك فى أن لكل مجتمع ظروفه التى تنبع من تاريخه وتتحكم فى مصيره ، وما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر ، ولم يكن روسو مؤمنا بالديمقراطية البرلمانية ، « فالتمثيل النيابى فى نظره مستمد من نظام الحكم الاقطاعى الجائر السخيف ، والنواب فى مجلسهم كالجنود المأجورين فى الحرب ، والشعب الانجليزى يعتقد نفسه حرا ، وهو بذلك يخدع نفسه الى حد كبير ، فهو ليس حرا الا أثناء الانتخابات العامة » ، بينما يذهب لوك الى النقيض ويرى أن قوة المجتمع فى صورتها الطبيعية تتمثل فى الأغلبية ، وللأغلبية أن تستعمل تلك القوة فى سن القوانين للمجتمع » ويضع بذلك قواعد الحكم النيابى كما عرفته بريطانيا .

وخلاصة القول أن نظرية العقد الاجتماعى وان أنكرها المؤرخون الذين يقولون مستندين الى وقائع التاريخ وحقائقه ، انه لم يحو شيئا من هذا القبيل ، كما أنكرها رجال القانون الذين يعرفون ما هى العقود الحقيقية ، وان عقدا من هذا النوع لم يقم فى الهيئة الاجتماعية لا بكونها مجموعة من الأفراد المتحدين ولا بكونها كلا متماسكا ، قد أصبحت حقيقة واقعة لا ننكر أن لها جذورا من الواقع التاريخى والقانونى معا ، فحيث يجمع الناس على حقيقة سياسية أو أخلاقية ، تنعكس على سلوكهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، يبدو الواقع التاريخى كما يراه المؤرخون نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لانعكاس المثل الأخلاقية والسياسية المجردة على سلوك الناس وأعمالهم ، وهذا الواقع هو الذى يهم المؤرخ ولا يعنيه أن يتقصى حوافزه النفسية قدر ما تعنيه الحوافز المادية الملموسة ، وبذلك تبقى الحوافز النفسية بعيدة عن عمل المؤرخ ، ولكن الفيلسوف يراها حقيقة تكمن فى أعماق الناس

وأحساسهم بوجودهم الكائن ، فان أغلق المؤرخ أبوابه دونهـا ، يبقى الفيلسوف على استعداد دائم لتلقفها لتصبح على يديه حقيقة واقعة يعنى المؤرخ بنتائجها دون أن يعنى بأصولها النفسية القابعة فى أعماق النفس البشرية ويظل المؤرخ والفيلسوف على خلاف دائم حول حقيقة وجودها وهنا يتجلى عمل المؤرخ الفيلسوف فيعتلى قمة لا يرقى اليها الفيلسوف وحده ولا يعتليها المؤرخ الذى يحبس نفسه فى صومعة الحقائق المادية .

فالجذور التاريخيـة للعقد الاجتماعى تبدو واضحة فى اجتماع الناس على سلوك معين ومثل أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية واحدة ، بينما يبدو تعارف الناس عليهـا والتزامهم بها سندا قانونيا لهـا ، وغالبا ما يكون العرف أقوى من التعاقد ، والالتزام الأخلاقى أقوى من القانون ، بل ان القـانون غالبـا ما يقوم لحماية العرف والتقاليد والمثل الأخلاقيـة والاجتماعيـة بل والسياسية فى المجتمع الانسانى ، ويتقدم دائما لحماية المثل والاعراف فى المجتمعـات المتحدة المنظمة .

واذا كان لنا أن نصمت أمام المؤرخ أو نتحرج أمام رجل القانون فان علينـا حتى كمؤرخين ، أو من رجال القانون ألا ننكر الثمار الطيبة للعقد الاجتماعى فى حقل التقدم السياسى ، وقضايا الحرية بوجه عام ، ففى ظله ترعرعت ثورة ١٦٨٨ فى انجلترا ، وأينعت الحرية السياسية والنظام البرلمانى الانجليزى ، وفى رحابه قامت الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ التى انتهت باستقلال أمريكا وقيام الولايات المتحدة الأمريكية ، ولفحت ريحه العبقة « صموئيل أدامز » و «توماس چفرسون» فانعكست على وثيقـة « اعلان الاستقلال » الأمريكى ، وفى الثورة الفرنسية أصبح العقد الاجتماعى نشيد الثورة المحبب ، بل لنقول مع باركر ان وثيقة « حقوق الانسان » التى أعلنتها الثورة قد « رضعت لبان روسو » .

ويمكن أن نقول أكثر من هـذا : ان الثورات الاشتراكية والمذاهب السياسية المعاصرة قد لفحتها ريح العقد الاجتماعى لفحا قويا أينعت فى أجوائه حقوق العمال والطبقات الكادحة ، وانها ظلت تلفح عاتية عاصفة كل نظام جائر يقوم على التفاوت الطبقى وكبت الحريات وهضم حقوق الشعب ، وما زالت كلمة روسو « يجب ألا يبلغ مواطن من الثراء ما يجعله قادرا على شراء غيره ولا من الفقر ما يحمله على بيع نفسـه » غذاء لكل مذهب اشتراكى .

الدكتور حسين فوزى النجار

سطور من كتاب ...

« لقد استطاع نابليون الأول أن يفيـد من أفكار روسو عن سيادة الشعب وعن الارادة العامة ليقيم حكومته المطلقة بعد أن حصل على تأييد الأمة له فكان استبداده علميا . لقد أقام حكمه المطلق على أساس أن تلك هى ارادة الأمة وانه اذا تكلم القانون وجب على الضمير أن يصمت لأن القـانون يعبر عن ارادة الأمة صاحبة السيادة » .

... أمهات الأفكار السياسية الحديثة

تأليف : أغناطيوس كراتشكوفسكي
ترجمة : الدكتور صلاح الدين هاشم

تاريخ الأدب الجغرافي

القسم الأول

الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر
عدد الصفحات ٤٦٩ ص ٢٣ × ٣٠ سم .

هذا كتاب ممتاز ، أعد ، من خير ما أخرجت المكتبة العربية من كتب علمية فى تاريخ العلوم عند العرب . وترجمته الى العربية عمل جليل ، خصوصا والمترجم ، الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم ، من السودان ، قد ترجمه عن اللغة الروسية مباشرة ، ولم يترجم الى لغة أخرى : انجليزية أو فرنسية ، حتى يكون فى متناول الباحثين .

ولم يوجد فى بابه غير كتاب جوزف رينو (١٧٩٥ – ١٨٦٧) المستشرق الفرنسى المعروف الذى بدأ فنشر مع ماك جوكين دى سلان كتاب « تقويم البلدان » لأبى الفدا سنة ١٨٤٠ ثم ترجم الكتاب الى الفرنسية وجعل لهذه الترجمة مقدمة تؤلف كتابا برأسه فى قرابة ٤٥٠ صفحة جعله الجزء الأول بعنوان : « مدخل عام الى الجغرافيا عند الشرقيين » وفيه درس تأريخ الجغرافيا عند العرب ، وظهر فى باريس سنة ١٨٤٨ بعنوان :

Geographie d' Aboulfèda, trad. de l'arabe en français par AEINAUD , vol I : Introduction générale a la Geographie des Orientaux Paris 1848.

ومنذ دراسة رينو هذه لم يظهر غير مقالات متفرقات عن الجغرافيين العرب ، الى أن جاء أجناتى كرتشكوفسكى (١٨٨٣ – ١٩٥١) فألف هذا الكتاب الذى نحن بسبيل التحدث عنه .

وكرتشكوفسكى من تلاميذ روزنا ، المستشرق الروسى الكبير (١٨٤٩ – ١٩٠٨) . وقد بدأ بتعلم العربية صغيرا بمعونة كتاب النحو العربى الذى وصفه دى ساسى ؛ ولما دخل الجامعة تتلمذ على ردن فدرس على يديه اللغة العربية ، وتتلمذ على بارتولد (١٨٦٩ – ١٩٣٠) فدرس عليه التاريخ « الاسلامى » ، كما حضر دروس مليورانسكى (١٨٦٨ – ١٩٠٨) العالم بالتركيات ، وزوكوفسكى (المتوفى سنة ١٩١٨) أستاذ الايرانيات ، وكوكوفكوف استاذ الساميات . وكانت رسالته عن أبى الفرج الوأواء الشاعر الدمشقى ؛ نشرة محققة لديوانه ؛ والوأواء من شعراء سيف الدولة ؛ وأضاف الى نشر النص العربى ترجمة روسية ومقدمة ضافية فى تاريخ الشعر ، انتهج فيها منهج أ. ن . فسلوفسكى فى تأريخ الأدب . ومن ثم بدأت دراسات كرتشكوفسكى فى ميدان الشعر والبلاغة والنقد الأدبى العربى ، مما تجلى خصوصا فى نشرته الممتازة لكتاب « البديع » لابن المعتز الشاعر العباسى . ثم اهتم بأبى العلاء المعرى ، وكانا من آثر الشعراء عنده .

ورحل كرتشكوفسكى الى الشرق العربى فأمضى فيه عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ فزار سوريا ومصر . واهتم باللغة العامية وأمضى شتائين فى جامعة القديس يوسف ببيروت حيث انعقدت الصلات الوثيقة بينه وبين لويس شيخو وأنطون

* مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ فى ٤٦٩ صفحة من قطع مزدوج الجاير .

صالحاني (ناشر ديوان الأخطل) . كذلك عرف أمين الريحاني وجرجي زيدان ومحمد كرد على واحمد تيمور باشـــا ، فاتصل بهم واطلع على النهضة العربيـــة الجديدة ، ووجهه ذلك الى الاهتمام بالأدب العربى المعاصر ، فكتب عنه عدة مقالات وترجم منه نصوصا ، وخصوصا أنه عنى بالقصة التاريخيـــة فى الأدب العربى الحديث ، وكتب فى دائرة المعــارف الاسلامية مواد تتعلق بالأدب العربى الحديث . واشـــتغل مع برنوف فى سبيل اعداد معجم بلغة الأدب العربى الحديث

وأمضى وقتـــا طويلا فى المكتبات العربية فى القاهرة والاسكندرية وبيروت ثم رحل الى هلنه ولپتسك وليدن فى سبيل دراسة بعض المخطوطات وعين مديرا للقسم الاسلامى فى المتحف الآسيوى الذى يضم كثيرا من نفائس المخطوطات العربية .

وفى سنة١٩٤٥ نشر ذكرياته عن الكتب والناس فلقيت نجـــاحا هائلا وترجمت الى الألمانيـــة ســنة ١٩٤٩ والبولندية ســنة ١٩٥٢ والانجليزية سنة ١٩٥٣ والفرنسية سنة ١٩٥٤ وفيها يذكر ما عرفه من نفائس المخطوطـــات ومن لقيهم من العلماء .

وقد كتب نبذة صغيرة عن تاريخ حياته باللغــة العربية ، ونشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٧ (المجلد السابع ص ١٢٢ — ١٢٦) وقد احسن المترجم العربى بنقلهـــا فى مقدمة ترجمته العربية .

وقد طبع كتابه هـــذا لأول مرة سنة ١٩٥٧ بوصفه الجزء الرابع من « منتخبات آثار أ . ى كراتشكوفسكى » ؛ وانما طبع منـــه قبل ذلك فصولا متفرقة اما كاملة أو مبتورة ، على هيئة مقالات مستقلة . وكان تأليفه له فى الفترة بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤٥ ؛ فكأن الكتاب لم ير النور بصورته الراهنة فى حياة المؤلف ، الذى توفى فى سنة ١٩٥١ ؛ وقد أشرف على طبعـــه زوجته وميخايلوفا ، يعـــاونهما بليـــائف وبيـكوف وبيسارفسكى . وتسريتلى .

والترجمة العربية التى بين أيدينا هى للقسم الأول من الكتاب، وتصل بنا الى تاريخ الجغرافيا فى القرنين التاسع الهجرى والعاشر (الخامس عشر الميلادى والسادس عشر) . وقد توخى المؤلف فيه الترتيب التاريخى فبـدأ ببداية الجغرافيا الرياضية عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية الأولى ، وقفى على ذلك بدراسة بداية الجغرافيـا عند العرب ، ثم الجغرافيين العرب المتأثرين بكتب الجغرافيا اليونانية (الخوارزمى ؛ ســهراب ؛ يعقوب الكندى ؛ البتانى ؛ ابن يوسف الصدفى ؛ ابراهيم الزرقانى ؛ الخـــازنى ؛ المراكشى ؛ نصير الدين الطوسى ؛ الخ) .

وفى الفصل الرابع تناول الجغرافيين اللغويين (أبو حنيفة الدينورى ، النضر بن شميل ، هشام ابن الكلبى ، الأصمعى ، عرام بن الأصبغ ، الخ) وما يســـتفاد من كتبهم اللغوية من معلومات جغرافية .

وتبــدأ الجغرافيا الحقيقيـــة بالقرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حيث نجـد أعلام الجغرافيين العرب : ابن خرداذبة ؛ اليعقوبى ؛ البـــلاذرى ؛ ابن الفقيه ؛ ابن رسته ؛ قدامة ابن جعفر ؛ ثم من كتبوا عن مدنية مدينة مثـــل الأزرقى (مكة) ، ابن عبد الحكم (مصر) الخ .

ويخص المسعودى بفصل ضـــاف لأهميته البالغة ؛ ثم يتحـــدث عن الرحالة الذين زاروا الأصقاع الشمالية (روسيا وغيرها) فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) مثل ابن فضلان الذى كان عضوا فى ســـفارة تم اعدادها تلبية لطلب بلغـــار الڤولجا الذين بعثوا برســـول الى بغداد يلتمسون المعونة ضد ضغط الخزر عليهم



من الجنوب كما يلتمسون أن يرسل اليهم من يفقههم فى شئون الدين ، فكان أحمد بن فضلان هو هذا الفقيه . وقد كتب عن رحلته هذه رسالة أهتم بها المستشرقون الروس والدانيمركيون ، فكتب عنها فرين المستشرق الروسى بحثا ضافيا .

ثم نصل الى المدرسة الكلاسيكية فى الجغرافيا العربية وهى التى يؤلفها جغرافيو القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وعلى رأسها : البلخى ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، والمقدسى . وبها تبدأ الخرائط الجغرافية العربية .

وفى القرن التالى (الخامس الهجرى ، الحادى عشر) نلتقى بشخصية عظيمة جدا فى تاريخ العلم كله ، ونقصد بها البيرونى ، وله فى الجغرافيا كما فى غيرها مكانة ممتازة وان كانت كتبه الجغرافية أدخل فى علم الفلك والنجوم منها فى الجغرافيا بالمعنى المحدود ، وله فى ذلك كتابان : « القانون المسعودى » و « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » . والى القرن نفسه ينتسب أكبر جغرافى اندلسى وهو أبو عبيد البكرى صاحب كتاب « المسالك والممالك » .

وتبلغ الجغرافيا العربية أوجها عند الادريسى الذى اشتغل فترة فى بلاد روجار ملك النورمانديين بصقلية ، وصاحب كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ثم « روض الأنس ونزهة النفس » ؛ وكان له فضل عظيم فى رسم خريطة العالم كما عرف فى ذلك الوقت .

والمؤلف فى ذكره لكل علم من هؤلاء يتحدث عن أهميته وما نشر له ، ومصادره ، وقد يتحدث عن المخطوطات والدراسات التى كتبت حول المؤلف والكتاب وما ترجم الى اللغات الأوربية .

* * *

وليس فى وسعنا أن نقارن بين الترجمة والأصل حتى نحكم على مدى التزام المترجم للنص الذى ينقل عنه . ولهذا نكتفى هنا بالاشارة الى ملاحظات عنت لنا أثناء قراءة الترجمة :

أ ـ لاحظنا وقوع أخطاء نحوية ولغوية لا حصر لها ، ونذكر على سبيل المثال :

(١) ص ١٠٩ : وفى كلى جدوليه ـ الصواب : وفى كلا جدوليه .

(٢) ص ١٣٢ : أن أخ الخليفة ـ والصواب : أن أخا الخليفة .

(٣) ص ١٣٧ : فابصروا قطعان هائلة ـ والصواب : قطعانا .

(٤) ص ١٣٧ : المفررين (بفتح الراء المشددة) ـ والصواب : (بكسر الراء المشددة) .

(٥) ص ١٦١ س٧ : موظفو الدولة العديدين ـ والصواب : العديدون .

(٦) ص ١٧٠ س ٦ : أقيم ـ والصواب : أقوم .

(٧) ص ١٨٠ س ١٠ : باتت ـ والصواب : بانت .

(٨) ص ١٨٠ س ١١ : تتبع ـ والصواب : نتبع .

(٩) ص ٢٠٧ س ١٢ : الأخروات ـ والصواب : الأخريات .

(١٠) ص٢١٩ س٥ : خلفوا آثار ـ والصواب : آثارا .

(١١) ص ٢٢١ س ١١ : فى هنا ـ والصواب : فى هذا .

(١٢) ص ٢٢٥ السطو الأخير : وقد حدث هذا مرتان ـ والصواب : مرتين .

(١٣) ص ٣٣٦ س ١٧ : مضيفين آخرين لياقوت أقلا حجما ـ والصواب : أقل .

(١٤) ص ٣٨٣ س ١٠ : كلا الرحلتين كانتا فى جوهرهما تمثلان ـ والصواب : كلتا الرحلتين كانت فى جوهرها تمثل .

(١٥) ص ٤١٩ س ٣ من أسفل : أن ثمة خلط ـ والصواب : خلطا .

(١٦) ص ٤٢٤ س ٦ من أسفل : وهى نيفا وعشرين عاما – والصواب : نيف وعشرون .
أما الأخطاء المطبعية ، خصوصاً فى أسماء المراجع الأفرنجيـــة ، فوافرة جداً ، وكان من الواجب تداركها .

ب – وأخطاء فى كتابة الأعلام ، نذكر منها :

(١) ص ٦١ : ساويرس سبوكت – وصوابه : سويرس سيبوخت .

(٢) ص ١٦٤ : أبو لون التيانى – وصوابه : بلنياس الطوانى .

(٣) ص ١٦٤ : الفنيين Finns – وصوابه : الفنلنديين .

(٤) ص ١٧٧ : الصحابى مسعود – وصوابه : الصحابى ابن مسعود (عبد الله) .

(٥) ص ٣١٦ : الخـرقى – وصـــوابه : الخيوقى .

(٦) ص ٢٢٨ : ساويرس برشكو – وصوابه : سويرس برشكو .

(٧) ص ٢٥٧ : كراوســـــه Krause – وصوابه : كراوس Kraus (پاول) .

(٨) ص ٢٦٠ : أرجان –والصواب : أرّجان (الشدة على الراء لا الجيم) .

(٩) ص ٣١٦ ، ٣١٧ : الخرقى – وصوابه : الخيوقى (نسبة الى خيوة) .

(١٠) ص ٣١٧ س ١٣ : الخازم – وصوابه : الخازن .

(١١) ص ٤٢٠ : الأب لامنز – وصــــوابه لامانس .

(١٢) ص ٧٦ س ٢ : زيك شــــترو آيار وصوابه : زيك شتر أيار (وهــو كتاب بهلوى نقل الى العربية – راجع نلينو ص ١٨٦) .

(١٣) ص ٧٦ س ١٨ : قلعـــــة كنكوز – وصوابه : كنكوز (بالجاف بالفارسية) .

ج – وأخطاء فى الأرقام ، ونذكر منها :

(١) ص ١٢٤ : ٩٦١ هـ – وصوابه : ٩٦١ م .

(٢) ص ١٨٩ : المؤتمر الدولى الثالث عشر – وصوابه : الثالث .

(٣) ص ١٨٩ : ١٩٦٧ – وصوابه : ١٩٢٧ .

د – وأخطاء فى ترجمة الاصطلاحات العلمية ، مثلا :

(١) ص ٧٦ س ٢٦ ، ٢٢٨ س ٦ : نظـــرية الأزمنة الكونية – والصواب : نظرية الأكوار .

(٢) ص ٣١٧ : على رأى العين de visu والصواب : على العنان ، رؤية العين .

(٣) ص ٤١٠ : الـــــرب‍ـ Quartenfieber – والصواب : حمى الربع (بكسر الراء – وهى حمى تنوب يوما وتترك يومين ، وذلك أنها تأخذ فى الأيام الثـــلاثة ثمانى عشرة ساعة ، وهى ربع ساعات الأيام ، فسميت باعتبار الساعات) .

ولكن هذه الهنات الهينات ليس من شأنها أن تنتقص من قدرة هذه الترجمة الجيدة التى بذل فيها صاحبها جهداً رائعا خليقا بكل تقدير ونأمل أن يصدر القسم الثانى فى أقرب وقت .

الدكتور عبد الرحمن بدوى

---

(١) ص ٧٦ س ٢٦ ، ص ٢٢٨ س٦ : نظرية الأزمنة الكونية – والصواب : نظرية الأكوار

قضايا أندلسية

تأليف : الدكتور بدير متولى حميد

الناشر دار المعرفة ، عدد الصفحات ٤٢٩ ص ١٤×٢٠ سم



هذا كتاب يحاول درس الشعر الأندلسى ، ويركز اهتمامه فى خمس قضايا باعتبارها ــ فى نظر المؤلف ــ أهم ما يدرس فى هذا الشعر . وتلك القضايا هى : « الشعر الأندلسى قبل القرن الرابع » ، و « الشعر الأندلسى بين التقليد والتجديد » و أثر البيئة الأندلسية فى الشعر ، وأخيرا « الموشحات الأندلسية ونشأتها »

وقد أفرد المؤلف لكل قضية من تلك القضايا فصلا ، فجاء الكتاب فى خمسة فصول .

فى الفصل الأول ــ « الشعر الأندلسى قبل القرن الرابع » ــ اشار المؤلف أولا الى صعوبة درس الشعر فى هذه الفترة ؛ بسبب قلة مصادره وعدم ترتيب مادته وقلة عناية الدارسين به ، ثم انتقل الى بيان طبيعة هذا الشعر ، فبين أنه كان شعرا مشرقيا ؛ قد وفد مع بعض العرب الداخلين الى الأندلس فى زمن الفتح ، ثم مع بعض الأندلسيين الذين كانوا يذهبون الى المشرق بعد الفتح ، للتعلم وجلب الزاد الفكرى والفنى الى بلادهم ، وفى مقدمة ذلك الشعر . ومن هنا كانت خصائص الشعر العربى فى الأندلس حينذاك مشرقية ، ولم تبد خصائص أندلسية فى تلك الآونة ؛ لأن العرب فى الأندلس لم يكونوا قد التفتوا الى بيئتهم الجديدة ؛ لانشغالهم بالحروب والمنازعات .

ثم وضح المؤلف أن أهم قائلى الشعر فى تلك الفترة ، هم الأمراء المروانيون وبعض الرؤساء الآخرين ، ثم بعض المتصلين بهؤلاء وهؤلاء من علماء ومؤدبين .

أما أهم أغراض الشعر حينذاك ، فكان الغزل ، الذى أكثر منه الأفراد المروانيون بخاصة والذى سبق شعر الطبيعة ازدهارا فى بيئة الأندلس .

وفى آخر هذا الفصل وضح المؤلف أن الشعر الأندلسى استمر فى تلك الفترة تقليديا ، حتى دخله شىء من التجديد فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، اى فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، ثم تزايد هذا التجديد ، حتى اتضحت معالمه فى عهد الأمير عبد الله ، أى فى أواخر القرن الثالث الهجرى . وكان هذا التجديد يتمثل فى : الرقة والوضوح وخفة الوزن وطرافة المعنى ــ كما يقول المؤلف .



وفى الفصل الثالث ـ « الشعر الأندلسى بين التقليد والتجديد » ـ بين المؤلف أن الأندلسيين كانوا أول الأمر يتجهون الى المشرق محاولين تقليد شعرائه ، ثم اتضحت شخصيتهم تدريجيا ، وتبلور تجديدهم فى أواخر القرن الثالث ، فمثلا فى شاعرهم الكبير أحمد ابن عبد ربه ، الذى جدد تجديدا واضحا فى المعانى والأساليب والأخيلة والصور ، ثم حاكاه من جاء بعده من الشعراء الأندلسيين كابن هانىء والرمادى وابن دراج ؛ حتى صار التجديد اتجاها واضحا فى الشعر الأندلسى الى نهاية العصور العربية فى تلك البلاد .. والمؤلف يرى أن وراء الاتجاه التجديدى عند الأندلسيين دافعين ، الأول : التأثر بحركة التجديد المشرقية التى تزعمها أبو نواس ، والثانى : الانفعال بالبيئة الجديدة التى عاش فيها الأندلسيون .. ويرى المؤلف كذلك أن أهم سمات التجديد عند الأندلسيين بعد القرن الرابع ، وبعد وضوح هذا التجديد كاتجاه هى : الالتفات الى موضوعات بيئية كالطبيعة الأندلسية ومظاهر الحضارة والجمال فيها ، ثم الميل الى نظم ما يشبه القصص القصار مما يدور بين الناس من أحاديث وما يقع فى حياتهم من طرف ، ثم ايثار النظم فى الفاظ سهلة ومعانى مجددة وصور طريفة وأوزان قصيرة ؛ كل ذلك من حسن التشبيه وجمال الاستعارة ، وما الى ذلك من محسنات بيانية ..

وهكذا برز ـ فى رأى المؤلف ـ اتجاهان فى الشعر الأندلسى ، الأول : الاتجاه التقليدى الذى عرفوه أول ما عرفوا الشعر ، والذى استمر طول عهدهم بالأندلس ممثلا فى محاكاتهم للمشارقة ومعارضتهم لهم ؛ والثانى : هو الاتجاه التجديدى الذى اتضح منذ أواخر القرن الثالث ، وظل الى جانب الاتجاه التقليدى ، ممثلا فيما سبقت الاشارة اليه من مظاهر تجديدية عديدة .

وفى الفصل الثالث ـ « أثر البيئة الأندلسية فى الشعر » ـ وضح المؤلف أن تلك البيئة كانت مفعمة بأجمل المناظر الطبيعية والبشرية ، وذكر أنها كانت على كثير من التحرر وحب مباهج الحياة ولذائذ العيش ؛ لذلك كله كثر فيها وصف الطبيعة والغزل والخمريات ووصف مجالس اللهو ، كما كثر شعر المجاوبات ، التى تعتبر رسائل شعرية تتحد فى الوزن والقافية ، بين رسالة المرسل ورد المجيب .. كذلك وضح المؤلف أن ذلك كله قد أدى الى شيوع الشعر وازدهاره ، حتى تغلغل فى صميم حياة الأندلسيين وحتى أصبح شعبيا بصورة واضحة حين اخذ قالب الموشحات والأزجال .

وفى الفصل الرابع ـ « الفنون التى برع فيها الأندلسيون » ـ اكمل المؤلف بكثير من التفصيل والشواهد فكرة الفصل الثالث ؛ فبين أن البيئة الأندلسية كانت مسرحا لكل فنون الشعر ، غير أن الفنون الشعرية لم تكن على درجة واحدة ، من حيث الاجادة ومن حيث الكم . وذكر أن أهم الفنون كانت ثلاثة : شعر الطبيعة ، وشعر الغزل ، والشعر الحزين .. ثم فصل المؤلف القول فى كل هذه الفنون ؛ فبين أن الأندلسيين وصفوا « الرياض والحدائق وما فيها » وخاصة الورود والنرجس والسوسن والياسمين والريحان ، ثم التفاح والعنب والرمان والنارنج

والسفرجل . كل ذلك فصل المؤلف القول فيه موردا كثيرا من النصوص . كما فصل القول بالنصوص كذلك فى حديث الأندلسيين عن « المياه ومجاريها » من أمطار وأنهار وبحار وغوارات وسواق ، ثم ما يتصل بالمياه من زوارق وسفن وأساطيل .. وأخيرا عرض المؤلف – مع ذكر الشواهد – لوصف الأندلسيين « للحيوانات والطيور » و « العلويات » و « المصنوعات » ، وقرر أن أهم الوصافين فى الأندلس اثنان ، هما : ابن حمديس وابن خفاجة ، وذكر أن الأول أفضل من الثانى ، وعلل لذلك بأن ابن حمديس فى معانيه ادق واطرف ، وفى تصويره أرقى وأروع ، وفى خياله أسمى وأبرع ؛ وخاصة حين يصف البرك والفوارات والقصور ، وحين يشبه الرسوم والتصاوير بما لا يلحقه فيه شاعر أندلسى آخر . وهو – لذلك – يفوق جميع شعراء الأندلس ، وذلك فى نظر المؤلف بطبيعة الحال .. وبعد حديث شعر الطبيعة ينتقل الحديث الى شعر الحب ، فيبين المؤلف أن الأندلسيين أجادوا فى هذا الباب لروعة الجمال البشرى أمام أعينهم ولما عرفت به الأندلس من كونها اعظم سوق للرقيق فى تلك السنين ، وكونها محطا لأعداد هائلة من الاسبانيات السبايا .. كذلك يبين المؤلف أن الأندلسيين اكثروا من الغزل بالمذكر ؛ وذلك – فى نظره – لكثرة الغلمان بينهم ، من سقاة ونحوهم ، ثم لشيوع التعلق بهؤلاء الغلمان ؛ بسبب كثرة النساء فى الأندلس كثرة يرى المؤلف أنها ربما زهدت فيهن ، وصرفت ميول بعض الرجال عنهن !! .. ثم يقرر المؤلف أن الغزل بنوعيه : المادى والروحى ، قد شاع فى الأندلس ، كما وجد الغزل القصصى المشبه لغزل ابن ابى ربيعة .. واخيرا يلمح المؤلف بعض ظواهر تتعلق بشعر الحب فى الأندلس ، منها أن الأندلسيين لم يوجد بينهم مدله بالحب كمجنون بنى عامر مثلا ، ومنها استعباد الحب لكثير من الملوك والأمراء ؛ حتى لقد تمنى بعضهم فى شعره أن يهب ملكه لمن يحب ، ومنها كثرة الغزل بالمذكر .

ويختم المؤلف هذا الفصل الرابع بالحديث عن الفن الثالث الذى برع فيه الأندلسيون ، وهو « الشعر الحزين » فيبين أن الأندلسيين أجادوا الشكوى والتحسر والرثاء ، وخاصة رثاء المدن والديار ، ثم يوضح أن ذلك لم يكن جديدا ؛ فقد سبق به المشارقة ، غير أن الأندلسيين أكثروا منه وجددوا فيه . وفى الحديث عن الشعر الحزين عند الأندلسيين يورد المؤلف كثيرا من الشواهد ، كقصيدة ابن عبدون ، وكقطع لابن عباد وبعض أصدقائه من الشعراء .. وقد لاحظ المؤلف عدة ملاحظات على ما سماه « الشعر الحزين » . ومن تلك الملاحظات ، أن أشعار الأندلسيين فى هذا الباب خالية من التعمق الفلسفى .

وأخيرا يختم المؤلف كتابه بالمقال الأخير عن « الموشحات الأندلسية ونشأتها » فيذكر أن الموشحات فن من الشعر اخترعه الأندلسيون فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وأن أول من أنشأ موشحة هو مقدم بن معافى القبرى ، الذى كان من شعراء فترة الأمير عبد الله ، ويشير الى ما ذكره ابن بسام بتحفظ ، من أن أول من أنشأ موشحة هو محمد بن محمود القبرى ، الذى هو من شعراء نفس الفترة .. وقد فهم المؤلف من حديث المستشرق الأسبانى « جارثيا جومث » أن الأسبان هم مخترعو الموشحات ، فأخذ يدافع دفاعا حارا عن كون الموشحات اختراعا عربيا خالصاً .. ثم تكلم المؤلف فى أوزان الموشحات ، فذكر – بناء على قول ابن سناء الملك – أنها من حيث الأوزان قسمان ، قسم جار على أوزان الشعر العربى ، وهو ضربان : ضرب تتخلله تفعيلة أو حركة تخرجه عن الوزن العربى ، وضرب لا تتخلله تفعيلة أو حركة ما . أما القسم الثانى فهو ما ليس جاريا على أوزان الشعر العربى أصلا ، وانما هو جار على أساس التلحين والتنغيم ، حتى لا يحس له وزن بغير ذلك ، وهذا القسم هو الذى ذكر ابن سناء الملك أنه عجز عن أن يضع له مقاييس أو يضبط له تفاعيل .. ثم ذكر المؤلف – تبعا لابن سناء الملك أيضا – أن أغلب الموشحات يتألف من خمسة أبيات ، (أى فقرات) وستة اقفال . والأقفال هى الأجزاء التى تتكرر بعد كل فقرة مع اتفاق فى الوزن والقافية مع المطلع .. وفى نهاية هذا

الفصل تكلم المؤلف عن أغراض الموشحات وألفاظها ؛ فبين أنها هى أغراض الشعر القصيدى وألفاظه ، غير أن الموشحات تغلب فى الطبيعة والغزل والخمر ، وأن ألفاظها أسهل وأبسط ؛ للتوجه بها الى أوساط الناس والعاديين منهم ، أى لأنها شعبية بحكم طبيعتها . ولذا كانت نهايات بعض الموشحات باللغة العامية ؛ نظرا لشعبيتها الموغلة .

* * *

وليس من شك فى أن وراء هذا الكتاب جهدا كبيرا ، واخلاصا صادقا ، ومحاولة جادة لدرس بعض مشكلات الشعر الأندلسى والوصول فيه الى نتائج . وأعظم ما يتضح فيه ذلك ، هذا الحشد الهائل من النصوص الشعرية ، التى تحتاج فى استخراجها وتبويبها وفهم ظروفها الى صبر وحسن بصر . وقد وفق المؤلف الى حد كبير فى محاولة القاء الضوء على الشعر الأندلسى ، وفى محاولة ربطه باطاره الزمانى والمكانى . غير أن هناك بعض ملاحظات لا تنقص مما فى الكتاب من جهد ، ولا تغض مما وراءه من اخلاص ، ولا تقلل من قيمة المحاولة الجادة التى أسهم بها المؤلف فى القاء الضوء على الشعر الأندلسى .

وبعض تلك الملاحظات يتعلق بالمنهج والخطة التى سار عليها الكتاب ، وبعضها يتصل بالاستنتاجات والأحكام التى قدمها البحث ، كما أن منها ما يرد الى مسائل علمية ، تاريخية أو لغوية أو نحو ذلك .

أما ما يتعلق بالمنهج ، فيلاحظ أن الكتاب لم يتخذ خطة تخلق منه بحثا متكاملا ؛ بحيث ترتبط أبوابه وتتآزر فصوله وتتدرج مقدماته لتوصل آخر الأمر الى نتائج أقرب الى الصحة . وانما جاء الكتاب على هيئة مقالات توشك أن تكون مستقلة ؛ مما سبب التكرار حينا ، وأدى الى النقص حينا آخر . ومما أدى الى التورط فى بعض الاستنتاجات السطحية ، وبعض الأحكام المتناقضة أو البعيدة عن الصحة .

وقارىء الكتاب يحس فقدان المنهج ، حين يرى محاولة لدرس الشعر الأندلسى دون رؤية لهذا الشعر من خلال الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التى احاطت به ، اللهم الا كلمات عابرة تأتى هنا وهناك ، دون أن تلقى ضوءا كاشفا على هذا الشعر . كما يحس القارىء فقدان المنهج ، حين يرى الفصل الأول عن « الشعر الأندلسى قبل القرن الرابع » ثم يرى الفصل الذى يليه عن « الشعر الأندلسى بين التقليد والتجديد » فالقارىء يرى المؤلف فى الفصل الأول يؤرخ للشعر فى فترة على أساس زمنى ، ثم يراه فى الفصل الثانى يؤرخ للشعر فى فترة أخرى ، ولكن على أساس فنى . وكذلك يرى القارىء أن المؤلف قد أرخ فى الفصل الأول للشعر فى نحو قرنين ، ولكنه أجمل فى الفصل الثانى فأرخ للشعر فى نحو ستة قرون ؛ وذلك رغم اختلاف أحوال الشعر فى الأندلس فى تلك الفترة الطويلة من عهد الى عهد ومن اقليم الى اقليم .. كذلك يحس القارىء فقدان المنهج ، حين يرى المؤلف قد كرر كثيرا بين الفصلين الثالث والرابع ، لأن كليهما عن الشعر بعد القرن الرابع وأثر البيئة فيه ؛ ولأن خلاصة الفصلين توشك أن تكون واحدة .. وأخيرا يحس القارىء فقدان المنهج حين يرى الفصل الخامس — وهو فصل الموشحات — يتناول موضوعا كان مكانه الفصل الثانى ، وهو الخاص بالحديث عن التجديد ؛ لأن الموشحات ابرز ظاهرة أندلسية تجديدية فى الشعر الأندلسى . كذلك كان القارىء ينتظر أن يعرض المؤلف للظروف المختلفة التى أدت الى ظهور فن الموشحات ، والتى ادت الى أن تلتقى فيها عامية العربية بعامية اللاتينية .

أما ما يتصل بالاستنتاجات والأحكام ، فيلاحظ أن الكتاب تضمن طائفة منها وقد بعدت عن الدقة ، بل وصلت أحيانا الى التناقض والخطأ .. ومن أمثلة الأحكام غير الدقيقة ، تحديد الشعر الشعبى بانه « ما يقوله كل أفراد الشعب » (١) مع أن للشعر الشعبى مفهومات علمية محددة أو شبه محددة ، ليس منها على كل حال هذا المفهوم الذى تضمنه الكتاب .. ومن أمثلة الاستنتاجات غير الدقيقة ، تفسير

(١) انظر : الكتاب ص ٣١ ، ١٢٦ .

الكتاب لظاهرة شعر المدح بفقر الشعراء (١) ؛ لأننا نعلم أن ظاهرة المدح والتكسب بالشعر لها أسـبـاب كثيرة ، ربما كان من بينها فقر بعض الشعراء ، ولكنه اقلها اهمية ؛ فلسنا ننسى ما كان عليه كثيرون من الشعراء من ثروات وغنى ، ومع كل ذلك كانوا مداحين لدوافع غير الفقر .. ومن أمثلة عدم الدقة فى الاسـتـنـتاج كذلك ، تعليل الكتاب لعدم التفات الأندلسيين لشعر الطبيعة قبل القرن الرابع ، بأنهم كانوا مشـغـولين بالعصبيات والحروب (٢) ؛ لأنه يمكن أن يقال : ولماذا لم تشغلهم العصبيات والحروب عن الشعر القول فى غير الطبيعة ؛ كشعر الفخر والحماسة والغزل مثلا ؟ وربما كان الصواب هو أن الفترة الزمنيـة كانت فترة فروسـيـة ، وكانت أهم خصائص الفارس هى القوة فى الحرب والضعف فى الحب . لذلك كثر شـعـر الحماسة والفخر من جانب وشعر الحب والغزل من جانب آخر ؛ لأن الفترة كانت فترة فروسية .. ومن الأحكام غير الدقيقـة أيضا ، اعتبار تضمين الأندلسيين لشىء من القرآن الـكـريم فى اشـعـارهم تقليدا للمشـارقة (٣) ؛ وكأن القرآن الكريم كتـاب المشارقة وحـدهم ، وكان الأخذ منه وتجميل الشعر به وقف عليهم .. وأبعد من ذلك عن دقة الأحـكام ، اعتبار استعمال الأندلسيين لبحور الشعر المعروفة وقوافيه تقليدا للمشارقة (٤) ؛ كأن هـذه الموسيقى الشعرية ليست ملكا للغة العربية فى كل زمان ومكان .. ومن أظهر ما يبدو فى الـكـتاب من عـدم الدقة فى الاسـتـنـتاج ، استشـهاده على تقليـد الأندلسيين للمشارقة بقصـيـدة لابن هانىء تشبه قصيدة للمتنبى فى « ان القصـيـدتين من الطويل وكليهما فى مـدح ملك »(٥) نعم قـد يكون ابن هانىء قـد قلد المتنبى ، ولكن فى أفـكار معينـة وطريقـة أداء خاصة ؛ أما كون القصيدتين من الطويل وكونهما فى مدح ملك ، فمما لا يقال فى بيان التقليد أو حتى فى بيان التشابه بين عملين شعريين ..

ومن الأحـكام الخاطئـة قول الكتاب « ان المشارقة لم يخصوا الطبيعـة بحديث ، او لم يبدأوا قصائدهم بها أو بالخمر » (٦) ؛ فكل من له علم بتاريخ الأدب يعرف أن المشارقة قد خصوا الطبيعة بأحاديث ، وفى مقدمة هؤلاء الصنوبرى ؛ كما يعرف أن المشـارقة قـد ابتكروا ابتداء القصائد بالحديث عن الخمر ، وزعيم تلك الحركة هو أبو نواس .

ومن الأحـكام الخطيـرة غـير المبررة ، قول الكتاب : « ويمكن أن نقرر مطمئنين أن الشاعر عبـد الجبـار بن حمديس هو أعظم وصاف الأندلس » وأنه « يفوق شعراء الأندلس قاطبة » وذلك لأنه فى نظر المؤلف كان مشرق الديباجة ، بارع التنسيق ، محكم السبك ، وواسع الخيال ، مفتنا فى معانيه (٧) . فالحكم على شاعر بأنه أشعر امـة فى أجيالها المختلفة ، حكم فى منتهى الخطورة ، وينبغى لمن يتصـدى له أن يكون قد أحاط تماما بكل شعر هذه الأمة فى جميع أجيالها ، ودرسه ووازن بين نصوصه بما يهيىء لمثل هـذا الحـكم ، كما ينبغى لمن يتصدى لمثل هـذا الحكم ، أن يتبع حكمه بمبررات فنية مقنعـة ، سوف تكون من غير شك غير تلك المبررات التى ذكرها الكتاب لتفضيل ابن حمديس على كل شعراء الأندلس .

ومن أمثلة الأحـكام المتناقضة ، حكم الكتاب لابن عبـد ربه بأنه زعيم شعراء الأندلس (٨) ، وذلك بعد الحكم السابق لابن حمديس بأنه يفوق شعراء الأندلس قاطبة .

ومن أمثلة هذا التناقض كذلك ، قول الكتاب أولا بأن الموشحات عربية خالصة ؛ حتى ليأخذ المؤلف على المستشرق « جارثيا جومث » قوله « بأن الأندلسيين أخـذوا فن الموشحات الى العرب » ثم عـودة الـكتاب ثانيا الى القول بأنه « ربما كان البادىء بنظمها من هؤلاء المستعربين

(١) أنظر : الكتاب ص ٣٣ .

(٢) أنظر : الكتاب ص ٤٧ .

(٣) أنظر : الكتاب ص ٥٠ .

(٤) أنظر : الكتاب ص ٦٠ .

(٥) أنظر : الكتاب ص ٥٥ .

(٦) أنظر : الكتاب ص ٨١ .

(٧) أنظر : الكتاب ص ٢٣٤ .

(٨) أنظر : الكتاب ص ٢٢٤ ، ٢٥٢ .

من الأسبان ، أو من مولدى العرب » (١) ففى هذا تسليم بعدم العروبة الخالصة للموشحات ، الأمر الذى اشتد تحمس الكتاب له من قبل .

ومن التناقض فى الأحكام أيضا ، ذهاب الكتاب مرة الى القول بأن الأندلسيين قد عرفوا الحب الروحى كما عرفوا الحب المادى ، ثم ذهابه مرة أخرى الى القول بأنه « يظهر أن الحب عند الأندلسيين كان ماديا الى حد بعيد أو أنه كان طارئا » (٢) . وذلك الرأى الأخير الذى يناقض الرأى الأول قد تورط فيه الكتاب ، وليفسر لماذا لم يظهر بين الأندلسيين محبون مدلهون كالمجنون وامثاله ؟ وقد فات المؤلف أن هذا اللون من الحب الجنونى العذرى لم يظهر الا فى بيئة خاصة توفرت لها شروط معينة ؛ اجتماعية ودينية وعرفية ؛ وحيث لم تتوفر هذه الشروط لم يظهر هذا اللون من الحب حتى فى المشرق نفسه .

على أن من أعجب ما تضمنه الكتاب من أحكام قوله فى التعقيب على شعر الحب عند أهل الأندلس « وبطبيعة الحال لم يكن الشعراء كلهم صادقين فيما حدثوا عن الحب ، وأكبر الظن أن الملوك كانوا صادقين حين وهبوا ملكهم لمن يحبون ، أما بقية الشعراء فكان فيهم الصادق الصبابة ومنهم الذى يقول فى العشق ويعلم أنه كاذب » (٣) والحق أننا لا ندرى لماذا رجح المؤلف صدق الملوك ، وجعل الصدق والكذب من حظ بقية عباد الله !! .

بقيت بعض الملاحظات المتعلقة بالتاريخ واللغة ونحوهما . ومن أمثلة ما زل فيه قلم المؤلف من المسائل التاريخية ، اعتبار الأمير عبد الله ابنا لعبد الرحمن الأوسط (٤) . بينما الصواب انه ابن للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذى هو جد عبد الله .

ومن أمثلة هذه الزلات التاريخية أيضا ، اعتبار صاعد البغدادى شاعرا أندلسيا (٥) . بينما هو مشرقى وافد على الأندلس ليعمل عند المنصور بن أبى عامر ، كما وفد القالى ليخدم عبد الرحمن الناصر من قبل .

ومن الزلات التاريخية كذلك ، قول المؤلف عن أبيات الحاجب بن مغيث انها قيلت فى رثاء هشام وتهنئة عبد الرحمن الأوسط (٦) . والصواب انها قيلت فى رثاء الحكم بن هشام وليست فى هشام نفسه .

أما ما زل فيه القلم من الأخطاء اللغوية ، فأكثرها راجع الى عدم الدقة فى تحقيق النصوص وضبطها ، وربما كان بعضها من هنات المطبعة . ومع ذلك فلا بأس بأن نشير الى بعضها على سبيل المثال . فمنها بيت عبد الرحمن الداخل الذى جاء ضمن قطعته المشهورة فى مناجاة النخلة ، فقد جاء فى الكتاب هكذا :

سقتك غوادى الزمن من صوبها الذى
يسح ويستمرى السماكين بالوبل (٧)

والصواب :سقتك غوادى المزن .

ومنها كذلك هذا البيت من أرجوزة الداخل ، حيث جاء هكذا :

ان العلا شدت بهم طارق
فاركب اليها شبح المضايق (٨)

والصواب : فاركب اليها ثبج المضايق .

ومنها ايضا بيت للحكم الربضى من قصيدته الحماسية حيث جاء هكذا :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا
وقدما لأمت الشعث مذ كان يافعا (٩)

والصواب رأبت (بالباء) .

ومنها بيت من قصيدة رثاء لمقدم بن معافى ، قد جاء هكذا :

---

(١) أنظر : الكتاب ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ .
(٢) أنظر : الكتاب ص ٢٣٢ ، ٣١٣ .
(٣) أنظر : الكتاب ص ٣١٤ .
(٤) أنظر : الكتاب ص ٣٥٢ .
(٥) أنظر : الكتاب ص ٥٢ ، ١٥٣ .
(٦) أنظر : الكتاب ص ٢٣ .
(٧) أنظر : الكتاب ص ١٠ .
(٨) أنظر : الكتاب ص ١١ .
(٩) أنظر : الكتاب ص ١٢ .

لا اخضرت الأرض ولا أوراق العـود أشرقت الشمس (١) .

والصواب : ولا اورق العود .

ومنها بيت للغزال متغزلا فى زوجة ملك الروم ، قد جاء هكذا :

يا نـود يا رود القـلوب التى
تطلع من أزرارها الكوكبا (٢)

والصواب يا تود (بالتـاء) لأن المخاطبة هى « تيودورا » امرأة « تيوفيليس » فتكون « تود » هى الصيغة المرخمة للاسم . وربمـا كان عند المؤلف أن بعض المصادر التى نقل عنها قد أوردت بعض الكلمات السابقة بصورتها التى جاءت عليها فى كتـابه . ولـكن بعض التحقيقات قد أوضحت وجه الصواب فيما مضى من نصوص ، كتحقيق الأسـتاذ ليفى بروفنسال لاسم « تود » السالف الذكر ، وكان ينبغى أن يفيد منه المؤلف .

وبعـد . فكما قلت من قبل : ان وراء هـذا الكتاب جهدا كبيرا واخلاصا صادقا ومحاولة جادة وما أظن أن ما قدمت من ملاحظات سوف ينقص شيئا من الجهد الكبير أو الاخلاص الصادق ، وان كنت أرجو أن تكون تلك الملاحظات تحية للمحاولة وعونا لها فى تحقيق ما اتجهت اليـه من نبيل الهدف .

الدكتور احمد هيكل

(١) انظر : الكتاب ص ٣٣ .
(٢) انظر : الكتاب ص ٣٠ .



سطور من كتاب .....

« ومهما يكن من شىء ، فلم يكن يتاح لنا ياولدى من فرص المشاركة فى صنع حياتنا مثل ما يتاح لكم اليوم ، ولم يكن ذلك شيئا خاصـا بأبيك أو بأسرتنا وحدها ، ولكنها كانت طبيعة المجتمع على أيامنا . وروح العصر الذى عشنا فيه » .

... اليك ياولدى

ماهي الوراثة

تأليف : ريتشارد جولدشميدت

ترجمة : د . مصطفى طلبه

مراجعة : د . جعفر الملاح

الناشر : دار النهضة العربية
بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب
عدد الصفحات ٣٥٥ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٢٣٫٥ قرشا

فى صفحة (١١٢) من الترجمة العربية لهذا الكتاب قصة طريفة توضح أثر الوراثة فى حياتنا العادية ، آثرنا ان نبدأ بها تعليقنا على هذا الكتاب والقصة تقول ان قضايا الأبوة شائعة فى بلاد النرويج حيث يحق للابن غير الشرعى أن ينال اسم والده وأملاكه . وفى احدى هذه القضايا أنكر المدعو أ . هانز أبوة طفله من هـ . كارين ، وحين فشلت جميع المناقشات الأخرى دفعت الأم بأن أصابع وليدها تنقصها عقلة وأن أ . هانز به نفس هذا الشذوذ تماما ، فدعت المحكمة احد علماء الوراثة للفصل فى هذا النزاع ، وتم اثبات تطابق هذا الشذوذ فى الوالد المفترض والابن الذى عليه النزاع بصورة بأشعة اكس . كما اتضح للمحكمة أن للأم وجميع أقاربها أصابع عادية ، وأن تلك الصفة الشاذة لم تشاهد اطلاقا بين الجيران ، ومن ثم أصبح اعتبار شخص آخر له نفس تلك الصفة النادرة أبا لذلك الطفل ـ أمرا معدوما تقريبا . فحكمت المحكمة بأبوة هانز للطفل المتنازع عليه .

وتذكرنا هذه القضية بقضية أخرى بطلها رجل أبيض بنى بامرأة شقراء ولدت له طفلا أسود فدفع بعدم بنوته للطفل وقضى علماء الوراثة بجواز هذه البنوة ! .

ويقول علماء الوراثة : ان قصر الأصابع فى الحالة الأولى من الصفات « المندلية » (نسبة الى جريجور مندل القسيس النمسوى الذى اكتشف قوانين الوراثة) التى تم تحليلها فى عدة سلالات من النسب ، كما أن اللون الأسود للطفل فى الحالة الثانية قد يحدث نتيجة ما يسمى « بالطفرة » !

ومن منا لم يهتم فى فترة من فترات حياته بمسائل الوراثة ؟ والحق أن للناس جميعا شغفا فطريا يدفعهم الى التفرس فى وجه الطفل حديث الولادة أو الصبى ليتبينوا مقدار ما بينه وبين أبويه من شبه . وكم من الصفات ورثها عن أمه وكم منها ورثها عن أبيه . ومن تلك الصفات الشائعة : لون العينين ، والشعر وشكل الأنف والأصابع والأطراف . وفى كثير من الأحيان يستحيل الحكم ، كما قد لا يبدو على الأشقاء والشقيقات فى العائلة الواحدة أية صفة مشتركة

والواقع أن بعض الصفات التى يتميز بها الآباء أحدهما أو كلاهما قد تظهر على الأبناء ، والأخرى قد لا تظهر الا على أفراد من نسلهما فى أجيال متعاقبة ، كما أن دراسة هذه الصفات قد تبدو لأول وهلة بالغة التعقيد .

ما هى الوراثة اذن ؟ :

والآن يحق لنا أن نتساءل عما هى الوراثة ؟ ويمكننا ان نجيب ببساطة بأن « علم الوراثة » هو العلم الذى يبحث فى توارث الصفات فى الكائنات الحية جميعا بما فيها الانسان . بيد أن هذا التعريف يظل سطحيا ما لم نفهم المقصود من كلمة « الصفات » ، ونفهم آلية هذه العملية ،

أى عملية الوراثة نفسها ، وكيف تنتقل الصفات من جيل الى جيل .

ان علم الوراثة علم حديث السن نسبيا لا يزيد عمره على خمسة وستين عاما ، وهى الفترة التى حددها العلماء بأول هذا القرن ، أى بعام ١٩٠٠ الميلادى ، حين توصل علماء مثل كورنز فى ألمانيا ودى فريز فى هولندا وتشرمارك فى النمسا الى اعادة اكتشاف القوانين التى كان مندل قد توصل اليها من قبل منذ عام ١٨٦٥ ولم تسترع انتباه أحد على الاطلاق حتى بعد وفاة مندل .

وقد عرفت هذه القوانين — ولا تزال تعرف — بقوانين « مندل » اعترافا بفضل هذا العالم الذى عكف سنين طويلة على تهجين سلالات من نبات «البسلة» فى حديقة الدير ببلدة برون‌النمسوية ، ودرس توارث صفات معينة كالطول والقصر واللون وشكل الحبة فى الثمرة بدقة كبيرة وفى صبر وأناة . كما كانت له قدرة فائقة على تحليل النتائج واستنباط القوانين :

ويجرى تحليل مندل المنطقى لنتائج تجاربه على الوجه الآتى :

«ينتج الكائن عن اتحاد الخلايا الجنسية للأنثى والذكر فى عملية الاخصاب » (ونذكر هنا أن الأحداث الفعلية للاخصاب كانت غير معروفة اطلاقا فى عصر مندل) فلابد اذن أن تحوى الخلايا الجنسية شيئا ما يكون مسئولا عن انتاج الصفات الوراثية ، وهى فى مثالنا لون الزهرة ويمكن تسمية هذا الشىء بالعامل الوراثى (ويطلق عليه فى الوقت الحاضر اسم « الجين » Gene فاذا كان الكائن صادق التربية لصفة ما (كاللون الأبيض أو الأحمر فى زهور البسلة مثلا) فان الخلايا الجنسية لكل من الوالدين لابد ان تحتوى على نفس العامل الوراثى أو الجين (ص ٨٩ فى الترجمة العربية) .

ويضيف المؤلف بأن « قانون نقاء الأمشاج هذا كان أول اكتشاف عظيم لمندل وأصبح أحد العمد الأساسية للوراثة » .

كما توصل مندل الى تمييز الصفات أو (الجينات) السائدة من الصفات « المتنحية » وبين نسبة ظهور هذه الصفات بين أفراد الأجيال المتعاقبة بمعادلات حسابية ، كما أجرى مندل أيضا تجارب جمع فيها بين أكثر من صفتين ووضح نسبة ظهورها فى الأجيال المتعاقبة — وخرج من كل ذلك بقوانين الوراثة المعروفة . وهى القوانين التى أمكن تطبيقها أيضا على الانسان ، فيما بعد ، بالنسبة لكثير من الصفات : كلون الجلد والشعر والعينين ، وهيئة الجسم وحجمه وشكل الأذنين والأنف والأسنان ، وبالنسبة أيضا للصفات البيوكيميائية كالقدرة أو عدم القدرة على انتاج فيتامينات معينة والخواص الفسيولوجية مثل القابلية للاصابة بأمراض معينة أو ظهور حالات مرضية بعينها وكذلك فصائل الدم الانسانى . بل أصبح فى الامكان كتابة مجلدات كاملة فى حصر الصفات التى تتبع قوانين مندل فى الانسان والحيوان والطيور والقواقع والنباتات على اختلاف أنواعها حتى فى أبسط الكائنات الحية كالبكتريا والفيروس .

وجدير بالذكر أن علم الخلية المعروف باسم « السيتولوجيا » لم يكن متقدما فى عصر مندل . بل كان مندل نفسه يجهل تماما كل شىء عن انقسام الخلية أو عمليات الاخصاب أو (الكروموسومات) الصبغيات ، أو الانقسام الاختزالى . وحين تم الكشف عن هذه الأمور وجد العلماء أنها تخدم قوانين مندل تماما . وتعاونت « المندلية » مع « علم الخلية » تعاونا وثيقا كان مدعاة لنشأة علم « الوراثة السيتولوجية » أو دراسة الأساس الخلوى للوراثة . ويمكن ذكر أساس هذا العلم الجديد فى جملة واحدة وهى — على حد تعبير جولد شميدت « يقع كل زوج من الأليلات* المندلية فى نقطتين توأمتين محددتين فى زوج من الصبغيات المتماثلة » . وعلى ذلك « فانه مهما حدث من توزيع للصبغيات سواء كان عاديا أم شاذا ، فان

* الأليلات فى الوراثة المندلية هى زوج من الجينات المندلية توجد فى نفس الموضع على زوج من الصبغيات (الكروموسومات) المتشابهة .

ذلك ينعكس على توزيع الصـــفات الموروثة فى السلف ، وكل ما يحدث للصبغيات يتضح فى أحداث موازية تماما تتعلق بالصفات الموروثة » (ص ١٣٨) .

والآن يمكننا أن نفسر كيف تنتقل الصفات على ضوء الوراثة السيتولوجية الحديثة فنقول ان الصبغيات أو الكروموسومات الموجودة داخل نواة الخلية هى فى العادة أجسام خيطية الشكل كما تظهر تحت العدسات المكبرة للميكرسكوب ، وكل صبغى منها يحمل عددا كبيرا من الجينات (أو حاملات صفات الوراثة) . ولما كانت هذه الصبغيات تنشق طوليا أثناء عملية انقســـام الخلية ، فقد افترض العلماء أن الجينات يجب أن تكون مرتبة فى صف بطول الصبغى نفسه ، وذلك حتى يسهل انقسامها أو تكاثرها فى وقت واحد وبالتساوى حين يزدوج الصبغى . وقد اســتعان العلماء على تجاربهم الوراثية بكائنات حيـــة تتميز بخاصتين هامتين ، أولاهما : أن أعمار هـــذه الكائنات قصيرة بمعنى أنه يمكن الحصول منها على أجيال متعاقبة فى فترة وجيزة والثانيـــة . أن حجم الصبغيات فيها كبير حتى ليمكن دراسة توزيع الصفات (الجينات) المختلفة على طول الصبغى نفســـه . وحققت الحشرة المعروفة باسم ذبابة الفاكهة (أو الدروسوفيلا باللغة العلمية اللاتينية) هذين الفرضين ، ومن ثم كان لهذه الذبابة شأن كبير فى الدراسات الوراثية الحديثة فى معامل العلماء .

كما توصـــل علماء الوراثة السيتولوجية الى اماطة اللثام عن حقائق جديدة أو شذوذ فى سلوك الصبـغيات أو الجينات ، ومن ذلك الخاصـــية المعروفة بتضاعف الكروموســـومات Polyploidy أو العبور Crossing over ، وهو تبـــادل أجـزاء بين صبغيين متماثلين ، وأثر ذلك على انتقـــال الصفات . بل أمكن فى بعض الأحوال رسم خرائط لصبغيات بأكملها حددت عليها مواضع الجينات المختلفة بدقة .

وجدير بالذكر أنه يجب التمييز بين الصفات الوراثية والصفات المكتسبة فالأولى تورث والثانية لا تورث . ومن أمثلة الصـــفات المكتسبة تلك التجـــارب التى أجريت على الفئران التى بترت ذيولهـــا على مدى أجيال طويلة فلم ينتج نسلها أفرادا عديمة الذيل . كما لمح المؤلف فى مواضع متفرقة للخـــلاف العقائدى بين الشرق والغرب حول أثر البيئة على الوراثة .

وجـــدير بالذكر أن الوراثة السوفيتية تنكر نظرية الجين ، وتعطى اهميـــة خاصة لأثر البيئة على الوراثة ، الأمر الذى يعيد الى الأذهان آراء لامارك فى صورة حـــديثة . وليس هنا مجال الخوض فى هـــذا الموضوع ، ومن شاء من القراء الاستزادة فانا نحيله الى كتابنـــا الذى صدر فى سلسلة المكتبة الثقافية بعنوان « قصة التطور » وهو الكتاب الرابع من السلسلة المذكورة ، وفيه يجد القارىء أيضا شرحنا مستفيضا لمعنى الطفرة وعرضا للعلاقة بين الوراثة والتطور . .

ولئن كنا قد بدأنا الكلام عن أهمية الوراثة فى حياة الانسان العادية ، فلا يجب أن نغفل الآثار التطبيقية الأخرى للوراثة فى حياتنا العملية . ولم يغفل مؤلف الكتاب هـــذا الموضوع بل وضح فى أكثر من فصل من فصوله أهميـــة الوراثة فى استنباط سلالات جديدة من القمح والمحاصيل الأخرى تقاوم الأمراض أو تتفوق على غيرها بوفرة المحصول . وينطبق هـــذا الأمر أيضـــا على حيوانات التربية . وعلى ذلك فعلم الوراثة يخدم أيضا التنمية الاقتصـــادية عن طريق التوسع الرأسى فى محاصيل الحقل وحيواناته ، بل أمكن فى أحوال كثـــيرة استنباط سلالات من النباتات تقاوم عوامل البيئة القاسية .

ويقع الـــكتاب الذى نتناوله هنا فى اثنى عشر فصلا هى على الترتيب : الخواص الوراثية وغير الوراثية ــ خلايا الجنس والاخصاب ــ مبادىء مندليـــة ــ اضـــافة الى المبـــادىء المندلية ــ الصبغيات والمندليـــة ــ الارتباط ــ الطفرة ــ الصبغيات الجنسية والوراثة المرتبطة بالجنس ــ أشتراك الجينات ــ العوامل المجمعة المتعددة ــ

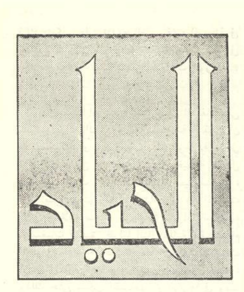
الأليلات المتعددة ــ لمحة عن الحقائق العملية ومشكلات الوراثة . وفى هذا الفصل الأخير تكلم المؤلف بسرعة عن تحديد الجنس ، ولو لم يتوصل العلماء الى راى قاطع فيه فان المؤلف يبرز أهمية الهرمونات الجنسية بالاشتراك مع جينات الجنس . كما تكلم فى هذا الفصل أيضا عما يسمى بالوراثة الفسيولوجية والوراثة البيوكيميائية وعن الوراثة والتطور فى آخر الكتاب . وفى هذا الصدد يخرج برأى مؤداه أن « الآراء الكلاسيكية لداروين التى تعتبر بأن التطور هو تجمع تغيرات وراثية ضئيلة يتفق فى مجموعه مع الأبحاث الوراثية الحديثة » .

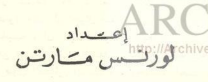
بقى لنا راى لا نود أن نختم هذا المقال دون أن نوضحه وهو أن المؤلف ذكر فى تقديمه للكتاب ما يفيد بأن مادته « عرض موجز سهل القراءة عن الحقائق الأساسية لعلم الوراثة ، تيسر لغير المتخصص فى علم الأحياء فهم دقائق العلم » . وفى موضع آخر نجد ما يفيد بأن هذا الكتاب « يستطيع قراءته وفهمه والتمتع به أولئك الذين تنقصهم الخبرة العلمية .. » .

والواقع غير هذا تماما ، فالكتاب محشو بالمصطلحات العلميةوالقوانين التى لا يتيسر فهمها أو هضمها الا لطلاب البيولوجيا على المستوى الجامعى ، سواء فى الجامعات العربية أو الغربية على حد سواء .

اما عن المترجم الدكتور طلبة فأستاذ جليل من أساتذة جامعة القاهرة وكذلك المراجع الدكتور الملاح فهو أستاذ الوراثة وعميد كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية فى الوقت الحاضر ، وقد بذلا مجهودا محمودا فى ترجمة المصطلحات العربية ، وفى وضع كشاف فى آخر الكتاب ، وان فاتتهما بعض أخطاء مطبعية مثل كلمة « الفرد » وصحتها « النرد » التى تكررت خطأ فى أكثر من صفحة ، وكذلك بعض أخطاء فى الأسماء المكتوبة بحروف أفرنجية ، وهذه وتلك لا تقلل من قيمة عملهما بحال .

الدكتور أنور عبد العليم

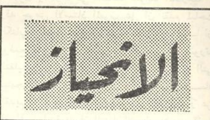




تعريب وتعليق
خيرى حماد

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر .
عدد الصفحات ٣٥٨ ص ١٧ × ٢٤سم .
الثمن ٥٠ قرشا





الدول الحديثة في مجالات الشئون العالمية

فى الوقت الذى يسعى فيه هذا العدد من مجلة « الكتاب العربى » بين أيدى القراء يكون مؤتمر دول عدم الانحياز الذى بدأ جلساته فى القاهرة منذ الخامس من هذا الشهر - أكتوبر ١٩٦٤ - قد انتهى أو هو على وشك أن ينتهى من جلساته .

وقد وجه رئيس الجمهورية العربية المتحدة باعتباره رئيس الدولة المضيفة الدعوة الى ثمان وخمسين دولة هى الدول التى وافقت حتى العاشر من سبتمبر ١٩٦٤ على الاشتراك فى المؤتمر الكبير .

واذا قارنا بين عدد الدول التى حضرت مؤتمر عدم الانحياز وعدد الدول التى حضرت مؤتمر سان فرنسسكو عام ١٩٤٥ ووقعت ميثاق الأمم المتحدة لأول مرة لتبين لنا أن عدد دول عدم الانحياز يزيد كثيرا عن عدد أعضاء الأمم المتحدة عند بدايتها اذ كان هذا العدد لايتجاوز خمسين دولة .

واذا قدرنا أن دول مؤتمر عدم الانحياز جميعا هم أعضاء فى المنظمة الدولية وأنهم بذلك يمثلون أكثر من نصف عدد أعضائها الحاليين لتبين لنا بذلك مدى القوة الضخمة التى تمثلها دول عدم الانحياز ومدى أهميتها فى موازين القوى الدولية .

ونظرا لهذه الأهمية فقد عنيت الدول الكبرى فى كل من المعسكرين المتصارعين بدراسة سياسة دول عدم الانحياز ومحاولة تفهمها حتى تبنى تلك الدول الكبرى سياساتها تجاه دول عدم الانحياز على ضوء من تلك الدراسات التى تقوم بها .

ولكن هذه الدراسات ليست دائما - للأسف الشديد - دراسات موضوعية وانما هى دراسات تصدر عن وجهة نظر معينة وعن وضع فكرى معين أقل ما يقال فيه انه وضع لا يتصف بالحياد وانما يتصف بالانحياز تجاه دول عدم الانحياز .

والكتاب الذى نعرض له الآن مثل واضح من أمثلة هذه الدراسات التى لاتتصف فى جملتها بالحيدة والموضوعية وانما تتصف فى أغلبها بالانحياز وعدم الحيادية .

وكتاب « الحياد وعدم الانحياز : الدول الحديثة فى مجالات الشئون العالمية » هو العدد رقم ٣٥١ من سلسلة كتب سياسية التى تصدرها الدار القومية للطباعة والنشر . وقد صدر الكتاب فى مايو من هذا العام - ١٩٦٤ - وقام بترجمته والتعليق على بعض المواضع فيه الأستاذ خيرى حماد .

والأستاذ خيرى حماد رجل غزير فى انتاجه المترجم حتى انه ليقوم بعبء فى هذا الباب يتعذر معـــه أن يصدق الانسان العادى أنه يقوم به منفردا .

والانتاج الغزير – أصيلا أو مترجما – أمر مطلوب فى ذاته ونحن نبنى نهضتنا الثقافية فضلا عن أن يكون الانتاج المترجم فى الأصل انتـــاجا جيدا . والحق ان الأستاذ خيرى حماد رغم غزارة انتاجه فانه لا يسف مطلقا فى اختيار الكتب التى يترجمها وانما هو ينتقى منهـــا الدسم المفيد . ويكفى أن نذكر هذا الكتاب الذى نعرض له ونذكر الى جواره فى هذا الموسم . «الفتوحات العربيـــة الكبرى » وأخيرا « رأى فى الثورات » الذى صدر فى بداية شهر سبتمبر الماضى . وكلها فضلا عن أنها كتب ضخمة فهى كتب قيمة .

ولكن الانتاج الغزير لا يخلو فى نفس الوقت من بعض المثالب خاصة اذا توالى فى وقت قصير . وتتعلق هذه المثالب فى أغلبها بالشكل قبل أن تتعلق بالموضوع ولعل أوضح مثل لهـــا كثرة الأخطـــاء المطبعيـــة وبعض الأخطـــاء اللغوية هنـــا وهنـــاك . الا أن ذلك لا يجحـــد مطلقا الفضل الكبير الذى قدمه الأستاذ خيرى حماد للعربية وقرائها بهذه الترجمات الكثيرة القيمة .

والكتاب الذى نحاول تقديمه اليوم للقراء عبارة عن مجموعة أبحاث أو كتيبات صغيرة وليس كتابا واحدا تجمع بينه وحدة الموضوع ووحـــدة الكاتب . فهو عبارة عن موضوعات متعـــــددة لكتاب متعددين وان كانت كلها تدور حول موضوع أساسى واحد هو « الدول الحديثة فى مجالات الشئون العالمية » .

ويضم الكتاب أحد عشر بحثا لأحد عشر كاتبا يجمع بينهم أنهم من المهتمين بالدراسات الدولية والذين ينظرون اليها من وجهة نظر غربية أو من وجهة نظر الولايات المتحدة بالذات على الأدق .

وقد وصف الأستاذ أرنولد وولفرز مدير مركز واشنطن للبحوث السياسية الأبحاث التى تضمنها الكتاب بأنها نبعت « من مجالات معينة لاهتمام كتابها فى المشاكل المختلفة التى تعرضها الدول اللامنحازة ولذا فهى لا تؤلف فى حد ذاتها عرضا وافيا لمشكلة الحياد بكاملها ولكنها مع ذلك تقع فى مجموعتين تقريبا أولاهما وهى الأقدم من الناحية الزمنية تتناول طبيعة الدول الجديدة وسلوكها فى ميدان السياسة الخارجية وثانيتها وهى الأحدث وتتناول بصورة مباشرة نتائج هذا السلوك وآثارها على سياسة أمريكا الخارجية »

وقد حرص الأستاذ المعرب على أن يقدم لمباحث الكتاب بتقدمة موجزة ودقيقة حاول فيهـــا أن يوضح التفرقة بين معنى « الحياد » فى صورته التقليدية « والحياد الايجابى » فى صورته التى تنتهجها دول عدم الانحياز وكيف أن الحيـــاد القديم كان حيادا سلبيا قصاراه دفع الضرر عن الدولة المحايدة على أن الحياد الايجابى هو «موقف» معين ازاء السياسات الدولية وما يكتنف العالم من صراع ، موقف يستهدف التأثير على هـــذه السياسات ويحاول أن يخفف من حدة الصراع الدولى وأن يجنب العالم كارثة حرب عالمية ثالثة تأتى على الأخضر واليابس .

واذا حاولنا بعـــد ذلك أن نعرض لبحوث الكتاب كل منها على حدة فانه قد يبدو من المحال أن نحقق هذا الغرض ونعرض لها جميعا فى هذا المقال فالبحوث طويلة وكل منها ينير نقاطا عديدة: تختلف حولها وجهات النظر .

ولذلك سنكتفى هنا بالتعرض لبعض الأبحاث دون البعض الآخر مراعين مع ذلك أن نلم بالخطوط الرئيسية التى وردت فى أبحاث الكتاب جميعا .

والفكرة المتحيزة التى تسيطر على الغالبية العظمى من الباحثين فى هذا الكتاب حول موضوع الحياد الايجابى بل والتى تسيطر أيضـــا على لورنس مارتن الذى جمع الأبحاث وأعدها للنشر هى أن انتهاج دول عدم الانحياز للحياد الايجابى ليس أمرا مبنيا على فلسفة معينة ووجهة نظر ثابتة ازاء أحداث العالم وما يكتنفه وما يتقاسمه من معسكرات وانما يرى هؤلاء الكتاب أن ســـلك الحياد الايجابى ليس الا نوعا من الانتهازية فى السياسة الدولية وأنه من ناحية أخرى تعبير عن

عدم الاستقرار الداخلي للدول التي تسلك هـذا المسلك ورغبة منها في أن تصرف شـعوبها عما تعانيه في الداخل بمحاولة الظهور بمظهر الذي يتخذ موقفا ازاء السياسات العالمية .

واذا كان لورنس مارتن هو الذي جمع أبحاث الكتاب فانه هو نفسه قد ساهم فيهـا ببحث معنون « الرأي المحافظ في الدول الحديثة » وهو مقال أقل ما يوصف به أنه مضحك لا يمكن أن تنتمي الأفكار الواردة فيه الى هـذه الفترة من القرن العشرين . والدفاع الوحيد الذي قد يقوله لورنس مارتن عن نفسه ازاء هذا المقال أنه لا يعبر به عن رأيه وانما يعبر به عن رأي المحـافظين الاستعماريين بالنسبة للدول الحديثة كما يتبين من عنوان المقال على أي حال . والمقال يدور حول النقاط الأساسية الآتية :

١ ـ ايمانه بالاستعمار وبالحضارة الغربية بغير حدود

٢ ـ عدم ايمانه بحرية الشعوب ولا بحقها في تقرير مصيرها

٣ ـ عدم ايمانه بسياسة الحياد .

٤ ـ شك واضح تجاه الأمم المتحدة .

هذه هي المحاور التي يدور حولهـا رأي المحافظين بالنسبة للدول الحديثة ـ كما عرضها لورنس مارتن ـ وهي محاور لا تحتاج الى مناقشة وهي لا تستحق هذه المناقشة لأنها محاور تدعو الى عدم ايمان بكل القيم التي اتجهت اليهـا حضارة الانسان والتي ضحت من أجلها الانسانية بآلاف الشهداء ان لم نقل بملايين الشهداء على مر الأجيال وتعاقب العصور .

واذا كان هذا المقال يصور قمـة التطرف أو الاغراض في الكتاب الذي نعرضه فقد ذهبت بعض الأبحاث الأكثر اعتدالا في تطرفها الى أن الحياد الايجابي لايعني سياسة محددة المعالم وأنه مجرد استجابات عاطفية لأحداث الساعة « وقد يعني عدم الالتزام في بعض الحالات مجرد عدم وجود سلطة قادرة على أتخاذ موقف الالتزام » كما قد يعني في حالات أخرى « مجرد الوهم » وأنه « لما كانت السياسة الخارجية سببا من أسباب توطيد الوجود القومي للبلاد الحديثة فان اللانحياز يعرض احتمالات جذابة للغاية » واذا قرأنا آراء هؤلاء الكتاب وتذكرنا أن ألد أعداء الحياد الايجابي جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الأسبق كان يصف الحياد الايجابي بأنه « مفهوم لا أخلاقي وناتج عن قصر النظر » لاستطعنا أن نلمس الاتجاه العام الذي يسيطر على الدبلوماسية الأمريكيـة تجاه دول عدم الانحياز .

لقد كان اتجاه دالاس واضحا وغبيا في نفس الوقت : اذا لم تكن معي فأنا عليك !! ولعل سير التاريخ في هذه السنوات القليلة التي انقضت منذ بدأت سياسة الحياد الايجابي تظهر على مسرح السياسة العالمية تثبت أي الموقفين هو اللاأخلاقي وهو الناتج عن قصر النظر : الموقف الذي يدفع العالم الى حافة الهاوية أم الموقف الذي يحـاول أن يبعد العالم عن الحرب باردة كانت أم ساخنة .

وليست كل مقالات الكتاب على أي حال بهذا الاغراق في الأغراض وعدم الموضوعية فقال « بناء الدولة يحدد للدول الجديدة سياستها الخارجية » يتضمن محاولة لشيء من الدراسة الجدية ومع ذلك فان صاحب المقال لايجد غضاضة علمية في أن يقول « ان معاداة الاستعمار مزاج بل حالة عقلية » .

لا شبهة في أن معاداة الاستعمار تستند ـ الى جوار عشرات الأسباب الجدية الموضوعية ـ الى أسباب نفسية أيضا فالشـعوب لا تستطيع أن تنسى ماضيها ولا أن تنسى مآسيها مع الاستعمار ولا تستطيع بالتالي أن تتجرد من المشاعر النفسية وهي تنظر الى دول الاستعمار القديم ولكن ذلك لا يعني مطلقا أن معاداة الاستعمار ليست الا مجرد مزاج أو حالة عقلية !!

ومن أكثر المقالات موضوعية في الكتاب كله ـ وان كانت بدورها لم تخل من هنات ـ مقال

« أزمة الكونغو » فقد حاول هذا المقال أن يدرس جذور الأزمة وأسبابها وحاول أن يملك مواقف الأطراف جميعا ازاءها سواء أكانت أطراف معتدلين أم محافظين أم متطرفين · وكاتب المقال هو الأستاذ روبرت جود وهو يسمى أزمة الكونجو باسم المشكلة « عقب الاستعمارية » ومن أحسن ما جاء فى هذا المقال بل لعلنى لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت فى الكتاب كله ما قاله الأستاذ جود بصدد أزمة الكونجو « لقد عملت الحقيقة الاستعمارية على تقرير شكل الدول الحديثة عقب الاستعمارية وقدرتها على الحياة وهى التى خلقت عددا كبيرا من المشاكل التى تؤثر الآن على العلاقات بين هذه الدول من ناحية وعلى علاقاتها مع المجتمع الدولى من ناحية أخرى » ·

ان مقال « أزمه الكونجو » فى هذا الكتاب من المقالات التى تستحق الدراسة وهو من المقالات التى أميل الى أن اعتقد أن صاحبها كتبها بروح طيبة وان كان ذلك لا يمنع أننا نختلف معه فى بعض أفكار المقال ·

كذلك من المقالات التى تتسم بسمة الاعتدال والحيدة الى حدما — وان كانت بطبيعة الحال تعبر عن وجهة نظر كاتب أمريكى — مقال « دول اللانحياز والأمم المتحدة » بقلم فرانسيس او · ويلكوكس · فهذا المقال يعدو فيه محاولة جدية لفهم دور دول عدم الانحياز وهدفها وايمان هذه الدول بالأمم المتحدة · كما أن المقال فيـــه جزء احصائى مفيد للغاية ذلك هو الجزء الخـــاص باتجاهات الدول اللامنحازة فى التصويت فى الجمعية العامة للأمم المتحدة · وبعـد أن يورد الكاتب الأرقام الاحصائية فى هذا الصدد يقول : « ولا ريب فى أن هذه الارقام تعرض صورة مبسطة وواضحة عن مواقف الدول اللامنحازة ففى الحالات التى كان اقتراعها ينسجم مع اقتراع الاتحـــاد السوفييتى قد يكون من التضليل القول بأنهـــا كانت تؤيد الاتحاد السوفييتى وقد يكون من الأصح القول بأن الاتحاد السوفييتى كان يسارع دائما الى اهتبال الغرض لكسب ود الـدول اللامنحازة ولذا كان يميل الى الجانب الذى تقف فيه ليحقق عن طريقه بعض أهدافه السياسيه » ·

وقد كان غير هذا الكاتب من الكتاب الأمريكيين المغرضين قمينا أن يستنتج من نتيجة الاحصـاء نفسه أن دول عدم الانحياز جميعـــا تدور فى فلك الاتحاد السوفييتى ولكن موقف ويلكوكس واستنتاجاته تدل على الاعتدال ومحاولة الفهم الموضوعى ·

ولكن مقال ويلكوكس — وبغير تحيز — فيه سقطات لا تقبل من كاتب معتدل مثله فهو مثـلا يتكلم عن بعض الأعمـــال أو المواقف التى تدل — فى تقديره — على افتقار الدول اللامنحازة الى المسئولية ولا يجد صورة يوضح بها رأيــــه الا موقف الدول اللامنحـــازة ازاء اتحاد جنوب أفريقيا مع أن الانسانية كلهـــا اذا قــــدرت مسئوليتها نحو نفسها ما كان لها أن تقف من جنوب أفريقيا غير موقف الدول اللامنحازة · ومع ذلك فان الكاتب يستدرك ويرد تهمة الافتقار الى المسئولية ويدفعها عن دول عدم الانحيـــاز فى حالات كثيرة ·

وأيا ما كان الرأى فى الاتجاهات التى تعكسها هذه الأبحاث فانها أبحاث جديرة بأن نقرأ لأنها تطلعنا على لون من ألوان التفكير نحن فى حاجة الى أن نعرفه والى أن نحدد موقفنا منه ·

وفى نهاية هذا التعليق أشكر الأستاذ خيرى حماد وأشكر الدار القومية التى أتاحت لجمهور القراء أن يقرءوا هذا المجلد الضخم بهذه القروش الزهيدة ·

وتحية من الأعماق لمؤتمر دول عدم الانحياز الذى بدأ اجتماعاته فى القاهرة فى الخامس من هذا الشهر ·

الدكتور يحيى الجمل

الناشر : دار العلم للملايين « بيروت »
عدد الصفحات ١٥٨ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٢٠٠ قرشا لبنانيا

مرآة الضمير الحديث



تأليف : الدكتور طه حسين

نشرت الطبعة الأولى من الكتاب في بيروت سنة ١٩٤٩ . ولهاتين الحقيقتين دلالتهما فقد كانت مصر في سنة ١٩٤٩ قد اتضح لها بشكل لا يقبل الشك فساد الحياة السياسية والاجتماعية التي تعيش في ظلها . حرب دفعت فيها ما دفعت من رجال ومال وخرجت منها بخفي حنين وما كان احراها الا تدخلها لو ان أمرها بيدها . ومأساة الاستعمار الكبرى في الوطن العربي مأساة اسرائيل تعلن في وقاحة اصرار الاستعمار على استغلال المنطقة ولكنها ، ويا للأسى ، تعلن أن في الوطن العربي كله رجعية متعاونة مع الاستعمار تجعل الحرب حرب الاستعمار مزدوجة ضارية . ومصر تعاني في كل ذلك من فساد الحكم واستغلال الحاكمين للشعب ألوانا من الشقاء المتصل . واذا المفكرون يرون في هذه الأحوال رؤى مختلفة منهم من حلم بالثورة ومنهم من آمن بالمبادىء التي يجب أن يحارب في سبيلها وكلهم قد برم بالحال وارداه الدافع الى ألم مرير ، ونظر فيما حوله فاذا النفوس ضعيفة واذا الشخصية ممسوخة واذا الناس يتسارعون الى ابتغاء المنفعة العاجلة الزائفة غير مبالين . « أن المسخ محنة عامة يمتحن الله بها هذا الوطن البائس في كثير من بنيه » ص ٧٦ والى جانبهم قوم قد اتخموا ثراء وهم في ثرائهم في تيه من الغرور والأنانية . « أولئك الذين قد كثر عليهم المال حتى أثقلهم والح عليهم الثراء حتى أسامهم فهم في شغل بالمال والثراء حين يصبحون وحين يمسون وحين يغدون وحين يروحون لا يفرغون من العناية بالمال الا ليعنوا بالترف ، ولا يفرغون من العناية بالترف الا ليعنوا بالمال يحلمون بالمال في أول الليل ويحلمون بالترف في آخر الليل الخ » ص ١٠٦ .

وقد انتشر هذا الجو الخانق في مصر كلها والدكتور طه حسين أستاذ في الجامعة يرى الشر يزحف على الشباب في شكل خنق للحرية وتزمت ممقوت فيكتب في رسالة الحرية أولا يقول ان دون الحرية « دون ذلك اللوائح والقوانين والأمن والنظام والخوف والاغراق في الخوف . نفوس الشباب المصريين أشبه شيء بهذا العفريت الذى حبسه نبي الله سليمان في قمقم مطبق من النحاس الصفيق وختم عليه بخاتمه وأمر به فألقى في أعماق البحر كما يحدثنا بذلك القاص في ألف ليلة وليلة . وأجسام الشباب المصريين هي هذه

القماقم المطبقة الصفيقة . الا أنها ليست من نحاس وانما هي من لحم ودم . والفرق بين هذه النفوس السجينة في قماقمها وبين ذلك العفريت هو أن العفريت وجد الصياد الذي استخرج قمقمه من اعماق البحر وفض عنه خاتمه ورفع عنه غطاءه وأتاح للعفريت ان يحدث عهدا بالهواء والنور والحرية . فالى ان تجد نفوس الشباب المصريين هذا الصياد الذي يخرجها ويرد اليها حريتها ويخلي بينها وبين الهواء والنور والجمال تستمتع به وتمتع به الأجيال الى أن يوجد هذا الصياد تستطيع أن تتحدث عن الذوق الفني المترف الرفيع وعن تنشئته في نفوس الشباب كما نشاء » . ص ١٢١ .

في هذا الجو الذي كانت السياسة فيه لعبة والحكم فيه مغنما ونهبا كتب الدكتور طه حسين هذه الرسائل التي نشر أكثرها في المجلات في « الهلال » خاصة ثم جمعت تحت عنوان مرآة الضمير الحديث .

والكتاب ينقسم الى قسمين واضحين : الأول رسائل من النوع القديم الذي كان يؤلفه أمثال الجاحظ من كتاب عصر النثر الذهبي القديم أي أنها مقالات شبه علمية في موضوع بعينه تحاول أن تستقصي كل جانب من الموضوع وأن تجمع حوله طائفة كبيرة من مأثور القول والأخبار والمعلومات ولذلك نراه ينسبها ادعاء للجاحظ ويحاول موفقا جدا أن يقلد رسائل الجاحظ المعروفة في شتى الموضوعات . والثاني رسائل حديثة بمفهومه الحديث اى أنها خطابات يوجهها الى أصدقاء قد يكونون في صفاتهم الرئيسية أو مناسبتهم منحوتين من الواقع ولكنه كأديب متفنن يضيف الى هذه الصفات البارزة والمناسبات الواقعية كثيرا من خياله ليجمع حول الشخصية كل ما يريد أن ينقده بقلمه من أخلاق العصر . وهذه الرسائل يقول عنها انها « وقعت له ولم يعرف على طول البحث وشدة الاستقصاء كاتبها ولا من كتبت اليه » .

والدكتور طه حسين يتعمد التفرقة بين أسلوب المجموعتين فالمجموعة الأولى يتوجه بها عادة كتاب مثل هذه الرسائل القديمة الى طالب علم أو دارس فلذلك نراها تبدأ « يسرك الله للخير ويسر الخير على يديك ، وهداك الله الى الحق وجعلك الى الحق هاديا » . أو تبدأ « وفقك الله الى الخير وعصمك من الشر والاثم . » وهكذا مما تفتتح به مثل هذه الرسائل من دعاء أن يهدي الله طالب العلم الى الخير وأن يوفقه في حياته طالبا للهداية هاديا الناس .

وفي هذه المجموعة نجد أربع رسائل : الأولى في الشكر والكفر والثانية في الأمر والنهي والثالثة في الوشاية والوشاة والرابعة في القصد والغرور وهذه الأربعة تستغرق نحو ربع الكتاب . ويقول في مقدمتها أن صاحبا أقبل عليه بمخطوط فيه رسائل غير معروفة كتب بعضها الجاحظ الى الوزير المعروف محمد بن عبد الملك الزيات وفيها نصائح من الجاحظ لهذا الوزير الذي اقبلت عليه النقمه فاذا هو يهمل الشكر ومن هنا عنوان الرسالة الأولى واما الثانية فهي رسالة الامر والنهي وفيها ينصح هذا الذي وصل الى الوزاره أو ما يشبهها من مكانة مرموقة الا يصد اذنه عن النصح . ونقف عند الصفحة الرابعة من هذه الرسالة فنجد تلميحات واضحة عما كان يجرى في سماء السياسة في مصر . فالكاتب ، الذي زعم المؤلف أنه الجاحظ ، يروى للوزير كيف أنه أمر أعوانه أن يتصلوا بالكتاب والشعراء وأن يأمروهم الا يذكروا متاعب السلطان هذا الا بالخير امعانا في أشباع رغبة حب المدح والفرار من النصائح نصائح الأصدقاء والخلصاء ونصائح الرأى العام الذي من حقه أن يحاسب من ولاهم الأمر ليخدموه لا ليتلقى منهم المدح .

أما الرسالة الثالثة رسالة الوشاية والوشاة فاننا نلمح فيها أيضا صورة من ذوى القلوب المخلصة الطيبة عندما يريدون أن يعملوا مخلصين فاذا الوشاة يعكرون عليهم صفو الجو حسدا وبغضا واستئثارا بما لا يحق لهم . وقد كان طه حسين نفسه موضع كثير من الوشايات فهو يألم ، واله واضح في هذه الرسالة ونصحه لصاحب السلطان الا يصدق قول هؤلاء الذين يطيفون به نصح عقلي ولكنه مشبوب بعاطفة من اوذي واحتمل الألم في مثل هذا الموقف . ويلح عليه الموقف فاذا

هو فى رسالة القصد والغرور حيث يحذر « رفيق الصبا وصديق الشباب وشقيق النفس واليف القلب » وقد ولى منصبا هاما ، من الغرور والاعتداد بالنفس ولكنه يخاف عليه من الناس الذين يسعون عنده بالنميمة ويمشون اليه بالوقيعة مبتغين رضاه عنهم بالوشاية . الخ . حتى يصل آخر الأمر الى قوله « فقد يستبين لك أن الحكم نقمة لا نعمة ومحنة تبتلى بها النفوس وتفتن بها القلوب وتمحص بها الضمائر . واذكر أصلحك الله أيام كنا نلتقى فنذكر فلانا وفلانا من الحكام الذين سبقوك نعيبهم كثيرا ونثنى عليهم قليلا ونرثى لهم دائما . »

أما القسم الثانى من الكتاب ففيه ميل نحو التحرر من الأسلوب القديم أى أن المؤلف لا يتعمد أن يقلد أساوب الجاحظ تقليدا موفقا بارعا كما فعل فى القسم الأول وان هذا القسم هو خطابات اى رسائل بالمعنى المألوف لدينا يبدؤها برسالة « الى » .. هذا الذى لا يريد حتى أن يسميه لأنه لا يدرى كيف يدعوه . وفى الرسالة نص انها نشرت فى مجلة الهلال ليقرأها هذا الصديق الذى فجع فى صداقته وكانت صداقة صبا وشباب قبل أن يبلغا الثلاثين ومنها نفهم أن الصديق قطع أسباب المودة ابتغاء المنفعة المادية السهلة . ومنها أيضا نعرف أن هذا الصديق أديب ولكنه « يحب الأدب السهل ويكره الأدب العسير » ويختم الرسالة بانها « مرآة لن تكون أنت (اى الصديق الخائن) الشخص الوحيد الذى يرى نفسه فيها . » . ولست أدرى أبهذا المعنى عنون المؤلف كتابه مرآة الضمير الحديث أم بمعنى آخر .

والرسالة الثانية قلب مغلق نشرت أيضا بالهلال كما ينص صاحبها والخطاب فيها موجه الى صديق قد أغلق قلبه وشغل نفسه باللذة والثروة ويقول له فيها « صدقنى ان من الخير الكثير لك ولغيرك ان تصدع قلبك قبل أن تصدعه الأحداث . » .

أما « من بعيد » فهى موجهة الى صديق يعمل عملا هادئا مريحا يسأله عن الأصدقاء فكأنما هو يسأله عن البؤساء من الأصدقاء الذين لم يتح لهم ما أتيح له « يرغب فى البؤس حين يثقل عليه النعيم » وهو يتظاهر بالوفاء ولكنه فى حقيقة أمره « قلق ، سئوم ، أثر ، لا يستمتع بالنعمة التى تتاح له الا اذا عرف النعمة التى تصب على غيره .. » ثم هو بعد معقد النفس ممسوخ . ولكن كل شىء من حولنا فى الوطن قد مسخ « انظر الى وطنك الآن كيف انزوى وتضاءل وكيف هان أمره على نفسه وعلى الناس وكيف أصبح أضعف من أن يستقل بأيسر شئونه ... أتراه قد مسخ كما مسخ ذلك الفتى ... أم تراه قد ظل كما كان مصدرا للخصب والترف والمجد والبأس ولكن اهله قد مسخوا » ص ٧٢ .

ثم يحدث الصديق عن الذى « ارتقى فجأة فى غير اعداد ولا تمهيد فاصبح أشبه بالديك . » ولكن الذين ذكروا ليسوا هم وحدهم الذين انفردوا بالمسخ وانما « هى محنة عامة يمتحن الله بها هذا الوطن البائس فى كثير من بنيه . » ص ٧٦ .

وفى « صرعى » يتحدث عن الحاكم المغرور متمثلا بقول زياد فى عنفوان غروره « وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى » ويذكر هذا الصديق المغرور بالسلطان « أتذكر تلك الأيام ... كانت أمامنا من الجهل والغى والسخف صورة بشعة منكرة ولكنها لم تكن تخيفنا ولا تروعنا وانما كانت تدعونا الى نفسها لا لنحبها بل لنبغضها ولا لنبقيها بل لنلغيها . » ويختتم الرسالة بتحذيره من أن يكون من صرعى غرور الحكم .

وفى نفوس للبيع يتحدث عمن باعوا أنفسهم رخيصة فى سوق الكرامة. وفى كما انت يتحدث عن أدباء الشباب وأدباء الشيوخ مبينا الفرق بين الحديث من شباب وشيوخ فى كل ميدان الا ميدان الفن حيث لا يستطيع احد أن يديل من فن او أن يفرض فنا آخر غير الجيد الذى يفرض نفسه . وفى « بين النعيم والجحيم » يتحدث الى صديق ويرجوه ألا يأتى من سفره الى مصر لما هى فيه من سجن المرضى ولعله وباء

الكوليرا الذى اجتاح مصر آنذاك . ولكنه يتخذ من هذا سبيلا الى وصف ما فى مصر من ادواء أشد من الوباء هولا وتدميرا . ان فى مصر جحيما من الوباء والموت والفقر والجهل والمرض وجحيما آخر من الحسد والحقد والبغض والموجدة » . ص ١١١ .

وفى رسالة « الحرية أولا » يؤكد أنه لا حياة للوطن ولا للنفس الا بالحرية وهو يتحدث عن الطلاب وما يجب أن ينعموا به من حرية .

أما فى « ويل للشجى من الخلى » فهو يصف صديقا مترفا ينعم بخيرات مصر فى فرنسا ويعيب على مصر تأخرها وانحطاط مستوى الحياة فيها جمالا ونظاما وخلقا ويعيب على فرنسا الفوضى فى الحرية . وهكذا بينما هو يعيش عالة على وطنه غريبا فى فرنسا لا يفيد أحدا ولا يستهدف أية غاية لا يحسن الا العيب والسفاسف .

وفى رسالة « لا ونعم » يتشوق الى ان يقف المصريون وقفة صامدة ليقولوا « لا » يعنى ليرفضوا الظلم الواقع عليهم ويظهروا شخصيتهم

أما « صحائح الأنباء » فهى رسالة الى صديق مسافر يصور له فيها حيرته ولا يدرى ماذا يكتب له عن مصر وكل ما فيها يغلى فى اضطراب « لقد خاص علم العلماء الى جهل الجهلاء ففسدت أمور الناس » ص ١٤٧ « ونظرت مصر فاذا أهلها ساخطون صاخبون قلقون مضطربون لا يرضون عن شىء ولا يرضى عنهم شىء » ص ١٤٧ وفيها يتهكم على حرمان مصر من الحرية ومن العلم بأمر حكامها الذين وضعوا الشرطة فى الجامعة ليقتلوا الحرية ويقتلوا العلم .

وتختم هذه الرسائل بعزاء الأديب الوحيد فى مثل هذه المحنة محنة الأخلاق ومحنة الوطن كله تختتم « باخوان الصفا » أى بالكتب . فيها ومنها وحدها ، كان الأديب يجد الراحة والهدوء ولكنها راحة الغيبوبة بمنوم سرعان ما يفيق منها ذو الحس المرهف ليكتب من جديد .

الدكتورة سهير القلماوى

سطور من كتاب ...

« عندما يسير الاقتصاد القومى لمجتمع ما ، وفق مبادىء العدل الاجتماعى .. ولا تصبح الثروة فيه امتيازا للقلة ، بل حقا للكثرة .. وعندما تصير الدولة بحكم وظيفتها التاريخية والسياسية ، الأداة التى تحقق سيادة المجتمع على مصادر ثروته ، وقوى اقتصاده .. عندئذ ، تبلغ العلاقة بين الاقتصاد والسياسة ، أى بين الوضع الاقتصادى والتنظيم السياسى ذروة الوثاقة ، والاحكام ، والأهمية » .

... أزمة الحرية فى عالمنا



تأليف: الدكتور احسان عباس

دار المعارف، ٣٣١ ص ١٧ × ٢٤ سم.

طلع الدكتور احسان عباس على المكتبة العربية بكتاب عن العرب فى صقلية ، وقد أحببت أن أعرض أولا لملخص واف لما ورد فى هذا الكتاب :

فقد قسم هذه الدراسة الى ثلاثة كتب خصص الكتاب الأول للحديث عن صقلية فى العصر الاسلامى وخصص الفصل الأول منه للحياة السياسية فأشار الى لمحة عن صقلية فى العصر البيزنطى فتحدث عن بازاريوس قائد جستنيان واستيلائه على صقلية من يد القوط سنة ٥٣٥ ميلادية وما لقيه البيزنطيون من ترحيب أهل البلاد . ومن الغريب أن صقلية فى ظل السيادة البيزنطية قد ترددت فيما ترددت فيه أغلب البلاد التى خضعت لحكمهم من مضاعفة الضرائب وضعف مستوى الجباية واشتغال الجند بغير الجندية واستبداد الكنيسة والى استنزاف خيرات البلاد وامتلائها بجموع العبيد فكانت « صقلية البيزنطية قد فقدت شخصيتها . ومقوماتها العمرانية واختنق فيها كل شعور بالرفعة الانسانية » .

ثم عرض للفتح الاسلامى للجزيرة وبداية اهتمام المسلمين بها فى سنة ١٢٢ هـ الى ان وضحت الرغبة فى الفتح الحقيقى من عهد زيادة الله الأغلبى الذى تخلص من الهدنة التى كانت معقودة بين صقلية والقيروان وقاد أسد ابن الفرات حملات الغزو وأقلع الأسطول من مدينة سوسة فى ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ فى نحو مائة سفينة واشترك فى الجيش أشراف العرب والبربر والأندلسيين ، واستولى على مازر وبلرم التى مكنتهم من الاعتماد على مدد دائم من أفريقية وخاضوا معارك عنيفة فى قصريانة ومسينا التى فتحت أمامهم الطريق الى جنوب ايطاليا وتوج النصر باخذ قصريانة عام ٢٤٠ هـ . وفى سنة ٢٦٠ هـ حاصر المسلمون سرقوسة معقل المقاومة البيزنطية وسقطت فى أيديهم ثم تتابعت حملات الغزو حتى عهد ابراهيم بن الأغلب الذى فتح طبرمين سنة ٢٨٩ ، بل استمرت محاولات استكمال الفتح بعد زوال الأغالبة فقد اضطر أحد الولاة الكلبيين على الجزيرة أن يعاود فتح مدينة طبرمين سنة ٣٥١ هـ .

ثم أشار المؤلف الى فترة الانتقال من يد الأغالبة الى بنى أبى الحسين الكلبى وما منيت به الجزيرة من فتن بسبب زوال دولة الأغالبة وقيام الفاطميين ، استمرت من عام ٣٠٠ الى عام ٣٢٧ هـ ، وهى تمثل ذلك الصراع العنيف بين العباسيين والفاطميين . واعاد عبيد الله المهدى فتح الجزيرة واخضاعها للنفوذ الفاطمى وثار أحمد بن قرهب احد الولاة الفاطميين وأعلن الدعوة لبنى العباس وعمت الثورات الجزيرة

كلهـا ، وكان الفاطميون لا يكفون عن التدخـل لأقرار الأمن فى البلاد .

ثم أشار الى تكوين الامارة الصقلية فى دائرة النفوذ الفـاطمى تحت حـكم بنى أبى الحسين الكلبيين ومؤسـسـهـا الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى من أخلص أعوان الفاطميين الذى أقر الأمن ، وتعاقب على حكم صقلية عشرة ولاة من الـكلبيين فى مـدى خمسـة وتسعين سنة شهدت ابانها تقدما فى الحياة العمرانية وفى العلوم والآداب وجهادا مستمرا فى جنوب ايطاليا وفى مقاومـة أطمـاع الروم فى الجزيرة . وأخلدت صقلية الى الهدوء وجنت من ذلك شهى الثمار . وبلغت الجزيرة أوج الاسـتقرار فى عهد الأمير الكلبى أبى الفتح يوسف الملقب بثقـة الدولة (٣٧٩ هـ - ٣٨٥ هـ) .

ثم عادت الجزيرة الى أتون الانقسـام مرة اخرى فى عهد أمراء الطوائف وادى هذا الانقسام الى خضوعها للنرمان عام ٤٤٤ هـ وضـاعت السيادة الاسلامية على الجزيرة فى الوقت الذى لقيت فيـه القيروان مصيرها السيىء على أيدى العرب الهلالية .

وختم عرضه للحياة السياسية بالحديث عن الحكومة الاسلامية فى صقلية والى دور الوالى فى هذه الحكومة والى اتخاذه مجلسا استشاريا من حوله وقيامه على أمر الجهاد وكانت مدينة بلرم دار الامارة فيهـا قصر الأمـير حيث المال والسـلاح والكساء والى اسـتعانة بعض الولاة بحرس غريب عن الجزيرة والى ما كان من ارتباط صقلية بمصر بعد رحيل المعز اليها حيث كان الوالى يدين بنوع من التبعيـة للقاهرة ، وكان الخليفة الفاطمى يتدخل فى الشئون الداخليـة وكانت صقلية الى عهد متأخر ملكا لسلطان مصر على حد تعبير ناصر خسرو . كما تحدث عن أهميته الى القاضى . وقضاة صقلية وسيرتهم وزهـدهم وتحدث عن دواوين الحكومة وأهمية ديوان الخمس .

وأفرد الفصـل الثـانى لدراسـة الحيـاة الاجتماعية .

فاشار الى السكان الأصليين الذين لم يدخلوا فى الاسـلام واتخـذوا وضع أهل الذمة وكانوا مستقلين فى الفترة الأولى من الحـكم الأغلبى فى تدبير أمورهم وتحصنهم وراء الأسوار ، وانتهى اسـتقلال أكثرهم فى عهد ابراهيم بن الأغلب ، ودفعت المدن الجزية ، وانفصمت صلتها ببيزنطة ، وتناقص عدد الأغريق والطليان . وكان بعض أهل الذمة فى فترة اختلاف المسلمين ينقضون العهود والمواثيق ، ويحضون على الثورة ، ويعود المسلمون الى أخضاعهم مع مزيد من الأعباء . وقد ترك الفتح أثرا كبيرا فى جماعات العبيد الذين أصبحوا طبقة كبيرة فى المجتمع الاسلامى ، كما زاد عددهم بكثرة الأسر والسبى ، وكان تسربهم الى صفوف الجيش مـدعاة للمزيـد من الفتن والثـورات . ووفدت أجناس كثيرة الى صقلية مع الفتح وبعده ، منهم البربر من كتامة ولو ان الذين سكنوا النواحى الشـمالية ، وكانت عاصمتهم جوجنت ، ومنهم العرب العدنانية والقحطانيون وهم كثرة العرب ، ومنهم همـدانيون وكلبيون ، ووفـد بعض أهل خراسان ، وكذلك وفد اليهود والصقالبة .

وقد عرض للانظمة المالية والتفاوت فى الثروة ، واشار الى تطبيق الضرائب الاسلامية ، وان كانت صـقلية قد تفردت بلون خاص ، منهـا مثلا المستغلات واللطف ومال البحر والقبالة . وكانت مغالاة الولاة فى الجباية من أهم أسباب الثورات وقضى نظام الارث الاسلامى على الاقطاعات الكبيرة كما حفلت البيئة بالتفـاوت البينى فى الثروة بين الطبقات . وقـد لاحظ ابن حوقل مظـاهر الفقر الشامل وقلة المـال فى أيدى الناس ورخصا فى الحاجات وقلة فى النفقات مع وفرة وارد الجزيرة ورخص أسـعارها . ورات الجزيرة فى ظل الحكم الاسلامى مظاهر كثيرة النهضة الزراعية والصناعية وحاصلاتها من القمح والزيت والكروم والفاكهة ولا يذكر الادريسى بلدا الا ويقترن ذكره بالبساتين والمنازه والمياه والمزارع الطيبة ، وشمل الرخاء الصناعة أيضـا ، الصناعات المعدنية وصناعة النسيج التى اشتهرت بها صقلية ، وكانت تصدر الى مصر ، واستدعت النهضـة الصناعية تعدد الحرف فى أيدى الناس .

وأشار الى موضوع الدين والأخلاق ، وفطن الى تحيز ابن حوقل وهجائه أهل صقلية ، وانتهى الى أن الأساس الذى بنى عليه ابن حوقل قلة المروءة والبلادة فى الصقليين فاسد ، وان كان يؤخذ على أهل صقلية اذ ذاك كرههم للغريب على وجه العموم . وتدل صور ابن حوقل على مجتمع صقلى منحل ، ضعفت فيه الروابط الخلقية الى حد غير قليل ، وتعارضت مقاييسه مع قواعد الدين الاسلامى أحيانا .

أما الفصل الثالث فقد أفرد للحياة العقلية ، وقد اولى المؤلف الصلات الثقافية عناية خاصة ، فتحدث عن الصلات العلمية الوثيقة بين صقلية والقيروان أو بين صقلية والقاهرة . وان كانت قد نشأت مدرسة صقلية خاصة فى بلرم ، أعلنت عن وجودها الثقافى والعقلى ، وبدأت صقلية تتطلع بكيان خاص مستقل . وقد فاقت صقلية جميع البلاد الاسلامية فى كثرة المساجد والمدارس لرسوخ المسيحية فيها عند الفتح ، والاكثار من المساجد خير ما يقنع الجماعة الاسلامية بانتصارها على كل موروث صقلى وتثبيت الصبغة الاسلامية فى البلاد . وكانت بلرم الحاضرة الثقافية أكثر البلاد امتلاء بالمساجد والمدارس ، وقد كثر المعلمون حتى كان منهم فى بلرم مالا يقل عن ثلاثمائة ، وهذا كان يشير الى نشاط تعليمى واسع ، وحرفة التعليم لم تكن تدر خيرا كثيرا على أصحابها .

وكانت الكتب التى يتداولها الطلبة والأساتذة مما يرد على الجزيرة من بلاد المشرق والأندلس والقيروان مثل اليتيمة للثعالبى أو المدونة لسحنون أو دواوين الشعر أو كليلة ودمنة أو كتب أبو حيان التوحيدى .

وتأثرت صقلية من باب الفقه والحديث والقراءات بما عرفته أفريقية منها ، فمن أفريقية انتشر مذهب مالك ، ومنها كان القضاة ، وتكونت لصقلية مدرسة فقهية من أبنائها فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، برز منهم عبد الحق الفقيه ، ومن طريقه امتد أثر صقلية الى الخارج . وقد غلب اللحن علي أهل صقلية ، وكان قوام الكلام فى الحياة اليومية ، حتى لقد انفردت صقلية بلهجة ميزتها عن المشرق والمغرب والأندلس . وظل هذا اللحن ينمو حتى ظهر من الشعر فى العصر النرماندى ، ومع ذلك فقد برزت فى ميدان اللغة واشتهر فيها علماء امتدت شهرتهم الى غير بلدهم ، كما اجتذبت فريقا من مشاهير اللغويين . وكانت نهضتها اللغوية تعاصر نشاطها فى الفقه ، وكانت بها مدرسة واضحة المعالم ، وشيخ هذه المدرسة هو محمد بن عامر بن الحسينى الذى أقام بمازر .

وتأثرت صقلية بتيار الزهد والتصوف فقد أصبحت رباطا كبيرا ، فريق من أهلها وهب نفسه للدفاع ، وآخر قنع بالانفراد والانقطاع عن الدنيا ، وأقاموا التصوف على الحياة الواقعية وعلى الـ لامةالفقهية المذهبية ، وكانتصوف أهلهاثورة نفسية على سوء الحال ومحاولة لاصلاح الباطل فى الفرد لاصلاح الجماعة . وألم الصقليون بشىء من الثقافة الفلسفية ، وقد عرفوا فى وقت متأخر كتب أبى حيان التوحيدى فى التصوف والفلسفة ، وشاع الطب فى أيام الكلبيين واواخر العصر الاسلامى .



وأفرد المؤلف الكتاب الثانى من بحثه للحديث عن صقلية فى العصر النرمندى ، فأشار الى الانقسامات التى سادت الجزيرة والى التناحر بين أمرائها والى استنجاد أحدهم بالنرمان فطمعوا فى الجزيرة ، واستولوا على مسينه عام ١٠١٦ ميلادية . واستصرخ بعض المسلمين بالزيريين فى تونس ، فلم يتوقف هذا التدخل، ووقعت الكارثة واستولى النرمان على بلرم ، ثم سلمت مازر ثم سرقوسة عام ١٠٨٦ وجوجنت وتوطد النفوذ النرمندى عام ١٠٩١ ميلادية .

وفى الفصل الثانى تحدث عن الحياة الاجتماعية للجماعة الاسلامية فىظل النفوذالنرمندى ، فحلل الأسباب التى كمنت من وراء تسامح النرمان مع مسلمى صقلية ، فقد كانوا أقلية ضئيلة ، ولم تكن

لهم حضارة يبسطونها على هذا العالم الذى كان يمد ما حوله بالحضـــارة . على أن أهم العوامل التى أحدثت انقلابا فى حياة الأجناس فى صقلية ، فهو تطبيق الاقطاع ، كما كان الحال عليه فى أوربا وتثبيته بالقوانين والتشريعات . فقضى على حرية المالك الصغير ، وانقسم النـــاس الى طبقـات متدرجة أعلاها الملك وأدناها رقيق الأرض ، وبين الطبقتين أمراء ودوقات لهم الاقطاعات الشاسعة ولهم الامتيازات فى المحاكم وفى القضايا المدنية . والمسلمون عامة فى العصر النرمندى كانوا اما أهل مدن يتمتعون بشىء من الحرية لا يحق لهم التوسع فى ممتلـــكاتهم ، واما فلاحـين فقدوا كل حرية وأصبحوا رقيق أرض أو عبيـــدا ، واما جنـــدا فى الجيش والأسطول .

وسن الأمير النرمندى رجار القانون دون تحيز ، وترك لكل شعب مجاله ، على الا يتعارض فى عرفه وعاداته مع القوانين الموضوعة ، ومن المحتمل أن يكون المسلمون قد اشتركوا فى بعض الســلطات البلدية . وامتــدت الصبغة الاسلامية عامة أيام النرمان الى كثير من نواحى الحيـــاة ووضحت هذه الصبغة فى حياة البلاط نفسه ، وكذلك فى الاتعـــاب ، واتخــذت الدولة ثلاثة أنواع من الدواوين الاسلامية ، وهى : ديوان المظالم وديوان الطرز وديوان التحقيق المعمور .

وبعد أن استقر الأمر لرجار جرى على سياسة تقريب المسلمين ونشر سيرة العدل وأقرهم على دينهم . وكان المسلمون يؤيدون الملك ويحبونه حتى يضمنوا لأنفسهم تقدما فى دولته وليحميهم من الأجناس الأخرى ، واذا كان المسلمون أقلية فى بلد تخافتوا فى أداء العبـــادة ، وكانوا رغم ذلك غرباء عن اخوانهم المسلمين فى الأقطـار الأخرى وتحت ذمـة غيرهم يؤدون الجزية ولا أمن لهم فى أموالهم ولا فى حريتهم ولا فى أبنائهم .

وفى الفصل الثالث عالج الحياة العقلية فى ذلك العصر ، فأشـــار الى تضاؤل المسجد كمدرسة فقهية لغوية ادبية والى انهزام الدراسات الدينية أمام الدراسات العلمية الأخرى . وقامت الحياة العلمية فى ذلك العصر على المشـــاركة فى غير لغة واحدة . وكانت تقوم بتوجيـــه من الملك نفسه ، واستوردت صـــقلية الكتب كما كانت تفعل ، ونعمت البلاد بنهضة علمية بسبب تشجيع الملوك ، وازدهرت حركة الترجمة الى اللغة اللاتينية من العربية واليونانيـــة . ولم يكن نصيب العلماء المسلمين فى الحركة العلمية قليلا فقد ظهر الشريف الأدريسى ، وعاش فى بلرم فى أيام غليالم الأول ، ومما عزز الحركة العلمية انها قامت على التجربة والمشاهدة ، ثم الاستفادة منها فى الحياة العملية .

أما الـكتاب الثالث من البحث فقد خصصه المؤلف لحياة الشعر العربى فى صقلية الاسلامية وقد استغرق أكثر من نصف الكتاب ، وخصص الفصل الأول منه للمكونات الكبرى فى شعر صقلية الاسلامية ، فأشار الى أن موقع الجزيرة هو الذى تحكم فى الهجرة من صقلية واليها ، وجعل الشعر الصقلى نفسه صورة من الصادر والوارد كما هو الحال فى التجـــارة ، فممن هاجر اليهـا محمد بن عبدون السوسى وابن رشيق القيروانى صاحب العمدة والأنموذج وعبـــد الحليم القضـــاعى ، كما بين أثر الأجناس فى انتاج الشعر الصقلى وهى اما صقلية أصلا أو صقلية بالمهجر أو مهاجرين . ولم تصهر هذه الاجناس بحيث تنسى عصبياتها القبلية ، ولذلك مثل الشعر هذه الروح القبلية فى بعض جوانبه .

ومن الأمور التى أثرت فى تكوين الشعر أيضا الفترة التى نما فيها هذا الشعر وهى تمتد من ٢١٢ الى ٤٦٤ هـ ، فحتى ســـنة ٣٥٩ لم تكن الحياة تهيىء لنمو الشـــعر واكتماله ، ولم نعد نسمع عن شعر صقلى فى مدة خمسة وثمانين عاما قضـــاها بنو الأغلب فى فتح الجزيرة وحكمها . وأول شعر نستطيع تأريخـــه وصلنا فى أيام أبى القاسم الملقب بالشهيد ٣٥٩ – ٣٧٢ ، ومن هنا بدأ استقلال صـــقلية السياسى ، وبدأ الشعر الصقلى حياته الصحيحة .

وتم جنى ثمار هـــذا الشعر فى نهـاية القرن الرابع وأول القرن الخامس بسبب الاســـتقلال السياسى والهدوء النسبى ، وبدأ احساس الناس بالجزيرة ، وتجسد معناها فى نفوسهم ، وقبل أن



تنضج الثمار جاء الفتح النرمندى ، وهرع الشعراء والعلماء يلوذون بأذيال الفرار . وثمـة حقيقة رابعة أثرت فى تكوين الشعر ونعنى بها الفتنة التى أسقطت بنى أبى الحسين الكلبيين ، وقسمت الجزيرة الى دويلات صـغيرة ، فقد مزقت كلمة الشعراء ، وكانت سببا فى ضياع الموطن وزوال السيادة العربية الأمر الذى أضعف التجاوب بين أهل صقلية وركنوا الى الاستسلام .

وخصص الفصل الثـانى للحديث عن الشعر الصقلى بين القوة والضعف فى العصر الاسلامى ولاحـظ انه مما قلل من أصـــالة الشـعر الصقلى ومورد التجديد فيه اعتماده على تقليد المشارقة والأفارقة . وكان أشد تأثرا بمدرسة القيروان ، وما شـاع فيهـا من موازين للنقد الأدبى ، ممثلة فى العمدة لابن رشيق مطمح كل شاعر من شعراء القيروان ، كما عرفت أساليب القيروانيين من ترفع عن الهجاء وكره المحلية ، وتفرقها بين الذوق الحضرى والبـدوى . كمـا لوحظ أن الشعر قصر عن تصوير القلق الداخلى بصـقلية او التعبير عن الصراع الاقتصادى ، كما تأثر الشعر بالتيـــار الذى طلع على افق الشعر العربى منـــذ مطلع العصر العباسى من انجذاب بين الدين والزهـــد والتقوى والتخلى عن الدنيا وبين الأخذ بأسباب من الحياة المستهترة الماجنة واشباع النفس من لذة الخمر والحب . واحتلت الخمر مـكانا مرموقا فى شـعر أرباب المجون ، وتفننوا فى وصـفها حتى ليعتبر ابن حمـديس الصـقلى شـاعر الخمر ، والغزل فى شـعر الصقليين فهو وجد مبهم ، وشخصية المرأة فيه غير متحققة ، وليس هناك الا أسماء تقليدية تتردد فى الغزل وفى الشعر الصقلى صورة حية لمجتمع يستمتع بالرقص والموسيقى والغناء .

وخصص الفصل الثـالث لابن الخياط شاعر صقلية فى العصر الاسـلامى فكانت دراسة طيبة ممتعة ، وقد وجد أنه خير من يمثل البيئـة الصقلية فى العصر الاسلامى ، لأن شعره يدل على أنه بقى فى صقلية حتى أيام ابن الثمنة . وتحدث عن مدحهم ابن الخيـــاط من الأمراء الكلبيين ، ومـدى تصويره للـكثير مما نجهله من أخبـار صـــقلية ورجالاتها . وقد أتاحت له ظروفه أن يكون شاعر بنى أبى الحسين الكلبيين ، فهو يسجل لهم حياتهم الحربية والسياسية ، وهى الحياة التى تعد أبرز ما فى تاريخ صقلية ، ويصف لنـــا المعارك ويسجل الانتصارات ويتحدث عن بعض الثائرين عليهم . وقد عرف بنفاذ البصيرة وبعد النظر ، وكانت له القدرة على تصور ما يجىء به المستقبل ، ولم يكن ذلك ارتباطا بفكرة الألوهية انما من سـخرية الواقع والاحساس بالعجز عن النفاذ فى هـــذا الباب المغلق . وتجلت فى شعره الطبيعة الريفية بأحلى معانيها ، كما يمتد شعوره بالبيئة الى الحياة المدنية ، ونجد عنده شـــعور السيد الارستقراطى ازاء عبيـــده ، وفى صنعته الشعرية لا يحفل كثيرا باللطف والرقة ، وهـــو اقدر على تصوير المناظر العنيفة .

وفى الفصل الرابع أرخ لهجرة الشعر من صقلية خـلال السنوات الثلاثين التى تم فيهـــا الفتح النرمندى ، فغـادر الجزيرة عدد كبير من العلماء والأدباء ، وهاجر آلهة الشعراء الى الأندلس مثل ابن حمـــديس وأبى العرب الصقلى وابن أبى اليسر .

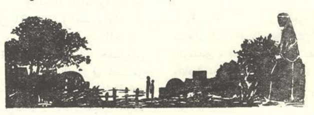
وخصص الفصل الخامس لابن حمديس كأثر من آثار هذا الفتح ، فعرض لحياته فى سرقوسة ، وفيها وهب شبابه للحب والحرب ، وفى سن الرابعة والعشرين غادر صقلية ، وصحب العرب فى الصحراء الأفريقية سنة ٤٧١ ، ثم استقل البحر الى الأندلس حيث المعتمد بن عباد ، وأقام فى أغمات مغتربا مع المعتمد . وطال به العهد فى أفريقية فى ظل بنى باديس ، وظل يتردد ما بقى من عمره الطويل بين المهدية وبونة وبجاية وميورقة ، وفقد بصره فى أواخر حياته ، وتوفى عام ٥٢٧ ودفن ببجاية .

وعرض للشعر الصقلى فى ديوانه فى الأربعة وعشرين عاما التى قضاها فى الجزيرة ، وتكونت النواة الأولى لشاعريته ، وشعره هو شعر الفارس المحارب الذى يتغنى بالقوة ورقة الحب وقوة الشباب واندفاعه وحرارته . وقد حلل قصيدتين من شعره الصقلى . وقد تركت صقلية أثرا كبيرا فى نفسه وشعره رغم كثرة المؤثرات فى حياته وضياع الوطن ، غير فلسفته فى اللذة ، ومن ثم اتصل الحزن بقلبه وحياته ، فقضى عمره يبكى مصائب الناس ، واستولى عليه الشعور الدائم بالغربة .

وفى الفصل السادس أرخ المؤلف للشعر فى صقلية فى العصر النرمندى ، فقد انفصلت بتاريخها عن ممالك الاسلام ، وأصبح الشعراء فى بيئتهم منعزلين لا تربطهم روابط بالمسلمين ، وقد عاش الشعر فى العصر النرمندى فى بيئتين فى كل منهما خصائص اجتماعية وبيئية مختلفة ، ولذلك فهذا الشعر قسمان ، شعر يتصل بالملك النرماندى وبلاطه وفيه المدح ووصف القصور والرثاء ، وشعر يصور علاقة المسلمين وحياتهم وفيه العتاب والمدح والرثاء ، وشعر الرسائل . فالبيئة الاسلامية أو المجتمع الاسلامى فقد السيادة ، وأصبح محكوما بعد أن كان حاكما ، كما أصبح حكمه حكم الأقلية لما للأقليات من نشاط وما فيها من محاولة للمحافظة على الكيان الجماعى ، وما فيه من مداهنة وتملق . كما صار هذا المجتمع دائم التوجس والخوف من عدوان يقع عليه بين لحظة وأخرى ، وأصبح من سماته التدين والالتفاف حول عمود الدين ، ومن امتحان فريق من الأقلية بالفتنة فى دينه ولجوئه أحيانا الى تغيير دين آبائه ، لاخفاقه فى دنياه وشيوع الفوضى فى حياة الأسرة ، وقد صور الشعر حياة هذه الجماعة الاسلامية أصدق تصوير .

وخصص الفصل السابع للحديث عن هجرة الشعر الى صقلية والى دأب الملك النرمندى على تشجيع الوافدين بالمنح والعطايا ، وقد أثار هذا ابن قلاقس فترك مصر وهاجر الى صقلية . وجعل للموضوع خاتمة تحدث فيها عن وضوح الطبيعة فى شخصية صقلية ، فقد أثرت فى توجيه الحياة الاسلامية ، وكان لها أثر بارز فى الشعر ، فقد جاء متأثرا بالروح الدنيوية التى حفزت الشعراء الى اتخاذ موضوعات الحب والغزل والعبث برجال الدين ، وقد أثر ذلك فى الشعر الايطالى وخاصة شعر الجولياردبين Goliardie . وثمة حقيقة أخرى كانت ذات أثر فى تكوين الشخصية الصقلية ، وهو أن الجزيرة كانت ملتقى شعوب لا وطن شعب ، وفى ذلك تفسير للضعف الذى نلمسه فى أقليمية الشعر .

وقد اعتمد المؤلف فى بحثه هذا على كتب نادرة قيمة ، فقد أفاد من آراء المستشرق أمارى ،



وخصوصا كتابه تاريخ مسلمى صقلية ، وهى الطبعة التى اشرف عليها الأستاذ نلينو ، وزودها بتعليقات هامة ، ثم ما كتبه البارون فون شاك عن الشعر الصقلى . كما اعتمد على بعض المخطوطات النادرة ، منها « مختصر الكتاب المنتحل من الدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة لأبى القاسم على بن جعفر بن على التميمى السعدى ثم الخريدة الجزء الحادى عشر للعماد الأصفهانى ثم المغرب الجزء الرابع ، وفيه قطعة عن صقلية تكون الكتاب الثانى من كتب شمال المغرب حسب ترتيب ابن سعيد واسمها « كتاب الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية » ثم اختيار على ابن منجب الصيرفى من الدرة الخطيرة وهى أقدم المختارات فيما يظهر .

ومن أمتع الدراسات التى تضمنها الكتاب عرضه للحياة الثقافية فى صقلية والافادة من الشذرات المتناثرة ، وخلق منها كلاما متكاملا طيبا ، ولعل أشدها متعة الكتاب الذى خصصه للشعر الصقلى الذى هو جوهر الموضوع ولبه ، وفيه نظرات ثاقبة وتحليلات طيبة ودراسة ممتعة .

ومع هذا لا يخلو الأمر من بعض ملاحظات ، لا تؤثر فى ذلك الانفعال الطيب الذى خلقه الكتاب فلو أطلق على كتابه هذا اسم الحضارة العربية فى صقلية ، لكان أكثر تمشيا مع ما عرض له فعلا ، فالحياة السياسية استغرقت منه جهدا قليلا ، على حين فصل القول فى كثير من الموضوعات الاجتماعية والثقافية ، هذا فضلا عما يشعر به قارىء الكتاب من أنه تخصص فى الشعر الصقلى فحسب ، وقد أفرد الكتاب الثالث للشعر وحده ، وكتب فيه نحوا من مائة وستين صفحة .

أما الدراسة الجغرافية التى كان يجب أن تكون مدخلا طيبا للموضوع فهى مخلة غير كافية تغلب عليها المسحة الأدبية ، ولم يعن بدراسة علاقة صقلية بعالم البحر الأبيض المتوسط بجنوب ايطاليا وأوربا بوجه خاص وبالعالم الاسلامى بوجه عام . أما الفتح النرمندى فلم يكتب فيه الا بضعة سطور ، ولم يعرض بعلاقة صقلية بالزيريين فى تونس أو بالحماديين فى الجزائر ، ولا الى المحاولات المتكررة لاسترداد الجزيرة ودراسته للحكومة الاسلامية فى صقلية سريعة ، كانت فى حاجة الى صبر وأناة ومزيد من التفصيل . ودراسته للحياة الاجتماعية تسير على نسق لم نسمع به فى اية دراسة اجتماعية من قبل ، فلم يعرض لطبقات السكان ولا الى الحياة فى المدن او فى الريف أو للأعياد والمواسم والحفلات أو الأزياء أو الأمراض والعلل الاجتماعية ، انما نراه يقحم الأنظمة المالية ويتحدث عن التفاوت فى الثروة أو النهضة الزراعية والصناعية . وكان الأجدر أن يفرد للحياة الاقتصادية دراسة خاصة ، كما قصر دراسته للدين والأخلاق على مناقشة آراء ابن حوقل دون القيام بدراسة موضوعية مستخرجة من أهم المصادر المعروفة .

دكتور حسن أحمد محمود

سطور من كتاب ...

« من الأهمية بمكان أن يعرف كل منا كيف يكسب عيشه ، الا أن هذا ليس هو الهدف النهائى للحياة ذاتها ، لأن طريقة التمتع بالحياة تفوق فى أهميتها مجرد كسب العيش ، ويجب أن تكون اسمى غاية لكل أنواع التعليم ان يجعل الحياة أكثر امتلاء وغنى » .

... دور الثقافة فى اعداد المديرين

الخيط الأبيض

تأليف : محمد مفيد الشوباشي

للأستاذ محمد مفيد الشوباشي جولات مشهورة في عالم الأدب والشعر والترجمة منذ أكثر من أربعين عاما ، وروايته الأخيرة « الخيط الأبيض » من الروايات القيمة الموجهة ، اذ تميزت بميزتين مهمتين ، أولاهما التجرد من النوازع والبدوات الجنسية الشائعة في جل بل كل الروايات العربية ، وثانيتهما التوجيه الى أدب مستقل جديد يعبر عن قيمنا الجديدة ، وعن مستقبل أمتنا ، ويعكس حياتها ونشاطها في صور صادقة حية .

وهذا هو الفجر الجديد الذي نتوق اليه ، ونتطلع الى بلوغه أو « الخيط الأبيض » من الفجر الصادق كما يقول المؤلف في ص ٤٣٨ — ومن هاتين الكلمتين استعار المؤلف عنوان روايته . وآثره على أي عنوان آخر يمثل الفكرة المحورية التي دارت معظم أحداث الرواية حولها ، وهي فكرة الاقتران بالمصرية دون الأجنبية ، وتغليب حب الوطن الكبير على الحب الصغير والاعتصام بالعقل في وجه العواطف المتضاربة العاصفة .

والرواية بسيطة في موضوعها ، ولكنها عميقة ، في تحليل عاطفة الحب ، بل تشريحها ، كما أنها زاخرة بالمفاهيم الأدبية والأيديولوجية الجديدة ، وهي في كلمات ، تروى قصة أسرتين صديقتين احداهما انجليزية عاشت في مصر قبل ثورة عام ١٩١٩ — والثانية مصرية متحضرة ، وبين اثنين من أفراد الأسرتين ، شب حب وليد ، بين أحمد منصور المصري ، وبين لورا بنت المستر ويمان ، ولكن هذا الحب لم يجد التربة الانفعالية لنموه وازدهاره فقد قامت في وجهه عقبات ، منها ما هو وطني ، ومنها ما هو خلقي ومزاجي ، ومنها ما هو وجداني ، فما تكاد تذلل عقبة ، أو يخيل أنها ذللت ، حتى تعترض عقبة .

كانت جنسية الفتاة الانجليزية عقبة ، فذللت بتجنس والدها بالجنسية المصرية ، وكانت أعمال الانجليز العدوانية على المصريين ، عقبة ، فذللت باستنكار الفتاة لهذه الأعمال ، أو خيل أنها ذللت ، ثم وقفت عقبة كأداء هي احساس الفتى المصري بوجود تباين في الخلق والذوق والمزاج بينه وبين الفتاة الانجليزية ، وكان يمكن أن تذلل هذه العقبة ، لولا ان لاح في حياة الفتى المصري وجه مصرية حسناء جذابة ، ملك قلبه وعقله وأخرجه من حيرته وتردده ، واقباله وادباره ، فاقترن بها .

هذا هو الهيكل العظمى للرواية في كلمات ، أما لحمها ودمها وأعصابها ، وروحها ، وما انبثقت فيها من آراء توجيهية ، وما وعته من صراعات نفسية ، وتحليلات بارعة فلا يستطاع الحديث عنه حديثا صادقا الا بقراءة الرواية ، واستيعاب مضامينها ، وتعرف تقنيناتها الفنية . وما يكمن وراءها من مفاهيم .

وسنحاول أن نلم في هذا المقال بالعناصر الجوهرية للرواية معتمدين على نصها ، غير ذاهبين ، في فهمها مذاهب بعيدة وتأويل أحداثها تأويلا عجيبا لا يحتمله نصها ، كما فعل بعض النقاد الذين تناولوا هذه الرواية .

وتبدأ الرواية في فصولها الأولى بموقف درامي مؤثر ، فها هي ذي لورا الانجليزية مع خطيبها الميجور جاكسون على ثنية وداع مصر بعد أن مات والدها ، ولكنها بدلا من الرحيل معه تتركه ، وتقفل الى البيت راجعة ، ! وأفراد أسرتها في عجب وألم من فعلتها ، حتى الخادمة ماري ،



الناشر مؤسسة التأليف والترجمة
عدد الصفحات ٤٩٨ مقاس ١٧×٢٤ سم
الثمن ٤٠ قرشا

وها هم أولاء يسألونها عن سبب عودتها فلا تجد ما تجيب به الا قولها : انها لا تريد أن تفارق عظام أبيها ! وتثور الأسرة ويهيج بعض أفرادها وبخاصة أخوها چفرى وأختها كلوديا . ويمتعض هذان امتعاضا شديدا ، ولا يخفيان هذا الامتعاض حتى عند حضور أحمد للسؤال عن لورا وسبب عودتها ، وعند تناوله الغــذاء مع الأسرة ، يربض چفرى عابس الوجــه ، مقطب الجبين ، ويوجه للضيف عبارات غير لائقة ، تجعله يهم بمبارحة المائدة ، لولا امساك لورا به . ولم تقف الأم موقف هذين الولدين ، بل أخفت حسرة قلبها ، لما كان يعتمل بقلبها من أمل فى اقتران الفتى المصرى بابنتها .

وقد اعتمد المؤلف فى تبيان هذا الموقف الأخير على الحوار الكاشف ، الذى أجراه بين السيدة ويمان ، وابنتها ، كما اعتمد على الحوار الذكى فى كثير من المواقف ، ففى آخر الفصل السادس من الرواية — ص ٦٩ — تقول السيدة ويمان —

— لماذا لا تتزوجينه ؟ .

— هل سنعود الى هــذا الموضوع ثانيــة يا أمى ؟ .

— أنا أقصد الآخر .

— اى آخر ؟ .

— وحدجتها أمها بنظرة عتاب .

— هل تخفين سرك على امك يا بنيتى العزيزة . تعالى ، اجلسى الى جانبى .

وجلست لورا على حافة سرير أمهـا بالقرب من المقعد وواصلت الأم حديثها :

— أنه يحبــك ، وهو فتى مهـذب وسيم ، ولا شك عندى أنه سيسعدك .

— يحبنى ويسعدنى ! .

واتسعت حدقتا مسز ويمان دهشة :

— هذا ظاهر كالشمس كيف لم تتبينيه .

وقالت لورا شاردة البصر :

— يا أمى الحبيبة ، انه لم يطلب الزواج الى ، بل لم يصارحنى بحبه ولم يبد أى دليل عليه ، أنه لم يمسك حتى يدى فى يوم من الأيام .

واحتبست الكلمات فى حلقهـا ، واغرورقت عيناها بالدموع . وبمثل هذا الحوار يسير المؤلف كاشفا عن حــيرة لورا ، وتحفظ أحمد ، حتى تصارحها الآنســة منى أخت أحمد بحبه لها ، ويدور بينهما فى الفصل السابع هــذا الحوار ص ٧٣ :

— أخى يحبك يا لورا ، حبا صادقا .

وسألتها لورا فى هدوء .

— هل صارحك بذلك ؟ .

— لا . أنت أدرى بطبعه ، ولكن وجهه يبوح دائما بما لا يبوح به لسانه .

تنهــدت لورا ، وقالت بصوت شاعت فيه الحسرة .

— يبدو أن كراهيته للانجليز تفوق حبه لى .

وندرك من هــذا الحوار الصاعد أن سبب تحفظ أحمد هو كراهيته للانجليز .

وهنا تظهر عقبة جديدة فى سبيل نماء هــذا الحب الوليد ، وهو كراهيــة أحمد للانجليز ، وتتضخم هذه العقبة عند اندلاع ثورة مصر فى عام ١٩١٩ ، حيث يأتى الانجليز بالفظائع ، ويقتلون زهرة أبنــاء الأمة ، ويبلغ التأثر بأحمد ، درجة عالية كاد يعصف بحبه الوليد ، ولكن رسالة من لورا تأتيه مستنكرة هذه الفظائع ، يسر لها أحمد ، وتخفف من تأثره .

ولا تلبث هذه العقبة أن تذوب ، وترسب فى قلبه حتى تقوم عقبة جديدة ، أشد وأنكى ، هو ما لمسه أحمد من اختلاف فى الرأى والذوق بينه وبين لورا ، وذلك بعــد ان نال اجازة الحقوق وأفتتح مكتبا للمحاماة ، فاستأجر شقة فى حى وطنى ، فتعترض لورا على الشقة وعلى الحى ، ويدور بينهما نقاش طويل ، يتجلى له فيه وجود برزخ بين العقليــة المصرية والانجليزية . وقد سجل المؤلف هــذا الحوار العاصف فى الفصل الخامس عشر ، ومما جاء فيه ــ ص ١٥٣ ــ قول لورا :

ــ لن تصلح هــذه الشــقة ولو طليتها بماء الذهب !

قال أحمد :

ــ ألست تغالين قليلا يا لورا .

فقالت فى لهجة الآمر .

ــ لابد ان تترك هــذه الشقة ، وتستأجر أخرى لائقة .

ــ لا استطيع فقد كتبت عقد الايجار لمدة عامين

ــ لابد أن تجد طريقة للتخلى عن هذا الكتب ، لابد من ذلك .

وقال يهمس لنفسه : انها تريد أن تفرض على رأيها ، أنها تحاول أن تتحكم فى كل شئ ، فهى لم تنس أصلها الانجليزى (ص ١٥٤) ولم تقف لورا عند هذا ، فى نقاشها ، بل تضمن نقاشها سمو حضارة الأوروبيين وثقافتهم على المصريين ، ممــا ألهب ثورة أحمد النفسية .

وهذا العامل الخلقى والمزاجى الجديد ، ظهرت آياته فى الفصل السابع والعشرين ، عندما كتب احمد بحثــا فى الاشتراكية ، فأزرت عليه لورا ، وسفهت ما ورد فيه من آراء وهذا العــامل كما يقول المؤلف فى ص ٢٨٦ هو الذى صده عن لورا ، وصد قومه عن قومها » .

* * *

وفى بداية اشــتغال أحمد بالمحاماة ، تتوثق معرفته بالمحامى النابه مصطفى لطفى ، الذى يخطب أخته منى ، وتتصل الأسرتان ، ويلمح أحمد وجها مصريا جذابا هو وجه رجاء ، بنت اخت مصطفى لطفى ، فيبهر بجمالها ويرقص قلبه لرؤيتها ، ويرى فيها فتاة أحلامه ، ويأخذ أحمــد فى المقــارنة بين رجاء ولورا ، فى فصول متتابعة ، لورا التى ضحت بخطوبتها من أجله ، لورا الانجليزية روحا وان تجنست بالجنســية المصرية ، لورا المفكرة المنطقية ، لورا التى تزهو بنفســها وببنى جنسها ، وتريد أن تفرض رأيها عليه ، وبين رجاء الجذابة البسيطة ، البعيدة عن التعقيد الفكرى والوجدانى ، حتى انتهى الى ايثار المصرية لأن زواجه بها يزيد مصريته توكيدا ، بل يزيده ارتباطا بوطنه بل حبا له كما يقول فى الفصل السابع والأربعين ص ٤٧٣ ، وبذلك حلت أزمة أحمد العاطفية ، وشعر بالدفء القلبى بعد هذه العواطف الباردة التى زعزعت حياته فترة طويلة .

أما لورا فقد بقيت طوال حياتها فى شد وجذب وأمل ويأس بقيت فى صراع دائم مع نفســها ، ومع البيئة التى تعيش فيها ، ومع أحمد ، ومع الظروف السيئة التى توالت عليها .

لقد كانت تعيش فى حيــاة أبيها هادئة ناعمة البال ، وبعد موته وتركها لخطيبها كانت تعتقد أنهــا سوف تستعيض عنه بحب احمد واقترانها به ، ولــكن احمد كان متحفظا تجاهها ، وكان فى أحيان يثور لآرائها ، وينفر من زهوها ، وتقع واقعة جديدة فى حياتها تقلب اتزانها ، هى ان بائع البيت الذى يقيمون فيه ، يطالبهم بايجاره ، ويطلب طردهم منه ، وترفع قضية لاثبات ملكيتهم فيدعى محامى الخصم أن الثمن لم يدفع ، وأن أباها كان مقامرا ، وأن الأقرار بالبيع كتبه موكله على مائدة الميسر عندما كسب منه مستر ويمان مبلغا كبيرا عجز عن دفعه ، فكتب الاقرار (ص ٢٩١) وأحيلت الدعوى الى التحقيق وشــهد شهود زور بما ذكره وكيل الخصم ، وخسرت لورا القضية ، وهذه الواقعة جرحت كبرياء لورا جرحا عميقا ، فانهارت أعصابها ، وعبثا حاول أحمــد تعزيتها ، والجهر بحبه لها بل الاقتران بها ، ولم يخف عليها ان أحمد يفعل ذلك بدافع الشفقة .

وتتوالى الويلات على لورا ، وتتمزق أسرتها ، فقد سافر أخواها جفرى وكلوديا الى انجلترا ، وضل أخوها رونالد الطريق ولم يعرف مكانه ثم قتل بعد ذلك ، وماتت أمها ، ومات كلبها العزيز – لاكى – وعميت لورا ، ولم تجـــد قلبا وفيا الا قلب منى ، ولم يعد يزورها أحمد ، الا لماما ، وكان آخر لقـاء بينهما أن طبع على خدها قبلة عاطفة ، ولكم تأخرت هذه القبلة عن أوانها كما يقول المؤلف فى آخر صفحة ٤٩٨ .

هذا هو الخط العاطفى الذى ساد الرواية من أولها لآخرها ، والذى وفق المؤلف فى القاء الأضواء الكاشفة عليه ، ووصل الى نتيجة حتمية طبيعية موفقة ، كما أداه بطريقة فنية جديرة بالاعجاب .

وتلاحم مع هــذا الخط ، خط فكرى ثان ، شمل جزءا كبيرا من الرواية ، هو بيـــان حياة أحمد « الفــكرية » ونشـــاطه الأدبى ، ونظراته الاجتماعية التقدمية ، فأحمد امتهن المحاماة ، ثم اجتواها ، لأنه لم يجد قابلية لها ولا استعدادا ، فتوجه بكل قلبه الى الأدب والى الصحافة ، وبنى مستقبله على عالم الكتابة ، فدبج الشعر ، وتلاه فى تهدج على لورا ورجاء ، وكتب المقالة الأدبية والاجتماعية ، وتحول فيهما ناحية جديدة ، فكتب عن الاشتراكية أو السوشيالية كما كانت تسمى فى ذلك الوقت ، كتب بحثا فيها ، لم يعجب لورا وعجب من صراحتها فى نقده ، ولكنه لم يعبأ ، واستمر فى ممارسة الأدب ، فلمع اسمه وزاد فى الصحافة أجره ، ويبدو أن ما جاء فى الرواية على لسان أحمد فى هذه الناحية الفكرية والأدبية ، هو ترجمـــة ذاتية للمؤلف ، ولـكن يلاحظ أن المؤلف لم يمهد لهذه الأفكار الجديدة ، ويكشف عن بذورها فى نفســه ، كما لم يكشف عن الجو الذى دفعه الى الاشتراكية ، فالقارىء يجد هذه الفكرة مأخوذة من لورا التى قرأت كتابا فى هذا الموضوع ، وذكرت له بعض ما جاء فيه من آراء ، فراقت لأحمد .

فما ذكره المؤلف عن الاشتراكية لم يكتب كتابة خياليـــة كما يقتضى الفن الروائى ذلك ، بل ان المؤلف، أراد أن يكشف عن آرائه الذاتية فى هذا الموضوع ، أما عن فكرة التحرر الأدبى من سيطرة الثقافة الانجليزية ، فقد مهد لها المؤلف تمهيدا مناسبا ، وكشف فى الرواية عن رسالته الأدبية ، وهى التجديد فى الأدب ، وبناء ثقافة عربية لها شخصيتها ، لا ثقـــافة منقولة أو مقبوسة من الثقافة الغربية ، ثقافة موجهة الى الشعب والى الطبقة العـــاملة المجـــدة ، على أن تصاغ مادتها صياغة أدبيـــة جميلة تعكس حقـــائق الوجود الخافية فى صور قيمة .

* * *

وهذان الخطان العاطفى والفكرى فى الرواية سارا جنبا الى جنب ووفق المؤلف كل التوفيق فى بيان الخط الأول ، أكثر من بيان الخط الثانى ، بيانا روائيا فنيا .

ووفق المؤلف فى بيــــان الخط الأول بالتقنية البارعة التى استخدمها فى بناء الرواية ، فاعتمد كما ذكرنا آنفا على الحوار المثقف الذكى النامى ، وعلى التنقل فى مجريات الرواية تنقلا فنيا سليما بمراعاة التقطيع الموفق بين الفصول ، والتساوق بينهما ، كما أحسن المؤلف فى ربط عواطفـــه وانفعالاته الحزينة أو المرحة ، بمشاهد الطبيعة ، وهـــذا الربط ملحوظ فى جل فصول الرواية ، وابتعد المؤلف عن الحشو والتفاصيل التافهة فى بيان الأحداث ، وصاغ الرواية كلها صياغة قوية مشرقة ، وان كنا نلاحـــظ أن طائفة من عباراته او وصف مشاهده كانت تقريرية ، لا تصويرية ، ولو اتبع المؤلف الطريقـــة التصـــورية لكانت صياغته أدنى الى الاكتمال .

ومن قلب هـــذه المــــادة الروائية التى استعرضناها والتزمنا فيها ذكر بعض الشواهد من النص الروائى ، تتضح لنــا جملة حقـــائق عامة وخاصة ، فمن الحقائق العامة :

١ – تعــذر التعاطف الوجدانى بين المصرى أو الشرقى ، مع الغربى ، وبخاصة اذا اعترضت ظروف معاكسة كالصدام السياسى بين الأمتين التى ينتسب كل منهما اليها ، ٢ – ونماء صراع وليد جـــديد بين الفكر الشرقى أو العربى مع الفكر الغربى ، أو صراع أيديولوجى ، بين العربى

والغربي ، ومحاولة العربي التخلص من براثن الفكر الغربي وسيطرته التي دامت سنين وسنين ، لبناء شخصية له مستقلة عن الشخصية الغربية .

وينبع من هاتين الحقيقتين العامتين الكبيرتين ، ايثار العربي قوميته وحبه للوطن الكبير على اى حب آخر ، والاتجاه الى نوع من الاشتراكية مخالف للاشتراكية الغربية ، والعمل على ابداع أدب جديد له طابعه القومي والحضارى المميز ، وهذه الأهداف الثلاثة تنبثق من مجريات الرواية .

وتبقى حقيقة سيكولوجية على غاية من الأهمية هي أن العوامل التي صدت البطل المصرى عن الاقتران بالانجليزية ، ليس هو العامل الوطني ، أو الخلاف الفكرى ، فقط بل هو عامل سيكولوجي عميق هوكبرياء البطل المصرى وزهوه وتعاليه بنفسه ، واعتداد الانجليزية برأيها وزهوها ، وتعاليها عليه ، ولن ينمو حب ، أو يقوم قران بين مثل هاتين الشخصيتين ، وهذا ما يتجلى لنا من قراءة الرواية في استيعاب وعمق ، وهذه الحقيقة السيكولوجية الجوهرية لم يتبينها كثير من النقاد الذين كتبوا عن هذه الرواية .

فبعض النقاد عد العامل الوطني هو العامل الجوهرى في وقوع الخلاف بين بطلى الرواية ، وأخذوا يؤولون أحداث الرواية ووقائعها ، تأويلا نراه بعيدا ، فالبطل المصرى يرمز الى مصر ، والانجليزية ترمز لانجلترا ، وخسران الأسرة الانجليزية ملكية المنزل الذى كانت تقطنه ، رمز لضيعة الاستعمار الانجليزى في مصر ، وتهدم أفراد الأسرة الانجليزية ، دلالة على تهدم الاستعمار الانجليزى ، وغير هذه الدلالات التي ازدحمت بها مقالاتهم .

ومن النقاد من حمل على المؤلف لانه رأى في أحمد صورة من الأنانية ، والازدهاء البالغ ، وانه وقف موقفا غير محايد في رسم شخصية أحمد ، والحقيقة أن المؤلف كان صادقا كل الصدق في رسم هذه الشخصية ، بحنانها وسيئاتها ، فالمؤلف يعرف تلك الشخصية معرفته لنفسه ، وهي شخصية غير عادية ، شخصية عقلانية واثقة كل الثقة بنفسها ، وتنطوى على زهو بعيد .

وليس لدينا اعتراض على تصوير الشخصيات الرئيسية ، فقد صور المؤلف أبعادها الخلقية والفكرية والنفسية تصويرا سليما ، ولكنه أهمل البعد الجسمانى ، لتكمل الصورة ، فقد كان يروق لى أن أرى الملامح الجسمية أو الوجهية المميزة لأحمد ، وكنت أود أن أرى وجه لورا الانجليزية وأسمع صوتها ولهجتها ، وبعض لوازمها في الحديث ، كما كنت أود أن أشهد طلعة رجاء ومنى ، واختلاف ملامحهما عن ملامح لورا ، ولكن المؤلف حرمنا هذه المتعة ، وترك هذا البعد مكتفيا بوصف سمات شخوصه وصفا عاما ، وهذه خسارة كبيرة كما كنا نود من المؤلف أن يلقى الأضواء على الشخوص الثانوية ، فقد جعل أغلبهم عصيا كما يقولون ، وهذه الهنات لا تقلل البتة من قيمة الرواية ، وما امتازت به على كثير من الروايات العربية ، في التحليل العاطفى المتعمق ، وفي لواذ المؤلف بالفعل في حل مشكلته العاطفية ، وفي التوجيه الى التفكير المستقل ، وفي تصفية الرواية من النزعات والبدوات الجنسية التي تزخر بها روايتنا العربية ، فليس في هذه الرواية مشهدا جنسيا واحدا ، وهذا في رأينا توجيه جديد الى رواية الطهر والقداسة ، هذا فضلا عن أسلوبها المشرق الذى نفتقد مثيله في أغلب الروايات العربية ، ولهذه الميزات جميعا ، نعد هذه الرواية فتحا جديدا في الفن الروائي العربي الناهض .

الأستاذ مصطفى السحرتي

رغبة تحت شجر الدردار

تأليف : يوجين أونيل

ترجمة : نور الدين مصطفى
مراجعة وتقديم : الدكتور على الراعى

الناشر : مؤسسة الخانجي بالاشتراك مع مؤسسة التأليف والترجمة ،
عدد الصفحات ١٧٤ ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ١٠ قروش

لا يلبث الذى يقرأ هذه المسرحية او يشهدها ممثلة فوق خشبة المسرح أن يبشع مما تتلظى به من شهوة عارمة ، وأن يحار كيف يحكم معظم الذين أرخوا ليوجـين أونيل أو نقدوه .. وهم أعظم مؤرخى المسرح ونقساده فى أمريكا وأوربا ـ بأن مسرحيته هـــذه هى أعظم مسرحياته ... أو من أبدعها جميعا .. على كثرة ما كتب أونيل من الروائع الخالدة .

وقد قلنا فى المقدمة الطويلة لترجمة مسرحية أونيل : « الاله الكبير براون » وهى احدى حلقات سلسلة روائع المسرح العالمى التى تصدرها وزارة الثقافة ان أونيل كان يكتب مسرحياته وهو يصدر فيها جميعـا ـ أو فى معظمها ـ عن تجاربه فى الحياة .. وهى التجـارب التى ذاق من حلوها ومرها مالا نعرف أن أحدا من الأدباء الكبار ذاق منه هذا القدر الكبير الطاغى الذى ذاقه أونيل .. ولا نستثنى من هـؤلاء الأدباء الـكبار أوجست سترندبرج نفســه ذلك الذى كان أونيل يترسم خطــاه فى مذهبــه المسرحى ويسلك مسلكه فى الصـــدور فيما يكتب عن تجاربه الخاصة .. وما أبشع هذه التجارب فى حياة كل من الكاتبين الكبيرين .. ثم فى تقليـــــده فى المزج فى كثير من مسرحياته بين مذاهب عدة ، بادئا فيها بالمذهب الطبيعى القـــاتم الميلودرامى الذى يتوخى فيه الكاتب ألوان الشـذوذ والانحراف وصور الحياة الوضـــيعة التى تشـــقى بهـــا طبقة الحثالة من البشر بما تغص به تلك الحيـــاة من ألوان الأمراض الأخلاقية والعلل الاجتماعية وقلة المبالاة بالقوانين والشرائع وآداب السلوك التى يأخذ بها المجتمع الراقى نفسه ، وغرق هذه الحثالة فى أدران وأدران من صنوف التهتك وعدم المبالاة



نتيجة لعوامل مهمة من جملتها البيئة والوراثة واختلال الأوضاع الاقتصـــادية وتخلف هـــذه الحثالة البائســـة عن ركب العـــلم والحضارة والنور .

على أننا نضيف الى ما قلنــاه فى تلك المقدمة أشياء لابد منها لكى يخلو هذا الجانب الجنسى من أدب أونيل .. وهو الجانب الذى يعد بلا شك ثمرة من الثمرات المرة التى كابد منهـا الاديب الكبير أهوالا وأهوالا فى صغره وفى شـــبيبته .. والتى كانت أصداؤها تتردد باستمرار فى معظم مسرحياته .. فمن ذلك :

١ ـ أنه نشأ نشأة مدللة فيها قدر كبير جدا من الاعزاز والاشـــفاق .. فلقد ولدته أمه بعد

ثكبتين فادحتين عانت منهمـا فى روحهـا وفى جسمها مالا نعرف أن نساء كثيرات كابدت مثله .. لقد كان لها ولدان قبل أونيل مات أصغرهما بعد أن تركته مضطرة فى رعاية احدى قريبات زوجها مضطرة لكثرة رحلات هذا الزوج الممثل الكبير جيمس أونيل .. وكانت تحب هذا الغلام المتوفى بل تعبده .. وقد أورثها موته الذهول .. ثم لم تلبث ان اصيبت بسرطان فى ثديها استلزم البتر .. والبتر فى انجلترا – وليس فى أمريكا .. وكان هـذا الحادث ضربة لجمالها الفتان تحملتها فى مصابرة ومغالبة لأحزانها .. حتى رأى زوجها لابد من غـلام آخر ينسيها آلامها وينقذها من غمرة أحزانها فحملت .. وولدت يوچين الذى حرصت على رعايته بنفسها والسهر عليه ، وغمرته بما أشرنا اليه من اعزاز وتدليل .. ثم حـدث ما تسميه دوريس ألكسندر – مترجمة حيـاة يوچين أونيل (١) – بالخيانة .. أما هذه الخيانة فهى فى نظر يوچين الحاقه بمدرسة مونت سنت فنسنت عندما بلغ السابعة من عمره ، وبقاؤه هناك بالقسم الداخلى ، وحرمانه مما كان ينعم به من رعاية أبوية .. ولا سيما امه الجميلة ذات الشـعر الذهبى والحاجبين الأسودين والعينين السمراوين .. كما كان هو يصفها .. وكما كانت صورتها تغازله باستمرار وطوال عمره .. تلك الأم التى ارتبط بها قلب يوچين بعقدة أوديب .. والتى نلاحظ – ولا سيما فى هـذه المسرحية – مسرحيـة رغبـة تحت شـجر الدردار – أن حبهـا ، ممثلا فى حب ابيين لامرأة زوجة ابيه آبى – كان هـو دائمـا الذى يفتح لـه ابواب الجنس كما سنبين هذا فيما بعد ..

لقد كان نفيه فى مدرسة مونت سنت ڤنسنت بعيدا عن أبويه الحبيبين .. محروما حتى من قضاء أجازات أعياد الميلاد معهما .. حادثا عميق الأثر فى نفسه .. حتى لقد قلب محبته لأبيـه عداوة وبغضاء لزمتاه طوال حياته .. لأن اباه هو الذى دبر أمر هذا النفى ... هـكذا تصور يوچين .. متجـاهلا ما لم يكن منـه بد من أمر التعلم ، والضرورات الملزمة التى يفرضها عمل أبيه بوصفه ممثلا وصاحب فرقة جوالة تطوف أرجاء الولايات المتحدة .

٢ – وكان ليوچين أخ أكبر يدعى چامى .. وهو اسم التدليل لچيمس .. أسمه الحقيقى .. أو چيمس الأصغر للتفرقة بينه وبين أبيـه .. كان چامى هـذا ولدا أسـلمته نشأته للتلف ، وادى انغماسه فى فرقة أبيه الى اتصالات دنسة بينه وبين بنات الهوى اللاتى كن يترددن على الفرقة للقيام بالأدوار الثانوية (الكومبارس) .. ولم يكتف چامى بصلاته بهؤلاء .. بل لقد عرفته مواخير نيويورك كلها .. وجميع دور البغاء فى كل المدن التى كانت تزورها الفرقة ... وهكذا سقط چامى ومسـه التلف .. ويا ليت الأمر اقتصر عليه فقط .. بل لقد جر أخاه .. يوچين أونيل كاتب المستقبل العظيم .. الى تلك الدور الحمئة وهو لما يزل عجينة لدنة .. وفتى يافعا غض الاهاب .. أذ كان يصحبه معه اليها .. وكان چامى يمقت اباه أيضا لكثرة لومه له وتثريبـه عليه لمسلكه الشائن .. فانتهز فرصة كراهية أخيـه يوچين لأبيـه بسبب نفيه الى مدرسـة مونت سنت ڤنسنت وراح ينفخ فى نيران تلك الكراهيـة حتى بلغت مداها واستعر أوارها .. وأين .. فى جميع دور البغاء والخنا اللاتى كان يصحبه أخوه هذا الشيطان اليها .. ومن هنا فتحت دنيا الجنس ليوچين أونيل ابوابهـا على جميع مصاريعها .. حتى أصبح الخبير بسيكلوجية الخطايا والبغايا والساقطات .. ممن لا تكاد مسرحية له تخلو من واحدة منهن .. أو الطواف بواحدة منهن او ممن هن على شاكلتهن ..

٣ – وتذكر دوريس ألكسندر أن يوچين بعد أن ألحقـه أبوه بأكاديميـة بتس Betts ، (وهى مدرسة ثانوية تقريبـا) ثم بعد أن غادر تلك المدرسة الى جامعة برنستون وقعت فى يده مصادفة بعض الكتب التى عثر بها فى مكتبة بعض معـارفه ، فأثرت فى نفسـه تلك الكتب تأثيرا جذريا .. وذلك لأنها صادفت بطبيعة مادتها هوى فى نفسـه التى كانت تنضح بمثل تلك المادة .. ولتقارب الأفكار والفلسـفات الهادرة التى كانت تحتويها تلك الكتب ولا تفتأ ترددها ..

(١) The TemPering of Eugine ON'eillB
وتقوم الآن بترجمته (د)



ومن أهم تلك الكتب قصة صورة دوريان جراى لأوسكار ويلد .. وهى القصة المليئة بالنظرات الفلسفية العميقة الثورية .. فضلا عن جانب الشذوذ الجنسى الذى تمسه مسا تحليليا عجيبا .. وقد عكف يوجين على القصة يقرؤها ويتمعن ما فيها وكلما انتهى منها عاد اليها ... ثم انتقل منها الى أوسكار ويلد نفسه ينظر فى مأساة حياته .. والأساس الخلقى الذى تقوم عليه تلك المأساة .. مما تحدثنا عنه فى مقدمتنا لمسرحية « أهمية ان يكون الانسان جادا » من سلسلة روائع المسرح العالمى .. لقد كان يوجين يرى فى صورة دوريان جراى . وفى أوسكار ويلد .. صورة منه هو نفسه .. صورة من هذا الانفصام الذى تحدثنا عنه والذى يتضح فى معظم مسرحياته ..

ثم وقع ليوجين كتاب شو العظيم « لباب الابسنية The Quintessence of Ibsenism » وهو الكتاب الذى فتح له آفاق الفكر الحديث وقذف به الى زوابع آراء ماركس وانجلز وكروپوتكن « كما زوده فى الوقت نفسه بلمحة من ذلك الايمان الصوفى فى قوة حيوية دافعة متربصة وراء الحياة الفردية التى وجدها شيئا جذابا جاذبية غريبة » ثم شاءت المصادفات وهو غارق فى كتاب شو هذا أن تلم شمله — وهو فى مدرسة بتس ، بشمل طالب متحرر — او قل متحلل — يدعى هاينى شليپ ، ابن صاحب قهوة وبار الپاپست المجاورة لمسرح الماجستك فى حى كولمبس بنيويورك .. فكان يصحبه كظله الى جميع المسارح وبيوت اللهو ولا يكاد يكلفه شيئا .. لأن هاينى كان يستطيع الحصول من أبيه على تذاكر مجانية لغشيان هذه الأمكنة .. وكان الفتى كما ذكرنا فتى متحللا ينهمك على الملذات انهماكا قاتلا .. وقد كرع معه يوجين كما كرع مع أخيه چامى من قبل وكما ظل زمانا طويلا يكرع معه فيما بعد ..

ومن كتاب شو شرع يلتهم جميع مسرحيات ابسن ولا سيما بعد أن شهد عددا من هذه التمثيليات يعرض على بعض مسارح نيويورك لأول مرة هناك ... ثم سمع بسترندبرج فغرق فيه لأذنيه .. وكثير من مسرحيات سترندبرج تحوم حول البغاء والخيانات الجنسية ... وقد لفته كل من ابسن وشو وسترندبرج الى الكتاب الثائرين من أدباء أوربا .. ولا سيما ألمانيا والنمسا .. وعلى رأس هؤلاء هاوپتمان .. ثم أكبر الكتاب المسرحيين الجنسيين ڤدكند Wedekind .. ذلك الذى كان يجد فيه يوچين — كما كان يجد فى سترندبرج — كل ما يوافق مشربه .. ويجارى الحياة التى كان يحياها .

وقرأ كذلك قصة « مدام بوڤارى » لفلوبير .. والتى نجد من بطلتها ظلالا واسعة فى غير مسرحية من مسرحياته التى يعالج فيها مشكلة الخيانات الزوجية ... كما قرأ قصة د . هـ . لورانس : « عشيق الليدى شاترلى » فى نسختها غير المهذبة . وكانت الصبغة السيكلوجية التحليلية التى تتسم بها جميع هذه القصص والمسرحيات تستهويه وتلذه .. ومن ثمة شغف بفرويد ومن اليه من أقطاب العلماء النفسيين .

ثم أطلعه أخوه چامى .. وهو فى دوامات تلك الثقافات كلها .. بتلك الجائحة التى اجتاحت

والدته .. حينما أصيب ثديهـــا بالسرطان ، وحينما اضطرت الى تلك العملية ، التى حقنت بسببها بقدر كبير من المورفين .. مما أدى الى اصابتها بادمان ذلك المخدر الملعون .. وما نشأ عنه لهذه الأم المسكينة من تلك الحال التى تقرب أن تكون جنونا ... ولم يشأ يوجين ان يصدق نبأ تلك الجائحـــة .. « وبالرغم مما اعتراه من فزع فقد صاغ الأمر كله فى صورة أسطورة حاول فيها ما استطاع أن يقى أمه من الكراهية التى كان يشعر بها نحو أبيه .. لقد كاد كلما فكر فى أمه يحب أن يراها فى صورة أميرة مسحورة .. أميرة نقية لطيفة لم يمسسها سوء ــ الا أنها مع ذلك أسيرة مستعبدة فى قصر مارد شرير » ونحن نرى هذا الفيض من الكراهية للأب .. والمحبة الناعمة المسترخية للأم ، يتردد فى الكثير من مسرحيات أونيل وقصصــه الأولى .. ونراه بخاصة فى هذه المسرحية .. « رغبة تحت شجر الدردار » التى يغنيك ملخصــها الذى سوف نقدمه لك عن السبق بذكره هنــا .. ونراه فى مسرحيته « الاله الكبير براون » على الصورة التى لخصناها بها فى مقــدمة العدد ٤٤ ... ونرى محبته لأمه .. تلك المحبة الطاغية الأسطورية .. واضحة بصورة مباشرة فى مسرحيته « رحلة يوم طويل فى جنح الليــل » حيث يصورها فى صورة فتاة ساذجة مترهبة .. خدعوها بتزويجها .. الا أنهـــا لا تزال مع ذلك طفلة غريرة ونقية .. وأما عذراء » .

وتعلل دوريس الكسندر انحراف يوجين عن هذا الحب العلوى العذرى الذى كان ينطوى عليه لأمه الى ذلك الحب الجنسى القذر الذى لم يكن يبارح خيــاله قط وهو يؤلف روائع مسرحياته بما مر به من التجارب الجنســية التى أغرقه اخوه جامى فى حمأتها ، كما أوقعــه فيها أيضا صديقه هاينى شليب ... فتقول متسائلة :

« ... فماذا كان وقع هذه التجارب كلها على صبى صغير حساس ، تشكلت أفكاره عن الحب وفقــا لدستور الشرف والأمانة الذى صاغه له أبوه .. ووفقا لما كان يولى أمه محبة وعبادة .. ووفقا للعواطف الرقيقة المعلاة التى امتلأت بها نفســه من قراءة القصص الرومنسية فى أول ما قرأ ؟ . لقد كانت النتيجــة بالطبع الانفصام والانشطار .. وتفتت نفس يوجين وتدميرها .. انه لن يفلح مهما حاول أن يفصل بين آرائه عن الجنس ، وبين تجاربه الأولى فيه ، بوصف هذه التجارب ثورة متعمدة ضد الحب بوصفه نوعا من أنواع الفسق القذر بالاكراه ...

« ان يوجين عنــدما التحق بعد ذلك بجامعة هارفارد كان لا يبــالى أن يتحدث الى أصدقائه الطلبـــة عن التفصيلات المثيرة المغرية لتجاربه المختلفة بينه وبين «البغايا الشبقات» والعاهرات الفـــاجرات اللائى لا يشبعن من الاتصـــال الجنسى ... ومما يرويه صـــــديقه كوروين ويلسن زميله فى الجامعة قوله ... « ... الا ان المهم فى هــــذه التجارب المثيرة التى مر بهـــا يوجين هـــو دوره الســـلبى الخالص فيهـــا جميعـــا .. ! انى أعتقد أن هــذه الوفرة من تجارب الصبى مع النساء بتلك الطرق الخالية من الناحية النفسية من مغريات الجمال ، والتى كانت شـــيئا وضيعا ومخزيا ومضيعا الشرف والكرامة .. أقول : ان هذه الوفرة من التجارب الجنسية قد لونت نظرته الى النساء برمتها .. وموقفـــه من النساء يشـــبه الى حد كبير تلك الصيحة المحنقة المليئة بالسخط والتى يرسلها الرجل الذى يشكو من المرأة فيقول : « انها مصدر عدواى بهــذا الزهرى ! ... لقد كانت ليوجين آراؤه الهابطة عما تستطيع المرأة الغزلة المفرطة فى أمور العشق والهيام أن تفعله مع رجل سلبى لا ارادة له ولا عزم .. ولقد كانت حكايات يوجين تنتهى دائما بالمرأة التى تأخذه على غرة لتشفى منه جوعها الجنسى ...

« لقد أصبح الجنس فى نظر يوجين (وبخاصة كما تصوره العــاهر) رمزا للثورة على الحب ــ الحب النقى الخالص من الشوائب الذى كان يشعر به نحو أمه ــ كما أصبح رمزا للانتهاك الروحى .. وبالأحرى .. بالاغتصاب .. ونحن لا ننفك نجد هـــذه الروابط الذهنية الثنائية ــ أو المزدوجة ــ مرة بعد مرة ، وفى وضوح وجلاء

فى كثير من تمثيلياته . ففى مسرحيته : « آه من الوحشة Ah Wilderness » يؤمن ريتشارد فى ثورته على حبه النقى الخالص بأن حبيبته قد خانته .. ومن ثمة يرجع الى تلك المرأة البغى التى تلقاه بأبشع صور التبسط وأشنع صور التحايا والترحاب .. « فهى تتلوى فى حجره ، وتتثنى فى حضنه » بما لا يخفى أنها انما تنشد منه دولاراته الخمسة .. وليس سواد عينيه ! .. ثم تتركه بعد هذا وهو يشعر بأنها « كانت امرأة قذرة ، بل تجتمع فيها قاذورات الدنيا بأسرها ! » .

« ونجد مثل هذا ايضا فى مسرحيته « الملتحمون Welded » وفى مسرحيته : « أيام بلا نهاية Days Without End » ، وكلتا المسرحيتين تعالجان الثورة على الحب النقى الخالص مباشرة ، وفيهما يصور لنا يوجين أونيل هذه الثورة فى صورة التجربة الجنسية البشعة . فهذا ميتشل كيپ فى مسرحية « الملتحمين » يهرب من فوره الى امرأة عاهرة حينما يهرب من حبيبته ، ليقول للعاهر ! « ان لك من السلطان والحق ما تقتلين به الحب ! انك تستطيعين ارواء الكراهية حتى تشتفى ! » . وفى « أيام بلا نهاية » يستسلم جون لفنج للمحاولات الجنسية المغثية التى تنصبها له زوجة صديقه لا لشىء « الا لكى يقتل الحب » ثم يخرج من عندها وقد بدا عليه الغثيان والاشمئزاز ..

« والربط الذهنى بين الجنس وانتهاك الحب يؤدى الى هذا التصوير العجيب للحب الجنسى فى تمثيليات أونيل .. انه يربط بين الحب وبين الأم .. أو بين الأم وبين الحب النقى الذى لا تشوبه شائبة .. ومن ثم كانت نساؤه فى كثير من الأحيان يخضعن — ولا بد — لنوع من أنواع التعرف الروحى .. أو تحقيق ذواتهن تحقيقا روحيا .. من حيث يكن امهات قبل أن يستطيع أبطاله تقبل حبهن ... وهذا يتجلى فى مسرحيته هذه : « رغبة تحت شجر الدردار .. فقبل أن يستطيع ايبين Eben أن يبادل زوجة أبيه آبى حبا جنسيا بحب مثله نراه فى المنظر الثالث من القسم الثانى من المسرحية يعود الى ذكريات أمه المتوفاة وحبه الشديد لها .. ولا تزال آبى التى هى زوجة والد ابن والتى تريد أن تحمل ولو من ابن زوجها حتى تضمن أن يوصى لها بالمزرعة .. لا تزال آبى توهمه بأن صوت أمه يناديه بأن يحب هذه المرأة آبى .. وأن يهبها نفسه وروحه ودمه .. وما هو أكثر من النفس ومن الروح والدم .. لكى ينتقم لأمه المتوفاة من أبيه الحى .. ويستسلم ابن لاغراء زوجة أبيه .. وتكون الجريمة .. وتحمل الزوجة الثمرة الخائنة من ابن زوجها الشيخ ... انها تحمل منه بعد أن توقظ فيه حبه القديم لأمه .. ثم تنقل هذا الحب البرىء الطاهر الى شبق جنسى آثم تكون هذه نتيجته .. وبعد أن توهمه بأنها تحل فى قلبه الآن محل أمه ... فهنا فقط يستطيع ان يقدم على هذا الاتصال الجنسى .. وبالأحرى .. حينما تظهر المرأة بمظهر الأم .. ففى هذه الحالة فقط يمكن أن يصطبغ الاتصال بصبغة الحب .

« وتتكرر الفكرة نفسها فى مسرحيته : « القمر لابن السفاح Moon for the Misbegotten » حيث نلاحظ أن قداس يوجين أونيل الموسيقى على روح أخيه جامى ، وان كان على التحقيق مقصودا به وجه جامى ، الا أن الأم وحدها هى التى تفسره على أنه حب ، ومن هنا يصبح الاتصال الجنسى انتهاكا لحرمة الحب ... لقد زنى جيمس تايرون بشقراء قذرة طيلة الليالى التى كان القطار يحمل فيها جثمان أمه المتوفاة الى مدينة نيويورك .. وذلك بوصف هذا الزنا انتقاما من أمه لهجرها اياه وتركه وحيدا .. ولم يكن يستطيع هذا الاتصال القذر بجوسى الا عندما كانت تظهر فى عينيه بمظهر أمه ، وعندما كانت تسمح له بضم صدره الى صدرها ليصرخ قلبه معلنا التوبة والانابة الى هذا الصدر ، وذلك فى حالة واحدة فحسب .. أى حينما تتغشاها بركة الأم ، الا أنه لم يكن ثمة أى توافق أو تسوية بين الجنس وبين الحب ، فحينما كانت جوسى تقوم بمغازلاتها الجنسية لجيمس تايرون كان هو يعاملها معاملة تنبض بالحقد والكراهية بوصفها بغيا عاهرا .

وهذا الانفصام بين الحب وبين الجنس يقع فى كثير من تمثيليات أونيل .. وهو واضح فى تمثيليته هـذه .. كما يتضح فى تمثيليته : « الاله الكبير براون » التى لخصناها للقراء فى مقدمة ترجمتها فى سلسلة الروائع .

ويتجلى هـذا الانفصام نفسه فى مسرحيته : « دينامو Dynamo » ، حيث نرى الأم العظيمة للحياة الأبدية ، وهى المثل الأعلى لحب ريبن لأمه ، تريد ، فيما يظن ريبن ، « أن يحبها رجل بعينه من الرجال حبا نقيا لا تشوبه شائبة » .. وهو يعتقد ان اتصاله الجنسى بآدا يقف حاجزا بينه وبين حبه للربة العظيمة الأم .. ومن ثم نراه ينبذ آدا أولا .. ثم يعود فيحاول التوحيد بينها وبين الأم .. وذلك بجعلها تصلى لدينامو .. « بذراعيك اللتين تشبهان ذراعيها وهما ممدودتان للقائى » .. وفى النهاية .. وبعد أن يطلق العنان لاشتهائه آدا .. نراه يتمتم : « أماه .. لقد خنتك .. وشجبت عليك » وهنا نراه يقتل آدا « رمز الشهوة الجنسية » لكى يكسب حب الأم النقى الخالى من الشوائب الجنسية ..

وهذا هو ما نلمسه فى هذه المسرحية « رغبة تحت شجر الدردار .. حينما نرى ابين يفيق من سكرة الجنس ليبلغ البوليس ليقتص من قاتلى الطفل البرىء .. وحينما يضرع الى روح والدته المتوفاة طالبا منها النجدة والمخرج مما تردى اليه من الاثم بمقارفة الجريمة الجنسية الخسيسة مع زوجة أبيه .. وأين ؟ .. فى الغرفة نفسها التى توفيت فيها أمه من قبل .

ونحن حين نلاحظ هذه الثنائية فى شخصية يوجين أونيل .. هـذا الانفصام العجيب الذى يجعل منه روحين فى جسد واحد .. لا يصعب علينا تعليل تلك الظاهرة من ظواهر الازدواج الفكرى والعاطفى .. فيوجين الملك الطاهر .. أو الحمل البرىء ، هو يوجين الطفل الذى أحب أمه وهام بها ثم حزن عليها ورثى لما أصابها .. وظل يقدس ذكراها فى جميع ما كتب .. أما يوجين الشيطان .. فهو يوجين الذى صنعه أخوه جامى وصديقه هابنى وصبغته المواخير بما فتحت له من خبايا الجنس .. وما تصوره فى أبيه — هـذا الكبش المظلوم .. أو غير المظلوم .. ومن قسوة وعته وحيوانية .. ونقول حيوانية لأن الوالد الممثل الكبير « جيمس أونيل » لم يكن مبرأ مما يشين ، ولا سيما قبل ان يتزوج أم أبنائه هؤلاء .. لقد كان رجلا ذا فتكات مثل جامى ومثل يوجين ايضا .. وقد كان له ابن من السفاح سبب له كثيرا من المتاعب والمشكلات القضائية ، هو وأمه التى فتك بها جيمس ... وقد كان ابن السفاح هـذا .. وأخو يوجين .. يحتل جانبا كبيرا من تفكير أخيه يوجين .. بل كان من علامات الطريق فى تفكير الكاتب العظيم الذى لم يكتب شـيئا الا على ضوء تجاربه ، وفى ضوء ما قرأ ودرس من الكتب التى أشرنا الى بعضها هنـا ، وذكرنا الكثير منها فى مقدمتنا لمسرحية « الاله الكبير براون » ... ولعل الذى قرأه فى كتاب نيتشه « هـكذا تكلم زرادشت » والذى عثر به فى مكتبة بنيامين تكر كما عثر بصورة دوريان جراى ولباب الأبسنية ، وعشيق الليدى شاترلى .. وغيرها .. لعل الذى قرأه فى كتاب نيتشه هـذا هو الذى الهب فى نفسـه كوامن الشجن هذه .. اذ وجد فيه « كلاما يعبر عما تجيش به نفسه من كراهية لهذا القطيع البشرى المتماثل المتشاكل .. كما وجد فيه صورة مفككة مهوشـة للعظمة الانسانية .. ورأى فيه كونا معقولا وذا مغزى ليحل محل هذا العالم الهشيم المتفتت الذى يمثله — فى نظره — مذهبـه الكاثوليكى ... الذى هجره فيما بعد .. لقد ظل يتخذ من كتاب نيتشه انجيلا يعكف عليه من حين الى حين .. ولم يفارقه قط .. ولم يكن ينسى قول نيتشه .. وكأنه يخاطب يوجين بالذات : « حذار من المفكرين التافهين الذين يدعوهم الناس « العدول الأخيار » الذين وضعوا للدنيا فضائلها التقليدية التى تواضع عليهـا الناس .. انهم يكرهون الشخص الفـذ المتفرد .. فيا ايها الانسان الفريد الفـذ .. انك لتسلك سبيل الموجد الخالق .. انك لتخلق لنفسك اله من شياطينك السبعة .. فاخلق لنفسك القيم التى ترضاها ! » .

وهكذا راح يوجين ، على ضـوء ما قراه من كلام زرادشت يخلق قيما جديدة وعالما جديدا .. ولكن ، هـل نجح ؟! ... وهل نجح الا بمقدار ما نجح أستاذه سترندبرج ، واستاذه اوسكار وبلد ، وأستاذه نيتشه .. وأساتذته الآخرون !

وبعـــد .. فهذه لمحـة خاطفة على الناحية الجنسية من مسرح يوجين أونيل كان لابد من اثباتها فى كل هـذا الايجاز لنزيل ما عساه يعلق بذهن القارىء ، حينما يفرغ من قراءة مسرحية « رغبة تحت شجر الدردار » من تصور أن اونيل كاتب متهتك أو لا يرعى حرمة الفكر .. كلا .. فقد أصبح عالم الجنس فى المسرح ، منذ ان فتح مغاليقه ڤدكيند وسترندبرج ومن ذكرنا ومن لم نذكر من كتاب المسرح الحديث ميدانا خصـــبا تجوب فيه الأقلام مجالات النفس الانسانية التى لا مراء فى أن الجنس من اكبر حوافزها .. بل هو اقواها فى رأى فرويد - والفكر الحديث لم يعد بعد تلك النعامة التى تدفن رأسها فى التراب كلما ارتابت بعدو أو واجهت خطرا .. ولم يعد بعـــد ذلك الطفل الذى يخجل من مجرد ذكر العورات المستورة لشدة ما يجد حوله من حرج لذكرها ، واشـــتداد فى تحريم الخوض فيها وفى الكشف عن أسرار ما وراءها من خفـــايا العالم الجنسى الرهيب .. مصـــدر كل الانحرافات والبـلايا .. بقـدر ما هو مصـدر كل الفضائل والمثل .. اننا فى عهد ثورة .. ولا نقول اننا فى عهد نهضـــة .. لأن الثورة أشمل من النهضة واعم .. واذا كان ديننا يعلمنا انه « لا حياء فى الدين » فكيف نضيع على أنفسنا تلك الرخصة الثمينة فنستحيى أن نترجم جميع مسرحيات اونيل وڤدكند وسترندبرج ومن اليهم من كتاب هذا الميدان الجديد .. ونحن حين نترجمها انما ناخذ بمبـــدأ « لا حياء فى الدين » .. والدين هنا مقصود به العلم والتبحر فيه والوقوف على اسرار المعرفة التى لم نكن نعلمها ... وطلاب العلم غير طلاب التهتك والاباحية .. ومسرحيات اونيل تغزو الدنيا كلها اليوم .. والرجل حينما يخوض بنا فى عالم الجنس انما يخوض بنا فى دنيا العلم والمعرفة .. واونيل فى ذاته معجزة كبرى .. لأنه - وهو من عرضنا صورة موجزة من حياته وتجـاربه فى دنيا الجنس - لم ينته تلك النهاية المحزنة التى انتهى اليها كثيرون من المـــذهب الطبيعى امثال جى دى موپاســـان والأخـــوين دى جـــونكور والفـــونس دوديه ود ٠ هـ ٠ لورانس ممن ماتوا مسلولين أو ذهبوا ضحية للاذهم الهابطة .. بل لقد عاش الرجل زوجا كريما وانتج انتاجا ذهنيا عبقريا رفع به راس المسرح الأمريكى ، بل انشـــاه انشاء .. وذلك بالرغم من حيـــاته الأولى التى كانت سلسلة من التجارب المرة انتهت اخيرا بما حدث لأبيـــه من انجابه ولدا من السفاح بعد اتصاله باحـــدى المعجبات .. لكنه كان أكرم من ابيه واشـــد انسانية .. اذ لم يبال أن يتزوج بالفتاة ولم ينبذها كما أراد أبوه منه أن يفعل .. وكما فعل هو .. وكما اقترح عليه من شرائها واخماد أنفاس الفضيحة بالمال .. لا .. لقد كان يوجين أصبح ضميرا خالصـــا .. ولقد كان أدرك انه موشـــك أن يصبح أديب أمريكا الذى سوف يملؤها ويملأ الدنيـــا كلها أدبا جديدا وفكرا ثائرا .. وان نبع هـــذا الأدب وذلك الفكر من دنيا الجنس .. ذلك الغول الذى يفتـــك بنا وندعى مع ذاك أننا قديسون .. كبرا ونفاقا ..

وتتلخص المسرحية - أو الميلودرامة - فى أن هـــذا الرجل اليهودى المادى الذى لا قلب له افرايم كابوت الذى تزوج زوجة لا مال لهـــا وانجب منها ولدين هما سيميون وبيتر يرى الا بد من زواجه من امراة اخرى ذات مال .. لان هذه أيسر طريقـــة فى نظره لاقتناء الثروة والضياع ، .. ولا يتردد افرايم طـويلا .. بل نرى زوجته تموت فجاة .. وفجاة يتزوج مرة ثانية من فتاة تاتى له بالضيعة التى كان يحلم بها .. وبغلام ثالث هو ابين بطل المسرحية .. لكن الضـــيعة التى أتت له بها زوجته أم ابين تكون ارضا جرزا وتربة صلبة لا تأتى بخير .. لكنها أرض فى مقاطعة نيو انجلند ذات المستقبل .. ومن هنـــا لا يهم ان تكون الأرض بكل تلك الصلابة .. ثم هى أن تكن أرضا صلبة فافرايم

نفســـه رجل صلب .. وربه نفسه .. رب اليهود كما يؤمنون به رب صلب يكره الطراوة ويمقت الليونة .. ولعل افرايم كان يفرض أيضا بأن ربه لصلابته رب خال من الرحمة .. ولذلك كان هو نفسه رجلا شكسا وجبارا عتيا لا يعرف الرفق فى أى أمر من أموره .. وقد ســـلط نفسه لهذا السبب على تلك الأرض الصلبة ، كما سلط عليها اولاده جميعا .. ولا سيما سيميون وبيتر ، على تربتها يضربانها بالفاس ويشقانها بالمحراث ليل نهار .. بل لقد سلط عليها زوجته الجديدة التى أتت له بها .. وكانت الزوجة البائسة كلما أجهدها العمل ونال منها التعب اتهمها بأنها امرأة لينة وذات رخاوة ... وليست من طينته وطينة ربه .. تلك الطينة الصلبة .. ولما شب ابنها ايبين كان أبوه لا يفتأ يتهمه أيضـــا بانه ابن أمه وشبيهها ليونة ورخاوة ... وهكذا ضـــاق به أبناؤه الثلاثة وراحوا يستهزئون به ويسخرون منه .. بل أخذوا يحتقرونه لشدة ما كان يستعبدهم فى فلاحة تلك الأرض الجبوب النـكدة طيلة ثلاثين عاما ماتت خـلالها زوجة سيميون من طول الضنى والجهد .. وها هما هذان سيميون وبيتر ، يفكران فى الرحيل الى الغرب .. الى كاليفورنيا .. حيث الأرض اللينة الخصبة المعطاء .. والثروة التى تنتظر الأيدى العاملة .. لكن بيتر يقول انه يعز عليه أن يرحل دون ان يحصـــل على ثمن كده فى تلك الأرض المسعورة التى جعلها بكده وكد أخيه جنة دانية الثمرات .. وهو لهذا يتمنى لو مات أبوه .. او استطاع رفع دعوى للحجر عليه .. وكذلك يتمنى ايبين نفسه .. ايبين الذى كان يرى أن الأرض كلها ارضه .. لأنها أرض أمه .. بل هو يشتد فى كراهيته لأبيه حتى لينكر أنه أبوه .. لأنه لا يشبهه .. ولأن أباه .. ان كان أباه .. هو الذى قتلها .. قتلها لأنها كانت امرأة طيبة . وايبين لذلك لن ينسى أن يقتص لها منه .. وهو يعتب على أخويه لأنهما لم يحولا بين أبيه وبين أمه .. بل تركاه يعذبها ويضنيها حتى ماتت وايبين لم يتجاوز الخامسة عشرة .

ولم يكن الأولاد الثلاثة ملائكة .. بل لقد كان الشيطان الذى هو أبوهم قد أسلمهم لربه الذى هو الشيطان مفيستو فيلس نفسه .. لقـــد كان ســـيميون وبيتر يترددان على امرأة بغى فى القرية القريبـــة تدعى مينى .. فلما شب ايبين وفطن الى ما يذهبان الى القرية من أجله لم يلبث أن عرف المرأة وفاز بها من دونهما .. او هكذا خيل اليه ! ولعلك تعجب ان سيميون وبيتر كانا قد استخلصا المرأة لنفسـيهما من براثن أبيهما الشـــــيطان الذى كان يظن أنه فارسها الأول والأخير ! .

وبينما الأولاد الثـلاثة يتفكهون بهذا الحديث اذا ايبين يقول لأخويه ان لديه نبأ مهما لهما .. واذا هو يخبرهما بأن أباه قد تزوج الزيجـــة الثالثة .. امرأة جميلة فى الخامسة والثلاثين .. بينما الأب الشيطان فى الخامسة والسبعين ! ... انهـــا امرأة من نيودوفر ... وهى امراة ذات ماض .. « وقد صادت الرجل الشيخ .. بل الشيطان الذى خرج من الجحيم ، والبغل العجوز .. لغرض فى نفسها .. وهو قد أقدم على هذا الزواج نكاية فينا .. »

ولما يصر سيميون وبيتر على السفر ولو مشيا على الأقدام الى كاليفورنيا هربا بوجهيهما من ذلك الأب الملعون يشـــجعهما ايبين على ذلك لغرض فى نفسه .. ويعرض أن يشترى منهما نصيبيهما الموهوم فى مزرعة أبيهما .. حتى تئول اليه المزرعة كلها آخر الأمر .. أما من أين أتى ايبين بالمال ... فيقول انه استولى عليه مما خبأه أبوه وسرقه من مال أمه الذى هو ماله ! ويوافق الأخوان على البيع .. ويقبضان الثمن ..

ثم يعود الأولاد الى حـــديثهم عن الزوجة الجـديدة وعن مينى التى يسأل سيميون أخاه ايبين عما اذا كان يحبها فيقول : « أحبها ؟ .. ومـــا الحب ؟ اننى لا أبالى مطلقـــــــا بتلك الأســـــطورة .. اننى لا يهمنى من أمـر مينى الا قوامها الملفوف الدافىء .. والمسألة انها كانت ملك الوالد العجوز .. أما الآن فهى ملكى .. انها ليست امرأة سيئة .. وانا أراهنكم ان فى

العالم من هى شر منها واشد سوءا .. ولننتظر حتى نرى تلك البقرة التى هام بهـا العجوز الملعـون .. واكبـر ظنى انهـا سوف تفوق مينى » .

وتحضر آبى .. الزوجة الجديدة .. ويقدمها افرايم كابوت الى أولاده قائلا لهم انهـا أمهم الجـديدة .. وتنظر آبى الى سيميون وبيتر نظرتهـا الى زوج من الخنازير .. وينظر اليها سيميون نظرة تفيض احتقـارا ثم يبصق على الأرض .. أما ايبين فيكون داخـل البيت .. واذا قال لهـا أخـوه بيتر ان من المستحسن الا تقول له ان هذا البيت أصبح بيتها قال لهـا افرايم ان لها الا تبـالى بايبين .. لأنه ليس الا فتى ابله غبيـا كأمه تماما .. فتى رخو ساذج ... ولـكن سيميون يقول لأبيـه « ان ايبين صورة منك طبق الأصل .. صلب ومر كشجرة الجوز ! وأنتما كلبان .. وسياكلك أيها العجوز ! » .

ويسفه سيميون وبيتر على أبيهما وعلى زوجه الجديدة .. ويعلنـانه بأنهما ذاهبان عنه الى كاليفورنيـا حتى لا يمسا ذهبه القذر الملوث بالخطيئـة .. وحتى لا يغتصبـا تلك الزوجة اللعوب .. فاذا لعنهما ردا اليه اللعنة أضعافا : « اليك أنت أيهـا المقتر العجوز .. يا مصاص الدماء .. » .

ويقذفان حجرة العروس بالحجارة فيحطمان زجاجها .. ويرحلان بنفسيهما الى الحرية .. .. الى الكسب الحلال ..

وتفرح آبى برحيلهما .. والخلاص منهما .. لكنها لا تكاد ترى ايبين حتى تجن به غراما .. انها تحدق فيه كالتى توازن بين شبابه النضر ، وبين شيخوخة أبيه الفانى .. واذا قالت له انها أمه الجـديدة قال لها .. « كلا .. وعليك اللعنة ! » لكنها تتلقى تلك التحية وهى تبتسم بعينين تطل منها كل روحها .. وكل شهوتها .. وهى تقول له انها تكون له هنـا أما .. لكنها ستكون له صـديقة .. أو ما هـو اكثر من الصديقة .. ثم لا تنفك تسلط عليـه نظراتها وابتساماتها .. ثم ترق له وتحدثه عن أمه قائلة وهو يلعنها :

« ... اذا كانت لعناتك تسبب لك ارتياحا فالعنى ما شئت .. لقد توقعت أن تعادينى فى البداية .. وانا لا الومك على ذلك .. انا نفسى كنت أشعر مثل شعورك لو أن امرأة غريبة ايا كانت جاءت لتحل محل أمى .. لا شـك انك تنطوى على حب عميق لأمـك .. ولقد ماتت أمى قبـل ان اكبر .. وانا لا اذكرها أبدا .. لكنـك لن تكرهنى يا ايبين ... وانا وانت حظوظنا أشـباه .. وقد عشت مثلك حيـاة قاسية .. فى بحار من المتاعب .. وعملت خادمة فى بيوت الآخرين .. ثم تزوجت رجلا سكيرا .. ومات طفلى منه .. ثم مات هو أيضا ففرحت لخلاصى منه .. وظللت اعمل فى بيت بعد بيت دون أن أحـلم ببيت خاص لى .. حتى جاء أبوك ... »

ويقول لهـا ايبين : « أبى الذى اشتراك كما تشترى العاهرة .. ودفع لك مزرعة أمى ثمنا .. عليك اللعنة ... الا فلتعلمى أن المزرعة صارت ملكى ! » .

وهنا تفطن الأفعى الى ما يهم ايبين فتقول له ان ما يهمها هى أيضا هو ان يكون لها بيت .. والا فما الذى كان يضـطرها الى الزواج من عجوز مثله : « لقد أصبحت المزرعة مزرعتى » وهذا البيت بيتى .. والمطبخ .. مطبخى .. وفى الطابق العلوى .. مخدعى .. وفيه فراشى ! ايبين .. فلنكن صديقين .. أنا .. وأنت » .

ثم تتحوى الشيطانة وتتاوى .. ويضـعف ايبين ويسلس .. وينتهى القسـم الأول من المسرحية .

وفى مطلع القسم الثانى نرى آبى وهى ماضية فى لعبتها .. تحاور ايبين المستعصم وتقول له ان الطبيعـة تحترق فى داخله .. وانها سوف تقهره .. وقد يكون من الأفضـل ان يقـر ويعترف .. ثم تسـتدرجه الى انها تعرف

صـلته بتلك العاهرة العجوز مينى : « فلماذا تضيع عمرك معها ؟ تلك السمكة القبيحة التى لا يوجد فى القرية سكير حقير الا لها معها ؟ » فاذا قال ابيين انها خير منها على كل حال لأنها لم تأت لتسرق المزرعة وما عليها راحت آبى تغيظـــه فى دعابة وتقول انه لن يملك من تلك المزرعة قشة الا اذا أرادت هى :

ويشتد الجدل بينهما فلا يقطعه الا حضور افرايم الذى يذم لهـــا ابيين .. هـــذا الرخو كامه .. الذى لا يحتمل رخاوته الا اضطرارا .. كى يفلح له الأرض ويرعى الماشـــية بعد سفر أخويه .. ولأنه .. أى افرايم .. أصبح رجلا عجوزا يدب برجليه الى القبر ..

و لايكاد يذكر الموت حتى تطالبه بثمن زواجها منـــه .. بالمزرعة .. المزرعة التى لا يجب أن يتركها لابيين .. ذلك الابن الضـــال الذى كان منذ قليل يطارحها الغرام .. ناسيا أنها أمه ..

ويجن جنون الرجل العجوز ويقسم لينهين حياته ، ولينثرن مخه بالرصاص على أعالى شجر الدردار ..

ولكن آبى تعود فتلطف له الأمر قائلة ان ما بدا من ابيين لم يكن الا حماقة صبى .. ولم يكن يخفى أى قصـــد سيىء .. فيهدأ افرايم .. وسرعان ما يذكر ان ابيين هو الذى يقوم له بكل شيء .. وان كان هو .. وقسما بالرب الصلب الخالد .. ليستطيع أن يقصم ظهور عشرة من الشبان أمثال ابيين ! ابيين الذى من صلبه .. ولده الوحيد ! .

وتفطن آبى الى ما يريد .. فتشرع تلاطفـــه وتداعبه .. وتقول انهما يجب أن يصليا للرب كى يمنحهما غلاما .. وهى نفســـها من يوم أن دخلت هـــذا البيت وهى تصلى لله ضارعة أن يمنحها غلاما من افرايم يكون خليفــة له مكان هذا الابن الرخو الكريه ابيين ! .

ويفرح الرجل الأبله ويبتهج .. ويقـــول فى خرق :

« ... صـــلى للرب مرة أخرى يا آبى .. فهذا يوم السبت .. وسأصلى معك .. لأن صلاتين خير من صلاة واحدة « واستمع الرب لراحيل .. فحبلت راحيـــل وولدت ابنـــا » واستمع الرب لآبى ! » .

ولم يكن الرجل العجوز المخرف يجد راحته وســـعادته الا فى حظيرة البقر .. ولم يكن يجد ريح المسك الا بين بهائمه ..

وفى مرة وهو منطلق الى ربيع قلبه هـــذا اذا آبى ترى ابيين .. واذا هى تنصب له شراك الإثم من عينيهـــا الفاجرتين ، وابتســــاماتها المغازلة .. واذا المسكين يتنهد من أعماقه .. واذا هى لا تفلت الفرصـــة .. بل تتنهد هى أيضا .. ثم تنطلق اليه لتجعله ملء ذراعيها .. ولتغمر فمه بالقبل الملتهبة ..

ثم نكتفى بهذا القدر من خط سير الجريمة .. التى تتم فى الغرفة نفســـها التى توفيت فيها أمه ..

وبعـــد أن تتم الجريمـــة اذا ابيين يصرخ مستنجدا بروح أمه وهو واقف عارى القدمين متطلعا حوله .. مغمغما فى دهشة وذهول :

« أماه ! أين أنت ! » .

وتدرك آبى سر ضعف ابيين .. انه شخص يعشق أمه .. فلا بأس .. لتحل هى اذن محل تلك الأم فى نفســـه وفى تفكيره .. و لتقل له :

« ان أمك الحبيبة بدأت تعطف على وتحنو .. ولعلها تعرف أننى أحبك .. وربما يكون هـــذا هو الذى جعلها تعطف على .. ولم تعد تحمل لى أى ضغينة .. فكر معى يا ابيين فى والدتك التى تحنو علينا .. هلم فحدثنى عنها .. » .

ويقول ابيين ان أمه كانت عطوفا وطيبة .. فتقول له آبى انها ستكون هى أيضا عطوفا عليه وطيبة معـــه .. فيقول انها كانت تغنى له .. فتقول انها ستغنى له كما كانت هى تغنى ..

وهنـــا تنثر ذراعيهـــا حـــوله وتقول :

« ... وســـاموت من أجلك يا ابيـــين .. فلا تبك .. ســـأحل محلها .. وساكون كل ما كانتـــه لك .. ابيين .. دعنى أقبلك .. لا تخف .. سأقبلك قبلة طاهرة .. كما لو كنت

والدتك تماما .. أما انت فرد قبلتى كما لو كنت ابنى .. صغيرى الذى يحيينى تحية المساء .. »

ولكن القبلة الطاهرة لا تلبث أن تكون جحيما من القبل المتأججة المتبادلة ..

ثم لا نملك الا أن نمضى سراعا .. أو خطفا على ما يحدث من هذا كله فى المشهدين الثالث والرابع من القسم الثانى .. وحتى يحضر الوالد المغفل العجوز الأبله ليتلقاه ابنه ساخرا مستهزئا .. وغامزا غمزا شـديدا .. وليقول له أبوه انه معتوه مثل أمه .. مثل أمه تماما ! .

وفى القسم الثـالث نكون بعد عام مما كنا فيه .. ونسمع لغطا شـديدا فى القرية عما يكتنف بيت افرايم من أسرار .. ونسمع الناس الذين دعاهم العجوز الملعون للاحتفال بمولد ابنه « الرابع » من عروسـه الشابة يتفكهون بهذه المعجزة التى تمت فى ذلك البيت بعد فوات عصور المعجزات .. معجزة انجـاب افرايم وهو فى السادسة والسبعين غلاما ذكيا من آبى ابنة السادسة والثلاثين .

ان النـاس يتندرون .. وعازف الموسيقى يتهكم .. والخدم والمدعوون يتبادلون النكات والغمزات واللمزات .. وافرايم الأبله المخمور من كثرة ما شرب يصيح متبجحـا مزهوا وهو يلعن ابيين ·· لأنه أنجب ولدا ·· وأنجبـه ليحل محل ابيين الرخـو .. ابن الرخـوة .. وليرث اباه .. ليرث المزرعة والمنزل والمواشى .. وكل شىء .. والكل يشربون ويغمزون .. ثم يرقصون .. وافرايم نفسه يقوم فيرقص .. وكأنه : « قرد يقهقه أو عجوز تلطم ! » .

ثم يخرج ليستنشق الهواء لأنه نال منـه الجهد ..

ويمضى المدعوون فى قصفهم وتنـدرهم .. ويخلو ابيين الى آبى .. ويقبـل كل منهمـا الآخر .. وينظران معا الى الطفل البرىء الراقد فى المهـد .. وتقـول آبى انه « يشـبهك تماما يا ابيين .. انه جميل .. رائع .. »

ولا يطيق ابيين الصبر على هذا الوضع .. لا يطيق الصبر على ان ينتسب ابنـه الى أحد غيره .. ولـكن آبى ترجـوه أن ينتظر عسى أن يحدث شىء .. وتلفه بذراعيها ، ثم تغمر فمه بالقبل .. القبل التى لا يخرسـها الا عـودة افرايم ..

ويبدو شىء من الارتبـاك على ابيين الذى يسأله أبوه عما عاقـه من المشاركة فى الحفل ورؤية الجميلات هناك .. ولمـاذا لا يختار له عروسا منهن تكون صاحبة مال كما هى صاحبة جمال .. فيقول له ابيين : « مثل الذى فعلت أنت ! » .

وتثار مشكلة ملكية الضيعة بين الأب وابنه .. ويشتد غمز ابيين لأبيه .. ويفاجىء افرايم ابنه بما زعمته من مغازلة ابيين لها .. وما تطالبه به من ملكية المزرعة ، فيثور ابيين ويحسب أن آبى انما كانت تخدعه باظهار تفانيها فى حبه .. وينذر أباه بأنه قاتلها لا محالة .. فقد خيل له أنها لم تكن تحبه كما تزعم .. بقدر ما كانت تتخذ منه ثورا لتحمل منه .. وليكون لها ولد يضمن لها المزرعة .

عند ذلك ينقض العجوز الوحش على ولده الذى لا يجرؤ أن يقاوم .. فيـكاد الوالد ان يكسر عنقه .. لولا مبادرة آبى ، وانقاذها اياه من قبضة أبيه المفترس ..

ويخلو ابيين الى آبى بعد انصراف أبيه فيغلظ لها ويقول انها كانت تخدعه فيما أبدته له من محبة ووله .. وانها ليست الا كاذبة .. وما كان هو الا ابله حينما صدقها ... لكنها تجيبـه بأنها لم تخبره بما قاله له أبوه الا فى ساعة من ساعات الغضب وانها سوف تثبت له حبها اياه ببرهان لا يدحض .

لكن ابيين يقول انه لن يصدقها بعد اليوم .. وانه سوف يدعو اليه امه لتساعده فيما ينتوى من انتقـام .. ولتصب لعنتها على أبيه وعلى آبى .. وانه سوف يخبر هذا العجوز الشيطان الأبله بحقيقة الابن الجديد .. وانه سوف يقاتل أباه حتى يستنقذ المزرعة منـه .. وبعد ذلك يترك أباه ويترك آبى وابنه يتسولون أو يموتون جوعا .. فى حين يبيع هو المزرعة بما عليها ..

ويذهب الى كاليفورنيا ليلحق بأخويه هناك ..
وبعد حوار متأجج تقول له آبي :
ـ « اذا كان الولد سيكون سببا فى كل هذا .. اذا كان سيقضى على حبك ، ويقصيك عنى .. وأنت فرحتى التى لا فرحة لى سواها .. الفرحة التى لم أعرف سواها فى حياتى .. الفرحة التى كانت كالجنة فى نظرى . بل خيرا من الجنة .. فانا لا أملك الا أن أكرهه .. اكرهه بالرغم من أننى أمه .. وسأقتل افرايم اذا حاول أن يسرقك منى .. اننى أحبك يا ايبين .. أحبك .. ولم أفكر يوما فى سرقة ما هو لك .. وسأبرهن لك على ذلك .. فقبلنى .. قبلنى .. لأننى احبك أكثر من أى شيء فى العالم .. »

وفى المنظر الثالث تلقى آبى ايبين لتقول له انها فعلتها ! لقد قتلته .. قتلته ! .. ويحسب ايبين أنها قتلت أباه .. فتقول له :
ـ « كلا .. كلا .. ليس هو .. لكنى قتلت .. الطفل ! » .
ويوشك ايبين أن يجن .. ويستنجد بأمه الميتة متسائلا : « لم لم تمنعها ؟ .. أين كنت ؟ .. » .
ويسأل آبى كيف جرؤت ؟ فتقول : « تركت الوسادة فوق وجهه حتى انقطعت انفاسه ! » .
ويعود ايبين الى جنونه .. وتنتابه نوبة من البكاء على الطفل .
ولكن آبى تقول له : « لقد كنت أحبه كما تحبه .. لكن حبى لك كان أكبر .. وكان يحول بينى وبينك .. وحسبت أنك تكرهنى لأنى أنجبته .. لقد قتلته لكى تبقى أنت لى .. وتبقى المزرعة لك .. » .. والحقيقة أن الجنس هنا هو الذى كان يتكلم .
ولكن ايبين يصم أذنيه عما تقول .. وها هو ذا ينطلق ليبلغ البوليس .. وليعترف بنصيبه فى قتل ولده .. هذه الجريمة التى دفع آبى اليها بحماقته .
ويقف افرايم على الحقيقة كلها .. لكنه يقول لآبى انه كان يتمنى لو كان الطفل ولده بالفعل .. اذن لما أبلغ البوليس .. ! « انكما مظهر خادع ليمامتين قاتلتين .. يجب أن يشنق كلاكما فى فرع شجرة واحدة .. وان تظلا تتأرجحان هكذا حتى يصيبكما العفن لتكونا درسا للمسنين الأغبياء أمثالى .. لتذهب المزرعة الى الجحيم .. ولتحرر الماشية لأحرر نفسى .. وسأشعل النار فى المنزل والحظيرة .
ويحضر البوليس فيقبض على آبى وايبين .. لكن المأمور لا يكاد يرى المزرعة حتى يتمنى لو كانت ملكه .. لأنها .. جميلة ورائعة جدا !
وهكذا تنتهى تلك الميلودرامة الغريبة التى يحرك الجنس شخوصها جميعا .. والتى خرجت من تجارب أونيل خروجا صادقا دافقا .. وبصورة طبيعية بشعة .. وهى لهذا قد تسخطنا .. وتجعلنا نأسف على الأيام التى كانت المأساة فيها تطهيرا للنفوس وسموا بالأرواح .. أيام أن تناول يوريبيديز هذا الموضوع نفسه فى معجزته الخالدة : « هيبوليتس » الأمير الذى أحبته زوجة أبيه وهامت به .. لكنه أبى واستعصم .. وهو مع هذا فضل أن يكتم السر الهائل عن أبيه احتراما لأواصر الأبوة وتقديسا .. مما كانت نتيجته قتل الشاب نفسه .. وأسف أبيه عليه بعد أن انكشف الستر عن الحقيقة كاملة ..
وقد عاد راسين الى الموضوع نفسه فى مأساته فيدر فصاغ منه درة باهرة لم تغرق فى حماة الجنس ..

ولكنا نعود فنقول ان اونيل ومن سبقوه الى جحيم الجنس آثروا ألا يخدعوا الناس عن حقيقة النفس البشرية ولا سيما اذا ظلت طعمة للجهل .. بعيدة عن نور الحضارة .. فريسة لمعتقدات لم يهضمها المؤمنون بها .. مفضلين ان يمزقوا أغلفة النفاق الاجتماعى حتى ترى البشرية نفسها على حقيقتها .. وهذا هو ما فعله ابسن وسترندبرج وفدكند وهاوبتمان .. واونيل ... وما يفعله من بعدهم تنسى وليمز وكثير من الكتاب المحدثين .
ان الجنس غول حقا .. لكنه عالم من الأسرار جدير بالعرض والدرس .

دريني خشبة



لمن تدق الأجراس

تأليف : ارنست همنجواى

هـــذه الرواية ليست أروع ما كتب ارنست همنجـــواى فحسب بل من أروع ما كتب فى الأدب الأمريكى الحـــديث ، وتدور أحداثها فوق جبال وفى سهول « اسبانيا » . اذ تحكى طرفا من الحرب الأهليـــة التى شملت اسبانيا ما بين عام ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ .

وتقع هذه الرواية الطويلة فى مدى أربعة أيام بالحساب الزمنى . وترتفع الستار على أحـــد جبال اســـبانيا بظهور بطل الرواية « روبرت جوردان » ــ وهو شـــاب أمريكى مثقف يذهب الى اسبانيا ليحارب الى جانب الجمهوريين ضد الفاشست . وهـــذا الشـــاب الأمريكى مكلف بنسف جسر كاشارة للجمهوريين لشن هجوم على « سيجوفيا » ، وكان يتحتم عليه وهو يعمل وراء خطـــوط الفاشست أن يســـتعين بأفـــراد العصابات التى تحارب فى الجبال وهم خليط من الفلاحين والغجر والنساء الهـــاربات من لهب الحرب ــ وهم عينـــة من مجتمع الجمهوريين الذين يمثلون آمال وآلام واتجاهات هذه الجبهة فى اسبانيا .

ترجمة : مجد الدين حفنى ناصف
مراجعة : على أدهم

الناشر دار القلم
عدد الصفحات ٢٢٤ ص ١٤×٢٠ سم

واستطاع همنجواى أن يرتفع بهـذه الرواية التى خطها بأسلوبه السهل الممتع وبالتفصيلات الدقيقة لوصف أحداثها ، استطاع أن يرتفع بها الى مستوى فنى رفيع فأنت تستطيع ان تتابع الأحداث فى سهولة ويسر كما تجد نفسك عن كثب من شخصياتها الغريبة ، ويصل « روبرت جوردان » بصحبة « أنسلمو » الرجل الصياد المسن الذى يترك صـيده لينضم الى صفوف المحاربين فى خدمة الجمهورية ، ثم ينضما الى عصـابة « بابلو » الرجل الذى أبلى بلاء حسنا وأبدى شجاعة فائقة فى حرب العصابات ومقدرة نادرة على قتل الفاشست ، ولكن تسايره بعض الشكوك والتردد فى الاقـدام على عملية نسف الجسر ، ولابد لنا أن نعرف « بيللار » تلك المرأة الفجرية زوجة « بابلو » سليطة اللسان وشجاعة القلب ، لا تخاف الموت ولا تهتز لقصف المدافع وأزيز الرصاص .

وهناك مع جماعة « بابلو » التى كانت تسكن كهفا فى سفح أحـد الجبال .. هنـاك يقابل « روبرت جوردان » « ماريا » — وهى احـدى الفتيـات التى لقى أبوها مصرعه على أيدى الفاشست ، وشـهدت بأم عينيهـا عملية قتل والدها الذى كان عمدة لاحدى القرى الأسبانية المتشيعة للجمهورية ، ومصرع أمها التى كانت تؤمن بالجمهورية وتناصرها ، ويرتكب الجنـود الفاشست من أعمال القتل والسلب ما يجعـل النفس تشمئز ويصيب الانسـان بالغثيان . ويقع روبرت جوردان فى حب « ماريا » ويعوضها هذا الحب الجاد المخلص كل ما عانته وقاسته على أيدى الفاشست .

وتسير الأمور سـيرها الطبيعى خلال الثلاثة الأيام التى قضاها الشاب الأمريكى مع جماعة « بابلو » ويصف الكاتب حياة هذه الجماعة فى الجبل ، ومدى تفانى الفرد فى خدمة الجماعة .

ثم يبـدأ وأنى الاعداد لعملية نسف الجسر وتجهيز ما يلزمهم من أفراد آخـرين وخيـل لمواجهـة أسوأ الاحتمالات عند تنفيذ هـذه العملية .

وفى اليوم السابق لعملية نسف الجسر يظهر « روبرت جوردان » براعة فائقـة فى تجنب اصـطدام مسـلح مع قـوات الفاشست التى تصطدم بجماعة « السوردو » وهى جماعة أخرى من عصابات الجمهوريين المنتشرة فوق الجبـال وفى الوديان .. وعلى قلة عدد هذه الجماعة من خـلال وصف المعـركة التى دارت رحاها مع الفاشست يتضح مـدى مهارتهـا فى الحرب والقتـال ، فتكبد قوات الفاشست بالرغم من عدتها وعديدها خسارة فادحة . ويقضى عليها فى آخر الأمر وبهذا تخسر جماعة « بابلو » اكبر معين لها .

وبعد هذه الحادثة يصاب « بابلو » بحالة من التردد والارتداد عن عملية نسف الجسر ، وينسل تحت جنح الظلام ويهرب وقد سرق المفرقعات التى سيستخدمها « روبرت جوردان » غدا فى نسف الجسر . وتبدأ الجماعة فى الاعداد للصباح المرتقب ولم ييـأس الشـاب الأمريكى لهـروب « بابلو » وضياع بعض أدواته ، ولكنه يقضى ليلة جميلة هادئة مع حبيبته « ماريا » .. وقد أعد لكل شىء عدته .

وفى الصباح الباكر يتجه الركب فى نظام وحذر الى الجسر وكل يعرف ما عليه ، بعد أن يعود « بابلو » الى صوابه ويحضر معه أربعة رجال من العصابات ليسـاعدوهم فى هذه العملية . ويشترك « روبرت جـوردان » و « أنسلمو » الرجـل المسن الطيب فى قتل حارس الجسر ، ولـكن الدموع تتسـاقط من عينى « انسلمو » بعد ان يقتل الحارس .. فهو يكره قتل الانسان ويكره الحرب البغيضة ولكن كان عليه ان يقتل من اجـل المبـادىء ، وينسف .. ويموت « انسلمو » .. فيحزن عليه « روبرت جوردان » الذى ينجـو من المـوت بأعجوبة ، ثم ينسحب الجميع هاربين الى الجبل حيث انتهت مهمتهم وحيث طريق العودة ..

وتغمر الجميع السعادة بعد نجاحهم فى هذه العملية وتشعر « ماريا » أن أملها فى العودة الى مدريد والزواج من « روبرت جوردان » تحقق أو كاد ، ولكن .

تعددت الأسـباب والموت واحد

فمن لم يمت بالسـيف مات بغيره

فلامفر ولا مخرج من الموت وحقيقته الواقعة ، اذ يكبو جواد « روبرت جوردان » وهو ينسحب مـع رفاقـه تحت نـيران الفاشيست الـذين

يطاردونهم وتكسر ساق « روبرت جوردان » كسرا يعجزه عن مواصلة السير . وكان فراقا مرا أليما اذ تفتقد الجماعة انسانا عزيزا عليهم طالما أحبوه وأكبروه .. خاصة « ماريا » التى تركته على الرغم من نفسها وكأنها تترك الحياة لتقبل على الموت .

ويبقى « روبرت جوردان » ملقى على الأرض ومن حوله الحياة تدب فى العشب الأخضر وأشجار الصنوبر وليس معه سوى بندقيته التى احتفظ بها ليستخدمها فى الانتحار اذا دعا الأمر ..

وهكذا تتجلى فلسفة « ارنست همنجواى » أو فلسفة الجيل الضائع — جيل ما بعد الحرب — اذ يرى أن الحياة لا جدوى فيها فعندما يبلغ المرء غايتـه أو يكاد تحطمه الحياة والظروف المحيطة به . اذ ينتظر « روبرت جوردان » مصيره المحتوم وهو اما أن يعثر عليـه جنود الفاشيست فيقتلونه بطريقـة أو بأخرى .. واما أن يطلق الرصاص على نفسه ، وهذا ما فعله أرنست همنجواى نفسه فى يوليو سنة ١٩٦١ .

ولقد نجح الكاتب فى ابراز عنصرى الفظاعة والوحشية التى تجلت فى وصف المعارك بين الجمهوريين والفاشست كما أن كل شخصية من شخصيات الرواية تحب الحياة وتتمسك بها لآخر لحظة ، وعلاقات الشخصيات بعضها مع البعض الآخر يعطينا أروع مثل روائى تتجلى فيه الحساسية والفكر وعنصر الاستخفاف الذى يومض من خلال مأساة الانسان .

وقد ضمن « همنجواى » هـذه الرواية كل الموضوعات التى كتب عنها .. فالشجاعة الكاملة فى النفس البشرية والتى تتجلى فى حالة الدفاع عن هدف شريف ، والاستخفاف ، والرقة التى تبدو فى العاطفة الشريفة ، وضمنها أيضا الكثير من المتناقضـات ، فالرقة تصارع القسوة

ولم يكتب « همنجواى » عن هذه الموضوعات أحسن مما كتب فى هذه الرواية اذ استطاع فى دقة وبعـد نظر أن يصور اعجابه بالجمهوريين وثقتهم العميقـة التى حركتهم وأوحت اليهم بالقتال ..

ولما كان موضوع الرواية الحرب وبشاعتها ، فهل نجح ارنست همنجواى فى تصوير فظاعة الحرب وضراوتها وكيف أن الحرب دائما مجزرة يخسر فيها الجانبان المنتصر والمنهزم . ووضوح هذه الصورة وتكاملها يعتمد على عناصر عـدة يستخدمها الفنـان لخلق عمله الفنى . والآن أحب أن ألقى بعض الضوء على هـذه العناصر ومدى تكاملها وتفاعلها لخلق الصورة الرهيبة للحرب ومقـدرة الشخصيات على الحركة والتفاعل والاندماج فى الأحداث .

جـو الرواية :

البيئة التى يعمل فيها الشخصيات أو مسرح الأحـداث عنصر هام فى الرواية . ونحن نقرأ « لمن تدق الأجراس » أو قصة الحرب الأهلية فى أسـبانيا نعيش من أول الرواية الى آخرها على سفوح الجبال أو السـهول وفى القرى المنكوبة ورائحـة البارود تزكم أنوفنا وطلقات المدافع وأزيز الرصاص يصم آذاننا ، ونوارى أعيننا فى رهبـة وخوف عن منظر الدماء الذى يقابلنـا فى كل مكان من جبهة القتال . فقـد استطاع الكاتب أن يصف على لسـان « بلار » المذابح الرهيبة فى احدى قرى الفاشيست التى استولى عليها الجمهوريون وراحوا ينتقمون من أعـدائهم فى وحشية وضراوة ويقتلون الانسان بضربة واحـدة من عصا غليظة أو برصاصهم أو يلقون به الى النهر من على ارتفـاع شاهق وتنقل لنـا « ماريا » صـورة مشابهة لابادة الجمهوريين على يد الفاشيست وكيف ينتهكون حرمة البيوت ويسلبون البنـات عفتهن . ثم معـركة جمـاعة « السـوردو » وكيف أبادها الفاشست بأسلحتهم الحديثة وطائراتهم ، ويأبى جنود الفاشست الا أن يقطعوا رؤوس ضحاياهم ويحملونها على ظهر خيولهم والدماء تقطر منها .

وعملية نسف الجسر وتصويرها بكل دقة ووضوح وقتل حراسى المغفر ودموع « أنسلمو » بعد أن قتل الحارس العجوز .

ورحلة « اليادو » الرسول الذى حمل رسالة « روبرت جـوردان » الى قيـادة الجمهوريين ،

وكيف عبر خطوط الفاشست حتى وصل الى « جولتز » فى قيادة الجمهوريين ، وما رآه من استعدادات حربية ضخمة وتحركات عسكرية واسعة .

وعلى هذا فالكتاب يفوح بجو المعركة ورائحة الموت والقذارة ولم يرو أى وصف أو تصوير لمناظر الفنادق أو المدن الهادئة الآمنة سوى فى مخيلة « روبرت جوردان » وأحلامه عن حياة سعيدة هادئة بأحد فنادق « مدريد » بعد زواجه من « ماريا » . وذكريات « بلار » التى عاشتها قبل الحرب .

الشخصيات : (شخوص) يلعبون لعبة الموت على مثل هذا المسرح وفى مثل هذه الظروف لابد وأن يكونوا مزودين بصفات معينة ولديهم القدرة على التحرك والاندماج فى دورهم فهل حدث ذلك ؟ .

شخصيات الرواية مجموعة من الجنود والضباط وكلهم أو معظمهم كانوا يشتغلون بالزراعة أو الصيد أو اى حرفة أخرى غير الحرب . ولكن جمعتهم صفة الوطنية والاخلاص لحكومتهم والتصميم على الدفاع عن مبادئهم الديمقراطية ضد تيارات الفاشية التى تحاول أن تستولى على الحكم وزمام الأمور فى البلاد .

« وروبرت جوردان » شاب امريكى مثقف يقوم بتدريس اللغة الاسبانية فى احدى الجامعات الأمريكية يحضر الى اسبانيا لدراسة تقاليد الشعوب وثقافتهم ويشاركهم حياتهم لأن اللغة من أهم مقومات حياة الشعوب ، وتستهويه مبادىء الجمهوريين ويقتنع بالدفاع عن هذه المبادىء والمفاهيم . فينضم الى العصابات ليحارب الفاشست « وجوردان » شخصية مرنة سريع الحركة يبدى براعة فى عمليات الحرب والنسف ، ولذلك توكل اليه عملية نسف الجسر وينجح فيها ، ولكنه يصاب بكسر فى ساقه اليسرى ويعجز عن العودة الى خطوط الجمهوريين ويترك ليلقى مصيره المحتوم .

« وبلار » تلك المرأة الغجرية الزعيمة الحقيقية لجماعة زوجها « بابلو » زعيمة برأيها السديد وشخصيتها القوية لا تحضرها مشاعر الحب ومظاهر الأنوثة الرقيقة الا فى الذكريات والأحلام . ولكنها تعيش مع زوجها وجماعته صاحبة صوت مرتفع ، صوت قوى وفكر ثاقب يعرفها أفراد العصابات التى تحارب فى الجبال حتى عند سماع صوتها فى الظلام . وتتحدث بلسان غجرى سليط ليس فى لهجتها ومشاعرها أى تكلف أو اصطناع . تمسك بالبندقية وتشترك فى عملية نسف الجسر وتقوم بدورها كأى جندى فى الميدان .

و « بابلوا » حنكته الخبرة وصقلته التجربة فهو يحارب كما لو كان قد ولد ليكون جنديا فى الميدان ولكن الشيخوخة تؤثر عليه ويتردد فى عملية نسف الجسر ويجبن أمام هذه العملية ويهرب فى الليل ، ولكن صوت الماضى والأمجاد يرده الى صوابه ويعيده الى المعسكر ليشترك فى عملية نسف الجسر .

و « أنسلمو » و « السوردو » و « جولتز » وغيرهم من شخصيات الرواية يواجهون الموت بكل ثقة وشجاعة ويموتون موت الأبطال فى الميدان .

وهؤلاء الأشخاص بشر قبل أن يكونوا جنودا وقتلة ، اذ أن كلا منهم يحب الحياة ويتمسك بها الى آخر لحظة لكن طبيعة الحرب تدفعهم الى القتل ومن لم يقتل يقتل .

وأحداث الرواية تسير فى خط واضح تعمقه الأحداث وتدفعه الى قمة الأزمة أو العقدة ، ولا تدخل الصدفة فى أحداث الرواية ولا تغير مجراها ، وانما كل شىء تقوم به الشخصيات المتطورة المرنة مرونة الحرب وتغيرها . ولم توضع شخصية فى غير موضعها . وكثيرا ما صادفت الشخصيات مواقف صعبة جعلتهم فى موقف حرج ولابد ان يتصرفوا أو يلقون حتفهم وهذا مما ساعد على مرونة الأشخاص وفاعليتها ، فهم جنود فى الميدان والجندى لا يسعه أن يقف مكتوف اليدين أو موقف المتفرج ، ولكن عليه

ان يقوم بدوره خير قيام وتبدأ القصة مع بداية رحلة روبرت جوردان » أو رحلة الموت الى ما وراء خطوط الفاشست ليقوم بنسف الجسر ويصحبه « أنسلمو » فى هذه المهمة ، والصعوبات التى تقابلهما والمخاطر التى لا حد لها ، وعليك أن تقدر وضع الجندى الذى يخترق الحدود الى داخل أراضى العدو وما يجب ان يكون عليه من حذر ودراية ـ ثم يبدأوا فى الاعداد لنسف الجسر ووضع الترتيبات اللازمة لذلك ويطلب « جوردان » مزيدا من الرجال لمساعدته اذا ما اقتضى الأمر وتبلغ القصة ذروتها عندما يهرب « بابلو » ويسرق بعض المعدات التى سيستخدمها « جوردان » فى نسف الجسر ، وأستطيع أن أحدد الساعات الأخيرة من ليلة نسف الجسر بقمة التأزم فى القصة ، وتأخذ الأزمة طريقها الى الحل عندما يصمم « روبرت جوردان » على بذل كل ما فى طاقته واستخدام كل ما لديه من امكانيات محدودة فى نسف الجسر فى الموعد المحدد لذلك ثم يعود « بابلو » وبرفقته أربعة رجال آخرين ليشاركون فى العملية التى تتم بنجاح .

وقد يعيب بعض النقاد على أرنست همنجواى وجود قصة حب عنيف بين « ماريا » و« روبرت جوردان » فى ميدان القتال وجو المعركة . ولكنى لا أرى فى هذه القصة أى عيب أو نقد حبذا لو عرفنا كيف يقدس همنجواى الجنس كمصدر اخصاب ومصدر الحياة ودافعا الى النجاح على الاقل فى هذه الرواية . فان حب « ماريا » « لجوردان » كان حبا ايجابيا بمعنى أنها كانت تشجعه وتمنحه من نفسها لدفعه الى اتمام مهمته بنجاح حتى يعودا الى « مدريد » سويا وعلى هذا فقصة الحب هذه جزء من الرواية لا يتجزأ عنها . اذ جمعتهما الظروف المشتركة ظروف الحرب والأمل المشترك اذ كان أملهما الفوز فى الحرب والقضاء على تيار الفاشية الطاغى .

وكثيرا ما ترددت فكرة الانتحار على لسان « روبرت جوردان » وهو يناجى نفسه ويذكر كيف ان اباه مات منتحرا ولا عجب فكاتب الرواية عاش حياة مليئة بالمغامرات والسفر ولكنه فى دخيلة نفسه كان يخشى أن يصل من العمر مرحلة يعجز فيها عن الحركة والنشاط ومن ناحية أخرى كان متشبعا بفلسفة الضياع أو ما يعانيه جيل ضائع دخل الحرب وعاصرها فلم يجد منها خيرا وأدرك فى النهاية أن نهايته لابد آتية ، فالانسان الطموح لابد أن تحطمه الحياة وظروفها وتقتله والانسان العادى يبقى ليلقى مصيره المحتوم كسابقه فليس على الدنيا عزيز ولا يبقى الموت أحدا . فلا عجب اذن ان تراود « روبرت جوردان » فكرة الانتحار وتسيطر عليه اذا ما عرفنا أن «أرنست همنجواى» يعطف على « جوردان » ويبثه آراءه وفلسفاته فالقارىء يلاحظ وجه الشبه الكبير بين « جوردان » و « همنجواى » والذى امسك ببندقيته وأطلق على نفسه الرصاص ليموت فى يوليو ١٩٦١ .

ولم يكن « همنجواى » بمستطيع ان ينقل الينا أحداث هذه الرواية وتفاصيلها بمفرده ولذا فقد استعان بالأشخاص الذين شاهدوا الأحداث أو عاشوها . أو ما يعرف بشاهد العيان ، فقد حدثتنا « بلار » عن جزء هام من الرواية عندما أخذت تسرد ذكرياتها فى « مدريد » واعجابها بمصارعة الثيران .

« وماريا » أيضا تحكى لنا قصة قريتها مع جنود الفاشست وما لقيته على أيديهم من تعذيب وارهاب .

« وانسلمو » ينقل الينا أخبار معركة «السوردو» مع الأعداء ويصف المعركة وهو يرى أحداثها عن كثب .

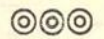
واستطاع الكاتب أن يكشف عن دخيلة شخصياته وما يعتمل فى داخلهم من صراع فقدم لنا صورة ما يعانيه « روبرت جوردان » من صراع داخلى من خلال مناجاته لنفسه وكيف يصطرع حبه للحياة ورغبته فى الموت فى نهاية الرواية عندما ترك متأثرا بجراحه يعانى من آلامه ويحاول الاقدام على الانتحار ليخلص نفسه من الألم واليأس ثم يحجم عن هذا ويتردد متمسكا بالحياة لآخر لحظة ويتركه الكاتب فريسة لهذا الصراع حتى آخر كلمة فى الرواية .

والحوار الذى يدور بين الشخصيات يعطى القارىء فكرة واضحة عن كل شخصية وما يعتمل فى نفوسهم من الم وأمل وما يعترى الانسان من لحظات ضعف وقوة .

واستخدم الكاتب فى هذه الرواية أسلوبه المعهود ، الأسلوب السهل الممتع والجمل القصيرة المركزة اذ المعروف عنه أنه كان يكتب ثم يراجع ما كتبه اكثر من مرة ويغير الكلمات التى يرى أنها لم توضع فى موضعها السليم ويستبدل لها بغيرها حتى أنك لتعجز عن استبدال أى كلمة بأخرى ، ولأن اسبانيا هى مسرح الرواية فقد استخدم الكاتب بعض التعبيرات والكلمات الأسبانية التى وجد أنها أكثر قوة وأدق تعبيرا عن مرادفتها باللغة الانجليزية ووضع الى جانبها ترجمة حرفية بالانجليزية حتى يقرب المعنى الى القارىء .

والمترجم الذى نقل الرواية الى العربية حاول جهده أن يكون أمينا الى النص مخلصا فى تعريب الكتاب ولكنه لم يستطع أن يرتفع الى اسلوب « همنجواى » وتركيزه الشديد واضطر فى بعض الأحيان أن يستخدم بعض الألفاظ أو الكلمات المهجورة والجمل المطوطة . ولكننا اذا قسنا أسلوب « أرنست همنجواى » وايجازه الشديد التركيز . نجد انالمعرب قد بذل الجهد الكبير فى ترجمتها وقدم الى المكتبة العربية عملا ما كان احوجها اليه وما أحوج القارىء العربى وغير العربى ان يقرأ هذا العمل الفنى الرائع فى زمن يسرع فيه العالم الخطى الى حافة الهاوية ونهاية البشرية ، وتنتهك حرمة السلام فى بقاع كثيرة من الأرض ، والقنابل الذرية والصواريخ تضحك ساخرة من ذكاء الانسان ومأساته وليس عليها الا أن تنطلق عندما تضغط يد عابثة على الأزرار وتعبث بصمام الخطر .

شوقى أحمد حسين



الجسد والرُّوح

رثاء عباس محمود العقاد

١٢ مارس ١٩٦٤

مضيت مضى الراحلين ، ولم تغن
ذخائر علم ما وهبن لمن يقنى

خلقنا على هذا المدار وديعة
ترد كما كانت الى ظلمة الدجن

وليس لنا فى الموت دفع وحيلة
الا كل حى منتهاه الى حين

فقدناك فى لمح النواظر ، واختفت
معالم فكر ظل يشغل بالفن

فقدناك أستاذا عميقا محصلا
تسامى بآفاق التأمل واللسن

مقلب آراء ، وكاشف معضل
وغريد أشعاره يحلق فى قن

نسائل عنك الروح أين قراره
أفى الجو يبقى ، أم تطاير كالعهن ؟

وما زال هذا الموت لغزا محيرا
يروع بتفريق ويعصف بالبين

اذا كنت فى دنياك أفصح ناطق
فانك فى مثواك أبلغ فى الكفن

أتيت بروح الآملين مجاهدا
ورحت وحجب الآفلين بما يضنى

خلا ربعك المأنوس من عين وامق
وأصبح منك الربع قفرا بلا عين

وكان لك الذهن الخصيب مزودا
فوا أسفا ، اذ غبت منحسر الذهن

تحداك قوم بانتقاص ، وحاولوا
جدالك بالقدح الذميم وبالطعن

وعابوك شيخا لست من سن جيلهم
وما كان علم الناس وقفا على سن

فكنت لهم قلبا جريئا مناجزا
يحطم دعواهم ، ويدفع بالطحن

ولو وزنوا ما اجهدته عقولهم
بفكرك ، أربى ما بفكرك فى الوزن

فان كان ضغن فالممات يسله
قضاء الردى خطب يجل عن الضغن

فيالظنون قد أرثت حبالنا
وأسوأ شىء . أن ترجم بالظن

ترامت بنا هوجا تحر بجارح .
يقطع أوشاح الودادة فى الخدن

لك الله من قرم علا بنبوغه
ومن حاصد يجنى من العلم ما يجنى

لئن أغمضت كف المنية جفنه
وآواه غور الأرض مغتمض الجفن

فان وراء الغيب من لمحاته
لقاء مع الأرواح متصل الرسن

هى الأرض أم يحمل البطن ثقلها
نعود كما جئنا الى فجوة البطن

حبتنا صفات الجد والأب بعده
ونورثها الأعقاب فى لحمة الابن

أهذا هو الانسان ؟ ، واحر قلبه
لقد غاض مسلوب الارادة والشجن

أهذا هو الانسان ؟ ، أين حديثه
وأين فؤاد فى مطامعه يبنى

يعيش على حرب التنازع حقبة
ويبلى بأوجاع النوازل والأين

ويصدى فما بل الأوام ، ولا اشتفى
برغد ، ولاضافته عائدة الأمن

فأين تراه اليوم ؟ لا شىء بعده
ولا همس الا ما يهيج للحزن

توارى على نعش يساق مكبلا
طريح فلاة ، يستحيل الى عفن

يقيم بسجن العمر غير مخير
وينقل فى جذل الفناء الى سجن !!

سلام على (أسوان) ان ضريحها
لمقترب بالذكر قرنا الى قرن

فيا شمس ، ماذا لو منحت صعيده
وميضا بأنباء الأنام فيستدنى ؟

ويا نسمات الفجر هبى نوافحا
ومرى بأنفاس الربيع ولا تثنى

ويا فاتنات الحور سيرى وئيدة
وطوفى عليه بالرحيق وبالدن

ويا زهرات الحسن أما تفتحت
براعمها ، هلا نثرت شذا الحسن ؟

ويا أنجم الليل البهيم تسللى
بنورك يمشى فى مساربه اللدن

فهيهات أن ينسى ويحجب شخصه
وما هو من يطوى نثاه على دفن

عبدالسلام رستم



لقد طالعنا الشهر الماضي بكتابين عن فقيدنا المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ، كتاب « أنا » الذى نشرته دار الهلال بوصفه مجموعة مقالات للعقاد نشرت فى صحف الدار وتدور حول نفسه وآله وآرائه ، وكتاب « مع العقاد » الذى كتبه الدكتور شوقى ضيف لسلسلة « اقرأ » فى دار المعارف .

ولقد وجدت فى كلا الكتابين اخطاء تاريخية يجب أن ينص عليها لكيلا تستقر فى الأذهان كحقائق ثابتة .

ففى الصفحتين الثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثين من كتاب « أنا » يقول النص : « وكبير أشقائى أحمد ، وكان يعمل سكرتيرا لمحكمة أسوان ، وهو الآن على المعاش ، وعبد اللطيف وهو تاجر ، ولى شقيقة واحدة نحبها جميعا وهى متزوجة تعيش فى القاهرة الى جوارى .. »

وعجيب أن يخطىء العقاد فى تفاصيل حياته هو ، فان السيد عبد اللطيف ليس شقيقه بل هو أخوه من أبيه ؛ واخته السيدة فاطمة العقاد لم تكن تعيش معه فى القاهرة بل ظلت تشاطر زوجها المعيشة فى أسوان كما ظلت بها حتى بعد ترملها منذ نحو عشرين عاما . وقصارى ما فى الأمر أنها كانت منذ خمس سنوات قد تعودت أن تحضر الى القاهرة فى ذروة الصيف للراحة والعلاج ، لا سيما وأن مرض القلب الذى كانت تعانى منه لا يتفق وحرارة اسوان صيفا ، ثم تعود الى أسوان فى الخريف أو فى مطلع الشتاء ؛ الا فى آخر سنوات عمرها (١٩٦٣) اذ بقيت فى القاهرة تحت وطأة المرض حتى رجعت مع أخيها الأستاذ الكبير فى رحلة الشتاء فى أوائل فبراير من ذلك العام ، وبعد أسبوع من وصولها الى أسوان لقيت ربها عليها منه الرحمة والغفران .

وليس الذين ذكروا فى النص هم وحدهم أشقاء العقاد ، ما دام النص لم يغفل الكلام عن اخته التى واراها التراب . فأشقاؤه بين أحياء وأموات عدا الأستاذ أحمد والمرحومة فاطمة هم الطاهر ، أكبر أبناء أمه ، وقد ولد ومات قبل ميلاد أخيه عباس ، ومصطفى وقد مات فى مطلع شبابه غرقا ، ويس وقد مات وهو دون الستين فى سنة ١٩٥٦ .

ولعل الأستاذ طاهر الطناحى يعرف تعليلا مفهوما ومعقولا لهذه الأخطاء التى لا يعقل أن تكون قد وردت على قلم العقاد .

واما كتاب « مع العقاد » فقد وقعت فيه اخطاء غير قليلة ، وان كان له شىء من العذر والتبرير فيها ، لأنها وردت هكذا فى مقال الآنسة سوفيا التونسى فى كتاب « العقاد : دراسة وتحية » .

فهو يقول ان عبقرية الصديق ظهرت فى سنة ١٩٥١ مع أنها ظهرت فى مايو ١٩٤٣ .

ويقول ان عبقرية الامام قد ظهرت فى سنة ١٩٤٩ ، بالرغم من أن العقاد يستشهد بنص منها فى كتابه « أبو الشهداء » الذى ظهر سنة ١٩٤٥ وذلك فى الصفحة الثامنة حيث يقول : « قلنا فى كتابنا عبقرية الامام ما فحواه أن الكفاح بين على ومعاوية لم يكن كفاحا بين رجلين ... الى آخر ما قال » .

والحقيقة أن عبقرية الامام قد ظهر فى آخر سنة ١٩٤٣ أو أول ١٩٤٤ .

وكأنما علق الدكتور أهميـــة خاصة على هــذه التواريخ فعاد فى الصفحة التاســعة والثمانين يقول « وآخــر من عنى برسم عبقريتـــه ممن أنجبتهم الأمة العربيـة فى صدر الاسلام أبو بكر الصديق » .

بينما كان كتابه عن الصديق ثالث الاسلاميات بعد محمد وعمر ، ثم قفاه بالامام .

ومع هــذا فلم يكن آخر ما كتب العقاد عن هؤلاء ، من مؤلفات سنة ١٩٥١ ، فقد ألف كتابه عن عثمان بن عفــان وعن معــاوية بن أبى سفيان وعن فاطمة الزهراء ،بعد سنة ١٩٥١ ، فليس الصديق آخر من كتب عنهم حتى لو كان قدكتب عنه فى سنة ١٩٥١ .

ويذكر المؤلف فى الصــفحة الرابعة والأربعين أن صحيفة الضياء التى أصدرها العقاد « لم تســتمر ســوى ثلاثة أيام » ؛ والذى أذكره أنه قد ظهر منها أحد عشر عددا .

ولا أختتم خطابى قبل أن أشـــير الى خطأ مطبعى صغير ، يخشى أن يستقر كأنه حقيقـــة واقعية وذلك اذ ذكر فى الصفحة الحادية عشرة ميلاد العقاد على زعم أنه كان فى ســـنة ١٨٩٨ وصحته ١٨٨٩ .

ورجائى من السيد رئيس التحرير أن ينشر هذه التصويبات احقاقا لحق ، وجلاء لغموض وخدمة للباحثين والدارسين فى المستقبل القريب والبعيد ولكم الشكر والمزيد والسلام .

احمد ابراهيم الشريف

تعليق المجلة : الأستاذ احمــد ابراهيم الشريف يمت بصلة القرابة الدانية للأستاذ المرحوم العقــاد .. فهو ابن خاله وهو أعلم بخصائص الفقيد .

* * *

وعن مقال « أبى هريرة » جاءتنا ردود عديدة ننتقى منها رسالة القارىء السيد الدســـوقى عباس .. التى يقول فيها :

ساءنى أن يحدث هذا الهرج حــول تاريخ الصحابى الجليل المشهور بأبى هريرة لا لشىء . غير عدة أحاديث مكذوبة نسبت اليه . أو اختلاف حول تاريخ اسلامه أو المكان الذى أسلم فيه . وكلها ليست من الاهمية . حتى تشرع لها الاقلام ويطعن البعض فى دين البعض الآخر .

فالمشكلة التى ثار الجدل من أجلها . ان لم تكن أحقادا شخصية بين الأستاذ محمد أبو زهرة . والأستاذ محمود أبو رية . فانها فى غاية البساطة حيث أن أبا هريرة . صحابى. لاكبقية الصحابة. فالكل يعرف منزلته وفضله . وزهده . وورعه . وقربه من رسول الله . عليه الصــلاة والسلام ولهذا السبب وحده . كذب أعداء الاسلام على رسول الله . ونسبت اليه الأحاديث . التى تحمل طابع الطعن الخفى للاسلام ورجاله ولتحظى هذه الأحاديث بالعناية لدى السذج من المســـلمين . نسبت الى أبى هريرة ليكون شفيعا فى قبولها . وهذا شىء ظاهر لا يخفى على أحد .

وعلى هذا فانى مع الأستاذ أبى رية فى رأيه من ضرورة تطهير السنة من الأحاديث الخرافيـــة الموضوعة كالتى ذكرها الأستاذ فى المجلة والتى تنسب الى أبى هريرة زورا وبهتانا . فالذى يعرف لأبى هريرة قدره ينكر بشدة ، أن يحكى حديثا . ويزعم سماعه من الرسول . وهو يعرف جيدا قول الرسول ، من كذب على متعمــــدا ، فليتبوأ مقعده من النار . أو يروى حديثا يخالف الثابت نصا فى القرآن . كحديث خلق البشرية يوم السبت . وغيره كثير .

وخلاصة ما أريده أن كل حديث يخــــالف نصا ، ويدعى أن راويه أبو هريرة فهو حديث مكذوب يجب التخلص منه .

ولعلمى بكثرة ما سيصل اليـــكم من ردود أنتفى بان أقول :

ليس من حق الشيخ أبى زهرة اذا تعرض لتقريظ كتاب . أن يتغــاضى عن سيئاته بل يعالجها بالتى هى أحسن . وبذلك يســـتفيد الكاتب والقارىء على السواء . وان كان المؤلف ولده وتلميذه . فالحقيقة لا محاباة فيها .

كما أن موقف الأستاذ أبى رية من الأستاذ عجاج . موقف سلبى لدرجة غريبة ولا أدرى لهذا سببا .

فليس بعيب على مؤلف أن يحمل كتـــابه شهورا أو سنين يدور به على العلماء ليستعين بهم على اخراجه .

كما أنه ليس بعيب أيضا على كاتب أن يخطىء. فكل انسان خطاء .

ومن ذا الــذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعـد معايبـه

بل العيب كل العيب أن نتلمس أخطـاء وعثرات الناس فنرفع لها الاقلام ونتغـاضى عن حسناتهم .

من الانســان أن ينسى عيوبه
ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

واذا كان من الضرورى ذكر السيىء . فلابد من ذكر الحسن قبله خصوصا وقد قال الأستاذ عجاج فى نهاية مقدمته :

وختاما ارجو من كل من يطالع الكتاب فيجد ما يحتاج الى تعديل أو تبديل أن يفيدنى بما عنده. والله الموفق للصواب .

كان بجوارى وأنا أكتب هذه الرسالة اليكم لفيف من الأصدقاء . فاتهم العـدد الأول من المجلة . ويرجون من سيادتكم اعادة اصـداره فمجهودكم فى هذه المجلة بحق يستحق الحفظ والاعتزاز .

ولان الجميع يعرفون قدر رئيس تحريرها .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفى نفس الموضوع يقول القارىء عبد المنعم ابراهيم ....

كان لحرص المجلة على توضيح الحقائق وعلى مكانة الصحابى الجليل « أبو هريرة » أثر كبير فى نفسى لذلك كتبت هذا التعليق مساهمة منى فى اظهار الحق وايضاحه .

ان أبا هريرة فقيه مجتهـد حافظ – نال شرف ملازمتـه لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم منذ فتح خيبر الى أن اختار الرسـول الكريم الرفيق الأعلى وتستغرق هـذه الفترة المباركة زهاء أربع سـنين وعلى الرغم من قصر هذه الفترة فقد لازم فيها أبا هريرة الخير والبركة والتوفيق يقول أبو هريرة فى ذلك (قدمت والله ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين – وأقمت معه حتى توفى أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأغزو وأحج معـه وأصلى خلفه فكنت والله أعلم الناس بحديثه) .

هذا هو أبو هريرة الذى صبر على الجـوع وشدة الحاجة ويندمج فى سلك أهل الصفة .

هذا هو أبو هريرة الذى يبكى على والدتـه المشركة فقد كان يدعوها الى الاسلام وهى تمانعه وتابى عليه فذهب الى رسول الله يبكى وطلب منه أن يدعو الله لها فقال الرسول « اللهم اهد أم أبى هريرة» فيخرج أبو هريرة سريعا والفرح يملأ قلبه لأن الرسول دعا لأمـه بالهـداية وهاهى ستدخل الاسلام .. وتصبح من أتباعه فيذهب الى البيت فيجد بابه مغلقا فينادى على والدته لكنه يسمع خضخضة الماء فقالت له كما أنت ثم فتحت وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقـالت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمد عبده ورسوله فرجع أبو هريرة الى النبى والفرح والبشرى على وجهه .

هذا هو أبو هريرة الذى دعا لنفسه فى حضرة الرسول يوما : اللهم انى أسألك علما لا ينسى واذا الرسول يقول : آمين

هـذا هو أبـو هريرة الحـريص على أحاديث رسول الله يستحق بجدارة أن يقـول الرسول فيه (أبو هريرة وعاء من العلم) .

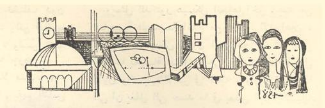
هذا هو أبو هريرة يقول فيه كعب بعـد اذ يحدثه ويسأله ما رأيت احدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة .

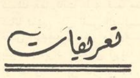
هذا هو أبو هريرة الذى يتادب ابن عبـاس معه فيقول له : « أفت يا أبا هريرة » .

لقد طلب منه عمر بن الخطاب أن يوليه بعد ولاية البحرين فيقول له الرجل : أخشى أن أقول بغير علم وأقضى بغير حلم وأن يضرب ظهرى وينزع مالى ويشتم عرضى .

لماذا رفض أبو هريرة الولاية .. لقـد كان الرد شافيا لهؤلاء الذين يزعمون أنه يقول بغير حق .. لنسمع قوله .. أخشى أن أقول بغير علم.. فهل يكفى كل هذا .. من يزعم ويقول غير الحق فى هذا الرجل راوية الاسلام بحق – ماذا بعـد شهادة الرسول له بانه وعاء من العلم .. ماذا بعد هذا .. اليس فى كل ما عرضته ما يكفى لدحض كل من يقول فيه غير الحق .

والمجلة اذ تشكر قراءها على متابعتهم قراءتها.. الا أن طلب اعادة نشر العدد الأول منهـا .. من الاستحالة تحقيقه فنيا .. وفى الامكان الحصول على هذا العدد من المكتبة القومية المبين عنوانها على الغلاف .





رواد الصحافة في الولايات المتحدة

تأليف : جيرارد بريفين مير .

تقديم ودراسة : ماهر نسيم .

ترجمة : أحمد أبو كف .

دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ١٥٩ صفحة . ث ٣٠ قرشا

تنفرد الصحافة فى الولايات المتحدة بخصائص عديدة ، تميزها عن الصحافة التى نشأت فى بلدان أوربية أخرى وفى مناطق متفرقة من العالم ، فهى قد بدأت مبكرة بالنسبة للبلاد الجديدة والأقطار الناشئة ، كما أنها بدأت مبكرة أيضا بالنسبة للصحافة فى أنحاء العالم كافة . فالبذور الأولى لها بدأت فى أخريات القرن السابع عشر ، وقبل الاستقلال بوقت طويل ، وذلك بفضل نفر من الرواد الذين طالما غامروا بأنفسهم فى مجال جديد غير مأمون العواقب ، ولم يحفلوا بما كان قائما من قوانين تحد من حرية النشر فى عهد الملكية البريطانية القوية ، وقبل الحريات التى ظهرت فيما بعد . ولم يحفلوا أيضا بالصعوبات التى تعترض كل عمل جديد ، خاصة وان اغلب هؤلاء الرواد لم يكونوا فى حالة مالية ميسورة وفى اطمئنان معيشى متوفر .

وهذا الكتاب يعطينا فكرة واسعة عن هؤلاء الرواد الذين ابتكروا الصحافة الأمريكية ، فحياتهم وسيرتهم هى حياة هذه الصحافة وسيرتها . وقد تناول المؤلف هذه الفترة المبكرة من تاريخ الصحافة الأمريكية والتى تتراوح بين السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر والسنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، اى فترة لا تتعدى ربع قرن من الزمان .

ويمتاز الكتاب بأنه الأول فى موضوعه باللغة العربية ، كما أنه عرض لنا عرضا طيبا لتاريخ الصحافة الأمريكية فى عصر نشأتها ، وذلك فى أسلوب سهل ميسر ، وبصورة مشوقة جذابة . هذا الى أن الأستاذ المقدم كتب دراسة جيدة عن المسئوليات الخاصة برئيس التحرير وسكرتير التحرير والمحررين ، وكل من له اتصال بالعمل الصحفى ؛ ومع أن هذه المقدمة لم يكن لها مجال فى كتاب يسرد لحياة الرواد الأول فى تاريخ الصحافة الأمريكية ، الا انها احاطت بموضوعها من جوانب عديدة ، قلما تتوفر لبعض من كتب فى نفس الموضوع .

والشىء الوحيد الذى قد يؤخذ على الأستاذ المقدم أنه أغفل فى حديثه عن رواد الصحافة العربية ذكر بعض الرواد الذين نعتز بهم ونعرف قدرهم وفضلهم ، كما أنه فى ترتيبه لهؤلاء الرواد حسب عصور الصحافة العربية ، جعل نفرا مثل أحمد حسن الزيات وفكرى أباظة ومحمد التابعى على أنهم من الرواد المحدثين مع أن عهدهم بالصحافة يرجع الى اربعين او خمسين عاما .

وأخيرا .. فان الحديث عن تاريخ الصحافة الأمريكية وعن رجال مثل بن هاريس وجون كامبل حديث مهم ، لأننا بدراسة الماضى نستطيع أن نتعرف طريقنا الى المستقبل . وفى هذا

يقول المؤلف «ان الجرائد اليوم تختلف دون شك عما كانت عليه فيما مضى ، ولكن أعظمها شانا تمضي على نفس التقاليد ، وتسير نحو نفس الهدف . وهو ما وصفه جون كامبل بقوله (ايراد الحقائق ايرادا أصيلا صادقا) ، أو كما وصفه بن هاريس ... (أن يفهم الناس في كل مكان ظروف الأحداث العامة في داخل البلاد وخارجها على السواء) .. » .

الصديق أبو بكر

تأليف : محمد حسين هيكل

النهضة المصرية ٣٨١ صفحة ١٧ × ٢٤ سم ث ٥٠ قرشا

الدكتور محمد حسين هيكل غني عن التعريف فهو واحد من رواد الحركة الأدبية المعاصرة ، وبخاصة في ميادين القصة والصحافة والتاريخ ، الى جانب ما كان يكتبه بين حين وآخر من مقالات السياسة والاجتماع والوطنية ، تحتل مكانة عظيمة من تراث هذا الكبير الراحل . .

وهذا الكتاب أحد الآثار الجليلة للدكتور هيكل ، وهو يعد حلقة في سلسلة الدراسات التي قام بها عن عظماء الاسلام في صدره الأول ، والتي قدر له عن طريقها أن يضفي أضواء جديدة على حياة هؤلاء العظماء .

وكثير من الكتاب المعاصرين كان لهم نصيب كبير في توضيح الصورة العامة للصحابة الأولين ، نخص بالذكر منهم العقاد في عبقرياته وسيره التاريخية ، وطه حسين في كتبه عن « الشيخين » و « الفتنة الكبرى » وغيرهما . والسمة الظاهرة في عبقريات العقاد أنه يتناول بالتحليل والمناقشة الملامح المميزة للشخصيات التي يكتب عنها ، ويعقد لنا دراسة نفسانية لهم ، ويستخدم الصورة العامة لهذا العصر في ابراز الصورة الخاصة للبطل . أما طه حسين فالسمة الظاهرة من كتاباته الامتاع الأدبي أكثر من التدوين التاريخي أو الوصف الداخلي لهذه الشخصيات .

ويمثل الدكتور هيكل اتجاها آخر ، يعد من الناحية الزمنية أقدم من هذين الاتجاهين ، فالعرض التاريخي وبيان الظروف المختلفة التي أحاطت بحياة البطل ، هي عند المؤلف العامل الأول والسبب الأخير في كتابه ، وان أداه هذا الى أن يغفل الى حد ما في بعض أجزاء كتابه الحديث عن الشخصية التي يؤرخ لها ، وهي شخصية أبي بكر الصديق ، من أجل الحديث عن عمل كبير قام به قائد مثل خالد بن الوليد في عصر هذا الخليفة .

وتتجلى الروح التاريخية أيضا عند المؤلف في أنه كان يعرض للروايات المختلفة عن واقعة بعينها ، ويرجح أيها أقوى منطقا واقرب الى الواقع الملموس . وهو لا يقتصر في بحثه على الرجوع الى المستشرقين والى المؤرخين المحدثين من العرب ، حتى تتبين لديه الحقائق المطلوبة .

وهذا الكتاب يتناول حياة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبو بكر أيضا غني عن التعريف ، ويكفينا أن نذكر انه صاحب رسول الله وخليله ، وثاني اثنين اذ هما في الغار . وقد قدر له أن يتولى أمور المسلمين بعد نبيهم في ظروف تفت من عضد أعظم الرجال وأصلبهم عودا وأشدهم صبرا وأقواهم عزيمة ، فقد انتقضت العرب وارتدت كثرتهم ، وأحدقت بالمدينة من كل جانب . وكان بوسع أبي بكر أن يتوصل مع هؤلاء الأغراب الى حلول ترضيهم ، وتحمي المدينة من شرهم ، لولا أنه كان شديدا في الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، لو منعوه عقالا لجاهدهم عليه ، وصبر حتى يأخذه منهم .

وبفضل جماعة من القواد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، استطاع ابو بكر أن يقمع الفتنة ، وأن يرد كيد المرتدين الى نحورهم . وكان ذلك ايذانا بالبدء في حركة الفتوحات التي لم تنته الا بعد أن استظلت بالخلافة الاسلامية تلك البقعة الواسعة الممتدة من الجبال العالية في شمال اسبانية حتى تخوم الصين .

والعمل العظيم الثالث الذي قام به أبو بكر

فى عهد خلافته هو جمع القرآن ، حين عهد بذلك الى زيد بن ثابت كاتب الوحى ، بعد ما جرى من مقتل القراء ، وعـــدد كبير من المهاجرين والأنصار فى حروب الردة وخاصـــة فى حرب اليمامة .

يقول المؤلف « ولو أن أبا بكر وقف من خلافته عند القضاء على الردة ، لشهد الناس جميعا له بعظمة ما قام به وبجـلاله ولو أنه لم يصنع أكثر من أن وضع القواعـد للامبراطورية الاسلامية ، لاقروا كلهم له بالعظمـــة وخلود الذكر على صفحات الدهر ، فاذا حفل عهده بهذين الأمرين البالغين كل هذا الجلال وكل هذه العظمة ، ثم كان فيه جمع القرآن ، وهو ابقى منهما جميعا وأعظم ، فذلك الخلد الذى لا خلد بعـــده ، والرضـــا من الله لا يؤتاه الا الصديقون الذين سما ايمانهم فيسر الله لهم كل عظيم وهيـأ لهم من أمرهم رشدا » .

والكتاب مجهود كبير ، يحتـل مكانا بارزا فى حيـاتنا الأدبيـة المعاصرة ، بيـد أننا كنا نود معلومات أوفى عن حياة أبى بكر الأولى ، وصحبته لرسـول الله ، نظرا لأهميتها بالنسـبة لعصر رسول الله ، ولترشيحه لتولى الأمر من بعده . واما قول المؤلف « واليـــه ــ يعنى أبا بكر ــ ينتسب عشرات الألوف ومئاتهـا من المسـلمين المنتشرين فى أنحاء العـالم » ، فمن الغريب أن يكون لأبى بكر كل هذا العدد من الذرية فى نحو أربعـــة عشر قرنا . وكذلك أن ينسب زيد ابن حارثة مولى رسول الله ومتبناه الى العجم ، مع أنه عربى الأرومـــة من بنى كلب . وهرقل حاكم أفريقية غير هرقل الامبراطور المعروف ، وهما عند المؤلف شخص واحد ، والحقيقة أن الأول كان والدا للثانى . والشـــائع فى الكتب العربية أن يقال عمرو بن معد يكرب وليس عمرو ابن معدىكرب ، وقد يكون المؤلف قد أتى بالاسم على هذه الصورة الأخيرة بعد تحقيق ودراسة منـــه .

أسس الخدمة الاجتماعية

تأليف اليزابيث نيكولز ، ترجمـــة أحمـــد عبـــد الرحمن حمودة ، الناشر دار المعرفة ، ٢٧٥ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

يبدو من عنوان هـذا الكتاب أنه قد اختص بمجال انسانى هـــدفه تقديم العون .. بكافة أنواعه .. لكل من يحتاج اليه من ابناء المجتمع تبعا لطبيعة احتياجاته . فمن اين يقـــدم هذا العون ؟ .. قد يتبـــادر الى الذهن أن الدولة وحدها هى المورد الأول والأخـير لتـأدية هذه الخدمات الاجتماعية .. الا أن الكتاب يبين أن تقديم مثل هذه الأنواع من العون أو الخدمات فى الامكان أن يؤديهـــا كل من له صلة فى عمله بالجماهـير .. مثل المعـلم والطبيب والواعظ والأخصائى الاجتماعى . ويقتضينا هذا أن ندرك كل نوع على حدة .. فليس بلازم أن يكون عونا ماديا .. اذ قد يتمثل فى مشـــاركة وجدانية للوصول الى حل لمشـكلة ، وقد يتمثل فى القيام بمجهودات ايجابيــة لتخطى عقبة ، وقد يكون متمثلا فى مساعدات عينيـــة تطمئن النفس وتؤمن العيش .

فكيف نعرف ونتأكد من حقيقة الحال الذى يعانيـــه العميل أو صاحب الحاجة ؟ .. كيف نشخص اجتماعيا حال رجل أو امراة .. كهلا كان أم شـــابا .. طفلا كان أم مراهقا ؟ يجيب الكتاب عن كل هذه النواحى .. فيتتبع مراحل

البحث الاجتماعى فى عرض مبسط ، ويبــدأ الظروف التى يحتــاج الناس فيها الى تقديم العون .. مثل فقدان العائل بالموت أو بالمرض أو بالانفصال الزوجى أو بالهجرة أو بارتكاب الجريمـة ، ويتتبع حالات الانحـراف والجنون أو ما شابه ذلك من مسلك غير سوى . ثم يفرد الكتاب فصلا لخطوات تقديم العون .. كالتحقق من الموقف الخارجى للعميل أى من الأوســاط المحيطة به ، ثم سبر غوره لتتبع نظرته لمشكلته ، وعما اذا كان قد اتخــذ أية خطوة كى يساعد نفســه ، وماذا يأمل من محاولته اتخاذ خطوات أخرى فى هــذا السبيل ، ثم معرفة نقاط القوة والضعف داخل نفسه كى يتم على هــدى ذلك تخطيط العلاج .. ومن ثم يصبح على الباحث أن يدقق الملاحظة فى أقوال صاحب المشكلة ، وطريقة كلامه فى ظروف متنوعة .. حتى لا يكون البحث مشوبا بلحظة التوتر التى يعانيهــا الشخص موضوع البحث .. ولهــذا يقتضى الأمر اجراء مقابلات متعــددة بين الطرفين ـ الباحث والقائم بصدده البحث .

ولقد أفرد الكتاب فصلا آخر للكلام عن طرق هذه المقابلات .. منها الفردية المهياة .. اى التى يشعر فيهـا العميل بالغرض من المقابلة ، ومنها ما يتم فى حضرة ضيوف آخرين غرباء أو اقارب . كما لو كانت مقابلة عارضة .. ولكن بشرط توافر الراحة الذهنية والطمأنينة للعميل فى أسرع وقت ممكن . أما كيف تتوافر هذه الطمأنينة فيرجعها الكتاب الى صــفات أساسية لا بد أن يتزود بها الباحث مثل انخفاض الصوت وهدوئه ، ومثل الابطاء فى الكلام .. فعليه ألا يحاول اكمال الجمل التى يجيب بها العميل ، وألا يبدو منه أى أثر للضجر أو نفاذ الصبر .. حتى اذا ما طال وقت المقابلة عن الحد الذى لا يرجى من بعده فائدة .. فعليــه أن ينهيها فى ذوق وأدب ، مع تحديد ما سوف يتخــذه معه فى مقابلة قادمة وما على العميل أن يحضره معه .. وهكذا يستمر الكتاب فى تفصيل دقائق هــذه المقــابلات الجانبيــة والتشخيصية للوصول الى علاج ناجع ، ثم يتتبع نتائجها لدى كافة المستويات المتفاوتة فى الأعمار أو المهن ، أو المختلفــة فى درجات الاستجابة الذهنية والاجتماعية .

ويتضح من هذا كله أنه كتاب يلائم المتخصص والقارىء العادى على السواء لبساطة عرضــه وحيوية موضوعه .

التعاونية فى الإسلام

تأليف : على محمد على .

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر (من الشرق والغرب) ١٠٧ صفحة ث ١٥ قرشا

ليس التعـاون كما نعرفه الآن وليد الظروف التى نعيشها فحسب ، وانما هو تطور هذا التعاون الذى نراه فى كتاب الله الكريم وفى ســنة نبيه وسيرته والحديث المروى عنه . وهذا الكتاب يضفى أضواء جــديدة على دراســة الحركة التعاونية العربية مع بيان الصلة المشتركة التى تربطها بالتعاون كما هو موجود فى الاسلام .

وقد اتجه المؤلف فى كتابه الى عقد مقارنات بين مبادىء الاسلام المعروفة وبين مبادىء التعاون المعاصرة ، واستطاع بما لا يدع مجالا للشك أن يبين أن التعـاون الحـديث لا يختلف عن تلك المبادىء القـديمة بل هو تطور لهــا فى ثوب جديد .

كما لم يغفل المؤلف الحديث عن تاريخ الحركة التعاونية فى أوربا ، منذ الانقلاب الصناعى الذى

جرى فى أخريات القرن الثامن عشر ، وبعد أن تكدست الأموال لدى أصحاب العمل ، فازدادوا غنى ، وازداد العمال فى مصانعهم فقرا .

ويشرح الكتاب أيضا تطور الحركة التعاونية فى الجمهورية العربية المتحدة ، مع مطالع القرن العشرين ، وبعد الجهود الطيبة التى قام بها جماعة من الرواد ، مثل عمر لطفى الذي تتلمذ على رواد التعاون فى ايطاليا . كما تحدث أيضا عن الجهود المستمرة التى قامت بها حكومة الثورة فى هذا الصدد .

السلام العالمى فى العصر الذرى

تأليف : الكسندر هادو وبرتراند رسل ولورد بفردج وهنرى اسبرن .

ترجمة ومراجعة : دكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن وعثمان نويه .

الناشر : دار النشر المتحدة بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ــ ٢١٧ صفحة . ث ٢١ قرشا

يمر العالم الآن بمرحلة حرجة من تاريخه ، ذلك ان التوتر الدولى الذى يؤدى الى احتمالات حرب ذرية مدمرة يلوح بين حين وآخر ، على الرغم من نشوب حرب عالمية ، فتكت بعشرات الملايين من البشر ، والتى لا يزال من ضحاياها من يعيشون بيننا ، ويعانون من آثارها .

وهذا الكتاب قام بتأليفه أربعة من كبار العلماء فى ميادين الطب والفلسفة والاقتصاد والسياسة ، وقد عرضوا لهذا لموضوع السلام ، وحماية العالم من أخطار حرب ذرية من وجهات نظر متعددة . ولكن هذه الآراء تجتمع كلها فى وسيلتين .

الأولى : وهى العمل على منع انتاج الأسلحة النووية ، والتخلص من المخزون منها ، والاتفاق فى هذا الشأن بين الدول الكبرى من أعضاء النادى الذرى . والوسيلة الأخرى : وهى العمل على انشاء حكومة عالمية ، والارتفاع بها عن مستوى القوميات التى قد تؤدى الى نزعات عدوانية متطرفة .

والحديث عن الوسيلة الأولى ، حديث قديم ، ويكفينا منه أن نذكر المؤتمر العالمى الذى انعقد فى جنيف أكثر من مرة ، من أجل استخدام الذرة فى اغراض السلام ، والبعد بها عن أخطار الحرب . أما الوسيلة الأخرى ، فمع أنها قديمة أيضا الا أنه كثر الحديث عنها فى السنوات الأخيرة ، وكان من جملة من كتبوا فى هذا الموضوع الكاتب الأنسانى الكبير هـ . ج . ويلز فيقول « ان الطريق الوحيد لتنظيم سلم عالمى انما يكون عن طريق هذا الاتحاد الفدرالى ، والطريق الوحيد للوصول الى هذا الاتحاد الفدرالى مائل بوضوح أمام بصر بنى الانسان » .

ويلوح من الكتاب شيء آخر ، وهو أهمية الدور الذى من المكن أن تقوم به دول الحياد والدول غير المنحازة ، من أجل تخفيف حدة التوتر الدولى ، وكى تقف قوة مانعة لمنع نشوب حرب عالمية ثالثة .

والكتاب به نزعة انسانية مثالية عالية ، تصطدم بالواقع المادى الذى نعيش فيه ، فالظاهر من الكتاب أنه من الممكن تجنب الحرب وأن يعيش الانسان فى حالة من الود والتفاهم والسلام ، ونحن نأمل أن يتحقق هذا وعالم تتأرجح فيه قوى الخير وقوى الشر ، الى جانب أن الحرب ظاهرة ذات جذور عميقة ، وتاريخها موغل فى القدم فقد عرفها الناس منذ عرفوا هذه الدنيا . كما أن نفس هذه النزعة المثالية تبدو فى أنه من الممكن اقامة حكومة عالمية ، تستطيع ان تحكم العالم بميزان العدل ، وهم يسلمون بانه لن يستطاع القضاء على الروح القومى عند أية أمة من الأمم ، ولكنهم يحاولون التوفيق بين الأمانى القومية والأمانى العالمية ، وترجيح الأخيرة على الأولى بقدر الأمكان .



● **لماذا الاشتراكية العربية**

تاليف لمعى المطيعى ، الناشر دار المعارف « سلسلة اقرأ » ، عدد الصفحات ٩٤ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٣ قروش

● **محمد فى التوراة والانجيل والقرآن**

تاليف ابراهيم خليل أحمد ، الناشر مكتبة الوعى العربى ، عدد الصفحات ١٦٢ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٢٠ قرشا

● **طبقات الشافعية الكبرى**

تاليف تاج الدين السبكى ، تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه عدد الصفحات ٣٦٠ ص ١٧×٢٤ سم

● **أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة**

تاليف الدكتور أحمد مكى الأنصارى ، الناشر دار المعارف عدد الصفحات ٦٧٠ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ١٥٠ قرشا

● **فى صحبة العقاد**

تاليف محمد طاهر الجبلاوى ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٢١ ص ١٤×٢٠ سم

● **الشعر بين الجمود والتطور**

تاليف العوضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة «المكتبة الثقافية»، عدد الصفحات ١٢١ ص ١٤×٢٠ سم الثمن قرشان

● **مى .. أديبة الشرق والعروبة**

تاليف محمد عبد الغنى حسن، الناشر مكتبة عالم الكتب، عدد الصفحات ٣٣٢ ص ١٤×٢٠سم الثمن ٤٥ قرشا

● **النشاط المدرسى فى المرحلة الثانوية**

تأليف ادجار جونستون ورولاندفاونس ، ترجمة الدكتور محمد على العريان ومراجعة محمد السيد روحة، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار القلم ، عدد الصفحات ٤٥٨ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٦٠ قرشا

● **حصاد الفكر**

تاليف روبرت كازنس ، ترجمة الدكتورة منيرة حلمى والدكتور محمد على العريان ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط ، عدد الصفحات ٢٩٨ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٢٠ قرشا

● **التحول العظيم**

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، عدد الصفحات ٩٤ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٣ قروش

● **فن التخطيط الثقافى**

تاليف لمعى المطيعى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر عدد الصفحات ٩٣ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٧ قروش

● **اضواء على الاتحاد الاشتراكى العربى**

تاليف عبد الواحد حافظ الوكيل ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، عدد الصفحات ١٣٠ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٥ قروش

● **لهب وامواج**

تاليف شريفة فتحى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٧١ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ١٠ قروش

● **المثنى بن حارثة الشيبانى**

تاليف عقيد محمد فرج ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٩٨ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٥ قروش

● **كيف تبنى حياتك الزوجية**

تاليف ايفيلين دوفال ، ترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مؤسسة الخانجى ، عدد الصفحات ٧٢ص ١٣×١٧سم الثمن ٦قروش

● **فترة التوافق**

تاليف تنيسى وليامز ، ترجمة فاروق عبد القادر ، مراجعة الدكتور عبد الغنى عبد الله ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة « سلسلة روائع المسرح العالمى »، عدد الصفحات ٢٦٧ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٥ قروش

● **الترويح فن وريادة**

تاليف هـ٠ دان كورين ، ترجمة سعيد حشمت ، مراجعة الدكتور حلمى ابراهيم ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٥٧٥ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٩٣ قرشا

● **ممارسة الثقب وتشغيل السطوح**

تاليف فريد هـ٠ كولفن وآخر ، ترجمة الدكتور صلاح الدين محمد المهدى ومراجعة الدكتور كامل اسكندر ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، عدد الصفحات ٦٨٣ ص ١٧×٢٤سم الثمن ١١٤ قرشا

● **الدين والحضارة الانسانية**

تاليف الدكتور محمد البهى ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٣١٣ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ١٢ قرشا

● **ابتسامات ودموع وظلمات وأشعة**

تاليف الآنسة مىّ ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٢٥٧ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ١٠ قروش

● **نوابغ النساء**

تاليف صوفى عبد الله والدكتور نظمى لوقا ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٢٠٤ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ١٠ قروش

● **أهوال فى الطريق الى القطب الشمالى**

تاليف سيد المغربى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **التربية الاسلامية**

تاليف محمد عطية الابراشى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٨٦ ص ١٧×٢٤ سم ١٧×٢٤ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **العمارة فى صدر الاسلام**

تاليف الدكتور كمال الدين سامح ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٧٩ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ١٧ قرشا

● **عيون الأخبار**

تاليف أبو محمد عبد الله قتيبة الدينورى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة «سلسلة تراثنا ٠٠ المجلدان الثانى والثالث» عدد الصفحات ٦٧٧ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٤٠ قرشا

● **اعجاز القرآن**

تاليف عبد الكريم الخطيب ، الناشر دار الفكر العربى « جزءان » ، عدد الصفحات ٨٦٤ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ١١٠ قرشا

● **الانسان روح لاجسد**

تاليف الدكتور رءوف عبيـد ، النـاشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٦٤٩ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ١٣٥ قرشا

● **الأمن العام .. فلسفته وخطته**

تاليف لواء الصادق حلاوة ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٣٨ ص ١٧×٢٤سم

● **الفقه الاسلامى الميسر**

تاليف عبد الحليم محمود موسى ، النـاشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٨٢ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **حصاد الحب**

تاليف اميل زولا ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ١٦٨ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٨ قروش

● **الرهان العجيب**

تاليف جول ڤيرن ، الناشر دار الهـلال ، عدد الصفحات ١٨٥ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٨ قروش

● **الجاسوسة الحسناء**

تاليف مونيك سان سرڤان، الناشر دار الهلال، عدد الصفحات ١٤٦ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٨ قروش

● **امرأتان**

تاليف البرتو موراڤيا ، ترجمة حسـين القبانى ، الناشر الدار القوميـة للطبـاعة والنشر، عدد الصفحات ١٠٨ ص ١٤×٢٠سم الثمن ٣ قروش

● **ساحرة الفضاء**

تاليف بن بارزمان ، ترجمة رائد حسن محمد احمد ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، عدد الصفحات ١٩٢ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٣ قروش

● **المتهم**

تاليف چيمس رونالد ، ترجمة محمد كامل حسن، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، عدد الصفحات ١١١ ص ١٤×٢٠ سم الثمن ٣ قروش

● **بزوغ العقل البشرى**

تاليف نورمان بريل ، ترجمة اسماعيـل حقى ، الناشر مكتبة نهضة مصر مع مؤسسة فرانكلين ، عـدد الصـفحات ٣٣٩ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٤٠ قرشا

● **رسوم دار الخلافة**

تاليف أبوالحسين هلال بن المحسن الصابىء، تحقيق ميخائيل عواد ، الناشر مطبعة العانى « بغداد » ، عـدد الصـفحات ٢٠٦ ص ١٧×٢٤ سم

● **هندسة كهرباء السيارة**

تاليف رزق باسيلى ، الناشر مكتبة نهضـة مصر ، عدد الصفحات ١٩٠ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٣٥ قرشا

● **دور الثقافة فى اعداد المديرين**

تاليف روبرت جولدوين وتشارلز نلسون ، ترجمة ابراهيم على البرلسى ، مراجعة دكتور محمد توفيق رمزى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، عدد الصفحات ٢٥٢ ص ١٤×٢٠سم الثمن ٢٧ قرشا

مجلة الكتاب العربي

العـدد السـادس
١٠ نوفـمبر ١٩٦٤
٦ رجـب ١٣٨٤

في هذا العـدد

رئيس التحرير : على أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفى
سكرتير التحرير : جمال بدران

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون : ٩١٠٣٧٧ / ٩١٠٤٢٠

حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب

تأليف أحمد أبو الخضر منسي

بقلم: رئيس التحرير

الناشر – مكتبة دار العروبة

٦٧ ص ١٤×٢٠ سم ثمن ١٠ قروش

فى أواخر القرن الماضى أخرج العلامة اللغوى طيب الذكر الشيخ ابراهيم اليازجى مجلة الضياء وكان مما عنى به فى مجلته تلك البحوث المتتالية التى جعل عنوانها « لغة الجرائد » وقال فى مطلعها « أصبحت الجرائد بحيث تصدر الألوف منها كل يوم وتوزع بين أيدى القراء فيتناول كل كاتب منها على حسب وسعه واستعداده ، وليس من ينكر أن ذلك كان سببا فى انتشار صناعة القلم عندنا وتدريب الكتاب على أساليب الانشاء واقتباسهم صور التراكيب المختلفة واحياء كثير من اللهجة الفصحى حتى بين عامة الكتاب مما آذن بانتعاش اللغة من كبوتها واحياء الآمال فى عودها الى قديم رونقها ، بل اذا تفقدت الجرائد نفسها وجدتها قد انتقلت الى طور جديد من الفصاحة وجزالة التعبير كما تبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم وما كانت عليه عامة الجرائد منذ نحو عشر سنوات أو دونها ، والفضل فى ذلك ولاشك عائد الى هذه الكثرة نفسها بما نشأ عنها من المباراة بين الأقلام وازدحام القرائح فى حلبات السبق ، فضلا عما تهيأ لها من انتشار أسلوب الفصاحة ورسوخ ملكة الانشاء ، بيد أننا مع ذلك كله لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظا قد شذت عن منقول اللغة فانزلت فى غير منازلها أو استعملت فى غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلا عما يترتب على ذلك من انتشار الوهم والخطأ ولاسيما اذا وقع فى كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير ».

وبعد هذا التمهيد الذى ذكرنا للقارىء جزءا منه مضى العلامة اليازجى فى تصحيح كثير من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية التى تورط فيها كتاب عصره ، وقد خالف اليازجى فيما ذهب اليه من تصويبات بعض كبار علماء اللغة ، ولكن ما كتبه فى هذا الصدد لايزال مع ذلك جديرا بالنظر والمراجعة والاستفادة منه .

وقد سار فى آثاره الأستاذ أسعد خليل داغر فى كتابه « تذكرة الكاتب » وذكر فى كتابه الكثير مما عثر عليه فى مطالعاته من الكلمات التى يخطىء بعض الكتاب فى استعمالها .

وقد ظهر فى دمشق سنة ١٩٣٩ كتاب فى هذا الموضوع جليل القدر عظيم الفائدة ، وهو كتاب « أخطاؤنا فى الصحف والدواوين » لمؤلفه العالم الفاضل الأستاذ صلاح الدين سعدى الزعبلاوى ، وهو من خير ما ألف فى تبصير الكتاب بكثير من الأخطاء التى تعرض لهم وتصويبها .

وقد رأى الكاتب المعروف الأستاذ أحمد أبو الخضر منسى أن يسهم فى ذلك فضمن كتابه بعض الأغلاط الجارية على أقلام الكتاب ، وقال فى مقدمة كتابه « وقد رأينا على قصر باعنا وضآلة معلومنا أن ندلى فى أشباه ذلك دلونا ، فقد جد من الأمر مالم يكن فى زمان الامام اليازجى ، وتلقاه يتردد على أقلام كتابنا ، اما جهلا واما سهوا ، وقد قيدنا واردها وشاردها ، فميزناه شطرين ، منها ماهو خطأ لاريب فيه ، ومنها ما ذكره بعض النقاد على أنه خطأ وليس بخطأ ، فالى هاتين الشعبتين نشير وفى الغرضين نجيل مع الجائلين » .

ومن الأخطاء الذائعة التى أشار اليها الأستاذ أبو الخضر قولهم « تعرفت بفلان » يريدون بها أنهم صاروا من شخصه على علم وصلة ، والواقع أن هذه الصلة لا تتحقق بتعدية الفعل بالباء لأنك اذا قلت « تعرفت بزيد » فمعنى قولك انك سميت بهذا الاسم وعرفت به بين الناس ، اما معرفة الناس والصلة بهم فيقتضيان تعدية الفعل بالى فنقول « تعرفت الى فلان » .

ويرى الأستاذ الزعبلاوى أن الذى جر الكتاب الى هذا الاستعمال الترجمة الحرفية لفعل التعارف فى اللغة الفرنسية .

وأشار كذلك الى استعمال « قفل كذا » والخطأ هنا استعمال القفل بمعنى الاقفال ، والاغلاق بخلاف الفتح الذى يقصدون لا يجىء من الثلاثى « قفل » وانما يجىء من الثلاثى المزيد بالهمزة أى « أقفل » فنقول «أقفلت الباب» وهذا باب مقفل ، وقد أشار الى هذا الخطأ الأستاذ أسعد داغر فى تذكرة الكاتب .

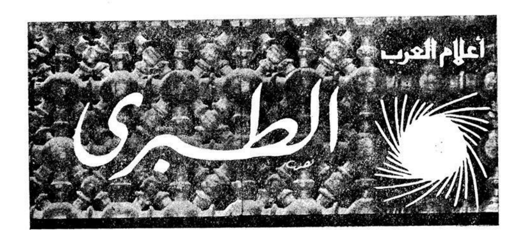
ولايقر الأستاذ أبو الخضر استعمال لفظة « دعاية » ويرى لذلك ان « دعاوة » لا تقال ، ويذهب الى أن الأصل هو الدعاء والدعوى ، وكل من دعا الى رأى فهو داع والصواب عنده أن يقال « دعوة » .

ويخالفه فى ذلك الأستاذ الزعبلاوى فهو يقول فى صفحة ١٧٧ من كتاب « أخطاؤنا فى الصحف والمجلات » الدعاية بالكسر للدعوة وفى كتاب النبى الى هرقل « ادعوك بدعاية الاسلام » وقال صاحب النهاية « أى بدعوته وهى كلمة الشهادة التى يدعو اليها أهل الملل الكافرة ، وفى رواية بداعية الاسلام وهى مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ، وليس قوله « وفى رواية بداعية الاسلام » بناف نسبة الصحة عن « دعاية » لحكايتها فى الروايات الصحاح ، فاذا كانت الدعاية كالدعوة ، والدعوة هاهنا كالدعاء والدعاء الى الشىء كالاستدعاء فى الأصل وكالحث والترغيب مجازا كان استعمال الدعاية للمعنى الشائع المتعارف أصح وأجود مما تعلق به كثرة النقاد وهو الدعاوة » .

ويقول الأستاذ أبو الخضر ان عازب وأعزب وعزاب لمن لم يتزوج خطأ والصواب أن يقال هو عزب والجمع اعزاب ، ويخالفه فى ذلك الأستاذ الزعبلاوى ، ويقول فى صفحة ٢٢٢ من كتابه ان قولك رجل عزب وامرأة عزبة وعزبة هو الأشهر، وتقول رجل عازب وامرأة عازبة وقد استند فى ذلك الى الأساس والمصباح واللسان ومن الأخطاء التى ذكرها الأستاذ أبو الخضر وهى ما تنفك تتكرر فى الصحف والمجلات والكتب جمع نية على نوايا والصواب نيات ، وقد أشار الى هذا الخطأ الذائع اليازجى وأسعد داغر والزعبلاوى وأبو الخضر ومع ذلك لايزال شائعا وغالبا على الألسنة والاقلام .

وكتاب الأستاذ أبو الخضر من الكتب التى يجمل بالكتّاب أن يرجعوا اليها من الحين الى الحين ليتحاشوا الوقوع فى الخطأ وللتفقه فى معرفة اللغة .

على أدهم



تأليف
الدكتور أحمد محمد الحوفي



الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك
مع مكتبة مصر
عدد الصفحات ٢٧٨ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٠ قروش

من حق المكتبة العربية المعاصرة أن تفخر بأن كتابا حديثا يدور موضوعه كله من ألفه الى يائه عن الطبرى المؤرخ قد ظهر فى سلسلة أعلام العرب • فان هذه الترجمة المستقلة فى كتاب، تعد تعويضا لما فقدته المكتبة العربية من كتاب القاضى أبى بكر أحمد بن كامل بن خلف تلميذ الطبرى والذى توفى بعد أستاذه بأربعين عاما ، أى سنة ٣٥٠ هـ • واذا كان كتاب ابن كامل القاضى عن المؤرخ الطبرى قد فقد ، فان ياقوت الحموى قد أفاد منه فائدة جليلة ، ونقل أكثره الى كتابه « معجم الأدباء » ، حتى بلغت ترجمة الطبرى فى كتاب ياقوت أربعين صفحة ، وهو قدر يعد من أطول التراجم التى جاءت فى معجم الأدباء •

على أن القاضى أبا بكر بن كامل ليس الوحيد من القدماء فى الترجمة لمؤرخنا ، فهناك أيضا تلميذه وصفيه وشريكه فى النسب : عبد العزيز ابن محمد الطبرى الذى ألف فى أستاذه كتابا نقل ياقوت الرومى كذلك كثيرا منه • وهناك أيضا تلميذه ومشاركه فى النسبة الى طبرستان: أبو أسحاق بن ابراهيم بن حبيب الطبرى • وله فى أستاذه أخبار طوال •

لهذا كان جميلا أن يجيء بعد ألف وثلاثين عاما عربى معاصر هو الدكتور أحمد محمد الحوفى، فيضع فى الطبرى كتابا هو موضوع حديثنا اليوم •

والحق أن الدكتور الحوفي قد أفاد كثيرا من المصادر التى كتبت عن الطبرى والتى اجتمعت لديه أو وصلت الى علمه ، فأفاد من ياقوت الرومى كثيرا وأدار ترجمته على ترجمته ، كما أفاد من ابن خلكان ، ومن الخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد ، ومن السبكى صاحب طبقات الشافعية ، ومن ابن الأثير صاحب كتاب الكامل فى التاريخ وغيرهم ، كما أفاد مما كتبه بعض المحدثين من أمثال جورجى زيدان ، والمرحومين أحمد أمين ، وعبد الحميد العبادى ، والدكتور جواد على العراقى صاحب البحث المتع الوافى عن « موارد تاريخ الطبرى » الذى نشر فى مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٤ـ لا سنة ١٩٥٠ كما يذكر الدكتور الحوفى ، ولعله وهم بالنقل عن الدكتور عبد العزيز الدورى فى كتابه « بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب » كما سنبينه بعد قليل .

والمؤلف حر فى أن يتخير مراجعه ، وينتقى مصادره التى يجمع منها مادة بحثه ، ونحن لانلومه على أنه اختار هذا المصدر دون ذاك ، ولكن الأنصاف العلمى والاحاطة بأطراف الموضوع تقتضيننا أن نطلب من الدكتور الحوفى أن يضيف الى ثبت مراجعه الثمانية والأربعين ، خمسة كتب لا يصح أن تفلت من يد باحث يتحدث عن الطبرى المؤرخ . واذا كان الدكتور الحوفى لم يفته أن يذكر بحث الدكتور جواد على فى مجلة المجمع العلمى العراقى عن موارد تاريخ الطبرى ، فما باله تفوته الكتب الآتية وفيها عن الطبرى كلام له خطر عظيم ؟ وهذه الكتب هى : «دراسات عن المؤرخين العرب » للمستشرق مرجوليوث ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، و « بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب » للمؤرخ العراقى المعاصر الدكتور عبد العزيز الدورى ، و « أضواء على التاريخ الاسلامى » للأستاذ فتحى عثمان ، و « مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى » للأستاذ عبد المنعم ماجد ، و « بعض مؤرخى الاسلام » للأستاذ على أدهم .

واذا كانت هذه الكتب لايقرؤها الباحث العربى ليفيد منها ، فلا أقل من أن يقرأها ليناقش مؤلفيها وجهات نظرهم ، أو ليصحح بعض ما قد يكون وقع فى بعضها من أخطاء ، وليس انسان كبيرا على الخطأ أو الوهم ، فالعصمة لله وحده ، فهذا المستشرق مرجوليوث يذكر فى كتابه عن المؤرخين العرب (أن الطبرى له كتاب « تاريخ الرسل والملوك » أو التاريخ العام ، الذى وصل به الى عام ٢٩٨ هـ) . وهذا كلام يحتاج الى تصحيح،فان الطبرى وصل بكتابه الىسنة ٣٠٢ هـ كما يذكر مؤرخوه جميعا ، وكما يذكر هو نفسه فى الجزء الحادى عشر من كتابه . وممن ذكر هذا التاريخ الصحيح من المعاصرين : الدكتور الداورى (ص ٥٦ من كتابه) ، وفتحى عثمان (ص ٦٨ من كتابه) ، وعلى أدهم (ص ٣٧ من كتابه) والدكتور الحوفى نفسه (ص ١٨٧ من هذا الكتاب) .

والحق أن المنهج الذى رسمه الدكتور الحوفى للترجمة للطبرى منهج علمى سليم يدل على عقل منظم وذهن مرتب ، كما عودنا فى أكثر مؤلفاته، فهو يحدثنا عن عصر الطبرى وثرائه بالثقافة ، ويحدثنا عن شروق حياة الطبرى ومغربها مابين مولده فى بلدة « آمل » ووفاته فى بغداد سنة ٣١٠ هـ . ويحدثنا عن ينابيع ثقافته ومعالم شخصيته ، فيصور لنا صفاته الجسدية والخلقية والنفسية والعقلية ، ويحدثنا عن تلاميذه وأثره فيهم ، ووفائهم له ولماذا لم ينبغ أحد منهم نبوغه ثم يصل بنا الى مؤلفاته ، فيحدثنا عنها واحدا واحدا ، ويعرف ببعضها ، فاذا بلغ بنا الى الطبرى المفسر حدثنا عن مراحل تفسير القرآن الكريم قبل عصر الطبرى ، وعن موضوع تفسيره ، ومصادره ومنهجه ، وقيمته العلمية . فاذا انتقل بنا الى الطبرى المؤرخ حدثنا عن تطور المنهج التاريخى الى عصره ، وعن موضوع كتابه ، وأهم مصادره التى عول عليها ونقل عنها فى تاريخ الرسل والأنبياء ، والفرس والروم واليهود ،

والعرب قبل الاسلام ، والسيرة النبوية ، وحروب الردة والفتوح ، وموقعة الجمل وصفين ، وتاريخ بنى أمية ، وتاريخ بنى العباس ، كما حدثنا عن منهجه من تعويل على الروايات ، وحرص على السند ، واتباع لنظام السنين ، واهتمام بالأخبار العامة ، وتسجيل للنصوص الأدبية كالخطب ، والحوار - كالذى دار بين الخوارج والمهلب ابن أبى صفرة - والرسائل - كرسالة المختار الثقفى الى عبد الله بن الزبير ، ورسالة ابن الزبير الى يزيد بن معاوية - والشعر الذى كثر فى تاريخ الطبرى كثرة تسترعى النظر .

ثم يقف الدكتور الحوفى عند طائفة من المآخذ أحصاها عليه فى تاريخه - كالاكتفاء بتسجيل الأخبار دون النقد ، وذكر العلماء والرواة دون ذكر لأسماء مؤلفاتهم التى نقل عنها ، وقد يكون للعالم أكثر من كتاب ، وتداخل الروايات بعضها فى بعض ، والعناية بالتاريخ السياسى وحده دون تسجيل الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وعدم اهتمامه بتدوين مشاهداته فى الأقطار الاسلامية كما صنع المسعودى الذى عاصره ومات بعده بأربعة وثلاثين عاما ، وتقطيع الحوادث على السنين، مما أصاب الحوادث بالتشتيت والتمزق وفقدانها للتكامل ، ووقوفه من بعض الخرافات موقفها سلبيا ، مما يوهم أنه مصدق لها . وبعد هذه المآخذ يكتب المؤلف فصلا فى قيمة كتاب تاريخ الطبرى من حيث انه أول كتاب فى التاريخ العام، وأنه مصدر أصيل لمن جاء بعده ، وأنه سجل لأخبار العرب فى الجاهلية وسجل للروايات التاريخية عن العصور الاسلامية . ومصدر أصيل فى تاريخ الفرس اعتمد عليه المستشرق «نولدكه» فى معرفة تاريخ الفرس وعلاقتهم بالعرب أمام الدولة الساسانية ، ومصدر حافل بكثير من النصوص الأدبية ذوات القيمة ، من شعر وخطب ورسائل ومحاورات ، ومصدر دقيق فى أسماء أباطرة الرومان الى نهاية عصر هرقل .

وينتقل المؤلف الى الطبرى الفقيه فيحدثنا عن تطور مراحل الفقه الى عصره ، واستقلاله بمذهب خاص اختاره ، ثم يتناول كتابه «اختلاف الفقهاء» .. الذى نشره الدكتور فريدريك كرن الألمانى بمطبعة الموسوعات والترقى بمصر سنة ١٩٠٢ م - فيعرض موضوعه وطريقته ونماذج منه . ثم يختم بفصل عن ألوان من آراء الطبرى فى مسائل ، كتولى المرأة القضاء ، وتوارث أهل الكتاب ، وبغضه للبدع ، ورأيه فى الامام أحمد بن حنبل الذى قال فيه انه لم يكن فقيها وانما كان محدثا ، فهيأ بذلك الأسباب لتحرش الحنابلة به وتعصبهم عليه ، حتى لقد هيجوا عليه العامة وهو بالمسجد فى يوم جمعة ، واتهموه بأنه رافضى ، ورموه بمحابرهم ، ولم يكتفوا بذلك بل تبعوه حتى بلغ داره فجعلوا يرمون الدار بالحجارة حتى صارت على بابها كالتل ... ولعل هذا الحادث وتطوره السريع المفاجىء جاء على غير مافى طبع الطبرى من المسالمة والظرف ، وان كان يؤكد ما أثر عنه من شجاعة فى الرأى . فقد اضطر رحمه الله الى أن يعدل رأيه فى الامام ابن حنبل وأن يشيد به ويصوب اعتقاده، مما جعل الحنابلة يرضون عنه وينسون له قديم رأيه فى شيخهم ...

ومزية كتاب الدكتور الحوفى عن الطبرى أنه على الرغم من أنه يحدثك عن فقيه مفسر مؤرخ فانك لاتشعر ثقلا ولا تحس غلاظة ، بل تجد فى النفس كلاما خفيفا لطيفا فيه علم كثير ، وفيه بحث واسع ، وفيه أحاطة كثيرة ، وفيه قضايا عن القراءات والأسناد والتفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى ، وحكم كفالة الحربى المستأمن ، والصلاة بجوف الكعبة وغير هذه الموضوعات التى عرضها الدكتور الحوفى فى رقة ولطف باعدت بينها وبين الجفاف الذى قد تكون مظنته هذه المسائل . وقد يكون لظرف المؤرخ الطبرى وخفة روحه أثر فى هذه الخفة السارية فى كتاب الدكتور الحوفى عنه ، ولكن المؤلف له فضل كبير فى أنه جعل من الحديث عن عالم مفسر فقيه مؤرخ موضوعا مذلل الأكناف ، رقيق الأعطاف !

وهذه الخفة فى كتاب « الطبرى » تسوقنا الى الحديث عن الفصل الممتع الذى كتبه الدكتور الحوفى عن صفات الرجل الخلقية والنفسية ، فقد

كان حسن القراءة لكتاب الله حتى قال فيه ابن مجاهد : ما ظننت أن الله خلق بشرا يحسن أن يقرأ هذه القراءة .. وكان أبيّ النفس ذا أنفة وعزة حتى لقد كان يرفض الهدايا والمنح مادام غير قادر على أن يكافىء بمثلها .. ومن الشعر الذى روى له مصورا أنفته قوله :

اذا أعسرت لم يعلم شقيقى
وأستغنى فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى
لكنت الى الغنى سهل الطريق

وكان متواضعا رضى النفس ، حتى لقد ذكر تلميذه ومترجم سيرته ابن كامل أن بعض تلاميذ الطبرى آلمه فى مجلس الأستاذ ، فانقطع ابن كامل عن المجلس مدة ، ثم قابله الطبرى ، فجعل يعتذر له ويترضاه ، ويترفق به كأنه هو الذى آذاه ، فرضى ابن كامل وعاد الى مجلس أستاذه الطبرى. وكان متفائلا راضيا بقضاء الله غير ساخط على حظه من الدنيا ولا ناقم من أهل هذا الزمان ، فعاش سعيدا قريرا هادىء البال ، ومات هادىء البال .. وكان ظريفا حلو الحديث غير متكلف ولا متقعر ، ينفر منهما بالدعابة الحلوة اللطيفة .. وكان خبيرا بآداب السلوك وآداب المائدة ، أنيق المظهر والمطعم ، فهو يشبه بحق ما يسمونه اليوم فى الانجليزية بالجنتلمان .. وطريقته فى الاكل وفى تناول اللقمة من الجفنة - وهى التى نقلها الدكتور الحوفى عن راوية ابن كامل - تؤكد حقيقة السراوة فيه الى حد كبير .

واذا كان الدكتور أحمد الحوفى يهتم كثيرا بالتفصيل فى الدقائق التى توضح حقيقة أو تكشف عن شخصية المترجم له . فانه فى بعض الحين يلجأ الى تفصيلات لا محل لها ، ولا تدعو الحاجة اليها فقد أطال بعض الشىء فى الحديث عن القراءات بمصر وخاصة قبل أن يفد عليها الطبرى ، وهى أطالة تحمل كثيرا من الفوائد والمعارف التى يحرص المؤلف على ايرادها وأفادة القارىء بها ، ولكن التفصيل بين قراءة وقراءة بتغليظ اللامات ، وترقيق الراءات قد يكون زيادة يمكن الاستغناء عنها ...

ولعل هذه الاطالة والتفصيل ثمرتهما التكرار الذى يصادفه القارىء لهذا الكتاب ، وهو تكرار ينبه الأذن والبصر فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب .. كتكرار الحديث والتعريف بأبى جعفر النحاس النحوى المصرى فى صفحتى ٢٢ ، ٢٥ مع الخلاف بين ما هنا وما هناك ؛ ففى ص ٢٢ يقول ان له كتاب تفسير القرآن وفى ص ٢٥ يسميه معانى القرآن . فأى العنوانين أصح ؟ ومسألة رواية الطبرى لشعر الطرماح بن حكيم تكررت غير مرة فى صفحتى ٣٨ ، ٧٦ ، ومسألة مناظرته للمزنى فى الاجماع كررها المؤلف فى صفحتى ٣٨ ، ٥٨ ، ومسألة نومه « فى قميص من نسيج يشبه الكتان قصير الأكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد » قد تكررت فى صفحتى ٤٤ ، ٦٨ ، ومسألة الرؤيا التى رآها له أبوه وتفاؤله بها قد تكررت فى صفحتى ٣٣ ، ٦٤ . وهناك غير هذا تكرار كثير لم أجد له مسوغا الا أن يكون الدكتور الحوفى يستطيب الحديث عن هذه الأمور ، وهى فى الحق طيبة ، الا أنها تجعل من سرد الحوادث ازدواجا لا داعى له ولا حاجة اليه .

واذا قلت لك ان مادة هذا الكتاب الحديث عن الطبرى قد أخذها الدكتور الحوفى من ثلاثة مصادر كبيرة : هى معجم الأدباء لياقوت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، فان الحق أن المؤلف قد نظم هذه المادة الطيّبة تنظيما دقيقا وقسمها الى أبواب متناسقة وفصول متآلفة ، ثم أعمل فيها رأيه واجتهاده وملاحظته فخرج بنتائج طيبة جدا وخاصة فى الفصول التى تحدث فيها عن منهج الطبرى فى التاريخ ، ومصادره والمآخذ عليه ، وقيمته . وأن كان أفاد من بعض دراسات المؤرخين المعاصرين من أمثال المرحومين : محمد أحمد حسونة وعبد الحميد العبادى ، والدكتور جواد على ، ممن لهم فضل الأصالة فى البحث عن الطبرى . فان الفصل الممتع الذى نقله الدكتور الحوفى عن محاضرة الأستاذ محمد أحمد حسونة بشأن دقة الطبرى فى أسماء أباطرة الرومان وترتيبهم ومدة

حكمهم يدل على أصالة البحث عند الأستاذ حسونة وصحة مقابلته بين كتاب الطبرى فى التاريخ وكتب التاريخ الأجنبية المعتمدة . كما أفاد الدكتور الحوفى من الفصل الذى كتبه المرحوم عبد الحميد العبادى عن علم التاريخ عند العرب، فيما يتصل بطريقة تدوين العرب للحوادث على نظام السنين ، وهى الطريقة التى لم تعرف فى أوربا قبل عام ١٥٩٧ م على ما ذكره المؤرخ الانجليزى « باكل » Buckle

والدكتور الحوفى لا يقبل القضايا على أنها مسلمات ، بل يناقشها ويعرضها على محك العقل أو على قضية أخرى ليتضح من المقابلة وجه الصواب . فهو يحقق نسب الطبرى ، ويحقق تاريخ مولده بين عامى ٢٢٤ ، ٢٢٥ هـ ، ويحقق تاريخ وفاته ومكان دفنه حيث كانت وفاته ببغداد، ويذكر ما جاء فى تاريخ ابن خلكان من (أنه رأى بمصر فى القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبرا يزار ، وعند رأسه حجر مكتوب عليه : هذا قبر ابن جرير الطبرى . والناس يقولون أنه صاحب التاريخ المشهور ، ثم قال : أن هذا ليس بصحيح، بل الصحيح أنه دفن ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس فى تاريخه المختص بالغرباء) .

بقيت أمور صغيرة نقف فيها مع الأستاذ الدكتور الحوفى وقفة لا تنسينا قدر عمله ولا تنقص من فضل جهده ، ففى صفحة ٨٩ ذكر أن تفسير الطبرى طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٩٢٣ وهو تحريف مطبعى وصوابه ١٣٢٢هـ. ثم ذكر بعد ذلك بسطر أنه يطبع الآ بمطبعة الحلبى بمصر بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، والذى نعلمه علم اليقين أنه يطبع بدار المعارف وقد بلغ الى الجزء الخامس عشر حتى ١٩٦٠ م ، والله يسهل كل عقبة فى سبيل اكماله. وفى صفحة ٧٨ ذكر المؤلف أن كتاب « فردوس الحكمة » لعلى زين الطبرى . ويقع كثير من الباحثين فى الوهم فى اسم هذا الطبيب المسلم، وصوابه على بن رَبَّن بالراء المهملة والباء الموحدة التحتية . وقد ذكر ابن النديم صاحب الفهرست أنه أسلم على يد الخليفة المعتصم ، ويكتبه بروكلمان هكذا : على بن ربان ، بألف بعد الباء. وفى ثبت المراجع يذكر الدكتور الحوفى أن بحث « موارد تاريخ الطبرى » جاء بالجزء الأول من مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٠ ، وقد وقع فى هذا الوهم أيضا الدكتور عبد العزيز الدورى ، ولعل الدكتور الحوفى نقل عنه هذا دون رجوع الى المجلة نفسها . وقد صدرت بتاريخ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ووقع البحث فى أول الصفحة السادسة عشرة منها ....

على أنها هنوات هينات لا تبخس شيئا من قدر هذا الكتاب الجليل .

محمد عبد الغنى حسن

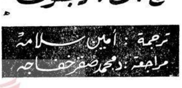
سطور من كتاب ...

« لنتساءل الآن : هل يستطيع الوطن العربى أن يكفى حاجة سكانه من المواد الغذائية ؟ وهل يملك الوطن العربى من مقومات الصناعة ما يكفل له تصنيع البلاد العربية والتخلص من التخلف الاقتصادى الذى يعانيه ؟ ... ان الاجابة عن هذين السؤالين لكفيلة بأن توضح لنا التكامل الاقتصادى فى الوطن العربى » .

... الموارد الاقتصادية فى الوطن العربى



تأليف
ج . ف . دبسون

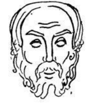


مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة التضامن العربي ، عدد الصفحات ٣٢٧ ص ١٧ × ٢٤ سم ٠ ث ٥ر٢٢ قرشا

الأستاذ أمين سلامة متخصص في اللغتين اليونانية واللاتينية القديمتين اللتين درسهما في قسم اللغات الأوروبية القديمة بكلية آداب جامعة القاهرة ٠ ويبدو أن اللغة اليونانية القديمة وآدابها هي التي استهوته بنوع خاص فاتجه اليها لينقل منها الى اللغة العربية عددا من النصوص التي تعتبر من روائع تراث تلك اللغة المجيدة وبخاصة ملحمتي شاعر الانسانية الأكبر هوميروس، وهما الالياذة والأوديسة ، اللتان ترجمهما نثرا ونشرهما في السنوات الأخيرة ٠ وهذا عمل ضخم تنوء به العصبة أولو القوة ، فضلا عن أن معرفة الأستاذ أمين سلامة بالبلاغة العربية قد لاتكون بالقدر الذي يمكنه من المحافظة على جمال وقوة شعر هوميروس ، ومع ذلك فان ترجمته لهاتين الملحمتين تعتبر من الأعمال الكبيرة التي تمت أخيرا في مجال الترجمة ٠

والواقع أن ترجمة التراث اليوناني القديم الى لغتنا العربية يجب أن يحتل المكانة الأولى من اهتمامنا ، لأن هذا التراث هو الذي نهضت على أساسه الآداب والثقافات العالمية ٠ والتراث اليوناني يفوق في أهميته التراث الروماني اللاتيني ، فالرومان قد تتلمذوا على اليونان القدماء وحاكوهم وطرزوا على هوامشهم في مجال الآداب والفلسفة بمعناها الواسع ، الذي كان يمتد من الميتافيزيقا الى العلوم الرياضية ٠ ولا تعرف للرومان أصالة متميزة الا في مجال التشريع وفقهه ، حيث أضطرهم اتساع رقعة امبراطوريتهم الشاسعة الى العناية بالقوانين والنظم الدولية والمدنية والجزائية وفقهها جميعا ، ولقد اعترف شاعر الرومان الكبير هوراس بدين روما القديمة لبلاد الاغريق بعد فتح الرومان لها واستيلائهم عليها وضمها الى امبراطوريتهم ، عندما قال في بيت شعر له « لقد غزت اليونان المهزومة غازيها الضاري » ٠ وهو يقصد بذلك الى أن اليونان التي هزمها الرومان قد غزت هازميها بثقافتها ، وان يكن ذلك لا يعني بالضرورة أن

الرومان لم يأتوا بجديد فى مجال الأدب والثقافة بوجه عام ، فانهم وان كانوا قد بدأوا بمحاكاة اليونان الا أنهم انتقلوا من المحاكاة الى الابداع فى كثير من الفنون ، وبخاصة فى فن الشعر الذى نبغ فيه عندهم عدد كبير من الشعراء ، بل وكاد أحدهم وهو ڤيرجيليوس أن يصل فى ملحمته الشهيرة « الانياده » الى حد منافسة هوميروس فى امارة الشعر العالمى . وهذه ظاهرة عامة فى تاريخ البشر حيث بنى كل شعب فوق الأساس الذى ورثه عن سابقيه متخذا المحاكاة مدرسة للأصالة، واذا كان اليونان قد أخذوا عن المصريين والحضارات الشرقية القديمة أساسا لتراثهم الرائع الأصيل ، ثم أخذ عنهم الرومان فيما بعد ، فان أوروبا كلها قد بنت نهضتها الحديثة على أساس من احياء التراث اليونانى والرومانى القديم ، بعد أن استوعبوا تراث القرون الوسطى الذى تضافر فى خلقه العرب مع شعوب أوروبا المختلفة ، واذا كنا نريد اليوم أن نعيد بناء ثقافتنا على أسس متينة فلا مفر لنا من أن نلتمس هذه الأسس من مصدريها الكبيرين وهما تراثنا العربى القديم من جهة والتراث العالمى قديمه وحديثه من جهة أخرى ، ليتفاعل التراثان وتنبثق عن هذا التفاعل أصالتنا المرجوة واضافاتنا المتوقعة .



ولكل هذا كنت أفضل للأستاذ أمين سلامة أن يستمر فيما بدأه من نقل ما يستطيع نقله من روائع التراث اليونانى القديم الى لغتنا العربية ولاشك أن فى التراث اليونانى القديم عددا من الخطب التى لا تزال معتبرة من الأدب الحى الدائم التأثير فى البشر بدلا من ترجمة كتاب عن «خطباء اليونان» . فالكتاب الذى ترجمه الأستاذ أمين سلامه للأستاذ ج.ن دبسون رغم منهج تأليفه العلمى – لا يعطى القارىء العربى فكرة واضحة كاملة عن « الخطبة » اليونانية القديمة ، وبخاصة وأن المؤلف لم يقدم لنا فى كتابه خطبة واحدة كاملة . وياليت الأستاذ أمين سلامة الحق بترجمته لهذا الكتاب ترجمة منفصلة لخطبة واحدة هناك شبه أجماع عالمى على أنها أروع ما فى التراث العالمى كله من خطب وهى « خطبة التاج » لخطيب اليونان الأكبر « ديموستين » ، فهذه الخطبة لا تعتبر المثل الأعلى لفن الخطابة من الناحية الفنية والبلاغية فحسب بل تعتبر درسا انسانيا خالدا فى معانى الوطنية والقوة والصلابة والشجاعة ، لأن « ديموستين » قالها للدفاع أمام الشعب الأثينى القديم عن سياسته التى دعا بها الشعب الأثينى الى مقاومة الغزو المقدونى بقيادة الملك « فيليب » ثم ابنه «الاسكندر الأكبر» من بعده لبلاد الاغريق ، التى كانت الخلافات بين أحزابها السياسية والحروب بين مدنها قد أضعفتها ، وكان الوطنيون يبددون طاقاتهم فى القول والمزايدات السياسية دون العمل الايجابى والاستعداد الفعلى لمجابهة الأخطار التى كانت تتهددهم تهديدا مميتا لحريتهم . وبالرغم من أن سياسة المقاومة الايجابية التى دعا اليها « ديموستين » قد فشلت لسوء الحظ الا أن أحد المواطنين واسمه « كتيزيفون » اقترح على مواطنيه منح « ديموستين » تاجا من ذهب . ولكن خصوم « ديموستين » وعلى رأسهم الخطيب « اسكينيس » عارضوا هذا الاقتراح . وخطب « اسكينيس » أمام جمعية الشعب شارحا أسباب معارضته ومبينا ماجرته سياسة « ديموستين » على أثينا خاصة وبلاد اليونان عامة ، وهنا نهض « ديموستين » كالوحش ليدافع عن سياسته ، سياسة الصلابة الوطنية والاستماتة فى مقاتلة العدو الغازى ورفض الاستسلام مهما اختل توازن القوى ، وسميت خطبته باسم «خطبة التاج» واعتبرت منذ ذلك الحين حتى اليوم أروع خطبة قالها خطيب ، ومن المؤكد أن ترجمتها كاملة هى التى يمكن أن تعطى فكرة واضحة عن فن الخطابة السياسية كله عند اليونان القدماء .

وأما الكتاب الذى بين أيدينا عن « خطباء اليونان » فانه رغم محاولته استقصاء تاريخ هذا

الفن منذ بدايته عند السفسطائيين ومحترفي كتابة الخطب القضائية التي تشبه ما نسميه اليوم بالمرافعات ، حتى الخطب السياسية العامة عند كبار الخطباء أمثال «ايسكينيس» وديموستين و « هوبيريدس » و « لوكيرجوس » وغيرهم . الا أنه في الواقع لا يعطينا صورة واضحة للخطابة اليونانية القديمة لافتقارنا الى نموذج كامل لهذا الفن .

ولقد استخدم المؤلف في كتابه هذا منهجا يبدو تعليميا بحتا رغم دقته العلمية ، فهو يتحدث في ايجاز عن تاريخ حياة كل خطيب ثم يفصل القول في لغته وأسلوب تعبيره ، وهذا الحديث هو الأكثر نموا في الكتاب ، ومن الواضح أنه لن يفيد منه غير طلبة قسم الدراسات الأوروبية القديمة في الجامعات اذا وصل مستوى تحصيلهم في اللغة اليونانية القديمة الى حد ادراك أسرارها البلاغية ، وكانت النصوص بين أيديهم . ثم يتحدث المؤلف في ايجاز شديد عن الخطب التي وصلت الينا عن كل خطيب مع بيان موجز لطريقته في تأليف خطبه وتقسيمها الى أجزاء محددة وايراد فقرات صغيرة من بعض تلك الخطب ، ومن البين أن كل هذا لايبيح ادخال مثل هذا الكتاب في سلسلة « الألف كتاب » المعدة للقراءة العامة ، فضلا عن أن الفقرات المختارة لا تبرز روعة هذا الفن وأخشى أن تكون ترجمتها العربية دون مستوى ما أعرفه عن أصلها اليوناني القديم .

وتسوقني كل هذه الملاحظات الى التقدم للمسئولين عن حركة الترجمة المزدهرة الآن في بلادنا برأي أرجو دراسته وهو أن نوفر جهودنا أولا على ترجمة نصوص الروائع التي تكون التراث العالمي ، وأما كتب التعريف بهذا التراث والتأريخ له فيجب أن تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية لأن القارىء لن يستفيد الفائدة الكاملة من هذه الدراسات مالم تكن النصوص الأصلية في متناول يده ، كما أن هذه الكتب يجب التزام الدقة المتناهية في اختيارها ، وفي اللغات الأوروبية اليوم سلاسل تعتبر من الأمهات في هذا المجال ، وأنا أعرف في اللغة الفرنسية سلسلة من الكتب التي يؤرخ كل منها لأدب من الآداب العالمية مثل كتاب جوستاف لانسون عن « تاريخ الأدب الفرنسي » وقد ترجمه الى العربية الدكتوران محمد القصاص ومحمود قاسم، وكتاب الأستاذين ليجوى وكازاميان عن تاريخ الأدب الانجليزي الذي يرجع اليه الانجليز أنفسهم مترجما الى لغتهم ، وكتاب الأستاذين موريس والفريد كروازين عن « تاريخ الأدب اليوناني القديم » .... الخ ومن رأيي أن نكتفي في المرحلة الحالية بترجمة مثل هذه السلسلة في مجال التعريف بالآداب العالمية وتاريخها لنوفر الجهد بعد ذلك لترجمة النصوص الأصلية على أن نعود بعد ذلك الى ترجمة ما نريد من كتب متخصصة في دراسة فن أو آخر من فنون الأدب الخاصة بلغة من اللغات .

وأعود الى الكتاب الذي بين أيدينا عن «خطباء اليونان» فألاحظ أن مؤلفه لم يميز التمييز الكافي بين مالا يزال يعتبر حيا ومؤثرا ومقروءا من التراث اليوناني القديم في فن الخطابة ، وبين ما أصبح اليوم من الوثائق اللغوية التي لا يهتم بها الا المتخصصون في دراسة اللغة اليونانية القديمة وتاريخها وتطورها ، كخطب من كانوا يعرفون باسم « الليجوجراف » أي محترفي كتابة الخطب القضائية ومعلمي البلاغة ، ثم الخطب التي أصبحت مجرد وثائق تاريخية ، في حين أن الخطب التي لا تزال حية ومقروءة هي الخطب الوطنية والسياسية الكبيرة أمثال « فيليبيات » ديموستين وخطبة « التاج » وخطبة « السفارة الكاذبة » وأمثالها لنفس الخطيب الوطني العظيم . بل لقد أحسست بأن المؤلف يكاد يرى في الخطيب ايزوقراط المثل الأعلى لفن الخطابة من الناحية البلاغية مع أنه من المؤكد أن ديموستين يبزه بكثير من الناحية البلاغية وناحية المضمون الانساني الخالد على السواء وربما كانت مهنة المؤلف كأستاذ للغة اليونانية القديمة في « جامعة بريستول » هي المسئولة عن هذه النظرة الحرفية الخالصة ، فهي نظرة مدرس بلاغة لا نظرة مرب لأخلاق الشباب وأستاذ للقيم الانسانية الرفيعة الخالدة .

الدكتور محمد مندور



مايقال عن الاسلام

١ – سبحانك ربى علمت بالقلم « علمت الانسان مالم يعلم » ولك الحمد على ما أنعمت وأوليت ، وعلى محمد النبى الأمى الصلاة وأفضل التسليم .

أما بعد ، فقد سئل ناقد قرأ كتب الجاحظ عن نقده لها ، فقال ان كتب الجاحظ تعلم العقل قبل أن تعلم الأدب أى أنها غذاء عقل قبل أن تكون غذاء فنيا ، وهى فى الحقيقة جمعت أعلى صور البيان مع سعة الآفاق الفكرية وهى تشقق المعانى وتفرعها فى أجمل صورة من صور الفن ، فهى غذاء الذوق ، ودقة المنطق العقل المستقيم ، وقد تنوعت كتابات الجاحظ ، فكتب فى التاريخ وفى الاجتماع وفى الفلسفة بلغة الأديب التى تأتى بأدق المعانى البكر ، وتضعها فى زينة اللفظ الجميل الجزل المصقول ، وفى كثير من الأحيان فى لفظ مزدوج موزون .

ولعلنا لو سألنا ناقدا ينهج منهاج ناقد القرن الثالث الهجرى عن كتابة عباس محمود العقاد ، وكتبه لأجاب بما أجاب به صاحبه فى القرن الثالث ، أن كتب العقاد تغذى العقل ، وتعلم الفكر ، ويتذوقها ذو الذوق البيانى السليم » .

لقد جمعت كتابة العقاد بين عمق التفكير وجمال التعبير ، وأحيانا تقرؤها ، فتقرأ لعالم كبير يربط بين المعانى ربطا محكما دقيقا ، بحيث يأخذ بعضها بحجز بعض ، وفى الوقت نفسه ترى فيها صورا بيانية رائعة ، وأحيانا تقرؤها فتحس بجمال التعبير يعلو حتى تظن أن دقة التفكير قد ذهبت ، ولكن ما تتكشف لك من بعد رواء اللفظ المعانى الأبكار .

٢ – لقد عرفت العقاد منذ أكثر من أربعين سنة عرفته قارئا له ، ثم عرفته صديقا ، كنت أقرأ للعقاد فى السياسة منذ سنة ١٩٢١ ، ثم قرأت له فى الأدب ، وأول ما قرأت له فى الأدب – كتاب الفصول – فرأيت نوعا من الأدب ، لم اقرأه لغيره من الأدباء ، وجدت فيه علما وأدبا ، ووجدت فيه ثروة من الألفاظ والأساليب الفنية ، ووجدت فيه ثروة من العلم ، فتفتح عقلى وقلبى لقراءته ، ثم تتبعت الفصول الأدبية التى كان يخصص لها يوما فى الأسبوع فى الصحيفة التى يكتب بها ، وقرأت له مراجعات فى الأدب والحياة ، وقرأت له ديوان الأربعين الذى أخرجه ، فوجدت شعره كنثره ، تحليلا دقيقا عميقا ، ولفظا جميلا ، وعرفت من شعره لماذا أعجب بابن الرومى حتى كتب فيه كتابا ، ولم يعجب بالبحترى ، كما أعجب بابن الرومى ، فقد كان لابن الرومى تحليل عميق فى شعره ، ولم يكن مثله للبحترى مع بلوغه أعلى درجات الصياغة والصور البيانية الرائعة ، وعلمت من نثره وعمق المعانى فيه ودقة التعبير لماذا أعجب بسعد زغلول الكاتب والخطيب ، فوق اعجابه به زعيما مجاهدا .

٣ – ولقد ارتبطت بالعقاد صديقا عندما قدمت



الناشر مكتبة دار العروبة

عدد الصفحات ٣٥٦ ص ١٤×٢٠ سم

له كتابى فى الخطابة فى سنة ١٩٣٤ ، فقد كتب فيه صفحة كاملة فى صحيفة الجهاد التى كان هو كبير محرريها فى ذلك الابان ، وقد « نقد الكتاب نقدا علميا دل على قراءة عميقة ، وان كان التقريظ أكثر من التفنيد • وقد أعجب به فى الحالين، وقد هم صديقنا الأستاذ سيد قطب بالرد عليه فى تفنيده ولكننى لم أقتنع بالرد كما اقتنعت بتفنيد العقاد لما فنده ، لقد كانت نقطة النقد فى بيان تأثير الألفاظ المحولة بالابهام ، أهى أبلغ تأثيرا ، أم الألفاظ الواضحة المبينة المفصلة، فسجلت فى كتابى أن الواضح أقوى تأثيرا والعقاد رحمه الله رأى كما رأى جوستاف لوبون أن الألفاظ العامة التى يشوبها بعض الغموض أقوى تأثيرا ، ومثل لها بوقت الغبش اذ أن نوره الذى يخالطه بعض الظلمة يكون له أثر فى النفس أقوى من الشمس فى وضح النهار ، وقد اقتنعت بتفكيره كل الاقتناع بل انى لاحظت ما لاحظ فى أثناء التجارب ، ولكنى كسلت عن التغيير بعد أن أخذ الكتاب طريقه •

وان الفكرة فى ذاتها واضحة التطبيق فأكثر الخطباء الذين يقودون الجماهير يعمدون الى الألفاظ التى لها عموم ، ولا يمكن أن يتم لها حصر ، وتعيين ، وتفعل تلك الألفاظ ما يفعله السحر فى النفوس ، وروعة الغبش ، والصبح يتنفس •

ومن ذلك الوقت التقت نفسى بنفس العقاد ، وفكرى بفكره ، وانعقدت بيننا مودة صادقة لم يقطعها بعد فى اللقاء الشخصى ، لأن اللقاء الأدبى والروحى مستمر ، ولقد كان يقوى بيننا الاتصال الروحى الى درجة أنى كنت أفكر فى أمر ، وتجول بنفسى خواطر حوله ، وأتمنى لو سجلت هذه الخواطر ، ثم أقرأ بعد ذلك مقالا للأستاذ العقاد ، فأجد كثيرا من هذه الخواطر قد سجلها يراعه البارع ، وأحيانا يكتب فى موضوع عام فيبلغ بى الاتحاد النفسى أن أعتقد أنه جاء بما عندى فى نفسى ، وان لم أفكر فيه من قبل ، والافكار كالأشخاص ، فقد تلتقى برجل لم يكن لك به سابق معرفة ، ولكنك مع ذلك تحس بأنك تعرفه من قبل للالتقاء النفسى بينكما ، فكذلك الأفكار والآراء ، يتلقاها القارىء ، فيحس بقوة تأثيرها فى نفسه بأن الكاتب يأتى بما عنده ، وان لم يكن قد قرأها من قبل ، أو جالت بخاطره •

٤ — لقد كان لى بالعقاد صحبة فكرية ، وخصوصا أنه انصرف فى الشطر الأكبر من حياته الى الكتابة فى الاسلام ، وكنت أخالفه فى بعض كتاباته ، ولكنها مخالفة الصاحب لصاحبه ، فان اختلفا فى فكرة لا يختلفان فى منهاجهما ، ولا فى قلوبهما ، ولا فى أكثر الآراء •

لقد اتجه العقاد الى دراسة الاسلام منذ نشأته، ثم صار كاتبه المدافع عنه فى أشطر حياته ، فانه منذ رأى امام الجيل الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وهو صبى ، وسمع كلمات منه وجهته ، وفتحت

قلبه وأمله ـ قد اتجه الى الاسلام ، حبا فى دينه، وحبا فى امامه ، فأحب الامام وأصحابه ، واستولى على قلبه من بعده الصاحب الأول للامام سعد زغلول الذى كان تلميذه البكر ، والذى حمل ما كان يحمله الامام فى التعليم والتوجيه •

كتب العقاد عن الاسلام معرفا ، مبينا لحقائقه، ومدافعا عنه ، ومجادلا من يتهجمون عليه من كتاب الفرنجة وكتاب العرب ، ولم يعتره وهن ، ولا مداهنة فى القول مهما يكن مكان مخالفه فى المجتمع •

وكانت دراسته للاسلام مقررا ومدافعا دراسة موضوعية يدرسه كما هو فى القرآن والسنة ، وكما انعقد عليه اجماع العلماء ، لا يتجه الى اخضاع الأحكام الاسلامية لأطوار المجتمع ، بل يعتبرها حاكمة للمجتمعات وليست محكومة بها ، فلم يكن يتصور الاسلام خادما للمجتمعات يسير وراء مخدومه كما يهوى بعض الكتاب ، بل يتصوره حاكما عليها ، ينبغى أن تخضع له ، ولا يخضع لها •

٥ ـ ومن أعظم الآثار الاسلامية التى دبجها قلم ذلك الكاتب العبقرى ـ العبقريات ، وقد اتجه العقاد فى كتابتها الى تجلية شخصية كل عبقرى التى تبدو من بيان خواصه النفسية والدينية التى اختص بها ، فلم يسرد تاريخ العبقرى ، بل انه يبدى ملامحه الموضحة له ، وانه بهذا كان يظهر العبقرى بما اختص به من مواهب وخلق ، وعلم وفكر ، ولعله لو اتجه الى السرد التاريخى لاختفت تلك الصورة الموضحة لشخصه وهو يريد أن يكشفها ، لا أن يخفيها ، ويريد أن يقرب للناس معانى الرجال ، كما يوحى بها الكلم والفعل ما كان يهمه من أخبار الصديق ما قامت به جيوشه من فتوح ، ولكن يهمه روحه الطاهرة التى تتجلى فى وصاياه للجيوش وارادته الحازمة فى وقفته للردة ، وشدته فى الحق التى تتجلى فى خشونته فى القول ، مع أحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو عمر رضى الله عنه ، ويصور بذلك التقاء الرفق بالحزم ، والقوة بالرحمة ، والعزة بالطيبة •

وان منهاج العقاد فى العبقريات هو المنهاج الذى يوصله لغايته ، وهى تصوير معانى الرجال وملامح شخصياتهم ، فما كان ليصل الى هذه الغاية الا بهذا المنهاج الذى اختاره ، وارتضاه •

وليس من حق أحد أن يلزم كاتبا بمنهاج معين ، مادام منهاجه يوصله الى غايته • وهدفه من كتابته من غير التواء فى التفكير ، ولا تقطيع لأوصال القول ، بل تكون الموضوعات متآخية ، كل موضوع يفتح الطريق للذى يليه ، حتى يصل الكاتب الى هدفه من غير أن ينبت به الطريق ، أو يلتوى عليه المقصد أو النتائج •

ولم يلاحظ أحد من الذين قرأوا العقاد فى عبقرياته أنه قد اضطربت الأفكار فيما يقرأ ، أو التوت فيه مقدمة على نتيجتها ، ولذلك نقرر هنا أن العقاد يصل بمنهاجه الى ما يريد من غير اعوجاج ، وبطريق مستقيم •

وان الذين يحسبون أن ثمة منهاجا للكتابة فى تاريخ الرجال أو فى العلوم يكون كمنطق أرسطو يلتزم فى أقيسته وأشكال براهينه • ليكلفون الكتاب شططا ، ويقيدونهم بشروط قد يكون التزامها مقيدا للفكر ، فوق أنها الزام بما ليس بلازم •

٦ ـ ولقد لاحظت أن بعض الذين يتصدون لنقد الكاتبين يفرضون على غيرهم منهاجا ، وبدل، أن ينقدوا فى الموضوع يسهل عليهم أن ينقدوا الشكل ، كما يتخلص المحامى من عناء الدفاع بالدفع الشكلى •

وعند هؤلاء شهوة النقد أكثر من الرغبة فى التحقيق ، وأذكر أن كاتبا لم يقرأ من كتاب الا مقدمته ، ويعلق بكلمة فى المقدمة ، وأخذ يمط فى القول ويبدى ويعيد ، مع أن ما قاله مردود عليه فى موضوعات الكتاب ، ولكنه يريد أن يولد نقدا حيث لا موضع له ، أو يكسل عن القراءة ، ويقف عند كلمة عارضة ، ويوسع فى معناها ، بلا متسع فيها •

وأذكر ثانية أن كاتبا يشغل منصبا كبيرا

يشغل كرسي الأستاذية في احدى الجامعات العربية نقد كتابا لي في « ابن تيمية » والكتاب يقع في ٥٥٠ صفحة ، فكان نقده في المنهاج ، ذلك أنني كتبت في حياة ابن تيمية ، قبـــل أن أكتب في عصره ، وأخرت الكتابة في العصر عن الكتابة في التعريف بالشخص ، وشـــدد في اللوم ، لأني خالفت المنهاج الذي ظن أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعجبت من تشديده في اللوم، لأني لا أفهم أن المنطق يسوغ لانسان أن يكتب في عصر عالم ، قبل أن يعرف شخص العالم وأباه وأمه وتعلمه ، وانتقل عجبي الى استضحاك من ذلك النقد الصغير ، ولو كان الكاتب يشغل منصب أستاذ في احدى الجامعات العربية غير المصرية ، وهو منصب كبير .

ان المنهاج ليس واحدا أو طريقا واحدا ، بل يتعدد بتعدد الموضوعات والغاية ، والصـــورة الجامعة أن تكون الأبواب والفصول متناسقة غير متنافرة ، وكل نقد يوجه في ذلك يجب أن يكون أساسه موضوعيا ، من حيث عـــدم تماســـك الموضوعات ، لا لمجرد أن ذلك منهـــاج الغربيين أو غيرهم ، وليس العقاد دون الذين وضعوا المنهاج لمن لا يتكلمون الا في المنهاج .

٧ – لا أحسب أني استطرد عندما أتكلم ذلك الكلام الموجز عن كاتب العربية وأنا أكتب في كتاب من كتبه ، وقبل أن أعرض للكتـــاب أنهي كلمتي عن كاتبه ، بأن العقاد كان مستقيم النفس والفكر والخلق استقامة قامته المديدة وكان يكتب لنفسه ، ولا يكتب لغيره ، فهو لا يكتب لارضاء هوى الناس ، أو رجاء مثوبة من الناس ، ولكنه يكتب ما يراه الحق ، وما يعتقد أن فيه نفعـــا للناس ، لا يهمه غضب الغاضبين ، ولا مسايرة الحاكمين ، ولكن يهمه أن يكتب ما يكون استجابة لضميره الذي بين جنبيه ، وقد تحمل آلام السجن، والتقتير عليه في الرزق في ســـبيل ذلك ، ولم يتحول من اليمين الى الشمال ، ولا من الشمال الى اليمين ، بل سار في خط مستقيم لا عوج فيه ولا التواء .

وان أبلغ ما نقوله للكاتب العظيم في قبره هو ما قاله صفيه المرتضى سعد زغلول يخاطب قاسم أمين صديقه وهو واقف على قبره : «يا قاسم غيرك يكتب ليرضى ، وأنت تكتب لتنفع » .

٨ – ونعود من بعد ذلك الى الكلام في كتاب العقاد : « ما يقال عن الاسلام » فالكتاب كما يدل عنوانه موضوعه ما يكتبه الغربيون أو غير المسلمين عن الاسلام . وقد ابتدأ ببيان طوائف الكاتبين عن الاسلام ، فقسمهم أولا الى طائفتين أحـدهما مخلصة ، والأخرى باغية ، فالمخلصة يدخل في عمومها الذين يطلبون معرفة الاسلام ، ليعرفوا حقيقته ، لا يقصدون الا معرفة الحق ، ويدخل في عمومها الذين لم يرتضوا دينهم ، ورأوا في الاسلام ما يرتضونه ، وهؤلاء يتكلمون في الاسلام بحماسة ولكن كلامهم لا يخرج عن الاقتناع بالحق، من غير أن يدعونا له ليكونوا في زمرة المؤمنين بالله ورسوله .

والطائفة الباغية ذكر أنها متعددة الأصناف والأشكال ، منهم من يحسبون الـدين كالجنس والوطن ، يطعنون في الاسلام لأنه ليس عندهم، فهم في عصبية جاهلية مستحكمة ، حتى ان منهم من يتكلم في المسيح عليه السلام ناقدا بأنـــه سامي يهودي .



ومن هذه الطائفة الباغية الماديون الملحدون الذي يعمون بهجومهم كل الأديان ، ويخصـــون الاسلام ، لأنه بأحكامه الاجتماعية يقف حائلا دون بغيتهم .

ومن هذه الطائفة المبشرون ، فان هؤلاء في سبيل غايتهم يطعنون في الاسلام ، ولا يطلبون الحقائق التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، بل يطمسونها ، ويريدون أن يطفئوا بأقوالهم نور الحق .

ويقرر – رضى الله عنه – في هذا التمهيد أن

أخطر المغرضين جميعا طائفتان تملكان من وسائل الدعاية ما ليس لطائفة أخرى من طوائف المغرضين، وهى طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار ·

وان ذلك صدق لاريب ، وقد يتخذ الاستعمار الطوائف الأخرى المغرضة سبيلا لتحقيق أهدافه ·

٩ – وان الكتاب قسمان : قسم هو تلخيص وتعليق لأبحاث من كتبوا عن الاسلام ، ويبلغ ذلك نحو عشرين بحثا ورسالة ، والآخر بحوث للعقاد فيها ردود على بحوث كتبت ، أو أفكار انتشرت عن الاسلام ، وهى باطلة ، وكلا القسمين يدور حول موضوعات مختلفة منها ماهو عن الالوهية فى العقيدة الاسلامية ، وعن أثر الاسلام فى أفريقية ، وأثره فى سود أمريكا ، وعن الدين والسياسة فى باكستان وبعضها عن بعض رجال الاسلام ، فيكتب عن بطولة صلاح مقارنا بخلق خصومه ، ثم يكتب عن الدعوة الاسلامية وعن الرق فى الاسلام ، وعن الاسلام والجماعة المتحدة ، والاسلام والنظم الاجتماعية، وعن القرآن والاصلاح فى الاسلام وبعضها عن تفسير القرآن فى العصر الحديث ، وعن بعض العبادات الاسلامية ، كالصلاة ، والصيام فى القرن العشرين ، وقد يكتب مناقشا وباحثا ومدافعا ·

وهو فى كتابته تعليقا أو انشاء يتجه الى دراسة الاسلام دراسة موضوعية ، لا يحاول الخروج عن أصوله بل يعمل على الدعوة الى أصول من غير انحراف ، ولا تغيير ولا تبديل ، لأنه يدعو الى الاسلام كما هو لا كما يريده المنحرفون عنه ·

١٠ – ولنضرب مثلا بكلامه عن الاسلام فى النظم الاجتماعية ، فهو يقول : « انما أقام الاسلام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها كل نظام صالح ، ولا يتصور أنها تناقض نظاما منها كان بالأمس أو يكون بعد زمان طويل أو قصير » ·

قرر الاسلام أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال، وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل ، وقرر أن يتداول المجتمع الثروة ، ولا تكون دولة بين الأغنياء ، وقرر أن يكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية لا تقل عن جزء من أربعين جزءا من ثروة الأمة كلها ، وقد يزاد عليها بأمر الامام واحسان المحسنين ·· واذا تقرر هذا فى مجتمع انسانى فلا حرج عليه أن تخذله نظاما من نظم المعيشة الاقتصادية كيفما كان ، ولا خوف على مجتمع قط يمنع فيه الاحتكار والاستغلال ، واهمال العاجزين عن الكسب والعمل ، ومن شاء فليسم هذا النظام بما شاء »(١) ·

وقد قال العقاد أيضا فى التعليق على بحث نشر فى احدى المجلات الفرنسية عن مسايرة المبادىء الاسلامية للنظم الاقتصادية الحديثة : « التضارب بين نظام رأس المال ، ونظام المادية الاقتصادية خير جواب على من يطالبون الاسلام بمجاراة النظم الحديثة كلما تقلبت بها أطوار الاجتماع ، فقد كان نقاد الاسلام بالأمس يزعمون أن حياة الأمم رهن بنظام المعاملات التى تقوم على الشركات والمصارف ، واستغلال رءوس الأموال والأرباح ، وأن الاسلام يغل أيدى المسلمين ، ويعوق حركة التقدم ، لأنه لا يقيم المعاملات كلها على هذا النظام ، ثم شهد العالم نظاما آخر ينكر رءوس الأموال أصلا ، ويبطل الملكية مالا وعقارا ، ويطلب من الاسلام أن يصنع صنيعه فى مواجهة الأزمات العصرية ولا يعلم أحد الى أى مدى يطول بها البقاء ، وعلى أى حال من الأحوال تتطور بين اليوم وبين هذا الغد القريب ···· فكيف كان الاسلام يؤدى حق الدين لو أنه تقلب بين هذه النظم الطارئة ، وكيف يجمع بينها أو يحض المسلمين على اتباعها فى مواطنها وعهودها » ·

(١) ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ (٢) ص ٢٤١ ·

هذه كلمات العقاد ، وانا لنرجو أن يقدرها حق قدرها الذين يريدون أن يؤولوا القرآن ، أو يحرفوا الكلم فيه عن مواضعه ليرضوا به حكما طارئا، أو ليخضعوه لحكم زمنى ، قد تغيره أحوال الزمان ، ألا فليعلم هؤلاء وخصوصا رجال العلم الاسلامى أن الاسلام له أحكامه ومبادئه .

ولقد كنا نود أن يصرح العقاد رضى الله عنه بنص القرآن على تحريم الفائدة لانهـا كسب بالانتظار من غير تعرض لمخاطر الخسارة ، وأن الاحتكار يشبهها فى أنه كسب بالانتظار ، اذ أن المحتكر يدخر البضاعة حتى يتغير زمن العرض فيها من كثرة الى قلة ، ولكنا نكتفى منه بالاشارة الى تحريم الاسلام الاستغلال من غير عمل ، فان نظام الفائدة كسب من غير عمل ، ومن غير أى مخاطرة .

١١ – والعقاد فى ذلك الكتـاب يتعرض لموضوعات يكتب فيها كتابة الفاهم المدرك لمـا يكتب ، لقد شاع بين العلماء فى هذا العصر أن تفسر الآيات الـكونية فى القرآن على مقتضى النظريات العلمية الحديثة ، وهو يقرر فى هذا معانى ثلاثة كلها مستقيم لا خطأ فيه .

أولها – أننا نفهم القرآن كما كان يفهمـه العرب ، فالمعانى اللغوية للألفاظ ، والسنة التى سهلت للعرب فهم القرآن أمران ضروريان ، ولكن حدود المعانى تفهم بما جد من علوم مقررة ، وحقائق ثابتة ، فمثلا عبـارات القرآن الواردة فى أن الأرض مبسوطة تفهمها على ضوء الحقيقة المقررة، وهى أن الارض كرة ، وأن بسطها هو للنظر كما يفهم العربى ، وكما نرى نحن ، وهـذا لا يمنع التكوير فى الحقيقة .

ثانيها – ان القرآن لا يفسر بالنظريات التى لم تستقر ، أو التى تكون دلائلها مبنية على الظن، لا على براهين ثابتة تجعلها حقائق ثابتة لا يسع العقل انكارها .

ثالثها – ان القرآن يجب أن يفهم على أنه كتاب دين يأتى بالأحكام الشرعية ، وليس كتاب علم لتقرير النظريات الكونية ، وان كان ما يشتمل عليه صدقا لاريب فيه .

ويقول فى ذلك : « اننا مطـالبون بأن نفهم القرآن الكريم فى عصرنا ، كما كان يفهمه العرب الذين حضروا الدعوة المحمدية لو أنهم ولدوا معنا، وتعلموا ما تعلمناه وعرفوا ما عرفناه ، واعتبروا بما نعتبر به من حوادث الحاضر وحوادث التاريخ منذ الدعوة المحمدية الى اليوم ، ولكن التفـكير العصرى شىء ، واقرار النظريات العلمية المتجددة شىء آخر ثم يقول : « وكل ما يجب على المسلم أن يؤمن به أن كتابه الهى يأمر العقـل بالبحث والتفكير ، ولا ينهاه عنه ، ولا يصده عن النظر والتأمل فى مباحث الوجود ، وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان ، ولكنـه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصـوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية بعد نظرية يحسبها العلماء ثابتة مقررة ، وهى عرضة بعد قليـل للنقض أو التعديل بل لا يأمره الكتاب بالتوفيق بين الكيفيات التى يفهمها العلم ، والكيفيات التى يقدرها العقل لفهم المسائل الكونية فى بداءتهـا

الأولى ونهـايتها الأخـيرة بعد طوايا الغيب المجهول »(١) .

وهكذا يبدو أن العقاد رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا ، يرى أنه من الضرورى الوقوف عند نصوص القرآن وفهمها العربى على ألا نقتصر على الصور التى كانت تجرى فى عقل العربى ، بل تشمل الألفاظ ما تجرى صوره فى عقولنا من غير أن نخرج عن حدود المعنى العربى ، ولا أن نبتعد عن المعانى الأصلية للعبارات ولا نحمل الألفاظ مالا يحتمل .

وهو بهذا يقارب رأى الغزالى الذى يقرر أن المعانى العربية والآثار النبوية هى المفتاح لكل ما يفهم من معانى القرآن المتصلة بالعلوم .

١٢ – ونرى العقاد فى هذا الكتـاب يقف اما مدافعا عن المبادىء الاسلامية المقررة الثابتة ، واما مصححا لأخطاء الذين يكتبون فى الاسلام ، واما حاميا للاسلام من المسلمين الذين يذهب فرط تقديرهم للمدنية الغربية أو تأثرهم بالحضـارة الحديثة أن يقربوا بغير الحق بين هذه الحاضرة

(١) ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

والاسلام ، أو يؤولوا القرآن بتأويل يخرجه عن معناه ، من غير دليل من أصول الدين .

وهو فى كتابته الكاتب الثبت ، والعالم المحقق، الذى يتقصى المرامى والغايات ، ويتجه الى اللب .

ولقد كنا نود أن يقرأ العقاد الذين يكتبون فى الفقه الاسلامى من الغربيين ، ويتحدثون عن مصادره ، وجلهم من الذين علموا اللغة العربية نحوا وصرفا ، ومتن لغة ، ولم يدرسوا قانونا . والفقه الاسلامى لا يعرف مزاياه الا الذين درسوا القانون،أو الذين يستطيعونأنيوازنوا بين ما أتى به من مبادىء وحلول للمشاكل الانسـانية ، وما اشتملت عليه القوانين قديمها وحديثها من مبادىء وحلول للمشاكل .

فان أولئك المستشرقين يفترون على الفقـه الاسلامى الكذب ، ويفهمونه على غير حقيقته للهوى أو الجهل ، وما أحوجهم الى مثل العقاد يرد كيدهم فى نحورهم ، ولكن الله تعالى يتولى الاسلام فى علومه وعقيدته ومبادئه وفقهه برعايته ، وما أفل للاسلام نجم الا بزغ له نجم آخر .

الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

سطور من كتاب .....

« ولم يجد الناس فى الثقافة العصرية القوة السحرية التى تبرىء الأكمه والأبرص ، وتحل كل العقد وتعالج جميع المشكلات !! .. ان العقل الانسانى لابـد ان يؤدى دوره المفروض الذى لايعفيه منه فكر « معبأ » أو « معلب » سواء أكان من صنع الأرض أو من وحى السماء !! فلابد أن يعالج الفكر بالفكر ، ولابد أن يعـالج الفكر بالتطبيق ... وحياة الفكر وحياة المجتمع فى هذه الحيوية الدافقة ، وهـذه الدورات العقـلية والواقعية المتلاحقة ! » .

... الفكر القانونى الاسلامى



تأليف : برنارد شو
ترجمة : الدكتور عمر مكاوى
مراجعة : على أدهم



الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع دار القلم
عدد الصفحات ٣٨٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٦٫٥ قرشا

فى الجزء الأول من « دليل المرأة الذكية » تدور الفكرة الرئيسية حول المساواة ، وهى — على حد قول المترجم ، الدكتور عمر مكاوى فى المقدمة التى صدر بها الكتاب — « ليست مجرد مساواة رقمية فى الثروة ، بل هى فى الواقع العمل على رفع مستوى المعيشة » الى حد يكفل الحياة اللائقة للمواطن فى المجتمع الاشتراكى ، « وذلك عن طريق امتلاك الدولة لأدوات الانتاج » . وفى الجزء الثانى الذى نعرض له هنا ، يعالج برنارد شو موضوع التأميم ، فيطالعنا بآراء تعكس لنا اتجاهات رجال المدرسة الفابية فى انجلترا ووسائلهم فى تحقيقه . فهو يرى أولا ضرورة أداء تعويض عن المشروعات المؤممة ، ذلك « أن التأميم الشامل بدون تعويض سيؤدى بالبلاد الى كارثة محققة » ، على أن تعمد الدولة الى سلاح الضرائب حتى يتسنى لها الحصول على المال اللازم لأداء هذا التعويض . ونلاحظ أن هارولد لاسكى مثلا ، وهو أشد تطرفا من شو ، يؤيد التعويض وان كان يؤثر أن يكون جزئيا ، على ما أوضحه فى كتابه « قواعد السياسة » ، وهذا المبدأ هو الذى طبقته الجمهورية العربية المتحدة ، وهو يخالف ما اتبعته البلدان الشيوعية التى درجت على المصادرة الشاملة بغير تعويض . وعندما يتم التأميم يصبح للحكومة السيطرة والاشراف على عملية توزيع الدخل .

والأمر الثانى أنه لا ينبغى أن يؤدى التأميم الى أن تتحول أعمال الدولة الى احتكارات حكومية ، وانما يجب أن تكون الخدمات العامة ميسرة للأفراد فى كل مكان ، «من أجل ذلك ستقدم هذه الخدمات للناس فى بعض الجهات بأسعار أكبر من سعر التكلفة ، وفى جهات أخرى بأسعار أقل من سعر التكلفة » . وثالثا « فقبل أن يطبق نظام التأميم بصورة فعالة على أية صناعة من الصناعات ، أو على أية خدمة من الخدمات ، ينبغى أن تنشأ مصلحة حكومية جديدة لتأخذ على عاتقها تطبيق النظام ، فنحن اذا لم تكن لدينا وزارة دفاع فلن يكون لدينا جيش » ، وفى هذا نجد أن شو يدعو الى « التدريجية » بمعنى توفير الاستعدادات التمهيدية للتأميم . ويقول المؤلف أيضا انه ينبغى

أن تكون الحكومة المقبلة على التأميم ، حكومة نزيهة أمينة فيما يتعلق بالأمور المالية ، كما يجب ألا ينقصها التصميم والعزم الأكبر على انجاح مشروعات التأميم ، « ولا يجوز أن تنهب هذه المشروعات بقصد التوفير فى الايراد العام ، كما لا يجوز لها أن تضعف الثقة بها وتدمرها ، بحيث تخلق المبررات من جديد ، لاعادة المشروعات المؤممة الى أيدى الاستغلاليين من الأفراد والشركات » .

ويعرض شو لناحية لها أهميتها اذ منها يبدأ خصوم الاشتراكية الهجوم حين يقولون انها لا تستطيع أن تجتذب المواهب النادرة ، ويقول « فقد وجد بالتجربة أن الكفاءة والمقدرة فى أداء بعض أعمال معينة ، تحمل معها فى نفس الوقت رغبة فى ممارستها ، حتى لو عادت على صاحبها بخسائر مادية جسيمة » ، فصاحب الموهبة لا يعنيه أن يعمل فى خدمة صاحب رأس المال أو الدولة ، بل ان النظام الرأسمالى يترك أصحاب المواهب الفذة النافعة فقراء « بينما يسخو بالأموال على النكرات وصائدى الأرباح الجشعين ، ويجعلهم أثرياء بدرجة سخيفة لا يقبلها عقل أو منطق » .

وفى الفصل التاسع والستين يتحدث برنارد شو عن « الحد الطبيعى للحرية » ، فنعلم أننا لم نولد أحرارا ولا يمكن أن نكون أحرارا لأن هناك طاغية أكبر هو الطبيعة التى تفرض علينا العمل . اذن ، ماهى الحرية ؟ ويجيب شو أن الحرية هى وقت الفراغ . وما هو وقت الفراغ ؛ انه الحرية . ثم يصل الى نتيجة وهى أن المشكلة الكبرى لتوزيع الدخل القومى هى أيضا مشكلة توزيع العمل الضرورى وتوزيع وقت الفراغ أو الحرية . وهذا الفراغ أو الحرية هو عين ما نريده كلنا ، « انه المجال الذى تحلق فيه أحلامنا ، مجال الامكانيات التى لاحد لها » .

ويسخر شو من أولئك الأشخاص العصبيين الذين يفزعون من الاشتراكية على أساس أن القوانين فى ظلها ستكون أكثر من اللازم ، وأن كل حركة وسكنة فى حياتنا سينظمها ويحددها البوليس ، كما يسخر ممن يحسبون أن الاشتراكية معناها نهاية عهد القانون وبداية عهد الفوضى . الواقع أن المجتمع الرأسمالى هو الذى يكبل الناس بمجموعة لا حصر لها من القوانين التى تحمى الملكية الفردية على حساب المبادىء الانسانية ، ومن القوانين والاجراءات التى تشيع فى الناس نوعا من السعادة الكاذبة. مثل هذه القوانين لن تصبح ذات مبرر فى ظل النظام الاشتراكى بعد أن نقضى على الفقر الذى « هو السبب فى الفساد والرشوة والسرقة والاخلال بالأمن والنصب والبغاء » . ألغى هذا وذاك وستجدين أنك قد ألغيت نهائيا أبغض مهام رجال البوليس وما يتبعها من سجون ومحاكم جنايات ومحلفين ».

سطور من كتاب .....

« الحصار الشديد هو أحسن ما يتخذ من اجراء ، اذا لم نتمكن من تدمير أسطول العدو ، ذلك لأن مساحة المياه التى تبقى تحت سيطرة هذا العدو تكاد تكون لاشىء ، أى لاتزيد عن موانئه ومياهه الاقليمية ، وروح القتال المعنوية ترتفع وتعلو فى نفوس بحارة قوة الحصار ، كما تسمو معنوياتهم وروحهم البحرية نتيجة لنشاطهم وتحركاتهم المستمرة أثناء عمليات الحصار » .

... الاستراتيجية البحرية

ولكن في ظل الاشتراكية هناك ناحية حيث يكون تدخل الدولة في الحرية الشخصية أبعد مدى . ففيها تختفي طبقة العاطلين بالوراثة ، وسيضطر كل فرد الى العمل ، ولكن سيصبح العمل شرفا وحياة على حد تعبير الميثـاق الوطني العربي ، اذ تشيع روح من العداء ضد كل متكاسل متقاعد، يأخذ نصيبه من الدخل ولا يقوم بنصيبه من العمل.

ويضم الكتاب فصلا عن السوفيتية ظهر في طبعة ١٩٣٧ بعد الزيارة التي قام بها المؤلف الى الاتحـاد السوفييتي . ويبدي شو اعجـابا بالانجازات التي تحققت في هذا البلد وبسياستهم في عدم التستر على الأخطاء ، وبطريقة التجربة والخطأ . ولكن الخطأ الذي ارتكبه قادته هو أنهم هدموا كل الأنظمة القائمـة دون تمهيد الارض بتوفير الأنظمة الصالحة التي تحل محلها وبالعناصر ذوات الكفاية التي تستطيع أداء المهام الجديدة ، و « كان ما تعلمه لينين بالذات هو أنك لا يجب أن تلغي الربح الفردي الا بعد أن تجعل الأمة قادرة على الاستغناء عنه عن طريق نظام التجارة الحكومية العامة » ، وهنا ينبه شو الى أنه في حالة الانتقال من النظام الرأسمالي الى النظام الاشتراكي يتعين أن نكون على استعداد لمكافحة تلك الظـاهرة النفسية ، ظاهرة التخريب وتعطيل العمل . الا أن حماس شو جعله يتغافل عن الأخطاء الفادحة التي وقع فيها ستالين أو التي ارتكبها والتي أزاح عنها الستار خلفه المستر خروشوف ، وبعض هذه الأخطاء كان لها أثر واضح في قصور الانتاج في القطاع الزراعي .

وينتقل شو الى الحديث عن الفاشية وعن بعض انجازاتها المظهرية البراقة ، ولكن كمـا اندثرت الفاشية الرومانية وهلكت وجرت وراءها الحضارة الأوروبية في ذلك الوقت ، فسـوف « تندثر الفاشية الحديثة اذا ما بقيت على ما هي عليه ، مجرد أحدث طراز من الأقنعة التي تتخفى وراءها الرأسمالية » ، وفي هذه العبارة الأخيرة وضع شو أصبعه على جوهر الفاشية كما تجلت على أيدي موسوليني وهتلر ، وهي أنها نظام يعمل على تخدير الجماهير واستثارة غرائزها والقـاء بعض الفتات لها على صورة اصلاحات لا تمس جوهر النظام الاجتماعي وهو الرأسمالية ، فهي أداة للابقاء على هذا النظام بل ودعمه .

ولقد وفق الدكتور مكاوي في نقل هذا الكتاب الى العربية والذي وضعه صاحبه للرجل العادي وخلصه بذلك من التعقيدات التي تعرفهـا عن علماء الاقتصاد والاجتماع . والترجمة العربية سلسة وواضحة ، وتدل – من بين أشياء كثيرة – على مدى هضم المترجم لمادته ومدى وعيه وفهمه، وهو رجل بحكم دراسته الأكاديمية ومهنته يعمل في ميدان آخر .

الدكتور راشد البراوي

سطور من كتاب ...

« ولقد كانت تدول الدول وتنقرض ، ويأتي الحكام ويذهبون ، ويخضع هذا الجزء من الوطن العربي لهذا الملك أو ذاك ، ويستأثر هذا الأمير بهذه البقعة أو تلك ، ويخضع هذا الجزء لعدو أجنبي من خارج البلاد العربية ولكن « وحدة الأمة العربية » أو « وحدة المجتمع العربي » أو ان شئت الدقة « وحدة الثقافة العربية » بقيت هي وحـدها ثابتة لا يمسها تغيير صميمي يجزىء الوحدة الى وحدات » .

... هذه قوميتنا



العمارة في صدر الإسلام

نصر

صدر منذ أعوام قلائل كتاب « العمارة الاسلامية فى مصر » للسيد الدكتور كمال الدين سامح ، عن ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم • وقد رحبنا بهذا السفر الجليل ، كما قدر المهتمون بالآثار الاسلامية جهود المؤلف وذلك لقلة ما كتب باللغة العربية فى هذا الموضوع الرفيع ، اذا قورن بما ألف فى هذا المنحى فى اللغات الأجنبية • وقد صدر مؤخرا كتابه الجديد « العمارة فى صدر الاسلام » • ويتألف الكتاب من مقدمة (ص ٣ – ١٠) ، وثلاثة فصول رئيسية، ثم اتبعها بحديث عن تطور القبة فى المغرب ، وبآخر عن تطور المآذن • ويحتوى الكتاب على مجموعة طيبة من الأشكال والمخططات الهندسية•

وفيما يلى محتويات الكتاب :

١ – العمارة الاسلامية فى العصر الأموى (ص ١١ – ٤٤) ، وقد تكلم المؤلف فى هذا الفصل عن قبة الصخرة ، والمسجد الأموى بدمشق ، وقصير عمرا ، وحمام الصرخ ، وقصر المشتى ، وقصر الطوبه •

٢ – فصل فى العمارة الاسلامية فى العصر العباسى (ص ٤٥ – ١٥١) ، تناول فيه المؤلف الكلام على بغداد ، الرقة ، قصر الأخيضر ، خان عطشان ، الطاقات الركنية ، قصر الخليفة المعتصم بسامرا ، قصر البلكوارة الكبير ، المسجد الأقصى ببيت المقدس ، المسجد الكبير بقرطبة ، قصبة مريدا بالأندلس ، المسجد الكبير بالقيروان ، رباط سوسة ، جامع أبى فطاطة بسوسة ، المسجد الكبير بسوسة ، صهريج الرملة بفلسطين •

٣ – فصل فى قصور الأندلس (ص ١٥٢ – ١٦٥) ، احتوى على وصف موجز لقصر الحمراء (القرن ١٣ – ١٤) ، وقصر جنة العريف (القرن ١٤ م) ، وقد طغت فيه التصاوير فلم يزد المتن فيه على ثلاث صفحات فقط •

٤ – تطور القبة فى بلاد المغرب (ص ١٦٦ – ١٦٨) •

٥ – تطور المآذن فى شمال أفريقية والأندلس (١٦٨ – ١٧٦) •

٦ – ثبت بالمراجع العربية والأجنبية (ص ١٧٧ – ١٧٩) •

تلك هى صورة واضحة لكتاب « العمارة فى صدر الاسلام » ، ونحن نهنيء صديقنا الدكتور سامح بهذه التحفة النادرة ونرجو أن يستمر نشاطه فى هذا المنحى البكر ، ومع تقديرنا للجهد الذى بذله المؤلف ، فلنا بعض الملاحظات التى لا تقلل من قيمة هذا الجهد ، فقد رأى أن يؤلف كتابا لغير المتخصصين فى هذا الموضوع ، فأفادهم بعلمه المشكور • وربما يريد الناقد أن يرى الكتاب الذى ينقده ، كما يريده هو وليس كما يكتبه المؤلف ، ومن هنا تختلف وجهتا النظر ، نظرتا المؤلف والناقد •

لقد حدد المؤلف الفترة التى تكلم فيها عن العمارة بأنها تتصل بصدر الاسلام ، فهل ياترى لا تدخل أيام الخلفاء الراشدين فى تلك الفترة ،

تأليف :
الدكتور كمال الدين سامح



الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة
عدد الصفحات ١٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٧ قرشا

اننا نراها الأساس الذى يبنى عليها تاريخ العمارة الاسلامية الأصيلة : فى شبه الجزيرة وفى العراق وسورية ومصر وفى شمال أفريقية ، وفى الأندلس أيضا . وهذه الفترة لا تخلو من العمائر الهامة التى سنوضحها فيما بعد .

فهناك عدة جوامع وقصور وحصون تعتبر الركيزة الأساسية لدراسة تاريخ العمارة الاسلامية لايمكن تجاهلها فى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين ، وفى طليعتها :

جامع البصرة :

بعد أن فتح عتبة بن غزوان مدينة الأبلة ، شيد البصرة فى عام ١٤ هـ (٦٣٥ م) بعد ما استأذن الخليفة عمر بن الخطاب، وأنشأ مسجدا حدد بأعواد القصب . ولما التهمت النار دور البصرة فى عام ١٥/١٦ هـ (٦٣٦ م) فى ولاية أبى موسى الأشعرى كانت جدران المسجد القصبية طعمة للنار ، فطلب أبو موسى من الخليفة آن يأذن له ببناء البصرة من اللبن ، فأذن له فكان المسجد من

جملة ما شيد باللبن أيضا ، وطلى جدرانه بالأصباغ • وقيل أن محجن بن الأذرع الأسلمي هو الذى اختط موقع المسجد ، وجعل منبره فى وسطه ، فكان الأمير اذا قدم للصلاة تخطى الناس الى القبلة ، ودام على هذا الحال زمنا •



ولما تعين زياد بن أبى سفيان واليا على البصرة سنة ٤٥ هـ (٦٦٥ م) من قبل أخيه معاوية أمر بهدم الجامع واعادة بنائه على خير بناء بالآجر المنحوت والجص ، وكان سقفه بالساج ، وبنى فى داخله مقصورة وقد جلبت عمده من الرخام من جبل قعيقعان بالأهواز • وقد صرف عليه أموالا طائلة ووكل على بنائه الحجاج بن عتيك الثقفى وابنه • ولما تم البناء ، أمر زياد بأن ينقل المنبر من وسط الجامع ووضعه فى صدره ، ثم حول دار الامارة من الدهناء الى خلف المسجد من الجهة القبلية ، وفتح فى حائط الجامع بابا يتصل بدار الامارة يلج منه الأمير الى الجامع دون أن يتخطى الناس فى دخوله • ثم افتتح الجامع للصلاة • وقد ذكر البلاذرى(١) أنه لما طاف زياد بهم فى المسجد سألهم : « أترون خللا » ، قالوا ما نعلم بناء أحكم منه ، فأجابهم بل هذه الأساطين التى على كل واحدة منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين لأصبحت أقوى وأمتن بناء • وقد وسع زياد فى حائط المسجد زيادة كبيرة • وكان الجانب الشمالى للمسجد منزويا لاحتوائه على دار نافع بن الحارث (أخى زياد من أمه سميه) ، وقد طلب اليه أن يبيعها للمسجد ، فرفض • ولكن عبيد الله بن زياد عندما جاء واليا على البصرة سنة ٥٥ هـ (٦٧٥ م) صمم أن يتم تربيع المسجد (أن يكون مربعا) بهدم دار ابن نافع وقد فعل ذلك أثناء غياب صاحبه ، ولما عاد تراضى الاثنان ودفع لابن نافع تعويض مناسب •

ولما عين الخليفة المهدى العباسى ، ابن عمه محمد بن سليمان واليا على البصرة سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ / ٧٧٧ م) كان المسجد قد ضاق بالمصلين ، وقيل أن عددهم كان قد بلغ عشرين ألفا ، فاستأذن الخليفة فى توسيع المسجد ، فأذن له بصرف مائة ألف درهم ، وأدخلت عدة دور كانت ملتصقة به • ووسع أيضا فى زمن الخليفة هارون الرشيد ، وقد اشتمل على ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه ، وقيل انه كان فى جدرانه الخارجية أربعة عشر ألف مربط لدواب المصلين •



جامع الكوفة :

لا يمدنا تخطيط المسجد الاول ١٧ هـ (٦٣٨ م) ، أو اعادة بنائه على يد زياد ابن أبيه ٥٠ هـ (٦٧٠ م) بمعلومات هامة فى عمارة الجامع ابان صدر الاسلام،ومع ذلك فلدينا صورة واضحة عنه فى أثناء القرن الثانى عشر ، حينما زاره الرحالة ابن جبير (١١٨٤) وكتب عنه(١) :

« .... والجامع العتيق يلى شرقى البلد ، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق • وهو جامع كبير ، وفى الجانب القبلى منه خمسة أبلطة ، وفى سائر الجوانب بلاطان • وهذه البلاطات على أعمدة من السوارى الموضوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة ،

(١) فتوح البلدان : تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ص ٤٢٦ ، القاهرة •

(١) رحلة ابن جبير : تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٧ – ١٩٨ •
راجع أيضا : مسجد الكوفة ، من مطبوعات مديرية الآثار القديمة العامة بالعراق ١٩٤٠ •

مفرغة بالرصاص ، ولا قسى عليها.وهي في نهاية الطول ، متصلة بسقف المسجد ، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها ، فما أرى في الأرض مسجدا أطول أعمدة منه ، ولا أعلى سقفا • وبهذا الجامع النبيل آثار كريمة : فمنها بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة ، •••• ومنه خرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة ، وعلى مقربة منه ، مما يلي الجانب الأيمن من القبلة ، محراب محلق (أغلق) عليه بأعواد الساج ، مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير ، وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضي)• وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن ابن ملجم بالسيف ، فالناس يصلون فيه باكين داعين • وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي ، المتصل بآخر البلاط الغربي ، شبيه مسجد صغير ، محلق عليه أيضا بأعواد الساج •••• وفي الجهة الشرقية من الجامع ، بيت صغير تصعد اليه ، فيه قبر مسلم بن عقيل ابن أبي طالب • »

جامع عمرو بن العاص :

لم يذكر المؤلف شيئا عن أهم جامع شيد بمصر في صدر الاسلام على أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو جامع عمرو بن العاص ، فقد بنى عام ٢١ هـ ، (٦٤١ / ٤٢) ، وزالت معالمه الأولى ، وربما من أجل ذلك ، أهمله الدكتور سامح • كانت مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراعا ، أي مايعادل ٢٩ × ١٧٫٣٤ مترا تقريبا • ومنذ ذلك الحين توالت أعمال الزيادات والتجديد والاصلاحات • ومن تلك الأعمال ، ما قام به الواليان مسلمة بن مخلد ٤٧ هـ (٦٦٧ م) ، وعبد العزيز بن مروان ٧٩ هـ (٦٩٨) ، فقد هدمه ووسعه من الناحية الغربية وعلى سقفه • ولعل أهم الزيادات التي لحقت بالجامع ، تلك التي أمر بها الخليفة المأمون واليه عبد الله ابن طاهر في عام ٨٢٧،فوسعه وجدده ، وأصبحت مساحته ١١٢ × ١٢٠ مترا أي قدر مساحته الأولى ١٦ مرة(١) •

(١) محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، القاهرة ١٩٣٨ •

وقد عنى المؤلف الفاضل ببعض قصور البادية التي أنشأها خلفاء بني أمية ، ولكنه لم يذكر شيئا عن أجملها وأفخمها ، وقد كشف عنه منذ ثلاثين سنة بالقرب من أريحا •• كما نسى كذلك قصري الحير الشرقي والغربي •

قصر خربة المفجر :

شيد هذا القصر الأموي بخربة المفجر فيما بين عامي ٧٢٤ ، ٧٤٣ م ، ومن المحتمل ابان حكم الخليفة هشام بن عبد الملك • يقع على الضفة الغربية من الأردن وعلى بعد حوالي خمسة كيلو مترات شمال أريحا ، ويحتوي القصر على ثلاثة أبنية ، منها قصر للسكن ومسجد للصلاة وحمام • أما القصر فقد اشتمل على طابقين حول صحن مركزي مربع الشكل ، وتفصل القصر عن الصحن أربعة أروقة مزدانة بالعمد والاقواس وجدران مدخله مزدانة بالجص المنقوش • وخارج القصر محاط بالأبراج المستديرة في زواياه الأربع •

ويحتوي الحمام على بركة للسباحة بالماء البارد،وحمام آخر للاستحمام بالماء الدافيء،وحمام بخاري • وأرض قاعة الحمام مرصوفة بالفسيفساء المتعددة الألوان بأشكال نباتية وهندسية ، وبطرف القاعة كانت غرفة للراحة مرصوفة بالفسيفساء أيضا على شجرة مورقة تقف على جانب منها ظبيتان ، وعلى الجانب الآخر أسد يفترس ظبية ثالثة • والمسجد عبارة عن ايوان مستطيل مسقوف في مؤخرته عند المحراب بعقدين يقومان على العمد والأقواس(١) •

قصر الحير الشرقي والغربي :

يقع القصر الأول على بعد ستين ميلا شمال شرق تدمر بصحراء سورية ، شيده الخليفة

(١) راجع : Homilton R. W. : Khirbet al Mafjar : An Arabian Mansion. Oxford Un. Press. 1959,
وراجع أيضا عدة مقالات كتبها الاستاذ برامكي بالانجليزية في مجلة مديرية الآثار القديمة بفلسطين ، المجلدات ٥ و ٦ و ٨ و ١٠ - الأعوام ١٩٣٦ - ١٩٤٠ •

الأموى هشام بن عبد الملك حوالى عام ٧٢٨/٩ م . ويتألف من بناءين كبيرين مربعين تقريبا . وتكتنف أسواره أبراج نصف مستديرة ، ويحتوى أكبر البناءين على مسجد ذى صحن ، تحيط به الأروقة المفردة ، فيما عدا رواق جانب القبلة ، فيحتوى على ثلاثة صفوف من الأروقة . ويمتاز بناء القصر بعدة خصائص معمارية ، لعل أهمها استخدام السقاطات التى تعلو المداخل الرئيسية ، وكانت تستخدم لاسقاط القذائف والقاء الزيت المغلى على مقتحمى القصر(١) .

أما قصر الحير الغربى فيقع على مسافة ٦٠كم غربى جنوب غربى تدمر ، ويقع على بعد ٣٠ مترا شمال القصر ، بقايا حمام ، كشف عن جزء كبير من جدرانه وعدة قاعات ، أما القصر فمربع الشكل وتطل أروقته على صحن رئيسى ، وتزدان الجوانب بالأبراج نصف المستديرة ، يقوم اثنان منهما فى جدار الباب ، وواحد فى كل من الجوانب الثلاثة الأخرى . وللقصر باب واحد فى الجانب الشرقى . وقد دلت التنقيبات التى كشفت عن القصر أنه كان له طابق ، ومما يدل على ذلك وجود العمد التى كان يعتمد عليها السلم الموصل اليه . وكان القصر مزينا بالفسيفساء الجميلة ، ورصعت جدرانه بالرسوم ونقوش الجص وقد نقلت الى المتحف الوطنى بدمشق مع كثير من المخلفات الفنية الرائعة .

وينسب معظم علماء الآثار الاسلامية بناء هذا القصر الى الخليفة هشام بن عبد الملك ويعتبر من أكمل المساكن البدوية فى الصحراء ، تلك التى كان يهرع اليها الخلفاء الأمويون للنزهة والترفيه والقنص . وقد اندثر هذا القصر مع غيره فى أعقاب سقوط الدولة الأموية (ج ٧٥٠ م) .

فاذا انتهينا من وصف تلك القصور ،وجدنا أنفسنا أمام مسجد أموى عتيد شيده مروان الثانى فى حران .

(١) راجع : موجز عن العمارة الاسلامية فى صدر الاسلام،طبعة بليكان ص١١١ - ١٢٣ . للأستاذ ك.كريسويل

مسجد حران الكبير :

يقع هذا المسجد فى مدينة حران التى اتخذها مروان الثانى (٧٤٤ - ٧٥٠) آخر الخلفاء الأمويين قاعدة له بعد انتقاله اليها من دمشق ، وكانت آنذاك خالية من مسجد كبير ، ويرى الأستاذ كريسويل أن مروان الثانى هو الذى شيد الجامع المذكور .

وهذا الجامع مربع الشكل ، يبلغ طول ضلعه حوالى مائة متر ، شيدت جدرانه من الحجارة ، ويلاحظ أن الجدار الشرقى هو أسلم ما بقى من مبانى الجامع ، وترى بعض قواعد العمد - اليوم - ملقاة على أرض الصحن . وقد وصف ابن جبير (٥٨٠ هـ) ١١٨٤ م جامع حران حينما مر بالمدينة ، فقال عنه : « ... يتصل بهذه الأسواق جامعها المكرم ، وهو عتيق مجدد ، قد جاء على غاية الحسن ، وله صحن كبير ، فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوار رخام ، وتحت كل قبة بئر عذبة . وفى الصحن أيضا قبة رائعة عظيمة ، وقد قامت على عشر سوار من الرخام ، دور كل سارية تسعة أشبار . وهذه القبة من بنيان الروم . وأعلاها مجوف كأنه البرج المشيد ، يقال انه كان مخزنا لعدتهم الحربية ، والله أعلم . والجامع المكرم سقف بجوائز الخشب والحنايا ، وخشبه عظام طوال لسعة البلاط ، وسعته خمس عشرة خطوة ، وهو خمسة أبلطة ، وما رأينا جامعا أوسع حنايا منه . وجداره المتصل بالصحن الذى عليه المدخل اليه ، مفتح كله أبوابا ، عددها تسعة عشر بابا : تسعة يمينا ، وتسعة شمالا ، والتاسع عشر منها باب عظيم وسط هذه الأبواب ، يمسك قوسه من أعلى الجدار الى أسفله ، بهى المنظر ، جميل الوضع ، كأنه باب من أبواب المدن الكبار . ولهذه الأبواب كلها أغلاق من الخشب البديع الصنعة والنقش ، تنطبق عليها على شبه أبواب مجالس القصور ، فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع ، وحسن ترتيب أسواقه المتصلة به ، مرأى عجيبا قلما يوجد فى المدن مثل انتظامه...»(١)

(١) رحلة ابن جبير : تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة . ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

وكانت حران حينذاك خاضعة لمظفر الدين بن زين الدين (كوكبور) الذى حالف السلطان صلاح الدين الأيوبى ودخل فى طاعته وشهد معه مواقف كثيرة ، أبان فيها عن نجدة واصالة نفس.

ومسجد حران هام من الناحية المعمارية فانه مزيج من المؤثرات المعمارية المتنوعة ، كغالبية مبانى الأمويين ، فأسلوب مبانيه الحجرية يتسم بطراز مبانى شمال بلاد الرافدين ، الذى انتقل الى شمال سورية ، أما نظام العقود فيرتد الى الأساليب الكلاسيكية اليونانية ، ويتبع تخطيط المسجد ، ذلك الأسلوب المبكر لمساجد العراق . أما الواجهة المطلة على الصحن فتذكرنا بواجهة جامع ديار بكر الكبير كما كانت عليه بين ١١١٦ و ١١٦٤ م .

وكان جديرا بالمؤلف أن يحدثنا فى كتابه عن ثلاث عمائر جليلة أنشئت خلال العصر العباسى فى العراق ومصر ، ولاشك أن أهمها جامع ابن طولون ، ولنبدأ بكلمة عن جامع واسط بالعراق .

جامع واسط :

شيد الحجاج بن يوسف مدينة واسط فى عام ٨٣ هـ (٧٠٣ — ٧٠٤ م) وبنى فيها الجامع الكبير ، وقد اندرس فى حوالى عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) على ما ذكره المقدسى(١) ، وتقع واسط اليوم فى مكان مهجور ، على بعد حوالى ٢٥ ميلا من كوت العمارة ، وتعرف باسم المنارة لانه يقع على مقربة منها بناء له مدخل كبير تكتنفه منارتان، وينسب البناء الى القرن الثالث عشر .

(١) المقدسى : احسن التقاسيم (٣٧٥هـ/٩٨٥ م) ، ص ١١٨ ، دى غوية ، ١٩٠٦ .

واستنادا الى التنقيبات الاثرية ، تمكن العلماء أن يعتبروا جامع الحجاج ، أقدم الجوامع الأربعة المكتشفة فى بقعة واحدة(٢) ، كما أنه أمكن التعرف على بعض الأجزاء الأصلية وهى : قطع من الجدران الأربعة المحيطة بالجامع ، وأجزاء من الأسس ، استدل منها على عدد البلاطات والأروقة وشكلها وسعة كل منها ، وقطع أساطين قدت من حجر رملى ، وباب واحد يتوسط الجدار الشمالى الشرقى ، وتبليطتان متفاوتتان فى الزمن دلت أعلاهما على أن الجامع قد رمم وأصلح قبل انهدامه .

والجامع ذو شكل مربع تقريبا ، ١٠٤٫٣٠ × ١٠٣٫٥٠ مترا ، ويتكون من صحن مستطيل تحيط به بلاطات من جوانبه الأربعة ، فما كان فى مقدم الجامع حيث قبلته ، ويعرف بالحرم ، خمس بلاطات يتألف كل منها من تسعة عشر رواقا . وما هو فى آخره وجانبيه بلاطة واحدة . وتتألف بلاطة آخر الجامع من تسعة عشر رواقا وبلاطة كل من الجانبين من ثلاثة عشر رواقا . وقد تأكد المنقبون ، أن حجارة أساطين جامع الحجاج قد أزيح معظمها من مكانه واستعمل ثانية وثالثة فى بناء المساجد القائمة عليه . وقد اتضح لهم أن أحجار الاساطين كانت عليها زخارف ، أخفيت بعضها تحت طبقة جصية رقيقة عندما شيد الجامع الثالث(٣) .

وكان جامع الحجاج مفروشا فى بادىء أمره بآجر أحمر هش مرصوف رصفا موازيا لجدران الجامع ، ومن المحتمل أنه كانت هناك ميضأة

(٢) فؤاد سفر : واسط (الموسم السادس للتنقيب) ، القاهرة ، عام ١٩٥٢ ص ٢٥ — ٢٧ .

(٣) فؤاد سفر : اللوحات ١٤ و ١٥ و ١٦ .

فى وسط الصحن ، هـــذا الأمر الذى يتفق مع ما عهد فى الجوامع الأخرى المنســوبة الى ذلك العصر • وقد أشار أحد المراجع التاريخية الى أن منارة استحدثت فى الجامع سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) غير أنهـــا لم تعمر طويلا فوقعت عام ٤٩٧ هـ (١١٠٣/١١٠٤ م)(١) •

وكانت جدران هذا الجامع وأسسه مبنية بالآجر والجص الضارب للحمرة ، وقد اختلف الآجر فى حجون ، ولايعنينا هنا أن نذكر شيئا عن الجوامع الثلاثة الأخرى ، ويمكن مراجعتهـا فى مصادرها • ويقول الأستاذ كريسويل عالم الآثار الاسلامية ان هذا الجامع ـ أقدم الجوامع فى الاسلام ، وصلت الينا بقاياه التى يســتدل منها على أسلوب عمارته ويمكن أن يطلق على هذا الأسلوب بحق الطراز العراقى للجامع(٢) وقـد تقدم على بناء جامع الخليفة المنصور ببغداد فى عام ٧٦٥ م •

مقياس النيل بالروضة :

لقد اندثر المقياس الذى شيده أسامة بن زيد فيما بين ٩٣ ، ٩٧ هـ (٧١٠ ـ ١٥ م) ولذلك لا يعتبر من آثار عصر الولاة أو الأمويين ، وقد شيد البناء الأصلى للمقياس الحالى فى آخر أيام الخليفـــة المتوكل على الله جعفر حوالى ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) وأشرف على بنائه المهندس محمد بن كثير الحاسب الفرغانى • ثم أصلحه أحمد بن طولون عام ٢٥٩ هـ (٣/٨٧٢) ، وعمّره الوزير بدر فى أثناء حكم الفواطم سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) ، وشيد غربيه جامع المقياس • وقد توالت على المقياس ، ترميمات واصلاحات شتى للحفاظ عليه من الاندثار ، وصيانة النقوش العربية التى تحيط بجدران البناء من الداخل(٣) •

جامع أحمد بن طولون :

ولانعلم السبب الذى من أجله لم يذكر السيد المؤلف هذا الجامع الرائع والذى يشهد بمكانته المجيدة فى العمارة الاسلامية ؟ مع أنه ضمّن كتابه عدة عمائر أخرى تنسب الى القرن التاسع الذى شيد فيه هذا الجامع (٨٧٨ م) ، أنه من أكبر الجوامع مساحة ، اذ تبلغ بالزيادات ستة أفدنة ونصف الفدان • ويتكون من صحن مربع مكشوف ، تحيط به أروقة من جوانبه الأربعة ، وتقع قبلته فى أكبر هذه الأروقة.وتوجد ثلاثة أروقة خارجية تسمى الزيادات • شيد بالآجر الأحمر ، وعقود الأروقة محمولة على أكتاف ضخمة من الآجر أيضا يكسوها الجص • ويحيط بجدران المسجد ١٢٩ نافذة من الجص المفرغة بأشكال هندسـية ونباتية جميلة • أما المنارة فهى فريدة فى نوعها على شكل مدرج حلزونى كمثيلاتها فى سامرا • وتكاد جميع سمات هذا الجامع الجليل ومعالمه الأصلية باقية كما كانت عليه ، وهو لايزال درة ناصعة فى ثبت تراثنا المعمارى •

* * *

وقد رأينا المؤلف يتناول فى كتابه ، قصور الأندلس : الحمراء ، وجنة العريف ، ولاندرى السبب الذى من أجـله ، قد احتواها كتــابه

(١) مسجد الكوفة ، اللوحة ٣١ ، من مطبوعات مديرية الآثار القديمة بالعراق •

(٢) كريسويل: A Short account of Early Muslem Architecture (Pelican). P. 40–42.

(٣) كامل عثمان غالب Le Mikyas ou Nilomètre de L'Ile de Rodah Le Caire 1951

« العمارة فى صدر الاسلام » وكلنا يعلم أن أهم أجزاء الحمراء وجنة العريف قد شيدت فى القرن الرابع عشر - تلك الفترة التى تتسم بغروب الحضارة الاسلامية فى الأندلس الحبيب ! ومع ذلك فان هذا الفصل جاء متواضعا فى مادته فقد احتوى على ثلاث صفحات فقط من المتن ، واحدى عشرة صفحة مصورة • وكان ممكنا أن يتناول وصفه مفصلا فى كتاب تال يؤلفه الدكتور سامح عن العمارة الاسلامية فى الأندلس •

وشىء آخر نلاحظه على تخطيطات العمائر وهى مجموعة قيمة حقا ، فقد كتبت مصطلحاتها الفنية وأرقامها بالحروف اللاتينية فقط ، كما صدرت فى كتب المراجع التى استعان بها المؤلف • ألم يكن من الأصوب أن تزال الكلمات والأرقام ويعاد كتابتها بالحروف العربية ، أو يعاد رسم تلك المخططات ، مع الاشارة الى اسم المخطط الأصلى تحت كل مسقط أفقى أو رأسى أو رسم منظور ؟ نرجو أن يفعل المؤلف ذلك فى الكتب المقبلة •

وحبذا لو احتوى هذا الكتاب النفيس على خريطة أو خريطتين ، يوضح عليهما مواقع الآثار التى ذكرت فى الكتاب ، فكثير من القراء غير المتخصصين لا يعرفون مواقع قصور : عمرا وحمام الصرخ وقصر المشتى والرقة •• الخ فى بادية الشام الفسيحة • أو مواقع الأخيضر وخان عطشان وآثار سامرا بالعراق• أو سوسة بتونس، أومريدا وغيرها بالأندلس ؟

وهنا نقف لحظة ، لكى نطالب مخرجى الكتب أو منتجيها بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بالعناية بهذه الناحية الهامة عند اخراج الكتب الفنية المفيدة ، وقد يغيب مثل هذا العمل عن المؤلف بعد أن يكون قد أضنى عينيه فى الكتابة والمراجعة شهورا طويلة •

ومع ذلك فاننا نقدر ونهنىء صديقنا الدكتور سامح ، ويشاركنى دون شك قراء الكتاب ممن يعنون بالتأليف فى هذا اللون الطريف فى تراثنا المعمارى الخالد •

الدكتور عبد الرحمن زكى

سطور من كتاب .....

« كم أمة لم توق عادية الردى
لولا الذى اقتحم الردى فوقاها

تسمو الشعوب بكل حر ماجد
وجبت عليه حقوقها فقضاها

ما أكرم الأبطال يوم تفيأوا
ظلل المنايا يبتغون جناها

راحوا من الدم فى مطارف أشرقت
حمر الجراح بها فكن حلاها »

... ديوان مجد الاسلام



الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٣٧٤ ص ١٧×٢٤ سم .

ما أروع البحث عن الحقيقة والتنقيب عن أسرار المعرفة وما أجمل ازاحة الأستار عن كل غامض وكل مجهول من خفايا العلم ، ولعل هذه هى أنبل مهمة يمكن أن يضطلع بها انسان . والكتاب الذى نحن بصدده اليوم محاولة من طائفة من العلماء للبحث عن الحقيقة والتقصى عن المعرفة واستجلاء خفايا موضوع من الموضوعات التى شغلت بال العلماء والمفكرين والفلاسفة منذ أقدم العصور وهو موضوع الحياة ... الحياة بأصلها ونشأتها ، وكنهها وماهيتها ... الحياة بمكوناتها ومسبباتها والعوامل التى تساعد على نشأتها ونموها وتوارثها ... الحياة بعملياتها الحيوية وطاقاتها المختلفة المتباينة وكائناتها الدقيقة والراقية ... الحياة بكيميائها وطبيعتها وقواعدها وقوانينها وطرائقها ونواميسها ... !!

وان دأب الانسان ومحاولاته المستمرة وجهوده المضنية المتواصلة ، وبحوثه وتجاربه المتعددة ستهيىء له يوما بعد يوم ، بعض السبل التى تهديه الى تفهم جانب ولو ضئيل من غوامض هذا الموضوع المعقد المتعدد الجوانب .

ولاشك أنّ البحث فى موضوع الحياة وماهيتها ، فيه من جوانب التشويق واللذة والاستمتاع ما يدفع المرء الى متابعته والاستزادة منه لأنه يتصل بكنهنا وطبيعتنا ونفوسنا وادراكنا ، ولأنه يزيدنا ايمانا بذات الله وقوته وعظمته وجبروته وروعته وقدراته الخارقة اللانهائية ، وطاقاته الهائلة اللامحدودة .

والكتاب الذى نحن بصدده يبحث موضوع الحياة من جوانبه العلمية البحتة لا جوانبه الفلسفية أو الدينية ، فهو يعنى ببحث الحياة باعتبارها عملية طبيعية كيميائية ، والمسائل التى يثيرها ، هى من ذلك النوع الذى يمكن الاجابة عليه فى نطاق القواعد والقوانين التى تفسر سلوك الذرات والجزيئات غير الحية . وجميع من اشترك فى تحرير فصول هذا الكتاب من العلماء المتخصصين الذين يعرضون الموضوع بأسلوب علمى بحت وكل استنتاج يصلون اليه مبنى على تجارب ومشاهدات معينة أو ظواهر علمية معروفة .

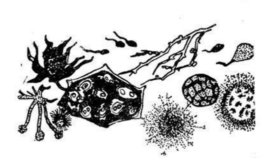
وقد يكون من الأوفق ، ليدرك القارىء القيمة العلمية لهذا الكتاب ، أن نشير الى بعض من أسهم فى تحرير مادته من العلماء والمتخصصين . لقد شارك فى تأليف هذا الكتاب عشرون من العلماء فى مختلف فروع العلم بينهم متخصصون فى الكيمياء الحيوية أمثال چورج والد الأستاذ بجامعة هارفارد والحائز على جائزة الجمعية الكيميائية الأمريكية عام ١٩٣٩ ، وچوزيف فراتون الأستاذ بجامعة بيل ، وليناس بولنج الحائز على جائزة نوبل فى الكيمياء عام ١٩٥٤ لما قام به من بحوث ودراسات أدت الى زيادة معلوماتنا عن الروابط الكيميائية وتركيب الجزيئات ، وبرنهارد كانز رئيس قسم الكيمياء الحيوية فى الكلية الجامعية بلندن وهو أحد قادة البحث العالميين فى علم الكيمياء الكهربية للتيار العصبى .

وبين مؤلفى هذا الكتاب زنت چورجى الحائز على جائزة نوبل فى الطب عام ١٩٣٧ والذى يجرى منذ عام ١٩٤٧ بحوثا فى علم فسيولوجيا العضلات والكيمياء الحيوية المتصلة بها فى معهد أبحاث العضلات بمدينة وودزهول بماساشوستس بأمريكا .

تأليف : نخبة من العلماء

ترجمة : الدكتور محمد محمود عبد القادر
والدكتور ألفونس رياض

مراجعة : الدكتور عبد الفتاح اسماعيل



ومن علماء الوراثة أسهم فى تحرير الكتاب الفريد ميرسكي وكريك وماريانا بوڤارينك .

ومن علماء البيولوجيا جورج بيدل رئيس معهد كاليفورنيا لعلوم الحياة والعالم ك.هـ. وادنجتون أستاذ علم الوراثة فى جامعة أدنبره والدكتور جراى والتر وهو عالم انجليزى فى علم الفسيولوجيا وقد أمضى خمسة عشر عاما فى بحوثه التى أجراها فى معهد بيرون لدراسة الأعصاب ببلده بريستول بانجلترا .

يبدأ الكتاب بحديث عن أصل الحياة ، ذلك الموضوع الذى أثار اهتمام الكثيرين على مر التاريخ . ومما لاشك فيه أن محاولة معرفة نشأة الحياة فى كوكبنا هذا ، تبعث فى الآفاق عديدا من المشاكل العلمية التى تقودنا الى اتجاهات مختلفة ومتعددة . ولكى يدرك رجل العلم كيف نشأت الحياة ، عليه أن يجمع كل ما نعرفه عن عمليات الحياة كما تحدث اليوم ، وعليه أن يجيب على تساؤلات عديدة ما زلنا نجهلها فى غالبيتها كيف تتكون المادة الحية المعقدة من الجزيئات البسيطة للمادة غير الحية ؟؟ وكيف تتحلى الصفات التى تربطها بالحياة ، وكيف تتناسق تترابط وتتوافق ... ؟؟ كيف تتكاثر الكائنات الحية ، وكيف تنتقل صفاتها وخصائصها ، أبنائها وذريتها .. ؟؟ ..

ان المركبات العضوية التى توجد فى الكائنات الحية تنتمى أساسا الى أربعة أنواع رئيسية هى الكربوهيدرات والدهون والبروتينات وحوامض النيوكليك . ولعل أبسطها هى الدهون والنشويات ووظيفتها الأساسية هى القيام بدور الوقود الذى يمد الكائن الحى بالطاقة التى تلزمه . أما حوامض النيوكليك فانها أكثر تعقيدا اذ هى تركيبات ضخمة وهى تدخل فى تكوين حبيبات الوراثة (الجينات) التى تحمل الصفات الوراثية فى الكائن الحى ؛ كما تعتبر البروتينات من أكبر وأعقد التركيبات العضوية كلها ومن أكثرها تنوعا واختلافا .

هذه المركبات العضوية الرئيسية تكون عددا لانهاية له من الكائنات التى تختلف فى نوعها وتركيبها على نحو محير ، ولا يمكن للانسان أن يتخيل وجود كائنات حية لا تحوى هذه المواد ، وتلك هى المشكلة ؛ لأنه لكى نفهم كيف خلقت الكائنات لابد أن نفسر كيف خرجت المواد المعقدة الى حيز الوجود ... وتلك فى الحق ليست الا البداية ، فان اخراج كائن حى الى الوجود لا يتطلب فحسب وجود عدد هائل من تلك المواد المتنوعة بكميات مناسبة وبنسب صحيحة ، بل يتطلب أيضا ترتيبها ترتيبا ملائما ، ومن ثم نرى أن البناء له من الأهمية ما للتكوين وما أعسر البناء وأعقده ؛ واذا كان العقل الالكترونى يعتبر أعقد آلة ابتدعها الانسان فهو فى الواقع ليس الا لعبة أطفال بالقياس لأبسط وأضأل أنواع المخلوقات الحية ... !!!

لقد حاول جورج والد فى حديثه عن أصل الحياة ، تعليل المسائل الأساسية التى تدخل فى تجارب النشأة الأولى للحياة ، وايجاد تفسيرات للعمليات البيولوجية التى تصحبها ، ولكن يتضح — أنه على قدر ما يتعمق العلم فى محاولة تفهم أسرار الكون وأصل الحياة — على قدر ما تزداد الأمور أمامه تعقيدا وعلى قدر ما تزداد الصورة فى مخيلته اهتزازا وغموضا ... !! وسبحان

الله جلت قدرته جعل فى الخلية الحية آية من آيات الخلق وآية من آيات الخلود .. !!

ومهما يكن الشأن فى بداية الحياة ، فانها ماتزال مستمرة فى النشوء على سطح كوكبنا هذا ، وماتزال المكونات الحية تدفع فى اطراد بالمواد الخاملة المحيطة بها الى دائرة الحياة الكبرى لتندمج فى عمليات الحياة البيولوجية . ومن المعروف أنه فى هذا الوجود الحى الذى تعيش فيه الكائنات ويعتمد بعضها على بعض لتبقى على حياتها تعتمدكلها على النبات أولا وآخرا .. فلايمكن أن نتصور بقاء الحياة على الأرض أو أى كوكب آخر من غير النبات والسبب الوحيد الذى يدعونا الى الظن بأن هناك حياة على المريخ هو الاشتباه فى اخضرار بعض أجزاء هذا الكوكب . فالنباتات وحدها هى القادرة على انتاج المواد الحيوية كالسكريات من الهواء والماء دون مساعدة أخرى اللهم الا ضوء الشمس وذلك عن طريق عملية التمثيل الضوئى . ففى هذه العملية تتحول المادة من الصورة البسيطة الخاملة فى عالم المركبات غير العضوية الى الصورة النشطة المعقدة التى هى أساس الحياة . وليست العملية معجزة كيميائية فحسب ، بل استعراضا بديعا لاستنباط الطاقة اذ أن طاقة الشمس تخزن فى الروابط الكيميائية لجزيئات المواد الحيوية المخلقة ، تلك الطاقة التى تستخدمها مملكة الحياة بأسرها لتحيا وتعيش ... !!!

وعندما يدرس العلماء هذه العملية ؛ فان أكثر ما يذهلهم هو المهارة الفائقة فى تخليق السكر من ثانى أكسيد الكربون والماء ، ولو عرفنا السر الفيزيائى لهذه العملية ، لأمكننا الاستغناء عن وظيفة النبات كمخزن للطاقة ولأمكننا توليد الطاقة الكيميائية والكهربية من ضوء الشمس مباشرة !!

هذا وتعتمد النباتات ، وبالتالى الحيوانات ، فى تركيب مركباتها الرئيسية على نزلاء من بكتيريا مجهولة لها القدرة على تثبيت نيتروجين الجو وادخاله فى مركبات عضوية وبذا تضع أسس تخليق البروتينات التى هى المادة الرئيسية للحياة .

وكما يقول جوزيف فراتون ، ان جزىء البروتين هو أروع قطعة هندسية أوجدتها الطبيعة ، وتعتبر الطرق المعقدة المتعددة التى تتجمع بها الذرات داخل جزيئات البروتين فتضفى عليها تعددا فى أشكالها ووظائفها من الأعمال الهندسية المثيرة . ويعرض لنا الكتاب كيف توصل العلماء الى اماطة اللثام عن أسرار جزىء البروتين مما قد يساعدنا على تعرف مميزات وسلوك الجزيئات التى تكون الخلايا الحية . ولعل أحدث ما عرض له الكتاب من انتصارات علمية فى هذا الصدد ما قام به العالم فردريك سانجر الأستاذ بجامعة كامبردج من دراسة كاملة لجزىء بروتين الانسيولين ومعرفة مكان كل وحدة وذرة فى الجزىء .

هذه الاحاطة بتركيب البروتينات ، وهذا التفهم لماهيتها يساعدنا على ايضاح وظيفة الحياة الأساسية وهى التكاثر وانتقال العوامل الوراثية .

كيف تنتقل العوامل الوراثية من جيل الى جيل ... ؟؟ ان حبيبات الوراثة أو الجينات تتجمع فى الكروموسومات وهى أجسام توجد فى نوايا الخلايا الحية ... هذه الكروموسومات أمكن أخيرا تحليلها كيميائيا ، ووجد أن العامل الرئيسى فى نقل الصفات الوراثية هو أحد مركبات « النيوكليوبروتين » والمشابه فى تركيبه للبروتينات . وفى بحوث الفريد ميرسكى وكريك تفصيلات شائقة لهذا الجانب من موضوع الحياة وأسرارها .

والحديث عن البروتينات يجرنا الى الحديث عن الأنزيمات . فالأنزيمات أساسا مواد بروتينية وهى عوامل مساعدة تعمل داخل أجهزة الجسم لتنشيط العمليات الحيوية . وقد تحتاج العملية الى أكثر من أنزيم واحد فى نفس الوقت فعملية تمثيل السكريات التى يحصل منها الحيوان على جزء كبير من الطاقة اللازمة له تحتاج الى اثنى عشر أنزيما . وقد أثبتت البحوث التى قام بها العلامة جورج بيدل وغيره من العلماء أن الوراثة تتحكم فى القدرة على تخليق الأنزيمات وقد درس جورج بيدل هذه المشكلة على فطر الخبز الأحمر

« النيورسبورا » وتبين له أن وجود أو غياب أنزيم معين يرتبط بوجود أو غياب جين معين .

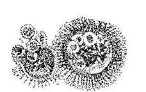
والخلية الحية ، هى المسرح الذى تتمثل فيه أوجه النشاط الكيميائى الحيوى ، وتظهر عليه صور العمليات البيولوجية المتباينة : فالخلية هى الوحدة الأساسية للحياة ، وبما أنها قادرة على النمو الى حجم محدود فقط فان انقسامها هو مفتاح عملية النمو . وانقسام الخلية من الموضوعات التى أحرز فيها العلم تقدما ملحوظا ، فقد أمكن حديثا فصل الجهاز المعقد الذى يقوم بهذه العملية من الخلية وبدأ العلماء فى تحليل مادته ودراسته . كما يدرس المتخصصون فى هذا الميدان ، الوسيلة التى تتهيأ بها الخلايا المنقسمة وتتخصص لتنتج الأنسجة المتحددة المتباينة فى الكائنات الراقية ، وعملية التخصص هذه تنظمها مواد كيميائية لم يعرف كنهها بعد يطلق عليها المنظمات .

وبعد ، لعل من أصعب أجزاء علم الحياة دراسة التوزيعات الالكترونية فى جزىء البروتين، فهذه الدراسة ستساعدنا فى تفهم نشاط العضلات والأعصاب والمخ ، فما العضلات الا بروتينات تحول الطاقة الكيميائية الى طاقة آلية وما انقباضها الا انطلاق للطاقة التى اختزنتها. كما أن نشاط المخ نتيجة لتغير الجهود الكهربية فيه .

ويقول زنت چورچى الحائز على جائزة نوبل فى صدد الحديث عن هذا الموضوع ... « ... وليس لنا أن نأمل فى تفهم شىء ذى قيمة عن طبيعة الحياة حتى تتم هذه الدراسات ، وربما بدت هذه الدراسات الآن وكأنها المستحيل أو الاعجاز ، الا أن المستقبل كفيل بتذليل ما يواجهنا من صعاب ... !!! »

وأخيرا لا يسعنا فى ختام جولتنا هذه ، الا أن نتقدم بجزيل الشكر الى الدكتور عبد الفتاح اسماعيل والدكتور محمد محمود عبد القادر والدكتور الفونس رياض على هذا الكتاب القيم وهذه الاضافة المتميزة للمكتبة العربية وعلى هذا الأسلوب البارع فى الترجمة .

الدكتور جمال الدين محمد موسى




اسبينوزا

الناشر : دار النهضة العربية
٣٨٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

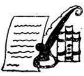
استهوت فلسفة اسبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) مؤرخى الفكر الأوروبى الحديث ، فحظى مذهبه الميتافيزيقى بالكثير من التأويلات ، كما لقيت آراؤه فى الأخلاق والسياسة اهتماما كبيرا من جانب الفلاسفة وعلماء السياسة . ولكن ، على حين فسر البعض فلسفة اسبينوزا الميتافيزيقية تفسيرا روحيا صوفيا ، نجد أن الكثير من مؤرخى الفكر الحديث – خصوصا من بين جماعة الماركسيين – قد جعلوا من اسبينوزا فيلسوفا ماديا يدعو الى الحتمية وينادى بالضرورة ويؤمن بالعلم (١) . وبينما كان احساس اسبينوزا الصوفى بالوحدة الشاملة للطبيعة مثار اعجاب لدى كل من كولردج وشلى ، نجد أن ما راق جورج اليوت لدى اسبينوزا انما هو عداؤه الصريح للخرافة ، وتحمسه للنزعة العقلية العلمية ، وايمانه بضرب من المادية . وعلى حين أن بعض المفسرين قد شاءوا أن يربطوا فلسفة اسبينوزا الواحدية ببعض المذاهب الصوفية التى كانت شائعة فى العصور الوسطى ، نجد أن أرنولد ، وأناتول فرانس ، وغيرهم ، قد أشادوا بنزعته العقلية الموضوعية ، وروحه العلمية النزيهة .. الخ . وقد شاء الدكتور فؤاد زكريا أن يعاود النظر الى فلسفة أسبينوزا ، لكى يفصل فى أمر هذه التأويلات المذهبية المتعددة ، مستندا الى فرض جديد هو أنكشف عن المعانى الخفية فى كتابات اسبينوزا ، دون التقيد بالشكل الظاهر لألفاظه وتعبيراته . وقد حدد لنا المؤلف غرضه من هذا البحث فقال فى مقدمة كتابه : « ... ان اسبينوزا فيلسوف لم يفهم بعد حق الفهم ؛ (وهو) قد نصب للمفسرين السذج شراكا وقع فيها – لسوء الحظ – معظم من كتبوا عنه ، ولذا كان الرجوع اليهم يفيد فى الانتقاد أكثر مما نفيد فى الاسترشاد . ومن هنا فانى أود أن يعدنى القارىء مسئولا عن التفسير الذى سيجده فى هذا الكتاب لفلسفة اسبينوزا ، وعن كل ما قد يستحق استحسانه أو استهجانه فى هذا التفسير » . (ص ١٣ – ١٤) .

---

(١) أنظر مثلا : «Spinoza in Soviet Philosophy.» G. Kline «editor» : London. Routledge and K. Pavl.. 1952.

اسپينوزا

تأليف
الدكتور فؤاد زكريا

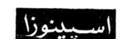




وقد يدور بخلد القارىء أن يتساءل عن السبب الذى حدا بالأستاذ المؤلف الى رفض شتى التفسيرات الذائعة لفلسفة أسپينوزا ، ولكن المؤلف نفسه يكفينا مئونة هذا التساؤل لأنه يصارحنا منذ البداية بأن اهتمام معظم الشراح قد وقف عند التعبيرات والصيغ الميتافيزيقية التى حفلت بها كتابات اسپينوزا ، فى حين أن المهم هو النفاذ الى موقفه الأصيل من الانسان وحضارته . وكثيرا ما يجد الباحث فى كتابات اسپينوزا قضايا لو أخذت بمعناها الشكلى أو الحرفى ، لما كانت تختلف كثيرا عن القضايا العقيمة المألوفة لدى الفلاسفة المدرسيين ، فى حين أنه لو وضعت هذه القضايا فى سياقها الحقيقى فى اطار فلسفة اسپينوزا ، ولو فهمت الدلالة الخاصة التى أضفاها على مصطلحاتها ، لاكتسبت معنى مشحونا بالثورة وبالدلالات الانسانية العميقة . (ص ١٢ - ١٣) . ولسنا ندرى لماذا يأبى المؤلف الا أن يحكم على شتى القضايا المدرسية بأنها « عقيمة » ، ولكننا لا نرى مانعا من أن نضرب صفحا عن شتى التأثيرات المدرسية التى وقع تحتها اسپينوزا ، لكى نركز اهتمامنا على تلك العناصر الثورية التى انطوت عليه دراسته للانسان والعالم المحيط به ...

ولا بد من أن يكون القارىء قد لاحظ معنا أن حديث الدكتور المؤلف عن « عقم » الفلسفة المدرسية ، وتفاهة « المصطلحات الميتافيزيقية » ، وانعدام كل علاقة « بين هذه الكيانات الميتافيزيقية وبين واقع الانسان » انما يحصر نطاق بحثه منذ البداية فى دائرة ضيقة من دوائر تفكير اسپينوزا ، ألا وهى تلك الدائرة الطبيعية الوضعية التى تجعل منه رائد « المادية العلمية » فى القرن السابع عشر ! .

وقد كرس الدكتور فؤاد زكريا الفصل الأول من كتابه لدراسة حياة اسپينوزا ومؤلفاته . وعلى الرغم من أن اسپينوزا نفسه قد أراد أن يكتب كما لو لم يكن لشخصيته الفردية أية أهمية بالنسبة الى الحقائق الموضوعية التى كان يعرضها ، الا أن المؤلف يبين لنا أن فى حياة اسپينوزا الاجتماعية والفردية معالم عديدة تفسر لنا الكثير من أفكاره . ولم يكن اسپينوزا - كما وقع فى ظن الكثيرين - مجرد مفكر منعزل متباعد عن أحداث عصره ، وانما هو قد تفاعل



الى أعلى درجة مع مجتمعه ، فتأثر تفكيره بأحداث هذا المجتمع ، وترددت فى مذهبه أصداء عصره . وقد أسهب الأستاذ المؤلف فى وصف البيئة اليهودية التى نشأ فيها اسپينوزا ، كما وصف لنا بدقة قصة اضطهاده وانشقاقه على المجمع اليهودى . كذلك توقف المؤلف عندما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن اسپينوزا كان مفكرا معدما زاهدا ، فبين لنا كيف أن هذا الفيلسوف لم يترفع يوما عن متع الحياة ، وكيف أنه لم يفكر يوما فى ازدراء العالم المادى . وليس أدل على اندماج اسپينوزا فى مجتمعه من كل تلك الاتصالات العديدة التى استطاع أن يكونها مع شتى الجمعيات الفكرية والدينية ذات الآراء المتحررة ، فضلا عن اتصاله بمجموعة كبيرة من رجالات عصره المرموقين فى ميادين الفكر والعلم والسياسة ... ولا ينكر المؤلف أن تكون شخصية اسپينوزا قد مرت فى تطورها بمراحل متعاقبة ، كما أنه لا يستبعد أن تكون آراؤه السياسية قد تغيرت تحت تأثير تطور الأحداث السياسية فى أوروپا ، ولكنه يعود فيؤكد أن ثمة موقفا فلسفيا عاما قد غلب على كل تفكير اسپينوزا ، ألا وهو موقف التحرر الذهنى ، والدعوة الى تمجيد الانسان ، والايمان بالمعقولية الكاملة ، والميل الى النزعة العلمية الواضحة . وهذه السمات التى يلتقى بها الباحث فى كتاب اسپينوزا الرئيسى المسمى باسم « الأخلاق » ، ماثلة أيضا بوضوح فى « البحث اللاهوتى السياسى » ، وفى « البحث السياسى » ، وفى « اصلاح العقل » ، وفى « الرسائل » ، وفى شتى مؤلفات اسپينوزا الأخرى . والمؤلف يستعرض أمام أنظارنا كل هذه الكتب ، لكى يعيننا على اكتشاف تلك السمات فى كل واحد منها على حدة .

ثم يعرض المؤلف — فى الفصل الثانى من كتابه — لدراسة « دلالة المنهج الهندسى » الذى اتبعه اسپينوزا فى الكتابة ، فيتساءل عما اذا كان هذا المنهج عنده بمثابة طريقة أصيلة للتعبير ، أو ما اذا كان مجرد طريقة مصطنعة للتعبير . وقد كان الظن بالمؤلف أن يناصر الرأى القائل بأن استخدام اسپينوزا للمنهج الهندسى لم يجىء من قبيل الصدفة ، ما دام من شأن هذا المنهج أن يستبعد الطريقة الغائية فى التفكير ، وأن يتلاءم مع روح المعقولية والايمان بالعلم ، (وهى الروح التى يقول انها غالبة على كل فلسفة اسپينوزا) ؛ ولكن الأستاذ المؤلف يرى أن الغرض الحقيقى الذى استخدم من أجله اسپينوزا هذا المنهج انما هو « التعقيد المتعمد على القارىء » (ص ٤٩) ! وهو يساير هنا نيتشه فيقول معه « أن اسپنوزا قد استخدم هذا المنهج ليبث الرعب على التو فى قلب المهاجم الذى يجرؤ على القاء نظرة الى تلك الفتاة المصونة ، ربة الحكمة الأثينية ... » . ولا بأس من أن نورد فى هذا الصدد بقية عبارة نيتشه (التى أمسك الأستاذ المؤلف عن ايرادها) فانه يقول أيضا « ان كل تلك الشعوذة الرياضية التى استعان بها اسپينوزا من أجل تغطية مزاجه الفلسفى ، واخفاء محبته لحكمته الشخصية ، ان هى فى الحقيقة الا درع واق أراد به فيلسوفنا أن يتقى منذ البداية ما قد يوجهه اليه الخصوم من انتقادات . فليس ذلك القناع الذى غطى به مذهبه سوى ستار صفيق يخفى وراءه حياء مريض متوحد كان يخشى دائما أن يهاجمه الآخرون » ! (١) ولكن الأستاذ المؤلف لا يوافق نيتشه على القول بأن اسپينوزا كان يخشى هجوم الخصوم ، بل هو يذهب الى أن اسپينوزا قد وجد نفسه مضطرا الى اصطناع طريقة الحذر ، حتى يأمن شر السلطات الدينية والحكام السياسيين . فالمنهج الهندسى الذى اصطنعه اسپينوزا انما كان وسيلة لاخفاء آرائه الحقيقية عن القراء السطحيين ، وكأنما هو بمثابة « قناع » أراد به الفيلسوف أن يخفى سره الحقيقى عن

---

(١) F. Nietzsche ; «Par delà La Bien et le Mal..» 25 & 6.

العامة من الناس ، فلا يتوصل اليه الا المدققون والراسخون فى العلم ! .

ولئن كان الأستاذ المؤلف قد دافع بحماسة عن طريقته الخاصة فى التفرقة بين « ظاهر » أقوال اسپينوزا و « باطنهـا » ، الا أن هذا لا يمنعنا من الاشارة الى خطورة أمثال هذه المحاولات التى يقوم بها بعض مؤرخى الفلسفة حينما يعمدون الى الكشف عن نوايا الفلاسفة الحقيقية ، من أجل معارضتها بأقوالهم الظاهرية ومعانيهم المباشرة . وليس امعن فى الخطأ — عندنا — من أن نحيل تاريخ الفلسفة الى مجرد رواية بوليسية ، وكأن كل فيلسوف يخفى وراءه سرا ، ليس على مؤرخ الفلسفة سوى أن يفضحه ! ولعل هذا ما عبر عنه كاتب هذه السطور فى موضع آخر حين قال : « اننا هنا بازاء خطر جسيم يشبه الى حد ما بعض المخاطر التى ينطوى عليها كل تحليل نفسى : فان الباحث قلما يأخذ بما يقوله الفيلسوف ، بل هو يضع كل ما يكتبه الفيلسوف موضع الشك ، لكى يمضى فى افتراضاته ، منتقلا من المضمون الظاهرى الى المضمون الخفى ، دون أن تكون هناك ضمانات كافية تبرر مثل هذا الانتقال . وهكذا ينتهى الأمر بالمؤرخ الى احلال عقيدته الشخصية أو رأيه الخاص محل المذهب الفلسفى الذى يدرسه ، فلا يكون صاحبه سوى مجرد شاهد يلتجىء اليه بين الحين والآخر للتدليل على صحة تفسيره ، دون ان يكون فى وسع المفكر المسكين أن يدافع عن نفسه ، ما دام قد أصبح فى ذمة التاريخ ، أو ما دمنا نفترض بالأحرى أنه لا يعرف منذ البداية ماذا يريد أن يقول ! »(1) .

بيد أن الدكتور فؤاد زكريا حريص على تذكيرنا بأن اسپينوزا نفسه قد قدم لنا المفتاح الكفيل بارشادنا الى آرائه الحقيقية ، لأنه قد شرح لنا المعانى الثورية الجديدة التى تنطوى عليها تعريفاته للألفاظ والعبارات التقليدية ، وكأنما هو قد كان ينتظر دائما من قارئه الواعى المتنبه أن يستبدل بالرموز قيمها الفعلية كما حددها له . وبهذا المعنى يصبح المنهج الهندسى الذى استخدمه اسپينوزا مجرد « امتحان نفسانى » اراد به الفيلسوف أن يختبر قدرة قارئه على التخلص من الارتباطات العادية للألفاظ والعبارات الشائعة ، من أجل فك رموز معادلاته (أو بالأحرى شفراته) ، وفهمها بمعانيها الباطنية الصحيحة . والمؤلف يؤكد لنا أن جميع أفكار اسپينوزا موجودة فى كتاباته ، دون أن يحذف منها شيئا ، ولكنه يدعونا فى الوقت نفسه الى التنقيب عنها ، وكأن علينا أن نقرأ ما بين السطور ! وليس من شك عندنا فى أن هذه الطريقة الخاصة فى قراءة شفرات الفيلسوف لن تخلو بطبيعة الحال من مخاطرة ، ولكن الأستاذ المؤلف يرى أن « طريقة المعادلات » هى السبيل الأوحد لتفسير ما قد يبدو (ظاهريا) فى فلسفة اسپينوزا من تناقض أو عدم اتساق . ولما كان المؤلف قد أخذ على عاتقه — منذ البداية — أن يوفق بين آراء اسپينوزا التى قد تبدو لأول وهلة غير متآلفة فيما بينها ، فليس بدعا أن نراه يرحب باستخدام « طريقة المعادلات » التى تؤلف بين شتى عناصر فلسفة اسپينوزا بأكبر قسط ممكن من الاتساق .

ثم ينتقل الكاتب الى دراسة « الاتجاه العلمى عند اسپينوزا » ، فنراه يحاول فى هذا الفصل الثالث من كتابه أن يبين لنا كيف أن اسپينوزا كان — قبل كل شيء — متشبعا بالروح العلمية الى أقصى حد ، وكيف أن مذهبه قد جاء بعيدا كل البعد عن الاتجاهات اللاهوتية والصوفية التى طالما نسبها اليه الباحثون . وهنا يساير الدكتور فؤاد زكريا جماعة الماركسيين من مفسرى اسپينوزا فيقول معهم بأن اسپينوزا كان « ماديا » ، ولكن على شرط ان نفهم من « المادية » هنا انها قضاء على الغائية وجميع التفسيرات الغيبية ، وتأكيد للحتمية ولقانونية الطبيعة . (ص ٨٤) . ويناقش المؤلف آراء اسپينوزا فى فكرة الحقيقة والمعرفة الحدسية ، وفى الواحدية العلمية ، وفى علاقة النفس بالجسم ، ثم فى الضرورة الكونية الشاملة ، لكى يتبين لنا أن

(1) زكريا ابراهيم : « مشكلة الفلسفة » الطبعة الثانية ، دار القلم ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

اسبينوزا

مذهب اسبينوزا الميتافيزيقى هو مذهب « واحدية » monisme أكثر مما هو مذهب « وحدة وجود » panthéisme ، لأنه لم يقم على أى اتجاه صوفى أو دينى ، بل هو قد قام على أساس القول بوجود ضرورة شاملة مطردة تتحكم فى الكون ، مع استبعاد القول بأى كائن مفارق يعلو على الطبيعة ، أو بأية غاية متعالية تتجاوز نطاق الطبيعة . والمؤلف هنا يحاول جاهدا أن ينفى عن اسبينوزا كل صبغة مثالية أو روحية او دينية ، وكأنما هو يتناسى أن « الفلسفة » قد اتخذت عند اسبينوزا منذ البداية طابع « البحث عن الخلاص » (أو النجاة salut) ، بدليل أن الفيلسوف نفسه قد صرح بانه لم يعمد الى التفلسف الا بحثا عن « خير حقيقى » يستطيع أن يركن أليه ويقنع به . ولعل هذا أمر عبر عنه اسبينوزا بوضوح حينما كتب يقول : « لقد صممت فى آخر المطاف على أن أبحث عن ذلك الشيء الذى يكون اكتشافى له ، أو تحصيلى له ، كفيلا بأن يجعلنى أتمتع الى الأبد بغبطة سامية مستمرة ... » (١) ولكن المؤلف يضرب عرض الحائط بأمثال هذه التصريحات ، لأنه يشايع المفسرين القائلين بأن اسبينوزا « كان يحمل فى رأسه مثلثا » ومن هنا فاننا نراه يصر على القول بأن ليس فى فلسفته سوى « المعقولية التامة » ، والتحليل العلمى للسلوك البشرى ، والدعوة الى تصور الكون بصورة « نظام ضرورى واحد قابل للفهم . » . ونحن لا ننكر وجود عناصر من هذا القبيل فى مذهب اسبينوزا الميتافيزيقى ، ولكننا لا نرى موجبا لتصوير فيلسوف عاش فى القرن السابع عشر ، وحاول أن يقدم لنا نظرة واحدية شاملة الى العالم ، بصورة « عالم » تقدم عصره بثلاثمائة عام ، وكأنما هو قد آمن بالروح العلمية وحدها ، دون أن يتأثر بأى موقف روحى آخر !

وأغلب الظن عندنا أن تعصب بعض المفسرين اليهود من دارسى فلسفة اسبينوزا هو الذى حدا بهم الى الاعلاء من شأن روح اسبينوزا العلمية ، كما فعل أينشتين نفسه ! وقد فطن المؤلف نفسه الى هذا التعصب ، ولكنه لم يدحض الا حين كان هم المفسرين اليهود هو التقريب بين مذهب اسبينوزا وبين الروح الدينية أو اللاهوتية .

وأما فى الفصل الرابع من الكتاب ، فان المؤلف يتعرض لمشكلة تفسير فكرة الله عند اسبينوزا ، لكى يبين لنا أن من الممكن حذف لفظ « الله » من كتاب اسبينوزا الرئيسى والاستعاضة عنه بلفظ « الطبيعة » ، دون أن يستتبع ذلك اى تناقض . ومعنى هذا أن « طريقة المعادلات » هى الكفيلة باظهارنا على أن الفكرة الرئيسية فى كل فلسفة اسبينوزا الواحدية انما هى فكرة « الطبيعة » ، لا فكرة « الله » . وعلى الرغم من أن اسبينوزا كان حريصا على استبقاء كلمة « الله » ، واستخدام بعض التعبيرات التقليدية ، كالحب الالهى ، واطاعة الأوامر الالهية ، وتقوى الله ... الخ ، الا أن استخدام اسبينوزا لكل هذه الالفاظ لا يتفق مطلقا مع الصفات التقليدية اللاهوتية لفكرة الله ، مما يدل دلالة قاطعة — فى نظر المؤلف — على أن طبيعة مدلول هذه الكلمة قد اختلفت عنده اختلافا جذريا . ولكن اذا كانت كل فلسفة اسبينوزا الواحدية قد قامت على اساس معادلته المشهورة القائلة بأن الله = الطبيعة ، فلسنا ندرى ما الذى يفيده الباحث حينما يحاول أن يلغى أحد طرفى هذه المعادلة ، لكى يقول لنا بانه لا وجود لفكرة « الله » فى فلسفة اسبينوزا ، وكأن هذه الفلسفة انما قامت لكى تقنعنا بان الطبيعة = الطبيعة ! وهل يكفى أن يكون اسبينوزا قد فهم « الجوهر الالهى » بطريقة مغايرة للتصور الدينى التقليدى ، لكى يقال انه كان يود لو استطاع الاستغناء عن فكرة الله نهائيا ؟ وحتى لو افترضنا أن فكرة الله عنده لا تعنى أكثر من « النظام الكلى للأشياء » ، فهل

---

(١) Spinoza : «Traité de là Réforme de l'entendement». trad. A. Koyré. p. 4.

يكون هذا كافيا للقول بأن كل مذهبه الواحدى لا ينطوى على اى أثر من آثار الروح الدينية التقليدية ؟ .. حقا لقد قال اسپينوزا أن « الله » علة « باطنة » أو « محدثة » للعالم — على حد التعبير الاسلامى — ولكنه قد عاد فأكد أن الله ليس « كامنا » فى العالم ، بل العالم هو الذى يكمن فى الله . ومعنى هذا أن اسپينوزا لم ينزل بالله الى مستوى الطبيعة ، بل هو قد ارتفع بالطبيعة الى مستوى الله . وقد حرص اسپينوزا نفسه على أن ينفى عن نفسه كل تهمة طبيعية ، فقال فى احدى رسائله : « ان الرأى الذى أذهب اليه — فيما يتعلق بالله والطبيعة — مختلف كل الاختلاف عما اصطلح المسيحيون المحدثون على الأخذ به .. نعم اننى أزعم أن الله ليس علة خارجية ، بل هو (كما يقال) العلة الباطنة لسائر الأشياء ، وبهذا المعنى فاننى متفق مع القديس بولس فى أن كل الأشياء انما توجد وتحيا وتتحرك فى الله .. ولكن من الخطأ الجسيم أن يقع فى ظن البعض اننى قد ذهبت فى رسالتى اللاهوتية السياسية الى اثبات أن الله والطبيعة شىء واحد ، مع القول فى الوقت نفسه بأن الطبيعة ليست سوى كتلة جامدة أو مادة مجسمة . » (الرسالة رقم ٧٣) . وهكذا نرى أن الأصل فى نزعة اسپينوزا الواحدية انما هو حرصه على تنزيه الله عن كل تشبيه ، مع اهتمامه فى الوقت نفسه برفع تلك الثنائية المطلقة التى أقامها ديكارت بين الفكر والامتداد .

بيد أن الدكتور فؤاد زكريا قد لا يجد أدنى صعوبة فى تأويل أمثال هذه النصوص ، وفقا لمنهجه الخاص فى المعادلات او الرموز ، فليس بدعا أن نراه ينتهى الى القول بأن فلسفة الجوهر الالهى عند اسپينوزا انما هى « صوفية العلم الذى لا تداخله أية مسحة من النزعة الى ما فوق الطبيعة . » (ص ٢٢٩) . ولئن كان كاتب هذه السطور يعترف صراحة بأنه لا يعرف تلك « الصوفية العلمية » التى ينسبها المؤلف الى اسپينوزا ، الا أنه لا يعلق اهمية كبرى على أمثال هذه الاصطلاحات الجديدة ، ما دام الدافع الخفى الى استعمالها انما هو التوجس من الميتافيزيقا ، والحرص على ربط مذهب اسپينوزا بالروح العلمية . فالمؤلف الذى يشيد بالعقل والمنطق ، ويدعو الى التخلص من الأوهام والخرافات ، لا يجد لدى اسپينوزا الا ما يروقه ، أو هو على الأصح لا يأخذ من فلسفته سوى ما يرتاح له ! وهو اذا كان قد وجد فى اسپينوزا داعية الى النظرة العلمية الدقيقة ، ورائدا من رواد المعقولية العلمية الصارمة ، فما ذلك الا لأن مزاجه الفلسفى قد أملى عليه منذ البداية رفض كل نزعة ميتافيزيقية ، والتمسك بالتفسير الطبيعى الصارم . ومن هنا فقد قلم المؤلف أظافر اسپينوزا الدينية والميتافيزيقية ، ان لم نقل بأنه قد قدم لنا فى خاتمة المطاف صورة جديدة لاسپينوزا آخر قد لا يفترق كثيرا عن « هيوم » أو أوجست كونت أو تين أو غيرهم ..

وقد حدثنا المؤلف فى الفصل الخامس من كتابه عن موقف اسپينوزا من العقائد الشائعة فى عصره ، فبين لنا رفضه للديانة اليهودية ، كما تعرض لموقفه من المسيحية وعدم قبوله لها . والكثير من آراء المؤلف فى هذا الفصل شاهد على طول باعه فى مناقشة قضايا العقل والايمان ، وان كان من الممكن مناقشة رأيه فى صلة اسپينوزا بفلاسفة العصور الوسطى ، فى ضوء بعض الوثائق والأسانيد التاريخية الدقيقة . ولا يكتفى المؤلف باظهارنا على رأى اسپينوزا فى نسبية العقيدة الدينية ، بل هو يشرح لنا بالتفصيل ميله الى الحرية الدينية ، ودعوته الى التسامح الدينى ... الخ . — وأما فى الفصل السادس من الكتاب ، فان المؤلف يقدم لنا عرضا دقيقا لنظرية اسپينوزا فى الأخلاق ، يبين لنا فيه انه لا وجود لأخلاق مجردة منفصلة عن المجرى العام لعلم البشر لدى فيلسوف رفض منذ البداية كل تفرقة بين الواقع والواجب أو بين العلم النظرى والبصيرة العملية . والكاتب يشرح لنا بالتفصيل فى هذا الفصل موقف اسپينوزا من مشكلة الحرية ، ونظريته فى الانفعالات ووسيلة التغلب عليها ، وموقفه من مشكلة السلبية والايجابية فى الأخلاق . ولا يتسع المقام هنا لمناقشة رأى المؤلف فى فلسفة اسپينوزا

الأخلاقية ، وانما حسبنا أن نقول انه ينتهى الى التسليم بوجود نوعين من الأخلاق لدى اسپينوزا : « أخلاق السادة » ، و « أخلاق العبيد » . والأخلاق الأولى هى أخلاق الخاصة ، ووسيلتها الى الفضيلة هى المعرفة ، وسعادتها فى ممارسة العقل ، وخلاصها فى الاعتراف بالضرورة ، فى حين أن الأخلاق الثانية هى أخلاق العامة الذين لا يستطيعون أن يتخلصوا من الانفعال الا بانفعال آخر اقوى منه ، مع عجزهم فى الوقت نفسه عن الاعتراف بأن « مكافأة الفضيلة هى الفضيلة ذاتها . » (ص ٢٩٣) .

وفى الكتاب فصلان أخيران يتحدث فيهما المؤلف عن نظرية اسپينوزا السياسية ، وصلة فلسفته باليهودية ، على التعاقب . والمؤلف لا يتوقف طويلا عند فلسفة اسپينوزا السياسية ، ، بل هو يقدم لنا خطوطها العريضة بسرعة ، فيكتفى بشرح موقفه من الدولة ، ونظريته فى الحق الطبيعى ، دون الاهتمام بمقارنة آراء اسپينوزا الديموقراطية بآراء غيره من الفلاسفة (من أمثال جون لوك مثلا) .

ولكن المؤلف يبين لنا مع ذلك كيف أن آراء اسپينوزا السياسية كانت آراء تقدمية ، مما حدا ببعض المفسرين الى تأويل فلسفته السياسية تأويلا ماركسيا . وأما فيما يتعلق بصلة اسپينوزا بالطائفة اليهودية فان المؤلف يبين لنا أنه ليس فى فلسفة اسپينوزا سوى رد فعل ضد المذاهب اليهودية اللاهوتية والفلسفية فى العصور الوسطى ، فهى فى أصلها مجرد نتيجة لانفصاله عن تلك المذاهب وخروجه عليها . وحسبنا أن نعود الى رسائل الفيلسوف التى قيل انه دافع فيها عن اليهود ، لكى نرى كيف أنه كان ينتقدهم بشدة ، فضلا عن أنه كان يعيب عليهم تحجرهم وعجزهم عن التكيف مع المجتمعات التى كانوا يعيشون بين ظهرانيها .
— وأخيرا لا يسعنا سوى أن ندعو القارىء الى الاقبال على مطالعة هذا المصنف القيم الذى قام فيه المؤلف — مشكورا — بمحاولة جدية من أجل تأويل شتى جوانب فكر هذا « المارد الجبار » فى ضوء فهمه للروح العلمية ، وتحمسه للمعقولية الخالصة ؛ وهى محاولة أملاها عليه — بلا شك — مزاجه الفلسفى الخاص ...

الدكتور زكريا ابراهيم





كتاب في الطريق

مع

الدكتور زكي نجيب محمود

فى الطريق .. وأنا ذاهب للقاء الدكتور زكى نجيب .. كانت تراودنى أفكار واحتمـــالات .. اننى ذاهب الى أستاذ متعمق فى فلسفته وفى منطقه .. لا يترك سطحا الا ويحفره .. منقبا عن كنوز لا نراها .. ومن العجيب أنه يجـد ، ويستخرجها .. ثم يزيدها بريقا ووضوحا ..

فهل أعثر على بغيتى .. ؟ .. ربما .. ولكن كيف السبيل .. ؟ .. انه يحب الدقة فى اختيار الألفـــاظ ومدلولاتها .. فهل أنجح فى انتقاء الفاظ لسؤاله .. ؟ .. ربما ..

وها أنذا أحاول .. فى حدود الامكان .. عسى أن يقبلها .. فيعتبرها فى حدود المعقول .

جمال بدران



أيم تفكر الآن ٠٠ ؟

أفكر فى مدى حق الفرد فى أن يعيش فردا ؛ وتعريف الفرد هو أن يكون مكتفيا بذاته ، بحيث نستطيع أن نتصوره مبتور العلائق والروابط بكل شىء ؛ وهذا التصور – على اطلاقه – مستحيل الحدوث ، لكنه يضع أمام أعيننا الحدود القصوى التى يقاس اليها مقدار التفاوت بعدا وقربا ؛ فما هو – اذن – أقصى حد مستطاع يمكن فيــه للفرد أن يعيش فردا .

انه منذ البداية ، بل قبل البداية ، يحتــاج الى شخصين آخرين : والد ووالدة ؛ وهـــذان لا يوجدان من عدم ، بل هما بدورهما يحتاجان الى آخرين ليوجدا مجرد الوجود ؛ ثم هو محتاج الى روابط كثيرة تربطه بمحيطه فلابد له من مادة حوله تبادله الأنفاس ، فتعطيه هواء وتأخذ منه هواء ، وتعطيه عناصر وتأخذ منه عناصر ٠٠٠ هذه كلها أمور معلومة لا تستحق الذكر ؛ لكن الذى يستحق التفكير هو : فى أى نطاق من الحيــــاة تتحقق الفردية الكاملة للانسان الفرد ؟

لقد حاول معالجة الفكرة فلاســـفة وأدباء ، عالجها ابن باجه فى كتابه « تدبير المتوحـــــد » وعالجها ابن طفيل فى كتابه « حى بن يقظان » وعالجها دانيال ديفو فى قصـــته « روبنسون كروسو » ؛ ثم تستطيع أن تقول أن كل متصوف حق قد عالج الفكرة نفسها بطريقـــة عملية ، فعاش « فردا » مكتفيا بذاته ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠

ومهما يكن من أمر ، فقد سألتنى : فيم تفكر الآن ؟ وهأنذا أجيب ، ولا أدعى أننى قد بلغت من ذلك أى شيء يغنى ؛ ولكن حسبى الآن أن أوجز الرأى الذى أوشك أن أنتهى اليـــه ، وهو أن الفردية محال أن تتحقق فى مجال العمل ، ولافى مجال الفكر النظرى ، لكنها ربما تحققت فى مجال القيم ، بحيث يستطيع الفرد أن يستحسن ما شاء فى دنيا الجمـال وفى دنيا الفضيلة ، مادام استحسانه لا يجاوز مجرد الاعجـاب ليخرج الى حيز العمل والتنفيذ ، لأن هذا الحيز مشغول بسواه من أفراد الناس ، وليس من حقـه أن يفرض عليهم ما استحسنه .

هل هذا الذى تفكر فيه .. يشغل ذهنك منذ مدة أم وليد اللحظة ؟

هذا الذى أفكر فيه انما يشـغل ذهنى منذ مدة طويلة ، منذ وعيت فالفيت شبكة معقدة من ارادات الآخرين ، تعوق تنفيذ ارادتى وميولى فى كثير من الأشياء ؛ ولقد صـادفت من ظروف نشاتى وتربيتى ما حدد نشاطى التلقائى تحديدا جعلنى من أشد الناس انصياعا للعرف والتقليد، أعنى انصياعا لما يريده الناس من حولى ؛ لكننى فى دخيلة نفسى كنت أعجب لأشياء كثيرة كيف يطيقها الناس وكيف أطيقها معهم ؛ وكنت أسأل: الى أى حد يجوز لى ، بصفتى فردا مسئولا أمام ضميره أن أسلك كما أهوى تعبيرا عن طبيعتى .

ألفت كتبا كثيرة .. فهل أنت مقتنع بكل ما كتبته فيها .. ؟

اننى لا أكذبك القول اذا قلت اننى مقتنع بصواب الأفكار الرئيسية التى تشيع فى مؤلفاتى، ولم يحدث لى ما يجعلنى أتشكك فى صدقها ، وهى تتلخص فيما يأتى :

أ — من الناحية الفكرية الفلسفية أنا أومن بالمذهب التجريبى بصـفة عامة ، وبالمـذهب التجريبى العلمى بصفة خاصة .

ب — من الناحية الأدبية والفنية أومن بأن يكون البناء نفسه وترابط أجزائه هو معيـار القبول والرفض ، أعنى أن المقياس لا يكون أى شيء خارج الأثر الأدبى أو الفنى نفسه .

جـ — ومن الناحية السياسية أومن بالنظام الذى يحقق أقصى حرية ممكنة لأكبر عدد ممكن من الأفراد .

ألم تزل هناك بعض الموضوعات التى تعتقد انها تحتاج منك الى دراسة أخرى فى كتاب جديد .. ؟

لو كان الحكم قائما على ما أشعر به الآن ، فاننى أميل كل الميل أن أوجه كل نشاطى الى الأدب انتاجا ونقدا ؛ فقد قلت ما أردت أن أقوله من الناحية الفلسفية ولا أحسبنى أجد ما أضيفه اليه .

ماهى .. ان كانت على المستوى العام ؟ .. وهل فى الامكان أن تقدم كتابا جديدا عنها ؟

بدأت بنفسى ، فحللتها ، وسجلت هـــذا التحليل فى كتاب – هو الآن تحت الطبع – عنوانه « قصة نفس » ؛ أجريته على مزيج من الخيال والواقع ، بحيث يتعاون الخطان معا (الخيال والواقع) على احداث صورة هى صورتى كمـــا أراها ؛ ولقد وجدت أنـــه من العبث أن تنخرط الشخصية كلها فى مقولة واحدة ، لكثرة ما فيها من جوانب واتجاهات ، فقسمتها ثلاثة أشخاص، جعلتهم يلتقونَ فى تحاب أحيانا وفى اصطراع أحيانا ، وهم على وجه الجملة يمثلون : أ – الجانب اللاشـــــعورى الدفين ، وهو أهم الجوانب ، ب – الجانب العقلى الذى يدعى الحـــكمة برغم ما فى طواياه من ضعف ونقص ، جـ – الجانب الذى يستقل عن النفس وينغمس فى أبحاث عقلية .

ماهى الخطوات التى تسير عليها حتى تخرج علينا بهذا الكتاب .. ؟

بالنسبة الى هذا الكتاب بالذات ، لم يكن هناك الا خطوتان : الأولى هى أن أعتصر الذاكرة لأستخرج منها عددا من الحوادث ذوات المغزى النفسى فى مجرى حياتى ، والثانية هى أن أفكر فى صياغة قصصية تنصب فيها تلك الأحداث .

ما الهدف الذى ترمى اليه من تأليف لهذا الكتاب الجديد .. ؟

انه لا هـــــدف لى منه الا أنى قد استمتعت بكتابته أكثر مما استمتعت بكتابة سواه ، لما فيه من تعبير ؛ لكننى لابـــــد أن أعترف لك أننى – والكتاب لا يزال فى المطبعة – كثيرا ما يأخذنى القلق للتسرع فى كتابتـــه وفى نشره ، وأقول لنفسى : ألا يجـــوز أن يكون أجـــود لو أنك استأنيت ؟ ألا يكون أفضل لو أنك اقتصرت على الواقع دون الخيال ، أو لو أنك اقتصرت على الخيال دون الواقع ؟ .. لكن ســــبق السيف العزل كما يقولون .

لنفترض أنك انتهيت من رسم الخطوط الرئيسية لبحثك الجديد .. ما مقدار ما تنتظره له من نجاح .. ولماذا .. ؟

قد تعجب اذا قلت لك صادقا أننى ما أخرجت كتابا واحدا وتوقعت له النجاح ، حتى لترانى اذ أكتب ، أتصور تماما أنى أكتب لغير قارىء ، ولذلك أدهش للنجاح كلما تحقق ، ومعنى النجاح هنا هو أن تنفد الطبعة الأولى من الكتاب ويطبع طبعة ثانية ؛ وانى مع ذلك لفخور أنه ما من كتاب واحد من كتبى الأربعين الا وقد طبع أكثر من طبعة واحدة .

هل تفضل أن تنشر كتابك على نفقتك الخاصة ؟ أم توكله الى دار نشر ؟

لم أنشر على حسابى الا كتابين : (١) جنة العبيط ؛ (٢) أيام فى أمريكا ؛ وما عدا ذلك من كتب تولاه ناشر ، وخصوصا لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، ثم مكتبة الانجلو المصرية .

أى دور النشر تفضلها الكبيرة أم الصغيرة ؟

ذكرت لك أهم دارين من دور النشر لجأت اليهما فى نشر كتبى .

هل تنظر – وأنت تؤلف الكتاب – الى الربح المادى المنتظر ٠٠ ؟ لماذا ؟

لم يحدث قط فى حياتى الماضية أنى جعلت الربح المادى هدفى من تاليف الكتاب ، اللهم الا فى حالات قليلة من الترجمة ، قمت فيهـــا بالترجمة ابتغاء المكافأة المالية ، لأنه لو كان قيل لى فى هذه الحالات القليلة : أنك لن تكافأ على هذه الترجمة ، لما ترجمت ما ترجمته وأما التأليف فاننى أقطع بأننى لم أؤلف كتابا واحدا بغيـــة كسبه ٠

متى يصدر هذا الكتاب ؟ وهل تتحكم فى اختيار وقت صدوره اعتبارات فنية أم اقتصادية ؟

اذا كنت تسأل عن كتاب « قصة نفس » فأظن أنه ربما يصدر بعد شهر واحد، وستصدره دار المعارف فى بيروت ، لأننى كتبتـــه وأنا فى لبنان خلال هذا العام ، وتركته هناك للناشر ٠

سؤال أخير – ومعذرة – ماذا تصنع بالعائد من هذا الكتاب ؟

اننى لن أدعى لك الغنى الذى أستغنى به عن كسبى من التأليف ، وكذلك لن أدعى لك الفقر الذى يجبرنى على هذا الكسب اجبارا ؛ فاذا جاءنى من التأليف مبلغ من المال ، استخدمته فى معيشتى بقدر ما أريد ، وادخرت منه الجزء الذى لا تستنفده نفقات العيش ٠٠ ولابد لى هنا أن أقول اننى رجل ذو رغبات قليـــلة : أحب المسكن النظيف ، والطعـــام النظيف ، والملبس النظيف ؛ لكننى لا أميل بطبعى الى الحياة الباذخة، ومن ثم كانت قدرتى على الاستغناء والاكتفاء بما يسوقه لى الله من رزق ٠

لقاؤنا فى الشهر القادم مع نجيب محفوظ





تأليف الدكتور عبد المنعم ماجد

الناشر مكتبة النهضة العربية
عدد الصفحات ٨٥ ص ١٤×٢٠ سم
ث ١٣ قرشا

قد يكون مدعاة لتعجب أن يكون محور الحديث عن كتاب للدكتور عبد المنعم ماجد الذى مر على صدوره قرابة عشرة أعوام أو تزيد .

والحقيقة أن المناسبة جاءت وليدة الصدفة البحتة والظروف العابرة .

فى مقدمة هذا الكتاب دعوة ملحة ومخلصة، تهدف أول ما تهدف الى غاية نبيلة ومقصد سليم ... وليست هذه الغاية وذلك القصد سوى اعادة النظر من المؤرخين المحدثين والمعاصرين فى كتابة التاريخ الاسلامى على أسس علمية صحيحة ، تساير التطور ، وتتمشى مع روح النهضة الفكرية الحديثة .

ولكن سرعان ما يزول هذا العجب حينما نرى الدكتور ماجد ، وهو - من نعلم - أستاذ للتاريخ الاسلامى فى كلية الآداب - فى كتابه هذا الموسوم بـ « مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى » ، أقول نراه يلقى القول على عواهنه بدون تثبت ولا تحقيق ، وبدون بحث ولا تمحيص ، فقد جاء فى ص ٣٢ من كتابه ما نصه : « وتنسب الى النبى أحاديث - كذبا أو صدقا - أنه نهى عن الكتابة ، لكى تبقى للعرب ملكة الحفظ » انتهى

هكذا نراه ينسب الى النبى - انه نهى عن الكتابة لحكمة عظيمة لا يفقهها الا الدكتور ماجد وهذه الحكمة هى ابقاء ملكة الحفظ عند العرب .

وانى أخشى أن يكون قد وقر فى نفسه تبعا لهذه العلة السابقة ان الاسلام سيظل قابعا داخل الحدود العربية لا يتعدى تخومها الى غيرها من بلاد الله الفسيحة الواسعة التى تنبأ بها النبى صلوات الله وسلامه عليه ، بل تنبأ بها هرقل عظيم الروم حينما قال لأبى سفيان ابن حرب « لئن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين » .. وأمر هذه القصة معروف ومشهور .

- وكأنى بالدكتور ماجد لم يقرأ هذه السورة الخالدة « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » . وهى السورة الأولى التى نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم.

ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور ماجد قد اعتمد فى اسناد هذا القول الى النبى صلى الله عليه وسلم على كتاب كشف الظنون ج : ١ ص ٢٥ – ص ٢٦ ولى ملاحظتان على الدكتور ماجد ... الأولى أن سيادته لم يذكر لنا الطبعة التى اعتمد عليها فى النقل ، واكتفى بما ذكرناه ، وفى مبلغ علمنا أن لهذا الكتاب عدة طبعات منها ما كان بمصر.. ومنها ما كان باستنبول ، ومنهـــا ما هو مترجم الى اللغات الأوروبية ، كما تشير بذلك مقدمـــة كشف الظنون الاستنبولية .

وأما الملاحظة الثانية : فان أمامى الآن احدى طبعات هذا الكتاب (كشف الظنون ، وهى التى صدرت فى سنة ١٩٤١ – ١٣٦٠) ولم أعثر فيه على حرف يفيد الدكتور فيما ذهب اليه .

ومما يثير الشك فى مقدرة الأستاذ ماجد على فهم النصوص مانراه من هذا التناقض البين بين النص الذى أوردناه – فيما سبق – وبين النص الوارد فى ص ٣٩ حينما يقول : « كان التاريخ يكتب لابقاء الذكر ، بحيث أنهم رددوا عن النبى قوله : « من ورخ مؤمنا فكأنما أحياه » » .

فكيف يتصور أولا أن ينهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الكتابة بحجة ابقاء العرب على ملكة الحفظ ، وبين أن يستنهض الهمم « بكتابة توريخ لولى » !! الا اذا كان الدكتور ماجد يتصور كتابة بدون نقش وكتابة ، وتســـجيل آثار بدون تسجيل .

ثم ما رأى الدكتور ماجد فى كتـــاب الوحى الذين كانوا يكتبون أمام النبى صلى الله عليـــه وسلم وبأمره كل ما يوحى به اليه ، ثم ما رأيه فى كتاب المداينات والمعاملات والمراســـلات مما كانت تقتضيه طبيعة الرسالة الجديدة ؟

وماذا يقول فيما يرويه ابن سعد فى الطبقات ج : ٢ ص ١٤ من القسم الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار على أسرى بدر من القرشيين ممن لم يكن عنده سعة من المال أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة .

وماذا يقول سيادته فى حديث البراء الوارد فى صحيح البخارى « ج : ٦ ص ١٨٤ ط بولاق » قال : لما نزلت « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين** والمجاهدون فى سبيل الله » ، قال النبى صلى الله عليه وســـلم : ادع لى زيدا ، وليجىء باللوح والدواة والكتف ، أو الكتف والدواة ، ثم قال : **اكتب « لا يستوى القاعدون** .... وخلف ظهر النبى صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أم مكتوم الأعمى .. قال يارسول الله فما تأمرنى ؟ فانى رجل ضرير البصر ، فنزلت مكانها « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله (١) » .

ثم لما انتقل النبى صلى الله عليه وســـلم الى الرفيق الأعلى أمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت، وســـعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن **ينسخوها** فى المصاحف ، وقال لهم : اذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن أنزل بلغتهم ، ففعلوا، وقد صنع عثمان ذلك بناء على مشورة حذيفـــة ابن اليمان ، فقد رأى المسلمين بالعراق وغيرها قد اختلفت قراءتهم ، فيمم وجهه شطر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا كما اختلفت اليهود والنصارى ، انظر البخارى ج : ١٦ ص ١٨٢ ط بولاق .

وفى باب جمع القرآن : أن زيد بن ثابت – رضى الله عنه – قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر – رضى الله عنه – ان عمر أتانى ، فقال : أن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتـــل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن .... قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر...

---

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت **تكتب الوحي لرسول** الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن » . أنظر البخارى ج : ٦ ص ١٨٣ ط بولاق » .

وللعلم ... هناك بعض الآثار الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم كتلك التى رواها أبو سعيد الخدرى فى صحيح مسلم بشرح النووى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عنى...ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » .

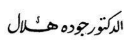
ومما لا جدال فيه أنه لا يمكن أن يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنى » وهى الجملة الأولى من الحديث الشريف أنه نهى عن مطلق الكتابة ... والا لكان ذلك بمثابة من يفهم من قوله تعالى : « ولا تقربوا الصلاة .. وأنتم سكارى » بأنه نهى عن الصلاة لو وقف عند الفقرة الأولى وهى قوله جل ثناؤه «ولا تقربوا الصلاة » دون اتمام الآية الكريمة .

وانما الذى يمكن أن يفهمه أولو الألباب ... وأولوا الفطنة بالدين من هذا الحديث الذى أوردناه آنفا ، أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث الى جانب تدوين القرآن الكريم .. وذلك حتى لا يختلط أحدهما بالآخر ... وبخاصة اذا وضعنا فى الاعتبار الأول أن الصحابة رضوان الله عليهم قد قر فى نفوسهم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقديس كل ما كان يصدر عنه من قول أو فعل ...

ويزكى ما ذهبنا اليه من أن موضوع النهى عن الكتابة كان منصبا على كتابة الحديث بجانب القرآن الكريم آن النبى صلى الله عليه وسلم - حث على كتابة الحديث فى أكثر من أثر ... من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص (سنن الدارى ج : ١ ص ١٢٥) قال : « كنت **أكتب كل شيء سمعته من رسول** الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا ... فأمسكت **عن الكتابة** ... فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فأومأ بأصبعه الىّ وقال : « **اكتب فوالذى** نفسى بيده ما يخرج منه الا حق » .

وهناك كثير من المسانيد وكتب الصحاح تشتمل على نصوص دينية .. وأقوال من النبى الكريم بالكتابة الى بعض أشخاص بأعيانهم لملابسات خاصة بهم .. كما حدث لأبى شامة اليمنى حينما طلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتب له .. كما ينبىء عن ذلك ما روى عن أبى هريرة فى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما (ج : ١٢ ص ٢٣٥) قال : « لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - خطيبا فى الناس ... فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شامة ، فقال يارسول الله اكتبوا لى ، فقال: **أكتبوا له** » .

وبعد ... فنجىء الى الدكتور ماجد .. وما أظن الا أنه سوف ينقاد الى قول الحق ، والحق أحق أن يتبع .





اذا كان سقراط قد أنزل الفلســـفة من السماء الى الأرض فقد جاء أنيس منصور ليمسح بها الأرض ، ذلك أن سقراط صرف الفلسفة من البحث فى الأمور العلوية التى تخص الآلهة الى البحث فى الأمور الأرضية التى تهم الانسان ، صرفها الى البحث فى الفضيلة والمعرفة وما ينبغى أن يكون عليه سلوك البشر . ولكنها على أيام أنيس منصور أصبحت تبحث : لا أقول فى الأمور الأرضية وكفى ، بل فى الأمور الأرضية والأرضية جدا ، فى كنه مرض الانسانية فى منتصــف القرن العشرين .. القلق والسأم ، التوتر والألم، العبث والضياع ، الاحساس باللاجدوى والشعور بالغربة والغرابة والاغتراب وكلهـــا عند أنيس منصور أسماء لمسمى واحد هو .. الملل . فمن الملل يصدر كل شيء والى الملل يرتد كل شيء ، ولذلك فهو يرى : « أنه فى البـــدء خلق الله السموات والأرض ، وأنه شعر بالملل وبعد ذلك خلق آدم وحواء . وآدم وحواء شعرا بالملل فى الجنة فارتكبا أول خطيئة .. وملا الحيـــاة على الأرض فارتكب أحد أبنـــائهما أول جريمة » وهكذا .. هكذا كل شيء ، فليس الماء أصــل الأشياء كما قال حـكماء اليونان ، وليس هو النار ولا الهواء ولا التراب وانما هو الملل .. الملل الاسمى أو الملل فى أعلى درجاتـــه أو هو باختصار الملل الخلاق .

الملل اذن هو الركيزة المحورية التى تدور عليها أغلب مقالات هذا الكتاب ، أو هو الحدس الفلسفى البسيط الذى يبدأ منه الكاتب ويعود اليه أبدا ، ذلك أن أنيس منصور شأن كبار كتاب الوجودية الأصلاء يتخذ من حياته مادة لكتاباته وما حفلت به هذه الحياة من زلازل باطنية عنيفة وأزمات وجدانية حادة استطاع أن يعبر بهـــا حقيقة وجودية هامة هى « أن الفلسفة لابد أن تكون وليدة تجربة حية أو تجربة وجودية » . ومن هنا كان أنيس منصـــور بحق الكاتب الوجودى الأول فى ثقافتنا العربية لأن الارتماء فى أحضان مذهب من المذاهب الوجودية يناقض الوجودية الحقة فى أساسها ، وأساس الوجودية عند كل كاتب من كتابها الكبار أن يستقل الفرد بتفكيره وشعوره وعمـــله عن كل قيد من قيود المذهبية ، فليس وجوديا على الحقيقة ذلك الذى يقول أنه وجودى على مذهب هيدجر كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى أو وجودى على مذهب كيركجـــارد كما يقول الدكتور زكريا ابراهيم أو وجودى على مذهب سارتر أو كامى كما يقول الكثيرون .. « لأن تقليده فى حياته لحياة انسان آخر يلغى حياته المستقلة ويجعله تابعا من توابع التقليد الذى تثور الوجودية عليه » كما قال لنا أستاذنا العقاد .

وداعاً أيها الملل



تأليف : أنيس منصور

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات ٢٣٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٣٠ قرشا

أقول ان أنيس منصور اذ يتخذ من تجاربه الحية قاعدة لاطلاق كتبه وكتاباته انما يشارك كبار كتاب الوجودية فى الابتداء من نقطة ذاتية خاصة تعبر عن تجربة وجودية ، هذه التجربة هى التى يفلسف بها حياته ويحيا بها فلسفته ، وعن طريقها يصدر من الداخل ليلتقى بالخـــارج أو يخرج من عزلة « الأنا » ليتصل « بالهم » أو الآخرين . على أن هذه التجربة تأخذ بالضرورة صورا متعددة تبعا لاختلاف كل كاتب عن الآخر ، فهى عند كيركجارد قد اتخذت صورة قشعريرة صوفية قوامها « الخطيئة » والكفارة ونشـــدان الخلاص ، واتخذت عند هيدجر صورة شعور حاد بأن الوجود للعدم أو أن الوجود سائر حتما نحو الموت . واتخذت عند سارتر صورة شعور مريض « بالغثيان » مادام الوجود فى نظره حزمة من الأشياء المتلازجة لا يربط الواحد فيهـا بالآخر صلة روحية ، ومادام الأمر كله لا يعدو أن يكون تلامسا « يلتزج » فيه وجود بوجود . أما عند البير كامى فقد اتخذت هذه التجربة صـــورة احساس أليم بأن كل مافى الوجود « عبث » فنحن نولد ونحيا عبثا ، نسعى ونشقى عبثا ، نعمل ونأمل عبثا والحقيقة أن الكل باطل والكل الى إنتهاء ، وهذه هى النهاية « اللامعقولة » لكل موجود .

تجربة الملل

وبعد هؤلاء جميعا تجىء هذه التجربة لتتخذ عند أنيس منصور صورة شعور غامض حنون .. كأنه الخدر .. كأنه الهَم .. كأنه التثاؤب .. كأنه اللاشىء أو اللامعنى ، انه حالة فقدان كل شىء لفحواه وفقدان كل شىء لجدواه ، انه حالة أن تفقد « استطعامك » لأى شىء ... أن تأكل ولا تتذوق ، أن تستلقى ولا تنام ، أن تشتهى ولا تحب . انه باختصار حالة انعـــدام الوزن أو استواء الطرفين ... هذه الحالة هى التى يطلق عليها أنيس منصـــور اسم ... الملل . « فأنا فى حالة الملل ، لا أعرف بالضبط ان كنت أنا المرض أو أنا المريض . ولا أعرف ان كنت أنا المريض الذى انتقلت عـــدواه الى غـــيره أو أنا ضحية لمرض الآخرين » . وعند كاتبنـــا الفيلسوف أن الذى يشعر بالملل ليس هو الذى لا يرغب فى الحياة .. وليس هو الذى لا يرغب فى الموت : « لأن الذى لا يرغب فى الحياة يرغب فى الموت .. والذى لا يرغب فى الموت يرغب فى الحياة .. فكلاهما يرغب فى شىء .. ولكن الذى يمل أو الذى يتململ هو انسان لا يرغب حتى فى الرغبة » .

وهكذا استطاع أنيس منصور أن يشخص هذا الداء الذى أصيب به قرننا العشرون ، هذا المرض الذى هو مرض الأمراض ، وهذا السم الذى هو سم السموم ، هذا السم المضاد للطبيعة كلها ، والذى يسمى ... الملل . وهو ليس الملل العارض ملل التعب أو ملل الحيرة ، وليس هو الملل السطحى الذى يرجع الى الفقر أو البطالة أو ســـوء الطالع وانما هو الملل العميق ، الملل الكامل ، الملل الخالص ، الملل الذى « ليس له مادة سوى الحياة نفسها ، وليس له سبب بعد ذلك سوى وضوح بصيرة الحى » . كما وصفه الشاعر بول ڤاليرى .

هذا الملل المطلق ليس فى ذاته الا الحياة عارية تماما اذا نظر الأحياء اليها بوضوح ، وهذا الملل المطلق هو المناخ الذى يعيش فيه انسان العصر الحديث، الانسان الحر حرية كاملة بعد أن تحققت

له الحرية السياسية وأخذ يمارس حريته الشخصية : « وقد تكون كلمة « الحرية الشخصية » كلمة غريبة ولكنا لأننا في مصر عانينا الاحتلال السياسي أزمانا طويلة ، فكلّ حديثنا عن الحرية كان حديثا عن الحرية السياسية .. مع أن الحرية السياسية هي أضيق أنواع الحريات ، وانما الأصل هو الحرية الشخصية .. حريتي وحريتك » .

هذا هو الانسان الحديث ، الانسان الذي يعبر بحياته وكتاباته عن « الحرية الداخلية » كما يعبر عن تأمل آثارها الطبيعية . والوجودية ليست شيئا سوى فلسفة هذا الانسان الحديث، فاذا كان لعصرنا جوّه الخاص،فكتاب «وداعا..أيها الملل » هو التعبير الفلسفي عن هذا الجو .

والآن لنحلل بعض مكونات هذا الجو ، أو بتعبير أصح لنحلل « فلسفة الملل » عند أنيس منصور .

المعنى الدرامي للحياة

وصفنا كتاب « وداعا .. أيها الملل » بأنه بحث في كنه مرض الانسانية في منتصف القرن العشرين ، ذلك لأن أنيس منصور يرى أن الانسانية مريضة في هذا العصر وأن مرضها هو مرض الأمراض ، تماما كما وصف الكاتب الانجليزي الشاب كولن ويلسون كتابه «الغريب» The Outsider بأنه: «دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين » . فهو الآخر يرى أن الانسانية مريضة في هذا القرن ، وكلاهما يخصص الجزء الأكبر من كتابه لتشخيص هذا الداء الذي تعانيه الانسانية ، ثم يقترح (كولن ويلسون قبيل خاتمة الكتاب وأنيس منصور على غلاف الكتاب) الدواء الذي يفضله يمكن للانسانية أن تشفى من مرضها الدفين . الا أن كولن ويلسون يصف هذا المرض بأنه مرض « الغربة » بينما يصفه أنيس منصور بأنه مرض « الملل » ، ويلتمس كولن ويلسون الخلاص في الرؤية الصوفية أو الكشف الروحاني أو فيما أسماه « طريقة النمو المتسق للانسان » أما أنيس منصور فيلتمس الخلاص في الحب تارة وفي العمل تارة أخرى أو فيهما معا على اعتبار أن الحب هو الشحنة الوجدانية للعمل ، وأن العمل هو الذي « يضع حدا لحالات التفرج السلبي والتأمل الحيادي ، ليتخذ موقفا ايجابيا من نفسه ومن غيره » .

ولكن ما طبيعة هذا « الملل » كيف يصاب به الانسان وكيف يمكن أن يشفى منه الانسان ؟

عند أنيس منصور أن ظاهرة الملل تبدو لأول وهلة ظاهرة اجتماعية ، ذلك لأن من صفات الانسان الذي يصاب بالملل أنه لا يتلاءم مع المجتمع الذي يعيش فيه : « فالذي عنده ملل يشعر أنه ليس على صلة بالواقع .. انه منعزل .. انه معزول . انه منقطع .. انه مقطوع . وانه لا توجد لديه وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي» . لكن ظاهرة الملل في الحقيقة ليست مجرد ظاهرة اجتماعية ، فالشخص الذي يعاني تجربة الملل هوالشخص الذي يرى الانسان على حقيقته ، تلك الحقيقة التي تحجبها عن العين طبيعة الحياة في المجتمع ، ولأنه يدافع عن الحقيقة وحدها ولا يقبل غيرها نراه دائما اما ثائرا على المجتمع أو متعزلا عن المجتمع . وهذا هو السبب في أن الانسان « الملول » ان صح هذا التعبير يكون هدفا لحملات كل الذين يعيشون من المساومة مع ضمائرهم ، وكل من لا عقيدة لهم سوى الدعاية الفارغة ، وكل من لهم قلب طيب الى حد العبط .

ومن هنا نرى أن ظاهرة الملل عند أنيس منصور لها جانب سيكولوجي وجانب ميتافيزيقي فضلا عن جانبها الاجتماعي ، وأنها تمر بمراحل ثلاث هي على التوالي : مولد الملل ثم حياة الملل وأخيرا موت الملل . هذه المراحل الثلاث تؤلف فيما بينها ما أسميناه : المعنى الدرامي للحياة . والآن لنتناول كل فصل من فصول هذه الدراما.. دراما الملل .. بشيء من التفصيل :

مولد الملل

يرى أنيس منصور أن مولد الملل كان على أيدي ثلاثة رجال كبار استطاعوا أن يفتتحوا قرننا العشرين ، ان لم نقل انهم هم الذين صنعوه صنعا، والصنعة والصناعة والتصنيع هي من علامات هذا

القرن ، قرن الأشياء المصنوعة • أليست كل نواحي البيئة الطبيعية الريفية تصبح بحكم تقدم المدنية بيئة صناعية ؟

ويصف أنيس منصور كل من هؤلاء الرجال بالصياد الذى مد يده الى الشبكة فوجد بها زجاجة مقفلة ، فلما فتحها خرج منها مارد جبار كان محبوسا فى قاع البحر منذ الوف السنين • الصياد الأول هو كارل ماركس الذى فتح الزجاجة فخرج ماردها على هيئة رجل كادح يطالب بحقه فى الخبز ، والصياد الثانى هو سيجموند فرويد الذى خرج مارده من زجاجة اللاشعور على هيئة غريزة جائعة تطالب بحقها فى الجنس ، والصياد الأخير واسمه اينشتين •• خرج مارده على هيئة طاقة هائلة سجلت أول انفجار ذرى عرفه التاريخ •

هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وجد أنيس منصور أنهم بمثابة القوى العاملة فى القرن العشرين ، هم أنفسهم الكاتب الانجليزى ت •ا• لورانس T.E. Laurence ، والرسام الهولندى ڤان جوخ Van Gogh ، وراقص الباليه الروسى نيجنسكى Nijinsky الذين رآهم كولن ويلسون على أنهم غرباء يمثلون نماذج ثلاثة لمرض الغربة الذى أصيب به قرننا العشرون • وكما تمثلت قوة الخبز فى كارل ماركس وقوة الجنس فى سيجموند فرويد وقوة الطاقة فى اينشتين وحاول كل منهم أن يقضى على داء الملل ولكنه فشل ، اذ حاول ماركس أن يقضى على الجوع فحسب ، وحاول فرويد أن يشبع الغريزة فقط ، واكتفى اينشتين بالتحكم فى المادة • كذلك حاول الثلاثة الآخرون أن يشفوا من مرض الغربة بالسيطرة على أنفسهم ، لكن سيطرتهم لم تكن كاملة ••• ذلك أن لورانس حاول أن يسيطر على عقله فحسب ، وڤان جوخ على انفعاله ، ونيجنسكى على جسده • ومن هنا ذهب كولن ويلسون الى أن الرجل المثالى هو الذى يجمع بين فكر لورانس الثاقب وانفعالات ڤان جوخ الجامحة وادراك نيجنسكى لامكانيات جسده ، تماما كما ذهب أنيس منصور الى أن سعادة الانسان الحديث لن تتحقق الا اذا جمع بين هذه القوى الثلاث .. الخبز والجنس والطاقة.. فى نوع من التعايش السلمى ، أما بقاؤها هكذا فى حالة هدنة مسلحة أو حرب باردة فهو ما يسبب شقاء الانسان • وهذا ما عبر عنه بقوله : « ونحن نريد أن يتحول الوحش ، هذا النمر الى قط ، هذا السيد الظالم الى انسان طيب مطيع ، هذه الجماهير الى قوى عاقلة ، هذه الغرائز الى طاقات سامية • والزجاجات ماتزال مفتوحة ، والمفاوضات بيننا وبين هذه العفاريت دائرة •• لا أمل فى أن تدخل هذه العفاريت الى زجاجاتها لنرمى بها فى أعماق البحر •• ولكننا بالعقل نحاول أن نروض القوى الجبارة •• وبين عقلنا وهذه القوى الهائلة تهتز حياتنا وسعادتنا » •

وهذه هى أول علامات العصر الذى نعيش فيه •• أن تهتز حياتنا وسعادتنا بين عقلنا وهذه القوى الهائلة ، ومن هذا الاهتزاز الذى سرعان ما يتحول الى زلزال ، تطفح علامات العصر ، وعلى رأس هذه العلامات الايمان الغريب بالمؤسسة وبالمنظمة وبالهيئة وبالنقابة •• الايمان بهذه الأشكال المعنوية ثم الايمان باله آخر اسمه : النظام •• الترتيب •• « وهذه الحياة المنظمة أو المنتظمة أو المرتبة أو الرتيبة هى التى أصابت الانسان بمرض هذا العصر : الملل •• القرف•• الدوخة •• الغثيان •• ولم يحدث فى عصر من العصور أن شعر الانسان بالملل .. وبأن اليوم كغد وأن الغد كبعد الغد ، وأنه لا طعم لشئ ولا لذة لشئ ولا أمل فى شئ ولا يأس من شئ .. لم يحدث شئ من هذا قبل القرن العشرين » •

صحيح ؛ لم يحدث شئ من هذا قبل القرن العشرين ، ويكفى أن تقرأ ما يكتبه سارتر فى فرنسا ، ومورافيا فى ايطاليا ، وأوزبورن فى انجلترا ، وجاك كيرواك فى أمريكا وحتى نجيب محفوظ فى روايته قبل الأخيرة «السمان والخريف» يكفى أن تقرأ هؤلاء جميعا لترى أن كتاباتهم كلها تصدر من نبع واحد اسمه •• الملل • ويصف أنيس منصور الشعور بالملل بحالة انقطاع التيار الكهربى ونحن نرى الأشياء ، أو بحالة انقطاع الماء الساخن ونحن نستحم : « فالملل هو الذى يجعل كل ما حولنا غريبا ••• أو يجعلنا نحن

غرباء فى هذا العالم . فالشعور بالغرابة ، والشعور بالغربة ، والشعور بالاغتراب هو بداية الملل . ولذلك فوسائل الاتصال بالغير ميتة .. فالانسان حى ولكن مواصلاته ميتة .. انه جثث ألفاظ ، وقبور معان ، وعفن فكرى » .

وهكذا نرى أن الملل وان كان منشؤه اجتماعيا ، الا أنه ينمو ويحيا فى تربة سيكولوجية خالصة ، هى الفصل الثانى من دراما الملل والذى أسميناه :

حياة الملل

اختار كولن ويلسون مثلا على الغريب النموذجى فى الأدب الحديث بكل قصة هنرى باربوس H. Bardusse « الجحيم » ، ذلك البطل الذى كان يمعن فى الغربة فيلجأ الى غرفته فى الفندق يغلق بابها ويقف على الفراش ليراقب ما يدور فى الغرفة التالية من ثقب فى الحائط ، انه ينظر ويرى الغرفة التالية وهى تدعوه الى عريها ، هذه الغرفة ليست الا الحياة وقد خلعت ملابسها ، ولذلك فهو كما يقول باربوس : « كان يرى أكثر من اللازم ، ويعرف أكثر من اللازم » .

وكذلك فعل أنيس منصور ، اختار مثلا نموذجيا للملل فيلم « الليل » للمخرج الايطالى العظيم أنطونيونى .. « فكل شىء فى القصة وفى أبطال القصة يؤكد معنى الملل .. أناس فى حالة ملل أو ملل على هيئة أناس ». وقصة الفيلم خالية من الحوادث فمن معانى الملل ألا تكون هناك حوادث ، كل ما هناك أننا نشاهد رجلا وزوجته فى طريقهما الى أحد المستشفيات ، الزوجة وجهها جامد لا يتحرك أما الزوج فهو فى حالة غريبة من فقدان النطق .. « انه لا يتكلم واذا تكلم فهو لا يقول شيئا .. لم يعد عنده ما يقوله ، واذا وجد فانه لا يجد الدافع لكى يقوله ، واذا وجد الدافع كان الدافع الوحيد هو ألا يقول شيئا » .

هذا الزوج أديب ، وقد صدرت له قصة جديدة ولكن لا تبدو عليه السعادة ، والاثنان يزوران رجلا مريضا ، وهذا المريض سعيد بصوت آلات البناء وبصوت الطائرات النفاثة والصواريخ ، انه سعيد لأنه مريض ، لأنه فى أجازة اجبارية ، ويبدو أن هذا المريض هو الآخر أديب . وتنتهى الزيارة وتبدأ مشكلة كل يوم .. « أين تذهب هذا المساء ؟ » أما الأديب فعنده حفلة أقيمت فى نادى القصة بروما بمناسبة ظهور قصته الجديدة : « الذين يمشون وهم نيام » . وتضيع الزوجة فى زحام الأحتفال بزوجها فتتسلل الى الخارج .. الى شوارع روما لتتسكع فى الطرقات وتتفرج على الناس والأشياء . وأخيرا يعودان الى البيت .. الزوجة تدخل الى الحمام وتلقى بنفسها فى البانيو ، والزوج غارق فى ملله .. فى ملابسه « وليست ملابسه الا مللا مصنوعا من القماش » .

ويقترح الزوج بلا حماسة أن يذهبا الى بيت أحد الأثرياء ، وتوافق الزوجة بلا حماسة على الذهاب . وهناك نشاهد « عشرات من الأغنياء من النساء والرجال يلعبون ، أو يقطعون الليل، أو يهربون من الملل .. كل واحد قرفان .. الكلام قرف ، الوجوه كاذبة ، أو لاهى كاذبة ولاهى صادقة ، محايدة..أناس لا يعرفون ماذا يفعلون». وفى حديقة القصر نرى الزوجة تروح وتجىء بلا صمت وأيضا بلا كلام ، وزوجها مشغول عنها أو بعيد عنها . وقبيل نهاية القصة تعترف الزوجة بأن الأديب المريض فى المستشفى كان يحبها ، كان يعبدها ، كان يقول لها : أنت . بعكس الزوج الذى لم يكن يقول لها الا : أنا .

وفى نهاية القصة تخبره الزوجة بوفاة الأديب المريض فلا يتأثر ولا يهتز لأن شيئا لم يعد يهزه ، لأن شيئا لم يعد يحركه .. لا الحياة ولا الموت ، لا الكلام ولا الصمت ولا حتى الأدب.. «انه يعلن أنه لن يكتب بعد اليوم شيئا» . ونهاية الفيلم كأنها بدايته .. ملل فى ملل . وكأن أعمالناواقوالنا ماهىالا صلوات لالهجديد اسمه.. الملل .. فالزواج قاتل للحب ، والتعود قاتل للزواج ، والملل قاتل للجميع ! » .

وهذه هى حياتنا .. « ملل فى ملل » أناس يمشون وهم نائمون ، يمشون دون أن يدروا ، وينامون دون أن يدروا ، ويقتلون أنفسهم دون أن يدروا . انهم دائخون .. نيام .. نيام ..

عراة كأبناء نيام نيام • حيوانات كأبناء نيام نيام . يأكل بعضهم البعض كأبناء نيام نيام » .

والنتيجة •• « النتيجة هى شقاء أبناء هذا العصر » •

ولكن ألا توجد وسيلة للخلاص من الملل ؟ هل الملل قد أصبح كلون البشرة لا يمكن أن يزول الا بزوال صاحب البشرة ؟ هل الملل أصبح كالبقع الموجودة فى جلد النمر لا أمل فى غسلها ؟ أيوجد هناك أمل ؟

ويرد أنيس منصور على تساؤله بأنه « لا راحة لأبناء هذا العصر الا بالمعجزة » • ولكن من أين لنا هذه المعجزة •• هل نلتمسها فى العلم ؟ لا •• فى الدين ؟ لا أيضا •• فى الحب ؟ نعم ••• اذن فالحب هو خير دواء لعلاج الملل •• بالقضاء عليه•

موت الملل

ولكن لماذا يرفض أنيس منصور معطيات العلم مع أننا نعيش فعلا فى عصر العلم ، والعلم قد حقق لنا الكثير من المعجزات ؟

الحقيقة أن أنيس منصور لا ينكر أننا نعيش فى عصر العلم ، وأن الناس أصبحوا يؤمنون بالعلم والعلماء والآلة الحديثة ، وأن ايمانهم هذا بالعلم جعلهم يكفرون بالكلمة والعبارة •• بالفن والشعر •• بالذوق والخيال • ولكنه يرى أن ايماننا بالعلم هو سر شقائنا •• فالآلات والسيارات والتليفزيون لم تحقق لنا سوى الوحدة والعزلة والانفراد ؛ والطب أصبح عاجزا عن علاج أبسط الأمراض ، والأسلحة انقلبت ضدنا فبدلا من أن تحقق لنا السلام جعلتنا فى حالة طوارىء •• فى حالة استعداد للقتال • فالعلماء هم حقا أنبياء هذا العصر ولكنهم أداروا ظهورهم للناس واتجهوا بوجوههم الى المادة .. فلم يبق أمامنا الا الدين •••

« ولكن رجال الدين ليست لهم كلمة مسموعة فى عصر العلم •• انهم ينادون بالسلام الذى افتقده الناس والحب الذى لم يعرفوه ... وصوت رجال الدين يجىء من الداخل ، من داخلنا ، من أنفسنا •• ونحن هاربون من أنفسنا •• ولذلك فنحن لا نسمع صوت رجال الدين » •

اذن فلابد لنا من سبيل آخر غير العلم والدين نلتمس فيه المعجزة ، وننتظر المعجزة مع أننا نحن المعجزة • ان المعجزة فى داخلنا وليست فى الخارج ، ولكى ندرك هذه الحقيقة لابد لنا من لحظة باهرة •• لحظة بعيدة عن « غبش » الحياة اليومية ، لحظة تتوهج فيها حواسنا جميعا ، وتنسجم فيها روحنا مع الوجود فيبدو لنا العالم قائما على صلة روحية متجددة ، ويتجلى لنا فى الحياة معنى عميق غاية ما يكون العمق •• اسمه الحب.وهدف رائع غاية ما تكون الروعة.. اسمه العمل •

هذه اللحظة عند أنيس منصور هى « لحظة المرض » ••• « ففى لحظة مرضنا ، فقط فى لحظات المرض ، نشعر بوحدتنا ، بانسانيتنا • ويجىء لنا من تحت الغطاء الثقيل والجلد الثقيل صوت مكتوم يذكرنا بأن الحياة ليست جريا ولا هربا وانما هى أن نتوقف وأن نتأمل وأن نتذوق وأن نتكلم وأن نفتح أيدينا وأن نضمها ، وأن نعانق أنفسنا •• نعانق انسانيتنا •• حقيقتنا •• فنحن أعظم ما فى الكون ! » •

تلك هى الحقيقة « نحن أعظم ما فى الكون !» ومن هذه الحقيقة ينطلق أنيس منصور ليجد الحل •• فاذا كان الطوفان الحديث اسمه الملل، فان نوحا الجديد اسمه الحب .

الخلاص بالحب ..

الحب اذن هو الخلاص ، أو هو الوسيلة الوحيدة للخروج من الملل ، وهذا ما عبر عنه أنيس منصور بقوله : « لأن نحل مللنا هى أن نحب .. هى أن نجدد صلتنا بالعالم الخارجى .. هى أن نحس أن هناك صلة .. وأن كل شىء فى تناولنا .. وأن كل مافى الدنيا هو عبارة عن يد ممدودة لتصافحنا .. أن كل مافى الدنيا شفاه فى انتظار تقبيلنا لها » . نعم ؛ فشفاهنا ما خلقت الا لتقبل، وقلوبنا ما خلقت الا لتنبض ، والانسان ما خلق الا ليحب .. « فأنا أحب ، وأنت تحب ، وشهريار الملك يحب ، اذن لا أنا ولا أنت ولا هو سنعرف الملل ! » .

ولكن هل الحب وحده يكفى ؟

يقول أنيس منصور « ربما » ولكنه سرعان ما يعود فيؤكد حقيقة على جانب كبير من الأهمية . هى أن الحب لا يمكن أن يكون شيئا فى ذاته ، وانما يكون لشىء آخر . أعنى أن الحب لا يكون حبا وكفى وانما هو حب شىء ؛ هذا الشىء هو الذى يكسب الحب مشروعيته ويجعل له هيئة وقواما ، أنه الصورة اذا كانت الهيولى هى الحب. وهكذا استطاع أنيس منصور (قولا وعملا) أن يتخطى المرحلة التى وقف عندها الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ذلك لأن الحب اذا لم يتخذ للذات موضوعها فى العالم الخارجى انتهى بالذات الى موقف أقرب الى النرجسية حيث تتخذ الذات العاشقة من نفسها موضوعا لعشقها ، أو بعبارة أخرى تصبح الذات العاشقة هى نفسها موضوع العشق . وهذا ما عبر عنه الدكتور عبد الرحمن بدوى فى رسالته « الزمان الوجودى » بقوله : « ولكن الحب فى الدرجة العليا منه يصير كما قلنا أثرة ، لأنه شعور بالذات وكأنها وحدها

الموجودة حقا ، مما يولد احساسا بالكراهية لكل ماعدا الذات » . وما ترتب عليه قول الدكتور : « ولما كان الحب كما فسرناه وجوديا افناء المعشوق فى الذات ، فانه يتصف أولا بأنه لا يشترط فيه التبادل . فمن يحبب حقا ، لا يعنه أن يكون موضوع حبه يبادله حبا بحب » . وقوله : « وهذا يفسر لنا ما يسمونه اخفاق الزواج القائم على الحب ، اذ يشعر كلاهما بخيبة أمل لا يبلغ مداها التعبير ، وما ذلك فى نظرنا الا لوقوف حركة الحب بمجرد تحصيل موضوعه فى الزواج » .

أما عند أنيس منصور فشرط الحب التبادل

والا لما كان حبا ولأصبح نوعا من العشق أو الغرام ، وعنده أيضا أن تبادل الحب لا يقضى عليه بل يزيد فى نموه وثرائه ، لأن حركة الحب المتبادلة هى الحركة المتوثبة التى تسعى لا لاثراء الذات فحسب ، بل لاثراء الذات والموضوع معا. وهذا ما عبر عنه أنيس منصور تعبيرا رائعا قال فيه :

« لأنه يحبها .. لأنه يجدد الصلة بها .. لأنه يجعل الصلة تتحول الى وشائج حارة خفاقة .. لأنه جعل للدنيا قلبين يخفقان فى وقت واحد .. لأنهما يؤديان لحنا واحدا .. ورغم أنه متكرر .. الا أنه تكرار لا يولد الملل . انه كلمعان النجوم ... متكرر . كدقات القلب .. متكررة . ولكن عن طريق هذه الدقات المتكررة تنبع أكثر العواطف اختلافا .. وأكثر العواطف التهابا .. وأكثر العواطف قدرة على انتاج أجمل وأعمق وأبقى ما صنع الانسان ! » .

وهنا تنشأ المقولة الثانية فى فلسفة أنيس منصور وهى .. العمل . فاذا كان الحب هو أحد وجهى العملة فالعمل هو الوجه الآخر ، والاثنان معا .. الحب والعمل .. وجهان لحقيقة واحدة هى الانسان . الانسان الذى يحب ما يعمله أو يعمل ما يحبه ، وبذلك يكتمل « الكوجيتو » الفلسفى عند أنيس منصور ويصبح منطوقه الجديد : « أنا أعمل – لأننى أحب – اذن فأنا موجود » .

وبهذا « الكوجيتو » يبدأ أنيس منصور مرحلة جديدة فى تطوره الفلسفى ، اذ ينهى ما يسميه .. « التمرغ الطويل فى رمال لا نهاية لها هى رمال الملل » ليقوم بتوظيف أعضائه العاطلة وشعاره : مرحبا أيها العمل .. ووداعا أيها الملل .

جلال العشرى



من الدراسات القليلة ، الجيدة – تلك الدراسة التى ظهرت – أخيرا – عن شعر ابن سناء الملك للدكتور الأهوانى ، وسر ما فيها من تفوق وجودة الملم الكاتب الماما واسعا بالتراث العربى، والثقافة الأجنبية .. مما برز أثره واضحا فى البحث فأكسبه غنى وثراء ، والكتاب دراسة تطبيقية لمعرفة أسباب العقم ، وعلله ومظاهره ، والمؤلف يرجع ظاهرة العقم فى شعر ابن سناء الملك . ومعاصريه الى سببين : ١ – المشكلة اللغوية . ٢ – الخطأ فى مفهوم الابتكار والتجديد فى الشعر .

فالمشكلة اللغوية – ويعنى بها الازدواج اللغوى الذى تتسع فيه الفجوة مابين لغة الحديث ولغة الكتابة – قد جرت الشاعر الى الوقوع فى كثير من الاخطاء ، « فهى التى جعلته يرتبط بالماضى ، ويكبره الى حد العبودية أكثر من ارتباطه بالحاضر ومشكلاته » مما كان له أثره الظاهر فى استعانة الشاعر بأفكار وصور وتراكيب الشعراء السابقين كابن المعتز ، وأبى تمام ، والبحترى ، والمتنبى ، وغيرهم .. والمشكلة اللغوية قطعت صلة الشاعر بالجمهور الذى يتعامل معه فلم يحس بآلام الشعب العربى وآماله احساسا يدفعه الى التعبير الشعرى الموفق عنها ، كما لم يتجاوب الشعب معه فى قصائده التى ينظمها بلغة لا يستطيع فهمها ، وهذا سبب فشله فى شعره الغزلى أيضا ، فمحبوبة الشاعر لا تفهم ما يكتبه لها للسبب نفسه ، لذلك انحصر جمهوره فى النقاد ، والفقهاء ، وعلماء اللغة ، والمعلمين » وهذا يفسر لنا ما امتلأ به شعره من استخدام مصطلحات هذه العلوم » .

كما أن المشكلة اللغوية هى علة مافى شعره من ركاكة .. « منشؤها عدم تمكن الأديب من اللغة التى يكتب بها لافتقاره الى معرفة أصولها ، وادراك أسرارها ، وقلة بصره بالفروق بين دلائل المفردات ، ومعانى التراكيب ، ومناسبات الجمل، وروابطها .. » وخاصة أن الشعر يستخدم اللغة استخداما مغايرا لاستخدام النثر كما يقول سارتر ، والكاتب ينفى أن يظهر شاعر غنائى كبير فى عصور الازدواج اللغوى لأن الشعر الغنائى « تعبير مباشر عن عواطف الشاعر واحساساته كما أنه ليس ارضاء للغير بقدر ما هو أرضا لنفسه ، والتنفيس عما احتبس فيها من مشاعر تعبيرا مباشرا ، مركزا ، موجزا .. » وهو هنا يفرق مابين الشعر الغنائى والشعر المسرحى والملحمى . « فالشعر المسرحى يمكن أن يستمد نجاحه من عناصر أخرى كرسم الشخصيات وترتيب الاحداث واقامة الخطة ، واستعراض قيم من الحياة الاجتماعية ، واثارة شوق القارىء أو السامع .. » وشعراء تلك الفترة لم يمتلكوا





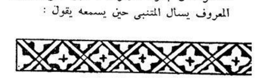
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية



الأداة التعبيرية امتلاكا كاملا يطوعونها به للتعبير عن أدق ما تختلج به نفوسهم ، كما لم تتوفر لهم الحاسة اللغوية الدقيقة التى تفرق مابين الكلمات فى الدلالة والجرس وتؤثر كلمة على كلمة لتوهجها ، وثرائها فابن سناء الملك يستعمل الكلمات : المطر ، الغيث ، القطر ، القطار .. بمعنى واحد ، يتحكم فى اختيارها غالبا الوزن أو القافية ، وليس ما ينطوى عليه كل لفظ من ظلال عاطفية ، وشحنات نفسية ، ومن أين تأتيهم الكلمات الفنية بشحنتها النفسية أو تاريخها

الحي واللغة التي يستخدمها الشاعر ومعاصروه لغة قاموسية ميتة ، جافة ، انعزلت عن الحياة ففقدت كل ما كان لها من توهج حين كانت لغة حية تدور على ألسنة الناس ، فلا غرابة أن نجده يستخدم مثل هذه الكلمات : القرقف (الخمر)، جعفر (الجدول) ، يوح (الشمس) ، وغير ذلك من الكلمات الجامدة التي لاظل لها ، ولا اشعاع.

والكاتب يحمل النقاد عبء ما أصاب هؤلاء الشعراء من جمود ، وتردد ، فابن جنى اللغوى المعروف يسأل المتنبى حين يسمعه يقول :





ومشكلة العقم والابتكار في الشعر

تأليف الدكتور عبد العزيز الأهواني

عدد الصفحات ٢٢٢ ص ١٧ × ٢٤ سم .



وقد يتزيا بالهوى غير أهـــله
ويستصحب الانسان من لا يلائمه

« هل تعرف كلمة يتزيا في شعر قديم أو كتاب لغوى ؟ .. فهي خطأ عامي ، وقياسه يتزوى لأنه من الزى الذى أصله زوى .. » والمتنبى الواثق من نفسه لا يقيم لملاحظة هذا اللغوى أى وزن لأن حاسته اللغوية الدقيقة هدته الى أن كلمة يتزيا رغم عاميتها تصلح في هذا الموضع الذى لا يصلح فيه سواها . لكن شاعرا كابن سناء الملك غير متمكن من وسيلته التعبيرية يخاف النقـــاد واللغويين فيلتزم ما يلزمونه به ، فلا يورط نفسه في التحرر من التعبيرات المحفوظة المتوارثة لذلك جاء الكثير من شعره نتفـــا من أفكار الآخرين ، وتعبيراتهم .. رغم انكاره هذا على ابن رشـيق حين رآه يفعل ذلك . ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى مناقشة الجانب الثاني من « قضية العقم » وهو **الخطأ في مفهوم التجديد والابتكار** في الشعر ، فيرى أننا لكى نتعرف على تفوق الشاعر أو اخفاقه لابد أن نسأله : ماذا يفهم من معنى الشـــعر ؟ وما مقاييس الاجادة عنده ؟ وما مهمة الشاعر في رأيه ؟ وما صلة الشاعر بالتراث ؟ وموقفه من مشاهير الشعراء السـابقين ، ومن مذاهبهم الفنية ؟ ، وحين يوجه هذه الأسئلة الى ابن سناء الملك يكون جوابه عليها ، وجواب أستاذه القاضى الفاضل هو « اختراع المعنى الجديد ، والاتيان بما هو مبتكر لم يسبق اليه .. » لكن ما الاختراع والابتكار عند هذا الشاعر ؟ ، قبل أن يجيب على السؤال يتعرض الدكتور الأهوانى للتفرقة بين مفهومين للشعر ، المفهوم المعاصر والمفهوم القديم الذى يرى في الشعر صـــناعة كســواها من الصناعات ، يتردد هذا المفهوم في كتابات افلاطون، وأرسطو وهوراس كما يتردد في كتابات النقاد العرب فيتكلم عن الشعر كصناعة « ابن قدامة » وأبو هلال العســكرى الذى يعنون كتـــابه « بالصناعتين » صناعة الشعر ، وصناعة النثر ، ويظل هذا المفهوم سائدا الى عصر ابن خلدون الذى يعنون أحد فصول مقدمته بـ « فصل في صناعة الشعر ، ووجه تعلمه » وهذا المفهوم هو الذى ظل سائدا في أوروبا الى زمن قريب اذ نجـــد « كولنجوود » في كتابه « أصول الفن » ينفى أن الفنصناعة ، وعمل الفنان لا يشبه في شيء عمل الصانع ، ويورد شروطا ستة للصناعـــة تتوفر فيها دون الفن » ويقصد بالفن . . الفن الخالص الذى لا يقصد به الى القيام في الحياة بوظيفـــة يراد بها منفعة المجتمع .. لذلك فهو يخرج من الفن الخالص .. الفن الذى يراد به تعبئة الجماهير ، والهاب المشاعر ، ويخرج منـــه أدب التسلية والجنس ويرى في النوع الأخير خاصة — خطرا على الحضارة » والكثير من شعر

ابن سناء الملك يدخل فيما أسماه « كولنجوود » بالفن الخالص كشعره فى الشكوى والغزل والفخر فمن أين جاءه النقص..» ؟ جاءه النقص من مفهومه الخاطىء ، ومفهوم أهل عصره عن الشعر اذ قد فهموا التجديد على أنه الاتيان بتوليدات عقلية ، وصور ذهنية ، ومحاكاة للأقدمين، وصياغة رديئة، مهلهلة لأفكارهم وتجاربهم دون اعادة معايشتها ، وقلب لمعانيهم ، وافراط فى المحسنات البديعية والصور الزخرفية المتكلفة افراطا طمس جذوة الخلق فيهم ، وشاعرنا يسرف فى حسن التعليل أو التعليل البلاغى ، كما يحلو للمؤلف تسميته ، والتعليل البلاغى – فى حد ذاته – وثيق الصلة بالنفس الشاعرة التى يختلط فيها الخيـــال بالحقيقة ، والأسطورة بالواقع فى لحظة الانفعال المتوهج الا أن هذا الشاعر لا يصدر فى ذلك عن جيشان انفعالى ، وانما يتعمـــد ذلك تعمدا ، ويصنعه صناعة عقلية متكلفة ، كثيرا ما يتلاعب فيها بالألفاظ مستغلا اتفاق بعض الكلمات فى بعض حروفها،فلأن التلاطم واللطم من مادة واحدة صور الشاعر البحر بصورة الحزين الذى يلطم وجهه بيديه فقال :

وقصر البحر عنــــه فهو مكتئب
أما تراه بكفى موجــه التطمـا

ولأن **المفارقات** تنال حظا من اعجاب النقـاد وعلماء البلاغة « لأن أصلها الدهشـــة حين يفتح الشاعر عينيه فجأة على الحياة فيراها غريبة عليه كأنه يراها لأول مرة – يكثر الشاعر منها ويسرف فيها اسرافا عقليا ، ولقد أحسن المؤلف اذ وسع من دائرة « المفارقات » فجعلها تشـــمل كل ما يحتوى على شيئين متناقضين أو يوهمان بذلك: كالطباق والمقابلة وبعض صور الاستعارة كقول الشاعرة العربية التى ترثى أخاها مندهشة من أن شجر الخابور ظل مورقا رغم عظم الفاجعـــة:

أيا شـــجر الخابور مالك مورقا ؟
كأنك لم تجـــــزع على ابن طريف

كما تشمل ما يسمى «برد صدر الكلام الى عجزه».

ولعل فهم الشاعر للمعنى الجديد لا يقل خطأ عن فهمه السابق للابتكار والتجـــديد فى الشكل ، فهو يماشى نقاد عصره كابن طباطبـــا وابن الأثير فى مفهومهم عنه بأنه اســـتغلال للنصوص القديمة والمعانى المتوارثة والانحراف بها عن غرضها الأول الى غرض آخر جـــديد كالانتقال ببيت الأعشى–الذى يمدح به الملحق–من المدح الى الغزل،فنذار المحلق هى حمرة خد المحبوب، والضيوف المتحلقون حولها هم العــــذار الذى يحيط بحمرة خديه الى آخر التلفيقات التى يبدد الشاعر وقته فى اصطناعها ، وهو يأخذ معانى الأقدمين ويحاول التفريع والتزيد فيها ليمتلكها ، ويخفى معالمها ، وغالبـــا ما تأتى فى اطار ردىء لفقره التعبيرى والحسى · وكثيرا ما أغرب فى صوره وتشبيهاته ليظهر بمظر الشاعر المجدد المبتكر ، وقد أسهم النقاد العرب فى تضليل أمثال هذا الشاعر حين أشادوا بروعة التشبيه الذى يبعد فيه جنس المشبه عن جنس المشبه به كما فعل عبد القاهر،ومن أسوأ تشبيهات هذا الشاعر تشبيهه الخال – وهو النقطة السوداء فى الخد تزيده جمالا – بالمسمار الأسود ··

ومن توليداته الذهنية تشبيهه الحبيب بالبدر (وهذا تشبيه مشهور) فلكى يجعله جـديدا ، لابد أن يلحق به زيادة ، وقد وجدها ، فالبدر يغيب ويصيبه المحاق ، وبوجهه كلف .. والحبيب ليس كذلك · والمؤلف · لا ينكر على الشـــاعر توفيقه ، حين يجده موفقا فى اختيـــار بعض صوره كاستعانته ببعض الأمثلة الشعبية المصرية فى رسم الصورة أو تعبيره عن تجربة يظهر فيها صدق المعايشة والمعاناة كقصيدته التى يلوم فيها نفسه بحرارة لتفريطه فى محبوبه الذى انصرف عنه الى غيره ، وهو حين يصدق فى التعبير عن تجاربه الخاصة يقل فى شعره التفريع العقلى ، والزخارف اللفظية ··

والمؤلف يثير قضية هامة هى « الثقة بالفنان » أو « معرفة المجال الذى يتحرك فيه » فابن سناء الملك يجسم الطيف فى بعض قصائده تجسيما يصل الى الحد الذى تختلط فيه الحقيقة بالخيال كما يفعل « السرياليون » ولكن معرفة الباحث

للمجال الذي يتحرك فيه الشاعر جنبه الوقوع في مثل هذا الخطأ اذ سرعان ما أدرك من تتبعه لصور الطيف عند الشاعر ـ أنه يصدر في ذلك عن عقل واع يقظ يعيد صياغة ما قاله البحتري عن الطيف ، وهو يمهد للوصول الى هذه الحقيقة بترجمة فصل كامل كتبه « موريس نادو » أحد مؤرخي السريالية .

بعد أن فرغ المؤلف من دراسة شعر الشاعر عرج على موشحاته فاستوفى الحديث عنها مبينا أن مفهومه عن التجديد فيها كمفهومه عن التجديد في الشعر ، فهو يعارض الموشحات الأندلسية بموشحات من عنده ، كما يزيد في عدد الفقرات زيادة مملة ويكتب بعض الخرجات باللغة الفارسية التي تعلمها خصيصا لذلك لعدم ادراكه السر في نظم خرجات الأندلسيين باللغة الأسبانية القديمة ، وهو في كل ذلك يعتبر نفسه مجددًا قد حقق في عالم الموشحات مالم يحققه سواه ، والواقع أن كل عيوبه في الشعر من فهم للابتكار في المعنى ، ومن حشد للصور والمحسنات البديعية قد انتقلت الى موشحاته ماعدا القليل من خرجاته وهي التي تشيع فيها الروح الشعبية المصرية فتكسوها خفة ، وجمالا ..

بقي لنا أن نشير اشارة سريعة الى بعض الملاحظات اليسيرة التي كنا نرى ضرورة تجنبها وأولاها رفض المؤلف أن يكون العصر الأيوبي عصر ضعف « وهو العصر الذي عاش فيه صلاح الدين الأيوبي ، ونور الدين زنكي ، وهو العصر الذي شهد مقاومة الصليبيين وتعبئة الطاقة البشرية ، والوحدة بين مصر والشام ، والمنافسة بين المذهب الشيعي والسني » فالواقع أن الضعف الأدبي في ذلك العصر انما هو امتداد لضعفه السابق حين بدد التتار الكثير من أسس ومعالم الحضارة الاسلامية ، وحين تمزقت الخلافة العباسية وسالت الدماء بين أجزائها ، وحين أصبح الأمر بيد حكام غير عرب غالبا نفضوا أيديهم من تشجيع الشعراء الذين لم يكن لهم مورد رزق سوى التكسب ؛ فانصرفوا الى مهن أخرى كما هو معروف، والحروب الصليبية دليل على ما أصاب العرب من ضعف أطمع فيهم المستعمرين ، وموقف صلاح الدين والتفاف الدويلات العربية حوله أو التفاف بعضها انما جاء كرد فعل للخطر الداهم الذي هدد الكيان العربي كله ..

أما الملاحظة الثانية ، فأعتقد أن المؤلف كان باستطاعته لجلاء « قضية العقم » أن يدرس شعر أكثر من شاعر ليتأكد من صدق الحقائق التي توصل اليها كما يفعل العلماء حين يستقرئون جزيئات ظاهرة من الظواهر الطبيعية ، كما أن القاء بعض مسئولية هذا التخلف على ناقد كبير كعبد القاهر الجرجاني يحتاج الى معاودة نظر ، وخاصة في قوله بأن الشعر صناعة عقلية ، فالفروق العلمية الدقيقة بين أعضاء التفكير والاحساس لم تكن بعد قد اتضحت ، وفي القرآن الكريم بعض آيات تشير الى أن الناس يفكرون بقلوبهم « أم لهم قلوب لا يفقهون بها .. »

والملاحظة الأخيرة : هي القول بأن عصور الازدواج لا تتيح الفرصة لظهور الشاعر الغنائي الكبير ، وان أتاحت الفرصة لظهور الشاعر الملحمي أو المسرحي أو الناثر . والذي أراه أن الشاعر المسرحي أو الملحمي لا يمكن أن ينجح اذا لم يتمكن من أداته اللغوية تمكنا كاملا يهيئه لادراك الأسرار الدقيقة لمعاني الألفاظ ، والفروق بينها سواء في الجرس أو الدلالة ، ودراسة نثر القاضي الفاضل تعطينا الدليل البين على أن الناثر الكبير لا يمكن أن يوجد في مثل هذا العصر ، وكم كنت أود لو أن الباحث اهتم قليلا بدراسة العلاقة التي بين الشاعر واستاذه القاضي الفاضل ، وعلاقة القاضي الفاضل بوالده ؛ فالذي أعتقده أن وجود القاضي الفاضل في هذا العصر كان من أقوى أسباب فساد الشعر والنثر ....

كيلاني حسن سند



يقدمه مدير التحرير

● تصدر الطبعة الثانية من كتاب « **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث** » للعلامة الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، بزيادات عن الطبعة الأولى • وهو يضم المحاضرات التي ألقاها الأمير الشهابي في معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية •

● كتاب « **الأضداد في كلام العرب** » تأليف أبي الطيب عبد الواحد بن علي العسكري اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ هـ حققه الدكتور عزة حسن في جزءين كبيرين • وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بين مطبوعاته التي ينشرها •

وقد سبق لهذا المجمع أن نشر لهذا المؤلف في سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦١ ثلاثة كتب من أمهات الكتب اللغوية ، هي : «**المثنى**» و «**الاتباع**» ثم «**الابدال**» بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع •

أما المحقق الدكتور عزة حسن فقد حقق لهذا المجمع أيضا من قبل في هذا الباب كتاب « **النوادر** » لأبي مسحل الأعرابي في جزءين كبيرين •

● عكف الدكتور حسن عثمان الأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة منذ سنوات على ترجمة الكوميديا الالهية لشاعر ايطاليا العظيم دانتي • فنشر في خريف عام ١٩٥٩ ترجمة الكتاب الأول منها وهو « **الجحيم** » • ونشرته دار المعارف •

أما الجزء الثاني من هذه الكوميدية وهو كتاب « **المطهر** » فسيظهر في خريف العام الحالي •

ويعد الدكتور حسن عثمان طبعة جديدة من كتاب « **منهج البحث في علم التاريخ** » الذي نشره منذ سنوات بعد اضافات جديدة •

● وتنشر دار المعارف كتاب « **اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي** » للدكتور جمال الدين الشيال الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية • وهو دراسات مستفيضة لأعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي أمثال : أبي الدرداء وأبي العباس المرسي وابن عطاء الله السكندري والقباري والحسن الشاذلي والحافظ السلفي وأبي بكر الطرطوشي وعبد الرحمن ابن هرمز وأبي الطاهر بن عوف •

ولعل الدكتور جمال الدين الشيال أن يتبع هذا الكتاب — وهو من أبناء دمياط — بكتاب آخر عن أعلام دمياط في العصر الاسلامي •

● الدكتور محمد كفافي الأستاذ بجامعة القاهرة والمنتدب بالجامعة العربية ببيروت أعد

للنشر الجزء الأول من كتاب «**المثنوى**» لجلال الدين الرومى مترجما عن الفارسية مع دراسة عنـــه وتعليقات عليه .

● فى سنة ١٩٥٧ أصدر الشاعر المهجرى الأستاذ جورج صيدح الطبعة الثانية من كتـــابه « **أدبنا وادباؤنا فى المهـــاجر الأمريكية** » ـ وهو كتاب جمع فيه المحاضرات التى ألقاها فى معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بعد أن توسع فى الموضوع وزاد عليه اضافات كثيرة حتى تجاوزت تلك الطبعة ستمائة صفحة .

وقد فرغ الأستاذ صيدح أخيرا من مراجعة الطبعة الثالثة لهذا الكتاب التى ستظهر قريبا .

● يصدر عن دار المعارف الجزء الأول من كتاب « **المستشرقون** » فى طبعته الثالثة الجديدة، وكان مؤلفه الأستاذ نجيب العقيقى قد عكف منذ ظهرت الطبعة الثانية على اعادة النظر فيه من جديد وأضاف اليه فصولا جـــديدة ، وعرف فيـــه بشخصيات استشراقية أخرى حتى بلغ الكتاب ثلاثة أضعافه ، فأصبح ثلاثة أجزاء بعد أن كان جزءا واحدا وبلغت صفحاته حوالى ١٢٠٠ صفحة .

● فرغ الدكتور فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة « المقتطف » سابقا ووكيل الجامعة الأمريكية فى بيروت من اعداد كتاب عن « **العلم والمجتمع** » تناول فيه دور العلوم الحديثة فى خدمة الانسان والجماعة . ويمتاز الدكتور صروف بأنه يجمع بين عقل العالم وسعة أفقه وبين رقة الأديب ودقة أسلوبه .

● نشرت « دار المكشـــوف » فى بـــيروت مسرحية « **السائح والترجمان** » للأستاذ توفيق يوسف عواد الذى كان قائما بأعمال الســـفير اللبنانى فى القاهرة منذ سنوات ومـــدير ادارة الثقافة بوزارة الخارجية اللبنانية الآن .

والأستاذ توفيق يوسف عواد من الأساطين القوية التى اعتمدت عليها القصة العربية فى لبنان .

● أعد الشاعر المهجرى الأستاذ اليـــاس فرحات للنشر ثلاثة دواوين جديدة هى «**موشحات مهجرية**» و «**فواكه رجعية**» و « **طليعة الشتاء** » . كما أعد للنشر كتابين ، الأول يضم بين دفتيـه ذكرياته ، والثانى عنوانه « **مغامرة صيد فى حوض الأمازون** » . وقد صدر له أخيرا فى بيروت كتاب « **عودة الغائب** » تحدث فيه عن رحلته للوطن الأم بعد هجرة أربت على نصف قرن .

● القائد العربى عبد الله التل الذى قاد معركة القدس فى حرب سنة ١٩٤٨ وانتصر على عصابات اليهود وحفظ للعرب هذه المدينة المقدسة يصدر له كتاب **عن الأصـــول الدينية لقضيـــة فلسطين** يرد فيه على حجج الصهيونية من واقع الكتب المقدسة ولاسيما التوراة .

وكان قد أصدر سنة ١٩٦٠ الطبعة الثانية من الجزء الأول من مذكراته بعنوان «**كارثة فلسطين**».

● كانت الطبعة التى نشرتها لجنـــة تذكار جب الانجليزية لكتاب «**الانساب**» للامام أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ (١١٦٦ م) من الصـــعوبة الرجوع اليها لسببين ، أولهما صعوبة خطها فقد حرص المستشرقون الذين نشروا هذه الطبعة على طبعها بالزنكوغراف حسب الأصـــل تماما عن النسخة المحفوظة بالمتحف البريطانى . والسبب الآخر ندرة هذه الطبعة فقد بلغ ثمنها حدا خياليا.

وأخيرا نشرت دار المعارف العثمانية بحيدرأباد الدكن الهند طبعة جديدة من هذا الكتاب ظهر منها الجزء الأول والثانى على ثلاث نسخ مخطوطة غير نسخة الطبعة الانجليزية ، واحدة منها فى مكتبة كوبريللى بالأستانة والثانية فى روســـيا والثالثة بمكتبة الجامعـــة العثمانية بحيدرأباد الدكن . وعنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى أمين مكتبة الحرم المكى .

● يطبع الآن فى بـــيروت **الديوان الكامل للشـــاعر العراقى معروف الرصـــافى** بتحقيق الأساتذة مصطفى عبد اللطيف السحرتى ومحمد

عبد المنعم خفاجي وقاسم الخطاط · ويشتمل الديوان على اضافات جديدة لشعر الرصافي تبلغ نحو خمسمائة بيت ، وعلى دراسات عن كل قصيدة من قصائد الديوان ·

وسيصدر كذلك كتاب عن « **حياة الرصافي وشعره** » من تأليف هؤلاء الأساتذة الثلاثة ·

● يصدر قريبا عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية كتاب « **الشيخ محمد عياد الطنطاوي** » وهو أستاذ مصرى عاش فى روسيا زمنا طويلا · والكتاب من تأليف المستشرق الروسى اغناطيوس كراتشكوفسكى وترجمة السيدة كلثوم عودة وهى عربية تقيم فى روسيا من زمن بعيد · وقد حقق الكتاب وراجعه وأعد لواحقه وكتب مقدمته الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ·

● يطبع الآن كتابان تاريخيان ، أولهما : عن **تاريخ الكعبة**، والآخر عن **تاريخ المسجد الحرام** للمؤلف الحجازى حسين عبد الله باسلامة · وهذه هى الطبعة الثانية للكتابين وهما بتحقيق الأستاذ عمر عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجى ·

● نشرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية كتابا جديدا من آثار المرحوم أحمد تيمور « باشا » عنوانه « **الحب عند العرب** » تناول فيه الحب فى أسمى نزعاته وأشرف نواحيه ، وقدم تحليلا لهذه العاطفة الرقيقة من حيث بواعث الحب ومظاهره ومعانيه وأنواعه ، وكشف ناحية طريفة عما كان يختلج فى نفوس أولئك القوم ، وجمع امتع قصص المحبين العرب وخاصة الشعراء منهم ·

● أعد الدكتور زكى المحاسنى فى دمشق للنشر ديوانا عنوانه « **أمى** » وكتابا عنوانه « **أساطير ملهمة** » ·

وقد صدرت فى بيروت طبعة ثانية جديدة من كتابه « **أبو العلاء ناقد المجتمع** » ·

● فرغ الأديب الأردنى الأستاذ عيسى الناعورى من كتابة رواية مطولة عنوانها « **ليلة فى قطار** » ، وسيقدمها للنشر ·

● ويعد الأديب الأردنى الأستاذ يعقوب العودات المعروف فى عالم الأدب بالبدوى الملثم موسوعة جديدة عن أدباء العرب فى المهاجر الأمريكية والأوروبية والافريقية والآسيوية · كما يعمل فى اعداد كتاب عنوانه « **عريس الخلود فوزى المعلوف** » الشاعر المهجرى ، وكتاب آخر عن « **عنترة بن شداد** » كتب مقدمته الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ·

● ينشر الأستاذ محمود الشرقاوى كتابا عنوانه « **ذكريات عن ثلاثة رجال** » روى فيه ما عرفه وخبره عن المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق والمرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى ثم المرحوم عبد القادر حمزة ·

● صدر فى حلب كتاب «**أوروبا أمس واليوم**» للأستاذ فتح الله الصقال المحامى ووزير الأشغال الأسبق، وهو كتاب يروى فيه ذكرياته ومشاهداته خلال رحلاته الى أوروبا · وقد كتب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن مقدمة لهذا الكتاب ·

● يطبع الآن فى القاهرة للأديب الايرانى محمد غفرانى رسالة عن«**ابن المقفع والتأثير الفارسى فى أدبه**» · وهى الرسالة التى نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب **بجامعة القاهرة** ·

● ويصدر عن القاهرة كذلك كتاب جديد عنوانه « **العرب والعربية** » للأديب الهندى عبد الرحمن السيد العيدروسى المليبارى ·

● ظهرت فى القاهرة طبعة ثالثة لكتاب « **الفرق بين الفرق** » لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد · وكان قد طبع للمرة الأولى بدار المعارف سنة ١٩١٠ بتحقيق الأستاذ محمد بدر · ثم طبع بعد ذلك طبعة ثانية بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى · وتمتاز الطبعة الثالثة بالترجمة للأعلام التى وردت فى الكتاب ، كما أشار المحقق الى مراجع هذه الترجمات ·

● ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب « **الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف**

من الأسماء والكنى والانساب » لأبى نصر على ابن هبة الله الشهير بابن ماكولا المتوفى سنة ٤٧٥ هـ (١٠٩٥ م) بتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى أمين مكتبة الحرم المكى · وقد طبع باعانة وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية فى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد الدكن الهند ·

● ظهر الجز الثانى من كتاب « **اعراب القرآن** » المنسوب الى الزجاج بتحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى ، ويظهر الجزء الثالث والاخير قريبا · وقد نشرته الدار المصرية للتاليف والترجمة بالقاهرة ·

● « **الثقافة الأمريكية** » مجلة جديدة ظهر العدد الأول من مجلدها الأول باللغة العربية عن مكتب الاستعلامات الأمريكى وقد ضم ستة بحوث عن « العلم والتكنولوجيا والأمم الحديثة » بقلم ماكس ميلكن ، « الوحشة الطويلة » بقلم لورين ايزلى ، ارنست همنجواى يعود الى عالم الناس بقلم الدكتور فهمى فوزى فرج ، التعليم فى ظل التكنولوجيا الجديدة بقلم بيتر دراكر ، آفاق جديدة فى التعليم الهندسى» بقلم جوردون براون، « المسرح الأمريكى المعاصر » بقلم آلان داونر · وقد قدمه السفير الأمريكى لهذه المجلة فقال ان الفنون والعلوم والجغرافيا والفلسفة التى ازدهرت فى ظل الحضارة الاسلامية أنتقلت الى مجرى الثقافة الأوروبية لتصبح من العناصر الدائمة المكونة للتراث الغربى · وبديهى أن المصالح والصفات المشتركة التى كانت قائمة بين الشرق الادنى وأوروبا خلال العصور الوسطى كانت تفوق ما كان بينهما من خلاف ؛ ذلك أن النهضة الحديثة للشرق الادنى قد أدت الى ظهور روابط ثقافية جديدة · وذكر أن المؤسسات الثقافية الأمريكية فى مصر سعت الى أن تشارك مصر أفضل ما يقدمه التعليم الأمريكى ، وان الأساتذة المصريين الزائرين قد أثروا الجامعات الأمريكية فى جميع الميادين · كما أن معرض توت عنخ آمون الذى أقيم فى البلاد الأمريكية قد وضع ماضى مصر على اعتاب البيوت الأمريكية · وقال ان اصدار هذه النشرة جاء اعترافا بهذا الاهتمام الثقافى المشترك ·

● « **اللسان العربى** » مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربى يصدرها فى الرباط (المغرب الأقصى) المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية لتكون سجلا كاملا لجميع الأعمال المنجزة والمشاريع المعتزمة فى حقل التعريب ومرآة تجلو بوضوح الجهود المبذولة فى الشرق والغرب من أجل تجديد اللغة العربية وتطويرها وجعلها أداة للتعبير كافية ووافية بجميع المعانى والمفاهيم والمصطلحات العلمية والتقنية والحضارية ولتكون عاملة على تيسير مهمة التنسيق بين هذه الجهود المختلفة المتفرقة وتوجيهها الوجهة المثلى · وتنعكس على صفحاتها آراء رجال الفكر الذين يعنون بالبحوث العربية فى العالم أجمع على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومذاهبهم وتوزع مجانا على جميع الهيئات المشتغلة بالتعريب فى العالم وعلى الكتاب والنقاد من العرب وغيرهم ممن يسهمون بنتاج قرائحهم فى هذا الموضوع ·

وقد صدر العدد الأول مصدرا بنداء من الأمين العام لجامعة الدول العربية · ومن كتابه الأساتذة علال الفاسى ، عبد العزيز بنعبد الله ، عبد الفتاح الصعيدى ، ادريس الكتانى ، محمد العربى الخطابى ، محمد المنوفى ، حميد بنسالم، المستشرق فانسان مونتى ، المستشرق شارل بيلا ، الدكتور عبد الحليم منتصر ، محمد ادريس العلمى ، عبد الكريم القباج ، عبد الله كنون ، محمود تيمور · أما مقالاته فمنها : « تحريف الدلالة » و « نحو تفصيح العامية فى العالم العربى » و «عوامل الوحدة الثقافية» و «ازدواجية لغة التعليم » و « اللغة العربية والتطور » و « الثقافة الاسلامية ومكانة اللغة العربية فى الجزائر قبل الاستقلال » الى غير ذلك من البحوث القيمة ·

رسائل و ردود



افتراء أبي رية على الصحابي الجليل أبي هريرة

نشرت مجلة (الكتاب العربي) في عددها الرابع الصادر في ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٤ – رسالة بتوقيع محمود أبي ريـة ، الذي ثارت ثائرته لتقريظ فضيلة الأستاذ محمد أبي زهرة كتاب « أبو هريرة راوية الاسلام » ، وقد انتقص في رسالته الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه ، واتهمه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما اتهمه برواية الخرافات والأحاديث المشكلة ... واضطر لدعم ماذهب اليه الى تحريف بعض الروايات ، وانتقاء الأخبار الضعيفة ، التي توافق ميله وهواه ، وتأويل بعضها تأويلا لا تقره عليه لغة ، ولا يرتضيه منهج علمي ، وبنى على ذلك استنتاجاته وآراءه ، كما حاول أن ينال من بعض أعلام علماء هذا العصر ، وسكب كل هذا في ألفاظ خشنة قاسية ، وأسلوب لا يمت الى العلم بصلة ، لما جاء فيه من استهزاء وسخر واعتداد بالباطل ، وخيلاء تتنافى مع الروح العلمية الاسلامية .

واننا لم نستغرب رسالة الشيخ أبي رية وما جاء فيها من طعن ونيل وافتراء ، بعد أن عرفنا أسلوبه ومنهجه ومادته العلمية ، التي قدمها الينا في كتابه « أضواء على السنة » منذ سنوات،حيث جمع فيه شتات أقوال بعض العلماء ، وآراء أهل الأهواء ، وتتبع بعض ما جاء في كتب الأدب والطرف والنوادر ، واختار منها ما يوافق هواه ، وجعل من مصادره ومراجعه كتب من عرف بغضهم للسنة ، وتحاملهم على أهل الحديث من أهل الأهواء والبدع المختلفة ، كما تبنى آراء بعض المستشرقين ، المنحرفين ، الذين يدسون السم في الدسم ، ويعمدون الى تشويه الشريعة الاسلامية ، فكان كتابه ظلمات فوقها ظلمات ، ولهذا انبرى كثير من علماء العصر فردوا على كتابه ، ردودا علمية قيمة في كتب مستقلة .

ورسالته التي نشرها تمثل بعض ما جاء في كتابه من طعن وافتراء على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد دهشت لما جاء في ذلك الكتاب من تحريف وافتراء في سبيل دعم آرائه ، وقد أحسنت الظن في كثير منها ، ولكن حسن الظن لم يعد ينفع مع كثرتها ، **من** هذا أنه أراد أن يتهم الصحابي الكريم عبد الله ابن عمرو بن العاص بادخال أخبار أهل الكتاب في السنة الطاهرة ، فقال فيه : (كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويهما للناس **عن النبي** ، فتجنب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين ، وكان يقال له : لا تحدثنا عن الزاملتين . ص ١٦٦ جـ ١ فتح الباري) – أضواء على السنة هامش ٣ ص ١٦٢ – وهكذا اتهم أبو رية عبد الله بن عمرو بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، بكل جرأة وبساطة ، وكأنه لم يفعل شيئا ، وعزا ذلك الى أعظم مرجع في الحديث ، وهو كتاب فتح الباري لابن حجر ، ولابد للمرء أن يدهش لمثل هذا الخبر ... فقد عهدنا الصحابة أصدق الناس لسانا ، وأنقى الأمة قلوبا ، وأخلص البرية للرسول صلى الله

عليه وسلم ، وأكثرهم بذلا في سبيل الله ، فلا يعقل أن يكذب أمثال عبد الله على الرسول ، فيعزو اليه ما سمعه من أهل الكتاب ، فهرعت الى (فتح الباري) واذا به - شهد الله - خاليا من عبارة أبي رية ، فليس في قول ابن حجر (عن النبي) ، انما زادها أبو رية من عنده !!! ومثل هذا كثير مما بيناه في كتابنا « أبو هريرة راوية الاسلام » وفي « السنة قبل التدوين » ، ومثل آخر مما يدل على مقدار أمانته العلمية ، وهو أن الدكتور طه حسين كتب حول كتاب (أضواء على السنة) مقالا في جريدة الجمهورية نشر في عدد الثلاثاء (٢٥ نوفمبر - تشرين الثاني - سنة ١٩٥٨) ، تكلم فيه عن المؤلف وجهوده في تأليف كتابه ، ثم أخذ عليه مآخذ علمية ، لا يمكن غفرانها لمن يدعي البحث العلمي ، وبعض تلك المآخذ ترد بعض طعون أبي رية في الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه ، فما كان من أبي رية الا أن اجتزأ من كلمة الدكتور طه حسين بعض ما جاء فيها من مدح ونشره في كراسة وزعها على الناس ترويجا لكتابه ، بعد أن حذف منها تلك المآخذ ، التي تستوعب نحو خمس صفحات من القطع المتوسط ، واكتفى عن كل ذلك بالاشارة العابرة الى أن الدكتور طه حسين خالفه في ثلاثة مواطن . فهل هذا من الأمانة العلمية !؟ ولهذا اضطررنا الى نشر تلك المآخذ في آخر كتابنا « أبو هريرة راوية الاسلام » . وعلى هذا المنهج وبهذه الروح كتب أبو رية رسالته التي أرد عليها اليوم ، واني لا أقصد من ردي هذا الدفاع عن نفسي ، ولا عن أساتذتي ، بقدر ما أقصد تفنيد بعض الشبهات التي أثارها ، واعادة الحق الى نصابه ، ولن أبادله الاستهزاء والازدراء والتهكم بمثله ، لهذا سنغض الطرف عن كثير مما جاء في رسالته ، ليكون بحثنا موضوعيا .

١ - أراد أبو رية أن ينفي أن أبا هريرة رضي الله عنه قد اسلم قبل الهجرة ، فقال : (وقد أثبتنا بالأدلة القاطعة - ومنها ما رواه البخاري عن أبي هريرة نفسه - من أنه لم يسلم ولم يعرف الاسلام الا بعد وقعة خيبر ، التي كانت في صفر سنة ٧ هـ ..) .

كان يكفينا أن يذكر من هذه الادلة بعضها ، لنناقشها بانصاف ، ومع هذا فما روى عن أبي هريرة وعن غيره يدل على أنه أسلم قبل غزوة خيبر دون أي شك .

فقد ذكر ابن حجر أن الطفيل بن عمرو الدوسي لما اسلم في مكة قبل الهجرة عاد الى قومه (فدعا أبويه الى الاسلام .. ودعا قومه **فأجابه أبو هريرة** وحده)(١) .

وذكر ابن سعد قصة اسلام الطفيل بن عمرو في مكة ورجوعه الى قومه ، ودعاء الرسول لهم بالهداية ثم قال : (فخرجت اليهم ، فلم أزل بأرض دوس أدعوها حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم **بمن أسلم من قومي** ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين)(٢) .

وذكر ابن عبد البر هذه القصة وروى عن الطفيل قوله : (ثم رجعت اليهم - الى قومه - قال : وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فاقمت **بين ظهرانيهم أدعوهم الى الاسلام، حتى استجاب لي من استجاب** ، وسبقتني بدر ، وأحد ، والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس الى المدينة)(٣) .

فالخبر الأول نص صريح في أن أبا هريرة أسلم قبل الهجرة ، وما جاء في خبر ابن سعد وابن عبد البر لا ينفي قط اسلام أبي هريرة قبل الهجرة ، وان لم يفصلا القول فانهما يؤيدان اسلامه قبل خيبر . كما صرح به كثير من المؤرخين .

(١) أنظر الاصابة ص ٢٨٧ حـ ٣ .
(٢) طبقات ابن سعد ص ١٧٦ قسم ١ حـ ٤ ، وانظر سيرة ابن هشام ص ٤٠٩ - ٤١٠ حـ ١ .
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٧٦١ حـ ٢

وأخرج البخاري وابن سعد عن قيس عن أبي هريرة أنه قال : (لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق :

يا ليلة من طولها وعنائها
على أنها من دارة الكفر نجت

وأبق غلام لي في الطريق ، فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، **فبايعته** ، فبينا أنا عنده اذ طلع الغلام ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، هذا غلامك . فقلت : هو لوجه الله ، فأعتقته)(١) . وهذا الخبر يدل على أنه اسلم في وطنه ، ثم هاجر ليبايع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وروى البخاري هذا الخبر أيضا عن قيس عن أبي هريرة في باب (اذا قال رجل لعبده هو لله ونوى العتق) ، ورواه من طريق آخر عن قيس عن أبي هريرة بمعناه لا بلفظه ، وفيه (أنه لما أقبل يريد الاسلام ، ومعه غلام ضل كل واحد منهما صاحبه ..) (٢) . فهاتان الروايتان من طريق قيس عن أبي هريرة رويت الأولى باللفظ ، ورويت الثانية بالمعنى وواضح ذلك في قوله (أنه لما أقبل يريد الاسلام) ، فتحمل هذه الرواية على ماروي باللفظ ، ثم ان الأخبار التي أسلفناها تؤكد أنه اسلم قبل خيبر ، ثم هاجر أيام خيبر ، فتحمل هذه الرواية ، على مفهوم الروايات الأخرى وبخاصة أن أبا هريرة كان كثيرا ما يردد قوله : (**نشأت يتيما وهاجرت مسكينا**)(٣) ، والهجرة لا تكون الا بعد الاسلام ، فالاسلام يحث معتنقه على هجر ديار الكفر واللحاق بالمسلمين .

ومما يؤكد أنه أسلم قديما وهو في أرض قومه ، وأنه كان يهتم بأمور المسلمين ، أنه حين كان في خيبر أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقسم لأبان بن سعيد بن العاص ، لأنه قتل ابن قوقل – وهو النعمان الذي استشهد يوم أحد ، فلم يقسم الرسول (ص) له(٤) .

واذا لم تنص جميع الأخبار على أنه اسلم قبل الهجرة النبوية ، **فانها نصت على أنه كان مع من أسلم من دوس وهاجر الى المدينة أيام خيبر**(٥) .

وعلى هذا أجمعت كل الأخبار على أنه أسلم قبل غزوة خيبر ، وهاجر أيام تلك الغزوة ، واشترك في آخرها ، واسهم له مع المسلمين ، كما أن بعض تلك الأخبار حددت تاريخ اسلامه قبل الهجرة النبوية كما ذكرنا .

أن جميع هذه الأخبار ترد على ما زعمه أبورية ، وتجناه على الصحابي الجليل حين قال : (انه لم يسلم ولم يعرف الاسلام الا بعد وقعة خيبر) وتؤكد أنه اسلم قبل ذلك .

٢ – ثم قال بعد ذلك : (انه بعد أن قضى في الصفة التي كان عريفا لها سنة وتسعة أشهر أقصاه النبي صلى الله عليه وسلم الى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في سنة ٨ هـ ، فجعله العلاء مؤذنا له ، كما طلب هو منه ، ذلك بأنه لم يكن يحسن شيئا حينئذ غير التأذين) وادعى أنني ذكرت هذا صراحة في كتابي (أبو هريرة راوية الاسلام) .

لابد لنا أن نتساءل هنا : ترى ماذا فعل أبو هريرة حتى يبعده الرسول صلى الله عليه وسلم الى البحرين ، وقد عرف منزلته ووفاءه ، وحبه اياه ، وبذله في سبيل الله !!؟ من عادة أولي الأمر أن يقصوا عنهم من يكرهونه ، أو يخشونه ، ولم يكن أبو هريرة وأحدا من هؤلاء !!

والحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي أميرا الى البحرين ، وارسل معه بعض الصحابة ، ليساعدوه في نشر الدعوة وتعليم الناس ، كعادته صلى الله عليه وسلم في ايفاد جميع امرائه . ويروى لنا ابن سعد بسنده عن العلاء ابن الحضرمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه منصرفه من **الجعرانة** – وكان

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٨٢ جـ ٢ . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٣ قسم ١ حـ ٤ .

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٨١ حـ ٢ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٣ قسم ٢ حـ ٤ . وتذكرة الحفاظ ص ٣٢ حـ ١ ، والبداية والنهاية ص ١١٠ حـ ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٤٠ حـ ٢ .

(٤) انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٥٥ حـ ٣ وفتح الباري ٢٨١/٦ .

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٢٥ حـ ٢ . والبداية والنهاية ص ١٠٤ حـ ٨ .

ذلك فى أواخر ذى القعدة وأوائل ذى الحجة من السنة الثامنة – الى المنذر بن ساوى العبدى بالبحرين (وبعث معه نفرا فيهم أبو هريرة وقال له : « استوص به خيرا »)(١) ، ويروى ابن سعد بسنده عن أبى هريرة قال : (بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلاء بن الحضرمى ، وأوصاه بى خيرا ، فلما فصلنا قال لى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصانى بك خيرا ، فانظر ماذا تحب ؟ قال : قلت : تجعلنى أؤذن لك ، ولا تسبقنى بآمين . فأعطاه ذلك)(٢) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقص أبا هريرة الى البحرين ، بل أرسله فى وفد يساعد الأمير فى تدبير شئون ولايته ، وأوصى به الأمير، لأنه يحبه ، ويحل من نفسه منزلة كريمة رفيعة، واختار أبو هريرة التأذين لا لأنه لا يحسن شيئا غيره آنذاك – كما آستنتج أبو رية – بل اختاره حسبة لله لينال الثواب الذى نصت عليه الأحاديث النبوية الكثيرة ، منها « من أذن سبع سنين محتسبا كتب الله له براءة من النار » ، ومنها ما رواه أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤذن يغفر له مدى صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس ، وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ، ويكفر عنه ما بينهما »(٣) ، كما كان يرجو أن يشمله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : «اللهم ارشد الأئمة ، واغفر للمؤذنين»(٤) . وقد حرص كثير من الصحابة على أداء الأذان ابتغاء هذا الأجر . فاستنتاج أبى رية من ذلك (انه لا يحسن غير التأذين) استنتاج لا يقوم على منهج علمى ، ولا يدعمه أى دليل ، وما هو الا وليد خياله ، فانظر كيف قلب المفاهيم فرأى فى التكريم اهانة ، وفى المحبة والمنزلة الرفيعة بغضا وابعادا ، وفى ابتغاء ثواب الله جهلا !!

ثم ان قول أبى هريرة للعلاء رضى الله عنهما: (لا تسبقنى بآمين) يحتمل أنه كان يؤم الناس

(١) طبقات ابن سعد ص ٧٦ – ٧٧ قسم ٢ حـ ٤ .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧٧ قسم ٢ حـ ٤ .
(٣) انظر تيسير الوصول ص ١٩٦ حـ ٢ .
(٤) أنظر سند الامام أحمد حديث ٧١٦٩ ص ٥٤ حـ ١٢.

وهذه مكرمة ثانية له ، ويتبين لنا من خطاب أبى هريرة هذا للعلاء ما لأبى هريرة من مكانة سامية بين أصحابه .

ثم انى لم أذكر فى خبر ذهاب أبى هريرة الى البحرين الا ما رواه ابن سعد ، ولكن الشيخ أبا رية بعد أن ذكر اقصاء أبى هريرة الى البحرين – كما زعم – وأنه لا يحسن غير التأذين اتهمنى بأنى ذكرت هذا صراحة فى كتابى فى الصفحة (٩٠) منه ، وأنا منه براء .

فأبو رية لم يوفق فى فهم تلك الأخبار ، ولا فى تأويلها أو الاستنتاج منها .

٣ – وأخذ علينا قولنا أن أبا هريرة رضى الله عنه صحب الرسول صلى الله عليه وسلم أربع سنين ، ونحن لم نختلق هذا من عندنا ، فقد ذكر الامام الذهبى رواية وفيها أنه صحبه ثلاث سنين، ثم ذكر رواية أخرى وفيها أنه صحبه أربع سنين ، ثم قال : (وهذا أصح فمن فتوح خيبر الى الوفاة – أى وفاة الرسول – أربعة أعوام وليال)(٥) . فليس فى اعتمادنا الرواية الثانية التى رجحها الذهبى أى خطأ أو تحريف ، فبين هجرة أبى هريرة ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أربع سنين وحوالى أربعين يوما ، لم يفارق أبو هريرة فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الا حين ذهب الى البحرين ، ولم يمكث فيها طويلا، اذ كان فى الحج مع أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع ، وبين ايفاده الى البحرين وحجه أقل من سنة ، ولو ذكر أحد مدة اقامته فى البحرين لقلنا انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم أربع سنين الا شهرين أو ثلاثة ، ولم تكن غايتنا احصاء أيام صحبته وعدها بقدر ما كنا نهدف اليه من بيان حرصه على العلم واجتهاده فى طلبه ، وحفظه الحديث ، واهتمامه بأمور الشريعة والسؤال عنها، وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بكل ذلك . ومع هذا لم يفتنا أن نفند هذه الشبهة فى الصفحة (٢١٨ – ٢١٩) من كتابنا « أبو هريرة راوية الاسلام » حين رددنا على ماذهب اليه السيد عبد الحسين شرف الدين أستاذ أبى رية .

(٥) سير أعلام النبلاء ص ٤٢٦ – ٢ .

٤ – ادعى أبو رية أن أبا هريرة رضى الله عنه تفرد بحديث خالف فيه القرآن مخالفة صريحة ، وأن العلماء جميعا لم يستطيعوا (على كثرة ما حاولوا أن يدافعوا عن أبي هريرة فيه ، ولا أن يدرؤوا عنه تهمة الكذب على رسول الله ، ولما أعياهم الدليل جزموا بأنه تلقاه عن شيخه كعب الأحبار الكاهن اليهودي ، ذلكم هو حديث «خلق الله التربة يوم السبت » وهذا نصه : «أخذ رسول الله بيدي ، فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ... وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة » فهذه سبعة أيام ! والتوراة والقرآن يقولان أن الله خلق الأرض في ستة أيام . وبذلك يكون أبو هريرة قد خالف القرآن ، وكذب على الرسول ..) .

لقد سارع أبو رية الى تكذيب الصحابي الكريم ، واتهامه بوضع الأخبار على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وادخاله الاسرائيليات في السنة الطاهرة ، ليشكك المسلمين في أبي هريرة وفي مروياته ، اللهم ان لم يقصد التشكيك في جل الحديث النبوي الشريف ، وأنا نستغرب منه ثانية اثارة شبهة قتلت بحثا ودرسا في القديم والحديث ، فمن أحدث مارد به على أبي رية وأمثاله في هذا الموضوع ما جاء في كتاب «المنهج الحديث في علوم الحديث» للدكتور محمد محمد السماحي (ص ٢٣٨ – ٢٤٦) ، وما جاء في كتاب (الأنوار الكاشفة) للعلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني (ص ١٨٨ – ١٩٣) ، وما جاء في كتاب (ظلمات أبي رية) لفضيلة الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة (ص ١٥٠ – ١٥٦) . ولو أردنا أن نبين آراء العلماء في هذا الحديث لاستوعبنا صفحات هذا المقال بأكملها . وخلاصة القول : أن بعض العلماء أعلوا هذا الحديث ، وبعضهم صححه ، وجميع الذين اعلوه لم يتهموا أبا هريرة قط ، بل رأوا أن الوهم ممن دونه . ثم ان العلماء لم يجزموا بأن هذا الحديث من رواية أبي هريرة عن كعب تبرئة لأبي هريرة من الكذب والافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودليلنا في هذا أن الامام البيهقي لم يذكر كعب الأحبار حينما ذكر هذا الحديث وآراء العلماء فيه ، في كتابه (الأسماء والصفات)(١) ، والبيهقي امام لا يشق له غبار .

وكل ما ورد في هذا قول الامام البخاري في تاريخه (ص ٤١٣ ج ١) : (روى اسماعيل ابن أمية ، عن أيوب بن خالد الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « خلق الله التربة يوم السبت » – وقال (بعضهم) : عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح) . وسواء أكانت عبارة (وهو أصح) من كلام البخاري أم من كلام (بعضهم) لا تنتفي الصحة عن هذا الحديث . ثم ان (بعضهم) مبهم، وهل هؤلاء هم العلماء الذين زعمهم أبو رية !؟ ونزيده دليلا آخر يؤكد أن أبا هريرة لم يأخذ هذا الحديث عن كعب ، ذلك لأن ما جاء في التوراة يخالف هذا الحديث ، ففي التوراة أن الله عز وجل خلق السموات والأرض والحيوانات والانسان في ستة أيام ، وفرغ في اليوم السابع من عمله ، فاستراح ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه(٢) . فاذا كان هذا الحديث مخالفا للتوراة فمن أين جاء به كعب ، وكيف أخذه أبو هريرة – رضى الله عنه – نترك لأبي رية الجواب على هذا .

وجزم فريق آخر من العلماء بصحة هذا الحديث وبأنه غير مخالف للقرآن الكريم ، وأن أبا هريرة لم يتلقه عن كعب الأحبار ، بل تلقاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعموا ذلك بالحجج والبراهين التي يطول ذكرها ، ولهذا أخرجه الامام أحمد ومسلم والنسائي واحتج به كثير من العلماء .

والحق أن هذا الحديث لا يخالف القرآن الكريم ولا السنة الشريفة ، فقد نص القرآن العظيم على خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهذا الحديث يؤكد أن خلقهما كان في ستة أيام، وهل خلق آدم عليه السلام يعارض خلق السموات والأرض ؟ فخلق آدم خارج عن خلقهما ، وليس في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة ما يدل على أن خلق آدم كان في الأيام الستة ، فجاء هذا

(١) أنظر كتاب الاسماء والصفات للبيهقي ص ٢٨٣–٢٨٤ بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري .

(٢) أنظر الاصحاح الأول من سفر التكوين ، وقارن بالاصحاح الثاني منه في التوراة .

الحديث مؤيدا لما في القرآن الكريم من أن الله عز وجل « هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعـــا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » /البقرة : ٢٩ / ثم خلق الله عز وجل الانسان الذى استخلفه فى الأرض ، وهـذا ما بينته آيات ســـورة البقرة التى تلت الآية السابقة ، وهى تؤكد أن خلق آدم متأخر عن خلق السموات ، وبهذا المعنى جاء الحديث يؤكد مافى القرآن الكريم ، ولا يخالفه مخالفة صريحـــة أو ضمنية كما زعم أبو رية .

هكـــذا يتبين لنا كيف يتجنى أبورية على الصحابى الكريم أبى هريرة رضى الله عنـــه ، ولا يتورع عن تكذيبه لمجرد شبهة تخطر له !! لقد ظن أن الصحابى الجليل الذى وثق به المسلمون - اللهم الا حفنة أهل الأهواء - من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا - قد تردى فى هوة سحيقة لا يمكن انتشاله منها ، وظن أن هذا الحديث (سيظل يسم أبا هريرة بميسم الكذب على الرسول الى يوم القيامة) !!؟ أليس فى هذا افتراء على صحابى كريم أمين ، أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم خيرا ، أليس فى هـذا تسفيه للعلماء المخلصين ، واتهامهم بالغفلة عن أمور الدين ، تلك الغفلة التى امتدت طيلة ثلاثة عشر قرنا ، ولم يستيقظوا منهـــا الا على بوق أبى رية !؟ لا أدرى من أولى بأن يوسم بالكذب والافتراء : صحابى أمين أجمع الخلق على اخلاصه وأمانته أم من ثبت افتراؤه وسوء تأويله وكثرة تحريفه !؟ لقد أجمع العلماء جيلا بعد جيل على صدق أبى هريرة وأمانته ، فقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم عليه حين سأله عن حديث فقال له : « والذى نفس محمد بيده ، لقد ظننت انك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى ، لما رأيت من حرصك على العلم » - وظن هنـــا من أفعـــال اليقين - وقال صلى الله عليه وسلم : « أبو هريرة وعاء من العلم » ، وقال زيد بن ثابت : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علما لا ينسى ، فقـــال : « سبقكم بها الغلام الدوسى » يعنى أبا هريرة .

وعرف عمر بن الخطاب صدقه وأمانته فسمح له بالتحديث - مع ما عرف من شدته للاقلال من ذلك خشية الخطأ - فقال له : (حدث الان عن النبى صلى الله عليه وسلم ما شئت) . وقال عبد الله بن عمر : (يا أبا هريرة كنت الزمنـــا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمنـــا بحديثه) وقال أيضا : (أبو هريرة خير منى وأعلم بما يحدث .. وكان ممن يحفظ حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين) ، ولا تخفى مكانة ابن عمر على أحد ، كما لا يخفى علمـــه واجتهاده ، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : (صدق أبو هريرة) . وقال طلحة بن عبيد الله : (سمعنا كما سمع ، ولكنه حفظ ونسينا) . وجاء رجل الى ابن عباس - حبر الأمة ، وترجمان القرآن - فى مسألة ، فقال لأبى هريرة : (أفته يا أبا هريرة قد جاءتك معضلة) .

وشهادات أهل العلم التى تؤكد سعة علمه ، وعظيم حفظه أكثر من أن تحصى ، قال الامام الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وقال الامام البخارى : روى عنه ثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره . وقال الامام الذهبى : كان أبو هريرة وثيق الحفظ ما علمنا أنه أخطأ فى حـــديث . وقال : أين مثل أبى هريرة فى حفظه وسعة علمه !؟(١) .

وان المقام ليضيق بذكر ثنـــاء العلماء على أبى هريرة ، وتأكيد سمو منزلته ، وضـــبطه وحفظه ، فهل نضرب صفحا عن كل ما ذكره الأئمة والعلماء وناخذ بقول أبى رية فنكذب أبا هريرة!؟ معاذ الله أن يرضى بهذا منصف . لكن أبارية أراد أن يكذب أبا هريرة فى هذا الحديث ليطعن فى جميع أحاديثه التى (تعد بالألوف) كما ذكر ، لأنها لا تتفق مع ميله . وهواه ... وهو فى كل هذا متجن متحامل على أبى هريرة ، ومما يؤكد هذا اتهامه برواية المشكلات كروايته حديث « اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم ، فان فى أحد جناحيه

---

(١) جميع الاحاديث والآثار واقوال العلماء التى استشهدت بها وذكرت مراجعها الموثوق بها فى كتاب (أبو هريرة راوية الاسلام) ص ١٩٠ - ١٩٦ . وانظر قول الذهبى الاخير فى سير أعلام النبلاء ص ٤٣٨ حـ ٢ .

داء ، وفي الآخر شفاء ، وانه يتقى بجناحه الذى فيه داء ... » .

هذا حديث صحيح ، رواه الامام البخارى ، وأبو داود ، والامام أحمد ، والبيهقى ، ولم يستدرك أحد من الأئمة هذا الحديث على واحد ممن خرجوه ، كما ان أبا هريرة لم يتفرد برواية هذا الحديث ، فقد رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه الامام أحمد فى مسنده والنسائى (ص ١٩٣ جـ ٢) ، وابن ماجه (١٥ جـ ٢) ، والبيهقى (ص ٢٥٣ جـ ١) بأسانيد صحاح ، ورواه أنس بن مالك كما ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (ص ٣٨ جـ ٥) .
وقد رأى بعض العلماء أن هذا الحديث من الأدلة التى تؤكد (أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيد بوحى الهى خارج عن القوى البشرية)(١) .

ومع هذا فان أبا رية يتهم أبا هريرة رضى الله عنه بالكذب ولو لم ينفرد بالاحاديث التى ظن أنه أخذها عليه ، أليس فى هذا تحامل وافتراء واضحان !؟ اذا اتهم أبا هريرة بهذا الحديث فما قوله برواية أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك رضى الله عنهما ؟ فالحديث صحيح لا غبار عليه ، وأبو هريرة صادق أمين لا يفترى على الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب ، ولا يروى المشكلات.
وما من حديث زعم أنه مشكل الا بين العلماء وجه الحق فيه ، وردوا على المخالف ردا مفحما مؤيدا بالحجج والبراهين .

٥ — ولا يكتفى أبو رية بانتقاص أبى هريرة وتكذيبه ، بل يمعن فى الاستهزاء به والاساءة اليه فيسميه (شيخ المغيرة) أو شيخ المضيرة ، اعتمادا منه على ما جاء فى بعض كتب الفكاهة والنوادر غير الموثوق بها كثمار القلوب(٢) ، ففيه أنه كان يحب هذا الطعام ، فلم ينل أبو رية من الصحابى الجليل بقدر ما نال من نفسه ، فهلا تأدب بأدب أسلافنا العلماء مع صحابة الرسول الأمين !!؟ ثم ان هذا الخبر مكذوب غير صحيح ، دسه أعداء أبى هريرة عليه ، وهذا أحد المآخذ التى أخذها الدكتور طه حسين على أبى رية.
ولو سلمنا جدلا بصحة هذا الخبر ، فهل من المنهج العلمى أن يعاب على المرء حبه لطعام حلال مباح أو كرهه اياه ، ومتى كان هذا يحط من مكانة أى انسان !؟ وهل من الانصاف والعدل والحياد والشهامة أن يترجم لصحابى عرفت الأمة الاسلامية مكانته — بأنه شيخ الطعام الفلاتى ؟ ليس من الأدب العلمى أن يعرف عالم أو بطل أو مصلح بمثل ذلك .

٦ — ثم انه يحتج علينا بكتابه الذى سيصدر من غير أن يثبت مادته العلمية ، فأى منهج علمى هذا !؟ أم أنه أحب أن يجعل ذلك دعاية لكتابه قبل طبعه ونشره !!؟

٧ — وقد ادعى أن صفحة أبى هريرة سوداء لا ينقيها أحد ، والحق أنها صفحة ناصعة نقية، بشهادة أئمة الأمة وعلمائها ، انها صفحة ناصعة لا تشوبها شائبة ، ولا يشينها عيب ، ولا يمكن أن يرى صفاءها وطهرها الا من أوتى ايمانا عميقا ، وقلبا سليما ، بعيدا عن أى ميل أو هوى.

٨ — وأبو رية نفسه الذى كذب بعض الصحابة وانتقصهم يحاول أن ينال من فضيلة الأستاذ محمد أبى زهرة لأنه قرظ كتاب

---

(١) انظر زاد المعاد ص ٢١٠ — ٢١١ جـ ٣ ، ومسند الامام أحمد هامش الصفحة ٢١٨ جـ ١٢ .

(٢) انظر أضواء على السنة ١٥٦ .

« أبو هريرة راوية الاسلام » ، فأخذ عليه أدبه وحدبه حين قرظ كتاب من هو فى عداد أبنائه ، أخذ عليه قوله (ولدنا) ، واستنتج من ذلك أنه أراد أن يعلن للناس أن من طلابه من أصبح يؤلف وينشر فى الصحف ، ليت أبا رية لم يطرق هذا الباب ، أمثل الأستاذ أبى زهرة الذى لا يجهله أحد من أهل العلم وطلابه يتذرع بتقريظ كتاب ليشهر نفسه !!؟

٩ – ثم اتهمنى بعدم بلوغ سن الرشـــد العلمى بعد ، وقال فى : (انه قضى سنوات يحمل كتابه بين يديه ، ويدور به على من سماهم العلماء، ليستعين بهم على اخراجه ، وان مطافه قد انتهى الى أستاذه الجليل الشيخ على حسب الله فقرأه عليه وأمده بنصائحه) . لقد فهم هذا من ردنا على الأستاذ عبد الله السمان ، حين أكدنا أن كتاب « أبو هريرة » ليس بعض ما جاء فى كتابنا « السنة قبل التدوين » ، وأن كتاب أبى هريرة تم تأليفه قبل كتاب السنة ، وكان ذلك (منذ ثلاث سنوات مضت)(١) . فلا أدرى كيف فهم أبو رية أنى استغرقت فى تأليف كتابى ثلاث سنين كنت أدور فيها على العـــلماء !؟ ولا أدرى كيف حمل كلمة (منذ) فى موضعها ذاك هذا المعنى الذى فهمه وحده !!؟

وقد رأى أن المطاف انتهى بى الى أستاذى فضيلة الشـــيخ على حسب الله ، وأى عيب فى هذا !؟ كيف لا استشير أستاذى فى كتاب يطبع منه نيف وثلاثون ألف نسخة توزع فى أنحـــاء العالم العربى والاســـلامى ؟ أليس من العقوق العلمى أن يطالع أستاذ انتاج أحد أبنائه كمـــا يطالعه أى انســـان آخر ؟ لقد فرض على أدب الاشراف العلمى أن أقدم كتابى الى أستاذى – الذى كان يشرف على رسالتى لنيل الماجستير آنذاك – قبل طبعه ، فتفضل لحرصه على الحق ، وبوفائه المعهود بقراءته وتوجيهه ، فكان لزاما على أن أذكر هذا فى مقدمة كتابى ، فأى عيب اقترفناه !؟ هل يريد أبو رية أن يتخرج الطلاب وفى نفوســـهم نكران جميل التوجيه والاشراف !؟ أم أحب أن يفهم ما فهم ليبرر تكلمه فى أحد أعلام عصره ، ظنا منه أنه سيقتحم منزلته ومقامه !؟

ثم اننى لم أدع الاحاطة بالعلم حتى يتهمنى بعدم بلوغ الرشد العلمى ، فطالب العلم لايزال فى طلبه حتى يلقى الله عز وجل ، واذا أراد لنا بلوغ رشد علمى كرشده الذى يجعل الحق باطلا ، والصواب خطأ ، ويقلب المفاهيم العلمية – فاننا نؤثر الجهل على ذلك ، وندعو الله ألا يردنا الى تلك الدرجة ، ولا يرينا ذلك اليوم المشؤوم .

ويرى فى اتفاقى وفضيلة الأستاذ أبى زهرة على الحق تواطؤا على الحقيقة العلمية ، ويؤكـــد أن الأستاذ أبا زهرة كان أحـــد من طفت بهم لتأليف هذا الكتاب !! لقد خاب ظنه ، وليشهد الله أنى لم أعرض كتاب « أبو هريرة » على الأستاذ أبى زهرة قبل طبعه ، ولم آخذ رأيه فى شىء منه، وليتنى عرضته عليه لأفيد منه كما أفـــدت من أستاذى على حسب الله ، وما أتفاقنا الا نتيجة اتباعنا المنهج العلمى الســـليم . فلا أدرى كيف يستنتج أبو رية ويسير وراء خياله بلا دليـــل ولا هاد !؟

١٠ – بعد هذا البيان وضح لنا منهج أبى رية وطريقتـــه فى البحث والنقـــل والتحريف ، والاستدلال والاستنتاج ، وانى أترك للقارىء الكريم أن يحكم عليه ، لأن حكم المحدثين عليـــه

---

(١) أنظر مجلة الرسالة العدد ١٠٣٨ الصادر فى ١٩ رجب ١٣٨٣ هـ – الموافق ٥ ديسمبر ١٩٦٣ السنةالحادية والعشرون .

قاس ، اذ من العسير أن نرى له رتبة أرفع من أدنى درجات التجريح عندهم ، تلك الرتبة التى تضم الكذابين والوضاعين •

ثم انهى رسالته مخاطبا فضيلة الشيخ أبى زهرة بقوله : (والى اللقاء يا مولانا الشيخ عندما تظهر الطبعة الثانية من كتابنا (شيخ المغيرة) ان شاء الله ، التى ساهدى اليك والى الشيخ على حسب الله نسخة منه ، لكى تعرفا منه تاريخ هذا الصحابى على حقيقته وترون كيف يكون التاليف العلمى الصحيح ••) •

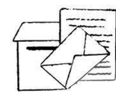
بأى وجه يريد أن يقدم اليهما كتابه ، ولمن يريد أن يبين أصول البحث والتأليف العلمى ؟ لأساتذة أعلام تسنم طلابهم بل طلاب طلابهم أسمى المراكز العلمية والتف طلاب العلم ينهلون من معينهم ، وذاع صيتهم فى العالم الاسلامى ، وتتلمذ أفذاذ العلماء والقضاة والمفكرين بين أيديهم ، وعكف طلاب العلم فى البلاد النائية على كتبهم وانتاجهم ، أيريد أن يرشد هؤلاء العلماء العمالقة ، الذين أصبحوا منارا للعلم فى عصرهم تتجه اليه مواكب ومراكب الطلاب من كل حدب وصوب !؟ لقد كفتنا ظلمات كتابك مؤونة علمك • وصدق الشاعر اذ قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

وأخيرا أنصح – بكل صدق – أبا رية بأن يرجع الى كتب السنة ، والى التاريخ الاسلامى ، وتراجم العلماء ، التى كتبها المؤرخون الثقات ، ويقرأها بنفس صافية ، وروح طيبة ، وقلب واع ، بعيدا عن تأثير أهل الأهواء ، لعل الله عز وجل ينير له سبيله ، فيعود عن بعض ما خرج به عن الجادة ، فينقى صفحته ، ويكفر عما اقترفه فى حق بعض الصحابة الكرام ، ويعود الى الحق ، فان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ، وحينئذ يرى كل ترحيب وتكريم من أهل العلم ، وسيجد فيهم من يقرظ انتاجه ، لا لشخصه ولكن للحق الذى ينطق به ، والله أسأله التوفيق والهداية والرشاد •

القاهرة ٢ جمادى الثانية ١٣٨٤
٨ اكتوبر ١٩٦٤

محمد عجاج الخطيب



وصلتنا هذه الرسالة من الأخ العربى بالكويت الأستاذ محبوب العبد الله •• نشكره على ماجاء فيها من مشاعر اذ يقول ••• الأستاذ رئيس التحرير ••

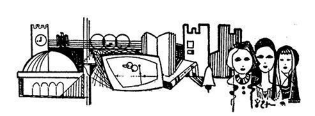
تحية أخاء عربية

على امتداد أربعة أعداد من مجلة الكتاب العربى عشت معها بوجدانى وعقلى أكتب اليكم مقدرا جهودكم الطيبة فى سبيل نشر الثقافة العربية وتسليط الضوء على الكتاب العربى الهادف الذى يخدم المواطن العربى الصاعد ••

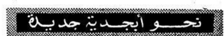
لقد كنا قبل ان تصدر هذه المجلة لا نجد الدليل الذى يرشدنا الى نبع الثقافة ومصدر الكلمة وكانت تضيع علينا الكتب والبحوث العديدة لأننا لا نعرف الدور آلتى تصدرها • ومن شدة انفعالى أحس بأننى لا أستطيع التعبير وبان الكلمات تشرد منى ••

ولا أجد أمامى الا أن أحييك وجميع الأساتذة العاملين معك •

والله الموفق •







نحو أبجدية جديدة

تأليف عثمان صبرى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، ٣٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٤٠ قرشا

كتاب يعالج موضوعا قديما طال فيه النقاش وكثر ، وسيظل نقاشه قائما ، لا لانه موضوع عويص الحل ، ولا لانه لم يسعد بعقول راجحة توصلت الى علاج ناجع واف ، وانما لانه ألصق بحياتنا فى الماضى وفى الحاضر وحياتنا المستقبلة أيضا ، ولأن من الناس من يصل ما رسخت دعامائه واستقرت .. فيحاول التغلب على شعوره الملول بالتعديل فيها وتغييرها أو حتى بهدمها ان أمكن .. الا وهو موضوع اللغة العربية .. الا ان لغتنا هذه لو كانت مشكلاتها متعلقة بالمنطوق منها دون المكتوب .. لهان الأمر .. ولكان فى الامكان أن يقوم الانسان لسانه فيعوده على صحيح القول وأصلحه . لكنه أمر يرتبط كل الارتباط بالأثر الخالد منها .. الأثر المخطوط الذى تتناقله الاجيال وتحفظه .

فقد ظن المحدثون أن كتابتنا العربية قاصرة عن مسايرة ركب الحضارة المتطور ، ثم ظنوا أن قصورها هذا مرجعه تعقيدات ملازمة لشكل وتركيب حروفها ، ثم توهموا أن الحل الأوحد لن يخرج عن احتمال واحد .. هو التخلص من هذه الحروف واحلال الحروف اللاتينية محلها .. أو ان أمكن مع بعض التساهل أن نعدل ونبدل فى أشكالها « السرطانية » على حد تعبير الأستاذ المرحوم عبد العزيز فهمى .. مما دفع بمؤلف كتابنا هذا الى اقتراح تغيير رسومها وأدوات نصبها وجرها . والكتاب مشوق وجدير بالقراءة .. لانه أولا .. يحتضن قضية تثير زوابع التأييد والمعارضة ، ولانه ثانيا .. يدل على جهد مخلص بدل من وجهة نظر صاحبه ، ولانه أخيرا .. نادر فى بابه ندرة التشويق وفضول المعرفة . الا أن المؤلف يبدأ كتابه بمسلمة .. وكأنها تصدير على المطلوب ، ثم يعمل قلمه فى فصول الكتاب وأبوابه .. مبتدئا بالكتابة عن الكلام وأول ظهوره ومدى ارتباطه بالديانات .. فيقول ان الحروف الهجائية فى كافة اللغات قد تفرعت أو اشتقت من أصل واحد سامى هو اللغة الفينيقية ، وما مرجع هذه الاشتقاقات الا لاختلاف أدوات الكتابة والمواد المستعملة لتثبيتها .. تبعا لاختلاف الأقطار والبلدان وبعد الشقة بينها ، ثم لعدم وجود مطابع ذوات حروف ثابتة الرسم . وكان الانسان طوال هذا الزمن القديم يربط بين الكلام وبين آلهة لهذا الكلام .. نظرا لما كان يشعر به من قيمة وجلال يميزانه عن كافة الكائنات عندما كان ينطق بالكلمة .. ويستند لانجيل حنا القائل « فى البداية كانت الكلمة والكلمة كانت مع الرب والكلمة كانت الرب » .

وبهذا انتقل الى الربط بين الكتابة كلغة وبين المجتمع الذى نشأت فيه وتبلورت ، ومن ثم أصبحت اللغة ظاهرة اجتماعية منبثقة من طبيعة هذا المجتمع ومتطلباته ، تعبر عن احتياجاته وتلزم أبناءه باستخدامها فى التعبير عن هذه الاحتياجات .. ومن ذلك صارت أداة ربط وقوة لاعضاء هذا المجتمع .. وان كان لنا من مأخذ على هذه النقطة .. فهو مجرد استفسار عن شىء لم يتضح فيها — وهو التعريف بهذه الظاهرة الاجتماعية .. هل وفدت اللغة على أبناء المجتمع أم هى دعامة من الدعامات التى ارتكز عليها المجتمع ونشأ .

ثم يواصل الكتاب تتبع الكتابة على المدى التاريخى ، وكيف بدأت تصويرية ثم رمزية ، وكيف تطورت الى كتابة مقطعية تعتمد على الارقام مع حروف الهجاء .. فيدل كل رقم منها أو حرف على مقطع صوتى يستعمل باضافته الى غيره لتكوين كلمات مكتوبة .. كما لو قلنا مثلا T.4.2 بدلا من Tea for Two .. ويعتبر السيد المؤلف هذا النوع من الكتابة أرقى نوع توصل اليه العقل البشرى .. ولست أدرى ما وجه الرقى فيه أو ما الداعى لمثل هذا التعقيد أو هذا الاختزال الغامض كما لو كان أحجية من الاحاجى !! ما دام ان تركيب حروف الابجدية فى كلمات ثم جمل يغنى بكل وضوح عن هذا الاغراق . ويبدو أن اللغة العربية لم تصل بعد — فى نظره — الى هذه المرتبة من الرقى .. بدليل أنه لم يأت لنا بمثال

توضيحي من لغتنا لهذا النوع المقطعي ، ثم يواصل تتبعه لتاريخ حروف الهجاء ووظائفها ، وهل هي ملائمة للغاتها الى ان ينتقل الى لب الموضوع .. الا وهو عيب بل عيوب الكتابة العربية الحالية .. ولا يمهل القارىء حتى يتدبر أمره ازاء هـذه القضية .. فيوحى له بأنه من المعروف أن الكتابة العربية من أسباب تخلف هذه اللغة ، وانه بالرغم مما أدخل عليها من تطوير وتحسينات شكلية ، قد انحرفت الى الزخـرفة وأصبحت أقرب الى الفن الزخرفي منها الى اداة لتسجيل الكلام .. ومرجع ذلك أسباب خمسة .. هي .. تعدد رسم الحرف الواحد ، وتمييز الحروف المتماثلة الرسم بالنقاط ، والتقارب في رسم الحروف وزخرفتها ، وعدم وجود حروف حركة ، أما السبب الخامس فيتمثل في الاختزال الناجم عن انعدام حروف الحركة . ثم ينقلنا الكتاب الى اصلاح الاملاء بالتبعية .. أى تلك التى تخضع لما توارثه الأجيال من قواعد جامدة ترجع — وخاصة في اللغة العربية — الى قصور حروفها عن تصوير النطق الصحيح بهـا ، والى أصول النحو والصرف والبـلاغة المتشعبة .. مما عاد بالأضرار لا بالكتابة نفسـها ، وانما — وهـذا هو الأمر الخطير — بالحياة الاجتماعية والسـياسية للمجتمع .. وقد احتاج هذا بدوره الى استقراءات عديدة قام بهـا المؤلف ولا يتسع المجال في هذه العجالة للرد عليهـا .. لأنهـا أثبتت كلهـا على ظاهرة أو عيب حقيقي رابض بيننا .. هو انتشار الأمية بنسـبة كبيرة .

ويخرج المؤلف من هذا كله بحل ولا حل سـواه .. في رأيه طبعا .. هو تغيير الأبجـدية الحالية بأخرى .. جاء هو بها من بنات أفكاره .. واعتمد فيها على ما سبق أن اقترحه وانتقده السـابقون أمثال عبد العزيز فهمى وفريد وجدي وسلامة موسى .. ولا ينسى المؤلف أن يصب جام غضبه على المجمع اللغوى — دون ما ذنب ارتكبه — لأنه في نظره معقل الدفاع الجـامد عن هذه الأبجـدية المتهالكة ، ثم يذكر الاعتراضات القائمة في طريق تنفيـذ اقتراحه ، ويرد عليهـا من وجهـة نظره .. في أسلوب تقريرى ، تحس منه حرارة الاخلاص ، وحماس الصدق للفكرة .

لذا فان مثل هذا الكتاب — نظرا لما يثيره من نقدات وما يقترحه من علاج — جدير بأن يقرأ على المدى الأوسع كي تتبادل فيه الآراء .. وخاصـة في هذه الفترة التى يجرؤ فيهـا بعض المثقفين على تبرير ضـعفهم اللغوى بمبررات براقة .. وحتى يمكننـا كأبناء النطق بلغـة الضـاد ان تطمئن نفوسـنا الى كتابتها .



الأسـرة والمجتمع

تأليف الدكتور على عبد الواحد وافي ، الناشر مكتبة نهضـة مصر ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٧ × ٢٤ سم « الطبعـة الخامسة » .

كتاب علمى اعيد طبعه خمس مرات .. لكن طبيعـة بحثه العلمية خالية من الجفاف العلمى المعهود .. لذا فانه يتناسب وكافة الأمزجة والعقليات .. اذ يبحث في حيواتنا كبشر مميزين عن سائر الكائنات بحياة اجتماعية منظمة .. بنيت على فكر وتدبير . وليس معنى هذا أن الحياة الاجتماعية وليدة تفكير متعمد ، وانما — كما يقول الاستاذ المؤلف في أكثر من موضع — هي نابعة تلقائيا من حياة المجتمع واحتياجاته . ومن أبرز هذه النظم التى خرجت الى المجتمعات .. نظام الأسرة .. فاصبح بينه وبين المجتمعات رباط وثيق .. فالأسرة نواة المجتمع والمجتمع غذاؤها ان صح هذا التعبير .

وينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب .. أولها يصف فيه المؤلف الأسرة وصفا تطوريا ، فيلتزم بالمنهج التاريخي في تتبع نظامها ونطاقها من الجماعات البدائية حتى مجتمعات القرن العشرين ، ويخرج من هذا الاستقراء التاريخي الى نتيجة مسلم بها .. هى أن النظام العائلى قد بدأ متسعا فشمل العاشر والعشائر ثم القبائل ، وأخذ في الضيق بعد ذلك تدريجيا حتى اقتصر في عصرنا على الزوجين والأولاد ، وقد يضيق في المستقبل أكثر وأكثر فيقتصر على الزوج وزوجته دون الأولاد الذين قد تحتضنهم الدولة فيما بعد . وكذلك الأمر في وظائف الأسرة .. بعد أن كانت متسعة مهامها .. فشملت الدفاع والاقتصاد والتشريع والعقيدة والتعليم والتربية .. أصبح مجالهـا ضيقا فانحصر في التربية فقط ، والقرابة كذلك .. قد ضاق محورها الى أن وجدناها الآن محصورة في القرابة الدموية الناتجة عن الأب والأم .. بعد أن كانت شاملة لصـلة الانتماء الى معبود دينى أو رمز خرافي .

ويصف الزواج في الباب الثاني من الكتاب .. محددا الطبقات التى يباح التزاوج بينها ، والأخرى التى يحرم بين أفرادها ، فيبين القيود التى تشكل الزواج وتحدده مثل قيود اختلاف الأديان والأجناس والطبقات ، وتلك التى ترجع الى درجات القـرابة .. ويتكلم المؤلف عن النظريات العلمية المفسرة لقيود القرابة .. مثل نظرية ماك لينـان Mc. Lenan التى ترجع هذه القيود الى

ندرة النساء في العشائر الانسانية الأولى ، ونظرية مرجان Morgan التي تبنى هذه القيود على التحكم والقصد للتغلب على الشيوعية الجنسية . فلا أثر للتلقائيـــة الاجتماعية فيها ، والنظرية الطبية التي تعود بأصل هذه القيود الى ضعف النسل الناتج جسما وعقلا عن زواج الاقارب ، ونظرية وسترمارك Westermarck التي بنت مبدأ التحريم على النفور الجنسي الموجود عادة بين افراد الجماعة الواحدة المقيمة في مكان واحد ، ونظرية دوركايم التي ترجع النظام التوتمي Totemisme أي نظام الرمز الديني المقدس الذي يربط بين أبناء القبيلة الواحـدة برباط قرابة دينية يعتمد كل الاعتماد على نظام اللامساس Tabou .. فيحظر على هؤلاء الأفراد المساس ببعضهم البعض الا في ظروف وطقوس دينية معينة .

يعرض المؤلف لهذه النظريات ويرد عليها مفنـدا أسانيدها .. لكنه يرجح الاخذ بنظرية دوركايم لانهـا أقرب الى الاتجاه الاجتماعي العلمي . وهناك قيود أخرى ترجع الى المصاهرة والرضاع نبعت من المجتمعات المتحضرة فاكتسبت صفة الالزام . وانتقل المؤلف في كتابه بعدئذ الى تعدد الأزواج والزوجات ووحدتهم في عرض مسهب ، ثم تكلم عن الوسائل التي يتم بها الزواج مثل التعاقد وملك اليمين والاستيلاء بالقوة على المرأة .. ولم ينس المؤلف أن ينفي عن الاسلام اتهامه بتحليل الرق .. وذلك في حماسة لم تفقد الدفاع قوة الاقناع ، ثم انتقل الى الكلام عن حقوق وواجبات ترتبت على الزواج كرابطة .. منها دفع مقابل لأحد الزوجين ، ومنها نفقة الأسرة ورياستها ، ومنها تربية الاولاد ، ومنها احترام عقد الزواج .. الخ ..

أما في الباب الثالث .. فقد تكلم المؤلف عن الدعائم التي يقوم عليها نظام الأسرة .. وهي عبارة عن تأكيد لخصائص الظاهرات الاجتماعية .. فهي تمت للمجتمع وحده لا لشيء آخر ، وهي ذات نظم تلقائية تسـير في اتساق والتقاء مع النظم الاجتماعية الأخرى ، ولا بد أن يضع كل مصلح اجتماعي نصب عينيه هذين الأساسيين في محاولته لاصلاح شئون الأسرة .

ولقد نال الكتاب من الاهتمام قدرا حفز كاتبا كبيرا مثل المرحوم الأستاذ العقاد أن يفرد له صفحتين ليسوق فيهما ملحوظات قيمة ، رد عليها الأستاذ المؤلف في مقالتين موضحا بعض الحقائق .. أرفقها كلها بالكتاب .. فأزادته فائدة علمية على فوائده .



تأليف : الدكتور محمود محمد الجوهري .
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ اخترنا للجندي ـ ٤٧ صفحة ١٤×٢٠ . ث قرشان .

من أهم الأهداف التي تسعى حكومة الثورة من أجـل تحقيقها ، هو ايجاد مجتمع اشتراكي مستقر ، ترفرف عليه الرفاهية ، وينعـم أفراده بالمكاسب التي توالت ، ولا تزال تتوالى منـذ اثني عشر عاما ، وحتى تزول عنهم تركة مثقلة بادران الماضي محملة به ، ولا يتسنى هـذا الا بالانتاج المطرد المستمر . وقد أوضح الميثاق ذلك بقوله : ان الانتاج كله للمجتمع ، في خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه .

وفي هذا الكتاب يشرح المؤلف الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه النتائج ، وأوضح أن الاشتراكية العربية الغاية منها تحقيق الكفاية بزيادة الانتاج ، وتحقيق العدالة بتوزيع الثروة في الداخل ، ولا يخفى من أهمية التخطيط والتمويل اللذين هما في تقدير الكاتب جناحا الانتاج ، يرسمان له الطريق ويوجدان له الحلول .

والاشتراكية العربية لا تهمل جانبا آخر من جوانب البناء ، وهو العمل على تكافؤ الفرص الذي هو المعبر عن الحرية الاجتماعية ، ودور المرأة والطفولة والشباب في نهضة المجتمع ، وحرية العقيدة التي يقرر الميثاق قداستها في حياتنا الحرة الجديدة .

ان هذا من شأنه كله أن يحصل الفرد على حقوقه الى جانب ما يقوم به من واجبات .

الآثار المصرية في وادي النيل

تأليف : جيمس بيكي .
ترجمة : لبيب حبشي وشفيق فريد .
مراجعة : الدكتور محمد جمال الدين مختار .
الناشر : دار الكرنك بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب.
٢٤٨ صفحة ١٧×٢٤ سم ث ٢٨٫٥ قرشا .

من الدراسات الهامة فيما يتعلق بالآثار المصرية هذا الكتاب الذي الفه أستاذ متخصص في هذا الموضوع ، وقد توفر على تأليفه فترة طويلة ، ثم وافاه الأجل قبل أن يعده الاعداد النهائي ، فتولت زوجته ذلك .

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من مؤلفه الكبير الذى تناول فيه الآثار المصرية فى وادى النيل مرتبة ترتيبا جغرافيا. فهو يشمل آثار منطقة الدلتا والقاهرة حتى منطقة سقارة ، فى حين يشمل الجزء الثانى ما بين الفيوم وقبل الاقصر ، ويشمل الجزء الثالث منطقة الاقصر شرقا وغربا ، ويختم الجزء الرابع هذه المجموعة بالحديث عن الآثار التى تلى الاقصر جنوبا حتى الخرطوم .

والكتاب – الى هذا – مزود بعديد من الخرائط واللوحات والصور والهوامش ، أسهم فى اعدادها الاستاذان المترجمان والاستاذ المراجع ، الى جانب ما ورد فى النسخة الاصلية من الكتاب .



تاليف : الدكتور حسن ابراهيم حسن .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية . طبعة ثالثة ٦٧٣ صفحة ١٧×٢٤ سم ث ٨٠ قرشا .

اختص الاستاذ المؤلف منذ بعيد بدراسة تاريخ الدولة الفاطمية ، وله فيه كتب وأبحاث كان لها دور كبير فى توضيح الصورة العامة له .

وهذا الكتاب كان فى الاصل رسالة أعدها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى عام ١٩٢٨ ، تناولها بالتنقيح والافاضة ، حتى أضحت كتابا ضخما يحوى تلك الفترة الواسعة من تاريخ الاسلام .

وقد تحدث المؤلف فى كتابه عن قيام الدولة الفاطمية وسقوطها ، والاتساع المطرد الذى شاهدته فى بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب ، حتى كانت فى يوم من الايام تدعو لها منابر الدولة العباسية فى بغداد . ولم يغفل الحديث عن النظم الفاطمية والحضارة التى سادت فى هذا العصر ، وما يتصل بالدعوة لآل البيت ، وأسرار هذه الدعوة ، وما ترتب عليها من ظهور مذاهب انحرفت عن الاسلام ، واضحت خارجة عليه . وبالكتاب حديث طويل عن مشكلتين هامتين فى تاريخ هذه الدولة ، وهما نسب الفاطميين ، ودعوى الوهية الحاكم بأمر الله .

وقد دعم المؤلف كتابه بالمصادر التى رجع اليها ، والتى من الممكن أن تعين الباحث فى تاريخ هذا العصر ، هذا الى جانب كشاف عام ، ييسر المهمة لدى القارىء والدارس على حد سواء ، مع صور توضيحية مفيدة .



كتب وردت للمجلة

● **ابو زكريا الفراء :**

تأليف الدكتور احمد مكى الانصارى ، الناشر دار المعارف عدد الصفحات ٦٧٠ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ١٥٠ قرشا

● **خير سنى العمر :**

تأليف والتر . ب . بتكن ، ترجمة اللواء عبد المنصف محمود وآخرين ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٢٢٩ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٣٠ قرشا

● **الدين والحضارة الانسانية :**

تأليف الدكتور محمد البهى ، الناشر دار الهلال عدد الصفحات ٣١٣ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ١٢ قرشا

● **محاولة لتقدير فن المسرح**

تأليف لنوكس روبنسن ، ترجمة منير فتح الله ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ٩٢ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٨ قروش

● **بزوغ العقل البشرى**

تأليف نورمان بريل ، ترجمة اسماعيل حقى ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٣٣٩ ص ١٧×٢٤ سم

ث ٤٠ قرشا

● **عالم النبات**

تأليف برتا موريس باركر ، ترجمة مراد فهمى ، الناشر دار المعارف ، عدد الصفحات ٣٦ ص ١٤ × ٢٠ سم .

● **دم على الجدار**

تأليف محمد جلال عناية ، الناشر دار اخبار فلسطين ، عدد الصفحات ١٣٣ ص ١٤×٢٠ سم .

● **الغزو الفكرى**

تأليف محمد جلال كشك ، الناشر دار العروبة ، عدد الصفحات ١٤٢ ص ١٤×٢٠ سم .

● **فى العاصفة**

تأليف كيلانى حسن سند ، الناشر عالم الكتب ، عدد الصفحات ٨٥ ص قطع صغير .

● **الهند شعبها وارضها**

تأليف مانوراما موداك ، ترجمة العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم ، مراجعة الدكتور عز الدين فريد ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٢١٧ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٣٠ قرشا

● **عندما يواجه المعلمون انفسهم**

تأليف آرثر ت . جيرسلد ، ترجمة الدكتور محمد على العريان ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٦٣ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٢٦ قرشا

● **الطبيب معالجا وعالما**

تأليف دانا . و . اتشلى ، ترجمة زكريا فهمى ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ١٨٢ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ١٧ قرشا

● **مغامرات روبن هود**

تأليف هوارد بايل ، ترجمة سامية محمود اسماعيل ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٧٣ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٢٠ قرشا

● **تقويم التلميذ وتقدمه**

تأليف جون . و . م . روثنى ، ترجمة الدكتور محمد نسيم رأفت ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٧٢ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٨ قروش

● **الدين والأخلاق فى شعر شوقى**

تأليف على النجدى ناصف ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٢٣٣ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٥٠ قرشا

● **الخمر فى التشريع الاسلامى**

تأليف اسماعيل الخطيب ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٦١ ص ١٤×٢٠ سم .

ث قرشان

● **وودرو ويلسون وسياسة توازن القوى**

تأليف ادوارد هنرى بيوريج ، ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ٤٠٥ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٣٨ قرشا

● **كتاب العجائب**

تأليف ناثانيل هوثورن ، ترجمة الدكتورة سهير القلماوى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٢٥ ص ١٤×٢٠ سم ..

ث ٤٥ قرشا

● **قصة الفيزياء**

تأليف جورج جاموف ، ترجمة الدكتور محمد جمال الدين الفندى ، الناشر دار المعارف ، عدد الصفحات ٤٤١ ص ١٧×٢٤ سم .

● **حصاد الحب**

تأليف أميل زولا ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ١٦٨ ١٤×٢٠ سم .

ث ١٠ قروش

● **الشارع الخلفى**

تأليف فانى هيرست ، ترجمة فوزى شاهين ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ١٥٩ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٣ قروش

● **الفقه الاسلامى الميسر**

تأليف عبد الحليم محمود موسى ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٨٢ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٢٥ قرشا

● **حصاد الفكر**

تأليف روبرت كازنس ، ترجمة الدكتورة منيرة حلمى والدكتور محمد على العريان ، الناشر مركز كتب الشرق الأوسط ، عدد الصفحات ٢٩٨ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ٣٠ قرشا

● **كيف تبنى حياتك الزوجية**

تأليف ايفلين ميليس دوڤال ، ترجمة عثمان لبيب فراج ، الناشر مؤسسة الخانجى ، عدد الصفحات ٧٢ ص ١٣×١٧ سم .

ث ٦ قروش

● **النشاط المدرسى فى المرحلة الثانوية**

تأليف ادجار جونستون ورولاند فاونس ، ترجمة الدكتور محمد على العريان ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٤٥٨ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٦٠ قرشا

● **الترويح فن وريادة**

تأليف هـ . دان كورين ، ترجمة سعيد حشمت والدكتور حلمى ابراهيم ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٥٧٥ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٩٣ قرشا

● **المسرح اليابانى**

تأليف فولبون باورز ، ترجمة سعد زغلول نصار ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٣٣ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ١٧ قرشا

● رأى فى الثورات

تأليف حنة أرنيدت ، ترجمة خيرى حماد ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٣٣٣ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٥٠ قرشا

● ممارسة الثقب وتشغيل السطوح

تأليف فريد . هـ . كولفن وآخر ، ترجمة الدكتور صلاح الدين محمد المهدى وآخر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٦٨٣ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ١١٤ قرشا

● طبقات الشافعية الكبرى

تأليف تاج الدين السبكى ، تحقيق محمود محمد الطناحى وآخر ، الناشر عيسى البابى الحلبى وشركاه ، عدد الصفحات ٣٦٠ ص ١٧×٢٤ سم .

● عيون الاخبار

تأليف أبو محمد بن قتيبة الدينـــورى ، النـــاشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عـــدد الصفحات ٦٧٧ ص ١٧×٢٤ سم (مجلدان .. الثانى والثالث) .
ث ٤٠ قرشا

● دراسة فى ادب الرافعى

تأليف الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٤×٢٠ سم .
ث ٢٠ قرشا

● صناعتنا فى ظل الاشتراكية

تأليف الدكتورة دولت أحمد صـــادق ، النـــاشر الدار القومية ، عدد الصفحات ١٢١ ص ١٤×٢٠ سم.
ث قرشان

● الشئون المنزلية للناشئات

تأليف ايفلين جونز وأخرى ، ترجمة اسعاد جودة ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٤٩٨ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٩٠ قرشا

● بين المعلم والتلميذ

تأليف لويز باريش وأخرى ، ترجمة عنايات عبد العزيز فريد ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٨٠ ص ١٤×٢٠ سم .
ث ٢٥ قرشا

● دروس فى خدمة التليفزيون

تأليف لجنة فنية ، ترجمة رزق باسيلى ، مراجعة صلاح عامر ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٥٣٧ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٣٦ قرشا

● المختطف

تأليف روبرت لويس ستيفنسن ، ترجمة مراد الزمر ، الناشر مؤســسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٣٩٠ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٥ر٣٢ قرشا

● الحرب والمدنية

تأليف أرنولد توينبى ، ترجمة أحمد محمود سليمان ، مراجعة الدكتور محمد أنيس ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٩٢ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ١٣ قرشا

● خطباء اليونان

تأليف ج . ف . ديسون ، ترجمة أمين سلامة ، الناشر مؤســسة التضامن العربى ، عدد الصفحات ٣٢٧ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٥ر٢٢ قرشا

● المدينة على مر العصور

تأليف لويس ممفورد ، ترجمة الدكتور ابراهيم نصحى، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٤٤٠ ص ١٧×٢٤ سم (جزء أول) .
ث ٩٦ قرشا

● معالم تاريخ سودان وادى النيل

تأليف الشاطر بوصيلى عبد الجليل ، الناشر مطبعة ابو فاضل ، عدد الصفحات ٣٠٨ ص ١٧×٢٤ سم .

● مسلمة بن عبد الملك

تأليف على صافى حسين ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٩٤ ص ١٧×٢٤ سم .
ث ١٥ قرشا

● اليوم الموعود

تأليف نجيب كيلانى ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٦٨ ص ١٤×٢٠ سم .
ث ٢٥ قرشا

● **الشعر بين الجمود والتطور**

تأليف العوضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٢١ ص ١٣×١٧ سم .

ث قرشان

● **ابتسامات ودموع وظلمات واشعة**

تأليف الآنسة مى ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٢٥٧ ص ١٤×٢٠ سم .

ث ١٠ قروش

● **دراسات عن الكويت والخليج العربى**

تأليف عبد المجيد مصطفى وعثمان فيظ الله ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عن الصفحات ٤٠٥ ص ١٧×٢٤ سم.

● **فنانو الاسكندرية**

تأليف فكرى بطرس ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٢٣٩ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٣٠ قرشا

● **المادة والجزئيات والذرات**

تأليف برتا موريس باركر ، ترجمة عمر كامل الوكيل ، الناشر دار المعارف ، عدد الصفحات ٣٦ ص ١٤×٢٠ سم .

● **نظرية التكامل الاقتصادى**

تأليف بيلا بالاسا ، ترجمة الدكتور راشد البراوى ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ٤٠٦ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ٥٠ قرشا

● **نظرية التكامل الاقتصادى**

تأليف بيلا بالاسا ، ترجمة محمد عبد العزيز أحمد وآخرين ، مراجعة الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب ، الناشر الدار القومية ، عدد الصفحات ٢٦٩ ص ١٧×٢٤ سم .

ث ١٠ قروش





العدد السابع
٦ شعبان ١٣٨٤ هـ
١٠ ديسمبر ١٩٦٤ م

رئيس التحرير : على أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفى
سكرتير التحرير : جمال بدران

فى هذا العدد

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون : ٩١٠٣٧٧ / ٩١٠٤٢٠



كلمة ثورة بطبيعتها وبرغم ما يقترن بهـا ويلازمها من صور العنف ومشاهد القسوة واعمال الهدم من الكلمات المرنة المطاطة التى يعوزها شىء من التبلور والتحديد .

فنحن نقول الثورة الفرنسية الكبرى ، ونتحدث عن الثورة الأمريكية التى أسفرت عن استقلال الولايات المتحدة وانفصالها عن الامبراطورية البريطانية ، والثورة الروسية وسقوط الحكومة القيصرية ، كما نتحدث عن الثورة فى تفكيرنا وأساليبنا فى الحياة ، ونشير الى الثورة فى وسائل الصناعة وطرائق الانتاج وفى أزياء الرجال والنساء وهكذا الى مالا نهاية .

ويمكن أن نستبين فى النواحى المختلفة لاستعمالنا كلمة ثورة معنى التغيير المفاجىء أو التغيير الشامل للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسائر النظم والعادات والتقاليد .

ولكن بالرغم من استعمالنا كلمة ثورة للدلالة على الكثير من التغيرات الواسعة النطاق أو المحدودة النطاق فاننا نظل محتفظين فى جانب من عقلنا بمعنى شبه محدد للثورة ، وهـذا المعنى هو الانقلابات الخطيرة التى تحدث فى المجتمعات السياسية التى كانت من قبل موطدة الدعائم ، مثل الثورة الانجليزية فى سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية والثورة الروسية سنة ١٩١٧ .

وقد تقترن الثورة بالفظائع واراقة الكثير من الدماء وأعمال التطهير القاسية وصور المقصلة وأساليب التعذيب والارهاب ، ولكننا نركز نظرنا دائما على حلول جماعة تصرف سياسة الدولة وتدير آلة الحكم بدلا من جماعة أخرى ، وهـذا التغير قد يحدث بالثورة الحاطمة أو بالثورة البيضاء البريئة من العنف واسالة الدماء ، وقد تحدث بالانقلاب ممثلا فى الانتخابات مثل الانتخابات

وستظل الانسانية تحلم بالمجتمع المثالى ، والمؤرخ الذى يحاول تشخيص أعراض الاضطراب ورصد أحـــوال القلق والتمرد يمكن أن يرى ظواهر الاضطراب ودلائل السخط والتبرم فى أى مجتمع يحاول دراسته واستقصاء تاريخه ، وذلك حتى فى أزهى عصور الحضـــارة ، واذا كان المجتمع السليم هـــو المجتمع الخالى من دواعى السخط والتذمر والذى ليس فيه نقد للحكومة ولا ضيق بالنظم الســـائدة ولا خروج عليها فانه ليس ثمة من مجتمع سليم بكل ما تحمل الكلمة من معـــانى السلامة .

فليس المجتمع السليم اذن هو المجتمع الذى ليس فيه نقد للحكومة ولا خطب ولا مواعظ ضد الخروج على الأخلاق والاستهانة بالتقاليد والذى يخلو من الاضرابات والاعتصابات وأزمات البطالة والاعتداء على الحريات ولا ترتكب فيه جرائم ولا تزدحم السجون ، وكل ما تنتظره من المجتمع الذى يصح أن نسميه نســـبيا بالمجتمع السليم هو ألا تكثر فيـــه أمثال هذه التوترات والذى يشعر فيه الناس بأنه ــ على ما فيه من عيوب ومساوىء ــ محتمل ومقبول .

والمسالة الاقتصادية تلعب دورا بارزا فى معظم الثورات ، فالثورة الانجليزية بدأت بالصراع بين أسرة ستيوارت والبرلـــمان من أجل الضرائب ، وكان من أسباب الثورة الأمريكية اسراف الحكومة البريطانية فى فرض الضرائب ، وكذلك كان لمسألة الضرائب أثرها فى احداث الثورة الفرنسية .

على أن يلاحظ بوجه عام أن أكثر المجتمعات التى حدثت فيها الثورات المأثورة لم تكن تعانى العسر المالى الشديد ، ولم تكن مرتبكة من الناحية المالية وانما الحكومة ذاتها هى التى كانت تعانى الضـــائقة الماليـــة ولا تحسن تدبير أحوالهـــا الاقتصادية ، وأحوال فرنسا المادية بوجه عام كانت فى تحسن فى فترة ما قبل الثورة ، وغاية ما فى الأمر ان هـــذا الرخاء لم يكن موزعا توزيعا عادلا ، وكان الذين يستمتعون بمزاياه هم التجار ورجال الأعمال والمحامون وكبار المزارعين ، وكان هؤلاء المياســـير مع ذلك أشد الناس نقمة على الحكومة ، ولا يشترط فيمن يقومون بالثورة أن



البريطانية سنة ١٩٤٥ التى مكنت الاشتراكيين من السيطرة ، وقد سماها بعض المفكرين « ثورة بالموافقة » .

ومحاولة تحليل الأحوال الانســـانية بتجرد العالم الطبيعى أو الكيميائى تقوم دونها صعاب كثـــيرة ، والذين يحللون ثورة من الثورات قـــد يكونون من كارهى الثورات والحاقـــدين عليهـــا فيبالغون فى تصوير أهوالها وتضخيم أخطائها ، وقد يكونون من المطبوعين على حب الثورة والولع بالتغيير فيحاولون ستر عيوبها وتسويغ أخطائها وتبرير قسوتها وعنفها مما يجعل التماس الحقائق فى تاريخ الثورات لاســـتخلاص نظرية عامة من المسائل الشاقة التى تحتاج الى نزاهة غير عادية وموضوعية قد تضيق بها الطبيعة البشرية .

واضطراب النظم ووجود المساوىء الاجتماعية من الأمراض المستوطنة فى كل مجتمع بشرى ،

يكونوا على الدوام ممن عسرهم الفقر وعانوا الضيق والحرمان ، لأن الشعور بالظلم الناشيء من عدم المساواة أشد مضاضة على نفوس الأحرار من اى شيء آخر ، وحينما شبت الثورة فى أمريكا وهى قارة خالية من ازدحام السكان فى القرن الثامن عشر كان الضيق الاقتصادى أمرا نسبيا محضا ، وكان هناك توترات اقتصادية من جراء فرض الضرائب ولكن مع ذلك لم تكن هنـــاك طبقة قد سحقها الفقر المدقع واستذلتها الحاجة الماسة .

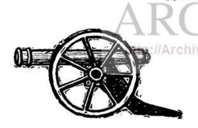
ولا يشترط ان تنشأ الثورات فى المجتمعات المتخلفة اقتصـــاديا ، وأكثر الثورات ظهرت فى مجتمعات متقدمة من الناحية الاقتصادية ، وليس معنى ذلك أنه لم تكن هنـــاك جماعات فى داخل هـــذه المجتمعات تشكو المظالم وبخاصة المظالم الاقتصادية .

وكان هنـــاك بؤرتان رئيستان تثير فيهما الدوافع الاقتصـــادية عوامل التبرم والشعور بالسخط ، أولهما بؤس بعض الطبقـــات فى أى مجتمع ، ولكن هذا البؤس على أهميته واستفزازه النفوس وتحريكه لكوامن الأحقاد ليس فى المرتبة الأولى من الأسباب الداعية الى اشعال الثورات واحـــداث الانقـــلابات ، وقد أكد المؤرخون الفرنسيون الجمهوريون أهمية المحصول الردىء لسنة ١٧٨٨ والشـــتاء الشديد القر ســـنة ١٧٨٩/١٧٨٨ فى فرنســـا وما عاناه الفقراء من جراء ذلك ، وكان شتاء سنة ١٩١٧/١٩١٦ فى روسيا كذلك شـــديدا قاسيا ، وكان التموين محدودا فى كل مدينة ، ولكن تاريخ فرنسا وتاريخ روسيا حافلان بأخبار وقوع المجاعات المضنية والأوبئة الفتاكة والمحاصيل الرديئة ، وفى بعض الأحيان كانت هذه الأحداث محلية محدودة النطاق وفى أحيان اخرى كانت قوميـــة شاملة ، وكثيرا ما كان يصحبها اضطرابات وقلاقل ولكن واحدا منها ليس غير هو الذى أسفر عن الثورة الكبرى الجتاحة ، ولا نجد نظيرا لذلك فى الثورة الانجليزية ولا فى الثورة الأمريكية .

وواضح من ذلك أن الضيق الاقتصادى الذى يعانيه المحرومون من الامتيـــازات ولو انه قـــد يتمخض عن الموقف الثـــورى الا أنه ليس من العلامات التى يمكن الاســـتدلال بها على حتمية وقوع الثورة ، وقد لحـــظ ذلك الماركســـيون ، فتروتسكى نفسه يقول « فى الواقع أن وجود الحرمان ليس كافيـــا لاثارة الثورة ، ولو كان الأمر كذلك لكان جمهور الناس فى ثورة دائمة » .

والدافع الأهم هو أن يتمكن الشعور فى نفوس جماعة الناس بأن الأحوال السائدة تعوق نشاطهم الاقتصـــادى وتحد منـــه وتقضى على أملهم فى التقدم وموالاة تحسين أحوالهم وتأمين موقفهم .

ففى الثورة الأمريكية وجد التجار الميسورون ان سياسة الحكومة البريطانية الاستعمارية تحطم آمالهم وتقيم العقبـــات والعوائر فى طريقهم ، وساد الشعور بين الجماعات الناشطة الطامحة بأن الحكم البريطانى ينطوى على الاستغلال الظالم وأنه عقبة فى سبيل نجاحهم فى الحياة ومواجهتهم للمستقبل .



وفى فرنســـا كانت السنوات السابقة لسنة ١٧٨٩ تمتاز بسلســـلة من الاجراءات التى تثير نقمة جماعات من مختلف الطبقـــات ، فبسوء تصرف عجيب كانت الحكومة تبذر بيد ما تجمعه باليـــد الأخرى ، والمجهود الذى بذل من اجل اصلاح الضرائب لم ينفذ ، وكان لاخفاق تيرجو فى وضع اصـــلاحاته موضع التنفيذ اثر كبير فى اثارة نقمة المستنيرين والتقدميين بوجه عام .

وهكذا نرى أن النقمة الاقتصادية لا تظهر غالبا فى صورة الضائقة والحرمان وانما تظهر فى صورة شعور عام عند بعض الجماعات من ذوى

الهمة الناهضة واصحاب الآمال المحلقة بأن تقدمهم فى الدنيا قد قامت فى طريقه العقبات ولابد من دعم هذا الشعور بالدعاية الواسعة واظهاره فى صورة ظلم عام موجه الى كل فرد .

ولكل حكومة فى هـذه الأرض عيوبها ، ولكن عجز الحكومات درجات ، وصبر المحكومين كذلك درجات ، وفى معظم الثورات أثبتت الحـكومة عجزها ، وكان الشعب المحكوم قلقا غير مطيق .

ولابد للثورة من اعداد فكرى الى جانب العامل الاقتصادى ، ففى الفترة السابقة لحدوث الثورة فى فرنسا كان للماسونية أثر ملحوظ فى الاعداد لهـا ، وكان جميع الاشراف الطموحين واغلب المستنيرين أعضـاء فى الماسونية ، وفى روسيا ما قبل الثورة كان هناك الفوضويون والعدميون والاشتراكيون من كل لون والحربيون وأنصـار الغرب وأنصار النزعة السلافية ، وكانوا يعبرون عن انفسهم بالقـاء القنـابل أو بالتصويت فى انتخابات الدوما .

وطبقـة المستنيرين تشمل فى العادة الكتاب والفنانين والموسيقيين والممثلين ، وفى فرنسـا كان المستنيرون ناقمين على الحكومة ، وكذلك كان الحال فى روسـيا ، وقد اشتملت الروايات التى كتبهـا كبـار الكتاب الروسيين على نقد للمجتمع الروسى من مختلف نواحيـه ، وحتى مؤلفـات تورجنيف الذى كان ينحو فى رواياته منحى فنيا خالصا لم تخل من تناول مشكلات عصره السياسية والاجتماعية وكتابه (مذكرات صياد) كان له أثره المعروف فى تحرير المزارعين الروسيين .

وفى انجلترا وفرنسا وأمريكا كان المبدأ الأصيل الذى يستحث الناس على تغيير الحالة الراهنة والضيق بها والتمرد عليها هو الاعجاب بالطبيعة وقوانينها الواضحة البسيطة ، فامتيازات النبلاء فى فرنسا وقوانين الدمغـة فى أمريكا كانت تعتبر جميعها خروجا على الطبيعة ومنافرة لقوانينها ، أما فى روسيا فـكان الايمان بالماركسية يغرى بالاعتقاد بأن النظام الرأسمالى ضد الطبيعة وان القضاء عليه مسايرة للطبيعة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان ثورة المتطهرين وثورة القائلين بالعودة الى الطبيعة وثورة القائلين بالمـادية الديالكتيكية كانت كلها تجعل انتصار المغلوبين على أمرهم من المسـائل المؤكدة ، لأن الغالبين حصلوا على امتيـازاتهم بالمصـادفة او بالحيلة ، وكأن الطبيعة أو الحركة الديالكتيكية كانت فى اجازة أو توقف وقتى عن العمل ! .

وكراهـة الشر الحاضر المـائل والتطلع الى الخير المنتظر يقويهما ما يسميه البحاثة الفرنسى سوريل « بالخرافة » وهـكذا تسبق الأفكار الثورات ، واذا لم تكن هنـاك أفكار فلا سبيل الى اشعال الثورات وليس معنى هذا ان الأفكار هى سبب الثورات وان خير طريقة لمنع الثورة هو الرقابة على الأفكار ، وانما ، معناه أن الأفكار تكوّن جزءا هاما من دراسة الثورات .

والذين يحاولون تحليل الثورات باعتبـارها مظهرا نفسيا اجتماعيا ثقافيـا له ملامح عامة وسـمات مشتركة يتوقف بحثهم على الحقائق المستمدة من التاريخ أو من الثورات التى يحضرون امرها ويتمرسـون بأحوالهـا ، على أن بعض المؤرخين الموكلين بدراسة الأحداث الانسانية الفذة المتفردة يقاومون كل محاولة لاستخلاص تعميمات عن النظام الاجتماعى أو السـلوك الفردى أو الجماعى من دراسة حركات ثورية خاصة ، وأمثال هؤلاء المؤرخين يعترضون على أى تصميم مستمد من التـاريخ ويشـكون فيه ، والواقع أنهم لا يصدقون بفكرة أن هناك سيكلوجية اجتماعية ، ومع تسليمنا بصعوبة اسـتخلاص العموميات من الخصوصيات فانه لا يزال هناك مجال واسع للقيـام بمحاولات للنظر فى الوجـوه الاجتماعية والنفسـية للثورات والبحث عن الصـفات المشتركة بينها .

وقد رأى الكاتب البحـاثة المعروف الأستاذ خيرى حماد أن يزود المكتبة العربية بكتاب عن الثورات يدرسها دراسة علمية ويكشف عن طبيعة الفكر الثورى فاختار للتعريب والتعليق كتاب المؤلفة حنة أريندت عن الثورة واسماه «رأى فى الثورات» وقد حدثنا فى مقدمة الكتاب عن المؤلفة بانهـا هاجـرت الى أمريـكا فى عام ١٩٤١ واكتسبت

الجنسية الأمريكية لتتولى التدريس فى كبريات جامعاتها ، وانها فى رأى أحد النقاد الأمريكيين تعد من « أقوى الأدمغة وأكثرها ابتكارا فى حقل السياسة الملىء بالنظريات المتضاربة » وانهـا « باحثة تغوص فى الأعماق لتظهر على حقيقتها كواحدة من أكبر فلاسفة السياسة المعاصرين »

وذكر الأستاذ حماد فى مستهل المقدمة التى كتبها للكتاب أن الدراسات العلمية المقارنة عن الثورة وأصولها وجذورها وقواعدها ومفاهيمها وتطلعاتها وأهدافها قليلة ، وأقل منها أن تكون موضوعية بعيـدة عن التحيز نائية عن الغرض وبخاصة لأن المفاهيم الثورية قد اختلفت معانيها وتعددت مناحيها .

وعند الأستاذ حماد أن الثورة « لم تعد تمثل مجرد انتفاضـة ضيقة الأفق محدودة الهدف تتوخى رفع حيف معين أو تغيير وضع محدد ، وانما باتت ثورة شاملة تتناول كل أفق من آفاق الحياة ومجالاتها ، وتستهدف التغير الجـذرى المصحوب بعملية البنـاء الكاملة لضمان غـد أفضل عن طريق اقامة مجتمع الكفاية والعدل »

وقد تنـاول الكتاب بحث « معنى الثورة » والمشكلة الاجتماعية ومشكلة البحث عن السعادة كما تحـدث فى أحد الفصول عن الدساتير الحرة وعقدت المؤلفة فصلا للتحدث عن « النظام العلمانى الجديد وفصلا آخر عن التقاليد الثورى » .

وقد تناولت الكاتبة فى مقدمة الكتاب العلاقة بين الحـرب والثورة ، وهى ترى أن الحـروب والثورات قررت حتى اليوم صـورة القرن العشرين ، والحروب فى العهـد الحاضر تهدد البشر بالابادة فى حين أن الثورة تعـد الانسانية بالتحرر الشامل ومن ثم لم تبق سـوى قضية واحدة هى اقدم القضايا الانسانية وهى قضية الحرية .

وترى الكاتبة أن الحروب من اقدم الظواهر الطبيعية فى التاريخ المدون فى حين أن الثورات لم تكن موجـودة قبل بداية العصر الحديث ، وان الحرب لم ترتبط مع مفهوم الحرية الا فى حالات نادرة ، وتتبع ذلك بقولها الذى لم يخـل من الغموض « ولـكن بالرغم من صحة القول بأن الثورات التى تحمل طابع الحروب ضد الغزاة الأجانب كانت تعتبر على الغالب حروبا مقدسة الا أنها لم يعترف بهـا لا من الناحية النظرية ولا من الناحيـة العمليـة كالحروب العادلة الوحيدة » .

واذا كانت الثورة التى تحمل طابع الحرب لم يعترف بها كالحروب العادلة الوحيدة فماذا يضيرها هذا الضن بالاعتراف ؟ وهل حقيقة ان الانسانية لم تعرف الثورة الا فى العهد الحديث كما تزعم المؤلفة ؟ لقد قامت فى العصور القديمة ثورات كثيرة ، وقد تختلف فى صـورتها عن الثورات الحديثة ولكنها كانت تتفق مع الثورات فى أنهـا كانت ترمى الى تغيير الأوضاع السائدة أو تعديلها على الأقل .

وذكرت المؤلفة رأى المؤرخ الرومانى ليفى وهو « ان الحـرب الضرورية حرب عادلـة ولا تكون الأسـلحة التى لا يمثل الأمل فيها الا أسلحة مباركة » ولست أدرى ما هى هذه الأسلحة التى لا يمثل الأمل فيها ، ولا يخرج الأمر عن اثنتين وهما اما ان هناك خطأ فى الترجمة واما أن هناك خطأ مطبعيا جعل كلمة ليفى غير مفهومة ، وكان من حق القـارىء على الأستاذ حماد أن يجنبه هذه الحيرة .

وتقول المؤلفة « ان العلوم الحديثة التى تبدد سراب الخيـالات كالنفس والاجتمـاع » فأى « اجتماع » هذا الذى بدد سرابه العلم الحديث ؟ ويا ليت الأستاذ المعرب – كما يؤثر أن يقول – وضح الكلمة بالانجليزية ولو فى آخر الكتاب فقد لاحظت أن لهطريقة خاصة فىالتعريب ، فهو مثلا يقول « الحرب الكونية » ويقصد ما أتفق جميع المترجمين على تسميته « بالحرب العالمية » وكلمة كونيـة التى آثرها واختـارها تشعر الانسان أن الكواكبوالأقمار والجبالوالأنهار قد اشتركت فى هذه الحرب الكونية .

وتقول المؤلفة « نستطيع القول أن تاريخ الحرب فى القرن العشرين الذى نعيش فيـه يشير الى

قصة العجز المتزايد من جانب الجيش عن أداء هذه المهمة الأساسية (مهمة حماية السكان المدنيين) اذ ان سوقية « الردع » قد بدلت دور العسكريين من صورة الحماة المدافعين الى صورة المنتقمين الذين لا جدوى من انتقامهم » فما المقصود « بسوقية الردع » هذه ؟ وقد سماها فى موضع آخر « سوقية الكبح » فلم يزدنا علما بمعنى كلمة « السوقية » هنا .

وترى الكاتبة أن المستقبل للثورات لا للحرب وهى تقول فى ذلك « لو تمكنا من تغيير صورة هذا القرن الى الحد الذى لا يغدو فيه قرنا للحروب فانه سيظل حتما قرنا للثورات » .

وفى الفصل الذى عقدته المؤلفة لبيان معنى الثورة تقول ما معناه ان التفسير المادى للتاريخ يرجع الى أيام أرسطو الذى قال ان المصلحة التى تفيد شخصا أو جماعة أو شعبا هى التى تتحكم بل يجب أن تتحكم فى القضايا السياسية ، وعندها « ان المشكلة الاجتماعية لم تبدأ فى أداء دورها الثورى الا عندما بدأ الناس يشكون فى العصر الحديث لا قبله فى أن الفقر فطرى فى الأوضاع الانسانية وان التمييز بين أفراد القلة الذين نجحوا عن طريق الظروف أو النفوذ أو الخداع فى تحرير انفسهم من قيود الفاقة وبين جماهير العمال الذين أصابهم الفقر بنابه شىء حتمى وأبدى » .

وربما كان هذا الشك الذى أشارت اليه المؤلفة هو ما يميز الثورات فى العالم الحديث ، ولكن هذا لا يمنع أن العالم القديم قد عرف الثورات كما عرفها العالم الحديث .

وتخالف المؤلفة القائلين بأن جميع الثورات العصرية مسيحية فى جذورها حتى ولو كانت العقيدة التى تدعو اليها هى الالحاد ، وتقول المؤلفة (١) ان الحجة التى تؤيد هذا الادعاء فى العادة تشير الى الطبيعة الثائرة عند رواد العقيدة المسيحية مع التأكيد على المساواة بين الأرواح امام الله ووعودها بملكوت السماء وان هذه الأفكار انتقلت الى الثورات العصرية وان كان انتقالها بطريق علمانى عن طريق حركة الاصلاح الدينى .

وتمضى المؤلفة فى نقضها لهذا الرأى قائلة « لا ريب أن التحول الى العلمانية والفصل بين الدين والسياسة وقيام ملكوت علمانى معتز بنفسه وكرامته كلها عوامل فى منتهى الأهمية فى الظاهرة الثورية ... والعلمانية نفسها لامضامين التعاليم المسيحية هى التى تؤلف أصول الثورة وجذورها » .

ولا تنكر المؤلفة الدور الذى قام به لوثر فى اضعاف الرابطة بين السلطة والتقاليد ، ولكنها ترى ان كل ما قصده لوثر هو تحرير الحياة المسيحية الصحيحة تحريرا جذريا من اعتبارات النظام العلمانى ، وهى بذلك تخالف المفكرين الذين يرون علاقة وثيقة بين تعاليم المسيحية والدعوة الاشتراكية ورابطة أكيدة بين ثورة لوثر والثورة الفرنسية .



وتحاول المؤلفة أن تلطف من حدة انكارها العلاقة بين التعاليم المسيحية والثورة بقولها « هناك حقيقة واقعة وهى عدم قيام أية ثورة ابدا تحت اسم المسيحية قبل العصور الحديثة ، ومن هنا يكون كل ما يستطيع الانسان أن يقوله فى تأييد هذه النظرية ان تحرير الأسس الثورية للعقيدة المسيحية كان يحتاج الى شىء من العصرية » .

وقد أرادت الكاتبة من وراء ذلك أن تؤكد عنصر الجدة الكامن فى الثورات باعتبارها ظاهرة من ظاهرات العصر الحديث .

والكاتبة تثير فى هذا الكتاب القيم الكثير من

(١) ص ٣٠

القضايا الجديرة بالمناقشة والمراجعة وقد خالفها الأستاذ حماد فى نظرها الى بعض تلك القضايا وقد وضح استدراكاته على المؤلفة فى هوامش صفحات الكتاب .

ولا نزاع فى أن هذا الكتاب دراسة للثورات جديرة بالتقدير ، ومما يزيد فى قيمته ندرة الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع ، وربما كان من أحسنها تأليفا وأدقها بحثا كتاب « تشريح الثورة » للكاتب السياسى كرين برينتون وكتاب مبادىء الثورة للكاتب البحاثة السياسى ديليل بيرنز وكتاب « قانون الثورات » للكاتب الفرنسى أندريه جوسان وما كتبه العلامة سوروكين عن الثورات والحروب فى مختلف مؤلفاته وقد أجاد كارول تلخيص آراء سوروكين فى كتابه الذى جعله مقدمة لفلسفته وأسماه « التاريخ والحضارة والثقافة » .

وفى الترجمة بعض أخطاء لغوية تستحق الاشارة اليها ، ففى صفحة ١١٨ « الحالة المفجعة » وافجع فعل متعد واسم الفاعل منها فاجع والصواب الحالة الفاجعة ، وقد تكررت هذه الغلطة فى صفحة ٢٦١ اذ ورد « السير المفجع » والصواب « السير الفاجع » وفى صفحة ١٦ « مفازع الحرب النووية » والمفازع جمع مفزع وهو الملجأ الذى يفزع اليه والمقصود هنا أهوال الحرب أو مخاوفها وفى صفحة ٦٥ « وقد نجد هذا القول من شياع الرأى اليوم » واذا كان المقصود الظهور والانتشار فان الصحيح هو « شيوع أو شيعان » ويجىء الشياع بمعنى النداء وهو بعيد عن المقصود هنا .

وفى صفحة ٧٥ يقول « قبع واقع حياتى » والأصوب هنا أن يقول « حيوى » حتى لا يلتبس الأمر بحياة مؤلفة الكتاب .

وفى صفحة ٢٤ ان سقراط اكتشف عندما بدأ فى تفسير نظرية أفلاطون عن نظرية التحول شبه الطبيعى أهمية الدوافع الاقتصادية والصواب أرسطو لا سقراط كما يفهم من الوارد بعد ذلك فى الكتاب نفسه .

وفى التعليق الذى ذكره الأستاذ حماد فى هامش صفحة ١٩٧ يذكر ضمن مؤلفات الأستاذ ر . و . لفنجستون كتابه « عبقرية الاغريق ومعناها لأمريكا » ولست أدرى من أين جاء الأستاذ « بأمريكا » هنا ، والمؤلف انجليزى صميم واسم الكتاب بالانجليزية هو :

The Greek Geniusand Its meaning to Us.

أى العبقرية اليونانية ومعناها لنا أى لقومه الانجليز أو للعصر الحاضر بوجه عام فلا داعى اذن لقصرها على أمريكا هنا وفى الكتاب أخطاء أخرى مطبعية وغير مطبعية تجعل من العسير فهم بعض عباراته ومتابعة طريقة تفكير المؤلفة .

والهنات التى ذكرتها لا تقلل بحال من تقديرى لما بذل الأستاذ المترجم من جهد ولحسن اختياره فى نقل هذا الكتاب الحافل بالأفكار والآراء والمعلومات لقراء اللغة العربية .

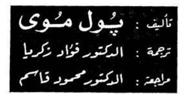
على أدهم

سطور من كتاب ...

« عبادة الانسان أو مذهب الايمان بالانسان ليست ضربامن عبادة الاوثان يقتصر على الهيلينيين وحدهم . فهناك ما يوحى بأنها كانت العقيدة المميزة للانسان فى طور تحضره فى كل زمان ومكان . فمن الواضح الجلى ، أنها على سبيل المثال ، العقيدة السائدة فى واقع الأمر ـ وان كان لا يعترف بذلك ـ فى العالم الغربى فى الوقت الحاضر » .

... تاريخ الحضارة الهيلينية

المنطق وفلسفة العلوم



الناشر مكتبة نهضة مصر « جزءان » ، عدد الصفحات ٥٤٠ مقاس ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٦٣ قرشا

يقع الكتاب بجزأيه فى ثلاثة عشر فصلا وخاتمة ، وهى : (١) المنطق وعلم النفس . (٢) المنطق (٣) الروح العلمية (٤) تصنيف العلوم (٥) موضوع العلوم الرياضية (٦) منهج العلوم الرياضية (٧) العلوم الطبيعية (٨) علوم الحياة (٩) العلوم الانسانية (١٠) النظريات الحالية فى الفيزياء الرياضية (١١) النظريات الحالية للعلوم الطبيعية (١٢) العمليات العامة للتفكير (الاستنباط والاستقراء) (١٣) العمليات العامة للفكر (تكملة) ـ التحليل والتركيب ـ الحدس (١٤) خاتمة .

العصر الذى نعيش فيه يعد بحق عصر العلم . واذا أمكن تقسيم الدول التى يقرب عددها من مائة أو يزيد قليلا الى قوية وضعيفة ، متقدمة ومتخلفة ، كبرى وصغرى ، وهى قسمة تنطبق على الواقع القائم بالفعل ، فانما يرجع ذلك الى شىء واحد ، هو العلم . فالدول التى تملك العلم هى القوية المتقدمة الكبرى ، وتلك التى لا تملكه هى الضعيفة المتخلفة ـ أو بتعبير مهذب النامية ـ والصغرى . لأن الذى يملك العلم يملك القوة ، سواء أكانت هذه القوة فى هيئة أسلحة حربية ترغم الدول المجردة من العلم على الخضوع والاستسلام ، أم فى هيئة مكتشفات تذلل الطبيعة وتيسرها لخدمة الانسان . ولا مكان لدولة لا تسير فى موكب العلم فى هذا العالم . وقد أشار الرئيس جمال عبد الناصر الى هذا المعنى فى كثير من خطبه فى عيد العلم . ثم خطت الجمهورية العربية المتحدة نحو العلم خطوات منظمة ، فأنشىء المعهد القومى للبحوث ، وأنشئت وزارة البحث العلمى .

ولكن ما دخل « البحث » العلمى فى العلم ؟ ليس العلم فى الواقع شيئا آخر سوى البحث العلمى .

انه منهج ، طريقة ، روح ، حتى اذا سار العالم على المنهج الصحيح فى بحثه استطاع أن يبلغ العلم . ان العلم الذى يحصله المرء بغير منهج ولا بحث لا يعد علما ، بل « معلومات » يأخذها عن غيره ، ويحفظها ، ولكنه لا يبتكرها اذا منعت عنه . فلا غرابة أن تحتل مناهج البحث فى العلوم مكان الصدارة فى المطالب العلمية .

ولم يغب هذا المعنى عن ذهن المؤلف الذى وضع لكتابه عنوانا غريبا ، أو على الأقل يجده القارىء الذى لم يدرس الفلسفة كذلك ، وهو : المنطق وفلسفة العلوم . فما الصلة بين المنطق ، وبين فلسفة العلوم ؟ وأين هذا « البحث العلمى » الذى نزعم أنه المحور الذى يدور العلم عليه . قال المؤلف الذى حذف المنهج العلمى من عنوان الكتاب ما نصه فى صفحة ٥٨ من الجزء الأول :

« وسوف نخصص الجزء الأكبر من هذا الكتاب للبحث فى المناهج ، وسنستخلص الأمثلة التى سنوردها من تاريخ العلوم . وسوف تتاح للقارىء فرص عديدة للالمام بهذا التاريخ » .

ويرى المؤلف أن اسم « فلسفة العلوم » يطلق على شكل من أشكال المنطق ، وانه يمر بمراحل أربع هى (١) تاريخ العلوم (٢) مناهج البحث العلمى (٣) الابستمولوجيا (٤) نظرية المعرفة .

وهذه الدراســـات المتنوعة يرتبط بعضها ببعضها الآخر تماما ، وتعد عملية واحدة ، اللهم الا تاريخ العلم الذى ربما كان فصلا تمهيديا فى تطور العـــلم ، فيستطيع عالم الطبيعة مثلا أن يضرب صـــفحا عن نظريات العـــلم الطبيعى وفلسفته التى سادت منـــذ أرسطو الى ثلاثة قرون مضت . وقد ظهرت الحاجة حديثا الى مباحث خاصـــة فى تاريخ العلوم ، فانشئت فى بعض الجامعـــات كراسى لهـــذه المادة ، وأصدر الأساتذة المنقطعون الى هذا الضرب من الدراسة التاريخية كتبا قيمة ، نذكر منها كتاب «سارتون» فى تاريخ العلم ،والذى صدر منـــه مجلدان كبيران ، وقد نقل المجلد الأول الى اللغة العربية ، ويتحدث المجلد الثانى عن القرون الثلاثة قبل الميلاد ، وهو يترجم الآن الى العربية .

وهـــكذا فان بعض الباحثين يرى أن فلسفة العلوم ، تختلف عن تاريخ العـــلوم ، وكلاهمـــا يختلف عن مناهج البحث العلمية ، على الرغم مما بينها من صلات . ولكن طريقة مؤلفنا بول موى ، فرنســـية ، تجمع بينهـــا ، وتجعـــل « الفلسفة » أصلا يتفرع عنه سائر ما ذكرنا .

ولا غرابة فى ذلك ، فغرام الفرنسيين بالفلسفة معروف مشهور .

ولكن الذى نأخذه على المؤلف ليس غرامه بالفلسفة بمقدار ما نأخذ عليه غرامه بالفلاسفة الفرنسيين . ذلك أن آلهـــة الفكر عنده سلسلة من الفلاســـفة تبدأ بديكارت وتمر ببســـكال وأوجست كونت وتنتهى فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ببوانكاريه ، وبوترو ، وبرجسون .

ولما كانت الفلسفة الفرنسية ممثلة فيمن ذكرنا فلسفة عقلية ، فلا جرم أن يصطنع المؤلف هذا المذهب العقلى ، وأن يدافع عنه ، وأن يهـــاجم برجماتية الأمريكان ، وتجريبية الانجليز — ولكنه لم يهاجم مثالية الألمان . يقول فى الجزء الثانى ص ٢٨٠ بعنوان : دفاع عن المـــذهب العقـــلى :

« وهنـــا تعرض لنا مســـألة أكثر تعقيدا من الســـابقة تؤدى بنا الى اتخاذ موقف مضـــاد لبرجسون ندافع فيه عن المذهب العقلى ، الذى يدمج فى العقـــل كل الوظـــائف الذهنية حتى اللذة والألم والميول والارادة » .

ونذكر على سبيل المثال نقد البرجماتية ، كما ورد فى الجـــزء الأول ص ١٧ : « كان جيمس والبرجماتيون يفخرون «باتساع أفقهم» . ولكن الحق أن هذه الروح الفضفاضة تبلغ حدا يؤدى الى القضاء على كل معنى لكلمة « النافع » عندما كانوا يعرفون الحقيقة عن طريق المنفعة .. الخ » . ولسنا فى حاجة الى بيان أن البرجماتية لا تقول « بالمنفعة » .

وللانصـــاف نقول ان المؤلف يشـــيد بذكر « كانط » بوجه خاص ، ويضعه دائما فى صف واحد الى جانب ديكارت .

ومهما يكن من شىء فالـــكتاب نافع ، هـــام ، وضرورى لكل مشتغل بالبحث العلمى فى المرحلة الثورية التى يجتازها فى الوقت الراهن . ونحن فى حاجة الى أكثر من كتاب فى هذا الموضوع ، ينقل الى اللغـــة العربيـــة ليســـتفيد منه طلاب البحث .

يبـــدأ الكتاب ، أعنى فى أول صفحة منه ، بتعريف علم النفس . ولـــكنه لم يذكر فى هذه الصفحة الواحدة تعريفا واحدا ، موحدا ، بل ثلاثة تعاريف هى على التوالى :

(أ) علم النفس هو العلم الوصفى للظواهر النفسية ، وهو يفحصها من جهة تضـــامنها وتنوعها .

(ب) وفى آخر الصفحة يقول : علم النفس ؛ وصف الظواهر العقليـــة من حيث تضـــامنها وتنوعها .

(ج) وفى السطر التـــالى مباشرة : ان علم النفس هو دراســـة الظواهر الذهنيـــة ، وهو يتناولها فى تيار الشعور الذى تندمج فيه .

وليس اعتراضنا على تعريف علم النفس بأنه علم وصف الظواهر النفسية ، لأن مثل هـــذا التعريف يعد من تحصـــيل الحاصل . ولـــكن اعتراضنا على المصطلحات الثـــلاثة النفسية ، والعقليـــة ، والذهنية ، أهى مترادفة تدل على مسمى واحـــد ، أم مختلفة وتـــدل على ثلاثة مسميات ؟ وما الفرق بين النفسى ، والعقلى ، والذهنى ؟ وهل هذا الاضطراب راجع الى الأصل الفرنسى ، أم الى الترجمة العربية ؟ .

ان الذى دفع المؤلف الى التعرض لعلم النفس فى ابتداء الكتاب ، أو الحديث عن المنطق وعلم النفس فى الفصل الأول ، هو تلك النزعة التى سادت فى القرن التاسع عشر بوجه خاص تريد أن تلغى المنطق ، وأن تجعل منه بابا من أبواب علم النفس ، لأنه هـو الذى يبحث فى التفكير وطرائقه . ولـكن وصف عملية التفكير شىء ، والسير فى الاستدلال بطريقـة نصل منها الى الصواب شىء آخر . أو — وليأذن لنا المؤلف أن نستعير من مؤلفينا العرب تعريفا للمنطق — كما يقول صاحب البصائر النصيرية فى علم المنطق : « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها الى أن يصـير المجهول معلوما . وهذا الترتيب ليس ببديهى ؛ فلابد من قانون يفيد ذلك الترتيب وهو المنطق » . فالمنطق — فى نظر المؤلف — من العلوم المعيارية ، أى التى تضع معيارا للخطأ والصواب كالحال فى الأخلاق وعلم الجمال وهذه الوجهة من النظر قديمـة ، ولـكن يبـدو أن الفرنسيين لا يزالون يتمسكون بها .

والمنطق فى الوقت الحاضر منطقان ، أحدهما القديم الذى بداه أرسطو واستمر أكثر من عشرين قرنا مع بعض التعـديلات . والثـانى المنطق الرياضى أو الرمزى ، والذى اكتمل فى أوائل القرن العشرين . حقا تطرق المؤلف الى ذكر هذا المنطق الرياضى ، ولـكنه ذكره فى صـفحات مقتضبة لا تتناسب مع عرضه للمنطق الأرسطى من جهة ، ولا مع منزلة المنطق الرياضى فى تقدم العلوم الحديثة من جهة أخرى . ويكفى أن نتأمل كتاب «أصول الرياضيات» لبرتراند رسل ، لنرى انه خصص الجزء الأول للمنطق الرياضى ، وتكلم فى الأجزاء الستة الباقية عن الفلسفة الرياضية . وانما فعـل ذلك لأن الأداة التى يسـتخدمها الرياضى فى مباحثـه الرياضـية هى المنطق الرياضى . وبهذه المناسبة نقول ان المؤلف لم يشر الى برتراند رسل — على الرغم من منزلته فى الرياضـيات والفلسفة والمنطق — سوى مرة واحدة مع هوايتهيد .

فهل يصلح المنطق الأرسطى منهجا للبحث فى العلوم ؟ والى أى حد ؟ .

يزعم المؤلف أن المنطق الأرسطى يمكن النظر اليه من جهتين ، الأولى من جهة اللغة وتركيبها ، والثانيـة من جهة فلسـفة العلوم . فالمنطق يكتسب — كمـا يقول المؤلف ج ١ ص ٥٥ — « أهمية جـديدة اذا ما طبق على العلم بدلا من اللغة » . وهنـاك اختلاف مزدوج بين منطق اللغة ومنطق العلم ، فاللغة تفتقر الى الدقة ، وكثير من ألفاظها يحمل أكثر من معنى . أما العلم فيستخدم لغة بلغت من الدقة حدا هائلا ، هى لغة الرياضة .

ولا نود أن نترك هـذا الفصل دون أن نشير الى بعض المصطلحات العربيـة التى تبعد عن المعنى المقصود ، ونذكر منها .

١ — « الـكلمات » فى هذه العبارة : « ولقد ذكرنا من قبل أن المنطق يدرس بوجـه خاص معنى الكلمات التى تدل على روابط منطقية ، وبخاصة روابط العطف ... » ج ١ ، ص ٥٥ . ونحن نعلم أن باب الألفـاظ فى المنطق الأرسطى يقسمها ثلاثة أقسام هى الاسم والكلمة والأداة . فالاسم يدل على مسمى وليس الزمن جزءا منه . والكلمة تدل على معنى فى زمان ، ولذلك كانت الأفعـال كلمات . والأداة لا تدل على معنى مستقل . فالخلاصة أن « الكلمات » فى العبارة السابقة يقصد بها « الألفاظ » أو « الأدوات » .

٢ — المقولة الأولى هى الجوهر أو الماهيـة ousia (ص ٣٩) . ولفظـة « أوسـيا » يونانية ، عربت بقولهم الجوهر ، وقد تفيـد الماهية . ولكن فى هـذا المقام تدل على الجوهر فقط ، اذ لا توجد مقولة اسمها الماهية ، كما هو معروف .

٣ — الصـــفة أو المحمـــول Prédicat (ص ٤٠) . ومناسبة هذه العبارة جاءت عند الكلام عن الرابطـة التى تعبر عن علاقة بين حدين ، وهى فى المنطق القديم علاقة تلازم ، وهى « علاقة الموضوع بالصفة أو بالمحمول » . ولنا على هذه العبارة ملاحظتان ، الأولى أن المنطق يعنى قبل كل شىء بالدقة وتحديد معانى الألفاظ ولا يمكن أن يستخدم المترادفات بمعنى واحد .

فالصـــفة شيء ، والمحمول شيء آخر . ولذلك ينبغي الحصر . وفي هذه العبارة المحمول هـو المصطلح المقابل لفظة Prédicat ، وهو المقـابل للموضوع .

٤ ـ صفحة ٤١ « المبدأ أو الشرط » في هذه العبارة : « أما الحكم الشرطي فهو حكم مركب ، يؤكد وجود علاقة بين حكمين أحدهما المبدأ أو الشرط .. الخ » . وهنـــا نجد التأرجح بين مصطلحين مما لاحظناه سابقا . والمبدأ أو الشرط لا يقال أي منهما صفة للجزء الأول من القضية الشرطية ، وانما يقال « المقدم » و « التالي » . والمثال الذي ضربه المؤلف « اذا انخفض مقياس الضغط الجوي (المقدم) فسوف يسقط المطر (التالي) » .

٥ ـ صـفحة ٤١ الاحتمـالات Alternatives في هذه العبارة : « وأما الأحكام الانفصالية فهي عدة احتمالات نثبت بها أن عددا معينا من الأحكام يستبعدكل منها الآخر » والذي جرى عليه العمل في ترجمة هذا المصطلح هو بديل ، وبدائل .

٦ ـ صفحة٤٦العرضية وتقال ضد الضرورة، وانظر صفحة ١٠٩ « والذي يقال ضد الضرورة هو الحدوث ، وفي بعض الأحيان الامكان ، أما الذي يقال في مقابل العرضية فهو الذاتية .

٧ ـ ص ٥٥ : استدلال التفنيد وهو برهان الخلف المعروف في الرياضة . وقد وضع المترجم هذا المصطلح الصحيح في معجمه ، وأشار الى الفصل الذي ورد . فيه . ولكن يبدو انه نسي ان يصحح المتن .

* * *

الفصـل الخاص بالروح العلميـــة من أهم الفصول وأخصبها . وعلى غير عادتنا في تلخيص الموضوع ثم ذكر الملاحظـات عن الترجمة ، نبدأ بالملاحظات لأنها يسيرة . ففي صفحة ٦٣ الجبر المحض ترجمة مصطلح Fatalism ، وفي المعجم أنه « القـــدرية » ، وفي صفحة ٨٠ أنه الجبر المطلق . أما « القـدرية » التي وردت في المعجم فانه مصطلح خاص في علم الكلام يدل على فرقة المعتزلة القائلين بالحرية لا بالجبر . ولست أدرى لم يضاف الى الجبر لفظ « المحض » أو «المطلق» وفي الجبر والجبرية كفاية .

وفي صـــفحة ٨٩ أرقام تسـلسلية Cardinaux وهي الأعداد الأصلية ، كما ذكر في صفحة ١٤١ . وبهذه المناسبة لا يقال أرقام أصلية ، بل أعداد ، لأن الأرقام تدل على الأعداد من ١ الى ٩ فقط .

والروح العلميـــة اذا تمكنت من صاحبها جعلتــــه يتصف بأوصاف خاصة كالنزاهة ، والصبر ، والشجاعة ، والزهد ، وانكار الذات ، وتقبل النقد ، وأن يكون العالم على ثقافة واسعة ، ومعرفةبالفلسفة والفن ، أو كما يقول كلود برنارد ص ٧٧ : « انني رغم نفوري من المذاهب الفلسفية أحب الفلسفة حبا جما ، وأجد متعة كبرى في صحبتهم . فالفلاسفة يبحثون دائما في المسائل المختلف عليها ، ويقفون في مستويات رفيعة ، أي عنـد الخطوط القصوى للعلوم ، وبهـــذا يضفون على التفكير العلمي حركة تبعث فيــه الحياة وتسمو به ... » .

ان الروح العلمية تؤمن بالعلم ومبادئه ، وعلى رأس هذه المبادىء « الحتمية » أي انه لا يقع حادث صدفة ، وأنه اذا توافرت ظروف معينة فلا بد من وقوع الحادث ، أو يتحتم وقوعها . فاذا عجز العالم عن معـرفة السبب في وقـوع ظاهرة ما ، فليس معنى ذلك تدخل قوى خفية غيبيـــة ، بل معناه أنه يجهل شرطا من شروط الظاهرة .

وتصنيف العلوم باب من أبواب فلسفة العلوم ، أو مناهج البحث . ولست أدرى لم عدل المؤلف عن طريقته التي جرى عليها خلال فصول كتابه من تتبع تاريخ الموضوع منذ عهد اليونانيين حتى الآن ، فلم يذكر تصنيف أرســطو للعلوم على شهرته ، ولا تصنيف الاسكندرانيين ، وبدأ من بيكون ومن أوجست كومت . أما تصنيف بيكون فانه يعتمد على ملكات الانسان النفسية التي رأى في تصـوره أنها هي الأســاسيـة ، وهذه الملكات

هي الذاكرة والخيـال والعقـل ، وعنها ينبع التاريخ والشعر والفلسفة (أو العلم) . والتاريخ نوعان التاريخ السياسي والتـاريخ الطبيعي . والفلسفة تبحث في موضوعات ثلاثة هي الله والطبيعـة والانسان . ومن الواضح أن هذا التصـنيف معيب ومتـداخل . أمـا تصـنيف أوجست كومت فانه يقسم العلوم قسمين نظرية وتطبيقية ، والنظرية ستة علوم اساسـية تبعا لتسلسلها من الأدنى الى الأعلى ، وهي الرياضة ، والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع . وعلى الرغم من تقـدم العلوم في العصر الحاضر واختلاف تصنيفها عن تصنيف أوجست كومت ، غير أن المؤلف « مع ذلك سوف يتبع الخطوط الرئيسية للتصنيف الوضعي ، اذ أنه لا يزال ينطبق الى حـد غير قليل على ترتيب العلوم على النحو الذي تدرس عليـه . واذن فسنبدأ بدراسة العلوم الرياضية من حيث موضوعها ثم من حيث منهجها . وننتقل بعد ذلك الى العلوم الطبيعيـة (على الفلك والفيزياء والكيمياء) . ثم تأتي علوم الحياة . ثم نخصص فصلا للعلوم الأخلاقية التي تتجاوز علم الاجتماع الى حـد غير قليل . وأخيـرا نلم الماما سريعا بالنظريات الحديثة في علم الطبيعـة » ج ١ ص ١١٤ .

* * *

نخلص من ذلك أن ثمة ثلاث مجموعات من العلوم ، وثلاثة مناهج أساسية المجموعة الأولى هي العلوم الرياضـية وتتبع في بحثها المنهج الرياضي . والثانيـة هي الطبيعية والبيولوجية وتتبع المنهج التجريبي ، والثالثة العلوم الانسانية ولـكل منهـا منهج يلائمها الى جانب خضوعها للمناهج العامة .

يعتمد المنهج الرياضي على البديهيات والمسلمات والتعريفات ، ومنها يستخلص النتائج عن طريق الاستنباط . ومن هنـا جاءت وثاقة العلوم الرياضية لأنهـا بناء عقلي محض لا شأن له بالعالم الخارجي ، هذا العالم الذي يمتاز بالامكان لا بالضرورة . والبديهيـة ، كما جاء في تعريف المؤلف وفي الترجمة العربية : « قضية بلغت في ذاتها حدا من البداهة يجعلنا نعجز عن الاهتداء الى قضايا أشد بداهة منها لنبرهن عليها » . وهذا التعريف معيب منطقيا ، لأنه يعرف الشيء بنفسه وهـذا كقولك البديهي هو البديهي . ولو قيل البديهي ما كان بينا بنفسه أو واضحا بذاته ، لكان أفضل .

وتمر العلوم الطبيعيـة عند بحثها في مراحل ثلاث ، وصف الظواهر وملاحظتها ، ثم البحث عن القوانين ، ثم التحقق من صدق القوانين . فاذا اهتـدى الانسان الى القوانين الطبيعية استطاع أن يهيمن على الطبيعـة ويسـخرها لمصلحته . وقد فطن ديكارت الى أهميـة العلم في تسخير الطبيعة فقال : « بدلا من هذه الفلسفة النظرية التي تعلم في المدارس يمـكن الاهتداء الى طريقـة عملية تتيح لنا — متى عرفنا قوة وآثار النـار والماء والهواء والنجوم والسـماوات وجميع الأجسام الأخرى المحيطة بنا بمثل الدقة التي يعرف بهـا مختلف مهن الصناع لدينا — استخدام جميع هذه القوى في كل الاستعمالات التي تصلح لها . وبهذا نصبح سادة مسيطرين على الطبيعة » ج ١ ص ٢٠٤ .

هذا الأمل الذي كان يراود ديكارت منذ ثلاثة قرون أصبح اليوم حقيقـة شائعة . فقد كان المعروف منذ عصر الفلسفة اليونانية أن النظر أسمى من العمل ، وأن المفكر النظري أعلى مرتبة من الصانع اليدوي . وليس الأمر اليوم كذلك ، اذ لا انفصال بين النظر والعمل ، وانما هما عملية واحدة يعضد كل منهما الآخر ، فكلما اهتدينـا من التجربة الى نظرية نزلنا مرة أخرى الى ميدان التجربة لتحقيقها ، وهـكذا . وقد بدا العلم التجريبي بمعنى الـكلمة مع قواعـد جون سـتيوارت مل المشهورة ، ولـكن قواعـد مل تفترض أن الظواهر تنطوي في ذاتها على التفسير والواقع أن التفسير يجلبه الانسـان بتفكيره ويفرضه على الأشياء . والمنهج المعدل في الوقت الحاضر منهج ايجابي حي ، ينحصر : « في الصعود

من مجـــال التجربة الى عالم العقل ــ أى عالم الصيغ والمعـادلات ــ ثم نعود فنهبط الى عالم الواقع لكى نضمن الصلة بين المعقول والواقع » ج ١ ص ٢١٩ . ثم ان الظواهر تحتاج الى تحديد واختيـــار ، ثم قياس المختـار منها وتصحيحها وتفسيرها . وعملية القياس تعبير عن الظاهرة بصيغة علميـــة مضبوطة ، وذلك باستخدام الأجهزة . مثال ذلك أن الترمومتر يقيس درجة الحرارة قياسا مضبوطا .

* * *

والعلوم الانســـانية تدرس الانسان من حيث هو فرد ومن حيث هو عضو فى جماعة . وترجع صعوبة البحث فى العلوم الانســـانية ــ فى نظر المؤلف ــ الى أمرين همـــا التضاد بين الحتمية وحرية الاختيار ، وتباين هذه العلوم .

ولـكن العلوم الانسانية منـذ سلكت منهجا وضعيا ، وتجريبيا ، أخذت تتجه شيئا فشيئا نحو الحتمية ، مثلها مثل العلوم الطبيعية . فهذا علم النفس خطا نحو الحتمية خطوات واسعة ، وأصبح كثير من كتبه يحذف منه الباب الخاص بالارادة وهـو البـاب الذى يدل على حـــرية الانسان واختياره . والتاريخ يخضع لحتميته ، وهناك كثير من المذاهب فى فاســـفة التـاريخ تفترض فى أساسها هذه الحتمية التى تمكن المرء من التنبـؤ بمســتقبل البشرية . وحتى القيم نفسها أصبحت تخضع للقياس ، وبذلك أصبحت علما كسائر العلوم .

ان التقدم فى مناهج العلوم الانسانية تقدم سريع جـدا ، بحيث أصبح من العسير الرجوع الى هذه المناهج التى كانت متبعة منذ نصف قرن مضى سواء فى علم النفس أو علم الاجتماع أو علم التاريخ .

* * *

ويبدو ان المؤلف كان متفائلا بالدور الذى يلعبه العلم فى حياتنا ، ففى خاتمة الكتاب يقرر أن قيمة العلم لدى الانسان لا تقدر ، وهذا بصرف النظر عما حققتـــه الصناعة وعلم الصحة والطب من قوة ورخاء للانســـان باسـتخدامه الكشوف العلمية لأن قيمة هـــذه الكشوف تتوقف على طريقة انتفاع الانسان بها ، أيستخدمها فى دمار العالم وافناء البشر ام فى الانغماس فى حياة رغدة ولكنها تافهة ..

والمقصود من ثمرة العلم واتباع روحه ، ازدياد شعور الانسان بالعالم الذى يعيش فيه ، وازدياد شعوره بذاته ، ومدى ارتباطه بالبيئة البيولوجية والاجتماعيـــة والتاريخيـــة . ثم ان روح العلم ــ فيما يقول المؤلف ــ دفعت الانسان الى نوع من الزهد هيأه لممارسة أفضل حياة أخلاقية ، وأصدق حياة دينية .

وهذه قضية عويصة لا نود مناقشتها ، ولكننا نتساءل ، ولعل القارىء قد تساءل كذلك ، أحقا أصبحت الحياة الأخلاقية مع تقدم العلوم أفضل مما كانت ؟ وهل ازداد ايماننا الدينى مع تقدم العلم ؟ والم يكن جان جاك روسو على حق فى قوله ان الحضـارة المادية افسدت الانسان ، وعلينا بالرجوع الى الطبيعة ؟ .

والعبرة التى نأخذها من قراءة هذا الكتاب ، اذا شئنا أن نلحق بالغرب ، هى أن نبدأ بما بدأ به بعد عصر النهضة متخذا له هـــذا الشعار « اقرأ كتاب الطبيعة » .

د . أحمد فؤاد الأهوانى

فتوحاتٌ علميَّة

تأليف : والدمار كمفرت

الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٣٢٧
ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٦ قرشا

ترجمة : يوسف مصطفى الحاروني

مراجعة : الدكتور عبد الفتاح اسماعيل

هذا الكتاب — فى رأينا — من الكتب العلمية الجيدة القليلة التى أتاح مشروع « الألف كتاب » ترجمتها الى اللغة العربية .

هذا اذا جاز لنا أن نعلق على هذا المشروع بكلمة تستهدف وجه الحق والمصلحة العامة . وسوف لا نجد بهذه المناسبة احسن من هذه الفرصة لفتح باب التعليق على هذا المشروع على صفحات مجلة « الكتاب العربى » التى أكدت على نفسها أن تفسح صدرها للنقد البناء . ثم اليس من حقنا ، وقد انصرم من عمر « الألف كتاب » نحو عشر سنوات أو أكثر او اقل . أن نضع المشروع فى الميزان ونتساءل بدورنا : هل حقق هذا المشروع أغراضه كما ينبغى ؟ وهل تطور مع الزمن ليجارى الثورة الفكرية والاجتماعية فى البلد ؟ وهل أقبل الناس بحق على قراءة الكتب التى صدرت فى هذه السلسلة رغم انخفاض أسعارها ؟ وهل أحسنت اللجنة القائمة على المشروع اختيار الكتب التى ترجمت او ألفت فيه ؟ وبالتالى هل احسنت اختيار المترجمين والمراجعين فى كل الأحوال ؟ وهل استأذنت أصحاب الكتب أو ناشريها فى ترجمتها ؟ ثم أين مصير هذه الكتب ؟ هل صحيح أن عددا كبيرا منها حبيس المخازن والرفوف ؟ ثم ما هى الصلة أو الصلات التى تربط هذا المشروع بمشروعات أخرى مماثلة تقوم بها هيئات حكومية أو مؤسسات عامة أو خاصة حتى لا يحدث ازدواج أو تكرار ؟ واذا لم يكن الاقبال كبيرا على هذه الكتب فما هى الأسباب والدواعى ؟ .

ان مثل هذه الأسئلة وغيرها كان الأولى والأجدر بالقائمين على مشروع الألف كتاب أن يسألوها أنفسهم ويعيدوا النظر فى تقييم المشروع على ضوئها ، كما يجب أن يتم نوع من التنسيق بين المؤسسات والهيئات المختلفة التى تترجم الكتب الأجنبية أو تقترح ترجمتها — يخضع لنوع من الرقابة من وزارة الثقافة والارشاد القومى ، حتى لا تتسلل كتب أجنبية لا تلائم مجتمعنا أو عاداتنا وتقاليدنا . اننا نود مخلصين ان نفتح الباب على صفحات « الكتاب العربى » لنسمع آراء المختصين والمهتمين من القراء بهذا الموضوع — على حد سواء .

ونعود لكتابنا موضوع الفحص فنقول ان مؤلفه قد اختار عددا من الموضوعات العلمية المتفرقة التى كان بعضها حديث الساعة منذ ظهر الكتاب فى أمريكا من نحو عشر سنوات ولا يزال البعض الآخر يشغل بال الكثيرين اما لطرافته أو لأن العلم لم يصل فيه الى حلول حاسمة .

وفى كلتا الحالتين عرض المؤلف موضوعاته عرضا مبسطا جميلا ، وأوفى كل موضوع منها حقه من الدراسة والبحث ، وظهرت فيها جميعا شخصيته وتعليقاته وفهمه العميق لما يكتب ،

ولم تكن مجرد سرد أو تجميع لحقــائق وآراء علمية مرصوصة .

ولقد مضت عشر سـنوات أو أكثر فيما بين ظهور الـكتاب باللغـة الانجليزية والترجمـة العربية ، مما حدا بالسيد المترجم أن يحذف بعض الفصول التى لم تعد ترجمتها مجـدية بالنظر للوثبات الكبيرة التى خطاها العلم خـلال تلك المدة ، وان كان الواجب يقتضى مع ذلك مراجعة المؤلف فيها .

والكتاب المترجم يقع فى خمسة عشر فصلا هى على الترتيب : القنابل الذرية . القلوب والرئات الصناعية ــ التحكم فى الجو ــ الوقود الذرى ــ هل يستطيع العلم أن يخلق الحياة ؟ ــ الحظ ــ التغير العلمى يعنى التغير الاجتماعى ــ تلسكوب بالومار العجيب ــ المسرح النفسى ــ الطـاقة الشمسية ــ النظرة الحديثة الى الانسان وجسمه ــ الدورية فى شئون الانسان ــ العقلية العلمية ــ لغز السرطان ــ بريق الكنز الفارق .

ونحن نضيف أن الموضوعات : الثانى والثالث والرابع والتاسع والأخير منها تعتبر أيضا قديمة بالنسبة للتقدم العلمى الذى حدث فى هـذه المجالات فى وقتنا الحاضر .

ويمكننا حصر موضوعات الكتاب تحت أنواع مختلفـة من العلوم كعلم الطبيعة والبيولوجيا والأرصاد الجوية والفلك وعلم النفس والاجتماع ونحن لا نستطيع فى هذا المقال أن نلخص كل موضوع منها على حدة للقارىء ولكننا سنقدم فى حرية عرضا سريعا للكتاب لنبرز آراء الكاتب وطريقـة تفكيره ومعالجتـه لما تصـدى له مستشهدين بكلامه عند الاقتضاء .

واول ما استرعى نظرنا فى الكتاب هـو دفاع المؤلف عن العلماء وأساتذة الجامعات فى أكثر من موضع فيه وتصديه للرأى السائد بأنهم يعيشون فى أبراج عاجية بعيـدين عن مشاكل المجتمع . ففى صفحة ١٥ من الترجمة العربية ، على سبيل المثال ، يقول المؤلف **« ان أكبر الفتوحات فى دنيا الحرب كالدبابات والحروب الكيماوية والمفرقعات اتت جميعها على أيدى رجال مدنيين . وكذلك ظهرت القنبلة الذرية على أيدى أساتذة الجامعات »**

ويستطرد فيقول **« ورجل الجامعة النظرى ليس رجلا عاطفيا حالما كما يظن الكثيرون .** ويضرب مثـلا باينشتين الذى حمل الرئيس الأمريكى روزفلت على تبنى البحوث التى أدت فى النهاية الى القنبلة الذرية ببحوثه عن العلاقة بين المادة والطـاقة . ثم ان الـكاتب يقدس حرية العلم والعلماء وينتقـد بشدة محاولة العسكريين فى أمريكا السـيطرة على العلماء ، بل وسـيطرة المؤسسات الصناعية أيضا على العلماء فيقول فى صفحتى ٢٧٠ ــ ٢٧١ **« ولما كان العالم رائدا فى تفكيره فانه يجب أن يكون حـرا فى تعبيـره »** أو **« وحرية الكلام من الضروريات الأساسـية للعلماء »** **« ولو لم تتوافر هذه الحرية لاستقال الممتازون من العلماء »** ويضرب أمثـلة على ذلك منها أن احد العلماء الأفذاذ فى معامل شركة جنرال الكتريك . الشهيرة استـقال من عمله حين قرأ فى ردهات معمله ذات صباح لافتة كتب عليهـا « ممنوع التدخين » وللكاتب ايضـا تعليقات جميلة فى مجال العـلاقة بين العلم والمجتمع . انظر الى قوله (ص ٢٦٦) .

« والمجتمع هو الذى يقدم المشاكل التى تنبثق عن البيئة الواعية » أو قوله **« ولقد تردد كثيرا ان العلماء لا يشغلون انفسهم بالمسائل الاجتماعية والسياسية . وتلك تهمـة باطلة من أساسها ، فطالما فكر علماء الطبيعـة النووية فى موضوع الاشراف الدولى على الطاقة الذرية »** .

ثم يقول فى صفحة ٢٦٩ (الترجمة العربيـة ايضا) **« ورجال العلم فى أنحاء العالم يكونون نوعا فريدا من الاخاء والجماعيـة .. يجتمعون فى مؤتمرات دولية فيتبادلون المعرفة فى حرية تامة .. ويبذلون أقصى جهدهم لتحويل الشعارات عن الاخاء بين النـاس فى العالم اجمع الى حقيقـة واقعة »** .

أما فى الفصل الخاص بالعقلية العلمية فيقول انه فى الواقع لا توجد هنالك عقلية علمية باكثر من عقلية الاسكافى أو الفلاح ، ورجل القانون . ولكن توجد من ناحيـة اخرى **« الطريقة العلمية القائمة على التجربة والتحليل وتفسير الظواهر .** هذه الطريقة يتعلمها آلاف الطلبة كل عام وليس

تطبيقها وفقا على العامل وحـــدها . ويتوقف استـــخدامها على الاســـتعداد الفطرى للمرء وما اكتسبه خلال ثقافتــه وخبرته . ومن أهم عناصرها « النظرة الموضـــوعية ومقاومة التحيز والآمال وجميع العواطف بوجه عام . »

ويضرب الكاتب مثــلا الطريقة العلمية وكيف أدت الى انقلاب جذرى فى بعض العلوم بأربعة من العلماء : **هم باســـتير ومعالجتـــه لمشكلة التولد الذاتى ، وفولتـــا واكتشاف التيـــار الكهربائى المستمر ، وداروين والتطور ثم بافلوف والأفعال الانعكاسية .**

وفى الفصل الخاص بالسرطان يلخص المؤلف ما عرف عن هذا المرض ومحاولات علاجه ويتكلم عن أسبابه التى تكهن بها العلماء وعن العلاقة بين السرطان والهرمونات وبينه وبين الأنزيمات وكذا علاقته بالفــيروس ، ثم عن أنواع الأورام السرطانيـــة . ويخلص من ذلك بالرأى القائل بأننا لم نفهم هذا المرض حتى الآن فهما صحيحا . بل انه ليتساءل عما اذا كان السرطان مرضا على الاطلاق ، وفى ذلك يقول :

« **ان السرطان لا تنطبق عليـــه مواصـــفات الأمراض ــ انه ببساطة نمو شاذ جامح لا شكل له ، يقوم الجسم فيه بعمل الحاضن ، فيستشرى ويطغى على الأنسجة والأعضاء مسببا هلاكها ... ويتبين من هـــذا كله أننا لم نجد الطريق الى السرطان . ولكى نفهم لغزه يقتضى الأمر البحث عن سبب الحياة حيث أن مشكلة السرطان انما هى مشكلة الحياة ذاتها** » .

وفى الفصل الخاص بموضوع : هل يخلق العلم الحياة يتكلم باسهاب عن الفيروس والبروتينات ولا يذكر بطبيعة الحال الدور الذى يلعبه حامض النوويك فى كرموسومات الخلية الحية وفى تكوين البروتينات .

كما أنه فى الفصل الخاص بالنظرة الحديثة الى الانسان وجسمه يخلص الى القول بأن الــكائن البشرى شىء أكبر من أن يكون مجرد آلة منتجة للطاقة ، وهو يبرز أهميـــة الهرمونات فى احداث التوازن الكيماوى للجسم .

أما فى الفصل الخاص بالفلك وبدور حـــول تلسكوب بالومار فيسرد الكاتب معلومات فلكية طريفة عن الكون من خلال هذا التلسكوب الذى يبلغ قطر عدسته مائتى بوصـــة والذى أمكن بواسطته أن يمتد علمنـــا عن الكون الى بليون سنة ضوئية ، كما ظهرت بواسطته ولأول مرة مئات الآلاف من المجرات الســـماوية التى تضم ملايين النجوم .

وللمؤلف أيضا تشبيهات بديعة تتجلى فى قوله فى الفصل الخاص « بالدورية فى شئون الانسان » « يبـــدو أن كل شىء فى هـــذا الوجود يهتز ويتردد .. والحيـــاة ليست سوى سيمفونية معقدة يشترك فى عزفها جميع الكائنات » .

وفى هـــذا الفصل أيضـــا يبرز الكاتب أهمية الدراسات الاحصائية لدورات الأحداث والحياة فى أمكان التبوء والاستقراء بما سيكون عليـــه المستقبل فى حالات كثيرة .

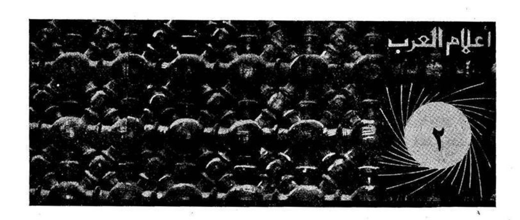
وهنا تتجلى العقلية الأمريكية التى تدور حول المال والاقتصاد وتبحث عن السنين التى يمكن أن يعم فيهـــا الرواج والرخاء وسنين الأزمات التى تهتز فيها سوق الأوراق المالية ! .

أما عن الفصل الخاص بالتغير العلمى والتغير الاجتماعى فيلخص المؤلف تطور الاختراع ومرور الانسان خـــلاله ثلاثة عصور هى : **عصر البخار وعصر الــكهرباء وعصر الألكترونيات وما صحب ذلك من تغيرات اجتماعيـــة أهمها تحرر المرأة وانفصام الروابط العائليـــة وزوال الفروق بين الطبقـــات** . وهو قد أغفل بطبيعة الحال عصر **الفضاء** الذى ظهر بعد ظهور الكتاب .

أما عن الفصل الخاص بالحظ فيختتمه بقوله « **ان الانســـان ولا شك كائن محظوظ وأعظم تصاريف الحظ وانفعها والتى يجب أن نقابلهـــا بالحمد والشكر ــ هى جهلنا بما ينطوى عليـــه الغيب وعدم مقدرتنا على التنبؤ بما سوف يحدث بين لحظة واخرى** » .

وتتضح سلاسة اللغة وجزالة الأسلوب العربى وتمكن المترجم من عمله بشكل بديع يستحق عليه الثناء والمدح . ولم يفت ذلك على السيد المراجع الذى أشار اليه فى حينه ، فى المقدمة القصيرة البليغة التى كتبها للكتاب . نسأل الله أن يكثر من أمثالهما .

د . أنور عبد العليم



المعتمد بن عباد

تأليف على أدهم

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
بالاشتراك مع مكتبة مصر • عدد الصفحات
٣٤٢ ص ١٤×٢٠ سم • الثمن ٥ قروش

كانت الأندلس – قبل المعتمد بن عباد – امارة ثم خلافة أموية موحدة ، يتوارثها أبناء عبد الرحمن الداخل ، ومنذ فتحها هذا الامير الاموى المغامر سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) جعلها – كما كانت قبله – امارة جامعة تلتف بعاصمتها قرطبة ، غير أنه استقل بها عن الخلافة الاسلامية (العباسية) فى المشرق ، ولم يترك لأمراء القوط المسيحيين الذين يجاورونها داخلها غير خلايا فى شماليها قليلة ، استأثروا بحكمها دونه ، وان لم يتخلصوا من نفوذه عليهم فيها ، وكانت هذه الخلايا أو نحوها مما أهمل امتلاكه المسلمون الذين سبقوه الى الأندلس ، حين فتحوها انتزاعا من القوط سنة ٩٢ هـ ، فلما تراخت أزمة الخلافة الأموية فى قرطبة بين أيدى المتأخرين من حفدته الضعاف – بدأ المسلمون المغامرون من العرب والبربر والصقالبة فى الأندلس ينزون على أقاليمها : كل حيث يجد له حولا وقوة . وهؤلاء المتغلبون هم « ملوك الطوائف » فيها ، وكان عهدهم بين عهود الفوضى التى انتهت بضياعها جميعا من أيدى المسلمين ، بعد أن ملكوها نحو ثمانية قرون ، فعادت الى حكم القوط . ومن ملوك الطوائف كان بنو عباد – أسلاف المعتمد – الذين نزوا على أشبيلية واقليمها الفسيح الخصيب ، كما نزا غيرهم على سواها من المدن والاقاليم .

وقبل انهيار خلافة الأمويين كانت قد زالت سطواتهم المتفرقة ، وكان آخر هذه سطوة حاجبهم ووزيرهم المغامر الكفء محمد بن أبى عامر الذى أقام نفسه وصيا على خلافتهم ، واستأثر بسلطانها دونهم ، واتخذ لنفسه لقب « المنصور » اسوة بالخلفاء الأمويين فيها ، والفاطميين فى

مصر ، والعباسيين فى العـــراق ، وكبت كل متغلب من المسلمين والمسيحيين فى الأندلس ، فلما مات سنة ٣٩٧ هـ تلاحقت عليها عوامل الضعف والتفكك ، حتى سقطت أخيرا سنة ٤٢٨ هـ ، فازداد نفوذ المتغلبين فى أقاليمهم ، واتخذوا العواصم لممالكهم ، وتعاظم المسلمون منهم بألقاب الخلافة ، ومن هؤلاء كان المعتمد بن عبـاد الذى ورث عن أبيـــه « المعتضد » مملكة أشبيلية ، كما ورثها أبوه عن جده الذى أسسها وهو القاضى محمد بن اسماعيل بن عبـاد ، والى عباد الأخير نسبت دولتهم فى التاريخ . وبعــــد أن استخلف المعتمد مد حدود مملكته حتى شملت جملة أقاليم أهمها اقليم جارته قرطبة التى كانت قبل عاصمة الخـــلافة الأموية الجامعة ، فلم يزدد بضمها غنى ونفوذا وأبهة فحسب ، بل حقق له الحظ بانتزاعها حلما جميلا طالما راود جده ثم أباه ، فسعيا له بلا جدوى ، مع أنهما كانا أكفأ منه ، وأخبر بتدبير شئون الحرب والسياسة .

وبينما كان مسلمو الأندلس ـ خلال عهد المعتمد وقبله ـ يزدادون تخاذلا وضعفا فيما يملكون من فسيح أقاليمها الخصبة ، ومدنها العامرة ، وحصونها المنيعة ، كان جيرانهم فى داخلها من أمراء القوط المسيحيين يزدادون تماسكا وقوة فى الخلايا اليسيرة التى تركت لهم فى شماليها ، فانتشروا من تلك الخلايا ، وبسطوا ملكهم على أقاليم كثيرة استردوها انتزاعا من المسلمين ، كما مدوا نفوذهم على أقاليم مثلها ، أعجزهم فتحها فتركوا حكمها لولاتها من خلفاء المسلمين واكتفوا منهم فى طغيانهم عليهم بالخضوع والاتاوات يؤدونها صاغرين . وكان المعتمد بين ضحايا هذا الطغيان كسائر الخلفاء الضعاف من جيرته ، فأفزعه ـ وهو أكبرهم شأنا ـ أن القوط يزدادون عنفا ومكرا ، يعاهدون ولا يفون بعهد ، ويعطون ما يطلبون فلا يقفون عنـــد حد ، وكلما تراخى المسلمون فسلموا لهم الاتاوات والحصون والمدن والبقاع الخصيبة دفعا لشرهم تمادوا فى مطالب جديدة ، فالتسليم لهم يهيج فيهم الحسد والحقد والطمع ، ويزيد طاغيتهم الملك ألفونسو (الأذفونش) عتوا وجرأة وعنادا ، فما كان من المعتمد ـ فى حرجه الدينى والدنيوى معـــا ـ الا أن استشار اخوانه من خلفاء الأندلس المبتلين مثله بطغيان القوط ، فاتفقوا على الاستعانة فى دفع هذا الطغيان بأبناء دينهم وقومهم فى المغرب ، وكانت قد ظهرت فيه يومئذ دولة المرابطين بزعامة أميرهم يوسف بن تاشفين .

وعبر يوسف الى الأندلس بعد مفاوضات طويلة ، فقاد كتائبه والكتائب الأندلسية التى حشد لتعزيزه الخلفاء ، وفى مقدمتهم المعتمد الذى كان أقوى جيرانه وأقربهم اليه وأشدهم عونا واخلاصا له ، والتقى هذا الجيش فى موقعة الزلاقة بجيش قوطى فطحنـــه وكاد يأسر قائده الملك ألفونسو ، لولا انه فر مع فلوله مثخنا بجراحه . وارتفع بذلك معظم البلاء عن المسلمين وأمرائهم هناك ، وكان المعتمد تحت قيادة يوسف من اكبر قادة هذه المعركة وأبرز أبطالها بسداد رأيه وصدق شجاعته ، وجوده فيها بنفسه وولده وجنده وماله . وجلا يوسف بعد انتصـــاره الى مملكته بالمغرب ، ثم عبر الى الأندلس بعد قليل فى حملة أخرى ناجحة ، ولكنه لم ينل فيها من التوفيق ما نال فى الزلاقة ، ثم جلا عائدا الى المغرب .

وكان قد راوده كما راود رجـــاله ـ بعد أن خبروا الأندلس بأنفسهم ـ أن يخلعوا أمراءها ، ويستبدوا دونهم بسلطانها ، وزادهم ضراوة بامتلاكها سوء حال المسلمين فيها ، وضعف ملوكها ، وخطل سياستهم الداخليـــة والخارجية ، وتربص بعضهم ببعض مع الطغيان المحيط بهم ، وبغيهم على رعاياهم المساكين مع استخذائهم لطغيان ألفونسو ، وهو ليس أشد منهم بأسا ، ولا أكثر جندا ، ولا أوسع ثراء وملكا . وشجعه على ذلك كثير من أولى الرأى والتدبير فى بلاطه بالمغرب ، وقواد كتائبه التى تركها فى الأندلس لمدافعة هجمات القوط ، كما شجعه ضـــجيج الرعايا التعساء اليه كى يحميهم من القوط والأمراء الظلمة الذين أرهقوهم ذلا وفزعا وفقرا ، وزاد ضجيج هؤلاء اليه حين أنسوا عدله وتقواه وهو يخفف عنهم مغارم الجباية والاتاوات ، وينشر بينهم أسباب الأمن والرخاء ، وزاده بعض فقهاء المغرب والأندلس عزما واقداما ، حين أفتوه لأسبابهم الصحيحة والمبهرجة ـ بوجوب خلع هـــؤلاء الخلفاء لظلمهم وضعفهم ، وانتزاعه منهم الحكم ، فسير كتائبه فى الأندلس لاستنزالهم عن عروشهم المتهافتة ، ونفاهم عنها الى المغرب ليكونوا تحت عينيه ويديه أو قدميه ، وكان المعتمد من هؤلاء المخلوعين المنفيين ، بل كان أتعسهم حظا ، مع أنه كان أولاهم بالرفق والصون ، لأنه كان أنبلهم خلالا ، وأكرمهم ماضيا حتى مع يوسف ، غير أن يوسف بدأه بالخصومة ، حتى اذا خلعه أسره هو وأهله ، ونفاهم الى المغرب صاغرين ، ولم يسترح بينهم من الأسر وشنعه الا من أنجاه الموت بالسيف فاستراح كريما ، وأما المعتمد ومن أبقى السيف من أهله فقد تركوا فى منفاهم بمضيعة وعذاب واصب ، يضطربون صغارا وكبارا فى ســـجنهم وأغلالهم وفقرهم وذلتهم ، بعد حرية الملك وعزه وأبهته وترفه ، وشدد يوسف فى التنكيل بهم دون مسوغ من عقل أو دين أو مروءة ، حتى ضن عليهم بما لا يضن به الحر على ضحايا أسره ، ولو كان أسراه من أخبث الحيوانات الضارية ، وطال عذاب كل منهم بقدر ما عاش حتى هلكوا جميعـــا .

هذه خلاصة شديدة الايجاز لأحداث حياة المعتمد وما مهد لها وصحبها من أحوال الأندلس والمغرب ، لا يعنينا منها أو من غيرها هنا الا ما لا غنى عنه فى التعريف بالمعتمد ، وهذا وحده هو موضوع هذا الكتاب « المعتمد بن عبـــاد » الذى صدر قبل سنتين لكاتبنـــا الألمعى الكبير الأســـتاذ على أدهم .

ونحن اذ نتقدم لتقرأ معنا هذا الكتاب ، ثم لنحدثك به ـ سنجرى على عادتنا معك فى المطالعة والحديث : فنحن

حين نطالع كتابا أو نحوه من آثار الناس وسائر الأحياء انما ننظر الى الأثر وصاحبه فيه : عين الى هذا وعين الى الآخر ، أو نراوح النظر بملء العينبن بين الجانبين : نظرة الى هذا ونظرة الى صاحبه من ورائه ، بحيث يتصل الجانبان عندنا فى حياة واحدة ، لأن حياتهما فى الواقع واحدة ، وعلى وفق هذا النظر الى الأثر يكون الحديث به، فيشمله مع صاحبه ، ثم هو كما ينبغى له بعد ذلك لا يعدو أن يكون حديث قارىء صديق الى مثله لا حديث ناقد الى قارىء . وهـــذا المنهج الذى نؤثره ـ كما هدتنا اليـــه الفطرة ، وزكته التجربة ، ووطدته العـــادة ـ هو عندنا أوفى المناهج وأنفذها فى المطالعة وما يليهـــا من تعليق ، ولا عدول لنا عنه سواء أنجح المؤلف فى أن يصدق التعبير عن ذات نفسه خلال ما نطالعه له ، أم قصر فى الصـــدق والاداء ، فالتمكن من هذا المنهج ـ فى كلا الحالين ـ كفيل بالكشف عن الحقيقـــة من أدنى طريق . ذلك أن الوعى يستلزم أن يكون لكل فعل فاعله ، ولكل أثر مؤثره ، ومن آيات الأصالة فى أى أثر أن يكون من صاحبه فيه ما فى الولد من أبيه ، وقد تتسع الفروق بين الأولاد ، ولكنهم ـ دون شك ـ يتشابهون اذا التقوا بأصالتهم فى أب واحد ، ومهما يتشابهوا فلا بد أن يتباينوا ولو كانوا توائم ، لأن الولد مهما يشابه أباه لا ينقله كله بل يختلس بعضه دون بعض ، وكذلك تأخذ أعمالنا منا ، فتدل علينا كما ندل عليها ، لأنها ضرب من النمو المتصل بنا أو المنفصل عنا ، وكل ما يخالجنا أو يصدر عنا لا يعدو أن يكون نموا لنا متصلا أو منفصلا ، وهذا الاختلاف بين أعمالنا دليل اصالتها هى وخصبنا نحن أيضا . واذن فكل ما يبصرنا بصاحب أثر فهو عون على فهم الأثر نفسه ، وان لم يزدنا متعة ولا منفعة به ، وحسبنا بهذه المعرفة متعة ومنفعة ما دمنا نعقل ونحيا ، ومثل ذلك فى العون على فهم أى أثر كل ما يبصرنا بنشاط صاحبه فى نظائر هذا الأثر .

هذا المنهج « النفسى » فى المطالعة تمهيد لازم لنظائره فى « الوصف » و « النقد » و « الموازنة » وغـــيرها من التعليقات ، ولهذا لا أخالنى مضيعا حقا لأحد قراء هذه الترجمة ، ولا سارحا معه فى غير الاتجاه الصحيح فيها أو اليها ـ اذا شمل حديثى بها حديثا آخر يلفها بأصولها فى شخصية صاحبها ، وبنظائرها فى سائر مؤلفاته ، ما دام فى الكشف عن الصلات الحيوية بينهما كشف عن الترجمة، ثم عقد صلات مثلها بينهما وبين القراء ، وقد يكون وراء ذلك تأسيس صلات مثلها جديدة بينهم وبين من يشبه المؤلف أو يخالفه فى نموذجه بين « النماذج الانسانية » ، واستحداث صلات مثلها بينهم وبين ما يشبه هذه الترجمة أو يخالفها فى نوعها بين « الأنواع الأدبية » . والمعول فى كل ذلك على من يحسن القياس حين يعايش الأشـــياء والناس : فيقابل خلال معايشة الأمثلة ما بينها من وجوه الشبه ، وما بينها من وجوه الخلاف ، فان كلا القياسين يمضى بنا الى « وعى » أفضل للأمثلة ، وقد يؤدى بنا من ورائها الى « القانون » الذى يشملها وغيرها ، وهذا أكبر عون لنا على الفهم والتمييز والتقدير فيما يجمع ويمنع .

واذ كان علينا ـ معشر القراء الأصدقاء ـ أن نعرف فيما نطالع كيف نطالعه ، وفيما يقال : كيف قيـــل ، وان نستشف منه ما لم يقل ، وأسباب ذلك كله ـ فلا بد لنا خلال الجولة الأولى فيما نطالعه أن نداخل مؤلفه فى اهابه ونعايشه فيه خلال عمله ، ونرخى أزمتنا له ، ونجـــاريه حيث يأخذ ، ولو خالفناه بعد ذلك فى كل ما أخذ به . واذن فلا بد لنا خلال جولتنا هذه أن نحاول بلوغ غاية قدرته معه ، أو ندانيها على الأقل ، ولو فى هذا الشوط وحده ، حتى نرى كيف ينظر الى موضوع تأليفه ومن أين ينظر ، وما ظهر له منه وما خفى عليه ، وما ذكره صراحة أو كناية وما سكت عنه عمدا أو عفوا ، وما رضـــيه وما رفضه ، وما قدمه وما أخر ، وأسباب ذلك كله فى تقديره وفيما كان ينبغى أن يقدر ، فمن لم يستطع ذلك فلن يبيح له المؤلف كل ما أودع فى تأليفه من أسرار ، وهو ليس بالقارىء الصديق أو الأمثل للمؤلف ، فضلا عن أن يكون له الناقد الامام أو الناقد المستشار . أو هو ليس على الأقل بالقارىء الصديق لمن يشابهون الأستاذ أدهم فى عمقه وتورعه وحيطته وعفة قلمه ، مع اضـــطراره الكثير الى الخوض فى المحرجات ، وحسبنا منها الخصـــومات بين الآراء ، والخصومات بين الأعمال ، وهذه من أكبر محاور كتابته وأكثرها نشاطا ، لأن المجال الثقافى لكاتبنا ـ كما يبدو من مؤلفاته منذ بواكير شبابه حتى اليوم ـ هو المجال الذى يلتقى فيه التاريخ بالفلسفة ، وما يحفه من النقد والأدب ، وهذا كما نرى مجال مشتبك من عـــدة مجالات انسانية : كل منها حافل بأعنف الخصومات ، وكاتبنا يلتزم بين هذه الخصومات « مجلس القاضى المتصوف » فى عدله وحياده وحرصه على « الآداب العامة » بل هو يلتزم هذا فى خصومات الناس له وان كان هو لا يخاصم أحدا ، فلا بد لنا معه فى فهم أسلوبه وفهمه هو أن ندرك حدود ضروراته ، لندرك أسرار كلامه مع عمقه فيه وتورعه وحيطته وعفة قلمه ، واذن فلا بد لنا من النظر الى الكلام والمتكلم معـــا .

وكل ما قدمناه هنا من توضيح يسير للمنهج «النفسى» وتعمق لبعض غاياته البعيدة ـ قد يبدو استطرادا للتبشير بمنهج نؤثره لأسبابنا بخاصة ، وليس الأمر كذلك فحسب ، بل هو أيضا توضيح لمنهج الأستاذ أدهـــم فى كل ما كتب ولا سيما ترجمته للمعتمد التى هى موضوع هذه المقالة ، وفهم هذا المنهج لازم فى فهمها هى وسائر مؤلفاته ، ولازم فى فهمه هو ومنحاه فى الكتابة أيضا ، ولا يبدو نزوعه قويا الى هذا المنهج كما يبدو فى تراجمه بخاصة وفى ترجمتـــه للمعتمد بوجه أبين وأخص ، وسنرى أنه لو لم يســـعفه منهجنا أو منهجه هذا فى ترجمة المعتمد لانتكست جمـــلة من حيث هى ترجمة ، ولوجب اذن رفضها بغلافها ، ولكن

كاتبنا لم يعول فيها كما عول على هذا المنهج العبقرى ، فلم يكن ذلك فيها من أكبر أسباب فلاحه فحسب ، بل كان أيضا من أكبر أسباب ارتفاعها هى على كل تراجمه السابقة ، ومن أكبر أسباب ارتفاعه هو على نفسه او على المعهود من آفاقه ، حتى بلغ ذروة لم يبلغها فى ترجمة سابقة . وقد دلل بهذه الترجمة فى شيخوخته على انه لم يزل حولا كما ينبغى للكف، كلما واجه جديدا من الأمور ، وأن قريحته لم تزل تنمو وتتجدد ، وتواجه المواقف والشخصيات الجديدة بما يليق بها من أهبة الأستاذية وقدرتها على التحليق حيث يلتقى الواقع بالأحلام ، والحقيقة بالخيال ، وهذا هو الجديد فى هذه الترجمة دون تراجمه السابقة .

ونحن نعرف لمؤلفنا قبل هذه الترجمة كثيرا من مؤلفاته، وان كنا لا ندعى الاحاطة بها قراءة ولا خبرا ، ونعرف بينها كثيرا من التراجم القصيرة لشخصيات شرقية وغربية ، قديمة وحديثة ، ونعرف من تراجمه المسهبة ترجمته لمتزينى أحد زعماء ايطاليا ومحرريها فى العصر الحديث بعنوان « متزينى » وترجمته لعبد الرحمن الداخل بعنوان « صقر قريش » وترجمته للمنصور محمد بن أبى عامر بعنوان « منصور الأندلس » وهذه التراجم تسلك صاحبها بين المجيدين من كتاب التراجم فى العالم ، وبين شخصياتهم من هم أكبر من المعتمد ، ولكنا حين نستعرض هذه الشخصيات ، ونوازن بينها وبين المعتمد ـ يبدو لنا أن مؤلفنا لم يمتحن بشخصية أكثر تمردا على الترجمة من شخصية المعتمد ، ولا سبب لذلك الا لطف عناصرها وتفلتها، وان تكن جملة وتفصيلا فى غاية من الوضوح ، كما أن أخبارها كأوفى ما تودى أخبار من صاحبها ، ومصادر هذه الأخبار كثيرة قريبة التناول ، ولكن استيعاب كل أخبار المعتمد من شتى مصادرها لا تكفى وحدها لبعثه من الرجام حيا ، الا بقدر تنفث فيها روح الحياة فتحييها وتحييه بها ، وتقتصر من كل تلك الألوف من الاخبار على ما يعرفنا به ويربط حياتنا بحياته ، وهذه هى مهمة كتاب التراجم ، وفى ادائها يتفاضلون ، فقد يرتفع أحدهم فيخلق لنا من خياله أو يبعث لنا من أبعد العصور والأمم شخصية واضحة فى عدة سطور فتكون أظهر حياة فى نفوسنا من كثير بين من نعايشهم ويعايشوننا ، وقد يهبط زميله حين يعرفنا بشخصية نعاشرها ، أو هى من أقرب الشخصيات الينا زمانا ومكانا فاذا هى جثة هامدة أو أشلاء مبعثرة وان جاوز فى الحديث بها ما يسود آلاف الصفحات .

وحين نوازن عند كاتبنا بين ترجمة المعتمد وترجمة الداخل وترجمة المنصور ـ وكلهم من أعلام الأندلس الاسلامية ـ وحين نوازن بين شخصياتهم لقربهم ، نجد أن ترجمة المعتمد أبرع وأرشق وأحيا ، ونجد أن كلا من اعلامها الثلاثة قد حكم فى الأندلس خلال عهد من عهود الفتن والهزاهز ، وأن كلا من الداخل والمنصور كان أكفأ من المعتمد فى الحكم والسياسة خلال تصريفه لشئون دولته التى شملت الأندلس الاسلامية جميعا ، كما كان أقدر على دفع العوادى عنها من داخلها وخارجها ، فردها فى عهده الى شىء من الاستقرار والطمأنينة ، بما استباح لنفسه وهيأت له أحوال عصره من أسباب القوة وأساليب الحيلة فى حدود البشرية المألوفة ، ونجد أن المعتمد كان أقل من زميليه كفاءة وتدبيرا للحكم ، وأن سلطانه فى أوسع آفاقه لم يشمل الا رقعة صغيرة من الأندلس ـ ولكنه أقرب الى هوانا وأشد اختلاطا بنفوسنا من صاحبيه الجبارين . وأدنى تأمل فى خلائقه وأحواله ـ ولو لم نعرف خاتمة حياته الفاجعة ـ يوحى الينا انه كأبطال المآسى فيما أرادت له الأقدار وركبته ، وفيما أراد هو لنفسه وابتلاها ، ولابد أن يكون كأمثاله ممن تهيئهم الاقدار لمآسى البطولة ، سواء فى حكايات التاريخ الواقعية ، أو روايات الأساطير الخيالية ، ولو هلكوا حتف أنوفهم بين العز والنعيم ، وغالبا ما تنتهى آجالهم بالفواجع كما تنتهى آجال أبطال المآسى فى الخيال ، الا أن تعاجلهم الاقدار بميتة تريحهم من محن البطولة كما يموت غيرهم من الدهماء . ولو كانت سيرة المعتمد رواية من خلق الخيال لوجب فنيا أن تنتهى بخاتمة فاجعة على أى حال ، ولو اختلفت عن المفاجعة التى ختمت بها حياته فى التاريخ ، فالخاتمة الفاجعة على أى حال هى النهاية التى لابد منها فنيا لمن هم مثله فى بدايته وشخصيته وسيرته « المأساوية » .

والمعتمد ـ لا شك ـ شخص تاريخى ، وليس فى أخباره خبر واحد يتردد العقل فى قبوله ، ولكن سيرته التاريخية أشبه بأسطورة فذة خلقها خيال مبدع منها بتاريخ انسان عاش فى الدنيا كغيره من البشر ، وهو من الشخوص التاريخية التى تمتد بينها وبيننا وشائج شتى من العطف والتخيل والتفكير والتأمل ، وقلما تنقطع تلك الوشائج بينها وبين أحد الا وجد وشيجة أو أكثر غيرها تمتد بينه وبينها ، فتجذبه اليها وتغريه أن يهتم بأمرها ، ويتطلع الى نشاطها، ويتأمل العبر من حظوظها المتقلبة بين السعود والنحوس ، وهى ـ مع ذلك ـ مستمسكة بمزاياها النبيلة ، كيفما ارتفعت بها الأقدار الى أوج العز والكرامة ، أو انحطت بها الى هاوية الذلة والمهانة . فحياة المعتمد معرض حافل بكثير متنوع مما يفتن النفوس ويجذبها من المتع والعبر ، ففيها ما يرضى صنوفا شتى من أهل العمل وأهل النظر ، وما يغرى صنوفا شتى من طلاب الحقائق وطلاب الأحلام .

كان فى قمة سلطانه وأبهته أميرا ثم خليفة ، ورث الملك عن أبيه فساس وحكم ، وأصلح كثيرا على وفق ما أراد ، وأفسد كثيرا وهو لا ينوى الفساد أو الافساد ، وكان عالما بثقافة قومه ، مشاركا فى حضارتهم ، كما كان مقاتلا شجاع القلب والرأس واليد واللسان ، دبر الجيوش وقادها ، وشن الحروب واشترك فيها بنفسه صبيا وشابا وكهلا ، ولم يردها توسعا فى السلطان والأبهة بقدر ما أرادها اقرارا للأمن ونشرا للسلام ، وقد انتصر كثيرا كما انهزم كثيرا ،

فذاق حلاوة النصر دون بطر ، وتجرع مرارة الهزيمة دون ضجر ، وكان نبيلا في صداقاته وعداواته ، جوادا بماله وجاهه على الاقربين والأبعدين ، كثير العفو عمن يسيء اليه ، كثير الاحسان لمن يحسن اليه ولو ببادرة خير يهم بها أو ينتويها ، وكان أبا مفرط الحب والبر بأولاده ، وزوجا مفرط العشق والرعاية لحظاياه ، مفرط السخاء في ارضائهن مهما يسرفن في الدالة والطلب ، لا يبرحن خياله ، ولا تفارقة الصبوة اليهن في رخاء ولا شدة ، فكأنه لم يخلق لغير اللهو والغزل ونظم الشعر في غرامياته وأشباهها من صبوات قلبه ، وكان صديقا مفرط المودة لاصدقائه حتى يخلطهم بنفسه وسلطانه ومعيشته وأهله ، وكان شاعرا لا يفارقه مزاج الشاعرية ، ولا نزعاتها مهما تلح عليه النعماء ، أو تلج به البأساء ، فكان يجد في كل ما يخامره ويراه موضوعا لقصيدة ينظمها ، أو يغرى بنظمها جواريه وأولاده ، أو شعراء بلاطه المقيمين والوافدين ، وقد يبدأ النظم ببيت أو شطر ، ويطلب منهم أن يجيزوه ، أو يبداون هم النظم فيعارضهم ، أو يبدؤه فيعارضونه ، وهو مغتبط سمح بالتقدير والتشجيع وان قصروا عنه أو غلبوه ، وربما بلغ به عشق الجود أن يجزى بما يستطيع وما لا يستطيع، فكم شاعر قصده في منفاه بمدحة غير طامع في ماله بل مقدرا لمناقبه ، فحياه المعتمد بمثل مدحته ، ثم أربى عليها فزوده ببعض ما في يديه من كفاف ، على حين أنه هو وزوجته وأولاده في حاجة الى لقمة يتبلغون بها ، أو رقعة من كساء يتسترون وراءها ، فاذا أبى الشاعر المال اشفاقا عليه واكبارا لفضله تابعه بالحاح حتى يقبل منه أو يؤنسه من القبول .

وظل على الصبر النبيل في أسره بين حريمه وولده من صغار وكبار ، منفيين عن الوطن ، ممتحنين بقبضة السجن ، والاغلال في أرجلهم جميعا ، حتى بناته ربيبات النعمة والبذخ كانت الفاقة الجائحة تضطرهن أحيانا الى أن يمتهن أنفسهن لغزل الصوف أو نحو ذلك من المهن جزاء الأجر ممن كانوا قبل في بلاط أبيهن من أصغر الخدم أو المهينين ، وكن يدخلن عليه في الأغلال ، وملابسهن ممزقة بالية ، وأجسادهن هزيلة ضاوية ، وقلوبهن كسيرة ذاوية ، من فرط الضر والجهد والفاقة ، فلا يملك لهن غير الحنان الكسير ، والدعوة الى الصبر العيوف ، ومبادلتهم الدعابة أو قرض الشعر تأساء وتعزية ، كأنهن لم يفارقن بلاطه ، وقد امتحن بفقد بعض هؤلاء العزيزات كما امتحن بفقد أعز حظاياه اللاتي عشقنه وعشقهن ، وشاركنه نقمة بلاياه صابرات محتسبات ، بعد أن شاركنه غبطة نعمائه شاكرات حافظات ، وكذلك امتحن بفقد أبنائه بين الموت قتلا ، والموت صبرا أو يأسا .

ولم يعدم - وهو في محنته - تقدير كثير من أولى المروءة والنجدة والوفاء ، وفيهم قدامى أصدقائه ومن حفظوا له فضله ، ومنهم من لم تكن له نعمة عنده ، فكانوا يقصدونه للتحية والتعزية والمواساة ، ويعودون ناعمين برضاه ، أكثر من غبطتهم لو عادوا من بلاطه بهداياه ، وكان بين زواره في منفاه بعض شعرائه الذين مدحوه وواسوه بأشعارهم مخلصين في اداء حقه ، فكان يجزيهم شعرا بشعر ثم يحاول أن يجزيهم فوق شعره بقليل رفده .

مثل هذا « البطل المأساوى » أولى أن يضطلع بعرض مأساته عبقرى من شعراء الملاحم أو الدراميين أو الروائيين الذين تهزهم مآسي البطولة ، فيحسنون مطايرتها حيث تحلق أو تهوى ، حتى تمتزج حياتها بحياتنا في اهاب واحد ، فنقاسمها سعودها ونحوسها ، ونعايشها في يقظة كأنها المنام ، وبواقع كأنه بعض الاحلام . فأما ان يتصدى لعرض هذه المأساة كاتب فيصوغها بحثا ، ثم يعاطفها كما يعاطف خصومها ، ويقوم منها في مجلس القاضى لا موقف المحامى ، ثم يفلح بعد ذلك في أن يشعرنا بعناصرها المأساوية - فهذا هو موضع العجب والاعجاب ، وسيبقى الاعجاب بالاستاذ أدهم لانه استوفى ذلك كله من «مجلسه القاضوى» وارتفع بنفسه وهو مطمئن في حياده ووقاره - حتى بلغ مع المأساة أعلى قممها الفاجعة ، وأما العجب فسيبقى حتى تظهر الاسباب ، وسنعرض أهمها بعد قليل .

واذا كان التعريف بالمعتمد هو مهمة هذه الترجمة وغرضها الأصيل الذى وفت به مع صعوباته ، فان هناك غرضا ثانويا كان على المترجم أن يستوفيه مع صعوباته أيضا ، وهذا الغرض هو تمهيد الترجمة أو تمهيداته من العصر أو البيئة والأسرة ونحوها ، واذا كانت صعوبات التعريف بالمعتمد ناشئة من لطف عناصر شخصيته وتفلتها فان صعوبات التمهيدات ناشئة من أن عناصرها متفرقة منتشرة بين ألوف الأخبار التى تشتبك وتزدحم وتتعقد حتى ليضل في متاهاتها كل قاض ولو كان من خبراء الرواد ، الا أن يفرغ لها شهورا من عمره ، فالأندلس الاسلامية ووقائعها في عصر المعتمد وقبله - كما تركتها الخلافة الاموية لملوك الطوائف يتنازعون بقاعها بين ضم وتمزيق في جيل بعد جيل - أشبه ما تكون بتركة رجل كان على حظ يسير من الغنى وله ذرية كثيرة ، ثم توالت ذريته على طريقته أمدا طويلا فزاد انتشارهم على توالى الاجيال ، ومنهم من أصهر خلال هذا الامد الى قريب أو بعيد من ذوى رحمه ، ومنهم من أصهر الى غير أولى الأرحام حتى تقصت أجيالا بعد أجيال ، فماذا يفعل قاض شديد التحرج اذا ابتلاه الله بنظر هذه القضية ليقضى لفرد احتكم اليه في جيل متأخر ، فيوفيه فريضته على وفق شريعة تقضى لكل قريب من ذوى الارحام والأزواج أن يرث بعض تركة أقاربه وأصهاره ؟

ان المشكلة هنا ليست في استيفاء القاضى المسكين علم الفرائض فحسب ، فهو - مهما يحط خبرا بتفصيلات هذا العلم - مضطر الى أن يستعين بالدوى والأقلام والكتبة ليتبع الأنصبة عند كل واحد من الاسلاف ومن أصهر اليه

فى كل جيل ، ثم يعود ليحاط خبرا بكل هـذه الصغائر الشرود ولكن فى صورة جامعة ، ليعرف لهذا التقاضى العسر او لكل فرد غيره نصيبه الحق فى هذه التركة العقام ، وان أيسر خطأ فى أى خطوة ليؤدى حتمـا الى الخلل فى كل ما يصاحبها وما يتلوها من خطوات .

كذلك يلقى القارىء الذى يبتليه الله بمطالعـة تاريخ الاندلس الاسلامية فى عهد ملوك الطوائف ومنهم المعتمد ، فهو لا ينبعث أى خطوة الى الأمام فى بعض مراحل هذا التاريخ المتشابك حتى يضطر خلال فوضاه الى التيـامن أو التياسر أو الاتئاد خطوة أو أكثر ليصـل آتى أمره او حاضره بماضيه . وهذا ما كان على كاتبنا أن يجنبنا اياه وان شقى وحده ببلاياه ، ولقد فعلها وانها لكبيرة الا على الراسخين ، فقد استخلص عناصر هذه التمهيدات من المراجع الاربعين لترجمته ، واستـعان فى تنسيقها واستيفائها بمطالعاته وتجـاربه ودرايتـه بفلسـفة التاريخ التى يعد من روادها الاعلام فى ثقافتنا الحديثة ، وكل هذا من أجل التمهيدات وهى الجوانب الثانوية ، ولكن التعريف بالمعتمد لا يتم الا بهذه التمهيدات كما لا تتم بطالة الصورة بغير ظهارتها Bacheground. ونقول التمهيدات لا التمهيد ، لأن كاتبنا لو جمع كل ما استخلصه من ذلك وجعله مدخلا واحدا وافيا للسيرة — لطال المدخل وتوعر ، لاجتماع عقباته وأحنائه ، ولعز على القراء أن يمضوا فيـه ولو كانوا من المختصين ، وهيهـات أن يفلح فى ذلك أى ايجاز . لكن كاتبنا الحول نجا بنفسه وبنا من هذه المتاهات حين التفت الى الجانب الأصيل الأهم من الترجمة وهو التعريف بالمعتمد ، فقسم سيرته مراحل ، وجعل لكل مرحلة ما يناسبها من التمهيدات ليكون مدخلا قصيرا سهلا خاصا بها ، ومن هنا تعددت المداخل مع قصرها ويسرها على وفق مراحل السيرة ، وعلى هذا النحو فصل المؤلف كتـابه ، فجاءت فصوله غالبا على هذا الترتيب المتسق تاريخيا وفنيا فى جملة الكتاب ، وكان الخير والصواب فى ذلك ، وهذه عناوين فصوله :

١ — مقدمة .
٢ — سقوط الخلافة الأموية الأندلسية .
٣ — نشأة الأسرة العبادية .
٤ — عهد المعتضد بالله .
٥ — المعتمد على الله وابن عمار .
٦ — المعتمد بين شعراء بلاطه وجوارى قصره .
٧ — الاستيلاء على قرطبة .
٨ — مصرع ابن عمار .
٩ — حركة الاسترداد الاسبانية .
١٠— وقعة الزلاقة .
١١— خاتمة ملوك الطوائف .
١٢— المعتمد فى طريقه الى المنفى .
١٣— المعتمد فى المنفى .
١٤— وفاة المعتمد .

وقد تكثر المخالفات وتطول بيننا وبين المؤلف اذا التفتنا الى بنية الترجمة جزءا جزءا ، ولكنا اذا شاركناه الاحاطة خبرا بجملة نظامها ، وناقشنا اقتراحاتنا فى مخالفته — وجدناه أقرب الى الصواب وأجدر بالموافقة ، أو وجدنا الخلاف بيننا وبينه يسيرا ، فليس ما يدعونا الى مخالفته مثلا فى أن اهتم بالمعتمد أكثر مما اهتم بعصره أو أسرته أو نحوها، فذلك هو الصواب المحض وغيره الخطـأ الصراح ، لان الترجمة تعريف بشخص وهـذا من الفروق بينها وبين التاريخ ، والمقصود من الكتاب هو المعتمد وعصره محلق به، لا العصر والمعتمد ملحق به ، بل ربما يؤخذ على المؤلف انه أعطى العصر أكثر مما يستحقه وان كان فى الحدود المقبولة. وكذلك ليس ما يدعونا الى مخالفته أن قسم حياة المعتمد مراحل تاريخية ، فهذا أليق ما يكون بالترجمة اذا اتخذت قالب السيرة أشد من اتخاذها قالب الصورة ، وهكذا ترجمة المعتمد ، والمهم فى العمل جودته ووفاؤه بمهمته ، وترجمة المعتمد قائمة بهذين الشرطين دون شك ، وأما بعد ذلك فكل يعمل على شاكلته ، كما يقول التنزيل الحكيم ، ولكل شيخ طريقته كما تقول حكمتنا الدارجة ، وليس لنا أن ننازع « شيخا » استقلاله فى طريقته بل نبارك له هذا الاستقلال بها — مهما يخالفنا أو نخالفه — ما دام قد برهن أنه « شيخ » بأمانته وخبرته وقدرته فى صنعته ، وليس ما يدعونا الى مخالفة كاتبنا أن عدد المداخل على وفق مراحل السيرة فذلك كما قدمنا أعون على الهـداية فيها وغيره أوقع فى الضلال والملال ، وليس لنا ما يدعونا اذن الى مخالفته حتى فى نكوصه عند كل تمهيد — وان خالفناه فى طول شوط النكصة ، — ما دمنا قد سلمنا أن تعـديد التمهيدات كان أصوب من جمعها لتكون تمهيدا واحدا ، ولم تكن أية نكصة هنا الا حركة ميدانية ، والشـجاع الحكيم فى المعركة يرتد كما يتيامن أو يتياسر دون اختلاف من أجل استئناف كرة جديدة اذا رأى ذلك أعون له فى النفاذ الى غرضه ما دام لم يترك ميدانه ، وما من تمهيد حتى المقدمة الا وصورة المعتمد تتراءى لنـا فيه ، فالمؤلف لم يغفل قط عن غرضه الأصيل وهو التعريف بالمعتمد فى أى صفحة من صفحات الترجمة . وما من اقتراح نقترحه غالبا على المؤلف الا وجدنا الاعتراض عليه كاعتراضنا على ما شرعه المؤلف أو أشد اذا نظرنا الى الترجمة جملة كما ينبغى ولم ننظر اليها جزءا جزءا .

وقد أشرنا قبل الى أن منهج المؤلف فى هذه الترجمة هو المنهج النفسى ووضحنا بعض سماته ، كما اشرنا الى أن هذا هو منهجه فى مؤلفاته بعامة وتراجمه بخاصة وفى ترجمة المعتمد على الأخص ، ونزيد الأمر هنا ايضاحا عنده فنشير

الى أنه مع كثرة مؤلفاته وكثرة ما طالعنا منها لا نعرف له قولة واحدة صرح فيها بأنه يلتزم فيها هذا المنهج أو يؤثره على غيره في كل ما يكتب أو في بعضه دون بعض ، ولكن أدنى تأمل فيها يدل على أنه يأخذ به في كل خطوة من خطوات تأليفها : عندما يفكر في الموضوع الذي يتصدى له ، ويطالع مصادره ، ويستصفى له ما يلزمه ، ثم يفصله ويقدره ، ويختار له قالبه وعباراته الى أن يفرغ من كتابته ، ومن اوضح دلائل ذلك أنه يربط الاقوال والاعمال بل النيات بأصحابها ، ويتمثلهم ويمثلهم بها ، ومهما يبعد في تفسيرها أو تعليلها بغيرهم من العوامل — ومن أهم هذه العوامل عنده العصور واتجاهاتها — فانه يعود الى شخصياتهم في تفسيرها المباشر والأخير، فغاية العوامل الأخرى أنها أثرت في شخصياتهم، فتأثر بهذه نشاطهم ، واذن فشخصياتهم هي التي أخذت من تلك العوامل ولم تخرج فيما أخذته منها عن مقتضى طبائعها التي خلقت بها ونمت عليها ، ومن هذا الطريق وعلى وفقه كان لتلك العوامل آثارها غير المباشرة في أقوالهم وأفعالهم ، وشخصياتهم اذن هي المصدر القريب المباشر والبعيد النهائي لكل ما قالوه وعملوه وسائر ما نشطوا فيه .

ولست أعرف قولة واحدة في كل ما طالعته من آثار مؤلفنا تدل على ايثاره هذا المنهج وفطنته اليه — أصرح من كلمته في مقدمة هذه الترجمة وهو يشير بين مراجعها بخاصة الى شعر المعتمد ، ويوازن بينه وبين أشعار أمثاله من الملوك ، فقال : « ولكنى أرى أن شعر المعتمد يسمو على ذلك ، فهو لا يتأود اذا غمزه الثقاف ، أو عض متنيه ، بل يظل سويا قويا ، ممتعا مؤثرا ، يمتاز بالعذوبة والمائية ، وصدق التجربة ورهافة الحس ، وقد وصف لنا المعتمد فيه صورا شتى من حياته في نعيمها وبؤسها ، ولو ضاعت أخبار المعتمد ونسيت سيرته ، وبقى ديوان شعره — لكان الى حد كبير كافيا في الدلالة على شخصيته ، والاعراب من سماحة نفسه ، وسجاحة خلقه ، وفرط كرمه وأريحيته، وحبه للجمال ، ورهافة حسه ، وأسلوب حياته ، ونمط تفكيره ، فهو سجل أمين للكثير من أخباره وحوادث حياته وترجمة ذاتية ممتازة ، بارعة التصوير ، بليغة الاداء ، ونستطيع أن نتبين خلاله أن الرجل كان ثمرة ثقافة ناضجة وسليل حضارة متألقة » .

وليس بعد هذه العبارة الصريحة المفصلة ما يدل على أننا لم ننحل مؤلفنا هذا المنهج النفسى ، بل كل عملنا أننا نسبنا اليه فضله وعرفناه به ، وأننا وضحنا بعض سماته وغاياته القريبة والبعيدة للتعريف به ، وسميناه من عندنا لسهولة التعامل بالاسماء . ونزيد هنا أنه لولا تعويل المؤلف على هذا المنهج ، ووزنه للأخبار بدلالتها على حسب مقتضى هذا المنهج ، ومن ثم اعتماده الاكبر على ديوان المعتمد ووقائعه المباشرة في التعريف بخلائقه وسيرته ، واهتمامه أن يعرفنا به « هو » في حياته أشد من اهتمامه أن يعرفنا بعصره أو بيئته أو أسرته ونحوها ، ثم اختياره من الوف الأخبار التى تزدحم بها مراجعه الأربعون ما يحقق هذه الاعتبارات وحدها ولا يتعداها — اذن لتضاعف حجم الترجمة أضعافا كثيرة ، ثم لم يغن الاطناب المفرط فيها ما أغنى الايجاز القاصد . ولقد كان اعتماد مؤلفنا على ديوان المعتمد في هذه الترجمة من مستحدثاته التي رفعتها على غيرها ورفعته على نفسه .

ومن آيات عناية مؤلفنا القوية باستيفاء ترجمة المعتمد انه استخلصها من أربعين مرجعا ، معظمها مراجع ضخمة وثيقة تحيط بحياة المعتمد وتتخللها من كل جانب : منها أربعة عشر مرجعا قديما ألفت كلها بالعربية اما في حياة المعتمد او هي أقرب ما تكون الى عصره ، ومنها عشرون مرجعا حديثا ألفت بالعربية أو ترجمت اليها ، ومنها ستة حديثة ألفت بالانجليزية ، فهو لم يترك وجهة في هذه الترجمة الا حاول الوقوف عليها : عرف وجهة المشرقيين والأندلسيين من الأقدمين كما عرف وجهة المحدثين ، وعرف وجهة قومه كما عرف وجهة الغربيين ، ووقف على وجهة العلم عند المؤرخين قديما وحديثا واهتم بالوقوف على وجهة الفن ، وتوسعه في تعرف وجهة الفن واستعانته بها في النفاذ الى المعتمد في الظلام وبعثه من الرجام هو بعض ما استحدثه في هذه الترجمة ولم يسبق له في غيرها بهذه السعة ، كما أن هذا من أكبر أسباب فلاحه فيها كما لم يبلغ مثله في نظائرها ، وهو أيضا من الآيات الجديدة على نمو قريحته وتجددها ، واستعدادها للارتفاع حتى اليوم مع المواقف العالية التي تشبه الخوارق والأحلام .

من بين الجوانب التي وقف فيها على وجهة الفن منزلة المعتمد وخلائقه وبعض أطوار حياته كما أبرزتها قصائده وقصائد الشعراء الذين وفدوا عليه حيا في بلاطه بالأندلس، او في منفاه بالمغرب ، ومنهم من وفدوا على قبره بالمغرب اما عقب وفاته أو بعدها بكثير ، فبكوا شمائله النبيلة وخاتمته الوبيلة ، وأبنوه كما يؤبن أبطال المآسى خلقوا ليهلكوا وهم في أنبل أخلاقهم تحت ضربات القدر ، ولا ذنب لهم الا هذه الاخلاق ، وتشددهم في الاعتصام بها كلما زادتهم الاقدار كربا ومحنة ، وكذلك ابنه بنثر كالشعر كثير من المؤرخين الذين نفذوا الى حقيقة مأساته ، ومن بين الجوانب التى استأنس فيها المؤلف بوجهة الفن أيضا صلة المعتمد بابن عمار صديقه وشاعره ، ونديمه ووزيره ، وربيب نعمته الكنود الذى استخلصه المعتمد من وحل الخمول والفاقة ، وضياع الصعلكة والتشرد ، وارتفع به حتى شاركه سلطانه وثراءه وقلبه ، وخلطه بأهله ، ولكن ابن عمار حين وصل الى القمة خانه كما يخون كل وصولى أو انتهازى زنيم ، وشنع به كما يشنع كل لئيم ، بل بالغ فشنع بعرضه وأعراض أهله كأقبح ما يشنع فجرة اللئام بالكريم الذى أفرط في الاحسان اليهم بعد أن أشبعهم من جوع ، ونوه بهم بعد الخمول ، ورفعهم الى أوج الأبهة والكرامة بعد أن كانوا لاصقين بخصيص الرثاثة والمهانة ،

حتى اضطر المعتمد الى أن يقتله بيده بعد أن كاد يعفو عنه بالكره من كبائره التى لا يحتملها غير أولى العزم ولا سيما شهداء المآسى ، فهذه الصلة بينهما قد استأنس فيها المؤلف بقصائدهما كما أنس برواية قصيرة ألفها الأستاذ الروائى ثروت أباظه فى ابان نشأته سنا وفنا ، وجعل عنوانها ابن عمار ، ولولا أن كاتبنا عول على المنهج النفسى الذى يبسط أكنافه لكل ماله دلالاته الفنية والأخلاقية من الأخبار وان كان أسطورة أو حلما ، ولا يقتصر على ماله مجرد دلائل تاريخية وثيقة الأسانيد ـ اذن لما انتفع المؤلف بهذه القصائد وهذه الرواية كى يحقق لترجمته ما حقق لها من خفة ورشاقة وحياة ، فلا القصائد ولا الرواية تخلو من شطحاتها ومبالغاتها الكثيرة ، ولكنها مع ذلك أحيا وأدل من كثير بين الوقائع التاريخية وان كانت أسانيدها وثيقة . واذا أردنا أن نعرف حتى بعد استيعاب هذه المراجع ـ غناء ترجمة المعتمد وما لمؤلفها من فضل مستقل فيها وفى مراجعها أيضا ـ فالوسائل كثيرة ، وأقربها هنا الموازنة بين هذه الترجمة وترجمة سبقتها فى موضوعها وحمل اسمها أيضا « المعتمد بن عباد » للدكتور الباحث المحقق عبد الوهاب عزام ، وهو من هو فى شاعريته ومطالعاته ولغاته ورحلاته ومجالات ثقافته المتنوعة وصفاء نفسه الرضية ، وطلاقة قلمه المبين ، عليه رحمة الله ورضوانه .

وقد تبدو هذه المراجع قليلة ـ وان لم يبد خفيفا منها غير رواية « ابن عمار » ـ اذا وازنا بين هذه المراجع ومراجع كثير من الكتب المؤلفة حديثا ، اذ تبلغ المراجع فى بعضها عشرات بعد عشرات ، وقد تجاوز المائة ، ومن حق أنفسنا علينا أن نحاسب هذه البدعة قبل أن نسلم بدعاواها الكثيرة لنفسها ومراجعها ، وأوجب ما يلزم التشدد فى محاسبة بدعة اذا راجت وراجت معها أخطارها وخيفت جرائرها على الاخلاق والعقول ، وقلبت الموازين فرفعت الادنين ، وحطت الاعلين ، وهذا هو شأن هذه البدعة اليوم ، ونحن الجناة على أنفسنا اذا لم نتشدد فى حسابها على قدر دعاواها الكثيرة ، ولو كان أصحابها ومروجوها ممن تظن فيهم الكفاية والأمانة دون حساب واع دقيق ، والعبث فى كل مجال بلاء لا يطاق ولا سيما مجال المعرفة حين يجنى على العقول والأخلاق والأذواق ، وهى شرف الانسانية الأكبر . وأما مؤلفنا ـ فى حياته وتورعه وتواضعه، وحرصه المفرط على كرامة نفسه وكرامة قلمه وقرائه وصنعته وزملائه المؤلفين ـ فهو أمين جد أمين فيما يكتب وينقل ، وهذا بعض ما دعاه الى أن يذكر بين المراجع الكبار رواية « ابن عمار » الناشئة ، فهى بحسب مقياسه الأدبى او الفنى ، ولأخلاقه السمحة ـ أهل لأن تأخذ مكانها بحق بين أكبر هذه المراجع ، وان كانت تبدو للمتعجل الذى لا يقيس الامور كما يقيسها هو ، وليس له مثل سماحته ـ كأنها الناشىء الوحيد فى مؤتمر من الشيوخ الأجلاء أولى المهابة والوقار ، اجتمعوا للمشاورة فى مهم قومى يتوقف مصير قومهم على رأيهم فيه .

وهذا الكتاب ترجمة دون شك كما يدعى العنوان ، وعندنا أن « الترجمة تعريف بشخص » أو « هى تعريف خاص بشخص معين » ولو كان طفلا أو حيوانا أو جمادا ، فهى تنصب أولا وأخيرا على خصائص هذا الشخص ، وتفصل عليه وحده على وفق خصائصه كما يفصل الكساء على بنية صاحبه بمزاياها وعيوبها كى تلائمها ولا تلائم بنية شخص آخر مهما يقاربه فى البناء ، ولا شىء وراء ما يفى بهذا التعريف من زيادة أو نقص فان نقص الكساء عيب كالزيادة فيه ، فيقتصر فى الترجمة على ما يعرف بخصائص الشخص بقدر ما يعرفها ، والأخبار ـ وهى مادة الترجمة انما توزن فيها بقدر دلالتها على خصائص هذا الشخص فحسب : اما فى ذاته صورة واما فى حياته سيرة ، وان كانت احداهما تغلب الأخرى دون أن تستقل عنها كل الاستقلال ، فلا تكفى صحة الأخبار كى تحشد فى الترجمة وتضخم بها وهذا من الفروق بين الترجمة وسائر الأنواع الادبية ولا سيما التاريخ الذى يلتبس بها التباسا شديدا حتى عند المثقفين مع أن الفرق بينهما واضح وضوحا شديدا للعارفين وانما يؤخذ من الأخبار ما له دلالته على خصائص الشخص ويترك ما عدا ذلك ، فاذا اتحدت الأخبار دلالة لزم أن يستغنى ببعضها عن بعض ، وواحد قد يغنى عن عشرات بل مئات اذا كانت مثله أو دونه فى الدلالة على خصيصة معينة ، لأن ذكر بقية الأخبار معه لا يضيف معرفة جديدة بهذه الخصيصة وان وكد المعرفة بها ، وقد يقدم الخبر الصغير دون الخبر الكبير اذا كان الأول أوفى دلالة ، وذلك بحق ما يراه بلوتارك امام كتاب التراجم فى كتابه عن العظماء وهو يقدم لترجمة الاسكندر ، وكذلك يقدم الخبر على ما هو أوثق منه سندا اذا كان الأول أصدق دلالة وأنسب لخصيصة من خصائص الشخص فى جملتها ، وقد ينتفع هنا بالأساطير والأحلام كما ينتفع أو أشد مما ينتفع بالأخبار الوثيقة الأسانيد اذا كانت قليلة الدلالة ، وهكذا ، وأصدق ما يكون ذلك فى الترجمة اذا كانت صورة ، وقد يتسامح فى بعض هذا اذا كانت سيرة .

ويلاحظ أن كاتبنا اهتم فى تعريف المعتمد ببيان خصائصه فى أطوار حياته خلال نموها وتكاملها أكثر مما اهتم ببيان خصائصه النفسية فى مزاجه وخلائقه وتفكيره ومنزعه ، ومن هنا جاءت الترجمة أقرب الى السيرة منها الى الصورة وان كان لا حسم بين النمطين فى أى ترجمة ، وبغير الجمع بينهما لا تتم أى ترجمة .

ونزيد الأمر ايضاحا بين النمطين فنشير الى أن السيرة تكتب بحثا أو رواية ، ولا تكتب الصورة الا بحثا ، وتتداخل الأخبار المتحدة الدلالة فى مكان واحد من الترجمة اذا كانت صورة ولا تتداخل كذلك اذا كانت سيرة ، والأخبار المتعاصرة تجتمع متعاقبة وفق زمنها فى السيرة وان كانت مختلفة الدلالات على الخصائص ، ولا ترتب الاخبار فى الصورة الا باتحادها أو اقترابها فى الدلالة لا باتحادها أو تقاربها فى

العصر أو الزمن ، وتستلزم السيرة الترتيب الزمني كالتاريخ والرواية فلا تقرأ الا من السابق الى اللاحق أو من الاول الى الآخر ، ولكن الصورة مناظر متفرقة وان تكن متكاملة في بنية حية واحدة أيا كان موضوعها من الناس أو الحيوانات أو الجمادات ، ولهذا تقرأ الصورة من الوسط أو الآخر كما تقرأ من الاول ، والربط بين أجزاء السيرة أسهل على الكاتب والقارىء والربط بين أجزاء الصورة عسير عليهما معا ، والخلاصة أن الصورة القلمية قبل تمامها زمنية متحركة عند الكاتب والقارىء لأن وسيلتها الجمل المتعاقبة ، ولكنها في النهاية مكانية ثابتة ككل صورة يدوية أو شمسية ، وأما السيرة فهي قبل تمامها وبعده زمنية متحركة . وخصائص السيرة في ترجمة ابن عباد أوضح من خصائص الصورة ، وربما كان أكبر شفاعة مقبولة لها أن خلت من فصل أو نحوه عن شاعرية المعتمد ، وهو فصل لا تتم الصورة بغيره ، وقد لا يلزم في السيرة هذا اللزوم .

ويلاحظ أن أسلوب كاتبنا في بحث المشكلات الفكرية أدنى الى الاسلوب العلمي من الادبي ، ولكنه في التراجم أدخل في الادب ، وهو في هذه الترجمة أدخل في الادب من أي ترجمة أخرى ، ولعل السبب فطنة مؤلفنا الى شاعرية المعتمد ، فعول على ديوانه ، لأنه — كما قال — « ترجمة ذاتية » وكذلك استفاد بقصائد غيره ، أو هو استفاد بوجهة الفن في كل ما أتيح له من مراجع السيرة ولا سيما ديوان المعتمد وسائر ما قيل فيه ، بل استفاد في ذلك من تراجم المؤرخين الذين نفذوا الى مأساة حياته كما أشرنا آنفا ، وقد أشرب بحثه في الترجمة روح الرواية بل روح الملحمة أحيانا ولا سيما في المواقف الحماسية كوصفه لموقعة الزلاقة ، وقد أفسح المجال كثيرا جدا لهذه القصائد حتى ليعد المتعجل ذلك اسرافا وهو عين القصد أو دونه ، فقد جعلت هذه القصائد ترجمته كأنها الملحمة في بعض المواضع ولا سيما ثلثها الاخير ، وأكثر ما أفسح من ذلك لقصائد المعتمد اذ ليس أبلغ من الانسان المبين دلالة على نفسه اذا تحدث بخوالجه وأحواله ولو بالغ أو انحرف أو كذب ، وهذا أهم المستحدثات في هذه الترجمة وفينا لك ببعضه كما وعدنا .

ولو كاتب ذو مزاج أشد تلهبا من مزاج شيخنا الورع لما آثر مثله أمام المعتمد « مجلس القاضي المتصوف » بينه وبين خصومه ، بل هب الى « موقف المحامي » في صفه ضد ضد خصومه ، ولو آثر كقاضينا الأجل ألا يقول الا الحق ، ولكن الاستاذ أدهم في « مجلسه القاضوي » استطاع أن يسمعنا ما لا يسمعنا المحامي الواقف الى جنب المعتمد أشد منه وأكثر حماسة اذا التزم ما يلتزمه قاضينا المتصوف في وقاره وورعه ، ومن حيله في ذلك — وما أكثر حيل العلبيين والطفها وأخفاها — أنه اختبأ وراء بعض المؤرخين فاسمعنا بألسنتهم ما أراد أن يقوله بلسانه ضد خصوم الفتى دون أن يخرج عن وقاره ولا حياده بين الخصوم وبسط كنف العطف جميعا سواء منهم الجناة والضحايا ، وهذه كما ترى حيلة بارعة لابد من الفطنة الى أمثالها في كل ما يكتب الاستاذ أدهم أو يقول .

ولقد كنا — قبل هذه الترجمة — نعرف كثيرا من فضل كاتبها بما طالعنا من آثاره القيمة وبينها كثير من التراجم التي تسلكه بين أبرع كتاب هذا الفن في أدبنا وآداب العالم كله ، وكنا نعرف خلال آثاره ما يستشف وراءها من قوى واستعدادات هي أكبر من هذه الآثار ، ولولا أن قلمه ملجم بورعه وحزمه لكانت أعماله أروع وأكبر ، ثم أكثر وأشهر ، وأظهرت فيها آثار الفكاهة كثيرا لنضج ملكته المنطقية وسماحة نفسه الطيبة ، وكنا نعرف منه ما يعرفه معنا كل عشرائه من حيائه الجم وحرصه المفرط على كرامة نفسه وكرامات الناس جميعا ، ونعرف مظهر ذلك كله في آثاره وهو وحده ما يعنينا هنا مع القراء ونحن نتحدث بكتابته ومزاياها الخاصة لفهم ترجمة المعتمد وغيرها ، وهذا المظهر هو ما نعهده من حرصه المفرط على كرامة قلمه فلم يغمسه الا في أشرف الموضوعات وأجلها ، ولم يترك له أن يجمع ولو مرة فيما يخجل أو يغضب بقصد الاساءة ولو كانت دفعا لاساءة اليه ، ومثل ذلك حرصه المفرط على قرائه ، فهو يصطفيهم بخير ما عنده ، ولا يضيع عليهم لحظة واحدة في سطر واحد بغير فائدة قيمة ، وهو يحمل تجاههم كل تبعاته وان كان لا يعفيهم من تبعاتهم لأنفسهم وهذا مقطع العدل بين الكتاب والقراء ، بل بين الآباء والأبناء ، فاذا عرفوا له ذلك فهو اغتباط المرشد الكريم أن أفلح في الهداية ولا غرض وراء ذلك والا فهو انقباض المبلغ الأمين أن خابت دعوته ولو في جانب واحد ، وان لم يبخع نفسه أسفا على دعوته أن آلت كلها الى البوار . ومثل ذلك حرصه على كرامة « صنعته » فقد وهبها نفسه وأفضل جهوده وأوقاته ، واعتز بها أمام كل معتز بغيرها من الامجاد ، ورضى بحظه فيها مجدا يثبت به أمام أكبر الماجدين بغيرها وان لم يطاولهم بها لانه في حيائه وورعه وثقته بنفسه لا يطاول قصيرا ولا طويلا مهما يدع الى المطاولة . وهذا كله هو السر في النزعة الأخلاقية المسيطرة على آثاره ، وما تتصدى له هذه الآثار من موضوعات جادة خطيرة ، وما تحتويه من آراء ومعارف ناضجة ، وما تتخذه من قوالب وعبارات رصينة .

وكنا نعرف أن الترجمة من أكبر أنواع النشاط الادبي وأرقاها ، وهي لذلك من أحوجها الى الكفايات الانسانية العالية وأدل عليها ، وألزمها للمزاولة الطويلة ، ولهذا ندر كتابها المجيدون بين أكبر أعلام الأدب في جميع الأمم والعصور ، وندر بينهم أئمتها ، وحتى هؤلاء ندر بينهم من يفلح في كتاب تراجم لشخصيات من « نماذج انسانية » متنوعة ، بل يغلب أن يفلح الكاتب في بعضه ويفشل بل يخيب في بعضه ، ونحن حديثو عهد بمزاولة هذا الفن في

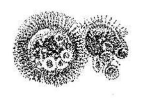
أساليبه الجديدة ، وأدعى الأعمال الى الاشفاق على أهلها أن يقصروا فيها اذا كانت الجماعة أو الأمة التى تزاوله حديثة عهد به ، وبخاصة حين يكون كالترجمة وهى من أشق الأعمال الأدبية بل الانسانية لما قدمنا مع حداثة عهدنا بها . وكنا نعرف من بعض ضرورات التأليف التى دعتنا الى معاودة التوسع فى تاريخ الأندلس تحت حكم ملوك الطوائف أن المعتمد من أعصى الشخصيات على الترجمة .

فلما تناولنا هذا الكتاب لأول مرة - ولابد من مصارحتك بهذا - تناولناه باطمئنان راسخ تروح عليه أنسام من الاشفاق ، اذ كنا هنا - كعادتنا - ننظر بعينين : عين الى المؤلف فيما نعهده كما أشرنا آنفا - فاذا دعائم الاطمئنان كثيرة راسخة ، وعين الى الترجمة ذاتها لم نجربها ولا يتم الاطمئنان الا بعد التجربة ، والاطمئنان عند العارفين لا يمنع من الحساب بل يوجب التشدد فيه ولو للاستزادة بجديد منه مع الغبطة بالأمن والايمان ، والعارفون لا يهمون بالحساب مختارين الا مع أهله سواء حوسبوا أو حسبوا ، وكان أكبر دواعى الاشفاق أن أكبر كتاب التراجم قد لا يفلح فى كل ترجمة اذا اختلفت نماذج شخصياته ، كما أن من عادات الخير أو من خير العادات فى النفوس الانسانية أنها اذا اطمأنت الى الثقة بانسان فى عمل أشفقت من كل ما يحرك راحتها واطمئنانها الى الثقة به ، وان كان من عادات الضعف فيها ألا تشعر بهذا الاشفاق عند من لم ينالوا منها مثل هذه الثقة .

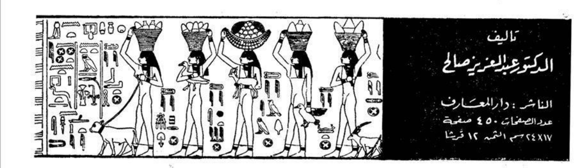
ولكن ما ان جاوزنا الصفحات الثلاث الأخيرة من الكتاب حيث قائمة مراجعه وفهرس فصوله ، وما أن ألممنا بأصول الترجمة كما تدل مراجعها الأربعون على قدر ما نعرف منها ثم ألممنا بخطة الترجمة كما تدل فصولها الأربعة عشر على قدر ما ضاهينا بينها وبين قليل ما نعرفه من المعتمد ، وما ان فتحنا بضع صفحات من المقدمة تدل على بداية موفقة حتى بدأ اطمئناننا يزداد رسوخا ، ومضى اشفاقنا يتراجع ويسكن لتحل محله نشوة الغبطة بالتوفيق العاجل . ففى الصفحات التسع الأولى من المقدمة استطاع المؤلف فى لمحة سريعة رشيقة أن ينير لنا أبرز معالم عصر المعتمد وتمهيداته اجمالا وشرع يوضح خلائق المعتمد وحياته بما دل على نفاذه الى ملامح شخصيته النبيلة ومأساة سيرته الفاجعة ، ثم مضى يكشف فى المقدمة عن خطته التى رسمها للترجمة وعن اتجاهه فيها ، ونوه - كما أسلفنا - فى اشارة خاصة - الى ديوان المعتمد دون المراجع ، وأنه ترجمة ذاتية له ، فدل بذلك على أخذه فى الترجمة بالمنهج النفسى الذى لا فلاح لترجمة بغيره ، كما دل بذلك كله على سداد خطته وسواء اتجاهه ، وعبقرية منهجه ، ولم يبق عليه الا أن يفصل ما أجمل ، وينفذ ما رسم ، وذلك ما كان عليه ان يستوفيه فى بقية الفصول كما وضحناها قبل .

وما ان جاوزنا منتصف الفصول حتى زال كل اشفاق وزادت الغبطة فى أثره ، فقد أوشك المؤلف قبلئذ أن يفرغ من التمهيدات الكثيرة للترجمة ، وان كان لم يغفل قط عن المعتمد فى أى خطوة خلال أى تمهيد حتى المقدمة ، وكاد المؤلف فى بقية الفصول أن يفرغ لسيرة المعتمد وحدها ، فما ان أطبقنا الكتاب حتى شاركنا المؤلف - فى استاذيته - غبطته بالنصر صحيحة شاملة ، بعد ان شاركناه غبطة التوفيق متتابعة من أول المقدمة بل من أول المراجع والفهرس حتى فرغنا من الفصل الأخير . ولكنها - بعد - ليست الا غبطة تثقل معها القلوب بالوجيعة ، ويترقرق الدمع فى العيون ، فتخلص النفس من أكدارها ، وتزداد صفاء وطهرا ، ولا مصدر لهذه الغبطة الأسيفة الا أن المؤلف قد وفق فى تمثيل مأساة المعتمد الفاجعة ، فشعرنا حيالها بشئ ما يشعر به الانسان المتفتح النفس عقب شهود مأساة رائعة أحسن تأليفها وأداءها ، والى هنا تتناهى الغبطة الى ذروتها مع انتصار المؤلف أخيرا ، ولكن يتمادى معها الى النهاية ثقل حسرتنا المختنقة على المعتمد النبيل المسكين فى مصيره الفاجع . فيا لها من غبطة ، ويا لها من فاجعة .





حضارة مصر القديمة



الكتاب أربعة أجزاء سيقتصر حديثنا عن الجزء الأول الذى صدر منه والذى يستهدف كما جاء فى تصديره (الخطوط العريضة لمصرنا القديمة بأسمائها ولغاتها وتكوين شعبها **وروابطنا القومية بها** ، ونشأة الحضارة فيها منذ عمر الانسان ارضها ، ثم تكوين صورة عامة مترابطة لتطور حياتها السياسية والادارية والعقائدية والاقتصادية والفنية والأدبية ، وعلاقاتها الخارجية حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد) .

والكتاب ليس من الكتب العلميــــة فحسب ولكنه من الكتب العزيزة فى المكتبة المصرية فهو حديث حفى موصول عن مصر يحلو للمصرى سماعه وترديده وتعمقه لأنه يرى نفسه فيه .. انه **وجوده النفيس** ولعل من توافق الأشياء اننى صحبت هــذا الكتاب فى سعيى الى المعبد العظيم (أبوسمبل) فكان مكملا للرحلة متمما للمعنى فكنت أرى قومى المصريين الأوائل فى آثارهم ثم أسمعهم فى هذا الكتاب.

والكتاب عشرة فصول يستهل الفصل الأول الحديث عن أسماء مصر الأولى فيقول الدكتور عبد العزيز صالح أن اجدادنا كان يطلقون على أرضها اسم كيمه (وتاكيمه) بمعنى السوداء والســمراء والخمرية رمزا منهم الى لون تربتها وزهوا بدسامة غرينها وكثافة زرعها واعتبروا طابع السمرة أو السواد فيها ميزة تفرق بينها وبين اصــفرار الصحراء المحيطة بها والتى اطلقوا عليها اسم (دشرة) بمعنى الحمراء ، اشارة منهم الى شدة جدبها .

وكان المصريون القدماء يسمون مصر أيضا « تاوى » بمعنى الأرضين أرض الصعيد (تاشمعو) وأرض الوجه البحرى (تامحو) وكان المصريون يحرصون على تضمين اسم (تاوى) ألقاب فراعنتهم طوال عصورهم القديمة تأكيدا لالتئام شمل الوجهين فى طاعتهم وفى ظل وحدة سياسية وحضارية متكاملة .

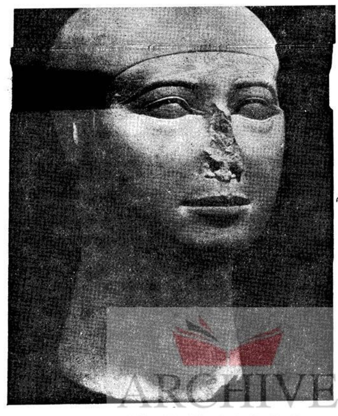
ومن أسماء مصر القديمة النابعة من النيل اســم (ايدبوى) أى الضفتين تحية شاكرة للنهر العظيم رب الرزق العظيم كما كانوا يسمونه واهب الخيرات .

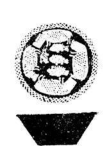
يقول الدكتور عبد العزيز صالح (ولم يكتف الأجداد بالتعبير عن بلدهم بأوصافها **الطبيعية ، وانمــا أضــفى** أدباؤهم عليها نعوتا شعرية ممتعة ، فوصــفوها بأنها « ايرة رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وسموها «وجاة» بمعنى السليمة ، و (جاة نترو) أى عين الأرباب السليمة وسموها (اترتى) بمعنى ذات المحرابين ، وســموها « باقة » بمعنى (الزيتونة) لما كانت خضراء دائمــــا **زهراء ناضرة .**

ان مصر ذات الضفتين وذات المحرابين وذات الأرضين وهى عين الأرباب .. وعين كل مصرى .

وبعد هذا العرض الشيق لاسم مصر وقف الدكتور عبد العزيز صالح وقفة طويلة عند اسمين هما أهم الأسماء حتى لا يقارن بأمرهما آخرين اذ هما اللذان عرفهما العالم الخارجى لمصر ورددتهما نصوصه وهما : اسم **(مصر)** ... ومترادفاته ، واسم (آيجوبتوس) ومترادفاته .

ومضى الدكتور الباحث يستشهد بالنصوص الأشورية والفارسية والبابلية واليمنية والعـــبرية والآراميـــة السوريانية .. وأفصح من هؤلاء جميعا ، القرآن الكريم الذى ردد اسم مصر ترديدا لم يحظ به اسم آخر أو بلد آخر . **كما وقف عند دلالات الأسماء واحتمالات مصادرها.**





ثم انتقل الى الحديث عن مصر القديمة بين جيرانها في الجنس واللغة وكيف نسب المصريون أنفسهم الى بلدهم فقالوا انهم (كيمتيو) أى أهل كيمه ، وردد أدباؤهم أن شعبهم هو شعب الشمس ، والشعب النبيل ، وشعب السماء ، وشعب الاله ، وادعوا انهم صور من ربهم الاكبر (تشكلوا من لحمه ، وخلقـوا من عينيه ، ونزلوا من دموعه) .

ثم ذكر العوامل الكثيرة المتشابكة التى ربطت بين مصر وجيرانها ثقافيا ولغويا واقتصاديا وسياسيا ووديا .

ومن أمتع ما ورد فى الكتاب المقارنة التى عقدها الدكتور الباحث بين المفردات المصرية والمفردات السامية بوصف اللغة المصرية تضمنت بفعل العوامل المشار اليها (مفردات سامية غير قليلة عاشت حتى عصور اللغـة السـامية الكلاسيكية وعاصرت مفردات المعاجم ، واستمر بعضها حتى عصرنا الحاضر ، مع تغييرات طفيفة لا تكاد تحس فى حروفها وحركاتها ، وهى تغييرات لم توجد بينها وبين المفردات المصرية فحسب ، بل وجدت أمثالها كذلك بين مفردات أهل الشام وأهل العراق وأهل شبه الجزيرة العربية ، ووجدت بين مفردات فروعهم الداخلية الصغيرة أيضا)(١) .

(١) ص ١٦ .

وضرب الدكتور عبد العزيز صالح الأمثلة ففى التعبير عن أعضاء جسم الانسان ، عبر المصريون فى نصوص الدولة القـديمة ، عن العين بلفظ « عين » وعبروا عن الرجل بلفظ رد ، واستخدم العرب هذا اللفظ فقالوا ما أدرى أين ردى بمعنى ما أدرى أين ذهب أو مشى ، وقالوا ردت الجارية أى مشت على رجل ورفعت أخرى . كما جاء فى تاج العروس .

وفى أسماء السوائل والنباتات والأشـياء والمعنويات والصفات ، عبر المصريون فى نصوص الدولة القديمة عن الماء بلفظ مو ، وعبروا عن القمح بلفظه الحالى .

ويقرر الدكتور الباحث أن (نصوص الدولة الوسطى قد أضافت ثروة سامية جديدة من الاسـماء والصفات والأفعال)(٢) . وان نصوص الدولة الحديثة لم تقصر فى هذا المضمار .

وعقد الدكتور الباحث مقارنة مماثلة بين اللغة المصرية القديمة وبين مفردات جيرانها الافريقيين لا سيما الليبيين والنوبيين وأتى فى هذا المجال بأنهار من مفردات الاسماء والأفعال .

(٢) ص ١٩ .

ولم يفته أن يدفع عن الشخصية المصرية ما قد يتبادر الى الذهن من شبهة المسايرة أو الانقياد فقرر أن التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها في الشرق والغرب والجنوب لم يؤد قط الى ضياع شخصيتها اللفظية اطلاقا (ولم تكن المفردات التى أسلفناها غير قلة قليلة من كثرة كثيرة من مفردات ابتدعها المصريون بوحى بيئتهم وبما يناسب مطالب حضارتهم ويتفق مع أذواقهم وتخيلاتهم ، فهم وان شاركوا اخوانهم الساميين فى التعبير عن العين بلفظ عين على سبيل المثال ، الا أنهم ابتدعوا للعين ستة أسماء أخرى فضلا عن عدد من الصفات ، واذا شاركوهم فى التعبير عن الاذن بكلمة اذن الا أنهم ابتدعوا لها خمسة أسماء سواها لم يشاركهم فيها جيرانهم . واذا شاركوهم فى التعبير عن الطفولة بلفظ طفن (طفل) . الا أنهم عبروا عنها من ناحيتهم بما لا يقل عن عشرين لفظة أخرى . وظل ذلك شأنهم فى التعبير عن كل ما أحاط بهم وعاشوا فيه ووصفوه ، فعبروا عن السماء بنحو أربعين اسما وصفة ، وعبروا عن العرش بنحو ثمانية عشر اسما وصفة ، وعبروا عن حركات المشى فى الذهاب والاياب بنحو أربعين فعلا ، وعبروا عن حالات الفرح والاستمتاع بنحو أربعين فعلا أيضا .

وعلى أية حال فليست المفردات هى السبيل الوحيد لتصوير مكانة اللغة المصرية القديمة بين جاراتها ، ولكن ظلت قواعد نحوها وصرفها أكثر دلالة منها فى تصوير الصلات بينهما من ناحية ، وتصوير شخصية مصر اللغوية المتميزة من ناحية أخرى)(١) .

وهنا تتواكب فى الكتاب الأدلة العلمية فما يكاد يفرغ منها الدكتور الباحث حتى يقرر من جديد أن اللغة المصرية قد احتفظت (بتشبيهاتها البيانية التى خدمت وجسوه الحضارة الفكرية والمادية التى طرقتها دون جيرانها أو أكثر من جيرانها) (٢) .

وهذا البحث اللغوى ساق الى بحث لغظة شهيرة ذات طابع بين ركام الألفاظ .. وأعنى لفظ (فرعون) (وما ترتب عليه من تسمية المصريين أحيانا بالفراعنة واغراق بعضنا فى استخدام هذه التسمية للمفاخرة ، واغراق بعض آخر فى استخدامها للقدح والتجريح) .

وهنا ناقش اللفظ مناقشة علمية لغوية انتهى منها الى ان اللفظ فى جوهره (لقب) يعنى البيت العالى أو البيت العظيم ثم شفعه المصريون بعبارات دعاء للملك الذى تتركز فى قصره السلطات العليا لدولتهم . (وهكذا لم تكن تسمية فرعون وفراعنة تدل على جنس بعينه ، ولم تكن تعنى كفاية معينة ، أو نقيصة معينة ، ويترتب على ذلك أنه اذا كانت أغلب مفاخر مصر القديمة قد تمت باسم الفراعنة ، فليس الفراعنة بمعنى الملوك هم أصحاب الفضل وحدهم فى اقامتها

(١) ص ٢٧ .
(٢) ص ٣٠ .

ولكنهم المصريون وفيهم الفراعنة .. ، واذا كان القرآن الكريم من ناحية أخرى قد وصف الفرعون الذى عاصر موسى .. بالطغيان والجبروت وتجاوز عن ذكر اسمه ، فعلينا أن نؤمن بكل ما وصفه به وقاله فيه ، ولكن ليس من المنطق اطلاقا أن تعمم صفات هـذا الفرعون على كل الفراعنة المصريين ، فالحكام فى كل مجتمع وزمان وأيا كانت ألقابهم ، يظهر منهم الصالح والطالح ، والعادل والظالم ، والبارز والخامل ، وهكذا كان شأن الحكام المصريين وغير المصريين)(٣) .

والقيمة الكبرى لهذا الكتاب ، أنه ناقش مناقشة علمية **افكارا ثابتة مكنت لها اعتبارات شتى لم تتحر فى كل حال وقائع التاريخ .**

ولم يبال المؤلف أن يواجه ما تواضع عليه الجمهرة من اعتقادات بل قرر فى ثقة العالم وايمانه بالحقيقة والحقيقة وحدها ، الوقائع فى تحديد ووضوح سافر لا يعرف المواربة أو القابلية لشتى التفسيرات والتخريجات .

قرر الدكتور عبد العزيز صالح فى غير جمجمة أو التواء أن لبانة المجتمع المصرى الحالى **هى لبـانة المجتمع المصرى القديم** من حيث الدم .. والهيئة والقامة ولون البشرة مع كل ما فيها من فوارق ضمنية فى الخلقة بين فرد وآخر ، وأسرة وأخرى ، وفوارق اقليمية بين البحاروة والصعايدة وأشباه النوبيين فضلا عن **فوارق الطابع بين أهل القرى** وأهل المدن . واذا كانت قد تعاقبت على أرضنا عهود قديمة احتلها فيها فرس واغريق ورومان وبيزنطيون ومن لف لفهم وعمل فى خدمتهم **فالذى لا شك فيـه هو أن الاختـلاف الجنسى بين أولئك الدخلاء وبين المصريين كان محدودا للغاية**) وأردف هذا بذكر الاسباب .

ثم ذكر نزول العرب مصر فى بداية ظهور الاسلام فأبرز حقيقة واقعة (وهى أن اهل البداوة منهم ظلوا قليلى التزاوج مع المزارعين .. المصريين ، على نحـو ما كانوا قليلى الاختلاط بأصحاب الحرف وأهل الحضر .. المستقرين فى شبه الجزيرة العربية نفسها ، **واقتصر تأثيرهم الجنسى وتأثرهم الجنسى على من شاركوهم معايشهم من البـدو المصريين دون اهل الحواضر وأهل الريف) (١)** .

وهنا يقرر كما قرر من قبل الدكتور حسين فوزى فى كتابه (سندباد مصرى) وكما يقرر كل عالم بالتاريخ يقدر قيمة الكلمة ويعلى الحقيقة فوق ما عداها ، أن مصر نجت بل سمت وارتفعت على (انقسام الشخصية حين آمنت بالمسيحية وحين آمنت بالاسلام ، **وظـل كل من نزلوها اعدادا مضافة الى لبانتها دون أن يكونوا عوامل تغيير فى قوميتها) .**

(٣) ص ٣١ .
(٤) ص ٣٢ .

فمصر قد تكلمت العربية بعد قرون من الفتح العربي لأنها في الوقت نفسه لغة القرآن الكريم ولكن العربية لم تجب اللغة المصرية القديمة تماما (وظلت بقية من مفردات لغتنا القديمة قائمة حية في مجتمعنا المعاصر ، تصل أهلها بماضيهم ، وتجري على ألسنتهم في أسماء قراهم ومدنهم وأسماء شهورهم الزراعية وتتخلل أحاديثهم في شئون حياتهم اليومية)(١) .

وهنا تضيق الصفحات بما أورده الدكتور عبد العزيز صالح من أسماء وصفات وأفعال وصيغ نرددها في لغة حياتنا اليومية مما يكفي بعضه لبروع القــارىء ، والمصري ، والآخرين أيضا ، وقد رد هذا كله الى أصوله المصرية القديمة ومن الطريف أنه **(ما زالت آثار قواعد اللغة القديمة باقية في بعض أساليبنا الدارجة** مع اختلاف الألفاظ ، مثل : قام كتب ، .. وحــا يكتب ، وراح يكتب ، وهو بيكتب ، وعمال يكتب .. **وكلها صيغ غير معروفة في العربية الفصحى** .. وعبارات أخرى وألفاظ كثيرة تشيع في الريف **وفي الصعيد بخاصة لا تزال تتطلب جهدا طويلا في جمعها وتفسيرها وردها** الى أصولها)(٢) .

وليس هــذا من عمل الايمان (بالمصرية) أو تأكيد (الذاتية) أو الولاء لهذا الوادي المقدس أو الوفاء لهذا الشعب النبيل فان جوستاف لوبون يقول في كتاب (المدنيات الأولى) : (غزت مصر شعوب مختلفة ، ولكن البــلاد استطاعت برغم ذلك أن تهضم هؤلاء الفاتحين جميعــا ، محتفظة بفنونها ولغتها ، وعقائدها ، فلم يتح لاولئــك الفاتحين أن يؤثروا فيها .. اللهم الا العرب الذين فرضوا عليها دينهم ولغتهم وفنونا أجنبية . ومع ذلك ، ظلت مصر رغم هذا الاخضاع فرعونية الدم)(٣) .

ويشايع لوبون ، لودفج(٤) ، وبترى(٥) ويشايعهم جميعا منطق الواقع وحقائق التاريخ ..

لم تحدث الكتاب عن (مراحل التاريخ الحضاري لمصر القديمة) ومن (دهور ما قبل التاريخ) . ويروى الدكتور عبد العزيز صالح لناقصة البحر الأبيض مع مصر وقصتها مع البحر الأحمر اما قصتها الكبيرة فكانت مع النيل قبل ظهور الانسان على أرض مصر وفي بداية ظهوره ولكنه (بدأ

(١) ص ٣٢ .

(٢) ص ٤٤ .

(٣) اقرأ الدكتور ابراهيم جمعــه (القومية المصرية الاسلامية) جـ ١ ص ٣٣ .

(٤) النيل لاميل لودفج The Nile in Egypt Page 178

(٥) A History of Egypt From the earliest Kings to the XVI th Dynasty by W. M. Flinders Petrie Vol 2 P. 236.

أهم مراحله أثرا في حضارة أهله منــذ تفتحت له آفاق النحت والنقل من رواسب الجنوب في أواخر الدهــر الحجري القديم الأوسط فحمل الغرين الدسم منها ، وغطى به الحصباء والرمال الخشنة القديمة في واديه ودلتاه شيئا فشيئا وردم به مناقع واسعة صادفته في الصعيد وجعلها مهيأة للعمران والسكنى)(٦) .

وأكد الكتاب حقيقة كبرى تغيب دائما في طيات عبارة هيرودوت المشهورة (مصر هبة النيل) . ان نهرنا العظيم صاحب حضارتنا بفنونها وعلومها وآدابها واخلاقها وقيمها ولكن ذلك كله لا ينفي كما يقول الدكتور عبد العزيز صالح **(ان مصر الزراعية المتحضرة كانت ثمرة من ثمرات الجهد المصري الأصيل** ، كما كانت هبة من هبات النيــل في آن واحد)(١) .

وفي حديث عن الدين لخص جوهر العقيدة عند قدماء المصريين بقوله : **(ان تقديس المصريين للقوى الربانيــة الخفية التي تبينوها في دنياهم وفي بيئتهم هو الذي وجههم الى اظهار الود نحو مخلوقاتها الظاهرة التي توهموا** فيهــا آيات من قدرة أربابهم وتخيلوا فيها صــفات تتفق مع تصوراتهم عن أربابهم)(٢) .

ومن الخطوط البارزة في الكتاب خط **بناء الهرم** هــل بنى الهرم بأيد (مسخرة موثقة) ؟ ان المسخر الموثق يعمل ما يؤمر به ولكن عمله مزاولة فحسب لا ابداع فيهــا ولا روح والباحث العالم هرمان يونكر يؤكد (ان روح الرضا والرغبة في الابداع والاتقان كانت غالبــة على من تكفلوا ببنائه وان عوامل التسخير والاجبار قد تستطيع أن تبني الهرم الاكبر ، وما هو أعظم من الهرم الاكبر ولكنها لم تكن تستطيع وحدها أن تبلغ به الى ما بلغه من الاتقان بحال من الأحوال)(٣) .

كما يؤكد الكسندر شارف (ان تقديس المصريين لملوكهم ورغبتهم في عبادتهم بعد موتهم هي التي دفعتهم الى التفاني في بناء أهرامهم ومعابدها) . بل يذهب الى أبعد من هذا فيؤكد ثانية (ان حرص أفراد الطبقات الكادحة على أن يدفنوا حول هرم خوفو بعد أربعة قرون من وفاته ، يؤكد بقاء ذكراه الطيبة بينهم ويبعــد عنه ســمة العتــاة المستبدين)(٤) .

ان التاريخ الحديث يذكر ان الفنان ما يكل انجلو مبدع القبة العظيمة بكنيسة القديس بطرس كان يرفض بعاطفته الدينية أن يتقاضى أجرا عن أعماله بها فما بالنا بالمصريين القدماء منذ ألوف السنين الذين كانوا يرون ملوكهم آلهة

(٦) ص ٥٧ .

(٧) ص ٨٥ .

(٨) ص ١٢٠ .

(٩) ص ٣٣٦ .

(١٠) ص ٣٣٧ .

وأبناء الشمس ومالكى مصائرهم لافى الدنيا وحدها بل فى الآخرة أيضا .

ويشير الدكتور عبد العزيز صالح فى مناقشته بناء الهرم ، الى ظروف مصر الطبيعية واعتمادها قديما فى حياتها الزراعية على دورة زراعية واحـــدة ، مما ينجم عنه تعطل عمال الزراعة بضعة شهور من كل عام كانت فرصة لهم .. وللحكومة وعلى رأسها فرعون أن يعملوا فى المنشـــآت والمشاريع العامة ليأمنوا غائلة البطالة حين تطرد حـركة البناء والتعمير فى الوطن يؤكد هذا أو يرجحه على الأقل ما رواه المؤرخون الاغريقيون الذين زاروا مصر القديمة من أن العمل فى الهرم كان يستأنف أو يشتد عادة فى مواسم الفيضان وما رووه من أن بناء الهرم الأكبر وتوابعـــه استغرق نحو عشرين عاما ولم يتم فى وقت قصير .

يقول الدكتور عبد العزيز صالح :

ليس من آثار أو نصوص باقية من عهد خوفو بالذات تكشف عن طريقة معاملة رجاله لعماله ، ولكن يمكن أن يستشهد من طريق غير مباشر بما أسلفناه عن تخصيص **شون للغلال فى مجموعة زوسر بسقارة لتموين العمال وقت بناء الهرم** . وتموين الكهنة بعد بنائه وما سوف نذكره عن تخصيص مساكن للعمال بجوار هرم خفرع لايوائهم عوضا عن تركهم يبيتون فى العراء(1) . وقد تخلفت نصوص لأثرياء من عصر الأسرة الرابعة نفسها وأثرياء عهود مختلفة أخرى من الدولة القديمة تعمد أصحابها أن يصوروا الظروف التى شيدوا فيها مقابرهم ، والأساليب التى عاملوا بهـــا من استأجروهم فيها ، فقال رجل من عصر الأسرة الرابعـــة **(كل صانع عمل فى مقبرتى أرضيته)** وردد آخـــرون فى نصوصهم قولهم : **(انفقت على قبرى هـــذا من متـــاعى الحلال ، ولم يحدث اطلاقا أن أغتصبت متاع شخص ما)** . وقال آخرون فى نصوصهم : **(أرضيت كل الصناع الذين اتموا لى عملا فى هذا القبر بالخبز والشراب وكل شىء طيب)** وقال بعض من تولوا رياسة الاتباع والصناع : (لم أضرب انسانا وقع تحت يدى ، **ولم أستعبد أحدا فى العمـــل**) وليس من شك فى أن مثل هذه الأقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك فى أنها لا تخلو من اثارات صدق)(2) .

ويختم الدكتور عبد العزيز صالح مناقشته للمسألة بأن الفراعنة اذا كانوا قد وجهوا جانبا كبيرا من موارد أرضهم الى صالح المعابد والمقابر والأهرام ، ابتغاء خلود الذكر أو تكريما للأرباب أو اظهارا للتقوى أو استمالة لأهل الدين أو حتى التقليد والتفاخر ، فان غيرهم من الحكام لهم من الآفات ما لا يشفع فيه مجلى فن أو استهداف الخـــلود أو قربى الآلهة فكان (من آفة حكام بلاد النهرين الأقدمين حب البطش وسفك الدماء والنهم الى الجبروت ، وكان من أمر الحكام الرومان الأقدمين مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير من موارد دولهم وبيوت أموالها فى سبيل بناء القصور وحياة الاســـتمتاع ومدائح الشعراء)(3) .

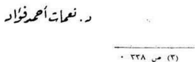
لقد تحدث الكتاب عن (فجر التاريخ) فى مصر وما أمتع حديثه عن مرمدة بنى سلامة وحضارات حلوان والفيوم وديرتاسا ثم حديثه بعدها عن البدارى والمعادى . وحديثه عن الفنون بألوانها وقصتها مع الانسان المصرى على ضفاف النيـــل .

ان كتاب (حضارة مصر القديمة) بهذا كله ومن أجل هذا كله خليق بالقراءة المتعمقة ، حقيق بالدرس المتأمل كفاء ما بذله صاحبه من جهد البحث والاطلاع والتقييم والعرض والتحليل .

ان هذا الكتاب لمصر بما فيه من غذاء للشخصية المصرية والعزة المصرية .. والعزيمة المصرية والطاقة المصرية طاقة العمل والأمل والطموح والقدرة والانتصار .

ان هذا الكتاب لمصر بما فيه من فنونها وعلومها وعقائدها وكفاحها ونجاحها ومقاومتها وصلابتها واصرارها وكبريائها وعنادها وآلامها وآمالها .

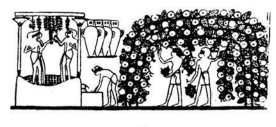
ان هذا الكتاب لمصر بما ردد من اسمها وأعلى من قيمها وصفى لها من حب يتودد ، ورقرق لها من غناء يتعبـــد وسكب عليها من حنان يتملى ورفع اليها من أناشيد تتغنى، انه فى محرابها صلاة تعمق الايمان بها بذات الأرضين .. بذات الضفتين .. بمصر الخالدة ..



(1) ص ٣٥٣ .

(2) ص ٣٣٩ .

(3) ص ٣٣٨ .



كتاب في الطريق



مع ... نجيب محفوظ

في طريقي الجديد .. الى الأستاذ نجيب محفوظ .. أمني النفس بالحصول منه على حديث .. على قصة لم يقرأها أحد بعد .. أو مجرد فكرة لقصة .

لكنني تداركت موقفي .. فالمجلة لاتنشر القصص .. وانما تنشر نقدها .. فماذا ينقد أديبنا ؟ .. ماذا لو طلبت منه أن ينقد أعماله في كتاب جديد ؟ ! لعل وعسى .

وها أنذا في طريقي الجديد .. فقد تكون لي قصة معه .. عن النقد الذاتي البناء .

جمال بدران

- هل تفكر في شيء الآن .. ؟

الطبيعي أن يفكر الانسان كلما وجد فرصة للتفكير .

- ما هذا الذي تفكر فيه .. ؟

أفكر عادة فيما يجري حولنا من أحداث ،سواء في الداخل أم في الخارج . كما تناوشني بعض أفكار مجردة وان تكن مستلهمة من واقع الحياة كذلك . أعطيك فكرة على سبيل المثال هي « اخلاقية الرجل المعاصر » . ثمة اناس بلا دين فكيف يمكن التعامل معهم وكيف يمكن ان يتعاملوا هم مع الحياة بل حتى بعض المتدينين لا تساير أخلاقهم دينهم . وما هي الأسس التي يمكن ان تقام عليها أخلاق اجتماعية وانسانية فاضلة ؟ .

- هل يمكن أن يكون ما تفكر فيه مجالا لقصة جديدة .. ؟

هذا ممكن وهو ما نرجوه دائما ، أما متى تنضج مثل هذه الفكرة لكى تجد شكلها الفنى المناسب فهو أمر لا سيطرة لنا عليه ، ولذلك فنحن أشبه بالشحاذ الذى يسير في الأسواق باسطا يده طالبا رحمة الله .

- كيف تتبلور هذه الفكرة في ذهنك لتصوغها في قصة للقراءة .. ؟

من العسير تحديد ذلك . وهناك طريقة لا تخلو من مجازفة وهي أن يخلق المؤلف الشخوص والحبكة التي تعبر في النهاية عن الفكرة الجاهزة بعد نضوجها . واخطر ما يهدد هذا النوع من الخلق الفنى أن تظهر الصنعة في كيانه بحيث تظهر كنظرية هندسية ونتيجتها الحتمية . ومن المؤلفين من يتبعه دون أن يقع في مزالقه بفضل دربته وطاقته الفنية الخارقة .

اما الطريقة الأخرى فهي أن يداوم المؤلف على التفكير في فكرته وتقليبها على شتى وجودها دون محاولة دفعها الى عمل فنى . ثم يعرض لموضوع ما لا يدرى كيف عرض . وربما يعرض

فى الطريق أو فى أثناء نقاش أو لدى قراءة حادثة فى صحيفة يومية . ويبدأ الخيال عمله فى تكوين هذا الشىء الذى عرض وبلورته عملا فنيا ، واذا به يفاجأ عنـد الختام ــ وربما عند نقد العمل بوسـاطة ناقد اريب ــ بأنه قد عبر بطريق غير مباشر عن فكرته القديمة .

ــ لو كانت هذه القصة قصيرة .. ألم تراودك فكرة جعلها قصة طويلة تطبع فى كتاب ؟

ينـدر أن تصلح الأقصوصـة موضوعا للرواية ولكن فكرتها Theme قـد تتحول الى رواية بتأليف جديد كل الجدة . وعلى أى حال فهذه المسائل لا تخضع لقواعد جامدة .

ــ ما هى الخطوط الرئيسية التى ستسير عليها فى هذه القصة .. وهل أستطيع اعتبارها تجربة جديدة فى فن القصة كعهدنا بك .

الكلام فى ذلك سـابق لأوانه . وأرجو عندما تتحدث عن تجـاربى الا تذكر « الجدة » بهـذه البساطة . فنحن نتطور ولكننا لا نخلق « جديدا » بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة على المستوى العالمى ، وكل ما نرجوه دائما هو أن تعلن أصـالتنا عن نفسها بطريقة ما رغم أننا لا نخلق جديدا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

ــ لو أتيحت لك فرصة اعادة كتابة قصة لك من جديد .. فهل تكتبها بنفس الطريقة .. أم تغير فيها على أساس التجربة الجديدة .. ما السبب ؟

لا أصدق أن قصة ما تكتب بطريقة واحدة فى فترتين متباعدتين ومختلفتين ومرجع ذلك الى تقدم السن والنضج وتطور الزمن والاحـداث وتغير النظرة للدنيا وللأشياء .

ــ ما الحدود التى ترسم بمقتضاها شخصيات هذه القصة ، وهل ترسم شخصيتك الخالقة من بينها ؟

من الأفضل للمؤلف دائمـا أن يدخـل قصته بمزاجه ووجهة نظره وثقافته من أن يدخلها بشخصه . وذلك حتى يظل شـخصه منبعا صالحا للالهام ، وحتى لا يفقد أكبر معين له فى اختيار الشخوص واعادة خلقها ، وحتى لا تنقلب الرواية بين يديه الى نوع من الاعترافات المباشرة أو الترجمة الذاتية .

ــ لو احتج عليك واحد من القراء بأنه صـاحب شخصية معينة فى هذه القصة.. بماذا تقنعه؟

القـارىء الذى يجـد نفسه فى شخصية حسنة لا يحتج بطبيعة الحال ، والذى يجد نفسه فى شخصية سيئة يتجنب الجهر بذلك . وحتى فى حال الشكوى فسيجد المؤلف أكثر من شخص عادة يوجه نفس الاتهـام مما يضيع خطورته . ولكن بصفة عامة فنحن عند اعادة تركيب شخصية نخلق منها شيئا جديدا من العسير أن لم يكن من المحال اثبات انطباقه على شخص معين .

ــ ما مدى النجاح الذى تنتظره لقصتك الجديدة وأنت تكتبها ؟

الحق انى لا افـكر فى النجاح وأنا أكتب ،لا لأنى لا أهتم به ؛ وانما لأن التفكير فيه قد يفسد العمل كله ، كما يصيب الأرق المتفكر فى النوم وهو يستعد له ! .

ــ هل ترى أن نشر فكرة هذه القصة على صفحات المجلة يقلل من ارباح الـكتاب المنتظر أم يزيده ؟

ان نشر فكرة عمل فنى لا يؤثر فى مـدى نجاحه ، فالمعروف أن الأفكار ملقاة فى الطرقات كما كان يقـال قديما ، وانه لا جديد فيها ؛ بل حتى القارىء الواعى لا يهمه أن يعرف الموضوع نفسه مسبقا ، والحق أن طريقة التناول ووجهة نظر المؤلف هى ما يهم القارىء .

ـ متى تنوى اخراج هذا الكتاب الى عالم القراء ؟

الكتاب نفسه هو الذى يقرر ذلك .

ـ هل تفضل أن تتحمل تكاليف نشره ، أم تتولاه دار نشر ؟

لم أتحمل نفقات نشر أى كتاب من كتبى .فى المـــاضى كانت تعـد مجازفة سيئة العواقب بالقياس الى كاتب مجهـول . وفى الحاضر فانهلا خبرة لى بالتوزيع ولا وقت عندى لمتابعته . ومن الأفضل للفنان أن يظل فنانا دائما ما وسعهالحظ .

ـ ألم تقابلك صعوبات نشر فى الماضى .. ما هى .. هل هى باقية حتى الآن ؟

كان النشر أمنيـــة عزيزة المنـال . فدورالنشر محدودة والكتاب المعروفون معدودون ، والترحيب بكتاب جـدد معدوم أو فاتر جدا .وقد أنقذ الموقف بالنسبة لجيلنـــا كله الأستاذ عبــد الحميد الســحار بانشـــائه لجنة النشرللجامعيين . أما اليوم فالأمر مختلف جـــدا . تعـــددت المسابقات ، ووجدت رعاية حقيقيةللكتاب الجدد . وحسبى أن أشير الى مسابقات نادى القصـة والمجمع والمجالس الأعلى . ونظامالكتاب الأول . والتوسع فى النشر لغير حدود . وكثرة المجـــلات وتنوعها بحيث تستوعب كافةالمواهب .

ـ كيف تتغلب على هذه الصعوبات ؟

بالاضـــافة الى ما ســـبق أقترح انشـــاءدار نشر للمواهب الجديدة تقوم على انشاء مجلة أسبوعية أو شهرية ، وسلسلة كتب شهرية .

ـ ألم تفكر يوما فى نقد أعمالك ؟ ما هى القصة التى تنقدها ؟

تتم عملية نقدى لكتبى على درجتين .اولا حين أقرأ الكتاب عقب صدوره . وثانيا على ضـــوء نقـــد النقاد له . والتزم فى الحالين،ما اســـتطعت موقف الحيدة التامة مفيدا من قراءاتى وتقدمى فى العمر .

ـ ما هى أقرب أعمالك القصصية الى قلبك ، وما أقربها الى عقلك ؟

لعل أقرب أعمالى الى قلبى هى الثلاثيـــةوأقربها الى عقلى هى أولاد حارتنـــا أو الشحاذ التى ستصدر قريبا .

ـ لو طلب القراء منك وضع كتاب توضح فيه منهجك فى التأليف القصصى .. هل توافق ؟

ارجح أننى سأكتب هذا الكتاب يوما ما ولكن،لم يئن الأوان بعد اذ يلزم قبل ذلك أن اهتدى الى جديد بكل معنى الكلمة يستحق أن اقدمه .

ـ سؤال أخير ـ ومعذرة ـ ماذا تصنع بالعائد من هذا الكتاب ؟

منذ صرت أبا فكل عائد يرجع الى الأبناء ،وما عدا ذلك فلا يستحق الذكر .

لقاؤنا فى الشهر القادم

مع الدكتور طه حسين

(المجلة)

النقد الأدبى الحديث

تأليف

الدكتور محمد غنيمى هلال

الناشر : دار النهضة العربية
(طبعة ثالثة) عدد الصفحات ٧٢١ ص
١٧×٢٤سم • الثمن ١٢٠ قرشا

اذا صح أن يطلق على كتاب ألف فى موضوع معين عبارة « جامع مانع » ، فلعل كتاب الدكتور غنيمى هلال « النقد الأدبى الحديث » أولى بهذه التسمية . ولسنا نبالغ فى هذا ؛ فكتاب الدكتور غنيمى هلال لم يترك مجالا فى النقد لم يطرقه ، فقد تعرض للنقد اليونانى فى الجزء الأول من الكتاب ، وللنقد العربى فى الجزء الثانى منه ، وللاتجاهات النقدية الحديثة فى الجزء الأخير ، هذا فضلا عن أنه اختص الشعر والقصة والمسرحية بمفهومها الحديث ببعض الدراسة.

على أن هذا يدفعنا الى السؤال عن ماهيـة الكتاب الجيد . فهل هو الكتاب الذى يحرص على أن يلم بين ثناياه كل ما يتصل بموضوع واسـع ، أم ذاك الذى يختص بدراسة جزء من موضوع كبير دراسة عميقة منقبة تربط بين أجزاء الكتاب ربطا متماسكا ، بحيث ينتهى القارىء المتخصص الى تحصيل شىء جديد يضـيفه الى حصيلة قراءاته فى هذا الموضوع ؟ حقا ان العبرة فى تأليف الكتاب ليست بالكم وانما بالكيف . فقد يكون فى البحث القصير جدة لا تتوفر فى الكتاب الضخم . ولكن الدكتور غنيمى هلال شاء أن يضيف الى كتاب ألفه عام ١٩٥٨ كل ما قرأه فى النقد الأدبى منذ ذلك التاريخ ، وجمع كل ذلك فى كتابه هذا الذى يبلغ السبعمائة صحيفة . وليس عيبا أن يضيف الدارس شيئا أو أشياء الى طبعات كتابه . ولكن تلك الاضافات ليس من شأنها أن تخـل بمنهج الكتاب بحيث يتعرض القارىء للتشتيت البالغ ، فتضيع عليه فرصة الاستزادة والتحصيل . على أن الكاتب سعيد على كل حال بكتابه الضخم وبأنه يضيف اضافات كثيرة لكل طبعة من طبعات كتابه . فهو يقول فى مقدمة كتابه : « تمثلت نواة هذا الكتاب فى الطبعة الأولى من كتابى « المدخل الى النقد الأدبى الحديث » عام ١٩٥٨ ... وفى الطبعة الثانية من كتابى السـابق – عام ١٩٦٢ – زدت فيه بما كاد به أن يبلغ ضعف حجمه الأول .. وتبين لى عقب ذلك قصـور تسميتى للكتاب بالمدخل الى النقد الأدبى .. وقد زدت اقتناعا بضرورة تغيير اسم الكتاب فى هذه الطبعة بعـد أن أكملتها باستيعاب دراسة جميع مذاهب النقد الحديثة ، والكشف عن التيارات المعاصرة وتقويمها ، مع ربطها بجوانب التجديد فى أدبنا المعاصر » .

ولهذا فقد آثر الكاتب أن يكون عنوان كتابه « النقد الأدبى الحديث » . وقد نتساءل الى أى حد ينطبق عنوان الكتاب على محتواه اذا كان نصف الكتاب على وجه التقريب يبحث فى النقد اليونانى والنقد العربى القديم ؟ ويحاول الكاتب أن يجد مبررا لمنهجه هذا فيقول فى المقدمة « ومنهجنا فى هذه الدراسة قائم على العناية كل العناية ببيان وجوه الشبه والفروق – على سواء – بين النقد العربى وما سواه من النقد قديمه وحديثه » . فاذا كان النقد العربى بعد بؤرة بحثه ، فلم لم يكن عنوان الكتاب « النقد العربى » ؟ ثم يقول الكاتب فى مكان آخر من المقدمة : « من أجل هذا قد اتخذت النقد العربى – قديمه وحديثه – محورا لهذه الدراسات فى تلاقيه مع تيارات النقد العالمية القـديمة والحديثة أو افتراقه عنها » . ونحن نتساءل هل هناك نقد عربى حديث يتميز فى اتجاهاته وأسسه الجمالية عن سائر الاتجاهات النقدية المعاصرة ؟ ان العالم بأسره على وجه التقريب أصبح يعيش اليوم فى مجال فنى واحساس جمالى واحد . والانتاج الأدبى الجيد يستقبله العالم أجمع فى ترجمات مختلفة . واذن فليس هناك نقد عربى حديث ، وانما هناك حقا نقد عربى قديم يختلف عن اتجاهات النقد الحديثة ، ولا يرتبط بالنقد اليونانى الا بأوهى رباط . وعلى ذلك فان هذا الكتاب كان ينبغى أن ينقسم الى كتابين منفصلين : كتاب فى النقد العربى ، وكتاب فى النقـد الحديث ، على أن يتناول كل كتاب موضوعه من زاوية جديدة . فما أكثر ما ألف حول النقد العربى القديم ، وما أكثر ما كتب فى الاتجاهات النقدية الحديثة .

هذا من حيث منهج الكتاب . وننتقل الآن الى دراسة أبوابه وفصوله لكى نرى الى أى حد حقق الكاتب منهجه من ناحية ، ونلقى ضوءا على بعض القضايا النقـدية التى تعرض لها الكتاب من ناحية أخرى .

واذا تركنا الباب الأول الذى عرض فيه الكاتب نظريات أفلاطون وأرسطو فى النقد عرضا وافيا ، فاننا ننتقل بعد

ذلك الى الباب الثانى الذى يختص بالنقد العـــربى . ويستهل الكاتب هذا الباب بعرض تاريخى للنقد العربى . وهو لا يقف طويلا عند النظرات النقدية فى العصر الجاهلى والاموى ، لانها لم تكن تخضع لاسس منهجية ، وانما هى نظرات متفرقة تعتمد على ذوق الصفوة من الادباء . ويحاول الكاتب أن يؤيد رأيه هذا بعبارة للجاحظ فيقول : ص ١٦٠ « ولعل خير ما يستدر ثمرات هذا الاتجاه ، ويستخلص منه أقصى غاية له ، هو ما عبر عنه الجاحظ حين نصح الكاتب والشاعر بالاحتكام الى ذوق الصفوة من الجمهور ، والثقة فى ذلك الذوق دون ضرورة التماس تعليل فنى منه ». أما عبارة الجاحظ فهى كالآتى : « فاذا أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى أهل الادب فقرضت قصيدة او حبرت خطبة او ألفت رسالة ، فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك او يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب ، فان رأيت الاسماع تصغى له ، والعيون تحدج اليـــه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ، فانتحله . فاذا عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الاسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ فى غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه » .

واذا كان الجاحظ ـ كما هو معروف ـ يمثل الصورة القوية للفكر العربى ، فلعله من الاجحاف أن نقرن آراء الجاحظ النقدية بآراء العصر الجاهلى والاموى . وعبارة الجاحظ هذه انما تشير الى الدور الذى يلعبه متلقى الفن فى الحكم على العمل الفنى . وهى نظرية لاتزال لها قيمتها حتى اليوم . أفلا يعيب كثير من النقاد تصور بعض نماذج الفن الحديث ، لأن متلقى هذا الفن يعجزون عن فهمه والاحساس بقيمه الجمالية ؟

حتى اذا كان العصر العباسى ، استجاب الادب العربى لمطالب مجتمع جديد بسبب اتساع الحضارة الاسلامية ـ كما يقول الكاتب ـ وبسبب اتصال العرب بثقافات أخـــرى وتعرفهم على حضارات الأمم القديمة ، أهمها حضارة الفرس واليونان . ثم يقول الكاتب : ص ١٦٤ « ولا يهمنا هنا تفصيل صنوف التجديد هذه فيما يخص الادب ، ولكننا نبين أثرها العام فى النقد » . وفى الحقيقة كان يتحتم على الكاتب أن يبين صنوف التجـديد التى تأثرت على الأقل بالادب اليونانى ، حيث انه يهدف أولا وقبل كل شىء الى بيان ما فى النقد العربى من أصول يونانية . فلما شاء الكاتب أن يبين أثر صنوف التجديد هذه على النقد وأن يؤيد قوله بتطبيق عملى ، نجده يستشهد بقول بشار الذى عاب به غلظة التصوير فى قوله كثير :

الا انما ليلى عصـــا خيزرانة

اذا لمســـوها بالاكف تلين

وقد نقد بشار هذا البيت فقال : « والله لو جعلها عصا مخ أو عصا زبد . لقد جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصاه ألا قال كما قلت :

اذا قامت لمشـــــيتها تثنت

كأن عظـــامها من خــــيزران

ويعلق الكاتب على ذلك فيقول : « وهى ملحوظة دقيقة تتصل بالذوق السليم ودقة التصوير ورهف الحس » .

ومن بين الامثلة التى انتقاها الكاتب ليستدل بهـــا كذلك على رقى ذوق العربى ، واتســـاع ادراكه لمفهوم الادب ، تحذير الجاحظ للشاعر من بناء قصيدته على الحكمة . ويقول الجاحظ فى ذلك « لو أن شعر صالح ابن عبد القدوس كان مفرقا فى أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هى عليه بطبقات .. ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر » .

وكل هذه الأمثلة وغيرها لا تدلنا فى وضوح على مدى تأثر النقد العربى بالنقد اليونانى ، وانما هى مسلمات عامة تدل على رقى ذوق العربى فى فهم ماهية الشعر . ولم يكن سبب ذلك تأثر العرب بحضارة اليونان ، وانما لعبت فى ذلك عوامل كثيرة لا تخفى على الكاتب .

ولعل الكاتب قد شعر بأن هذه المقتطفات النقـــدية ليست بذوات قيمة ، فانتقل الى البحث فى نظرية المحاكاة عند أرسطو وأثرها فى النقد العربى . وهو يرى أن هذه النظرية يتضح تأثيرها أكثر ما يتضح فى فهم العرب لصلة الشعر بالفنون الاخرى . ويرى الكاتب أن الشىء الذى رسخ فى أذهان نقاد العرب من هذه النظرية هو صـــلة الشعر بالفنون التصويرية . والفنون التصويرية عنـــد هؤلاء النقاد هى الفنون النفعية مثل فن النجارة وفن النقش .

والواقع اننا لو أحصينا الأمثلة التى يستشهد بها نقاد العرب فى صلة الشعر بالصناعات الاخرى ومن أهمها :النقش والنسج والنجارة ، لوجدناها عديدة . فمن ذلك قول قدامة فى نقد الشعر : « وليس فحاشة المعنى فى نفســه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجـــارة فى الخشب رداءته فى ذاته » .

ومن ذلك قول الجرجانى فى الوســـاطة : « ولكل صناعة أهل يرجع اليهم فى خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها » .

ولا تدل هذه الأمثلة وغيرها على أن العرب درســوا صلة الشعر بالفنون الاخرى كما يقول الكاتب ، وانما تدل على فهم العربى للتأليف الشعرى بوصفه صـــنعة تعتمد على المهارة فى استخدام المادة . وقد شاء الكاتب أن يدعم رأيه بعبارة لعبد القاهر الجرجانى . ونود أن نذكر

هذه العبارة لأننا نرى أنها تؤكد ما سبق أن ذكرناه . يقول عبد القاهر : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشىء الذى يقع التصوير والصوغ فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار . فكما أن محالا اذا أنت أردت النظر فى صوغ الخاتم وفى جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصور ، أو الذهب الذى وقع فيه العمل وتلك الصنعة ـ كذلك محال اذا أردت أن تعرف مكان اللفظ والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه . وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود ، أو فضته أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ـ كذلك ينبغى اذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه الا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام » . (الجرجانى . دلائل الاعجاز . ط . المنار ص ١٩٦ ـ ١٩٧) .

فالشعر اذن صنعة . وقد شرح الآمدى وغيره معنى الصنعة بأن قال : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى وقرب المأخذ واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتخيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه » . (الموازنة ط ١ محمود توفيق ص ٣٩١) .

وعلى ذلك ، فلا دخل لقضية الصنعة عند العرب بنظرية المحاكاه عند أرسطو ، وما تفرع عنها من صلة الشعر بالفنون المختلفة كالفنون التشكيلية والموسيقى والمسألة كلها تحايل من الكاتب لكى يحقق منهجه ، وهو ارساء النقد العربى على أسس نقدية يونانية .

ثم ينتقل الكاتب الى البحث فى عمود الشعر بعيدا عن نظريات أرسطو ، لأن منهج نقاد العرب فيه ـ كما يقر هو بذلك ـ يختلف اختلافا جوهريا عن منهج أرسطو .

وبعد الكاتب كل هذه القضايا النقدية التى عرضها ، والتى تعد فى الحقيقة من أسس النقد العربى ـ يعدها اتجاهات نظرية عامة . يقول ص ١٧٩ : « وبعد هذه الاتجاهات النظرية العامة ، علينا أن نفصل القول فى مختلف الاتجاهات فى النقد العربى مع تقويمهما تقويما حديثا » .

ومن ثم ينتقل الكاتب الى الحديث عن نظرية العرب فى أجناس الأدب الشعرية . ومرة أخرى يتحايل الكاتب فى ايجاد علاقة بين هذا البحث وما ذكره أرسطو فى أجناس الأدب الشعرية . وأما هذه الاجناس عند أرسطو ، فهى ـ كما شرحها الكاتب فى الباب الأول ـ المأساة والملهاة والملحمة . ولكن لما كانت هذه الأنواع الأدبية بعيدة كل البعد عن أذهان العرب ، فقد استبدل الكاتب بذلك شعر المديح وشعر الغزل . فهل يعد المدح والغزل جنسين أدبيين منفصلين شأنهما شأن المأساة والملهاه على سبيل المثال ، أم هما غرضان لجنس شعرى واحد ؟ ومع ذلك فان الكاتب يصر على ايجاد العلاقة الوطيدة بين ابحاث كل من الطرفين اذ يقول ص ٢٠٨ : « وفيما قدمنا من عرض لآراء المفكرين من النقاد ، ما يعطى صورة لجهود العرب فى نقد الأجناس الادبية الشعرية ، وقد تأثروا فيه ـ كما أسلفنا ـ بآراء أرسطو وأفلاطون » .

وحسبنا هذا فيما يتعلق بالنقد العربى . لقد ملأ الكاتب فى هذا الموضوع ما يقرب من مائتى صحيفة . ولكننى أقرر ـ والحق رائدنا فى ذلك ـ أن هذا الباب لم يضف جديدا فى هذا الميدان الذى تعمق جوانبه كثير من الباحثين . لقد جهد الكاتب فى ارساء قواعد النقد العربى على أسس يونانية . ولكن آراءه تتسم فى الحقيقة بكثير من التعسف .

ثم ينتقل الكاتب الى الجزء الثالث من كتابه وهو الاتجاهات النقدية الحديثة . وبعد أن عرض الكاتب هذه الاتجاهات المختلفة ، أفرد فصولا لكل من الشعر والقصة والمسرحية بمفهومها الحديث .

والهدف الذى يرمى اليه الكاتب من دراسة كل جنس أدبى دراسة مفصلة ، هو بطبيعة الحال ربط مفهومنا الحديث لكل نوع من هذه الانواع بالتيارات النقدية العالمية .

واذا كان مفهوم الشعر عندنا فى العصر الحديث قد تطور كثيرا عن مفهوم القدماء له ، فقد كان ينبغى اذن أن يتركز البحث حول نواحى القصور فى الشعر القديم فى سبيل تأدية وظيفته وفقا للمفهوم الحديث ، وحول دواعى التجديد فى شعرنا الحديث ، بالاضافة الى دراسة قيمه الجمالية دراسة عميقة . ثم كان على الكاتب أن يبين بعد ذلك الى أى مدى حقق الشعر العربى الحديث غايته . ونحن نعتقد أن مثل هذا البحث كان يحتاج الى تركيز كبير حول هذه النقاط ، بحيث يبتعد الكاتب عن المسلمات التى يعرفها كل من له دراية بالشعر . واذا أحصينا تلك المسلمات التى تستغرق صفحات كثيرة سواء فى بحثه عن التجربة الشعرية أو عن الصورة فى الشعر أو عن موسيقى الشعر لوجدناها عديدة . ولا يسعنا الا أن نشير الى نماذج منها : يقول الكاتب فى ص ٣٨٣ : « فاثارة الشعور أو الاحساس مقدمة فى الشعر على اثارة الفكر على النقيض من المسرحية والقصة » . ويقول فى ص ٣٩٠ : « والشاعر يعبر فى تجربته عما فى نفسه من صراع داخلى ، سواء كانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو أو عن موقف انسانى عام تمثله » . ويقول ص ٢٩٤ : « والحق أننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التجارب التى موضوعها هين ضئيل القيمة ، متى استطاع الشاعر أن يضفى عليها من شعوره وتصويره وأخيلته القوية ما تنفذ به الى ما فيها من معان

جمالية أو انسانية » . وأخيرا يقـــول فى ص ٤٦٣ : « وليس العنصر القصصى فى الشعر الغنائى الا قالبا لا يصح أن يخطر فى بال أن ننتظر فيه نواحى نضج قصصى يحاكى به النضج الفنى فى القصة أو ما يقاربه » .

هذا شىء ، والشىء الآخر الذى يستحق النظر ، هو أن الكاتب أشار منذ البداية الى أنه يتبع منهجا تطبيقيا فى كتابه . ولكننا نرى أنه يسرف فى عرض النظريات والآراء الكثيرة دون أن يستفيد منها فى النهاية فى نقده التطبيقى ، الأمر الذى يدعو الى نسيان هذه الآراء والنظريات بمجرد الفراغ من قراءتها . كما أنه يدعو الى ضياع الهـــدف الرئيسى من البحث وسط هذه الآراء المتفرقة .

والشىء الذى يستحق النظر فى هذا الفصل الطويل ، رأى الكاتب فى الوحدة العضوية فى القصيدة . وقد عرف الكاتب الوحدة العضوية بأنها « وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهى الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدى بعضها الى بعض عن طريق التسلســل فى التفكير والمشاعر » . (ص ٤٠١) . ولكى تتم للشاعر هذه الوحدة يتحتم عليه « أن يفكر تفكيرا طويلا فى منهج قصيدته ، وفى الأثر الذى يريد أن يحدثه فى سامعيه ، وفى الأجزاء التى تتدرج فى احداث هذا الأثر ، بحيث تتمشى مع بنيـــة القصيدة بوصفها وحدة حية ، ثم فى الأفكار والصور التى يشتمل عليها كل جزء بحيث تتحرك به القصيدة الى الأمام لاحداث الأثر المقصـــود منها ، عن طريق التتابع المنطقى وتسلسل الاحداث أو الأفكار ووحدة الطابع . والوقوف على المنهج على هذا النحو قبل البدء فى النظم يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والصور التى تساعد على توكيد الأثر المراد » . ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

وهكذا يتحدث الكاتب عن الوحدة العضوية كما لو كانت شيئا منفصلا عن التجربة الشعرية . والواقع أن الوحدة فى القصيدة تكون نتيجة صدق تجربة الشاعر الخيالية الفردية . فالوحدة عملية داخلية فى بنية القصيدة مع تنوع عناصرها وكثرتها وتشابكها .

وتعريف الكاتب للوحدة العضوية بهذه الطريقة ليس من شأنه أن ينفيها عن القصيدة العربية القديمة . ولكن الكاتب يسلب القصيدة العربية القـديمة فى كل أطوارها الوحدة العضـوية . فهو يقـــول ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ : « فليس للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية فى شكل ما من الأشكال ، لأنه لا صلة فكرية بين أجزائها . فالوحدة فيها خارجية لا رباط فيها الا من ناحية خيال الجاهلى وحاله النفسية فى وصف الرحلة لمدح الممدوح . وكان هذا الرباط الواهى مبرر من المبررات فى العصر الجاهلى ثم صار تقليدا على مر العصور » . والواقع أن الكاتب يناقض نفسه .

فهو يقر بأن الرباط بين أجزاء القصيدة رباط نفسى ، ومع ذلك فهو ينكر ما فيها من وحدة .

أن القصيدة العربية لا تنقصها الوحدة طبقـــا لمفهوم الكاتب . ولكنها — فى عمومها — تبتعد حقـــا عن المفهوم الحديث للشعر بوصفه كشفا عن الحقيقة التى تتمثل فى التعبير عن تجربة فردية عميقة معقدة . وليس من الانصاف أن نقيس الشعر القديم بمفهومنا الحديث ؛ فمفهوم الادب يتطور مع تطور الانسان وتعقد شخصيته . على أن هذا لا يعنى بحال من الاحوال خلو الشعر القديم من النماذج التى تعبر فى صدق عن أحاسيس صادقة .

فاذا انتقل الكاتب الى الحديث عن القصة ، نجـده يستهل هذا الفصل بعرض تاريخى لها حتى العصر الحديث. فاذا عرج على القصة فى الأدب العربى القديم ، نجده يقدم نماذج لذلك تتمثل فى فن المقامات وقصص الحيوان وألف ليلة وليلة وفى قصة حى بن يقظان . أما القصص الشعبى العربى فالكاتب يسلبه كل قيمة فنية . وهل تعد ألف ليلة وليلة سوى تراث قصصى شعبى ؟ حقا ان ألف ليلة وليــلة ترجع الى أصول هندية ، ولكن العرب — بما لديهم من استعداد قصصى قوى — اسـتطاعوا أن يبتعـــدوا بالحكايات الهندية عن أغراضها التعليمية الجافة ، وأن يكسبوها رونقا وبهاء وسمرا قصصيا . ولا يتمثل الاستعداد القصصى لدى العرب فى ألف ليلة وليلة فحسب ، وانما يتمثل فى غير ذلك من التراث الادبى الشعبى الذى خلفه العرب ، والذى حان الوقت لنشره والاعتراف بما فيه من قيم فنية .

وعلى ذلك لا ينبغى أن نسأل عن سبب افتقار الادب العربى لهذا النوع ، (الكتاب ص ٥٣٨) وانما يتجــه السؤال الى سبب افتقارهم للتأليف الدرامى الذى لم يعرفوه فى شكل من أشكاله . وقد أفاض الكاتب فى شرح الأسباب التى ربما كانت حائلا دون التأليف الدرامى لدى العرب . وهى أسباب ، كثيرا ما رددها الناقدون الذين تعرضوا لدراسة المسرح العربى . ولم يوجه الكاتب عنايته — فى فصله الأخير عن المسرح — للمسرح العربى المعاصر ، بقدر ما وجهها لدراسة المسرح الغربى . وكنا نود لو أنه ألقى أضواء على مسرحنا الحديث الذى نعيش معه الآن ، والذى ما زال يتحســس طريقه بين اتجـــاهات التأليف المسرحى .

والواقع أن هذا الفصل يسوده الاضطراب ؛ فنحن نتنقل مع شكسبير وكورنى وشــوقى والاســكندر دوما وتشيكوف وبريخت واونســكو الى غير ذلك . وفى بعض الأحيان يخلط الكاتب بين الاتجاهات المختلفة لبعض كتاب المسرح . فهو يدعى مثلا أن يوجين يونسكو أحد الذين اتبعوا فى مسرحياتهم منهج بريخت . (الكتاب ص ٦٠٥) . والواقع أنهما يختلفان كل الاختلاف فى فلسفتهما وفى تأليفهما المسرحى . ولذلك كنا نود لو أن الكاتب اختار صفوة من

كتاب المسرح الذين لهم تأثيرهم على التأليف المسرحى العالمى، فخصهم بالدراسة العميقة ، فيوضح بذلك بعض القضايا التى يجملها ، أو تلك التى لا يخصها بالدراسة العميقة .

فمن بين المسائل التى حاول الكاتب أن يلقى عليها بعض الضوء ، مقومات المسرح الملحمى أو مسرح بريخت . وقد حاول الكاتب أن يفسر معنى المسرح الملحمى أو على وجه التحديد معنى لفظ الملحمى فذكر ص ٦٠٣ أن « هـــذا المسرح لا يمت بصلة للملحمة فى مفهومها القديم » . فلما حاول أن يفسر اللفظ أحالنا على راى أحد النقاد الألمان الذى يقول (ص ٦٠٤) : « ان الانسان أصبح فى العصر الحديث واعيا بطبيعته الخاصة على طريقة جديدة ، وان موضوعية الوجود هذه تتطلب نموا محددا لمسرح ملحمى ». والواقع أن هذه العبارة لم تفسر معنى اللفظ ، وانما تشير فى ايجاز بالغ الى دواعى هذا المسرح الجديد . ولفـــظ الملحمى يتصل فى الحقيقة بالملحمة بوصفها جنسا أدبيا . وليست الحكاية فى الملحمة هدفا فى ذاتها بقدر ما هى وسيلة لالقاء ضوء على الواقع السياسى والاجتماعى والفكرى الذى يعيشه الانسان . وهذه هى فلســفة بريخت فى مسرحه الذى يرمى الى أن يجعل المشاهد يعيش فى مجال أوسع وأعمق بكثير من مجال الموقف الواحد .

ثم يحاول الكاتب أن يناقش قضـــية أخرى فى مسرح بريخت معتمدا على ما ذكره المؤلف المسرحى من أن مسرحه يهدف الى اثارة الفكر لا الشعور . وبناء على ذلك فان الكاتب يتهم بريخت بأنه يدعى أن مسرحه مبنى على الفكر لا الشعور . ولا شك أن هناك فرقا بين الادعاءين . فبريخت يعنى أن مسرحه لا يهدف أولا الى اثارة شعور المشاهد عن طريق انفعال الممثل بالموقف الواحد ، وانما وظيفته الأولى أن تجعل المشاهد يعيش ويفكر فى واقعه بجوانبه المتعددة . ولذلك فان مسرح بريخت يتطلب من الممثل أن يؤدى دوره بطريقة تختلف عن تأديته لدوره فى أى مسرح آخر . فعليه الا ينفعل انفعالا قويا مهما بلغت حدة الموقف ، وذلك لكى لا يحمل المشاهد على الابتعاد عن الجو العام . وأعتقد أن هذا هو ما يعنيه بريخت من أن مسرحه يهدف الى اثارة الفكر لا الشعور . ولا يعنى هذا بحال من الأحـــوال أن الشعور ليس ركنا أساسيا فى مسرحه . فالتأليف المسرحى، مهما يكن اتجاهه ، انتاج فنى يعتمد على الفكر والشعور معا ، وفلسفة الكاتب هى التى تحدد علاقة العنصرين أحدهما بالآخر . على أن الكاتب افترض أن بريخت نفسه لا يفهم طبيعة مسرحه ، ولذلك فقد أخذ يناقشه فى أن مسرحه مبنى على الشعور لا على الفكر كما يدعى .

ومرة أخرى يتعرض الكاتب فى ص ٦٧٥ لمسرح بريخت فيقول : « وفى رأينا أن المسرحيات الشعرية فى معنى الشعر التقليدى لا تتنافى والواقعية . وها هو ذا بريخت ــ فى مسرحياته الحديثة ــ يزاوج بين النثر وقطع الشعر » . والواقع أن قطع الشعر فى مسرح بريخت ليست سوى أغنيات من تأليفه تغنى أثناء التمثيل لتكمل الجو الواقعى. فلا دخل لها بالمسرحيات الشعرية بحال من الأحوال .

والى هنا تنتهى فصول الكتاب . ويهمنا قبل أن نفرغ من نقده أن نشير الى ما يحمله الكتاب من عبارات مبهمة يود القارىء لو أن الكاتب استوضحها بالشرح أو التفسير. فمن ذلك ما ذكره الكاتب ص ٣٦٠ بعد أن عرض تيارات النقد السائدة فى العصر الحديث . يقول : « وبالاعتبارات الاجتماعية السابقة تتأثر القيم الجمالية للأدب ذاته ، ففى بعض الآداب ترمز الخرافات والأساطير الى حقائق اجتماعية تؤثر فى الفن كشياطين الشعراء رمزا للالهـــام فى الأدب العربى ، وكالأســـاطير اليونانيـــة التى طالما كانت مادة للمسرحيات والملاحم .

فما علاقة شياطين الشعراء بالخرافات والأساطير التى طالما كانت مادة للمسرحيات والملاحم ان شياطين الشعراء ليست سوى تفسير من وجهة نظر العربى لعبقرية الشاعر .

ومن ذلك ما يذكره الكاتب فى ص ٥٤٦ من أن « القصاص قد يذكر آراءه ويصف مشاعره فى تجربة عاناها ، ولكنه لا يصفها وصفا من ثنايا شعوره كالشاعر ، بل يخلقها خلقا موضوعيا فى عالم خاص » .

ثم لا يصفها من ثنايا شعوره ، ويقول مرة أخرى فى ص ٥٤٦ : « فليس ضروريا أن يكون القصاص قد عاناها (اى عانى التجربة) بنفسه ، بل يكفى أن يلحظها ويؤمن بها » . فما الفرق بين معاناة التجربة والايمان بها من ناحية التأليف القصصى .

كل هذه العبارات وأمثالها كانت فى حاجة الى توضيح ، والا فانها تظل تحمل مفهوما مبهما .

وبعد فاننا نقدر للكاتب جهده وقراءاته الواسعة التى أهلته لأن يكتب فى كل فرع من فروع الأدب والنقد . هـــذا وان كنا نرى أن الكتاب يصح أن يحمل عنوانه القديم وهو : « المدخل الى النقد الأدبى » .

د. نبيلة ابراهيم



تأليف : يوجين أونيل

ترجمة : جـلال العشرى
مراجعة : حسـن محمـود
تقديم : الدكتور رشاد رشدى

الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ،
عدد الصفحات ١٥٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٠ قروش

لا أدرى الى أى حد سيعجبك ما اعجبنى من هذه المسرحية .

أنا شخصيا أعجبنى بطلها (يانك) الذى رمز اليه المؤلف بالقرد الكثيف الشعر ... وطبعا لم يعجبنى لكثافة شعره ، وانما أعجبنى فيه انه لم يرضخ اطلاقا ، ولم يهدأ لحظة واحدة .

وربما تخالفنى الرأى ... ربما لا يعجبك منه ــ مثلا ــ أن العنف هو أسلوبه فى الحياة ، وأنه بلغ من الخشونة والفلظة الى درجة أنه تحفز للاعتداء على فتاة اسمها « ملدرد » ولكن ماذا يفعل ؟ ان تصرفاته عنيفة فعلا ، ووحشية أحيانا . ولكن ظروفه تضطره الى ذلك ، وتضطرنا الى الاستماع ــ ولو لمجرد الاستماع ــ الى وجهة نظره .

انه عامل فى سفينة عتيقة وقودها الفحم ، وهو وزملاؤه العمال يمضون معظم حياتهم فى جوفها يجرفون الفحم الى فرن السفينة ... فى هذا المكان الضيق المحرق يعيشون ويكدحون ويحترقون ويسكرون أيضا ... و (يانك) بين العمال أقواهم وأكثرهم ثقة واعتدادا بنفسه ، ومع ذلك يشعر بالضياع ... لا بيت ولا حب ولا مال ولا خمر !! وعندما يحاول « أن يفكر » يسخر منه زملاؤه ، ويعطونه خمرا ، وينصحونه بأن يسكر ، ويصيحون فى وجهه « اسكر اسكر ولا تفكر » ... وهم يرددون له ان الناس جميعا ولدوا أحرارا متساوين كما جاء فى الانجيل ، لولا أن الراسماليين الخنازير الكسالى الذين يركبون فى الدرجة الأولى حولوهم الى عبيد أجراء يحترقون فى جوف السفينة بين تراب الفحم .

هكذا يذكرونه دائما بمأساته ، فيدرك أنه وزملاءه العمال مجرد مخزن فحم ، مجرد « صفر » فى الحياة .

وهو يقارن ، فيجد أن أى واحد من ركاب الدرجة الأولى لا يستطيع النزول الى فتحة الفرن .. انهم لا يعملون ولا يكدحون ، واذن فهم « غير أصلاء » ، بينما العمال هم الذين يكدحون ويسيرون السفينة ، واذن فهم الرجال ، وهم الأصلاء .

وعندما يقول زملاؤه انهم محبوسون فى قفص من الصلب ، ولا يشعرون بالأصالة التى يزعمها ، يتفاخر هو بأنه أصيل وحى ، لأن هذه الآلات تتحرك وتسرع وتمخر عباب البحر ، وهو سبب هذا التحرك ... ان (يانك) يتضخم فيــه الشعور بالأصــالة وبالقيمــة حتى يقول : انا شاب .. اننى فى وهج الحيــاة .. اننى أتطور معها ... واذا كان الموقد هو الجحيم فان العمل فى الجحيم هو مناخى ... أنا الذى أجعله يشتعل ويتحــرك ، وبدونى يتوقف كل شىء بل يموت كل شىء .

انه يتصور أنه البداية والنهاية ، وأنه المحرك الذى يحرك العالم ، وأنه البخار والزيت والدخان والقطار والبــاخرة ، وأنه الذى يجعل الذهب نقودا ويجعل الحديد صــلبا ، وأنه العضلات والقوة التى فى الصلب ... الخ ... ومع ذلك كله ، ورغم ذلك كله فانه يشـعر بالألم والمرارة والهوان والمهـانة عندما وصفته (ملدرد) بأنه وحش مفترس وقرد كثيف الشعر !! .

من هى (ملدرد) هذه ؟! ان المؤلف الرائع فى استخدام التكنيك المسرحى وضعها فى مواجهة (يانك) فى حدث مسرحى بسيط جدا ، ولكنك تلمس احتــدام الصراع المسرحى من هــذه البساطة ... ان (ملدرد) فتــاة درست علم الاجتماع ، وجدها أنشأ أفران الصلب ، وأبوها حافظ على هذه الأفران وجمع الملايين ، وأورثها الانتاج والثروة ، ثم جاءت لزيارة فرن السفينة لاعداد بحث اجتماعى ... جاءت مرتدية ملابس أنيقة بيضاء دون أن تخشى عليهــا من قذارة الزيت والفحم ، ليس من باب التواضع أو مجاملة العمال ، بل لأن عندها خمسين ثوبا من هــذا النوع ، ولا يضيرها أن تلقى بثوبها فى البحر بعد انتهاء الزيارة .

وفعلا ذهبت الى الفرن فى حراسة أربعــة مهندسـين ... كان العمال منهمكين فى جرف الفحم ، وكان (يانك) يفتح باب الفرن ، وعندما تراه (ملدرد) وتسمعه يصيح صيحات عالية تصاب بالانهيار ... انها ترى فيــه وحشية ووقاحة ، وترى وجهــه شبيها بوجه الغوريلا ، فتصرخ فى فزع وتخفى عينيها بيديها وتصيح : « ابعدونى عن الوحش المفترس » .

كما تضخم فى (يانك) الشعور بنفسه وقيمته وأصالته ، تضخم فيه منذ هذه اللحظة الشعور بالمرارة .

لم يغسل وجهــه بعد انتهاء العمل .. لم يأكل .. انه يحاول « أن يفــكر » ، وزملاؤه يتوهمون انه « وقع فى الحب » ، حب (ملدرد) ولكنه يقول لهم انه وقع فى الكراهية ، وقرر أن يحطم رأس هــذه الفتاة التى اشعرته بالمرارة والاهانة ونظرت اليه كقرد كثيف الشعر .

من تكون هذه الفتاة ؟! انه ــ من وجهة نظره ــ افضل منها ... هو أصيل ، وهى غير أصيلة ... هو يتحرك ، وهى ساكنة ... انه الذى يحملها وهى ليست أكثر من متاع ... هل تفضله هى برقة جسـدها وبيــاض ثيابها ؟ انها فى نظره مضحكة ... ان فى يديها هزالا ، وبياض ثوبها مثل بياض الموتى ... انه يستطيع ان يمسكها بذراعه ، بل بخنصره ، ويكسرها نصفين ... من تكون ؟ من أين جاءت ؟ وما أصلها ؟ ومن أعطاها الحق فى أن تنظر اليه تلك النظرة المهينة .

ويثور (يانك) ويهـدد بأنه سيقذف بها الى الفرن ، وهنــاك سوف تتحرك ، ولا ترتجف ، وتسرع ، وسوف تكون أصيلة !! .

ويندفع (يانك) نحو البـاب ليبحث عنها ، ويخشى عليه زملاؤه ان يطلق عليه النار بعد أن اصيب بما يشبه الجنون ... يخشون عليه أن يقتلها اذا عثر عليها ، فيتكاثرون عليه ويطرحونه على الأرض حتى يهدأ .

ولـكن (يانك) لا يهدأ .. لم يهدأ اطلاقا ، وأنا لا أريد أن أتابعه ، بل اترك لك متابعته الى نهاية مأساته ، الى نهاية المسرحية العميقة جـدا ، وانما قصدت فقط ان أعرض جانبا من هــذه

الشخصية ، لعلك تعجب بهـا حتى ولو كنت تخالفها الرأى .

وانا لم تعجبنى فقط شخصية (يانك) ، بل أعجبتنى كل شخصيات المسرحية بلا استثناء ، رغم اختلاف سـلوكها وتصرفاتها ... فمثلا اعجبنى (لونج) .. انه زميـل (يانك) فى السفينة وفى البؤس والعذاب ، ولكنه يخالفه فى أسلوب الحيـاة والـكفاح ... انه وهو مخمور يقول لزملائه ان هذه السفينة العفنة هى بيتهم ، وهى الجحيم ، وسيعيشون ويموتون فيه ، ولكن على من يقع اللوم ؟! وعندما تزورهم (ملدرد) يشرح للعمال لماذا عرضوا عليهـا كأنهم قردة فى حظيرة .. ان السبب هو أنها ابنة مليونير عنده من الذهب ما يكفى لاغراق هذه السفينة ... فهل يبتلعون اهانتهـا ؟ فى رأيه أنهم يستطيعون أن يلجئوا الى القانون .. واذن فهو بعكس (يانك) انه يشعر مثله بكراهية الأرستقراطيين ، لدرجة انه يسميهم « العصابة القذرة » ، ولكنه يختلف عن (يانك) فى أسلوب مكافحتهم .. (يانك) يثور عليهم بالعنف ، ويقول ان العنف هو أسلوبه والضرب هو طريقته ، بينما (لونج) يقول له : عاملهم بالاحتقـار اللائق بهم ، ولـكن تمالك أعصابك .. أن العنف ليس سلاحنا ويجب أن نفرض مطالبنا بالطرق السلمية .

شـخصية (بادى) تختلف عن (يانك) و (لونج) ولكنها تعجبنى أيضا ... انه مثلهما فى الشـقاء ، ولـكنه يفرغ همومه فى الويسكى والغنـاء !! انه يسـكر لأن « الويسكى حياة البشر » ، ويغنى لأن الانسان لا يمتنع عن الغناء الا اذا كان ميتا !! .

ان كل شـخصية لها معالمها وتكوينها الخاص بها ، ولها دور رئيسى فى هـذه المسرحية حتى الشخصيات الثانوية ، حتى الـكومبارس الذين يظهرون على المسرح كأصـوات فقط ... انهم أحيانا يتحولون الى « توابع » فقط ، فعنـدما يقول (يانك) نعم يقولون نعم ، وعندما يغير رأيه يغيرون رأيهم ، ومع ذلك فان دورهم رئيسى ..

ان المؤلف المتمكن من فنه صنع منهم ميكروفونات أحيـانا وميكروسكوبات أحيانا وأضواء كاشفة أحيانا ... انهم يؤدون وظيفـة الكورس بالمعنى الحقيقى للكورس .

وسواء أعجبك ما أعجبنى أو لم يعجبـك ، فالمسرحية من الروائع العالميـة التى لابد من دراستها مهما كنت متفقا أو مختلفا مع مؤلفها فى الرأى ... فالمسرحيات ليست نظريات فلسفية أو معارض لابداء الآراء ، وانما هى « مسرحيات » فقط .. فيهـا الرأى ولكن بأسلوب مسرحى ، وفيها التفكير ولكن فى « رؤية فنية » .

ويوجين أونيل أبدع فى عرض أفـكاره عرضا فنيا فى نطاق رؤيته الفنية الخاصة به ، وأسلوبه الفنى الخاص به ... انه رسـم شخصـيات مختلفة التكوين والأبعـاد والأعمـاق ، ولكنه جعلها فى مجموعها متشابهة الكيان والوضـع والمصير ... وهو يضع الحوار بأسلوب جديد ، لدرجة انه يبدو أحيانا غير منطقى ، وهو فى الواقع منطقى جدا لأنه متلائم مع طبيعة المأساة التى صورها ... وهو يلقى بالأحكام بين حين وآخر ، والقـاء الأحكام خطأ فنى ، ولكنه يلقيها بدون افتعال فتذوب فى السياق ... فمثلا يقول : (أن العبيد وحدهم هم الذين يهتمون لليوم الذى مضى واليوم الذى سيأتى حتى يشيخوا) .. هذا « تعريف » ، والتعريف فى المسرحيات يقلل من قيمتها الفنية ، ولكنه فى هذه المسرحية جاء على لسان (بادى) فى لحظة نشوة فأصبح عاملا من عوامل ايضاح شـخصيته وليس تعريفا بالمعنى اللفظى .

ومن أبرز معالم المسرحية أن المؤلف شديد الحرص على دقائقهـا لدرجة أنه لا يتركهـا للمخرجين يتصرفون فيها كما يشاءون ... انه طبعا يعلم ان لكل مخرج الحق فى تفسير الرواية التى يخرجها ، وقد تقع روايته بين أيدى مخرجين يضعون (يانك) فى حديقة القرود مثلا ، ومن أجل ذلك تعمد ابداء ملاحظاته عن كيفية اخراج كل مشهد ، وفى كل ملاحظة يذكر « التأثير المطلوب » من المشاهد وهذا أسلوب جديد ودقيق ، ويبرهن على وعى المؤلف .



والمؤلف بلغ منتهى البراعة فى السخرية ... ظهر ذلك فى مناقشة « ملدرد » مع عمتها ، ومع المهندسين .. وظهر فى المقارنة بين الأصالة والتفاهة .. وظهر فى التهكم على الأغنياء الذين « يتملقون الله ويسألون المسيح أن يعطيهم مزيدا من المال » ... وظهر فى المشهد الذى صوره أمام محل المجوهرات ... انه يصف مجوهرات الارستقراطيين بأن أثمانها الباهظة أكثر مما يعرق به العمال فى عشر رحلات أمام فتحة الفرن ، ومع ذلك يشترونها .. لماذا ؟ لتتدلى من رقابهم .. ان واحدة منها تشترى ما يكفى عائلة متضورة لمدة عام .. ان هذه الأشياء جميلة ، ولكن ما فائدتها .. والحيوانات المسكينة العزلاء ، انها تذبح لماذا ؟ لمجرد أن تستخدم جلودها لوقاية انوفهم من البرد !! انهم يدفعون الفين من الدولارات لشراء « فراء نسناس » ، ولكنهم لا يدفعون شيئا فى جلد قرد كثيف الشعر ، ولا فى القرد الحى بكل ما فيه من راس وجسد وروح .

أعجبتنى جدا هذه السخرية اللاذعة .

وأعجبتنى المقدمة التى كتبها الدكتور رشاد رشدى لهذه المسرحية ، ولكن لى عليها بعض ملاحظات ... فهو يقول مثلا ان المؤلف يؤمن بأن الانسان حر فى الاختيار ويستطيع ان يتحكم فى مصيره ، ومن هنا جاء انصرافه الى محاولة كتابة التراجيديا ... ويقول أيضا ان الصراع فى مسرح أونيل ليس صراعا بين الانسان والقدر ... الخ ... وأنا اخالفه فى هذه التفسيرات ... فالتراجيديا صراع بين الانسان والقدر حتى ولو تمثل هذا فى الصراع بين الانسان ونفسه ، الا اذا كان يقصد « القدر » بالمفهوم الشائع وليس بالمفهوم الدرامى ... والكائن التراجيدى ليس حر الاختيار بالمعنى الشائع أيضا ، بل يخضع « للجبرية الدرامية » وان كان لا يذعن لها بل يظل يقاومها ... هذه مسائل تحتاج الى بحوث مستقلة ، ومع ذلك فان المقدمة ألقت على المسرحية وعلى مسرح أونيل أضواء علمية فى غاية الافادة .

أيضا أعجبنى المترجم جلال العشرى لأنه يغنى المكتبة العربية بروائع المسرحيات ، وباسلوب حديث ومبسط ، ولكنه أحيانا يستخدم الفاظا روتينية ... وفى هذه المسرحية استخدم عبارات من طراز (أين كنت بحق الشيطان) ، و (بحق الجحيم) ، و (قاتله الله) .. الخ .. هل لمثل هذه العبارات مدلولات بحق الشيطان ؟!

عبد الفتاح البارودى







تأليف
خليل مطران

الناشر : دار المعارف
عدد الصفحات ١٢٩ ص
١٧×٢٤سم • الثمن ١٥ قرشا

الناشر دار المعارف عدد الصفحات ١٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٥ قرشا



الأراجيز جمع أرجوزة . والأرجوزة من الرجز . وهو بحر معروف من بحور الشعر العربى . وتسمى القصائد التى تنظم على وزنه أراجيز . وناظمها راجزا ، فان كان من المكثرين لنظمها سمى رجازا بتشديد الجيم . وقد سمى الرجز بهذا الاسم لأنه تتوالى فيه حركة فسكون ، ثم حركة فسكون كسير أرجل الناقة المسمى بالرجز فى أن تتحرك وتسكن . ثم تتحرك وتسكن .

وقد كان الرجز مشهورا فى الجاهلية وصدر الاسلام . وكان من خزائن أنساب العرب ديوان احسابهم . ومعدن فصاحتهم وكتب حكمهم . وقد قيل ان « الأصمعى » كان يحفظ ألف ارجوزة . وان أبا تمام حبيب بن أوس الطائى كان يحفظ مثل ذلك .

ولم تكن العرب فى الجاهلية تطيل الأراجيز . ولكن أطالها المخضرمون والاسلاميون كالعجاج ، وابنه رؤبة . والأغلب العجلى ، وأبى النجم وذى الرّمة وخلف الأحمر .

وللسيد توفيق البكرى مؤلف بعنوان : أراجيز العرب ، طبع منذ نحو أربعين عاما وهو أول كتاب جمع طرائف الأراجيز .

وأول ارجوزة طويلة ظهرت فى العصر الحديث هى ارجوزة « أمير الشعراء احمد شوقى » نظمها فى تاريخ العرب والاسلام بعنوان : « دول العرب وعظماء الاسلام » وقد نظمها فى منفاه بالأندلس أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)

وهى فى نحو ألف وخمسمائة بيت ... !!!

أما الأرجوزة الطويلة الثانية . فهى « أرجوزة الخليل » التى نتحدث عنها فى هذا الفصل وهى تحوى أحداثا تاريخية كأرجوزة شوقى . ولكنها تحوى مبادىء وطنيـــة واجتماعيـــة ووصايا فى الآداب والأخلاق ومحامد الخصال . ونصائح ذهبية فى حسن المعاملة والاقتصاد . وارشادات الى أسباب النجاح فى الحياة .

فقد كان الخليل رجل أخلاق . كما كان شاعرا نابغا وكاتبا بليغا . وكان يرى السعادة فى الحب بمعنـــاه الخاص ، وبمعناه العـــام ، وفى كريم الأخلاق ورفيع الصفات وقد طبعت هذه الأراجيز بعد وفاته بسنوات فى نطاق ضيق ، ولم يعرف قراء العربية عنها الكثير وقد نظم عدة مقطوعات منها قبل أن يرحل من هذه الدنيا بنحو ثلاثين عاما .

ومن الغريب . ولعـــله من عجيب الاتفاق أن يضع هذه الأرجوزة أو الأراجيز فى الوقت الذى كان زميله « أحمد شـــوقى » ينظم أرجـــوزته التاريخية الكبرى .. !! .

فقـــد نشرت له مجلة الهلال (فى أكتوبر سنة ١٩١٧ م) بالصفحة ١٤) طائفة منها بعنوان : « الصداقة » ــ « تخير الخلفاء » ــ « الوعـــد والعهد » ــ « الشجاعة » « كوارث الضغائن » ــ « توقير الكبار » ــ « صلابة الرأى ولين الرد » ــ « الشمم » ــ « الاتضاع » . نشر هذه الأراجيز فى ذلك الحـــين بعنوان : « أناشيـــد للمتأدبين الصغار » وكتب لها ديباجة . قال فيها :

« نظمتهـــا فى أبواب ثلاثة : باب الأوليـــات الاجتماعية . وباب مكارم الأخلاق وباب الفضائل المنجحة . أى المبلغة الى الغايات فى أراجيز صغيرة بألفاظ سهلة المجرى على ألسنة الفتيان من أوائل أمرهم فى تعلم لغتهم الى حين تستكمل ملكتهم العربية ويبلغون المبلغ الوافى من التأديب العلمى وهذه أمثلة من تلك الأناشيد نقتطفها من « باب مكارم الأخلاق » .. !!

« وأراد بهؤلاء الفتيـــان الذين وصفهم بهذا الوصف « الشباب » . ولهذا كان كل ما حوته هذه الأراجيز موجهـــا اليهم . وقد توسع فيها « الخليل » بعـــد ذلك فصارت خمسة أبواب لا ثلاثة أبواب . وهى :

١ ــ المبادىء الاجتماعية .
٢ ــ أحمد الخصـــال .
٣ ــ مهيئات النجاح .
٤ ــ ارشادات فى المعاملة والاقتصاد .
٥ ــ وصايا عامة .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عـــدة أراجيز فى عدة موضوعات فالباب الأول مثلا وهو « المبـــادىء الاجتماعيـــة » يشتمل على خمس وعشرين . وهكذا سائر الأبواب حتى بلغ عدد هـــذه الأراجيز اثنتين ومائة أرجوزة) فى نحو ألف بيت ... !!

وقد استهلها بأرجـــوزة عن السعادة قال فى مطلعها : ــ

بـكل شـــــغل أو عمـــل
يـرمى الفتى الى أمــــل
والبــــــدء والاعـــادة
فى طلب الســـــــــعادة
ذو العـــلم مهمـــا يبلغ
ذو الفن مهمــــا ينبـــغ
مــا زال فيمـــا راده
ينتجع الســــــعادة
ذو الجـــاه مهمـــا يجمع
وكل ســــامى المطمـــع
بالمــــــال والســـيادة
يرغب فى الســــــــعادة

وفى الباب الأول « المبادىء الاجتماعية » يبدأ بأرجوزة « الله » ويقول فى مطلعها :

الله ربك الأحـــــــــد
بارئـك الحى الصـــــمد
اياه ما عشت احمـــــد
وغــــيره لا تعبـــــد

ويلى هذه الأرجوزة : « عظائم الخالق » . ثم « أشرف العبـــادة » . ثم « الوطن » فالوطنية العـــاملة ، و « تفـــدية الوطن » و « الحرية القومية » و « التعاون » و « التسامح بين عناصر الأمة » الى آخر ما فى هـــذا الباب من مبادىء وقد قال فى « الوطن » :

ليس القــــرى ولا الـــدعن
بوطــــن أنت الوطـــن
هـــــل الحمى اذا انتمى
يوما ســـوى اهــــل الحمى
البيت ما قـــدرت لــــــه
من حالـــــة أو منزلـــة
ان هـــو الا أهـــــله
هـــم علمـــه أو جهــــله
جــــلاله او دقتـــــه
جفــوته أو رقتـــــــه
هـــــوانه أو شرفــــه
حفاظـــه أو سرفـــــه
مهمـا تشـــــــأ يرتفـع
وما تشـــــــأ يتضـع
صــــــلاحه ما تصـــلح
اصــــــلاحه ما تصـــلح
أني أجات النظـــــــرا
فيــــــه فاياك تـــرى
بالـــروح أو بالـــذات
كالرســـم فى المــــرآة

وفى الباب الثانى « أحمد الخصال » كثير من الأراجيز التى تتناول البر بالوالـدين ورعاية الجار . وتوقير الكبار . وأدب الجد والمزاح . وحفظ الجميل . والحيـاء الصادق والحياء الكاذب . والعطف على الفقراء . واجتناب النفاق والرياء . الى آخر حميد الخصال .

وفى الباب الثالث : مهيئات النجاح . اراجيز تتضمن الوسائل والأسباب التى تؤدى الى نجاح الشباب كأداء الواجب والكد والمثابرة . والصبر والحلم والكياسة — ومواجهة الحقيقة وقد قال من « أداء الواجب » :

لا تعنى بالمصـــــــــاعب
دون أداء الــــواجب
ومـا وليت فعـــــــله
أتممه ثم أرجــــــع لـــه
أصبر حتى يُحســـــــنا
وأصـــبر الى أن يتقنــــا
أتممــــــه غـــير طـــالب
الا اداء الـــــواجب
لا رغبـــــــة فى الأجـــر
أو رهبــــة من شــــر

الى آخر الأرجـوزة . وفى البـاب الرابع : « ارشاد فى المعاملة والاقتصاد » يرشد فيهـا الشباب الى شرف المعـاملة . وطريقة العرض والطلب . والأنفـــة المحمودة والعجرفة المذمومة ويصف لهم كيف يسـلكون سبيل الاقتصـاد . ويبتعدون عن السرف ويهديهم الى خير الطرق فى الانفاق .

أما البـاب الخامس : « وصايا عامة » فهو يشتمل على عدة وصايا مختلفة فى العلم والتعليم والانتفاع بالصناعة . وعلى عـــدة صفات عملية يحتاج اليها الشبان فى حياتهم وأعمالهم كالنظام والثبــات على المبـدأ وتقسيم الزمن والأمل والتفاؤل الدائم فى الحياة وقوة الارادة والذاتية . وأن يكون لهم فى الحياة هدف . وأن يسعوا دائما الى غاية شريفة فى جميع المساعى . وقد قال فى « الارادة » :

ما أدرك الســــــــعادة
فتى بــــلا ارادة
ولا أســـتعز قـــــدرا
ولا اســـــتدام ذكـــرا
هـــل جــل فى الرجـــال
أو عـــــد فى الأبطـــــال
ذو خـــــور فى العــــزم
أو وهن فى الحـــــــزم

الى آخر هذه الأرجوزة التى تبلغ اثنى عشر بيتـــا .

ولا ريب أن الخليل قد أدى بنظم هـــــذه الأرجوزة للشــباب العربى خدمة جليلة فهى فى مبنـاها سلسلة فصيحة وفى معناها ارشاد وتهذيب . وما أحوج الشـباب العربى أن يأخذ الفصاحة والبـلاغة والأدب والأخلاق والارشاد من بيان هـــذا الشاعر النـابغ والكاتب البليغ والانسان النبيل والأستاذ القدير المجرب » ، « خليل مطران » .. !!!

ولخليل مطران غير هذه الأراجيز ، وغير ديوانه المطبوع عـــدة مؤلفـات لم يطبع منها الا كتاب « مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام » .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته فهو :

١ – « أخلاق وآداب من القرآن الكريم » .

٢ – « أخلاق العرب من الأمثال والمواعظ » .

٣ – « اسماء وصفات فى لغة الضاد » .

٤ – ترجمة العالم الفيلسوف « الدكتور شبلى شميل » .

٥ – كتاب « تربية الارادة » . وهو تأليف وترجمة عن كتاب « تربية الارادة » للعالم الفرنسى « بايو » مدير جامعة اكس بفرنسا .

وقد نشر الخليل بعض فصول هذا الكتاب فى مجلة الهلال منذ سنين ! .

ولخليل مطران راى فى الكتب الناجحة ، والشروط التى يجب توافرها فى المؤلفات الناجحة . وقد حدثنى بها ، وهو يروى لى ما قام به من تاليف هذه الكتب ، فقال :

« أول ما يشترط فى الكتاب الناجح أن يكون المجتمع فى حاجة اليه » . وأن تكون تلك الحاجة نتيجة تجارب مرت على المؤلف ، فيستخلص من هذه التجارب موضوعا يرى أن المجتمع مفتقر اليه ، وأنه يسد مكانا كان فارغا قبل الكتابة فى هذا الموضوع ، لا أن يكرر موضوعا سبقت الكتابة فيه . أو أن يجمع معلومات من هنا وهناك . ليؤلف منها كتابا دون ان يكون له عمل فى هذا التأليف . ودون أن يحدث حدثا أدبيا وعلميا جديدا . كما يقع كثيرا فى المؤلفات التى تظهر فى الوقت الحاضر . وكما وقع فى العصور المتأخرة .

فقد كان عمل المؤلف فى هذه العصور أن يسطو على آثار المؤلفين السابقين فيأخذ من هذا جزءا . ومن ذاك جزءا آخر . وهكذا ثم يجمع بين هذه الأجزاء . ويسميها كتابا يضيفه الى نفسه . ويستقل بفضله . ثم هو لا يذكر شيئا عن المصادر التى اخذ منها . ولهذا اشترط أيضا أن يكون مؤلف الكتاب أمينا فى تأليفه . فلا ينسب له ما ليس له ... !!

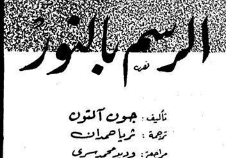
« وقد ذكرت أن الموضوع الذى يختاره المؤلف ينبغى أن يكون نتيجة تجارب مرت عليه . وأوقعت فى نفسه أن المجتمع فى حاجة اليه . واعتقد ان هذا شرط أساسى لنجاح الكتاب . فان موضوعه اذا كان وليد التجارب الطويلة . فهو كفيل بالتقدير الفائق . وأذكر بهذه المناسبة أن « جوته » مكث يفكر فى « فاوست » ثلاثين عاما . وضع أثناءها عدة كتب غيره . ثم أصدر هذا الكتاب بعد هذه المدة . فكان أحسن كتبه . وكان من اهم المؤلفات الناجحة فى العالم .

« ولابد لمؤلف أن يكون مخلصا فى التأليف . لا يرجو من وراء كتابه الا الخدمة الأدبية والعلمية أما المادة . فتأتى تبعا . فان فكرة التكسب والتجارة تفسد التأليف ولا تحمل على الأجادة . بل أنهما تحط من قيمة الكتاب ووضعه . خصوصا اذا شعر الجمهور بهذه الفكرة . وأحس ان المؤلف لم يأت برسالة جديدة . وانما اتى بسلعة من السلع يتجربها فى الأسواق .. !!

« ولا ننسى شرطين من شروط الكتاب الناجح . وهما : التشويق وحسن الوضع . فاذا كان الموضوع يسد حاجة لدى الجمهور . ويؤدى رسالة جديدة . وكان المؤلف أمينا مخلصا لأدبه وعلمه . ليس يقصد من وراء تأليفه التكسب والتجارة . فلا بد ايضا أن يكون الكتاب مشوقا . وأن يكون حسن الوضع فى تأليفه وأسلوبه وتقسيم أبوابه وبحوثه وما الى ذلك مما يتعلق باتقان الكتاب . حتى الطبع يجب أن يكون جيدا متقنا .

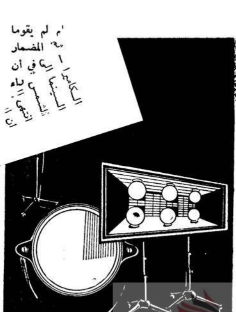
وفى النهاية أوجز تلك المهمة الجليلة فى عبارة صغيرة ، فأقول : ان التأليف رسالة وذمة ومعرفة وخدمة » .. !!

طاهر الطناحى



تأليف : جون آلتون
ترجمة : ثريا حمدان
مراجعة : وديد محمد سرى

الناشر : موسسة التأليف والترجمة
٣٧٩ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن ٣٥ قرشا



لما كان كتاب (الرسم بالنور Painting With Light) الذى ألفه جون آلتون وهو من أعلام التصوير السينمائى فى هوليود - لما كان هذا الكتاب من الكتب القيمة التى أعتز وأحتفظ بها فى مكتبتى الخاصة وأعتبره المرجع الأول لمديرى التصوير السينمائى ودارسى هذا التخصص الى جانب كتاب « الضوء فى فن المصور السينمائى » لمؤلفه جلوفنيا مدير تصوير اهم الأفلام التى يعرفها تاريخ السينما السوفييتية .

فقد شاقنى أن أطلع على الترجمة العربية لكتاب Painting With Light عندما عرفت أنه قد ترجم فعلا تحت عنوان « الرسم بالنور » وقامت بترجمته السيدة ثريا حمدان كما قام بمراجعته السيد / وديد سرى - ولابد لى قبل الخوض فى عرض الترجمة ونقدها من ان ألم المامة موجزة بمؤلفه وبموضوع الكتاب وأهدافه ومراميه .

عرف مدير التصوير السينمائى الهوليودى جون التون مؤلف هذا الكتاب بأنه فنان فذ - وذاع صيته فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وافريقيا والشرق الأدنى وأمريكا الوسطى والجنوبية - وقد عمل كبيرا لمصورى ستوديو براموت فى باريس وقام بتطوير وانشاء عدة استوديوهات سينمائية حديثة بالأرجنتين - ويرجع السر فى شهرته الى كاميرته السحرية الرائعة الخيال وفهمه العجيب لتأثيرات الاضاءة المتباينة وحذقه فى اختيار الزوايا التى تبرز المفهوم السيكيولوجى للتأثير الدرامى المطلوب - لذلك كان أهلا لجائزة الأكاديمية عام ١٩٥٢ عندما قام بتصوير الباليه فى فيلم « أمريكى فى باريس » بالتكنيكلر وكفاه فخرا ما قدم للسينما من اختراعات فريدة فى بابها مثل الفلتروسكوب - النضد الدوار - والستريم لايت .

اما عن موضوع الكتاب فقد استعرض المؤلف هيئة التصوير بأكملها ثم تناول معدات التصوير من الكاميرا الى جهاز قياس التعريض حتى وصل بنا الى رافعة الكاميرا المعلقة Destycrane التى تتحرك عليها الكاميرا فى أى اتجاه ولها من المميزات والفوائد مالا يمكن أن تقوم به عربة

أما ما لم يطُ انتقل الى الاضـــاءة من بداية
١ – «أن وصلت الى التصوير بواسطة
٢ م استخدام المصابيح الكهربية حتى
ى جهاز من اختراعه هو الستريملايت غير
سيدة المترجمة لم تعطه حقه فى الترجمة مما
نعرض له تفصيلا فيما بعد – ثم جاء المؤلف
الى كيفية اضـــاءة الأجواء المختلفة التى تحقق
صناعيا مثل المطر والضباب وكذا اضاءة الخدع
السينمائية ومنها مناظر العرض الخلفى وما تلاها
من تطور فى أجهزتها وهنا أيضا أغفلت السيدة
المترجمة جهـــازا هاما من اختراع المؤلف وهو
« النضد الدوار The Turntable » وســـيأتى
بيان ذلك فيما بعد – ثم سرد المؤلف كيفية اضاءة
الحرائق والشموع فى مواقف الرعب والرهبة
وتنـــاول المؤلف بعد ذلك تصوير المنظر الكبر
وقواعد اضـــاءته المختلفة ثم التصوير الخارجى
واضاءته والعواكس التى تستخدم فيه وظروفها
المختلفـــة ثم بين كيفيـــة التصوير فى الجبال
الثلجية وما يترتب على تحقيق التصوير فى أماكنه
الطبيعية الى أن وصل الى المعمل وما يدور فيه
وفى الختام تحـدث عن دور العرض السينمائى
وما يجب أن يكون عليه فى المستقبل حتى يصل
المتفرج الى مقعده فى سلام دون أن يصطدم بغيره
أو يصطدم به غيره .

ولا شك أن هذا الكتاب قد أنار الطريق أمام
دارسى هـــذا الفن وعرف هواته بما يجرى فى
الاستديوهات للانتـــاج السينمائى وجعلهم على
بينة ووعى بما يقوم به مدير التصوير ومساعدوه
« للتصوير بالضوء » .

بعد هذه الألمامة العاجلة بالكتاب وكاتبه يجىء
دور الترجمة والمترجمـــة والمراجع ولا شك أن
السيدة المترجمة قد بذلت جهدا مشكورا لنقل
هذا الكتاب الى العربية على الرغم من أنه لا يقع
فى نطاق اختصاصها – فاذا كان فى الترجمة نقص
أو عيب من أى ناحية فمن الانصاف الا تكـون
التبعة فيه واقعـــة عليها وانما تكون التبعة أولا
وأخيرا على السيد المراجع لأنه رجل مختص أولا
ولأنه المراجع ثانيا ولا شك أن المراجع عليه التبعة
دائما ولو كان غير مختص .

ولابد لى بادىء ذى بدء أن أقرر بأن المستوى
العام للغة الترجمة ادنى بكثير من مستوى الأصل
الانجليزى الذى نقلت عنه – فلقد قرات هـذا
الكتاب بالانجليزية ثم قرأت الترجمـة ولست
متجنيـــا اذا قلت اننى لم أستشعر لذة قراءة
الترجمة ولم أستمتع بها كقارىء عربى يعرف
ما فى اللغة العربية من ثروة تعبيرية كبرى لا تقل
عن ثروة أى لغة اخرى ان لم تفق اللغات جميعا
فى هذا المضمار – وكم كنت أود ان أجد فى قراءة
الكتاب بالعربيـــة من المتعة ما وجدته فى المؤلف
الأصلى بعبـــاراته الرشيقة وصـــوره البلاغية
البديعة – ولا جدال فى ان اللغة الجميلة تستهوى
القـــارىء فهى فن فى ذاتها وهى وحـــدها كفيلة
باجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء وبذلك يزداد
الكتاب شيوعا وانتشـــارا وينتفع به هواة الفن
والمختصـــون فيه على الســـواء فليس يكفى اذا أن
تكون الترجمة نقلا للمعانى فى أى ثوب من الأثواب
بل لابد ان يجىء المعنى فى ثوب جميل ذى رشاقة
وشـــفافية وجاذبية – ولم يكن ذلك فى الترجمة
فحسب ولكنها احتوت بعض أخطـــاء تشينها
وتقلل من قيمتها كما انها أغفلت بعض الموضوعات
الجوهرية ومن بينهـــا أجزاء تتعلق باختراعات
وابتكارات فنية جـــديدة لم يسبق لها مثيل .

وها هى ذى بعض النواحى التى يؤخذ فيها على
المترجمة والمراجع عـــدم مراعاة الدقة الفنية
والعلمية فيما نقلوا الى العربيـــة واهمال ترجمة
بعض الموضـــوعات والفقرات الجوهـــرية وانى
لأوردها على سبيل المثال لا الحصر :

فالعنوان مثـــلا وهو بالانجليـــزية Painting
With Light قـــد ترجـــم الى « الرسم بالنور »
والبون شـــاسع بين الأصل الانجليزى وبين
الترجمة فهى لا تحمل شيئا من المعنى المصطلح
عليـــه عنـــد أرباب الفنون وهـــو « التصوير
بالضوء » .

وفى ص ٤٩ ترجمت عبـــارة in Black and white Motion Picture Photography الى « اذا
كنـــا نصور بالفيلم الوحيد اللون » والصحيح
« اذا كنا نصور بالفيلم الأبيض والأسود » فان
الوحيد اللون قد تحمل معنى لون واحد بدرجاته

أحمر أوأصفر الخ.ولكن الفيلم غيرالملون أى الأبيض والأسود يحتوى على اللون الأبيض ثم الرمادى بمختلف درجاته وكثافاته حتى ينتهى باللون الأسود وهذا ما يوضحه لنا « هرتر ودريلفد » فى علم السنستومتريا .

وفى ص ٥١ جاء فى الترجمة « المولارك مقاس ١٥٠ امبير » وهذا خطأ علمى فادح لأن الأرك المولارك « ١٥٠ امبير / ١١٥ فولت » يقوم بسحب تيار شدته ١٥٠ أمبير وبضغط ١١٥ فولت فتكون قوته والقدرة الاستهلاكية = ١٧٢٥٠ وات فأين المقاس من شدة التيار أن كلمة المقاس هذه لا شك أنها وضعت دون معرفة علمية .

وفى ص ٥٥ نجد « ولكل منها عدسة من نوع الفرينيل » وصحتها « عدسة من نوع الفريزنل »

ولست أدرى الى أى حد وصلت المترجمة والمراجع من عدم الاهتمام بالفقرات وترتيبها وللانتقال من فقرة الى أخرى حتى أنهما قد أدمجا بعض الفقرات المهمة فى فقرات أخرى كما جاء فى السطر الأول فى صحيفة ٦٠ — فقد أدمجت موضوع الستريملايت فى الموضوع الذى قبله ولم تفرد له فقرة خاصة تنوه بأهميته كما جاء فى الأصل الانجليزى واذا جاز لنا أن نتغاضى عن هذا الخطأ فى الترتيب فاننا لا نسمح لأنفسنا باغفال خطأ كبير نعده من قبيل عدم الأمانة فى الترجمة اذ أغفلت المترجمة والمراجع كلاهما ترجمة موضوع الستريملايت ترجمة كاملة واكتفيا بنقله نقلا مخلا فى أربعة أسطر مما ينافى الأمانة العلمية — فهل من المعقول أن يترجم موضوع كتبه مؤلفه فى حوالى صحيفتين كاملتين فى أربعة أسطر فقط — اننى أترك التعليق على مثل هذا التصرف لافهام القراء والناقدين بل لفهم المترجمة والمراجع نفسه — وأكتفى بأن أورد فى آخر هذا المقال ترجمة كاملة لهذا الموضوع الذى يعتبر من اختراعات المؤلف التى أراد ابرازها ليقارن القراء بينها وبين الترجمة وليقفوا بأنفسهم على ما أصابها من نقص كبير — واذا كانت المترجمة والمراجع غير مقتنعين بهذا الشىء الجديد كما يتبين من التعليق بأسفل الصفحة نفسها فلم لم يقوما بالترجمة كاملة وتركا للعاملين فى هذا المضمار الرأى فيه والحكم عليه — فانه لا جدال فى أن المترجم والمراجع فى أى فن ليس من حقهما ابداء الرأى فيما يترجمون أو التعليق عليه بأى صورة من الصور — والذى أعجب له فوق ذلك كله نشرهما للأشكال الموضحة لهذا الموضوع وترقيمها دون ايضاح ما تدل عليه هذه الأشكال وهى ٦٨ — ٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٢ .

وفى صحيفة ٧٥ نجد ترجمة الفقرة الأولى ينقصها أن يذكر بعد كلمة المتوهجة « بحيث يكون الضوء كله بدرجة حرارة لونية واحدة » — وقد اورد المترجم تعليقا على هذه الفقرة يريد بها ايضاحها لتتم الفائدة العلمية منها ولكننى لست أجد فى هذا التعليق غناء ولا جدوى وما كان أجدره أن يكون على النحو الاتى لكى تتم الفائدة العلمية منه وليكون التعليق اظهارا وافصاحا عما أضمر المؤلف .

« المرشح » yl يوضع أمام الاركات M.R. ١٢٠ — ١٥٠ — ٢٢٥ بالكربون ذى اللهب الأبيض فيحول درجة حرارتها اللونية الى درجة الحرارة اللونية لضوء النهار ٥٥٠٠ كلفن (الضوء المفقود ١٠٪) .

أما لتحويل درجة الحرارة اللونية للارك الى درجة الحرارة اللونية للمصباح التونجستينى ٣٢٠٠ كفن فهو كالآتى : — (أ) — يوضع مرشح MT-2 جيلاتينى أمام الارك الدوآرك ٤٠ (الضوء المفقود ٣٥٪) — (ب) — يوضع المرشح MT-2 الجيلاتينى + yl أمام الاركات M.R. ١٢٠ — ١٥٠ — ٢٢٥ بكربون ذى اللهب الأبيض (كمية الضوء المفقود ٤٠٪) — (ج) — يوضع المرشح YF-LOL الجيلاتينى أمام الارك M,R, ٢٢٥ « بروتى » بكربون ذى لهب أصفر (الضوء المفقود ١٥٪) .

وبعد فهل تستطيع المترجمة أو المراجع أن يفسرا لنا لماذا نشر شكل ١٥١ و ١٥٢فى ص ١٥٨؟ هل ليضع القارىء حائرا يفكر لماذا نشر ويسبح فى سماء الحدس والتخمين ؟ لقد هالنى وحير عقلى وجعلنى اقف عجبا هذا الذى تكرر فى أكثر

من موضع ـ وما هو ادهى وأمر هو أن هـذه الأشـكال انما جاءت بكتاب المؤلف توضيحا لموضوع جديد بل لاختراع جديد لم ينشر من قبـل وهو « النضد الدوار The Turntable » تركته المترجمة بلا ترجمة مع أنه يقع في صحيفتين كاملتين (صحيفة ٧٨ و ٧٩ في الأصل) ولا جدال في ان هذا نقص فادح بل هو نقص افدح من ذلك الذى سبق التنويه عنه في هذا المقال وساورد في نهايته الترجمة الكاملة الأمينة لهذا الموضوع .

وفي ص ٣١٨ درجات السلم الرصاصي : .... الألوان التي تتراوح بين الأسـود والرصـاصي والأبيض والصـحيح أن يقال : « درجات السلم الرمادي » والألوان التي تتراوح بين الأسـود والرمادي والأبيض فان كلمـة الرصاصي لا تعني كلمة grey الانجليزية وفي ترجمتها الى رصاصي خاط لا يليق بالترجمة الدقيقـة قد يؤدي الى اختلاط الفهم لدى القراء .

وقد جاءت الأشـكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٨٨ .

كل هذه الأشكال جاءت في الكتاب دون أن يشير المترجم في سياق الترجمة الى أرقامها في المواضع المناسبة لها .

وكم كنا ننتظر أن ترعى مؤسسـة التأليف والترجمة ناحية من النواحي الفنيـة في النشر تلك أن بعض الكتب تعتمد في كمالها واداء رسالتها على الكلمة والصورة معا بحيث لا تستطيع أحداها أن تؤدي الرسالة بمفردها فالكلمة وحدها قاصرة عن هذا كما أن الصورة وحدها قاصرة أيضا ـ ولما كان هذا الكتاب بالذات من تلك الكتب التي يجب أن تكون الصور فيها أوضح ما تكون فقد كان من الواجب المحتم على الهيئـة الناشرة ان تلحظه وتعنى به لكي تتم الفائدة المرجوة منه ولكن من دواعي الأسف أن الصور جملة وتفصيلا غير واضحة الا النذر اليسير منها مما يؤدي الى فقدان ركن جوهري من أركان النشر يضيع على القارىء فرصـة الفهم الصحيح الذي يقوم على الجلاء والوضوح .

ولا يفوتني أن أسـجل هنا ترجمة الأجزاء الناقصـة في الترجمة وهي « الستريملايت » و « النضد الدوار » .

« الستريملايت »

ان الستريملايت خطوة تقدمية في الاضـاءة السينمائية وهي من اختراع المؤلف ولقد يعجب زائرو الاستديوهات وعمال الاضـاءة المنفـذين ويتساءلون ؟ لماذا تستغرق اضاءة مشهد معين مثل ذلك الوقت الطويل . ولم هذا النظام المعقد الكثير التكليف في حين أنه في الحياة العامة يمكن الحصول على أبسط التأثيرات الضوئية عن طريق اشعال عود ثقاب لا غير أو شمعة ضئيلة أو بادارة مفتاح الضوء الكهربي والجواب على هذا العمل ليس بهذا القدر من السهولة فالاضاءة السينمائية مشكلة تختلف كليـا عن الاضاءة العادية التي تتأثر بها العين البشرية ذات الحساسية العالية الخارقة للعادة ـ ومع ذلك فان هذا التساؤل المتكرر قد دفعني الى التفكير ولابد من التسليم بأن الحيز الخاص بالديكور وموضع الاضاءة لم تتغير كثيرا في السنين القليلة الماضية ـ ولقد كان في الحرب العالمية عذر مقبول لهذا . ولكن عندما انتهت الحـرب وظهـر التليفزيون والـرادار واستخدم النشاط الذري كان لابد من البدء في البحث عن تحسينات جديدة .

ولنأخذ مثـلا منظرا بسيطا في حجرة فندق صغيرة ففي مثل هذه الحالة كان السيناريو ينص على دخول شخص ما في الحجرة المظلمة ويدير مفتاح الاضاءة الذي يتصل بمصباح كهربي مفرد معلق ـ فهذا المنظر البسيط يستلزم مجموعتين من العمال احـداها لاعداد الأجهزة الاضـاءة في اماكنهـا المناسبة والمقـاومات الخ .. حسبما يقتضيه النص في السيناريو والأخرى لاضـاءة الأجهزة وعندما ينتهي رئيس الكهربائيين ورجاله من اعداد ما يلزم للاضاءة يدخل مدير التصوير ويبدي ما يعن له من ملاحظات وما يريده من تغيرات فنيـة خاصة ـ ولا شك أن هذا كله يستغرق وقتا طويلا حتى يكون المنظر معـدا

للتصوير — ولكن يندر أن ينجح التصوير لأول مرة فانه قد يتأخر فتح الاضاءة عن موعده المناسب أو تأتى الطاقة الضوئية على عدة دفعات لمصباح واحد — ولذلك تؤخذ لقطة اخرى وأخرى حتى يمكن لواحدة منها أن تكون صالحة للطباعة — ومع ذلك فانها تبدو على الشاشة غير طبيعية ويبدو أن بها شيئا غريبا — وبعد أن قمت بتجارب عدة على أفكار مختلفـة لتبسيط اضاءة هذا النوع من المناظر السينمائية أمكننى ان أصل الى اختراع يمكن أن يكون نواة صالحة للتحسين والتطور .

انه مصباح جديد يعرف بالاستريملايت وهو عبارة عن مجموعة من ثلاثة انواع من المصابيح سينور ، وجونيور ، وبرود ، كما فى شكل ٦٦ — ويتدلى الاستريملايت من السقف فى وسـط الديكور وللجهـاز ذراع حوله لتوجيهه للزاوية المطلوبة وهو يشتمل على مصـباح « سينور » فى وسـطه موجه الى أسفل مباشرة لاضاءة الأرضيـة وكل ما يقع تحتـه مباشرة من اثاث وأشـخاص وحول المصباح السينيور الرئيسى ستة مصابيح « جونيور » كل بزاوية قدرها ٣٠ درجة وهى تضىء الأشخاص والجدران حولهـا حتى ارتفاع معين فوق هذه المصابيح « الجونيور » وحول المحيط الكلى للمصباح توجد سلسلة من المصابيح لسد الفراغات الضوئية ويمكن أن تكون من المصـابيح الكروية أو الأنبوبية وهذا الضوء يكمل اضاءة الجدران فى الأجزاء التى لم تصل اليها أضواء الجونيور شكل ٦٧ — والستريملايت يحكمه صندوق المقاومات الخاص به شكل ٦٨ — ويمكن اضاءة المصابيح واطفاؤها أو تقليل اضاءتها فرادى أو مجتمعة . ويتصل مفتـاح الاضاءة للديكور بجهـاز المقاومات وعندما يفتحه المثل يسطع الضوء فى الحـال فيضىء الديكور بتأثير طبيعى شكل ٦٩ .

ويبين الشكل ٧٠ كيف تضاء الأجزاء المختلفة للديكور بواسـطة الأجزاء المختلفة من مصباح الستريملايت . كما يبين الشكل ٧١ منظر جهاز الستريملايت كما يرى من أعلى وكيف يغطى كل مصباح من الجونيور جزءا مختلفا من الديكور — ويبين الشكل ٧٢ كيف كان هذا النوع من الديكور يضاء على الطريقة القـديمة بكل هـذه المصابيح الضرورية لاضاءة مساحة صغيرة نسبيا كهذه .

وقـد صمم الستريملايت مبدئيا للديكورات الصغيرة ولكن المناظر الأكبر يمكن اضاءتها أيضا بمجموعة من هذا الجهاز الجديد .

وان قيمته الحقيقية لا تبدو واضحة الا عند العمل به فهو اقتصـادى وسريع وبسـيط فى استعماله .

النضد الدوار THE TURNTABLE

كان الاعتقاد السائد قديما أن عملية التصوير السينمائى للعرض الخلفى بطيئـة للغاية وهو اعتقاد خاطىء كلية — فان هذه العملية يمكن أن تكون فى سرعة عملية التصوير العادى وربما كانت أسرع منها وأن هذا لا يتطلب شيئا اكثر من ادخال بعض التحسينات على عملية العرض الخلفى فمن الممكن أن تكون العمليـة أكثر سرعة باستخدام « النضد الدوار The Turntable ودعنى أوضحـه فيما يلى :

اننا عندما نصور منظرا بطريقة العرض الخلفى فانه من المعتاد أن يؤخذ المنظر من عدة زوايا وهذا ضرورى لأغراض المونتاج فيما بعد — فاذا أردنا أن نأخذ المنظر من زاوية أخرى فان الوضع كله يجب تغيره أو ادارته — فلنفرض مثلا أننا نصور المنظر الداخلى لسـيارة فاننا فى هذه الحالة نصورها من الأمام أولا وبعد التقاط هذه الصورة فان المخرج ربما يحتاج الى أخرى بزاوية جانبية ٤/٣ . وعنـد ذلك يجب أن يدار وضـع العربة فيترتب على ادارة المحرك (الموتور) أن يمتلىء جو البـلاتو بغاز أول أكسيد الكربون فيصاب السينمائيون العاملون بالصداع والخمول ويميلون الى النوم وعلى ذلك يهبط مستوى سرعة الانتاج — ومع ذلك فلا ينتبه احد الى السبب الحقيقى من المتاعب ثم تدار العربة فى وضع جديد بزاوية جديدة — وعلى ذلك يعـد المنظر اعدادا جديدا ومصابيح الاضاءة التى كانت قد لزم ازالتها يعاد وضعها من جـديد ويضاء المنظر اضاءة جديدة واخيرا وبعد كل هذا يتم التصوير .

ولا شك أن هذا يستغرق وقتا طويلا — واذا أردنا أن نصور زاوية عكسية من اعلاها مثلا فان

هذه العملية تستغرق وقتا أطول وهذا معناه فى لغة الانتاج زيادة فى النفقـــات ــ ومع ذلك فان العربة يسهل ادارة وضعها ــ ولكن لو فرض أن لدينا منظرا أكثر تعقيــدا مثل جزيرة فى البحر الجنوبى وأشـــجار نخيـل واكواخ وشــبــاك للصيد ... الخ أو أى نوع معقد من التكوينات

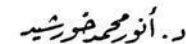
ولنفرض أن العربة بولمان فكيف يكون الحـال حين ذاك . أما أن تثبط همة المخرج عن تصوير كافة الزوايا الضرورية فيهمل بعضها وبذلك يهبط المستوى الفنى للصــورة الســينمائية وأما أن يعطيها حقهـــا كاملا وهذا يستلزم اعادة المناظر واعادة الاضـــاءة وبمعنى آخر اعادة كل عملية وتكرارها . مما يستلزم استدعاء فنيين ورجال أكثر لتحريك المنظر فى شتى أوضـــاعه ولذلك فعلينــــا أن ننتظر ونتظر فى حـين أن الفنيين السينمائيين فى هـذه الحالة يكونون معطلين عن العمل ــ ولقــد ظللت سنين طويلة أحاول أن أستبدل هذه الطريقة البدائيـة الكثيرة النفقات بطريقـة أخرى أسرع وأكثر اقتصادا وتكون فى نفس الوقت طريقـة عملية يعتمد عليها اعتمادا فنيا كاملا ــ ولقد وفقت الى الحل وهو أن يكون هناك جهاز ثابت وهو « النضد الدوار » يوضع فى منطقة المنظر الخلفى أمام الشاشة الشفافة . وقد يكون انشاء هذا الجهاز كثير التكاليف نوعا ولكن اذا أدخلنا فى اعتبارنا المزايا الكبيرة التى تعود علينا من انشائه فاننا نجد أنها تفوق كثيرا هذه التكاليف .

وفى شكل ١٥١ ، ١٥٢ صورة جانبية وأخرى علوية لهذا الجهاز الدوار .

A جهاز العرض الخلفى .
B الدوار .
C الشاشة الشفافة .
D آلة التصوير .

وتركب العربات والمنـاظر فوق هذا الدوار تماما ولما كانت الأضـــواء ســـوف لا تنقل من مكانها فانها أيضــا يمكن أن توضـــع هناك . فعندما نريد تغيير الزاوية فما علينا الا أن نضغط على زر فنرى المناظر تدور فنوقفها فى النقطة التى نريد أن نصــورها فيها بالضبط ــ وانه لمـن السهل اليسير على أقل النــاس ادراكا أن يتبين الامكانيات التى لا حـد لها التى يتيحها لنا أستعمال هذا الجهاز الجديد من نوعه . ولنذكر أن التعديلات أو الاصلاحـات من أى نوع فى أى جهاز جديد من الأمور المرغوب فيها والتى يرحب بها الجميع وهذه فكـرة لا غير وعلى ذلك فهى موضع التحسينات والتعديلات فكل فكره جديدة لا بد أن تجر وراءها سيلا من أفكار أخرى جديده . وها أنذا قد قدمتها لعبـــاقرة الابتكار والكتاب والمخرجين والسينمائيين لينتفعوا بها فى تحسين وأخراج الصورة السينمائية فى العصر الحاضر .

وأخيرا وليس آخرا أود أن لا يكون هـذا النقـد البرىء مثارا لاغضاب من قام بترجمة هذا الكتاب أو مراجعته فأن النقد الصحيح انما هو تعاون بناء يقصد به بلوغ الأهداف غير مشوبة بنقص أو قصور ــ واعتقادى الذى لا مراء فيه انهما سيتقبلان نقدى بروح مرحة رياضية وبنفس راضية وأنهما سينتفعان به فى أعمالهم المقبلة ــ وأنى لجد سعيد اذ أتممت فى هذا النقد بعض نواحى النقص فى هذه الترجمة فاكتملت أو قاربت الكمال واســتطيع الآن أن أقول أننى قد ارحت وأسترحت وأرضيت ورضيت فقــد كان يقلق فكرى ويقض مضجعى أن أجد مثل هذا الكتاب الفنى الكبير وقد شابته تلك الشوائب التى تقلل من شأنه وجدواه .



رسائل و ردود

جاءنا هذا التعليق على نقد كتاب موسى بن نصير الذى كان قد نشر لرئيس التحرير فى العدد الخامس من المجلة .. فيقول الأستاذ عبد العزيز حافظ دنيا فى تعليقه هذا .

أولا : بخصوص موضوع نسب موسى بن نصير أرجو أن أعلق على ذلك بما يأتى .

يقول صاحب البلدان ص ٢٧٢ : انه (أى موسى) من قبيلة لخم القحطانية . . ثم يضيف : ويقال انه من أراشه من بلىّ » وبلى هذا من فرع قضاعة القحطانى أيضا .

ويسأل ابن سعد فى النفح جـ ١ ص ٢٦٧ : هل موسى لخمى صريح أو بالولاء ؟ .

ويتبين مما سبق أن هذين المؤرخين لم يقطعا بامر فى نسب موسى . ولكننا اذا رجعنا الى المقرى فى المرجع السابق ص ٢٣٤ نجده يقول : ويقال انه (أى موسى) بكرى وان خالد بن الوليد قد أصاب أباه وأصحابه فى (بيعة) بعين التمر فادعو بأنهم رهن وانهم من بكر بن وائل . ووائل كما نعرف ينتمى الى ربيعة الفرس العدنانى .

والمقرى بهذا يرجح بأن موسى عدنانى استنادا على رد نصير وزملائه على قوات خالد عندما سألوهم عن القبيلة التى ينتمون اليها . ولو أن المقرى عاد ثانيا وقال : وقيل انه لخمى .

ويقول الطبرى (٤ ص ٢٠٦٤) « .. وكان نصيرا (والد موسى) ينسب الى بنى يشكر » ويشكر هذا يتصل نسبه الى بكر بن وائل كما يقول ابن قتيبه فى الشعر والشعراء (١ ص ١٥٠) ويؤيده صاحب الأغانى (٩ ص ١٧١) اذ يقول : ان قبيلة يشكر تنتمى الى يشكر بن بكر بن وائل الذى ينتمى نسبه الى جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نذار .

وفى الخطط للمقريزى (١ ص ١٢٥) يقول القضاعى : ان يشكر بن جديلة بن لخم « وبالبحث لم نعثر فى فرع على اسم لجديلة بل بالعكس وجدناه فى ربيعة كما ذكر الأغانى ولعل القضاعى قد اختلط عليه الأمر .

ثانيا : أما ما ذكرتم سيادتكم من اننى جعلت من نصر (والدربيعة) نصيرا . ففى الأصل المكتوب بخط اليد يتبين انى ذكرت الاسم الصحيح ولعل ذلك خطأ من المطبعة التى حرفت أيضا اسم (هبيرة) الى (هبيدة) فى ص ٢٨ . وذو الكلاع الى « ذى الطلاع » فى ص ٤٨ . وليست هذه الأخطاء وحدها التى وقع فيها جامع الحروف . بل وقع فى اخطاء كثيرة مثال انه أسقط الكلمات الواردة فى الأصل بعد كلمة « ومبايعة » فى س ١٢ ص ٢٧ وهى : « ابن الزبير . وبينما هو يفكر فى تنفيذ ذلك اذ وصل الى دمشق .. » ، كما أسقط أيضا السطر الذى يلى سطر ٢١ ص ٢٧ وهو : « فرد عليه مروان قائلا : فما الرأى ؟ » .

وكذلك أخطأ فى ترتيب سطور ص ٦٠ ابتداء من س ٩ ــ ١٣ الخاصة بتولية بشر بن مروان ولاية البصرة بجانب ولايته على الكوفة .

ثالثا : أما عن ربيعة بن نصر وهل تولى أمر اليمن أم لا كما نفيتم سيادتكم ذلك . فلقد ذكر صاحب الأخبار الطوال (ص ٥٤) : « انه لما قتل صهبان (ملك اليمن) تضعضع أمر الحميرية وزادهم قتله انضاعا ووهنا . فجمع ربيعة بن نصر اللخمى قومه ومن أطاعه من ولد كهلان بن سبأ فاغتصب (هو) حمير الملك فاجتمعت له أرض اليمن فملكها .. فلما استجمع لربيعة بن نصر أمر اليمن راى فى منامه رؤيا ... » الى آخر ذلك وهى الرؤيا التى تطير منها وأرسل ولده (عمرا) واخته وخاصتهما الى الحيرة ليكونوا فى مأمن هناك . واخته هذه هى أم عمرو ابن عدى جد النعمان بن المنذر .

رابعا : أما بخصوص ما وقع من خلط فى موضوع انساب القبائل العربية فانى أشكر الأستاذ الناقد الكبير على توجيهاته السديدة وساعمل ان شاء الله على تلافى ذلك فى المستقبل .

وختاما لكم عظيم احترامى وخالص تقديرى



اليوم الموعود

تأليف : نجيب الكيلانى

هى قصة تاريخية للأستاذ الكاتب الفاضل نجيب الكيلانى ، ممتدة الأنفاس فى احسان واجادة وجهد جهيد . وهى حقيقة بأن نعقد فيها مقالا فيه بيان وتفصيل يليق بها ويجمل . فما هى بالقصة العادية التى لا تستمرىء قراءتها ، وتنفس بوقتك أن يذهب فيها سدى وضياعا .

أجل . فهى أولا ليست بأول ما خط قلم الأستاذ المؤلف من كتب نشرت له ، فقد علمنا أنها بلغت عشرين مصنفا بين قصص ، ومسرحيات ودراسات ؛ ثم هى ليست بواحدة فقط من قصصه التى حظيت بنيل جوائز الدولة : ما بين جوائز المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وجوائز وزارة التربية ، وجوائز نادى القصة .

وجلت موضوعا ومنهجا . تنقلنا نقلا كريما الى أمجاد سما بها أسلافنا ، وبسط أمامنا صفحات مطوية من تاريخنا الزاهر الباهر ، ترفع هاماتنا شموخا وعزة بذكرى حروب انكشف دجاها عن نصر مبين لنا ، نحن العرب البواسل ، هى الحروب الصليبية التى شب لظاها أولئك الاستعماريون الأوروبيون فى القرن الثالث عشر المسيحى ، وشعارهم الدين والورع خدعة وتضليلا ، شنوها حروبا سبعا على الشرق ، سوريا ومصر ، فى عهد الدولة الأيوبية . والسابعة كانت الجلّى والطامة الكبرى ، حرب يقودها الملك لويس ملك فرنسا ، يريد فتح مصر بجيش عرموم ، ولكنه ركب احدى القحم وكانت الدبرة عليه ، والنصر لنا . فكان أخسر الناس صفقة هو وجيشه ، وكتبت عليه الذلة والمسكنة ، بالأسر والفداء فى معركة المنصورة ، معركة الفخار لنا والمجد الأثيل .

وكتاب القصص أصناف ، منهم : الفاص المحلل النفسانى ، والروائى المؤرخ ، والواقعى réaliste الذى يميل الأشياء والأشخاص على علاتها ما حلا منها وحسن ، وما شاه وقبح ، والطبيعى maturaliste ، وهو الذى يصور الطبائع والأشياء على حقائقها وظواهرها ، كما هى لا تعديل ولا تبديل .



الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ،
عدد الصفحات ٢٦٥ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

وقصتنا هذه التى نحن بصددها ، من القصص التاريخى . وقد اشتهر منها وبرع الروائى الفرنسى المشهور اسكندر دوماس الكبير . أكثر وأفاض منها ، وكان قطبها ومدارها أحداث من تاريخ فرنسا ؛ الا انه لم يكن دقيقا ولا أمينا فى سردها ، بل مضى فيها على رسيلاته ، وأطلق لنفسه فيها العنان على هدى خياله المحلق وعبقريته المبدعة .

اما عندنا ، فكان أول وأشهر من رسم هذا المنهج القصصى التاريخى ، فى عصرنا الحديث ، العالم المؤرخ طيب الذكر جورجى زيدان صاحب مجلة الهلال . فأخرج لنا ما ينوف على عشرين رواية ، كفتاة غسان ، وارمانوسة المصرية ، وفتح الأندلس ، والأمين والمأمون ، وعروس فرغانة ، وما اليها ، روى لنا فيها أحداث التاريخ الاسلامى ، وغيره ، بقلم فصيح ، وفن بارع ، سمته فيها الصدق والأمانة .

وقد اختط هذا النهج الأستاذ المؤلف نجيب الكيلانى فى روايته هذه (اليوم الموعود) فوجدناه قد التزم امانة التاريخ فى نقش دقيق بارع مما لا غاية بعده ، جامعا الى ذلك الواجب الوطنى الذى أراد ابرازه فى كفاح وجهاد سلفنا الصالح من أبناء دمياط والمنصورة ، وحذق فى تحقيق الفن القصصى بما مثل فيها من شخصيات وطنية تاريخية أو وضعية ، ومواقف مثيرة طارئة ، وعواطف متضاربة متناقضة .

موضوع القصة

الملك الصالح نجم الدين أيوب فى فراش مرضه يشكو أوجاعه ، منكسرا بما عصب به من هم . له زفرات هجن ما بين أضلعه ، بما يلقى من مؤامرات واحن أمراء آل أيوب ، وما يقتحم من شدائد وغموم ؛ ويتناقل الحديث مع امرأته الملكة شجرة الدر فى ذلك ، وجل همه أن يجمع كلمة الأمة فى مصر والشام ، ويقضى على هؤلاء المغامرين الطامعين من أمراء بنى أيوب ، وشجرة الدر تشدد عزائمه .

وههنا يفد عليه رسول من قبل الامبراطور فريدريك الثانى يحمل اليه نبأ تجهيز الصليبيين للمرة السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فيتعاظم خطبه ، ويتفاقم غمه ، ويعود من دمشق الى مصر لأخذ العدة والتجهز لصد حملة الصليبيين .

ويأتي ذكر بطل القصة عدنان ، وحديثة مع أمه العجوز ، وغرامه بأمته زمردة ، ورغبته في الزواج بهـا بعد عتقها ، وكيف أن توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ذلك العاتي الظالم ، المستعبد لشهواته ، لمـا بلغه جمال زمردة ، ساق عدنان الى السجن ظلما وعدوانا ، بلا ذنب ولا جريرة ، وانتزع زمردة من بيتـه ، والحقها قهرا بحاشيـته . ثم فرار عدنان من السجن ، وقد صـدقت عزيمته على الانتقام من توران شاه وتخليص زمردة من براثنه ، الا أنه آثر أولا أن يكون جنـديا يجاهد في سبيل وطنه وقومه ضـد الغزاة الصليبيين ، ثم يكون منه الانتقام بعد ذلك . ولا يلبث أن يعلم بهرب زمردة من قصر توران شـاه ، من صديقه عبد الأعلى الذى انضم معه الى جيش مصر .

وتبدأ الحرب وينكشف دجاها عن فتح دمياط أبوابها للغزاة . فكانت مفاجأة حملت الأسى الى نفوس المصريين ، مـع الصريمة الماضيـة على الجهاد والاستبسال ، حاشدين لملاقاة العـدو في مدينة المنصورة في اكمل عدة .

ونعلم هنـا أن زمردة في فرارها احترفت الغناء ، ومضت الى حلب ، فامتدت الى دمشق ، ثم عادت الى مصر ، وظهورها في زى غجرية تدخل معسـكر الفرنجة فتغنيهم وترفه عنهم وهى في الوقت نفسه تعمل جاسوسة تحمل الى جيش مصر أنباء تحركات جيش العدو وتدابيره .

ويحمل الملك الصالح على محفة الى المنصورة لاشتداد العلة به ، ونزوله بالقصر الملكى ، ولكنه لم يلبث أن مات ، وكتمان نعيـه بأمر شجرة الدر ، واشتراك عدنان في الهجوم على معسكر الفرنجة ، وما أصابه من جراح .

وهنا يكتشف العدو مخاضة سلمون فيتمكن عدد من جيشه من عبور النهر الصغير ، ويباغتون المسلمين ، وهم نيام غارون في الضفة الجنوبية للبحر الصغير ، لا يعلمون شـيئا عن اكتشاف العـدو لهذه المخاضة ، فأوقعوا فيهم القتل . وتمكن العـدو من الزحف الى المنصـورة بعد أن خلا لهم الجو .

ويتولى بيبرس قيـادة جيش المسلمين على رأس المماليك البحرية ، والتحامهم مع العدو في شوارع المنصورة ، واقتراب دارتوا شقيق الملك لويس من القصر السلطانى بجيشه الزاحف .

ويلتقى الزحفان في معركة تصافح فيها المنايا النفوس ، وتغص الأفواه منها بالزلال . هول فظيع ، ضرب يقـد الرؤوس بأيدى الفئتين . أما فئة المسلمين فحدث ولا حرج . سباع ضارية وأسود في انيابهـا الموت الذريع . يضربون بما ملـكت أيديهم من فؤوس وقضـبان الحـديد ، والسهام المرديات ، وحجارة كالصواعق ، تصب على الأعداء صبا من الأسطح والنوافذ ، والأبواب فأهمدوهم ، وفتكوا بدارتوا شقيق الملك لويس فأجلت الموقعة عن هزيمة الصـليبيين ، رغم امدادات زحف بها الملك لويس ، الذى كان ينقل بقيـة قواته من الضفة الشمالية الى الضـفة الجنوبية وهو لا يعلم بما حاق بمقدمة جيشه .

وأسر الملك لويس ثم أطلق سراحه عائدا الى بلاده مع فلول جيشه ، وقد ذل عزه ، وكبا زنده ، يجر أذيال الخسـار والهزيمـة ، بعد تسليم دمياط لأهلها ، ودفعه الفدية الفاحشة .

ويعود توران شـاه من حصن كيفا الى مصر ويناوى به ملكا ، ولكنه يأتمر بنفسه العامرة بالسوء ويتدفق في باطله وشهواته ، ولا ينشب أن يدب الخلاف بينه وبين شجرة الدر ، وتنكره للمماليك ، فهموا به وقتلوه .

أما خاتمة القصـة فختامه مسك . ذاك هو اليوم الموعود ، اذ يلتقى فيه عدنان بزمردة التى علم بتنكرها في زى الغجرية ، وما جاهدت لقومها واحسنت بلاء . وقضى عـدنان وطرا . وحقق ما تمنى من قتـل عـدوه توران شـاه وزواجه بزمردة .

مآخذ على الموضوع

استهل الأستاذ المؤلف القصـة بما كان من حديث الملك الصالح نجم الدين أيوب مع زوجته شجرة الدر ، وما جاءهما من نبأ غزو الصليبيين ، واشارتها عليه بالعودة الى مصر ، فتعلم حينئذ أنه كان في دمشق . والقارىء يفهم بداهة أنه في القاهرة لا في دمشق . فـكان من جودة السرد ، واحـكام الحبك أن يفتتح القصة بذكر ذلك في

سطور ، وتبيان الباعث الذى حداه الى الشخوص الى دمشق وترك عاصمة ملكه .

وقال فى صفحة ٢١ ، حين تسمع شجرة الدر فى مجلسها مع الملك العادل غناء الجارية فى شعر للبهاء زهير ، فأطربها . فقالت « فى نشوة : ما أجمل هذا الشعر يا مولاى . فقال الملك : ان شيطان البهاء زهير خبيث . فقالت : أجل . يا مولاى . لكأنه يسرق هذه الألحان الساحرة من وادى عبقر . »

وكان الأصوب أن تقول : هذه الأشعار الساحرة ، لا هذه الألحان الساحرة ، اذ البهاء زهير ليس موسيقيا ، ولا همه كان الألحان والأصوات . وانما هو شاعر فقط . ثم كان حميدا ان يفسر الأستاذ المؤلف للقارىء أن وادى عبقر هذا مضرب المثل . وهو موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

وجاء فى صفحة ٢٥ أن رسول الملك فريدريك « دس يده فى جيب خفى داخل سترته ثم أخرج منه رسالة ملفوفة فى شريط من حرير ، وقدمها الى الملك الصالح الذى لم يكد يفيق من دهشته حتى غمغم . » . الا رأيت أن فى هذه الصيغة للأستاذ نجيب لبس واشكال ، وما لقوله بيان ؟ اذ من الذى غمغم ؟ أهو الملك الصالح ، وجملة (حتى غمغم) متصلة رأسا بالملك الصالح ، أم هو الرسول الذى غمغم ؟ ولم نفهم انه الرسول الذى غمغم ، حتى قرأنا فى السطر الذى يليه ، اذ يقول : هذه رسالة من مولاى الامبراطور فريدريك الثانى .

وشىء آخره كان حسنا أن يعرف لقرائه من هو فريدريك الثانى . والتاريخ يذكر ملكين بهذا الاسم . فالأول الذى يعنيه المؤلف هو ملك بروسيا عام ١٢١١ ، ثم صار امبراطورا لألمانيا عام ١٢٢٠ ، وقد اختلف فى بادىء أمره مع البابا ، ثم اشترك فى الحرب الصليبية السادسة . وأما الثانى فهو فريدريك الثانى الملقب بالكبير فى القرن الثامن عشر . وفى عهده بلغت بروسيا ذروة مجدها . وكان نصير العلماء والأدباء . وكان فولتير الكاتب الفرنسى الكبير من ندمائه ، وخاصة رجال بطانته .

وتقرأ فى صفحة ٧٤ ان عدنان التحق بجيش المسلمين مقاتلا ، فبدا لنا فجاة بطلا هماما لم يبق فى الجهاد غاية ، ولم يعرفنا الأستاذ المؤلف فى مطلع سيرة عدنان أنه مارس القتال وفنونه حتى أستوى له . فكان يجب أن يوطىء بسطور أنه دخل الجندية فى أول حياته ومارس المعارك ، اذ ليس لأى رجل أن يقتحم المواقع ، فيكون بطلا صنديدا الا اذا كان رجل حرب قد ذاق أهوالها ومعاركها .

وورد فى صفحة ١٣٨ أن ياقوتة الغجرية الجاسوسة ، وهى نفس زمردة ، كانت تخاطب الجنود فى معسكر الفرنجة بالعربية ! وانى لهؤلاء الرجال الفرنسيين أن يفهموها ويعطفهم عليها حديثها ، وهم فى واد وهى فى واد ؟ . انهم لا يعجبون بكلامها ما لم تخاطبهم بلغتهم ، وما يفهمون . فهلا تفطن المؤلف الى هذا ، فمهد له بكلام ، عند وصفه لزمردة فى أول القصة ، وابرازه خلالها الحسان ، وما أوتيت من جمال الصوت واجادة الغناء ، واحكام العزف ، وما تحفظ من منظوم ومنثور ، أن يضيف الى ذلك انها كانت من سلالة قوم من الغربيين ؛ أو انها تعلمت فى حداثتها بعض لغات الأوروبيين كالفرنسية مثلا ، فيما تعلمت من آداب وفنون ، يوم باعها لهم النخاس فى سوق الرقيق ، وصارت لهم أمة ؟ .

الأسلوب واللغة

وبعد . فليس لنا مدفع عن الكلام فى أسلوب الأستاذ المؤلف فى قصته ، بعد أن فصلنا القول تفصيلا فى سردها وحبكها . فان الأسلوب فى رأينا ، هو اللب والجوهر ، فيما ينشىء الكاتب ، ويهدى الى قرائه من نفثاته ، وثمرات ابداعه ، اذ قد يأتى الكاتب بما لم يات به الأوائل من روائع قريحته ، ونخب معلوماته ، فيزفها الى فى كلام وضيع ، وتركيب زرى ، وأسلوب سوقى ، فلا احلى بشىء مما جاد به وافاد ، ولا البث حتى أمجه والفظه متكرها آسفا . يقول الجاحظ سيد البلغاء من كلام له فى الفصاحة والبلاغة : « وذهب الشيخ الى استحسان المعانى ، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى والبدوى . وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة

الماء ، وجـــودة السبك . وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير . »

واسمع يا ســـيدى ما يقول فى ذلك الكاتب الفرنسى الكبير فولتير : ان المعانى أكثرها فى قلوب الناس . وقد تجد رجلا من عامة الناس وافنائهم ما تعلم حرفا ، ولا تلا كتابا ، فتسمع منه الراى الحصيف ، والفكرة الصائبة ، ولكنه يلقيها على عواهنها ، لا احسان ولا تزويق ؛ وتسمعها هى عينها من رجل من المثقفين أوتى حلاوة القول ، وبلاغة التعبير ، فتجد من نفسك مولجا عجبا ، وتطرب لها طربا جما ، وكأنها فكرة جديدة ، وانها لم تكن هى نفسها التى أسمعك اياها ذلك الرجل الساذج . »

ويقول أيضا :

« يؤثر فى نفسك أسلوب القول مالا يؤثر القول ، اذ كان الناس جميعا يتساوون فيما يخطر لهم من المعانى والأفكار التى هى لعـــامة العقول دانية معلومة . وانما يمتـــازون بالعبارة والأسلوب . ولتجدن أكثر رواياتنا التمثيلية يدور حبكها على الغيرة والمهاجرة ، والتواصل بعد المصارمة . ومع ذلك فما أقل الحذاق العباقرة من الكتاب الذين اســـتطاعوا أن يكشفوا لك بنقش أقـلامهم عن لطائف الأوان ، ودقائق الفروق التى اعتمـــد المؤلفون جميعـــا وضعها وصياغتها . والا ترى الى تحبير المحبر ، وتنميق المنشىء ، كيف يحيل أبسط الأشـــياء ، واشـــدها ابتـذالا اعجازا وابداعا ؟ » .

ولا نتجنى اذا قلنا أن أسلوب الأستاذ نجيب الكيلانى فى قصته هذه ، دون الفصيح المؤنق ، وفوق النـــازل العادى . على انه يرتفع أحيانا فيبلغ فى بعض المواضع مرتبة النصاعة والطلاوة ، كما فى فاتحة الفصل الثـــامن مثلا ، اذ يقول : « كان الليل هادئا ساكنا ، والقمر يتألق فى سماء دميـاط فيلقى عليها وشاحا فضيا ساحرا . » وذاك قليل مع ذلك .

واذا كان الأسلوب ما ذكرنا ، فاللغة والفاظها التى هى مواد الأسلوب وأركانه من حيث الصحة والبراءة من الغلط ، وحسن الاختيار ، وجزالة التعبير ، أحق وأولى . وقد كثر الخطأ اللغوى ، واســـفاه ، وتعدد فى أضعاف هذه القصة ، نشير الى بعضها ، ونورد صحيحها .

من ذلك استعماله كلمـة (سترته) صفحة ٢٥ وهذه كلمة زقاقية عامية . والصواب ثوبه أو رداؤه .

واستعماله كلمة (حماس) صفحة ٢٩ ، وقد تكررت منـــه فى غـير موطن . والصحيح الذى تثبته المراجع اللغوية حماسة لا حماس .

وفى نفس الصـــفحة وردت كلمة (الداوية) وتكررت فى أكثر من موضـع ، وكأنها توضحت بعد فصول كثيرة ، فاذا هى الداورية ، ولم نفهم القصد منها مع ذلك .

وفى صفحة ٣٦ جاء قوله (الباعوضة تحاول) وبعوضة بغير الف هو الصحيح .

وفى صفحة ٤٢ قال (ملكيتها لها) والصحيح أن يقول ملك لها .

وفى صفحة ٤٥ يقول (عندما ألح الى موضوع الزواج) والصحيح لح بالتشديد وليس فى اللغة هذا المزيد بالهمزة .

وفى ذات الصـفحة ورد قوله (حزن شفيف عميق) والشفيف ما بلغ من الصقل والرقة حتى ترى ما خلفـــه . فما هو هذا الحزن الشفيف ؟ وكيف يكون شفيفا ، فيناقضه وصفه اياه بعميق وانما العميق ما كان بعيد الغور خفيا عن النظر ؟



وقال فى صفحة ٥٦ (ولاحت لهم عن كثب) والصحيح من كثب لا عن كثب .

وفى ٥٩ (عدد الحصا) ولا تكتب بالألف الا اذا اريد المصدر . أما الجمع فيكتب حصي باليـــاء المقصورة .

وفى صفحة ٦٠ استعمل (برهة) . وتكررت فى مواضع كثيرة .. والبرهة لا تكون الا للزمن الطويل . والصحيح هنيهة أو لحظة .

وفى صفحة ٧٣ (فليعود نفسه على) وهـذا الفعل يتعـدى بنفسه لا بحرف . والصحيح وليعودها . كما قال فى صفحة ١٤٣ (تعودت عليه) والصحيح تعودته .

وفى ٧٤ (الغير مهذبة) . وغير مستغرقة فى الابهام ، فلا تعرف بأل لشدة ابهامها . فالصحيح أن يقول غير المهذبة .

وفى صفحة ٩٠ قال (شمعة باهتة الضوء) وباهتة سوقية مبتذلة ، والصحيح أن يقول : كاسفة الضوء أو كامدة .

وفى ١٤٤ قال (فى الثلاثة أيام) فان العـدد المضاف يعرف عجزه لا صدره أى بادخال أل على المعدود لا العـدد . فالصحيح أن يقول فى ثلاثة الأيام ، وان شاء عرف الجزئين فيقول الثلاثة الأيام .

وفى صفحة ١٥١ قال (عن نواياها) والصحيح عن نياتها . ونوايا جمع غير وارد فى اللغة .

وفى صفحة ١٨٨ يقول : (هلا هيله المزقة) وهى كلمة عامية مرذولة . وما نراه الا يريد ان يقول أطماره المخرقة . على أن هذا الحرف من معانيـــه الرقة . يقال ثوب هلهل أى سخيف النسج ، وثوب هلهل وهلهال ، رقيق قد هلهله النساج اى ارقه .

حسبنا ما أشرنا اليه . وما همنا الا أن يكون هـذا الجهد الطيب الذى بذله الأستاذ الفاضل نجيب الكيلانى ، فى اخراج هذه القصة التى جلت قدرا ونفعا ، وبرزت فيها كلمة الوطنية والقومية عالية مدوية ، أن يكون هذا الجهد الطيب جديرا بأن يزداد الاقبال على قراءتهـــا ، وأن تبدو فى طبعاتهـا المستقبلة سليمة من الهجنة والمغمز ؛ وان نريد الا ما يليق بهـا من الوفاء والكمال قد كسيب ثوبا سابريا زاهيا ، و « رقعته ما شئت فى العين واليد » .

أحمد أبو الخضر منسى

سطور من كتاب ...

« تكون افكاري دائما بلون ملابسي .. أذكر يوما — وكنت لا ازال حديثة السن — البسوني ثوبا أسود ؛ لأن خالة لي توفيت ، ولم أكن رأيتها قط ، وبكيت ابكى طوال النهار ، وشعرت بحزن عميق ، وتصورت أن قلبى مفعم بالأسى ، وانني متألمة جدا على خالتى .. ولم يكن ذلك الشعور الا بسبب الملابس السوداء ، واعتقد أن الرجال يبدون اليوم أكثر وقارا من النساء ؛ لأنهم يرتدون ملابس اكثر تحشما » .

... الزيفون



الغزو الفكرى

تأليف
محمد جلال كشك

الناشر : مكتبة دار العروبة
عدد الصفحات ١٤٢ ص ١٤ × ٢٠ سم

عندما عقد مؤتمر الأدباء العرب فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ وجه الرئيس عبد الناصر الى الوفود كلمة قال فيها :

« ان التحرر الفكرى ضرورى لنا فى الحرب الباردة التى تستخدم فيها كافة الأسلحة ، وان الأدب والفكر سلاحان أساسيان فى هذه الحرب . وانتم قادة الفكر عليكم واجب أساسى فى توضيح الأمور ، وفى اقامة أدب عربى متحرر ، مستقل خال من السيطرة الأجنبية أو التوجيه الأجنبى » .

فقضية التحرر الفكرى من أهم قضايانا الحيوية سواء فى مرحلة التخلص من السيطرة الأجنبية ، أو فى مرحلة اعادة البناء والانطلاق غير المحدود .

وأى انحراف بالكلمة أو بالفكر فى أيامنا هذه لا يقل خطرا عن التعاون العسكرى مع جيش العدو الزاحف . ومن هنا يصبح من التبعات الكبرى لحملة الأقلام أن ينبهونا دائما الى مواطن الخطر ، وان يشعلوا المصابيح عند كل بقعة مظلمة يكمن فيها شر .

والكتاب الذى نقدمه الآن واحد من هذه النواقيس التى تحذر من الانزلاق الى الهاوية . ويتألف من « مدخل » وفصلين ، وأربعة نماذج تطبيقية .

وفى مدخل الكتاب يحدد المؤلف التاريخ الزمنى الذى ولدت فيه فكرة الكتاب وذلك عند انتصار ثورة الجزائر واتضاح طابعها العربى الاسلامى . ومنه انطلق المؤلف ليناقش بل ليؤكد أن الاسلامية قد اثبتت واقعيتها وفاعليتها وانتصارها فى معركة التحرر ، على نقيض ما كان يذيعه التابعون للغرب من أنه « لا ثورية الا بنفى الاسلام » ومحاربة الاسلام ، لأنه فى زعمهم عقبة المسلمين الكبرى على طريق القوة والتحرر .

ويستطرد الى الحديث عن الانحرافات العقائدية لحزب البعث ، وللثورة العربية التى كان « لورنس » يقودها على نفس المخطط الذى أراده المستعمرون لها بعيدا عن خط السير المفروض . وبدل أن تتجمع كل القوى الاسلامية لمناضلة الاستعمار الصليبى انقسمت على نفسها لتكون ثورة عربية ضد الخلافة الاسلامية أى ثورة من المسلمين ضد أنفسهم .

وخلاصة ما يريد المؤلف تأكيده فى « مدخل » الكتاب ان العروبة تعنى الاسلام ، وأن الابتعاد بالعرب عن الاسلام معناه انفصال البناء عن أساسه ، وهذا ما يصرح به « موروبيرجر » استاذ الشرق الأدنى بجامعة برنستون الأمريكية حيث يقول فى كتابه « العالم العربى اليوم » :

« لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الاسلام ، ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة فى افريقيا » .

فالاسلام هو مبعث الفزع الاستعمارى من العرب ، وليس لأن عددهم مائة مليون ، ولا لأن البترول يتفجر تحت أقدامهم . فثمة شعوب أخرى قد تفوقنا فى ذلك ، ولكن ميزتنا أن

وفى الفصل الثانى يتحدث عن الخلاف الحضارى بيننا وبينهم ، وأبرز معالم هذا الفصل تأكيد ان حضارتنا تعنى الاسلام ، واما الامتداد العربى او الفرعونى أو غيرهما قبل الاسلام فموقفنا منه لا يعدو حالة الاعتزاز ، أى دون أن يكون له أثر فى تنشيط وجودنا وتنميته . وبعد حديث طويل عن المواقف التى تتخذها منا الحضارة الغربية يلخص رأيه فيقول :

« الحضارة الغربية لا زالت عند صليبيتها ، وقد ازدادت حدة هذه الصليبية فى السنوات الأخيرة مع خطر زوال امبراطوريتها فى أفريقيا .. » .

وفى مواجهة هذه الصليبية كان لابد أن ندرك وجودنا الحقيقى ، وهو أننا مصريون ــ عرب ــ

« الاسلام » رسالة حياة وتحرر وتأكيد وجود ، وهذا ما يخافونه .

وفى الفصل الأول يناقش « قضية الوجود » وجودنا نحن ويؤكد أننا « نرث الوجود لحظة ميلادنا فى عصر معين ، وفى نقطة معينة من خطوط الطول والعرض ، وان كنا لا نملك اختيار الوجود فنحن أحرار فى تقويمه وتشكيله ، والانقسام داخله أو حتى التنكر له .. ولكنا نظل أبد الدهر نحمل بصماته » .

والمؤلف يريد من هذا تأكيد ان على الذين يظنون أن مجرد تشبيههم بالغرب فى المظاهر وفى أنماط السلوك يجعل منهم غربيين ... هؤلاء فى رأيه واهمون ، ومن الخير لهم أن يمارسوا خصائص وجودهم هم لا خصائص وجود غريب عليهم .

ويؤكد فى هذا الفصل مفهوم الفكرة المشهورة عن الشرق والغرب وأنهما لن يلتقيا ، ويقدم الشواهد على الروح الصليبى الذى يقود النظرة الغربية الى الشرق وخاصة الى العرب والاسلام .

* * *

مسلمون ، وأية محاولة للفصل بين هذه المكونات هى تمزيق للجسد وحكم عليه بالموت .

ونلاحظ فى الفصلين معا اعتزاز الكاتب بالثورة الجزائرية والاستشهاد بها كنموذج تطبيقى رائع للاسلامية التى استطاعت وحدها ان تصنع المعجزة وتحمى الجزائر من الطوفان ، وتعيدها



الى العروبة رغم نجاح الاستعمار الصليبى فى تحطيم الجسور بينها وبين العرب فى كل الوطن الكبير .

ويجىء دور النماذج التطبيقية للتبعية الفكرية فيقدم لها الدكتور مصطفى محمود وعبد الرحمن

الشرقاوى ، وغالى شـكرى والدكتور لويس عوض .

ومع أن الدكتور لويس عوض كان آخر النماذج التى ساقها المؤلف فقد آثرت أن أبدأ به لأنه فى رأيى أخطر التابعين ، فقد كان يوما ما من أساتذة الجامعة الذين يملكون قوة التوجيـه واتخاذ موقف الريادة أمام الشـباب ، وهو اليوم بحكم الوضع الذى يحتله فى جريدة « الأهرام » يشرف على أفق فى منتهى الرحابة ويطل على الرأى العام من أعلى النوافـذ . هـذا الى أنه يختلف عن الآخـرين فى أنه يريد أن يجعل الولاء للغرب شيئا مقننا مبنيا على نظريات ومبادىء .. كل هذا يجعل الدكتور لويس أشد من غيره خطرا وأجدر بالاهتمام .

وقد اختـار المؤلف من أعمال الدكتور لويس مسرحيـة « الراهب » وبعض محاضرات له فى معهد الدراسات العربيةتحدث فيها عن «الجنرال يعقوب » ودوره مع الحملة الفرنسية .

ومنـذ البـداية يعلن المؤلف أنه لا يناقش المضمون الفنى للمسرحية ، وانما يناقش المضمون السياسى ، والمضمون السياسى للراهب مناقضة صريحة للاتجـاه العربى المعاصر نحو الوحـدة الشـاملة ، بل انه ردة صريحة الى الاقليمية ، وتأكيد للانفصال .

فالدكتور يتحـدث فى مسرحيته عن مصر المعاصرة ، مصر التى كان علمها أخضر وعليـه نجوم وهلال . وفى الحوار الدائر بين « مارتا » و « آبانوفر » نسمع هذا القول :

مارتا : وهذا ما فعلت . خرجت الى حديقة القصر لأستريح هنـاك ، رقدت تحت شـجرة التين ، وفى نومى رأيت العذراء فى رداء أخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟ .

آبانوفر : فى رداء أخضر ؟ .

مارتا : نعم : لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون كانت فى رداء أخضر ، وكان فى جبينها هلال عليه ثلاثة نجوم .

ماذا يريد الدكتور أن يقول ؟ والى اى مدى يوجه رمياته ؟ .

ان العروبة عندنا قبل الاقليمية ، والوحـدة العربية قد جاوزت نطاق الأمانى واصبحت ارادة عمل ، ولن تنجح آلاف المسرحيات التى يكتبها الدكتور لويس أو من يدورون فى فلـكه فى ثنى عنان التاريخ الى الوراء .

واذا كان الدكتور لويس قد اختـار نكسة الانفصال بيئة زمنية يظهر فيها مسرحيته بردتها الاقليمية فليكن على ثقة انه كشف بيده عن المكان الذى يمكن أن تهب منه تيارات معاكسة .

واحب ــ مع مؤلف الكتاب ــ ان اؤكد للدكتور لويس أننا لا ننظر مطلقـا الى العمل الأدبى من زاويته الضيقة التى ينظر منها اليه ، فالقضية فى رأينا ليست قضية عقيدة ، ولكنها قضية وجود ومصير . ولا بقـاء لوجودنا المصرى الا بالعروبة والاسلام ، بل انه لا حفاظ على تراث الشهداء الأقباط فى مصر الا بالعروبة والاسـلام . وهذه مسألة لا نبتكرها ، ولا نرددها كنظرية ، بل انها فطرة شعبنا التى اهتدى اليها وحده عندما أقبل على الاسلام وغير لغته ، وقرأ الانجيل بالعربية ، دون اراقة قطرة واحدة من دم .

والدكتور لويس سـيد العارفين بكل هذا ، ولكن يبدو أن اعجابه الشديد بشخصية الجنرال الطريد يعقوب قد سـول له أن يصبح هو الآخر جنرالا ، وينسى أو يتنـاسى بديهيات الواقع والتاريخ ، وينظر باستغراب الى اربعة عشر قرنا من تاريخ هذا الشعب وكأنها هباء .

وحديث الجنرال يعقوب والتفسيرات الغريبة التى أعطاها الدكتور لتصرفاته تلقى كل الشبهات على موقفه .

فالثابت تاريخيا ان الجنرال يعقوب كان خائنا وتابعا لسادته من الفرنسيين ، وانه كان مغرما شديد الغرام بهم الى حد الشذوذ وخاصـة بالقائد « ديسيه » الذى طلب يعقوب أن يدفنوه معه عند موته .

هذا « اليعقوب » الشاذ يريد الدكتور لويس أن يجعل منه أول بطل نادى باستقلال مصر . وليقعد بالعافية محمد كريم وعمر مكرم واحمد المحروقى وفتوات الحسينية وابطال بولاق وكل

أحرار مصر الذين افتدوها وصانوا استقلالها بالمال والدماء . فكل هؤلاء عند الدكتور لويس لا قيمة لهم والبقاء فقط للجنرال يعقوب .

أى منطق هذا ؟ ومن أين هذه الاستنتاجات التى تناقض ما دونه الجبرتى عن هذا الرجل مثبتا تعاونه مع الفرنسيين ضد الشعب ولماذا تصر على أن تجعل منه بطلا .

التفسير الذى يراه المؤلف أن الدكتور لويس يرى ببساطة أن الحملة الفرنسية هى كل شىء فى حياة مصر بعثت القومية العربية واقامت الديموقراطية واحيت البلاد من العدم كنتيجة طبيعية للتبعية الفكرية التى لا ترى شيئا جديرا بالتمجيد الا اذا كان من الغرب أو من الشرق البعيد البعيد الذى ليس فيه عرب ولا عروبة ! .

ولعل أوضح الدلائل المؤكدة لاتجاه الدكتور لويس المقالان الأخيران له فى أهرام الجمعة عن « الخلاص بالموت » و « الخلاص بالحب » فى صدد الحديث عن ديوان الشاعر صلاح عبد الصبور .

فى مطلع المقال الأول مناقضة صريحة لاتجاه مجتمعنا المعاصر نحو البناء أو السد العالى معناها : « لا لا دعونا من كل هذا » .

كلام غريب . ندع كل هذا وبماذا يريدنا الدكتور أن نهتم ؟ .

بالخلاص بالموت ؟ بالخلاص بالحب ؟ بتمجيد السلبية والانطوائية وفكرة الهروب من الحياة والفرار الى الدير .

ان العقيدة الروحية التى يدين بها شعب مصر عقيدة حياة وبناء وايجابية وليس فيها من الانهزامية قليل أو كثير فاذا وجد لمجتمعنا من يتحمسون لفكرة الهروب الى الدير فهم لا شك مرضى بالولاء للماضى ولن تتعثر مواكب الحياة من أجلهم .

ومن حسن حظ شعبنا ان الذين يقودونه ويوجهونه اليوم ثوار صناع حياة وسدود عالية وزراع خضرة فى الرمال وليسوا أبدا ولن يكونوا من المتخلصين بالموت أو بالفرار الى الدير .

* * *

أما الدكتور مصطفى محمود فيتحدث عن الصدفة فى حياة الناس وعلاقتها بالتخطيط ويختار حكاية الكوليرا التى حدثت بمصر قبل حادثة القورين فيزعم أنها جاءت مع حاج طيب عاد الى بلده ومعه زجاجة من ماء زمزم حرص أهل القرية على اقتسامها ولما كانت لا تكفى فقد ألقى ماءها فى بئر القرية الذى شرب منه الجميع وكانت الحصيلة وفاة ثلاثة ملايين مصرى .

وايراد الحكايات أو حتى الحواديت بهذا الشكل لا يتفق والمنهج العلمى الذى يحاول التقدميون أن يلوحوا به فى وجه من ليس منهم لأن الكوليرا عرفت طريقها الينا مع الجيوش البريطانية القادمة من بلاد تركب الأفيال ولم تكن أبدا من ماء زمزم . نقول هذا خضوعا لأبسط مقتضيات المنطق فلو كان ماء زمزم ملوثا لكان من الضرورى انتشارها فى بلاد العالم الاسلامى بل بين الحجاج أنفسهم .

* * *

أما الناقد غالى شكرى فيخرج كتابا عن أزمة الجنس فى القصة العربية ويتناول فيه مسألة الطلاق وتعدد الزوجات — فى الاسلام بالطبع — على أنها مبعث الفساد فى الدنيا والآخرة وهذا كلام ظاهر التحيز لأن الزواج الأبدى اياه لم يكن عاصما من الفساد كما أن اباحة الطلاق وتعدد الزوجات مشروطة فى الاسلام بالضرورة القصوى التى تكاد تجعلهما محظورين كما هو معروف . ومن عجب أن المجالس الملية الآن أصبحت تأخذ بمبدأ الطلاق وتبنيه على نفس الأسس التى بناه الاسلام عليها منذ أربعة عشر قرنا .

* * *

ونفس الكاتب نراه يسقط عمدا مع سبق الاصرار أربعة عشر قرنا من تاريخ مصر هى عمر الاسلام فيها ولا يعترف بها على نحو يجعل من واجب الناقد أن يرتفع عن مستوى مناقشته ريثما يملى على قلمه شيئا يمكن اخضاعه لمنطق العقل .

وعبد الرحمن الشرقاوى هو النموذج الثالث الذى ســلكه المؤلف فى عداد الأتباع . واختار مؤلفيه « الأرض » و « جميلة » .

أما فى « الأرض » فلنا فيها وجهة نظر تخالف رأى المؤلف لأن الحــديث عن « الماء والسكة الزراعية وما حدث حولهما ليس بعيدا عن الأرض ولكنه فى الواقع تصوير لعدوان أصحاب النفوذ فى الماضى على من لا نفوذ لهم ، وتصوير استماتة الفلاحين من اجل الأرض خاصة وأن النماذج التى عرضت كانت من صغار الملاك وليس فيهم أقطاعيون . وهى بهــذا المفهوم تؤدى عمليــة تنشيط للوعى الاشتراكى عند القارىء وهذا فى ذاته عمل ضد الرجعية .

أما مسرحية « جميلة » فرأينا فيهــا مع المؤلف الذى وفق فى التنبيه الى سقطات خطرة كان من الضرورى تفاديها ولا سيما اللقطات التى تجمع بين الجزائرى والفرنسى فى مشاهد مجيدة تترك ظلالها فى النفوس.وتميِّع الشعور بالكراهية ضد المعتدى ، ومن الضرورى أن يقدم الشرقاوى تفسيرا لها .

* * *

وبعد :

فمع تقديرى لأهمية القضايا الفكرية التى ناقشها الــكاتب وتوفيقه فى عرضها فانى أحب أن أساله أولا : كيف ترك لقلمه أن يخط على هذا الكتاب القيم كلمة الاهداء الغريبة التى تفاجىء عين القارىء كما تفاجئها بقعة الحبر على لوحة جميلة ؟ .

ومن هى ــ اســم الله عليهــا ــ تلك التى استحقت عيناها كل اهتمام المؤلف فيكتب لها فى صفحة كاملة برقية الاهداء الالكترونية «الى عينيها » .

لا ياسيد جلال .. نصيحتى عند اعادة طبع الــكتاب أن تخبى عينيهــا بأى طريقة ولا داعى للحرج .

ثانيا : بعض الأحكام التى اتخــذها المؤلف ضد بعض النماذج تحتاج منا الى توقف لا لأن الحكم خاطىء ولكن لأن الاستقراء غير تام .

فمثلا : موقف مصطفى محمود من حكــاية الــكوليرا خاطىء دون شــك ، ولكن الخروج منــه بالحكم على مصطفى بالتبعية الفكرية دون استقــراء بقية أعمــاله ، وكذلك بالنسبة لغالى شكرى كل هذا يجعل القــارىء قليل الاقتناع فى عدالة الحكم ، وهو ما يجب أن يبرأ منه جهد واضح كهذا الجهد .

اما الكلمة الأخيرة التى اقولها فهى دعوة المؤلف الى تقديم دراسات خاصة بكل نموذج من هذه النماذج وبغيرها لعله بذلك يستطيع ان يكفينا هذه الثغرة الخطرة .

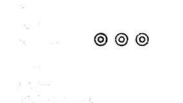
ولو أمضى الأستاذ كشك بقية عمره فى هــذا العمل فليكن على ثقة أنه يغادر دنيانا بقلب ملىء بالرضى بعد أن يترك وقع أقدامــه على صفحة الزمن .

عبدالصبور مرزوق

سطور من كتاب ...

« ما الذى تقدمه لنا الكواكب الأخرى كامتداد للحدود التى تلاشت الآن من الارض ؟ .. فى رأيى انها لا تقدم الا أنواعا مختلفة من الجحيم ، تعتبر الحياة عند القطب الجنوبى او فى وسط الصحراء الكبرى أو عنــد أعالى منحدرات جبل افرست جنة بالنسبة لها . ولا تنس أن ثلثى جسمك ماء ، وأنك تتبخر بسرعة ، وأن الضوء البنفسجى والأشعة الكونية تحطمك تحطيما » .

... بزوغ العقل البشرى



بطولة .. وبطل

نصر

تأليف
الدكتور أحمد محمد الحوفي



الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة
عدد الصفحات ١٥٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٨ قرشا

البطل في حياته وبعد مماته مثل عال يرمقه قومه، ويشرئبون الى علاه ، ولقد يكون مرموقا من غير قومه ، لأن بطولته جديرة بالتقدير والاحتذاء •

وما الأبطال في الأجيال المتلاحقة الا نور يهدى، ونار تحرق • نور يهدى الى المجد والعزة ، والى تقديس الواجب ، وفداء الحق والخير بالنفس والدم والمال والراحة ومتاع الحياة •

ونار تحرق الخور والضعف والاستسلام والاستخذاء والحواجز التي تحول بين البشرية والتقدم والعلاء •

وان دراسة الأبطال لغذاء للنفوس ، وتأريث للعزمات ، ومتعة للأرواح وتقدير لمعاني الرجولة والعظمة في أسمى مظاهرها وان تاريخهم ليخلص تاريخ العالم ، في أوجز صورة وأعظم مثال ••

هكذا يقول مؤلف الكتاب في صفحة ٦٧ منه في الفصل السادس تحت عنوان « أثر البطولة والأبطال » كما يطالعنا في المقدمة بقوله « مصر اليوم تثب ، والعالم العربي ينتفض ، ولا يدفع الواثبين والمنتفضين الى الأمام أقوى من احيائهم سير أبطالهم ، وطموحهم الى أن يكونوا أبطالا مثلهم ، فانه لا شيء أنفع في بعث العزائم من التذكير بالقدوة ، والاقتداء بالأسوة ، والاهتداء بعظمة الأجداد • وتاريخنا المصري والعربي غني بأنواع البطولة ، وبطولاتنا جديرة بأن نحييها ، ونعتز بها ونحاكيها ، في هذا الوقت الذي نجاهد فيه أعاصير الاستعمار فرادى وجماعات ، ونسعى في حماسة وعزم ومضاء وعمل دائب لننزل مكانا عليا في صدارة العالم الحر » •

على ضوء هذه العقيدة قدم لنا الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم وهو من نعرف رحابة أفق وسعة ثقافة وصاحب مؤلفات كثيرة هادفة ومقالات غزيرة رائعة ذوات آثار جليلة في شتى الميادين على اختلافها • قدم ضمن مؤلفاته كتاب « بطولة وبطل » موضوع هذا المقال وجعله قسمين : قسم خاص بالبطولة، وقسم خاص بالبطل •

وفي القسم الأول يقدم لنا في ستة فصول دراسة منهجية مفصلة ومنظمة ووافية بالغرض عن حقيقة البطولة ، ودعائمها ، وأرقى أنواعها ، وصلتها بالعصر ، وأثرها في حياة البشر ، وقيمة البطولة والابطال مؤيدا كلامه دائما بعرض الأمثلة الحية من تاريخنا ليجعل الفكرة موصولة بالأعمال

كما آثر في عرض هذه الأمثال أن يتدرج من البعيد الى القريب ليظهر التدرج مع الأعصار كما يتدرج النهر الدافق من المنبع الى المصب •

وفى القسم الثانى يحدثنا فى خمسة فصول عن الرئيس البطل جمال عبد الناصر وسيرته وأعماله ودعائم بطولته معتمدا على التحليل والتطبيق فى ايجاز يكتفى باللمحة عن التطويل ، وبالاشارة عن التفصيل .

فى الفصل الأول من القسم الأول يتناول الكتاب بالشرح والتحليل حقيقة البطولة وأنواعها مستعينا فى تعريفها بالقواميس العربية وغير العربية ، وموضحا أن البطولة كما تكون فى ميدان الحرب تكون فى مجال السلام . بل يذهب المؤلف الى أبعد من هذا ، فيرى أن بعض البطولات أحق بالتمجيد والاكبار من بطولة الحرب والقتال حيث يقول فى ص ٩ « لأن بطولة الحرب قد تكون فى العدوان الغادر ، لا فى الدفاع المشروع ، وقد تكون وليدة الظروف ، والملابسات أو التكليف والاضطرار ، أما البطولات الأخرى فهى وليدة الاختيار أو هى استجابة للفطرة الخاصة والأخلاق المتميزة ، والتفوق على الناس » .

كما يقدم لنا حديثا علميا عن العلاقة بين البطولة والشجاعة ، وبينها وبين العظمة والعبقرية مبينا معنى العبقرية فى العربية واللاتينية والفرنسية والانجليزية .

وفى بيان جلى يشرح فى الفصل الثانى دعائم البطولة التى منها فيض الحيوية ، وقوة العقيدة موضحا معنى العقيدة وأثرها وكيف أنها من أقوى أسس البطولة .

وفى جزء مستقل من هذا الفصل يحدثنا عن الشجاعة ويبين « من الشجاع » ؟ وهل الشجاعة غريزة تظهرها الحوادث من غير انتظار . كما لا ينسى المؤلف أثناء كلامه عن كل دعائم البطولة أن يعرض أمامنا أمثلة حية وصورا مختلفة لأبطال اتصفوا بهذه الدعائم منهم الأنبياء والخلفاء والقادة والزعماء ودعاة الاصلاح بأنواعه ، وكيف كان أثر هذه الدعائم فى سلوكهم مما حدا بالتاريخ لأن يخلد ذكراهم ويتغنى بمجدهم الذى لا يبلى ويتخذ منهم أسوة حسنة لمن يريد العزة والمجد .

والكتاب فى زحمة حديثه عن دعائم البطولة يحدثنا حديثا عجبا عن الرحمة باعتبارها من سمات البطولة الحقة حيث يقول فى ص ٣٦ « ليس البطل الصارم الشجاع أسدا فراسا لا يحتكم لغير غريزته ومخالبه وأنيابه انما البطل انسان، وهو انسان أقرب الى الكمال ، فلا تناقض بين بطولته وبين أن يكون رحيم القلب عطوفا على الضعفاء ، رفيقا فى معاملة الناس ، حساسا بآلام المحزونين والبائسين . نعم لا تناقض ؛ لأن القلب الكبير العظيم يتسع للشجاعة والبأس ، وللعزيمة والمضاء ، ويتسع معها للرحمة والعطف والحنان وغيرها من عواطف البر والاخاء » .

وأظن أن هذا كلام لا يختلف فى صحته اثنان . فها هو القرآن الكريم بوصفه كلام القوى العزيز عندما يصف الرسول وأصحابه بالقسوة والشدة على الكفار يقرن ذلك بوصفهم بالرحمة فيما بينهم « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم (١) » والكتاب زاخر بالشواهد على ذلك من سيرة الرسول وأصحابه وبعض القواد والزعماء فى المواقف المختلفة .

كما يتكلم بعد ذلك عن مضاء العزيمة والاعتداد بالنفس كلاما تطمئن اليه القلوب وترتاح له نفس القارىء . فبعد أن عرف العزيمة أشار الى معوقاتها ووضح من أين تأتى قوة العزيمة وأثرها مؤيدا كلامه بأمثلة من عزائم الأبطال .

كذلك أبان أن من سمات البطل اعتداده بنفسه واعتزازه ببطولته موضحا الفرق بين الاعتداد والغرور حيث يقول فى ص ٤٨ « لأن الغرور قائم على الادعاء وعلى المبالغة فى المزايا : فهو لون من الكذب والخداع والرياء . أما الاعتداد فأساسه الثقة بالمزايا المحققة فى البطل مع بعده عن التزييف والخداع ، وبعده عن الرغبة فى كسب الشهرة بين الأتباع وغير الأتباع .

وينتقل بنا المؤلف فى رفق وهدوء ليحدثنا حديثا علميا مدعما بالبراهين تحت عنوان «البطولة خلق» موضحا الفرق بين الحاجة والرغبة ، وكيف أن الحاجة كثيرا ما تكون من خصائص الحيوان ، أما الرغبة دائما تكون من خصائص الانسان ، ومظهرها هو الخلق ، معرجا على تصارع الرغبات

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح .

لـــدى البطل وكيف أن البطل الحق لا يطيع الا الواجب .

كما يتكلم فى الفصل الرابع عن « البطولة المثلى » وكيف أنها لا تتعلق الا بالغايات العظيمة، وأنها مبرأة من الانانية .

وفى الفصل الخامس يحدثنا تحت عنوان « البطولة والعصر » وهل البطل ثمرة عصره ؟ ويعرض أمامنا آراء لبعض المفكرين حول علاقـــة البطل بعصره وبيئته ، ويناقش هـــذه الآراء ليخرج منها بأن العصر مشجع لا موجد .

***

واذا كان الغرض الأسمى من دراسة تاريخ الأبطال والعظماء هو الاقتداء بهم فيما يقولون ويفعلون . فليس هناك أجدى لمحـــاربة الوهن واشعال الحماس فى نفوس أبناء جيلنا الحاضر من دراسة تلك البطولة الفذة ، وهذه الشجاعة النادرة ، والعظمة الحقة ممثلة فى شخص الزعيم البطل « جمال عبد الناصر » وكيف لا وعبد الناصر لم يعد الآن — بفضل ما اتصف به — زعيم العروبة فقط ، ولا زعيم افريقيا فحسب ، بل أصبح زعيما عالميا تخطب الدنيا كلها وده ، وتتسابق الحكومات على اختلافها فى التعاون معه .

ولهذا يوافينا المؤلف فى القسم الثانى من الكتاب بدراسة هادئة شافية — على قصرها — فى عرض رائع جذاب عن حياة البطل عبد الناصر وسيرته وأعماله مبتدئا بحديثه فى الفصل الأول عن « طلائع حياته » من حيث مولده بالاسكندرية ونشأة أسرته الصعيدية فى قرية بنى مر بمديرية أسيوط .

وفى لباقة يحاول المؤلف أن يربط بين مولده الاسكندرى ، وأصله الصعيدى فيقول فى ص ٧٣ « كأنما أراد القدر أن يرمز بذلك الى أنه منح مصر بطلها الذى يرد اليها مجدها ، ويحقق أملها وكأنما أراد القدر أيضا أن يسوى فى الفخر بجمال بين شمالى مصر وجنوبيها ، فها هنا المولد ومدرج الطفولة ، وهناك الأصل والأهل والعشيرة .

ويستطرد المؤلف يوضح كيف أن جمال تعلم مع أبناء الشعب فى المدرسة الأولية والابتدائية والثانوية وبضـــعة أشهر فى كلية الحقوق . ثم فى الكلية الحربية . وقد علمه والده من كده وكدحه حيث لم يكن من ذوى الثراء ، ولا من ذوى الجاه ! فجمال بطل نشأ من الشعب وتربى فى الشعب وعاش مع الشعب .

وحديث مؤلف الكتاب عن عبد الناصر حديث الانسان الصادق الأمين ، خصوصا فى مرحـــلة التعليم ، فقد التقى به مرات ومرات حيث كان كل منهما ممثلا لمدرسته وعضوا فى لجنة الطلبـــة التنفيذية العليا .

يقول المؤلف عن جمال فى ص ٧٦ (٠٠ على أن جمال عبد الناصر لم يكن فى سنة ١٩٣٥ طالبا يمثل مدرسته فى لجنة الطلبة فحسب : بل كان طالبا ثائرا يلدغه الخزى من حال مصر وضعف رجالها ، ويتشوق فى حماسة وحرارة الى العمل المثمر المجدى) .

والكتاب فى جل كلامه عن عبد الناصر يستدل بما شاهده المؤلف نفسه ، وبما سمعه وطالعه من خطب عبد الناصر النابضة بالبطولة والحيوية فى المؤتمرات وفى المناسبات المختلفة . كمـــا يستشهد أيضا بما قرأه المؤلف — عن وعى — من كلام عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة والميثاق فى أبوابه المختلفة محللا ومطبقا .

وفى الفصل الثانى من القسم الثانى يحدثنا المؤلف عن جمال « الضابط الثائر » عقب تخرجه فى الكلية الحربية ونفسه تضيق بالآمال الكبيرة التى يريد أن يحققها لبلاده ، ولكنه لا يستطيع وهو ضابط صغير ، يتجلى هذا الضيق فى رسائله التى كان يكتبها الى أصـــدقائه من منقبـــاد أو السودان ، والكتاب زاخر بنماذج من هذه الرسائل فى ص ٧٨ ، ص ٧٩ .

وفى الفصل الثالث يتكلم عن جمال « القائد البطل » بعد تخرجـــه فى كليـــة أركان حرب ســـنة ١٩٤٨ حيث كان ينتظره الوطن العربى الكبير ليذود عنه فى ميـــدان الحرب ما دبر المستعمرون له من كيد ، كما يبين كيف أن جمال البطل رأى أن بقاءه كمدرس بالكلية لا يمكنـــه من البلاء فى الميدان ، فاستقال ليتطوع فى الكفاح

مع الفدائيين . لكن استقالته لم تقبل ، وعاود الكرة فلم يجب طلبه . ثم تحقق له ما أراد فأرسل الى فلسطين أركان حرب للكتيبة السادسة ، وهنالك أثبت أنه محارب من طراز ممتاز وأنه فدائي باع نفسه في سبيل الله والوطن والعروبة.

وان تعجب فعجب لحديث المؤلف في الفصل الرابع عن مظاهر بطولة عبد الناصر في الثورة الكبرى ، وكيف كان أثناء مقامه بفلسطين يرسم الخطط لتخليص بلاده من أوهاق الاستعمار ، وجرائر الاقطاع ، ومخازي الحكم ، وسيطرة الأثرياء والمستغلين على الحكم والحكام ، كما يأخذ الكتاب بعد ذلك في تصوير جراة عبد الناصر المنقطعة النظير ، وبطولته التي لم نكن نسمع عنها - قبل عبد الناصر - الا في الأساطير؛ بطولته في تنفيذ مارسمه بفلسطين هو وزملاؤه الأوفياء . معتمدين على أعظم قوتين وهما الجيش والشعب . حتى تم لهم ما أرادوا ونجحت الثورة.

ثم يوضح الكتاب في هذا الفصل موقف عبد الناصر من حصون الاستعمار حين رأى أن حصنه الأول هو الملكية فقوضها ، واتجه الى حصنه الثاني الممثل في الأحزاب فألغاها ، وتقدم الى حصنه الثالث فمحا الاقطاع . حتى يكفل للشعب الكادح الخلاص من أصفاده . كما وجه الحملات الى حصون الاستعمار الأخرى من خوف وضعف وخنوع وفرقة وركود في الاصلاح والأعمال فضربها ضربات جريئة حاسمة ، وأخيرا فرغ للاستعمار نفسه، وكان يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ يوم النصر الذي تشوقت اليه مصر .

وفي نهاية هذا الفصل يحدثنا الكتاب عن بطولة عبد الناصر في الوحدة العربية ، ومناصرة العرب الثائرين ، وفي تكوين جبهة أفريقية آسيوية ، وتجميع قوى العالم ضد الاستعمار ، وشجاعته الخارقة في تأميم القناة ، وصلابة عوده في الحرب الغادرة .

وفي الفصل الخامس والأخير يحدثنا في تصوير بديع لبطولة عبد الناصر على ضوء المقاييس التي سلفت في القسم الأول من الكتاب عن البطولة ودعائمها ، ويوضح كيف أن عبد الناصر بطل فيما يقول ، وفيما يعتزم ، وفيما يعمل : ثم يختتم الكتاب بهذه العبارات الصادقة « هذا **البطل » ! صاغه القدر على مهل ؛ وصنعه من طبيعة مصر والعرب ؛ انه الثمرة الناضجة لجهاد عمر مكرم ، وأحمد عرابي ، ومصطفى كامل ؛ ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، انه الشعلة المتوهجة من جذوات الجهاد التي أوقدها الشعب منذ ثوراته على الحملة الفرنسية حتى ثورة سنة ١٩٣٥، انه اليد الأمينة القوية التي تسلمت العلم من سابقيه ، وانها لترفعه اليوم عاليا خفاقا في عنان السماء .**

والخلاصة أن الكتاب يعتبر بحق احدى روائع المؤلف التي يوافينا بها من وقت لآخر . فهو كتاب قيم وزاخر بالشواهد الحية في كل فصل من فصوله المتعددة في حين أنه مستقيم الخطة ، ويتسم بسهولة الألفاظ وسلاسة الأساليب ، يتيسر فهمه لجميع المستويات على اختلافها .

هذا وليس في كل ما تضمنه المقال غناء عن الكتاب نفسه ، فحتى أحيل القارىء الى الكتاب أتوجه الى الأستاذ المؤلف بالشكر والثناء والتقدير .

السيد عيسى





افتتح الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي معرض الأسبوع الثاني للكتاب العربي الذي أقيم بالقاهرة في اليوم التاسع من شهر نوفمبر الماضي، واشتركت فيه ٥٧ هيئة ودارا للنشر في الجمهورية العربية المتحدة، وبعض الدول العربية منها ٢٥ دار نشر من القطاعين العام والخاص، و ١١ هيئة حكومية، و ٨ هيئات علمية، ثم ١٣ دار نشر من ست دول عربية. فكان ذلك دلالة قوية من دلالات الوحدة الفكرية التي تلتقي فيها جميع الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية لتتكون منها ثقافةعربية أصيلة جديرةبالأمانة العربية كما يقول الدكتور حاتم.

● منذ أن احتفل بالذكرى الألفية لفيلسوف الاسلام الأكبر الرئيس ابن سينا والجهود مبذولة في نشر كتابه الكبير « **الشفاء** » محققا تحقيقا علميا على يد طائفة من الأساتذة الأجلاء من أمثال الدكتور ابراهيم مدكور والدكتور أحمد فؤاد الأهواني والأب جورج قنواتي والأستاذ زكريا يوسف والدكتور محمود أحمد الحفني والأستاذين سليمان دنيا وسعيد زايد ثم المرحومين الدكتور محمد يوسف موسى والأستاذ محمود محمد الخضيري. وكتاب « **الشفاء** » يعد منقطع النظير بين الكتب الفلسفية من حيث الشمول، فهو ينقسم الى اربع جمل رئيسية: **المنطق**، والطبيعيات، والرياضيات **والالهيات**. **وتحت** كل جملة من هذه الجمل الأربع: فنون، وتحت كل فن: مقالات، وكل مقالة: فصول. ويشتمل هذا كله على دراسات متنوعة وعلوم متعددة.

وقد بدىء منذ سنة ١٩٥٢ بنشر طائفة من أجزاء هذا الكتاب، وتولت نشره في أول الأمر وزارة المعارف، ثم قامت بعد ذلك على نشره وزارة الثقافة والارشاد.

وقد نشر أخيرا جزء منه عنوانه « **القياس** » بتحقيق الأستاذ سعيد زايد ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور.

ويطبع الآن جزء آخر منه عنوانه « **الجدل** » بتحقيق الدكتور أحمد فؤاد الاهواني.

● ظهر أخيرا الجزء الثاني عشر من كتاب « **المغني في أبواب التوحيد والعدل** » للقاضي أبي الحسن عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ. الذي تنشره الدار المصرية للتأليف والترجمة في سلسلة « تراثنا » باشراف الأستاذ الدكتور طه حسين. وعنوان هذا الجزء « **النظر والمعارف** » تحقيق الدكتور ابراهيم مدكور.

وقد صدر من أجزاء هذا الكتاب الكبير غير هذا الجزء ستة أجزاء، هي:

القسم الأول من الجزء السادس وعنوانه « **التعديل والتجوير** » بتحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والقسم الثاني منه وعنوانه « **الارادة** » بتحقيق الأب ج. ش. قنواتي. والجزء السابع وعنوانه « **خلق القرآن** » بتحقيق الأستاذ ابراهيم الابياري. والجزء الثالث عشر وعنوانه « **اللطف** » بتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي. والجزء السادس عشر وعنوانه « **اعجاز القرآن** » بتحقيق الأستاذ أمين الخولي. والجزء السابع عشر وعنوانه « **الشرعيات** » بتحقيق الأستاذ الخولي أيضا.

وما زالت الدار المصرية للتأليف والترجمة توالي نشر باقي أجزاء هذا الكتاب.

● نشر المجمع العلمي المصري للدكتور مراد كامل عضو هذا المجمع وعضو مجمع اللغة العربية رسالة باللغتين: العربية والألمانية، عنوانها « **نشأة الفعل الرباعي في اللغات السامية الحبشية** ». وقد حفزه الى القيام بهذا البحث في صيغ الفعل الرباعي ما يلاحظ عند الناطقين

بالعربيـــة ممن يتحـدثون بلهجة من لهجاتها ، ويستخدمون اللغة الفصحى فى التعبير بالاضافة الى اللهجة العربية أن المتكلم بلهجة من اللهجات العربيـــة تشيع فى حـديثه كثرة ملحوظة من الأفعال الرباعية ، فاذا أراد ان يعبر عن افكاره باللغـــة الفصحى تحاشى ان يستخدم الفعل الرباعى ، وفضل أن يلجأ الى الفعل الثلاثى ليؤدى به العبارة التى يريدها .

وقد حاول الدكتور مراد فى بحثه هذا أن يحدد الصيغ المختلفة فى اللغـــات السامية الحية التى تبين نشـــأتها . ومن الملاحظ أن نشأة الفعل الرباعى فى تلك اللغـــات مشتركة فى قيامها على الثلاثية وكذلك على الثنائية ، وهذا فى حدود كل لغة بذاتها .

● وقد نشر معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية للدكتور مراد كامل كتابا عنوانه « **دلالة الألفـــاظ العربية وتطورها** » . وهو مجموعة محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بهذا المعهد ، تكلم فيه عن اللغة المكتوبة ، وعن تاريخ علم اللغة ، وتقدم اللغـــة وتطورها ، وعن طبيعة الألفاظ ، وتاريخ الألفاظ فى العربيـــة فى العصور المختلفة حتى الحقبة الأخيرة . وعقد الفصل الأخير على احصاء الألفاظ فى العربية للوصول عن طريقه الى وضع لغة عربيـــة فصحى بسيطة حتى تقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية ويتسع انتشارها .

● نشرت الشركة العربيـــة للطباعة والنشر بالقـاهرة كتاب « **الحلة السيراء** » لأبى عبـــد الله محمد بن عبـــد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار ، والذى تولى الكتابة لأمراء الموحدين فى الأندلس ثم لسلطان أفريقية ، والمتوفى سـنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) . وقد حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة ومدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد .

وقد ضم الجزء الأول من هـــذا الكتاب من تراجم رجال المغرب أهل المئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة للهجرة . وضم الجزء الثانى تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ومن لم يؤثر عنهم شعر .

● وقد نشرت الشركة العربية أيضا للدكتور حسين مؤنس كتـــاب « **رحلة الأندلس : حديث الفردوس الموعود** » . وهى رحـــلة بين ملاحم التاريخ ومعالم الحضارة العربية التى ازدهرت فى ظل حـــكم العرب لاسبانيا . ويتحدث الدكتور مؤنس فى الفصول الأربعـــة عشر التى ضـمها الكتاب التى تبدأ من الطريق الى الأندلس وتنتهى بخاتمة المطاف فى البرتغـال حديث عربى يعيش فى القرن العشرين بين هـــذه الحضارة الخالدة التى خلفها اجداده فى تلك الربوع ، حديث التأمل والاعتبار .

● نشرت دار احيـاء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) الطبعة الرابعة من كتاب « **حضـــارة العرب** » تأليف الدكتور غوستاف لوبون الذى نقـــله الى العربية المرحوم الأستاذ عادل زعيتر . وقد حاول المؤلف فى هذا الكتاب بعث حضارة العرب من مرقدها واظهارها للملأ على وجهها الصحيح ، وبحث فيه فى طبائع العرب وعاداتهم ونظمهم فى مختلف الأقطار كما كانت عليه فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

وهذا الكتاب علاوة على المادة الغزيرة التي يضمها بين صفحاته التى تتجاوز ٦٥٠ صفحة يشتمل على ١٠ لوحات و ٤ خرائط و ٣٦٣ صورة وفق تصوير المؤلف الفوتوغرافى ووفق اصح الوثائق .

● أعادت دار المعـــارف طبع كتاب « **اعجاز القرآن** » لأبى بكر محمـــد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٥٣ هـ . بتحقيق الأستاذ السيد احمد صقر ، وذلك فى سلسلة « **ذخائر العرب** » بعد أن نفدت طبعته الأولى .

وهذا الكتاب من أشهر مؤلفات الباقلانى ، وفى مقدمة الكتب التى ألفت فى موضوعه .

● من آثار المرحوم محمـــد السباعى نشرت الشركة العربية للطباعة والنشر أربعة كتب هى : « **خواطر فى الحياة والأدب** » و « **مشاعر وأفكار** » و « **السمر** » و « **الصور** » . ولعل هـــذه الدار تفـكر فى اعادة طبع كتاب « **الأبطال** » لكارليل الذى ترجمه السباعى .

● نشرت دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) كتاب ((**أصول الدين**)) لأبى اليسر محمد البزدوى المتوفى سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ م) الذى حققــه وقدم له المستشرق الألمانى الدكتور هانز لنس . وهذا الكتاب كان الرسالة التى تقدم بها الدكتور هانز لنس مشفوعة بنقد للحصول على الدكتوراه . وقد نشر هـذا الكتاب عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة ديل بأنقرة .

● نشرت ((الدار القومية للطباعة والنشر)) بمناسبة انقضاء ثمانى سنوات على الاعتداء الثلاثى الغادر كتـابا فى سلسلة ((كتب قومية)) عنوانه ((**العدوان الثلاثى والضمير العالمى**)) تأليف الأستاذ وفيق عبد العزيز فهمى ، وهو الى جانب العرض التاريخى للحقبــة التى سبقت هذا العدوان والأحداث التى لازمته وترتبت عليه ، فهو تقييم للأثر الكبير الذى نشأ عن هذا العدوان الآثم ، فقد هز هذا العدوان ضمير العالم وايقظ شعوره فهبت شعوب الأرض تستنكر هــذا العدوان ، ويقول مؤلف الكتاب أن كتابه محاولة عربيــة صميمة لاستكشاف حقيقة الدور الرائع الذى قامت به شعوب العالم فى مواجهة هذا العدوان ، ومحاولة لفهم ماهية الضمير العــالمى وقوة أثره فى تصريف الشئون الدولية .

● ظهر فى موسكو **معجم روسى — عربى** قام بوضعه المستشرق الروسى شرباتوف ، ويحتوى على ١٦ ألف كلمة مع ملحق خاص عن الأصوات والنحو فى اللغة الروسية .

● وطبع فى القــاهرة **معجم ألمانى — عربى** يضم ٦٠ ألف كلمة استخدم فيها المعانى المختلفة للفظة الألمانية . وقد وضع هذا المعجم المهندس وديع فانوس وراجعه الدكتور مراد كامل .

● فرغت الكاتبة المعروفة الســيدة وداد سكاكينى فى دمشق من بحثين قدمتهما للنشر ، أحدهما عن الكاتبة ((**مى**)) والآخر عن ((**قاسم امين**)) .

● من الكتب التى قامت بنشرها اخيرا وزارة الثقــافة والارشاد القومى فى سوريا المؤلفات الآتية :

((**آثار احمـــد شاكر الكرمى**)) التى جمعها عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) ، و ((**النفط فى الجزائر : تطوره ومشــاكله**)) تأليف محمـــد صابر ، و ((**قصة الذرة**)) تأليف وجيه السمان ، ورواية ((**من الذى يذكر البحر**)) تأليف الأديب الجزائرى محمد ديب وتعريب فريد أنطانيوس ، ومسرحية ((**اليهودى المالطى**)) تأليف كريستوفر مارلو وتعريب عبد الرحمن نصر ، ثم ((**الأزمنة والأنواء**)) بتحقيق الدكتور عزة حسن .

وتعد هذه الوزارة للنشر أربعة كتب ، هى :

((**عصـــارة الأيام**)) تأليف سومرست موم وتعريب حسام الخطيب ، و ((**الحياة العسكرية عند العرب**)) تأليف احسان الهندى ، و ((**الثورة الجزائرية والقــانون**)) تأليف محمـد بجاوى وتعريب على الخشن ، ثم ((**البترول عامل وحدة وانماء فى العــالم العربى**)) تأليف الدكتور نقولا سركيس .

● نشر المجمع العلمى العربى بدمشق كتـاب ((**الابدال والمعاقبة والنظائر**)) تأليف أبى القاسم عبــد الرحمن بن اســحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد حققــه وقدم له الأستاذ عز الدين التنوخى عضو هــذا المجمع عن نسخة نادرة فى احدى مكتبات الآستانة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وقد قال الأستاذ المحقق أن فى كتاب الزجاجى — على ايجازه — من حروف الابدال ما ليس فى غيره . وكان الأستاذ التنوخى قد حقق لأبى الطيب عبد الواحـد بن على اللغوى كتابه ((**الابدال**)) ، وهو كتاب ضـخم فى مجلدين أشرنا اليه فى هذا الباب من العــدد السابق من مجلة ((الكتاب العربى)) .

● كمـــا نشر المجمع العلمى العربى بدمشق أيضـــا الجزء الثالث من كتاب ((**خريدة القصر وجريدة العصر**)) (**قسم شعراء الشام**) للعماد الأصفهانى الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وقـد حققــه كما حقق الجزءين الأول والثانى منه الدكتور شكرى فيصل .

وتعتبر الخريدة من خير كتب العماد انفق فى جمعها فترة طويلة من حياته ، واستـعان عليهـا بأسـفاره وصلاته ومكانته من السلطان ، فلقى

العـــدد الكبير من العلماء والمحدثين والرواة ، ووقف على كثير من الدواوين الشعرية واتصل بكثير من شعراء عصره وسمع منهم وكتبوا له واستكتبهم ، هذا الى أن الخريدة تجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب وقسمها الى أربعة اقسام : الأول قسم العراق ، والثاني العجم وفارس وخراســـان ، والثالث الشـــام ، والرابع مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس .

وقد نشر المرحـــوم الدكتور أحمـــد أمـين والدكتوران شوقي ضيف واحسان عباس القسم الخاص **بشــعراء مصر** سنة ١٩٥٢ في جزءين . ونشر المجمع العلمي العــراقي الجــزء الأول من قسم **شـــعراء العراق** بتحقيق الأستاذ محمد بهجـــة الأثري عضو المجمع العامي العــراقي سنة ١٩٥٥ .

● من بين المشروع الثقـــــافي الـكبير الذي اضطلعت به مـكتبة المثنى ببغـداد ، وهو اعادة طبع نوادر الـكتب العربيـة ونفائسها التي قام المستشرقون بنشرها منذ أكثر من قرن مضى ، وذلك بطبعها مصــــورة بالأوفست عن نسخها الأصـلية ، نشرت أخيراً « **شرح ديوان المتنبي** » لأبي الحسن علي بن أحمـــد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ عن الطبعـــة التي نشرها في برلين ســـنة ١٨٦٠ م المستشرق الألمـــاني فريدرخ ديتريشي .

ويعتبر هذا الشرح مع شرح العكبري لديوان المتنبي أوفى ما نشر من شروح لشعر هذا الشاعر الكبير .

● يعيد الشاعر العراقي الأستاذ هلال ناجي طبع كتــــابه « **الاشتراكية والقوميـــة في شعر الرصافي** » طبعه مزيدة .

كما ينشر كتابا آخر عن **الشعر في اليمن** .

● ويطبع الآن الأديب العراقي خضر عبـــاس الصالحي ديوانه « **صراع العواطف** » ومجموعة تضم عشرين أقصوصة من تاليفه .

● ونشرت دار الكاتب العربي ببيروت للأديب العراقي الدكتور محمــــد يحيى الهاشمي كتاب « **المثل الأعلى للحضارة العربية** » . وهو دراسة تقييمية لأصول هذه الحضارة .

● كما نشرت دار الكاتب العربي بالاشتراك مع مؤسســة فرانكلين ببيـروت كتـــاب « **روائع التراجيديا في أدب الغرب** » جمعهـا وقدم لهـا الكاتب الناقد الأمريكي كلينث بروكس ، وترجمها الدكتور محمود السمرة الذي يعمـل الآن نائبا لرئيس تحرير مجلة « العربي » التي تصدر في الكويت ، وراجعه الأستاذ معاوية الدرهلي .

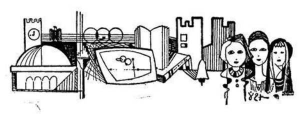
● نشرت المـكتبة المصرية ببيـروت كتـاب « **دراسة الانسان** » تأليف رالف لنتون وترجمة عبد الملك الناشف . وقد قال مؤلفه ان الدافع الرئيسي لتأليفه هو الصعوبات التي واجهها أثناء بحثه عن كتاب يعـــالج من الموضوعات ما يكفي لتزويد المبتدئين بالمبادىء العامة الأساسية لعلم الانثربولوجيا (علم الانسان) .

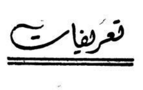
● وقد صدر في بيروت كتاب جديد للأستاذ فاضل سعيد عنوانه « **الفولكلور اللبناني في هيكل القوميـــة والفن** » تناول فيه نشأة الفولكلور في لبنان وتطوره في السنوات الأخيرة ، وما يؤخذ على القائمين بأمره ، والصـــدى الذي يلقاه في البلاد الأخرى .

● نشرت دار الحضـــــارة في بيروت ملحمة شعرية عنوانها « **قرطاجة** » للأستاذ شكر الله الجر وهو من الشعراء المهجريين الأفذاذ الذين عاشوا في البرازيل ، وقد أسس هناك مجلة عربية رصينة اسمها « الأندلس الجديدة » .

● ويصـــــدر عن المكتبة العصرية في بيروت ديوان جـديد عنوانه « **الأبواب المغلقة** » للأستاذ يوسف غصوب الذي نشر منذ سنوات بعيدة ديواني «**العوسجة الملتهبة**» و « **القفص المهجور** » في طبعة أنيقة .

● ويظهر في بيروت أيضا كتاب جديد للدكتور علي شـــــلق عنـوانه « **أبو نواس بين التخطي والالتزام** » . وقد صـــدر هذا الكتاب بمقدمة للأستاذ فؤاد افرام البستاني .





مشـــوار طويـــل

تأليف : عبد المعطى المسيرى
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – ٩٢ صفحة – ١٤×٢٠ . ث ٧ قروش

كانت للعدوان الثلاثى الذى بدأ فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ آثار عميقة فى مجرى الحياة الفكرية والثقافيـــة ، التى نعيشها اليوم . وهذا الكتاب مستوف فى مجمـــله ما تبقى فى ذكريات الشعب عن تلك الأيام العصيبة من تاريخه ، وما أداه فيها من بطولات ، تشهد باصالته وبالمتانة فى وعيه القومى ، وفى تصميمه على أن يحيا حياة حرة كريمة .

والكتاب مجموعة من القصص ، بها لمحات عديدة من حياة المؤلف ، وما مر به من تجارب بعضها يرجع الى أيام طفولته ، والبعض الآخر يرجع الى ابان شـــبابه الأول ، والمشاق التى واجهها على مدى السنين . ثم يأتى العدوان فتسجله القصة الأولى من الكتاب ، ويوحى له هذا بأن ينتقل بنا عبر الزمن الى أيام « التل الكبير » فى « مشوار طويل » ، ونسمع منه ما جرى من غدر وخيانة على لسان أبطاله ، فالبخراتى يرش بخوره على موقد نار ، وبصوت فيه نغمة حلوة يقول :

– النبى سعيد .. ويحب عبيد !! يا حارس يا أمين ! احمينا من الخنافس والتعابين .. ومن الضلالى البـــاب العالى .. يا عزيز ع الانجليز ، وعلى توفيق ابو عقل خفيف

.. وعلى هذا النحو يستمر المؤلف فى بقيـــة قصصه الوطنية وفى تمثيلية من فصل واحد ومنظرين .

واذا كان المؤلف قد أطلق اسم قصته « مشوار طويل » على المجموعة القصصية كلها ، فان قصة « يا نصيب » تعد أحسن قصص المجموعة كلها . وكم كان أجدر به أن يجعل من اسمها عنوانا لكتابه .

والقصة تدور فى بيت أسرة فقيرة ، اشتغلت ابنتها ببيع أوراق اليانصيب وذات يوم فقدت هذه الأوراق ، واضطرت لأن تبيت خارج المنزل خوفا من العقـــاب . وفى اليوم التالى ذهبت سكينة – وهذا اسمها – الى بيتها ، وكان أهلها قد خرجوا كل الى عمله ، فأخذت بعض نقود كانت أمها تدخرها ، واشترت يا نصيبا واستطاعت أن تبيع كل ما لديها ، لولا أنها خشيت من العودة الى البيت ، فلم تجد الا أن تهرب الى الاسكندرية ، وهناك تضاعفت أرباحها وتهيأ لها أن تحيا حياة سعيدة .

ومر عام وكبرت سكينة ، وتطلعت اليها العيون ، بعضها فى طيبة ، والبعض الآخر فى غدر .. وسقطت سكينة .. ورجعت الى القاهرة ، ووجدت الترحيب من أبيها وأمها . وهو غير ما كانت تتوقع . ولكن ضميرها كان يؤنبها ، ويقلق عليها راحتها « وبذلك ظلت سكينة طريدة للذل والرعب ، لا تصبح الا على لوعة ، ولا تمسى الا على حسرة ، ضائعة بين الضمير والخوف . وعاودتها فكرة الهرب ، لتتقى نظرات والديها ، ولكن أى هرب ينقذها من ضميرها » .

لم تهرب سكينة .. ماتت .. ألقت بنفسها فى النهر ، واكتشفت الشرطة ما جرى ، وتبين أنها فرطت فى عفتها ، وقبض على أبيها ، ووجهت اليه تهمة قتل ابنته . وعندما عرف حماد ما جرى لها ، والحالة التى وجدت عليها ، لم يجد الا أن يقول ، ويدوى صوته فى أرجاء الحكمة .

– نعم أنا الذى أغرقتها .

جملة القول أن هذا عمل أدبى طيب ، ولكن به اسرافا فى الجمل الخطابية ، كما أن المؤلف كثيرا ما يجعل اللغة العامية وسيلة فى التعبير ، وكنا نود أن يستعيض عنها باللغة الفصحى ، خاصة وانه فعل هذا فى بعض القصص التى وردت بالمجموعة أما قصة « الرقيب » فمع أنها تتسلسل بين يدى القارىء وفى ذهنه تسلسلا سهلا سلسا ، الا أنها تنتهى نهاية قد لا تعجب القارىء بعد التفاصيل الشائقة الحسنة .

ثلاث مقالات عن السكان

ثلاث مقالات عن السكان .
تأليف : توماس مالتس وجوليان هكســـل وفردريك اوزبورن .
ترجمة : محمد مرسى أبو الليل . مراجعة : الدكتور عز الدين فريد .
الناشر : دار الكرنك . بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب . ١٨٨ صفحة . ١٧ × ٢٤ . ث ١٢٫٥ قرشا .

من المشاكل الهامة التى يعيشها عالم اليوم مشكلة الاطراد المتزايد فى عدد السكان ، مع اطراد ضئيل فى نســـبة

المواد الغذائية التي تكفي لأن يحيا هؤلاء السكان . فقد تضاعف عددهم اربع مرات في مائتي عام بمتواليات هندسية ، لا تتناسب والموارد التي يعيشون عليها والتي تتزايد بمتواليات حسابية ، هذا مع ملاحظة ان نسبة الزيادة ليست متساوية عند جميع سكان العالم في انحائه المختلفة بالنسبة لمواردهم الغذائية . ففي المناطق المكتشفة حديثا ، وبخاصة استراليا وأمريكا الشمالية مجال متسع يساعد على حل هذه المشكلة ، ولكن من القيود السياسية والاجتماعية والدينية ما يمنع من هجرة بعض الشعوب أو الحد من هجرتهم ، — وهم في كثرتهم شعوب الشرق الأقصى — الى هذه البلاد .

وكان أول من نبه الى خطورة هذه المشكلة هو توماس مالتس رجل الدين الانجليزي في أوائل القرن التاسع عشر ، ولكن المشكلة أيام مالتس لم تكن في خطورتها الحالية ، وخاصة بعد اكتشاف أراض جديدة اسهمت في الحد من خطورتها ولكن الازمة لم تلبث أن عادت بصورة أكثر وضوحا في القرن العشرين ، ومن ثم جاءت مقالتا جوليان هكسلي وفردريك أوزبورن ، تعبران عن احتياجات الجيل المعاصر لحل هذه المشكلة .

ووجهة نظر مالتس وجهة متشائمة ، والحلول التي وضعها لمشكلة النمو السكاني ليست حلولا مطلقة ، لما يعترضها من عوامل الضعف البشري وعدم ضبط النفس ، وحتى ما ذكره من امكان تحسين وسائل الانتاج والهجرة ، فانما هي حلول وقتية ، ولربما انسحب هذا على الهجرة دون الوسيلة السابقة لها ، فاننا نعيش في عصر به تقدم علمي كبير . أما مقالتا هكسلي وأوزبورن ففيهما وجهة نظر أكثر واقعية من مقالة مالتس ، فليس حل مشكلة السكان فضيلة تمنح صاحبها السعادة في الدنيا والآخرة فحسب ، وانما هو أيضا وسيلة الى توازن بين الانسان وبيئته ، ويكون التقدم الفني عاملا هاما بل قد يعد أهم عامل في هذا الصدد .

والكتاب الذي جمع ثلاث مقالات في السكان كتاب هام بالنسبة للظروف الحالية للجمهورية العربية المتحدة ومفيد لها أيضا ، فمع انه يعبر عن افكار أجنبية في مشكلة السكان ، لا تختص أساسا بهذه المشكلة لدينا ، الا ان به عرضا طيبا وتعريفا صحيحا متسما بالعمق والدراية وشمول الدراسة مع بيان وسائل مناسبة الى حد بعيد لحل المشكلة .

في صحبة العقاد

بقلم : محمد طاهر الجبلاوي . الناشر : مكتبة الانجلو المصرية . ٢٢١ صفحة ١٧×٢٠ . ث ٢٥ قرشا

في يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ غادرنا راحل كريم ، وبعد شهور قليلة نستقبل الذكرى الأولى لهذا الراحل الكريم .

وهذا الكتاب ألفه صديق كريم ، يحمل لأستاذنا العبقري معاني سامية للحب والاخلاص والوفاء .. لن نتحدث عنه كثيرا ، فالمقام يضيق لأن يتسع للحديث عن هذا الكبير الراحل . العقاد .. نعرفه جميعا ، ويعرفه صاحب هذا الكتاب أكثر مما نعرفه نحن ، فقد صحبه ولازمه فترة طويلة من حياته تربو على الأربعين عاما ، لا يفارقه الا اذا حدث ما يوجب هذا الفراق وهو قليل .

الكتاب اذن ممتلىء بالذكريات ، حافل بأسرار دقيقة عن حياة فقيدنا العظيم ، بيد أن الأستاذ المؤلف لم يطالعنا بكل ما يعرفه عن العقاد ، وبعض ما جاء في كتابه يعرفه أوساط المثقفين . لكن هذا لا يغض من قيمته في شيء ، ولا ينتقص منه في شيء أيضا ، فلم يأت الأوان بعد لأن يكتب عن العقاد على مثال ما كتب عن الادباء العالميين الذين علا شأنهم وجل ذكرهم .

والكتاب — الى هذا — عرض لسيرة العقاد منذ نشأته الاولى ، وبيان للظروف التي عاشها وآرائه في الأدب والمرأة والحياة ، مع الاشارة الى دوره الوطني الكبير سياسيا وأدبيا .

عرفنا العقاد في هذا الكتاب أديبا شهما ناصع الحجة قوي البيان وانسانا وطنيا مخلصا مؤمنا شديد الايمان مثاليا أبعد ما يكون في دنيا المثل .

وكان المؤلف صريحا حين تحدث عن حب صديقه لسارة ومي وقبلهما أحب وبعدهما أحب ، وكان صادقا حين أبرز أن العقاد كان كريما في وقت تهاوت فيه معايير الكرامة .

وكان المؤلف ، منصفا لأنه أنصف العقاد فيما ذهب اليه وفي أخص ما ذهب اليه ، على وجه عام وبقدر ما استطاع .

تحية من قلوبنا للأستاذ الشاعر والصديق الوفي ، وعزاء لنا في فقيدنا العبقري والأستاذ الكبير .

أسس التربية البدنية

تأليف : تشارلز . أ . بيوكر
ترجمة : الدكتور حسن معوض والدكتور كمال صالح عبده .
مراجعة : فرحات مرزوق .
تقديم : محمد على حافظ .
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٧١٠ ص ١٧×٢٤ . ث ١٦٣ قرشا .

التربية البدنية من الفروع الهامة في التربية على وجه عام ، ولا يخفى أثرها وأهميتها للشباب وبخاصة في دور نهوض الامم وفي وثبتها الأولى . وهي ليست بالشيء السهل ، أو الذي يأتي دون ما تنظيم أو دراية ، وانما هو يحتاج الى دراسة أكاديمية علمية ، الى جانب الدراسة العملية المعروفة .

وهذا الكتاب الفه أستاذ متخصص فى التربيـــة وفى مجالات التربية بأنواعها وترجمه وراجعه وقدم له أساتذة متخصصون فى علم النفس والصحة والتربية .

وقد بين المؤلف أهمية التربية البدنية بقوله : لقـد أكد سقراط فائدة استخدام التربية البدنية استخداما شاملا ، وأهمية الصحة فى تحقيق أغراض الحياة ، وقال انه حتى فى عملية التفكير التى يبدو أن الجسم يستخدم فيها بأقل القليل ، فان الصحة المعتلة يمكن أن تؤدى الى أخطاء جسيمة . واعترف أفلاطون بأهمية التربية البدنية لكل من الرجال والنساء ، واعتقد أن التربية البدنية والموسيقى ناحيتان هامتان فى التربية . ونادى ارســطوطاليس بأن الجسم والروح مرتبطان ، وأن الملكات العقلية تتأثر بحركات الجسم وحالته الصحية ، والتربية البدنية يجب أن تساعد الشخص على أن يحيا حياة فاضلة ، ولكنها لا تساعده على أن يجعل الغرض من حياته الغزو وهزيمة الغير .

والكتاب يبحث فى التربية البدنية والأسس التى تقوم عليها وفلسفتها بصفتها جزءا من التربية العامة وعـلاقة التربية البدنية بالصحة والترويح والمعسكرات التى تقام للشباب . كما عرض لتاريخ الرياضة وتطورها منذ نشأتها ، وتحدث عن الأسس العلمية لها ، وأثرها فى اعداد القادة ، والوسائل الصحيحة لاعداد هؤلاء القـادة . كما عرض للمؤسسات التى تختص بالتربية البدنية فى أنحاء الولايات المتحـدة .

النـيل يـتحول

تأليف : محمد حسنى أمين
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر – كتب قومية – ٢١١ صفحة ١٧×٢٤ . ث ٥ قروش

من المشروعات العظيمة التى تعيش معنا الآن ، والتى كانت فى يوم من الأيام أملا يطوف بخاطرنا ، ولا نستطيع تحقيقه ، أو كان هذا التحقيق بعيدا كل البعد عن الواقع الملموس ، ذلك المشروع الخالد الذى نعرفه جميعا بمشروع السـد العالى .

وتتضح أهمية هذا المشروع من النتائج المترتبة عليه ، من التوسع فى رقعة الأرض المنزرعة ، وتحسين وســائل الرى ودرء أخطار الفيضان ، وانتاج طاقة كهربائية كبيرة تساعد على النهضة الصناعية التى نراها الآن .

وعلى هذا فالسد العالى يعد من الرموز الدالة على اصالة هذا الشعب ، وعلى طموحه المتزايد من أجل حياة ترفرف عليها أجنحة السعادة والرفاهية . وقد أوضـح الميثاق ذلك حين يقول « ان هذا السـد أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة ، كما أنه رمز لارادته فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيرة من الفلاحين لم تسنح لها هذه الفرصـــة ، عبر قرون طويلة ممتـــدة من الحكم الاقطاعى » .

وفى هذا الكتاب يشرح المؤلف طبيعة هذا المشروع ، والوسائل التى اتبعت فى تنفيذه ، والعقبات التى وقفت فى سبيل تحقيقه ، والدور البطولى الذى قام به الشعب لصد هذه العقبات ، وعلاقة السد بالمجتمع الاشتراكى ، وموقعه بين المشروعات العالمية المماثلة .

يقول المؤلف : ان مما يضاعف من احساسى بالسعادة والرضا أن أكون واحدا من الثلاثين الفا الذين أتيحت لهم الفرصة ليسابقوا الزمن ، ويحسبوا الأيام والساعات التى تمضى من العمل العظيم فى تحويل النيل وبناء السد العالى. وستظل الأجيال القادمة تذكر لهذا الجيل أنه استطاع أن ينتصر على الاستعمار وعلى الطبيعة ، وأن يقهر النهـر والجبل ، ويحقق المعجزة ، ويفتح باب الرخاء والرفاهية لآلاف السنين القادمة ، بقيادة واحد من أبناء الشعب من بنى مر هو « جمال عبد الناصر » .





كتب وردت للمجلة

● **البيت والعالم**
تأليف رابندرانات طاغور ، ترجمة الدكتور شكرى محمد عياد ، مراجعة مصطفى حبيب ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٧٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث —

● **مذكرات الرائد طومسون**
تأليف بير دانينوس ، ترجمة الدكتور ثروت عكاشة ، مراجعة الدكتور محمد محمد القصاص ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٤ قرشا

● **المزيفون**
تأليف أندريه جيد ، ترجمة يحيى سعد ، مراجعة مصطفى فودة ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع دار سعد مصر ، عدد الصفحات ٤٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٧ قرشا

● **آل باريت من شارع ومبول**
تأليف رودلف بيزييه ، ترجمة محمد شاهين الجوهرى ، مراجعة الدكتور عبد الله عبد الحافظ متولى ، تقديم دربنى خشبة ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع مؤسسة الخانجى ، عدد الصفحات ٢٧٨ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥ قروش

● **بزوغ العقل البشرى**
تأليف نورمان بريل ، ترجمة وتقديم اسماعيل حقى ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٣٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

● **الانسان روح لا جسد**
تأليف الدكتور رءوف عبيد ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٦٤٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٢٥ قرشا

● **تاريخ الحضارة الهلينية**
تأليف أرنولد توينبى ، ترجمة رمزى عبده جرجس ، مراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٣١٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٩٫٥ قرشا

● **عالم النحل**
تأليف جلبرت نيكسون ، ترجمة الدكتور على المرسى ، مراجعة الدكتور عبد الخالق وفا ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢١٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث

● **صقر قريش**
تأليف على ادهم ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٢١٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٠ قروش

● **تحديد النسل بين الأديان والعلم والمجتمع**
تأليف عبد الفتاح ابراهيم ، الناشر مطبعة السماح (طنطا) ، عدد الصفحات ١٦٠ ص قطع صغير
ث ١٠ قروش

● **فجر الحياة النيابية فى مصر الحديثة**
تأليف الدكتور عبد العزيز رفاعى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٩٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١١ قرشا

● **سباق التسلح**
تأليف فيليب نويل بيكر ، ترجمة حمدى حافظ ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٥٩٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

● **نشيد الرخام**
تأليف نقولا قربان ، الناشر دار الروائع (بيروت) ، عدد الصفحات ١٢٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

● **الصحراء الكبرى**
تأليف ريمون فيرون ، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى ، مراجعة الدكتور نصرى شكرى ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٤٨٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٨٥٫٥ قرشا

● **هذه قوميتنا**
تأليف الدكتور عبد الرحمن البزاز ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٤٤٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

● **أبو حيان التوحيدي**
تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٤٥٨ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥٥ قرشا

● **الرحلة الكونية**
تأليف لوبن ايزلى ، ترجمة محمد عبد الهادى ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار الثقافة (بيروت) ، عدد الصفحات ٢٨٥ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٣٦ قرشا

● **روائع التراجيديا فى ادب الغرب**
جمع كلنيث بروكس ، ترجمة الدكتور محمود السمرة ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار الكاتب العربى (بيروت) ، عدد الصفحات ٢٩٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٣٦ قرشا

● **أصداء من المحكمة**
اشراف وليم . دافنبورت ، ترجمة باشراف حسن جلال العروسى الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط عدد الصفحات ٣٢٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥٠ قرشا

● **شخصيات قلقة فى الاسلام**
تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٥ قرشا

● **العصر المماليكى فى مصر والشام**
تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عدد ٤٨٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

● **الدين والأخلاق فى شعر شوقى**
تأليف على النجدى ناصف ، الناشر مكتبة نهضة مصر عدد الصفحات ٢٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **كتاب العجائب**
تأليف ناثانيل هوثورن ، ترجمة الدكتورة سهير القلماوى ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٥٥ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٤٥ قرشا

● **مدينة المفاجآت**
تأليف اليرى كوبن ، ترجمة السيد وفائى ، الناشر الدار القومية ، للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٢٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥ قروش

● **الدين والحضارة الانسانية**
تأليف الدكتور محمد البهى ، الناشر دار الهلال ، عدد الصفحات ٣١٣ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٢ قرشا

● **أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة**
تأليف الدكتور أحمد مكى الأنصارى ، الناشر دار المعارف، عدد الصفحات ٦٧٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٥٠ قرشا

● **دراسة فى ادب الرافعى**
تأليف الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٠ قرشا

● **الفقه الاسلامى الميسر**
تأليف عبد الحليم محمود موسى ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٨٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

● **الناس والكلاب**
تأليف الدكتور معوض جاد الرب ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٢٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

● **القضية**
تأليف لطفى الخولى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٤٦ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

● **أبواب الليل**
تأليف سعد مكاوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٤٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

● **اليهودية بين المسيحية والاسلام**
تأليف خلف محمد الحسينى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢١٥ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٠ قروش

● **الكوخ**
تأليف حسن محسب ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٩٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥ قروش

● **لكى تشرق الشمس من جديد**

تأليف عبد الفتاح ابراهيم ، الناشر مطبعة السماح (طنطا) ، عدد الصفحات ١١٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٨ قروش

● **القادة الافريقيون**

تأليف عبد الحميد عبد النبى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

● **طبقات الشافعية الكبرى**

تأليف تاج الدين السبكى ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، الناشر مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، عدد الصفحات ٣٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث —

● **رسوم دار الخلافة**

تأليف أبو الحسين هلال الصابىء ، تحقيق ميخائيل عواد ، الناشر مطبعة العانى (بغداد) ، عدد الصفحات ٢٠٦ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث —

● **حد الموسى**

تأليف و . س . موم ، ترجمة سليم الاسيوطى ، مراجعة مصطفى حبيب ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٤٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٣٨ قرشا

● **عيون الأخبار**

تأليف أبو محمد بن قتيبة الدينورى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة (مجلدان) ، عدد الصفحات ٦٧٧ ص ١٧ × ٢٤ سم (الجزء الثانى والثالث)
ث ٤٠ قرشا

● **الاشتراكية**

تأليف بول م . سويزى ، ترجمة الدكتور عمر مكاوى ، مراجعة الدكتور أحمد حسنى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢١١ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٦ قرشا

● **الأسد**

تأليف جوزيف كيسل ، ترجمة ميشيل تكلا ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٤٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٥ قروش

● **النشاط المدرسى فى المرحلة الثانوية**

تأليف ادجار جونستون وآخر ، ترجمة محمد على العريان ، مراجعه محمد السيد روحه ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار القلم ، عدد الصفحات ٤٥٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

● **بكالوريوس فى الآداب**

تأليف زارابان ، ترجمة الدكتور مصطفى حسانين ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط ، عدد الصفحات ٢٥٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٢٫٥ قرشا

● **نحو تكافؤ الفرص فى التربية**

تأليف جوفينى ، ترجمة محمد ابراهيم زكى ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٠٠ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

● **فى الميزان الجديد**

تأليف الدكتور محمد مندور ، الناشر مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٢٤٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٣٥ قرشا

● **الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى**

تأليف محمد سيد كيلانى ، الناشر الدار القومية العربية ، عدد الصفحات ٣٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٥ قرشا

● **دراسات فى تاريخ الشرق القديم**

تأليف الدكتور أحمد فخرى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٨٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

● **دراسات فى النفس الانسانية**

تأليف محمد قطب ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٣٨٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

● **مسرحيات هاروت وماروت**

تأليف على أحمد باكثير ، الناشر مكتبة مصر ، عدد الصفحات ١٣٣ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

● **النصف الآخر**

تأليف عبد الحميد جودة السحار ، الناشر مكتبة مصر ، عدد الصفحات ٢٩٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

مجلة الكتاب العربي

العدد الثامن

٧ رمضان ١٣٨٤ هـ

١٠ يناير ١٩٦٥ م

رئيس التحرير : علي أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفي
سكرتير التحرير : جمال بدران

فى هذا العدد

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون : ٩١٠٣٧٧ / ٩١٠٤٢٠

الخلق القومي أو سيكلوجية الأمم

سيكلوجية بعض الشعوب

تأليف : أندريه سيجفريد
ترجمة : غنيم عبدون
مراجعة : مصطفى كامل فوده

بقلم: رئيس التحرير



عـدد الصفحات ١٧٧ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ١١٥ قرشا
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
بالاشتراك مع دار النهضة العربية

من الاعتقادات الشائعة ان لكل أمة من الأمم خلقا خاصا تمتاز به من غيرها من الأمم ، وان هذا الخلق الخاص يبقى على الدهر دون أن يتغير وانه يمكن تتبع آثاره خلال تاريخها وفى كل ناحية من نواحى حضارتها ، ويكون هذا الاعتقاد عاملا هاما من عوامل الأيديولوجية القومية ، ويتضمن بطبيعة الحال نوعا من الاعتزاز بتفوقه والمفاخرة به وانتقاص الخلق القومى لسائر الأمم لأنه يقصر عن مداه ولا يسمو الى مستواه ، وحتى بعض المفكرين الذين ألفوا الشك وتعودوا دقة البحث والأناة فى اصدار الأحكام لا يترددون فى التسليم بوجود الخلق القومى ، على أن هناك فريقا آخر من المفكرين يرون ضرورة بحث هـذا الاعتقاد السائد ومحاولة استقصاء أصوله ، ولكنهم مع نبذهم لكثير من المبالغات المتعلقة به يستمسكون بحقيقة وجوده ، من هؤلاء المؤرخ الألمانى الكبير ليبولد فون رانكه الذى ذهب الى أن الخلق القومى يمكن أن نشعر بوجـوده ولكن لا يمكن أن ندرك كنهه فهو « هواء روحى » يغشى كل شىء .

وكثير من الآراء التى تؤيد وجود الخلق القومى ترد الأمم الى جماعات منحدرة من بعض السلالات وطالما أدهش الرحالين وساسة الأمم والكتاب والباحثين ذلك الاختلاف الكبير بين قوانين الأمم وعاداتها وتقاليدها وأساليب حياتها .

وقد ظهرت بحوث مختلفة وكتب عـدة حول مسألة الخلق القومى تحاول وصف سماته وتعليل وجودها ، وقد كان قدماء الباحثين يرجعون الخلق القومى الى تأثير القوى الطبيعية مثل النجـوم والجو والتربة على الدم والافرازات الداخلية وأمزجة الناس ، ولكن بعض الكتاب اليونانيين رأوا أن العامل الأهم فى تكوين عقلية الأمم هو تأثير العوامل الجغرافية على الأحوال الاجتماعية التى تسيطر على حياة الأمم .

وأخذ يظهر بعد ذلك شيئا فشيئا أن للحروب والهجرات والتجارة والكشوف والاختراعات والثورات والانقلابات والاحتكاكات الثقافية تأثيرا بعيد المدى فى تكوين حضارة الأمم ، وبطبيعة الحال كانت هذه الحركات التاريخية متأثرة الى حد ما بالعوامل الطبيعية ، ولكن صار من الواضح أن تأثير الطبيعة تأثير نسبى ، وتأثير البيئة الطبيعية يختلف باختلاف الأمم وكذلك يختلف تبعا لاختلاف الظروف والملابسات ، ومهما يكن من أمره فانه متوقف على عوامل كثيرة ، والشخصية الفردية والشخصية الجماعية يلعبان دورا هاما بين هذه المجموعة من العوامل المتعددة .

وقد عنى مفكرو العصور الحديثة بتنوع العادات والقوانين وكان البحث عن أسباب هذا التنوع من المسائل المحببة الى نفوسهم ، وفى طليعة هؤلاء الباحثين بودان ومونتسكييه الذى جاء بأفكار صائبة وأورد ملاحظات قيمة فى هذا الصدد كان لهما تأثير قوى فى البحوث التى تناولت هذا الموضوع ، وقد أخذ عليه الاسراف فى تقدير أثر الجو ، وكان فى طليعة المفكرين الذين قللوا من أهمية التأثير الجوى الفيلسوف هيوم والمفكر الألمانى الشهير هردر ، وكتاب القرن الثامن عشر بوجه عام بالغوا فى تقدير تأثير الجو ، وجاء بعدهم الرومانتيكيون فأكدوا أهمية النمو التاريخى العضوى وقالوا بوجود الروح القومية التى يمكن اقتفاء آثارها خلال تاريخ كل أمة من الأمم ، وأخذ المؤرخون فى أعقاب ذلك فى محاولة اثبات استمرار وجود الخلق القومى ورد كل ما تقوم به الأمم الى عبقريتها القومية ، ولكن هذا الرأى لم يثبت بعد ذلك للبحث .

وساعد تقدم المعرفة التاريخية والمعرفة الجغرافية على وجود مناهج للبحث أكثر دقة فى تناول مسألة الخلق القومى ، وكثير من المؤرخين المحدثين والجغرافيين والباحثين النفسيين قد قدموا معلومات قيمة فى بحث سمات الخلق القومى ، وهم لم يكتفوا بتناول مسألة الخلق القومى من وجهتها العامة بل عملوا على دراسة الأمم المختلفة مع توجيه العناية الى بحث الدور الذى لعبته فى تاريخها تقاليدها ومثلها العليا واتجاهاتها الفكرية .

وقد أسفر تناول موضوع الخلق القومى من الناحية الجغرافية عن تعميمات عريضة مستمدة من دراسة أمم مختلفة ، وكانت هذه التعميمات موحية للكثير من الأفكار ، ولكنها مع ذلك لم تسلم من التعرض للأوهام ، وقد رئى أن دراسة البناء الاجتماعى لأمة من الأمم فى ضوء ماضيها التاريخى وملاحظة بيئتها الطبيعية تجنب الباحثين خطر التعميمات السريعة ، وقد كان الباحثون المتقدمون يبدؤون بالتسليم بوجود الخلق القومى ويحاولون بعد ذلك بيان تأثيره فى تاريخ الأمة ولكن الدراسات الحديثة تبدأ بوصف النظم السائدة فى الأمة وتحلل عناصر حضارتها وتستخلص بعد ذلك سمات خلقها القومى واذا كان الباحثون لا يزالون يستعملون اصطلاح الخلق القومى فانهم يقصدون به الاتجاهات الغالبة على حضارة أمة من الأمم .

ولم يسلم برغم ذلك هذا الاتجاه من النقد ، فقد اختلفت الآراء فى مسألة : هل تسيطر اتجاهات الحضارة الغالبة فى أمة من الأمم على كل قطاعاتها فتبدو فى السياسة والاقتصاد كما تظهر فى الأدب والفن ، وفضلا عن ذلك فان الحضارة القومية لأية أمة من الأمم ليست تعبيرا خالصا عن خلقها القومى ، وكل أمة من الأمم قد استوردت جانبا من حضارتها من الخارج ، وفى بعض الأحيان يفرض على أمة من الأمم نظام بدون موافقتها ، فالديانة المسيحية مثلا قد فرضت على بعض الأقوام بالقهر والارغام وبرغم مقاومتهم الشديدة وان كانت قد أثرت بعد ذلك فى نظرتهم الى الحياة وقد أوضحت الدراسات المقارنة للقوميات المختلفة فى أدوار تطورها ان أمة من الأمم لم تنفرد بسمة من السمات ولم تختص بموهبة حرمت منها سائر الأمم ، وأن الاختلافات فى النسب والدرجات ، وقد يسبق ظهور سمة من السمات فى بعض الأمم وقد تكون أقوى فى بعض الأمم منها فى أمم أخرى .



وأهم الاعتراضات الموجهة الى فكرة الخلق القومي هي أولا اختلاف الأخلاق الشخصية للأفراد وتباين مستوياتهم الثقافية في كل أمة من الأمم وثانيا عدم وجود فروق جوهرية أو تباين في السمات الأخلاقية بين الطبقات المتقابلة في مختلف الأمم ، وثالثا التغير الجوهري الذي كثيرا ما يطرأ على الآراء التي نكونها عن الخلق القومي لأية أمة من الأمم .

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن الخلق القومي ليس ثابتا مستقرا وانما هو عرضة للتغير تحت ضغط الحوادث والملابسات ، ويزعم الشعوبيون أن الخلق القومي للأمم غير قابل للتغيير وهي فكرة خاطئة ، وكما أن أخلاق الفرد ليست ثابتة ولا مستقرة فكذلك أخلاق الأمم عرضة للتغير من حال الى حال ، والخلق الفردي يشمل نزعات متعادية وهي الى حد ما معرضة للتغير ، ويمكن أن نفهم الخلق الفردي بوصفه مجموعة من القوى لها وحدة ولها كذلك حظ من الثبات والاستقرار تحت تأثير الميول الموروثة والارادة الفردية وملابسات الظروف الخارجية ، ومن الواضح أن الخلق الفردي أكثر استقرارا وأقوى وحدة من خلق الجماعة ، ومرجع ذلك الى أن ارادة الفرد أكثر تركيزا مما نسميه « الارادة العامة » . وان الجماعات بطبيعة الحال تشمل عناصر أكثر تنوعا من عناصر الشخصية الفردية ، كما أن الجماعات أطول حياة من الأفراد وهي من ثم أكثر تعرضا لفرص التحول والتغيير ، وعقلية الأمم ليست مسألة تقاليد فحسب ، فان لتكوينها الاجتماعي وللأفراد الأقوياء تأثيرا بعيد المدى في تكوينها .

ويمكن أن نعرف الخلق القومي بأنه مجموعة التقاليد والمثل العليا الشائعة في أمة من الأمم ، وهي تختلف تبعا لاختلاف البيئة المحلية والطبقة الاجتماعية والعقيدة الدينية والنزعة السياسية الحزبية برغم وجود عوامل مشتركة بين الجميع ، وتصل الاختلافات الاقليمية في بعض الأمم الى حد يكاد يفصم وحدتها القومية ، ولكن الأيديولوجية القومية تعمل على التقليل من شأن تلك الاختلافات الاقليمية وتحاول في بعض الأحيان أن تستغلها لصلحة مجموع الأمة ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية تعمل على اكبار شأن الأبطال الوطنيين وتشيد بمفاخر الأمة ومغامراتها الرائعة ومواقفها المشرفة وتدخل في روع أفراد الأمة أن أمتهم لها رسالة سامية وتثير حماستهم لتحقيق هذه الرسالة .

والاعتقادات التي تكونها كل أمة من الأمم عن نفسها وعن غيرها من الأمم مزيج من الحقائق والأوهام ، لأن المبالغة من ناحية والرغبة في الانتقاص والتسوية من ناحية أخرى تلعبان دورا هاما في تكوين هذه المعتقدات ، ولكن يحسن أن نلاحظ أنه حتى الأوهام في هذا الصدد لها أهميتها ، وقد نوه كثير من المفكرين بتأثير الأسطورة في حياة الأمم وتقوية روابطها القومية ولا تزيد هذه الأساطير عن كونها مجموعة من الأوهام نابعة من الأحوال الاجتماعية والعوامل الطبيعية ، ويكمن خطر الأوهام التي تمتزج عادة بفكرة الأخلاق القومية في أنها ليست جميعها من نسج الخيال ، فبعض هذه الأوهام له نصيب من الواقع والحقيقة ، وهذا يجعل لفكرة الخلق القومي سندا من تاريخ الأمم يقوي الاعتقاد بوجودها ويؤكده ويعين على بقائه واستمراره ، على أن هذا لا يمنع حدوث تغيرات في الخلق القومي للأمم كما هو ملحوظ في تاريخ الأمم ، فقد عرف الانجليز حينا من الدهر بأنهم قوم ديدنهم حب الثورات على حين كان الفرنسيون يفخرون بولائهم الشديد لملوكهم واستقرار نظمهم ، وقد تغير ذلك تبعا لتطورات الأحوال وضغط الظروف .

ولكن ما مدى قابلية عقلية الأمم للتغير ؟ ان لهذه المسألة أهميتها من الناحية التاريخية ومن ناحية السياسة العملية ، والاجابة على ذلك تستدعي النظر في مقومات الخلق القومي ، ولا نزاع في أن جانبا من التقاليد والمثل العليا القومية متصل بحياة الأفراد وجانبا آخر مرتبط بحياة الأمة في مجموعها ، ولكل أمة هوى خاص في نوع



من الطعوم والشراب والملابس وايثار لطراز من طرز البنــاء وما الى ذلك من أساليب الحياة وطرائق العيش ، وعناية الانجليز مثلا بالألعاب الرياضية معروفة منذ قرون خلت ، وقد أثرت فى مثلها العليـا القومية ، وكل أمة من الأمم تكبر من شأن عاداتها الخاصة ، وتزدرى عادات غيرها من الأمم وتجعلها فى بعض الأحيان موضوعا للتندر والفـكاهة ، كما أن هناك اختـلافات فى اتجاهات التفكير والعواطف ، فالفرنسيون يؤثرون المنطق الصارم واللغة الواضحة كما يميل الانجليز الى النزعة التجريبيـة وينفرون من التفـكير المجرد والانساق الفكرية ، ويفضل الالمان التفكير فيما وراء الطبيعية المشوب بالغموض .

ومعظم الأفكار التى يتكون من مجموعها الخلق القومى تشمل التقاليد والمثل العليا والاهتمامات الفكرية والمــادية ، وتحتفظ التقاليد بأهميتها ما دامت مرتبطة بمصلحة مختلف الطبقات ومثلها العليا ، وكذلك المثل العليا تظل محتفظة بقيمتها ومكانتها ما دامت لا تضار منها مصلحة الطبقة التى تتمثل فى أفرادها ارادة الأمة العامة ، ولما كانت طبقات الأمة معرضة للتغيير الدائم وظهور طبقات تحصل على نصيبها من المشاركة فى الحكم والمكانة الاجتماعية لذلك تصير التقاليد والمثل العليا التى يتكون منها ما نسميه الخلق القومى معرضة للتغيير من الحين الى الحين ، وقد ظلت سياسة بريطانيا لمدة قرون مثلا قائمة على مبدأ توازن القوى ، ولكن بعد الحرب الكبرى الأولى حل محله الأخذ بسياسة ضمان السلامة المشتركة والاعتماد على مجلس الأمن ، وكان من بواعث هذا التغير ما حدث من تطور فى الحيــاة الانجليزية السياسـيـة والاجتماعية .

والبيئة الطبيعية والتكوين الاجتماعى يشتملان على عوامل شتى تشجع على انماء ضروب شتى من الخلق القومى أو تعترض نمو الوان اخرى من هذا الخلق ، والأمة التى تعيش فى منطقة محدودة تكون فى العادة وحدتها أكثر تماسكا من الأمة التى تعيش فى منطقة شاسعةمترامية الأبعاد ، وقد كان التقــدم الثقــافى والاجتماعى مـدعاة لاظهار الاختلافات والمميزات الفردية ولكن الاختراعات الفنية الحديثة وتقدم التنظيم السياسى والصحافة والتربية ووسائل النقل والاتصال الحديثة مثل السكك الحديدية والتليفون والاذاعة كان لها أثر قوى فى الابقـــاء على الوحــدة القومية وتقوية روابطها والمساعدة على تكوين العقلية المشتركة والخلق القومى العام ، وسيطرة الدولة فى العصر الحديث من اقوى عوامل اظهــار الخلق القومى وتأكيده .

ونمو الخلق القومى كثـيرا ما يؤدى الى وجود خلاف بين أخلاق الفرد فى أحواله الخاصة وبين ســلوكه فى الأمور المتصلة بقوميته ، وقد يكون الفرد مسالما وانسانى النزعة فى شئونه الخاصة وعلاقاته الشخصية ونزاعا الى العدوان والتحكم والطغيان فى المســائل المتصلة بقوميته وبخاصة فى الأمور التى تمس مصالحها أو تتصل بشرفها ومكانتها بين الأمم ، ويؤثر هذا الازدواج الخلقى فى التفكير المنطقى ، فمن العبث واضــاعة الوقت محاجة انســان مسرف فى نزعته القوميــة لأنه لا يستطيع الاستجابة للنتائج المنطقية اذا كانت لا تؤيد مطالبه القومية .

والطريق القويم لدراســة الخلق القومى فى الأغلب الأعم لا يكفى فيه مراقبــة الاختلاف بين سلوك الفرد فى أحواله الخاصة وسلوكه فى الأحوال العامة ، فلابد من تعرف صفات الأمة البارزة فى آثارها الثقافية وتقاليدها وسياســتها العامة ، وقد دلت دراسة صفات الأمم وسماتها العقلية والأخلاقية بهذه الطريقة على أن ما اصطلح على تسميته الخلق القومى للأمم ليس شــيئا ثابتا جامدا مستعصيا على التغير ، وانما هو شىء مرن قابل للتشكيل حسب الظروف التى تكتنف حياة الأمم وتعترض مجرى حياتها .

وقد رأى الــكاتب الفرنسى البحاثة القــدير أندريه سيجفريد أن يخوض عباب هذا الموضوع ، وكان له من ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ورهافة الحس وتعدد الجوانب ما أعانه على اجادة تناوله وحسن معالجة مشكلاته ، وكتابه فى هذا الصدد مجموعة من المحاضرات القاها فى مناســبات عدة وجمعها بعــد ذلك بين دفتى كتــاب أسـماه « سيكولوجية بعض الأقوام » وقد أحسن الأستاذ غنيم عبدون الاختيار فى ترجمة هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية ، وأحسبه من خير ما ترجم فى

الفترة الأخيرة من الكتب وأحقها بالتنويه به وأجدرها بالقراءة الواعية والدراسة المحصنة .

وقد استهل المؤلف كتابه بفصل عنوانه « الوجه الجديد للعالم » قال فى مطلعه : فى سيكولوجية بعض الشعوب أصول للدوام والبقاء لا يعتريها الفناء أبدا ولا يحكم عليها بالزوال قطعا ، فنحن الفرنسيين مثلا نرجع فى كثير من أصوليتنا وخصالنا الى أجدادنا الغال ، على أن الحضارة المميزة لشعوب البربر واليهود وهى التى تحدث عنها المؤرخ تاسيتوس فى كثير من مؤلفاته هى بلا ريب توجد لدى الألمان والاسرائيليين اليوم ، ومع ذلك فان هناك نوعا من التكيف والمواءمة بين شعب وآخر .

ولسوف نسائل أنفسنا فى الصفحات التالية لهذا الكتاب عن حقيقة ما يشكل سيكولوجية هذه الشعوب الغربية ، والى أى حد هم الآن مهيئون لتقبل أية ثورة عرضية تفرضها عليهم ظروف معيشتهم .

وقد مرت هذه الشعوب بحربين عالميتين غيرتا من وجه العالم ، وأخلتا بتوازنه ، ونحن ندرك جيدا أننا لا نقصد بذلك أن هذه الشعوب قد مرت بمجرد تطور عادى لا أكثر ولا أقل ، بل ان ما وقع كان فى الأحرى « ثورة » بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وذلك بعد الحربين العالميتين .

ونستطيع أن نقول أن كل شيء قد اعتراه التغير ، فقيم الأشياء لم تعد كما كانت عليه قبل هاتين الحربين ، والعلاقات الانسانية بين بعض الناس وبعضهم الآخر قد تغيرت بشكل جذرى وقلبت رأسا على عقب .

وفى وسعنا أن نقول ان الفكرة التى كونها الناس لأنفسهم عن العالم وقوانينه قد هبت عليها « رياح التغيير » فجاة ، بيد أنها (١) لم تمس بصورة قاطعة أسس الأخلاق ولا طرائق التفكير » .

ولكن هذه الأزمة مع ذلك كانت لها مقدماتها ، ففى أواخر القرن التاسع عشر أخذت تظهر نتائج الثورة الصناعية ، وقد غزت الآلة كل مناطق العمل وأثرت فى كل شيء ، ولم تكن الحربان العالميتان الأخيرتان هما السبب فى ذلك وانما كانتا من دواعى التعجيل بحدوث هذا التغير الشامل .

فالعالم فى رأى سيجفريد يواجه شيئا جديدا ليس له نظائر فى الماضى يعيننا على مواجهته وهو يؤكد غرابة هذا الموقف الجديد بالقياس الى اخوانه الأوربيين بوجه خاص ، وقد ادخل هذا الموقف الجديد المحير على نفوسهم لونا من ألوان التشاؤم ليس لهم به سابق عهد وبخاصة بعد النكبات والكوارث التى توالت على العالم القديم ، ويقول سيجفريد فى ذلك « وأجدادنا بل نحن أنفسنا أيام شبابنا كنا جميعا نعتقد عن ايمان راسخ لا يتزعزع فى حقيقة التقدم ، ولم يكن فى تصورهم بتاتا أن الأرض الموعودة هى فى المستقبل وليست فى أى مكان آخر » .

ولكن ما معنى قولنا أن هاتين الحربين العالميتين ــ وهما تعتبران نقطتى انطلاق لحوادث جد خطيرة ــ قد غيرتا الدنيا حتى صار الشعور بالثورة ما ينفك يخالج نفوسنا ويطالعنا من كل النواحى ، يرد أندريه سيجفريد على ذلك التساؤل بقوله « أولا كانت هناك ثورة فى التوازن الداخلى للدول فقد تغيرت أحوال السلطة السياسية لأن الحرب الكلية وضعت فى يد الحكومات مجموعة من السلطات ليست سياسية أو عسكرية فحسب وانما هى كذلك اقتصادية واجتماعية وفنية ، وقد انطلقت الحكومات فى ذلك الشوط الى الحد الذى جعل المصالح الخاصة عاجزة عن حماية نفسها لأن صالح المجموع قد غمرها وغطى عليها ، وليس فى نية الحكومات التنازل عن هذه السلطات ، بل هى ستعمل على تدعيمها ، ولكى تبرر ذلك فى نظر الجماهير فانها تستغل هذه السلطات فى اشباع حاجاتها المادية أو النفسية وارواء ظمئها الى المساواة ، ولما كانت الجماهير غير

(١) لم أطلع على الأصل الفرنسى الذى نقله الأستاذ المترجم الى اللغة العربية وانما اطلعت على الترجمة الانجليزية التى قام بها ادوارد فيتزجيرالد ، وحسب الوارد بها ينبغى أن تكون ترجمة هذه الجملة هكذا « المفاهيم التى كونها الناس عن الكون وقوانينه تعرضت لتغيرات عنيفة الى حد أن أصول الآداب المؤكدة وطرائق التفكير اهتزت اهتزازا » .

قادرة على تصريف السلطة التي أصبحت لها من الوجهة النظرية لذلك لم يكن لها معدى عن نقلها الى يد الحكومات ، وقد أفضى ذلك كله الى ديكتاتورية الفرد أو الحزب الواحد أو البيروقراطية ، وفى نهاية ذلك الطريق العبودية فى اطار سنظل بحكم العادة نصفه بأنه ديمقراطى .

ويقول سيجفريد أنه حتى فى المجتمعات الغربية أصبح الفرد غير مستعد لحمل التبعية ولأن يترك وشأنه ، فهو يسأل الدولة أن تشرف على أحواله ويلح فى ذلك الطلب ويراه شيئا جد طبيعى ، وموجز القول انه لم يعد حرا ، بل هو لا يعبأ بالحرية لأن أهم ما يشغل باله هو التماس الأمن وحب السلامة ، وغير عجيب فى مثل هذه الحالة أن ينبذ مذهب الحريين ويوصف بأنه من المذاهب البالية التى تولى عهدها وعفى عليها القدم ، وأن يعد الدفاع عن الفرد ضد التنظيم ضربا من الرجعية لأن التنظيم يمثل التقدم .

ولا بد كذلك من التسليم بأن احوال الانتاج الصناعى الحديث غير ملائمة للحرية الشخصية والمبادأة الفردية ، وقد انتقلنا الى مرحلة جديدة سادت فيها التكنيكية التى يرافقها التنظيم والادارة ، وذلك كله مهد السبيل لأن يحل « رجل الجماعات » مكان الفرد الذى يتمتع بحرية لا حدود لها أو بلفظ آخر « الفرد الفوضوى » ، وهذه الأحوال فى مجموعها تغرى الدولة بسوء استعمال السلطة التى سيقت اليها وأصبحت بين يدى الرجال الذين يمارسون السلطة العامة ، والدولة فى هذا العهد تتولى الاشراف على الصحة والاسكان والتموين والأمن العام والعلاقة بين العمل ورأس المال والانتاج الصناعى ولا حيلة للفرد فى معالجة المشكلات المتصلة بهذه الأمور ويخشى أندريه سيجفريد عاقبة هذه الهزة العنيفة غير المسبوقة التى تعرض لها توازن المجتمعات الانسانية فقد تنتهى بكارثة لأن المقدرة التكنيكية تتقدم بخطوات جد سريعة تعجز عن ملاحقتها الروح الانسانية ، وانتاج القرن العشرين الآلى الذى يعم العالم فى سرعة متزايدة يفرض نفسه على الانسانية التى لا تزال حالتها النفسية إلى حد كبير فى عهد ما قبل علو شأن الصناعة ،

ومن ثم قد وجدت هاوية واسعة ، ولا حاجة الى الاشارة للأخطار التى تجىء فى آثار الانتقال الى المبالغة فى التصنيع فى الدول التى لم تأخذ للأمر اهبته ولم تستعد له الاستعداد الكافى ، ولا نزاع فى أن الانتصارات التكنيكية فى العصر الحاضر تسد البصر ، وان المهندس يحل المشكلات التى تواجهه ، ولكن رجل الأعمال والسياسى والعالم الأخلاقى يجدون أنفسهم فى حيرة وهم يواجهون المشكلات الجديدة الناشئة من هذا التقدم ، فكل خطوة جديدة فى التقدم التكنيكى تخلق مشكلة اجتماعية جديدة أو مشكلة اخلاقية لم تكن موجودة من قبل وكان الطبيعة تكلفنا أن ندفع ثمن انتصاراتنا ، والآلة خاضعة لنا وملبية لمطالبنا ولكنها جعلت حضارتنا ترتد الى أنواع من الأخلاق السياسية والأساليب الاقتصادية تستطيع أن تصفها بدون مبالغة بأنها همجية .

وانتصارات عهد الآلة حاسمة وعلى الانسانية أن تتعلم كيف تلائم بين نفسها وبين البيئة التكنيكية الاقتصادية السياسة الاجتماعية الحديثة ، ومثل هذه الملاءمة تقتضى مراجعة آراء الانسان عن الأخلاق واعادة النظر فى موقف الفرد من الجماعة والعمل على أن يسمح الموقف للفرد بالابقاء على حريته الفكرية ، وهذه هى المشكلة الكبرى التى يواجهها الغرب فى الوقت الحاضر كما يرى سيجفريد ، والواقع أن هذه المشكلة لا يواجهها الغرب وحده كما يرى مؤلفنا وانما تواجهها الانسانية جميعها .

ويرى سيجفريد أن بعض دول الغرب التى هى دعائم الحضارة الغربية تواجه هذه المشكلة بقوة دون أن تنظر الى الخلف وبعضها يواجهها بشىء من الأسف على الماضى الذى كان له قيمته وبعضها الآخر الذى لم تكن أوربيته خالصة قد اقبل بكليته على التقدم التكنيكى فى اندفاع همجى الى حد ما ، وهو اندفاع يثير الشك ويجعلنا نسأل هل هذه الدول تعمل حقيقة من أجل الحضارة الانسانية وقد جعل سيجفريد هذه الآراء التى أبداها فى الفصل الأول من كتابه مقدمة لفصول الكتاب التالية التى تحدث فيها عن الواقعية اللاتينية والبراعة الفرنسية وعناد الانجليز وميل

الألمان الى النظام والنزعة الصوفية عند الروسيين وديناميكية الأمريكيين ويختم الكتاب بفصل عن تعريف الحضارة الغربية ومصيرها .

وفى تناوله للواقعية اللاتينية يقول « فى أوروبا روح لاتينيـة لولاها لما بلغت الحضارة الأوربية توازنها المأثور ، وواقعية أوروبا العقليـة تعادل فى الميزان كفـة الدينيماكية الانجلوسكسونية ، ولولاها لابتعـد الأنجلو ساكسون عن التقاليد الكلاسيكية ولو اجتثت الجذور اللاتينية من اقصى الغرب فى العالم الجديد لما بقى من غير شك غربى الحضارة ولكنه فى المدى المتطاول سيشق طريقا مختلفا » .

وينكر سيجفريد ما يسمى الشعب اللاتينى ويسلم بوجود لغات لاتينية تعبر عن تفكير موافق لحضارة ولدت فى منطقة البحر المتوسط ومن ثم فان الروح اللاتينية حقيقة واضحة .

وقد أسهم فى تكوين تلك الحضارة شعوب كثيرة مثل الأيبريين والأليين والسلتيين كما استوعبت عناصر من النورديين والعرب الساميين ولا ينكر كذلك تأثير العنصر المغولى عن طريق الأتراك فى تلك الحضارة .

ولكن اين الوحدة اللاتينية فى هذا المزيج ؟ ان مؤثرات كثيرة متنوعة أسهمت فى ايجـاد وحدة تلك الحضـارة منهـا التأثير الرومانى وتأثير الكاثوليكية الرومانية والتأثير اليونانى عن طريق روما وعن طريق العرب ، وقد أسـهمت كذلك عوامل كثيرة فى تكوين السيكولوجية اللاتينية مثل العامل الجغرافى والعامل التاريخى ، ولا مندوحة لنا حينما نقدر الحضارة الأوربية عن النظر اليها من زاوية اللاتينية ، والحضارة الغربية الأمريكية تختلف عن الحضارة فى العالم القديم لأنها ينقصها العامل اللاتينى .

ويعنى سيجفريد عناية خاصة ببيان أثر العامل الجغرافى والعامل التاريخى فى سيكولوجية الأمم التى آثر الحـديث عنهـا ، وقـد تزود لذلك بالاطلاع على آراء الجغرافيين المحـدثين كما ساعدته الرحلات الكثيرة التى قام بها فى انحاء الكرة الأرضيـة والتنقل فى مختلف الأجواء



ومراقبة الأحوال السياسية والاجتماعية فى شتى البيئات ، وعنـده أن اللاتين يغلب عليهم نزعة التشكك ، ويندر ان يكونوا بسطاء ساذجين حتى حينما يعتقـدون بالخرافات ، وتفكيرهم واضح المعـالم ، ويستطيعون أن يميزوا بسهولة بين النظرية وبين تطبيقهـا ، وهم ليسوا من أتباع روسو فهم لا يعتقدون أن الانسان مطبوع على حب الخير ولا ثقة لهم فى الانسـان ، وبرغم ما اشتهروا به من الفصـاحة فانهم لا يعلقون أهميـة كبيرة على الكلمات خلافا لما يعتقده الكثيرون ، ويشيد بقدرة اللاتين على التحليل ، ويعلق الفرد اللاتينى أهمية كبيرة على التعبير عن فرديتـه ، والفرد الانجلو سكسونى متواضع ومعتدل ولكنه شديد الاعتزاز ببلاده الى حـد العدوان وهو مدنى بطبيعته ولا يدخر جهدا فى التعاون ، أما اللاتينى فانه يرى الأشياء من وجهة نظره الشـخصية قبل كل شىء ، وهو متكبر ومغرور ويحرص على أن يظهر ويلمع وهو أهل لأن يضحى بنجـاح الجماعة من أجل نجاحه ، واللاتينى والانجلو سكسونى كلاهمـا أنانى على طريقتـه ، واللاتينى رجل أعمال واسع الحيلة وحازم وقدير وحسن التدبير ، (١) « وهو يضرب بسهم وافر فى المشروعات الصغيرة ، كما أن لديه القدرة على انجاح المشروعات الكبرى ، فهو فى كل مكان وفى جميع مراحـل عمله يتصف بالمرونة والدبلوماسية ويمارس الدسيسـة ، كما يتمتع بقوة الحجة وصدق الاقناع والقدرة على سوق البرهان على ما يحكم عليه من قضايا » .

وينتقل بعـد ذلك الفصل الى التحدث عن البراعة الفرنسيـة ويستهل الفصـل جريا على

(١) راجع صفحة ٣٩ من الترجمة العربية .



طريقتــه بوصف الموقع الجغرافى وبيان أثره فى تكوين الخلق القومى ، وعنده أنه ليس هناك شعب فرنسى لأن الفرنسـيين مكونون من ســـــلالات مختلفــة ففى الشمال الألمـــان والسلتيون (أو الألبيون) فى السهل الأوسط والغرب وفى الجنوب المنتسبون الى منطقة البحر المتوسط ، فالفرنسيون خليط من الشعوب وقد أخذوا من اللاتين وضوح التفـكير والقدرة على التعبير كما أخذوا من السلتيين الروح الفنية والنزعة الفردية واستمدوا من الألمان القدرة على التنظيم والعبقرية البناءة ، والوحدة القومية الفرنسية ليست قائمة على أصل شـعبى لأن الشعوب التى تكونت من امتزاجها الأمة الفرنسـية لم تتميز فيها سلالة شعبية على سائر السلالات كما حدث فى انجلترا أو المانيا ، والفرنسيون سواء المنحدرون من أصل ألمـــانى أو الذين يرجعون الى أصـل ألبى أو المنتسبون الى شعب البحر المتوسط يرون أنفسهم متساوين ولا فضل لسلالة على سلالة أخـرى وقد وحـدتهم البيئــة الجغرافيــة والتقاليد التاريخية .

ويرى ســـيجفريد أن العبقرية الفرنســـية تكشف عن نزعتين متعارضتين ، احداهما سانكو بانزيه والأخرى دون كيشوتية ، احـداهما عملية بل أرضية تبدو فى سلوك المزارعين ولكن هـذا الجانب من الخلق القومى الفرنسى يقابله من ناحية أخرى نزعة مثاليــة وتنزه عن الغرض متى ضمن الفرنسى مصالحه ، وهو فى هذه الحالة يستطيع أن يفكر تفكيرا موضوعيا ويسمو على التعصب القومى .

والفرنسى بطبيعته ميال الى الاستقلال وحرية التفكير وهو من أجل ذلك يكره السلطة المفروضة والنظم الجماعية ، وفرنسا فى رأيه أحد الأعمدة الرئيسية التى تقوم عليهـا الحضارة الأوربية ، وهو يرى أن أنفس ما قدمتــه فرنسا للحضارة هو الثقة بعقل الانســـان ، والفرنسى يعتقد بكل جوارحه أن هناك حقا انسانيا ، وأن عقل الانسان فى استطاعته أن يصل الى هذا الحق وأنه يمكن التعبير بالكلام عن هذا الحق (على الأقل بمساعدة اللغة الفرنسـية) وعند الفرنسى ان الفكرة قد وجدت ليعبر عنها ولولا ذلك لما كان لها وجود ، فالفكرة المجردة ليس لها وجود حقيقى ، وهى فى رأيه لا يتحقق وجودها الا اذا اتخذت صـورة وشكلا ، وهذا من لوازم وجودها .

ويمضى سيجفريد على هـذا النمط فى سائر فصول الكتاب متناولا الخلق القومى البريطانى والألمـانى والروسى والأمريكى بالتحليل الدقيق القائم على الدراسة المستوعبة والملاحظات النفاذة مع براعة الأداء وفنية العرض ، ويختم الكتاب بفصل قيم عن تعريف الحضارة الغربية ومصيرها مستدلا على ملامح تلك الحضارة بسمات الخلق القومى التى تبينها فى الأمم الأوربية الرئيسية التى تناولها بالتحليل ، والمنابع التى استمدت منها الحضارة الأوربية متغلغلة فى الماضى ومنوعة ، وعنده أن الحضارة الغربية تقوم على ثلاثة أشياء وهى المعرفة والانسان والتكنيكية فى صـــورتها الحديثة وهى الثورة الصناعية ، ومن اليونانيين عرف الأوروبيون طرائق التفـكير فقـد عرف اليونانيون استقلال التفكير وحرروا العقل من أسار الســحر والتكهنات والأشياء اللا عقلية ، وقد كان للأشوريين وقدماء المصريين علم وأدب ولكن الشرقيين كانوا يحصون ويجمعون حينما يلاحظون ، واليونانيون كانوا يلاحظون ولـكنهم كانوا كذلك يستخلصون القوانين العـــامة من ملاحظاتهم ، والفرق بين هذين النوعين من الملاحظة فرق فى النوع لا فى الدرجة ، وقد أخذ الأوربيون ذلك عن اليونانيين فهم يلاحظون ويفـــكرون ويستنتجون ، والرجل الذى يفكر ويعلل ويلتمس الأسباب رجل حـر لا يخضع الا للقوانين التى يفرضها على نفسه أو التى يتقبلها ومن ثم اهتمامه بالشئون العـــامة التى يعتبرها شـــئونه ،

وقد حارب اليونانيون الفرس بوصفهم رجالا أحرارا ، ويرى سيجفريد أن تصور الفرد من الوجهة السياسية ولد فى بلاد اليونان وان فكرة الديمقراطية وليدة دولة المدينة ، ولا يمكن فصلها عن فكرة الحرية ، وهى نقيض ميول نزوات الطاغية المستبد ، والذى يميز الأوربيين فى رأيه هو كفايتهم العملية ، والأخذ بالتكنيكية الحديثة زود الغرب بالسلاح الفاصل والقوة التى لا تبارى ، والرجل الغربى لا يلتمس النفحات من السماء وانما يحدد غايته ويعمل على تحقيقها بالوسائل التى تكفل له ذلك وهو يتحدث عن الله ولكنه يعمل دون أن يعتمد على معونته .

ويرى سيجفريد أن الخطر الذى يهدد الحضارة الغربية لا يأتى من الخارج وانما يجىء من الداخل ، ولابد لصيانة تلك الحضارة من المحافظة على التوازن بين العوامل الثلاثة السابق الاشارة اليها وهى المعرفة والفرد والتكنيك » ويقتضى المحافظة على الحضارة أن يظل التكنيك فى خدمة الفرد وأن لا يكون الفرد خادما للتكنيك ، وقد كانت هناك حضارة أوربية قبل الثورة الصناعية ، ويتساءل سيجفريد « هل نظل محتفظين بالحضارة بالمعنى القديم اذا صارت القدرة الآلية أكثر أهمية من كل اهتماماتنا الأخرى ؟ » كما أن روح المبادأة أصبحت مهددة من ناحية تزايد سيطرة الدولة التى تميل الى جعل الناس نسخا مكررة وهو ما يناقض عبقرية الحضارة الغربية الحقيقية وينفى سيجفريد أن ما يملى عليه هذه المخاوف هو روح التشاؤم لأن مصدرها ما يقع تحت الأبصار فى كل يوم ، فهناك تدخل من الدولة الى حد كبير وهناك اسراف فى التنظيم يبعد عن الطبيعة ، وهذا الاسراف يحمل فى ثناياه جراثيم الشلل ونذر الخطر ، وأوروبا فى العصر الحاضر مضغوطة بين عملاقين وهما الولايات المتحدة وروسيا وكتاب سيجفريد يلقى ضوءا على الحاضر والماضى ، وهو حافل بالتحليلات البارعة والمعلومات القيمة والآراء السديدة ومن الكتب التى لا يأسف الانسان على الوقت الذى يقضيه فى قراءتها ، وهو جدير بأن يجد من قراء العربية الاقبال على قراءته ومراجعة آرائه وأحكامه .

على أدهم

سطور من كتاب ...

« هنريتا : ابى – يجب ان تسامحها – ليس من اجلها – بل من اجلك ! كنت اظن انى كرهتك . ولكنى لم اكرهك . انى اشفق عليك – انى اشفق عليك .. واذا كنت تشفق على نفسك فسامحها ..

باريت : نعم – نعم – كلها ... نعم – سأنتقم من كلها – !! »

... آل باريت من شارع ومبول



رسائل فارسية

تأليف
مونتسكيو

ترجمة : أحمد كمال يونس
مراجعة : الدكتور عبد الحميد الدواخلي



مونتسكيو هو شارل لويس دى سيكوندا ، بارون لابريد . وهو من أشهر مفكرى فرنسا وكتابها فى القرن الثامن عشر (١٦٨٩ – ١٧٥٥) . نشأ فى قرية صغيرة اسمها لابريد قرب بوردو من أسرة تجرى فى عروقها الدماء الانجليزية . ماتت أمه وهو فى السابعة من عمره فوجهه أبوه الى مدرسة دينية فلما فرغ من دراسته بها وجهه الى دراسة القانون ولم يكن يميل اليها . ومات أبوه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ولكنه لم يلبث بعد ذلك بسنة واحدة أن عين مستشارا قانونيا لبرلمان بوردو . وفى السنة التالية تزوج من ثرية قليلة التهذيب تتبع المذهب البروتستانتى وفى ١٧١٦ مات عمه فترك له كل ثروته كما ترك له لقبه ووظيفته الكبرى فى البرلمان ومن هذا التاريخ أصبح مونتسكيو رئيسا « ذا قبعة كالقصعة » وهى شعار لوظيفة « الرئيس » فى برلمان بوردو ، الوظيفة التى شغلها مونتسكيو اثنتى عشرة سنة ، وقد نشر «الرسائل الفارسية» فى الفترة الأولى منها . ثم اشتغل بعدة أبحاث فى الفلسفة والسياسة والعلوم الطبيعية وقدمها للأكاديمية فى بوردو وظفر بكرسى فيها عام ١٧٢٥ ، ثم لم يلبث أن ترك بوردو الى باريس ، بعد أن باع حقه فى منصبه الرسمى مع احتفاظه لولده بالحق فى التمتع به حين يريد . وكان يقضى

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب
عدد الصفحات ٣٦٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٥٧ر٥ قرشا

شطرا من السنة فى لابريد . وفى عام ١٧٢٨ عين عضوا بالأكاديمية الفرنسية . ثم تقابل مع اللورد شستر بيتى الذى اخذه فى يخته واتاح له زيارة كثير من بلاد أوربا واستقر به المطاف فى انجلترا فأمضى بها سنة ونصف سنة لما أنس فى نفسه من ميل الى أهلها اعجابا بهم وبتقاليدهم . وحين عاد الى قريتــه نسق حديقة بيته على الطراز الانجليزى وبان أثر الانجليز فى حياته اليومية .

وفى هذه الفترة كتب كتابا بعنوان « آراء فى أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم » . واشتهر هــذا الـكتاب وأقبل المثقفون على قراءته ، وتبين أن فردريك الأكبر قرأه وعلق عليــه وقد استرد نابليون النسخة التى عليها هذه الملاحظات من مكتبة بوتســدام . ويقول كاتب مقــال دائرة المعارف البريطانية ان هذا الكتاب يعد أول رسالة فى فلسفة التــاريخ ، اذا استثنينا كتابى بوسيه Bossuet ، وجيوفانى فيكو ، كما أنه يعد ندا لـكتاب تورجــو Turgot ، الجزء الثانى من « أحاديث الـربون » ، ولو أن كتاب مونتسكيو يمتاز برقة الأسلوب .

بعد هذا بدأ مونتســكيو يكتب كتابه « روح القوانين » ، بدأه عام ١٧٤٣ وختمه عام ١٧٤٨ . ومن الطريف ان مونتســـكيو جمع جماعة من اصدقائه ليسألهم رأيهم فى كتابه قبل أن يقدمه للمطبعة فأشاروا عليه بالاجماع بألا ينشره . ولكن مونتسكيو لم يستمع الى نصحهم ، ولـمـا نشر الـكتاب وصف بأنه من أهم الكتب التى نشرت وقد يكون أهم كتاب فرنسى فى القرن الثامن عشر . وهو من غير شــك نتاج عقل يمتاز بالوضوح والأصـــالة وحسن الفهم بلغـة عذبة كالسهل الممتنع .

وفى فبراير ١٧٥٥ مات مونتســكيو فى باريس ودفن فى كنيسة سان سلبيس .

أما الرسائل الفارسية فقد كتبها مونتسكيو اثناء اشــتغاله بدراسة القانون ، وكان يريد أن يتسلى عن عمله هــذا . ومن الصعب تأريخ كل رسالة على حدة . ولكن المعروف أنه ابان شغله منصب « الرئيس » فى برلمـــان بوردو عهد الى ســكرتيره ، الأب دوقال ، بأن يذهب بالمخطوط الذى يحوى « الرسائل » الى هولندا وأن يطبعه بها سرا . وظهرت الطبعة الأولى منها عام ١٧٢١ حاملة اسم ناشر فى كولونيا ، پيير مارتو . ولكن الواقع أن الـكتاب طبع فى أمستردام بهولندا فى مطبعـــة جاك ديبورد . وفى عام ١٧٥٤ ظهرت طبعة ثانيـــة للرسائل تحمل الاسم نفسه الذى ظهر على الطبعة الأولى . واضيف على الخمسين ومائة رسالة التى طبعت لأول مرة احدى عشرة **رسالة جديدة** . احداها خاصة بالانتحار وخمس منها خاصة بالحريم وخمس منها خاصة بقصص . وفى الطبعة الثانيــة روعى التحفظ فى الموضوعات الدينيـــة . وهـــذا لم يفقد الرسائل حيويتها وذوقها الشرقى .

وكان مونتسكيو يفكر فى ادخال بعض التعديلات على الرسائل فى الفترة التى كانت تعد فيها هذه الطبعة الثانية . فقد عثر باركهاوزن على دوسيه كامل فى أرشيف لابريد عن الرسائل الفارسية وبه كراســة عنوانها « تصويبات على الطبعة الأولى من الرسائل الفارســـية التى طبعت فى كولونيا بمطبعــة پيير مارتو ســنة ١٧٢١ فى جزءين .. **نسخة جديدة** » .

ويبدو أن الملحق المتضمن هذه التصويبات تم عام ١٧٥٤ ، ولكن هناك اشارة أخرى تدل على أن هذه التصويبات نفسها ليست الأخيرة فقد ذكر مونتسكيو فى أوراقه « انى أعـــددت تصويبات أخرى وكتبتها على ورق كبير الحجم » . وقـــد كتب على هـــذا الورق « تصويبات الرســـائل الفارسية ، **النسخة الأخيــرة** » . ويشير الكاتب فى هذه الأوراق الى كراسة ثالثـــة طلب ادماج ما فيها من الرسائل فى رسائل الطبعة الأولى .





وقد تضمنت هذه الكراسة الرسائل التى أضيفت عام ١٧٥٤ بالملحق الذى أشرنا اليه مع حذف رسالة كانت خاصة بالعلماء ورجال الأدب .

وعلى هذا الأساس من درس « الرسائل الفارسية » فى أرشيف لابريد استطاع باركهاوزن أن ينشر فى عامى ١٨٩٧ و ١٩١٣ النص المحقق للرسائل . وهذه الطبعة أصح من طبعة ريشر الذى نشر « أعمال مونتسكيو » عام ١٧٥٨ .

وظهرت للرسائل طبعات كثيرة ، فان حقوق المؤلف لم تكن ذات وزن فى ذلك الوقت ، ومن هذه الطبعات واحدة تستحق الالتفات ، ذلك أنها تمت سنة ١٧٢١ وجعل عنوانها : « الطبعة الثانية أعاد النظر فيها وصححها وحذف منها وزاد عليها المؤلف » . والطابع هو نفسه بيير مارتو فى مدينة كولونيا . وهذه الطبعة تحوى ثلاث رسائل لم تنشر من قبل ، كما أنها تحذف ثلاث عشرة رسالة من الطبعة الأولى ، مما يجعل عدد رسائلها أربعين ومائة ، والرسالة الأولى فى هذه الطبعة هى السادسة فى الطبعة الأولى ، ثم ان كثيرا من الرسائل به بعض التعديل . ويقول كاركاسون فى مقدمته لطبعة باريس عام ١٩٢٩ ان الأمر لا يتعلق بعملية تدليس ذلك لأن الرسائل الثلاث التى زيدت قد ظهرت فى الملحق الذى كتبه المؤلف عام ١٧٥٤ . ومع ذلك فلا المؤلف ولا أصدقاؤه استطاعوا تعليل ظهور هذه الطبعة .

ويعلل فولتير — وصلته بمونتسكيو لم تكن طيبة — أن المؤلف غير فى هذه الطبعة وجعلها بحيث ترضى رجال الدين والوزراء ، ذلك لأنه كان يريد عضوية الأكاديمية وكان الكاردينال فلورى غاضبا من الطبعة الأولى وكان على مونتسكيو أن يرضى الكاردينال فبعد انجاز الطبعة المعدلة هذه توجه بنفسه اليه وقدم الكتاب خلوا فى ثوبه الجديد من التهكم على رجال الدين . وقد يكون هذا معقولا . وفولتير على أية حال لا يقدر الرسائل الفارسية .

والذى لا شك فيه ان فكرة النقد على لسان سائح سابقة على الرسائل الفارسية . من قبل ظهرت رسائل على لسان السيامى (١٦٩٩) ، وفى ١٦٨٤ ظهر كتاب جان پول مارانا « الجاسوس التركى » فى ستة أجزاء من الرسائل القصيرة . وتأثر مونتسكيو بهذه الرسائل الأخيرة واضح ، وشخصية أوزبك عنده هى شخصية الجاسوس عند مارانا او تكاد تكون كذلك . والانتقادات التى تهدف اليها رسائل مارانا هى نفسها أهداف مونتسكيو .

ثم ان رحلة الشاه حسين الى باريس عام ١٧١٥ وما ظهر من الآداب الشرقية فى اللغات الأوربية فى ذلك الوقت ، كل هذا كان له أثره الكبير فى كتابة مونتسكيو للرسائل الفارسية . فى ذلك الوقت ظهرت ترجمة للقرآن (ترجمه دى ريز) وظهرت

ترجمة الف ليلة وليلة لجالان كما ظهرت كتب رحلات تصف الشرق ، قديمة ومعاصرة ، وكان لكتابي تافرنييه وشاردان أثر كبير في مونتسكيو . والآداب الفارسية ازدهرت باللغات الأوربية حينذاك وكانت من خير ما يلذ للمثقفين قراءته ، وتأثر بها مونتسكيو بغير شك .

وقد رأت وزارة الثقافة والارشاد ، الادارة الثقافية ، أن تخرج « الرسائل الفارسية » الى العربية . وحسنا فعلت . ولكن الترجمة لم تتبع النص تماما بل عدلت بعض الأجزاء التى تمس فكرة الامام والتى تمس تقديس على عليه السلام وآل البيت وما يمس الدين بوجه عام مساسا فيه تجريح . والواقع أن مونتسكيو حين كتب رسائله على لسان السائح الفارسي لم يقصد شيئا عن فارس ولا عن الاسلام . انما قصد أن ينتقد الأوضاع فى فرنسا فى زمنه ، فقصد الى معارضة سلطة الملك ومحاربة فساد أصحاب الاقطاع فى فرنسا والوزراء وما يقترفون من جرائم الرشوة والاستهتار وبيع المصلحة العامة فى سبيل شهوة الحكم . ثم رجال الدين وتسلطهم على الحكام وعلى الشعب جميعا مع ما تنطوى عليه أنفسهم من الرياء والخبث . ولكن مونتسكيو أجرى على لسان أوزبك وريكا كلمات لم يفطن هو الى مالها من قداسة لدى المسلمين فكان لابد لمن يترجم الى العربية أن يحذف هذه العبارات . لم يكن مونتسكيو مطلعا اطلاعا واسعا على الدين الاسلامى ثم على الأصول فى بلاد فارس وتركيا انما كتب ما كتب على أثر قراءات عادية فى المواضيع الشرقية التى كانت شيئا جديدا محببا للنفس فى وقته ، فلما اختار الفارسي ليكتب الرسائل على لسانه تعرض للدين وللمذاهب الاسلامية وقصده الأول هو رجال الدين المسيحى . وكذلك الحال حين تحدث عن البلاط والوزراء وشهوة الحكم والرق وعسف ذوى السلطة بمن يعملون معهم .

ولست أشك فى أن الترجمة العربية ، حتى بعد الحذف والتعديل الطفيف ، تعطى صورة واضحة قوية لنوع من الأدب الفرنسى شاع فى القرن الثامن عشر وهى جديرة بالثناء .

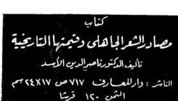
دكتور يحيى الخشاب

سطور من كتاب ...

« أماه ! ترتسم فى ذهنى اليوم صورة الطابع الثانىعلى مفرق شعرك ، والسارى الذى تعودت أن ترتديه ، بحاشيته الحمراء العريضة ، وعينيك هاتين العجيبتين ، ملؤهما عمق وسلام . ترتسم فى ذهنى وأنا على أول الطريق فى رحلة حياتى ، كأنها أول خيط من خيوط الفجر ينحنىزادا ذهبيا يعيننى على المضى فى طريقى . السماء التى تعطى النور زرقاء ، ووجه أمى كان أسمر ، ولكنها كانت تشع قداسة ، وحسنها يزرى بكل غرور الحسان » .

... البيت والعالم

الشعر الجاهلي



كتاب
نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي
تأليف الدكتور عبد الحميد المسلوت
الناشر : دار القلم ٢١٤ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٤٠ قرشا

الكتابان يجتمعان على بحث واحد ، وهو النظر في الشعر الجاهلي صحة وبطلانا ، ويختلفان في العرض ايجازا واسهابا ، واجمالا وتفصيلا ، من أجل هذا جمعنا بينهما في مقال واحد .

وأحب قبل أن أدخل بك الى مناقشة ما ضما أن أجمل لك الحديث عن التشكك والتثبت فيما تلقيناه رواية من تراثنا . وليست هذه هي وقفتنا وحدنا تلقاء مروياتنا ، بل هي وقفة الأمم جميعا والشعوب كافة تلقاء تراثها المروى . وقد نكون نحن دون غيرنا اكثر ضبطا للرواية حتى اصبحت علما له قواعده وأصوله ، وأصبح استصفاء الحق من الزيف بهذا العلم شيئا لا يجوز عليه التدليس الا في القليل .

وهذا العلم الذي أعنيه هو علم الرواية ، وضع المحدثون له أصوله ، وعن هؤلاء أخذ الناظرون في علوم أخرى ومنها الأدب . غير أن ثمة فرقا في المرحلة الأولى بين الحديث والأدب ، فلقد نشأ الحديث في عصر كان فيه التلقي كثيرا وكان المتلقون كثرة ، وكان العصر قريبا من الضبط ، على حين كانت نشأة الشعر الجاهلي في زمن لم ينضبط لنا فيه عن التلقي والمتلقين شيء كثير ، وحين انبرى الضبط لهذا الشعر الجاهلي كان الزمن قد غير شيئا واضاف شيئا .

قس على ذلك ما لنا اليوم من أدب مروى حرم التسجيل ولا تزال الألسن وسيلته ، مثل الأحدوثة التي لا تزال الألسن تتناقلها ، فهي هي في جوهرها ولكن الذي لاشك فيه أن الزمن غير منها شيئا واضاف اليها شيئا آخر .

وما من شك في أن الشعر العربي ترجع نشأته الى قرون قبل الاسلام ، فهذا الفن ببحوره وتفعيلاته لم يكن ليولد متكاملا بين عشية وضحاها ، كما لا يمكن أن يكون صنع عصر بعينه ، بل هو صنع عصور ، وكما نشأت اللغة نشأ هذا الشعر .

ثم ما من شك في أن ما ضاع من الشعر الجاهلي يربى على ما انتهى الينا منه ، فلقد شعر العرب في جاهليتهم الأولى يوم أن كانوا على لهجات متباينة ، وشعر العرب في جاهليتهم الثانية يوم أن تتضاموا على لهجة أو لهجات متقاربة ، والذي وصلنا من هذا كله هو ذلك الذي جرى به اللسان الموحد ، وما يبعد هذا الشعر الجاهلي الموحد الذي انتهى الينا كثيرا عن ظهور الاسلام .

وهذا الذي انتهى الينا لا يمكن أن يكون مادة كاملة لاصدار حكم كامل ، فنحن لم نملك أن نستوعب ما كان للعرب من شعر في جاهليتهم ، والاستيعاب هو الأصل الأول في الحكم ، فالقول بأن الشعر الجاهلي غير جاهلي لأنه لم يعبر عن عادات كانت للجاهليين ، ولا يشير الى معتقدات كانوا يعتقدونها ، قول غير سليم لهذا الذي قلناه . ونحن بعد هذا مؤمنون بأن الذي انتهى الينا من هذا الشعر الجاهلي لم يسلم من تغيير ولكنا مؤمنون أيضا أن هذا التغيير يبعد أن يكون

أجنبيا عن مادة هذا الشعر ومظهره ، بل هما منه وعلى شاكلته ، تدخل كلمة من هنا مكان كلمة من هناك ، وتستحدث كلمة لتحل مكان كلمة بفعل الرواية ، غير أنها فى الأكثر تكون لها صورة الأولى ومسحتها وطابعها ، وهكذا عاش الشعر الجاهلى جاهليا ان لم يكنه فى بعض كلماته فلقد كانه بكلمات من صيغتها وجرسها .

وهذه القضية ــ قضية الانتحال بمعناها الذى بسطته لك ــ قديمة ، عرض لها الناقدون القدامى من العرب ، وكما تعرض القضايا للغلو والقصد تعرضت قضية الانتحال للغلو والقصد ، فاذا فيها الحكم الجائر واذا فيها الحكم العادل .

ويطل العصر الحديث فاذا الذى أثاره الأقدمون يثيره المحدثون ، ولكن الميدان هذه المرة ينتقل الى الغرب ويظهر فيه نقاد غربيون ، منهم الجائرون ومنهم القاصدون ، غير ان الجائرين منهم اشتطوا فى جورهم فاذا هم يتخذون من التشكيك الذى أثاره القدامى حول العرض حجة على هدم الجوهر ، غير ناظرين الى هذه الملابسات التى قدمتها لك .

ولكن سرعان ما أعدى الغرب الشرق ، واذا « كتاب الشعر الجاهلى » يثير هذه القضية على نحو ما أثاره الغربيون من تشكيك بها وينفى الشعر الجاهلى جملة ويصمه بالانتحال .

عندها القى الناس بالا لما كانوا لا يلقون اليه بالا الا فى القليل ، وتحركت الأقلام تكتب فى تفصيل فيما لم تكن تكتب فيه الا فى ايجاز ، وكانت ضجة كبيرة شغلت الرأى العام فترة ثم فترت ، ولكن هذه الهائجة بقيت آثارها عالقة فى الأذهان يلم بها المدرسون فى حجرات الدرس والمؤلفون فيما يكتبون الماما يختلف أسلوبه .

وهذه الضجة التى كاد الناس ان ينسوها فى محيطهم العام لم تنسها الجامعات فى محيطها الخاص ، فاذا السيد الدكتور ناصر الأسد يجعل منها رسالته للدكتوراه ، ثم يجىء فى أثر هذه الرسالة التى طبعت كتابا كتاب الشعر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ، وقد ناقشته فى مقال سابق(1) ، ثم يجىء بعد هذين الكتابين كتاب ثالث هو كتاب نظرية الانتحال للدكتور عبد الحميد المسلوت .

فهذه الكتب الثلاثة تكلمت عن الانتحال ، خلص له هذان الكتابان اللذان بين أيدينا ، وخصه كتاب الدكتور شوقى ضيف بفصل من كتابه ، هو الفصل الخامس الذى يقع فى نحو من خمسين صحفة ، كاد ان يستوعب فيها ما ذكر فى الكتابين فى ايجاز وتركيز ، هذا غير كلمات سابقة وأخرى لاحقة فيها الكثير مما يمس هذه القضية .

والآن بعد أن عرفت معى الكتابين فى اجمال أحب أن أفصل لك الحديث عنهما لنأخذ معا فى مناقشتهما ، فأولها ــ وهو مصادر الشعر الجاهلى ــ يشمل تمهيدا وأبوابا خمسة ثم خاتمة تلخص البحث .

أما التمهيد فيتناول تلك النظرة العامة التى تطالعنا بها كتب الأدب عن العرب فى جاهليتهم ، وهو على ذلك تمهيد قصير لا يتم عشرين صحفة .

ويسلمنا التمهيد الى الباب الأول الذى يتوزع الى فصلين يتناولان الكتابة فى العصر الجاهلى نشأة ورسما وصفا ، وتربى صحفاته على الثمانين قليلا .

ونجد الباب الثانى ذا فصلين هو الآخر ، أولهما فى تقييد هذا الشعر الجاهلى ، وثانيهما فى تدوينه . ويقع هذا الباب الثانى بفصليه فيما يزيد على ثمانين صحفة بقليل .

ويعقد المؤلف بابه الثالث على الرواية والسماع ويجعله فى فصول ثلاثة ، أول هذه الفصول يتناول الرواية بين الجاهلية حتى القرن الثانى ، ويختص ثانيهما بطبقات الرواة ، وينتهى الثالث بالكلام على الاسناد فى الرواية الأدبية . وتستوعب هذه الفصول الثلاثة مائة صحفة .

---

(1) صدر كتاب الدكتور ناصر سنة ١٩٦٢ على حين صدر كتاب الدكتور شوقى سنة ١٩٦١ غير أن الكتاب الأول كان رسالة نوقشت قبل ذلك وان تأخر صدورها .

وإذا ما أدركنا الباب الرابع وجدنا المؤلف يخصه بالحديث عن الشك فى الشعر الجاهلى ، ويوزع هذا الحديث على فصول خمسة ، يجعل الفصل الأول للكلام على المشكلة الهومرية ، ويجعل الثانى للكلام على وضع الشعر الجاهلى ونحله عند الأقدمين ، ويجعل الثالث لسوق آراء المستشرقين ، والرابع لسوق آراء العرب المحدثين ، ويخص الخامس بالكلام على توثيق الرواة وتضعيفهم ، ويفسح لهذا كله ما يزيد على مائة وخمسين صحفة .

وينتهى المؤلف الى الباب الخامس فيخصه بدواوين الشعر الجاهلى ، وقد قسمه الى فصول أربعة الأول منها للدواوين المفردة ، والثانى لدواوين القبائل ، والثالث للمختارات ، والرابع للشعر الجاهلى فى غير الدواوين . وهذا الباب بفصوله الأربعة تنتظمه مائة وأربعون صحفة .

أما عن خلاصة البحث ــ وهى الكلمة التى يطوى فيها صاحب الرسالة الحديث عن رسالته بين يدى لجنة المناقشة ــ فصحفاتها تبلغ العشرين .

وبعد هذا كله ثبت بالمصادر والمراجع ، ثم فهارس عامة للكتاب .

وهذا البحث ــ كما يملى عنوانه : مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ــ يكاد يكفيه الباب الخامس من هذا الكتاب ، وهو الباب الخاص بدواوين الشعر الجاهلى ، وما جاء قبل هذا من أبواب أربعة استوعبت نحوا من خمسمائة صحفة ، هى تمهيد لهذا الباب الخامس ، ما نشير باغفالها ولكنا نشير بايجازها فى باب أو ما دون الباب حتى لا يطغى التمهيد على غير ما هو تمهيد ، ولكنها طبيعة الرسائل الجامعية عندنا نجد فيها الاستيعاب الكثير . ولعل رضى الأساتذة عن هذا مبعثه الحرص على أن يبدأ أبناؤهم قادرين على منافذ الجمع أولا ليكونوا أقوى على أزمة الاستقصاء ثانيا .

ويكاد السيد المؤلف يؤمن معى بأن ما قبل هذا الباب الخامس من أبواب أربعة ، هو تمهيد للموضوع وأنه قد أطال فيها ، وذلك حيث يقول فى صدر الباب الخامس .

« كان حديثنا ــ فيما مر بنا من أبواب هذا البحث وفصوله ــ عن المصادر الأولى التى استقى منها العلماء الرواة فى القرن الثانى الهجرى ما بين أيديهم من شعر جاهلى . وبيان ذلك أننا ــ حين قطعنا شوطا فى دراسة هذا الموضوع ــ وجدنا أن أخطر ما فيه وأشده غموضا ــ على خطر كله وغموضه ــ هو تلك الفترة التى انقضت على نظم الشاعر الجاهلى لشعره الى أن دون هذا الشعر فى القرن الثانى الهجرى فى هذه الدواوين التى وصلت الينا روايتها . هذه الفجوة الزمنية التى امتدت قرنا وبعض قرن ــ من آخر العصر الجاهلى الى مطلع القرن الثانى الهجرى ــ هى التى استنفدت القسم الأعظم من جهدنا واستغرقت الجزء الأكبر من بحثنا هذا ، وذلك لأن موضوعنا « مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية » فلم نجد من المعقول ولا من المقبول أن نسقط من حسابنا تلك الفترة التى سبقت تدوين هذه المصادر التى بين أيدينا ولا أن نمر بها مرا هينا عابرا » .

هذا هو اقرار السيد المؤلف وهذا اعتذاره . ونحن نسائله :

١ ــ ما غناء الحديث فى توسع عن نشأة الخط العربى وتطوره .

٢ ــ ثم ما غناء التوسع فى أدوات الكتابة فى الجاهلية من جلد ومهارق وحبر ودوى وأقلام وسوق الشعر الكثير الذى يشير الى هذا .

٣ ــ ثم ما الغناء فى تكرار ما قيل حول كتاب الشعر الجاهلى بجملته وتفصيله ، ولقد كانت الاشارة الوجيزة الى ذلك تكفى والتلخيص المركز يغنى .

٤ ــ ثم ما غناء التفصيل فى المشكلة الهومرية والمدارس التى عنيت بها .

٥ ــ وهل استطاع السيد المؤلف بعد هذا كله أن يعبر بنا تلك الفجوة التى ذكرها وان يصل ما انقطع .

ما نظن ثمة دليل يستوى على قدميه يثبت أن هذا الشعر الجاهلي دُوِّن جاهليا وامتد تدوينه الى أن انتهى الينـــا ، هذا اذا استثنينا تلك النقوش التى عثر عليها اخيرا ، ثم هى على هذا لا تحمل الا القليل الذى لا يعتد به ، ولو رجعنا الى جمع القرآن وذكرنا كيف كانت الصحف وكم كانت لعلمنا علم اليقين كيف كان عجز هـذا الشعر الجاهلى عن أن يبلغنا مدونا ، وانه ليس ثمـة وسيلة وصلتنا به غير الرواية ، فاحتجاج السيد المؤلف على أن ثمة مدونات للشعر الجاهلى فرض يأباه الواقع ، وجعله من هذا الفرض فرضا آخر يطوى به تلك الفجوة ضم مستحيل الى مستحيل ، وارادته فى أن يصل بهذين الفرضين حبل الرواية الى مصادرها الأولى رغبة طيبة كنا نتمنى معه أن تتحقق .

ولست بهـــذا انفى الشعر الجاهلى جملة أو أشكك فيه كله ولكنى أثبت هـذا الواقع الذى لا مفر منه والذى خضع له أدبنا القديم ، كما خضعت له آداب أخرى قديمة .

غير أن الشيء الذى لا شك فيه أن كتاب الدكتور ناصر قد أغنانا عن كتب ، وقد ضمن لنا مرجعا واحدا بدلا من التوزع بين مراجع مختلفة ، ثم هو ببابه الخامس ــ الذى هو لب البحث ــ قد خطا خطوة علمية جادة الى استقراء هذا الشعر الجاهلى ، حبذا لو تبعتها خطوات علمية جادة تحقق لنا : معجما جاهليا ، ودلالات جاهلية وخصائص جاهلية بدلا من هذا الجهد المكرر الذى يعيد نفسه ولا يتمخض عن جديد . عندها سوف نملك الحجة الجديدة التى نرد بها على هذا الزعم الجديد ، فلكل عصر مميزاته ، وابراز مميزات العصر الجاهلى هو الدليل الأول والأخير فى هذه القضية ، قضية الانتحال .

ولقد شغلنى الحديث عن هذا الكتاب فكدت انسى به الكتاب الثانى ، ولكنى أجدنى قد تكلمت عن هذا الكتاب الثانى وأنا أتكلم عن الكتاب الأول

فلقـــد خص السيد الدكتور عبـد الحميـد المسلوت كتابه بالحديث عما تحدث عنه السيد الدكتور ناصر فى أبوابه الأربعة الأولى من كتابه لم يختلفا الا فى العنوانين ، والا فى ايجاز وتفصيل، والا فى فصول عارضة زيدت هناك ولم تزد هنا . وبعـد هـذا كان لكل منهما أسلوبه فى العرض وتعقيبه على الرأى .

فلقد تكلم الدكتور عبد الحميد عن : الشعر وروايته قبل الاسلام ، والشعر وروايته فى ظل الاسلام ، والشعر وروايته فى عهد بنى أميـــة ، والرواية والرواة ، والقصص والقصاص ، ورواة الشعر ، ورواة البصرة ، ورواة الكوفة .

تكلم الدكتور عبد الحميد عن هـذا كله فيما لا يزيد عن خمس وأربعين صـــفحة . ثم دخل فيما دخل فيـــه الدكتور ناصر من الكلام على انتحال الشعر وعرض الخلاف القديم الذى ثار حول كتاب الشعر الجاهلى بتفصيله ، وأخذ يدلى فيه بآراء تنضاف الى آراء من سبقوه . واذا هذا كله تستوعبه نحو من مائة وأربعين صحفة .

ولقـد كان من بين مراجـع كتـاب الدكتور عبد الحميـــد كتاب الدكتور ناصر ينقل عنه مرة ويعقب عليه أخرى (١) .

والفرق بين الكتابين كما حدثتك ــ اذا استثنينا الباب الخامس فى كتاب الدكتور ناصر ــ هو هذا الاستيعاب الذى كان للدكتور ناصر ، وهـــذا الايجاز الذى كان للدكتور عبد الحميد .

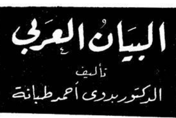
ولـكن حسب المؤلفين أنهما يؤمنـان بقضية عادلة ، وأنهما يمليـــان عن استيعاب وتحصيل وتدقيق ، وأنهما فوق هذا كاتبان قديران .

ابراهيم الأبيارى

---

(١) انظر على سـبيل المثال ص : ٤٠ و ٥٧ و ٧٣ .





الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية

عدد الصفحات : ٣٢٥ طبعة ثالثة ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٨٥ قرشا



لا يزال تراثنـــا فى مزيد من الحاجة الى أيد مخلصة تمتد اليه فى ثقة وايمان لتنفض عنـه غبار الزمن ، وتكشف عن وجهه ظلمة السنين ، وتقدمه للقارىء المعاصر فى صـورة حية مشرقة تكشف عن قيمتـــه وعن الجهود المخلصة التى بذلت فى انتاجه على طول مراحل التاريخ ليدرك الأدعياء والقاصرون أن العقلية العربية كانت منذ أوائل تاريخها عقلية خصبة خلاقة انطلقت الى كل آفاق الفكر والمعرفة لتخلف لنا ذلك التراث العظيم الذى لا يسعنا ونحن فى عصر الارتقـــاء الفكرى الا أن نحنى الرأس اجلالا له وفخرا به ثم اعترافا بفضل هؤلاء العلماء الأجلاء الذين انقضت حياتهم فى صراع من أجل الارتفــاع بهذا الصرح الشامخ من العلم والمعرفة فى كل ميـــــدان من الميادين .

وأستطيع أن أقرر فى كثير من الطمأنينة العلمية أن كتاب .. « البيان العربى » قد ملأ فى موضوعه فراغا كان لابد أن يملأ ، وأنه يعتبر خطوة موفقة فى سبيل الكشف عن صورة رائعة من صور التفكير العربى فى موضوع من أجل الموضوعات وأخطرها وأكثرها دلالة على عمق الفـــكر ونضج الذوق ودقة الاحساس ، ذلكم هو موضوع البيان العربى من حيث نشـــأته وتطوره ودلالتـــه ومباحثه ومصادره وأعلامه وقيمتـــه فى مجال الدراسات القرآنية والدراسات الأدبية ، وما الى ذلك من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع الذى أحاط الكتاب بأطرافه واستوعب جوانبه وعالج مسائله بمنهج علمى دقيق يعتمد فى الدرجة الأولى على خصب المادة وعمق الدرس ودقة التتبع ويقظة الملاحظة وبراعة الاستنتاج .

ولقد حظى موضوع البيان العربى بألوان من الدراسات الممتعة منذ أوائل هذا القرن ، ولكن تظل لهـــذا الكتاب قيمة خاصة تجعله لا يزال متميزا فى بابه متفردا فى موضوعه تلك هى اهتمامه بالتتبع التاريخى الدقيق لنشأة الدراسات البيانية وبيان مراحلها واتجاهاتها ومناهجهـــا مع ربط هذه الدراسات بكافة الملابسات والظروف التى أحاطت بها وقادت اليها ؛ ثم عرض المصـــــادر

الكبرى لهـذه الدراسات في مراحل التاريخ المختلفة مع عناية كبيرة بدراسة هذه المصادر من حيث مادتها ومنهجها ومكانها من الدراسات السابقة وأثرها في الدراسات اللاحقة ، وهكذا يحس القارىء لكتاب البيان العربي بانه يتابع في هذا الموضوع سلسلة متصلة الحلقات تمثل كل حلقة منها مرحلة من مراحل هذه الدراسة بحيث لا يكاد يفرغ من قراءته حتى تكون قد استوت لديه معرفة دقيقة شـاملة بتطور فكرة البيان العربي مرتبطة بأشهر أعلامها وأكبر مصادرها . تلك هي القيمة الخاصة لهـذا الكتاب من ناحية منهجه ومادته ، وتبقى له بعد ذلك قيمة أخرى تتعلق بدلالته على وعي العقلية العربية في مجال الدراسات الذوقية ، وكيف أن هـذا الوعي قد اسـتطاع من الناحيـة النظرية والناحية التطبيقيـة على السواء أن يلتفت الى كثير من الاشارات النقدية التي تلتقي في كثير من وجوهها مع بعض نظريات النقد الحديث ، ولقد استطاع الدكتور طبانه من خلال عرضه لمصادر الدراسات البيانية أن يبرز هـذه الاشارات ويحدد قيمتها ولا سيما عند دراسته لصحيفة بشر بن المعتمر وفلسفة الجاحظ لفكرة البيان وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر وكتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر وكتاب المثل السائر لابن الأثير ، ولقد كنت أرجو منه مزيدا من الالحاح على هـذه الناحية حتى يغطي تلك الحلقة المفقودة في تصورنا المعاصر لفكرة البيان العربي ، وحتى يشهر الحقيقة ناصعة في وجوه كثير من الأدعياء الذين يزعمون بأن قيم البلاغة القديمة كلها قد وقفت في تقديرها للنص الأدبي عند حدود الملاحظة الجزئية الشكلية مما جعلها قاصرة عن أن تكون وسيلة صالحة لاكتشاف عناصر الجمال الحقيقية في الأعمال الأدبية .

وكتاب البيان العربي يدرس — كما قلنا — تطور فكرة البيان عند الدارسين العرب منـذ نشأتها حتى اليوم ، والمؤلف يحدد هذه الدراسة في تمهيد وأربعـة فصول يعرض خلالها موضوع بحثه عرضا موفقا ، وسنحاول — فيما يلي — أن نتابع — في ايجاز — هذه الفصول حتى يمكن أن تتضح للقارىء صورة هذه المحاولة الجادة لابراز ملامح الفكر العربي في مثل هذا الموضوع الخطير .

يعالج المؤلف في التمهيد مفهوم كلمة « علوم الأدب » وما كانت تطلق عليه عنـد الباحثين القدماء مفصلين ومجملين ، وكيف أنهـا كانت تتناول عند هؤلاء وأولئك كافة العلوم التي يتقوم بها ذوق الأديب وأسلوبه وفهمه ومن جملتها علم البيـان الذي كان هو مركز الدائرة لهذه العلوم وان كانت نشأته قد تأخرت عنها لاحتياجه الى امكانيات ثقافية وفنية خاصة ؛ ثم يعالج أيضـا كلمة « بيان » من حيث اطلاقها اللغوي ومفهومها الفني ؛ ثم ينتهي التمهيد ببيان ارتباط نشأة علم البيان بالدراسات القرآنية نظرا لاحتياج الناس الى فهم معانيه وتذوق أسلوبه وادراك نواحي جماله بوصفه معجزة بيانيـة تقوم أساسا على التفرد بنسقها البلاغي ، وتلك الفكرة هي التي قام عليها الفصل الأول من الكتاب حيث يبسط المؤلف القول في هذا الفصل عن كيفيـة ارتباط الدراسات البيانية في نشأتها الأولى بالدراسات القرآنية ، وكيف كان القرآن هو المجـال الأول الذي برزت فيه جهود العلماء لاسـتنباط ألوان القيم البيانية ومحاولة تطبيقها عليه كنص يرقى ببلاغته فوق كل النصوص ، ومن هنا يتضح أن فكرة الاعجاز القرآني كانت هي الدافع المباشر لالتماس هذه الدراسـات ، ولا سيما بعد أن اتسعت حـركة الفتوح ، وأصبحت العنـاصر الأجنبية في حاجة الى تذوق النص القرآني من خـلال فكرة الاعجاز التي ترتكز أسـاسا على التوسع في تصوير قيمه البيانية ؛ ومن هنا فقد اتجهت عناية الباحثين الى دراسة المجاز في القرآن الكريم بوصفه مظهرا من مظاهر البلاغة القرآنية وصورة من صور اعجازها ، ولقد ظهرت في هـذا المجال مجموعة من الدراسات الخصبة التي تعتبر من أقوى الدعامات التي قامت عليهـا البحوث البيانية اللاحقة منهـا : « مجاز القرآن » لأبي عبيـدة معمر بن المثنى ، و « مشكل القرآن » لابن قتيبـة ، ثم « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي . وللمؤلف مع كل كتاب من هذه الكتب وقفة طويلة يدرس فيها خطته ،

ويناقش مادته ، ويوضح طريقته في تقسيماته وتفريعاته ، ثم يشرح منهجه في دراسته لأنواع المجازات القرآنية والمفاضلة بينها وبين مجازات الآثار الأدبية الأخرى ، وكيف يمكن استخلاص فكرة الاعجاز على أساس هذه المفاضلة ، وهو في كل هذا لا ينسى الهدف الأساسي الذى عقد له الفصل الأول من كتابه ، وهو أن نشأة الدراسات البيانية كانت مرتبطة أوثق الارتباط بالدراسات القرآنية وبخاصة تأكيد فكرة الاعجاز ، ثم نلتقى في هذا الفصل أيضا بصورة أخرى من صور النشاط الفكرى في هذا المجال ممثلة في مجموعة أخرى من الأبحاث الرائعة في البلاغة القرآنية مثل: « النكت في اعجاز القرآن » للرمانى ، وهو من أمهات الكتب التى عنيت بتفصيل القول في الاعجاز القرآنى واثبات أن هذا الاعجاز أساسه البلاغة ، ثم « اعجاز القرآن » للباقلانى ، وهو صورة رائعة لحذق علماء الكلام لصناعة البيان ، ثم « بدائع القرآن » لابن أبى الاصبع وهو كتاب يجتمع فيه جهد السابقين من علماء البلاغة ، ويجمع كل ألوان البديع ويطبقها في براعة على آى القرآن الكريم . وسلوك المؤلف مع هذه الكتب هو نفس سلوكه مع سابقتها من تعمق دراستها وتوضيح مناهجها ومناقشة مادتها وبيان قيمتها .

ثم نلتقى بعد هذا بالفصل الثانى الذى يعالج موضوع البيان في مجال الدراسات الأدبية بعد أن عالجه الفصل الأول في مجال الدراسات القرآنية . وفي بداية هذا الفصل يناقش المؤلف مفهوم كلمة أدب والدعامات التى يرتكز عليها هذا المفهوم ، وكيف أن هذه الدعامات هي غاية ما يشغل علماء الأدب ونقاده مهما تباعدت بينهم الأزمنة واختلفت لديهم طرق التناول ، ثم يتطور المؤلف بفكرة البيان الأدبى في دراسته لأهم أبحاثها ومصادرها كصحيفة بشر بن المعتمر التى تعتبر من أقدم الوثائق البلاغية والتى تضع كثيرا من الأسس النقدية من حيث الشكل والمضمون . والخطة الابداع ؛ ثم كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ وما اشتمل عليه هذا الكتاب الرائد من فنون البيان وألوانه والطريقة الفذة التى عالج بها الجاحظ موضوعاته في مناحيها المختلفة ، ودفاعه عن البيان العربى لمقاومة دعاوى الشعوبية ، وما الى ذلك من الدراسات التى بذلها المؤلف لاظهار قيمة هذا الكتاب ؛ ثم يتتبع المؤلف فكرة البيان بعد الجاحظ ويرقب أثر كتابه « البيان والتبيين » ويحدثنا في تفصيل ممتع عن كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبى الحسين اسحاق بن وهب ، وكتاب « قواعد الشعر » لثعلب وكتاب « البديع » لابن المعتز ، فيوضح لنا قيمة هذه الكتب وما أضافته من زيادة في التقسيمات والأنواع ، ثم يستطرد الى دراسة التفكير البيانى في القرن الرابع ، ويبين كيف اتسعت - آنذاك - دائرة هذه الدراسة ونضجت وتنوعت ومالت الى التخصص بعد تعدد روافد الثقافة واتساعها ؛ ثم يعرف بمجموعة من الأبحاث العميقة في هذا القرن مثل كتاب « عيار الشعر » لابن طباطبا وكتاب « نقد الشعر » لقدامة و « الموازنة » للآمدى و « الوساطة » للجرجانى و « الصناعتين » لأبى هلال و « الصاحبى » لأحمد بن فارس ، ومع هذه الأبحاث كلها تتأكد قدرة المؤلف على عمق الدرس ودقة التتبع ، فيعرض مادتها ويوضح منهجها ويوازن بينها ، ثم يمضى الى دراسة فكرة البيان في القرن الخامس ، ويقرر أن هذا القرن كان مرحلة النضج والاكتمال لدراسة البيان العربى حيث تنضج ثمار تلك الجهود التى بذلت في مدى القرنين الثالث والرابع .. وفي أوائل القرن الخامس يظهر كتاب « العمدة » لابن رشيق الذى لم ير فيه المؤلف شيئا من الجدة وانما هو وقوع على ثمرات السابقين وجمع لرواياتهم . أما كتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى ، وكتابا اعجاز القرآن وأسرار البلاغة لعبد القاهر فهى التى تمثل نضج الدراسات البيانية في هذا القرن ، ثم يعرض المؤلف هذه الكتب الثلاث بوعى ودقة ، ويدرس من خلال هذا العرض نظريات البيان وموضوعاته عند كل من الخفاجى وعبد القاهر وما هو الجديد لديهما من هذه النظريات وتلك الموضوعات وبخاصة عبد القاهر الذى أسهب المؤلف في الحديث عن كتابيه بما يجلى عبقريته في مباحث البيان وفنونه المختلفة ، وكيف أن مكان

عبد القاهر الحقيقى بهذه المباحث ليس فى عالم البلاغة بمفهومها الاصطلاحى بقدر ما هو فى عالم النقد الأدبى ، وهــــذه لفتة جديرة بالاعتبار اذا لاحظنا منهج عبد القاهر فى علاجه للقيم البلاغية ، وكيف أنه نحا بها منحى جماليا يعتمد على التطبيق أكثر مما يعتمد على التقعيـــــد .. ثم يستطرد المؤلف فى تتبع فكرة البيان بعـــد عبد القاهر ، ويعرض فيما عرض من أبحاث كتابا من أهم الكتب وأنضجها فى ميدان الدراسات البيانية ذلكم هو كتاب « المثل السائر » لابن الأثير ، ويبرز المؤلف فى دراسته لهذا الكتاب جملة مســـائل جديرة بالتقدير فى تفكير ابن الأثير أهمها مسألة وحدة العمل الأدبى ، وكيف أن الوحدة فى العمل الشعرى ليست وحدة البيت ولكنها وحدة القصيدة ، ومن هنا فقد عاب على النقـــاد القدماء موقفهم من التضمين ، وقرر أن أبيـــات القصيدة مترابطة وليست مستقلة وتلك نقلة هائلة نحو القيم الكلية فى التفكير البيانى وان كنا فى الواقع نرى شبيها لها فى دراســـة الحاتمى وابن طباطبا فى القرن الرابع .

وبعد هـــذا نلتقى بالفصل الثالث من الكتاب وموضوعه « البيان البلاغى » ولعل مرد هـــذه التسمية من وجهة نظر المؤلف يرجع الى انتقال الدراسات البيانية من مجال الذوق الى مجال التقعيـــد ، وربط البحوث البيانيـــة ببحوث الاستدلال والنحو التى هى أبعـــد ما تكون عن طبيعة الفن الأدبى الذى هو موضوع علم البيان ، والأثر العلمى الذى يعطينا النمط الواضح لهـــذه الدراسة هو كتاب « مفتاح العلوم » لأبى يعقوب السكاكى الذى عالج موضوع البيان بعقلية ليست بيانية على حد تعبير المؤلف ؛ فخلط دراسة البيان بالنحو والصرف والمنطق والعروض فصرفه عن قصده وبعد به عن غايته ، ويمضى المؤلف — على طريقته — فى مناقشة السكاكى فى فصول كتابه وفى منهجه ، ويشير دائما الى قصوره فى تحرير الدراسة البيانية الفنية من سيطرة المنطق ، ثم يعجب بعد هذا من تهافت العلماء على هذا الكتاب واقبالهم على شرحه ودرســـه ، والحق أن كتاب السكاكى بهذه الصورة يعتبر نكسة فى الدراسات البيانية اذا قيس بما قدمه لنا ابن طباطبا فى كتابه « عيار الشعر » وعبد القاهر فى كتابيه « اعجاز القرآن وأسرار البـــلاغة » ثم ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » .

وفى الفصل الرابع والأخير من الكتاب يتتبع المؤلف فكرة البيان الغربى فى الدراسات المعاصرة، ويمهد لهذا بكلمة ضافية ينعى فيهـــا على تلك الاتجاهات المدمرة التى تحاول أن تغض من قيمة هـــذا البيان محتمية ببعض الدعاوى الزائفة ، ويشير المؤلف بوجه خاص الى قضيـــة « الأدب الهادف » وكيف برز بعض المتشيعين لهـــذه القضية اهمال الناحية الجمالية فى التعبير الأدبى بحجة أن قيمـــة الأدب فى مضمونه لا فى شكله ؛ فما دام الأدب يعالج مضمونا واقعيا انسانيا فهو أدب بصرف النظر عن فنية التعبير .

وأريد بهذه المناسبة أن أطمئن الدكتور طبانة بأن الخرافة القـــائلة بأن المضمون فى ذاته حقيقة فنية جميلة بغض النظر عن جمال الشـــكل قد انتهت تماما ، وأصبح من البديهيـــات المسلمة فى مجال الدراسات النقدية الحديثة أن الفن مضمون وشكل ، وأن القيمة الفنية لكل عمل أدبى تتقوم من خلال هـــذين العنصرين .. أما كتاب سلامة موسى فى « البـــلاغة العصرية واللغة العربية » فما أحراه بتلك المناقشة الحادة التى أثارها فى وجهه الدكتور طبـــانة ، وحسبنا أن مثل تلك الدعاوى الباطلة لم يتح لها فى يوم ما أن تصمد أمام هذا الوعى الذى ينمو دائما بميراثنا الأدبى ولغتنا الفصيحة .. وأخيرا يعرض المؤلف طائفة من الأعمال النقية المخلصة فى مجال الدراسات البلاغيـــة ممثلة فى كتاب « دفاع عن البلاغة » للأستاذ الزيات ، وكتاب « الأسلوب » للأستاذ أحمد الشايب ، ثم كتاب « فن القول » للأستاذ أمين الخولى ويناقش المؤلف فى كثير من الرضى والتفاؤل هذه الأعمال الجليلة ، ويرى فيها امتدادا طيبا لتلك الجهود المخلصة التى بذلت على طول مراحل التاريخ لارساء فكرة البيان العربى على أسس واضحة محددة .

دكتور عبد الحكيم بلبع

تاريخ الاسلام فى الهند
نصر

تأليف
عبد المنعم النمر



الناشر : دار العروبة

٤٨١ ص ١٧×٢٤سم

الثمن ٦٠ قرشا

يعتبر كتاب تاريخ الاسلام فى الهند من باكورة الجهود التى بذلها عالم من العلماء العرب فى مجال توطيد روابط الثقافة العربية والهندية وهذا الكتاب الضخم يقع فى ٥٠٠ صفحة ، يبدأ بالمقدمة التى وصف فيها المؤلف الدواعى التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب ، ومن أهمها أن الأمة العربية فى العصر الحديث لا تكاد تعرف أن الهند كانت مجد الاسلام وحاملة لواء الحضارة الاسلامية لعدة قرون ، ولم تفقد هذه الأمة امبراطوريتها الاسلامية الا منذ مائة عام فقط ، وذلك بعد أن احتل الانجليز بلادهم وحاولوا مكرهم وخداعهم وحاربوهم بسياسة التفرقة بناء على مبدئهم وسياستهم « فرق تسد » وذلك بين صفوف المسلمين

ثم كتب عنوان « أضواء على الهند » حاول تحت هذا العنوان أن يعطى فكرة عامة عابرة عن الهند فى القديم والحديث ففى القديم تحدث عن الحضارة الهندية ونزوح الآريين الى الهند وتراثهم الفكرى مثل كتاب « فيدا » .

ثم تناول موضوع غزو الاسكندر للهند ، واديان الهند القديمة وفرقها وطوائفها ، وكذلك تحدث فى هذا الباب عن التقاليد الهندية العامة كما شاهدها أثناء زيارته وتجواله أنحاء الهند وتقاليد الهندوس وعباداتهم . وعقائدهم وتقديسهم للأصنام والحيوانات ، ثم أضفى البيان فى طبقة المنبوذين وما تعانيه هذه الطائفة من الاهانة والازدراء والعناء والتعب من الهندوكيين والمسلمين على السواء .

ثم تطرق بحثه الى اللغات العديدة فى الهند وما تعانيــه الهند من المشــاكل بسبب كثرة اللغـات .

ثم تحدث تحت عنوان « الزحف الاسلامى نحو الهند » وعن الأسباب والعوامل التى دعت الى دخول الاسلام الهند ، وكيف زحف الجيش الاسلامى بقيادة محمـد بن القاسم الى الهند فى عصر الوليد بن عبـد الملك بأمر من الحجـاج ابن يوسف ؟ وما هى الأماكن التى فتحها وضمها الى ممتلكات الدولة الاسلامية ؟ وما هى الأسباب لوقف هذا الزحف ؟ وأنهى كلامه بعد عودة محمد ابن عبـد القاسم الى دمشق ، حيث قتله الخليفة سليمان بن عبـد الملك انتقاما من الحجاج الذى كان من الد أعدائه ، ومحمد بن القاسم كان ينتمى الى أسرة الحجاج .

ثم سلك المؤلف منهج مؤرخى الهند فى تقسيم الهند بموجب العصور بعد هذه الفترة ، فالهند تنقسم الى العصور الآتية : ــ

١ ــ عصر الغزنويين (٣٨٧ هـ ، ٩٩٧ م ــ ٥٧١هـ ــ ١١٧٥ م) بدأ هذا العصر اثر الفتوحات التى احرزها محمود بن سبكتكين الغزنوى الذى تولى قيــادة البلاد الاســلامية بعد سقوط السامانيين ، وحاول المؤلف فى هذا الباب الاعراب عن عطفه واعجابه وتقديره لهــذا الفاتح الكبير ونفض الغبار عنه الذى أثاره بعض المؤرخين .

٢ ــ عصر الغوريين (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ، ٦٠٢ه / ١٢٠٦ م) بعد انقراض الدولة الغزنوية فى كل من خراسان وما وراء النهر والهند ، نهض الغوريون ، ولمعت نجومهم فى الآفاق بظهور محمد الغورى الذى فتح الهنــد ، وهو أول من أولى عنايته لانشاء الدولة الاســلامية فى الهند حينما اكتفى محمود الغزنوى بحمل خيرات الهند من ذهب وفضــة الى بلاده « غزنة » حيث أنشأ المدارس والمساجد .

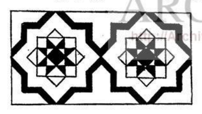
٣ ــ عصر المماليك (٦٠٢/١٢٠٦ ــ ٦٨٨ / ١٣٩٠) والسبب فى تسميته بعصر المماليك أن محمـد الغورى لم ينجب اولادا ذكورا ولا اناثا يرثون الملك بعد وفاته ، ولذلك تولى حكمه بعد وفاته مماليكه الثلاثة ، ومن أهمهم : قطب الدين ايبك الذى تولى عرش « دهلى » .

٤ ــ عصر الخلجيين (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م ــ ٦٩٥ / ١٢٩٦ م) تحدث عن جميع ملوك هــذه الأسرة ، ومن أهمهم : عـلاء الدين الخلجى أعظم ملك فى هذه الأسرة الذى وأصل غزواته الى ناحية جنوب الهنـــد لأول مـرة فى تاريخ الحروب الاسلامية ، اذ أن جنوب الهنـــد انتشر فيه الاسلام بجهود التجار العرب والمصلحين .

٥ ــ عصر التغلقيين (٦٨٩ هـ / ١٣٢٠ م ــ ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) لقد كتب المؤلف تلك الكلمة بالطاء ، أى : « الطغلقيين » ، وليس لدى سبب لهـذا التغيير ، اذ أن هذا الاسم يكتب بالتاء فى الأردية .

قد ذكر المؤلف ملوك هـــذه الأسرة ، ومن أشهرهم : محمد بن تغلق الذى وفد على بلاطه ابن بطوطة الرحالة الشهير ووصفه وصفا رائعا يعتبر من أهم المراجع لدراسة هذا العصر .

٦ ــ ثم دب الضعف والانحــلال فى الدولة الاسلامية المركزية وقامت دويلات شتى فى جميع أنحاء الهند ، وهذا العصر يعتبر بمثابة عصر ملوك الطوائف فى المشرق العربى ومغربه .



٧ ــ ثم قامت دولة اللوديين بقيادة بهلول لودى (٨٩٤ هـ / ١٥١٧ م ــ ٩٢٢ هـ / ١٥٢٦) التى قضى عليها بابر أعظم الملوك المغول .

٨ ــ عصر المغـول (٩٣٢ هـ / ١٥٢٦ م ــ ١٢٧٣ هـ ــ ١٨٥٧ م) قد أوفى المؤلف البحث فى دولة المغول وكيف قامت ؟ وما هى أهم مميزات هذا العصر ؟ ، وحاول قــدر ما استطاع ابراز مميزات كل ملك من ملوك هــذه الأسرة وميوله الخاصة ، كان بابر منشىء هذه الدولة ــ رغم نبوغه العسكرى ــ يملك ملكة أدبية جياشة وألف كتابه الشهير « بابر نامه » الذى يعتبر آية الأدب فى اللغة التركية القديمة .

« وهمايون بن بابر » وان كان أضعف ملوك المغول قاطبة الا أنه اشتهر فى الفلك والرياضة ، وله جولات واسعة فى هذا الميدان ، وأكبر ثالث ملوك المغول قام باصلاحات عظيمة وأصبح مسيطرا على أنحاء الهند وازدهرت فى بلاطه الفنون والآداب ، ولكن وجدت فيه متناقضات كثيرة ، ومن أهمها : عدم اهتمامه بالاسلام ، وايمانه بوحدة الأديان وانشاؤه دينا جديدا يسمى الدين الالهى .

كان « جهانكير » من اقوى ملوك المغول التى ظهرت فى عهده الدعوة الاصلاحية على يد المجدد الشهير أحمد السر هندى .

كان شاهجان أكثر الملوك ولوعا بالبناء والعمارات وهو الذى أنشأ « التاج محل » الذى يعتبر من عجائب العالم وآية فى الفن الاسلامى .

كان « أورنكزيب » أعظم ملك فى الهند الاسلامية الذى وجه عنايته الى الشريعة وتطبيقها فى ربوع الهند . كانت حياته صورة صادقة للخلفاء الراشدين وأمثال عمر بن عبد العزيز .

ثم دب الضعف والانحلال وتسرب الى الدولة المغولية ، وبدأ احتلال الانجليز رويدا رويدا بعد ان قامت دويلات شتى فى أنحاء الهند بدلا من الدولة المركزية الموحدة ، ومن أهمها :

١ ــ حكومة دهلى . كان يحكمها الملوك الضعفاء من الأسرة المغولية .

٢ ــ كلكتا ــ كان يحكمها سراج الدين .

٣ ــ لكهنو كان يحكمها ملوك الشيعة .

٤ ــ حيدر آباد ــ كان يحكمها الملوك من عائلة « نظام » .

٥ ــ مدراس ــ كان يحكمها محمد على .

٦ ــ ميسور ــ كان يحكمها حيدر على والسلطان تيبو .

ثم أفاض البحث فى الثورة الهندية التى اندلعت فى ١٨٥٧ م ضد الانجليز وكادت أن تقضى عليهم .

وبعد هذه العجالة السريعة والتلخيص يجدر بنا ان نذكر أهم مميزات هذا الكتاب : ــ

١ ــ قد بذل المؤلف جهودا متفانية لفهم تاريخ الهند فى أدواره المختلفة حتى وفق فيه مع أنه



واجه صعوبات جمة من حيث اللغة ، لأن تاريخ الهند يحتاج لتأليفه ودراسته دراسة صحيحة سليمة الى الالمام التام بثلاث لغات هى : الأردية والفارسية والانجليزية ، اذ أن جميع المراجع الهامة منتشرة فى هذه اللغات فالمؤلف ــ وان لم يتعلم هذه اللغات الثلاث ــ استطاع الاتصال بمن يجيدها ، كما عرض على المتخصصين فى التاريخ الهندى صعوباته ورغبته الأكيدة فى تأليف تاريخ الهند ، رغم الموانع والعوائق التى تعرض لها ووقفت حائلا دون تحقيق رغبته ، لقد مد هؤلاء اليه أيديهم فى اعداد ما يطلبه منهم عن طريق الاقتباسات والترجمة من هذه اللغات الى اللغة العربية حتى استطاع المؤلف تأليف هذا الكتاب القيم وتذليل جميع الصعوبات التى أعترضت طريقه ومنعته من السير .

وللمؤلف منة كبيرة ويد بيضاء على المسلمين الهنود لانه فى مقامه القصير فى الهند لم يكتف بأداء مهمة التدريس التى أسندت اليه والتى قام بها خير قيام على أكمل وجه فى مدرسة «ديوبند» بل كرس جهوده أيضا فى دراسة تاريخ الهند ، كما يدرس طالب مجتهد لاعداده رسالة فى الدراسات العليا ثم قدم للأمة العربية « تاريخ المسلمين فى الهند » الذى دام قرابة تسعة قرون وبهذا يعتبر الكتاب اضافة جديدة الى اللغة العربية فى مادة التاريخ ، لأن العلماء والكتاب العرب لم يوجهوا ادنى عناية نحو دراسة تاريخ

الهند دراسة شاملة واعية كما عنى به أسلافهم مثل المسعودى ، والبيرونى ، وابن بطوطة وغيرهم ، اللهم الا محاولات لبعض جوانب تاريخ الهند بذلها بعض الكتاب العرب المشهورين امثال الدكتور أحمد أمين الذى أعطى للهند مكانة مرموقة فى كتابه « زعماء الاصلاح » والأستاذ المرحوم « عباس محمود العقاد » فى بعض كتبه ، والأستاذ على أدهم والدكتور الساداتى والدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الاسلامى » ولكن الحاجة كانت ملحة — ولم تزل — لوضع كتاب مستقل فى تاريخ المسلمين الهنود ، فالشيخ عبد المنعم النمر قام بدوره بأداء هذه المهمة وسد هذا الفراغ بجهوده الجبارة المشكورة .

٢ — لم يكتف المؤلف بسرد الأحداث كما قرأها أو نقلها من الكتب ، بل حاول أيضا ابراز شخصيته بتعليقاته على هامش الأحداث ، ونقده ومشاهداته التى أضافها الى كتابه بعد أن اتيحت الفرصة النادرة له للقيام بتجوآله ورحلاته العديدة فى جميع أرجاء الهند ورؤيته الآثار الباقية التى خلدها الملوك المسلمون على مر العصور .

وأول ما يذكر بهذا الصدد أنه أشبع الباب الذى كتب تحت عنوان « أضواء على الهند » بمشاهداته لمراسيم الهند وتقاليدها فى مختلف المناسبات والغابات الهندية والأشجار والديانات ، فمثلا قال فى الأشجار : وقد شاهدت فى الهند أشجارا لم أرها فى حياتى ، كما شاهدت كذلك أزهارا غريبة فى ألوانها وروائحها ، وكثيرا من الفواكه والمحصولات التى لا نزرعها فى مصر مع اعتقادى أنه يمكن زرعها لو عنينا بزراعتها « ص ٩ » .

... وحينما تحدث عن الدين الالهى الذى أبدعه الإمبراطور المغولى جلال الدين أكبر لم يمر سريعا بهذا الحدث الخطير بل وقف فيه وقفة العالم المحقق يفند آراء « اكبر » وعقائده شأنه فى ذلك شأن العلماء المخلصين الأزهريين ، وكذلك اتخذ موقفا عادلا تجاه الامبراطور محيى الدين أورنكزيب الذى اتهمه الأعداء بأنواع من التهم مثل التعصب والتزمت .

وأحسن مانرى فى هذا الصدد رأيه فى عدم انتشار الاسلام بين المنبوذين الهنود ، مع أن المسلمين حكموا الهند ما يقرب من تسعة قرون ، قال فيه المؤلف — وهو على صواب فى رأيه هذا — « على أن الحكام المسلمين الذين حكموا الهند أكثر من ثمانية قرون لو وجهوا عنايتهم الى هؤلاء « أى المنبوذين » لأمكن لهم أن يحققوا غرضهم ، فقد كانت الدولة الاسلامية حينذاك قادرة على أن تسن لهم القوانين التى ترفع مستواهم ، وتفتح لهم المدارس ، وتعاونهم بالمال ، وتعاملهم معاملة حسنة تشعرهم بما فى الاسلام من حرية ومساواة واخاء وحينئذ كان من الممكن ان يقبلوا على الاسلام وهم عشرات الملايين ، ولكن لم يتجه الحكام لمثل هذا فظل المنبوذون كما هم منذ أن حكمت عليهم شريعة « منو » بأن يبقوا داخل نطاق طائفتهم لا يخرجون عنها ولا يرتفعون الى غيرها : الأولاد يرثون الآباء فى ضعتهم ومهانتهم ؛ ولا ننكر — مع هذا — أن بعض هؤلاء المنبوذين دخلوا الاسلام بفضل بعض الجهود الفردية للمسلمين ، فوجدوا معاملة طيبة ، وكانوا هم وجميع المسلمين سواء الا فى ناحية الزواج » .

ثم علق فى الهامش على هذا القول قائلا : تتحكم فكرة الطبقات بين المسلمين فى ناحية الزواج على الأخص فهم اما صديقى او فاروقى أو عثمانى أو سيد « أى الشريف » نسبة الى الخلفاء الأربعة .. الخ (ص ٣٢ — ٣٣) .

٣ — وأروع ما كتب المؤلف هو بابه الأخير تحت عنوان : —

« الثورة الهندية » ولعل سبب اجادة هذا البحث يرجع الى اقامته فى مدرسة « ربونيد » التى ظلت مهد الثورات التحررية . لأن الرعيل الأول لهذه المدرسة كرسوا حياتهم فى سبيل النضال والكفاح لنيل الاستقلال وطرد الانجليز .

وبعد ابراز هذه المحاسن يحسن بنا الرجوع الى ما أورده المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب ، وهو قوله :

« فهذا هو الكتاب بين يديك ، يقدم نفسه بنفسه ، لا ادعى أننى قد بلغت فيه درجة العصمة من الخطأ ، فهذا مستحيل ، ولكن الذى يمكن أن ادعيه اننى بذلت اقصى جهد أملكه فى تقديمه اليك بصورة وافية تنبئك عن هذا التاريخ المجيد ، فان وجدت فيه نقصا أو خطأ فانى أكون شاكرا لو تفضلت بتنبيهى اليه ، حتى أتداركه فى طبعته الثانية التى أعتقد أنها ستضم زيادات وتنقيحات مما يمكن أنتمدنى به وتدلنى أنت عليه ، وما يمكن أن أضمه اليه من معلومات جديدة تتكشف لى ، فهذه طبيعة الأشياء دائما : فى تطور » .

حقا لا يمكن لأحد ادعاء أنه اجاد بحثه اجادة تامة لا يمكن فيه الجدل أو المناقشة ، بل وفى هذا الكتاب الذى يؤرخ لأمة كبيرة دام عهدها فى الحكم قرابة تسعة قرون ، يمكن أن تبقى فيه ثغرات تحتاج الى ملئها فى الطبعة الثانية ولا سيما اذا قدرنا الظروف الصعبة التى واجهها المؤلف أثناء تأليف هذا الكتاب ، وهى عدم توفر جميع المراجع والمصادر فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وعدم اجادته اللغة الأوردية وكذا الفارسية والانجليزية أيضا التى هى حافلة بهذه المصادر ، ولذا سوف أبدى ملاحظاتى كطالب مغرم بتاريخ الهند الاسلامية وحضارتها من ناحيتين :

١ ـ أولاهما : الناحية الموضوعية .

٢ ـ ثانيتهما : فى المراجع والمصادر .

ففى الأولى سنذكر بعض الجوانب الهامة التى أغفلها المؤلف مع أنها فى حاجة ملحة الى تبيانها وبدونها لا يتم هذا التاريخ وهى كما يلى : ـ

١ ـ ففى الباب الأول حين تحدث عن غزوات محمد بن القاسم فى الهند ختم البحث عن محمد ابن القاسم دون أن يتعرض لخلفائه الذين حكموا الهند من جانب الخلفاء فى دمشق ثم فى بغداد حتى سنين طويلة . لأن هذا البحث وثيق الصلة بالعلاقات العربية والهندية اذ أن العرب حكموا الهند فى هذه الآونة مباشرة ، وتبادلت بينهما علاقات كثيرة ، ومن أهمها الناحية الثقافية والدينية ، وينبغى لنا أن نذكر ـ بهذا الصدد ـ أن الأمير داود بن نصر بن وليد النعمانى تولى أمر السند بعد محمد بن القاسم ، ثم ظل يحكمها ولاة الأمويين فى دمشق سنين طويلة حتى وقعت الفرقة فى صفوف العرب ودبت بينهم الخصومات والمنازعات مما أدى الى قيام دويلات شتى فى أنحاء ولاية السند ومن أشهرها الملتان والمنصورة .

كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى هذه الآونة وكان بنو سامة آخر أسرة عربية حكمت الهند فى هذه الفترة . ثم قامت الدعوة الفاطمية وبلغت أوج نشاطها حتى قامت لهم الدولة عندما تولى الحكم فى مصر العزيز بالله الفاطمى ، فخطب الفاطميون فى الملتان للخليفة الفاطمى ، لا نريد الاطالة فى هذا الموضوع وللتفصيل يحسن الرجوع الى مقالنا « الدولة الفاطمية فى الهند » فى « المجلة » عدد أكتوبر سنة ١٩٦٣ .

٢ ـ لم يوضح الفرق بين محمود الغزنوى ومحمد الغورى ، اذ الأول لم يستهدف الا شن الغارات على الكفار على حد اعتقاده ، وسلب القوت ونهب الأموال من الهند وتصديرها الى بلاده « غزنة » على حين استهدف محمد الغورى انشاء الدولة الاسلامية فى الهند وقرر البقاء فيها .

٣ ـ كان ينبغى للمؤلف وهو يتكلم عن انتشار الاسلام بعد غزوات محمود الغزنوى ومحمد الغورى أن يعقد بابا مستقلا لوصف انتشار الاسلام فى أنحاء الهند ، ففى الحقيقة أنه ترك فراغا كبيرا لابد من تسديده ، لأن الاسلام انتشر فى هذه الآونة بجهود وكفاح آلاف من العلماء والمتصوفين الذين وفدوا الى الهند من بلاد العرب والعجم ، مثل المصلح الكبير خاجا معين الدين الجشتى الذى نشر الاسلام فى أجمير ونواحيها (فى شمال الهند) حيث لم يصل الجيش الاسلامى بعد .

وكذلك كان لتلاميذه ومن سبقه من المجاهدين دور كبير فى انتشار الاسلام فى شمال الهند

وجنوبها ، ولهذا كان ينبغي على المؤلف وهو يؤرخ هذه الفترة الحاسمة من التاريخ أن يوفى هـــذا الجانب وكان يساعده فى هذا الصدد الدعوة الى الاسلام للأستاذ « أرنولد » الذى تمت ترجمته الى العربية مبكراً ، وكتاب «بزم صوفية» للأستاذ صباح الدين عبـــد الرحمن بالأوردية ، وكتب أخرى كثيرة .

٤ ــ وفى صحيفة ١١٨ من كتابه حين تحدث عن الملك علاء الدين الخلجى ، مر مرورا سريعا دون وقفة طويلة فيه ، فلم يسترع انتباهه نتائج غزواته لجنوب الهند ، وهذه الغزوات تحتل مكانا خطيرا فى تاريخ الاســلام بالهند ، اذ أن الأمواج الهائلة للجيوش الاسلامية التى ظلت تتدفق على شمال الهند منذ عصر محمد بن القاسم دخلت جنوب الهند لأول مرة ، وبهـــذا التقت جنوب الهند بشمالها التقاء ثقافيـــا وسياسيا ، وقبل وصفه لهذه المرحلة كان ينبغى للمؤلف أن يشرح انتشـار الاسلام فى هــذه المنطقة ، وهنـــاك آراء متناقضة بهـذا الصـدد ، طائفـة من المؤرخين يقولون : ان الاسلام انتشر فى جنوب الهند بجهود الجاليات العربية والتجار العرب فى حين يدعى الدكتور محمد حسين نينار فى كتابه Arab Geog-raphers Knowledges South India أن هؤلاء العرب ليس لهم أى دور فى انتشار الاسلام فى هـــذه المناطق .

وبما أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر الاسلام بسبب ارتباطهـا ببلاد العرب منذ أقدم العصور ـ كما وصف المؤلف نفسه بعض وجوهه ـ فقـــد أثر تأثيرا كبيرا فى أفـكار وآراء زعمـاء الهنـــدوكيين الذين نبغوا فى هذه الفترة ، لقد أصبحت جنوب الهند فى هذا العصر مهد الثقافة الهندوكية وظهر فيها أعظم مفكر هندوكى وهو « سانكار اتشارى » الذى تجاوب مع الفـكر الاسلامى الى حد بعيد كما ذكره المؤرخ الهندوكى الكبير المعاصر الدكتور « تاراتشـند » فى كتابه Influence of Islam on Indian Culture ولكن المؤلف لم يطرق هذه الجوانب .



٥ ــ ففى صحيفة ١٢٦ حينما تحدث عن الأسرة الطغلقية لم يسترع انتباهه ما حدث لأول مرة فى تاريخ العرب والمسلمين الهنود من توطيد أواصر العلاقات السياسية والثقافية بينهما . وذلك ان السلطان محمد بن تغلق اتصل بالخليفـــة العباسى فى مصر رغم أن الخلافة لم يبق لها من أثر الا الاسم دون النفوذ وبايعه وطلب منه الاذن ليحـــكم الهند نيـــابة عنه وذلك حبا للعرب والعباسيين والخلافة الاسلامية .

وكذلك وفد على بلاطه علماء كثيرون من البلاد العربية وأشهرهم ابن بطوطة الرحالة الشهير ، والشيخ عبد العزيز الأوردبلى أحد تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية الذى أثر فى الملك تأثيرا كبيرا مما حدا به أن يحب العرب والاسلام من أعماق قلبه (رحلة ابن بطوطة ٣ ــ ١٥٨) .

٦ ــ قد تكلم فى صحيفتى ٣٢ ــ ٣١٦ فى اللغة الأوردية وقال انهـا أحدث اللغات الهندية التى لا يرجع تاريخها الا الى اكثر من اربعة قرون ، وهذه فكرة خاطئـة تحتاج الى دراسة وتحقيق وتعمق ، وفى الحقيقة أن الأوردية كانت تسمى قبل الاسلام « براكرت ، وبرج بهاشـــا » وقد استمدت الكلمات والتعبيرات والحروف فى العصر الاسلامى ، فأصبحت كأسـلوب مباين للهندية التى لا تختلف عنها الا فى بعض الكلمات فقط ، وقد أشبع هـــذه الناحية كل من الاســتاذين الكبيرين السيد سليمان الندوى فى كتابه « نقوش سليمانى » وعبد القادر سرور فى كتابه « اردوكى ادبى تاريخ » أى التاريخ الأدبى الأردى



٧ ــ وبعد سقوط الامبراطورية المغولية قامت فى الهند الاسلامية دويلات شتى أشهرها :

١ ــ حكومة ميسور .

٢ ــ حكومة آركات أوكرناتك « فى ولاية مدراس » .

٣ ــ حكومة حيدر آباد .

٤ ــ حكومة كلكتا .

٥ ــ حكومة أوده .

٦ ــ حكومة دهلى .

ولكن المؤلف لم يتحدث عن جميع هذه الحكومات وان تحدث عن « حكومة أوده » بالصدفة فقط . وبهذا أصبحت هذه الفترة من الزمان غير مقنعة من الناحية التاريخية .

٨ ــ قد عنى المؤلف عناية خاصة بالتاريخ السياسى للمسلمين فى حين أن النواحى الثقافية والحضارية والأدبية هى الأخرى كانت فى حاجة ملحة الى عرضها واشباعها ، لعل المؤلف سوف يتناول هذا الجانب فى الطبعة الثانية ان شاء الله حتى يتلاءم أسم الكتاب مع ما يفهم منه والا يكفيه أن يسمى « التاريخ الاسلامى السياسى فى الهند » .

الملاحظة الثانية : ــ

وفيما يتعلق بالمصادر التى رجع اليها المؤلف ، فله العذر ، اذا لم يكن يرجع الى أمهات المصادر فى اللغات الفارسية والأردية والانجليزية كما قلنا .

فلا شك أن معلوماته كلها فيما يتعلق بالهند وتاريخها وسرد الأحداث ، ووصف المعارك ، وكذلك الوقائع صحيحة لا غبار عليها ، ولكن بعض المصادر التى رجع اليها أو ذكرها المؤلف ضعيفة لدرجة أنها لا تتلاءم مع ضخامة هذا الكتاب وأهميته ، فمثلا : رجع المؤلف الى كتيب « حقائق عن الهند » فى صحيفة رقم ٢ ، وهو من المنشورات التى تعتبر من قبيل الدعاية والتى تصدر عن السفارة الهندية بالقاهرة ، وحينما تكلم فى الحضارة الهندية القديمة ــ فى مقدمة كتابه ــ وتاريخ الهند عامة كان ينبغى له أن يرجع الى الكتب الهندوكية القديمة الهامة وكذا الكتب الانجليزية The History of Indian People لمجموعة من المؤرخين الهندوكيين وكتاب The Indian History للمؤرخ Elfiston وكتاب Survey of India للمؤرخ Panikar وكتاب : تاريخ الهند لهنرى ايلت ، وكتاب تاريخ «سنده» (أى تاريخ السند باللغة الأردية) للأستاذ أبو ظفر الندوى وكتب أخرى كثيرة ومما يستدعى الغرابة أن كتاب « تحقيق ما للهند » للبيرونى لم يسترع انتباه المؤلف حينما تحدث عن الفرق الهندية وطوائفها مع أن هذا الكتاب يعتبر من المراجع الأساسية حتى للهندوكيين والافرنج .

وفيما يتعلق بعصر المماليك لم يتمكن المؤلف من الوصول الى أمهات الكتب والمصادر والمراجع التى كتبت قديما بالفارسية ، فكان ينبغى له على الأقل الرجوع الى كتاب « بزم مملوكية » للأستاذ السيد صباح الدين عبد الرحمن باللغة الأردية .

هذا ، واما العصر المغولى فلم يستفد فيه المؤلف من كتابى « علماء هنـــد كاشاندا وماضى » أى الماضى الذهبى لعلماء الهند للأستاذ محمد ميـان و « نقش حيات » أى آثار حياتى ، للشيخ حسين احمد المدنى استفادة كاملة مع انه اشار اليهما فى موضع غير لائق ، لأن هـــذين الكتابين يعتبران مادة خصبة غزيرة لمعرفة الحيـــاة الاقتصادية والسياسية والعمرانية والمدنية لعصر المغول حتى احتلال الانجليز للهند .

وحينما أرخ المؤلف لمنطقــة جنوب الهند كان واجبا عليه اذن ولا يغنيــه أى شىء عن الرجوع الى هذين الكتابين فى اللغة الأوردية وهما :

« سلطنت خـــدادار ، وتاريخ جنوب الهند للأستاذ محمود بنكلورى ، ولكن المؤلف لم يفعل ذلك .

وكذلك رجع المؤلف بين حين وآخر الى مذكرات المدارس الثانوية (راجع ص ٩٠ ، ٩٣) مما لا يليق لكتابه القيم الذى يتنــاوله العرب من الأساتذة والمثقفين .

وكذلك وجـــدت اخطـاء فى أســـماء بعض الشخصيات مثل : مولانا محفوظ الرحمن (فى صحيفة ى فى المقدمة) مع ان اسمه مولانا حفظ الرحمن رئيس مؤسسة جمعية علماء الهند » .

ومن المبالغة فى نفس هـذه الصحيفة قوله فى مولانا محمد ميان أنه مؤرخ كبير مع أنه مجرد زعيم سياسى ومؤلف كتــاب « مسلمانان هند كاشاندا وماضى » فلا نعتبره من المؤرخين مطلقا .

ومما لا يتلاءم مع الحقائق التاريخية أن يذكر المؤلف فى موضوع تاريخى هام قول زعيم سياسى معاصر وهو مولانا حفظ الرحمن فى لقـاء ودى بينهما فيما يتعلق بأبواب معبد سومنات ونقلها الى الهند (ص ٩٣) دون الرجوع الى مصـــدر موثوق به .

وهذه هى بعض النواحى الهامة أردت أن ألفت نظر المؤلف اليها لكى يتداركها فى الطبعة الثانيــة كما وعدنا فى المقـــدمة ، فلم أبد هذه الملاحظات الا كمواطن من تلك البقعة التى أرخ لها المؤلف ، ودارس تاريخهــا المجيد ، متمنيا أن يكون هـــذا الكتاب الوحيد فى تاريخ الاسلام فى الهند ، كما نرجو أن يكون مرجعاهاما فى اللغة العربية ، حتى تكلل جهود المؤلف بالنجاح . وتفتح أمامه بعض الآفاق الجديدة التى لم تسترع انتباهه من أول وهـــلة .

محمد اسماعيل الندوى

سطور من كتاب ٠٠٠٠

« والقيمة الكبرى لسقراط الأفلاطونى تتمثل فى دفاعه الرائع عن العقل باعتباره المثل الأعلى ، وفى تصوره الرفيع الواضح لما يتطلبه العقل ، وان سقراط ليؤثر فينا ، أكثر من أى شخص آخر ممن روت الكتب أنباءهم ، بالأهمية الكبرى لأن نفكر أسلم تفكير ممكن بحيث نجعل أفعالنا مطابقة لأفكارنا ٠٠٠٠ والواقع أن محاورة الدفاع قد جعلت من سقراط الشهيد الأول للعقل ، كما قد جعلت الأناجيل من المسيح الشهيد الأول للايمان » .

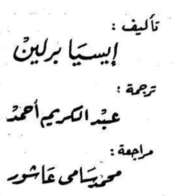
٠٠٠٠ الموسوعة الفلسفية المختصرة

سطور من كتاب ٠٠٠٠

« ان تعليم اللغات « بالتليفزيون » يبلغ جمهورا أوسع نسبيا ، وانه يلاقى ترحابا وتحمسا وان وسائله مازالت بعد فى طور التشكيل ، وطرقه تحتاج الى بلورة أكثر والى تثبيت . ولكن مهما كانت نقط ضعفه الحالية فان هذا التعليم موضع التقدير كاضافة الى الفرص القليلة المتاحة لتعليم اللغات الأجنبية ، التى أصبحت حاليا فى متناول الكبار والصغار » .

٠٠٠٠ التعليم عن طريق التليفزيون

كارل ماركس





الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع دار القلم

٣١٨ ص - ٢٤×١٧سم - الثمن ١٥,٥ قرشا

« ليس هناك من بين مفكرى القرن التاسع عشر من ترك أثرا مباشرا قويا متعمدا فى الجنس البشرى مثل كارل ماركس » . بهذه العبارة يستهل ايسيا برلين كتابه الذى نقله الى العربية الأستاذ عبد الكريم أحمد ، فى أسلوب يتسم بالدقة والرصانة ، وهو حلقة جديدة فى سلسلة « من الفكر السياسى والاشتراكى » التى تشرف على اصدارها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

والكتاب على صغر حجمه نسبيا ، اذ يقع فى ٢١٨ صفحة من القطع الكبير ، يعرض لنا بصورة موضوعية ، المعالم الرئيسية فى حياة كارل ماركس ، ونشاطه النظرى والعلمى ، والعناصر الجوهرية فى « نظامه » الفلسفى من جوانبه الحاسمة ، كما يلقى قدرا من الضوء على أخلاقه وصفاته .

ولد ماركس بمدينة تريف بالقطاع الألمانى من حوض الرين فى ٥ مايو من عام ١٨١٨ ، وكان أبوه يهوديا تحول الى المسيحية ، والتحق بجامعتى بون وبرلين ، ثم عمل فى صحيفة راينيش زيتونج حيث بدت قدرة فى البحث والتحليل والاثارة ، ولكن تحت تأثير القوى الرجعية اضطر الى الانتقال الى باريس حيث تولى تحرير مجلة راديكالية اخرى ، ولكن اهتماماته تحولت الآن الى السياسة والاقتصاد . ومرة أخرى توجه الى بروكسل . وأخيرا انتهى به المطاف الى لندن ، حيث عاش فيها ، أو بعبارة أدق عاش فى مكتبة المتحف البريطانى التى وصفها بأنها « الموقع الاستراتيجى المثالى لدارسى المجتمع البورجوازى » ، و « مخزن

الذخيرة الذى يبدو أن أصحابه لا يدركون أهميته » .

وكان ماركس حساسا معتزا بنفسه ، يطالب دنياه بمطالب عظيمة ؛ ومن ثم فان صنوف الأذلال الحقيرة ، والاهانات التى عرضته لها ظروفه وخيبة أمله فى الحصول على المركز المسيطر الذى كان يعتقد أنه كفء له ، وكبت حيويته الطبيعية الهائلة ، كل ذلك « جعله ينطوى على نفسه فى نوبات من الحقد والغضب الجامح » ، وجدلها متنفسا فى كتاباته « وحملات الانتقام الوحشية الطويلة التى كان يوجهها الى بعض الناس » كما فعل مع برودون وباكونين مجن نذكرهما على سبيل المثال . وكان يشعر بكراهية صادقة للظلم ، ولكن حياة الشقاء والحرمان الماديين ، زادت من حقده على الفقر وما يجره على صاحبه من عبودية ومذلة

وتعرض ماركس فى شبابه لمؤثرات فكرية ، فقد جعله أبوه يطالع مؤلفات فولتير ولوك وديدرو ودرس فلسفة هيجل التى تذهب الى ان التغيير هو القاعدة آلتى تسير عليها الحياة ، فكل فكرة تولد حتما نقيضها ثم تتحداه فى تآلف يولد بدوره نقيضه ، ومن هنا فالتاريخ ليس الا تعبيرا عن هذه الحركة الدائبة من الأفكار المتعارضة . ولكن ما لبث أن طلع فيورباخ ليعلن أن القوة المحركة فى التاريخ ليست قوة روحية ، ولكنها مجموعة الظروف المادية التى تدفع الناس فى فترة معينة الى التفكير والتصرف على نحو معين . وهنا رأى ماركس أن فلسفة هيجل قد اقامت صرحا جميل المنظر من الفاظ وضع بعضها فوق بعض ، وان من واجبه أن يقيم صرحا آخر واقعيا ، أو كما قال ، لقد رأى المنطق الجدلى عند هيجل يقف على رأسه فكان لابد أن يجعله يقف على قدميه . واخذ ماركس عن سان سيمون رأيه فى أن نمو العلاقات الاقتصادية هو العامل الحاسم فى التاريخ ، وأن التطور التاريخى صراع دائم بين طبقات اقتصادية . ومما من شك أيضا أنه تأثر بأفكار الاقتصادى الانجليزى ريكاردو فى تحليل قيمة العمل واتخذ منه مادة يبنى عليها نظريته « فائض القيمة » المعروفة التى هى — عنده — جوهر الاستغلال الرأسمالى .

ويرتبط اسم ماركس بما يقال لها « المادية التاريخية » . انه لم ينشر على الاطلاق عرضا رسميا لها ، ولم تظهر فى كتاباته الا فى صورة شذرات ، وجاء أوسع ما كتبه عنها فى « الأيديولوجية الألمانية » وهو مؤلف فى ٦٠٠ صفحة اشترك فى وضعه مع فردريك انجلز . ويلخص ماركس رأيه فى نبذة معروفة وردت فى « نقد الاقتصاد السياسى » بقوله « ان الناس فى الانتاج الاجتماعى الذى يقومون به يدخلون فى علاقات محددة مستقلة عن ارادتهم ولا غنى عنها ؛ وعلاقات الانتاج هذه تقابل مرحلة محدودة من نمو قدراتهم المادية فى الانتاج ، ويؤلف جماع علاقات الانتاج البنيان الاقتصادى للمجتمع — وهو الأساس الحقيقى الذى يقوم عليه البناء الفوقى Superstructure ، القانونى والسياسى ، والذى تقابله صور محددة من الوعى الاجتماعى

.. وفى مرحلة معينة من نمو قوى الانتاج المادية تدخل هذه القوى فى صراع مع علاقات الانتاج القائمة أو .. مع علاقات الملكية .. وتتحول هذه العلاقات من صور لنمو قوى الانتاج الى أغلال تقيدها ، وعندئذ تأتى فترة الثورة الاجتماعية » .

وكان مركز « عصبة الشيوعيين » بلندن قد عهد الى ماركس بكتابة وثيقة تتضمن تحديدا لمعتقدات العصبة وأهدافها ، فكانت النتيجة فى عام ١٨٤٨ « البيان الشيوعى » وان اشترك فيه انجلز وان كان من المستحيل أن نعرف نصيب الأخير فيه . ويعلق المؤلف على تلك الوثيقة بقوله « جاء هذا البيان عملا يكاد يصل الى حد العبقرية . فما من حركة أو قضية حديثة أخرى يمكن أن تزعم أنها انتجت شيئا يقارن به سواء فى أسلوبه أو قوته » ، و « تأثيره على الأجيال المتعاقبة لا يوازيه تأثير خارج تاريخ الأديان ، ولو ان مؤلفه لم يكتب شيئا آخر لكفاه » . ان نظرة ماركس الى التاريخ ، كما حللتها المادية التاريخية ، ثورية وبعيدة الغور . ولكن الديالكتيك يؤدى أيضا الى المستقبل ، وذلك المستقبل على ما اظهر « البيان » يشير الى ثورة شيوعية لا مفر منها . « ان تاريخ كل المجتمعات السابقة (كما

يقول البيان) هو تاريخ الصراع بين الطبقات » ، واليوم نجد « أن نمو الصناعة الحديثة .. يزيد من تحت قدميها نفس الأساس الذى تنتج عليه البورجوازية وتقسم المنتجات » ، وما تنتجـــه البورجوازية هو الأدوات التى ستقضى عليها ، أى البروليتاريا وهى الطبقة التى ســـوف تتحرر وبعملها هذا تحرر الجنس البشرى كله ، ومن ثم يبدأ التـــاريخ الحقيقى للانسانية ، كانت هـــذه الصرخات نبوءة ونذيرا .

وأخيرا ، وبعـــد سنوات طوال مضنية من الدراسة العميقـة نشر المجلد الأول من « رأس المال » فى سنة ١٨٦٧ ، فكان ظهوره « حدثا هاما فى تاريخ الاشتراكية الدوليـة وفى حياة ماركس نفسه . وقد كتب على صورة بحث شـــامل فى قوانين التنظيم الاقتصـــادى للمجتمع الحـــديث وطريقة تكوينه ، يهدف الى وصف عمليات الانتاج والتبادل والتوزيع كما تحدث بالفعل ، وتفسير حالتها الراهنة بوصفها مرحلة بذاتها من مراحل النمو أوجدتها حركة الصراع الطبقى ... ويتناول المجلد الأول عمليات الانتاج ؛ أى العلاقة بين الآلة والعمل من ناحية ، والعلاقة بين المنتجين الفعليين (العمال وأولئك الذين يستخدمونهم ويوجهونهم) من ناحية أخـــرى . أما المجلدات الباقية ، التى نشرت بعد وفاته ، فقدتناولت الأساليب المستعملة فى تسويق المنتجات المنتهية . والفكرة العامة التى تتخلل المؤلف كله تشبه التى وردت فى البيان وفى كتابات ماركس الاقتصادية الأخرى ، فهى تتبع ظهور البروليتاريا الحديثة عن طريق ربطها بالنمو العام للوسائل الفنية فى الانتاج .

ومات ماركس بقرحـــة فى الرئة فى ١٤ مارس ١٨٨٣ ، ولـكنه « بتغييره النظرة لسائدة حتى وقته عن علاقة الفرد ببيئته وزملائه ، قد أدخل تغييرا ملموسا على هذه العلاقة نفسها ؛ ومن ثم ظل أكبر قوة بين القوى الفكرية التى تغير اليوم بصورة مستمرة الأساليب التى يفـكر بها الناس ويعملون » .

دكتور راشد البراوى

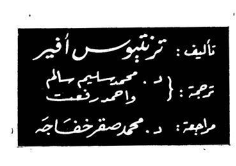
سطور من كتاب ...

« ها أنذا الذى تريدون حضـــوره . أريد أولا أن أقص عليكم احساسى ساعة انفصال روحى . لقد أحسست حينذاك اهتزازا عنيفا ، ثم تذكرت بغتة ولادتى وسنى شبابى فسنى نضوجى .. وعادت جلية الى ذهنى ذكريات حياتى . وأحسست رغبة فى أن أجد نفسى فى المناطق التى تكشف لنا عنها عقائدنا العزيزة علينا . لقد صرت طليقا ورقد جسدى خاملا » .

... الانسان روح لا جسد







مؤلف هاتين المسرحيتين هــو « پوبليوس ترنتيوس أفر » الذى ولد حوالى سنة ١٨٥ ق.م بمدينة قرطاجنة بشمال أفريقيا ثم انتقل الى روما فى طفولته كعبد اشتراه « ترنتيوس لوكانوس » عضو مجلس الشيوخ الرومانى الذى منحه قسطا وافرا من التعليم ثم أعتقــه وخلع عليه اسمــه (ترنتيوس) .

أما أصله الأفريقى فواضح لنا من لقبه « أفر » Afer (أفــريقى) الذى عــرف به اذ يدعى Publius Terentius Afer وقد كانت موهبته وذكاؤه سببا فى تحريره كما كانا السبب فى انضمامه الى الجمعية الأدبية التى تكونت فى عصره والتى كان يرعاها سكيپو الأفريقى الأصغر ، وبذلك أصبح صديقا لأشراف روما الذين كان غرضهم ادخال الثقــافة والحضارة اليونانية الى روما .

ولقد أوقف ترنتيوس حياته على كتابه الملهاة المأخوذة عن المسرح اليونانى . وبعــد أن كتب ست مسرحيات باللغة اللاتينية بين سنتى ١٦٦ و ١٦٠ ق . م ذهب الى بلاد اليونان ســنة ١٦٠ ق . م ونحن لا نعــرف السبب الحقيقى الــذى حفزه على القيام بهذه الرحلة ولكن من المحتمل انه ذهب لدراسة الحياة اليونانية ليساعده ذلك فى تصوير شخصيات مسرحياته . وقــد توفى بعد سنة من هذه الرحلة ، وقد اختلف المؤرخون فى معرفة مكان وفاته وكيفية موته ، فبعضهم يقول انه غرق فى البحر عند عودته الى ايطاليا والبعض الآخر يقول انه توفى بالحمى فى قــرية من قــرى « اركاديا » .

أخــذ ترنتيوس ملهاته عن كتاب الكوميديا اليونان وأهمهم . « مناندروس » . وقد مرت الكوميديا اليونانية بثلاث مراحل ، المرحلة الأولى فى عصر پريكليس حيث بلغت حد الكمال فى ملهاة « اريستوفانيس » التى تنطوى تحت اسم مرحلة « الكوميديا القديمة » وقد كان أهم الكتاب الأول لهــذه المرحلة « يوپوليس » و « كراتينوس » و « فرينيكوس » ولم يتبق لنــا الا القليل من مسرحياتهم فيما عــدا أرستوفانيس فقد ترك احــدى عشرة مسرحية كانت معظم موضوعاتها سياسية ونقد لاذع للأشخاص . وبعد أن فقدت أثينا استقلالها السياسى أى بعــد انتهاء الحرب البلوپونيزية سنة ٤٠٤ ق . م اتجهت الكوميديا اتجاها آخر واخــذت موضوعاتها من الأساطير والنواحى الفلسفية والأدبية والاجتماعية ، كما قل دور « الــكورس » (الجوقة) عما كان عليه



وذلك فى « الكوميديا المتوسطة » (٤٠٤ - ٣٣٨ ق . م) وهى تنتهى فى عهد الاسكندر وأهم كتابها « أليكسيس » و « أنتيفانس » ، أما المرحلة الثالثة المسماة بمرحلة « الكوميديا الجديدة » فتبدأ من سنة ٣٣٨ ق . م الى سنة ٢٥٠ ق . م تقريبا وكان أهم كتابها « ماناندروس » .

اشتقت الكوميديا الجديدة مادتها من صميم الحياة العامة ، حياة الأفراد الخاصة فيتحدث فيها عن الحب والعواطف وتعطينا فكرة عن حياة الأشخاص العاديين ، كما كانت فكرتها وشخوصها من وضع الخيال .

ترك كتابها اذن الموضوعات السياسية المحدودة التى كانت من مميزات المرحلة القديمة ، وكذا ابتعدت عن الأساطير والموضوعات التى كانت تتميز بها المرحلة المتوسطة ، ولم تفرض ذوقا خاصا ، وكان طابعها « برجوازيا » ولذلك أصبح لها طابع عالمى يمكن لأمم كثيرة الأخذ عنه واقتباسه الى لغاتها المختلفة اذ يمكن نقلها الى أى مكان وفى أى زمان اكثر من التراجيديا (ان الكوميديا الجديدة مرآة الحياة وتعتبر بحق سلفا للدراما الأوربية وليست التراجيديا .

ان مسرحيات الكوميديا الجديدة كما نعرفها من الشذرات التى تبقت لنا ملهاة لماناندروس ومن ملهاة الكاتبين الرومانيين « بلاوتوس » و «ترنتيوس» تتشابه فى موضوعاتها وشخصياتها فتحتوى على شخصية تاجر الرقيق الجشع والأب الغاضب والعبد الماكر والطفيلى النهم والجندى المغرور وغير ذلك ، ويتحدث فى معظمها عن شاب يونانى متعلق بحب فتاة جميلة فى حوزة تاجر رقيق على وشك أن يبيعها لآخر حيث أن الشاب لا يملك ثمنها فيحيك عبده أو طفيلى صديق له الشراك لوالد الشاب كى يسلب منه النقود اللازمة لشراء الفتاة ، ثم يظهر أخيرا أن الفتاة حرة المولد أى أنها من أصل يونانى ومن منبت حسن ولكنها كانت قد اختطفت أو تركت فى العراء منذ الصغر للتخلص منها ، وهكذا يحدث زواج مناسب بين الشاب وهذه الفتاة وتنتهى المسرحية بنهاية سعيدة . ان ظروف العصر هى التى أملت على الكتاب امثال هذه الموضوعات . نلاحظ أنه لم يكن للفتاة اليونانية ان تظهر فى المجتمعات العامة أو تحب ، وكان أبوها يزوجها الى رجل لم يكن قد شاهدها من قبل ، ولهذا فانه اذا كان لأحد الشبان أن يقع فى حب فتاة فانه عادة ما يقع فى

حب فتاة أقل من طبقته الاجتماعية ولذلك فانه لا يستطيع أن يتزوجها . لهذا كانت هناك تضحية غالية من الفتـــاة تقدمها فى سبيل حبها عندما تخضع لرغبات هذا الشاب . ان نظام المجتمع دفع الشبان الى أن يسعوا خلف العاهرات مما يكلفهم من المال ما لا طاقة لهم به .

وكان من الممكن للشاب أن يشترى أمه بنقود يبتزها من والده بتدبير متفق عليه مع عبد له . أو كان يحدث أن يقع الشاب فى حب فتاة رقيقة الحال تعوزها الحاجة وتنشـأ علاقة غير شرعية وغير مستقرة ، وقد جعلت الكوميديا هذه العلاقة تنتهى أخيرا بالزواج وذلك باظهار أن الفتاة من منبت أحسن مما كان يظن بهــا ، وانها كانت قد عرضت للعراء أو اختطفت فى طفولتها .

وقصة « أندريا » تدور حول شيخ أثينى يدعى « خريميس » رحل بعيدا عن مدينة أثينا تاركا ابنته « باسيبولا » فى رعاية أخيه « فانيا » ، وعندما أصبحت مدينة أثينا مهددة بالحرب رحل « فانيا » مع « باسيبولا » فى اثر أخيـــه ولكن السفينة التى كانت تحملهما تتحطم عنـــد جزيرة « أندروس » وبعـــد نجاتهما من الغرق استضافهما أحد سكان الجزيرة ، غير أن « فانيا » لم يلبث أن توفى فتبنى المضيف الفتاة «باسيبولا» وبدل اســـمها فدعاها « جليكيريوم » واعتنى بتربيتها مع ابنته « خريسيس » وبعـــد موته هاجرت ابنته مع « جليكيريوم » الى مدينة أثينا وهناك وقع الشاب الأثينى « بامفيلوس » ابن « سيمو » فى حب « جليكيريوم » ، وقد حملت منه فوعدها بالزواج .

وفى أثناء ذلك كان « خريميس » قد عاد الى أثينا واتفق مع «سيمو» أبى الشاب «بامفيلوس» على أن يزوج ابنـــة أخرى قد ولدت له تدعى « فيلومينا » من « بامفيلوس » . وقبل أن تتم الترتيبـــــات الخاصة بهـــذا الزواج تموت « خريسيس » وتنكشف لسيمو صدفة فى أثناء الجنازة علاقة ابنـــه بجليكيريوم ويسمع أيضا « خريميس » الذى لا يزال يجهل مصير ابنتـــه باسيبولا ــ بهذه العلاقة فيرفض أن يزوج ابنته من « بامفيلوس » . عندئذ يدبر « سيمو » حيلة للتـــأكد من شعور ابنته ازاء « جليكيريوم » اذ يزعم بأن زواج « بامفيلوس » من « فيلومينا » سوف يتم فى الحال ، ثم يقـــابل ابنه فى المدينة ويخبره بالذهاب الى المنزل كى يستـــعد لهذا الزواج .

يلجأ « بامفيلوس » الذى يصبح فى حيرة من أمره الى عبده « داڤوس » الذى سمع برفض « خريميس » فيشك فى تدبير « سيمو » ، وهنا يظهر « خارينوس » صديق « بامفيلوس » الذى يحب « فيلومينا » ويرغب فى الزواج منها ولكن أباها لا يقبله زوجا لها ويبدو على « خارينوس » اليأس بعـــد أن أخبره عبـــده « بيريا » بأن « فيلومينا » ســـوف تتزوج من « بامفيلوس » ثم يتوسل الى بامفيلوس كى يؤجل الزفاف ولكن « بامفيلوس » يطلعه على سره ويعده بمساعدته حتى يحصل « خارينوس » على « فيلومينا » .

وينصح العبد « داڤوس » سيده « بامفيلوس » بأن يتظاهر بالموافقة على رغبة أبيه معتقدا ان « خريميس » ســـوف يصر على عـــــدم قبول «بامفيلوس» زوجا لابنته وانه ليس هناك ترتيبات جادة للزواج وانما تلك خطة مدبرة أراد بها والد « بامفيلوس » ان يختبر شعور ابنه ويعمل فعلا « بامفيلوس » بنصيحة العبد ويقوم « سيمو » بمحاولة ثانية مع « خريميس » حتى يوافق على الزواج . وبعد تردد يقبل « خريميس » . وفى هذه الأثناء تلد « جليكيريوم » طفلا فينصح العبد « داڤوس » المربيـــة بوضع الطفل أمام منزل « خريميس » فيرى « خريميس » الطفل ويعلم أنه ابن « بامفيلوس » فيرفض ثانية زواج ابنته منه . بعد ذلك يظهر « كريتو » وهو أحد مواطنى جزيرة أندروس وقريب « خريسيس » ، وكان قد أتى ليبحث عن ممتلكاتها بعـــد أن سمع بوفاتها . ويعرف منه « خريميس » قصة شقيقه « فانيا » وأن « جليكيريوم » لم تكن سوى ابنته المفقودة « باسيبولا » وحينئذ يوافق خريميس على زواجها من « بامفيلوس » الذى يعد صديقه « خارينوس » بالتوسط له فى الزواج من « فيلومينا » .

اما قصة « الأخوان » فيتحدث فيها عن أخوين مختلفين فى الطباع « ميكيو » و « ديميا » . ديميا

رجل متزوج يعيش فى الريف ويركن الى التحفظ والاستقرار أما ميكيو فهو رجل عزب يميل الى صخب الحياة ويعيش فى مدينة أثينا .

ولديميا ولدان أحدهما « أيسخينوس » وقد تبناه عمه « ميكيو » الرجل المتسامح فتركه يتمتع برغباته دون الوقوف فى طريقه وكان أن اعتدى « أيسخينوس » على عفاف ابنة امرأة أرملة تدعى « سوستراتا » وقد وعد اثر ذلك بالزواج من تلك الفتاة واستمرت هذه الأمور فى طى الكتمان . أما الابن الآخر فهو « كتيسيفو » فكان يعيش فى الريف تحت رقابة والده الشـديدة . ولكنه عند زيارته للمدينة أحب احدى الاماء التى كانت فى حوزة « سانيو » أحد تجار الرقيق .

واراد « أيسخينوس » أن يساعد أخاه فأخذ على عاتقـه اختطاف الفتاة التى يحبها غصبا من تاجر الرقيق الجشع الذى طلب مبلغا كبيرا ثمنا لها واحضارها خفية الى منزله . وعندما يعلم الشيخ ديميا بما حدث يثور على أخيه « ميكيو » لتساهله وما كان لهذا التسـاهل من تاثير على سـلوك « أيسـخينوس » ـ ظنـا منه أن « أيسخينوس » قد أحضر الفتـاة لنفسـه لا لأخيه ـــ مادحا فى الوقت نفسه ابنه «كتيسيفو» وما يتحلى به من أخـلاق قويمة لأنه تربى تحت رعايته . ثم يحـدث أن تسمع « سوستراتا » بقصة الفتاة التى اختطفها أيسخينوس فى الوقت الذى تلد فيها ابنتهـا « پامفيلا » فتعتقد أنه قد هجر ابنتها الى أخرى وتسرع لتخبر «هيجيو» أحد أقربائها بالأمر .

ثم يعلم « ديميا » بأن لابنه « كتيسيفو » يد فى حمل الفتاة مع أيسـخينوس ولكن العبد « سيروس » يخترع قصـة يتستر بهـا على « كتيسيفو » ويعلم « ديميـا » من « هيجيو » بسلوك أيسخينوس ازاء « پامفيـلا » ويريد « ديميا » مقابلة أخيه « ميكيو » فيذهب باحثا عنه فى مكان كان قد أخبره به العبد « سيروس » فى حين أنه كان فى مكان آخر ، فيبحث عنه دون جدوى ، ثم يقابل « هيجيو » ميكيو ويقص عليه ما حدث من پامفيلوس فيطمئنه ميكيو الذى يعلم بشعور « أيسخينوس » نحو « پامفيلا » ويصاحبه

الى منزل « سوستراتا » حيث يعـدها بزواج « أيسخينوس » من ابنتها . ويعود « ديميا » بعد بحثه الطويل عن أخيـه ويندفع نحو منزل أخيه فيجد ابنـه « كتسيفو » يحتسى الخمر فيعنف أخاه ميكيو على ذلك ولكن ميكيو يحاول أن يهدىء من ثورته وينجح فى ذلك .

ولكن « ديميا » يغير من أخلاقه فجاة ويعزم على أن يكون عطوفا كريما فى المستقبل فيعمل على أن تحضر «پامفيلا» الى منزل «ميكيو» ويحتفـل بزواج أيسخينوس من پامفيلا ثم يحث ميكيو على أن يتزوج أيضا من سوستراتا ، المراة العجوز ، ويأمر باعتـاق العبد « سيروس » وزوجته ، وتنتهى الرواية بنصيحة من ديميـا يدعو فيها الى الاعتدال والكرم .

دفع ترنتيوس الأدب المسرحى خطوة كبيرة الى الأمام ، ولقـد حاول « پلاوتوس » من قبله أن ينهض بلغة المسرح ، غير أن الرومان فى زمانه لم يكونوا قد وصلوا بعد الى درجة كبيرة من الثقافة تجعل الرقى بالأدب والفن المسرحى أمرا يسيرا . ومن ناحية اخرى انطلق پلاوتوس يوجه همه الى جمهوره من العامة ، يعمل على تسليتهم وارضائهم فيكتب لهم بلغتهم ، ولا يهتم بما يطلب الخاصة ولا يحاول أن ينقل النص اليونانى بما فيه من لغة رفيعـة أو تحليل نفسى ليرضى طبقة المثقفين كما فعل ترنتيوس .

لقد أظهر ترنتيوس بمهارته ما كان عليه الأدب اليونانى من جمال واهتم بتحليل شـخصياته ووضع قصصه فى لغة رفيعة منتقاة .

كان ترنتيوس كاتبا مجددا اظهر الملهاة فى ثوب جديد ، فرواياته تسودها البساطة والهدوء ونقاء الأسلوب ، ولم يكتف ترنتيوس بتقديم الأشخاص الذين نجدهم دائما فى الملهـاة مثل العبد المسرع أو المتطفل النهم أو المخادع الصفيق أو تاجـر الرقيق الجشع . هذه الشخصيات التقليدية كانت تقيد الكاتب المسرحى كما كانت تؤدى الى الصـخب والمهزلة ، تلك الأمـور التى لم يكن ترنتيوس يهدف اليها لأن الملهاة عنده كانت مرآة للحيـاة وكان الضحك فيها وسيلة لا غاية فهى تستهدف الاصلاح ، وهذه هى فلسفة الضحك فى

«الكوميديا» . فابتعدت رواياته ، الا فيما ندر ، عن مناظر الفحش والمجون . وقد أظهر بعض الشخصيات التقليدية بصورة أفضل من الصور التى اعتادها الكتاب .

تظهر لنا شخوص ترنتيوس طبيعية بحيث توافق ما نشاهده فى الحياة ولم يرغب ترنتيوس ان تكون شخصياته على مقدار كبير من الفضيلة بل اكتفى بتصويرها وهى ضابطة لنفسها ومعتدلة سواء فى أقوالها أو أفعالها ولو انه كان ينقصها التنوع . وتمتاز رواياته بالتحليل النفسى والعواطف الانسانية والبورجوازية وتثير شخصياته روحا كوميدية طبيعية اذ كانت تبعد عن الضحك المبالغ فيه .

ان عبيده يقومون بتدبيراتهم ومكائدهم وشبح الخوف يسيطر عليهم بينما كان عبيد بلاوتوس اكثر جرأة . ولذلك كان عبيد بلاوتوس أكثر درامية بينما كان عبيد ترنتيوس اكثر واقعية .

ولم يكن تاجر الرقيق وغدا عديم الشرف يسىء معاملة الرقيق — كما نشاهد فى روايات بلاوتوس — وانما يمكن اتهامه لأنه يحنث بوعوده ولكن مما لا شك فيه انه يعيش من أجل المال وقد يكون هذا عذرا له فى ذلك .

يعتبر الرجل العجوز عند ترنتيوس حكيما وتتغلغل فى نفسه الفضائل الانسانية . انه كان يعمل على الاحتفاظ بالمستوى الأخلاقى لأسرته . وكان الشاب أيضا طيب القلب كما يظهر من رد « بامفيلوس » على الأمة « ميسيس » فى المنظر الخامس من الفصل الثانى لرواية « أندريا » حيث يقول :

«أتظنيننى رعديدا ناكرا للجميل قاسيا متوحشا حتى أنه لا الألفة والمودة ولا الحب ولا الحياء يؤثر فى أو يجعلنى أحافظ على عهدى» . وكذلك اضطراب وحيرة بامفيلوس بين وعوده الى محبوبته وبين واجبه ازاء أبيه . ونشاهد أيضا ولاءه لأبيه وطيب عنصره فى المنظر الثالث من الفصل الخامس حيث يقول :

«انى اعترف بأنى أحب تلك الفتاة . واذا كان فى هذا خطأ ، فانا مقر بهذا الخطأ أيضا ، وأضع نفسى ، يا أبى ، بين يديك . ضع أى ثقل على ، أصدر لى أى أمر . أتود أن أتزوج ، وأن أقطع صلتى بها ؟ سأحتمل ذلك بقدر ما أستطيع » .

عندما غضب الشاب « خارينوس » من « بامفيلوس » كان أقوى لوم يوجهه « خارينوس » هو « انك قد حنثت بوعودك » (الفصل الرابع — المنظر الأول) . ويندر أن نجد شبيها لذلك الاتهام عند بلاوتوس . ويمكن أن ينطبق هذا الكلام أيضا على الشاب « أيسخينوس » فى رواية الأخوان .

انه كان يفضل الرواية الهادئة التى تعتمد على البساطة والهدوء ونقاء الأسلوب . ان الشخوص التقليدية تبعث على الضجيج والمهزلة ويجب — فى نظر ترنتيوس — أن يتخلص الكاتب المسرحى من هذه القيود . ان مهارة ترنتيوس فى رسمه لشخصياته جعلت بعض النقاد القدماء ، مثل « ڤارو » ، يضعونه فى مقدمة كتاب الملهاة اللاتينية .

ونلحظ أن هاتين المسرحيتين تحتويان — كما تحتوى جميع مسرحيات ترنتيوس — على مقدمة استهلالية (پرولوجوس) ، ولكنها ليست مقدمات على شاكلة مقدمات الكتاب المسرحيين الآخرين . ان كتابة مقدمة استهلالية لاعطاء النظارة فكرة مختصرة عن موضوع الرواية وشخوصها كى تساعد النظارة ، خاصة غير المثقفين ، على تتبع أحداث الرواية عندما يتجمعون فى المسرح أثناء الاحتفال بأعيادهم كان تقليدا متبعا فى القرن الخامس قبل الميلاد على أيدى أساطين التراجيديا ويوريپيديس . وقد تبع هذا التقليد أيضا كتاب عند اليونان ، أيسخولوس وسوفوكليس الكوميديا ، مثل الكاتب اليونانى ماناندروس الذى اقتبس عنه ترنتيوس معظم مسرحياته . ويقال ان المقدمة الاستهلالية فى الكوميديا مقتبسة عن التراجيديا . واذا كان على كاتب التراجيديا أن يكتب مثل هذه المقدمة فان هذا ألزم على كاتب الكوميديا التى كانت فكرتها وشخوصها من وضع بنات أفكار الكاتب نفسه . يكفى كاتب التراجيديا ان يذكر اسم « أوديپوس » أو «ميديا» فيعرف المستمع باقى القصة ، ومع ذلك فقد كتب مقدمة لمأساته .

فمن الأحرى أن يقدم كاتب الكوميديا لمسرحيته اذ أن موضوعها غير معروف للنظارة . ومن الأمور المتفق عليها فى النقد ان كتاب الكوميديا اليونانية الجديدة ومن بينهم « بلاوتوس » الرومانى كانوا يجهدون أنفسهم أكثر من كتاب المسرح فى العصر الحديث بالتمهيد لجمهور مسرحياتهم وإخبارهم عن كل تحول فى موضوعاتها ، وبذلك لم يكن الطريق ممهدا لهم ليكونوا أحرارا فى استخدام عاملى التشوق والمفاجأة .

أما ترنتيوس فلم يعمل بهذا التقليد (كتابة مقدمة استهلالية) وان وجدنا هذا التقليد عند سلفه بلاوتوس . خالف ترنتيوس من سبقه من الكتاب فى انه استخدم المقدمة فى الرد على أعدائه من النقاد ومناقشة المسائل الادبية ولم يستخدمها كغيره من الكتاب فى اعطاء النظارة فكرة مختصرة عن مسرحياته .

ويعتبر عمل ترنتيوس هذا تقليدا جديدا فى تاريخ الدراما ، فان مقدماته تعتبر من أوليات الجدل الأدبى كما أنها الأولى من نوعها فى تاريخ النقد . وكان ترنتيوس يعتقد أن كتابة مقدمة للمسرحية أمر يخالف طبيعة العمل الأدبى ، هذا هو السبب الحقيقى الذى جعله يختط لنفسه طريقا مخالفا لما اتبعه غيره من الكتاب ولم تكن رغبته فى الدفاع عن نفسه هى السبب الوحيد الذى حمله على تغيير طبيعة المقدمة . لقد رغب ترنتيوس فى أن يكشف النظارة بأنفسهم شيئا فشيئا عن موضوع الرواية وكان يعتقد ان عامل المفاجأة من العوامل الهامة فى المسرحية . لقد كان بلاوتوس يحاول ما استطاع أن يشرح ما يعتقد ان الجمهور فى حاجة الى فهمه .

أما ترنتيوس فكان حسن الظن بمقدرة النظارة على الفهم وكان يرغب فى أن يجعل المستمع يحاول كشف الحقيقة بنفسه مما يشاهده على المسرح بل كان يحاول أحيانا أن يخفى عنه الحقيقة ولو الى حين ، لذلك كان عامل المفاجأة والترقب من أسرار ترنتيوس .

ان طريقة ترنتيوس هذه قد جعلته يقلل من افق « السخرية الضاحكة » Comic irony



التى مبعثها شعور المتفرج بالسمو Sense of Supériority الذى قال عنه أفلاطون انه من نتاج الكوميديا . وهذا السمو ينتج من معرفة المتفرج مقدما بما يحدث على المسرح ومما يخفى على الممثلين أنفسهم . وهذه السخرية الضاحكة نجدها بكثرة فى مسرحيات « ماناندروس » و « بلاوتوس » .

ومع ذلك فلم يبعد ترنتيوس رواياته كلية عن السخرية الضاحكة بالغائه المقدمة ، ففى رواية « أندريا » مثلا يذكر ترنتيوس على لسان العبد « داقوس » (سطر ٢٢١) قائلا : « انهم يحيكون قصة أن الفتاة أثينية » ومنذ ذلك الوقت ينكشف تدريجيا الغموض الذى استحوذ على النظارة الذين كانوا مشوقين لمعرفة الموقف ويمكنهم الاستمتاع بالسخرية الضاحكة . وتحدث السخرية الضاحكة

فى رواية « الأخوان » عندما يلوم « ديميا » أخاه « ميكيو » لأنه أفسد أخلاق ابنه « أيسخينوس » الذى اختطف العاهرة من تاجر الرقيق ويقول غاضبا ان ايسخينوس مثل سيىء لأخيه«لكيتيفو» حتى ما يقرب من ربع المسرحية حتى يحل ترنتيوس الغموض ويظهر أن « لكيتيفو » هو منبع ما حدث وليس « أيسخينوس » . وبعد أن يعرف الجمهور الموقف يستمر غامضا بالنسبة لديميا لمناظر عدةوبذلك يتمتع الجمهور بالسخرية الضاحكة الناتجة عن موقف « ديميا » .

ان عامل المفاجأة يظهر فىرواية «الاخوان» عندما يهجر « ديميا » طريقته السابقة ويغير من خلقه فجأة ويتحول الى رجل كريم ونجاحه فى معاقبة اخيه الأعزب « ميكيو » على أن يتزوج من عجوز شمطاء .

ويظهر أيضا عامل المفاجأة فى رواية « أندريا » فى تدبير العبد « داؤوس » لمكيدته فى جعل « ميسيس » الغبية تمثل الدور الذى رغب فى أن تقوم به عندما يلومها على مسلكها ومسلك أم الطفل الذىوضعته هذه المربية أمام منزل « خريميس » وذلك بالرغم من ان داؤوس نفسه قد طلب منها ذلك . ان طريقة ترنتيوس تتمثل فىرواية الأخوان الذى يفتتحها بمونولوج على لسان ميكيو ، اذ أننا نلاحظ انه ذكر فيه بعضا مما يناسب المقدمة الاستهلالية التى حذفها ولكنه كان مقتصدا فى هذا المونولوج ثم يعطينا تفاصيل أكثر فى المنظر الخاص باختطاف فتاة تاجر الرقيق ، وبالرغم من ذلك فقد كان حريصا على السر ، ذلك ان الفتاة قد اختطفت من أجل الأخ المفروض أنه فاضل .

ثم ان هناك جانب آخر نلحظه بوضوح فى رواية الأخوان وهو الجانب الخاص بتربية الأبناء . لقد عمل ترنتيوس على أن تعبر بعض مسرحياته عن فكرة التربيةوكانيريد أن يؤثربذلك علىجمهوره . شعر ترنتيوس بالحاجة الى تحسينطريقة التربية فى عصره . ويتجلى ذلك فى مسرحيتى « المعذب نفسه » و « الأخوان » فقد حاول فى هاتين المسرحيتين الوصول الى الطريقة المثلى فى التربية . انه كان ولا شك يعبر عن ذلك بلسان أعضاء جمعية سكيپيو الأدبية الذين كانوا مهتمين بالناحية الانسانية للثقافة الهيلينية .

كان التعليم على وجه العموم فى العصور الأولى عند الرومان من خصائص الأسرة ويهيمن عليه الوالدان وهذا النوع من التعليم هو الذى نقصد به فكرة ترنتيوس عن التربية ، أى طريقة الأسرة فى تربية ابنائها .

كانت التربية حتى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد اى حتى عصر كاتو تتسم بالقسوة سواء من الناحية العقلية أو الجسمية وذلك مع التحلى بالفضائل الرومانية المعروفة كى تساعد الطفل على خدمة وطنه وأسرته . ولم تكن الثقافة العامل المهم فى ذلك الوقت بل كان غرض التعليم فى نظر الرومانى الأول هو الاعداد للحياة اليومية . ولكن عندما تغلغلت الثقافة اليونانية فى روما على يدى أعضاء جمعية سكيپيو الأدبية وفى وقت متأخر على يد شيشرون كان متوقعا أن يضيف الأدب والفلسفة اليونانية لمسة انسانية (١) نهائية الى ما جبل عليه الرومان من صفات كالولاء للآلهة والتقاليد والنظم وكالرزانة الصارمة .

والجلد والمثابرة والشدة والصرامة والاعتزاز بالكرامة وغيرها . وقد زاد من ذلك اهتمام الأثرياء بتعليم أولادهم للغة والثقافة اليونانية .

نلحظ من كلام « ميكيو » فى بداية مسرحية « الأخوان » أن أخاه « ديميا » رجل قاس ومجتهد فى عمله ويتقبل مسئوليته كرب للأسرة بينما « ميكيو » يحيا حياة مريحة تتسم بالتسامح ويعيش عيشة الرجل العزب غير المسئول .

ويختتم ميكيو « المونولوج » المنفرد بنظريته عن

---

(١) يشرح « نيبكين » معنى الانسانية كما فهمها الرومان فى مقاله :

Humanitas Romana, T.A.P.A. LXX (1939), 396-413

بانها شعور يتضمن واجبات انسانية عالية واحساس عريض من الحب والعطف وتهذيب عام للحياة يشمل الشكل الاجتماعى الخارجى وهى التمتع بدراسة الآداب والفنون كما هىثمار التأمل والبحث العلمى وانها تحمل عقلى لجميع طرق السلوك .

الطريقة المثلى لتربية الابن : « وانى أعمل على أن يكون سلوكه نحوى على النهج الآتى : انى أعطى واتغاضى ، ولا أعتقد أن من الضرورى أن تنفذ مشيئتى فى كل أمر . وقد عودت ابنى هـــذا على الا يخفى عنى شيئا مما يفعل الشبان خلسة عن آبائهم مما يدعو اليه الشباب . لأن من تعود أن يكذب على أبيه أو يخـــدعه ، فسيكون أكثر جراة مع الآخرين . وانى أعتقد أن من الأفضل أن ينقـــاد الأبناء بالحيـاء والتسامح أكثر من الخوف . وهــــذه الأمـــور لا يوافق عليها أخى ولا ترضيه .. انه يخطىء خطأ كبيرا فى رأيى من يظن أن سلطانه سيكون أعظم أثرا وأكثر ثبوتا اذا دعمته القوة منه اذا اعتمد على المحبة . هذا هو رأيى وهو ما وطدت عليه نفسى » .

يتبين لنا من ذلك أن طريقة ميكيو فى التربية تعتمد على الثقـــة والصداقة المتبادلة بين الأب وابنه . اذا أظهر الأب التسامح والعطف فان الابن سوف لا يخفى عنه سرا وسيكون صادقا وصريحا وسوف يتعلم فعل الصواب من نفسه وليس عن طريق الخوف من شخص آخـــر وان استخدام الأب للقوة سوف يشجع ابنه على الخداع .

اما شـــخصية « ديميا » فتختلف كلية عن شخصية أخيه « ميكيو » . انه الرجل الذى عاش طوال حيـــاته فى الريف وربى ولده تربية تتسم بالقسوة والضغط وتظهر هذه الروح عندما يثور على تسامح أخيه «ميكيو» مع ابنه « أيسخينوس» مما جعل مسلك الأخير مشينا . ولكن يتضح لنا من المسرحية أن « كتسيفو » بن « ديميا » كان نفسه أيضا ذا سلوك مشين فقد وقع فى حب احـــدى الفتيات كما نلحظ الخوف والجبن فى تصرفاته نتيجة لتربية والده القاسية . وعندما علم « ديميا » بمســـلك ابنه على حقيقته شعر بفشله وانقلب كريما ومتسامحا الى أبعد الحدود.

لقد فشـــل كل من « ميكيو » و « ديميا » فى نظريته عن التربية . وأظهر ترنتيوس هذا الفشل وترك للنظارة استخلاص النظرية المثلى فى التربية بالرغم من وضوح فـــكرة ترنتيوس عن الاعتدال اى انه يجب على الشخص الا يبالغ فى تسامحه او قسوته . وهناك من يرى أن « ميكيو » مثال الرجـــل اليونانى فى عصر « منـــاندروس » وأن « ديميـــــــا » مثـــال الرجل الرومانى فى عصر ترنتيوس .

ان ادماج النظريتين معا واســـتخلاص نظرية لا يسودها التسامح المطلق أو الشدة المطلقة هى ولا شك المغزى المقصود الذى كان يهدف اليـــه ترنتيوس . أن جمال المسرحية تتمثل فى أن كلا من الأخـــوين كان على خطـأ بالرغم من القصد الحسن لكل منهما .

تتمثل نتيجة الصراع بين الأخوين فى أن التربية الحقيقية تحتوى على رابطـة من خيوط متسقة من القسوة والتسامح والانسانية .

وهذا الأمر يرفع من شأن المسرحية ويجعلها كوميدية أخلاقية وليست فقط للتسلية .

دكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد



كتاب في الطريق

مع الدكتور طه حسين



وفى ثالث طريق .. طريق الاهرامات وأبى الهول ، تطل القمم شامخة .. لتوحى بالرهبة والجلال .. يممت شطر بيت أنيق ، تحوطه الأشجار حانية .. لتغلفه بغلالة من الشفافية . فتكسب النفس راحة واطمئنانا .. ودلفت من الباب الصغير لأجدنى أمام مكتبة عالية تزاحمت المجلدات فوق رفوفها ، بينما يجلس اديبنا العملاق فى وداعـة وانتظار..حتى اذا ما سمعت نبرات صوته العميقة الرتيبة.. مرحبة وآذنة لى بالجلوس .. زادت نفسى اطمئنانا .. فجلست لأبدأ معه حديثا عن كتاب فى الطريق .

جمال بدران

ان مجلة الكتاب العربى ليسعدها ان تزف الى قرائها قبولك الكتابة فى هذا الباب « باب كتاب فى الطريق » فهل فى الامكان ان يعرفوا انطباعات هذه الرحلة الأخيرة الى اوروبا عليكم ؟

● كانت رحلة استشفاء واستجمام .. لكنهاكانت أثنـاء فترة اضرابات واضطرابات فى فرنسا وايطاليا .. بسبب مطالب بعض الطوائف والهيئات لتحسين مستوياتهم المعيشية .. وفى الحقيقة ان الأجور هناك عالية .. لكن الفرد وخاصة فى فرنسا غير قانع بدخله ذاك المرتفع .. يريد ويريد .. فيواصل مطالبته برفع اجره . وكان أطرف اضراب وجدته هو اضراب أساتذة الجامعات هناك .. لكن الحكومة لا تستطيع أن تفعل شيئا . هى فى سباق لا ينتهى بين رفع الأجور وبين ارتفـاع أسعار السلع .. كلما وافقت على رفع الأجور لزيادة دخل الفرد .. زادت الأسـعار فى اليوم التالى مباشرة وبشكل جنونى .. لذلك فان هناك من يسمى هذه الظاهرة باسم الدائرة الجهنمية .

كل هـذا ذكرنى بموقف حكومة فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية .. عندما أرادت أن تشجع الفرنسيين على الانسـال .. حتى تتغلب على النقص الخطير فى تعدادهم .. اذ جعلت جائزة

شهرية لكل أسرة تنسل طفلا جديدا .. لكن هذالم يلبث أن يدفع بها الى الشكوى ـ بعد فترة وجيزة ـ من أعباء هذا المأزق الذى أوقعت نفسهافيه .. لأنها دفعت بالأسر كافة الى العمل على تنمية هذه الجوائز .. ولم تستطع حكومة فرنساأن تتراجع عن ذلك حتى الآن .

لكن مثل هذه الأحوال كانت بعيدة ـ بالطبع ـ كل البعد عن قراءاتك .. فماذا كنت تقرأ هناك ؟

● اقتصرت فى قراءتى على القرآن والتوراة ..والحق ان التوراة بما هى عليه الآن .. لا يمكن أن تكون موحاة .. فتواريخهـا غير دقيقـة ،وأجزاؤها قد كتبت فى حقبات مختلفة أبعدتها عن الحقائق .. بل امتلأت بأساطير غير معقولةاطلاقا .. لكننى وجدت علماء المان يقفون حياتهم الآن على فحص التوراة لاسـتظهار حقيقتها .. فالعلاقة مثلا بين موسى وبين بنى اسرائيل صارت علاقة عقاب وشعور بالذنب .. اذ عندما ذهبموسى كى يخاطب ربه .. أجبر بنو اسرائيل أخاه هارون على السماح لهم بصنع تمثال من الذهبليعبدوه .. وتأثروا فى ذلك بمعبود العجل آبيس عند الفراعنة .. فصنعوا معبودهم عجلا علىشاكلته .. لكن موسى عاد اليهم .. فوجدهم على هذه الحال .. وأوقع بهم العقاب .. اذ حكم بأنتقتـل كل اسرة بكرها .. وقتلوا أبكارهم تكفيرا عن معصيتهم .. وبلغ عدد من قتلوهم من هؤلاءالأبكار مائة وخمسين الفا .

ألا يمكن أن يكون هذا موضوعا لكتاب جديد لكم .. ؟

● لى أربع سنين وأنا أحاول أن أقرأ لأكملكتاب الفتنة الـكبرى .. فى الجزء الثـالث وهو الأخير الذى آمل ان استطيع اكماله .. وجدت ان الخوارج والشيعة قد حدث تطور بينهما حتى أواسـط القرن الثالث الهجرى .. والواقع أنهتطور مدهش جدا .. فالحزبان كانا متعاديين .. اولا لأن الخوارج هم الذين قتلوا عليا ، وثانيا لانرسالتهم كانت ثورة على الجماعة الحاكمة كلها .. الأمويين والعباسيين .. فكان الحزبان فى حربمستمرة .. انما وجدنا فى وقت من الأوقات ان واحدا من أبناء الحسين .. هو يحيى بن زيد بن على زين العابدين بن الحسين .. اراد ان يعقد اتفاقا بينه وبين الخوارج .. لكن اتبـاعه منعوه من هذا .. الا ان التطور الهائل حدث بعد ما جاء عصر الترجمة للثقافة .. هـذه الثقافة العـامة سـواء اكانت أجنبيـة أم عربيـة .. قد تغلغلت الى البيئات الشعبية .. وهنا كان منشأالتطور .. وجدنا أن الحزبين يلتقيـان اما على ارادة منهمـا واما على غير ارادة .. اذ تحـولتمطالبهما من المطالب السياسـيـة الى أخـرى اجتماعية .. وهى أن يتحقق العدل الاجتماعى ،وأن يوجد شىء من التقارب فى الثروة بين الأغنياء والفقراء .. أى انها مطالب سبق الحزبان بها تلك النداءات وهذه النظم التى نسمعها فى العـالم الآن .. اذ ظهرت هذه المطالب لأول مرة عندما اندلعت ثورة الزنج فى البصرة ثم ثورة القرامطة التى امتدت من البحرين الى الشـام ثم الى مصر .. وهذان الحزبان ظاهرهما شيعة .. أى أن الحزبين التقيا عند المطلب الاجتماعى بعد المطلبالسياسى .. وأنا للآن .. أسعى لاكمال هـذا الكتاب .. بعـد أن احيط بكل ما دار طوال مائة وخمسين عاما من الجهاد لدى طائفة الزنج .. وأرجو أن تساعدنى صحتى على هذا ..

ان شاء الله سوف تنعم بالصحة والعافية ..لنسعد بك وبهذا الكتاب قريبا .. انما يدفعنى الفضول الى معرفة دار النشر التى تفضلها لطبعه؟

● أنا دائمـا اعطى كتبى الى دار المعـارفلطبعها .. لأنهـا تتسم بالدقة والأمانة وحسن التقدير .

لكننا نلحظ ان دور النشر لا ترحب بكتاب لواحـــد من الواقفين على عتب الأدب .. فما رايك ؟ .

● أنا أرى أن الـكتاب الأول يشترط له كي يقبل أن لا يكون دون المستوى المعقول .

بمناسبة المعقول واللامعقول .. ما رايك في هـذه الصـيحات التى تجتاح حقول الثقافة في أوروبا وفى بلاد الشرق الآن .. لا معقـــول .. سخط .. تحلل او تحرر من المقاييس الفنيـــة للادب .. ما رايك في هذا كله ؟

● وابتسم أســـتاذنا الـكبير قائلا « ظهـر اللا معقول فى أوروبا منـــذ فترة طويلة .. ومن العبث أن تطلب له تعريفا .. لأنه غير معقول .. محاولات طريفـــة .. ووجه الطرافة فيه أنك تضحك اذا ما قرأته أو شاهدته .. وقس على ذلك بقيـــة الاتجاهات الحديثـــة عند بيكيت وأونيسكو وبريخت ..

انني احار من امرى بين هذه التيارات .. هل هناك ما يتهدد الأدب هناك ؟ .

● وهز رأسه بأسى مؤيدا .. ان أزمة أدبية تحتاج أوروبا عامة وفرنسا خاصة في هذه الأيام .

أزمة تاليف ام ازمة قراءة ؟ .

● هى أزمة مزدوجة .. فالـكتاب هم الذين يفسدون ذوق القراء .. وهؤلاء يقرأون ما يكتب لهم .

لو لجانا الى الكتب ذات القيمـة كعـلاج .. فيعاد طبعها او ترجمتها الى العربية في طبعات شـــعبية لتكون اسعارها في متناول الجميع .. الا يصلح هذا من ذوق القراء ؟ .

● لو حددت سؤالك هنا بقراء العربية لاختلف الوضـع .. فيجب علينا أن نضيف هنا الى الكاتب والقارىء عوامل اخرى .. القارىء العربي يقبل على الشيء الموجود في الســـوق .. لو غمرت الأسواق أمامه بالجميز مثلا لنسى التين وأكله ، ولو ازحت هذا من طريقه ووضعت التين له لأقبل عليه . لكن الكارثة الكبرى متمثلة فى تعلم اللغة العربية .. معلمو اللغة وطرق تعليمها يتحملون وزر التحلل منها .. انني أذكر مرة كان امتحان الانشـــاء العربى فى البكالوريا مثار شكوى من الطلاب كافة .. وكان موضوع الامتحان بهـــذا الشـــكل « هبك وردة قطفها قاطف .. فماذا تقول ؟ » .. ولست أدرى ماذا بعـــد أن تقطف الزهـرة ، وما الذى تستطيعه أن تقول . ومن الغريب أن العامة يحبون سماع اللغـــة العربية الفصحى انهم يصغون الى القـــرآن فى فهـم واهتمام .. فالقرآن وحفظه من العوامل القوية التى تدعم جودة اللغة الفصحى .

لتسمح لى أن اضـــيف الى ذلك اعادة طبـع كتبـك مرات ومرات .. فهى من العوامل التى تدعم اللغـــة العربية وتجتذب الناس الى دنيـا القراءة .. فما هى اقرب الـكتب الى نفسـك لتنصح بمداومة قراءتها ؟ .

● وأومأ أستاذنا لحظة وعلى وجهه ابتسامة مســتحية .. ثم قال فى تواضع .. فى الحقيقة اننى متى أمليت كتابا ونشر ، لا احب ان أسمع عنه او اراه .. طبيعتى هكذا .. ثم اخذ يتمتم قائـلا .. عجبى الى الذين يطيلون النظـر الى انفسهم فى المرآة .

لقاؤنا فى الشـــهر القـادم

مـــع

الأستاذ محمد فريد أبو حديد

أسس الفلسفة

تأليف
الدكتور توفيق الطويل
الناشر: مكتبة النهضة المصرية
٥٠١ ص ١٧×٢٤سم
الثمن ٦٥ قرشا

صدرت فى أوائل هـذا العام الطبعة الجديدة الرابعة لكتاب « أسس الفلسفة » ، وقد أضاف اليها المؤلف زيادات وتعـديلات ، يتعلق معظمها ببيان فضل الشرق عامة ، والعرب خاصة ، على الفكر والعلم البشرى . وقد حرص المؤلف على توضيح هذا المعنى فى مقدمة هذه الطبعة ، التى ناقش فيها باسهاب موضوع دور العرب فى العلم والثقافة والفلسفة العالمية . والواقع أن هذه سمة رئيسية من سمات الكتاب . وتصل رغبة المؤلف فى اثبات هذه الحقيقة الى حد اصـدار احكام مبالغ فيها أحيانا ، كقوله « وكان مفكرو العرب أول من زاول البحث الاستقرائى ، واتخذ الملاحظة والتجربة طريقا الى الكشف عن الحقائق الكونية ... » (ص ٢٢٢) . ذلك لانه ، على الرغم من أن هذا التمجيد أمر مشكور ، فان المرء لا يملك الا أن يعترف بأن العلم التجريبى قد عرف فى العالم القديم ، ولا سيما فى مدرسة الاسكندرية التى بلغت فيها العلوم المبنية على الملاحظة شأنا كبيرا ؛ ولو كان اتجاه التطور قد استمر ، ولم تحدث نكسة العصور الوسطى الأوروبية ، لكان من الجائز أن تتم النهضة العلمية الحديثة قبل موعـدها بمئـات السـنين . واذا كان المؤلف قد استشهد بآراء « سارتون » لاثبات رأيه هذا ، فمما لا شك فيـه أن سارتون ذاته قد خصص لمدرسة الاسكندرية ، ولكشوفها العلمية التجريبية الهامة ، معظم الجزء الثانى من مؤلفه الضخم فى تاريخ العلم (وهو الجزء الذى لم يترجم بعد ، ولم يهتم به باحثونا اهتمامهم بالجزء الأول) .

والكتاب مدخل ضخم الى العلوم الفلسفية ، تربو صفحاته على الخمسمائة . وهو يتناول كل فروع الفلسفة ، القريبة منها والبعيدة ، بالعرض والتحليل . ومن الطبيعى أن يكون هذا العرض سريعا مختصرا فى كثير من الأحيان ، على الرغم من ضخامة الكتاب ، اذ أن كل فرع من الفروع التى يتناولها يحتاج بحثه التفصيلى الى مؤلفات كاملة . ومن هنـا فان الكتاب مدرسى تماما فى طابعه : أعنى انه مدخل الى الفلسفة موجه الى الطلاب الراغبين فى الالمام بمعلومات عامة عن كل فرع من فروع الفلسفة ، أو الى القارىء العـام الذى يود تثقيف نفسه فى هذا المجال دون خوض تفصيلات الخلافات المذهبية الدقيقة . وعلى هذا الأساس وحده ينبغى الحكم على الكتاب : فمن الواجب أن يقاس بمقياس الكتاب المدرسى الذى يقـدم مدخلا عاما الى موضوعه ، لا بمقيـاس الكتب المتخصصة التى تخوض فى التفاصـيل وتغوص فى أعماق المشـكلات . ومن المؤكد أن الكتاب — فى هذه الحدود — ينجح الى حد بعيد فى تحقيق الغرض المقصود منه .

وينقسم الكتاب الى أربعة أبواب ، يعالج كل منها موضوعا رئيسيا ، من موضوعات الفلسفة . فالباب الأول يتناول « الفلسفة مجالا ومنهجا » ، والثـانى « مبحث الوجود أو الأنطولوجيا » ، والثـالث « الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة » والرابع « مبحث الاكسيولوجيا أو القيم العليا » وهى الحق (المنطق) والخـير (الأخـلاق) والجمال (الفن) . ويختتم الكتاب بدليل لأهم المذاهب والمدارس الفلسفية ، ومعجم فى ترجمة المصطلحات والمذاهب والمسائل ، وهما تذييلان لهما فائدة غير قليلة بالنسبة الى الطالب الذى

يريد الالمام بمعانى المصطلحات الفلسفية واسماء المذاهب فى اللغة الانجليزية ــ وسأبدأ أولا بعرض سريع للموضوعات العامة التى عالجها المؤلف ، ثم أقدم ملاحظاتى النقدية على الكتاب فيما بعد .

* * *

فى آباب الأول من الكتاب يعالج المؤلف مسائل عامة : ففى فصل بعنوان « نشأة الفلسفة » يعرض المؤلف آراء الكتاب الذين يؤكدون أن الفلسفة والعلم قد ظهرا لأول مرة عند اليونانيين ثم يعرض آراء فريق آخر يذهب الى تأكيد أهمية الشرق القديم بوصفه الأصل الأول للتفكير الفلسفى والعلمى . ومن الطبيعى أن المؤلف يتحمس لهذا الرأى الأخير ويؤكد بكل قوة . وتلى ذلك مناقشة لتعريفات الفلسفة ، يهتم فيها المؤلف اهتماما خاصا بالاتجاهات المعاصرة ، ومنها اتجاه تقليدى ، واتجاه وضعى ، واتجاه عملى (تمثله البرجماتية والماركسية) واتجاه وجودى . ويحدد المؤلف فى هذا الفصل موقفه من المذاهب المعاصرة ، وهو موقف وسط بين كل طرفين متقابلين : كالنزعتين المادية والروحية ، والنظرية والعملية .

ويلى ذلك بحث فى موضوع الفلسفة ، يقسم فيه الفروع الفلسفية الى مبحث فى الوجود ومبحث فى المعرفة ومبحث فى القيم . وينتهى هذا الفصل بتعقيب عن مناهج العلوم الانسانية ، يناقش فيه المؤلف منهجى علم النفس وعلم الاجتماع مناقشة عامة ، يعرب فيها عن رأيه الذى يشكك فى « علمية » هذين العلمين ، وبالتالى فى قدرتهما على الاستقلال تماما عن مجال الفلسفة .

ويستعرض المؤلف فى القسم الخاص « بغاية الفلسفة » ، الغاية التى كان التفلسف يرمى اليها فى مختلف العصور والمدارس الفلسفية ، وهذه الغاية هى التأمل النظرى حينا ، وتحقيق السعادة العملية حينا آخر .

وفى الفصل الخاص « بمناهج البحث العلمى » ، تناول المؤلف الأبواب الكلاسيكية المعروفة لمناهج البحث العلمى ، واستعرض باختصار مناهج بيكن وديكارت ومل ، والمنهج الرياضى ، والمنهج التجريبى ، وخصائص الروح العلمية وصفات العالم . وهذه كلها موضوعات مطروقة لا يمكن الاتيان فيها بجديد فى فصل واحد كهذا ، والجديد فى هذا الفصل هو اشارة المؤلف الى مناهج البحث العلمى عند العرب ، ولا شك فى أن أى قارىء للكتاب يود لو كان المؤلف قد توسع فى هذا الموضوع اكثر مما فعل ، لأنه هو الموضوع الذى تفتقر اليه دراساتنا بحق . ويتضمن هذا الفصل قسما طريفا بعنوان « علاقة العلم » بالفلسفة تاريخيا » ، تتبع فيه المؤلف تاريخ استقلال العلم عن الفلسفة .

فاذا انتقلنا الى البابين الثانى والثالث من الكتاب ، لوجدنا بينهما نوعا من التداخل . فالفصل الأول من الباب الثانى عنوانه : ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا . وعنوان الباب كله هو « مبحث الوجود أو الانطولوجيا » .

اما الباب الثالث فعنوانه « الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة » . على أن المؤلف ذاته يعترف بأن الميتافيزيقا ، ولا سيما فى العصور الحديثة ، تشمل البحث فى المعرفة الى جانب البحث فى الوجود . ومن هنا فقد كان من الواجب مراعاة ذلك فى التقسيم ، ومن المؤكد أننا لو قارنا بين مبحث الوجود وبين مبحث ما بعد الطبيعة ، من حيث مدى شمول كل منهما ، لوجدنا الثانى أشمل من الأول ، ومن هنا لم يكن من الصواب ــ فى رأيى ــ أن يعد مبحث الوجود جنسا وما بعد الطبيعة نوعا أو فرعا لهذا الجنس العام ، وانما الأصح أن يكون الجنس العام هو « ما بعد الطبيعة » ، ويشتمل هذا الجنس على نوعين ، هما مبحث الوجود من جهة ، ونظرية المعرفة من جهة أخرى .

وعلى أية حال فان المؤلف يناقش فى أحد فصول الباب الثانى ، مفهوم الميتافيزيقا عند الماديين والروحيين ، ويستعرض فى فصل آخر آراء خصوم الميتافيزيقا ، ويتوسع ــ مع شىء من التكرار ــ فى نقد وجهة نظر الوضعيين المنطقيين المعاصرين .

وفى اعتقادى أن الفصل الأول من الباب الثالث ، الذى يتناول موضوع « امكان المعرفة » ، هو من أفضل فصول الكتاب : فالمؤلف يستعرض هنا مذهب الشك ، ويتوسع فى حديثه عن الشكاك القدامى ، ويفرق تفرقة واضحة بين الشك البيرونى (نسبة الى الفيلسوف بيرون) ، بما فيه من تخاذل ويأس ، وبين الشك السفسطائى ، « شك القوى الذى يضيق بالقيم المألوفة » ، وشك الأكاديمية الجديدة الذى يتوسط بين الطرفين . أما الفصل الثانى من هذا الباب ، وهو الذى يبحث فى « طبيعة المعرفة » ، فيعرض فيه المؤلف فروع المذهبين الواقعى والمثالى عرضا ليس فيه جديد .

وأخيرا ، ففى الباب الرابع ، الذى يتناول مبحث القيم أو الأكسيولوجيا ، يجد القارىء فى البداية فصلا جيدا عن القيم ومشاكلها . وقد أعجبتنى بوجه خاص مناقشة المؤلف لعلاقة القيم بعضها ببعض ، واستعراضه لمحاولات التوحيد بين الحق والخير ، وبين الحق والجمال ، وبين الجمال والخير . وكم كنت أود لو كان المؤلف قد انتهى الى رأى خاص فى علاقة هذه القيم بعضها ببعض ، بدلا من الاكتفاء بعرض محاولات الآخرين ونقدها .

على أن الفصل الخاص « بتاريخ علم المنطق » مقحم على هذا الباب اقحاما مصطنعا ، ولا مجال له ، فى رأيى ، فى باب يتناول مبحث القيم . صحيح أن المنطق علم يختص « بقيمة » الحق ، ولكن طالما أن المؤلف قد أفرد فصلا خاصا لطبيعة الحق ومعاييره ، فقد كان فى هذا الكفاية لبيان الصلة بين المنطق والحق ، ولم يكن هناك ما يدعو الى استعراض تاريخ المنطق فى باب يتحدث عن القيم . ذلك لأن موضوع القيم لا يستوعب مجال المنطق كله ، رغم وجود صلة قوية بينهما : والدليل على ذلك أن المنطق لا يدرس بوصفه فرعا من مبحث القيم ، مع اعترافنا بأن الحقيقة — التى هى غاية المنطق — هى احدى القيم الرئيسية . ومن هنا فقد كان الأفضل فى رأيى حذف كل ما ورد عن « تاريخ المنطق » فى هذا البـاب .

ويتناول الفصل الثالث من هذا الباب الأخير موضوع « الخير ، وعلم الأخلاق » . ويبدأ الفصل بعرض عام للمذاهب الأخلاقية فى طبيعة الخيرية ومقاييسها ، فيقسم هذه المذاهب الى حدسية وغائية ، ويعرف المذهب الغائى بانه القائل ان « الخير والشر والحق والباطل مجرد أفكار اصطلح عليها الناس فى ضوء التجارب التى يعيشونها والظروف التى تسود حياتهم ، ومن هنا اختلفت باختلاف الناس ، وخضعت لأهداف التطور الذى يتحكم فى سائر الظواهر الاجتماعية » (ص ٤٣٦) . وهذا التعريف فى رأيى غير دقيق : ذلك لأن الأخلاق العقلية عند كبار فلاسفة اليونان تندرج تحت المذهب الغائى ، ومع ذلك فمن قال ان سقراط أو أفلاطون أو أرسطو قد أعترفوا بالتطور أو قالوا ان القيم الأخلاقية مجرد أفكار اصطلح عليها الناس ؟ الحق أن الفلسفة الأخلاقية عند هؤلاء الأقطاب الثلاثة انما قامت أصلا لمحاربة مثل هذه الآراء النسبية عند السفسطائيين .

ومن جهة أخرى ، فقد ظل المؤلف طويلا يؤكد أن التقابل الأساسى فى الأخلاق هو التقابل بين المذاهب الحدسية والغائية ، ثم عاد فى مستهل القسم الثانى من الفصل نفسه ، فجعل هذا التقابل بين «اتجاه الحدسيين واتجاه التجريبيين» (ص ٤٤٣) . فهل نفهم من ذلك أن أصحاب مذهب الغائية هم التجريبيون فحسب ؟ اننا نعترف بأن التجريبيين غائيون ، ولكن العكس ليس صحيحا ، لأن كثيرا من القائلين بالغائية ليسوا من التجريبيين ، والدليل على ذلك قول كثير من الفلاسفة بأن غاية الانسان هى « الخير الأسمى » الذى يسرى على كل زمان ومكان ، أو بأنها هى « الكمال المطلق » — وهذه كلها غايات لا تدخل فى نطاق التجربة . واذن فالغائية والتجريبية لا يمكن أن يكونا مذهبين يحل كل منهما محل الآخر فى ميدان الأخلاق .

* * *

ولأنتقل الآن الى ابداء بعض الملاحظات النقدية . وأود منذ البداية أن أشير الى أن كثيرا من

الخلافات الفلسفية انما هى خلافات فى وجهات النظر فحسب ، وأن من غير المعقول ان يتفق ذهنان — فى المسائل الفلسفية — اتفاقا تاما على كل الأمور . واذن فاختلاف الآراء أمر ينتمى الى ماهية الدراسة الفلسفية ذاتها . ومن هذه الزاوية ينبغى أن ينظر الى العدد الأكبر من الملاحظات التى سأوردها فى هذا الجزء من المقال .

ولأبدأ أولا ببعض الملاحظات التفصيلية :

— فى هامش ص ٧٩ كتب المؤلف تواريخ حياة الفيلسوف جورج سانتيانا على هذا النحو : (١٨٦٣ — ؟) . والصحيح أن سانتيانا قد توفى سنة ١٩٥٢ .

— وفى هامش ص ١٢٧ وصف « نورمان كمب سمث » بأنه « أستاذ الفلسفة الحالى بجامعة ادنبرة » . والصحيح أن سمث قد اعتزل الاستاذية سنة ١٩٤٥ ، وتوفى سنة ١٩٥٨ .

— يترجم المؤلف عبارة Logical positivists بقوله « الوضعيون المناطقة » ، وهذه ليست أفضل ترجمة ، لأن كلمة « مناطقة » تقابل كلمة logicians ، لا الصفة logical . وليس من الضرورى أن يكون هؤلاء الوضعيون « مناطقة » ، أعنى مشتغلين بالمنطق ومحترفين له ، وانما هم « منطقيون » فحسب .

— فى ص ٥٨ اتخذ المؤلف من شخصية « سنكلير » ممثلا للفلاسفة المعاصرين الذين استمروا فى الموقف التقليدى من مشكلة الوجود . وليس هذا ، فى رايى ، بالاختيار الموفق ، لأن سنكلير هذا فيلسوف من الدرجة العاشرة وكان من الممكن اختيار أحد ممثلى مذهب « التوحية الجديدة » ، مثل « چاك ماريتان » مثلا .

— فى ص ٣٤٢ ذكر المؤلف اسم « اميرسون » R. W. Emerson ضمن المثاليين الانجليز ، والصحيح أنه أمريكى .

— تحدث المؤلف فى ص ٣٤٦ و ٣٤٧ عن معيار « الضرورة والتعميم » فى المعرفة عند العقليين .

واذا كان اللفظ الأخير ترجمة لكلمة Unirversality فقد كان من الواجب الاستعاضة عنه بلفظ « الشمول » ، لأن التعميم generalization معيار تطبقه المذاهب التجريبية بناء على استقصاء مجموعات من الحالات الجزئية .

— فى ص ١٣٧ — ١٣٨ يقول المؤلف ان « علم النفس أخذ يستقل عن الفلسفة على يد مدرسة التحليل النفسى التى أنشأها سيجموند فرويد ومدرسة السلوكية التى تزعمها چون واطسون .. وبافلوف .. » . واعتقد أن استقلال علم النفس عن الفلسفة بدأ قبل ذلك ، على يد رواد النزعة التجريبية فى علم النفس ، مثل : ڤنت Windt وفشنر Fachner

— فى مناقشة المؤلف لمعايير الحق (الفصل الثانى من الباب الرابع) لا يذكر شيئا عن أهم المعايير جميعا ، وهو معيار التطابق Correspondance ، وهو المعيار الأول الذى ورد فى كتب ارسطو ، ثم انتقل منه الى كتابات كثير من الفلاسفة ، ولاسيما الاسلاميين . وتبعا لهذا المعيار تكون الحقيقة فى مطابقة الحكم للموضوع الخارجى . وتلك هى النظرية الأصيلة التى ظلت سائدة قرونا طويلة قبل ظهور النظريات التى تحدث عنها المؤلف ، كنظرية الوضوح عند ديكارت ، والنفع فى الحياة عند البرجماتيين .. الخ

كذلك فان تسمية المؤلف للنظرية المثالية باسم « نظرية الاتساق » تفتقر الى الدقة : ذلك لأن الاتساق Consistency غير الترابط Coherence فالأول منطقى بحت ؛ وأية حقيقة يستدل عليها بالاستنباط ينطبق عليها معيار الاتساق (أى عدم التناقض) . ولكن المعيار المثالى ينطوى على اكثر من انعدام التناقض : فهو نوع من الترابط مع مجموع الأحكام ، بحيث يكون الكل وحدة عضوية عينية . والاتساق معيار متضمن فى أية نظرية عن الحق ، لأنه أبسط شروط المعقولية ، ولا يستطيع أن ينكره أحد . وعلى ذلك فكلام المؤلف عن نوعين من الاتساق ، الاتساق المنطقى ، والاتساق المتصل بحقائق الواقع ، وربطه بين النوع الثانى وبين الاستدلال

الاستقرائى) ص ٤١٠ (لا صلة له على الاطلاق بمعيار الترابط عند المثاليين . ولقد أشار المؤلف الى كتاب Essays on Truth & Reality لبرادلى ضمن مراجعه فى هذا الجزء . ومن المؤكد أن الرجوع الى هذا الكتاب كان كفيلا بالقاء ضوء ساطع على نظرية الحقيقة عند المثاليين ، وبايضاح الموقف على نحو يحدد الفارق بين نظرية « الترابط » المثالية ونظرية « التطابق » الواقعية .

* * *

فاذا انتقلنا من هذه الملاحظات التفصيلية الى ملاحظات أخرى ذات طابع أعم ، لوجدنا أولا أن الجزء الأكبر من مراجع الكتاب ينتمى الى ذلك النوع الذى يمكن تسميته بالمراجع الثانوية ، أعنى أنها ليست مراجع أصلية للفلاسفة أنفسهم ، وانما مراجع لكتاب قاموا — قبل المؤلف — بعملية تلخيص لأفكار أو مذاهب أو إتجاهات فلسفية معينة ، وقام هو بتلخيص هذا التلخيص . وربما كانت طبيعة الكتاب ، بوصفه مدخلا عاما الى جميع العلوم الفلسفية ، لا تحتم الرجوع الى الأصول فى كل الأحوال ، اذ أنه يكاد يكون من المستحيل أن يرجع المرء الى المؤلفات الأصلية فى كل ميادين الفلسفة مجتمعة . ومع ذلك فان المرء يشعر فى بعض الحالات بأن المؤلف كان يستطيع أن يرجع الى الأصل دون مشقة ، ومع ذلك آثر مرجعا ثانويا . فلسنا مثلا فى حاجة الى الرجوع الى أحد كتب « جود Joad » (الذى أعطاه المؤلف من الأهمية أكثر مما يستحق) لكى نقرر أن « كانت » يسمى مثالية باركلى بالمثالية المادية، ويضعها فى مقابل المثالية النقدية (ص ٣٣٩) ، اذ ان النص الذى يذكر فيه كانت ذلك معروف ومشهور .

وفى كثير من الأحيان يشعر القارىء بأن أحكام المؤلف عامة أكثر مما ينبغى . ففى الحديث عن « غاية الفلسفة » عند المحدثين ، يصدر المؤلف هذا الحكم « وهكذا تحولت قيمة العقل عند المحدثين حتى أصبحت أداة نفعية بعد أن كان عند القدماء هبة الهية ، ورزح الفكر تحت ضغط الحياة العملية بعد أن كان فى يد القدماء يسمو بمقدار تحرره من قيود الحياة العملية . واذا كان هؤلاء المحدثون قد حرروا العقل من قيود العقيدة الدينية التى ناء بخدمتها فى العصور الوسطى ، فقد قيدوه بمطالب الحياة الدنيا ومقتضياتها .. الخ » (ص ١٢٨) . وهكذا يرى المؤلف ان غاية الفلسفة عند المحدثين — على وجه العموم — عملية ، ويجمع بين بيكين وديكارت معا فى هذا الاتجاه ، على أساس أنهما لم يتحررا من طغيان روح العصر ، « عصر الآلات والصناعة » (ص ١٢٧) (مع أن عصر الصناعة قد بدأ يظهر بعد أكثر من قرن كامل من وفاة الفيلسوفين) ، كما يجمع فى هذا الاتجاه بين المذهب التطورى ، ومذهب المنفعة العامة ، والمذهبين البرجماتى والماركسى ، ولكن هل هذه المذاهب تمثل « الفلسفة الحديثة » كلها ؟ أين اذن مئات الشخصيات والمذاهب الفلسفية ذوات الاتجاه النظرى فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، بل فى القرن العشرين نفسه (مثل هوسرل وهيدجر) ؟ وفضلا عن ذلك يبدو من النص السابق أن المؤلف يعد هذا التطور نحو الاهتمام بالحياة العملية تدهورا ، ومع ذلك فهو يعود فى التعقيب الذى يلى ذلك مباشرة الى الدفاع عن الاتجاه العملى ، بحيث لا يستطيع المرء تحديد موقفه من هذه المسألة بدقة . والأمر الوحيد المشترك بين ما قاله أولا ، وما قاله فى التعقيب ، هو تكرار عبارة « الحياة الدنيا » — وهى عبارة لست أرى لها مكانا عند معالجة مثل هذه الموضوعات .

وترتب على هذا الاتجاه الى التعميم السريع ، أن كثيرا من المناقشات لم تبلغ المستوى المرغوب فيه من العمق . فعندما يناقش المؤلف آراء البرجماتيين ويشبهها بآراء السفسطائية ، ويهيب فى مناقشته بانتقادات أفلاطون للسفسطائيين ، (ص ٨٠) يشعر القارىء بأن فى هذا « تسطيحا » للمشكلة ، وابتعادا عن الخوض فى أعمق أغوارها . ذلك لأن من المؤكد أن البرجماتيين قد أتوا بآرائهم وهم على علم بماضى الفلسفة ، وبالانتقادات الكلاسيكية المعروفة . ومن المؤكد أيضا أنهم حاولوا الاتيان بما هو أعمق من ذلك . ولست أقول ان البرجماتية بمنأى عن النقد ، ولكنى أعتقد أنهم تجاوزوا مرحلة السفسطائية ، ومن هنا فقد كان من الواجب انتقادهم على مستوى أعمق من مستوى نقد أفلاطون للسفسطائيين .

ومثل هذا يقال على نقد المؤلف للماركسية ، حين يقول (فى ص ٨٢) ان ماركس لا يعترف بتأثير التفكير فى الواقع . وهذا نقد غير متعمق ، اذ ان ماركس ، مع اعترافه بأن العلاقات المادية للانتاج هى الأساس الأول للأفكار ، يعود بعد ذلك فيؤكد العلاقة المتبادلة بين « التركيب الأدنى » ، وهو هذه العلاقات المادية ، و « التركيب الأعلى » وهو ما يترتب عليها من الأفكار والمذاهب والعقائد . فالأولى هى الأساس حقا ، ولكن الثانية تعود فتؤثر حتى فى العلاقات المادية ذاتها . اى أن العلاقة بين الطرفين « ديالكتيكية » ، وهى أعقد من أن نعبر عنها فى الصيغة المبسطة القائلة ان العمل هو الذى يؤثرفى التفكير النظرى ، وأن الثانى مجرد نتيجة للأول .

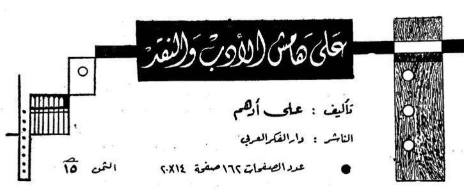
وهذا ينطبق بالمثل على نقد الوجودية على أساس أن « قيام الانسان بواجبه نحو قيم المجتمع الذى يعيش فيه ، لا يطعن فى حريته ، ولا يتنافى مع استقلال شخصيته ، بل عليه أن يشارك فى تحقيق المصالح المشتركة ، وأن يتعاون مع أقرانه على تحقيق الخير العام .. » (ص ٨٥) . ذلك لأن الرأى القائل ان الوجودية تنكر كل شعور بالمسئولية الاجتماعية ، وكل اتجاه الى تحقيق الخير العام ، على أساس أنه يتنافى مع الحرية واستقلال الشخصية — هذا الرأى قد يكون معبرا عن النظرة « الصحفية » الى الوجودية ، ولكنه لا يمثل أعمق ما فى هذا المذهب ، ويتجاهل المناقشات العديدة العميقة لهذا الموضوع فى كتابات الوجوديين ، وما أبداه الكثيرون منهم ، فى تصرفاتهم العملية ، من تأكيد لشعورهم العميق بالمسئولية الاجتماعية .

ان الانطباع العام الذى يكونه القارىء عن موقف المؤلف من المذاهب والمشكلات ، هو أن الفلسفة كلها ترتد عنده الى تضاد بين طرفين يبالغ كل منهما فى موقفه ، وينبغى أن يتخذ المرء موقفا وسطا من تطرفهما . هذا هو النمط الذى يتكرر طوال الكتاب ، وفى كل ما تضمنه من المناقشات . ورغم أن المؤلف يعلن فى المقدمة أنه من أنصار المذهب العقلى ، فانه فى الواقع ميال الى اتخاذ الموقف الوسط فى كل الأحوال ، والى التخفيف من تطرف المذاهب وتأكيد أهمية التوفيق بينها . فهو حين يناقش ، فى الباب الأول مواقف المذاهب المعاصرة من طبيعة الفلسفة ، يتخذ موقفا وسطا بين كل طرفين متقابلين فيها . وحين يتحدث فى الباب الثانى عن الماديين والروحيين ، ينتهى الى نفس الموقف الوسط (مع ميل الى الروحية بطبيعة الحال) : وحين يناقش طبيعة المعرفة فى الباب الثالث ، يبين مزايا كل من الواقعية والمثالية وعيوبها بنفس الطريق « العامة » ، وينتهى الى وجوب الأخذ بما هو أفضل فى الموقفين معا . وبالمثل يوجه ضد العقليين انتقادات التجريبيين ، ويوجه ضد التجريبيين انتقادات العقليين . وفى الفلسفة الأخلاقية ينتهى المؤلف الى النتيجة نفسها ، اذ يقول أن « فى الاتجاه الحدسى والاتجاه الغائى .. عناصر حق وعناصر ضلال ... ولكن كلا الاتجاهين على حدة غير مقبول » . (ص ٤٤١) . وفى فلسفة الجمال يوفق بين الرأيين العقلى والوجدانى فى تقويم الجمال ، وبين الرأيين الذاتى والموضوعى فى طبيعته .

وهكذا تتخذ « تعقيبات » المؤلف فى الكتاب كله هذه الصورة الواحدة . وربما كان هذا المنهج مفيدا اذا استخدم فى حالات معينة ، ولكنه فى رأيى لا يعطى القارىء صورة كاملة عن طبيعة الخلافات الفلسفية اذا ما طبق فى كل الحالات دون تمييز ، وانما هو يبسط المسائل أكثر مما ينبغى ، ويصور الأمر كما لو كان فى كل مشكلة اتجاهان متضادان واضحا المعالم ، يستطيع المرء اذا وقف منهما موقفا وسطا أن يأخذ خير ما فيهما . ولو كانت المسألة على هذا القدر من البساطة لهان الأمر ، ولكن الذى يحدث فى معظم الأحوال هو أن خلافات الفلاسفة تكون أعمق وأشد تعقيدا من أن تدخل فى هذا الاطار المبسط .

ومع ذلك ، فمن الممكن ايجاد مبررات مختلفة لهذا المنهج الذى اتبعه المؤلف ، أهمها هو الطابع « المدرسى » للكتاب ، الذى ربما أدى بمؤلفه الى الامتناع عن خوض المنازعات التفصيلية ، والاكتفاء من كل مشكلة بأوجهها العامة . وربما كان فى طبيعة المؤلف ذاته اتجاه الى الأخذ بالحلول الوسطى ، والابتعاد عن التطرف والتعصب . وبهذا المعنى نستطيع أن نقول ان الكتاب بأسره انما هو « توفيق طويل » بين المتعارضات فى المذاهب والمشاكل الفلسفية .

دكتور فؤاد زكريا



هذا كتاب قرأته منذ سنوات ، ولا ازال أرجع اليه بين الفينة والفينة ، فأشعر بما كنت أشعر به من قبل من لذة عارمة ومتعة زائدة وفائدة كبيرة ، وتدهشني فيه ثقافة الكاتب الواسعة وآفاق تفكيره البعيدة ، والمامه بالثقافة العربية ، والثقافة الغربية أيضا .

وقد قرأت قديما مثلا لاتينيا جاء فيه « احذر رجل الكتاب الواحد » وهم يقصدون بذلك الرجل محدود الثقافة ، الذى يدور فى دائرة واحدة لا يتعداها ، ويهيم فى حلقة مفردة لا يتخطاها . لأن التنوع فى الثقافة يجب أن يكون السمة البارزة للأديب والطابع المميز للكاتب ، فقد انتهى العهد الذى أصبح فيه الانسان يقتصر على ثقافة واحدة ، ولغة واحدة ، وجاء العهد الذى الغيت فيه المسافات الغاء ، وارتبط فيه العالم ارتباطا وثيقا ، واتصلت فيه الدول اتصالا متينا ، واصبح التخلف عن ركب الثقافة العالمية قصورا ليس بعده قصور وتقصيرا ليس بعده تقصير .

والمؤلف الذى ندرس كتابه فى هذه المرة مؤلف واسع الثقافة ممتد الافق ، تحمل ثقافته اصباغا متعددة والوانا متباينة ، وضروبا مختلفة ، وهى فى أثناء هذا كله لا تكتفى بالقشور ، ولا تنبهر بالمظهر دون الجوهر انما تصل الى الأغوار ، وتغوص الى الأعماق ، وتستخرج لنا الزبدة الفكرية النظيفة ، التى تستأثر باعجابنا وتستحوذ على قلوبنا .

والمؤلف الكبير على أدهم فى هذا الكتاب أشبه باستاذنا الراحل عباس محمود العقاد ، الذى تتعدد الوان ثقافته ، وتتنوع معالم تفكيره فيخوض فى مباحث شتى ، ويعرج على موضوعات عدة ، لا يصرفه عن ذلك شيء ، ولا يمنعه من الوصول بثقافته الى قرائه سدود أو حدود ...

فهو تارة يتحدث عن أبى الطيب المتنبى ويسايره فى طموحه وجموحه حتى يصل به الهوس الى حالة كتلك التى وصفها دعبل الخزاعى فى قوله :

انى لأفتح عينى حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى احدا ..

وقد علل المؤلف غرور المتنبى فقال ان فرط ثقة الفنان بنفسه واسرافه فى حبها وكثرة تعلقه بأهدابها يقابلها من ناحية أخرى رغبة منافسيه وانداده وحساده الجنونية الطافية فى انتقاص قيمته وأنكار فضله وتشويه محاسنه واذاعة مثالبه ، والحرص على النيل منه وهدم بنائه » .

وهذا التعليل يكاد يكون مقبولا فى بعض مراحل حياة المتنبى غير أنه كان فى مراحل أخرى من حياته مريضا مرضا نفسيا حتى لقد خرج تعاظمه عن المألوف ، وخالف المعروف ومن ذلك انه اشترط على سيف الدولة الحمدانى ملك حلب فى أول عهده بالاتصال به انه اذا انشده مديحه لا ينشده الا وهو جالس ولا يكلف تقبيل الأرض بين يديه ولما رحل الى مصر بعد حنقه على سيف الدولة واتصاله بكافور الأخشيدى كان يقف بين يديه وفى رجليه خفان ، وفى وسطه سيف ومنطقة ، وكان يركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، وروى أبو على الحاتمى قصة وصوله

الى بغداد وكيف كان الكبر يغمره والصلف يدثره، ولا يرى أحدا الا ويعتقد تمام الاعتقاد أنه يمتاز عليه ، وان العلم مقصور عليه ، وان الشعر لا يعذب الا على لسانه .

والناس كلهم فى نظره طغام فى طغام ، يستوى فى ذلك الملوك والسوقة ، والأشراف والعبيد .

ودهر ناســه ناس صغار
وان كانت لهم جثث ضخام

أرانب غــير انهم ملـوك
مفتحــة عيونهم نيــام

وشبه الشيء منجذب اليه
وأشبهنا بدنيانا الطغــام

وهو فى نفس الوقت يرفع بعض ممدوحيه الى السموات العلا ولا يتورع من أن يضفى سمات الالوهيـــــة عليهم فيقول فى على بن ابراهيم التنوخى « مذل الأعـــزاء المعــز » وفى كافور الأخشيدى « جرى الخلف الا فيك أنك واحد » .

على أن هـــذه المثالب التى رسبت فى نفسية المتنبى لم تحل دون أن ينظم الرائع من الشعر والعذب من القصـــيد ، ويصير علما خفاقا من اعلام الادب العربى يستحق الدراسة ، وهو جدير بالمباحث الضخمة والفصول المتنوعة .

وربما كان الغموض فى شـــخصية المتنبى عالما يستهوى الأدباء والباحثين كما كان الغموض فى شعره مبحثــا قيما من مباحثهم تناول الفاظه ومعانيه كقوله :

وما أرضى لمقتــله بحلم
اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

فالابتشاك فى اللغة هو الكذب ، والمتنبى يأبى الا أن يستخدم هذه اللفظة الوحشية دون تردد أو احجام .

وقد درس الأستاذ على أدهم فى كتابه أبا الطيب المتنبى وغروره وطموحه وحزنه ، وهو فى دراسته يحاول أن يرد هذه الظواهر النفسية الى أصولها كما يرى أن طموحه هـــو باعث حزنه وكبرياءه سبب كثرة خصومه وأعـــدائه وافراطه فى طلب الدنيا هو سبب ما يروى عنه من الشح والبخل .
وكل هذه تعليلات سليمة تحدث عنها الأستاذ على أدهم بالتفصيل فى أحد فصول هذا الكتاب فى هذا اللون العربى من ألوان الثقافة التى تضمنها هذا الكتاب .

كما اشتمل أيضا على فصول عن عمران بن حطان وعن آثار الحب ومعالم الصداقة فى شعر أبى تمام .

وقد خرج علينـــــا الأستاذ على أدهم بنظرية طريفة فى شعر أبى تمام فحواها ان من يقرأ باب الغزل فى ديوانه قل أن يشعر فى خلال أبياته بنغمة الحب الصادق أو بأثر الوجدان المعقد المقيم وان أكثر هذا البـــاب فى ديوانه مقطوعات من الشعر تتفاوت طولا وقصراً ، وقوة وضعفا يجرى فيها على التقاليد المتبعة ويردد فيها المعانى المطروقة ، فلا يحلق ولا يرتفع بل لعـله فى بعضها يسف ويسخف وانه أقدر على وصف عاطفة الصداقة وأعرف بها لأن الحب عاطفة ثائرة غلابة لا يحتملها طبعــه الهـادىء ونفســه المطبوعة على التفكير والروية . فالحب صخب مثير للزوابع مثل المردة أما الصداقة فوائقة بنفسها راضية قانعة .

وهذه النظرية التى أثارها الأستاذ على أدهم تتفق مع طبيعـــة أبى تمام الهادئة ، التى تهتم بالألوان العقلية والألوان اللفظية ، وتسعى الى استخراج المعانى الطريفة ، وتفترعها افتراعا كما تفترع العذراء . فهو لا ينظم الشعر ارتجالا دون روية أو تفـكير ، وهو لا يطلق الشــعر كما يقول فيكتور هوجو كما يغرد البلبل وتصـــفر الريح انما يكد عقله فى نظمه ويعمل تفكيره فى قرضه حتى تستوى القصيدة من الشعر فى ذهنه وتخرج فى حلة قشيبة ، واطار جذاب خلاب وهو فى ذلك يقول :

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى
والليــل أســود رقعـــة الجلباب

وهو حين يتحدث عن أبى نواس أو ابن هانىء يصوره بشاعر أبيقورى النزعة وينسبه الى ذلك الفيلســـوف الاغريقى « ابيقوروس ٣٤١ — ٢٧٠ ق . م » الذى جعل غاية الحيـــاة عنده اللذة الجنسية وكان يرى أن اللـــذة التى هى الغاية ليست تلك الحركة العنيفة التى تضطرب بها حينا

لم يكون بعدها ما يكون بل هى الاستمتاع بالهدوء والطمأنينة أطول وقت ممكن .

نسب على أدهم أبا نواس الى هـذه المدرسة الأبيقورية المعروفة فى تاريخ الفلسفة غير أنه قال ان العهد الذى عاش فيـه أبو نواس كان يغرى بالابيقورية لأن الحياة حفلت بمظاهر الترف ومجال الأناقة ، وتوافر الثروة مـدعاة الى الانغماس فى الرفاهة ، والاسراف فى طلب المتعـة وانطلاق الشهوات من عقالهـا فضـلا عن أنه كان يقظ الحواس ، حاد الذكاء قـوى البـادرة . يحسن الخروج من كل مأزق والتغلب على كل عقبة .

ويضيف الأستاذ على ادهم قائلا « ان رجلا له مثل هـذه السرعة فى الاحساس والتصور والعمل ، وهذا الانسجام بين القوى العقلية والقوى البدنية لابد أن يصـطدم بقوانين العرف المتبع والآداب المرعية .

وهذا التعليل الذى أثاره الأستاذ على ادهم يعـد تعليلا جميلا ما فى هذا شك لأنه يتصل بالبيئة التى عاش فيها الشاعر وشرب من لبانها وتربى بين أحضانها واكتوى بنارها كما نهل من عقارها .

وقد أيد الأستاذ على أدهم رأيه برأى شوبنهور القائل بأننا اذا سلكنا فى الحياة أى طريق فاننا نظل غير قانعين به متطلعين الى سلوك غيره ، فالعابد الزاهدتمر به أوقات يسأم فيها العبادة ويميل الزهد ولكنه يكافح هذا الملل ويطرد وساوس شيطانه ، ويلقى فى ذلك الشدائد ويكابد الثورات العنيفة .

هذه لمحة من جوانب الثقـافة العربية التى احتواها هـذا الكتاب ، وهناك لمحات أخرى من الثقافة الأجنبية تظهر بين ثنايا الكتاب فى ثوب قشيب وعرض جميل ، وصـورة أخاذة ، واطار جذاب .

ولعل أجمل هـذه الفصول هو الفصل الذى كتبه عن شوبنهور والنقـد الأدبى مما يستحق التوضيح لشموله على حقائق ادبية رفيعة فقد أثار شوبنهور العيوب التى امتلأ بها تاريخ النقد فى العالم فقد عجز عن تقدير المبتكرات الفنيـة والأدبية المعاصرة وقد ساق الدليل على ذلك فقال ان جونسون مثـلا يقول عن منظومة جون ملتن العظيمة المعروفة بالفردوس المفقود « ان قراءتها واجبة وليست متعة » كما أن أشـعار كيتس وبيرس شللى قوبلت بمقابلة سيئة من نقاد عصرهما وكتاب كارليل العظيم عن الثورة الفرنسية وأجه عاصفة من النقد الحانق حين ظهوره ، وكذلك ثاكرى وجـين أوستن لم يرحب بهمـا فى بادىء الأمر .

ويضيف على ادهم على لسـان شوبنهور بأن جيتى كان شاعرا ناقدا ومع ذلك فان أحكامه على شعراء الانجليز والفرنسيين المعاصرين له تحير الفكر وتربكه وقد رفض أن يقدر شللى وفى عام ١٨٢٤ تكلم مع صـاحبه المستشار « ميللر » باستخفاف ، وكان قد مضى على وفاة شللى عامان وكذلك لم يعجب بكوليردج وكان يغالى بقيمة بيرون وصرح بأنه الشاعر الوحيد الذى يعده نظيرا له .

وهذه الحقائق الدامغة التى ساقها شوبنهور تدفعنا الى الايمان بحقيقة علمية ثابتة وهى أن النقد الأدبى فى مختلف مراحل التـاريخ تعرض لأهواء سياسية حينا واغراض شخصية حينـا آخر كما تعرض لعصبيات دينية فى بعض الاحوال فاختلت تبعا لذلك أحكام النقاد .

وهذه الحقيقة التاريخية الثابتة هى ما نحاول أن نبرىء منها النقد فى هذه الأيام حتى يكون المجد للعمل الأدبى وحده دون محـاورة أو مـداورة ، ودون مصلحة أو غرض ، كما يكون ميزان النقد سليما سواء أكان من ذهب أو حديد ... فليست العبرة بنوع الميزان كما هى العبرة بقيمـة العمل الأدبى نفسه وثقله فى هذا الميزان .

على أن شوبنهور أثار رأيا طريفا حول المجلات الغربية جـديرا بالدراسة فى هـذه الأيام التى ازدهرت فيه المجلات ازدهارا عظيما فهو يقول ان المجلات الأدبيـة يجب أن تكون حاجزا يتقى به طغيان الكتب غير النافعة ، ويجب أن تكون أحكامها عادلة غير مغرضة ، وصـادقة لا تعرف المجاملة

ولا المواربة ، وأن تمزق جلود الكتب التافهة بالسياط فى غير هوادة وبلا رحمة ، وبذلك تؤدى واجبها وتنهض برسالتها وتضع حدا لخديعة الجمهور وتضليله وافساد ذوقه .

وهذا ما أعتقد ان الأستاذ على أدهم يسير على هديه فى سياسة هذه المجلة الأدبية ، وهو ما أرى أن يكون خطة للمجلات الأدبية الأخرى حتى لا تنشر الغث من المقال والسخيف من الأفكار والتافه من الأقوال كما تعمد الى تقييم العمل الأدبى وتقديره دون أى اعتبار اللهم الا وجه الحق وحده .

وقد اشتمل كتاب الأستاذ على أدهم كذلك على فصول ممتعة عن الثقافة والمجتمع والأدب والسياسة والكتب والكتاب والنقد الفنى بين المذهبين الاجتماعى والفردى وأثر النبوغ والعبقرية فى الأدب والفن والتقدير الفنى بين النظريتين العلمية والفنية والحياة الفكرية فى عهد الشادة وعصر الاستقرار .

ومن الفصول الطريفة التى تضمنها كتاب «على هامش الأدب والنقد» فصل عن الشيطان فى الشعر الحديث ورابندرانات طاغور وآرائه فى الحياة والفن .

ولعل من أجمل اراء طاغور أن الشاعر الفنان هو الذى يطلق فى نفوسنا الشاعر الفنان والفلسفة هى معبد الحق والشعر هو حرم الجمال ...

ترى كم من الشعراء تأثر بفكر طاغور .. ؟!!

دكتور جمال الدين الرمادى



سطور من كتاب ...

« ولا نستطيع ، نحن الانجليز ، أن ندرك معنى هذا الاهتمام بالمنفعة ، بينما يكره الفرنسيون فى الواقع القيام بأعمال غير مجدية . ولقد انزلق لسانى ذات يوم فى الحديث، وقلت مدللا على سعيهم الحثيث نحو المنفعة بأنهم ينجبون من الأطفال ثلاثة بدلا من اثنين ، لا بمحض الصدفة ، ولكن من اجل الحصول على العلاوة الاجتماعية » .

... مذكرات الرائد طومسون



للسينما والمسرح والتليفزيون

تأليف : فنسنت ج . د . كيهو
ترجمة : أمين سلامه

الناشر : دار الفكر العربي ٤٤٢ ص
١٧ × ٢٤ سم - الثمن ١٢٥ قرشا

من معالم الانطلاقة التى تعاصرها فنوننا الدراميـة ، فى المسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون ، ما تشهده المكتبة العربية فى السنوات الأخيرة من أبحاث ودراسات مؤلفة ومترجمة تستهدف تعميق الظاهرة الدرامية عن طريق تزويد القارىء ، محترفا كان أو هاويا ، بحصيلة من المعلومات تسد فيه الحاجة الملحة الى المعرفة للحاق بالركب فى خطوه المتدفق الجرىء .

ونظرا لأن فن الدراما لم يستتب بين ظهرانينا على أوضاعه الحالية ذوات الرقعة المتسعة الا منذ عهد قريب ، فقد كان من الطبيعى أن تنشأ ثغرة كبيرة بين حماسة الانجاز والقدرة على الاستيعاب الواعى .

مثل هذه الثغرة كان من الممكن أن تنطوى على تأثير معرقل بالنسبة لمشروعات التطور ، حيث انه من غير المألوف أن يزدهر الفن ، أى فن ، الا فى تربة منقلبة تتميز بكفاءة فى التذوق .

والمعروف ان التقبل والتذوق فى الفن لا يتأتيان بغير الادراك الحصيف لمكونات العمل الفنى ، وهو ما نعنيه غالبا عندما نذكر لفظة الثقافة الفنية . فرائد الدراما .. سواء أكان متفرجا أو مشجعا أو مشتغلا بالفن أو حتى اداريا منظما .. لا ينتظر أن يبلغ أى شأو فى ميدان تخصصه ، أو تحمسه ، ما لم يكن على الم بعناصر الموضوع الذى يحتضنه ، ونصيب كل منها فى النتيجة العامة التى تمثل العمل الناجز النهائى ، اذ أن المتعة الفنية ، كما يقول أرسطو ، انما تعتمد على نسبة الأجزاء الى الكل ، وادراك ما بينها من انسجام وتوافق .

ولما كان العرض الدرامى عملا جماعيا تتضافر على انتاجه جهود متعددة تجمع بين الأدب والفن والعلم والصنعة الحرفية ، لذلك كنا نعتبر كل مساهمة ، بالترجمة أو التأليف ، فى أى من هذه المجالات بمثابة قطعة هامة فى الجسر الطويل الذى نريد له أن يعبر بنـــا الثغرة الحالية الى آفاق الابداع والأصالة .

تلك تحيــة سريعة لابد منها الى الكتاب الذى نحن بصـــدده حتمتها ضرورة التنويه باهمية الموضوع الذى يعالجه ، وعلى الأخص بالنســبة لأوساطنا الفنيــة حيث لا نكاد نعرف بين من يمارسون المهنــة من يجيـد الاطلاع باللغـات الأجنبية ، وحيث لا تزال عمليات الماكياج تخضع لأساليب اجتهادية باستثناء حالات قليلة فردية نذكر منها ماكياج الأم فى فيلم « المرأة المجهولة » الذى أثار به الماكيير الراحل عيسى أحمد اهتمام النقاد واستحق عليه جائزة الدولة .

والواقع أن الكتاب ، بالاضافة الى دوره البناء فى محيط الثقافة الفنيــة ، يعتبر أول جهد من نوعه فى هذا المضمار ، وهو لهذا يتحمل فى ترجمته العربية عبء الاقتحام والنحت .. اقتحام أرض غير معبدة ، ونحت المصطلحات العديدة فى دروبها الوعرة . ويكفى لادراك مدى صعوبة هذه المهمة أن الـكتاب مضطر بسبب طبيعـــة موضوعه الى التعرض لبنود هندســـية وعضوية وطبيــة ، كالأضاءة ، والعدسات ، وخامات الأفلام ، والملابس والتشريح ، والعقـــــاقير ، والالكترونات ، والكيمائيات .

والطريف فى الأمر انه على الرغم من أن جميع أنواع العرض الدرامى ووسائله ، باستثناء الاذاعة الصوتية ، تستعين بالماكياج كعنصر ضرورى ولازم لابراز الملامح بالسمة المنشودة ، وعلى الرغم من أن معظم المعاهد الدرامية ، ومنها معهدا السينما والمسرح فى بلادنا ، تضع هــذه المادة الأساسية ضمن برامجها التعليميـــة ، الا انه ، لأمر ما ، بقيت الأبحاث والكتب الدراســـية التى تتعلق بالماكياج شحيحة وقليلة فى جميع اللغات ، حتى لتكاد تعد ــ ما ظهر منها فى جميع انحاء العالم ــ على أصابع اليد الواحدة .

وربما كان السبب أن أهل الماكياج يعتبرون فنهم خلقا متفردا يرتبط بذاتيـــة الممارسة ومن هنا لا تصلح تجاربه الشخصية للتطبيق العام ، أو ربما لأن عملية الماكياج تنصب على ملامح فنانين لا يشبه أحـدهم الآخر فى التقاطيع والقسمات وبالتالى لا يمكن تطويعها للاستخدام القياسى ، أو ربمـا لأن جانبا هاما من هذا الفن الزئبقى يعتمد على أسس علمية بحتة وبناء عليه فكل من يتصدى لمزاولة المهنة اما أن يعرف هذه الأسس سلفا أو يتحصل عليها من مصادرها الأصلية .

سواء اكانت هذه هى كل الأسباب ، أو بعضها أو غيرها ، فالمهم أننا بازاء كتاب مستفيض قرر مؤلفه فنسنت كيهو ، الحاصل على بكالوريوس الفنون الجميلة ، ورئيس المجلس الأمريكى لأبحاث الماكيــاج ، أن يجعل منــه مرجعا حديثا حافلا بالمعلومات والبيانات والارشادات .

والكتاب وان وضع أساسا لماكيـــاج السينما والتليفزيون ، الا أنه يحوى فصلا طيبا عن ماكياج المسرح لايضــاح الخلافات الجوهرية بين الماكياج المباشر الذى يطالعه الجمهور فى دار المسرح على أبعاد متفاوتة من الممثل وتحت أضواء شديدة ، وذلك الذى ينتقل بوســيط آخر عن طريق الكاميرات السينمائية أو الالكترونية . اذ يقول « ان الغرض من الماكياج المسرحى هو معادلة أثر المســافة بين النظــارة والممثلين بتعبيـرات الوجه (*) ، وموازنة شدة الضوء على المسرح .. ولذلك .. يجب أن يعمل الماكياج المسرحى بطريقة لا تبدو صــــناعية لمن ينظر اليها من الصفوف الامامية ، ولا تفقد بهاءها فى عيون من بالصفوف الخلفية ... ولما كانت الاضاءة تلعب دورا هاما ، بل وكلى الأهمية ، فى آثار الماكياج المسرحى ، وجب أن نفهم الفرق بين الألوان الأوليـــة للصبغات والألوان الأولية للضوء .. فهى فى الصبغات .. الأحمر والأزرق والأصفر ، فاذا خلطت بنسب متساوية تألف منهـــا لون رمادى .. وهى فى

(*) أوردها المترجم خطأ على أنها « مصطلحات وجهية » .. الأمر الذى لا يستقيم له المعنى .

الضوء .. الأحمر والأزرق والأخضر » فاذا مزجت بنسب متساوية الشدة تكون الضوء الأبيض .. »

فى مثل هذه الحقائق العلمية البسيطة يكمن الفارق الكبير بين أساليب المعالجة فى ماكياج المسرح والسينما والتليفزيون . ففى المسرح تتدخل المسافة وأضواء الكشافات الملونة فى العملية . وفى السينما تتدخل زوايا الكاميرا ، وأوضاع الأضواء المسلطة وكمياتها ، وخامة الفيلم نفسه من حيث درجة الحساسية وصفته اللونية ، وحجم الشاشة الكبير الذى يضخم الأشياء حتى « ان طول الرأس وحده يمكن أن يزيد عن ٢٥ قدما .. » . وفى التلفزيون يتدخل تعدد أجهزة التصوير وتعدد أبعادها وزواياها ، وكشافات الاضاءة العامة التى يسلط معظمها من أعلى ، وطبيعة النقل الفورى فى الأجهزة الالكترونية حتى فى حالة التسجيل ، والاقتراب الأليف بين المتفرج والشاشة الصغيرة ذات القدرة الفريدة على تجسيم المعايب .

لهذا يتعرض الكتاب فى فصوله الأولى لتحديد الصلة بين الاضاءة والماكياج ، فيؤكد أن الاضاءة غير الصحيحة قد تفسد الماكياج المتقن أو تقلل من احكامه ، ويصر على ضرورة وجود التعاون التام بين أخصائى الماكياج ومهندس الاضاءة والمصور ، لتلافى ما يمكن أن يحدث من مشاكل فنية من المرشحات ، أو قوة الأجهزة ، أو زوايا التسلط وما ينجم عنها من ظلال وتجاويف وبروزات ، تؤدى الى طمس المعالم أو تغيير طبيعتها أو تحريف مميزاتها .

ثم يتحدث عن العلاقة بين نوع الفيلم والماكياج ، فيسرد أنواع الأفلام القياسية التى تستخدم بصفة شبه عامة فى التصوير بالأبيض والأسود أو بالألوان ، ويبين الصفات المشتركة بينها وخصائص كل منها على حدة ، ودرجة حساسيتها بالنسبة للتعرض الضوئى وقدرتها النوعية على التأثر بالألوان الطبيعية ، وما تفتقده أو تكتسبه من مميزات عند التحميض والطبع .

ولا يكتفى المؤلف بهذا ، وانما يتصدى فى نفس الباب التمهيدي للعلاقة بين الملابس والماكياج ، فيبرز حقيقة هامة هى أن التليفزيون بصفة عامة أكثر قابلية على ابراز التقابل فى أنسجة الثياب من السينما ، وهى نقطة حرفت الترجمة مفهومها وعكست المقصود منها بحيث أصبح المعنى يفيد ارتداء الثياب ذوات الألوان المتناقضة فى التليفزيون عنه فى السينما .. ! وهى مسألة لا يشير اليها النص من قريب أو بعيد .

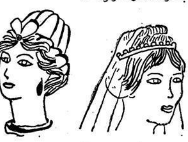
وعلى أى حال ، يبدو أن المؤلف يحس بثقل مادته التمهيدية وما تتضمنه من مسائل علمية ورياضية جافة اذ انه يسردها فى عجلة كبيرة وكأنما يريد أن يتخلص منها فى أسرع وأضيق وقت ممكن . لذلك زادها الاقتضاب جفافا على جفاف ، حتى لتبدو أشبه بجرعات الدواء التى لابد من تعاطيها دون طويل تساؤل واستفسار .

غير أن المؤلف يعوضنا عن هذا الاسراع فى سياق الكتاب الذى يتميز بالتأنى الشديد فى كافة مراحل الماكياج ودقائقه ، موضحا مناهج العمل فى كل مرحلة ، وما يستخدم فيها من مستحضرات فى المسرح أو السينما أو التليفزيون . وفى حالات التصوير بالأبيض والأسود أو بالألوان .

فبعد أن يقدم فصلا كاملا عن تشريح الوجه وأشكال الرؤوس الطويلة والقصيرة ، ونسب التقسيم فى تقاطيع الوجه ، وألوان البشرة والشعر والعيون ، ينتقل الى تعداد أدوات الماكياج التى يحتاجها الأخصائى فى عمله من القطن الى الكحول الى الأمشاط والمعاجين والمزيلات والمساحيق واقلام التظليل والأصباغ والطلاءات والمقصات والملاقط وجدائل الشعر والاصماغ الى اعضاء الوجه الصناعية .. والصابون .

ويوضح الكتاب ستة انواع من الماكياج ، يبدأها بما يسمى الماكياج البسيط أو السوى ، وهو الذى لا يحاول فيه الأخصائى تغيير سن الممثل أو سماته ، الى حد ما ، الا لتجميله وتوضيح المفاتن الطبيعية فيه ، وزيادة اللون الطبيعى للوجه ، وابراز ملامحه التعبيرية . ويتحفظ المؤلف من الدخول فى مقارنة بين هذا النوع والنوع الثانى الذى يسميه بالماكياج التصحيحى ، اذ يقول

ان الماكياج البسيط يتضمن فى أغلب الأحـــوال مبادىء التصحيح للحصول على التوازن المثالى للوجه واستدارته ولونه .



وطبيعى ان يتحمس كتاب فى فن الماكيــاج لمـــادته ، اذ يعترض المؤلف على السياسة التى ينتهجها بعض المخرجين ممن يأنفون نعومة الوجه الناجمة عن استعمال الماكياج ويحاولون الحصول على التـأثير التســجيلى الطبيعى بالعزوف عن استعمال أى نوع من الماكياج . ونصيحته فى هذا أن عــــدم استعمال الماكياج يضفى على الممثلين صفة العمومية المألوفة باظهار كل عيب أو بقعة فى وجوههم .. « عندئذ تكون الحقيقة الواقعية مكروهة ، وتضيع أجادة الممثل تمثيل دوره ، لأن ذهن الجمهور قد يشرد عن متابعة الدور بسبب عدم استعمال الماكياج . وعلى أية حال . اذا أراد المخرج التمسك بالعمومية المألوفة فلا مانع من استخدام اقل قدر من الماكياج .. » ثم يستدرك محذرا .. « و بطبيعة الحال لا ينطبق هذا على عمليات الألوان ، بل على صورة الأبيض والأسود للتلفزيون والسينما » .

ويسوق المؤلف من الأدلة ما يؤكد به أهميــة الماكياج ، اذ يقول « ان الصبغات الطبيعية للبشرة تختلف بدرجات متفـــاوتة من الحمرة والزرقة والصفرة والبنية . وكل هذه العوامل بالأضافة الى ما يكون ظـاهرا بالوجه من آثار الحلاقة أو النمش أو البقع أو الجروح تسىء الى الصـــورة التى يبدو عليها شكل الممثل على خشبة المسرح او على لوحة التلفزيون أو على شاشة السينما ولكن الماكياج « يستر ويخفى كل هذه العيوب . واذا عمل الماكياج بمهارة أمكن تصغير حجم الأنف الكبير مثلا ، أو الذقن العريض ، أو عظام الفك البارزة ، أو الاتساع الكبير فى العينين ، أو تقاربهما المتناهى فى الصغر ، واصـــلاح كثير من العيوب الطبيعية فى تكوين الوجه . »

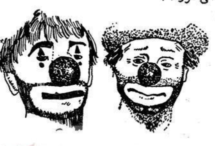
وهذا ما يعنيه المؤلف بالماكياج التصحيحى ، الذى يتنـــاوله بالتفصيل للنســـاء والرجال والأطفال . ولا ينسى فى ختام هذا الباب أن ينبه الى بعض الأخطاء الشائعة كاهمال مد الماكياج الى خط الشعر ، وحذف ماكياج الأذنين والرقبة ، ونسيان عمل ماكياج لليدين والزراعين ، والأفراط فى اســتخدام الكميات ، أو مواد التبييض ، أو اهمال الاحتفاظ بلمعة البشرة الطبيعية على وجه الرجال .

أما النوع الثـالث فهو ماكياج الشخصيات . وهنـــا يحذر المؤلف من المبالغة فى الاعتماد على الماكيـــاج ، كمحاولة تحويل الرجل البدين الى نحيف مثـــلا .. « فقد يكون فى الامكان جعل الشخص السمين يبدو انحف من حقيقته ولكن لا يمكن جعله نحيفا . » ويوصى باستعمال أدوات المطاط والبلاســتيك لخلق أى فرق فى تركيب الوجه .. مع توخى العناية البالغة فى استعمالها لكى تندمج حافاتهـا فى الوجه . وينبه بضرورة مراعاة أن يكون ماكياج الشخصيات صعب التمييز كماكياج فى اللقطـــات القريبة بالنسبة للسينما والتلفزيون « فغالبا ما تكون عين الكاميرا أكثر انتقادا وأصعب ارضاء من عيوننا » .

ولما كان من العسير وضع قواعد خاصة لهذا النوع لتعدد الشخصيات واختلافها بتعدد الأعمال الدرامية واختلافها ، فان المؤلف لا يجد أمامه الا ان يحيل ناشىء الماكياج فى بحثه عن خواص وجوه الشخصيات الى صور الجرائد والمجلات .. فضلا عن صور الحياة نفسها .

وينتقل بعـــد هذا الى ماكياج الأعمار فيبرز اللمسات الجوهرية بين السن المتوسطة والمتقدمة موضحا كيف تبدأ نضرة الشباب تغادر وجنات السيدات ، وكيف تبدأ لحى الرجال فى الكثافة ، وكيف يأخذ الشعر فى التحول الى اللون الرمادى، وكيف يزحف الصلع أحيانا الى قمة الرأس أو من مقدم خط الشعر ، وكيف تبرز عظام الوجنات

أو تتضخم الخدود ، وكيف تبدأ النساء فى منتصف العمر تفقد طراوة شبابها بينما يصير الرجال أكثر أناقة . ويتعرض فى هذا الفصل للتجاعيد ، وتصفيفات الشعر ، وتركيب عظام اليدين ، وقلنسوات الشعر المستعار ، والشوارب واللحى . ويتمهل ليجيب على بعض المطالب الدرامية التى تستدعى فى بعض الأحيان التقدم التدريجى الى الشيخوخة أو الرجوع بالعمر الى الوراء .



وفى النوعين التاليين يتناول المؤلف ماكياج الأجناس وماكياج العصور التاريخية . فيبين فى النوع الأول أشكال الرءوس والعيون والشفاه والأنوف وخطوط الفكين والشعر بالنسبة لأجناس أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا . ويبدأ فى النوع الثانى من ماكياج انسان ما قبل التاريخ بما يستفاد من الحفريات والدراسات التاريخية ، وينتقل منه عبر الأزمان الى مصر الفرعونية وشبه جزيرة العرب والاغريق والرومان ثم الى العصور المظلمة فعصر النهضة فالقرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، موضحا سمات كل عصر من حيث الخطوط والألوان .

ويضيف الى كل أنواع الماكياج الستة السابقة نوعا خاصا عن الشخصيات المتميزة كالساحرات والعفاريت والدمى والمهرجين .

والى هنا لا ينتهى الكتاب ، اذ ينتقل المؤلف الى مناقشة أحدث الأساليب العلمية فى الماكياج باستخدام المطاط والبلاستيك والقوالب والأعضاء الصناعية ، كما يتعرض لطرق احداث المؤثرات البدنيــة المتنوعة كالعرق والدموع والحروق والجروح والكدمات ، ويفرد فصلا خاصا للشعر وطرق تصفيفة واستعماله ، ثم يختتم الكتاب بسبعة ملاحق عن أنواع الأفلام وبطاقات الماكياج والمرشحات الضوئية وجدول التصوير وحقائب الماكياج ومصادر أدوات الماكياج ولوازمه فى كل من أمريكا وانجلترا .

انها رحلة طويلة خلال مجلد ضخم يتنــاول أسرار مهنة دقيقة عويصة ، لا يخفف من عناء مشقتها الجادة فى محاولة هضم المعلومات الغزيرة التى تضمها صفحاته الا تلك الصور واللوحات والرسوم الايضاحية العديدة التى تفسر كل خطوة من خطوات العمل وتكاد تغنى عن القراءة أحيانا بشمولها التفصيلى . وانه لمما يؤسف له أن الطبعة العربية ، على الرغم من ارتفاع سعرها ، لم تشأ استخدام الورق المصقول ولو فى الصور على الأقل ، حتى تتم الغاية التى يستهدفها الكتاب من الاستعانة بمثل هذه الوسيلة للايضاح والشرح والتفسير ، أما والحال هذه ، فانك لا تكاد تتبين الفروق التى يرمى اليها المؤلف بين المراحل المتعددة للعمليات المختلفة والتى يبرزها بالصور واللوحات .

كما أنك تحس أحيانا بفتور فى الصياغة يرجع فى بعضه الى أسلوب المؤلف العملى التعليمى الذى يقرب من العمليات الحسابية ، وفى بعضه الآخر الى حرفية الترجمة التى تنزلق أحيانا الى أخطاء مهنية واصطلاحية ..

ومع ذلك فالكتاب فى حد ذاته ذخيرة تقتنى ، ومجرد الاقدام على ترجمته جسارة مشكورة .

كامل يوسف

مصطفى لطفي المنفلوطي

الأديب الاشتراكي

تأليف : محمد شلبي



الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

١٢٨ ص ١٧×٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

« الأشقياء في الدنيـــا كثير وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم ، فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات علهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى » . كما كتب في الجزء الأول من النظرات : « ولقد كنت أرى هؤلاء الأشقياء في فاتحة حياتي التعسة فكان يمر بخاطري ما يمر بخاطر أمثالهم » .

ويطيب لي في ذكرى مرور أربعين سنة على وفاة أديبنا الكبير « مصطفى لطفي المنفلوطي » أن أعرض هذا الكتاب الذي قام بتأليفه الأستاذ « محمد شلبي » وقد بذل فيه جهدا كبيرا وسرد فيه طرفا غير يسير من قصة حياة المنفلوطي وألقى الكثير من الأضواء على كتاباته وأدبه ، واتصل بكثير من الذين عاصروه وحصل منهم على الرسائل التي كانوا يتبادلونها معه أثناء اقامته بالقاهرة كما حصل على بعض آثار المنفلوطي الأدبية التي لم يسبق نشرها ومن بينها مقال له بعنوان « الوباء والتشدد في الدين » ويقول فيه :

« لا تجعلوا دين الله بلاء على النـــاس عظيما وعبئا على العقول ثقيلا ، ولا تجعلوه سبب الفقر وهو السعادة العظمى وواسطة الهلاك والفناء وهو الحياة والنجـــاة ، واربئوا به أن تتخذوه متكأ لأغراضكم الخاصة فتهلكوا وتهلكوا الناس معكم واعرفوا له ما يليق به من الاجـــلال والاعظـــام فتسعدوا ويسعدوا » .

ومن المآثر الحميدة التي نذكرها للمؤلف تحقيقة للقصيدة التي هجا فيها الخديو والتي يقـــول فيهـــا :

قدوم ولـــكن لا أقول ســــعيد
وملك وان طال المـــدى ســـيبيد
رحلت ووجه الناس بالبشر باسم
وعـــدت وحزن في القلوب شديد

من يطلع على اي مؤلف من مؤلفات المنفلوطي السبعة ــ النظرات ، العبرات ، المختـــارات ، الفضيـــلة (بول وفرجيني) ، في سبيل التاج ، الشاعر (سيرانودي برجراك) ، مجدولين (تحت ظلال الزيزفون) ــ يلاحظ رنة أسى وحزنا عميقا ينبعث من كتاباته . فالمنفلوطي حينما يكتب عن البؤس والبؤساء يكون أشـــبه بالطبيب البـــارع الذي يجـــري جراحة خطيرة ولـــكنه واثق من النتيجة سلفا . وهو حينما يكتب عن البائسين فلا شك انه يعكس حالتـــه النفسية ويغوص الى أعماقها ليصورها أصـــــدق تصوير لأنه كان في مقتبل حياته بائسا عضه الفقر بنابه وعرف الفاقة طويلا وبات على الطوى ليالي عديدة .. ولهذا عـــزم على ان يكرس حيـــاته للدفاع عن هــــذه الشرذمة من الناس لاستخلاص حقوقهم السليبة ورد كيانهم ودفع الظلم عنهم ، ولكنه لم يكن يملك مالا في ذلك الحين فعمـــد الى قلمه ليكون لسان حاله ، ولهذا نجـــده يقول في مقدمة العبرات :

فقــد زعم البعض أنهــا ليست من تأليف المنفلوطى ، ولكن الأستاذ محمد شلبى استطاع أن يثبت أنها من تأليفه بعــد أن التقى بالسيد أبو النصر محمد حفيــد السيد على أبو النصر شاعر الخديو ـ وهو شـاهد عيان للواقعـة . وقد اعترف له الحفيد بأنها من نظم المنفلوطى وقد كانت هذه القصيدة سببا فى دخول المنفلوطى السجن وحكم عليه بسنة وطلب منه شـوقى ان يغير كلمات القصيدة فتصبح هكذا :

قدوم ولـكنى أقــول ســـعيد
وملك وان طــال المدى سـيزيد

ولكن المنفلوطى رفض ودخل السجن ، وأمضى به ستة شهور الى أن استطاع الامام الشيخ محمد عبده استصدار عفو عنه « وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن المنفلوطى كان يحظى بشجاعة أدبية نادرة قل أن نجدها بين الأدباء والمفكرين ، كما أنه يدل على أنه كان شديد الاعتداد بنفسه متمسكا برأيه لا يحيد عنه قيد أنملة مهما لاقى فى سبيل ذلك الصعاب والهوان .

وهناك دلالة أخرى لا يصح أن نتجاهلها ، وهى أن المنفلوطى لم يكن أديبا ناثرا فحسب ولكنه أيضا كان شاعرا فذا . وقد سمعت من الأستاذ محمد شلبى مؤلف الكتاب أنه استطاع جمع ٢٥٠ قصيدة من تأليفه سيضمنها ديوانا له يصــدر قريبا .. ويرجع عهد المنفلوطى بالشعر الى سن السادسة عشرة حينما قال أول قصيدة له وكانت غزلية ومطلعها :

اردنا ســؤال الـدار عمن تحملوا
فلم ندر من فرط البكا كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد أصبحت
تعيث صبا فيها وتعبث شـمال

وقد زعم البعض أن المنفلوطى منشيء وليس كاتبا ، ولكن المؤلف ناقش هذه القضية وأثبت العكس ، ولا شك أن من يتعمق فى دراسة أدبه يرى الـكثير من الأفكار الجـديدة تنسـاب بين صفحات مؤلفاته . وقد امتازت بأنها تعالج شتى مناحى الحياة بأسلوب شاعرى فذ ولغة موسيقية هى وتغريد البلابل سواء . وانتشرت تلك المقالات بين قراء العربية من المحيط الى الخليج ، وهذا يدل على أن القراء وجــدوا فيها شيئا جديدا مثيرا .

ويعد المنفلوطى واحدا من الأدباء القلائل الذين بشروا بالاشتراكية ومهــدوا الأذهان لتقبـل مبادئها وأفكارها الجديدة . وهو ان لم يكن قد ذكرها صراحة فى كتاباته لأنهــا لم تكن بطبيعة الحال معروفة فى عهده ، ولكنه تحدث عنها بصورة رمزية وطالب بها دون أن يدرى ماهيتها فقد كان يكتب ويدون ما يحس به فى أعماقه . كان يحس بحــاجة الفقــير وشـقاء البائس وظلم الفنى واضطهاده لعامة الشعب فكان يدون على القرطاس هذه الانفعالات .

ويورد المؤلف الكثير من الأمثلة والحوادث التى تدل على اشتراكية المنفلوطى فى حيــاته وفى أدبه .. ومن أبرز الأمثــلة التى قدمها قصة « البعث » وهى قصة رمزية خيالية عبارة عن حوار بين سيد عظيم وفلاح أجير ، ويتبين لنا منها ان الفــلاح لا يهمه فى الدنيا شيء سوى سعادة سيده ، وحتى اذا أراد السيد أن يضربه بالكرباج فان الفــلاح يكون فى غاية السعادة لتلبية نداء سيده . وقد كتب المنفلوطى هذه القصة فى سنة ١٩١١ ونشرت بالعام التالى بالجزء الثانى من النظرات .. ويعقب المؤلف (ص ٨٧) على هذه القصة قائلا :

« وهكذا نرى أن المنفلوطى قد ثار على هذه الأوضاع الفاسدة منذ عام ١٩١١ وبذلك يكون قد مهـد للثورة الاجتماعية التى قامت منذ عام ١٩٥٢ على يد بطل المعجزات الرئيس جمــال عبد الناصر الذى صادر أملاك أسرة محمد على وأصدر قانون تحديد الملكية وذلك ليقضى على طبقة الاقطاعيين الذين حكموا البلاد فاكثروا فيها الفساد واستغلوا الفلاحين أسوأ استغلال » .

فالمنفلوطى فى رأى المؤلف هــو واضع أحد الأسس التى قامت عليها ثورتنا الاجتماعية وهو « القضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال » .

ولا شــك اننا كلما تعمقنا فى دراســة ادب المنفلوطى نجد الكثير من الأدلة والبراهين التى تدل على تفكيره الاشتراكى ودعوته الى الكثير من المبادىء والنظم التى يعمل بها الآن بعد قيام ثورتنا المجيدة .

سعد زغلول سراج

الناشر
مكتبة نهضة مصر

الأسفار المقدسة
في الأديان السابقة للإسلام

تأليف
الدكتور علي عبد الواحد وافي

١٨٨ ص
١٤×٢٠ سم
الثمن
٢٥ قرشا

الكتابة في موضوع الأديان المقارنة أمر ليس بالهين ، فهو يستلزم ثقافة واسعة وفهما عميقا يمتد حتى يصل الى الجذور الأولى للعقيدة الدينية وما نشأ عنها من أصول وفروع ، مع ربط كل ذلك بالبيئة التى نشأ فيها الدين والمجتمع الانسانى الذى انتشر الدين بين ظهرانيه، وما صاحب الدين من تفاسير فى الفترة الأولى لنشأته أى ابان الفترة التى صاحبت حرارة الدعوة وما تطورت اليه هذه التفاسير بعد أن هدأت الحرارة ونظر الى الأمور نظرة فيها شيء من التفلسف أو طرأت ظروف اجتماعية دعت الى اعادة النظر فيه .

وكتاب الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام موضوعه علم الأديان المقارنة ، حاول مؤلفه أستاذنا العلامة الدكتور على عبد الواحد وافى أن يعطى القارىء فكرة واضحة عن الأسفار المقدسة لأربع ديانات من أهم الديانات السابقة للاسلام وهى : اليهودية والنصرانية والزرادشتية والبرهمية . وقد دعته طبيعة البحث الى دراسة هذه الديانات نفسها وما تعتمد عليه من مقومات فى عقائدها وشرائعها وما اجتازته من مراحل ، وهلم جرا ؛ فجاء عرضه مبسطا واضحا لا يخلو من العمق .

قدم المؤلف لكتابه بمقدمة قصيرة ذكر فيها أن أسفار الديانة اليهودية هى التى يطلق عليها اسم « العهد القديم » ، ومن أهمها كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو التوراة . وأسفار الديانة النصرانية هى التى تسمى باسم « العهد الجديد » ومن أهمها مجموعة الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين . ثم أردف قائلا ان كلمة « العهد » هنا ترادف معنى الميثاق ، أى أن كلتا الطائفتين من الأسفار تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس ، أولاهما ميثاق قديم يرجع الى عصر موسى ، والأخرى ميثاق جديد بدأ بظهور عيسى . وما يطلق عليه اسم « الكتاب المقدس » يجمع أسفار العهدين معا . أما أسفار الديانة الزرادشتية الفارسية فيطلق عليها اسم « الأبستاق » أى « الأفستا Aoesta » ومعناها الأصل أو الأساس وأسفار الديانة البرهمية الهندية يطلق عليها اسم « الفيدا Veda » ومعناها المعرفة أو العلم . ولما كانت بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم قد تكون منها مجموعة أسفار « التلمود » أى التعاليم ، وهى التى نالت عند فرق اليهود منزلة لا تقل كثيرا عن « العهد القديم » ؛ ولما كانت «قوانين مانو» قد استمدت من أسفار « الفيدا » ، وفصلتها شرحا وبيانا ، وأنزلها البرهميون منزلة التقديس ؛ فان المؤلف قد عرض لهذه المجموعات الست من الأسفار ، وهى أسفار « العهد القديم » وأسفار « التلمود » فى الديانة اليهودية ، وأسفار « العهد الجديد » فى الديانة المسيحية ، وأسفار « الأبستاق » فى الديانة الزرادشتية ، وأسفار « الفيدا » « وقوانين مانو » فى الديانة البرهمية .

وقد قسم المؤلف كتابه أربعة فصول : درس فى الفصل الأول أسفار الديانة اليهودية ، وفى الفصل الثانى أسفار الديانة المسيحية ، وفى الثالث أسفار الديانة الزرادشتية ، وفى الرابع أسفار الديانة البرهمية .

ويبدأ الفصل الأول بفقرتين تمهيديتين : أحداهما تعطى القارىء فكرة مجملة عن تاريخ بنى

اسرائيل قبل هجرتهم الى مصر، وفى أثناء اقامتهم فيها، وبعد خروجهم منها، الى أن استقر بهم المقام فى بلاد كنعان، وما اكتنفهم من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية فى مختلف هذه المراحل. وثانيتهما تقدم فكرة مجملة فى اللغات العبرية والآرامية واليونانية وفروعها وخصائصها وما اجتازته من مراحل، وهى اللغات التى ألفت بها وترجمت اليها أسفار العهد القديم والتلمود.

ثم شرع بعد ذلك فى الكلام على أسفار العهد القديم فخصص لها خمس فقرات: ألقى فى أولاها نظرة مجملة على جميع أسفار العهد القديم وخصص ثانيتها لأهم مجموعة منها وهى أسفار موسى أو الأسفار الخمسة أو التوراة، وعرض فى الفقرة الثالثة لبقية أسفار العهد القديم، وتكلم فى الرابعة على اللغات التى ألفت بها هذه الأسفار والتى ترجمت اليها، ودرس فى الفقرة الأخيرة ما يسمى بالأسفار الخفية وهى أسفار قديمة لم يدخلها اليهود فى أسفار هذا العهد اما لأنها غير مقدسة ولا معتمدة فى نظرهم واما لأن أحبارهم قد رأوا وجوب اخفائها فى الهيكل وأنه لا يجوز أن يقف عليها الجمهور على الرغم من اعترافهم بصحتها.

وبعد أن فرغ المؤلف من الكلام على أسفار العهد القديم اخذ فى الكلام على أسفار التلمود فخصص لها فقرتين: احداهما لبيان هذه الأسفار وعددها وشروحها، والأخرى لبيان اللغات التى ألفت بها والتى ترجمت اليها.

ثم ختم الفصل بأربع فقرات هامة، عرض فيها للعقيدة فى أسفار اليهود وتطورها وللشريعة اليهودية فى هذه الأسفار وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها واضطرابها، وللقصص فى هذه الأسفار والفرق بينه وبين قصص القرآن الكريم، وللفرق التى انشعب اليها اليهود منذ نشأتهم الى الوقت الحاضر.

ومن أهم ما يشتمل عليه هذا الفصل أربعة تحقيقات هامة:

(أحدها) ما ذكره المؤلف بصدد الأسفار الخمسة أو أسفار موسى التى يعتقد اليهود أنها التوراة التى أنزلت على نبيهم. فقد بين أن هذه الأسفار ليست هى التوراة التى يحدثنا عنها القرآن، وأنها لم تؤلف الا بعد موسى بأمد قصير وأنها من صنع اليهود أنفسهم وان كل سفر من أسفارها قد ألف فى عصر غير العصر الذى ألفت فيه الأسفار الأخرى وأنها تعكس تشريعات وأوضاعا اجتماعية مختلفة متضاربة. وأيد رأيه هذا بأدلة قوية مستمدة من بحوث لغوية وتاريخية واجتماعية. وعلى أساس هذه البحوث نفسها وضع المؤلف سفر التثنية قبل سفرى اللاويين والعدد، مخالفا فى ذلك الترتيب التقليدى لليهود؛ لأنه قد برهن أن تأليف سفر التثنية كان فى عصر سابق لتأليف السفرين الآخرين.

(وثانيها) ما ذكره المؤلف عن سمات الشريعة التى تتضمنها هذه الأسفار وقيامها على التفرقة العنصرية بين الأجناس، وعدم وحدتها وتضارب أحكامها بعضها مع بعض واضطراب الحقائق فى أذهان محرريها. وفى هذا كله دليل آخر على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم، وان كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التى كانوا يسيرون عليها فى العصر الذى ألف فيه، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التى أنزلها الله على موسى. فان كتابا من عند الله لا تتضارب احكامه بعضها مع بعض، وان شريعة من عند الله لا تقر التفرقة بين الآدميين.

(وثالثها) ان فكرة الألوهية كانت قد انتكست فى عصر تدوينهم لهذه الأسفار فتصوروا الله فى صور مجسمة، فوصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل، وظهر تصورهم هذا فى كثير من قصص هذه الأسفار. وضرب المؤلف عدة أمثلة مستمدة من نصوص هذه الأسفار نفسها.

(ورابعها) الموقف الغريب الذى تقفه هذه الأسفار حيال أنبياء بنى اسرائيل وملوكهم وزعمائهم، اذ تلصق بهم أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته، ولا يتصور صدورها الا من سفلة الناس، وضرب المؤلف عدة أمثلة مستمدة من أسفارهم نفسها تثبت هذه الحقيقة. بل لقد نسب فى هذه الأسفار لهرون نفسه عليه

السلام انه قد يسر لبنى اسرائيل سبيل الشرك ودفعهم الى الوثنية وعبادة الأصنام ، فصنع لهم بيديه فى سينا عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله (اصحاح ٣٢ من سفر الخروج) .

اما الفصل الثانى فقد عرض فيه المؤلف لأسفار الديانة المسيحية ، ومهد له بكلمة عن الحواريين أو الرسل الاثنى عشر الذين اختارهم المسيح من أكثر أتباعه ملازمة له ليبلغوا رسالته الى الخلق ، وبكلمة عن التلاميذ السبعين الذين كلفهم المسيح بالتبشير فى قرى الجليل وعن « التابعين » الذين لم يصاحبوا المسيح نفسه ولكن صاحبوا بعض رسله أو بعض تلاميذه وكان لهم اثر فى التبشير بالمسيحية ، وقد سماهم المؤلف « التابعين » جريا على ما اصطلح عليه فى الاسلام من اطلاق كلمة «تابع» على من لم يصاحب محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن أخذ عن بعض صحابته . وقد ذكر المؤلف ترجمة قصيرة لجميع من تنسب اليهم أسفار فى العهد الجديد من الرسل والتلاميذ والأتباع ، فترجم لبطرس ويوحنا ومتى ويعقوب الصغير ابن حلفى ويهوذا وبولس من الرسل ، وبرنابا ومرقص من التلاميذ ، ولوقا من التابعين .

ثم تكلم المؤلف على أسفار العهد الجديد ذاكرا أن المسيحيين اعتمدوا فى القرن الخامس الميلادى سبعة وعشرين سفرا ، مقررين أنها هى وحدها الأسفار المقدسة أى الموحى بها ، أى موحى بها بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » . وأرجع هذه الأسفار الى ثلاث مجموعات وسفرين . أما المجموعات فهى : مجموعة الأناجيل وعددها أربعة ، ومجموعة رسائل بولس وعددها اربع عشرة ، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع . وأما السفران فهما : سفر « أعمال الرسل » للوقا وسفر « رؤيا يوحنا » أو « الأبوكاليبس » ليوحنا وقد فصل المؤلف الحديث عن هذه الأسفار ذاكرا أن الأناجيل المعتمدة هى أهم مجموعات العهد الجديد وأن اقدمها هو انجيل متى الذى كتب سنة ٦٠ بعد الميلاد باللهجة الآرامية الفلسطينية وأن الأناجيل الأربعة وان اتفقت فى الجوهر فانها تختلف فى كثير من التفاصيل ، وهى فى مجموعها تختلف عما جاء فى القرآن الكريم عن انجيل عيسى . فالقرآن الكريم يقرر أن انجيل عيسى كتاب سماوى منزل عليه ، ولكن هذه الأناجيل أسفار كتبها أناس من البشر اقدمها بعد رفع المسيح بنحو ثلاثين سنة وأحدثها بعد رفعه بنحو خمس وخمسين سنة .

ثم أشار المؤلف الى أناجيل أخرى غير معتمدة استبعدتها الكنيسة وحكمت ببطلانها فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى . ثم بسط القول فى موضوع تطور العقيدة المسيحية واستقرارها أخيرا على التثليث ، وذكر أن هذا الموضوع قد مر خلال مرحلتين : مرحلة تبدأ ببعثة المسيح حتى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، وأخرى من مجمع نيقية الى الوقت الحاضر ولم يفت المؤلف الاشارة الى بعض الخلافات الفرعية بين طوائف المسيحيين فى كثير من تفاصيل العقيدة والشريعة والطقوس ، مع الاشارة الى أسباب هذا الخلاف والى توزيع فرق المسيحيين فى العصر الحاضر .

وأما الفصل الثالث فقد خصه المؤلف بالكلام على أسفار الديانة الزرادشتية ، وبدأه بكلمة عن شخصية زرادشت . ثم تناول الكلام على أسفار الديانة الزرادشتية التى يطلق عليها اسم « الأبستاق » والتى أوحى بها — حسبما يرون — الاله « أهورامزدا » وتحدث عن شروح الأبستاق وتفسيرها وشرح الشروح ، واللغات التى كتبت بها . ثم تحدث فى فقرتين تاليتين عن العقيدة وعن العبادات والشرائع والأخلاق فى أسفار الزرادشتيين مبينا تطورها وانتقالها من ديانة توحيد الى ديانة مثنوية تقرر وجود الهين : اله للخير أهورامزدا واله للشر (أهريمان) وانتقالها من تقديس النار بوصفها رمزا للاله الى عبادة النار نفسها بوصفها الها ، فصارت بذلك ديانة مجوسية . وعرض المؤلف كذلك لطائفة من معتقداتها الأخرى فتكلم عن موقفها من البعث والنشور ، فذكر أن عقيدتها فى البعث والنشور لا تكاد تختلف عما يقول به الاسلام . وعرض كذلك لنظمها الخلقية فبين أنها تحث على كثير من الفضائل وتنهى عن كثير مما ينهى عنه من الرذائل .

وشخصية زرادشت كشخصية سقراط شيخ فلاسفة اليونان ، حام الشك حول وجودها فأنكرتها آراء وأثبتتها آراء وقد أحسن المؤلف صنعا عندما عرض لهذا الموضوع بشيء من التفصيل وتأييده للرأى القائل بحقيقة شخصية زرادشت وانها غير شخصية ابراهيم الخليل ، فهو الرأى الذى ينتصر له العلماء المحدثون امثال دارمستيتير Darmesteter وهوارت Huart من الفرنسيين وويست West من الانجليز وجاكسون Jackson من الأمريكيين .

ويختص المؤلف الفصل الرابع والأخير بالحديث عن أسفار الديانة البرهمية التى تنسب الى الاله براهما وتعد من اقدم الديانات فى الأمم الآرية ، اذ يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ويعتنقها الآن معظم سكان الهند وبعض سكان الباكستان . وقد قسم المؤلف هذا الفصل الى ست فقرات : تحدث فى الفقرة الأولى عن أسفار الفيدا ، فقال انها كتبت فى الأصل باللغة السنسكريتية ، وقسمها الى أربع مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على قسمين قسم للأدعية والصلوات ويسمى منترا Mantras وقسم للتعاليم المتعلقة بالعبادات والشرائع وما الى ذلك ويسمى براهمانا Brahmanas وتحدث فى الفقرة الثانية عن « قوانين مانو » التى هى تفصيل لعقائد الدين البرهمى وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية . وتكلم فى الثالثة على العقيدة فى أسفار الدين البرهمى مبينا تطورها ، وأنها قامت فى الأصل على دعائم ثلاث : وحدانية الله ووحدة الوجود ؛ تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح ؛ رجوع الأرواح الى مصدرها الأول وهو الله . ثم اعتراها التحريف وحل التثليث محل التوحيد . وفى الفقرة الرابعة تكلم على العبادات فى أسفار الدين البرهمى ، فذكر أن غاية العبادة واحدة وهى الفناء فى الله والاندماج فى الكائن الأسمى ، وهذا هو سر اكثارهم للصوم كى يضعفوا مطالب الجسم الحيوانية . أما عن الشرائع ، وهى موضوع الفقرة الخامسة ، فقد قامت على التفرقة العنصرية وتقسيم المجتمع الى طبقات ، اعلاها طبقة البرهميين التى خلقها براهما من فمه وأدناها طبقة المنبوذين التى خلقها من قدمه . أما الفقرة السادسة فقد خصها المؤلف بالحديث عن الأخلاق فى أسفار الدين البرهمى ، فذكر أن شريعتهم تدعو الى الزواج بالرغم من ان العزوبة واجبة على كل من يصل الى منزلة القديسين ورجال الدين ، وذكر أيضا أن الديانة البرهمية تدعو الى كثير من الفضائل التى يدعو اليها الاسلام وتنهى عن كثير مما ينهى عنه .

هذا ، وبعد بحث المؤلف فى قوانين « مانو » من أهم بحوثه فى هذا الكتاب . فهذه القوانين على ما نعلم لم يعرض لها أحد فى اللغة العربية من قبل المؤلف . وقد رجع المؤلف فى صددها الى طائفة كبيرة من أمهات المراجع فأسدى بذلك الى المكتبة العربية بحثا أصيلا مبتكرا لم يقدم اليها من قبل . وعرض فى هذا البحث لكثير من نظم الزواج الغريبة التى تضمنتها قوانين مانو كنظام زواج الجبابرة عند طبقة الكشتريين أو رجال الحرب (الزواج بخطف الزوجة ومقاومة أهلها) .

ومما يذكر له بالحمد كذلك تحقيقاته فى صدد تأثر التصوف الاسلامى بكثير من عقائد الدين البرهمى .

وفى هذا الفصل كذلك كنا نود لو تكلم أستاذنا مثلا عن العوامل الاجتماعية التى أدت الى انقراض البرهمية من كثير من المجتمعات الهندية ودخول ديانات أخرى جديدة كالجينية والبوذية والاسلام .

سعيد زايد



الأطراف الثلاثة

للكتاب العربي ومشكلاته

تحقيق يكتبه جمال بدران

بلغ الكتاب العربي من الأهمية في عهدنا الثورى درجة كبيرة .. تكاتفت عندها الجهود المخلصة الواعية لتدعيمه ، وبحث مشاكله على أسس علمية وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى عناصر تناقش في جلسات متتالية .. وكان رائد الباحثين في جلسات هذا المؤتمر الموضوعية مع رحابة الصدر .. كي يتسنى بحث كل عنصر في هدوء يؤدى الى حل سليم ... واقتضت طبيعة التسلسل المنطقى للبحوث أن تبدأ بالنواحي التحريرية للكتاب العربي المؤلف تكلم رئيس هذه الجلسة الدكتور السعيد مصطفى السعيد عن النواحي التشريعية وحماية حقوق المؤلف .. فقال ان المؤلف يمثل الجانب الضعيف في هذه المشكلة. وان الناشر هو الأقوى باعتباره مالك المال .

ولم يترك الناشر السيد محمد المعلم هذا الحكم دون أن يعلق عليه نافيا عموميته ومضيفا ان العكس يحدث أيضا .. ثم تساءل عن حق المؤلف في كتابه ان كان حقا أبديا أم مرتبطا بمدة محددة يسقط بعدها حقه في الطبعات التالية من كتابه .. خاصة وأن دور الناشر في خدمة الكتاب يحتاج الى شعوره بالاطمئنان امام حقوق المؤلف.

لكن هذا الاعتراض كان في حقيقته صيحة من الناشرين عامة .. عبرت عن طبيعة فهمهم لدورهم في اخراج الكتاب المخطوط الى حيز المطبوع المقروء على المدى الواسع .. اذ تتلخص وجهة نظرهم في أن الناشر لولا مجهوداته لما كان لظهور الكتاب نصيب .. ولولا اقتناعه بهذا الكتاب دون غيره لما غامر بالانفاق عليه . وعنصر الاقتناع هنا يحتوى على أوجه عدة .. هى . الموضوع ، اسم المؤلف ، حجم الكتاب ، طريقة اخراجه طبقا للاتفاق المعقود بينه وبين المؤلف عن الغلاف ونوع الورق والحروف وعدد الصور ان كانت موجودة ، ثم ما ينتظر لهذا الكتاب من رواج .. ومن ثم تتحدد النسخ المطبوعة من هذا الكتاب .. وعلى هذا فانه يجب أن يخضع التعاقد بين الطرفين لهذه الاعتبارات .. فلا يتشدد المؤلف في ثمن ما ألفه حتى يخف الثقل على الناشر .

لكن التعاقد من الوجهة التشريعية تستحيل ابديته .. ومن هنا لايستطيع الناشر أن يتمسك بحقه في طبع الكتاب الواحد عدة طبعات .. برغم كل ما بذله في الطبعة الأولى من مجهودات لنشره والدعاية له وتسويقه .. لهذا وجدنا الأستاذ ابراهيم زكي خورشيد يرشد الناشرين الى مادة في قانون ١٩٥٤ .. تطمئنهم .. فتنص على أنه اذا تساوت العروض أمام المؤلف في الطبعة الثانية لكتابه .. يكون ناشر الطبعة الأولى هو صاحب الحق في اعادة طبعها خاصة وأن المادة رقم ٣٧ من هذا القانون - كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى - لم تحم أحدا من الطرفين على حساب الآخر في تحديد مدة ملكية المؤلف لكتابه في التعاقد . ولهذا فان التوقيت - كما يقول الدكتور السعيد مصطفى - هو الأساس لتعاقد الطرفين .

ثم تحول النقاش الى تحديد نسبة الربح بين الناشر والمؤلف .. فعادت مشكلة الصلة بين الطرفين الى الظهور .. فعندما تصل الأمور الى نقطة تقسيم الأنصبه .. تتشابك المصالح ، وتتعقد

طبيعة الروابط بين الطرفين .. وتصل الى حد التساؤل عمن يكون صاحب الفضل وصاحب الحق فى فرض الشروط .. فاذا ما فهم الموضوع على هذا الأساس .. ضاع حق القارىء بينهما ... خصوصا وأنه لم يكن ممثلا فى حلبة هذا النقاش .

حتى ولو دافع أحدهما عن القارىء .. فانه يحق لنا أن نتساءل عما يكون الأقرب أو الأكثر أخلاصا له .. ان الوضع بهذا الشكل الذى سار عليه النقاش .. يؤدى بنا الى هذا التساؤل الحتمى ولكى نصل الى جواب له .. لا بد وان نفرق بين هذه الأطراف الثلاثة .. فالقارىء كعميل لا يشترى الكتاب الا من الموزع .. والموزع هنا هو اما أن يكون الناشر نفسه أو صاحب المكتبة أو وكيل توزيع يتعامل مع الناشر .. لهذا فان طبيعة الصلة المباشرة تتمثل فى عملية الشراء . التى ترتبط كل الارتباط بطريقة التسويق . لكننى بوصفى قارئا .. أريد أن أعرف .. ما الذى يدعونى للذهاب الى مكتبة لشراء كتاب معين دون غيره .. هل هو موضوع الكتاب أم اسم المؤلف الذى كتب هذا الكتاب .. والموضوع هنا يتوقف على طبيعة اهتماماتى أو تخصصى . ومن ثم فان دور الناشر يتمثل فى كيفية اجتذابه للقارىء المتخصص الى كتاب آخر فى غير تخصصه أو اهتمامه .

ومن هنا نقول ان الكتاب العلمى أو الفنى فى الامكان أن نحصى عدد المهتمين به على ضوء احصائيات عنهم واحتمالات زيادتهم ، ويصبح فى الامكان وضع أسس لما يجب أن يكون عليه الاتفاق بين المؤلف والناشر فى مثل هذا النوع . بمعنى أنه اذا زاد توزيع الكتاب عن القدر المرسوم له خضع لعوامل أخرى .. من أهمها مجهود الناشر فى هذه الزيادة .. ويكون له فيها النصيب الأوفى من الأرباح . أما ان كان الكتاب متوقفا على اسم المؤلف باعتبار أن موضوع الكتاب قد تناولته أقلام كتاب عديدين فى كتب أخرى .. فاولى بالناشر الذى اعترف بأهمية هذا الاسم أن يعترف بالقدر الأكبر من الربح أو الثمن لهذا المؤلف دون غيره ..

وهنا نصل الى نقطة حساسة بعض الشىء – كما يقول الناشرون – ان مثل هذا الكتاب ليس بلازم أن تتحقق أرقام توزيعه المنتظرة .. فقد يسبب خسارة للناشر .. ولا أظننى متعنتا ان قلت .. ان عليه أن يتحمل هذه التضحية لأنه لم يستغل امكانياته فى اجتذاب القراء ، ولم يضع فى اعتباره هذا الاحتمال أثناء الاتفاق . واسم المؤلف هنا .. يصح أن نضيف اليه الموضوع – موضوع الكتاب – اذ لو كان موضوعا بعيدا عن التخصص أو الاهتمامات .. كما لو كان قصة أو أدبا مثلا .. فان مجال المساومة بين المؤلف والناشر يكون أوسع لأنه يخضع لعوامل أخرى غير خاضعة للاحصاء أو التحديد الكمى .. مثل أذواق القراء ، والفترة الزمنية أو المناسبة التى يخرج فيها الكتاب .. لذلك وجدنا الدكتور سيد أبو النجا يقول ان الكتاب كحقيقة واقعة لا ننظر اليه الا باعتباره رواجا وقيمة .. وعلى ضوء الصلة بينهما نبنى آتفاقاتنا .. فالجهد وحده الذى بذله المؤلف لا يصح أن يكون مقياسا للناشر ، وكذلك مقدار المباع من الكتاب لا يجب أن يكون وحده مقياسا له .

لا بد اذن من البحث عن أساس عادل يوضع بمقتضاه أو على ضوئه كل اتفاق بين الطرفين . ومن هنا تطرق النقاش الى المؤلف الذى يجمع بين مهنتى التأليف والنشر . فطالب الأستاذ محمود عبد المنعم مراد أن يمنع هذا تماما .. فلكل دوره .. وطالب بالاسراع فى تكوين اتحاد للناشرين لحمايتهم من هذا الازدواج ، ولا ادرى لماذا ؟ .. أهو الخوف من دخول منافس ، أم هو العطف على مهنة التأليف التى تخسر مؤلفا انقلب الى ناشر !! لا أدرى .. انما المهم فى الموضوع أن هذا الأمر قد أستبعد لتعارضه مع حرية المؤلف خاصة وانها مسألة لم تبلغ من الخطورة درجة تحول كل المؤلفين الى ناشرين .. ولهذا اقتضى الأمر الانتقال بعدئذ الى تصنيف الكتب المؤلفة .. مثل الكتب العلمية وكتب التراث والكتب المدرسية والجامعية وكتب الأطفال والكتب القصصية . أما الكتب العلمية وكتب التراث فلا عقبة أمامهما الا الانفاق عليها وصعوبة الكتابة فيها .. وأصبح من الضرورى توجيه توصية الى وزارتى البحث العلمى والثقافة والارشاد القومى للانفاق على هذين النوعين وتشجيع

الكتابة فيهما ، وتيسير استيراد الكتب العلمية من الخارج .

وفيما يخص الكتاب المدرسى .. فان وزارة التربية والتعليم قد أخذت على عاتقها نشر هذه الكتب متحملة تكاليفها كافة .. ولا يحتاج الأمر الا الى مطالبتها بتوجيه اهتمامها الى الكتب المصدرة الى الدول العربية لاخراجها فى شكل أنيق وطباعة جيدة ، مع تحملها لما ينجم عن سعرها القليل من نفقات . ثم ثار النقاش حول الكتاب الجامعى والغبن الواقع على الناشر من المؤلف فى أى اتفاق خاص به .. بحجة ضمان الأستاذ المؤلف لطلبته كقوة شرائية ، وما يضطر اليه الناشر من رفع سعر النسخة الواحدة بدرجة تثقل كاهل الطالب . والموقف هنا موقف انسانى قبل أى شىء آخر .. فما هو الكتاب الجامعى ؟ .. هل هو الكتاب العلمى أم هو الكتاب المضمون التوزيع ؟ .. ان هذا التعريف الأخير حقيقة واقعة .. بل انه بجانب ضمان توزيعه سريع الحركة - أى أنه يوزع فى نفس العام .. فهل يقتضى هذا أن نغالى فى سعره .. باعتباره سلعة تجارية تخضع لعوامل العرض والطلب ؟ أقولها من القلب - كطالب جامعى سابق عانى من شراء الكتب الكثير - ان الكتاب الجامعى علمى .. علمى مائة فى المائة .. وأحرى بالأجهزة الحكومية أن تحميه من تلك النظرة فتنفق عليه وتشجع نشره بعيدا عن الاستغلال .. فلا يباع بأكثر من مثلين ونصف من تكاليفه.

الكتاب المترجم .. كان هو موضوع المناقشة فى الجلسة الثانية .. تساءل الأستاذ ابراهيم زكى خورشيد رئيس الجلسة عن المدة التى يسمح بعدها لكتاب أجنبى أن يترجم الى اللغة العربية .. وطال النقاش حول هذه النقطة وما جاءت به معاهدة برن من بنود لتنظيم عملية الترجمة .. لكن الأستاذ فؤاد أندراوس استند فى تحديده للمدة بخمس سنوات الى العرف السائد دون تقيد بهذه المعاهدة التى لم ولن نشترك فيها لصالحنا . لكن الدكتور سهيل ادريس انبرى ليتحدث باسم الناشرين اللبنانيين .. فطالب باتفاق الجنتلمان بين الدول العربية كيلا يترجم كتاب عدة مرات فى هذه الدول ، فيطغى على الترجمة الأولى التى اشترى الناشر الأول حق ترجمتها .. الا أن هذا الطلب لاقى معارضة من الأستاذ خيرى حماد والدكتور عبد الرحمن بدوى .. بحجة أن منع تكرار الترجمة يتنافى وحرية الانسان فى ترجمة ما يشاء ، وأن كثرة الترجمات لكتاب واحد تفيده وتدعم ترجمته .. فأراد رئيس اللجنة أن يوفق بين هذه الآراء باقتراحه وضع تاريخ لصدور كل ترجمة على الكتاب .. بمعنى أن يكون محددا من البداية الزمن الذى لا يصح لمترجم أن يترجم هذا الكتاب نفسه خلال هذه الفترة المحددة .. وأضاف الدكتور سهيل الى ذلك أن تؤلف لجنة فنية للفصل فى تقييم ترجمتين او ثلاث لكتاب واحد حتى تنظم هذه الأمور .

وفى الحقيقة ان هذا الاقتراح أجدى بالجامعة العربية أن تحتضنه دون غيرها .. ثم تناول النقاش اثر الترجمة على حركة التأليف .. وهو اثر كبير جدا - لا شك فيه - لأننا نحتاج فى مرحلتنا الناهضة هذه الى الاستعانة بنتاج الفكر الأجنبى .. ولا وسيلة لهذا الا بالترجمة .. الا أن التمادى فى هذا السبيل لا يؤمن جانبه .. اذ أن الترجمة اذا زادت عن الحد المعقول لعادت بالضرر الوبيل على حركة التأليف .. فتشل القدرة على الابتكار والابداع .. ولهذا فان الأمر يقتضى على الدوام موازنة بين النشاطين ومتابعة لعيون الانتاج الأجنبى ، ثم الحث على ترجمته حتى نميز بين الغث من الثمين ، وحتى نفسح الطريق امام حركة التأليف كى تزدهر . لذلك كان هذا التساؤل قد وقف حائلا دون اتمام النقاش فى الجلسة ، ودون تحقيق التوازن فى الواقع .. فالمتابعة تسير فى طريقين كلاهما مسدود .. اذ لابد أولا من رؤية الكتاب .. الحصول عليه .. وهذا يخضع لعوامل الاستيراد ، ولا بد ثانيا من فحص هذا الكتاب .. وهنا يأتى دور أساتذة الجامعات المتخصصين .. هل يتابعون حركة تأليف الكتب المعاصرة فى الخارج ، ويطلب كل واحد منهم نسخة من كتاب حديث ينتظر منه فائدة فى تخصصه ، أم يكتفى بما حصله منذ زمن بعيد . والسبب فى ذكر أساتذة الجامعات أو الأفراد القلائل المتخصصين هو ما يبرز أمام

الاستيراد من مشاكل .. فالتسهيلات ميسرة في وجه الكتاب الواحد اذا ما طلب من الخارج للاطلاع عليه ، أما استيراد كميات عديدة منها فهي من الصعوبة بمكان .. فان توصلنا الى تهيئة هذا الأمر .. سهل الشق الآخر من المشكلة وهو فحصه ثم ترجمته .. خصوصا اذا ما أسندنا الكتاب الى المختص في فنه أو علمه .. ولهذا ينتظر للترجمة أن تكون دقيقة وأمينة من مثل هؤلاء .

طباعة الكتاب وطريقة اخراجه .. وقد رأس الأستاذ يوسف بهجت الجلسة المخصصة لهذا الموضوع .. ولم يمهله الناشرون حتى يفتتح الكلام في الموضوع .. اذ سمعت كما لو كان نشيدا حماسيا يردد مقطعا واحدا هو .. المجاعة في الطباعة .. ينبعث من قلوبهم لا من حناجرهم .. فآلات الطباعة لا تساير حركتي التأليف والترجمة ولا تكفيهما .. ستون في المائة من الآلات الموجودة تحتاج الى التقاعد ، والنسبة الباقية منها تحتاج الى صيانة .. الأيدي العاملة المدربة قليلة ولا توجد أجيال تالية لها .. ان المشكلة اذن تتركز في الآلة والعامل .. فالآلة الحديثة للطباعة شحيحة في بلادنا ونحتاج الى الاستزادة منها .. فاذا ما جئنا بها وقفت أمامنا عقبة اليد المدربة المؤهلة لادارتها وصيانتها .. فكيف السبيل ؟ .. السبيل الى ذلك متشعب الحلول .. منها انشاء معهد عال لتعليم فن الطباعة بجميع مراحله والتخصص فيه ، ومنها افراد مجلة لفن الطباعة تعمل على نشر كل جديد فيه ، وآخر ما وصل اليه هذا الفن في البلاد المتقدمة ، وتعريب مصطلحاتها الافرنجية ، أو افراد باب لهذا الفن بمجلة الكتاب العربي ان لم يتسنى انشاء مجلة قائمة بذاتها .. ولكن هل هذه هي مشكلات الطباعة فقط ؟ .. كلا .. ان دور المؤلف مرتبط تمام الارتباط بهذه الأمور .. لا بد أن يفهم المؤلف طبيعتها ، ويتكاتف مع الناشر في تيسير عقباتها .. مثل تصميم الكتاب من ورق وقطع وأشكال اطراف ومقاساتها ومواظبته على تصحيح الملازم المجموعة لكتابه أولا بأول . وفي كلمة واحدة .. لا بد أن يتكاتف الطرفان في تحديد وتنفيذ مواصفات هذا الكتاب .

الكتاب وتحديد ثمنه .. بدأ الدكتور محمد كامل الحاروني رئيس هذه الجلسة .. بالكلام عن كيفية تحديد الثمن للكتاب .. فتساءل هل يخضع هذا التحديد لقانون العرض والطلب كأي سلعة في السوق .. أو نضعه على أساس تكلفة الكتاب .. أو يكون على أساس الموضوع نفسه .. أو يجب أن يكون اسم المؤلف هو الأساس في التحديد .. ثم ما هي نسبة المؤلف في أرباح حققها كتابه .. أو ما هو أجره عن التأليف .. وهل تكفي هذه أو تلك لاستمرار المؤلف في مهنة التأليف ؟ .. والكلام في هذا الموضوع طرقه المتحدثون في الجلسات السابقة .. نظرا لتشابك نواحي موضوع الكتاب .. الا أن الدكتور سيد ابو النجا كرر وجهة نظره معترضا .. ليؤكد أن النقاش في مثل هذه الموضوعات يجب أن يبدأ من نقطة النهاية .. ألا وهي نقطة ثمن الكتاب .. وعلى ضوئه يتم الاتفاق على بقية النواحي من تكلفة وأجر مؤلف أو مترجم .. ولهذا فاننا يجب أن نفرق بين أنواع الكتب القابلة للطبع والتوزيع .. فالكتاب أيا كان لا بد أن يتوافر فيه عنصر أساسي هو المرونة .. بمعنى أن يكون قابلا للتوزيع في أسواق وأوقات مختلفة .. الأمر الذي يطمئن كل ناشر الى قبول الاتفاق عليه . فعلى ضوء الثمن في السوق يمكننا أن نحدد في العقد بين الناشر والمؤلف تكاليف النشر من ثمن ورق وحبر وانماط الى أجور الى نسبة أرباح وعمولة توزيع . ومن ثم فلا يصح أن نجعل من الجهد الذي بذله المؤلف في التأليف أساسا للاتفاق ، كذلك لا يصح أن نجعل من قيمة الموضوع قاعدة لهذا الاتفاق . لأن الناشر هو الوسيلة الرئيسية لايصال هذه الثقافة الى القراء . فالمؤلف – كما يقول الدكتور أبو النجا – قام بعملية طهو الطعام ، والناشر هو الذي يدعو المدعوين الى وليمة لهذا الطعام . فهل في امكاننا ايجاد معايير ثابتة لتكاليف الطباعة .. نضع على هديها أسس العقود بين المؤلفين والناشرين ؟ اننا نجد محاولة للأستاذ محمد المعلم قائمة على الاحصائيات . جاء لنا فيها باحصائيات لنسبة التكلفة بين الورق والطباعة في الكتاب ذي العشر الملازم والضيق التوزيع .. وكم كنا نود أن تكون هذه المحاولة جماعية من الناشرين حتى تكتسب

صفة الالزام الأدبى .. فنسترشد بها فى عمليات اخراج الكتب لكن الدكتور عبد الرحمن بدوى دافع بحرارة عن نصيب المؤلف .. فقال أن كلمة السوق هذه .. كلمة غامضة يلجأ اليها الناشر للتمويه على المؤلف الذى لا يعرف دقائقها .. بل ان أكثر الناشرين يلجأون الى طبع كميات أكثر من المتفق عليها مع المؤلف ودليله على هذا مانراه من ثروة يكنزها الناشرون وما عليه المؤلفون من مستوى من العيش ضئيل .. ثم طالب بابعاد العقود عن كل هذه الأمور الغامضة . الا أن هذه الصيحة المخلصة لم تلق استجابة لأنها لا تعالج مشكلات الكتاب الا من وجهة نظر المؤلف فقط..

ولهذا فان تيار النقاش كان متجها الى تجنيد كل الأطراف لخدمة الكتاب باعتباره الدعامة الأولى لنشر الثقافة .. ولا يتطلب هذا الا مجرد تحديد صفات معينة للناشر الحديث حتى يستطيع أن ينتقى الكتاب الجيد ، ويبذل فى سبيل نشره أقصى الجهود خدمة للثقافة أولا .

لذلك فان الأمر يقتضى أيضا القيام بحملة تنويرية تشجع على القراءة فى الداخل ، وتصدر الكتب الى الخارج بكميات أكثر بكثير عما هى عليه الآن .

أما كيف نشجع على القراءة ... فيتمثل هذا فى الكتاب نفسه ، وفى الدعوة لهذا فى الصحف والمجلات ووسائل الاعلام كافة ، واقامة المعارض المتنقلة فى الأقاليم ، والاشتراك فى المعارض الدولية الخاصة بالكتب . ويجب أيضا أن تشجع الهيئات والمكتبات العامة والجامعات على قراءة الكتب واقتنائها .. ولهذا فان هذه السبل تداخلت فى مهمة تسويق الكتاب تماما .. خصوصا اذا ما تعاونت مؤسسات القطاع العام للنشر .. كى تتغلب على عقبات النقد بين أسواق العالم العربى .

وتركت المؤتمر انتظارا لاعلان التوصيات ونتيجة الكتب الفائزة فى الجلسة الأخيرة .. فنزلت الى المعرض لأعيش لحظات بين الجماهير القارئة .. وهى تتزاحم على شراء الكتب المخفضة أثمانها بنسبة ٢٠ ٪ .. رأيتهم يدققون فى انتقاء كتب وسلاسل كاملة منها ، ورأيتهم يتهافتون على الارتباط بنظام التقسيط لشراء الكتب .. شعرت خلالها براحة قلبية وصفاء ذهنى . جعلانى أتمتم قائلا .. **ليس الكتاب مجرد سلعة تباع وتشترى ، ثم يضيع أثرها وأهميتها بعد الشبع منها .. انما هو دعامة دائمة لبناء أجيال وأجيال ، ومن ثم يصبح من الضرورى أن تتولى أمره الدولة دون غيرها** . وانا هنا لا أغمط مجهودات دور النشر فى هذا السبيل أو أخشى مطالبتهم باتحاد لهم ، كذلك **لا أريد أن أصدر نداء القراء وأقول يا قراء العالم العربى اتحدوا أمام المؤلف والناشر .. وانما أوجه رجاء الى كل العاملين فى خدمة الكتاب العربى فاقول رفقا بالعقول من الفناء ورفقا بالجيوب من المغالاة ..**

ثم عدت ثانية لأسمع التوصيات التى لم تخرج عما دار فى الجلسات ، وأسعد بلحظات اعلان نتيجة الكتب الفائزة فى الاشتراكية العربية وتبسيط العلوم والفنون .. فهنيئا لدور النشر التى فازت ، ومرحى بمؤلفى هذه الكتب الفائزة .. ثم طوبى للثقافة وللقراء بهذا الاتجاه التى ترعاه دولتنا الاشتراكية .





يقدمه مدير التحرير

● رأت « دار الكتب » أن تشارك العالم العربي في احياء ذكرى فقيد الأدب المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فأصدرت نشرة عنوانها « **عباس محمود العقاد : نشرة ببليوجرافية بآثاره الفكرية** » من اعداد الأستاذ عبد الستار عبد الحق الحلوجي رئيس قسم فهرسة المخطوطات بدار الكتب . وهو بحث كان قد أعده بالانجليزية عن آثار هذا الأديب الكبير ونتاجه الفكرى أجازته جامعة لندن كجزء من دراسته العلمية التى حصل بها على دبلوم الدراسات العليا من معهد المكتبات بتلك الجامعة، فترجمه بناء على رغبة الدار وأضاف اليه ما جد منذ قدمه الى تلك الجامعة . ولم يتبع فى تقسيم الموضوعات وترتيبها أيا من الطرق المعروفة فى تصنيف المعرفة الانسانية ، وانما كانت تقسيماته كلها نابعة من طبيعة المواد التى تناولها العقاد فى كتاباته فجاءت فصوله العشرة الرئيسية هى : الكتب العامة ، الفلسفة ، الدراسات الدينية ، البحوث اللغوية ، الفنون والآداب ، العلوم الاجتماعية ، الدراسات المتعلقة بمصر والعالم العربى ، التراجم والسير ، الموسيقى ، المتفرقات. ثم خصص الفصل الحادى عشر بالكتب التى تعرض لها العقاد بالنقد والتعريف .

● وقد صدر أخيرا للعقاد كتاب جديد نشرته « دار الهلال » بعنوان « **حياة قلم** » بدأها بولادة قلمه فى اسوان ، وتحدث عن ظروف هذا الولادة والجيل الذى ولد فيه ، وقارن بين قلمه وقلم عبد الله النديم فى ذلك الحين ، وتحدث عن الصحافة قبل خمسين عاما وعن أحاديثه مع الساسة ، وما وقع لهذا القلم ولصاحبه من أزمات ، وكيف اشتغل بالصحافة فى الحرب العالمية الأولى وكيف انقطع عنها ، ثم عاد اليها .

● كما نشرت له أخيرا مكتبة «دار العروبة» طبعة جديدة من كتاب « **عمرو بن العاص** » . وتنشر له طبعة جديدة أيضا من كتابه «**مطلع النور**» وهو دراسة للعالم ولشبه الجزيرة العربية قبل أن يبعث الرسول الكريم برسالته الخالدة .

● يصدر عن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » كتاب « **حياة مطران** » تأليف الأستاذ طاهر الطناحى مدير تحرير مجلة الهلال ، وهو دراسة وافية فى نحو ستمائه صفحة عن خليل مطران شاعرا وناثرا ومؤلفا وفنانا مسرحيا ، كما تناولت قصة حبه ، ثم علاقته بعصره وقدمت عرضا تحليليا لهذا العصر من خلال حياة هذا الشاعر الكبير .

● يصدر معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية فى مجموعة « وثائق ونصوص » الطبعة الثانية من كتاب « **اتفاقيات وعقود البترول فى البلاد العربية** » باشراف الدكتور محمد لبيب شقير وزير التخطيط والأستاذ صاحب ذهب من رجال الجامعة العربية باستدراكات كثيرة لما ورد فى الطبعة الأولى واضافات جديدة عليها . وهذا الكتاب يعد من أمهات المراجع فى موضوعه .

● عهدت الادارة العامة للثقافة (قسم الترجمة والألف كتاب) بوزارة التعليم العالى الى الأساتذة فؤاد كامل وجلال العشرى

وعبد الرشيد الصادق ترجمة « **الموسوعة الفلسفية المختصرة** » التى أشرف على تحريرها J. O. Urmson من الانجليزية الى العربية ، وقام بمراجعتها والاشراف على ترجمتها واضافة شخصيات اسلامية اليها الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود .

وهذه الموسوعة قد انطوت على شرح للمصطلحات الفنية الرئيسية التى يستخدمها الفلاسفة على اختلاف آرائهم ، ثم التعريف بالمذاهب المشهورة ، ثم عرض للفلاسفة كل على حدة ، ثم وصف الميادين الرئيسية فى البحث الفلسفى . وقد روعى فيها اختيار التفسير الضيق الى حد ما لما عساه ان يكون قوام الفلسفة ويكون أقرب الى ما تعارف عليه الفلاسفة المحترفون فى المأثور الفلسفى الغربى منه الى العرف الشعبى . ثم النظر فى الاختيار الى الأولوية لحاجات القراء غير المتخصصين .

وختمت هذه الموسوعة بملاحق ضمت خمس قوائم : واحدة بأسماء الأعلام ، وثانية بأسماء المذاهب ، وثالثة بأسماء المؤلفات ، ورابعة بأسماء الذين أسهموا فى وضع تلك الموسوعة ، والقائمة الخامسة بمراجع فى الفلسفة .

● صدر العدد الرابع من « **مجلة المكتبة العربية** » التى يصدرها الدكتور محمود الشنيطى ، وقد اشتمل على بحث بيبليوجرافى عن الرسائل الجامعية التى قدمت الى جامعات القاهرة والاسكندرية وعين شمس ، فى كليات الآداب والتجارة والحقوق ، منذ انشائها حتى يونية سنة ١٩٦٣ . وقد قام باعداد هذا البحث سهير محفوظ ونوال البشلاوى وسيدة ماجد ، غير أن هذا البحث على أهميته لم يسلم من كثير من الأخطاء فى أسماء أصحاب الرسائل ، وفى عناوينها . فقد كتب اسم « حسين مؤنس » : « حسنين » . و « محمد موسى هنداوى » : « مرسى » . و « مصطفى الصاوى الجوينى » : « مصطفى الصادق السجوينى » وغير ذلك مما تضيع معه القيمة العلمية للبحث .

● أشرنا فى العدد السادس من هذه المجلة الى كتاب « **أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى** » الذى تنشره دار المعارف للدكتور جمال الدين الشيال .

ونضيف هنا ان الأستاذ نقولا يوسف قد انتهى من اعداد كتاب عنوانه « **أعلام الاسكندرية منذ أقدم العصور** » يعرف فيه بجميع من أنجبتهم الاسكندرية من الأدباء والمفكرين ، وكذلك جميع الذين أقاموا فيها فترات طويلة أو قصيرة .

ومن الطريف أن الدكتور الشيال والأستاذ نقولا يوسف من أبناء دمياط وقد أقاما فى الاسكندرية فترة طويلة . وقد وضع الأستاذ نقولا منذ سنوات قلائل كتابا ضخما سجل فيه تاريخ موطنه « دمياط » .

● سيصدر عن « دار القلم » كتاب جديد : للأستاذ ابراهيم الابيارى عنوانه « **تاريخ القرآن او رسالة ورسول** » يترجم فيه للرسول من ميلاده الى وفاته ، ويتكلم فيه عن معنى الوحى ونشأته ، وعن الغزوات فيوضح انها لم تكن للحروب ولكنها كانت لنشر الدعوة ، ثم يتناول بعد ذلك تحليل نزول القرآن وتدوينه وتجزئته وكل ما يتصل به من العلوم ، ويرد على شبهات المستشرق نولدكه واضرابه فيما كتبوا عن تاريخ القرآن .

● ويصدر قريبا للأستاذ محمد عبد الله عنان القسم الثانى من كتاب « **عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس** » وبه تتم سلسلة الكتب النفيسة التى اخرجها مؤرخا فيها لدولة الاسلام فى الأندلس .

● وتصدر عن « الدار القومية للطباعة والنشر » مجموعة قصصية للأستاذ محمود البدوى عنوانها « **حدث ذات ليلة** » ، وهو عنوان احدى قصص هذه المجموعة الجديدة .

● ويصدر عن « دار مكتبة مصر » الجزء الأول من الملحمة الكبرى التى كتبها الأستاذ على احمد باكثير فى تسعة عشر فصلا ، كل فصل منها سيصدر فى جزء قائم بذاته ، وعنوانها « **ملحمة عمر** » . تناول فيها حياة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب منذ تولى الخلافة حتى وفاته من زوايا مختلفة . ومن هذه الفصول فصلان عن فتح مصر .

● صدر الجزء الأول من كتاب « **ليبيا قبل المحنة وبعدها** » الذى ألفه الأستاذ خليفة عبد المجيد المنتصر ، المستشار السياسى لسفارة ليبيا بالقاهرة ، مؤرخا فيه لليبيا الحديثة ، ولهذا الكتاب جزآن باقيان تحت الطبع .

● وبهذه المناسبة نذكر أن الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى قد أعد للطبع كتابا جديدا عن « **الأدب الليبى من أقدم عصوره الى اليوم** » ، وكان قد جمع مادته خلال الفترة التى انتدب فيها للتدريس فى هذا القطر الشقيق .

● قامت الأديبة العراقية السيدة بهيجة الحسنى بتحقيق كتاب « **ربيع الأبرار** » للزمخشرى أبى القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وتقدمت بهذا التحقيق الى جامعة كمبريدج للحصول على الدكتوراه . وقد نسبت أبيات الشعر الواردة فيه الى قائليها مع ذكر المصادر الأخرى التى ورد فيها هذا الشعر والترجمة لصاحبه وشرح ألفاظه .

ومما يذكر أن المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس كان قد قام بتحقيق هذا الكتاب ولكن المنية وافته قبل أن يطبعه .

● صدر ديوان « **الأشواق الحائرة** » للأديب العراقى سلمان هادى الطعمة ، وهو مجموعة من القصائد العاطفية والوطنية . وكان قد ظهر لهذا الشاعر من قبل ديوان اسمه « **الأمل الضائع** » وكتاب « **شاعرات العراق المعاصرات** » .

● نشرت مكتبة المثنى ببغداد عن نسخة مخطوطة محفوظة بتلك المكتبة ترجع الى القرن التاسع الهجرى كتاب « **لطف التدبير** » لمحمد بن عبدالله الخطيب الاسكافى المتوفى سنة ٤٢١ وهو يعتبر من اقدم الكتب التى تكشف عن جوانب الحياة السياسة للمجتمع الاسلامى فى عصر المؤلف وخلال القرون الأربعة الأولى من التاريخ الاسلامى . وقد حققه وعلق عليه أحمد عبد الباقى .

● صدرت أخيرا عن دار العلم للملايين ببيروت الطبعة الثانية من كتاب «**الدين والضمير**» للأستاذ محمود الشرقاوى الأستاذ بالجامعة الأزهرية . وكانت الطبعة الأولى قد صدرت سنة ١٩٥٨ عن مكتبة الأنجلو المصرية .

● نشرت دار الكاتب العربى فى بيروت كتابا عنوانه « **القرامطة ، أصلهم ، نشاتهم ، تاريخهم حروبهم** » للأستاذ عارف تامر . وهو يقول ان تلك الحركة كانت تهدف الى قلب نظام المجتمع السائد ، وتغيير الحالة السياسة المسيطرة على العالم الاسلامى ، كما يقول ان القرمطية حركة ثورية انقلابية فلسفية ذات تعاليم اشتراكية عميقة جديدة عنيفة على المجتمع .

● ظهرت فى بيروت ترجمة عربية قام بها الدكاترة احسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد لكتاب « **دراسات فى حضارة الاسلام** » للمستشرق الانجليزى هاملتون جب. وهذا الكتاب هو مجموعة مقالات وبحوث كتبها المؤلف على فترات ثم قسمها الى ثلاثة اقسام : الأول « التاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى ». والثانى « فى النظم والفلسفة والدين » . والثالث « دراسات فى الأدب العربى » .

● « **هوامش** » كتاب جديد يخرج فى بيروت للأستاذ ميخائيل نعيمة يضم فصولا عالج فيها المؤلف بأسلوبه الأدبى وتأملاته الفلسفية مسائل النفس والحياة .

وكان الأستاذ ميخائيل نعيمة قد وجه نداء الى الأدباء ليوافوه برسائله التى بعث بها اليهم ليجمعها فى كتاب ، ولكنه أرجأ ذلك حين تبين أن هؤلاء الأدباء لا يريدون التفريط فى هذه الرسائل.

● وقد صدرت أخيرا فى بيروت دراسة عن هذا الأديب الكبير عنوانها « **ميخائيل نعيمة الأديب الصوفى** » بقلم الشاعرة اللبنانية السيدة ثريا ملحس .

● ونشرت دار الكتاب العربى فى بيروت مجموعة أقاصيص للأديب الأردنى الأستاذ يعقوب العودات المعروف بالبدوى الملثم عنوانها « **الوان على طبق** » .

● يعكف الأستاذ نظير زيتون الأديب الذى عاش فى المهجر سنوات طويلة ثم عاد الى وطنه سوريا وزار القاهرة خلال عودته سنة ١٩٦٠ ، على وضع كتاب عن « **أديب اسحاق** » تلميذ السيد جمال الدين الأفغانى .

● نشرت « دار الفكر » بدمشق كتابا للدكتور عبد الكريم الأشتر المدرس بكلية الآداب

بجامعة دمشق عنوانه « **دعبل بن على الخزاعى شاعر آل البيت** » وهو دراسة تحليلية لحياته وشعره . وقد ألحق بهذا البحث ثلاثة ذيول سرد فى الأول منها آراء بعض النقاد والشعراء القدامى فى هذا الشاعر ، وجمع فى الذيل الثانى أخبار كتبه وما وصل الينا منها من نقول عنها ودرسها دراسة تحليلية موجزة تعين على فهم ثقافة هذا الشاعر التى تحكمت فى اتجاهه الفنى فى الشعر وتبين ألوانها . ونظر فى الذيل الثالث فى المراجع فقوم كل ما كتب عن دعبل فى القديم والحديث .

● يترجم الأديب الأردنى الاستاذ عيسى الناعورى روايته « **بيت وراء الحدود** » الى الايطالية لتنشر فى روما بمقدمة يكتبها الأديب الايطالى كوازيمودو الفائز بجائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٩ .

● ظهرت فى الجزائر مجلة تجديدية اسمها « **مجلة الفكر الاسلامى** » لتشارك فى دور ما بعد معركة التحرير ، ولتعمل — على هدى الدين — على تخليص الفكر الاسلامى مما لحقه من شوائب الاستعمار والجمود .

وقد اشترك فى تحرير العدد الأول منها طائفة من علماء الجزائر من أمثال : محمد الحاج حسين ، الشيخ بيوض ابراهيم ، الشيخ ابراهيم أبو اليقظان ، والشيخ عبد الرحمن (بنعمر) (ابن عمر) .

● صدر العدد الأول من مجلة « **الندوة** » فى مدينة سان باولو فى البرازيل وهى مجلة ، شهرية أدبية تصدر باللغة العربية يحررها أعضاء جمعية متخرجى جامعة بيروت الأميريكية المقيمون فى البرازيل ومديرها المسئول الأستاذ روفائيل يافث .

وقد أهدت جامعة الدول العربية الى هذه المجلة حروف الطباعة اللازمة لاخراجها فى أجمل ثوب لتكون بحق « سفارة للأدب والثقافة » كما قال محررها . وقد جاء فى افتتاحية العدد الأول أن هذه المجلة « ستكون منبرا حرا لكل الآراء والمذاهب ، لكل الميول والمشارب ، متى كان القصد منها الاخلاص والسعى وراء الحقيقة دون تعصب أو تحيز ، دون تشبث أو جمود . أن مبدأنا ليس حرية الكلام والكتابة فقط ، بل محاربة كل من يقف سدا فى وجه الحرية ويعمل للقضاء عليها » .

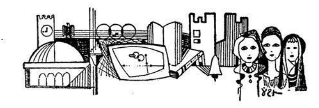
وقد احتوى العدد الأول منها على هذه المقالات :
« أنباء الجامعة » للأستاذ رشيد شيكور ، و « آلاء المستشرقين واخطاؤهم » للأستاذ توفيق قربان ، و « التجديد فى كتابة تاريخ العرب : جرجى زيدان رائد المدرسة الحديثة من مؤرخى العرب » للأستاذ رشيد شكور ، « الجاحظ وفلاسفة أوروبا » للأستاذ حامى نصر ، و « حديث عن الورد » للأستاذ أمين الغريب ، و « لبنان وجامعة الدول العربية » للأستاذ جوزيف نفاع . عدا مقالات علمية وطرائف أدبية .

● يعيد الأديب التونسى الأستاذ أبو القاسم كرو طبع كتابه « **آثار الشابى وصداه فى الشرق** » بعد أن أضاف عليه اضافات جديدة ، فيتحدث عن صدى نابغة الشعر التونسى فى العالم ، ويسجل فهارس بالمراجع التى تناولت هذا الشاعر باللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية علاوة عما كتب عنه فى العربية .

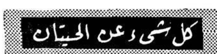
كما يصدر طبعة جديدة من كتابيه « **الشابى : حياته وشعره** » و « **كفاح الشابى** » .

● « **ذكرياتى فى البادية** » هو عنوان كتاب صدر للأديب السودانى الأستاذ حسن نجيلة .

● الشاعر الحجازى الأستاذ محمد العامر الرمح أعد للطبع كتابا عنوانه « **دراسات نقدية** » ، وديوان شعر من نظمه ، ثم كتابا عن الشاعر التونسى أبى القاسم الشابى .







تاليف : روى تشابمان اندروز .

ترجمة : الدكتور محمد صابر سليم .

الناشر : دار المعارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١١٧ صفحة ١٤×٢٠ ث ٣٠ قرشا

يعطينا هذا الكتاب فكرة طيبة عن مدى النشاط الذى يقوم به العلماء فى الولايات المتحدة ، والمخاطر التى لايتورعون عنها مهما كانت ، من أجل خدمة فكرة علمية معينة أو نشاط علمى جديد . فمؤلف الكتاب عالم مغامر طوف أرجاء عديدة من العالم ، وجاب بحارا واختبر مياها أودت بحياة كثير ممن اختبروها قبله . وهذا الكتاب كتاب مغامرات الى جانب أنه كتاب علمى جاد ، وهو حصيلة جهد مستمر لثمانى سنوات درس خلالها المؤلف كل شىء عن الحيتان وطرائقها المختلفة فى الحياة وأوجه الاستفادة التى نستمدها منها .

والحوت من الحيوانات التى ترجع الى عصور بعيدة تمتد الى ملايين السنين ، وكان معاصرا للديناصور ، وهو من الثدييات عاش على الأرض قبل أن تنتقل به الطبيعة الى البحر ولاتزال آثار أرجله القديمة باقية الى اليوم . ويصل طول بعض هذه الحيتان الى الثلاثين مترا ويزيد وزن البعض الآخر على الخمسين طنا ، ويعمر الواحد منها سنين قد تصل العشرين ، ويجوب البحار فى رحلات متعددة على توالى فصول السنة .

ومن قديم عرف الانسان الحيتان واستفاد بما يجلبه منها من لحم لذيذ الطعم يدخل فى غذاء السواد الأعظم من اليابانيين ، ويستخدم عظمه ودمه كسماد عضوى ممتاز ، أما دهنه فهو ينفع فى صناعات مختلفة وفى أغراض طبية مفيدة ، كما أن الحوت يختزن أطنانا من الزيت فى رأسه تستخدم فى الاضاءة وفى وجوه عملية أخرى ، وبعض أنواع الحيتان ذات رائحة طيبة ويستخرج منها العنبر .

« انك تراها لبضع لحظات قصيرة فوق السطح ثم تختفى ، وتعجب ماذا يجرى فى أعماق المحيط ، ولكن العلماء يكتشفون الأسرار رويدا رويدا ، كما أن الأجهزة الحديثة التى تعمل تحت سطح البحر تفتح لنا آفاقا جديدة ، ونحن طوافون على سطح الماء فى السفن ، وبعض سكان هذه الآفاق البعيدة تحت سطح الماء من الحيتان ، وكل سنة تعلن المزيد عن حياتها الخاصة ، وكل المعلومات الباهرة » .

الختان ضلالة إسرائيلية مؤذية

تاليف : يوسف لويس

ترجمة وتقديم : عصام الدين حفنى ناصف

الناشر : دار ومطابع الشعب ١٠٤ صفحة ١٤×٢٠ ث ١٥ قرشا .

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن الختان ، وضرورته بالنسبة للذكر والأنثى فى نظر البعض ، وعدم جدواه وفائدته الى جانب الضرر المترتب عليه فى نظر البعض الآخر . وهذا الكتاب يتناول بالشرح والتبسيط مشكلة الختان ، وتاريخ هذه العادة التى توالت على أجيال الانسان منذ أحقاب متباعدة من الزمان . والفه أستاذ محيط بأطراف هذا الموضوع عليم به ، وترجمه وقدم له مع الرجوع الى كتاب الله الكريم وحديث النبى وسنته أستاذ أديب الى جانب معارفه الدينية الواسعة .

ويبدو أن الكتاب كان فى الأصل محاضرة أو رسالة للمؤلف لم يقتصر المترجم عليها ، بل أضاف اليها اضافات اسلامية . فتحدث عن حرية الفكر فى التاريخ وتلك الاسرائيليات التى بثها الملاحدة والذين تربطهم بكتب اليهود صلات مديدة لافساد الاسلام . ثم قفى بالحديث عن الختان كما كان شائعا عند العرب وعند المسلمين الأوائل ، وناقش ماقيل عن ختان الرسول والأحاديث المنحولة عنه .

والختان فى الأصل عادة يهودية استمرت عند العبريين أمدا طويلا ، ولاتزال موجودة حتى اليوم ، ولهذه العادة مضار عديدة بالنسبة للذكر والأنثى على حد سواء ، فالى جانب ما تسببه من ألم جسمانى عنيف فانها تترك رواسب فى نفس الطفل قد تؤذيه فى مراحل حياته المستقبلة ، كما أنها تسبب ضعفا جنسيا كان من الممكن تجنبه بعدم

اجراء الختان ، هذا الى أن العملية نفسها قد تؤدى الى الوفاة فى حالات النزيف المفاجىء أو تلوث الأيدى والآلات التى تجرى بها .

يقول فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت « والذى أراه أن حكم الشرع فى الختان لايخضع لنص منقول ، وانما يخضع فى الذكر والأنثى لقاعدة شرعية عامة وهى أن ايلام الحى لايجوز شرعا الا لمصالح تعود عليه وتربو على الألم الذى يلحقه » .



تأليف : ليون هوارد

ترجمة : بكر عباس

الناشر : المكتبة الأهلية . بيروت . بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . ٨٢ صفحة . قطع صغير . ث ١٠٠ ق.ل

يحفل تاريخ الأدب الأمريكى بعديد من الرواد العباقرة الذين استطاعوا أن يشاركوا أمتهم فى النهضة المبكرة التى بدأت فى أعقاب حرب الاستقلال . من هؤلاء هيرمن ملفيل مؤلف صاحب رواية موبى دك .

والقرن التاسع عشر – كما هو معروف – هو عصر الرومانتيكية فى الأدب الأوربى ، ولكن هذا الأدب فى القارة الأمريكية كان يتسم بسمة خاصة ، هذه السمة هى روح المغامرة التى استمدها هؤلاء الأدباء من روح هذا العصر . وما كان معروفا بالزحف نحو الغرب ، الى جانب المخاطرات الجريئة التى كانت تمتد الى البحار الجنوبية .

وهذا الأديب يمثل روح عصره أصدق تمثيل ، فهو مغامر الى جانب أنه أديب ، بدأ هذه المغامرات فى سن مبكرة . فقد هرب من المدرسة لما لقى فيها من ضجر ، واشترك فى رحلات لصيد الحيتان ، وعاش مع آكلى لحوم البشر . وكان لهـذا كلـه أثره على أدبه ، فبدأ نموه الفـكرى فى الخامسة والعشرين ، وكتب موبى دك – وهى اخلد آثاره – فى الحادية والثلاثين وعلى مدار حياته التى امتدت الى اثنين وسبعين عاما كتب ست عشرة رواية وعملا أدبيا الى جانب مقالاته العديدة فى الصحف والمجلات الأدبية .

ولكن روح المغامرة عند هيرمن ملفيل لم تكن لتمنع دون تحصيله العلمى والأدبى الوافر ، فقد كان يقرأ بنهم ، وصحب فلاسفة عصره المشهورين ، صحبهم فى كتبهم وفى أشخاصهم، واهتم بكتاب عصر اليصابات وكان يكن لشكسبير احتراما كبيرا.

وقصة موبى دك تدور حول حوت ضخم بهذا الاسم ، فتك بعديد من الصيادين والبحارة الذين ألقى بهم سوء الحظ الى أنيابه . وكان من جملتهم آهاب بطل القصـة الذى خلع الحوت ساقه ، فتبعه لينتقم منه . ونجح آهاب فى انتقامه ، وكان الثمن الذى دفعه أن غرق هو وبحارته وأخذ معه ثاره الى الأعماق .

لقد كان ملفيل كاتبا عظيما ... لم ينصفه جيله ، وكان هذا الانصاف من نصيب جيلنا هذا الذى اعترف به وأعطاه المكانة اللائقة بكاتب عظيم مثله .



تأليف : محمد سيد كيلانى

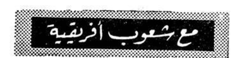
الناشر: الدار القومية العربية للطباعة ٣٥٠صفحة١٧ × ٢٤ ث ٣٥ قرشا

جرى الاعتقاد لدى أبناء هذا الجيل والجيل السابق على أن الأدب المصرى فى العصر العثمانى كان يمثل مرحلة من مراحل الضعف وخمول الذكر فى تاريخ الأدب العربى . وقد كان هذا شعورى حين بدأت أطالع كتاب الأستاذ كيلانى، بيد أن المؤلف لم يلبث أن فاجأنا برسم صورة الأدب المصرى فى العصر العثمانى على نهج جديد ، فهو يرى – ولعله صادق فيما يراه – أن الأدب المصرى فى هذا العصر لم يكن متدهورا كما كنا نعتقد ، وانما كان على حال من الازدهار ميسورة . فقد استمر التطور فى فروع الأدب القديمة ، كما انتعشت أو ظهرت فروع جديدة لم تكن معروفـة أو متداولة من قبل ، كما أن النزعات الصوفية كانت تضفى على هذا الأدب قيما جمالية عديدة .

الظاهر اذن من الكتاب أنه دفاع عن الأدب المصرى فى العصر العثمانى ، لكن المؤلف لم يعطنا الأدلة العلمية الكافية فى دفاعه هذا ، وانما كان يلجأ الى الاستشهاد على أصـالة شاعر معين بنصوص من عصر هذا الشـاعر ، دون أن يقدم لنا دراسة وافية تؤيد رأيه ، كما أنه لم يسرد حجج هؤلاء الذين يطعنون فى أدب العصر العثمانى ، او أن يرد عليهم باسهاب . وعندى أنه لو كان فعل هذا لبلغ مكانا عاليا من التوفيق الى جانب التوفيقات الأخرى التى وصل اليها .

وقد عرض المؤلف فى كتابه لأحوال المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، والمدارس الفكرية المعروفة فى ذلك العصر، والأغراض الشعرية والنثرية السائدة ، مع دراسة تطبيقية لنخبة من أهل هذا الأدب شعرا ونثرا .

ويتميز الكتاب بميزتين هامتين . الأولى : أنه أعطانا صورة عامة للأدب المصرى فى العصر العثمانى ، ولا أقصد أنه رسم هذه الصورة كما يجب أن تكون ، وانما أعطانا الملامح الظاهرية منها ، والميزة الثانية : أنه أثار قضية هامة من قضايا الأدب العربى ، وهى مدى صدق الحكم الذى أصدره مؤرخو الأدب على هذا العصر بما فيه من الوان أدبية شتى .



تاليف : عبده بدوى •

الناشر : الدار القومية – الكتاب الماسي – ٢١٨ صفحة ١٧ × ٢٤ ث ٢٥ قرشا •

مؤلف هذا الكتاب شاب متخصص فى الشئون الافريقية، وله دراسات طيبة عن تلك البلاد التى كانت الى عهد قريب غير معروفة لكثير من المثقفين ، وعرض فيه لتاريخ اثنى عشرة دولة افريقية على مر العصور فى حوار أدبى سلس •

بيد أنك تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب بأنك ازاء مسرحية متعددة الفصول حافلة الأحداث والأجواء والمناظر ، فطورا تجد نفسك فى أعالى النيل وطورا آخر فى الصحراء ، وطورا ثالثا فى أقصى حدود القارة •

الكتاب اذن يعطيك احساسا عميقا بالعطف على أبناء هذه القارة الذين طالما تعرضوا لعذاب قومى مضن ودعاية مغرضة شوهاء ، فهو صورة صادقة على وجه العموم بريئة من كل مظنة او حسبان •

وعلى هذا فالكتاب مجهود طيب ، لولا مابه من عبارات عصرية لا تتفق مع لغة العصر الذى وقعت فيه تلك الأحداث التاريخية التى عرض لها المؤلف ووفق فى صياغتها على وجه عام وبقدر ما استطاع •

الجنة الأولى

نظم : يوسف سمباج •

الناشر : مطبعة حليم • ١١٠ صفحة ١٤ × ٢٠ ث –

جميل جدا أن يظهر فى هذه الفترة التى نعيشها الآن والتى يعد السد العالى احد الملامح المميزة لها ديوان شعر لأحد أبناء الجنوب ••• من بلاد النوبة ، تلك البلاد التى تدين لها بالشىء الكثير • وهذا الديوان يعطينا احساسا عميقا بجلال اللغة العربية وحسن تقبلها عند أبناء النوبة، حتى ظهر بينهم اديب ينظم شعره أساسا باللغة العربية الى جانب اللغة النوبية نفسها •

ومن الطبيعى أن يتفرد النيل بجانب كبير فى قصائد هذا الديوان الى جانب المعانى العديدة والأخيلة المستوحاة منه ، كما أن ما خلفه الفراعنة فى ذاكرة القوم ، وما ابتنوه فى بلادهم من معابد وقلاع وقبور وآثار أخرى شتى يحتل جانبا آخر فى الديوان :

والنوبيون عميقو الايمان والشعور الدينى أقوياء فى نفوسهم ، برغم حداثة عهدهم بالاسلام وطول عهدهم بالأديان الأخرى وثنية ومسيحية • ونلمح أيضا فى الديوان مقدار ما كان يعانيه أهل النوبة فى العهود الماضية ، من عنت الأداة الحكومية وفسادها ، وجهل الدعاة لمصالح الرعية، أو تجاهلهم لها واهتبالهم الفرصة لتسخيرهم حيث شاءوا ومتى شاءوا • ثم ماترتب على هذا من طغيان ماء النهر وعصفه بأقوات القوم ولوازم حياتهم السهلة ، وقد شارك النوبيون فى خضم الأحداث السياسية التى توالت على الوطن الأم من هذا القرن العشرين وكان لهذه الأحداث أثرها فى نفسيات القوم وسخطهم على الحياة السياسية المضطربة •

••• وتأتى قصائد الشاعر عن النصر الكبير فى بور سعيد تعبيرا أمينا عما يعتلج فى نفسه من فرح عندما يفرح الوطن ، وما ينتابها من شقاء عندما يشقى الوطن •

وفى قصيدته عن « جمال النيل » يقول :

هذا جمال النيل منه فاستمدوا

مثلا قويا فى النضال لكم وجدوا

فالثورة البيضاء للأحرار عهد

ونهاية الاقطاع للجبروت حد

بنضاله فى بور سعيد الكون يشدو

هذا وقد ذكر الشاعر أن قصائد هذا الديوان ليست كل قصائده التى نظمها فى السنين الماضية ••• عسى أن يبادر بنشر الباقى منها فيكون فى ذلك خدمة لنا ، ويكون فيه أيضا جلاء للحقائق وتنوير للأذهان ، اذ أن بلاد النوبة ليست بلاد السد العالى فحسب ، وانما هى بلاد شعراء أيضا •



كتب وردت للمجلة

الدوخ

تأليف : حسن محسب ، الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة عدد الصفحات ٩٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٥ قروش

الاشتراكية

تأليف بول م. سويزى ، ترجمة : الدكتور عمر مكاوى ، مراجعة : الدكتور أحمد حسنى ، الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣١١ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٦ قرشا

الطبيعة الجوية

تأليف : الدكتور محمد جمال الدين الفندى ، الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٤٨ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٢٠ قرشا

صقر قريش

تأليف على ادهم ، الناشر : دار الهلال ، عدد الصفحات ٢١٦ ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ١٠ قروش

الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى

تأليف : محمد سيد كيلانى ، الناشر : دار القومية العربية ، عدد الصفحات ٣٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٥ قرشا

سليم الحجازى من اعلام الجيش المصرى

تأليف : عبد العزيز حافظ دنيا ، الناشر : دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٥ قرشا

البناة العظام فى عالم الرواية والفن

تأليف ستيفان زفايج ، ترجمة : محمد محمد فرج ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٩٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن

محمد عثمان جلال

اختيار وتقديم الدكتور محمد يوسف نجم ، الناشر : دار الثقافة بيروت ، عدد الصفحات ٣٤٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٥ ليرة لبنانية

● **جسر السلوان**

تأليف بيرل بك ، ترجمة : رمزى يس ، مراجعة مصطفى حبيب ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة روز اليوسف ، عدد الصفحات ٢٧٨ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٦٫٥ قرشا

● **رجال الله (الجزء الأول)**

تأليف : بيرلبك ، ترجمة : محمد محمد عبد القادر ، مراجعة : الدكتور لويس مرقس ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الكرنك ، عدد الصفحات ٣٧٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٨ قرشا

● **التربية الحديثة**

تأليف أنجيلاميديسى ، ترجمة : محمد أحمد سليمان ، مراجعة الدكتور صلاح مخيمر ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ١٧٥ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٩٫٥ قرشا

● **حياة المكفوفين**

تأليف بيير هنرى ، ترجمة جمال بدران وطلعت أباظة، مراجعة : الدكتورة سهير القلماوى ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٥٥ ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ٨٫٥ قرشا

● **دروس فى خدمة التليفزيون**

ترجمة : رزق باسيلى ، مراجعة : صلاح عامر ، الناشر: مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٥٣٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٦ قرشا

● **فيزيقا العصر الذرى**

تأليف هنرى سمات ، ترجمة الدكتور فتحى أحمد البديوى ، مراجعة : الدكتور محمود مختار ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب، عدد الصفحات ٣٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٠ قرشا

مصر القومية

تأليف هانزكوهن ، ترجمة : عبد الرحمن صدقى ، مراجعة : مصطفى حبيب ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٢٨ ص ١٧×٢٤ سم

الثمن ١٩ قرشا

جود المغمور

تأليف ترماس هاردى، ترجمة : سامى ناشد ، مراجعة: حسن محمود ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٥٤٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٦ر٥ قرشا

الحضين والطفل فى ثقافة اليوم (الجزء الأول)

تأليف : أرنولدجزل وآخرين ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة : الدكتور حامد عمار ، الناشر مشروع الألف كتاب مع دار الكرنك ، عدد الصفحات ٢٨٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٤ قرشا

الموسوعة الفلسفية المختصرة

تحرير : أورمسون ، ترجمة : جلال العشرى وآخرين، مراجعة : الدكتور زكى نجيب محمود ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٤٨٥ ص قطع كبير .

الثمن ١٠٦ قرشا

العمليات الجماعية فى المدارس الابتدائية والثانوية

تأليف لويس م. سميث ، ترجمة : الدكتور ابراهيم خليل شهاب ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار القلم ، عدد الصفحات ٦٠ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٨ قروش

مزيد من البحوث الممتعة للعلماء الصغار

تأليف جورج بار ، ترجمـــة الدكتور أنور محمود عبد الواحد ، الناشر : مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٤ × ٢٠سم

الثمن ٢١ قرشا

مختارات من القصص القصيرة

تأليف : فرانك ستوكتون ، ترجمة : صبحى الجيار ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٢٦٦ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٢٥ قرشا

أوروبا أمس واليوم

تأليف : فتح الله الصقال ، الناشر مطبعة الضاد بحلب عدد الصفحات : ٢٩٢ ص ١٧×٢٤ سم

معركة سيناء وقناة السويس

تأليف : لواء محمد كمال عبد الحميد ، الناشر الدا[ر] القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٠٩ [ص] ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

العدوان الثلاثى والضمير العالمى

تأليف : وفيق عبد العزيز فهمى ، الناشر الدار القوم[ية] للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٠١ ص ١٧ × ٢٤س[م]

الثمن ٢٠ قرشا

رحلة الى الوراء

تأليف : الدكتور شوقى سعد ، تقديم : الدكتورة سه[ير] القلماوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، ع[دد] الصفحات ١٢٢ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

الأم

تأليف : محمد لبيب البوهى ، الناشر : الدار القوم[ية] للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٧ × ٢٤ س[م]

الثمن ٣٠ قرشا

نساء القرن العشرين

تأليف : برناردشو ، ترجمة : الدكتور جمال الدي[ن] الرمادى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، ع[دد] الصفحات ١٨١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

القوزاق

تأليف : ليوتولستوى ، ترجمة : حسين القبانى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٥٩ ص ١٤×٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

الأمم الغنية والأمم الفقيرة

تأليف بربارة وورد ، ترجمة : روفائيـــل جرجس مراجعة : الدكتور حسين عمر ، الناشر : مشروع الأل[ف] كتاب بالاشتراك مع مكتبة الأنجلو المصرية ، عــــ[دد] الصفحات ١٦٩ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١١ قرشا

ليوناردو

تأليف : ادوارد وسولومى ، ترجمة : طه فوزى ، مراجعة حسن محمود ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشترا[ك] مع مؤسسة روزاليوسف ، عدد الصـــفحات ٣٩٢ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٢٥ر٥ قرشا

لون البشرة وأثره فى العلاقات الانسانية

تأليف : ر. د. سيمونز ، ترجمة : على عزت الأنصارى مراجعة : الدكتور عبد العزيز كامل ، الناشر : مشرو[ع]

الألف كتاب بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط
عدد الصفحات ١٥٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٤ قرشا

● **تفهم العلاقات بين الجماعات**
تاليف : چين د· جرامبز ، ترجمة : عدلى سليمان ، مراجعة : محمد سليمان شعلان ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار القلم ، عدد الصفحات ٦٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٨ قروش

● **١٩٧٥ والمعجزات العلمية المنتظرة**
تاليف : أرنولد باراك ، ترجمة : لواء سعد الدين صبور ، مراجعة : الدكتور حسين فوزى ، الناشر : مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة العربية، عدد الصفحات ٣٤٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٦٥ قرشا

● **تراث الموسيقى العالمية**
تاليف كورت زاكس ، ترجمة : الدكتورة سمحة الخولى، مراجعة : الدكتور حسين فوزى ، الناشر : مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات : ٥٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٧٠ قرشا

● **برناردشو والمسرح الاشتراكى**
تاليف : محمد الشرقاوى ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٩٥ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٠ قرشا

● **اضواء وآراء فى القومية والحرية والاشتراكية**
تاليف : خيرى حماد ، الناشر الدار القومية لنطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٣٢٤ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٥٠ قرشا

● **السياسة الخارجية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية**
تاليف : چون سبانير ، ترجمة : سامى حسن سرى ، مراجعة : حسين الحوت ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١١٤ ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ٥ قروش

● **الدكتور خالد**
تاليف : أحمد حسين ، الناشر : دار القلم ، عدد الصفحات ٥٩٤ ص ١٤×٢٠ سم
الثمن ٦٠ قرشا

● **الأفيون**
تاليف : مصطفى محمود ، الناشر : دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٩٨ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٢٥ قرشا

● **تحت سماء المغرب**
تاليف : حبيب جاماتى ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٩٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٠ قرشا

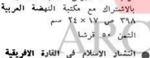
● **الرافعى ومى**
تاليف : عبد السلام هاشم حافظ ، الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٩ قرشا

● **محمد فى التوراة والانجيل والقرآن**
تاليف ابراهيم خليل احمد ، الناشر : مكتبة الوعى العربى ، عدد الصفحات ١٦٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٢٠ قرشا

● **فضائل بغداد العراق**
تاليف : يزدجرد بن مهمندار الفارسى ، تحقيق ميخائيل عواد ، الناشر : مطبعة الارشاد ببغداد ، عدد الصفحات ٢٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

● **ساحل المرجان وصحراء البحر الأحمر**
تاليف : لواء رفعت الجوهرى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٨١ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٥ قرشا

● **فكرة المسرح**
تاليف : فرنسيس فرجسون ، ترجمة : جلال العشرى، مراجعة : درينى خشبة الناشر : مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ٣٩٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٥٠ قرشا



● **انتشار الاسلام فى القارة الافريقية**
تاليف : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٢٤٩ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٣٥ قرشا

● **الفن والعمارة عند العرب**
تاليف : محمد ابراهيم الصيحى ، الناشر : مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ٨٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٥ قرشا

● **الأسرة والمجتمع**
تاليف : الدكتور على عبد الواحد وافى ، الناشر : مكتبة نهضة مصر ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٧ × ٢٤سم

● **الحرب والمدنية**
تاليف : أرنولد توينبى ، ترجمة : أحمد سليمان ، مراجعة : الدكتور محمد أنيس ، الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة النهضة العربية عدد الصفحات ١٩٢ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ١٣ قرشا

● **دراسات فى جغرافية الصناعة**
تاليف : الدكتور فؤاد محمد الصقار ، الناشر : مكتبة النهضة العربية ، عدد الصفحات ٤٠٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٨٠ قرشا



العدد التاسع
٨ شوال ١٣٨٤ هـ
١٠ فبراير ١٩٦٥ م

رئيس التحرير : على أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفى
سكرتير التحرير : جمال بدران

فى هذا العدد

تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون : ٩١٠٣٧٧ / ٩٠٠٤٢٠

ذكريات كبير فلاسفة العصر

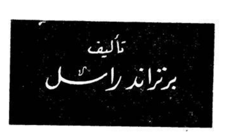
صور من الذاكرة ومقالات أخرى

بقلم: رئيس التحرير

برتراند رسل الفيلسوف البريطاني هو كبير فلاسفة العهد الحاضر وأبعدهم شهرة وأسماهم مكانة ، وقد تجاوزت مؤلفاته السبعين مؤلفا ، واربت سنه على التسعين ، وهو مع ذلك لا يزال يتابع التأليف ويدلي برأيه في المشكلات العالمية ويقدم لقرائه ثمرة تجاربه وخلاصة أفكاره ، ورسل فيلســوف حكيم وليس كل فيلسوف حكيما ، فقد عرف رسل الدنيا وخبر النـاس وعركته الأيام وصقلته الحوادث والتجارب ، وتعرض للنجاح والاخفـاق ، وتنكر له قومه واضطهدوه تارة ، وعرفوا له قدره وأجلوه تارة أخرى ، وهو لم يقف من الحياة موقف المتفرج المطل من برجه العاجي وانما مارس أمـورها وخاض معتركاتها وغالب مختلف تياراتهـا ، واستخلص من ذلك كله حكمته القائمـة على العطف على بني الانسان ومحاولة توفير الحياة السعيدة لهم ما وسعه الامكان ، وهو يشارك الانسانية في أفراحها ومباهجهـا ويشاطرها همومها وأحزانها ، ويناصر الحرية والعدالة ، ويمقت من أعماق نفسه الظلم والطغيان ، وقد صارح أمته بآرائه في مواقف كثيرة ، ولم يضن عليها بنصائحه وتوجيهاته ، وتعرض للسـجن وغضب الشعب في هذا السبيل .

وغير غريب من رسل وقد امتد به العمر أكثر مما كان يقدر لنفسه أن يمنح ساعات من حياته لكتابة ذكرياته ، فذلك شأن من تتقدم بهم السن، وقد أنصف رسل بذلك نفسه وأجاد وأفاد فان ذكريات حياة حافلة بالأفكار والتجارب مثـل حياته جديرة بأن تسجل ويعرفها الناس .

وقد وقف القسـم الأول من الكتاب الذي ضمنه ذكرياته على التحدث عن موجز حياته ، ووصف لنا نشأته الفكرية والمؤثرات التي أحاطت به وكانت من عوامل تكوينه الفكري والنفسي ، ويوازن رسل بين عهد نشأته والعهـد الحاضر بقوله في مستهل كتابه « من الصعب على الذين هم أصغر من أن يتذكروا العـالم كما كان قبل سنة ١٩١٤ أن يتصوروا الفارق الواسع الذي يحسه رجل في مثل سني بين ذكريات الطفولة ووقائع الحاضر ، فانني أحاول الآن ان أعـود نفسي — وقد نجحت في ذلك نجاحا لا يثير في نفسي عاطفة — على عــالم من الامبراطوريات المتداعية ، ومن الشيوعية ، ومن القنابل الذرية، ومن تقرير الذات الأسيوي ، ومن سقوط العلية (الارستقراطية) ، ففي عالم غير مطمئن كهذا العالم حيث لا يضمن الانسان بقاءه حيا في غده، وحيث تتلاشى الدول العريقة كما يتلاشى ضباب الصباح لا تكون من السهل على أولئـك الذين ألفوا في شبابهم صلابة الماضي ان يصدقوا أن ما يمرون به الآن هو الواقع الحق وليس كابوسا الى زوال ، اذ ما أقـل ما بقي من المواضعـات وطرق الحياة التي كانت تحسب في أيام طفولتي في مثل صلابة الجرانيت ، لقد نشأت في بيئة مثقلة بالتقاليد ، مات والداي قبل أن يعلقـا بذاكرتي فنشأت في رعاية جدي وجدتي ، فأما جدي فقد ولد في باكورة أيام الثورة الفرنسية ودخل البرلمان ونابليون لم يزل امبراطورا ولما كان من حزب الأحرار من أتباع فوكس فقد نظر الى عداوة الانجليز للثورة الفرنسية ولنابليون كأنها متطرفة ، وقد زار الامبراطور المنفي في البا، وهو الذي قدم قانون الاصلاح في سنة ١٨٣٢ ذلك القانون الذي دفع انجلـترا في طـريق الديموقراطية ، وتولى الوزارة في أثناء الحرب



ترجمة : أحمد ابراهيم الشريف
مراجعة : الدكتور زكي نجيب محفوظ

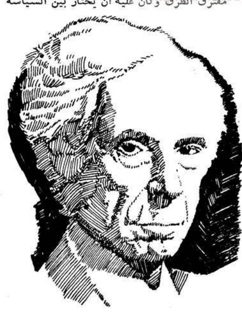
الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربي ، عدد الصفحات ٢٦١ ص ١٧ × ٢٤ سم . الثمن ١٦ قرشا

المكسيكية وفى أثناء ثورات سنة ١٨٤٧ ، وكان كسائر اسرة رسل قد ورث تلك السمة العجيبة من الأرستقراطية المتحررة التى اتسمت بها ثورة سنة ١٦٨٨ والتى لعب فيها جده دورا هاما ، وقد لقنت نوعا من النزعة الجمهورية التى تقبل أن تحتمل ملكا ما دام ينظر هذا الملك الى نفسه كأنه خادم للشعب وخاضع للفصل من منصبه اذا لم يكن مرضيا عنه عند سيده » ولم تكن الملكة فيكتوريا بطبيعة الحال راضية عن مثل هذا الرأى وقد ذكر لنا رسل فى كتاب له آخر وهو كتاب « الحرية والتنظيم » كيف صارح جده السير چون الملكة حينما قالت له « هل تعتقد حقيقة أن مقاومة الملوك قد يكون لها ما يبررها فى بعض الظروف » فأجاب « سيدتى ، بما انى اتحدث مع ملكة من أسرة هانوفر فان لى فيما أظن أن أقول نعم » ولكن الملكة برغم ذلك اهدت اليه منزله فى رينشموند بارك الذى قضى فيه برتراند رسل نفسه أيام شبابه .

ويروى لنا رسل أن جدته كانت كثيرا ما تضحك لمحادثة جرت بينها وبين السفير الروسى اذ قالت له « لا يبعد أن يأتى اليوم الذى ينشأ فيه برلمان فى روسيا » فرد عليها السفير « لا قدر الله يا عزيزتى اللادى جون » ويعلق رسل على ذلك بقوله « ليس بعيدا أن يصدر مثل هذا عن السفير الروسى الحاضر اذا استبدلنا بلفظ الجلالة كلمة غيرها » .

ويقول رسل ان الجو العام الذى كان يسود المنزل الذى نشأ فيه كان جوا من التقى والتقشف المتزمت ، وكان الطعام فى بساطة الطعام الاسبرطى برغم وجود ثمانية من الخدم فى المنزل ، ولم يسع رسل الا الثورة على ذلك الجو فقد وجده جوا خانقا فثار عليه باسم العقل ، واخذ فى معارضة الآراء اللاهوتية التى كانت تدين بها الأسرة ، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره والتحق بجامعة كمبردج وجد البيئة المناسبة لتفكيره ، وكانت قد بدأت تظهر ملكاته الرياضية العظيمة التى أهلته لأن يكون من كبار علماء الرياضة وصاحب آراء مبتكرة فيها ، ويقول رسل انه خصص السنوات الثلاث الأولى من دراسته بالجامعة للرياضيات وخصص السنة الرابعة للفلسفة وبخاصة ما يتصل منها بالرياضيات [*]

ولما انتهى من دراسته فى كمبردج وقف فى مفترق الطرق وكان عليه أن يختار بين السياسة



جريا على تقاليد أسرته وبين الفلسفة ، وعرضت عليه مناصب فى السلك الدبلوماسى ولكنه خرج على تقاليد الأسرة وآثر الاستجابة لميوله الخاصة ونزعاته الفكرية فاستجاب للفلسفة ، وعاش فى الجو الجامعى ناعما مطمئنا حتى جاءت سنة ١٩١٤ ونشبت الحرب الكبرى الأولى ، وكان من رأى رسل أنها حماقة كبرى وتمنى أن يجنب أمته خوض غمراتها ، ولكن بلاده لم تعمل بنصيحته فلم يلتزم الصمت وشرع فى الاحتجاج ، وكان عنده من الشجاعة الأدبية ما دفعه الى الخروج على الاجماع ومواجهة الرأى العام البريطانى بما اقتنع به ، واعتقد انه الحق الذى يجب أن يعلنه ، وقد كلفه ذلك فقد ثقة بعض الأصدقاء الأعزاء ، والتعرض لنقمة الشعب ، والزج به فى السجن ، وهو يحدثنا فى ذكرياته هذه انه غير نادم حتى اليوم على هذا الموقف ، بل هو به فخور ، وعنده ما يكفى من المبررات لسلامة موقفه وصحة رأيه ، وهو يقول فى ذلك « لم أعتقد مطلقا اننى كنت مخطئا فيما اخذت به نفسى فى ذلك الحين ، ولا أسفت على محاولتى طوال سنى الحرب ان أقنع الناس ان الألمان أقل شرا مما تصورهم الدعاية الرسمية » .

اما فى الحرب العالمية الثانية فقد وقف منها رسل موقفا مختلفا ، وحينما قامت الثورة فى روسيا رحب بها رسل وأمل فيها خيرا ، وزار روسيا فى سنة ١٩٢٠ ، ودارت احاديث بينه وبين لينين وغيره من أقطاب الثورة ، واقنعته هذه الأحاديث وما شاهده بعينه انه كان مسرفا فى الأمل ، ومنذ ذلك الحين وهو ينطوى للثورة الروسية وللنظام الشيوعى على الكراهة والنفور، وقد نقد الماركسية والنظام الشيوعى فى غير كتاب من كتبه وبخاصة فى كتابه عن « الحرية والتنظيم » وهو يقول فى ذكرياته « عزمت فى آخر الأمر أن أتخذ جانب الحق كما بدا لى فأعلنت اننى أعتقد أن الحكم البلشفى ملعون ، ولم يطرأ بعدها ما يدعونى لتغيير رأيى » ووقعت النبوة بينه وبين كثيرين من أصدقائه من جراء ذلك ، واتهمه بعضهم بأنه صنيعة من صنائع البورجوازية ! وزار الصين بعد ذلك ، وقضى بها عاما ، وشغل بعد عودته منها بمشكلات التربية والتعليم ، وله فى ذلك كتابان قيمان حافلان بالآراء الحرة السديدة والملاحظات النفسية النافذة .

وبرغم اهتمام رسل بالأحداث العالمية ظل فيلسوفا وحاول أن يطبق منهجه القائم على البراهين المحكمة ، ويقول ان جانبا كبيرا من الناس اعتقدوا من أجل ذلك انه شخص فاتر العاطفة مجرد من الحماسة ، وهو يبرر استبداله بموقف الفيلسوف موقف المصلح الاجتماعى بقوله « فى عالم كهذا العالم الذى كتب علينا أن نعيش فيه يصعب جدا أن يركز الانسان همه على الأمور المجردة وحدها ، لأن الحياة اليومية تضغط بوقرها على الفيلسوف حتى تحطم برجه العاجى ، وهكذا استغرقنى التفكير فى مستقبل الانسانية » . ورسل مع تقديره للعقبات القائمة فى طريق تقدم الانسانية والأخطار الراصدة لها فى منحنيات الطريق متفائل الى حد لا بأس به ، فهو يقول فى ذكرياته « اننى على يقين من أن الانسانية مهما ادلهم الزمن امامنا ستنهض من عثارها ، وان عادة التسامح التى يبدو أنها ضاعت وتلاشت ستعود وان حكم القوة الغاشمة لن يبقى الى الأبد » وبرغم رجحان جانب المهارة الفنية للانسان على جانب الحكمة والقدرة على كبح العدوان ونوازع الشر فى العصر الحديث الا ان رسل يؤمن مع ذلك بالانسان ويعتقد أن أمام الانسانية مستقبلا زاهرا ، وأن العثرات التى تصادفها الانسانية ستعلمها الحكمة وتدلها على الصواب .

وقد دخل رسل الى الفلسفة من باب الرياضة ، وذلك انه حينما شرع فى دراسة الرياضة العالية واجهته مصاعب وخالجته شكوك جعلته يتحول الى الفلسفة ، وما خالجه من الشك فى الرياضيات دفعه الى الشك فى العقائد ، واطمأن فى بادىء الأمر الى فلسفة هيجل حينا من الزمن ، ويحدثنا بأنه تأثر فى ذلك بصديقه وزميله فى كمبردج ماك تاجارات ، وهو من أقدر شراح فلسفة هيجل ، ولكنه خرج بعد ذلك على فلسفة هيجل وحمل عليها وازرى بها، وأقبل بعد ذلك على قراءة فلسفة كانت ، فلم

تعجبه ملاحظات كانت على فلسفة الرياضة ، ويقول انه وجدها « تتصف بالجهل والغباء » وقاده ذلك الى رفض فلسفة كانت برمتها ، ووجه اهتمامه الى التعمق فى الرياضيات ، وهو يحدثنا بهذه المناسبة حديثا لا يخلو من الفرابة عن الفيلسوف النمساوى لودفيج فنجنشتاين الذى بدأ حياته الفكرية تلميذا لرسل وانتهى بخلعه والحلول محله على حد تعبير رسل نفسه ، ويقول رسل انه تأثر الى حد كبير بنظريات فنجنشتاين الأولى واختلفت آراؤهما بعد ذلك .

ويتحدث رسل فى هذه الذكريات عن الخطأين الجسيمين فى الفلسفة الماركسية كما هى مطبقة فى روسيا فيقول « ان أحدهما نظرى والآخر وجدانى ، فأما الخطأ النظرى فهو فى جوهره اعتقادهم أن الصورة الوحيدة المقوتة لتسلط الانسان على أخيه الانسان هى التسلط الاقتصادى ، وان هذا التسلط الاقتصادى يتناسب فى الاتساع تناسبا مطردا مع الملكية ، وهكذا تتجاهل هذه النظرية الصور الأخرى للتسلط ، كالتسلط العسكرى والتسلط السياسى وتسلط الدعاية ، كما أنها تنسى أن قوة المنظمة الاقتصادية الكبيرة تتركز فى مجلس ادارة صغير العدد ولا تتوزع بين جميع الملاك الاسميين أو حملة الأسهم ، وهكذا افترضوا أن كل استغلال وضغط سيتلاشى حينما تصبح الدولة صاحبة رأس المال الوحيد ، متغافلين عن أن هذا سيسبغ على موظفى الدولة كل سلطات الضغط التى كانت فى يد الرأسماليين الأفراد ، أما الخطأ الثانى ، وهو المتعلق بالمشاعر والوجدان فانه فى جوهره زعمهم أن الحالة السعيدة الصالحة يمكن تحقيقها بحركة أساسها ودافعها الحسد والمقت ، وهؤلاء الذين يستوحون الحقد على الرأسماليين وملاك الأرض قد اكتسبوا عادة الحقد ولهذا يبحثون بعد انتصارهم على هؤلاء عن شىء جديد يحقدون عليه ، ومن هنا نجحت حركات التطهير ومذابح القولاق ومعسكرات السخرة وفاقا للطبيعة النفسية ، وانى لأعتقد أن لينين وانصاره الأولين كانت تحفزهم الرغبة فى نفع البشرية ، ولكن الخطأ السيكلوجى والخطأ فى النظرية السياسية قد أديا بهم الى خلق جحيم بدلا من الفردوس المنشود » .

ويقول رسل عن ذكرياته لزيارة الصين سنة ١٩٢٠ « وجدت كثيرا من التقاليد الصينية يدعو للاعجاب ، ولكن كان من الواضح انه لن يستقر شىء منها بعد هجوم المطامع الغربية واليابانية عليها ، وقد توقعت تماما أن أرى الصين وقد تحولت الى دولة صناعية حديثة تضارع فى وحشيتها وروحها العسكرية تلك القوى التى اضطرت الى مقاومتها ، كما توقعت ان الزمن سيتمخض عن ثلاث دول قوية فى العالم وحسب هى أمريكا والروسيا والصين ، وان الصين الجديدة لن تتمسك بفضائل الصين القديمة ، وهى تنبؤات آخذة فى التحقيق الآن » .

ورسل مع تفاؤله لا يستهين بالأخطار التى قد تعرض للانسانية وتهدد العالم بالدمار فهو يقول « لقد كانت هناك عوائق مادية فى سبيل رفاهة البشرية ، أما الآن فان العوائق فى النفوس وحدها ، اذ لا يقف بيننا وبين السعادة الأبدية الا المقت والسخافة والخرافات الخاطئة ، فما دامت هذه قائمة فانها تتهددنا بالكوارث التى لم يسبق لها مثيل ، ولكن ربما كان اتساع مدى الخطر وحده كفيلا بالقاء الرعب فى هذا العالم وهو رعب قد يعيده الى الصواب » وقد رفض رسل فلسفة هيجل فى مطالع شبابه وهو يقول فى ذكرياته « انه ما زال يرفض كلية حجة هيجل فى أن الحقيقة ذات طابع عقلى » ، وحينما أوضح له هوايتهد « ان مكان الرياضى وزمانه أدوات مصقولة من صنع الانسان لم يقتنع » وانه « ما زال يعتقد أن ما يمكننا معرفته عن العالم الخارجى انما يتأتى لنا علمه بالملاحظة لا بالحجج المعقدة عما يجب أن يكون عليه » .

ولم يمنع رسل اشتغاله بمشكلات الفلسفة ونظرية المعرفة من الاهتمام بالمسائل الاجتماعية طوال حياته وقد رشح نفسه للبرلمان وزاد اهتمامه بأمثال هذه الأمور بعد سنة ١٩١٤ .

ويقدم رسل نصيحة للشيوخ جديرة بالنظر وهى قوله « ان هناك خطرين يجب الاحتراس منهما فى الكبر ، أحدهما الاستغراق المتلف فى

الماضى ، فلا معنى لان يعيش المرء فى الذكريات آسفا أبدا على الأيام السعيدة الغابرة أو حزينا على من مات من الأصدقاء ، ان أفكار الانسان يحسن أن تتجه الى المستقبل والى ما يمكن أن نعمل بسببيله شيئا ما ، وليس هذا سهلا على الدوام ، فان ماضى الانسان عبء يزداد كل يوم ثقلا ، ومن السهل أن يظن المرء أن عواطفه كانت أكثر جيشانا وأن عقله أشد حدة مما هما الآن . ولو كان هذا حقا بالفعل فيحسن أن ينســاه ، فان نسيه فربما لا يكون حقا بالفعل » . هذا هو الخطر الأول الذى يحذر رســـل الشيوخ مغبته ، ويسترسل فى وصف الخطر الثـــانى فيقول « أما الخطر الثانى الذى يجب الاحتراس منه فذلك هو التشبث بالشبان أملا فى امتصاص القوة من حيويتهم ، ان ابناءك اذا كبروا يريدون أن يعيشوا حياتهم ، فاذا أصررت على الاهتمام بهم كما كنت تهتم بهم يوم كانوا صغارا فستغدو عبئا عليهم الا ان يكونوا على جانب غير مألوف من البلادة ، ولست اعنى بهذا الا يهتم الانسان مطلقا بأمر ابنائه ، ولكن يحسن أن يكون اهتمامه بهم تأمليا وانسانيا ان أمكن ، ولا يحسن ابدا أن يكون عاطفيا عارما » .

ويتحدث رسل فى يوم بلوغه الثمانين عن أمله فى مستقبل الانسانية فيقول « كان فى العالم فقر وكان فيه وباء وكان فيه مجاعة ، وكانت كلها راجعة الى قلة حيلة الانسان فى الطبيعة ، وكان فى العالم حروب واضطهاد وتعذيب ، وكان مردها الى عداوة الانسان لأخيه الانسان ، وكان فى العالم تعاسة متلفة منشؤها الخزعبلات القائمة التى أوقعت الناس فى انقسام داخـــلى عميق أضاع الجدوى من كل يسر ظاهـــرى ، وكلها لا لزوم لها ، وكلها يمكن تخطيها بوســـائل معروفة ، فاذا بقى العالم الانسانى شـــقيا فى الوقت الحاضر فلأنه يريد الشقاء ، أو بعبارة ادق لأن له جهالات وعادات وعقائد ومشاعر أعز عليه من السعادة بل وحتى من الحياة » ويخالف رسل هؤلاء الذين يحبـون الشـــقاء والموت ويغضبهم فتح باب الأمل أمامهم ويقول « انى أرى أن استمرار الأمل حافز لذكائنا وجهدنا ، وان الذى ينقص البائسين هو على الأغلب طاقة النشاط » .

ويفضى الينا رسل الفيلسوف الرياضى الواقعى بانه عاش يجرى وراء خيالين احدهما شخصى وهو عنايته بالنبيل والجميل والجليل والآخر اجتماعى وهو تصوره لمجتمع مرموق يعيش فيه الأفراد فى ظل الحرية وقد نزع من قلوبهم الغل والحقد والحسد لأنها لم تجد ما يغذيها ، وقد ظل محتفظا بهذا الحلم برغم ما عاناه فى حياته مما يعصف بالأمل ويبعث على اليأس .

وتحدث رسل فى ذكرياته عن بعض أساتذته وزملائه فى جامعة كمبردج ومنهم الفيلســـوف هوايتهد الذى اشتهر فى الولايات المتحدة وبينهم الفيلسوف جيمس وارد وماك تيجارت ومور ، ويقول عن مور فى ذكرياته « لا اذكر انى نجحت اكثر من مرة واحدة فى أن ادفعه الى الكذب ، وكان ذلك بطريقة ملتوية اذ قلت له « اتصدق على الدوام يا مور ؟ » فأجابنى « كلا » فكانت فيما اعتقد كذبته الوحيدة مدى الحياة ! » .

ويقول رسل عن الروائى فورســتر وكاتب التراجم القدير ليتون ستراتشى وكينز العـالم الاقتصادى الكبير انه عرفهم جميعا معرفة جيدة وانهم كانوا جيلا يسره أن ينتمى اليه .

وفى ذكرياته عن برنارد شو يروى لنا حادثتين عن فرط اعتزاز شو بآرائه الى حد الشـــذوذ « ففى حفلة غداء أقيمت تكريما لبرجسون دعى اليها شو بوصفه أحـــد المعجبين بالفيلسوف الفرنسى مع من دعى من الفلاســـفة المحترفين الذين كانوا يقفون على الجمـــلة من برجسون موقف الانتقاد ، واخذ شو فى الحفـــل يعرف فلسفة برجسون .. فظهرت الفلسفة فى هـــذا السياق بمظهر لا يرجى معـــه قبولها عنـــد المتخصصين ، فاعترض برجسون بلطف وقال : « أو كلا .. ليس الأمر كذلك » ولكن شو لم يخجل واجاب « أى زميلى العزيز ، انى افهم فلسفتك خيرا منك » فقبض برجسون قبضتيه واوشك أن ينفجر من الغيظ ، ولكنه بعد جهد جهيد ملك جأشه » .

والحادثة الثانية لقاؤه لتوماس مازاريك المفكر الفيلسوف واول رئيس جمهورية لتشيكوسلوفاكيا فقد تقدم شو من مازاريك بعد أن تأخر عن الميعاد الذى كان محددا للقاء وقال « أى مازاريك ان سياسة تشيكوسلوفاكيا الخارجية كلها خطأ محض » وظل عشر دقائق يفصل هذه الجملة ثم بارح المكان بعدها غير منتظر اجابة مازاريك .

وخلاصة رأيه فى شو انه « كانت له فضائل كثيرة تستحق الاعجاب الكبير ، كان غير هياب بالمرة وكان يعبر عن آرائه بنفس القوة سواء اكانت تعجب الجمهور أم لا تعجبه ولم يكن يرحم من لا يستحق الرحمة ، ولكنه كذلك لم يكن يرحم من لا يستحق أن يكون من ضحاياه ، والخلاصة انه كثيرا ما عمل صالحا وقليلا ما أساء ، وانه كحاطم اصنام جدير بالاعجاب ، ولكنه كصنم لا يستحق كل هذا الاعجاب » .

وفى ذكرياته عن هـ . ج . ويلز يقول « لويلز طاقة ضخمة وقدرة على تنظيم كميات كبيرة جدا من المعلومات ، كما كان محدثا جياشا مسليا تلمع عيناه ويخيل لمن يراه فى مناقشة انه يهتم بالموضوع اهتماما موضوعيا ولا يكترث بمحدثه اكتراثا شخصيا .. واهميته مستمدة من الكم لا من الكيف وان كان ينبغى أن نعترف بأنه يمتاز فى بعض الخصال ، فقد كان يحسن تخيل السلوك الجماعى فى الظروف الشاذة احسانا كبيرا .. وهو احد الذين جعلوا الاشتراكية فى انجلترا مبدأ له احترامه كما كان له أثر عميق على ناشئة الجيل بعده لا فى السياسة وحدها بل وفى الأخلاق الفردية ، وكانت معرفته واسعة وان لم تكن عميقة فى اى جانب من جوانبها ، وكانت له نقط ضعفه التى تحول بينه وبين تمام الحكمة ، فقد كان من الصعب عليه جدا أن يكون بلا شعبية ، فكان ينزل عن بعض آرائه اكتسابا لرضى الجماهير مما يوقع الاضطراب وعدم الاتساق فى تعاليمه ، وكان يتعاطف مع الجموع تعاطفا يعرضه لنوبات هستيرية كنوباتها . . واهمية ويلز الأولى هى أنه محرر للفكر والخيال، فقد كانت له مقدرة على تكوين صور لمجتمعات ممكنة جذابة وغير جذابة تشجع الصغار على تصور ممكنات ما كانت لولاه لتدور بأخلادهم . .

واظن — على الرغم من بعض التحفظات — أن المرء ينبغى أن ينظر الى ويلز كقوة دافعة كبيرة نحو تفكير سليم بناء سواء فى نظم المجتمع او فى علاقات الأفراد ، وارجو أن يكون له خلفاء وان كنت لا ارى منهم فى الوقت الحاضر احدا » .

وعرف رسل الكاتب الروائى البولندى الأصل جوزيف كونراد وهو اقدر وصافة للبحر فى الأدب البريطانى برغم انه من أمة ليس لها شواطىء بحرية ، ويقول عنه رسل فى ذكرياته « كان كونراد كما يظهر لكل من يقرأ كتبه متنطسا فى الأخلاق ، قليل العطف على الثوريين فى السياسة ، ولم نكن على اتم وفاق فى معظم آرائنا ولكننا كنا فى شىء أساسى جدا متحدين بشكل غريب ، ولا تشبه علاقتى بجوزيف كونراد اى علاقة لى مع احد من الناس اذ قلما كنت أراه ، ولم تطل العلاقة فترة طويلة من السنين، وكنا فى ظاهر نشاطنا فى الحياة غريبين ، ولكننا كنا نشترك فى نظرة معينة الى الحياة الانسانية ومصير الانسان اشتراكا ربط بيننا من الوهلة الأولى برباط غاية فى المتانة ، ولعل القارىء يغفر لى أن أقتبس جملة من احد خطاباته التى كتبها لى فى أول تعارفنا اشعر بأن التواضع يملى على الا اقتبسها لولا انها تعبر أصدق تعبير عما شعرت به نحوه ، فكان الشعور الذى عبر عنه والذى شعرت به بعينه نحوه « عاطفة اعجاب عميق لو لم يقدر لك أن ترانى بعد اليوم وقدر أن تنسانى غدا لظلت العاطفة قائمة لك عندى بلا تغيير الى الأبد » .

وفى حديثه عن فلسفة كونراد يقول رسل « ربما أمكننى أن أصور وجهة نظره بأنها على نقيض فكرة روسو ، تقول ان الانسان قد ولد مصفدا بالأغلال ولكن بامكانه أن يتحرر ، واعتقد أن كونراد يرى انه يتحرر لا بانفلات البواعث ولا بالانطلاق بغير اكتراث ولا رباط ولكن باخضاع البواعث الجامحة لفرض مسيطر » .

ويصف لنا نفسية كونراد بقوله « يبدو أن اكبر ما كان يشغل خيال كونراد شيئان الوحدة وخوف غير المألوف » ويعود الى الحديث عن

فلسفة كونراد التي اعجبته وكانت من أسباب التقدير المتبادل بينهما فيقول « لم تكن نظرة كونراد نظرة حديثة ، ففي العالم الحديث فلسفتان ، واحدة تنجم من روسو وتكتسح النظام لأنه غير ضروري ، والأخرى التي تتمثل بتمامها في المذاهب الديكتاتورية التي ترى وجوب فرض النظام على الانسان من خارجه ، أما كونراد فانه يأخذ جانب التقاليد العريقة التي ترى أن النظام يجب أن ينبع من داخل النفس ، فقد كان يزدري قلة النظام كما كان يكره النظام المفروض » .

ويختم حديثه عن كونراد بقوله « نبله الدافيء الكبير يسطع في ذاكرتي كما يسطع النجم في عين رجل في قاع بئر ، ولكنني أتمنى لو استطعت أن أجعل ضياءه يسطع على غيري كما يسطع علي» .

وقد عرف رسل فيمن عرفهم الفيلسوف الأسباني الأصل الأمريكي النشأة جورج سانتايانا وهو يقول عنوانه « كان يعتقد أن شعوب البحر الأبيض وحدهم هم القادرون على التأمل والتفكير وأنهم وحدهم هم الذين يمكنهم أن يكونوا فلاسفة ، أما الفلسفة الألمانية والبريطانية فكان ينظر اليها كأنها محاولات متعثرة لأجناس ناقصة النضج ، ولم يكن يعجبه من أبناء الشمال الا الرياضيون ورجال الأعمال » .

ويبدو أن رسل لم يكن كبير التقدير لسانتايانا باعتباره فيلسوفا فهو يقول عنه « ما استطعت في حياتي أن أحمله محمل الجد كفيلسوف بالمعنى الاصطلاحي ، وان كنت أعتقد انه يقوم بعمل مفيد كناقد يقرب ويرجح وجهات نظر غير شائعة في الوقت الحاضر » .

وقد تعاون رسل هوايتهد الفيلسوف مدة عشر سنوات لاخراج سفر ضخم في الرياضة ، يقول عنه رسل « ليس فيه جزء واحد يرجع الفضل فيه لأي منا على حدة في جملته ، ولكنهما برغم ذلك التعاون في الرياضة كانا على خلاف في الفلسفة « الى درجة يستحيل معها التعاون في العمل » على حد تعبير رسل نفسه ، ولما ذهب هوايتهد الى الولايات المتحدة قلت بطبيعة الحال مقابلاته لرسل ، ثم جاءت الحرب الكبرى الأولى فوقفا منها موقفين مختلفين وتباعد من أجل

ذلك ما بينهما ووهنت صداقتهما ، وهو يرمي فلسفة هوايتهد بالغموض ويقول انه لم ينجح في فهم الكثير منها ، ويختم ذكرياته عنه بقوله « كان هوايتهد مدرسا كاملا بشكل غير مألوف فكان يهتم اهتماما شخصيا بمن يتعامل معهم ، ويعرف نقط قوتهم وضعفهم على السواء ، فيستخلص من الطالب خير ما يعطيه ، ولم يكن قط قماعا ولا مشهرا ولا متعاليا ولا يتصف بأي صفة يجب أن يتصف بها الادنون من المدرسين ، واظن انه قد طبع على نفوس جميع الأكفاء الصغار الذين اتصل بهم كما طبع على نفسي شعورا بالمودة الصادقة الدائمة » .

وكان من أصدقاء رسل سدني وباتريس وب ، ويقول رسل عن باتريس « كان يعجبني منها أولا وقبل كل شيء مقدرتها التي كانت غاية في العظمة ، ثم كنت أعجب بكمالها ، عاشت للأغراض العامة ولم تزغ عنها قط وراء المطامع الشخصية وان لم تكن تخلو من هذه المطامع خلوا تاما ، وكنت احبها لأنها صديق حار عطوف لن تحمل لهم في نفسها عاطفة شخصية ، ولكني كنت أخالفها في أمر الدين وأمر الاستعمار وأمر عبادة الدولة » .

وجمعت احدى السيدات بينه وبين الكاتب الروائي المشهور د . هـ . لورانس مؤلف رواية « عشيق اللادي شاترلي » التي أثارت ضجة حين ظهورها ويقول رسل ان معرفته به كانت موجزة محمومة « وقد أحببت تأجيه وجموح عواطفه ومشاعره واعتقاده أن الحاجة ماسة الى شيء أساسي جدا لاصلاح العالم .. واحسست انه رجل على نوع من العبقرية الخصبة ، وعندما بدات أجنح الى الخلاف معه ظننت انه ربما كانت بصيرته في الطبيعة الانسانية أعمق وانفذ من بصيرتي ، ولكني أخذت أشعر شيئا فشيئا انه قوة فعالة في الشر ، واخذ هو يشعر نحوي بمثل هذا الشعور » .

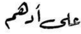
وفي ذكرياته عن جده السير جون راسل الذي ولد سنة ١٧٩٢ وتوفي سنة ١٨٧٨ يحدثنا عن زيارته لنابليون في جزيرة البا وانه لما هرب نابليون منها وعاد الى فرنسا وكان جده عضوا في البرلمان حينذاك القى خطابا في المجلس يستحث

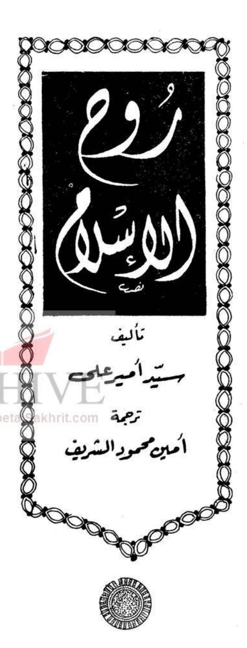
فيه الحكومة على الا تقف فى سبيله الا ان الحكومة البريطانية التى كانت فى ذلك الوقت فى يد المحافظين قررت غير ذلك وأسفر هذا القرار عن معركة ووترلو ، ويقول رسل أن أعظم أعمال جده هو تنفيذ قانون الاصلاح فى سنة ١٨٣٢ وهذا القانون هو الذى وضع بريطانيا فى أول الطريق الموصل للديمقراطية الكاملة ، وكانت معارضة المحافظين لهذا القانون عنيفة للغاية حتى كاد يؤدى الأمر الى حرب داخلية ، والنصر السلمى فى هذا الخلاف انقذ انجلترا من الثورة وأخطارها وكان جده السير جون صاحب الدور الأكبر فى احراز النصر كما يروى لنا ، وتولى السير جون رياسة الوزارة مرتين ، ويقول رسل ان جده السير جون غرس حب الحرية المدنية والدينية فى نفسه ، وان هذا الحب ظل ملازما له فى مختلف المواقف والأزمات .

ويروى راسل ان شاه العجم زار جده فى منزله الذى كان يتوسط حديقة ريتشموند والذى أهدته اليه الملكة فيكتوريا ، ولما اعتذر جده للشاه عن صغر المنزل أجابه الشاه فى أدب جم « نعم انه منزل صغير ولكنه يضم رجلا كبيرا » وفى هذا المنزل قابلت الملكة فيكتوريا جده وكان برتراند حينذاك فى السنة الثانية من عمره .

ولم ينس رسل أن يتحدث عن جون ستيوارت مل وهو يقول ان نفوذه فى السياسة وفى تكوين الآراء عن المسائل الأخلاقية كان عظيما وانه كان فى مجموعه طيبا وكان مل كسائر عظماء العصر الفيكتورى يجمع بين الامتياز العقلى والشخصية المعجبة ، وفى خلال حديثه عن مل يقول رسل انه حينما تحدث فى تأييد منح النساء حق الاقتراع قبل الحرب العالمية الأولى لقى معارضة شديدة ويرى رسل أنه قل من الناس من استطاع ان يتبين ان امتياز الرجل مبنى على الامتياز العضلى ليس الا ، ويوافق رسل مل فى تأكيد اهمية الفرد ، ويعلل رسل تناقص الحرية فى العصر الحاضر بتزايد التنظيم ويقول « كلما كبرت المنظمة زادت الهوة بين قوة من على القمة ومن على القاع وزاد احتمال الضغط والاستبداد، والعالم الحديث لأسباب صناعية وفنية اكثر تنظيما بكثير مما كان منذ مائة عام » ، ولا شك أن للتنظيم فوائده ولكن كما يقول رسل « الذين يشعرون بالفوائد خليقون أن يغفلوا عن المخاطر، وهى مخاطر حقيقية قوية التهديد » ويختم رسل ذكرياته عن مل بقوله « لا شك أن عالمنا يكون عالما أحسن مما هو الآن لو انه احترم مبادئه الأخلاقية أكثر من احترامه لها الآن » .

وفى الكتاب فصول عن المعرفة والحكمة والدعوة الى التفكير الواضح والطريق الى السعادة وكلها مكتوبة بأسلوب رسل المشرق الواضح ، وبيانه المتألق الجذاب ، ومشبعه بتفكيره الحر الصريح الطليق ، ولن يندم القارىء الذى يقضى وقته فى قراءة كتاب هذا الفيلسوف الحكيم على وقت أضاعه بل سيشعر دائما بانه فى حضرة انسان راجح العقل كبير القلب متعدد الجوانب خصب التفكير ، وبطبيعة الحال ليست مؤلفات رسل فى السياسة والاجتماع فى مستوى مؤلفاته فى المنطق والفلسفة الخالصة سواء من ناحية الأصالة أو من ناحية العمق والاستيفاء ، ولكنها مع ذلك تمتاز بصفات خاصة بها منها صفاء الأسلوب وجمال العرض والعلم الغزير والخواطر اللماحة والأفكار اللامعة ، بل هى لا تخلو من الفكاهة البارعة والسخرية اللاذعة ، والنقمة على مساوىء المجتمع والشرور التى تمانيها الانسانية ، ورسل يتناول الأخلاق والآداب من الناحية النفعية ، فأهم ما فى الآداب معرفة مطالب الناس وكيف تتحقق هذه المطالب ، وهو يكبر الحرية والعدالة لا من أجل فائدتهما فحسب بل لأنه يخلص لهما ويحبهما من أعماق نفسه كما يمقت النفاق والرياء والقسوة والدجل ، ويمكن أن نقول عن رسل أن عنصر المتطهرين من البريطانيين أظهر فيه من عنصر الابيقوريين طلاب اللذة والمتعة ، وأساس نظرته السياسية احترام حرية الفرد والشخصية الانسانية ، ومن ثم ضيقه بالمذاهب السياسية الكلية وكل ما يهدد الحرية وينتقصها ، والباعث القوى فى نفور رسل من المسيحية هو سوء استغلال رجال الدين للسلطة التى كانوا يتمتعون بها ، وهو نفس اعتراض فولتير ، ومن حق الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف أن يتلقى الشكر من قراء العربية لقيامه بترجمة هذا الكتاب القيم ترجمة واضحة جيدة وأتاحته لهم فرصة الاستمتاع بقراءته .





الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مكتبة الآداب ، (جزء اول) ٢٦٢ ص ١٤ × ٢٠ سم الثمن ١٧ قرشا

ان كتاب « روح الاسلام » كتاب قيم فى موضوعه ، وهو من الكتب الهامة التى تساعد الى حد كبير على اعطاء الفكرة الصحيحة عن الاسلام ورسالته ، ولقد ألفه صاحبه الأستاذ سيد أمير على بروح العالم الذى درس دراسة مستفيضة واعية، ثم هضم ما درس وتمثله فكون لنفسه فكرة واضحة أصيلة ثابتة الدعائم مؤيدة بالأدلة والأسانيد ، وأخذ بعد ذلك يكتب كتابة المؤمن بما يقول الذى تمده سعة الاطلاع ، وتسعفه المقارنات والموازنات التى كثيرا مايعقدها بين مبادىء الاسلام ومبادىء الأديان الأخرى وبخاصة السماوية منها ، مستعينا بذلك على ايضاح فكرته وتاييد وجهة نظره ، ومع هذا فهو يكتب فى أسلوب شيق مسترسل واضح بعيد عن التعقيد ٠

وكان المؤلف فى كتابه حريصـــا على أن يربط بين الأحداث المتشابهة فى حياة عيسى وفى حياة محمد عليهما الصلاة والسلام ، يفعل ذلك زيادة فى البيان وعملا على اقناع القارىء بما يكتب ، كما كان بارعا غاية البراعة فى الانتفاع بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المناسبة للمقام تضمينا واستشهادا ، وهو أيضا فى كتابته أديب يعرف كيف يختار أسلوبه وكيف ينتفع بالأبيات الشعرية المناسبة ، ويقدم بها عند الكتابة فى أغلب فصول الكتاب ٠

ولقد جاءت ترجمة الكتاب ترجمة بليغة موفقة ، معبرة أصدق التعبير عن المعانى والأفكار التى تضمنها الكتاب فى لغته المكتوب بها ، كما استطاع المترجم أن يحافظ على الطابع الذى أعطاه المؤلف لكتابه من صدق التعبير وقوة الصياغة بما يستأثر بانتباه القارىء ويستحوذ على لبه ، وحبذا لو كان المترجم قد قدم لترجمة الكتاب بكلمة يبين فيها للقارىء المنهج الذى سلكه فى الترجمة ، ومنهج المؤلف فى تأليفه لهذا الكتاب ، والظروف التى كتب فيها ، والعوامل التى وجهته وأثرت فى اتجاهاته عندما كتب ، الى غير ذلك مما يتصل بالموضوع ويفيد القارىء ٠ ومع أن المترجم لم يفعل هذا ، فانه لايسعنا الا أن نسجل له ذلك التوفيق فى الترجمة ، والا أن نثنى أطيب الثناء على مابذله فى عمله من جهد مشكور ٠

وبعد هذا فاننا ننتقل بالحـــديث الى عرض وتلخيص محتويات الكتاب فنقول : قدم المؤلف لكتابه الذى يحتوى فى الجزء الأول منه على مقدمة وعشرة فصول بكلمة بين فيها الهدف من تأليف الكتاب فقال : « **بذلت فى الصـــفحات التالية قصارى جهدى ، كيما أوضح تاريخ ظهور الاسلام وتطوره كدين عالمى ، وتاريخ انتشاره السريع ، وما تهيا له من سلطان كبير على أفئدة الملايين من الخلق وعقولهم فى خلال فترة وجيزة من الزمن ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ وقد توخيت فى عرضى لتاريخ الاسلام ان أوضح مكانه الحق فى تاريخ الأديان ، وأرجو أن يكون ما ذكرته من أسسه العقلية ومثله العليا ـ على قلته ـ عونا للباحثين وراء دين انسانى يزجى الى النفس البشرية السكينة والطمانينة بعد العناء**

الذي كابدته في مضطرب الأحداث الأخيرة ، كما أرجو أن يكون عونا للمسلمين على تفهم الأسس التي تقوم عليها عقائدهم واستجلاء ما غمض منها »(١)

ثم بين أن المراجع التي اعتمد عليها فيما ذكره من خلاصة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته هي «سيرة الرسول» لابن هشام و «الكامل» لابن الأثير و «تاريخ الطبري» وكتاب «انسان العيون» المشهور «بالسيرة الحلبية».

وفي مقدمة الكتاب ابتدأ المؤلف يتحدث في اختصار عن تاريخ تطور التقدم الديني بين بني الانسان وتطور ارتقاء الانسان من «عبادة مظاهر المادة الى عبادة الله» ، ثم أخذ يتحدث عن الظروف التي ظهر فيها محمد عليه الصلاة والسلام وبعث بالاسلام دينا سماويا للناس كافة فقال :

«واذا أردنا أن نقدر ما كان لـ «محمد» من جليل الأثر في حال البشر حق التقدير وجب أن نلقي نظرة سريعة على حالة الأمم الدينية والاجتماعية قبل ظهور الاسلام وحوالي الوقت الذي جاء فيه» ، وابتدأ بعد ذلك يتحدث عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية في الشعوب والأمم المختلفة المعروفة عند ظهور الدعوة الاسلامية ، مبينا كيف انحدرت الجماعات البشرية من الهضبة العالية التي تقوم عليها مدينة بلخ ، ملخصا مايقال من أن هذه الهضبة هي مهد الجنس البشري والموطن الأول لسائر الملل والنحل .

فتكلم عن الشعوب الآرية شرقية وغربية وعن تطور عقائدها الدينية وحالتها الاجتماعية والسياسية ، تكلم عن الشعب الهندي ، والشعب الفارسي ، وعن الحالة في دولة الروم ، وأخيرا واصل المؤلف في نهاية المقدمة الحديث عن بلاد العرب ، فتحدث عن جغرافيتها وعن الأجناس والقبائل التي سكنتها في مختلف العصور حتى عصر النبوة ، وعن الخلافات والحروب التي وقعت بين القبائل المختلفة ، وعن صلة الفرس والروم والأحباش بالعرب ، ثم عن الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية في الجزيرة العربية ، مبينا كيف أن الوثنية كانت هي الدين الغالب للعرب وأن المجوسية والصابئية واليهودية والنصرانية بمذاهبها المختلفة كانت دينا لأقليات من العرب ، كما بين أن الحالة في هذه البلاد كانت قد وصلت الى أقصى درجات السوء من جميع النواحي قبيل بعثة الرسول عليه السلام ، وانه لم يبق للناس من منقذ مما وصلوا اليه من سوء الحال الا أن يتداركهم الله بلطفه ويهديهم عن طريق الوحي ، وأن ذلك تم بحمد الله برسالة الاسلام . ثم ختم المقدمة بهذه الجملة « ان النور الذي أشرق على سيناء ، والنور الذي أضاء حياة الفلاحين والصيادين في الجليل ، قد أشرق الآن على ذرا « فاران » (٢) .

* * *

وفي الفصل الأول تحدث المؤلف عن « محمد النبي صلى الله عليه وسلم » فتحدث عن نسبه ونشأته ، وعن حياته وسيرته وتعاليمه ، بعد أن مهد لذلك بالحديث عن قريش وعن مركزها في جزيرة العرب وفي مكة بالذات ، مبينا ماكان لها من الزعامة الدينية والاجتماعية ، ثم سار متتبعا في حديثه حياة الرسول عليه السلام من مولده الى بعثته ، مفصلا الحديث عن الأحداث الهامة في حياة العرب وحياة الرسول ، فتكلم عن عام الفيل وغزو الأحباش لمكة ، وعن مولد محمد ، وعن حلف الفضول وما كان لرسول الله في هذا الحلف من أثر بارز ، كما تحدث عن نزول الوحي وملابساته وما جاء به رسول الاسلام من تعاليم .

تحدث المؤلف فاجاد الحديث ، وكان في كتابته منفعلا انفعال المؤمن بما يكتب ، انفعالا يسري الى القارئ فيجعله يتأثر بما تأثر به الكاتب .

ومن الملاحظات اليقظة الموفقة تلك الملاحظة التي أبداها المؤلف في شأن قرابة الرسول وعشيرته الأقربين حيث يقول : « **ومن الظواهر الكريمة التي تلفت النظر في تاريخ هذا النبي العربي وتشهد بصدق اخلاصه ، وطهارة تعاليمه وقوة ايمانه وثقته بربه ، انك تجد أشد الناس ايمانا به، هم عشيرته الأقربون وزوجته وابن عمه ، وأصدقاؤه المخلصون ، وان أشد اتباعه اخلاصا له ومحبة هم الصق الناس به ، واكثرهم معرفة بحاله ، الذين كانوا امس الناس رحما به ، واشدهم مودة له ، والذين كانوا يعيشون معه تحت سقف واحد ويطلعون على كل حركة من حركاته ، ولو أن هؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يتحلون بالفضل والذكاء - ولايقلون يقين علما عن صيادي الجليل - آنسوا منه أقل بادرة توحي بانه يبغي عرض الحياة الدنيا ، او انه يريد التغرير بهم ، أو انه لايؤمن بما يقول لهم ، لانهار في الحال صرح آماله في تحقيق اى اصلاح ديني أو اجتماعي وقد تجشم هؤلاء القوم في سبيله كثيرا من الأذى والأخطار، وتجرعوا غصص الآلام الحسية والمعنوية من جراء مقاطعة قومهم لهم حتى اشرفوا على الموت ، فهل كانوا يفعلون ذلك كله لو انهم آنسوا في محمد اقل نكوص عن مبادئ الدعوة ؟ ... »(١)**

وفي هذا الفصل تظهر براعة المؤلف بصورة واضحة حينما يتحدث عن تحدي المشركين للرسول وطلبهم منه أن يأتي بالآيات والمعجزات ، وعن رد الرسول عليهم بالوحي المنزل ، فيظهر المؤلف من حسن التأتي للأمور ، ومن براعة الاستشهاد بالآيات القرآنية ، واقتباس ماجاء في ذلك من آيات القرآن الكريم بما يوضح قضيته غاية الوضوح ويؤيدها بالحجة أقوى التأييد ، ثم يعقب على ذلك فيقول : « **الحق أن نبي التوحيد هو نبي الكون قبل كل شيء ، فهو يبني مبادئه الخلقية ، ويقيم الدليل على الوحدانية على ماقررته العقول من وجود نظام شامل في الكون ، ووجود مدبر حكيم لاشريك له ينظمه ويسيره ويهيمن عليه ، واعظم معجزاته هذا الكتاب الذي أوحى اليه »(٢)**

(١) (راجع الصفحة رقم ٥) .
(٢) فاران من جبال مكة .

(١) صفحة ٩٩ ، ١٠٠
(٢) صفحة ١١٢

وفى الفصل الثانى تحدث المؤلف عن « الهجرة » ، فتحدث عن الأذى الذى لحق برسول الله وبأصحابه فى سبيل الدعوة ، وعن اشتداد ذلك بعد وفاة خديجة رضى الله عنها ، ووفاة أبى طالب عم الرسول فى عام واحد ، وبين مالاقاه الرسول عليه الصلاة والسلام من الأذى والعنت حينما كان يعرض نفسه على القبائل ، خصوصا عندما ذهب الى ثقيف بالطائف ، فصبر الرسول ولم يفقد ثقته بنصر الله له ، ولكنه أخذ يفكر فى الهجرة ، فلما أتيحت الفرصة باجتماعه بأهل يثرب وبعقد « بيعة العقبة » الأولى والثانية ، ودخول الأوس والخزرج فى دين الله ، أمر الرسول أصحابه بالهجرة الى يثرب ، ثم لحق بهم عندما أذن الله له ، فهاجر فى حماية ربه ، ووصل الى يثرب بسلام ، وقد أظهر المؤلف فى هذا الفصل مزيدا من البراعة فى الانتفاع بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المناسبة للمقام استشهادا وتضمينا .

* * *

وفى الفصل الثالث تحدث عن « النبى فى المدينة » فتحدث عن صفات العظمة التى تحلى بها الرسول عليه الصلاة والسلام والتى جمعت حوله القلوب المخلصة ، والنفوس الطاهرة ، ثم أخذ بعد ذلك يتحدث عن المجتمع فى يثرب، فبين كيف كان هذا المجتمع منقسما على نفسه ، ثم أصبح بفضل الله وعلى يد رسول الله مجتمع الأخوة والمحبة والايثار.

* * *

وبعد ذلك شرع المؤلف يتحدث فى الفصل الرابع عن « عداوة قريش واليهود » فأبان فى هذا الفصل أن مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام اليها كان يتكون من ثلاثة أحزاب مختلفة ، أولهـا : المهـاجرون والأنصار ، وهم حزب الله الذين آمنوا بالله وبرسوله ايمانا ملك عليهم أنفسهم ، فأحبوا الله وأحبوا الرسول حبا تمكن من قلوبهم ، فكان رسول الله أحب اليهم من أنفسهم ومن أهليهم ومن أموالهم ، فحرصوا على التضحية فى سبيل نصرة الدين الجديد ، وعلى بذل أرواحهم فى سبيله .

والحزب الثانى : كان حزب أولئك الذين كانوا يظهرون غير ما يبطنون ، فكانوا يظهرون الايمان بالاسلام ، ويضمرون غير ذلك . والذين كانوا يسمون بالمنافقين ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبى ، وهؤلاء عاملهم الرسول بالحيطة والحذر، مع الرفق والتسامح ، ليفتح لهم بذلك طريق النجـاة ، والدخول فى الاسلام بصدق ، فكان ذلك خيرا لهم ، وأصبح هذا الحزب بعد وفاة عبد الله بن أبى غير ذى خطر .

أما الحزب الثالث فهم اليهود الذين كانوا أشـــد خطرا من المنافقين ، فهؤلاء قد أظهروا ــ عندما قدم الرسول الى المدينة ــ المسالمة طمعا منهم فى أن يعاونهم الرسول ضد خصومهم من العرب ، ولقد جاملهم الرسول كثيرا ، ولكنهم ــ على عهدهم القديم ــ كانوا أصحاب غدر ومكر سيىء ، فخانوا العهد ، واتصلوا بالمشركين من قريش يحرضونهم ، ويعاونونهم ضد الرسول وضد رســـالة الاسلام ، فعلوا ذلك على الرغم من المعاهدة التى عقـــدها الرسول بين المسلمين وبينهم ، تلك المعاهدة التى كانت فريدة فى بابها ، ومفخرة للدعوة الاسلامية ولرســـول الاسلام ، ولم تلبث الأمور أن تحرجت بين المسلمين وبين قريش ، فوقعت « غزوة بدر » ألتى ايد الله فيها المسلمين بنصره ضد المشركين على الرغم من قلة المسلمين وكثرة أعدائهم ، وتفوقهم عليهم فى العدد والعدة . وكان لهذا النصر المبين أثره البعيد المدى ، فى نفوس المسلمين ، وفى تأييد الدعوة وقوتها ، بين المؤلف كل هذا وفصله .

* * *

وفى الفصل الخامس تكلم المؤلف عن « غزو قريش للمدينة » فقدم لهذا بالحديث عن الأثر الذى تركه انتصار المسلمين فى « غزوة بدر » فى نفوس المسلمين من ناحية وفى نفوس أعدائهم من المشركين ومن اليهود من ناحية أخرى، ثم تكلم عن يقظة الرسول عليه السلام وتنبهه لما يبيتــه الأعداء وعن تحرق قريش للانتقام واستعدادها لذلك ، وعن « غزوة السويق » التى باء فيها أبوسفيان بالفشل ، وعن « غزوة أحد » ، واستعداد قريش لها ، وما كان لتحريض اليهود فى ذلك من أثر ، وعن سير المعركة فى هذه الغزوة ، ونتائجها ، وعن موقف المسلمين المؤمن الشجاع عقب الغزوة مباشرة ، ثم عن الأثر الذى خلفه انتصــار المشركين بغزوة أحد فى نفوس القبائل العربية التى لم تكن قد دخلت فى الاسلام بعد ، وعن يقظة الرسول ودفاعه الباسل عن المدينة ، وأوضح المؤلف فى هذا الفصل بأجلى بيان مواقف اليهود الخائنة الغادرة ونقضهم للعهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين الرسول ، وعن اجلاء الرسول لبنى قينقاع وبنى النضير ، وفى نهاية الفصل تحدث عن « غزوة الخندق » ، وعن موقف بنى قريظة ، وخيانتهم للعهد فى أوقات الشدة ، ثم بين كيف كفل الله النصر لعباده المؤمنين « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » ، ثم ختم الحديث بذكر ماحل ببنى قريظة على يد المسلمين جزاء وفاقا ، ورد على افتراءات كتاب السيرة من المؤرخين المسيحيين المعترضين على موقف الرسول من بنى قريظة ومن اليهود على العموم ردا موفقا مقنعا .

* * *

وفى الفصل السادس تحدث عن « حلم محمد صلى الله عليه وسلم » فابتدأ ببيان فشل الحلف القوى الذى ألفه اليهود والمشركون للقضاء على الأمة الجديدة فى المدينـــة فشلا ذريعا ، ثم بين الاحتياطات والوسائل التى اتخذها الرسول ، لرد اعتداءات القبائل البدوية المجاورة للمدينة، وتعرض بعد هذا لبيان ما اتصف به الرسول عليه السلام من خلق العفو والحلم بيانا شافيا ، مؤيدا بذكر المثـــل والوقائع التاريخية ، كما تحدث عن العهد التاريخى الذى منحه الرسول لرهبان دير « سانت كاترين » وللنصارى « وهو من أجل الآثار الدالة على التسامح المستنير ، التى شهدها تاريخ العالم » وبين المؤلف كيف « اجتمع فى

الرسول الكريم أسمى ما يتصوره العقل من السجايا : العدل والرحمة » .

وبعد أن تحدث المؤلف عن وصايا الرسول للسرايا التى كان يبعث بها لقتال الأعداء بأن يلتزموا حدود الاعتدال والرحمة ، وبألا يعتدوا على الضعفاء ، وأن يكفوا عن الأعمال الهمجية التى لاتتناسب مع الخلق الاسلامى الكريم، بعد هذا عقد موازنة بين تلك الوصايا الكريمة وبين « ذلك الترهيب الهائل الذى ورد ذكره على لســــان الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس من عهد لاكتانيسوس الى عهد المعاهدين » ، وما كان يرتكبه أتباع « أمير السلام » من الفظائع المنكرة ضد مخالفيهم ، وبعد أن تحدث عن « غزوة بنى المصطلق » وعن « صلح الحديبية » ، تكلم عن بعث الرسل التى بعث بها الرسول الى من جاوره من الملوك والأمراء يدعوهم ورعاياهم الى قبول دعوة الاسلام فبين موقف كسرى وموقف هرقل وموقف غيرهم من تلك الدعوة الكريمة .

وفى الفصل السابع تكلم عن « انتشار الدين » فتحدث عن استمرار اليهود فى مكرهم السىء وفى غدرهم وتدبيرهم للمؤامرات ، وعن غزو المسلمين لهم وتقليم أظفارهم بخيبر، مع تركهم بعد الانتصار عليهم عمالا فى الأرض الزراعيـــة يعملون فيها مزارعة بالنصف ، وأعقب هذا بالحديث عن « عمرة القضاء » ، وعن ذلك المشهد الرائع عندما دخل المسلمون البلد الحرام لأول مرة بعد أن أخرجوا من ديارهم، حيث دخلوا فرحين شاكرين لله أنعمه ، فحجوا وطافوا ، ومكثوا ثلاثة أيام ، وقد أخلت قريش لهم مكة فى هذه الفترة ، وصعدوا فوق الجبال ينظرون الى منظر المسلمين الرائع ، ينظرون الى محمد وأصحابه كيف من الله عليهم فمنحهم النصر والقوة من عنده جزاء ايمانهم وجزاء صبرهم وكفاحهم ، وكان لذلك أثره فى نفوس الكثيرين من زعماء قريش فدخلوا فى دين الله متأثرين بسلوك الرسول الكريم وبشخصيته العظيمة .

ثم تحدث عن « غزوة مؤتة » باختصار ، وأخذ بعد ذلك يتحدث عن فتح مكة مقدما لهذا بالحديث عن نقض قريش للعهد ، الأمر الذى كان سببا فى تصميم الرسول على أن يعد لهذا الفتح المبين الذى من الله به على رسوله وعلى المؤمنين ، ففتح الرسول مكة بلاحرب ، عدا مناوشات يسيرة، فشكر لله أنعمه ، وحطم الأصنام ، وعفا عن قريش ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، وخطب الرسول فى الناس فقرر قواعد المساواة والعدالة بين الناس .

ثم بعث الرسول جماعة من أصحابه الى كل جهة يدعون أعراب البوادى الى الدخول فى دين الله فأسلمت القبائل الا ماكان من أمر ثقيف وهوازن ، حيث تجمعوا وعقـــدوا العزم على محاربة الرسول فنصر الله عليهم رسوله والمسلمين نصرا مؤزرا ، أعقبه عفو الرســـول عن أسراهم ، واطلاق سراحهم . واسلامهم بعد تأثرهم بهذه المعاملة الكريمـــة من رسول الله ، ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن قسمة الفىء الذى أصاب المسلمون من هوازن ، وعما خص بـــه الرسول المؤلفة قلوبهم من العطاء ، وعن موقف الأنصار الكريم فى هذا المقام ، وعن تقدير الرسول وحبه لهم .



وفى الفصل الثامن تحدث عن « عام الوفود » فتكلم عن أثر فتح مكة فى مصير الوثنية فى الجزيرة العربية والقضاء عليها ، وعن ذهاب عهد الهمجية فى ذمة التاريخ ، وعن الأثر الفعال لاسلام قريش فى نفوس العرب ، حيث أخذت وفود القبائل العربية تتحرى وتتدافع الى المدينة معلنة اسلامها فكانت تلقى من رسول الله ومن المسلمين كل اكرام وتقدير، وكان ذلك فى العام التاسع الذى سمى عام الوفود ، وبين المؤلف أن اهتمام الرسول يجمع كلمة العرب تحت لواء الاسلام لم يشغله عن الأخطار التى كانت تهدد الأمة الجديدة من الخارج ، فتحدث عما بلغ الرسول من استعداد «هرقل» ملك الروم لغزو المسلمين ، وعن غزوة « تبوك » ، التى تقع فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق فأبان الموقف العظيم لصالحى المؤمنين الذين بذلوا أموالهم فى سبيل الله عن طيب خاطر لتجهيز الجيش ، كما بين الموقف المخزى للمنافقين والمخذلين ، وكذلك بين الظروف التى شغلت هرقل عن لقاء جيش المسلمين كما تكلم عن عودة الرسول الى المدينة بعد الاطمئنان على سلامة الحدود وبعد الخطر عنها، كذلك تحدث عن وفد ثقيف وعن اسلامها وهدم أوثانها ، وعن استشهاد عروة بن مسعود الثقفى قبل ذلك على يد قومه حينما أسلم ودعاهم الى الاسلام ، وتحدث عن اسلام طىء بعد أن من الرسول على بنت حاتم الطائى — أخت عدى — فاطلق سراحها وأكرمها ، وعن اسلام كعب بن زهير ، الشاعر المشهور — وعن قصيدته « بانت سعاد .... » .

وفى نهاية هذا الفصل تحدث المؤلف عن ذلك الاجراء الحاسم الذى اتخذه رسول الله بالنسبة للشرك واهله بعد أن سادت كلمة الله وقوى الاسلام فى جزيرة العرب ، فأمر الرسول عليا فى نهاية العام التاسع بأن يؤذن فى الناس « لايحجن بعد العام مشرك ، ولايطوفن بالبيت عريان .. » وكان هذا التصرف فى غاية الحكمة وبعد النظر ، كما كان ضروريا للمحافظة على سيادة مبادىء الاسلام فى الجزيرة.



وفى الفصل التاسع تحدث عن «تمام الرسالة المحمدية» فاستفتح المؤلف هذا الفصل « بسورة النصر » « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » . ثم تحدث عن وفود القبائل الى المدينة لاعلان اسلامها فى السنة العاشرة كما حدث فى السنة التاسعة ، وعن بعث الرسول ببعض الصحابة الى مقر القبائل ليعلموها أمور دينها ، وعن تمام

الرسالة • وما أحدثته هذه الرسالة من تغيير شامل في أحوال العرب ، حيث نقلتهم من الفوضى الى النظام ، ومن الوثنية الى التوحيد ، ومن الخلاف والفرقة والعداوة الى الوحدة والوئام والمحبة ، وحيث طبعتهم على خصال الخير، وأبعدتهم عن الرذائل والمنكر ، فصفت قلوبهم واستنارت بصائرهم ، وبين أن تمام الرسالة في حياة النبي عليه السلام كان من خصوصيات رسول الاسلام التى اختصه الله وكرمه بها من بين الرسل ، وأخذ المؤلف بعد هذا يفيض فى ذكر صفات الرسول العظيم وتمجيد ماجاء به من التعاليم السامية التى تفسح المجال لتحكيم العقل ، وتمجد العلم والمعرفة ، وتدعو الى حرية التفكير ، ثم تحدث عن حجة الوداع ، وعن الخطبة الجامعة التى خطبها الرسول فى هذه الحجة ، وعن جيش أسامة بن زيد الذى أعده الرسول لغزو الروم قبيل وفاته عليه السلام ، وعن مدعى النبوة الذين ظهروا فى أخريات أيام الرسول ، ثم عن مرضه عليه الصلاة والسلام ، وصعود روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى •

وختم المؤلف هذا الفصل بحديث مستفيض عن شمائل الرسول ، وصفاته الكريمة ، وسلوكه المثالى فى نفسه ، وفى بيته ، وأسرته ، وفى صحابته ، وفى مجتمعه ، مسترشدا بما ورد فى ذلك من الأحاديث وانتهى الى قوله : « لقد مضى أربعة عشر قرنا منذ أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالته ، ولكن الزمن لم يغير من صدق المحبة التى يوحيها الى القلوب ، فلايزال المؤمنون كما كانوا يومئذ يرددون بألسنتهم وقلوبهم هذه الكلمات الخالدة : روحى فداك يارسول الله ! » •

* * *

وفى الفصل العاشر والأخير تحدث المؤلف عن « الخلافة » فابتدأ المؤلف هذا الفصل بروح المتصوف المتشيع يتحدث عن الامامة والخلافة ، فذكر أن « أنصار الامامة لهم نشأة وفلسفة خاصة بهم تختلف عن نشأة أهل السنة وفلسفتهم ، فهم يرون التراث الروحى الذى خلفه النبى صلى الله عليه وسلم انتقل الى على وأبنائه من فاطمة بنت رسول الله »واستطرد مبينا راى الشيعة بشان خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، وذكر قصة اختفاء الامام الثانى عشر محمد المهدى المنتظر ونبه الى التشابه بين هذه العقيدة وبين مثيلاتها فى الأديان السابقة ، وعقب على ذلك بذكر الخلاف الفقهى بين أهل السنة والشيعة فى مسالة الامامة والخلافة ، ثم تحدث عن الشروط التى يجب توفرها فيمن يعين خليفة للمسلمين عند أهل السنة وعند الشيعة ، واستعرض رأى ابن خلدون فى هذه المسالة ، ثم أخذ يتحدث عن الواقع التاريخى للخلافة فى حياة المسلمين ، فتحدث عن الخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بنى أمية ، وعهد الخلافة العباسية فى بغداد ، وفى مصر ، وختم الحديث بذكر انتقال الخلافة الاسلامية الى آل عثمان الأتراك بعد أن تنازل آخر الخلفاء العباسيين بالقاهرة الخليفة المتوكل على الله عن الخلافة الى السلطان سليم الأول عقب فتح مصر سنة ١٥١٧م فبقيت الخلافة فى آل عثمان أربعة قرون كاملة •

وعلى الرغم من أن القارىء يلمح فى هذا الفصل الأخير روح التشيع الممزوجة بالتصوف التى استولت على المؤلف فى كتابته ، فهو قد حافظ على طريقة العلماء فى التأليف من التزام الأمانة والدقة فى عرض الآراء المختلفة •

وأخيرا فاننا نختتم الحديث باثبات ماسبق أن قررناه من أن كتاب « روح الاسلام » كتاب قيم فى موضوعه ، وأنه من الكتب الهامة التى تبين حقيقة الاسلام وتعطى الفكرة الصحيحة عن رسالته الخالدة ، وأن ترجمته الى العربية جاءت بحمد الله بليغة موفقة ، فهى جديرة بالثناء والشكر لصاحبيها ، فجزى الله المؤلف والمترجم أحسن الجزاء •

الدكتور محمد عبدالله ماضى

سطور من كتاب ٠٠٠

« من أجمل أغانى مسرحية «شكنتلا» الأغنية التى ينشدها الملك عندما تضطره واجباته الملكية الى ترك زوجه «شكنتلا» وفيها يقول :

ان جسمى ـ لا أنا ـ هو الذى يترك حبيبتى ..
ان جسمى يتحرك بعيدا عنها .. لا عقلى ..
ذلك لأن أحلامى تطير عائدة اليها ..
كما تطير الأعلام الحريرية فى الهواء العاصف٠٠»

٠٠٠الهند ٠٠٠ شعبها وارضها •

التيارات المعاصرة في النقد الادبي

تأليف : الدكتور بدوي طبانه

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ٤٤٧ص ١٧×٢٤ – ٩٥ ص

هذا الكتاب الضخم القيم الذى اتحف به الدكتور بدوى طبانه المكتبة العربية يضمر أكثر مما يجهر ، فهو كالبئر العميقة لا تكشف سطوحها عن مائها الا اذا تغلغلنا فى أعماقها ·

وقد كثرت الآراء والفكرات فيه ، كثرة كادت تخرج به عن موضوعه وهو التيارات النقدية المعاصرة ، اذ ضم الى التيارات النقدية ، موجات أدبية ونقدية كبيرة وصغيرة · فاشتمل الكتاب على الاتجاهات الأدبية ، وعلى الأشكال الأدبية وعلى المساجلات النقدية بين النقاد ، والمذاهب الأدبية ، حتى السرقات المعاصرة احتلت مكانا فى الكتاب ·

ولعله كان من الأوفق فى رأيى أن يسمى الكتاب تسمية دالة على محتوياته مطابقة لها ، كان يسمى مثلا « نظرات شاملة فى النقد المعاصر » وبهذا كان يسلم الكتاب من هوج المماحكات ·

ويلحظ على المؤلف أنه وضع نفسه فى منطقة الظل ، فلم يذكر أن هذه التيارات والاتجاهات من كشفه ، وفحصه مع أنها الحقيقة ولكنه أتى بآراء وأقوال النقاد والأدباء ، فى الكتب والصحف والمجلات مختبأ وراءهم ، مؤثرا وقفة الحياد ، وكأنما يريد أن يقول هذه صورة واقعية ، لما حملت كتب النقد والأدب المعاصر ، وهاهى ذى مساجلات النقاد فى المجلات والصحف ، وهاهى ذى آراؤهم المتضاربة بالسنتهم ، فاقرأوها واحكموا عليها لتتعرفوا صورة النقد فى ثلاثة أجيال جيل الرواد ، والجيل الوسط ، وجيل اليوم · وهذه الصورة فيها أضواء وظلال كثيفة ، فلعل هذه الظلال ، تحدو كثافتها الى النفور منها والسير فى جادة منيرة ، تجتمعون فيها على زمالة جديدة عاملة كريمة ·

ولهذه الغاية النبيلة غاية التكاتف بين النقاد ، والتعاون على انصاف الأعمال الأدبية الانشائية ، من شعر وقصة ورواية ومسرحية · تحدث الدكتور طبانة عن الأعشاب الضارة المعرقلة للنقد الأدبى · وقد فاض حديثا فى هذه الناحية، وأصاب كل الاصابة فى بيان هذه العقبات ، التى استغرقت من كتابه أكثر من سبعين صفحة ·

وقد وجد أن نقدنا يسير متموجا ، لا أثر فيه لفلسفة أو وجهة نظر مستقيمة ، وارجع ذلك الى تباين ثقافة النقاد من عربية خالصة الى غربية خالصة ، ومسايرة كل ناقد لمقاييسه ، عربية أو غربية ، وتعصبه لها تعصبا أعمى ·

وهاله تحزب فريق كبير من النقاد بعضهم لبعض ، والعمل على تنحية الآخرين عن الحياة الأدبية والمشاركة فى أى لون من ألوان النشاط العام فى درس الأدب أو النقد (ص ٤٢) ووجد من هذا الفريق المتحزب انهم يسايرون الغربيين مسايرة كلية يفقدون بها أصالة الذهن ، وسلامة الذوق ، مما أدى الى اخفاق النقد فى تحقيق غاياته وأصابة اهدافه فى خدمة الفن الأدبى ، وتوجيه الأدباء نحو مثل فنية واضحة (ص ٤٩) ·

كما هاله احكام النقد الذاتية التى تصدر عن رواسب الأهواء الراضية أو الساخطة نحو الأدباء أنفسهم ، لا نحو أعمالهم الأدبية واتخاذ بعض النقاد ، النقد سلاحا للنيل من الخصوم ، والتشهير بهم والحط من اقدارهم وهذا التعصب المقيت ، أصبح لدى البعض ، كما يقول : « خطة مقررة فى دعوة مدبرة تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل » (ص ٥٥) ·

حتى الأسلوب النقدى ، لم يتجرد من العبارات العوراء، ولا الألفاظ الجارحة المقذعة ، سواء ماجرى على أقلام الجيل الماضى من الرواد ، أو ما جرى على أقلام هذا الجيل واتى بمثال لذلك من كتاب « على السفود للرافعى » فى نقد العقاد ، وما جاء فى كتاب « الديوان » للعقاد والمازنى فى نقد شكرى ، وشوقى ، والمنفلوطى · ثم أتى بما اشتجر بين ناقدين من نقاد اليوم هما الدكتور مندور ، والدكتور رشاد رشدى ، فى نقد الأول لمسرحية « لعبة الحب » · وما ثار على قلميهما من زبد ، كان ينبغى التعفف عنه ·

يقول د · مندور عن د · رشدى انه أثار ضجة حوله ، وانه ممن كبروا قبل الأوان على كثبان من الرمل ، وانه يعمل على أن ينسف تلك الرمال ، بدلا من يتركه يقف عليها فتنهار » ·

ويقول د . رشاد رشدى فى عنف وضراوة ، « اراد مندور أن يحطم مسرحيتى بعضلات مصارع وعقل طفل » .
ثم يقول : والحقيقة أن « مندور » قد خيب أملى فيه ، أو زاد فى خيبة الأمل ، لقد آثر أن يقترب من المسرحية كمصارع ، دون أن يحاول تحطيم ما يفترض انى أقوم مدافعا عنه وهو الشكل اى أن يسلم بان الشكل فى المسرحية كامل ، ولكن ليس بها مضمون ، فهذه سذاجة منقطعة النظير كسذاجة الأطفال .

الى أن يقول : « ماذا نفعل نحن الكتاب والسيد مندور الناقد ، يريد أن يفرض مضموناته على كل ما نكتب حتى ولو لم يقرأه ، ياسيدى لسنا مكلفين بان نوفر أو نحقق لك احلام اليقظة » (ص ٦٢) .

وهكذا جرى الجدال منفرا مثيرا مجردا من الموضوعية ، والفا فى الناحية الشخصية مما هال مؤلف هذا الكتاب ، ومما نعده بعيدا عن روح العصر والحضارة وعما ينبغى أن نتخلق به من ضبط للنفس ، مهما بلغت بيننا الخصومة مداها .

ولم يقف المؤلف عند بيان هذا التعصب النقدى ، ولا عند التجريح ، بل تحدث عن خلق بعض النقاد الذين يصطنعون صناعة النقد الأدبى فى أيامنا ، فقال « ترى الواحد منهم يباهى بنفسه ويدل بمعرفته ويغالى فى وصف نفسه بالذوق الفنى ، فى الوقت الذى يغالى فيه انتقاص غيره من النقاد ووصفهم بالجهالة وعدم الفهم وفقدان الذوق ولا يخص بانتقاصه طبقة من النقاد دون طبقة وكأن الأرض لا تحمل سواه ، وكأن الله لم يخص بالمعرفة انسانا غيره ، وتلك روح شريرة طغت على عالم النقد المعاصر (ص ٦٥) .

ويعاود الحديث عن أحد هؤلاء النقاد فيقول ص ٧٠ : « ان أحدهم كتب مقالا أسماه « أدعياء النقد » ووصفهم بانهم يروجون بضاعة فاسدة ، ولم يستثن من هذا الوصف أنصار النقد العربى القديم ولا دعاة النقد الأوروبى الحديث ، فان بعضهم من وجهة نظر هذا الناقد ، يقفون عند حدود نقدنا العربى القديم الذى لم يعد يجدى شيئا لتعلقه بالجزئيات ، وهم بمثابة دعاة الهزيمة فى ميدان نقدنا الأدبى ، ووصف أنصار النقد الحديث بانهم ذو بضاعة مزجاة من النقد الحديث ونظرياته فحصيلتهم نتف من نظريات مختلفة . يسخرونها لكل مجال » . وقد نفر المؤلف من هذه العنجهية ، كما نفر من الاشواك التى يضعها كوكبة من النقاد فى طريق زملائهم ، داعيا دعوة مضمرة الى الزمالة الحقة وفتح باب المناقشة الفكرية لينفذ منه كل قادر على النقد ، لتتكشف المواهب، وتنتفع منها ثمرات الاقلام وفى هذا غنم للأدب والنقد أى غنم .

٢

ونلحظ ان هذا الفصل عن معوقات النقد الذى وضعه المؤلف فرشة لكتابه لا يتصل الا اتصالا بعيدا بموضوع الكتاب ، مما يزيد ملاحظتنا الأولى فى أنه من الخير تسمية الكتاب تسمية أخرى .

واذا جئنا الى الفصل الثانى من الكتاب وهو « اتجاهات النقد المعاصر » وجدنا أن المؤلف يبدأ موضوعه ، ويجعل هذا البحث مدخلا اليه ، فقد تناول فيه فى افاضة اتجاهات النقد الحديث ، وذكر منها :

١ — اتجاهه الى الأدب القديم ، والكشف عن مميزاته وخصائصه ، وعدد الكتب التى تناولت هذا الأدب ، ومنها « تاريخ النقد الأدبى عند العرب لطه احمد ابراهيم وكتاب « النقد المنهجى عند العرب » للدكتور مندور . وأسس النقد الأدبى للدكتور أحمد أحمد بدوى ، وتاريخ النقد عند العرب لطه الحاجرى ، وذكرى ابى العلاء للدكتور طه وابن الرومى للعقاد ، « وقيم جديدة » للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وكذا ما أخرجه المؤلف فى هذه الناحية وهى كتب تعد ذخيرة نفيسة لدراسة النقد العربى القديم واعلامه، ومنها « دراسات فى نقد الأدب العربى » ، وقدامه بن جعفر، وأبو هلال العسكرى ، وغيرها من الكتب . وأود أن يضيف اليها كتاب « الأسس الجمالية للنقد العربى » للدكتور عز الدين اسماعيل .

٢ — وثمة اتجاه آخر هو دراسة « الأدب المعاصر » وأتى بعدة كتب تناولت هذه الناحية ، واستشهد ببعض ماجاء فيها ، وعلق على بعضها تعليقا ذكيا فذكر من هذه الكتب كتاب « الديوان » للمازنى والعقاد ، وقال أنه يؤخذ عليهما شدة النقد وقسوته والمبالغة فيه (ص ٧٧) وكتابى السحرتى « شعراء مجددون » ، و « شعراء معاصرون » وأتى باستشهادات منهما . وكتاب « شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ، وكتاب « رواد الشعر الحديث » لمختار الوكيل ، وكتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة ، وكتاب « فى الميزان الجديد للدكتور مندور » وأتى بما استحسنه من هذه الكتب ، وكنت أود أن يورد هذه الكتب ، بحسب صدورها الزمنى كما كنت أود أن لا يفوته ذكر كتاب « رسائل فى النقد » للدكتور رمزى مفتاح الذى أحدث ضجة فى فترة صدوره ، لأنه يتناول فى افاضة تأثر العقاد بشعر عبد الرحمن شكرى .

ولم يقتصر المؤلف على ذكر الدراسات الخاصة بالشعر، بل تناول الدراسات الخاصة بالقصة والمسرحية ، فذكر كتاب « من القصص » لتيمور و « خطوات فى النقد » ليحيى حقى ، وما كتبه الدكتور شوقى ضيف عن مسرحيات شوقى، وكذا ما كتبه الدكتور مندور عنها ، وقد أتى بشواهد من هذه الكتب ، ثم عدد بعد ذلك ما اخرج من دراسات فى فن القصة والمسرحية (ص ١٠١) .

٣ — ثم انتقل المؤلف بعد ذلك الى اتجاه ثالث هو التأثر النقدى والأدبى المعاصر بالآداب الغربية ، وذكر ما ألف

فى هذه الناحية من كتب هى كتاب « التيارات الأدبية بين الشرق والغرب » للدكتور ابراهيم سلامة ، وكتاب « ليلى والمجنون فى الأدبين العربى والفارسى » للدكتور غنيمى هلال ، والأدب المقارن لنجيب العقيقى .

ثم اتى بكتب اخرى تكشف عن زيادة الاتصال بالأدب الغربى ، وعدد هذه الكتب ومنها كتاب « من الوجهـــة النفسية فى دراسة الأدب ونقده للدكتور محمد خلف الله » وأصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ، والنقد الأدبى لسيد قطب ، والنقد الأدبى لأحمد أمين ، والمذاهب النقـــدية للدكتور ماهر حسن فهمى ، وكتابى «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » و « النقد الأدبى من خلال تجـــاربى » للسحرتى ، وفى الميزان الجديد لمندور وهو بهذا لم يترك كتابا فى النقد المتأثر بالأدب الغربى الا أورده ، وكنت أود أن يأتى باسماء هذه الكتب على حسب صدورها الزمنى .

٤ — ثم ابان بعد ذلك الاتجاهات النقدية ، للأغراض ومنها « التوجيه الى الشعر الحماسى » ، وقد نادى بذلك محمد فريد فى مقدمته « لديوان الغاياتى » « وطنيتى » ، ونحسب ان هذا التوجيه لم يكن من دعوات رجال القرن العشرين بل كان من دعوات طائفة من رجال القرن التاسع عشر ، سواء فى مصر أو فى البلاد العربية الأخرى .

ومن التوجيهات أيضا التوجيه الى أدب المعرفة والعقل، هذه الدعوى التى دعا اليها الأستاذ سلامة موسى فى كتابه « البلاغة العصرية » — ثم الدعوة الى الأدب المكشوف ،وذكر أنه كان فى طليعة زعمائها سلامة موسى الذى اعتمد ... كما يقول المؤلف ثورة عارمة على الأوضاع المألوفة والقيم المتعارفة ، وتبدو دعوته كما يقول الى الأدب المكشوف فى مثل قوله : ان موضوع الأدب هو موضوع الطبيعة البشرية فى حقيقتها ، والتسامى بهذه الطبيعة الى ماهو أرقى منها مما يبصره الأديب ، بما يشبه بصيرة النبى ، فالعلم يقرر الواقع ، ولكن الأدب يسمو بالواقع الى ماهو أرقى منه » .

« فاذا عالج الأديب موضوع الحب ، فهو لا يقنع بما هو مألوف من العلاقات الجنسية ، بل يسمو بها الى ماهو أرقى من المألوف ، فاذا احتاج فى ذلك الى صراحة تامة فيجب أن يمنح هذا الحق ، ان للأديب قيدا واحدا يتقيد به هو اخلاصه فى عمله » . (ص ١٦٧)

ولسنا نجد فى هذه الأقوال التى أوردها دعوة الى الأدب المكشوف ، بل هى دعوة الى الأدب الواقعى ، وعنصر الجنس من عناصره ، وفرق كبير بين الدعوة الى الحديث عن مسائل الجنس ، والدعوة الى الاثارة الجنسية ، التى تعد حقا من دعوات الأدب المكشوف . فرق كبير بين الصدق فى بيان المسائل الجنسية صدقا فنيا ، وبين مجرد ذكر هذه المسائل باسلوب تقريرى مثير .

٥ — وتضمن هذا البحث أيضـــا الدعوة الى الأدب الاصلاحى الاجتماعى ، وكان من دعاته الأستاذ « أحمد أمين » وأتى بما اشتجر بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم فى هذا الصدد ، وما قيل فى « الفن للفن » والفن الهادف وأتى بنقد ميخائيل نعيمه لشعر نزار قبانى » .

٦ — وأنهى المؤلف البحث ، بوجوب الاتجاه الى الأدب العقائدى بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وذكر كتب الدكتور أحمد أحمد بدوى فى تناوله شعر الثورة ، وكتاب « هلال ناجى » عن القومية والاشتراكية فى شعر الرصافى وأحسب أن هذه الناحية لم يوفها المؤلف حقها ، لأنه صدرت عدة بحوث ودراسات فى هذه الناحية ، جدير بالمؤلف الرجوع اليها .

٧ — وانتهى المؤلف فى هذا الفصل القيم الذى وفق فى جمع الاتجاهات النقدية فى أغراض الأدب ، الى الاتجاه نحو صحة اللغة وسلامتها . من الأخطاء اللغوية والنحوية . ونبادر فنقول ان المؤلف ترك غرضا مهما من الأغراض التى اتجه اليها الأدباء ، ووجه اليها النقاد ، هو الاتجاه الى أدب العاطفة وأدب الطبيعة الذى مهد له شكرى والعقاد والمازنى، وازدهى وأثمر فى عهد مدرسة أبولو . وهذا الاتجاه لم يزده فى الشعر فقط ، بل فى القصة القصيرة وفى الرواية فى مثل قصص المنفلوطى ، أو فى رواية زينب للدكتور هيكل التى صدرت فى عام ١٩١٤ وغيرها من الروايات .

— ٣ —

وهذه الاتجاهات المهمة التى أوردها المؤلف ، تصلح فى نظرى منطلقا سديدا لبيان التيارات أو الحركات التى سار فيها النقد المعاصر .

وهذه التيارات مبثوثة حقا فى الكتاب ، ولكن المؤلف وزعها فى أوله وفى آخره دون متابعة . ودون تخصيص ، وذكر لهذه التيارات :

(١) — فالتيار النقدى التقليدى أو الفقهى الذى يعتمد لغة الكاتب ونحوه ، ويعتمد فى الوقت نفسه ، التقاليد الفنية القديمة ، وزعه المؤلف فى الاتجاهات السابقة ، كما تناوله باقاضة فى الفصل الرابع الذى تلا هذه الاتجاهات وهى لغة الأدب .

(٢) — والتيار النفسى الذى سار عليه جماعة من الرواد، والذى ينظر الى العمل الأدبى كتعبير عن شخصية مؤلفه ، لمح اليه المؤلف فى أول الكتاب وعالجه فى افاضة فى بحثه عن « فكرة الصدق فى النقد المعاصر » وذكر ممن سار فى هذا التيار العقاد فى كتابه « ابن الرومى » وطه حسين فى كتابه « حافظ وشوقى » ومحمد خلف الله فى كتابه «من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده » . ثم قال : ص ٣٤٨ .

« وسرت هذه الروح الى كثير من النقاد وكانت من ابرز النواحى التى عنى بها النقد والدرس الأدبى للاشخاص ، أو لأعمالهم الأدبية وأعنى بها محاولة البحث عن معـــالم الشخصية فى الأثر الأدبى » .

(٣) — أما التيار النقدى الرومانسى أو العاطفى ، الذى

كان يعتمد العاطفة ويجعلها حقبة طويلة ، وما زال سائدا الى اليوم فلم يتوسع المؤلف فى بيانه ، وان كان لمح اليه فى أول الكتاب وفى آخره عندما تحدث عن « نقادنا والمذاهب الأدبية » وذكر فيه ما قلناه عن أحمد زكى أبو شادى ، وما قاله د. مندور عن الشابى ، وانه ليقول فى ص ٤١٢ ٠

« وفى كثير من كتابات الدكتور محمد مندور عن ادبائنا ترديد للمذاهب الأدبية ، وجعل بعض الشعراء من اتباعها، فالغرام الذى استهل به أحمد أبو شادى حياته العاطفية والشعرية كان من العوامل التى نمت لديه بذرة «الرومانسية» التى تطالعنا بوضوح فى شعره المبكر ، والتى غذتها فيما بعد قراءاته المستفيضة فى الشعر الرومانسى عند الغربيين وبخاصة الانجليز منهم » ٠

وما أتى به المؤلف قاصر عن بيان هذا التيار ، وبيان نقاده ، الذين ملأوا صفحات « ابولو » بعرض ونقد اشعار أعلام المدرسة الرومانسية ، من امثال الدكتور ناجى وصالح جودت ، والصيرفى ، والشابى والهمشرى وغيرهم ٠

(٤) ـ وكذلك كانت وقفة المؤلف من تيار أعقب أو عاصر، التيار الرومانسى ، وهو التيار الرمزى الذى وجد طريقه فى شعر وأدب طائفة من اللبنانيين والسوريين ، ومســـه المصريون مسا خفيفا فى شعر بعضهم ، ويعتمد هذا التيار المعانى الخفية ، واللغة الصافية ، والموسيقى الهامسة ، وهو تيار يناقض التيار التقليدى الذى نوهنا عنه آنفا ، والذى كان يعتمد الوضوح اللغوى ، ودقة الصورة والعقلانية٠

حقا ان المؤلف قد تناوله بعد الفصل الذى عقده عن « الوحدة فى العمل الأدبى » تناوله فى سبع صفحات ، وكان جديرا به أن يخصه بفصل مستقل ، لأنه وان كان تيارا ضعيفا ، الا ان له مجراه ومازال يفيض ٠ واذا كانت هذه التيارات الأربعة السالفة الذكر ، فاضت فى عالمنا النقدى ، ومازالت تجد لها دعاة معاصرين من النقاد ، ففى كتاب الشاعرة العراقية « نازك الملائكة » « قضايا الشعر العربى » دعوة للنقاد الى الاهتمام بلغة الشعر ، وأوزانه وقوافيه وهى دعوة كانت ذائعة فى التيار النقدى التقليدى ـ وفى البحوث التى تكتب عن « الرومانتيكية » وفيما يدبج من شـــعر رومانتى ، آية على وجود التيار الرومانتى ، ولا يزال للتيار النقدى الرمزى انصاره ومؤيدوه ، كما لايزال التيار النفسى يجد مؤيديه ٠ فيما اخرجه الدكتور عز الدين اسماعيل من بحث فى هذه الناحية وفى كتابات العقاد ، وما ثار بين العقاد ومندور فى هذه الناحية ، ولا يفوتنا أن نلمح الى هذه المساجلة التى قامت بين هذين الناقدين الكبيرين ، بشان المنهج النفسى الذى يؤمن به العقاد ، ولا يرتضيه الدكتور مندور ، وبغض النظر عن العبارات القاسية الجارحة التى اكتنفت هذه المساجلة ، فان المحور الذى قامت عليه يكشف عن أنه لايزال هذا التيار النفسى موجودا ، وأن له انصارا، فى الشرق والغرب ، كما أن له معارضين ، وأزعم انى من مؤيدى هذا التيار النفسى تأييدا جزئيا، أى أن النقد الأدبى يجد فى الأثر الأدبى نمائم على الشخصية ، ولكن هناك

معارضين ، لهذه الفكرة ، فنرى مثلا الناقد الانجليزى دافيد دايتشى فى مقال له عن «النقد الجديد The new Criticism يرى ان هذا التيار النفسى من آثار الرومانتيكية ، وان مهمة الناقد فى هذا الاتجاه هو تسجيل استجاباته الانفعالية تجاه العمل الأدبى وان هناك من قاوم هذا الاتجاه ، فالنـــاقد الانجـــليزى الفيلســـوف : ت٠ هيوم T. E. Hume عارض هذا الاتجاه الذاتى ونادى بالكلاسيكية الجديدة التى تعتمد الموضوعية والنظام فى الفن ، وان الناقد الانجليزى ت٠ س اليوت تاثر به ، وذكر أن الشاعر ليس شخصية يعبر عنها بل هو واسطة ، تتجمع لديه الانطباعات والتجارب بطرق خاصة وغير مرتقبة ، فالشعر ليس ترجمة ذاتية ولا هو تاريخ ولا هو جزء من تاريخ الآراء ، وانما هو شىء فذ ، ومحصل ذلك أن العمل الفنى لا يقوم على التأثير الانفعالى للكاتب ، بل هو منظم مهم للصور ، وليس من العسير الرد على هذه الأقوال فاننا نجد فى العمل الأدبى ، وفى أسلوبه بعض سمات المؤلف ، ولكن وقفة النـاقـــد الحقيقى لا تقتصر على ذلك ، بل تضم اليها دراسة النص ٠

(٥) ـ واذا كانت هذه التيارات موجودة الى اليوم تسير فى وهن ، وضعف ، فذلك لأن تيارا قويا غامرا طغى عليها، بعد نهاية الحرب الأوروبية الثانية ، هو التيار الواقعى الايديولوجى ، الذى يعتمد النظر الى الحيـــــاة ، والى الايديولوجية السائدة ، والى الاهتمام بالمضمون وهذا التيار بشر به طائفة من النقاد ، من أمثال الدكتور مندور ، ومحمود العالم وعبد العظيم أنيس ، وغيرهم ، وقد أثبتنا بروزه فى كتابنا « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » الصادر عام ١٩٤٨ وكتابنا « شعر اليوم » الصادر فى عام ١٩٥٧ كما تحدث عنه طائفة من النقاد فى الرواية ، من أمثال الدكتور القط فى كتابه « فى الأدب المعاصر » وغير هذا من الكتب التى ملأت المكتبة العربية ، وازدحمت بها الصحف والمجلات الأدبية ٠

ولكن القارىء لكتاب الدكتور طبانة لايجد حديثا عن هذا التيار ، ولعله اكتفى بما أومأ اليه أو تناوله من تيارات لبحث مستقل ٠

(٦) ـ ويطيب لنا أن نذكر فى هذا المقال ان بحث التيارات النقدية المعاصرة ، كان يستلزم فصلا قائما برأسه عن « الأشكال الجمالية » لكل تيار وأسلوب التعبير فيها وليس الحديث عن الشكل تيارا ولكنه اطار لازم للكشف عما استحدث من تقنيات جديدة سواء فى الشعر أو الرواية أو المسرحية ، أو القصة القصيرة ٠

وقد اكتفى المؤلف بتسجيل بعض التقنيات الجديدة، فى الفصل الرابع الضافى القيم الذى كتبه عن «لغة الأدب»، وفى الفصل الخامس عن « صورة الأدب » ، وفيما كتبـــه بعد ذلك عن « الوحدة فى العمل الأدبى » فماذا كتب عن

---

(١) A Time of Harnest- The New Criticism- P. 95 By David Daiches.

ولغة الأدب» لقد كتب كتابة مستوعبة فى هذه الناحية • وأبان ما وجه الى التعبير الأدبى من نقد •

فتحدث عن الأساليب المتكلفة الموضوعة التى خلقتها قرون الضعف والجمود ، ثم بين أساليب الزخرفة والزينة، والمعارك التى قامت بشأن هذه الأساليب ، وأصحابها وبين النقاد ، مثل تلكم المعارك التى اشتجرت بين الدكتور طه والرافعى ، وبين زكى مبارك ؛ وعبد العزيز البشرى • واقوال الدكتور طه فى هذه الناحية من مثل قوله : « لسنا نعيش عيشة الجاهليين • فمن الحمق ان نصنع لغة الجاهليين ، ولسنا نعيش عيشة الامويين ولا العباسيين ولا المماليك ، بل لسنا نعيش عيشة المصريين فى أوائل القرن الماضى ، فمن الاسراف ان نستعير لغات هذه الاجيال وأساليبها ، لنصف بها أشياء لم يعرفوها ، وضروبا من الحس والشعور لم يحسوها ولم يشعروا بها » •

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك الى دعوة الدكتور هيكل فى كتابه « ثورة الأدب » ، دعوته الى تجديد اللغة الأدبية ، والذى ارتأى فيه « أن يكون اسلوب الأدب عصريا سائغا ، لذيذ المدخل الى النفس » •

ولم يفت المؤلف أن يتحدث عن حملة سلامة موسى على الكتابات المتأنقة مثل كتابات الرافعى والمنفلوطى وشكيب ارسلان ، وتسميته أدبهم بادب الفقاقيع وتسميتهم بادباء الضعة ولم يرق هذا الرأى للدكتور طبانه الذى يرى أن سلامه موسى يحمل على الأسلوب الفنى ، وله فى كتابه « البيان العربى » جولات مع سلامه ليس هذا مجال ذكرها، وقد خالفناه فيها •

وعقب بعد ذلك بالتنبيه على وجوب سلامة اللغة وتجردها من الاخطاء اللغوية والنحوية ، وأتى بامثلة كثيرة فى هذه الناحية ، ورأى فى آخر هذا الفصل محاربة الظاهرة اللغوية الخطيرة التى تشيع فى شعر المدرسة اللبنانية الحديثة التى تدخل « ال » على الافعال كما تدخلها على المنادى « بيا » فيقولون مثلا « التود ، والترن » ويقولون «يا الفلك الدوار» ويلاحظ أن هذه ليست مدرسة حديثة ، ولكنها جماعة منحرفة تحاول أن تجاهد جمال العربية وتشوه وجهها المنير •

وفى الشكل أيضا ، تحدث عن الشعر الحى والشعر المنثور حديثا فياضا وظاهرة التكرار فيه ، كما لم يفته الحديث عن لغة المسرح والقصة وأقوال نقادنا فى الفصحى والعامية ، وابدى رأيه فى هذا الصدد ص ٢٣٢ فقال : « وهناك اعتبار مهم ، وهو توحيد الأفكار والمشاعر العربية، ويقتضى علينا السمو على العاميات المتفرقة ، والعمل على النهوض باللغة فى المسرحية والقصة » وهو رأى الرجل الذى خبر غرابة العاميات فى البلاد العربية فصدر فى رأيه عن ايمان قومى بوجوب وحدة اللغة •

وهذا الفصل الذى عقده عن لغة الأدب وتوجيهات النقاد ونقدهم للأساليب المزركشة أو الفخمة ، ثم مناداتهم بالاسلوب العصرى السهل ، ثم الجدة فى الشعر والخروج على القوافى، هذا الفصل القيم ، أود أن تضاف اليه التقنيات الجديدة التى ادخلت على التعبير فى القصة أو الرواية ، بل الشعر، من مثل تيار الشعور والمونولوج الداخلى ، وما استعارته القصة والرواية من تقنيات أخرى وهذه ناحية جديرة بالبحث، وهى ناحية حية هامة أخذناها عن الأداب الغربية واستخدمها طائفة من الكتاب فى أدبهم الانشائى ، استخداما موفقا •

ثم واصل المؤلف الحديث فى الشكل ، فى الفصل الذى عقده عن « صورة الأدب » فتحدث فيه عن التجديدات فى الشعر ، تجديدات القدامى والمحدثين على السواء ، تجديداتهم فى الأوزان ، واستخدامهم للبحور الجديدة ، فذكر ما اخترعه البارودى من وزن فى قوله « املأ القدح × واعص من نصح » ومجاراة شوقى له فى قوله :

مـــال واحتجـــب وادعـــى الغضـــب
ليـــت هاجـــرى يشرح الســـبب

وما أتى به الأستاذ عزيز أباظة من تجديدات فى رواية « العباسة » ص ٢٨٤ ثم ما أتى به المهجريون فى هذه الناحية من خروجهم على الوزن ، وعلى نظام التفاعيل ومثل لذلك ، بشعر نسيب عريضة ، والياس فرحات فى ديوانه أحلام الراعى ، ومن قول الأخير يصف حلما جميلا :

فى مسرح الشاء الفسيح الخصيب
بيـن ريـاض تنبت العافيـــة
فـوق بسـاط سـندسى قشيب
تحـت سـماء رحبة صـافية
أطلقــت أغنــامى ترعــى وتجتــر
والزنبــق النــامى للفجـــر يفـــتر
والنـرجس النعســان من ســهرة الأمس
قد أطبق الأجفان خوفا من الشمس (ص ٢٩١) •

وقد فاض المؤلف فى هذه الناحية التجديدية حديثا بلغ درجة عالية من الاجادة والاحسان •

* * *

وللاسف لم يتابع المؤلف طريقه فى الحديث عن الشكل، بل انه ، وقف وأتى بفصل « عن نقد المعانى الأدبية » وقصر الحديث فيه على النقد القديم ، دون أن يتحدث عن النقد الحديث للمعانى أو للمحتوى كما نقول اليوم • وبعد هذا الحاجز يعاود القول عن الشكل فى حديثه عن « الصدق فى النقد المعاصر » ثم عن « الوحدة فى العمل الأدبى » ويبدو لنا أنه كان من الخير أن يكون الحديث عن الأشكال الجمالية فى فصل قائم برأسه لأن ذلك كما قلنا يكون من ترسيم الكتاب •

ومن هذا العرض الوجيز لفصول هذا الكتاب الضخم ، يتبين هذا الجهد الذى بذله الدكتور بدوى طبانه ، لاعطاء صورة شاملة للنقد الأدبى فى هذا القرن ، وهو جهد جبار تقاضاه قراءة جميع ما اخرج من كتب النقد ، وما أخرج من كتب أدبية قديمـــة وحديثـــة بل ماورد فى الصحف والمجلات الأدبية بما يتصـــل بموضـــوعه ، واذا كان مأخذنا عليه فى المنهج الذى اختطه للكتاب ، فما أسهل تعديل عنوانه ليكون محتواه مطابقا للعنوان وليس شك فى أن الكتاب يعد مرجعا هاما لدارسى النقد ، وزادا للأدباء والكتاب على السواء •

مصطفى عبد اللطيف السحرتى



تاليف عبد الله التل
الناشر دار القلم ــ القاهرة ــ الثمن ستون قرشا
عدد الصفحات ٤٣٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

مؤلف الكتاب :

هو قائد معركة القدس « عبد الله التل » احد كبار القواد العرب ، ورجال الصف الأول فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ م . ومن اسرة عريقة فى العروبة والوطنية بشرق الأردن .

وقد كان ضابطا من ضباط الفريق جون جلوب قائد الجيش العربى الأردنى ، ولكنه لم يحن هامته له ولا لغيره حين ظهرت الخيانة فى هذه الحرب ، فقد خلق حرا أبيا ، مخلصا لعروبته ووطنه ودينه .

وقد قدر للعروبة وللوطن العربى ان يكون قائد الكتيبة التى انقذت « مدينة القدس » وما فيها من مقدسات اسلامية ومسيحية ، من الدمار المحقق ، وهو فى الثلاثين من عمره ، فاستحق لقب « قائد معركة القدس » الذى اشتهر به وكان جديرا بشرفه .

وقد عين بعد معارك فلسطين حاكما لمنطقة القدس ، ثم متصرفا (محافظا) للمدينة . وكان منذ قيام تلك الحرب متمردا على الفريق جون جلوب ، لأيمانه بسوء نية الانجليز واطلاعه على خفايا سياستهم اليهودية والاستعمارية ضد العرب ، ووحدة البلاد العربية . وقد مرت به ظروف قاسية حاربه فيها المستعمرون ، وتحالفوا مع أعوانهم ضده ، فاضطر للهجرة من الأردن الى مصر فى اكتوبر سنة ١٩٤٩ م .

« كارثة فلسطين » :

ولما هاجر الى مصر ، لم ينقطع عن خدمة القضية الفلسطينية ، فكان يساهم فى جهود الأفراد والجماعات التى تعمل لخدمة هذه القضية ، وخدمة البلاد العربية الأخرى التى تجاهد للحرية ، وتكافح الاستعمار والمستعمرين ، فكان يلقى المحاضرات ، ويبذل المعاونات ، ويساعد اللاجئين ، ويدافع مع المدافعين عن استقلال الجزائر . وقد بلغت به حماسته فى الدفاع ان دعا قبل استقلال هذا القطر الشقيق الى تأليف كتيبة حربية تساهم فى الحرب مع الجزائريين ، يكون هو جنديا من جنودها .

وفى سنة ١٩٥٩ م اى بعد عشر سنوات من هجرته الى مصر اصدر كتابا ضخما تربو صفحاته على ستمائة صفحة بعنوان « كارثة فلسطين » .

وقد ضمنه معارك حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، كما شاهدها واشترك فيها ووقف على أسرارها وخفاياها ومقدماتها ، مدعمة بالمستندات والوثائق منذ صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى يوم هجرته لمصر فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م .

« خطر اليهودية العالمية » :

بعد أن أصدر « عبد الله التل » كتابه الأول « كارثة فلسطين » الذى استوفى فيه المعارك العسكرية والسياسية ، عكف على دراسة المشكلة اليهودية وصلاتها بفلسطين .. وقد تتبع أحداث التاريخ منذ خروج اليهود من مصر الى عصرنا الحديث وما رافق تلك الاحداث من همجية ووحشية يهودية ضد المسيحيين والمسلمين وغيرهم من الأمم .. !

وقد سمى هذا الكتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » .. ولم يسمه كما فعل بعض المؤلفين «خطر الصهيونية العالمية» . لأن الصهيونية كالماسونية واللاسامية ، اداة من أدوات التنفيذ لليهودية العالمية التى تعمل قبل الصهيونية منذ القدم للسيطرة على العالم .

فلسطين عربية منذ ٥ آلاف سنة :

وقد قسم هذا الكتاب الى قسمين : القسم الأول يتألف من ثلاثة عشر فصلا تبدأ بالعدوان اليهودى الأول على فلسطين قبل ثلاثين قرنا من الزمان . وقد أوضح فيه الصلات الأولى بين

اليهودية والمسيحية ، وبينها وبين الاسلام . واثبت أن فلسطين وطن عربي منذ اقدم العصور وان سكانها عرب ترجع عروبتهم الى ما قبل خمسة آلاف سنة ، وان قبائل الكنعانيين سكنت هذا القطر حوالى سنة «ثلاثة آلاف قبل الميلاد». ومن فروعها وبطونها العرب اليبوسيون .

وقد غزا اليهود فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فدافع سكانها العرب عن وطنهم بشجاعة أخرت احتلالهم للقدس « مائة وأربعين عاما » . وكان ذلك بقيادة يشوع بن نون سنة ١١٨٩ ق.م. ثم احتلها الملك داود سنة ١٠٤٩ ق.م.

فاليهود ليسوا سكان فلسطين ، ولا هم من أبنائها ، ولكنهم غزاة غاصبون . وهم مستعمرون محتلون ، كما هم اليوم في عصرنا الحديث . قد اتوا في ذلك الحين من الوحشية ما يذكرنا بعدوانهم ووحشيتهم في دير ياسين وغيرها من القرى والبلاد التي إبتليت بهم في العدوان الأخير .

وقد روت التوراة في سفر استير ، وهو سابق على عهد الرومان في فلسطين **ان اليهود ذبحوا في يوم واحد ٧٥ الف نسمة بايعاز « اليهودية الحسناء » التي استغلت جمالها عند ملك الفرس**، فاذن لها ان توعز الى بني قومها بحمل السلاح والدفاع عن انفسهم ضد مؤامرة وهمية اخترعتها . فما كان من اليهود الا ان ذهبوا يفتكون بالسكان العرب الآمنين ، وذبحوا منهم هذا العدد الكبير الذي يذكرونه بالفخر والابتهاج، ويعتزون بذلك اليوم « ١٤ آذار — مارس » . ويعتبرونه عيدا قوميا .. !!

وهنا شرح المؤلف القائد عبد الله التل حقيقة الدين اليهودي الذي يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ، ومقررات حكمائهم الباغية ، وما ابتدعه رجال دينهم من الكذب والافتراء ، واكل اموال الناس بالباطل ، وسفك دماء البشر ونشر الفساد والفحشاء بين الشعوب ، وكيف اعتدت اليهودية على المسيحيين وكيف انهم حرب على الاسلام والمسيحية ، وخطر داهم على هذين الدينين ، اللذين يعتبرونهما أعدى أعداء « اليهودية العالمية » . ويتربصون بكل منهما الدوائر لهدمهما والقضاء عليهما ، ويتخذون من تدمير القيم الأخلاقية والشعائر الدينية في دول الغرب والشرق ما يحقق لهم الأهداف الخبيثة ! .

٣٠٠ يهودي يتحكمون في اوربا :

وقد قال المؤلف عن اليهودية العالمية في صفحة ١٣٥ وحكومتها المستورة التي سيطرت على العالم سيطرة عجيبة منظمة :

« دفعت التعاليم اليهودية الواردة في التوراة وفي التلمود ، اليهود الى السعي الدائم من اجل السيطرة على العالم ، وتسخيره لخدمة الشعب المختار .. ! .

« ومن اجل تحقيق اهدافهم الشريرة انشأوا الجمعيات والمنظمات التي تولت أمر التخطيط ، ورسم الطريق امام اليهود للوصول الى اهدافهم المجنونة .

« ويكون اليهود في العالم حكومة مستورة يديرها ثلاثمائة شيطان ممن اطلقوا على انفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائما شخصا يعتبرونه ملكا وارثا للك داود وسليمان . ولا يعلنون عن اسمه . وكلما مات ملك عينوا بدلا عنه من بين احبار اليهود .

« ولا يخفي اليهود خططهم هذه . وقد اعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم .

« وقد ذكر المليونير اليهودي والترراتنو في جريدة المانيا بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ م ما ترجمته :

« هنالك ٣٠٠ رجل ، كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين ، ويتحكمون في مصير أوربا . انهم ينتخبون خلفاءهم من الاشخاص المحيطين بهم . وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على اية حكومة لا يرضون عنها .. » .

وقد شبه اليهود حكومتهم المستورة « حكومة اليهودية العالمية » بالأفعى السامة . والعياذ بالله .. !

وهم يقولون ان زحفها بدأ من رأسها المميت في فلسطين بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م لتخريب العالم . وذنبها باق في فلسطين . ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب الا بعد تدمير العالم ، والتربع على انقاضه تحت حكم ملك يهودي يحكم العالم من القدس .

الذهب والصحافة والفساد :

وقد كان من أهـــم الوسائل التى ساعدت اليهودية العالمية فى السيطرة على الدول والشعوب وسيلتان خطـــيرتان وهمـــا : « الذهب » و « الصحافة » . ولهذا القى الحاخام ريتشورن خطبة فى اجتماع سرى عقده اليهـود على قبر قديسهم « سيمون بن يهودا » فى مدينـــة براغ سنة ١٨٦٩ م . وقد نشرت هذه الخطبة بتاريخ ١٨٨٠/٧/١ م . وجاء فيها :

« اذا كان الذهب هو القـــوة الاولى ، فان الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الاولى . فعلينا بواســـطة الذهب ان نستولى على الصحافة ، وان نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة للرشوة . وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحيـــاة العائلية والاخلاق والدين والفضائل ! ..

ثم قال الحاخام :

« شعبنا محافظ مؤمن متدين . ولكن علينا ان نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية ، فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر اهـــم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد ! ..

« علموا ابناء يهودا هذه التعاليم التى ستجعل من شعبنا شجرة مثمرة عظيمة تحمل اغصانها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء » !

أسلحة اليهودية العالمية :

وقد علق المؤلف القائد عبد الله التل على هذه التعاليم ، فقال :

« وكل مطلع على التاريخ اليهودى ومراحله ، يدرك كم من هذه التعاليم قد تحقق ، والى اى مدى نجحت الحكومة المستورة فى تحقيق اهدافها بالنسبة لبلاد كثيرة اهمها بريطانيا وامـــيركا وفرنسا .. » !

ثم تحدث فيما بعد عن الأسلحة التى استخدمتها « اليهودية العالمية » فى دعم حكومتها المســـتورة وبسط سيطرتها على الشعوب . ومن هـــذه الأسلحة « الجمعيات الماسونية » التى انشأوها فى كثير من الشعوب . وهى جمعيات سرية تدعو فى الظاهر الى الحرية ، والاخاء ، والمساواة ، ولكنها فى الواقع تخدم أهداف اليهودية العالمية ، وتأمين سيطرتها على العالم . ولقد كشف المحفل الماسونى الأعظم فى بريطانيا عن نواياه حين جعل من اغراض الماسونية :

١ — المحافظة على اليهودية .

٢ — محاربة الاديان بصورة عامة ، والكثلكة بصورة خاصة .

٣ — بث روح الالحاد والاباحية بين الشعوب.

ومن بريطانيا تأسست باشراف المحفل الماسونى الأعظم تلك المحافل الماسونية منذ سنة ١٧٣٢ م فى كل من فرنسا ، واسبانيا وجبـــل طارق ، والمانيا ، والبرتغال ، وهولنـــدا ، وسويسرا ، والدانمرك ، وايطاليا ، والبلجيك ، وروسيا ، والسويد ، والهند .. ثم تأسست محـــافل اخرى فى الولايات الأميركية المتحدة حتى بلغت منذ ذلك الحين الى اوائل القرن العشرين خمسين محفلا تضم مليـــون أمريكى . كما تأسست باشراف المحفل البريطانى الأعظم كل من محافل الماسون فى كندا ، واستراليا ، ونيوزيلنـــدا ومصر ، وسورية ، وسائر بلاد الشرق الأوسط.

وهذه المحافل كلها مؤسسات يهودية ، تدل عليها تلك النشرة اليهودية التى صـــدرت فى سنة ١٨٦١ م وقد جاء فيها :

« ان روح الماسونية الأوربية هى روح اليهودية فى معتقداتها الاساسية لها نفس المثل ، واللغة ، وفى الأغلب نفس التنظيم .. والآمال التى تنير طريق الماسونية ، وتدعمها ، هى الآمال التى تنير طريق اسرائيل وتدعمه . ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع ، حيث تكون القدس رمزا وقلبـــا منتصرا .. » .

وفى سنة ١٨٦٦ — كما روى المؤلف — قال الحاخام الدكتور ايزاك وايز فى احدى المجلات الأمريكية :

« الماسونية مؤسســـة يهـــودية فى تاريخها ودرجاتها وتعاليمها . وكلمات السر فيهـــا وفى ايضاحاتها .. يهودية من البداية للنهاية !!

خداع الماسونية :

ولقد خدعت الماسونية كثيرا من رجال الشرق والغرب ، وانضم اليها عدد من القادة والأمراء والوزراء . وتغلغلت الماسونية فى الأوساط العليا ،

وبين كبار الشخصيات البـارزة ، وساعدها البعض – وخاصة فى بلاد الغرب – فى تدمير مقومات الشعوب وتحطيم الحكومات ، والقضاء على الأخلاق والدين ، واثارة الفتن والحروب التى تنتهى دائما لمصلحة اليهود . وانساق كثير من العرب البارزين فى تيار الماسونية ، حتى سمحت بعض الحكومات العربية بتغلغل محافل الماسون فى بلادها . فأصبح لها شأن كبير فى هذه البلاد.

ولقد اهاب « المؤلف » بالحكومات العربية أن تسارع الى القضاء على تلك الجمعيات السرية ، والغاء محافلها ، كما فعلت « الجمهورية العربية المتحدة » برياسة زعيم العروبة والاسلام جمال عبد الناصر . فقد اصدر فى ابريل سنة ١٩٦٤ م قرارا بالغاء المحافل الماسونية فى جميع انحاء الجمهورية ، ومصادرة املاكها واموالها لصالح معونة الشتاء .. !

أبناء العهد :

هذه الماسونية هى احدى الأدوات التنفيذية لسيطرة اليهودية العالمية على الأقطار والشعوب.

وهناك جمعية « بناى برث » أى أبناء العهد ، وهى فرع من الماسونية العالمية ، ولكنها لا تضم الا اليهود فى محافلها .

أما الصهيونية، فهىأحدث الأدوات التنفيذية، وأهم الوسائل الفعالة للسيطرة ، واخطر الحركات اليهودية التى تخدم اغراضها . وقد انشـأها الصحافى النمسوى تيودور هرتسل ، ووضـع كتابا اوضح فيه اهدافها التى تتلخص فى جمع اليهود ، وتوطينهم فى دولة يهودية خالصة . وقد توسل تيودور هرتسـل بكل الوسائل لتأييد حركته ، واستغل سماحة الاسـلام التى كان اليهود يعيشون فى ظلها آمنين مطمئنين ، واخذ يستدر عطف خليفة الاسلام والمسلمين فى ذلك الوقت « السلطان عبد الحميد الثانى » . وحينما قابله سنة ١٩٠١ م و سنة ١٩٠٢ م حاول اقناعه باستدرار عطفه تارة ، وبعرض المال والاغراءات الكثيرة التى تدعم حكم السلطان تارات أخرى غير انه فشل فى الحصول على وعـد سلطانى باستيطان فلسطين ، وتهديدها واقامـة دولة يهودية ! ..

ولقد كانت المؤتمرات التى عقدها الصهيونيون من أخطر ما تمخضت عنه الحركة الصهيونية ، فى سويسرا والنمسا وغيرها من البلاد الأوربيـة، فقد اتخذت هذه المؤتمرات قرارات خطيرة سرية وعلنية . خلاصتها تأسيس دولة يهـودية فى فلسطين ، يمهد لها بشراء اليهود أراضى العرب، وتقوية الحركة الزراعية ، وتنمية موارد اليهود المالية ، وانعاش الثقافة العبرية فيها ! ..

عصبة الأمم ، والأمم المتحدة :

ومما يلفت النظر ، ويدعـو الى العجب ، ما كشف عنه السيد عبد الله التل فى كتابه ، كشفا يعد من اهم الكشوف التى حوتها أبحاثه الدقيقة المهمة – ذلك أن عصبة الأمم ، والأمم المتحدة ، كانتا من نتائج أبحـاث المؤتمـرات السنوية اليهودية ، ومن مقرراتها السرية التى كانت تسمى « مقررات حكماء صهيون » فقد اشار « القاضى ارمسترونج » من مدينة تكساس بأمريكا فى كتابه « الخونة » طبعة سنة ١٩٤٧ م الى مؤتمر الصـهيونيين الذى عقـد فى بال سنة ١٨٩٧ م فقال :

« ان فكرة قيام عصبة الأمم ، والأمم المتحدة، ويتبعها امبراطورية صهيونية عالمية ، قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى .

« لقد أعلن الصهيونيون المجتمعون فى هـذا المؤتمران هدفهم يرمى الى اخضـاع الشعوب المسيحية فى العـالم ، وتأسيس امبراطورية صهيونية يراسها ملك ، يكون امبراطـورا على العالم كله .. » .

وقد نشر المحامى اليهودى هنرى كلين – الذى طرد من صفوف قومه – مقالا فى جريدته « صوت المرأة » فى شيكاغو سنة ١٩٤٥ م ، جاء فيه :

« ان البروتوكولات وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم ، أمر حقيقى ثابت ، وان زعماء الصهيونية يكونون « مجلس سانهـدرين الأعلى » الذى يرمى الى السيطرة على حكومات العالم . ولقد طردنى اليهود من صفوفهم ، لأنى انكرت عليهم خططهم الشريرة » !

اللاسامية بدعة يهودية :

أما اللاسامية التى ابتدعها اليهـود كأداة من الادوات التنفيـذية ، للسيطرة على العـالم ، ولتحقيق أغراض اليهودية العالمية ، فقد انتشرت

فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، واستطاع اليهود أن يستغلوا هذه الاداة ، وأن يجعلوها سيفا مسلطا على رءوس البشر فى كثير من الحوادث .

فحين تسببوا فى الحـربين العالميين الأولى والثانية ، وقتل فيهما نحو اربعين مليونا من البشر ، وثار بعض الأحرار الأوربيين ، وحاولوا كشف أصابع اليهود ، صاح اليهود «لاسامية» .

وحين غضب الشعب الروسى من طغيان ستة ملايين يهودى فيه ، واخذ يحـد من نفوذهم وجشعهم ومؤامراتهم ، صاح اليهود «لاسامية» .

وكان جزاء هذا الشعب ذبح ملايين المسيحيين الارثوذكس فى السنوات الأولى للثورة البولشفية (١٩١٧ م) .

وحين اكتشف الانجليز مناجم الذهب والماس فى الترنسفال بجنوب افريقيا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهرع اليهود الى استغلالها ، ثار شعب البوير وهم السكان الأصليون ، فصاح اليهود : لاسامية ! .. ثم اكرهوا الانجليز على خوض حرب قضت على أعمار آلاف من الشباب البريطانى لتأمين وصـول الذهب والماس الى خزائن اليهود فى بريطانيا .. !

وهكذا كلما اجرم اليهود الى طائفة من الطوائف او الى شعب من الشعوب احتجوا باللاسامية ، وصدقهم المأجورون والبسطاء من رجـال الحكومات .

وقد اعترف الصهيونى الأكبر «حاييم وايزمن» حين قال امام لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية فى فلسطين سنة ١٩٤٦ : « **يظهر اننا نحمل اللاسامية فى مزاودنا أينما ذهبنا** » :

الغرب الأعمى :

لا شك أن اليهودية العالمية بأدواتها التنفيذية، وهى : الصهيونية ، وبناى برث (ابناء العهد) ، واللاسامية قد نجحت فى أوربا وأمريكا نجاحا كبيرا وقد تساءل الكثيرون عن أسراره وأسبابه ، ولا سيما فيما يختص بنجاحها فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ويجيب المؤلف على هذا التسـاؤل ببيان عجيب عن هذه السيطرة الضخمة التى فاز بها اليهود فى أوربا وأميركا على المرافق العامة ، وعلى الشرايين الحيوية لحياة شعوب هاتين القارتين

وقد أحصاها فى خمسة عشر مرفقا وشريانا . ونحن نجملها فيما يلى :

١ ــ مصادر الذهب ــ لا فى أوربا وامـيركا فقط ، بل فيهما وفى كل ما يقع تحت نفوذهما من هذه المصادر فى جميع انحاء العالم بواسـطة آل روتشيلد ، وغيرهم من أصـحاب الملايين اليهـود .

٢ ــ اصدار النقد فى كل الدول الأوربيـة والأميركية الكبرى بواسطة البنوك المركزية التى يملكون معظم أسهمها .

٣ ــ السكك الحديدية فى معظم دول أوربا والولايات المتحدة عن طريق تمويلها واسـهم شركاتها .

٤ ــ مناجم الماس والفضة والنحاس والنيكل .

٥ ــ تجارة الأفيون فى العالم .

٦ ــ صناعة الأفلام السـينمائية وتوجيهها لتحطيم الأخلاق والأديان والفضائل .

٧ ــ المبادلات التجارية بين الدول ، وتقدير قيمة الفوائد ، والأرباح ، والكومسيون التجارى .

٨ ــ الموضة الأزياء من أجل تخريب البيوت ، وتدمير الحياة الزوجيـة نتيجة الاسراف ، ومجاراة الموضة ، والقضاء على الادخار .

٩ ــ شراء أسهم قناة السويس وقناة بنما منذ أول انشائهما .

١٠ ــ شراء جميع المواد الغذائية فى كل من فرنسا وبريطانيا وكندا والولايات المتحدة والاتجار فيها .. !

١١ ــ شراء أسهم معظم البنوك والسيطرة عليها فى بلدان اوربا واميركا ، وخاصة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

١٢ ــ تمويل معظم الحروب الأهلية وتمويل الثورات التى حدثت فى فرنسا واسبانيا وروسيا والمانيا وايطاليا ، وتمويل الحربين العالميين الأولى والثانية ، وقد خرجوا منهما رابحين .. !

١٣ ــ سعيهم فى ايجاد عصبة الأمم أولا ، ثم الأمم المتحدة ثانيا من اجل تحقيق اهدافهـم بمساعدة اصدقائهم الأوربيين والأمريكان .

١٤ ــ سـيطرتهم على جميع الأحـزاب الديمقراطية والشيوعية بواسطة أصحاب الملايين منهـم .

١٥ — سيطرتهم على الصحافة ، وسائر وسائل الاعلام والنشر من اذاعة وتليفزيون ، ومكتبات عامة ، ودور نشر ، ودور طباعة ، ومصادر اعلان .

وقد اصدرت « جمعية نشر المسيحية » بتاريخ ابريل سنة ١٨٤٦ — اى قبل أكثر من ١١٨ سنة نشرة شهرية جاء فيها :

« ان الصحافة فى أوربا واقعة الى حد كبير تحت سيطرة اليهود . واذا حاول اديب أن يجازف ، ويسعى للوقوف فى طريق اليهود ، للاستيلاء على القوى السياسية ، فانه سرعان ما يتعرض لهجوم اثر هجوم من قبل الصحف الرئيسية فى أوربا » .

وقالت صحيفة « الجرافيك » اللندنية بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٨٧٩ م : **« ان صحافة القارة واقعة الى حد كبير تحت سيطرة اليهود » .**

امثلة خطيرة !

هذه لفتات هامة ، وامثلة خطيرة مما ذكرها المؤلف فى القسم الأول من هذا الكتاب . اما القسم الثانى فيطول الحديث لو اننا استعرضنا ما فيه من نقد خطير ولفتات مهمة . وهو يحتوى على عشرة فصول ، فقد بداه بالعدوان اليهودى الثانى الذى بدأ منذ الاحتلال البريطانى(١٩١٧م) . وينتهى بالعدوان اليهودى السادس لاغتصاب الحياة العربية فى وقتنا الحاضر . وقد تضمنت هذه الفصول مراحل تنفيذ الاعتداءات اليهودية الستة ، وما لازمها من غدر بريطانى وهمجية يهودية . واختتمه بالفصل العاشر الذى تضمنت رايه فى الحل الصحيح للمشكلة الفلسطينية ، موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الأمة العربية وتعانيه الانسانية من ويلات واخطار على يد اليهودية العالمية .

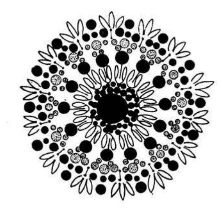
وخلاصة هذا الراى بعد أن أشار الى تلك الدعوة الحكيمة الناجحة التى دعا اليها القائد الرائد الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان من نتائجها عقد مؤتمرى القمة — ان سبيل النجاة من الاخطبوط اليهودى هو قبل كل شيء خوض معركة فلسطين على أساس الجهاد الدينى وأن يتعاون المسلمون والعرب فى هذه المعركة الدينية، ويجدد العرب الصلة بالشعوب الاسلامية ، ويقووا الروابط بينهم ، وأن نعمل نحن العرب على اقناع الأوربيين والأمريكان بشتى الوسائل بما أصابهم ويصيبهم من السيطرة اليهودية على مرافقهم واقتصادياتهم وأن نحارب الدعاية اليهودية فى اميركا واوربا التى تصورنا أمة متوحشة غير متمدينة ، وأن ننمى القوى المادية فى الوطن العربى ، وأن نضاعف ونوحد قوانا الحربية ، وأن نؤمن بأن الغزو الثقافى ، ووسائل الاعلام فى الدول العربية والاسلامية من أهم ما يعتمد عليها فى مكافحة اليهودية ، والقضاء على اغراضها ، وان محاربة المعاصى والمفاسد التى نشرها اليهود فى البلاد العربية ، ولا سيما فى بعض الجيوش من اوجب ما تجب مكافحته بين شبابنا المحارب، وشبابنا المتعلم الذىنعده لبناء مستقبل مجيد وان تعمل الجيوش بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين أوصى قائد جيشه سعد بن ابى وقاص ، فقال :

« آمرك ، ومن معك ، **ان تكونوا اشد احتراسا** من المعاصى منكم من عدوكم . **فان ذنوب الجيش** اخوف عليهم من عدوهم . **وانما ينصر المسلمون** لمعصية عدوهم لله . **ولولا ذلك لم تكن لنا قوة** بهم . **لأنعدونا ليسكعدوهم ، ولا عدتنا كعدتهم،** فان استوينا فى المعصية ، **كان لهم الفضل علينا،** والا ننصر عليهم بفضلنا ولم نغلبهم بقوتنا . ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، وان اسأنا . فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم » ! .

كذلك كانت وصية عمر بن الخطاب حين كان المسلمون اقل من الروم والفرس عدة وعددا ، فاذا ذكرنا ان فى العالم نحو سبعمائة مليون مسلم بين عرب وغير عرب ، وان عندهم من الامكانيات العظيمة ما يستطيعون به ان يقفوا متحدين مجتمعين امام اكبر دولة فى العالم ، استطعنا أن نقول مع القائد عبد الله التل أن عصمة النفوس من المعاصى وبعد جيوشنا عن المآثم والمفاسد ، سيضمن لنا قوتين هائلتين امام الأعداء : **العدد الضخم ، والعدة القوية . وكلتاهما تحققان للمسلمين والعرب النصر المبين فى جميع الميادين .. !**

طاهر الطناحي





فى هذا الكتاب يعرض المؤلف بلغة سهلة مبسطة مع الاستعانة بالأشكال التوضيحية جانبا من عجائب العلم الحديث التى لها صبغة تطبيقية ، كما يتعرض لبعض العلوم المدرسية بطريقة مشوقة . ومما يرفع من قيمة الكتاب اسلوب المترجمين الخالى من الكلفة ، مع تتبعهما لكثير مما تم من تقدم علمى منذ تأليف الكتاب الى حين ترجمته .

ويعالج المؤلف فى الفصل الأول من الكتاب ثروة البحار المعدنية . فالمحيط اعظم خزان يحتوى على الأملاح فى المواد المعدنية ، مثل المغنزيوم والالومينيوم والبروم والذهب ... ، الا انها توجد متحدة بمواد اخرى تجعل عمليات استخلاصها امرا عسيرا باهظ النفقات . فالمغنزيوم مثلا يوجد على هيئة ملح كلورور المغنزيوم . وهو كمعدن أخف من الالومنيوم بكثير ، وله مزايا صناعية عديدة ، مثل احتراقه بلهب لامع ابيض متوهج وهو على هيئةمسحوق، مما زاد من اهميته خلال الحرب العالمية الاخيرة فى صناعة القنابل المحرقة . ويشرح المؤلف بايجاز طريقة استخلاص المغنزيوم من ماء البحر .

ومن المواد التى تستخلص من ماء البحر الالومنيوم والبروم وكلورور الصوديوم والجير.

ويصف الكتاب تفاصيل احد مصانع الجير الذى يحضر من أصداف المحار .

وفى الفصل الثانى يعمد المؤلف الى شرح آلة التبريد . ولكى يوضح طريقة عملها يبدأ بسرد بعض الحقائق الأولى عن الحرارة ، مثل تأثير الضغط على درجة غليان السوائل ، وضرورة التسخين لتحويل السائل الى بخار . ويستخدم كافة آلات التبريد سائلا خاصا للتبريد هو فى اغلب الأحيان النوشادر ، أو غاز ثانى أوكسيد الكربون ، أو حتى غاز ثانى أوكسيد الكبريت ، وهى تكون بخارا فى درجة الحرارة والضغط العاديين ، كما تتكاثف بسهولة عندما تنخفض درجة الحرارة او يزداد الضغط عليها . ويتم ذلك بواسطة مضخة كهربائية أو تعمل بالبخار او البترول .

ويصف الفصل الثالث قصة الثلج الجاف والطريقة المستخدمة لانتاجه ، اذ يجمع غاز ثانى أوكسيد الكربون — الذى من طبيعته انه يبرد الى درجة حرارة اكثر انخفاضا مما يحتاج اليه غاز النوشادر قبل ان يتحول الى سائل — فى خزان صغير ، ومنه ينبثق الى ضاغط قوى، ثم يمرر خلال مجفف ليتخلص الغاز من بقايا آثار الرطوبة ومنه الى مكثف آخر لزيادة عملية التبريد . وهناك عدة استعمالات لهذا الغاز

تأليف . ج . س . رانشو

ترجمة { محمد شمس الدين وعبد المنعم مرتضى

مراجعة : الدكتور على شعيب

الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الهلال ، عدد الصفحات ٢٤٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

خصوصا فى اطفاء الحرائق ومصانع المشروبات الغازية .

ويتحدث المؤلف فى الفصل الرابع عن موضوع خفض درجات الحرارة الى ارقام كبيرة تحت الصفر ، وهى تتطلب استخدام ترمومترات خاصة مثل الترمومتر الكحولى الذى لا تتعدى حدوده نحو درجة ١١٢ تحت الصفر نظرا لتجمد الكحول ، والترمومتر الايدروجينى الذى يتحول الى سائل ويتعذر استخدامه عند درجة نحو ٢٥١ تحت الصفر ، والترمومتر المملوء بغاز الهيليوم الذى يمكن أن يستخدم بصعوبة الى نحو درجة ٢٦٨ تحت الصفر . ولا يمكن الوصول الى درجة حرارة الصفر المطلق (٢٢ر٢٧٣ تحت الصفر) ، نظرا لانه عند حدود درجة ٧٧ر٢٦٧ تتخذ الاجسام العادية خواص جديدة ، وتصبح المعادن هشة سهلة التفتيت .

وللوصول الى مثل هذه المستويات المنخفضة من درجات الحرارة يعمد العلماء الى خفض حركة الجزيئات التى يتكون منها الغاز ، ومن ثم خفض درجة الحرارة . ويتم ذلك اما باستخدام مضخات خاصة أو مجالات مغناطيسية قوية . فبعض المواد تتحرك تحت تأثير المجال المغناطيسى مثل البلاتين ، وذلك لأن جزيئات المعدن ينظمها مجال مغناطيسى . فاذا ما وضعت بلورة من هذه المادة فى حوض به سائل الهيليوم وتعرضت لمجال مغناطيسى قوى جدا فان جزيئاتها تتوقف عن الحركة وتصبح صفوفا منتظمة . وعندما يبعد المجال تسرع الجزيئات فورا فى الحركة ولكنها تحتاج الى كمية من الحرارة لانجاز ذلك تسلبها من سائل الهيليوم الذى تزداد برودته تبعا لهذه العملية . وبهذه الطريقة أمكن الوصول الى درجات حرارة فى حدود جزء من الألف جزء من درجة الصفر المطلق . ومن الفوائد التطبيقية لخفض درجة الحرارة تقليل مقاومة الأسلاك لحمل التيارات الكهربائية . فسلك الرصاص مثلا تتلاشى مقاومته الكهربائية فى درجة حرارة الهيليوم السائل .

ويوضح الفصل الخامس مع الشرح بالرسم فكرة تربين الغاز ، الذى يعتمد على غاز ساخن ناتج من احتراق مخلوط الوقود والهواء معا . وهناك فرق عظيم بين عمليات الاحتراق فى تربين الغاز والاحتراق فى آلة الاحتراق الداخلى ، فهى فى تربين الغاز مستمرة ومتصلة بفضل الوقود والهواء اللذين تغذيانه طول الوقت ، وليس على دفعات ينظمها فتح واغلاق الصمام . وحديثا ظهر نوع من تربين الغاز يعمل بالهواء الساخن المضغوط وحده .

وفى الفصل السادس يتعرض المؤلف لموضوع الطيران فى طبقات الجو العليا ، ويشرح كيف تسرع الطائرات النفاثة فى طيرانها بنفخها تيارا من الغاز بسرعة عالية جدا فى الاتجاه المضاد للاتجاه الذى تسير فيه . ولا يضغط هذا الغاز على الهواء من اجل الحركة ، ولكن الحركة تنجم عن رد الفعل . ولهذا السبب تستطيع هذه الطائرات السبح فى الاجواء العليا التى تزداد فيها رقة الهواء الى حد كبير جدا ، والتى لا تستطيع ان تنافسها فيها الطائرات العادية التى تستخدم المراوح مهما بلغت القوة والدقة .

وتركيب الطائرة النفاثة بسيط ، أما المحرك فيدخل فيه الهواء من الطرف الأمامى ويصل الى ضاغط يدفعه الى غرفة الاحتراق حيث يوجد الكيروسين . وتستخدم الغازات القوية التى تنتج عن الاحتراق فى تحريك تربين يحرك الضاغط ،



ثم تنطلق الغازات من مؤخرة الآلة فى عجلة عظمى .

ويبين الفصل السابع كيف يختلف الصاروخ عن ذلك فى أنه يحمل معه الوقود والاوكسيجين اللازم للاحتراق ، ويشرح امكانيات السفر به وارتياد الفضاء وتعدد المراحل وسفن الفضاء .

ويتعرض المؤلف فى الفصل الثامن للحديث عن محطات قوى محركة على عجلات تستعمل عندما تتعطل محطات القوى المحركة عن العمل . وهى وحدات مستكملة تماما وبها كافة المعدات اللازمة . اما فى الفصل التاسع فنجده يتحدث عن ربط محطات توليد القوة الكهربائية الضخمة ببعضها ، ويتعرض لذكر بعض الحقائق عن الشبكة الكهربائية وابراجها . وينتقل الحديث فى الباب العاشر الى الطاقة الكهربائية التى تستمد من السد العالى ، وفكرة عامة عنه ، ومراحل تنفيذه ، وتربينات التدفق الداخلى والخارجى ، ومحطة التربينات .

ويتجه الحديث بعد ذلك الى ذكر بعض الحقائق عن القنبلة الذرية . وفى الفصل الحادى عشر يشرح المؤلف كيف تسخر الكهارب للعمل ، وفكرة الصمام ، وانواعه المختلفة ، والخلية الكهرضوئية ، وقدرة الصمامات الالكترونية ، ثم يشرح الكتاب بعض الحقائق المتعلقة بالضوء . وينفرد الفصل الثانى عشر بالحديث عن العين الكهربائية ، واستعمالات الكهرضوئية .

ويخصص المؤلف الفصل الثالث عشر لموضوع التكبير مليون مرة ، ويشرح طريقة عمل الميكروسكوب الالكترونى بأسلوب رائع وطريقة سهلة ، كما ينفرد الفصل الرابع عشر بموضوع اذاعة انباء الطقس ، بينما يشرح الفصل الخامس عشر الفرن الكهربائى والمواد التى تصنع فيه ، حيث درجة الحرارة حدود خمسة آلاف درجة!

وعندما نصل الى الفصل السادس عشر ينتقل الحديث الى موضوع صناعة الأحجار الكريمة بكميات وفيرة ، ثم الى أفران النتروجين واساس صناعة المخصبات فى الباب السابع عشر ، وكلها موضوعات شائقة وهامة ولكن لا سبيل الى تلخيصها لضيق المقام .

ومن أروع الموضوعات التى عالجها الكتاب موضوع التسخين بدون حرارة واستعمالات التيارات ذات الذبذبة العالية (الفصل الثامن عشر) ، والساعة الكهربائية (الفصل التاسع عشر) ، وقصة أنبوبة النيون والغازات النادرة مثل الهيليوم والأرجون والكربتون والزينون (الفصل العشرون) ، ومصابيح بخار الصوديوم (الفصل الحادى والعشرون) ، والكشف عن تقلصات الأرض الباطنية وآلة السسموجراف (الباب الثانى والعشرون) ،

واخيرا ، فى (الفصل الثالث والعشرون) ، يلفت المؤلف انظارنا الى موضوع شائق حقا هو موضوع الأصوات التى ترى ولا تسمع ! والأصوات التى فوق حاسة السمع ، وصدى الصوت واستخداماته .

والحق انه كان بودى أن الخص للقارىء بعض تفاصيل هذه الموضوعات العلمية المختلفة الى حد كبير ، والتى تتناول جانبا كبيرا مما نستخدم فى حياتنا العملية ، الا اننى اوثر أن يدفعه الشوق ويحمله حب المعرفة على الرجوع الى الكتاب نفسه .

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

سطور من كتاب ..

« لا تقدم الزهور رحيقها الى كل عابر .. ذلك أنه يبدو فى أثناء عملية نشوء النباتات الزهرية كان هناك اتجاها لكل من النباتات وزائريها من الحشرات . فى أن يكيف نفسه طبقا لاحتياجات الآخر . وهذا ما نجده على أية حال .. حينما لا يقوم أى عامل - سواء كان بشريا أو خلافه - بازعاج هذا الترابط » .

... عالم النحل



نظرا لما تحتله قارة افريقية من اهتمام فى الأوساط العالمية ، ولكثرة الكتب المؤلفة والمترجمة حديثا عن هذه القارة الفتية ، فان مجلة الكتاب العربى .. حرصا منها على متابعة تيار هذه الكتب .. قد آثرت أن تسند هذا الكتاب الى ناقدين علمين على هذا النوع من الاهتمامات .. لذا فان الأستاذين عبده بدوى ومحمد عبد الغنى حسن قد تناولاه بقلميهما فى دقة وحرص .. عسى أن ينال من القارىء رضاه ..

.. المجلة ..

ترجمة : الدكتورة عقيلة محمد رمضان
مراجعة : أحمد صوار

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات ١٤٥ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٢٠ قرشا

يعتبر كتاب « تاريخ افريقية » من الكتب المبسطة المكتوبة عن افريقية ، فهو يمكن أن يخاطب أكثر من مستوى ثقافى ، لأن المقصود منه اعطاء صورة سريعة وذكية للقارىء الذى تشغله الآن افريقية باعتبار أن التاريخ لايقف عندها الآن وانما يعدو عدوا يبهر عين الناظر ، والمتأمل فى حركة تتابع التاريخ .

ولعل هذا يقرب لنا رأى الكاتبة الكينية اليزابيث هكسلى حين ذكرت فى كتابها «افريقية الجديدة» أن أية محاولة للكتابة عن افريقية وتتبع حركاتها لاتخرج عن محاولة التصوير بآلة عتيقة لسباق الخيل ، ذلك لأن الهدف يهتز بحيث يصبح الانسان سعيدا اذا تمكن من أخذ صورة مهتزة .

ومن هنا فالكتاب الذى بين ايدينا الآن لايخرج عن كونه « صورة مهتزة » ذلك لأن الحوادث سبقته ، ولأنه يعرض وجهة نظره بسرعة من خلال تسعة عشر فصلا ، يلاحظ عليها أنها اهتمت بالتأثيرات الحضارية التى وقعت على افريقية ، دون الاهتمام والوقوف بعمق عند الحضارات التى نشأت فيها مثل حضارات : زيمبابوى ، واكسوم ، وآزانيا، واينجاروكا ، ومابونجوبوى .

ودون الوقوف المتمهل عند الدول الاسلامية العشر التى قامت وراء الصحراء الكبرى .

وعلى كل فالكاتبان « رولاند اوليفر » و « جون فيج » ليسا غريبين على الدراسات الافريقية ، بل ليسا غريبين على القارىء العربى ، فقد سبق أن ترجم لهما الأستاذ عبد الواحد الامبابى بحثين ممتازين عن لغز زيمبابوى، ودول غابات غينيا .

ومهما يكن من شىء فالكتاب رغم نقلاته السريعة ورغم فصوله المتباينة الا أنه يضم « خيطا رفيعا » يوصل القارىء الى مايريد أن يقوله المؤلفان .. فالكتاب يبدأ بربتة رقيقة على كتف القارة الافريقية ، فهو يأخذ على الأوربيين أنهم أطلقوا عليها اسم « القارة السوداء » ذلك لأنها لم تكن — وقت اطلاق هذه التسمية — هى الوحيدة المتأخرة فى العالم،

فحين اكتشفوا استراليا كان السكان فيهـا لايزالون يستعملون فى صيدهم أدوات حجرية لاتخرج عن تلك التى كانت مستعملة فى العصر الحجرى ، ولقد كان الافريقيون فى هذا الوقت بالذات قد هجروا هذه الأدوات الحجرية من زمن بعيد يتراوح بين ثلاثة آلاف وستة آلاف سنة .. ويمكن أن يقال هذا بالنسبة الى « الهنود الحمر » فى الوقت الذى كان فيه الافريقيون قد عرفوا الزراعة واعتمدوا على آلات متقدمة بالاضافة الى هذه الحضارة الاســـلامية المتقدمة التى كان ينعم بها الثلث الشمالى للقارة .

والكتاب يذكر أن زراعة المحصول لم تظهر طفرة الا فى مصر بفضل النيل والفيضان وتزايد السكان ، وأنها اهدت الى القارة طريقة الزراعة ، ولم تقف عند حدودها ، بل توغلت فى مناطق كبيرة كانت فى كل واحدة منها تترك أثرا ، وان كان هذا يتوارى حينما استمر ضغط الفاتحين لمصر .

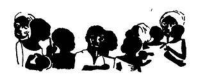
ثم تعرض للحضارة السودانية التى كانت تشغل المنطقة الممتدة من مصب نهر السنغال غربا ، والممتد نحو الشرق حتى النصف الجنوبى لشاطىء البحر الأحمر ، بالاضافة الى المنطقة التى تشغلها قبائل هى البانتو والتى تمتد من منابع النيل حتى روديسيا الجنوبية « فاهم مايميز هذه الحضارة (هو) أن شعوبها الافريقية المختلفة تتبع نظما ودساتير متشابهة كأنها منبثقة من مصدر واحد » ، فقد كان هناك النظام الملكى المحاط بالقداسة ، وكان هناك الموظفون الذين يعرفون اختصاصاتهم ، بالاضافة الى خصب الأرض ، وكثرة المطر .. والغريب هنا أن ينقل الكتاب عن بعض المؤرخين دون مناقشة « أن هذه الأجزاء من افريقية كان يتولى الحكم فيها دخلاء من الخارج أكثر ثقافة من المواطنين الأصليين حتى ليمكن القول بان الدولة السودانية (الأصح الدول السودانية لأنها لم تكن دولة واحدة) ماهى الا امتداد لغيرها من الدول المجاورة » .

ذلك لأن من يقرأ بالتفصيل تاريخ هذه الدول يعرف انها كانت متأثرة بجيرانها ولكن كانت لها شخصيتها ورجالها. ولقد كان المؤرخون العرب القدامى أكثر دقة حين تعرضوا لهذه المناطق ولم يطلقوا مثل هذه الأحكام العامة ، مما نراه واضحا فيما كتبه البــكرى ، والفزارى ، واليعقوبى ، والمسعودى ، وابن بطوطة .. ثم بعد الحضــارة المصرية والسودانية يتعرض الكتـــاب لحضارة « البحر الأبيض المتوسط » التى يعزى انتشارها الى توغل الفينيقيين فى الشمال وفى البحار ، والى تأثير اليونان فى الاسكندرية ، والى تأثير الرومان على دول الشمال الافريقى بعكس مصر فقد كان التأثير الرومانى عليها ضئيلا .. وحين يتردد المؤلفان بين أن تكون حضارة غرب افريقية امتدادا لحضارة البحر الأبيض المتوسط ، وبين أن تكون امتدادا لحضارة البربر ، نرى الكاتب العربى الفزارى (وصحته الفزارى) يسعفهما بما كتب ومن هنا نراهما يقولان « وعلى ذلك تعتبر حضارة غربى افريقية مستمدة من حضارة البربر وليست من حضارة البحر المتوسط التى لم تتعد الجزء الشمالى من افريقية » .

ثم ان الكتاب يتعرض لدور العرب فى افريقية ، ولكنه لن يصل اليها الا بعد أن يكون قد انهك نفسه ، بعد أن تتبع خروجه من الجزيرة العربية الى كل المسارات التى توجه اليها ، ثم يصل الى مصر ، ومنها الى الامتداد الشمالى ، ثم يصل الى أن الخوارج اختاروا لاجئا يدعى « ادريس » ونصبوه اماما ، والحقيقة التى يجب أن تقال هنا هو أن مناصرى الشيعة — لا الخوارج — هم الذين تلقوه بعد أن عبر اليهم مصر ، وأنه بدولة الادارسة كما ذكرت فى كتابى « دول اسلامية فى الشمال الافريقى » قد استطاع ان يحقق حلما أثيرا مبكرا من أحلام الشيعة لأول مرة فى التاريخ الاسلامى ، أما الخوارج فلم يقم لهم تشكيل الا فرع الدولة الرستمية ثم انتهى هذا التشكيل ولم يتكرر .

ثم يؤكد الكتاب ان أعظم ما حققه الاسلام فى الشمال والغرب ، حينما تحولت الحكومات من أيدى العرب الى أيدى المواطنين ، ويقف وقفة طويلة عند دور الفاطميين ، ولعل من غريب الترجمة ما جاء فى ص ٣١ من أن المعز حين توجه الى مصر « ترك خلفه سنهاجا الذى أعلن استقلاله وما كاد يفعل ذلك حتى فقد سيطرته على البلاد » ، فالمعروف أن سنهاجا المذكور ليس اسم رجل وانما اسم قبيلة كبيرة ودولة بعد ذلك هى دولة الصنهاجيين ، وقد يسمون بنى زيرى ، ومن المعروف أن المعز سلم الأمر حين رحيله الى قائـــد صنهاجى يسمى بلكين ، وأنه قال له ساسميك يوسف، وأجعل كنيتك أبا الفتوح ، والقبك بسند الدولة ، ومن الغريب أن سنهاجا هذا قد تكرر فى ص ٣٢ ، ٣٣ على أنه شخص يؤدى فرض الحج ، ويحارب .

ثم حين جاء ذكر دولة المرابطين ذكر أنهم جمعوا الزكاة ، وأنه بهذه الزكاة قامت « امبراطورية عظيمة » ، ولاشك أن الذى تم هو نوع من التبرع ووضع يد الدولة على مصادر الانتاج ، وقد كان من الغريب ذكر الزعيم ابن تومرت أكثر من مرة على أنه ابن توماره ، ومن الغريب أن الكتاب وهو يعدد القوى التى كانت هناك قد ذكر قوى ثانية ، وأغفل ذكر الأغالبة ، والسعديين ، والمغراويين ، والعلويين .. ثم حين تعرض الكتاب لشمال شرقى افريقية وشرقيها ، ذكرانه « لم تقم حروب صليبية أو جهاد فى شرقى افريقية » ولاشك أن بعض المؤرخين يعتبر تدخل البرتغاليين ضد العرب حربا صليبية صغيرة ، اما حركة



الجهاد فقد كانت مستمرة ، ولعل خير من يمثلها الأمام « القرين » فى المنطقة .

أما ولايات غينيا - وقد ترجمت من قبل بدول غابات غينيا - فهى لاتخرج عن دور دول السودان التى سبق الحديث عنها .

* * *

ثم جاء فى الكتاب أن البحر الأبيض أصبح الحــــد النموذجى بين القوتين الاسلامية والمسيحية ، وأن مما لاشك فيه أن هذه المناطق كسبت بالاسلام .

ثم كان دخول الاسلحة ، ومطاردة اسبانيا والبرتغال المسلمين عبر مضيق جبل طارق ، وانكشاف المنطقة بعد ذلك للبرتغاليين .. من الأسباب التى دعتهم الى العمل على فك الحصار الاسلامى حول افريقية ، فاذا أضفنا الى هـــذا ظهور قوى الترك ، والتغلغل التبشيرى ، والمنافسة للحصول على الرقيق ، وتنبه بريطانيا ، وفرنسا ، وعدد آخر من الدول الأوربية .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن افريقية أصبحت « مكشوفة » للعيون الطامعة ، وأن ميزان القوى أصـــبح فى صالح الأوربيين ، وأن هذه الدول أصبحت تنســق جهودها للحصول على مساحات أكبر من افريقيـــة .. وبالرغم من أنه كانت هناك مقاومة ممثلة فى عثمان دن فوديو ، وأحمد لوبو ، والأمير عبد القادر ، ومحمد أحمد المهدى ، الا أن هذه القوى كانت تختفى أمام التقدم الأوربى المسلح .

ثم كان استنزاف القوى البشرية والمادية فى افريقية وكانت الحرب العالمية الأولى والثانية ، وكان ميثـــاق الأطلنطى وهيئة الأمم وتحرر آسيا ، وكان الاصطدام الدائم بالأوربيين من الحكام والمستوطنين والمبشرين ، وقد أدى هذا كله الى أن تسير افريقية فى طريق الحرية الطويل .

* * *

والملاحظة التى لاينساها القارىء هو عدم معرفة الاعلام والأماكن معرفة صحيحة فى كل الكتاب ومن هذا :

ابن طشفين : وصحته ابن تاشفين
الحافصيون : وصحتها الحفصيون
المارينيه : وصحتها المارينيون
جزيرة دحلق : وصحتها دهلك
ابن حوفل : وصحته ابن حوقل
دولة عادل : وصحتها امارة عدل
بماوزنزبار : وصحتها عربيا بمباوزنجبار
البيجة : وصحتها البجة
الامام سيد : وصحته الامام سعيد
البكرى جغرافى قرطبة : البكرى الجغرافى القرطبى
مملكة زغاوى : زغاوة
قبيلة الملثمين : الطوارق
مدينة قيروان : مدينة القيروان
معاوية حاكم سوريا : حاكم الشام

■ وقريب من هذا قولها الامبراطور موسى ، والا قرب الى منساموس هو السلطان موسى .

وقولها كانت تحكم هذه الولايات اسرة صومالى ص ٣٨، وأظن أنه ليست هناك أسرة تسمى صومالى وانما شعب .

وقولها « كانت لحامية تدعى كوش » والكوشيون شعب كان يسكن جنوبى مصر .

وقولها « ويرجع قيام نيجيريا وكانم فى الشرق وصنغاى (نيجيريا وساحل الذهب وغانا حاليـــا) فى الغرب الى الهجرة سواء من الشمال أو الجنوب ص ٢١) ولاشك أن هذا التحديد غير دقيق ، وأن ساحل الذهب كان غانا قبل الاستقلال .

وقد كررت كلمة « الدعوى الاسلامية ص ٢٣ » فى الوقت الذى كانت تقصد فيه كلمة « الدعوة الاسلامية » .

ولعل ما يؤكد أن الترجمة لم تكن دقيقة الكليشهات المعروفة المتتابعة والتى منها فى جمل متتابعة « كان العرب أعداء على شفا حفرة من النار ، فالف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ، وان منزله من عند الله يهدى الى الرشد وليخرج الناس من الظلمات الى النور » .

.. أما تعليقات المراجع فهى سطحية وبخاصة حين يتعرض الى مشكلات دقيقة يبدو وكأنه « يهرج » ويقول مايضحك لاما يليق بكتاب فيه نوع من الجدة .

وعلى كل فالكتاب فى مجموعة يعطى صورة سريعة وذكية للقارىء العربى عن افريقية .

عبده بدوى



قد كان من الممكن - أو من الضرورى - أن يكون كتاب عن تاريخ هذه القارة التى كانت تسمى بالقارة السوداء أضعاف حجم هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم ، وتتناوله بالعرض والتحليل والنقد ، فان أفريقية تاريخها حافل

على مر العصور ، وهو تاريخ مزدحم بالحوادث والتيارات الكثيرة الكبيرة التي شهدت حضارات قديمة عظيمة قامت بدورها الحضاري في التقدم العالمي قديما ، وفي الوثبة الأخيرة الواعية التي تسهم بها أفريقية في المزدحم العالمي لتأخذ نصيبها ودورها في الكيان العالمي .

ولن تنفد مادة الحديث عن هذه القارة التي يقول عنها مراجع الكتاب نقلا عن مادة الكتاب الأصلية : (انها عرفت الطريق الى النور قبل أن تعرفها قارات أخرى مثل استراليا. ولقد ظهرت في افريقية امبراطوريات قديمة عرفت أساليب الحكم والتمدين ونظم الادارة ومعاهد العلم قبل غيرها من الدول ...) .

وفي سبيل المقارنة السريعة بين قدم الحضارة الأفريقية والحضارة الأسترالية يقول المؤلفان : (... كانت هناك بقاع في الأرض أكثر تأخرا في الوقت الذي كانت فيه أفريقية تنعم بحضارة ، وتعيش في رقي . فمثلا عندما اكتشف الأوربيون استراليا كان سكانها يعيشون على حرفتي الجمع والالتقاط وصيد الحيوانات ، مستعملين في صيدهم أدوات حجرية كتلك التي كانت مستعملة في العصر الحجري، وكان الأفريقيون في ذلك الوقت قد هجروا تلك الأدوات الحجرية منذ زمن بعيد ، يتردد بين ثلاثة آلاف وستة آلاف سنة) .

نعم ! كان من الممكن أن يكون هذا الكتاب عن أفريقية أضعاف حجمه ، ولكن المؤلفين عمدا فيه الى الايجاز والتركيز والاشارات السريعة الدقيقة ، وخاصة عندما يتحدثان عن التاريخ القديم الذي تكفي فيه اللمحة ، وتجزىء فيه الاشارة .

على أن هذا الايجاز لم يخل بموضوع الكتاب ، ولم يتنقص شيئا هاما من معالم التاريخ الأفريقي ، ولم يهمل تيارا أو اتجاها أو موجة ، سواء أكانت للقارة أم عليها... فأنت تقرأ فيه عن العرب عنصرا حضاريا مؤثرا في تاريخ هذه القارة ، وتقرأ عن الحضارة المصرية القديمة وامتدادها، وعن قوة الشخصية المصرية ، وتقرأ عن الاسلام وطبيعة الحيوية فيه ، وقد ظهر ذلك في كل مكان دخل فيه الاسلام هذه القارة ، ففي الساحل الشرقي الأفريقي بنى المسلمون أبنية من الحجر عليها سمات البذخ ، وكانوا يجلبون اليها أفخم أنواع الحجارة من سيام ، وأثمن الخزف من الصين، على بعدهما من القارة . وعندما دخل الاسلام في الهند وأندونسيا والملايو وجاوة وسومطرة ، انتقلت تجارة المحيط الهندي الى أيدي المسلمين ، وبدا الثراء على مسلمي شرق أفريقية ، فاكثروا من بناء الدور والمساجد والمقابر على طول الساحل . وتقرأ في الكتاب عن استعداد الشعوب الأفريقية - على اختلاف جهاتها الأربع - لتلقى الحضارات والمشاركة فيها . وقد استأنس المؤلفان هنا برأى ابن بطوطة الذى طاف ببلاد (مالي) - السودان الفرنسي - في منتصف القرن

الرابع عشر الميلادي ، وينقل المؤلفان في هذا الصدد كلام رحالتنا المظيم بأن شعب مالي (قلما يحيد عن العدل ، وهو يفزع من الظلم أكثر من الشعوب الأخرى ، ولا تأخذ سلطانهم أية شفقة أو رحمة بمن تثبت ادانته في اقتراف ظلم . والأمن مستتب غاية الاستتباب) .

وحين يقع نظرك في هذا الكتاب المنصف على هذه الجهات المشرقة من تاريخ الأفريقيين القدماء والمصريين القدماء ، والعرب ، والاسلام ، فانك لاتلبث أن تصادفك وجوه كئيبة مظلمة من الاستعمار ، يوم أن نجح الهولنديون في سنة ١٦٥٢ في استعمار رأس الرجاء الصالح ، حين ظهرت أهميته للملاحة والسفن . وبعدها توالت مطامع الدول الاستعمارية ، واخذت كل دولة تعمل بوسائلها - وأغلبها غير كريم ، لتستعمر من هذه القارة المترامية الأطراف ما تسد به بعض أطماعها ، وأخذت المنافسات الاستعمارية بعد ذلك تظهر - بشكل أو بآخر - في أعالي النيل ، وفي جنوبي افريقية ، وفي الشمال الأفريقي ، وفي غرب أفريقية .

ولم يكن الاستعمار وحده هو الوجه الأوربي الأسود في التاريخ الأفريقي ، فانك تجد في هذا الكتاب وجه حركة الرقيق ، وقد بدأت في القرن السابع عشر عندما زاد طلب الأوربيين للأيدى العاملة ، للمشاركة في زراعة المناطق الاستوائية الأمريكية . واتجه المستعمرون الى أفريقية ليأخذوا منها حاجتهم من الرجال ، ولكنهم حولوا هذه الحاجة العمالية الى أخس نوع من أنواع الاتجار في الانسان . وقد كان عدد الرقيق الذين وصلوا الى أمريكا في سنة ١٦٠٠م تسعمائة ألف ، وبعد خمسين عاما من مزاولة هذه التجارة القذرة التي روجها الغربيون بلغ عدد الرقيق في أمريكا ثلاثة ملايين الا ربع مليون ، وقفز الرقم في القرن الثامن عشر الى سبعة ملايين ...

ولقد اقترنت تجارة الرقيق - كما يذكر المؤلفان الأمينان - بألوان أخرى بشعة ، فقد اقترنت طريقة جمعهم وارسالهم الى أمريكا بأنواع التعذيب والاهمال ، مما جعل حوالى ٢٠ ٪ منهم يفقدون في الطريق عبر المحيط ، هذا بخلاف من يموتون في أثناء المطاردة والصيد والوقوع في الأسر . وأغرت تجارة الرقيق بعض الأوربيين الذين كانت لهم رسالة في التبشير ونشر الدين المسيحي ، فصرفتهم عن ذلك الغرض الديني الى الاشتغال بتجارة رابحة تدر على المشتغلين بها أموالا طائلة ! وكان البرتغاليون - قاتلهم الله - أول من تحولوا عن رسالة التبشير الى المتاجرة في الرقيق في القرن السادس عشر ، حتى لقد كانوا يزاحمون سلطان البابا الروحي ، ويحاولون بكل الطرق الحكومية الدنيئة أن يمنعوا البابا من ارسال بعثاته التبشيرية مالم تكن تحت سلطانهم هم :

وهكذا ترى في هذا الكتاب وجوها مضيئة مشرقة ناصعة للأفريقيين والعرب والاسلام ، وترى الى جانبها وجوها كالحة

للاوربيين والمستعمرين والمبشرين ، الذين أهدروا فى سبيل المطامع المادية الجشعة الرخيصة ما تعارف الناس عليه من قيم ، وما تواضع عليه الناس من أخلاق • وهذه الوجوه السود يذكرها المؤلفان فى صراحة ، لأن الحقيقة لاتخفى ، وكلنا فى الحق نعجب بهما • فقد كان فى استطاعتهما طمس الحقائق ، والمرور على هذه السوءات مرا خفيفا ، ولكنهما يقولان كلمة الحق هنا وهناك ، وان كانت — بالطبع — كلمة فيها كثير من التحفظ • فيقولان مثلا فى موطن : (والى جانب ذلك لم يستيقظ الضمير ليشعر بالشرود وفظاعـــة الرق الا متأخرا) • وينطقهما الله بالحق فى موطن آخر فيقولان : (ولم يكن للاوربيين الذين هاجروا الى غربى أفريقية من هدف سوى جمع المال وتصدير المنتجات وخيرات البلاد • وقد نجح الأوربيون فى ايجاد طبقة من الشعب تشـــبه الأوربيين فى المظهر الخارجى فى حين بقى معظم الشعب على حاله من الجهل والبدائية) •

ويكشف المؤلفان عن دور بريطانيا فى تجارة الرقيق منذ أن كان الضمير العالمى يغط فى نوم عميق تجاه هذه المشكلة الانسانية الى أن استيقظ هذا الضمير متأخرا • ولقد كان الرقيق الذى استقدمته بريطانيا الى مستعمراتها فى جزر الهند الغربية لزراعة قصب السكر عاملا فعالا فى أن تصبح هذه المستعمرات أغلى درة فى التاج البريطانى • ولما عاد السادة أصحاب الأرض البريطانيون الى بلدهم بريطانيا ومعهم حاشيتهم من الرقيق والعبيد أثار منظرهم سخط البريطانيين المتدينين • وقد كان هذا بدء اندلاع الجذوة ضد تجارة الرقيق فى بريطانيا (فقد كان حكم اللورد مانسفيلد المشهور فى سنة ١٧٧٢ أول انتصار حققه جماعة الأنجيل التى نظمت حملة شعواء ضد تجار الانجليز الذين يتاجرون فى العبيد فى بادىء الأمر — وبعد ذلك بالنجاح نفسه — ضد نظام العبودية فى جميع مستعمرات بريطانيا) •

هذه لغة يظهر بها المؤلفان فضل بريطانيا فى حركة مقاومة الرقيق بعد سوءتها فى المتاجرة فيه ، ولكنهما يحاولان دائما ستر سيئات بريطانيا فى الاستعمار الأفريقى ! وفى سبيل هذه المحاولات المكشوفة من المؤلفين — وأغلب الظن أنهما انجليزيان — يخفيان بعض الحقائق الواضحة التى يتصدى مراجع هذا الكتاب — الأستاذ أحمد صـــوار — لتوضيحها • فالمؤلفان يقولان ان اتفاقية سنة ١٩٥٣ التى حققت للسودان تقرير المصير كانت من جانب البريطانيين أو بخطوة منهم ••• ولكن السيد المراجع لايسكت على هذه المغالطة فيعلق عليها مؤكدا أن حكومة الثورة — أى ثورة مصر سنة ١٩٥٢ — هى التى أرغمت بريطانيا عليها (لأنها كانت ترى أن جلاء بريطانيا عن السودان واستقلاله حماية للثورة فى القاهرة من الأساليب البريطانية ، ولذلك جاء جلاء بريطانيا عن السودان قبل الجلاء عن السويس ، فالحقيقة هى أن بريطانيا أرغمت على امضاء هذه الاتفاقية، وليس البريطانيون هم الذين أرغموا حكومة الثورة كما ذكر المؤلفان) •

ومن حسنات هذا الكتاب أنه يظهر فضل مصر ودورها فى القديم والحديث ، ففى نهاية القرن الأربعين قبل الميلاد أحرزت مصر نجاحا فى الميادين الاقتصادية والفنية ، مما يشير بوضوح الى التقدم السريع الذى حققته مصر ، مما أبعد المسافة بينها وبين أى جزء من القارة الأفريقية • كما أن الوحدة السياسية التى حققتها مصر القديمة هى أرقى ماوصل اليه التطور الجبار بعد حياة الغابات والمستنقعات التى مازال يحياها جزء كبير من أفريقية فى الوقت الذى ظهر فيه المجتمع الراقى المنظم يرتبط أفراده برباط الوحدة• ولم يفت المؤلفين أن يشيرا الى فضل الحضارة المصرية القديمة التى امتدت الى قلب أفريقية عن طريق بلاد النوبة وحوض النيل ، كما لم تفتهما الاشادة بقوة الشخصـــية المصرية ، التى كان من نتائجها مثلا أن الرومان أنفسهم هم الذين أخذوا يتلاءمون مع طبيعة مصر ويتأثرون بها ، فقد انفعلوا هم بها أكثر مما انفعلت هى بهم • ومعنى هذا أن مصر تهضم الغزاة والفاتحين •••

أما فضل العرب فى افريقية فلم ينكره المؤلفان ، فلم يكن العنصر المؤثر فى شرقى أفريقية وشمال شرقها أوربيا بل كان عربيا ومصريا (ص ٨١) • وقد تفوق العرب على أهل « نياموزى » لأن تنظيمهم كان أكثر اتساعا ، وقدرتهم المالية كانت أكبر (ص ٨٢) • وقد كان هذا النفوذ العربى فى أفريقية جديرا بأن يستمر قائما متحدا مترابطا لا على الساحل الشرقى والسودان الشمالى فحسب ، بل على السودان الجنوبى وفى أجزاء كثيرة من أفريقية الشرقية والكونغو ، لولا هذا التدخل الأوربى الذى بدأ بالغزو الأوربى لأفريقية تحت ستار الاكتشاف (ص ٨٦ ، ٨٧) •

أما الاسلام فقد وقف المؤلفان منه فى أفريقية موقفا فيه شىء من الانصاف ، (فان غالبية المصريين هم من المسلمين الذين دخلوا فى الدين الجديد ، وتركوا ملة آبائهم) (وذلك لا يرجع الى الضغط عليهم أو الاكراه ، بل لانهيار الكنيسة ، ولذلك اندمج الأقباط فى النظام الجـــديد) « ص ٢٨ » •



وهذه السماحة فى الاسلام والتسامح من المسلمين هو الذى جعل الدعوة الاسلامية تنتشر فى أفريقية — كما انتشرت فى بقية أجزاء العالم — بلا اكراه ولا ضغط ، ولاسيف ، ولا اغراء • وكان التجار المسلمون رســلا لنشر الدعوة الاسلامية بغير منظمات ولا جمعيات ••• (اذ كان تجار السودان منذ القرن الثالث عشر من المسلمين ، وبذلك

نشروا الدعوة للاسلام فى السودان الغربى) » ص ٣٥ » .

وكان من الطبيعى أن يتحدث المؤلفان عن حركات التبشير فى أفريقية . وكما كان التبشير فى الهند سنة ١٧٩٢ ، فانه كان فى أفريقية ، وكانت الأرساليات التى أوفدت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر برتغالية أو أسبانية ، ثم قامت فى سنة ١٦٢٢ محاولة لتركيز أعمال الارساليات فى روما . وفى القرن التاسع عشر ظهرت فى فرنسا أهم الحركات التبشيرية ، وكان رجال جماعة « روح القدس » يعملون فى غربى أفريقية وفى جنوب الكونغو ، وجنوب غربى أفريقية ، وعلى الساحل الشرقى للقارة . وظهرت سنة ١٨٦٨ جماعة « الآباء البيض » الفرنسية الأصـــل بزعامة الكاردينال لافيجيرى (وكان مركزهم فى الجزائر ، ومنها يخرجون للتبشير فى أواسط أفريقيا وفى منطقـــة البحيرات الكبرى ، ومن أوغندا فى الشمال الى روديسيا الشـــمالية فى الجنوب . ومن هـــذه الارســـالية ظهـــرت جمعية الرهبان ، والدومينيكان ، **والجزويت ، والقديس** يوسف) ص ٦٢ . ومن حسن **حظ الاسلام والمســـلمين** أن الشمال الأفريقى قد سلم من هذه الحركات التبشيرية - على الرغم من جهود الآباء البيض فى الجزائر - وبقى هذا الجزء من أفريقية (جزءا من الدولة الاسلامية التى ظلت منيعة فى وجه المسيحيين من الغرب) » ص ٦٣ » .

وبعد ! فهذا هو موضوع كتاب « تاريخ أفريقية » الذى كتبه مؤلفان أجنبيان ، وترجمته الدكتورة عقيلة محمد رمضان وراجعه السيد « أحمد صوار » . أما الترجمة ذاتها فلابد لنا من كلمة فيها ، وهى كلمة كنا نود لو لم تلجئنـــا الدكتورة المترجمة الى قولها ، لاعتبارات رقيقة ! ولكن كلمة الحق فوق كل اعتبار ، ووراء كل مذهب ... وليست الدكتورة عقيلة وحدها هى التى تحمل عبء اللوم الذى سنوجهه ، ولكن يكون السيد أحمد صوار - مراجع الكتاب - شريكا لها وحده فى هذا ، فلابد أن يكون هناك قوم يقررون أمثال هذه الكتب قبل القذف بها الى المطبعة ، ولابد أن يكون هؤلاء القوم أقدر على حمل التبعة الملقاة عليهم . ووالله ما نتجنى فى كلامنا هذا ، ولا نظلم أحدا ، ولكننا نعرض المآخذ الشنيعة ... الشنيعة جدا ، التى تفقا العين ، حتى يخرج الكتاب من مصر - رائدة العروبة - على أكمل الوجوه وأصحها ، أو أقربها الى الصحة والكمال . وحتى لايغبر الوجه الجميل للجمهورية العربية الزعيمة الفكرية ، على هذه الصورة التى لاترضى مخلصا لوطنه ، ولا محبا لعروبته ، ولا جادا بالعلم والمعرفة غير عابث بهما .

وأول هذه المآخذ أعلام الرجال وأسماء البلدان والقبائل ، فلم تكتبها المترجمة بأسمائها العربية التى وضعها لها العرب منذ ثلاثة عشر قرنا ، ولكنها نقلتها عن الانجليزية نقلا ، كما يلفظها الانجليز ، أو حرفتها تحريفا يبعد بها عن أصلها العربى الذى يجب أن يحترم وأن يبقى كما وضعه الآباء والأجداد . واذا كانت المترجمة لاتعرف هذه الاسماء والأعلام عن وطنها العربى الكبير وعن تاريخ قومها العرب ، فقد كان الواجب يحتم عليها أن ترجع الى كتب التاريخ العربى أو تسأل أهل الذكر . ومن أمثال هذه الأخطاء الشنيعة التى لاتغتفر فى كتاب عن التاريخ : -

■ ص ٣١ - (ترك المعز خلفه سنهاجا) . وصوابه « صنهاجة » كما وردت فى كل كتب التاريخ العربى . وصنهاجة قبيلة كبيرة من قبائل المغرب ، وقد جعلتهـــا الدكتورة المترجمة أميرا مغربيا ! (يراجع : المغرب ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى . وفتح العرب للمغرب للدكتور حسين مؤنس ، ومعجم البلدان) .

■ ص ١٥ ، ٢١ - ذكرت المترجمة اسم مملكة الزغاوة هكذا : « زغاوى » أو « زاجاوا » وهى ترجمة حرفية عن الانجليزية لمملكة سودانية مغربية ذكرها المؤرخ ابن واضح اليعقوبى فى تاريخه المشـــهور(١) . وذكر عنهم أنهم (نازلون بموضع يقال له كانم ، ومنازلهم أخصاص من القصب ، وليسوا بأصحاب مدن) . واليعقوبى هذا من رجال القرن التاسع الميلادى ، لا القرن التاسع عشر كما جاء فى الترجمة . وقد توفى اليعقوبى سنة ٢٧٨ هـ - سنة ٨٩١م .

■ ص ٢٧ - ترجمت الدكتورة مدينة « فاس » التى كانت أول مدينة أنشأها الأدارسة فى مراكش هكذا : مدينة « فيز » !! وهى ترجمة مضحكة عن الانجليزية لمدينة وعاصمة اسلامية مشهورة ، ظلت تسمى « فاس » على مدى اثنى عشر قرنا ، الى أن جاءت الدكتورة عقيلة محمد رمضان فأسمتها « فيز » على الطريقة الأمريكية أو الانجليزية !! ويظهر أن ياقوت الحموى رحمه الله قد كان محتاطا لمثل هذا الوهم أن يتسرب الى هذه اللفظة ، فضـــبطها فى « معجم البلدان » هكذا : (فاس : بالسين المهملة ، بلفظ فاس النجار) .

■ ص ١٨ - ١٩ - ترجمت مدينة قرطاجنة الأفريقية هكـــذا : « كارتيج » . وهى ترجمـــة حرفيـــة عن اللفظ الانجليزى . والصواب ماتذكره جميع كتب التاريخ العربى والاسلامى من أنها « قرطاجنة » - (انظر معجم البلدان لياقوت . والمعجب لعبد الواحد المراكشى . وفتح العرب للمغـــرب للدكتور مؤنس) . ومن عجيب الأوهام أن المرحوم الأستاذ محمد سعيد العريان حين حقق كتـــاب المعجب للمراكشى وجدها فى الأصل المخطوط « قرطجنة » بالنون بعد الجيم ، فصححها الى قرطاجة بدون نون ، وقال ان قرطاجنة بالنون من ثغور الأندلس . وقد وهم - رحمه

(١) يجد القارىء الموقع الجغرافى لمملكة الزغاوة واسمها الصحيح فى « أطلس التاريخ الاسلامى » لهازارد ، ترجمة وتحقيق ابراهيم زكى خورشيد . وترد اسم زغاوة فى كل خرائط هذا الأطلس ، فاذا بلغنا القرن العشرين وجدنا اسمها ينقطع ليحل محله منطقة النفوذ الفرنسى .

الله – فى هذا وهما كبيرا(١) ، فان قرطاجنـة هى بالنون دائما ، سواء أكانت افريقية أم أندلسية . وقد ضبطها ياقوت الرومى فى معجم البلدان هكذا : (قرطاجنة : بالفتح ، ثم السـكون ، وطاء مهمـلة ، وجيم ، ونون مشددة) .

■ ص ٣٢ – ترجم اسم يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين المشهور هكذا : (ابن طشفين) !! وهذه أيضا ترجمـة حرفية عن الانجليزية ، مع أن أسماء الأعلام العربية لا تترجم حرفيا ، ولكنها فى الترجمـة ترد الى أصلها العربى . فلا نقول عن محمد : مهمد ; ولا عن على : آلى !! وفى كتاب عبد الواحد المراكشى طائفة كثيرة من أخبار ابن تاشفين هذا وأخبار أسرته ودولته .

■ ص ٣٣ – ترجمت الدكتـورة اسـم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : الحافصيين ! ولا أدرى من أين جاءت بهذه الألف الا أن تكون حرف A فى الانجليزية الذى وقع بعد حرف H وهو المقابل للحاء العربية .

■ ص ٣٤ – كتبت دولة بنى مرين أو الدولة المرينية هكذا : (المارينية) . وشأن هذا الخطأ كشـأن الخطأ السابق فى دولة الحفصيين .

■ ص ٣٢ – كتب اسم محمد بن تومرت الملقب بالمهدى ورأس دولة الموحدين بالمغرب هكذا : (ابن تومارة) بالتاء المربوطة لا المفتوحة والمترجمة والمراجع يعلمان أن النطق يختلف بين التاءين ، فالتاء المربوطة يوقف عليها بالهاء ، على حين أن اسم هذا الأمير يوقف عليه بالتاء . وشتان ما بين الاثنين ..

■ ص ٢٥ – ذكرت مدينة القيروان بغير ال هكـذا (قيروان) والتعريف هنـا ضرورى لأن العرب أسموها القيروان . فليس من حقنا أن نقول : قيروان ، كما ليس من حقنا مثلا أن نسمى مدينة بغداد : البغداد ! ، أو أن نسمى مدينة الطائف : طائف ...

أما الأخطاء النحوية واللغوية فى الكتاب فتفوق الحصر، ومنها – على سبيل المثال :

■ ص ١٤ – (رأسه المقدسة) . والصواب : رأسه المقدس ، لأن الرأس مذكر لا مؤنث .

■ ص ٥٩ – (بأبخث الأثمان) . والصـواب : بابخس . بالسين لا بالثاء .

■ ص ٦٠ – (وبرغم ما بذله هؤلاء الأسياد) . والصواب : السادة : جمع سيد بفتح السين وتشـديد الياء المكسورة – . أما الأسياد فهى جمع سـيد ، بكسر السين . وهو الذئب . ولا محل لها هنا .

■ ص ٢٣ – وضعت المترجمة للدعوة الاسلامية كلمة الدعوى ... وشتان بين الاثنين ! وتتسم الدعوى بالادعاء والبطلان ، ولو كان الأسلام دعوى ما دخل فيه أحد ! وقد تكرر هذا الوهم الكبير غير مرة فى تلك الصفحة .

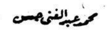
اما الأخطاء المطبعية ففى الكتاب منها قدر كان يجب تلافيه . ومن أمثالها :

■ ص ٥٤ (قضت تجـارة الرقيق على آمال البرتغاليون) . والصواب : البرتغاليين .

■ ص ٨٥ – ورد اسم زنزبال . وصوابها : زنزبار .

■ ص ٢٤ – جاء اسم حصن بابليون المعروف فى تاريخ الفتح العربى لمصر هكذا : حصن نابليون بالنون فى أول الكلمة .. ويشهد الله أن نابليون كان فى زمن الفتح العربى لمصر جنينا فى ضمير الغيب !

وبعد : فهذا هو كتاب « تاريخ أفريقيـة » عرضت موضوعه ، وترجمته العربية بما فيها من جهد كان يجب أن يستكمل ، ونقص كان يجب أن يستوفى ، ولعل ذلك متدارك ان شاء الله فى طبعة صحيحة مقبلة نرجوها لهذا الكتاب الثمين .



(١) وقد سـبق سعيد العريان الى هذا الوهم العلامة ابراهيم اليازجى ، وصححه له الدكتور يعقوب صروف فى مجلة المقتطف عدد مايو سنة ١٩٢٥ ، كما صححه اللغوى المشهور جبر ضومط .

سطور من كتاب ....

« ان الفكرة أو المثل الأعلى فى عالم الأدب ليس طبعا بحاجة الى برهان . ففى مسرحية « دون كارلوس » التى كتبها شيللر يهلك المثالى ماركيزبوزا ، ولكن مطالبته بحرية الفكر مازالت حية بقوة .

وبالرغم من بذلها غاية الجهد لتحقيق ماهو معقول وخير، فان السيدة الفنج فى مسرحية « الأشباح » تمنى باخفاق ذريع ، ومع ذلك فان انتقادها للمجتمع مازال قائما » .

.... روائع التراجيديا فى أدب الغرب

كتاب في الطريق

مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد

وهاهو طريقنا الرابع .. في ضاحية على أطراف القاهرة.. حيث الهدوء الشامل يقطعه القطار بضوضائه .. يؤكد لنا أننا دائما في معمعة الحياة ، ويربط بين وقارالهدوء وتاريخه وبين تيار الحاضر المتدفق .. لكن فرحتي بلقـاء رجل كرمتـه الدولة في عيدها بأعلى جائزة لديها .. جعلتني أعيش بين كتبه على صوت عجلات القطار .. ثم آمل طامعا لأقول .. هل من مزيد .

جمال بدران

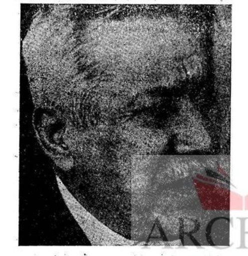
● **هل تسمح لى بان اعرف شيئا عما تفكر فيه الآن ...**

تسألنى عما أفكر فيه الآن .. واستطيع ان اقول لك انى على العموم افكر فى احوال مجتمعنا كما كنت أفكر فى مجتمعنا دائما . ونحن الآن فى عصر انتقال سريع الحركة من نظام اجتماعى متخلف الى عصر جديد منطلق نحو ازالة كل ما كان يسبب لنا التخلف وبناء ما يهيىء لنـا سبل التقدم والترقى . فمن الطبيعى لى أن أفكر الآن فيما ينبغى لنا فى هذا العصر حتى تتحقق لنا أهداف مجتمعنا فى التقدم والترقى.

● **هل يمكن أن يكون هذا الشىء نقطة ارتكاز لكتاب جديد لكم .. ما هى الأسباب ؟**

ارجو ان اتمكن من تاليف كتاب جديد على اساس ما يشغل فكرى من مناقشات فى المواجهة بين نظامنا الاجتماعى الجديد والنظام السابق والمواجهة بين المفاهيم الفكرية وما يطرا علينا من عناصر فكرية حديثة .

ومما يشغل فكرى الآن ايضا ان نظـامنا الاجتماعى الجديد يحتاج الى ايضاح المعنويات الانسانية التى يقوم عليها النظام الجديد والمثل العليا التى يهدف لتحقيقهـا .. كالعـدالة والمساواة فى الفرص والتعاون على الخـير ، وسائر المعنويات التى تنطوى فى واجبـات



المواطن فى النظام الجديد . واعتقد أن بعـض المفاهيم الفكرية التى طرات على مجتمعنا تحتاج الى مناقشة ويقظـة حتى نتحقق من ان كل اضافة فكرية ينتظـر منها أن تزيد مفهوماتنا وضوحا وصلاحا .

● **لو خيرت فى انتقاء كتاب من كتبك الكثيرة لتنال عنه جائزة .. فاى كتاب تختار ؟**

لو سلمت بأنه من الممكن ان اختار كتابا من مجموعة كتبى التى نلت عليها الجائزة التقديرية بعد ان نال نصيبه من التقدير فى هـذه الجائزة التقديرية الشاملة فانى ــ نزولا على رغبتكم ــ اخص بالذكر كتابا كان من اقل كتبى رواجا وهو « آلام جحا » .

● **هل يستطيع القراء ان يعرفوا شـيئا عن الجوانب الهامة فى هذا الكتاب ، وما الهدف الذى جعلك تلتزم بافراد كتاب له ؟**

السبب فى ذكرى لكتاب « آلام جحا » هو ان

تراثنا الشعبي يصور لنا (جحا) كرجل مضحك، أو (مهرج) في حين اني رايت في نوادره فكرا عميقا وفلسفة انسانية بعيدة المرمى . فأردت أن اتخذ شخصيته وسيلة للتحدث عما في نفسي من أفكار تتصل بحياة الناس في بلادي ، بل في العالم كله من تناقض ونفاق . وهذه الافكار يتضمنها الجزء الأول من الكتاب وهو « جحا في ما هوش » وقد اتخذت شخصية جحا ايضـا وسيلة للحديث عن مجتمعنا الماضي وما كان فيه من ظلم وانحراف عن الحق والتنـديد بالقيم والمقاييس المعنوية التي كانت سـائدة فيه . وأولى بي أن ادع تفصيل ما أقصده في هـذه الكلمات لمن يهمه أن يقرأ الكتاب .

● **اتعتقـد ان جائزة الدولة التقـديرية التي نلتموها هذا العام فيها التقدير الكافي لكتاب واحد من كتبك مثـل « زنوبياملكة تدمر أو الوعـاء المرمري أو السـيد عمـر مكرم أو امتنا العربية أو انا الشـعب ؟ لماذا ؟**

أعتقد ان الجائزة التقديرية التي نلتها .. فيها معنى التقدير ، وهو اني جاهدت في سبيل الأدب العربي واستحققت من أجله تقدير الدولة التي تنطق بلسان المجتمع .

● **الظاهرة المشتركة في غالبية الجوائز العالمية انها لا تتكرر لأديب أو عالم واحد .. فما هو الأساس المعنوي المبرر لذلك ؟**

الجوائز التقـديرية في أغلب الجـوائز التقديرية في العالم لا تمنح الا مرة واحدة لأديب أو لعالم ، وذلك لحكمة واضحة .. وهي فسح المجال لكل اديب ممتاز أو عالم ممتاز أن يحظى بالتقدير عن كل اتجاه .

● **أفي الامكان أن نعتبر تقدير الدولة لكم بهذه الجائزة حافزا لكتاب جديد ؟ لماذا ؟**

الجائزة التقديرية وان كانت عن أعمـال سابقة فانها تتضمن ايضا التشجيع والحافز على أن يستمر الفائز بها في جهاده المشكور .

● **لو طلب القراء منك أن تفرد الكتاب الجديد لقضية الشعر بين القديم والجديد .. فما الموقف الذي تتخذه منها ولماذا ؟**

ليس في الشعر قضية بين قديم وجديد . الشعر خالد اذا كان جديرا بوصفه انه شعر ، يعني ان يكون جامعـا للمعنى الرائق الجميل العميق الذي يلمس القلب مع امتيازه بالتعبير البديع والموسيقى المطربة . أما القـدم فانه لا يكسب الشعر ميزة لأنه قديم فقط ، كما انه لا يكسب الشـعر الحديث ميزة لأنه حديث فقط .

● **كل من قرأ ديوان الأستاذ كامل الشناوي الأخيـر .. احس بروحـه الشـعرية الفياضة .. فما رأيك في هذا النـوع من الشعر ؟**

اني اشعر بشاعرية الأستاذ كامل الشناوي واطرب لروحه الشـعرية .. لأني والحمد لله اطرب للروح الشعرية في كل مظاهرها .

● **هل ترى ان الشعر على وجه العموم ما زال محتفظا بقوة تأثيره في جمهور النصف الثاني من القرن العشرين ؟ لماذا ؟**

ان هناك ميلا الى قلة الاهتمام بالشـعر لدى جمهور النصف الثاني من القرن العشرين فعلا .. لأن الجماهير في كل بلاد العالم اقبلت على الاهتمام بأنواع أخرى من القراءة . فهناك العلم المبسط للجماهير وهناك المؤلفات المسلية التي لا تشبه في أسلوبها ما يكتنف الشعر من الصعوبة في الادراك ، وهنـاك أنواع الثقافة المعتمدة على البصر والسمع . وهناك سـبب آخر لقلة اهتمام الجماهير الآن بالشعر وهو اغراق الشعر هذه الأيام في الغموض .. ممـا يجعله قاصرا عن مس مشاعر الكثيرين .

● **صدر كتابك عن عمر مكرم عام ١٩٥١ ، وتنبأت في مقدمة الكتاب بما سوف يسفر عنه جهاد مصر الحديث من انتصار وفوز .. هل بنيت حكمك على نظرية معينة في فلسفة التاريخ أم على ثقتك في حيـوية شعب مصر ؟**

كانت مقدمة سيرة السيد عمر مكرم تعبيرا عن وثوقي بشعب مصر كما عرفته على اختلاف مراحل التـاريخ التي مر بها .. فهو في كل تاريخه يؤمن بالكرامة الانسانية التي هي أساس الايمان بالحرية .

● **ما هو اكثر كتبك رواجا من الناحية المادية ؟ وما السبب فيما تعتقد ؟**

اظن اكثر كتبى رواجا كانت أولا الكتب المتصلة بالشخصيات العربية .. مثل عنترة وزنوبيا والوعاء المرمرى ، وثانيا كتب أنا الشعب . واما السبب فى ذلك فأظنه تقدير الأمة العربية واقبالها على قراءة الموضوعات المتصلة بشخصيات عربية معروفة ، وتقدير المصريين لموضوع (أنا الشعب) الذى يمس موضوعات حياة الشعب فى فترة خطيرة من فترات تاريخنا القريب .

● **هل تفضل اعادة طبعه أم تؤلف الكتاب الجديد ؟ .. لماذا .**

اذا كان لى أن أعيد طبع كتاب من كتبى .. فلست افضل ان يعاد الا كتاب له دلالة فكرية لم تجد فرصة للانتشار الى الآن .. مثل الكتب التى الفتها فى مبدأ حياتى الأدبية .

● **أى نوع من دور النشر تستريح لها فى اخراجها لكتابك ؟**

دار النشر التى طبعت ونشرت أكثر كتبى هى دار المعارف ، وقد استرحت لها كل الاستراحة ولكنى لا أنسى أن أذكر لجنة التأليف والترجمة والنشر .. اذ كانت أول دار نشرت لى ولانها كانت تتحرى فى نشرها خدمة الادب والعلم بقطع النظر عن الفائدة المادية .

● **أى فئة من القراء تهتم بها فى كل كتاب جديد ؟**

لم يكن لى اختيار فى فئة القراء التى اهتم بها فى كل كتاب جديد انشره .. لأن الفئة الوحيدة التى كان من الممكن لى أن أهتم بها هى فئة المثقفين ثقافة عالية أو متوسطة على الأقل .

● **سؤال أخير ومعذرة .. هل تفضل القراءة أم الكتابة .. ولماذا ؟**

افضل الآن أن أقرأ ما دام البصر يساعدنى ، وما دام الكتاب الجيد يستهوينى . ولكن هذا السؤال محرج وصعب .. فانى لا أفضل أحد الاثنين على الآخر .. فانا اكتب أيضا بقدر ما تسمح به قواى البدنية .

لقاؤنا فى الشهر القادم مع ..... من ؟





يعتبر فولتير من أعظم أدباء فرنسا فى القرن الثامن عشر ومن ابرز الفلاسفة أثرا فى تطوير الفكر الانسانى . فقد مهد للثورة الفرنسية بمحاربته التعصب الدينى وسيطرة رجال الكنيسة على الحياة العامة وبما طالب به من مساواة بين مختلف طبقات الشعب امام القانون .

ولد فرانسوا مارى اروية الذى سمى نفسه فيما بعد باسم فولتير (مستعملا فى ذلك حروف اسمه الاصلية : François Marie Arovet) بمدينة باريس عام ١٦٩٤ ، وتوفى عام ١٧٨٧ بعد ان عاد الى مسقط راسه لمدة لا تزيد على ثلاثة اشهر حضر فيها تمثيل مسرحية Irène وقوبل من الجمهور بحفاوة بالغة . ان حياة فولتير تكاد تستغرق الجزء الأكبر من القرن الثامن عشر وهو خير مثل لروح عصره .

ماتت امه ولم يتجاوز السابعة من عمره . والحق بمدرسة لويس الأكبر للاباء اليسوعيين حيث برزت ميوله الأدبية وتعرف على زملاء من طبقة النبلاء . ورغم انتمائه الى الطبقة البورجوازية ، فقد كان يشعر بالمساواة معهم .



وبعد أن اتم دراسته التحق بمنظمة « التامبل » التى كانت تجمع بعض محبى الأدب من المتحررين، مما جعل والده يخشى عليه ويبعده الى هولندا ليعمل سكرتيرا للمركيز دوشاتونوف سفير فرنسا هناك .

وبعد اربع سنوات عاد فولتير الى فرنسا ، ولكن حياته لم تكن اكثر استقرارا . فقد نسبت اليه قصائد فيها هجاء للوصى على العرش ، فأبعد عن العاصمة . وبعد أن عاد من منفاه اتهم مرة اخرى بكتابة قصيدة ضد لويس الرابع عشر ، فسجن فى الباستيل سنة ١٧١٧ حيث مكث حوالى عام . وفى سنة ١٧٢٥ اى بعد مدة لا تزيد عن ثمانية أعوام ، عاد الى السجن مرة أخرى . فقد اهانه احد النبلاء وارسل خدمة يضربونه بالعصى .. ولما حاول فولتير الدفاع عن كرامته ودعوته الى المبارزة ، القى به فى الباستيل فى صباح اليوم المحدد للمبارزة ، ثم سمح له بالخروج على أن يبعد الى انجلترا .

ترك وطنه وهو يشعر بالأسى للمعاملة غير العادلة التى لاقاها فيه وأقام بانجلترا لمدة ثلاثة سنوات كان لها تأثيرا قوى عليه ، فأعجب بما يتمتع به الانجليز من حرية ، وبتسامحهم الدينى وتقديرهم لرجال الفكر ، وخالط كبار الساسة والأدباء الانجليز .

وتنعكس هذه الآراء فى « الرسائل الفلسفية او الرسائل الانجليزية » التى نشرها عام ١٧٣٤ واظهر فيها اعجابا شديدا بالنظم الانجليزية وحمل على التعصب الدينى والتفرقة بين الطبقات . وكانت تلك الرسائل ــ على حد تعبيرا احد النقاد ــ بمثابة قنبلة تهدد النظام السياسى والاجتماعى القائم فى فرنسا . فأمرت المحكمة بمصادرتها واحراقها . واضطر فولتير الى الفرار خوفا من الاعتقال .

وبعد ان امضى عاما فى دوقية اللورين ، نزل فى ضيافة مدام دى شاتليه سنة ١٧٣٦ . وكانت هذه السيدة تمتلك قصر بمقاطعة Champagne حيث كان يسهل عليه اجتياز الحدود عند الضرورة . وامتدت اقامته لديها خمسة عشر عاما . وكان يشترك معها فى القيام بالابحاث العلمية بمعمل انشأته فى قصرها ، يشجعها على

الدراسات الفلسفية والتاريخية ويكتب التمثيليات لتمثل بالقصر .

وفى سنة ١٧٣٦ ، بدأ يتراسل مع الأمير فردريك ولى عهد بروسيا الذى دعاه الى بوتسدام Potsdam سنة ١٧٥٠ بعد أن اصبح ملكا . فلبى فولتير تلك الدعوة وأقام ثلاث سنوات فى بروسيا كانت علاقته بالملك فى بدايتها على أحسن ما يرام ، فكان يصحح له ما يكتبه من شعر رقيق باللغة الفرنسية . ولكن الشقاق دب بينهما فيما بعد وأبلغ فولتير أن الملك فردريك شبهه بالبرتقالة التى تمصر ثم يلقى قشرها ، فضاق ذرعا بحياته فى البلاط الملكى وغادره سنة ١٧٥٣ ، ومعه ديوان شعر الملك على عزم التشهير به فى أوربا . ولكن الملك أمر بحجزه فى فرانكفورت حتى اضطر الى رد ذلك الديوان .

وبعد هذه التجربة المريرة فضل فولتير الا يكون تابعا لأحد ، وكان له من الثراء الواسع ما يمكنه من ذلك ، فاشترى مقاطعة دليس D'elices ثم مقاطعة فرنيه Ferney وأخذ يطبق هناك نظرياته الفلسفية من اصلاح للمجتمع بافساح مجال العمل أمام الفقراء وتنمية الصناعات ، وأظهر نشاطا عظيما فى محاربة التعصب الدينى والمظالم القضائية التى راح ضحيتها بعض البروتستنت مثل كالاس Calas وسيرفن Sirven

وفى تلك الفترة من حياته كتب قصة « كانديد أو التفاؤل » (Candide ou l'optimisme) التى نشرت سنة ١٧٥٩ دون أن يذكر مؤلفها . وهى قصة خيالية ، ولكنها متصلة اتصالا مباشرا بالحوادث المعاصرة التى أثرت فى فولتير مثل زلزال لشبونة الذى أدى الى مقتل اربعين الفا من السكان سنة ١٧٥٥ ، وحرب السنوات السبع التى قامت سنة ١٧٥٦ بين انجلترا وبروسيا من جهة وفرنسا والنمسا من جهة أخرى وما حدث أثناءها من اعدام أمير البحار الانجليزى بنج (Byng) بتهمة الاهمال الذى سبب هزيمته أمام الأسطول الفرنسى .

وكانت تلك الأحداث تتعارض فى نظر فولتير مع مذهب الفيلسوف الألمانى ليبنتز Leibnitz الذى اعتنقه الكثيرون فى ذلك الوقت ويتلخص فيما يلى : « ان كل شىء هو أحسن ما يكون فى أحسن عالم ممكن » . والمعروف عن فولتير أنه من أنصار تقدم المجتمع الانسانى وتطويره ولا يرضى بأى حال أن يظل كل شىء على ما هو عليه يخيم عليه الجمود . ولذلك كتب «كانديد» مستعينا بذكرياته الشخصية عما شاهده من نظام عسكرى صارم فى الحرس الملكى البروسى أثناء استضافة الملك فردريك له . وكان أثناء كتابة القصة يقيم فى قصر أحد النبلاء البروسيين (ويدعى شارل تيودور (Charles Théodore) فى شوتزنجن (Swhectzingen) فجاء قصر « تندر تن ترنخ » (Thunder-ten-Tronckh) الذى يتخيله شبيها به الى حد بعيد من حيث تميزه بالتمسك المفرط بقواعد « الاتيكيت » والتفاخر بالأنساب .

وقد استوحى فولتير بعض فقرات قصته من المصادر الأدبية ، فاستفاد بما كان قد جمعه من مادة لمؤلفاته التاريخية والاجتماعية مثل (Essai sur les moeurs) . ويحتمل أيضا أن يكون قد انتفع بما كان الرحالة قد نشروه فى ذلك الوقت عن أمريكا . ثم أنه استعان بكتاب « دلون » (Dellon) عن محاكم التفتيش (Relation de l'Inquisition de Goa) . ويبدو فضلا عن ذلك أنه تأثر بقصة سويفت (Swift) الشهيرة عن « رحلات جلفر » وبقصص الف ليلة وليلة خصوصا فى الفصل الخاص ببلاد « الدورادو » (Eldorado) فكانديد يصل اليها بواسطة نهر يجرى تحت الصخور مما يذكرنا بمغامرات السندباد البحرى .

ومن خلال القصة يصف فولتير مفاسد المجتمع البارىسى ويعرض آراءه عن الأدب قديمه وحديثه بقدر كبير من الاستقلال والجراة فيهدم ما كان عالقا بالأذهان عن كبار الكتاب . ولكنه اتخذ من هذا العرض وسيلة لمهاجمة أحد أعدائه الشخصيين (وهو الكاتب Fréron) مهاجمة صريحة وصلت الى حد استعمال اسمه كنعت للسب . ولم ينس فولتير تلك الأفكار التى ينادى بها فى أغلب مؤلفاته وهى محاربة التعصب الدينى الذى يعوق الانسانية عن التقدم والتنديد بالحرب

التى تجر عليها الويلات . وفى نهاية القصة يبين موقفه من فلسفة ليبنتز متخذا موقفا وسطا بين الافراط فى التفاؤل او الافراط فى التشاؤم . فكانديد بعد أن يطرد من القصر ويصاب بالنكبات ويرى البلايا تصب على الناس يتحول عن الموقف الذى ظل متشبثا به وينتهى به الأمر الى المناداة بضرورة العمل: « لابد أن يقوم كل شخص بفلاحة بستانه » بمعنى انه لابد ان يعمل كل فرد فى حدود طاقته . فالعمل افضل دواء لمتاعب الانسان واحسن سبيل لدفعه نحو التقدم .

وقصة كانديد تعتبر من أشهر القصص العالمية بما أظهره المؤلف من براعة فى عرض المواقف وتحليل الشخصيات فى أسلوب ممتع تتجلى فيه السخرية اللاذعة . وقد ترجم هذا العمل الهام الى كثير من اللغات وله فى لغتنا العربية ترجمتان . كانت الأولى التى تقدم بها الدكتور لطفى فام لنيل درجة الماجستير من جامعة القاهرة وطبعت سنة ١٩٤٦ . أما الثانية فهى التى قام بها الأستاذ عادل زعيتر وطبعت بدار المعارف سنة ١٩٥٥ .

والذى يثير الانتباه لأول وهلة هو الاختلاف الكبير فى حجم القصة المترجمة . ويقول عادل زعيتر فى ذلك ان لقصة كانديد جزءا ثانيا مشكوكا فى نسبته الى فولتير ولكنه رأى ترجمته ـ على حد تعبيره ـ « لأن الناقد النفاذ لا يكاد يلمس فرقا بينه وبين الأول » . وكان الأفضل أن يقتصر على ما نشرته الطبعات المعترف بها عالميا مثل la Pléiade أو Garnier وأن لا يعتمد على النصوص المشكوك فيها . ومن الغريب ان هذا الجزء الذى يضاف الى الترجمة يحدث خللا خطيرا فى القصة ، بأن الحوادث تبدو وكأنها حشرت حشرا مما يفقد الخاتمة مغزاها الذى اراده المؤلف .

والملاحظ بصفة عامة ان الأستاذ عادل زعيتر يميل الى الالفاز فينتقى الفاظا قد تكون غير مألوفة لدى غالبية القراء ، ثم يضطر الى الاستعانة بالحواشي لتوضيحها . ومن امثلة ذلك قوله : « بين نقرته ومقعده » (النقرة : الثقب فى مؤخرة الرأس ـ ص ٢٩) ، « لم يبق نبر » (النبر : البيت الذى تنضد فيه الغلال والمتاع ص ٣٥) . ثم انه يستعمل تعبير « رجل تعميدى » كترجمة لكلمة anabaptiste وهى طائفة من الناس لا تؤمن بضرورة التعميد (ص٣٣) .

ومع هذا الاسراف فى البحث عن الكلمات الغريبة فالأستاذ المترجم يستخدم الفاظا أجنبية ويعاملها معاملة الألفاظ العربية فى الوقت الذى كان من السهل ترجمتها الى عربية يسيرة : « بارونية مجاورة يملكها سنيور بلغارى » (ص ٣٥) . « أقوى سنيورات » (ص ٢١) « فلورينين » (قطعتين من النقود ـ ص ٣٣) . « بنغلوسك العزيز » بدلا من عزيزك بنغلوس (ص ٣٤) .

والمترجم يستعمل فى بعض الأحيان أسلوبا لا يستسيغه القارىء : « فكيف ادت هذه العلة الرائعة الى هذا المعلول المرذول بهذا المقدار ؟ » (ص ٣٦) ، فاذا قارنا هذه الفقرة بما يقابلها من ترجمة الدكتور لطفى فام ، وجدنا أن الأخيرة تمتاز بسلاسة الأسلوب وان حافظت على معنى النص الأصلى : « كيف تتمخض تلك العلة الجميلة عن معلول يفيض الى هذا الحد ؟ » .

ونكتفى بهذه النماذج لننتقل الى نقطة اخرى هامة . والواقع ان نقل نص من لغة الى اخرى تعترضه صعوبات نتيجة لتطور دلالات بعض الألفاظ او لتعدد معانيها : ولنأخذ مثالين على ذلك ، الأول من كتابة الدكتور لطفى فام حين ترجم كلمة Parcement بلفظة « برلمان » (ص٨) والمعروف انها كانت تطلق فى هذا الوقت على المحكمة فان المحكمة هى التى أمرت باحراق « الرسائل الفلسفية » وليس البرلمان . والثانى من كتابة عادل زعيتر حيث يقول ان فولتير سافر الى انجلترا ليكون « من انصار » المركيز دوشاتو نوف (ص ٨) ، بينما كلمة suite هنا تعنى الموظفين التابعين لمكتبه ، اذ ان المركيز كما سبق ان قلنا كان يعمل سفيرا لفرنسا فى هولندا ، وكان من المكن ان تستعمل كلمة « اتباع » بدلا من « انصار » ، فهى اقرب الى المعنى الذى يحمله اللفظ الفرنسى .

وترجمة اعمال فولتير ليست بالأمر السهل لأن أسلوب الرجل رغم ما يبدو عليه من بساطة

فى الظاهر يعكس الروح الفرنسية البحتة . وقد بذل المترجمان جهدا فى سبيل ذلك . ولكن السخرية التى اشتهر بها هذا المؤلف لا تكمن فقط فى المعانى بل فى مواقع الكلمات وفى نغمها ايضا . وسنحاول اعطاء امثلة من المصاعب التى لمسناها :

M. le baron était un des plus puissants seigneurs de la Westphalie, car son château avait une parte et des fenêtres. Sa grande salle **même** était ornée d'une tapisserie.

فهذه الفقرة التى تحمل روح التهكم ترجمها الدكتور لطفى بما يأتى :

« أما البارون فقد كان من اعظم اشراف وستفاليا نفوذا ، اذ كان ذا قصر له ابواب ونوافذ وحتى بهوه الفسيح كانت تزينه طنفسة» (ص ١٩) .

وترجمها عادل زعيتر : « وكان السيد البارون من اقوى سنيورات فستفاليا لأن لقصره بابا ونوافذ ولأن بهوه الكبير مزين بطنافس ايضا » (ص ٢١) . ويجب ان نلاحظ ان كلمة même لها معان عديدة فقد تعنى (كما فى الترجمة الأولى) أن جميع حجرات القصر — ومن بينها البهو الكبير — بها طنافس . أو « بل ان بهوه الكبير كان مزودا بطنفسة » وهـذا معناه ان وجود هذه الطنفسة كان من أسباب عظمته . وهذا هو الذى قصده المؤلف . فهو يتحدث كأنه احد اتباع البارون البسطاء ، يعجب بكل شىء فى قصره ، حتى الأشياء التى توجد فى كل المنازل . ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان كل قصر فى ذلك العصر كان به بهو مزين بطنفسة .

وفى الفصل السادس من القصة ، ترجم عادل زعيتر تعبير "des appartements d'une extrême fraicheur" ، وهو تعبير يسخر به فولتير من السجن ب « منزلين باردين الى الغاية » وترجمة الدكتور لطفى فام : « فى مساكن قارصة البرد » بما افقده المعنى المقصود . ونقترح النص الآتى : « وقد اقتيد كل منهما الى جناح غاية فى النداوة » .

ومؤلف كانديد يختار الكلمات ومواقعها بحيث تظهر سخريته الباسمة أحيانا au dido écoutait attentivement et croyait innocement نلاحظ ان الوزن يختلف فى سرعته فيشتد النبر على بعض المقاطع . وصياغة فولتير تجذب الانتباه الى كلمتى attentivement و innocement اذ تقعان بعد عدد متشابه من المقاطع فى أهم مواقع الجملة ويقف عندها الصوت . واللغة الفرنسية لا تستسيغ تكرار الفاظ الحال الا اذا استهدف الكاتب التفكه . ويمكن ان تشبه فولتير هنا بمن يستعين بالسجع فى اللغة العربية على سبيل الدعابة .

وسنكتفى بمثل آخر قد يكون اكثر دلالة على تأثير النغمات الصوتية على المعنى . فبعد الزلزال الذى دمر مدينة لشبونة تأمر محكمة التفتيش المكونة من رجال الدين بسجن كانديد ، ثم تعذيبه فى احتفال عام باعتباره خارجا عن الدين . وكان ذلك اجراء وقائيا يمنع فى اعتقادهم تكرار مثل تلك الكارثة الطبيعية . ويقول فولتير واصفا حالة البطل بعد ما تعرض له من تعذيب :

Il s'en **retournait**, se soutenant à peine, prêché, fessé, absons beni

ولنقف قليلا لتحليل الجزء الأخير من الجملة

prêché fessé absous et béni
é é é é é é

نجد أن النغمات الصوتية متناسقة بحيث تتتابع المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة التى يرتكز عليها الصوت ويتكرر حرف é بطريقة منتظمة ربما كانت مملة تذكرنا بما يحدث فى الكنائس من ترديد الدعاءات . ثم نكتشف فجأة أن فولتير قد استطاع بفضل الطاقة الموسيقية الواضحة التى يهبها لنصه أن ينسينا لفظا نابيا دسه فى سياقه . ونعنى به fessé (ضرب على مؤخرته) . ويأتى هذا اللفظ بين كلمات ذات صيغة دينية ولها قداستها عند المسيحيين . (وهى : عظة ، غفران ، وبركة) .

ومن المؤكد أن نقل مثل ذلك النص الى لغة أخرى ، قد يفقده شيئا من طرافته . ولكن ذلك لا ينتقص شيئا من عمل الذين جعلوا هذا التراث الفنى الخالد فى متناول قراء العربية .

الدكتورة فاطمة موسى



وشأنهم

ترجمة حسين الحوت

مراجعة حمدى حافظ

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ،
عدد الصفحات ٢٩٦ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٢ قرشا

أصبحت سياسة التفرقة العنصرية التى تمارسها حكومة جنوب افريقيا من الأمور التى تواجه الانسانية التقدمية وتقلق الضمير العالمى ونقطة عار فى جبين البشرية التى تسعى قدما لارتياد الفضاء والخروج من نطاق قيود كوكب واحد .

وأخذت الشعوب والحكومات فى السنوات الأخيرة تطرح على مائدة البحث هذه المشكلة كلما سنحت فرصة التقاء شعبى أو مؤتمر دولى او اجتماع بين رؤساء الحكومات .. ففى ابريل من عام ١٩٦٠ أصدر مجلس الأمن قرارا بتوجيه نداء الى حكومة جنوب أفريقيا لتكف عن سياسة التفرقة العنصرية .. وعندما عرض الموضوع على الجمعية العمومية أصدرت قرارا بلوم حكومة جنوب افريقيا .. وفى أديس أبابا ندّدت منظمة الدول الافريقية بحكومة البيض فى جنوب افريقيا التى تباشر الارهاب ضد السود .. وتأكد هذا الموقف فى الاجتماع الثانى للمنظمة فى القاهرة .. وعلى نطاق الاجتماعات الثنائية أو غير الثنائية بين رؤساء الدول ، كان موضوع التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا موضع اهتمام .. حتى لقد فكرت بعض الدول الافريقية والآسيوية

فى أن تطلب من الجمعية العامة للأمم المتحدة طرد جنوب افريقيا من المنظمة الدولية وذلك عملا بالمادة السادسة من ميثاق الأمم المتحدة ذاتها ، وتقضى هذه المادة بأن يطرد العضو الذى ينتهك ميثاق الأمم المتحدة .

ووضح للعالم أن حكومة جنوب افريقيا تمعن فى انتهاك ميثاق الأمم المتحدة الذى يستند الى اعلان حقوق الانسان وامتدت التفرقة العنصرية الى كافة صور الحياة ، فى المنزل ، والمدرسة ، والملاهى ، والعمل ، والانتخابات ، والمحاكم ، والمواصلات ، حتى دور العبادة ..

وفى أواخر عام ١٩٦٢ تركزت مأساة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا حول كتاب ، وحول رجل .. وكان الكتاب قد فاز بجائزة نوبل للسلام ، وكان الكاتب رهين تحديد الاقامة من جانب حكومة جنوب افريقيا التى رفضت أن تسمح للكاتب بالسفر لتسلم الجائزة الا بعد ٢٤ مايو من عام ١٩٦٤ وهو موعد انتهاء مدة خمس السنوات المقضى عليه بها بتحديد اقامته.

وتردد اسم « البرت لوثولى » كواحد من ابناء افريقيا الذين يستخدمون الكلمة سلاحا ضد الاستغلال والسيطرة والتفرقة العنصرية .

وتعالت الصيحات داخل اروقة الأمم المتحدة وفى الصحف وفى مجالات الثقافة والادب فى كثير من انحاء العالم تطالب حكومة جنوب افريقيا بالسماح للقائد الشجاع بأن يسافر ويتسلم الجائزة .

وفى كتاب « دع قومى وشأنهم » طالع العالم ماذا صنع الرجل الأبيض منذ أن وطئت اقدامه أرض الزولو ، وكيف يمعن المستوطنون البيض فى ألوان التفرقة التى لا تخطر ببال بشر .. وعرف القراء صفحة مشرقة من النضال الافريقى من أجل التحرر والسلام والديموقراطية ، كل هذا من خلال حياة احد ابناء المنطقة التى تسمى الآن « جنوب افريقيا » .

و « البرت لوثولى » . لا يعرف تاريخ مولده على وجه الدقة ، والغالب أنه ولد عام ١٨٩٨ ، ويؤكد فى كتابه أنه قبل عام ١٩٠٠ على اية حال .. وحديثه عن امه صفحة مشرقة من صفحات نضال ام افريقية تضطر للسير على قدميها يوميا عدة أميال لتوفر لألبرت مصاريف تعليمه اذ انها رفضت فى عزم واصرار ان يظل ابنها « البرت » طوال نهاره يحرس « بغال » البعثة التبشيرية .. ولا يحمل «البرت لوثولى» لأبيه شيئا من الذكريات اذ انه توفى وهو فى سن السادسة قرب مدينة «بولاوايو» فى روديسيا.

وعادت أمه به وباخوته الى بلاد الزولو وهو يردد اطراف اغنية شعبية تقول :

أين نحن يا أبناء افريقيا
لا مقام لنا فى بلدنا

سوف نهيم على وجوهنا .. نهيم .. نهيم
ولكن اين المستقر

يا أبناء افريقيا كم تحملون من اعباء ثقال

وعرف لوثولى الأعباء الثقال التى تحملتها امه ، من أجل تعليمه ، فاستحقت الأم الافريقية الطيبة أن يضعها أبنها فيما بعد على مستوى واحد مع افريقيا بأسرها ، فيهدى كتابه هذا الى أمه أفريقيا والى أمه « متونيا » .

واخذ وجدانه الاجتماعى يتشكل فى المدرسة وهو ينتقل من صف الى صف حتى كان عام ١٩١٦ ، فى احدى مدارس ادنديل ، كلفهم الناظر الأبيض بأن يحملوا الأحجار من النهر الى المدرسة .. ورفض التلاميذ السود لأن ملابسهم ستتمزق من ثقل الاحجار وليس لديهم أموال لشراء غيرها .. والتلاميذ البيض فى فصول مجاورة لم يطلب منهم العمل ذاته .. وتزعمهم « مافوزو » احد زملائهم السود .. ووقف فى وجه الناظر يقارعه الحجة بالحجة .. ولكن ماذا حدث .. لقد طرد « مافوزو » من المدرسة .. واستدعى الناظر الأبيض الشرطة ، واختفى « مافوزو » عن زملائه .. وعرف « البرت لوثولى » أن « مافوزو » اعتقل بموجب قانون الطوارىء بسبب الحرب العالمية الأولى ..

وبدأت أفكار « لوثولى » تتغير انه يقول : « كنا نتلقى تعليمنا على أيدى المعلمين البيض ، ولم نكن نشعر حين ذلك انهم غرباء .. ولم يطرأ على بالنا ان نفسر طبيعتهم حسب لون بشرتهم ، وانما حسب مهنتهم » . ولكن الحادث السابق غير

كل شيء . حتى المبشرين بدأ الأفريقيـــون يحذرونهم .. فكان الرجل الأبيض يقول للرجل الأسود : « عندما تصـــلى اغمض عينيك » ، فيغمض الأسود عينيه ويصلى .. ويكتشف بعد ذلك أن الرجـل الأبيض قـد سرق أرضـــه وزوجته .

ومن هنا تولد الحذر عند « البرت لوثولى » بالنسبة للرجل الأبيض وبدأت قصة الصراع بين « لوثولى » والسلطات البيضاء كجزء من صراع الأفريقيين ضد المستوطنين البيض ، وقد حملت الينا وكالات الأنباء فى الشهور الماضية أن « البرت لوثولى » قد حددت اقامته لمدة خمسة أعوام أخرى ابتداء من مايو الماضى وهكذا يمتد شريط الصراع منذ أن ترســبت فى وجدانه حادثة « مافوزو » الى أن أصبح سكرتيرا عاما لرابطة المعلمين الأفريقين عام ١٩٢٨ ، وزادت التحقيقات معه بعد أن أصبح رئيسا للرابطة فى عام ١٩٣٣ .. وفى عام ١٩٣٦ اختير « لوثولى » حاكما لمدينة « جروتفيل » واخذ ينظم الأفريقين ويستخدم سلطاته فى تبصيرهم وابعاد أذى السلطات البيضاء عنهم ، وانتهى الأمر باجباره على الاستقالة .. وبعد أن استقال واصل نضاله ضد الارهاب الأبيض فاتهم فى عام ١٩٥٦ بالخيانة العظمى بقصد التنكيل به والكيد له ، الا انه لم يثبت ضده شيء ، فلجأت حكومة جنوب افريقيا الى سلاح جديد غريب ، هو سلاح تحديد الاقامة المتصـــل .



والمعلومات التى يسوقها « لوثولى » خلال روايته لقصة حياته غزيرة وشـــيقة ومتعددة الجوانب .. ففى الفترة التى وضعت فيهـــا موقعة « واترلو » حدا لمغامرات نابليون ، تولى السلطة فى بلاد الزولو رجل يشابه « نابليون » فى طموحه هو الملك « شاكا » استطاع أن يكون دولة الزولو وتولى الحكم بعده أخوه «دنجان» .. وفى عهده كانت تقيم جنوبى عاصمته جماعة صغيرة من التجار الانجليز حصلت منه على تراخيص بالاقامة والاتجار .. وكانت أوربا قد بدأت تضيق بعد سقوط نابليون ولم يكن أحد يتصور فى ذلك الوقت ما سوف يؤدى اليه توافر البيض على أقاليم « الزولو » حتى كان عام ١٨٣٥ الذى ظهر فيه عنصر جديد ، فقد جاءت الكنيسة فى أعقاب التجارة ، فتدعم سلطان التجار الانجليز وفيما بين عامى ١٨٣٥ — ١٨٣٧ حدثت الهجرة الكبيرة للبوير ، وفى عام ١٨٤٣ أعلنت « ناتال » مستعمرة بريطانية .. وفى ٣١ مايو من عام ١٩١٠ أقيم اتحاد جنوب افريقيـــا مكان بلاد الزولو الافريقية ومساحته ٤٧٢،٣٥٩ر٨٢٣ ميلا مربعـــا ويتكون الآن من أربع مقاطعات هى : كيب وناتال، وترانسفال ، واورنج وعدد سكانه ١٢ر٦٤٦ر٣٧٥ نسمة منهم ٢ر٦٤٢ر٧١٣ من البيض يزاولون الارهاب والتفرقة والاستقلال ضد بقية السكان.

ويعرض لنا « البرت لوثولى » نماذج مختلفة للتفرقة العنصرية فمشكلة الأجناس معترف بها بحكم قانون عام ١٩٥٠ الذى يقسم البــلاد الى أبيض وأسود ، والشخص الأبيض حسب تعريف القانون هو « من تدل قسماته الخارجية على انه أبيض » ! وقانون الســخرة يصدر رســميا عام ١٩٢٢ ليستغل السود ، أما التنقل والاقامة بالنسبة للافريقيين فينظمهما القانون بما يتفق مع مصلحة الأوربيين .. ففرضت رقابة مشددة لمنع تدفق العمال الافريقيين على المدن ، وعدم مرور الافريقيين فى أحياء البيض . وتتعدد البطاقات التى ينبغى على الافريقى أن يحملها حتى تصل الى ٢٧ بطاقة ، كقانون عقد العمل وايصال الضرائب وشهادة الأعفاء .. الخ وفى عام ١٩٥٣ حكم على ٤٢٧ر١١٠ بموجب لائحة عدم التجول ، وعلى ٤٣ر٩٥١ بخصوص التراخيص . وفى عام ١٩٥٦ ادين ٣٥٦ر٨١٢ من الافريقيين بموجب قـــانون التراخيص . ولا يجوز بحكم القانون أن يرأس رجل أسود أى واحد من البيض .. هذا وأعضاء البرلمان جميعهم من أصل أوروبى وهم أيضـــا الذين يمثلون الافريقيين .. والزواج بين الأبيض وغير الأبيض باطل بحكم قانون عـــام ١٩٤٩ ، والشواطىء مقسمة بين البيض والسود ، وتقديم الخمور للافريقيين جريمة يعاقب عليها القانون.. وفى عام ١٩٥٣ صدر قانون تعليم « البانتو »



الذى يقول فى ديباجته انه لا فائدة من حصول الرجل الأسود على تعليم يرمى الى دمجه داخل الجماعة الأوربية ، اذ ان هذا الوضع مستحيل ..
وعلى هذا نظمت الحكومة التعليم حسبما يتفق ومصلحة الرجل الأبيض فى استغلال الرجـل الأسود .

ولم يسكت أصحاب البلاد الحقيقيين ازاء هذا الوضع ، فكانت صيحات الاحتجاج ترتفع دائما ، وكانت المظاهرات الطلابية التى يواجهها رصاص البيض ، وكانت المظاهرات والاعتصامات وحوادث التمرد ، وتكونت جمعيـات وأحزاب فصدرت القوانين تحرم على الافريقيين الانضمام للجمعيات ، ووقف بعض زعماء السود يحرقون تراخيص المرور فى الاجتماعات العامة تعبيرا عن سخطهم ، وتوحدت حكمة الافريقيين والملونين عام ١٩٥٦ ومن شدة هذا التضامن اقتلعت الحكومة القضية المعروفة « بقضية الخيانة العظمى .. » .

والحقيقة ان الكتاب بمثابة قرار اتهام لحكومة جنوب افريقيا وقد ترجم الى عدة لغات فور صدوره ، ومنها اللغة العربية ، وقد قام السيد المترجم والسيد المراجع بجهد مشكور ليحتل الكتاب مكانه الشاغر فى المكتبة العربية للتعريف بالحركة الوطنية فى جنوب افريقيا وفتح نافذة نقية يطل منها على بلاد الزولو ، والترجمـة دقيقة والعبارة سليمة ، وان كنت الاحظ أن الترجمة العربية لم تحافظ على نطق واحد لاسم المؤلف .. فعلى الغلاف نجده « لوثولى » وهو نطق صـحيح للاسـم الانجليزى Lauthauli ولكنه يعود فى (ص ٢٢) يكتبها «لوتولى » ثم تتكرر الكلمة عشرات المرات فى ثنـايا الكتـاب مرة بالثاء وأخرى بالتاء ولا ندرى لماذا ..

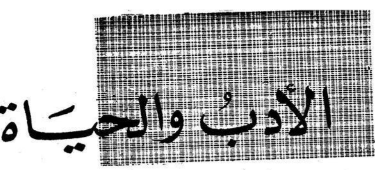
وثم شخص ورد اسمه فى الكتاب ولعب دورا هاما هو « تشارلز هوبر » الذى قال عنه المؤلف انه اشرف على تحضيره ومتابعته ويبدو أنه كتب كثيرا من الحواشى وهو الذى قدم للكتاب ، وكنا نود من المترجم او المراجع أن يقدم«تشارلزهوبر» للقارىء العربى بكلمة قصيرة ويوضح الحواشى التى كتبها « البرت لوثولى » والحواشى التى كتبها « تشارلز هوبر » .

ونلاحظ ايضا أن الشعارات كثيرة على الغلاف الخارجى فهناك (كتب الجوائز العالمية) باللغة العربية وظلا للشعار نفسه بالانجليزية ، ثم شعار (مختارات الاذاعة والتليفزيون) ثم شعار (الدار القومية للطباعة والنشر) ومن الأفضل ان يكتفى بشعار السلسلة التى يصدر عنها الكتاب وتوزع الشعارات الأخرى على الغلاف الأخير والغلاف الداخلى .

اما الأخطاء المطبعية فكان من الممكن تلافيهـا حتى لا تشوه مثل هذا العمل الكبير فى الموضوع والترجمة والاخـراج مثل (الأفريكانو ص ١٣ سطر ٢٧ وصـحتها الأفريكانز ، فاهم ص ١٤ سطره وهى أفهم ، احتياره ص ٢٩ سطر ١٩ وهى اختيـاره ، قواج ص ٣٤ سطر ٢٠ وهى زواج ، كليبتون ص ٢٨٦ وصـحتها كيبتون) وغيرها كثير .

مرة اخيرة ، فان الكتاب جدير بالمطالعـة ، وجهد مشكور من المترجم والمراجـع والنـاشر ولا يقلل من شأنها ما اشرنا اليه بالنقد .

لمعى المطيعى



في المجتمع المصري المعاصر

تأليف : الدكتور ماهر حسن فهمي
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٠٣ ص قطع صغير - الثمن قرشان

الأدب

الأدب في أبسط تعريفاته هو صورة أو تصوير للحياة ، ولكنها ليست صورة فوتوغرافية تصور الواقع وأحداث الحياة مجرد تصوير حسي مطابق للأصل ، اذا ان الحياة العادية تبدو مليئـة بالفوضى التي لا هدف لها ، وتبدو الأحداث فيها مفككة عن بعضها البعض ، ولكننا نحس في دنيا الأدب والفن عقلا وراء هذه الأحـداث ينسقها ويرص بنيانها ، فالأدب اذن هو اعادة تصـوير الحياة تصويرا يدخـل فيه الابداع والتخيـل والابتكار والاختيار .

المناخ الفكري :

وكل حقبة من الزمان تتأثر بعوامل ومؤثرات لا تتوفر في حقبة أخرى . هذه العوامل والمؤثرات تعرف باسم المنـاخ الفكري لكل عصر ، ويطلق عليه بالألمانية اسم (تسايت جايست) وبالانجليزية Climate of Opinion أو على حـد تعبير الشاعر الانجليزي شللي (روح العصر The Spirit of the Age والعصر الحديث يختلف عن العصور السابقة ،

ففي القرن الثامن عشر مثلا نجد في انجلترا العصر النيوكلاسيكي أو العصر الأوجسطي ، فيه قامت الدعوة الى دراسـة آداب الأقدمين ، وظهرت الطبقة الوسطى عقب ثورة سنة ١٦٨٨ التي عرفت باسم (الثورة المجيدة The Glorious Revolution ، وتغيرت بظهور هذه الطبقة معالم الحياة فبرزت الى عالم الوجود قيم جديدة في الأخلاق والعادات الاجتماعية والتذوق الفردي ، ثم نادى الفلاسفة أمثال جون لوك بالتزام جادة العقـل والتسامح والتحفظ في الحكم على الأفكار والأفعال الانسانية ، كما تقدمت العلوم تقدما محسوسا عن ذي قبل ، فعرف هذا العصر باسم (عصر العقل The Age of Reason) . واقتضى هذا كله تغير في النظرة الى الحياة ، وتغير بالتالي شكل الأدب ومضمونه . وتميزت الآداب والفنون عامة في هذا القرن بما تميزت به الآداب الكلاسيكية من **اقتصـاد في التعبير ، ووضوح في الأسلوب ، وتقيد بالشكل ، والتزام الأوزان والقوالب القـديمة في الشعر خاصـة .**

ثم جاء القرن التاسع عشر وضاق الناس ذرعا بهذه القيود وارادوا أن يتحرروا من تلك القوالب

التى فرضت عليهم ، وساعد فى ذلك ظهور عدد من الفلاسفة والأدباء الألمان أمثال هيجل ولسنج وجيته كان لهم أثر كبير فى الأدب الأوروبى عامة ، ثم قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ ودعوتها الى التحـرر ، الى جانب انتشـار فلسـفة جان جاك روسو التى تقضى بالعودة الى الطبيعة . ولذا تميز الأدب فى هذا العصر **بالانطلاق والاهتمام بالمضمون دون الشكل (أى بالأفكار والمعـانى والخيال دون الألفاظ والأوزان) ثم التعبير عن الذات ، ووصف مظاهر الطبيعة بل تاليهها فى بعض الأحيان ، ثم الاغراق فى التصور والخيال .**

ثم يأتى القرن العشرون ، وهو يتميز فى رأيى بعدة ظواهر منها :

١ ـ تقدم العلوم وبخاصة العلوم التكنولوجية تقدما لم يسبق له مثيل .

٢ ـ تقدم علم النفس الحديث وظهور المبادىء النفسية الجديدة على يد وليم جيمس وفرويد ويونج وغيرهم .

٣ ـ قيام حربين عالميتين طاحنتين .

٤ ـ انتشار المبادىء الديمقراطية والاشتراكية فى جزء كبير من العالم .

٥ ـ قيام الثورات التحررية واستقلال عدد كبير من الدول وبخاصة فى افريقيا .

٦ ـ قيام الصراع والحروب البـاردة بين الكتلتين الشرقية والغربية والتسابق فى ميدان التسلح النووى ، مما جعـل العالم يعيش فى قلق دائم وفزع من قيام حرب مدمرة ثالثة ، وهو شعور أشاع الاحساس باليأس والضياع بين صفوف الأدباء والفنانين .

الأدب والحياة فى مجتمعنا المصرى المعاصر :

وفى مصر كان لنا ظروفنا المحلية الى جانب المناخ الفكرى العالمى الذى عاشت فيه مصر فى عصورها المختلفة . ويقول الدكتور ماهر حسن فهمى فى مقدمة كتابه « اذا كان الأثر الغربى قد وضح ، فقد استطعنا أن نتمثله وأن نهضمه ، حتى تبلورت شخصيتنا المستقلة فى الأدب وفى الحياة معا » .

ومما يدعو الى الاعجاب حقا أن يضم هـذا الكتيب الصغير تاريخ أدبنا الحديث فى الشعر والنثر بأنواعهما وكذلك المسرح منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ، اذ أن الدراسات التى أخرجتها المطابع عن أدبنا الحديث لا تعدو أن تكون محاولات متفرقة متناثرة ، فهنـاك دراسة الأستاذ يحيى حقى عن القصة المصرية منذ فجر تاريخها ، وهناك مقالات متفرقة فى مجـلة روزاليوسف ومجلة الكاتب وغيرهما كتبها الشاعر صلاح عبد الصبور والدكتور يوسـف ادريس يحاولان بها أن يؤرخا للمسرح المصرى الحديث منذ نشأته ، ثم هناك دراسات نقـدية لبعض القصص والمسرحيات مثـل كتاب (فى الأدب المصرى المعاصر) للدكتور عبد القادر القط ، و (قصص اعجبتنى) بقلم الأستاذ عباس خضر .

حقائق أدبية :

ونخرج من الكتاب بحقائق أدبية يطبقها المؤلف فى أسلوب علمى على نهضتنا الأدبية الحديثة :

أولا : يتضح من دراسـتنا للمجتمع المصرى وتأثر الأدب به أن فترات النهضة الأدبية تسبقها دائما فترات خمول وضعف فى الأدب ، وهـذا ما حدث بالنسبة لمصر اذ اتسم الأدب فى النصف الأول من القرن الماضى **بالتكلف والصناعة** ، ثم بدأ الصراع بين الثقافة الأجنبية والثقافة الشرقية . وبعد ذلك أصبح الأدب فى وقتنا الحاضر يقص حكاية (جيل يدفعه الى محاولة تغيير المجتمع تغييرا جذريا الانسان الكامن فى اعماقه ، الواعى لذاته المدرك لموقفه الانسانى التاريخى العام) كما يقول المؤلف فى معرض حديثه عن القصة المعاصرة .

ثانيا : وهذه الحقيقـة تؤدى بدورها الى حقيقة أخرى نخرج بها من الكتاب ، وهى حقيقة جديرة بالتأمل نلمحها من بين السطور ، ولو أن المؤلف لم يبرزها بصورة كافية ، وهى أن **عصور الأدب الزاهية** تصحب عادة عصـور النهضـة الاجتماعية والسياسية التى يشعر فيها الشعب بكيانه ويحس بقـوته ومجـده وسيطرته على مقدراته ، وهو احساس لم نشعر به قبل قيام الثـورة .

ومثالا على ذلك نقول ان العصر الاليزابيثى فى انجلترا والذى يعتبر من أزهى عصور الأدب فيها — وهو العصر الذى أنبت شكسبير — كان فى وقت يشعر فيه الانجليز بالمجد والفخار والجبروت ، فقد قهروا أسبانيا بأسطولها الضخم (الأرمادا) ، كما انعكست شخصية الملكة الفذة على أفراد شعبها ، ولذلك كان عصرا يجمع بين شعور الفرد بذاته واعتزازه بقوميته .

وقد تفسر هذه الظاهرة تلك النهضة الأدبية، وبخاصة النهضة المسرحية والشعرية التى تعيشها مصر بعد الثورة ، اذ بدانا نشعر بمصريتنا وكياننا ونتعمق الى جذور الحضارة المصرية والحياة المصرية الأصيلة نستمد منها مادة للأدب فى جميع الوانه . وفى هذا يقول الكاتب حين يتناول الشعر الحديث فى مصر : « هذا الاحساس ، وهذه النفس العربية التى انطلقت فى ايامنا هذه ، كان لابد لها من مظاهر التعبير عنها فى مختلف الميادين ، فكانت الثورات العسكرية هى التعبير السياسى وكان التطور الصناعى هو التعبير الاقتصادى ، وكان الشعر الحر هو التعبير الادبى ، وتقبل الناس له يؤكد احساسهم بحاجتهم الى لون ادبى جديد » .

ثالثا : وثمة حقيقة ثالثة لابد من التنويه عنها ، وقد أشار اليها المؤلف فى الواقع فى المقدمة وفى حديثه عن القصة المصرية الحديثة ، وهى ان الأدب يؤثر فى الحياة كما تؤثر الحياة فى الأدب ،

أو بتعبير ادق ان الادب يوجه المجتمع فى بعض الأحيان ويكون عاملا من عوامل الانقلاب والثورة على الأوضاع الفاسدة كما حدث فى مصر قبل الثورة حين ظهرت قصص رائدة مثل (المعذبون فى الأرض) و (شجرة البؤس) و (احلام شهر زاد) و (عودة الروح) و (أهل الكهف) وغيرها . وكلها ، كما يقول الكاتب « كانت نذيرا بقرب ثورة تغير هذه الأوضاع » .

بضع ملاحظات :

لى بعد ذلك ملاحظات هينة على نقطة أو نقطتين فى الكتاب هو مجرد اختلاف فى وجهات النظر أضعها للمناقشة بين السادة القراء .

واولهما أن المؤلف فى عرضه للقصة المعاصرة يقف بنا عند ثلاثية نجيب محفوظ ، وبخاصة (بين القصرين) على أنها آخر تطور لفن القصة وصلنا اليه ، وهو اتجاه أسماه المؤلف (الواقعية الاجتماعية) التى اقتضت تغييرا فى الاطار وفى التكنيك ، وكنت أحب أن يضيف المؤلف ان نجيب محفوظ خطا خطوة اخرى نحو الادب النفسى الحديث — وهو من احدث تيارات الادب القصصى العالمى المعاصر — بالتكنيك الذى اتبعه فى قصة (اللص والكلاب) فقد استخدم فيها الى حد ما (المونولوج الداخلى) الذى يعتمد على قانون تداعى الخواطر والمعانى أو الذى يسمى فنيا (تكنيك مجرى الشعور The Stream of Conscousness Technique) وهو الذى استخدمته الكاتبة الانجليزية ڤيرجينيا وولف Virginia woolf والكاتب الفرنسى مارسل بروست Marcel Proust ثم وصل به الى ذروته الكاتب الايرلندى الأصل جيمس جويس الذى توفى عام ١٩٤١ فى قصصه (مناحة فينيجان Finnigan's wake) و (يوليسيس Ulysses) وغيرها . وهو بالطبع نوع من القصص استوجبه تقدم علم النفس الحديث ، ونرجو أن تظهر تجارب اخرى فى قصصنا نستطيع ان نقف بها على مستوى عالمى مع القصص العالمية ، كما حدث فى المسرح المصرى المعاصر .

ونفس القول ينطبق على تناول المؤلف للمسرح الحديث اذ لم يشر الى التجارب المسرحية الاخيرة التى ظهرت فى الوقت الحاضر مثل (يا طالع الشجرة) و (الفرافير) و (الزلزال) وغيرها ، وكلها ظهرت قبل صدور الكتاب بوقت كاف ، وما من شك فى أنها تعتبر فاتحة لنهضة مسرحية تربطنا بالحركة المسرحية العالمية من جهة وتستمد مادتها من حياتنا المصرية الصميمة من جهة اخرى

اما الملاحظة **الثانية** فهو الراى الذى قال به الكاتب فى ختام بحثه القيم بعد أن استعرض المسرحية الشعرية الحديثة بقوله :

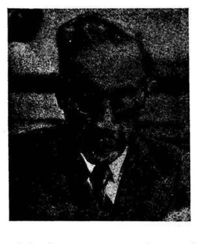
« ولكن السؤال الآن ، هل يصلح الشعر لغة للمسرح الآن . ان المسرحية باتخاذها الحوار

وسيلة لنقل التجربة تختلف عن القصة المقروءة التى ما زال الخلاف على أشده بالنسبة للحوار فيها . ولكى يندمج المشاهد فى المسرحية لابد أن يبعد عن مشكلة اللغة حتى يستغرق فى الأحداث نفسها ، وربما كان الشعر محتاجا للفهم أولا وهذه حجة أصـــحاب المسرح النثرى . ولكن **المسرح لا يصور الواقع الملموس كما هو والا لكانت الصورة الفوتوغرافية اقدر على ذلك ، بل لكان الواقع نفسه أكثر دقة ، ولكن الفن عموما ما يغلف الواقع ويجعله أكثر نبضا ، والشعر أكثر صلاحية لتلك المهمة »** .

هذا الكلام فى رأيى لا ينطبق على الشعر فقط بل على لغة الفن عامة سواء كانت شعرا أم نثرا أم اى وسيلة أخرى من وسائل التعبير الفنى . وانى أختلف مع الأستاذ المؤلف فى أن الشعر اكثر صلاحية لتلك المهمة فى وقتنا الحاضر اذ أن عصرنا ليس عصر الشعر ــ وهذه وجهة نظر شخصية ــ حتى الشعر الحديث أصبح الى لغة النثر اقرب بعد أن **تحرر من قيود الأوزان والقوافى والقوالب القديمة عامـــة** ، وأصبح يستخدم **الفاظ الحياة اليومية** التى تؤدى المعنى ، كما اصبح شعرا **خشنا رصينا** ، الى جانب أن انتشار العلم وتقدمه حاليا أصبح ينمى العقل على حساب العاطفة مما جعل النثر يتجـاوب معنا أكثر من الشعر ، هذا الى جانب الدليـــل الذى ساقه المؤلف نفسه ، وهو أن اهتمامنا بلغة الشعر على المسرح تكون عادة على حساب الأحداث والعمل الدرامى عامة . والدليـــل على ذلك أن معظم التجارب التى أجريت فى المسرحية الشعرية فى مصر والخـــارج ــ حتى بعض مسرحيـــات ت . اس . اليـــوت وكريستوفر فراى ــ قد ثبت فشلها .

ولا يسعنى فى ختام هذه العجالة الا أن أعبر عن اعجابى بهذا الكتاب الذى يعتبر عـلامة من علامات الطريق فى تاريخ ادبنا الحديث أرجو أن يفتح مجالا لاصدار دراسات تخصصية فى كل فرع من فروع الأدب فى مصرنا الحديثة .

على جمال الدين عزت



تأليف : الدكتور جمال الدين الرمادى

بعد مقدمة موجزة أشار فيها الكاتب الى مولد مطران فى مدينة بعلبك ــ بلبنان عام ١٨٧١ م ، وتربيته الأولى، وعكوفه على دراسة أمهات الكتب الأدبية واللغوية ، حتى اضطراره الى الهجرة من وطنه الى باريس ، ثم الى مصر ·· وكيف أسهم مطران فى الحركة الثقافية ، وشارك فى تحرير بعض الصحف ، وأصدر مجلتى « المجلة المصرية والجوائب »، ثم أشار الى مختلف الأعمال التى تولاها مطران الى أن فاضت روحه الى بارئها فى مساء الخميس ٣٠ من يونيو عام ١٩٤٩م·

قسم الكاتب دراسته عن مطران الى ثلاثة أبواب ·· فى الباب الأول تناول :

ا ــ الشاعر والعصر ، ب ــ شـــاعر التجـــديد ، جـ ــ مدرسة خليل مطران · وفى الثانى :

ا ــ نثر خليل مطران ، ب ــ ترجمات خليل مطران ، جـ ــ تحقيق شعر ابن قلاقس · وفى الثالث قدم نماذج مختارة من شعر خليل مطران ·

فاذا أخرنا الحديث عن الباب الأول لأنه أثار بيننا وبين المؤلف حوارا طويلا فان السيد المؤلف فى الفصل الذى عقده لنثر مطران انتهى الى أن نثر مطران لونان ·· نثر فنى يراعى فيه « التأنق والزينة اللفظية والمعنوية والانسجام الموسيقى » ، ولون اجتماعى (عملى) مطلق من هذه القيود الفنية يعالج فيه الحياة بشتى أنواعها ومختلف صروفها··

وفى الفصل الذى بحث فيه ترجمات مطران عن شكسبير وغيره ناقش استعمال مطران للغة مشحونة بالألفـــاظ الغريبة أو البعيدة عن مألوف لغة الأدب فى هذا العصر ، حتى كان مطران يتولى كثيرا من المفردات بالشرح والتعليق فى هوامش مترجماته ، ولعله باختياره هذه اللغة أراد أن

خليل النيل

وشاعر الشرق العربي

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات ١١٧ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ١٥ قرشا

يجارى شكسبير فى جزالة أسلوبه ، وتعبيراته الكلاسيكية القوية ، ولقد أخذ المؤلف على مطران بعض المآخذ الهينة معتمدا على نقدات سابقة لميخائيل نعيمه ، ومقارنا مع الأصل الانجليزى ، ومن المعروف أن مطران قد ترجم شكسبير عن الفرنسية ، لأن الفرنسية كانت لغته الثانية وكان لايجيد الترجمة الا عنها ·· ولذلك ـ كما لاحظ السيد المؤلف ـ كان أكثر توفيقا فى مترجماته عن الأدب الفرنسى ··

أما فى الفصل الذى ناقش فيه المؤلف تحقيق مطران لشعر ابن قلاقس فقد بين أن الدافع الأكبر لمطران كان الحفاظ على جزء من تراثنا الأدبى ، بعد تردده الطويل لأن ابن قلاقس نفسه من الشعراء العاديين الذين لا يكونون ملمحا مميزا من ملامح التراث ، وقد أخذ المؤلف على مطران بعض المآخذ فى تحقيقه ، وعلله بأن مطران شاعر أولا ، وأنـــه « ليس برجل باحث مدقق محقق » ولكل أدواته الخاصة ··

فاذا عدنا الى « الباب الأول » نجد المؤلف فى بداية الفصل الذى عقده عن « الشاعر والعصر » يقدم لمحـــة عن الصلات القديمة بين سوريا (ويعنى بها البلاد الممتدة من جبال طوروس فى الشمال الى صحراء سينا فى الجنوب) وبين مصر ، وهجرات السوريين المتتالية الى أنحاء وادى النيل ارتيادا لسبل التجارة والربح ، أو التماسا للأمن ·· غير أن الهجرة زادت ـ كما يرجع الكاتب ـ منذ أوائل القرن الثامن عشر عندما لجأ الى مصر الروم الكاثوليك هربا من الاضطهاد الدينى فى سوريا ، ثم تدفق تيار الهجرة من الشام فى القرن التاسع عشر ولاسيما بين عامى ١٨٣١ ، ١٨٤٠ عندما قام نوع من الوحدة بين سوريا ومصر أثناء حكم محمد على ·· ثم استمرت الهجرة بعد ذلك فرارا من الاضطهاد التركى ، وخضوعا للزيادة المطردة فى السكان التى لم تكن تفى موارد البلاد باحتياجاتهم ·· وكان فيمن هاجر الى مصر أسر اشتهر أبناؤها بكثير من الحرف الفنية، وأفراد ممتازون فى عقولهم وثقافتهم أسهموا بنصيب كبير فى نهضة البلاد الصحفية والأدبية والمسرحية ·· ومن هؤلاء الأخرين بل من روادهم خليل مطران خليل ··

وهنا نلمح قصورا واضحا فى الصلة بين هذا الفصل وعنوانه ، فقد ألم الكاتب فيه الماما عابرا بحركة الهجرة الشهيرة من سوريا فى غضون القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، تلك الهجرة التى ألفت فيها عشرات الكتب ·· حللت بواعثها وعمقت مدلولاتها مما بدا أن السيد المؤلف لم يستفد منها بشىء فاتسمت كتابته عن الهجرة بالسرعة والعفوية ·· حتى ليقول فى سذاجة حينما تحدث عن الهجرة الى أمريكا : « ومن أرباب الأعمال الذين تثقفوا فى المهجر جبران خليل جبران الذى عرفت لوحاته فى المجتمعات الأمريكية ، وايليا أبو ماضى الذى هاجر الى مصر ، وافتتح محلا صـــغيرا لبيع الســجائر فى الاسكندرية ، ولكن العيش لم يطب له فيها فهاجر الى أمريكا حيث أصدر جريدة عربية هناك » .

فى أمثال هذه العبارة ـ وما أكثرها ـ نحس السرعة الفائقة التى تسيطر على قلم الكاتب ، وتدفع الى الورق بأى كلام ·· فلو رجع الكاتب الى أى مصدر عن حياة جبران لعرف أنه لم يكن من أرباب الأعمال ، وأنه سافر صغيرا ليتعلم فى رعاية أخيه ، ثم تولت شئونه المادية ـ بعد

موت أخيه ـ فتاة أمريكية ، وبرعايتها سافر الى باريس ليستكمل دراساته في فن الرسم ، ثم عاد الى أمريكا اديبا وفنانا يعرض لوحاته وينشر كتبه الأدبية ـ بالعربية وبالانجليزية ومن ريعها ومساندة « ماري هاسكل » كان يحيا حياة رافهة في أخريات حياته .. فجبران لم يكن من أرباب الأعمال ولم يزاول في حياته غير الرسم والكتابة ، وجبران ليس من المجاهيل بحيث تكون كل ترجمته على هذا النحو المختل المبتور ، وليست آية الآيات في حياته أنه عرف بلوحاته في المجتمع الأمريكي ، والذى أطار صيته في الشرق والغرب هي كتبه الانجليزية « حديقة النبي ، النبي ، السابق ، المجنون » ، كما أن ايليا ليست آية آياته أنه انشأ في أخريات حياته جريدة يومية .. هذه كتابة لتاريخ الأدب والأدباء غير جادة ، تشوه صورتهما في أعين الناشئة .. فاذا كان الكاتب يريد أن يذكر للقراء أن من بين المهاجرين من سوريا من كانوا أصحاب جهود مذكورة في عالم الثقافة والفن فليذكر أن المهجر الأمريكي كان يموج بالتيارات الأدبية والفكرية ، وكان موطنا لجماعتين أو بيتين هما « الرابطة القلمية » في الشمال ، و « العصبة الأندلسية » في الجنوب ، تعدان من أهم مدارس الشعر العربي الحديث، وأن من بين أعضاء هاتين الجماعتين من يعتبر من كبار شعراء العربية كايليا أبي ماضي ونسيب عريضة وشفيق معلوف ورشيد الخوري وغيرهم ، وأن جبران يعتبر منطلق تيار تجديدى عارم في الأدب العربي الحديث .. الى آخر ما يمكن أن يقال عن رؤية وتمحيص .. بدلا من الكلمات السريعة التي قد تضر أكثر مما تنفع ..

وأخيرا ..

أين الشاعر من عصره في هذا الفصل .. لقد عرفنا موضع الشاعر من ركب الهجرة .. ولكن أين هو من عصره بما تعنيه كلمة « العصر » من مكونات حضارية خاصة لفترة معينة من الزمن ..

كان أولى بهذا الفصل أن يوضع تحت عنوان « الهجرة من سوريا » مثلا ، أو هجرة الشاعر .. فهو لم يتحدث الا عن تاريخ الهجرة ، وسمات عامة لبعض المهاجرين .. دون أن يلم بروح العصر ، أو يذكر أهم سماته ، فاذا رجع السيد الكاتب الى الفصل الذى كتبه الدكتوران احسان عباس ومحمد يوسف نجم عن ولبنان في القرن التاسع عشر » في مقدمة كتابهما « الشعر العربي في المهجر » لرأى صورة من الكتابة الحصيفة عن ملامح البيئة وروح العصر .

اما الفصل الثاني (شاعر التجديد) فهو أهم فصول الكتاب ـ كما أرى ـ لأن أهم قضية تثار حول مطران هي مدى نصيبه من حركة التجديد ، ونصيب شعره من سمات هذا التجديد وملامحه .. فبعض النقاد يضيف اليه حركة التجديد برمتها ، ويعتبرونه رأس المجددين جميعا ، والبعض الآخر يعتبرونه أحد المجددين ، وربما أقلهم أثرا ، لأن ديوانه حفل بالقصائد التقليدية ، وبقصائد المدح والرثاء والتكريم والتهنئة الى غير ذلك من المناسبات العابرة التي لا تنتج شعرا قيما ، والتى اعتبرت حركات التجديد الحديثة أهم اهدافها تخليص الشعر من أوضار هذه المناسبات ، التي تدعو الشاعر الى التلفيق والكذب ، وتبعده عن الصدق الفني ، واستلهام تجاربه النفسية ، واستبطان أسرار الحياة ..

فقضية التجديد عند مطران لها جوانب متعددة .. أولاها : أنه نشر ديوانه الأول عام ١٩٠٨ م بينما نشر شكرى ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ م ونشر العقاد ديوانه الأول « يقظة الصباح » عام ١٩١٦ م ، كما أن مطران أنشأ قصيدته الرومانسية الشهيرة « المساء » عام ١٨٩٨ م بعد انتهاء قصة حبه العارم في عام ١٨٩٧ م .. وفي هذه القصيدة يمتزج الشاعر بالطبيعة ، ويرى في مظاهرها سمات نفسه المتألمة ، وآثار روحه الحائرة .. فتتهاوى الحدود بين داخل الذات وخارجها ، بين الشاعر والطبيعة ، بين الانسان والكون ، وتعتبر هذه القصيدة أول انبثاقات النزعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، حيث تصبح الطبيعة مرآة لنفوس الشعراء ، ومبكى لقلوبهم :

ولقد ذكرتك والنهار مودع
والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطرى تبدو تجاه نواظرى
كلمى ، كدامية السحاب ازائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعا
بسنى الشعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره
فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكان آخر دمعة للكون قد
مزجت بآخر أدمعى لرثائي

والاحساس بالطبيعة على هذا النحو الرهيف ، وهذا الحوار المتبادل بينها وبين نفسية الشاعر ، بالاضافة الى النغمة الحزينة الآسية التي تذكر القارىء دائما ببكائيات رومانسيي أوربا والمصابين بمرض العصر ، جديد كل الجدة على الشعر العربي ، ولقد امتد هذا الاحساس بالطبيعة في الشعر العربي ونما عند شعراء آخرين حتى أصبح امتزاجا كاملا بين الانسان والطبيعة لدى الكثيرين من شعراء المهجر ...

كما أن القصائد القصيرة المبنية على عنصر الحكاية ـ لدى مطران ـ والمطولات الشعرية « الجنين الشهيد » ، ونيرون » قد أنشأها مطران في نحو هذه الفترة من حياته ، وقد نشرت على الناس في ذلك الحين ، والتفتوا الى ملامح التجديد في كل هذه الأعمال الشعرية القيمة .. وقد

قدم مطران لديوانه بما يؤكد بصره بقضيـة تجديد الشعر العربي ، وضرورة البعد به عن مذاهب الأقدمين .. وكل هـذا يدفع مـؤرخى الأدب الحـديث الى البحث عن تحـديد الرائد الأول الى التجديد فى الشـعر العربى .. هل هو مطران ؟ أم أصحاب مدرسة الديوان ؟..

يقول الأستاذ العوضى الوكيل فى كتابه « الشعر بين الجمود والتطور » (ص ١٥) .

«انه لا اجتراء على التاريخ – اى اجتراء – أن نقول ان مطران قد سبق أصحاب مدرسـة الديوان فى الدعوة الى الاتجاه الجديد فى الشعر العربى ، لمجرد أن له قصـائد تعتبر نماذج لما تدعو اليه هذه المدرسة ، وأن هذه النماذج سبقت دعوة هؤلاء ببضع سنوات » .

فنحن اذن ننتظر ان نجد من كتـاب يفرد للبحث عن مطران القول الفصل فى هذه القضية الهامة ..

القضية الثانية التى يثيرها مطران هى مفهوم التجديد لديه .. فمدرسة الديوان ومدرسة المهجر عمقتا هذا المفهوم، ورسمتا حدوده ، وأقامتا التجديد على أسس فلسفية وجمالية واضحة ، فما هى مشاركة مطران فى هذا المجـال ، وما هى الفروق بينه وبين دعوات الداعين الى التجديد ..

تلك هى القضايا التى حاولت عبثـا أن أهتدى الى جهد الباحث فى حلها ، فى الفصل الذى عقده عن « شـاعر التجديد » فقـد تحدث أولا عن أن القرن العشرين قد شهد فى مستهله دعوات عديدة فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية والأدبية كدعوة قاسم أمين لتحرير المرأة ، وأن الصراع كان ناشبا بين أنصار الرجعية الى القديم فى كل شيء ، وأنصار التلاقى مع حضـارة الغرب ، وأن مصر استجابت لدعوة الحضارة الجديدة فانشأت الجامعة الأهلية « وامتدت النهضة الى ميدان الشعر ، فتألفت الجمعيات الأدبية لطبع الآداب العربية بطابع جديد ، وقام لفيف من الأدباء فى الشرق بدعوة الى التجديد ، فها هو ذا أمين الريحانى يدعو الشعراء الى تجفيف الدموع من المآقى .. وطالب ميخائيل نعيمة بترجيح الألفاظ على المعنى .. ولم يؤمن ايليا أبو ماضى بسلطان اللفظ أو الوزن ، واستطاع أن يملأ الشعر بكثير من النظرات والتأملات الفلسفية ، وألف العقاد ديوان « عابر سبيل » ... ثم قامت مدرسة على محمود طـه ومن لف لفـه بتغريب الشـعـر ، **وفى وسط هذه التيارات المتعددة من الدعوة الى التجديد وقف خليل مطران ليجد سبيله بينها فى سـلاسة وثبات** واطمئنان .. (ص ١٥ – ١٩) .. »

فهل هذا اطار تاريخى تقدم فيه حركة التجديد عنـد مطران ؟ ..

العقاد أصدر ديوانه « عابر سبيل » فى عام ١٩٣٧ م

وايليا أبو ماضى أصـدر ديوانه « الجداول » فى نيويورك عام ١٩٢٧ ، و « الخمائل » فى عام ١٩٤٦م .

وعلى محمود طه ظهر فى الثلاثينات ، واصدر ديوانه الأول « الملاح التائه » حوالى عام ١٩٣٣م .

فكيف يضطرب هذا المسار التاريخى كل هذا الاضطراب، ويجد القارىء نفسه فى بحران لا أول له ولا آخر .. هل هذا تاريخ للأدب ياسيدى ؟ .. **هل يصح أن تقدم لقرائك – وقد يكونون فى براءة طلاب المرحلة الثانوية – شـاعرك المفضل فى هذا الاطار المهلهل ..**

وهل بدأ مطران دعوته الى التجديد فى ثلاثينات هذا القرن حتى تحيط القارىء بكل هذه المعلومات المجتلبة اعتباطا من الشرق ومن الغرب ..

ثم بعد ذلك يخبرنا الكاتب أن مطران نشر ديوانه فى عام ١٩٠٨ ونشر أغلبه فى الصحف والمجلات قبل ذلك .. وعلى ذلك تكون دعوته قد سبقت كثيرا من الدعوات الأخرى، بل كانت أساسا لكثير من الدعوات بعد ذلك ..

وهنا نلاحظ الى جانب فقدان المنهج العلمى فى البحث مما أفقده روح النظام والتسلسل عدم الدقة فى التعبير ، فما معنى « كثيرا من الدعوات الأخرى وكثير من الدعوات بعد ذلك » الا أن يكون الهروب من التحديد هنا هروبا من البحث المتأنى ، وتحمل مسئولية الكلمة ..

وعدم الدقة فى التعبير سمة من سمات هذا الكتاب والا فما معنى المترادفات فى هذه العبارة « وأعلن فى صراحة غير هياب ولا وجل ولا متلعثم أن شعر هذه الطريقة .. ص ١٩ .. » ولو راجع السيد الكاتب قلمه لكفاه أن يقول : « وأعلن ان شعر هذه الطريقة » دون اضفاء هذا الجو الدرامى على جملة عادية .. وقوله مثلا (ص ٥١) .. « والجدير بالتسجيل أن ناجى لم يظل فى شعره أسيرا لمذهب مطران فى الشعر انما كان شاعرا رومانتيكيا يعبر عن مشاعره الذاتية أولا وقبل كل شيء ولا يهمه ما اذا كان شعره ينهج مذهب مطران أم غيره من الشعراء » فهل قال أحد للسيد الكاتب ان ناجى كان قبل أن يكتب الشـعر يقيسه على منهج مطران حتى يكون جديرا بالتسجيل أنه شاعر رومانتيكى يعبر عن مشاعره الذاتية ..

ويعرف الكاتب (فى هامش ص ٣٠) بالشاعر رشيد الخورى فيقول : « يمتاز شعره بالرصانة وصحة الأسلوب وبلاغة العبارة » فهل هناك شعراء يمتازون بخطأ الأسلوب حتى تكون صحة الأسلوب ميزة فى شعر هذا الشاعر ؟ ..

ولاشك ان هذا – ومثله كثير – من آثار السرعة فى الكتابة ، لكنه يصبح مزلقا واضحا للكاتب عندما يصدر احكاما نقدية متعجلة كقوله عن مطران ص ٥١ :

« وقال فى وزن جديد فى قصيدة « لو علمت » :

لـــو كنت تـــدرين الأسى
وبوحـــدتى لو قـــد علمت
لجـــرت دموعـــك رأفـــة
وبقـــرب دارى قـــد مـــررت
بل لو علمت كم انتســـت
روح بروح دون صـــــوت
فأمـــام بـــابى ربمـــا
كالأخت حينئـــذ جلســـت
الخ »

فليس هذا الوزن جديدا ولاشبه جديد بل هو صديقنا القديم مجزوء الكامل ..

أما الهروب من مسئولية الكلمة المتأنية ، الصادرة عن يقين البحث الطويل ، والدرس الجاد .. فيكاد يكون الفصل الثالث : مدرسة خليل مطران » مسرحا لهذه الظاهرة ، فالسيد الكاتب يورد فى هذا الفصل أسماء الشعراء الذين تابعوا منهج مطران ، وتأثروا به .. كخليل شيبوب ، وأبى شادى .. ثم يقول :

« ولعل الشاعر عبد الرحمن شكرى كان من تلاميذ مطران » (ص ٤٠)

« وربما كان الشاعر ابراهيم ناجى من مدرسة مطران الشعرية » (ص ٤٩)

« ويمكن أن نعتبر بشارة الخورى تلميذا لخليـــل مطران » (ص ٤٦)

« ولا يستبق أن يكون هناك بعض الشعراء السودانيين قد تأثروا بشعر الخليل » (ص ٥١)

فهل لعل وربما ويمكن ولا يستبق من لغـــة البحث العلمى الصحيح ؟ .. أم هى لغة « الدردشـــة » والكلام الشخصى الذى يقوله الانسان بدون تثبت ، وبدون أدنى مسئولية ؟ ..

وبعد .. فهذا كتاب عن مطران يصدر بعد دراسات كثيرة جادة وعميقة سبقته الى أيدى القراء ، لكنه يتسم بالسرعة ، واصدار الأحكام المتعجلة ، ولا يستبعد – اذا استعملنا بعض تعبيرات الكتاب – أن السيد المؤلف سيعاوده بمراجعة طويلة متأنية .

أنس داود

سطور من كتاب ...

« والعربية الفصحى هى الرباط الأكبر للأمة العربية ، وما كانت حركة الاستعراب فى بعض البلاد التى امتدت اليها موجة الفتوح الاسلامية الباهرة فى القرن السابع الا استعرابا فى اللغة قبل العادات والتقاليد ، ففى الوقت الذى استطاعت البيئة فيه أن تقضى على مظاهر البداوة فى النازحين العرب وان تصهرهم وتتمثلهم أكمل تمثيل وتنزلهم على طبائعها وتقاليدها ، لم تستطع أن تتغلب بلغتها على لغة هؤلاء النازحين بل ان انتشار اللغة العربية كان فى بعض البلاد كمصر أسرع من انتشار الدين الجديد بل وأسرع من تأقلم هؤلاء النازحين واندماجهم فى البيئة الجديدة » .

.... وحدة التاريخ العربى



تاليف محمود النبوى الشال
الناشر : دار النهضة العربية
٢٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم ، الثمن ٦٠ قرشا

التذوق الفنى من المجالات الجديدة على مناهجنا المدرسية، وفى الوقت نفسه من المجالات الهامة التى يعتمد عليها المربون فى تنمية الاحساس بالجمال بين الجيل الصاعد ، ذلك الجيل من الشباب الذى عليه نعتمد فى النهوض بمجتمعنا الجديد المتطور .

والتذوق الفنى فى مجال الفن التشكيلى يدرب الانسان على الرؤية الجمالية السليمة ، سواء كانت هذه الرؤية فى الطبيعة الخلابة أو نحو ما يقوم بصنعه الانسان لخدمة الانسان . لهذا كان تدريس ذلك الفرع من الفنون من الأهمية بمكان فى مدارسنا ومعاهدنا التعليمية .

ولكن عندما قررت وزارة التربية والتعليم تدريس التذوق فى مدارسها ارتطمت بعدم وجود كتاب يعين المدرس على تدريس تلك المادة على أسس سليمة ، فالفت لذلك لجنة وأخرجت مذكرات فى التذوق الفنى وتاريخ الفن ، وكانت بداية طيبة ، ولكن التذوق الفنى ظل مع ذلك فى حاجة الى المراجع والمؤلفات التى تحقق قدرا أكبر من العرض والمعرفة والتى تتعرض أيضا للتذوق من حيث هو حاجة اجتماعية فى عصرنا المتطور .

ومع أهمية موضوع التذوق الفنى لجميع المواطنين المثقفين نجد أن مكتبتنا العربية تكاد تكون خالية من مؤلفات تبحث فيه ــ لهذا كان هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم يعتبر باكورة التاليف باللغة العربية فى هذا الميدان .

أما الكتاب فى موضوعه فهو محاولة مخلصة للتعريف بالتذوق الفنى وتفسيره وعلاقته بالفرد والمجتمع ، ثم محاولة لعرض وجهة نظر المؤلف فى موقف مدرسى التربية الفنية من التذوق الفنى أثناء العملية التربوية . وهو بهذا ينتقل من العام الى الخاص يؤكد ذلك مادة الكتاب التى يغلب عليها الطابع التعليمى . وهذا شيىء طبيعى حيث أن المؤلف يعمل مفتشا عاما للتربية الفنية بوزارة التربية والتعليم ، وموضوع التذوق الفنى فى المجال التعليمى من الموضوعات الهامة التى يتابعها كل مشتغل فى حقل التربية الفنية . لهذا كان حافزه فى كتابه وقد أوضح ذلك فى الكلمة الأولى التى مهد بها للحديث عن موضوع الكتاب .

عرض لموضوعات الكتاب :

يبدأ الكتاب ــ بعد تقديم للتذوق الفنى بمدلولات محددة فى نقاط ــ بنظرة عامة عن حقيقة التذوق الفنى أهميته وحتميته وقد عرف التذوق بانه فى أيسر معانيه استقبال ثم هضم ثم اختيار ثم ارسال .

أما عن حظ الانسان من هذا التذوق فيقول المؤلف ان التذوق قبل أى شيىء عملية فطرية طبيعية وجدانية ــ وكل فرد منا مهما يكن تفكيره ومهما يكن مستواه يتمتع حتما بدرجة من التذوق ــ كما أن كل شعب مهما يكن حظه من المدنية أو نصيبه من التخلف او التأخر الاجتماعى لا يمكن أن تزول عنه هذه الصفة ــ الا أن مقادير العمل الفنى ومعاييره ومستوياته متباينة ومتفاوتة بل ومتناقضة أحيانا فى درجاتها وصفاتها بين الشعوب الحضارية والشعوب المتخلفة ــ ومختلفة فيما بينها كيفا وكما ، وهذا الاختلاف فى الواقع هو سنة الحياة ،وهو مظهر من مظاهر تجدد الطبيعة البشرية والطبيعة الكونية . واذا أمكننا أن نستخلص شيئا من هذه الظاهرة فانه واضح أن هذا التباين الواضح فى الطريقة بين قوم وقوم ، انما مرده الى اختلاف العصور والطبائع والخصائص الانسانية والشعوبية .

ثم ينتقل المؤلف الى أصل عملية التذوق فيقول انها بدأت أول الأمر على مستوى مادى تمس أغراضا مادية انفعالية تتصل بالطعام والشراب أى انها أحاسيس فيزيقية بحتة . وهذا اللون من التذوق لا يعدو الاستجابة الفجة ولايزيد

على اللمحة البدائية أو المعنى السطحي لعملية التذوق • ثم انتقلت بعد ذلك عملية التذوق الى مانسميه التذوق الرفيع والى الدائرة الروحية والى النطاق المعنوى ، انتقلت من مجرد غذاء للجسم الى غذاء للروح ، انتقلت الى مايسمى بالاشباع العاطفي المباشر وتحولت فى الأذهان قيما كبيرة أعطيت معايير متعددة — سمت بعملية التذوق وأبعدتها عن صورتها الأولى السطحية •

والتذوق السلبى الرخيص يتحول تذوقا ايجابيا نتيجة اهتمامات جديدة ونتيجة رؤية جديدة والتذوق الايجـابى يحتاج الى رعاية وتوجيه كما يحتاج الى تربية وتكوين ، فاذا لم يوجد عند احد فليس ذلك دليلا على عدم وجود الحسن الباطن ، انما يعد دليلا على أن هـذا الشخص لم يهتم بتربية حسه الباطنى فغاب عنه جمال المحسوسات •

ان التذوق الفنى يخضع فى الحقيقة لمقوم جوهرى هام هو المقوم الثقافى — لهذا يحرص المؤلف على تأكيد هـذا المغزى الثقافى فى الحقل التعليمى — هذا المقوم الذى يقضى على السـلبية والأمية الفنية ويرى تحقيق ذلك عن طريق الاتصال بالثقافات المختلفة والاطلاع على الثقافات التى تمس الميادين العامة من فنية وعلمية وأدبية واجتماعية وسياسية• فكل هذه الجوانب تتعاون وتتلاقى جميعها لخدمة الانسانية وخدمة المواطنين كافة •

وهنا تبرز مشكلة طالما طال الجدل فيها وهى مدى الأخذ عن الثقافات الأجنبية وما أثر هذا فى تكوين شخصيتنـا الثقافية ، ويجيب الكتاب على هذا فيقول ليس بعيب أن ناخذ عن الثقافات الأخرى مادام فى هذا ايضاح وتأكيد لما لدينا من قيم ثقافية ومن تراث غنى — ولكن العيب أن نلتزم هذه الثقافة ونتشبث بها ونحاول أن نبشر بها وندعو لها ، ونرددها وحدها دون أن يكون لنا من تاريخنا ومن تراثنا وحضارتنا وقوميتنا رصيد حى متفاعل يكشف الستار عنه وابداع خاص بما يدور فى فلكنا اننا ان فعلنا ذلك امكننا أن نحقق المتوسط الثقافى المشترك والرقى العقلى والتقدم الفنى — وهذا يملى علينا أن نلتفت بوعى جاد الى مراجعنا العربية والعمل على تشجيعها فلا نكثر من المراجع الأجنبية فى المدرسة ولانركز عليها حتى لاينزع المتعلم ويميل اليها أو يتأثر بها منذ بدايته على حين يكون فى معزل كامل عن الثقافة الحقيقية فى بيئته العربية •

بعد هذه النظرة العامة ينتقل الكتاب الى دور مدرسى التربية الفنية فى رفع التذوق عند الناشئة — وفى رأيه أن المعلم يجب أن يكون قدوة صالحة لمن يقوم على تربيته وتقويمه لهذا كان من الضرورى أن يرتفع المدرس أولا بتذوقه الفنى لكى يعطى من ثقافته وقلبه ووجدانه العـلم والخبرة والتوجيه ما يساعد فى اعداد الذهن المتذوق على الا يستخف قط بذوق الصغير والعمل على التعرف على مشكلاته ووجهة نظره وما يعترضه من صعاب ، ولكى يحقق المدرس

ذلك عرض المؤلف بعض الأمثلة العملية التى تحقق التذوق الفنى بين التلاميذ فى المدرسة ومن أهمها : (أ) الاهتمام باشراك التلاميذ فى تحقيق عمليات التنسيق الداخل فى داخل المدرسة ومناقشتها مناقشة واقعية تهدف الى الوصول الى أنسب الأوضاع الممكنة وأفضلها ذوقا ونظاما واحكاما (ب) تعويد التلاميذ جمع الصور التى تقع أعينهم عليها فى الصحف والمجلات جمعا عاما فى بادىء الأمر ثم العمل على تصنيفها وتبويبها فى سجلات تحدد اتجاهاتها (جـ) تذوق الخامات البيئية ومحاولة الكشف عنها (د) الالمام بالمراجع الفنية من الكتب وأسماء مؤلفيها (هـ) تعويد التلاميذ على نقد أعمالهم حتى تتكامل خبراتهم وتنبنى عملية التذوق على أسس سليمة (و) تذوق الطبيعة وزيارة المتـــاحف والمعارض الفنية والمعالم الأثرية دراسة واعية •

ولتأكيد تنمية التذوق الفنى بين التلاميذ يستمر المؤلف فى عرض وجهة نظره متعرضا لنظريات الكل والجزء بين عناصر العمل الفنى والكم والكيف وعلاقة ذلك بالتذوق الفنى •

وفى نهاية هذا العرض يوضح الكتاب العوامل المعينة على التذوق ويحددها فى نقاط أولها القدرة على الملاحظة ثم القدرة على التمحيص وهى البحث عن القيم الفنية وتذوقها وتنسيقها حتى تتلاءم وتتناغم • ثم القدرة على التأمل وهو القدرة على التفكير فى تذوق العمل الفنى وفى رسم خطوطه العريضة التى تستند دائما الى مران ودراية ودربة عميقة •

ثم ينتقل المؤلف الى تحديد خصائص ومقومات العمل الفنى بالنسبة للمتذوق ليساعد المتذوق على فهم العمل الفنى والتعاطف معه وهى الوضوح — القوة — الجمال — التكامل — والمنفعة •

كما يناقش الكتاب موضوع الطبيعة والتراث وعلاقتهما بالتذوق الفنى وفى هذا يدعو المؤلف للاهتمام بتذوق الطبيعة وتأملها ودراستها وتأكيدها فى الموضوعات التى يعالجها الناشئة فى المدرسة حتى يشبوا وهم على وعى بجمال الطبيعة وما تحمله من قيم فنية عالية • كما يدعو أيضا الى الاهتمام بتراثنا الفنى فى مجالات التذوق الفنى حيث أن هذا من اهم واجباتنا الوطنية ازاء عروبتنا وقوميتنا وتاريخنا • فليس هناك حاضر مزدهر مالم يرتكز على ماض مشرق • وليس ثمة مستقبل متالق مالم يعتمد على المفاتيح الماضية والأصول المتقدمة •

وقبل أن يختتم الكتاب فصوله يهتم بدعوة وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح الى الاهتمام بالتذوق الفنى ونشر الثقافة الفنية بين جماهير المواطنين عن طريق تاكيد القيم الفنية العاليـــة فى كل ما يعرضونه على الجماهير من أعمال فنية •

وأخيرا يختتم المؤلف الكتاب بمجموعة كبيرة من صور من الانتاج الفنى على مر العصور تمثل جهود الفنانين وتوضح

نشاطهم الخلاق – كما احتفل بتسجيل بعض النشـــاط الفني لتلاميذ مدارسنا وتجاربهم على الخامات المختلفة .

نقد للكتاب :

وبعد(١) فقد قام هذا الكتاب بتعريف التذوق الفني وأهميته للانسان واكد أهمية التوجيه والتربية لتنمية التذوق وهذا يعني أن التذوق الفني مع أنه فطرى في الانسان الا انه لاينمو الا بالممارسة والتربية الجمالية ، ومادام المؤلف قد لمس موضوع الرعاية والتوجيه لصقل التذوق الفني – ومادام الكتاب تغلب عليه الناحية التعليمية التطبيقية – فاني كنت أفضل أن لايمر المؤلف بهذه النقطة دون أن يتعرض لآراء الباحثين والمربين في موضوع تربية التذوق الفني – فهناك رأيان مختلفان في حقل التربية والتعليم عندنا ، والرأى الأول ينادى بحق كل ناشيء في أن يدرس التذوق الفني حتى نهاية المرحلة الثانوية – وهى مرحلة التعليم العام – لكى نخلق جيلا متذوقا مبدعا – والرأى الثاني يرى أن تقتصر دراسة التذوق الفني على طلبة القسم الأدبي فقط باعتبار الثقافة الفنية جزءاً من دراستهم الأدبية – ومعنى هذا أن هناك نوعا من التفكير يرى أن التذوق الفني ضرورى في تكوين شخصية المواطنين جميعا – أما الآخر فلا يرى ذلك . لهذا كان من الضرورى – في رأيي – أن يعالج الكتاب هذه الآراء المتعارضة بشكل علمي موضحا رأى العلماء والباحثين في هـــذا الموضوع ، وبخاصة انه كلمـــا تصدى اى كاتب لموضوع التذوق الفني في مصر يتجه من فوره الى تربية الناشئة باعتبارها الدعامة الأولى في خلق جيل متذوق حساس .

(٢) عالج الكتاب موضوع الأخذ من الثقافات الأجنبية وأثرها في تكوين الشخصية العربية معالجة حكيمة متزنة–فشجع على الاتصال بالثقافات الأخرى على أن تؤكدها قيمنا الثقافية وتقاليدنا وقوميتنا وتراثنا ، فاذا ما تفاعلت الأفكار الواردة بتقاليدنا وثقافتنا فانه ينتج عنه ما سماه بالمتوسط الثقافى المشترك – ومع ذلك حذر المؤلف من التركيز على المراجع الأجنبية في المدرسة حتى لايتأثر المتعلم بها منذ بداية تكوينه الثقافى – وانى أؤيد المؤلف في رأيه هذا – فقد مرت على مدارسنا فترة كان يعرف فيها التلميذ الكثير عن المدارس الأوروبية في الفن بينما يجهل تماما تراث بلاده العظيم . وهذا خطر كبير في أسلوب التربية من الناحية القومية أما اليوم ، فبعد ان عرفنا أنفسنا واتجهت مناهجنا بثقلها نحو تعريف الناشيء بتراثه العربي المجيد – كانت الدعوة الى تكوين مكتبة فنية في الفن التشكيلي مرتكزة على أصولنا وتراثنا ضرورة قومية .

(٣) قام الكتاب بعرض لبعض صور الحضارات الفنية المتعاقبة وامثلة لها مع توضيح قيمها الفنية التي تتضمنها – ويستعرض في الوقت نفسه بعض المدارس الفنية الغربية ولكنه ركز على الفنانين العرب القديم منهم والحديث – وهذا اتجاه طيب يعطى الفرصة للقارىء في تذوق أعمال فنانينا العرب – وأبرز في الوقت نفسه كيان الفنان العربي بعد أن كان الكتاب الاجانب يبعدون الأنظار عن الفنانين العرب باعتبار أن الفن أساسا كان نابعا من الغرب . وهذا الكتاب يحطم هذه النظرية .

(٤) اهتم الكتاب بعرض أعمال الطلبة وفنونهم مع استعراض للخامات البيئية على مستويات المراحل التعليمية. وهذا تشجيع للمتعلم عندما يحس أن عمله موضع اهتمام ودراسة مما يدفعه للاستزادة والتذوق الفني – كما أن هذا العرض يعطى الفرصة لكى يتذوق القارىء فنون **الأطفال** وتعبيراتهم التي تختلف عن فنون الكبار .

(٥) ابرز المؤلف أهمية الثقافة الفنية في تنمية التذوق الفني – وهذا الاتجاه يحتاج الى التأكيد المستمر حتى يسود في قطاعنا التعليمي حيث كانت النظرة القديمة تهتم بالعمل الفني فقط دون الوعي بتزويد الناشئة بالثقافة الفنيـــة المصاحبة لعملية الممارسة الفنية .

(٦) أبرز الكتاب أهمية وسائل الاعلام في نشر التذوق الفني بين الجماهير وطالب المؤلف بزيادة عدد الأفلام التي تدور حول قصص الأدباء البارزين وسيرة أعلام الفنانين – كما طالب الصحف بتخصيص مساحة كافية للنقد الفني– ونحن نؤيد هذه الدعوة ونرجو أن تسهم وسائل الاعلام بنصيبها في نشر التذوق الفني بين الجماهير المتطلعة الى الثقافة الفنية .

(٧) احتفل الكتاب بعدد كبير من أعمال الفنـــانين – وغرض المؤلف في ذلك اتاحة أكبر فرصة لنشر أعمال فنانينا العرب – الا أني كنت أفضل أن يرى القارىء صورا كبيرة الحجم قليلة العدد نسبيا حتى يمكنه أن يتذوق ويحس القيم الفنية في كل عمل فني – حيث أن الغرض من هذه الصور هو التـــــذوق وليس العرض فقط . وان يكن المؤلف قد عالج ذلك بلمسات تحليلية موجزة . وأخيرا، ونحن نختتم تقديم كتاب التذوق الفني فندعو كل مشتغل بالتربية الفنية والفنون التشكيلية الى اقتنائه في مكتبتـــه الخاصة كما ندعو كل مدرسة وكل معهد الى اضـــافة هذا الكتاب الى المكتبة المدرسية لأنه يفيد كل متعلم وكل دارس للفنون بخاصة والمثقفين بعامة – كـــما نرجو أن يكون هذا الكتاب بداية لسلسلة مؤلفات تجلى جوانب التذوق الفني الذى يحتاج الى المزيد من المؤلفات حتى تكتمل الصـــورة نحو هذا الموضوع الهام .

حسين على شريف





المفهوم السائد لمعرفة القصة أنها أداة تعبير للأحاسيس الانسانية العميقة ، تنقل مضمون القلوب بأسلوب يوفر المتعة الروحية والثقافة الفكرية . وهى أيضا صورة مصغرة للحياة ، اشخاصها يتكلمون ويتحركون فى ارجاء الدنيا حتى يخيل للقارىء انه يجد نفسه ويحس بانفعالاته الثورية ، والهادئة كلما قرأ سطرا يهز فى اعطافه أحداث الماضى . والقصة ماض نعيش فى سطوره كواقع مزدهر تمور فيه دماء الحياة . ولعل الكاتبة اللبنانية « ليلى بعلبكى » تحاول أن تسرد لنا الماضى بأشكال كثيرة من فنون الأدب.

ورواية « الآلهة الممسوخة » .. قبل أن أسبر غور الموضوع لابد لى من الاشارة الى الظاهرة البراقة التى تسلطت على أدب « ليلى » .. والشهرة التى تعانقت بدلع حول ظلها ككاتبة شابة رفعت برقع الخجل الأنثوى لترى ما وراء الحياة .. لقد اتخذت « ليلى » لنفسها صفة « كاتبة وجودية » .. وجندت لتلك الصفة كافة المقومات التى تثبتها فى دنيا الأدب .. وتسابقت الأقلام المراهقة لتصنع من أدب ليلى مذهبا ولكن يا ترى .. هل هذا هو أدب لبنان الجميل ؟ ..

لنبدأ الآن باستعراض وقائع رواية « الآلهة الممسوخة » . الفكرة تتلخص فى أن فتاة ثرية تزوجت من أستاذ لمادة التاريخ ، ويوم الزفاف يكتشف الزوج « نديم » أن عروسه « عائدة » قد هدمت جدارها المقدس . فتثور كرامته ، ويتبدد احساسه نحو زوجته التى أحبها وأراد ان يودع حياة الليل ويعيش بجوارها فى استقرار. ولكن عندما اكتشف خدعتها هجرها ، واستقل بحجرة تفصله عن الخادعة . بيد أنه يبيح لنفسه معاقرة الخمر وارتياد الملاهى ، ومصاحبة النساء من هنا يبدأ الصراع الداخلى للرواية .. امرأة تريد أن تمسح دموع الخطيئة بمنديل التوبة والغفران ورجل لا يقترب من اناء ملوث بشفاه أخرى .. عائدة امرأة .. أمام زوجها وأمام نفسها لا تعدو عن خاطئة تستعر على موقد الندم ، والندم لدى / نديم / كدموع التماسيح .. مجرد وسيلة لتبرير غاية .. ويظل هو على عناده ، وتظل هى تستجديه المغفرة . والغفران أمر مستحيل عند / نديم /. هو متمرد ، تسرى فى أعماقه عقدة الشرف التى لم يتخلص منها طوال سياق الحوادث . وفى الرواية شخصيات بارزة « كميرا » .. « ورجا »،



ثم شخصيات ثانوية لا يتوقف عليها البحث . اما ميرا ، ورجا فيمثلان الأدوار الثـــانوية فى الرواية . « رجا » يحب « ميرا » . وميرا تقع فى حب « نديم » .. أو على حد تعبير المؤلفـة ـ انها بحاجة اليه ـ وبالطبع الكاتبة لم تشرح لنا نوعية الحاجة التى تريدها «ميرا» ، اللهم الا اذا كانت دون الحب .

هذا هو ملخص الرواية بشكل موجز . ولعل القارىء يعيش مع احداثها من خلال المناقشـة التى سنعالج فيها الموضوع .. وهى بالتأكيد ليست جديدة فى موضوعها :

اولا : اذا اردنا ان نبحث عن قيمة الفن فى الأدب الروائى ، نبحث قبل كل شىء عن وحدة تكامله وجودة فكرته . واصـــالة أسلوبه ، فى ظاهره ومضمونه .. فاذا حبكت جزئيات الرواية ببعضها فهى لا شك مجهود نفخر به كعمل فنى رائع .. ترى .. ما هو المدى الذى يمكن ان نحكم به على الآلهة الممسوخة ؟ .

نحن لا نشك ان للمؤلفة موهبة ادبية ظاهرة فى لقطات فنية حلوة ضمن احداث الرواية .. فقد استطاعت ان تحرك شخوص القصة كرسام رشيق يطبع الألوان فى اماكنها المناسبة ويضيف اليها اللمسات الأخاذة لتعبر عن المضمون بشكل جميل تدل على مهارته . وليلى كانت فنـانة برسم شخصياتها .. فقد أعطت لكل شخصية الوصف الطبيعى لها ، ومع هذا فلنا على الرواية بعض المآخذ الفنية ، نشير اليها فيما يلى : ..

١ ـ شخصيات الآلهة الممسوخة مبتورة المعنى والهدف ، اذ لم نجد أن شخصية واحـدة قد حققت رغبة واحدة .. بلظلت كلها بلا هدف.. بلا غاية ، وكأنها تعيش فى فوضى مطلقة ، وحيرة اقرب الى الجنون منها الى المنطق والفن .. لقد ارادت المؤلفة أن تصاب بطلتها / عائدة / بعقدة نفسية لازمتها الى النهاية .. العقدة هى أن / نديم / لم يمنح زوجته طفلا .. فظلت بحرقة على طفل حتى انها تحولت بعقدتها الى (نانا) ، الدمية الصامتة التى كانت ترضعها من ثديهـا طوال الليل والنهار ، وكلما اشــــتد حنينها للأطفال .. وكأنها بهذا العمل تقتــل جرثومة الحرمان فى نفسها .. والخ .. من الحـركات التى تفرج فيها عن كآبتها .. ان هذا العمــل لا يمكن أن تقوم به اية امراة فى الوجود ، الا اذا آن لها أن تدخل مستشفى الأمراض العقلية .. ففى بلاد العالم الوف من النساء اللائى لم يلدن أطفالا . ولكنهن مع ذلك لم يرضعن الدمى لقتل الحرمان فى نفوسهن .. قد يأخذن الأطفال من الملاجىء الخيرية .. أو يقمن بتربية الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب الخ .

٢ ـ المؤلفة تقول ان بطلة الرواية / عائدة / هدمت جدارها المقدس أثناء دراستها فى بلاد الانكليز (لندن) وبعد ساعات من ورود برقية لها تنعى وفاة امها .. ترى .. ايعقل هذا ؟ .. فتاة تقضى ليلة كهذه اثر فجيعتها بأعز مخلوقة لديها .. الى هذا الحد تستهتر الفتاة بقدسية الأمومة ونحن الذين نقيم (فى بلاد الشرق) للأم عيدا مجيدا نكرم فيها اجلال الرسالة التى تحملها فوق منكبيها ؟ .. مثلا كان يجدر بالمؤلفـــة ألا تحدد الزمان الذى وقع فيه الحادث كى تبدو الشخصية الانسانية أقرب الى المنطق الاجتماعى والادبى على السواء ..

٣ ـ أحداث الرواية تقول ان / نديم / عاقب زوجته / عائدة / بالحرمان الزوجي .. وانفصل عنها بحجرة مستقلة . وفى نهاية الرواية نجد ان البطلة قد انجبت طفلا لم يكتمل النمو .. ثم .. ثم ماتت ..

انا لا ادرى كيف ان / عائدة / انجبت هذا الطفل الممسوخ ، وهى التى كانت طوال احداث الرواية بعيدة عن زوجها الذى لم يعطف عليها ببسمة طليقة تعطى للقارىء لمحة خاطفة على ان / نديم / تنازل عن كبريائه ـ بعض الشيء ـ وسامح زوجته على زلتها التى أورثته عقـدة التمرد ، وأسلمته للضياع الحيـاتي . اتراها كررت الخطيئة فى سبيل طفل تراه وتستبدل به الدمية الخرافية التى خصـتها بكل حنـان الأمومة ؟ .. شيء واحد لم تذكره المؤلفة عن بطلتها الشاذة ، هو عدم ارسال الدميـة الى « روضة الأطفال » كى تمارس حقها الطفولى كاملا ، طالما انها تنام فى سرير وثير ، وترضع من ثدى امراة ناضجة الأنوثة .

٤ ـ كانت / ميرا / الشخصية الثانيـة فى الرواية تخشى دوما وابدا « الغيمة البنفسجية » التى ترمز بها المؤلفة الى الموت ، وهذا ما لم يقره المنطق السليم ، لأن / ميرا / لم تمرض .. لم تكابد علة فى نفسها تنذرها بالموت بين الحين والآخر .. لأن الانسان عادة يخشى من الموت فى كل لحظة ، اذا كان مصابا بمرض خطير يهدد حياته بالفناء .. اما ان الموت يتشكل بشكل عقدة تلازم ميرا طوال حياتها لمجرد أن والدها مات « بالسكتة القلبية » ، فهـذا احساس خاطىء .. فالموت ليس مرضا وراثيا ، بل هو حق من حقوق الحياة فى دنيا البشرية .. وميرا رغم خوفها الدائم من / الغيمـة البنفسجية / كانت تعيش حياة فوضوية وجودية غريبة .. ترى .. الم يخطر ببالها لحظة ، ان تداهمها « الغيمة البنفسجية » وهى بين ذراعى شاب جميل أو بين أمواج « حوض السباحة » السمراء المحترقة .. لقد ارادت المؤلفة ان تكون « ميرا » قلقة .. مذعورة .. متمردة على كل شيء .. حتى على الموت بالسكتة القلبية كوالدها ، وهذا ما اضفى على شخصية « ميرا » الوهن الواضح ، « كعائدة » بالذات ، كلتاهما شخصية مضطربة غريبة شاذة .. تعيش بلا هدف .. بلا معنى .. اللهم من بعض النقلات الفنيـة فى الأسلوب قد تنسى معها شذوذ الشخصيات التى لا تتسم بالواقع . على كل ، فوحدة التكامل فى شخصيات تلك الرواية مفقودة ، اذا ادركنا ان التكامل هو الأسلوب وطريقة العرض والتشويق ، والتفاعل الحقيقى فى الشخصيات كل حسب دوره .. وشخصيات « الآلهة الممسوخة » طراز خاص لا يقبلها الذوق الواقعى .. هذا بالاضافة الى ان الاستعارة والتشبيه عند « ليلى » فيها غرابة جـدا ، حتى اننى لا ادرى ـ كما لا يدرى ـ القراء ، هل « روما » احترقت بنيران «نيرون»، أم بنهود الفتيات الصغيرات ؟ .. والخ ..

منور فوال



الطفل العاجز

تأليف : أدث . م . استيرن و الزاكاستنديك

ترجمة : فوزية محمد بدران • مراجعة : الدكتور احمد زكي صالح

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربي ٢٤٦ ص ١٤×٢٠

لم تسعدني قراءة كتاب – على كثرة ما قرأت – كما أسعدتني قراءة هذا الكتاب ، فمن خلال سطوره يشع نور الأمل لأولئك المحزونين الذين نكبوا في أولادهم ، وامتحنوا في فلذات أكبادهم بالعاهات والأمراض والعلل ... وأنا واحد من هؤلاء المحزونين : امتحنت في ولد من أولادي ، فدهمته في عامه الأول علة أفقدته السمع ، وأخرسته عن الكلام ، ثم تضاعفت على مر الأيام بالصرع .

ولقد يئست بعد طول الطواف به على مختلف الأطباء ، وطويت همه وهمي في نفسي ، يعيش كلانا بلا أمل ، ويحيا بلا رجاء ، حتى وقع في يدي كتاب « الطفل العاجز » ، فاذا به ينتشلني من يأسي الفاجع ، ويفتح أمامي آفاقا عريضة من الأمل والرجاء . ولقد مر بخلدي – وأنا أتصفح هذا الكتاب – كيف أفسحت الدنيا صدرها لهؤلاء العاجزين ، واعترفت بحقهم في التربية والتعليم ، وذكرت في نفس الوقت كتب التربية القديمة « في اسبارطة وغيرها » حيث لم يكن لهؤلاء العاجزين مكان على مسرح الحياة ، ولاحق في الوجود ، وكان بقاؤهم في نظر علماء التربية قديما عارا يجب أن تتخلص الأمة منه ، ليبقى بناؤها سليما .

وكتاب « الطفل العاجز » يقع في ٢٤٦ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو يشتمل على مقدمة لمراجع الكتاب الدكتور أحمد زكي صالح ، وفيها تعريف بالكتاب « وانه ليس منهجا نظريا من نظريات التربية ، وانما هو مجموعة من الاقتراحات العملية التي تساعد آباء هؤلاء الأطفال العاجزين لا على التكيف لمشكلتهم فحسب ، بل على مساعدة أطفالهم على التكيف هم أيضا في حياتهم بمشكلاتهم الراهنة » . يلي ذلك مقدمة الكتاب للمؤلفتين ، وقد أبانتا فيها قصدهما من وضع الكتاب « بأن يكون مرشدا للآباء ، وحافزا لهم للبحث عن مساعدة الاخصائيين والخبراء لحل مشكلاتهم ، وللكشف عن طرق جديدة تيسر حياة متوافقة وشبه سوية لأطفالهم على قدر الامكان ، ثم اختيار أفضل الاقتراحات العملية الممكنة التي تتعلق بالصحة الجسمية والتدريب والتنظيم ، والتي تسهل توضيح المبادىء التي تؤكد الصحة النفسية وتدعمها » وذكرتا بعد ذلك « ورغما عن اعتمادنا على المؤلفات المعاصرة ، فاننا نعتقد أننا فتحنا طريقا جديدا في اختيارنا للمادة ، وفي طريقة معالجتنا للمشكلة » .

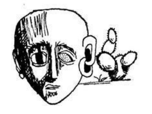
أما مادة الكتاب نفسه فتتكون من تسعة فصول : تناول الفصل الأول منها واجب الآباء ازاء أطفالهم العجزة ، ووجوب مواجهة الآباء الموقف بصراحة ، مع عدم الاستسلام للحزن أو القلق . ثم أشار الى أن الحاجات الأساسية واحدة لكل الأطفال – الأسوياء منهم والعاجزين – فاذا لم نشبع هذه الحاجات فلا يمكن للطفل أن يتكيف ويتمتع بالحياة ، ومن ثم كان في مقدور الطفل العاجز كالطفل السليم أن يعرف السعادة ، اذا راعينا اشباع هذه الحاجات . ثم تساءلت المؤلفتان : ماهي حاجات الأطفال على السواء ؟؟ فأبانتا بأنها

أولا الشعور بالأمن ، وبالانتماء ، فالطفل العاجز الواثق من مشاعر أسرته ، والذى يحس بأن له فيها دورا هاما مثل أى شخص آخر فى المنزل ، لايفقد الشعور الحيوى بالأمن والطمأنينة ، وثانيا الشعور بالنجاح ، وبالقدرة على التوافق. وليس معنى هذا أن يسوى بين الطفل السوى والعاجز فى أداء الأعمال ولكن هناك أعمالا توافق الطفل العاجز ، ويقدر على النهوض بها ، وتحقق له - اذا نهض بها - الشعور بالنجاح فى الحياة .

ومن الأمثلة الفذة على ذلك الى حد كبير حياة الرئيس « فرانكلين روزفلت » الذى عاش حياة سعيدة غنية ، بالرغم من عجزه الجسمى الكبير . ثم تناولت المؤلفتان العجز بأنه سواء أكان العجز نتيجة حادث أو مرض ، أو نتيجة عاهة خلقية ، أو نتيجة اهمال غير مقصود « كشلل الأطفال » فلا ينبغى للآباء أن ينحوا على أنفسهم باللوم والتأنيب ، بل يجب مواجهة العجز بما ينبغى له من استشارة الطبيب الاخصائى ، واعطاء الطفل فرصة استخدام ما تبقى له من قدرات فى سبيل ظهور شخصيته ، والبعد بها عن الانعزالية والانطواء . ان بعض الآباء يعمدون فى مثل هذه الحالات الى الافراط أو التفريط ، فبعض الآباء والأمهات يحاولون أن يغدقوا على الطفل العاجز كل الماديات الممكنة ، أو يحيطوه بعواطف فياضة ، أو يظللوه بحماية كبيرة ، والبعض الآخر يغالون فى طلباتهم وأوامرهم وانتقاداتهم ، ولاشك فى أن أيا من هذه الوسائل غير صالح للطفل . وأفضل الطرق للتخلص من الآلام العاطفية - مادام الطفل عاجزا بالفعل - هو أن تعمل ما تستطيع لصالحه ، وأن تضع برنامجا ايجابيا محددا لمصلحة الطفل ، لايساعده هو فقط ، بل يساعدك أنت أيضا كوالد . وخير طريق مباشر لمواجهة مشكلتك كوالد لطفل عاجز هو - أولا - الاتجاه الطبى ، فقد ارتقى الطب العلاجى ، وتضاعف عدد الأطباء ، وأصبح فى ميسور الاخصائيين أن يسيروا بك فى طريق كله ثقة وأمل . ثانيا - الاتجاه التدريبى ، ويتلخص فى مساعدة طفلك على الحياة بعجزه ، والعمل على أن يتمتع بأقصى درجات السعادة، والنجاح المتيسر له ، وهذا يتأتى بنظرة طفلك الى الأشياء ، وفى طريقة اكتساب خبرات جديدة من أسلوب معاملته بغيره ، وفى ضبطه لنفسه ، وتشكيل شخصيته ، وتقدير مكانه الحالى والمستقبل فى العالم . ولاشك فى أن اتجاهات الرأى العام ازاء العاجزين من الأطفال قد تغيرت تغيرا كبيرا ، بفضل أنواع التعليم التى أشرفت عليها الهيئات الحكومية ، أو المؤسسات الخاصة ، وبفضل المدارس التى تعطى اشرافا ملحوظا للأطفال العاجزين ، وتوليهم مزيدا من الاهتمام .

والفصل الثانى يتناول الحديث عن الطفل المقعد . وقد أشارت المؤلفتان فيه الى أن الشفقة على طفلك المقعد تشعره بالنقص والعجز والاختلاف عن الآخرين ، وهذه الشفقة تبعده عن اخوانه أكثر مما يبعده عجزه عن الحركة.

والطفل يريد أن يشعر بالأمان والثقة فى منزله ، وبعطف والديه ، ويتمتع بلذة بلوغ ماهو فى مستطاعه - مثله فى ذلك مثل أى شخص آخر - وكلما استطعت تركيز اهتمامك فى تنمية شخصية طفلك ككل - وليس فى عجزه الجسمى - ازدادت فرصته فى أن يصبح شخصا متكاملا سعيدا ، ومنتجا بالرغم من عاهته ، وليس معنى هذا طبعا أن تتصرف كأن عاهته لا وجود لها ، أو عديمة الأهمية ، أو أنها ستزول قطعا ، اذ لا يمكن بناء أساس سليم لحياة صالحة لطفلك ان لم يدرك كلاكما الواقع الذى يعمل فى حدوده ، ويدرك الطبيعة الكاملة للعاهة . وأفضل طريق لمعرفة الحقائق عن حالة طفلك هو مناقشة الموضوع كاملا مع اخصائى العظام المتخصص فى معالجة العاهات ، وبمنتهى الصراحة ، حتى لا تكون فريسة القلق . واذا أخبرك الاخصائى بأن علم الطب لم يعد يستطيع مساعدة طفلك فابحث عن اخصائى آخر ، ولاتدع اليأس يتسرب الى نفسك، ثم تعاون مع الطبيب بعد ذلك لتحسين صحة طفلك النفسية، فكثيرا ما يشفى الطفل من العجز الجسمى وتحل محله علة نفسية ، فيظل الطفل يتصرف بعد شفائه كما لو لم يزل مقعدا . وعليك أن تساعده فى تعلم طريقة الحياة ، والاختلاط مع أقرانه ، حتى لا يتملكه شعور الخيبة والانطواء، وشجعه على أن يفعل كل ما يمكنه عمله بنفسه ، وعلى مزاولة بعض ألوان النشاط التى يستطيع القيام بها . وعليك أن تبنى فيه أيضا الشعور بالاكتفاء الذاتى ، فاذا كان قعيد الفراش ، أو يسير بكرسى متحرك ، فاجعل مايرغب فى استعماله قريبا منه ، كالكوب أو الأقلام ، حتى لا يلجأ الى طلب الأشياء البسيطة التى يحتاجها ، وساعده على ضبط جهازه البولى وباقى العادات الصحية اليومية مثل أى طفل آخر ، وامنحه المشاركة فى الأعباء المنزلية ، التى يستطيع القيام بها ، لأن حرمانه منها يزيد من شعوره بسوء الحظ. وحاول أن تمده بأدوات اللعب التى لاتجعله سلبيا للغاية، وشجعه على الرسم بالزيت ، أو النقش بالأقلام الرصاص ، أو بناء هياكل الطائرات ، أو تعلم الموسيقى ، واعمل على تنمية ميوله الاجتماعية الى أقصى حد ، ولاتقف دونها ، ذلك لأن أى حرج يعانيه سيؤثر عليه تأثيرا معينا فى تعلمه الحياة الاجتماعية ، وسيؤثر عليه بالتالى فى مستقبل أيامه، كما يحول هذا الحرج بينه وبين تذوقه لذة تكوين الأصدقاء.



وتناول الفصل الثالث الحديث عن الطفل المصاب بالشلل المخى ، وأبان أن هذه الحالة كانت مستعصية على الشفاء فيما مضى ، ذلك لأن طبيعة المرض نفسه لم يكن يعرف عنه الا القليل ، وكان الناس بوجه عام يفترضون أن الأطفال المصابين بالشلل المخى ضعاف العقول ، ضعفا لا حيلة لأحد فيه • ومن ثم فانه لا فائدة ترجى من محاولة تعليمهم ، بل كان من الشائع أن يحيا أمثال أولئك الصغار بعيدين عن أنظار الأهل والأصدقاء والجيران ، أما اليوم فقد تبدلت الصورة ، ذلك أن طبيعة الشلل المخى قد فهمت على حقيقتها ، وابتكرت الوسائل التى يستطاع بها تعليم الأطفال المصابين بهذا الداء كيف يصلحون من مشيتهم ، وحديثهم ، واستعمال ايديهم • وقد قدرت نسبة ذوى العقول السوية أو المتفوقة بين المصابين بالشلل المخى بأكثر من ثلثيهم ، وأخذت النظرة الاجتماعية الزرية التى كان ينظر بها الى الشلل المخى تتناقص تناقصا مطردا ، كلما زاد الناس ادراكا لحقيقة هذا الداء • وعقل الطفل المصاب بالشلل المخى يؤدى عمله مهما لاحظت عليه من تجهم ، أو حركات لا هدف لها ، أو غلطة فى الحديث ، أو لعاب يسيل ، فكل هذه الظواهر ليست أدلــــة على عجزه عن التفكير بل هى شواهد عجزه عن تحكمه فى عضلاته • ويجب ألا يخفى عليك أن الطفل المصاب بشلل مخى ـ مهما بدت عليه مخايل النجابة ـ لابد أن يكون تعلمه بطيئا ، فاستخدم الصبر فى تعليمه كثيرا من الأشياء ، ولاتبخل ببذل جهودك فى هذا السبيل ، مادام فى مقدورك أن تتبين فى الطفل بريقا من التفكير السليم ، مهما صغر • واعلم أن من واجبك أن تفسر الشك فى أن طفلك سوى لمصلحته ، ولا تحكم عليه بأنه معدوم الذكاء ، وسر فى طريقك معه ، مفترضا أن الجزء المفكر من مخه غير مصاب الا اذا أكد لك خبير مختص بأنه ضعيف العقل ، ضعفا لاشك فيه • وعليك أن تلجأ للخبير الاخصائى ليحدد لك أى نوع من الشلل أصيب به طفلك ، وأى نوع من المعاهد المختصة يناسبه ، ويجب أن يفهم طفلك أن مصلحته وحدها هى التى تلجئك الى أن يعيش بعيدا عنك فى هذه المعاهد ، وأنه لن يغادرها قبل أن يحصل على جميع ما تستطيع أن تقدمه له من منافع، ولكن فى مثل هذه الحالة يجب أن يكون الطفل على اتصال مستمر ببيته ، غير بعيد عن جو أسرته ، فيلم الماما بكل ما يحدث فى محيط الأسرة من تغيير ، حتى لايفاجأ به عند عودته الى الأسرة • ومن واجب الأب أن يزور طفله فى المدرسة ليطلعه على كل هذه التغيرات • والطفل المصاب بالشلل المخى يألم أشد الألم من كل شىء يضعف شعوره بالثقة بنفسه ، ويثبط همته • وأكثر من هذا أن تعطيه لعبا يصعب عليه اللعب بها ، فهذا يقوى شعور الطفل بعجزه ، وعليك أن تأخذ نفسك بالصبر الطويل ، حتى يستطيع طفلك أن يتعود الطمأنينة والارتياح والنظافة ، وحتى ينمو فيه ببطء الشعور بالقدرة على العمل والثقة بالنفس ، وهى الصفات التى لابد منها لتقدمه وتحسن أحواله ، واعلم انه فى حاجة الى أن يتعلم كيف يعيش فى عالم يجب على الانسان فيه أن يحترم ملك غيره من الناس وشعورهم ، ولذلك لابد أن يدرب هذا الطفل على الحياة مع غيره من الناس ، كما لو كانت أعصابه وعضلاته كأعصاب الطفل السوى وعضلاته • وقد يحدث أن تؤدى شفقتك عليه واسرافك فى عنايتك به الى افساده ، والى ترك حبله على غاربه ، والى التغاضى عما يكون فى سلوكه من أنانية وخبث ، ولو كان فى غيره من الأطفال العاديين لما تغاضيت عنهما ، ولكنك اذا خضعت لهذا الميل الطبيعى فان كل ما تعمله هو أن تضيف الى ما يعانيه من نقص نقائص أخرى : هى سوء الخلق ، والفظاظة • والنزوات الشاذة المتقلبة والانانية وعدم التبصر •

ويتناول الفصل الرابع الطفل المصاب بالصرع ، وفيه وصف لهذه النوبات ، وتهوين من شانها ، لأن طبيعة النوبات التشنجية قد فهمت الآن ، وأصبح من المستطاع علاج معظمها علاجا يجتثها من جذورها ، أو يقللها ويخفف أثرها ، وأبان أن هذه النوبات أعراض لشذوذ فى تناسق التيارات الكهربية الصادرة من المخ ، وأنها كثيرة الأنواع ، وأن بعض العباقرة أصيب بها ، ومن هؤلاء دستوفسكى وسوينبرن ويوليوس قيصر ونابليون ، وأن هذه النوبات ليست دليلا على اضطراب فى العقل أو الشخصية ، وكل ماتدل عليــه هو اضطراب فى الجهاز العصبى ، وليس منشـــؤه الوراثة ـ كما يظن البعض ـ ومما يدعو الى الطمأنينة أن هـــذه الاضطرابات ليست مستمرة ، ولاتشغل كل وقت الطفل ، فهى كالسعال تذهب وتجىء ، وليس معنى هذا التقليل من خطورتها ، لأن نوبات الصرع مهما اصطنعنا العقــل فى تقبلها لاتخلو من صعاب عاطفية شديدة الألم ، اذ لا يمكن التكهن بوقتها ومكانها ، حتى يتسنى ابعاد الطفل عن مواطن الخطر ، وأيا كان مبلغ الصرع فيجب عرض الأمر على الطبيب المختص ، الذى سيطمئنك بأن هذه النوبات ليست قاتلة ، وأن الطفل لا يحس أثناءها بأى ألم ، وأن من الممكن أن يزاول الطفل نشاطه العادى دون أثر لهـــذه النوبات •

وفى الفصل الخامس يعرض الكتاب للطفل الضرير أو الضعيف البصر ، ويطلب اليك أن تتصرف مع الضرير دائما على أنه طفل له كل الحقوق للاعتماد على نفسه واحترام ذاته ، مثل جميع الأطفال ، ليحيا حياة سعيدة ، وأن تشجعه على تنمية مالديه من الحواس الأخرى ، وتنمية ملكاتـــه العقلية ، وأن تجنبه الشفقة التى تشعره بالعجز ، وأن تنمى فيه الشعور بالأمن فى محيط الأسرة ، ليستطيع اكتساب القدرات والمهارات المختلفة من هذا المحيط • وتعتبر حاسة اللمس بالنسبة له احدى الوسائل الهامة للتعليم ، كمـــا أن الصوت يلعب دورا حيويا بالنسبة للأطفال المكفوفين • لقد انتهى بالنسبة للمكفوفين عصر العصا والعكاز ، وأصبحت لهم مهارات لاتبارى فى كثير من الحرف ، وذكاء خارق فى

معاهد النور والأمل ، وتفوقوا على المبصرين فى مجالات الحياة المختلفة .

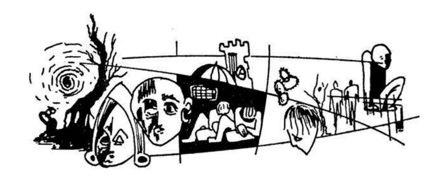
وفى الفصل السادس يتناول الكتاب حالة الطفل المصاب بالصمم ، وما يستتبعه من عدم الكلام . وان الشعور الحازم بالنجاح يعتبر من أحسن العوامل للتغلب على الخجل الذى ينمو مع هذه العاهة ، لتحل محله الثقة بالنفس ، ولقد تطورت لحسن الحظ وسائل تدريب الصم على الحديث ، واستخدمت فى معاهد الصم حاستا اللمس والنظر فى علاج الكلام . وعليك أن تقبل من طفلك كلامه وتشجعه عليه ، أيا كانت درجة عجزه ، وأن تتجنب التصحيح المتكرر لكلامه، ولا تستسلم لاغراء استعمال الحركات بالأيدى أو الكتابة فى ايصال المعلومات اليه .

أما الفصل السابع فيبحث فى حالة الطفل المتخلف عقليا ، ومن الواجب عليك فى مثل هذه الحالة أن تحصل على المساعدة الفعلية للاخصائى النفسى ، فهى التى ترشدك الى طرق معالجة هذا التخلف . ويجب أن تعلم أن مشاعر هذا الطفل هى نفس مشاعر الأطفال الآخرين ، فهو يشعر بالاهانة والخجل ، كما أنه يشعر بالفخر والثقة بالنفس ، فاذا عرضته للفشل المستمر فانك تخلق لديه احساسا متخاذلا يمكن أن يؤدى الى اضطرابات خطيرة . ولكن اذا شجعته ، وامتدحت مايقوم به ، واشعرته بمكانته التى لاتهسد حصلت على نتائج باهرة .

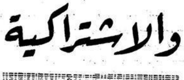
والفصل الثامن يعالج حالة الطفل الذى يعانى عيبا من عيوب الكلام ، وهو مثل من سبقه من ذوى العاهات يتطلب منا تشجيعه على الكلام ، والامتناع عن توبيخه بســبب عجزه . ومن الممكن أن تزيد شعور هذا الطفل بالنجاح فيما لايتصل بالكلام مباشرة ، كتشجيعه على ممارسة بعض الألعاب أو الأشغال اليدوية أو الرياضة . وأول مايجب عليك عمله هو اجراء كشف طبى شامل على الجسم والأسنان ، حتى يبدأ معه برنامج تصحيح الكلام فى ثقة اذا كان خاليا من العيوب ، أو عرضه على الاخصائيين اذا ظهر به عيب خلقى لمعالجته .

ويتعرض الفصــل التاسع للطفــل المريض بالحمى الروماتيزمية او الذى تطول علته : وشعور طفلك فى هــذه الحالة سيتلون من لون شعورك أنت ازاء مرضه ، فاذا كان اتجاهك وتصرفك معه سليما يصبح سليم العاطفة بالرغم من ضعف جسمه ، والا فانه يعانى عاطفيا كما يقاسى جسميا. واذا كنت تميل الى المبالغة فى حماية الطفل ، فاعمل جهدك للحد من هذا الاتجاه ، واذكر له خطورة العلة فى اسلوب عادى لايحمله على الفزع . واعلم أن هذا الطفل يحتاج فى بعض الأوقات الى أقصى ما يمكن من الاهتمام العاطفى ، ولكن كلما استعاد قوته يمكن أن تقلل شيئا فشيئا من خــدماتك واهتمامك به . وابعد طفلك عن الناس الذين يبدون الاهتمام والقلق بأمر صحتهم حتى لا يتأثر بطريقتهم فى التفكير . واجعله فى الا تقع عينه عليك الا متفائلا طروبا .

محمود الهجرسى



الرأسمالية



والاشتراكية والديمقراطية

تأليف : جوزيف شوم بيتر
ترجمة : خيرى حماد
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
٦٥٠ ص ١٧×٢٤ طبعة ثانية ٣٥ قرشا

هذا الكتاب ، من تاليف عالم الاقتصاد المشهور البروفيسور جوزيف شومبيتر ومن تعريب وتعليق الكاتب العربى الاستاذ خيرى حماد • يقع فى نحو من ٦٥٠ صفحة من القطع الكبير وهو جزءان ويعتبر من أمهات الكتب العلمية بالنسبة الي موضوع الاشتراكية ، ومقارنتها بالرأسمالية وجذورها العلمية ، وتطبيقاتها العلمية • اذ أن مؤلفه ، حجة فى علم الاقتصاد وثقة من الثقات فيه ، وقد تبوأ أرفع المناصب العلمية فى الجامعات • بعد أن صدرت له فى مجال اختصاصه عدة مؤلفات أهمها « تاريخ التحليل الاقتصادى » و « الاقتصاديون العظام » و « الذهب والاسلوب فى الاقتصاد » •

* * *

والوطن العربى ، الذى تمثل الجمهورية العربية المتحدة قلعته النضالية يخوض اليوم معركة الاشتراكية ، وهى من أعنف ما تكون المعارك •• وأكثرها تصميما وصلابة وايمانا على اعتبار أن الحل الاشتراكى ، حتمية تاريخية ، فرضها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وعلى اعتبار ان الحل الاشتراكى هو كما يقول الميثاق : الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتاج ، على قواعد علمية تضمن حياته من جديد ، وفق خطة مرسومة ومدروسة وشاملة ، وأن التخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية ، بطريقة عملية ، وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية •

بمثل هذه العبارات ، استهل المعرب الاستاذ خيرى حماد ، تقدمته لكتابه الضخم هذا ، مبينا أن الميثاق حدد معالم الطريق فى هذه المعركة وبين اهدافها ومبادئها ، ورسم خططها واساليبها وأوضح مقوماتها فى اطار يضع العقيدة الاشتراكية التى تؤمن بها على أنها الحل لمشاكل وطننا العربى ، ويبين الاسلوب المذهبى الذى يجب أن نتوخاه فى العمل من أجل تحقيق الهدف • وهو قيام مجتمع الرفاهية •

ولما كانت الطريقة العربية فى التطبيق الاشتراكى تؤلف الجزء الذى يتفق مع واقعنا العلمى وأهدافنا الثورية وضروراتنا المادية ، فى المذهب الاشتراكى على الصعيد العالمى ، فان من الأهمية بمكان كبير أن نطلع على كل مايصدر عن الاشتراكية ، ونقيضتها الرأسمالية وعلاقتهما بالديمقراطية من نتاج الفكر العالمى • ولا سيما اذا كان صادرا عن ائمة الفكر وأرباب الثقافة •• ولعل هذه الحقيقة هى التى دفعت الاستاذ خيرى حماد الى تعريب هذا الكتاب الثمين والتعليق عليه فى هوامشه المنتشرة هنا وهناك ، شارحا للبعض ما غمض فيه ، ومعلقا على بعض ما يختلف فيه مع مؤلفه من آراء •

وفى الكتاب محاولة ضخمة للرد على عدد من الأسئلة التى تواجه كل مفكر وكل مثقف مهما كانت ميوله واتجاهاته ، ومفاهيمه وتطلعاته ، وفى مقدمتها ، ترى هل تستطيع الراسمالية البقاء ؟ وما هى العلاقة بين الديمقراطية والنسق الراسمالى ، وهل تستطيع الاشتراكية النجاح ؟ وهى تتناقض مع المفهوم الشائع عن الديمقراطية •

يبدأ الكتاب في محاولة الرد على هذه الأسئلة ، بطريقة علمية ، بقسم خاص يضم مقدمة وأربعة فصول ، تبحث كلها في الماركسية بحثا علميا صحيحا ومقتضبا ، محللا عقيدتها من نواحيها السياسية والاجتماعية ومبينا ما حققته من أسهامات ضخمة في الفكر الاشتراكي ، ومبرزا ما يراه فيها من أخطاء وعيوب . ثم ينتقل الى القسم الثاني ويضم مقدمة وأحد عشر فصــلا ، تبحث كلها في الرأسمالية . مستعرضة جذورها وواقعها ومفاهيمها وأسسها ، ومبينة كل ما يتعلق بها من نظريات تتناول الانتاج والدورة الاعمالية . والاحتكار والاستثمار . ومتوصلا بعد ذلك كله الى نظريته في حتمية الحل الاشتراكي كخلف وبديل للمجتمع الرأسمالي ، الذي لا بد وأن ينهار ويتحلل بفضل ما ينطوى عليه من قوى داخلية وتفاعلات ، ناسبا انهياره الى نجاحه ، لا الى فشله ، طبقا للمذهب الماركسي .

وينتقل الكتاب بعد ذلك الى القسم الثالث ، وهو يتناول الاشتراكية ويقع في مقدمة وخمسة فصول ، تتناول المقــارنة بين مختلف الآراء والنظريات من مستقيمة وتقليدية وثورية وفابيــة وماركسية ــ لينينية ، متوصلا في ذلك كله الى وضع المخطط الاشتراكي الذى يراه قادرا على النجاح على ضوء الواقع الاقتصادي والعنصر الانساني .

ويتحول الكتاب بعد هذا الى القسم الرابع وهو يتناول موضوع الديمقراطية في خمسة فصول . فيفسرها تفسيرا علميا صحيحا ، وينكر مفاهيمها البورجوازية التقليدية ، ويصل الى نتيجة يقول فيها ، ان الترابط ليس حتميا بين الاشتراكية والديموقراطية وأن الوحدة منهما قد توجد دون الأخرى . ولكن المعرب الأستاذ خيرى حماد يرى في هذا الرأى خروجا على المفهوم الاشتراكي الصحيح للديموقراطيـــة . والتزاما لمذهب قد يؤدى بالاشتراكية التي يقترحها المؤلف الى سبل وعرة كل الوعورة ، تخرج بها عن طبيعتهــا الصحيحة لتقترب من مفاهيم الاوتوقراطية والفاشية .

وينتهى الكتاب في قسم خامس يقع في ثمانية فصول . يستعرض فيها في سرد تاريخي رائع ، لحركات الاشتراكية الكبرى في العالم ، ممثلة في الاشتراكية الماركسية اللينينية في الاتحاد السوفياتي ، واشتراكية حزب العمال البريطاني ، والحزب الاجتماعي الديموقراطي في المانيا ، والحزب الاشتراكي في فرنسا ، والحركات الاشتراكية في الولايات المتحــدة والدول الاسكندينافية وغيرها ، مؤكدا بصورة خاصــة على التجربة الشيوعية في روســـيا وتجربة حزب العمــال في انجلترا ، وينتقل بعد ذلك الى عرض التيارات والأحداث التي وقعت في العالم في السنوات القليلــة التي أعقبت الحرب العالمية الأخيرة .

انه كتاب شامل للدراسات الاشتراكية ، وقد أضاف معربه الاستاذ خيرى حماد الى مافيه من شمول وبحث عميق ، نظرات ومفاهيم واضحة عن طريقتنـــا العربية في التطبيق الاشتراكي ، ضمنها تعليقاته العديدة المنتشرة في هوامش الكتاب هنا وهناك .

ان الكتاب لا غنى عنه لكل من يود التعمق في دراساته الاشتراكية . »

ممدوح عيسى

سطور من كتاب ....

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضــه
فــكل رداء يرتديــه جميــل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حســن الثناء سـبيل

تعيــرنا أنا قليــل عــديدنا
فقلت لهــا ان الكرام قليــل

فماضرنــا أنا قليــل وجارنــا
عزيز وجــار الأكثرين ذليــل

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون



يقدمه مدير التحرير

● بدات الدار المصرية للتأليف والترجمة فى طبع « الرائد الصغير » وهو معجم عربى جديد رتبت مادته على حروف الهجاء دون نظر الى أصولها . واتبع فيه استصفاء ما فى كتب المعاجم كلها وعبر عن المعنى بأسلوب حديث ، كما تتبع اللفظ فى استعماله الحديث ، وروعى تنقيته من المعانى التى وردت خطأ فى المعاجم . والطريقة التى اتبعت فى ترتيبه تساعد الطالب كما تساعد الباحث من غير ابناء العربية على الاهتداء الى معنى اللفظ بصورته التى تعرض له ثم الاشارة الى أصل اللفظ . وستوضح بعض المواد فى هذا المعجم بصور لم تنشر من قبل فى المعاجم المصورة .

● اما فى بيروت فقد تكونت لجنة استشارية من كثير من العلماء العرب فى مقدمتهم الأمير مصطفى الشهابى والدكتور ابراهيم بيومى مدكور والدكتور أحمد السمان والدكتور فؤاد صروف والدكتور مصطفى جواد والدكتور محمد الفاسى والدكتور قسطنطين زريق وغيرهم يمثلون أقطار العربية لوضع **معجم ثنائى بالعربية والانجليزية** ، وسيراعى فيه تنسيق الجهود السابقة لمن تولوا وضع معاجم ثنائية والافادة من تلك الجهود مع الافادة بما وضعته المجامع اللغوية فى العالم العربى من تعريبات وما قام بوضعه المتخصصون من رجال العلم مما لم يكن له مقابل فى العربية حتى يساعد على النهوض بحركة التعريب ، وسيتميز بضم الكثير من الألفاظ التى دعت الحاجة الى تعريبها وبخاصة فى حركة التطور العلمى الحديث .

● وفى هذا المضمار أوشك **«الرائد المصور»**، الذى تتولى الدار المصرية للتأليف والترجمة فى مصر نشره ، على الظهور ليسد الحاجة العلمية الملحة الى معجم يعين العاملين فى حقل التعريب العلمى الآن ، وهو معجم يتميز باللوحات المصورة التى تنفرد كل لوحة منها بمادة من المواد ، وأمامها فى الصفحة المقابلة لها تعريب وتعريف بأجزاء الصورة تعريبا دقيقا لجميع مستحدثات الحضارة .

● هيأ المؤرخ اللبنانى الأستاذ محمد جميل بيهم كتابا جديدا للنشر عنوانه « **عالم حر**

جديد فى آسـيا وافريقية » للتعريف بالدول الجديدة التى اكتمل كيانها وظفرت باستقلالها وتحررها ، والتى لم تكن قد نالت حظها من الوجود على الخرائط الجغرافية من قبل ، ثم تعيين مواضعها والتعريف بها والتأريخ لها .

● ويعد الأستاذ الدكتور محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامى السابق كتابا عن « الخزف الاسلامى » فى العصور المختلفة ، وسينشر هذا الكتاب فى حوالى مائة وخمسين لوحة بالألوان الى جانب صور اخرى بالأسود والأبيض ثم رسوم لتفاصيل العناصر الزخرفية .

● كما يعد الآن للنشر الجزءين الأول والثانى من كتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » للمؤرخ ابن اياس ، وكان قد نشر فى السنوات الأخيرة الأجزاء : الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب .

● صدر عن « دار القلم » فى القاهرة كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للقائد العربى عبد الله التل . وقد اتجه فى هذا الكتاب الى دراسة قضية فلسطين من جانبها الدينى لأن عناصر هذه المشكلة فى كل مرحلة من مراحلها التاريخية دينية مقدسة ، وهو يؤمن بأن اية معالجة لها لا تكون على أساس دينى جهادى ، مكتوب عليها الأخفاق لا محالة ، وايمانه هذا مبنى على تجارب عسكرية عاشها ، وحقائق تاريخية لمسها ووعاها . ويقول الأستاذ محمد المعلم تعريفا بهذا الكتاب ان مأساة فلسطين ليست وليدة وعد بلفور أو نتيجة كارثة ١٩٤٨ بل ترجع بعيدا بعيدا الى الوراء ، حيث حرف احبار اليهود التوراة بعد قرون من نزولها ، وحشوها بأفحش القول وأبشع الحقد ضد المسيح والمسيحية ، وضد الاسلام والانسانية ، وضمنوها من التعاليم والمبادىء والقيم ما ينكره ويأباه كل ذى ضمير حى ووجدان سليم .

● يقوم الأستاذ جلال مظهر بجمع آثار والده العالم المفكر الأستاذ اسماعيل مظهر مما نشره فى مجلة « العصور » ومجلة « المقتطف » و « السياسة الأسبوعية » وغيرها من الصحف ، وهى مادة غزيرة موزعة بين العلم والادب والتراجم ومباحث اللغة والنقد توطئة لنشرها ، واعادة نشر ما نفدت طبعاته من الكتب التى اخرجها هذا العالم الاديب .

● نشر المجمع العلمى العربى » فى دمشق الجزء الثانى من كتاب « الجامع فى اخبار أبى العلاء » لمحمد سليم الجندى . وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ عبد الهادى هاشم .

● اشرت فى هذا الباب من العدد السابع من هذه المجلة الى قيام « المجمع العلمى العربى » فى دمشق بنشر الجزء الثالث من كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » (قسم شعراء الشام) للعماد الأصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . بتحقيق الدكتور شكرى فيصل وهو الذى حقق الجزءين الأول والثانى منه .

ونضيف هنا أن (قسم شعراء المغرب) من هذا الكتاب قد قام بتحقيقه الأساتذة الجيلانى ابن الحاج يحيى ، ومحمد المرزوقى ، ومحمد العروسى المطوى .

والذى نأمله ان تتضافر الجهود فى البلاد العربية على اتمام نشر هذا الكتاب النفيس الذى قسمه مؤلفه الى اربعة اقسام : الأول قسم العراق ، وقد نشر الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمد بهجت الأثرى ، وقد شارك فى معارضة نسخه وصنع فهارسه الدكتور جميل سعيد . والثانى : قسم العجم وفارس وخراسان . والثالث : قسم الشام ، وهو الذى نشرت منه ثلاث اجزاء . والرابع : قسم مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس ، وقد نشر من القسم الرابع الجزء الخاص بشعراء مصر بتحقيق الدكاترة احمد أمين وشوقى ضيف واحسان عباس .

● شرع المحدث الحلبى الأستاذ عبد الفتاح أبو غيده فى تحقيق آثار الامام أبى الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ . فنشر الكتاب الأول منها وعنوانه « الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل » بعد أن قام بتحقيقه وتخريج نصوصه والتعليق عليه

مما يدل على سعة اطلاع وسلامة ذوق .

ثم نشر الكتاب الثانى وعنوانه « **الاجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة** » وهو كتاب يتمم موضوع الكتاب الأول ويسد فراغا فى علوم الحديث لم يملأها احد قبله .

ويقوم بنشر هذه الآثار « مكتب المطبوعات الاسلامية » فى حلب .

● يصدر عن « دار القلم » ديوان شعر للعالم الجغرافى الدكتور محمد محمود الصياد الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة . ومن الطريف انه قد اختار من مادته العلمية عنوانا لديوانه الشعرى هو « **سهول وهضاب** » .

● يصدر للدكتور محمد غنيمى هلال الأستاذ بكلية دار العلوم كتاب « **مختارات من الشعر الفارسى** » عهد اليه أمر تأليفه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وقد قدم فيه الدكتور غنيمى نماذج من الادب الفارسى فى كل عصوره مع دراسة وترجمة وتعليق يبين فيها تأثر الادب الفارسى بالآداب العالمية وتأثيره فيها وبخاصة فى الأدب العربى . وقد بدأ بأقدم ادباء الفرس وهو : رودكى ، ثم دقيقى ، منسك الترمذى ، منطقى الرازى ، كسائى مروزى من الشعراء الغنائيين ، ثم الخيام وسعدى الشيرازى ، وحافظ الشيرازى ، ومن الملحميين الفردوسى واسدى ، ومن القصصيين امثال نظامى وجامى . حتى وصل الى العصر الحديث فعرض نماذج لاقبال ومحمد بهار وغيرهما .

● يصدر عن دار المعارف المجلد الثالث من « **ديوان البحترى** » الذى يقوم بتحقيقه مدير تحرير هذه المجلة ، وهو يبدأ بالقصائد التى فى حرف الفاء ، وينتهى ببعض قصائد من حرف الميم .

● كما صدر عن دار المعارف أيضا الجزء السادس من « **تاريخ الطبرى** » المعروف باسم « **تاريخ الرسل والملوك** » لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ويبدأ هذا الجزء بالتاريخ من سنة ٧٠ هـ الى سنة ١٠٣ هـ . وهو يعتبر من أوفى المراجع التاريخية . وقد نشر فى أوروبا باشراف المستشرق دى خويه ومعاونة فريق من المستشرقين ثم طبع فى مصر مرتين ، ولكن أصبح الحصول عليه شاقا .

وترجع قيمة هذا الكتاب الى انه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة فى كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازى وتاريخ الأحداث والرجال ونصوص الشعر والخطب والعهود ، ناسبا كل رواية الى صاحبها .

ويقوم بتحقيق هذه الطبعة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، معتمدا طبعة أوروبا ، وقد زاد عليها فروق النسخ التى حصل عليها ، مع ما عن له من التعليق والشرح والتوضيح .

● تصدر وزارة الثقافة والارشاد القومى فى **سوريا** مجلة شهرية رصينة اتمت عامها الثالث هى مجلة « **المعرفة** » . وقد اصدرت هذه المجلة فى ختام عامها الثالث عددا ممتازا بلغت صفحاته ٤٦٦ صفحة خاصا **بالمسرح** اشترك فى تحريره أكثر من خمسين كاتبا وتناول الموضوعات المسرحية من مختلف جوانبها على النطاق العربى والعالمى ، بدأ بالكلام على المسرح السورى : آفاقه ، تأليفه ، قضاياه ، مشكلاته ، ثم نظرات فى المسرح . وتناول بعد ذلك الكلام على المسرح العربى فى الجمهورية العربية المتحدة بدأ بموجز لتاريخ الحركة المسرحية ثم الكلام على توفيق الحكيم ومسرح اللامعقول . ثم الكلام على المسرح فى لبنان ومشاكل المسرح هناك ، ثم حديث عن المسرح فى العراق ، وعن المسرح الكويتى والمسرح الجزائرى . وكذلك المسرح التونسى . ثم تناول الكلام عن المسرح الواقعى الصينى والمسرح اليابانى . والمسرح الافريقى . ثم المسرح الأوروبى والأمريكى . ثم ختم بثلاث مسرحيات من أدب المسرح .

● صدرت فى القاهرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومى مجلة « **الفنون الشعبية** » التى يرأس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس . وستصدر كل ثلاثة شهور . وهى كما يقول الدكتور عبد القادر حاتم ليست مجرد دورية ثقافية متخصصة فى موضوع معين ، ولكنها

استجابة طبيعية لاحســـاس مجتمعنا العـربى الاشتراكى بذاته واستكمال ملامحه بعد أن اتم مرحلة التحول ، وبدأ مرحلة الانطلاق العظيم ، ولم تعد الدعوة فى هذا المجتمع الى دراســـة الفنون الشعبية وعرضها وتطورها ، ترفا عقليا أو فنيا يقوم به فريق من الناس يريد أن يتظاهر باحترام هذه الفنون ، ذلك لأن الشعب الذى حقق وجوده الكامل على أرضه ، وادرك مكانه الصحيح من الحياة والتاريخ والحضارة قد عبر ، ولا يزال يعبر ، بالكلمة والصورة والايقـــاع وتشـــكيل المادة ، عن تجاربه ومواقفه ، وعن آماله ومثله العليا . وهذه القيمة الحيوية للفنون الشعبية ، باعتبـــارها التراث والذخـــيرة ، وباعتبارها الخبرة والتجربة ، وباعتبارها التعبير الصادق والأصيل ، تفـرض الاهتمـــام بكل ما يصدر عن الشعب ، وعن الناس العاديين ، من كلمة منظومة ، وحركة موقعة منغومة ، ومن صورة أو مادة تلخص حياته ، وتحدد موقفه ، وتستشرف مستقبله . ومن هنا كان صدور هذه المجلة استجابة منطقية لاحترام الشعب لذاته ، وتقديره لفنونه .

ويقول الدكتور عبد الحميد يونس ان هـــذه المجلة ستحاول ، ما وسعها الجهد ، أن تساير الحركة الناشـــطة فتعين على جمـــع التراث الشعبى وتصنيفه وعرضه ودراسته ، وتسجيل ما يحمل من نبض الوجدان القومى ، وما يترجم من قيم انسانية عليا ، وانه ليسرها أن تسجل جهود المتخصصين فى الوطن العـــربى الكبير ، وتتبادل واياهم المعارف والنتائج .

● وعن دار « الأهرام » صدرت مجـــلة « الطليعة » ويراس تحريرها الأســـتاذ لطفى الخولى ، وهى تصدر استجابة لحاجة المثقفين الثوريين فى مصر وفى وطننا العربى الى تنظيم لقاء عميق وخصب وصراع حر ومثمر بين آرائهم وأفكارهم ودراساتهم وتجاربهم لاعادة صياغة المجتمع والانسان العربيين صياغة عصرية تقدمية تنتمى الى تراثنا القومى وواقعنا المتطور على المستوى المحلى والعربى والافريقى على السواء، وتتفاعل فى الوقت نفسه مع عصر الانســان فى النصف الثـــانى من القـــرن العشرين بثوراته التحررية والاشتراكية وغزو العلم للفضاء .

« الطليعة » تعد نفسها ميدانا مفتوحا لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ، مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقـه فولتير فى القـــرن الثامن عشر وهو « قد اختلف معك فى الرأى ، ولكنى على استعداد لأن ادفع حيـــاتى ثمنـــا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .







■ جاءنا من القارىء فاروق الشريف رد على مقال « الغزو الفكرى » يقول فيه ..

فى حماس شديد لما ذهب اليه مؤلف الكتاب من أننا نتعرض لغزو فكرى من جانب الحضارة الغربية رفع الأستاذ عبد الصبور مرزوق شعار أننا مسلمون عرب ولابد من الوقوف أمام الغزو الصليبى الغربى - وهذا الحماس أمر محمود اذا استند الى الوعى والادراك من أنه ليس من الاسلام ولا من العروبة أن ننغلق على أنفسنا ونأخذ موقف الرفض للحضارة الغربية وانما نأخذ من الفكر الانسانى ما يتلاءم مع حقائق العصر والواقع الذى نعيشه - أما الاستشهاد بالثورة الجزائرية فهو استشهاد مغلوط لأن الثورة الجزائرية أخذت من الثورات الأخرى ما يتلاءم من الواقع الجزائرى ولم تقف موقف الرفض للأفكار الغربيـــة .

وفى حماس بالغ أيضا خص الأستاذ عبد الصـــبور مرزوق الدكتور لويس عوض بحملة هوجاء ونصب نفسه ناقدا فنيا يستطيع استخلاص نتائج سياسية ومن ثم حكم على مسرحية « الراهب » بأنها تنادى الى الاقليمية وهى نتيجة غريبة عن مضمون المسرحية رغم المحاولة اليائسة بالاستشهاد بجزء يسير من حوارها والأمر الغريب حقا أن يطلق الأستاذ عبد الصبور صيحاته الهستيرية ضد لويس عوض مستعديا عليه القراء بأنه نصير للتيارات المعاكسة ويكاد يصيح بتنحيته عن الاشراف على القسم الأدبى بجريدة الأهرام ويحاول اصطياد البراهين من مقالات نقدية لديوان صلاح عبد الصبور « أحزان الفارس القديم » ومن محاضراته عن الثورة الفرنسية وهو مجال أعتقد أن الأستاذ عبد الصبور مرزوق قد تورط فيه اذ دخل ميدانا لا يملك فيه الا حماسه لقضية ومتهمين لا وجود لهم الا فى ذهن مؤلف الكتاب .

تعرض لأدب مصطفى محمود وعبد الرحمن الشرقاوى وغالى شكرى ولا أدري كيف تقحم الأعمال الأدبية اقحاما فى قضايا بعيدة كل البعد عن الأدب والفن الا اذا كان القصد من ذلك ارهاب الكتاب والفنـــانين .

وتبقى لدى ملحوظة قد تبدو بعيدة عن نطاق البحث ولكنى أعتقد أنها ضرورية لكى نتبين مكمن التيارات المعاكسة فمؤلف الكتاب كان يشتغل محررا للشئون العربية بمجلة روزاليوسف ثم سافر الى العراق للعمل هناك وعند رجوعه للقاهرة رفضت الحكومة العراقية عودته كما رفضت السلطات الشعبية المسئولية عن الصحافة بالاتحاد الاشتراكى العربى اشتغاله مرة أخرى فى مجالات الإعلام !! .

■ **والمجلة ترحب بكل رد موضوعى على هذا التعليق خدمة للثقافة والفكر العربى .**

■ وجاءنا من القارىء نبيل زكى جلاب هذا النقـــد لتحرير المجلة .. وهيئة تحرير المجلة اذ تشكره على هذه الملاحظات التى ساقها .. تستدرك معتذرة بان المقتضيات الفنية للتحرير تحتم الا تزيد صفحات المقال الواحد عن هذا الحجم ، يقول السيد القارىء فى نقده ...

اننى قارىء أتابع قراءة مجلة الكتاب العربى باهتمام ، وأتمنى لها مزيدا من النجاح .. وبهذه المناسبة أعرض نقدا على مستوى ادراكى ... نحن نفخر بهذه المجـــلة التى انبعثت نتيجة لحركة التطور التكنولوجى فى مجتمعنا المتجدد .. اننى الاحظ أن السادة الكتاب بالمجلة مشهورين فى عالم الثقافة والتعليم والأدب .. والاحظ أن الموضوعات شاملة لكنها مختصرة .. اللهم الا مسرحية « رغبة تحت شجرة الدردار » تاليف يوجين اونيل فى عدد اكتوبر الماضى للمرحوم الأستاذ درينى خشبة .. ومع أنها مختصرة لكنها مكتملة فى التلخيص ، وهى تكشف طبيعة النفس البشرية مع العمق المعروف عن المؤلف .

هذا وأتمنى مزيدا من النجاح للمجلة لأنها تساهم مساهمة فعالة فى عرض الثقافة دون غرض ، وهى خير عون لتكذيب المغالطات التاريخية التى يثيرها بعض المؤرخين الغربيين ، ونشكر بهذه المناسبة الدكتور حاتم لاهتمامـــه بالثقافة القومية وبعثها فى صورة مجلات ثقافية وطنيـــة زهيدة الثمن ثمينة القيمة .. لتتناسب مع تطورنا الإشتراكى فى ظل الحرية الاجتماعية والثقافية .

■ **وعن كتاب « الحركة العاقلة » تاليف الأستاذ محمد عطا .. جاءتنا هذه الرسالة تعرض لما جاء به من آراء .. ونحن نشكر للقارىء محمد كامل ابراهيم صاحب هـذه الرسالة اهتمامه بقراءة المجلة ومتابعة رسالتها الثقافية .. يقول السيد القارىء عن هذا الكتاب انه ...**

احدى المحاولات لوضع أساس مذهبي لحياتنا الفكرية المعاصرة .. وتخطيط مدلولاتها النظرية والامتداد بذلك الى ميـدان الفن • والحركة التي يدعو اليها الأستاذ عطا في الحياة والفكر والفن حركة يحكيها العقل المستنير • العقل الواعي العقل المضيء الذي صقلته التجارب وزادته الأيام حدة وطموحا وقوة ومضاء • وهدفه تحقيق ثورة فكرية روحية توازي الثورة الاجتماعية الضخمة التي نعيشها • وينقسم الكتاب الى قسمين الأول عن الحركة العاقلة في الحياة والفكر والثاني عنها في الفن •

وفي القسم الأول يتناول أصل الكون فينحي كثيرا من الخرافات جانبا • ليلتحم بالآراء العلمية والحقائق التي أكدت قوانين الكون المادية منذ ديمقريطس حتى علمـاء العصر الحديث ، وكلها تؤكد أن الكون في حركة مستمرة وتطور دائب ، وينتهي معهم المؤلف الى أن حركة الكون تخضع للقوانين العلمية وفي الوقت نفسه فان خصائصها التي أوجدت فيها قد بعثتها قوة كبرى نؤمن بأنها الله • فكل كائن في الكون قد أوجدت فيه خصائصه التي تدفعه الى أمام دفعة مقدرة عاقلة • أما التطور فيعرفه الأستاذ عطا بأنـه ابراز عناصر كانت مستكنة الى الوجود والانسان المتطور هو الانسان المتحرر ليستطيع بذل مجهود أكبر للنهوض بمجتمعه ، متحرر من عبودية الرق والفاقة والجهل، والمخترعات هي دلالة تطور الانسان واستمرار حركته التقدمية والانسان يفكر دائما ويدبر ويسعى انه الحركة في ذروتها والتطور بأجلى معانيه ، وهو لم يعد يتطور في أعضاء جسمه بعـد أن كيف نفسه حسب البيئة • وتغلب على كثير من الصعاب• فالتطور اذن يكون في عقل الانسان وتفكيره فاذا هيئت له البيئة الصالحة بكل جوانبها في المنزل والمدرسة وغذاء الفكر أتي بالمعجزات • والعقل أسمى ما وهب الانسان من ملكات والعقل الانساني متحرك على الدوام ناشط في كل الأوقات صرف في آفاق التقدم العلمي فحافظ على النوع الانساني وتقدمه •

ثم ينتقل المؤلف متابعا رحلته مع الحركة العاقلة في الحياة والفكر فيوضح أنه كما تطورت العلوم والفلسفة بفضل العقل كذلك تحرك الدين وتقدم ، وما جمود بعض الشعوب على دياناتها البدائية الا لأنها جامدة في تطورها الى حد بعيد• وترجع الديانات كلها الى أصل واحد هو تطلع الانسان الى قوة أضخم تحميه وتحفظه • وارتقى الفكر البشري شيئا ما فتمثلها في اله للخير واله للشر • ثم ظهرت اليهودية داعية الى التوحيد ولكن أهلها ما لبثوا أن أغلقوها على أنفسهم • فبزغت المسيحية كرد فعل تدعو للمحبة .. ثم ظهر الاسلام ملبيا حاجات مجتمع مع كل خرافات حياته ، وقد تعرضت الديانات بعد ذلك للجمود ولكن تحركها كان رهن تفتح عقول حملة راية الاصلاح الديني أمثال لوثر وكالفن والغزالي والأفغاني ومحمد عبده .. وقد أدى التقدم العلمي الى ضعف التدين فظهرت الماركسية والوجودية ولكن أسرار الكون مازالت غامضة وقوة التدين في الانسان أقوى من كل ما يعترضها • والمجتمع الاسلامي اليوم في أمس الحاجة الى مصلحين يبصرون أفراده بحقيقة التدين وتنقيته من شوائبه وقد توارى الدين كمحرك للصراع في العصر الحـديث وتصارعت المذاهب حتى حملت السلاح ضد بعضها وشهد القرن العشرون صراعا بين النازية والديمقراطية .. ثم بين الشيوعية والرأسمالية .. ثم ظهرت مجموعة عدم الانحياز ولم يعد لهذا الصراع معنى جوهري فقد تمخض عن انقلاب فكري وأسفر عن حقائق سلم بها الجميع فسادت فكرة المساواة بين الناس واسترد العامل الفرد حريته الى حد كبير واتجه الفكر الانساني الى ترقية الفرد ليكون مدار الفن وحديث التاريخ وجوهر الفلسفة وأسـاس النظم الاقتصادية وقد أثار العلم أمام الانسان كثيرا من المشكلات وهو يحاول الآن حلها وقد يخطيء ولكن ذلك يهديه الى الصواب • وتاريخه البعيد قد أثبت أن في استطاعته التغلب على أكثر مشكلاته الأمر الذي سيقوى جذور الفن ويشبع عاطفتنا شبعا انسانيا نبيلا .. ان الانسان يتقدم وروح الانسان تنظر دائما الى الأمام والعصور المظلمة لاتستطيع أن تقضي على هذه الروح •

اذن فما سر هذه الحركات الثورية الكبرى في التاريخ الانساني ؟ يرى ماركس أنها تحدث بدوافع اقتصادية في المكان الأول • ويردها آخرون الى عوامل جغرافية ويعتقد كارليل أنها عمل من عمالقة الرجال • والذي لاشك فيه أن هذه الحركات الثورية تعود الى الدفعة التاريخية أو الحركة التطورية التي بلغت أقصى ذروتها في قيادة حكيمة تنتهي الى النجـاح .. فالثـورة ماهي الا حركـة قوية لاجراء تغيير لا محيص عنه كانت جذوره قائمة وكانت النفوس مهيأة لاستقباله وعلى ذلك فالحركة العاقلة لا تؤمن بالثبات ومن ثم فهي ترفض مبدأ التعادلية .. أو التوازن .. لأن التعادلية بذلك تعنى الجمود والموت وحين يقـول توفيق الحكيم ان هناك تعادلا أو توازنا بين العقل والروح في نفس الانسان الفرد ، تقول الحركة العاقلة ان قوة العقل تصحبها دائما قوة الروح فالعلماء الأفذاذ لم يحققوا ما استقرت عليه عقولهم الا بقوة أرواحهم ومثابرتهم وتصوفهم العلمي فالنشاط والحركة والتقدم ينبغي أن تكون شعارنا وشعار كل انسان معاصر وبذلك تتوطد في أذهاننا الحقيقة التي

تؤكد أن الحركة العاقلة هي أساس التطور في الكون وفي الفكر الانساني .

وبعد ذلك ينتقل الاستاذ محمد عطا ليطبق الحركة العاقلة على الفن .. فقد أصبح الفن صدى العصر لأن المثل العليا للانسان تتغير وتتطور الفن على مدى الأجيال وهو في تطوره ينكر الانتاج العليل الذي يقوم على العقد النفسية والأمراض العصبية والغرائز البدائية والفن لم يعد عفويا بل أصبح جهدا وعقيدة ورأيا . وروعته تتمثل في الحركة التي تشيع فيه سواء أكان شعرا أم قصصا أم عملا أدبيا .

وعلى ذلك فحين يطبق الأستاذ عطا منهجه على الشعر يقرر .. أن الشعر الرائع هو الشعر الذي يفيض حيوية وحركة .. لذلك يهتم بقصيدة المتنبي التي يصف فيها مرضه بالحمى لأن الشاعر شخصها وأسبغ عليها الحركة وأحالها الخيال الى صورة حية نتبعها ونسير في أثرها ونعجب لأمرها . ويختار رثاء مطران للاديبة مي « والجنة الضائعة » للشابي « وشناطىء التوبة » لمحمود حسن اسماعيل « وسؤال » لنزار قباني و « أبو القاسم الجزائري » لعبد الرحمن الخميسي . و « الخاطئة » لفوزي العنتيل .. وينادي المؤلف بوحدة القصيدة .. وبعصريتها وتعبيرها الحق عن مطالب عصرنا وأحاسيسه وهمومه .. ويدين الشعر الذاتي العاطفي المتخاذل لأنه شعر بدائي مهزول فمعيار الشعر أن يكون حافزا للانسان ليتقدم ويتطور .. والواقع أن معالجة الأستاذ محمد عطا لفن الشعر لا تحقق ما كنا نأمله فلا نلمح فيها جديدا .. أو خصوصية بالناقد وبمذهبه المقترح ، ولعل مرجع ذلك الى ثبات الشعر النسبي .. وتطوره البطيء نوعا بالنسبة لفروع الأدب الأخرى كالقصة الطويلة التي يعلن الأستاذ عطا أنها أكثر انطباقا على الحركة العاقلة من أي لون أدبي آخر لأنها تطورت على مر العصور من الحكاية الى الحدوتة الى المقامة الى القصة الفنية الخيالية فالتاريخيـة فالواقعية بأنواعها .. وقد بلغت في مصر رشدها .. والحياة المصرية قابلة للآلاف التي تروى .. ويحدد المؤلف موضوعها بهؤلاء الناس السويين الذين نراهم في نموهم وتطورهم والا نجعلهم بعيدين عن مجتمعهم وعن الصراع الذي يظهر في هذا المجتمع .. فالانسان ابن مجتمعه وروح عصره وهو طموح متوثب في مجموعه .. ثم يتراجع الأستاذ عطا بعد ذلك حين يقول : فالانسان الذي نعنيه هو الانسان الذي يقود أو يكافح ليقود .. انسان الطليعة فالمؤلف بهذا قد ضيق رقعة القصة الطويلة حين حصرها في انسان الطليعة وسحب ما قدمه لها قبل ذلك من الجمهرة العادية » .

ويتخذ من ابراهيم بطل قصة احسان عبد القدوس «في بيتنا رجل» نموذجا لانسان الطليعة .. ويأخذ عليها فنيا طولها الزائد عن الحد .. ولعل مرجع ذلك حقا راجع الى سيطرة التفكير السينمائي على أسلوب المعالجة عند كتابتنا بجانب مقتضيات نشر القصة في أول الأمر مسلسلـة في مجلة أسبوعية .. ويعيب المؤلف على القصة حب «ابراهيم» الذاتي «لنوال» في وقت كان مطاردا فيه وفي جو مشحون بالتوتر والقلق .. بينما سار «باقل» بطل رواية «الأم» لمكسيم جوركي لم تشغله عواطفه الشخصية وهو يناضل عن أهدافه الكبرى .. وبقليل من المراجعة نلمس قسوة حكم الأستاذ عطا فالمبررات الفنية توضح سلامة مسار التطور العاطفي للبطلين في الروايتين .. ففي رواية «الأم» عاش البطل في ظل حنان سابغ .. حنان الأم الذي لا يقارن فاغناه عن كل حب آخر ، وأشبع عاطفته فتفرغت قواه للنضال .. الأمر الذي حرم منه «ابراهيم» فموضه في نوال تلك الشخصية التي شاركته كفاحه .. وكانت أكبر عون له ولاخوانه في نضالهم . ويتناول المؤلف بعد ذلك ثلاثية نجيب محفوظ وطريق العودة للسباعي ، وغصن الزيتون لعبد الحليم عبد الله .. والأرض للشرقاوي ومن الأدب الأجنبي قصة « كفاح الأحرار » تأليف ليام أفلارتي و « تاراس بولبا » لجوجول . والاختيار ذاته يعطينا فكرة واضحة عن متطلبات المؤلف فلا يرضيه من الفن الا أن الانسان مكافحا وطنيـا في المكان الأول . يقتحم في دأب المعارك لتحقيق أهدافه الوطنية وكأنه في وضع خالد ليس له نهاية . وفي ميدان القصة القصيرة أن من القصص القصيرة ما يشبه القصيدة الشعرية حيث تنقل لك في لحظة من لحظات الحياة تجربة بكل دقائقها وانطباعاتها في النفس ويعرض لقصة العذراء والليل لمحمود البدوي ورعب لتشيكوف .

ويرى المؤلف بعد ذلك ان المسرحية أقرب الفنون لتطبيق الحركة العاقلة لقيامها على الحركة المادية والفكرية ، ويناقش مشكلة اللغة في المسرح والرأى عنده أن تكون لغة المسرحية باللغة العربية في حدود الكلمات اللغوية الصحيحة المتداولة في محيطنا وأن تؤدي الفكرة بهذه اللغـة حسب ادراك الشخصية ووعيها وأفقها .. وهو رأى أوافقه عليه ولكن لا أوافقه في أنه رأى أغلب النقاد فقد فشلت كل المسرحيات الفصحى تقريبا على المسرح .. ولعلها لم تلتزم بشروط الأستاذ عطا .. ولكن مسرحية « شقة للايجار » للأستاذ فتحي رضوان قد راعت هذه الشروط تماما اذ يتحدث الموظف مستاجر الشقة بلغة أقرب للفصحى من لغة البواب الدارجة ومع ذلك فلم تحقق المسرحية ما كان يرجى لها من اقبال والميدان بحاجة الى موهبة ناضجة قوية مقتحمة يسندها ايمان عميق وصبر لاينفد .. ويقرر المؤلف أن المسرحية الشعرية قد بدأت تفقد رونقها .. ونضيف أنها فقدته تماما رغم

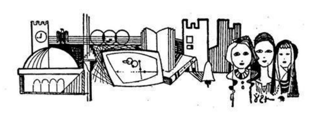
نجاح مأساة جميلة للشرقاوى .. وان كانت لها دلالتها . ويعرض بعد ذلك لمسرحية البير كامى « العادلون » ولا أدرى الأسباب التى أبعدته عن مناقشة مسرحية أو مسرحيات مصرية ولعل مشكلة اللغة كانت من أسباب ذلك .. وفى الختام يحاول الأستاذ محمد عطا أن يطبق الحركة العاقلة على عدة ميادين كالتربية المدرسية التى يرى ربطها بالحياة واستنارتها بالدراسات التربوية المتعددة وأن يكون شعارها (الحركة ـ العقل) ويطالب بالتخطيط الاقتصادى وحرية الفرد وتوفير العمل لكل مواطن وتحرير المجتمع العربى من كل الرواسب الرجعية المعوقة .

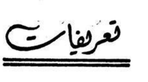
بذلك يبلغ هذا الكتاب القيم ختامه .. وتصل هذه الدعوة الحارة الى قمتها وهو جهد مشكور يلبى مطالب ملحة لتطلعاتنا المملاقة فى عهدنا الثورى ، ويحاول باخلاص أن يسهم فى عملية البحث عن أساس عقائدى لنهضتنا الوثابة المعاصرة . وقد سار المؤلف كما رأينا فى تطبيق الحركة العاقلة فى ميدان الحياة والفكر منطلقا متحمسا واضحا .. ولكن خطوه أخذ يتلمس طريقه وصعوبته فى تطبيقاته لدعوته فى مجال الفن ، فحصر دعوته فى مجال الفن المصور لبطولة الانسان فى ذروة توهجها وتألقها ، فلا يعجب الا بالانسان المكافح المناضل فى سبيل حرية الوطن من الاستعمار بالذات ، ولم يلتفت الى مجال الفن الخصب فى أعماق النفس الانسانية.. كفرد وسط مجموع .. وكمجموعة من العواطف تتأثر ايجابا وسلبا بالتغيرات الحضارية الشاملة المحيطة بها .. وتواجه عمليات التمزق المرهق فى طريقها للتقدم والنهوض .. كذلك يتعثر المؤلف حين يريد تطبيق دعوته على فروع الفن المتعدد المختلفة .. وهو غير متخصص فيها .. وليس ذلك بالأمر المطلوب منه وهو يعترف بذلك .. وتلك مشكلة عامة لا تقتصر على الأستاذ محمد عطا وحده .. ولكنهـــا تعترض طريقنا كمشكلة مزدوجة .. فادبنا وفنوننا لم تقيم بعد من المتخصصين فى كل فرع حتى يكون ذلك عونـــا لأصحاب الدعوات والمذاهب .. كما أننا لم نستقر بعد ولم نتفق على دعوة أو مذهب أو أكثر من ذلك بحيث يكون نظرة عربية شاملة تكون عونا للنقاد المتخصصين فى طريقهم وعملهم .

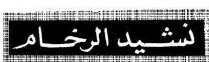
وبعد .. فالكتاب جهد مخلص مشكور .. واذا وضعنا فى اعتبارنا ظهور طبعته الأولى قبل اشراقة الميثاق بثلاث سنوات واختمار فكرته قبل ذلك بمدة .. لتضاعف تقديرنا للأستاذ محمد عطا وأملنا فى أن يتابع جهده وانتاجه .











تاليف : نقولا قربان • الناشر : دار الروائع بيروت •
١٢٧ صفحة ١٧ × ٢٠ • ث ٣٥٠ ق.ل

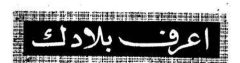
هذا الكتاب به تأملات للمؤلف وصور عديدة رومانسية الروح عالية المستوى ، لكن هذه الروح لاتلبث أن تخرج بنا فى بعض اجزائها الى اللامعقول فى دنيا الأدب ، فهناك تصويرات ورموز ـ لايتسع المجال لذكرها ـ منها ماهو بعيد عن أن يتصوره عقل انسان • كما أن الغموض يكتنف الكثير من الصور الأدبية فى الكتاب ، واذا كان هذا الغموض قد صاحبنا منذ بداية المطالعة ، الا أنه يزداد مع توالى هذه المطالعة •

والكتاب ـ كما يتضح من المقدمة ـ وجهه المؤلف الى عديد من جموع الشعب ، هم فى جملتهم كادحون ، وهذا شيء جميل ، لكنه لا يلبث أن يعطينا صورا أدبية تحتاج الى مزيد من الوضوح • ولست أعرف ماذا يفهم الشعب ولا حتى الفئة المثقفة فيه من هذه العبارة « انى يا أمى بحاجة الى اله أحبل به ، اله يولد من أحلام شعبنا الكبيرة ، وتكون عيناه ملحمتين شرقيتين » • ولست أفهم ماذا يقصد حين يتحدث عن (الرفيق محمد الرسول) ••• الذى مشى حافيا فى عاصفة البرد والجوع ، وأكل ثمرة الحيـــاة ، وقال للشبان : أنتم خبزى الأزلى ، وبارك الطين على أصـــابع العمال ••• الرفيق الذى أكل بشهية الفقراء ، وبشهواتهم أحب ، وكان قلبه مقلما لأشواق الجائعين ، وقاســـمناه الزاد ، ونمنا على خصره فى ليالى البرد » •

والكتاب جيد فى عمومه وبه ابداع فى بعض الصور توحى الى القارىء باحساسات مختلفة ، كما أن عباراته منغمة تنغيما جميلا يجعلها أقرب الى الشعر المنثور •

••• « ومع طير الرخام كان ظله ينتقل على الرصيف ، ولم يضع أحد شيئا فى كفه ، فراح يشعر بأنه ريشـــة ضائعة ، فراشة من فراشات الخريف ، كاس فارغة لا تلمع من الصدأ ، أخ منبوذ لمالك الحزين ، وبأنه طعم الموت بفم تشرين » •

* * *



تاليف : جلال كامل
تقديم : سعد الدين الجندى
الناشر : الدار القومية ـ من الشرق والغرب ـ ١٤٠ صفحة
١٧ × ٢٤ • ث ٤٥ قرشا •

ليست السياحة مقصورة على الأفواج العديدة من السياح التى تأتى الينا كل عام ، وتحقق من ورائها مكاسب سياسية واقتصادية وثقافية عظيمة ، وانما هى تشمل أيضا ما يعرف الآن بالسياحة الداخلية •

والسياحة الداخلية ضرورة هامة فى مجتمع اشتراكى جديد ، لأنها تؤدى الى نمو فى الوعى القومى ، وارتفـــاع فى المستوى الثقافى ، وسمو فى اخلاق الشباب ، وتعويد لهم على شغل أوقات الفراغ فيما ينفع ويفيد •

وهذا الكتاب يبحث فى معالم بلادنا السياحية المشهورة، ولا يقتصر على الآثار الفرعونية أو الآثار الاسلامية التى كانت تستهوى نفس السائح الأجنبى ولاتزال ، وانما يشمل أيضا ما يجب أن يعرفه المواطنون عامة ـ والشباب على وجه الخصوص ـ عن المتاحف التى كانت فى الأصل قصورا ملكية سابقة ، والشواطىء المصرية على البحرين الأبيض والأحمر، والمصانع التى أنشئت فى عهد الثورة ، ••• هـــذا مع الاشارات المبثوثة هنا وهناك ، وتتعرض للمحات من تاريخ هذا الشعب وحضارته القديمة المزدهرة •

الكتاب اذن يهم القارىء العربى ويهم القارىء الأجنبى أيضا ، فهو يعطيهما فكرة طيبة عن بلادنا ، كما يشمل عديدا من الصور والخرائط والأشكال التوضيحية الجيدة •

* * *



تأليف : فرانسوا مورياك • ترجمة : يوسف محمد البدري • الناشر : مؤسسة بورسعيد للطباعة والنشر • الاسكندرية • ٨٦ صفحة ١٧ × ٢٠ ث ١٥ قرشا •

هذه المسرحية تشرح مشكلة هامة ، طالما حطمت الكثير من البيوت السعيدة ، أو التي كان من الممكن ان تكون سعيدة • فمسيو دى فيرلاد كهل في الحلقة السادسة من عمره ، هجرته زوجته ، وتركت له بنتين : اليزابث وماريان وأولى الأب عناية خاصة بابنته اليزابث ، وأهمل ماريان التي كانت تذكره بأمها •

وكبرت اليزابث واضحت فتاة في نهاية الحلقة الثالثة من عمرها ، وأحبت آلان وهو فتى يصغرها بسبع سنوات • ووقف الأب عقبة كئودا في طريق حبهما ، ولم تكن اليزابث لتستطيع التخلي عن أبيها • ثم لعب الأب دوره في التقريب بين آلان وماريان ••• ونجحت الخطة وتزوج آلان من ماريان •

وموقف ماريان سليم على الأقل من وجهة نظرها هي ، فهي فتاة صغيرة حالمة ، على خلاف أختها التي تكبرها بعشر سنوات ، وكانت تحب آلان ربما من قبل أن يعرف اليزابث لكن حبها له كان حبا صبيبانيا ، ولم يكن في مثل حب أختها له •

الجميع اذن يحبون ••• الأب وآلان والأختان ••• هذا الحب كان فريدا من نوعه • لقد كان من الممكن أن يتوصلوا الى نتائج باهرة ، لكن هذه الجهود كانت تصطدم بصخرة هائلة ••• هائلة جدا وهي أنانية الأب • انه لا يستغنى عن اليزابث ، حتى بعد أن أصبحت عانسا في الثلاثين • واليزابث ••• تعطف على أبيها ، ولا تستطيع أن تتركه وحيدا ، وهي تحب ماريان أختها الوحيدة ، لكنها في الوقت نفسه تحب آلان ، فماذا تكون النتيجة •

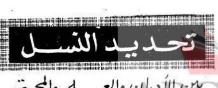
عاد الزوجان ••• آلان وماريان بعد سنة من العذاب ، ليزورا الأب في بيتسه العتيد ، وحدث ما كان متوقعا • لقد ضحت اليزابث كثيرا في سبيل أبيها وفي سبيل أختها، فماذا يكون موقفها الآن ، هربت مع حبيبها تاركة أباها وأختها • لكنها عادت ••• ان الأقدار تلاحقها ، عادت لكي تحيا حياتها مع أبيها ، ولتترك آلان لماريان ••• فلقد كانت ظروفها أقوى منها •

هذه المسرحية التي تعد من أحسن ما كتبه فرانسوا موریاك تذكرنا بالأم في مسرحية جان كوكتو « بيت من زجاج » التي تكرر عرضها في بلادنا في السنوات الأخيرة وتذكرنا أيضا بالأب في القصة الحقيقية للشاعرة الانجليزية اليزابث باريت •

ولعل أبرز وجوه الشبه بين هذه المسرحيات الثلاث ، وبالذات بين اليزابث فيرلاند واليزابث باريت هو الايثار • فقد ضحت كلتاهما من أجل أبيهما لكن تضحية الأولى كانت اكبر فقد آثرت أن تبقى مع أبيها وتواصل حياة الضياع معه في حين هربت الثانية مع حبيبها الشاعر روبرت براوننج •

ـ تستطيع أن تبتهج أيها الأب ، سأكون لك حية وميتة •

* * *



بين الأديان والعلم والمجتمع

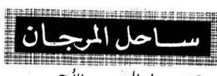
تأليف : عبد الفتاح ابراهيم سلامة • الناشر : مطبعة السماح • بطنطا • ١٦٠ صفحة ١٤ × ٢٠ • ث ١٠ قروش

من المشاكل الهامة التي تمر بنا في هذه المرحلة من تاريخ الانسانية مشكلة الزيادة المطردة في عدد السكان ، مع زيادة ضئيلة ازاءها في الموارد الغذائية • وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن هذه المشكلة ، واقترح فريق تحديد النسل كعلاج لها ، ولكن هناك فريقا آخر ضد هذا التحديد ، وكل له حججه ، وكل له برهانه ، ولا يزال الجدل مستمرا لا يهدأ •

ومؤلف هذا الكتاب من أنصار عدم التحديد ، وهو يرى أن العالم ما زال به من الموارد ما لم يستغل بعد ، خاصة بعد الكشوف العلمية الباهرة ، وأن المشكلة ليست مشكلة افراط في السكان بقدر ما هي مشكلة عدل ومساواة •

هذه وجهة نظر من المؤلف ، حاول فيها أن يأتي بجديد ، دون ما تحيز أو تعصب • ان من هذا من شأنه أن يجعلنا نعيد النظر والبحث في هذه المشكلة ، وأن يكون الدين رائدنا ، والمصلحة العامة سبيلنا •

* * *



تأليف : اللواء رفعت الجوهري • الناشر : الدار القومية (من الشرق والغرب) •
٣٨١ صفحة ١٧ × ٢٤ • ث ٣٥ قرشا •

مؤلف هذا الكتاب ضابط عربي كبير ، له عهد طويل بالصحراء يرجع الى سنة ١٩٣٠ ، عاش فيها سنين طوالا ، خبرها وعرف أسرارها وصحب بدوها وحضرها •

....الصحراء عالم آخر ، لا نعرفه نحن أبناء المدينة ، بحر من الرمال وسطوح جبلية مهيبة ، تتراوح فى الارتفاع ثم تنحدر الى البحر •

وهذا الكتاب يبحث فى الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ، وتعرف أحيانا بالصحراء العربية للصلة الوطيدة التى تربطها وتربط أهلها بالحجاز ، هذا الى أن الحديث يتطرق بنا الى سيناء •

والصحراء الشرقية ليست وعاء من الرمال فحسب ، وانما هى أيضا متحف طبيعي ومرجع تاريخي ومنجم كبير ، الى جانب ذلك فهى معبد رهيب ومعمل بترولى عظيم وشركة سياحية مساهمة ، والجهات القريبة من البحر ذات مزايا طبيعية فتانة •

هذا الكتاب جدير بالقراءة ، فهو كشاف ضخم لبقعة واسعة من أرض وطننا العزيز ، ويحتوى كل ما يجب ان يعرفه المواطن عن تلك البلاد ، ومادته وفيرة غزيرة ، ولولا أنه يعوزها بعض التنسيق • ويبدو أن لدى المؤلف من المعلومات ما يكفى كتابا آخر أو كتابين ••• عسى أن يراعى هذا فى كتبه المقبلة ، وله منا غاية الامتنان •



تأليف : برتا موريس باركر والابودندورف •
ترجمة : مراد فهمى •
الناشر : دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٣٦ صفحة ١٧ × ٢٠

هذا هو الكتاب رقم ٢٥ فى مجموعة الكتب العلمية المبسطة التى تشرف على اصدارها فرانكلين ، وتقوم بترجمتها طائفة من المتخصصين • والهدف من هذه المجموعة هو تبسيط العلوم التى يصعب فهمها على الناشئين فى كتبها العلمية البحتة •

و « عالم النبات » يبحث فى الشطر الثاني من الكائنات الحية المعروفة لدينا ، وأهم ما ينفرد به النبات عن الحيوان أنه قلما ينتقل من مكان الى آخر ، كما أن أربعة أخماس لونه أخضر لاحتوائه على اليخضور وهو ما يعرف علميا بالكلوروفيل ، وغالبا ما يوجد بالنبات جدران من السليولوز ، ولديه القدرة على النمو مدة أطول من الحيوان ، لكنه يفتقر الى حواس البصر والسمع والشم الى جانب أنه أقل استجابة لظروف البيئة من الحيوان •

ومن الصعب حصر جميع الأنواع النباتية على العموم ، وبين وقت وآخر يتوصل العلم الى معرفة بعض الأنواع المجهولة من النبات ، ولكن المملكة النباتية تنقسم الى أربعة أقسام رئيسية ، المشهور منها هو القسم الخاص بالنباتات البذرية الذى نعتمد عليه أساسا فى غذائنا •

والكتاب – الى هذا – مدعم بجداول وأشكال وصور توضيحية مفيدة •



ترجمة : صلاح مراد
المراجعة الطبية : الدكتور عبد الحميد رشيد •
الناشر : دار النهضة العربية – ٩١ صفحة ١٤ × ٢٠ • ث ٥ قروش •

أدى اكتشاف العالم الجديد فى أخريات القرن الخامس عشر الى نتائج باهرة وفتوحات عظيمة وكشوف علمية خطيرة •• ولكن الى جانب هذا أدى الى نشوء عادة جديدة فى جميع الأوساط وعند مختلف فئات العمر •• هى عادة التدخين •

والتدخين يرتبط أساسا بالتبغ الذى نقله المكتشفون الأوربيون فى أول الأمر بين أمريكا ، ثم زرعوه فى أنحاء متفرقة من العالم ، وانتشر انتشارا خطيرا ، وأضحى لازمة من لوازم الحضارة عند الكثيرين •

وللتدخين فوائد يعرضها المدخنون •• أو ان هذه الفوائد تأتى بطريق الايحاء النفساني • لكنها لا تقاس أو توازى بالمضار العديدة التى عرفها الأطباء فى السنوات الأخيرة ، وأثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن هناك علاقة وثيقة بين التدخين وبين أمراض الصدر ، وبخاصة سرطان الرئة والنزلات الشعبية والسعال المزمن وأمراض القلب •

وفى هذا الكتاب شرح لتاريخ التدخين منذ مفتتح القرن السادس عشر ، وبيان للانتشار المذهل الذى نراه له اليوم ، ثم وجهة النظر الطبية ازاءه مدعمة باحصاءات وافية ، وأخيرا الطرق الحديثة لابطاله والوقاية من ضرره •

« ان ثلاثة قرون ونصف فى عمر الزمان وتاريخ الشعوب فترة طويلة ، وتدخين السجائر على وجه الخصوص لم ينتشر الا منذ أكثر قليلا من مائة عام • وقد تغيرت الحياة خلال تلك الفترة لآلاف المرات ، ولم يوجد أى داع لاستمرار أى شىء جديد بدأ منذ مائة عام • وليس مستحيلا أن نزيل عادة أو نغيرها ، فأخلاق الناس تتغير فى كل وقت » •



كتب وردت للمجلة

● **سياسة عدم الانحياز حاضرا ومستقبلا**

تأليف عبد المنعم شميس ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٨٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٥ قروش

● **لاتكذبي**

تأليف كامل الشناوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٠٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٥٠ قرشا

● **السوق الافريقية المشتركة بين السياسة والاقتصاد**

تأليف محمد الجبالى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر عدد الصفحات ١٤٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٥ قرشا

● **اتحاد روديسيا ونياسالاند .. قيامه وانهياره**

تأليف شوقى الخشاب ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٥٦ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٥ قرشا

● **العبير الغامض**

تأليف حالة الحفناوى ، الناشر مؤسسة فن الطباعة ، عدد الصفحات ٣٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٥٠ قرشا

● **المنتمى .. دراسة فى أدب نجيب محفوظ**

تأليف غالى شكرى ، الناشر مكتبة الزنارى ، عدد الصفحات ٣٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٤٠ قرشا

● **البحار بيل بد**

تأليف ١٠كوكس وروبرت شابمان ، ترجمة مصطفى طه حبيب ، الناشر مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١١٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٥ قرشا

● **كيف نفهم سلوك الأطفال**

تأليف جرترود دريسكول ، ترجمة الدكتور رشدى فام منصور ، الناشر مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١٥٠ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٣٫٥ قرشا

● **تنظيم الفصول الدراسية للتعليم**

تأليف ج· وين رايتستون ، ترجمة السيد محمـــد العزاوى ، الناشر مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٧٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٨ قروش

● **الأعلام الشرقية (الجزء الرابع)**

تأليف زكى محمد مجاهد ، الناشر مكتبة مجاهد ، عدد الصفحات ٢٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٠٠ قرشا

● **سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون**

تأليف جمال الدين بن نباتة المصرى ، تحقيق محمـــد أبو الفضل ابراهيم ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٥٧٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٩٠ قرشا

● **الأيام والليالى فى قرية الاقطاعى مع قصة حياتى**

تأليف محمد مجاهد ، الناشر دار الفكر الحديث ، عدد الصفحات ٢٠٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٥ قرشا

● **وحدة التاريخ العربى**

تأليف الدكتور حسين فوزى النجار ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٥١ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٧ قرشا

● **روائع التراجيديا فى أدب الغرب**

جمع وتقديم كلينث بروكس ، ترجمة الدكتور محمود السمرة ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار الكاتب العربى « بيروت » .. عدد الصفحات ٢٩٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٤٥ قرشا

● **الهند ... شعبها وارضها**

تاليف مانوراما موداك ، ترجمة العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم ، مراجعة الدكتور عز الدين فريد ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، عدد الصفحات ٢١٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٣٠ قرشا

● **التربية من اجل السلام**

تاليف هربرت ريد ، ترجمة حمزة محمد الشيخ ، مراجعة الدكتور عطية ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٠٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٧٫٥ قرشا

● **القوى النووية**

ترجمة الدكتور يونس صالح سليم ، مراجعة الدكتور محمود أحمد الشربيني ، الناشر مشروع الألف كتاب، عدد الصفحات ٢٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٥٫٥ قرشا

● **انحراف فى قصر العدالة والملكة والمتمردون**

تاليف أوجوبيتي ، ترجمة كامل صليب ، مراجعة حسن محمود ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٢٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٠٫٥ قرشا

● **مع كابى وفرقته**

تاليف هكتورمالو ، ترجمة نوال محمد حسنين ، مراجعة عبد الحميد الدواخلي ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ١١٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١١ قرشا

● **اوقات عصيبة**

تاليف تشارلز ديكنز ، ترجمة الدكتور نظمى لوقا ، مراجعة على أدهم الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٤٢١ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٦٫٥ قرشا

● **الحشيون**

تاليف ا · ر · جرنى ، ترجمة الدكتور محمد عبد القادر محمد ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٢٨٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٩٫٥ قرشا

● **علم الطيران**

تاليف ا · ج · ستن ، ترجمة الدكتور أسامة الخولى، مراجعة الدكتور محمد مصطفى الملايلى ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٢٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢١ قرشا

● **وشجيت النجوم**

تاليف كارل بيارنهوف ، ترجمة صوفى عبد الله ، مراجعة على أدهم ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٣٠٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٥٫٥ قرشا

● **فراشات ونور**

تاليف الموضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٢ قرشا

● **دراسات فى الرواية المصرية**

تاليف الدكتور على الراعى ، النـاشر الدار المصرية للتاليف والترجمة عدد الصفحات ٢٧٢ ص ١٤ × ٢٠سم
الثمن ١٢ قرشا

● **اعياد**

تاليف محمود توفيق ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٢٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٨ قروش

● **انغام حالمة**

تاليف روحية القلينى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١١٣ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٨ قروش

● **التضامن الآسيوى الافريقى**

تاليف الدكتور شوقى الجمل ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٤٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٥ قرشا

● **الرافعى ومى**

تاليف عبد السلام هاشم حافظ ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمـــة ، عدد الصـــفحات ١٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٩ قروش

● **ابن المعتز العباسى**

تاليف الدكتور أحمد كمال زكى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٧٧ ص١٤ × ٢٠سم
الثمن ٥ قروش

● **ابو حيان التوحيدى**

تاليف الدكتور زكريا ابراهيم ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة عدد الصفحات ٣٠٦ ص ١٤ × ٢٠سم
الثمن ٥ قروش

● **اعراب القرآن (القسم الثانى)**

منسوب الى الزجاج ، تحقيق ودراسة ابراهيم الابيارى، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٣٦٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

● **نور الله**

تاليف محمد صبيح ، الناشر المكتبة التعاونية ، عدد الصفحات ١٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٠ قرشا

● **البناة العظام فى عالم الرواية والفن**

تاليف ستيفان زفايج ، ترجمة محمد محمد فرج ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٩٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

● **الجوانية .. أصول عقيدة وفلسفة ثورة**

تاليف الدكتور عثمان أمين ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٣٣٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٦٠ قرشا

● **الدكتور خالد**

تاليف أحمد حسين ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٥٩٤ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٦٠ قرشا

● **الأمم الغنية والأمم الفقيرة**

تاليف بربارة وورد ، ترجمة روفائيل جرجس ، مراجعة الدكتور حسين عمر ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ١٦٩ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١١ قرشا

● **الاستعمار والتحرير فى العالم العربى**

تاليف الدكتور جمال حمدان ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١١٧ ص قطع صغير

الثمن قرشان

● **تطور المجتمع الدولى**

تاليف الدكتور يحيى الجمل ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٠٥ ص قطع صغير

الثمن قرشان

● **السد العالى والتنمية الاقتصادية**

تاليف الدكتور يوسف ابو الحجاج ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٣٤ ص قطع صغير

الثمن قرشان

● **التفرقة العنصرية**

تاليف الدكتور أحمد سويلم العمرى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٤٤ ص قطع صغير

الثمن قرشان

● **اللغة السينمائية**

تاليف مارسيل مارتن ، ترجمة سعد مكاوى ، مراجعة فريد المزاوى ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣١٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٨ قرشا

● **ديدرى فتاة الأحزان**

تاليف جون ميلنجتون سينج ، ترجمة على جمال الدين عزت ، مراجعة الدكتور عبد الغنى خلف الله ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **المسافر بلا متاع**

تاليف جان انوى ، ترجمة وتقديم الدكتور انور لوقا ، مراجعة محمد كمال فايد ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٧٠ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **مسرحيات لوركا (يرما ، عرس الدم ، الاسكافية العجيبة)**

تاليف لوركا ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٢٢٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٤٠ قرشا

● **دراسات فى تاريخ الشرق القديم**

تاليف الدكتور أحمد فخرى ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٨٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٨٠ قرشا

● **مختارات من القصص القصيرة**

تاليف فرانك ر. ستوكتون ، ترجمة صبحى الجيار ، الناشر مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٢٦٦ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٢٥ قرشا

● **معالم تاريخ سودان وادى النيل**

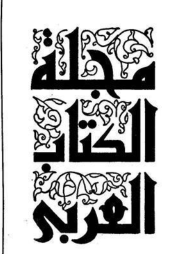
تاليف الشاطر بصيلى عبد الجليل ، الناشر مطبعة أبو فاضل ، عدد الصفحات ٣٠٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن

● **من اعلام الأدب الأوروبى**

تاليف على كامل ، تقديم عبد الرحمن صدقى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١١٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٧ قرشا



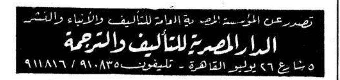
العدد العاشر ٨ ذو القعدة ١٣٨٤
١٠ مارس ١٩٦٥



رئيس التحرير : على أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفى
سكرتير التحرير : جمال بدران

فى هذا العدد




تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون ٩١٠٨٣٥ / ٩١١٨١٦

إلمامة بآراء العقاد

بقلم : رئيس التحرير

(*) فى اليوم الثانى عشر من مارس الحالى ينقضى عام على وفاة الكاتب الكبير والشاعر العبقرى المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وبمناسبة هذه الذكرى الاثيرة رأت مجلة الكتاب العربى أن تنوه بجانب من أفكاره الرئيسية وتتناول بعض مؤلفاته ، والعقاد ، من كتاب العروبة وشعرائها الذين تحمل آثارهم الأدبية طابع الخلود لأنها ثمرة طبيعة سرية موهوبة ، ونتاج ملكات أصيلة متنوعة ، وثقافة شاملة مستوعبة ، وسيكون أدب العقاد على الدوام موردا عذبا لا ينضب للمتأدبين ، وموضوع دراسة خصبة للباحثين والدارسين ، وقد ظهرت بوادر هذه الدراسات القيمة خلال العام الذى مر على وفاته ، وبعض هذه الدراسات ينتظر ظهوره قريبا ، وكلها دراسات تتسم بميسم الجدية والتقدير للراحل العظيم ، وتتناول النواحى المختلفة لثقافته الواسعة وآثاره الممتازة .

كان العقاد ممن يعجبون بالبطولة والأبطال، ويشيدون بالعظمة والعظماء ، وذلك بحكم شاعريته الملهمة وسلامة طبعه وصحة تفكيره ، ويخطىء من يظن أن كبار الشعراء كانوا يمتدحون فى أعيان عصرهم المناقب العالية والشمائل الغر لمجرد ما كانوا يحبونهم به من العطايا وما يشملونهم به من الرعاية والحماية ، فالشعراء بحسهم المرهف ومثاليتهم أقوى شعورا بالصفات الخليقة بالثناء كالشجاعة والأريحية والمروءة والنخوة وسداد الرأى ومختلف صور البطولة والوان العظمة . ولم يكن العقاد شاعرا فحسب وانما كان كذلك كاتبا قديرا وناقدا موفقا ومفكرا له وزنه فهو لا يكتفى بوصف اعجابه بالبطولة والعظمة وانما يحاول أن يبين لنا معنى البطولة ويكشف أسرار العظمة .

وقد تناول موضوع البطولة فى أحد فصول كتابه القيم « ساعات بين الكتب » فقال فى مستهل المقال « من هو البطل ؟ لا نريد ان نستوحى جواب هذا السؤال من أقوال المؤرخين وعلماء النفس ورجال المعرفة والأدب ، وانما نريد ان نستمع الى أقوال العامة الذين يحسنون البطولة ويؤمنون بها ، ولا يقرءون الكتب أو يبحثون فى موضوعاتها ، فاذا سألت هؤلاء من هو البطل ؟ فيغلب ان نسمع منهم جوابا واحدا هو أشيع الأجوبة وأخطؤها ، أو هو خطأ لأنه يصف لك البطولة من ناحية بارزة فيها كداب العامة ومن لا يتكلفون النقد والمقابلة ، ثم هو يدع نواحيها الأخرى ومراميها فلا يلقى لها بالا ، ولا يظن أن لها شأنا فى تقدير البطولة وتكوين الأبطال ، ذلك الجواب الشائع الخاطىء



فى البطولة والعظمة والتاريخ

هو أن البطل من لا يخاف ، وفلان بطل عندهم اى انه مقتحم هجام لا يبالى العواقب ولا يرتدع عند خطر ، وتلك الصفة الغالبة للبطولة فى راى الكثيرين » .

هذا هو الرأى الشائع كما يرى العقاد ، ولكنه يضع اصبعه على ناحية الخطأ فى هذا الرأى فيقول « أما ان البطل شجاع فهذا صحيح لا غبار عليه ، وأما أنه لا يخاف فهنا موضع النظر والتأمل ، لأن الشجاعة ليست هى عدم الخوف ، وانما هى التغلب على الخوف ، وليست هى نقيض العقل والحكمة وانما هى نقيض الجبن والضعف ، فرب رجل لا يبالى الخطر يكون اقتحامه جهلا بالخطر وغفلة عن العواقب ويشبه فى هجومه على الأمور حيوانا يثب على فريسته كما يندفع الحجر القت به يد قوية ، فهو لا يملك الجمود فى مكانه ، وانما الشجاعة الانسانية التى تشرف هذا الانسان وترفعه الى مقام البطولة هى أن تعرف الخوف ثم تكون انت اكبر منه وأقوى من أن تستكين له وتنكل عن قصدك لأجله ، فالبطل يخاف ولكنه لا يستسلم لخوفه ، وربما كان فى اقدامه ضرب من الخوف أعلى من هذا الذى يفهمه السواد كخوف الضمير او خوف الصغر فى نظر نفسه أو خوف العار على الاقل وهو ضرب نبيل شائع بين الناس اكثر من شيوع خوف الضمير أو خوف حساب الانسان لنفسه » .

فانتفاء الخوف اذن ليس السمة الدالة على البطولة ، وقد يكون دليل الحماقة وعدم تقدير العواقب والغفلة عن الأخطاء الراصدة والأهوال المتوقعة .

ويعرض العقاد لرأى آخر من الآراء الشائعة عن البطولة بين سواد الناس وهو الرأى القائل أن البطل هو « من يغلب منازليه ويقوى على خصومه » ولكن هذا الرأى ان كان على صواب فى ناحية من نواحيه فهو على خطأ فى سائر نواحيه ، وذلك لأن البطل قد يمنى بالهزيمة ، وقد يؤثر الهزيمة على الظفر لأنه لا يحارب بكل سلاح ولا ينشد كل غاية ، وكثير من الأبطال هزموا فى عصرهم ، ونال منهم أناس دونهم فى العظمة والبطولة ، أو ليسوا من العظمة والبطولة على شىء ، والأصح فى رأى العقاد هو « أن البطل من يغلب نفسه ويقوى على شهواته لا من يغلب منازليه ويقوى على خصومه ، فاذا وقف البطل بين فتنة الطمع والغواية وفتنة الحرب والسطوة فخطر الأولى عليه أكبر من خطر الثانية ، وحاجته الى البطولة التى يقمع بها قوة نفسه أعظم من حاجته الى البطولة التى يصرع بها قوة خصمه، فليست الغلبة فى كل حال هى شأن البطل وانما تطلب منه الغلبة على النفس أحيانا كما تطلب منه الغلبة على الخصوم » .

واذا لم تكن البطولة هى مجرد الشجاعة والاقدام ولا التغلب على الخصوم وكبت الأعداء فما هى اذن ؟

يقول العقاد « أوسع من هؤلاء نظرا وأرفع نفوسا من يصفون البطولة بصفة غير الاقتحام والغلبة وهى صفة الايثار وقلة الحرص والأنانية » .

ولكن العقاد يعلق على هذا الرأى قائلا « ان الأثرة والايثار خلتان تلتقيان كثيرا فى أجواء العظمة ، ومن الأثرة ما هو ايثار محمود ، وصاحب الشريعة الذى يفرض على الانسان أن يؤمن بشرعه أو لا يرى له حقا فى الحياة ماذا تسمى فريضته تلك الا أنانية لا أنانية بعدها وأثرة تفوق كل أثرة ؟ تسميها أنانية وأثرة بلا مراء ولكنك لا يسعك أن تفرق بينها وبين الايثار فى سبيلها ، ولا تدرى كيف يكون هذا الرجل مؤثرا أو غير مستأثر اذا هو أراد أن يكون .. والعظيم يخدم الناس ويؤثرهم على نفسه حين يخدم وطره ويحرص على انجاز عمله ، فالأنانية هنا تلهب الغيرة فى قلب العظيم لمنفعة الناس لا لمنفعته » .

وهذه لفتة دقيقة من العقاد ، وشتان بين من يبغى من وراء الأثرة منفعته الخاصة وبين من يبغى من وراء أثرته المصلحة العامة وفائدة المجموع .

ولا يقف العقاد فى تحليله للبطولة عند هذا الحد ، فهناك من يرون ان البطولة قرينة الأعمال الكبيرة التى تغير وجه التاريخ وتؤثر فى مصير الانسانية ، ولكن العقاد يرى فى ذلك خلطا بين العظمة والبطولة ، وهما مختلفان فى المعالم والسمات ، لأن الانسان قد يكون عظيما ولكنه ليس بطلا ، وقد يكون بطلا صغيرا لا يخلع عليه برد العظمة ، من أمثلة ذلك تيمورلنك ، فلا نزاع فى انه غير وجه التاريخ وحول مجرى الحوادث ولكنه مع ذلك لا ينظم فى سلك أبطال الانسانية لمجرد أنه كان عظيم الجهود أو عظيم الأثر فى سير الحوادث ، وقد يكون الرجل عظيما ولكنه مع ذلك ليس بطلا .

ونستخلص من ذلك أن الشجاعة أو الغلبة لا يكفيان لنيل مرتبة البطولة ، وان الأنانية لا تنقض البطولة ما دام البطل يحرص على حمل الناس على قبول رسالته ، وان العظمة ليست هى البطولة لأن العظمة مشاعة بين الخير والشر والنفع والايذاء .

وينتهى العقاد الى أن البطولة هى التضحية وانها التضحية فى سبيل الآخرين ، فالبطولة والاستشهاد معناهما واحد ، ويقول العقاد « اذا قيل لك ان فلانا بطل فاسأل هل هو شهيد ؟ فاذا سمعت « نعم » فهو البطل عظم أو صغر والا فاختر له صفة غيرها لأن الشهادة عنصر لا تقوم البطولة بغيره » .

والبطولة بهذا الاعتبار ليست بالشىء النادر بين الناس ، فهى تعرض لكل انسان فى صفة من صفاته وفى لحظات من لحظات حياته ، فالأم التى تسهر الليل وتحتمل المشاق من أجل طفلها آية من آيات البطولة « تخر له الجباه وتسخو له

النفوس » ولكنه مثل مشترك بين جميع الناس لا فضل فيه لامرأة على امرأة ، وكذلك المحب الذى يشقى ليسعد من يحب ، والحارس الذى يستهدف للموت لينقذ غريقا يوشك ان يلتهمه الماء وتطويه الأمواج ، فهذه وأمثالها نماذج من البطولة .

والبطولة مراتب ودرجات وضروب واشكال ، فهناك البطل الكبير وهناك البطل الصغير كما ان هناك بطولة فى الوطنية والدين والسياسة والعلم والكشف ، والبطولة عند العقاد هى الفداء ، والبطولة العظيمة هى الفداء العظيم .

واعظم ضروب البطولة فى رأى العقاد هى « بطولة الرجال الذين يخافون على أممهم الذل ويرجون لها الرفعة ، أو الذين يخافون على العالم قاطبة أن يرين عليه الرجس ويرجون له الخلاص والرفعة ، أو يخافون عليه الظلام والجهالة ويرجون له النور والمعرفة ، فهؤلاء يخافون ذلك الخوف ويرجون ذلك الرجاء ثم يثبتون على محنة المطامع والآلام اعواما طوالا لا يلوى بهم جاه ولا تقعد بهم رهبة ، ولا ينسون الأمة والعالم فى مآزق الهول ومدارج الغواية » .

وقد استهل العقاد كتابه القيم عن معاوية بقوله عن التاريخ « التاريخ عرض الانسانية ، والعرض مناط الحمد والذم فى الانسان ، وكذلك التاريخ بالقياس الى الانسانية فى جملتها لا يكون شيئا ان لم يكن تقديرا لما هو صادق أو كاذب أو ما هو صواب أو خطأ ، وما هو حميد أو ذميم من الحوادث والناس .. وتاريخ الانسانية من اوائلها الى حواضرها لا يملك للعاملين جزءا غير حسن التقدير وصدق القياس لما عملوه وكثير على احد ان يبتذل هذا الجزاء لانه استطاع ان يحشو بعض البطون أو بعض الجيوب ، فيملك بهذه الرشوة الرخيصة خير ما توليه الانسانية احدا من ابنائها فى الحياة وبعد الموت » .

واختلال الموازين الانسانية لا تزيفه الرشوة المقصودة وحدها دون غيرها ، فقد تصاب هذه الموازين ـ كما يرى العقاد ـ من النهازين المصنوعين أو المصطنعين أو الوصوليين المطبوعين؟ وذلك لأنه من الناس من يحب ان تتغلب المنفعة على الفضيلة أو على الحقيقة ، وان لم يكن هو من المستفيدين من ذلك ، وانما يؤثر ذلك بدافع من طبيعته التى تأبى التسامى وتنزع الى الضعة ، كما أن من الناس من يحب الناجحين عن طريق التماس المنافع لانه يميل الى اتخاذهم قدوة له ، ويقول العقاد « من الناس من يبلغ بهذه الخصلة حد التعصب والغيرة العمياء لانه يكره أن يدان الناسُ أو تقاس الأعمال بمقاييس المثل العليا فيلوم نفسه » لأنه يعجز عن التماس العذر لها ومن الصعب على الانسان أن يحتقر نفسه أو ان يستخف بها ، ويعلل العقاد بذلك كراهة النهازين لأصحاب المثل العليا ، وهى ملاحظة صادقة فى الحياة والتاريخ على السواء ، وقد استهل العقاد بهذه الملاحظات حديثه عن الخلاف القديم بين معاوية وعلى ، ولم يكن معاوية من الشخصيات التاريخية التى ترضى نزعات العقاد المثالية ، ولكنه مع ذلك كان شديد التحفظ فى وضعه فى ميزانه ، ووقف من بعض الاتهامات التى وجهها بعض المؤرخين لمعاوية بل التى رواها بعضهم كأنها حقائق مؤكدة موقف الشك والتردد فى قبولها وقال انه لا يجزم بصحتها ، واقصد بذلك ما شاع وذاع عن التجاء معاوية الى الوسائل الخفية فى القضاء على من كان يخشى منافستهم له بعد موت مالك الأشتر وعبد الرحمن بن خالد والحسن بن على .

ورأى العقاد أن يوضح الفرق بين القدرة والعظمة فقال « الفرق بين القدرة والعظمة يوضحه الاصطلاح ولا توضحه المعجمات اللغوية هذا التوضيح الذى تعنيه ، فقد يقال عن العظيم انه قدير ويقال عن القدير انه عظيم ، ولا يخطىء القائل من الوجهة اللغوية فى هذا الترادف المقبول ما لم يقيده الاصطلاح ، وانما الاصطلاح الذى نعنيه وننظر فيه الى أحوال الطباع أن القدرة غير العظمة فى أشياء ، فربما وصف الرجل بالقدرة لانه مقتدر على بلوغ مقاصده واحتجان منافعه والاضرار بغيره ، ولكنه اذا وصف بالعظمة فانما يوصف بها لفضل يقاس بالمقاييس الانسانية العامة وخير تغلب فيه نية العمل

للآخرين على نية العمل للعامل وذويه ، ولعلنا نقترب من توضيح الاصطلاح اذا نقلنا التفرقة من القدرة والعظمة الى التقـــدير والتعظيم ، فنحن نقدر الانسان بمقداره عظيما كان أو غير عظيم ، بل نقدر الأشياء بمقاديرها ولو لم يكن لها عمل ولم تكن من وراء العمل نية ، ولكننا اذا عظمنا الانسان فانما نوجب له التعظيم علينا لأنه يعنينا ويستحق اكبارنا ويرتفع الى المكانة التى تلحظها الانسانية بأسرها وتعود عليها فى منافعها وخيراتها ، فكل عظيم قدير ولكن ليس كل قدير بالعظيم ، والعظمة قدرة وزيادة ، أما القدرة فليس من اللازم ان تكون عظمة فضلا عن أن تكون عظمة وزيادة » .

ويرى العقاد أن معاوية كان رجلا قديرا بلا ريب ، ولكنه ينكر عليه العظمة ، ويعلل ذلك بقوله « اننا مع العلم بغيرته الدينية فى شـعوره وأفعاله نستطيع ان نعلل جميع أعماله بعـلة المصلحة الذاتية أو مصلحة الأسرة والعشيرة ، ونستطيع ان نقول بغير استثناء على كل مسعى من مساعيه وكل حيلة من حيله وكل مأثرة من مآثره فنقول انالمصلحة الذاتية أو مصلحة الأسرة والعشيرة كافية لتعليلها والقيام بها ، وان لم يعارض المصلحة الذاتية بارادته فى حين واحد ، وعارض المصلحة العامة فى أحيان » .

والعظمة سر غريب ، وهى تشـــيد هوى النفوس الذى قال فيه المتنبى « لهوى النفوس سريرة لا تعلم » ويبدو لى أن العقاد بهذا التفريق بين القدرة والعظمة لم يكشف لنا سر العظمة ، وحقيقة أن الرجل قد يرزق القدرة ولكنه لا يكون مع ذلك عظيما ، ولكن ما هى العظمة ؟ ان الشهرة المستفيضة لا تكفى لجعل الانسان عظيما ، ونحن نعرف الكثير من مشاهير الرجال ولكننا مع ذلك نسأل انفسنا حينما نفكر فى أى رجل منهم هل يمكن أن نصفه بالعظمة ؟

اننا فى بعض الأحيان نصف الرجل بالعظمة تقديرا لمواهبه العقلية المحلقة ، وأحيانا أخرى نعده عظيما لصفاته الأخلاقية الممتازة ، وطورا نصف الرجل بالعظمة بوحى من الشعور الخفى والادراك الباطنى أو الادراك الجوانى كما يسميه الدكتور عثمان أمين ، ونقول أن العظيم هو الرجل الفذ الذى لا يسد مسده أحد ولا يملأ مكانه انسان آخر ، والذى يبدو أن العالم يفتقده وأن عملا عظيما ينتظره لينجزه وينهضبأعبائه ويتحمل تبعاته ، ومثل هذا الرجل يمتاز برجاحة عقله أو سراوة الأخلاق ، وجهده الموجه الى تحقيق هدف عام ، والرجل العظيم يرى أن واجبه يحتم عليه أن يزيد قوته ويوطد مكانته ، والمزيد من السيطرة قد يزيد مكانته رسوخا ولكنـه لا يزيده نبلا ، ولعلهذا ما حملمؤرخا كبيرا مثل اللورد أكتون على أن يقول كلمتـــه المشهورة « عظماء الرجال جميعهم أشرار » وقد أسرف فى ذلك ، فالعظماء فيهم الأخيار والأشرار ، ولم يكن السياسى الفرنسى العظيم الكاردينال ريشيليه قديسا ، ولم يكن نابليون على عظمته المنيفـة مرضى السيرة فى كل أحواله واتجاهاته ، وليست العظمة مقصورة على ما يقدم الانسان للانسانية من خدمات ولا على ما تلقى جهوده منتقدير ولا على الأهمية التاريخية ، وانما العامل الحاسم فى ذلك هو سحر الشخصية الذى يحمل الناس على أن يقروا له بالفضـــل ويدينوا له بالطاعة والولاء .

والرجل العظيم له قيمة كبيرة فهو مصـــدر ايحاء لقومه يحرك قلوبهم وعقولهم ، ويرد عليهم ثقتهم بأنفسهم ، وقد ساقت سياسة نابليون وطموحه الرزايا الى فرنسا ، ولكن قيمته لفرنسا بحسبانه من ابطالها وعظمائها القوميين لا تقدر .

وقد لا يجد العصر العظيم الذى تتطلبـــه أحواله كما أن العظيم قد لا تتاح له الفـــرص المناسبة ليلعب دوره ويؤدى رسالته .

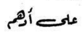
وفى فصل عقده العقاد للحديث عن التاريخ وقيمته يقول « مما لا ريب فيه انك اذا فهمت حوادث الحاضر فهما جيدا اغناك ذلك عن فهم حوادث الماضى أو أعانك على ادراك دخائلها ان كان لابد لك من الاحاطة بها والنفاذ اليها ، ولكنك اذا فهمت حوادث الماضى حق الفهم ــ وليس ذلك بالميسور ــ لم يكد يغنيك هـــذا عن تدبر كل

حادثة تمر بك فى الحياة واستخلاص عبرتها واستطلاع أسبابها ونتائجها ، فأنت لا يعنيك من حوادث الماضى حقيقة الحادثة لذاتها وانما يعنيك تطبيق تلك الحقيقة على حياتك ، وهنا يقف التاريخ ويقف المؤرخون وتبـدأ الفطانة الصحيحة والبديهة الثاقبة والمزايا الشخصية التى يضيف اليها العلم بالتاريخ بعض الاضافة ولكنه لا يسد مسدها ولا ينوب عنها ، وهب أن رجلا درس التواريخ جميعا واطلع على اخبار الأمم والعظماء جميعا وخرج منها بنتيجة وجيزة هى أن الناس عباد المنافع ولكنهم يعملون لغير منفعة معروفة فى بعض الأحيان ، فماذا ينفع العلم بهذه الحقيقة من يمارس الدنيا ويحتاج الى المعرفة بخلائق الذين يعاملونه ويعاملهم فى الحياة ؟ هل يبنى معاملته للناس على أنهم طلاب منافع فى كل مسعى وكل غـاية ؟ اذن يخسر كثيرا من المنافع التى قد تأتى اليه من حيث لا يبغى أصحابها نفعا ظاهرا ولا فائدة قريبة ، ويخسر راحة العطف التى يشعر بها من يأنس الى الناس ويأنسون اليه فى غير مطمع معيب ولا لبانة مهتمة .

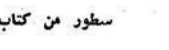
والواقع أن الماضى يلقى ضوءا على الحاضر كما أن الحاضر يبعث الضوء فى ظلمات الماضى ، فنحن ندرس التاريخ لنفهم أصول العناصر التى تكون منها الحاضر ، وفهم الحاضر فهما جيدا يقتضى الرجوع الى التاريخ لنفهم أصول الأسباب التى جعلت الحاضر فى الصورة التى يبدو بها لنا .

ويقول العقاد « لقد كان للتواريخ الماضية فائدتها الكبرى يوم كان الحاضر محصورا فى أضيق الحدود ، وكانت كل أمة مقصورة على نفسها وعلى جيرانها تجهل الأمم البعيدة عنها وتحسب الماضى أقرب اليها من الحاضر الذى يعيش معها فى زمان واحد ، أما اليوم والحاضر يتسع أمامنا الى أوسع مداه والشعوب تحيط بنا من كل طراز قديم أو حديث فأى خبر من اخبار الغابر البعيد لانجد له نظيرا فى أخبـار الحاضر المشـهود وأية عبرة من الأيام الأولى لا تتوارد علينا مثيلاتها بعد ساعات من وقوعها فى أقصى المشرق والمغرب وأبعـد الشـمال والجنوب ؟ فالرجوع الى أعرق عصور الهمجية لا يجشمنا رحلة آلاف السنين فى القماطر والأوراق ولا يفصلنا عنه فاصل من زمان لأنه يعيش معنا ويتصل بنا وتأتينا أنباؤه ولا تمتنع عليه أنباؤنا » .

ولكن هل يغنى اتساع نطاق الحاضر عن تأمل الماضى واستخلاص العبر من حوادثه ؟ لا اظن ذلك ، واذا كان امتداد حدود الحاضر يفقدنا الحاسة التاريخية فان معنى ذلك انه ينتقص من انسانيتنا ، والتاريخ للانسانية بمثابة الذاكرة للأفراد وقد تحتوى ذاكرتنا ذكريات سارة وذكريات أخرى أليمة ولكن فقدان الذاكرة ليس مما نرتاح له ، وقد كتب العقاد هذا الفصل قبل أن يشرع فى كتابة العبقريات .





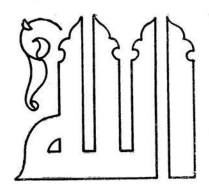


« من مظاهر « الفهلوة » أيضا المبالغة فى تأكيد الذات، والميل الملح الى اظهار القدرة الفائقة والتحكم فى الأمور . وهنا يجب التفرقة بين الثقة بالنفس التى تنتج عن طمأنينة المرء الى نفسه والادراك المحكم للعلاقة بين المعدات الشخصية والمواقف الخارجية ، وبين تأكيد الذات الذى ينجم عن فقدان الطمأنينة وعدم الرغبة فى تقدير المواقف تقديرا موضوعيا » .

... فى بناء البشر

تأليف : عباس محمود العقاد

الناشر : دار المعارف بمصر
عدد الصفحات ٣٠٠ صفحة - ١٧×٢٤
طبعة ثانية - الثمن ٥٠ قرشا



مؤرخ الفلسفة هو على نحو ما فيلسوف ..

أقول هذه العبارة فى مطلع كلامى عن كتاب « الله » للأستاذ العقاد ، لأنه اذا كان الكتاب كما وصفه الأستاذ « كتاب فى نشأة العقيدة الالهية منذ اتخذ الانسان أبا الى أن عرف الله الأحد . واهتدى الى نزاهة التوحيد » . فلا أقولها همسا وانما أصرخ بها فى وجه من ابتلى بهم العقاد من المشوهين نفسيا وعلميا ممن حاولوا أن ينتقصوا من قدر الرجل فوصفوه بأنه مؤرخ أو بأنه دائرة معارف أو بأنه عارض للثقافة الغربية الى آخر هذه الأوصاف التى ان دلت على شىء فانما تدل على سوء الفهم أو على سوء النية أو على الاثنين معا .

لا .. لم يكن العقاد مؤرخا ولا كان دائرة معارف ، وانما كان مثقفا بالمعنى الكامل لكلمة ثقافة ، والذى يعنى الاحاطة بكل شىء .. من علم الطبيعة وعلم النبات وعلم الحياة ، الى التاريخ والسياسة والاجتماع ، الى الفن والنقد والدين فضلا عن أدب الثقافتين الشرقية والغربية وفلسفة العالمين القديم والحديث . على أن العقاد فى هذه الجوانب المتعددة من ثقافته العلمية والأدبية والفلسفية لم يقف عند التقبل البحت ولا اكتفى بالتحصيل الخالص وانما مزج معارفه بالعقل الوثاب والقلب الجياش والحس المرهف على نحو مكنه من أن يجمع فى شخصه بين الأديب والناقد ، بين الشاعر وعالم الأخلاق ، بين الفيلسوف ورجل الدين مع استحالة فصل الواحد من هؤلاء عن الآخرين اذ يكمل بعضهم بعضا على نحو ما تكتمل فى الحاسة فلا يكتفى فى مشاهدتها بالنظر الى ضلع واحد واغفال بقية الأضلاع .

ونحن فى تناولنا لكتاب الله . لابد لنا من أن نتناوله فى ضوء هذه الاعتبارات العقادية ، والا فهمناه فهما قاصرا ووقعنا فى الخطأ الذى وقع فيه الكثيرون ممن لم يروا فيه الا كتابا .. « فى تاريخ العقيدة ، يتناولها فى العصور البدائية ، ويتنقل بها الى ظهور الأديان السماوية ، وينظر فى مذاهب الفلاسفة والعلم الحديث » . ولو صدق هذا الكلام على كتاب « الله » لكان أولى به أن يصدق على كتاب «تاريخ الفلسفة الغربية» وهو الكتاب الذى أرخ فيه برتراند رسل للفلسفة منذ نشأة المدينة اليونانية قديما حتى الوضعية المنطقية فى العصر الحاضر ، ولكنه التأريخ الذى نخرج منه برأى رسل فى شتى

مشكلات الفلسفة ومذاهب الفلاسفة ، فضلا عن نظرته الخاصة الى تيار الفكر الفلسفي وكيف انه جزء لا يتجزأ من حياة المجتمع وان موجاته جميعا تكون فصلا تاريخيا واحدا .

ولكان أولى به ان يصدق ايضا على محاولة الأستاذ يوسف كرم في اقامة مذهب فلسفي ، وهو المذهب الذي استخلص مبادئه المنطقية ومعانيه الميتافيزيقية من خلال تأريخه للفلسفة اليونانية وفلسفة العصور الوسطى والفلسفة الأوربية في العصر الحديث .. « اذ اننا نعتقد أن مؤرخ الفلسفة فيلسوف ايضا . وانه لا يليق به أن يضع نفسه موضع الببغاء فيقتصر مهمته على حكاية اقوال الفلاسفة دون عناية بتدبرها والحكم فيها » .

ولصدق أخيرا على كتاب «تهافت الفلاسفة» للامام الغزالي ، وهو الكتاب الذي فند فيه مذاهب الفلاسفة وكشف عن تهافتها واوجه النقص فيها عارضا آرائه الخاصة من خلال استعراضه لهذه الآراء ، حتى لم ير العقاد في المشرق والمغرب من هو أرجح فكرا واصفى عقلا واقوى « دماغا » من هذا الامام الجليل . ونحن من جانبنا نستطيع ان نصف العقاد بما وصف به الغزالي لانه هو الآخر : « يناقش مذاهب الفلسفة مناقشة العقل الذي يعلو عليها ويفهم ما فات اصحابها ان يفهموه ، وليست مناقشته لها كمناقشة القاصرين عن فهمها والنفاذ الى براهينها والقدرة على استكناهها ، فهو لم ينقض قط فكرة لأنه عاجز عن فهمها ، وانما ينقضها لانه قادر على فهمها ونقدها وتكميلها بالاضافة اليها أو التعقيب عليها » .

وهنا في هذا الاطار .. اطار النقد الفلسفي نستطيع ان نضع العقاد كما وضع هو الغزالي، وان نقول في كتابه « الله » ما قاله في كتاب « التهافت » . على انه اذا كان العقاد لم تساعده الظروف في اقامة مذهب فلسفي ، فان من المستطاع الوقوف على عناصر هذا المذهب في كتابه ، واذا كان تجنيا على الرجل ان نضع آراءه في صورة تركيبية لمذهب فلسفي ، فلا اقل من ان نحاول تأويل فكره تأويلا فلسفيا .

هل الإيمان ضروري ؟

شأن كل فيلسوف كبير يحاول أن يشيد نسقا فلسفيا بادئا بمجموعة من المصادرات المسلم بصحتها منذ البداية ، ثم ينتقل استنباطية الى ما يترتب عليها من نتائج فتكون هذه النتائج هي النظريات ، استهل العقاد كتابه عن « الله » بأن ثمة حاسة دينية بعيدة الغور في طبيعة الانسان ، وان الانسان لا يمكنه أن يستقر وسط هذه العوالم بغير ايمان ، فاذا كان الانسان قد وجد فعلا وسط هذه العوالم ، وكان الايمان هو الحالة التي يتطلبها منه وجوده ، اذن « فضعف الايمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ويدل على خلل في الكيان » .

وشأن كل فيلسوف اصيل يبحث عن الأسباب الأولى والغايات الأخيرة ، استأنف العقاد كلامه بالسؤال عن اصل العقيدة الدينية، فاذا كنا قد سلمنا بأنها نزعة متأصلة في كيان الانسان وشيء داخل في صميم تكوينه . فما هو الباعث في الطبيعة الانسانية الى طلب العقيدة ، وهل يلزم أن يكون باعثا واحدا أو يجوز أن يرجع الى بواعث كثيرة ؟ ولكي يجيب العقاد على هذا السؤال فند جميع المذاهب التي قيلت في تعليل اصل العقيدة الدينية أو تعليل نشأتها الأولى ، ثم عقب عليها بأن « جملة ما يقال فيها اننا لا نجد فرضا منها يستوعب أسباب العقيدة كلها ويغنينا عن التطلع الى غيره » .

فبعضهم يرى أن الأساطير هي أصل العقيدة بين البدائيين ، ولكن ليست كل أسطورة عقيدة وان كانت كل عقيدة في الجاهلية الأولى قد تلبست ببعض الأساطير ، ورد العقاد على هذا الراي « ان الانسان يسمع الأسطورة ولا يتدين بها ، ويتدين بالعقيدة ولا يلزم من ذلك أن تصطبغ أمامه بصبغة الأساطير » .

ويذهب تايلور الى أن عقيدة الاستحياء Animism هي الأصل في نشأة العقيدة ، فالانسان الأول كان كالطفل في تخيله للأشياء وتمثله لها في صور الأحياء ، فالنجوم والرياح والسحب



كلها أرباب حية تشعر وتسمع وتطلب ما يطلبه الكائن الحى ، ومن هنا كان شعوره نحـوها شعور الرهبة والرغبة ، وموقفه منهـا موقف الاسترضاء بالدعاء والصـلاة . أما هربرت سبنسر فيذهب الى أن الانسان الأول كان يؤمن بحياة الأرباب لأن عبادة الأسلاف هى أقـدم العبادات ، ولأنه كان يرى أطياف الموتى فى المنام فيظن انها باقية وانها على قيد الحياة . ويذهب غيرهما الى أن السحر هو أصل العبادة واصـل الشعائر الدينية ، ولكن طبيعة السحر غير طبيعة العبادة فى أساسها « فليس لنا أن نزعم أن الناس سحروا ثم عبدوا ، بل يحق لنا أن نزعم انهم قد عبدوا ثم سحروا ، لأن السـحر اختراع لا معنى له ما لم يسبقه ايمان بالمعبودات التى يروضها السحرة ويخافها العباد » .

بعد كلام علماء المقابلة بين الأديان ممن يردون العقيدة اما الى الأساطير أو الى الأرواح ، يبقى كلام ناقدى الأديان ممن يعللون العقيدة الدينية بضعف الانسان بازاء مظاهر الكون وشعوره بالحاجة الى قوة يعتمد عليها مما دفعـه الى الايمان باله قادر ، ورد العقاد على هـؤلاء أن معدن الايمان ليس من معدن الضعف فى الانسان بل تعظم العقيدة فى الانسان على قدر احساسه بعظمة الكون . « واذا رجح القول بأن العقيدة « ظاهرة اجتماعية » يتلقاها الفرد من الجماعة فليس الضـعف اذن بالعـامل الملح فى تكوين الاعتقاد » .

وبناء على ترجيح القول بأن العقيدة ظاهرة اجتماعية وعلى أساسها يجب أن نعتمد فى تفسير نشأة الأديان ، يناقش العقاد راى فرويد باعتباره قريبا من راى هؤلاء الذين يردون العقيـدة الدينية الى شعور الخوف ثم ينزعون بها نزعا اجتماعيا ذلك لأن حب الله عند فرويد هو بمثابة الحب الجنسى فى حالة التسامى .. ويناقش أيضا راى برجسون فى رده العقيدة الدينية الى مصدرين .. أحدهما اجتماعي لفائدة المجتمع أو النوع كله ، والآخر فردى يمتـاز به ذوو البصيرة أو الالهام . هذان المصدران .. الحاسة الدينية الاجتماعية والحاسة الفردية التى تصلنا بما يسـميه برجسون « رفعـة الحياة » هما منبعا الأخلاق والدين . ويناقش أخـيرا راى العلامة ماكس موللر الذى يذهب الى أن « البصيرة » هبة عريقة فى الانسـان ، وأن الاحساس بروعة المجهول وجلال الأبد هو علة التدين . أقول ان العقاد يناقش الفروض التى وضعها أولئك وهؤلاء جميعا ليخلص الى أن .. « جملة ما يقال فيها أننا لا نجد فرضا منهـا يستوعب أسباب العقيدة كلها ويغنينا عن التطلع الى غيره » .

ولكن هل يغنينا هذا عن معرفة راى العقاد؟ بالطبع لا ، اذن فما هو راى العقاد ؟

راى العقاد أن العقيدة هى ترجمان الصلة بين الكون والانسان ، وأن الصـلة بين الكون وموجوداته ماثلة فى جميع الموجـودات ، وأن « الوعى » لا يخلو من ترجمان لهذه الصـلة محيط به غالب عليه . وهذا ما عبر عنه العقاد بقوله : « ويبقى بعد ذلك أن الوعى أعـم من لا يحصره العقل ، لأن « الوعى » سابق « للعقل» العقل المجمل وأعمق منه وأعرق فى أصالة وجوده مع الحياة الانسانية منذ نشأتها الأولى . ونعتقد أن « الوعى الكونى » المركب فى طبيعة الانسان هو مصدر الايمان بوجود الحقيقـة الكبرى التى تحيط بكل موجـود » ، اذن فقد ثبت لنا أن الايمان أمر ضرورى ، وانتقل بنا الكتاب من السؤال عن ضرورة الايمان الى السـؤال عن وسيلة الايمان ...

فما وسيلة الإيمان ؟

وسيلته كما أسلفنا هو « الوعى الكونى » المركب فى طبيعة الانسان ؛ فاذا كان العلماء قد عرفوا شيئا اسمه الفريزة النوعية بل شـيئا يسمى غريزة الجماعة فالوعى الكونى شيء من قبيل الغريزة الكونية أو السليقة الكونية ، أى انه شيء يجانس « الحقيقة الكونية » نفسـها

ولا يقل عنها في درجات الثبوت واليقـــين . « فاذا قال لنا قائل اننى احس «الحقيقة الكونية» أو احس خالق الكون فلا ينبغى أن نكذبه لزعمنا أن الحقيقة الكونية مستحيلة وان الوعى الكونى مستحيل » .

فاذا عدنا وسألنا وما الوعى الكونى ؟ كان جـواب العقـــاد أنه . « ملـــكة قابلة للترقى والاتساع» أوهوملكةوجدانيةأشبهبمايسكلهالمتصوفة فى أذواقهم ومواجيـــدهم . وهل يفهم من هذا أن العقاد ينكر الحواس ويتنكر للعقل ولا يتخذهما اداة للمعرفة ؟ الواقع أن شيئا من هذا أو ذاك لا يمكن نسبته الى العقاد . فان احترامه لشهادة الحواس وتقديره لاستدلال العقل مسألة لا شك فيهـــا ، كل ما هناك أنه يصل بهما الى أقصى ما يستطيعان أن يقدماه فى مجال البحث والمعرفة ثم يتخطاهما الى ما بعدهما .. الى الوعى الكونى .

فالوعى الكونى لا يرفض الحواس ولا العقل لا ينكر نتائج العلم ولا معطيات الفلسفة ، ولكنه يحيط بهما ويستغرقهما جميعا ، أو يعلو عليهما دون أن يتعالى . وهذا ما عبر عنه العقاد بقوله : « ان الوعى الكونى حقيقة يستلزمها العقـــل وتؤكدها المشاهدة فى كل زمن وفى كل موطن وفى كل قبيل » ومعنى هذا أن العقاد يذهب الى أن الحواس والعقل لا يكفيان فى الوصـــول الى الحقيقة ، لأن الحواس تدرك ولا تعرف ، والعقل يبرهن ولا يعرف . والحقيقة اكبر من أن تدرك بالحواس ، وأعمق من أن يبرهن عليها بالعقل ، وأجدر بأن تعرف عن طريق الوعى الذى يجعلنا نحياها ونعيش معها ونتصل بروح روحها ان صح هذا التعبير .... « فالموجودات اذن غير محصورة فى المحسوسات ، ومن الواجب ان نسلم بقيام موجودات لا تحيط بها الحواس والعقول . لأن انكارها جهل لا يقـــوم عليه دليـــل ، ولان وجودها ممكن وليس بالمستحيل » .

بعد ان عرفنـــا مكانة الوعى من الحـــواس والعقل ينبغى أن نعرف مكانتـــه من الشعور ، فهل الوعى هو الشعور أم هو غيره ؟

والواقع أن الوعى ليس هو الشعور تماما وانما هناك فارق بينهما ، وهو فارق لا فى مجرد الدرجة بل وفى وظيفة كل منهما فى الادراك ؛ اذ بينما يغلب على الشعور الأحاسيس النفســـية يغلب على الوعى المعانى الذهنية ، وبينما يظل الشعور كالمرآة التى تعكس عليها المدركات يحاول الوعى أن يستغرق هذه المدركات وأن يعلو عليها .. فالشعور مقصور على التقاط المعقـــولات وامرارها فى تياره أما الوعى فقادر على تعقل هذه المعقولات ذاتها . ومعنى هذا أن العقـــل لا يمكنه الا أن يدرك المعقولات وهى تنساب فى تيار الشعور ، بينما العقل يمكنه أن يعقل ذاته فى حالة الوعى .. لأن انعطاف العقل على ذاته وحضور المعقولات أمامـــه هو ضرب أعلى من الشعور ، أو هو ادراك فائق للشعور ، أو هو هذا الوعى . وعلى ذلك لا يمكننا أن نفصل بين الوعى والشعور أو أن نباعد بينهما لأن كلا منهما لا ينفصل عن الآخر ولا يمكن أن يفهم فى استقلال عنه ؛ فليس الوعى مغايرا للشعور بل هو مجانس له ، وليس أدنى بل هو أعلى أو هو كما جاء فى عبارة الفيلسوف وليم جيمس : « ادراك فائق للشعور » .

وهنا نرى العقاد يؤكد ان رايه فى « الوعى » اقرب الى الشعور منه الى اى شىء آخر ، على الا يكون معنى هذا الشعور التأثر الوجدانى العابر او الانفعال العاطفى العارض بل معناه الحساسية النفسية والبديهة الذهنية والالهام الروحى . كما رأيناه هناك يؤكد أن « وعيه » فيه عنصر الفكر ، بل يحاول الاعلان عن نفسه فى الفكر ، بل يسعى الى أن تكون له صورة فكرة . ومن هنا وهناك نرى أن « الوعى العقادى » ان هو الا ادراك شامل وعميق ، كامل وعام لا يقتصر على أن يضم فى طياته طرق المعرفة المتعددة من معطيات الحواس الى استدلالات العقـــل الى مدركات البديهة بل يضيف اليها هذا « الوعى الكونى » الذى يمنحنا الطاقة الروحية والدفعة الحية فيجعل من الانسان على حد تعبير برجسون : « تلقائية روحية واعية » ويحـــدث نوعا من « التضامن » بين الذات العارفة وموضـــوع المعرفة ، أو بين الشخص المدرك والشىء المدرك ، أو بين ما هو متحقق فى الأعيان وما هو مقصود فى الأذهان على حد تعبير الاسلاميين .



وهذا ما عناه العقاد بقوله : « ان الحس والعقل والوعى والبديهة جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية ، وان هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليقة ؛ يعقله المؤمن ، ويدين به المفكر ، ويتطلبه الطبع السليم » . فهذه العبارة الجميلة والجليلة معا ان اكدت شيئا فانما تؤكد ما ذهبنا اليه من أن العقاد انما يصدر فى فلسفته عن طاقة دينية أصيلة ويتصل بحقائق الاشياء اتصالا واعيا مباشرا . على اننا اذا كنا قد عرفنا ان الايمان أمر ضرورى ، وعرفنا بعد ذلك ما وسيلة الايمان ، فليس يبقى أمامنا الا ان نعرف موضوع الايمان ..

فما موضوع الإيمان ؟

موضوع الايمان هو الله .

وما الله ؟ أهو موجود ؟ وان كان موجودا فما الدليل على وجوده ؟

أهو الدليل الكونى ؟ أم هو الدليل الوجودى؟ أم هو الدليل الغائى ؟ أم هو غير ذلك من الادلة التى لا يخرج عنها الفلاسفة المدرسيون ولا غيرهم من محترفى الفلسفة ، وكلها تخفق ولا تفضى الى شىء .. وسبب اخفاقها انها اذ تعتمد على العقل وتتخذه وسيلة للمعرفة ، تنظر الى الله على انه « موضوع » لا على انه « ذات » فتحاول أن تثبته كما لو كان معادلة رياضية ، وتحاول أن تبرهن عليه كما لو كان نظرية فى الهندسة . ويقول العقاد ما يعتبر ردا على هذه الادلة :

« وليس تصور « الذات الالهية » عادة انسانية تعودها الانسان بغير تفكير — كما يرى بعض النفسانيين — لأنه تعود أن يخلع صورته على الاشياء ويحسبها ظلالا له تحكيه فى ملامحه وخوافيه ، ولكنها نهاية ما يدركه العقل واعيا صاحيا مع التفكير ومتابعة التفكير الى اقصى مداه » .

« فان العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، ويستطيع التفرقة بين ادلة الايمان وادلة التعطيل ، ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الايمان ، ويستطيع أن يبلغ غاية عدوه ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود » .

« واعجب الصور العقلية حقا وجود يتصف بكل كمال ولا يعلم انه كامل .. والعلم بالذات فضلا عن العلم بالغير أول صفات الكمال ! » .

اما العقاد فعندما استقام له المنهج استقام له الموضوع ، وعندما تبين وسيلة المعرفة تبين له موضوع المعرفة .. تبين له الله . فالوعى لابد وان يكون وعيا بشىء ، كما ان الشعور لابد وان يكون شعورا بشىء . اعنى انه ليس ثمة وعى مغلق الى حد أن لا تكون له فكرة عن موضوعه الخاص ، بل لابد وان يكون مفتوحا لتلقى هذه الفكرة ، فيكون وعيا كاملا غير ناقص ولا مبتور ، او وعيا على الحقيقة والتمام .

فالوعى هو تيقظ فى ذات واعية حتى يحصل لها موضوع وعيها ، وموضوع وعيها ليس فى داخلها وانما هو فى الخارج . وان المنهج الفنومنولوجى Phenomenology الذى وضعه هوسرل ليتلخص فى اعتبار الشعور لا على أنه ... اليقين الخالص الذى لنا عن انفسنا ، بل على انه شعور بشىء أو اتجاه نحو شىء » . وعلى ذلك فوعى لا يكون له اتجاه أمر مستحيل كما تستحيل الحركة من غير أن يكون لها اتجاه ، والاتجاه لابد له من هدف ، والهدف هو الله .

وما الله ؟

الله ذات واعية ؛ ولا يجوز فى العقل ولا فى الدين ان تكون له حقيقة غير هذه الحقيقة ، وان يوصف بأنه معنى لا ذات له أو قوة لا وعى لها ..

« فاما أن نفهم أن الكمال المطلق ذات واعية ، واما أن ننفى عنه الوعى وننفى عنه الوجود ، لأنه لا كمال بغير علم بالنفس كما أسلفنا .. فضلا عن العلم بالموجودات » .

فمن فكر فى الله فكر فى ذات .

ومن آمن بالله آمن بذات .

وعند العقاد أن كلمة « الذات » .. « لا تستلزم التشخيص في الحقيقة ولا في المجاز، ولا تقتضى نزاهتها عن التشخيص أنها معنى بغير كيان مستقل عن الوعي والصفات الواعية. فهي تدل على الجوهر الذي تضاف اليه الأوصاف، وتدل على الكائن الذي يملك صفاته فهو « ذو » تلك الصفات ». وهكذا استحالت مشكلة الله عند العقاد من مشكلة وجود الى مشكلة صفات، ما دام الله موضوع وعي لا موضوع برهان، وما دام الله واقعة تشاهد وليس مشكلة تحل .. وعلى ذلك فليست المشكلة فى اثبات وجود الله، وانما هى فى معرفة ما صفات الله.

فما صفات الله ؟

يرى العقاد أن تقييد « الذات » الالهية بأية صفة من الصفات المألوفة لنا أو المعهودة لدينا انما هو من قبيل الوهم والضلال ؛ فلا أساس للقول بأن « الله » لا تكون له صفات متعددة، لأنه جوهر بسيط. ولا أساس للقول بأن الله لا يريد لأن الارادة اختيار بين أحوال، والله منزه عن أحوال. ولا أساس للقول بأن الله لا يعلم الجزئيات لأنه يعلم أشرف المعقولات، وهو ذات الله. فمثل هذه الأقوال لا أساس لها من الصدق ولا من الصواب الا فى الذهن أو فى الخيال، ولم يفعل أصحابها شيئا أكثر من انهم زادوا اللغة كلمة ولم يزيدوا العقل تفسيرا، ولا الفلسفة مذهبا، ولا الدين عقيدة. أو كما قال الأستاذ : « وهنا نعلم أن الدين لم يكن أصدق عقيدة وكفى، بل كان كذلك أصدق فلسفة حين علمنا أن الله جل وعلا « ليس كمثله شيء » .. « فكل ما نعلمه انه جل وعلا « كمال مطلق » وان العقل المحدود لا يحيط بالكمال المطلق الذى ليست له حدود. وليس لهذا العقل ان يقول للكمال المطلق كيف يكون وكيف يفعل وكيف يريد » .

واضح من هذا الرأى الذى ارتآه العقاد انه يرد على فلاسفة كثيرين كان لهم رأيهم فى مسألة صفات الله .. فهو يرد على سبينوزا وغيره من أصحاب وحدة الوجود Pantheism الذين وحدوا بين الكون والله أو بين الخلق والخالق أو بين الظواهر المادية والحقائق الالهية. فعند سبينوزا « أن كل موجود انما يوجد فى الله، ولا شيء يوجد أو يدرك بغير الله ». ذلك لأن الأعراض لا توجد فى ذاتها ولا يمكن أن توجد الا فى جوهر، والله هو الموجود فى ذاته أو هو الجوهر. وعلى ذلك لم يكن الله « علة » ما فى الكون من ظواهر فحسب، بل هو أيضا « عين » ذاتها التى لا يمكن ادراكها الا من خلال ذات الله.

ويرى أيضا على ابن عربى وغيره من أصحاب وحدة الشهود Panentheism الذين أسقطوا التكثر والتعدد فى الوجود العينى وألفوا كل تكثر أو تعدد فى الشهود الشخصى لأن حضرة الجمع عندهم تستوعب كل شيء بحيث تصبح الأشياء جميعا من عين واحدة، بل تكون هى هذه العين الواحدة. فعند الشيخ الأكبر أن ثمة وحدة ذاتية بين الله والكون بحيث يكون وجود الحق هو عين وجود الخلق بلا فارق ولا اختلاف. وهذا ما عبر عنه الشيخ بقوله : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ».

ويرد أخيرا على المعتزلة الذين نفوا الصفات عن « الذات » أو أثبتوها على انها سلوب تمشيا مع مذهبهم فى انكار الصفات كذوات قديمة قائمة وراء الذات لما فى ذلك من ايذان بتعدد القدماء. قال واصل بن عطاء فى نفى الصفات القديمة كالعلم والقدرة والحياة : « ان اثبات صفات قديمة بجوار الذات هو اثبات الهين قديمين، ومحال وجود الهين قديمين لأن القدم وصف لذات واحدة » .

وهكذا راى العقاد ردا على أولئك وهؤلاء جميعا أن « القول بالذات الالهية يبطل القول بوحدة الوجود كما يبطل القول بأن الله معنى لا ذات له أو قوة غير واعية ». وأما الذين يوافقهم العقاد ويتفق معهم فهم الأشاعرة بعامة والامام الغزالى بوجه خاص، فهؤلاء جميعا اذ يثبتون الصفات بغير كيف ولا تشبيه يتبعون قول الشارع، واذ يدافعون عنها يعتمدون على النظر العقلى الخالص .. فادراك النص يكون

على ضوء العقل وفى حدود الشرع . ولكن العقاد لم يقف عندما وقف أشاعرة المسلمين بل تخطاهم الى معرفة ما تطور اليه الفكر البشرى فى العصور الحديثة ، وما انتهت اليه مباحث الفلاسفة المعاصرين ، وبذلك أضاف الى مذهبهم كلمة العلم الحديث فى تطور الكائنات ورقيها فى الذاتية على اعتبار أن الذاتية هى الغاية من الرقى .

تحية المتناهى الى اللامتناهى ؟

على أن الكلام فى صفات الذات قد أفضى بالعقاد الى الكلام فى امكان الايمان ، فما دامت الذات كمال مطلق والعقل أمر محدود ، فلا بد من السؤال عن العلاقة بين العقل والايمان ، اذ كيف يكون ايمان والعقل الانسانى قاصر عن ادراك الذات الالهية ؟ وكيف تكون صلة بين الكمال المطلق وبين الانسان ؟ ..

غير معقول فى رأى العقاد أن يكون سبب الايمان هو السبب المبطل للايمان ، وغير معقول فى رأيه أيضا أن يستحيل الايمان مع وجود الاله الذى يتصف بأكمل الصفات ، وانما المعقول هو ان الصلة بين الخالق وخلقه لا تتوقف على العقل « وحده » ما دام الانسان « كله » فى الكون ، وما دام العقل وحده ليس هو قوام وجود الانسان : « فان العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، ويستطيع التفرقة بين ادلة الايمان وادلة التعطيل ، ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الايمان ، ويستطيع أن يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراءها لانه وراء تلك الحدود » .

وما وراء تلك الحدود هو هذا « الوعى » الذى يفوق العقل ويتخطاه حتى يصل الى معرفة الله ، فالوعى كما وصفه الشاعر الصوفى محمد اقبال : تحية المتناهى الى اللامتناهى ، ومسألة وجود الله كما قال العقاد مسألة « وعى » قبل كل شىء : « فالانسان له « وعى » يقينى بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ، ولا يخلو من «وعى» يقينى بالوجود الأعظم والحقيقة الكونية لانه متصل بهذا الوجود ، بل قائم عليه » .

وهكذا نرى أن العقاد عندما مضى بالعقل الى غاية مداه ورأى أن العقل قاصر عن معرفة الله ، ولى وجهه شطر المعرفة الصوفية فتمكن بالوعى الدينى الذى هو ضرورة لا محيص عنها ، وواقع ملازم للانسان ـ من أن يجد لله فى مجال العقيدة مكانا مستقلا بنفسه قائما بذاته : « ويبقى بعد ذلك أن « الوعى » أعم من العقل المجمل وأعمق منه واعرق فى أصالة وجوده مع الحياة الانسانية منذ نشأتها الأولى ، ونعتقد أن الوعى الكونى المركب فى طبيعة الانسان هو مصدر الايمان بوجود الحقيقة الكبرى التى تحيط بكل موجود » . وبذلك وفق العقاد ـ كما وفق الغزالى من قبل ـ فى أن جعل للدين حق القيام الى جانب العلم والفلسفة . فكان بحق من أجل نعم الله لا أقول على بنى وطنه فحسب بل وعلى بنى الانسان .

فسلام عليك حيا .. وسلام عليك ميتا ..
ايها العظيم : عباس محمود العقاد .

جلال العشرى



الصهيونية فى الستينات

تأليف : محمود نعناعة

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
٣١٣ صفحة ١٧×٢٤ - الثمن ٣٥ قرشا

فى نهاية القرن التاسع عشر ، وفى حومة الاستعمار الغربى ، انتهت الحركة الصهيونية الاستعمارية ، الى المطالبة بوطن لليهود فى فلسطين ، يتسع لليهود الموزعين فى ارجاء العالم ؛ والى انتحال ما أسموه القومية اليهودية رابطة مصطنعة لليهود المنتمين الى القوميات المختلفة ، والى بعث التعصب الدينى واحياء اللغة العبرية المندثرة وايجاد رابطة للمهاجرين الغرباء اليهود بأرض فلسطين العربية ..

والتقت أهداف الاستعمار مع أهداف الصهيونية ، فاتخذ منها اداة لتثبيت مطامعه واستغلالاته غير المشروعة فى الوطن العربى الكبير .

ولقد اتصلت مكاسب الصهيونية من الاستعمار ، فكان وعد بلفور البريطانى فى عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وتضمينه بعد ذلك صك الانتداب الذى اقرته عصبة الأمم ، وانتداب الدولة الاستعمارية الأولى صاحبة الوعد الباطل على فلسطين ، والاعتراف بالوكالة اليهودية فى فلسطين دولة تؤازرها دولة الانتداب ، وتوسيع الهجرة اليهودية ، وارهاب العرب واخراجهم من ديارهم ، وقيام اسرائيل فى منتصف مايو لعام ١٩٤٨ أداة للاستعمار ، ومصدر تهديد لأمن المنطقة العربية ووحدتها وتقدمها .

هل حققت الصهيونية اهدافها بذلك كله ؟ أو أن هذه الأهداف لا تزال بعيدة المنال ؟

ان الصهيونية لم تستطع أن تحقق شعارها الأساسى ، وهو أن يهود العالم ، الموزعين فى أممه واوطانه ، يؤلفون أمة واحدة ، على خلاف

غيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب .. ولاتزال الصهيونية كما كانت منذ نشأتها ، بعيدة عن أن تشمل اليهود جميعا .

فكانت حركة اليهودية المناهضة للصهيونية ظاهرة في بريطانيا وقتما كانت مركز النشاط الصهيوني العالمي . وحين تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية العالم الغربي في الحرب العالمية الثانية ، وانتقل مركز النشاط الصهيوني اليها، انتقلت معه كذلك الحركة اليهودية يمثلها المجلس اليهودي الأمريكي المؤسس في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين .

والواقع ان حركة القومية اليهودية قد تراجعت ، في السنوات الأخيرة ، على المستوى العالمي ، وان كتب لها أن تتقدم مظهريا على مستوى الوجود العدواني الباطل لاسرائيل ، وعلى مستوى ما اشترعته من قوانين تنص على حق كل يهودي فيالجنسية الاسرائيلية ، وتشجع هجرة اليهود أيان كانوا الى فلسطين المحتلة .

فقد كانت الصهيونية من قبل تقول بازدواج الجنسية لليهود اي ان لهم جنسية أصيلة تمثلها اسرائيل في المرحلة الحالية ، وجنسية ثانوية ، هي جنسية الوطن الذي يعيشون فيه وينتمون الى أمته ، ويستغلونه لخدمة مآرب الصهيونية غير المشروعة .

وكانت هذه الجنسية المزدوجة من اضعف الأركان في الفكر الصهيوني ، كما قال ريتشرد كوهن الكاتب اليهودي في مقال نشرته له في العام الماضي المجلة الأمريكية « اسيوز » . فكل دولة لا تقبل أن يكون ابن لها حاملا لجنسية أخرى مع جنسيتها . ولهذا عمد الصهيونيون ، تغطية لسياستهم المدمرة ، الى ابتداع ما أسموه الولاء المزدوج . فالولاء عبارة مبهمة ، لا تحمل مقومات معينة محددة ، وليس من العسير أن تحاسب الدولة ابنها عليه ، اذ هو أقرب الى النية الخفية منه الى العمل الظاهر .

وأخذت الصهيونية تشن الهجمات المتصلة على جماعة اليهود غير الصهيونيين في أمريكا خاصة ، حيث نصف اليهود في العالم كله وأكبر معاقل الصهيونية ، وفي غيرها عامة . وظلت تعيب عليهم أنهم لا يدينون بالصهيونية ، ولا يتخذون سياسة اسرائيل سياسة لهم يدعمونها ، ويصدرون عنها ، ويعملون لخدمتها أينما كانوا ، ولا يستعدون للهجرة الى فلسطين المحتلة ، وترميهم لذلك بعدم الولاء لأمتهم اليهودية .

ويتصل بهذا المبدأ الصهيوني الأول ــ أو يقوم عليه ــ مبدأ تشجيع الهجرة الى اسرائيل ، واتخاذها ترسانة ومنطلقا للتوسع العدواني .

وقد استطاعت الصهيونية في عهدها الذهبي أن تنمى عدد اليهود في فلسطين بمقدار عشرة امثال ، في ثلاثين عاما ، منذ وعد بلفور في عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر ، الى قيام اسرائيل في منتصف عام ثمانية وأربعين . لكن اسرائيل لم تستطع أن تنمى عددها في خمسة عشر عاما الا بمقدار أربعة أمثال ، رغم الامكانيات الواسعة والظروف المواتية لها أكثر من أي وقت مضى .. وأصبح عدد سكانها الآن مليونين ..

ولا ريب أن هذه الخطوات على سعتها ليست عظيمة الأثر بالنسبة للمعاونات الضخمة والتأييدات العالمية البعيدة المدى ، وأوهام السعادة بجنة اسرائيل ، التي بثتها الدعاية الصهيونية في أذهان اليهود اينما كانوا بأرجاء العالم ، وأسباب القلق والاضراب التي تخضعهم لها في مختلف الأوطان حتى يفروا الى اسرائيل .

ويؤيد هذا انه قد نشأت هجرة من اسرائيل ذاتها الى خارجها ، وأن المستعمرين اليهود فيالجزائر ، حين اضطروا الى مغادرتها بعد اقتراب أعمال الابادة للوطنيين في المنظمة السرية التي اعتمدت أساسا على الصهيونية ــ هؤلاء المستعمرون الغلاة لم يذهب الا قليل منهم الى اسرائيل وأكثر القليل من الشيوخ والعجزة ، بينما فضل الشباب الهجرة الى فرنسا .

والمشروعات الانتاجية المختلفة في اسرائيل ، وخاصة الزراعية ، التي جذبت راس المال الأجنبي باء اكثرها بالفشل،وأخذت رؤوس المال الصهيونية ذاتها تدرك أن اسرائيل ليست المكان الصالح لاستثماراتها ، وأن منتجات تتكلف اضعاف

لاستثماراتها ، وأن منتجاتها تتكلف اضعاف

واذا كان ذلك قد حدث رغم المعونات الألمانية والأمريكية والصهيونية التى بلغت ، فى هذه السنوات الخمس عشرة ، نحو أربعة آلاف مليون دولار ، أو ما يساوى أكثر من الفى دولار لكل اسرائيلى — اذا كان ذلك قد حدث رغم هذه الامدادات الواسعة المدى التى لا يمكن أن تستمر بهذا القدر من السخاء والضخامة ، فلا ريب أن القوى الصهيونية تقدر أن الظروف الحالية التى تعيش فيها اسرائيل ليست ظروف استقرار ولا استمرار ، وأن أى دولة لا يمكن أن تقوم أساسا الا على مصادر انتاجها الذاتية ، وقواها الكامنة فى أرضها ومائها وفى نفوس أبنائها .

وكان المخطط الصهيونى يقوم على احتلال فلسطين التاريخية ، التى تتسع لليهود جميعا فى أرجاء العالم وهى تشمل — فى أذهان الصهيونيين — شرقى الأردن فضلا عن غربيه ، والأجزاء الجنوبية من لبنان ، وجبل الشيخ (حرمون) ومنطقة حوران فى جنوبى سورية .

وعلى باب الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) عرفت امبراطورية صهيون بأنها تمتد من النيل الى الفرات .. وفى عام الف وتسعمائة وستة وخمسين ، وبعد فشل العدوان الثلاثى على مصر ، قلب الأمة العربية ومصدر قوتها ، أزيلت هذه العبارة من مدخل الكنيست ..

واتصل بالوسائل التى استخدمتها الصهيونية لبلوغ اهدافها حركة اللاسامية ، ومحاولة تنميتها للتأثير على اليهود ، واقناعهم بأنه لا حياة لهم فى أى مجتمع دولى ، وان وجودهم يجب أن يركز فى فلسطين وطنهم القومى فى البداية ثم اسرائيل حاليا ..

ولما كان الاستعمار الصهيونى أداة الاستعمار الغربى ، وكان من ذرائع الصهيونية اتخاذ الدين وسيلة لخدمة المآرب الاستعمارية ، فقد سار عملهم لغرس روح التعصب الدينى فى قلوب اليهود مع عملهم للتقريب بين المسيحية واليهودية ومحاولة ايجاد سند لدولتهم فى الكتاب المقدس.

وعرف الاستعمار الصهيونى ، كما عرف الاستعمار الغربى ، أن لا وجود له فى المنطقة العربية الا بضعف العرب ، وان هذا الضعف يجب أن يعتمد على التخلف فى الحياة القديمة ، وعلى الحيلولة بجميع الوسائل دون احياء الوحدة العربية ، وما يترتب عليها من قوة وتقدم ، عرفهما العالم حين اتحد العرب قبيل الاسلام ، واكتملت وحدتهم فى صدره ، فكان النصر العالمى للحضارة العربية ، كما عرفهما فى النصر العربى ضد التتار وغيرهم من الغزاة الأجانب ، ثم فى النصر العربى على الحرب الاستعمارية التى سميت باطلا بالصليبية .

هذه هى القواعد التى استند اليها الاستعمار الصهيونى فى حركته ضد العرب : انتحال القومية اليهودية ومحاولة تقوية أسبابها الواهية، وتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتنمية حركة اللاسامية سبيلا لهذا التشجيع ، واستخدام الدين اليهودى والتقرب فى ذات الوقت من المسيحية ، ومحاربة القوة العربية القائمة على الوحدة والتقدم ..

كانت هذه قواعد السياسة الاستعمارية الصهيونية فى الماضى ، ولا تزال قواعدها فى الحاضر ..

فلما قامت اسرائيل وجدت انها يجب أن تدعم وجودها الاستعمارى ، وأن تكفل مطامعها الاستغلالية فى الشرق الأوسط وفى سائر آسيا وافريقية .. وعملت فى ذلك لدخول الأمم المتحدة ، واتخذت الاشتراكية والمعونات ذريعة للتغلغل فى البلاد الآسيوية والافريقية ، وخدمة مآرب الاستعمار فيها ..

ووجدت كذلك انه لا سبيل لاستقرارها الا بالصلح مع العرب .. فهى لا تستطيع العيش بجزيرة فى بحر من العداء .. وفى عهد الضعف الغربى الذى مكن لوجودها اطمأنت اسرائيل الى ان الصلح قادم لا ريب فيه .. فقد خرج العرب من الحرب وقامت اسرائيل ، وفرضت الهدنة بينها وبين العرب ، وسارت سياسة الضعف العربية بعد قيام اسرائيل سيرا تطمئن اليه اسرائيل وتستبشر لمطامعها اعظم الخير ..

فلما قامت الثورة العربية الكبرى فى مصر لعام الف وتسعمائة واثنين وخمسين ، ونمت القوة العربية ، وفشلت اسرائيل فى الصلح مع

العرب ، خاضت مع خالقها الاستعمار الغربى حرب السويس ألتى صفت الاستعمار الغربى فى افريقية وآسيا وكشفت حقيقة اسرائيل بوصفها سلطة عدوانية وركيزة للمطامع الاستعمارية التوسعية والاستغلالية ..

ومنذ حرب السويس غيرت اسرائيل سياستها ، وركزت جهودها على دعم علاقاتها بالدول الأجنبية لتكسب حلفاء فى الأمم المتحدة والمجتمع الدولى ، كما عنيت أعظم العناية بالتغلغل فى افريقية أولا وفى آسيا ثانيا لتحقق مطامعها ومطامع الاستعمار الجديد ، ولتبطل مفعول المقاطعة العربية لها ، وبالغت فى المناداة بالصلح مع العرب والعيش بسلام مع جيرانها ، وسلكت فى ذات الوقت سياسة تقوية نفسها من الداخل بمشروع تحويل مجرى نهر الأردن وما اليه ، الى جانب الاستعداد العسكرى ..

وهذه هى خلاصة السياسة الصهيونية فى هذه الحقبة ، أو فى الستينات ان صح استخدام هذا التعبير ..

لكن السياسة العربية أفسدت على الصهيونية مخططها فى المجال القومى بمؤتمرى القمة العربيين وفى المجال الدولى بالمكاسب المتصلة التى توجها مؤتمر عدم الانحياز فى اكتوبر (تشرين الأول) الماضى ..

ويبدو واضحا من هذا العرض أن الاستعمار الصهيونى لم تتغير سياسته ، كما أنه لم تتغير وسيلته فى اتخاذ العدوان سبيلا لتحقيق مطامعه ولفرض سياسة الأمر الواقع ..

كما يبدو واضحا ان التحول الكبير فى السياسة الصهيونية جاء منذ حرب السويس ولم يجىء فى هذه الستينات ، وانه من المتعذر تسميته سياسة لعقد من الزمان لدولة من الدول، بله قوة العدوان الاستعمارية الصهيونية ..

ولهذه الحقائق التى أوردتها ، والتى تمثل الحركة الصهيونية منذ نشأتها الى يومنا هذا كما أتصورها ، وكما يثبتها البحث العلمى — لهذه الحقائق فان السيد محمود نعناعه ، تبدو تسميته لكتابه «الصهيونية فى الستينات» اقرب الى العمل الأدبى الأسلوبى منها الى المنهج العلمى ..

ويبدو الأمر أشد وضوحا حين ننظر فى فصول الكتاب ، فنجدها لا تعدو ناحية جانبية من السياسة الصهيونية ، وهى ناحية محاولات الصهيونية مع المسيحية لتبرئة اليهود من دم المسيح ، وما يتصل بهذه المحاولة من حركة اللاسامية ، وحديث عن تاريخ اليهود القديم ومحاولاتهم فى الماضى ، وعدم تصوير لسياستهم الجديدة ..

وهذه أولى الملاحظات الأساسية على موضوع الكتاب ..

أما الملاحظة الثانية فهى اعتماده على أقوال الصحف والاذاعات ووكالات الأنباء ، وعدم اعتماده على المراجع الوثقى والبحث العلمى الصحيح ..

ومن هنا ظهر بعض التناقض فى أحاديث المؤلف ، ومثل ذلك قوله فى الصفحة الأولى من الكتاب : « فالرباط الذى يجمع بين اسرائيل واليهودية العالمية تعرَّض لهزات عنيفة ، جعلته رخوا شديد الرخاوة وكادت تحل عقده وتقطع أوصاله » .

ثم قوله فى الصفحة السابعة :

« فان التنظيم الذى هو أقوى مميزات الصهيونية وأقدر مقوماتها على الاطلاق جدير بأن يفسح المجال أمامها للاحتفاظ بمواقع اقدامها والزحف نحو مواقع جديدة ، لأن هذا التنظيم المحكم يكفل للصهيونية أن تبقى لفترة قادمة قد تطول وقد تقصر هى الناطقة الرسمية والرئيسية باسم يهود العالم ، ما دامت المعارضة اليهودية لأغراض الصهيونية ضعيفة أو عديمة التنظيم ..

وبينما يعترف المؤلف فى المقدمة بأن هناك معارضة يهودية للحركة الصهيونية ، وبينما يعترف فى مواضع اخرى بأن اليهود اندمجوا فى المجتمعات المختلفة وتحولوا عن الدين اليهودى .— فانه يقرر فى مواضع كثيرة من الكتاب أن لا فرق بين اليهودية والصهيونية . ويقع بهذا فى احالة كبرى حين يخلط بين اليهودية والصهيونية ، ويحمل على اليهود شعبا منذ بداية الخليقة ، ويصفهم — على الوجه الذى يريدون أن يوصفوا به دائما ، وهو انهم عاشوا فى جميع مراحل

التاريخ منذ فقدوا الصلة بفلسطين لنحو الفى عام خلت ـ عاشوا شعبا متفرقا منعزلا فى المجتمعات الدولية التى تشتتوا فيها ، ولم تنعدم الروابط بينهم بحال من الأحوال .. ولا يعنيهم بعد ذلك أن تكون الروابط فكرية ودينية وقومية أو أن تكون استغلالية كما ركز المؤلف جهده ..

وفى هذا المجال ، وفى حديثه الطويل عن اليهود منذ القدم لا فى هذه الستينات ، يتحدث عن فضيحة درايفوس اليهودى ، فكان مما قال:

« جاءت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) لتعلن مبادئها الثلاثة المشهورة وهى الحرية والاخاء والمساواة ولم تنس الثورة الفرنسية أن تمنح اليهود الحقوق المدنية تطبيقا لتلك المبادىء .

« وأصبح لليهود ما لسائر المواطنين من حقوق التوظف والانخراط فى سلك الجيش .

« وصار اليهودى الفرد « درايفوس » ضابطا فى الجيش الفرنسى وكان المفروض أن يستميت المواطن اليهودى فى الولاء للوطن الذى يعيش فيه والذى ضمن له الشعور بالاحترام الذاتى ، وللدولة التى أهلته لخدمة علمها بعد تلك السنين الطويلة من الكبت والحرمان .

« هكذا كان المفروض وهكذا كان يجب أن يتصرف اليهود فى فرنسا ولكن يهود فرنسا كيهود الدنيا كلها لا يعرفون الا أن يعضوا اليد التى تمتد اليهم بالمودة والاخاء ، لا لسبب الا لكونهم لا يقرون بجميل ما يفعله الآخرون لهم وكل تفسيرهم لهذا الجميل هو أنه غباء وغفلة من الآخرين نالوه هم بذكائهم وتفوقهم فى أساليب الخداع ..

« وكأنى بأفراد الجالية اليهودية فى باريس بعد افتضاح أخيهم درايفوس تقوقعوا فى الجيتو وأخذت عيونهم تدور فى محاجرها بمزيج من الخوف والخبث والنكاية والقلق.. وهم عاجزون عن الافصاح عن مشاعرهم الحقيقية بأن كل فرد منهم هو درايفوس ومترددون فى التنصل من خيانة الجاسوس على رؤوس الاشهاد » .

ويختم حديثه المسترسل فى هذا المنزلق قائلا :

« ولعل الصهيونية فى اخلاصها لمبدأ الولاء الفريد المطلق للدولة اليهودية ، تكون أصدق ما تكون مع نفسها ومع التاريخ اليهودى المستوحى من تعاليم الكهنة اليهود » .

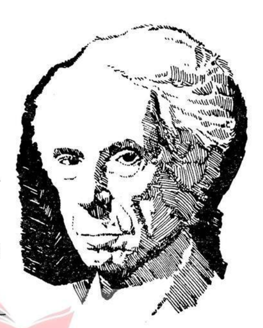
ومثل ذلك كثير فى الكتاب ، أو هو الأساس الذى قام عليه .. وهو بهذا يلتقى مع محاولات الصهيونية فى اقناع اليهود بأن لاوجود لهم فى غير اسرائيل ، وانه ليس هنالك فرق بين اليهودية والصهيونية ...

أما حقائق التاريخ فتنكر هذا التصوير تماما .. فاليهود لم يكونوا شعبا بحال من الاحوال ، وصلتهم بفلسطين كانت منعدمة قبل الحركة الصهيونية الاستعمارية فى نهاية القرن التاسع عشر .. ولم يكن بفلسطين حينذاك سوى خمسة آلاف يهودى عربى لا ينتمون للصهيونية بنسب ، والدين اليهودى قد اتخذته الصهيونية الملحدة ، وعلى رأسها « هرتزل » الذى لم يكن يؤمن بدين ، ذريعة لتحقيق أهداف سياسة عدوانية ...

وبهذا القدر من الملاحظة على وفرة الملاحظات الأخرى ، اكتفى .. ولولا هذا البيان الذى لم أجد مناصا منه ما تعرضت لهذا الكتاب ..

وبعد ، فأود أن أؤكد ما قررته من قبل فى مناسبات مختلفة ، وهو أن العرب لا يحملون ضغينة ولا حقدا على اليهود ، وهم يفرقون فى نضالهم تمام التفريق بين اليهودى المؤمن الذى عاش واياهم اخا مواطنا لمختلف العصور ، وبين الصهيونى المعتدى الآثم المستعمر الذى اتخذ منه الاستعمار حليفا وأداة لمطامعه واستغلالاته غير المشروعة . والحق أن العرب يقفون موقف الدفاع المقدس ضد أعمال الصهيونية العدوانية، ومطامعها التوسعية فى الوطن العربى ، وسائر العالم الآسيوى الأفريقى . وهم مصممون على التخلص من الاستعمار الصهيونى تصميمهم على التخص من بقايا الاستعمار الاجنبى ، مؤمنون دائما بأن كلمة الحق هى العليا وأن النصر للمؤمنين العاملين الصابرين ..

الدكتور سيد نوفل



النظرة العلمية

تأليف: برتراند راسل

إن عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، ليوصف على أقلام المؤلفين بصفات كثيرة ، تختلف باختلاف وجهات النظر عند هؤلاء المؤلفين . لكني أحسبهم جميعا على اتفاق بأنه عصر تميز بالعلم انتاجا وتطبيقا ، مهما يكن من أمر الصفات الأخرى التي قد يضيفها بعض وينكرها بعض آخر ؛ وقد كان محالا على فيلسوف في مكانة برتراند رسل ، ان يحيا في عصر هذه صفته الأولى دون أن يكتب كتابا أو اكثر من كتاب في تحليل هذه الصفة العلمية التي تميز الحياة المعاصرة ، فيتقصى جوانبها ، ويمعن النظر في مستقبلها وفي آثارها المرتقبة على الحياة الانسانية الفردية والاجتماعية على السواء .

لقد لبث هذا الفيلسوف يؤلف الكتب زمنا يدنو من سبعين عاما ، أخرج خلالها من المؤلفات ما يعد بالعشرات ؛ ولو ألقينا نظرة من بعيد على خط سيره في هذه المؤلفات منذ أول هذا القرن الى يومنا الراهن ، لوجدناه خطا صاعدا هابطا ، كأنه يسير في موجات ؛ فموجة أولى امتدت نحو عشرين عاما ، شغل فيها بالفلسفة الرياضية ، وموجة ثانية امتدت نحو عشرين عاما أخرى - تقع بعد الحرب العالمية الأولى - شغل فيها بالمؤلفات التي لا تتناول موضوعات فلسفية بالمعنى الأكاديمي المتخصص ، بل تتناول موضوعات عامة يسودها المزاج الفلسفي في التفكير ، وموجة ثالثة امتدت نحو خمسة عشر عاما عاد فيها الى التفكير الفلسفي الأكاديمي النزعة ، ولكن في غير الفلسفة الرياضية ، ثم موجة رابعة يعيشها اليوم ارتد فيها مرة أخرى الى معالجة الموضوعات العامة بنظرة الفيلسوف.

والكتاب الذي نعرضه على القارىء - « النظرة العلمية » - هو من نتاج الموجة الثانية ، أصدره سنة ١٩٣١ ، احساسا منه بخطورة النظرة العلمية في الحياة العامة والخاصة ، خطورة قد يكون لها من الآثار السيئة على سعادة الانسان وحريته ، ما يرجح الحسنات ، ما لم يكن عند الانسان من الحكمة ما يستطيع به أن يوجه هذا المارد وجهة تميل كلها نحو الخير .

يقع الكتاب في ثلاثة أقسام : قسم أول لتحليل المعرفة العلمية وفلسفتها ومنهجها ؛



ترجمة : عثمان نوية
مراجعة : الدكتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية
عدد الصفحات ٢٥٨ صفحة ١٤×٢٠ الثمن ٢٥ قرشا

وقسم ثان للآثار التى ستترتب – أو التى قد ظهر بعضها بالفعل – نتيجة « لاصطناع التقنية العلمية (التكنولوجيا – ويترجمها معرب الكتاب « بالنهج العلمى » مما قد يحدث خلطا فى الأذهان بين « النهج » و « المنهج ») ؛ وقسم ثالث وأخير يتعقب آثار دخول العلم فى حياتنا على طرائق عيشنا أفرادا وجماعات .. ولقد كان برتراند رسل فى كل هذه الأقسام الثلاثة ، على ما نعهده فيه من طلاوة حديث وعمق نظر ولذع فكاهة ، تنتهى جميعها بالقارىء الى يقظة عقلية والى نزوع نحو التحرر من قيود الوهم والخرافة.

فهو فى القسم الأول يفتتح لك الحديث بأمثلة من أعلام العلماء : جاليليو ، ونيوتن ، ودارون ، وبافلوف ، اختارهم من قرون متعاقبة فى مرحلة التاريخ الأوروبى الحديث ، ومن ميادين علمية مختلفة ، ليسوق لك بهم أمثلة مجسدة على النظرة العلمية ، قبل أن ينتقل بك الى تحليل تلك النظرة تحليلا نظريا مجردا ؛ وليؤكد لك خلال تلك الأمثلة المجسدة ، ما يهمه دائما أن يؤكده ، وهو أن مجموع الناس قليلا ما يرحبون بالنتائج العلمية الجديدة اذا كانت الهوة سحيقة بين ما ألفوه من جهة وهذه النتائج الجديدة من جهة أخرى ؛ لهذا تراه قد حرص وهو يعرض عليك صورة جاليليو ، أن يروى قصة محاكمته على أيدى محاكم التفتيش ، فقد جاء حكم محكمة التفتيش وثيقة فريدة تصم أصحابها وصمة لا تزول ، فهى تبدأ هكذا : « أنت يا جليليو يا ابن جاليلى من فلورنسا ، ويا من تبلغ من العمر سبعين عاما ، قد ادانتك هذه المحكمة المقدسة سنة ١٦١٥ لاعتقادك بصحة نظرية خاطئة قال بها كثيرون ، وهى أن الشمس فى وسط الكون لا تتحرك ، وأن الأرض تتحرك .. الخ الخ » مما اضطر جاليليو أن يقر أمام المحكمة قائلا : « أنا جاليليو جاليلى .. قد حوكمت حضوريا ، واقسم راكعا أمامكم يا أصحاب النيافة المطارنة .. بأنى كنت دائما أومن ، وسأظل أومن بعون الله ، بكل ما تؤمن به كنيسة روما .. ولما كانت الكنيسة قد أمرتنى بأن اتخلى عن الفكرة الزائفة القائلة بأن الشمس هى مركز الكون الثابت .. الخ الخ » – ألا ما أبلغه من درس أن نقرأ اليوم كيف أجبر عالم أمام محكمة دينية أن يتخلى عن فكرة تقول ان الشمس ثابتة وأن ما يدور هو الأرض !

ومن لذعات برتراند رسل القوارص ، وهو يعرض علينا في القسم الأول من كتابه خصائص الطريقة العلمية ، قوله ان العلم يقرر أحكامه على سبيل التقريب لا على سبيل اليقين وانه يحسب دائما حساب الخطأ المحتمل ، هذا برغم دقة مقاييسه وأجهزته وتجاربه ، على حين ان الانسان في المجالات الأخرى غير العلمية ، يكون في حقيقته أبعد ما يكون عن دقة العلم ، ومع ذلك تراه يصر اصرارا عجيبا على انه انما يقول الحق الذي لا شبهة فيه ! .. فمن اعجب العجب في طبيعة الانسان انه بقدر ما يزداد علمه يزداد توقعا للخطأ وقبولا للنقد ، وبقدر ما يقل علمه يزداد اصرارا على انه انما ينطق بالصواب، حتى لتراه يثور ثورة عارمة اذا ما اتهمته عندئذ بأنه قد يكون على خطأ .

وان المؤلف ليصل الى أغوار بعيدة من عمق النظر في الفصلين الرابع والخامس من القسم الأول ، حيث يناقش ما يسميه بالميتافيزيقا العلمية والعلاقة بين الدين والعلم ؛ ففي هذين الفصلين عرض قوى موجز لطبيعة العلم من حيث ان قوانينه احصائية تحتمل الخطأ ، وشرح لاتجاه الانسان المعاصر الى الرغبة في الحد من سلطان العلم وسيطرته .

وبعد ذلك ينتقل الى القسم الثاني حيث يوضح للقارىء مدى ما تبلغه التقنية العلمية (التكنولوجيا) في تغيير النظر وفي تطوير الحياة العملية تطويرا سريعا في الزراعة والصناعة وفي علم الأحياء وفي كل ما يخص الانسان من حياة باطنة وظاهرة .

حتى اذا ما انتقل الى القسم الثالث والأخير، مد بصره الى المستقبل ليرى ماذا عسى ان يحدث من تغيرات شاملة عميقة ، ولعله قد بالغ بعض الشيء في تتبع النتائج المنتظر حدوثها نتيجة لنمو العلم نظرا وتطبيقا ؛ فهو يتوقع ان يصبح المجتمع « علميا » لا بمعنى ان يتسلط عليه علماء، بل بمعنى ان يكون كل شيء فيه خاضعا للتناول العلمي الذي يحدد الأهداف ويخطط لها الوسائل ؛ وبفضل زيادة المعرفة العلمية واستخدامها في أنظمة الحكم « تستطيع الحكومات الآن ان تحدث من النتائج المقصودة ما يزيد كثيرا عما كان يستطاع في الأزمنة الماضية .. فمحو الفقر محوا تاما هو في الوقت الحاضر ممكن » .

ويسوق لنا المؤلف أمثلة كثيرة لما يتوقع حدوثه في حياة الانسان ، مما نراه في بعض المواضع يجنح نحو المبالغة ، كالذي يتنبأ بحدوثه في مسألة النسل مثلا .. وعلى الجملة فان الكتاب يتركك بعد قراءته وقد خرجت بعقيدة هي انه بعد ان كان الرأي الغالب هو عجز الانسان امام الطبيعة وجبروتها ، فقد بات الرأي العلمي اليوم هو استسلام الطبيعة بكل جبروتها للعلم وأجهزته وتقنياته ، بما في ذلك من خير ومن شر .

نعم ان في ذلك لشرا بعض الشر اذا لم يكن للانسان عالم غير عالم العلم — هو عالم القيم — فبالقيم التي يقتنيها الانسان لنفسه وبمحض اختياره ، يمسك بالزمام حتى لا يدع للعلم فرصة الطغيان بالحرية الانسانية وبالحضارة وبالثقافة وبالفن وبالأدب وبالحياة العاطفية كلها .

كتاب صغير لكن قيمته التثقيفية عظيمة ، فما اظن قارئا واحدا يستطيع ان يخرج منه غير متأثر بما ورد فيه ، تأثرا يميل به نحو ان يكون ادق فكرا واوسع افقا مما كان قبل قراءته .. وان القارىء العربي ليقدم الشكر الأجزل للأستاذ عثمان نويه الذي أتاح له مثل هذه المادة الدسمة الفنية في مثل هذه السلاسة والوضوح ؛ غير انني كنت اقف في بعض المواضع — وانا اقرأ الترجمة — وقفة أسأل نفسي فيها ! أكنت اترجم هذه الكلمة او هذه العبارة كما ترجمها الأستاذ نويه ؟ فأجدني اميل الى ترجمة أخرى ؛ فمثلا : لم اكن لأستعمل كلمة « الديمقراطية » (برغم انها ترجمة حرفية) في السياق الذي يقول فيه أن الكون يسير نحو أن تتساوى فيه سرعات الذرات وعندئذ ستقف فيه الحركة والنشاط ؛ ولم اكن لأستعمل عبارة « نظرية عدم التحديد » لتدل على ما نعنيه « بنظرية اللاحتمية » في سلوك الذرات ...

لكنها اختلافات في وجهة النظر ، والحصلة الباقية المفيدة الدائمة هي ما قد افاده قراء العربية من هذا الكتاب .

الدكتور زكي نجيب محمود



الفن والحياة

تأليف
إردل جنكنز
ترجمة : أحمد حمدى محمود
مراجعة : علي أدهم

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٤٤ صفحة ١٧×٢٤سم الثمن ٢٥ قرشا

١ ــ لو انك قرأت هذا الكتاب دون أن تعرف شيئا عن مؤلفه ، لعلمت يقينا انه أمريكي مخلص لأمريكيته ، معبر عن روحها . ذلك أن كتب الفن والجمال بوجه خاص ، من المؤلفات التى تعبر عن وجهة نظر أصحابها من جهة ، وعن وجهة نظر الأمة التى نشأ فيها هؤلاء المؤلفون من جهة أخرى . وتاريخ علم الجمال حديث جدا ، اذ ولد فى أواخر القرن الثامن عشر ، وتعددت دراساته وكثرت مدارسه فى القرن التاسع عشر ، ولا يزال حتى اليوم موضع بحث ومثار خلاف ، ولو أن بعض أصوله قد أرسيت واصبحت محل اتفاق .

لا مناص اذن لطالب علم الجمال من أن يطلع على ما كتب فى هذا الموضوع فى شتى الأمم التى عنيت بمثل هذا البحث ، وعندئذ يشهد ألوان

الخلاف في المناهج والنظريات على السواء .
ولا غرابة في هذا التباين لأن علم الجمال ليس سوى فرع من فروع الفلسفة ، والفلسفة تعبير عن مزاج الامة ، ومن هنا جاء انك ترى اختلاف الفلسفات ، الفلسفة الأمريكية هي البرجماتية، والانجليزية هي التجريبية ، والفرنسية العقلية، ثم الوجودية في الوقت الحاضر ، والألمانية هي المثالية ، وهكذا ، فلا غرابة أن تتعدد مذاهب الفن والجمال ، ولئن تختلف باختلاف الأمم .
وهناك مؤلفات أصبحت كلاسيكية في هذا الباب، ولا غنى للباحث عن الرجوع اليها ، كما ان المؤلفين المحدثين لا غنى لهم عن الاشارة اليها في كتبهم ، موافقين ام مخالفين . ونكتفي من هذه الكتب بما اشار اليه جنكنز في كتابه أكثر من مرة ، مثل « ما الفن » لتولستوي ، و « أصول الفن » لكولنجوود ، و « علم الجمال » لكروتشه، و « علم الجمال » لفيرون ، و « العالم ارادة وفكرة » لشوبنهور ، وأخيرا « الفن خبرة » لجون ديوى . ومن هؤلاء المؤلفين الروسى والألماني ، والايطالى ، والفرنسى ، والانجليزى ، والأمريكى .

ونبادر فنقول ان مؤلفنا ــ لأنه أمريكى ــ يحذو حذو فيلسوفهم الناطق بلسانهم المعبر عن روحهم وحضارتهم وهو جون ديوى في كتابه « الفن خبرة » ، وهو كتاب جيد ، اخذ عنه المؤلف كثيرا من نظرياته ، وأثنى على صاحبه ثناء عاطرا .

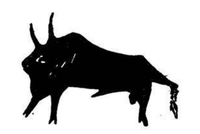
وقد ترجم كتاب « الفن خبرة » وصدر منذ زمن غير بعيد ، كما ترجم كتاب « علم الجمال » لهويسمان ، ومبادىء علم الجمال لشارل لالو ، وكلاهما فرنسى . ولكننا في حاجة الى ترجمة اكثر من كتاب في علم الجمال ، وبخاصة الأمهات، للأسباب التى قدمناها . ومن اجل ذلك نرحب بصدور هذا الكتاب ، لانه يسد ثغرة في اللغة العربية في مباحث الفن والجمال ، كما قامت الكتب التى ذكرناها ، واخرى لم نشر اليها ، في القيام بهذه المهمة .

٢ ــ والمؤلف رئيس قسم الفلسفة بجامعة الباما بالولايات المتحدة ، فهو أمريكى لحما ودما كما سبق الى ذلك ظننا .

والمترجم ــ أو الناقل ــ اسمه احمد حمدى محمود ، بحسب ما جاء في ظاهر الكتاب . ونود أن نزيدك بالمترجم بيانا حتى لا يظن أنه دخيل على الفلسفة بعامة وعلى الفن والجمال بخاصة . فقد تخرج من قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وظفر بأجازة الدكتوراه في أكتوبر سنة ١٩٦٤ في موضع شديد الصلة بالفن والجمال عنوانه « الفلسفة الرومانتيكية والقيم الجمالية » . وهى رسالة قيمة في بابها ، فريدة في بحثها ، عميقة في آرائها . ويبدو ان المترجم حين اطلع على هذا الكتاب من جملة المراجع التى كان يرجع اليها اعجبه فأقبل على ترجمته ، فاستفاد وافاد . ولا غرو فان من مميزات الظاهرة الجمالية أن يشرك المتذوق غيره من الناس معه في اعجابه .

أن المترجم لم يقنع بما درس من فلسفة ، وما حصل من نظريات في الفن والجمال ، ولكنه اقبل يمارس بعض الفنون الرئيسية ممارسة عملية ، فهوى الموسيقى تاريخا واصولا وتطبيقا. وسيصدر له قريبا ان لم يكن قد صدر بالفعل ــ كتاب مترجم في علم الموسيقى .

وعلى الرغم من امتلاك المترجم ناصية اللغة العربية ، وحل مشكلات المصطلحات الجديدة ، مع حسن الصياغة ، فقد كنت احب أن يترجم Autistic Vision بالرؤية الفنية : لا « الرؤيا » كما وردت في أكثر من موضع من الكتاب ، اذ المقصود الرؤية الحسية ، لا الرؤيا بمعنى « الحلم » . وقد كان أفلاطون يقول ان



الفيلسوف يبدأ من التعلق بالمحسوسات الجميلة يشاهدها ويتأمل محاسنها المادية الظاهرة ، ثم يظل يتدرج من ذلك ويصعد حتى « يرى » الحق . ولذلك يعرف أفلاطون الفلسفة فى الجمهورية بأنها « رؤية الحق » ، بمعنى اننا كما نرى المحسوسات ماثلة أمامنا فى الحس ، كذلك نرى الحق ماثلا أمامنا فى العقل .

كذلك جرت عادة المترجمين أن يقولوا بالخلق « من عدم » ex nihilo لا كما ترجمها المؤلف صفحة ٩٤ « من لا شئ » .

٣ ـ النظرية التى يذهب اليها المؤلف هى ان الحياة الجمالية تنبع من جذورها الخاصة بها ، ولكنها مع ذلك تكون جوانب متكاملة مع قوام الانسان . وان الفعل الجمالى يشبع حاجة جوهرية للانسان ، وهو شرط للتقدم الانسانى. وعندما يسلك النـاس سلوكا جماليا ، حين يتذوقون الفن ويبدعونه ، انما يعبرون عن قوى تكمن فى باطن أنفسهم ، ويستجيبون لما يصادفه الانسان فى الحياة من أشياء .

ليس الفن ضربا من الترف ، ونافلة لا حاجة اليها ، ولكن الفن ضرورى للحياة فهو المسئول عن توجيه حياتنا من جهة وعن تحقيق سعادتنا من جهة أخرى . لذلك كان لابد من كشف النقاب عن أصل الفن فى حياة الانسان والدور الذى يلعبه فيها . وينبغى النظر الى الناس باعتبار أنهم كائنات حيـة يتصرفون تصرفا طبيعيا ، وتصدر عنهم الأفعال استجابة لمؤثرات خارجية، ومن جملة هذه الأفعال الفعل الجمـالى الذى لا يعـدو أن يكون ضربا من ضروب السلوك ، ومرحلة من مراحل السلوك الانسانى الشامل المتكامل ، حين يرغب الانسان فى التكيف مع العالم الخارجى بما فيه من أشياء مختلفة .

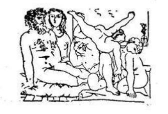
ليس الفعل الجمالى اذن حاجة عرضيـة عابرة فى التطور الانسانى . فالانسان البدائى له نظرته الجمالية ، وله أفعاله الجماليـة ، وله فنونه التى يعبر بها عن نفسه . وظل الانسان يعبر طورا بعد طور عن ذات نفسه بالفنـون المختلفة ، ولا يزال يعبر حتى اليوم ، لأن هذا الأسلوب من التعبير جزء من الطبيعة البشرية ، اذ الحياة الانسانية لا يمكن أن تقوم بغير فن ، كما أن الفن قائم من أجل الحياة .

من أجل ذلك اتبع المؤلف فى معالجة موضوعه منهجين ، الأول المنهج التطورى ، والثانى المنهج النفسى . وقد يمكن رد المنهج الثانى الى الأول ، من جهة أن التطـور يتطلب « تكيف » الكائن الحى مع البيئة الخارجية . ان جوهر التطور الذى يأخذ به المؤلف هو ارتقاء الجهاز العصبى المركزى ، واستخدام الأدوات ، وصقل الخبرة بغية التعامل مع العالم الخارجى ، ولم يغب عن بال المؤلف ما يوجه لنظرية التطور من نقـد ، وبخاصة كيفية بدء الانسانية ، أو خـروج الانسان عن الحيوان . ولكنه مع تسليمه بصعوبة الاجابة عن هـذه المشكلة الميتافيزيقية فانه سيعتمد على التطور باعتبار أنه فرض مريح .

٤ ـ والتكيف عملية توافق بين الكائن الحى ـ وفى حالة بحثنا هو الانسان ـ وبين الأشياء المتميزة والموجودة فى البيئة . وبذلك تستند عمليـة التكيف الى ثلاثة عناصر أساسية هى الانسان ، والأشياء الخارجية ، وكيفية ترابط هذه الأشياء .

والنظر الى الأشياء الخارجية يتم من ثلاثة نواح ، يسميها المؤلف ، المضمون ، والمتميز ، والارتباط .

فنحن حين نتعامل مع الأشياء ، لابد أن نقدر الامكانيات التى تقدمها الاشياء ، وحدود هذه الأشياء ، ومغزاها فى المناسبات المختلفة ، بحيث نستفيد من الأشياء بما يحقق مصالحنا ويشبع اغراضنا .



ولا يتم تعاملنا مع العالم الخارجي الا مع أشياء متميزة . والتميز عملية يصطنعها الانسان اصطناعا حين يقتطع جزءا من البيئة لكى يحدد هذا الجزء بوضوح . وعندئذ يتيسر فهم الأشياء من جهة وسهولة السيطرة عليها من جهة اخرى، ولكن الواقع من الأمر ان الأشياء يرتبط بعضها الآخر فى نظام وتناسق لابد ان نأخذه بعين الاعتبار فى تعاملنا مع الأشياء .

ويقابل هذا الثالوث للأشياء من المضمون والتميز والارتباط ، ثالوثا نفسانيا آخر ، أو باصطلاح المؤلف مكونات نفسية ثلاثة هى المكون الجمالى ، والمكون الوجدانى ، والمكون المعرفى . فالجمالى يركز انتباهنا على تميز الأشياء ، والوجدانى بمضمونها ، والعرفانى بارتباطها .

ويقابل هذين الثالوثين ثالوث آخر هو القيم والحقائق والوقائع . ذلك ان الأشياء تصبح بعد تفسيرها وقائع ، وفى ارتباطها بغيرها حقائق ، وفى ايثارها وتفضيل بعضها على بعض قيما .

وليس معنى ذلك ان هذه الجوانب منفصلة متباعدة ، بل على العكس الحياة النفسية ، والسلوك الانسانى كل لا يتجزأ ، وكيان متواصل من « الخبرة » المتدفقة . والخبرة من المفاهيم التىعنى بها «ديوى» عناية كبيرة ، وكان يرد اليها فلسفته ، وله كما نعلم كتابا فى علم الجمال اسمه « الفن خبرة » . وللخبرة مستويات ثلاثة أو مراحل هى : التقبل والفاعلية والانشاء . فالتقبل نظر الى الأشياء بعد ربطها بتجاربنا السابقة ، والفاعلية سعى الى الارتقاء بقوانا النفسية لتغيير الشىء ، والانشاء تغيير الشىء بالفعل واخراجه فى صورة جديدة .

٥ ـ بعد هذه المقدمات الطويلة التى خرجت بنا عن موضوع الفن والجمال الى موضوعات عامة فى التطور وعلم النفس والفلسفة يدخل بنا المؤلف الى صميم الفن ، فيضع ثالوثا جديدا يوازى مستويات الخبرة ، وهو التذوق ، والتعبير ، والابداع .

وهذا التقسيم الثلاثى يتلاقى الى حد كبير مع تقسيمات علماء الجمال المحدثين . وقد يدمج بعض هؤلاء العلماء التعبير والابداع فى قسم واحد يسمونه التعبير ، فهذا عالم الجمال « كاريت » الانجليزى يذهب الى أن الفن تجربة وتعبير . وما يسميه مؤلف هذا الكتاب بالتذوق يسميه غيره « تجربة » . واكبر الظن انه عدل عن المصطلح الشائع فى علم الجمال من قولنا بالتجارب الفنية ، لأن مفهوم التجربة عنده أشمل من التذوق الفنى .

صفوة القول : لكل الناس تجارب جمالية ، وهم المتذوقون . وقلة قليلة جدا يمتازون بالقيام بأفعال تعبيرية أو ابداعية ، وهؤلاء هم الفنانون، بما يصدر عنهم هو الأعمال الفنية .

وقد يكون الشخص الواحد متذوقا ، ومعبرا ، ومبدعا فى آن واحد ، أو الأصح انه ينتقل على التعاقب من حالة الى أخرى . مثال ذلك الممثل على خشبة المسرح وهو يؤدى دورا فى تمثيلية من تمثيليات شكسبير ، فهو يتذوق شعره ، ثم يستغرق فى اداء دوره معبرا عن الشخصية المطلوبة ، ثم قد يبدع فى اداء هذا الدور . فالتذوق والتعبير والابداع ثلاثة مستويات بعضها أعلى من بعض ، ويحتاج كل مستوى منها الى الآخرين . فهى كما يقول المؤلف عملية ديالكتية يعتمد فيها « الابداع الفنى الذى هو ذروة هذه العملية علىالتذوق والتعبير، ووجوب رجوعه فى فترات متوالية الى هذه المستويات الدانية والأكثر مباشرة للتجربة الجمالية لكى يجمع مادة جديدة ، وللتأكد من اتجاهه فى الحاضر ، ولتحديد مجراه فىالمستقبل» ص ١٣١ .

وفى رأى المؤلف ان الابداع ليس عبقرية ، أو موهبة فريدة عجيبة . ذلك ان العملية الجمالية كما رأينا ديالكتية ، أساسها التذوق ثم تتفرع الى التعبير والابداع . فهناك دورة من التذوق الى التعبير والابداع ، ولكنها لا تسير فى خط مستقيم ، بل تنتقل من التعبير الى الابداع، وترجع مرة أخرى الى التذوق ، وهكذا . وهذا هو تفسير العملية بأنها ديالكتية . والحق فان كل فنان أصيل يراجع نفسه دائما ، ويقف بازاء ما يبدعه ـ كالمصور الذى يرسم لوحاته ـ



يشاهد فنه ، وينقده ، ويتذوقه ، فان أعجبه رضى عنه وأجازه ، وان لم يعجبه عدله . فالفنان فى حاجة دائما الى امرين التذوق كأنه واحد من الجمهور ، والرجوع الى الأشياء الطبيعية يتزود منها بمصدر الهامه . وان لم يفعل الفنان ذلك أصبح فنه خاويا فاترا ، أو شكليا لا حياة فيه . على الجملة لابد أن يتصل الفنان على الدوام بالحياة ليكون فنه حيا . ومما يروى فى هذا الصدد أن شوقى الشاعر كانت له جولات فى الأمسيات بأحياء القاهرة الشعبية لا يدرى أحد أين يذهب أو كيف يمضى وقته ، ولكن اكبر الظن أنه كان يتصل بالجمهور ، بالشعب ، حتى لا تنقطع صلته بالناس فى حياتهم اليومية ، فيحسن تصوير أحوالهم النفسية ونوازعهم فى شعره . وكذلك الحال فى المصور الذى يذهب الى الريف أو الى شاطىء البحر أو عند سفح الجبل يتزود من الطبيعة . انه لا يحاكيها كما كان علماء الجمال قديما يقولون ، ولكنه يستوحيها.

٦ ــ وقد تعددت النظريات الجمالية فى تفسير الفن حتى بلغت حدا يبلبل الفكر . وهى تتأرجح من نظريات انعزالية تذهب الى أن الفن للفن ، وان الفن شيء خالص ، وأن الفنان يعيش فى برج عاجى ، الى نظريات تزعم أن الفن للحياة فهو مستمد منها ثم يقوم على خدمتها ويشارك فيها مشاركة قوية .

وقد استعرض المؤلف هذه النظريات كلها وردها ، أو لخصها ــ على حسب الطريقة الأمريكانية ــ الى خمسة اتجاهات هى الواقعية المثالية ، والواقعية الموجهة ، والتعبيرية ، والسيكولوجية ، والصورية .

النزعة الأولى وقف عندها المؤلف وقفة طويلة ، وشرحها عند ممثلها شوبنهور . وعند هذا الفيلسوف أن موطن الانسان الطبيعى هو الجزئيات، وانه مقيد بارادته الفردية . ولا ينبغى أن تنسى أن كتاب شوبنهور الرئيسى عنوانه « العالم ارادة وتمثلا » . فالعالم عبارة عن حقائق أبدية يتمثلها الانسان مظاهر متغيرة ، وفى التجربة الجمالية نفر من المظهر المتغير الى الحقيقة الثابتة ، ننتقل من الصيرورة الى

الكينونة . واداة هذا الانتقال هو عبقرية الفن. فالفنان العبقرى هو الذى يعيد انتاج العالم فى هيئة نحت او تصوير او موسيقى . او كما يقول المؤلف ملخصا شوبنهور : « الفن يعيد انتاج الأفكار الأبدية والجوهرية الكامنة فى كل ظواهر العالم ، والتى ادركها الانسان خلال التامل الخالص ، تبعا للمادة المستخدمة فى اعادة الانتاج سواء اكان نحتا ، او تصويرا ، او شعرا ، او موسيقى . ومصدره الوحيد معرفة الأفكار، وغايته الوحيدة توصيل هذه المعرفة » . ومن الواضح ان المؤلف لا يتفق مع شوبنهور فى نظريته وبخاصة فى اعتبار الفنان عبقريا ، كما رأينا .

وعلى عكس هذه النظرية التى تجعل الفن ينبع من الواقع ، نجد نظرية مقابلة لها تذهب الى أن الفن ينبع من الفنان الذى يعبر عن نفسه. وقد اتبع هذه النظرية تولستوى ، وفيرون ، وكولنجوود ، وكروتشه . ولست ادرى هل مثل كروتشه ، واشك فى ذلك ، والأرجح ان بعد تولستوى من علماء الجمال التعبيريين مثله تولستوى صاحب مذهب مستقل يجمع بين عناصر شتى ، وهو ادنى الى أن يكون فنانا واقعيا ، وتفسيره للفن كذلك . ولكن هذا هو خطر التعميمات التى يغرم بها المؤلفون الأمريكيون .

وتعبير الفنان عن نفسه اما أن يكون تعبيرا عن عواطفه ، وعندئذ لن يكون لفنه أهمية كبرى، واما ان يعبر عن نظام الواقع الخارجي . وهذا الواقع الخارجي يمكن ان يعبر عنه العلم كما يعبر عنه الفن . ويبدو ان الفن اسبق فى التعبير عن هذا النظام ، ولذلك فهو بديل مؤقت عن العلم .

والنزعة السيكولوجية تفسر التجربة الجمالية بأنها اصيلة فى النفس البشرية ، انها هى التذوق ، والتذوق هو اللذة الجمالية . وليس للفن موضوع سابق عند اصحاب هذا المذهب ، ولكنه يسعى الى اثارة مشاعر معينة لدى « المتذوق » . ومن اجل ذلك كان الموضوع الجمالي مجرد وهم ، وتقوم أهميته فى أثره فى الناس .

اما المذهب الصورى — أو الشكلى — فهى نظرية يزعم اصحابها أن قيمة الفن فى الشكل لا فى المضمون ، من جهة ان كل فن لابد له من هذين الجانبين وهما الشكل والمضمون . والشكل او الصورة ، أو الاطار Form عبارة عن القالب الذى يصب فيه الفنان موضوعه . وقد يكون هذا القالب مألوفا ، مثل بحور الشعر العربى التقليدية ، وقد يبتدعه الفنان ويجدد فيه ليتفق مع اسلوبه الجديد . وليست معركة الشعر الدائرة فى الوقت الحاضر بين التقليديين والمجددين سوى صراعا حول الشكل أو الصورة. فالفن طبقا للنزعة الصورية « انشاء وتصميم يتم ادراكهما فى مادة وسيطة ذات نظام » .

اما نظرية المؤلف فان الفن عنده يخدم الحياة ، ويستمد منها الأدوات التى يبدع بها فنه . ولا بد من استخدام هذه الأدوات تكنولوجيا . او كما جاء فى خاتمة الكتاب :

« وعالم أدوات الانسان عالم متصل . وقد اتصف بذلك لأن هذه الأدوات من الناحية الكلية تؤلف اداة ضخمة للتكيف ، كما أنها تقوم بدفع الحياة . ويوجه الانسان اهتماما ذا ثلاثة جوانب يتكون من لحظات جمالية ومعرفية ووجدانية الى كل شيء يواجهه . غير أن الانسان يرى انه من المفيد احيانا ان يحصر اهتمامه وان يقويه، وان يندفع الى الاقتراب من لب العالم بأن يسد الطريق امام نظراته . وهو عندما يقوم بذلك يبتدع اعمالا تظل محتفظة بجوانبها الثلاثة ، الا انها تركز تأثيرها فى نقطة واحدة ، وتتجه فى اتجاه رئيسى واحد . وهذا يعنى انه يقوم بابتداع فن وبحث نظرى وتكنولوجى » .

الدكتور احمد فؤاد الأهوانى

شعراء الاسكندرية
فى العصور الاسلامية



تأليف : عبد العليم القبانى
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات ١٠٥ صفحات - ١٧ × ٢٤

عرفت الاسكندرية منذ تأسيسها بأنها حلقة اتصال بين الشرق والغرب . ولعل هذه الظاهرة كانت من الأهداف التى قصد اليها مؤسسها العظيم ، فكانت الشرفة التى يطل منها الشرق على الغرب والباب الذى يلج منه الغرب الى الشرق . فلم تكد تؤهل حتى أصبحت منارة علم وعرفان ، وموئل فصاحة وبيان ، وعرفت بأنها مدينة التجارة والمال . تلتقى فيها دور العلم بالمصارف والمصافق ، وبلاغة البيان باغراء الأصفر الرنان . وتفكير الفلاسفة بمنطق أصحاب الأموال .

وهكذا كان للاسكندرية اسهام وفير فى تاريخ الفكر الانسانى وبناء مدنيه البحر الأبيض المتوسط .

كذلك كانت الاسكندرية فى عهد البطالمة ، وكذلك أصبحت فى العهد الرومانى وفى العهد الاسلامى . على انه اذا كانت فى العهد البطلمى مقصد العلماء والفلاسفة والشعراء والفنانين ؛ فازدهر فيها الى جانب العلم والفلسفة الوان من الادب والفنون ؛ الا انه عندما دالت دولة البطالمة وزال ملكهم ، وتقوض سلطانهم انكمش الشعر والأدب فى الاسكندرية وظلت الفلسفة وتعددت مدارسها وتفرقت دورها ، وكان منها المدرسة الوثنية والى جانبها المدرسة المسيحية التى عرفت فى التاريخ باسم « ديل يسكالون » .

وكذلك كان الأمر فى العهد الاسلامى فقد قصد اليها بعد الفتح جماعة من المحدثين وعلماء الشرع الحنيف واستقروا فيها لما عرف عنها من جودة المناخ ، واعجبوا ببنائها الراسخ وقصورها المنيفة وبياض رخامها الناصع وشوارعها الواسعة المزدحمة بالأعمدة القائمة والتماثيل المنصوبة ، فلا غرو اذا وصفوها بمختلف الأوصاف ونعتوها بشتى النعوت ، وافاضوا فى ذلك افاضة تتراوح بين الحقيقة والخيال وبين التاريخ والأسطورة . ولكن الاسكندرية بالرغم من هذا الجمال البارز والفتنة الأخاذة لم تجتذب اليها الشعراء ولعلهم انصرفوا عنها لأنهم كانوا يقصدون الى الفسطاط حيث يتصلون بالولاة والملوك والحكام .

ذلك أو بعضه ما أخذناه من كتاب « شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية » للشاعر السكندرى الأستاذ عبد العليم القبانى الذى جلا

فيه صورا للشعر السكندرى فى العصور التى ازدهر فيها واورد نماذج عديدة منه على اختلاف انواعه والوانه .

وقد شاء المؤلف ان يعود بنا القهقرى الى ما قبل بناء الاسكندرية والى ما جاء عن جزيرة فاروس فى أوذيسه هوميروس ، وروى وصول الاسكندر المقدونى الى مصر وطرد الفرس منها وبناء مدينة الاسكندرية ، وقد طوى الموت حياة الاسكندر واصبحت فتوحاته فى ذمة التاريخ ، وزالت النصب والتماثيل التى أقيمت له ، وظلت الاسكندرية باقية على وجه الزمان تحدث عن ذلك الملك الواسع والجاه العريض وتكفى لتسجيل عظمته وتخليد ذكراه .

وجاء البطالمة فركزوا جهودهم على تشجيع الحركات العلمية والأدبية الى جانب الازدهار الاقتصادى والعمرانى ، وهكذا نشأت مدرسة سكندرية ، أو اذا شئت ، حضارة سكندرية قد تكون امتدادا لحضارة أثينا ولكن ظهور المسيحية لم يلبث ان طبعها بأكثر من طابع خاص .

فى عهد البطالمة ازدهر الشعر بالاسكندرية ، ولكنه كان شعرا يقل فيه الابتكار ويظهر الصقل والافتعال ، وتتفشى فيه المحسنات اللفظية والبديعية ، وقد اشتهر من شعراء ذلك العهد «ثيوكريتوس» و«موسوقوس»و « كاليماخوس » وقد اختار لهم الأستاذ القبانى ولغيرهم شعرا يستشف جماله من وراء ترجمته .

صحيح ان غالبية أولئك الشعراء جاءوا من أثينا وغيرها من بلاد اليونان . ولكن من خصائص الاسكندرية أنها تتسرب بجمالها الى النفوس فتستولى عليها وتطبعها بطابعها وتطويها تحت لوائها ، فاذا شعر أولئك الشعراء شعر سكندرى جميل .

وقد تفشت فى شعراء الاسكندرية النزعة الأسطورية ذات الطابع اليونانى الواضح . نتيجة لثقافتهم ومصادر الهامهم . واشهر ما نظم فى هذا الصدد قصيدة للشاعر « ابولونيوس » الذى ينسب الى رودس وجاء الاسكندرية واقام فيها ، روى فيها قصة الخمسين بحارا الذى قصدوا بزعامة «جاسون» على السفينة « أرجو » من اليونان الى مدينة « كولشيد » بالقرب من شبه جزيرة القرم بحثا عن « الجزة الذهبية » ، وقد فازوا بها بعد أن لقوا أهوالا شديدة . والقصة معروفة ، ويقول بعض الباحثين أنها رمزية . فالسفينة « أرجو » تمثل الأرض التى تصبو ليلا الى رؤية الشمس . والجزة الذهبية تمثل أشعتها .

وقد اكتفى الأستاذ عبد العليم القبانى بأن أورد نماذج من شعر شعراء الاسكندرية فى العصر البطلمى والاشارة الى بعض أنواع الشعر التى عالجوها فى نطاق ضيق . دون الاشارة الى الانطباعات العامة ومميزات ذلك الشعر والمناهج الأدبية التى درج عليها الشعراء .

وهكذا فاته عند ذكر « تيوكريتوس » أن يقول اشتهر بما نظمه فى وصف الطبيعة من جبال واودية ومراع خصبة وجميع ما يدخل تحت لون الشعر المعروف بالرعوى نسبة الى الرعاة ــ وانه كان له أثر بارز فيما نظمه « فرجيل » كبير شعراء اللاتين فيما بعد .

وأشار الأستاذ القبانى الى اشتهار شعراء الاسكندرية بنظم النوع المعروف بالابجراما أى القصيدة القصيرة التى تنتهى بالسخرية اللاذعة والهجاء . ولا عجب فى ذلك فقد اشتهر الاسكندريون فى ذلك العهد بالسخرية والتهكم . ولهم مواقف مشهودة فى هذا الصدد فى العهدين البطلمى والرومانى .

ويختم الأستاذ القبانى هذا الباب بملاحظة لها خطرها وهى انه لم تذكر مصادر التاريخ شاعرا واحدا من أصل مصرى خالص ، وانما الشعراء كانوا جميعا اما من الأجانب الوافدين الى الاسكندرية أو من السكندريين الذين ينتمون الى سلالات أجنبية ، وأنهم جميعا كانوا لا يكتبون بغير اليونانية .. وعلل ذلك بأن « الأمية كانت تسود الغالبية العظمى من الوطنيين » وان الشعراء المصريين كانوا « ينظمون بلغتهم الشعبية التى لم تكن العناية بها كافية لحفظ أشعارها » ويقول « يمكن القول باحتمال وجود شعراء

مصريين نظموا شعرهم باللغة اليونانية نفسها ولكنه لم ينل حظه من القوة أو من السبيل الى الظهور » ونسى الأستاذ القبانى أن الاسكندرية كانت مدينة ناشئة قامت فيها دولة جديدة جعلت لغة الدولة غير لغة البلاد ، وجلبت اليها السكان من خارج مصر ، والتقت فيها عناصر مختلفة كانت تقصدها من مختلف بقاع العالم المأهولة ، وان كانت الغالبية من اليونانيين بفعل كون البطالمة انفسهم منهم . فلم يكن للغة البلاد الأصلية مجال الا فى الأوساط الشعبية المتخلفة، ولم تكن هناك مدارس لتعليمها كما كانت تعلم اللغة اليونانية ، وان دولة البطالمة الفتية عملت على جلب الشعراء والأدباء والعلماء الى الاسكندرية لأنهم كانوا يريدون أن ترث الاسكندرية أثينا وأن تشع على العالم بأنوار العلم والعرفان . لذلك لم يكن للعنصر الوطنى مجال فى تلك المجموعة اللامعة من الأدباء والشعراء والعلماء .

ونتقل بعد ذلك الى « شعر الاسكندرية تحت مطرقتى روما وبيزانطية » فاذا الشعر قد هجر الاسكندرية ولم يبق له فيها أثر يذكر ، وكان الشعر يزدهر عادة فى عواصم الممالك حيث يجد الشعراء الرعاية والصلات . فاذا تقوض الملك وزال عن المدينة ضاق الشعراء فيها ذرعا فاما أن يهجروها اتجاها لرزق ينشدونه أو أن يلزموا الصمت ما دام لم يبق ثم باعث لقرض الشعر .

واعتقد أن هذا هو السبب الأصيل لانحطاط الشعر فى الاسكندرية فى العصر الرومانى وفى القرون الأولى بعد الفتح العربى ، ولعله يدخل فيما ذكره الأستاذ القبانى عن فقد الشعراء « المؤثرات التى يمكن أن تؤثر فى كيانهم الأدبى » فانصرف بعضهم الى نظم العلوم والمعارف على شكل الأراجيز عندنا ، وانصرف فريق آخر يتألف من المسيحيين الى نظم بعض الآيات من الانجيل او فكرة لاهوتية يحاولون عرضها وتبسيطها . وراح الفريق الثالث يتحسر على انتشار المسيحية وأفول نجم الوثنية .



ثم فتح العرب الاسكندرية مرتين ، مرة صلحا ومرة حربا ، وكان طبيعيا الا يزدهر الشعر فى أوائل الفتح لأن العرب كانوا منصرفين الى تنظيم الحكم وتدعيم الملك . ولكننا نلاحظ أن الشعراء أخذوا يقصدون الى مصر منذ ذلك الحين ويتصلون بولاتها ، كما فعل جميل ونصيب ، ولعل ذلك شجع على رواج الشعر فى الفسطاط . أما الاسكندرية فظلت بمعزل عنه لأن أحدا من الشعراء لم يقصد اليها ، حتى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ــ أى عندما قصد أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبى الى مصر فانه لم يرد ذكر زيارة أحدهم الاسكندرية . ولعل السبب فى ذلك أن الاسكندرية لم تكن فى طريقهم عندما قصدوا الى الفسطاط من شبه جزيرة العرب أو من الشام .

وقد كد الأستاذ القبانى وبحث عن شعر فى ذلك العهد حتى اهتدى الى قصيدة نظمت فى حادث جرى لأحد المسيحيين الأتقياء ولكن ناظمها مجهول ولم تصح نسبته الى الاسكندرية .



لم يذكر التاريخ حتى القرن السادس الهجرى شاعرا نشأ بالاسكندرية ، ولعله وجد بين أبنائها أو قاصديها أكثر من أديب وشاعر ولكنهم لم تخلد أسماؤهم على وجه الزمان ولم تصل الينا آثارهم .

ولا شك فى أن نهضة علمية وأدبية قامت بالاسكندرية فى أواخر القرن الخامس ، أى بعد أن قصد اليها عالم جليل هو أبو بكر الطرطوشى،

وكان ينظم الشعر ، واستوطنها وعلم فيها حتى توفى سنة ٥٢٠ هـ . وفى عهده وجد بالاسكندرية القاضى سند بن عفان الذى أقام فيها حتى توفى ، ودفن فيها . وكان القاضى سند الى جانب علمه وفضله شاعرا وأديبا ، ولكن شعره مما يكتسب بالاجتهاد لا عن أصالة فى النفس . ونستدل على ذلك من البيتين اللذين اشتهرا له وهما : ـ

وزائرة للشــيب حلت بمفــرقى
فبادرتها بالنتف خـوفا من الحتف
فقالت على ضعفى استطلت ووحدتى
رويدك للجيش الذى جاء من خلفى

وبينما كان الطرطوشى ينشر العلم والمعرفة بالاسكندرية قصد الى مصر أمية بن أبى الصلت الأندلسى سنة ٤٨٩ هـ ، واتصل بالوزير الأفضل ابن بدر الجمالى الذى أكرم وفادته ثم نفاه . وكان شاعرا فحلا كما يقول مؤرخوه ، وأديبا ممتازا بجانب تضلعه بالعلوم الفلسفية . فلما وشى به حاسدوه الى الأفضــل حبســه فى الاسكندرية مدة ثلاث سنين وشهر واحد حتى تشفع له بعض المصريين فاطلق سراحه وعاد الى المغرب .

والظاهر أن هذا السجن كان مجرد اعتقال أو تحديد اقامة ـ كما نقول بلغة اليوم ـ لأننا نجده يخلق حوله جوا من العلم والأدب . وكان فى طليعة المقربين اليه الشاعر السكندرى ظافر الحداد الذى روى عنه وصاحبه وحزن لسفره وبعث اليه بعد عودته الى الأندلس بقصيدة تعد من عيون الشعر .

وفى هــذا العهد وصــل الى الاسكندرية أبو طاهر بن عوف والحافظ السلفى واتخذ كل منهما لنفسه مدرسة يعلم فيها الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة فتخرج عليهما عدد كبير من العلماء الأعلام .

وكان من أشهر الشعراء الذين تتلمذوا على الحافظ السلفى الشاعر ابن قلاقس . ولعــل العالمين الفاضلين كانا ينظمان الشعر على طريقة العلماء كما كان يفعل القاضى سند وهذا ما ذكر للحافظ السلفى :

أنا ان بان شــبابى ومضى
فلربى الحمد ذهنى حاضر
ولئن خفت وجفت أعظمى
كبرا غصــن علومى ناضر

فى هذا العصر ازدهر الشعر بالاسكندرية . ولا يمكننا القول بأن هذا الازدهار كان نتيجة انتشار العلم والتعليم فيها أو لأن أحد شعرائها الفطاحل عاصر هذه النهضة أو تقدمها أو تأخر عنها بقليل . وعلى كل حال فاننا نسجل عادة مولد الشاعر ولكننا نجهل العوامل والعناصر التى كونته ، وكيف ضفرت عرائس الشعر أكاليلها على رأسه عند ميلاده فنكتفى بأن نقول أن الشعر موهبة أصيلة فى النفس تولد مع الانسان ، ولكنه يجب عليه أن يتعهدها بالعناية والدرس والاجتهاد حتى تنمو وتزدهر .

فى العهد الفاطمى اذن نجد شعراء عديدين حفظ التاريخ أسماءهم أو عرفوا بالاسكندرانى أو الاسكندرى ، منهم شاعر لا نعرف عنه سوى لقبه الاسكندرانى ، تروى له قصيدة مدح بها الخليفة الفاطمى العزيز بالله وســماها « ذات الدوحة » لأنه جعل لها جذوعا وفروعا على مثال الشجرة وضمنها الكثير من المصطلحات والعقائد الفاطمية .

ومنهم الشاعر على بن عباد الاسكندرى الذى قتله الخليفة الحافظ لأنه نظم قصيدة يهجـوه فيها ويمدح وزيره أبا على بن الأفضل ، حفيد بدر الجمالى ، الذى كان قد استبد بالخليفــة وسجنه فدس له الخليفة الحافظ من قتله .

ومنهم أيضا زين القضاة السكندرى صاحب الشعر المعروف فى وصف الكنافة والقطائف من حلوى رمضان . وكذلك الشاعر أبو الحسن على ابن الحسن بن معين القرشى الاسكندرى صاحب الغزل الرقيق .

ولعل جميع هؤلاء الشعراء أصبحوا الآن في حكم المغمورين ولم يشتهر منهم سوى ثلاثة هم ابن مكنسة وظافر الحداد وابن قلاقس .



على أن الأستاذ القباني لم يتبع هذه الطريقة في تسلسل التاريخ وبيان المؤثرات لأنه لم يكد يصل الى العهد الفاطمي حتى وجدناه يتناول موضوعات سكندرية ثم يجمع ، ما قاله الشعراء فيها سواء كان هؤلاء الشعراء سكندريين أو من نزلاء الاسكندرية ومستوطنيها أو العابرين فيها. فهو يبدأ بذكر الحنين الى الاسكندرية ووصف المنارة والمتنزهات والقصور والفتيات الحسان اللواتي تتألق وجوههن المشرقة في طرقات الاسكندرية « وكل هذه الثروة الطائلة من الحسن والفتنة والاثارة التي تسكن دورها وقصورها وتبعث دفء الحياة في عواطف أهلها .. » كما وصف الشعراء ليالي الاسكندرية الساحرة ، وكانت لهم مجالات ومطارحات في مجالس اللهو ومجالس الأدب . وكان لهم الى جانب هذا وذاك شعر في الهجاء وآخر في المدح ، وشعر يمتاز بوضوح الثقافة وغيره يمتاز بلونه الصوفي أو الديني .

وتبرز بين هذه الزحمة من الشعراء شاعرة واحدة هي تقية الصورية ، وهي بالرغم من نسبتها الى مدينة صور ولدت بدمشق سنة ٥٠٥ هـ وعاشت بالاسكندرية حتى توفيت سنة ٥٦٩ هـ ويمتاز شعرها بصدق الالهام وحسن الصياغة ويدل على ثقافة وعلم وفضل .

وهكذا رسم عبد العليم القباني صورة للاسكندرية من شعر أبنائها .

ولعل الصورة جاءت باهتة لان الشعر وحده لا يكفي اذا لم يدعمه البحث والشرح لنعرف كيف كانت معالم المدينة ، وأين كانت حدائقها ، وكيف كان السكندريون يقصدون المنار للنزهة ويعقد فيه الأدباء ندواتهم كما جرى حين وصف الشاعر ابن الدوري المنار ثم عقب ابن قلاقس، وكيف كان السكندريون يخرجون الى المنار يوم خميس العدس — وهو خميس العهد — ومعهم مأكلهم فيفتح لهم باب المنارة فيدخلونها ومنهم من يذكر الله ، ومنهم من يصلي ، ومنهم من يلهو الى نصف النهار ثم ينصرفون .. وكيف كانت الاسكندرية مزدحمة بمصانع الخمر ودور اللهو حتى أمر صلاح باغلاقها .. الى غير ذلك .



عرفنا فيما تقدم الكثير مما قاله شعراء الاسكندرية ولكننا لم نعرف شيئا عن هؤلاء الشعراء . لذلك اختار الاستاذ القباني أشهرهم ووضع لهم تراجم موجزة وهم ابن مكنسة وظافر الحداد وابن قلاقس . ولاحظ المؤلف ان هؤلاء الشعراء يمثلون الطبقات الثلاث التي كانت ينتمي اليها شعب الاسكندرية فابن مكنسة — على حد قول القباني — « ينتمي بالتبعية والمعاشرة الى طبقة الأعيان وان كان هو نفسه لا يملك من شيء. ويمثل شعره مزاجا خاصا يعتمد على ذوق مرهف وأناقة فكرية . وظافر الحداد كان من العمال ولكن اشتغاله بالأدب أوصله الى مجالسة الرؤساء والكبار . وابن قلاقس تصح نسبته الى طبقة العلماء ، ويبدو أثر ثقافته الدينية في شعره واضحا .

ويتميز ابن قلاقس عن جميع أدباء الاسكندرية بأن له ديوانا مطبوعا . أما ظافر الحداد فقد كان « من أقوى شعراء الاسكندرية في ذلك العصر الهاما، ومن أبرعهم شاعرية» أما ابن مكنسة فيمتاز « بعمق المعنى ومحاولة ابتكار الفكرة غير المطروقة وصياغة المعاني القديمة صياغة جديدة » . ولعل الأستاذ القباني حاول أن يقدم في هذه التراجم صورا لشاعرية أولئك الشعراء الثلاثة مع اختصار شديد لحوادث حياتهم في حين نجد أن ابن قلاقس كانت له مشاركة في أحداث عصره فقد انتصر لشاور على شيركوه ومدحه . ثم مدح صلاح الدين عند توليه

الملك . وقد ذكره المؤرخون بين الشعراء الذين دخلوا على صلاح الدين يوم اعتلائه عرش المملكة . وقد شرق ابن قلاقس وغرب ، ومات فى عيذاب وهى مدينة على شاطىء البحر الاحمر ، فهل كان يريد أن يعبر منها الى الحجاز وهى معروفة بأنها الميناء الذى كان الحجاج المسافرون عن طريق قوص يركبون منه البحر الى جدة . فشخصية ابن قلاقس لم تكن عادية ، وفيها كثير من المغامرة ، وتدل على جراة واقدام . ولعل المجال الذى حدده الأستاذ القبانى لنفسه لم يكن يتسع لتحليل الشخصية فاكتفى بدراسة الشعر وبيان مميزاته .

والكتاب يقف عند القرن السادس ولا يتعداه الى السابع والثامن ، فى حين أشار الدكتور طه الحاجرى الى ان المؤلف سار فى كتابة الى أن تضاءلت الاسكندرية وضعف شأنها وفقدت كل معنى من معانى الحياة « والحق أن القرن السادس الهجرى كان العصر الذهبى للشعر بالاسكندرية من حيث جودة الشعر ووفرة عدد الشعراء ولا نذكر من كبار الشعراء الذين جاءوا بعد ذلك سوى الامام البوصيرى .

وقد عالج الأستاذ القبانى موضوعه بروح الشاعر وبراعة المتذوق واحساس السكندرى المحب لمدينته ، العليم بمواطن جمالها ، وهى صفات تربط بين المؤلف وموضوعه برباط وثيق كما قال الدكتور طه الحاجرى فى المقدمة الطيبة التى وضعها للكتاب . وهكذا استطاع الأستاذ القبانى « أن يعيش مع الشعر الذى يؤرخه بوجدانه ومشاعره » ، وأن يرتبط «برباط روحى وثيق» بالحياة الأدبية السكندرية التى استعرضها خلال القرون المتوالية .

صديق شيبوب





سطور من كتاب

« جميع اعمال البشر الاختيارية التى تؤثر فى الآخرين خيرا كانت او شرا لابد من أن نجازى عليهـا بالثواب أو العقاب طبقا لناموس العدل الصارم ، فنظام الكون الهى قائم على العدل المحض ، وان العدل الكونى قضى بالجزاء لكل عمل ، وان فى الطبيعة نوعا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون احصاء ، وبعد احصائها ينال كل شخص جزاءه على عمـله ، ويكون الجزاء فى الحياة » .

... مقارنة الأديان





لا تعتبر مجموعة (لا تكذبى) الشعرية ديوانا بالمعنى المفهوم من كلمة ديوان ، ذلك أن الشاعر يجمع حصاده الشعرى بعد سنوات فى كتاب تنتظم فيه تجاريب شعورية مختلفة ، ومواقف متباينة ، فيكون « الديوان » فى هذه الحال ترجمة وجدانية لحياة انسان فنان .
و « لا تكذبى » لا يحقق هذا المفهوم ، لان اغلب قصائده اغنيات غناها كبار المطربين ، وكلها يدور حول موضوع واحد لم يستطع الشناوى أن يخرج عنه ، فلا ترى فيه غير غناء بعواطف تثيرها المرأة ، كأنما الحياة قد تجمدت على هذه العلاقة ، ولم تعد نفس الشاعر تهتز لما يموج به هذا الكون من موحيات تحرك نوازع النفوس وخطرات العقول ، بل بما نحسه من تعاطف مع الطبيعة ومشاهدها ، وما نجده فى الحياة اليومية مما يثير النفس الشاعرية المنفعلة بهذه الحياة الدوارة الغنية الجديدة فى نظر الشاعر ابدا .

ولسنا بهذا الكلام نفرض على الشاعر — اى شاعر — نمطا من التجارب او نحدد له دربا معينا يسير فيه ، فان النفوس الشاعرة تتباين فى معادنها ، وتختلف فى زوايا التقاطها ، وفى نوعية التجارب التى تجذب انتباهها ، ولكننا نحب أن نحدد اتجاه هذه المجموعة الشعرية ، مشيرين الى ان لفظة « الديوان » حينما تطلق على مجموعة شعرية لأحد الشعراء تعنى ترجمة نفسية له ، وانعكاسا لما أثارته الحياة على صفحة وجدانه ، بكل ما تحوى كلمة « حياة » من معنى .
أو بعبارة اخرى ان لفظة « ديوان » معناها ترجمة وجدانية لتجارب شخصية تتفاوت معدنا وطعما



الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
١٠٩ صفحات ١٧ × ٢٠ سم الثمن ٥٠ قرشا

تفاوت جزئيات الحياة نفسها . والمعروف أنه على قدر تنوع تجارب الشاعر وكثرتها يكون قربه من النجاح فى التعبير عن نفسه وبيئته وزمنه . فاذا نظرنا الى هذا المجال الضيق الذى حصر الشناوى نفسه فيه ، وجدناه شاعرا غنائيا موهوبا ، أميز خصائصه الصدق الشعورى ، ذلك انه ليس شاعرا منقطعا الى الشعر — ومن هنا قلة شعره — وانما هو رجل يكتب المقطوعة أو القصيدة اذا حركت ربات الشعر أوتاره الحساسة حينما يخلص من شواغل عمله الصحفى .

وليس أحلى ولا آنق من قوله فى بساطة آسرة وعفوية ملهمة واحساس لاهب :

كنت فى صمتك مرغم
كنت فى حبك مكره

فتكلم ... وتألم
وتعلم كيف تكره

عرضك الغالى على الظالم هان
ومشى العار اليه واليك

ارضك الحرة غطاها الهوان
وطغى الظلم عليها وعليك

قدم الآجال قربانا لعرضك
اجعل العمر سياجا حول أرضك

غضبة للعرض .. للأرض .. لنا
غضبة تبعث فينا مجدنا

واذا ما هتف الهول بنا
فليقل كل فتى .. انى هنا ..

وقد لعب هذا النشيد دوره الوطنى فى معاركنا ، وفى رأيى انه أقوى نشيد كتب الى الآن فى اللغة العربية ، وحاجتنا الى الاناشيد معروفة ، وضعف ما كتب منها حتى الآن لا جدال فيه ، فالى جانب العاطفة الصادقة فى هذا النشيد ، نرى الأسلوب المعاصر وزوايا الالتقاط التى تعنى بالحض والاثارة فى وقت كنا فى حاجة اليهما حتى نطلق الصرخة التى « تشد ظهور الركع » كما يقول الشناوى . ومن هنا خطورة هذا النشيد وعلوه على الهتافات العنترية الساذجة مثل (نحن السيوف المشروعات للعدا) و (نحن بناة الهرم ..) وما تابع هذه الشعارات التقريرية التى لا تمس عاطفة ولا تحرك نخوة ، وانما تبعث على الضحك بسذاجتها ومشيها على الدروب المطروقة .

وتبدهك أيضا هذه الحلاوة الغنائية والبساطة التعبيرية الآسرة فى مثل قول الشناوى :

زعموا حبى — يا قلب — خطايا
لم يطهرها من الاثم بكايا
والخطايا ما لها من غافر
فترفق وتمهل فى الخطايا
حسبنا ما كان واهدأ ها هنا
فى ضلوعى واحتبس خلف الحنايا

وتطرد خصائص الغنائية على اتم درجاتها فى شعر كامل الشناوى من بساطة وعفوية ، الى اناقة تعبيرية ، الى ترنيم شجى اليف لا تحذلق فيه ولا ادعاء ، وحسب الشناوى ان يكون هذا الروح البلبلى الصادق .

على أننا لا نعدم اليوم نقادا يقولون أن الغنائية مرحلة تخطاها الشعر عامة ، وان فيها من البساطة الساذجة ما لا يرضى نفوسنا ، فنحن أحوج الى الشعر الدسم ذى الأبعاد الفكرية ، لا الشعر الغنائى الذى يخاطب سطوح وجداناتنا، ويدللون على هذه الحاجة قائلين ان الانسان قد تعدى حياة الفطرة ، فتعقدت حياته واخذت انماط فنونه تتعقد هى الأخرى بتعقد هذه الحياة ، واذا بهذه الفنون جميعا — ومنها الشعر بالطبع — تصبح ذات أعماق لانعكاس الحصيلة الثقافية التى وصلت اليها الانسانية فى هذا العصر على هذه الفنون مضمونا وشكلا . وهو كلام فيه نصيب من الصحة ، ولكنه على صحته لا ينفى حاجتنا الى الشعر الغنائى ، فما زلنا الى اليوم مع اعجابنا ببعض الأعمال الشعرية التى تتمثل فيها آراء هؤلاء النقاد (لعل شعر اليوت نموذج طيب لهذه الأعمال) نحس اننا فى حاجة الى شعر الفطرة الصادقة ، الى الشعر النابع من احساس لم يرتد أزياء مفتعلة ، ولم يتخذ الحذلقة الفكرية وحشد ثقافات منوعة شعارا له .

ما زالت الانسانية وستظل ظامئة الى التجربة الشعورية تتناولها البساطة التعبيرية ، بل واقول البساطة الأميل الى سذاجة الفطرة.. وارجع الى سر خلود الأدب القديم في الملاحم والأساطير .. واسأل نفسك ماذا يعجبك فيه ؟

ولعل مما يؤيد رأينا رجوع كثير من الشعراء، على اختلاف أوطانهم ولغاتهم الى أدبهم الشعبي، ابن الفطرة الصادقة والبساطة الأليفة ، يستوحونه ويتخذون منه موضوعاتهم ، بل ويستعيرون طرق تعبيره البعيدة عن التعقيد واستعراض العضلات الثقافية(١) . وقبل أن نتناول مضمون (لا تكذبي) العام واتجاهاته ، نريد أن نسأل لماذا نشرت قصائده بهذا الشكل؟

ان قصائد المجموعة قصائد عمودية تتابع القالب الكلاسيكي ، ولكنها في الديوان تتقطع جملا غير مرتبطة وكأنها محاولة جديدة من محاولات التعبير (٢) ، فما المراد بنشرها بهذا الشكل ؟

هل الغرض الايهام بأنها من الشعر الجديد ؟ ان كان هذا هو الغرض ، فالمسألة لا تخفى على أي قارىء له بالشعر العربي أبسط دراية ، وليس هناك الا احتمال واحد هو أن مجموعة القصائد المنشورة ضئيلة وقليلة العدد الى الحد الذي دعا الى بعثرتها جملا مفرقة لتغطي مساحات ورقية يمكن أن تخرج كتابا .

فالأبيات الآتية لا يمكن أن تكتب الا هكذا :

لا وعينيك يا حبيبة روحي
لم اعد فيك هائما فاستريحي

سكنت ثورتي فصار سواء
أن تليني او تجنحي للجموح

واهتدت حيرتي فسيان عندي
أن تبوحي بالحب أو لا تبوحي

ولكنك تراها في الديوان مبتورة في الشكل الآتي :



لا وعينيك يا حبيبة روحي
لم اعد فيك هائما
فاستريحي
سكنت ثورتي
فصار سواء
ان تليني
او تجنحي للجموح
واهتدت حيرتي
فسيان عندي
أن تبوحي بالحب أو لا تبوحي

وهو ترتيب جديد للبيت العمودي بشكله التقليدي المعروف ، ولكنه في نفس الوقت ترتيب يثير البلبلة والاضطراب ، وليست هناك حاجة فنية تدعو الى ذلك ، الا اذا كان الغرض منه الوقوف في كل سطر على معنى متكامل ولو حملت هذا المعنى لفظة واحدة ، وفي هذه الحالة يكون أسلوب الشعر الجديد اليق وانسب ، لأنه سيمكن الشاعر من اداء ما يريد في دقة مع انسجام الايقاع .

فاذا انتهينا من جانب الشكل ودلفنا الى المضمون العام لهذه المجموعة فسنجد اتجاهات نحددها فيما يأتي :

شعر الحب ـ شعر الوطنية ـ شعر الشك والحيرة اما شعر الحب فهو اللون الغالب على المجموعة والذي يطبعها بطابعه ، ولعل العنوان الذي اختير لها (وهو اسم أغنية شهيرة) يومىء الى ذلك ، بل هو في حقيقة الأمر يومىء الى ظاهرة فريدة في هذه المجموعة الشعرية تستوقف نظر الباحث . فان المراة التي يتعامل معها « كامل الشناوي » نمط خاص من النساء ، فهي دائما امراة خائنة ، ومن هنا اشارتنا الى معنى عنوان المجموعة (لا تكذبي) الذي يطالعك على الغلاف

(١) اتيح لي مرة أن استمع الى فنان شعبي اعمى في احدى الحدائق العامة ، يسرد ملحمة (شفيقة ومتولي) ، ولو كنت اسمع ـ انا والجمهور المتحلق حوله ـ الى شاعر من كبار شعرائنا ، ما وصل تأثيره في نفسي وفي نفوس الناس مثلما وصل تأثير هذا الرجل الحافي القدمين .

(٢) نقصد بالارتباط التتابع النغمي المعروف في شكل البيت الشعري التقليدي .

والذى يصافح عينيك فى نفس القصيدة التى استعير عنوانها اسما للمجموعة ، وهى القصيدة الأولى التى وضعت ـ دون عمد ـ لتحدد لك اللون المطرد الذى ستراه فى اغلب شعر هــذا الاتجاه :

لا تكذبى .. انى رأيتكما معــا
ودعى البكاء فقد كرهت الأدمعا

ما أهون الدمع الجسور اذا جرى
من عــين كاذبة فأنكــر وادعى

وهو يقول لحبيبته ايضا :

ما زال يحمــل قلبــه المجنونا
فاسقيه من غصص الخداع فنونا

صبى له الكأس التى ما ذاقهـــا
الا وجن من العـــذاب جنــونا

والقصيدة قبل هذا تحمل عنوانا دالا هو (يا حبيبتى) !

ولسنا فى حاجة الى ذكر الشواهد من شعر المجموعة لندلل على هذه الظاهرة ، لأنها مطردة اطرادا يلفت النظر كما قلنا . وقد استتبع ذلك ان القارىء لا يرى من وجوه العلاقة بين الرجل والمرأة الا وجه الخيانة ، فلن ير صورة للقــاء او فرحة له او لحظة توافق وســعادة ، والمرأة الخائنة فى شعر الشناوى قوية مسيطرة والشاعر موكل بحبها وهو فى هذه الحالة التى تأخذ وضع القانون السائد ، قد يصفح او يثور او يقطــع علاقته بها . . .

فاذا ذكر اللقاء او القرب على قلة ذكرهما ، اخذا هذا اللون كما نرى فى قوله :
كنت ألقاك على البعد وألقى فيك أحلامى وروحى
صرت فى قربى ولا ألقاك لا ألقاك الا فى جروحى
او قوله :

يا حبيبى حسبى من الوصل انى
بالأمانى ألقــاك حينا فحينــا

وهو حب لا يستوفى عمره الطبيعى :

يا وردة لم يزل فى جــــونا اثر
من نفحها آه لو عادت لياليـــك

ذكرت بعدك ايامى التى سلفت
فاشتقتها غير يوم خــاننى فيك

يوم افترقنا على انى أراك غــدا
فلم أجــد فى غدى الا تنائيك

لولا ابائى ولولا اننى رجــــل
لحـــدثتك الليــالى كيف أبكيك

ويبدو ـ ان صدق الاستنتاج ـ ان اغلب هؤلاء الحبيبات من طبقة الفنانات اللواتى يتاح للشاعر بطبيعة عمله فى الصحافة أن يلقاهن ، وهى طبقة تسر بجمع المعجبين ويسعدها أن يكثر العدد ويتردد الطلب ، ولا عليها ان تراجعت او « خانت » ، لأن العلاقة هنا علاقة تؤكد الغرور الأنثوى وترضيه اكثر منها علاقة يتلقفها القلب فتشبع حاجته الطبيعية ، ولعلنا نستنتج ايضا ـ من خلال الأبيات التالية ـ ان احداهن مطربة :

افديك شادية فصوتك فتنــــة
قهـــارة كجمالك القهـــــار

تترنح الألفــاظ فى شفتيك سكـ
رى منهما وتفـــوح كالأزهـــار

ولها بسمعى مثل اصـــداء المنى
ولها بقلبى مثــل لذع النـــار

ويؤكد استنتاجنا ان حبيبات الشناوى من الوسط الفنى قوله :

لا منى فى غــــرامك اللائمـــونا
ليس قلبى يصــغى لمــا يرجفونا

وقوله :

زعموا حبى يا قلب خطايا ...

فاذا كان شعر الحب فى هذه المجموعة يدور فى هذا الفلك فالشاعر يعاتب ويثور ويهدد .. وما أحلى عتابه لقلبه لأنه أحب خائنة غدرت :

انت قلبي فـلا تخف واجب : هل تحبهـا
والى الآن لـم يزل نابضا فيك حبهـا
لست قلبي انا اذن انما انت قلبهـا

وتثور كبرياؤه فيقول :

لست أشكو منك فالشكوى عذاب الأبرياء
وهي قيـد ترسف العزة فيـه والاباء
أنا لا أشكو ففي الشكوى انحنـاء
وأنا نبض عروقي كبريـاء

أما شعر الوطنية فيتمثل في مجموعة من الاناشيد غناها كبار مطربينا ، واقواها (نشيد الحرية) وقد سبق ان تحدثنا عنه ، والشناوى ابرع شاعر في هذا الميدان ، فلديه امكانيات الشاعر الغنائى الممتاز ، ومن هنا اقبال كبار الملحنين والمطربين على شعره .

اما شعره التأملى الذى اسميناه شعر الشك والحيرة ، فهو محاولة للخروج من نمطية اللون الواحد ، ولكن الى اى حد ينجح هـذا الشعر في هذا المجال ؟

ان القصيدة التالية نموذج لهذا الاتجاه :

يا رب فيم خلقتنا
وتركتنا نهب الضباب
فلا ظلام ولا سنا
وندب فوق الأرض
لا ندرى بها
وندب فوق الأرض
لا تدرى بنا
أنا من انا
انا من أكون
وسيلة ام غاية
انا لست أعرف من انا !

فماذا اتى الشاعر به من جديد في موقفه التأملى هذا ؟ انها أسئلة قلبتها البشرية منذ آلاف السنين ، ولكنها لم تقتصر على القاء الأسئلة ، فكان ان وضعت هـذه الفلسفات المتعددة المتباينة اجوبة لهـا .. اما موقف الشناوى فهو موقف تقريرى مباشر كما نرى في قصيدته وكما نرى في قصائد اخرى تأخذ نفس الاتجاه ، وهو موقف ساذج لا عمق فيه ولا جدة.

ان الشك في الشعر العربى كتجربة انسانية مطردة في شعر شاعر لا نجدها الا عند أبى العلاء، ولعلنا في عصرنا الحديث لا نرى لها صورة صادقة كما نراها في (الطلاسم) لابى ماضى .. وهى تدير نفس الأسئلة الخالدة .. القديمة الجديدة ابدا .. من نحن .. ما سر هـذا الكون .. وما المصير ؟ ولكن اى براعة فنية شكلت وضع هذه الأسئلة فابتعدت بهـا عن التقرير والمباشرة .. !

ان الفنائية في هذا المجال تفسده وتجنى عليه ، انه في حاجة الى أبعاد اعمق وأفكار ادق، بل انه يحتاج — في رأيى — الى اسلوب يغلب عليه الرمز ، لأن ايراد هذه الأسئلة التى قلبتها البشرية منذ دبت على الأرض بهـذه الصورة التقريرية تستطيع بوقف ضخم في تاريخ الانسانية وموقفها من الكون المحيط بها .

على ان موقف الشـك — وان لم يستطع الشناوى الارتفاع به الى المستويات التى وصل اليها شعره — موقف أصيل لم يفتعله ولم يدعه ، فهو في مقدمة مجموعته يقـول : « لا تتهمنى بالتشاؤم ، لأن بعض الفاظى حزينة ، وبعض تعبيراتى مقطبة الجبين ، فما دام الموت يتعقب حياتنا ، وما دمنا لا نعرف من نحن ؟ فان المجانين وحدهم هم الذين يضحكون للحياة ويسمون ذلك تفاؤلا .. » .

هذه صورة سريعة لمجمـوعة (لا تكذبى) الشعرية ولاتجاهاتها ، وهى — في مجموعها — نموذج طيب يعتز به فن الشعر لأنهـا اضافة جديدة الى تراثنا .

كمال نشأت



فترة التوافق

نصف

تأليف : تينيسي وليامز

ترجمة : فاروق عبد القادر

مراجعة : الدكتور عبد الغنى عبد الله خلف الله

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة

عدد الصفحات ٢٦٧ ص ١٤×٢٠ الثمن ٥

من سلسلة روائع المسرح العالمى

الترجمة ولا شك فن ممتع ومفيد ، فن من حيث انها تنقل الأفكار من لغة الى لغـــة ، مع محافظة على المعنى والجرس الموسيقى اذا كان للكلمات رنين ، وهى ممتعة لأنها تمد القارىء بمعين لا ينضب من شتى العلوم والمعـــارف ، ومفيدة لأنها تخدم القارىء الذى لا يجيد اللغة المترجم منها ، أو من لا تتاح لهم ظروف الاطلاع على الكتب بلغتها الأصلية لسبب أو آخر ، وبذا تجعل القارىء على صلة بالأدب العالمى مستمرة .

ومع هذا .. فما أكثر المشاكل التى تثيرها الترجمات ، هل من حق المترجم أن يتصرف فى النص ؟ وهل له أن ينقص منه أو يزيد ؟ والى أى حد يسمح له بحرية التصرف والشرح والتفسير؟ واذا كانت تلك المشاكل تبرز بقدر عند النظر الى ترجمة قصة حيث يحلو للكاتب الاســـتطراد ، أو عند ترجمة مادة علمية حيث يتطلب الأمـــر الشرح والتفسير ، فانها تبرز بشكل ملح عنـــد ترجمة المسرحية التى تعتمد أساسا على الحوار الموجز ، وهو حوار لا يحتمل الاختصار ، والزيادة فيه قد تضر بالنص أبلغ الاضرار .. وما لنـــا نثير هذه المشاكل ونحن لم نعرض للمسرحية التى نحن بصددها ، ولم نقف ثمة على ما يوجب الشك أو السؤال ؟؟

فترة التوافق أحدث مسرحيات تنيسى وليامز فقد نشرها عام ١٩٦٠ ، والفكرة فيها تبدو ساذجة لو نظرنا اليها على أساس انها حافلة بالجنس كأخواتها من انتـــاج الكاتب الأمريكى المعاصر ، ومع هذا فلا نظن وليامز يستهدف الاثارة الجنسية أو علاج مشاكل الجنس ، بقدر ما يعالج مشكلة من مشاكل الحياة التى يتعرض لها كل زوجين فى مطلع حياتهما ، بل وكثير من الأزواج بعد أن تقطع سفينتهما شـــوطا ليس بالقليل فى الحياة كما سنرى فى المسرحية .

تدور أحداث المسرحية فى بيت رالف بيتس فى ممفيس بولاية تنيسى فى ليلة عيد الميلاد حيث يتساقط الثلج فى الخارج ، نرى فى الفصـــل الأول رالف أمام جهاز التلفزيون يشاهد العرض وحده ، ثم يفاجأ بسيارة تقف أمام بابه لتنزل منها شابة يعرف انها ايزابيل زوج جورج هاڤر ستيك ـ زميله السابق فى الحرب الكورية ـ وتنتظر الزوجة من زوجها أن ينزل من السيارة حقيبتها الصغيرة التى تضم ملابس النوم وأدوات الزينة ، ولكن جورج ينزل كل الحقائب عدا التى تطلبها ويمضى بسيارته العتيقة ، ويداخـــل ايزابيل احساس بأن زوجها هجرها رغم انهما تزوجا بالأمس فحسب ، وتسأل رالف عن زوجه فيقول انها هجرته ، ويدور بينهما حديث طويل نتعرف فيه على مشاكل الطرفين ، أما ايزابيل

فقد تعرفت على زوجهـا وقت أن كان يعالج بالمستشفى التى تتدرب فيها على التمريض ، وكان مصابا برعشة تشبه الذبذبة الكهربائية ولا تزال تلازمه ، وتشكو لرالف من زوجها الذى لم يصارحها بأنه فصل من عمله بالمطار الا أمس بعد حفل زواجهما مباشرة ، وتثنى على مسكن رالف وتسأله عن زوجه فيكرر أنها هجرته تلك الأمسية نفسها لأنه ترك وظيفته فى الشركة التى يمتلكها أبوها ، وتعجب ايزابيل اذ تهجر زوجة زوجا ظريفا مثله لهذا السبب التافه ، ويحكى لها رالف كيف تزوج من فتاة واقعة فى يد طبيب نفسانى يتقاضى من أبيهـا خمسين دولارا فى الجلسة الواحـدة ليعالجها من برود عاطفى استطاع هو أن يشفيها منـه نهائيا فى ليـلة واحدة !

يقاطعان برنين جرس الباب حيث تدخـل سوزى الخادمة الزنجية موفدة من قبل أهل الزوجة لتحصلّ على هدايا عيد الميـلاد التى اشتراها الأب لابنه ، ولكن رالف يأبى أن يسلم الهدايا للخادمة فتخرج وتستأنف الحديث الذى انقطع وتعبر ايزابيل عن استيائها من زوجهـا وتقص كيف قضـيا ليلتهما الأولى فى مخيم للسياح ، ولم يقع بينهما ما كان ينبغى أن يقع لكل زوجين فى ليلة زفافهما ، ثم يدعوها للراحة فى حجرة نومه حتى يعود جورج من الخارج وهو يردد لنفسه : يا لها من ليلة عيد !

بهذا ينتهى الفصل الأول ولم نر غير ثلاث شخصيات ، منها شخصية لا تظهر سوى لحظات قليلة — سوزى — ومع هـذا فلا نحس مللا ولا تفتر الأحداث وان كانت تنقل الينا على لسان الشخصيتين ، ونكون قد ألمنا المامة كبيرة بجميع شخوص المسرحية : دوروثى الزوجـة التى هجرت زوجها فى ليلة عيد الميلاد ، وأبواها ، وجورج هاڤر ستيك الزوج المصاب بالرعشـة الكهربية ، وما بينه وبين زوجه من خلاف بدأ مع الزواج . ومع اسدال الستار على الفصـل الأول نترقب أحداثا وأحداثا ، فهـذا زوج هجرته زوجه ، وزوجة هجرها زوجها ، وهما يلتقيان للمرة الأولى فى ليلة عيد الميلاد ، وقد

اكتشفَ رالفَ ملاحة الزوجة المهجورة وفتنتها عندما خلعت معطفها وتبدت مفاتن جسدها .

ويرفع ستار الفصل الثانى دون فاصلٍ زمنى بين أحداث الفصلين ، ويصـل جورج بسيارته العتيقة ، وتقفز ايزابيل وهى تحبس أنفاسها فى ترقب ، ويلتقى الصديقان . ويدور حديث طويل بين زميلى الحرب وكأنهما لا يحسان بوجود ايزابيل ، ويسأل جورج عما اذا كان — رالف يتوقع عودة زوجته فيقول انه يتمنى لو ألقى بها الى الجحيم . وانها اذا عادت فلن تجـده ، فقد تعاقد على بيع البيت بما فيه وقرر السفر بالطائرة الى هونج كونج ، ويخلى رالف الجـو للزوجين برهة لعلهما يتفاهمان ، فاذا بالخلاف بينهما يشتد ، وتطالب الزوجة زوجها بفسـخ العقد اذا لم يكن سعيدا ، ويكيل كل منهمـا الاتهامات للآخر ، ويعود رالف ليسمع حديثهما فيقول انهما يمران بفترة توافق يدرس فيها كلٌ من الطرفين صاحبه ، وتطالب ايزابيلَ زوجهـا أن يمضى بها الى أحد الفنادق ولكنه يعـارض الفكرة ويتركها مع رالف ثم يعود لتتركهمـا ايزابيل ويخلو الصديقان الى بعضهما ، ويدور بينهما حوار طويل فيه جنس من ذلك اللـون الذى يتميز به وليامز ، وتعود ايزابيلَ لتسمع بعض ما يقولان ، ويعرض جورج بزوجته متهما اياها بأنها أكثر مراسا من غوانى طوكيو ، وانهـا تستطيع أن تعطيهن دروسا ويقول : — كيف كنت تدلكيننى اذن دون أن تلمسى جسـدى ؟ هـه ؟ كيف كنت تدلكيننى دون أن تلمسى جسدى ؟ فاذا أعربت الزوجة عن استيائها عاد يقول :

« كانت تقول لى « استدر » فلا أستطيع واظل راقدا على بطنى . كنت سـأرتبك اذا استدرت ! » .

وتسأل ايزابيل صاحب البيت أن يسـمح لها باستخدام التليفون لتتصل بأبيها ، وعندما يتم الاتصال تنخرط فى البكاء فيتكلم رالف نيابة عنها مؤكدا لأبيها أنها بخير وأنها سعيدة مع زوجها ، ثم يضع السماعة بين يدى ايزابيـل ويرغمها على الحديث مع أبيها فتفعل . وهنا

تظهر براعة وليامز عندما يخفف من حدة الموقف المتأزم بين الزوجين بلفتة انسانية رائعة ، فقد وقعت عينا ايزابيل على هدايا الطفل فتقول لرالف :

« اظنه شيئا مؤثرا الا يحتفل صغيرك بعيد الميلاد .. كل هذه الهدايا الجميلة ! قطار له محطة ونفق ، واشياء رعاة البقر ، وبعض الأجهزة الكيماوية .. ومكعبات لتعلم الهجاء » . وترى ايزابيل قلب رالف وتعرض أن تصحبه في جولة صغيرة وسط الثلج ، ويقدم لها رالف معطف الفراء الذى اشتراه هدية لزوجته بمناسبة عيد الميلاد لترتديه فتقول : « لا تستطيع ان تحس نعومة هذا الفراء دون أن تعرف انه سيقدم هدية لشخص تحبه » ، ثم تخرج مع الكلب ليتحدث الصديقان عن مشروعاتهما للمستقبل ، ويعرض جورج مشروعا لتربية الماشية فى تكساس ، وتعود ايزابيل من الخارج متعبة بادية الحزن ، فقد التقت باحدى المنشدات ولم تجد معها ما تتبرع به ، وتحاول الاتصال بموقف السيارات ليرسلوا لها احدى سيارات الأجرة ، وعندما تضع السماعة تطلق صرخة الم خافتة ، وتستغرق فى بكاء متشنج بينما يترنم المنشدون فى الخارج بأغانى العيد ، وينتهى الفصل وايزابيل تتلمس بيدها تمثالا صغيرا « طفل براغ » وهى تقول : « يا يسوع الصغير .. هكذا تترك وحيدا فى يوم ميلادك ؟ أنا اعرف شعورك تماما (تضم الطفل الى صدرها فى حنان ورقة) أعرفه تماما .. فانا احس نفس الشعور » .

ويرفع ستار الفصل الثالث عن رالف وجورج وقد افرطا فى الشراب حتى ثملا ، ويتحدث جورج وهو مخمور عن الاتصال الجنسى — وايزابيل تسمع من غرفة النوم — ويقول انه يصنف النساء فى خمسة مراتب . « هؤلاء اللائى يعبدن الجنس .. وهؤلاء اللائى يعشقنه .. وهؤلاء اللائى يحببنه .. وهؤلاء اللائى لا يحببنه .. وهؤلاء اللائى يتحملنه فقط .. وهؤلاء اللائى لا يتحملنه أبدا .. وهؤلاء اللائى لا يطقنه .. ثم اخيرا هؤلاء اللائى فوق أنهن لا يحببنه فانهن يردن أيضا ان يقطعنه منك ! » .

ثم يقول انه ابتلى بواحدة من الصنف الأخير ، ويسأل رالف الى اى صنف تنتمى زوجه فيقول رالف بجرأة : « بل من الفئة التى يحببنه ! » ويرد عليه جورج بأنه « يفشر ! » فيلقى رالف محاضرة طويلة عن الطريقة المثلى لمباشرة الأزواج زوجاتهن ، ويباهى كل منهما بقدرته ولكن ايزابيل تواجههما بأنهما كانا يكذبان ، فجورج لا حول له ولا طول ، اما رالف فقد حاولت اغراءه فلم يستطع ان يفعل شيئا اكثر من قبلة يطبعها على خدها !

ويصل والدا دوروثى ليستردا اثاث ابنتهما ، ويزداد الموقف تعقيدا عندما يكتشفان وجود ايزابيل فى حجرة نوم الزوجة ، وتصل دوروثى ويدور عتاب بين الزوجين نلمس منه بقايا حب يتلمس السبيل الى استئناف الحياة ، وتلتقى دوروثى بايزابيل وتتعارفان ، وتقول ايزابيل انها ستنتقل مع زوجها الى فندق بالمدينة ولكن دوروثى ترفض وتعرض على الزوجين أن يتخذا من غرفة المكتب غرفة للنوم ، وتذهب لتخبر أبويها فى الخارج ان الصلح قد تم بينها وبين رالف ، ولكنها تعود قائلة انهما انطلقا بالسيارة ومعهما جميع ملابسها ، وتستعير من ايزابيل قميصا للنوم أزرق اللون ، وتستبقى ايزابيل لنفسها القميص الوردى ، ويدور الحديث بين كل زوجين فى حجرتهما وقد تم الصلح تماما بين دوروثى ورالف ، ويبدى جورج مخاوفه من الفشل فى ممارسة الحب نتيجة اصابته بالرعشة ، وهنا يعبر المؤلف عن رأيه على لسان ايزابيل التى تقول : « يا حبيبى .. العالم مستشفى كبير .. وانا ممرضة فيه يا جورج .. الدنيا كلها مستشفى عصبى كبير . وانا اتعلم التمريض فيه . اظن هذه ما زالت وظيفتى » . ثم تعرب عن حبها للدفء المتسرب من لهيب النار على جلدها خلال القميص الوردى الشفاف ، ويرد جورج بأنه سعيد أيضا ، وانه يتمنى لو كان الى جانبه الجرس الكهربى الصغير الذى كان الى جانبه فى المستشفى ، فتجيبه بانها قريبة منه تسمع النداء فلا حاجة الى الجرس ، وتغنى غناء خافتا تسمعه دوروثى من الحجرة الأخرى ، وعندما يبدأ الستار فى الهبوط نسمع

دوروثى تقول : « برفق يا حبيبى .. دعنى أخلعه انا .. فهو ليس ملكى ! » وهى تعنى قميص النوم الذى استعارته بالطبع !

وهكذا يسدل الستار على المسرحية ، ونلمس مع وليامز الفكرة التى يعرضها مغلفة بالجنس وان لم يكن الجنس فيها هو الغاية ، فهو مجرد وسيلة تلفت الأنظار الى حيث تكمن الفكرة الرئيسية ، ومع هذا فالفكرة ليست شيئا جديدا ، والموضوع معاد وما اكثر ما عولج من قبل ــ الخلاف الذى ينشب بين كل زوجين ــ ولكن وليامز يضيف اليه من شاعريته ما يسمو بالفكرة ويضيف اليها قيمة اكبر .. ان كل زوجين يمران بفترة التوافق ، الحديثون منهم والقدامى على حد سواء ، هذه الفترة بمثابة التوابل التى تجعل الحياة شهية تستقيم على اثرها الأمور ، وتبلغ بعدها السفينة شاطىء النجاة .

هذا ملخص المسرحية التى اضافتها المؤسسة العامة للتأليف والترجمة الى روائع المسرح التى قدمتها من قبل ، وقدم لها الأستاذ درينى خشبة ــ رحمه الله ــ بمقدمة ممتعة يدرس فيها وليامز ونشأته وما قدمه للمسرح من انتاج ، وقد اثارت مقدمات الأستاذ درينى خشبة للمسرحيات العديدة التى قدم لها كثيرا من الجدل بين المشتغلين فى الميدان المسرحى ، هل تعتبر الطريقة التى يتبعها هى المثلى فى تقديم المسرحيات ؟ او بمعنى آخر هل يحتاج القارىء الى هذه المقدمات الطويلة التى تعنى بنشأة الكاتب ومن تأثر بهم وتأثروا به ، وما قدمه من انتاج سابق وقيمة هذا الانتاج ، أم يكفى أن يقدم دراسة للمسرحية موضوع الكتاب فحسب ؟ كان من رأى الأستاذ درينى ــ ونحن نؤيد هذا الاتجاه ــ ان مهمة كاتب التقديم ان يفيض على القارىء بكل ما يمت الى مؤلف المسرحية بصلة ، أو على حد تعبيره بعمل فرشة ــ يستفيد منها القراء الذين تتاح لهم هذه الفرصة ولم تكن تتاح لهم من قبل .. اما دراسة المسرحية نفسها فأمر ذلك موكول الى النقاد عندما تتجمع حصيلة ضخمة من المسرحيات تكشف عن كل الاتجاهات ، وسوف تظل مقدمات الأستاذ درينى مدرسة تنهل منها الأجيال القادمة بقدرة جهده ، عارفة فضله ــ رحمه الله ..

اما الترجمة التى بين ايدينا للمسرحية فلنا فيها رأى وأى رأى ! يستطيع القارىء ان يلمس الطاقة التى تتوفر للمترجم لو انه تأنى فى عمله والتزم النص ، ففى مواضع قليلة نراه مجيدا ، وفى اكثر مواضع الكتاب نتبين ملامح العجلة واضحة ، والتحمس للفراغ من الترجمة بأسرع وقت ظاهرا .

فى الترجمة اخطاء ليست بالقليلة ، وفى مواضع كثيرة عبارات ركيكة تقلل من قيمة الحوار الذى يتميز به ويليامز ، والمترجم يحرف ويزيد او ينقص فى أكثر من موضع ، واليك أمثلة لكل ما ذكرنا ، وهى قليلة من كثير انما نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ..

اخطاء فى الترجمة :

١ ــ الهامش الوارد ص ٨٤ يرد فى التوجيهات المسرحية من النص ، والمترجم يخصص له هامشا مستقلا بدون مبرر .

٢ ــ ايزابيل تدخل الحجرة ــ ص ٨٩ ــ والصواب : ترتد او تعود الى الحجرة ففى النص: retreats into the room

٣ ــ يتحول داخلا ويقفل الباب (ص ٩١) والصواب : يعود الى الداخل ، أو يدخل .
He comes in

٤ ــ تسمع ضجة فى الخارج فيقوم رالف ليفتح الباب (ص ٩٢) والصواب : يذهب رالف الى الباب المفتوح .Ralph goes to the open door

٥ ــ رالف : هه ! (ص ٩٢) وفى النص.Hey و « هه » لا تؤدى المعنى المطلوب والصواب : هيى ! بياء ممدودة حيث ينادى رالف على شخص بعيد ، وكلمة « هه » تستخدم فى حالة التيقظ من حلم أو التنبه .

٦ ــ ايزابيل تمسك بانفها (ص ٩٨) والصواب تتمخط . Blows her nose.

٧ ــ كنت أتلقى دروسا فى التمريض (ص٩٨) والصواب : أتدرب على التمريض أو كنت فى فترة التدريب
I was taking my training as a nurse.

٨ – ايزابيل : هذا شيء طيب حتى الآن – ص ١١٠ – وهذه الترجمة مخالفة للمعنى المقصود تماما ففى النص : It's nice out here والصواب : الجو لطيف هنا فى الخارج حيث ذهبت ايزابيل الى الباب ناظرة الى الخارج وهى تريد أن تغير مجرى الحديث ، يؤكد ذلك أن رالف يقول بعد قليل : نعم ان المكان جميل هنا فى الخارج عنه فى الداخل .

٩ – رالف : انا ارثى لهم – ص ١٢٢ – والصواب : اراهن على ذلك I bet

١٠ – ايزابيل : (فى صوت تخنقه الدموع) عامل التليفون ! اريد ان اتصل بمكان بعيد .. سويت واتر فى تكساس . اوه ! سبعة ! اوه ! ثلاثة ! وفى هذه الجملة الواحدة عدة اخطاء ، فلا يوجد عامل تليفون وانما هى عاملة . والمقصود بالمكان البعيد مكالمة خارجية – وهذه الـ « اوه » صوابها صفر أو « زيرو » فاذا كانت تنطق o فى الانجليزية فلا يمكن ترجمتها بهذه الـ « أوه » العربية التى تغير المعنى .

١١ – ايزابيل : الا استطيع ان اتكلم ؟ – ص ٢١٨ – وصوابها : أتريد منى أن أسير على قدمى ؟ ففى النص : Do I have to walk

١٢ – رالف : ارجعى يا سيدتى الصغيرة .. ادخلى الى حجرة النوم – ص ٢١٨ – والصواب : ابقى فى حجرة النوم أو الزمى حجرة النوم .. ففى النص Stay in the bedom وفى نفس الجملة : أتتفضلين بالجلوس فى حجرة النوم والصواب أتتفضلين بالانتظار .. Will you please wait etc

ترجمة ركيكة :

١٣ – ويضرب اللهب الأحمر المتوهج على الحائط – ص ٨٤ – حيث يريد أن يقول : ينفخ النار ليزيدها اشتعالا .

١٤ – ايزابيل : قلت له انه هذه الليلة من السنة لا يستطيع احد أن يقحم نفسه فيها على زوجين شابين آخرين . (٩٢) .

١٥ – تضحك بشراسة ضحكة كأنها النحيب – ص ٩٧ – والأفضل : تضحك ضحكا أقرب الى البكاء .

١٦ – لأتزوج برجل ليس ما يكفى لأن يقول لى الخ .. (ص ١٠٠) والأفضل : لأتزوج رجلا ليس على درجة كافية من الاخلاص حتى يقول لى الخ ..

١٧ – رالف : كانت ترتعش بشدة اذا ما لاح فى أفق حياتها امكان أن يكون لها صديق . (ص ١١١) .

١٨ – ايزابيل : أليس غريبا أن يكون شيء صغير كهذا أمرا مهينا لك الى هذا الحد ؟ (ص ١١٨) والأفضل : أليس غريبا أن يحس الانسان بالمهانة لأمر تافه كهذا ؟

١٩ – رالف : ان الحواجز تقام بين الناس وتجعل بينهم سدودا من اللغة بسرعة أكثر مما تتطلبه ازالتها . ص ١٢١ .

٢٠ – رالف : أنا لا أود أن أزج بنفسى فى مثل هذه الأشياء الخاصة الحميمة ولكن – ص ١٢١ – والأفضل : لا أقصد أن أتدخل فى مثل هذا الأمر الخاص ولكن – ففى النص : I don't mean to pry into such a private intimate thing, but.

٢١ – رالف : واكون آدم جديدا على كوكب له مسار آخر .. يبدو بعيدا .. بعيدا .. بعيدا .. أليس شيئا رائعا أن تعرف أن هذا الأمر لم يعد لا معقولا بعد ؟ ص ١٩٦ . وتكرار كلمة بعيدا فيه تحريف للأصل ، كما أن تركيب الجملة الأخيرة يبعد كثيرا عن المقصود من النص: It's wonderful knowing that such a thing is no longer inconceivable, huh?

التحريف :

٢٢ – ولغرض مسرحى يجب أن يكون اكثر ارتفاعا – ص ٨٤ – لا يوجد فى النص هذا الوجوب وانما ورد بأسلوب تقريرى . For theatrical purpose this stool is about half a Foot higher etc.

٢٣ – رالف : عليهم اللعنة .. يرسلون خادمة زنجية الخ .. (ص ١١٦) . والأصوب: خذى بالك جيدا .. ارجوك .. Dig that.will yuh!

٢٤ – ايزابيل : ربما رأيت زوجى فى الحجرة الأخرى والصواب : الحجرة الأمامية . Front room (ص ٢٢٦) .

٢٥ – ايزابيل : .. أنا لا أصدق أن هــذا ما تريده زوجتك . وأقول أيضا . (ص ٢٤٠) والصواب : أراهنك أيضا I'llalso bet you

الزيادة والنقص :

٢٦ – ايزابيل : ربما كان لطيفا بما يكفى لكى يوصلنى (ص ٢١٨) والكلمة الأخيرة زائدة على النص : Perhap's he'll be kind enough to

٢٧ – ايزابيل توجه الحديث الى زوجها : جورج .. هل تسمعنى ؟ (ص ٩٠) والصواب: جورج . هل تسمعنى ؟ جورج ؟ فتكرار الاسم لغرض لم يفطن اليه المترجم والاختصار هنـا مخـل .

٢٨ – ايزابيل : عرفته مريضا لا يكف عن استدعائى (ص ٩٩) وفى النص :

I had him as a patient at Barnes Hospital on the night shift.

وقد اغفل المترجم ترجمة «أثناء الخدمة الليلية» وللمؤلف هــدف من وراء ذلك ليس من حق المترجم أن يتصرف فيه .

٢٩ – ايزابيل .. فلنلق نظـرة طويلة على سان لويس .. قد تكون نظرتك الأخيرة عليها.. لا ادرى لماذا لم أطلب الخ . (ص ١٠٠) قيـل لا أدرى توجد جملة كاملة لم تترجم هى : اننى انقل عباراته تماما .. كانت تلك هى كلماته .

٣٠ – ايزابيل : دون كلمة اعتذار واحدة.. اقول لا تجعلوهم الخ .. (ص ١٠١) قبـل « اقول لا تجعلوهم » جملة لم تترجم هى : اذا كان هــذا أقصى ما يستطيعون أن يفعلوه من اجلهم .. أقول لا .. » .

٣١ – رالف : اوه .. لا .. سأنطلق من هذا الحى . (ص ١٠٩) كلمتا « أوه » و « لا » فى النص مقصود بهما التأكد بمد الكلمتين Ohhhhh Nooooo والأصــوب ترجمتهما كما وردتا فى النص : اهـهـهـهـ .. لا . لا لا . لا ه .. حتى يفهم القارىء المقصود فى الأصل أو يحس الممثل – فى حالة تمثيل المسرحية – بالانفعال المطلوب .

٣٢ – ايزابيل : أنا أقدر اخلاصك لرفيقك (ص ١٢٧) والصواب : أنا اقدر اخلاصك لرفيق قديم فى الحرب to an old war buddy.

أما فى الطباعة فثمة أخطاء ربما لم يكن المترجم وحده المسئول عنها ، ولكن لا اظن المطبعة وحدها مسئولة عن أمثال هذا الخطأ :

– جورج : أفضل الا يكون لنا شأن بذلك .

(بوق سيارة ويرتفع صوت نســائى من الخارج) .. دوروثى .. ارجعى – سنستدعى البوليس . (ص ٢٤١) .

وفى النص بعد التوجيه المسرحى الذى يرد بين قوسين :

سيدة : (من الخارج) دوروثى.. ارجعى.. سنستدعى البوليس .

جورج : ابى يقــول انك وصفتنى .. (ص ٢٦٦) .

يرد هــذا الكلام فى النص الانجليزى على لسان دوروثى وليس على لسـان جــورج . وبعد .. اننى لا أدرى ما الحكمــة فى أن تسند المراجعــة الى متخصصين اذا كانوا لا يعنون بمطابقة الترجمة على الأصل ، وهل يكفى الالمام باللغة حتى تسند الترجمــة والمراجعــة الى اشخاص ليست لديهم ثقافة مسرحية كافية ، ان اغفال ترجمة كلمات قليلة ، أو زيادة كلمات من لدن المترجم او المراجع تضر بالمسرحية ضررا بالغا ، وهو أمر يحتاج الى مزيد من العناية حتى يمكن الاطمئنان الى سلامة الترجمات .

فوزى شاهين

كتاب في الطريق

عن موسوعي الفكر

طريقنـــا الخامس .. سرت فيـــه .. الى الأمام أم الى الخلف ؟ لا أدرى . لكننى أسير .. أتحرك من مكان الى آخر، وأرى علامات الحياة تمر من أمامى .. دون أن أحس بقدمى . كأننى أحبو .. نعم كلنا نحبــــو .. ولكن الى أين ؟! لا أدرى . ضباب ينقشع ، وغبـــار يتطاير ثم يتراكم .. حتى لمحت وميضـــه يقبع مبدداً الغبـــار . ترتفع الأيدى عالية لتنهض ببنـــاء الحياة ، وروحه قابعة فوق ربوة تطل على هذا البنـــاء . لم أعد أحبو ، صرت أعدو ، أتخطى الحواجز والســـدود .. بهذا الوميض ، أسمع كلماته ، أفكاره ، صدى نبراته .. وها أنـــذا أحس بأننى أندفع الى الأمام .

جمال بدران

● **هل تفكر فى شىء الآن ؟**

ان توجيهك لهذا السؤال كاف لانهاء أى تفكير .. فمن ذا الذى يعلن على الملأ انه يفكر!! من الأوفق أن تقول .. فيم كنت تفكر منـــذ لحظة ؟ .. لأن الصمت هو الجـــو الطبيعى للتفكير .. فاذا ما تحدث المفكر أنبأك بما تم فى ذهنه من عمليات فكرية .. أما ان قلت ان عملية الكلام فكر فى حد ذاتها .. أقول لك انهـــا تعبير منظم لما يدور داخل الدمـــاغ .. فان اعتبرت عملية التنظيم هذه فكراً .. أقول لك انه مكمل وموصل للفكر فقط .. فماذا تريد ؟

● **لا أعرف .. !! فى الواقع .. أريد اجابتك.. لأن كل ما تجيب به درس لى وللقراء ..**

اننى لأريحك وتريحنى فى مناmتى .. أحيلك الى كتبى .. فقد أجبت فيهـــا عن كل ما تود وما لا تود من معرفة ، وأظنك مهما بلغت من درجات الفضول .. فلن تجد سؤالا بلا جواب له فيها .

● **هل معنى ذلك أن فكرك قد توقف بك عند ذلك الحد من الكتب ؟**

تفكيرى هو نبض حياتى ، ولو شل فكرى فهو التوقف لهذه الحياة بل فقدانها .. فأنا لا أريد حياة يعتورها الشلل .

● **الحياة خير من الموت على كل حال .. فكيف بك ترفضها ان نقص عنصر منها ؟!**

يا مولانا افهمنى .. انك تبيع لى كلامى كما يقولون .. الحياة الانسانية بمعناها ولفظهـــا حياة .. سواء رضينا أم لم نرض .. ان الحياة حياة .. ففارقوا أو أقيموا .. كيف بك تريدنى ان اقبل أجزاء منها !!

● **معذرة .. فان ذلك تفلسفا يحتـــاج الى توضيح ..**

لم يعد لدى من الوقت ما يفسح لى فرصة لتوضيح فلسفتى .. فحياتى مع الناس تنبنى على مبدأ لا أحيد عنه .. هو أن غناى فى نفسى، وقيمتى فى عملى ، وبواعثى أحرى بالعناية من غاياتى . ثم ان حياتى مع نفسى — وهى ملك لى وحدى — أحاول أن أطل منها على الحيـــاة الأرحب .. حياة الكون أجمع بما فيه من حركة وجمود ، وبما يحتويه من انطـــلاق وكمون .. ووسيلتى فى ذلك القراءة والتأمل .

● **ان هذه القضايا تليق بكتاب جديد لك .. حتى يكون فيه متسعا لشرح هذه الآراء ..**

قلنـــا ذلك فى أحاديثنا مراراً وكتبناه فى مؤلفاتنا .. وعلى الشباب الراغب فى الحيـــاة بمعناها الذى حددناه أن يقراها .. اقرأ كل كتاب تحصل على الغـــذاء الفكرى الذى يبنى ادراكك ويقويه .

● **يشتط بى التفكير الآن فاقارن بين طعام الفكر وطعام ..**

كل ما يبنى الجسم فهو لازم لزوم الحياة.. ولا داعى اذن للمقارنة بين أهمية ذلك له عن تلك .. والا وصلت الى نقطة يختل فيها البناء الدقيق للجسم .

● **لكنك أعطيت فى حياتك قسطا أوفر لغذاء الفكر !! فكيف بك تنصح بغير ما تتبع ؟**

لسببين .. أولهما أن علوم الحيــاة تؤكد درجات الاختلاف بين سائر الأجساد فى التحمل والاستيعاب نتيجة لما ورثوه من خلقة ، وثانيهما اننى اشفق على الناس مبلغ ما عانيته وما تحملته طوال تلك السنين فأصاب صحتى بالاعتلال .. وآل بى الأمر الى ما ترى ..

● **لا أرى الا روح الحيوية تدب فى أرجاء المكان، وتشع بكتبك نورا يكشف لنا رحاب الدنيا وخفايا الحياة .. أما يكفيك هذا اطمئنانا وراحة بال ؟!**

كلا .. فأنا احب دائما أن اكون امام كتبى لا خلفها .. وأن القى بكتاب جديد وراء ظهرى كلما خطوت خطوة .. لأننى أنا خالق هـــذا الكتاب .. ومن حق خالق الشىء أن يتقدم على ما ابدعه .. لا أن يتراجع مقدما له ..

● **لكن سنة الحياة هكذا .. فالكتب لا تموت.. اما الانسان !! ؟**

واسم الانسان أيضا لا يموت .. فقد خلعت اسمى على الدنيا بفكرى أولا ثم كتبى ثانيا .. ويوم تتسلل الحياة منى .. فلن ابكى عليهــا أو على الدنيا التى جمعت بيننا .. لأننى انتهيت من مهمتى .

● **هذا شىء لا مراء فيه .. ولكن مهمتك لم ولن تنتهى .. لأنها مثار انتباه ودراســة دائبة مع اختلاف ومشاحنات دائمــة .. فهل من كتاب شاف يكون فصل الختام ؟**

ولماذا تطلب كتابا يقطع دابر الخلاف .. ان زمن المعجزات قد ولى .. بل ان الكتب السماوية قد اختلف الناس فيهــا .. فكيف بك تطلب المستحيل !! ثم ان طبيعـــة الأشــياء هكذا يا مولانا .. تفاعل ، اختــلاف ، تشــاحن ، خصام .. بجانب التآلف والاتفاق والمحبــة والتعايش .. فلماذا تريد أن تغير منها ؟! ثم اننى قد توقف قلمى قسرا .. حتى عما كنت أنوى الكتابة فيه بمحض اختيارى .. فهل تظن فى نفسك القوة الخارقة التى تتحدى بها الأقدار؟!

● **ما هو هذا الكتاب الذى كنت تزمع الكتابة فيه ؟**

هو كتاب كنت اقرأ له منذ ثلاثين عاما .. لا لعجز منا أو تراخى .. وانما لعظمة موضوعه وأصالة صاحبه وتعدد مناحيه .. هو كتاب عن مصارع الفلاسفة ومؤدب الفقهاء وكاشف عالم الشهادة والخفاء .. الامام الجليل «الغزالى»‌.. فليس فى المشرق والمغرب فكرا راجحا وعقـــلا نيرا ودماغا قويا مثل هذا الامام .. وكنا ننوى الكتابة عنه ونقده قبل أن نكتب عن ابن سينا وابن رشد .. لولا اتساع الأفق الذى تدفعنـــا اليه الكتابة عنه .

● **بمن توصى اذن فتثق فى مقدرته للكتابة عنه بمثل ما كنت تبغيه ؟**

لو فرض وتشابهت الأقلام فما أندر ما تتشابه العقـــول .. واسألك انت .. كم من الكتب الشبيهة بكتبى عثرت عليها فى حدود حيـــاتى وآفاق فكرى ؟

● **انا لا اقصد هذا .. فمن المسلم به أن قادة الفكر بين الأمم من الندرة بحيث لا يجود الزمان بمثلهم الا فى القليل ، وكذلك الأمر فى قادة أو زعماء السياسة والشعوب .. لكننى ..**

لكنك وصلت الى نقطة هامة بدون أن تدرى .. قادة الفكر وقادة الشعوب .. « لقد ظهرت لى فى زمن لا تظهر فيه حقائق الحكم والمحكومين سيرة « سعد زغلول » .. فمن الخير أن تعاد وأن يزداد عليها ما لم يكن يزاد فى عهـــد « أحمد فؤاد » . كى يدرك شعبنا مبلغ قوته وأصالته ، ويعرف حقيقة النتائج التى وصل اليها بحماسته واندفاعه للالتفاف حول زعيم نبع منه وأخلص له .. تمثل اخلاصه فى صراحته مع مواطنيه ، وجراته فى مواجهة خصومه بالحقائق الدامغة ، وتفانيه فى الكفاح من أجل وطنـــه .. كل هذا بجانب روح فياضة بالعطف والمودة لكل جليس اليه .. يضفى على مجلســـه نوعا وقورا من المرح .. لا اسفاف فيه ولا تبذل .. وهذا ان

دل على شيء فانما يدل على أصالة مصرية تستعين بسرعة البديهة فى مؤاخذة او رد مكيدة او الزام حجة او صرف حادثة مؤلمة بكلمة مضحكة .. فهى تارة بلسم جراح وتارة عدة كفاح .. مثلما ترى فى سوقه لحكاية « فطير والا أرمى روحى » تجد فيها البدوى الذى يهدد مستضيفيه من فوق مئذنة مسجدهم بالانتحار ان لم يشبعوا نهمه .. مدعيا الجوع فى ضيافتهم ، ثم محاولتهم لسد فمه بالفطير خشية الفضيحة ، ثم عودته الى هذه الطريقة مرات ومرات مرددا هذا النداء من فوق المئذنة « فطير والا ارمى روحى » .. لأوضح مثال على سلاح التهكم الذى كان يلجأ اليه سعد فى سخريته من أدعياء السياسة وراغبى الوزارة .

● **هل نفهم من هذا أن سعدا كزعيم نابع من الشعب المصرى .. اكتسب كل صـــفاته هذه من صميم الصفات المعروفة عن الشعب هنـــا ؟**

لقد تكلمنا فى كتابنا عن الطبيعة المصرية فى حقيقتها ، ورددنا على أكاذيب عديدة منهـــا ما يتهم الطبيعة المصرية بأنها طبيعة أمة لا تحكم نفسها بنفسها ولا تبالى غارة الأجنبى عليها ، ومنها أن المعتمد على مصر لا يعتمد على سند متين كما ادعت مأثورات بنى اسرائيل ، ومنها الخلط بين اسم فرعون واسم قدماء المصريين .. ومن ثم فهم منبوذون كفرعون موسى الموســوم بالكفر والطغيان .. وغير هذا كثير من الاتهامات رددناها ودحضنا حججها .. فالطبيعة المصرية اقوى وأعرق من هذه الأباطيل .. الذهن المصرى ذهن عملى واقعى سهل المنطق واضح فى نظرته الى الدنيا وحكمه على الأشياء والناس » .. والمصرى عامل فى حياته كما هو عملى فى النظر الى الحياة .. والمصرى اجتماعى من ناحيـــة الأسرة وعراقة المعيشة الحضرية منذ أجيـــال مديدة .. وهذا هو أقوى ما يربطه بالأمة والحياة القومية .. بل انه يفضـــلها على كل ارتباط سياسى ومراسم حكومية فى العصور الماضية ..

● **لكن من المؤكد حتما أنه اتخذ موقفه هـــذا لا كمحافظ يرضى بواقع الحـــال ، وانما استعدادا لقفزة تغيير عارمة ..**

كان شعبنا محـــافظا ومتحفزا للتغيير فى وقت واحد .. « محافظ فى مسلكه الذى يدور على اصول الأسرة وعلاقات الرحم ، ومتمرد فى مسلكه من ناحية الشئون السياسية والمسائل الحكومية ، ومتى جد عليه جديد الاصلاح فلن يفلح عنده ولن يظفر منه بالترحيب والموافقـــة الا ساعة يمتزج بنظام البيت والأسرة ، ويتسرب الى حياته من باب عواطف الأرحام ومناظرات المنازل .. والا فلا أمل لاصلاح فى توفيق » .

● **هل استطاع سعد أن يحقق هذا الاصلاح؟**

ان ظروف الوطن فى تلك الآونة ، والتى حاول بشتى الطرق التغلب عليها ، لم تكن لتسمح له بتنفيذ اصلاح ما .. وانما يكفيه أنه شـــحذ الهمم وهيأ أذهان الشـــعب لتغيير لابد وان يحدث ..

● **معنى هذا أنه عرف كزعيم كيف يوجهــه مواطنيه فى الطريق السليم .. ؟**

الزعيم او القائد الحـــق هو الذى يعرف طبيعة مواطنيه .. فينظم طاقاتهم فى هـــذا السبيل .. وسعد قد عرفها حقيقـــة لأنه من صلبها .. فاستطاع أن يضع يده على لبها ثم أشار الى الطريق الذى تسيرون فيه .. ويكفيه هذا كى يترك الأمور تأتى بالقائد الذى يستطيع التغلب على ظروف عاقته هو ..

● **لقد آن الأوان اذن لاستكمال هذا الكتاب .. أما تسهم بفكرك فيه ؟**

ليت قلمى ما توقف .. فكم كنت اكـــره الموت لا لخوف منه وانما لحبى للحياة والقلم .. لكن فكرك باق ، وكتبك تثرى حولنا الآفاق ، وان ضجرت من الجنة لخلوها من الكتب ــ كما يقول توفيق الحكيم ــ فاننا سنحمل لك الدنيا بما حفلت من مكتبات ، ويكفيك طمانة ان الطبيعة الدءوبة للمصريين ستواصل عملها لتعثر على من يحمل شعلة فكرك ، مثلما عثرت على مشعل زعامتها الجديد .

فهل من كتاب متكامل عنه فى الطريق ؟ .. هذا ما يجب أن يكون .

لقاؤنا فى الشهر القادم مع ...
وزير البحث العلمى



الجمال الحزين

تأليف : محمود البدوى

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات : ١٦٠ صفحة ١٧ × ٢٤ الثمن ٢٠ قرشا

الريادة الأدبيـة فى عصرنا ليست بالشىء اليسير الهين ، لأنها تتطلب من الفنان وعيا عميقا بالتراث الانسانى فى الفكر الأدبى على مـدى التاريخ ، كما تتطلب أن يكون لدى هذا الفنان ما يضيفه الى هذا التراث .

ولا شـك أن كل أديب وفنـان ومفكر وفيلسوف ، يضيف شيئا ما الى الضـمير الانسانى والوجدان البشرى ، ولكن هذه الاضافة تختلف عما يضيفه الرواد فى كونها نابعـة من الطبيعة التلقائية للأدب والفكر والفـن .. أما الرائد فيصنع شيئا آخر الى جانب تحقيقه هذه المهمة ، هى الانعطاف بالقيم الفنية السائدة ـ ولا أقول السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقيةـ الى طريق جديد لم يعرفه الفن من قبل .

وفى تاريخ القصة العربية القصيرة فى مصر ، يقف صف طويل من الرواد : محمود تيمور وطاهر لاشين ويحيى حقى ومحمود البـدوى وغيرهم . ولقد تحققت الريادة لهـذا الجيل العظيم بتحويل القصة القصـيرة من مفهوم « الحـدوتة » و « الحكاية » الى المعنى الفنى الحديث للأقصوصة كما عرفها الغرب .

ونحن لا ننفى أن جيل الرواد هذا قد تأثر بالآداب الأوروبية ، ولكننا لا ننفى كذلك أصالة جذوره المصرية . ومن هذا اللقاء بين الأدب الغربى والتجربة المحلية تتولد سـمات أدبنا الحديث بعامة ، والقصة بنوع خاص .

وعندما نقول : أن الأستاذ محمود البـدوى

أحد رواد القصة المصرية القصيرة ، فاننا نعنى بذلك انه يشترك مع بقية ابناء جيله فى تنقية هذا الشكل الفنى من شوائب الحدوتة والحكاية، وتقديم النماذج الطيبة للقالب القصصى السليم. غير انه يتميز عن بقية زملائه بجملة سمات لابد من ايجازها قبل التعرض لمجموعته الجديدة « الجمال الحزين » . فالبدوى يتسم أولا بالرؤية الشعرية للحدث أو الفكرة أو زاوية التصوير ، فيتخير اكثرها شفافية واقترابا من العواطف المرهفة . كما يقتنص نماذجه البشرية من الشخصيات التى تغيض بالشجن العميق أو الفرح العظيم . ولهذا السبب يتسم ادب البدوى ، ثانيا ، بوقدة الانفعال والترقب والوقوف على الحافة ، فلا نلمس الفتور مطلقا فى أى من مستويات الأقصوصة أو نقلاتها المتتابعة ، بل هى تشدنا عبر الصفحات شدا رقيقا ، وتجذبنا من خلال توترها جذبا رفيقا . وتقودنا هذه السمة البارزة فى أقاصيص البدوى الى خاصية التشويق والاثارة فى أدبه ، التى لا تعتمد على الحبكة ، أو المفارقة ، أو المفاجأة. وانما يجند الفنان كافة أدواته التعبيرية فى خلق هذه الشحنة العاطفية المليئة بالنبض الحى غير المتوقف ، حتى ليخيل للقارىء ان المؤلف كتبها فى جلسة واحدة بينما أعرف - شخصيا - أن محمود البدوى كاتب بطىء للغاية ، فاذا لم ننس أنه من الكتاب المقلين فى انتاجه الأدبى ، استطعنا ان ندرك بسهولة ان التروى والصبر والأناة البالغة من الصفات الأساسية فى شخصية هذا الفنان الكبير . ولذلك تجيء قصصه تجسيدا حقيقيا لهذه الشخصية فيما يتضمنه بناؤها ومحتواها من الصدق الفنى والتأمل العميق .

ولا اعتقد انه من الصواب فى الحكم أو من الموضوعية فى النظر الى الاشياء ، أن نطالب الرواد فى مرحلة بعينها ان يظلوا روادا لكل مرحلة .. اذن لانتفت سنة التطور ، واختلت موازين التقييم . فليس من واجب الناقد المنصف ان يطالب محمود البدوى بأن يظل فى مستوى انتاجه السابق : «الذئاب الجائعة» ، «فندق الدانوب» ، « العربة الأخيرة » .. ان من يتقدم بهذا السؤال لا ينشد فى واقع الأمر أن يبقى البدوى فى حدود هذا المستوى ، لاننا سوف نرى من خلال انتاجه الأخير « الجمال الحزين » انه لم يهبط عنه كثيرا .. ان السائل يود فى الحقيقة أن يرتفع البدوى وأبناء جيله الى مستوى العصر فى التكنيك والقيم على السواء .

واجيب مخلصا بأن هذا المطلب يتنافى مع أبسط القواعد الفنية ومبادىء النقد . فهو اذا كان يصدق مع الادباء العاديين ، فانه لا ينطبق على الرواد بالذات . لا لأن من طبيعة الأولين التطور ، والآخرين الجمود ، بل لأن الرائد يعانى المرحلة التى يجتازها معاناة ذهنية ونفسية عميقة ، بحيث يصعب معها بعد مرحلة تقتصر أو تطول ، أن يعانى قسوة الانتقال الى عصر جديد . ان فتوحاته وزيادته تنعكس على حياته كلها ، وفى جميع أبعادها حتى يندر احتمال « المجازفة » بفتح جديد ، كما يشق على من كان قائدا يوم ما السير فى تيار جديد لم يسهم فى تكوينه الا بصورة تاريخية وغير مباشرة .

ينبغى أن ننظر الى هذه النقطة باحترام وتقدير ، قبل أن نحول الأقلام الى سيوف تغريها رقاب كل قديم لم يعد جديدا فى عصرنا .

لذلك قرأت مجموعة « الجمال الحزين » وفى أعصابى نشوة الاعجاب القديم بانتاج هذا الكاتب الفذ : محمود البدوى . ولا ريب ان معظم أقاصيص المجموعة تبتعد - ان كثيرا أو قليلا - عن المفاهيم والمقاييس المعاصرة للقصة القصيرة . ولكن هذه المقاييس كانت تذوب تماما كلما توهجت صفحات « الجمال الحزين » بحرارة قلم البدوى وشعوره الفياض .

ففى قصة « الضبع » يكرر الكاتب كلمة « كان » ست عشرة مرة فى الصفحة الأولى ، وبالتالى فان الفعل الماضى يصبح سيد الموقف القصصى مما يتوهم المرء معه بأن الأقصوصة ستهوى فى قاع الرتابة والصيغة الخبرية . الا أننا نفاجأ بالفنان يروى لنا فى حماس متدفق كيف أن « طاهر » صاحب المزرعة لم يبغ أن يطارد اللصوص الذين يسرقون الغنم من حظيرته برصاص البنادق ، وانما استحضر كلبا

« أرمنتيا » ضخما أنتصر على كلاب القرية جميعها فى مواقع حاسمة . وقد تعود « منير » ابن « طاهر » أن يعاكس الكلب وهو مربوط فى السلاسل الى أن جرؤ ذات مرة على قذفه بحصاة فقأت احدى عينيه وسال منها الدم . ومن ثم انتهز الكلب فرصة انفكاكه فى اليوم التالى وهرب من القرية كلها . وذات يوم فوجىء « منير » مع بعض الصبية بالكلب يهجم عليه وينشب فيه أنيابه حتى تركه ميتا ، وهرب مرة أخرى . وناحت الأم والأب والأهل والقرية جميعا على الطفل الميت . وخرج الجميع يبحثون عن الكلب المسعور دون جدوى . وذات ليلة خرج ثلاثة من الرجال الأشداء للبحث عن الكلب ، فعاد منهم اثنان ومات الثالث بقبضة الحيوان المسعور التى ادمت صدره . وعزم « طاهر » على الخروج لملاقاة الكلب العتيد ، واخذ معه بندقيته ، ولمح على البعد حيوانا أسود صوب نحوه الزناد وضرب وخيم السكون . ولم يعد « طاهر » فى تلك الليلة الى منزله ، وفى الصباح عثر عليه الرجال عند جذع شجرة جالسا بلا حراك ، وفوق صدره قبضته مدماة ، وقلبه متوقف تماما عن النبض !! والى جانبه رقدت جثة حيوان ضخم اكتشفوا انه « ضبع » ، اما الكلب القاتل ، فراحوا يجدون فى البحث عنه من جديد .

والقصاص على هذا النحو يصور تشابك العلاقات الانسانية ومؤازتها للبشر فى محنتهم امام « القدر » الذى يهددهم كل لحظة بالمفاجآت . وهو يحيط هذه الدلالة بهالة من الرمزية القريبة الى الذهن والوجدان ، كما صنع نجيب محفوظ فى قصته « ضد مجهول » حيث روع سكان العباسية بأن بعضهم يتساقطون الواحد تلو الآخر باختناق اعناقهم تحت ضغط حبل مجهول . والفرق بين الأقصوصتين أن البدوى رمز الى غايته بالكلب المتوحش فاتضح لنا موقفه ايما وضوح ، أما نجيب فقد آثر الحيدة الموضوعية ازاء هذه الظاهرة الغريبة . وكلا الموقفين يعبر عن مدى عمق الكاتبين العظيمين .

ان تشابك العلاقات الانسانية عند محمود البدوى ، يؤد به الى التعاطف الشديد مع



الضعف البشرى بوجه عام ، والشخصيات المتواضعة بوجه خاص . ففى قصة « الساعة » يصاب موظفو الديوان الذى يعمل به السيد أحمد عبد الغفار بحزن وامتعاض شديدين لضياع ساعته الثمينة دون ان يصلوا الى معرفة « اللص » . وهم ، لذلك ، يوجهون التهمة الى الشخصيات القصيرة كالفراش مثلا . غير ان الفراش لم يكن قد سرق الساعة ، بل هو يفاجأ بها فى أحد المحال التجارية فيشتريها بثلاثة جنيهات بعد أن عرف السارق الحقيقى الذى باع الساعة الى المحل ، وهو السيد همام الموظف بالمكتب . ولا تصدمه الدهشة لأنه يعلم أن هذا الموظف له ابن مريض بشلل الأطفال ، وقد تراكمت عليه الديون لسداد ثمن الأدوية . ومن ثم كان من الطبيعى ان يسرق الساعة لتسهم بنصيب ما فى التخفيف من هذه المصيبة ويعيد الفراش الساعة الى صاحبها فتثبت عليه التهمة .

ويصل السيد همام ذات يوم باكيا ولده الذى مات صارخا بأن السبب هو المال الحرام . ويعتقد الجميع انه يهذى لوفاة الطفل . وكان الفراش هو الانسان الوحيد الذى يعرف السبب ، ولكنه صمت ورضى بالمهانة التى لحقت به حتى لا يتحطم الأب المسكين .

هكذا يتعاطف البدوى مع الضعف البشرى ويبرر سقطات الانسان تبريرا انسانيا عميقا . غير أن تشابك العلاقات الانسانية فى أدب البدوى ، والتعاطف الحار مع الضعف البشرى لا يلغى قوة

الضمير الانسانى . ففى قصة « فى الليل » يعود الزوج مع أسرته فى عربته الخاصة ، ويدهم فى الطريق شيئا ما ، فيسرع لا يلوى على شىء . ولكنه ما أن يستقر فى استراحة قريبة وتأوى العائلة الى الفراش ، حتى تتنازعه ضروب شتى من المشاعر ، فلا تكاد تنبلج خيوط الفجر حتى يغادر المكان الى السيارة فيقشعر بدنه من الدماء اللاصقة بها . وتدفعه قوة من أعماقه لا تقهر ، لأن يركب العربة ويعود الى مكان الحادث ، فيكتشف أن ما دهمه بالأمس كان ذئبا ضاريا من ذئاب الصحراء . أن المفاجأة هنا لا قيمة لها لأن الرجل توجه الى المكان وفى ذهنه أن ثمة قتيلا ربما يؤدى به الى المشنقة ، فلم يعبأ بمصيره الفردى فى سبيل الحفاظ على قوة الضمير الانسانى .

ومن تشابك العلاقات الانسانية والتعاطف مع الضعف البشرى وتجسيد قوة الضمير الانسانى ، تنبع من أدب البدوى معنى القيمة الانسانية . ففى قصة « فى المحطة » ينزوى الصراف الغريب فى أحد أركان المقهى القريب من المحطة بعد أن نمى الى علمه أن القطار لن يصل حتى الصباح . ولم يكن بالمقهى سوى « صابر » واحد الرجال الأشقياء . فلم يكد الغريب يغفى قليلا وكلتا يديه على صدره تحمى حافظته الحكومية التى تضم ثلاثة آلاف من الجنيهات .. لم يكد النوم يطرق اجفانه حتى اخترقت اذنيه — كما لو كان فى حلم — صوت رصاصة انطلقت قريبا منه ، ففتح عينيه واذا بالرجل الشقى ملقى على مبعدة أمتار جثة هامدة وفى يديه الحافظة الحكومية ، بينما كان «صابر» يضع البندقية التى فى يده !! أى أن حرمة الغريب بلغت ب « صابر » أن يردى الرجل الآخر قتيلا ما دام قد تجرأ على اغتيال القيمة الانسانية الحقة باستغلاله نوم الغريب وسرقة الأمانة الحكومية التى يحملها .

هذه — اذن — هى الخطوط الأساسية لمجموعة محمود البدوى الجديدة ! العلاقات الانسانية متشابكة ، وهى تؤدى الى التعاطف مع الضعف البشرى ، وتؤكد قوة الضمير الانسانى ، وتبرز المعنى الحقيقى العميق للقيمة الانسانية . وفى مثل هذا العالم المضطرب الذى نعيش فيه كما نحن بحاجة ماسة الى هذه الشحنات المتوهجة بحرارة القيم الانسانية ، التى تشع من وجدان فنان عظيم كمحمود البدوى .

غالى شكرى



سطور من كتاب

« ما الدين وما العلم وما تعريف كلٍّ منهما تعريفا جامعا مانعا ؟ — الاسلام على خلاف سائر الأديان يتناول امور الدين وامور الدنيا ويحض على طلب العلم ، فالعلماء عند المسلمين هم رجال الدين . أساس العلم التطور والتجديد ولذلك لا يمكن أن يقفل فيه باب الاجتهاد أو أن يجمد رجاله ، ومن ثم سيسد أبدا حاجات البشر » .

... الايمان والمعرفة والفلسفة

الصراع فى الوجود

تأليف
بولس سلامه



شاع عن الوجودية انها ادب وليست من الفلسفة الا بالقدر الذى يسمح لها بأن تنشب أظافرها فى لحمة الحقائق وفى قلب الواقع . ولغلب النقاد الانجليز يظنونها لونا جديداً من الأدب الحديث لأن المقاييس العقلية قد اختفت من جوانبها ولأنها لم تنشأ أن تختص بالقوالب والأنماط الفلسفية المعهودة واتخذت من القصة والمسرح والشعر وسائل لاطلاق أفكارها وعرض اتجاهاتها . بل ان رجالها اشتغلوا بالأدب اشتغال الأدباء الخلص وأتوا فيه بنظريات تفسر طبيعته ومقتضاه . وسارتر نفسه هو الذى أحس بهذه الحيوية العامة التى تربطه بالجمهور ورفض أستاذية الجامعة حتى لا تفرض عليه التخصص البحث والانزواء عن الجماهير .

ان أستاذ الجامعة فى العادة راهب من رهبان الفكر وتفرض عليه وظيفته وبخاصة فى مجال الفلسفة أن يقبع فى مكتبته ليل نهار حتى يتفرغ نهائيا لرسالته . ولكن سارتر أحس بأن الفلسفة لم تخلق لتكون منطقا يدرس أو نصوصا تحفظ بل لتكون أسلوبا فى الحياة . فكتب القصص والروايات وخص السينما والمسرح بجزء وفير من انتاجه . وكان شاغله الأكبر هو كيف يصل بأفكاره الى الناس فى شتى بقاع الأرض . واشتبك فى مساجلات عديدة مع رجال السياسة والأدب وواجه مشاكل الحياة والمعيشة وأعمال الحكومات ونظريات السياسيين المحترفين لأن هذا يحقق رغبته فى الاهتمام بالانسان وحقيقة الانسانية فى العصر الحديث . وصرف أكثر



اهتمامه الى الأوضاع التى تحدد قيمة الفرد فى هذا العالم المتطاحن من أجل المصالح والأهواء .

وقد عرض سارتر نظريته او لعله من الاصح ان نقول انه حدد موقفه حيال الناس والجماهير واعتبر مهمته الأساسية هى ان يكون ابنا لهذا العصر او لهذه الفترة التى يعيش فيها بالذات. ومن ثم فادبه وفكره متجه الى الناس الذين يشاركونه الحياة على الارض ابان حياته . وهو لا يسعى الى الخلود والى ان يتحدث النـاس عنه فى المستقبل وانما يريد ان يحقق رسالته التى تتجاوب مع احتيـــاجات الفكر وظروف الحياة فى هذه الأيام . ونجاحه يعنى شيئا واحدا وهو بلوغ المكانة الصحيحة فى اعين المعاصرين له لأنهم ينتسبون اليه بالفعل كما ينتسب هو اليهم. وقد أفاض فى شرح موقفه هـــذا فى كتابه عن المواقف وفى الجزء الثانى منه على وجه التحديد حين عالج مشكلة الأدب وماهيته ومقوماته .

وقد تأثر الأستاذ بولس سلامه فى كتابه عن الصراع فى الوجود بنظرية الأدب الوجودى وان لم يتأثر بنظـــرات سارتر بالذات . فهو ليس معجبا بسارتر لانه وجودى مسيحى مؤمن بينما يقف سارتر على الشاطىء الآخر . والاستاذ بولس متمسك بمجموعة من القيم الروحية التى يعرض على ضوئها أفكار الفلاسفة ابتداء من هرقليـــط فى العصر اليونانى حتى الوجودية والماركسية فى العصر الحاضر . وهو كاتب وشاعر اراد ان يزود المكتبة العربية بكتاب عن الديالكتيك (وهو ما يسميه بالصراع) يجمع بين الادب والفلسفة فانتصر للأدب . وهو لا يناقش الافكار والآراء مناقشة منطقية عقلية وانما يناقشهم بالشواهد الأدبية والنصوص الدينية ويضرب الأمثال بالشعر ويأخذ اسلوبا وجدانيا على طريقة الاستطراد العربى القديم فى معالجة القضايا .

وقد اعتنق اديبنا مذهب الوجودية المؤمنة بعد ان أحس بارتباطه الوثيق بكل مقـــولات الوجدان العاطفى فى هذا المذهب . فقـــد عاش حياته مريضا وقال فى مقدمة كتابه : « ولا ريب أن الجرح الممض والخطر المتصل والهم الذى تتألف منه دقائق حياتى .. كانت العناصر التى وجهت خاطرى الى الوجـــودية فاستهوتنى الوجودية المؤمنة .

« وانى لأتحدى الوجـــوديين بل التاريخ والأساطير أن يكون آدمى واحد عانى ما عانيت من جهة النكبات والهموم .

« الألم والخطر والهم نقاط اساسية يتلاقى عليها المفكرون الوجـــوديون جميعا وهى التى تحرك اقلامهم للتحليل وخواطرهم للتأمل فيعانون المشكلات بانفسهم ويعيشونها .

« حسبى ان أعيش الوجودية المؤمنة واتبنى الكثير من آراء اعلامها بدون ان يكون لى طريقة خاصة » .

وعلى الرغم من هذا المظهر الأدبى الوجودى الذى يصبغ الكتاب فان افكاره دقيقة وصحيحة فلسفيا وتدل على المام كبير بالموضوع الذى قدمه الى القراء . بل انك لتجد متعة كبيرة فى قراءة فصوله وتتبع ملاحظاته . ويعقد المؤلف مقارناته فى صورة سليمة وثوب شـــائق مع اضـــافة التشبيهات والأمثلة فى غير عنت أو تكلف . فهو يجمع بين ذوق الفنان وعدالة المؤمن وصـــدق التحليل مع عبارة جزلة واسلوب رصين . وليس معنى هذا انى ... هـــذا الاتجاه فى التأليف ولكننى احببت الكتاب لعوامل خارجـــة عن اعتبارات الفلسفة جعلتنى أشعر بمتعة انستنى ضرورات الفلسفة الحرفية . وقد عانى المؤلف صعوبات شتى حين تعرض للفيلسوف « كانت » وللفيلسوف « هيدجر » ولكن ملحــه ونوادره وتشبيهاته تخفف من غلواء هذه الصعوبات وان لم تفصل فيها فصلا حاسما .

وتغلب على مجموع أفكاره البساطة الأدبية والايمان العميق بقدسية عقائده الدينية . خذ مثلا لذلك شرحه للديكالكتيك عند هيجل وهو اهم نقطة فى مراحل الديالكتيك وتاريخه الطويل. يقول الأستاذ بولس سلامة : « ارايت كيف قام الصراع ثم الصلح بعـــد ذلك على أحســـن ما يكون الأحبة ؟ فلقد استيقظ الوعى فى المرحلة الثانية وكأنه انفصل عن جموده فصار اثنين. نقم الثانى على الأول فنفاه . وكان هذا النفى سلبا رقم (١) . اما المرحلة الثالثة فقد نقمت على

الثانية فكانت سلبا رقم (٢) ومعلوم أن سلب السلب اثبات . فلو قلت لا أريد الامتناع عن الصيد مثلا فمعناه الايجـاب . اى انك تريد الصيد .

« بارك الله بهذا السلب الثاني الذي أفضى الى الاثبات والمصالحة وكأنه رسول سلام يهيب بالوعي ولسان حاله يقول : لماذا تنقسـم على نفسك ايها الوجدان فترى نفسك ذاتا وموضوعا منقسمين ؟ هات يدك وضعها في يد رفيقك . انتما واحد .

« ويذكرك هذا ببعض ما ورد في الكتب الدينية بصدد الرجل والمرأة حيث قيـل : ان الذي خلقهما منذ البـدء خلقهما ذكرا وانثى وانهما بسر الزواج يعودان واحدا . أو ليست حواء ضلعا من آدم ؟

« الحمد لله على هذا المركب الأخير ! » .

وطرافة الكتاب عموما متسمدة من خفـة روح المؤلف في استكناه الآراء والأفكار وفي بسطها مؤيدة بالأمثلة والشواهد . خذ مثلا لذلك قوله في تفسير المادية : « وجاء الماديون ينكرون الفكر الا فيما ظهر منه . اى انهم اعترفوا بوزارته الخارجية وانكروا عليه داخليته .. ! » وقوله في تفنيد القياس : « واحسب ان اسخف ما في المنطق القياس . وهو ضرب من البهلوانيـة الرياضية العقلية . فلو انك مررت بجانب النار واحترق ثوبك لأنه من قماش لا من نحاس . لاستطعت ان تؤلف القيـاس الآتي : كل قماش يحترق بالنار . وثوبي من القماش . اذن فثوبي احترق . عوض الله عليك ايها المنطيقي المحترم؟ فلقد اضحى ثوبك رمادا بدون حاجة الى قياس» .

وهو لا يقف هذا الموقف اعتباطا وانما يبني عليه نظريته في المعرفة . فهو يحاول تدعيم نظرته المعرفية على أساس من الوضوح الذي ينبثق في داخلية الضمير . فيقول في شرح نظريته : « ان الضمير يغني عن بهلوانية القياس . ذلك ان الضمير مصدر المعـرفة . وهو لا يخلط بين الخروف والذئب نظرا للوضوح ونظـرا لان الوضوح هو ضابط الحق الأخير . لأنه يتعذر اقامة البرهان على كل شيء ولأنه في كل اثبات يستند الانسان الى صدق ضميره .

« ورب معترض يطالبنا باثبات صـدق الضمير .

« والجواب انه سابق لكل اثبات . اننا نقيس الطول بالمتر المقرر رسميا .

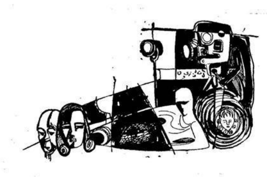
« ولكن بأي شيء نقيس المتر نفسه ؟ » .

وهذه في الواقع نظرة فلسفية جادة وهي تحتاج فقط الى بعض التواضـيح مع بعض المقارنات الفلسفية المسـتخرجة من كتابات الفلاسفة المحدثين كيما تترابط وتعمق . ولو رجع الأستاذ بولس سلامة الى مراجع دقيقـة في هذا الصدد لأسعفته وحلت عقدة كراهيته للمنطق والرياضيات . فالرياضيات نفسها تتسم بهذا الوضوح الذي لا يقوم على أساس على وانما على أساس التسليم بالمؤدى الواضح للمصادرات والعبارات . واذا شئنا أن نعفي الميتافيزيقا من التناقض والتشتت فلابد أن ننقل اليها روح الرياضيات نفسها خالصة نقية وان نستخدم وضوحها في حل ابواب الفلسفة ومعضلاتها .

وليت الأستاذ بولس سلامة جعل من هذه النظرية اساسا لعرضه جملة النظريات التي قام بتحليلها واوقف جهده على تفسيرها وتقريبها . ولكنه رجل يكره نظريات الرياضـة واقوال المناطقة ويميل الى عدم فقد هذه الجذوة المتقدة التي تشعل وجدانه الادبي . ولكنني قرأت كتب جاستون باشلار ولا اشك في أن الأستاذ بولس سلامة يعرفها جيـدا . وعرفت ان الانسان يستطيع أن يكتب على نحو ما فعل باشـلار في اعقد مشاكل العلم والرياضة والمعرفة مع الابقاء على رونق الروح الشعري واصـالة الاحساس الفلسفي وجراة الوجدان الطليق . ولكن ــ وهذا هو المهم ــ دون ان يفقد الفلسفة كيانها من حيث هي فلسفة .

عبد الفتاح الديدي

التليفزيون



أصبح التليفزيون كجهاز من أجهزة الثقافة ـ يحتل مركزا خطيرا فى مجتمعنا الجديد فقد جذب الناس ببرامجه المتعددة وساعات ارساله الطويلة حتى أصبح من المعتاد أن يحتل الحديث عن برامجه أعمدة طويلة من صحفنا .

وفى المكتبة العربية كتاب جديد بالقراءة كتبه أستاذ جامعى هو الدكتور حسن سعفان وجعل عنوانه « التليفزيون والمجتمع » وقصد به دراسة الآثار الاجتماعية والنفسية للتليفزيون .

الكتاب يحوى ثمانية فصول يتحدث المؤلف خلالها باسهاب وتفصيل ـ معتمدا على نظريات واحصائيات طويلة عن التليفزيون فى بلدان العالم ـ يتحـدث عن كل شىء يتعلق بهذا الوليد الجديد فى حياتنا ، وقد حرص المؤلف على أن يحدد الخط الذى سار فيه فقال فى مقدمة الكتاب « نقـدم هذا الكتاب لقراء لغتنا العربية المجيدة عن الآثار الاجتماعية التى يؤدى اليها انتشار التليفزيون فى المجتمع ذلك أنى وجدت عددا لا بأس به من مؤلفات تعالج موضوع التليفزيون قد انتشرت منذ سنة ونصف فى المكتبات العربية ، ولكنهـا جميعا تعالج موضـــوع التليفزيون من حيث الطريقة التى يعمل بها والأسلوب الذى يجب أن يتبعـه مقتنو التليفزيون أو تشـغيل أجهزتهم أى أن كل المؤلفات التى ظهرت فى المكتبات العربية تعالج موضوع هندسة التليفزيون » .

وما قاله المؤلف صحيح فمكتبتنا العربية تنقصها هذه الدراسات المتعلقة بالنواحى الفنية وطريقة الكتابة الدراسية ودراسة الآثار النفسية التى تنتج عن هذا العملاق الذى بدأ يهـــدد أجهزة الثقافة المختلفة .

وخلال هذه السطور سنحاول عرض أهم ما تضمنته هذه الفصول لنضع بين يدى القارىء الكريم خلاصة لهذا المجهود الواضح الذى قدمه المؤلف فى كتابه .

« الفرد والمجتمع »

يؤكد المؤلف خلال الفصل الأول عند حديثه عن الفرد والمجتمع أن الانسان لا يستطيع أن يعيش الا فى مجتمع من بنى جنسه يتبادل معه الأفكار ، واذا حدث وعاش الانسان منفردا فهى حالات استثنائية مؤقتة مثل المسجون أو الزاهد او المتصوف أو المريض فهؤلاء ينسحبون من الحياة الاجتماعية ، وليس انسحابهم هذا انعزالا عن المجتمع ، فالمجتمع يعيش حيا فى داخل كل انسان ولا يستطيع التخلص منه مهما اصطنع من وسائل ، اذن ليس هناك شخص معزول عن المجتمع ، ثم يحدد المؤلف حقيقة الصلة بين أفراد

والمجتمع

تأليف

الدكتور حسن شحاتة سعفان

الناشر : دار النهضة المصرية
عدد الصفحات ٢١٣ ص ١٧×٢٤ سم
الثمن ٤٠ قرشا

المجتمع فيؤكد ان هذه الصلات قائمة على تبادل الأفكار وهذا التبادل هو الذى يؤدى الى نشأة الأفكار الجديدة وتطوير الأفكار القديمة والى صياغة النظم واخيرا تكوين التراث البشرى فى العلوم والآداب والفنون .

وقبل ان ننتهى من الحديث عن هذا الفصل لنا كلمة حول ما جاء على لسان المؤلف عند مقارنته بين الراديو والتليفزيون فقد قال : « ولكن الراديو يفيد فى نقل المواد البسيطة الموجزة » . وهذا القول لا يتمشى مع ما تقدمه الاذاعة ، فالاذاعة قد جعلت هدفها منذ زمن بعيد الاعلام والتثقيف والترفيه فهى تضع هذه الأهداف خلال برامجها المختلفة وتقدم للمستمع بين ساعات ارسالها الطويلة والتى تبلغ اكثر من مائة وخمسين ساعة فى اليوم مواد لا نستطيع ان نطلق عليها « بسيطة موجزة » ، أضف الى هذا ان الراديو ليس مداه بسيطا داخل نطاق جمهوريتنا بل يتعداه لينطلق عبر القارات .

« مدى انتشار أدوات الاتصال »

هذا هو عنوان الفصل الثانى لكتابنا ويقدم المؤلف فى بداية هذا الفصل صفحتين كاملتين لاحصاء قامت به هيئة اليونسكو سنة ١٩٥٠م عن وسائل التثقيف والتربية فأحصت نسبة عدد النسخ من الصحف التى تصدر فى كل دولة والتى تخص كل الف من السكان فى كل سنة كما أحصت ما يخص كل فرد من ورق الصحف مقدرا بالكيلوجرام ، والمؤلف يعطينا نتيجة هذا الاحصاء الطويل فيقول :

« يلاحظ فى هذا الاحصاء ان المملكة المتحدة واستراليا والسويد والدنمرك والنرويج تتصدر دول العالم فى نسبة ما يخص كل مائة فرد فيها من عدد نسخ الصحف التى توزع بها » .

وقد أجرت نفس المؤسسة احصاء لعدد اجهزة الراديو فى بعض الدول على أساس ما يخص كل الف فرد من سكان كل دولة من أجهزة فوجدت ان السويد والدنمارك والنرويج والمملكة المتحدة تتصدر الدول الأوربية وفق آخر احصاء ، ويختم المؤلف مقارنته بين اجهزة الثقافة الثلاثة (صحف – راديو – تليفزيون) ليؤكد ان التليفزيون فى كل جهات العالم ينتشر بسرعة ضخمة ففى مدة اربع او خمس سنوات (الفترة ما بين ١٩٥٠ – ١٩٥٤) تضاعفت نسبة ما يخص كل مائة شخص من السكان مثلين وثلاثا واحيانا أربعة أمثال وخمسة . وينتهى هذا الفصل باحصائية اخرى يقول فيها المؤلف :

« الولايات المتحدة الأمريكية تتصدر الدول فى نسبة عدد أجهزة التلفزيون وتليها كندا ثم كوبا وبعد ذلك الأرجنتين ثم فرنسا » .

« التلفزيون والتركيب الاجتماعى »

فى هذا الفصل اهتمام كسابقه بالاحصائيات فنجد فى بدايته احصائية تقول : « من البحوث التى اجريت فى الولايات المتحدة وانجلترا اتضح ان التلفزيون كأى سلعة غالية الثمن تنتشر أولا بين الطبقات الموسرة ثم بعد ذلك بين الطبقات الاقل يسارا » كما اتضح أيضا ان نسبة انتشار التلفزيون فى الأوساط الريفية ، وهى مركزة فى المدن الرئيسية وضواحيها ومن يتبين ان الراديو اصبح الآن فى معظم الدول يغطى الأوساط الريفية والحضرية بنسب تكاد تكون متساوية ، اما التليفزيون فالفرق بين نسبة انتشاره فى الوسطين لا يزال جوهريا « وقد أجريت بحوث هامة لتحديد العلاقة بين انتشار التلفزيون والحالة

الشخصية لمقتنى أجهزته فوجد أنه كلما كثر عدد الأولاد كلما كان اقبال الأفراد على شراء جهاز التلفزيون أكبر « ويعلل المؤلف هذه الظاهرة بقوله : « وهذا طبيعى لأن صاحب الأسرة المتعددة الأفراد فى حاجة أكثر لجهاز يسلى به أفراد أسرته من شخص يعيش بمفرده أو مع زوجته ، كما وجد فى أبحاث مماثلة ان مقتنى التلفزيون يكون فى أغلب الأحيان من بين مقتنى السيارات ، كما وجد أن التلفزيون أكثر انتشارا بين العائلات التى تقل سن أولادها عن ١٨ سنة ، وكذلك بين العائلات التى تكون سيدة المنزل فيها شابة أكثر مما تنتشر فى حالة الأسرة التى تكون السيدة فيها مسنة » .

هذه الاحصائيات السابقة اذا حاولنا أن نقارنها بما يحدث فى مجتمعنا نجد أن هناك اختلافا فالأحصائيات فى جمهوريتنا تؤكد أن التليفزيون ينتشر بين الأوساط الاجتماعية المتوسطة الدخل والأقل من المتوسط ولا علاقة لاقتناء السيارات أو سن الأولاد أو سيدة المنزل بانتشار التليفزيون وهذا راجع الى أن التليفزيون قد استطاع فى سنواته القليلة أن يجذب الناس اليه .

وعن برامج التليفزيون وساعات ارساله وجمهوره يتحدث المؤلف خلال صفحات كثيرة خلال الفصل الثالث فيقول : « التليفزيون يخاطب المجتمع فى جملته بما فيه من طبقات وفئات اجتماعية وجماعات مختلفة الميول متباينة المشارب لكل منها ظروفها وعلى ذلك يفتن القائمون على أمر التليفزيون والاذاعة فى رسم برامج بحيث ترضى هذه المشارب المختلفة والمتضاربة أحيانا قدر المستطاع » .

ومن أجل هذا تحاول اللجان المختلفة المشكلة فى التليفزيون والاذاعة دراسة الطبقات الاجتماعية المختلفة والألوان المفضلة لديها ومعرفة ساعات العمل والراحة ومراكز تجمع الناس لتضع ساعات ارسالها بطريقة تضمن معها أكبر عدد من المتلقين للعمل الفنى .

« من مشكلات التليفزيون »

من خلال حديث المؤلف فى هذا الفصل أيضا استطعت ان التقط بعض المشكلات الخاصة بهذا الجهاز نلخصها فى النقط التالية :

١ ــ مقتنى الراديو لديه قدرة على الاستماع الى عدة محطات متباعدة وهذا لا يتوفر للتليفزيون .

٢ ــ برامج الراديو لا تتكلف كثيرا من حيث المال والوقت وهذا راجع الى أن التليفزيون الى جانب الصوت يقدم الصورة التى تحتاج الى مناظر معينة حسب البرنامج المقدم ، وهذه المناظر تتكلف مبالغ ضخمة .

٣ ــ محاولة بعض الكتاب السخرية من فئات أخرى فى المجتمع ففى احصاء أمريكى وجد ان « التمثيليات قد صورت الصحفيين على أنهم مثاليون فى أخلاقهم ، أما العلماء فهم أبعد ما يكونون على الأخلاق المثالية ، وصورت رجال البوليس والموظفين العموميين بشكل يجعلهم محبوبين ويجعل منهم محلا للعطف أما المدرسون فهم يتسمون بالشفقة والنزاهة والعدل » .

هذا الاحصاء يكشف عن اخلاق المجتمع الأمريكى ونحن فى بلادنا نضع فى اعتبارنا ــ اخلاقيات معينة تحتم على الكتاب احترام المهن مهما كانت ضآلتها وتحرم السخرية من الشخصيات وتصب اهتماماتها على النيل من الأوضاع والأفعال الشاذة لا الشخصيات وقد اتيح لى ان أطلع على ما جاء فى المنشور الذى أصدرته الاذاعة للعاملين فيها وهو الخاص باخلاقيات الاذاعة فوجدته دليلا يؤكد أننا نسير فى الطريق الصحيح لبناء الأفراد فى المجتمع الجديد فلا سخرية ولا تعرض ــ كما سبق وقلت ــ الا من الأوضاع الخاطئة الشاذة التى لا تتفق مع خطتنا للسير فى الطريق الصحيح .

٤ ــ وجد ان التليفزيون يفوق ــ فى حجم جمهوره والوقت الذى يقضيه الفرد فى الجلوس امامه ــ اية وسيلة أخرى لأن له أثره مزدوجا فى تمتيع الجالس اليه بالنظر والسمع كما انه أغنى كثيرا من الأفراد عن الاستماع للراديو والذهاب الى السينما وقراءة الكتب والصحف وله أثر ضخم وخطير فى جذب الطلبة نحوه وعدم الاهتمام بدراساتهم واقتطاع جزء من أوقات تحصيلهم لدرسهم للجلوس امامه ، وهذا الموضوع قد شغل المهتمين بأمر التليفزيون عندما تكررت شكاوى الآباء نتيجة خوفهم على مستقبل أولادهم حتى أن البعض قد نادى بعدم فتح الجهاز الا فى أوقات معينة .



« التليفزيون والنواحي الاقتصادية »

فى بداية الفصل الرابع حديث عن الاعلان الناجح فالمؤلف يحدده بانه الاعلان البسيط فى فكرته ومناظره ، البعيد عن التعقيد والتفكك والمحتــوى على اقل ما يمكن من افكار بحيث يستطيع المشاهد ان يلم به باقل قدر ممكن من المجهود ويضيف المؤلف ليحدد صفات الاعلان النــاجح فيقول « يجب ان يتكلم الملعق على الاعلان عن الصنف او السلعة مباشرة بلا لف او دوران او ضياع للوقت ليبين فوائده ومميزاته « وينبه المؤلف الى ضرورة ان يكون الملعق ظاهرا فى هندام جيد موحيا بالثقة فقد دلت التجــارب على أن الاعلان الذى يأتى عن طريق معلن مضحك او ممثل كوميدى او ساخر لا يجعل العميل يثق كثيرا فيه .

ثم يتحدث المؤلف بعد ذلك عن التليفزيون والسينما والواقع انه عندما ظهر التليفزيون ظن البعض انه سيقضى على السينما كما انه سيجعل مســتمعى الاذاعة يهربون اليــه والواقع ان التليفزيون قد استطاع فى بداية عمله ان يؤثر على السينما ولكن الناس ضــاقت بالجلوس المســتمر فى المنزل فعملية الخروج والاختلاط بالناس ، فى حد ذاتها تعد من الناحية الاجتماعية والنفسية نوعا من التسلية والترفيه وتجديد النشاط الذهنى وهى أشياء لا ييسرها التليفزيون مما يجعل الناس الذين لا يخرجون عرضــة للملل والسأم . ولكن ماذا يحدث عندما يدخل التليفزيون فى قرانا المصرية وتضعه الدولة فى الساحات الشعبية وفى الهواء الطلق ؟ هل يقضى نهائيا على السينما كما تصور البعض ايضا ؟ .

الواقع أن التليفزيون ، ذلك الشىء الجديد بالنسبة للذين لم يروه سيخلق اهتماما بالسينما ولن يقضى عليها لأن القروى الذى يشاهد فيلما سينمائيا أو تمثيلية يعرضهــا التليفزيون اكثر من مرة سيسارع بالذهاب الى السينما مهمــا بعدت عنه طلبا للمتعة التى وفرتها له المشاهدة .

« التليفزيون والأسرة »

يحدد المؤلف فى الفصل الخــامس عند الحديث عن التليفزيون والأسرة المراحل الثلاث التى مر بها التليفزيون منذ نشأته حتى انتشاره فيقول : « فى المرحلة الأولى اقتصر استخدامه على الأندية والمقاهى الكبرى وادى هذا الى تكوين مجتمعات صـغيرة تعودت الجلوس على المقهى « ثم يقول المؤلف عن المرحلة الثانية انها بدأت « باقتناء الأسر ذات الدخول ــ الاقتصــادية العالية لأجهزة التليفزيون فلم تعد مشــاهدة التليفزيون مسالة عامة بل أصبحت مســالة خاصة اذ بدأ التليفزيون واتخذ مكانا هاما فى الحياة الداخلية الخاصة للأسرة فهو يحجز أفراد الأسرة فى المنزل لوقت أكبر مما كانوا يقضونه قبل ذلك فى المنزل « أما المرحلة الثالثة فهى الخــاصة بانتشار التليفزيون فى كثير من المناطق « بحيث اصبح اقتناء التليفزيون يشبه فى انتشــاره اقتناء جهاز الراديو وهنا نجد ان مشــاهدة التليفزيون اصبحت مسالة عائلية بحتة لا يشارك اصحاب الأسرة فيها زوارا أو اصدقاء .



وقد أدى التليفزيون الى اقلال أفراد الأسرة من الخروج وهذا بالتالى أدى الى الاقلال من النفقات التى كانت تنفقها الأسرة فى باب التسلية ، كما يرى البعض ان التليفزيون يستخدم كمخدر يخدر الزوجين ويمنعهما من النزاع اذ يشغلهما ومن ثم يجعل كل منهمــا فى شغل عن الآخر فتقوى العلاقات الزوجية وتستمر ، غير ان الكثير من الباحثين يذهبون الى ان التليفزيون يقضى على الجلسات الهادئة التى تتم فى المنزل فى جو عائلى يتجاذب فيها افراد الأسرة الحديث بعضهم مع بعض فهو ينقلهم من هذا الجو العائلى اللطيف الى جو عام لا شخصى » ، والتليفزيون ايضا يغير كثيرا من العادات التى درجت عليهــا الأسرة ويؤدى الى تغيير ساعات النوم والراحة .

« التليفزيون والتربية والتعليم »

يدرس المؤلف خلال الفصل السادس اثر التليفزيون على القراءة والاطلاع ودور التليفزيون فى التعليم والتثقيف فقد أدى الى نقص ساعات

القراءة على العموم غير أن الصحف اليومية « لم تتأثر كثيرا بالتليفزيون فكثير من البحوث قد دل على أن نسبة الوقت المخصص لها لم ينقص عند مشاهدى التليفزيون وان نقص فهو نقص طفيف » ويفسر المؤلف السبب فيقول : « الشخص قد يقرأ الصحيفة فى المنزل أثناء تناول الافطار او حتى فى حجرة نومه قبل الاستعداد للخروج للعمل او فى السيارة وهو ذاهب الى عمله أو فى مكتبه واذا كانت صحف الصباح لم تتأثر لهذا السبب فان صحف المساء قد تأثرت فى عدد قرائها لتعارض وقت قراءتها مع وقت مشاهدة التليفزيون » ومن الآثار النفسية للتليفزيون تعويد المشاهد على السلبية فمشاهدة التليفزيون تتطلب مجهودا ضئيلا إذا قورنت بالمجهود الذى تستلزمه القراءة .

ويختم المؤلف حديثه فى هذا الفصل مؤكدا الدور الخطير الذى يلعبه التليفزيون فى التعليم والتثقيف فيقول : « للتليفزيون فى التعليم والتثقيف والتربية ميزات لا حصر لها وآثار واضحة لا تعرف حدودا ذلك انه ثبت أن التليفزيون ليس الا وسيلة طبيعية للأغراض التعليمية اذ هو يسمح باستخدام وسائل الايضاح والشرح الذى لا يستطيع الراديو توفيره » .

« التليفزيون والنواحى الخلقية والاجرامية »

فى هذا الفصل اهتمام من المؤلف بآراء علماء النفس وكل من تناول موضوع الجريمة وعلاقتها بأجهزة الثقافة المختلفة والمؤلف منذ بداية الفصل يؤكد اثر هذه الأجهزة فى نفوس الناس وعلاقتها الوثيقة بالنواحى الخلقية « فقد ذهب كثير من العلماء الى أن الصحف اليومية عندما تنشر أخبار الجرائم فى اسهاب ، وتبين طريقة حدوثها فى تفاصيلها وكيف ارتكب المجرم جريمته . كل هذا يؤدى بكثير من السذج والبسطاء الى محاكاة الأعمال الاجرامية » .

هذا بالنسبة للصحف ، أما الراديو والتليفزيون « فمن أول يوم نشأ فيه كل منهما قد أثار المخاوف ، فاتهم الراديو بأن بعض الروايات التى تذاع فيه والأغانى قد تكون دافعة للسلوك الاجرامى ومشجعة على فعله » ولكن التليفزيون على وجه خاص قد اتهم بأنه يشكل خطرا أكبر من الخطر الناتج عن السينما فهو « كالسينما يعرض روايات وأفلاما بوليسية أحيانا ويصور الاجرام بصورة جذابة تغرى السذج وتدلهم على وسائل جديدة مبتكرة أحيانا لكى يستطيعوا القيام بجرائمهم دون الوقوع فى قبضة الشرطة ، كما يعرض روايات غرامية تصور فيها المثل التى يتمسك بها المجتمع فى صورة مثيرة تدعو الأفراد للخروج عليها » وواضح أن التليفزيون أخطر فى التأثير من السينما لأنه ينقل اليك العمل الفنى فتشاهده فى سلبية واستسلام تأمين كما أنه أخطر من الراديو لأنه ينقل الصوت والصورة بما فيها من حركات وسكنات .

والواقع أن عرض الجريمة فى التليفزيون لا ضرر منه اذا حرصنا على أن نلتزم بمبدأ عدم تحبيذ الجريمة فالمؤلف الذى يضع كثير من الحيل التى يلجأ اليها المجرم ويصوره فى بطولة نادرة وأعمال خارقة ثم يكتفى فى الدقائق الأخيرة بانزال اشد العقاب عليه لا يكون قد التزم بهذا المبدأ وانما أثر بطريقة خاطئة فى عقول ذوى النفوس الضعيفة وخاصة الأطفال ، ونحن نستطيع مثلا أن نعلم الأطفال أن الأعمال العدوانية مباحة فى ظروف معينة كما فى حالة الحرب ويمكن أيضا أن نضع فى اعتبارنا أن الأعمال العدوانية لا مبرر لها اذا كانت ضد أفراد المجتمع الذى نعيش فيه، كما يحسن دائما أن نبرز الجريمة والدوافع اليها وأسبابها حتى نقنع المشاهد بشخصية المجرم الشاذة وتنفره منها .

ويتعرض المؤلف فى نهاية هذا الفصل لقانون الانتاج السينمائى فى الولايات المتحدة وهى قواعد تنطبق على التليفزيون مثل الجرائم التى ترتكب ضد القانون ويحذر بأن تعرض بشكل لا يوحى الى الآخرين بمحاكاتها ، ويحذر أيضا ـ عند حديثه عن الجنس ـ من التعرض لقدسية نظام الزواج وتكوين الأسرة كما يدعو الكتاب عند الكلام عن التعبير الى ضرورة الابتعاد عن الألفاظ التى تجافى الأخلاق ، وينبه عند الحديث عن الملابس الى ضرورة عدم الكشف عن أجزاء كبيرة من الجسم كما ينبه أيضا فى مسائل الدين الى عدم السخرية من أى معتقد دينى ، ويختم الحديث عن هذه القواعد بتحذير الكتاب من الموضوعات المنفرة مثل الشنق او المناظر الوحشية التى تنطوى على قسوة بالغة .

وفى ختام هذه السطور التى قدمنا فيها هذا الكتاب لا يسعنا الا أن نقدم التهنئة للمؤلف على هذا المجهود الواضح والاهتمام البالغ لهذا الموضوع الذى تفتقر اليه مكتبتنا العربية ، فقد سعدت بقراءة الكتاب لأنه أضاف الكثير الى معلوماتى العامة والخاصة .

صبحى دياب



القلبُ الكبيرُ

تأليف: عبد العزيز السعداوي

الناشر: الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس

عدد الصفحات ٩٦ صفحة ١٧×٢٤ سم

ضعف الانسان أمام مصيره وخبرته أمام ضربات القدر تتوالى فى عنف وقسوة افكار كانت ولا تزال نبعا فياضا يستقى منه الكتاب مادة لقصصهم ومسرحياتهم غير أن الكتاب فى هذا الصدد ينقسمون فريقين منهم من يرى الحياة مظلمة تماما ليس فى ليلها شعاع ضياء .. ومنهم من يؤمن ببزوغ فجر الأمل مهما تكاثفت الظلمة وطال الانتظار .

الفريق الأول من الكتاب ينظر الى الحياة ساخرة لاهية عابثة .. والفريق الثانى ينظر اليها نظرة جادة عميقة .. يؤمن بعنصر المأساة كجزء لا يتجزأ من طبيعة الوجود الانسانى ويؤمن معه ايضا بانتصار الأمل وانتصار الحياة ..

وقد كنت اتساءل وانا اتابع فى شوق ولهفة احداث قصة « القلب الكبير » وارى مؤلفها الأديب التونسى الاستاذ عبد العزيز السعداوى

ينزل ضربات القدر ببطل روايته « ضربة اثر ضربة » .. كنت اتساءل كيف ستكون خاتمة المطاف والى اى الفريقين من الكتاب ينتمى المؤلف حتى كانت الصفحات الثلاث الأخيرة من الرواية فاذا الأديب ينحاز فجأة الى الفريق الثانى . من الكتاب ويفتح أمام البطل نافذة الأمل فى حياة سعيدة قد لا تكون خالصة السعادة لكنها على اية حال ليست خالصة الشقاء .

اختار الأستاذ السعداوى لبطولة روايته شخصية من صميم المجتمع التونسى .. رجل وهب نفسه لفعل الخير حتى سمى « همام الخير » ومن خلال عرضه لشخصية البطل يعرض جانبا من الأحداث التى مرت بالمجتمع التونسى خلال الفترة من (٤٣ الى ١٩٥٦) وهى فترة من احرج الفترات التى مرت بحياة الأمة التونسية .

وقد عمد المؤلف الى تقسيم روايته الى اثنى عشر فصلا أو « لوحة » على حد تعبيره وجعل لكل لوحة عنوانا مستقلا بذاته ولعله عمد الى ذلك ايمانا منه بأن كل لوحة تحمل فى ثناياها عناصر قصة قصيرة متكاملة وهو ما يصدق على بعض اللوحات دون البعض الآخر .

ومن خلال اللوحة الأولى « انسان » يعرض المؤلف شخصية « همام » فتعرف انه رجل اوتى بسطة فى المال والجاه وجبل على ايمان فطرى وكان يعمل فى الحقلين الادارى والاجتماعى فيسعى الى اسعاد الناس بكل ما أوتى من جهد ويقدر ما كانت تعطيه الأرض من خيراتها بقدر ما كان يعطى الناس من هذه الخيرات ..

وذات يوم من شتاء ١٩٤٣ تصبح البلدة فى غمرة من الأسى والجزع لا عهد لها به فقد نزلت بالناس مصيبة الحمى الراجعة الخبيثة وساعد على انتشارها حالة الحرب القائمة اذ ذاك فى شمال افريقيا بين الفريقين المتحاربين ولم يصب احد من أسرة همام بهذه الحمى سوى والده العجوز الذى قضى نحبه متأثرا بمرضه .

ويبلى الرجل فى هذه المحنة البلاء الحسن فيواسى جميع من مسهم الضر ويذهب فى ذلك الى حد المجازفة غير هياب ولا وجل وغير آبه لخطر العدوى ويعزو حصانته ضد العدوى أو يعزوها المؤلف الى (يقين راسخ فى خلده بأن له قلبا فياضا بالحيوية مليئا بالايمان الخالص بأن القيم الروحية اذا اقترنت بطرف من المقومات المادية الواقية كانت كفيلة بأن توفر للمرء رصيدا طيبا من القوى يرد به عن نفسه بعض غوائل الحدثان) .

وفى اللوحة الثانية (الامتحان) يتأسى « همام » عن فقد والده بمضاعفة عمل الخير والاسراع فى نجدة الناس واسعافهم وتتعرض البلدة لغارة جوية من احد الفريقين المتحاربين وتسقط القنابل تزرع الدمار وتحصد الأرواح وتأبى على همام نزعته الانسانية الفذة الا ان يختار تلك الساعة الرهيبة بذاتها للخروج الى انقاذ الرسالة التى كتبها على نفسه فيعمد مسرعا الى ايداع زوجه واطفالهما السبعة دهليزا محصنا اقامه لهذا الغرض .. ويجوس خلال الديار والطرقات يواسى الناس ويحسن اليهم .

وذات ليلة وفى اعقاب احدى الغارات يلتقى بعجوز غريبة عن البلدة تنصحه بالعودة الى اهله ليتعهدهم بالرعاية فيعرض عنها ويستنكر الناس دعوتها ويزداد الحاحها واصراره على موقفه فتقول له فى اسى (ان للقدر غفلة يا ابنى يا همام يختلط فيها مصير المؤمن الحر بمصير من لا يعرف قلبه طعم الايمان ..) ولم تكد تتم كلامها حتى زلزلت الأرض زلزالها وانتشر فى الجو دخان قذر بهت له الناس اما المرأة فصرخت وانطلقت تعدو وبعد قليل أتاه من يقول له انها دارك يا همام الخير ويبحث عن المرأة فلا يجدها ويتوجه الى داره بين مصدق ومكذب يراوده بعض الأمل فى نجاة أهله ولكنه ما يكاد يصل الى الدهليز وينقشع الغبار عنه حتى يتبين له أن أعمدته العتيدة التى صبت من الأسمنت أصبحت حطاما تشابكت قضبانها وانهارت على ساكنى الدهليز فدكت ضلوعهم جميعا .

وفى اللوحة الثالثة « قضاء » يقضى همام عامين على هامش حياة الناس الصاخبة لا يذكره فيهما الا الساعون اليه بحاجاتهم ويضطلع حماد شقيقه بادارة شئونه فيحسن الادارة وان كان يقتصد فى الانفاق .. ويستدرج حماد شقيقه

للزواج ، فيتزوج همام من مريم وينجب منها بكرا ويموت قبل العام ويموت من بعده ستة آخرون ثم تصبح مريم عقيما .

ويعتزل همام الناس ويكتفى برعاية «محمد» ابن أخيه حماد .

وفى اللوحة الرابعة « حماد الغالى » يخرج حماد ذات أمسية من أمسيات الصيف الى واحدة من ضيعات أخيه يحمل الى فلاحيها عربة مشحونة بما يحتاجون اليه من مأكل وملبس بمناسبة العيد وترعد السماء وتمطر فيتوقف عن المسير ويقبع فى غرفة القيادة وينصرف ذهنه الى التفكير فيما لحق أخاه من كوارث وتهدأ العاصفة ويتوقف المطر فجاة .. وتتحرك العربة وئيدا يبصر على بعد ميل وعند سفح الجبل مضارب الفلاحين يهرع اليه منها الأطفال يتغنون .

(حماد جانا يا بويا حماد جانا يا بويا حماد جانا يا سعدنا يا هنانا) .

وبينما حماد يقترب بالعربة من سفح الجبل وهو سابح فى أفكاره ويتصور لقاء الأطفال له تندفع العربة بكامل طاقتها فى سهل كالوادى تجر حملها جرا ثقيلا وومض البرق وأرعد الرعد وخيم سكون قاتم ثقيل ولم تخرج العربة من الوادى ولم يخرج حماد من العربة .

واندفع الأطفال نحو العربة يحيون حماد ولكنهم فوجئوا به جثة هامدة يبست يداها على قضبان المقود .

وفى اللوحة الخامسة (الفرار) يتخذ همام قرار خطيرا يكون له بالغ الأثر فى حياته وفى سير الأحداث فى القصة فيحبس ماله اى يقفه بهذه الصيغة العجيبة .. (حبست وابدت جميع ما أملك على ابنى وابن أخى هذا الذى تعرفون



محمدا وعلى من ينجب له الولد ذكورا دون الاناث اللاتى لهن منه الطعام والكساء ما لم يتزوجن فاذا طلقت احداهن وهى بنت حاجة عادت اليها منحتها وعند انقطاع كل مستحق بذلك الوجه ينتقل الى منتهى مصيره فلبيت الله بهذا البلد الثلث ولمساكين البلد الثلث برعاية من يكون اماما ولبيت الله الحرام الثلث ..) .

ويبهت أهل البلدة ويعارضه العدلان اللذان كانا يوثقان حجة الموقف .. من بعدك يا همام اتنسى نفسك هكذا .. ان فى الأمر اعسارا يحسن تحاشيه ..

غير أن هماما وقد سكن قلبه يأس مرير يجيب (لم يبق فى القلب مجال لصبر ولا فى العمر مجال لطمع يا جماعة) .

وانبثق صوت امرأة من بين الحاضرين (وما يدريك أن الصبر والأمل فات اوانهما يا ابنى .. فانما المؤمن الصادق من اذا أحسن أو أساء بدا بنفسه ..) ويقفز همام ويبحث عنها صائحا (يا خاله يا خاله) فلا يجدها ويعود الى مجلسه ويقول للعدلين (الحق معكما .. رفعت عن نفسى الاعسار واقحمت نفسى وما قد ينجب لى من الذكور ، وحكم الاناث لمثيلاتهن فيما ذكرت واكتبا هبة حالة من عين أموالى كيف وكيف قطعتها لابنى محمد) ويعلن بعد ذلك أنه سيزوج محمدا هذا (ابن أخيه) بعد مرور الأربعين ..

وفى اللوحة السادسة (نفوس) يتزوج محمد بعد مرور الأربعين على وفاة والده ويقيم له همام الأفراح سبع ليال متوالية ويترك له بعد ذلك إدارة املاكه ليفرغ ثقته فيه ويظهر على فاطمة زوجة محمد آثار الحمل فيطرب لذلك همام ويعده بسيارة ان كان المولود ذكرا وتطرب فاطمة وأهلها لهذا الوعد وتتميز مريم وأهلها غيظا ويأتى فاطمة المخاض فيتمنى كل فريق عكس ما يتمناه الآخر .. يتم الوضع وتلد فاطمة بنتين توأمتين فتغتم لذلك .

أما مريم وأهلها فيكادون يطيرون فرحا ويقدمون التهنئة فى سخرية لاذعة « بالبركة البنتين يا همام .. العاقبة لغيرهم يا فاطمة .. »

ويحس همام بوقع الشماتة والسخرية على فاطمة وأهلها وهم لا ذنب لهم فيما أتت به المقادير فيصحب محمدا الى المدينة يشترى له سيارة يعودان بها الى البلدة محملة بالهدايا لفاطمة وأهلها ويستضيف أهلها أربعين يوما .

وفى اللوحة السابعة « أرق » تصوير لنفسية الأنثى « مريم » التى تخشى انصراف زوجها عنها بعد أن أصبحت عقيما وتفاجأ مريم بوالدتها تدفع اليها لفافة تحوى مسحوقا غير مألوف لديها وتطلب منها أن تمزجه بما اعتاد زوجها تناوله من شراب .

وتأخذ « مريم » الهواجس .. هل يحوى المسحوق مادة ضارة .. انها تشفق على زوجها من أن يصيبه ضرر من ذلك المسحوق .. لكنها تتذكر أن والدتها أخبرتها انه لا تثريب عليها هى نفسها ان شاركت زوجها فيما يتناوله من شراب دفعا للريب والشبهات .. كما أنها تعرف أن والدتها امرأة طيبة القلب .

ويخفت صوت الهواجس ويحل محله نوع من الاطمئنان الوقتى .

وفى اللوحة الثامنة « قدر » يخرج محمد وهمام وصديق لهما فى رحلة بالسيارة الى المدينة وبينما السيارة مسرعة فى طريقها يقودها محمد فاذا بها تنقلب رأسا على عقب فى الصحراء وينجو همام وصديقه ويبحثان عن محمد فيجد انه يلفظ أنفاسه الأخيرة ليبكيه همام ما شاء له البكاء ويبكيه معه أهل البيت فى صدق واخلاص حتى مريم ثم يعتزل الناس ويصوم عن الأكل الا لماما ..

وفى اللوحة التاسعة « حذر فات أوانه » يدخل همام الى « بيت المؤن » بمنزله فيجده خاويا ويعجب لذلك أشد العجب ويتوجه الى منزل أهل مريم يتظاهر بالعطف عليهم ويبدى لهم حاجته الى المقام بينهم بعد أن سئم المقام فى بيته ويستبشر القوم بذلك ويعرضون عليه أجمل الأماكن وأرحبها لكنه يعرض عن ذلك كله وأبى الا أن يقيم بأصغر البيوت وأحقرها وتحاول أم مريم اثناءه عن عزمه فهذا هو بيت المؤن .. لكنه يلح ويصر فلا يملك الا الاستجابة لرغبته



ويجوس همام خلال المخزن ويقول لوالدة مريم (يا والله خيرات يا أم مريم كل شيء فى بيتك مثل ما فى بيتي .. اللى عندى عندك بالتمام والقلب على القلب .. ماكذبش اللى قالها » ويكتم همام غيظه ويتوجه الى حيث تقيم أم مريم وهناك يتخذ له متكئا ويتناول قدحا من القهوة ثم يتظاهر بأنه استغرق فى نوم عميق وهو يراقبها من طرف خفى فيراها تخرج من خزائنها صرة ووعاء من القصدير ويفاجئها وهى تتسلل بهما فيناديها ويأخذ منها الصرة فيجد بها مصاغ مريم وبعض مصاغ فاطمة ويجد داخل الوعاء ما لا عهد لمريم وأهلها باقتناء مثله ويحاورها وتراوغه وتزعم له أن هذه أمانات تحتفظ بها فيسخر منها ويغادر المنزل ويتوجه الى بيت فاطمة وهناك يطلب من مريم أن تعد له قدحا من الشاى ويكلف فاطمة بمراقبتها خلسة فتلحظها وهى تضيف المسحوق الى قدح زوجها فتسر الى همام هذا النبأ الهام ويتناول همام قدح الشاى من يد زوجته ويقول لها ساخرا انه اشتاق لقطرة من المسك تسكب على الشاى فتخبره بأن قلبها قد حدثها بذلك فأضافت بعض المسك الى قدحه وان اراد المزيد فلديها بقية كان قد أحضرتها لها والدتها من زمن ..

ويمسك همام القدح ويرفعه الى أعلى ويشم الشاى فلا يجد أثرا للمسك به ويعالج بقية المسحوق فلا يستطيع اذابته .. ويتذكر فجأة كيف أن هذا الأمر قد تكرر قبل ذلك مرات ولكنه لم يعره بالا لفرط ثقته فى زوجته .. وتقسم مريم بأغلظ الايمان انه مسك .. فيسألها

عن حليها فتقسم أيضا أنها فى خزانتها وتذهب لاحضارها فلا تعثر لها على أثر وكذلك الحال بالنسبة لفاطمة وتبكى المرأتان ويدور حديث صاخب بين همام وزوجته تدخل على أثره أمها تحمل المصاغ والنقــود ويتناول همام الصرة فيستل منها مصاغ فاطمة ويعطيها اياه ويدفع بباقى المصاغ والمال الى ام مريم .. (واطلقت هذه زغاريد الغيظ والجزع وصــعقت مريم فتسمرت فى مكانها واجمة وكان الطلاق) .

وفى اللوحة العاشرة « حديث اليوم » تثوب مريم الى رشدها لتدرك مدى الهاوية التى ألقت بها فى لجتها هواجسها وأطماع والدتها وبدأ لومها يتساقط على والدتها ولكن المراة العجوز تتقبل لومها وعتابها فى رفق وتذكرها بما غنماه من مصاغ وأموال فتشتاط مريم غضبا لدى سماعها حديث المال والمصاغ وتتساءل أليس لوجودها فى دارها ومع زوجها أية قيمة فتجيبها أمها بأن الرجال كثيرون فلا تملك مريم الا التحسر على همام الزوج الذى لا يعوض وتعــود الأم الى الحديث المعسول فتطمئن ابنتها بأن همــاما سيعود اليها لا محالة والمسحوق الذى تعاطاه كفيل بذلك فقد تضمن مزيجا من أشياء عديدة من بينها دم البومة .

وفى اللوحة الحادية عشرة (مصرع الايمان) يفكر همام فى مصير الحبس (الوقف) من بعده وماذا يكون مصير فاطمة وتواميها ويتجه بكل جهوده الى حل الوقف أو تعديل شروطه بحيث يكون لفاطمة وبنتيها من بعده ما يقيهن غوائل الزمن وبعد وساطات وشفاعات يتلقى اشــعارا رسميا بأن طلبه ادرج فى سجلات « المعاريض السامية » ويتلقفه الوسطاء والزبانية ويسر اليه أحدهم اذ أن اجابته الى طلبه تكلفه « مليونين » ويفهم من ذلك أن عليه أن يقدم رشوة مليونين من الفرنكات حتى يصل الى مبتغاه ويكتشف بعد ذلك أن هؤلاء الوسطاء نصابون وان الوقف لم يكن ليجوز حله أو تعديل شروطه مهما أجــزل العطاء لأصحاب النفوذ والوسطاء ويحزن همام ويبتئس لكن حزنه يزداد ويشتد عندما تأتى نتيجة الكشف الطبى عليه مؤكدة أنه لن يستطيع انجاب الأولاد بعد اليوم .

وفى اللوحة الثانية عشرة والأخيرة « قلب كبير» يلتقى أصدقاء همام وعارفو فضله ويتساءلون (من عجب الدنيا أن انسانا كهذا يحيا فيها الآن ومن نكد الدنيا نصيبه منها على هذا الوجه الأليم ، أفلا يكون من حقه الذى يعذر فيه أن تنطلق جوانحه بملء طاقتها المصهورة من الأسى والجزع فتحكى للسماء شدة القضاء بما يجر من يأس وقنوط وقساوة القدر بما يخلف من فشــل وملل ؟) .

وعندما يئس الناس جميعا من صلاح أمر همام أخذت الأزمة تنفرج والظلمة تنقشع فيتمائل للشفاء من علته التى أسندها الى مساحيق ام مريم بحق أو بغير حق ويعود اليه الأمل فى انجاب الأولاد ويجاهد حتى يكون ثروة جديدة يخص بها فاطمة وبنتيها ثم تصدر القوانين فى ظل الاستقلال بحل الأوقاف ويطلع همام على أصدقائه هاشا باشا يردد « سبحانك يا رب سبحانك .. اذا راحت راحت كلها غير الصبر واذا هبت كلها بخيرها وخميرها يا جماعة هيا تفضلوا شرفونا على بركة الله) .

ولا اكتم المؤلف القول أن اصراره على تقسيم روايته الى اثنتى عشرة لوحة على هذا النحو لكى تكون كل لوحة بمثابة أقصوصة مستقلة قد قطع أوصال الرواية وجعل عنصر الأحداث يطغى على غيره من العناصر وعلى الأخص التحليل والوصف فباستثناء تسجيل بعض الخــواطر التى كانت تدور بذهن همام وزوجته مريم ووالدتها فى بعض المواقف الحرجة وعلى الأخص عند توقيع الطلاق وبعده تكاد القصة تكون خالية تماما من عنصر التحليل وقد كان أمام المؤلف متسع والقصـة زاخرة بالمواقف الانسانية أن يعمد الى الشخصيات الرئيسية فى الرواية ويلقى عليها الضوء من خلال النفاذ الى أعماقها وتصوير انطباعاتها وانفعالاتها فى المواقف المختلفة .



وقد كانت لدى المؤلف فرصة ذهبية لوصف الريف التونسي والضياع والمنازل التى دارت فى رحابها أحداث القصة كما كانت لديه ذات الفرصة فى الأجزاء الأولى لتصوير حال الدمار الذى أصاب البلدة نتيجة قذفها بقنابل الطائرات وانتشار الحمى فيها .. ولكن يبدو ان احداث القصة المتلاحقة فى عنف وقسوة قد شغلته عن كل ما عداها فآثر أن يصرف جهده الى ترتيبها وتنسيقها واختيار التوقيت الزمنى لها ..

واذا كان المؤلف قد عمد الى استخدام اللغة التونسية الدارجة فى الحوار بل وفى صلب السرد احيانا مما انقص كثيرا من قيمة القصة الفنية ظنا منه ان هذه القصة لن يطالعها الا ابناء بلده وأبناء عمومته فى الشمال الافريقى ، فاننى أعتقد أن الاقبال على مطالعة كتابات أدباء شمال أفريقيا بعد أن تكسرت الحواجز وأزيلت السدود بين المشرق والمغرب العربى سيجعل المؤلف ومن ينهج نهجه من زملائه يعيدون النظر فى موقفهم من هذه القضية من قضايا الأدب القصصى .

غير أننى أبادر الى القول بأن هذه الرواية تنم عن موهبة متفتحة فى كتابة القصة فالمؤلف يتمتع بخيال خصب وشخصية البطل « همام » رسمت بعناية وقد استطاع المؤلف ان يعرض من خلال احداث القصة بعض المشكلات الاجتماعية التى يعانى منها مجتمعنا العربى مثل مشكلة الحماة التى تحطم سعادة ابنتها من فرط جشعها وغيرتها ومشكلة الأوقاف التى كانت تقف عقبة فى سبيل حسن الاستفادة من الأموال ويترتب عليها حرمان طائفة وتمييز اخرى من الاقارب والمستحقين دون مسوغ من العقل أو الشرع .. الخ .

وثمة شخصية فى القصة تستدعى التأمل وتثير الانتباه وهى شخصية العجوز التى تظهر فجأة فى الأوقات العصيبة تحذر هماما وتنصحه وما تكاد تلقى بنصيحتها حتى تذوب بين الجموع ويطلبها فلا يعثر لها على أثر تظهر له أثناء الغارة والطائرات تدك المدينة دكا فتنصحه بالعودة الى اهله وذويه يرعى مصالحهم وبعد ذلك بقليل تقع الواقعة ويدفن أهله تحت الأنقاض وتظهر له ثانية عندما عزم على وقف كل أمواله زهدا فى الحياة وفرارا منها فتحاول اثناءه عن عزمه .

شخصية هذه المرأة أشبه بالشخصيات الأسطورية ولعل المؤلف قد أراد أن يرمز بها الى « فعل الخير » الذى يسعى على الأرض ويحذر صاحبه من التهلكة ويرشده الى الصواب .

غير ان القيمة الكبيرة لهذا العمل الفنى تكمن فى انه يثير قضية انسانية هامة هى هل يفر الانسان من الحياة ويضعف امام ضربات قدره أم تظل جذوة الكفاح متقدة فى اعماقه حتى آخر لحظة من لحظات حياته .

شخصية همام رمز لشخصية المواطن العربى المسالم الطيب القلب يهب الانسانية كل ما يعمر به قلبه من محبة واخلاص يزرع الخير أنى ذهب وحيثما رحل ومع ذلك فان الحياة تقسو عليه مرارا وتنزل ضرباتها به تباعا يختطف الموت أقرب الناس اليه شيبا وشبانا وأطفالا وتشتد محنته فيجد نفسه عقيما واغلال الوقف تكبل يديه فتأخذ شعلة الأمل التى ظلت تضىء فى نفسه السنين الطوال تخبو وتذبل ولكنها مع ذلك لم تنطفىء أبدا .

لم يستسلم همام ولم يفر من الحياة التمس الدواء لعقمه فوجده والتمس الرزق يخص به فاطمة وبنتيها من بعده وجاهد فى سبيل ذلك الرزق فأتاه رغدا من كل مكان ويبتسم القدر لهم جميعا فتحل الأوقاف ويعود المال كله الى صاحبه ..

وبذلك انتصر الأمل وانتصرت الحياة ..

فوزى عبد القادر الميلادى

عالـــم النحـــل

نص

تأليف
جلبـرت نيـكسون
ترجمة : الدكتور على المرسى
مراجعة : الدكتور عبد الخالق وفا

« وأوحى ربك الى النحل ان أتخذى من »
« الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . »
« ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك »
« ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه »
« فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقـــوم »
« يتفكرون » . سورة النحل .

خلق الله هذه الكائنات وجعل الطبيعة المعلم الأول لها ، واذا كان الانسان قد تدرج معها الى حياته الحاضرة واستفاد بتقدم المدنية ، فان سائر الكائنات من حيوان وهوام تعيش فى بيئتها على الفطرة وفق نظام دقيق لا تحيد عنه .

والنحل من الحشرات التى وهبتها الطبيعة نظامها الخاص الذى نستطيع ان نقول انه مثـال للاشتراكية الصحيحة ، فعالمها يتكون من الملكة فالذكور فالعاملين ، واذا قارناها ـ مع القياس فى القانون الدولى نرى أنها تمثل الرئيس فالوزراء فالشعب بلا فارق أو تمييز .



والنحل نوع من الزنابير ، جسمه زغبى أميل للسمرة ، وهو يوجد فى كل جهة من أقطار العالم ، وقد يعيش منطلقا فى أعالى الأشجار أو يربى فى خليات صناعية للحصول على عسله الذى يجنيه من رحيق الأزهار ، ويدخره لنفسه وصغاره .

وللنحل فى حياته نظام عجيب ، فهو يعيش آليا بروح اجتماعية تدعو للدهشة ، فالطبقـــة العاملة أى الشعب تقوم بأعمال المملكة كلها من بناء المساكن وحراستها وجنى العسل وتخزينه ومقاتلة المعتدين ، ووظيفـة الذكور هى تلقيح الملكات ، ووظيفـة الملكات هى وضـــع البيض والمحافظة على النوع .

ومتى ارادت جماعة من النحل ان تكون لها مملكة اى خلية ، اجتمع منها عدة الوف وعينت لها ملكة ، واخذت فى اقامة خليتها ، فبعضها يبنى والآخر يقوم بتمليس الجدران ، وفريق

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربى ٢١٤ ص ١٧×٢٤سم

يتولى سداد ما يحدث من ثقوب فى الجدران بحيث تكون الخلية بعد انتهائها محكمة البناء .

وتبنى المساكن من الشمع ، وهو مادة يخرجها النحل على هيئة دموع من كيسين موجودين على سطح البطن للحلقات النصفية فتخرج على هيئة افرازات ، ثم يشترك العمال فى وضعها على أشكال سداسية ، يكون فى بعضها البيض الذى تضعه الملكة ، وفى البعض الآخر يختزن العسل المخبى .

والغريب أن الأنثى لا تضل طريقها الى مساكنها المعدة للبيض ، ويتولى العمال صيانة هذا البيض حتى يفقس فى فصل الربيع ، حيث تخرج الصغار متى اكتمل نموها من مساكنها المسدودة بغطاء رقيق اشبه بنسيج حريرى ، وذلك فى مدى اثنى عشر يوما ، فاذا ما خرجت وازاحت الأغطية اخذ العمال فى تنظيف أماكنها لتكون صالحة لاستقبال بيض جديد .

والكتاب الذى بين أيدينا من الكتب العلمية عن «عالم النحل» وهو يحتوى على ثلاثة وعشرين فصلا ، أولها عن « ما هى النحلة ، وأنواعها ، وتكوينها ، واعشاش النحل ، والمادة التى تصنع منها ، وطبائع النحل ، والنحل البناء والمليس ، وقارض أوراق النباتات ، وينتهى الى النحل كمنتج للعسل ، وكيفية دراسة النحل .

ومؤلف الكتاب أولع بدراسة النحل منذ صباه ، وكان يطاردها بين أشجار الكرز العتيقة، وكما يقول : ان أول واكبر نحلة طنانة أسرها طول حياتها ، واحتفظ بها فى كأس مقلوب ، ثم تابع النحلة الحمراء فالسوداء ، ونشأ وثيق المعرفة بنحلة العسل ، ولو انه لسبب غامض لم يكن ليهتم بها بالقدر الذى أحب به اترابها البرية .

ومما يذكره : ان للنحل بعض الأقرباء تقع معه فى الفصيلة الكبيرة ، وهى أكثر قربا له من البعض الآخر ، وهى الزنابير والنمل ، فهى تحيا تمام حياة النحل فى مملكته .

كما يذكر من دراسته : انه ليس لدى أحد حتى الآن اية فكرة عن عدد انواع النحل المختلفة الموجودة فى العالم ، وفى كل عام تكتشف انواع جديدة ، ويعطى كل منها اسما علميا .. ومع ذلك فكلها يطابق مستوى معينا من التصنيف ، فلجميعها الصفات الأساسية المشتركة التى تجعلها جميعا من النحل .

ومعظم أنواع النحل فى العالم هى من النوع الانفرادى ، وهذا يعنى أن انثى واحدة تنفرد بالمسئولية الكاملة لعمل العش لعائلتها ، وجمع الطعام الذى تحتاج اليه لنموها ، وكل هذا تقوم به بمفردها تماما .

وحيث يكون النحل بريا فانه يعشش فى الأشجار الخاوية ، وعادة فى الأماكن العالية ، بعيدا عن متناول الأعداء من الثدييات ، ومع هذا فلا يزال هناك تحديد لحياته ، فهناك من الظروف ما يستدعى أن يستعمل النحل آلة لسعه دون هوادة ، لأن النحل بشكل من الأشكال عدو لنفس نوعه ، فمخازن العسل التى حملتها طائفة ، يحسدها نحل طائفة اخرى ، ولو لم يذد عنها أصحابها الشرعيون الذين جمعوها بعد طول أناة ، لتجمهرت الشغالة الغريبة عليها ، ولنهبت عسله ودار قتال عنيف .

وفى معرض آخر يذكر مؤلف الكتاب : اننا حين نتطرق الى الحديث عن التنظيمات العائلية للحشرات ، فاننا نلاحظ بكل تأكيد ان الآباء لا تهتم كثيرا بصالح نسلها ، وفيما عدا شواذ قليلة ملحوظة فان الاعداد للجيل الثانى عمل عرضى لا يحتاج من الذكر الى أكثر من لحظة وجيزة لأداء واجبه فى اللقاح ، ويتطلب من الأنثى ببساطة ان تختار مكانا ملائما لبيضها ، فعلى سبيل المثال يضع ابو دقيق والفراشات بيضها على نبات تجده يرقات المستقبل صالحا للأكل ، والخنافس والذباب ثنائى الأجنحة تبحث بالضبط عن أماكن تهيىء لبيضها احسن ظروف المعيشة ، وفيما عدا ذلك لا تتدخل هذه الحشرات فى مستقبل صغارها ، وما دامت الاناث قد وضعت بيضها فانها تموت دون أى اعتبار لشىء آخر ، اما سلامة نسلها فتترك للظروف ، وهناك بالطبع استثناءات لا بد منها ، فابرة العجوز تبقى كتلة بيضها ، وتعيش فيها بعد ونسلها الصغير حولها ، ثم هناك الأنواع المتعددة من الجعل

المقدس التى وصف (فابر) طبائعها وصفا على قدر كبير من الجودة ، ففى بعض الأنواع يساهم كل من الأبوين فى اعداد مســكن تحت الأرض لصغارهما (الصح لصغاره) ويمونانه بكرات من الروث ، وفى أنواع أخرى تبقى الأنثى بجانب صغارها حتى يكتمل نموها .

والأمر يختلف مع النحل والنمل والزنابير ، ولن أقول أنها تبدى اهتماما بمصير صغارها أكثر من الحشرات الأخــرى ، فاضفى عليها بذلك طابعا انسانيا بالطريقة التى أحاول بها تأويل سلوكها ، ولو اننى فى نفس الوقت سأدفع بوجهة نظر قد يكون من الصعب مع ذلك الدفاع عنها ، فالذى يرتفع بالنحل والنمل والزنابير كثيرا فوق مستوى الحشرات الأخرى ، هو أن اضطلاعها بمسئولية العمال على صالح صغارها يمتد كثيرا الى أبعد من مجرد وضع البيض فى مكان كثيرا ما يكون أشد ملاءمة لنموها فى المستقبل .

فاذا كان هناك ما يروقنا فى النحل بوجه خاص ، فهو قدرته على التصنيع ، ونظرا لأن هذه خاصية تكبرها فى أنفسنا ، فقد اكتسب النحل تقديرنا بمزاولتها أيضا .

ويحتمل أن يكون هذا التفكير جديا ، غير أن الأنثى فقط هى التى تلقى اعجابنا فعلا ، ذلك لأنه لا يمكن أن ننظر الى رفيقهـــا بحـــال من الأحوال على أنه انموذج للعمل الدائب ، فهـو يهب حياته بحثا عن المتعة كنوع من النطاط ، ويقضى وقته متنقلا من مكان الى آخر دون تدقيق أو مسئوليات .

والأنثى على النقيض من ذلك مدهشة ، فهى ممثلة للغالبية من نوعها ، تبنى مسكنا ، ولا تجد أو تحمل أو تبحث عما يشبع حياتها المزدحمـة غير اداء واجبـــات الأمومة ، فليس هناك اذن ما يدعو للدهشة ولا للتفكير فى النحل بهذه العاطفة بخلاف الحشرات الأخرى ، فمن ذا الذى يتراجع أو يخاف عند رؤية ملكة نحل طنان كبيرة تعمل فى أحراش زهور شجيرات الفراولة المرة والريباس فى وقت الربيع ؟ ووراء انتقالهـــا السريع من نورة الى أخرى ، يبدو أن هناك معنى أو غرضا ، وهـو نوع من التمييز الغـــامض الذى يمس وترا حساسا من نفوسنا ، بحيث نراقب النحلة المنهمكة الساذجة هائمين بحبها الصادق .

وعلى قدر معلوماتى — يقول المؤلف — لم يتقدم أمر بتفسير مقنع للكيفية التى يحدث بها الكشف الأول ، فبمجرد أن يقع اختيار النحلة على فجوة معينــة فانها تنقل اختيــارها الى رفاقها ، ومشاهدة حشد من النحل وهو يتفرق من مكان تجمعه استعدادا للرحلة التالية أمر يثير البهجة ، فالنحل الذى كان متعلقا ببعضه البعض حتى هذه اللحظة تقريبا ، تسرى فيه موجة الاثارة ، وكأنها حركة من الغليان عندما ينطلق فى الفضــاء ، وفى بادىء الأمر يبدو طيرانه دون هدف ،وبالتـــدرج يتحرك فى اتجـاه معين ، وتتقارب الأفراد من بعضها البعض ، ويصبح الحشد أكثر كثافة ، وبعد دقيقة أو اثنتين يدور فى الهواء كسحابة من الدخان تحملها الرياح .

وبمجرد ان تتوطن فى الشجرة الخاوية يقوم النحل بعمل تجمع آخر ويبدأ فى افراز الشمع الذى يبنى به أقراصه ، ويرجع الفضل فى ذلك الى الحوصلة الممتلئة بالعسل الذى تزودت به عند مغادرة مسكنها ، وأميل الى الاعتقاد بانه لا يتوقف عن انتاج هذا الشمع ، فليس الأمر أنه يشعر برغبة فى بناء الأقراص بسرعة حتى تجد الملكة مكانا لوضع بيضها ، فما لم تفرغ النحلة العسل الذى تحمله فى نخاريب العســـل على هيئة طعام مخزون ، أو تستعمله كوقود لتستمر فى اداء وظائفها بطريقة فعالة ، فأن جزءا منه يتحول تلقائيا الى جهاز افراز الشمع ، وهــذا شىء مفيد لحشد النحل نظرا لانه يجد مادة بناء يستعملها فى وقت هو أحوج ما يكون فيه اليها .

ومن الطبيعى أن نعتقد ان النحل حشرات مؤذية ، ويرجع ذلك ببساطة الى انه مزود بآلة لسع ، ولكن لو نظرنا الى النحل فى مجموعه لوجدنا أنه بعيد عن صفة العنف ، ومن الصعب حقيقة أن نتصور ما هى الوظيفة المحتملة لآلة اللسع بالنسبة لمعظم انواعه ؟

وكما سبق ايضاحه تختص الاناث فقـط بآلة اللسع ، وليس للذكر أسلحة دفاعية ، فالهرب عن طريق الطيران هو الوسيلة الوحيدة

للدفاع عن النفس بالنسبة له ، ونظرا لأنه يدافع عن نفسه فقط ، فان هذه الوسيلة كافية دون شك ، اما الأنثى فموقفها مختلف جدا ، فعليها مسئوليات جسام ، ذلك أن سلامة عائلتها متوقفة عليها ، ولكن الحقيقة الواقعة انها تذود عنها ! او لنضع السؤال أكثر دقة ، ما هي نسبة أنواع النحل من بين مجموع انواعه التي تستعمل آلة اللسع للدفاع عن عشها اذا واجهه خطر ؟

ومما لا شك فيه ان النحلة الانفرادية حشرة جبانة لدرجة أنك قد تحفر وتخرج عشها ثم تتركه حطاما ، وقد تنتهك حرمة خلوتها كأم أثنـاء وجودها في مسكنها ، وتخزها بساق من البوص أو تجذبها بملقط ، ولكنها حتى هـذا الحين تمتنع عن مهاجمتك .

ولابد أن عددا قليلا جدا منا لم يسمع بالرقصات الشهيرة لنحلة العسل ، فقد ذاع هذا الأمر جدا في الصحف ، وكذلك عن طريق الأفلام والمذياع ، وتمثل هذه الرقصات نوعا من اللغة يستطيع النحل بواسطتها ان يتفاهم مع بعضه بعضا ، ونحن مدينون بمعرفتنا بهـذا الموضوع الى الأستاذ (فون فريتش) الذي يبدو انه تحمل كل عناء لاثبات صحة الاكتشافات غير العـادية .

ولحاسة الشم اهمية قصوى بالنسبة لنحل العسل ، فهي تساعده على التمييز بين الصديق والعدو ، ويمكن ان ترى الحراس عند مدخل خلية تندفع محاولة الامساك بنحلة غريبة من مستعمرة مجاورة ترقب الفرصة للتسلل الى الداخل وسرقة العسل ، والعجيب في الأمر ان لكل مستعمرة من النحل رائحتها الخاصة بها ، وهي كلمة سر كيميائية يتمكن بوساطتها جميع اعضاء الجماعة من العمل مع بعضهم بعضا في امان ووفاق .

ويبدو أن النمل والنحل والزنابير تجد طريقها الى مساكنها عن طريق مزيج من حاستي النظر والشم ، ومن المحتمل في حالة النمل ان طريق الرائحة هو الذي يلعب الجانب الأكبر في هدايته ، علما بأن ادراكه لاتجاه أشعة الشمس قد يساعده أيضا .

واذا كانت حاسة النحلة للألوان أضعف من حاستنا في تمييز الألوان المتعددة التي نستطيع تمييزها ، فانها تفضلنا في كونها قادرة على ادراك الأشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس ، وهذه بالطبع غير مرئية بالنسبة لنا ، فحمرة الزهور ليست ذات معنى بالنسبة لنحلة العسل ، اذ انها عمياء بالنسبة للون الأحمر أو بمعنى آخر عمياء فيما يتعلق باللون الأحمر القـرمزي ، ويمكن للنحل أن يميز الزهور الحمراء التي تحتوي على قدر معين من الأزرق مع الأحمر ، فكيف يحدث اذن أن يزور النحل زهور الخشخاش الحمراء القرمزية ؟ يقول (فون فريتش) ان سبب ذلك ان اللون الأحمر في هذه الزهور الزاهية يعكس الأشعة فوق البنفسجية الآتية من الشمس بحيث انها تكتسي بلون يمكن للنحل أن يميزه بسهولة .

وحيث ان النحل يعتمد على الزهور ، لذا وجب أن يكون الرحيق وحبوب اللقاح في متناوله بسهولة ، ولعل من مصلحة النباتات أن يمكن نقل حبوب لقاحه بسرعة من احد أجزاء الزهرة الى الآخر .

ولا تقدم الزهور رحيقها الى كل عابر ، ذلك انه يبدو في أثناء عملية نشوء النباتات الزهرية كأن هناك اتجاها لكل من النباتات وزائريها من الحشرات أن يكيف نفسه طبقـا لاحتياجات الآخر ، وهذا ما نجده على أية حـال حيث لا يقوم اي عامل سواء كان بشريا أو خـلافه بازعاج هذا الترابط .

هذا موجز لما استخلصناه من الكتاب عن عالم النحل كما شاهده ودرسه المؤلف عمليا في الخلاء وفي منحله الخاص ، وهو في الواقع عالم عجيب ، الا ان الكتاب مع غزارة مادته لم يترجم في عبارة واضحة ، ولذلك جاءت الترجمة ضعيفة خالية من قوة البيان مما يبعث الضجر والملل في نفس القارىء ، ولا يبرر هذا ان المترجم من رجال العلم ، فما من عالم او سياسي او اقتصادي او اجتماعي الا ويجب أن يكون له نصيب وافر من البلاغة وفصاحة التعبير .

عبد السلام رستم



يقدمه مدير التحرير

● أخرجت «الدار المصرية للتأليف والترجمة» فى الشهر الماضى طائفة من كتب التراث العربى القديم التى أعادت طبعها بعد نفادها بطريقة التصوير عن الطبعات السابقة التى نشرتها دار الكتب ، ((**الأغانى**)) لأبى الفرج الأصفهانى و « **نهاية الأرب فى فنون الأدب** » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، و ((**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**)) لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، و ((**عيون الأخبار**)) لمحمد بن عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى ، ثم « **صبح الأعشى** » لأبى العباس أحمد القلقشندى .

ولقد كان اقبال الناس على اقتناء هذه المجموعات منقطع النظير ، وكان دليلا قويا على اهتمام القراء بآثار التراث العربى القديم ورغبتهم فى ان يخطو القائمون بالنشر فى القطاعين العام والخاص خطوات واسعة فى سبيل بعث هذا التراث ونشره نشرا علميا ، واتمام نشر بقية أجزاء الكتب التى صدرت مثل « الأغانى » و « النجوم الزاهرة » .

● وتقوم «الدار المصرية للتأليف والترجمة» الآن باعداد فهرس شامل لكتاب ((**صبح الأعشى**)) الذى صدر فى أربعة عشر جزءا . وكان هذا الفهرس أمنية الذين يعرفون لهذا الكتاب القيم جلالة قدره لأنه ييسر لهم الانتفاع بما فى هذا الكتاب من معارف عامة شملت المصطلحات التى يزخر بها ، و الاعلام ، والقبائل ، والأماكن ، والمسميات ، والأطعمة ، والأشربة ، واللباس ، والألفاظ العسكرية ، ولغة الدواوين ، وما الى ذلك من مواد كانت تدعو الى أن يصدر هذا الفهرس من زمن بعيد .

● خطت ((**الموسوعة العربية الميسرة**)) التى تعمل على نشرها « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » بالاشتراك مع « دار القلم » خطوات واسعة وحثيثة فى طريق الظهور . وهى موسوعة يشرف عليها مجلس ادارة من أعضائه الأساتذة الدكتور ابراهيم بيومى مدكور والدكتور أحمد بدوى والأستاذ حسن جلال العروسى والدكتور فؤاد صروف والدكتور زكى نجيب محمود والدكتورة سهير القلماوى والأستاذ قسطنطين زريق والأستاذ الدرديرى اسماعيل والأستاذ محمد جاسم الخلف . ويتولى رياسة تحرير هذه الدائرة الدكتور عبد الرحمن زكى .

ونذكر هنا انه كان للمرحوم الأستاذ الكبير اسماعيل مظهر جهود كبيرة فى هذه الموسوعة التى كان يتولى رياسة تحريرها منذ بدىء فى نشرها حتى انتقل الى جوار ربه .

● وبهذه المناسبة نذكر انه قد نشرت « دار الثقافة » ببيروت كتابا جديدا للمرحوم الأستاذ اسماعيل مظهر عنوانه ((**تباريح الشباب**)). وهو كتاب يعرض فيه فترة من تاريخ حياته

حتى الثامنة عشرة من عمره . وقد صور من خلال هذا العرض الحياة الاجتماعية فى مصر فى تلك الفترة تصويرا صادقا يجمع بين عمق تفكير المؤلف واشراقة اسلوبه .

● نشرت « مكتبة دار العروبة » بالقاهرة الجزء الثانى من كتاب « **منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية** » لابن تيمية أبىالعباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم الأستاذ بكلية البنات بجامعة عين شمس فى سلسلة مكتبة ابن تيمية التى يقوم بتحقيقها ونشرها .

● وستصدر كذلك المجموعة الأولى من مجموعة رسائل لابن تيمية لم يسبق نشرها وذلك بعنوان « **جامع الرسائل** » يتولى تحقيقها الدكتور محمد رشاد سالم .

● وسيصدر للأديب الحجازى الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ كتاب عن « **الامام أحمد ابن تيمية** » يترجم فيه لحياته ، ويعرف بآرائه .

وقد صدر أخيرا للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ كتابان هما « **الرافعى ومى** » ومجموعة اقاصيص عنوانها « **اهرب من المرأة** » .

● تطبع الآن «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» « كتابا جديدا للعلامة أحمد تيمور « باشا » عنوانه « **محمد رسول الله ، أفضل الخلق أجمعين** » . وقد كتب مقدمته المهندس الأستاذ أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر .

وقد نشرت هذه اللجنة للعلامة أحمد تيمور كتابا عن « **المذاهب الفقهية الأربعة** » وهو نظرة تاريخية فى حدوث هذه المذاهب وانتشارها عند جمهور المسلمين ، وقدم له الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر .

● صدر فى لندن كتاب باللغة الانجليزية عنوانه « **أيام عربية** » بقلم الشيخ حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية فى العاصمة البريطانية . والكتاب ترجمة للكتاب الذى أصدره الشيخ حافظ وهبة باللغة العربية بعنوان « **جزيرة العرب فى القرن العشرين** » . وقد ظهرت منه أخيرا الطبعة الرابعة .

● نشرت « الدار القومية للطباعة والنشر » فى سلسلة « كتب سياسية » كتابا جديدا عنوانه « **نحو وحدة افريقية** » تأليف الأستاذين وفيق عبد العزيز فهمى ومحمد عبد العزيز أحمد . وقد تناول فيه المؤلفان تاريخ الاستعمار السياسى والاقتصادى للقارة الافريقية ثم الحركة التحررية التى هبت فى هذه القارة فبعثت فيها يقظة اقتصادية . ثم تناولا مؤتمر القمة الافريقى باديس ابابا والتقاء مجموعتى دول الدار البيضاء ومنروفيا ونتائج هذا المؤتمر . واوضحا انه ليس ثمة تعارض بين القومية العربية والقومية الافريقية ذلك ان الأمة العربية ترى الوحدة حصنا يقف فى وجه قراصنة الاستعمار ، وهو نفس الهدف الذى ترمى اليه دعوة الوحدة الأفريقية . وكفاح القوميتين انما يهدف الى تحرير الانسان ، وقضية تحرير الانسان من العبودية فى كل أنحاء العالم ، وحدة لا تتجزأ .

● اعد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن كتابا جديدا للنشر عنوانه « **فن الترجمة والتعريب فى الأدب العربى** » تحدث فيه عن أسلوب العرب وطرائقهم فى النقل والترجمة منذ العصر العباسى الأول حتى أيامنا هذه . كما تحدث عن شروط المترجم عند الجاحظ وصلاح الدين الصفدى ويعقوب صروف واحمد حسن الزيات وانيس المقدسى وسليمان البستانى وغيرهم . وفى الكتاب فصول جديدة لم تطرق من قبل عن ترجمة الشعر نثرا و شعرا ، ورأى الجاحظ فى صعوبة ترجمة الشعر العربى اذ تذهب الترجمة برونقه وبهائه . ثم ترجمة القصص والآداب القديمة وبخاصه اليونانية ، واحجام العرب عن ترجمة الألياذة والأوديسة لهوميروس والانياد لفرجيل . ثم تحدث عن ترجمة هوميروس الى العربية شعرا ونثرا ، وترجمة رباعيات الخيام وتعاورها بين الشعر والنثر ، وترجمة مسرحيات شكسبير نثرا وشعرا مرسلا ، والاحجام عن ترجمتها شعرا مقفى . ثم الترجمة عن ترجمة لا عن اللغة الأصلية . وترجمات القرآن المختلفة ، والرأى فى

ترجمته ، الى آخر ما يتصل بموضوع الترجمة . وسيصدر عن الدار المصرية للتأليف والترجمة .

● وسيظهر له أيضا فى سلسلة « المكتبة الثقافية » كتاب **« الفلاح فى الأدب العربى »** . وقد تناول فيه مهنة الفلاحة عند العرب وخلو ديوانهم وادبهم فى الجاهلية والاسلام من استعمال كلمة الفلاح والفلاحة لاشتغالهم بالرعى والرحلة وحياة البداوة . وتحدث عن اغفال المؤرخين حياة الفلاحين الا ما كان من اشارات عند ابن خلدون وابن الفرات المؤرخ وابن طولون المؤرخ الدمشقى، واغفال الفلاح من حساب طبقات أهل البلاد . ثم تحدث عن الفلاح فى الشعر العربى وبخاصة فى القرن العشرين حيث تنبه الوعى الاجتماعى ونادى المصلحون باصلاح حاله ، وما ورد عنه فى ادب المقالة وفى القصة العربية منذ عهد عبد الله النديم الى عهد قصاصينا المعروفين . وختمه بفصل عن الفلاح فى مجال الدراسات ، والبحوث الاجتماعية .

● تنشر « الشركة العربية للطباعة والنشر » ثلاث روايات ، ثم دراسة اجتماعية للدكتور نجيب الكيلانى . فأما الروايات فهى :

« الذين يحترقون » ، وتدور حوادثها فى احدى الوحدات المجمعة باحدى القرى وتعالج قضايا الفلاحين ومشكلة العلاج .

و **« النداء الخالد »** ، وتصور حالة الريف المصرى فى فترة الحرب العالمية الأولى حتى ثورة سنة ١٩١٩ من النواحى السياسية والاجتماعية وأثر تلك الحرب فيها .

و **« ليل العبيد »** ، وتدور أحداثها فى أحد السجون وتعطى صورة عن المجتمع من خلال أحداثها العاطفية .

اما الدراسة فعنوانها **« المجتمع المريض »** ، وهى دراسة عن الجريمة والعقاب . وقد فازت هذه الدراسة بجائزة الدراسات الاجتماعية من وزارة التعليم .

● الأديبة السورية الآنسة عزيزة مريدن التى نالت فى الصيف الماضى درجة الماجستير بامتياز من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، تعد للنشر رسالتها الجامعية التى اختارت لها موضوع **« الانسانية والقومية فى شعر المهجر الجنوبى »** اى الذين عاشوا تحت سماء أمريكا الجنوبية ، امثال : فوزى المعلوف ، والشاعر القروى رشيد سليم الخورى ، والياس فرحات ، وعقل الجر، وشكر الله الجر ، والياس قنصل ، وزكى قنصل، وغيرهم ممن قاموا بنهضة ادبية مشرقة فى تلك الربوع .

● كانت المستشرقة الايطالية ماريا نلينو قد جمعت **شعر النابغة الجعدى** وطبعته فى روما سنة ١٩٥٣ . وقد رجع الأستاذ عبد العزيز رباح الى هذه الطبعة فاتخذها أصلا اعتمد عليه فى اعادة نشر هذه المجموعة من شعر النابغة ، وقام بمراجعتها من جديد فغير ترتيبها ، ورجع الى مصادر تخريج أبياتها ، وصحح ما كان فيها من تحريف وتصحيف ، والحق بها ما نسب الى الشاعر وليس له ، ثم قام بشرح ألفاظه . وقد تولى نشر هذا الديوان « المكتب الاسلامى للطباعة والنشر » بدمشق .

● صدر أخيرا فى بيروت كتاب جديد للسيدة ثريا ملحس عنوانه **« القيم الروحية فى الشعر العربى : قديمه وحديثه »** .

● كما صدر فى بيروت كتاب للأستاذ جورج عارج سعادة عنوانه **« الصحافة فى لبنان »** ، وقد أرخ فيه للصحافة اللبنانية منذ انشائها حتى الآن ، مع سرد لتاريخ الصحفيين اللبنانيين وما أدوه من أدوار فى سبيل حرية الصحافة واستقلال الوطن اللبنانى .

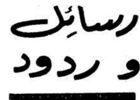
ولم يغفل الأستاذ جورج سعادة الصحافة التى أنشأها اللبنانيون فى مهاجرهم ، فأشاد بما قدمت تلك الصحف للجاليات اللبنانية من خدمات .

● صدر للكاتب الأردنى الأستاذ يعقوب العودات المعروف فى عالم الأدب باسم « البدوى الملثم » كتاب جديد عنوانه **« عيسى اسكندر المعلوف : المؤرخ الموسوعى الأديب »** يترجم فيه لهذا العالم الجليل الذى كان عضوا فى المجمع اللغوى بالقاهرة منذ انشائه حتى انتقل هذا العالم الى جوار ربه ، كما كان عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق . وهو والد الشعراء فوزى — رحمه الله — وشفيق ورياض المعلوف أمد الله فى حياتهما .

● يعد الشاعر العراقى الأستاذ هلال ناجى كتابين جديدين للنشر ، أولهما : **« ديوان عبد القادر رشيد الناصرى »** وهو الشاعر العراقى الشاب الذى توفى سنة ١٩٦٢ مع دراسة لحياته وشعره .

أما الكتاب الآخر فعنوانه **« على الهامش »** ، وهو تعليقات وذكريات تتناول كثيرا من رجال الأدب وآثارهم فى العالم العربى .

● وسيصدر للشاعر العراقى الأستاذ مصطفى نعمان البدرى ديوان عنوانه **« وادى الهوى »** .



بعث الأخ الأديب ابراهيم العريض برسالة من البحرين يقول فيها :

« ... أنتهز هذه الفرصة لأقدم لك تهانى على هـذا الشوط الذى قطعته مجلتكم بفضل جهودك وجهود اخوانك . فهذا ما كان ينقصنا من الموضوعية والتجرد للموضوع فى ماضى الأيام . انى لم أطلع على المجلة الا منذ أيام بعد عودتى من الاصطياف فى لبنان طوال الصيف . ولم أطلع على بقية الأعداد ، ولذلك أكون ممنونا اذا تكرمتم فارسلتم لى أعداد المجلة كلها (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ وما يعقبهـــا) وتعتبرونى مشتركا فيها منذ اليوم .

اعجابى وتقديرى لجهودكم جميعا فى سبيل تثقيف الرأى العام العربى وتهذيبه ... »

والمجلة اذ تشكر الأخ الأديب على هذا التقدير ، فانها ترحب به مشتركا بين قرائها الفضلاء ، وتأسف لعـــدم امكانها ارسال الأعداد المطلوبة اليه الا عن طريق قسم الاشتراكات وعنوانه « ٥ ميدان عرابى بالقاهرة - مكتبة دار التأليف والترجمة - القومية سابقا » .. لأنها هى المكلفة بالتوزيع والاشتراكات .

كذلك بعث الأستاذ عبد المنعم النمر مدير الـــدعوة والارشاد بحكومة الكويت يطلب العدد السابع الذى لم يلحق باقتنائه ، والمجلة اذ تشكره حرصه على اقتنـــاء أعداد المجلة ، تحيله على ردنا السابق .

وطلب السيد يحيى محمد حلمى من منفلوط أن نرسل له كتاب «وداعا للسلاح» الذى سبق التنويه عنه فى مقال نشر على صفحات المجلة .. ويعرض ارسال ثمنه . والمجلة يسعدها أن ترى اقبال القراء على اقتناء الكتب النافعة ، لكنها لاتقوم بعملية البيع لها ، فتحيله على دار النشر المكلفة ببيع هذا الكتاب وهى « مؤسسة سجل العرب - عمارة الايموبيليا - شارع شريف بالقاهرة » .

وجاءتنا رسالة عتاب من مكتبـــة المثنى ببغـــداد مصحوبة ببيان عن الكتب النادرة التى أعادت طبعهـــا بالعراق .. وهذا نص الرسالة « .... لقد أرسلنا لكم بواسطة البريد المسجل الكتب المدرجـــة ادناه لغرض التقريظ ولكم الشكر : ١ - خلاصـــة الذهب المسبـــوك للاربلى . ٢ - تاريخ الطب العربى براون . ٣ - محاضرات تاريخ العرب .. دكتور صالح أحمد العلى . وبهذه المناسبة كنا نرجو أن تشيروا الى مشاريع مكتبتنا اشارة علميـــة بما تقوم به من اعادة طبع الكتب النادرة بطريقة الأوفست . ولكن لم نجد ما يشير الى ذلك وتجدون طيا صورة من فهرس تلك الكتب آملين أن تتاح لكم الفرصة بالاشارة الى ذلك ولكم منا جزيل الشكر .. »

ومجلة الكتاب العربى لاترى فى تعريفهـــا بالكتب الصادرة فى العـــالم العربى كافة تفضلا منها .. بـــل تراه واجبا يســـتاهل الاهتمام والدقـــة فى التعريف والتنفيد .. ومن ثم فان متابعة المجلة لركب الثقـــافة العربية المتمثلة فى الكتب واجب وأمانة وليست تفضـــلا أو تقريظا .. لذلك فاننا نرحب بكل كتاب يفد اليـــنا من دار النشر الذى أصدرته .. ونشكرها وننوه بجهودها ونشاطها فى هذا المجال ، ولايبقى بعدئذ الا أن نضع الكتاب تحت مجهر النقد الموضوعى .. فى حدب وأناة .. مستهدفين خير خدمة الفكر العربى . ولهذا فان المجلة ترجو مكتبـــة

المثنى وكل المكتبات فى العالم العربى ان يوافوها بآخر ماصدر لها من كتب اولا بأول ، ولا تعجل مطالبتنا بالتنويه عنها الا فى باب « كتب وردت للمجلة » فقط .. أما الكتابة عنه فى قسم النقد فنرجوهم أن يمهلونا فيه قليلا . بقى شىء أخير .. هو ان تخطرنا مكتبة المثنى العزيزة بتاريخ ورقم هذه الحوالة البريدية لهذه الكتب الثلاثة .. لأنها لم ترد لنا حتى الآن .

ومن القارىء احمد هريدى بحى الجمالية ـ القاهرة ـ

جاءتنا رسالة يطلب أن نستفسر له عن كتب :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـــاهرة لابن تغرى بردى ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ونهاية الأرب للنويرى « التى اخرجتها لجنة » تراثنا « التابعة للمؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر . ويتساءل عن الأسباب التى منعت تنفيذ البندين الخاصين بالفهارس والاستدراكات فى الأجزاء التى صدرت من هذه الكتب ، وعدم صدور بقية الأجزاء حتى الآن وموعد صدورها فى المستقبل . ويطلب من المجلة أن تتناول بالدراسة التحليل والنقد لهذه الكتب .

واجب المسئولين عن اخراج هذه الكتب بأنهم فى سبيل اخراج بقية الأجزاء التى ستظهر فيها الاستدراكات والفهارس المضبوطة قريبا . أما تناول هذه الكتب بالتحليل والنقد على صفحات مجلة الكتاب العربى .. فان كل متابع لأعدادها يلحظ الاهتمام بهذا النوع من الثقافة فى حدود توازنها مع بقية الأنواع .

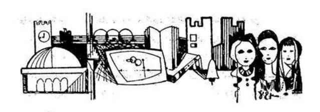
وفى رد للقارىء احمد ابراهيم خضر من كفر الشيخ على ما قاله الدكتور ماهر حسن فهمى مؤلف كتاب «الزهاوى» يقول .. « أورد المؤلف فى صفحة ٨٩ من الكتاب هـــذا القول .. (ومن العجيب ان نرى كلّ ماانشره الزهاوى فى مصر لايمت الى الأدب بصلة ، فقد كان يشغل نفسه بأكثر من جانب . كان يقرأ فى كلّ العلوم ، ويشغل نفســه بالبحث والدرس وبالفن والشعر . فالعقاد اكتفى فى أخريات حياته بأن يكون باحثا ، وكان « ديوان من دواوين » وهو آخر ما صدر له من شعر عملا نقديا لأنه يقوم على الاختيار من بين دواوينه السابقة ..) .. لكننى أضيف الى هـــذا أن العقاد كان دائرة معارف فى الأدب والعـــلم والدين ، واستطاع ان يجمع بين العقل فى المجمع اللغوى ومجلس الفنون والآداب وبين التأليف والكتابة والقراءة واعطى لكلّ ذى حق حقه .. بل اننى اعتقد انه مهما قيل من شعراء الغزل .. فان غزل العقاد يفوقهم جميعا أو على الأقل يفوق معظمهم » .

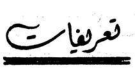
ومن القارىء عبد المنعم الخضرى المـــدرس باجا

وصلتنا رسالته التى يقول فيها :

« كنت أود أن أرى كتابا يحمل اسم عالم جليل من علمائنا الذين فقدناهم ونحن أبنـــاء اليوم لا نعرف عنه القدر الكافى ، لذلك آثرت أن أكتب الى باب رسائل ردود بعض ماقرأته عن عالم عظيم .. هو الدكتور على مصطفى مشرفة .. قال عنه العـــلامة اينشتين عندما علم بوفاته (لاتقولوا ان مشرفة قد مات .. لا .. اننا محتاجون اليه .. انها خسارة كبيرة .. لقد كان رائدا ، وكنت اتابع أبحاثه فى الذرة بكلّ ثقة ، لأنه كان من اعظم علماء الطبيعة ..) .. وهو من القلائل الذين فهموا النظرية النسبية وأسرار تركيب الذرة والقنبلة الذرية » . ويواصل الكلام عن هذا العلامة، ويعدد أعماله العلمية الى ان يطالب فى آخر رسالته بضرورة الاسراع فى اخراج كتاب شامل عنه .. لأنه خير قدوة لنا جميعا .







تعريفات

الأشغال الفنية والثقافة المعاصرة

تأليف : سيوناند ميرى روبرتسون • ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ، راجعه : مصطفى حبيب ، الناشر : مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب • ٢٦٨ صفحة ١٧ × ٢٤ • ٢٧ قرشا •

تعد الأشغال الفنية من السمات الظاهرة التى تواكب الحضارة الآلية المعاصرة ، فلم يكن معنى ظهور عصر الآلة أن نتخلى عن الفنون الجميلة التى تزاول باليد والتى عن طريقها استطعنا أن نتعرف على ملامح الحضارات القديمة البائدة • ذلك لأن هذه الفنون تعطى احساسا بقيم جمالية سامية ، تعمل على تهذيب النفس والارتفاع بها الى أجواء عالية ، الى جانب انها وسيلة طيبة لشغل أوقات الفراغ ، كما أنها أسلوب تربوى يفيد كلا من الطفل والمراهق • ولايخفى مايترتب عليها من مزايا اقتصادية حسنة •

وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن الأشغال الفنيــة فحاول أن يعطى لها تعريفا عاما ووضح الأسس التى تقوم عليها وتفصيل هذه الأشغال فى أسلوب مبسط مع الاتيان بشواهد معاصرة • ولم يغفل العلاقة الوثيقة بين الأشغال اليدوية والتربية ثم العلاقة بينها وشغل أوقات الفراغ •

والكتاب ـ الى هذا ـ به لوحات فنية جميلة واشكال زخرفية وتماثيل معبرة وصور تبرز المجهود الذى يقوم به الصغار والكبار على حد سواء •

الأعلام الشرقية

فى المائة الرابعة عشرة الهجرية

(الجزء الرابع)

تأليف : زكى محمد مجاهد •
الناشر : مكتبة مجاهد • ٢٧٢ صفحة • ١٧ × ٢٤ • ث ١٠٠ قرشا •

تحتاج الحياة الأدبية والعلمية الى التعرف على الأجيال التى سلفت فى عالم الثقافة والفكر ، وتعد دوائر المعارف وتراجم الأعيان أيسر وسيلة فى هذا السبيل • صحيح أن تلك النبذ المختصرة لاتكفى لأن يعرف القارىء كل ما يود أن يعرفه عن هذا الشاعر أو الأديب أو السياسى أو العالم، لكن هذه النبذ تعد نافذة يطل منها القارىء على حياة هذا العلم بوجه عام ، أى أنها تعطيه المفتاح ليتعرف ملامح هذه الشخصية ودورها فى الحياة المعاصرة لها •

وقد ظهر الاتجاه منذ نهضة الثقافة العربية فى عصرها الأول الى التاريخ للاعلام ، بيد أن هذا الاتجاه لم يقدر له أن يبدو بوضوح الا منذ العصر المملوكى ويعد كتاب الجبرتى عن أعيان القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ختام هذه المرحلة • وفى العصر الحديث نشط التاريخ للأعلام من جديد على أيدى جماعة من الكتاب من بينهم • عمر رضا كحالة وخير الدين الزركلى وزكى محمد مجاهد •

وكتاب الأستاذ مجاهد ـ وهو موضوع حديثنا ـ يتناول الفترة ما بين سنة ١٣٠١ هـ وسنة ١٣٦٥ هـ• أى نحو ثلثى القرن الرابع عشر • وقد قسم المؤلف كتـــابه حسب الموضوعات ، وشمل الجزء الرابع طبقات الكتاب والشعراء والمؤرخين والرحالة •

وكتب الأستاذ المؤلف فى نهاية كل نبذة أسماء المصادر التى رجع اليها ، مما يعين من يريد أن يتوسع فى الاحاطة باسرار الشخصية التى يقرأ عنها •



شاعرات عربيات

بقلم : روحية القلينى •

الناشر : الدار القومية (مذاهب وشخصيات) ٨٤ صفحة ١٧ × ٢٤ ث ١٥ قرشا •

الحديث عن المرأة الشاعرة حديث جدير بالاهتمام ، وتزداد أهمية هذا الحديث اذا كتبت فيه شاعرة •

وهذا الكتاب يبحث فى حياة أربعة من الشواعر ، هن عائشة التيمورية وملك حفنى ناصف ورابعة العـــدوية

والخنساء ، الى جانب البحث فى الانتاج الفكرى والأدبى لكل شاعرة منهن .

وقد أحسنت الكاتبة الشاعرة فى اختيار تلك النماذج الأدبية الأربعة . أحسنت أولا اذا نظرنا الى التطور التاريخى للأدب العربى على مر العصور ، وأحسنت أيضا اذا نظرنا الى تميز كل شاعرة منهن بالنظم فى جانب معين من جوانب الشعر .

وعلى الرغم من الشبه الظاهر بين شعر عائشة التيمورية وشعر باحثة البادية ، وخاصة اذا عرفنا أن الأساس لكل منهما هو الاصلاح ، فان عائشة نتيجة لظروفهـا الاسرية وظروف عصرها أيضا ، كان شعرها يعيش فى حـــــدود طبقة معينة ، أما ملك فان شعرها جاوز هذه الطبقة الى غيرها من طبقات الأمة فى مطالع القرن العشرين . ورابعة العدوية شاعرة متصوفة أو هى « شهيدة العشق الالهى » ، والخنساء شعرها فى رثاء أخويها صخر ومعاوية .

هذه أربع شخصيات أدبية معروفة ، ونحن اذا قلنا انهن شواعر ، فان ذلك يكون ببعض التجاوز . فشعر ملك الذى وصل الينا لايجاوز المائة بيت الا بقليل ، كما أنها مصلحة اجتماعية قبل أن تكون شاعرة ، وذلك باعتراف الكاتبة نفسها . كذلك فى حديثها عن رابعة العدوية فما وصل الينا من آثارها يعد نظما بالدرجة الأولى وليس شعرا بمعناه الصحيح . أما عائشة التيمورية فقد كان اهتمامها موزعا بين الشعر بلغاته الثلاث المعروفة فى عصرها ، وهى الفارسية والتركية والعربية .

لكل هذا فان ما جاء فى الكتاب كان حديثا عن عبقريات عربية ، أو عن شخصيات عربية كبيرة ، قبل أن يكون حديثا عن شاعرات لهن أثر كبير فى الحياة الأدبية المعاصرة لهن وللأجيال التى أتت فيما بعد . عسى أن تراعى المؤلفة هذا فى بقية السلسلة التى تنوى استكمالها عن « شاعرات عربيات » ، بحيث يحتل الجانب الشعرى أهم جوانب الشخصية لا جانبا واحدا أو يسيرا منها .

الاستعمار البرتغالى فى أفريقية

تأليف : جيمس دفى

ترجمة : الدسوقى حسنين المراكبى

مراجعة وتقديم : دكتور محمد صبحى عبد الحكيم

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية . ٢٧٩ صفحة ١٤ × ٢٠ ث ٣٥ قرشا .

المشاهد فى تاريخ الحركة الوطنية الافريقية أن هذه الحركة فى كل من انجولا وموزمبيق جاءت متأخرة بالنسبة للبلاد الأخرى فى القارة الأم . ولعل هذا يرجع الى أن الاستعمار البرتغالى يعد الى حد كبير استعمارا استيطانيا ، هذا الى أنه قديم العهد فى القارة ، تروج له دعاية مفرضة شوهاء ، تشيد بالمشاريع التى تحققت فى عهد سالازار ، ولايخفى ما جرى من تغيير اسماء هذه المستعمرات الى «أقاليم برتغالية فيما وراء البحار» .

على أن هذا لايغير من حقيقة الأمر شيئا ، فالاستعمار البرتغالى الذى نراه الآن هو نفس هذا الاستعمار البرتغالى قبل خمسمائة عام ، لم يتغير فى جوهره وان تغير فى أسلوبه ، وهو لا يتورع عن استخدام وسائل القمع والارهاب التى لاتقل عن نظيراتها فى عصور الاستعمار الأولى .

وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن التاريخ الطويل للاستعمار البرتغالى فى افريقيا منذ عهد الملاحين المغامرين من أمثال الأمير هنرى وبارثلميودياز وفاسكو دى جاما حتى الثلاثينات من القرن العشرين ، بينما يختص الباب الثالث بالحديث عن عهد سالازار ، والتطورات الأخيرة التى جدت على طريق التحرر الافريقى .

ويختتم المؤلف كتابه بالحديث عن الثورة ... طبيعتها ... ظروفها ... والنتائج العالمية التى ترتبت عليها .

« لقد استطاعت البرتغال أن تتغلب على أزماتهـا فى الماضى ، ولو أن من هذه الأزمات مالم يكن يعادل الأزمة الحالية فى خطورتها . ويبدو وأنها واثقة من قدرتها على الاستمرار فى ذلك ، ولكنها اذا فعلت فسيكون على حساب اعتمادها بصورة متزايدة على المدافع والقنابل والدبابات . والحق أنه ليس هناك حل سهل لمشاكل افريقية البرتغالية ، بل ربما يكون الاستقلال ذاته هو الحل الكامل ، ولكنـــه بالتأكيد ضرورة لازمة فى هذا السبيل » .

حول مائدة المعرفة

ترجمة : عثمان نويه

تقديم : عباس محمود العقاد

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . ١٣٣ صفحة ١٤ × ٢٠ ث ١٨ قرشا

مائدة شهية حافلة بصنوف متعددة من الغذاء الفكرى الدسم . تلك هى مائدة المعرفة ، وحولها جلس نفر من الأساتذة المتخصصين فى الفن والفلسفة والاجتماع والأدب وفى ميادين الفكر عامة ، وامتدت ايديهم الى الكتب المرصوصة

على « رف الجد » ، تلك الكتب التى تمثل الحركة الثقافية فى أخريات القرن التاسع عشر وتناولوها بالشرح والتعليق، حتى يتبين لهم ما تبقى لها من آثار للأجيال التى أتت بعدها • وجاءت الترجمة العربية ليشرف عليها ويقدم لها المرحوم الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، فيتحدث عن ألكتب التى ورد ذكرها فى هذه المحاورات ، ويعطينا تعريفا بالكاتب وشرحا للملامح المميزة له •

وأول محاورة فى هذا الكتاب تختص بهنرى جورج وكتابه « التقدم والفقر » الذى كان يرى فيه أن التقدم يستتبع بطبيعة الحال حدوث الفقر ، ويقترح من أجل علاج هذه المشكلة تقرير الضريبة المفردة على الأرض ، ورغم أن آراء جورج هذه نالت عداء ماركس وغيره من المتطرفين ، الا أنها حظيت بالقبول والرضا من جانب الاشتراكيين الانجليز وعند أصحاب الاشتراكية المعتدلة ، والفرق بينه وبين ماركس هو الفرق بين من يؤمن بالنفس البشرية وبين من يؤمن بالمنفعة المادية • أما سبنسر وكتابه «المبادىء الأولى» فهو موضوع المحاورة الأخيرة من الكتاب فنعرف أنه يمثل اجتماع العالم والأديب والفيلسوف فى شخص عبقرى واحد اهتم بالتطور وربما سبق داروين فى وصوله الى قانون التطور وهو من أصحاب النزعات الفردية ورأيه فى الفرد يحتاج الى مراجعة •

وبالكتاب تعريف آخر بقصة هنرى جيمس « السفراء » ، وهنرى جيمس هذا هو شقيق الفيلسوف الأمريكى الأشهر وليم جيمس ، مؤمن بالحضارة الأوروبية وبقيمة الفن عميق النظرة الى النفس البشرية ملم بأسرارها ، وقصته هذه نقدها أحد معاصريه ، فقال ان خيوطها دقيقة وبها نسيج عقل معقد بحيث يعجز الجمهور عن تتبعها وان تيسر ذلك للصفوة • أما سترندبرج فهو يمثل العبقرية المجنونة ، كان قلقا مضطربا لا يستقر على عقيدة ، تعسا فى حياته الزوجية ، وأشخاص مسرحيته « الأب » لا يختلفون كثيرا عن أشخاص حياته ، كان يكره المرأة ، وربما كان منشأ هذه الكراهية كما جاء على لسان بعض من اشتركوا فى المناقشة هو عبادته للمرأة • والمسرحية تشرح مايحدث حين يبدأ رجل وامرأة فى تجربة الحياة دون التقيد بقاعدة. ويسخر فيها من سيطرة النساء فى البيت السويدى ، وما ترتب عليها من كوارث نراها فى المسرحية ، ولعل منشأ هذا كله هو حصول المرأة المبكر على حقوقها فى تلك البلاد •

أما هولمز فهو طبيب وأديب ومحدث بارع و «أوتوقراطى على مائدة الافطار » تمثل المجموعة الأولى من أحاديثه التى كتبها منذ مطلع شبابه حتى أخريات حياته فى بعض المجلات الصحفية والأدبية فى أمريكا ، نجد بها روحا شاعرية شفافة وحسا مرهفا عميقا ولمحات انسانية جميلة ، وذلك كله فى أسلوب صحفى قدمه الكاتب الى العام والخاص ، هو عبارة عن خطرات تعن له وهو جالس على تلك المائدة يبدأها بفكرة يسيرة أو ساذجة ، ويخرج منها الى نظرات صائبة فى الحياة •

الكتاب اذن محاورات هادئة فيها حركة وفيها ملاحظات علمية ونقدية جيدة ، لكن الأهم من ذلك أن شعار هذه السلسلة « تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة » وقد بذل السادة المجتمعون حول مائدة المعرفة جهدهم من أجل ذلك ، ونجحوا الى مدى بعيد ، لولا أنهم جميعا ـ وهم أمريكيون ـ كانوا ينظرون الى تلك الأعمال من وجهة نظر معينة قد لا تتفق مع وجهات النظر الأخرى ، لكنها مفيدة ، نرجو أن يكون لها مثيل فى بلادنا •



■ **مذكرات من العالم السفلي**

تاليف : ف. دوستويفسكي ، ترجمة : زغلول فهمي ، مراجعة الدكتور عبد القادر القط ، النـاشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٢٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٠ قروش

■ **العالة**

تاليف : المراييس ، ترجمة : أسما حليم ، مراجعة وتقديم : كامل يوسف . الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصـفحات ١٩٨ ص ١٤ × ٢٠ من سلسلة روائع المسرح العالمي .
الثمن ٥ قروش

■ **الايمان والمعرفة والفلسفة**

تاليف الدكتور محمد حسين هيكل ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ١٦٦ ص ١٧ × ٢٤ سم

■ **مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى)**

تاليف الدكتور أحمد شلبي ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٢٠٦ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٠ قرشا

■ **في بناء البشر .. دراسات في التغير الحضاري**

تاليف الدكتور حامد عمار ، الناشر مركز تنمية المجتمع في العالم العربي بسرس الليان ، عدد الصـفحات ٢١١ ص ١٧ × ٢٤ سم

■ **اللغة السينمائية**

تاليف مارسيل مارتن ، ترجمة سعد مكاوى ، مراجعة فريد المزاوى . الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة، عدد الصفحات ٣١٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٨ قرشا

■ **فن المتنبي بعد الف عام**

تاليف ابراهيم العريض ، الناشر دار العلم للملايين (بيروت) ، عدد الصفحات ٢٧٦ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٤٥ قرشا

■ **مع الطير في مؤتمر**

تاليف المامون أبو شوشة ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٩٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٠ قرشا

■ **البحار بيلي بد**

تاليف اكوكس د. روبرت شابمان ، ترجمة مصطفى طه حبيب ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عـدد الصفحات ١١٦ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٥ قرشا

■ **كيف نفهم سلوك الأطفال**

تاليف جرترود دريسكول ، ترجمة الدكتور رشـدى فام منصور ، الناشر مكتبة النهضة العربية ، عـدد الصفحات ١٥٠ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٣٫٥ قرشا

■ **تنظيم الفصول الدراسية للتعليم**

تاليف ج. وين رايتستون ، ترجمة السيد محمـد العزاوى ، الناشر دار القلم ، عدد الصفحات ٧٤ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٨ قروش

■ **الأعلام الشرقية (جزء رابع)**

تاليف زكي محمد مجاهد ، الناشر مكتبة مجـاهد ، عدد الصفحات ٢٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٠٠ قرشا

■ **التربية من أجل السلام**

تاليف هربرت ريد ، ترجمة حمزة محمد الشـيخ ، مراجعة الدكتور عطية محمود هنا ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٠٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٧٫٥ قرشا

■ **القوى النووية**

ترجمة الدكتور يونس صالح سليم ، مراجعة الدكتور محمود أحمد الشربيني ، الناشر دار الفكر العربي ،

عدد الصفحات ٢٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٥ر٥ قرشا

■ **فراشات ونور**

نظم العوضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٧ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ١٢ قرشا

■ **انحراف فى قصر العدالة والملكة .. والمتمردون**

تأليف أوجوبيتى ، ترجمة كامل صليب ، مراجعة حسن محمود ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٢٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٠ر٥ قرشا

■ **فى اقتصاديات التعليم**

تأليف الدكتور حامد عمار ، الناشر مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى بسرس الليان ، عدد الصفحات ١٩٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

■ **داج همرشلد**

تأليف جوزيف ب. لاش ، ترجمة رجب مصطفى حنفى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٣٩ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٠ قرشا

■ **سعد بن ابى وقاص**

تأليف محمد عبد الجواد السكرى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٢٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٥ قرشا

■ **الناى السحرى**

تأليف سن ثورن بهو ، ترجمة سمير عطا ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٤٣ ص ١٤ × ٢٠ سم من سلسلة روايات عالمية
الثمن ٥ قروش

■ **جنون الانتقام**

تأليف أجاثاكريستى ، ترجمة عبد الفتاح البكرى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٩٠ ص ١٤ × ٢٠ سم من سلسلة روايات عالمية .
الثمن ٥ قروش

■ **التضامن الآسيوى الأفريقى**

تأليف الدكتور شوقى الجمل ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٤٩ ص ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٥ قروش

■ **ابن المعتز العباسى**

تأليف الدكتور أحمد كمال زكى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٧٧ ص ١٤ × ٢٠ سم من سلسلة أعلام العرب .
الثمن ٥ قروش

■ **أرسطو**

تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٢٩٣ ص ١٤ × ٢٠ سم (طبعة رابعة)
الثمن ٣٠ قرشا

■ **أصول النقد الأدبى**

تأليف أحمد الشايب ، الناشر مكتبة النهضة المصرية عدد الصفحات ٣٤٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٦٠ قرشا

■ **جغرافية الوطن العربى**

تأليف الدكتور فيليب رفله وأحمد سامى مصطفى . الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٤١٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٦٠ قرشا

■ **فلسفة المجتمع العربى**

تأليف عبد المجيد عبد الرحيم ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ١٩٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٣٠ قرشا

■ **قصة السدود**

تأليف بيترفارب ، ترجمة مهندس محمد توفيق محمود ، الناشر مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١٣٨ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٤٠ قرشا

■ **الحشيون**

تأليف جرنى ، ترجمة الدكتور محمد عبد القادر محمد ، مراجعة الدكتور فيصل الوائلى ، الناشر مشروع الألف كتاب ، عدد الصفحات ٢٨٤ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ١٩ر٥ قرشا

■ **الأدب الأمريكى ١٩١٠ – ١٩٦٠**

تأليف روبرت سبلر ، ترجمة محمود محمود ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ٢٤١ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن ٢٥ قرشا

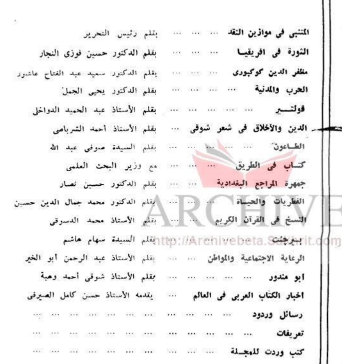


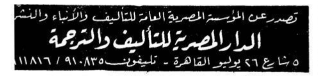
العدد الحادى عشر
٨ ذو الحجة سنة ١٣٨٤هـ
١٠ أبريل سنة ١٩٦٥م



رئيس التحرير : على أدهم
مدير التحرير : حسن كامل الصيرفى
سكرتير التحرير : جمال بدران

فى هذا العدد




تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥ شارع ٢٦ يوليو القاهرة - تليفون ٩١٠٨٣٥ / ١١٨١٦

المتنبى فى موازين النقد

بقلم
رئيس التحرير

والمتنبى فى بعض أشعاره كالنبع القريب من الانسان ، والذى تستطيع أن تنهل من مياهه العذبة بيدك ، وفى بعضها كالبئر البعيدة القاع ، فأنت فى حاجة الى اطالة الرشاء لتستقى منها ، وقد اتاح ذلك فرصة لشراحه الكثيرين ليظهروا براعتهم فى كشف الغوامض والتنقيب على المعانى المستبهمة والخواطر الدقيقة .

والمتنبى كسائر العظماء فى أدبه وشخصيته ما يثير الاعجاب الشديد والمبالغة فى التقدير من ناحية ، وما يبعث على النفور والكراهة المسرفة من ناحية أخرى ، وقد وصف ذلك الجرجانى فى الوساطة فقال « ما زلت أرى أهل الأدب منذ الحقتنى الرغبة بجملتهم ، ووصلت العناية بينى وبينهم فى أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فئتين ، من مطنب فى تقريظه ، منقطع اليه بجملته ، منحط فى هواه بلسانه وقلبه ، يتلقى مناقبه اذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه اذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرر ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ، فان عثر على بيت مختل النظام أو نبه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله ما يزيله عن موقف المعتذر ، ويتجاوز به مقام المنتصر ، وعائب يروم ازالته عن رتبته فلم يسلم له فضله ويحاول حطه عن منزلة بوأه اياها أدبه ، فهو يجتهد فى اخفاء فضائله ، واظهار معايبه ، وتتبع سقطاته واذاعة

نبى قمة من القمم العالية فى
هو فى رأى المعجبين به والمدمنين
م شعراء العربية على الاطلاق ،
ذا الرأى ممن يمكن الاطمئنان
على الأدب العربى والثقة بسلامة
، تقديرهم ، وقد تختلف الآراء
نبى ، وفى التقديرات الأدبية
بالذوق لا يستطيع الانسان أن
ب له أو أن يصدر حكما نهائيا
، وربما كان من أقرب الأحكام
ب المتنبى أنه أقدر شعراء العرب
، الشعر العربى ، هذه العبقرية
ـدرة الفائقة على استخلاص
ملحوظ ولمح الحقائق والبدائة
ـل الحلقات مترابط العلل

، سمو مكانة المتنبى فى الأدب
كل جيل من الأجيال المتعاقبة
ن الرابع الهجرى بأنه فى حاجة
لأدبه واعادة النظر فى دراسته
اق الاهتمام بأدبه ودراسته
شاعر آخر من شعراء العربية
ة ما حفل به الأدب العربى من
وفحولهم .

يرون الوقوف على ينابيع هذه
ستطلاع آفاقها المترامية ،
وتناولوه بالتمحيص ليستكملوا
لم يرو لنا منها مؤرخو عصره
بة لا تنقع غلة الباحث ولا تكفى
اشف .

بى نحبه قتيلا وهو فى أوج قوته
ولكنى أرجح أنه لو كان امتد به
ء بخير مما جاء به ، ومهما يكن
ل أعطى قراء العربية أكثر مما
خيرة من الشعر الجيد والأدب
الأيام ما بقى على سطح الغبراء
ة العربية ويدرسون آدابها .

(١) فن المتنبي بعد الف عام ، للاستاذ ابراهيم العريض .
مطبعة دار العلم للملايين ببيروت
الثمن ٤٠٠ ق ٠ ل ٠ او ما يعادلها

(٢) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين ٠
تاليف المستشرق الدكتور ر ٠ بلاشير وترجمة المرحوم الأستاذ أحمد أحمد بدوى ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ٠
الثمن ٢٥ قرشا

غفلاته ، وكلا الفريقين اما ظالم له أو للأدب فيه ، وكما أن الانتصـــار جانب من العدل لا يسده الاعتذار فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقف بين الملامة بين تقريظ المقصر واسراف المفرط » .

وقد حاول القاضي الجرجاني أن يقف موقف الحـكم المنصف بين الفريقين المتخاصمين ووفق في ذلك الى حد لا بأس به وكان كتابه ردا مناسبا للحملة الشعواء التى شـنها الصاحب ابن عباد وأنصاره على أدب المتنبي .

والعبيدى صاحب كتاب « الابانة عن سرقات المتنبي » يتهم أنصار المتنبي بالغلو في تقديره ويتهم المتنبي في أصـــالته ويقول « لقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التى يفتخر بهـا أصـحابه وتعبر بها آدابه من أشعار المتقدمين منســوخة ومعانيهـــا من معـــانيهم المخترعة مسلوخة » .

ويقف الناقد المغـربى محمـــد بن شرف القيروانى من أدب المتنبي موقفا معتدلا فيقول في رسائل الانتقاد الأدبى التى نما فيها نمو المقامات ووقفها على الشعر والشعراء « أما المتنبي فقد شغلت به الألسن ، وسهرت في أشعاره العيون الأعين ، وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره ، والغـائص في بحره والمفتش في قعره عن جماته ودره ، وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف ، وله شيعة تغلو في مدحه ، وعليه خوارج تتعايا

في جرحه ، والذى أقول أن له حسنات وسيئات وحسناته أكثر عـــددا وأقوى مددا وغرائبـ طائرة وأمثاله سائرة وعلمه فسيح وميزه صحـ يروم فيقدر ويدرى ما يورد ويصدر » .

وفى الفصل الذى عقـــده ابن خـلدون مقدمته للحديث عن « صناعة الشعر ووجـ تعلمه » يقول « الشعر له أساليب تخصه لا تك للمنثور ، وكذا اساليب المنثور لا تكون للشعر فمـا كان من الـكلام منظوما وليس على ت الأسـاليب (أى الأسـاليب الخاصة بالشعر فلا يكون شعرا ، وبهذا الاعتبار كان الكثير مـ لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية ير أن نظم المتنبي والمعرى ليس هـو من الشعر شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب عند يرى أن الشعر لا يوجد لغيرهم » وذكر بعد ذ أسماء بعض من أسماهم « الفحول الاسلاميين وأغفل ذكر المتنبي بينهم ، وعاد في الفصل نفـ الى رأى شيوخه فقال « كان شيوخنا رحمهم يعيبون شـــعر أبى بكر بن خفاجة شاعر شـ الأندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الوا كما كانوا يعيبون شـــعر المتنبي والمعرى بـ النسج على الأســـاليب العربيـــة كما مر فـ شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق » .

ويعـــلل المستشرق الفـــرنسى الدكـ ر ٠ بلاشير سوء رأى شيوخ ابن خلدون في ا المتنبي بقوله « في النصف الثانى من القرن الـ الهجرى تحت تأثير نوبة من التقوى والزهد ا شملت اسلام أهل المغرب نظر كثير من الفقـ الى ديوان المتنبي نظرة كراهية ، لأنه قلما يـ بالتقاليد بينما هو دنيوى » .

ويحاول بلاشـــير أن ينفى عن ابن خـلد المشاركة في هـــذا الرأى وارتضاء هذا الـ فيقول « ولنسرع بأن نقول ان ابن خلدون بـ احترامه لأســـاتذته لم يرتض قط هذا الحكـ فهو يعيب المتنبي فقـــط كما يعيب كل نظـ « بأنهم جعلوا غرض الشـــعر في الغالب انما الكذب والاستجداء » وقد كان ابن خلدون ر

ـخصية قوى الحجة مستقل التفكير
كان يخالف شيوخه فى سوء رأيهم فى أدب
ا تردد فى الاجتراء على ابداء رأيه ،
عن التعليق على هذا الرأى يحتمل الى
معنى الاقرار والموافقة ، وقد لاحظت فى
التى كتبها ابن خلدون فى مقدمته
اه صناعة النظم والنثر وانتحال الشعر
ذلك كان يغفل المتنبى حينما يذكر اسماء
ار الشعراء فى معرض التقدير ، وحينما
ه مقترنا باسم أبى تمام والبحترى كان
معرض التنقص والاتهام بافساد الشعر
بمستواه الى الكذب والاستجداء .

ستشرق بلاشير دراسة وافية لأدب
بع فيها حياته منذ مولده حتى وفاته ،
نصائده بالشرح والتفسير ، وعنى
الملابسات التاريخية التى نظمت فى خلالها
د المتنبى الرنانة ، وفصل أخبار علاقته
ره وأمرائه ، وبحث آراء النقاد القدامى
فى شعره حتى سنة ١٩٣٥ ، وكتاب
ن ناحية الاحاطة والاستيعاب يكاد يكون
معرفتى منقطع النظير ، وقد وددت
ى عليه لو قدر لأحد الأدباء الدارسين
أدب المتنبى أن يجد متسعا من وقته
الكتاب الى اللغة العربية ، لا لنتلقى آراءه
لحق الذى لا يأتيه الباطل وانما لنفيد
ف على منهج فريق من العلماء الغربيين
، ولنرى قيمة أدبنا العربى فى موازينهم
ى مرآتهم ، والوقوف على وجهات النظر
بين على جلاء الحقائق وتجنب الأخطاء
، ولا خوف على المشارقة فى هذا
أطوار حياتهم من الخضوع لآراء الغربيين
ذاهبهم ، فقد ذهب زمن الاسراف فى
ب وشفى الشرقيون من عقدة النقص
، تزين لهم الاعجاب بكل ما يأتى من
نقاص كل ما كان مصدره الشرق .

بدا للمرحوم الدكتور أحمد أحمد
يترجم الى العربية القسم الأخير من
ير المشار اليه ، وهو القسم الخاص
بدراسة ديوان المتنبى عند العرب والمستشرقين ،
ومع اعتقادى ان الكتاب جدير بأن ينقل الى
العربية برمته فاننى أرى أن الجزء الذى قام
بنقله الدكتور بدوى له أهميته ، وبخاصة الفصل
الذى يرينا موقف المستشرقين من شعر المتنبى .

وقد بدأت تقوى عناية المستشرقين بشعر
المتنبى منذ أوائل النصف الثانى من القرن السابع
عشر ، ولكن المستشرق الذى أذاع اسم المتنبى
فى الغرب وجعله معروفا عند الكثيرين هو
المستشرق رسك الذى توفى سنة ١٧٧٤ فقد ترجم
ست عشرة قطعة غزلية وقطعتين فى الرثاء
للمتنبى ، ولكنه برغم ذلك لم يكن من المعجبين
بالمتنبى ، والمتنبى فى رأيه يدعى العلم والشعر ،
وهو فنان متكلف ودساس .

والظاهر أن هذا الحكم القاسى على المتنبى
استدعى العطف والتقدير من مستشرقين آخرين ،
فقد أثنى عليه بعد ذلك المستشرق هندل وختم
حديثه عنه بقوله « ان كثيرا من قصائده فخم
وعظيم جدا » .

وزادت عناية المستشرقين بالمتنبى وادبه
وأخلاقه فى القرن التاسع عشر ، واختلفت مواقفهم
منه ، فبعضهم كان يثنى عليه ويكبر عبقريته
ويمتدح فنه مثل دى لاجرانج الذى يقول عنه
« عندما ننتقل الى قراءة أبى الطيب بعد دراسة
عميقة للغة العربية لا نستطيع الا أن تعرف فيه
الصفات التى تكون الرجل العبقرى ، هذا
الشاعر ذو خيال وحمية وحماسة ، ويمتاز
خاصة بسمات الفحولة والنشاط وسمو
الأفكار » .

وفريق آخر كان ينتقص المتنبى ويعيب أخلاقه
وشعره ، ومن هذا الفريق المستشرق الفرنسى
الشهير سلفستر دى ساسى ، فقد كتب عن
المتنبى يقول « أنا لا أظن أن شاعرا كالمتنبى لعب
دورا هاما ، ولا نرى اليوم فائدة كبيرة فى أن
نعرف الدوافع الحقيقية لسلوكه ، ومع ذلك
لا يعطينى التملق المفرط فى قصائده أية فكرة
عالية عن أخلاقه ، وخصوماته مع الرجال الذين
كانوا قبل قليل موضوع مدائحه ترتبط على

ما يبدو لى بخلق الطموح المخدوع أو الطمع الذى لا يشبع » .

والمستشرق فون كريمر يحكم على ديوان المتنبى قائلا « قصائد أبى الطيب تمتاز بالمبالغات ذات الذوق الردىء وبالأسلوب الكثير الصنعة وبتغيير معانى الكلمات » وهو يفضل على ديوان المتنبى ديوان معاصره أبى فراس الحمدانى .

والمستشرق برو كلمان مثل فون كريمر لا يعجب بالمتنبى ، ويضع أبا فراس فى منزلة أعلى من منزلة أبى الطيب ، والمستشرق ايوار يرى الكثير من التكلف فى قول المتنبى : —

فى جحفل ستر العيون غباره
فكأنما يبصرن بالآذان

(والضمير المستتر فى يبصرن يعود الى الخيل والمقصود ان النقع المثار حجب الرؤية عن الجياد فكانت كأنما تبصر عن طريق السمع بآذانها وهو تصوير بديع رائع لمواقع القتال والمعارك الحامية الوطيس وليس فى هذا البيت الكثير من التكلف كما توهم أيوار) ؛ وقد أضاف ايوار الى هذا النقد قوله « هذه الاختراعات الثقيلة من مدعى النبوة ومعاصريه كان لها نجاح عظيم حتى أصبحت حاكمة مستبدة بالشعر الشرقى » .

ويحاول بلاشير أن يخفف من شدة قسوة هذا الحكم فيقول فيما يشبه الاعتذار « ربما كان رأيه أن الشرقيين هم وحدهم الأكفاء لأن يقدروا ديوان المتنبى ، وأن يفرضوا فى ذلك رأيهم » .

والواقع أن الذى يطلع على آراء كثير من المستشرقين فى أدب المتنبى وغير المتنبى من شعراء العرب لا يسعه الا الاقتناع بصحة هذا الرأى فى أغلب الأوقات ، ولقد أجاد المستشرقون المحدثون مثل كراتشوفسكى وجبريبلى وبلاشير دراسة المتنبى ، وأحسنوا استقصاء أخباره ، ولكنى أرجح أن دراسات الأساتذة العقاد وطه حسين وجبرى ومحمود شاكر ومارون عبود وغيرهم من أدباء العروبة ونقادها أسلم تذوقا

لأدب المتنبى من اخواننا المستشرقين على ٠
من جهد مشكور وفضل لايصح لانكاره أو ا

وقد رأى شاعر البحرين الأديب ا
والناقد القدير الأستاذ ابراهيم العريض أن
المكتبة العربية بكتاب قيم عن « فن المتنبى
ألف عام » وهذا الكتاب ثمرة أعجاب شديد
المتنبى ومصاحبة طويلة ودراسة مست
لديوان المتنبى ، والأستاذ العريض يصارح قر
مستهل الكتاب بتفضيله المتنبى على سائر
العروبة قائلا « حديثى هو عن المتنبى ،
شعرائنا على الاطلاق ، كنت ، وانا فى زهرة
وتباشير عهدى بالأدب العربى ، مأخوذا
المتنبى فى شعره ... وشخصيته ، وأ
حرصت منذ ثلاثين عاما أن اكتب فصو
— نشر بعضها فى مجلة « العروبة » وبقى
مخطوطا — حاولت أن أجعل من اضمامتها
لدراسته ، ولكن تبين لى — بعد — أنى
تلك المحاولات كمن يتخبط فى الظلام فيتو
أكتاف الآخرين ، هم مثله لا يكادون يتبينو
معالم الطريق .

« وأعرف الآن أنى كنت أتخبط فى
لأن اطلاعى آنذاك لم يكن يتجاوز عيون
الا الى بعض المختار من هنا وهناك ل
الشعراء ... معدودين ، فما كنت لم
لابد لن يتصدى لمثل هذا البحث من أ
من الاطلاع على وضع الأدب العربى ف
الرابع الهجرى ، وماسبق القرن ال
شيات هذا الأدب وتطوره فى العصرين
والأموى وقبلهما .... لثلاثة قرون
بالشواهد حافلة بالتطوارت ، وما يتأ
كلها من جذور فى الشعر العربى القديم
من الفنون — فى العصر الجاهلى الذى
الاسلام بكوكبه الوهاج .

« كما ان اطلاعى كان نزرا بالنسبة ال
السياسى الذى كان راهنا فى البلاد ا
آنذاك ... على سعة أطرافها المترامية
الظروف السياسية التى نجم عنها ،
الوضع عبر الثلاثة قرون الأولى منذ صد

« لقد كان أنسى بتلك المحاولة وأنا فى غرة
ر وغرور الشباب ، ثم تبين لى — بعد لأى —
هـذا الشاعر العظيم انما حاول موفقا « أن
ل شعره جماع ما مر باللغة من تجارب
مة وجديدة كان بعضها فى اعتبار أهل عصره
ب ، وبعضها عندهم حسنات ، نختلف فى
مها معهم الآن » .

« وقد عنانى — منذ تبين لى ذلك — أن
ح لنفسى ، قبل كل أحد ، لماذا نختلف
ن وهم — فى هذا التقييم ، فهذا الذى
انى أن أدرس الأصول الفنية التى ترتكز
أذواقهم واستعرضها — بعد وزنها فى ميزان
— على ضوء الأصول الفنية التى أصبحنا
عليها اليوم ، وكل هذا استلزم — كما
، — الاستنجاد بالتاريخ والاستعانة بالمعارف
تئناس بالفنون ، والاستظهار بالآداب ، حتى
عربية منها ، لوضع الأمور فى نصابها ،
ـ القناع عن وجه الحق بين طوايا هذه
.

ثم أن المتنبى « فطرته العربية كانت أغلب ،
الرغم من كل ما اخذه عليه الناس من حق
أصدق صوت عربى أخذ من حضارتهم
ة بنصيب بعد أن فطمته روح البادية »
ح لى استجلاء كل هذه الا بعد ان خلعت
ـباب ، وركنت بى تجارب العمر الى وقار
. »

ذه هى القصة الموجزة للأستاذ العريض
ره المفضل أبى الطيب المتنبى ، ويسترسل
العريض قائلا بعد ذكر هذه القصة
تل المحققون محارة المتنبى بحثا وتنقيبا ،
ـا وتمحيصا ، ونقدا وتحليلا ، كما لم
ـاوية فى شعره الا أثاروا غبارها لعين
، ووضعوا محتواها على المشرحة تحت
ومع هذا بقيت جوانب من حياته
غامضة ، بخل بها الزمان على أقرب
بهده وما تلا من عهود ، فلم يفض بها
الى آذان أفراد من وراء ستار صفيق من
والأوهام » .

ولا ينكر الأستاذ العريض قيمة بحوث القدماء فى أدب المتنبى مثل كتاب الموازنة والايضاح والوساطة واليتيمة والابانة والصبح المنبى ففيها جميعا مادة غنية للدارسين ، ولكنه يرى « انها لا تتعدى كونها مادة خامة لا تعين الباحث الا بقدر استعداده لاستخراج الجوهر منها بعد الجمع بين قراءتها ، وقياس أشباهها على نظائرها ، والاستدلال باللمح الذى لا يكاد يدوم عندهم — فى ومضه — الا ثوان » .

وقد وقف الفصل الأول من الكتاب على الحديث عن « المتنبى بين شراحه وناقديه » وعنده ان هؤلاء الشراح — قديما وحديثا — جنوا على عبقرية المتنبى جناية لا تغتفر من حيث لا يشعرون ، وهذه الجناية الخطيرة فى رأى الأستاذ العريض هى انهم « ظل وكدهم — خلفا عن سلف — أن يبينوا للناس ماذا يحاول الشاعر أن يقول ، أى أن يكشفوا بالجهد الجهيد مادة الشعر الخامة فى معانيه » وكان الواجب على هؤلاء الشراح — فى رأى الأستاذ العريض — « الذى يتمحلون له قصارى جهدهم هو أن يتبينوا لأنفسهم كيف خلص هذا الشاعر بحكم عروبته الأصلية ، من وراء هذا التراث الخام من المعانى الى الافضاء بدخيلة نفسه .. فى كل شعره ، ثم مدى توفيقه فى هذا الافضاء بها كاملة غير منقوصة والى أسماع من ترى ؟ لا الى الناس كلهم ، وانما الى « أمة » من الناس ، ففى ذلك — لا غير — سر عبقريته كلها » .

ومعجزة المتنبى البيانية كما يرى الأستاذ العريض ليست هى فى « ماذا » قال ، فهذا لا يتجاوز مادة شعره الخاصة ، وانما هى فى « كيف » أفضى بما أراد ، فهذه الكيفية — أو الطريقة أو أسلوب البيان — هى هى « روحه » من وراء تلك المادة » وهذا عنده ما كان ينبغى أن يتبينه الشراح فى ديوانه .

ويبدو لى أن الأستاذ العريض لا يفرق هنا بين وظيفة الشارح ووظيفة الناقد ، الا اذا كان يريد أن يطالب الشارح بأن يكون ناقدا ، وليس من الميسور فى جميع الحالات أن يجمع الشارح

بين القدرة على الشرح وكشف المعاني الدقيقة والقـــدرة على تذوق الشعر من الناحية الفنية والجانب البلاغي .

وإذا كان شراح شعر المتنبي قد أساءوا اليه واستحقوا العقوبة فان ناقديه – في رأي الأستاذ العريض – قد ظلوا يحسنون اليـــه على غير قصد منهم لأنهم كانوا يريدون به السوء والمهانة ، فقد قصروا نقدهم على مؤاخذته من ناحية اللغة في مفرداتها أو في ضـمائر النحو أو التعسف في الاعراب أو في الولع بالغريب والتنطع في الكلام وما الى ذلك من أشـباه هذه العيوب ، ومرجع هذه العيوب في رأي الأستاذ العريض إلى ما أسماه « عنجهيـــة فن المتنبي » وتأثير نشأته البدوية ، وفريق آخر من ناقـديه وحاسديه عمدوا الى مناقشته في أصول معانيه ، وفئة اخرى من نقاده وجهت عنايتها الى ما اعتبرته في شعره نكوصا عن الجادة كتعلقه بغموض المتصوفة وافراطه في المبالغة حتى الاحالة ، ومن نقاده من عابوا عليه نزوعه الى طريق الفلسـفة ، ويشير الأستاذ العريض الى نقاد المتنبي المحدثين الذين تتلمذوا للغرب وعابوا على المتنبي تزلفـه ومدائحه دون أن ينظروا الى طبيعة عصره ، ومنهم من اتهمه بالشعوبية ومن وســمه بالجنون ، واطباق هؤلاء النقاد عليه من كل صوب أفاده لأنه « ترك معدنه الوهاج عاريا للعيـــان » على حد تعبير الأستاذ العريض .

والواقع أن شراح المتنبي كالواحدي والعكبري وابن جني واليازجي والبرقوقي قد بذلوا جميعا جهدا مشكورا في تفسير غوامضه وتقريب البعيد من معانيــه ولم يقصر بعضهم في الاشارة الى الملابسات التاريخيـــة التي أحاطت بنظم بعض قصائده ومناســباتها ، وقد استنفد الكشف عما أسموه سرقاته جهد أكثر نقاده ، وقد أسرفوا في ذلك الى حد السخف والتجني ، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن نباته في كتابه « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » فقد ختم ابن زيدون رسالته الهزلية التي تولى ابن نباته شرحها في كتابه المذكور مستشهدا بقول المتنبي .

فمن جهلت نفســه قـدره
رأى غــير منــه ما

وعلق ابن نبـاته على هذا البيت الرسالة بقوله « من نوادر المتقين عل المتنبي قول أحـــدهم انه سرق هذا حكاية ، وهي أن قصارا كان يعمل عل نهر ، وكان كل يوم يرى كركيا يجيء ف الحمأة دودا ويقتصر في القوت عليه فرأ صـــقرا قد ارتفع في الجو وانقض ع فاصطادها وأكلها ، فقال الكركي مالي الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أ جسما ، فارتفع في الجو وانقض على حـ وسقط في الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ يمكنه أن يطير ، فأخذه الصياد ورجع فاستقبله رجل فقال « ما هذا ؟ » فقا يتصبقر » فسمع المتنبي هذه الحكاية ف معنى هذا البيت » وعقب ابن نباتة القصة بقوله « وهذا من نادر التعصب الرجل الفاضل المحسود » .

ويلاحظ القارىء ان ابن نباتة نظ الرواية من ناحية واحدة وهي ناحيـ على المتنبي ولم يعن بتحقيقها ، والقـ مختلقة ومصنوعة على الأرجح ، ولكن لو كانت حقيقية لما أزرت بقدرة المتنبي على براعته في استيحاء المعاني واستخـ والعظات من حوادث الحياة وتجارب وما الذي يعمله الفنان سواء كان شاعر أو كاتبا أخلاقيا أكثر من ذلك ؟ انه يسـ من تجاربه الخاصـــة وتجارب الانسـ فالقصة المروية تشرف المتنبي وتنم عـ فاذا كان الباعث على روايتهـــا أو التحامل كما يرى ابن نبـاتة فهو الـ ينفع المحسود ويرفع من قدره ، والعلمـ والكتاب والفلاسفة جميعهم يعتمدو المشـــاهدة ودقة الملاحظة والافادة وتجارب غيرهم من الناس .

ويرى الأســتاذ العريض أن الـ الدنيا وشغل الناس » لسبب جد

ب الأدب العربي جميعها تركزت فيــه ذروتها عنــده ، وهو من أجــل ذلك الشعراء بحق » .

نقد بعد ذلك فصلا عن نشأة المتنبي ويشير تــلاف الرواة في نشأته وحقيقة نسبه ه الى كتاب فيه أشراف العلويين حيث وس العربيــة شعرا ونثرا ولغة واعرابا ملازمة الوراقين وصحبته للأعراب في ، وفي رواية الخطيب البغدادي أن أباه كان بعيــدان السقاء ، ويذكر الأستاذ العريض تور عمر فروخ عثر مصادفة في قاموس ادى على هذا النص ، وهو « ان عيدان بالكسر لقب والد المتنبي » وقد استخلص ، أن والد المتنبي كان طويل الأطراف دقيقها شبه بعيدان السقاء ، وهي العيدان أو التي تنصب ليقام عليها السقاء ، ويبرر د الأستاذ العريض ما ذهب اليه الأستاذ شاكر من أن المتنبي علوي النسب ، وهي ، مسألة تحتاج الى مزيد من التحقيق .

، الباب الثاني من الكتاب يتحدث الأستاذ ، عن طريقة المتنبي في نظم الشعر وهو ، المتنبي كان « اذا تعرض لنظم معنى من التي لا صــلة لها مباشرة بظروف القول ن اعتباره التزام الشــاعر لطبيعة فنه ، وجرده من كل ملابساته العينية تجريدا ، له البيان كل الاختزال » .

حين أنه « اذا اقتضى ظرفه الماثل أن يعبر ء يختلج في صــدره لحينه ارسل الكلام — أو في حكم المرتجل — ملتبسا بشعوره » .

نو يطبق هذه القاعدة على شعر المتنبي كله عكسا ، فهو يتعمل ويختزل في البيان بغية اد والتجريد من الملابسات اذا كان ما يقوله ؛ له بظرفه الزمني ، أما اذا أراد التعبير ، اقتضت ظروف حياته الافضاء به فانه الكلام مرتجلا أو في حكم المرتجل ملتبسا ه الحي .

وهــذان « خيطــان من غزله الدقيق » ـهما في قصائده جميعها ، فأحد هــذين الخيطين ملون بشــتى عواطفه ، والخيط الآخر لا لون له غير البياض « لأنه ومض العقل المحض » ويقدم الأســتاذ العريض امثلة كثيرة من شعر المتنبي لدعم وجهة نظره .

وميزة حكم المتنبي في رأيي أنها دائما مستمدة من تجاربه ومشاهداته ، وهو لا يسوقها اليــك بطريقــة تعليمية مثل ناظمي الحكم على طريقة صالح بن عبد القدوس أو ابن الوردي وانما يأتي بالحــكمة في ســياق وصف الموقف أو رواية الحادثة ، من امثلة ذلك وصفه المشهور للأســد الذي يختمه بقوله .

أنف الــكريم من الدنيئة تارك
في عينــه العــدد الكثير قليلا
والعار مضاض فليس بخائف
من حتفــه من خاف مما قيلا

وهــذه هي طريقة كبار الشعراء العالميين في الاتيان بالحــكمة خلال الموقف التمثيلي الذي يصفونه أو القصــة التي يروونها وهي طريقة شكسبير وجيتي وغيرهم في الاتيان بالحكمة على ألســنة أبطالهم في المواقف المناسبة والمشاهد الملائمة ، ولست أرى هناك داعيا لهذه التفرقة بين الخيط الأبيض والخيط الملون .

وفي الكتاب فصول أخرى عن تقصيد القصائد عند المتنبي ودلالة المكرر من شــعره وصراحته الجارحة ودقة ملاحظته والاستقصاء الفني في التمثيل ويختم الكتاب بفصــل موجــز عن ما للمتنبي وما عليه .

وكتاب الأستاذ العريض يمزج النقد بالتاريخ مزجا مستساغا ويتناول أدب المتنبي بعطف ظاهر وحماسة محببة ، ويكثر من الاستشهاد بشعر المتنبي بطريقة تحمل القارىء على اعادة النظر في الكثير من قصــائد المتنبي ، وينثر الكثير من الآراء القيمة والملاحظات الطريفة ، وهو جدير بأن يلقى العناية والتقدير من قراء الأدب العربي ، والمتنبي في طليعة شعراء العروبة وقد يكفي هذا وحده العناية بأدبه وبكل ما يكتب عنه .

علي أدهم

الثورة في أفريقيا

تأليف : ك . مادهو بانيكار

ترجمة : روفائيل جرجس
مراجعة : الدكتور محمد محمود الصياد

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٢٤٤ ص ١٧ × ٢٤ الثمن ١٥ قرشا



من الهند كانت أول اشعاعة من الفكر الشرقي تلقى أضواءها على افريقية ففى أفريقية استقبل غاندى حياته وفيها بدأ كفاحه الخالد وفى أدران التفرقة العنصرية التى ماناها فى صدر شبابه فى جنوب أفريقية سمت روحه الى آفاق سامقة من الصبر والتضحية والتجرد والطهارة والكفاح السلمى المقدس لتطهير النفس من وقر الاستعلاء ، وتخليص الروح من حمى الخوف والطمع وتحرير الوطن من قيد الاستعباد .

ومن الهند كان أول نداء للحياد بين عملاقين يتصارعان فى ميدان السياسة ومذهبين يصطدمان فى عالم الفكر وطريقين للحياة يختلفان ولا يلتقيان أبدا .

وفيها أثمرت النظرة الشرقية تلك الدراسات الموضوعية العميقة عن الامبريالية والاستعمار والسيطرة الغربية وثورات التحرير القومية والتحرر من آثار الماضى وقيوده وتقاليده البالية ، فقد عانت الهند من الاستعمار والتفرقة والتفاوت الطبقى والتمايز العنصرى ما لم يعانه شعب من الشعوب ، وخاضت صامدة غمار ثورة ظافرة امتدت الى كل جوانب الحياة الهندية على يد غاندى وخليفته نهرو ، وغدت وحيا لكتاب الهند ومفكريها ، فلا أذكر فيما قرأت من كتب واستوعبت من دراسات ، بما فيها الدراسات التى حمل فيها الشيوعيون على

الاستعمار ، دراسات اتسمت بالعمق والاصالة والمو كدراسات الهنود فى هذا الميدان . .

ومن هؤلاء الكتاب الهنود ، ك مادهو بانيكار ، « آسيا والسيطرة الغربية » وكتابنا هذا الذى نس « الثورة فى افريقية » فعلى كثرة ما أخرجت الم السنوات الأخيرة من كتب عن أفريقية لا نرى من بينـ يلم بمشاكل تلك القارة كما يلم بها هذا الكتاب قارة خرجت أخيرا من غبش الظلام الذى ران عليـ حتى ظنها الناس قارة لا تاريخ لها ولا حضارة تكشف البحوث الجديدة عن بقايا مجتمعات حضارية جذورها القديمة ولها طابعها الخاص مهما حملت البداوة والطوطمية ، ولم تكن حضارة افريقية جميعا طوطمية تقوم على السحر والكهانة ، بل قام حضارات تأثرت على فترات متفاوتة من التاريخ بـ الشرقيين الادنى والأقصى ، فمما لا شك فيه أن حضـ امتدت الى بعض بقاع أفريقية فى الزمن القـ الحضارتين الهندية والعربية قد تركتا بعض لمـ اواسط وشرق افريقية وان الاسلام قد ضرب بجذو حتى وصل الى الغرب منها ، ولكنها فى الوقـ شهدت فيه قيام مجتمعات حضارية متقدمة الى حـ نراها تنطوى على مجتمعات بدائية تلوذ بالغابة القبيلة ، وقبيلة الغابة غير قبيلة الصحارى أو حيث تنطلق الحياة على رحابها مع انطلاقة البرية بينما تطويها الغابة فى حيز ضيق من العزلة الاجـ وبينما تتطور المجتمعات البشرية فى الصحارى والـ

الغابة حتى يصيبها الفناء أو يقعد بهـا الجمود ... بقية قارة عجيبة دون شك ، فقد شهدت بقاع اشعاعة للفكر الانسانى وقامت فيها أعرق حضارة خ ، حضارة مصر وحضارة قرطاجنة لم كانت بقاع أكثر اتساعا وشـمولا تعيش فى عصور ما قبل حتى كشف الانسان الحديث عن مغاليقها وفض وبدأ العالم يسمع عنها وعن شعوبها ، فانثالت ول القوية تنهب خيراتها وتسترق بنيها ، وغدت فى فترة من فترات التاريخ الحديث اكبر سوق ، ولكنها ظلت كنزا مغلقا لا يلقى اليه المستعمر جاه منهـا دون جهد او انفاق ، اذ كانت كنوز قصى تخلب لبه ، وتلهيه عن التطلع الى استثمار ستثمارا عريضا شاملا ، الا ما تند به المناجم من هب والماس التى يفوق ربحها كل ما ينفق عليها ت .

لت افريقيـة قارة يدخرها الاستعمار للمستقبل تنفد خامات الشرق الاقصى ، فحين بدأت عروشه « جنوب آسيا – كما يقول بانيكار – برزت افريقية فانتقل زراع البن والشاى من الهنـد ى كينيا وشرع زراع المطـاط يجرون تجاربهم فى وافادت افريقية الفرنسية والبلجيكية من الخبرة بها المزارعون فى الهند الصينية واندونيسيا ، فان الفرنسيان اللذان لعبا دورا بارزا فى تنمية ند الصينية (بنك الهند الصينية وبنك باريس لمنخفضة) ، يتدخلان فى افريقية الاستوائيـة غربية الفرنسية على نطاق واسع » .

فريقية التى دخلت فى حوزة الاستعمار فى مدى لزمن ، اخذت تتحرر من ربقته بأسرع مما وقعت وكان دخولها فى حوزته اشبه بخروجها منه ، برلين عام ١٨٨٤ اتفقت دول الاسـتعمار على ـارة ، وبانفاق الأمم المتحدة على تصـفية اخذت دولها تستقل وتحقق كيانها القومى ، ، فترة وجيزة بدايتهـا الحقيقية عام ١٩٥٨ – يا التى حققت استقلالها عام ١٩٥١ وتونس التى ، ١٩٥٤ – ففى ذلك العام ، عام ١٩٥٨ ، نالت ستقلالها كما تحقق اتحاد مالى فى نطاق الرابطة وفى عام ١٩٦٠ ، نالت سبع عشرة دولة استقلالها ، كل من تنجانيقا ، وأوغندا ، ورواندا بورندى ، والجزائر عام ١٩٦٢ ، وفى العام التالى استقلت كينيا بعد أن خاضت معركة عنيفـة للتحرر قادها شيخ زعماء افريقية جومو كينيـاتا ولم يبق فى افريقية من دول تخضع للاستعمار غيـر بضع دول فى حوزة الاسـتعمار البرتغالى والانجليزى فى طريقها هى الاخرى الى التحرر .

وقد حرص « بانيكار » فى كتابه هذا ان يستهله بتعداد دول افريقيـة والدولة التى كانت تستعمر كلا منها وتاريخ استقلالها ونوع الحكم فيها .

ولا يصور الكتاب كما يبدو من اسمه « ثورة افريقية » ثورة بالمعنى المفهوم للثورات سـواء كانت ثورة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، كما يصور نهضة قارة تتفاعل فى بوتقتها عناصر عديدة هى التى تناولها المؤلف فى فصول الكتاب فهناك الاهمية الجـديدة للقارة العذراء ، تلك الاهمية التى تبوأتها بعـد الحرب الثانية ، لا باعتبارها منتجا ضخما للخامات التى تحتاجها الدول الاستعمارية بعد ان تقلص نفوذها فى آسـيا ولـكن باعتبارها ذات أهمية استراتيجية بالغة ، فهى بالنسبة لبريطانيا مركز بديل للشرق الأوسط ولقنـاة السويس تعبر فوقه الى المناطق الحساسة التى تتركز فيها مصالحها الامبراطورية ، وكانت تأمل أن تتخـذ من كينيا قاعدة جديدة للتحكم فى البحر الاحمر تغنيهـا عن قاعدة السويس وتبقى على اتصالها بالشرق ، وهى بالنسبة لفرنسا تمثل عمقا استراتيجيا للدفاع عن الوطن ، اذا ما تعرض لنوع من الاجتيـاح العسكرى الذى تعرض له عام ١٩٤٠ ، فقد استطاع ديجول بعد ان سقطت فرنسـا فى يد النـازية ان يقود معركة التحرير من الخارج ، فأفريقية لفرنسا كسيبيريا للروسيا تستنزف جهد الغزاة .

ثم كانت الحرب الثانية فأكدت الأهمية الجديدة لقارة أفريقيـة – كما يقول بانيكار ص ١٦ – عندما أصبحت المصـدر الكبير للحبوب الزيتية والكاكاو واليورانيوم والقصدير ، هذا فضلا عن اكتشاف البترول فى الصحراء الكبرى والكميات الهائلة من الحديد والنحاس والمنجنيز والبوكسيت وغيرها من المعادن الاخرى التى توجد بكميات وفيرة فى كل أنحـاء القـارة ، مما أدى بدوره الى نمو الاستثمارات المالية والاقتصادية فى أعقاب الحرب الثانية نموا لم تره أفريقية من قبل .

وأدت تلك الاهمية الجديدة للقارة الى تشابك المصالح الحيوية للدول الكبرى والى انتهاج كل منها سياسة تراها كفيلة بتحقيقهـا . فنزلت اليها أمريكا بقوتها الاقتصـادية

والاستثمارية الضخمة تستثمرها في تعدين النحاس والذهب والماس والحديد الخام والتنقيب عن البترول ، وشاركها راس المال الانجليزي مشاركة فعالة وشهدت المستعمرات الانجليزية القـديمة كروديسيا ونيجيريا وجنوب أفريقية اتحاد الشركات الانجلو أمريكية تنزل بكل قواها الى ميدان لم تلق اليه مثل هذا الاهتمام من قبل وان لم تغفل قط عنــه .

ولم يقف تحالف راس المال الامريكي على مشاركة راس المال الانجليزي وحده بل تقفز به الى مشاركة رءوس الاموال الفرنسية والبلجيكية في غينيا والكنغو وجابون والكميرون واتحدت بذلك المصـالح الغربية على نظرية واحدة وهي « ان افريقيــة هي قارة المستقبل » او هي كما يقول « جانورورف » (ص ١٧) آخر ميـدان للرأسـمالية المعاصرة .

ولم تغفل روسيا عن هذا الميدان وقد ظلت بنجوة عنه طويلا فولجته على طريقتها التقليدية التي ترمي الى هدم العالم الرأسمالي وتقويض أركانه ولـكن بأسلوب جديد ارتآه خروشوف وخالف به أسلوب سلفه الراحل « ستالين » — ويرى بانيكار أن حاجز الشرق الأوسط كان حصنا يقوم دون التغلغل الشيوعي الى أفريقية أما وقد تقوض هـذا الحصن فلم يعد هناك ما يمنع روسيا من ولوجه ، والحقيقة ان الشرق الأوسط لم يكن حاجزا منيعـا امام التغلغل الشيوعي في أفريقية ، فقد كان من اليسير أن تعبر قوته دون أن تلقي بالا اليه ، ولكن اهتمام روسيا بأفريقية وكان اهتماما قديما لم ينفـذ استراتيجيته الايجابية في أفريقية الا بعد أن ظفرت دولها بالاستقلال ولم تعد هناك عوائق استعمارية تقف دونه ، وكانت ترى أن دول أفريقية اذا اتخذت موقف الحياد بين الشرق والغرب — وهو ما أشار اليه بانيكار — فان ميزان القوى سينقلب ضـد العالم الغربي .

ونستطيع أن نلخص طبيعة الصراع بين الغرب والشرق في أفريقية في عبارة موجزة وهي أن الغرب يحاول أن يقيم امبراطورية ناميـة لاستثماراته الضخمة ، وأن الشرق يعمل جاهدا على تقويض تلك الامبراطورية قبل أن تقوى وتتركز ، وقام عمله على أساس علمي لعل أجدر ما يشار اليه منـه هو اهتمام روسيا بدراسة السلالات البشرية في أفريقية ودراسة الثقافة الأفريقية حتى تستطيع أن تنفذ الى قلوب الأفريقيين وعقولهم في سـهولة ويسر ، وكانت جمعية الصداقة السوفيتية الأفريقية وفروعها في غينيا والسودان ومالي والسنغال وتوجولاند هي القلا للسياسة الروسية في افريقية .

ولم يعد الاهتمام بأفريقية مقصورا على كـ والغرب فقد أخذت الجمهورية العربية المتحدة تلع في القارة ، وليس اهتمام الجمهورية العربية المتـ على السودان ونيجيريا وافريقية الفرنسية بانيكار — حيث يراه قائما على الرباط الديـ الأزهرية والروح الاسلامية المصرية فحسب ، التي تربط مصر بأفريقية صلات تاريخية وجغرا وقد أشار كتاب « فلسفة الثورة » الى تلك ال العوامل التي تحتم على مصر الاهتمام بأفريق « ايمكن أن نتجاهل أن هناك قارة أفريقية شا ان نكون فيها ، وشاء ايضا ان يكون فيها اليوم حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره سواء أردنا أو لم نرد ... وليس عبثا أن شمال أفريقية ، ويطل من على القارة السوداء فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها البيض و من أجل مواردها التي لا تحد » .

فاهتمام الجمهورية العربية المتحدة بأفريقية حواجز الدين واللغة والعنصر الى المصير الم الحرية والرخاء في القارة التي أخذت دولها ال قمة الأحداث في عالم ينوشه صراع مذهبي حاد و وتر الخوف من الدمار الذي يشيعه سباق الت الرهيب .

وقد برزت وحدة افريقية في اجتماع دول الذي عقد بالقاهرة اخيرا (أكتوبر ١٩٦٤) فأك وحدة نضالها المشترك في سبيل السلام والرخاء

وثمة دولة أخرى تبدي اهتماما بأفريقية حيث تربطها من قديم الزمان صلات وثيقة بشرق كما أن لها تجارة رائجة — هي تجارة المنسوجات بغرب افريقية .

ولها ايضا في كفاحها السلبي ضد الاستعما على يد غاندي ما تتخذ منه بعض دول القارة الا لعلاقاتها السياسـية والقومية ومن الافريقيين مذهب عـدم العنف اقتـداء بغاندي من أمثال بوانيي » في ساحل العاج و « أبو ايتا » في نيج

ومن مظاهر اهتمام الهنـد بأفريقية انشا الدراسات الأفريقية بالهند وانشاء خط ملاحي هندية يربط بين غرب أفريقية والهند .

أشار بانيكار دون افاضة الى اهتمام اسرائيل بأفريقية الأمل الذى يراودها فى خلق تعاون مثمر بينها وبين أفريقية يؤمنها ضد الدول العربية ، ولعله فى طبعته ة مشيرا الى فشل الجهود التى تبذلها اسرائيل فى أفريقية والى تأييد الدول الافريقية بالاجماع فى مؤتمر الانحياز بالقاهرة لحقوق عرب فلسطين .

ليست تلك الأهمية الجديدة لقارة أفريقية هى العنصر د الذى يتفاعل مع ذاته داخل البوتقة الافريقية فهناك أخرى كما قلنا هى التى تناولها هذا الكتاب وجعلها عه ، وهذه العناصر حين تتفاعل بعضها مع البعض ل لورة كما قلنا أو كما يتراءى لقارىء عنوان الكتاب تمثل نهضـــة أو هى عمليـــة تطور بكل ما يحيط ض والتطور من عوامل مساعدة وأخرى غير مساعدة ، ب أن نسميها مشـــكلات أو عوائق تقف أمام التطور ض فهذا أبعـــد ما يكون عن ذهن المؤلف فانه على ن لا يرى فيما يراه البعض من تلك المشكلات عائقا الأخرى عن النهوض والتطور ، ولا يحب أن يجردها نت نفسه من طبيعة المشكلة ، وانما يبرز ــ وهو ـدو واضحا فى كل صفحات الكتاب ــ كيف طور بون تلك المشكلات بحيث غدت دعامة للقوة بدل ن معولا للهدم أو حتى دعامة للجمود والتأخر . فهناك الدولة القومية وهناك حيوية التغير ، تلك الحيوية درة على التغير التى أراد المترجم أن يعبر عنهـا الانجليزى فدعاها « ديناميكيـــة التغير » وهنـاك ، الزعامة والحزبية ومشكلات الدولة النامية التى ى سياسة الدولة وانماط الحكم ، كما أن هناك نداء الأفريقية الذى يصب فى القارة من الخارج ويترك لبعيـــدة بين المثقفين والزعماء ورجـال الحـكم فى ، ولكل من هذه المشكلات طابعه الخاص فى كل طابع يميل الى التكيف مع الواقع الذى فرضـته ث التاريخ فى الماضى ، وتطور الكيان القومى الذى فى كثير من الأحيان قوى خارجية تجاهلت الى حد واجز اللغة والاقليم والعنصر ولم يشأ الافريقيون تلك الحواجز دون نهوضهم واستكمال كيانهم القومى الاقتصادى والاجتماعى .

و أن المؤلف قد رأى فى ذلك العرض الشامل للصورة ة على تعدد أشكالها ما يحول دون ابراز الفكرة التى ولها ويعمل على تثبيتها فى الأذهان ــ فكرة اصرار على اثبات وجوده ، اثباتا يقوم على السير الجاد فى ركب التقـــدم العالمى ــ فعمل على اعطاء صورة جزئية تتمثل فى دولة أفريقية نامية ، واختار غينيا نموذجا لتلك الصورة التى يحاول أن يبرز فى اطارها مشكلات القارة عامة ، وكيف تعمل دولة بعينها على تحدى تلك المشكلات والتغلب عليها والاستجابة لعوامل التحـــدى التى فرضها القدر ويفرضها المصير المشترك للقارة العذراء على شعوبها ودولها النامية الجديدة .

وتتعدد مشكلات القومية والدولة القومية فى افريقية بتعدد المؤثرات التى فرضت عليها وحددت مصيرها فى الوقت الحاضر على الأقل ، اذ أن عناصر التحدى لتلك المشكلات ما زالت قائمة تلعب دورها على المسرح وقـــد تؤدى فى المستقبل القريب او البعيد الى تغيير شكل الدولة الاقليمى أو اللغوى أو العنصرى او الاقتصـــادى او جميعها معا ، فالكميرون التى قسمها الانتـــداب فى أعقاب الحرب الأولى الى قسمين « أحدهما تحت الانتداب البريطانى والآخر تحت الانتداب الفرنسى » ثم رأت بريطانيا تقسيم منطقة انتدابها فى الكميرون تيسيرا للادارة ، الى الـكميرون الشـمالى والكميرون الجنوبى ، وأدى هذا الوضع الى تمزيق وحدة الكميرون الاقليمية كما أدى أيضا الى نمو تقاليد متباينة فى كل أقليم منها ، فضلا عن حاجز اللغـــة الذى يفصل بين الـكميرون البريطانى والـكميرون الفرنسى ، بالرغم من كل هذه العوائق مجتمعة يتطلع الكميرون جادا وفى اصرار بالغ الى تحقيق وحدته الاقليمية حتى يمكن القول بأن هـــذا الاصرار على الوحدة هو الذى دفع « بفونشا » الذى يؤيد حزبه سياسة الوحدة ، الى الحكم .

وثمة صـــورة أخرى لمشكلة الدولة القومية فى أفريقية لا تتمثل فى وحدة الاقليم كما هى فى الكميرون ، بل تتمثل فى وحدة الشعب « الأيوى » الذى قسم بين ساحل الذهب واقليم توجولاند الالمانى ، ثم جاءت الحرب الأولى فأدت الى تقسيم توجولاند الالمانية بين فرنسا وبريطانيا دون أن تضم شعب « الأيوى » كله الى احـــد القسمين . وحين اختارت توجولاند البريطانية الاتحاد مع غانا بأغلبية ضئيلة ، تفاقمت مشكلة شعب الأيوى فى غانا وهى مشكلة شعب ينشد وحدته الاجتماعية فى غانا أو فى توجولاند .

ويبدو جوهر المشكلة فى هاتين الصورتين كامنا فى الصراع النفسى بين الولاء للاقليم والولاء للعنصر وهو الذى دعاه بانيكار خطـــأ بالولاء للمجتمع (ص ٢٨) فى حالة شعب الأيوى والولاء للقبيلة ذلك النوع من الولاء الذى يتزعمه « أوولوو » فى غرب أفريقيـــة ، فالولاء للمجتمع والولاء

للقبيلة يقومان على أسس نفسية واحدة تتميز بالولاء للمجموعة البشرية التي ينتمي اليها الفرد ، سواء كانت تلك المجموعة البشرية قبيلة أو شعبا ، فالولاء للشعب يستمد جذوره القديمة من الولاء للأسرة والعشيرة والقبيلة وحين ينمو هذا النوع من الولاء القبلي بتطور المجتمع البشري من الأسرة الى العشيرة والقبيلة والأمة يتطور معها ولاء الفرد حتى يصبح في النهاية ولاء للأمة التي ينتمي اليها ، والمعروف ان المجتمع القبلي يعوق تطور الأمة واكتمال الكيان القومي وان كان بانيكار لا يرى هذا الرأي ، ويرى أن الولاء للعشيرة دعامة أقوى للقومية فان النيجيري – كما يقول ص ٣٠ – يمكن أن يكون « وطنيا افضل لو استطاع ان يفخر بأنه ينتمي الى شعب « اليوروبا » او « الايبو » أو « الهوسا » . وتلك حقيقة لا جدال فيها ، غير أن الولاء للعشيرة أو الولاء للعصبية كما يدعوها ابن خلدون اذا طغى على الولاء للأمة كان عائقا دون نمو القومية واكتمال الكيان القومي ، وبقاء المجتمع القبلي نفسه يعوق نمو المجتمع القومي .

ومشكلة الولاء المحلي أو الولاء للقبيلة في أفريقية ، لا يمكن أن تبقى وليس في قدرتها أن تعوق اكتمال الكيان العام للدولة القومية ، فان تقدم أفريقية الحقيقي لا يتحقق دون اضطلاع دولها القومية بالأعباء التي تفرضها حتمية التطور والتطلع الى مستقبل أفضل .

وتحاول دول أفريقية رغبة منها في القضاء على النزعة القبلية ، أو تعلقا بأسطورة ترى فيها سندا لكيانها القومي أو تمجيدا لماضيها ، أن تبحث عن فكرة الدولة أو الامبراطورية في ماضيها كما في « غانا وغينيا ونيجيريا ومالي وربما في الكونغو » حيث تقوم الفكرة على بعث احدى امبراطوريات غرب أفريقية ، أو تقتنص ظلا لزعامة قديمة تمدها بالولاء للوحدة القومية كما ترى غينيا في « سيكوتوري » حفيد ساموري ذلك المكافح العظيم الذي ظهر في غرب أفريقية ، أو حتى تتعلق بماض حديث حيث تتمسك الكيمرون بوحدة الأراضي التي كانت قبلا مستعمرة المانية .

وتبرز بين حين وآخر فكرة الحدود السياسية التي خلقها الاستعمار وهي ما تثيرها أحيانا بعض الدول الافريقية كتوجو ويسكت عنها بعضها الآخر كغانا والتي يرى فيها بانيكار مثارا لعدد من المشاكل القومية التي واجهتها أوربا في الماضي يمكن أن تودي بأفريقية الى الحرب كما أودت بأوربا من قبل

وتمر أفريقية في الوقت بمرحلة حاسمة من مراحل التغير الشامل يثير عددا من المشاكل امام دولها النامية ، فالنظام النقدي والهجرة الى المدن وقيام طبقة سوفسطائية من الافريقيين المتعلمين خلقها الاستعمار وتعلقت بأذياله واتخذت من المدن التي أقامها الاستعمار سكنا ومقاما وكان لها دور بارز في تحديد العلاقة بين الوطنيين والحكومات الاستعمارية فكانت المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا وفرنسا في داخل البلاد من صنعها وبرز بعض أفرادها في ميادين الادارة والمهن وتزعم بعضها الآخر حركة المساواة بين الافريقيين والبيض ، كل هذا كان بادرة من بوادر التغير العميق الذي يشمل القارة وخاصة في المستعمرات البريطانية والفرنسية في غرب أفريقية .

وهناك هذا التغير الهام في الميدان الاقتصادي عندما ادخل الافريقيون زراعة الكاكاو الى ساحل الذهب وغرب نيجيريا وساحل العاج والكيمرون الفرنسي ، وكان من القدر له أن يلعب الدور الأول في التغيير في غرب أفريقية لولا أن زراعته لم تدخل تلك الاقاليم في وقت واحد ، ولم يكن الكاكاو هو الغلة الوحيدة فهناك أيضا زيت النخيل الذي قام عليه الرخاء في شرق نيجيريا وداهومي والموز في الكيمرون وغينيا والبن في ساحل العاج والكيمرون وغينيا والقطن في السودان وشمال نيجيريا وأدى ذلك الى قيام طبقة من التجار والوسطاء الذين يعملون في تسويق تلك المنتجات ، وطبقة اخرى من العمال الزراعيين الذين يعملون في تلك المزارع . والى جانب هذه الطبقة من العمال الزراعيين نشأت طبقة جديدة من العمال الصناعيين في المدن فأصبح المجتمع وهو يتكون من هذه الطبقات الجديدة الى جانب الطبقات القديمة التي تحكمه وتمارس سلطتها التقليدية فيه من الأسر المالكة وزعماء القبائل ورؤساء الاقسام والفقهاء والمطببين ممن يمكن أن نعدهم سادة المجتمعات القديمة وما زالوا يتمتعون بالسطوة والنفوذ في بعض اجزاء غرب أفريقية وخاصة في المستعمرات البريطانية التي اخذت بسياسة الحكم غير المباشر فقد اضعف الحكم الفرنسي المباشر من شأنها في المستعمرات الفرنسية . الا أن هذه الطبقات القديمة المتميزة قد أخذت تفقد الكثير من نفوذها وجاهها امام تقدم الديمقراطية واهمال الحكومات لها . وأدى اهمال تلك الطبقات القديمة الى نوع من الصراع بينها وبين الحكومات كما أدى بها الى الاقبال على التعليم حتى تستطيع عن طريقه الابقاء على بعض مظاهر كيانها التقليدي بما يتيحه لها التعليم من تقدم في الميدانين السياسي والاداري .

الا ان التعليم قد خلق بدوره مشكلة أخرى من مشكلات التغير التى تمر بها القارة فالمتعلم الذى اعتنق المسيحية قد سيطرت عليه نظرة الازدراء لتقاليده القديمة والاستعلاء على أبناء جلدته من الوثنيين وغير المتعلمين .

وشمل التغير حياة المرأة فقد أخذت تتحرر من قيود المجتمع القديمة وتسلك طريقهـا حرة مستقلة تمارس حقوقها وتتمتع بكيانها المستقل حتى غدت منهن من تفضل الحياة الحرة على قيود الزواج واقمن الجمعيات لحمايتهن من غوائل المستقبل ، وبدان دورا باهرا فى ميدان العمل والسياسة وظهر فيهن أمثال « مدام كوليبالى » فى ساحل العاج و « مدام رانسم كوتى » فى نيجيريا ، وكان لهن دور بارز فى حركة التحرر الافريقى .

ومن القوى البارزة التى تلعب دورها على المسرح الافريقى ما يتمتع به الزعماء والأحزاب السياسية من قدرة على مواجهة التغيير وتحدى المشكلات القديمة والطارئة على السواء بالرغم من حداثة ظهورها ، فحزب التجمع الديمقراطى الافريقى لم يظهر الى الوجود الا عام ١٩٤٥ وتلاه حزب الميثاق الشعبى عام ١٩٤٧ ، فجماعة العمل عام ١٩٥١ .

ولكن الزعامة الافريقية بالرغم من حداثتها قد استطاعت ان تثبت وجودها وساعدها على ذلك قصر الفترة التى خاضتها مع الاحزاب التى استنفدت البهاق كفاحها لتحقيق الاستقلال .

ويستعرض بانيكار فى هذا الفصل نشأة كل زعيم والظروف التى حملته الى الزعامة ومواهبه الشخصية وقدرته على القيادة ومظاهر الاختلاف بين الزعماء لا فى المنهج والاسلوب فحسب بل من حيث السمات الشخصية والمقومات السياسية ، كما يستعرض نشأة الاحزاب وتطورها والدور الذى قامت به قبل الاستقلال والذى تضطلع به بعد الاستقلال .

ومن المشكلات التى تواجهها الأحزاب بعد الاستقلال تعدد الاتجاهات بين اعضائها فطالما كان هدفها القومى قائما على تحقيق الاستقلال بقيت وحدتها متماسكة ، أما وقد تحقق الاستقلال فان الاتجاهات الفرعية تسفر عن نفسها سواء نمت تلك الاتجاهات عن ميول اقليمية أو طائفية أو مذهبية ثم ان هذه الاحزاب وقد وجهت كل قواها وكفاحها لتحقيق الاستقلال اهملت أن تعد لنفسها برنامجا لحفظه لبناء الدولة فى عهد الاستقلال .

والمشكلة التى تواجهها الدولة فى بنائها الحديث بادية فى قلة المتعلمين الذين يضطلعون بالوظائف الادارية ونقص الكفايات الفنية القادرة على اقامة البناء الاقتصادى والاجتماعى للدولة ، والحاجة الى وجود صف ثان من الزعماء يضطلع بالحكم والقيادة فى المستقبل .

وينتهى بانيكار من هذه الفصول الخمسة الأولى برسم الاطار العام للمشكلات التى تواجهها دول أفريقية بعد الاستقلال ليبدأ الحديث فى الفصل السادس من الجامعة الأفريقية فيتناول نشأة الفكرة وكيف جاءت الى أفريقية من الخارج حيث ابتدعتها ودعت اليها « ذرية العبيد المستوطنين فى الولايات المتحدة وجزر الهند الغربية الفرنسية والبريطانية » ثم يشرح اتجاهى تلك الدعوة على يد رائديها « جارفى » و « دى بوا » فقد رأى جارفى أن مشكلة الزنجى الامريكى لا يحلها غير خلق كيان مستقل للزنوج وهداه تفكيره الى تهجير زنوج أمريكا الى افريقية لتكون لهم دولة تنشأ فى المستقبل ، أما « دى بوا » فقد أدرك ان مشكلة الزنجى الامريكى يجب حلها فى امريكا ذاتها على أساس المساواة بينهم وبين البيض .

ويمضى بانيكار فى تتبع فكرة الجامعة الأفريقية وامتدادها الى جنوب افريقية وتأثيرها بين الأفريقيين وخاصة المثقفين منهم ، والمؤتمرات العديدة التى قامت فى اطار الفكرة حتى كان مؤتمر مانشستر الذى عقد عام ١٩٤٥ وفيه ظهر « نكروما » و « جومو كينياتا » ولم يكن مؤتمرا افريقيا بقدر ما كان مؤتمرا للزنوج فقد غابت عنه الدول العربية وفيه تبلورت الدعوة الى تحرير افريقية ، ثم كان مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا عام ١٩٥٨ وفيه اجتمعت شعوب القارة جميعا بشقيها الزنجى والعربى .

ويرى بانيكار أن شخصية « جومو كينياتا » كانت الشخصية البارزة المسيطرة فى مؤتمر مانشستر ويعتقد ان « كينياتا » هو القادر وحده على جمع الأحزاب الافريقية المتشاحنة وقد بقيت روحه ترفرف على مؤتمر أكرا بالرغم من غيابه عنه .

وفى مؤتمر أكرا انطلقت الدعوة الى اطلاق سراح « كينياتا » و « بن بيلا » كما برزت الوفود العربية فى تأييد استقلال الجزائر ونجح الوفد الجزائرى فى تلطيخ سمعة فرنسا بالوحل .

ويرى بانيكار أن حلم الجامعة الافريقية سراب خادع ولكن دول افريقية ستصبح دون شك بأجمعها قوة كبيرة فى الأمم المتحدة ، مع أن لها من القوة ما للكتلة الأسيوية وكتلة أمريكا اللاتينية ، ونستطيع أن نضيف الى ما قاله

بانيكار ، أن عمل الكتلتين الاسيوية والافريقية معا سيجعل منهما فى الامم أعظم قوة فى الميدان الدولى وهو ما بدت بوادره فى مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد بالقاهرة أخيرا . -

ويفرد بانيكار الفصول الثلاثة الاخيرة لدراسة غينيا ويبدأ بشخصية الزعيم سيكوتورى وكيف بدأ « يتألق فى سماء أفريقية » عام ١٩٥٨ ، وكيف كانت نشأته وكيف بدأ نشاطه السياسى بالعمل فى حزب التجمع الافريقى حتى أصبح سكرتيره العام وهو فى السادسة والعشرين من عمره وكيف استكمل ثقافته السياسية فى فرنسا حيث درس الماركسية والتنظيم الشيوعى ، ثم يعرض لنا صورته من خلال عمله وتحليله لشخصيته وعقائده الفكرية والسياسية التى تسيطر على تفكيره ، وصفاته التى تميز سلوكه وخلقه ويرى أن الكرامة هى الصفة البارزة التى تسيطر على خلق سيكوتورى وسلوكه .

والحزب فى غينيا هو السلطة النهائية ويبدأ تكوينه من القاعدة حيث تنبث خلاياه وتشكيلاته فى كل المدن والقرى والاقسام ولكل منها تمثيلها النيابى للجماهير وقد استطاع الحزب بهذا أن يوفق بين العناصر المختلفة من « السوسو » و « الفولانى » و « المالكى » التى تعمل جميعا فى اتساق وتجانس والحزب بالنسبة للدولة هو ما يحتل مكان الصدارة ويقوم تشكيله على أربع مجموعات تمثل : الفلاحين ، والعمال ، والشباب ، والنساء ، وتحتل النساء مكانة مرموقة فى الحزب بما يقمن به من جهود وما يؤدين من خدمات نظير ما نلنه من حق المساواة .

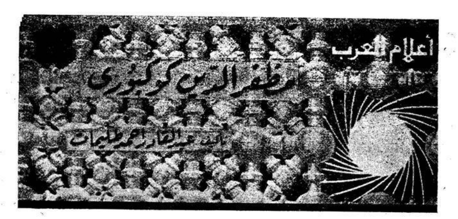
واستطاع الحزب أن يحقق ديمقراطية الحكم بسيطرته على الجهاز الادارى للدولة ابتداء من القرية الى أعلا وحدة ادارية . فقد أخذ الحزب بنظام الحكم الشعبى المحلى فالقرية يديرها مجلس يختار رئيسا للقرية وهكذا فى المستويات العليا ، فمصدر السلطة هو الشعب وهو القاعدة التى تبدأ منها كل التنظيمات الادارية والحزبية لتصب فى مستويات أعلى .

ويمضى الكتاب فى شرح التطوير الجديد لنظام الادارة والحكم وتعديل نظام الضرائب والنظام القضائى ويختتم فصوله بالمكانة التى حققتها غينيا فى المجتمع الدولى بعد أن اختارت الاستقلال والانفصال عن الرابطة الفرنسية فكانت أول دولة داخل المجموعة الفرنسية تختار هذا الطريق مما حمل عليها فرنسا ، وحمل غينيا بدورها على أن تواجه تحدى فرنسا وتنجح فى دعم كيانها المستقل بل وفى تغيير طبيعة الرابطة الفرنسية وكان أعظم نجاح حققته غينيا هو صمودها فى مواجهة المحنة التى اجتازتها عقب الاستقلال حتى احتلت مكانها المميز بها فى المجتمع الدولى كدولة افريقية مستقلة متحررة نامية .

والكتاب كما قلنا دراسة عميقة شاملة لمشاكل قارة تواجه مستقبلها الجديد فى حيوية وتفتح غير انه قصر بحثه على غرب افريقية ولم يشر من بعيد أو قريب الى مجموعة هائلة تسكن القارة الافريقية وتحتل نطاقها الشمالى هى المجموعة العربية . ولا يعرف عنوان الكتاب بالانجليزية فقد أهمله المؤلف وأهمله الناشر على غير ما يجرى به العرف الحديث فى الترجمة من الاشارة الى عنوان الكتاب بلغته الاصلية ، ولا نستطيع مع جهلنا بالعنوان أن نحدد مصدر الخطأ فى عنوان الكتاب اهو خطأ المؤلف أو خطأ المترجم ، كما انه لم يعرض الا فى اشارات خاطفة لمشاكل وسط وجنوب وشرق افريقية واحرى بالكتاب أن يسمى « ثورة غرب افريقية » .

الدكتور حسين فوزي النجار





يتصف تاريخ الشرق الأدنى فى القرن الثانى عشر للميلاد بالاضطراب وعدم الاستقرار بسبب ما كان هنـاك من حروب مستمرة بين المسلمين والصليبيين ؛ فضلا عما أصاب الخلافة العباسية من ضعف أدى الى ظهور عدد كبير من القوى المتنافسة على حسابها . وفى ذلك الجو المضطرب ظهر المجال واسعا لظهور عدد كبير من المغامرين من أمراء المسلمين الذين حققوا لانفسهم مكانة اما لنشـــاطهم المحلى على حســـاب القوى الاسلامية المجـــاورة واما لمساهمتهم فى جهاد الصليبيين . وقد اختار الأستاذ عبد القادر أحمد طليمات أحـد أولئك الأمراء ـ هو مظفر الدين كوكبورى أمير أربل ـ ليكتب عنه كتابا يحمل رقم ٣٢ فى سلسلة أعلام العرب التى تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

والقـــارىء لـكتاب مظفر الدين كوكبورى لا يسعه سوى أن يشهد بالجهد الكبير الذى بذله مؤلفه فى جمع المادة واستخراج الحقائق من بطون المراجع ثم تنســـيقها وعرضها عرضا شيقا فى أسلوب سهل جذاب . ولكن الى جانب هذه المزايا العديدة التى يزخر بها هذا الكتاب ، فان لنا عليه بعض انتقادات نجملها فيما يلى : ـ

أولا : أتى المؤلف بمقدمة حاول فيها أن يثبت عروبة مظفر الدين ، وقال فيهـــا ان العروبة لا ترتبط بالجنس أو الأصل ، وقال ان هناك من اعترض على نشر كتـاب عن الظاهر بيبرس فى سلســـلة اعلام العرب بحجـة أنه ليس عربى الأصل . والواقع أنه لم يحدث أن أحدا اعترض على نشر كتاب عن الظـــاهر بيبرس فى سلسلة أعلام العرب ، كما أن مؤلف كتاب الظاهر بيبرس أتى بمقدمة شافية حدد فيها معنى العروبة ؛ وهى المقدمة التى يبـــدو أن مؤلف كتاب مظفر الدين استقى منها بعض أفكاره .

ثم ان المؤلف عقد مقارنة غريبة بين الظاهر بيبرس ومظفر الدين كوكبورى ، وجعـــل من الرجلين ندين متعـــادلين ، لأن كلا منهما مسلم العقيدة دافع عن الاسلام وتكلم العربية . فهل نفهم من هذه المقارنة أن كل رجل مسلم العقيدة ، عربى اللسان ، دافع عن الاسلام ، يعتبر علما من أعـــلام العرب . وهل قام الأمير مظفر الدين كوكبرى بدور قيادى يدانى الدور الذى قام به السلطان الظاهر بيبرس فى الجهاد والدفاع عن الاســـلام ؟ لقد فاتت المؤلف حقيقة هامة هى أن مظفر الدين كان أميرا صغيرا حكم امارة صغيرة ، وانه فى مشاركته فى الجهاد كان تابعا لا متبوعا وكان مأمورا لا آمرا ؛ فى حين كان بيبرس حاكم دولة واســـعة مترامية الأطراف ، وصاحب سياسة بعيـدة الأهداف فى الجهاد ، وأنه كان يجيش الجيوش ويخـــرج لقتـال المغول حينا والصليبيين أحيانا ، وأنه عندما كان يخرج للجهاد لا يفعل ذلك بوصفه أميرا من جملة الأمراء بل بوصفه زعيما لحركة الجهاد . ولذلك استحق الظاهر بيبرس أن يكون علمـا من أعلام العرب

والتاريخ ، وحرص الناس أمدا طويلا على التغنى بسيرته التي غـــدت ركنا من أركان التراث الشعبى لعصره . فهل بلغ مظفر الدين شيئا من تلك الأهمية ، وهو الأمير الذى ربما لم يسمع عنه كثيرون ؟ .

ثانيا : حاول مؤلف كتاب مظفر الدين أن يأتى بجديد ، فنادى برأى لهخطورته عندما عرف العربى بأنه« كل من اعتنق الاسلام وهو دين العرب» . وهذا الرأى يبدو فى نظرنا شاذا خاطئا لا ينبغى أن نتركه دون الرد عليه . فالدين لم يكن فى يوم من الأيام شرطا من شروط العروبة . وقد وجـــد فى قلب شـــبه الجزيرة العربية — قبل ظهور الاسلام وبعده — كثيرون من أهل الكتاب ، ولم يقل أحـــد أنهم ليسوا عربا . وفى تاريخ الدولة العربية الاسلامية منذ القرن السابع للميلاد عاش أهل الكتاب جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين وشاركوا معهم فى رفع لواء الحضارة العربية .

واذا نحن تمشينا مع المؤلف وقلنا ان كل من اعتنق الاسلام فهو عربى ، فماذا يكون موقفنا اليوم من الايرانيين والأتراك وأهل باكستان وهم جميعا مسلمون ؟ هل نعتبرهم عربا وهم أبعد ما يكونون عن روح العروبة وأحاسيسها ؟ الواقع أنه مع اعترافنا بأن العرب هم الذين حملوا لواء الاسلام ، الا أننا نحب أن نؤكد دائما أن العروبة فى الماضى والقومية العربية اليوم ، لا تشترط دينا من الأديان ولا تنافى عقيدة من العقائد السماوية ، وانما تقبل على الأديان جميعا بنفس روح التسامح التى اشتهر بها الاسلام .

ثالثا : وربما كان أولى بمؤلف كتاب مظفر الدين أن يهتم بتوضيح المقصود بالأعلام بدلا من محاولتــه تكرار المقصـــود بالعرب . فالسلسلة التى صـــدر فيها الكتاب تحمل اسم « أعلام العرب » ، وقد سبق الأستاذ طليمات من قام بتحـــديد معنى العرب وبقى تحديد المقصود بالأعلام . فالعلم فى اللغة هو الجبل وهو الراية ، والمقصود بأعلام الرجال زعماؤهم ومشاهيرهم . فهل هـــذا التعريف ينطبق على مظفر الـــدين كوكبورى ؟ اننا نعترف مع المؤلف بأن مظفر الدين كان رجلا طيبا صالحا ، وانه شارك فى الجهاد ، ولكن هل كل رجل مسلم طيب شارك فى الجهاد يعتبر من أعلام العرب ؟ واذا وضعنا مظفر الدين فى درجة أعلام العرب ، ففى أية درجة نضع أمثال صلاح الدين الأيوبى وهو أيضا رجل مسلم طيب تزعم حركة الجهاد فى أخطر مراحلها ؟ .

رابعا : يبدو باستعراض كتاب مظفر الدين أن مؤلفه عانى حرجا كبيرا بسبب قلة المـــادة التاريخية ، فعمد الى الاستطراد والى أن يلصق بالموضوع كثيرا من الاضـــافات وأن يتطرق الى عديد من التفصيلات الثانوية التى لا تخدم التاريخ بقدر ما تفسد عرضه . وقد حاول المؤلف أن يبرر سلوكه فى المقدمة ، فقال ما نصه « واذا كان هـــذا الكتاب مخصصا للحديث عن مظفر الدين فانه يتحـــدث أيضـــا عن أسرته : والده وأخيه ، ذلك أنه لا يستساغ الحديث عن مظفر الدين دون التعريف بأسرته ، خاصة وأن والده كان أول من حكم مدينة أربل ، ثم حكمها أخوه زين الدين يوسف ، ثم حكمها هو من بعده . فضـــلا عن أن والده وأخاه شاركا فى أحداث العصر ، فكان لوالده دور كبير فى ظهور دولة كبيرة هى دولة بنى زنكى فى الموصل والشام ومصر . فمن الضرورى اذن أن نفرد فصـــلا خاصا عن والد مظفر الدين وأخيه وما أدياه لعصرهما من خدمات .. » .

هذا ما يقوله المؤلف ، وهو فى الواقع منطق غريب لا يمكن ان يقره عليه المنهج العلمى فى كتابة التـــاريخ . ومن يدرى فربما استـــباح المؤلف لنفسه — لو وجد مادة فى المراجع التى استقى منها — أن يكتب لنا فصولا عن عمات مظفر الدين وخالاته .

والواقع اننى آخـــذ على المؤلف استطراده وجنوحه بين حين وآخر الى الابتعاد عن الخط الرئيسى للموضوع الذى كرس نفسه لعلاجه . فالمؤلف لا يكتفى بالكلام المسهب عن والد مظفر الدين وأخيـــه ، وانما استباح لنفسه ان يطيل الكلام عن نشـــاط نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى ، حتى اذا ما انقضت ستون صفحة

من الكتاب ، بدأ الفصل الثالث بعنوان « نشأة مظفر الدين » . وكنت أنتظر بعد ذلك أن يستقيم منهج المؤلف ويلتزم الخطوط العريضة للموضوع ، ولكن ظاهرة الاستطراد والرغبة فى الحشو ظلت تغلب على منهجه ؛ فهو مثلا ينتهز فرصة اقصاء مظفر الدين عن حكم أربل وانفراد مجاهد الدين بحكمها لينتقل دون سبب الى الكلام عن مجاهد الدين وينسى أن موضوع الكتاب مظفر الدين وليس مدينة أربل ومجاهد الدين ؛ وبعد عدة صفحات يتكلم فيها المؤلف عن مجاهد الدين يتذكر موضوعه الأساسى فيقول فى ص ٧٥ « ثم نعود الى مظفر الدين فنقول » ؛ وهو بهذا يذكرنى بمؤرخى العصور الوسطى عندما نجد أحدهم — مثل النويرى السكندرى صاحب كتاب الالمام — يستطرد ويخرج عن الموضوع وبعد عدة صفحات يكتب عنوانا بالخط العريض « نعود الى ذكر صاحب قبرس الملعون ! » .

خامسا : جعل المؤلف عنوان الفصل السادس من كتابه « مظفر الدين والحروب الصليبية » . وقد حاول المؤلف فى هذا الفصل ان يظهر مظفر الدين كوكبورى فى صورة بطل بارز من أبطال الحروب الصليبية . ولكن يبدو أنه لم يجد مادة فى المراجع تساعده فى تحقيق غرضه ؛ فما كان منه الا أن ذكر لنا ملخصا مسهبا لحروب صلاح الدين ضد الصليبيين وهو يفترض فى كتابته — ويريد من القارىء أن يفترض معه أيضا — أن مظفر الدين لابد وأنه أسهم بنصيب كبير فى جميع حروب صلاح الدين التى شنها ضد الصليبيين . والغريب أن المؤلف يذكر فى صفحة ١٤٩ من كتابه ما نصه « واذا كان المؤرخون لم يذكروا اسم (مظفر الدين) صراحة الا فى بعض المعارك الهامة ، الا أننا نرجح ترجيحا يكاد يصل الى حد اليقين أنه اشترك فعلا فى معظم المعارك التى دارت بين صلاح الدين والصليبيين . وسبب ترجيحنا أن المؤرخين كثيرا ما يذكرون أن صلاح الدين كان يستدعى (عساكر الشرق) كلما عزم على القيام بحرب طويلة أو اثارة معارك هامة ليشتركوا معه فى القتال ، والمؤرخون يعنون بالشرق اقليم الموصل والجزيرة التى تقع فيها حران والرها اللتان يملكهما مظفر الدين !! » .

هذه هى حجة المؤلف ، وهى حجة واهية فى نظرنا ، لا يصح أن تجعله يجزم الى حد اليقين بأن بطله مظفر الدين اشترك فعلا فى معظم المعارك التى دارت بين صلاح الدين والصليبيين . واذا كان صلاح الدين كثيرا ما أستعان بعساكر الشرق ، واذا كانت امارة مظفر الدين تقع ضمن عديد الامارات الاسلامية التى تقع فى أقليم الشرق ، فليس معنى ذلك أن مظفر الدين بالذات أسهم فى حروب صلاح الدين بالقدر انضخم الذى أراده له المؤلف والذى جعله يسرد حروب صلاح الدين ضد الصليبيين كما لو كان بطلها مظفر الدين . ولو قام مظفر الدين بنشاط غير عادى فى المعركة الصليبية لما وجد هناك سبب يجعل المؤرخين المعاصرين يهملون ذكره بين فينة واخرى بل ان المؤلف يناقض نفسه فيعترف فى صفحات الكتاب التالية (ص ١٧٩) بأن صلاح الدين طلب أكثر من مرة من مظفر الدين مساعدته ، ولكن مظفر الدين (تقاعس) عن تلبية ندائه .

ولم يكد المؤلف يتشمم أن مظفر الدين وأخاه زين الدين اشتركا فى معركة عكا حتى انتقل الى وصف المعركة بالتفصيل — كأن هذين الأخوين هما أبرز بطلين فيها — ؛ ثم استباح المؤلف لنفسه أن ينقل نصين طويلين نقلا حرفيا عن ابن شداد وابن الأثير فى وصف معركة عكا ؛ وحسب المؤلف أن اسم مظفر الدين ورد فى بساطة وتواضع ضمن عشرات أسماء الأمراء الذين أسهموا بقواتهم فى المعركة تحت زعامه صلاح الدين البطل الحقيقى للمعركة . ولا يخفى علينا أن حشر النصوص المطولة على هذا النحو فى كتابة التاريخ أمر غير سليم لا يتفق ومنهج البحث الحديث .

سادسا : تكلم المؤلف فى الفصل الثالث من كتابه عن أخلاق مظفر الدين وسجاياه ، فوصف الكثير من أخلاقه مثل البساطة وحبه للفقراء والتصدق عليهم ... ثم عاد المؤلف فى الفصل السابع ليتكلم عن مآثر مظفر الدين فتعرض مرة اخرى لأخلاقه وحبه للخير واحسانه على الفقراء والمحتاجين .. وكان يحسن الكلام عن هذه النواحى فى فصل واحد بدلا من التكرار والدوران فى أجزاء مختلفة من الكتاب حول نقطة واحدة .

سابعا : أراد المؤلف فى الفصل السابع الخاص بمآثر مظفر الدين أن يتكلم عن الخدمات التى أداها ذلك (العلم) لمدينة أربل ، فقال ما نصه (ص ١٨٩) « وقبل أن نتحدث عن الخدمات التى أداها مظفر الدين لمدينته أربل وسكانها فى الانشاء والتعمير ، نذكر نبذة عن جغرافية أربل وتاريخها القديم !! » . وهكذا نسى المؤلف أنه يكتب كتابا عن مظفر الدين لا عن مدينة أربل ، وانه اذا تعرض لمدينة أربل فى بعض أجزاء كتابه فيجب أن يكون ذلك بالقدر المحدود الذى يتطلبه سياق البحث . اما أن يورد المؤلف صفحات عن أربل منذ أيام الاسكندر ، ثم ينتقل الى سبب تسمية المدينة باسم أربل ، ويورد آراء الجغرافيين والمؤرخين المسلمين فى هذا الصدد ، ثم يتكلم عن أهمية أربل فى العصور القديمة والوسطى ، وعن الممالك التى قامت فى منطقتها قبل الميلاد حتى حكمها الساسانيون ، ثم دخلت المسيحية بعد ذلك وصارت فى القرن الخامس مركزا لبطريركية كبيرة ... ثم دخلت تحت الحكم الاسلامى ابان حركة الفتوح الاسلامية .. هذا كله لا يتفق والمنهج السليم فى كتابة التاريخ . لقد تشككت عند قراءة هذا الجزء فقلبت غلاف الكتاب لأتأكد من عنوانه وانى أقرأ كتابا عن أمير حكم مدينة أربل فى فترة محدودة لا عن الجغرافية التاريخية لمدينة أربل . ان هناك فارق بين كتابة كتاب عن بونابرت وكتابة كتاب عن باريس ، وهناك فارق بين تأليف كتاب عن الملكة فكتوريا وتأليف كتاب عن مدينة لندن .

وبعد ، فان هذه المآخذ على كتاب مظفر الدين كوكبورى لا ينبغى أن تقلل اطلاقا من الجهد الكبير الذى بذله مؤلف الكتاب ، الأستاذ عبد القادر أحمد طليمات ، فى استقصاء الحقائق واستخراجها ومقارنتها . ومن السهل على أى باحث أن يكتب كتابا كبيرا عن علم بارز حقيقى من أعلام العرب لأنه سيجد المادة التاريخية اللازمة له متوفرة فى المراجع الأصلية ، ولكن ليس من السهل على أى باحث أن يكتب كتابا فى نحو مائتين وخمسين صفحة عن أمير صغير مثل مظفر الدين كوكبورى ، أرى شخصيا اننا نظلم التاريخ ونظلم العرب اذا اعتبرناه (علما) من أعلام العرب .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

الحرب والمدنية

تأليف : أرنولد توينبى
ترجمة : احمد محمود سليمان



الناشر : مشروع الألف كتاب
بالاشتراك مع دار النهضة العربية

١٩٢ ص ١٧×٢٤ الثمن ١٣

يثير اسم توينبى بالنسبة للقارىء العربى أحاسيس طيبة من غير شك لأنه يرتبط لدى الغالبية منهم بموقفه من قضية عرب فلسطين وتأييده الواضح لها كذلك فانه مما يدعم هذه الأحاسيس الطيبة موقفه الأخير من قضية الجنوب العربى ودعوة بلاده الى ترك الجنوب العربى وشأنه يقرر مصيره بحرية ويتمتع بالاستقلال الذى أصبح ضرورة من ضرورات العصر الحديث ـ ضرورة تفرضها المرحلة الراهنة من مراحل تطور المجتمع الدولى .

وقد بدأ الاهتمام بكتابات توينبى يتزايد حتى لدى المثقفين العاديين وانعكس هذا الاهتمام على بعض المتخصصين فبدأت تترجم بعض آثاره وقد قام الأستاذ فؤاد شبل الوزير المفوض بوزارة الخارجية بترجمة مختصر التاريخ فى ثلاثة أجزاء

كما قامت هذه المحاولة التى نعرض لها الآن والتى تتمثل فى ترجمة « الحرب والمدنية » .

والواقع ان توينبى لم يؤلف كتابا بهذا العنوان « الحرب والمدنيــة » وانما تنـــاثرت آراؤه فى موضوع الحرب وصـــلة الحرب بالحضارة فى مؤلفه الضخم « دراسة التاريخ » والذى يقع فى اثنى عشر جزءا منها عشرة أصلية وجزء يعتبر كاطلس تاريخى والجزء الأخير هو مختصر للأجزاء كلها . وقد قام بكتابة أو بجمع المختصر الذى ترجمه الأستاذ فؤاد شبل ــ قام بجمعه الأستاذ سمرفل كما قام بجمع الـكتاب الذى نعرض له الآن السير البرت فور . وقـد تم جمع هــذا الكتاب أو اقتباسه فى وقت لم تكن أجزاء كتاب « دراسة التــاريخ » كلهـا قد اكتملت بل كان قد ظهر منه ستة أجزاء فقط .

والفكرة العـامة التى يدعو اليها توينبى فى هذا الكتاب وفى دراسته التاريخية كلها أو الخيط الأساسى الذى يجمع أفكاره الرئيسية هو أن الحرب هى السبب الأساسى لاندثار الحضارات وانهيـــارها . كانت الحرب هى سبب انهيار الحضارة الأشورية وكانت هى أيضا سبب اندثار الحضارة الاسبرطية ولا تزال هى السبب الحاسم الذى يهـدد الحضارة الغربية بالزوال ان هى استمرت تجعل من التقـدم فى الفنون الحربية ــ فنون الدمار ــ غايتها وهدفها .

والواقع أن الحرب ما زالت ــ على تعبيـــر توينبى نفســـه ــ احد الوسائل الأساسية التى استعملها الانســـان ليقوض دعائم قيمــــه الاجتماعية والروحيـــة خـلال عصور التاريخ المتعاقبة .

واذا كانت الحرب هى الوســيلة الأساسية للقضاء على القيم الحضــــارية فان الحضارة بدورها كانت سببا للحرب . ان قيام حرب من الحروب يقتضى بالضرورة وجود نوع من التخطيط الفنى من أجل الحرب ويقتضى أيضــــا زيادة فى الموارد عن الحـــدود الدنيا اللازمة للحياة حتى تستعمل هـــذه الموارد الزائدة فى الاســـتعداد الحـربى . والتخطيـــط الفنى وزيادة المـــوارد لا يمكن أن يتحققا الا فى ظل حضارة من نوع ما وكلما كانت الحضارة أكثر تقدما كلما كان التقدم الفنى أكثر وضـــوحا وكلما كانت زيادة الموارد أكثر فاعليـــة ومن ثم كلما كانت الحرب أكثر ضراوة وعنفا .

والحرب عند توينبى شر لا خير فيه وما يقال عن أن الحرب تظهر فضـائل الرجال وشجاعتهم هو قول مغلوط اذ أن ما يقـــال عنه من فضائل للجنود فى الحرب ــ كالشجاعة والتضحية وما الى ذلك ــ يصـــاحبه من الرذائل ما يكاد يطمسه ويقلبه الى عكسه .

ولـكن اذا كانت الحرب شرا ووبالا فليس معنى ذلك أن نترك لمن يشنون الحروب فرصة السيطرة على العالم وتوجيهه والسيطرة عليه . ليس معنى متقنا للحرب أن نستسلم لمن يشنون علينا الحرب بل يجب أن يواجه هؤلاء وأن يهزموا لتتمكن البشرية من السير الى الأمام . ان الحرب فى هذه الحالة أفضل من سلام يفرض على الدنيا بالقوة . ويشير توينبى بذلك الى أن الوقوف فى وجه هتلر والانتصـــار عليه حربيـــا أفضل من الاستسلام له وترك العـــالم كله له لقمة سائغة يفرض عليها سلما قهريا ليس له من معنى السلم الا مظهر هادىء وجوهر كئيب .

وتوينبى كمـــا قـــدمت يربط بين التطور الحضارى والتطور الحربى ولذلك فهو يرى أن أسلافنا كانوا أحسن حظا منا لأن نموهم الحضارى لم يكن يجعل فى أيديهم ما يضعه فى أيدينا نمونا الحضارى الآن من وسائل ما حقه من وسائل الدمار والرعب .

ولما كان التطور الحضارى فى العالم الغربى قد وصل الى قمته ــ أو هو وشيك الوصول ــ فان توينبى يتوقع ــ مع خشية وتحذير ــ أن تكون الخاتمة المروعة للحضارة الغربية وشيكة الوقوع أيضــــا وعندئذ قد يحل نوع من السلام ولكنه سلام باهظ الثمن .

وفى الفصـــل الأول من كتـــاب « الحرب والمدنيـــة » عبارات لتوينبى يلبس فيها مسوح الأنبياء والرهبـــان ويحذر الحضارة الغربية من

مصيرها المفزع اذا هى ظلت فى طريقهــا الذى تسلكه ويدعوها الى العودة الى الحظيرة الالهية ضارعة من أجل الخلاص والسلام .

ولن نستعرض فصول الكتاب التسعة بطبيعة الحال كما حاولنا فى السطور السابقة أن نستعرض المقدمة والفصل الأول فالأفكار الأساسية التى تتردد فى فصول الكتاب كلها واحدة وان اختلفت الأمثلة التى يضربها فى هــذا الفصل عن ذاك الفصل . فهو فى الفصل الثالث يتكلم عن اسبرطة وكيف استجاب الاسبرطيون للتحدى الناجم عن صغر مساحة الأرض الصالحة للزراعة بالنسبة لعدد السكان المتزايد وكيف انتهى الاسبرطيون الى أن مواجهة هذا التحدى انما تكون فى اكتشاف وفتح أراض جديدة عبر البحار ومن هنا اتجه الاسبرطيون الى التوسع الاســتعمارى وكانت الحرب وسيلتهم الى ذلك .

وفى نهــاية الفصل يتحــدث عن تدهور « أسبرطة » نتيجة هذا الانغماس فى الحرب مع عوامل أخرى مساعدة ويرى توينبى أن الدول المحاربة أو التى تبنى حياتها على أساس الحرب ـ كما كان شأن اسبرطة ـ تصلح للبقاء طالما هى فى حالة حرب ولكنها تسير الى الدمار بمجرد أن تنتهى هذه الحالة اذ أن السلام الطويل يتسبب فى جعل معدنها يفقد صلابته وهكذا فقد هدمت اسبرطة نفسها بنفسها بطريقة حتمية .

وفى الفصل الرابع يتحدث توينبى عن دولة آشور ويبدأ هذا الفصل بفقرة من العهد الجديد تمثل عظمة آشور ونهايتها معا وتجرى هــذه الفقرة على النحو الآتى « حينما يحفظ القوى داره متسلحا (هكذا فى الترجمة) تكون أمواله فى أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منــه فانه يغلبه وينزع ســلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه » .

وقد أفرطت آشــور فى النزعة الحربية وفى اعتدادها بمقدرتهــا العسكرية وانهكها هــذا الافراط واصابها الاعتداد الزائد بنوع من الغرور وصاحب هذا وذلك ثورات متعددة ضد النظام الحاكم وانتهى الأمر بآشور كما انتهى باسبرطة من قبلها الى الانهيار الكامل والدمار .

وتتكرر هذه الصورة بصفة مستمرة ، نزعة عسكرية .. استعداد حربى ضخم .. حروب متعددة متوالية .. انتصارات فى البداية .. شيخوخة وضعف ثم انهزام واندحار .

ان الحرب فى حد ذاتها هى جرثومة الدمار الكامنة فى كيــان الدول المحاربة . وان النزعة الحربية ـ عند توينبى كما يبين من اتجاهه كله ـ هى أشد أسباب انهيار المدنيات المتعاقبة واكثرها شيوعا وقــد كانت هــذه النزعة على أى حال هى سبب سقوط المدنيات العشرين التى تعاقبت خلال الخمسين قرنا الماضية . ان النزعة الحربية تؤدى الى تداعى المدنية لأنها تجعل وحدات العالم فى صراع يؤدى الى أن يصبح الكيان الاجتماعى العالمى كله وقودا لهذا الصراع .

وان اهتمام الدول والمدنيــات عموما بهذه النزعة الحربيــة يؤدى الى اهتمامهــا بالفنون الحربية دون غيرها ويؤثر هذا الاهتمام بطبيعة الحال على سائر الفنون الأخرى تأثيرا من شأنه أن يجعلها تتأخر وتنحط وهكذا يصبح تقــدم هذه المدنيات فى الحقيقة تقدما أعرجا اذ أنه تقدم فى مضمار واحــد فقط هو مضمار الأساليب الحربية والتقدم فى هــذا المضمار وحده يعده توينبى مظهرا من مظاهر التدهور الحضارى .

وفى الفصل التاسع والأخير من الكتاب الذى يجعل توينبى من عنوانه خلاصــة لفلسفة فى موضوع الحرب يتحــدث توينبى عن « فشل المخلصين بالسيف » ويستعرض توينبى هؤلاء المخلصين الحربيين منذ فجر التاريخ الى وقتنا الحاضر . وبرغم ما شاهده العالم من دمار ورعب فى الحربين العالميتين الأخيرتين فان العالم مع ذلك ما زال يرقص على حافــة الهاوية . ويبدو أن توينبى يربط بين مستقبل السلام فى العالم وقيام تنظيم دولى فعال يستطيع أن يحافظ على هذا السلام المنشود مما يتهدده من أخطار .

ويروى لنا توينبى حادثة كان لها أثر عميق على تفكيره فى موضوع الحرب وما يؤدى اليــه

من انهيار الحضارة . والواقع ان هذه الحادثة ذات الدلالة العميقـــة قد يمر عليها كثيرون غير توينبى ولا تثير فى أنفسهم ما أثارته فى نفســـه الواعية التى تمقت الحرب وتتطلع الى السلام .

وقعت تلك الحادثة فى بريطانيـا وفى مدينة لندن على وجه التحديد وكان ذلك أبان الحرب العالمية الأولى عندما صدر أمر عسكرى بالاستيلاء على مبنى وزارة التربية لتحل فيـه مصلحة من مصالح وزارة الحربيــة وذهبت وزارة التربية تبحث لها عن مكان تقيم فيه مؤقتا الى أن وجدت لها مأوى فى أحد المتاحف القديمة .

هذه الحادثة أثرت أثرا بعيدا على توينبى لأنها حملت الى ذهنه الواعى دلالة عميقة .

مبنى عام أقيم من اجـــل دراســة الحياة وتطويرها وتحسينها يستولى عليه لتقام فيـه دراسة تهدف الى القضاء على الحياة !! .

يقول توينبى « لا يمكن لقارىء أن يقصر عن ادراك انه حينما تخلى وزارة التربيــة والتعليم وتعطى لدراسة الفنون الحربية فان التحسن فى أساليبنا الحربيــة الغربية الذى يشترى بمثل هذا الزمن مرادف لدمار مدنيتنا الغربية » .

هذا هو مضمون كتاب « الحرب والمدنية » أردنا أن نعطى القارىء خلاصة مجملة لما يضمه من آراء المؤرخ الكبير .

والشىء الجـــديد بالنسبة لهذا الكتاب هو الفكرة التى قام عليهـــا أساسا . فهذا الكتاب ليس من تأليف توينبى مباشرة وانما هو عبارة عن تجميع لآرائه فى موضوع الحرب وقد أنتشرت هـــذه الآراء فى مطولاته عن دراســة التاريخ مما لا يستطيع معه المثقف العـــادى أن يحيط بها وتقديمها له على هذه الصورة المجمعة البسيطة أمر يستحق التقدير .

واننا لنرى شيئا قريبـــا من ذلك فى تلك المحاولة التى قام بهـــا الأستاذ طاهر الطناحى مع فقيـــد الأدب العربى الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد عندما نشر كتاب « أنا » وكتاب « حياة قلم » فى سلسلة كتب الهلال وضم بين دفتيهما أبحـاثا ومقالات للأستاذ الكبير تجمعها وحدة الموضوع والغرض . وهو اتجاه مشكور نرجو أن يتبع بالنسبة للعقاد ولغيره من المفكرين العالميين والعرب على حد سواء .

وبقيت ملاحظـــة أخيرة عن الترجمة وانى لأسمح لنفسى أن أقول ان الترجمة لم تكن قط فى مستوى الكتاب . فقد كان أسلوب الترجمة فى كثير من الحالات ركيكا ضعيفا يعجز عن أن يعبر عن الفـكرة الأصلية ولو أردت أن أضرب لذلك أمثلة لوجـدت الشىء الكثير الذى يضيق عنه هذا التقديم لأننى سأجد نفسى عندئذ مضطرا الى اعادة فقرات بأكملها هنا لأبين وجه الضعف فيها ويكفى أن أشير الى هـــذه الصحائف على سبيل المثال لا الحصر « ص ٥٢ ، ٦٠ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٦٢ » ففى هذه الصفحات وفى كثير غيرها أمثلة لضعف الترجمة عن المستوى الذى كان يجدر بمثل هذا الكتاب بل أمثلة لضعف مستوى الترجمــة عموما . بل ان الترجمة لم تخل من أخطاء لغوية ذلك فضـــلا عن الأخطاء المطبعية الـكثيرة التى اســتدرك بعضها ولم يســـتدرك أغلبها .

ومع ذلك كله فان هـــذا الكتاب حقيق أن يقرأ وأن يهتم به لانه حقيق أن يعدم قضـــية السـلام .

الدكتور يحيى الجمل





تأليف: جوستاف لانسون
ترجمة: الدكتور محمد غنيمي هلال
مراجعة: الدكتور حسن شحاته سعفان

الناشر: مشروع الألف كتاب
بالاشتراك مع مطبعة أطلس
٢٤٥ ص - ١٤×٢٠ سم

يذهب بعض النقاد الى القول « بأن القرن الثامن عشر كان قرن ڤولتير ، كما كان القرن السابع عشر قرن لويس الرابع عشر » . ويعلق الكاتب الكبير اندريه موروا على هذه العبارة بقوله : « ان هذا قول لا مراء فيه ، ففي قرن يتصف بالبرجوازية النقادة ، كان ڤولتير برجوازيا نقادا ، وفي قرن شبت فيه الخلافات الدينية ، كان ڤولتير عالما كل العلم بالمنازعات اللاهوتية ، شغوفا بموضوعاتها ، غير متدين . وفي قرن الكلاسيكية ، كان ڤولتير كلاسيكيا ورث نظام الحكم السابق . وفي قرن شهد مولد العلم ، لم يكن ڤولتير عالما ، ولكنه كان هاويا مثقفا ومبسطا قديرا للعلوم » .

ويروى لنا الأستاذ جوستاف لانسون قصة حياة ڤولتير العاصفة الطويلة ـ التى دامت أربعة وثمانين عاما ـ في دقة ووضوح وجلاء ، شأنه في ذلك شأن المؤرخ الأمين والأديب الواسع الاطلاع والناقد العادل البصير الذى عاش مع الأدب الفرنسي في شتى عصوره فأخرج لنا كتابه القيم « تاريخ الأدب الفرنسي » (١) ، الذى سنتحدث عنه في عدد قادم .

وقد حدد الأستاذ لانسون لنفسه منهجا واضح الدلالة ، أراد أن يلتزمه حتى لا يضل القارىء وسط هذا الانتاج الوفير ، المتعدد الجوانب ، الزاخر بكل ضروب التناقض . فقد اجتهد ، كما يقول في تقديم الكتاب ، في أن يتحدث عن ڤولتير حديثا تاريخيا محكما ، دون مبالغة في تمجيده أو تهوين من شأنه ، ودون نظر الى مشاغل العصر الحاضر ومسائله ، مستشهدا دائما بفكرة ڤولتير أو بعباراته ، فيما يخص أمور عصره . وبذل جهده في أن يوضح الاتجاهات الأساسية لفكر ڤولتير القلب . على أنه يمكن القضاء على بعض جوانب هذا التناقض بالاجتهاد في تأريخ النصوص ، والبحث عن مصدر كل نص منها ، وعن معناه المحدد بالظروف والحالات المختلفة التى أحاطت بتأليفه . فيجب على الباحث أن يعنى بتمييز ما كتبه ڤولتير للجمهور مما كتبه في رسالة خاصة ، وبالتفريق بين ما صدر فيه عن

(١) ترجمه الى العربية الزميلان الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم والدكتور محمد القصاص أستاذ الساميات بآداب عين شمس ، وراجعته السيدة الزميلة الدكتورة سهير القلماوى رئيسة قسم اللغة العربية بآداب القاهرة .


« ڤولتير »

فلسفة عميقة وبين ما هو « فلتة من فلتات مزاجه » — على حد تعبير الأستاذ المترجم — وتحـديد ما سجل فيه فكرته العامة عن نظام من النظم الاجتماعية ، أو ما انتهز فيـه فرصة للحصول على منفعة شخصية .

ومن الواجب تقدير ما أدخله على أسلوبه من تنويع ، تبعا لما هدف اليه فيما كتب : فقد يعالج أمرا من الامور أو يقصـد الى شخص من الاشخاص ، ثم انه قد يكون — نتيجة لصياغته الادبية — جادا أو ساخرا . وقد يتحدث فولتير باسمه او يلبس قناعا يستلزم لهجة خاصة ، أو يتخذ لنفسه عواطف وأفكارا من نوع ما . وحين يتناقض في توكيد قضاياه ، علينا أن نبحث فيها عما يمثل فكرته الخاصة ، وعما يتنازل فيه — تضحية منه — لافكار العامة ، محتفظين للافكار بقيمتها المختلفة . فهي في بعض الاحيان موضع جدال بين معاصريه ، وهي في أحيـان أخرى تابعة للموضوع ، مسوقة في مجرى المحاجة . وفي الحالة الثانيـة يجتهد فولتير ، ما وسعه الجهد ، في اختيار العبارات التي لا مجال فيها لخصام ، كي يحدد حومة الجدال ، على أن يعود في الغد ليشهر حربا في الميدان الذي سبق أن تجنبه .

ويخلص من هذا كله الى القول : « وهذه القيود التي رأينا ضرورة التزامها صعبة التطبيق ، وليس وراءها مزيد من الاحتياط ولا من الدقة ، اتباعا للقصد ، وتجنبا للتحزب والجرى وراء العواطف الذاتية . وهذا مالا جراءة لي فيه على اطراء نفسي بأني اتبعته دائما ، أو نجحت في الوصول الى هدف منه في كل ما قصدت . » (١)

مبادىء برجوازية :

ولد فولتير ، وهو فرانسوا مارى أرويه ، في ٢١ من نوفمبر عام ١٦٩٤ في باريس من أبوين ينتميان الى الطبقة الوسطى . فقد كان أبوه موثقا للعقود أمام محكمة باريس « شاتليه » ، ثم أصبح جابيا للغرامات وضريبة التوابل في ديوان المحاسبة . وحينما بلغ فولتير السابعة من عمره فقد أمه « مارجريت دومار Daumard » لا « دوماريه » كما يقول الأستاذ المترجم (٢) .

ويمكن ادراك ما ترتب على فقد أمه من نتائج ظهرت في تكوينه الخلقي ، وكان فولتير أصغر خمسة أبناء ، لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ثلاثة : « أرمان » وقد ورث والده في وظيفته وابنة تزوجت من مينيو . كان طفلا ضئيل الجسم ، نحيلا في مظهره ، ولكنه كان في الحقيقة قوى البنية كما تدل على ذلك حياته مستقبلا ، ثم ما وهب من الشغف العظيم بالحياة والاقبال عليها ، في وجهه شيء من القبح ولكن في نظراته حدة ونفوذ وذكاء شديد .

وعن هذا الاصل البرجوازى الخالص ، ورث فولتير طريقة النظر الى الحياة العامة والوعي ، الخاص بالاشياء . ففي نهاية القرن السابع عشر — لا القرن السابع ، كما يذكر الاستاذ المترجم (٣) — بدأت البرجوازية تجادل في امتيازات نبلاء المولد ، ولـكن لم يكن هـذا الجدال للقضاء على امتيازاتهم ، بل لمشاركتهم فيها . كانت طبقة نقادة ساخرة ، تعتمد في سخريتها على طائفة من رجال البلاط ، كما كانت تضيق ذرعا بالعزلة التى فرضها عليها لويس الرابع عشر . واصبح شباب الاشراف يحلمون بقيام حركة اقطاع حديث ، وبرز فعل ارستقراطى شعبى . كانت هذه الطبقة الوسطى تنـادى هـذا كله معتدة « بأن الفضائل الذاتية والعمل وامارات النبوغ ومعجزات العمل ، ثم الثراء نفسه ، كلها مؤهلات تخول لاهلهـا حق مقاسمة نبلاء البلاد في ميزاتهم الاجتماعية (٤) » .

فلم تكن هذه الطبقة ثورية ، لأن كل برجوازى ناجح كان يرمى الى أن يدخل في زمرة طبقة الاشراف ويدخل فيها أبناءه ليكونوا نبلاء الزى في القضـاء والمحاماة او نبلاء السيف بالانتظام في سلك ضباط الجيش . وظلت هـذه الطبقة متمسكة بحـكمة كانت سائدة وهي انه ليس في البرجوازية من يظلون برجوازيين سوى الحمقى .

نبوغ مبكر :

اتخذ فولتير لنفسه من ضعف جسمه سلاحا استخدمه في حياته . والواقع انه سرعان ما أصبح على جانب كبير من حيوية النفس والجسم : فقد كان ، وهو في الثالثة من عمره ، يتلو عن ظهر قلب قصص لافونتن وقصيدة

(١) ص ٨ .
(٢) ص ٩ ، س ١١ .
(٣) ص ١٠ ، س ١١ .

(٤) خالف الاستاذ المترجم النص الفرنسي خطأ حين قال : « فكانت الطبقـة البرجوازية تعتد بأن الفضائل الذاتية والعمل والاوسمة التي تمنح بسببهما ، والثراء .... » ص ١٠ ، س ١٤ — ١٦ راجع الاصل الفرنسي ، ص ٨ ، س ١٩ — ٢١ .

Moroad التي تعرضت للاديان جميعا بالذم والهجاء .

وفي العاشرة من عمره ، التحق فولتير بمدرسة لويس الاكبر . وتولى اليسوعيون تعليمه فطبعوه بطابعهم ، وكانوا يعنون عناية كبيرة بتعليم تلاميذهم اللغة اللاتينية والبلاغة ، ويعودونهم احترام الأغراض القديمة : من ملاحم ومآسي ومحاورات . وكانوا يعقدون اهمية كبرى على الصور البيانية ويعلمون الحكمة الدينوية . وقد اتفقت ميول فرانسوا ماري أرويه مع تعليمهم الى حد بعيد . ولم يلق اليسوعيون من قبل ذهنا تفتح لجميع المعارف ونضج قبل الأوان مثل ذهن هذا الطفل . فكان الأب بوريه — وهو رجل فاضل ، ظريف ، طيب السريرة — يقول عنه في مودة وحب : « انه يحب ان يزن بموازينه الصغيرة المصالح الكبرى لأوربا (1) ! » ومع ذلك ، فقد ظل التلميذ طفلا يشاكس أساتذته .

وحينما غادر المدرسة ، كان يشعر تماما بكفايته حتى انه قال لأبيه حين طلب منه أن يتخذ لنفسه مهنة : « لا أريد لنفسي غير مهنة الادب ! » وكان المسجل أرويه ، الذي اشترى لنفسه في ذلك الوقت منصبا ، يود لو أصبح ابنه رجلا من رجال القانون . ولكن كيف السبيل الى احتجاز طفل لا يحترم شيئا في مدرسة القانون ؟ لقد حاولوا عبثا اقناعه بما لمنصب القضاء من مكانة ، فكان جوابه دائما : « قولوا لأبي بأني لا اريد لنفسي مكانة تشرى بالمال ، وسأعرف كيف أخلق لي مكانة لا تكلفني شيئا ! » .

وأخذ فولتير مكانه في ارفع البيئات الاجتماعية تألقا ومنزلة ، وهو لا يزال في سن العشرين . وفي سن الثلاثين ، اوجد لنفسه مكانا بين رجال الحاشية . وكان يدفع ثمن ذلك المجد من فكره في ارتجالاته وحكاياته ، وملحه الشعرية المليئة بالدعابات ورسائله ، وهو ثمن زهيد بالنسبة لعبقريته ورقة ذوقه واسفافه في مرحه ومجونه في خواطره ! ولكي يثبت اقدامه في عالمه الجديد ، كان يتحتم عليه — وهو البورجوازي — أن يكون على جانب عظيم من الثراء . وفي هذه السبيل ، كان يبذل جهدا كبيرا ليكون واسع الثراء . لم يكن يكفيه أن ينتج الشعر والنثر ويحيا على تلك البضاعة ، ولم تكن رواتبه السخية من الملك والملكة ورجال الحاشية تسد نفقات الحياة في الطبقة العالية من المجتمع .

(1) فولتير تأليف أندريه موروا ، وترجمة : عبد الحميد الدواخلي مطبعة الفكرة ، فبراير عام ١٩٤٩ ، ص ٩ .

لذلك اتجه بعقليته البرجوازية الى التجارة ، واختلط برجال المال ودفعته ميوله الى عمليات البنوك ، وتولدت لديه الجراة على المخاطرة ولكن في حدود شديد . أسهم في شركات كثيرة ، واشترى وباع أسهما عادت عليه احيانا بثلاثة أضعاف ما وضع فيها من رأس مال ، وعقد صفقات على قمح شمال افريقيا . واودع مبالغ ساهم بها في رأس مال للقيام بالمخاطرة الكبيرة في تجارة كاديكس مع امريكا . وعلى هذا أصبح على حظ كبير من الثراء ، بعد ان كان مدينا في عهد حداثته يقترض من المرابين . لقد اصبح مقرضا لكبار الامراء الذين وقعوا في ضائقة مالية .

وبالرغم مما استخفه من نشوة النجاح ، لم يلعب دوار هذه النشوة برأسه الى حد الافراط . فلم تكن صلاته بالنساء على كثرتهن — ومن بينهن بامبت واميلي الفاتنة — مدعاة بلبلة عميقة الأثر في نفسه . لقد كان أكثر استجابة لاحساسه المرهف من استجابته لداعي الهوى ، ولذا كان قلبه أحوج الى الصداقة منه الى الحب . وظل ذوقه السليم ذا طابع برجوازي وسط هذه الانتصارات القائمة على الغرور وطلب الملذات ، فلم تنصرف أنظاره عن هدف متين له ، بالرغم من ظنون والده فيه . لقد دعم اولا شهرته الأدبية وكان يؤمل لنفسه منزلة اخرى سوى تلك التي كان يقوم فيها بالتسلية في أسمار العشاء والليالي الساهرة . وذلك أنه كان يطمع في الخلود : كان يحلم بأن يشيد له مكانا بجانب راسين وبوالو ، وكان يحفظ ما كتبا من ظهر قلب !

اعتداد وشغب

ويصف لنا الاستاذ لانسون فولتير فيقول بأنه « ذو طبيعة متعددة الجوانب ، لتنوع ميوله الطبيعية ، ولتأثره بالعهد المضطرب الذي عاش فيه ، وبالبيئات المختلفة التي نزل بها . فلم يكن فولتير خبيث النفس ، بل هو خير شفيق ، أريحي النزعة ، مبغض للظلم ولكنه ولوع بالاعتداد بذاته ، نهم بصنوف الملذات وخاصة بالملذات التي يشعر فيها بوجوده وحيويته ، وهو متأنق في مظهره ، صخاب ، سريع التأثر ، شديد الغضب ، حقود ، متحمس ، نشط ، محب للاستطلاع ، ماجن ، فره ، طائش ، مدلل ، وعلى هذا الاساس الطبيعي فيه دبجت الطبيعة الوان شخصيته : ففي الثلاثين من عمره ، كان فيه من البرجوازيين الطموح الى النبل ، وحب المال ، والتفاخر بالثراء وبالملكية ، وبعقد الصلات مع ذوي المكانة . وفيه صفات المتحايل ، وهو يحقر شأن الكسب اليومي الذي ينال بكثير

من الجهد ، ويهتم بالأعمال التجارية وعقد الصفقات . وله ولوع بوسائل الحياة اللينة من الأثاث الجميل والزينة ، وهي ترف محدث النعمة . وقد شـارك الطبقات الأخرى جميعـاً في مزاعمها التي تقضي باحتقـار اليهود وصغار الناس ، وجمع الى ذلك مزاعم نبـلاء المولد في احتقارهم لرجال القلم الذين يعيشـون مما يكتبون . ولم يكن لديه دافع النبل الطبقي ، فلم يكن يفكر في المبارزة من اجل ذلك ، بل من اجل النـاس من حوله . وكان من اليسير عليه أن يعيش دون انتقام . فسل السيف من غمـده حركة لم تتعودها ذراعه البرجـوازية ، ولا يشعر بأناقتها فكره الفلسفي . ليس من طبيعته التهوين من شأن المال ، فهو كلف بالبهرج بدافع من كبريائه ، وولوع بالاقتصاد ورواة . انه لا يعير اهتماما طريقـة أولئك النبلاء الذين يتسامحون في معاملتهم حتى يسرقهم الناس . وبالرغم من ظهوره بمظهر الامراء ، كان يساوم في معاملاته مساومة البرجوازي ...

وموجز القول أن تصوره للحياة فريد لا ينطبق على نموذج محدد من نماذج عصره . فلم تتعرف فيه طبقة من الطبقات على صورتها الروائية في التفكير والعادات . فهو مزيج منها جميعا . وبهذا يفسر مسلكهم حياله ، اذ لم يعترفوا له بأى اعتبـــار (١) .

لم تكن تلك الحيـاة الطويلة الصاخبة سهلة يسيرة دائما ، فقد زج بفولتير مرتين في سجن الباستيل : الأولى يحددها الاسـتاذ لانسون بأحد عشر شهرا من مايو عام ١٧١٧ الى أبريل عام ١٧١٨ ، بينما يذهب اندريه موروا الى أنها كانت ثمانية عشر شهرا ، وان اتفقا على أن سبب سجنه يرجع الى الأهاجي التي كتبهـا ساخرا من العهد الماضي ومن الملك في مثل قوله : « هذا الطفل الحاكم ! » وحينما خرج من الباستيل هذه المرة ، لقي الوصي على العرش ، الدوق فيليب دورليان الذى استقبله ضاحكا ، وقال له : « مولاى ، انى لمعترف بفضل جلاله الملك حين تعهد بطعامي ، ولكنى أرجـو الا تتعهد سموك بعد الآن بمسكنى ! » وكان هذا عقابا صارما الا أنه مشرف لشاب مغمور مثله ، وقد صار به ذا شأن كبير . لقد ولد في نفسه مشاعر قوية وخواطر لهـا قيمتها تدور حـول العدالة الاجتماعية . وتفتحت نفس ذلك الشاب الجم الحيوية حين وضع بغتة بين أربعة جدران . وانا لنتصوره طول يومه يشحذ قريحته في عبـارات تنطوى على القسوة والدعابة والسخرية ويحلم بالدسـتور الانجليزى أو بقانون حرية الانسان . كان فولتير يشتغل في الباستيل ، وقد اراد ان يصبح أكبر شـاعر حماسي في فرنسا فألف في سجنه أولى اناشيد ملحمته « الهنرياد » ، وهى قصيدة طويلة في مدح هنرى الرابع الذى اتخذه ذريعة لمهاجمة التعصب في جميع اشكاله .

اما المرة الثانية ، فكانت على أثر مشادة في « الكوميدى فرانسيز » بينـه وبين أمير كبير هو فارس « روهان » ، فأشار الأمير بدعوته للحضور الى قصر الدوق «دى سولى» ، وكان هذا الأمير مدعوا عنـده لتناول طعام الغداء ، فضربه خادمان بالعصا على كتفيه . وكان الفارس في مقدمة العربة يشرف على هذه العملية ، فقال : « لا تضرباه على رأسه فقد يخرج منه شيء طيب ! » وعندئذ صاح المارة الذين تجمعوا حـــول العربة : « آه ! يا للســيد الطيب القلب ! » .

صعد فولتير الى الدوق دى سولى ، مغيظا معذبا حزينا ، ورجا اصـــدقاءه من الاشراف أن يذهبوا معه الى رئيس الشرطة . فضحك الدوق واصدقاؤه ورفضوا اجابته الى طلبه . وعلى كل حال ، فقد كان المعتدى ينتمى الى أسرة روهان ، ولم يكن المضروب الا شاعرا فحسب ! انه لحادث هين لا قيمة له ! فضت هذه الوحشية على الأوهام التي كان يعيش فيها فولتير . وقد اراد أن يبارز خصمه لينقذ شرفه ومكانته الاجتماعية ، وفكر جديا في الأمر عدة شهور ، ولكنه لم يبارز ، واختفى فارس « روما » اذ كان في حماية أسرته ورجال الحاشية . ولتوفير الأمان له ، وضع فولتير وهو ضحية العدوان في سجن الباستيل في ١٧ ابريل عام ١٧٢٦ وغادره في ٢ مايو من العام نفسه . فلم يبق في السجن الا خمســـة عشر يوما لا شــهرا كما يقول الاســـتاذ لانسون (١) .

رسول الاصلاح :

ويتحـدث لانسون عن فولتير فيسلوفا ، محللا تحليلا عميقا رسائله الفلسفية ، وأديبا دارسا حكاياته ومحاوراته وأقاصيصـــه الهزلية وقصصـــه ، ثم شـاعرا في أشعاره ومسرحياته . وبعد هـــذا يعرض للنقد التاريخي والنقد الأدبي ومكانة فولتير فاصلاح فرنسا في عصره ، ذلك الاصلاح الذى وضع له مبادىء للحريات الضرورية :

- أولا : حرية الأشخاص ، فالرق ضد الطبيعة .

---

(١) ج . لانسون : فولتير ص ٢٧ ــ ٢٨ .

(١) راجع ص ٢٨ ، س ٦ ، ص ٤٣ س ٢ .

ثانيا : حرية الكلام والكتابة ، حتى فى أمور السياسة والدين . وهذه حماية لجميع الحريات ، وأساس لها . على أن يعاقب على التشنيع بالافراد ، وعلى السباب الموجه ضد السلطة والقوانين .

ثالثا : الحرية المدنية ، وهى بمثابة دعوة لقيـانون حرية الفرد حماية له من استبداد رجال السلطة .

رابعا : حرية الضمير .

خامسا : ضمان الملكية ، وتتضمن نزع الملكية مع التعويض بسبب المصلحة العامة ، وحق جميع المواطنين فى استحقاقهم للتملك ، ولكن دون مساواة بينهم فى الثراء .

سادسا : حرية العمل وبيع انتاج العمل الى من يتقدم لشرائه بثمن اغلى من غيره ، والعمل هو ملكية من لا ملكية لهم .

ولم يقتصر فولتير على نشر هذه المبادىء العامة ، بل اعاد النظر فى جميع أجزاء الحكومة والادارة فوضع قائمة للمساوىء والاصلاحات فى مجتمع يراه فولتير حقيقة واقعة ، وفى ذات حكومات ذات سلطات واقعية ، تتوصل فى حكمها الطويل الى تصوير القوة تصويرا زائفا فى صورة حق . على انه لا حق الا فيما يقبله الناس عن حرية ، لان الناس احرار متساوون فى الطبيعة . وينكر كل حق الهى للملوك ، والديموقراطية هى أقرب الحكومات الى العقل .

كان فولتير فى طموحه الى الوصول الى نتائج ايجابية وفى تحديه للقوانين ، لا يعنى اطلاقا بما عنى به « مونتسكيو » و « روسو » من وضع نظرية سياسية أو رسم منهج لمجتمع مثالى ، وانما كان يواجه المشكلات التى تعترض الناس فى حياتهم ويحاول جاهدا اصلاحها .

امضى سنوات شيخوخته من سن الستين الى الرابعة والثمانين ينقد الكنيسة ورجال الدين والقضاء والتعليم ونظام الضرائب والزراعة والتجارة والصناعة ، ونادى بأن الضرائب ليست مفروضة للاسراف منها فى القصر الملكى وتقديم الطعام للمتطفلين ، بل هى ضمان لاقرار النظام ونشر الأمان والقيام بالمشروعات العامة المختلفة التى تتيح الرفاهية والطمأنينة للشعب . ثم طالب الدولة بأن تقدم المساعدات العامة لتنشىء وتصلح المستشفيات وتقيم دورا للأمومة ومنازل للقطاء وملاجىء لرعاية الشيوخ والعجزة . على أن تستخدم فى هذه المنشآت الأموال الفائضة من ثروة رجال الدين والاديرة ، ثم من حق الفقراء المفروض على أجور دور اللهو (١) .

(١) لا على أجور المسارح والخيالة ، كما يقول الاستاذ المترجم لأن الخيالة لم تكن قد عرفت بعد زمن فولتير . ص ٢٠٨ ، س ٨ .

نادى فولتير بهذا كله فى حماس لا يتسرب اليه الكلل ، بطريق السخرية تارة والغضب تارة أخرى ، جاهدا ما وسعه الجهد فى ان ينير عقل الجمهور ويستحث مشاعره الانسانية . ليتسنى له تحقيق الوعى الاجتماعى والفكرى فتسود مبادىء الحرية والمساواة والانسانية . تلك هى الحملة الشديدة التى شنها فولتير على حكم لويس الخامس عشر للطغيان الكبير وأثرة القصر واسرافه حيين كانت الهيئات الكبيرة ورجال القضاء والكنيسة فى شغل شاغل بامتيازاتهم ، لا يعنون اطلاقا بالخير العام ، مع الاضطراب الشديد فى جمع الأموال العامة ، وسوء نظام الضرائب الظالم ، وضخامة دخل كبار رجال الدين الذى كان مجلبة عار اذا ما قيس ببؤس صغار رجال الكنيسة فى القرى ، واضطراب القوانين والاحكام الجائرة التى صدرت فى قضية كالاس وقضية الفارس دى لابار واحراق القاموس الفلسفى لفولتير لأنه مصدر للكفر والالحاد ، على حد زعم المستشار باسكييه فى حديثه أمام البرلمان بباريس .

أرسى فولتير دعائم الثورة الفرنسية فعاملته معاملة نبى من الانبياء ، واستقبلته باريس ، بعد أن ظلت أبوابها مغلقة فى وجهه طيلة حكم لويس الخامس عشر ، كما تستقبل الملوك . ففى الحدائق والمقاهى والشوارع ، كانوا لا يتحدثون الا عن فولتير . وحينما ذهب الى المسرح ليشهد تمثيليته « ايرين » وقف جميع النظارة وصاحوا قائلين : « ليحى فولتير ! المجد المدافع عن كالاس ! المجد للرجل المثالى ! » ثم صممت الجماهير على ان يقدم الممثلون له تاجا ، وارتفع الستار بين مشهدين ، فرئى على المسرح تمثال لفولتير ، أخذ الممثلون يمرون أمامه ويضعون على رأسه تيجانا من الغار . وكانت الجماهير تقف فى كل مرة متجهة الى فولتير وتصيح قائلة : « الشعب هو الذى يقدمها لك ! » .

ثم صحبته الجماهير فى نصر عظيم الى قصر «دى فيليت» وكانت النساء يحملنه بين اذرعهن لفرط اعيائه ، فكان يقول لهن : « انكن تردن ، سيداتى ، أن تمتننى من فرط سعادتى ! » . لم يلق أى كاتب مثل هذه المظاهر من التبجيل ، ولكن فولتير مع هذا لم يفقد رشده ، فقد قال له احد أصدقائه : « ما أكثر المهللين لك ! » فأجابه قائلا : «انهم سيكونون بهذه الكثرة وهم يشاهدون تعذيبى !».

ملاحظات :

أما بعد ، فهذا كتاب قيم يصور لنا فولتير فى جميع أدوار حياته تصويرا صادقا . وضع مؤلفه منهجا واضحا

وكتبه في أناة شديدة وتؤدة كبيرة . وكم كنت أرجو أن تكون الترجمة صورة صادقة للأصل ، ولكن الاستاذ الصديق المترجم لا يؤمن بالبطء في مثل هذه الاعمال الادبية ، فترجم الكتاب على عجل وطبع على عجل فكثرت فيه أخطاء الترجمة وأخطاء الطباعة بل أخطاء العربية أيضا .

ورد في التقديم هذه العبارة : « وبالتفريق بين ما صدر فيه عن فلسفته العقلية وبين ما هو فلتة من فلتات مزاجه (١) » ترجمة ل : Plyilosophie réfléchie ou échappement d' humeur وهي فلسفة عميقة تصدر عن تدبر وامعان في التفكير أما الفلتة لغويا فتعبير عن الأمر يحدث من غير روية واحكام ، أو هي غير المقصودة . ويخيل الى ان المؤلف قد اراد التعبير عن نزوة من نزوات فولتير أو عن هوى من أهوائه ، كما ورد أيضا في التقديم : « وفي الحالة الثانية يجتهد فولتير ، ما وسعه (٢) ، في اختيار العبارات .... لو أضاف الاستاذ المترجم **الجهد** على عبارته « ما وسعه الجهد » لاستقامت الجملة .

ويتحدث المؤلف عن قصر « سيراى » ويصفه بانه جدير بأن يرى : لمنظره الفاتن الذى كان قديما **ذا طابع** موحش (٣) ترجمة لكلمة Sauvage واعتقد أنه يقصد ذا طابع بدائي ، **فطرى** . اذ كيف يتفق المنظر الفاتن مع الطابع الوحش ؟ ثم وردت هذه العبارة : «ويتجلى في كل ذلك **ما احاط** بحياة فولتير »(٩) ترجمة لكلمة le Cadre ؛ ولو أن المترجم قال : « ويتجلى في كل ذلك **طابع** حياة فولتير ... » لكان المعنى أدق .

اما أم فولتير فكانت تدعى مارجريت **دومار** Daumard لا دوماريه (٣) . وعبارة فعلى حسب طبعة مولان (٤) ، قد تقبل من غير الاستاذ الدكتور المترجم .

ثم نقرأ في الكتاب العبارة التالية : « ففي نهاية القرن **السابع** (٥) ، بدأت البرجوازية تجادل في امتيازات نبلاء المولد ... » وصحة التاريخ : نهاية القرن **السابع عشر** .

ولا ادرى لماذا يحلو للاستاذ المترجم أن يكتب كثيرا اسم « جان باتست روسو » على هذه الصورة جون (٦) باتست روسو ، كما يكتب جون دارك وجون جاك روسو كما لوكانت أسماء انجليزية لا أعلاما فرنسية .

(١) ص ٧ ، س ١٢ و ١٣ .

(٢) ص ٨ ، س ٦ .

(٣) ص ٨ ، س ٢١ ، ص ٩ ، س ٩ .

(٤) ص ٩ ، س ٤ في الهامش .

(٥) ص ١٠ ، س ١١ .

(٦) ص ١١ ، س ٩ .

ونقرأ هذه العبارة التى تدل على ترفع الدوق سان سيمون وازدراء شأن فولتير : « وفي هذا المستوى من الترفع ، يلحظ الدوق سان سيمون أن فولتير الذى **صار شخصية ملحوظة** (٧) ليس سوى ابن موثق عقود لوالده . » وذلك ترجمة للأصل الفرنسي : deuenu Une maniere de persanage أي أنه صار **ضربا من ضروب الشخصية** ، صورة من صورها بدليل اسم الاشارة Ce الذى سبق اسم فولتير ، وهو أسلوب يدل على السخرية والاستهزاء ، ويبين تماما ان سان سيمون لا يؤمن بان يصبح فولتير هذا (هذا الفولتير) شخصية من الشخصيات .

ولا ادرى لماذا يلح الاستاذ المترجم في أن يصف فولتير بالمجون والدعارة في أكثر من موضع من الكتاب ، مع أن المعنى لا يحتمل ذلك اطلاقا . فقد وردت هذه العبارة : « ذكاء فولتير المبكر ومجونه (٨) المبكر كذلك » . ترجمة لما ورد في الأصل :

la précocité d'intelligence et la précocité d'impertinence de Voltaire, والمراد ذكاء فولتير المبكر وشغبه المبكر أو تحته المبكرة .

ثم نقرأ بعد ذلك بصفحات هذه الجملة : « على الرغم من ذلك ، طلب الوالد « اوريه » امرا بحبس ابنه « الداعر » (٩) ترجمة لكلمة Ccquin التى تدل على الكسل والتواكل ولا تدل على الدعارة ، وتتفق مع عواطف الاب الذى يرجو الخير لابنه المستهتر المتهاون .

وهناك مسألة حسابية يسيرة كل اليسر هي أن السيدة العجوز نينون تعرفت بفولتير وهو لا يزال صغيرا فبهرتها حدة ذكائه وأوصت له بألفى « ايكو » (١٠) ليشترى بها كتبا . اما الاستاذ المترجم فقد حول هذا المبلغ الى فرنكات وجعله ستة آلاف من الفرنكات (١١) ، مع أنه يعلم انه قد كان هناك نوعان من الايكو : الايكو الفضية أو البيضاء ، وكانت قيمتها ٦٠ سو أو ثلاثة جنيهات ، والايكو الذهبية كانت تساوي ١١٤ سو أى اقل قليلا من ستة جنيهات (١٢) .

(٧) ص ١١ ، س ١١ .

(٨) ص ١٣ ، س ٢٠ .

(٩) ص ١٧ ، س ١٥ .

(١٠) الاصل الفرنسي : ص ١٣ ، س ١٢ .

(١١) ص ١٥ ، س ٢١ .

(١٢) راجع قاموس : اللغة الفرنسية الكلاسيكية ، مادة G. Cayrou ; Le Français classique تأليف ج . كايرو .

ثم نرى مرة أخرى أن المترجم قد وصف فولتير وصفا لا يحتمله النص حين قال :

« واعتزم الاب تقريب ولده المتعطل الخليع العذار (ص ١٦ ، س ١٢) ترجمة لكلمة le garnement التى تدل على التعطل ، على الصعلكة ولكنها لا تفيد اطلاقا خلع العذار . ولا أدرى لماذا أهمل المترجم تاريخ رحلة فولتير مع المركيز دى شاتو نوف الى الاقاليم المتحدة ، مع ان المؤلف ذكر ان الرحلة كانت فى سبتمبر سنة ١٧١٣ (ص ١٦ ، س ١٤) مع أن هذا التاريخ له قيمته ، لان فولتير لم يكن قد بلغ بعد التاسعة عشرة من عمره .

ثم لا ادرى أية قاعدة نحوية اجازت للمترجم ان يقول فى هامش ص ١٧ : مؤلفات فولتير ، المجلد الثالث والثلاثين ! بدلا من المجلد الثالث والثلاثون ! .

ثم نقرا هذه العبارة : « وكان ينساب **كالجرى** فى كل الاماكن التى تصادف فيها المتعة والزهو مرتعا خصبا . » وهى عبارة غامضة ، ما دامت كلمة « **كالجرى** » لم تشكل ولم تشرح ، والمقصود بها ثعبان السمك او الانقليس كما ورد فى المخصص : ٢ ، ١٠ ؛ والمراد أن فولتير كان يسارع الى كل مكان يصادف فيه المتعة ويتيح له ارضاء غروره .

ونرى فى الترجمة هذه العبارة : « وبذلك **يندمج** فولتير فى البلاط وتستظرف الملكة الشابة **ليكزنسكا** هذا الشاعر الملاطف المسلى ، وتدعوه « صديقى الصغير (هكذا) **فولتير** » وقد ترجمت كلمة pénètre بيندمج والواقع ان فولتير بدأ يغشى البلاط ، ولا تدل الخطوات الاولى على الاندماج . أما هذه الملكة الشابة فهى مارى **ليكزنسكى** زوجة لويس الخامس عشر لا ليكزنسكا كما ذكر المؤلف وتبعه المترجم . والاصح أن يكتب اسمها على هذه الصورة Leszczynski وينطق **لشتشينسكى** لانها تنتمى الى أسرة بولونية كان منها ملك بولونيا ستانيسلاس (٢) . أما عبارة الملكة : صديقى الصغير فولتير » ففيها تجاوز للاصل الذى ورد فيه Mor pouvre Voltaire فالملكة لم تشرفه بصداقتها ! وبعدذلك نقرأ هذه العبارة : « وفى عام ١٧١٥ كان مشغولا بوضع مسرحية عن أوديب ، مزهوا **بانقح مشروع** سوفوكليس ... » (ص ٢٢ ، س ٧) .

اما النص الفرنسى فأوضح من ذلك بكثير ، اذ ورد فيه :

Se flattant d, améliorer l' ébauche de Sophocle.

« مزهوا باصلاح أو بتقديم او بتهذيب محاولة او تخطيط او مسودة سوفوكليس » . فكتب مسرحية أوديب خالية من الخلاعة والغرام . » (ص ٢٢ ، س ١٢) والاصح أن يقال « خالية من **الدلال** أو من الغزل » ترجمة لكلمة galanterie.

ثم ما بال المترجم يعدل عن الصيغة العربية ويستعمل الصيغة العامية حين قال :

فجملوا الوقور « فيلكتيت » يتنهد امام جوكاسته المجوزة (ص ٢٢ ، س ١٥) بدلا من **العجوز** .

ثم لا ادرى الى أى مدرسة من مدارس النحو تخضع هذه الجملة :

وهذا المسلك سياسيا اكثر منه عقليا ، ولا ينبغى ان يحكم عليه حكما مطلقا (ص ٧٨ ، س ١٣ ، ١٤) .

أما الاصل الفرنسى فهو :

Cette attitude, plus politique que rationelle, ne doit pas se juger dans l'abstrait.

وصحة الترجمة : « وهذا المسلك ، وان كان سياسيا أكثر منه عقليا ، لا ينبغى ان يحكم عليه حكم مجرد . » والعجلة التى هى طابع هذا الكتاب تجعل الاستاذ المترجم يجعلنا نقرا مثل هذه الاخطاء : « على أن هذا هو الذى كان يقصد اليه كل من بورنيه ثم « وددورد وبلوش الطيب القلب ، اذ كانوا **بعيدون** من العلم فى تعرفهم عن الحقائق ، كبعد فولتير عنه فى مجادلتهم **فيها** . » (ص ٨٢ ، س ٢٢) والاصح أن نقول : « اذ كانوا **بعيدين** عن العلم فى تعرفهم على الحقائق ... » .

ومثل ذلك ما ورد فى ص ٩٣ ، س ٢١ : « ولم يكن الملك ــ وجميع هؤلاء **المغامرون** فى ميادين الفكر ... » والصواب **المغامرين** .

وما جاء فى ص ١٦١ ، س ١٨ « ... وقضاة ، وممثلين ، وشمامسة ، ورجال أدب ، ومديرين **وتجار** ، ومحامين ... » وأعتقد أن **تجارا** كلمة ليست ممنوعة من الصرف . ثم نقرأ فى ص ٢٢٢ ، س ٢٠ هذه العبارة : « اتركونى **أموت** فى سلام . » والاصح أن تقول : « أتركونى **أمت** فى سلام » .

ثم يتحدث الاستاذ لانسون عن قضية **كالاس** التى كان لها دوى كبير فى عصر فولتير . وهو جان كالاس (١) ، لا « **جون كالا** » كما يذهب السيد المترجم .

---

(١) لاروس الصغير ، ص ١٢٥٤ ، ط ١٩٥٦ .

(٢) لاروس الصغير ، ط ١٩٥٦ ، ص ١٤٩٠ و ص ١٤٩٤



تأليف: علي النجدي ناصف
الناشر: مكتبة نهضة مصر
٢٣٣ ص ١٧×٢٤ ث ٥٠

هذا كتاب طبع مرتين: طبع أولا سنة ١٩٤٨، وطبع ثانيا سنة ١٩٦٤. وقد صرح المؤلف في مقدمة الطبعة الثانية بأنه قد أعاد النظر في الكتاب اذ قرأه قراءة ناقدة متأنية، بداله في أثنائها ملاحظات مختلفة اقتضت حذفا وزيادة، وتقديما وتأخيرا، وتنقيحا وتغييرا؛ ومعنى هذا أن المؤلف يتحمل تبعة كتابه اليوم في طبعته الحديثة، ولا نحكم على الكتاب اذن باعتبار أنه صدر سنة ١٩٤٨، بل باعتبار أنه صادر سنة ١٩٦٤.

والمؤلف يريد أن يؤكد لنا منذ مطلع حديثه أن دراسته لم تشبها شوائب المجاملة أو المذاكرة، فليس هو بالصديق لشوقي ولا بالعدو، وانما هو قارىء لشعره، يقبل منه المقبول، وينكر فيه المنكر، ويخلص لوجه الحقيقة وحدها.

وهو يرى أن أمير الشعراء هو «شاعر العصر الحديث كله: ضخامة تراث، وتعدد فنون، وتدفق طبع، وأصالة بيان، وبعد أثر في حياة العرب، ومشاركة في أحداث الحياة القومية والاسلامية، بل في الحياة الانسانية جمعاء».

وأود أن أخالف المؤلف بعض المخالفة في وصفه لشوقي بأنه «شاعر العصر الحديث»، وان كان الدكتور شوقي ضيف قد جعل هذا الوصف عنوانا لكتاب له صدر منذ سنوات، ودلل على هذا الوصف بالكثير من الادلة؛ وانما أخالف المؤلف في هذا الرأي، لأني أرى أن أحمد شوقي هو أكبر شاعر عرفته العربية بلا استثناء، ولتفصيل هذا الرأي والمحاماة دونه مجال غير هذا المجال بطبيعة الحال.

وكأني بوجدان المؤلف ينطوي على قريب من هذا الرأي، وان كان لا يقرره أو يؤكده، اذ نراه في الصفحة الحادية والثلاثين من كتابه يصف أمير الشعراء بأنه «شاعر العربية الأكبر»، ولو أننا وفينا هذا الوصف حقه من الشرح المستفاد من مدلول كلماته الثلاث لكان هذا الشرح قريبا من رأيي الذي أوجزته عن شوقي سابقا.

ولقد وطأ الباحث لبحثه بمقدمة قيمة عن المادية والروحية، أو فلسفة المادة وفلسفة الروح، لأنهما أصلان متقابلان لحياتين متقابلتين، أولاهما تخدم الجسد، وتضرى الحيوانية فيه، وتشد صاحبها الى الأرض، وتجعل الآلة الهه، فما يؤمن الا بها، ولا يصدر الا عن وحيها، والأخرى تصفي النفس، وتهذب الفطرة، وتسمو بصاحبها الى السماء، وتملأ قلبه ايمانا بالله، وثقة بالمثل الانسانية العالية.

أما أخطاء الطباعة فتعود بدورها الى العجلة الشديدة والى الرغبة في الفراغ من العمل في أقصر وقت مستطاع. من ذلك أن ص ٩٨ تطالعنا بالسطر الأول مقلوبا، وفي ص ٢١٠ نرى السطر ٢٤ قد طبع مرتين. ثم نرى ص ٢١٨ قد تأخرت عن موضعها وحلت محلها خطأ ص ٢١٧. وفي ص ٢١٥، س ٢١ الشاقيتان بدلا من الباقيتان.

ونرى الاستاذ المترجم يكتب هامشا في ص ٢٠٢ ليطلب من القارىء أن يرجع الى الحديث عن «كانديد» وعن امكان اصلاح العالم ويحيل الى ص ١٥١ من الاصل الفرنسي! وهو أمر ربما لا يستطاع، فأنى للقارىء الحصول على نسخة بالفرنسية؟!

لو أن الأستاذ المترجم أجهد نفسه قليلا لوقع نظره على هذا الحديث منشورا في الصفحة رقم ١٦٦ من الترجمة أي في اللازم التي روجعت تجاربها.

وبعد، فهذه ملاحظات أريد من ورائها الخير للترجمة والمترجمين، ولولا ان المترجم صديق كريم جامعي والمراجع زميل فاضل جامعي لما سمحت لنفسي ان ابدي مثل هذا النقد. ولكن رغبتي قوية في أن يبذل الجامعيون جهدا كبيرا فيما يعملون، فهم القادة في ميادين الثقافة والعلم والادب. وينبغي للقادة ان يصلوا الى اقرب درجة من الكمال.

عبد الحميد الدراخلي

والقارىء يعجب - دون شك - بما في هذه المقدمة من يقظة روح ، وحرارة ايمان ، وغيرة الباحث فيما استنكر من صور لطغيان المادة على الروح في كثير من المجالات في مجتمعاتنا ، ولكن المؤلف ساق ضمن حديثه عبارة أخشى ان يساء فهمها اذ تفهم على غير الوجه الذى أراده الباحث ، وهذه العبارة هي : « وليست المادية أصيلة فينا ، ولكنها وافدة علينا ، جاءتنا من الغرب مع ما جاءنا من شروره » .

أخشى أن يفهم فاهمون من هذا التعبير أننا لا نعطى المادة عناية في حياتنا ، مع أن عقيدتنا الدينية تقيم حياتنا على دعامتين : دعامة الروح ودعامة المادة ، وتنظم لكل دعامة مطالبها وحاجاتها ؛ وحسبنا أن نجد في كتاب الله تعالى قوله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، ونجد فيه الربط بين مجال العبادة الروحية ومجال الكسب المادي : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » . ونجد الرسول يقول : « ان لبدنك عليك حقا » ... الخ .

وقد يزيد في خشيتي أن المؤلف قد عاد في الصفحة الحادية والعشرين فقال : « لقد خابت المادية خيبة مرة ، وأخفقت اخفاقا ذريعا ، فما ابقاؤنا عليها بعد اليوم ؟ وماذا عسى أن تكون جدوانا منها ؟ . لقد صحبناها وتمرسنا بها ، فماذا كانت العاقبة ؟ لقد غيرت نفوسنا ، وقلبت سمتنا ، وأحلت لنا كثيرا مما كنا نراه حراما ، فاذا نحن مسخ شأنه لا هو شرقي ولا غربي ، وها هي ذى في الغرب يضربها الخبال في الحين بعد الحين ، فتركب رأسها ، وتفقد وعيها ، وتضرى بالدمار والفتك : تهدم حضارتها ، وتأكل بنيها ، وترسل على من تدع منها الجوع والمرض والشقاء ، فيذوبون كما تذوب الشمعة اذ تعلق بذبالتها النار ، وها نحن أولاء في بلادنا نقاسى من بأسائها مثل ما يقاسى الغرب أو يزيد » ! .

اذا كان الدافع الذى دفع بالمؤلف المفضال الى هذا الكلام دافعا كريما نبيلا ، اقدره وأشكره لأنه يريد أن يناصر القيم الروحية في عالم تغلبت فيه القيم المادية نوعا من التغلب ، فاني أخشى أن تكون الغيرة على القيم الروحية قد أكسبت هذه العبارات السابقة لونا من المبالغة يبعدها عن الفهم السوى لدى جمهور قارئيها .

لست أعيب المؤلف بهذا ، ولكنى حرصت أن نفهم حديثه على الوجه الذى أراد ، وأن قصر التعبير بعض الشيء عن المراد .

* * *

والمؤلف يدرك وثاقة الصلة بين الدين والفن ، فيقول : « ان الدين لا يناقض الشعر والفن ، ولكن يلونهما ، ويلهم فيهما موضوعات سامية تستمد منه الحياة والخلود ، واذا لم يكن بد لصحة الجسم واكتفائه أن يكون الطعام الذى يهيأ له متعدد الألوان مختلف العناصر ، فلابد لصحة النفس واكتفائها أن تكون الثقافة التى تهيأ لها متعددة الألوان مختلفة العناصر كذلك ؛ فنحن في الشعر والفن بحاجة أن نرى صورا من الدين والدنيا معا ، لتتكافأ الموانع والدوافع ، ويتحقق القصد والاعتدال » .

والدين لا يناقض الشعر والفن فحسب ، بل لقد استعان الدين بالشعر في بث تعاليمه ونشر دعوته ومقاومة أعدائه وتجلية مبادئه في صور جذابة مؤثرة ، لأن الشعر كلمة ، والكلمة لها تأثيرها القوى ، ولو طالعنا الباب الأول من كتاب « سلاح الشعر » لوجدناه يفسح مجال القول عن أثر الكلمة وقوتها ، ثم يقول عن الشعر : « انه كلمة موزونة ملحونة ، انه كلمة منظومة منغمة ، انه كلمة منسقة منمقة ، فهو - اذن - بيان والحان ، وهو - اذن - يتضمن تأثير الكلمة المنثورة وزيادة عليه » ، فاذا سايرنا صفحات كتاب « سلاح الشعر » وطالعنا منه أبواب : « القرآن والشعر » ، « الرسول والشعر » ، « الصحابة والشعر » ، « الأمة المسلمة والشعر » شاهدنا فيضا من الشواهد والأدلة على وثاقة العلاقة بين الدين والشعر .

وبعد أن يربط المؤلف بين الدين والشعر بما رأينا ، يتحدث عن روحانية شوقى التى تتمثل فى عدة امور منها : اشادته بفضل الدين وضرورته ، واجلاله للآداب الدينية ، وتغنيه بعظمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومفاخرته بأعلام الاسلام ، وتصويره الفضائل النفسيـــية فى ضوء الدين ، وتذكيره المتكرر الموصول بمكانة الأخلاق والقيم الروحية .

ثم يرى الباحث ــ محقا فيما يراه ــ أن شعر شوقى الدينى أحق الدراســة قبل أشــعاره الأخرى ، فهو أجلها موضوعا وأشرفها غاية ، واطهرها منزعا من جهة ، وهو أضفاها معدنا ، وأشدها اشراقا من جهة ثانية ، وهو أبعدها عن شوائب المطامع والأهواء من جهة ثالثة ، وهو لم ينل حقه من الترديد ولا من البحث والدراســة من جهة ثالثة .

ويلاحظ الباحث أن الشاعر الأكبر كان مقلدا للبوصيرى فى « نهج البردة » و « الهمزية » ، ويعيب عليه هذا التقليد ، وخصوصا أنه قد طالت معالجته للشعر وتمرســه بأسبابه ، والتقليد يشل الملكات ، ويمسخ الشخصية ، ويقضى على الثقة بالنفس ؛ واذا كان الباحث يعيب الشاعر على هذا التقليد ، فهناك من لا يعيبه ، وهناك من يرى أنه من حســنات شوقى أنه حاول التشــبه بالسابقين ، واذا كان قد قصر فى بعض الأحيان ، فان الطائر لا يجنح أبدا ، وقد يكون من استكمال الفكرة عن هذه النقطة أن نورد عبارة للأستاذ صــلاح عبــد الصبور ضمن مقــال له بجريدة الأهرام يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٤ وفيهـــا يقول :

« شوقى كان موهوبا رفيع القدر من الملكة الشعرية ، فلم يدر فى الفلك الذى كان يدور فيه بعض شعراء عصره من التقليد والضحالة ، بل طمع الى أن يكون عــودته بالشــعر الى أزهى عصوره فى الصياغة والأداء . كان شوقى سلفيا ولم يكن محافظا ، والفرق بين السلفى والمحافظ هو أن السلفى يريد العودة الى عصور المــاضى الزاهرة ، فيلبس لباســها ، ويتحدث بلغتها ، ويفكر بطريقتها ، أما المحافظ فهو يريد الجمود على التأخر ، وذلك هو الفرق بين شاعر كشوقى وشاعر كالشيخ الليثى نديم اسماعيل .

والعودة الى السلف الصالح ــ وهم فى الشعر أبو نواس والمتنبى وابن الرومى وأبو تمــام والبحترى وغيرهم ، سبيل سار فيه البارودى خطوات قبل شوقى ، ولكن خطى شوقى كانت أكثر اتساعا وأحر شبابا » .

وقد درس البــاحث نهج البردة على عجل ، وتوسع فى المقارنة بينها وبين بردة البوصيرى ، وهو يغلب جانب البوصيرى على جانب شوقى فى بعض المواقف ، وينصف أمير الشعراء فى البعض الآخر ، ولــكن أحس أن الباحث قد اســتوفى البوصيرى كل حقه ، وفوت على شوقى بعض حقه ! . وان كنت أؤيده فى أن البوصيرى كان صادقا فى وجدانه وهو يمدح الرسول لظروفه الخاصة التى لم يمر بها شوقى .

والاحظ أن صــبغة المقارنة بين شــوقى والبوصــيرى فى « نهج البردة » و « الهمزية » قد طغت على صبغة الدراســة للامح الدين والأخــلاق فى هاتين القصــيدتين ، ولست ممن يستخفون بثمرات المقارنة فى هذا المجال ، فانها لكثيرة وجليلة ، ولكن الكتاب مخصص للدين والأخلاق فى شعر شوقى . كما قد يقــال ان الدراسة قد تتضمنها أو تتخللها المقارنة ، وهذا حق ، ولكن الأصل فيما أرى ــ هو الدراسة ، وتأتى المقارنة تبعا لها .

وقد ذكر الباحث الفاضــل فى كتابه القيم الممتع أن الشيخ ســليم البشرى شيخ الجامــع الأزهر الشريف ، هو الذى شرح «نهج البردة» . مع أن هناك من يؤكد أن هذا الشرح لم يضع فيه الشيخ البشرى حرفا ، وانما الذى شرحه هو ابنه الشيخ عبد العزيز البشرى ، ونسب الشرح الى ابيه ، وأذكر أن الدكتور زكى مبارك قد تعرض لهذه فى بعض أحاديثه الأدبية .

ويلاحظ الباحث على شوقى أنه اذا عرض فى شعره لتاريخ الاســلام او أحداث المسلمين لا يلتزم الترتيب التــاريخى ، ولا يراعى توالى المراحــل ، بل قد يقدم ويؤخر ، وقد يمزج بين مرحلة ومرحلة ، وقد يتخطى مرحلة الى مرحلة

بعدها . وشوقى لا يعـاب على هذا ، فانه لشـاعر ، والشـاعر يستجيب لخطراته ، دون التقيـد بموضوعية البحث أو تناسق المنهج ، والشاعر غير المؤرخ الذى يحقق ويدقق ويلتزم خطته ومنهجـه ؛ ولا اكتم اعجابى القوى هنـا بما لمحه الباحث من ملاحظات ، وما وفق اليه من لفتات ! .

ويأخـذ المؤلف على شوقى أنه كان يفتتح مدائحه النبوية بالنسيب ، ويرى أن هذا — على اقل تقدير — لا يتفق مع حسن المشاكلة وائتلاف النسق ، واذا كان كعب بن زهير قد بدأ قصيدته فى مدح الرسول بنسيب فقـد كان رجلا قريب عهد بالجاهلية ، وقد كان ذلك الاتجاه أمرا يكاد يكون ملتزما عندهم .

ولا يغفل المؤلف الحديث عما فى شعر شوقى من جوانب اجتماعية تتصل بأوضاع المجتمعات المعاصرة ، فهو يتحدث عن شعر شوقى فى الوطنية والقوميـة ومحـاربة الآفات الاجتماعيـة ، ثم ينتقل الى شعره فى « الاشتراكية » التى صارت اسمة لكثير من الشعوب اليوم ، ويقول فيما يقول عن شوقى :

« وينتقل الى الاشتراكية الالهية ، فيقسمها الى اشتراكية فى الرزق ، واشتراكية فى سائر النعم ، ويذكر أن الأولى تقوم على الجـزاء والمعارضة لقوم ، وعلى الاشتراك والمعاونة لقوم آخرين ، فللعاملين المجدين كفاء عملهم وجدهم من بسطة الرزق ، ووفرة الخـير ، وللـكسالى المقصرين جزاء عدل من الحرمان ونضوب العيش ؛ وللمفكرين والضعفاء والمحدودين من الزكاة غياث ومدد ، ولهم منها مرضاة وعزاء ، لكن البخل يستبد بكثير من الأغنياء ، ويمنعهم أن يدفعوها الى أصحابها ، فيشتد عليهم البؤس ، ويشيع فيهم الحقـد ، ويدفعهم اليأس الى التمرد على تصاريف القضاء ، والشاعر لذلك ضيق بالبخلاء ، يائس منهم ، بمقتهم ، وينعى عليهم التمادى فى القسوة والحرص ، مع كثرة ما وعظهم ، ووعظهم من قبله الدعاة والمصلحون .

وأما الاشتراكية الأخرى فيذكر أنها تقوم على المساواة الشاملة والعدل المطلق ، لا محاباة فيه ولا أستثناء ، ثم يزجى لها أمثلة منوعة الصور ، متلاحقـة السياق ، يبلغ فيها غاية مداه بيانا وافتنانا » .

ويستشهد لذلك بقول أمير الشعراء :

يريد الخالق الرزق اشـتراكا
وان يك خص أقـواما وحابى
فما حـرم المجـد جنى يديه
ولا نسى الشقى ولا المصـابا
ولولا البخـل لم يهلك فريق
على الأقـدار تلقـاهم غضابا
تعبت بأهـله لوما وقبـلى
دعاة البر قد سئموا الخطـابا
ولو أنى خطبت على جمـاد
فجرت به الينـابيع العـذابا
ألم تر للهواء جـرى فأفضى
الى الأكواخ واختـراق القبابا
وأن الشـمس فى الآفاق تغشى
حمى كسرى كما تغشى اليبابا
وأن المـاء تروى الأسد منه
ويشفى من تلعلعهـا الـكلابا
وسوى الله بينكم المنـايا
ووسدكم مع الرسل الترابا ؟

وينوه المؤلف بما توسع فيه شوقى من دعوة الى السماحة الدينية ، والائتلاف بين أبناء الوطن على اختلاف عقائدهم ، كأن يقول :

الدين لله ، من شاء الاله هدى
لكل نفس هوى فى الدين داعيها
ما كان مختلف الأديان داعيـة
الى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب والرسل والأديان قاطبة
خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله أصل فى مراشـدها
وخشـية الله أسى فى مبانيها
وكل خـير يلقى فى أوامرها
وكل شر يوقى فى نواهيهـا !

وأبان المؤلف أن الشاعر الأكبر كان مضطربا فى موضوع « الحجاب والسفور » فتارة يهاجم الحجاب ، وتارة يخشى من السـفور ، وتارة يشترط الثقـافة والفضيلة وعفة الرجال لكيلا

يكون السفور خطراً ، وتارة يحيى السافرات الناهضات ... الخ .

ويذكر المؤلف أن قصيدة شوقى « بين الحجاب والسفور » ، والتى مطلعها :

صداح يا ملك الكنا
ر ، ويا أمير البلبل

ليست من الحجاب ولا من السفور فى شيء ، وانما هى قصيدة رمزية يناجى فيها الشاعر « ابراهيم الوردانى » قاتل « بطرس غالى » سنة ١٩١٠ ، ويرمز اليه بالطائر ، والى سجنه بالحجاب ، والى اطلاق سراحه بالسفور ، وكان هذا الموضوع جديرا بمزيد من التفصيل والتدليل .

وكنت أتمنى لو أن المؤلف الجليل أبان لنا أو علل اضطراب الشاعر الأكبر شوقى فى موضوع « صلب المسيح » عليه السلام ، لأننا نراه تارة يقول :

ولا مكان لعيسى عند مرسله
وحرمة وجبت للروح فى القدم
لسمر البدن الطهر الشريف على
لو حين لم يخش مؤذيه ولم يجم !

وتارة أخرى يقول :

يا حامل الآلام عن هذا الورى
كثرت عليه باسمك الآلام

أو يقول :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية
ليس الصليب جديدا كان ، بل خشبا

ويبين الباحث ان الشاعر الأكبر كان يعرف لمكانة الأولاد قدرها ، وينوه بها فى مناسبات كثيرة ، وكان يدافع بحماسة عن البنات ، كأن يقول :

ان البنات ذخائر من رحمة
وكنوز حب صادق ووفاء
والساهرات لعلة أو كبرة
والصابرات لشدة وبلاء
الباكياتك حين ينقطع البكا
والزائراتك فى العراء النائى
والذاكراتك ما حيين تحدثا
بسوالف الحرمات والآلاء

ويعرض علينا المؤلف موقف شوقى من « الخلافة الاسلامية » فاذا هو مؤمن بها ، غيور عليها ، مفاخر بها ، مدافع عنها حين تتعرض للأزمات ، راث لها حين تنعى بين معالم الأفراح ، وحين يكفنها قاتلها فى ثوب الزفاف ، ويدفنها عند تبلج الاصباح ، واذا هناك ضجة المآذن والمنابر ، وبكاء الممالك ونواحها ، واذا الهند والهة ، ومصر حزينة ، وكذلك بقية بلاد الاسلام !! .

وينتقل الباحث الى القسم الأخير من كتابه وهو الحديث عن الأخلاق فى شعر شوقى ، وشوقى هو « شاعر الأخلاق » وبهذا اللقب تغنت الألسنة وسارت الركبان ، ولا عجب فلشوقى فى الأخلاق فرائد عاونت على اشتهاره بهذا اللقب ، ومنها هذه الأبيات :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
وليس بعامر بنيان قوم
اذا أخلاقهم كانت خرابا
واذا الأخلاق كانت سلما
نالت النجم يد الملتمس
واذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
على الأخلاق خطوا الملك وابنوا
فليس وراءها للعز ركن ... الخ

* * *

وبعد أن يوسع الباحث القول فى تحديد معنى « الأخلاق » مستعينا بأقوال المعجمات وشواهد الفصحى ، ينتقل الى الحديث عن ألوان الأخلاق فى شعر الشاعر الأكبر ، ويلاحظ أن الشاعر قد أخذ يتحدث عن الأخلاق وينوه بشأنها فى فترة اشتدت فيها الحاجة الى هذا الحديث ، ويعرض الباحث ألوانا من الأخلاق السيئة والطباع الشائعة التى حاربها شوقى فى شعره ، كتصابى الشيب ، والتفرق ، والخلاف ، والتهور ،

والجشع .. الخ ، كما يعرض الألوان المقابلة من مكارم الأخلاق .

وقد لفت نظرى أن المؤلف قد ذكر أن خلو المعجمات من كلمة لا يعنى أن هذه الكلمة ليست عربية ، وقال فى هذا : « خلو المعجمات من كلمة لا يعنى حتما أنها دخيلة مجتلبة ، ولكن قد يعنى أن أصحاب هذه المعجمات لم يقفوا عليها ولا اتصلت روايتهم بها ، وليس بعيدا أن تكون أصيلة معرقة ، يحتويها نص لم يتح لنا الاطلاع عليه » . وهذه ملاحظة قيمة .

وقد سبق لأمير البيان شكيب أرسلان قد كرر لفت الأبصار الى هذه الحقيقة ؟ ولو رجعنا الى الجزء الأول من كتاب « أمير البيان شكيب أرسلان » لوجدنا أن الأمير كتب سنة ١٨٩٩ فى مجلة « المشرق » يؤكد أن كتب اللغة ليست كل شىء فى تعريفنا بمفردات اللغة ، وفى سنة ١٩٢٤ عاد ثانية يؤكد هذا المعنى فى مجلة المجمع العلمى العربى ، وفى سنة ١٩٢٨ عاد اليه مرة ثالثة فى المجلة نفسها ، وفى سنة ١٩٣٠ عاد مرة رابعة فكتب يقول : « يظن بعض الناس أن كل كلمة لم ترد فى قاموس الفيروزابادى ، وفى صحاح الجوهرى ، وفى لسان العرب ، ليست من اللغة ، وأن استعمالها يكون خطأ ، ويتهجمون على الكاتب الذى يكون قد استعملها بالتجهيل والتنديد .

ويتوسع بعضهم فى الأمور فيضيف الى هذا المعاجم الثلاثة مخصص ابن سيده ، وأساس البلاغة ، والمصباح ، وتاج العروس ، فاذا كانت اللفظة لم ترد فى هذه المعاجم السبعة فهى عنده ليست من كلام العرب فى قليل ولا كثير .

وقد غلب هذا الوهم على أكثر الناس ، ونسوا أن مؤلفى هذه الكتب بشر مثلنا ، وأنه لا يمكن أن تكون تآليفهم أحاطت بكل شىء ، فلم تدع شاردة ولا واردة ، وانما نقل بعضهم عن بعض ، وقلد الآخر الأول فى الخطأ ، ونسوا أنه من المأثور أنه لا يحيط بلسان العرب الأنبى » . راجع تفصيل الحديث عن ذلك فى كتاب « أمير البيان شكيب أرسلان » ج ١ ص ٤٣٨ — ٤٤٤ .

* * *

وليسمح لى المؤلف المفضال أن أخلفه الرأى حين يذهب الى أننا رضينا بالوقوف الى جانب الحلفاء فى الحرب العظمى الثانية ، اذ يقول :

« ومن اخطأ أن يظن ظان أننا فى موقفنا من الحلفاء لم نكن كراما مختارين ، ولكن أتباعا مكرهين ، فقد نزلت بهم فى أكثر سنى الحرب محن شداد ، ومرت بهم أهوال اثر أهوال ، تطيش لها الأحلام ، ويزل فيها الأخيار ، ويستيئس المتفائل الجسور ، ومع ذلك لزمنا مواقفنا فى هدوء ورباطة جاش ، ورضينا أن يظل مصيرنا مصيرهم ، وفاء بالعهد ، واستجابة لداعية النخوة والمروءة ، بل لم نشأ سماحة وكرما أن نتخذ من هذه المحن الجائحة فرصة للمساومة وكسب المغانم » ! ..

لا يا أخى الكريم ثم لا ثم لا ... الواقع اننا لم نكن راضين ، بل كنا مرغمين ، وكنا مغلوبين على أمرنا ، وكانت صدورنا تغلى بكراهية انجلترة طليعة الحلفاء ، ولكن كانت « العين بصيرة ، واليد قصيرة » ! .

أتذكر الشباب الذى اندفع فى تهور ذات يوم من أيام الحرب العصيبة يقول : « الى الأمام يارومل » ؟ . ان هذا الصوت لم يكن يفضل احتلالا على احتلال ، ولكنه كان يريد أن يرى مصرع عدوه على أى حال . وكأنه كان يقول كما يقول المثل : « على وعلى أعدائى يا رب » .

وهل نسينا أن رئيسا للوزراء يومئذ اراد أن تنضم مصر الى الحلفاء فى الحرب ، فكان جزاؤه القتل على يد شاب مصرى اسمه « محمود العيسوى » ؟! ..

انى أذكر الآن أننى رثيت هذا الشاب بخطبة من فوق المنبر فى « مسجد المنيرة » على أيامه أطيب التحيات ، وكان لهذه الخطبة وقع لا يتسع هذا المجال للحديث عنه ! .

* * *

لا أحب أن يفهم المؤلف ، ولا أن يفهم القارىء ، أن هذه الملاحظات تغض من قيمة الكتاب ، أو تهون فى نظرى جهد صاحبه ، فالكتاب قيم ، والبحث ممتع ، والمؤلف ذوباع ، وما هذه الملاحظات الا كالكلف الذى يعلو وجه القمر حسب تعبير القدماء ! .

أحمد الشرباصى



يحق للكثيرين أن يقولوا بأن قصة الطاعون هى معجزة ألبير كامى الفنية . فما فيها من أفكار عميقة بعيدة المرمى لا تنفصل عن قالبها الفنى الذى يدير أحداثها فى مدينة عربية بالجزائر قبل عهد استقلالها .

ويتخذ البير كامى لأغراضه الانسانية المطلقة الشاملة مستوى جزئيا يمكن أن يتتبعه القارىء العادى مهتما بأشخاص القصة وأحداثها الضيقة ان لم يكن ممن يعنون أنفسهم بالعموميات .

فالطاعون اذن من ذلك النوع من القصص الذى يتميز بتعدد الأبعاد أو تعدد المستويات . فمن شاء أخذ القصة مأخذا قريب المنال فى حدود « الحكاية » وما فيها من مصائر أشخاص معينين فى أماكن محددة وفى ضوء ظروف بعينها . أما من لا يطيقون الضحالة والخوض فى مياه الشواطىء قليلة الغور فسيجدون فى الطاعون مجالات بعيدة الغور ينتقل فيها الخاص الى العام ، ويدل فيها الجزئى على الكلى ، ففى هذه الأعماق تكثر التيارات القوية الخفية التى تتناول مشكلة البشر فى عمومها ازاء القدر وازاء الشر والألم . أو هى بعبارة أخرى مشكلتهم ازاء وجودهم . فالبير كامى من اقطاب المدرسة الوجودية الحديثة . بل لقد سبق زميله سارتر الى الفوز بجائزة نوبل بسنوات كثيرة .

فالوجود اذن بكل ما يتمخض عنه ويمثله من مشكلات للبشر هو الموضوع الذى يدور حوله هذا العمل الفنى . واختيار عنوان القصة حين سماها مؤلفها الطاعون . واختيار اطار القصة حين جعله المؤلف مدينة عربية فى مستعمرة مغلوبة على أمرها عندئذ وفى ظروف وباء لا بد لأحد فيه وان كان الجميع ضحية له يستوى فى ذلك الفاضل والمفضول والبرىء والآثم ، كل ذلك يوحى ولا شك بموقف محدد للمؤلف من أزمة الوجود البشرى عموما . فهو وجود يشوبه القلق والحرج والحيرة ، وجوه جو وباء غير مفهوم الأسباب ولكن لابد من مواجهته ومعاناته على أى وجه من الوجوه ، مهما اختلفنا فى وسائل هذه المواجهة واحساسات هذه المعاناة ...



تأليف : البير كامى
ترجمة : الدكتورة كوثر عبد السلام
مراجعة : الدكتور محمد القصاص
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٩٢ ص ١٤×٢٠ الثمن ١٤

ان الاشرار يواجهون أزمات الوجود — أى الشر والقبح فى العالم — بالانتهازية والأنانيـة وتجـارة السوق السوداء والتبذل البهيمى . وهذا موقف واضح كل الوضوح مفهوم الدوافع والغايات كل الفهم .

أما المؤمنون بالله فالمســألة بالنسبة لهم — فى هذه القصة — أصعب وأشق . لأن وجـود القبح والشر فى العالم يقدح فى العناية الرحيمة التى تصوغ مصائر البشر . وهنا يجد المؤمنون ايمانهم موضع امتحان عسير جدا . فالقسيس فى الرواية لا يجد جوابا عن هذا السؤال الحائر : لمـاذا يسمح الله بالشر ؟ لمـاذا يتعذب الأبرياء الطاهرون بلا ذنب ولا تحرك عناية الســماء ساكنا ؟ أى نوع من العناية هذه ؟ .. وعلى المؤمن عندئذ كى ينقــذ ايمانه أن يجعله ايمانا بغير حــدود ، وبغير شروط . عليه « ألا يمتحن أو يجرب الرب الهه » كما يقول الانجيل . عليــه أن يسلم بالايمان تسليما ، وأن يتقبل كل ما يجرى فى الوجود من عذاب وأهوال على أنه ارادة الله — وغايات الله غير مدركة — فلا يتذمر منها ، بل ينقاد لها فى حب صوفى فدائى يتسم بالشجاعة . وبذلك لا يرفض المؤمن الألم أو « التجــربة » ولا يلوم السماء لأنهــا « لم تعفه من تلك الكأس المريرة . كأس العذاب والموت » .

وهذه هى شجاعة الايمان الكبرى .. التى ينوه بها كامى الملحد ، مبرهنا بذلك على أن الفنان الحق يعرف قيمة كل عمل مجيد ، حتى ولو لم يوافق على هذا العمل أو يقبله أو يقتنع به .

أما من لا يؤمنون بالله — وهــذا هو الموقف الفكرى لكامى نفسه ومن على مذهبه من المفكرين الوجــوديين الالحاديين — فيجــدون من واجبهم مقاومة الشر حتى من غير أمل فى استئصال شأفته بصفة نهائية ، فكل ما يصبون اليه هو الانتصار الجزئى الذى يقضى على موجة وباء معينة ، الى أن تأتى موجة وباء من هـــذا النوع أو من نوع آخر — فما أكثر كوارث البشرية — ولكنهم لا يعرفون اليأس ، ويقومون بالواجب لا ايمــانا منهم بالله أو بقوى فوق البشر ، بل ايمانا منهم بالانسان ، وبقيم مستمدة من العقل والضمير البشريين . فالبشر فى نظرهم هم الذين يصـــنعون القيم ، والحقيقة ، والخير ، والعدل . ومن أجل الانسان يجب أن يكون الـكفاح بلا تردد ، وبلا خـوف ، وبلا يأس ، مع عدم الاعتماد على سند من قوى أخرى غير روح الانسان نفسه ، لأنه لا وجود — فى عرفهم — لتلك القوى العـلوية . وشعار هؤلاء الأبطال البشريين هو « الواجب نحو الانسان » .

فالقصة اذن معترك فكرى جياش بالحيوية ، تتصارع فيه الآراء داخل اطار مأسوى أقامته بدقة واحكام يد فنان تموج نفسه بأزمة الانسان الفكرية والضميرية . فكأننا أمام بناء تراجيدى من قبيل ما شـــاده للخلود شـــعراء الاغريق الأقدمون الذين تركوا لنا تراثا عظيما حين كتبوا مأساة البشرية كلها فى صورة مآسى تقر من الناس معدودين ، من أمثال أوديب والكترا وأفيجينيا .

والآن نعرض القصة من حيث أسلوبها فنجد البساطة والوضوح صفتين مميزتين لذلك الكاتب مع تحر للواقعية يبعد به عن المبالغة أو الافتعال فى الوصف أو السرد أو الحوار .

فالأســلوب عصرى خال من الزخرف تمام الخلو ، تبدو فيه « موضوعية » الفنان ، فلا ترى صورته أو صوته ببرزان . وانما هو مخرج يرفع أمامنا الستار عن ممثلين ومشاهد ، ويخلى بيننا وبين صورة الحياة نتملاها من وراء ذلك الجدار الرابع المرفوع — كما يقول أهل المسرح — فهو خالق يترك خليقته الفنية تعيش حياتها المقدرة لها بدقة شديدة ، ولا تلمحه الا بأعمال الفكر حين يرتسم فى احساسنا المغزى الذى يرمى اليه هذا العمل الفنى .

وهذا شىء يبعد بالقصاص العظيم عن الوعظ المبتذل أو الخطب الرنانة . فما أســـهل ذلك ، ولكن ما أبعده عن موضوعية الخالق الفنى بالمعنى الحديث ، بل بكل معنى سليم فى سائر العهود .

وقد فرضت عليـــه هذه الموضوعية مراعاة التناسب ، فحيث يعم الطـــاعون لابد أن تبدو الأحداث الأخرى — مهما كانت صاخبة — باهتة اللون ضئيلة القيمة نسبيا ، يرويها المؤلف بلهجة

عابرة وفى غير اكتراث ، مدخراً اكتراثه كله وحرارته كلها لا للحوادث التى تجرى فى الخارج ، بل للصدى الذى يتردد فى الوجدان وفى الضمير حول حكمة الشر ، وحكمة الموت . أن الضمير هنا هو المسرح الحقيقى للأحداث الجسام . أما المصادمات فى الشارع ، والمظاهرات والعنف الحيوانى أو المادى فلا قيمة لها فنيا . وبذلك خلق المؤلف جوه الفنى الخاص ، وفرضه على القارىء فرضا .

والآن نوجز الرواية نفسها فى سطور :

ان المدينة الصغيرة التى تقع فيها أحداثها هى « وهران » ، المدينة الجزائرية الساحلية التى عرفت بهدوئها المطلق الى أن بدأت الفيران الميتة تظهر على سلالم عماراتها النظيفة فى الحى الراقى ، ثم لفتت الأنظار بكثرة فى الحوارى والبيوت الحقيرة فى الحى الآخر الذى يسكنه أهل البلاد الأصليون .. لا المتوطنون من الفرنسيين . ولم يلبث الفأر الميت أن تكشف عن اصابات بالطاعون ، لم تكن متوقعة فى هذا البلد النظيف وبائيا حتى الآن ، ولذلك لم تكن ثمة استعدادات طبية كافية ولا أمصال ولا عقاقير . وكان لابد من الاستنجاد بذلك كله من باريس عاصمة الامبراطورية التى تركزت فيها كل السلطات ... بعد أن بلغ عدد الفيران الميتة نحو عشرة آلاف فى يوم واحد ! .

وبانتشار نبأ الوباء — الذى حاول الطبيب ريو كتمانه بادىء الأمر — انتشر الذعر بين السكان الآمنين . أما الطبيب فكان يعيد التحليل فى المعمل ويتكرر تأكده من وجود ميكروب الطاعون فيكاد يجن ، لأنه لا يعرف سببا عقليا لوفود هذا الوباء الى وهران بالذات .

وكامى يشير بهذا الى موقف الانسان بعقله العلمى من مشكلة الشر عموما ، ومن الكوارث التى لا يعرف لها سببا منطقيا . واشارة الى النظرية الجديدة التى تنادى بأن الوجود يسوده العبث ويسيطر عليه ، وليست السيادة فيه للعناية أو الحكمة الالهية ! .

وينضم الى الطبيب عدد من العقلاء محبى الخير للناس ، منهم القس ، ومنهم « جوزيف » المؤلف الصغير الخجول الفاشل فى حياته الذى يعجز عن جلائل الأعمال التى يتمنى القيام بها ولكنه بارع فى تأدية عدد لا يحصى من الخدمات الصغيرة . ولا شك فى أن كامى يرمز بجوزيف هذا الى قطاع ضخم من الطيبين محدودى القدرة عقليا ، ولكنهم ذوو قلوب كبيرة . انهم « السواد الأعظم » أو « كتلة » ذوى النيات الطيبة والدوافع الشريفة والمواهب المتواضعة .

وينضم اليه فى جهاده أيضا المواطن « تارو » — وفى حسبانى أنه أقرب الى تمثيل شخصية كامى نفسه وموقفه من الحياة — فهو رجل حصيف العقل شديد الحساسية مفرط الشعور بالمسئولية نحو الانسان ، من غير أن يكون مؤمنا بالله ، ولا بالدولة من حيث هى سلطة حاكمة طبقية . فتارو كما قال عن نفسه فى الرواية « ضال أنا فى ظلمة الليل ، التمس نورا يهدى باصرتى » فهو العقل الحائر الباحث عن الحقيقة فى شوق ورغبة صادقة .

وفى مقابل هذا المعسكر الذى يلتف حوله الأطباء وأهل المعرفة والمكانة على درجات متفاوتة من الحماسة للتعاون مدفوعين غالبا بالخوف على أنفسهم ، نجد معسكرا آخر هو معسكر من لا يدركون جسامة الكارثة المحدقة بهم ، فهم سادرون فى لهوهم ومعاشهم ، لا يهمهم الا السخط على الحصار الصحى الذى ضرب على بلدهم فتعطلت التجارة وقلت الأقوات وتثاءب السأم مع طول العزلة عن الدنيا ...

وأفراد هذا المعسكر يمثلون سواد البلهاء من البشر الذين يعيشون من غير ادراك سليم لما ينطوى عليه وجودهم من أزمات عامة شاملة للجنس كله ، لأنهم لا يهتمون الا بأنفسهم .

ووسط قطعان هذه « السائمة البشرية » توجد فئة من « البراغيث » التى تمتص دم الخراف والماشية . وفئة البراغيث الآدمية تتمثل فى « كوتار » تاجر السوق السوداء . فحالة الحصار نشأت منها على الفور عصابات للتهريب

مستهينة بالقـــانون وبخطر الوباء وبكل شيء فى ســـبيل الربح السريع الفاحش . ولم يكن من مصلحة هذه الفئة طبعا أن ينتهى الوباء فتنتهى بذلك فرصتها فى الاثراء . مع أن نفرا منهم يلقون مصرعهم فى هذا السبيل اما بالوباء أو بالرصاص اثناء التهريب . ولكن من يسقط يدوسه اخوانه ويستمرون فى سباقهم المسعور نحو الثراء .

تجار المصائب هؤلاء هم وباء البشرية حقا ، وهم رمز لتجار الحروب وتجار السياسة وتجار الرقيق وكل أنواع التجـــار الذين يفسدون فى الأرض كى تكون لهم فى الفساد أبهة ودولة .. !

وفى مسرح هذا الكفاح العجيب الذى يذكى فيه البعض النار فى حـــين يحاول البعض الآخر أطفاءها نجـــد ألوانا من البطولة والتضـــحية والانحطاط والبلاهة مصورة فى براعةوموضوعية آسرتين . ونجد جدلا فكريا نابعا من حـــرارة المواقف المأسوية .

وفجأة يبرز عامل أكثر اثارة للنفس والعقل، هو ذروة مشـــكلة الشر فى الرواية كلها ، أو فى الوجـــود البشرى ان شئت : فهذا طفل وديع جميل برىء ، ابن قاضى المدينة ، يصاب ــ لا أحد يدرى كيف ــ بالعدوى . والى جانب فراشه رسم كامى صورة تتقطع لها نياط الفؤاد الطفل برىء جميل يتعذب عذابا لا طاقة له به ، ويبكى لأنه متعلق بالحياة ولا يريد أن يموت ! .

وحول فراش « الشـــهيد »ــ شهيد عبث القـــدر ــ كان ممثلو المعسكرات الفكرية كلها : القسيس ، والطبيب ، والمفكـــر تارو ، واهله المرزأون . ولم يكن أمامهم الا أن يواجهوا فى موته الصورة الكاملة للمسئولية عن هذه القسوة التى لا مبرر لهـــا . والتى توحى بأنه ليست ثمة مسئولية ، بل « خبط عشواء » .

انها « العشوائية اذن » !

وتمسك القس بايمانه فى بطولة ، فلما حضره المرض لم يحاول العلاج ليثبت أنه مؤمن بارادة اله موجود قادر مريد حكيم ! أما الطبيب والمفكر فمضيا فى كفاح المرض بلا ايمـــان الا بالواجب نحو الانسان ــ واجب محدود بالزمان والمكان وطاقة الامكان . واجب ينبع من الضمير ، ولا غاية له الا الضمير ، بدون وحى ، وبدون انتظـــار لمثوبة أو جزاء وراء حدود هذا العالم .

والترجمة العربية أمينة ، وهى مزية تحمد على كل حال ، وان كانت لا تغنى عن « اللمسة الأدبية » التى لا تتأتى الا لمن يجمع بين براعة المترجم وفن الأديب وتذوقه وحسه اللغوى ، فى لغة غنية بالظلال والأضواء كلغتنـــا . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . ولا تثريب على من بذل أقصى ما يستطيع . وقـــد بذلت المترجمة الفاضلة جهـــدها كله ، وهى على هذا الجهد بالثناء جديرة .

صوفي عبدالله

سطور من كتاب . . . .

« ان انتشار السرطان فى البلاد « المتحضرة » وازدياده خلال الســـنوات الأخيرة قد أدى الى الرأى القائل بان السرطان « مرض الحضارة » . ويزعم هذا الرأى بأن تعقيدات الحياة الحديثـــة مسئولة بطريقة ما عن انتشار السرطان . وقد تساعد بعض نواحى الحياة الحديثة على ظهور أنواع معينة من السرطان .... وحيث ان مثل هذه المزاعم لاتعتمد على دليل علمى أو أثبات . فان الأشخاص الذين يروجونهـــا لا يتفقون على سبب واحد بالذات للسرطان . »

. . . حقيقة السرطان



كتاب فى الطريق

مع وزير البحث العلمى

وسرت فى الطريق السادس .. الى قلعة عصرية من غرس ثورتنا .. لا ترد من يطرق بابها ، وانما ترحب به فاتحة مصرعى الباب الكبير .. فتحتضنه بين معاملها .. لانها قلعة ذخيرتها العلم ، وسلاحها البحث والاكتشاف . ودخلت المركز القومى للبحوث .. فالتقيت بجنوده .. اقصد بعلمائه ذوى المعاطف البيضاء .. كل فى شغل شاغل بذخيره وبسلاحه .. فلا وقت لديهم للقيا او حديث . لكن شعورا غريبا من الاطمئنان والقلق تملكنى .. فنظرة واحدة اليهم تكفى للاطمئنان على مستقبل وطننا .. لكن هذه النظرة نفسها تقلقنى على نجاح مهمتى فى لقاء مع كبير العلماء .. فهل نجحت فى اقتناص لحظات من وقته الثمين ؟ هذا ما سنراه .

جمال بدران

فيم تبحث الآن .. ؟ ..

هذا سؤال يدعو الانسان الى التكلم فى موضوعات قد لا يهتم بها غير المتخصصين .. فما ابحث فيه الآن هو ما بدات البحث فيه وشغلنى منذ ربع قرن .. ذلك هو ما يسمى بالسلوك الكهربائى فى الأجسام .. وهو بصفة عامة كل ما يتصل بالكيمياء الكهربائية .. انه موضوع شامل .. معناه سلوك المواد تجاه التيار الكهربائى .. فقد يدفع الانسان بهذا التيار الكهربائى فى المادة مستهدفا اجراء تجربة، وقد ينظر له كظاهرة موجودة فى الطبيعة فعلا – لأن هناك قاعدة تقول « ان أى جسمين متقابلين فى الطبيعة يتولد بينهما تيار كهربائى » .

هل كنتم تفكرون فى هذا الموضوع طوال هذه الفترة أم نبتت منه مسائل أخرى ؟

فى كل موضوع للبحث العلمى .. يقابل الانسان مشكلة علمية فيحاول البحث عن سببها وكيفية التغلب عليها ، وتتولد من هذه المحاولة مشكلات اخرى تؤدى بدورها الى فتح مجالات أخرى للبحث .. وهكذا ظللت طوال هذه المدة .

هل من الضرورى أن يسبق الفكر مرحلة البحث التجريبى أم لا .. لماذا ؟

لا .. قطعا .. فالمرحلتان متلازمتان ومتكاملتان .. ولا تسبق احداهما الأخرى ..

هل كل كشف علمى وليد الصدفة ، أم سبقت كل صدفة محاولات هادفة ؟

اذا تتبعنا الثورة العلمية الأولى التى بدات فى اواخر القرن الثامن عشر .. أى بعد كشف آلة البخار .. أقول لك ان كشف هذه الآلة كان وليد الصدفة ، أما المرحلةالأخرى..مرحلة تحسين آلة البخار فلم تكن وليدة الصدفة .. كانت معتمدة على التجربة والخطأ .. وهذه أيضا ليست مرحلة علمية .. لأنها لم تكن خاضعة لقوانين يمكن التنبؤ بمقتضاها . ثم بدات الثورة العلمية الثانية بعد منتصف القرن التاسع عشر .. فنجد ان الصدفة قد ضعف شأنها .. لأن قوانين علميةقد كشفت فنظمت عملية البحث العلمى .. مثل قوانين الرياضيات وقوانين نيوتن فى الطبيعيات وسير الكواكب مثلا .. فقد كان من المعروف سلفا أن نجم اليورانوس مثلا هو أبعد نجم فى المجرات .. وعندما طبقت هذه القوانين على هذا النجم وجدت انحرافات طفيفة فى حساباته ، وبالبحث تبين أن السبب فى هذا هو وجود نجم آخر اكثر منه بعدا هو نبتون . خذ مثلا آخر حديثا .. فتفجيرات الطاقة الذرية لم تقم على الصدفة ابدا وانما على التنبؤ العلمى الخاضع للقوانين وحساباتها الدقيقة . ومن هذا يتضح لك أن الصدفة تكاد أن تكون قد انتهت فى العلوم

المضبوطة Exact Sciences وهى الرياضيات و (الفيزياء) والكيمياء . أما العلوم غير المضبوطة مثل البيولوجيات (علوم الحياة) . وأقول انها غير مضبوطة لأنها لاتخضع لمجموعة من القوانين.. والقوانين بطبيعتها العلميــة ودقتها تتطلب حالة من التوازن تتعارض مع نمو الانسان .. الذى هو مجال بحث البيولوجيات .. فالصدفة فى هذه المجالات لا زال لها شأنها .. لديك مثلا البنسيلين .. اكتشافه الحديث تم بطريق الصدفة .

عندما يصــل الباحث الى مرحلة الفرض العلمى .. هل نعتبر أنه قد تعدى مرحلة الفكر، كيف ذلك ؟

الفرض العلمى والفكر .. كلمتان فيهمـا نظر .. كل بحث علمى يحتـاج الى قدرة على التصــوير Immagination فاذا كانت قــدرة التصور سليمة فى حد ذاتها ، يستطيع الباحث ان يصل الى نتائج علمية سليمة .. وخاصـة فى الأشياء التى ليست لها نماذج محــددة .. لدينا مثلا الباحثون الذين يقومون بالتجـارب العلمية التى كلفوا بها ، ويسجلون النتائج التى يشاهدونها من هذه التجارب ، ولكن عمليـة الربط بين هذه النتائج تحت حكم عام أو قانون عام هى التى تحتاج الى قدرة على التصور .. أى ان الفرض العلمى هنــا يتوقف على قدرة أو عبقرية الباحث أو العالم .. لذلك فاننا قبل ان نقدم على القيام ببحث علمى .. لابد لنا أولا من رسم خطة لعمل هذا البحث ، أى نحددنوع التجارب الخاصة به ، ثم نجرى كل تجربة ، ثم ندون الملاحظات المصاحبة لهذه التجربة ، وأخيرا لابد من استخلاص نتيجة من هــذه الملاحظات المدونة .

لو قلنا أن جيل فيرن ، هـ . ج ويلز لهما بعض الفضل فى توجيه الأذهان الى مجــالات علمية جديدة أفاد منها العالم .. فهل هــذا صحيح ، وما حقيقة دور الخيال العلمى ؟

أنا لا أستطيع ان أسلم بهذا اطلاقا .. لأنه لا صلة بين هذا الخيال وبين العلم .

ان كان فى الامكان تحديد موقفنا من البحوث العلمية الجادة .. فما هو باعتبــارنا مجتمعا عربيا متطلعا للعلوم ؟

التحديد هنا يحتاج الى مقياس .. فما هو المقياس الذى ينظم لنا هــذه العملية ؟ .. لو أخذنا نسبة عدد الباحثين فى الدول الأوروبية لوجدنا انه يوجد مائتا باحث لكل مليون نسمة، ولو أخذنا على عاتقنا الوصول الى هذه النسبة.. فاننا سنتمكن من ايجــاد ١٢٠٠٠ باحث فى الجمهورية العربية المتحـــدة فى عام ١٩٧٥ .. وهذا مؤكد حدوثه .. فلو سرنا فى تخطيطنــا العلمى فى الخطط الخمسية القادمة بهذا المستوى بعد ذلك .. فاننى أقول لك اننـا نتساوى مع المجتمعات العلمية العالمية .. يبقى بعـــد ذلك تعريف الباحث .. فمن هو ؟ .. من القســوة أو من التعنت أن نقصر هذه الكلمـة على حامل الدكتوراه أو الماجستير .. فالباحث هو الذى يمضى عليه فى البحث العلمى منــذ تخرجه من الجامعة ثلاث سنوات ، ونستطيع القول بأن من يمضى عليه عامان فى كل بحث علمى نسميه باسم « يعمل بالبحث » .

هل فى الامكان تحديد خطـة للتفكير العلمى فى مجتمعنا .. حتى يكون التقـــدم متكافئا فى مجالاته كافة ؟

التفكير العلمى المنهجى يجب أن يكون خاضعا للقوانين التى تحكم هذه البحوث فى الطبيعـــة وظواهرها .. مثل قوانين الرياضة والطبيعة والكيمياء . انما العلم غير الطريقة العلميـــة فى التفكير .. فأنا عندما أقول ان هــذا الشخص ذو تفكير علمى .. معناه ان هذا الشخص يتسم بعقلية دارسة للعلم وقوانينه تؤهله للقيــام بتجارب علمية .. فكيف نوجد هذه العقليات الدارسة للعلم .. هنا أحب أن أقول انه لم يعد هناك داع للاعتماد على ارسال بعثات للخارج.. ولابد من الحد من ذلك وقصر البعثـــات على المجالات التى لا زلنا فى حاجة الى ارسال بعثات فيها .. لأننا الآن فى مرحلة تكامل أو فى الطريق الى التكامل العلمى .. ولهذا فان الانطلاق الى

ذلك التكامل العلمى يقتضى الارتكاز على قاعدة من الاكتفاء الذاتى لامكانياتنا العلمية أولا ، ثم الامتداد ببعثات الى الخارج دارسة لما نحن فى حاجة الى التزود منه بعدئذ .

اننا نلحظ أن تأليف الكتب العلمية قليل لدينا .. فهل يرجع هذا الى عدم تشجيعها أم الى طبيعة الباحثين العلميين وضيق أوقاتهم ؟

ان كنت تقصد الكتب الدراسية فلا نقص فيها ، أما ان كنت تريد كتب البحوث العلمية .. فهى مرتبطة بقدر هذه البحوث ومدى تكاملها حتى تستحق التسجيل فى كتب أو رسائل .. صحيح أن الوقت عنصر هام أمام الباحث اذ يكفيه ان يسجل نتيجة التجربة التى يجريها، لينتقل منها الى التجربة التى تليها .. وهكذا معنى هذا انه لا يجد أمامه الوقت الكافى ليتفرغ فيه لتأليف كتاب عن بحوثه التى قام بها .. الا اذا كان هناك مساعد يحمل عنه هذه المهمة .. ولابد طبعا من توفر شروط معينة فيه ..

هل معنى هـذا أننا فى حاجة الى عنصر التحرير العلمى أو الناشر العلمى كالمتبع فى أوروبا .. أم ماهو العلاج ؟

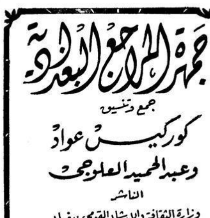
هذا موضوع هام جدا .. موضوع التحرير العلمى أو الناشر العلمى .. نحن فى شدة الحاجة الى مثل هذا النوع .. ولكن لابد من وضع أسس تنظمه حتى يكون متكافئا مع ما تتطلبه البحوث العلمية من دقة وتكاليف .

سؤال أخير ومعذرة .. لو طلب منكم عمل كتاب يعالج هـذه النواحى .. فهل توافق ؟ ما السبب ؟

كنت أرجو ذلك .. لكن ضيق الوقت وطبيعة عملى كما ترى الآن .

ولم أملك الا أن أقول .. ان هـذا ليحتم وجود محرر أو ناشر علمى ..

لقاؤنا فى الشهر القادم مع . . .
الدكتورة سهير القلماوى



تمر الأعوام متقاصرة أحيانا ، وتمر متطاولة أحيانا ، تقصر وتطول لا فى البعد الزمنى الذى تحتوى على أجزائه ، بل فى الأحداث التى تقع فيها . فان كانت أحداثا متقاربة مترابطة كان الزمن قصيرا او الاحساس به كذلك ، وان كانت أحداثا متباعدة متدابرة كان الزمن طويلا أو كذا يخيل الى من يعيشه أو يتأمله . وكانت الأعوام المتقاربة الأحداث مرحلة زمنية واحدة ، وكانت الأعوام الأخرى بدء مرحلة جديدة .

وتتغير المجتمعات فى المراحل المتخالفة فيتغير ما تخرج من آثار ، يهمنى منها الآثار الأدبية . فيختفى بعضها ، ويظهر غيرها لم يكن له وجود قبل . ولكن بعض الآثار تغالب الزمن وتبقى فى مرحلتين أو أكثر .

ومن أقدم ما أصدر الأديب العربى «الكتاب» فلدينا من الأقوال ما نستدل به على ظهوره فى أواخر القرن الهجرى الأول . ولا يقل قدما عنه الكتاب الصغير أو المقال الطويل ، الذى كان القدماء يسمونه « الرسالة » . وأمثل للرسائل الأولى برسالة ولى العهد التى كتبها عبد الحميد ابن يحيى الكاتب فى أواخر العصر الأموى ، أى فى مطلع القرن الثانى . وتتعارض أقوال النقاد والمؤرخين فى المقال القصير ، فيذهب بعضهم الى

وجوده بصورة ابتدائية فى الأدب القديم ، وينكر ذلك غيرهم .

ومهما كان الرأى الذى نميل اليه ، فلا خلاف فى أن الأدب العربى يضم مثل كتب الجاحظ والتوحيدى ، ومقالات أو رسائل عبد الحميد والجاحظ ، التى انتزعت اعجاب كل من تصدى لها . ولكننا حين نجمع على الاعجاب بها نجمع أيضا أو نكاد نجمع على الاعراض عن أى كتاب أو مقال يصدره كاتب معاصر ، يحتذى فيه هذه الكتب والمقالات احتذاء تاما . ولسنا نعرض عنه لأننا نفضل الأصيل على التقليد بل لغير ذلك من الأسباب .

فالأثر الأدبى القديم قيمته فى ذاته ، أعنى فيما يحمل من خصائص فنيــة ، ومن دلالات تربط بينه وبين كاتبه ؛ وتكاد تكون تلك قيمته الوحيدة .

وقد تضاءلت قيمــة ذلك النوع من الـكتب والمقالات فى العصر الحديث ، وتأخرت منزلته . وشغل محله الكتب والمقالات التى تقوم قيمتها على ما تحمل أو تضم من آراء أصيلة . فلم تعد قيمته أدبية حسب ، بل أدبية وفكرية ، ولعل الأجدر أن أقول فكرية أولا ثم أدبية .

ولست أعنى بالأصالة الدلالة الصادقة على الكاتب فحسب ، بل أعنى بها ذلك وأعنى بها فى الوقت نفسه الابتكار او القسط الجديد الذى اتى به الـكاتب ولم يكن عند غيره ممن تعرضوا للموضوع الذى يكتب عنه .

فالكتاب الحديث اذن بحث طويل ، والمقال الحديث بحث قصير ، أى أن كلا منهما بحث . وكل بحث لا يأتى بجديد لا يليق باسم البحث .

والجديد .. لا يمكن الاتيان به ، واعطاؤه قيمته ، وما يجدر به من عرض ، الا بعد الاطلاع على ما كتبــه غــير الباحث أولا ، بل أريد أنه لا يمكن ذلك الا بعد استقصاء الاطلاع على ما كتبه السابقون على الباحث عن موضوعه الذى يبحثه ويكتب عنه .

فاستقصاء الاطلاع هو الخطوة الأولى فى كل بحث . بل لا أغلو اذا قلت ان استقصاء الاطلاع ، ورهافة الحس ، ودقة التنبــه الى ما فى بطون الحقائق ، وحسن الاستنباط ، هى البحث كله؛ وأن اســتقصاء الاطلاع ، والتقاط الحقائق ، وتنسيقها هى الجهــد كله ؛ وما وراء ذلك من تدوين لا يستلزم من المشقة والوقت غير القليل .

يؤدى ذلك الى أن التعرف على مراجع البحث من أهم الأمور ذات الأثر البعيد فيه . فان نقص مرجع او أكثر قد يؤدى الى أن يفقــد البحث اصالته ، ويكون تكرارا لا جديد فيه ؛ أو يتنكب طريقه فيدعو الى آراء خاطئة ؛ أو يضل فيحتضن حقائق مشوهة مبتورة .

ومن أجل هذه الأمور وغيرها عظمت العناية فى العصر الحديث بالمراجع ، وبطرق معاملتها . وكان على رأس هذه العناية الكتب التى تحاول ان تدون قوائم تتسم بالشمول والاستقصاء عن موضوع او ظاهرة أو شخص . وكلما اتسع نطاق مثل هــذه القوائم ، ودق استقصاؤها ، عظمت قيمتها .

ولجأت بعض الدول الى انشاء مؤسسات خاصة يناط بها جمع ما يمكن جمعه من أسماء المراجع فى موضوع معين او الموضوعات المختلفة ، واصــدار القوائم المتتابعــة بهــا ، لتمكن العلماء المطلعين عليها من متابعة ما يصدر من أبحاث فى العلوم أو الفنون التى اختصوا بها . ولا تقصر تلك المؤسسات على ما يصدر من أبحاث بلغــة واحدة ، بل تتبع كل ما يصدر فى كل لغة من لغات العالم . وتتجاوز بعض المؤسسات ذلك العمل الى وضع مختصرات من هــذه البحوث المدونة باللغات الأجنبيـــة ثم توزيعها على المؤسسات المختصة بدراسة موضوعاتها .

وفى الجمهورية العربية المتحدة بذلت جهود فردية لاستقصاء مؤلفات بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع كابن ســينا وابن خلدون . ولكننى لا أعرف جهــدا بذل لاستقصاء مراجع موضوع ما استقصاء تاما .

ويبدو أن الأمر كذلك فى العراق . قام بعض الباحثين بمحاولات فردية لوضع فهارس وأثبات

مطبوعة . ولكنها كانت محاولات لا تقوى على نجدة الباحث بصورة تدعو الى الارتياح .

والحديث عن العراق لا يمكن أن يشوبه غلو . فمهما قال الباحث ، فالدور الذى اضطلع به العراق فى التاريخ الاسلامى ، والقسط الذى كان له فى الثقافة الاسلامية ، من الجلاء والعظمة بحيث لا يمكن أن ترد أى الخاطر صورة الحضارة الأسلامية دون أن ترتبط بها صور البصرة والكوفة وبغداد ، أو بغداد أولا ثم المدينتين الأخريين ، ثم غيرهما من المدن العراقية .

وقد صدرت حقا دراسات جادة تناولت الجوانب المختلفة من العراق عامة ، وبغداد خاصة ، مثل تاريخها الجغرافى ، وتاريخها الاقتصادى ، وتاريخها السياسى ، وتاريخها الأدبى ، وتراثها الشعبى ، وغير ذلك من اتجاهات نشاطها العلمى والفنى . ولكن قوائم تحاول أن تستقصى كل ما يتصل بها من دراسات لم تصدر قبل كتاب « جمهرة المراجع البغدادية » الذى جمع مادته ، وأعده ، ونسقه السيدان كوركيس عواد ، مدير مكتبة المتحف العراقى سابقا ، وعبد الحميد العلوجى ملاحظ الثقافة فى وزارة الارشاد ، اللذان حاولا أن يجعلاه « فهرستا شاملا بما كتب عن بغداد منذ تأسيسها حتى الآن » ، أى ببليوجرافيا كاملة عن بغداد .

ومن أجل هذا العمل الجبار راجع الكاتبان فهارس المخطوطات العربية والاسلامية المحفوظة فى مكتبات الشرق والغرب ، ولا سيما فى بغداد والموصل ودمشق وحلب وبيروت والزيتونة والجزائر وتطوان والقاهرة والاسكندرية وطهران ومشهد والبصرة والنجف واستانبول وباريس وليدن وبرلين وفينا والفاتيكان وميلانو ومدريد والاسكوريال وليبسك ولينينجراد وطشقند ونيوهافن وفيلادلفيا ونيويورك والكونجرس الأمريكى وبهار وبانكى پور وبومباى والمتحف البريطانى وكمبردج وتشستر بيتى والمكتب الهندى فى بريطانيا ، والمتحف العراقى .

وتتبعا ما ذكرته البلليوجرافيا من عناوين كتب ومقالات ، مثل كشف الظنون لحاجى خليفة ، وذيله لاسماعيل باشا ، والذريعة لآغا بزرك ، وفهرست ابن النديم ، ومعجم المطبوعات العربية ، واكتفاء القنوع ، من الكتب العربية ؛ وكتاب تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ، وفهرست ايرج افشار ، وكتاب Indx Islamicus للمستشرق الانجليزى بيرسون ، وكتاب Bibliographie des Ouvrages Arabes etc- للمستشرق الفرنسي شوفان .

والتقطا ما ذكرته الكتب العامة ودوائر المعارف مثل معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، والأعلام للزركلى ، وقاموس الأعلام لشمس الدين سامى ، وعشما نلرى مؤلفلرى وغيرها .

وقد أحصى الكاتبان ما رجعا اليه من مصادر فكان ٤٣٩١ مصدرا ، موزعة على النحو التالى :

٤١٦٠٠ كتابا مطبوعا باللغة العربية وغيرها .

٥٦٠	مجلة عربية
١٠٢٨	مجلة أفرنجية
٢٥	مجلة شرقية
١٨٣	صحيفة
٤٦٥	نشرة رسمية وشبه رسمية
١٣٠	مخطوطا

وعندما فرغا من جمع مادتهما وضعا أمامهما نهجا يسيرا لتنظيمها . فقد جعلا الكتاب فى قسمين : الأول منهما يحتوى على المراجع العربية أو المكتوبة بحروف عربية كالفارسية والتركية العثمانية والكردية . والثانى يحتوى على المراجع الافرنجية ، ويندرج تحتها مختلف اللغات الأوربية واللغة التركية الحديثة .

وفرعا كل قسم من هذين الى قسمين أيضا : خصصا الأول منهما للكتابات المذكورة أسماء مؤلفيها ، والثانى الكتابات الغفل التى لا يعرف مؤلفوها .

ورتبا الفرع الأول من كل قسم تبعا لاسم المؤلف على الالفباء ، والفرع الثانى منهما تبعا للعنوان وعلى الألفباء أيضا .

وراعيا فى ترتيب أسماء المؤلفين من العرب ما اشتهر به كل منهم ، مثل التوحيدى لأبى حيان ، والآلوسى لمحمود شكرى الآلوسي

وغيرهما . فاذا كان اسم المؤلف لا ينطوى على نسبه أو شهرة معينة أبقياه على حاله ، مثل طه حسين ، ومصطفى جـواد . والتزما فى أسماء المؤلفين غير العرب ترتيبها تبعا لاسم الأسرة كما يفعـل الأوربيون ، فان اتفق اسم الأسرة كان الترتيب تبعا للأسماء الأولى . واذا كان للمؤلف الواحـد بضعة مؤلفات أو مقالات رتباها تحت اسم المؤلف حسب عناوينها .

ووضـعا ارقاما متسلسلة لكل ما ذكرا من مراجع عربية وغيرها ، فتجلى أنهما أوردا اسم ٥٣٥٧ مرجعا فى القسم العربى ، و ١٠٦٨ مرجعا فى القسم الأفرنجى .

واسـتخدما بعض الرموز لاختصـار بعض الكلمات التى يكثر دورانها فى الكتاب .

ونستطيع للتيسـير أن نقسم المـواد التى ذكرها الجامعان الى الأقسام التالية :

الكتب المطبوعة ، وكانا يذكران موضع طبعها وسنته ، وعدد صفحاتها ؛ ويوردان أحيانا كلمة قصيرة للتعريف بها أو للاشارة الى مرجع تكلم عنها أو نقدها .

الـكتب المخطوطة ، وكانا يذكران موضـعها والرقم المحفوظة تحته ؛ وكانا أحيانا يشيران الى مخطوطات لكتب مطبوعة أو يوردان كلمة قصيرة للتعريف بالمخطوط .

الـكتب المفقودة ، وكانا يوردان المرجـع أو المراجع التى ذكرتها ، وفى اى صفحة ذكرتها .

المقـالات ، وكانا يذكران اسم المجلة التى تحتوى عليها ، والعدد ، والسنة ، والتاريخ .

وأخيرا الفصول أو المواضع التى تعرضت فيها بعض الـكتب المطبوعة أو المخطوطة العـامة لبغداد أو رجل بغدادى أو أثر بغدادى ، وكانا يذكران اسم الكتاب وموضع طبعـه وسنته ، وموضع الفصل المقصود منه .

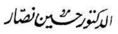
ثم أوردا عـدة فهارس : أولها للمؤلفين والمترجمـين والناشرين والمحققين والمقدمين . وثانيها للكتب والرسائل ، اى العناوين. وثالثها للجرائد . ورابعهـا للدوريات . وخامس للمجلات . وسادس ــ وهو أهمها ــ للمواضيع .

وقد يستدرك المتخصص بل القارىء العام على الجامعين كتبـا أو مقالات . وهما أول من يعترف بذلك اذ قالا (ص ٨) : « ولسنا ممن يدعى الكمال فى هذه الببليوجرافيا التى نضعها بين أيدى القراء . ونحن .. مازلنا نشعر بمواطن النقص فى هذه الببليوجرافيا . ولعلنا أعرف الناس بما يعتورها من فجوات وهنات . ونحن على يقين أن أشياء جمة مختلفة قد شذت عنا أو لم ينتهاليها علمنا . فالاحاطة التامة مستحيلة مهما بذل فى سبيلها من جهد . وعذرنا فى هـذا التقصير انها ببليوجرافيا مترامية الأطراف » . وانى لأرجو مخلصا أن يجمع الرجلان ما قد يصلا اليه أو ينبههما اليه الأصـدقاء ، ثم يخرجاه فى رسائل مكملة للكتاب .

وقد يختلف معهما مختلف فى أهمية بعض الفهارس الأخيرة . فيرى أن فهرس المؤلفين .. لا ضرورة له لأن الكتاب نفسه مرتب على حروف الهجاء . ويرى أن فهارس الجرائد والدوريات والمجلات موضعها الحقيق بها المراجع ، لأنها ــ فى حقيقة الأمر ــ ليست بفهارس .

ويختلف معهما مختلف فى الايجاز الشديد الذى التزماه فى الحديث عن كل مادة فى كتابهما ، وفى بعض ما أشار اليه من كتب أو فصول ، وفى عدم تقصيهما طبعات المطبوع من الكتب .

ولـكن ذلك كله لا يجعـل المختلف يبسط اختلافه على الكتاب نفسه وأهميته ، فهو ــ كما يقول جامعاه ــ « سيكون ذا نتائج علمية خطيرة لدى الباحثين » . فقـد تجلى ــ مما كتبت ــ أهميـة الكتب التى تورد مراجع موضوع ما ، وحاجتنـا الى التخطيط لأبحاثنـا ، لنصـل الى الدقة والأصـالة فيها . وليت بعض الدارسين عندنا يقومون بمثل تلك المحاولة للفسـطاط ، القاهرة ، والاسكندرية ، وقوص ، وغيرها من المدن المصرية ، والمدن العربية ، والأعلام العربية، وغيرها من الموضوعات التى كثر الجدل والتأليف حولها .



حالات تسمم غريبة تحدث فى بعض دول أوروبا فى الشتاء داخل القصور الفخمة ، ومجاعات فى أيرلندة نتيجة لتلف محصول البطاطس ، أما أسطول انجلترا ملكة البحار فأخذ يتهاوى قطعة وراء قطعة . بهذه الحوادث الطريفة مهد المؤلف للأضرار التى تحدثها الفطريات وكيف اكتشفها العلماء فى قديم الزمان .

والفطريات كائنات دقيقة يطلق عليها الناس اسم «العفن» ، وتظهر على بعض الفواكه والجبن والخبز والمربى اذا ما تركت مدة طويلة فى مكان رطب . وتتركب الفطريات من خيوط دقيقة تعرف بالخيوط الفطرية وهذه الخيوط تتجمع وتتداخل وتكون ما يعرف بالغزل الفطرى ، وقد تتجمع هذه الخيوط على هيئة أقراص تعرف بالمستعمرات الفطرية . وتتميز بعض الفطريات بألوان خاصة منها الأبيض والأسود والأحمر والبرتقالى والبنفسجى والأزرق والأصفر والأخضر .

وتحتوى الفطريات على حوالى مائة ألف نوع ، لكل نوع منها عدة سلالات مختلفة ، والأنواع تنتمى الى أجناس تضمها عائلات ذوات رتب تقع فى اربعة أقسام رئيسية . وقد تتفرع خيوط الفطر فى بعض الأحيان ، وقد تمتلك جذورا لتثبتها تعرف بأشباه الجذور ، ويتكون لها جراثيم ، تنتظم فى اشكال مختلفة عديدة على حواملها من الخيوط الفطرية . ويختلف سمك هذه الخيوط تبعا الى النوع الذى تنتمى اليه اذ يتراوح ما بين ١٠ــ٢٠ ميكرون ، كما أن بعض هذه الخيوط مقسم الى خلايا بواسطة حواجز والبعض الآخر غير مقسم . ويحيط بالخيط الفطرى جدار رقيق ، وبداخل هذا الجدار يوجد السيتوبلازم الحى وبه انوية ودهون وزيوت وبروتينات وسكريات معقدة وأملاح عضوية وغير عضوية وأصباغ وانزيمات ومركبات كيميائية أخرى . ويمكن تربية معظم الفطريات فى أطباق زجاجية معقمة فى وسط صناعى صلب مثل الجيلى يحتوى على العناصر الأساسية للحياة . وتختلف سرعة نمو الفطريات باختلاف نوعها وحسب الظروف المحيطة بها . وتستطيع

الفطريات

تأليف الدكتور عبد المحسن صالح

الفطريات أن تتغذى على أبسط المواد وعلى أعقدها تركيبا ، فاذا وجدت ظروف الرطوبة المناسبة فانها يمكنها أن تحلل الخشب والملابس وقلف الأشجار والورق والفلين وروث البهائم والمربات والبذور الرطبة والبقول والفاكهة والخضر والتربة والشعر والصوف وحتى المادة الصمغية للأذن . وهى تفرز انزيمات خاصة تحلل هذه المواد الى مركبات أولية بسيطة يمكنها امتصاصها بسهولة ولذا تتميز الفطريات عن سائر المخلوقات بأنها تهضم غذاءها خارج جسمها ، كما أن لها القدرة على استيعاب كميات كبيرة من الغذاء دون أن تمل أو تصاب بالتخمة فتنمو وتتفرع دون توقف وتكون جراثيمها لتنطلق فى الهواء باحثة عن طعام جديد .

وتمتاز الفطريات بعدم احتوائها على الكلوروفيل ، وهى المادة الخضراء التى توجد فى النبات الراقى ويكون بمساعدتها غذاءه بنفسه ، ولذا فان الفطريات تعتمد فى غذائها اما على كائنات حية من انسان وحيوان ونبات وتعرف هذه بالفطريات المتطفلة ، أو تعتمد على مواد عضوية ميتة وتعرف بالفطريات المترممة . وقد تجمع بعض الفطريات بخاصتى التطفل والترمم حسب الظروف التى تقابلها . والفطريات المتطفلة متخصصة ، فالفطريات التى تصيب القمح لا تصيب العنب ، وتلك التى تصيب الذرة لا تستطيع أن تتطفل على الفول . كما أن للنبات الواحد طفيليات فطرية عدة ، بعضها خاص بالأوراق والآخر بالبراعم أو السيقان أو الحبوب أو الزهور أو الثمار . والفطريات التى تصيب الانسان بعضها يصيب الرأس فقط والآخر يصيب الجلد أو الأصابع أو الأذن أو الحلق . ومن أمثلة هذا التخصص الدقيق فطر مائى يعيش على خنفسة مائية ويصيب رجلها الخلفية اليمنى



الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
قطع صغير الثمن ٥ قرش
عدد الصفحات ١٢٠ ص

فقط ولا يتعرض لبقية الأرجل . والفطريات المترممة ، ولو أنها تعيش على طعامنا وتفسده ، الا أنها تساعدنا على التخلص من بقايا الكائنات الميتة .

وتنتج الفطريات كميات هائلة من الجراثيم التى تنتشر فى الهواء الجوى وتهاجم ما تجده ملائما لها ، والجرثومة تنبت فى الظروف المناسبة وتعطى نباتا فطريا جديدا ، فلو تركنا رغيفا من الخبز فى مكان حار مظلم رطب فانه بعد عدة أيام يتكون عليه فطريات مختلفة أهمها وأكثرها انتشارا نوع مثل القطن المنفوش يعرف بعفن الخبز ، وجراثيم توجد بأعداد كبيرة داخل أكياس تعرف بالحوافظ الجرثومية . وفى فطر عيش الغراب ، الذى يشبه جسمها الثمرى شكل المظلة الصغيرة ، توجد ملايين من الجراثيم على جانبى صفائح خيشومية توجد فى السطح السفلى للمظلة . وبعض الفطريات يوجد بجسمها الثمرى أنابيب ضيقة بها طبقات عديدة من الجراثيم وقد يصل عدد هذه الانابيب الى حوالى ألفين أنبوبة فى السنتيمتر المربع من الجسم الثمرى . والهواء هو العامل الأساسى فى انتشار جراثيم الفطريات وذلك لخفة وزنها فهى تنتقل الى مسافات شاسعة ، فمثلا مرض صدأ القمح تأتينا جراثيمه من أوروبا . وقد تكون الجراثيم حبيسة داخل أكياسها أو فى ثمراتها الفطرية ، ولذا تتخذ الفطريات وسائل مختلفة لتوزيع مثل هذه الجراثيم . ففى مجموعة من الفطريات تعرف بالكرات القاذفة ، وهى تشبه الكرة فى شكلها ، يوجد بها فتحة صغيرة تنطلق منها الجراثيم عند تساقط المطر عليها . وبعض الفطريات يعيش تحت الارض ، ويوزع جراثيمه على هيئة درنات تمتاز برائحة خاصة تجذب الحشرات والحيوانات ، فتنقب فى الأرض وتأكلها وتخرجها مع فضلاتها لتوزع فى مكان آخر وبعض الفطريات يقذف بأكياسه الجرثومية ويوجهها بأحكام الى أوراق النباتات . وجراثيم الفطريات لا تعمر طويلا مثل جراثيم البكتريا ، كما أنها لا تتحمل الظروف القاسية من الحياة مثل الارتفاع أو الانخفاض الكبير فى درجة الحرارة ، وهى تتزاوج فى مثل هذه الظروف السيئة ، وتكون جنينا يحيط نفسه بجدار سميك لكى يقاوم هذه الظروف ، وعند عودة الظروف الملائمة يمزق الجنين هذا الجدار ويتحرر وينمو ويعطى جراثيم تنبت وتنتج مستعمرات فطرية مثل الوالدين . وبعض الفطريات لا يوجد فى دورتها تزاوج وتعرف بالفطريات الناقصة .

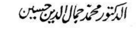
ويتأثر نمو الفطريات بدرجة الحرارة والغذاء والضوء والأكسجين والسموم والماء والرطوبة . فقد وجد أنها تنمو نموا عاديا بين ٢٠ — ٣٠ درجة مئوية ، ويتوقف النمو ما بين ٣٧ — ٤٥ درجة مئوية ، وتهلك تماما فوق درجة ٥٠ مئوية وتفضل معظم الفطريات الحياة فى الأماكن المظلمة ، وقد يحتاج بعضها الى موجات ضوئية خاصة لكى يكون جراثيمه . وتحتاج الفطريات للاكسيجين لكى تتنفس وتحرق الغذاء وتطلق الطاقات لتعيش بها ، ولو أن بعضها مثل الخميرة لا يحتاج للاكسيجين فى حياته . وهناك مركبات كيميائية تعرف بالمبيدات الفطرية من شأنها قتل وهلاك الفطريات ، الا أن المبيد الواحد قد يكون ذا تأثير فعال على فطر معين وغير فعال على فطر آخرى . وقد وجد أنه عند تكرار استعمال مبيد واحد لفطر يصيب محصولا معينا ، فان سلالات الفطر الجديدة تكتسب مناعة ضد هذا المبيد ولا تتأثر به بل تنمو وتزدهر فى وجوده . والماء يكون حوالى ٩٨ ٪ من وزن الفطريات ، وهو يلزم للخمائر والأنزيمات لكى تقوم بتحليل المواد الغذائية المعقدة الى مواد بسيطة أولية لامتصاصها . وهناك فطريات لا يمكنها أن تعيش الا فى الماء . وللرطوبة أهمية خاصة فى حياة الفطر ، مما ينتج عنه أضرار بالغة فى حياتنا العامة . فكل شىء تصله الرطوبة يظهر

عليه العفن . فالمأكولات المحفوظة والمحاصيل والأخشاب والورق والذخيرة والأسلحة والأجهزة الكهربية والميكروسكوبات تتلف من الجو الرطب وتصاب بالعفن . وحتى النباتات الخضراء عند ارتفاع درجة الرطوبة من الجو الذى تعيش فيه تصاب بما يعرف بالندوة ويعانى الفلاح من غزو الفطر لأرضه الكثير من الخسائر . وينشأ من تعفن الأخشاب أضرار بليغة مثل انهيار المنازل والمناجم وغرق السفن وتدمير قضبان القطارات. كذلك تعفن الورق أدى الى تلف كثير من الأوراق الهامة والمستندات .

والفطريات التى تهاجم نباتات المحاصيل الزراعية تسبب لها أمراضا عديدة ، فالقمح مثلا يصاب بأمراض الصدأ والتفحم والذبول ، وكلها تسبب خسائر فادحة فى المحصول . ويتطفل فطر صدأ القمح على عائل نباتى آخر يعرف بالبربرى ، ويظهر فى القمح على هيئة بثرات صغيرة على سطح الأوراق والسيقان . وللأوراق أنواع أخرى من الصدأ تعرف بالصدأ المخطط والمنقط . أما الحبوب فيصيبها مرض التفحم ، ويحول محتوياتها الى مسحوق أسود كالفحم ، والجذور يهاجمها فطر آخر يعرف بـ « فيوزاريم » ويسبب ذبولها فينهار النبات ، وقد يهاجم هذا الفطر منطقة السيقان الملامسة لسطح الأرض . أما سنابل القمح فتصاب بفطر « كلافيسيس بربوريا » الذى يحول بعض حباتها الى كتل سوداء تبرز الى الخارج بشكل واضح ، ولها خطر شديد على كل من يأكل خبزا مصنوعا من دقيق طحنت معه ، وقد يؤدى ذلك الى الوفاة ، ويصاب الذرة بأمراض التفحم وتعفن الكيزان والبياض الزغبى فى الأوراق والذبول وتعطن الساق والجذور .

وتصيب الفطريات الانسان ، وتسبب له أمراضا فى أعضاء جسمه المختلفة كشعر الرأس والجلد والعين والأذن واللسان والشفتين والمناطق التى يكثر فيها العرق والجهاز التنفسى والعصبى والغشاء المخاطى البلعوم والأنف والأحشاء والعظام وأصابع القدم . ويساعد على الاصابة بالفطريات وجود جرح أو ورم أو التهاب رئوى . والأمراض الفطرية فى الانسان لا تتخذ صورة وبائية فهى ليست سريعة الانتشار ، الا أنها تحدث تشويهات ملحوظة فى الجسم .

وبالرغم من الأضرار البليغة التى تسببها الفطريات للكائنات الحية ، الا أن بعضها يقوم بعمليات مفيدة ذات أهمية اقتصادية كبرى . ففطر الخميرة يقوم بعمليات تخميرية فى السكر ويحوله الى كحول ، وتستخدم عملية التخمير فى صناعات أخرى مثل صناعة الخمور والبيرة والخميرة المضغوطة التى تستعمل فى المخابز . ويساهم فطر أسبرجلاس فى انتاج حامض الليمون ، ويقوم فطر عفن الخبز بصناعة حامض اللبن من السكر الذى يستخدم فى أغراض طبية وصناعية . وحامض الجلوكونيك تنتجه بعض الفطريات بكميات كبيرة ، وكذلك حامض الأوكساليك والطرطريك والفيوماريك . كما أنه يمكن استخلاص انزيمات مختلفة بحالة نقية من الفطريات مثل انزيم الأميليز والأنفرتيز والبروتييز والبكتنيز ، وتستعمل هذه الانزيمات فى أغراض طبية وصناعية مختلفة . وتحتوى الفطريات على نسبة عالية من الدهون والبروتين صالحة لتغذية الانسان والحيوان . وبعض أنواع فطر عيش الغراب تصلح للأكل ، بل تعتبر من أفخر الأطعمة وأغلاها ثمنا ولو أن البعض الآخر منها سام جدا ، وهى تربى صناعيا على مواد متحللة مثل روث الحصان . وتستخدم بعض الفطريات فى صناعة الأنواع الفاخرة من الجبن مثل جبنة الركفورت والكاممبرت. كما أنه يستخلص من الارجوت مادة تعرف بالأرجوتين تستعمل فى تسهيل حالات الولادة العسرة وفى الاجهاض ولها أثر فعال فى وقف حالات النزيف الرحمى . وحامض الجيريليك المستخلص من فطر جبريلا الذى يصيب مزارع الأرز فى اليابان يستخدم كمنشط لنمو النباتات فيدفعها الى الازهار المبكر فينتقص من بقائها فى الأرض ، وكذلك يزيد من انتاجها . ومن الفطريات تمكن العلماء من استخلاص المضادات الحيوية مثل البنسلين والستربتومايسين والكلورومايستين، وهذه المضادات من شأنها القضاء على البكتيريا والفيروسات التى تصيب الانسان وتسبب له أمراضا خطيرة .





تأليف: الدكتور مصطفى زيد

الناشر : دار الفكر العربي
٨٩٠ ص ١٧×٢٤ (في مجلدين)

القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ختم الله به الكتب ، وانزله على خاتم الأنبياء والرسل ليكون للناس جميعا دستور هداية للتي هي أقوم ، فلا يزيغ من تمسك به واعتصم بحبله ، وهو معجزة الرسول الخالدة التي أفحمت أرباب الفصاحة والبلاغة فلم يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثله .

وقد نال هذا الكتاب الكريم عناية العلماء والدارسين ، وتنوعت هذه العناية واتخذت أشكالا مختلفة ، فتارة ترجع الى لفظه وادائه ، واخرى الى اسلوبه واعجازه ، وثالثة الى كتابته ورسمه ، ورابعة الى تفسيره وشرحه الى غير ذلك .

ولقد افرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ، ووضعوا من اجلها العلوم ودونوا الكتب ، وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطا بعيدة ، حتى زخرت المكتبة الاسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الاعلام ، وأصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة ، وموسوعات قيمة ، فيما نسميه علم القراءات ، وعلم التجويد ، وعلم النسخ العثماني ، وعلم التفسير ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم غريب القرآن ، وعلم اعجاز القرآن ، وعلم اعراب القرآن ، وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية ، مما يعتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب ، وبات هذا المظهر معجزة جديدة مصدقة لقوله سبحانه : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وقد لقي علم الناسخ والمنسوخ عناية خاصة ، واهتم به المفسرون والاصوليون اهتماما كبيرا ، وافرد له المؤلفون في علوم القرآن بابا في كتبهم ، كما عكف بعض الدارسين والعلماء على جمع ما تناقله الرواة من آثار في النسخ ليودعوها كتبا الفوها وأطلقوا عليها اسما هو « الناسخ والمنسوخ » أو ما يدور في فلكه ، ومع كثرة المؤلفين في هذا الموضوع فان الكتب التي وصلت الينا قليلة ، ومرد هذا الاهتمام بموضوع النسخ الى انه يتعلق بالاحكام الشرعية وما نسخ منها وهو أمر يجب ان يعرفه كل باحث يتصدى لدراسة الشريعة ، واستخراج الاحكام الفقهية .

ولكن هذا الاهتمام لم يحل مشكلة النسخ ، وزادها تعقيدا وغموضا واضطرابا فقد اختلفت مناهج المؤلفين ، وتباينت نظرتهم حول مدلول معنى النسخ ، مما ادى الى كثرة دعاوى النسخ كثرة مذهلة من جهة ، والى اعتبار بعض الآيات منسوخة لدى بعض المؤلفين غير كذلك لدى البعض الآخر من جهة ثانية ، ومحاولة احد المؤلفين انكار النسخ في القرآن جملة ، وتأويل الآيات التي تدل على جوازه ووقوعه تأويلا لا يخلو من تعسف غالبا من جهة ثالثة ، هذا فضلا عن فقدان المنهج العلمي في دراسة هذه المشكلة قديما وحديثا .

وأخيرا تصدى لمعالجة هذا الموضوع الخطير الاستاذ الدكتور مصطفى زيد رئيس قسم العلوم الاسلامية بكلية دار العلوم ، فقدم فيه دراسة وافية شاملة ضخمة ظهرت في مجلدين ، بلغت صفحاتها نحو الف صفحة ، وقامت هذه الدراسة على أسس علمية وخطة منهجية مركزة ، فجاءت بحق أول دراسة عالجت النسخ في القرآن الكريم ، وحلت هذه المشكلة المعقدة الهامة حلا علميا ، وجمعت بين الناحية التشريعية والتاريخية والنقدية .

ومما هو جدير بالذكر ان المؤلف الفاضل قد عاش مع موضوعه فترة طويلة ، فصلته به ترجع الى عام سنة ١٩٥٢ ، فقد كان مشغولا بتفسير سورة الانفال حينذاك ، وراعه أن يكون فيها ست من دعاوى النسخ على ست من آياتها التي لا تتجاوز خمسا وسبعين ، غير انه بعد ان ناقش هذه الدعاوى انتهى الى ان خمسا منها لا تقوم على أساس من المنقول أو المعقول ، وانه لا تعارض اطلاقا بين الآيات الناسخة والمنسوخة في زعم القائلين بالنسخ .

واحس المؤلف بعد هذا أنه أمام مشكلة هائلة تحتاج الى حل ، وأن سبيل حلهـــا يحتاج الى مزيد من الاناة والهدوء والعمق ، فاتخذ « النسخ فى الشريعة الاسلامية » موضوعا لدرجة الدكتوراه ، ولم يقصد بهذا الحصول على هـــذه الدرجة العلمية بقدر ما تمنى أن يعالج المشكلة ويحلها ، ولكنه لم يكد يقطع فى كتابته شوطا حتى أيقن أن النسخ فى القرآن الكريم لا يمكن أن يدرس فى أقل من نحو ألف صفحة ، وأن النسخ فى السنة يحتاج الى مثل هذا ، فقصر دراسته على النسخ فى القرآن الكريم راجيا أن يدرس النسخ فى السنة فى كتاب تال ان شاء الله .

واعترف بأن هذا السفر الضخم لا تفى مقالة واحدة لدراسته والتعريف به ، وارجو أن أتمكن فى هـذه الكلمة الوجيزة من اعطاء القارىء فكرة عامة سريعة عن أهم جوانب هذا الكتاب ، مرجئا دراسته دراسة تفصيلية مستوعبة الى فرصة قريبة ان شاء الله .

يقوم هذا الكتاب على خطة منهجية ترتكز على دعائم ثلاث : الناحية التشريعية ، والناحية التاريخية ، والناحية النقدية ، وقد اقتضى الوفاء بهذه النواحى الثلاث أن يقسم الكتاب الى أربعة أبواب وتمهيد وخاتمة ..

أما التمهيد فقد استهله بالاشارة الى ما تفعله الدول من الغاء قوانينها اذا لم تحقق الغـــاية التى وضعت من أجلها ، وتقوم بوضع قوانين جــديدة تحل محل القوانين الملغاة ، وأحيانا لا تلغى القوانين جملة وانما تلغى بعض المواد لانها لم تعد تحقق المصلحة التى نيطت بها ، أو توضع مواد جديدة تحقق المصلحة ، وذكر بعد هذا أننا اذا تقبلنا هذا النسخ بين القوانين الوضعية المختلفة ، وبين مواد كل منها ، فيجب أن نتقبله ولا نستنكره عندما ينقل الينا أنه قد وقع بين الشرائع السماوية ، وفيها ، ثم فرق بين النسخ فى القوانين الوضعية والنسخ فى الشرائع السماوية ، وناقش الرافضـــة فيما ذهبوا اليه من آراء حول النسخ ، وربطهم بينه وبين البداء ، وأبطل بالحجج الدامغة آراء تلك الفرقة الزائغة ، وما اثاروه من شبهات ومفتريات ، واستطرد بعد هذا الى دراسة موقف اليهود من النسخ فأثبت أن فرق اليهود الثـــلاث وان تباينت آراؤها بعض التباين حول فكرة النسخ ــ متفقون على شىء واحـــد : هو أن الشريعة الاسلامية لم تنسخ الشريعة اليهودية ولا ريب أن هذا تعصب ومكابرة ، وهو أمر ليس غريبا على اليهود قديما وحــديثا ، وبعد اليهود ناقش النصارى فى زعمهم بأن النسخ ليس بجائز عقلا ولا واقع سمعا ، وقد أثبت بالادلة العلمية وايراد وقائع للنسخ من التوراة والانجيل فساد هذا الزعم ، وختم التمهيد بأن النسخ جائز عقلا وسمعا عند المسلمين ، وأن القرآن الكريم قد جاء للنـــاس جميعا ، وأن على كل انسان أن يؤمن به ، وأنه قد نسخ الشرائع السالفة ، وأن بعض احكام القرآن قد نسخت أحكاما وردت فى القرآن ذاته ، وأن علماء المســلمين قد أجمعوا على ذلك ، ولم يشـذ الا أبو مسلم الأصفهانى الذى أنكر النسخ فى القرآن ، ولم يشـأ أن يتعرض بالتفصيل لمذهب أبى مسلم فى هــذا التمهيد ، وأشار بأنه سيبسط القول فيه عند الحديث عن حكم النسخ .

وفى البــاب الأول تحدث عن النسخ عند الاصوليين فدرسه فى أربعة فصول ، اقتصر الحديث فى الفصل الأول على تعريف النسخ لغة وشرعا ، مع الاهتمام بتفسير ما عرى هذا التعريف من تطور ، وما لحقه من تغير ، وقد وازن بين المدارس الأصـــولية فى تعريفها للنسخ ، ووضح الظروف البيئية والفكرية التى لعبت دورا هاما فى تعريف النسخ لدى بعض الأصوليين ، وأبرز أثر الاختلاف بين الاصوليين فى هذا التعريف فى كثرة قضـــايا النسخ وقلتها منذ عصر النبوة حتى الآن ، وآثر تعريف المدرســة القائلة بالرفع وهو : « رفع الحـــكم الشرعى بدليل شرعى متـــأخر » وأعطى الأدلة التى جعلته يؤثر هذا التعريف وذكر أن على أساسه سيدرس المشكلة ، وختم هـــذا الفصل بمقارنة جامعة دقيقة بين آراء علماء الأصـــول وموقفهم من تعريف النسخ .

أما الفصل الثـــانى فقد درس فيـــه النسخ وبعض أساليب البيان التى قد تختلط به ، كالتخصيص والتقييد والتفسير ، ففرق بينهـــا وبين النسخ ، وأتى بالامثلة الكثيرة والشواهد المختلفة ليوضح ما بين النسخ وهـــذه الأساليب من وجوه التباين ، وخلص من هذا الى أن السر فى كثرة دعاوى النسخ مصدرها الخلط بين حقيقة النسخ وهذه الأساليب ، وأن معظم ما اعتبر منسوخا لا يعدو ما فيه أن يكون تخصيصا ، أو تقييدا ، أو بيانا لمبهم ، أو تفصيلا لمجمل .

وعقد الفصل الثالث للكلام عن شروط النسخ ما اتفق عليه منها ، وما اختلف فيه ، وقد درس هذه الشروط على ضوء وقائع النسخ التى صـــحت ، وحسم القول فى كل الشروط المختلف فيهـــا مع استفاضـــة فى عرض الآراء ومناقشتها ، مؤكدا أولا وقبل كل شىء أن عصر الرسالة

هو الزمن الذي يسوغ فيه نسخ النصوص دون ما بعده ، ومن لم يجب أن نرفض كل دعوى نسخ لم تؤثر عن هذا العصر ، وانما جدت بعد مضيه ؛ اذ لا ينبغي ان ينسخ نص تشريعي تركه الرسول صلى الله عليه وسلم محكما ، ومؤكدا كذلك ان الله سبحانه وتعالى هو صاحب الحق في النسخ ، وصدق الله العظيم « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منهـا او مثلها » « يمحو الله ما يشاء ويثبت » « واذا بدلنا آية مكان آية ـ والله أعلم بما ينزل ـ قالوا انما أنت مفتر ، بل أكثرهم لا يعلمون » .

وتحدث بعد هذا عن الطرق المعرفة للناسخ والمنسوخ ؛ لانها مكملة لشروطه ، فعرض لآراء بعض الاصوليين والفقهاء ، وانتهى بعد نقد ما عرض من آراء الى بيان الطرق الصحيحة لمعرفة الناسخ والمنسوخ ، وأخذ على الاصوليين ما ذهبوا اليه من امكان وقوع التعارض بين نصين شرعيين دون دليل على النسخ ودون مرجح لاحدهما على الآخر ، لان هذا مجرد فرض لم يسنده أثر ، ولا يصح أن يقول به فقيه او أصـولي ؛ لأن الله تبـارك وتعالى كما يقول الامام ابن حزم : ما « تركنا في عمياء وضلالة لا ندرى معها أبدا هل هذا الحكم منسوخ ، أو غير منسوخ ؟ هذا أمر قد أمنا وقوعه أبدا ، اذ لو كان ذلك لـكان الـدين قد بطل أكثره .... حاشا لله من هذا » .

وفي الفصل الرابع وهو الأخير من الباب الأول ، تحدث من حكم النسخ ودليله ، فذكر أن المنطق السليم يقرر جواز النسخ عقلا ، لانه لا يترتب على وقوعه محال ، وان الواقع التاريخي يؤكد وقوع النسخ سمعا ؛ فقد ثبت نسخ حكم لحكم في الشريعة الواحدة ، ونسخ شريعة للشريعة السابقة لها ، ثم افاض بعد ذلك في الحديث عن الآيات التي تحدثت عن النسخ في القرآن الكريم ففسرها ، وعرض لكل جزئية فيها بالتحليل والتفصيل والموازنة وعدت هـذه الدراسة الدقيقة لآيات النسخ في القرآن وبعض الاحاديث النبوية الى الحـكم بجـواز النسخ شرعا ، وبينت أن المسلمين قد أجمعوا على هذا ، أما أبو مسلم الذي ذهب الى خلاف ما أجمع عليـه المسلمون ، وزعم بأنه ليس في القرآن ناسخ ولا منسوخ ، فقد ناقشه المؤلف مناقشة هادئة منطقية أثبتت ان الادلة التي قام عليها مذهب ابي مسلم واهية لا تصمد أمام النقد ، وأن أبا مسلم قد ذهب في تأويل الآيات القرآنية الصريحة في جواز النسخ ووقوعه مذهبا تأباه طبيعة اللغة ، ومعاني الآيات وسياقها .

وبعـد أن أبطل مذهب أبي مسلم ، تحدث عن حكمة النسخ ، فأشار الى ان الله تبارك وتعالى رحيم بعباده ، يفرض عليهم ما يحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة فاذا نسخ حكما كان قد فرضـه ، أتى بحكم آخر يحقق أيضا الخير والفلاح ، ورحم الله الامام الشافعي حين قال : ان الله خلق الخلق لمـا سبق في علمه ، مما اراد بخلقهم وبهم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ، وفرض فيـه فرائض اثبتهـا ، واخرى نسخها ؛ رحمة لخلقه : بالتخفيف عنهم ، وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمـه ، وأثابهم على الانتهاء الى ما أثبت عليهم : جنته ، والنجاة من عذابه . فعمتهم رحمته فيما أثبت ونسخ . فله الحمد على نعمه » .

وتكلم في ختام هذا الفصل عن أنواع النسخ في القرآن فبين أنهـا نوعان لا أكثر : ما نسخ حكمه وبقي نظمه ، وما نسخ حكمه ونظمه معا ، أما ما يزعمه البعض من أن هناك نوعا ثالثا هو منسوخ التلاوة باقي الحكم ، فهو مجرد فرض لم يتحقق في واقعة واحدة ، ولهذا رفضه لانه غير معقول ولا مقبول .

أما الباب الثاني فقد تناول فيـه بحث المشكلة من الناحية التاريخية ، فدرسها في فصلين ، تحدث في الفصل الأول عن التأليف في المشكلة فأشار الى موقف الصحابة من القرآن ودراسـته ، ثم تطور الدراسات القرآنية وتعددها ، واعتبار ناسخ القرآن ومنسوخه شرطا فيمن يفسر القرآن ، أو فيمن ينصب نفسه لمنصب الافتاء وذكر أنه عندما بدأ التصنيف في العلوم ، أفرد كثير من العلماء النسخ بالتأليف ، وحفظت لنا كتب التراجم على تنوعها ووفرتها ، ومعاجم البلدان أسماء كثير من المؤلفين في ناسخ القرآن ومنسوخه . ثم ترجم لبعض المؤلفين ، مبينا ما قيل في كل منهم تعـديلا وتجريحا وملتزما الترتيب الزمني في التعريف بهم .

وفي الفصل الثاني تحدث عن الكتب التي عثر عليها وهو قليل من كثير فقدته المكتبة الاسلامية ، فعرف بها وشرح مناهجها ثم نقدها وأبرز قيمتها العلمية ، وما أضافه كل مؤلف من جديد بالنسبة الى ما سبقه مع تحقيق نسبة كل كتاب الى مؤلفه ، وأهاب في نهاية هذا الفصل بطبع بعض هـذه المؤلفات التي ما زالت مخطوطة طبعا علميا محققا للافادة من هذا التراث القيم الذي يعتز به الفكر العربي والثقافة الاسلامية .

اما الباب الثالث وهو اهم أبواب الكتاب واطولها ، فهو يتناول دعاوى النسخ التى لم تصح فى القرآن الكريم ، لقد كثرت اقوال العلماء ، وتضاربت فى كثير من الاحيان ، واختلفت مناهجهم ، فتضخمت نتيجة لهذا دعاوى النسخ تضخما غريبا مزعجا ، وقد عالج المؤلف بمقدرة ومهارة كل هذه الدعاوى علاجا ناجعـا ، وناقش كل رأى مناقشة تتسم بالاحاطـة والعمق وتحديد المفاهيم ، واقتضى منه هذا أن يقسم الباب الى سبعة فصول ، أحصى فى الفصل الأول عـدد القضـايا التى عالجها كل مؤلف ، ثم وضع جدولين ، اولهما لتسجيل عدد قضايا النسخ فى كل سورة فى كل كتاب على حدة وثانيهما لتسجيل قضايا النسخ فى كل سورة أيضا ولكن بعد جمع كل ما قيل فى نسخ بعض آياتها ، وترتيبه حسب موقعه فيها ثم حصره بدقة .

لقد احصى فى هذا الفصل كل الدعاوى ما صح منها وما لم يصح ، ثم صنف الآيات بعد ذلك تصنيفا موضوعيا ، وعالج كل مجموعة فى فصل مستقل على حسب ترتيبها فى المصحف ، ولذلك درس فى الفصل الثانى دعاوى النسخ فى الآيات الاخبارية ، وهى تلك الآيات التى لا تشرع أحكاما مثل قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقون » وقد ناقش فى هـذا الفصـل خمسا وسبعين دعوى ، وانتهى به المناقشـة الى اثبات بطلان هـذه الدعاوى ؛ لان الاخبار لا تنسخ ، فالله تبارك وتعالى لا يحكى خبرا ثم ينقضـه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وعرض فى الفصل الثـالث لدعاوى النسخ فى آيات الوعيد والتهديد مثل آية « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبـة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقد ناقش فى هذا الفصل ثمانى وعشرين دعوى ، فأثبت فسـادها ؛ لأن آيات الوعيد والتهـديد لا يمكن أن تنسخ ؛ لأن ما تضـمنته لابد أن يقـع ، فهى تشترك مع الاخبار فى حتمية الوقوع وان خالفتها — غالبا — فى زمانه ومن ثم تشترك معهـا فى عـدم قبولها للنسخ بحال ..

اما الفصل الرابع فقد تحدث فيه عن دعاوى النسخ بآية السيف ، فهذه الآية — فى أصح الاقوال — هى قوله تعالى فى سورة التوبة : « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصـد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » ، لقد ادعى بان هذه الآية نسخت آيات الصبر والأمر بالمعروف ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن ، كما نسخت آيات الأمر بالاعراض عن المشركين وغير ذلك من الآيات التى ذهب بعض المفسرين الى القول بأنها نسخت بهذه الآية ، وقد فسر اولا آية السيف هذه ، واوضح المراد بها ، ثم ناقش دعاوى النسخ بهذه الآية ، وهى ثلاث وسـتون دعوى ، وأبان بأنه لا تعارض بين آية السيف وبين الآيات المدعى نسخها بها ، ومن ثم فان هذه الدعاوى لا دليل عليها ، ولا يصح الأخذ بها .

وفى الفصل الخـامس عرض لمجموعة من الآيات ادعى النسخ بينهـا وليست كذلك ، لأن هذه الآيات قد تكون العلاقة فيما بينها التخصيص أو التقييد ، أو التفسير أو التفصيل ، وكل من هذه لا يؤدى الى النسخ ؛ اذ أنه — كما سبق — رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر وليس هنا رفع حكم ، ولكن تخصيص أو تقييد .. الخ وعدة هذه الآيات ثمان وأربعون .

اما الفصل السادس فقد درس فيه آيات ليس بينها وبين نواسخها تعارض حقيقى مثل قوله تعالى : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسـع عليم » قالوا : هى منسوخة بقوله جل ثناؤه « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون » ، وقد ناقش دعاوى النسخ المزعومة هنا ، والتى تربى على الخمسين ، وأثبت بجـلاء أنها دعاوى ساقطة لا يسندها منطق ، ولا يقويها أثر يعتد به .

وفى الفصل الأخيـر من هذا الباب الهام يعرض لآيات تتميز باجماع المؤلفين على أنها منسوخة ، وقد بين أن هذه الآيات مع أنها اشتهرت بأنها منسوخة ، ومع اجماع المؤلفين على ذلك ، فانهـا ليست منسوخة ؛ لأن شروط النسخ لا تتوافر فيهـا ، ولا تعارض بينها وبين غيرها من الآيات المدعى بأنها ناسخة لها وتبلغ دعاوى النسخ فى هذا الفصل ست فقط .

اما البـاب الرابع — وهو ذو فصل وحيد — فقد عالج فيه وقائع النسخ التى توافرت فيها شروطه ، وقام الدليل على النسخ فيهـا ، عالجها بترتيب فقهى ، لا بترتيب وقوعها فى المصحف وهذه الوقائع تشمل نوعين :

النوع الاول وقائع نسخت فيها أحكام ثبتت بالسنة ، وكان الناسخ لها آيات من القرآن الكريم مثل تحويل القبلة ، وتحريم الـكلام فى الصـلاة بعد أن كان مباحا بالسنة العملية .

النوع الثانى وقائع نسخت فيها أحكام ثبتت بالقرآن وكان الناسخ لهـا آيات من القـرآن كذلك مثل تحريم

الخمر ، وبعض أحكام القتال . لقد درس في هذا الباب وقائع النسخ الصحيحة دراسة مفصلة ، تقوم على توضيح شروط النسخ وأدلته وطريق معرفته مع عرض موجز لما ترتب عليه من احكام جديدة حلت محل أحكام كانت قبلها ، فحسمت هذه الدراسة المشكلة ، وميزت وقائع النسخ الصحيحة من غيرها ورفضت تلك الدعاوى المسرفة التى لا تنهض على اساس من المنقول ، أو المعقول .

وفى خاتمة هـــذا البحث ـ الذى ارجو أن أكون قد وفقت فى عرضـــه والتعريف به ـ سـجل المؤلف بعض النتائج التى انتهى اليها ، وبعض المقترحات التى أسفر البحث عنها .

وبعد فماذا يحمل هذا العمل العلمى الكبير من خصائص ، او بعبارة أخرى ما هى القيمة العلمية لهذا الكتاب ؟ .

لقد أشرت فى ثنـــايا عرضى لهذا الكتاب الى بعض خصائصه ، واود الآن أن أفصل القول بعض التفصيل فى بيان قيمته ، ومكانته فى المكتبة الاسلامية .

ان من يقرأ هـــذا الكتاب قراءة واعية متأنية يلاحظ ما يلى :

أولا : اعتماده على المراجع الأصيلة والنادرة ، فمؤلفه لم يدخر وسعا فى البحث والتنقيب ـ رغم ظروفه الصحية القاسية ـ حتى تجمعت لديه المادة الأصلية المستقاة من المراجع المعتد بها ، ولو كانت هـــذه المراجع فى مكتبات اجنبية ، فقد سعى لتصويرها ، والحصول على نسخ منهـــا .

ثانيا : الأمانة العلميـــة الدقيقة ، وتخريج النصوص وتوثيقها ، فكل عبـــارة ينقلها من أى مصدر يرجعها الى مصدرها سواء قصرت هذه العبارة أو طالت .

ثالثا : المناقشـــات العلمية المركزة ، والقارىء يحس من خلال هـــذه المناقشات أن المؤلف يسيطر على موضوعه سيطرة تامة ، ويلم به من جميع أطرافه ، ويعرف دقائقه معرفة وافية ، وانه يطلب من وراء هذه المناقشات الحقيقة وحدها دون أن يهتم بالأسماء ؛ لأنه لا يعرف الحق بالرجال ولكن يعرف الرجال بالحق .

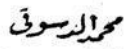
رابعـا : استخلاص النتائج من مقدمات تعرض عرضا شافيا ، فهو يقدم الأمثلة المختلفة ويفسرها تفسيرا علميا ثم يستنتج منهـــا بعد ذلك النتـــائج التى تهدى دراسة المقدمات اليها وهـــذا دليل على أن المؤلف عالج موضوعه مستقل الرأى حر التفكير ، لم يتأثر باتجاه معين أو برأى خاص وهـــذا سمة على الأصالة فى البحث ، والابتكار فى التأليف والدرس ، فحيث لا يكون الباحث مغلول التفكير برأى سابق ، وحيث يكون الحق رائده والأناة والاخلاص عدته ، فان النتائج العلمية التى يصل اليها تحمل طابع الاستقلال والجدة .

خامسا : أن هـــذا الكتاب قد درس الناحية التاريخية والتشريعية للمشـــكلة دراسة جديدة منهجا وتناولا ، فلم يسبق أن درس كتاب هـــذه المشكلة بهذه الصورة الفريدة الكاملة ، فالكتب القديمة كانت تتحدث عن دعاوى النسخ بلا منهج علمى وبلا تحديد دقيق لحقيقة النسخ ، أما الكتب الحـــديثة ـ وليست سوى رسالتين موجزتين قدمتا فى جامعة الأزهر ـ فقد عريت عن المنهجية والأصالة ودراسة الناحية التاريخيـــة فى مراحلهـــا المتباينة ، ورددت آراء السابقين بلا نقد ، أو تمحيص ، ولكن هذا الكتاب ـ دون اسراف . أو مبالغة فى القول ـ قد درس المشكلة بشطريها التاريخى والتشريعى دراسة موضـــوعية تمتاز بالمنهجية الشاملة ، والنظرات النقـــدية الفاحصة ، فهو لهذا يعد اول كتاب اشتمل على كل ما يتعلق بالنسخ بوجـــه عام وبالنسخ فى القرآن بوجه خاص .

سادسا : ان هذا الكتاب قد جمع بين الفكرة العلمية والصياغة الأدبيـــة ، فمؤلفه عالم وأديب ، استطاع أن يخلص مثل هذه المباحث من جفاف الأسلوب وغموضه ، وركة العبارة وسوقيتها وهى ظاهرة عامة تبدو فى مؤلفاته كلها لا فى هذا الكتاب فحسب ، ومن يقرأ له « تفسير سورة الأنفال » أو « المصلحة فى التشريع الاسلامى » أو « منهج الاسلام فى تربيـــة الإرادة » يلاحظ شيوع هذه الظاهرة وهذا يؤكد كذلك ان « الرؤية العلمية » لديه واضـــحة لا يشوبها ضباب من أى لون ، ووضوح الرؤية العلمية شرط أســـاسى لنقل الفـــكرة فى صورة خلابة واضحة غير مستكرهة ولا معقدة .

وبعد ، فهـــذا بعض ما عن لى بعد أن سعدت بصحبة هذا الكتاب فترة غير قصيرة قرأته فيها مرتين ، ازددت بعـــدهما يقينا بأنه لا غرو فى أن ينال مؤلفه عليه درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ، وأن تجمع لجنة المناقشة على أن هذا الكتاب مرجع وحيد أصيل فى بابه ، وانه ملأ فراغا فى المكتبة الاسلامية كانت تعانى منه منذ أمد بعيد .

ولا احب أن أضع القلم قبل أن أشير الى ما قام به المؤلف من وضع الفهـــارس العلميـــة المتنوعة فهى تمتـــاز بالدقة وحسن التبويب والاستيعاب وان كنت أود أن يكون فهرس الأعلام فى الطبعة الثانية باذن الله عاما غير قاصر على من ترجم لهم ـ رغم كثرة هؤلاء ـ كما آمل أن نرى قريبا ان شاء الله كتاب النسخ فى الســـنة النبوية الشريفة ، ليكون مع النسخ فى القرآن دراسة متكاملة شاملة أصيلة عن النسخ فى الشريعة الاسلامية كلها ..





تأليف
هنريك إبسن

ترجمة وتقديم : الدكتور علي الراعي
مراجعة : الدكتور محمد مندور

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٠٧ صفحات ١٤×٢٠ الثمن ٥

تعرضت مسرحية بيرجنت لطراز فريد من الشخصيات .. تلك هي شخصية بطلها الرئيسية .. بيرجنت الكذاب الخيالي الى أبعد حدود الخيال . ولكن القاريء سرعان مايتعاطف مع هذه الشخصية ، ويمضي معها في أكاذيبها وأوهامها مستغرقا استغراقا لا ينتهي الا بعد أن تصل المسرحية الى نهايتها بلحظات .

وربما كان السبب في ذلك التعاطف الذي تحظى به شخصية بيرجنت أن القاريء يجد فيها نفسه بمعنى ما . حتى ولو اختلف وجه الشبه في الدرجة . ففي شخصية بيرجنت تتمثل مأساة الانسان وانقسامه على نفسه بيد واقعه بكل وطأته وثقله ، وبيد خيالاته بكل ما تتصف به هذه الخيالات من عذوبة وبطولة وتألق ومثالية .

فبينما نجد بيرجنت في واقعه مجرد شاب فقير جبان يحتقره المحيطون به ، ولا يكفون عن السخرية منه والتندر به .. نجده في خيالاته يلعب بالذهب .. واذا بالشجاعة هي أبرز صفاته ، ثم تتطور المسرحية لكي نجد بيرجنت قد أصبح موضع احترام من الجميع في كل ارض تطؤها قدماه .

وبين هذين القطبين من الواقع والخيال .. نجد شخصية البطل تتطور وتمر بمراحل عديدة .. فبينما نجد أن واقع بيرجنت يتقاسم أفكاره وحياته في بداية المسرحية .. نجد ان شخصيته تتطور بحيث لا تواجه واقعها الحقيقي الا في لحظات خاطفة يشعر فيها بيرجنت نفسه بالغربة ازاء هذا الواقع من جهة ، ومن جهة اخرى يجد القاريء نفسه وقد نسي أو كاد أن ينسى احداث هذا الواقع وجزئياته .

ومن خلال تطور الشخصية بين هذين القطبين تمضي المسرحية لكي نلمس من خلال احداثها تأرجح بيرجنت بين قطبي الخير والشر . فهو في بداية المسرحية مجرد غلام مشاكس خيالي جعجاع يكاد يلحق الأذى بأمه « آس » في كل سلوك له تقريبا ، ثم تتطور المسرحية لكي نجد البطل وقد بلغ جانب الخير فيه ذروته في موقف موت أمه ، ثم الى انسان نراه قد بلغت به الكراهية والحقد الى حد التشفي في مصائب الناس والشعور باللذة في الامتناع عن مساعدتهم وفي سماع هذه المصائب ، ويتجلى ذلك في موقف السفينة وهي تفرق ببحارتها ، كما يتضح أيضا في حديثه عندما طلب منه قبطان السفينة أن ينفح البحارة شيئا يحتفلون به مع زوجاتهم واولادهم . فاذا بالبطل يصيح : « أنفق على أسراب من أولاد الفير ، أزرع الضحكة في ارواحهم ، وأدخل البهجة الى بيوتهم واثقا انهم دوما يلقون رعاية شخص ما . وأنا لا أجد قط من يرعاني . نور يرحب بهم ؟! اذن سأطفيء

حالا هذا النور !! سرعان ما سأجد الطريقة !! سأسكرهم جميعا ، اللاعين !! سأحرص على ان يفقدوا الوعى جميعا ، سيعودون الى زوجاتهم وهم فى سكر بين ، ستفزع الأسر حتى تفقد العقول وتجرى الزوجات وهن يبكين .. هكذا أدخل السعادة عليهم . »

ففى هذا الحديث الذى يجاهر به بيرجنت تتجلى مأساته التى ولدت حقده على الآخرين ، فبعد أن صال وجال البلدان وعبر البحار .. وجد نفسه صفر اليدين لا زوجة ولا أولاد يتهللون لعودته .. فاذا بهذا الحرمان ينقلب حقدا وكراهية بل ورغبة فى الانتقام من كل من يتمتع بهذه النعم .

غير اننا لو عدنا الى بداية المسرحية نجد بيرجنت يتطلع الى حياة الروح والطهر ، ويتمثل ذلك فى حبه لسولفيج .. وفى سبيلها نجده فى لحظات يحارب نزواته التى دفعته يوما الى خطف انجريد (ابنة الأمير) فى ليلة عرسها .. حتى كانت تلك الحادثة هى الفيصل بينه وبين وطنه وأمه بل ونفسه .. وان كانت هذه الحادثة فى رأينا أعقد من مجرد صورة من صور انقياد بيرجنت لنزواته .. فربما كانت احدى الصور التى تعبر عن كراهية بيرجنت وحقده على الطبقة الفنية الارستقراطية فى عصره ، ورغبته فى الانتقام لنفسه ولفقره .

نقول ان هذا الحادث كان هو الفيصل بين بيرجنت وبين نفسه .. ونقصد بينه وبين واقعه الحقيقى . فمنذ هذا الحادث نجد البطل يستغرق فى مغامراته مع الجن تارة ومع العابثات تارة أخرى . ثم نجده ينزلق فى حب ابنة ملك الجان التى تعلن لبيرجنت ان شعار الجن هو « اجعل فى نفسك لنفسك الكفاية » بينما شعار الانسان هو « كن أمينا على نفسك » .. وهكذا نعثر على طبيعة الانسان بكل ميلها الى الشر تارة وحب الذات تارة والى الخير والتمسك بالفضيلة والشرف تارة أخرى .

وفى هذين الشعارين أيضا تتلخص شخصية بيرجنت التى يتصارع فيها هذان الشعاران طوال المسرحية . فبينما نجده يتقبل الشعار الأول فى بداية لقائه مع «الترول» ــ وهى قبيلة من الجان ــ اذا به يثور على تقاليد القبيلة وما يتطلبه انتماؤه اليها .. وان كانت ثورة ظاهرية . فنحن نجد البطل عندما لاحت له فرصة العيش السعيد مع سولفيج فى لقائه لها على غير موعد (فى الفصل الثالث) اذا بنا نجده يتخلى عن هذه الفرصة ويهرب بعيدا وهو يتذرع بحجج وذرائع هو نفسه غير مقتنع بها ويترك سولفيج مدعيا انه ليس أهلا لها .

ورغم ذلك فمن الصعب علينا ان نقرر فى وضوح أن بيرجنت حينما ترك سولفيج كان ذلك دليلا على تغلب الشعار الأول ورغبة البطل فى ان يترك لنفسه العنان كى ينساق الى أقصى درجات المغامرة . بل ان الأحرى بنا أن نجد فى هذا الموقف أكبر دليل على تردد بيرجنت وبحثه الفكرى الطويل عن وسيلة يحقق بها ذاته . ومن هنا نجد اختلاط الشعارين فى كل موقف من مواقف المسرحية لخدمة غرض واحد هو تصوير مدى حيرة بيرجنت وسعيه الدائب من أجل تحقيق ذاته .

ان البطل فى رواية ابسن يمثل الانسان فى قمة تحرره من الواقع ، ولكن المؤلف لا يصور لنا هذا التحرر المبالغ فيه الا ويقرنه بالمصائب التى يجلبها هذا التحرر على صاحبه .



وهنا يتضح لنا ابسن كفنان لا يريد للانسان أن يجعل غايته الكبرى هى مجرد التحرر من واقعه وانما هو يريده انسانا متحررا كوسيلة من اجل تحقيق ارادته واصــالته ككائن اعلى متميز .

ان ابسن يصور لنا بيرجنت كرمز للانسان الذى يشعر دائما أبدا بقيمته بالقياس الى سائر المخلوقات الأخرى . ومن ثم فهو يظل دائما ابدا أيضــا يسعى لكى يخرج هذه القيمــة الى حيز الوجود ، ويؤكدها لنفسه أولا ثم لغيره من بنى جنسه بل وللكائنات الأخرى جميعا .

فهاهو بيرجنت يرفض بشدة ان ينســاق الى أوامر ملك الجان لكى يتنـــازل عن بعض صفاته الانسانية المميزة له ، وأن يتسم بصفات اهل الجان .. رافضا مع ذلك كل المغريات التى يفرضها عليه الملك .

الملك : اصغ الى أيها الأمير بيير ، وحاول أن تكون حكيما ! ان مواهبك تؤهلك لأن تكون جنيا ممتازا .. اليس له طابع الجن وهيأته ؟ وانت تحب ان تكون جنيا كذلك ؟

بيير : يعــلم الله اننى اريد . ان كسب عروس جميلة ، ومملكة نموذجية الى جوارها . مسألة تستأهل بعض التنازل . ولكن لكل شىء حدود . قد قبلت الذيل ، هــذا صحيح ، ولكن ما الذى يمنعنى أن اخلعه ؟ وقد خلعت سراويلى وكانت قديمة ممزقة ، ولكن ماذا يردنى عن ارتدائها من جديد ؟ اما حياة الجن هذه ، حياتكم ، فلتخطفنى الشــياطين اذا لم أستطع أن انضوها عن نفسى . اذا شئتم اقسمت أن البقرة فتاة بكر ، فانى أستطيع دائمـا أن أتحلل من القسم ، ولكن أن أفقد حريتى ، واعلم أنى لن أستردها من جديد ، وانى حين أموت لن ادفن كما يدفن خيار النـاس ، وانى سأقضى بقية أيامى مع الجن فى الجبال . وكما تقول الأقاصيص لا اعود الى بيتى قط ـ وهذه مسألة تلحون عليها كل الالحاح ـ فأمور كلها غير مقبولة لدى . »

وهكذا يظهر بوضوح فى النص السابق مدى شعور بيرجنت بقيمته كانسان وان جلبت عليه انسانيته كل هذا القلق وتلك الحيرة .

اما من ناحية القالب الفنى للمسرحيــة .. فنحن لا نستطيع أن نقف على جميــع المعــانى والدلالات التى تشير اليهــا رواية ابسن الا اذا سلمنا منذ البداية بحقيقة معينة .. هى ان كل شىء فى المسرحية مجند لابراز الحياة الروحية والخيالية التى يحياها البطل .. وهنا تتضح نتيجة معينــة .. هى ان الواقع المادى يأتى فى المقام الثانى بعد الواقع الروحى أو الفكرى ـ ان صح هذا التعبير ـ لبيرجنت . وهذه النتيجة بدورها تجعل من بيرجنت هو الشخصيةالوحيدة البارزة والمتطورة فى الرواية .. فكل تغيير يحدث له هو ، وكل ماعداه من الشخصيات ثابت جامد مجند لابراز سمات الشخصيــة الرئيسية فى الرواية .

ونتيجة لذلك نجد ان الرواية رواية رمزية من الطراز الأول .. فبيرجنت ليس الانســان بمعنى ما من المعــانى فى سعيه الأزلى الأبدى من اجل العثور على ذاته الحقيقية ومن أجل توكيد هذه الذات . ونجده اذا لم ينجح فى بلوغ هــذا الهدف فى عالم الواقع يلجأ الى الخيال عله واجد فيه بغيته .

وتتمثل رمزية الرواية فى أكثر من مشهد .. ولكن هذه الرمزية تبلغ قمتها حينما نجد بيرجنت وقد أضحى عجوزا محطما لاهثا من طول رحلته لا يسعه الا ان يبحث فى ذاته الى الأبد كأنما هى



البصلة التى يمسك بها قرب نهاية المسرحية : ويخلع أوراقها واحدة واحدة ليصل الى لبها لكى يجد لا شيء .. !!

ولا يفوتنى فى هذه العجالة القصيرة ان اسجل تقديرى واعجابى بترجمة المسرحية .. فقد نجح الدكتور على الراعى لا فقط فى ان ينقل الينا عبارات ابسن فى أمانة وبراعة بل وايضا كانت ترجمته خير رسول بيننا وبين الروح الذى اراد ابسن أن تتضمنها مسرحيته ، بمعنى ان المترجم قد نجح فى أن ينقل الينا شخصية بيرجنت بكل ابعادها المختلفة كما صورها ابسن .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد استطاعت الترجمة أن تنقل الينا مختلف وسائل التقنية التى اصطنعها ابسن فى مسرحيته .. فهو مثلا قد لجأ فى بعض المواضع الى أسلوب الحكاية الخرافية لكى يبرز المعانى التىتزخر بها شخصية بيرجنت .. فاذا بالترجمة ايضا تنجح هى الأخرى فى مثل هذا الأسلوب . وكذلك نجد ان نقل المسرحية الى اللغة العربية لم يفقدها طابع الرمز فى بعض المواضع ويبدو ذلك جليا فى مشهد صانع الأزرار ومشهد المسافر الغريب .

وبصفة عامة نجحت الترجمة تماما فى نقل المعنى الكلى لمشاهد المسرحية ، وفى نقل الحيوية والتفاعل بين هذه المشاهد .

غير ان هناك نقطة ينبغى الاشارة اليها ونحن بصدد الحديث عن المسرحية كعمل مترجم : مجملها ان المترجم كان يعمد فى بعض المواضع الى ايراد بعض العبارات والمصطلحات باللغة الأجنبية التى وردت فى المسرحية الأصلية .. ثم يشرح معنى هذه العبارات والمصطلحات فى هوامش الكتاب .

ومن المعروف أن هذه طريقة يلجأ اليها المؤلف أو المترجم فى حالين .. أولهما : اذا كان معنى العبارة او المصطلح سيستفرق عبارات مطولة تشوه السياق اذا وردت فيه . وثانيهما . اذا كانت العبارة او المصطلح ليس لهما مقابل فى اللغة المترجم اليها . ولكننا نجد فى مسرحية بيرجنت بعض المصطلحات والعبارات لا تقف امامها هاتان العقبتان السالف ذكرهما ، وكان يمكن ايجاد مقابلات عربية لهما .. ونذكر على سبيل المثال .. ماورد فى ص ١٦٤ Pro tem ومعناها « مؤقتا » .

وما ورد فى ص ٢٠٠ barte blance ومعناها « مطلق الحرية » كما وردت فى هامش الترجمة.

وما ورد فى ص ٢٠٩ Mem herr ومعناها بالعربية « سيدى » كما وردت أيضا فى هامش الترجمة . وغير ذلك من الأمثلة فى عدد من صفحات الكتاب .

غير ان اثارتنا لهذه النقطة هى أقرب الى التساؤل منها الى الاعتراض . فلابد ان هناك مبررا جعل من ايراد هذه العبارات بلغتها الأجنبية أمرا ضروريا لابد من اللجوء اليه .

واخيرا فعلى الرغم من الأمانة المطلقة التى التزم بها الدكتور الراعى فى ترجمته للمسرحية.. الا ان القارىء لينسى فى تضاعيف السطور انه بصدد عمل مترجم .. !! وليس هذا بأمر غريب على السيد المترجم .. فقد عهدناه دائما ذا أسلوب سلس متناغم ورصين .

سهام هاشم

سطور من كتاب . . . .

« ... لعل أجدادنا يتطلعون الينا من المثوى الأبدى الذى تسكنه أرواحهم فى هذا اليوم برضا وفخر .. ولعل أحفادنا الذين ما زالوا فى مجاهل المستقبل سوف يعودون بعد مئات السنين الى ذكر هذا اليوم باعزاز وتقدير .. أيها المواطنون : ان يومنا الحاضر يوم عظيم يرتفع الى مستوى الماضى العريق ويعطى بشائر الأمل فى مستقبل لا تحده آفاق . أيها المواطنون : ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ومرحلة جديدة على وشك أن تبدأ . »

. . . . تحالف الصهيونية والاستعمار

الرعاية الاجتماعية والمواطن

إشراف : بيتر آرشر
ترجمة : عزيز متري عبد الملك
مراجعة : الدكتور بدراوي فهمي

الناشر : مشروع الألف كتاب
٣٥٠ ص ٢٤×١٧ الثمن ٢٢,٥

« لو كان الفقر رجلا لقتلته » ، بهذه العبارة البليغة ، التى تعبر عن عمق الوعى الاسلامى ، بخطر ظاهرة الفقر فى المجتمع البشرى ، تحدث على بن أبى طالب رضى الله عنه محددا موقفه من هذه الآفة الاجتماعية ، فسجل التاريخ الاسلامى كلمته ، كما يسجل التاريخ الحديث والمعاصر محاولات الانسانية لمكافحة الفقر والتخلف .

واليوم يعلن كثير من الخبراء الاجتماعيين الحرب على الفقر ، من خلال الدراسات الفكرية، التى يقدمونها للبشرية لتستخدمها فى مكافحته ومكافحة الآفات الاجتماعية التى تعمل على هدم كيان الانسان فى المجتمع ، وتثبيت عوامل التخلف الحضارى فيه ، وهى كما حددها « بيتر آرشر » وزملاؤه فى الكتاب الذى نعالج موضوعه الآن «الرعاية الاجتماعية والمواطن» : الفقر ، المرض ، الجهل ، القذارة ، التعطل ، الاستبداد . والعزلة .. وأولئك جميعا يشكلون العمالقة السبعة التى ينصب « موضوع هذا الكتاب » على دراستها وتقديم أساليب مكافحتها ، فى محاولة لتحقيق اغراض ثلاثة لقرائه :

١ ــ مساعدة القلقين ــ فى بريطانيا ــ على ايجاد حل لمشاكلهم .

٢ ــ تشجيع المواطنين الصالحين على معونة سيىء الحظ من جيرانهم .

٣ ــ تقديم المعلومات لمن يهتمون ببحث هذه المشاكل ولا يجدون المؤلفات التى تقدم لهم النصح والارشاد .

وقبل ان نستطرد فى الحديث عن الكتاب نرى لزاما علينا أن نوضح الخطة التى سنعالج من خلالها موضوعه ، تلك الخطة التى تنقسم الى مراحل ثلاث :

(أ) عرض موجز للمحتوى الفكرى للكتاب .
(ب) ثم تقييم هذا المحتوى الفكرى .
(ج) وتقييم آخر للكتاب كعمل فنى يمكن أن يكون جزءا من نهضتنا الفكرية المعاصرة ..

المحتوى الفكرى للكتاب

يقوم الهيكل الفكرى للكتاب على اركان اربعة، الركن الأول يتحدث كل من الخبراء الاجتماعيين الثلاثة ، « بيتر ارشر ، د . ا . برنتيس ، و ج . د . ب . برايس » عن التشريعات والخدمات الاجتماعية فى بريطانيا ، وتقرير « بيفردج » للضمان الاجتماعى ، وقوانين التأمين القومى البريطانى ، ثم حالات الناس المحتاجين للمساعدة والذين يستفيدون من قانونى التأمين القومى واصابات العمل ، ثم ضريبة الدخل وكيفية احتسابها .

فيقول بيتر أرشر ، ان الشعب البريطانى يميل الى الشك فى الوظفين المدنيين ويميل الى وضع السلطة فى يد الموظفين المحليين ولهذا السبب بدأ الاتجاه الى الحكم المحلى الذى ليس بجديد على بريطانيا فقد وجد بها قبل أن توجد الحكومة المركزية ، كما ان الحكم المحلى يسهل على المواطن مهمة الاتصال المباشر بالسلطات المحلية ، والاحساس بكيانه السياسى ضمن هذه السلطة التى يقع على عاتق رجالها معالجة المشاكل المحلية بفهم ادق وعطف اشد ، من فهم السلطات المركزية وعطفها ، كما ان مجالس اوقات الفراغ التى كونها الشعب البريطانى لارشاد الموظفين الرسميين المسئولين عن مختلف الخدمات الاجتماعية ، تحقق الهدف فى حماية موظفى الادارة المحلية من الانحراف وترشدهم الى مواطن الألم عند الشعب ، فان لابس الحذاء هو أدرى الناس بموضع الألم ، فان فشل فى ان يشكو للاسكافى (وبكل ادب طبعا) فلن يلوم الا نفسه .

أما « ر . ا . برينتس » فيقول : ان تقرير « بيفردج » الذى وافق عليه البرلمان الانجليزى عام ١٩٤٥ فيعد تطورا هاما فى تشريعات الضمان الاجتماعى ، لأنه قام على اساس سد النقص فى تأمين الانسان ضد الحاجة والعوز ، بموجب قانون الفقراء الذى يرجع تاريخه الى عام ١٦٠١ ، ومعاشات كبار السن عام ١٩٠٨ ، والتأمين ضد البطالة وتأمين الصحة الصادر فى بريطانيا منذ عام ١٩١١ وغيرها من التشريعات التى صدرت فى عام ١٩٤٠ ، التى لم تكن جميعا سوى محاولة ناقصة مرقعة للتأمين ، جاء تقرير بيفردج ليصحح الهدف ، والذى نتجعنه اول مشروع شامل للتأمين عام ١٩٤٥ . وقانون التامين القومى الصادر سنة ١٩٤٦ ، والذى بدأ تنفيذه فى اليوم الخامس من يوليو سنة ١٩٤٨ ، والذى يعطى للمواطن منحا متعددة منها : معونة البطالة ، معونة المرض ، اعانة الأرامل ، ومعاشات للمتقاعدين وتدفع للرجال فوق سن الخامسة والستين وللنساء اللاتى جاوزن الستين من عمرهن ، ومنح أخرى منها : اعانة الأمومة ، ومنحة الحضانة ، وهبة الوفاة، واصابات العمل وغير ذلك من المعونات ، والطرق التطبيقية لتنفيذها . كما ان من واجب مجلس المعونة الأهلية أن يساعد الأشخاص الذين لا موارد لهم على سد احتياجاتهم ، أو من تحتاج مواردهم الى مساعدات اضافية لتفى بمطالبهم . كذلك على المجلس اعداد البيوت للعجزة والمحتاجين للرعاية ، ومساكن مؤقتة لمن هم فى حاجة ماسة اليها لأسباب لم تكن فى حسبانهم ، وتدبيرات لصالح العميان والصم والبكم والمقعدين ورفاهيتهم وكذلك اعداد مراكز استقبال للعمال الموسميين الفقراء ، اولئك الذين ليس لهم وسائل مستقرة للمعيشة .

ثم يضع « ج . د . ب برايس » تعريفا كاملا للنظام الضريبى فى بريطانيا ، وخاصة نظام ضريبة الدخل ، وكيف ان هذا النظام يراعى فى حسابه مسئوليات المعيشة للمواطن بالتنازل عن اقساط معينة من ضريبة الدخل اذا كان المواطن يعول ربة منزل ، أو مديرة بيت وكذلك يراعى فى اعفاء الدخل الفردى للفرد من الضريبة مسئولياته تجاه ابنائه وعددهم أولئك الذين ينفق عليهم بشرط أن يكونوا قد تجاوزوا السادسة عشرة ، وحتى السن لها اعفاءات من

الضريبة ايضا « فكل دافع ضريبة بلغ أو بلغت زوجته الخامسة والستين من العمر وكان مجموع دخله السنوى لا يزيد على ٦٠٠ جنيه له حق الاعفاء من الايراد كله بنسبة ٣/٩ ، ولكن اعفاء الدخل المكتسب لن يكون له حق المطالبة به ، كما ان الجداول الحسابية التى أوردها « برايس » تدل دلالة قاطعة على مدى اعتبار السلطات الضريبية بعامل المحافظة على رفاهية المواطن عند فرض الضرائب على الدخل وللمواطن حق التظلم منها اذا ماكانت ستؤثر على مستوى رفاهيته .

أما الركن الثانى من أركان الهيكل الفكرى لهذا الكتاب فينصب حول دراسة الرعاية الصحية والاجتماعية للمواطن فى بريطانيا من خلال التشريعات التى أصدرتها الحكومة ، كتشريعات الصحة العامة ، والمبانى الخطرة ، والمساكن المتنقلة وازالة الفضلات ، والاشتراطات الصحية العامة الخاصة بالمصانع ، وكذلك خدمة الصحة الأهلية الصادرة سنة ١٩٤٦ ــ ١٩٥٢ وقد سنت هذه القوانين ضمانا لتحسين صحة الشعب الجسمانية والعقلية ، أضف الى ذلك دراسة وافية « لجين جراهام هول » حول النقص العقلى والمرض العقلى ، فالنقص العقلى هو حالة من العجز تبدو على الشخص عندما يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، وهى حالة ترجع الى الاختلاف فى نضج العقل ذاته ومن الصعب علاجه ، أما المرض العقلى الذى قد يصل الى درجة الجنون أو لا يصل فيمكن علاجه أو تخفيف وطأته ويتوقف هذا على درجته ونوعه ، ويقدم « الكاتب » القوانين التى صدرت فى انجلترا خاصة بحالات النقص العقلى والمرض العقلى ومسئولية الدولة والمجتمع تجاههما ، وواجب القانون تجاه ظواهر النقص العقلى كالمعتوهين والبلهاء وضعاف العقول ، والمنحرفين ، كما تتناول الدراسة ايضا واجب الدولة نحو اولئك المواطنين المعطلين جسمانيا أو عقليا كالمشلولين والعميان والصم والمصابين بالسل والصرع ؛ ثم تتناول الدراسة كذلك حقوق المواطنين الذين بلغوا سن الخامسة والستين من الرجال

أو الستين من النساء ، وواجب حصولهم على اعانات كبر السن التى تتفاوت بتفاوت المركز المالى للشخص ، مثل وجود الموارد المالية الخاصة أو عدمها ، كما ينقسم الاسكان بالنسبة لكبار السن هؤلاء الى ثلاث فئات (١) فى المستشفيات (٢) فى منازل الرعاية (٣) السكن فى بيته الخاص ،و ذلك بحسب اختلاف الحالة الصحية لكبير السن الذى من واجب الدولة رعايته ، وكذلك واجبات الدولة نحو رعاية الطفل والأسرة والتعليم كمسئولية قومية ، فى المراحل الابتدائية والثانوية والجامعات والتعليم الأعلى من ذلك ، وكليات المحافظات ،والدراسات المهنية ، وتمتد الدراسة نحو المساعدات القانونية والقضائية التى تقدمها الدولة للمواطن .

والواقع ان مجهود الباحثين فى هذا الجزء من الكتاب لم يتوقف عند عرض القوانين بل شملها بالنقد والتفنيد ، فرغم شمول تلك القوانين للمواطنين بالرعاية الاجتماعية الا ان الدراسة تكشف عن الصعوبات التى تواجه المواطن أثناء محاولة تطبيق القوانين على الواقع ، فهذه الصعوبات كثيرا ما تنشأ فى وجه المواطن عندما ينبه عن حالته ، ولهذا عولت الدراسة على الوصول الى نتائج وحلول لهذه المشكلات التطبيقية مع القاء الضوء على الأبعاد الانسانية التى ينبغى أن يتطور اليها التشريع الاجتماعى فى بريطانيا حتى يشمل المواطن بالرعاية الكاملة ويحقق له فرصة الحصول على حقه دون مصاعب أو تعرض لأوضاع تخدش حياء الانسان أو كرامته فى الدولة .

ثم يتناول الركن الثالث من الأركان الأساسية التى يقوم عليها الهيكل الفكرى لهذا الكتاب تلك العلاقات الاجتماعية والمسئولية الاجتماعية ايضا التى تربط المواطن بجاره .

وتبدأ افكار هذا الركن من الكتاب بدراسة قانون الزواج فى انجلترا وعلاقة الزوج بزوجته فى أسعد لحظات حياتهما ، وفى الظروف الصعبة عندما يكون الزواج فى خطر التصدع والانهيار ، وعندما تصبح معيشتهما معا لم تعد معقولة

عمليا ، وايضا مركز الأطفال القانونى وواجبات الوالدين نحوهم ، ثم وصف مختصر لجهات الاختصاص التى يمكن طلب النصيحة فيها سواء اكانت قانونية ام ادبية ام عملية وكيفية الحصول عليها سواء فى ذلك الأغنياء او الفقراء الذين لا يستطيعون دفع اجرة المساعدة التى قد يتلقونها .

ثم يتلو ذلك دراسة للعلاقة بين المالك والمستأجر ، وحالات الاستئجار والطرق القانونية لها ، والمنازعات التى قد تنشب بين المالك والمستأجر وآداب هذه العلاقة الايجارية بين طرفين من المواطنين ، ثم يتلو ذلك دراسة للعمال فى بريطانيا واوضاعهم الاجتماعية فى ضوء التشريع الاجتماعى البريطانى سواء كان فى ذلك عمال الزراعة أو عمال الصناعة ، ومدى شمول عقد العمل الخاص بهم مبدأ عاما كحد ادنى للمستوى اللازم لحماية صحة العمال وكذلك ساعات العمل وفئات الأجور والتدريب والمنازعات والمصالحات وغير ذلك من المشكلات العمالية ونقابات العمال ومدى حماية القضاء للعامل .

ثم يأتى فى الختام الركن الرابع من الأركان الأربعة التى ينبنى عليها الهيكل الفكرى لكتابنا، وهو ينصب حول « علاقة المواطن بالحكومة » ، من حيث العلاقات القائمة بين السلطات المحلية والفرد باعتباره شاغلا او مالكا لعقار : بصرف النظر عن القانون العام المتعلق بالصحة العمومية والتشريعات والقوانين المحلية ، السابق الاشارة اليها من قبل ، ومدى ضرورة تخطيط المدن والقرى ، ثم يعالج « ايفان ستون » بالدراسة والعرض قانون الخدمة الوطنية « التجنيد » الصادر فى بريطانيا سنة ١٩٤٨ ، يلى ذلك دراسة وضع سائقى السيارات ، والقواعد القانونية التى تحكم هذا الوضع .. كاستخراج الرخص ، واستخدام الطرق ، والمخالفات أو الأضرار التى يحدثها السائق بالآلة أو المجتمع.

والواقع ان هذا الكتاب بصفة عامة ، من حيث محتواه الفكرى ، له اهمية كبرى اذ انه يبصر القارىء فى مجتمعنا العربى ، بأسس التشريع الاجتماعى .. كما يفتح الراى العام على الأصول الفكرية التى سنت على هديها كثير من التشريعات الاجتماعية المطبقة فى بلادنا حاليا .. فقوانين الضمان الاجتماعى وقانون التأمين ضد البطالة مستوحاة من التشريعات الاجتماعية البريطانية وليس من دول الكتلة الشرقية أصلا .

وعلى العموم فان قيمة هذا الكتاب تنصب على الأثر الهام الذى يمكن أن يتركه فى الرأى العام العربى ، اذ انه يفتح مدارك الانسان العربى ووعيه على كثير من الحقوق التى هو أصلا يراها منحة فى الوقت الذى هى فيه حق وواجب له ، بحكم كونه انسانا قد وجد فى مجتمع يضمه ، وهو فرد فيه ، وعضو فى جماعته ، ورقم فى كثافته السكانية التى خلق الله لها الدخل القومى بثرواته لتعيش عليها .. فان أمة من الأمم لا تكفل قوانينها الكرامة الانسانية للفرد وتقيه شر العمالقة السبعة : الفقر والمرض والجهل والقذارة والتعطل والاستبداد والعزلة لهى امة متخلفة فى سلم الرقى الانسانى ، الى ابعد الحدود .

عبدالرحمن أبو الخير

سطور من كتاب . . . .

« ان فحص المريض اشبه بكيل حبوب أو عداشياء . فاذا أردت أن تعرف كمية حبوب أو تعداد أشياء كلت الأولى وعددت الثانية . بمعنى اذا فحصت مريضا وجب أن تفحص كل أجزاء جسمه فحصا دقيقا . تماما كما تكيل الحبوب او تعد الأشياء .. »

. . . . الطب المصرى القديم



بين احدى قرى محافظات الشرقية والقاهرة ، تقع احداث قصة « أبو مندور » قصة صبحة بنت أبو مندور . فتاة ريفية جميلة أعطاها الله من جمال الخلقة والخلق واغدق عليها في العطاء ليكون جمالها نقمة عليها، فوالدها رجل فقير كسير الجناح ، شخصيته ضعيفة منهارة – يعيش على زراعة فدانين من تفتيش « البرنس » ، وتساعده ابنته في تحمل اعباء الحياة – فهي تذهب كل صباح الى التفتيش مع باقي الأنفار في مواسم الحصاد والزرع لتزرع وتحصد مع اترابها طيلة النهار لقاء قروش زهيدة .



في التفتيش وصبحة تشترك مع الأنفار في جمع القطن ، تتعرف عليها عايدة بنت مفتش « الوسية » وترتاح صبحة لعايدة هانم وتشعر نحوها بالطمأنينة ، وتحدث عايدة صبحة عن القاهرة ومباهج الحياة في العاصمة وروعتها . فتشتاق بنت القرية لرؤية « أم الدنيا » وتحلم بها .

وتواتي صبحة الفرصة واي فرصة .. سترى القاهرة ومباهجها.. سترى عايدة هانم، سترى الحلم حقيقة . عندما يقابلها الحاج متولي ناظر التفتيش والأسطى ابراهيم – سواق رفعت بك – ابن المفتش في الصباح الباكر وهي في طريقها الى التفتيش ويعرضان عليها ان تسافر مع الأسطى ابراهيم الى القاهرة لترى عايدة هانم وتعود مع المساء لترجع الى بيتها مع باقي الأنفار كأي يوم عادي . وتقتنع صبحة الفتاة الساذجة الطيبة وتركب العربة . وفي الطريق تنتابها افكار غريبة وهواجس عجيبة ... البلد .. ابوها .. أمها .. أخوها محمود .. اختها مني ، وتطلب من الأسطى ابراهيم ان يعود بها الى القرية وتلح في الطلب، فقد ساورها الخوف والرهبة من القاهرة ومن جمالها وسحرها ولكن العربة تمضي مسرعة الى « أم الدنيا » .

وتطل عليها القاهرة ، عمارات شاهقة تتضاءل امامها منازل القرية فتبدو وكأنها اكواخ وان شئت فقل جحور ، الشوارع مرصوفة ، العربات غادية قادمة من هنا وهناك الاتوبيسات والترام ، النساء يلبسن « فساتين نصف كم » وكلهن جمال ورشاقة كلهن عايدة هانم ، الناس في القاهرة متأنقون وكلهم حيوية ونشاط وكأن مأكلهم ليس مأكول اهل الريف . لم تر فيهم بؤس القرية وقسوتها . وانبهرت الفتاة بما رأت في القاهرة واوحت اليها بلهفة المشتاق الى

التعرف على هؤلاء الناس ، ماذا يأكلون ؟ وماذا يشربون ؟ وما سر سعادتهم وهنائهم ؟ .

وتقف العربة امام احدى العمارات الضخمة الشاهقة وتدخل صبحة هذه العمارة لتجد نفسها فى شقة رفعت بك ابن مفتش الوسية . وتسأل عن عايدة هانم فيعدها رفعت بأنها ستحضر بعد قليل حتى غابت الشمس فداخل صبحة شعور الخوف والرهبة والرغبة فى العودة للقرية حالا وتساءلت :

– انت جايبنى هنا ليه ؟ فأجابها رفعت وهو يتلمظ وأسوأ الغرائز تلهبه .. أنا يا صبحة .. عاوزك ..

– عاوزنى ؟ تعمل بى ايه .. ؟

– بحبك ...

وارتاعت الفتاة الريفية الحافية الفقيرة وقالت :

– بتحبنى يا سيدى رفعت ... ؟ ودى تيجى .. أنا فلاحة فقيرة .. أنا ولية غلبانة بنت راجل غلبان ... يا سيدى رفعت حرام عليك .. ايه الكلام العيب ده اللى انت بتقوله ؟

وحاول رفعت بشتى الوسائل أن ينال من صبحة ولكنها ردته عنها فى عنف وقوة . وارتمى رفعت بك بشبابه وعزه وعظمته على الكرسى يقرض أسنانه كالأسد الجريح . انهزم العملاق أمام فتاة فقيرة حافية .. قزمة – كلا بل عملاقة أمام عملاق ..

وتكررت المحاولة من جانب رفعت بك وازدادت المقاومة من جانب صبحة وكما تكررت المحاولة تكررت الصدمة والنكسة . وهز موقف صبحة رفعت هزا عنيفا وأصابه برعشة أعادته الى الواقع وغيرت من شخصيته تغييرا كبيرا ، اذ افرد لها حجرة خاصة واوكل لها شئون البيت والخدم ، واكتفى منها بالنظرة وآثر مبدأ التعايش بلا محاولات ولا نزوات ، وكأنما شعر نحوها بعاطفة الحب الصادق العميق والفهم الواعى المستنير ، ويبدو أن صبحة بادلته الشعور فى هدوء وعمق .

ولذا كانت صبحة قد قبلت أن ترتدى الفستان بدل الجلباب والحذاء بدل الحفاء فقد تجسمت فيها كل المعنويات الريفية وتأكد حرصها على الشرف والأخلاق ، وكل ما يمت للريف من معنويات ومثل فعندما دعاها رفعت بك لتجالس أصدقاءه وصديقاته رفضت قائلة:

– يا عيب الشوم يا سيدى .. أقعد مع رجالة ...

هذا ماكان من أمر صبحة مع رفعت – أما ما حدث فى القرية أثر اختفاء صبحة فى جو من الغموض فقد كانت حديث القرية بأسرها شيوخها وشبابها واولادها . وكعادة القرية المصرية تضاربت الأقوال والاشاعات حول اختفاء صبحة . وساد القرية جو من الوجوم والحزن ، وانقسم الناس بين مشفق على عائلة ابى مندور وكارثتها وبين شامت فيها . وعاشت القرية فى جو غريب من الهرج والمرج .

ولم يكن امام ابى مندور الأب وافراد اسرته الا ان يبلغوا ضابط النقطة بهجت باختفاء صبحة وقام الضابط الشاب بجمع التحريات واستجواب الشهود دون ان يتوصل الى مكان صبحة ولكن رفعت يعترف لأبيه المفتش بأن صبحة موجودة فى القاهرة فيصعق الرجل الطيب ويثور لكرامته ويصحب محمود ابو مندور ليرى اخته المختفية بالقاهرة .

ويرى محمود نفسه يواجه موقفا عجيبا غريبا ويختلط عليه الأمر فهاهو أمام صبحة اخته التى بدا عليها جمال المدينة وزينتها ، وقد ودعت حياة البؤس والفاقة . وتحكى صبحة لمحمود قصتها مع رفعت بك وما كان منها فى الذود عن عفتها وطهارتها ولكن محمود لا يرضى ببقائها فى بيت رفعت ويوافق على أن تعمل فى بيت المفتش تحت رعاية عايدة هانم .

وتسير الأحداث سيرها فيخطب رفعت بك سميرة هانم بنت حسين باشا مراد – عروسة زى القمر بنت ناس .. أصل مافيش كده .. ابوها باشا وجدها باشا .

وعندمايعلم رفعت ان صبحة قررت العودة الى القرية لأنها ستخطب الى الأسطى ابراهيم

السواق يصاب رفعت بانهيـــار والغيرة على صبحة تهزه ويتساءل مستنكرا :

موش ممكن .. موش ممكن ، وترد عليه صبحة فى هدوء :

ــ يدوبك على قدنا ــ الواحدة موش لازم تبص لفوق .. بعدين تتعب .

وتبددت الفتاة المسكينة بين حب عنيف وأمل عنيف فى ان تعيش فى القاهرة وان تتخلص من الفقـــر الذى تعانيه ، وارتفع خاطرها الى ما لا يستطيعهواقعها ــ كان هذا هو سر عذابها، وكانت تشعر فى قرارة نفسها بانه حب لاحق لها فيه .. عاطفة دخلت فى غير موضعهـــا .. كان اصلها ونشأتها والفقر الذى ترعرعت فيه خيالا يعذبها . كانت تعوم أحيـــانا مع المنى والأحلام .

وعندما تعود صبحة الى القـــرية ، يلقاها الناس بين مستنكر ومشـــفق .. بين مؤمن بشرفها وبين مرتاب وشاك ، ولم تكن مفاجأة أن يحن رفعت بك الى رؤية صبحة بعد ان غادرت القاهرة بساعات ويسافر رفعت بكالىالتفتيش ليرى صبحة فيتعرض له سعد ــ أحد شباب القرية ومعه المشفقون على صبحـــة فهى بنتهم وعرضهم وتنشب معركة بين هذا المعسكر من جانب ورفعت بك ومشايخ القرية والعمـــدة وخفير التفتيش ولفيف من المنافقين المنتفعين بالتفتيش من جانب آخر .

وتولى القضاء الفصل فى هذه القضيـــة . ومن ثنايا المحاكمة تلمع الضمائر الحية وتبرز معالم الجيل الجديد .. الجيل المتحفز للدفاع عن الحق والعدالة مهما كلفه ذلك ، جيل يبشر بالثورة ويرفع صوته بالاحتجـــاج على الظلم والطغيان مثـــل الحسينى بك رئيس النيابة ووكيله الأستاذ صبرى وبهجت ضابط النقطة، وتبدو على الصفحة المقابلة صور باهتة شاحبة للرجعية والفساد ممثلة فى شخصية العمـــدة وصابر ضابط النقطة الجديد وارغامهم الشهود على العدول عن شهادتهم ويلقى المؤلف الضـــوء على مدى الفساد المتغلغل فى جهـــاز الحـــكم فالوزارة كلها ، وزير الحقانية ووزير الداخلية ورئيس الحكومة ورابطة البشـــاوات والبهوات كلهم يتكاتفون فى محاولة يائسة لطبخ القضيـــة ومحوها ولكن لابد للعدالة من ان تنتصر ولابد للحق من أن يرى النور . فيستقيل الحسينى بك من رئاسة النيابة ويدافع عن قضية صبحة أمام العدالة فيدان رفعت بك بشهر سجن مـــع وقف التنفيذ وغرامة خمسينجنيها ــ واتساءل لماذا لم يوقع المؤلف برفعت عقـــابا انســـانيا قاسيا ــ ؟ ربما كان ذلك راجعا الى أن المؤلف من رجال القانون فتمسك فى عقابه بمواد هذا القـــانون ــ المهم أن رفعت أدين وانتصر الحق وثبتت براءة صبحة .

وتؤثر صبحة ان تعيش عذراء وترفض كل من تقدم لخطبتها وتعيش حياة الراهبة حتى توافيها المنية ويأخذها الله الى جواره .

... ما أصدق واروع ان يكتب ريفى عن حياة القرية ومتاعبها ــ فقد تمكن الأستاذ : محمد زكى عبد القادر من معالجة العلاقة بين القريةوالمدينة فى قصته الانسانية «أبو مندور». فقد أبرز هذه العلاقة بكل صدق وأمانة بأسلوب سهل فيه من القوة ما يتلاءم مع طبيعة موضوع القصة وفيـــه من العمق ما يكشف عن ظهيرة الأشخاص ودخيلتهم . القرية تتطلع الى المدينة وتهفو الى النعيم الذى تعيشـــه والأضـــواء الساطعة التى تتلألأ فى سمائها ، أما المدينـــة فتنظر الى القرية على انها مجرد مزرعة تمدها بالخيرات وعلى الفلاحين أن يشقوا طيلة النهار تحت وهج الشمس حتى يتمكنوا من ســـداد الايجار للاقطاعى الذى يعود الى المدينة وجيوبه منتفخـــة بالمال ، وكأن الفـــلاحين لا حق لهم فى التمتع بخيرات بلدهم وثمرة عرقهم . القرية فى قصة « أبو مندور » تمثـل القيم والمعنويات بينما المدينة تمثل التحلل والضياع .



استطاع المؤلف أن يركز الأضـــواء على مساوىء الاقطاع ومدى تسلطه على الفلاحين فرفعت بك لمجـرد أنه ابن مفتش « الوسية » كان يحرك العمدة ومشايخ البلد وضابط النقطة ومدير المديرية كالدمى فى مسرح العـرائس ، وكانت الحكومة والوزارة تهتز لمجرد أن رفعت بك أصيب فى حادثة « خناقة » كان من الجائز أن يروح ضحيتهـــا عشرات الفلاحين دون أن يشعر بهم أحد وتواريهم القبور كأنهم مخلوقات غريبة عن هذا المجتمع ولا حق لهم فى الحياة .

ويطرق المؤلف موضـــوعا آخر فى غاية من الأهمية الا وهو الفساد المتفشى بين أجهزةالحكم فى هذه الآونة من تاريخ مصر ، فهناكالوصوليون المنافقون كمدير المديرية ورئيس الحكومةووزير الحقانية وقد تجردوا من كل معـــانى الشرف والوطنية محاباة منهم للاقطاعيين والبشوات وبمعنى آخر محاباة الطبقة التى ينتمون اليهـا وكذلك العمـــدة والمرتشون من أعـوانه اذيال الاقطاع ومحاسيبه .

وكأنى بالمؤلف وهـــو يبرز عنصر الصراع وينمى بذور الثورة فى جيـل الثورة يقف وراء هذا الجيل ويدافع عن قضيته . وطبيعة هـذا الجيل التضحية فى سبيل الحق والعدالة مهما كان الثمن ، حتى لو كان السجن أو تركالوطنية فالثوريون يمثلون فى رواية « أبو مندور » جميع طبقات الشعب الكادحة ، صـــانعة التاريخ ، وصاحبة الحق ، فسعد الشاب الريفىالشجاع يعرض نفسه للسجن والاهانة دفاعا عن صبحة التى لا تمت اليه بصلة القرابة ، اللهم الا لأنهـا احدى بنات قريته ، ويربطه بها المصير المشترك والواقع المؤلم ، فهو غيور عليها على شرفهـــا وعرضها ، وبهجت ضابط النقطة الذى يتحدى أوامر المدير وتهديداته ويتبنى القضية ويعرض نفسه للفصـــــل التعسفى ، ورئيس النيـــابة الحسينى بك الذى يستقيل من وظيفته لينبرى للدفاع عن قضية صبحة أبو مندور ، ويتحدى تيار الرجعية والاقطاع وينتصر الىجانبالحق .

هذه هى فئات الشعب متضامنة متكاتفة يجمعهم شعور بالظلم ومصير مشترك فمهما كان الظلام حالكا والظلم متسلطا والأصوات مكتومة، فهناك من يحملون مشعل الثورة ويبشرون بها ، ولعل موقف العناصر الوطنية كان حرجا وصعبا فى هذه الحقبة من الضياع بعد انتكاس ثورتهم عام ١٩١٩ ورأوا بأعينهم مصرع الحـــــرية ، والسجون مفتوحة لكل من يرفع صوته منددا بالظلم والطغيان . وكان المؤلف صادقا وعميقا فى ابراز تحديهم للفساد وتصميمهم على الثورة ونصرة الحق مهمـــا كلفهم ذلك . وتمعن انت بنفسك اشباحا تتوارى وصـــورا تبهت شيئا فشيئا على الرغم من أنها تملك الثروة والجـاه والسلطان . اشباحا تحدد مصـــيرها وترسم نهايتها بأيديها وتقرب ساعة الصفر بامعانها فى التسلط والظلم والطغيان ، فكل قرش صـاغ اخذه العمدة رشوة كان بمثابة مسمار فى نعشه ومثله متولى الناظر والمدير وطبقـــة البشوات والبهوات كانت تسير بظلمها نحو الهاويةوالنهاية المحتومة .

ولقد استحوزت قصة ابو مندور على فكرى واحســـاسى حتى اننى كنت الهث فى متـــابعة أحداثها بشغف واهتمـام ، وجذبتنى احداث الرواية وتطورها فشاركت الشخصيات آلامهـا وآمالها . واعتمـد الكاتب على عنصر الاثارة ، فالبس قصته ثوبا فنيا جذابا يرضى ما فى نفس القارىء من لهفة وتطلع ، فأشـخاص الرواية اشخاص عاديون من واقع حياتنا ومن صميم نفوسنا فكان لزاما أن نشهد مصيرهم ونموهم ، ودخل الكاتب الى أعماق شخصياته ليكشف لنـا عن الصراع الذى يعتمل بداخلها آنا عن طريق الحوار وآنا آخر برسم الســـمات والانفعالات الظاهرة للشخصية ، ثم يدخل الى أعماقهـــا فصبحة تملك الجمال ولكن ليس لديها المقومات التى تساعده فهى تهفو الى التخلص من الفقر الذى تعيش فيه ولكن ما باليد حيلة فتركن الى هدوئها العاصف وصمتها الصارخ ، وارتفع خاطرها الى ما لا يستطيعه واقعها ، وكان هذا سر عذابها ، فالقاهرة تستهويها والقرية تشدها فتعيش فى جو من الضياع والقلق . وكان من الممكن ان تعيش فى القاهرة معيشة اية فتـاة فى غمرة الزحمة والضياع ولكن المثل والقيم التى

غرستها القرية فيها تشدها اليها وتحميها من التحلل والانحدار الى مهاوى الرذيلة . والضياع فى رواية أبو مندور هو عدم المقدرة على التكيف والتوفيق بين ما يتطلع اليه الانسان وبين واقعه فصبحة لم تستطع أن تتكيف مع المدينة بجماع كيانها ومشاعرها واحساساتها بصرف النظر عن محاولتها مجاراة القوم فى ملبسهم ولهجتهم فى الكلام الشيء الذى ارتدت عنـــه وعادت الى جلبابها ولهجة قريتها بعد العودة الى القرية .

وبعد أن عادت صبحة الى القرية شعرت بأنها غريبة فى قريتها وبين أهلها وعشيرتها ، فقـــد اثرت فيها المدينة ايما تأثير وتعلمت هنـــاك القراءة والكتـــابة ، ورات من العز والفخفخة ما بهرها وأدهشها وضاعت صبحة بين القرية والمدينة ، وانتكست شـخصيتها وتحولت فى النهاية الى شخصية سلبية ، وهذا مأخذ على القصة . فلماذا اراد لها المؤلف أن تعتكف الحياة العامة وتهرب الى حياة الرهبان والنساك ؟ أو لم يكن أجدر بها كبطلة الرواية أن تتزوج وتكافح وتسعى بعقل وعلم الى تحقيق ما كانت تهفو اليه ؟؟ لعل ذلك امعان فى الواقعيـــة من جانب المؤلف . أو لعله أوحى الى صبحة بان تحنـو على فاطمة ابنة اختها عائشة وتقوم بتعليمها وتربيتها « مش عاوزاها تعيش زى ما عشت » ولعل فى ذلك اشارة الى تبرير هذا الهروب من ناحية والقاء الضوء على معالم جيل جديد من ناحية أخرى .

وأعود الى طبيعـة الصراع الذى يعانيـــه رفعت بك فهو شاب ثرى مثقف تفشل محاولته فى النيل من صبحة البنت الفقيرة المسكينة ، وتمثل هذه الحادثة نقطة تحول فى شخصيته ومفهومه عن الحياة ، وينظر الى صبحة نظرة جديدة ، ويحب صبحة ويخلص فى حبها ، وهنا يتصارع فى داخـله جانبـان مختلفان الثقـــافة والثراء والوضع الاجتماعى من جانب وحبه لصبحة من جانب آخر ، ويفشل رفعت كما فشلت صبحة فى المصالحة بين الجانبين المتصارعين ، ولهـــذا يقع رفعت فريسة للضياع والقلق .

والملاحظ أن اللغة العامية والحوار العامى يغطى معظم صفحات الرواية ، ولا غرو فالقصة



تحكى حياة أهل الريف وتعالجها ، ولكى تكون الشخصية صادقة الى نفسها والى واقعهـــا فلابد أن تعبر عن هذا الواقع بصدق وعمق ، وأعمق ما يكون الصدق واصدق ما يكون العمق هو ان يتحدث شخص بلسانه ولسان قومه واهله وبيئته ، وكلما كانت البيئة بسيطة كلما كانت لفتها أبسط واصدق ، والملح فى العامية بسـاطة وصدق أهل الريف ، وعندما ينتقل بنا المؤلف الى مجتمع المدينة فلابد أن تسمع « بابا وماما » وفى سـاحة المحكمة تتردد المصطلحات القانونية على ألسنة المحامين والقضاة « الشهود المتهمين التهديد يفســد الدليل ـ القياس مع الفارق ـ الحبس مع ايقاف التنفيذ .. » .

والقصة فى مجملها تصوير صـــادق وامين لحياة الشعب المصرى فى فترة ما قبـــل ثورة ٢٣ يولية .

وحملت فى ثناياها تباشيـر هـــذه الثورة ودوافعها ومقوماتها ، فان شريعة العدل لا ترضى بأن يكون الفقر ارثا وبأن يكون الفنى ارثا وبأن يكون العلم ارثا والجهل ارثا ، ولم يرض الله عن استغلال الانسان للانسان وتسخير طبقـــة لأخرى ، انما الجميع سواسيـة فى الحقوق والواجبات أمام الكفاية والعدالة .

شوقى أحمد وهبه

سطور من كتاب . . . .

« كان جويا ملزما بأن يقدم للأرستقراطية لوحات ترضى ذوقها ، ولكنه أودع لوحاته تلك على أية حال أيضا شيئا جديدا آخر يتجاوز قيود الزمان والمكان . هذا الشىء الجديد هو الجمال الحقيقى الناضر الذى لم يتلفه ابتذال الديمقراطية . »

. . . من رواد الفن الحديث



يقدمه مدير التحرير

• لم تمض تسعة أشهر على صدور هذه المجلة حتى كانت « الدار المصرية للتأليف والترجمة » قد انجبت شقيقة لها تخرج للقارىء العربى فى كل مكان تفتح امامه النوافذ على التيارات الفكرية المعاصرة فى العالم لتوثق الرابطة بين فكره وهذه الأفكار الجديدة ولتعمق تفكيره وتمده بكل جديد يربط بينه وبين عصره فلا يبقى منعزلا عما يتدفق من حوله من تيار فكرى عارم .

وهذه الشقيقة هى مجلة « **الفكر المعاصر** » الذى اختير لرياسة تحريرها عالم مفكر هو الدكتور زكى نجيب محمود . ومبدأ هذه المجلة الجديدة — كما يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم — مستمد من ميثاقنا الوطنى ، وهدفها مستوحى من تقاليدنا الثقافية التى أستقرت على مدى التاريخ . فقد دعا الميثاق الى ان يكون لنا « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية على اختلاف نزعاتها — يأخذ منها ويعطيها ، لا يصدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد » .

ويقول الأستاذ الدكتور نجيب محمود ان هذه المجلة ترجو بما تعرضه أمام القارىء من ثمار الفكر المعاصر أن تمهد أمامه السبيل الى مسايرة الحركة الفكرية مسايرة لا يكتفى فيها بما يتناقله الناس من عبارات عنها قد لا تكون قريبة من الصورة الصحيحة الدقيقة . وهى اذ تنشر ما تنشره تتوخى أن تختار ما يمثل روح العصر تمثيلا ظاهرا حتى تتكامل أمام القارىء على مر الشهور صورة يبنيها لنفسه جزءا جزءا .

ان هذه المجلة الجديدة جناح قوى آخر للنسر الثقافى الذى ينطلق بقرائه محلقا من تلك الدار بجناحين قويين « الكتاب العربى » و « الفكر المعاصر » الى عوالم الفكر ليفتح عينيه على مشارق النور فى كل مكان .

• ومن أجل تعميق الوعى الفنى فى النفوس نشرت وزارة « الثقافة والارشاد القومى » ديوان شعر جميلا ، كلماته صور ، والحانه أصباغ ، وقوافيه انسجام رائع بين ضروب الفن المختلفة من نحت ونقش وتصوير وبناء وادوات زينة وتجميل يبثها الفن من روحه حياة ، وهذا الديوان هو مجموعة اسمها « **الفن المعاصر فى مصر** » تولى تحريرها وتنسيقها فنان شاعر فيلسوف هو الأستاذ حامد سعيد .

وقد ظهرت هذه المجموعات فى ثلاث طبعات مستقلة ، واحدة بالعربية ، وثانية بالانجليزية ، وثالثة بالفرنسية ، وان كان الفن فى غير حاجة الى لغة بذاتها لأنه وحده لغة العالم بأسره .

وقد جاء فى مقدمة هذه المجموعة ان هذا الكتاب أعد ليكون مجرد مدخل الى الفن المعاصر فى مصر وليس بحال من الأحوال دراسة شاملة كاملة للموضوع ، والأعمال المختارة لا تشمل جميع الفنون أو الفنانين ، ولكنها محاولة للتعبير

عن جوهر الموضوع وهو : حوار بين روح البلاد والعصر .

وتضم كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث ١٢٠ لوحة مطبوعة بالأوفست للمشاهير من فنانينا المعاصرين امثال : محمود مختار ومحمد ناجي ومحمد حسن وسعيد الصدر وعبد القادر رزق وسعد الخادم وانور عبد المولى ومحيى الدين طاهر واحسان خليل وتحية حليم وراتب صديق ورمسيس يونان وجمال السجيني وحسن فتحي وعايدة عبد الكريم وغيرهم . كما تضم ٢٢ لوحة ملونة بريشة الفنانين محمود سعيد واحمد صبرى ويوسف كامل وراغب عياد وصلاح طاهر ومحمد ناجي ولنده عبده يوسف وسيف وانلي ورمسيس يونان وغيرهم .

ونبحث بين لوحات هذه المجموعة عن لوحة من اثار حامد سعيد الذى أخرج هذه المجموعة للناس فلا نجد شيئا ، ولعله اراد أن يكون كالالهام الذى يختفى وراء الصورة أو القصيدة أو اللحن .

وهذه المجموعة المتنوعة فى الوان فنها ، الموحدة فى مجموعها هى مصداق لقول الأستاذ حامد سعيد فى مقدمته حيث يقول : « الانسانية انسان واحد ، ولكن لابد أن تتنوع الأعضاء لتتم الصورة ويكتمل المعنى . والكل قادر على العطاء – وليس هناك عاجز – اذا انبثق من بؤرة ذلك المعين » .

وقد تعاونت مع وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة فى اصدار هذا الكتاب دار النشر « يوغوسلافيا » ببلجراد .

• فى سلسلة « **تراثنا** » التى تنشرها « الدار المصرية للتأليف والترجمة » ظهر القسم الثانى من كتاب « **مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان** » للمؤرخ الدمشقى شمس الدين محمد ابن طولون الذى ولد فى « الصالحية » على سفح جبل قاسيون بدمشق سنة ٨٨٠هـ . والمتوفى سنة ٩٥٣ وسجل فيه تاريخ مصر والشام فى الحقبة من سنة ٨٨٤ – ٩٢١ هـ وذلك فى القسم الذى أمكن العثور عليه من هذا الكتاب .

وترجع أهمية هذا الكتاب كمرجع رئيسى لتاريخ دمشق وضواحيها انه يتناول فترة تنقصنا فيها المراجع وهى فترة عاشها المؤلف فى كامل وعيه وسليم تفكيره وان كتابته تتميز بالنزاهة والواقعية ، وانه كان شديد التدين متصوفا فكان بذلك صارما فى آرائه واحكامه على الناس ، دون محاباة أو تملق ، مع دقة ملاحظة وشدة استقصاء للحقائق .

كما ان هذا الكتاب سجل حضارى لمجريات الأمور فى دمشق الكبرى يذكر فيه المؤلف كل ما يمكن ان يخطر على البال مما يكتبه المؤرخ من الأخبار والحوادث والأشياء ، فيذكر اخبار الحكام والنواب – فى دمشق والبلاد السورية الأخرى – وولايتهم ، وتنقلهم الى وظائف اخرى ، أو خلعهم أو وفاتهم ، وكذلك اخبار الموظفين الآخرين سواء أكانوا من المماليك أم من المتعممين، واخبار الأدباء والعلماء والأعيان وأعمالهم ومؤلفاتهم واخبار القضاة الذين كانوا يجمعون بين قضاء مصر وقضاء الشام فى وقت واحد ، الى غير ذلك من الوظائف . وقد تحدث المؤلف كذلك عن الحالة الاجتماعية والحياة العامة واليومية ، وعن الحالة الاقتصادية فيذكر اخبار التجار والأسواق واسعار المحاصيل والسلع .

وقد تيسر للأستاذ الدكتور محمد مصطفى مدير المتحف الاسلامى بالقاهرة سابقا وخبير الآثار الاسلامية المنتدب الآن فى المملكة الليبية ان ينشر المتن الكامل للمخطوط الوحيد من هذا الكتاب الذى أمكن العثور عليه فى قسمين يضمهما الجزء الأول من المخطوط أما الجزء الثانى فلم يعثر عليه حتى الآن . ولأول مرة ينشر هذا المتن الكامل بعد أن نشر الأستاذ ريشارد هارتمان سنة ١٩٢٦ مقتطفات من هذا الكتاب تقتصر على ما يتصل بتاريخ الفزو العثمانى لسوريا ومصر .

ويمتاز عمل الدكتور محمد مصطفى فى هذا الكتاب الى تحقيق النص بالفهارس الوافية منها فهرسان جديدان لم نجد لهما مثيلا فى المراجع الأخرى . وهما : فهرس بأسماء الوظائف والحرف مع بيان من باشروها يستفرق ٥٠ صفحة ، وفهرس آخر بالكلمات والمصطلحات اللغوية والفنية يتجاوز ٤٠ صفحة علاوة على فهارس الأعلام والأماكن .

• فى سنة ١٩٥٢ نشرت مجلة « الكتاب » التى كانت تصدر عن « دار المعارف » ويرأس تحريرها الصديق الشاعر الناثر الأستاذ عادل الغضبان ملحمة شعرية للصديق العالم المحقق الشاعر الأستاذ محمود محمد شاكر عنوانها « **القوس العذراء** » اشارة الى قصيدة الشماخ ابن ضرار الشاعر العربى القديم الذى وصف

فيها قوسا صنعها قواس ثم باعها بعد ان عاش بكد يديه صابر الفاقة عامين ، يعمل عملا يفلت نفسا من الفنى اليه ، اغواه ثراء يبهره ، فما كاد يسلمه للبيع حتى بكى عليه .

وكان الأستاذ شاكر قد قدم هذه القصيدة حينذاك الى الأستاذ شفيق مترى صاحب دار المعارف تذكار أول لقاء بينهما يدور فيه الحديث حول اتقان الأعمال التى يتاح للمرء أن يزاولها فى لمحة خاطفة من الدهر نسميها العمر.

ويرى من خلال أن العمل فى ارث طبيعته فن متمكن والانسان بسليقة فطرته فنان معرق .

هذه الملحمة التى تبلغ قرابة ثلاثمائة بيت؛ والتى نشرت منذ اثنى عشر عاما ، ستصدر عن « دار العروبة » بالقاهرة فى طبعة مستقلة .

● عنى الدكتور عبد الرحمن زكى الذى كان يتولى منصب مدير المتحف الحربى ويرأس الآن تحرير الموسوعة التى ستنشرها مؤسسة فرانكلين ، بالتاريخ لمدينة القاهرة . وقد طبع كتابه « القاهرة » طبعتين ، كما نشر الكثير من البحوث والمقالات عن كثير من معالم هذه المدينة الخالدة . ثم أصدر أخيرا كتابا نشرته الجمعية الجغرافية المصرية عنوانه **« مراجع تاريخ القاهرة منذ انشائها الى اليوم »** دعاه الى تأليفه انه لم يقم واحد من الباحثين بتصنيف المراجع والبحوث والمقالات والخرائط المتصلة بهذه الحاضرة الزاهرة منذ أن نشأت فى عام ٩٦٩ الى الآن ، فقد كان كل كتاب يوضع عن القاهرة يقتصر ثبت مراجعه على ما اعتمد عليه المؤلف . ولكن ظل قسم كبير من مراجع القاهرة غير معروف الا عند بعض الخبراء .

وقد صنف الدكتور عبد الرحمن زكى كتابه هذا على الأقسام الآتية : المراجع العامة والمحفوظات ، الرحلات المخطوطة والمطبوعة ، المراجع الأصلية ، المراجع الحديثة ، الآثار ، المتاحف والجمعيات العلمية ، البحوث والمقالات المنوعة فى المجلات العربية ، الخرائط . واتبع هذا التصنيف فى قسم المراجع الأجنبية بتعديل طفيف . ويقدر عدد المراجع العربية بحوالى ٢٤٠ مرجعا والأجنبية بحوالى ٤٠٠ مرجع .

● نشرت « مكتبة الآداب » بالقاهرة كتابا جديدا للأستاذ توفيق الحكيم عنوانه **« سجن العمر »** هو مرحلة من حياته . وهو يقول انها ليست مجرد سرد وتاريخ لحياة .. انها تعليل وتفسير لحياة . يرفع فيها الغطاء عن جهاز الآدمى ليفحص تركيب ذلك « المحرك » الذى نسمية الطبيعة أو الطبع . هذا المحرك المتحكم فى قدرته ، الموجه لمصيره . من أى شىء صنع ، ومن أى الأجزاء شكل وركب ؟

وقد بدأ الأستاذ الحكيم هذا الفحص من يوم وجد على هذه الأرض كما يوجد كل مخلوق حى بالميلاد من اب وأم . ثم يقول : « وما دمنا لا نستطيع أن نختار الأجزاء التى منها نصنع ، فلنفحص اذن هذه الأجزاء التى منها تكوننا فحصا دقيقا صادقا ، لنعرف على الأقل شيئا عن تركيب طبعنا . هذا الطبع الذى يسجننا طول العمر » . ولم يلتزم الأستاذ الحكيم فى هذا بالطريقة المألوفة فى سرد تاريخ الحياة حسب الترتيب الزمنى لتتابع الوقائع . ولكنه مزج الأزمان والأحداث فى أكثر الأحيان كى يصل مباشرة الى لب المقصود ، وهو محاولة كشف شىء عن تكوين هذا الطبع الذى يتخبط بين قضبان سجنه طول العمر .

● وقد نشرت « مكتبة الآداب » كذلك كتابا جديدا للأستاذ محمود تيمور عنوانه « جزيرة الحبيب » وهى رحلة المؤلف الى ايطاليا وجزيرة كابرى سنة ١٩٥١ ينحو فيها نحوا قصصيا شائقا . ومن ميزات الأستاذ تيمور انه ينقل المشاهد كالرسام البارع الذى لا تفوته أدق الأشياء فى الصورة . وهو يفتنه الجمال هناك لا ينسى وطنه فيجب أن تكون ملامح هذا الجمال متمثلة فى وطنه ، فهو يقول: « توافر حظ كابرى من جمال الطبيعة ، ولكن القوم تعهدوا هذا الجمال فأحالوه سحرا وفتنة. وان جمال الطبيعة وحده لا يكفى فى اجتذاب العيون وتشويق النفوس ، فلابد أن تؤازره يد الصقل والصنعة والافتنان فى أسباب الترفيه والامتاع . وكم من مشاهد طبيعية رائعة فى جوانب من الأرض تكمن فيها الفتنة، ويستشف منها السحر ،و لكنها تظل كاللآلىء فى أصدافها محجوبة اللألاء حتى تتاح لها لفتات فنية تجيد فيها يد التجميل ، فاذا هى فاتنة ساحرة تهوى اليها **الأفئدة من كل باب** » . ويتذكر مواطن الفتنة والسحر فى مصر فيتساءل : « متى يتاح لهذه المواطن ان تدخل (معهد التجميل) لتخرج عرائس فى زينة وزخرف ، تغلى لها المهور من كل خاطب ود » .

● منذ ربع قرن والأستاذ محمد صبيح يقدم من تاريخ العرب والاسلام صورا مجيدة فى سلسلة متلاحقة الحلقات كان يصدرها بعنوان

« كتاب الشهر » كانت زادا لجيل عرف لهذا الكاتب فضله فى هذا الباب . وكانت سيرة الرسول الكريم أروع ماقى هذه الصفحات . وفى نور هذه السيرة يعود الينا الأستاذ صبيح من جديد ــ وقد طلب اليه الاشتراك فى تأليف قصة للسينما تتناول فترة ما من حياة الرسول ــ فيرى فى ضوء هذا النور الربانى مشاهد رائعة للتغيير الاجتماعى الثرى الذى أحدثه الاسلام حين نادى « بأن الناس سواء ، وأن التقوى والعمل هما أساس المفاضلة بين البشر ، لا المولد ، ولا الثروة ولا اللون » . وعلى هدى هذا النور مضى الأستاذ صبيح يبحث ويدرس ويراقب هذا التغيير الاجتماعى ، ويتتبع أشكاله وصورة ليعطى الجيل الحاضر فى كتاب جديد زادا روحيا جديدا متصلا بالزاد الذى قدمه لجيل سبقه . هذا الكتاب هو **«نور الله»**.

● ثم يختار الأستاذ محمد صبيح من التراث العربى كتابا جليلا لمؤرخ جليل . فأما الكتاب فهو **« اسد الغابة فى معرفة الصحابة »**.

واما المؤلف فهو ابن الأثير عز الدين بن ابى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . ليسير نشره . هذا الكتاب يعد فى مقدمة التراث العربى الخالدالذى ترجم لخيرة رجال الاسلام . وقد اختار الأستاذ صبيح لهذا العمل ثلاثة من شباب العلماء الأزهريين هم الأساتذة محمود فايد ومحمد عاشور ومحمد البنا واشرف هو على هذا العمل الكبير . فقاموا بالتحقيق على النسخة المطبوعة فى مصر ومخطوطة هندية مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ونبهوا على الخلاف بين النسخة المطبوعة والمخطوطة ، ورجعوا الأحاديث على كتب الحديث السبعة المعتمدة لضبط النصوص والتنبيه الى ما يستحق التعليق وما يحتاج الى شرح لغوى أو تفسير تاريخى . وقد ظهر الجزء الأول منه وهو يضم ١١٤٦ ترجمة تبدأ من حرف الألف وتنتهى بحرف الخاء مع الراء .

● انتهى الأستاذ السيد احمد صقر من طبع كتاب **« أسباب نزول القرآن »** لأبى الحسن على بن احمد الواحدى مؤلف شرح ديوان المتنبى . وكتابه أسباب النزول يعد أعظم كتاب فى هذا الموضوع ، تكلم فيه أولا فى مبادىء الوحى ، وكيفية نزول القرآن ابتداء على الرسول الكريم ، وتعهد جبريل اياه بالتنزيل ، والكشف عن تلك الأحوال والقول فيها على طريق الاجمال .

ثم فصل بعد ذلك القول فى سبب نزول كل آية روى لها سبب معقول مروى منقول .

وهذا الكتاب هو الذى لخص عنه السيوطى كتابه « لباب النقول فى أسباب النزول » الذى نشر من قبل على هامش كتاب « الاتقان فى علوم القرآن » ثم طبع بمطابع الشعب باسم « أسباب نزول القرآن » .

● كما انتهت « دار المعارف » من طبع الجزء الثانى من كتاب « **الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى** » الذى قام الأستاذ السيد احمد صقر بتحقيقه ونشر منذ سنتين **الجزء الاول منه** . أما الجزء الثانى فان مادته لم يسبق نشرها من قبل فى الطبعات السابقة لهذا الكتاب .

● تقوم « الشركة العربية للطباعة والنشر » بالقاهرة بنشر كتاب « **الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء** » لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . بعد أن قام الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل بتحقيقه على النسخ الثلاث الموجودة بدار الكتب : والترجمة للشعراء الذين ورد ذكرهم فى الكتاب وشرح الأبيات والتعليق على آراء النقاد القدامى . وقدم له بدراسة عن المؤلف .

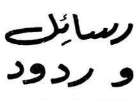
وقد سبق ان قامت « **جمعية نشر الكتب العربية** » بنشر هذا الكتاب وطبعته المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٣ هـ .

● صدر عن « دار احياء الكتب العربية » (عيسى الحلبى وشركاه) الجزء الثالث من تفسير « **التحرير والتنوير** » للعلامة التونسى محمد الطاهر بن عاشور . الذى قدم لهذا التفسير بمقدمة فى قرابة ١٢٠ صفحة .

وقد قامت دار احياء الكتب العربية فى السنوات الأخيرة بنشر طائفة كبيرة من كتب التفسير وما يتصل بعلوم القرآن ، فنشرت تفسير العالم الدمشقى جمال الدين القاسمى ، وكتابى « **تأويل مشكلة القرآن** » و « **تفسير غريب القرآن** » وهما لابن قتيبة وقد حققهما الأستاذ السيد أحمد صقر ، و « **تلخيص البيان فى مجازات القرآن** » للشريف الرضى بتحقيق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، و « **البرهان فى علوم القرآن** » لبدر الدين الزركشى بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، و « **احكام القرآن** » لابن العربى بتحقيق الأستاذ على محمد البجاوى . وابن العربى هذا غير ابن ابن العربى المتصوف .

حسن كامل الصيرفى



رسائل وردود

× من كندا .. جاءتنا رسالة من القارىء فيصل احمد يطلب فيها اعلامه عن قيمة الاشتراك فى المجلة وكيف يرسل هـذا الاشتراك من هناك ، وهل ستستمر المجلة شهرية ام تكون اسبوعية - كما يفضل لها أن تكون -

ومجلة الكتاب العربى اذ تشكره على متابعته لاعدادها التى صدرت وتمنياته الطيبة .. تطمئنه بانها ستصل اليه تباعا كل شهر بعـد أن تنظم عملية الاشتراكات خارج العالم العربى .

× ومن المانيـا الغربية .. طلب القارىء المستشرق فريتس شتيبات ان يرسـل قيمة الاشتراك بالمجلة كى توافيه بأعـداد المجلة .. لانها - على حد قوله - سدت فراغا ثقافيا فى التعريف بنتاج الفكر العربى .

ونحن نشكر القـارىء المستشرق ، ونقول له .. ان اعداد المجلة فى طريقها اليـه الآن .. أما قيمة الاشتراك فنطلب منه امهالنا حتى تتم عملية تنظيم هذه الاشتراكات خارج العالم العربى .

× وفى خطاب عتاب من سوهاج .. جاءنا من القارىء أبو السعود محمـد عبـد اللطيف .. يقول فيه .. انه قد ارسل الينا تعليقات عديدة على بعض البحوث فى المجلة لم تنشر ، ويقترح تزويد مكتبات مراكز الثقافة المنتشرة فى أنحاء جمهوريتنـا بأعداد المجلة السابقة والقـادمة ، ويقترح ايضا تنظيم مسابقات بين شباب الجامعات والمعاهد والمدارس لتشجيع القراءة الحرة ، لان المجلة - كما يقول - منبر النقد الوحيد للمتخصصين فى هذه الميادين .

ونحن نهمس فى اذن القـارىء العزيز .. فنرجـوه الا يغضب فيعتب ، لان خطابه هذا هو اول خطاب يصلنا منه ، ثم نشكره على اقتراحيه السديدين .. فنؤكد له انهما الآن تحت البحث من كل الوجوه قبل الاخذ بهما .

× وجاءنا اقتراح من القارىء عبد الصبور مرزوق .. يتقدم به الى اتحاد الناشرين العرب على صفحات المجلة .. فيســألهم ان كان فى الامكان الاخذ بنظام بيع الكتب بالتقسيط - اسـوة بما تصنعه المؤسسـات الاقتصادية العـامة - بحيث يكون للموظف مثلا أن يأخذ حاجته من الكتب خصما من مرتبه على اقساط .

والمجلة تأخذ موقفا وسطا .. فتسأل بدورها .. هل فى الامكان أن يقوم اتحاد الناشرين بدراسة هـذا الاقتراح ؟

× ومن اسيوط .. وصـلنا مقال من الاستاذ محمد مصطفى زيدان بعنوان « الشخصية وقياسها ودور المدرسة فى تكوين شخصية التلميـذ » .. والمجلة تشكر الاستاذ وترحب بكل مقـال يبعث به فى حدود خطة المجلة التى تتخصص فى نقد الكتب ، وفى شتى ميادينها .. فترجو منه ان تكون مقالاته النفسية او التربوية مرتبطة بكتاب مباشر ..

× وجاءنا تعليق ثائر من القارىء شوقى احمد الغريب على مقال نقد كتاب « خليل النيل وشاعر الشرق العربى » الذى نشر على صفحات المجلة .. والمجلة اذ تنشر تعليقه - عملا بحرية النشر - تفتح صـفحاتها لكل رد على هذا التعليق .. يقول السيد المعلق ..

قرات هذا الفصل الذى عقده السيد انس داود لنقد كتاب خليل النيل وشـاعر الشرق العربى للدكتور جمال الدين الرمادى وهذا الفصل يمكن ان نطلق عليه تجاوزا نقدا لانه اقرب الى العرض منه الى شىء آخر بل وربما كان اقرب الى السـباب والشتم لما تضمنه من عبارات لاذعة والفاظ جارحة تسىء الى سمعة الدكتور الادبية رغم ما عرف

عنه من دقة فى البحث واخلاص فى الدرس وداب على المعرفة حتى أنه يعتبر من الادباء القلائل لا فى الجمهورية العربية المتحـــدة فحسب بل فى الشرق العربى جميعـــه الذين يعرفون بالاخلاص فى العمل واستقصاء الموضوع من شتى اطرافه ومختلف نواحيه .

وموضوع الـكتاب يتناول الشاعر خليل مطران وهو من الشعراء القلائل الذين يتمتعون بثقافة رفيعة ويأخذون من الثقافات الأجنبيـة بنصيب كبير فهو لم ينظم الشعر ارتجالا ولا اعتباطا انما نظمه عن دراسة وعلم الى جانب ما وهبه الله من ملكة شاعرية رقيقة وموهبة ادبية فــذة فهو قد قرأ راسين وكورنى وغيرهما فى الادب الفرنسى كما قرأ شكسبير ودرايدن وغيرهما فى الأدب الانجليزى تارة الفرنسية وتارة باللغة الانجليزية فاذا لم تسعفه اللغـــة الانجليزية رجع الى الفرنســـية يستلهمها روائع الادب الانجليزى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

فهو اذن شاعر مثقف وبحلل ناصية اللغات الاجنبية ويجيدها كأهلها ولذلك كان لابد لمن يتعرض لخليل مطران من أن يدرك هـــذه الثقافة الاجنبية التى وهبها الله له والسيد الناقد خلو من هــــذا كله فهو قد درس دراسة أزهرية كما أعرف معرفة يقينية ولا يجيد اللغات الاجنبية . واعتقد اعتقادا جازما أن مستوى النقد لا يتلاءم مع ثقافة مطران الواسعة ولا مع ثقافة الناقد الذى لابد أن يكون على حظ من الثقافة المعينـــة حتى يقبل على نقد كتاب وضـــع عن مطران .

والغريب أن السيد أنس داود يتهم المؤلف بانه تعرض للأعمال التجارية التى قام بها الشعراء مع ان هذه الأعمال لابد أن ندرسها حتى نفهم المحيط النفسى الذى عاش فيه الشاعر هذا من ناحية ودراسة الأدب دراسة نفسية صحيحة ومن جهة أخرى من ناحية تقرير حقيقة واقعة وهى أن عددا كبيرا من الشعراء اشـــتغلوا بالتجارة قبل أن يشتغلوا بالشعر ويبـــدو أن السيد أنس لم يقرأ شيئا لرشيد الخورى أو اليـــاس فرحات أو غيرهما من شعراء المهجر الذى عملوا بالتجـــارة وكان لهم الى جانبها تراث أدبى ضخم .

كما يبدو أيضا أن السيد أنس كان يقرأ سطرا ويترك سطرا لأنه لم يقرأ ما دونه مؤلف الكتاب عن الشاعر ايليا أبو ماضى وحركة التجديد التى قام بها .

ولا يعقل أن يكتب أديب متخصص فى الأدب الحديث عن جبـــران فيقول : أنه لم يعرف الا بلوحاته فى المجتمع الأمريكى فكأنما يريد السيد أنس أن نلقى عقولنـــا القاء ونحطم تفكيرنا تحطيما ونشـــل مقاييسنا الأدبية ونكذب الدكتور الشرقاوى ونصدقه .

ويستهين الســـيد أنس بتواريخ صدور بعض الكتب التى ذكرها المؤلف فى عرض بحثــه كتاريخ صدور ديوان عابر سبيل والخمائل وعلى محمود طه مع أن العثور على هذه التواريخ ليس أمرا سهلا هينا واننى لاتحداه أن يذكر لى على سبيل المثال تاريخ صدور كتاب الادب الحديث للأستاذ الدسوقى أو كتاب البيان العربى للدكتور بدوى طبانة أو كتاب فى التاريخ الاسلامى الحديث للدكتور ضياء الدين الريس وهى من الكتب التى كان يدرســـها فى كلية دار العلوم فى العام قبل الماضى وهو العام الذى تخرج فيه

والطريف أن الســـيد أنس داود تعرض لقصـــيدة « لو علمت » ونسبها الى مطران مع ان المؤلف نسبها الى الشاعر عزيز مرزا رئيس تحرير الأهرام السابق وذكر أنه نقلها عن الشـــاعر (سولى برودوم) وهو من الشعراء الفرنسيين المبدعين ويخيل الى أن السيد أنس صعب عليه قراءة هذا الاسم بالفرنسية فنسبه الى مطران لخفة نطقه ولجريه على وزن فعـــلان العربية كما يقول علماء الصرف ولظنه أن كل أجنبى انما هو مطران لمسحته المسيحية .

واخيرا أحب أن انبه السيد أنس داود الى حقيقة لابد أن يعرفها ويؤمن بها وهى أن المدارس الأدبية لا يمكن أن تكون فاصلة كحد السيف وأن المقاييس العلمية التى تستخدم فى الرياضيات والكيماويات والطبيعيات لا يمكن أن تستخدم فى الادب بل اننا فى الجغرافيا عندما نقول اقليم الاستبس أو اقليم الســـفانا أو اقليم الحشائش الطويلة فليس معنى هذا أن هذه الاقاليم منفصلة انما هى تتدرج شيئا فشيئا حتى تصل الى الطبيعة التى يرى الجغرافيون اطلاقها عليها .

فلا يمكن أن نقول فى الادب ان ١ + ١ = ٢ كما نقول فى الحساب فالأمر كله لا يعدو أن يكون نسبيا فى الأدب .

والأدب يخضع للذوق وهو مالا يعرف فى العلم ، والذوق على حـــد تعبير بودلير هـــو الذى يميز النص من النص والمدارس الأدبية مدارس نسبية وليست كالمدارس العلمية مدارس حديثة ليس فيها مجال للمناقشة وليس فيها مجال للاعتراض .

ولذلك كان المؤلف حريصا كل الحرص على الدقة وهو ما لم يدركه السيد أنس ولم ينتبه اليه الا أنه لم يشأ أن

يلقى بالأحكام جزافا انما هو يتحفظ فى كل كلمة يقولها وفى كل سطر يخطه بيمينه .

وليس هــذا جـديدا عليه بل ليس غريبا من الاديب الخصب المنتج الذى يملك ناصية التأليف فى ميادين كثيرة قلما يستطيع غيره أن يطرقها . وما أجمل تلك العبارة التى ذكرها له الاديب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد حين هنأه بالجائزة :

بشارتكم منتظرة بأمثالهـا
فبشرى لكم وبشرى لهــا

وجاءنا رد من القارىء عبد الصبور مرزوق على التعليق الذى نشر للقارىء فاروق الشريف عنمقاله السابق بعنوان « الغزو الفكرى » .. يقول فى رده .

نبهنى السيد الفاضل سكرتير تحرير « الكتاب العربى » الى كلام منشور فى عـــدد فبراير بتوقيع من يقـــال له « فاروق » ردا على مقالنا عن كتاب « الغزو الفكرى » » ودفاعا عن الدكتور لويس عوض .

* * *

وقبل أن أقول ما سأقول أحب أن يعلم هذا الفاروق أنه ليس من منهجنا ولا من خلقنا نحن أبناء العروبة ودعاة محمد أن نترك الثيران ان هاجت ، ونضرب البقر ، وحتى لو شاءت الأبقار أن تعترض طريقنا فتدق الأرض بحوافرها وتهز فى الفضاء قرونها فلن تقابل منا بغير الاغضاء والرثاء ، لأننا أكبر وأقوى من أن يكون بيننا وبين المستضعفين لقاء .

ومن ثم أعتذر لصاحب ذلك الكلام من عدم النزول الى مستوى الرد عليه حتى لا أكون خارجا على عرف ابنـــاء العروبة وتقاليد اتباع محمد .

وان كان ثمـــة ما أهمس به فى أذنه فهو النصيحة الخالصة له لوجه الله أن يتفرغ لعمله ، ويذاكر دروســه لكى ينجح ويفلح ، وان لم يكن ثقل على الذاكرة فيستطيع أن يقص الورق ويلصقه ويصنع منه طيارات وعصافير فهذا لا شك يكسبه مهارة ما ، وقد يكون مربحا له ، وربما يبنى له قلما يكتب به ما يجدر بالمناقشة ، بدل السباب والشتم ، وبدل التقول على خلق الله من المسئولين أو غير المسئولين دون علم .

* * *

وبعـــــد .

فما الذى أثار ثائرة لويس وشيعته حين رأينا الخشبة فى عيونهم فقلنا لهم أبعدوها فانها خشبة ؟ (١) ان من حقنا أن نشـــارك بالرأى فى تقـــرير مصـــيرنا فلماذا يضيقون بممارســـتنا له ؟ ولماذا غضبوا حين قلنا لهم ان شعبنا فى مرحلة الانطلاق يرفض باصرار شعارات لويس الداعية الى الهروب من الحيـــاة والفرار الى الدير ، والخـــلاص بالموت ؟ .

الا يرضيهم الا ان نمضى وراءهم على طريق الهـــزيمة فينتهى بنا المطاف وقد رفعتنا « اسرائيل » على ثمانين مليون صليبا من المحيط الى الخليج .. وعنـــدئذ يجلس لويس وشيعته تحت أقـــدامنا سعداء ليصنعوا من دمائنا مداد أقلامهم !! .

ليقولوا .. بصراحة ماذا يريدون ؟ .

ولماذا يؤذيهم أن يرفع العرب فى أرضهم شعارات العروبة والاسلام ويتحدثوا عن محمد ؟ .

ان الأمر فى حقيقتـــه ليس هياما بالدين ولا تعصبا للرسول ولكنه حصاد الفكر المفتوح لأعمق ما عاشه الانسان من تجربة ، وبه اهتدينا مع البشرية .

هذا الفكر المفتوح المستفيد بالتجربة البشرية الكبرى هو وحده ــ ولا غير يا أتباع لويس ــ الذى جعلنا شعبنا يقرر شعار جمهوريتنا الشهير « نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا . هكذا بصراحةوحسم ، وكما قال عبد الناصر .. ان قتل الانجليز لنا عشرين فى الجنوب نقتل منهم على الفور مائة » .

ثم انه من الخير للدكتور لويس وأتباعه أن يفهموا وان يسمعوا ويعوا أن الأمر فى تقرير خطر ســـيرنا الصاعد قد جاوز نطاق الجدل والمساجلة ولم يعد قابلا للأخذ فيه والرد ، وقد اكتشف شعبنا نفسه ، وحدد طريقه ولن يتردد عنها مهما حاول المخربون .

وبمناسبة ما يقال من أننا نستعدى الدولة على الدكتور لويس مستغلين فرصة الناصرية بعروبتها واسلامها .. بهذه

(١) حاشية : معذرة للدكتور لويس لأنى غمست قلمى هنا فى محبرته ــ دون اذنه ــ وأنا بعد من غير حوارييه .

وأين ترتفع هـــذه الرايات اذا لم ترفعها الجمهورية العربية ؟ والعرب كل العرب !! .

المناسبة أقول ان هذه النغمة فقدت تأثيرها وفاعليتها وثورة يوليو ١٩٥٢ قد استطاعت تماما أن تشفى مصر والمصريين من هذه العقدة وأن تردهم جميعا الى مركز المواطنة العادية بعيدا عن أى اعتبار ، وحين يكون صدام بين الآراء تناقش مجردة .. على انهـــا آراء صدرت من زيد أو عمرو فهذا لا ميزان له .

ثم .. لماذا تستعدى الدولة على لويس وهـــل الدولة غافلة عنـــه أو عن غيـره ؟ ان كل شيء في بلدنا محسوب ومرسوم ، والدكتور لويس ومن يحركونه أو من يتحركون بارادته يعرفون هذا جيدا فلا داعى للتمحك بالجدران المتهاوية ، والباس الاشياء غير ثيابها أو التباكى والتمسكن على الطريقة الناحومية الشهيرة .. فأنتم مكشوفون .. اى والله مكشوفون ، وليست الدولة بحاجة الى او الى غيرى ليدلها عليكم .. والدكتور لويس ومستشاريه وقلمه وقرطاسه وحواريوه واحلاسه أهون بكثير من أن تستعدى عليهم الدولة أو تقف منهم موقف التربص والتآمر .

* * *

بقيت كلمة لابد منها فى ختام هذه العجالة وهى سؤال الدكتور لويس عوض عن سر صمته التى يلتف به ويصمصنعه هذه الايام ؟ لماذا لا ينطق .. ولا يرد ؟ .

أهو كما يقول حـــواريوه تكتيك ماهر للظهور بمظهر المضطهد والمجنى عليه لعل مسئولا أو مسئولين يقولون .. دعوه ، حتى لا يقال أخرجوه لانه لويس .. وعندئذ يكون قد نجح فى تفادى العاصفة !! .

اصحيح هذا يا دكتور لويس ؟ .

أم قد حاصرتك الاضواء اليقظة ، وما كنت تتصور يوما أنك بما تتجه اليه موضع التيقظ والاضواء ، فاذا المفاجأة تحسر الفقراء وتحطم القلم ؟ .

تكلم يا دكتور لويس كما كنت تمــلأ الأعمدة الثمان فى الاحرام كل جمعـــة مفتـــاتا على العروبة ، وعلى ارادة ومقدســـات ثمانين مليونا ومن وراءهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، تكلم ، وكن على ثقة من انك حين فقدت مكانك فى الجامعة أبدلتك منه الثورة الرحيمة مكانا أكثر منه مالا وأشـــد خطرا ... لا تنفس عليــك هذا .. لاننا أبناء العروبة وأتباع محمد نؤمن بحق المواطن أن يعيش فى ظل رايتنا ميسر الرزق موفور الكرامة .. بشرط الا يتقوقع كالسوس ينخر البناء ويدمر الهدف ..

فان فعل .. حاطته سيوفنا تمزق جلده وتفرى كبده لويسا كان أم عبد الصبور .

والى الملتقى يا دكتور لويس وان عــدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا .

سطور من كتاب

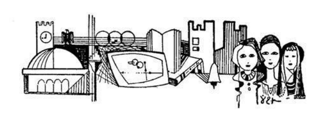
« كلارك : قلت عيشى حياتك . كثير من النـــاس يستمتعون بوقت جميل وهم يحثون فى شـــقاء الى قدرة **الذهب** التى عند الطرف الآخر للطيف . ولكن عنـــدما يتلاشى الطيف ويتبينون أن القـــدرة مملوءة بالرماد فلا ضرورة لأن يحتفظوا بها فى أحضانهم ، بل فى وسعهم أن يتركوها ويقولوا **لا باس ، يظهر اننا قد اخطانا الهدف.** ذلك اذا كانوا ذوى شجاعة وقدرة على مواجهة الحيــــاة بابتسامة » .

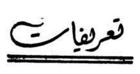
... الحالة

سطور من كتاب

« لقد كرهتك بسبب ماقلته لك من أكاذيب . لأننى لا أحب الا اللعب بالألفاظ ولا أحب الا الأحلام . ولكن أتدرين ؟ ان ما أبغيه حقيقة هو أن تذهبوا جميعا الى الجحيم ! هذا هو ما أبغيه . أريد أن تتركونى فى سلام . **نعم فاننى على استعداد لأن أبيع العالم فى الحال بلا مقابل مادمتم تتركونى فى سلام** . هل يدمر العالم أجمع أم أحرم أنا من هدوئى وصفائى ؟ أقول فليدمر العالم مادمت متمتعا بهدوئى » .

... مذكرات من العالم السفلى





معضلة الرجل الأبيض

تاليف : جون بويد أور وديفيد لبوك
ترجمة : حسين احمد امين
مراجعة : الدكتور محمد عوض محمد .
الناشر : مؤسسة التضامن العربى ، بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ١٨٣ صفحة ١٧ × ٢٠ .
ث ١٠ر٠ قرشا

من المشاكل الهامة التى عرضت للعالم فى هذا القرن العشرين مشكلة الغذاء والتفاوت فى مستوى المعيشة بين دول العالم المختلفة ، وتراوح هذا المستوى فى الدولة الواحدة . المشكلة اذن لا تهم الدول النامية فحسب ، وانما هى تهم دول العالم كافة ، لأن انخفاض مستوى المعيشة هذا والفقر المدقع فى بعض البلاد ، وعند الطبقات الدنيا فيها يهدد بأخطار حرب عالمية مدمرة ، وصراع لا مدى له ، فضلا عن انتشار بعض المذاهب المنحرفة والمبادىء الهدامة .

هذه المشكلة لا تزال موجودة ، وقد بذلت جهود عدة على المستوى العالمى من اجل التخفيف من حدتها ، ان لم تكن الحل النهائى لها . ولعل من اهم هذه الجهود اضطلعت به عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وبخاصة فى العشرينات من هذا القرن ، وما اضطلعت به هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية .

لكن هذه الهيئات العالمية لا تكفى وحدها كى تحل المشكلة اذا لم توجد روح عامة للتعاون بين دول العالم كبيرة كانت ام صغيرة ، دون النظر الى اللون السياسى لكل دولة من هذه الدول ، ودون النظر ايضا الى مدى المنفعة التى تعود الى الدولة الكبيرة من وراء مساعدتها للدولة الصغيرة النامية .

هذا هو الموضوع الاساسى فى الكتاب ، وهو كما يعتقد المؤلفان « معضلة الرجل الأبيض » ، أو هو معضلة الدول الكبرى على وجه عام .

وقد عرض المؤلفان لهذه المعضلة او المشكلة من وجهة نظر انجليزية ، غير ان هذه الوجهة نفسها ليست منحازة تماما كما قد يتصور ، على الرغم من وجود هذا الانحياز فعلا أو التحامل على جهود الكتلة الشرقية لحل المشكلة .

« ان باستطاعة (الدول الغربية الكبرى) سواء تعاون الاتحاد السوفييتى معها أم لم يتعاون أن تعترف بما لا بد ان يتحقق ، وتستخدم تفوقها الصناعى الهائل فى خلق عالم جديد ملىء بالخيرات . فان فعلت ذلك كسبت لنفسها قوة جديدة وسمعة طيبة ، اذ تتولى القيادة فى سير العائلة البشرية نحو عصر السلام والرخاء الجديد ، ونحو الأخوة الانسانية المشتركة التى جعل منها العلم الحديث البديل الوحيد لتدهور المدنية الغربية وسقوطها » .

المختار من أزجال ابو بثينة

بقلم : محمد عبد المنعم ابو بثينة .
تقديم : صالح جودت .
الناشر : الدار القومية ـ من الشرق والغرب ـ ٩٧ صفحة ١٧ × ٢٤ .
ث ١٥ قرشا

« يختلف الناس فى تعريف الادب الشعبى فمنهم من يقول : ان الأدب الشعبى هو ما يكتب بلغة الشعب الدارجة فى أى موضوع ، ومنهم من يقول : انه الادب الذى يكتب لوجه الشعب ، مصورا ملامحه معبرا عن آماله وآلامه ، سواء كتبه صاحبه باللغة الدارجة ام الفصحى ... وسواء صح هذا التأويل أو ذاك ، فان هذه الأزجال التى يعرضها عليك ابو بثينة فى هذا الديوان الأنيق أنموذج من أدب

الشعب يصدق فيها التأويلات ، فهى أزجال منظومة بلغة الشعب ، وهى فى الوقت ذاته موهوبة لوجه الشعب »

هذا بعض ما ورد فى مقدمة الديوان التى كتبها الأستاذ صالح جودت ، وهى تعبر عن وجهة نظر سليمة فى أزجال الأستاذ أبى بثينة ، فأيا كان تعريف النقاد ومؤرخى الادب لهذا اللون من الادب الشعبى ، فالذى لا شك فيـه أن الأستاذ صاحب هذا الديوان قد استطاع أن ينفذ الى حد بعيد داخل روح هذا الشعب وفى ضميره ، وما يشعر به من ألم وما يطوف بخاطره من آمال . وهو يلتقط من واقع المصرى وحياته اليومية لمحات ذكية فى عبارة منغمة جميلة ، تشعر من خلالها بأن صـاحب هذا الديوان مصرى ، وان زجله هذا موجه الى مصريين .

والأستاذ أبو بثينة يكتب أزجاله منذ ثلاثينات هـذا القرن أو قبلها بقليل ، وهو فى أزجاله هذه لم يكن زجالا فحسب ، وانما كان ناقدا يعرض عيوب مجتمعه ، ويصوغها صياغة جيدة تجرح وتصيب ، ولكن تلك الجروح والاصابات لم تكن الا للمشاركة فى بناء أمة ومن أجل هدم العناصر الفاسدة فيها . ومن ثم فقد تخفى صاحب هذه الأزجال خلف اسمه عرف به فيما بعد .. وهو أبو بثينة .

وهذا الزجل الذى بين أيدينا ليس الا شيئا يسيرا فى المجموعة التى تضم خمسة دواوين وقد استصفى الأستاذ الزجال بعضا منها ضمنه هذا الديوان .

وبطبيعة الحال فقد كان للعنصر السياسى الجانب الاكبر فى تلك المجموعة من الأزجال ، لارتباطه بالأحوال الاجتماعية السائدة فى عهد ما قبل الثورة ، فجاءت أزجاله السياسية هذه تعبيرا أمينا عن هذه الأحوال .

شـقيان ومن قسمتى هـد الزمان حيلى
ومال بى بختى ولا حـدش عـدل ميلى
ساوى النهـار فى السواد عندى سواد ليلى
شـايل هموم السنين والحمـل زاد فوقى
وادينى صـابر ولا حـدش يشيل شـيلى

من أزجاله الوطنية ما نظمه بعنوان « جمال قائد العروبة » .

يا للى سـحرت القلوب وجمعتها حـواليك
وبالرضـا والسـماح القت زمامهـا اليك
وخـدت صف العرب وبقى اعتمادنا عليـك
يا بانى مجـد العروبة بعـد ما ولى
دا نجـدنا الحال من صنعك ونغرس ايديك

ويضم الديوان الى جانب هذا أزجالا أخرى فى موضوعات مختلفة .... فى الصحافة والاجتماع والطبيعة والمرأة والدين والشباب وغيرها ..

فضائل بغداد العراق

تأليف : يزدجرد بن مهمندار .
تحقيق : ميخائيل عواد .
الناشر : مطبعة الارشاد . بغداد . ٢١ صفحة ١٧ × ٢٤

بغداد ... مدينة السلام وحاضرة الخلافة العباسية ، أخبارها كثيرة تتردد فيما تبقى لنا من تراث الأقدمين . وهذا الكتاب ألفه يزدجرد بن مهمنـدار وهو من الفرس عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وفيه أفاض فى الحديث عن حمامات بغداد ومنازلها ومساجدها وطرازاتها وغير ذلك من ألوان الحياة الاجتماعية والحياة اليومية بها . وكان دقيقـا الى حد بعيد فيما أورده من حقائق ، وان لم يخل كتابه من بعض المبالغات .

وعلى الرغم من جلال هذا العمل وعظم قيمته بالنسبة لدارسى الحضارة الاسلامية ، الا أن كتابه لم يصل الينا كاملا ، وانما تبقت منه فقرات واشارات فى كتب أخرى ، وجاء منه فصل فى كتاب « رسوم الخلافة » لهلال بن المحسن الصابىء من أهل القرن الخامس الهجرى ، وجـاء دور الأستاذ المحقق فاستخرج هذا الفصل وشرحه وعلق عليه ونشره أكثر من مرة ، ثم عاد فنشره بعـد زيادات وتنقيحات أخرى .



تأليف : برتا موريس باركر .
ترجمة : عمر كامل الوكيل .
الناشر : دار المعـارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ــ ٣٦ صفحة ١٧ × ٢٤

هـذا هو الكتاب رقم ٢٦ فى مجموعة الكتب العلمية المبسطة التى تشرف على اصـدارها مؤسسـة فرانكلين لتبسيط العلوم فى جميع فروعهـا كافة . وهذا الكتاب يختص بالمادة وأقسامها من جزيئات وذرات ، وما يتصل بها من دراسـة للعناصر والمركبات والمخلوطات والفروق بينها . وفى أسلوب ميسر نعرف النظرية الذرية ومم تتكون الذرة وما ينتج عن تحطيمها من طاقة هائلة جبارة .

والكتاب ــ الى هذا ــ يحوى صورا وأشكالا توضيحية وتوالم تفيـد الناشئين وتمهد لهم السبيل للتعرف الى الأسس التى تقوم عليها علوم الطبيعة والكيمياء .

القنبلة الثالثة

تأليف : مصطفى مشعل .

الناشر : الدار القومية ــ الكتاب الماسى ــ ٨٢ صفحة ١٧ × ٢٤ . ث ٢٠ قرشا

فى صباح يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ القيت أول قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما فى اليابان لتعلن نهاية الحرب العالمية الثانية . لقد أدى القـاء هذه القنبلة الى مأساة انسانية كبيرة ، نعرفها جميعا ، فقد هلك ما يزيد على مائة ألف انسان من أهل هـذه المدينة بين رجال ونساء وأطفـال ، عـددا من حاقت بهم الاصابات والأمراض والحروق ... ولكن المأساة لم تنته فصولا ، فقبل أن ينصرم عام على هذه الملحمة الدامية حتى تحرك ضمير هـذا الطيار الشاب الذى كان من نصيبه أن يضغط على زر صغير فى طائرته وهى تحلق فى سماء هيروشيما لتصيب أهلها وتصيب العالم كله بكارثة من أعظم الكوارث التى مر بها خـلال تاريخه الطويل .. لقد اعترت هذا الفتى عقدة الشعور بالذنب والجائه الى مصير مظلم اليم فى احدى مستشفيات الامراض العقلية بالولايات المتحدة .

هذا هو وجه الحقيقة فى المسرحية التى بين أيدينا ، اعتمد المؤلف فى صياغتها وفى كتابة أحداثها على الوثائق المهمة التى تحكى هذه المأساة ، وتصور لنا بشاعة هذا العمل وذلك فى ثلاثة فصول تتراوح أمكنة حدوثها بين هيروشيما والولايات المتحـدة ، وكانت شخوص هـذه المسرحية حقيقيـة . واذا كان المؤلف قد استعان بخيال الاديب وتصوره ، فانما فعل ذلك لتوضيح الصورة العامة ورسم الحقائق المعروفة فى تلك المأساة .

ان شخصا مثل بول تيبتس جدير بالرثاء قبل أن يكون جـديرا بالعقاب ... لقد كان شابا يطمح الى مستقبل مشرق سعيد ، وأن يرجع الى بلاده محاطا باعجاب قومه وتقدير الدولة التى ينتمى اليها .. لعله لم يكن يعرف تماما ما قد يترتب على ما اقترفه فى حق أهل هيروشيما التعسين وفى حق الانسانية جمعاء ، لكنه عرف أخيرا وبعد أن فات الأوان . لقد أنبه ضميره ، وأداه هذا الى أن يفقد حياة أسرية سعيدة وزوجة مخلصة وفية وقلوبا طالما حبته بحبها ورعايتها ، وتركته الآن يجرع آلامه فى صمت ويترع كأس العذاب وحده .

ــ أيها السفاحون ... أيها المجانين .. كفى ما حدث كفى .. لا تلقوا القنبلة الثالثة لقد فقد بول تيبتس عقله لكنه لم يفقد ضميره .

أزمة الحرية فى عالمنا

تأليف : خالد محمد خالد .

الناشر : مكتبة وهبة ٢٨١ صفحة ١٧ × ٢٠ ث ٢٠ قرشا

« هـذا الكتاب يريد أن يقول : ان حرية الانسان فى عصرنا هذا تعانى أزمة حقيقية ، وأن أزمة الحرية فى عالمنا هى أزمة عالمنا ... واذا كان لهذه الأزمة أكثر من سبب فان سببها الأول والأهم هو أن كل نظام من النظم السائدة فى العالم ينظر الى الحرية بوصفها أداة عليها ان تخـدم أغراضه ، بدلا من أن يراها القيمـة الأم التى يجب أن تدور فى فلكها جميع القيم والنظم والاتجاهات » .

يحاول المؤلف فى هذا الكتاب أن يتعمق التجربة ويعيش الأزمة ويقترح العـلاج ، فالحديث عن الحرية فى مجتمعنا الحديث بما فيه من تعقيد وتناقض ، وبما فيه من أنظمة سياسية واقتصادية شتى حديث صعب لا يتيسر لكل دارس خاصة وأن كل نظام من هذه الأنظمة يزعم أنه المعبر الحقيقى عن الحرية ، وانه جماع كل التجارب الانسانية للوصول اليها .

على أن المؤلف فى معالجته لموضوع الأزمة اقتصر فى بحثه على الحديث عن النظـامين السائدين فى كثرة دول العالم وهما النظامان الرأسمالى والاشتراكى الماركسى ، ممثلا فى دول القمة المعروفة لدينا ، وهى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتى والصين ، وتتبع التطور التاريخى لكل نظام منهما . ومن خلال هذا تحدث المؤلف عن الحرية ، وماذا كان مصـيرها فى المجتمع الرأسمالى ، وماذا كان مصيرها فى المجتمع الشيوعى .

يسود الاعتقاد عنـد البعض بأن النظام الرأسمالى معنـاه اعطاء الحرية لكل فرد ليصل الى المستوى الذى يريده ، ولكن المؤلف يعطينا صورة أخرى مغايرة لما كنـا نظن ونعتقد من أحداث العنف الدامية واضرابات العمال وتعطلهم عن العمل والتفرقة العنصرية ، الى جانب ما تقوم به البرجـوازية الرأسمالية التى تملك لاستغلال الطبقة العاملة التى لا تملك ، وكيف كانت بعض شركات الاحتكار ولا تزال لها جيوشها المستقلة التى تعمل باسمها وبنوك تودع فيها أموالها وعصابات تؤيدها فى ارهاب الآمنين .

فى ضوء هذا من الممكن أن تفسر ما جرى من انكار حق

الصين (الشعبية) فى أن تصبح عضــوا فى هيئــة الأمم المتحدة ، لأن الرأسمالية الامريكية فجعت فى مصدر هام من مصادر ارتزاقها وحياتها ، فقد خسرت سبعمائة مليون زبون أفلتوا من قبضتها بعد التحول الاشتراكى الأخير وفى ضوء هذا أيضا من الممكن أن نفسر حروبا وقعت نتيجـة للتحالف الذى تم بين الرأســمالية وقوى سياسية أخرى مثل الفاشية فى ايطاليا والنازية فى ألمانيا مما كان سببا فى نشوب الحرب العالمية الثانية .

ولكن مظاهر الأزمــة فى المجتمع الشيوعى لا تقل فى خطورتها ولا فى وضوحها عن مثيلتها فى المجتمع الرأسمالى والسبب فى هذا أن الفلسفة الماركسية لا ترى وجوب وجود الحرية أو الديمقراطية الا بعد أن تزول الدولة وهى لن تزول — فى تقديرهم — الا بعد أن تتسلم البروليتاريا أمور الحكم .

فى ظل هــذه الأيديولوجية من الممكن أن نفسر جميع تصرفات ستالين ، فدكتاتورية البروليتاريا معناها سيطرة الحزب على الطبقــة العاملة ، ومعناها أيضا الطاعة أو العقاب الصارم ... ومعناها أخيرا أن الحرية لن تأتى ولا يجب أن تأتى الا بعد زوال الدولة ، وهــو أمر لم يتحقق بعد .

جوهر المذهب فى كل منهما .. ومن هنــا يقترح العلاج ، وبالنسبة للمجتمع الرأسمالى يجب على الديمقراطية أن تناضـل بالرأى والمبدأ والعقيدة ، ويجب أيضا تجنب نشوب الحرب حتى يخفف هذا من حدة التوتر فى الدخل ، وتراضى الأطراف المتنازعة ووصــولها الى حلول وسطى أو حـلول ترضى الجميع . أما المجتمع الشيوعى ، فالحل يكمن أساسا فى التخلى عن نظرية دكتاتورية البروليتاريا كلها ، وخلق المعارضـة السياسية وحرية الصحافة وبث الروح الديمقراطية فى جنبات المجتمع .

وبعد ... ما موقفنا نحن من الأزمة ؟ . ما موقف مجتمعنا العربى منها ؟ . هذا ما يجيب عليــه المؤلف فى البـاب الأخير من الكتاب ، فيناقش الميثـاق ، ويقدم المقترحات اللازمة — فى نظره — لتحقيق الحـرية . وهى وجهــة نظر نشعر أنهــا مخلصة وأمينـة . فهو يطلب ايجاد سلطة رابعــة هى سلطة الصحافة ، تعمل من أجل الاشتراكية وتحت اشرافها ، ويطلب أيضا توجيه النقــد البنــاء النزيه سواء فى مجلس الأمة أو فى لجان الاتحاد الاشتراكى أو فى المجالس الشعبية ، ويطلب أيضا تقوية الوعى السياسى وتنميته فى الريف ... ولكن قبل هذا وبعد هذا يجب أن يتوافر الضمير المخلص والنية الطيبة والقلب السليم .

والعلاج ... أن المؤلف يفترض ثبات النظامين على أن فى هذا علاجا لأزمة الحرية فى عالمنا .

سطور من كتاب ....

« ان الحرية فى الاسلام تعنى أولا تحـرير النفس من رق الهوى واستذلال الشــهوة ، تحرير ارادته أن تذله رغبــة أو تأسره نزوة أو يخضع لغير منطق العدل . تحـــرير عقله من الوهم والشك وتطهير قلبه من المرض والنفاق . والاسلام يقرر هذه الحرية الجامعة بأول نداء له « لا اله الا الله . »

... الدعوة الاسلامية دعوة عالمية



كتب وردت للمجلة

● **الدفاع الاقتصادى ضد الأطماع الاسرائيلية .**

تأليف محمد عبد العزيز ومحمد الجبالى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٤٩ ص ١٤ × ٢٠ سم الثمن ٥ قروش

● **من رواد الفن الحديث**

تأليف الدكتور نعيم عطية ، تقديم صلاح طاهر ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٧٤ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **جمال سعيد الفيلسوف الاقتصادى الراحل**

تأليف محمود متولى ، تقديم الدكتور عبد المنعم القيسونى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٣٠ قرشا

● **الدعوة الاسلامية دعوة عالمية**

تأليف محمد الراوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٥٣٥ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٦٠ قرشا

● **مخلوقات كوكبنا الأرضى**

تأليف جوزيف جارلاند ، ترجمة عبد المنعم سلام ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار نهضة مصر ، عدد الصفحات ١٣١ ص ١٤ × ٢٠ سم الثمن ١٥ قرشا

● **دليل المعلم لكيمياء الكليات**

تأليف و . ب كنج وآخرين ، ترجمة الدكتور محمود أبو العمايم وآخرين ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٥٦ ص قطع كبير . الثمن ٨٧ قرشا

● **مبادىء علم الاستراتجرافيا**

تأليف كارل أ . دنبروجون روجرز ، ترجمة الدكتور محمد يوسف حسن وآخرين ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٤٠٩ ص قطع كبير . الثمن ١٤٢ قرشا

● **حقيقة السرطان**

تأليف شارلس س . كاميرون ، ترجمة الدكتور كمال سعيد ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٣٣٦ ص ١٧ × ٢٤ سم . الثمن ٦٠ قرشا

● **المثالية الألمانية .. شلنج**

تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٣٩٠ ص ١٧ × ٢٤ سم . الثمن ٧٠ قرشا

● **فضل العرب على أوروبا**

تأليف الدكتورة سيجريد هونكة ، ترجمة وتقديم الدكتور فؤاد حسنين على ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٤٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم . الثمن ٧٥ قرشا

● **النقد التاريخى**

ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٣٠٨ ص ١٧ × ٢٤ سم . الثمن ٤٠ قرشا

● **دون كيخوته**

تأليف ثربا نتس ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٣٩٢ ص ١٧ × ٢٤ سم (الجزء الأول) الثمن ٨٠ قرشا

● **السلطان والشيطان**

تأليف محمد عطا ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **الخيال الحركى .. فى الأدب النقدى**

تأليف عبد الفتاح الديدى ، الناشر دار المعرفة ، عدد الصفحات ١٦١ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٣٠ قرشا

● **مبادىء علم النفس التربوى**

تأليف عبد المجيد عبد الرحيم ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ١٥٦ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٢٥ قرشا

● **أطلس العالم الحديث**

تأليف الدكتور فيليب رفله وأحمد سامى مصطفى ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، عدد الصفحات ١٠٨ ص قطع كبير . الثمن

● **الطب المصرى القديم**

تأليف الدكتور حسن كمال ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٥٩٩ ص ١٧ × ٢٤ سم (الجزء الأول والثانى)

الثمن ٣٥ قرشا

● **تحالف الصهيونية والاستعمار .. مقدماته ونتائجه**

تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن برج ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٨٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٩ قروش

● **أرض العرب**

تأليف محمود سامى أحمد ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٢٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ٦ قروش

● **دراسات فى الأدب العربى المعاصر**

تأليف يوسف الشارونى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٦٧ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ١٢ قرشا

● **كلهم أولادى**

تأليف آرثر ميلر ، ترجمة حسن عبد المقصود حسن ، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الغنى عبد الله خلف الله ، الناشرالدار المصريةللتأليف والترجمة عددالصفحات١٩٥ ص ١٤ × ٢٠ سم (روائع المسرح العالمى)

الثمن ٥ قروش

● **واحدة تكفى**

تأليف مصطفى أبو النصر ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٠٩ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **نافذة على الكون**

تأليف الدكتور امام ابراهيم احمد ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٣٣ ص قطع صغير (المكتبة الثقافية)

الثمن قرشان

● **التربية من أجل السلام**

تأليف هربرت ريد ، ترجمة حمزة محمد الشيخ ، مراجعة الدكتور عطية محمود ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٠٢ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٧و٥ قرشا

● **القوى النووية**

ترجمة الدكتور يونس صالح سليم ، مراجعة الد محمود احمد الشربينى ، الناشر مشروع الالف بالاشتراك مع دار الفكر العربى ، عدد الصف ٢٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٥و٥ ة

● **انحراف فى قصر العدالة والملكية والمتمردون**

تأليف أوجوبيتى ، ترجمة كامل صليب ، مراجعة محمود ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع النهضة العربية ، عدد الصفحات ٢٥٠ ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٠و٥

● **مع كابى وفرقته**

تأليف هكتور مالو ، ترجمة نوال محمد حبيب مراجعة عبد الحميد الدواخلى ، الناشر مشروع كتاب بالاشتراك مع دار الفكر العربى ، عدد الص ١١٢ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١١

● **أوقات عصيبة**

تأليف تشارلز ديكنز ، ترجمة الدكتور نظمى لو مراجعة على أدهم ، الناشر مشروع الالف ك بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، عدد الص ٤٢١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٦و٥

● **الحثيون**

تأليف أ . ر . جرنى ، ترجمة الدكتور محمد القادر محمد ، مراجعة الدكتور فيصل الوائل الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مطبع البلاغ ، عدد الصفحات ٢٨٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٩و٥ ة

● **الحلى فى التاريخ والفن**

تأليف الدكتور عبد الرحمن زكى ، الناشر ا المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٣ قطع صغير (المكتبة الثقافية)

الثمن قر

● **نظرة جديدة الى الحرب**

تأليف ليدل هارت ، ترجمة اكرم ديرى ، مراجعة حماد ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، الصفحات ٢٦٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٥ ة



العدد الثاني عشر

٨ محـــرم ١٣٨٥

١٠ مـــايو ١٩٦٥

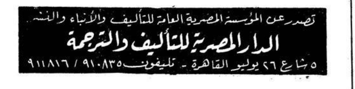
رئيس التحرير
علي أدهم

مدير التحرير
حسن كامل الصيرفي

سكرتير التحرير
جمال بدران

الاشـــتراك السنوى عن ١٢ عـــددًا بالجمهورية العربية المتحدة ٣٦ قرشا - الاشتراكات عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

فى هذا العدد





نصر

أو بيت الظرفاء وفن ترجنيف

رواية ليزا أو بيت الظرفاء – وهو الاسم الذى اشتهرت به فى أدب الغرب – احدى طرائف الكاتب الروائى الروسى الكبير ايفان ترجنيف ، بل هى فى التقدير العام لأدبه تعد أكثر رواياته استيفاء لشرائط الفن الصحيح ، واجملها وقعا فى نفوس قرائه ، وقد أيد هذا الحكم معظم النقاد الذين تناولوا أدب ترجنيف سواء فى ذلك النقاد الروسيون وسائر نقاد الغرب ، وهذه الرواية فى مجموعها تحفة فنية نادرة ، بديعة الصنعة ، جميلة البناء ، سلسة السرد ، وبرغم أنها تصف مجتمعا قد مضى عهده وذهبت تقاليده الى غير رجعة واختلفت طبيعة مشكلاته عن مشكلات عهدنا الحاضر الا أن ما بها من قدرة فائقة على تصوير العواطف الانسانية الكامنة وراء صور المجتمعات المتغيرة واختلاف ألوان الحضارات يجعلها من الروايات الانسانية الخالدة التى لا ينال منها توالى الأيام وتقلب الأحداث مثل هملت ودون كيشوت وفاوست وغيرها من الطرف الانسانية الخالدة .

وتدور القصة حول شخصية لافرتسكى احد الملاك الروسيين المثقفين وهو يعيش مع زوجته فارفارا باڤلوڤنا السادرة اللاهية فى فرنسا ، وتشاء المصادفة أن يقف لافرتسكى على ما يثبت خيانة زوجته له ، فيعود الى روسيا حزينا موجع القلب ، وتنشأ علاقة حب بينه وبين ليزا تلك الفتاة الوديعة الجذابة الورعة المخلصة ، ويبدع ترجنيف فى وصف نشوء هذا الحب الساجى العميق بين الزوج الكريم النفس الطيب القلب المخدوع فى زوجته العابثة وبين ليزا التقية النقية التى جمعت بين جمال الخلق وصفاء النفس ، وتأتى الأخبار من الخارج الى لافرتسكى بأن زوجته قد توفيت فى حادثة تصادم ، ويستعد العاشقان للزواج ، ولكن زوجة لافرتسكى تظهر فجأة ، ويتضح أن خبر وفاتها لم يكن سوى اشاعة كاذبة روتها بعض الصحف الباريسية ، فيستسلم المحبان للقضاء وتذهب ليزا فى أعقاب ذلك الى الدير .

ويستطيع القارىء البصير ان يتبين خلال متابعة أحداث الرواية ذلك المزاج الحزين الغالب على طبيعة ترجنيف ونزعة السخرية المستولية عليه وهو يتأمل فى هدوء نفاذ المعركة اليائسة التى تخوض غمارها الفضيلة فى عالم تسوده المطامع والأهواء ، وثمرات الأدب العظيم فى مختلف العصور ترينا الصراع المرير القائم بين حب الحق والتعلق بالمثل العليا . وبين ايثار المصلحة الذاتية والمنافع الموقوتة ، وتكاد تكون طيبة النفس ونزاهة القصد سلاحا مفلولا بازاء خبث الدهاة الماكرين ونكر القساة المحتالين ، وكثيرا ما نرى فيها النبل صريع عدم التردد والخير مغلوبا على أمره أمام قوة الشر ، وتجربة ترجنيف تتفق فى صميمها مع تجارب البشرية فى ماضيها الحافل الطويل ، ولكنها ترينا فى الوقت نفسه أثر العوامل الروحية التى تضىء

تأليف : ايفان ترجنيف
ترجمة : سليم الأسيوطى
مراجعة : مصطفى حبيب

الناشر : دار النهضة العربية ش ١٩

بقلم : رئيس التحرير



كوميض البروق فى ظلام الحياة ، وبرغم انتصار دوافع الاثرة وعوامل الشر فان ترجنيف بحزنه وسخريته يقوى عطفنا على القيم الروحيـــة ويزيدنا حرصا عليها وتعلقا بها .

ويصف لنا ترجنيف نشـــأة لاڤرتسكى واحوال أسرته وعلاقة ابيــه ايڤان بتروڤتش بجده أندريه بتروڤتش ، وغضب جده لزواج أبيه من مالانيـــا سيرجيفيا والدة فيـــدور لاڤرتسكى ، وكان والد لاڤرتسكى من المتأثرين بآراء ڤولتير وديدورو وروســـو وهالفتياس ، وكان تأثره بآراء هؤلاء المفكرين مما ساعد على توسيع شقة الخلاف بينه وبين أبيه الذى كان يمقتهم جميعا دون ان يقرأ كلمـــة واحدة من كتاباتهم شـــأن الشـــيوخ المتعصبين والآباء المستبدين وقد قضى ايڤـــان والد لاڤرتسكى شطرا كبيرا من حياته فى خارج روسيا ، ولمـا عاد الى روسيا من باريس حينما بلغه نعى أبيه كان مفتونا بالعادات الانجليزية ، وبرغم جنـونة بكل ما هو انجليزى كان محبا لوطنه مخلصا له راغبا فى اصلاح أحواله .

ويصف ترجنيف فيـــدور لاڤرتسكى فى طفولته فيقول عنه « لم يكن بين القوم أحـــد يدعو فيديا طفلا لطيفا فقـــد كان أميل الى الشحوب وان كان بدينا ردىء البنيان ثقيـــلا فلاحا روسيا أصيلا ، وكان من الممكن أن يزول الشحوب عن وجهه اذا ما سمحوا له بالخروج فى الهواء الطلق النقى أكثر مما فعـلوا ، وقد وعى دروسه جيدا على الرغم من أنه كان كسولا معظم وقته ، ولم يكن البكاء من شيمه ، ولكن كان يحدث أحيانا أن يظهر عنادا عنيفـــا ، وفى هذه الأوقات لم يستطع أحد أن يفعل شيئا من أجله ، فان فيديا لم يحب شخصا واحدا من الكثيرين الذين يحيطون به ، واحسرتا على ذلك القلب الذى لم يحب فى صباه » .

واتبع أبوه فى تنشئته الطريقة الاسبرطية قائلا « انى اريد قبل كل شىء وفوق كل اعتبار ان اجعل منه رجلا ، وليس رجلا فحسب بل رجلا من اسبرطة » ونفذ هـذه الخطة ، وقد أفاد هذا النظام الفلام من الناحية الصحية ولكنه أربك ذهنه وشل عقله ، واضمحلت صحة أبيه واصابه مرض عضال طال أمده وقضى عليه فى

النهاية ، وكان لافرتسكى حينذاك فى الثالثة والعشرين من عمره .

وذهب لافرتسكى الى موسكو بعد وفاة أبيه ، وادرك عيوب تربيته ، وعقد العزم على استدراكها ، وكان قد قرأ كثيرا فى السنوات الخمس الأخيرة وشهد الكثير بعينى رأسه ، وجالت بخاطره أفكار كثيرة ، ولكنه مع ذلك كان يجهل ما يعرفه لداته وأترابه من أحوال الحياة العادية وشئونها المألوفة ، ولم يكن يعرف كيف يتصرف مع مواطنيه ، وكان قلبه يتحرق شوقا الى الحب ، ولكنه كان فريسة للحياء الشديد ، فلم يجترىء على النظر الى وجه امرأة ، وكان ذلك كله نتيجة العزلة التى فرضها أبوه عليه وتلك النشأة الاسبرطية التى لم تكن ملائمة من أكثر نواحيها لأحوال عصره.

وحدث فى أثناء دراسته الجامعية انه كان جالسا ذات مساء فى المسرح ، فأبصر فتاة فى احدى مقصورات الطابق الأول ، وكانت كما يصفها لنا ترجنيف « ساكتة هادئة تتكىء على الحاجز المغطى بالقطيفة ، وكان ماء الحياة يترقرق فى محياها ويشرق على قسمات وجهها الجميل واحساس فنى يشع من عينيها البهيتين اللتين كانتا تتطلعان بنظرة ملؤها الحنان والاهتمام من تحت حاجبين مكحولين برقة كما شع هذا الاحساس الفنى فى ابتسام شفتيها المعبرتين وفى حركات رأسها وذراعيها وجيدها».

أحب لافرتسكى هذه الفتاة حبا عارما ، وفتن بها فتنة شديدة ، وعرف اسم الفتاة من احد اصدقائه ، وكان اسمها فارفارا بافلوفنا كوروبين ، وكان معها فى المقصورة والدها ووالدتها ، وقال له صديقه الذى كان يعرف أسرة الفتاة حينما علم افتتانه بها « انها فلتة بين لداتها حباها الله النبوغ ، وهى فنانة بالمعنى الحقيقى للكلمة وبالاضافة الى ذلك فهى مخلوق ظريف يحب » ، ولم يستطع لافرتسكى مقاومة العاطفة التى استولت عليه وغالب حياءه حتى غلبه وصحب صديقه فى زيارة لآل كوروبين ، وتم زواجه بها .

ويصف ترجنيف والد الفتاة بقوله « كان والد فارفارا بافلوفنا بافل بتروفتش كوروبين لواء متقاعدا ، قضى فى الخدمة العسكرية فى سانت بطرسبرج طوال سنى حياته تقريبا ، وفى باكورة شبابه كان يستمتع بالشهرة بانه راقص قدير ومدرب ماهر ، ولكنه لما كان فقيرا جدا فقد اضطر ان يعمل ياورا مع لوائين او ثلاثة نالوا حظا ضئيلا من الشهرة ، وزوجه أحدهم ابنته ومعها بائنة بلغت خمسة وعشرين ألف روبل ، وبعد ان ملك ناصية علم المراسم والاحتفالات فى ادق تفصيلاتها استمر فى توسيع نطاق عمله حتى بلغ النهاية ، فبعد خدمة عشرين عاما وصل الى رتبة اللواء على رأس فرقة عسكرية ، وحتى هذه المرحلة كان يمكنه التقاعد ويدعم حياته فى هدوء ، وهو فى الحقيقة ركن الى هذا الوضع ، ولكنه صرف شئونه بطريقة تخلو من الحنكة والحصافة الى حد ما ، ويبدو أنه كشف طريقا جديدا فى النظر الى الأموال العامة، وقد بدت هذه الطريقة ممتازة ، ولكن لما كان تنقصه الدربة فان سلوكه فى شئون المال لم يكن سليما صحيحا ، ولذا فقد بثت العيون من



حوله تراقبه وتجمع المعلومات ضده ، وتلا ذلك ما هو اكثر من مكروه ، فقد وقعت فضيحة انتهت به الى الخراب والبوار ، وعلى اية حال من الأحوال فان اللواء نجح فى الافلات من مأزقه والخلاص من ورطته ، ولكن تقدمه فى عمله وقف عند هذا الحد ، فقد أوصى بالتقاعد من الجيش العامل ، وعاش ما يقرب من العامين فى سانت بطرسبرج آملا أن يهبط عليه من السماء مركز مريح أنيق ولكن مثل هذا المركز لم يكن من نصيبه .. وبدأ بافل بتروفتش يرتاد الصالونات حيث تلتقى صفوة المجتمع المختارة فى موسكو ، وكان مظهره البدانة ، ولكنه لم يكن يخلو من الصفات العسكرية ، .. وادرك بافل بتروفتش كيف يحتفظ بكيانه فى المجتمع ،

وكان يتحدث قليلا ولكن دائما وكشأنه فى ماضيه كان يتحدث من خلال أنفه ، ما عدا طبعا عندما كان يتحدث الى من هم أرفع منه مقاما ، كان يقامر بحكمة واحتراس وكان يتوخى الاعتدال عندما يتناول طعامه فى بيته ، ولكن اذا دعى الى مأدبة كان يبدو أنه يتغذى لستة أشخاص ، أما زوجه فلا يمكن ان يقال عنها شيء أكثر من أن اسمها كاليوبا كارلوفنا وان دمعـــة كان تترقرق فى عينها اليسرى ، وبفضل هذه الدمعة كانت تعتبر نفسها امرأة مشبوبة العاطفـة ، وكانت تنحدر من أصل المانى ، وكانت تبدو كانها تخشى دائما حدوث شيء ما وكأنها لا تملك ما يمسك رمقها وترتدى دائما ثوبا ضـيقا من القطيفة وتغطى راسها بقبعة وتزين ذراعهـــا بسوار من معدن رقيق » .

وهكذا وصف لنا ترجنيف الخلفية الاجتماعية التى نشـــأ فيهـــا لافرتسكى والتى تكونت فيها أخلاق فارفارا فاقلوفنا ، ومن خلال هـذا الوصف تستبين لنا العوامل التى كونت أخلاق لافرتسكى وأثرت فى طبـاع فارفارا فاقلوفنا ، ولكن ترجنيف وهو يحدثنا عن ميولها الدنيوية ونزعاتها الحسية يشيد بجمالها الجسدى الفتان وفتنتها الصارخة .

ويصف ترجنيف لقاء لافرتسكى لزوجته بعد عودتها الفجائية بقوله « كان أول ما لفت نظره فى البهو رائحة الباتشولى ، وهى عطر كان يمقته أشد المقت ، كما لاحظ ان عددا كبيرا من حقائب الملابس الضـــخمة والصناديق يقـــوم هناك ، ولمح تعبيرا عجيبا على وجه الخادم الذى أقبل مسرعا للقائه ، ولم يتوقف لتحليل انطباعاته ولكنه ذهب مباشرة الى حجرة الاستقبال وكانت سيدة تجلس على الأريكة وترتدى ثوبا حريريا أسود ذا حواش يغطى وجهها الشاحب الى نصفه منديل من الكبريت (قماش من التيل الرفيع) نهضت تلك السيدة وسارت خطوات نحوه لتلقاه ، وحنت راسها وقد سوت غدائر شعرها بعناية وطيبتها بالعطر ، ثم خرت ساجدة عند موطىء قدميه ، وحينئذ ولأول وهلة عرفها ، لقد كانت تلك السيدة زوجته ، فتوقف تنفسه واعتمد

على الحائط ، فقالت بالفرنسية وقد مزق صوتها نياط قلبـــه كما تمزق المدية « لا تقصنى عنك يائيودور » فنظر اليها دون أن يدرك ما راى ، ومع ذلك فقد لاحظ فى الوقت نفسه وعلى الرغم منه أنها قد زادت شحوبا وبدانة عما كانت عليه من قبل ، واستمرت قائلة وهى ترفع عينيها من آن لآخر نحو السماء وأصابعها المتناهية فى الجمال ذات الانامل التى صبغت أظافرها باللون الوردى تتلوى بآلام شديدة متعمدة « يائيودور ! ثيودور انا مذنبة امامك مغرقة فى الذنب ، وأزيد على ذلك اننى مجرمة ، ولكنى أناشدك ان تسمع الى ما يجب ان أقول ، ان الندم يعذبنى ، لقـــد اصبحت حياتى عبئا ثقيلا ينقض ظهرى ، ولم اعد قادرة على احتمال ما أنا فيه ، كم من مرة فكرت فى الكتـــابة اليك ، ولكنى كنت أخشى غضبك ، وقد عقدت العزم على ان أقطع كل صلة لى بالماضى » وأضافت قائلة بالفرنسية وهى تمر يدها على جبينها وخدها « وزيادة على ذلك كنت مريضة جدا ، لقد اغتنمت فرصة انتشار خبر موتى فى الخارج وتركت كل شيء ودون أن أتوقف فى اى مكان ، سافرت آناء الليل وأطراف النهار لأجيء الى هنا سريعا ، ولقد ظللت وقتا طويلا فى شك مما اذا كنت سأظهر أمامك ، وأنت قاص ولكن عزمى قر فى النهاية على الذهاب اليك ، وذهنى لا يغيب عنه صلاحك الدائم الدائب ، وعثرت على عنوانك فى موسكو » واستمرت فى حديثها قائلة وهى تنهض فى هـــدوء من الأرض وتجلس على حافة المقعد تماما « صدقنى » طالما فكرت فى الموت ، وكانت لدى الشجاعة الكافية لأحرم نفسى من الحياة .. آه .. ان الحياة حمل يبهظ كاهلى الآن ، ولكن التفكير فى طفلتى ، فى طفلتى الصغيرة آدا منعنى ، وهى الآن نائمة فى الحجرة المجاورة ، الطفلة المسكينة ، لقد أضناها التعب ، وستراها هلا فعلت ؟ هى على اية حـــال من الأحوال هى بريئة امامك وتعسة ، تعســـة جدا ، وهكذا صاحت مدام لافرتسكى ثم انفجرت باكية » .

ويمضى ترجنيف فى تصوير هـــذا الموقف الدرامى قائلا « استعاد لافرتسكى وعيه فى النهاية، ثم وقف بعيدا عن الحائط واتجه نحو البـــاب ،

فصاحت زوجته قائلة بلهجة اليأس « أأنت ذاهب ؟ آه ان ذلك لقاس ، وان من القسوة ان تذهب دون أن تقول كلمة واحدة لى ، ولو كلمة تأنيب ، أن هذا الاحتقار يقتلنى ، انه لرهيب » وتوقف لاڤرتسكى ، وقال لها فى صوت أجوف « ماذا تريدين منى ان أقول لك ؟ » فصاحت قائلة فى نشاط « لا شيء ، لا شيء ــ انى أعلم انه لا حق لى فى طلب شيء ، ولست بلهاء صدقنى ، انى لا آمل ، بل لا أجرؤ أن آمل فى الغفران ، ان كل ما أرجوك اياه هو ان ترشدنى الى ما يجب ان أعمله ، والى أين يجب على ان أعيش ، انى سأذعن لما تأمرنى به كما يذعن العبد مهما كان هذا الرأى الذى تأمر به » .

فأجابها لاڤرتسكى باللهجة نفسها التى كان يتحدث بها من قبل « ليس عندى ما آمرك به ، انك تعلمين أن كل ما كان بيننا قد انتهى ، والآن اكثر من كل وقت مضى ، ويمكنك الحياة حيث يحلو لك ، واذا كانت المنحة التى أجريتها عليك صغيرة بحيث » .

فقالت مقاطعة « آه ، لا تقل أمثال هـــذه الأشياء المرعبة ، اصفح عنى ، وليكن صفحك عنى من أجل هذا الملاك وحده » .

وبعد ان نطقت ڤارڤارا باڤلوڤنا بهذه الكلمات، اندفعت فجأة الى الحجرة الأخـــرى وعادت فى الحال وفى ذراعيها بنية صغيرة فى ثياب حسنة الذوق ، وكانت خصلات شعرها الكستنائيـــة تتدلى حول وجهها الوسيم الصغير المتورد ، وفوق عينيها الواسعتين السوداوين الناعستين، فطرفت فى الضوء وتعلقت بجيد امها بذراع ممتلئة صغيرة .

قالت ڤارڤارا باڤلوڤنا بالفرنسية وهى تزيح خصلات الشعر عن عينى الطفلة وتقبلها مشيرة « آه ، انظرى هذا هو أبوك ، توسلى اليه معى » .

بدأت الفتاة الصغيرة تقول فى لثغة بالفرنسية « أهذا هو أبى هناك ؟ » .

أجابتها امها بالفرنسية ايضا « اجل يا طفلتى ألا تحبينه ؟ » .

ولكن هذا اللقاء اصبح فوق ما يطيقـــه أو يحتمله لاڤرتسكى ، فتمتم قائلا « اية مأساة مشجية التى تحدث هنا ؟ ثم غادر الحجرة » .

ويرينا ترجنيف خلال هذا الموقف الفارق الكبير بين شخصية ڤارڤارا باڤلوڤنا التى تحسن اغتنام الفرص وتجيد تمثيل التظاهر بالتـــوبة وادعاء الشعور بالندم وشخصية ليزا الوفيـــة المخلصة الورعة الصالحة .

وفى وصف ترجنيف لشخصية بانش الذى كان يطمع فى الزواج بليزا قبل أن يعود لاڤرتسكى من فرنسا الى روسيا يجرى على طريقته فى بيان أحوال الأسرة التى نشأ فى احضانها فيقول عن ابيه « كان والد بانش وهو ضابط متقاعد من سلاح الفرسان اشتهر بين لاعبى الورق من المغامرين ذا وجه مضن وعينين كليلتين وتقلصات عصبية حول شفتيه ، وظل طوال حياته يدور دائما فى دائرة من مشاهير القوم ويغشى المنتديات الانجليزية فى العاصمتين ، ولما كان يعتبر على العموم رجلا ذا كفاية ورفيقا ممتعا رغم انه ليس شخصا يمكن الاعتماد عليه فى ثقة ، وعلى الرغم من كفايته كان دائما على حافة هاوية الخراب ، وفى النهاية لم يترك بعده لابنه الوحيد سوى أملاك صغيرة غارقة فى الديون ــ أما فيما يتعلق بتربية هذا الابن فعلى أية حال من الاحوال وبطريقتـــه الخاصة فقد كابد فيها متاعب جسيمة .. وقام بعدة اتصالات نافعة من اجل ولده ، وبينما هو يخلط أوراق اللعب بين قطعتين من المطـــاط أو بعد كأس مترعة سعيدة الحظ لم يكن ليضيع فرصة قط فى ان يقول كلمة صـــغيرة عن .. « ڤولودكا انه شخصية هامة من عاشقى العاب المهارة » .

ويرينا ترجنيف ان بانش كان لابد له ان ينجح فى شق طريقه الى النجـــاح فى الحيـــاة الدنيوية ، فقد كانت براعته المصقولة وكياسته وسعة حيلته لا يضعفها اى لون من الوان الشعور بالاستقامة الفكرية ، ولا ينال من برود طبعه اى

تحمس للعطف على ذوي المواهب الذين لا يصادفهم التوفيق وتقسو عليهم الظروف ، فهو فى حياته الاجتماعية والحكومية من طراز الوصـــوليين ، وكان يتظاهر بالميل الى آراء الحربين الغربيين لأن ذلك الادعاء كان النغمـــة الغالبـــة فى تيار السياسة الصاعدة ، ولولا ذلك لأخفى آراءه ودان بالمذهب السياسي الذى يكفل له النجاح وتحقيق مطامعه ، وفى مدى عشر سنوات تغيرت سياسة الدولة ورات الحكومة القيصرية اتخاذ اجراءات رجعية شديدة ، فاخذ بانش فى التحول عن آرائه الحرة وتسويغ خطة الحكومة فى الحجر على الحريات ، ويزيدنا ترجنيف معرفة بحقيقة اخلاق بانش بحديثه عن الموسيقار الألمـــانى العبقرى العجوز الفقير ليم ، فهذا الرجل الفذ برغم عبقريته واخلاصه لفنه لم يستطع ان يظفر بالشهرة او ان ينال نصيبه من النجاح لأنه لم يحسن اغتنام الفرص وتصيد المناسبات ، فعاش فقيرا فى عزلة ، وكذلك فى تصويره لأخلاق ليزا يرينا الهاوية الواسعة بينها وبين بانش المتقدم لخطوبتهـــا ، وترددت ليزا فى بادىء الأمـــر فى الاستجابة لتقربه منها لأنها كانت فتاة بريئة غير مجربة ، فلما جاء لافرتسكى من الخارج شعرت بالفارق بين شخصية الرجلين وبادلت لافرتسكى حبا بحب ورفضت قبول خطبة بانش .

وفى نهاية القصة تلوذ الفتاة المثاليـــة ليزا بحمى الدير ويستسلم لافرتسكى لحكم القـــدر وهو حزين النفس لاخفاق سعيه وخيبة أمله ، وفى الوقت نفسه تبـــدأ صـــداقة بين بانش وفارفارا باقلوفنا .

ويزور لافرتسكى دار آل كاليتين والد ليزا بعد مرور ثمانى سنوات على دخولها الدير ، فيرى أن كل شىء قد تغير فى الدار وصار ينسجم مع سكانها الجدد ، وظل لافرتسكى واقفا ببوابة الدار دون حراك بعض الوقت وهو يحملق بعينين فاحصتين ، وصعد الدرج ببطء ، « ولكن انفتح باب حجرة الاستقبال فجأة على مصراعيه وخرجت شورتشكا تعدو من الحجرة وقد اصطبغ لونها بحمرة الورد واندفع خلفها كل أفراد العصـــبة الشابة يتصايحون بصيحات مجلجلة ، وفجـــأة وعند رؤية غريب مجهول توقفوا وخيم عليهـــم الصمت وتقدم شقيق ليزا وسأل الزائر ماذا عسى ان يفعله من اجله .

فقال الغريب « أنا لافرتسكى » .



وسر الشبان جميعهم لا لوصول احـــد الأقرباء البعيدين الذى كاد يطويه النسيان وانما لأنهم كانوا مستعدين ليهللوا ويضحكوا لكل حدث، وسأل لافرتسكى عن بعض افراد الأسرة واصدقائها فعلم أن اكثرهم قد غاله الموت ، وسأل بجهد عن ليزا فعلم أنها كانت مريضة وانها ما زالت فى الدير نفسه ، ويصف لنا ترجنيف لافرتسكى حينما خرج الى الحديقة التى طالما جلس فيها مع ليزا فيقول « خرج لافرتسكى وذهب الى الحديقة وجلس على المقعد الطويل الذى عرفه جيد المعرفة وهناك فى تلك البقعة الحبيبة وعلى مرأى من ذلك المنزل الذى فيه على غير طائل وللمرة الأخيـــرة قد مد يديه الى كأس الأمل التى حفها حبب خمر الهناءة الذهبى المتلألىء ، انه وحيد جائل شريد لا يستقر له قرار ، وصيحات الجيل الجـــديد الشاب المرحة التى قد نسيته من زمن بعيد جاءت تتطاير الى اذنيه وحملقت فى أناة وثبات الى ماضى حياته ، واعتصر الأسى قلبه ولكنه قد تحرر الآن من كل احساس بالألم الماحق فلم يعد له ما يخجله، وتعددت بين يديه أسباب السلوى ، ففكر قائلا « اســـتمرى فى فرحك ايتها الأرواح الشـــابة العارمة ! » ولم يكن فى افكاره شائبة الحقد « ان المستقبل فى انتظاركم وطريقكم فى الحياة عبر ذلك المستقبل أيسر وأسهل نسبيا ، وسوف لا ترغمون كما ارغمنا على أن تتلمسوا طريقكم لتناضـــلوا وتسقطوا وتهبوا من سقطتكم فى ظلام مطبق ،

كان فرضا علينا أن نكد ونجرع الألم فى الكد بما لنا من وسائل وأن نثبت أمام الأعاصير حتى النهاية وما أكثر الذين لم يصمدوا بيننا ! ولكن دوركم فى الحياة هو العمل وسوف تكون بركات الشيوخ من أمثالى معكم .. » .

ويختم ترجنيف روايته بقوله « ترامت الأنباء أن لاڤرتسكى قد زار الدير النائى الذى اختفت فيه ليزا ورآها وبينما كانت تعبر من خورس الى آخر مرت على مقربة منه وسارت قدما فى ثبات وبخطوات الراهبة الصامتة السريعة ، ولم تلتفت اليه ، ولم ير سوى خلجة كادت لا تلحظ ، تحرك أهداب العين الظاهرة له وهى ما زالت تخفض وجهها الشاحب أكثر وأكثر وأصابع يديها المعقودتين مزمومة فى سبحة صلاتها ، وما زالتا تضغطان بعضهما بعضا أكثر فأكثر ، ما الذى يراود فكر كل منهما ؟ وأى احساس يستشعرانه؟ من يدرى ؟ من سيخبر ؟ ان للحياة لحظاتها ولها مشاعرها التى قد تبيح لأنفسنا الاشارة اليها ، ولكن ليس من الخير أن نتحدث عنها طويلا » .

وقد أجاد ترجنيف تصوير الشخصيات المختلفة فى روايته سواء فى ذلك الشخصيات الرئيسية والشخصيات الأقل أهمية ، كما وفق فى خلق الجو المناسب لحوادث الرواية ، وهو لا يضحى بحقيقة الحياة من أجل الفن ولا يفسد طبيعة الفن كذلك من أجل الحياة ، ويعمل على المحافظة على التوازن بينهما ، فهو الى جانب وصف ڤارڤارا يا ڤلوڤنا بفتور العاطفة والزيف والرياء لا يتردد فى الاشادة بمفاتنها الجسدية ، ولا ينكر عليها الذكاء الخلاب ، فهى تمثل المرأة الدينوية الطموح ، وكتابه « مذكرات صياد » الذى سجل فيه انطباعاته عن حياة الفلاحين الروسيين وعلاقتهم بالسادة الاقطاعيين بطريقة فنية خالصة خالية من أساليب الدعاية كان من أسباب الغاء نظام رقيق الأرض فى روسيا وقد قرأه القيصر الاسكندر الثانى قبل ارتقائه عرش القياصرة وتأثر به تأثرا شديدا وعقد العزم على الغاء نظام الرق متى أصبحت أزمة الأمور بيده ، وترجنيف لا يسهب فى تحليل نفسية أبطاله وشخصياته على طريقة دستوڤسكى ولكنه بلمسات سريعة من ريشته يصور فيها ملامح وجوههم ونظرات عيونهم واشارات حركاتهم وطريقتهم فى الحديث واتجاهات أفكارهم يكشف لك بواعثهم الداخلية وما يعتمل فى نفوسهم فتتمثل لك شخصيتهم واضحة فى مختلف ظلالها وقد كان ترجنيف نفسه من طبقة السادة الملاك الروسيين ولكنه فى الوقت نفسه كان فى طليعة الأحرار الروسيين ، وكثيرا ما يشير النقاد الى تأثر ترجنيف بالثقافة الغربية ولكن ترجنيف أثر كذلك فى الأدب الأوربى والأدب الأمريكى ومن أشهر الكتاب الانجليز والأمريكيين الذين قدروا فنه وحاكوه فى طريقته جالزورثى فى انجلترا وهنرى جيمس وهاولز فى الولايات المتحدة ، وبرغم تأثر ترجنيف بثقافة الغرب ظل فى صميمه روسيا خالصا من فرعه الى قدمه .

وقد أحسن الأستاذ سليم الأسيوطى باختياره نقل هذه الرواية الشائقة الى اللغة العربية ، ووفق فى النقل الى حد بعيد ، واستطاع أن يجمع بين الأمانة فى النقل وتحرى الدقة وحسن الأداء ، وقد اعتمد فى ترجمته على سدن راسلتون الذى قام بترجمة هذه الرواية من اللغة الروسية الى اللغة الانجليزية فى سنة ١٨٦٩ وكنت أفضل أن يرجع الى ترجمة السيدة كونستانس جارنت لأنها أحدث عهدا وقد قامت السيدة المذكورة فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر بنقل مؤلفات ترجنيف الروائية جميعها الى اللغة الانجليزية ، وظفرت ترجمتها بتقدير نقاد الأدب الانجليزى وأصبحت الترجمة التى يعتمد عليها ويرجع اليها ، ولم تخل ترجمة الأستاذ برغم ما بذل من جهد مشكور من بعض الهنات والأخطاء ففى صفحة ٩ « كانت أختا لأبيها » والأصح هنا أن يقول كانت عمتها فان العمة هى أخت الأب ، وفى صفحة ٢١ يقول «كان ذا وجه مضنى» والصواب حذف الياء واحلال التنوين محلها وفى صفحة ٢٣ يقول « لم يباه أبدا » واستعمال « أبدا » هنا من الأخطاء الشائعة والصحيح أن يقول « لم يباه قط » وقد تكرر هذا الخطأ كثيرا فى خلال الترجمة ، وفى

صفحة ٤٥ « كان فهما مريعا » والصحيح مروعا

وفى صفحة ٤٢ « هل ستقيم بين ظهرانينا طويلا » والاستفهام بهل ينصب على المستقبل فلا داعى هنـا لدخول السين ، واذا كان المقصود الحاضر فيكون الاستفهام بالهمزة لا بهل وقد تكرر هذا الخطأ كثيرا فى صفحات الكتاب .

وفى صفحة ٤٩ خطأ فى فهم النص الانجليزى أدى الى خطأ فى الترجمة يوقع القارىء فى حيرة فهو يقول « فدفع بها الى قبرها فى النهاية وهى التى على الرغم منها كانت تشتبك معه فى عراك مستمر لم تستطع الصبر عليه طويلا حتى تبقى على قيد الحياة » والترجمة الصحيحة هى ان الشىء الذى لم يعمله هو انه لم يدفعها الى القبر، وكيف يكون قد دفعها الى القبر وقد توفيت بعـــده ؟

وفى صفحة ٥٠ « ولو انه كان موتها » وقد ترجم الأستاذ سليم كلمة death فى الأصل بالمعنى الحرفى لها وهو الموت والمقصود هنا المضايقـــة الشديدة لا الموت وهو معنى اصطلاحى فى اللغة الانجليزية فالصحيح ان يقول « ولو انه كان يضايقها أشد مضايقة » .

وفى الصفحة نفسها يقول « كانت زوجـــة بطرس .. مخلوقا هادئا » ولماذا لم تكن « مخلوقة هادئة » ما دامت أنثى ؟ وليست صيغة «مخلوق» مما يتفق فيه المذكر والمؤنث .

وفى صفحة ٥٢ « انتقل فجـــاة من مركز الوريث الفنى » والصحيح الوارث وقد نبه على هذا الخطأ اليازجى واسعد داغر والزعبـــلاوى وغيرهم من علماء اللغة .

وفى صفحة ٥٣ « كان قاصرا عليهما » وقصر فعل متعد والصواب « كان مقصورا عليهما » .

ومن الخطأ فى الترجمة صفحة ٥٨ قوله « وضع حقا موضع التنفيـــذ » وبالرجوع الى الأصل ينبغى أن تكون الترجمة الصحيحة « قد وضع حقا تعليماته موضع التنفيذ » .

وفى صفحة ٦٧ « باهتة لا لون لها » والصواب حائلة أو فاصلة .

وفى صفحة ٧١ « ويظنه أبلها » والصواب ابله لأنها ممنوعة من الصرف .

وفى صفحة ١١٢ « لا تنسى يافديا » وفديا مذكر فالصواب حذف الياء .

وفى صفحة ١١٣ « وحـــدق فى الوديان » ووادى تجمع على أودية وأوداء .

وفى صفحة ١٢٥ « الحيـــاة الهادئة التى تحوطه » وتحوطه معناها تحفظه والمقصود هنا حسب النص الانجليزى « تحيط به » .

وفى صفحة ١٣٣ « راق لها » والصـــواب راقها لأن راق فعل متعد .

وفى الصفحة نفسها خطأ فى الترجمـــة وهو قوله « وشكرا لوالـــده » ترجمـــة للاصطلاح الانجليزى thanks to ومعناها هنا « نتيجـــة للطريقة التى اتبعها والده فى تربيته » واستعمال كلمة « الشكر » هنا من الأخطاء السيئة الدلالة .

وفى صفحة ١٤٠ آثر الأستاذ المترجم أن يستعمل لفظة « ولوع » فى مقابل كلمة dil-le-tante وقد جرت العادة باستعمال لفظة « هاو » .

وفى صفحة ١٧٧ « هـــل قرات اوبرمام » والصواب « اوبرمان » وهى قصة قائمـــة على مجموعة من الرسائل من تأليف سينانكور وهى من الآثار الادبية المشهورة فى ادب النزعـــــة الرومانتيكية وقد اعجب بها الناقد الانجليزى المعروف ماثيوارنولد .

واكتفى بهذا القدر من الأخطاء وارجـــو أن يفيد منها الأستاذ المترجم فى الطبعات القادمة ، ولا ينتقص هذا من تقديرى لجهده واعجـــابى بترجمته .



لهذا أكره إسرائيل

تأليف أمين سامي الغمراوي



الناشر . دار النهضة العربية
٣٤٦ ص ١٧×٢٤سم الثمن ٥٠ قرشا

كتاب يغرى بمطالعته من الفه الى يائه . واضح الموضوع والأسلوب ، مهد له الأستاذ المؤرخ البريطانى ، آرنولد توينبى ، ويشتمل على ثلاثة ابواب ، يضم كل باب منها عدة فصول، عدد صفحاته ٣٤٨ . يشتمل الباب الأول على ثلاثة فصول : التوراة ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون . ويتناول الباب الثانى الحديث عن أهم المنظمات التى تقوم عليها الدعوة الاسرائيلية : الصهيونية ، والماسونية ، وجماعة « شهود يهوه » . ويضم الباب الثالث ، وهو افسح ابواب الكتاب ، عدة احاديث وجهها المؤلف المقدم امين سامى الغمراوى الى شعوب العالم اجمع للدفاع عن أوطانهم وأعراضهم واموالهم وارواحهم واديانهم ... تحدث فيها الى الأمريكيين ، والسوفيتيين ، والفرنسيين ، والألمان ، والفلسطينيين اصحاب الحق . ثم تحدث الى المسيحيين والمسلمين ليستيقظوا ، وليقفوا صفاً واحدا متماسكا أمام « شعب الله المختار » !

ان مشكلة فلسطين هى دون شك قضية الانسانية . وفى ذلك يقول الأستاذ آرنولد توينبى فى كتابه المشهور « دراسة فى التاريخ » :

« اصبح العرب فى فلسطين هم الضحايا الأبرياء لحقد اليهود القديم على أوروبا ..وليس من شك فى أن الشعور الذى يدفع الانسان لان يرتكب ضد جار له ضعيف ، نفس الجريمة التى ارتكبها ضده جار قوى ، لهو أحط شعور يمكن أن يصيب النفس الانسانية » .

« لقد اتضح للعالم بأسره ، ان تلك الأعمال التى ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين العرب ــ وهى لا تقارن الا بالجرائم التى ارتكبها النازى ضد اليهود ــ اشتملت على تقتيل النساء والأطفال والرجال فى دير ياسين فى ٩ ابريل ١٩٤٨ ، مما عجل بهروب عدد ضخم من السكان العرب من المناطق القريبة من القوات اليهودية المسلحة ، فضلا عن تعمد القوات اليهودية طردهم من الاماكن المحتلة فى عكا واللد والرملة وبير سبع والجليل فى أكتوبر ١٩٤٨ » .

وفى هذا الكتاب يتعقب المؤلف حياة اليهود، منذ بدا تاريخ فلسطين المعروف ، حينما نزحت قبيلة كنعان من جزيرة العرب لاستيطان فلسطين .. ثم كانت هجرتهم الثانية من العراق بقيادة النبى ابراهيم ، « وعبروا » نهر العراق، فأطلق عليهم اسم « العبرانيين » وكان ذلك فى عام ٢٠٠٠ ق.م. وفى عهد يعقوب ، حينما حلت بهم المجاعة ، دعاهم ابنه يوسف الى مصر ليعيشوا بها ولينعموا بخيرات أرضها ... فجاءوا ولكنهم لم يحاولوا التعايش مع أهل البلاد ، وبالرغم عما بدا من ترحيب فرعون بهم

... وبارك يعقوب فرعون .. ثم خـرج من لدنه ، فاسكن يوسف أباه واخوته .. واعطاهم ملكا فى ارض مصر فى أفضل الأرض ، فى ارض رعمسيس ، كما أمر فرعون ، وعال يوسف اباه، واخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد ... وهكذا استقبلهم شعب مصر وفرعونها .

فماذا قدموا لمصر ، عرفانا بهذا الجميل ؟

اننا لنجد الجواب على هذا السؤال فى آيات شتى من القرآن الكريم . ففى سورة البقـرة يقول الله عز وجل :

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسـومونكم سوء العذاب ، يذبحون ابنـاءكم ويستحيون نسـاءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون . واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعـده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسـكم باتخاذكم العجـل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم . واذ قلتم ياموسى لن نؤمن

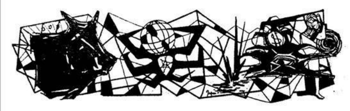
ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصـاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا . قد علم كل اناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير ، اهبطـوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسـكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

(صدق الله العظيم)

تلك هى أخلاق اليهود ، كما نص عليهـا القرآن الكريم .

●

وتاريخ اليهود بعد خروجهم من مصر الى دخولهم فلسطين مرة ثانية ، ثم انقسـامهم الى مملكتى اسرائيل ويهوذا ، سلسلة متلاحقـة من الغدر والمؤامرة والفسـاد .. هى .. هى على نمط



لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . ثم بعثنـاكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكـم المن والسـلوى كلوا من طيبات مارزقنـاكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسـهم يظلمون . واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفـر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، فانزلنا على الذين

واحد .. تلك هى جبلتهم التى طبعوا بها .. واول من يشهد عليهم ، قضاتهم وانبياؤهم ... كان لهم مخططات يسيرون عليها ويلزمون انفسهم بها ! وقد فشلوا للعيش فى كل مجتمع وجدوا انفسهم فيه – حتى اليوم ، لأنهم يحلمون باقامة امبراطورية فسـيحة ولو اقاموها على الطمع والحرق والسلب والنهب ... ولذلك كرهتهم الشعوب .. تلك الشعوب التى أصيبت بهم . حتى سكان الصحارى لم ينجوا من أذى اليهود

وصلفهم . حدثنا العلامة الأفريقى احمـد بابا التمبكتى (١٥٥٦ – ١٦٢٧) فى كتابه « نيـل الابتهاج بتطريز الديباج » (طبعة القاهرة) ، عما وقع للفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلى (توفى ١٥٠٤) مع يهودها ، وكان قـد فر معظمهم من الأندلس بعـد خـروج العرب منهـا واسـتقروا بهـا مع المسلمين . لقد امعنوا فى غطرستهم وعملوا على احتـكار التجـارة وحرمان أصحابها من وسائل الرزق الضئيلة ، ولما خابت مساعى هذا الفقيه الجليل وعلمـاء توات معهم ، قام عليهم والزمهم الذل ، بل انه اضطر الى قتـالهم وهدم كنائسهم ، ثم قال لأتبـاعه : « من قتـل يهوديا فله على سبع مثاقيل » . وبالرغم من ذلك ، فقد تمسـكوا بجبلتهم ، وراحوا ينقمون ، وقتلوا ولد المغيلى ، فانزعج الشيخ لفقده ابنه وحزن عليه ثم ادركته المنيـة .

●

يبحث المؤلف فى منابع الدين والحياة عنـد اليهود ، واقدمها التوراة اى الثورات وهى السفر « المقدس » . وتتناول سير بنى اسرائيل من بدء الخليقة الى آدم ونوح .. فابراهيم الى يعقوب ويوسـف وموسى ، الى أن اقام هؤلاء دولتهم الأولى على انقاض الممالك التى انتزعوها ، ثم قيام دولتهم الثانية التى ابيدت هى الأخرى . وهذه التوراة قد الفها بنو اسرائيل ، وادخلوا عليهـا كما غيروا وبدلوا كما شـاءوا على النحو الذى يريدون .. وقد جاء القرآن بآيات كثيرة تؤيد فعلتهم . ففى سورة آل عمران ، الجزء الثالث :

« وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب – وما هو من الكتاب – .

ويقولون هو من عنـد الله – وما هو من عنـد الله – ويقـولون على الله الكذب وهم يعلمون . » .

والمنبع الثانى ، هو التلمود وفيها يتكشف لنا مكر اليهود وأخلاقهم وخططهم . والتلمود باللغة العبرية معناها تعليم ، فهو اذن كتـاب تعـاليم ديانة وآداب اسرائيل . قام بوضعه حكماء اليهود بعد تدمير هيكل سليمان على يد الكلدانيين وسبى بنى اسرائيل الى بابل . ولكى يأخـذ التلمود مكانه من التقـديس والاحترام ادعوا انه سـنة عن النبى موسى . والتلمود المتداول اليوم بين الاسرائيليين هو تلمود بابل، وليس تلمود اورشليم الذى كان موجـودا فى فلسطين سنة ٢٣٠ م . وقد حـذف المجمع الدينى الاسرائيلى عام ١٦٣١ منه بعض الألفاظ المستهجنة الموجهة الى السـيد المسيح أو الى السيدة مريم أو الى بعض الرسل ... وترك مكانها فراغا أو رسمت دائرة بدلها !

ويتمسك الصهيونيون بمـا جاء بالتلمود ويتخذونه دستورا ومخططا لهم ، وجاء فيـه بالنص :

« يجب على كل اسرائيلى ان يبذل جهـده لمنع تملك باقى الأمم فى الأرض حتى تبقى السلطة لاسرائيل ، لأنه يجب أن تكون لهم السلطة أينما حلوا ، فاذا لم يتيسر لهم ذلك اعتبروا منفيين وأسرى » . ويزعم التلمود أن الفرق بين درجة الانسان والحيوان ... هـو بقدر الفرق بين اسرائيل وباقى الشـعوب ... ويعتبر التلمود الأجانب أو غير الاسرائيليين كالكلاب ! وطبقـا للتلمود ، يعتبر الاسرائيلى مساويا للعزة الالهية، فان الدنيا بما فيها تصبح ملكا لاسرائيل ولهـا حق التسلط عليها !

ومن وصـايا التلمود : « اذا جاء أجنبى واسرائيلى امامك بدعوى ... فاذا امكنك ان تجعل الاسرائيلى رابحا فافعل ... وقل للاجنبى ... هكذا تقضى شريعتنا » . ولا يقف التلمود عند حد اباحة الظـلم والغش ، بل انه يقول بصراحة : «اقتل الصالحين من غير الاسرائيليين» ومحرم على الاسرائيلى أن ينجى احدا من باقى الأمم من هلاك ... أو يخرجه من حفرة يقـع فيها ، لانه بذلك يكون قد حفظ حيـاة أحد الوثنيين ! » وهكذا نرى اليهود ، عبر تاريخهم، قد أسرفوا من المذابح التلمودية فى كل عهودهم، حتى مذبحة دير ياسين (٩ مارس ١٩٤٨) ، واغتيـال الكونت برنادوت الوسيط الدولى

(١٧ سبتمبر ١٩٤٨) ، وجرائم الابادة التى اقترفوها فى قطاع غزة (١٩٥٦) .

●

فاذا انتقلنا الى مخطط الاسرائيليين الحديث « بروتوكولات حكماء صهيون » لهالنا ما احتوت عليـــه .. فهى فى الواقع برنامج استراتيجى لاخضاع العالم بأسره لاسرائيل ! وقد وضـــع هذه البروتوكولات زعماء اليهودية ، وقدمهـــا تيودور هيرتزل الى مجلس القدماء عند انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول الذى دعا الى عقده فى « بال » بسويسرا فى أغسطس ١٨٩٧ ... وقد كان من نتيجة نشر هذه البروتوكولات وتسربها بعد ذلك فى المانيـــا وانجلترا وأمريكا أن قامت ضجـــة كبيرة فى الدول ، بل وفى معســـكر الصهيونيين ، فلم يكن من اليهود ، الا أن أنكروها وادعوا أنها مزيفة ودست عليهم ، وحاولوا القضاء على هذه الضجة باتلاف ما يطبع من نســـخ البروتوكولات ولكنهم لم يفلحوا ... حتى بعد مؤامرات دبروها ضد دور النشر . ولا يخفى على القارىء ان آخر طبعة لهذه البروتوكولات باللغة العربيـــة صدرت ضمن « سلسلة كتب سياسية » بالقاهرة فى ١٣ ابريل سنة ١٩٥٧ .

فما الذى تتضمنه هـــذه البروتوكولات الخطيرة :

١ – تسعى الى زعزعة كل مقومات المجتمع المعاصر ونظمه لتمكين الصهيونية من الاستئثار بحكم العالم وثمراته ، فالعالم لم يخلق الا ليكون اليهود سادته وأوصياءه ، ومن حقهم وحـــدهم استعباده وتسخيره ، وليس لغيرهم من الأمم الا السمع والطاعة ، واحتمال الهوان ، والرضا والقناعة بما يجود به اليهود عليهم من فضلات الرزق .

٢ – الهدف لتنفيذ سيادة الصهيونية ، هو اقامة مملكة يهودية استبدادية تحكم العالم كله . يكون مقرها أورشليم أولا ، ثم تستقر فى روما الى الأبد ويتعاقب على عرشها حـــكام من ذرية ملكهم داود .

٣ – ولتيسير قيـــام هـــذه المملكة اليهودية العالمية ، يجب :

(ا) القضاء على القوميات والأديان والأمم المسيحية بصفة خاصة ، فالقضاء عليهـــا يتيح الفرصة للقضـــاء على بقية الأمم والأديان حيث لايبقى بعدها الا الديانة والقومية اليهودية .

(ب) العمل على زيادة فساد أنظمة الحكم الحاضرة التى تؤمن الصهيونية بفسادها وانهيارها جميعا .

٤ – يجب أن تعامل الأمم جميعا – باستثناء اليهود – بالعنف .. وتساس كما تساس قطعان البهائم ، وأن يصبح زعماؤها كقطع الشطرنج فى أيدى الصـــهيونيين ، يســـتميلونهم ويغـــرونهم بالارهاب أو الرشوة أو النساء أو المناصب ..

٥ – ينبغى للصهيونيـــة أن تسيطر على كل وسائل النشر والدعاية والصحف ، واستخدام الذهب لاثارة الفوضى ، واغراء الناس بالشهوات واشاعة الخلاعة والانحلال والقضاء على الأخلاق والأديان والقوميات وروابط الأسرة وسائر القيم الانسانية .

٦ – يتشتت اليهود – شعب الله المختار – فى اقطار العالم ، وقد يبدو أن هذا التشتت مصدر ضعفهم ، ولكنه فى الواقع مصدر قوة لهم .. فيه يتمكنون من التسلل الى كيان الدول لتسخيرها جميعا لمصلحتهم .

هذا هو موجـــز البروتوكولات التى تقع فى ٢٤ بروتوكولا (محضر جلسة) وكان الفضل فى نشرها كاملة للـكاتب الروسى سيرجى نيلوس عام ١٩٠٥ ، وفى مكتبة المتحف البريطانى نسخة منها تحت رقم 3926-D 17

ويستطيع القارىء أن يتمعن هذا البرنامج الكبير الذى يسعى بنو اسرائيل الى تحقيقـــه بشتى الأساليب بين دول العالم وفى المؤتمرات العالمية وفى التسلط على معظم اجهزة الأعـــلام فى العالم ...

ويشرح المؤلف في كتابه المفيد ـ مذهب الصهيونية ـ (نسبة الى صهيون وهو جبل يقع شرق القدس القديمة وله مكانةمقدسةعند اليهود كجبل الطور) . وهذا المذهب في الواقع امتداد فكرى للتلمود ولا سيما في الناحية السياسية . وقد انبثقت الصهيونية من احدى جمعيات صهيون التي استقرت بالنمسا ، وجماعة «شبيبات زيون» (محبة صهيون) .

وجمعية صهيون كانت تمثل الصهيونية الأوروبية الغربية ، وقد تزعمها « تيودور هرتزل » الصحفى النمساوى اليهودى (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) . وكان أقوى شخصية ، يهودية ذات أثر في القرن ١٩ . ويعتبره اليهود رابع أربعة : موسى ، سليمان ، زروبابل ، ثم هرتزل .

اما جماعة « شبيبات زيون » فكانت تمثل الصهيونية الشرقية التي كان يتزعمها « حاييم وايزمان » الروسى الأصل وقد أصبح فيما بعد أول رئيس لتلك الدولة المزعومة في عام ١٩٤٨ .

وسوف لا نطيل الكلام عن المراحل التاريخية التي مرت بها الدعوة الصهيونية منذ عام ١٨٩٧، ولكننا نقف لحظة عند واجبها الأول ، وهو « توطيد دعائم دولة اسرائيل وتقويتها » ، مرتكزة على الأسس التالية :

١ ـ الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربطهم بفلسطين باعتبارها أرض الميعاد .

٢ ـ ان اليهود في انحاء العالم يمثلون شعبا واحدا ينتمى الى اصل واحد ، وان هذا الأصل مرجعه الى أرض فلسطين ، ومن ثم يعتبر يهود العالم جميعا اعضاء في الجنسية الاسرائيلية .

٣ ـ أن فلسطين قلب العالم وما حولها من ارض تمتد من نهر مصر الى نهر الفرات هي دولتهم المنشودة .

٤ ـ أن الرب قد تعهد لابراهيم بأن يرقى بذريته في النهاية الى السيادة على العالم ، فهم شعبه المختار .

بيد اننا اذا حللنا هذه الأسس ، لوجدناها أسبابا مصطنعة ، لا تتفق مع التاريخ اولا ، ولا يمليها سوى الجشع والتعالى ، وايمانهم بالتفرقة العنصرية التي ادانتها جميع شعوب العالم ، فضلا عن الأديان التي يؤمن بها ملايين البشر .

●

وقد عنى المؤلف بشرح واف للماسونية ربيبة الصهيونية ، واغراض جماعة شهود يهوه، وهما جماعتان تستهدفان خطط البروتوكولات بأساليب سرية او علنية ، برغم أن هذه الأخيرة تخفى نفسها تحت أستار المسيحية ، فما«يهوه» الا اله اسرائيل ، وقع في شباكها كثير من الأبرياء حتى اتضحت لهم أهدافها اللعينة . ولذلك اهاب المؤلف بشعوب العالم ليدافعوا عن أوطانهم واعراضهم وأرواحهم وأموالهم وأديانهم قبل فوات الأوان . فان المعركة ضد بنى اسرائيل معركة عنيدة تستنفد جهودا مضنية وعقولا مفكرة ، ومثابرة دائمة ليضمنوا النصر ويحققوا الفوز الحاسم .

ونلاحظ أنه بالرغم عن انفضاح أمر اليهود وكشف نواياهم ، فانهم لم يرتدعوا ، بل استمروا في تنفيذ مخططاتهم بأموال أصدقائهم في الدول الكبرى ، وبتشجيع سافر من ساستهم . فهم يتمتعون بنفوذ ضخم في المنتديات السياسية الغربية وفي الصحافة وميادين الاعلام، وسيطروا على الثروات الأمريكية . ولقد حذر « بنيامين فرانكلين » ـ أحد أبطال الاستقلال الأمريكى ـ مواطنيه سنة ١٧٨٩ من الخطر الاسرائيلى في خطاب القاه في معهد فرانكلين بفيلادلفيا ، بيد انه لم يفطن احد لما قاله ، وكأنه قد نفخ في رماد . فبرزت في البلاد « اللجنة اليهودية الأمريكية » لتخطيط سياسة الولايات المتحدة من قبل هيئة في واشنطن ، ومراقبة التفكير لدى الشعب الأمريكى ، ولهذه اللجنة ١١ ميدانا تعمل فيه : الكنائس المسيحية ، التعليم ، منظمات المحاربين القدماء ، الصحافة ، نشر الكتب ، السينما ، الاذاعة والتليفزيون ، العمال والحكومة ...

وهناك أيضا المجلس اليهودى الأمريكى، ومجلس يهود العالم ، المجلس الوطنى لرفاهية اليهود وغير ذلك كثير من المنظمات التى تدعو للصهيونية دون خجل ! متناسية وضع اللاجئين من العرب أصحاب فلسطين .

أفلا نكره اليهود بعد كل ذلك ؟

ويوضح لنا المؤلف فى كتابه المفيد ، كيف يسيطر اليهود على الاتحادات الاحتكارية الهامة فى فرنسا ، ومن أهمها :

اتحاد المصارف والذهب ، اتحاد الأغذية والنبيذ والمعلبات ، اتحاد الفراء والجلود ، اتحاد البترول ومنتجاته ، اتحاد الأثاث والفراش ، اتحاد صناعات الأغذية ، اتحاد صناعةالأقمشة، اتحاد النقل الجوى والبحرى والنهرى ، اتحاد الكهرباء والغاز ، اتحاد صناعات الأدوية ، اتحاد الوكالات التلغرافية ، اتحاد التسليح ، اتحاد استيراد القمح من الخارج ، اتحاد الصحف ، اتحاد النشر ، اتحاد المسارح ، اتحاد السينما ، اتحاد صناعة المجوهرات والحلى والساعات ، اتحاد محطات الاذاعة ، اتحاد النحت واللوحات والفنون ، اتحاد الملاهى والمقاهى ، اتحاد ورق الصحف ، اتحاد الصناعات الثقيلة ، اتحاد الاعلانات ... الخ وهكذا يجد المواطن الفرنسى نفسه أسير الاحتكارات الصهيونية المتسلطة على وطنه الكبير ! حتى مجلس الدولة ، وديوان المحاسبة ودار الكتب الأهلية والمجمع الفرنسى ... فان شعب اسرائيل خرب فرنسا كالدود.. والجراد !

أما اليهود وما صنعوه فى ألمانيا فأمر معروف .. وهنا ينبغى أن لا نخلط بين النازية كمذهب سياسى وبين تفلغل اليهود فى كل مجال ألمانى .. لم يتركوا شيئا للألمان فى الصناعة والتجارة والثقافة والمسرح والصحافة والسياسة ... وكان ماكان من أمر هتلر واليهود فى البلادالناطقة بالألمانية .

واستطاع بنو اسرائيل فى أثناء الحرب العالمية الثانية أن ينتهزوا الفرصة الذهبية التى كانوا يأملونها منذ طردهم من الأندلس . وتمكنوا من الافادة الى أقصى حد من تصريح (وعد) بلفور فى عام ١٩١٧ .. فيسر لهم الانجليز الاستيلاء على قلب العروبة وموطن الأديان المقدسة ــ فلسطين . فاستولت العصابات المسلحة الاسرائيلية على فلسطين ، وطردوا أبناءها العزل من السلاح شر طردة ... وحرموهم من أرضهم العزيزة ومن دورهم وانتزعوا منهم جميع حقوقهم ، بل انهم اليوم يسرقون مياههم ويعتدون على ما تبقى للعرب فى وطنهم ــ وطن الآباء والأجداد ... ان اليهود قد ارتكبوا بفعلتهم الشنيعة أفظع جريمة فى القرن العشرين ..

أفلا نكرههم ونكرههم بعد ذلك ؟ كما كرههم المؤلف وكرههم ملايين العرب . فشكرا للمؤلف الكريم على مؤلفه الواعى . فان كتابه عدة كتب فى كتاب واحد .

●

وان خير ما نختم به هذه الكلمة ، تلك العبارة الواضحة التى ضمنها خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى رسالته الى المرحوم الرئيس جون ف . كنيدى . قال :

... « ان موضوع قضيةفلسطين لا يحتاج الى تعبئة نفسية ، فان امتنا كلها تعيش المشكلة، حقيقة واقعة ، وليس عقدة عاطفية ، وأؤكد لك ــ بشرف ــ ان ما يحكم موقفى ونظرتى الى قضية فلسطين ، ليس هو كونى رئيسا للجمهورية العربية ، وانما الأصل والأساس هنا ، هو موقفى ونظرتى ، كوطنى عربى ، وكواحد من ملايين الوطنيين العرب » .

د . عبدالرحمن زكى



تأليف الدكتور زكريا إبراهيم





خامس كتاب يظهر في المكتبة العربية عن أبي حيان التوحيدي منذ خمسة عشر عاما . ولم يسبق فيما نعلم من التراث العربي المخطوط ان ظهر كتاب قائم بذاته عن هذا الفيلسوف الأديب الصوفي الذي يعد من قمم البيان العربي المشرق المتألق في القرن الرابع الهجري . حتى لقد ذهب بعض الباحثين الى الموازنة بينه وبين الجاحظ ، لا في البيان فحسب ، ولكن في اتساع محيط الثقافة، والتعمق في الدراسة والنظرة الموسوعية الشاملة ، والتحليل الدقيق للأفكار ، وكثرة الاستطراد ، وزاد على الجاحظ تلك النزعة الفلسفية التي جعلت بعض الباحثين ينعتونه بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء .

والأربعة الذين سبقوا الدكتور زكريا ابراهيم الى الدراسة المستقلة عن أبي حيان هم الدكاترة: عبد الرزاق محي الدين ، الذي ظهر كتابه سنة ١٩٤٩ ، واحسان عباس ، وابراهيم الكيلاني ، واحمد محمد الحوفي .

والحق اننا هنا أمام رجل أغفل زمانا ، وجر النسيان عليه مساحبه ، بل حكم عليه بعضهم بالزندقة ، حتى جعلوه واحدا من زنادقة الاسلام الثلاثة : ابن الراوندي ، وأبي حيان التوحيدي ، وأبي العلاء المعري .

ومن أجل هذه التهمة الخطيرة لم يأخذ الرجل مكانه الحق في تاريخ الفكر الاسلامي ، فتورع المؤرخون أن يكتبوا عنه ، وتحرج كتاب الطبقات أن يترجموا له ، الا ما كان من الفصل الطويل الذي كتبه عنه ياقوت الرومي في «معجمه» ، والا ما تناثر عنه عند ابن خلكان ، والذهبي ، وابن أبي الحديد ،و السبكي ، والخوانساري في « روضات الجنات » . على أن المؤرخ الامام ابن الجوزي صاحب كتاب«المنتظم» لم يترجم له في الوفيات التي رتبها على وفق السنين ، بل اكتفى بأن ذكره في أثناء الترجمة لأبي العلاء المعري في وفيات سنة ٤٤٩ هـ . فلما بلغ الى الحديث عن زندقة أبي العلاء ساقه ذلك الى الحديث عن زندقة زميليه المتهمين معه : التوحيدي وابن الراوندي فقال : (وهذا ابن الريوندي – يقصد الراوندي – وأبو حيان ، مافيهم الا من قد انكشف من كلامه سقم في دينه ، يكثر التحميد والتقديس ، ويدس في أثناء ذلك المحن) . على أن قضية الزندقة عند أبي حيان سنعرض لها عما قليل ...

وقد ابتدأ الاهتمام بأبي حيان والاتجاه اليه ونشر بعض مؤلفاته في أواخر القرن الماضي حينما طبع في الآستانة كتابه : « الصداقة والصديق » ، وفي شيراز كتابه : «المقابسات». ثم جاء المرحوم الأستاذ حسن السندوبي فأعاد طبع المقابسات في مصر سنة ١٩٢٩ . وسكت الناس بعد ظهور المقابسات عن أبي حيان التوحيدي عشر سنوات كاملة ، الى ان جاء المرحومان احمد امين واحمد الزين فحققا كتاب « الامتاع والمؤانسة » سنة ١٩٣٩ ، وكتبا له مقدمة جيدة وافية كانت بداية الاهتمام بسيرة أبي حيان . ومنذ ذلك الحين أخذت كتب التوحيدي تظهر مع العناية بتحقيقها وتحليلها والتقديم لها ، فظهرت « الاشارات الالهية » بتحقيق عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٥٠ ، و « الهوامل والشوامل » سنة ١٩٥١ بتحقيق احمد امين والسيد صقر ، و « ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي » سنة ١٩٥١ بتحقيق ابراهيم الكيلاني ، و « البصائر والذخائر » سنة ١٩٥٣ بتحقيق أحمد أمين والسيد أحمد



الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٠٦ ص ١٤×٢٠ ث ٥ قروش



صقر ، و « مثالب الوزيرين » بتحقيق ابراهيم الكيلانى سنة ١٩٦١ ، واخيرا ظهر كتاب « الصداقة والصديق » بتحقيق ابراهيم الكيلانى أيضا .

واذا كان المرحوم حسن السندوبى من السابقين الى تقديم أبى حيان التوحيدى فى المكتبة العربية والى تعريف العرب به فى القرن العشرين ، فان فضل الدكتور زكى مبارك لا يجوز اغفاله هنا ، فبعد ظهور « المقابسات » بتحقيق السندوبى بخمسة أعوام كاملة أخرج زكى مبارك سنة ١٩٣٤ كتابه « النثر الفنى فى القرن الرابع » وأشار فيه الى أبى حيان اشارات ذكية واعية ، فابتدأ الناس هنا وفى الشرق العربى يتنبهون الى هذا الرجل الذى كان مغمورا قرابة الف عام ، ثم جاء المرحوم محمد كرد على فاخرج كتابه « أمراء البيان » سنة ١٩٣٧ وفيه اكثر من خمسين صفحة عن أبى حيان وترسله ومنهجه فى الكتابة وسيرته ، وقد عده كردعلى من أعاظم المنشئين والمؤلفين ، وعد كتابته بهذه المقدرة العجيبة والصناعة البارعة دليلا على طول باع اللغة العربية واتساعها لمثل الأغراض التى كتب فيها أبو حيان .

والحق ان اهتمام زكى مبارك ومحمد كردعلى باسلوب التوحيدى وفنه الكتابى ، واظهار زكى مبارك لطريقة الازدواج والسجع بعض الحين عند أبى حيان ، كان له أثره فى لفت الانظار الى كاتب يعد نثره من أبلغ النماذج فى اللغة العربية ومن أروع آيات البيان .

على ان الفضل فى الكشف عن بلاغة التوحيدى وبيانه الرائع لا يعود الى عربى مثل مايعود الى مستشرق أجنبى هو « آدم ميتز » صاحب كتاب « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، فقد تنبه الى بيان التوحيدى قبل الباحثين من العرب المحدثين ، مما جعل الدكتور عبد الرزاق محى الدين يعجب أشد العجب (ان يلتفت الى دقائق الأسلوب العربى رجل ليس من أهله ، فينتهى الى حكم غفل الباحثون من قبله عن الاهتداء له) .

هذا موجز لقصة الاهتمام بأبى حيان التوحيدى فى عصرنا هذا ، على أن فضل تخصيص دراسة مستقلة فى كتاب عربى عن أبى حيان يعود الى الدكتور عبد الرزاق محى الدين ، الذى كان اول رائد فى هذا الميدان ، فقد ظهر كتابه : « أبو حيان التوحيدى : سيرته وآثاره » سنة ١٩٤٩ ، وكان كتابه هذا فى الأصل رسالة لدرجة الماجستير نوقشت فى جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨ .

وما اختلف الناس على رجل قدر اختلافهم على أبى حيان التوحيدى ، فقد حير الأوائل والاواخر فى الحكم عليه والكشف عن حقيقته . حيرهم فى تاريخ مولده ؛ فزكى مبارك يقول : لا تسألنى متى ولد ولا أين ولد . وحسن السندوبى يستظهر انه ولد سنة ٣١٢ هـ ، وعبد الرزاق محى الدين يجعل عام ميلاده لا يخرج عن حدود سنة ٣١٠ هـ الى ٣٢٠ هـ ، وابراهيم الكيلانى يجعل مولده سنة ٣١٠ هـ ، وأحمد الحوفى يقر بالعجز عن معرفة مولده !! وزكريا ابراهيم يخرج بالصمت عن لا ، ونعم !!

وحير أبو حيان الناس فى تاريخ وفاته . فالخوانسارى يذكر انه رأى فى بعض تواريخ شيراز المعتبرة انه توفى سنة ٣٦٠هـ. والسيوطى



يذكر فى بغية الدعاة أنه توفى سنة ٣٨٠ هـ فى موضع من كتابه ، وفى موضع آخر يذكر انه توفى سنة ٤٠٠ هـ تقريبا ، وابن الجوزى يهمله فى وفيات السنين فى تاريخه المشهور : «المنتظم»، وأبو القاسم الجنيد الشيرازى يذكر انه توفى سنة ٤١٤ . ورجح الدكتور عبد الرزاق محى الدين هذه الرواية (لأنها وردت فى كتب قديمة وبأقلام شيرازية ، وأثرت عن شخص معاصر مزامل عرف بالتقوى والصلاح) . ومال الدكتور الحوفى الى ترجيح هذه الرواية ، فوافق بذلك عبد الرزاق محى الدين ، كما وافق محققى كتاب « الهوامل والشوامل » .

وحير ابو حيان الناس فى جنسه واصله ، اهو فارسى أم عربى ؟ فذكر الدكتور زكى مبارك انه كان فارسى الأصل ، واكد حسن السندوبى انه فارسى الأصل ، وذهب محمد كردعلى الى انه عربى ، وما كان يعرف الفارسية ، ولو ولد فى فارس لكان يتكلم بها ، أما الدكتور عبدالرزاق محى الدين فقد ناقش المسألة مناقشة طويلة واعية ختمها بقوله : (ولقد كان بودى ان يكون ابو حيان فارسيا يمتدح العرب ، لأستدل به على فضل قومى ، وانصاف صاحبى ، ولكن انى لى بهذا ، وليس فى القرائن مايدل على فارسيته؟) . وذهب الدكتور الحوفى مذهب الدكتورعبدالرزاق محى الدين ، بل سلك مسلكه فى مناقشة القضية ، واتخذ سبيله ، حتى لنستطيع بحق ان نقول ان الدكتور محى الدين هو فارس الحلبة فى هذه المسألة .. أما الدكتور زكريا ابراهيم — وهو احدث من كتب عن ابى حيان — فلم يخرج عن السبيل التى مهدها قبله الماهدون، فأفاد من الأدلة التى ساقها كل من قال بعروبة التوحيدى ، وان كان فى النهاية جعله رجلا (لا يهتم فى كثير او قليل بأصل الانسان أو جنسه أو عنصره ، بل هو يحفل بعلمه ودينه وخلقه . وليكن ابو حيان بعد ذلك فارسيا ، أو فليكن عربيا ، فانه فى كلتا الحالتين لن يكون الا انسانا مفكرا ...) .

وحير ابو حيان الناس فى ايمانه وكفره ، وفى تدينه وزندقته ، فقد نسب الى ابن فارس اللغوى الشهير انه قال فى كتاب « الفريدة والخريدة » ان التوحيدى (كان كذابا ، قليل الدين ، والورع عن القذف ، والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح فى الشريعة ، والقول بالتعطيل) . ونقل السبكى صاحب « طبقات الشافعية » عن ابن الجوزى المؤرخ أن زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى ، وأبو العلاء . وروى السبكى عن الامام الذهبى المؤرخ انه قال ان ابا حيان كان عدو الله خبيثا سيىء الاعتقاد .. وفى الوقت نفسه روى السبكى عن ابن النجار قوله : كان أبو حيان فقيرا ، صابرا ، متدينا ، صحيح العقيدة !! كما ذكر ياقوت الرومى فى معجمه ان أبا حيان صوفى السمت والهيئة ، والناس على ثقة فى دينه !! ودافع السبكى فى طبقاته مرة أخرى عن ابى حيان قائلا : ولم يثبت عندى من حال أبى حيان مايوجب الوقيعة فيه ، وعلل نيل الناس منه بأنه كان قوى النفس معتدا بها مزدريا بأهل عصره ، فاتهموه بأشنع مايتهم به انسان من الكفر والزندقة ...

ولقد عرض الدكتور عبد الرزاق محى الدين قضية الزندقة هذه عرضا واضحا ، وذكر اقوال المتهمين ، واقوال المخالفين المدافعين من القدماء ، ثم خلص من ذلك القول بأن التوحيدى (كان حنيفا مسلما ، ماند عن شىء من أصول الاسلام العامة ، وتهمته بالالحاد لم تثبت من حال أو مقال) . ثم حاول بعد تبرئته ان يرده الى فرقة من بين الفرق الاسلامية ، فلم يكن شيعيا — وان كان احب أهل البيت — ولكنه كان من أهل السنة .

وسار الدكتور الحوفى فى سبيل عبد الرزاق محى الدين ، فعرض القضية كما عرضها ، وفند

رواية ابن فارس كما فندها محى الدين ، وذكر حكاية طلب الوزير المهلبى له ليقتله ، فاستتر منه ومات فى الاستتار ، وقطع ببطلانها واستحالتها ماديا ، كما فعل قبله الدكتور عبد الرزاق ، ولكنه لم يشك فى كتاب « الفريدة والخريدة » كما شك محى الدين ، وان كان زاد على الأدلة التى جاء بها هذا ليبرىء التوحيدى من تهمة الالحاد ، فأتى من كلام أبى حيان نفسه ما يثبت تدينه . وتناول ابراهيم الكيلانى قضية الزندقة فى ايجاز خلص منه الى الاشارة الى من انصفوه من المحدثين ودافعوا عنه ، وعلى راسهم المستشرق آدم متز ، والمرحوم محمد كردعلى الذى رجع أن للحسد والحقد دخلا كبيرا فى الطعن على أبى حيان . ولكن الكيلانى لم ينصف الدكتورين عبد الرزاق محى الدين ، واحمد الحوفى ، فلم يشر الى دفاعهما المجيد فى هذه القضية ، بل لم يتفضل حتى بالاشارة الى كتابهما فى ثبت مراجعه (١) !! ولعلك تحب أن تعرف راى الفلسفة والمشتغلين بها فى قضية الزندقة عند أبى حيان، والدكتور زكريا ابراهيم يكفينا مئونةهذا ، فهو المشتغل الوحيد بالفلسفة بين هؤلاء المؤلفين الخمسة عن أبى حيان ، وقد احتفظ برايه الى أن يتم نشر مخطوط « الحج العقلى ، أو الحجيج » للتوحيدى ، ليعرف مدى مافيه من آراء وتعاليم حلاجية أدت الى اتهام أبى حيان بالزندقة ، كما أدت الى قتل الحلاج.

ولم يكتف أبو حيان التوحيدى بأن يحير الناس فى عصره وبعد عصره بهذه الأمور وحدها، بل هناك كثير من المسائل حول هذا الرجل لم يلتق فيها الناس على رأى . فقد اتهمه قوم بالوضع وانه لم يكن ثقة أمينا فيما ينقل ... فقال قوم بانه حرف بعض الأحاديث النبوية ، ومنها حديث : « حبب الى من دنياكم ثلاث ... الخ » ، وقال آخرون انه وضع رسالة السقيفة المتبادلة بين أبى بكر وعمر وعلى بعد حادث السقيفة ، وقد رواها عن شيخه أبى حامد المروروزى . وقد نقل ابن أبى الحديد فى كتابه شرح نهج البلاغة .. نص رسائل السقيفة كلها ثم علق عليها بأنها من وضع أبى حيان وصنعه . وممن ذهب الى أن الرسالة موضوعة حسن السندوبى والدكتور احمد الحوفى ، أما الدكتور عبد الرزاق محى الدين فقد انتهى الى الحكم بأن اتهام التوحيدى بوضع هذه الرسالة يحتاج الى دليل قوى لم يتهيأ له فيما قرأ من أدلة ابن أبى الحديد على وجه اليقين ... وذهب الدكتور زكريا ابراهيم الى ترجيح القول بأن أبا حيان التوحيدى هو واضعها ومؤلفها الحقيقى لسببين : أولهما تأثره بما وقع من حوادث دامية فى زمنه بين أهل السنة والروافض ، وثانيهما عداوته الشخصية لكل من ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وهما من رءوس الشيعة فى زمانهما ،

واذا كان الدكتور عبد الرزاق قد ذهب الى أن الوزير المثلوب فى كتاب « مثالب الوزيرين » هو أبو الفتح بن العميد لا والده المعروف بأبى الفضل بن العميد ، فان الدكتور زكريا ابراهيم ذهب مع القائلين بأن المثلوب هو الوالد لا الولد ، وان ذلك لم يمنع أن ينتقص التوحيدى الابن أيضا . على أن التوحيدى كان منصفا حتى فى حالات سخطه ، فقد أثبت من المحاسن للأب وابنه مالا يليق بمنصف أن يغفله ..

وقد لبس الدكتور زكريا ثوب الدفاع عن أبى حيان والتماس العذر له فيما بدا من وجوه ضعفه ... وأعلن عن ذلك الموقف فى مقدمة كتابه الحماسية العاطفية فقال : (وقد يجد القارىء فى تضاعيف أحاديثنا عن أبى حيان شيئا من التحمس أو التحيز أو المحاباة ...) فهو يدافع عن سخف لسان أبى حيان وسخطه وانشغاله بالذم والثلب ، ويلتمس له العذر فى ثلب الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد (لأنه لم يكتب ما كتب فى ثلب الوزيرين الا تحت تأثير فشله فى الخروج من ضائقة الفقر ، بعد طول الرجاء والتأميل !) . وهو دفاع لا نجد له ما يسوغه ، فأن هذا السبب الواهى لا يوجب هذا الثلب القبيح . و حتى مع انصاف أبى حيان للوزيرين فى بعض الحين فما كان يليق به فى أقسى

---

(١) كانت أبسط قواعد الأمانة العلمية تقضى بعدم اغفال مراجعين لهما قدرهما فى الترجمة لأبى حيان .



الظروف أن ينزل الى هذا الدرك . اما حكاية ابن فارس ـ الذى يقال انه شنع على أبى حيان ورماه بالقذف والبهتان والقدح فى الشريعة ـ وهى الحكاية التى اتخذها الدكتور زكريا مسوغا لثلب الوزيرين، فقد شك فيها الدكتورمحى الدين ورماها بالتوهين لأنه نقل تفرد به المؤرخ ابن الجوزى وحده ، ولاحظ عليها اغلاطا تاريخية . وقد اتخذ الدكتور زكريا هذه الحكاية قضية مسلمة ولم يناقشها مناقشة المؤرخ المحقق ـ كما فعل الدكتوران محى الدين والحوفى ـ ليؤسس عليها تبرير ثلب التوحيدى للصاحب ابن عباد وابن العميد .

ويزيد الدكتور زكريا فى الدفاع عن بذاءة لسان أبى حيان بأن الحد الفاصل عنده بين «روح النقد» و « روح الانتقاد » لم يكن حادا متميزا، فطغت عنده روح الانتقاد الى حد تضخمت معه فى نظره عيوب الناس . وقفزت الى عينيه مثالبهم قبل مناقبهم . وهو دفاع المحب الراضى كما ترى !!

وانظر الى امعان الدكتور زكريا فى الدفاع عن أبى حيان ، فهو يلتمس له العذر فى توسله الى ابن العميد واستجدائه الصريح ، ويقول ان رسالة التوسل هذه كتبها الرجل فى فترة عصيبة من حياته، فقد كان يعانى ذل الفقر ومرارة الحرمان ... (والرجل الجائع لا يعرف دينا ولا مروءة ولا عزة نفس) . وهنا تبدو من الدكتور زكريا مغالطة المحب الوامق ... فمن قال ان ابا حيان كان جائعا ؟؟ لقد كان الرجل طامعا لا جائعا ، وقد كان فيه طموح لم يعرف السبيل الى نجاسة نجمه، فأخفق حيث كان يستطيع أن ينجح المتمرسون بفن الحياة . وما أصدق الدكتور احمد الحوفى وهو يقول فى هذا المعرض : (ولقد كان أبو حيان يستطيع ان يعيش من الوراقة ومن العلم ، ويترفع عن التأميل فى وزراء عصره ، وكانت له اسوة فى كثير من أصدقائه ومخالطيه من العلماء والأدباء ، فقد كان كثير منهم محروما ، ولكن ابا حيان لم يتأس بهم ، ولم ينظر الى شظف حياتهم ، وانما مد بصره الى نعمة رآها على غيرهم) . ومد البصر هذا ـ أو الطمع ـ هو السر عندى فى اخفاق أبى حيان فى الحياة ...

والدكتور زكريا ابراهيم هو المشتغل الوحيد بالفلسفة من بين الخمسة الكرام الذين ألفوا كتبا عن أبى حيان ، فهم ادباء ورجال بيان ، ولكن زكريا استطاع بفلسفته الأدبية الواعية أن يرينا مواطن الجمال فى اسلوب التوحيدى الأديب الفيلسوف ، فهو يقول صادقا : « ونحن نعرف أن الفنان يعبر عن المعانى بالصور المحسوسة ، فى حين أن الفيلسوف يعبر عنها بالتصورات الذهنية . وهذا هو الفارق مثلا بين اسلوب أديب كالجاحظ ، واسلوب فيلسوف كالفارابى . وأما التوحيدى فهو أديب فيلسوف ، يعلم أن فى كل محسوس ظلا من المعقول ، وان الحسيات معابر الى العقليات ، فليس بدعا أن نراه يمزج الحس بالعقل ، والأدب بالفلسفة ، كى يخرج لنا من ذلك ثقافة حرة يرتاح لها المتأدب ، ولا ينفر منها المتفلسف » .

ان نصف كتاب الدكتور زكريا فى سيرة التوحيدى وشخصيته وانتاجه ، ونصفه الآخر فى التوحيدى الفيلسوف : فيلسوف التوحيد ، والتساؤل ، فيلسوف الانسان ، والتشاؤم ، فيلسوف الفكاهة والفن . وهذا النصف هو الشطر الذى نرحب به من كتاب الدكتور زكريا ، ففيه جديد غير معاد ولا مكرور ، وفيه طريف غير مسبوق اليه ... وان كان فى سبيل الفلسفة وعلم النفس يؤول كلام أبى حيان تأويلا قد لا يكون خطر له على بال .. فظاهرة ظهور كل مكنون قد عبر عنها أبو حيان بطريقته فى كتاب « الهوامل والشوامل » ، ولكن الدكتور زكريا يجعل من أبى حيان عالما سيكلوجيا بالمعنى الحديث فيقول : (والتوحيدى هنا يكشف عن عقلية سيكلوجية ممتازة ، لأنه يفهم أن الظاهرة النفسية

لا تبقى مكنونة فى طوايا الشعور ، بل هى تظهر فى العالم الخارجي على شكل تغير يطرأ على السلوك) . ولقد اسرف الدكتور زكريا فى تحميل كلام أبى حيان ما لا يحتمله من علم النفس الحديث ، ولعله ادرك ذلك . فقال : (حقا ان التوحيدى يستخدم من المصطلحات مايختلف عن المصطلحات السيكولوجية الحديثة ، ولكن معانى هذه المصطلحات قد لا تختلف كثيرا عن معانى تلك المفاهيم العلمية التى اصبحت سائدة الآن فى مضمار التحليل النفسى) . الحق ان ومضات التوحيدى النفسية كثيرة لماحة، ولكنها لا تجعل منه باحثا سيكولوجيا بالمفهوم العلمى الحديث . ولعل تحمس الدكتور زكريا هنا هو رد الفعل الطبيعي للغمزة التى غمز بها المستشرق «مايرهوف» فيلسوفنا ابا حيان فى خلال حديثه عن كتابه « المقابسات » ، فقد ذكر هذا المستشرق انه « ليس لهذه المحاورات قيمة كبيرة » . ولم يسكت الدكتور زكريا ــ بالطبع ــ على هذه الغمزة فرد عليها قائلا : (ونحن لا نوافق مايرهوف على قلة جدوى المحاورات التى نقلها أبو حيان ، فأن صياغتها فى القالب الأدبى لا تنتقص من قيمتها العلمية ، بل هى تدلنا على ان التوحيدى كان واحدا من اولئك الادباء الفلاسفة ، والفلاسفة الأدباء ...) .

والدكتور زكريا ابراهيم فى مغالاته وغلوه فى حب ابى حيان يجعل من ملحوظاته العابرة :

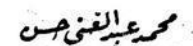
(كثيرا من الملاحظات السيكولوجية القيمة ، والنظرات الفلسفية العميقة ...) ومن هذه الملاحظات والنظرات الفلسفية العميقة ــ فى نظر الدكتور زكريا ابراهيم ــ فكرة ترك الماضى بوساوسه ، والمستقبل بمخاوفه ، والانشغال بالحاضر وحده ... وهذه الخاطرة العابرة عبر عنها شاعرنا القديم قائلا :

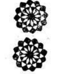
ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى انت فيها

الم اقل لك ان الدكتور زكريا محب كل الحب لأبى حيان ؟ فلم يكتم أن يحابيه وأن يتحيز له كما صرح بذلك فى مقدمة الكتاب ، وكما بدا ذلك فى خلال الكتاب . ورحم الله شوقى القائل :

(ولكن من احب الشىء حابى)

وبعد : فقد استمتعت بكتاب الدكتور زكريا ابراهيم عن ابى حيان التوحيدى فقد كشف عن نواح من الرجل لم يكشف عنها الأدباء ، فكان بذلك مثالا لما بين الفلسفة والأدب من وشائج ، وهى وشائج احسن الحديث عنها فى ايجاز دقيق الأستاذ على ادهم فى مقدمته لكتابه: « بين الفلسفة والأدب » الذى ظفرت به المكتبة العربية منذ قرابة عشرين عاما ...





سطور من كتاب ...

« كانت المهمة الأساسية للكتاب ، ولا زالت ، هى نشر المعرفة والفن والتسلية ، فلم تقم اساسا كوسيلة لنشر الأنباء ، وترجع أول صحف دورية نشرت الى عام ١٦٠٩ م فظهرت فى أوجسبورج وستراسبورج . »



المنزل

تأليف
م. فورستر

ترجمة : محمد مفيد الشوباشى
مراجعة : فــؤاد انـدراوس

الكاتب الانجليزى المعاصر ادوارد مورجان فورستر من المخضرمين ، فقد ولد بلنـدن فى سنة ١٨٧٩ وتخرج من كلية الملك بجامعة كمبردج . وقد عرف بالقلة فى انتاجه ، ولكنه ناضج الفكر والأسلوب ، وقد يختلف الناس حول مرتبته الفنية فى عالم القصة ، بيد انه لا خلاف تقريبا على صفة واحدة يتحلى بها هى « الاحترام والوقار » .

وقد أشار فورستر الى ذلك بمناسبة احتفال الاذاعة البريطانية قائلا : « انى لم اكتب بالكثرة التى كنت أودها ... فأنا اكتب لسببين: فمن جهة اكتب لأحصل على المال ، ومن جهة أخرى اكتب لأحصل على احترام من احترمهم من الناس ! ... وقد يحسن أن أضيف الى هذا انى على يقين من انى لست قاصا عظيما » ولكن الأكثرين من صفوة القراء والنقاد يرون فيه غير هذا الرأى ، ويعتبرونه كاتبا عظيما ، وان لم يكن قاصا عظيما على وجه التحديد فى أرجح الآراء ..

ولفورستر خمس قصص طويلة مشهورة هى « رحلة الهند » و « هواردز اند او البيت الريفى » و « وحيث يخشى الملائكة أن يضعوا اقدامهم » و « أشد الرحلات طولا » و « حجرة تطل على منظر » . وله مجموعة من القصص القصير ، وكتابان عن الاسكندرية التى قضى بها فترة الحرب العالمية الأولى فى خدمة الصليب الأحمر .

وقد نشرت آخر قصصه الطويلة ، وهى « رحلة الهند » فى سنة ١٩٢٤ ، اما القصص الأربعة الأخرى فظهرت تباعا فيما بين سنتى ١٩٠٥ و ١٩١٠ . وقصته « هواردز اند » بالذات بدأها سنة ١٩٠٨ وانتهى منها سنة ١٩١٠ ، فهى تنتمى مثل معظم انتاجه القصصى ـ بل كله فى الحقيقة باستثناء رحلة الهند ـ



هـــواردز أنـــد



الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥١١ ص ١٧×٢٤ الثمن ٤٢ قرشا

الى عالم ماقبل الحرب العالمية الأولى. بيد ان هذه المدة التى تزيد على نصف قرن من الزمان كافية جدا للحكم على فنـــه حكما مستأنيا ، ولا سيما من جهة قابليته للبقـــاء واكتمـــال عناصره . وقد يدل على شيء من هـــذا ان قلة انتاجه وتباعده لم يكونا سببا فى اختفاء اسمه واندثار شهرته ، فالاقبال على أعمـــاله لم يزل شديدا ، حتى ان قصته « رحلة الهند » وزعت قرابة المليون نسخة . ولا يذكر اعلام القصـــة الكبـــار فى انجلترا الا ذكر فى طليعتهم أ . م . فورستر .

فلماذا ؟

لأن له طعمه الخـــاص فى قصصه كله على العموم ، ذلك الطعم الذى يتميز به عن ســـائر معاصريه ، لانه لا يتبع تيارا أدبيا معينا ، ولم يتأثر فيما كتب بالطبيعيين الفـــرنسيين على الخصوص ، على فداحة نفوذهم فى الفترة التى ظهر فيها الجانب الأكبر من أعماله القصصية . فهو قاص على الطريقة الانجليزية ، يروى حكايته بنسقه الخاص فى أناة ، ويلف قصصه جـــو الغموض الضبابى فى مواضع كثيرة ، وهو جو شبيه بجو انجلترا الواقعى .

ويتخذ فورستر دائما دور الراوية المحيط بكل شيء علما ، الذى يعلق على احداث القصة واشخاص ابطالها تعليقـــات ثمينـــة نفاذة . والحبكة عنده ــ فيما عدا رحلة الهنـــد ــ من نوع غير مألوف ، والأحداث غريبـــة بعيـــدة الاحتمال . وهو على غرار فيلدنج وثكرى يجعل من قصصه معرضا لمواقف شخصية هدفهـــا الانتصار على الظروف المحيطة ، فكأنها «غزوات» للشخصية الرئيسية غايتها تحقيـــق الذات أو تطويع البيئة النفسية والاجتماعية لقيم محددة.

ويمكن القول ان قصصه تنقصها الوحـــدة المتماسكة فى الأحداث ، ولكنها تتماسك بفضل وحدة الأسلوب ؛ الذى يشـــهد له الجميع بأنه شديد التميز ، فهو صاحب اكثر الأســـاليب تفردا بين القصاصين الانجليز المعاصرين ، منذ « مريديث » ، الذى يدين له فورستر بشيء غير قليل من الاستاذية .

وماذا تمثل مواقف أبطال قصصه بوجـــه عـــام ؟

انها تمثل قبل كل شيء « الايمان بقداســـة الصلات القلبية » ، ولعله متأثر فى هذا بنشأته الخاصة فى كمبريدج ، حيث الاهتمام شـــديد بالصلات الشخصية والأحاديث الفكرية الرصينة ونزاهة الرأى واستقلاله . الا أنه لا يعرب عن هذه القيم فى قصصه بطريقة مباشرة ، بل يعمد غالبا الى الرمز ، وليس أمام القـــارىء الا أن يخرج « ثمرة الكستناء » من غلافهـــا الصلب الشائك ، ان شاء البحث عن المغزى العام . أو أن يستشعر ذلك بفطنته المباشرة .

وأيا كان الأمـــر ، فقصص فورستر عموما أشبه ببستان متنوع الثمار ، ولكن أشجـــاره جميعا مثقلة بالناضج المتمـــاز من كل نوع .

وليس بين الثمار من وحدة الا وحدة التذوق ، ووحدة الطبيعة الواحدة الخالقةوالتربةالواحدة الخصبة والأفق الواحد .

وقد يكون من اكثر مواضــع قصصه دلالة على طريقته الفنية فى نقل احساس ابطالهبالواقع على نحو شخصى متفرد ، تلك الفقرة التىوردت فى كتاب « البيت الريفى هواردز اند » عن تجربة البطلة هلين شليجـــل مع سيمفونية بتهوفن الخامسة : (ص ٤٥ من الترجمة العربية) :

« وكانت الموسيقى حينــذاك قــد بدات بشيطان يسير فى هدوء من احد أطراف العــالم الى الطرف الآخر ، ويتبعه آخرون . ولم تكن مخلوقات معتدية ، وهذا هو الذى جعلها تبدو لهلين مخيفة جدا . ان كل مافعلته انها لاحظت اثناء مرورها ان الدنيا خاليـــة من الجلال أو البطولة ، ثم عادت من جديد بعد فاصــل من رقص الفيلة ، وابدت نفس الملاحظة الثانية . ولم تستطع هلين تكذيبها ، لأنها شعرت بمثل هذا مرة على الأفق ، ورات جـدران الشباب المكينة تنهار ... رات الفزع والفــراغ ! ... كأن الشياطين على صواب .

الفزع والفراغ ! ...

« ورفع اخوها اصبعه ... لقد كانت هذه فقرة الإنتقال على الطبـــل . ذلك انه لما بدا ان الإمر تجاوز حده قبض بيتهوفن على الشياطين ، وحملها على فعل مايريد ... وظهر بشخصه ، ودفعها دفعة هينة ، فبدات تسير على المقـــام الموسيقى الكبير بدل الصفير ... ثم نفخ بفمه فتشتتت ! نفحات من الجلال .. آلهة وانصاف آلهة يصطــرعون بسيوف هائلة ... والوان وروائح زكية منشورة على ميدان القتال ... انتصار رائع ! وموت رائع ! اوه . لقد تفجر هذا كله أمام الفتاة حتى انها مدت اليه يديهـا المكتسيتين بالقفاز كأنما يمكنها لمســه ... ان الموت جليل أيا كان ، والنضالمستحب أيا كان، والغالب والمغلوب على السواء ينالانالاستحسان من ملائكة الانجم العليا .

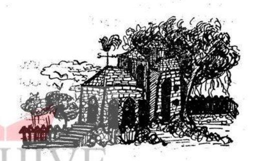
« والجان ! ... انها لم تكن فى حقيقة الإمر هنــاك قط ، ــ اكانت مجـــرد اشباح للجبن والكفر ؟ وهل دفعة واحدة انسانية ســـليمة تبددها ؟ ان رجالا مثل أسرة ويلكوكس او مثل الرئيس روزفلت يجيبون عن هـــذه الأســئلة بالايجـاب . ولكن بيتهوفن كان ادرى . فالجن موجودون حقيقة وفعلا . وقد تعود الجنيات،.. وها هى ذى عادت . وبدا كأن جلال الحياة قد يفور ويتحول الى بخار ويذهب جفاء ، وفى اثناء تحلله ارتفعت النغمة الرهيبة المشئومة ، وبدا شيطان يمشّى فوق الكون فى هدوء ، وفى خبث متزايد ، متنقلا من احـد طرفيه الى الطــرف الآخــر .. والفزع والفــراغ ! .. الفـــزع والفراغ ! .. وحتى حصون العالم الساطعة يمكن ان تتهاوى ..

« وقد شاء بيتهوفن ان يصحح كل شىء فى النهاية ، فاقام الصروح المنهارة ، ونفخ بفمــه مرة ثانية فتبددت الشياطين من جديد ، واعاد نفحات الجلال والبطولة والشباب ، وبهـــاء الحياة والموت ، واختتم سيمفونيته الخامســة وسط هدير هائل من الطرب الأسمى . ولكن الشياطين كانت هناك . وكان فى مقدورها ان تعود ادراجها .. لقد قال ذلك فى شجاعة ، ولذلك يستطيع المرء ان يثق فى بيتهوفن عندما يقــول أشياء أخرى .. » .

فهذه الفقرة نموذج لأدب فورستر كله وما ينطوىعليه من نظر ثاقب وبصيرة نفاذة الىطبائع الأشياء الكامنة وراء محسوساتها الظــاهرة . واسلوبه متفرد وشخصى لأن التجربة التى يعبر عنها متفردة وشخصية . فليس اسلوبه لفظــا مستقلا ، وانما هو تجسيم لفظى لتجربة فكرية او وجدانية خاصة اشد الخصوصية . ولا يتسنى للقارىء غير المثقف روحيا وعاطفيا ان يفهمـــه بوضوح . بل لابد من قارىء تعود رياضة نفسه وفـكره على التـــأمل والتعمق الفـــردى فى الاحساسات كى يفهم مرامى هذا الكاتب الرصين المقل ، لانه لا يكتب كتابة ذهنية بل تنبع كتاباته من المنبع عينه الذي يستقي منه الشاعر : منبع

التجربة الحية الناضجة التى لا تتيسر فى كل حين .

والحقيقـة ان قصـة « البيت الريفى هواردز اند » اختيار موفق جدا يدل دلالة وافية على فن فورستر ، وقد ترجمه مترجم شـاعرى اللغة والاحساس فاستطاع أن يوفر للترجمـة الكثير جدا مما يمتاز به الأصل الانجليزى من طعم خاص . فالأستاذ محمد مفيد الشوباشى يستحق الشكر والثناء على هذا الجهد الطيب الذى اضاف به ذخرا آخر الى المكتبة العربية .



والبيت الريفى قصة أخرى من قصـص الكفاح فى سبيل التوازن النفسى والفردى فى عالم مضطرب متغير متباين العناصر . فلم لا مبرر لوجود الانسان فيه الا ما يستدعه من احساس فنى فى أعمال المخيلة والفن ، ولا سيما الموسيقى ، فهو شديد النقد فى هذه الرواية لافتقار الانسان المعاصر الى التكامل المتوازن ، نتيجة لعدم النضج الوجدانى او توقف ذلك النضـج عند مرحلة معينة . فهؤلاء هم الأشرار حقا فى رواية البيت الريفى ، بل وفى معظم رواياته الأخرى أيضا . وهذا الافتقار الى النضج الوجدانى راجع — فى رأى فورستر — الى القيم التى تسود تربية الطبقـة الوسطى الراقية فى انجلترا ، أى طبقة الأغنيـاء ، حيث لا يوجد تحت السطح عندهم سوى الخواء التام فى الاحساس . فلا شخصية حقيقية لهم ولا فردية فكرية أو وجدانية . وفى مقابل هـذا الاطار المنحط من القيم يضع فورستر شخصية أو شخصيات من نوع آخر تمثل النضج والاصرار على حياة التكامل المتوازن داخليا وخارجيا .

وفى هواردز اند شخصيتان بطوليتان من هذا النوع ، هما الشقيقتان الالمانيتا الأصـل هلين ومرجريت شليجل ، وكأنه يريد بأصلهما الألمانى ان يؤكد المفارقة بينهمـا وبين الطبـع الانجليزى المحض ، ففيهما استقلال فى الرأى ، واحساس عميق بالموسيقى ، واخلاص شـديد لذات نفسيهما . ومع هذا فهما مختلفتان فيما بينهما اختلافا واضحا فى مكونات المزاج وطريقة التفكير . وبين هاتين الشقيقتين الفذتين وبين البيئة الانجليزية الصميمة فى طبقتها الوسـطى العالية وطبقتها الوسطى الصغيرة تجرى صلات تترتب عليها مواقف وتحليلات قيمة لكل ما تمثله الحياة الانجليزية من انظمـة وأسـاليب فكرية وخلقية أشبه بالقوالب الصماء .

ويمثل الطبقة الثرية الجامدة السـطحية آل ويلكوكس ، ومع هذا لا يحول التباين الشديد دون نشوء الحب بين مارجريت ورأس هـذه الأسرة الأرمل ، صاحب البيت الريفى هواردز اند الذى احبته هلين حبا شديدا منذ بداية القصة ، لأنه بيت ذو « جـو » ، وذو « شخصيـة » متفردة . . .

ان فورستر يحلل فى هذه الرواية كل شيء يعرض للحياة اليومية للشخصية الأساسية ، فهو يندد مثلا بأن « الانجليزى العـادى » يرى الدنيا يوم الأحد بغير العين التى يراها بهـا فى سائر أيام الأسبوع ! انه فى يوم الأحـد يرى الجبال والطبيعة ، أما فى أيام الاسبوع الأخرى فلا مكان لها عنده !

فهذه الآنسة شليجل تقول للشاب باست :

« انك كنت على نحو يوم الأحـد الماضى ، واصبحت على نحو آخر اليوم . . . ونحن نود أن تكون هناك رابطة بين يوم الأحـد والأيام الأخرى ، فأى خير فى نجومك واشجارك وشروق شمسك ورياحك اذا هى لم تدخل فى حياتنـا اليومية ؟ اليس علينا جميعا ان نكافح شـقاء الحياة اليومى ، والخسة ، والابتهاج المصطنع ، وإساءة الظن ؟ انا اكافح ذلك بتذكر أصدقائى ، وأعلم ان غيرى يكافحون بتذكر مـكان ما . . .

مكان ما محبوب .. أو شجرة .. وقد ظننتك أحد هؤلاء » .

وانظر الى هذا التعليق على تطور الملكية فى العصر الحديث :

« ان الملكية الاقطاعية للأرض كانت تورث الوقار ، بينما الملكية الحديثة للمنقولات ترجع بنا القهقرى الى عهد القبائل الرحل . اننا نرتد الى حضارة (الامتعة المنقولة) ، وسيذكر مؤرخو المستقبل كيف كانت الطبقات الوسطى تكثر من تملك الأمتعة دون ان تتخذ لها قرارا من الأرض ، وقد يجدون فى ذلك سر فقرها فى الخيال ! » .

اما الحب فيقول عنه :

« كثيرا ما عجبت مارجريت للاضطراب الذى يغشى مياه العالم عندما يتسرب اليها « الحب » ، وهو الذى يبدو كحصاة صغيرة اشد الصغر ! فمن ذا الذى يهتم بالحب غير المحب وحبيبته ؟ ومع ذلك فان وقعه يفرق مئات الشواطىء ، ولا ريب ان ذلك الاضطراب هو فى الواقع روح الأجيال تحتفى بالجيل الجديد ، وتتحرش بالقدر النهائى الذى يمسك بالبحار جميعها فى راحة يده . ولكن الحب لا يستطيع ان يدرك ذلك . انه يعجز عن فهم خلود غيره لأنه لا يعى الا خلوده هو وحده ... شعاع طائر ، وردة متساقطة ، وحصاة تلتمس غطسة واحدة هادئة تحت تفاعل الزمان والمكان القلق المضطرب ... والحب يعلم انه سيظل حيا بعد فناء كل شىء ، وان القدر سيلتقطه كما تلتقط الدرة من الطين » وسيسلم فى اعجاب الى محفل الآلهة . وسيقول الآلهة : « ان الناس ابتدعوا هذا » واذ يقولون ذلك يمنحون الناس الخلود ! » .

ولو طاوعنا انفسنا فى الاختيار لنقلنا عشرات الصفحات من ثمار هذا البستان المثقل بفوالى الحكم العميقة والنظرات الحصيفة فى الحياة والناس .

وكان فى ودنا ان يسلم الكتاب من الهنات القليلة التى نحسبها من قبيل السهو . ففى ص ٦٩ مثلا « ترتفع بها هنا وهناك (هضابا) غير منتظمة الشكل » . وصوابها هضاب طبعا ، بغير الف ، لانه لا موجب فى هذا الموضع للنصب .

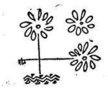
وفى ص ١٢٨ « وكانت عيناه حتى وهو يهم بالأكل تمتلئان بالدموع فيضع (لقمة العيش) امامه دون ان يذوقها » . والمقصود هنا كما جاء فى النص الانجليزى نصيبه (الذى اقتطعه أو اقتطع) له من الطعام ؟

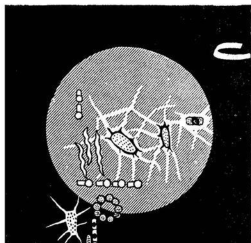
وفى ص ١٣٣ « كانت المتوفاة تشق (فى) زوجها » وصوابها تثق بزوجها ، وفى ص ١٦٣ « ان (تواضعى) اكثر من جمالى » والأصح الرجوع الى الأصل ليس التواضع بل الحياء أو الاحتشام ، وان كانت الكلمة بالانجليزية من معانيها التواضع أيضا ، الا ان التواضع ليس المعنى المقصود هنا ...

والمضاف اليه كليهما ، بل على المضاف اليه فحسب ...

وامثال هذه الهنات القليلة لا تهبط بقيمة هذه الترجمة الجميلة .

د . نظمى لوقا





صراع مع الميكروب

تأليف

د. محمد رشاد الطوبي

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٥١ ص قطع صغير - الثمن قرشان

عالم الميكروبات عالم حافل عجيب اطل الانسان عليه منذ حوالى ثلثمائة عام أى بعد اكتشاف الميكروسكوب ولا يزال يقف منه على الاعتاب اذ يكتشف منه كل يوم جديدا ، وقد أصبح الميكروسكوب الالكترونى اليوم نافذة سحرية جديدة تطل منها على دنيا الفيروسات أو « ما وراء الميكروبات » .

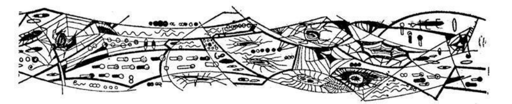
وللميكروبات صلة وثيقة بالانسان فى جميع مجالات حياته ، ففى المجال الزراعى مثلا تلعب البكتريا دورها المعروف فى تسميد التربة عن طريق تثبيتها للأزوت الجوى ، كما تسبب الفطريات كثيرا من امراض النبات مثل صدأ القمح وبياض العنب وجرب البطاطس . وفى المجال الصناعى تلعب الميكروبات أيضا دورها اذ تعتمد كثير من الصناعات كصناعة الكحول ومنتجات الألبان على أنواع مختلفة من الكائنات الدقيقة . أما فى المجال الطبى فيمكن ذكر قائمة طويلة من الأمراض الخطيرة التى تسببها الميكروبات والتى سيأتى ذكرها فى مواضعها من البحث .

ونظرا لهذه الصلة احتلت دراسة الميكروبات مكان الصدارة بين العلوم البيولوجية فى كل الدول المتقدمة علميا ، ولم تقف بلادنا أمام هذا التقدم العلمى موقف المتفرج ، فالبحوث التى تجرى داخل معاملنا اليوم قد أصبحت محل اعتبار فى المجالات الأكاديمية الدولية ، وقد أدت معظمها الى نتائج تصلح أساسا للتطبيق العلمى فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى ... ولهذا بات من الضرورى ان تتسع دائرة ثقافتنا ومعرفتنا بالعلوم الميكروبية حتى تواكب تقدمنا العلمى التجريبى فى هذا الميدان ، فمن الملاحظ ان ثقافتنا العامة فى كثير من العلوم التجريبية لا تزال متخلفة خطوات واسعة عن المرحلة التى بلغها المتخصصون فيها وان هناك هوة سحيقة بين ما يجرى فى معاملنا وما يجرى على ألسنتنا . ولعل السبب فى ذلك راجع الى قلة المراجع العربية التى تقدم الحقائق والمعلومات الأساسية لغير المتخصصين بطريقة مبسطة تمكنهم من المشاركة فى الاهتمام بالبحث العلمى ومتابعة التقدم الذى يحققه علماؤنا فى وعى واحتفال .

ومن هنا تتضح أهمية ظهور كتاب كالذى نتناوله اليوم بالدراسة والتحليل .

وكتاب « صراع الميكروب » يتناول بالشرح ثلاثة جوانب رئيسية من علم الكائنات الدقيقة :

١ - تعريف بالميكروبات : ماهيتها وخصائصها وعلاقتها بالانسان .

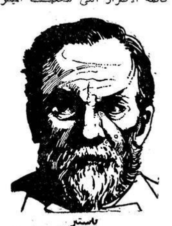


٢ ـ متابعة للدراسات الميكروبية منذ بدء اكتشاف هذه الطائفة من الكائنات حتى أصبحت دراستها علما قائما بذاته .

٣ ـ بسط مفصل للمعارك التى خاضها العلماء فى مختلف انحاء العالم ضد الميكروبات حتى تم للعلم الانتصار على بعضها وتسخير بعضها الآخر لصالحه .

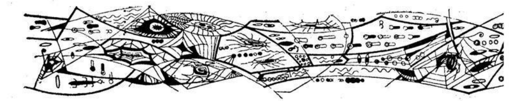
أما الجانب الأول فقد تناوله المؤلف فى مقدمة كتابه حيث عالج تعريف الميكروب كما يفهم من اسمه العلمى المؤلف من مقطعين هما Mikros أى دقيق و Bios أى حياة ، وبذلك تكون الميكروبات هى الكائنات الحية الدقيقة ، وقد بين المؤلف أن من الميكروبات ماهو نافع كالخميرة ، وفى ذلك تصحيح للاعتقاد الشائع بأن الميكروبات لا ترتبط الا بالضرر ... وقد التزم المؤلف الحديث عن الأنواع الضارة وحدها لأنها هى التى عاش معها الانسان فى صراع ، وهذا الصراع هو موضوع الكتاب .

وطبيعى أن تكون الأمراض البشرية على رأس قائمة الأضرار التى تلحقها الميكروبات


باستير

بالانسان (وهذه القائمة تشمل أيضا أضرارا غير مباشرة كأمراض النبات التى أوردنا أمثلة منها فى مستهل المقال والتى لم يخصص لها المؤلف طرفا من حديثه المستفيض مع انه لم ينس الاشارة الى مرض ديدان القز الذى يدخل أيضا ضمن الأضرار غير المباشرة التى لا تصيب الانسان فى نفسه وانما فيما يستغل من أحياء لصالحه) .. على اية حال لقد أوضح المؤلف ان الميكروبات المسببة للأمراض تنتمى الى ثلاث مجاميع من الكائنات الحية هى البكتيريا ، والحيوانات الأولية والفطريات مرتبة حسب خطورتها ، وأورد عديدا من الأمثلة للأمراض التى تجلبها كل مجموعة ، فمن الأمراض البكتيرية الدفتريا والتيفود والطاعون والسيلان والسل ، ومن الأمراض التى تسببها الحيوانات الأولية الملاريا والدوسنطريا الأميبية ومرض النوم ، ومن الأمراض الفطرية القراع .

ولم ينس المؤلف أن يشير الى مجموعة أخرى من مسببات الأمراض هى الفيروسات التى يبدو مما أورد المؤلف من شواهد ، ان الرأى لم يستقر بعد على ما اذا كانت كائنات حية ام غير حية فهى على أقصى اجتهاد تمثل عالم « ما وراء الميكروبات » ... ونستطيع ان نضيف فى هذا المجال ان الاقتناع السائد بين الأوساط العلمية المتخصصة اليوم هو ان الفيروسات كائنات غير حية ولكنها قادرة على « استعارة الحياة » وهو اقتناع مبنى على الدراسات المستفيضة عن خصائص هذه المجموعة وتركيبها ونشاطها ، ويعزز هذا الاعتقاد حقيقة معروفة عن الفيروسات هى انها لا يمكن زرعها على مواد غذائية كما فى حالة البكتريا والفطريات ، بل لابد من نسيج حى لكى تنمو فيه ، وقد أثبتت المشاهدات العملية ان الفيروسات تسكن نواة الخلية الحية حيث تندمج مادتها مع مادة النواة



حتى اذا ما اتخذت الأخيرة شكل الخيوط الصبغية « الكروموسومات » تمهيدا لانقسام الخلية انقسمت معها بالضرورة المادة الفيروسية وبذلك تكتسب الأخيرة صفة الانقسام أى خاصية التكاثر المميزة للكائن الحى .

والمهم على اية حال أن نعرف بعض الأمراض الفيروسية التى تصيب الانسان وفى مقدمتها الكلب والحمى الصفراء والجدرى .

اما عن الجانب الثانى فقد روى المؤلف فى فصلين ممتعين من الكتاب تحت عنوان « العين السحرية » و « الميكروبات تتوالد » كيف بدات معرفة الانسان بالميكروب بطريق الصدفة حوالى عام ١٦٦٥ عندما كان لوفنهوك ـ وهو رجل هولندى كان يعمل فى متجر قماش ـ يلهو بالنظر فى ميكروسكوب بدائى قام بصنعه (وقد تولدت لديه بحكم وظيفته المنحصرة فى فحص الياف المنسوجات بعدسة يدوية هواية مشاهدة الأشياء مكبرة ودفعه هذا الى تعلم صناعة العدسات) وخطر له ذات يوم ان يفحص قطرة من المطر المتجمع فى الحديقة فوجدها لدهشته تموج بكائنات دقيقة متحركة ... وهكذا أصبح وجود الميكروبات حقيقة منظورة .

الا أن مصدر الميكروبات ظل مجهولا مع ذلك . فقد كان المعتقد السائد حتى ذلك الوقت ان الضفادع والديدان والحشرات تتولد من الطين والأوساخ ـ وهى حيوانات كبيرة يسهل متابعة تطورها ومعرفة أصلها ـ فما بالنا بالميكروبات التى لم تتضح للعين الا بعد تكبيرها ثلثمائة ضعف ! .. وقد رسخت مثل هذه العقيدة الخاطئة عن أصل الميكروبات نتيجة للتجارب الفجة التى قام بها نيدهام Needham البريطانى بعد ان لاحظ تولد الكائنات الدقيقة فى حساء اللحم الذى حاول تعقيمه فلم يفلح فاعتقد ان هذه الكائنات تنشأ من الحساء كما تنشأ الضفادع من الطين ... ولكن هذه الخرافة لم تقنع العالم الايطالى سباليزانى Spallanzani الذى قام بتطوير تجارب نيدهام متخذا كل الاحتياطات لمنع تسرب الميكروبات الى الحساء وذلك بغليه عدة ساعات ولحام زجاجاته على النار بعد الغليان مباشرة ، وبذلك تأكد لديه بما لا يقبل الشك ان الميكروبات لابد وانها تتسرب من الهواء وان الحساء ماهو الا وسط غذائى صالح لنموها وتكاثرها ... وهى العقيدة الراسخة حتى يومنا هذا .

وفى فصل عنوانه « صائد الميكروبات » يبين لنا المؤلف كيف بدات دراسة الميكروبات تتخذ شكلا علميا منظما على يدى العالم الألمانى روبرت كوخ Robert Koch منذ أقل من مائة عام وكيف ان الطرق التى ابتكرها هذا العالم واستخدمها بدقة وعناية فى اقتناص الميكروبات من الحيوانات المريضة وتربيتها وفحصها وتتبع نشاطها داخل جسم الحيوان وخارجه قد أدت الى تحديد الأنواع المسببة لثلاثة أمراض خطيرة هى السل والكوليرا والجمرة الخبيثة .

أما بالنسبة للجانب الثالث من البحث ، وهو الجانب الرئيسى الذى يشغل باقى فصول الكتاب فقد تابع المؤلف الصراع الدائر بين الانسان والميكروبات المسببة للأمراض داخل جسم الانسان وخارجه .

اما داخل الجسم فان الصراع يتم دون تدخل من الانسان ، فقد زود الجسم بالأسلحة اللازمة للمقاومة ، والتى تتمثل فى ثلاثة خطوط للدفاع ضد الميكروب أولها الجلد ـ ودوره وقائى صرف ويكاد ينحصر فى منع الميكروب من التسلل الى داخل الجسم ـ فاذا ما نجح الميكروب فى الغزو فهناك خط الدفاع الثانى وهو الدم حيث

تبدا المعركة الحقيقية بين الميكروب وكريات الدم البيضاء التى تحاصره وتكون مهمتها على جانب من التخصص وتوزيع العمل ، فمنها مايفرز من المواد ما يقتل الميكروب ومنها ما يعـادل أثر السموم التى يفرزها ، ومنها ما يبتلع الميكروبات بحالها .. وعلى ذلك يمكن القول بأن وظيفـة الدم فى المعركة دفاعية وهجومية فى آن ... اما اذا لم ينجح الدم فى اهلاك الميكروب فهناك خط الدفاع الثالث وهو مؤلف من بعض الأحشـاء الحيوية كالكبد والطحال ونخاع العظـام التى يمكن أعتبارها « مخازن الذخيرة الحية » ، التى تمد الدم بحاجته من الكريات البيضاء ، وهناك أيضا الغدد الليمفاوية التى تلتقط ما يمر بهـا من الميكروبات أثناء الدورة الدموية وتأسره وتقوم بدور المقاومة السرية .

وهكذا نرى ان الصراع داخل الجسم صراع لا ارادى وجل مهمة العلم فيه مجرد الاحاطة به ومتابعته واعادته الى ميزانه الطبيعى اذا اختل هذا الميزان ...

اما المعركة خارج الجسم فهى معركة منظمة تتم بتدخل كبير من الانسان بعد اعتمـاده على العلم بكثير من الحقائق التجريبية الهامة التى سيأتى ذكرها فى مواضعها ، ويدور الصراع على هذا الأساس فى ثلاث جبهات .

اولا ــ مكافحة الحشرات الناقلة للأمراض :

وهو صراع يعتمد على علم الانسـان بطريقة انتشار الأمراض وقد ضرب المؤلف لهذا النوع من الصراع مثلين واضحين هما مكافحة الحمى الصفراء والملاريا (والأول كما قدمنـا مرض فيروسى والثانى راجع لحيوان أولى جرثومى) .. وقد ظل الانسان قرونا طويلةعاجزا امامهما .. وذلك بسبب جهله طريقة انتشار هذين المرضين اللذين راح ضحيتهما بعض رواد العلم وتعطلت بسبب أولهما مشاريع عمرانية ضخمة لسنوات طويلة ، كما اباد الثانى جيوشا بأكملهـا وظل حتى اليوم عائقا دون الانتعاش الاقتصـادى فى بلد كالهند ... وظل الحال هـكذا حتى أماط العلم اللثام عن ان هناكعاملا وسيطا بينالانسان وبينهما هو البعوضـة تلك الحشرة الدقيقـة كالابرة التى ينقل نوع منها يسمى « الأنوفيل » جـراثيم الملاريا ونوع ثان يسمى « أيدس » فيروس الحمى الصفراء دون أن يصاب هذا أو ذاك بالمرض بل يظـل قادرا على توزيع المرض بين الناس طول حياته ... وبهذا الكشفأصبح من الضرورى توجيه المعركة ضـد البعوض نفسه ، فبدون هذا تظل محاولة الانتصار على المرض ضربا من العبث . وتتم مقاومة البعوض اما باستعمال المبيدات الحشرية أو بردم البرك والمستنقعات حيث يتوالد ، أو بتسميم مياهها لقتل يرقاته ، أو بتربية أسماك الجامبوزيا فيها لما عرف من شراهتها فى افتراس هذه اليرقات .

ولا شك ان اكتشاف دور البعوض فى نقل الملاريا والحمى الصفراء قد فتح المجـال امام العلماء للبحث عن دور الحشرات عموما فى نقل مختلف الأمراض ، وهكذا تحددت العلاقة بين البرغوث والطاعون ، وبين القمل والتيفوس ، وبين الذباب وعـديد من الأمراض البكتيرية والفيروسية ، وقد اصبحت هذه الدراسـات علما قائما بذاته هو علم الحشرات الطبية .

وفى الوقت نفسه تطورت أبحاث مكافحة الحشرات التى اصبحت جبهة جديدة وحيوية فى الحرب بين الانسـان والميكروب ، استخدم فيها العلم سلاحا لا يقل فاعلية عن الأسلحة التى زودتنا بها الطبيعـة فى اجسـامنا للوقاية من الميكروبات ..

ثانيا : مكافحة الميكروب باللقاحات والامصال :

وهو صراع يعتمد على استغلال خاصية مدهشة من خصائص الدم ، وهى انه اذا ما دخله جسم



غريب فانه ينتج مواد خاصة تسمى بالأجسام المضادة « Antibodies » تبطل مفعوله الضار ، ويستمر الدم فى افرازها فترة من الوقت(حتى بعد انقطاع دخول الجسم الغريب) يظل الجسم خلالها محصنا ضده ، وقد ثبت علميا انالبكتريا والفيروسات تحوى خليطا من الأجسام الغريبة (Antigen) يتكون لكل منها الجسم المضاد

الخاص به بمجرد دخول البكتريا فى الجسم ..
وعلى أساس هذه الحقيقة تصنع الطعوم أو اللقاحات Vaccins والامصال Antisera . اما اللقاح فليس الا محلولا مخففا من الميكروبات التى يراد التحصين ضدها على ان تكون مقتولة أو منهكة (ويتم ذلك بالحرارة أو الكيماويات أو الأشعة فوق البنفسجية) بحيث يتغلب الجسم عليها بسرعة . فاذا ما حقن هذا المحلول فى الدم انتج الأخير كميـة من الأجسـام المضـادة للميكروبات الموجودة فيه تكفى لتحصينه ضد المرض الذى تسببه هذه الميكروبات فترة معقولة من الوقت . ولقد توصل العلم أخيرا الى معرفة مكونات الأجسام الغريبة الموجودة فى بعض أنواع البكتريا وتحضيرها نقية للتطعيم بهـا ، وثبت انها اكثر فاعلية لنقاوتها واقل خطـرا لعـدم احتوائها على الميكروب نفسه ، ومن امثلتهـا اللقاح المعروف باسم « PPD » الواقى ضـد ميكروب الالتهاب الرئوى . (واضح من هـذا الشرح ان اللقاحات تستعمل للوقاية لا للعلاج)
اما الأمصال فهى مستحضر لأجسام مضـادة جاهزة تحقن فى الدم فى حالة الاصابة بالميكروب فتساعده على التغلب عليه ، ويحضر المصـل المضاد لميكروب معين من دم حيوان أو انسان منيع ضد هذا الميكروب (وهودم يحتوى على الأجسام المضادة للميكروب) سواء أكانت هذه المناعة قد تولدت طبيعيا باصابة سـابقة أم احدثت صنـاعيا بتطعيم الحيوان باللقـاح الخاص ، وتستخدم الخيول عادة لتحضـير الأمصال لقدرتها على انتاج الأجسام المضـادة لميكروبات أمراض عديدة وعلى تحمـل تكرار



عملية التطعيم ، ويمكن اعداد مصـل مختلط لعدة أمراض اذا تم تطعيم الحصـان بالكائنات المسببة لهذه الأمراض فى وقت واحد .
وواضح من هذا ان الأمصـال تستعمل للعلاج لا للوقاية . الا انها احيانا تستعمل كنوع من الوقاية فى ظروف التعرض الأكيد كما فى حالة انتشار الأوبئة .

هذه هى الفكرة العلمية للامصال واللقاحات وهى فكرة لم يتسع هـذا الكتـاب المبسط لشرحها ، الا ان المؤلف قد تتبـع الصراع بين الانسان والميكروب عن طريق استخدام اللقاحات الواقية من عدة أمراض والتى يرجع الفضل فى اكتشافها الى العالم الفرنسى الكبير لويس باستير Louis Pasteur الذى يمكن تسـميته بحـق « مروض الميكروبات » ، وقـد خصص المؤلف لقصة حياة باستير ومعـاركه مع الميكروبات فصلا كاملا بعنوان «صانع اللقاحات» ، يروى لنا فيه كيف اكتشف ظاهرة المناعة فى حيوانات التجارب ضد ميكروبات ثلاثة امراض خطيـرة هى الكوليرا والجمرة الخبيثة والكلب «السعار» وكيف طبق نتـائج اكتشافاته فى علاج هـذه الأمراض بنجاح منقطع النظير وكأن السماء تقود خطاه لانقاذ البشرية ... والمدهش ان باستير قد وفق فى اكتشـاف اللقاح الواقى من مرض الكلب وتحضيره قبل اكتشاف الفيروس المسبب له ... والذى يدعو الى الاعجاب ان هذا العالم الانسانى بدا المعركة الحقيقية ضـد الأمراض الميكروبية بعد ان اصيب بانفجـار فى المخ تركه مشلولا شللا نصفيا وهو شيخ فى الستين من عمره . ولعل هذا كان حافزه الملح للحرص على انقاذ البشر من ويلات الأمراض فى عزم واصرار وايمان ، فواصل كفاحه المستميت وهـو يحلم بعالم بلا امراض .

ثالثا : مكافحة الميكروب بالمضادات الحيوية :

وصراع الانسان مع الميكروبات فى هـذا المجال يعتمد على استغلال الحـرب الدائرة فى الخفاء بين الميكروبات بعضها البعض فى سبيل تنازعها البقاء ، وذلك بأن يسلط على الميكروبات الضارة أعداءها من الكائنات الدقيقة الأخرى ، ولم يتم اكتشاف هذه الظاهرة العجيبة فى دنيا الكائنات الدقيقة الا حديثا وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٢٩ عنـدما لاحظ الباحث الانجليزى الكسندر فلمنج الذى كان مشـغولا آنذاك بدراسة مزارع البكتيريا أن نوعا من الفطريات ـ تسلل بالصدفة الى احدى هـذه المزارع ـ قد أوقف نمو البكتيريا من حـوله ، وتبين له

بالتجربة ان هذا الفطر يفرز سائلا خاصا أصفر اللون هو الذى يشل نمو البكتريا ، وقد نجح فلمنج فى استخلاص هذا السائل وحقن به فارا مصابا بمرض بكتيرى فشفى منه بسرعة مذهلة وقد أطلق على هذا الإفراز اسم « بنسيلين » نسبة الى اسم الفطـــر الذى يفرزه وهـــو Penicillium notatum ... ويروى المؤلف كيف قوبل اكتشاف البنسيلين فى موطنه الأصلى بالفتور واللامبالاة عشر سنوات كاملة حتى أعلن عن اكتشاف مادة التيروثريسين عام ١٩٣٩ — وهى افراز نوع معين من البكتريا يقتل أنواعا أخرى من البكتيريا ، عندئذ انتبه العلماء الى اهمية هذه الافرازات التى تسمى فى مجموعها بالمضادات الحيوية « Antibiotics » ، ورجعوا الى ابحاث فلمنج عن البنسيلين ، وعلى الرغم من التأكد عمليا من فائدة البنسلين فان انجلترا التى كانت مشغولة ومرهقـة ماديا بالحـرب الثانية لم تستطع أن تمول بحوثا لانتـاجه ، فسافر العلماء الانجليز ومن بينهم فلورى الذى التقط أبحاث فلمنـج وطورها الى امريكا التى تبنت الاكتشـــاف وانفقت ثلاثين مليـونا من الدولارات على ابحاث انتاج البنسلين على نطاق تجارى حتى أصبح هذا العقـــار السحرى فى متناول الجماهير عقب الحرب العالمية الثانيـة بعد ان كان العالم كله لا يملك منه سـوى ملء ملعقة شاى . وقد كان للبنسلين أثره السحرى فى علاج كثير من الأمراض الميكروبية وفى مقدمتها الزهرى والسيلان — وهمـا من اقدم الأمراض البشرية — ومعظم الحميات والالتهابات وتلوثات الجروح مما أنقذ آلاف الجرحى من ضحـايا الحرب ... وثبت انه يفوق أقوى المطهـرات البكتيرية ، كما انه احدث انقلابا هائلا فى العلوم العلاجية التى ظلت تعتمد فى مكافحة الأمراض الميكروبية على مركبات السلفا فظهر ان البنسلين يفوقها مرات فضلا عن خلوه من الأثر السام لهذه المركبات .

وقد كان اعلان النجاح الهائل الذى حققه الطب باستعمال البنسلين حافزا على استخلاص مزيد من المضادات الحيوية التى ظهرت فى تتابع مذهل السرعة حتى لقد اكتشف خـــلال ٤ سنوات (من ١٩٤٥ الى ١٩٤٩) تسعة مضادات حيـوية جـديدة أشهرها الكلورومايستين والاستربتومايســـين والأورومايســـين والتيومايســين (وهى افرازات فطـرية) والبوليمبكسين والباسيتراسين (وهما افرازان بكتيريان) اصبح لكل منها استعمالاته الخاصة وعيوبه المقترنة باستعماله مثـل تسمم الدم فى حالة التيروثريسين ، وتسمم الكليتين فى حالة البوليمكســين ، وخطـــر الصمم فى حالة الاستربتومايسين) ...

ورغم تعدد المضادات الحيوية فانه أطلق على عصر اكتشافها اسم عصر البنسلين نظرا لاتساع دائرة الأمراض التى يعالجها وقلة عيوبه بالنسبة لغيره كما ان انتاجه على نطاق واسع صـادف وقت الحرب العالمية الثانية حينما كانت البشرية فى أمس الحاجة الى عقار سحرى ينقـذ أرواح الآلاف الذين امتلأت بهم مستشفيـات أوروبا وأمريكا .

هذه هى بعض فصول قصـة الصراع بين الإنسان والميكروب كما يرويها الكتاب ولا شك انها قصة مليئة بالتضحيات والدروس الحيـة فى التفانى والأمانة العلمية والتكاتف واستهداف الخير وهى صفات لابد من توافرها فى كل باحث يغرس بذرة المعرفة ويتعهدها شجرة وقد يموت وهو لا يدرى من سيجنى ثمارها من بعده ؟؟

د . عفيفى محمود



الدكتور خالد

تأليف
أحمد حسين

اذا كانت القصة العربية ترغب فى ان تأخذ مكانها « الانسانى » فى الأدب العربى فلابد أن تكون مرتبطة بالحياة . فاذا ارتبطت بالتاريخ الوطنى كان مجالها فى الحقيقة عالميا يؤهلها للترجمة الى اللغات المختلفة ، ويكتب لها البقاء الطويل ، واذا كانت « القصة » عندنا تمر هذه الأيام بأزمة عاتية وتواجه جوا مضطربا فذلك لأنها تقصر عن هذا « الخط الأساسى » وتبعد عنه ولذلك فنحن نرحب ـ وان لم نكن من نقاد القصة ـ بمثل قصة (الدكتور خالد) التى ظهرت بالأمس للاستاذ أحمد حسين المحامى لأنها تمثل النموذج الذى نتطلع اليه لقصتنا العربية وهى تشق طريقها الى المجال العالمى والانسانى ، حين تربطنا بالحياة وبدقائق التاريخ وتقدم لنا صورة حياتنا فى قالب فنى رفيع .

وقصة « الدكتور خالد » هى الشقيقة الثانية لقصة « أزهار » التى صدرت فى العام الماضى ، وأثارت نقدات كثيرة ، ولفتت الانظار بهذا الطابع الجديد التى ـ تحاول القصة العربية ان تشق طريقه ، ومن هنا استأهلت ان تلقى ذلك التقدير الواسع العميق الذى لقيته من عديد من الكتاب والنقاد ـ ثم اتيح لها من أجل ذلك ان تذاع فى الراديو فى حلقات الساعة الخامسة والربع حيث استمع اليها الكثيرون ممن لم يتح لهم أن يقرءوها وأن تعد للسينما من بعد .

ولقد كان الذين قرءوا « أزهار » ينتظرون بشغف الحلقة الثانية لتاريخ مصر فى فترة دقيقة من حياة هذه الأمة لم تستكمل كتابتها من الناحية التاريخية الا بقدر محدود ، فقد كانت الحياة السياسية المصرية قبل الحرب العالمية الثانية مضطربة أشد الاضطراب مليئة بالأحداث والتيارات . كانت الأحزاب السياسية القديمة التى بدأت فى أوائل الحرب العالمية الأولى تحكم وتسيطر وتتداول السلطان فيما بينها ثم لم

الناشر : دار القلم ٥٩٤ ص
١٤×٢٠ سم الثمن ٦٠ قرشا

تلبث الثلاثينيات ان كشفت عن قوى شابة جديدة اخذت تدخل مجال العمل في قوة ويقظة وتشق طريقها من مجالات العمل الوطني في مشروع القرش واعادة الثقة بالوطنية بعد ان حولت السياسة كل شيء الى مناورات ومضاربات ، ثم علا ذلك الصوت واتسع نطاقه واحدث دويا ، واخذت الحياة السياسية المصرية تضطرم بعديد من القوى الشابة العاملة، وهي تحمل في اعماقها السخط على ما وصلت اليه مصر اذ ذاك من احتراف سياسي واضطراب اجتماعي . ثم لم تلبث نذر الحرب العالمية الثانية أن بدت في الأفق ، هنالك وقفت قصة «أزهار» لتترك لشقيقتها أن تحكي مرحلة اخرى ، اختار لها كاتبها فترة الحرب العالمية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) وكان قد وعد بأن يجعل اسمها « محظية الملك » ثم تحول عن هذا الاسم الى اسمها الجديد « الدكتور خالد » فقد كان هذا الشهيد الخالد، هو حجر الرحى في هذه القصة وكانت حياته القصيرة الفريبة المليئة بالأحداث والرؤى والتضحية والكفاح جديرة بأن تخلد على هذا النحو ، واذا كان لنا ان نكشف الستر عن هذا البطل الذى دارت حوله القصة فهو الدكتور « مصطفى الوكيل » خير من قدمت بلادنا من شباب . وذلك النموذج الرائع في خلقه وكفاحه وعلمه .

غير ان بطولة « الدكتور خالد » الذى اطلق اسمه على القصة ليست هي كل شيء في القصة وانما تكون القصة في حقيقة أمرها صورة كاملة دقيقة لحياة مصر والعالم خلال فترة الحرب ، وكيف بدأت الحرب واضطربت لها مصر ، ثم كيف واجهت الأحداث في تطورها ، وتغير الوزارات ، ومؤامرات الاحتلال وحادث ٤ فبراير وكيف مضى مصطفى الوكيل « الدكتور خالد » ليعمل في بغداد ويربط كفاح امتين عربيتين لهما تاريخ أصيل وماض مؤثل مشترك وكيف اتسع به نطاق الحركة الوطنية ، فما ان بلغ الدكتور خالد بغداد حتى ساهم في ثورة رشيد عالي الكيلاني التي هزت بريطانيا ، وكان من نتيجة ذلك ان أوقع الحرج بالعاملين من زملائه في مصر فتلقفتهم المعتقلات وهرب منهم من هرب ،

واختفى من اختفى ، واتسع نطاق القصة حتى شمل الأحداث كلها ، هذا « عزيز المصري » وهو يزمع السفر بطائرة خاصة من خارج مصر ثم تسقط الطائرة قرب بلبيس ، ويختفي عزيز المصري ثم يكتشف مخبؤه فجأة بحادث صغير . ويقبض على هؤلاء واحدا واحدا ثم تتطور الحرب العالمية ويتحول الموقف ، فالجيوش التى كانت تزحف في الصحراء الغربية تجاه مصر حتى تصل العلمين ، وتهتز لها مصر وتترقب احتلالا جديدا من دول المحور (ايطاليا — المانيا) ثم لا تلبث هذه القوات أن تتراجع مرة اخرى وان ترتفع اسهم الحلفاء على دول المحور، ويسقط هتلر ويذهب « مصطفى الوكيل » من العراق الى تركيا ثم الى المانيا حيث يقيم أيام الحرب . فلا يعرف من اخباره شيء حتى تعلن الهدنة وتتوقف الحرب ، ويعود الأسرى والمهاجرون ، ثم يكتشف انه قد استشهد ، في قصة طويلة من كفاحه ونضاله من أجل مصر والأمة العربية ، هنالك تتأثر اعصاب صاحبه مؤلف القصة الى الحد الذى لا يمكن تصويره على النحو الذى يوفى على الغاية الا حين يطالعه القارىء في صفحات هذه القصة الرائعة ، التى تعطى صورة مفصلة حقيقية دقيقة لمصر والعالم العربي خلال هذه الفترة الدقيقة من حياة بلادنا في ٦٠٠ صفحة ، في ذلك القالب الرائع الذى التزم دقائق فنية القصة وعقدتها . فقد انتظمت القصة صورة من الحياة ، كاملة حية ، في مواجهة الأحداث . غيبة المجاهد عن اهله وهجرته ، وتخفيه في هذه الصورة أو تلك بعيدا عن أعين الرقباء ، وفي ادغال القرى ، وفي اطراف المدن ، حيث كل صوت رقيق مزعج ، وكل نقر على الباب يحمل خبرا مثيرا ، وحيث تضطرب الأعصاب وتعيش قلقة ارقة ، لا تعرف النوم ، تترقب كل تطور يقع والحرب العالمية التى ظن انها ستنتهي قريبا ، يتسع نطاقها ويطول أمدها ست سنوات ، تتقلب فيها الأمور، وتواجه مصر فيها عديدا من التطورات والأحداث ، وهكذا تمضى قصة الدكتور خالد فترسم صورة كاملة لكل هذا . في اطارها الفنى الدقيق الذى يلتزم أصول الفن ،ويجرى

في نطاقه غاية في الدقة والعمق والبساطة وقد حولت الأحداث والتاريخ الى عمل فني انساني يعيش ويمتد مع الزمن ويفوق ما يكتب عن طريق المذكرات السياسية أو اليوميات. وقد استطاع — كاتب القصة ان يضيف الى عمله مزيدا من القدرة الفنية والحبكة الدرامية الدقيقة حتى بلغ بالقصة الى الذروة، واستطاع ان يقف في صف القصاص الانسانيين الذين قرأ لهم واحبهم وتأثر بهم أمثال تولستوى وتشارلز دكنز .

واني لأذكر كيف لقيت الأستاذ احمد حسين في دار الكتب في أواخر عام ١٩٦٣ يراجع الصحف اليومية خلال فترة الحرب وجرى بيننا حديث عن السر في اختياره هذا المنهج في كتابة تاريخ مصر خلال هذه الفترة الدقيقة من حياتها هذه الفترة التي لم يؤرخ لها بعد، فقد توقف العقاد في كتابه عن سعد زغلول حتى وفاته عام ١٩٢٧ وتوقف الدكتور هيكل في مذكراته حتى عام ١٩٣٦، وكتب عبد الرحمن الرافعي تاريخ هذه الفترة في كتابه (في أعقاب ثورة ١٩١٩) على النحو الذي اختاره المؤرخ الكبير . وبقى ان تكتب على نحو فني يكشف عن جوانب الصورة من وجهة نظر الذين شاركوا فيها فعلا، وكان لهم في احداثها دور . فلا شك ان دراسة هذه الفترة ضرورى لفهم العوامل الأساسية التي من اجلها برزت الثورة المصرية العربية الكبرى التي انبثقت في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وقد استطاع الأستاذ احمد حسين أن يقنعني بأن كتابة تاريخ مصر على هذا النحو الفني الذي اختاره في قصة « ازهار » هو النهج الأصلح وقد ارتضاه لأمرين (الأول) ان القصة هي الفن الذي اختاره كبار الكتاب العالميين في اعطاء الأحداث التاريخية قوة الحياة في اطار صورة انسانية كاملة . (والثاني) ان المذكرات السياسية لا تلقى من القراء من يعنى بها الا صفوة قليلة من الباحثين . اما القصة فانها تجد مجالا واسعا بين الشباب الذين هم في حاجة الى ان يعرفوا تاريخ هذه الفترة من حياة امتهم .

ولقد عاش « أحمد حسين » منذ هذه اللحظات كتابة قصته وطبعها ومراجعة جذاذاتها حتى استوت بالأمس « بشرا سويا » على حد تعبيره ونحن الآن في أواخر عام ١٩٦٤، وهي تمثل الكتاب (الخامس والعشرين) في انتاجه المستفيض النافع، الذي بدأ منذ ثلاثين عاما وامتد على الزمن في مجالات الكتابة السياسية والاجتماعية والقانون والرحلات والمسرحيات والترجمات ووصل القمة في كتابه الفلسفي الرائع « الطاقة الانسانية » .

ولا يستهويني من كتابات احمد حسين بعد عمله الضخم التاريخي الفني الذي تمثله حلقات (ازهار . الدكتور خالد .. « قصته الثالثة » التي تستوعب الفترة ما بين نهاية الحرب حتى قيام الثورة والتي لم يسمها بعد) أقول لا يستهويني الا كتابته عن « الرحلات » فقد اتيح له ان يذهب في آفاق العالم مشرقا ومغربا وصدر له في الماضي عديد من الكتب عن رحلته الى الجزيرة العربية وآسيا والهند والسودان. ولكني على يقين من ان هذه الرحلات التي سجلها والرحلات التي لم يسجلها تصلح لأن تكون عملا فنيا مرتبطا نافعا في تقديم انطباعاته عن حياة وأفكار وصور هذا العالم الذي زاره وعاش حياة اهله . هنالك يكون قد قدم لنا عملا جديدا في مجال قل وارده . وهو فن كتابة الرحلات . تحية للكاتب العربي الذي قدم عملا فنيا تاريخيا اضاف الى فكرنا العربي صورة ثرية من حياتنا.

أنور الجندي

الكوميديا الالهية

المطهر

تأليف : دانتى اليجييرى
ترجمة : د. حسن عثمان

الناشر : دار المعارف ـ ٤٩٥ ص
١٧×٢٤ ـ الثمن ١٢٠ قرشا

صدر هذا الكتاب الذى يكون القسم الثانى، من الكوميديا الالهية التى كتبها الشاعر الايطالى الكبير دانتى اليجييرى فى القرن الرابع عشر ، وحملت بين جنباتها نتاج خبرته فى الشئون السياسية والمسائل الاجتماعية ، وهى صورة واضحة للآلام والمتاعب التى صادفته فى حياته . فعلى الرغم من ان صوته كان مسموعا لدى المجالس الرسمية فى فلورنسا فى السنوات القليلة قبيل عام ١٣٠١ ، حيث شغل خلالها عدة وظائف كثيرة ، منها أنه كان قيما على الأشغال العامة ، كما كان سفيرا لبلده ، وعضوا فى مجلس السنيوريا وكان أيضا من بين الجماعات التى ما نعت فى امتداد السيطرة البابوية على فلورنسا، غير أن نشاطه قد أصيب بنكسة مميتة فى عام ١٣٠١ بعد وصول شارل دى ڤالوا الفرنسى، فكان ان حوكم غيابيا وتقرر نفيه على ان يقتل اذا حاول العودة الى بلده . كل هذا موضوع مستقل بذاته ، وهو يشمل حياة دانتى وتراثه الانسانى ، غير أن الذى يهمنا ونحن فى هذا الموقف الخاص بنقل هذا التراث الى اللغة العربية ى صورة أمينة مزودة بالكثير والكثير جدا من الحواشى والمقدمات والتذييل ، نجده من الضرورى ان نقدم للقارىء العربى ما نعرفة عن المنهج والمجهود الذى بذل خلال فترة طويلة من الزمن لاخراج هذا التراث الانسانى الكبير الذى تركه دانتى بصفة خاصة فى الكوميديا الالهية التى تشمل ثلاثة اقسام ، والتى ظهر منها بالعربية من ترجمة الدكتور حسن عثمان ، الجحيم فى عام ١٩٥٩ ، والمطهر فى عام ١٩٦٤ ، ونرجو أن نرى القسم الثالث وهو الفردوس خلال السنوات القليلة القادمة ان شاء الله تعالى .

والمترجم قد استطاع أن يروض نفسه على هذا المجهود الشاق ، الذى يحتاج الى الصبر كما يحتاج الى سلامة الذوق ورهافة الحس . وانه قد سار فى اعداد هذه الترجمة على المنهج الذى اختطه لعمله ، وعمل فى صبر وهدوء لاعداد الترجمة فى مرحلتها الأولى ثم العودة الى مراجعتها مرة ثانية ، وربما ثالثة أو أكثر ، وهو يختار فى صياغة أناشيدها بالعربية من الالفاظ التى تحمل المعنى المقصود فى اللفظ الايطالى ، وكم كان هذا صعبا لأنها قد كتبت أصلا باللغة التى كانت معروفة فى عصر دانتى ، وبيننا وبينها اليوم أكثر من سبعمائة عام ، دخلت عليها تطورات متعددة مما يتناسب مع مختلف العصور التى مرت . وكان هذا أيضا يتطلب الرجوع الى العديد من المصادر والمراجع فى مختلف أوجة النشاط الانسانى .

والموضوع الجدير بالأخذ به عن خبرة المترجم ودراسته الشاقة التى لم يكن للوقت فيها من أثر ، والعمل على دراسته دراسة منهجية مقدرا مسئوليته أمام التاريخ . ومن الطبيعى أن تقديرنا لهذا المجهود الجبار الذى قدمه المترجم لبلاده لا يتأتى الا بالمقارنة بينه وبين الأعمال الأخرى التى صدرت عن التراث الدانتى واننا لا نوجه اللوم لهؤلاء فلكل منهم ظروفه الخاصة ، التى سيطرت على توجيهه فى دراسته بينما نجد على العكس ان المترجم للكوميديا التى نقدم لها قد استطاع أن يسيطر على كل شىء ، فأخرج كتبا ناقصة عن تراث انسانى كبير كان له أثره فى النهضة الثقافية فى العصر الحديث . وما زالت الجمعيات والهيئات الكثيرة المنتشرة فى انحاء العالم تقوم على دراسة هذا التراث الخالد ، ولا شك فى أن العمل الذى قام به المترجم الدكتور حسن عثمان مما يشرف الشعب العربى بدخوله فى ميدان تعمل فيه مجموعات كبيرة فى كل بلد غربى ، لذكرى شاعر كبير سلك مسلكا فى اخذه بالحقيقة السيكولوجية التى تقول ما معناه أن قوة الحكمة تحمل قوة

سرمدية فى الانتشار الواسع المدى وفى اخضاع جميع الاتجاهات التهذيبية التى يكشف عنها الزمن .

ونذكر فيما يلى للقارىء العربى ما كتبه استاذ جليل فى ايطاليا عن هذا الكتاب ، فقد عرض الدكتور فرنشسكو جابرييلى ، مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة روما فى مقال افتتاحى له فى صحيفة يومية ايطالية فى السادس من يناير الفائت ، تحت عنوان « عالم دانتى على ضفاف النيل » ومما جاء فيه منذ بداية هذا العام ، الذى تحتفل فيه ايطاليا بالذكرى السبعماية لميلاد دانتى ، كنت على يقين من ان صديقى حسن عثمان لن يتأخر عن تعريفى باخباره . وها قد جاءتنى من القاهرة ترجمة المطهر ، وهى الجزء الثانى من الكوميديا الالهية، وذلك بعد خمس سنوات من وصول ترجمة الجحيم الى . ومن المنتظر ان ينشر ترجمة الفردوس بعد سنتين ، وبهذا العمل الذى سيستغرق ثلاثين عاما يكون العالم المصرى قد اكمل للشعب العربى ترجمة أمينة جديرة بهذا التراث الدانتى وبالثقافة العربية .

وتعنينا بصفة خاصة شخصية المترجم الذى يمثل نوعا فريدا من الرجال فى بيئته ويمثل كذلك فتحا روحيا من جانب شاعرنا الكبير فى مجال الثقافة العربية الحديثة ، ولقد بدا حسن عثمان فى حقل الثقافة الايطالية بنشره كتابه الأول عن « سافو نارولا » ولكنه ما ان دخل فى الدائرة السحرية من الفن الدانتى حتى لم يتمكن من الخروج منها أبدا ، وكرس كل نشاطه لدراسة دانتى والكوميديا الالهية .

وانني اذكره حينما رايته منذ اعوام قليلة يرتدى ملابس بسيطة وكأنه مرتحل صوفى . وقد أخذنا نجوس معا شوارع روما القديمة وازقتها، والتى كان قد عرفها دانتى نفسه فى عام اليوبيل (عام ١٣٠٠ م) ، وقد اخذ يتحدث الى فى ايطاليته الرنانة عن دانتى .

لقد قام بجهود عظيمة فى دراسته لدانتى والكوميديا ، وسافر مرات عديدة الى ايطاليا والى اقطار اخرى حيثما وجد الى زيادة معرفته بدانتى سبيلا . وهو لم يتقن لغة دانتى القديمة فحسب لكنه تغلغل فى دانتى والكوميديا على الرغم من انه عربى مسلم شرقى يعيش فى القرن العشرين بحضارته الحديثة الجارفة . واستطاع بالدرس والصبر أن يصل الى أغوار الدراسة الدانتية ، فدرس الحضارة القديمة وحضارة العصور الوسطى الغربية والتراث المسيحى والثقافة الفنية والفلسفة واللاهوت وعلوم العصر فضلا



دانتى

عن درايته بآثار التراث الاسلامى والشرقى الذى كان سائدا فى ذلك الزمان .

وفى تقديرنا نحن الذين ظللنا مخلصين ومحبين لسحر اللآلىء النادرة ما علينا الا أن نمسك فى يد بالميزان ونضع على اعيننا العدسات المكبرة لكى نزنها ونتبين أضواءها الشفافة ، ونتذوق جمال عقدها المنثور حين نقرا النثر الذى دبجه حسن عثمان فى ترجمته الرائعة .

ونحن الذين نعرف اللغة العربية يمكننا بسهولة عندما نقرا ترجمة حسن عثمان أن نعيد فى اذهاننا بناء الثلاثيات الدانتية المنسابة كالماء النمير .

ولم يطمح حسن عثمان الى أن يقدم الى بلاده مجرد ترجمة لكوميديا توضع فى المتحف وتضاف الى شتى ترجماتها فى اللغات الأجنبية الأخرى ولكنه قدم لنا ترجمة نابضة بالحياة ، وستكون ذات أثر فعال فى ثقافة شعبه وعصره بتقريبه الى قراء العربية احدى القمم الشامخة من آثار الادب والفن والعلم فى الحضارة الغربية .

ونحن لا يمكننا ازاء مجهوده العظيم الا أن نعبر له عن امتناننا واعترافنا بالجميل بالكلمات التى قالها دانتى نفسه فى الفردوس لبياتريتشى:

« ليست محبتى لك من العمق

بحيث تكفى لأن أقابل نعمتك بالنعمة ؛

ولكن فليستجب لذلك من يرى ويقدر »

الشاطر بصيلى

كتاب في الطريق

مع الدكتورة سهير القلماوي



وفى الطريق السابع .. اردت ان أعرف أين نحن من حقـــل الادب العالمى .. والى أى غاية من غايات الخلق الفنى نتجه ، وما نصيب كل لـون من ألـوان الابـــداع نهتم به فنحققه .. فلم أجد غير منارة من منارات الفكر ترشدنى الى الطريق .. وهأنـــذا استرشـــده بكل خطوة تتقدمها .. فتخطها كلمات .

جمال بدران

١ ـ فيم تفكرين الآن ؟

افكر عادة فى اشياء كثيرة دفعة واحدة وقلماتلح على فكرة بذاتها امدا طويلا الا اذا وضعنـــا خطوطا عريضة وقلت مثلا انى افكر فى الانســان وفى الحياة . ولكن هناك بعض الفكر تعاودنى من حين الى حين وتلح على فاذا أخرجتها مقـــالا او كتابا عادت تلح من جديد بشكل اقوى . فمثلا فكرة مفهوم المراة فى العصر الحديث والأهم من ذلك مفهوما فى بيئتنا العربية وحول هذا المفهوم تتناطح مفاهيم وأجواء منها ماهو دينى ويأتى فى المرتبة الاولى ومنها ماهو مستورد او غربى تد تغلغل فى حياتنا بشكل يلفت النظر ومنها ماهومفروض بطبيعة عصر الآلة الخ . وفكرة أخـرى تلح هى الجامعة وطلابها والمشكلات التى تتفاقم وأســاسها مفهوم الجامعـــة والتعليم الثانوى وخلفيات المجتمع الخ .

٢ ـ هل نعتبر هذا الذى يشغلك الآن يقتصر على طلابك بالجامعـــة ، أم يتسع للقـــراء كافة على الصعيد العربى ؟

طبعا الذى يشغلنى فى المراة والجامعة يتسع للقراء على الصعيد العربى يوم يخرج كتابا لا لأن الاحوال مشابهة فحسب ولكن لانى أفكر فى المرأة وصور من كل بلد عربى تزحم خيالى . وكذلك الطلاب حتى ان نسبة عاليـــة من طلابى ليست من ج.ع.م. انهم من البـــلدان العربيـــة ومن افريقيا وآسيا واوروبا وأمريكا الخ .

٣ ـ ما مدى الصلة بين ادب يدرس بالجامعات وادب يتداوله الناس خارجها ؟

الادب الذى يدرس فى الجامعات يدرس من خلال النظريات التى تبلورت بالفعل حديثهـــا وقديمها . فقد ادرس فى الجامعة كتابا نفاه الناس وسخطوا عليه ولكنه يمثل ظاهرة أو ناحية من نظرية خير تمثيل . عندئذ أدرسه وهو ليس حقيقا من الوجهة الفنية ان يهتم به الناس . وكذلك ندرس الأدب فى مرحلة **ما بعد** التذوق النظرى الذى يتذوقه به الناس . ان الأدب ندرسه على انه نشاط انسانى متداخل فى دائرة الفنون كلها ومتداخل فى دائرة أوسع هى دائرة النشـــاط الفكرى للانسان بعـــامة ؛ وهكذا ندرس الأدب بنماذجه المختلفـــة وبعصوره المختلفة . والنماذج التى ندرسها وخاصة فى الأدب الحديث نماذج معروفة للناس وكل ما فى الأمر اننا نحلل ونشرح ونختار من النماذج ما هو أكثر قابليـــة لهـذه العملية . اما التذوق فلا فرق بين التذوق عند الدارسين والقـــارئين كل ما فى الأمر ان نقطـــة الاهتمام كما اسلفت هى ما بعد التذوق وكذلك نهتم كثيرا فى دراسة مرحلة ماقبل الابداع او ماتم اثناء عملية الابداع حسبما يشهد النص الأدبى وهكذا .

٤ ـ اسهمت بنصيب وافر فى حقلى الادب .. الانشائى منه والنقدى .. فما قدر اهمية كل نوع منهما لقارئى الأدب فى مرحلتنا الحاضرة ؟

الواقع اولا ان مساهمتى متواضعة جدا . وفى اعتقادى ان النقد هو عملية اسميها لطلابى « خادمة للنص الادبى » والغاية منها هى ايجاد جو لابداع جديد ارقى وافضل . الأدب الانشائى هو الأصل لأنه هو الذى تنطلق اليه طاقات الانسان الخلاقة اما النقد فهو يصقل الذوق ويمهد للنص الأدبى ان يؤدى دوره على صعيد أوسع وبطريقة أعمق والأهم انه كما أسلفت يمهد الى ابداع أنضج وأعمق وأحلى . ومرحلتنا الحاضرة لا تختلف فى هذا عن اية مرحلة تاريخية أخرى .

٥ ـ هل تلتزمين بمقاييس نقدية معينة عندما تشرعين فى ابداع عمل ادبى ؟ ماهى ؟ ام ان عملية الابداع الفنى تنطلق بلا قيود ؟

ان عملية الابداع الفنى تنطلق بلا قيود أثناء المرحلة الأخيرة من الابداع وأثناء الشرارة الاولى كما نسميها التى أذكت قريحة الأديب او الشاعر وأطلقت عقالها . ولكن بين الشرارة وبين التدوين أو الابراز الى الوجود فى المرحلة الأخيرة تجرى فى نفس الأديب عملية معقدة تدرس ؛ ولكنها لا تزال معقدة . وفى هذه المرحلة تدخل قطعا فى عملية التنظيم تأثيرات لكل ما نعرف من النقد الفنى خاصة . الى كم تدخل وما هى والى اى غاية تقود هذه المسألة !! ان الابداع مزيج عجيب من وعى ولا وعى وكما يقول اليوت ان الشاعر الردىء هو الذى يعى فى مرحلة كان يجب الا يكون واعيا فيها ؛ ويغيب عن وعيه فى المرحلة التى كان يجب ان يكون واعيا فيها .

٦ ـ ان اهتمامك بالف ليلة وليلة وبالأساطير الشعبية يجعلنى أطمع فى معرفة هل الفن الشعبى قد خضع لمقاييس نقد ام انطلق معبرا بلا حدود .. وهل ندرسه لتقويمه ام لتعلمه وتعليمه ؟

ان اهتمامى بالادب الشعبى كاهتمام أى دارس له ينبع من ايمان بأن هذا الأدب بعفويته وبساطة تركيبه يعبر عن عنصر خاص من عناصر وجدان الأمة . وأهمية الأدب الشعبى فى العالم العربى ضخمة بل هى أضخم من أهمية الأدب الشعبى عند كثير غيرنا من الأمم لأن الأمة العربية عاشت فى عصور انفصام العامة عن الحكام قرونا طويلة على هذا الفداء فأثر فى مزاجها وفى تذوقها .

والأدب الشعبى ليس له نماذج فن عليا تحتذى ، انه نموذج يستوحى ويدرس . قطعا له تأثير فنى جميل ولكنه كتأثير المنظر الطبيعى مثلا انه تأثير الطبيعة وليس تأثير الفن . والفرق بين الأدب الشعبى فى قصة مثلا وبين قصة فنية من الأدب الرفيع فى نفس الموضوع (بشرط أن تكون ذات مستوى عال .) هو الفرق بين منظر غروب شمس على الطبيعة ومنظر غروب شمس انطلقته ريشة الفنان بالتعبير عن مأساة الفناء مثلا . فى الأدب الشعبى المتلقى جزء لا يتجزأ منه فى عملية الاخراج ذاتها يحور فيه ويغير لأنه هو الذى يبدع الى جانب الفنان الأصلى ولكن المتلقى فى الأدب الرفيع جزء مكمل لا جزء مشارك فى عملية الابداع والأدب الشعبى لا يخضع لقوانين فى حالة التكوين ولكنا نخضعه الى قوانين خاصة به عند دراسته .

٧ ـ سعدت بلحظات مع كتابين من كتبك العديدة هما ((أحاديث جدتى ، الشياطين تلهو)) ، وقرأت لك كتابين آخرين هما ((مذاهب النقد الأدبى ، فن الأدب)) اى هذه الكتب اقرب الى قلبك وايها اقرب الى عقلك ولماذا ؟

احب كتبى كلها ولكنى لا اتعلق بها ولا اذكرها كثيرا وانا أكتب الجديد فاذا كان لابد من تفضيل ففى ادبى الانشائى افضل أحاديث جدتى وفى النقد أفضل فن الأدب . لأنى أعتقد ان أحاديث جدتى قطعة من نفسى فى فترة من حياتى عزيزة على وان كانت كل قصة فى الشياطين تلهو قطعة من حياتى أيضا ولكنها قطع مفرقة . واما فن الأدب فيمثل دراسة متكاملة بينما فى النقد الأدبى كتاب الى حد ما تعليمى محيط بكل شىء فى ميدان بعينه .

٨ ـ لو خيرت بين اعادة طبع كتاب لك او ترجمته الى لغة عالمية .. فماذا تفضلين ؟ ولماذا ؟

أختار طبع كتاب الشياطين تلهو لأنه لم يحظ بعد باعادة طبع ولا بترجمة . أما أحاديث جدتى فقد ترجمه الأستاذ ماسيه عضو الأكاديمية الفرنسية وحظى بالطبع مرتين والثالثة فى الطريق . من باب العدل بين الأبناء .

٩ ـ شاركت بنصيب وافر فى ترجمة بعض الكتب الى اللغة العربية ومراجعة بعضها .. فما الذى نحتاج اليه الآن من ترجمات ؟

ان حركة الترجمة فى العالم العربى تحتاج الى تخطيط ودراسة . كم ذا من كتب ترجمت وكأنها لم تترجم وكم ذا من كتب ترجمت وليست بذات فائدة وكم ذا من كتب لابد من أن تترجم

ولم تترجم بعد . واعتقد ان مشروع ترجمة شكسبير بكل مسرحياته أول مشروع مخطط على نطاق الدول العربية . والمضحك هنا أن نسمع أصواتا تقول ان مطران قد ترجم شكسبير وان غيره قد ترجمه فما جدوى اعادة الترجمة والحقيقة هي هذا بالضبط أن شكسبير لم يترجم الا في هذه الترجمة المنظمة التي يشرف على لجنتها أستاذنا طه حسين . فمطران مثلا ترجم عن الفرنسية أولا ثم حذف منها مناظر بأكملها مرارا وفقرات مرارا كثيرة ، وعدى بكل بساطة على اية صعوبة بالحذف . وما أثبت غير دقيق بالمرة . لقد ترجم للمسرح في عصره فأدى خدمة جليلة جدا . وفي ترجمته حلاوة أسلوب الشاعر ولكن الشاعر المبدع لا المترجم . وأظن انه بعد تصحيح مفهوم الترجمة في زماننا لا يليق أن نعيش على ترجمات أدت غرضها يوما ما ، في أمر كاتب عالمي مثل شكسبير بواسطته نستطيع أن نفهم أمة بأسرها أدق الفهم وأن نفهم جزءا كبيرا من النفس الانسانية أعمق فهم .

ولما كانت الدول العربية كلها تتكلم بلغة واحدة ولما كان المترجمون الخليقون أن يترجموا قلة قليلة فلابد من تخطيط لتوفير الجهد . ان الالياذة (الياذة هوميروس مثل هملت مطران عيوبها كثيرة جدا في ترجمة البستاني .) والأوديسا لم تترجما الى اليوم . والترجمة يجب الا تقتصر على آثار غرب أوربا وأمريكا وألمانيا ولا حتى ايطاليا واسبانيا وانما ذخائر من المؤلفات الهندية والفارسية واليابانية والصينية يجب أن تزخر بها مكتباتنا ليثرى فكرنا من كل تيار واتجاه .

١٠ ـ أمن المستطاع أن نحافظ على اسلوب أدبي لمؤلف أجنبي عند ترجمته الى لغتنا ؟ كيف ذلك؟

المحافظة على الاسلوب هي التي جعلتني أقول ان المترجمين قلة . وهنا خلاف : هل أتنازل عن الدقة في سبيل أن أروج الكتاب عند قراء اللغة الثانية كما فعل مثلا فتزجيرلاد في رباعيات الخيام وجالان في الف ليلة أم ان الدقة مطلوبة لذاتها ؟ الواقع أننا يجب أن نفترض امكان الدقة والحلاوة في آن وهذا طبعا قليل نادر ولكن لابد من الدقة كمرحلة أساسية . ثم لا بأس من وجود عدم الدقة مع الحلاوة ولكن هذه ستكون أندر مما نظن لأنها ستأتي من شاعر أو فنان ضل طريقه في لغته ووجد في اللغة الأخرى ضالته . وهذا ما يجعل كل ما كتبه فتزجيرلاد وجالان فيما عدا ما ترجما تافها مع ان لهما أسلوبا فذا خليقا بالخلق والابداع .

وهذا ما يوجد صعوبة يجب أن تراعي في التخطيط فليس من السهل ان تقول للمترجم الفذ : خذ ترجم لنا هذا لأن ثقافة أمتك محتاجة اليه . انه عادة هو الذي يختار ما يرتاح اليه وما يحب حسب ذوقه هو أن يترجم . وبهذا تخضع حركة التخطيط كثيرا من المترجمين الأفذاذ الذين يدخلون هم على التخطيط أذواقهم الشخصية ويفرضونها .

١١ ـ « العالم بين دفتي كتاب » كل من قرأ ترجمتك لهذا الكتاب أحس بالجهد الكبير المبذول في المحافظة على أسلوبه لكن هل يستطيع الكتاب ـ حقا ـ أن يضم العالم أجمع بين دفتيه ؟! كيف ذلك ؟

« للعالم بين دفتي كتاب » قصة قصيرة . طلب الى أن أترجمه فرفضت ان اترجم وقلت لابد من ان أؤلف على نسقه وعورضت الفكرة أول الأمر ثم رحب بها لما صممت على موقفي . والكتاب في الواقع مزيج من الترجمة والتأليف ولذلك تجد آخر كل فصل منه قولي بنى هذا الفصل على « مقال كذا » بمعنى أني استوحيت كل مقال في الكتاب وأخذت ماهو رئيسي في فكرته ويفيدنا . ثم طبقته كل التطبيق على أدبنا العربي وما كان يمكن الا أن يكون كذلك . من هنا كان الجهد فيه مضاعفا ومن هنا خرج مزيجا من ترجمة وتأليف .

والعالم اجمع تاريخه وعلمه وآماله وفكره يوجد بين الكتب أو كثير منه يوجد . والمأمول ان نؤلف أو ندون كل شيء عن العالم . فالعالم بين دفتي كتاب كما نأمل أن يكون وكما هو حاصل الى حد بعيد حقيقة صادقة .

١٢ ـ ان كل كتاب جديد لهو بمثابة لبنة من لبنات صرح البشرية العقلى .. فهل ننتظر جديدا من كتبك تحت الطبع ؟ ماهو هذا الكتاب الجديد ؟ وهل يصدر قريبا ؟

لست ادرى لماذا احس في هذه الفترة من حياتي انى لابد أن اكمل ما بدأت . ولقد بدأت كتابا عن المرأة ماذا هي ؟ وعن فن السيرة في الأدب الحديث . وعن فن الأدب جزء ٢ وجزء ٣ كما بدأت روايتين طويلتين ومجموعات من القصص القصيرة تضم ما نشر لي ـ وهو أكثر من ثمانين في الصحف والمجلات ـ وبين مالم ينشر بعد وهكذا مشاريع كثيرة . عندى الآن نزعة أن أجمع أمرى على الانتهاء منها واحدة بعد الأخرى . لكني أحس انى مشتتة الجهود ، مبعثرة الاهتمام .

فالجامعة بطلابها تجذبني واللجـــان القوميــة والسياسية والفنية تجذبني . ولقد وصلت الى انى اما ان اعمل كل شيء او لا أعمـــل اى شيء ومعنى هذا انى مازلت أجد صعوبة فى الخلاص الى عملى الأول (طبعا بعد الأولاد) وهو التأليف. اما الكتاب الذى سأبدأ به فهو فن السيرة فى ادبنا الحديث .

١٣ هل أجرؤ على سؤالك عما تنتظـرين له من نجاح ؟ ولماذا ؟

الحقيقة ان النجاح يسعدني ولكنى لا أحب السعى اليه أو التفكير فيه لا لأن الذين يسعون اليه وحده لا ينالونه عادة ولكن لأن مفهوم النجاح عندى هو التجاوب التلقائى بين الكتاب وقارئه وهذا لا يد لى فيه ولا سعى ممكن فى سبيله . وانى أتوقع لكتابى هذا تجاوبا من القارىء لأنى أدرس الموضوع لا مؤرخة ولا ناقدة فحسب وانما متغلغلة وراء ذلك لأرى تطـور النفسية المصرية والوجدان العربى كله من خلال التأليف فى هذا الميدان بالذات . ولو كشفت عن هذه النفسية وعن هذا الوجدان قناعا من الأقنعة الكثيرة التى تغلفه فان قارئى سيجد من نفسه هفوا الى هذا الذى بعده قطعة منه .

١٤ ــ لو قال القراء ان اجاباتك هذه تصلح نواة لكتاب جديد .. فهل تقبلين السير لاكمال مثل هذا الكتاب ؟ لماذا ؟

لو قال القــراء ذلك لحاجتهم فى ذلك لأن الكتاب أهم من ذلك كثيرا لأنه يحتــاج الى نواة يدور حولها أهم من شخصى وهذه الأسئلة تدور حول شخصى بل حول الجزء الزائل منه .

١٥ ــ ما رأيك فى تضمين مثل هذا الكتاب وجهة نظرك فى آخـــر قصـــة لنجيب محفوظ بعنوان « الشحاذ » .. هل نعرفها مقدما ؟

قصة الشحاذ لنجيب محفوظ فى نظـــرى مازالت تدور فى فلك اللص والكلاب والطـــريق والسمان والخريف وغيرها من القصص الرامزة التى اتجه اليها الأستاذ نجيب محفوظ بعـــد الثلاثية . اتجاه يمثله فى نظرى باختصار ووضوح قصة « الزعبلاوى » القصـــيرة التى درستها لطلابى هذا العـــام فى « السمنار » او دروس المناقشة . انها تمثل حيرة انسان هـــذا العصر بعد أن ذابت من تحت رجليه صخرة الايمـــان الدينى العميق ولم يستطع أن يتشبث بها . ثم راح يبحث عما يرده اليها أو عما يغنيه عنها . وقد يكون الايمان ليس دينيا وانمـــا هو ايمان بالحياة أو بالانسان . وقصـــة الشحاذ تبين مرض عمر الحمزاوى الذى لا يعرف كنهه والذى لا يريد أن يسلم به أحد حوله والذى يدفعه الى طلب الراحة أو التوحد أو اللقاء الروحى المنعش للحيـــاة فى جسده عن طريق تصرفات كثيرة فيفشل . انه فنان ضل طريقه فعملية الخلق لا تثبت له وجوده وهو ناجح قد ضـــل طريقه فعملية العمل غير الخالق أيضا لا تدله على طريقه فتضطرب حياته كلها زوجية وغير زوجيـــة . ويموت آخر الأمر أو يفنى أو يستغرق فى الأحلام والرؤى فيجد نفسه او يخيل اليه انه قد فعل. انها كما قلت قصـــة الزعبلاوى المريض الذى لا يجد لنفسه الدواء تتكرر والفنانون يكررون الموضوع كثيرا فى مؤلفاتهم والمعـــالجة الظريفة الحديثة فى كل مرة هى سر الفن وسحره . ان الموضوع الملح كالموضوع الجديد يكسب الفنية لا من عنوانه وانما من معالجته . والمعالجة هذه المرة طريفة ولكنها تحتاج الى سؤال آخر أظنك لم تساله .

١٦ ــ سؤال أخير ــ ومعذرة ــ هل تشترطين لهذا الكتاب ثمنا عاليا أم لا . ؟ ولماذا ؟

كتابى لا اشترط له ثمنا ولا ادخل مع الناشر فى حسابات قط لأن الحســـابات عدوى الأكبر حتى انى لا اعمل لنفسى حســـابات الا فى شهر مارس لأقدمها للضرائب وهى طبعـــا مجملة وتقوم بها عنى المؤسسات والجهة الحكومية التى أعمل بها . لذلك اطلب دائمـــا من الناشر أن يعطينى حقى مقـــدما مهما يكن وحسبما يرى دون اى كلام منى ثم أتركه هو والكتاب يتكفـــل بما يشاء فى أمره .

ان اول كتاب طبعته على حسابى وظلت دار التأليف والترجمـــة والنشر تحاسبنى فى أمره عشر ســـنوات كامـــلة فزهقت روحى وصممت بعد ذلك الا أنشر الا بطريقة واحدة وهى الانتهاء من الناحية المالية مرة واحدة ثم لا أشغل نفسى أبدا بعد ذلك بفكرة البيع والشراء .

ستقول حسب ثمن الكتاب تأخـذين أجرك وطبعا قد تتعجب اذا قلت لك انى لم آخذ أجرا على كثير جدا مما كتبت حتى بعد أن عرف اسمى ولفترة طويلة . ولولا الضرائب لظل الأمر بينى وبين المال والأجور فوضى فانى أحب هذه الفوضى ولا زلت أمارسها وأحس بالراحة لها . ان بين الفنان الحق وبين المال علاقة معقدة نائمة يحيطها الناس كثيرا بمركبات نقصهم ان هـــذه العلاقة تحتاج وحدها الى كتاب فما رأيك ؟؟

مي أديبة الشرق والعروبة

تأليف
محمد عبد الغني حسن

الناشر: عالم الكتب - ٣٣٢ ص
١٤×٢٠ سم - الثمن ٤٥ قرشا

الأستاذ محمد عبد الغني حسن من افراد الكتاب المعدودين . شاعر المعي ، واديب بارع . كثر ما قرانا له الشعر الجـزل ، والمقـالات الحسان ، والفكر اللطيفة الدالة على سعة علم وقوة عارضة . اخرج لنا هذه الأيام كتابه المعلم (مى اديبة الشرق والعروبة) فأسهب وفصل ، وأجاد وأمتع . وغدا جيل اليوم ممن لم يعرفوا ميا ولا ذاقوا من ادبها وشلا ، وقد طواها الزمن عام ١٩٤١ ، اذا ما قرءوا كتاب الأستاذ ، غدوا لا يجهلون كاتبة اديبة وافرة الانتـاج ، كانت مدلهة بحب الشرق والدفاع عنه . نصيرة للمراة غيورا . تناضل من اجل بروزها ، ونهوضهـا من خمول اظلها زمانا طويلا .

كان هذا الكتاب قد ظهر فى عام ١٩٤٢ ، فى عقب وفاة مى باسم (حياة مى) مشتملا على مجموعة من الأحاديث ادارها الأستاذ يومذاك مع طائفة من مشهورى الكتـاب ورجال الأدب من أصدقاء مى ، ورواد ناديهـا الأدبى ، ندبه لهذا المهم الأستاذ فؤاد صروف ، رئيس تحرير مجلة المقتطف ، على ان تنشر فى المقتطف . وضم الى هذه الأحاديث شطرا آخر بحثـا عن مى وادبها .

وقد راى اليوم ان يخرجه فى طبعة جـديدة وثوب قشيب ، فالحق بكتابه الأول نماذج غير يسيره من كتابتها وخطبها ، ورسائلها . فخرج كتابه هذا جديدا مستفيضا بهـذه الزيادات والمراجعات ، وسمه بعنوان جديد هو مى اديبة الشرق والعروبة .

وقد وقفنا من بحثه المنبسط على صـورة وافية لمى . فعلمنا انها ولدت فى فلسـطين ونشأت فى لبنان بانتقال والديها الى تلك الربوع حيث تلقت علومها فى مدرسة للراهبات . ولمـا ترعرعت ، واستظهرت بزاد العلم ، بدا منها ذكاء متوقد ، وبرزت مواهبها بنظم الشعر الفرنسى ، وبالخطـابة . ثم انتقلت الى مصر مع والدها الياس زياده ، فاشتهرت بالكتابة فى جـريدة المحروسة التى أنشأها والدها ، وبمقـالاتها فى مجلة الزهور للأستاذ أنطون الجميل ، ومجلة المقتطف ، ولم تكف عن عمارة قلبهـا بالعلم ، بمواصلة الدراسة والتحصيل فى الجامعةالمصرية القديمة تحضر فيها المحاضرات .. كما تعلمت عدة لغات غير لغتها العربية كانت لها بها اجادة وبراعة .

وكانت والهـة بحب الطبيعـة تانس الى مجاليها وخلواتها ، وتصف مشاعرها بهـا بقلم الاعجاب والطرب . على انها كانت تغلب عليهـا



الكآبة منذ نشأتها ، وعاشت معها حتى مختتم حياتها .

وقد الفت عدة كتب بداتها بترجمة كتاب (ابتســامات ودموع) للكاتب الالمانى ماكس مولر . واشهر كتبها كتاب (باحثة البادية) ملك حفنى ناصف ، و (وردة اليازجية) .

وكانت مع سعة اطلاعها على الأفكار والآداب الأوروبية ، محافظة على تقاليد وعادات قومها ، مستمسكة بالعروة الوثقى بشرقيتها ، حريصة على نهضة الشرق ، واستعادة غابر امجاده ، ولها دفاع حسن عن لغتها العربيــة والموسيقى الشرقية . وهى نفســها عازفة ومطــربة فى مجالسها الخاصة . وشاركت قولا وعمــلا فى نهضة المراة الشرقية .

وتوالت الارزاء على مى بموت أبيهــا ، فموت أمها ، ثم بموت صديقها وحبيبها جبران خليل جبران . فوهنت قواها ، وانطوت على كمدها ، واشتملت على اليأس وكراهة الحياة . وحاولت ، مع ذلك ان تتسلى بالرحلات فى بعض أقطار أوروبا ، فلم يشف مابها . ولحقها مالحقها من السوداء والاختلاط ، فآوت الى العــزلة ، واغلقت ناديها الذى كان حافلا برجالات زمانها وافراد ادبائه . فحملت الى لبنان ، فى مستشفى هناك للأمراض العقلية ، الى ان استعادت بعض العافية . فرجعت الى مصر . ولكنها لم تنشب ان عادها الاختــلاط ، فنقلت الى مستشفى الأمراض العصبية بالمعــادى . ولم تزل تذبل وتنهار الى ان علقتها فأحالتها المنية شبحا محطما وما تجاوز الخامسة والأربعين . تلك زبد مجملة لما حواه هذا الكتاب النفيس من سيرة الكاتبة والأديبة مى .

وبعد فالى القول فى أمور ، واجالة التبيان لشئون ، والى جولة فى هنات لا يبرأ منها كتاب ولا كاتب . واى الرجال المهذب !

واما ما ورد عن كآبة مى وانطوائها على الكمد منذ اوليتها الى آخريتها ، فذلك لأنهــا طبعت على توقد الاحساس ، ورقة العاطفة ، وجموح الخيال ، وفوران الاعصــاب ، فى بدن هزيل مهزع ، غير صليب العود . ومن هذه حاله فهو كثير الأوهام جم الوساوس ، لا يحتمل الهزات العنيفة . مات أبوها ، وماتت امهــا ، ومات احبابها وخلانها ، فاعتورتها فترة ، وهزمتهــا الاحزان . ولو كانت ذات صلابة ومنة لقاومت ، ولاذت بالحكمة واستمسكت ، ولقالت كما قال مطيع بن اياس :

اســعدانى يا نخلتى حلوان
وارثيا لى من ريبهذا الزمان
واعلمـا أن ريبــه لم يزل يفـ
ـرق بين الالاف والجــيران

وحين اعصرت ، وامتلأت شــبابا ، تفتح قلبهــا للحب ، وحنت الى الحبيب والزوج ، وتحرقت على حياة الأسرة تكون فيها زوجــة واما ، فلم يتهيأ لها ذلك ولم تسعد . اخفقت فى حب جبران خليل جبران ، وكانت تطمع فى الزواج منه . وقد كان لها معه رسائل عديدة ، ولها به اعجاب جم وهوى مكين . وهى فى مصر ، وهو فى أمريكا متنائيين لا يجتمعان . كان حبــا نشأ فى فؤادها من طريق كتاباته . ولكن :

يا قوم اذنى لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا

كانت قد بنت على جبــه أمانى ، وداعبت

آمالا ، وناجاها قلبها بالزواج يعقد بينها وبينه الأواصر — ولكنها انقلبت بخيبة (وكان حالها كما قال الشاعر :

وكنت وما املت منك كبارق
لوى من بعد ما كان غيما)

وكذلك أحبت الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى ، فلم تبلغ أمنية ، ولم تحظ برغبة هنية ، فلزمها هم لا ينجال عنها يطلقها طورا ، وطورا يراجع . كل هذا كان مصدر الكآبة التى لزمتها واستحرت بها فغمرتها . فكان مآلها وهن العقل ، ومرض الاعصاب ، وغلبة الكبت والسوداء عليها ، فالجنون ، فالموت المغتال المفشوم .

وجاء عنها انها رغم ويلات كثار حفت بها ، ورغم ماقرات من كتب الملحدين ، وآراء الدهريين ، لم تتزعزع عقيدتها ، بل لبثت شديدة الايمان ، شديدة الورع . وما فى هذا ؟ هكذا شأن المراة . وهكذا فطرت . النساء عموما متدينات بطبعهن . ومهما بلغت المراة من علم ؛ بل مهما زلقت فى مضاحد العهر والفجور ؛ فانها لا تخلع ثوب العقيدة ، ولا تجدها الا لاذة بالايمان ، متعلقة بأهداب الدين .

واشتهرت مى وذاع سمعها كاتبة مجيدة . وفى رأينا انها وجدت فى جريدة أبيها المحروسة ذريعة سهلة متصلة لا تنقطع ، للوصول الى الشهرة سريعا . فليس يتهيأ لكاتب أن يكتب ما يشاء مسترسلا على الولاء ، بنشر مقولاته فى صحف ليس يملكها . فهى موزعة بينه وبين غيره من الكتاب ، وتتعرض لمعوقات أخر .

وجاء فى وصف قلمها واسلوبها فى الكتاب ، انه اسلوب « غاية فى الاحكام » و « اسلوب لا مطعن فيه » ! و « اسلوب احتفالى » و « اسلوب خاص له طابعه ومميزاته جعلته فريدا فى الأساليب » .

بعض هذا ، ياسادة أصدقاء لى ، وياسيدى الاستاذ عبد الغنى ! مبالغه ماتصفون . غلو انزلقت فيه اقلامكم . انما نخيل مايقال فيه انه اسلوب سهل ، وسط بين النصاعة والجزالة ، وبين الاساليب الهزيلة الركيكة . اسلوب لم يرتفع الى طبقة الخاصة من البلغاء ، ولم ينزل الى حضيض العامة والكويتبين الادنياء .

وثم مغامز ومطاعن . نتساءل مثلا ، وهى تكتب الى جبران خليل جبران ، من رسالة اليه ، فى صفحة ٢٤٨ من الكتاب : « انت قيدتنى « مذنبة » فى دفترك . وقمت تشكو لانى كلما حدقت فى شىء أخفيه وراء القناع ، وكلما مددت يدا أثقبها بمسمار .. نعم ! فعلت ذلك متعمدة . تعمدت قطع الأسلاك الخفية التى تغزلها يد الغيب وتمدها بين فكرة وفكرة ، وروح وروح . وصرت اصرف المعانى ، وافسح الأسئلة ، واضحك عند الكلمات التى تملأ العينين دموعا . » نتساءل نحن والقارىء ، ما معنى هذا ؟ وما هذا الكلام ؟ أهى عبارات مرصوصة . قد نحسب أن لها معنى ، ولكن التركيب نزل عن منزلة البيان ، فاغمض واشكل .

وزوانة فى الغموض قولها فى صفحة ٢٧٣ : « اذا كنت صحيحا كن سعيدا ! فقد استبان فيك الناموس الكلى وانسجامه ، واهلت لمعالجة المصاعب ودحر العقبات . وان كنت عليلا كن سعيدا ! لانك مسرح تتقابل فيه قوتا الكون العظيمتان . فالغلبة لما تختار منهما . والشقاء موقوف على ماتريد » .

ومثله صفحة ٢٧٥ : « وان كنت محبا غير محبوب كن سعيدا ، لان النابذ يحب المنبوذ فى اعلى طبقات كيانه حبا لا يدانيه افتتانه بمن يهوى . والهجران حالة جمة المعانى والالفاظ ترقق ماضحم من الرغبات . » الخ .

ومن ضرب ذلك فى الغموض ، صفحة ٢٨٢ : « العيون ! الا تدهشك العيون ؟ العيون الرمادية بأحلامها ، والعيون الزرقاء بتنوعها ، والعيون العسلية بحلاوتها ، والعيون البنية بجاذبيتها ، والعيون القاتمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة . جميع العيون تلك التى تذكرك بصفاء السماء ، وتلك التى يركد فيها عمق اليموم (تريد جمع يم وهو البحر) ، تلك التى تريك مفاوز الصحراء وسرابها ، وتلك التى تعرج بخيالك فى ملكوت اثيرى كله بهاء ، وتلك التى تمر فيها سحائب مبرقة مهضبة ، وتلك التى

لا يتحول عنها بصرك الا ليبحث عن شـامة فى الوجنة .. الخ . »

وتستمر فتقول فى صفحة ٢٨٤ : « وانت مالون عينيك ؟ » وتمضى فتقول بعد سطور : « تأمل فى عمق اعماقهما تتبين الذات العليمة التى ترصد حركات الانام ، وتساير دورةالافلاك والأزمنة . فى أعماق أعماقهما ترى كل مشهد ، وكل وجه وكل شيء . واذا شئت أن تعرفنى — انا المجهولة — تفرس فى حدقتيك يجدنى نظرك فى نظرك على رغم منك . »

والامثلة على هـذا الغموض ، واستعمال الالفاظ والعبارات فى غير وضوحونبو عن البيان، كثيرة . كما تقع فىعبارات غير صحيحة أو عامية، كاستعمالها سيما وصحتها لا سيما ، وكقولها صفحة ٢٩٤ : «وراء الطاولة التى اكتب عليها». وقولها : « رحمة الله عليك يابوسويه (١) . انك لم تكن نبيها ! » وهى تريد انك لم تكن فطنا ذكيا . وهذا أفسد المعنى واخرجه عن مبناه . اذ النباهة هى الشهرة ، والسؤدد ، والشرف وهى لا تعنى شيئا من هذا . وأمثال هذا كثير ، اشرنا هنا الى بعضه .

اما قولهم هى ذات أسلوب خاص تتميز به، ففى ذلك اغراق . أما الأسلوب الخاص المميز ، فهو الذى اذا سمعته أو قرأته ، دون أن تعرف صاحبه ، ولم يتسم لك ، ولم تجلس اليه ، قلت : هذا أسلوب الجاحظ ، وهذا أسلوب ابن المقفع ، وهذا أسلوب الدكتور طه حسين . اما مى فهى كاتبة ولا ريب ، واسعة الثقافة ولا جدال ، منتجة ولا نزاع ، الا انها تكتب ، كما قلنا ، بأسلوب سهل حميد ، تقرأه فىالعدد الجم من الكتاب ، ممن لا تصنفهم فى طبقات شيوخ البلاغة ، واعيان البيان البارزين .

ويقول الأستاذ عبد الغنى بصدد الكلام فى أسلوبها صفحة ٨٦ : « كما اغرمت باستعمال صيغة «أفعل» دلالة على الوصف لا على التفضيل

... فهى تقول : «يتركه جثة فى قبضة الموت الأغبر ، والصبح الأنور ، والنادى الاسنى . »

وليس ذا خصوصية لها . انه استعمال من قبيل الاستعارة ، كثير الورود فى أصول العربية. يقولون : الموت الأحمر ، والعيش الأخضر ، والعدو الأزرق . (انظر فقه الله للثعالبى صفحة ٨٥) .

والأحاديث التى زفها الينا الأستاذ المؤلف بينه وبين أصدقاء مى ورواد ناديها ، باب طريف طيب . كان أوفى ماقرأناه منها ، حديث الدكتور طه حسين . وكان حديث المازنى عنها جديد التحفظ وفيه غرابة وشذوذ .

ولعل الأستاذ عبد الغنى يتحفنا بكتاب آخر يكون توءما لكتابه هذا عن مى ، يجمع فيه جميع رسائلها منها واليها ، وهى كثيرة جلت شأنا وفائدة ، كما أشار عليه بذلك الشاعر خليل مطران فى حديثه معه .

وهناك امر ذو خطر فى الكتاب مفقود ومضروب عليه ، بدت به سيرة مى معماة مفماة فى جانب منها معلم مشهور ، الم به الناس فى حياة مى ، عرف وذاع . ذلك صلة وثيقة العرى بين ادريس راغب رئيس المجمع الماسونى ايامئذ ، وبين مى . لم يذكر الأستاذ عبد الغنى فى كتابه شيئا منه ولو تلميحا ، ولا همس به . ذلك نقص وحوار كنا نشتهى الا نجد عن هذه السيرة فى مى متعقبا . ولعل ماورد فى الكتاب صفحة ٤٧ عن زيارة الدكتور منصور فهمى لها، يوم لاذت بالعزلة واغلقت أبواب بيتها وناديها دون المعارف والأصدقاء اذ يقول : « وتمتمت بما يشبه هذه الكلمات ، شكرا شكرا . لا شيء. أريد النوم . رب ! لم كانت الخطيئة ؟ » لعل هذه الخطيئة تنبىء بشيء مما كان بينها وبين ادريس راغب . نحن لا ندرى . وانما هو ظن من مرجمات الظنون . وانما كان على الأستاذ أن ينير لنا الطريق ، وييسر لنا مسرانا فى مدارج هذه السيرة . فهو الذىوضعها وضمحواشيها. فكان لزاما عليه الا يفلت منه شيء ذو خطورة فى مجرى حياة مى ذات المفاجآت والفجائع .

(١) هو الاسقف والكاتب الفرنسى المشهور بمواعظه ومرائيه فى موت عظماء فرنسا ، وكتاباته فى القرن السابع عشر .

هـــذا مع انه كان معلوما عنـد الخابرين المطلعين ، علم اليقين ان جريدة المحروسة التى ظهرت باسم أبيهـــا الياس زياده ، كان المنفق عليها ، والمشرف على ادارتها هو ادريس راغب، الذى أشرب فى قلبه حب مى ، وراشها هى وأهلها بخير .

لقد بلغ بالأستاذ عبد الغنى ان صرح بحب عمر قلبها بمصطفى صادق الرافعى ، وهيـــام بجبران خليل جبران . فما باله لم يشر بحرف الى هذه العلاقة المالية والغرامية لادريس راغب بمى ؟ الم يكن يعلم ، أو يعلم ويقول : ربما أعلم فأذر ؟ ولكن ان جاز فى شىء التكتم والتحفظ ، فليس ذا مكانة . اذ سيرة الكاتب او الكاتبـــة تقتضى ممن يدونها للتاريخ ، ويخرجها كتابا أن تكون سوية شاملة . ولا يدع شيئا من هـــذا الضرب هو أخطر مايقع فى الحيـــاة ، ولا سيما حيـــاة الكتـــاب ، من علائق الحب ، وروابط العشق .

ولدينا امثلة كثيرة من سير مشاهير الكتاب. ظهر ما استتر من حياتهم ، بأقلامهم وأقلام من كتبـــوا عنهم والفوا ، لروسو فى اعترافاته ، وما جاء فى اعترافات الفريد دوموسيه الشاعر الفرنسى الكبير فى القرن التاسع عشر وعلاقتـــه الغرامية بالكاتبة المشهورة جورج ساند .

تمكن الحب بينهما ، ومكث زمنا ، حتى اذا اقبل شتاء ١٨٣٣ ، رحـل دوموسيـــه وجورج ساند الى ايطاليا وزارا عدة مدن فيهــــا ، ثم استقرا فى مدينة البندقية . وهناك دب الخلاف بينهما واستمر ، فانتهى بالتهـــاجر . وعاد موسيه من هذه الرحلة المشئومة قريح الفؤاد ، به جرح لم يلتئم مدة حيــــاته . ولم تنشب جورج ساند أن أخرجت كتابا رسـمته (هى وهو) Elle et lui شهرت بموسيه ، وأشاعت اسرار خصامهما ، وكشفت خبىء ماكان بينهما . فرد عليها هو بكتاب (هو وهى) Luiet elle دفاعا عن نفسه ، متجنيا عليها ، ملزمها عيبها.

وكان أعجب ماعرفت به مى ، وســـاعد فى اذاعة شهرتها ، ناديها الأدبى. كان اذا استوسق الجمع ، والتأم المجلس ، عددت من رواده ، العالم والأديب ، والوزير ، والشاعر ، أمثـال الشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمـــد لطفى السيد ، وخليل مطران، والدكتور منصور فهمى، وولى الدين يكن ومن اليهم . وكانت هى شمس ناديها وقطبه ، لا يبرحون عاكفين كل يوم ثلاثاء يؤمون هذا المنتدى يلقون منها هشاشة وبشاشة، وترحيبا جميلا .

واحسب ان ميا حاكت هـذه الأندية التى كانت شائعة فى فرنسا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . فقد كانت منثورة ، تملأ أرجاء باريس خاصة . واكثرها تعرف بأسماء سيدات وآنسات فرنسا النبيلات ، ومترفة الطبقات ، برأسنها ويعقدن مجالسها كمدام دو رنبويه de Rambouillet ، ومادموازيل دو ســــكوديرى de Scudèry ، ومدام دو لانبير de Lambert . وما شئت فاذكر من هـــذه الأندية التى كانت تجمع فى رحابها أشهر كتاب وفلاسفة فرنســا آنئذ أمثال روســـو ، وفولتير ، وديدرو ، ودالمبير . فلا غرو ، ومى ، وهى عالية الثقافة، عالمة باللغة الفرنسية وآدابها ، غير رحلاتها الى بلدان اوروبا ، ولا سيما فرنسا ، قد اخـــذت مأخـذ ذلك فانشأت ناديهـا الذى اشتهر فى زمانها وشهرت به .

ولقد احسن الأستاذ الأديب عبد الغنى ، واحمد جهدا باخراج كتابه هذا ، واحيى ذكرى كاتبة مشهورة ، بأسلوب متين الرصف ، بديع الحبك ، كمثل ماقرأنا له فى صفحة ٣١ تعبيرا حسنا كسى ثوب فلسفة وحكمة يقول : «ليست الحياة بين الأحياء الا قصـــــة من انحدارات الدموع ، وتألق الابتسامات . فالطبيعـة حين تصفو هى ابتسامة كبرى فى ثغر الحيــــاة . والطبيعة حين تكدر وتغضب هى دمعة سـائلة على خد الحياة . وهل سلمت الحياة بين الأحياء من هذين الوجهين ؟ أو هل سلم الأحيـــاء من هاتين الحالتين ؟ »

ومن انق هذا الأسلوب وحـلو مذاقه قوله فى صفحـــة ١٧٧ : « وكان يعجبه من هــــذا « الصالون » اتساعه لمذاهب القـول واشتات

الكلام ، وفنون الأدب . ويعجبه منه انه مكان الحديث بكل لسان ، ومنتدى للكلام في كل علم ، وملتقى للطوائف من غير تفريق . فلا تعالى بينهم ولا اختلاف فيهم . بل هم أهل ندوة واحدة الفهم الادب ووثقت بينهم المعرفة ، وجمعتهم الحكمة . يغدون ويسرحون في اخاء تالد ، على اختلاف مذاهبهم ، وتباين مشاربهم ، وتفاوت مراتبهم » .

وقد أفلتت منه هنات نشير اليها — منها قوله في صفحة ٨٣ : « ولو ان في المقام انفساحا ، وفي هذا المجال الضيق المحدود اتساعا لنشرنا بعض ماسما من أساليب مي في كتبها او خطبها أو مقالاتها » .

لقد فات الاستاذ عبد الغني أن يضرب على هذين السطرين . فلا محل لهما ، اذ قد ذكر في مقدمة كتابه قوله : « ورأيت ان كتابا عن مي لا يتم الا بنشر نماذج من أدبها وكتاباتها وخطبها ورسائلها . فألحقت بالكتاب قسما يضم طائفة غير يسيرة من ذلك . » ولقد فعل . فقد اختار في نحو مائة صفحة في ذيل كتابه ، منتخبات كثيرة من رسائلها ومقالاتها وخطبها .

وثانية نؤاخذه عليها قوله في صفحة ٨٤ : « كتاب المقامات الذين أولعوا باللفظ وعنوا بالكلمة . فجاءت كتابتهم ضئيلة . وزادها التعمل غرابة أو سقما في الألفاظ » .

لقد كان الأستاذ المؤلف أن يشح بنفسه عن هذا التجني . فأولا . المقامات لها مكانتها الرفيعة ، ونفعها العميم ، وضرورتها اللازمة ، اذ هي كتب لغوية بحتة . مقصدها ان تهدى الى قرائها دروسا في أصول اللغة ، وأساليبها ، وأسرارها ، بحيلة لطيفة حاذقة هي جلوتها في ثوب الحكايات ، والقصص ، والملح ، فتخف على الدارس والمطالع . وتجيئه من أيسر السبل واقرب الموارد . كمقامات بديع الزمان ، والحريري ، واليازجي . ثم كيف توصف بسقم الالفاظ ، وهي انما جاءت بالمختار المصفى من الكلم والتعابير ؟ .

وثالثة قوله في صفحة ١٦ : « ألم يقل الشاعر عمر بن أبي ربيعة في حبيبته (نعم) .. » وبعد أن أورد لعمر بيتيه في «نعم» يقول : « ثم ألم يقل لنا الشاعر الآخر :

ليت هندا انجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

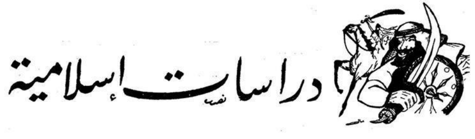
اى شاعر آخر ، يا استاذ ؟! انما هو نفس عمر ابن ابى ربيعه القائل لهذين البيتين ، وبقية أبيات هذه المقطوعة هي :

زعموها سألت جاراتها
ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني
عمركن الله أم لا يقتصد
فتهاتفن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من اجلها
وقديما كان في الناس الحسد

وورد في صفحة ٢٣٨ قوله : « فقد جاءني يوم من الأيام الشيخ يوسف الخازن . » فهل « يوم » في هذه العبارة ، في موضع الفاعل ، أو هي ظرف زمان ؟ فالواجب ان تقع منصوبة ، اى يوما من الايام ، والفاعل في الجملة الشيخ يوسف الخازن . فلعلها غلطة مطبعية .

وبعد فطرفة ماقدم ، وتحفة ما أهدى ، وجهد بذله ، حميدا مشكورا . فقد حبب الينا ميا واحيى لها ذكرا عاطرا . فليقرأ كتاب الأستاذ عبد الغني كل ذى قلم وادب . فكتابه نفيس نفعه عميم .

أحمد أبو الخضر منسي



دراسات إسلامية

ترجمة: باشراف نقولا زيادة

بدات هذه الدراسات بتقديم مؤلفيها من كبار المستشرقين الامريكيين ، وتعريف القراء بهم ، ثم بالتعريف بمن قاموا بترجمة هذه الدراسات . يلى ذلك تصدير للدكتور نقولا زياده أحد مترجمى هذه الدراسات عرض فيه للفتوحات الاسلامية التى امتدت – بعد وفاة النبى – الى الهند والصين شرقا ، وبحر الظلمات غربا ، والتى استمرت قرنا وربع قرن ، تغلب فيها الجنس العربى على الأجناس الأخرى ، وتمثلها فى بعض الأقطار ، وانتشرت فيها اللغة العربية فى الأقطار المفتوحة انتشارا سريعا ، وتغلغل الاسلام ، واعتنقته شعوب هذه البلاد التى كانت لها حضارتها وثقافتها ، فاختلط الاسلام بهذه الحضارات ، ونتج من ذلك كله اختلاط اجتماعى سياسى فنى اقتصادى تكونت منه هذه الحضارة الاسلامية .

وقد كتب الباحثون – من مسلمين وغير مسلمين – آلاف المجلدات عن الاسلام والحضارة الاسلامية ، فكان منهم الواصف والمحلل والداعية والهدام ، وسيظل الباحثون على ذلك مادام الاسلام اسلاما ، والتاريخ تاريخا ، والناس ناسا . ويمكن القول اجمالا أن التاريخ السياسى نال النصيب الأوفر من هذه البحوث ، ولكن مع تطور الزمن ، وتبدل وجهات النظر . ى البحث التاريخي ودراسته أخذت نواح أخرى من تطور الحضارة الاسلامية تستأثر بعناية الباحثين ، فظهرت دراسات اقتصادية وعقائدية واجتماعية وفلسفية وادبية جليلة القدر ، عظيمة النفع . ومع أن الكثير مما كتب قد لا زمته غاية خاصة فى نفوس الذين وضعوا المؤلفات ، فانه من الحق أن يقال أن مثل هذه البواعث والدوافع آخذة فى التناقص .

وشرح الدكتور نقولا زيادة هدفه من جمع هذه الدراسات فى كتاب بقوله « ان الكتابة ى نواحى الحياة الاجتماعية فى العالم الاسلامى لا تزال فى أولها ، ومن هنا كان الاهتمام بهذه المباحث التى جمعت بين دفتى الكتاب الذى نقدمه اليوم الى القارىء العربى » وأخذ بعد ذلك يشير الى ما يتناوله كل بحث من ابحاث هذه الدراسات اشارة موجزة ، وختم تصديره بالاشارة مرة أخرى الى الغاية من جمع هذه المباحث فقال : « ان الغاية من جمع هذه المباحث بين دفتى كتاب هو اطلاع القارىء العربى على مدى الاهتمام الذى تلقاه الدراسات الاسلامية بين المستشرقين الامريكيين ، والعناية التى يولونها لدرس التراث الضخم الذى خلفته تلك الحضارة » .

ظهور الاسلام
وقيام الدولة العربية

تكلم الباحث عن ظهور الاسلام فى جزيرة العرب ، وكيف كان ظهوره من أعجب الأحداث التى عرفها تاريخ الجنس البشرى فى تاريخه اطلاقا . وما كاد يظهر حتى انتشر فى شبه



تأليف : مجموعة من المستشرقين

الناشر : مؤسسة فرانكلين

٤٤٤ صب - ١٧×٢٤سم

الجزيرة ثم فى معظم انحاء العالم المتمدن ، وعرف العالم فى ظله فترات رائعة حافلة بالعظمة والفن والثقافة ، تعتبر من اهم العصور التى عرفها العالم . وعلل الباحث سرعةانتشار الدين بظهور النبى فى عالم مضطرب قلق ، تسوده الفوضى ، ويعمه الانحلال ، استسلمت فيه الامبراطورية الرومانية لغزوات القبائل البربرية الأوربية ، وخرجت فيه دولة الروم الشرقية منهوكة القوى من حروبها ضد الدولة الساسانية الفارسية ، فأنعش الدين الجديد شعوبا بائسة خائرة العزائم ، وبشرها بمستقبل عظيم ،فضلا عن شجاعة أتباعه ، واستبسالهم فى سبيل نشره .

ثم تكلم الباحث عن جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ، وما كان يسودها من اضراب القبائل وتنازعها ، واضطراب العقائد وتعددها، ثم عن مولد الرسول ونشأته حتى اختاره الله لرسالته ، وعن الهجرة وأثرها فى تدعيم أركان هذا الدين الجديد ، وتأليف قلوب العرب ، ثم ماحدث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من ردة بعض الأعراب وبخاصة فى الأحساء ، وما تلا هذه الحروب من فتوحات استمرت أكثر من مائة عام . ولم يأت عام ٧٥٠ حتى كان المسلمون قد اكتسحوا شمال افريقية والأندلس فى الغرب ، ووصلوا الى حدود الصين فى الشرق . الا انهم لم يوفقوا الى احتلال القسطنطينية أو فرنسا فى هذه الفتوحات .

ثم تكلم عن بساطة الخلافة وقوتها فى عهدها الأول ، وكيف حدثت الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان وانقسم المسلمون فرقا وطوائف ، وكيف انتقلت الخلافة الى دمشق فى عهد الأمويين ، ثم الى بغداد فى عهد العباسيين ، وكيف احتلت بغداد مكانتها الرفيعة فى العصر العباسى الأول ، وأصبحت مركز الحضارة الاسلامية ، وكيف أثارت مصادر المعرفة الفنية المتراكمة عقل العرب النشيط ، ودفعته الى الدراسة والبحث فى كل فرع من فروع المعرفة. وبهذا حفظ العرب للحضارات القادمة آثارا هامة مما قدمه الأوائل فى المعرفة والأدب ، وأضافوا أشياء مبتكرة الى الطب والعلوم ، واخترعوا علمى الجبر والكيمياء، واخترعوا فى الأعداد (الصفر) وحسنوا صناعة الورق ، وأبقوا مشعل المعرفة متوقدا رائعا ، فى حين كانت أوربا تعيش فى عتمة العصور المظلمة . وخلص من هذا الى الكلام على النكبات التى حلت ببغداد من الأتراك والديلم والسلاجقة حتى حلت بها النكبة الكبرى باحتلال المغول لها، والقضاء على الخلافة العباسية ، وما حدث بعد ذلك من قيام الامبراطورية العثمانية ، وتسلطها على بلاد الشرق الأوسط ، وحكمها حكما فاسدا، ثم ما حدث بعد ذلك من تسلط أوربا على هذا الشرق الأوسط واستغلال كنوزه ، والقضاء على الامبراطورية العثمانية .

السيادة الاسلامية

تناول هذا الفصل السيادة الاسلامية فى البحر الأبيض المتوسط بواسطة العمارات البحرية الاسلامية لشمال أفريقيا وسوريا والتى استولت على الجزر الهامة فى ذلك البحر وبخاصة كريت وصقلية ، وزعزعت نفوذ الدولة البيزنطية وحلفائها ، ووضعت العمارات البحرية يدها على نقط ارتكاز هامة فى صقلية ، وجعلوا من بالرم قاعدة لاسطولهم الذى أخذ يروع شواطىء ايطاليا وتجارتها ، واستولوا على جزيرة (بانتلليريا) ليؤمنوا اتصالهم بشمال افريقيا . وفى الوقت نفسه كان رجال الأسطول الاسلامى فى كريت يتقدمون بسرعة فى بحرى ايونيه وايجه ، واستولوا على برنديزى ، وانزلوا كارثة باسطول البندقية ، واستولوا على (بارى) والمناطق المحيطة بها . وبذلك فتح البحر الادرياتيكى فى وجه الأسطول الاسلامى وانشئوا فى بارى دولة اسلامية ، على حين استولى اسطول بنى الأغلب الذى قام من صقلية على مسينا .

وقد ضرب بنو الأغلب ضربتهم النهائية ضد البزنطيين فى حملة قادها الملك الافريقى ابراهيم ، فهاجم ما تبقى للبزنطيين من مدن فى صقلية والنواحى المحيطة بها ، وتابع زحفه المظفر عبر المضايق الى كالابريا ، ولم ينقذ ايطاليا من قضائها المحتوم الا وفاة ابراهيم فجأة فى كوستزا ، وانسحاب جيش المسلمين الى صقلية، وسقوط ملك بنى الأغلب فى شمال افريقيا وقيام الفاطميين .

ومضى الفصل بعد ذلك فى تعقب المعارك البحرية بين العرب وبيزنطية مدا وجزرا ، ومصاولة ومطاولة ، دون ترتيب زمنى للأحداث ، حتى ظهرت القوة الثالثة البحرية للاسلام ، وهى عمارة الأندلس البحرية . ويعترف المؤلف نفسه بأن تنظيم هذه القوات البحرية وتتبع تحركاتها مسألة صعبة لقلة المعلومات عن ذلك واضطرابها ، مما جعل ربط الأحداث فى هذا الفصل يتطلب جهدا كبيرا .

وأهم ماعالجه المؤلف فى هذا البحث هو الأثر الذى كان لسيادة المسلمين البحرية على الحياة الاقتصادية والتجارية فى منطقة البحر المتوسط ، والبحر الأسود ، والفضل فى ذلك يعود الى سيطرة المسلمين على البحر المتوسط ، وعلى الطريق الشمالية الدائرية الى سوريا ومصر عن طريق صقلية وكريت وقبرص ؛ واصبح أهالى شمال افريقية يتحكمون فى نقل التجارة بين الشرق والغرب ، كما ان سفنهم — فى المقام الأول — هى التى كانت تمخر البحر المتوسط الى مصر وسوريا ، لتأتى بتوابل الشرقين الأدنى والأقصى وسلعهما المترفة الى شمال افريقية والمغرب الاسلامى ، وكانت النتيجة ازدهارا مثيرا فى المغرب ، وامتد هذا الازدهار الى مصر وبخاصة حين أخذت التجارة الشرقية الى المحيط الهندى والشرق الأقصى تتخلى عن طريق الخليج العربى ، وتعود ثانية الى البحر الأحمر ومصر . وتمتعت بلاد الأندلس أيضا فى هذه الحقبة بازدهار صناعى وتجارى وزراعى ، واصبحت تفوق بلاد المغرب بحضارتها . ومن التطورات الهامة فى العالم الاسلامى اذ ذاك ظهور الدينار الذهب فى الشرق والغرب ، وانتشار الصيارفة اليهود والفرس فى هذه المواطن الحساسة للتجارة . وفى الوقت الذى ازدهرت فيه الحواضر الاسلامية فى هذه الأيام كان الشاطىء المسيحى على البحر المتوسط لا يكاد يحمى نفسه من الغارات المتقطعة التى كان يشنها المسلمون من اسبانيا أو من قواعدهم فى البحر ، مما أدى الى انحطاط هذه المدن . ولم يستطع جنوب ايطاليا أن يستعيد نشاطه التجارى الا فى القرن العاشر عندما وضعت حملات نقفور حدا للخطر الاسلامى .

الحروب الصليبية والجهاد

مهد مؤلف هذا الفصل لحديثه عن الحروب الصليبية بذكر الدوافع الحقيقية لهذه الحرب، فذكر أن الدوافع السياسية والاقتصادية كانت أقوى من الدوافع العقائدية ، فاستغل الدين كستار للمطامع فى هذه المعركة الكبرى التى تصارع فيها دينان عظيمان فى ساحات سورية ، وسارع النصارى بعد سماعهم لخطاب البابا أوربانوس فى كلارمونت الى التطوع لاخراج

الكفار من الأراضى المقدسة،وتوافدوا من مختلف الطبقات والأصناف ينضوون تحت لواء الحرب المقدسة التى دعا اليهـــا ، وعين البابا واعظين ومبشرين متنقلين ليحملوا الرسالة الىجميـع الشعوب ، وليحثوا النــاس على التطـوع فى الحرب ، وقد تعـددت الرغبـات ، واختلفت النوازع ، فشارك فى هذه الحرب أفراد كثيرون مدفوعين بالبحث عن المغانم والمكاسب ، وأمراء مدفوعين بحب المغامرة والبطولة ، وســادة يحلمون بانشاء امارات فى أنحاء الشرق تخضع لسلطانهم ، وخليط من الدهماء ساقه التيـار امامه ليتخلص من حياته الرتيبة المملة ، أو من سلاطة السنة الزوجات .

وقد ساعد تفرق حكام سورية والبــلاد الاسلامية ، وتفكك كلمتهم ، على نجاح الحملـة الصليبية الأولى ، واســتطاع الصليبيون أن يحاربوهم واحدا بعد الآخـر ، دون أن يتعاونوا على درء هذا الخطر ، فسقطت سوريا ، وظلت نهبا للحروب والمصــادمات ، تارة بين الدول الاسلامية المتنازعة ، وتارة بين النصــارى والمسلمين ، وأحيانا بين الأمراء النصــارى أنفسهم ، وبلغ من اضطراب الأحوال فى المنطقة أن المسلمين والنصارى على السواء لم يترددوا فى التحالف مع أعداء دينهم ضد أبناء ملتهم .

ثم تكلم المؤلف بعد ذلك عن تاريخ الحروب الصليبية المتتالية حتى ظهور عماد الدين زنكى ابن اقسنقر ، الذى يعتبر أول من قام للأخـذ بالثأر من الصليبيين ، ثم تكلم عن ابنه نور الدين الذى يعتبر بطل الجهاد ، ثم عن ظهور البطـل صلاح الدين وجهاده بعد أن وحد مصر وسوريا، وكيف وجه صــلاح الدين همتـــه الى طرد الصليبيين بعد أن هاجم رينو قوافل المسلمين ونهبها فى زمن الهدنة ، وقام بغارة متهورة عقيمة على مكة والمدينة . ثم تكلم عن اعادة صلاحالدين لبيت المقدس وعن تسامحه وشهامتهمعخصومه مما أثار اعجـــابهم ، وظل المؤلف يسرد تاريخ الحروب الصليبية حتى حمـلة القديس لويس التاسع ملك فرنسا الذى هزم فىمعركةالمنصورة، وكيف هللت أوربا الصليبيـــة لظهور المغول ، وانتصارهم على المسلمين ، واخذت الأحـــلام



تراود البابا فى اقامة حلف مقـــدس مع المغول يسحق فيه الدول الاسلامية سحقا ، وترددت فى ذلك الوفود بين أوربا وسلطان المغول ، ولم ينقذ الاسلام من جحافل المغول ومطامع حلفائهم الا انتصار مصر عليهم فى عين جالوت عام ١٢٦٠ .

الاسلام ونمط الحيـاة الاسبانية

بدأ المؤلف كلامه بالحديث عن الصراعالقديم بين الجسد والنفس ، حيث نشأت عن هـــذا الصراع حركات روحيـــة فكرية مختلفـــة : كالتقشف والزهــد ، والفلسفة الرواقيـــة المسيحية ، والنزعة الصوفية . وينفرد الاسبان بأنهم عانوا هذا الصراع فى حياتهم ، ولميلتمسوا مخرجا أو منفذا لهذا التوتر الداخلى : فالاسبانى لا يهتم بالحقائق المجردة ، لأنه لا يميل كثـيرا الى التفكير ، ولا يســتطيع أن يعنو لضرورة الانفصال انفصالا تاما عن ذاته حتىولا عنرغائب جسده . فالفكر عند الاسبانى يجب أن يتحـد ويمتزج امتزاجا كليا بحياة المرء كلها ومن جميع نواحيها . وهذا مما لا يدع مجالا للتفكير المجرد، وافتراض النظـريات . ولذلك لم يظهـــر من الاسبان فلاسفة مبدعون اضافوا شيئا جديدا الى جماع الفكر الانسانى . على أننـا نجد من ناحية أخرى أن الاسبانى يعنى غاية العناية بكل ماله علاقة بأسلوب التعبير عن النفس والمشاعر، ولذلك اقتبس من بعض التعابير العربيةماساعده على ذلك ، كما اقتبس بعض عادات العـــرب كتقبيل اليد وغسل الميت والجلوس القرفصــاء على الأرض .

لقد استطاع العربى أن يتمثل حضـــارات الشعوب التى فتحها ، وأن يتصل اتصالا وثيقا بمعالم الفكر فى بلدان هذه الشعوب ، وانيتفاعل معها ، أما الاسبانى فقد كانت غايته القصـــوى التمسك بالتعاليم الدينية ، والتعصب الأعمى ،



والايمان القوى الذى خلص بلاده من الاحتلال، ثم ينتهى المؤلف بهذه النتيجة التى استخلصها من المقارنة بين العربى والاسبانى : « ان المسلم العربى يذيب ذاته فى الأشياء حوله ، أما الاسبانى فانه يحاول ان يذيب الأشياء حوله فى ذاته » .

نشاط ابن خلدون

يحتل ابن خلدون مكانة خاصة فى التاريخ الاسلامى ، لأن مقدمته ــ من حيث انها لبنة فى بناء دراسة التاريخ ــ تعتبر من أفضل ما قدمه عالم عربى اصالة وابداعا ، فهو أول كاتب نظر الى التاريخ على انه موضوع حرى بعلم خاص ، ولم تكن مصادره لهذه الثقافة الفريدة سوى تجارب حياته وتأملاته فيها ، وأتاحت له خبرته المتألقة ان يتعرف على طبيعةالظواهر الاجتماعية والسياسية ، وتطور التاريخ والمجتمع ، وقيام الأسر والدول وسقوطها .

ويمضى المؤلف بعد ذلك فى سرد تاريخ ابن خلدون فى بلاط السلطان برقوق بالقاهرة ، والصلة التى جمعت بينهما ، ثم يتكلم بعد ذلك عن حياة ابن خلدون فى جميع الوظائف التى تقلدها ، وعن رحلته الىدمشق والتقائه بتيمور، ذلك اللقاء التاريخى . ويحدثنا عن مؤلفات ابن خلدون وكيف أعاد النظر فيها وهو بمصر .

الفتــوة

هل هى الفروسية الشرقية ؟

ليس ثمة ما يدلنا على ان العربفىجاهليتهم قد استعملوا هذه الكلمة للدلالة على جماعة خاصة تتميز عن سائر القبيلة بالعمل من اجل هدف معين ، ولكن بعد تغلب العرب على الأمم المتحضرة فى الشرق الأدنى تجد كلمة فتى تستعمل استعمالا يكاد يكون مقصورا فى الدلالة على أعضاء فى جماعات ، وأصبح للفتوة معنى فنى يدل على جماع الفضائل الخلقية منشجاعة وكرم وشهامة وضيافة وتضحية ونكران ذات، واطلقت فى القرن التاسع على فئات منالمتطوعين للجهاد فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، دون أن يكونوا جزءا من الجند النظامى ، وعلى المقاتلة فى الثغور الذين ينضمون الى جيش الدولة فى معارك الجهاد . وكانت تتدفق على هؤلاء وهؤلاء الأموال والمساعدات من ملوك العالم الاسلامى وسلاطينه وشعوبه ، تقربا الىالله ، ومشاركة فى الجهاد. وقد لعبت هذه الجماعات دورا حاسما فى التوسع السياسى الذى أحرزه الاسلام . ثم يتحدث الكاتب عن مؤلف يدعى ابن الصمار وضع كتابا فى الفتوة للخليفة الناصر ، تكلم فيه عن شروط الفتوة وصفواتها ، والتدرجفىمراتبها حتى لبس السراويل . وقد جعل المؤلف الناصر لدين الله هو قبلة الفتوة وزعيمها . وقد عرف المجتمع الاسلامى هذه الفتوة فى الحروب الصليبية ، وعرف ما يقابلها عند الصليبيين ، وهى الفروسية .

التطور فى الدين

تكلم المؤلف عن الصورة التى شاهد عليها معظم اقطار الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الثانية ، وعن اتجاه قادته الوطنيين الى محاكاة الغرب فى اصلاح بلادهم وتطورها ، ولو ادى ذلك الى مخالفة المتزمتين من رجال الدين ، كانت هذه هى صورة الشرق الأوسط فى نظر الكاتب عام ١٩٣٩ ، ولكنه عندما عاد الىالقاهرة عام ١٩٥٢ وجد على جدران الجامعة وغيرها شعارات مكتوبة مثل :

الاسلام دين العالم ، القرآن أساس الدولة .

وهذا دليل ناطق على ان الدين قد انبعث على أثر الفوضى السياسية فى السنة المنصرمة ، وأخذ يشارك فى شئون الدولة العملية . وهذا الانبعاث يتمثل فى الاهتمام بالأعياد الدينية بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى قوة تماسك الدين ازاء الدعوات الهدامة . ولكن يبدو ــ فى نظر المؤلف ــ أن هذا الانبعاث لا يؤلف فى الدرجة الأولى انبعاثا فكريا ، وليس هو محاولة لخلق فلسفة دينية جديدة ، وانما هو فى الحقيقة احياء للدين كعامل اجتماعى ، وكحزب سياسى،

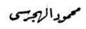
وكجزء من كيان المجتمع . ولذلك جاء هذا الانبعاث ردا على ضغط الغرب السياسى على الشرق العربى ، ومحاولة فرض سيطرته عليه بالأحلاف والقواعد عقب الحرب العالمية الثانية، ثم خلق اسرائيل فى قلب الوطن العربى . وبذلك خسر الغرب ماكان لحضارته وثقافته من سحر فى نفوس سكان هذه المنطقة ، واتاح للحركات التحررية والدينية ان تظهر فى الشرق الأوسط كبديل من الفوضى والانحلال .

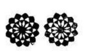
انبعاث الاسلام

تكلم المؤلف فى هذا الفصل عن زعماء الانبعاث الاسلامى ، واورد أن كمال أتاتورك لم يكن وحده رائد الانبعاث الاسلامى فى العصر الحاضر ، بل هناك فى الباكستان ــ اكبر دولة اسلامية ــ مفكرون وسياسيون ومشرعون من امثال اقبال وجناح وغيرهما ممن انشئوا دولة الباكستان ، واوسعوا المجال للدور الذى يجب ان يلعبه الاسلام فى العالم المعاصر . وعقد المؤلف مقارنة بين الآداب الاسلامية وآداب آسيا (الهندوسية ــ البوذية ــ الطاوية ــ الكنفوشية) ، وقال ان المفكر الغربى حين ينتقل من دراسة آداب آسيا الى دراسة الآداب الاسلامية يكون كمن ينتقل من جو يغمره الضباب المنخفض المشبع بالرطوبة الى طبقات الجو العليا حيث الصفاء والنقاء ، وذلك لأن الفكر الاسلامى خالط كل الحضارات وتمثلها ، ويتضح هذا من دراسة الشاعر اقبال الذى جعل القرآن نبراسه الذى يضىء له طريق تفكيره . واورد المؤلف بعد ذلك نص قصيدته (الشكوى ، والجواب) ومقدمة الطف حسين عليها ، وفيها يتضح منهجه الدينى فى التفكير ، كما يتضح هذا المنهج أيضا فى مؤلفيه (نشوء الفكر الفلسفى الاسلامى فى ايران ، وتجدد الفكر الدينى فى الاسلام) .

الاسلام والتطور

تكلم المؤلف عن قوة الاسلام ، وكيف انه استمر فى حركة دائبة اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، وسيستمر بعد ذلك مادام محتفظا بسجل رسالته الوحيد وهو القرآن ، ثم تكلم عن بزوغ فجر الاسلام وعن الفتوحات المذهلة التى تمت فى عصوره الأولى ، وكيف أوجد للعالم حضارة جديدة ، وخلق فيه مجتمعا عظيما على أسس لغوية وشرعية جديدة ، على حين لم يغير الدين المسيحى من مجتمعه شيئا . ثم تكلم عن الصوفية واسباب ظهورها . فقال : انها من صنع جماعة من المتدينين انسحبت من المجرى الرئيسى للتقدم الاسلامى منتهزة فرصة الضعف والوهن. ثم انتقل المؤلف الى بحث جديد وهو الاسلام فى التاريخ الحديث ، وقد افرد له الكتاب الذى بين أيدينا عنوانا مستقلا . وفيه يتحدث المؤلف عن الحركات الاسلامية فى التاريخ الحديث ، والتى ترمى الى ايقاف التدهور والانحلال فى العالم الاسلامى . وضرب لهذه الحركات مثلا بالحركة الوهابية فى شبه الجزيرة العربية ، والمهدوية فى السودان ، والحركات الاصلاحية فى الهند على يد شاه ولى الله دهلوى، وسيد أحمد برلاوى ، ثم تكلم عن ظهور جمال الدين الأفغانى، وتأثير نشاطه فى العالم الاسلامى ، وتأثير تلاميذه من مختلف الاقطار فى الدعوة الى الاصلاح . ثم قال ان الحركات التحررية فى الشرق الاسلامى لم تخل من العنصر الدينى ، ولكن لم يكن هو العنصر الوحيد فى انبعاثها بل كانت هناك ارادة التحرر والخلاص من نير الاستعمار .







الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٧٠ ص ١٤×٢٠ - الثمن ١٠ قروش



في غمرة الأحاسيس المشبوبة التي تتلقف الجديد بروح تسمو الى معرفة الفكرة أطل على الوجود هذا المولود الشعرى ، متكامل المظهر ، حلو الخلجـــات ، يانع كالورود ... مزدهرا كالياسمين ذا لوحات تعبيرية تحمل في خطوطها البيانية معالم القصيدة .. فالشعر في هـــذا الديوان يقف بين انداده ليعلن عن كنوزه البراقة التي يحملها للوجود في ترانيم صوفية تارة ، عاطفية اخرى .. ثورية حينا . ولذا سنسبر غوره لنرى ما يحمله هـــذا المولود البكر بالنسـبة للشاعرة وللقصائد معا .

الشـــاعرة شريفة فتحى ليست بحاجـة للتعريف . فهى انسانة فنانة أخذت مجالها في محراب الرسوم الرائعة ، والأغنيــة المذاعة ، والقصيدة المنشورة . وليس ديوانها هذا الا ثمرة الكفاح الطويل الذى عاشته الشاعرة بين كلمات المديح والاطراء والنقد والتجريح ، شأن كل فنان تصادفه عقبات كثيرة للوصـــول الى المجد .. فالمجد كلمة كاللحن الأثير تداعب الخيـــال بلذة النشوة للنصر المظفر ولعل الشاعرة قد وصلت الى النصر المرتقب اذا اعتبرت ان الديوان هـو النصر وعلى هذا لابد لنا من أن نحكم للشاعرة ونعطى قصائدها الحق الذى يستحقه .

ان أول مايصادفك في ديوان (لهب وأمواج) مقدمة طويلة لا تكشف نوعية الشعر بقدر ماكانت تؤرخ حياة الشاعرة . ولعل المقدم الكريم (عزيز اباظة) اراد لنا ان نحدد قيمة الديوان من خلال نظرتنا له ، وفهمنا لمحتوياته . ونحن لا نشـك ابدا ان ديوانا كهذا سيكون مدارا لأقـلام جادة تحدد للشاعرة مكانها في هـــذا الميدان الرحب الأصيل .

ماهية الشعر

الشعر بمفهومه الأدبى هو الشعور لأصداء الروح ، يرتكز على فكرة هادفة تجلو عن النفس الكآبة وتحلق بها في أجواء الخيـــال المجنح ، والشعر في واقعيته يترجم لنا الحيـــاة بكل احداثها ... بؤسها وسعادتها، قسوتها وقلقها، وهو في رمزيته يداعب النفوس بمحاكاة فلسفية تساعد الشاعر على أن ينقلنا بزورقه الخيـــالى الى اماكن بعيدة بعيدة نحاول جهدنا ان نكشف الوشاح الرقيق الذى يخفى عنا معنى الكلمـــة لنعيش بمفعولها السحرى الغامض . اما الشعر في ثورته فهو رسالة امينة يحملها الشاعر فوق منكبيه لتكون نورا تضىء لنا ظلمات الدروب .. فاذا كان الشعر محددا بتلك العناصر المذكورة ، فما هو مكان الشاعرة في ديوانها (لهب وأمواج) ؟

الشعر عند شريفة صور ذاتية منوعة تحمل الفكرة الهادفة في مختلف الوانها وهى كشأنها في الرسم التقطت الصور معبرة صادقة مخلصـــة لفنها في المبنى والمعنى ، ففى القصيدة الصوفية

(الله) نرى الشاعرة انسانة تذوب فى بوتقة الهية وفى غيبوبة تنسى معها الوجــود الصــاخب . اذ تقول :

تباركت يارب من خالق
صفت مابدعت ابهى الصــور

الا كيف احييت هذا التراب
وانبت فيه ظليــل الشجر

وتتابع الشاعرة القصيدة بايمــان مطلق ، وصوفية شفيفة ، فيها البيان الجميل وطلاقته الحلوة الناعمة .. اما فى قصيدة (انشــودة ام الى طفلها) فنسمع الشاعرة تخاطب طفلهــا بأروع نداء وأعذب لحن :

نم يا حبيبى فى رضــا وامان
سهرت عليك عنــاية الرحمن

طيف النهار مضى ونامت شمسه
والليل اقبل ناعس الأجفــان

وهكذا تمضى تعزف لنــا لحن الأمومة على قيثارة العاطفــة المشبوبة بالحب الكبير الذى لا يعادله اى حب فى الوجود . فالطفل نعمة كبرى يهبهــا الله للأم كأغلى ماتكون هــداياه السماوية المقدسة . وشريفة ابتدعت بندائها اذ صورت لنا الأم فى قلب صاف ، عار الا من خشوع الحب ، وعاطفة الأمومة المثلى .. أما الشعر الوطنى عند شريفة فقد كان مرســلا كتقرير يحمل تاريخــا لشعب عريق فى نضــاله .. ولزعيم ثائر لحرية وطنه اذ نسمع الشاعرة تردد فى قصيدة (ثورتنا) :

اخذنا المجد رغم الدهر واعتزت معالينا
بروض السلم اطيــار تغــرد فى روابينا
وفى ساح الوغى نار ستصلاها اعادينــا
لنا أهدافنــا المثــلى رسمناها بأيدينــا
نســالم من يسالمنا نعــادى من يعادينا

فى هذه القصيدة نجد المراة الثائرة والناثرة والشـــاعرة .. نرى بذور الوطنيــة قد نمت وترعرت فى قلب المراة المواطنــة التى تعى قيمة الوطن كقيمة الروح . والقصيدة تمتاز بنوعيــة خاصة للشعر لأنها تحمل الفكرة بقالب ثورى ، وشريفة فى (ثورتنا) كانت صـــدى حبيبا لكل صوت أنثوى ينادى بالحرية وكانت رسالة مشرفة للمراة العربية التى تعى واقع بلدها فتعطيه من حنانها كما يعطيها من خيره ومجده .. وفى الديوان ايضا عدة قصائد كلها تخدم الهـدف الثـورى كالمارد الأسمر .. وانشودة مجد .. ورسالة الى فلسطين .. وصيحة عربية ، اذ تشمل القصائد الحقيقة بجمال المعنى والتصوير الفنى الجميــل مما يدل على أن للشاعرة باع ساحر يصقل الشوك الى جوهر اخاذ بديع .

اما القصائد الذاتية فى الديوان فقد اخذت الجانب الأكبر . وذاتية المراة ترتفع الى أسمى مدارج الانسانية .. فالشعر الذاتى عند المراة هو نفسها سواء بسواء ، تعرضــه لنا بكل فخر لأنه واقعهــا .. ولأنه يكشف أستار خلجاتهــا وانفعالهــا .. والمراة التى تنطق الشعر تسمو بروح المحبة . والحب لدى المراة الشاعرة صلاة خلود ، ودمعة صــدق ، وهمسات قلق . وفى الديوان نعيش مع المراة الشــاعرة . وليست المراة التى يقال عنها الشعر لأن هنــاك فئة من نقادنا يغالطون انفسهم بسخرية لاذعة كلما ارادوا أن يكتبوا لنا عن الشعر النسائى ، ويفنـدونه بأشكال وأشكال لا نخرج منها الا بحثالة فكر .. وليعذرنى القراء اذا قلت بأنهم لا يدركون حقيقة المراة من خلال شعرها . لأن المراة تعتبر وحيا للشعراء كافة فكيف اذن تكون روعة الشعر اذا نظمه الوحى نفسه .. وبالتأكيد الشعر النسائى هو الشعر الذى تقوله المراة من صميم نفسهــا .. من عمق أعماقها .. بلمسة من حنــانها .. من ذاتها .. من كبريائها .. من دموعها . فالمراة اذا قالت الشعر كأنما تعلن للوجود .. هذا انا .. باحساسى .. بنبلى .. بقسوتى .. بقلقى .. بخواطرى .. ولا اظن ان شاعرا مهمــا بلغ من النبوغ يستطيــع أن يحسن القريض بروح المراة وذاتها .. لأن الشعر عند المراة هو المراة .. وشريفة الشاعرة كانت المراة الشاعرة التى اجادت تصوير حقيقتهــا عارية من كل زيف . ولنسمع شاعرتنا الملهمة تقول فى قصيـــدة (حبى) :

أأروح أحكي عن خفايا مهجتي
واتابع الآهــات بالزفرات
والنفس أعرضها واهتك سترها
واذيع حبي وهو سر حيـاتي
اأجرد الاحســاس من أثوابه
لأكون نهب السمع والغمزات

وتتابع الشاعرة القصيدة بروعة خلاقة بلغت جمالها المطلق . فالحب عند شريفة قداســة ونبل وهو يقترب في أكثر الأحيان الى الشك . لأن الشاعرة رغم قداسة الحب عنـدها تخشى الاقدام عليـه . ففي أكثر من قصـيدة نجـد الحيرة .. حيرة القلب الهائم فوق السحب ..

وفي النصف الأخير من الديوان نرى الشاعرة تعيش خفايا النفس بكل وضوح وواقع .. تعيش التأمل نحو حياة افضل. وتعيش الألم والعنفوان . فقصيدة (اليهم) متفاعلة الأحداث والظروف . فهي ذاتية متسمة بالحزن . والشــاعرة هـذه القصيدة انسانة ترد عن نفسها كيـد الأعادي ، ولفظ الثغور المبغونة . فهي فنـــانة لها كرامة الانسان وعنفوانه الأصيل ..

قالوا . فجاروا .. وافتروا دون اعتبار
فكأنما بيني وبين القــــــوم ثــار
اســتعذبوا التجريح وانهــالوا اذى
حتى اســتماذ الشعر منهم واستجار
قالوا اســتعارت فنهـــا ياويحهم
الفــن ابن الروح كيف يعــــار

هذه بعض المقاطع من القصيدة الطويلة التي تحمل في أبياتها ثورة انثوية بواقع مجتمع بالحقيقة . فمهما ارتفع الفنــان في فنــه الى سماء الفكر والابداع لا يسلم من زمرة الألسن التي دابهـا التجريح .. ولاأظن أن الشاعرة قد نجت من هذا المبرد الحـاد .. لقد أنكروا عليها فنها ، وأثبت لهم فنها بجماله ورونقه .. ولكن يبدو أن شريفة لم تمر في معارك النقد .. واذنها لم تلتقط الا بريق الألفاظ . ولذا ثارت (غضبا) لسماعها كلمات النقد على حساب الفن . فأرادت أن ترد الصـاع صاعين ، والكلمـة كلمتين . وما رغبت لهـا أن تنزل الى الميدان الا بجمال شعرها القوى الذى انكروه عليها .. وأيضا هناك اشارة جديرة أحب أن أقولها للسيدة الشــاعرة . هي ذكرها كلمة (نهيق الحمار) كدلالة لعدم اللامبالاة وهــذا ما لانرضاه لجمال الأفكار عندها .. وآمل أن يكون صدرها رحبــا لكل الآراء التي لا شـك ستكون في صالح فنها الكبير وازدهاره .. ثم .. ثم لندع (اليهم) للذين جاروا وافتروا ونسير في درب (دمــوع مشرقة) حيث نستحب رؤية البريق الزاهي في العيون الحلوة . فالشـــاعرة ترمز للذات عندها الى الشمعة وتستعير منهـا جمال الضوء وروح الحيــاة . ولنسمع شريفة تناجي ظلها في خيال شمعة :

مهلا تأمل في حيــاة الشمعة
كم فيهــا عبرة وكم من حكمة
في وجههــا اشراقة من بسمة
لألاءة في حالكات الظــــلمة

وتقول :

وسموت في دنيا الفنون بشقوتي
فنظمت اشـــعاري بأنة آهتي
ما كنت أرضى أن أرخص دمعتي
فأنا اقدس في الحيــاة كرامتي

هذه القصيدة متأثرة الى حد بعيد بأفكار قصيدة (اليهم) فيها احساس صادق عن الألم المستوطن في فؤاد الشاعرة وقد مزجته بالألوان الزاهية المنمقة كيما تخلق منـه لوحـة فنيـة مكتملة التعبير . والارتباط في القصيدتين ظاهر .. فبالأولى استخدمت الشاعرة الضمير لتعبر عن المضمون ، وفي الثانية استخدمت الرمز لتـدلف الى المضمون ..

اما في قصيدة (بلاخطيئة) نلمس الرومانسية قد تجلت في الأبيات وفي المعنى .. وهي تصـور الانســـان بكل انسانيته .. بقلبه الخافق .. بنبله السامي .. بعذره الظاهر .. بحبه المتلون . والشاعرة تقول في هذا :

فاذا تلاقت نظـرتي بلحـاظه
الفيتها أغـوى من الشــيطان

فهو العزوف عن الهوى بلسانه
وعيونه تدعو بألف لســـان
اجسادنا. . لا. . لم تمس خطيئة
ابدا .. وان اثمت لنــا عينان

حتى الورد وفتنته فقد اخذ مجاله فى خيال الشاعرة .. لقد أبت ان تمضى فى تحليل الذات فى شعرها دون ان تمر على الزهور .. على الفل والياسمين .. والبنفسج والريحان .. والربيع من حولها ساحر ناضر ، يسعد النفوس بظلاله ، وينعش القلوب بهجة ومحبة ، ويعيد للانســـان ذكريات حلوة فيها صفاء الخلود لروحه ووجدانه، والربيع عند شريفة قصة تقول فيها :

يا من عشقت من الربيع جماله
انا لا الومك من الهوى أو اعتب
ان كنت تعجب بالجمال فاننى
بالحسن ايضا ياصديقى اعجب والخ ..

وتقول واصفة لنا الورد قائلة :

والورد يحكى قصـــة العشاق
فى لونه شـــعل من الأشـــواق
هـــو بهجة الهيمان يوم تلاق
ولواعج الولهـــان يوم فراق

وتقول ..

والنرجسات الناعســـات دلالا
صـــاغ الغرور قوامها المختالا
فاذا أتى صب يريد وصـــالا
جاوبتـــه فى كبرياء لا ... لا

هناك قصيدة وطنية قد تكون وقعت سهوا فى التحليـــل الأدبى الا اننى اردت ان انهى بهـــا الدراسة لهذا الديوان لما فيها من صدى يخالج نفسى.. ويشعرنى بحدث اليم عشته بين صيحات الرجاء والاســـتنكار . عشته هنـــاك فى ســـفح قاسيون الشامخ وارضه الحبيبة .. يوم هبت على سورية زوبعة التمرد والعصيان . يومذاك انطلقت الدموع من العيون، والآهات من الصدور، والزفرات الثكلى من القلوب .. والكل .. الكل يهتف .. الوحـــدة .. الوحدة يا ناصر خاطرة سريعة مرت على وانا اتابع صيحة المراة العربية التى تؤمن بالقضية الوطنية الكبيرة .. ولنسمع الشاعرة تحكى قصة الانفصال اللئيم :

حزب تســـلط وافترى فى ظلمه
والشعب بركان على الطغيان ثائر
كيف استباح مقدســـات بلاده
ولأى مصـــلحة بوحدتها يتاجر
يا آل سورية احسموا ما بينكم
افتخذلون النصر فى يوم البشائر
ضموا الصفوف على الاخاء وجاهدوا
والله فوق جهـــادكم للحق ناصر

وهكذا تمر بنا الشاعرة فى معارج الوطنيـــة والحب ، وتعطينا حلاوة شفافة ، لذيذة صوفية مرة ، قلقـــة اخرى ، رومنطقية حينـــا . لأن الخيال عانق الشاعرة بالفة . والخيال من اهم عناصر الشعر . وفى الديوان ايضـــا خطرات لا تزيد على شطرين او ثلاثة ارادت الشاعرة ان تحملها عنوانا اكبر من المعنى كأبيـــات زورق الأحـــلام .. متى .. سحابة صيف .. سرى الهوى الخ . هذه خطرات وليست بقصائد كاملة الأجزاء ولا المعنى ولو ان الشاعرة ضمت خطراتها المذكورة بصفحة واحدة لبلغت غاية المرام . وفى كلا الحالين هذه تجربة اولى للشاعرة معدواوين الشعر اقدمت عليها بايمان ، ولشـــد ماكانت موفقة فى اختيارها للقصائد الرائعة التى لا تقل بمستواها الفنى عن اية شاعرة عربية .. ففى الديوان قصائد حلوة منغمة . اصداؤها سكر.. وعبيرها فواح الشذى . فيها صدق الواقع .. وصدق الشعور . وشريفة فنانة موهوبة يعيش فى مطاوى نفسها ذوق اصيل . وقـــد ادركت قيمة هذا الذوق الشعرى فدعمتـــه بالمقومات الفنية التى تثبت وجـــوده وليقف بين انداده شـــامخا يعلن عن كنوزه وعن شاعريته المبدعة الفياضة بالعمق وبخيال وثاب ، وجرس شاعرى جذاب ، ووجد مشرق ، ونداء ملتهب الحماس لحياة تحلم بالجمال المطلق فى فلسفة صوفية ، وترانيم اخاذة حلوة .

فالى شاعرتنا الفنانة التهنئـــة بمولودها الأنيق والى ديوانها الرواج المزدهر .

منوّر فوال

كيف نفهم سلوك الأطفال

تأليف: جرترود دريسكول

ترجمة: الدكتور رشدي فام منصور

مراجعة وتقديم: محمد السيد روحه

الناشر: دار النهضة العربية
بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين
١٥٠ ص ١٤×٢٠ سم ١٣٥ قرشا

لقد اصبح من المتفق عليه بين رجال التربية أن وظيفة المربى هى تشجيع نمو الفرد فى شتى النواحى ، لا فى الناحية العقلية فحسب ، فقد تحقق المربون من أن النمو العقلى للطفل لا يتحقق اذا أهملت جوانب النمو الأخرى .. فما العقل الا جزء من الكائن الحى لا يقوم بوظيفته على الوجه الأكمل الا اذا تحققت شروط الصحة الجسمية والنفسية أولا ، وما من شك فى أن اى اضطراب جسمى أو اجتماعى أو انفعالى يعطل من قدرة الطفل على التفكير والتذكر والاستجابة السوية الواجبة .

من أجل هذا ، أصبح الهدف الأساسى للتربية هو تنمية جميع جوانب شخصية الطفل، مع الفهم العميق لكافة مشكلاته السلوكية ، وأصبح لزاما على كل مشتغل بالتربية والتعليم أن يكون على جانب كبير من المعرفة والدراية بمشكلات الأطفال السلوكية .. دوافعها وأسبابها ، وطرق علاجها وتوجيهها .

والكتاب الذى نعرضه اليوم يتناول هذا الموضوع باسهاب وتفصيل ، بل وتغلب عليه الصبغة العملية مما يساعد المشتغل بالتربية والتعليم على تفهم مشكلات السلوك عند الأطفال، ويعينه على حل تلك المشكلات دون ماحاجة كبيرة للرجوع الى الخبراء فى ميدان التوجيه والارشاد . والباب الأول من الكتاب يتناول الفرص والمجالات المتاحة لدراسة سلوك الأطفال وتوجيههم بالشرح والتحليل مبينا الدور الذى تلعبه قاعة الدرس والملاعب وأوجه النشاط خارج المدرسة ثم اتصالات الآباء والمعلمين فى

هذا المجال . ففى قاعة الدرس يمكن للمدرس تنمية انماط سلوكية جديدة فى شخصية الطفل عن طريق تنظيم المنهج بحيث تدور محتوياته حول ميول الأطفال واهتماماتهم ، وبذلك يختفى قيام الطفل بدور المستمع السلبى الذى يردد ما يسمعه كالببغاء دون فهم أو وعى ودون أن تؤثر هذه المعلومات التى يرددها تأثيرا يذكر فى تعديل سلوكه الفعلى ، فالمعلم فى الواقع ، يواجه اطفالا ، يختلف كل منهم عن الآخر فى تناوله لأية مشكلة او استجابته لها ، ولكل منهم خصائصه المعنية ، وعندما تكون المواد الدراسية والخبرات التعليمية اداة ووسيلة من وسائل انماء شخصية الطفل بدلا من أن تكون هدفا فى ذاتها ، فان هذا يزيد من فرص تنوع استجابة التلاميذ لهذه الخبرات ، وخاصة اذا شجع الأطفال على الاستجابة الحرة عن طريق التمثيليات والتعبير الانشائى والموسيقى والمواد الفنية .. حيث تتاح الفرصة للمعلم للتعرف على الفروق السلوكية بين الأطفال بشكل اكبر، ومن ثم علاجها وتوجيهها الوجهة السليمة . فدراسة مايعبر عنه الطفل فى كتاباته فى موضوع الانشاء يكشف الكثير من مخاوفه ورغباته وشكوكه ، وعن طريق التمثيليات .. يمكن التعرف على الأطفال ذوى القدرة البالغة على التخيل ، والذين يعانون فى الوقت نفسه من صعوبة التعبير عن انفعالاتهم فهم يشعرون بحرج شديد اذا ماقاموا بأدوار تمثيلية تتطلب منهم التعبير عن انفعالاتهم ، لأن التعبير الانفعالى بالنسبة لهم أمر غير مرغوب فيه ، وعن طريق التعبير الفنى للطفل بالرسم والألوان قد نلاحظ تكرار حالة مزاجية معينة المرة بعد المرة ، كالتعبير عن الفرح أو الحزن أو الطمأنينة أو الوحدة وما الى ذلك من الأحاسيس الوجدانية الانفعالية التى تعتبر ادلة اضافية للمدرس تسهم فى القاء الضوء على الحياة الانفعالية للطفل .

اما فى الملاعب ، فتتاح للمعلم فرصة نادرة كى يتعرف الفروق السلوكية بين الأطفال ، ففى هذا الجو البدائى المفعم بالتنافس يستطيع المعلم بسهولة تمييز الأطفال الذى يتميزون بالايجابية والنشاط الزائد من أولئك الخجولين الذين ينتحون جانبا ، وأولئك الذين يقفون موقف المتفرج ، ثم ارجاع كل تصرف من تلك التصرفات الى دوافعه الحقيقية وعلاجه .

وسوف يجد المدرس مثلا .. ان الأطفال الذين لم تتح لهم فرصة تدريب عضلاتهم الكبيرة، لا يتم التوافق الحركى عندهم بشكل طبيعى ، وبالتالى يجدون مشقة فى اتقان المهارات الدقيقة المتخصصة التى تعتمد على العضلات الصغيرة ، كما تتأثر استجاباتهم ومهاراتهم أيضا تبعا لذلك ، لأن احداث اى توافق مبنى على استخدام عدة أعضاء يتطلب التدريب العضلى الذى يكفل التوافق الحركى كما يتطلب استجابة حسية يقظة تعتمد على سلامة الرؤية والسمع ، وعلى ذلك فأى خلل فى اى من هذه العوامل يؤثر على استجابة الطالب ومدى مهارته .

اما أوجه النشاط خارج المدرسة فتتيح للمعلم فرصة التعرف على أنواع الخبرات التى يتعرض لها كل طفل من الأطفال ، ونوع استجابته لها ، كما تتيح له فرصة التعرف على البيئة المنزلية ونوع الضغوط الاجتماعية التى يتعرض لها الطالب ودرجة تأثيرها فى سلوكه ومن ثم يستطيع المعلم ان يحدد نوع الخدمات والمساعدات التعليمية ونوع التعليم الاجتماعى الذى يحتاجه الطالب .

وتتيح اتصالات الآباء والمعلمين — للمعلم والأب على السواء — ان يتعاونا عن طريق تبادل المعلومات والتفكير المشترك (المبنى على الثقة المطلقة) فى رسم السلوك الملائم للطفل ، والخطط والوسائل التى تكفل تحقيق هذا الفرض سواء فى البيت أو فى المدرسة .

ثم يتناول الكتاب الطرق التى نستطيع بها دراسة سلوك الأطفال وخاصة طريقة الملاحظة وتحليل النتائج مبينا كيف أن السلوك ماهو الا استجابة الكائن لموقف ما .. ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار ان هذا السلوك قد لا يقتصر على الاستجابة المتوقعة ، بل يتناول أيضا أثر أى ضغط داخلى يحس به الكائن وقت اتيان

هذه الاستجابة فاذا ما استطاع المدرس ان يضع نصب عينيه دائما ان سلوك الأطفال مهما بدا غريبا شاذا فان له أسبابه .. اذ سوف يدفعه هذا الى التدقيق فى الملاحظة لاستقصاء أنواع الضغوط غير العادية التى يتعرض لها الأطفال فتسبب لهم البلبلة والاضطراب ، وتسم سلوكهم بالغرابة والشذوذ .

ومن هنا كانت أهمية الملاحظة الدقيقة لسلوك الطفل وتسجيله اولا بأول سواء فى الأيام العادية او غير العادية وسواء اكان ذلك أثناء النشاط الموجه من قبل المدرس او اثناء نشاط الطفل التلقائى وكذلك فى حالات المزاج الصافى او المزاج العكر ، ومع وصف الاستجابة بالضبط وبيان الموقف الذى تمت فيه بدقة ، والابتعاد تماما عن استخدام الألفاظ الغامضة .. أو التى تحتمل التأويل سواء فى وصف الاستجابة أو الموقف حتى يمكن رسم صورة شخصية دقيقة لكل طفل عن طريق فحص ودراسة تلك الأوصاف المتجمعة ، وبذلك تتيسر للمدرس معرفة الأسباب المحتملة وراء السلوك سواء اكانت تلك الأسباب متعلقة بحياة الطفل الاجتماعية أو الانفعالية أو بنوع الخبرات التى تعرض لها الطفل وانواع الصراع التى عانى منها .

وما من شك فى أن نجاح المدرس فى الكشف عن هذه الأسباب يفتح أمامه فرص العلاج المناسب وتهيئة الظروف والأجواء التى تساعد على تحقيق حاجات الطفل النفسية والانفعالية بطريقة سوية .

والكتاب فى جملته مرجع هام للدراسات الخاصة بالأطفال فهو يتناول بالدراسة مستويات النمو الجسمى والاجتماعى والانفعالى عند الأطفال مع شرح واف للدلالات التى تعين على تقديرها وتحديد مستواها بالنسبة الى العمر الزمنى كما انه يتناول بالدراسة انماط السلوك العدوانى والانسحابى والكيدى أو الايذائى مع بيان دلالة ومغزى وأسباب كل نمط منها ويورد امثلة تطبيقية لطرق مساعدة الأطفال فى تلك الحالات .



وفى النهاية يتحدث الكتاب عن الدور الأساسى الفعال الذى يقوم به المدرس كحليف وموجه للطفل ، وخاصة فى السنوات الأولى من الحياة المدرسية ، وكيف أن المدرس القادر على ان يؤسس علاقة سوية فى العمل مع الأطفال ، يؤثر تأثيرا بالغا فيهم ويغرس فى نفوسهم معانى الصداقة والتعاون التى تؤثر تأثيرا بالغا فى اسلوب حياتهم وتعاملهم مع الغير فيما بعد ، ويبين الكتاب التوجيهات التى تعين المدرس على اداء دوره ليشبع حاجات كل طفل بوصفه رائدا وموجها فى مختلف المراحل الدراسية..وبوصفه انسانا متفهما ناضجا يهتم بحاجات نمو الأطفال فى فصله ، وتتبع طرق التدريس ومادته بالتالى من حاجات نمو الأطفال الأفراد ومن العلاقات المتبادلة الموجودة داخل الفصل وليس من مادة دراسية معينة ... يساعده فى ذلك ادراكه لعلاقات الطفل الانسانية ومعرفته حتى يساند النظام الذى تتبعه الأسرة مع طفلها ، ومتى يشجع النظام والاستقلال ومتى يتتبع الخطأ عند وجوده ومتى يحاول تجربة نظام جديد ومتى يظهر اهتماما موضوعيا بالطفل ومتى يظهر له اهتماما شخصيا .. وبذلك يصبح دور المدرس فى تربية الأطفال ، هو البحث فى كيفية اتاحة الفرص لنموهم بدنيا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا عن طريق فهمه لسلوكهم .. ويصبح دور التربية وهدفها هو انتقاء الخبرات التعليمية التى تتيح للأطفال اكبر قدر ممكن من الشعور بالرضا والنجاح بالنسبة للعمل الذى يؤدونه..

ومن هنا كانت اهمية هذا الكتاب كمرجع غنى بالمعلومات والخبرات التى يحتاجها كل مشتغل بالتربية والتعليم لفهم سلوك الأطفال .

حسنى عبد العزيز

الصحافة فى مجتمعنا الديمقراطى



تأليف : الدكتور محمد عبد القادر حاتم

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
٦٠ ص ١٤×٢٠ - الثمن قرشان

هذا البحث الصغير فى حجمه الكبير فى مدلوله ، العميق فى مغزاه ، يعطينا صورة صادقة لوضع الصحافة فى الوقت الحاضر وما كانت عليه فى الماضى وما ينبغى أن تكون عليه صحافة المستقبل . فهو يرسم لنا بوضوح علامات الطريق البارزة التى يجب أن تهتدى بها الصحافة فى بلدنا لتغدو صحافة عالمية كبرى .

ويناقش المؤلف فى هذا البحث حرية الصحافة — تلك القضية الكبرى التى كانت محل جدال وصراع بين الكثير من المؤلفين والأدباء فى العالم .. ولا شك ان الصحافة تريد أن تكون حرة تنشر ما تشاء دون قيد أو رقيب ، ولهذا نجد بعض الكتاب يطالبون بأن تكون الصحافة فوق السلطات جميعا . كلمتها مقدسة، ومنبرها يعلو كل شىء عداها . ومن بين هؤلاء الكتاب « الفريد ناكيه » عضو مجلس النواب الفرنسى الذى اقترح على مجلسه فى عام ١٨٧٦ الغاء جميع القوانين المؤيدة لحرية الصحافة ، كما جاء « توماس جيفرسون » الأمريكى بعد ذلك بعشر سنوات فقال : « حريتنا متوقفة على حرية الصحافة » .. أى أنه وضع حرية الشعب بأسره فى كفة وحرية الصحافة فى كفة أخرى ، وتكون الهاوية اذا ما اختل الميزان .

وتأكيدا لحرية الصحافة فقد قدم الدكتور حاتم لبحثه بهذه الكلمات المأخوذة من ميثاق العمل الوطنى : « ان الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديمقراطية السليمة .. ان حرية الكلمة هى المقدمة الأولى للديمقراطية .. حرية الكلمة هى التعبير عن حرية الفكر فى أى صورة من صوره ... كذلك فان حرية الصحافة — وهى ابرز مظاهر حرية الكلمة — يجب أن تتوافر لها كل الضمانات » .

فالديمقراطية اذا لا تتحقق مالم تكن هناك حرية للصحافة ، ولكن البلدان الديمقراطية للأسف أحالت هذه الكلمة الى مجرد حبر على ورق . فالصحافة فى الدول الغربية تخضع لسيطرة رأس المال فهى مجرد سلعة تباع وتشترى ، تدافع عن مصالح من يدفع أكثر . انها تفتح قلبها وتخصص الجانب الأكبر من صفحاتها لا لخدمة الحق والعدل ولكن لخدمة أصحاب رأس المال . انها تقبض الثمن ولا يهمها بعد ذلك ان كان ما تنشره أكاذيب أم حقائق . الاثنان عندها سواء — وهكذا تنتشر الأكاذيب والأباطيل . وقد ادركت الصهيونية هذه الحقيقة فاستطاعت ان تشترى ٨٨٩ صحيفة فى العالم تدافع عن وجهة نظرها وتؤيدها فى مزاعمها .

والصحافة في الدول الشرقية تخضع لهيئات معينة مثل الجيش والحزب ، وكل همها هو ان تعبر عن وجهة نظر هذه الهيئات ، وهي بهذا الوضع لا تستطيع ان تعبر عما يجول بخاطر الملايين من أبناء الشعب . ان كل ما يهمها هو ارضاء هذه الهيئات التي تخضع لسيطرتها . وهكذا تضيع حرية الصحافة .

أما حرية الصحافة في بلدنا فقد كانت ضائعة قبل ثورة ٢٣ يوليو والسبب هو : « القوانين الصارمة التي وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد ، وتخضع الصحافة للمصالح الحاكمة عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التي وقفت سدا حائلا دون الحقيقة وكذلك بسبب تزايد أحتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلي ، بحيث لم يعد في قدرتها الا ان تخضع لرأس المال المستغل وأن تتلقى منه - وليس من جماهير الشعب - وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية » .

وقد استطاعت الصحافة أن تؤدي رسالتها كاملة في السنوات العشر التالية للثورة . وقفت في المعارك المريرة التي خاضها الشعب . وجهت كل أسلحتها للدفاع عن قضايا الحق والعروبة ومبادىء الثورة المجيدة ، ومهدت الأذهان لكثير من المبادىء التي اعتنقناها مثل التعايش السلمي والحياد الايجابي .. وأظهرت للعالم كله مدى التقدم الضخم الذي تحرزه بلادنا في كافة الميادين ، واصبحت - بحق - النافذة المضيئة التي يطل منها الشعب على منابع الفكر ومناهل الثقافة والحضارة في العالم . ولعبت دورا حيويا هاما في القضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال والاستغلال والفساد .



وقد ذكر الدكتور حاتم بعض هذه الانتصارات التي احرزتها الصحافة . وكنا نود لو أطال في هذه الناحية وشرح باسهاب خفايا وأسرار الدور الخطير الذي أدته وتؤديه صحافتنا وذلك حتى يطلع العالم كله على سر هذه الانتصارات وحتى يعرف الشعب صفحة بيضاء من تاريخ الصحافة في بلدنا .

وفي الفصول التالية يتحدث المؤلف عن تمليك الصحافة للشعب وتنظيم الصحافة والأسباب التي دعت الى اتخاذ هذا القرار واستقلال الصحافة عن السلطة التنفيذية وعن حرية الصحافة في ظل القانون . ففي ٢٤ مايو ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة الخاص بتنظيم الصحافة . وتقول المذكرة التفسيرية لهذا القانون : « ان ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاجتماعي والسياسي أمر لا مناص منه في مجتمع تحددت صوره باعتباره مجتمعا ديمقراطيا اشتراكيا تعاونيا ، بل ان ذلك الوضع يصبح نتيجة منطقية لازمة لقيام اتحاد قومي (الاتحاد الاشتراكي العربي الآن) يوجه العمل الوطني الايجابي الى بناء المجتمع على أساس من سيادة الشعب وتحمله بنفسه مسئوليات العمل لاقامة هذا البناء » .

« واذا كان منع سيطرة رأس المال على الحكم من الاهداف الرئيسية الستة للثورة باعتباره أحد الطرق القويمة الى اقامة ديمقراطية حقة فان هذا يستتبعه بالتالي الا تكون لرأس المال سيطرة على وسائل التوجيه » .

فالصحافة اذا جزء من التنظيم الشعبي الذي لا يخضع للجهاز الاداري ، كما أنها قد خلصت من تحكم رأس المال ومن الرقابة غير المنظورة . والصحافة حرة ، وقد أكد حريتها من جديد دستور ٢٥ مارس ١٩٦٤ في مادته رقم ٣٦ والتي تقول :

« حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة في حدود القانون » . وهذه الضمانات التي احاط بها المشرع حرية الصحافة تؤدي الى جعل الصحفي يؤدي رسالته على أكمل وجه وبذا تصبح الصحافة مرآة الشعب التي تعكس آماله وآلامه ، وصوت الجماهير الذي يدوي في كل مكان معلنا الحقائق للعالم قاطبة . انها سلاح الشعب الحاد الذي يشهره في وجه الباغين

والمعتدين وكل من تسول له نفســـه ان يتلاعب بقوت الشعب أو مصائره .. انها ـ باختصار ـ الضوء الكشاف الذى ينير الطريق امام الرأى العام ، ويصور حاله ، ويعمل على توعيتـــه ، ويساهم فى ايجاد الحلول للمشكلات التى يعانى والعقبات التى تعترض طريقه .



وفى الباب الذى أسماه المؤلف « نظرة الى المستقبل وتوجيهـات السيد الرئيس » نجـد لمسات انسانية فياضة تنساب الى نفوسنا من خلال تصريحات وتوجيهات وملاحظـات رائد العروبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ـ تلك الملاحظات الجريئة التى أعلنها سيادته فى اجتماعه برؤساء تحرير الصحف فى ٢٩ مايو ١٩٦٠ عقب صدور قانون تنظيم الصحافة . وكان من بين ماقاله فى مجال انتقاده للطريقة التى يكتب بهـا باب المجتمع فى صحفنا :

« هذا المجتمع بالطبع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الأهلى ولا نادى الزمالك ولا السهرات بتاع الليل ـ أبدا مش هو ده اللى احنا عاوزينه مش هى دى بلدنا بأى حال من الأحوال ـ بلدنا هى كفر البطيخ ـ القرية .. أى قرية .. وأنا أقول كفر البطيخ كمثال .. لو تطلع على دمياط تلاقى بلد اسمها كفر البطيخ هى دى بلدنا .. هى دى نموذج بلدنا وهنـــاك مشـــاكل بلدنا الحقيقية .. بلدنا هى كفر البطيخ . اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الأرز طول النهـــار لكى يعيشوا ـ دى بلدنا ، بلدنا ماهياش أبدا ان فلانة اطلقت أو فلانة اتجوزت ولا فلانه طلعت تجرى وراء فلان وسابت علان أبدا ـ أنا تكلمت فى ٢٣ يوليو الماضى عن هذا الموضوع بالذات ويمكن كنت أريد ألف نظر الجرائد ولكن مع الأسف محدش فهم ـ محدش فهم ماهياش دى بلدنا أنا مالى ان فلانة تجرى مع فلان أو علان . هذا الموضوع مايهمنيش أنا بأى حال ـ ولا يهم الرجل الموجود فى القرية ـ ولما كنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات أن يكتب عن العاملات مثلا ـ فيـــه عاملات طلعوا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف » .

ان هذه الملاحظـــــات التى أبداها السيد الرئيس تدل على فهم ووعى تام بما كان ينشر فى مجتمعنا منذ ٤ سنوات خلت وما قبل هذا التاريخ .. ان الصحفى يخـرج منهـــا بأفكار موضوعات كثيرة لم يسبق نشرها وتتميز فى نفس الوقت بالاصالة والعمق . وقد استوحى منهـا الأستاذ سعد الدين وهبه مسرحيته المعـروفة « كفر البطيخ » ثم « كوبرى الناموس » .. كما قلبت هذه التوجيهات باب المجتمع فى صحفنـا رأسا على عقب فلم يعد قاصرا على أبناء العاطلين بالوراثة . ان هذه الأنباء أصبحت اليوم تلقى فى سلال المهملات . ولو اننا تصفحنا باب المجتمع فى أية صحيفة أو مجلة عندنا اليوم فلا شك اننا نجده يمثل الغالبية العظمى من أبناء الشعب ـ أبناء الفلاحين الكادحين والعمال والعاملات فى المصانع والمؤسسـات . وأصبحت الصحافة الآن تتكلم عن مشكلات الشعب الحقيقية ـ مثـــلا مشكلات الاسكان والغلاء والمواصلات . وهى تحاول أن تجد الحلول السريعة المناسبة لهـذه المشكلات . ان بابهـــا مفتوح دائمــــا لآراء المتخصصين فى كافة المجالات كما انهـــا تنشر اقتراحات المواطنين العاديين . بنفس الألفاظ التى يكتبون بها . بنفس الأسلوب الذى يفهمونه. لقد أصبحت الصحافة منهم ولهم ، والفضــل فى ذلك يعزى الى توجيهات وارشادات السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

سعد زغلول سراج



يقدمه مدير التحرير

● « افريقية » هــذا المارد الجبار الذى خرج من القمقم فى السنوات الأخيرة ليدك معاقل الاستعمار ويحطم أغلاله التى كان يكبله بها . ويرغمه على أن يحمل عصاه على كتفيه ويرحل مدحورا محسورا . هذه القارة التى أصبحت اليوم محط أنظار العالم تتنافس الدول الكبرى على خطب ودها أو التحـايل على التمكين لسيطرتها فيها بشتى الصـور ، والتى بدأت تأخذ بأسباب الرقى والتطور والتنمية بعـد يقظتها أصبح لزاما على الجمهورية العربيـة المتحدة التى تعد فى طليعة دول هذه القارة ، والتى كان لثورتها التحررية فضل ايقـاظ الشعور التحررى فى هذه القارة ، أن تكون لها سياسة افريقية واهتمام خاص بتنمية الروابط بينها وبين هذه الدول .

وفى ظل هذه السياسة رات « الدار المصرية للتأليف والترجمة » ان الواجب يحتم عليهـا امام الحشد الضـخم من الكتب التى تخرجها المطابع العالمية فى دراسة هذه القارة من جميع نواحيها ، أن تصدر هى سلسلة للدراسـات الافريقية تقوم على الترجمة والتأليف ، فشكلت لهذا الواجب « **لجنة الدراسات الافريقية** » المؤلفة من الأستاذ الدكتور محمد عوض محمـد وزير المعارف السابق والأستاذ محمد فائق مستشار الشئون الافريقية برياسة الجمهورية والأستاذ ابراهيم زكى خورشيد رئيس مجلس ادارة الدار والدكتور محمد محمود الصياد وكيل كلية البنات بجامعة عين شمس والدكتور عبد العـزيز كامل الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القـاهرة والدكتور ابراهيم صقر والدكتور عبد الملك عودة الأستاذين المساعدين بكلية الاقتصاد بجامعـة القاهرة ، لتختار هذه اللجنـة من بين الكتب الأجنبية أجودها وانزهها غرضا ، ويوكل أمـر ترجمتها ومراجعتها الى المتخصصين فى الشئون الافريقية ، كما يسـند الى هؤلاء المتخصصين تأليف كتب فى شتى الموضوعات التى تحيط بهذه القارة ، وخاصة ما تتناوله الكتب الأجنبية من تلك الموضوعات تناولا يشوبه الهوى أو لا يفى بالغرض . وأن تصدر تلك الكتب تحت عنـوان « **دراسات افريقية** » .

وستصدر قريبا فى هذه السلسلة هــذه الكتب :

« **الشعوب والسلالات الافريقيـة** » تأليف الدكتور محمـد عوض محمد ، و « **القوميـة الافريقية** » تأليف سيتهول وترجمة خديجة مراد ومراجعة الدكتور محمـد محمود الصـياد ، و « **موجز تاريخ افريقيا** » تأليف ر . أوليفر وفيج وترجمة الدكتورة دولت صادق ومراجعة الدكتور محمد السيد غلاب ، و « **قصص شعبية افريقية** » تأليف يونى لين وترجمة محمـد كامل كمالى

ومراجعة الدكتور محمد سمير عبد الحميد ، و ((**افريقية في مفترق الطرق**)) تأليف أحمد طاهر ، و ((**رحلة أوليا جلبي الى مصر والسودان والحبشة**)) تأليف أوليا جلبي وترجمة حمزة طاهر ومراجعة الدكتورين عبد الوهاب عزام وأحمد السعيد سليمان ، و ((**الفنون الافريقية**)) تأليف مرجريت ترويل وترجمة مجدى فريد ومراجعة صلاح طاهر ، و ((**البرتغال في افريقية**)) تأليف جيمس دافى وترجمة عبد الرحمن صالح ومراجعة الدكتور محمد محمود الصياد ، و ((**ثورة الجزائر**)) تأليف جوان جليسي وترجمة عبد الرحمن صدقى أبو طالب ومراجعة الدكتور راشد البراوى ، و ((**سد عال فوق النوبة**)) تأليف ليزلى جرينر وترجمة على جمال الدين عزت ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين مختار .

على أن توالى اصدار ما يتم تأليفه أو تتم ترجمته ومراجعة من كتب أخرى مقترحة . ومن رأى اللجنة أن لا مانع من اعادة ترجمة ما سبق نشره فى ترجمات ناقصة أو مشوهة .

ومن بين ما قررت نشره كتاب عن ((**الاسلام فى افريقية**)) عهد بتأليفه الى الدكتور عبد العزيز كامل ثم ترجمة ((**الأطلس التاريخى الافريقى**)) الذى ألفه فيج Fage .

● سيظهر فى ((مشروع المكتبة العربية)) الذى تقوم عليه وزارة الثقافة والارشاد القومى، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والدار المصرية للتأليف والترجمة، والدار القومية للطباعة والنشر ، كتاب ((**الفكر والثقافة فى الشمال الافريقى**)) للأستاذ انور الجندى ، يقدم فيه مؤلفه معلومات طيبة للفكر العربى فى بلاد المغرب والجزائر وتونس وليبيا منذ سنة ١٨٣٠ – وهو عام احتلال الجزائر – الى سنة ١٩٥٤ حيث استقل المغرب وتونس . وهو يقدم صورة حية وفكرة واضحة عن حركة اليقظة القومية فى هذه المنطقة من الوطن العربى وروادها ومراحل تطورها . كما عالج فيه قضايا التعريب واللغة والشعر والقصة هناك ، وترجم لكثير من أعلامها ، وما نشر هناك من المؤلفات .

وقد قام بفحص هذا الكتاب واعادة النظر فيه واعداده للنشر الدكتورة عائشة عبد الرحمن والأستاذ محمد عبد الغنى حسن عضوا لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

● وتنظر لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى أمر اعادة طبع مؤلفات المرحوم **حفنى ناصف** ورسائله ومحاضراته التى نفدت طبعاتها أو التى لم تطبع من قبل .

● ستقوم «الدار المصرية للتأليف والترجمة» بنشر **ديوان الشاعر العراقى ابراهيم أدهم الزهاوى** الذى قام بجمعه وتحقيقه الأستاذ عبد الله الجبورى ، أمين مكتبة الأوقاف فى بغداد .

وقد عهدت هذه الدار الى الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بكتابة دراسة تحليلية لشعر هذا الشاعر الذى توفى منذ ثلاث سنوات .

● ظهر أخيرا كتاب عن الشاعر العراقى **خيرى الهنداوى** بقلم الدكتور يوسف عز الدين كاتم سر المجمع العلمى العراقى ، وهو مجموعة المحاضرات التى القاها فى معهد الدراسات العليا بجامعة الدول العربية . ويعد هذا الكتاب أول دراسة مستقلة عن هذا الشاعر الذى جمع بين أثر البداوة ورقة الحضارة ، وكان هذا الشاعر من أنصار الخلافة العثمانية ومؤيدى حزب الاتحاد والترقى ، حتى اذا تبين له ما يضمره الأتراك من شر بالعرب وبالصف العربى الموحد رجع عن مناصرتهم وانضم الى أحرار العرب المجاهدين .

● تم طبع الجزء الثالث من ((**شرح أشعار الهذليين**)) لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى الذى تنشره ((مكتبة دار العروبة)) بالقاهرة بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ومراجعة الأستاذ محمود محمد شاكر . وكانت دار الكتب قد نشرت فى السنوات من ١٩٤٥ – ١٩٥٠ ثلاثة أجزاء باسم ((ديوان الهذليين)) الا أن الطبعة الجديدة تمتاز عن طبعة دار الكتب بأن عدد قصائدها ومقطوعاتها

٣٨٠ وعــــدد ابياتها ٤٦٠٠ فى حين أن عددها فى طبعة الدار ١٧٠ وابياتها ٢٣٠٠ كما ان عدد من روى لهم شعر فى الطبعة الجديدة ١٢٠ وهم ٣٣ فى طبعة دار الكتب .

وقد تضمن الجزء الثــالث الفهـــارس ، واهمها التخريج الوافى لأشعار الهذليين واضافة ما نسب الى كل شــاعر وتصحيح نســبته ما أمكن . ثم معجم بالألفـــاظ اللغوية لأن فى اشعار هذيل معانى والفاظا لم ترد فى كتب اللغة أو وردت فى بعضها .

● تعيد « دار المعــارف » طبع كتــاب « **أبو مسلم الخراســانى** » للأســتاذ محمد عبد الغنى حســـن ، وكانت قــد نشرته فى سنة ١٩٥٩ وفيه يجلو حياة هذا القائد الذى كان ركنا من الأركان العتيدة التى قامت عليها الدولة العباســـية ثم لقى حتفه على يد ثانى خلفائها ابى جعفر المنصور حين خشى خطره على تلك الدولة الناشــئة واســتفحال نفــوذه فى خراسان . وقد استقى المؤلف سيرة هذا الرجل من مصادر وأخبار تاريخية متفرقة .

● نشرت « مكتبة الآداب » بالقاهرة الجزء الثانى من كتاب « **روح الاسلام** » للعالم الهندى سيد أمير على الذى قصــد من وراء عرضه لتاريخ الاسلام توضيح مكانه الحق فى تاريخ الأديان وقد قام بترجمة الكتاب فى جزءين الأستاذ أمين محمود الشريف ، وراجـــع الجزء الأول المرحوم الأستاذ محمد بدران ، أما الجزء الثانى فقد راجعه الأستاذ الدكتور محمــد مصطفى بنشرها الادارة العامة للثقــافة بوزارة التعليم العالى بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنـــون والآداب والعلوم الاجتماعية .

● اشرت فى هذا الباب من العدد السابع من هذه المجلة الى صدور طبعة جــديدة مصورة بالأوفست من « **شرح ديوان المتنبى** » للواحدى فى المشروع الثقــافى الكبير الذى اضطلعت به « مكتبة المثنى » ببغداد ، وحــرص صاحبها الأستاذ قاسم الرجب على أن يسرع فى انجاز هذا المشروع الضخم فنشر فى خلال سنتين أكثر من ثلاثين كتابا من نوادر الكتب العربية ونفائسها مما سبق نشره فى أواخر القـــرن الماضى وفى النصف الأول من القرن الحالى فى أوروبا وأمريكا ومصر ، وكانت طبعاتها قد نفــدت وارتفعت اثمان ما يوجد منها آرتفاعا خياليا .

ومن الكتب التى تم نشرها فى هذا المشروع فى كتب الجغرافيا أحد عشر كتابا منها : « **معجم البلدان** » و « **المشترك وضعا والمفترق صقعا** » ليــاقوت الحموى ، و « **المسالك والممالك** » لابن خرداذبه ومعها كتاب « **الخراج** » لقـــدامة بن جعفر ، و « **الأعلاق النفســية** » لابن رسته ، و « **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** » للمقدسى البشارى ، و « **مختصر كتــاب البلدان** » لابن الفقيــــه .

ومن كتب التاريخ والتراجم أربعـــة عشر كتابا منها : « **البدء والتاريخ** » لأبى زيد البلخى ، « **تاريخ غرر السير** » المنسوب للثعالبى ، و « **الآثار الباقية عن القرون الخالية** » للبيرونى ، و « **طبقات المفسرين** » للسيوطى ، و « **طبقــات الأطبــاء والحكماء** » لابن جلجل ، و « **طبقات الحكماء** » للقفطى ، و « **تجارب الأمم** » لمسكويه ، و « **ولاة مصر وقضاتها** » للكندى .

وفى كتب الأدب : « **ديوان ذى الرمــة** » و « **أخبار الحلاج** » و « **ديوان المتنبى** » .

وفى الدين والعقـــائد ســتة كتب منها : « **كتاب المصــاحف** » للسجستانى ، و « **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** » للسيوطى ، و « **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** » لابن حزم وبهامشه كتاب « **الملل والنحل** » للشهرستانى .

● صدر عن مطبعة الحيدرى بطهران « **شرح عينية ابن سينا** » التى مطلعها : « هبطت اليك من المحل الأرفع » للسيد نعمت الله الجزائرى الشوشترى من رجــال القرن الثــانى عشر الهجرى . وقد قام بتحقيق هذا الشرح الدكتور حسين على محفوظ عضو لجنة الأدب فى المجمع العلمى الايرانى بطهران ، ورجع فى تحقيق العينية

الى ست وعشرين رواية منها رواية ابن عربى وابن ابى اصيبعة وابن خلكان وأبى الفداء وابن العماد وغيرهم .

● ويقوم الدكتور حسين على محفوظ بتحقيق كتاب **((بغداد مدينة السلام))** لابن الفقيه الهمداني صاحب كتاب « البلدان » .

● نشرت « دار الكاتب العربى » ببيروت كتابا جديدا للأستاذ أنيس المقدسى استاذ الادب العربى بالجامعة الامريكية فى بيروت ، عنوانه **((الفنون الأدبية وأعلامها))** تناول فيه فن المقالة، وترجم فيه لطائفة من اعلام هذا الفن منهم : يعقوب صروف وشكيب ارسلان ومصطفى لطفى المنفلوطى ومحمد حسين هيكل وابراهيم المازنى . ثم فن الخطابة وترجم لطائفة من أعلامه امثال : عبد الله النديم وأديب اسحاق ومصطفى كامل ومى . ثم فن القصة ، وفن السيرة الموضوعية والذاتية ، وفن النقد ، والشعر . مع الترجمة لأعلام هذه الفنون فى العصر الحديث .

● يعد الآن الأستاذ فاضل السباعى المحامى، ومن حاملى شعلة القصة الحديثة فى سوريا ، رواية كبيرة بعنوان **((رياح كانون))** . وكانت « دار الآداب » ببيروت قد اعادت طبع قصته **((الظما والينبوع))** منفردة ومطولة بعد ان نشرها موجزة سنة ١٩٥٨ بعنوان **((ضيف من الشرق))** مع طائفة اخرى من قصصه فى كتاب بهذا العنوان القديم . أما القصص الأخرى فقد نشرتها له مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت بعنوان **((حياة جديدة))** بعد أن ضم اليها قصة طويلة عنوانها « الحمام » .

وللأستاذ فاضل السباعى مجموعات قصصية سبق له أن نشرها من قبل من اشهرها رواية كبيرة عنوانها **((ثم أزهر الحب))** كانت قد صدرت عام ١٩٦٣ عن دار مكتبة الحياة ببيروت .

● حمل الى البريد الجزء السابع من السنة الأولى لمجلة قيمة تصدر شهرية عن وزارة الثقافة والارشاد فى الجمهورية العراقية ، وتنهض بها هيئة تحرير تضم طائفة من أعلام الفكر فى القطر الحبيب (العراق) ، هذه المجلة هى مجلة ((**الأقلام**)) . ومن موضوعات العدد الذى وصل الينا : « الضمان الاجتماعى فى الاسلام » للأستاذ ناجى معروف ، و « تقييم موسيقانا العربية » للدكتور محمود أحمد الحفنى ، و « الطريقة السهروردية » للأستاذ عباس العزاوى ، و « دوافع التطبيق الاشتراكى » للدكتور ياسين خليل ، و « رأى فى المنهج النقدى للتاريخ » للدكتور جعفر آل ياسين ، و « المفهوم الأخير » للدكتور بدوى طبانة ، و « أثر الترجمة فى تطور الفكر العربى الاسلامى » للأستاذ سليم طه التكريتى ، و « أضواء على الأدب الجزائرى المعاصر » للأستاذ فوزى عبد القادر الميلادى ، الى جانب كثير من البحوث الأدبية والقصائد والقصص . وهذه المجلة تحتل مكان الصدارة على حداثة عهدها .

وقد استرعى نظرنا فى مقال عن « مكتبة الأوقاف ونوادر مخطوطاتها » بقلم الأستاذ عبد الله الجبورى اشارة الى كتاب **((تأويل مختلف الحديث))** لابن قتيبة الذى تحتفظ تلك المكتبة بأقدم مخطوط له ، فذكر الأستاذ الجبورى أن هذا الكتاب طبع بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر . ونحن نذكر هنا ان الاستاذ صقر لم يشرع فى طبع هذا الكتاب بعد ، ولكنه نشر لابن قتيبة كتابى **((تأويل مشكل القرآن))** و **((تفسير غريب القرآن))** ، كما أشرنا فى خبر سابق هنا فى هذا العدد .

● تصدر عن «مؤسسة الخانجى» مجموعة ضخمة من **رسائل الجاحظ** تضم ١٧ كتابا ورسالة فى مجلدين كبيرين قام بتحقيقها الأستاذ عبد السلام هارون ، عن مخطوطة بمكتبة « دامات » فى تركيا . وبعض هذه الرسائل تنشر لأول مرة مثل **((رسالة فى نفى التشبيه))** ورسالة كتب بها الى أبى **الفرج بن نجاح** الكاتب . ومنها كتابان يعاد تحقيقهما مثل **((كتاب فى البغال))** وكتاب **((مفاخرة الجوارى))** اللذين سبق أن نشرهما المستشرق الفرنسى شارل بيلا .

ويعاد الآن طبع كتاب **((الحيوان))** للجاحظ الذى حققه الأستاذ هارون من قبل بعد ان أعاد تحقيقه من جديد على مخطوطات منها نسخة بمكتبة الامبروزيانا .

حسن كامل الصيرفى

رسائل وردود





بعث القارىء على ضيف الله برسالة يستفسر فيها عن كتابين هما : وجــه الأرض تأليف الدكتور محمد فتوح مرسى ، ومملكة بيت المقدس الصليبية تأليف الدكتور عمر كمال توفيق . ويطلب معرفة ثمنيهما ، وارسال الكتابين اليه ان أمكن .

والمجلة تأسف لعدم امكانها الاستدلال على هــذين الكتابين .. لانهما لم يردا اليهــا ، ونعده بالبحث عنهما ونشر بياناتهما كاملة .. اما ارسالهما اليــه .. فهو أمر خارج عن اختصاص المجلة لانهــا لا تقوم بعمليتى الشراء والبيع .



وفى رسالة للقارىء محمد أحمد بدوى يقول « ان مجلة الكتاب العربى تسد فراغا كبيرا وتوفر الوقت والمجهود لدى القراء وتدلهم على ما يتوافق مع رغباتهم وتخصصاتهم » . ويعرض استعداده للمشاركة فى التعريف بالكتب الصادرة .

والمجلة اذ تشكر له مشاعره ، فانها ترحب بما يود كتابته من تعريفات ، وتطمئنه بأن ملحوظاته التى ساقها فى رسالته سينظر اليها بعين الاعتبار .



ويطلب القــارىء ابراهيم ابراهيم ابراهيم المدنى فى رسالة له ارشاده عن الطريقة التى يمكنه بها الحصول على الاعداد الخمسة السابقة بعد ان عثر – مصادفة – على العدد السادس من المجلة .. الا ان المجلة تحيل هــذه الرغبة على مكتبة الدار المصرية للتأليف والترجمة بميدان عرابى رقم ٥ بالقاهرة .



وجاء هــذا التعليق من القارىء الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم .. على مقال الدكتورة فاطمة سوكة الذى نشر فى العــدد التاسع من المجلة تحت عنوان « كانديد او التفاؤل » يقول فيه :

أولا : جاء فى الفقرة السادســة ص ٤٢ . « ونقترح النص الآتى : وقد أقتيــد كل منهما الى جناح غاية فى **النداوة »** .

والدكتورة الفاضلة تعيب على المترجمين الأستاذ عادل زعيتر والدكتور لطفى فام انهما ترجما كلمة Fraicheur بكلمة « برودة » وترجمتها هى حسب اقتراحهــا بكلمة نداوة – فوقعت فى خطأين :

(أ) الأول منهما فى المعنى حيث ان كلمة Fraicheur تعنى فعلا برودة . ولا يدخل فيها معنى الندى أو الرطوبة الذى تقصده الكاتبة .

(ب) والخطأ الثانى فى نفس الكلمة وهو خطأ لغوى . اذ انه ليس فى اللغــة العربيــة نداوة ، بمعنى رطوبة

(١) وليست الكلمة عربية على الاطلاق ويظهر أن اللبس جاء من أنه يقال فى اللغة الندى بمعنى البلل ولكن جمعها أندية وانداء والمندية - (القاموس المحيط) الكلمة يندى لهـا الجبين .

ثانيا : تضرب الدكتورة الفاضلة مثلا للدلالة على تأثير النغمات الصوتية على المعنى بجملة فلتير

Il S'en Retournait, Se Soutenant à Peine, Prèchè Fessè, Absous et Bèni.

وصحيح ما تلاحظه فى الجزء الأخير من الجملة « أن النغمات الصوتية متناسقة بحيث تتتابع المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة التى يرتكز عليها الصوت » . ولكنها تخرج من جادة الصواب عندما تفرض النتيجة التى لا يمكن أن يستسيغها المنطق أو الذوق الأدبى وهى « أننا نكتشف فجأة ان فلتير قد استطاع بفضل الطاقة الموسيقية التى يهبها لنصه أن ينسينا لفظا نابيا دسه فى سياقه ونعنى به :

(ضرب على مؤخرته) ويأتى هذا اللفظ بين كلمات ذات صبغة دينيـة ولها قداستها عند المسيحيين وهى عظة ، غفران ، بركة » .

فالواقع أن هـذه الكلمة « النابيـة » على حد تعبير الدكتورة الفاضلة لم يقصد الكاتب أبدا أن ينسيها للقارىء فى وسط الجملة الموسيقية . بل على العكس من ذلك أن يضعها فى اطار يجعلها أكثر بروزا ولفتـا لأنظار القارىء بتناقضها مع ما يحيط بها من معان « ذات صبغة دينيـة ولها قداستها » ليس فقط « عند المسيحيين » كما تقول ، بل عند كل صاحب دين . ولا شك أن فلتير قد حقق بهذا التناقض الظاهر غرضـه الذى يهدف اليه من السخرية بأساليب رجال محـاكم التفتيش فى أسـبانيا والقارىء لا شك لن يلتفت الى النغمات الصوتية لهذه الجملة بقدر ما يلتفت الى السخرية الكامنة فى تركيب الكلمات وترتيبها ، وبقدر ما يلتفت الى تناقض صورة الضرب على الدبر مع صور الوعظ والغفران والتبريك .

وفى تعريف بكتاب « جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث » تأليف عبد العزيز الدسوقى .. كتب القارىء السعيد بيومى الورقى يقول :



امتازت الحضارة اليونانية والرومانية بعد ذلك بنسب كل مظهر للقوة التى تفوق قوة البشر الى اله معين .. فكان هنـاك اله للنور وآخر للظـلام ، وللزرع وللماء والحصاد ... الخ . ومن بين تلك الآلهة الاله « أبولون » الذى عرف عنـد اليونان كاله للنور وللفصاحة (للعلوم والفنون والصنائع ..) ورد الرومان بعد ذلك القوة المركزة فى النور والحرارة والخصب الى الاله « أبولو » هذا ولقد كان لأبولون كبير الأثر فى الحياة اليونانية القديمة وفى آدابها وفنونها .

وفى سبتمبر عام ١٩٣٢ صدر فى مصر العدد الأول من مجلة شعرية تحمل هذا الاسم - مجلة أبولو - والذى أعلن عن مولد « جمعية أبولو » كمدرسـة للشعر الوجدانى المنفعل .

ولقد نشأ هذا التيار قبل ذلك فى الواقع « فى ظروف الحياة المصرية المعتمة الكئيبة التى أحس فيها هـذا الجيل بذاته احساسا حادا جارفا ، ورأى الفارق الضخم بين أحلامه وآماله ، وبين واقع الحياة المر . وبدأ يرسل أشـعاره غناء ذاتيـا متفجرا من عاطفة جياشة ووجـدان منفعل حزين » .

وصدر من هذه المجلة خلال عامين ونصف خمسة عشر عددا .. كان شعراء المدرسـة من امثال أبى شادى وخليل مطران وابراهيم ناجى وأحمد محرم « ينشرون خلالها شعرهم محاربين الجمود والتقليد ، مستوعبين مبادىء التجديد التى نادى بهـا دعاة التجديد الذين سبقوهم فى الحقل الأدبى ، بل جاوزوا كل هـذه الأفكار فى جراة وشجاعة ، وتجلت هذه المعانى كلها فى أشعارهم » .

فالواقع أن الدعوة الى التجديد كانت قد سبقت هذه المدرسة بقليل عند مدرسـة الديوان عند العقاد والمازنى وشكرى .

وقد تناول الاسـتاذ عبد العزيز الدسوقى فى كتابه « جماعة أبولو أثرها فى الشعر الحديث » هـذه المدرسة بالبحث . وقد مهد لدراسة هذه المدرسة بعرض مجمل لحركة البعث الفكرى التى صحبت حركة البعث القومى ،

(١) يقول الكاتب ذلك .. ولـكن اللفظة واردة فى **« لسان العرب » (٢٠ : ١٨٥) حيث جاء فيه « وقولهم : النداوة ، الواوفيه بدل من ياء ، واصله نداية لما ذكرناه من الاحالة فى الندى ... » (المجلة) .**

والثورة العرابية ثم الدعوة الى الحرية السياسية بعد ذلك فظهرت المطابع وبعض المجلات مثل مجلة روضة المدارس . وانشاء الجمعيات الأدبية والمدارس .

وتناول المؤلف بعد ذلك بعض الشخصيات التى أسهمت فى النهضة الأدبية والفكرية .. تناول السيد جمال الدين الأفغانى ومدرسته الأدبية وتلاميذه والامام محمد عبده الذى أسهم مساهمة فعالة عندما أسس جمعية احياء الكتب العربية القديمة . وبذلك كانت الحركة الثقافية فى ذلك الوقت ذات شقين .. كانت ثقافة خارجية أوربية استقدمتها البعثات التعليمية والترجمة ، ولعل اهم ما امتازت به الدعوة الى حرية الفكر فيما يكتبه الكاتبون ، تلك الدعوة التى كانت رائجة آنذاك فى أوربا وبخاصة فى فرنسا . اما الشق الآخر فقد تمثل فى احياء الثقافة العربية القديمة عن طريق نشر كتب المكتبة العربية التى قام بها الشيخ الامام .

ولقد كان من نتاج ذلك المباشر حركة البعث فى الشعر العربى التى قادها محمود سامى البارودى الذى اعتبره المؤلف « فيصلا بين عهدين ، عهد وصل فيه الشعر الى مجرد نظم بارد لا حرارة فيه ولا صدق ولا انفعال ، وعهد عادت الى الشعر فيه روح الفطرة والصدق » .

ولقد أعان البارودى على ذلك جملة اشياء منها ثقافته العربية الاصيلة الغزيرة ، وتمثل ذلك فى مختاراته التى جمعها للشعراء العرب الكلاسيكيين ، وشعراء العصر العباسى . هذا الى جانب انه كان من اسرة ثرية . ولقد ساعده ذلك على اقتناء المخطوطات الشعرية والكتب التى لم تكن متوفرة حتى ذلك العصر .. يضاف الى ذلك ، شجاعته الحربية ووطنيته فقد كان احد اعلام الثورة العرابية . الا أن شعره مع هذا كان تقليدا للنماذج الكلاسيكية العربية ، وخاصة شعر الحماسة ، ولم يستطع التخلص من ذلك فعارض القدماء ، ووصف ما وصفوه من جبال وسهام وبيض ودروع .. وافتتح قصائده بالغزليات ايضا ، حتى اننا لا نستطيع أن نفرق بين قصائده وبين واحدة من تلك القصائد التى عرفناها فى الأدب العربى القديم ، اللهم الا مقطوعات قليلة وصف فيها القطار ، ومقطوعة وصف فيها الآثار المصرية .

كان البارودى مقدمة للمدرسة التقليدية التى أتت بعد ذلك ، والتى يمثلها شوقى وحافظ ومحمد عبد المطلب اذ امتازت قصائدهم بالرصانة فى الأسلوب والجزالة والسير على المنهج القديم الذى كان متبعا ثم أحياه البارودى ، وان كان حافظ قد ثار على ذلك التقليد فى قصيدته التى مطلعها :

ملأنا طباق الارض وجدا ولوعة
بهند ودعد والرباب وبوزع

الا أن ذلك كان يعنى ثورة على الوصف لا على العمود الشعرى المتبع .

وكذلك نلمح فى مقدمة ديوان شوقى التى كتبها نفسه ونشر سنة ١٨٩٨ تصريحا برغبته فى التجديد . فقد اخذ يندد فيها بالشعراء الذين جنوا على الشعر بدخولهم فى مضيق الالفاظ والصناعة او فى التكلف أو بالوقوف بالشعر عند القول المأثور القديم فيقول « فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقلب احدى عينيه فى الزر ، ويجيل اخرى فى الذرى ، يأسر الطير ويطلقه ، ويكلم الجماد وينطقه ... فهناك ينفتح له مجال التخيل ، ويتسع له مجال القول » وأشار شوقى الى بعض محاولاته فى التجديد فى قصيدته التى مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء
والغوانى يغرهن الثناء

الا أن حظه من التجديد كان قليلا .

ويضع الباحثون « خليل مطران » ضمن هذه المدرسة التقليدية ، وان كان الواقع يقرر أنه يمثل تيارا خاصا به ، فقد كان أكثرهم تجديدا قولا وفعلا ، فنجده يقول فى مقاله الذى نشره فى مجلة الوقائع المصرية سنة ١٩٠٠ « ان خطة العرب فى الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا ، بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم ، ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجياتنا ، لهذا وجب أن يكون شعرنا مثلا لتصورنا لا لتصورهم وشعورنا ، وان كان مفرغا فى قوالبهم ، محتذيا مذاهبهم » .

وتذكرنى تلك الدعوة بدعوة الشاعر الفرنسى اندريه شينيه - من شعراء القرن الثامن عشر - ما اسماه « الكلاسيكية الجديدة » والتى لخصها فى بيت له يقول : « فلنصغ أفكارا جديدة فى ثوب قديم » . وعلى ذلك فمطران يعتبر من أوائل الشعراء المجددين . ولعل هذا هو ما جعل الأستاذ عبد العزيز الدسوقى يجعله ضمن مدرسة التجديد التى يقسمها الى ثلاثة فروع :

فالتيار الموضوعي ويمثله مطران . ثم التيار الذاتي وتمثله مدرسة الديوان عند شكري والعقاد والمازني وانحصرت دعوتهم التجديدية في الدعوة الى التعبير عن الذات ، والدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملا فنيا تاما ، والدعوة الى تنويع القوافي أو ارسالها ثم العناية بالمعنى وادخال الفلسفة فيه والاهتمام بجوهر الأشياء والبعد عن العرض . وتصوير الطبيعة الى جانب الالتفات الفني الى كل الأشياء حتى البسيطة منها ، العابرة ، ولعل ذلك يتمثل بشكل واضح في ديوان العقاد « عابر سبيل » . ولقد تأثرت هذه المدرسة فيما نادت به بالثقافات الأجنبية وخاصة الانجليزية . ولا ندرى لماذا اعتمد السيد الباحث في تناوله لما جاء بالديوان في عرضه لآراء تلك المدرسة على كتاب « محمد خليفة التونسي » ـ فصول من النقد عند العقاد ـ ولم يعتمد على الديوان نفسه وقد صرح هو بذلك (هامش ص ١١٤) وبذلك أغفل أو تغافل الجزء الخاص بالمازني .

أما تيار التجديد الثالث الذي عرض له الأستاذ الدسوقي فهو شعر المهجر الذي قاد حركة التجديد في المهاجر ورائده ميخائيل نعيمه . وكتابه الذي عرض فيه قضاياه في الشعر ـ الغربال ـ سنة ١٩٢٣ وتكوين الرابطة القلمية . وبين كيف تجاوب ميخائيل نعيمة الى حد ما مع مدرسة الديوان في مصر .

ولقد كانت تلك الحركات بأجمع ارهاصات لمدرسة أبولو وتقديما لها ... أسس هذه الجماعة الشاعر أحمد زكي أبو شادي الذي كان نتاجا للحركات الرائدة السابقة ، فلقد تأثر في شعره بشوقي وبمطران وشكري والبارودي . هذا الى جانب ثقافته الانجليزية بحكم نشأته ودراسته في انجلترا ... فقد تأثر في كتاباته بوردثورث وشيلي وكيتس . على أن المؤثر الأكبر في شاعرية أبي شادي كان مطرانا كما اعترف هو نفسه بذلك . ولعل هذا هو ما دفع الأستاذ الدسوقي الى عرض مقارنة بين شعر مطران وشعر أبي شادي ومدرسة الديوان .

ولقد كان أبو شادي ذاتيا شعره كما كان موضوعيا . تناول في شعره الموضوعي الشعر القصصي ، والتمثيلي والمسرحي . كما تناول خلال ذلك النواحي الوطنية والقومية .

هذا الى جانب ما في شعره الذاتي من تأمل وجداني بحت .

ولقد كان أبو شادي مجددا شكلا ومضمونا تمثل في :

١ ـ قصائده التي نظمها من الشعر الحر والشعر المرسل .

٢ ـ تنويعه في البحور والقوافي واضافة أوزان جديدة .

٣ ـ استخدام مجازىء البحور بكثرة الى جانب الاعتماد على تفعيلات خاصة به .

٤ ـ الشعر المترجم .

٥ ـ الشعر القصصي والمسرحي .

٦ ـ ادخال ألفاظ جديدة في قاموس الشعر العربي .

٧ ـ تطويع الشعر للغة العلم .

وجماعة أبولو كانت استجابة لروح العصر ، وكانت نتيجة مباشرة للتيارات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك . واندرج تجديد المدرسة في عدة نزعات شعرية أجملها الباحث فيما أسماه بالنزعة العاطفية والنزعة التأملية ثم النزعة الوصفية والاجتماعية وأخيرا النزعة الانسانية .

هذا الى جانب تجديدهم في البناء الفني .. في العروض عن طريق ادخال الأوزان الجديدة ، وتجديدهم في القافية والتنويع في الشعر ما بين مرسل ومنثور وتمثيلي وأوبرات . الى جانب التجديد في البناء الداخلي الذي تمثل في الوحدة العضوية للقصيدة وادخال المعاني الجديدة .

حسب عنوان البحث « جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث » كنا ننتظر من الأستاذ الباحث أن يفرد فصلا للحديث عن أثر الجماعة في الشعر الحديث غير أنه قد خيب ظننا فيما كنا ننتظره . فما كدنا نصل الى نهاية البحث حتى وجدناه وقد قطع فجأة ولم نر لبقية العنوان غير ورقة واحدة قال فيها كيف أن « هذا التيار لا يزال حتى الآن يؤثر بصورة أو بأخرى في كثير من الشعراء ، بل لا يزال كثير من الشعراء يمثلون الامتداد الخصب لهذا التيار » وضرب لذلك مثلا بالشعراء أمثال نازك الملائكة وفدوى طوقان وملك عبد العزيز دون أن يوضح كيف تأثروا ، وكيف بدا أثر ذلك التأثر وكيف انعكس .

والواقع أن هذا الكتاب نتاج مجهود طيب يحمد عليه الباحث . لكنا نقول أن شخصية المؤلف لم تظهر في البحث ،

ومن ثم جاء عبارة عن سرد لاحكام توصل اليها غيره قبل . الى جانب ان الاستاذ الدسوقى اخذ يكرر نفسه ويعيد فى الآراء فى مواضع كثيرة حتى لنراها بنفس الاسلوب الذى عرضها علينا به من قبل وخاصة فى الجزء الذى تناول فيه جماعة أبولو ومجلتها . ولكن رغم ذلك فالكتاب ثمرة طيبة لمجهود طيب .



وبكتاب « الصـــدفة العـــذراء » تاليف محمد زكى عبد القادر .. بعث القارىء هذا التعريف ..

يحوى الكتاب ثلاثا وثلاثين صـــورة ادبية من صور الحياة تعتمد على السرد والحوار والنقاش والتحليل فى غالبيتها .. يدور النقـــاش بين الكاتب ونفسه فى بعضها وقد يعرض الراى الذى يختلف مع ما يبديه .. وفى بعضها الآخر نرى شخصيات خارجية معروفة للكاتب او طارئة عليه تحاوره فيما تتعرض له من مشاكل او ما تقاسيه من متاعب ومحن ..

ويحـــار القـــارىء فى تعريف محتويات تلك المجموعة او تحديدها .. فالكاتب يقول فى مقدمة له « ليست هذه المجموعة التى يحتويها الـكتاب قصصا .. ولم ارد لها ان تكون ، ولـكنها تصوير لانفعالات ونفسيات اضطربت فيها أسباب الخير والشر ، واختلطت أمامها المقاييس ، فتصرفت او تجمدت واصطدمت بقيود وسدود فلم تعرف كيف تتصالح معها وان شربت الكأس كما أراد الله لها ان تكون » .. بينما نجد فى كثير منهـــا أعمالا تعتبر قصصا من الناحية الفنية قد اكتملت لها مقومات القصة من بداية وعقدة ونهاية .. الخ ..

.. وهذا استطراد منى لم أقصده فى البداية .. ولقد أخذت فى قراءة هذا الكتاب بنفس الطريقة التى يقرأ بها المؤلف نفســـه حتى يجىء حكمى على كتابه متمشيا مع طريقته .. فقـــد سبق ان قرات للمؤلف قوله « والقراءة التى أعـــدها قراءة هى التى أفنى فيهـــا فلا أشـــعر بالوقت ولا بالحـــركة التى حـــولى ، وهى التى تنسينى مشـــاغلى ومتاعبى وهمومى ، فاذا أنا انســـان انعزلت عن شئون الحياة اليومية ، واندمجت فيما أقرأ سواء كان تاريخا أو ادبا أو قصصا او سياسة ، واشعر كأن المؤلف او الـكاتب يتحـدث لى وحدى وكأننى أراه بملامحـــه ونظراته الغاضبـــة أو الراضيـــة ، المبتسمة او العابسة .. »

.. طرق المؤلف عدة مواضيع حيوية وهامة .. أزلية وجديدة .. فى كتابه هذا .. كما أفاض فى الحديث برزانة وصراحة عن بعضها .. ولمس بعضها الآخر لمسا خفيفا كمن يخشى الافضـــاء بكل ما لديه من معلومات حتى لا يحاسبه الناس .. ورأيناه يعرض وجهة النظر الواحدة من جميع الزوايا ولكنه يمتنع فى النهاية عن اعطاء الرد الفاصل على ما أثاره من نقط بنفسه ويهرب من القارىء برقة ولباقة وهذا ما بدا واضحا وبشدة فى « **لا تكذب يا بنى** » ... رأيناه يعطى الحـــكم القاطع والراى الذى لا يحتمل أى نقاش فى بعض ما كتب كما فى « **الجواب البليغ** » .. ولقد ناقش الكاتب الصراع بين الحاجـــة والواجب فى « **ثلاثة السنة** » ولكنه لم يحدد موقفه بعد هذا الصراع ..

واعجبنى فى الـكاتب شجاعته حين عالج مشاكل الحب والزواج والجنس .. شـــجاعته فى التعرض .. الا أننى لاحظت انه واقع تحت تأثير خيال عجيب يسيطر ويلح عليه — على الـكاتب بأن الجنس « التراب » نقيض للطهر بل هو الخطيئة بعينها كما لو كان الجنس — على أى صورة كان — رجسا من عمل الشيطان .. انظر الى قوله فى مقدمة كتابه التى اراد بها تعريف ما جاء به « انها لمحات من ايمان وتمرد وطهر وتراب ، تختلط فيهـــا ومضـــات من نور واشتات من ظلمات » تجد مصداقا لما نقول ..

الا أنه — وهـــذا جميل منه — حدد موقفه من ضرورة انطلاق الجنس فى حدود الزواج وداخل اطاره فقط .. وهذا ما نخلص به من قراءتنـــا لـ « **ولكنك لست زوجى** » .. وكيف أن الانسان يتعذب ويتألم لو حاول الخروج عن ذلك الاطار ولو لحين .. ويظل يتخبط فى حيرة وقلق الى الابد كما جاء فى « **عاصفة فى بيت** » .. ولو أنه من ناحية أخرى يقول لنـــا تزوجوا عن حب فقط ! — فرضا اذا لم يكن الحب موجودا ماذا يحدث ؟ .. انه لم يرد على هـــذا السؤال — ولا تزوجوا بناتكم الا عن حب فقط وهو ما نخرج به ونفهمه من قراءة « **شىء تفسير** » و « **جسد كالثلج** » و « **انقسام الخطيئـــة** » .. كما لو كان لا يعترف بامكان

وجود الحب الذى ينشأ بعد الزواج بين الزوج وزوجته .. وهو وان كان رأيا جميلا من المؤلف الا أن ظروف معيشتنا وبيئتنا وتقاليدنا – ولو أنها بدأت تتغير بتغير ملامح مجتمعنا الذى ينتقل الى المجتمع الصناعى – لا تساعد على الاخذ به فى جميع الاحوال ..

انه يجد المخرج فى أن ترتبط الزوجة بزوجها فقط وتندمج فيه كلية وبأى طريقة حتى ولو اقتحم الحب قلبها من الخارج .. وهو هنا يعترف بقوة الحب – من الخارج اى حب غير الزوج – وخطورته فى مثل تلك الظروف ويحذرنا من مغبة الاندفاع فيه !! ولكنه لا يقول لنا كيف يكون الحذر ؟ .

.. ولقد نجح المؤلف فى أن ينقل الينا شحنات هائلة من العجب والرثاء والاشمئزاز والسخط على نماذج بشرية تعيش بيننا مثل ما حدث عندما فرغنا من قراءة « **محمد أفندى** » و « **انى اعترف** » و « **رضوان** » .. وتركنا نجتر الالم ونمضغ المرارة ونتذوق الضيق دون أن يخفف عنا عناء الشعور بها جميعا كما لو كان قد ناء بحملها وحده فآثر أن يوزعها عليه وعلى القراء الذين كان لهم حظ قراءة كتابه ..

والذى ينتهى من قراءة هذا الكتاب يخرج بشعور غريب وصورة عجيبة – من رسم المؤلف أصلا – عن المرأة عندنا .. المرأة فى مجتمعنا .. المرأة التى تعيش بيننا .. انها عقدة دائما مخلوق رقيق ضعيف مضطهد ممتهن .. انها المرأة التى نشم رائحتها من سطور الكتاب وصفحاته ونشعر بها فى ٩٠٪ من محتوياته .. تضيق بجسدها وتتمرد دائما على علاقتها بالرجل أيا كانت تلك العلاقة ..

والذى لا أعلمه هل هذا هو رأى المؤلف عن المرأة عموما أم لان النماذج التى وردت بكتابه كلها من هذا القبيل فهى لا تحمل رأيه أو لانها ذهبت اليه شاكية مضطربة باكية ... فان كانت الأولى فقد كان من الواجب عليه أن يوضح لنا ما يراه كفيلا بتطور العلاقة بين المرأة والرجل الى المشاركة والتفاهم وذوبان كل منهما فى الآخر ..

لا سيما وأن تربيتنا وتقاليدنا لم تتطور بعد الى الدرجة التى تتلاءم مع رأى المؤلف أو تطابقه ..

وان كانت الثانية فقد كان من المستحسن أن يشير الى الوجه الآخر من الصورة حتى لا تظل الصورة العالقة بالأذهان من كتابة صورة قاتمة مشوهة تبعث على الخوف والقلق والتشاؤم ..

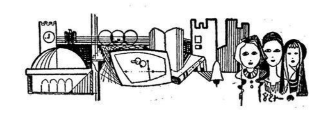
ولقد حاولنا أن نقرأ كتابه « الصدفة العذراء » كما أوصانا فهو الذى يقول « أنا لا أقرأ الا لكى أستمتع .. ليس فى خاطرى أن أكسب معلومات أو أفكار أو آراء جديدة .. ان الذى يقرأ من أجل هذا قلما يكسب شيئا .. لانه يؤدى القراءة كما يؤدى أى واجب من الواجبات .. والقراءة الصحيحة هى قراءة الاستمتاع والاحساس بلذة المعرفة ليست المعرفة نفسها .. » ولكنا فى الحقيقة فشلنا فى أن نستمتع .. فقد اضطرنا المؤلف الى التفكير والى المناقشة والى التساؤل .. بل الى محاولة الرد عليه ومعارضته ! وذلك لاثارته الكثير من الآراء الجادة والتلميحات الطريفة الذكية فلم ندرك الخيط الرفيع بين لذة المعرفة وعذابها ..

وبعد

فلم يكن هذا منى نقدا للكتاب .. انها انطباعات أو انعكاسات .. بل هى بضع آراء وكلمات تمردت فى ذهنى ثائرة على ما لم يرق لها من بعض آراء الكاتب الكبير الذى كتبها فى أسلوب هادىء ورزين يتسلل الى الاعماق فى أول الأمر دون ما مقاومة أو اعتراض .

وتكاد تقنع القارىء بكل ما كتبه لوضعه الكلمة فى مكانها اللائق واستخدامه اللفظ الصحيح والمناسب للمعنى الذى يقصده فى أبعاد متناسقة ومقاييس متوازنة تكون فى النهاية صورة حية ونابضة تفرض نفسها على كل قارىء ..

ان أسلوب محمد زكى عبد القادر خصوصا فى هذا الكتاب يستحوذ ويسيطر .. وأنا حر أكره السيطرة حتى ولو كانت فى أسلوب جميل ..





اليهودية بين المسيحية والإسلام

تأليف : خلف محمد الحسيني .
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٢١١ صفحة ١٧ × ٢٠ سم ث ١٠ قروش .

عندما نستعيد فى مخيلتنا نحن العرب احداث عام ١٩٤٨ الدامية ، وما جرى من نكبة فلسطين وتشريد مليون من أهلها ، نشعر بالأسى والخجل .. ولكن حين نستعيد فى مخيلتنا تاريخ اليهود الطويل والعلاقات بينهم وبين شعوب العالم وشعوب المنطقة العربية بوجه أخص نشعر بأكثر من الأسى والخجل .

ان تاريخ اليهود قديم فى فلسطين ، وهذا ليس معناه أنهم أحق الشعوب التى سكنتها بها ، هذا التاريخ يبدأ فى الحقيقة منذ خروجهم من مصر ، لتظهر النفس اليهودية على حقيقتها بما فيها من حقارة ودناءة وخسة . فكان تنكرهم لموسى وتخليهم عن عبادة الله ، وكان التيه الذى خرجوا منه ليغزوا فلسطين ، ولتبدأ مجازرهم الدامية هناك على يدى يوشع بن نون ومن تلاه من زعماء اليهود . نحن جميعا نعرف هذا ونعرف أيضا حبهم للمال واستغلالهم له لتحقيق أغراضهم ، فكثير من الحروب انما هى فى الحقيقة دبرت لخدمة اليهود او كان لهم ضلع كبير فيها .

فما السبب فى هذا ؟

ان السبب الأول هو كتب اليهود الدينية ، فهذه الكتب جرى بها من التحريف ما يستجيب لأغراضهم ويحققها ، كما انه استجد من هذه الكتب فى العصور التى تلت تدمير هيكلهم فى بيت المقدس وبخاصة كتاب التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون التى تجعل واجبا على اليهودى الا يؤذى اخاه اليهودى ، ولكن من واجبه ان يؤذى غيره مسيحيا كان أو مسلما ما دام فى هذا كسب له وما دام فيه ايضا خسارة لغيره من ابناء الأمم .

« ليمت جميع الناس ويحيا اسرائيل وحده » .

عبارة من التوراة فى ضوئها من الممكن ان نفسر ما جرى من مذابح دير ياسين والصبحة وقبية وغزة وكفر قاسم وفى ضوئها ايضا من الممكن أن نفسر قيام الحركة المعادية للسامية فى أوربا وما وصلت اليه على يدى هتلر والدعوة النازية ، وفى ضوئها نفسر موقف العالم الغربى وبخاصة الولايات المتحدة والمانيا الغربية من قضية فلسطين والقضايا العربية الأخرى .

ولعل آخر ما وصلت اليه اليهودية من افساد للأديان ، ما جرى من طبع القرآن طبعات مزورة محرفة وتوزيع هذه النسخ فى الأقطار الحديثة العهد بالاسلام والأقطار الافريقية الناهضة ، وذلك لزعزعة الايمان بالاسلام من ناحية والحد من انتشاره من ناحية أخرى ..

.. هذا بالنسبة للاسلام أما بالنسبة للمسيحية فان الضمير الحر يشمئز حين يعرف ما جرى من الصهاينة المتحالفين مع اسرائيل لتبرئة اليهود من دم المسيح وهو أمر تولت الكنائس الشرقية تفنيده ، يشاركها فى هذا أحرار الفكر من اتباع الكنائس الغربية .

ان المؤامرة اليهودية على المسيحية والاسلام تستهدف هدم الحضارة التى نعيشها اليوم وزعزعة اركان المجتمع من نواحيه كافة وهذا ما يستدعى ردا قويا وحاسما لردع المتآمرين ورد كيدهم الى نحورهم « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » .



اعداد وتقديم : عامر العقاد .

الناشر : دار المعارف بمصر ــ اقرأ ــ ١٢٤ صفحة قطع صغير ث ٥ قروش .

ليس العقاد ــ كما فى تقدير بعض المثقفين ــ دائرة معارف وحسب وانما هو دائرة معارف وزيادة ، والاتجاه العام الآن يميل الى تأييد هذا الرأى الأخير . وهذا الكتاب يؤكد أن العقاد كان فى قراءاته الكثيرة المتعددة يتمثل ما يقراه بعد فهم ودراية ، ثم يستمد منه رأيا جديدا ، اذا نسب الى مفكر عظيم فلا ينسب الى أحد غير العقاد . ويعد هذا الكتاب أحد الشواهد الدالة على هذا ، فقليل من المفكرين من يصل الى مستوى عال من الحكمة والى حدود بعيدة من السداد ، وفى هذا الكتاب يتضح الطريق للنفاذ الى العقاد الحكيم .

وكان جهدا مشكورا من الأستاذ عامر العقاد ان طلع علينا بهذا الكتاب الذى يضم على حد قوله فى مقدمته أوابد عقادية خطها قلم العقاد فى الفترة الأخيرة من حياته ، هى فى جملتها حكم واقوال مأثورة وآراء شتى ونظرات صائبة وتأملات ان اتسع لها ذهن فلا يتسع لها غير ذهن العقاد .

فما قصة هذه الكلمات ؟

يقول الأستاذ عامر فى مقدمة الكتاب : لقد كتبها العقاد فى مفكرات صغيرة ، فوجئت بها بعد وفاته ، وتدل كتابتها على أنه كان يكتبها على فترات متباعدة ، فبعضها حكم وبعضها الآخر مشروع لكتابة مقال أو تأليف كتاب . ويبدو أنه كان سينشرها يوما ما ، الا ان العمر لم يسعفه ليتمها أو لنشرها . ويبدو أنه كان يكتبها فى منتصف الليل قبل أن ينام حينما يخلو لنفسه، لأننى لم الحظه طوال ملازمتى له يكتب فى تلك المفكرة على الاطلاق .

اذن فهذه الكلمات الأخيرة العقاد لم تنشر من قبل ، الا اننا وقفنا فى قراءتنا لهذا الكتاب على فقرات عديدة مستقاة من كتب العقاد نشرت من قبل بل قبل سنين مديدة منها قوله « الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء ، لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ، وليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشىء ماذا يشبه وانما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به » ومن جملة ما نشر من قبل وجاء فى هذا الكتاب هذان البيتان الشهيران للعقاد :

ايه يا دهر هات ماشئت وانظر
عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك الا
هان بالصبر منه ما لا يهون

لكن هذا لا يغض من قيمة الكتاب فى شىء وكثرة ما جاء فيه جديد .

« انه خير لنا أن يكون معنا مجازفون متهوسون من أن لا يكون بيننا مجازفون على الاطلاق ، فيقتلنا حب السلامة ، وتحسبنا ناجين وادعين ، ونحن فى الحقيقة نعرض انفسنا لأرذل الأخطار ، وأى خطر ارذل من استكانة النفس وتقلصها من قشورها .

« يومنا الجديد فى سنتنا المقبلة لتكن درجا فى سلم ولا تكن دركا الى منحدر .

« الشعر حياة او سلعة . . أن يكن حياة فهو من الروح ، وان يكن سلعة فهو من السوق .

« حب الحق أكرم من حب الصواب ، حب الحق غيرة وحب الصواب حساب .

« كن شريفا أمينا ، لا لأن الناس يستحقون الشرف والأمانة ، بل لأنك أنت لا تستحق الضعة والخيانة .

« الواقع ليس هو الحق ، لأن الباطل ايضا واقع لاشك فيه ، انما نبحث عن الحق حين ننكر الواقع ، فنبحث عن تسويغه أو نبحث عما وراءه والحق شىء نبحث عنه ، اما الواقع فشىء غنى عن البحث لأنه موجود ملموس .

« النسك صورة من صور الحياة ، وليس ادل على ذلك من أن الأمم الناسكة تحرم قتل كل حياة حتى حياة الحشرات .

« عند الحب سهر أحلى من حلم النـوم ، ونوم أيقظ من سهر الخلود . عنـد الحب نور يطوى الشمس والقمر ، وموعد ينسى الليـل والنهار . عند الحب حياة يهون من أجلها الموت، وموت تباع من أجلها الحياة .

« أن الذين يذمون الحياة هم الراغبون فى حياة خير منها لا الراغبون فى الموت كما يتوهـم الكثيرون ، وربما كان ذو النقمة والسخط على الحياة أرغب فيها ممن يرضون عنها ويرتعون فى صفوها ونعيمها ، كما يكون المقامر الخاسر أرغب اللاعبين فى ملازمة مائدة اللعب الى النهاية .

« الرجل الذى يحبه جميع الناس لا يحب جميع الناس ، لأن المحب يصادق ويعادى فى سبيل المحبوبين ، ومن صادق وعادى لم يسلم من الأعداء .

« قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك ، وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظـيره وهو آلام الحاسدين .

« اذا احبك القوم مخدوعين فلا تفرح ، واذا كرهك القوم مخدوعين فلا تحزن ، بعض الكراهات خير لك من بعض المحبات .

« الموت اعم المصايب وقوعا ، ولا يزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء ، على أن ذلك لا يفيد أنه غير مألوف ، ولكنه يدل على أن الانسـان لا يجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه » .

هذه بعض كلمات العقـاد ... من آخر كلمات العقاد .

الهند .. شعبها وأرضها

تأليف : مانوراما موداك .
ترجمة : العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم.
مراجعة وتقديم : الدكتور عز الدين فريد .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٢١٧ صفحة ١٧×٢٠ . ث. ٣٠ قرشا .

مؤلفة هذا الكتاب سيدة هندية ، عاشت فى الولايات المتحدة سنوات من عمرها ، استطاعت، خلالها أن تؤدى خدمات جليلة لوطنها وللثقافة الانسانية بوجه عام ، بما ألقته من محاضرات قيمة فى الجامعات والهيئات والمنتديات الثقافية الأخرى . وهذا الكتاب يعد ثمرة من ثمرات هذا الجهد الكبير خرجت به علينا مؤسسة فرانكلين ضمن مجموعة « حول العالم فى كتب » ، وهى سلسلة تستهدف توطيد أواصر القربى ، وتقوية عناصر المودة بين شعوب العالم فى انحائه المختلفة كافة .

والهند التى تحدثت عنها المؤلفـة ليست الهند التى نراها الآن فحسب ، وانما هى الى جانب ذلك أرض الحضارات القديمة الزاهرة ، أرض السحر والغموض والتأمل ، ومهـد بوذا وجوبتا وأشوكا الى جانب انها مهد طاغور وغاندى ونهـرو .

واوضحت المؤلفة فى المقدمة الغرض من تأليفها هذا الكتاب بقولها « تبدو فى هـذه الصفحات بعض الحوادث البارزة التى مرت بالهنـد فى آلاف السنين من تاريخها الطـويل . وتوضح الصورة العامة شعبا أبقى مجرى حيـاة أفراده جاريا متماسكا لآلاف السنين ، حدثت عبرها حركات مد وجزر فى الحياة والأفكار استمرت مئات السنين ، وتوالت فيها فترات جمـود وتوقف ، وفترات انتعاش واعادة بناء » .

والديانة الهندية احدى الملامح المميزة للهند وهى ذات جذور معرقة فى القدم ، وليست ديانة فحسب وانما هى تنظيم اجتماعى أيضـا ، فالمجتمع ينقسم الى طبقات ذات نظام حـاد صارم ، ويوجد قوم ليست لهم طبقة ، هؤلاء هم المنبوذون . ولا يخفى أن الغزاة القدماء لأرض الهند كان لهم دور كبير فى ايجاد هذا النظام .

واذا كانت الهندوكية هى الديانة الغالبة لدى كثرة الشعب الهندى الا أن جو تاما المسـتنير (بوذا) كان له تأثير عظيم على طبيعة التفكير فى الهند . وان الهند القديمة والمعاصرة كلتاهما معا تستمدان من بوذا فيضا من حكمته وزادا من سيرته ودعوته ، ومن الممكن أن نعتبر دعـوة غاندى المعروفة ومذهبه فى « اللاعنف » من بعض

النواحي امتدادا لبوذا الذى يقول « ان جشع الانسان ســعيا وراء الملذات هو مبعث الألم والأسى فى العالم ، فاذا ما قلت رغباتنا قل حزننا واسانا . والسبيل الى الحد من رغباتنا ، هو أن نسلك طريقا سويا فى هذه الحياة الدنيا بالقول الحق والعمل الصالح والتفكير السليم » .

والكتاب يعطينا صورة مشرقة للهند ما بعد الاستقلال ، وما تحقق من آمال بفضل القيادة الحكيمة المخلصة وبفضل عزم شعبى وطيـد للسير بالهند فى ركب الحضـــارة الحديثـــة والخروج بها الى عالم القرن العشرين ، ويعطينا ايضا نماذج جيدة لأبطال الأمس وأبطال اليوم للأسرة الهندية وما يسودها من محبة وتعاطف وتواد هى نموذج لأخلاق الأمة نفسها .

هذا عرض سريع لكتاب عن الهند بقلم كاتبة هندية أجادت وأفادت . لكن الكتاب تنقصـــه أشياء كنا نود لو انتبهت اليها المؤلفة . فالفترة الأسلامية لم تهتم بها الاهتمام الكافى ، ونخص بالذكر هنا تاريخ الاسلام فى الهند قبل السلطنة المغولية . كما أنها فى عرضها لتـــاريخ الحركة الاســـتقلالية تؤيد وجهـة النظـــر الهندية تأييـــدا فيه تحـــامل على دور المسلمين فى تلك الحركة . وما تقوله المؤلفة من أن دعـــوة الاسلام جاءت نتيجة لتأثر محمد بالأديان الأخرى السماوية الموجودة فى بلاد العرب رأى يحتاج الى مراجعة . كذلك قد يكون فى رد كلمة الأم ومقابلاتها فى اللغات المعروفة الى أصل سنسكريتى واحد هـــو matra تطرف غير مقبول عند الدارسين .

أما عن الترجمة فهى حسنة بوجه عام ، لكن هناك من الأسماء ما نعتقد أنه يحتاج الى دقة فى ترجمته الى العربية فالأم وليتشيا والمنـــوان والسيسيان صحتها عيـــلام وليكيا أوليشيـــا والمينويون والاسكيثيون على التوالى والرجويدا صحتها الرجفيدا ، أما مؤسس دولة باكستان فقد اعتدنا أن نعرفه بمحمد على جناح وليس محمد على جنة كما جاء فى الكتاب .



تأليف : ت . هيردال .
ترجمة : دكتور عبد الرحمن أيوب .
مراجعة : على أدهم .
الناشر : عيسى البابى الحلبى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ٣٠٦ صفحة قطع كبير .

فى احدى سنوات القرن الخامس الميلادى ، وعلى ضفاف بحيرة تيتيكاكا بأمريكا الجنوبية ، جرت معركة عنيفة بين شعبين من الشـــعوب الساكنة هناك ، فكان فى ذلك بدء التاريخ الحقيقى لشعب بولينيزيا فى المحيط الهـــادى .. وركب الزعيم (كون)تيكى البحر وسار غربا ، الى ان حط الرحال فى جزر البحار الجنوبية ، ليحظى بالسطوة هناك ويرتفع عند قومه الى مقام الآلهة .

تلك هى الحقيقة العلمية التى يريد هـــذا الكتاب أن يقولها ، وهو رأى كان له أنصاره من العلماء ، وكان له خصومه أيضـــا ، وكل له حججه .. ولكن عالما نرويجيا من أنصار هـــذا الرأى استطاع أن يأتى بالدليل القاطع على سداد رأيه ، وأعاد الى أذهاننا نحن أبناء القرن العشرين قصة الزعيم كون تيكى وقومه ، فركب البحـــر ايضا بصحبة خمسة من زملائه العلماء أحدهم سويدى والآخـــرون من النرويجيين . وقد لا يصدق القارىء أنهم قاموا برحلتهم هذه الى اغوار المحيط على ظهر طوف مصنوع من خشب البالسا الذى يطوف على الماء بسهولة .. وقدر لهذا الفريق من العلماء أن يصل الى هـــدفه المنشود بعد مسيرة مائة يوم ويزيد وسط الأنواء وتحت رحمة وحوش البحر وصخور المرجان .

والكتاب يزيد فى حجمه على الثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، عدا ماحواه من صور بديعة مطبوعة على ورق فاخر .. لن نستطيع أن نعرض له فى أسطر قليلة ، ولكن يكفينا أن نقول أن روح الفيكنج القديمة قد عادت الى الحياة من جديد فى شخوص هؤلاء العلماء الستة من الشماليين . فهم ليسوا أصحاب علم فحسب ، وانما هم ايضا قوم ذوو خيال واسع ونزعات رومانتيكية عالية .. هم أدباء أو ذوو حس أدبى ، خاصة مؤلف الكتاب وهو أحدهم ، اذ استطاع أن يقنعنا من خلال كتابه بأن ما كتبه يعد أدبا ، كما يعد بحثا فى باب من أبواب العلم وفى منحى من مناحى المعـــرفة .



كتب وردت للمجلة

● **علم التاريخ عند المسلمين**

تأليف فرانز روزنثـــال ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، الناشر مكتبة المثنى ببغداد ، عدد الصفحات ٨٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٤٠ قرشا

● **تصنيع العراق**

تأليف كاثلين م . لانكلى ، ترجمـــة الدكتور محمـــد حامد الطائى ، الناشر دار المتنبى ببغداد ، عدد الصفحات ٤٦٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٨٥ قرشا

● **جغرافية العالم**

تأليف . م هيلير ، ترجمة عطـــا بكرى ، الناشر مكتبة الوفاء بالموصـــــل ، عـــــدد الصـــفحات ٦٨٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٩٠ قرشا

● **المطهر**

تأليف دانتى اليجييرى ، ترجمة حسن عثمان ، الناشر دار المعارف عدد الصفحات ٤٩٢ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ١٢٠ قرشا

● **حسن فقة الصحفى المشهور**

تأليف الياس عكاوى ، الناشر المؤلف ، عدد الصفحات ٣٠٨ ص قطع صغير .

ث ١٠ قروش

● **المتمرد**

تأليف البير كامى ، ترجمة عبد المنعم الحفنى ، الناشر مطبعـــة الدار المصرية ، عـــدد الصفحات ٣١٠ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ٤٠ قرشا

● **الظمأ والينبوع**

تأليف فاضل الســباعى ، الناشر دار الآداب بيروت ، عدد الصفحات ١٤٢ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٥ قرشا

● **السمر**

تأليف محمد السباعى ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٨٨ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ٢٥ قرشا

● **كيف تعمل الأمم المتحدة**

تأليف توم حولت ، ترجمـــة حسين كمال الأنصارى ، الناشر شركة النبراس للنشر والتوزيع ببغداد ، عدد الصفحات ٢٣٤ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٥٥ قرشا

● **تقدم التلميذ فى المدرسة الابتدائية**

تأليف ويلارد الزبرى ، ترجمـــة الدكتور محمد خليفة بركات ، الناشر مؤســـسة فرانكلين بالاشتراك مع دار النهضـــــة العربيـــــة ، عـــــدد الصـــــفحات ١٩٤ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ١٦٫٥ قرشا

● **٣٦٥ يوما قصة التقويم**

تأليف كيث ج . ايروين ، ترجمـــة اللواء سعد الدين صبور ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار النهضـــــة العربيـــــة ، عـــــدد الصـــــفحات ٢٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ٣٠ قرشا

● **طفلك وسلامته**

تأليف هارى ف . ديتريش وآخر ، ترجمـــة الدكتور معمر خالد الشابندر ، الناشر مكتبة دار المتنبى ببغداد

بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٦٠ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ١٥ قرشا

● **تاريخ العالم الحديث**

تأليف روبرت ر . بالمر ، ترجمة الدكتور حسن على الذنون ، مراجعة الدكتور جعفر خصباك ، الناشر مكتبة الوفاء (الموصل) ، عدد الصفحات (جزءان) ٧٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢١٩ قرشا

● **المدينة على مر العصور**

تأليف لويس ممفورد ، ترجمة باشراف الدكتور ابراهيم نصحى ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات (جزء ثان) ٦٦٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ١٣٢ قرشا

● **أرض البطولة .. الجزائر**

تأليف يوسف فهمى الجزايرلى ، الناشر الوكالة العربية للدعاية والنشر بالاسكندرية عدد الصفحات ٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم .

● **أصل الأشياء**

تأليف جولياس أ . لبس ، ترجمة سعدية غنيم ، مراجعة مصطفى حبيب ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٣١ قرشا

● **الحرية المدنية فى جنوب افريقيا**

تأليف ادجار هـ . بروكس وآخر ، ترجمة محمود أحمد حسين ، مراجعة الدكتور محمد محمود الصياد ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٦٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٢ قرشا

● **حضارة روما**

تأليف دونالد ر . ددلى ، ترجمة فاروق فريد وآخر ، مراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع دار نهضة مصر ، عدد الصفحات ٤٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٣٢٫٥ قرشا

● **جولة مع أدباء شمال افريقيا**

تأليف فوزى عبد القادر الميلادى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٧٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٠ قرشا

● **ماهية الاشتراكية البريطانية .**

تأليف هارولد ويلسون ، ترجمة لجنة كتب سياسية ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٢٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٠ قرشا

● **اعلام الأدب الانجليزى**

تأليف كامل عبد المجيد وآخر ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٩٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٠ قرشا

● **الدين والميثاق**

تأليف أحمد الشرباصى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٢٥ قرشا

● **صيد البحر**

تأليف اللواء عبد المنصف محمود ، الناشر الدار المصرية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٤٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٣٥ قرشا

● **الفنون والانسان**

تأليف اروين ادمان ، ترجمة حمزة محمد الشيخ ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ١٠٠ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٥ قرشا

● **فلسفة ابن طفيل ورسالته حى بن يقظان**

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٣١ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٢٥ قرشا

● **الحركة الصليبية**

تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٤٢١ ص (جزءان) ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٢٥ قرشا

● **الفلاح فى الأدب العربى**

تأليف محمد عبد الغنى حسن ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٦ ص قطع صغير .

ث قرشان

● **الأطفال والمسرح**

تأليف محمد شاهين الجوهرى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ٧ قروش

● **احمد لطفى السيد**

تأليف الدكتور حسين فوزى النجار ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٩٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .

ث ٥ قروش

● **التخطيط للتربية والتعليم**

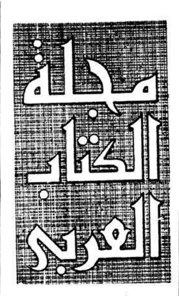
تأليف محمد على حافظ ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ث ٢٦ قرشا

● **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**

تأليف بهاء الدين بن شداد ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، عدد الصفحات ٢٧٣ ص قطع كبير .





العدد الثالث عشر

١٠ صفر ١٣٨٥ - ١٠ يونيو ١٩٦٥

رئيس التحرير

علي أدهم

مدير التحرير

حسن كامل الصيرفي

سكرتير التحرير

جمال بدران

الاشتراك السنوي عن ١٢ عددا
بالجمهورية العربية المتحدة
٣٦ قرشا - الاشتراكات
عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة
ميدان عرابي - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

في هذا العدد

صفحة

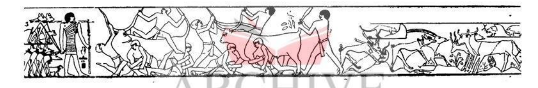


من تاريخ أبي التاريخ

فصول مختصرة من كتاب

تاريخ هيرودوت

اختصار : ا . ج . إيفانز
ترجمة : أمين سلامه

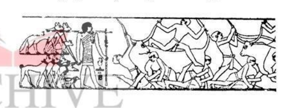


ظهور النثر واتخاذه وسيلة للتعبير الأدبي يجيء في العادة متأخرا عن ظهور الشعر ، فاذا استثنينا القوانين والشرائع اليونانية المبكرة وجدنا أن النثر اليوناني كان مصطبغا بالصبغة العلمية عند أول ظهوره في اللغة اليونانية ، وكان أهم ما يعني كتاب النثر أن تكون كتابتهم واضحة، وقد مهد هذا الاتجاه لظهور النثر الذي يجمع بين الوضوح وحسن التعبير ، وقد نحت النزعة العلمية اليونانية نحو العلوم الطبيعية ، في أيونيا ، وكان معنى ذلك أن النظر في الانسان ودراسته لابد أن يجيء عاجلا أو آجلا ، وقد استطاع الشعر الملحمي أن يرضي الميل الطبيعي في نفوس اليونانيين الى معرفة ماضيهم وسالف أمجادهم ، وكان هذا الشعر الملحمي يزعم انه سجل أمين للماضي وصورة صادقة لأمجاده وأحداثه ، ولكن ظهور الروح العلمية كان معناه انه لا يمكن الاستمرار في قبول أخبار الملاحم بغير مراجعة ولا نقد واعتبارها وحيا لا يشوبه الباطل ولا يتخلله الكذب والمبالغة ، وظهر قليل من النثر التاريخي ضمن الأساطير وسلاسل الأنساب التي كانت تجمع ارضاء لأعيان العصر المعنيين بأنسابهم ، ولكن لم تكن هناك كتابة للتاريخ بالمعنى المألوف حتى نشوب الحرب بين الفرس واليونان ، فقد أثارت هذه الحرب في نفوس اليونانيين حب الاستطلاع ، وحركت عندهم الرغبة في تعرف أحوال هؤلاء القوم الذين هددوا الحضارة اليونانية وتصدوا لكبرياء اليونانيين ، وكان انتصارهم على الامبراطورية الفارسية مما زادهم حرصا على تدوين أخبار تلك الحرب ، وكان هيكاتيوس الميليتي هو أول من تصدى لكتابة التاريخ الحقيقي ، قائلا « ما أكتبه هو البيان الذي اعده مطابقا للحق والقصص اليونانية كثيرة وفي رأيي انها تستوجب الضحك والسخرية » وكانت كتابته أقرب الى الجغرافيا منها الى التاريخ ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على الكثير من المعلومات التاريخية،



مراجعة : كمال الملاخ

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
١٨٨ صفحة ١٧×٢٤ سم - الثمن ٢١ قرشا



وقد اقبل على الكتابة بروح المفكر الناقد ، وانتقد الأساطير التى تصور الماضى ، وحاول تحرى الصدق فى الكتابة عن عصره ، وكان هدفه أن يقرر الحق لا تسلية القارىء .

وجاء بعده هيرودوت ؛ وعلت شهرته ، وخلب الألباب بطريقته الفذة فى تسجيل الأحداث ووصف الوقائع والأشخاص حتى أخمل ذكر المؤرخين الذين سبقوه ، واطلق عليه لقب « أبى التاريخ » ، وقد استهل كتابه بقوله « هذه بحوث هيرودوت الهاليكارناسوسى يذيعها آملا انه بذلك يحفظ من البلى ذكرى ما صنعه الرجال ، ويصون الأعمال العظيمة الباهرة التى قام بها اليونانيون والبرابرة من فقدان ماهم خليقون به من المجد ، ولماذا نشبت الحرب بينهما »

ويمكن أن نستبين من ذلك الاعلان محاولته تحرى النزاهة فى كتابة التاريخ ، وان يقف موقف المحايد بين قومه اليونانيين وخصومهم الفرس ، وانه لم يتجه الى كتابة التاريخ ليجعله وسيلة للوعظ واستخراج الحكم الأخلاقية او لاظهار براعته فى الانشاء والكشف عن مواهبه الادبية وقدرته الفنية ، والأسلوب السهل السلس الواضح الذى اتبعه فى الكتابة ينم على تأثره بالروح العلمية التى غلبت على عصره ، وقد تناول الحرب الفارسية باعتبارها مظهرا طبيعيا واختار الأسلوب الملائم لوجهة نظره .

وتظهر الروح العلمية فى تصور هيرودوت للتاريخ على انه أحداث متتابعة ، ولكن كتابة التاريخ كانت تقتضيه كذلك التحدث عن الرجال الذين ظهروا على مسرح الحوادث ، والروح العلمية لا تسعفه فى هذه الناحية ، وضخامة المعركة بين الفرس واليونان وشعوره بعظمتها فرضا عليها أن يتصورها فى صورة ملحمة من الملاحم التى قراها وتشبع بها فى الادب الهومرى ، والملاحم التى نظمها الشعراء اليونانيون بعد عصر هومر حتى انتهاء القرن السادس قبل الميلاد .

وقد شاء القدر أن تكون حياة أبى التاريخ محفوفة بالغموض من شتى نواحيها ، وبرغم كثرة ما كتب عنه فان مسائل كثيرة فى حياته لا يمكن القطع بصحتها ، فنحن نجهل سنة مولده ووفاته ، وكيف واين قضى معظم أيام حياته ، والسبب الذى حفزه الى كتابة كتابه الضخم الحافل ، ومتى قام برحلاته ومغامراته ، ولماذا قام بها ، ومعلوماتنا عنه مستمدة من كتابه .

والمرجح انه ولد حوالى سنة ٤٨٠ ق.م بمدينة هاليكارناسوس الواقعة فى جنوب آسيا الصغرى ، وهو ينتمى الى أسرة من الأسر الموسرة العريقة الحسب التى اشتهرت بحبها للأدب والفنون ، وقد غرست فيه هذه النشأة حب الاستطلاع ، وقوت رغبته فى المعرفة ، فأكب على قراءة الأدب ، وعنى بالاطلاع على الشعر بوجه خاص ، وحينما ناهز العشرين من عمره خاض لجج السياسة ، وشارك فى الحركة القومية التى تزعمها عمه الشاعر الملحمى بانياسيس للاطاحة بحكم الطاغية لوجداميس ، وقد قتل لوجداميس عمه ونفاه ، وكان ذلك

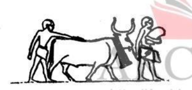
قبل سنة ٤٥٤ ق.م ، وقد ذهب الى جزيرة ساموس ، ولم تطل اقامته بها ، فقد آثر العودة الى هاليكارناسوس للمشاركة فى القضاء على حكم الطاغية لوجداميس وتوطيد النظام الديمقراطى فى مسقط راسه ، واضطرته الدسائس السياسية على ما يبدو الى الرحيل والقيام بمغامراته التى كان لها اكبر الأثر فى كتابة تاريخه ، وقد مر بفينيقيا فى طريقه الى مصر ، وتوغل فيها حتى وصل الى جزيرة دالفنتين ، ووصل فى رحيله غربا الى قورينة وشرقا الى سوسه وشمالا الى المدن اليونانية الواقعة على شاطىء البحر الأسود ، وقدم اثينا قرابة سنة ٤٤٧ ق.م مزودا بمجموعة ضخمة من الأخبار والمعلومات التاريخية والجغرافية عن الدول المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وتاريخها وعادات أهلها ، وقد استعان بهذه المذكرات وبما استمده من كتاب المؤرخ هيكاتيوس على تأليف كتابه المشهور ، وقد وصف فى هذا الكتاب حياة الناس فى مصر والشرق الأدنى وبلاد اليونان وتاريخها من ابتداء عصر الخرافة الى نهاية الحرب الفارسية.

وفى بعض الروايات أنه حينما ذهب الى أثينا وقرأ بعض أجزاء كتابه على الجمهور اعجب به الأثينيون اعجابا شديدا ، وراقهم وصفه للحرب وما قاموا به من أعمال مجيدة ، وانهم أثابوه على ذلك .

ويقول بلاكنى فى المقدمة القيمة التى صدر بها الترجمة الانجليزية لكتاب هيرودوت « يحتمل أن يكون هيرودوت قد ظل مقيما فى هاليكارناسوس مع قيامه برحلات طويلة لجمع المعلومات التاريخية والجغرافية حتى قرب عام ٤٤٧ ق.م حيث صار فى حوالى السابعة والثلاثين من عمره ، وقد وصل بمؤلفه الى درجة معينة من التمام ، ولو أنه كان اقل مما صار اليه أخيرا ، عندئذ انتقل الى بلاد الاغريق نفسها ، واقام فى أثينا ، والظاهر ان هاليكارناسوس كانت قد طردت طغاتها قبيل ذلك وانضمت الى الحلف الأثينى ، ولذلك رحب بمؤلفنا الصغير من أجل بلده ، كما رحب به من أجل نفسه ، واذا كان لنا أن نثق بأقوال أيوسيبيوس فان مجلس أثينا قرر فى سنة ٤٤٦ ق.م مكافأة لهيرودوت عن مؤلفه التاريخى العظيم الذى قراه علنا على أهل أثينا » .

وقد انتقل هيرودوت من أثينا الى ثوريوم التى انشئت فى سنة ٤٤٤ ق.م واستقر بها حتى ادركته الوفاة ودفن فى سوق المدينة حوالى سنة ٤٢٦ .

ويعلل بلاكنى انتقاله من أثينا الى ثوريوم الواقعة فى جنوب ايطاليا بقوله « ليس من الصعب ان نستنتج السبب الذى دفع مؤلفنا الى مغادرة أثينا مع اعجاب أهلها به والاقامة فى احدى المستعمرات التابعة لها ، فلم يكن يستطيع الحصول على حقوق المواطن فى أثينا . وان الاغريقى غير المولع بجمع الأموال أو المهتم بدراسة الفلسفة ليشق عليه الا تكون له حقوق سياسية كى يشترك فيما يكون الحياة اليومية ويشغل الفكر باستمرار فيما حوله ، وقد قال



أرسطو « لا يكون الرجل رجلا الا اذا كان مواطنا » وهذا هو الشعور الذى كانت تحس به جميع الأمة الاغريقية ، وفضلا عن هذا كانت الحياة فى أثينا شأنها شأن سائر العواصم، باهظة النفقات ، وان الثروة التى كانت تعتبر طائلة فى هاليكارناسوس اذا لم تكن قد نفذت فى أثينا فانها لا تكاد تمكن الانسان من الحياة فيها، ويدل قبول هيرودوت مبلغا من المال من الشعب الأثينى على ان موارد معيشته كانت قد انخفضت وقت ذاك ، ربما تكون موارده قد نضبت من جراء نفقات رحلاته الطويلة ، وتأثرت بمغادرته هاليكارناسوس ، وعلى أية حال دفعته ظروفه الى الترحيب بالدعوة التى وجهتها أثينا الى المغامرين فى جميع انحاء بلاد الاغريق كى يحصل كل منهم على قطعة أرض تجعله فوق مستوى الاحتياج وينال فيها حقوق المواطن .

وعلى ذلك انضم هيرودوت فى سنة ٤٤٢ ق.م

وكان قد جاوز الأربعين من عمره بناء على الشهادة الاجتماعية لقدامى الكتاب ، الى فئة المستعمرين الذين ارسلهم بيركليس الى ايطاليا، وصار من أوائل مستوطنى ثوريوم »

ويرى المؤرخ المعروف ج . ب . بيورى أن اهم رحلات هيرودوت رحلته الى بابل ورحلته الى مصر ، وانه قام بهاتين الرحلتين فى الجزء الأخير من حياته ،و هو من مواطنى مدينة ثوريوم ، وان السنوات التى انقضت بين نفيه من مسقط راسه وارتحاله الى مستقره الجديد كان فى خلالها على الأرجح فى أثينا يجمع أخبار غزو كسير كسيس ، ويرى بيورى أنه من المحتمل ان يكون هيرودوت قد زار أثينا وهو فى طريقه الى الشرق او فى عودته منه ولكن ليس هناك ما يحملنا على الظن بأنه ترك ثوريوم وأقام فى أثينا فى السنوات الأخيرة من حياته كما رأى بعض الباحثين .

ويدور كتابه فى التاريخ حول سرد العلاقات بين اليونان والفرس منذ اعتلاء كرويسوس عرش ليديا حتى سقوط سيستوس سنة ٤٧٨ ق.م وتقسيم الكتاب الى تسعة أجزاء لم يقم به المؤلف لأن مثل هذا التقسيم لم يكن متبعا فى عصره ، وقد قام بذلك أحد الناشرين الأسكندريين ، والأجزاء الثلاثة الأولى تشمل حكم كيروس وقمبيز واستيلاء دارا على عرش فارس ، وفى الجزء الرابع الخامس والسادس يتناول عهد دارا ، والأجزاء الباقية يتحدث فيها عن كسيركسيس ، والأجزاء الثلاثة الأولى ضمنها تاريخ أسيا ومصر والأجزاء الثلاثة التالية ذكر فيها ما عرفه من تاريخ أوروبا والأجزاء الثلاثة الأخيرة تناولت تاريخ اليونان، وقد تحدث فى أجزاء الكتاب عن ظهور الدولة الفارسية وانتصاراتها ومقاومة اليونانيين لها وانتصارهم عليها واخفاق الفرس فى الاستيلاء على اسكوذيا وهزيمتهم فى مرثون وغزو كسير كسيس وانتصاره فى نرموبولى واندحاره فى سلاميز .

والعنصر الجغرافى ظاهر فى شتى اجزاء الكتاب حتى ذهب بعض النقاد الى انه كان يقصد فى بادىء الأمر أن تكون بعض أجزائه كتابا



فى الجغرافيا ، ولكنه ادمجها بعد ذلك فى كتابه عن التاريخ ، ولكن ليس هناك ما يحمل على قبول هذا الرأى ، وكان امتزاج التاريخ بالجغرافيا من سمات المؤلفات التاريخية فى اول عهد اليونان بكتابة التاريخ ، وقد اقتدى هيرودوت بالمؤرخ هيكاتيوس فى مزج الجغرافيا بالتاريخ ، وعول عليه واقتبس منه وان كان من الحين الى الحين يوجه اليه بعض النقدات لكى يثبت تفوقه عليه .

وقد لوحظ عليه أنه كثير الاستطراد ، ولا يتردد فى عرضه للأحداث من التوقف عن متابعة السرد ليروى قصة شائقة أو نادرة طريفة او بعض المعلومات الشائقة والملحوظات الطريفة التى تنفى الملل عن القارىء وتجدد نشاطه وتشحذ شهيته لمتابعة سرد الحوادث وتصوير الوقائع ، وقد اتبع طريقة هومر فى جعل الأشخاص يتحدثون ، فكسيركسيس وماردونياس وارتبانوس يبدى كل منهم رأيه ويدلى بحجته قبل البت فى غزو بلاد اليونان ، واتباع هيرودوت لهذه الطريقة جعل مشاهده واضحة متألقة وبث فى الكتاب حيوية قوية وأسبغ عليه نفحة

ملحمية ، وكان هيرودوت يقصد الى استمالة القارىء واجتذاب انتباهه ، وأن يبلغ بنثره ما بلغه هومر بشعره .

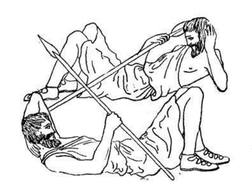
وقد رأى هيرودوت فى الصراع بين الفرس واليونان معنى أعمق من النتيجة السياسية ، فهذا الصراع كان فى رأيه احتكاكا وصداما بين طرازين من طرز الحضارة مختلفين ونظامين سياسيين متباينين وشعبين لكل منهما عاداته وتقاليده ومزاجه وعقليته الخاصة ، وقد عمل على توضيح الفرق بين الاوتقراطية الفارسية والديمقراطية اليونانية ، ومعظم الأخبار التى ساقها هيرودوت وكانت تعترض سرد الحوادث قصد بها تأكيد هذا الاختلاف بين نظر الفرس الى الحياة ونظر اليونانيين اليها ، وقد ساعد ذلك على ايجاد الوحدة التى انتظمت المعلومات الكثيرة والروايات المتناثرة التى جمعها الكتاب ، من أمثلة ذلك الحديث الشائق بين كرويسوس وسولون الحكيم ، فقد رأى سولون ان يقوم برحلات ليرى العالم ، وذهب الى مصر وزار بلاط اماسيس وعرج على ساردیس لزيارة كرويسوس — وهو المعروف باسم قارون فى المراجع العربية والذى يضرب به المثل فى ضخامة الثورة وسعة الثراء — واكرم كرويسوس وفادته واستضافه فى قصره الملكى ، وفى اليوم الثالث أو الرابع أمر كرويسوس خدمة ان يطلعوا سولون على كنوزه وعظمته وابهته ، فلما رأى سولون كل ذلك وفحص بنفسه كل شىء سأله الملك « أيها الغريب الأثينى ، لقد سمعنا الكثير عن حكمتك ورحلاتك خلال البلدان حبا فى المعرفة ورغبة فى مشاهدة غرائب الدنيا لهذا تجدنى متلهفا لأعرف منك ! من هو اسعد رجل رأيته ؟ » وقد القى كرويسوس هذا السؤال على سولون لأنه كان يظن نفسه اسعد رجل على ظهر الغبراء ، ولكن سولون اجابه بلا نفاق ولا تملق بل تبعا لشعوره الحق « أسعد رجل شاهدته هو تيلوس الأثينى يا سيدى » فذهل كرويسوس مما سمع ، وقال محتدا « ولماذا تعد تيلوس أسعد رجل ؟ » فأجابه سولون قائلا « اولا لأن مملكته ازدهرت فى عصره ، وله هو نفسه أولاد على قدر بالغ من الجمال والصلاح ، ولأنه عاش ورأى كلا منهم ينجب أطفالا ، ورأى أولئك الأطفال وقد كبروا وترعرعوا وزيادة على ذلك فبعد ان قضى حياته فيما يعتبرها شعبنا حياة مريحة مات بمجد منقطع النظير اذهب لنجدة شعبه فى قتال بين الأثينيين وجيرانهم قرب اليوسيس فمات شجاعا فى حومة الوغى ، فدفنه الأثينيون باحتفال رائع فى البقعة التى سقط فيها، وقدموا له أعظم فروض التبجيل والاحترام »

ولم يعجب كرويسوس هذا الكلام وما تلاه من الأمثلة التى ذكرها له سولون ، فقال له وقد تملكه الغضب « اذن فماذا تكون سعادتى أيها الغريب الأثينى اذا لم تقدرها بشىء ولم تضعها حتى فى مستوى الرجال العاديين ؟ »

فقال سولون « أى كرويسوس ، انك لتسأل عن حال الانسان وتوجه سؤالك الى رجل يعرف ان (١) السلطة العليا المشرفة علينا شديدة الغيرة ونزاعة الى خلق المتاعب لنا وايجاد العقبات فى سبيلنا ، والحياة الطويلة تمكن المرء من أن يرى كثيرا ويجرب كثيرا ما لا تحبه .. واما عن نفسى فارى انك واسع الغنى بدرجة مدهشة وانك سيد على عدة امم ، واما **بخصوص السعادة التى تسالنى عنها فليس عندى ما أرد به عليك الا بعد ان أسمع انك انهيت حياتك نهاية سعيدة ، فمن المؤكد ان من يملك خزائن الدنيا من الكنوز ليس اقرب من السعادة ممن يملك ما يكفى حاجته اليومية فحسب ، الا اذا حالفه الحظ ، فقد عاكس الحظ كثيرين ممن يملكون ثروات طائلة كما ساعد الحظ كثيرين من متوسطى الحال ، ... ومن النادر ان يتصف اى رجل بجميع الميزات ، مثله فى ذلك مثل الدول فما من دولة تملك فى بلدها كل ما تحتاجه ، فبينما تملك كل منها أشياء معينة ينقصها اشياء أخرى ، وافضل دولة هى التى تملك معظم احتياجاتها ، كذلك**

---

(١) اعتمدت فيما نقلته من الحوار بين سولون وكرويسوس على ترجمة الأستاذ أمين سلامة وقد اصلحت قوله فى الترجمة « ان السلطة هى أكثر شىء ملىء بالحسد » لأنه لايطابق الأصل ولا يظهر المعنى الذى أراده هيرودوت .



الأمر ، ما من مخلوق بشري واحد كامل من جميع الوجوه ، لابد من وجود نقص ما ، فمن يضم اكبر عدد من المميزات ويحتفظ بها الى يوم مماته حيث يموت هادئا هو وحده ، تبعا لحكمي يا سيدي ، من يصح أن يقال عنه انه سعيد ، اننا ننتظر النهاية في كل حالة ، فالرب يمنح البشر قبسا من السعادة ، ثم يغمرهم بعد ذلك في الخراب » .

فهذا الحديث بين العاهل الشرقي الواثق من مكانته والمعتز بثروته والحكيم اليوناني المفكر الذي يعرف تقلب الأيام وتنكر الحظوظ يبين النغمة التي يرددها هيرودوت وهي اظهار الفرق بين العقليتين ، العقلية الشرقية والعقلية اليونانية ، كما ان أشعار هومر تقدم لنا صورة حية للثقافة اليونانية القديمة فكذلك كتاب هيرودوت يعرض لنا وجهات نظر الحضارة الهيلينية في القرن السادس قبل الميلاد ويصف لنا ثقافة المشارقة الذين اتصل بهم وزار بلادهم .

ولم يتناول هيرودوت تاريخ العصر البطلي ولكنه حينما يعرض لبعض الأساطير المتصلة بذلك العصر يبدى بعض الشكوك ، ولكن ليس معنى ذلك انه كان من المؤرخين الذين يخضعون الأخبار التاريخية لمنطق العقل أو ممن خالجهم الشك في الدين بوجه عام ، فقد كان ينظر الى الحياة البشرية باعتبارها خاضعة لقوى تفوق قدرة الانسان ، وهذه القوى في ممارستها للسيطرة التامة على الحياة البشريةتتأثر بنوازع الحسد والغيرة وحب الانتقام أو الغضب الحق ، وهي الى حد ما تتحرى مبادىء العدالة فتثبت المحسن وتعاقب المسيء ، وقد تمد بالمعرفة وتفضى بالأسرار الخفية بطريق الهامها للعرافين او بطريق النذر والعلامات والأحلام ، ولم يكن هيرودوت مستعدا للتسليم بوجود اتصالات بين البشر والآلهة أكثر من ذلك ، ولم تكن فلسفته من القوة والتماسك بحيث تنكر الاتصالات بين البشر والآلهة الوارد ذكرها في الملاحم ، لأن الفصل بين الأشياء الانسانية والأشياء الالهية لم يكن عنده حاسما ، ولكن اعتقاده ان الاتصالات المباشرة بين الآلهة والبشر كانت مقصورة على العهد البطلي حماه من التورط في الكثير من الخرافات ، او جعله على الأقل يقف من بعضها موقف الراوى المتشكك ، وهو في رواياته لبعض الاقاصيص التي تتضمن اشتراك قوى علوية يرفض احتمال التبعة ، ويقول انه يروى ما بلغ مسامعه او يرويها بطريقة تنم على السخرية الخفية والتهكم المستور كما كان يفعل ڤولتير في القرن الثامن عشر وبأسلوب يرضى المؤرخ الكبير جيبون الذى اظهر في اتباع هذه الطريقة براعة ترضى احراز الفكر وتقض مضاجع المتشددين في العقيدة ، فهو عندما روى قصة الثعبان المقدس الذى زعم الأثينيون انه يقيم في الاكروبول يقول « يقول الأثينيون ان ثعبانا ضخما يعيش في المعبد ويحرس القلعة ويقدمون في كل شهر كعكة محشوة بعسل النحل لمخلوق حي » وهي كما يرى القارىء رواية لا تلزمه بشيء !

ولم يرفض هيرودوت فكرة ان الآلهة كانت يوما ما تمشى في الأرض وتخالط البشر ، ولكنه مع ذلك انكر انتساب هيراكليس وپرسيوس الى الآلهة ويعلل المؤرخ بيورى ذلك بأنه تأثر في هذا الشك بالمؤرخ هيكاتيوس ، ولم يكن هذا الشك ثمرة الحركة العلمية والفلسفية التي ظهرت في ايونيا وحدها وانما كان كذلك ثمرة الاطلاع على الأساطير المصرية ، لأن تلك الأساطير التي تلقاها هيرودوت عن استاذه هيكاتيوس كانت ترجع بتاريخ الانسانية الى آلاف السنين وترد عهد الآلهة الى الأزمنة العريقة في القدم . وقد استخلص هيرودوت من ذلك ان التقاليد اليونانية التي ترجع عهد الآلهة الى ما قبل قرابة

ثمانمائة سنة لا يمكن ان تكون صحيحــــة ، اذ ليس من المعقول ان مصر كانت فى عصر لا يخالط فيه الناس الآلهة على الأرض على حين ان الآلهة كانت تماشى الناس فى بلاد اليونان ، وقد جعل ذلك الشك يتسرب الى فكرة وجود قوى فوق سيطرة الانسان فى العصر البطلى اليونانى .

ولا يشك بيورى فى أن هيرودوت حينما زار مصر كان يحمل معه ما كتبـــه هيكاتيوس عن رحلته لمصر وأنه استرشـد بها فى زيارته للمعابد المصرية ، وقد صحح بعض الأخطـاء التى تورط فيها هيكاتيوس ، واضاف معلومات جـديدة ولكن كتاب هيكاتيوس كان الأساس الذى بنى عليه ، وان كان لم يذكر ذلك ولم يعترف بما هو مدين به لهذا المؤرخ . ولم يكن القدماء يعنون بذكر المراجع التى استمدوا معلوماتهم منهـا ولذلك لم تعد اقتباسات هيرودوت من قبيل السرقة الادبية ، وقد اشار هيكاتيوس الى اهمية النيل فى حياة مصر بكلمته المشهورة وهى « ان مصر هبة النيل » وقد اقتبس هيرودوت هـذه الكلمة فنسبت اليه .

ويستهل هيرودوت كتابه ببيان ان الصراع بين اليونان والفرس كان يدور حول مســائل دنيوية ، وهو يقول فى ذلك « تبعا لأكثر رجال الفرس معرفة بالتاريخ كان الفينيقيــون هم الذين بدءوا بتلك المعاكسات فما ان هاجر اولئك القوم الى بلاد البحـــر المتوسط واستقروا فى المناطق التى يقيمون فيها الآن حتى شرعـوا كما يقال فى القيام برحلات طويلة ، يحملون سفنهم من منتجات مصر وأشور فنزلوا فى عـدة أماكن على ساحل ذلك البحر ، ومنها ارجوس التى كانت ضمن الولايات المنضمة وقتذاك تحت الاسم العام « هيلاس » وعـرض الفينيقيـون بضائعهم على سكان أرجوس ، وظلوا يتاجرون هناك مدة خمسة أو ستة أيام ، وفى نهاية تلك المدة وكانوا قد باعوا كل ما معهم تقريبا حضر الى الشاطىء عدد من السيدات ، من بينهن ايو ابنة الملك ايناخوس الـذى كان كما قيل متفقا مع الاغارقة فى نفس هذه القصة ، ووقفت النســاء عند مؤخـر الســفينة منهمكـات فى مشترياتهن ، فاذا بالفينقيين يصرخون جميعـا صرخة واحدة وينقضون عليهن ، فهرب أغلب السيدات ، بيد ان المعتدين خطفوا كثيرا منهن وحملوهن الى عرض البحر ، وكانت ايو نفسها ضمن المقبوض عليهن ، وحمل الفينقيون النساء فى سفينتهم واقلعوا بها الى مصر ، وهكذا كان ذهاب ايو الى مصر تبعا للقصة الفارسية التى تختلف اختلافا بينا عن رواية الفينقيين ، وهكذا بدات ايضا سلسلة من اعمـال العنف تبعـــا لرواياتهم .

« وبعد ذلك بزمن نزل الأغارقة فى مدينة تورى على الساحل الفينقى ، ولا يعرف الرواة اسماء هؤلاء الاغريق ، ... وخطفوا يوروبى ابنة ملكهــا ، وبهذا انتقمــوا لخطف ايو ابنة ملكهم ، ... وقام الأغارقة بعمل عدوانى ثان اذ استقلوا سفينة حربية وابحروا الى آيا احدى مدن كولخيس الواقعة على نهر فاسيس ، وبعد ان انجزوا المهمة التى حضروا من اجلها خطفوا ميديا ابنة ملك تلك البلاد ، فارسل الملك رسولا الى بلاد الاغريق يطلب التعويض عن تلك الاساءة واعادة الطفلة ، بيد ان الاغريق ردوا عليه بانهم لم يتسلموا تعويضا عن خطف ايو الا رجوسية ولذلك فهم لن يدفعوا تعويضا عن اســاءتهم هذه » .

« وفى الجيل التالى كان الكسندر بن بريام يحتفظ بهذه الأمور فى ذهنه ، وعــزم على ان يخطف لنفسه زوجة من بلاد الاغريق ، ومما قوى عزمه ان الاغريق لم يكفـروا عن اعمــالهم العدوانية ... وهكذا خطف هيلين ، وعنــد ذلك قرر الاغارقة قبل الالتجاء الى اية اجراءات ان يوفدوا من قبلهم رسلا يطلبون اعادة الأميرة وترضيــــة عن تلك الاهــانة ، فقوبل طلبهم بالاشارة الى العدوان السابق بخطف ميديا ..، وبناء على ذلك كانت الأضرار الحادثة كلهـــــا مجرد اعتداءات عادية بين الطرفين ، غير ان الفرس يعتبرون الأغارقة مخطئين أبلغ الخطأ فيما تلا ذلك من الاعتداءات اذ ارسلوا جيشـــا الى آسيا قبل ان يحدث اى اعتداء على أوروبا، أما خطف النساء فهو كما يقولون من اعمـــال الأوغاد ، بينما أعمال الاستفزاز التى حدثت من أعمال المجانين ، فلا يهتم الحـكماء بمســائل



النساء تلك ، اذ لا يمكن أن تخطف سيدة بغير رضاها ، فعندما خطف الأغارقة نساء الاسيويين لم يهتم هؤلاء بمثل هـذه السفاسف ، الا أن الأغريق بسبب فتاة لاكيدايونية جمعوا جيشا فى عداد الحصى وغزوا به آسيا وخربوا مملكة بريام ، ومنذ ذلك الحين ينظر الاسيويون الى الأغارقة كأعدائهم اللدودين ... ويعتبر الفرس آسيا بشتى قبائلها البربرية التى تقيم فيها مواطنين واخوانا لهم ، ولكنهم ينظرون الى اوربا والأمة الاغريقيـة كبلاد وأمم منفصلة عنهم » .

فحرب طروادة أوجدت شعورا بالعداء نحو الأغارقة ، وكانت الحرب الفارسية النتيجة النهائية لهذا الشعور ، ولم تكن هذه النظرية من صنع هيرودوت ، وانما هى وجهة نظر الفرس ، وقد رواها هيرودوت مع التنصل من تبعة الموافقة عليهـا ، وهو يقول انها رواية الفرس ، ويعقب عليها بقوله « ومع ذلك فان (١) الفينيقيين يروون قصـة أخرى عن خطف ايو تختلف عن رواية الفرس لهـا ، فهم ينكرون استخدامهم لأى عنف فى نقلهـا الى مصر ، ويقولون ان الفتاة نفسها كونت علاقة غرامية مع ربان السـفينة عنـدما كانت راسية فى ارجوس ، ولما وجـدت نفسـها حبلى صحبت الفينيقيين بمحض ارادتها عند مغادرتهم لبلدهم خشية العار عندما يفتضح امرها أمام والديها وخوفا من زجرهما اياها » .

ويسترسل هيرودوت بعد ذلك قائلا «وسواء اكانت هذه الرواية الأخيرة صحيحـة أم كانت على خـلاف ذلك فانى لم اتعرض لمناقشتها وسأشرع فى الحديث عن الرجـل الذى كان ـ فى حدود معرفتى ـ اول من أسـاء الى الاغارقة » وكان هذا الرجـل هو كرويسوس ملك ليديا الذى اخضع ايونيا دون اى استفزاز من ناحيتها :».

ومن اقوال جيبون عن هيرودوت « انه فى بعض الأوقات يكتب للأطفال وفى أوقات أخرى يكتب للفلاسفة » والواقع ان الاقصوصـات والنوادر التى كثيرا ما تعترض سرده للاحداث التاريخيـة ترضى الفريقين ،و بعض هـذه الاقصوصات كان يظن أن لها نصيبا من الحقيقة، ولم تعتورها الشكوك الا فى العصر الحديث .

ويقول بيورى ان هيرودوت كان يميل الى اتباع ثلاثة مبادىء فى نقده التاريخى ، ولكنـه لم يكن يتبعها بدقة واحكام ، المبدأ الأول هـو الاشتباه فى الأحداث التى تعزى الى قوة فوق سيطرة الانسان او وقوع المعجزات التى تناقض المألوف فى الحياة العادية ولكنـه كان لا يطبق هذا المبدأ فى تصديقه بالنذر والاحلام وتكهنات الكهان والكاهنات . والمبدأ الثـانى ان المؤرخ عنـدما تواجهه ادلة متعارضـة او روايات للحوادث مختلفة ان يتحرى النزاهة والتجرد من الأهواء ، وان كان هذا لم يمنع هيرودوت من التحيز للاثينيين . والمبدأ الثالث هو ايثار الأخبار والمعلومات التى يتلقاها المؤرخ مباشرة من الذين شـاهدوا الحوادث واشتركوا فى الوقائع ، وتفضيلها على الأخبـار المنقـولة أو المروية ، ولكن هذا المبدأ كذلك لم يحـم هيرودوت من الاعتماد على أخبار سدنة المعابد والمرشدين فى مصر ، على أن هذه المبادىء الثلاثة لها قيمة كبيرة فى البحوث التاريخيـة ، وهى الأسس التى بنى عليها المنهج التاريخى . ومما

(١) فى صفحة ١٦ من الترجمة العربية ورد خطأ «الاغارقة» بدلا من « الفينيقيين » وهو خطأ يبلبل ذهن القارىء ولعل الأستاذ أمين سلامه يصحح هذا الخطأ فى الطبعة القادمة .

اخذ على هيرودوت أنه كتب تاريخ حرب من الحروب العظيمة دون أن تكون عنده معلومات اولية عن احوال الحرب ، ونظم الجيوش وقيادتها ، وكتابه برغم ذلك يقدم لنا صورة جلية عن الحضارة فى القرن السادس قبل الميلاد، وهو يعد من قبيل كتب التاريخ العام لأنه يروى لنا أخبار الجزء الذى كان معروفا من الكرة الأرضية فى تلك الأزمنة على وجه التقريب ، وربما كان من حسن حظ الأدب انه لم يكن اكثر مما هو تدقيقا فى تحرى الأخبار ، فانه لو كان كذلك لحرمنا من الاستمتاع بقراءة تلك الاقاصيص الطليبة والنوادر الممتعة والأساطير المسلية التى تضمنها كتابه وهو أوسع مجالا من كتاب توكوديدز الذى اقتصر على كتابة تاريخ الحرب البليبونيزية وفى الكتاب معلومات طريفة عن المجتمعات التى وصف عاداتها ومعتقداتها ، وهو لا يقتصر على تصوير حياة الملوك والملكات والأعيان بل يصور لذلك حياة مختلف الطبقات، وبرغم وطنيته فانه لم يكن بعيدا عن الانصاف ، ويحاول أن يوضح فى نزاهة وجهة نظر الطرفين المتنازعين ولا ينكر على الفرس البطولة والشهامة وان كان يأخذ عليهم تملقهم للحكام وخضوعهم الشديد لملوكهم وقادتهم .

ويقول بلاكنى فى التمهيد الذى صدر به الكتاب « اعظم ميزة لمؤلفنا وآخر ما يستحق انتباها خاصا بساطته وسهولته ، فسرده وافكاره ينسابان فى سلاسة طوال مؤلفه ، فتراه يكثر من استعمال الكلمات الشائعة والمألوفة ؛ ويتحاشى المحسنات اللفظية والصور البلاغية ، الأمر الذى استرعى انتباه جميع النقاد ونال اعجابهم ، وليس الانشاء فنا عند هيرودوت بل هو تدفق تلقائى للألفاظ والعبارات ، فلا يضفى رشاقة مصطنعة على أسلوبه ولا يتكلف العبارات البلاغية بل يكتب كما كان يقوده موضوعه ... ولهذا كان أسلوبه واضحا رقراقا ليس بمتكلف ولا جاف ولا يترك مجالا للشك فى معانيه » .

ولا يسع قارىء كتاب هيرودوت الا ان يوافق بلاكنى على وصفه لأسلوب هيرودوت ، وقد اختصر ايفانز نصوص ترجمة رولنسون الذى نقل الكتاب من اللغة اليونانية الى اللغة الانجليزية ، وحذف التذييلات والتعقيبات وعمل على ابراز الأساطير والقصص الواردة فى هذا الكتاب الشائق ، ومبلغ علمى ان كتاب هيرودوت قد ترجم منذ سنوات عدة وظهرت الترجمة فى مجلدين ، ولم يسعدنى الحظ بالاطلاع على تلك الترجمة القديمة ، ولكن المختصر الذى قام بترجمته الأستاذ أمين سلامه وراجعه الأستاذ الملاخ يقدم للقارىء خلاصة موجزة تحوى خير ما فيه من الأساطير والقصص والنوادر والأخبار فى ترجمة حديثة سهلة العبارة مستقيمة الأسلوب جديرة بالذيوع بين قراء العروبة وبخاصة متذوقى فن السرد التاريخى؟ الشائق والعرض الجذاب للحوادث والأخبار .

علي أدهم

سطور من كتاب ...

« بينما كانت الثورة الاشتراكية تغلى فى مراحلها اعتلى العرش بعض ملوك خياليين ضعاف منهم « نفروكاوحور » و « نفر اركارع » فلم يدن لهم أهل الجنوب بالطاعة تماما ، وكان حكمهم صوريا فقط ، وازدادت الحروب والفتن الداخلية بين حكام الاقطاع كل يود أن يستقل فى حكم اقطاعه ، وبينما كانت البلاد فى هذه الحالة المحزنة ظهر حكام « هيراقليوبوليس » (اهناسية المدينة الآن بمصر الوسطى) ونادوا بأنفسهم ملوكا ، وانقطع الشمال عن الجنوب نهائيا ، وكان « خيتى » أقواهم وأعظمهم فتمكن من اعتلاء العرش واتخذ لنفسه لقب فرعون ولكن هؤلاء الملوك حكموا الجنوب الا مدينة منف ، حيث كان البيت الملكى الشرعى قائما فى الحكم . وظل ملوك هاتين الأسرتين يحكمون بضع مئات من السنين ، وقد وجدت لهم بعض آثار فى قفط والشلال الأول .

وفى أواخر عهدهم ظهرت أسرة من أمراء « هرمونتيس » وهى (أرمنت الحالية) اغتصبوا حكم الجنوب منهم ، وبقى حكام اسيوط موالين لحكام « هيراقليوبوليس » . ولكن البلاد من جنوب أسيوط الى نهاية حدود مصر خضعت لحكام طيبة ، فكان ذلك بداية شأنها وظهور نجمها فى تاريخ مصر . »

مصر تحت ظلال الفراعنة



هذا الكتاب هو الحلقة الثانية والعشرون من سلسلة « أعلام العرب » التى تصدرها « المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر » فى «وزارة الثقافة والارشاد القومى».

وعنوان السلسلة ، وكثير مما ظهر من حلقاتها — مع رخص ثمنها — يدل على اغراض المؤسسة منها ، واهمها ان تيسر لقرائها بهذه التراجم معرفة نوابغنا العرب على اختلاف مواطنهم وعصورهم ومجالات نشاطهم الحيوية التى نبغوا فيها ، مع انصافهم وبيان مواضع التأسى بهم ، لاغراء القادرين بمتابعتهم وتكملة مساعيهم فيما نبغوا فيه ، وهذا الفضل من المؤسسة جدير منا بالشكر ، وان فضلها ليكون اكبر وشكرها اوجب حين تستوثق من ان حلقات السلسلة تؤدى اغراضها فى قوة وأمانة.

والكتاب الذى امامنا هو « ابن قتيبة : العالم الناقد الأديب » للدكتور عبد الحميد سند الجندى واغراض « المؤسسة » منه واضحة فى اشارتنا الى الأغراض العامة للسلسلة وغرض الدكتور — كما يدل عنوان كتابه ان يكون ترجمة لابن قتيبة « الرجل » ثم التعريف به « عالما وناقدا واديبا » ، لا سرد اخبار حياته وعلمه ونقده وادبه ولو مع التعقيب الوافى عليها، ومن هنا تختلف كتابة الترجمة — كما نفهمها — عن كتابة التاريخ بمفهومه القديم أو الحديث ، كما تختلف عن كتابة الترجمة بمفهومها القديم على طريقة ابن خلكان وابن الجوزى وياقوت وامثالهم من كتاب الطبقات بين الأسلاف .

واهم ما يعنى المترجم ان يضع يده على « شخصية » من يترجم له ، والمحور الذى تدور عليه حياته ، مهما تكن الصفات والأعمال التى يشارك فيها غيره ، كما يعنى ان يجلو هذه الشخصية من كل جوانب نشاطها فى حياتها واعمالها واقوالها وعلاقتها بمن حولها وما حولها ، وان يفسر مأتاها وتصرفاتها ووجهاتها وغاياتها حتى يزيل الغربة بين هذه الشخصية وقارئه ، وان لم يزل بينهما جانب الغرابة او جوانبها ان كان لهذه الشخصية حظ من الغرائب ، وعلى المترجم ان يسلط من نور

قريحته وحر شعوره على غرائبها ما يسلطه على مألوفاتها أو أشـــد مـن ذلك حتى يبرزها ما استطاع ، لأن الأمانة العقلية والأخـلاقية تلزم المترجم بالتعريف لا التحريف ، وبالتجلية لا بالتحلية ، وصاحب البصـيرة المطبوعة على الترجمة أو التعريف أو التمييز أو الحـكم الفاصل ـ انما تعنيه الخصائص والمزايا التى تنفرد بها الشخصية التى أمامه اكثر واشد مما تعنيه الحظوظ المشتركة بينهـا وبين غيرها بل لا تعنيه هذه الخطوط المشتركة الا بقدر ما تكمل الخصـائص وتسـندها وتعين على تحديدها وتوضيحها ، ثم تنصف الشخصيـة وتبرز مواضع الأسوة فيها .

فماذا فى كتاب دكتورنا الجندى من حظ « الترجمة » كما ارادت له المؤسسة ، وكما أراد هو حين اختار له عنوانه « ابن قتيبة العـالم الناقد الأديب » ، وكما يراد من كل ترجمة ولو كان موضوعها « حيوانا » أو « أثرا جامـدا » منفردا بخواصه ، ولم يكن انسانا ذا اختصاص بكل حياته وأخلاقه وملكاته النفسية ، وبأعماله وهمومه ووراثاته وعصره وبيئته ؟ أو لم يكـن انسانا ذا مزايا عالية بين أبناء عصره عالما وناقدا وأديبا ؟ .

لقد قرأنا هذا الكتاب حين ظهر فى أكتوبر سنة ١٩٦٣ ، ثم أعدنا قراءته كلمة كلمة حين كلفنا الكتابة عنه منذ أيام فرأيناه كمعظم كتب « التراجم » المختصرة بل المطولة التى شاعت بيننا اليوم مئات بعد مئات وحظها من «الترجمة» قليل . ولكن هذا الكتاب انفـرد بأعاجيب فى تصديره والبابين الأول والسادس منه تفوق كل توقع ، واذا ضـم بعضها الى بعض تولدت منها أعاجيب جديدة تفوق كل سابقاتها منفردة .

ونعرض هنا تصدير الكتاب وأبوابه الستة بكل فصولها ، وحسبنا خلال العرض وبعده أن نجيب على بعض هذه الأسئلة التى أثرناها ، وبعض هذه الأعاجيب لا كلها لضيق المقـام . فدكتورنا يقص علينا فى تصدير كتابه قصة جهاده الطويل الجبار فى موضوعه ابن قتيبة ، وخلاصتهـا أنه عندما كان طالبا قـرأ فى « البيان والتبيين » للجاحظ و « الكامل » للمبرد ، ثم قرأ فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، فظهر له فضل هذا الكتاب على سابقيه ، وفضل صاحبه على الجاحظ والمبرد ، فأعجب به ، ثم عرف من سمو أخلاق ابن قتيبة ودفاعه عن الاســلام والعـروبة ما زاده اعجـابا به وحبـا له حتى « الشغف الشـديد » به كما قال ، وهـذا الشغف حفزه الى قراءة كل ما كتب عن ابن قتيبة ، فلم يجد غير رسالة بالانجليزية للدكتور اسحاق موسى الحسينى نال بها الدكتورية من لندن ، وقد عدد دكتورنا ـ على عهـدته ـ من معـايب الرســالة ما أقنعه بتفاهتها وعـدم جدواها فى انصاف محبوبه ابن قتيبة واظهار فضلـه ، فعكف « سبع سنين دأبا » على تأليف رسالة جامعية عن صاحبه نال بها الدكتورية من كلية الآداب سنة ١٩٥٤ ، وقد اعتمد فى تأليفها على مصادر شتى فى مقدمتها كتب ابن قتيبـة التى أفلتت من يد الضياع ، ثم قال « وجل هـذه الكتب مطبوع ، ولكنى ما كنت أكتفى بالنسخ المطبوعة فكنت أرجع الى النسخ المخطوطة حتى لا تفوتنى شاردة أغفلها الطابعون والناشرون » .

وبلغ من شغفه الشديد بصاحبه وامانته فى دراسته انه قرأ يوما فى فهرس مستشرق فرنسى ما يدل على أن لابن قتيبة كتابا فى النحو باحدى مكتبات باريس ، قال « فأخذتنى غمرة من الفرح، فشددت الرحال الى فرنسا صـيف ١٩٥٠ » وهناك وجد أن الكتاب ليس لابن قتيبة ، ثم أشار الى دراستين ظهرتا بعد رسالته : احداهما أصدرتها دار المعـارف ولم يذكر مؤلفهـا ، ونستأذنه فنقول ان مؤلفها هو زميله الدكتور محمد زغلول سلام ، والدراسة الثانية فى مقدمة «أدب الكاتب» الذى ذكر دكتورنا أن محققه الدكتور ثروت عكاشة .

وعقب دكتورنا بما يدل على ايمانه بعظمة نفسه هو وعظمة رسالته واستهانته بكل دراسة غيرها ، وذلك بلهجة نخطئها عند أكبر الجهابذة عبقرية ورسوخا فيما نبغوا فيـه ، اذ قال : « وانى أقرر ـ فى غير تحفظ أو احتياط ـ اصرارى على كل ما جاء بهذه الرسالة من آراء وأحكام ، لأنى لم أصدرها الا بعد دراسة مستأنية وتمحيص دقيق كفلالى الرشد والسداد ، ثم أشار الى ان المؤسسة المصرية طلبت منه مشكورة وضع

كتاب عن ابن قتيبة فى سلسلتها « أعلام العرب » قال « فهرعت (كذا) الى الرسالة ، انشد فيها بغيتى ، بيد أنى الفيتها بحثا جامعيا عميقا ، قد يجد القارىء العام شيئا من العسر فى فهمه وادراكه ، فتناولتها بالتغيير والتبديل والحذف، بحيث توائم مستوى هذا القارىء ، فيجد فيها زادا سائغا ممتعا » .

ثم ختم التصدير بما يكشف غرضه من كتابه ـ وهو كأبعد غرض تبلغه ترجمة لأعظم المترجمين ـ فقال « وارجو ان اكون قد وفقت فى تقديم صورة مجلوة للرجل تكشف عن غزارة عمله واسرار عبقريته ، وبالغ أثره فى العلم والدين والأدب جميعا » .

هذه هى الفرص الضخمة التى اتيحت لدكتورنا فى جهاده مع صاحبه ومحبوبه ابن قتيبة ، ثم المشقات التى عاناها فى دراسته وجهوده فى التغلب عليها ، وكل ذلك دليل على ما وراءه من شمائل دكتورنا : كثقته بنفسه وشغفه الشديد بابن قتيبة موضوعه ، واخلاصه فى بحثه وصبره فى دأب على محنته ، وهى خصال جديرة بالاكبار والاعجاب لذاتها ، فاعتقادنا انه لا أمل لمحب فى الوصول الى محبوبه بدون هذه الخصال سواء أكان موضوع حبه انسانا أو دراسة أو تجارة أو صناعة . . . الا ان يقضى الله بالوصول دون سعى المحب .

كما اننا نعتقد انه لا أمل فى ترجمة انسان بل فهمه الا بمعاطفته ، فالمعاطفة أكبر عون على الفهم والحكم ما لم تزع العقل أو الضمير ـ وقد كان من حظ دكتورنا من هذه المعاطفة والجهد كبيرا ، وان كانت معرفته وجهده فوق توفيقه .

والآن نعرض أبواب الكتاب بعد ان عرفنا قصة استخلاصه من رسالة جامعية استبعد ما فيها من عمق ، اشفاقا على القارىء العام ، وسنعرف من عرض ابواب الكتاب مقدار ما أوفى دكتورنا من وعوده الكثيرة الضخمة التى ساقها فى التصدير ، عقب ان طار بنفسه وبرسالته وكتابه الى ذروة تتعب أعناق ناظريه .

ابواب الكتاب ستة ، تجرى على المنهج الجامعى المأثور : مقدمة فى عصر المترجم ثم أقسام توضح حياته وجوانب نشاطه ـ لكل جانب قسم منها ، ولكن للدكتور فى هذا التقسيم تجديدات عجيبة سنشير اليها حين نشير الى بعض عجائب الكتاب ، وان كان الكتاب فى منهجه وعلاج المؤلف لموضوعاته كأكثر كتب التراجم عندنا اليوم فى قلة غنائها من حيث هى تراجم ، وهو مثلها قريب من « الأدلة » التى تصدرها « ادارت السياحة » أو « دور النشر » مع اسهاب مفرط .

والباب الأول مقدمة للبحث وموضوعه « عصر ابن قتيبة » وهكذا عنونا ، وهو المنتظر منه ، ولكن دكتورنا يفاجئنا فى هذا الباب التالى للتصدير بعدة عجائب ، فالباب يحتوى تمهيدا ثم ثلاثة فصول أولها فى الحالة السياسية لعصر ابن قتيبة والثانى فى الحالة الاجتماعية والثالث فى الحالة العلمية والعقلية .

وقد عاش ابن قتيبة فى القرن الهجرى الثالث اذ ولد سنة ٢١٣ هـ ، وعاش قرابة ستين عاما. واذن ما موضوع التمهيد الذى كاد يستغرق نصف الباب ؟ موضوعه العجيب هو العصر السابق لعصر ابن قتيبة وهو يشمل القرن الهجرى الثانى ولا سيما الفترة التى تبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ، ثم يمتد هذا العصر الى نهاية حكم الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وهذا عصر نفوذ ملوك العباسيين ، فما حاجة موضوعنا الى البحث المستفيض فى العصر السابق لابن قتيبة ثم تناول هذا العصر السابق من جميع نواحية السياسية والاجتماعية والعلمية فى التمهيد الذى استغرق أربعا وثلاثين صفحة ، وكان يعدل فى طوله الفصول الثلاثة فى عصر ابن قتيبة ؟ ما حاجة الموضوع لذلك ولم يكن الرجل قد ولد ؟ ثم ما حاجة القارىء المتخصص الى هذه الفصول فضلا عن القارىء العام الذى قصده الدكتور بكتابه حين استخلصه له من رسالته الجامعية أشفاقا عليه مما فيها من عمق جامعى ؟ يجيبنا الدكتور فى أول التمهيد بأن الدافع الى هذه الاضافة أن عصر ابن قتيبة لا يفهم بغير تناول



العصر السابق له ، ثم الاستفاضة فيه من جميع نواحيه ، وهذه هى العلة او التعلة التى يذكرها الدكتور ! ولو أطرد قياسه لوجب ان يعود الى كل العصور السابقة حتى ظهور ابينا آدم وامنا حواء فى الجنة ثم نزولهما الى الأرض، لأن اى عصر هو وليد كل العصور التى سبقته وليس وليد العصر السابق مباشرة له .

أفلم يكن تلخيص صلات العصر السابق لعصر ابن قتيبة مغنيا عن الافاضة ؟ نعم ، وقد عاد الدكتور فى الفصول الثلاثة عن عصر ابن قتيبة ، فلخص ذلك بعد ان فصله فى التمهيد ، فما الحاجة الى هذا التكرار ؟ انقول ان المؤلف لم يكن قابضا على أزمة موضوعه ؟ أم نقول انه تعب فى جمع معلومات كثيرة عز عليه ان يكتفى منها بحاجته ، فحشرها كلها فى رسالته ثم عز عليه ان يتخلص منها جميعا حين اختصر من الرسالة كتابه فاودعه كثيرا منها وان كان الموضوع غير محتاج اليها ! وكان كمن يطبخ طعاما اكثر مما يشبعه ، فلما شبع منه عز عليه ان يخسره فابتلعه كله دون مبالاة بارهاق نفسه واقلاق محبيه ، او كما يقول فلاحونا « وجع البطن خير من رمى الطبيخ » ــ لقد كان الأولى بالدكتور ان يكتفى فى موضوعه بالشبع ولو القى بقية الطبخة وفضولها الى التراب ، وعذره هنا بخاصة انه يكتب للقارىء العام الذى لابد أن يحس بما غصه به الدكتور حتى أرهق عقله ، وان كان العقل بحمد الله أشد مرونة ، واحتمالا من المعدة . وهذا العيب يطرد فى كل فصل من فصول الكتاب ، وكله مما يغص ويتخم القارىء المتخصص فضلا عن القارىء العام . وهذه الزوائد هى ما ظنه دكتورنا عمقا جامعيا ، فتفضل برحمة القارىء العام من اقله ورزاه اكثره ، ولكن ما ابعد الفرق بين عمق البحث وحشد الفضول والتشقيقات والخبط فى المتاهات لغير غرض غير حب الرياضة فى السير ثم اظهارا لدليل تعالمه على مصاحبيه.

وننتقل الى الفصول الثلاثة الباقية وهى فى عصر ابن قتيبة ، فنفاجأ بطامة اعجب واكبر، فابن قتيبة كان معاصرا لابن الرومى ، ومواطنا له بعض المواطنة ، فانتهز الدكتور هذه الفرصة وأغار على مقدمة كتاب « ابن الرومى » للعقاد وموضوعها عصر ابن الرومى فنقلها الى كتابه فى هذه الفصول التى موضوعها عصر ابن قتيبة، حتى عناوين الفصول اخذها الى جانب محتوياتها ، ماعدا زيادات تافهة تشتت وحدة الموضوع ولا تزيده الا اضطرابا ، وقد بلغ من سذاجة هذه الفارة انها تتبعت مقدمة العقاد فكرة فكرة ورايا رايا وجملة جملة ، والدكتور يكتفى فى غارته بالتمويه الساذج اما بالتخليص لأقوال العقاد أو تغيير مواضع عباراتها ، وأحيانا يضع مرادفات لكلماته كلمة كلمة اذا اسعفته المترادفات كما يفهم هو ، وكثيرا ما ينقل نص كلمات العقاد حين يعزه المرادف ، وما اكثر ما عزه .

نعم ان الدكتور اشار الى انه اعتمد فى هذه الفصول على مصادر شتى منها كتاب « ابن الرومى » للعقاد ، ولكن الاستنارة بمصدر شىء يختلف عند الفاهمين عن اخذه اخذا لما ، مع متابعته جزءا فجزءا وجملة جملة ، وكلمة كلمة، ومن العجائب ان الدكتور لا ينقل نصا عن غير العقاد حتى يشير الى مصدره ، ويكتفى بأن يذكر مرة واحدة كتاب العقاد فى هامش اول صفحة فى الفصل الأول مع انه ينقل عنه فى كل صفحة ، كما ان من العجائب ان العقاد حين يتصرف فى نقل نص عن « ادب الكاتب » لابن قتيبة يتابعه الدكتور فى اخذه كما تصرف فيه العقاد ولا يرجع الى ادب الكاتب مباشرة ، مع ان موضوع الكتاب هو ابن قتيبة ، فهل كان الدكتور جادا حين اشار فى تصدير كتابه الى انه لم يكن يكتفى فى مراجعة كتب ابن قتيبة بنسخها المطبوعة بل يرجع الى مخطوطاتها « حتى لا تفوته شاردة اغفلها الطابعون أو الناشرون » ؟ لقد رجعنا الى نسختين فى مكتبتنا من « أدب الكاتب » : احداهما صدرت قبل كتاب العقاد والأخرى بعده ، فوجدنا العقاد يتصرف فى نقله عنه ، ثم يأتى الدكتور فلا يفطن الى هذا التصرف فينقل عن العقاد وحده ، وحتى بعض الأخطاء المطبعية فى كتاب العقاد ينقلها دكتورنا كما هى الى كتابه .

ومن اعاجيب الدكتور فى السخرية بنا ، او بالقارىء العام « المسكين » انه يطل فى معظم صفحاته ليذكرنا بنفسه ، فيقول مثلا «وارى»

أو « ورابى » أو « وارجح » أو « واعتقــد » ونعود الى كتاب العقاد فاذا كل ذلك آراء العقاد وترجيحاته ومعتقداته ، ومن سخرياته انه ينقل عن العقاد ثم يشير الى مصادر أخرى فى الهامش لما نقله ، وليس فى هذه النقول غير ماقى كتــاب العقاد .

اما الباب الثانى فموضوعه « ســيرة ابن قتيبة » وفيه ثلاثة فصول : أولهــا فى مولد ابن قتيبة وحياته وثانيها فى خلقــه ، وثالثها فى صلته بكبار رجال الدولة ، ورابعها فى شيوخه، والعجيب اننا لا نظفر فى أى فصل منها الا بأخبار مسرودة وتعليقات سطحية عليها ، دون فحص ولا ربط ولا استنباط يكشف شخصية ابن قتيبة وصلاته بأحداث عصره ورجاله ، ولا شــك أن الأخبار والأعمال والأقوال عون على الترجمــة بل هى مادتها الوحيدة ولكنهما بعد ذلك شيئان مختلفان كما يختلف البنيان فى هندسة معينــة لاداء اغراض معينة عن المواد التى بنى منهــا .

والأخبار وتعليقاتها هنا ليس لها «نظم هادف» بل تتوالى بحكم التداعى المطلق احيـــانا ، أو لمشابهات وهمية أو سطحيــة ، وهى دائمــا متفككة ، وليس المهم هنا ذكر أخبـــار ما لقى ابن قتيبة ومن لقى ، بل لابد من بيان التفاعل بينه وبين ذلك مع ربط ذلك بشخصيته لفهم ما أخذ وما أعطى ، وما ترك مع تفســير ذلك بشخصيته وتفسيرها به .

أما الباب الثالث فموضوعه آثار ابن قتيبة وفيه فصلان أحدهما فى ابن قتيبة المؤلف ، وثانيهما فى كتبه ، وفى الفصل الأول عرض ساذج مفكك لما قاله القدماء فى الموضوعات التى الف فيها ابن قتيبة ، وفضل الدكتور فى الباب الثانى أنه عرض كتب ابن قتيبة مرتبــة على حسب تاريخ تأليفهــا كمــا ظهر له ذلك من البحث خلالها ، ولكنــه لم يبين محتوياتها مرتبطــة بدلائلها على مقدرة صاحبها التأليفيــة وملكاته ومشاغل قلبه وذهنه مع أن الرجــل وجوانب نبوغه هى موضوع الكتاب ، وأما كتبه وغيرها مما يتصل به فهى وسائل للتعريف بشخصه ، ولهذا جاء الفصل الثانى أشبه بما يدونه امنــاء المكتبات العامة فى فهارسهــا للتعريف بالكتب ومحتوياتها ونسخها المطبوعة والمخطوطة وأماكنها وارقامها هناك ، وأسماء مؤلفيها وطابعيهــا ومحققيها والمعلقين عليها بالشرح أو الاختصار او التكملة .

والباب الرابع موضوعه ثقافة ابن قتيبــة وفيه ستة فصول : أولها تمثيل ابن قتيبـــة لثقافة عصره ، وثانيها فى موقفه من اهل الراى (وهم الفقهاء الذين كانوا يعولون فى الأحــكام الشرعية على الراى او العقل اكثر من اعتمادهم على الحديث لارتيابهم فى كثير منه ، وكان يقابلهم أهل الحديث وهم الفقهاء الذين كانوا يعولون فى الأحكام الشرعية على الحديث ثقــة برواته) والفصل الثالث فى موقف ابن قتيبة من اهــل الكلام (وأهم من عنى بهم الدكتور هنــا اهــل الاعتزال ، وقد اكتفى باشارات مبتسرة فجــة الى غيرهم من الفـــرق كالروافض والمشبهــة والجهيمة ، مع أن لابن قتيبة كتابا خاصــا فى الرد على الفرقتين الأخيرتين . وموضوع الفصل الرابع موقف ابن قتيبة من مشــكلة « خلق القرآن » مع أن هذه المقــالة لبعض المعتزلة ، وهو قد تعرض لآرائهم فى الفصل الســابق ، وذكر فيه ما يعد تاريخا لحركة المعتزلة كلهــا منذ نشأت قبل عصر ابن قتيبة وخلال عصره ، ولا حاجة هنا لهذا ولا ذاك كله لأن الموضوع هو ابن قتيبة ، ولكنها الرغبة فى الاطالة بالتشقيق والاستطراد على طريقة تداعى المعانى المطلق ، وأما الفصل الرابع فموضوعه مذهب ابن قتيبة (ويقصد به الدكتور مذهبه الفقهى فى الشريعة ومذهبه الكلامى فى العقيدة) ، ونخرج من هذا الفصل الطويل فلا نعرف : امجتهدا كان الرجل فى الشريعة أم مقلدا لمذهب معين أم مختارا بين المذاهب والآراء الشرعية ؟ كمــا لا نعرف من مذهبه الكلامى الا انه كان من اهل الحديث ، ولكن ما مذهب أهل الحديث بالتحديد يومئذ؟ وماذا أخذ الرجل أو ترك منه أو زاد فيــه ؟



ولماذا ؟ وما دلالته على طاقته الذهنية واسلوب تفكيره ؟ كل هذا لا جواب عليه ، واما الفصل السادس فموضوعه ابن قتيبة المحدث ، وفيه يبين الدكتور ان صاحبه كان على حظ من رواية الحديث وشرح غريبه وتأويل مختلفه مع اشارات الى آرائه فى رجاله والرد على اعدائه ، فأما ما حدود حظه من ذلك وما ميزاته للثقة بالحديث وبرجاله ، ثم ما دلالة ذلك على شخصيته وملكاته ، وما مقامه بين معاصريه من كبار المحدثين — فكل ذلك بلا جواب .

والباب الخامس هو اطول ابواب الكتاب وموضوعه ادب ابن قتيبة ، وفيه ستة فصول عرضها الدكتور باسلوب طلاب المدارس الثانوية فى اقسامها وعلاجها ومصطلحاتها ، فالفصل الأول فى خصائص ادب ابن قتيبة ، والثانى فى ادبه الانشائى ، والثالث فى ادبه الوصفى ، والرابع فيما له من رواية واخبار ، والخامس فى اسلوبه .

والباب السادس والأخير موضوعه «معاصرو ابن قتيبة » ولا صلة لذلك كله بموضوع الكتاب ، ولا فائدة له الا تضخيم حجمه واظهار التعالم به ، وهؤلاء المعاصرون الذين اختارهم الدكتور ثلاثة : وقد أفرد لكل منهم بابا خاصا به ، دون أن يبين الصلات والفروق بين كل منهم وابن قتيبة بيانا يزيدنا فهما لشخصية ابن قتيبة وملكاته ، ويلاحظ ان الجاحظ على الاقل ليس معاصرا لابن قتيبة بل هو من العصر السابق له ، كما أن السنين دلالة على حدود العصر ، ولكنها ليست هى العصر ، فلا معاصرة بين الرجلين بهذا المعنى أو ذاك .

والكتاب الى هذا يحوى من الأخطاء عشرات وعشرات وعشرات ، وكثير منها يهز الكتاب من قواعده ، ويأتى على ارسخها ، ولا يتسع المقام لسردها فنكتفى منها بمثل واحد . فقد فرض الدكتور فى أول صحفة من التصدير أن ابن قتيبة كان متضلعا من اللغة الفارسية ، وما زال هذا الفرض المحض يقوى عنده كلما تابع كتابته ، وقد اخذ به فى كل ابواب الكتاب ، متخذا اياه اساسا عريضا من اكبر اسسه فى تقدير صاحبه والكشف به عن أسرار حياته وثقافته وتواليفه ، ولم يعتمد فى ذلك على دليل نقلى ، ولا دليل عقلى حاسم أو راجح — كما ينبغى فى مثل هذه الأحوال — حتى يحتمل فرضه الصرح الباذخ الذى اقيم عليه ، وكل ما ذكره الدكتور ان اجداد الرجل — لا ابواه مباشرة — من الفرس ، وهذا صحيح ، وان الرجل ذكر فى تواليفه كلمات فارسية وفسرها ، وهذا صحيح أيضا ، ولكن لا هذا ولا ذاك يثبتان أن الرجل كان له أدنى المام بالفارسية فضلا عن التضلع فيها وفى كتبها وآدابها كما ادعى له ، وما على الدكتور الا أن ينزل الى أى شارع ويلقى أى خادم أمى احتك بضعة شهور ببيت يتكلم أهله لغة أجنبية ولو فى غير بلدهم ، ليرى أن هذا الخادم الأمى يعرف من كلمات هذه اللغة وجملها ودلالتها أضعاف ما ذكر هو أن ابن قتيبة كان يعرفه ويفسره من الفارسية ، وبنى على ذلك أن الرجل كان على علم واف بها وبمؤلفاتها وآدابها .

هذا الى أن الكتاب متخم بما لا صلة له بابن قتيبة ، فلو نفض من فضوله لما بقى منه غير خمسه ، ولو اقتصر من الخمس على ما تحتاج اليه الترجمة البصيرة لكفى نصف هذا الخمس ، ولكنه بهذا الخمس وحده يمكن أن يعد من « الأدلة » مع التساهل والاغضاء الكثير ، ولهذا كان أجدر به أن يسمى «دليل ابن قتيبة وموضوعات حوله » أو نحو هذه الزيادة ، لان الكتاب مفيد للقارىء المتخصص والعام فى ابن قتيبة وموضوعات حوله واذا عرفنا للدكتور وكتابه هذا الفضل الى جانب اخلاصه وجهده « سبع سنين دارئا » واكثر دراسة موضوعه فقد وفيناه كل حقه من الانصاف والتقدير ، وقابلنا فضله هذا بما يستحق من شكر على جهوده الميمونة .

ونقول أخيرا : ان ترجمة ابن قتيبة فى حاجة الى كاتب فالى فرصة أخرى .

محمد خليفة التونسى

التجارة الدولية



تأليف : الدكتور سعيد النجار
الناشر : دار النهضة المصرية
طبعة ثانية ٤١٥ صفحة ١٧×٢٤ سم

ما من شك اننا نوافق الدكتور **سعيد النجار** اذ يقول في مقدمة كتابه « **التجارة الدولية** » ان هذا العمل العلمي هو « محاولة الجمع بين بساطة العرض التي تتجلى في كتب البداية ، ودقة التحليل الذي تميز كتب النهاية » . ان النظرة الشائعة في بعض الأوساط هي أن الكتب الجامعية وبخاصة في الموضوعات المتصلة بالنظرية الاقتصادية ، قد تدق على ذهن القارىء العادى بسبب طابعها الأكاديمي الذى لابد منه . والكتاب الذى نعرضه هنا يلتزم المنهج العلمي تماما ، ولكن برغم هذا وبرغم ما يتضمن من معادلات وجداول وارقام ، فان هذا كله يقدم في عبارة واضحة كل الوضوح ، بل ان الأمثلة التي يضربها مستمدة من واقع الحياة المصرية في الغالب ، ومن هنا نراه كتابا لا يلقى على القارىء عنتا في غير مبرر ، وهى ميزة لها قدرها . والناحية الأخرى التي تلفت النظر في كتاب « **التجارة الدولية** » انه لا يقف عند حد « التجريد » وانما يربط بين عالم النظرية وعالم الواقع ، ومن هنا أيضا تبدو أهميته من وجهة نظر المشتغلين بالسياسات الاقتصادية بوجه عام، مما سوف نشير اليه في الموضع المناسب .

يبدأ المؤلف حديثه أنه بالرغم من قدم التجارة الا انها تأثرت في العصور الحديثة بعوامل رئيسية ثلاثة هي اكتشاف الدنيا الجديدة وظهور القومية الحديثة وقيام الثورة الصناعية ، مما ترتب عليه ان أصبح العالم متشابكا وصارت الشعوب يعتمد بعضها على بعض في اشباع جزء كبير من حاجياتها . وكان طبيعيا أن تمر السياسة التجارية بتطورات معينة ، فخلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر سيطر التجاريون Mercantilists ؟ من دعادة أخضاع التجارة الدوليةلقيود معينة ، ولكن يفضل دافيد هيوم في انجلترا والطبيعيين (الفزيوكرات) بفرنسا ، ما لبثت حرية التجارة أن أصبحت القاعدة أو من « مقدسات النظرية التقليدية » على حد تعبير المؤلف . ولكن بدأت الثغرات في حصن حرية التجارة وكان البادى فون ليست الالماني ، واخذت ظاهرة تقييد التجارة تنتشر لسببأو لآخر وبخاصة بعد الأزمة العالمية الكبرى في أواخر العشرينات من القرن الحالي .

واذ يبين لنا المؤلف دور التجارة الدولية من حيث تحقيق الرفاهة الاقتصادية واستغلال الموارد ، يتناول ناحية يسيء الكثيرون فهمها ، ونقصد بها عبارة **«الاكتفاء الذاتي»** ، فيقول انه اذا كان الغرض منها الاستغناء عن الغير فان هذا هدف مستحيل ، كما انه ينطوى على خسارة اقتصادية اذ يتجاهل المزايا المترتبة على تقسيم العمل بين البلاد ؛ واذا عمدت اليه البلاد الأخرى اضر بالتجارة الدولية وقلل من حجمها . ولكن هناك معانى أخرى للاكتفاء الذاتيكأن يكون الغرض منه الاعتماد على انتاج سلع ذات اهمية

استراتيجية ، أو تقليل الاعتماد على الخارج فى المواد الغذائية ، أو تقليل الاعتماد على السلع الصناعية الاستهلاكية وهذا الأمر الأخير معناه التصنيع . وحتى الاكتفاء الجزئى ينبغى أن يكون قائما على الاعتبارات الاقتصادية السليمة ، كما يتضح من سياق الحديث فى الكتاب بجملته .



والسؤال الذى يقفز الى الذهن هو : لماذا تقوم التجارة بين بلدين مثلا ؟ الجواب السهل انها تقوم حين يكون هناك فرق بين ثمن السلعة فى بلد التصدير وثمنها فى بلد الاستيراد ؛ ولكن هذا يتطلب ايضا أن يكون الفرق أكبر من نفقة نقل السلعة . غير ان فروق الأثمان ما هى الا مظهر لفروق اكثر عمقا ، بمعنى أن العبرة أساسا هى بالميزة النسبية او النفقة النسبية ، ولذلك مثلا من صالح مصر أن تترك انتاج القمح وتتخصص فى انتاج سلعة اخرى تملك فيها هذه الميزة النسبية . **وهناك من يفترضون على استيراد سلع معينة ويطالبون بانتاجها محليا ، وهذا ما يعتبره المؤلف وهما يجب تبديده لان الواردات نوع من الانتاج غير المباشر . لنفرض أن الفدان فى مصر باستخدام ثلاثة عمال ينتج ٥ قناطير من القطن أو ٧ ارادب من القمح . ولكن مصلحتها ان تصدر ٥ قناطير قطن وتحصل مقابلها على ١٥ اردب قمح (من بلد له فى هذه الناحية خبرة) ففى هذه الحالة كأنها استطاعت أن تجعل الفدان ينتج ١٥ اردبا من القمح .**

وهنا ملاحظة لها أهميتها بصدد نظرية النفقات النسبية وهى أنه اذا صحت فلابد من التسليم بمبدأ حرية التجارة . غير أن هناك اعتبارات تقيد من نطاق نظرية النفقات النسبية (وبالتالى حرية التجارة) فهى تفترض كمية معينة من الموارد ، وتنظر الى التوزيع الأمثل للموارد من وجهة نظر البلاد المتجرة جميعا ، وتفترض سهولة تنقل عناصر الانتاج فى داخل كل بلد ، كما تفترض اخيرا التشغيل الكامل والمنافسة الكاملة .

واضح اذن أن التجارة بين بلدين أحدهما يصدر السلعة التى له فيها خبرة نسبية ويستورد السلعة التى لا يملك فيها مثل هذه الميزة ، تعود بالنفع على كليهما ، ولكن مقدار النفع يتوقف على معدل التبادل الدولى . وعندما يناقش المؤلف هذا الموضوع يعرض لناحية لها أهميتها اليوم حيث تطالب الدول *النامية بتثبيت أثمان المواد الأولية* مما تتخصص فى انتاجه . هذه البلاد تتكون صادراتها أساسا من السلع الزراعية والمواد الأولية ، كما أن الطلب عليها قليل المرونة ، ولذلك ففى فترات الانكماش تنخفض أثمانها بنسبة أكبر من الانخفاض فى أثمان السلع الصناعية، لأن انكماش الطلب عليها يترجم مباشرة الى انخفاض فى الأثمان دون أن تتأثر الكمية المعروضة تأثيرا كبيرا . غير أن المؤلف يتحدث عن الظاهرة وآثارها فى فترات الكساد او الأزمات **وكنا نود ان يعالج موضوع العلاقة بين طائفتى الدول النامية والغنية على ضوء نظريته فى التقلبات التى تطرأ على أثمان منتجات الطائفة الأولى من الدول ، بحيث يدلى برأى فى السياسة التى ينبغى اتباعها وكيفية تنفيذها وامكانية ذلك ، خاصة بعد أن كثر الحديث عنها خارجا عن حالات الرواج أو الانكماش الدورية .**



لكن ما المقصود بالميزات النسبية ؟ يمكن تفسيرها بعاملين أساسيين أحدهما امكانيات البلاد من الموارد الطبيعية ، رءوس الأموال ، والخبرة الفنية ، القدرات التنظيمية . وثانيهما احتياجات السلع الى عناصر الانتاج المختلفة ؛ فواحدة تتطلب بيئة طبيعية خاصة ، وثانية تحتاج الى كميات كبيرة من رءوس الأموال وكميات قليلة من العمل ، وثالثة تعتمد بصفة

أساسية على وجود نوع خاص من العمل الفنى (صناعة الساعات فى سويسرا) . ولنضرب مثلا من سلع لا تستند بصفة أساسية الى توافر امكانيات طبيعية خاصة ، ومن ذلك تمتع الولايات المتحدة او انجلترا او المانيا بميزة نسبية فى صناعات السيارات والقطارات ومنتجات الحديد والصلب . أن انتاج هذه السلع يتطلب كميات ضخمة من رءوس الأموال كما يتطلب قدرة خاصة على التنظيم حيث انها من السلع التى تستفيد بمزايا الانتاج الكبير ؛ فلا يمكن انتاجها بنفقة متخصصة الا اذا كان حجم المشروع من الضخامة بحيث يسمح بأكبر مجال لتقسيم العمل واستخدام الآلات ذوات الطاقة الانتاجية الكبيرة .

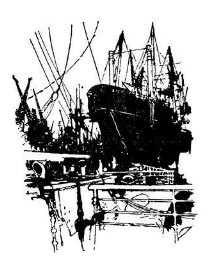
ويخصص المؤلف الفصل السادس من كتابه لما دعاه « اقتصاديات الموقع » باعتبار الموقع من القوى التى تحكم التخصص الدولى ، وهذا يسوقه الى مناقشة نقطة لها أهميتها بالنسبة الى البلاد النامية وهى بصدد الأخذ بسياسة التصنيع .

هناك من يرى اختيار الصناعات التى تعتمد على مادة أولية موجودة فى البلد ، بينما يقرر البعض الآخر ان الصناعات تدور وجودا وعدما مع الفحم والحديد . لعل أول ما يلاحظ ان هناك عددا من السلع الصناعية تحتل فيها المادة الأولية نسبة تافهة من القيمة النهائية ، وسواء أكانت المادة الأولية موجودة فى البلد أو فى بلد بعيد فان ذلك لا يؤثر فى تقرير الميزة النسبية لأن هذه الأخيرة تتوقف على الوفرة أو الندرة النسبية لعناصر الانتاج . اما اذا كانت السلعة تتطلب كميات كبيرة من المادة الأولية فان الميزة الناجمة من وجود المادة الأولية محليا تتوقف على طبيعة العملية الانتاجية ، فاذا كانت المادة تفقد وزنها أثناء العملية الانتاجية فقد يكون هذا كافيا لتقرير ميزة نسبية حاسمة على البلاد التى لا تتوافر فيها المادة ، اما اذا كانت من النوع الذى يحتفظ بوزنه أثناء العملية الانتاجية فوجود المادة محليا فى بلد لا يعتبر قاطعا فى تقرير ميزة نسبية له . وفى حالة السلع التى تتطلب كميات كبيرة من مادة أولية يزيد وزنها أو حجمها أثناء العملية الانتاجية فان العبرة فى توطن الصناعة هى بموقع السوق لا بموقع المادة الأولية . وفى حالة الحديد أيضا فان وجوده يعطى ميزة نسبية فى مرحلة واحدة فقط هى مرحلة انتاج الحديد الخام ، أما فى المراحل التالية مثل الصلب أو المنتجات الحديدية والصلبية ، فان الميزة النسبية ترجع الى الوفرة او الندرة النسبية لعناصر الانتاج الأصلية .

ويعرف المؤلف ميزان المدفوعات بأنه بيان المعاملات التى تتم بين بلد والعالم الخارجى خلال مدة سنة ، وفى هذه المعاملات تجب التفرقة بين طوائف ثلاث : التجارة المتطورة (صادرات وواردات السلع) ، التجارة غير المتطورة (صادرات وواردات الخدمات) ، التحويلات الرأسمالية بما فى ذلك انتقال الذهب (تصدير أو استيراد رءوس الأموال) . ولا يمكن تعريف التوازن فى ميزان المدفوعات بالرجوع الى كل عناصره ، وانما بالرجوع الى بعض العناصر دون البعض الآخر ، فمن الممكن تعريفه بالرجوع الى المعاملات المستقلة ، أو تعريفه بالرجوع الى المعاملات الجارية فقط ، والمسألة تتوقف على ظروف البلد والى أى حد يمكن التعويل على التحويلات الرأسمالية



المستقلة . وايا كانت طريقة الرجوع فانه يشترط الا يكون التوازن قد تحقق عن طريق الرقابة المباشرة على التجارة الخارجية أو عن طريق اتباع سياسة داخلية انكماشية ، أو عن طريق تخفيض مستمر فى قيمة العملة الوطنية.



الا أننا كنا نتوقع من المؤلف الا يقف عند هذا الحد وانما يتناول ما يحدث أو ما ينبغى أن يحدث فى البلاد النامية من جهة ، وفى البلاد الاشتراكية بنوع خاص . فالدولة حين تشرف على التجارة الخارجية مثلا لا تفعل هذا كوسيلة لتحقيق التوازن فى ميزان المدفوعات فحسب ، وانما هى تطبق فلسفة اقتصادية واجتماعية من جهة ، كما أن هذه الرقابة — أيا كانت صورتها — ذات ارتباط وثيق بعملية التنمية ؛ وانا لنرجو أن يتناول المؤلف هذه الناحية الهامة فى طبعة قادمة .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى معالجةموضوع « التعريفة الجمركية » بوصفها من أقدم القيود على التجارة الخارجية وأكثرها شيوعا . وكان طبيعيا ان يعرض لفكرة الحماية الجمركية بالنسبة الى الصناعة الوليدة أو الناشئة ، ومن رأيه **أن الحماية هنا حماية تمنح لبعض السلع الصناعية حيث لا يتمتع البلد بميزة نسبية فيها ، وثانيا أنها حماية مؤقتة ، فالمفروض أن التخلف النسبى يرجع الى أسباب عرضية يمكن أن تزول خلال فترة الحماية ، وهو ما يستفاد من وصف الصناعة بانها وليدة . فالوليد ينمو بعد مدة معينة ، ولا يمكن أن يبقى وليدا الى الأبد .** هذا القيد الأخير يلقى ضوءا على صعوبات فى مجال التطبيق ، فقد تستمرىء صناعة ما الحماية ولا تعمل على رفع مستوى كفاءتها الانتاجية ، وقلما تستطيع الدولة فى هذه الحالة سحب الحماية منها والا عرضت عمالا ورءوس أموال للبطالة ، ولذلك يتعين الحذر فى منح الحرية الجمركية ابتداء ، فلا تعطى الا حيثما تتوافر أسباب قوية تدعو السلطات الى الاعتقاد بأن تخلف الصناعة يرجع الى اعتبارات مؤقتة لا تلبث أن تزول .

وأحسن المؤلف بيان المزايا الناجمة عن ازالة الحواجز الجمركية بين بلدين (مصر وسوريا مثلا) . غير أن ازالتها مع بقاء النظام الجمركى لكل منهما مع العالم الخارجى ، معناه انشاء ما يدعى « النطاق الجمركى » وهذا لا يمكن أن يدوم مدة طويلة ومن ثم فانه يتحول فى النهاية الى « اتحاد جمركى » تتلاشى فيه الحواجز الجمركية بين البلدين مع توحيد النظام الجمركى مع العالم الخارجى . ويختلف الاتحاد الجمركى عن الوحدة الاقتصادية فى أن الأول يعنى حرية تبادل السلع ، أما الوحدة فهى تعنى — فوق ذلك — حرية انتقال عناصر الانتاج . وفى ظل الوحدة الاقتصادية يصل البلدان الى ناتج اكبر مما يستطيعان الوصول اليه فى ظل الاتحاد الجمركى . وعلى كل فان حرية تبادل السلع ، أو حرية انتقال عناصر الانتاج ، تتطلب قدرا من التنسيق النقدى . **وفى اعتقادنا ان هذا الجزء (ص ٣٠٢ — ٣١٣) جدير بالتمعن العميق من جانب المعنيين بشئون الوحدة الاقتصادية أو السوق المشتركة أو التنسيق الاقتصادى ، فى المجال العربى ، اذ فيه نظرات نفاذة وتوجيهات ومقترحات عملية واضحة .**

ويفرد المؤلف الفصل الحادى عشر لموضوع « الرقابة المباشرة على التجارة الدولية » ، ويقصد بها تقييد الدولة للكميات التى يطلبها الوطنيون من السلع والخدمات الأجنبية ، أو الكميات التى يطلبها الأجانب من السلع والخدمات الوطنية ؛ وبهذا تختلف عن الرقابة

غير المباشرة حيث يتم التأثير في التجارة الدولية عن طريق التأثير في مستوى الأثمان والدخول . وهناك طرق متعددة للرقابة المباشرة أهمها نظام الحصص والرقابة على الصرف واتجار الدولة. ونظام الحصص نظـــام فعال لتحقيق أغراض معينة مثل التوازن الخارجي أو حماية الانتاج المحلي أو تمكين البـلد من اداة للمساومة ، الا انه قد يحمى المنتج الضعيف على حساب المنتج صاحب الكفاءة العالية . واتجـــار الدولة في الصادرات يرمى عادة الى تنظيم تسويقها بحيث لا يتدهور ثمن الصادرات بسبب زيادة العرض، واتجارها في الواردات يرمى الى حصولها على السلع الأجنبية بأقل ثمن ممكن .

ويقول المؤلف ان البلاد المتخلفـــة تعاني ضآلة في كمية راس المال التي تتعاون مع العمل، ومن ثم تستهدف التنمية الاقتصـــادية زيادة معدل الاستثمار . غير أن هذه الزيادة غير سهلة لانخفاض مـــستوى الادخار الاختيـــاري .. « تستطيع الدولة ــ كما تفعل عادة ــ أن تلجأ الى الادخار الاجباري . ولكن بعد نقطة معينة يؤدي الادخار الاجباري الى انخفاض شديد في مستوى الاستهلاك الجاري ، وتضخم تقلدى قد يهدر برنامج التنميـــة » . ومن ثم كانت رءوس الأموال الأجنبية كبيرة الأهمية من وجهة نظر البلاد المتخلفة كما انها « كبيرة الأهمية من وجهة نظر البلاد المقرضة حيث أن هذه البلاد تعـاني وفرة في المدخرات تجـــاوز امكانيات الاستثمار المحلي » . ويناقش المؤلف الشكوك في رءوس الأموال الأجنبية ، ســواء من ناحيـــة الدول المتخلفة أو اصـــحاب رءوس الأموال .

وفي اعتقادنا ان وضع قواعد تنظيمية لاستخدام الأموال الأجنبية بما يكفل لها قدرا من الضمان، وتوجيهها الى النواحي التي تراها خطط التنمية لازمة ، كفيلين بحسن الاستفادة منها وابعادها عن النزوع الى الســـــيطرة . كـذلك ينبغي لأصحابها أن يقدروا حقيقة مطالب البـــلاد المتخلفة وبخاصـــة بعد زوال عصر التبعيـــة السافرة ، وعلى أساس مثل هذا التقدير يعود النفع على الطرفين .

ويختم المؤلف كتـابه بفصـــل طيب عن « المنظمات الاقتصادية الدولية » ، ويتنـــاول بالبحث والتحليل « صندوق النقـد الدولى » و « البنك الدولي للتعمير والتقدم » . وهـو يأخذ على البنك أن شروطه التي يتطلبهـــا من حيث سعر الفائدة وآجال الوفاء لا تتناسب مع قدرة المدين . وكذلك فالبنك اقرب الى التزمت منه الى التساهل مما ادى الى احجامه عن عقد قروض كثيرة أو احجام بعض البلاد عن قبول شروطه . كما ان بعض البلاد الأعضاء فيصندوق النقد الدولى تتمتع بسلطات واســعة يمكن ان تستخدم لأغراض سياسية .

ان كتاب الدكتور « سعيد النجار » يسد فراغا كبيرا في المكتبة الاقتصادية العربية ، وهو برغم عنوانه ومن اهتمامه بابراز نظرية التجارة الدولية يتطرق من خلال البحث فيهـــا الى معالجة الكثير من المسائل الاقتصادية التطبيقية مما يجعله ذا قيمة كبـــيرة لسياسة التنميـــة الاقتصـــادية بسبب ما يدلى به من آراء تلقى أضواء واضحة على جوانب هي موضع الابهام .

وثمة نقطة أخيرة نود التنويه بها وهى انه اذا كان المؤلف التزم أشـــد الحرص في منهج البحث العلمى فان هـذا الحرص انعكس على الطباعة فزالت من الصفحات الأخطاء المطبعيـــة التي كثيرا ما تفســد كتبا وتشـــوه تعبيرات ومعاني وترهق القارىء .

د . راشد البراوى





قد يثاب الاستعمار رغم أنفه ، فتكون له حسنة تذكر به وان جاءت عن غير قصد منه . وكان الاستعمار الفرنسى فى مقدمة أنواع الاستعمار التى نالها شيء من هذا الثواب غير المقصود ، فقد كان دائما شديد الاهتمام بالدراسات العلمية لجميع الأقطار التى وفد عليها . حقيقة انه كان يشجع هذه الدراسات لخدمة اغراضه ، ولاكتشاف أمثل الطرق للافادة من ثروات البلاد وخيراتها ، ولكنه دون ان يقصد أثرى التراث العلمى فى مختلف الميادين ؛ وذهب الاستعمار وبقيت هذه الدراسات .

لقد جاء نابليون الى مصر والقرن الثامن عشر يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وجاء مع جنوده نفر من خيرة العلماء الفرنسيين المتخصصين فى كل فن ، فلم يكفوا لحظة واحدة عن الدراسة والبحث ، وكانت نتيجة أعمالهم كتاب « وصف مصر » الذى حوى عديدا من الفصول عن جغرافية البلاد واقتصادياتها وحياتها الاجتماعية وخططها وآثارها . وفشلت الحملة الفرنسية أمام مقاومة الشعب المصرى الباسل ورحل الفرنسيون ولم يهنأوا بماء النيل أكثر من ثلاث سنوات ، ولكن بقى كتاب « وصف مصر » تراثا علميا خالدا ، نرجو أن تهتم به الجهات المسئولة فتنشره على الناس كتابا عربيا مبينا ، يقف فيه المواطنون على شيء غير قليل من أحوال بلادهم فى مطالع القرن التاسع عشر .

وكانت الصحراء الكبرى تشكل معظم المنطقة الاستعمارية الفرنسية فى افريقية ، فقد جاءها الاستعمار من الغرب ومن الشمال ومن الجنوب. وفى ٥ اغسطس سنة ١٨٩٠ عقدت فرنسا مع انجلترا اتفاقا اتاح لها الفرصة لتعزز مركزها فى الصحراء ، واعترفت انجلترا بسيطرة فرنسا على الصحراء فى تونس والجزائر من ناحية ، وفى النيجر وحوض بحيرة تشاد من ناحية أخرى، فاطمأن بال فرنسا واخذت جهودها فى السيطرة على الصحراء تتسع ، وتزايد عدد الرواد والمكتشفين من الفرنسيين ، يجوبون الانحاء المختلفة من النطاق الصحراوى الشاسع ، وكان منهم فرناند فورو ، وبرنارد داتانو ، والمركيز دىموريس ، ولامى ، وجولاند ، ومنييهوغيرهم . وفى مارس سنة ١٨٩٩ عقدت انجلترا مع فرنسا اتفاقا آخر يكمل الاتفاق السابق ، وفيه تعترف



تأليف : ريمون فيرون
ترجمة : د. جمال الدين الدناصوري
مراجعة : د. نصري شكري

بالسيادة الفرنسية على الصحراء مقابل اعترافها لانجلترا بمعظم السودان .

والصحراء عند الجغرافيين أرض جرداء ، يقل فيها المطر ولا ينتظم سقوطه مما يضاعف قدرتها الانتاجية فيجعلها غير صالحة لقيام حياة نباتية تكفى لاعالة عدد كبير من السكان . ولا توجد فى الأرض منطقة ينعدم فيها المطر تماما ، غير أن بعض الجهات يشتد فيها الجفاف الذى يقترن بعدد من العوامل الأخرى ككمية الضوء ، ودرجة الحرارة ومداها ، وشكل السطح وتربته ، فتطبع تلك الجهات بطابع يميزها عن غيرها من الأقاليم . ومن ثم فان عامل المطر وان تكن له الصدارة فى تحديد صحراوية الأقاليم فانه ليس العامل الوحيد ؛ ولا تقل طبيعة المطر ونظامه أهمية عن كميته ، ففى بعض الجهات الصحراوية قد تتجاوز كمية المطر السنوى ٥٠٠ مم ولكنها تسقط على شكل عاصفى فيضيع معظم مائها بالتسرب فى رمال الصحراء الظامئة أو بالتبخر فى هوائها الجاف . وربما وجدت مناطق أخرى فى العالم يقل مطرها عن نصف هذه الكمية ومع ذلك تقوم فيها الزراعة معتمدة على المطر لأن هذا المطر القليل منتظم السقوط ويتفق موسمه مع فصل التبخر القليل .

وقد يظن البعض أن الصحراء ليست سوى فضاء شاسع مستوى السطح تغطيه الرمال ، والحقيقة أن هذه ليست هى الحالة السائدة فى معظم الصحراوات ، فليس كل صحراء مستوية السطح ، وليس كل جهاتها مما تغطيه الرمال ، بل ان الصحراء الكبرى وهى أوسع مساحة صحراوية فى العالم لا تزيد مساحة رمالها على ثلث مساحتها الكلية ؛ ومن ثم فهناك أنواع مختلفة من الصحارى : الصحراء الصخرية وفيها تبرز الصخور الصلبة على السطح نتيجة للتعرية الهوائية فلا يغطيها الا القليل من الرواسب ؛ والصحراء المصرية وفيها يتكسر السطح الصخرى بتغيرات الحرارة ، وتتغطى الأرض بطبقة من المفتتات تحمل الرياح الانواع الدقيقة منها وتترك الحصى والحصباء ثم الصحراء الرملية وتتميز بتربتها المفتتة وسطحها المتموج وكثبانها الرملية ، الثابت منها والمتحرك .

وتمتد الصحراء الحقيقية على ١٣ درجة عرضية بين خطى عرض ١٨° ، ٣١° شمالا ،

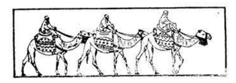
ولكن المظاهر الصحراوية تمتد صيفا الى الشمال حتى البحر المتوسط ، وتمتد شتاء الى الجنوب حتى ساحل خليج غانة . وتسود الرياح التجارية الشمالية الشرقية فى الصحراء الحقيقية طول السنة ، وتحل محلها الرياح الغربية شتاء فى منطقة الانتقال الشمالية ، والرياح الجنوبية الغربية صيفا فى منطقة الانتقال الجنوبية ،

وللرياح الشمالية الصفات العامة التى للرياح التجارية ولكنها بطبيعة الحال أشد جفافا واقل ثباتا فى سرعتها واتجاهاتها من الرياح الهابة على المحيط . والسماء صافية الأديم والسحاب قليل وبذلك كانت أشعة الشمس لاهبة حتى لقد سجلت الصحراء اعلى درجة حرارة فى فصل الصيف . وترتفع درجة الحرارة بعد الظهر الى نحو الخمسين درجة مئوية ، ولكنها تهبط بشكل ملحوظ بعد الغروب نتيجة الاشعاع ويكون هبوطها سريعا كما كان ارتفاعها فى النهار . وتصبح الليالى حتى فى فصل الصيف باردة . ومن ثم فالصحراء منطقة يتسع فيها المدى الحرارى اليومى حتى لقد يصل فى بعض الأحيان الى ٥٣° م وبخاصة فى شهر اغسطس اما مدى الحرارة السنوى فاقل من المدى اليومى ولكنه مدى واسع كذلك . والصحراء هى أشد جهات العالم حرارة فى فصل الصيف ويبلغ متوسط حرارة يوليه ٣٨°م . اما الشتاء فمعتدل ، ومعدل حرارة يناير ١٠°م فى الشمال و ٢١°م فى الجنوب .

ولا يتجاوز متوسط المطر السنوى فى اى جهة من الصحراء الكبرى ١٢٥مم . وهو فى النطاق المتد بين خطى عرض ٢٠° ، ٢٥° اقل من ٢٥ مم . وقد يزيد عن ذلك قليلا على سواحل المحيط الاطلسى ، ولكن متوسط المطر فى الصحراء كما سبقت الاشارة اصطلاح لا قيمة له من الناحية العملية فقد يسقط المطر غزيرا لبضعة ساعات ثم ينحبس لعدة سنوات . وينال الأراضى المرتفعة فى الصحراء قدر اكبر من المطر فهضاب تبستى وآير يصيبها بعض مطر الصيف فتجرى به الاودية على جوانبها ؛ ومرتفعات حجار فى الشمال احسن حالا لان المطر يصلها من الشمال فى الشتاء ومن الجنوب فى الصيف . ويتعرض ساحل المحيط الاطلسى فيما بين المملكة المغربية والسنغال لتيار كنارى البارد ، وتصبح حرارة الساحل اقل منها فى الداخل وبخاصة فى الصيف حتى تصبح درجة الحرارة فى يولية أقل من معدل حرارة الشهر نفسه فى ليبيا بنحو ٨ درجات مئوية .

وكان لفرنسا معظم الصحراء الكبرى اذ كان لها ما يمتد منها فى دول المغرب العربى الثلاث : تونس والجزائر والمملكة المغربية ، وما ينبسط على اراضى (افريقية الغربية الفرنسية) فى موريتانيا ومالى والنيجر وما كان يعرف بافريقية الاستوائية الفرنسية فى تشاد . وقد قاوم سكان الصحراء الاستعمار الفرنسى ببسالة فلم يستقر به الأمر فى الصحراء الا فى سنة ١٩٣٥ . واهتم الفرنسيون بنصيبهم من الصحراء ، فاخذت الدراسات الصحراوية تنشط وتتسع ؛ وبرز فى ميدان هذه الدراسات عدد من العلماء الأفذاذ منهم أ . ف . جوتييه ، و ل بالو ، و ج . شوبير و م. ليليبر ، وهـ. لوت ، و ن. منشيكوف، و ت. مونو وغيرهم كثير وبلغ من اهتمام فرنسا بالصحراء أن اعلنت اكاديمية العلوم للمستعمرات فى سنة ١٩٢٥ عن مسابقة فى موضوع « وضع سياسة عامة طويلة الأجل لاستثمار الصحراء الكبرى » وفاز فى المسابقة بحث اعده ا. ف. جوتييه استاذ الجغرافية بجامعة الجزائر . وقد نشر هذا البحث فى عام ١٩٢٩ فى حوليات الاكاديمية .

وخرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية وقد تقلصت امبراطوريتها فولت وجهها شطر الصحراء علها تسترد عن طريقها شيئا من مجدها القديم وعظمتها الضائعة ، ووضعت مشروعات لاستثمار الصحراء كان معظمها من نسج الخيال، وان تكن الصحافة الفرنسية قد تحمست لها كل التحمس . وفى وسط هذا الضجيج كان

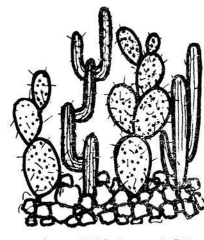


الجيولوجيون يعملون فى صمت ، وأدت جهودهم الى اكتشاف الفحم فى جهات كلومب بشار والنحاس فى موريتانيا والقصدير والولفرم فى هضبة آير ثم الحديد والمنجنيز فى منطقة تندوف . واخيرا ظهر البترول وبدا ان الصحراء الكبرى على وشك الدخول فى نادى الذهب الأسود وخفق قلب فرنسا واصبحت تعتقد ان الصحراء هى طوق النجاة فتشبثت بها حتى انها أصرت فى اتفاقيات افيان التى اعترفت باستقلال الجزائر على ابقاء الأوضاع والاتفاقيات الخاصة باستغلال الشركات الفرنسية والعالمية لثروة البلاد المعدنية وبخاصة البترول .

وفى ضوء هذه الأوضاع الجديدة كان من الضرورى أن يعاد النظر فيما تجمع من حقائق وبيانات عن الصحراء الكبرى ، وكان أول من تصدى لهذا الموضوع الخطير الاستاذ « ريمون فيرون » فى كتابه « الصحراء الكبرى : الجوانب الجيولوجية ، مصـــادر الثروة المعدنية ، استغلالها » . الذى نشرته دار پايو فى باريس سنة ١٩٥٨ . وقد احسن مشروع « الالف كتاب » صنعا بنشر ترجمة عربية لهذا الكتاب القيم قام بها الدكتور جمال الدين الدناصورى وراجعها الاستاذ الدكتور نصر شكرى .

ويقع كتاب « فيرون » فى ثلاثة ابواب يتناول الأول منها فى فصوله الســتة المعالم العامة لجغرافية الصحراء الكبرى وسكانها وتوزيعهم . وهو يعرض هذه النواحى عرضا موجزا للغاية لانها فى نظر المؤلف معروفة جيدا ؛ وهو لا يقصد من وراء عرضها سوى توضيح الاطار العام الذى تدرس فى نطاقه النواحى الجيولوجية والموارد المعدنية التى هى الغرض الأساسى للكتاب .

وبعد ان يدرس الحدود السياسية للصحراء يتحدث عن حدودها المناخية وينتهى الى ما سبق ان قررناه من ان الخصائص المتيورولوجية مفيدة فى تعريف الصحراء ، ولكنها لا تجدى نفعا فى تحديدها ، ولعل الأصح ان نفهم الصحراء على انها مظهر نباتى اكثر من كونها مظهرا مناخيا . فالنبات ليس نتيجة عامل واحد من العـوامل التى تحدد مناخ الصحراء بل يتأثر مع المناخ بالعوامل الطبيعية الأخـرى . ومن ثم فهـو



اكثر دلالة على صحراوية الاقليم من اى عامـل آخـر .

ويستعرض فيرون مظاهر التضاريس واشكال السطح فى ارجاء الصحراء الكبرى من كتل جبلية ومنخفضات واودية ، ثم يتناول الصـحراء فى عصور ما قبل التاريخ والحضـارات التى نشأت فيها منذ العصر الحجرى القديم الأسفل ، فالصحراء لم تكن دائما ارضا مجدبة بل شهدت عهودا كانت الحياة النباتية فيها اغنى مما هى عليه الآن . وكانت الزراعة وصيد الحيوان من الحرف التى يزاولها سكانها وقد خلفوا كثيرا من الأدوات الحجرية التى يمكن منها الحكم على خصائص الحضـــارات الصحراوية . وتدل الرسوم المحفورة على الصخور على أن سكان الصحراء قد عرفوا الحصان قبل الميلاد بنحو الف عام ، ولكنهم لم يعرفوا الجمل الا فى القرن الأول الميلادى . وجاء استخدامهم للمعـادن متأخرا كثيرا عنه فى البلاد المجاورة ، فلم يعرفوا النحاس الا فى الفترة بين ٦٠٠ ، ٢٠٠ ق . م . ولم يعرفوا البرونز على الاطلاق لان القصدير لم يكن معروفا لديهم ، ولم يستخدموا الحديد الا فى نحو القرن الثالث الميلادى ، ويشير المؤلف الى أهمية ما كتبه هيرودت وسترابون عـن الصحراء وحيواناتها والقبائل النازلة فيهـا . فاليهما يرجع الفضل فيما نعـرفه الآن عـن الشـعوب الصـحراوية القديمـة وأسـاليب معيشتها .

ثم يتطرق المؤلف لتاريخ الصحراء الكبرى ويعترف بأن المصادر لا تكفى لاعطاء صورة واضحة عن هذا التاريخ ، ولهذا يكتفى بعرض موجز لتاريخ الجهات المتاخمة لها فى الشمال والجنوب لما لهذا التاريخ من أثر فى الصحراء التى كانت مرتبطة بالناحيتين بعلاقات : الجوار والتجارة أحيانا ، وكانت مسرحا للحروب الناشبة بينهما احيانا أخرى . ولما كان المؤلف من علماء الجيولوجيا فهو ينقل عن المؤلفين الغربيين ، ومن أسف أنه لا يتبع المنهج العلمى السليم فيعرض وجهات النظر المختلفة ويمحصها ويقارن بينها ، بل يجنح دائما الى اقوال المتعصبين من كتاب الغرب وبخاصة الفرنسيون الذين يشوهون الحقائق عن عمد ، ويتحاملون على العرب والمسلمين زورا وبهتانا ، ويرمون تاريخهم وحضارتهم بكل نقيصة ، وانا لنحمد للدكتور الدناصورى عنايته بهذه الناحية فلم يترك مغمزا ولا مطعنا جاء به المؤلف الا رد عليه فى الهامش وكان الدناصورى موفقا حينما قال فى أحد تعليقاته :

« كم يحقد هؤلاء المؤرخون من الفرنسيين لان شمال افريقية مازال عميق التأثر بالنفوذ العربى فى دينه وثقافته ، على حين لم يترك الحكم اللاتينى ، القديم على يد الرومان البيزنطيين ، واللاحق على يد الفرنسيين والأسبان الا آثارا ضئيلة عارضة مصيرها للاختفاء » .

ويتحدث فيرون عن سكان الصحراء ويقدر عددهم بنحو مليون ونصف مليون نسمة ثلاثة أرباعهم على الاقل من البدو ، وهم خليط من البربر والعرب ، وأهم جماعاتهم البربر المستعربون الذين استقروا فى واحات الميزاب ، والمور سكان موريتانيا الذين يعرفون غالبا باسم «الرجال الزرق» وتنتظمهم قبائل بعضها مستقر والبعض رحال ، والطوارق « الملثمون » الذين اعتنقوا الاسلام منذ القرن السابع ويتكلمون لغة خاصة بهم ، والتيبو الذين يسكنون هضاب تبستى وما حولها . وهو فى تناوله لهذه الجماعات يتحدث عن صفاتها البدنية وقبائلها وتوزيعهم وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية ومواردهم من الزراعة والرعى والصيد .

وينتهى الباب الاول بفصل يتحدث فيه المؤلف عن كشف الصحراء الفرنسية واحتلالها، فيتتبع فصول قصة الكشف الجغرافى منذ أواخر القرن الثامن عشر حينما تكونت فى انجلترا عام ١٧٨٨م « جمعية تشجيع الكشف فى داخل افريقية » . ويتحدث عن الرحلات الكثيرة التى قام بها الفرنسيون وغيرهم ، وعن المقاومة التى لقيها الاستعمار الفرنسى وهو يبسط نفوذه على الصحراء ، وبخاصة من قبائل الطوارق والمور الذين لم يلقوا السلاح الا فى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين .

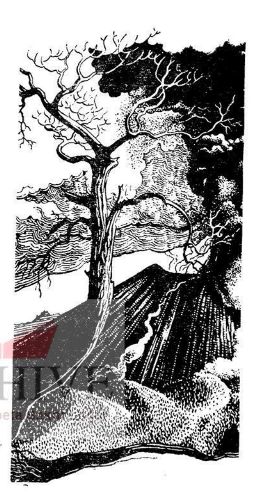
أما الباب الثانى فهو أهم اجزاء الكتاب الثلاثة ، فهو يتناول البناء الجيولوجى للصحراء كأساس لدراسة الموارد المعدنية النافعة ، ويبين كيف أن النجاح الذى ظفرت به بعض المناطق فى ميدان التعدين انما حدث فى الجهات التى تمتعت بالقسط الأوفر من البحث الجيولوجى . ويتتبع فيرون العصور الجيولوجية المتعاقبة وتكويناتها وتوزيع هذه التكوينات والخصائص المميزة لها والحفريات التى وجدت فيها ، ويتحدث عن الكثير من نتائج البحوث القيمة التى قام بها الجيولوجيون فى مناطق مختلفة ، وأثرها فى تمهيد الطريق لاستثمار الموارد المعدنية فى الصحراء ، ويوضح هذه الدراسة بكثير من الخرائط والقطاعات الجيولوجية . وعندنا أن هذا الباب هو خير ما كتب حتى الآن عن جيولوجية الصحراء الافريقية ، فهو لم يترك بحثا تناول تاريخها الجيولوجى أو وصف تكويناتها الصخرية وحفرياتها الحيوانية والنباتية الا أشار اليه ويرى المؤلف انه يمكن تمييز دورتين كبيرتين للغاية فى عصر ما قبل الكمبرى سواء من ناحية الارساب أو حركات الالتواء ، وأنه قد نشأت فى هذا العصر سلسلتان كبيرتان من الجبال على الأقل تمتدان من الشمال الى الجنوب هما سلسلة حجار ــ داهومى ، وسلسلة الرقيبات



ولكننا لا نعرف شيئا عن امتداداتها فى الغرب .
وكانت تكوينات البرمى قارية بصفة عامة وتعلوها تكوينات الترياسى وهى من الحجر الرملى والصلصال الأحمر . وتبدو المظاهر الأولى للالتواء الهرسينى منذ أوائل العصر الفحمى ، وتظهر فى شكل تموجات كبيرة تشغل مساحة شاسعة من الصحراء الوسطى ، وفى الالتواء المقعر فى تندوف بين أطلس الصغرى وجبال الرقيبات ، وفى حوض تاودينى والالتواء المحدب الذى يمتد عبر ساحل العاج من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى . وللحركات الهرسينية اهمية كبرى لأنها أثرت فى معظم جهات الصحراء وامتد تاثيرها حتى الكريتاسى الأوسط وتعد مسئولة عن المظاهر المورنولوجية الحالية أو معظمها على الأقل .

أما تكوينات الجوراسى فهى من الرواسب الطينية والحجر الرملى التى قد يصل سمكها احيانا الى عدة مئات من الأمتار وهى تناظر طبقات الخرسان النوبى فى السودان ومصر . وحدث طغيان عظيم للبحار فى الكريتاسى فوصلت مياه البحر المتوسط الى كتلة حجار وهضاب تبستى ، وطغى المحيط الأطلسى فغمر حوض بحيرة تشاد ، وفى كثير من الجهات نجد أن هذا العصر يمثل بداية النشاط البركانى . وفى الايوسين الأسفل اتصل البحر المتوسط بخليج غانة عن طريق الصحراء لأول مرة ، ثم أخذ البحر يتراجع فلم يكد ينتهى البلايوسين حتى كان قد انحسر تماما عن الصحراء فلم تبق منه سوى أذرع بحيرية وبحيرات شاطئية أرسبت فيها تكوينات من الفوسفات مازال عمرها موضع جدال .

أما الزمن الرابع فبالرغم من حداثته النسبية فيعد فى جملته غير معروف جيدا فى الصحراء ، فالحفريات التى تنتمى اليه قليلة ومبعثرة ، ولكن المقطوع به أن الصحراء فى هذا الزمن قد شهدت فترات رطوبة ، ويكذب فيرون القول الشائع بأن الصحراء فى هذا الزمن كانت تغطيها الغابات الكثيفة وتجرى فيها الأنهار الكبرى ، ويرى أن الأمر لم يكن يتعدى وجود أودية تتلقى السيول الغزيرة وان الكتل الجبلية مثل تبستى



ـ ساحل العاج ، ثم يذكر ان الغطاء الرملى الذى ينتمى الى الزمن الأول لم يحدد تاريخه المطلق بعد رغم كل البحوث التى اجريت .

وكان الاوردوفيشى عصر طغيان اذا قورن بالكمبرى ، وتكويناته من الحجر الرملى الذى تفتت من الكتل الضخمة التى ظهرت فوق سطح المياه والتى لم نتمكن بعد من تحديد موقعها الجغرافى . وترتكز تكوينات الديفونى فوق تكوينات الاوردوفيشى فى كثير من الأحيان ، وقد تعرضت للحركات الكليدونية . وطغى البحر فى العصر الفحمى الذى توجد تكويناته الجيرية فى اقليمى كولومب بشاد وتندوف وفى حوض تاودينى

وتاسيلى وحجار كانت تنمو بها الأشجار وفيما عدا ذلك فأن مظاهر الصحراء كانت كما هى اليوم ، وكانت الكثبان الرملية والعروق تمتد كما تمتد الآن دون تغيير يذكر . ويمكن أن نميز بين الكثبان القديمة والحديثة ، فالأولى تماسكت واصبحت تتكون من حجر رملى أصفر برتقالى بينما تتكون الأخرى من رمال فاتحة اللون .

ويمكن ان نتبين فترتى جفاف تكونت فيهما الكثبان الرملية وتفصل بينهما فترة رطبة جرت فيها الأودية بالمياه وبخاصة وادى تلمسى ، كما امتدت فى أثنائها بحيرة تشاد لتغطى مساحة كبيرة الى الشمال الشرقى من موقعها الحالى . فلما كان الحجر القديم الأعلى بدات فترة جفاف يقطع اتصالها فترات رطوبة اما فى الحجرى المتوسط والحديث فتظهر آخر فترات الرطوبة ثم تأخذ الصحراء تتحول الى صحراء جافة تدريجيا بعد فترة التحسن المناخى التى شهدها العصر الحجرى الحديث .

وبعد ان يفرغ المؤلف من عرضه المفصل لتتابع الطبقات عبر العصور الجيولوجية يفرد فصلا لدراسة الجيولوجية الاقليمية فيقسم الصحراء الى ثلاث مناطق هى : الصحراء الغربية وتضم اطلس الصفرى ، وجبال أوجارتا ، وسلاسل الرقيبات ، وثنية تندوف القعرة ، وحوض تاودينى ، واقليم كلومب بشار وساوورا ، وتانزروفت والمضيق السودانى ؛ والصحراء الوسطى وتشمل كتلة حجار وملحقاتها ، ومرتفعات تاسيلى ، والمنخفض الكبير جنوبى الأطلسى ، والمضيق بين حجار وتبستى . والصحراء الشرقية وتشمل تبستى ، وبرتو ، ودادى ، وانيدى واردى ، وحوض تشاد .

ويختص الباب الثالث من الكتاب بموارد الصحراء المعدنية ، فيتحدث عن البعثات التى أوفدتها حكومة الجزائر وغيرها من الوحدات السياسية التى تمتد الصحراء فى أراضيها ، والمجهودات التى قامت بها هذه البعثات فى التنقيب عن موارد المياه الجوفية وعن البترول والغاز الطبيعى والنحاس والحديد والمنجنيز والقصدير والولفرم والتيتانيوم والزركون والرصاص والزنك واليورانيوم والفوسفات والملح ، ويعنى بصفة خاصة ببترول الجزائر وحديد موريتانيا ويتحدث عن شركات البترول الخمس الكبرى التى تمتلك الحكومة الفرنسية أسهمها او تشارك بحصة كبيرة فى رأس مالها ، وعن المشروعات المقترحة لاستغلال موارد الصحراء ، وتوفير الطاقة اللازمة لهذا الاستغلال باستخدام الفحم والغاز الطبيعى والاشعاع الشمسى والطاقة الهوائية والطاقة الذرية ثم يتناول طرق النقل فى الصحراء وعلاقتها بمستقبل الاستغلال الاقتصادى .

ويعرض المؤلف لمشكلة الأيدى العاملة اللازمة للتعدين والتصنيع ويتساءل هل يمكن أن تجمع الأيدى العاملة الضرورية من بين سكان الصحراء الحاليين أم لابد من استيرادها من الخارج ؟ وفى رايه ان رجال الاقتصاد والسياسة لا يستطيعون الاجابة على هذا السؤال ، وانما الأطباء وحدهم هم الذين لديهم الجواب الشافى المتسم بالصدق والأمانة ، ومن ثم يعمد الى تفصيل آراء ادموند سرجان فى الموضوع وكان سرجان يعمل مديرا لمعهد باستير فى الجزائر وخلاصة رأيه :

- ان البدو لا يمكن استخدامهم البتة لاستغلال الصحراء فهم يرفضون اى عمل يدوى.
- وان المستقرين فى الواحات لا يصلحون لهذا العمل كذلك نظرا لضعف بنيتهم بسبب سوء التغذية .
- وان السود المستوردين من الخارج يمكن استخدامهم ــ بشرط الا يكونوا مصحوبين بأسرهم ــ كعمال موسميين تحت الاشراف والرعاية الطبية فهم يستطيعون تحمل صيف الصحراء ولكنهم لا يتحملون شتاءها .
- وان البيض هم الذين يستطيعون ان يقضوا بضعة أشهر فى الصحراء على ان يستخدموا كموظفين اذا كانوا من الاوربيين وكعمال اذا كانوا من شمال افريقية .

وواضح مدى المغالطة فى اقوال سرجان فالبدو يمكن تدريبهم على العمل ولهم أسوة باخوانهم فى السعودية والكويت وقطر ، وسكان



الواحات يمكن أن تحسن تغذيتهم فتقوى بنيتهم وتزداد قدرتهم على العمل والانتاج ، ولا ندرى لماذا يفرق سرجان بين البيض فيقصر العمل اليدوى على أهل شمال افريقية بينما يخص الاوربيين بالوظائف ! انه منطق الاستعمار وكم للاستعمار من مغالطات .

وبعد فهذا عرض سريع لكتاب ضخم قيم ، ولا شك ان الدكتور جمال الدين الدناصورى قد بذل جهدا مشكورا فى نقله الى اللغة العربية ووفق فى ذلك الى حد كبير ، ولكن الترجمة لم تسلم من اخطاء يتصل بعضها بكتابة الأسماء ويتصل البعض الآخر باللغة ويكفى أن نشير هنا الى أمثلة من هذه وتلك :

(١) ص ٩ س ٧ كولمب بشاد وصحتها كلومبى بشاد

(٢) ص ٣١ س ٥ زيمور وصحتها زمور

(٣) ص ٦٤ وصفحات أخرى كثيرة ترد لفواط وصحتها الاغواط .

(٤) ص ١٠٦ س ٥ تأكيدا وصحتها تكدى .

(٥) ص١٠٧س١١ أولاته وصحتها ظهر ولاته.

(٦) ص ٩٤ س ١١ أورجله وصحتها ورقلة.

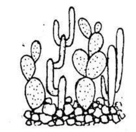
(٧) ص ٧٢ س ١٧ ارتدوا عن الدين اثنتا عشرة مرة وصحتها اثنتى عشرة مرة .

(٨) ص ٧٦ س ٣ الميرنيين وصحتها المرينيين

(٩) ص ١٨٤ س ١٢ الحفائر وصحتها الحفريات .

ولكن هذه الهنات والهينات وأمثالها لن تنقص من قيمة الترجمة الجيدة للكتاب التى تشهد بالجهد العظيم الذى بذله الدكتور الدناصورى وانه لجهد مقدر مشكور .

د . محمد محمود الصياد





سطور من كتاب

الموسيقى والحضارة

« واجهت « موسيقى المستقبل » ثلاثة تيارات مضادة . كان التيار الأول فى الأوبرا . أما التياران الآخران فكانا فى الموسيقى السيمفونية وعارضت هذه التيارات النزعة الفاجنرية من ناحية ، كما أنها تأثرت بها من ناحية أخرى .

وربما أمكن القول بأن صراع هذه القوى المتعارضة قد جعل لموسيقى أواخر القرن التاسع عشر طابعا خاصا ، وان هذه الاتجاهات المعارضة قد أضافت أشياء جديدة الى جوهر الموسيقى فى السنوات ما بين ١٨٥٠ — ١٩٠٠ . أما هذه القوى الثلاث المعارضة فهى :

١ — الأوبرا الايطالية ويتزعمها جوزيبى فردى .

٢ — موسيقى يوهان برامز .

٣ — الفن السمفونى لانطون بروكنر .

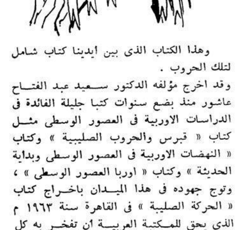
وكانت رسالة فردى هى البلوغ بفن الأوبرا الايطالى القديم الى القمة ، وفردى بلا شك هو أعظم عبقرية ايطالية درامية أنجبتها ايطاليا . ومكانته فى قمة الموسيقى المسرحية الايطالية مماثلة لمكانة فاجنر فى ألمانيا . وبرغم تأثره بفاجنر فى مؤلفاته الأخيرة تأثرا ملحوظا ، تجلى بوضوح فى كل من الشكل والمحسنات الهارمونية الكبيرة ، وزيادة العناية بالناحية السمفونية والأوركسترالية ، ظل الاثر الايطالى واضحا فى جوهر موسيقاه ، وفى ميلودياته اللامعة ، ونظرته الفطرية الصافية الى أمور المسرح ، وفى روحه المتحمسة . »

الحـــركة الصّليـبيّة

تأليف
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ١٢٨١ ص
١٧×٢٤ سم جزءان . الثمن ٢٢٥ قرشا

لا تزال مكتبتنا التاريخية العربية فى حاجة الى مزيد من الجهد لسد الفراغ فى الدراسات الاوربية فى العصور الوسطى وعلاقة الشرق بالغرب فى تلك العصور . وموضوع الحروب الصليبية عالجه من بعض نواحيه أساتذة اجلاء عنوا بالبحث الدقيق فى تلك الموضوعات مثل الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة والأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى والدكتور حسن حبشى . كذلك عنى الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية بالبحث فى الحروب الصليبية المتأخرة ولو ان مؤلفاته ظهرت باللغة الانجليزية وليست بالعربية .





وهذا الكتاب الذى بين أيدينا كتاب شامل لتلك الحروب .

وقد اخرج مؤلفه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور منذ بضع سنوات كتبا جليلة الفائدة فى الدراسات الاوربية فى العصور الوسطى مثل كتاب « قبرس والحروب الصليبية » وكتاب « النهضات الاوربية فى العصور الوسطى وبداية الحديثة » وكتاب « اوربا العصور الوسطى » ، وتوج جهوده فى هذا الميدان باخراج كتاب « الحركة الصليبية » فى القاهرة سنة ١٩٦٣ م الذى يحق للمكتبة العربية أن تفخر به كل

الفخر . وهذا الكتاب سد فراغا فى المكتبة العربية التاريخية التى لم تحظ حتى ظهوره بمؤلف واحد شامل فى تاريخ الحروب الصليبية .

والحق أن الحروب الصليبية كانت تجربة لها آثارها البعيدة المدى فى تاريخ العروبة والوطن العربى ، فهذه الحروب أوجدت الصلة المباشرة بين الشرق والغرب ، اذ ثبت الصليبيون اقدامهم فى بقعة من الشام واخذ الصليبيون يسعون من تلك البقعة الى تهديد الوطن العربى كله سواء اكان بقية الشام أو مصر أو العراق او الحجاز أو شمال افريقية والاندلس . واستمات الصليبيون فى العصور الوسطى فى منع تحقيق وحدة الصف العربى وحاولوا بمختلف الطرق منع الوحدة بين مصر والشام والعراق اذ ان هذه الوحدة معناها طرد الصليبيين من الوطن العربى . ولكن الوطن العربى خيب ظن الصليبيين وأخذت مصر والشام على عاتقها طرد هؤلاء الدخلاء وكان رمز البطولة ورمز وحدة الصف هو السلطان الناصر صلاح الدين الايوبى وقد سبقته حركات للتحرر وتلته حركات اخرى وأصبحت وحدة الشعب العربى حقيقة واقعة نابعة من صميم الوطن العربى . وما أشبه الليلة بالبارحة !! فقد اقام الاستعمار الغربى فى عصرنا الحاضر اسرائيل فى أرض فلسطين العربية وحرص على مساندتها وامدادها بالمال والسلاح لتقف شوكة فى الجانب العربى ولتمنع وحدة العرب وقوتهم ولكن هيهات !! والحق ان الأوضاع التى تحيط بالعالم العربى اليوم مثل تلك الاوضاع التى عاش فيها اجدادنا العرب منذ ثمانية قرون ونصف فى زمن الحروب الصليبية ولا شك أن دراسة الحروب الصليبية بطريقة علمية امينة تجعلنا نستفيد من تجارب الماضى حتى يمكننا التغلب على خطر اسرائيل وخطر القوى الاستعمارية .

والحق ان مؤلف كتاب الحركة الصليبية بذل أقصى ما يستطيع من الجهد والاستقصاء ويمتاز كتابه بالدراسة المتقنة العميقة وقد وضح المؤلف أن الحرب الصليبية لم تكن مجرد حرب لاسترداد الأراضى المقدسة من المسلمين وحماية حجاج الغرب الذين يقصدون بيت المقدس . اذ لو كان هذا الزعم صحيحا لاقتصرت الحروب، على بلاد الشام ؛ ولكن الحروب الصليبية لم تكن محدودة بميدان معين أو ببلد واحد فكان النشاط الصليبى يمتد فى الشام ومصر والعراق وشبه جزيرة العرب والبحرين الاحمر والمتوسط واسبانيا وشمال أفريقية وآسيا الصغرى .

ولم يقتصر مؤلف هذا الكتاب على دراسة هذا الموضوع دراسة طيبة متينة من وجهة نظر مؤرخى الغرب وانما نرى من فصول الكتاب ما ينم عن الدراسة العميقة لوجهة النظر العربية .

ونرى مؤلف هذا الكتاب امينا فى بيان وجهتى النظر الغربية والشرقية . والحق ان وعى الشعب العربى آنئذ كان قويا ووضح ذلك فى كتابات المؤرخين العرب امثال ابن الأثير وابى شامة وابن شداد وابن واصل وأبى المحاسن والمقريزى وغيرهم .

ولا شك أنه مما يكمل الصورة ويوضح وعى الشعب العربى ما ذكره المسيحيون العرب آنئذ فى كلامهم عن تلك الحروب . وكنت اطمع فى أن يشير المؤلف الى وجهة نظر الكتاب المسيحيين والأساقفة المصريين فى كتاب « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » للاسقف المصرى ساويرس بن المقفع ، فحين يحدثنا ساويرس عن الصليبيين وقدومهم الى الشرق لا يعتبر ان هذه الحروب حرب بين المسيحية والاسلام وانما ينظر الى الصليبيين على انهم غزاة أعداء للشرق . ويعلق على امتلاكهم لبيت المقدس بأن الأقباط واليعاقبة سوف لا يستطيعون الحج لأختلافهم والصليبيين فى المذهب الدينى (١) .

ويمتاز كتاب الدكتور سعيد عاشور بأنه لم ينته بالحروب الصليبية كما انتهى معظم

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الثانى جـ ٣ ص ٢٤٩ (نشر الجمعية القبطية ـ القاهرة ١٩٥٩) .

مؤرخي الحروب الصليبية عند طرد الصليبيين من عكا سنة ١٢٩١ م على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون وزوال دولة الصليبيين بالشام بعد قدومهم الى المشرق بنحو قرنين من الزمان بل ان مؤلفنا أرخ للفترة الأخيرة للحروب الصليبية او للحروب الصليبية بعد سقوط عكا اذ ان قصة تلك الحروب قدر لها أن تستمر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

وقد احدث سقوط عكا سنة ١٢٩١م دويا مؤسفا في غرب اوربا لم يقل عن الأثر الذى أحدثه سقوط بيت المقدس على يد صلاح الدين الايوبى فى سنة ١١٨٧م . وكان من أهم دعاة الحرب الصليبية فى اواخر القرن الثالث عشر الميلادى « ريموند لل ؟ Lull » الذى ولد فى جزيرة ميورقة وامتاز عن بقية الدعاة بمعرفته للغة العربية والبلاد الاسلامية بعد أن قام برحلات متعددة فيها . وأوصى « لل » مجمع فينا (١٣١١ — ١٣١٢) بالقيام بحملة صليبية تتخذ طريق اسبانيا فشمال افريقية للوصول الى مصر والشام . بل أن « لل » استغل معرفته للغة العربية للتبشير بالمسيحية بين المسلمين فى شمال افريقية وانتهى امره اخيرا بأن أعدم رجما بالحجارة فى أوائل سنة ١٣١٦م .

ولم تتردد البابوية فى تشجيع المنظمات التى نهضت فى اسبانيا بالدور الذى قامت به الاسبتارية والداوية والتيتون فى بلاد الشام . بل ان الفضل يرجع الى البابا أسكندر الثالث والبابا انوسنت الثالث فى قيام أشهر منظمة دينية حربية عرفتها اسبانيا وهى منظمة سنتياجو . وبفضل نشاط هذه الهيئات وجهودها اشتدت حماسة المسيحيين فى حرب المسلمين فى الأندلس وغلب الطابع الدينى على هذه الحرب فجعل منها حربا صليبية مقدسة لا تقل اهمية فى نظر الأوربيين آنئذ عن الحرب الصليبية فى الشرق . ونلاحظ أن الاتراك العثمانيين أصبحوا القوة الاسلامية الكبرى فى آسيا الصغرى فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى وكانت حركتهم التوسعية على حساب الدولة البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية فى شرق أوربا تبدو فى نظر الاوربيين المعاصرين ذات مسحة دينية خطيرة .

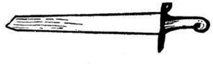
ونرى الرأى الغالب فى التاريخ هو اعتبار الحملات التى أعدها الاوربيون فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر لوقف التوسع العثمانى فى شرق أوربا ، حملات صليبية قام بها الاوربيون لحماية شرق أوربا من حركة التوسع الاسلامى التى قام بها العثمانيون على حساب الشعوب المسيحية . وكانت حملة نيقوبوليس هى آخر حملة صليبية كبيرة ذات صبغة دولية ، اذ تجمعت تلك الحملة للقضاء على العثمانيين ووصلت الى نيقوبوليس أقوى المعاقل العثمانية على الدانوب وفى هذه الموقعة أحرز العثمانيون سنة ١٣٩٦م نصرا عظيما ضد جموع الصليبيين .

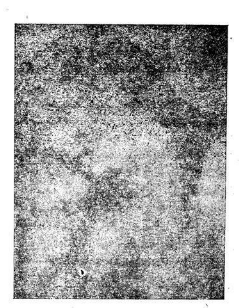
وحين سقطت القسطنطينية فى يد العثمانيين سنة ١٤٥٣ م اهتزت البابوية والعالم المسيحى وحاول البابا بيوس الثانى فى سنة ١٤٦٣ م أن يضع مشروع حملة صليبية كبرى ولكن لم يقدر لهذه الفكرة النجاح ... وان كانت الحروب الصليبية قد انتهت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بفشل الصليبيين فى الشرق الأدنى فان تلك الحركة قدر لها النجاح فى اسبانيا حيث انتهت باخراج المسلمين نهائيا من اسبانيا . ولعل المسلمين فى اسبانيا كانوا بعيدين عن قلب العالم الاسلامى ومركز حركة الجهاد ، كما انهم كانوا قريبين من البابوية ومن قلب العالم المسيحى الغربى ، فضلا عن الثغرة التى تركها الاسلام فى اسبانيا منذ الفتح وهو ترك الامارات المسيحية حرة طليقة فى أقصى شمال شبه الجزيرة .

والحق أن الدكتور سعيد عاشور يستحق التهنئة الصادقة على جهده وبحثه ودراسته فى هذا الكتاب القيم . وقد اكمل المؤلف عمله الرائع هذا بخرائط وكشافات وجداول كثيرة يبدو فيها الجهد الكثير مثل ذلك الكشاف الأبجدى بأسماء المدن والأماكن الجغرافية كما وردت فى المراجع الصليبية وما يقابلها فى المراجع العربية .

ونحن اذ نهنىء الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور نتمنى أن يخرج لنا من حين الى آخر مثل هذا الكتاب انشاء الله .

د . سيدة اسماعيل كاشف







الأصول الجمالية للفن الحديث

تأليف
حسن محمد حسن

الناشر : دار الفكر العربي
٥٥٢ ص ١٧×٢٤سم الثمن ٥٠ قرشا



ان موضوع الفن الحديث قد يثير اهتمام الكثيرين فى الآونة الحاضرة من المعنيين بالفنون التشكيلية ، كما أنه يتيح مجالا للتساؤل بين الفنانين من جانب والجمهور من جانب آخر ، وذلك لأن الاتجاهات الفنية المعاصرة التى سادت المعارض الفنية فى السنوات الأخيرة كانت على الدوام محلا للكثير من الجدل بين كل من مؤيدى الفن الحديث والفن الأكاديمى ، ذلك الجدل الذى لم تهدأ حدته حتى الآن .

لذا فان كتابنا هذا الذى نقدمه اليوم ، انما يقدم اجابات وايضاحات عن تلك التساؤلات تحت عنوان « الأصول الجمالية للفن الحديث » حيث يقوم موضوعه بصورة عامة على ابراز الجوانب الفلسفية التى يستند اليها الفن المعاصر .

ولقد راى المؤلف أن البحث فيما يتعلق بهذا الفن وخاصة فى الأصول والجذور العميقة

التى نبتت منها فكرته الجوهرية لا يمكن ان تكون صدى لتطورات مفاجئة فى عصرنا الحديث فحسب ، بل هى تمثل صورا لتأملات تاريخية فى الماضى البعيد ، حيث استطاع بهذا البحث ان يكشف عن مدى اهميتها ، ومبلغ ما وصلت اليه تلك التأملات الجمالية التى دارت بخلد المفكرين القدماء من حكماء اليونان ، وما كان لآرائهم الفلسفية من أثر فعال فيما أخذ به الحديثون فى الفن المعاصر .. وعلى هذا النحو يبدو لنا ان المؤلف لم ينظر الى ذلك الفن الحديث « المعاصر » نظرة منفصلة ، بل نظر اليه من خلال تلك البانوراما التاريخية العظيمة التى تمثل جميع صور الانتاج الفنى منذ ما قبل التاريخ حتى عصرنا الحاضر ، حيث ترسم اتجاه التأملات الجمالية واقتفائها لخطى الوعى الفنى على ممر العصور ، وامكنه بذلك ان يستخلص النتائج التى تتمثل فيما ادى اليه تطور هذه التأملات الفلسفية الجمالية فى ذلك الانقلاب الفنى الضخم فى اواخر القرن التاسع عشر وما كان له من صدى عميق فى متشعب الاساليب المذهبية التى سار على منهجها الفنانون فى العصر الحديث . وقبل أن نستعرض مواد الكتاب يحسن بنا ــ لكى تتكامل الصورة ــ أن نتعرف على مؤلفه اولا ..

ومؤلفنا هو الفنان حسن محمد حسن استاذ مادة الطبيعة الحية بكلية الفنون التطبيقية، وهذا الكتاب «الأصول الجمالية للفن الحديث» هو ثانى مؤلفاته الذى صدر بعد كتابه الأول « مذاهب الفن المعاصرة » والمؤلف من الأساتذة القدامى المشتغلين بالفنون التشكيلية المارسين لها منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ، فلقد تخرج فى الفنون التطبيقية منذ عام ١٩٢٦ ، حيث التحق عقب التخرج ببعثة جامعة فيلادلفيا للآثار ومن بعدها بعثة جامعة شيكاغو ، وقد غرست فيه هذه البيئة العلمية حبه للبحث والاطلاع وكانت تمهيدا طيبا لما تلاها عندما أوفد الى ايطاليا للتخصص فى دراسات فنية تطبيقية حيث اتاحت له هذه الفرصة ان يتوفر على دراسة التصوير الزيتى باكاديمية البندقية ، وأن يرى على الطبيعة مختلف الاتجاهات والمدارس الفنية ، وقد مارس الفن منذ ذلك الحين ومازال يمارسه حتى الآن بنشاط دائب، وقد نالت لوحاته التقدير فى داخل الجمهورية العربية وخارجها .

ولكى نتعرف على بواعث هذا المزاج الفلسفى فيما يتعلق بأبحاث المؤلف فى هذا الكتاب ، وخاصة بالنسبة لفنان يستنفد انتاج العمل الفنى وتدريسه جهده ووقته ، نرى ان ذلك مرجعه الى ان المؤلف نشأ فى بيئة دينية متصوفة ، وبالنظر الى مابين كل من التصوف والفلسفة من صلة وثيقة فقد دفعه ذلك الى البحث فى « التصوف الاسلامى » وقاده هذا الاتجاه آخر الأمر الى الالمام بالخطوط الرئيسية لتاريخ الفلسفة فى صورته العامة والذى تعتبر الفلسفة الجمالية من احدى فروعه .. وكما كان لتأملاته الجمالية صداها فى موضوع هذا الكتاب ، فقد كان لها صدى آخر فى معظم ما انتج من موضوعات لوحاته ، التى تجمع بين اتجاهات الفن القديم والفن الحديث تبعا لتطور حياته الفنية فى مراحلها المختلفة .

محمد فؤاد الكنانى ...

ولما كنا بصدد التعرف على جوانب هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم ، فاننا نرى انه صورة لآراء المؤلف وتجاربه الفنية الى جانب الملمه واطلاعاته الثقافية ، حيث يتضمن فى تخطيطه شطرين :

اما الشطر الاول منه ، فلقد اراد المؤلف أن يطوف بنا فى جولة حول موضوعات عديدة ، تعتبر من احدى نواحيها بمثابة أساس تمهيدى للفكرة الرئيسية التى يستند اليها موضوع الكتاب وهو : أثر الفلسفة الجمالية القديمة فى الاتجاهات الفنية الحديثة « حيث تتمثل فى الشطر الثانى منه » كما قد تعد من ناحية اخرى تحليلا مفصلا عن الجوانب الكثيرة التى تتعلق بجوهر الفن وطبيعته فيما يتعلق بكل من شخصية الفنان من جانب ثم الفن وما تقتضيه عملية الابداع والتذوق الفنى من جانب آخر ،

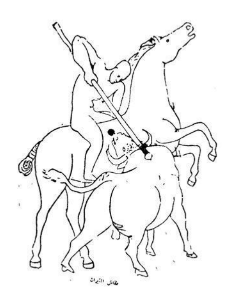
وما كان للبيئة المكانية والزمانية والفكرية والاجتماعية من اثر فى انتاج الفنان ، وذلك بالاضافة الى المفاهيم التى تتعلق بتعريف الفن وخصائصه ووظائفه ، كما حرص المؤلف على تعريفنا بالأطوار التاريخية التى تقلب فيها الانتاج الفنى فى قصة شيقة تحكى لنا تلك البواعث والتيارات الخفية التى لعبت دورا هاما فى مختلف الظواهر الفنية ، وكذا الدوافع التى ادت الى ظهور الاتجاهات الفنية التقدمية بمتباين مذاهبها المعاصرة .

ولقد بدأ الشطر الأول من هذا الكتاب بالحديث عما تعنيه الفلسفة الجمالية . حيث عرف لنا المؤلف هذا الاصطلاح بأنه اللقب الذى اطلق على ضرب من ضروب الفلسفة يقوم على التأملات التى تبحث عن الحقائق المستترة وراء ظواهر الانتاج الفنى فى مختلف صوره سواء التاريخية منها او المعاصرة ، ويرى ان الجمال اذ يعتبر من ابرز المظاهر المتعلقة بالفن منذ اقدم عصور التاريخ ، من أجل ذلك كانت هذه التأملات تنقب عن أسرار الجمال وتبحث عن ماهيته وعلله وجذوره العميقة فى كل من العالم الطبيعى الذى هو من صنع المبدع الأول ، وعالم الفن الذى هو من ابتداع الانسان .

ثم يعرض المؤلف لبعض الجوانب التى طال فيها أمر الجدل والنزاع حول ماهية الفن وطبيعته وعن المعضلات الكثيرة التى اعترضت طريق الوصول الى المفاهيم الحقيقية عن هذه الطبيعة منذ ان تناولتها عقول كبار الفلاسفة اليونانيين ومن طرقها بعدهم .

ثم يقدم المؤلف مجموعة من التساؤلات نستطيع ان نستشف منها الجوانب التى توضح جوهر الفن وطبيعته والأهداف والمرامى التى يرمى اليها الباحثون فى هذا الصدد (حيث نجتزىء بعضا منها) :

هل طبيعة العمل الفنى هو أن يكون صورة محاكية لما نشاهده فى العالم المرئى او انها تستند على الصورة التى لم يكن القصد منها ان تظل صورة معبرة عن الشكل فحسب ، بل كان التعبير يهدف منذ البدء الى مضمونها الذى



ينبىء عن جوهرها وحقيقتها .. وهل هذه الحقيقة عامة فى حد ذاتها او ان المقصود تلك المعانى التى تنطوى عليها والتى تشير الى ماينتهى اليه تأمل الملاحظ المعاين ، او ان الغرض هو الوصول الى مضمون لبعض الحقائق القائمة فى كل من العالم المادى والروحى على حد سواء .؟

وبصدد المحاكاة فهل يكون الفن فى حقيقته ممثلا للجمال الذى نشاهده فى الطبيعة ، أم ان الجمال فى الطبيعة شىء وفى الفن يكون شيئا آخر ... او انه مجرد محاكاة كما يقول فلاسفة الأغريق تبعا لمثاليتهم الجمالية التى تقوم على مبادىء (الأيدياليزم) وباعتبار المحاكاة تمييزا للفن الجميل عن سواه .. !

ام انه لا يمثل الجمال ولا المحاكاة وانما هو الخبرة والخبرة فى حد ذاتها كما يدعى الفلاسفة الأخلاقيون من والتر بيتر وجون ديوى واضرابهم .. ؟

ما هو الابداع الفني ?

بعد ذلك يشرح لنا عملية الابداع الفنى فيقول : « هو عالم الخلق والابتكار ولكنه ليس خلقا من عدم ذلك لأن الكائن الوجدانى الذى

تختلج صورته صدر الفنان وتعربد فى أعماق نفسه ، انما هو صدى لما يقع تحت حسه فى العالم المرئى من مشاهدات وانطباعات ، أو مايشاهده بعين العقل من أفكار وتأملات ، ومن هنا كانت ذاتيته وموضوعيته .. وان هذه الصورة لن تصل الى مستوى الخلق والابتكار، مالم تأخذ طريقها الى النضوج حتى تتضح معالمها وتتكامل عناصرها شكلا وموضوعا أو صورة ومضمونا أو مضمونا فحسب ، ذلك المثل للمعانى الجوهرية والحقائق الخالدة الكامنة فى الأشياء طبقا لتعدد وجهات النظر .

ثم يبين المؤلف بعد ذلك كيف ان الصورة الابتكارية للعمل الفنى لا تأتى اعتباطا ، لأنها تخرج من حيز اللاشعور الى دائرة الوعى والقصور كما تخرج الفراشة من شرنقتها (بعد مكابدة العديد من التفاعلات والتطورات) فى ذلك المظهر الخلاب .

الابداع من الوجهة السيكلوجية

عند ذلك يشرح المؤلف الابداع من الوجهة السيكولوجية فى ضوء علم النفس الحديث .. فيرى أن اللاشعور هو الينبوع والمصدر الفياض للابداع الفنى دون العقل الواعى الذى ليس من خصائصه الابتكار وانما تنظيم الأفكار ، بيد أن فرويد يشير الى ان البواعث والدوافع التى تدفع الفنان الى الابداع انما تكون بصدد عقدة أوديب وضغطها على الحياة النفسية لدى الفنان من ناحية وفى ضغط الواقع الخارجى عليه من ناحية أخرى .

هذا فى الوقت الذى يفسر فيه ادلر العقدة الأوديبية بتأويل آخر بعيد عن أى لون جنسى حيث يرى أن هذه العقدة انما تظهر كرمز لشهوة السيطرة — وفى تعليله للنبوغ يرى أن الدافع اليه انما يكون عن طريق التعويض ثم يبدى المؤلف بعد ذلك وجهة نظره فيما يتعلق بتطبيق هاتين النظريتين السالفتين لكل من فرويد وادلر فيقول :



اذا سلمنا جدلا بصحة النظريتين فاننـــا نستطيع القول بالنسبة للحـالات المتباينة لدى الفنانين ، أن شخصية كل فنان ليست مسرحا لتمثيل هاتين النظريتين معا . بل ان ماقد ينطبق من احداها على البعض قد لا ينطبق على البعض الآخر .. وبالرغم من أن آراءهما وما يتبعها من نتائج تكون عرضة دائما للنقد سواء لبعضها البعض او نقد العلماء الآخرين الا ان هذه الابحاث مع ذلك تقربنا بوسائلها التحليلية لفهم العوامل الخفية التي تلعب دورا كبيرا فيما نلمسه من الظواهر المختلفة الصور سواء من حيث الابداع والابتكار او التفوق في الفن ..

التذوق الفني

واذ يحلل المؤلف موقف الفنان وحالته عند عملية الخلق الفني ، ينتقل بعد ذلك الى موضوع التذوق الفني فيقول : ان أول خطوة في مجـال التذوق هي اننا لا نكتفي بالنظرة العابرة للعين بل يجب ان نعيش في الاشياء التي نلاحظهـــا ونشاهدها امامنـــا ، ومع ذلك يكون مستوى التذوق بحسب قدرة المشاهد على استيعـاب جميع الجوانب فيما يلاحظه في مختلف نواحي الانتاج الفني ، وهكذا يمكن لأولئك الذين نالوا حظا من تدريب العين والفكر بل والاحساسات كذلك أن يدركوا للوهلة الاولى في الصورة القيم الجمالية للايقاع والتنغيم والانسجام في التلوين.

الابداع والتذوق في الفن المعاصر

وبالنظر الى التطورات التي حدثت في الآراء الجمالية من جانب ، ثم التحولات الخطيرة التي شملت أساليب الابداع في العمل الفني من جانب آخر بظهور النظريات الحديثة في نهاية القـرن التاسع عشر فيما يتعلق بفني النحت والتصوير مما جعـل كلا من الابداع والتـــذوق في الفن المعاصر يختلفان عن نظيرهما في الفنون الكلاسيكية لذا أوضح المؤلف رأيه الشخصي بصدد ذلك التحول فيقول : بينما يعمل السواد الأعظم من الفنانين المعاصرين على اسقاط القيم الجماليـة بوجه عام ، والباعث على ذلك انهم يفصلون بين الفن والجمال ، ولو انني شخصيـــا اذا كنت اسلم بعملية الفصل بينهما (تلك التي يشير اليها الفلاسفة المحدثون) فذلك بالنسبة للظواهـــر التاريخية الفنية العارية عن الجمال فحسب ، ولكنى لا اسلم مطلقا بالفصل بينهما من جهـــة التطبيق والأداء ، فيما يقوم عليه كل انتـــاج وعمل فنى في هذه الاتجاهات .. ! حيث يجدر بنا العمل على استبدال القيم الجمالية القديمة التي تحاكي أوضاع الطبيعة واشكالها في كل من التخطيط والتلوين ، بقيم جمالية مبتكرة تتفق مع الاتجاهات المعاصرة ، دون ذلك التشـــويه المقوت الذي يحط من قدر الانتـــاج الفني ويهبط بمستواه .

اما من ناحية التذوق فهو يرى ان المذاق في الاتجاه المعاصر انما يكون مذاقا عقليا تأمليا اكثر منه مذاقا عاطفيا حسيا .

البيئة الفنية وتطورها العلمي ..

ثم يتطرق المؤلف الى موضوع البيئة الفنية من ناحية تطورها العلمي وعلاقة الفن بالاتجاهات الفكرية الحديثة فيرى انه بالرغم من حـــدوث ذلك التطور الخطير الذي ســـاد الفنون بظهور المذاهب المعاصرة الا ان صدى كل من البيئـــة العلمية والفلسفية لم يبلغ مداه الحقيقي الا في مستهل القرن العشرين بظهور كل من الحـــركة الصـــوفية التجريدية في المانيـــا ، والحركة المستقبلية حيث ظهرتا في وقت واحد تقريبـــا حوالي عام ١٩١٠ بينما كان ظهور الحـــركة السيريالية في أعقاب الحرب الأولى .

ولكى يوضح لنا المؤلف الفوارق القائمة بين الفنون الكلاسيكية والمعاصرة وكيف تطور الذوق في أساليب التخطيط واستخدام الألوان ، اتخذ المقارنة وسيلة في توضيح هذه الفوارق بين عدد من اللوحات يمثل بعضها الفن القديم لكل من

الحقائق المتعلقة بطبيعة العمل الفنى سواء أكان فى الصورة الكلاسيكية والأكاديمية او فى الصورة الفنية المعاصرة ، وذلك قبل الدخول فى الشطر الثانى من هذا الكتاب وهـو الشـق المتعلق بالنظريات الجمالية المتطورة عبر العصور والتى شقت طريقها منذ العهود الهيلانيـة الى العصر الحديث والتى كانت ذات أثر فعال فى بنـاء الأسس والقواعد التى قامت عليها مذاهب الفن التقدمية المعاصرة .

الخطوط الأساسيه لنظرية الجمال اليونانيه

ثم يتحدث بعد ذلك عن الخطوط الاساسية لنظرية « الجمال » الأغريقية فيقول : ان التعبير عن هذه النظرية المتعلقة بالجمال قد اتخذ عن قصد من أجل المبادىء الثـلاثة المرتبطة بعضها ببعض والتى تنظم الاطـار الخارجى للتـأمل اليونانى فيما يتعلق بالطبيعة وقيم الجمال .. حيث يكون مبدأ واحد منها أكثر ملاءمة للقب « النظرية الجمالية » ويعنى به «المبدأ الجمالى» أما المبدأين الآخرين فيمكن وصفأحدهما بالمبدأ الاخلاقى والثانى بالمبدأ الميتافيزيقى .

فالمبدأ الأخلاقى يشير الى أن العمل الفنى اذا كان ذا مضمون يقوم على فساد أخلاقى فانه يكون مؤديا الى مضاعفة أمثلة الفساد كما يكون من شأنه تقوية الايحاء بالاغراء والاثارة .

أما المبـدأ الميتافيزيقى فهو يسـتند الى فلسفة أفلاطون المثالية فى نظريته عن « المثـال والصورة » بمعنى أن جميع الكائنات والموجودات لها فى عالم المثال صورة أتم وأكمل مما تكون عليه صورتها الواقعية فى العـالم المادى حيث تكون الصورة الوجودية المثالية ثم الصورة الحسية الطبيعية وطبقا لهذا المبدأ الميتافيزيقى « ماوراء الطبيعة » تكون الصورة الحسية الطبيعيـة (العالم المرئى) أقل اكتمالا من الاولى وتقليدا لها وبذلك يكون عمل الفنان تقليدا ثانيا رديئـا لتلك الصورة المقلدة أى ان الصورة الفنية تكون أقل فى المستوى من الصورة المثالية والصـورة الطبيعية .



الباليه الروسى (١٩٢٥)

ليوناردو دافينتشى وآنجـر بينما يمثـل البعض الآخـر الإتجـاهات التقدميـة لكل من سيزان وجوجان وبيكاسو حيث نقتطف نبذة عن رأيه فى هذا الصدد يقول فيها : « نلاحظ عند المقارنة بين طراز هذه اللوحات أن بينهـا هوة كبيرة من التطورات التى مرت بأسـاليب التخطيط والتلوين منذ عهد النهضة حتى الآن وقد سارت بحذائها تطورات جمالية تأمليـة تترسم مراحل ذلك الوعى الفنى تلك التى يشتد فيها صراع الآراء حـول المفاهيم الجمـالية (وما يرتبط بها من القيم والمبادىء الأخلاقيـة والنفعية والميتافيزيقية) بعد ظهور الحـركة الرومانسية التى تعتبر بداية رد الفعل للأوضاع الكلاسيكية واخطر مرحلة من مراحل هـذا التطور ، لأنها سـاعدت على وجود كثير من التحولات والحركات التى أدت فى النهـاية الى ظهور المذاهب الحديثة .

وهكذا استطاع المؤلف فى هـذه الجولة أن يكشف عن الكثير من جوانب الفن التى يكتنفها الغموض حتى يمكن للقـارىء أن يتوفر على

والمبدأ الجمالى بعد ذلك انما يعنى بانه لا يمكن ايجاد تفسير للجمال يتضمن اى صفات عميقة باكثر من تلك الوقائع الشائعة وهى الأشكال الطبيعية القائمة فى العالم المرئى والتى يستطيع ادراك الانسان العادى الوصول اليها كما ان الجمال الى جانب ذلك يقوم فى اشكال الطبيعة على اسس تجريدية ومعنى ذلك انه يستند الى اسس رياضية .

موقف افلاطون وارسطو من الفن ..

ثم يشرح المؤلف بعد ذلك موقف كل من افلاطون وارسطو من الفن فيقول فى هذا الصدد: اذا كان افلاطون ينتقص من قدر الفنون باعتبارها تمثيلا للظواهر سواء فى الفن التشكيلى أو الشعرى ، فما ذلك الا لأنه يربط فيما بين الفن والمبدأ المتعالى على الحياة تبعا لمثاليته التى تتشكل بها آراؤه بصفة عامة فى الفنون . فقد كان بذلك من اول العاملين على الفصل فيما بين الفن والحياة او بعبارة اخرى انه يضحى بذلك الفن الممثل لمظاهر اشكال الطبيعة على مذبح فلسفته المثالية . وبينما كان كل من افلاطون وتلميذه ارسطو قد سلما بان التصوير والنحت او الشعر كلها جميعا فنون محاكاة ، فان كلا منهما قد اتخذ اتجاها مغايرا للآخر ، فكان افلاطون يرى ان جميع هذه الفنون انما تعبر عن صور الظواهر السطحية العرفية الدائمة التغير والتحول ، دون التعبير عن الحقائق الجوهرية للأشياء فى الوقت الذى يرى ارسطو ان المحاكاة فى العمل الفنى حسبما دونها فى كتاب الشعر ، بانها تبعث على المتعة عند رؤيتنا للأشياء المقلدة . ومنها تلك الأشياء التى قد تؤلمنا او تفزعنا عند رؤيتها فى الواقع .

أثر آراء أفلاطون فى الفن الحديث

ثم يوضح المؤلف الأثر البارز لآراء افلاطون وصداها فى الفن الحديث اذ يقول :

لقد كان لمحاجة افلاطون فيما يتصل بالفنون التشكيلية وخاصة فى النحت والتصوير أثر بالغ فى النظريات التى تقوم عليها الفنون المعاصرة بالاجمال وهو ان الفنان يجب ان لا يعنى بظواهر الأشياء ومعنى ذلك يجب ان يركز اهتمامه فى ابراز الفكرة القائمة وراء مظاهر الأشكال وأن تكون عنايته منصبة على جوهر الشىء بحيث تكون الأعمال الفنية معبرة عن مضمونات الأشياء دون اشكالها السطحية وبذلك اصبح المضمون هو الممثل للعمل الفنى ويعتبر من أبرز سمات الفن فى العصر الحديث .

رأى عمانويل كانت

وقد أوضح لنا بعد ذلك كيف ان الاداء الفنى المعاصر الذى ينحرف بالاشكال عن اوضاعها الطبيعية كان صدى لاتجاه تأملى آخر يكشف لنا عن امتداد فلسفة أفلاطون فى آراء الفيلسوف « عمانويل كانت » التى تتمثل فى نظريته عن « الشىء فى ذاته » والتى يقول فيها بأن الأشياء فى ظواهرها انما تختلف عن الأشياء فى حقيقتها ويعنى ذلك أن مظاهر أشكال الكائنات ومختلف الأشياء لا تعبر عن حقيقة هذه الكائنات وتلك الأشياء بحيث يكون جوهر الشىء ومضمونه مختلف تماما عن الظاهر الشكلى للشىء ، وأن ذلك الشكل السطحى انما هو ستار خادع ، قد يخفى وراءه حقيقة أو معنى أو جوهرا ذات صفات بعيدة كل البعد عما يعبر عنه ذلك الشكل السطحى ، الذى هو فى اغلب الأحيان قناع زائف يستتر وراءه مضمون الشىء .

الآراء الفيثاغورية وصداها فى فلسفة شوبنهور

الجمال التجريدى ..

وبصدد الحديث عن الآراء الفيثاغورثية (لاتباع فيثاغورث) يرى المؤلف أن هذه الآراء بدورها كان لها صدى قويا فى فلسفة شوبنهور الجمالية التجريدية فى الأعمال الفنية التشكيلية على النحو الذى نجده فى التجريد الموسيقى ..

فلقد شرح المؤلف رأى شوبنهور فى أن جميع الفنون تطمح الى ما بلغتـــه الموسيقى « ذلك لأن هذه الفنون انما تحدثنا عن ظلال الأشياء ، بينما تحدثنا الموسيقى عن الاشياء ذاتها » حيث يرمى الى صفة التجريد التى للموسيقى وذلك باعتبار أن أصواتها المشجية لا تمت الى الاصوات الطبيعية بصلة ، وهى مع ذلك تمتع آذاننا فلم لا يكون الأمر كذلك فى الفنون المرئية ، وذلك بفضل القالب الطبيعى عن الاشياء حيث يعنى ذلك تجريدها عن أشكالها الطبيعية فى كل من اعمال النحت والتصوير .

ثم كانت خاتمة المطاف فى هـذا الكتاب عن التحليل الجمالى لبعض جوانب الفن التجريدى فيما يتعلق بالجمال فى الاوانى الخزفية ، حيث يرى المؤلف فى هذا الصدد ان التذوق لمثل هذه الأشكال التجريدية لايكون تذوقا عقليا بحتا وانما يكون هذا التذوق بالاضافة الى ذلك مشتملا على الأثر الحسى ولو بنسبة قليـلة طالما ان هـــذه الاشكال تكون ذات طابع جمالى .

تحليل ونقد الكتاب

وبعد ، فهذا الكتاب « الأصول الجمالية للفن الحديث » يبحث فى أثر الفلسفات القديمة فى الفن الحديث . وبعد العرض الســـابق لمواد الكتـــاب يتضح مدى الجهـــد الذى بذله المؤلف فى عرض الآراء الجمالية للفلسفات القديمة وربطها بالآراء الحديثة فى الفن . كذلك نجح المؤلف فى توضيح الارتباط بين الفن الحديث وعلم النفس ، لهـذا — فان من رأينا — أن هذا الكتاب يدعم النظرية الحديثـة فى الفن التشكيلى ويؤكدها باظهـــار جذورها فى الفلسفات القـديمة ويدعمها أيضـا بنظريات العلم الحديث .

الا أن المؤلف مع تأييده للفن الحديث من حيث آرائه ونظرياته ، فانه يعترض على طريقة التطبيق عند بعض الفنانين — فهو يرى أن المغالاة فى التشويه والتطرف فى الألوان الى درجة التنافر والقضاء على الانسجام يجعل الأداء صورة شنيعة للقبح — لهـذا — فمن رأيه — عنـد التطبيق أن نستبدل القيم الجمالية المألوفة فى الفن القديم بقيم جمالية مستحدثة مع الاحتفاظ بالجمال .

اما عن تبويب الكتـــاب : فهو ينقسم الى شطرين ، أما عن الشطر الأول فهـو يبحث فى طبيعة الفن . وبعض التعريفات الفنيـة التى تمهد للقارىء لتذوق الشطر الثانى والخـاص « بأثر الفلسفات القديمة » . ويلاحظ ان هـذا الشطر — مع انه تمهيدى — قد اقتطع من الكتاب (١٥١ صفحة) من مجموع صفحـات الكتاب التى تبلـغ (٢٥٢ ص) — وفى رأيى — انه كان يمكن ضغط القسم الأول وخاصة انه احتوى على موضوعات كثيرة أخشى على القـــارىء أن يتوه بينها قبل أن يصل الى صلب موضـــوع الكتاب .

وبهذا كان يمكن أن يتوسع المؤلف أكثر فى الشطر الثانى والخاص « بأثر الفلسفات القديمة فى الفن الحديث » .

وبالنسبة أيضا لتبويب الكتاب لاحظت أن عناوين الكتاب كلها — الرئيسية منها والثانوية — قد طبعت ببنط واحد — وهذا لا يعطى القارىء الاحساس بذاتية كل موضوع على حدة — لهذا فان تقسيم الموضوع الواحد الى عناوين رئيسية ببنط كبير وعناوين ثانوية ببنط صغير يســاعد القارىء على تتبع البحث براحة وانتباه .

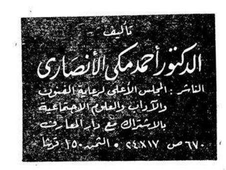
واخيرا — فان هذا الكتاب مفيد لكل دارس لفلسفة الجمـــال بعامة وللفنون التشكيليـة بخاصة .

ولا شك أنه ضرورى لكل مكتبة فنية وأيضـا لمكتبات كليات الآداب .

صبرى على شريف

أبو زكريا الفراء

ومذهبه في النحو واللغة



١ ــ هذا الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه الممتازة مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الدولة تقديرا للجهود التى بذلها المؤلف ورغبة فى تعميم النفع بالمعلومات التى حوتها الرسالة ، وقد اثنت اللجنة التى ناقشته عليه وعلى عمله ثناء مستطابا وأشارت الى الحقائق التى كشف عنها البحث ولم تكن معروفة من قبل للدارسين ، كما قدم الكتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . أحد أعضاء اللجنة فعدد المواطن الجديدة فى الرسالة وحمد لصاحبها حسن اختياره للفراء موضوعا للدرس وشكر له ما بذل من جهد فى درسه وعمق بحثه وسعة اطلاعه ، وقدر استقراءه المراجع حتى أنه لم يترك مرجعا ولا مصدرا يتصل بموضوعه ويصل اليه علمه الا ألم به واستخلص ما فيه بعد التمحيص والتعمق ووزن الآراء ونقدها .

هذا الثناء البالغ من اللجنة وصاحب التقديم جميعا يطالع القارىء أول ما يقرأ الكتاب فيبهر عينة بلألاء من الضوء خليق أن يعشيه عما عسى أن يكون به من مواطن الضعف ويوجهه فقط الى مزاياه ويجعله متجها الى أن يتقبل بسهولة كل ما جاء فيه من آراء وأن يوافق المؤلف دائما على ما يقول . ومراعاة لهذا الاعتبار وخشية التورط فى مجاملة علميـة لا يحمـدها النقـد السليم ولا يرضاها النهج العلمى ذهبت اقرأ بعناية وأناة وأنا أقف عند كل موضع يشعر بالمتعة العلمية ولـذة البحث لأتبين جـوانب الضعف ومواطن الزلل حتى خشيت أن أكون أدنى الى التحـامل اذ اردت البعـد عن الاطراء وعسى أن يكون فى اعتمادى على نصوص الـكتاب ورغبتى فى جلاء الحقيقة العلميـة ما يجعلنى أقرب الى الانصاف وأدنى الى الحكم الصحيح .

٢ ــ لم يقف الكتاب عند درس حياة الفراء والتعريف بآرائه فى النحو واللغـة ، وانما كان الفراء فيه محورا لدراسة واسعة تناولت جوانب متعددة من الفكر الاسلامى فى القرن الثانى الهجرى فى العـراق وأيضا فى غـير العراق ــ فقد كان المؤلف رغبـة فى استيفاء البحث يقف عند كل موضوع تناوله الفراء يكشف عن الأفكار العامة لهـذا الموضوع وموقف المعاصرين منها ثم يبين مذهب الفراء فيها ويوضح وجهة نظره ثم يزن رأيه كما يبـدو له هو فيزكيه أو يعارضـه ، ومن هنا تضخم الـكتاب وكبر حجمـه ــ ولكن المؤلف كان كثـيرا ما يزكى صـاحبه وقليلا ما يعارضه ، حتى ليبدو أنه لطول صحبته الفراء قامت بينهما صـداقة جعلته يعجب به فى أكثر ما يعمل ولا يخالفه الا فى النادر القليل .

والذى اكسب ابحاث الكتاب جدتها وطرافتها هو اعتماده على الآثار المفقودة من كتب الفراء فقد قرأ عددا كبيرا من المخطوطات التى لم تكن بمصر ولم يكن الحصول عليها عملا هينا ــ كان قد علم أماكنها من بعض المستشرقين ومن كتب التراجم الحديثة فجد فى الحصول عليها بالطرق المختلفة التى ذكرها فلما قرأها اقر نسبة بعض منها الى الفراء ومنها ما كان ينفى عنه ونفى بعضا آخر

عنه وكان ينسب اليه ـ ولم يكن الحصول على هذه الكتب عملا هينـــا بل كلفه مجهودا كبيرا ومحاولات عديدة هون مشقاتها رغبته فى كشف الحقائق والاطمئنان على صحة المعلومات .

٣ ـ والكتاب مبنى على بابين اثنين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة .

واحتوت المقدمة تعريف الكتاب وبيان منهج البحث فيه والدافع اليه وشيئا عن بعض مراجعه وطريقة حصوله على المخطوطات التى وصل اليها ـ اما الخاتمة فهى تلخيص لعالم الرسالة الكبرى وللأفكار الجديدة التى الم بها ، واذن فقوام الكتاب هو هذان البابان .

والباب الأول يقع فى ثلاثة فصول الم أولها بالحياة السياسية والاجتماعية والعقلية فى عصر الفراء ولم يشأ المؤلف الا ان تكون توفية للبحث واستكمالا لنظـــــام التأليف ـ فهى معلومات مدروســة مستقرة ليست مجال بحثه ولا هى موضع تجديد وأبداع ـ لهذا اوجز الحديث فيها واقتصر على أحداث السياسة الكبرى وعلى أبرز معالم الفكر المستجد فى هذا العصر .

والم الفصل الثانى بحياة الفراء ولكنه أطال اطالة ادنى الى الاسراف حتى اســتغرق هذا البحث زهاء مائة وخمسين صفحة ـ وكان سبب هذه الاطالة ما فى حياة الفراء من غموض وما فى حـديث المؤرخين والـكتاب المحـدثين عنه من اضطراب وتضارب ، فقد نسب الفراء الى غير قبيلة من قبائل العرب ، نسب الى أسد ومنقر وأسلم وقيل عنه مرة أنه ديلمى واخرى انه كوفى وثالثة أنه بغدادى ، وأكثر كتب التراجم قنعت بذكره وذكر اسم أبيه وجده بينما هو يريد أن يصل سلســـلة نسبه الى قبيلته وأسماء أصوله مضطربة أيضا ، وهـذا اللقب الذى يحمله قد يوهم أنه كان يصنع الفراء بينما هو صيغة مبالغة من فرى الشىء بمعنى قطعــه لقب به لأنه كان يقطع مسائله بحثا وخصومة حجـة ـــ ومع هذا فأحد أجداده . يحمل لقبا قريبا من هذا اللقب أو يسمى « فرا يحب » .

كل هـذه صعوبات صمد لها المؤلف صمودا كلفه كثيرا من البحث وعنـــاه كثيرا من الصبر المرير وحمله على حـــد تعبيره ان يقوم برحلة شاقة بين سلاســـل الأنساب من قبائل وبطون وأفخاذ وتهيب فى بادىء الأمر هذه الرحلة ولكنه قال لنفســـه « اذا لم احقق نسب صاحبى وقد تخصصت له وتوفرت عليـــه فمن ذا يقوم به بعدى » ؟ .

وحقـــا عاد من رحلتـه الطويلة بما يقطع الاضطراب فى نسب صاحبه وفى نسبه وفى حقيقة تسميته .. فضلا عن انه راد هذا الطريق الوعر وكشف عنه ما كان يغشيه من ضباب كثيف .

وفى مثل هــذا الاستقصــاء الم بالجوانب المتعددة من حياة الفراء عقيدته ومذهبه الكلامى وأخلاقه وعاداته وتدينه وجوانب ثقافته ومدى اتصــاله بمدارس الفـكر فى عهـــده ... الخ ولا يقف عنــد ذكر هذه المدارس بل يتحدث عن صفات كل منها ويذكر لمحة من تاريخها لا يغفل هذا بمدارس النحو واللغة فقط بل يتناول فرق المتكلمين والشيعة وهكذا ..

ومن هذه الأبحاث ما هو غير وثيق الصلة بموضوع الرســـالة ولكنه يتصل بشخصيته العلمية وتكوينه العقلى ومثل هذا البحث مهم فى رســالة جامعيــة ولـكن كان تقديم المعلومات الاجمالية عن هذه المدارس .

واستبقى بعض هــذه المسائل لاناقشه فيمـا بعد .

وفى الفصل الثالث تحدث عن آثار الفراء . ما هو موجود منها وما هو مفقود ، وهو بحث من صميم الرسالة ومن أهم ما تقوم عليه ، وفيه معارك عنيفة للمؤلف ومستكشفات قيمة ـ وسنلم بطريقـــة درس المؤلف لهـــذه الآثار ونقدم نموذجا لهـــا .

والباب الثانى يقع فى فصلين تحدث أولهمـا عن مذهب الفراء فى النحو وتحـدث الثانى عن مذهبه فى اللغة .

وفى هذا البـــاب بفصليه كشف عن جهود الفراء فى درس النحو وجمع اللغة وبين أنه امام كبير من أئمة اللغة والأدب وأنه مدرسة وحده فى النحو وان آثاره كانت نهبــا لكثيرين اشتهروا بها دونه .

وهـــذا الباب هو قمة البحث وفيه أعنف معاركه وأقوم مستكشفاته وفيه وضح أن الفراء هو الرائد الأول لتيسير النحو وأن آراءه فى هذا الميدان هى امام الميسرين فى العصر الحديث .

٤ ـ صنف كتب الفراء الى قسمين موجود ومفقود .

أما الكتب الموجودة فقد درس كلا منها على حدة دراسة واعية حصيفة ـ وأما المفقودة فقد ذهب يتصيد ما كتب عنها وما قيل فى وصفهـا أو قيمتها العلمية أو الطريقة التى ألف بها وما تحوى من معلومات ... وعمله وصفى فقط قصـاراه جمع أقوال السابقين والموازنة بينها ومحاولة التعرف منهـــا على قيمـــة الكتاب ومحتوياته ـ وهو حكم تقريبى فقط لا يعطى حكما دقيقا على عقلية الفراء ولا قيمة الكتاب ، ولكن لا يستطيع المؤلف أكثر من هذا وهو دائما يبدى أسفه لعدم تمكنه من عمل شيء أكثر جدوى وأقوم فائدة .

ويشعر القـــارىء أن نصب المؤلف فى هذا العمل كلفه مجهودا لا يقل عن درس كتاب موجود وقد أورد للفراء تسعة وعشرين كتابا مفقودا . تحدث عن كل منها بقدر ما وسعه الحديث .

وأول ما يبدأ به من درس الكتاب ـ مفقودا أو موجودا ـ أن تحقق نسبته الى صاحبه ، وفى الكتب الموجـــودة لا يكتفى فى التحقيق بالأدلة الخارجيـــة من أقوال المؤرخين أو وجود اسم الفراء بظاهر الكتاب وانمـــا يعتمـــد على درس الكتاب نفسه وبيان ما يتفق فيه وآراء الفراء فى كتبـــه الأخرى وما لا يتفق ومدى ملاءمة أفكاره للفراء أو عـــدم ملاءمتها فاذا اطمان الى صـــحة نسبه ذهب يدرسه على أنه حكم صحيح على علم الفراء وعقليته .

وبهذه الطريقة نفى عنه كتبا كانت مثبتة له وأثبت أخرى كانت منفية عنه على نحو ما ذكرت من قبل .

من أمثلة جهـــوده العنيفة فى بحث الكتب والبحث عنها موقفه من كتاب « الفاخر » : فقد ذكر بروكلمان أن للفراء كتابا فى الأمثال يسمى الفاخر وأنه موجود بمكتبة استامبول . فجهـد المؤلف فى الحصول عليه بطريقة أو بأخرى فاذا هو قد نقل بالرقم نفسه الى مـكتبة « الفاتح » وحصل على صورة منه وبقراءتها تبين أن الكتاب ليس للفراء وانما هـــو لمؤلف آخر هو المفضل ابن سلمة صـــاحب الفراء ـ والى هنا أصبح الكتـــاب خارجا عن دائرة البحث ولكن المؤلف لا يدعه وانما يقيم حوله دراســة وبحثا طويلا فيثبت أولا أن صـــاحب الفراء هو سلمة والد الفضل وان المفضـــل هذا قد التبس عند بعض الناس بالمفضل الضبى فيبحث فى تاريخ المفضلين ليثبت أيهما صاحب الكتاب حتى اذا كشف أنه لابن سلمة لا للضبى راح يبحث بحثا فرعيا ثالثا هل ابن سلمة هذا يتصل ببنى ضبة حتى يصح أن يسمى ضبيا أم هو مجـــرد التباس لشهرة الضبى دونه فاذا فرغ من هذا عاد يتقفى حركة النسخة التى حصل على صورتها فيخبرنا بانها استقرت أخـــيرا فى مكتبة السليمانية بالرقم نفسه ، وأخـــيرا يذكر أنه لا يأسف على الجهد الذى بذله والزمن الذى أنفقـــه بسبب غلطة « بروكلمان » بل يذكر غبطته بالحقائق التى انتهى اليها وهى حقـــائق كما ترى بعيدة عن موضوع الرسالة . ولكنه اخلاص للعلم وتفان فى البحث عن الحقيقة .

٥ ـ وكنموذج لدرس الـكتب التى حصل عليها وحقق أنهـــا للفراء اكتفى بعرض كتاب « الأيام والليالى والشهور » .

هذا الكتاب مطبوع حققه وعلق عليه الأستاذ ابراهيم الأبيارى وقدم له مقدمة طويلة ذكر فيها مشقة القيام بهذا العمل ورأى أنه يكفيه أن يقوم بتحقيق كتاب واحد للفراء .

وكان المؤلف قبل ظهور هذه الطبعة معنيـــا بدرس الكتاب ولديه نسخ مختلفة منها فلما ظهر مطبوعا اكتفى بما كتبه الأستاذ الابيارى فى وصف النسخ المخطوطة عدا أشياء قليلة رأى أن ينبه عليها كما عرف بأماكن النسخ المخطوطة ووصف كل واحدة منها فى ايجاز .

واتجه بعد هذا الى درس الكتاب .

بدأ بتوثيقه وتحقيـــق نسبته للفـــراء على مألوف عادته . وكان الأستاذ الابيارى فى مقدمته

والمستشرق الروسى « كراتشكوفسكى » فى مقال له قد نفيا أن يكون الكتاب للفراء أو أن يكون له كتاب بهذا الاسم فما موقف الدكتور مكى اذن ؟ . نظر قبل كل شىء فى الشبه التى قامت فى ذهن كل منهما ليؤيدها أو يفندها .

أما كراتشكوفسكى فكان قد اطلع على نسخة خطيـة ضمن مجموعة عربيـة بمكتبة سانت بطرسبرج — ليننجراد — ووجـد كتاب الأيام والليالى الذى بها منسوبا الى أبى عمر الزاهد فظن أنها نسبت للفراء خطأ لأن الفراء احد رواتها لهذا أسرع فنفاها عنه أولا ثم نفى أن يكون له كتاب بهـذا الاسم ثانيـا — وكان المستشرق « ريتر » وجد نسخة أخرى فى مكتبة « سليم اغا » باستامبول منسوبة الى الفراء فاعلن عنها — ولكن كراتشكوفسكى راح فى تسرع ينافى دقة العلم — يبدى أدلة يراها كافية فى نفى الكتاب عن الفراء ونفى أن يكون له كتاب بهذا الاسم — وكان من أهم ادلته أن الفراء يرد فى رواية النسخة التى رآها آخرا فى سلسلة الرواية لا أولا ومنها أن كتـاب « العشرات » الذى رواه ابن خالويه عن أبى عمرو يؤيد نسبة الكتاب اليه .

ورأى المؤلف أن هذه الأدلة لا تكفى ما دام كراتشكوفسـكى لم يطلع على النسخة التى باستامبول لأنه من المألوف فى هـذا الوقت أن يؤلف عدد من الناس كتبا باسم واحد وقد وجد فعلا عددا من الكتب باسم الأيام وباسم الأيام والليالى لمؤلفين غير الفراء وغير أبى عمر . ولهذا همه أن يحصل على النسخة التى باستامبول — وقد وجد سند روايتها يخالف سند النسخة الروسية وأن الكتابين فى محتوياتهما أيضا يختلفان وأن الوصف الذى ذكره « كراتشـكوفسـكى » لنسخته يوضح فرقا بعيدا بين الكتابين .

واذن فالكتابان مختلفان والفراء صاحب النسخة التى معـه اذ لا يوجد ما ينفيها عنه ودراستها أيضا تؤيدها .

ولم يكتف بهذا بل أراد أن يحصل على صورة من المجموعة العربية الروسية وقد أخفق مسعاه من قبل فلم ييئس ولا يزال يجد فى الحصول عليها .

وأما الأسـتاذ الأبيـارى فقد قلد هذا المستشرق أولا ولـكنه راح يعزز الفـكرة بأثارة شبهات أخرى .

منها أن خمسـة من أصحاب كتب التراجم هم ابن النـديم والقفطى وابن خلكان وياقوت والسيوطى لم يذكروا هذا الكتاب للفراء ومنها ان كتب اللغة وما اليها لا تنقل نصا واحـدا معزوا للفراء ولو أنها فعلت لمالت به الى التفكير فى أن الفراء كتابا فى هذا الميدان .

ورد الدكتور مكى أولى الشبهتين بأن سكوت المؤرخين عن نسـبة الكتاب اليه لا يعنى نفيه عنه — ومع أن السيوطى لم يذكره فى بغية الدعاة ذكره فى المزهر ونقل عنه نصوصا كثيرة وأورد الدكتور مكى هذه النصوص — وزيادة على ذلك يورد أيضا أسماء خمسـة آخرين من القدامى والمحدثين نسبو الكتاب للفراء .

وبنقل هـذه النصوص عن المزهر يكون قد نفى الشبهة الثانيـة . لكنه يعزز هذا الدفع بنقول أخرى عن « صبح الأعشى » وعن « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقى .

وهكذا يمضى فى تفنيد شبه الأستاذ الأبيارى الأخرى — وقد بلغت شبهه خمسا — فيفندها واحدة واحدة .

ويمضى الدكتور الشـاب فيستدرك على أستاذه أخطاء أخرى منها وهمه فى تحقيق ميلاد الفراء ومنها ظنه ان بكتاب الأيام والليالى الذى حققه نقصا ومنها خطؤه فى شرح عبارة للفراء .

ولا بأس أن نلخص النقطتين الأخيرتين .

أما ظنـه نقص الكتاب فسببه انه وجـد العبارة التى انتهى بها لا تؤذن بانتهائه وقد رجع الدكتور مكى الى الأصول الخطية فوجد بعـد العبارة التى انتهى اليها الأستاذ الابيارى عبارة طويلة فيها ختام الكتاب والايذان بانتهائه .

فالكتاب اذن كامل غير منقوص .

ويعقب الدكتور مكى على هذا كله بالتماس العذر لدارسى آثار الفراء نظرا لصعوبة المراس فى معالجتها عامة ومعالجة هذا الكتاب خاصة .

أدب جم يضاف الى الاخلاص للعلم !!

وينتقل بعد هذا الى تقديم الكتاب وتقويمه .

ويظهر درسه الكتاب انه يمثل حلقة من مراحل التطور من كتب اللغة وهى الحلقة التى سبقت وضع المعاجم وأن هذا الكتاب وامثاله كان عونا لمؤلفى القواميس اللغوية وقد فاتت منها فائتات أحصى هو منها قدرا لا بأس به .

هذا النموذج من درسه آثار الفراء يوضح ما ذكرت من قبل من ان عمله يقوم على المعارك العنيفة المتواصلة .

٦ — واذا انتقلنا الى الحديث عن الفراء النحوى واللغوى وهو أساس الكتاب وأصل الدراسة التى قام عليها نجد أنه من الحتم أن نرجع الى كتابه « معانى القرآن » فقد تضمن معظم آرائه النحوية واللغوية ويزيده قيمة أن كتب الفراء النحوية واللغوية غير موجودة .

هذا الكتاب يمثل قمة الثقافة عند الفراء وسعة العلم ونضج الفكر . الفه وهو فى سن الستين أو ما حولها وهو أول تفسير وصلنا يجمع مع شرح الآيات دراسات لغوية ودراسات نحوية ويذكر القراءات ويحتج لها ويبين أسباب النزول ورسم المصاحف واختلاف هذا الرسم وأسبابه — وهو أول كتاب بحث نظرية الموسيقى القرآنية وأثر النغم الصوتى وتنظيم الفواصل واول كتاب بحث فى التشبيه بمعناه البلاغي وأول كتاب بحث فى الاعجاز اللفظى للقرآن الكريم .
هذا مع ما جمع من مصطلحات نحوية وشروح لغوية . ويثبت عمل الفراء فيه أنه سبق بمصطلحات النحو ابن السراج .

وهذا الكتاب موسوعة علمية أو دائرة معارف للفراء كما يقول المؤلف .

ولسنا نقف مع هذا الكتاب لوصف عمل المؤلف وبيان دراسته وحسبنا أنها استغرقت ما يزيد على مائة صفحة — وعلى عادة المؤلف خالف فى تحقيقاته كلا من بروكلمان والمرحوم أحمد أمين كما خالف الأستاذين اللذين نشرا الجزء الأول من هذا الكتاب . وانما يعنينا أكثر من هذا أنه تصيد منه آراء الفراء النحوية التى لم يجمعها كتاب وصل الينا وكانت مبعثرة فى كتب اللغة وأكده ينسب للكوفيين بوجه عام مع انه هو صاحبها .

وبعض آرائه فى هذا الكتاب كانت مددا للجاحظ وابن قتيبة وابن جرير الطبرى وابن مضاء القرطبى اشتهروا بها دونه وبقى هو — وهو صاحبها — لا تنسب اليه .

٧ — ويطول بنا الحديث لو وقفنا عند كل مسألة من هذه المسائل نحللها ونبين مدى ما للفراء من أثر فيها ومدى تطورها ونموها بعده ولكن فى مقام الدراسات النحوية ننظر فى مشكلة تيسير النحو لأنها مما يشغل بالنا فى الوقت الحاضر .

وكان المرحوم ابراهيم مصطفى من اشد النحويين المعاصرين شغلا بهذه المسألة وهو من نحو ثلاثين عاما أخرج كتابه احياء النحو فبناه على نظرية حذف العامل وحذف العلل الثوانى والثوالث من قواعد النحو وادماج القواعد الفرعية الدقيقة فى ابواب واسعة تسهيلا للدرس على الناشئين ووجد فى نحو الكوفيين الذين لا يتشددون فى القياس ذريعة لما أراد — وهو يعيب النحويين أو على الأصح البصريين تأثرهم باصطلاحات الفلسفة واسرافهم فى الاعتماد عليها اسرافا أفسد النحو وذهب ببهائه كما جعلهم يهملون العناية بمعانى الكلام مشغولين بأمور ليست ذات قيمة حتى أنهم تصوروا عوامل الأعراب أشياء مجسمة لها فاعلية وتأثير . وجاءت فى كتابه اشارة عابرة للفراء . وأصحابه اذ هم يرفعون المبتدأ بالخبر لا بالابتداء فرارا من الاعتماد على العامل الذى لا يظهر ولا يعمل .

وبعد ذلك بأكثر من عشرة أعوام عثر الدكتور شوقى ضيف على كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى وهو يتفق مع « احياء النحو » فى مسائل وأبواب كثيرة فضلا عن الروح العامة التى تنتظم كلا الكتابين من الحمل على العلل الخفية والعوامل المقدرة التى تزيد قواعد النحو

ثقلا ويقول ابن مضاء انه يريد أن يحذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه — ورد الدكتور ضيف هذه النزعة عند ابن مضاء الى تأثره بالمذهب الظاهري الذى ساد هناك فى هذا الوقت . ويظهر ذلك فى تعليله رفع المبتدأ والفاعل فيرى أن الذى يحدث هذا الأثر هو المتكلم أما الابتداء والفاعلية أو الخبر والفعل فانها الفاظ لا تعمل شيئا .

ولشدة التوافق بين الكتابين راح بعض المتسرعين يتهم ابراهيم مصطفى بالأخذ عن ابن مضاء .

أما الدكتور مكى فقد كشف أن ابن مضاء يعتمد على آراء الفراء وينتحلها لنفسه وأن رده على النحاة انما هو كلام الفراء سطا عليه فانتحله لنفسه ولم ينسبه لصاحبه — ويعلل ذلك بشيئين رغبة ابن مضاء فى الظهور بمظهر المجدد الثائر على القديم من ناحية وللعداء المستحكم بين المغاربة والمشارقة فى هذا الوقت من ناحية أخرى وكان من شأن هذا العداء أن يحول بينه وبين الجهر بهذا الأخذ اذ كان يهم المغاربة أن يظهروا بمظهر الأنداد للمشارقة أو المتفوقين عليهم .

وليس لهذا التعليل ما يعارضه بل هناك مرجحات تؤيده . فكتاب معانى القرآن للفراء كان له خطره منذ ظهوره وقد بين الدكتور مكى نفسه مدى تهافت الناس عليه ومغالاة الوراقين فيه ولا يمكن ألا يكون انتقل الى المغرب ، وفى وقت ظهوره لم يكن هذا العداء قد ظهر بين الجماعتين ، وفى كتاب معانى القرآن من قواعد النحو ما يكفى لتكوين هذه الأفكار ثم أن ابن مضاء انما تعلم النحو من المشارقة ولكنه تعلم النحو البصرى المسرف فى الاكثار من القواعد مما دعاه الى التخلص منها .

وأما غضبة المغاربة على الشرقيين وميلهم الى منافستهم فقد ظهرت من قبل ذلك ولكنها لم تمنعهم عن الأخذ منهم من جهة ومن جهة أخرى لم يستطيعوا أن يتخلصوا من تقليدهم — ولعل ثورة ابن بسام صاحب الذخيرة — على تقليد المشارقة تعطينا مثلا واضحا لهذا اذ هو نفسه كان صورة شرقية خالصة حتى فى تقسيم كتابه ومنهجه فضلا عن أفكاره ومعلوماته .

وكلام الدكتور مكى لا يتضارب مع تعليل الدكتور شوقى ضيف بل لكل من التعليلين مجاله .

كما أن هذا البحث يظهر أن المرحوم ابراهيم مصطفى لم يستق أفكاره من ابن مضاء ولكن كلا منهما اخذ عن النحو الكوفى أو على الأصح اخذ عن الفراء .

والحق ان الدكتور مكى كشف عن حقيقة كاد يجهلها دارسو النحو جميعا وهى أن آراء الفراء فى النحو نسبت الى الكوفيين وأهمل صاحبها .

٨ — والأساس الذى قامت عليه شخصية الفراء الفكرية هو التحرر وطرح التعصب المذهبى — فهو لا يتقيد بمذهب معين وانما يأخذ فى ميدان التفكير العقيدى من أهل السنة ومن المعتزلة ومن الشيعة ويأخذ فى ميدان اللغة من النحو الكوفى ومن النحو البصرى ولا يكتفى بالأخذ وانما يزيد على عملية المزج ما له هو من فكر خاص لم يعرفه أولئك ولا هؤلاء .

هذه الفكرة ألح عليها المؤلف وبنى عليها أهم آرائه فى الفراء ولا نخالفه فيها وانما نخالفه فى بعض ما رتبه عليها .

من ذلك أنه يرى أن الفراء رائد الاشاعرة لأنه جمع بين مذهبى أهل السنة والمعتزلة وهذا العمل هو ما فعله الأشعرى . فهو . مؤنس بالفراء . والمؤلف يقرر هذه الفكرة بشىء من التهيب ولا أستطيع أن أوافقه عليها — فلأبى الحسن الأشعرى دوافعه الخاصة التى حدت به الى عمله وفارق الزمن بعيد بين الرجلين والفراء مع تعاطيه الفلسفة فى كلامه ليس صاحب مذهب كلامى فهذه الفكرة أدنى الى مجاملة الفراء .

أما الذي لا يخالف فيه وهو قيم حقا فهو كشفه أن الفراء مؤسس المدرسة البغدادية وأنها نشأت عن اختياره من هذا المذهب وذاك وقد تتبع نشأة هذه المدرسة وبين أنها لم تظهر ظهورا مميزا لشخصها الا على يد الفراء . وهذا من الجديد في هذا الكتاب .

٩ — ومن جديد هذا الكتاب أثباته أن الفراء أسبق النحاة الى وضع المصطلحات النحوية فهذا عمل لم يظهر عند الخليل ولا عند سيبويه وكان المفهوم أن ابن السراج هو مجلى هذا الميدان . ومنه أن الفراء أول من نادى بمبدأ الاعجاز اللغوى فى القرآن الكريم وأنه كان يتصدى للنظام ومن شايعه فى فكرته من منكرى هذا الاعجاز ، وقد ذكرنا من قبل فكرته عن أثر الموسيقى اللفظية فى القرآن والتوافق الصوتى للفواصل وهى فكرة استفاد منها كل من الجاحظ وابن قتيبة .

ومن جديد الفراء انه أول من تصدى لبيان أثر اللهجات القبلية فى اللسان العربى وهذا البحث يفتح المجال لشىء آخر وهو أثر اللغات السامية الأخرى فى اللهجات العربية وكنت أود لو التفت المؤلف الى هذه الفكرة — وقد سبق الفراء أيضا الى اعتماد الحديث الشريف حجة فى النحو واللغة وكان المستشرق يوهادفك يظن أن ابن خروف أسبق منه أو من السابق فى هذا ولم يتجه نحو الفراء أصلا .

وقريب من هذا ما ذكره عن ابن خلكان من أن كتاب البهى او البهاء للفراء هو أصل كتاب الفصيح لثعلب — اذ ليس له فيه الا الترتيب وشىء يسير — وهذه المسألة ينقصها بعض التحفظات ما دمنا لم نر الكتابين وان كان ابن خلكان غير متهم كما يقول — والأولى تنسب هذه المسألة الى ابن خلكان وكفى .

وقريب منه أيضا ما أخذه على الطبرى شيخ المفسرين من أنه يعتمد على معانى الفراء وكثيرا ما يأخذ عبارته وشواهده ومع هذا يعيبه ويسخر من كلامه — وقد كسا المؤلف هذه المسألة ثوبا فضفاضا حتى انه يرى أن ثورة الحنابلة على الطبرى انما هى انتقام من الله للفراء وهى فكرة كما ترى . ولا ننازعه فى أخذ الطبرى من الفراء ولكن كاد ينقصه الشواهد المقنعة اذ لم يذكر غير شاهد واحد وهو غير كاف .

وقريب من هذا ثالثا ما رآه من أن ابن قتيبة امتص معانى الفراء واعاد الكتاب فى ثوب جديد له باسم — تأويل مشكل القرآن — وهى دعوى ينقصها أيضا الدليل الكافى وهو نفسه يشعر بهذا لكنه يسوق الفكرة لينبه اليها الدارسين .

ومنه — رابعا — وهذا يرجع للمؤلف لا للفراء — اشادته بتحقيقه مولد الفراء ومماته — والتاريخ الذى استقر عليه هو ما ارتضاه صاحب الأعلام — وللمؤلف فقط تحقيق هذا التاريخ وقطع الشك فيه وكنت أود لو ظفر الاعلام منه باشارة فى هذا الموضع وهو من مراجعه .

١٠ — ومع اعجاب الدكتور مكى بصاحبه لم يعفه من النقد بل أخذ عليه عدة مآخذ اهمها تمسكه بالقياس حتى يخالف به المسموع وافساده مدرسة الكوفة بهذه الطريقة وانه بقياسه يخطىء العربى فى لغته الى مآخذ اخرى ذكرها .

أما بعد فان هذا الكتاب ما زال بحاجة الى الحديث عنه وكل ذلك بطبيعة الحال لا يغنى دارسى اللغويات والنحو عن الرجوع الى الكتاب . وهو كما قلت دراسة واسعة يقوم الفراء فيها مقام المحور الذى تدور عليه الأبحاث .

عبدالجليل شلبي

ثائر من الصومال

تاريخ أمتنا العربية تاريخ حافل بأسماء نادرة قادت شعوب هذه الأمة فى مختلف الميادين . ففى نواحى الفكر والفلسفة والعلوم والفقه والدين نجد الكثير من الأسماء التى لمعت ليخلدها التاريخ . كما يحدثنا تاريخ هذه الأمة عن ابطال قادوها فى معارك الشرف والبطولة ضد عوادى الزمن ودفعوا عنها غوائل الطامعين، واستخلصوا لشعوبها حريتها وكرامتها من عدو غاشم أو حاكم باطش .. فمنهم من كتب لهم النصر .. ومنهم من أوقد الجذوة ليحملها بعده الآخرون .

وموضوع هذا الكتاب يحدثنا عن بطل عربى أفريقى .. قاد شعبه ضد الاستعمار حوالى الربع قرن فى نضال مرير قضاها مدافعا عن قضية تحرير بلاده والقضاء على أعدائها ..

عاش الملا ــ محمد بن عبد الله الحسن ، ليتزعم ثورة الصومال ضد السيطرة والتحكم الأجنبى . وليكمل بذلك السلسلة التى بدأ حلقاتها أحمد عرابى فى مصر ، وأكملها محمد أحمد المهدى فى السودان والتى هدفت الى اجلاء القوات الأجنبية الاستعمارية عن الأراضى العربية ..

شب الملا ــ محمد بن عبد الله الحسن عن الطوق ليجد الصومال العربى فريسة لأطماع هذه الدول ؛ كل يريد أن يستخلصها لنفسه ويستأثر بخيراتها دون غريمه .. فكيف حدث ذلك .. ؟

جاء هذا التحول السريع فى سياسة التسابق الاستعمارى الأوربى على امتلاك أجزاء من أفريقيا منذ عام ١٨٨٠ .. ففى هذه السنة بدأت الدول الأوربية تدخل مبدأ امتلاك اجزاء من هذه القارة فى نطاق سياستها .. فاخذت هذه الدول فى بسط سلطانها على أجزاء فى أفريقيا .. فاستعمرت بلجيكا الكونغو ، واحتلت فرنسا تونس ، ودخلت انجلترا مصر ، وهكذا .

وانتقل نشاط هذه الدول وغيرها الى مناطق غربى البحر الأحمر وساحل افريقيا الشرقى ..

تأليف : عبد الصبور مرزوق
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
٢٢٣ ص ١٧×٢٤سم • الثمن ٣٠ قرشا

ففى هـــده الجهات تركزت العمليات التوسعية الجديدة فى المنـاطق التى كانت تديرها مصر فى ساحل الصومال ، وهرر وأقاليم شرق السودان بعد أن انحسرت عنهــا هـــذه الادارة نتيجة للاحتلال الانجليزى لمصر .. ولقد أسرعت كل من بريطانيا وايطاليا وفرنسا الى محاولة اقتطاع اجزاء من هذه الجهات . وكانت أول آثار هذا الاتجاه الجديد فى السياسة الاستعمارية الأوربية ان تشابكت مصالح هذه البلاد فى منطقة واحدة تعد من اهم المناطق الاستراتيجية فى أفريقيا . وبدأت أهداف كل من البلاد الثلاثة تتعرض لخطر الانهيار نتيجة لهذا الاحتكاك .

ووسط هذه الدوامة الهائلة من الصراع ، قاد الملا محمد بن عبـــد الله الحسن مواطنيه فى ثورة وطنية ضد قوى الاستعمار ، وكان كفاحا مريرا ، استمر لفترة طويلة .

وحركة مهدى الصومال الثـــورية ، صادفت كما صادفت غيرها من الحركات التحررية الكثير من التشوية والتلفيق . لقد رأينا كيف صـــور الاستعمار لنا حركة عرابى التحررية الوطنية .. وكيف رسم لنـــا شخصية المهـــدى والثورة المهـــدية .. لقـــد اظهرهما فى غير صـــورتهما الحقيقة ، ليقلل من أهميتهما ويمحو صـــور البطولة والهالة المفروض وجودها من العقول . وهـــذا بالضبط ما فعله الاستعمار مع مهدى الصومال وثورته لقد أظهره فى شخصية الرجل المتهوس وحركته الثورية بالهمجية والطيش ، وسجل مؤرخوه وكتابه فى كتبهم هـــذه الوقائع الكاذبة ليجعلوا منها حقيقة تسىء الى هذا البطل المكافح وتضيع معـــالم كفاحه . ولم تر سيرته وثورته النور الا على لسان شهود العيان وقليل من الكتاب المنصفين الذين أوردوا بعض الحقائق عنه . أما الكتاب الوطنيون فقـــد فرض عليهم الاستعمار رقابة شديدة لحصار انتاجهم .

* * *

ومما يجعل لهذه الفترة التى عاشها مكافحا محمد بن عبد الله الحسن أن مصر لعبت دورا هاما فى تاريخ الصومال الحديث . فقد شملت الادارة المصرية بعض أجزاء الصومال فى القرن التاســـع عشر ، فعملت على نشر التعليم فى البلاد وانشأت المستشفيات ونشطت التجارة فعم الرخاء وظهرت بوادر نهضة فى الصومال لم يشهدها شعبه من أمـــد طويل . فلما أرغم الاستعمار المصريين على الانسحاب ، وحل الغاصب الأوربى محل الأخ المصرى كان وعى الصـــوماليين قد اكتمل ، ولم يخف عليهم الفرق الشـــاسع بين الادارة المصرية التى كانت تأخذ بيدهم وترعى مصالحهم وبين بطش المستعمر وأساليبه الاستغلالية وأنانيته التى لا حد لها .. لذلك كانت فترة الادارة المصرية — على قصرها — من العوامل الفعـــالة فى اذكاء الشعور الوطنى فى الصومال وتصميم الشـــعب الصومالى على عدم الخضوع للأجنبى ..

وكان جهاد بطلنـــا محمد بن عبد الله الحسن انعكاسا طبيعيا لهذا التصميم . فلم يرض لبلاده أن تستسلم بخنوع للغاصبين ، بل قاتلهم « بنية صالحة ، وايمان قوى ، وعزيمة لا تعرف الملل » لقد استشهد البطل فى ساحة القتال ، ولكن الكفاح الذى غرس بذوره لم يلبث أن آتى ثماره بعـــد أن خارت قوى الاستعمار فى الحرب العالمية الثانية ولم تستطع الصمود أمام التحرر الجارف الذى ساد العالم فى السنوات الحديثة .

* * *

وبرغم قرب احداث ثورة الملا التى تكاد تكون معاصرة ، الا انهـــا ظلت تائهة بين الحقيقة والتضليل وكل المحاولات التى بذلت لاخـــراج تاريخ صحيح لثورة الصومال ضد الاستعمار فى أواخر القـــرن التاسع عشر وتاريخ قائدها ، محـــاولات اجتهـــادية جانب بعضها التوفيق ، وسارت تهـــدى الغير الى الحقيقة التى سوف تظهر فى يوم من الأيام ناصعة مشرقة ، يفخـــر بها العرب عامة ، وعرب الصومال خاصـــة ،

ولتكمل هذه السيرة ، سيرة عرابى وثورته فى مصر ضد الاستعمار البريطانى ، والمهدى وثورته فى السودان ضد هذه القوة التى أرادت فرض سيطرتها على وادى النيل .. لتكون سيرة هؤلاء الأبطال وغيرهم أسطورة المستقبل التى تروى للأجيال المقبلة .

* * *

والدعوة التى ارتفعت منذ أعوام قليلة عن ضرورة اعادة كتابة تاريخ الأمة العربية من وجهة النظر الوطنية ، لتصحيح ما علق به من زيف وتشويه دعوة جديرة بالعناية الكاملة . وما كتبه الأستاذ عبد الصبور مرزوق فى هذا الكتاب يعد تطبيقا عمليا لهذه الدعوة .. وتمشيا مع الخط الوطنى الذى يجب نهجه فى عهد الاستقلال والتحرر .

لقد اختار المؤلف موضوعا لبطل عربى أفريقى أسهم بدور مشكور فى رفع الظلم عن مواطنيه وتحرير بلاده من السيطرة الأجنبية .. بدأ كتابه بالحديث عن مولد محمد بن عبد الله حسن ونشأته ، والظروف التى عاشتها بلاده آنذاك . ثم انتقل الى الحديث عن استعداده للكفاح ضد المستعمر ، وبعد ذلك روى فترات هذا الكفاح وما تخللها من نصر وهزيمة ، ومؤامرات الاستعمار لتذبيب المكاسب التى حصل عليها واعتماده على عنصر الخيانة ..

وكيف وقف ثائر الصومال فى وجه هذه الدسائس والفتن بصلابة وأصرار .. حتى كانت المعركة الكبرى التى دارت بينه وبين القوات الاستعمارية المتعددة ومعها العناصر التى سارت فى ركابها من الخونة والمرتزقة . واختتم المؤلف كتابه بنهاية بطل موضوعه .

والأسلوب السهل الذى رأى المؤلف أن يتبعه كان له تأثير كبير على تتبع أحداث هذا الكتاب ، كما وفر على القارىء الكثير من الجهد لتفسير ما قد يخفى عليه من أمر ، كما أن تنويع الموضوعات وجمال تبويبها وعرضها وما اشتملت عليه من معلومات شخصية وهامة فى حياة الملا من مولده وحياته الخاصة قد ألقت ضوءا كبيرا على تصرفاته العامة المتسمة بطابع الكفاح والاصرار فى سبيل تحرير بلاده .

كما أن نصوص المكاتبات التى اشتمل عليها الكتاب والتفاصيل الدقيقة للمعارك وسيرها قد أبانتا بوضوح مدى الجهاد العنيف والصلابة فى الحق التى اشتهر بها الملا محمد بن عبد الله الحسن .

والكتاب فى مجموعه يعتبر كسبا طيبا للمكتبة العربية كسبا أتاح الفرصة للمؤلف أن ينقى تاريخ الثائر الصومالى وتاريخ هذا الجزء العزيز العربى من قارة أفريقيا من كثير من الشوائب وكثير من الانحرافات التى أضل بها الأجانب تاريخنا حقبة كبيرة من الزمن .

د . محمد المعتصم سيد

● ● ●

سطور من كتاب ...

« كان أثر منهم الفروق بين الجنس البشرى على أوربة ان خرجت على ما يطلق عليه علماء الاجناس « حلاوة التقاليد » فقد نضج شعور جديد عن الطبيعة النسبية للنظم الاجتماعية ، واصبح من الصعب الايمان بوجود اى حق مطلق للفرد فى سلوك الطريق الذى يشاء . »

... تاريخ العالم الحديث

مشكلات علم النفس

تأليف : ه . إيزنك

ترجمة : الدكتور جابر عبد الحميد جابر
والدكتور يوسف محمود الشيخ
مراجعة : الدكتور أحمد زكي صالح

الناشر : دار النهضة العربية
٣٢٢ صفحة ١٧×٢٤ سم

كنت قد قرأت هذا الكتاب باللغة الانجليزية في مجموعة بليكان وكنت أتمنى خلال قراءتي له أن يدفع الله بعض كتابنا العرب والمشتغلين بالفلسفة وعلم النفس الى ترجمته . وهاندا اجد بين يدي اليوم ترجمته كاملة . وعنوان الكتاب بالانجليزية هو (حسن استخدام علم النفس وسوءه) فآثر السادة المترجمون اعطاءه هذا الاسم الجديد : مشكلات علم النفس تخفيفا له حتى يسهل التعامل به . والواقع أن العنوان المختار لا يشير من قريب أو من بعيد الى طبيعة الدراسة التي قام بها الأستاذ هـ . ايزنك مؤلف الكتاب . وكنت أود أن يضيف المترجمون كلمة (التطبيقية) الى كلمة (مشكلات) حتى يقترب الكتاب بذلك قليلا من اذهان الجمهور . والمترجمون هم الدكاترة : يوسف محمود الشيخ وجابر عبد الحميد جابر وقام بالمراجعة الدكتور أحمد زكي صالح .

واود أن أشير الى أن الكتاب ليس صعبا من ناحية الأساليب والعبارات والتراكيب ويمكن جدا أن نلمس هذه الحقيقة بمطالعة بسيطة ولو لاحدى صفحات الكتاب الأصلي . ولكنني فوجئت بأن التغييرات التي أجريت في تحريف الكلمات والعبارات كانت كثيرة في الترجمة دون أن تكون هناك صعوبات ما من ناحية الجمل الأصلية . ففي فهرس الكتاب مثلا يترجم المترجمان كلمتي Social Attitudes بسيكلوجية الاتجاهات والأفضل في نظري المواقف الاجتماعية . كذلك في صفحة (١٩) من الكتاب وجدت المترجمين يستخدمان كلمة مفهوم للتعبير عن كلمة Concept وأصح من ذلك استخدام كلمة تصور .

وهناك كلمات كثيرة من هذا القبيل لم يكن المترجمان في حاجة الى بذل مجهود كبير لتحاشي الخطأ في ترجمتها . ولو أنهما تابعا أي كتاب من كتب الفلسفة أو علم النفس التي سبقت ترجمتها الى اللغة العربية أو المناقشات العادية التي دارت بين بعض أساتذة الفلسفة حول ترجمة بعض المصطلحات لأغناهما ذلك عن الوقوع في هذه الأخطاء .

وأجد من المناسب لذلك أن أعرض نصا

صغيراً من عدة أسطر لترجمة قاما بها في صفحة (٣٧) من الكتاب مع اعادة كتابة النص بالترجمة التي اقترحها لترى الى اي حد لم يكن هناك تمسك بمماشاة النص الاصلي أو حرص على اخراج الترجمة بأفضل أسلوب ممكن . وهذا هو النص :

« ودون الدخول في تفاصيل معقدة يمكننا ان نصل في نهاية استطلاعنا الى اجابة عن السؤال « ماذا تقيسه اختبارات الذكاء في الواقع ؟ » فاذا وضعت الاختبارات صوابا وفقا لخطوط تحليلية فانها تقيس سرعة الأداء العقلي الذي يعتبر مكونة اساسية للكفاية العقلية ، كما تقيس سهولة خاصة في تناول أنماط مختلفة للمادة ــ كالأعداد والكلمات والرسومات وما الى ذلك وتدل على تفوق خاص في مختلف العمليات العقلية ــ مثل الادراك والتذكر والتفكير وما الى ذلك ، كما أن هذه الاختبارات تتضمن أيضا مكونات غير عقلية مثل المثابرة التي تعد ذات اهمية بالغة في تحديد الذكاء الفعال لدى الشخص اي قدرته على حل مشكلات ذوات مستوى عال من حيث صعوبتها وتعقيدها . »

اما الترجمة التي نقترحها والتي تظهر مدى اقتراب المترجمين من النص الأصلي فكالآتي :

وها نحن نصل بعد أن تخلصنا من ملامحها الكثيرة التعقيد في نهاية تطلعنا الى اجابة عن السؤال : ما الذي تقيسه اختبارات الذكاء حقيقة ؟ انها اذا اقيمت وفقا لتخطيط تحليلي تقيس سرعة تشغيل الذهن التي تبدو أساسية تماما بالنسبة الى الفاعلية العقلية . وهي تقيس أيضا السهولة الخاصة في تناول النماذج المختلفة من المواد كالأعداد والكلمات والتصميمات وما الى ذلك كما أنها تقيس التفوق الخاص للأنماط المختلفة من العمليات العقلية كالادراك والتذكر والاستدلال وما الى ذلك . وتتضمن هذه الاختبارات أيضا اجزاء غير ذهنية كالمثابرة وهي أجزاء ذات اهمية بالغة في تحديد الذكاء الفعلي للشخص اي في تحديد قدرته على حل مشاكل ذات تعقيد وصعوبة اكثر فأكثر » .

ونلاحظ مثلا أن النص الخاص بالكتاب المترجم يحتوى قبل نهايته على العبارة : وتتضمن هذه الاختبارات ايضا اجزاء غير ذهنية كالمثابرة وهي أجزاء ذات أهمية بالغة في تحديد الذكاء... الخ . ويفهم من هذه العبارة ان الأجزاء غير الذهنية هي التي تتصف بالأهمية البالغة وليست المثابرة في حد ذاتها التي جاءت كمثال فقط . أما النص الأول المأخوذ من الترجمة فيفهم منه أن المثابرة هي التي تعد ذات اهمية بالغة . كذلك لا نفهم لماذا استخدم المترجمان كلمة الاستدلال ترجمة للكلمة الانجليزية Reasoning في الشكل التخطيطي لعمليات الذهن بالصفحة رقم (٣٧) واستخدما كلمة تفكير لنفس الكلمة في النص الذي اخترناه سلفا .

والواقع أنني لا أطالب المترجمين بترجمة حرفية نصية ولا مانع في رأيي اطلاقا أن يقوم المترجم بالتصرف قليلا حيثما لم يكن الكتاب يمثل نصا دقيقا له قيمة تاريخية . ليس هناك ما يمنع الترجمة بتصرف مع المحافظة الجدية على المعنى المراد شرحه للقارىء ومع محاولة تقريب روح كاتب البحث الى الجمهور . ولكن الخطأ في اختيار الكلمات وفي تركيب العبارات بحيث لا يصبح الفاعل الأصلي في الجملة المطلوب ترجمتها فاعلا في الجملة الجديدة لا يمكن التساهل بشأنه أو السكوت عليه .

وقد استطاع المترجمان ان ينقلا الى العربية اختبارات الذكاء التي وضعها ايزنك في عبارات سليمة واضحة . بيد ان القراءة العادية لبعض فقرات الكتاب كانت تدفع أحيانا الى التوقف امام كلمة من الكلمات لعدم توافقها مع المفهوم العام . خذ مثلا صفحة (٦٩) فهو في احدى الفقرات يتحدث عن اختبارات الذكاء للأطفال وتمضي الترجمة صحيحة أنيقة لتوضيح أهمية مقاييس الذكاء بالنسبة الى قياس القدرة العقلية لدى الأطفال حتى تجد نفسك فجأة أمام كلمة راس المال . وهنا تسأل نفسك بالضرورة : وما شأن الأطفال ورأس المال ؟ وحينئذ يأخذك الفضول

كما اخذنى لمراجعة الكتاب الاصلى . فالنص المترجم كما يلى : والنتيجة الواضحة التى يمكن استخلاصها من هذه الحقيقة بالتأكيد ، انه اذا اردنا ان نعرف قدرة الطفل الحالية وفى نفس الوقت ان نتنبأ عن قدرته فى المستقبل ، فعندئذ لا يمكننا الاعتماد على اختبار واحد بل يجب ان نطبق اختبارين احدهما لايجاد حجم رأس المال والثانى لمحاولة قياس حجم الزيادات المحتملة .

وبمجرد الوصول الى كلمة رأس المال شعرت بان ثمت امرا . والواقع ان الترجمة فى هذه الفقرة سليمة وتمضى مضيا صحيحا الا اننى تعجبت من رأس مال الاطفال . وفى الاصل الانجليزى استخدم ايزنك كلمة Fund وقد وضع المترجمان فى مقابلها كلمة رأس المال مباشرة دون محاولة التفكير قليلا فى الموضوع ومحاولة تعديل العبارة . فالكلمة الانجليزية المذكورة تشير الى اى ذخيرة مدخرة من العاطفة او من الفهم او من المعرفة وليس بالضرورة من المال فقط . ولذلك كان من المفضل ان يتحايل المترجمان على النص هنا ووضع عبارة (ثروة الطفل من الفهم) بدلا من الكلمة المالية التى لا تتفق بحال من الاحوال مع مجمل النص .

وفى صفحة (١٣٢) من الكتاب حيث يتحدث ايزنك عن اختيار الطلاب الجامعيين بناء على اختبارات الذكاء ترد العبارات التالية : ولكن يلاحظ على هذه الاختبارات المبكرة انها ذات طبيعة فسيولوجية ، اذ بنيت على المفهوم الفسيولوجى للذكاء الذى يربط بينه من ناحية وبين سرعة النشاط الانعكاسى وبعض المظاهر العصبية الاخرى ، من ناحية اخرى ، ومن المعروف الآن ان هذه الامور لا علاقة لها اطلاقا بالذكاء .

وقد كانت هذه الترجمة غير موفقة اطلاقا واخشى ان تكون مثل هذه المواقف قد تكررت فى بعض فصول الكتاب الاخرى . فلا يمكن اولا ان نفهم معنى سرعة النشاط الانعكاسى . وكلمة reflex تكرر ورودها فى الكتاب مترجمة بالانعكاس ولكن هذا لا يصح على طول الخط . فهنا مثلا يشير ايزنك الى سرعة نشاط الاستجابة . كذلك يلاحظ ثانيا انه ليس هناك مفهوم يربط بين الذكاء وبين سرعة نشاط الاستجابة وانما هناك فرض او افتراض علمى من هذا القبيل . وقد راينا فى النص الاصلى للكتاب أن ايزنك يستخدم كلمة Hypotheses ولم نجد مايدعو الى تغيير معنى هذه الكلمة عند ترجمتها .

اما ماهو اهم واخطر من ذلك — من ناحية ثالثة — فهو عبارة (ومن المعروف الآن ان هذه الامور لا علاقة لها اطلاقا بالذكاء) ولو كان ايزنك هو صاحب هذه العبارة لما كان جديرا بأن يكتب مؤلفا من هذا القبيل فى علم النفس . فالعالم له صفة الاحتياط خصوصا فى المسائل التى لا يستطيع المرء ان يقطع فيها برأى حاسم مائة فى المائة . والواقع انه لا يمكن القطع بأن العوامل الفسيولوجية لا تتدخل بتاتا فى علاقة الذكاء بسرعة نشاط الاستجابة وبعض المظاهر العصبية الاخرى . هذا مؤكد ولم يقل ايزنك هذه العبارة الحاسمة التى اقترحها المترجمان وانما قال ايزنك : انه اذا كانت هناك علاقة اطلاقا فهذه العلاقة طفيفة ..

على اى حال فان الكتاب ممتع امتاعا لا مثيل له ويدافع دفاعا صادقا عن حقيقة استخدام مقاييس الذكاء واهميتها كما انه يوازن بين هذه المقاييس وبين بعض الاختبارات الاخرى التى يقوم بها بعض الناس والتى تعتمد على المواجهة الشخصية ومحاولة اكتشاف شخصية الغير بناء على تصرفات متعددة التعبير عن الكيان العام للفرد . اننى اشعر بأن حاجتنا الى مثل هذا الكتاب كبيرة حتى نستطيع التعرف على طرق استخدام المقاييس وعلى اساليب علم النفس الحديث فى قياس قدرات الانسان .

عبد الفتاح الديدى

شعراء الرابطة القلمية

تأليف
نادرة جميل سراج

الناشر : دار المعارف
٣٩١ ص ١٧×٢٤ سم . الثمن ٥٠ قرشا

ما يزال شعر المهجر حقلا خصيبا للدراسات الأدبية ، على الرغم من كثرة هذه الدراسات في الآونة الأخيرة ، وتعدد مناهجها ، وتشعب اتجاهاتها .

ومن أحق هذه الدراسات بالتنويه ، كتاب الأستاذة « نادرة سراج » « شعراء الرابطة القلمية » لأنه — أولا — رسالة جامعية نالت به درجة « الماجستير » من جامعة القاهرة ، ولأنه — ثانيا — يتناول مجموعة من الشعراء متجانسة المشارب والاتجاهات ، متوحدة في نظرتها الى الشعر ، وتفهم وسائله ، وتحديد رسالته ، وهذه المجموعة من الشعراء — ايضا — تمثل مدرسة مستقلة من مدارس التجديد في الشعر العربي الحديث .. تتضح خصائصها ومميزاتها فيما نشر لهم من شعر ونقد ، وآراء في قضايا الأدب وقضايا الحياة على السواء .

وقد قدمت الكاتبة لبحثها تمهيدا موجزا عن أحوال الوطن العربي الذي غادره المهاجرون ، تحدثت فيه عن الهجرة وأسبابها وحوادثها ومتى بدأت ، ثم عن الحياة الثقافية والأدبية للمهاجرين في المهجر الشمالي ، وعن صلاتهم بالموطن الجديد ، واحساسهم الرهيف الدائم الحنين لوطنهم الأم ، وعن تمسكهم بلغتهم العربية كمظهر للحب والولاء لهذا الوطن الحبيب ، ثم تحدثت الكاتبة عن صحافتهم وأثر هذه الصحافة في دعم الوعي القومي ، ونشر الآثار الأدبية .

ثم كان الفصل الثالث عن « التجديد » في *الموضوعات والصياغة* .. حيث ضمنت التجديد في الموضوعات :

١ — الثورة على التقليد .. فلا مدح ولا هجاء ولا رثاء الخ .
٢ — ميلهم الى الحديث عن النفس .
٣ — الجوانب الانسانية العامة .
٤ — الطبيعة في شعرهم .
٥ — أثر سوريا ولبنان في شعرهم ، وأثرهم في شعراء الشرق وكتابه . ثم كان التجديد في الصياغة كما تراه الكاتبة يشمل :
١ — التجديد في الأوزان .
٢ — التجديد في الموسيقى الشعرية .
٣ — النثر الشعري ، والشعر المنثور .
٤ — التجديد في الألفاظ .

وأخيرا .. يأتي الفصل الرابع للحديث عن الشعراء أنفسهم ، ومدى ما يتفرد به كل منهم عن الآخرين من سمات نفسية وفنية .

وبهذا تكون الكاتبة قد تعرضت لتأريخ حركة الرابطة الأدبية ، وتقييم انتاجها الشعري ، وتصوير حياة أعضائها ، ومكوناتهم البيئية والثقافية .

ولكننا عندما نتساءل — مثلا — عن الصلة الوثيقة بين الفصل الأول ، وقد نيف على خمسين صفحة ، وبين باقي فصول الكتاب .. مثل الفصل الذي عقدته لتفسير شعر الرابطة وتقييمه تحت عنوان « التجديد » وهو أهم فصول الكتاب

واشدها صلة برسالة البحث .. نجد أن هذا الفصل (عن الهجرة والوطن الأم) لم ينم معرفتنا بالشعر المهجرى ، ولم تكشف لنا الكاتبة فيه عن الوشائج الوثيقة ـ الخفية والبادية ـ بين لبنان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والاضطرابات والمذابح التى اجتاحته والتمزق الطائفى ، وانتهــازية رجال الدين به ، وأطماع المستعمرين .. ثم نمو البرجوازية ومثلهــا فى التفرد والسعى وراء المجد الشخصى ، والتفوق الذاتى .. بين كل ذلك وبين الشعر المهجرى الذى ليس الا صدى عميقا لهذه البيئة المضطربة المتطلعة الى التحرر من الفقر والاقطاع والرجعية ومن التبعية الأجنبية ، والى تحقيق حرية شاملة للفرد بمفهومها البرجوازى .

فقد كانت مفاهيم هذه المدرسة عن رسالة الشعر وشخصية الشاعر ، ثم تأملاتها فى الكون واصل الحياة ، ومنازع النفس الانسانية واهوائها ثم رفضها لكل الطقوس الدينية ولكل المسلمات الاجتماعية والفكرية ، ورغبتها الملحة فى الانطلاق الى احضان الطبيعة البكر ، وتحرير الانسان الفــرد من كل ما يعوق حرياته ، ويقف دون انطلاقه الروحى ، ونمو احساسه بذاته ، وقدراته التى لا تحــد .. كان لكل ذلك جذوره البعيدة الممتدة فى تربة البيئة اللبنانية التى كانت المخاض الحقيقى للنزعة الرومانتيكية فى شعر المهجر .. هــذه الرومانتيكية التى لم تكن قــط صدى للرومانتيكية الأوربية ، بل كان لها أكثر من التقاء معهــا ، وأكثــر من نزعــة متشــــابهة كنتيجــة لتشــابه العوامل التى صــهرتهما جميعا ، والبيئات التى تمخضت عن كل منهما .

والصلة بين الشعر المهجرى والبيئة اللبنانية ، هذا ما كان على الكاتبة أن تزيده وضوحا وعمقا بدلا من أن تقدم فصلا تاريخيا بحتا يجاور بحثها الأدبى ، ولا يمتد فيه أو يعمق نتائجه .

وفى مزيد من الاضطراب تتحدث الكاتبة عن احساس شعراء الرابطــة بالبيئة الجديدة فى أمريكا الشمالية ؛ فحينا تقول :

« الحــرية هى الهــدف الذى هاجروا من أجله ، وفى طلبه ؛ ووجدوه أمامهم مرحبا بهم هاشا لقدومهم ، باشا فى وجوههم يوم وطئت اقدامهم ميناء نيويورك » (ص ١٥٧) .

وحينــــا آخر تقول : « وفى الحق أنهم لم يشعروا تجاه هذه الحياة بأى توافق أو انسجام بل على العكس لقد شـعروا نحوها بكره شديد ، واشمئزاز » (ص ١٦١) .

فكيف بالله يا ســيدتى تهش لهم الحرية وتبش ، وهى طلبتهم التى غادروا الأهل والوطن والأحباب من أجلها ، ثم لا يشعرون فى المجتمع الذى تفيض به الا بالكره الشديد والاشمئزاز .. يتكرر هذا الاضطراب فى تفهم البيئة الجديدة ، وموقف الشعراء المغتربين منها ، فى ثنايا الكتاب ؛ وليس من سبب اليه سوى ان الكاتبة ليس لديها مفهوم علمى دقيق عن الحــرية .. يعنى حرية الوطن وحرية المواطن معا ؛ فهى فى الفقرة الأولى تريد ـ فقط ـ التمهيد الى بعض قصائد للشعراء عن الحرية ، وفى الثانية تمهد للحديث عن نزعة الهرب فى شعرهم ، ودعوتهم الى تمجيد الحياة الفطرية البسيطة فى « الغاب » .. وربما لا تكون البواعث العميقة لهــذا الشعر سوى الحنين الجارف لوطنهم ، فهو من ناحية تتوفر فيــه تلك الحياة الرعوية البسيطة ، البعيدة عن تعقد المدن ، ومظاهر الحياة المملة فيها ؛ وهو من ناحية أخرى سجين خلف أســوار التخلف والرجعية والاستعمار .. فرغبة الهرب الى الغاب صورة من الحنين الى الحياة به ، والدعوة الى الحرية ، مقاومة الضغوط التى تكتنفــه ومحــاولة لهز قضبــانه ، والتلويح بقبضــة الغضب فى وجه سجانيه .

واذا كان الفصل الذى عقدته عن « التجديد » يعتبر بحق ذروة البحث وخلاصتــه فقد سارت بنــا الكاتبة فى رحــلة ممتعــة مع التجــديد فى الموضــــوعات .. من نقمتهم على الاغــراض التقليدية ، وشــعر المناســبات الزائف الذى لا يصدر عن بواعث انسانية شريفة واصيلة ، الى رحلاتهم الشعرية فى عوالم النفس الانســانية ، والتساؤل عن مصدرها ومصــيرها ، والحيرة أمام الوجود ، ومحاولة تفسير معمياته ، ثم الى حبهم للطبيعة وفنائهم فى مظاهرها ، وتعاطفهم مع الليل

والبحر والفصول الاربعة سيما الخريف الذى تحمل الطبيعة فيه صورة من رعشة نفوسهم ، وذبول أمانيهم ، وحيرتهم أمام الفناء .. الى الحديث عن نزعة الهروب من المدينة ، والدعوة الى الحياة الفطرية البسيطة فى الغاب ، دون أن يحول ذلك بينهم وبين التعاطف مع البشر ودعوتهم الى المثل الاجتماعية الخيرة .. وأخيرا عن حبهم لوطنهم الأم ، والحنين الجارف اليه ، ومتابعة قضاياه ، والاحساس بكل مآسيه .

كان هذا الفصل من أمتع فصول الكتاب بغض النظر عن عدم الدقة أحيانا فى التعبير عن الحركة الأدبية المعاصرة ، ومدى ما أصاب شوقى وحافظ واضرابهما من التأثر بالمذهب الرومانتيكى ، وحظوظهم من التجديد ، وعدم الدقة أيضا فى جمع كل ما قاله شعراء المهجر عن النفس مثلا فى اطار واحد دون الاشارة الى أن النفس أو القلب كثيرا ما يتخذ لدى كل منهم معنى خاصا مما يدخله فى عداد المصطلحات الشعرية (الرمز) الخاص بكل شاعر ؛ فقد كان لكل منهم قاموسه الخاص الذى يحدد بدقة معنى كل كلمة من خلال عديد من الاستعمالات التى تميز معناها — وتحدد نوعيته — عن المعانى الأخرى التى نجدها فى استعمالات الآخرين للكلمة ذاتها .

بغض النظر عن ذلك فاننا نجد الكاتبة فى فصل « التجديد فى الصياغة » تقول :

« ولم يكتف شعراء الرابطة بتقليد الموشحات الأندلسية التى اعتبروها جديدة فى باب الشعر العربى ، وانا لنراهم يجددون هم الآخرون فى أوزان هذه الموشحات وفى بحورها المختلفة » ..

وتعتبر مثالا لذلك المقطوعة التالية :

يا خليلى اذا شط المزار
بفؤاد ما له غير الزفير
وهمى دمعى لدى ذكر الديار
خليانى

فهل هذه المقطوعة تجدد فى أوزان الموشحات، وفى بحورها المختلفة ؛ ومن ثم هى تجديد فى أوزان الشعر العربى وبحوره المختلفة ؟ .. وكيف وقد استعملت « فاعلاتن » فى الشطور الثلاثة الأولى ثلاث مرات كما تستعمل فى بحر «الرمل» ثم أفردت التفعيلة نفسها فى اللازمة الأخيرة « خليانى » .. فأين هو التجديد الذى حدث فى الأوزان أو البحور .. وكل ما حدث هو توزيع موسيقى نجد أشباهه كثيرا فى الموشحات الأندلسية ، وليس هو من صميم التجديد فى موسيقى الشعر العربى فى شىء ، فهو لا يمس جوهر الأوزان والبحور ؛ ولكن الكاتبة تسرى فى دعواها الى أن الشعر المهجرى جدد فى أوزان الشعر وبحوره :

« ولا شك أن هذا التجديد الذى أحدثه نسيب عريضة وغيره من شعراء الرابطة القلمية فى الموشحات وفى اوزان البحور الأخرى قد جاءهم من اطلاعهم على أساليب الشعر الغربى .. ص ٢٥٦ — » .

والتجديد فى أوزان البحر العربى لا يكون الا بتغيير نظام تفعيلاته تغييرا جوهريا ، أو باكتشاف نظام عروضى جديد . ولم يحدث شىء من ذلك على الاطلاق فى الشعر المهجرى ؛ ومن هنا نرى عدم الدقة والوضوح فى حديث الكاتبة مما أدى الى الخلط والاضطراب والخطأ فى تناولها لقضية أدبية هامة هى قضية « الشعر المنثور » فنجد الكاتبة تقول :

« نجد لرشيد أيوب فى ديوانه « أغانى الدرويش » مقطوعات ثلاثا أغلب الظن أنه قصد أن تكون من هذا الشعر المنثور ، ولكنه لم يتوخ جميع شروطه ، ولم يتبع موازينه ؛ فجاءت أقرب الى النثر الشعرى منها الى أى شىء آخر (ص ٢٧٠) .. » .

فما هى جميع شروطه ؟

وما هى موازينه ؟

وعن قول رشيد أيوب فى احدى مقطوعاته

« وقف مستعصيا على قارعة الطر
فساعدوه
فقد نضارة الحياة ورونقها فارحموه
هو بينكم كالغريب فلا ترفضوه »

تقول الكاتبة :

« والى هنا نجده يحسن نظم هذا ال
من هذا الشعر المنثور » (ص ٢٧٠) فنسأل الكاتبة أى نظم تعنى ، وعلى أى أساس

هذه السطور النثرية الخالصة نظما ، بينما هي في نفس الموضع تعلق على أسطر أخرى لرشيد هي :

« تحت الشجرة رقد المسافر فلا توقظوه .

فقد انهك قواه السفر .

ما أرق هــذا النسيم المار على وجهه الذى لوحته الشمس .

مسكين قد اشتعل راسه شيبا »

فتقول الكاتبة :

« لو لم يكن في هذه السطور النثرية البديعة غير ما توحيه من صور ومناظر ..

لكفاها تعبيرا وتأثيرا » .. (ص ٢٧١) .

فكيف تسنى للأسطر السابقة أن تكون نظما ، وأن تعتبرها الكاتبة من نوع « الشعر المنثور » في حين ظلت هــذه السطور وهى لا تختلف عن سابقتها في شيء « نثرية بديعة » .

وتوغل الكاتبة بنا في الحيرة والاضطراب أمام مقاييسها حين تعتبر القصيدة الشعرية المشهورة « النهاية » لنسيب عريضة ، التي يقول فيها :

كفنوه

وادفنوه

أسكنوه

هوة اللحد العميق

واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب

ميت ليس يفيق

ولنتاجر .

في المهاجر

ولنفاخر

بمزايانا الحسان

ما علينا ان قضى الشعب جميعا

أفلسنا في أمان

تعتبر الكاتبة هــذه القصيدة المنظومة على نظام مقطعي من باب هـــذا الشعر المنثور .. وهكذا تخلط الكاتبة بين الشعر والنثر بلا روابط من وعى عروضي ، أو ذوق أدبى دقيق ، أو أثر لأستاذية الدكتورة سهير القلماوى التي أشرفت على اعداد الرسالة وقدمت لها عند الطبع ، فهل تتفق الدكتورة مع الباحثة في هذه المفاهيم غير المفهومة ، أم نلقى تبعة ذلك على الباحثة وحدها .

بقى أن نتحدث عن الفصل الأخير .. وهو الذى عقدته الكاتبة للحديث عن الشعراء أنفسهم بعــد أن قدمت للقضــايا والتجارب والمميزات الفنية التي حفل بها شعرهم .

وكان من المتوقع من الكاتبة في هذا الفصل أن تدرس الخصائص الشعرية لكل منهم ، ووسائل التعبير التي يتخـذها ، والوحــدة العضوية في قصيده ، ومدى ما اضافة شاعر كايليا أبى ماضى مثلا الى القصــيدة الغنائية من عنصر قصصى أو أسطورى تجلى فيه معنى من معانى الصراع (الدراما) ، ثم نوعية الصورة الشعرية لدى كل منهم وحظه من الصياغة الشعرية .

ولكنها قصرت جهودها على توضيح الملامح النفسية لكل منهم بصورة عامة ، فهذا متفائل أو حائر أو باك دون التفات الى الفن الشعرى نفسه والفروق الدقيقة في « التكنيك » بين كل شاعر وآخر .

والكتاب ـ على أية حال ـ دراسـة طولية لشعراء الرابطـة القلميـة ، تعتمد على السرد والاستقصـاء ، دون تعمق الظواهر النفسية أو الفنيــة في شعرهم ، أو الكشف عن الأسس الفلسفية والجمالية لهذا الشعر .

.. لكنه جهد لا ينكر على الطريق .

أنس داود

سطور من كتاب ...

« ما كان العراق وما هو اليوم بمفتقر الى راس المال في حد ذاته ، لان عوائد النفط تجهزه بمصدر يحسد عليه من الايراد . ولهذا ، فيعتقد العراقيون بأن مسألة الحصول على راس المال ليست بمشكلة ، وانما المشكلة هى في تنظيم راس المال هذا واستعماله بصورة فعالة . » .

... **تصنيع العراق**

التعليم عن طريق التليفزيون

تأليف : الدكتور هنرى كاسيرر

ترجمة : الدكتور سلامه حماد
مراجعة : مصطفى حبيب

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك
مع مؤسسة سجل العرب .
٤٦٠ ص ١٧×٢٤ سم ، الثمن ٤٥ قرشا

تتميز الحضارة فى عصرنا بانها فتحت آفاقا رحبة لسيطرة الانسان على الطبيعة باستخدام الطاقات الكامنة فى المادة وبأنها اتاحت المزيد من فرص الاتصال وتبادل الأفكار عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية ومن أهمها التليفزيون الذى كانت سرعة تقدمه وانتشاره مصدر دهشة واعجاب فى نفس الوقت .

واذا كانت الدول الصناعية فى أوربا وأمريكا ترى فى التليفزيون رمزا لتفوق العصر ، وأداة للرفاهية ، ووسيلة للتعليم فى مجتمعاتها المتطورة ، فان الدول النامية تنظر الى التليفزيون كقوة بناءة للمستقبل ، تثير به ارادة الجماهير نحو المعرفة وقيمة العمل ، وتعتبره سلاحا تنتصر به على التخلف .

ومن هنا فان دور التليفزيون فى البلاد النامية يتحدد فى الظروف السياسية المواتية بانه « جهاز جديد يملكه الشعب لكى يعالج به مشاكل تقدمه بسرعة معينة تحددها خطة التنمية » ، ولهذا فلا بد له من ان يساهم فى القضاء على الأمية وفى الارتفاع بمستوى الثقافة والخبرات المتخصصة فى ميادين الانتاج لكى تتمكن المجتمعات النامية من اعادة صنع الحياة .

وقد عبر عن هذا المعنى وزير الأعلام النيجيرى فى افتتاح مؤتمر التليفزيون الافريقى فى لاجوس فى سبتمبر الماضى بقوله :

« ان التليفزيون فى افريقيا ليس بحاجة الى ان يخلق صورة وهمية للتقدم ، انما يتعين عليه ان يصنع هذا التقدم ويدعمه ، واننا لنستحق شرف التطلع الى اليوم الذى يصبح فيه التليفزيون سلاحا للتغلب على مشاكل اللغة والتعليم وعلى كثير من مشاكلنا الفردية والعامة » .

المؤلف والكتاب

وفى مؤتمر لاجوس هذا اشترك مؤلف هذا الكتاب الدكتور هنرى ر . كاسيرر ممثلا لمنظمة اليونسكو التى تولت عقد المؤتمر . وادار المناقشة حول «مضمون البرامج التليفزيونية ومصادرها» وكذلك حول « دور التليفزيون فى التعليم » .

واوضح د . كاسيرر ان العالم المعاصر ، وبصفة خاصة فى الدول الآخذة بالتطور ، يمر بمشاكل تعليمية متعددة يحتاج حلها الى اتجاهات وأساليب جديدة ، وانه من المستحيل أن تتخيل أمة مستقبل استقلالها وتقدمها دون أن تزود مواطنيها بمستوى تعليمى لا ينفك ينمو ويزدهر . وان مساهمة التليفزيون لتحقيق هذا الهدف تعد حقيقة على درجة عظيمة من الأهمية .

ويعكس الكتاب الذى نستعرضه خبرة د . كاسيرر التى اكتسبها من العمل فى ميادين الاعلام والتربية بمنظمة اليونسكو . وقد نشرت ترجمته العربية فى سلسلة الألف كتاب أما البحث نفسه فقد وضع فى أواخر عام ١٩٥٩ والفرض

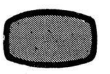
منه بوجه عام الكشف عن امكانيات التليفزيون فى مجال التربية والتعليم .

ويتضمن الكتاب عرضا لتاريخ التليفزيون التعليمى ، والحاجة التى دعت الى استخدامه ، والمشاكل التى يواجهها لتحقيق اغراضه ، مع تحليل لمزايا الشاشة الصغيرة فى التغلب على مشاكل التعليم والتدريب ، ومناقشة لمستقبل التعليم بالتليفزيون الذى تعلق عليه المجتمعات المعاصرة املا كبيرا بعد أن تخطى مرحلة التجريب وانتقل الى مرحلة التطبيق .

وقد خصص المؤلف الفصول العشرة الأولى من الكتاب لعرض نماذج من التجارب الأمريكية فى ميدان التعليم التليفزيونى نظرا لأن الولايات المتحدة كانت من أسبق الدول الى استخدام التليفزيون فى المدارس والجامعات مما جعله سمة ثابتة فى الصورة التعليمية والثقافية وادخله فى هيكل التعليم الأمريكى .

أما الفصول السبعة الأخيرة فيستعرض فيها تجارب مجموعة من الدول المتقدمة : فرنسا ، ايطاليا ، كندا ، اليابان ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة . فى ميدان التليفزيون التعليمى معتمدا على التقارير التى كتبها المسئولون عن هذا النوع من التعليم فى تلك البلاد وارسلوا بها الى ادارة الأعلام بمنظمة اليونسكو .

وفى الفصل الأخير يحلل د . كاشير العلاقة بين حق الانسان فى التعليم وفقا لما هو مقرر فى اعلان حقوق الانسان وبين تقدم التليفزيون وأثره على محتوى التعليم ونوعه ويؤكد المسائل الأساسية المشتركة بين التليفزيون والمدارس والجامعات وضرورة التعاون بين هذه الهيئات جميعا لتحقيق الأمل فى مزيد من العلم والثقافة باستخدام التليفزيون الذى بلغ أوجه كوسيلة للترويج والاعلام .



التليفزيون والتعليم

مر التليفزيون فى تطوره بمراحل ثلاث فقد ارتبط أولا بقاعدته الصناعية فى أوربا وأمريكا واليابان ، ثم ثبتت أقدامه فى البلاد المتقدمة اقتصاديا وانتشر بعد ذلك فى البلاد الآخذة فى النمو فى أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا . ولما كان التليفزيون هو نتاج عمليات فنية معقدة وكثيرة التكاليف فقد ظن فى بادىء الأمر أنه مجرد رمز لتقدم الجماعات دون أن يعنى ذلك شيئا كثيرا لمشكلات العالم الأساسية .

على أنه بمزيد من التطور أصبح التليفزيون لا يكتفى بعرض الأخبار والمعلومات أو بتقديم أجمل أنواع الابداع الفنى من الدراما الى الرقص والموسيقى بل اخذ يشكل قوة فى خدمة الثقافة العامة وفى تعليم الكبار والصغار على السواء ، بما يفتحه من آفاق جديدة تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ويصطبغ فيها العلم بالصور الجميلة المعبرة .

وتأكدت وظيفته الجديدة كوسيلة للتعليم بمستوياته المختلفة فى المدارس والجامعات ، وأداة ذات فاعلية كبيرة فى ميدان التربية والتعليم يستطيع بها المجتمع أن يتغلب على مشكلات النقص فى عدد المدرسين وتزايد أعداد الطلاب وقلة الامكانيات التعليمية وارتفاع تكاليفها .

نمو التليفزيون التعليمي

واذا تتبعنا هذه الوظيفة الجديدة للتليفزيون فى عدد من المجتمعات نلاحظ أن التليفزيون التعليمى نما وتطور فى الولايات المتحدة الأمريكية بأقل قدر من التنظيم المركزى وبأكبر قدر من المجهود المحلى حيث تقع مسئولية التعليم على عاتق الولايات التى تتمتع فيها الهيئات التعليمية بقسط كبير من الاستقلال . وكان الغرض الأساسى لمعظم المحطات التعليمية هو تقديم البرامج الثقافية بالمعنى الواسع للجمهور العام .

اما اســـتخدام التليفزيون فى المدارس والجامعات فقد جاء نتيجـــة للزيادة المطردة فى اعداد الطلبة فى أعقاب الحرب الثانية وللنقص فى عدد المدارس والمدرسين وقد بلغ هذا النقص فى غرف الدراسة اكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ غرفة وفى عدد المعلمين أكثر من ١٣٠ر٠٠٠ معلم بعد نشوب الحرب الكورية عام ١٩٥٠ .

وقد اشتهرت الولايات المتحـدة بانها البلد الوحيد الذى يستخدم التليفـزيون فى التعليم الجامعى نظرا لأن كلياتها تستقبل عددا كبيرا من الطلاب كما أن برامجها تتضمن عـــددا كبيرا من المواد معظمها ذات طبيعة عملية وغير أكاديمية . وتبعـــا لآخر التقـديرات سوف ترتفع نسبة الملتحقين بالكليات من ٢ر٣ مليون الى ما يقرب من ٦ر٤ مليون طـالب فى ســـنة ١٩٧٠ وعلى التليفزيون أن يســـاهم فى تقـديم الخـدمات التعليمية لهم .

والى جانب هذا الغرض الأساسى كانت هناك أسباب أخرى لاستخدام التليفزيون فى التعليم منها :

- الرغبـة فى توفير وسائل تعليمية اضافية تجعل التعليم اكثر حيوية وامتاعا .
- تقوية التعليم فى بعض المـــواد كالعلوم والفنون وتوسيع البرامج المدرسية .
- توفير العنـــاية التعليمية للطلاب الذين يدرسون بالمراسلة .
- الاقتصـــاد فى نفقـات التعليم عن طريق استخدام التليفزيون .

اما فى كندا فقد نشأت الحاجة التى دفعت هيئـــة الاذاعة الكندية لاستخدام التليفزيون التعليمى وتطويره نتيجـــة لاعتبـــارات قومية واقليمية .

من الناحية القومية العمل على وحدة كندا واستقلالها الثقافى نظرا لأن الاختلاف بين الولايات فى نظمها التعليمية يؤدى الى تنوع واسع المدى فى مســـتويات التعليم ، ويســـــتخدم الراديو والتليفزيون للتغلب على هذا الاختلاف بعرض برامج تؤكد الوحـدة القوميـــة والتاريخ العام وتبرز الانتاج القومى فى الاقتصاد والثقافة والفن .

اما على الصعيد المحلى فهناك انخفاض عـدد المدرسين الذى يبلغ فى بعض الولايات نحو ٥٠٪ وهناك مشـــاكل التعليم بالمراسلة التى يستطيع التليفزيون أن يسهم فى التغلب عليها .

وقد أسفرت التجارب الكندية عن اعتبـار التليفزيون عاملا مساعدا فى التعليم يوفر مصادر وفرصا تعليمية متنوعة فى غرف الدراسة لا يمكن أن توفرها وسيلة أخرى .

وفى فرنسا كان استخدام التليفزيون التعليمى ضرورة لمواجهة الصعوبات التعليمية التى تنبثق من الحياة الحديثة كزيادة عدد التلاميذ وعجز المدارس وطرق التعليم السائدة عن خدمتهم ، وللافادة من مزايا التليفزيون كوســيلة سمعية بصرية توفر طاقة تعليمية جديدة وتحفز الطالب الى المشاركة الفعالة فى عملية التعليم .

واذا ألقينا نظرة على ايطاليا نجد أن الأسباب التى أدت الى التفـكير فى اســتخدام التليفزيون كوسيلة للتعليم نبعت من تخلف ٧٥٪ من الأطفال من الالتحاق بالمدارس الوسطى وتخلف ٩٨٪ من الأطفال عموما عن دخول الجامعة . وقد بين البحث الذى أجرته وزارة التربية بناء على طلب البرلمان الايطالى الحاجة الى مزيد من الفرص التعليمية على اختلاف مستوياتها . ولهذا تقرر أن يبدأ التليفزيون الايطالى سنة ١٩٥٩ فى تقديم البرامج التعليمية للمدارس المتوسطة (الاعدادية) ثم أصبح التليفزيون التعليمى « تلسكولا » بعد ذلك التاريخ من اكبر المشروعات التعليمية فى ايطاليا .

وقد أعطى البرنامج الجـديد لاعادة تنظيم التعليم فى الاتحاد السوفيتى اهمية كبيرة لخلق اتصال أوثق بين المدرســة والحياة اليومية عن طريق الجمع بين الدراسة والعمل الانتاجى فى المزارع والمصانع وادى تنفيذ البرنامج الى تنمية استخدام التليفزيون فى المدارس لتشجيع العمل المستقل بين التلاميـذ وتسهيل حضور فصـول مسائية ومساعدة الدارسين بالمراسلة من صغار العمال فى الريف والمدن . وتطلب الأمر التوسع

فى استخدام التليفزيون لمساندة التعليم الثانوى وتنمية الدراسات المستقلة وتقديم الدروس والمحاضرات فى مؤسسات التعليم العالى وبوجه خاص تلك المواد التى تحتاج الى معينات بصرية أو فيلمية والظواهر التى لا يمكن مشاهدتها فى ظروفها الطبيعية أو فى المعمل أو فى المدرسة .

طرق استخدام التليفزيون فى أغراض التعليم

لقد أصبح التليفزيون يعنى الكثير للقائمين بالتعليم وقد تختلف وجهات النظر فيه كوسيلة فى التطبيق الا أننا لا نجد خلافا حول الأغراض التى يستهدف المجتمع تحقيقا عن طريقه فى ميدان التعليم .

وتختلف نظم استخدام التليفزيون فى هذه الأغراض من دولة لأخرى وفقا لنظم الارسال والاشراف على التليفزيون والتعليم ونوع المحطات المسموح باقامتها وأسلوب التعاون بين المسئولين فى التليفزيون وزملائهم فى التعليم .

ففى الدول التى تتولى الخدمة التليفزيونية فيها هيئات مركزية حكومية أو شبه حكومية ، تكون مسئولية البرامج التعليمية مشتركة بين التليفزيونيين والمعلمين . وتذاع البرامج على شبكات التليفزيون التى تمولها الدولة وتشرف على ادارتها بحيث يشاهدها الجمهور العام أو بعض فئاته وفقا لطبيعة البرنامج الثقافى أو التعليمى ونوع القناة المستخدمة .

أما فى الولايات المتحدة فان مسئولية أنتاج وتوزيع برامج التليفزيون التعليمى تتولاها المحطات التجارية التابعة لهيئات خاصة ، وتمول عن طريق ايرادات الاعلانات . وهى تذيع البرامج التعليمية فى أوقات محدودة لأن غرضها الأساسى جذب المشاهدين وارضاء المعلنين . ولهذا أنشئت الى جانب المحطات التجارية محطات تعليمية خالصة تقدم برامجها لفئات من الدارسين على فترات اطول ، وتتبع المركز القومى للتليفزيون التعليمى الذى يربط جميع المحطات التعليمية ويقدم التسهيلات لنقل البرامج . والنوع الثالث هو التليفزيون ذو الدائرة المغلقة الذى ينقل البرامج التعليمية الى أجهزة الاستقبال فى غرف الدراسة بواسطة أسلاك محورية . والتليفزيون فى هذه المحطات مرتبط باحتياجات المؤسسات التى جهزته كالمدارس والمعاهد والكليات .

ويتطلب استخدام التليفزيون فى أى نظام تعليمى توجيها مسبقا لمديرى التعليم والمعلمين والآباء والتلاميذ . والخطوة الأولى فى اعداد البرنامج تقتضى دراسة عملية لمعلمى التليفزيون ومعلمى الفصول حتى يتعرف الجميع على تخطيط البرنامج وامكانيات العمل . ويختار معلمو التليفزيون عادة من بين التربويين ذوى الخبرة فى التدريس الذين تتوفر فيهم صفات شخصية مريحة وسلسة . ثم يجرى تدريبهم على أساليب العمل التليفزيونى لكى يتولوا اعداد حلقات البرنامج وتقديمها على الشاشة بالتعاون مع مدرس الفصل ويجب أن يرتبط البرنامج بالمقرر الدراسى مع التأكيد على النقط الرئيسية والتلخيص والتدرج فى العرض والتعبير .

تقدم التليفزيون التعليمى ومشاكله

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لخبرات الدول المتقدمة فى ميدان التعليم بالتليفزيون وأساليب استخدامه فى تنمية الثقافة العامة وفى تقوية التعليم فى المدارس والجامعات ومراكز التدريب يناقش د . كاسيرر مزايا هذه الوسيلة الألكترونية ومشاكل التوسع فى أستخدامها .

فالتليفزيون اداة تعليمية لها جاذبيتها السيكلوجية والعاطفية ، أداة قادرة على أن تتخطى حدود الزمان والمكان والنظم والشخصيات . وهو موصل تربوى جيد يؤدى الى رفع مستوى التعليم بتدريب المعلمين واقامة صلة أوثق بين المؤسسات التعليمية والمجتمع . فهو يحقق النماذج بين المدرسة والمجتمع ويتيح للكليات والمعاهد أن تتجاوز أسوارها وتصل بالعلم الى المشاهدين فى منازلهم ويجعل المجتمع شاعرا بمسئوليته ازاء

التعليم متابعا لما يجرى داخل مؤسساته . وهو يربط مظاهر الحضارة الانسانية بحياة المتعلمين ومناهج الدراسة ويكشف عن مواطن القوة والضعف في عملية التربية والتعليم كما يتيح تصميم خطط تعليمية قومية او اقليمية يستفيد منها جمهور أوسع من التلاميذ بواسطة اكفأ الأساتذة وخبراء العلم والثقافة .

والى جانب هذا يستطيع التليفزيون أن يقدم خدماته التعليمية للأطفال الذين حرموا فرص التعليم بالمدارس وللمتخلفين والكبار كما يلبى حاجة الموهوبين الى برامج رفيعة المستوى .

ومن مزايا الشاشة الصغيرة أنها تحطم حلقة العطاء والأخذ بين المعلم والطلبة وتعين مدرس الفصل على توجيه انتباه التلاميذ وتضخم الأشياء بصورة واضحة ، كما تحمل المشاهدين الى أماكن بعيدة وهم جلوس في مقاعدهم فتجعل غرف الدراسة أكثر حيوية واغزر انتاجا .

وفى مجال العلوم الانسانية يعرض التليفزيون الانسان عرضا مباشرا بما فيه من متناقضات وعواطف يدركها مشاهد يشعر بالانتماء الى الشخص الذى يراه . فالتليفزيون يستمد عناصره المرئية القوية من الانسان نفسه باستخدام اللقطات القريبة المعبرة مما يجعل الحياة تدب فى الوقائع الجامدة فتبدو أكثر جاذبية للطلاب ولعامة الجمهور .

ان التليفزيون يطرق أوتارا جديدة فى المتعلمين وهو فى رأى منتجى البرامج التعليمية الأمريكية وسيلة للتأكيد على الهام المشاهدين ودفعهم لتعليم النفس بدلا من الاكتفاء بايصال المعلومات اليهم . أما رجال التعليم الفرنسيين فيرون أن مفتاح السر فى التليفزيون يوصلنا الى :

خدمة ناجحة لديموقراطية التعليم .

نافذة نطل منها على أنحاء العالم .

وسيلة للتغلب على عيوب التعليم .

بيد أن مشكلات عديدة تواجه التليفزيون التعليمى وهو يسعى لتحقيق هذه الغايات ؛ بعض هذه المشكلات يظهر عادة أمام أية وسيلة تعليمية جديدة ، وبعضها الآخر يتعلق بالتليفزيون ذاته كوسيط فى عملية التعليم وكجهاز الكترونى معقد . وبرغم امكانيات التليفزيون التى لا حد لها فى مجال التعليم المباشر والتدريب على المهارات الفنية واختصار الوقت والجهد والتكاليف ، يلاقى التليفزيون التعليمى مقاومة من بعض المشتغلين بالتعليم فى المدارس الذين يقفون دائما ضد أى تغيير فى انماط التعليم وبوجه خاص المعلمين الذين تعودوا على تعليم جماعات من التلاميذ فى مواقف تعتمد على التوجيه الفردى ولهذا فهم يتوجسون خيفة من أن يحل التليفزيون محل المعلم ، أو أن تطغى مكانة المذيع على شخصية مدرس الفصل . وقد حدث فى التجربة الأمريكية فى هاجرز تاون أن أبدى التلاميذ ميلا الى اعطاء أهمية زائدة لمعلم التليفزيون .

ويتشكك بعض المعلمين فى قيمة التليفزيون مع ايمانهم بقدرته على التغلب على كثير من المشاكل الادارية والتربوية التى تعوق عملية التعليم : فالتليفزيون كوسيلة الكترونية لابد أن تتوفر له آلات ومعدات وأجهزة معقدة تحتاج الى صيانة دائمة وقد يؤدى الخلل فى التشغيل أو الارسال أو الاستقبال الى فساد العملية كلها خصوصا اذا كنا نعطى للتليفزيون دورا أساسيا فيها .

ويثير التربويون نقطة أخرى تتعلق بموقف التلاميذ من التليفزيون ، وهى : كيف يستطيع عدد كبير من الطلاب أن يتلقوا تعليما ناجحا دون أن يوجهوا أسئلة الى معلم التليفزيون ؟ والى جانب هذا فالتلاميذ يشاهدون البرامج اما فى بيوتهم أو فى الفصول وقد ارتبط التليفزيون فى أذهانهم بوصفه مصدرا للاستمتاع والتسلية . وقد أثبتت التجربة البريطانية أن الأطفال يقرنون التليفزيون المدرسى بالبرامج الترفيهية فى التليفزيون العادى لا بالدروس نفسها وكان الحل هو التأكيد على العروض الشيقة السريعة الحافلة بالمادة المثيرة بصريا . والحق أن هذا الحل نفسه يخلق اشكالا جديدا يتعلق بكمية الاثارة التى لا ينبغى أن تطغى على نوعية التعليم وحجم المادة المعطاة فى كل حلقة من دروس التليفزيون .

نظــرة إلى المستقبل

على أن حجز الزاوية فى هذه الاشكالات جميعا هو موقف المعلم لأن التليفزيون والتعليم لن يسيرا قدما آلا باعادة توصيف دورا لمعلم وتحديد علاقته بالتليفزيون ومذيعيه أثناء استخدامه فى التعليم . فالإصــلاحات التعليمية تتطلب دائما من المعلمين الفهم والمعاونة وقد أعطى المؤلف امثلة كثيرة لهذا التعاون فى سياق الكتاب ، من المشاركة المباشرة فى تخطيط الدروس من جانب المعلمين فى الولايات المتحدة الى تنظيم اجتماعات سنوية بين المعلمين والاذاعيين فى فرنســـا الى تأسيس المجالس الاستشارية بين المنظمات الاذاعية والتعليمية فى المملكة المتحدة .

ان التليفزيون لن يســـد الثغرة بين العالم المجهول وجماهير المتعطشين الى العلم والمعرفة الا بعقـــد صلة مباشرة بين الشاشة ومستقبلى البرامج التعليمية ونقطة البـــدء الرئيسية هى التعاون بين المعلمين والتليفزيونيين والتلاميذ ، هى العمل المنسق بين الانتاج والعرض والاستعمال بحيث تنمى فى التلاميذ القدرة على الاعتماد على النفس والتجاوب مع برامج التليفزيون .

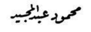
أما العــلاقة بين المعلم والمذيع فمن الممكن أن تقوم على التعاون المثمر اذا التقيا من البداية على أرض مشتركة . والحل هو ايجاد مذيعين تعليميين لهم خبرة فى الميادين وسيؤدى هذا الى نتيجة أبعد وهى خلق شكل جديد من التليفزيون التعليمى .

وهــكذا يرسم كتــاب « التعليم عن طريق التليفزيون » صورة لتاريخ استخدام التليفزيون التعليمى وتطوره فى عدد من الدول المتقدمة ويضع أمام القــارىء نتائج التطبيق وآراء الخبراء فى التعليم بالتليفزيون من واقع ما توفر لدى اليونسكو من حصيلة التجربة ومن هنا تتضح أهمية الكتاب فى مجتمع يعول كثيرا على التليفزيون فى صنع التقدم .

وقد وافق ظهور الترجمة العربية للكتاب فى القاهرة انتهاء حلقة البحث الأولى فى مهرجان التليفزيون العربى الثالث بعد أن أتمت مناقشاتها فى ثمانى دراسات شغل التعليم أربعا منها . وكان أبرزها تجربتان فى محو الأمية وفى التدريب الفنى عن طريق البرامج التليفزيونيــة . وقد أوضح البحث العربى حول « دور التليفزيون فى المجتمعات النامية » أن دروس محو الأمية بالتليفزيون تجربة رائدة بما توفر لهـا من شروط الضبط العلمى والتنفيذ الدقيق والتعاون بين الهيئات المعنية . وأن تدريب الفنيين فى هندســـة التليفزيون عن طريق برامج الدائرة نصف المغلقة تأكيد لفاعلية التليفزيون فى مواجهة مشاكل النقص فى الخبرة الفنية وفى المهارات الصناعية المتقدمة .

ومما لا شك فيه أن وجودهذا الكتاب يجعلنا ننظر بمزيد من الثقة الى تجربتنا فى استخدام التليفزيون التعليمى ويتيح مزيدا من الفهم المشترك لطبيعة التليفزيون والتعليم ، فان وحدة الخبرة الانسانية وتداخلها ومظاهر الابداع فى حياتنا يمكن اظهارها بقوة على الشاشة الصغيرة وهنا يصبح للتليفزيون مهمة كبرى فى عصرنا .

ومن المؤكد أن المستقبل سوف يكشف عن امكانيات اللقــاء بين التليفزيون والتعليم بدرجة اكمل .



محمود عبد المجيد

سطور من كتاب ...

« انها لجريمة أن يقوم شخص بعقد اجتماع او رئاسته او الخطابة فيه يضم أكثر من عشرة من الافريقيين ، أو يسمح بعقد مثل هذا الاجتماع فى مكان تحت اشرافه ، ما لم يصدر بذلك تصريح من رئيس او زعيم القبيلة اذا وجد .. » .

... الحرية المدنية فى جنوب افريقيا

فن اختيار الكتب للمكتبات

تأليف
مارى كارتر ، والاس بونك

ترجمة : حبيب سلامه
مراجعة : حسن محمود
الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع المؤسسة العربية الحديثة
٣٦٢ ص ١٤×٢٠سم ث ٢٣ قرشا

يقول رجال الاقتصاد أنه اذا كان فى مقدرة كل انسان أن يرضى جميع حاجاته فان علم الاقتصاد لن يصبح ضروريا ، وكذلك يقول رجال المكتبات انه اذا كان فى امكان كل مكتبة أن توفر لديها جميع الكتب فانه لن تكون هناك ضرورة لفن اختيار الكتاب .

فالكتب هى حقا سجل التراث الفكرى للبشرية وهى تذكرنا بمعانى الحق والخير والجمال وهى الوسيلة لاعلان الراى الجديد ، وتتضمن الصوت الذى يرتفع لأول مرة ومنها ينبع الاسهام الأصيل فى التطور الاجتماعى .

غير انه لا يمكن لمكتبة أن تحفظ لديها جميع الكتب التى تنشر لاستحالة ذلك من الناحية المالية ولعدم توفر المكان الذى يتسع لها .

ولهذا قام رجال المكتبات بالعناية باختيار الكتاب ودرسوا الموضوعات التى تتصل به وتعين عليه كما حاولوا أن يضعوا قواعد عامة للاختيار ، واصبح هذا الموضوع من الموضوعات الطلية التى يدرسها طلبة فن المكتبات ، ومثل هذه الدراسة تفيد جمهرة المثقفين ومحبى الكتب ونقادها وناشريها ورجال التربية والصحافة والمتصلين باجهزة الثقافة والأعلام وذلك الى جانب فائدتها بالنسبة للمكتبيين أنفسهم .

والكتاب الذى أعرض له من الكتب القيمة فى موضوعه وضعه عالمان متخصصان فى العمل المكتبى الذى مارساه مدة طويلة . كما أنهما درسا مختلف النظريات فى كل باب فهو كتاب حاو للآراء المختلفة ووجهات النظر المتباينة .

والكتاب ينقسم الى جزءين أولهما اختيار الكتاب والأسس التى يقوم عليها وبيان الفرق بين اختيار الكتاب والرقابة على الكتب ، والقائم بالاختيار وأدواته ، وتغير قواعد الاختيار بعا لنوع المكتبة ، وقواعد لاختيار فى كل نوع من انواع المعرفة البشرية ، كما يعرض المؤلفان فى هذا الجزء لتنقية مجموعات المكتبة واستبعاد الكتب التى لا تلائم حاجات المجتمع .

أما الجزء الثانى فيدرس تزويد المكتبة بالكتب وغيرها من المواد المطبوعة كالنشرات والدوريات وتزويدها كذلك بالمواد غير المطبوعة مثل الأفلام والصور والتسجيلات الصوتية وغيرها من المواد السمعية البصرية . ويعرض المؤلفان فى هذا الجزء لموضوعين لهما أهميتهما لدى جمهرة المثقفين والباحثين وهما تجارة الكتب أو صناعة النشر ، والقوائم البليوجرافية القومية والتجارية ، وهى القوائم التى تنشرها مكتبات الدولة فى كل قطر لتعرف بتراثها والقوائم الدورية الأخرى التى يستدل منها على الكتب الجديدة فى أهم الدول بأمريكا وأوربا .

وبالكتاب عدة ملاحق منها ملحق يتضمن ثلاثة بيانات عن اختيار الكتب أصدرتها هيئات مختلفة ، وآخر يتضمن نصوص السياسات والاجراءات المكتبية واختيار الكتب ، ثم قائمة شاملة بالمراجع التى استعان بها المؤلفان فى كتابهما . هذا بالاضافة الى القوائم المدرجة فى نهاية كل فصل لبيان أسماء المراجع والمطبوعات والقوائم التى أشار اليها فى النص وكلها بالانجليزية .

ويظهر منذ الفصل الأول مدى اختلاف وجهات النظر فيما يتعلق باختيار الكتب . فهل تختار هذه الكتب فى المكتبة العامة التى تهدف الى تيسير خدماتها لطوائف الشعب المختلفة تبعا لارتفاع قدرها العلمى ولأنها تعتبر من الكتب التى اكتسبت قيمتها فى الماضى ؟ واذا تم الاختيار على هذا الأساس فقد لا تجد هذه الكتب اقبالا من جانب جمهرة القراء . فهل معنى ذلك ان تختار الكتب وفقا لرغبات هؤلاء القراء كى تضمن المكتبة ترددهم عليها واستخدامهم لها وترتفع بذلك احصائيات روادها وتسجل نجاحا ظاهريا ملحوظا ؟ فى هذه الحالة فانه لن يمضى وقت طويل حتى تزدحم أرفف المكتبة بالنسخ المكررة من الروايات والقصص التى تستميل الجماهير وتستهويها بشهرتها العابرة ؟

ازاء مثل هذا الموقف يرى المؤلفان أن يكون الاختيار وفقا للغايات والأهداف التى تسعى المكتبات العامة الى تحقيقها ، وهذه الأهداف متنوعة منها ما يتصل بالثقافة والتعليم ومتابعة التقدم العلمى وتعويد القراء تعليم انفسهم بانفسهم ، ومنها ما يتصل بغايات اجتماعية ، فالمكتبة تعمل على مساعدة قرائها ليكونوا مواطنين صالحين فى عملهم وفى مجتمعهم المحلى وفى وطنهم عامة ، ومن وظائف المكتبة ما يتصل بالنواحى الروحية والجمالية ، فهى تعمل على تنمية الذوق الفنى وتنمية الطاقات الابداعية والروحية .

ومن هنا نرى أن هذه الوظائف متعددة متداخلة يجب التوفيق بينها فى اختيار المطبوعات مع مراعاة الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأهداف القومية . هذا مع تحقق التنوع والشمول لنواحى المعرفة المختلفة ، كما تراعى الامكانيات الأخرى المتاحة فى المؤسسات والمعاهد الموجودة فى المنطقة . كل هذا بالطبع مع النظر الى الميزانية . ومراعاة كل هذه الأمور والتوفيق بينها ليس بالأمر الهين وانما يتطلب تحمل مسئوليات ضخمة لخدمة الجماعة من جانب المكتبى ، الذى عليه الحفاظ على القيم الأخلاقية والقومية مع تقدير حرية الفكر وذلك حين يقوم بالاختيار .

ويبين المؤلفان فى الفصل الرابع تغير القواعد المتعلقة باختيار الكتب تبعا لنوع المكتبة وحجمها ، فالمؤلفان وان قصدا بالاختيار أن يكون للمكتبة العامة التى تخدم الطوائف المتباينة فى التعليم والعمر والمهنة والدخل ، الا أنهما يتناولان بالتفصيل الفرق بين الاختيار للمكتبات العامة الصغيرة والمكتبات الكبرى فى العواصم ، هذا عدا جانب المكتبات الخاصة بانواعها كالجامعات والمعاهد والمدارس وغيرها . ومثل هذه المكتبات أهدافها أكثر وضوحا لارتباطها بمؤسسات لها عملها المحدد ، كما أن جمهورها محدود كذلك مما يجعل مهمة الاختيار فى مجالات أكثر وضوحا .

وفى الفصل الخامس يجمل المؤلفان الأسس المعروفة لاختيار الكتب التى من أهمها :

- كفاية المؤلف ومؤهلاته وخبرته فى « الموضوع » الذى يكتبه .
- هل يعالج الكتاب الموضوع كله أو جزءا محددا منه ؟ وهل يعالج موضوع دراسته على نحو شامل او مختصر ؟ وهل يهتم بالناحية التاريخية للموضوع ؟ وهل هذه الناحية مما يهم المكتبة ؟ .

ويحسن لبيان مدى الحاجة الى الكتاب أن يقارن بغيره مما كتب فى نفس الموضوع لبيان مدى الجديد الذى أضافه .

- منهج دراسته لموضوعه وأسلوبه وطريقة عرضه ؛ وهل هو متحيز لأفكار معينة أو هو يعرض للموضوع باعتدال وانصاف ؟
- يدرس الكتاب من حيث المظاهر المادية كموضوع الطباعة ومدى احتمال الورق ، وهل توجد به رسوم توضيحية أو خرائط أو قوائم للمراجع أو ملاحق ؟
- تاريخ النشر وهو هام فى الموضوعات العلمية نظرا للتطور السريع فى العلوم .
- الناشر وشهرته وتخصصه فى نشر مثل هذا الموضوع .
- يجب التفكير فى القارىء الذى يصلح له الكتاب . هل يصلح للطالب أو للقارىء العادى أو للعالم المتقدم ؟

ثم يحدثنا المؤلفان عن مقاييس معينة لكل نوع من المعرفة الانسانية ، وعن المواد الأخرى – غير الكتب – التى تحتاج اليها المكتبة والمصادر المتعلقة بهذه المواد من قوائم ودوريات تعين فى التعريف بالنشرات والأفلام والتسجيلات الموسيقية والصوتية ... الخ كما تعين فى تقدير قيمتها .

ويعرض المؤلفان لاختيار طبعة معينة من تلك الكتب التى تطبع أكثر من مرة . وهنا يجب أن نميز بين الطبعة المعادة reprint والطبعة الجديدة edition وهذه الأخيرة هى التى تدل على تغيرات واضافات أضيفت الى الطبعات السابقة . والطبعات القديمة لكتب الأدب قد تفيد أكثر من غيرها اذا كانت لها مميزات معينة ، وذلك لأن الأدب وتاريخه ليس من المواد التى تتطور سريعا .

ثم يحدثنا الكتاب عن مميزات الكتب المترجمة التى يجب أن تنقل الأسلوب والأفكار والانعكاسات النفسية للمؤلف الى لغة أخرى مع مراعاة أن تكون اللغةمقروءة ، ويشترط فى المترجم الالمام بالنواحى الاجتماعية والجو التاريخى للكتاب مع معرفة بالموضوع المترجم وبأعمال المؤلف السابقة وميوله . ويشترط فى المواد العلمية الالمام بالمصطلحات . وقد أعدت اليونسكو تقريرا عن الترجمة العلمية والفنية وما يتعلق بها من مشاكل .

وفى الجزء الثانى يعرض الكتاب لصناعة النشر ومواردها وتخصيص الناشرين وكيف أنهم يضطرون الى اختيار الكتب التى يتوقعون إقبال الجمهور عليها ، وكيف يعتمدون على حقوق البيع الاضافية للسينما والتليفزيون وأندية الكتب . وأظهرنا العرض الذى قدمه المؤلفان عن المطابع الجامعية فى الخارج والدور الذى تلعبه فى نشر تلك الكتب التى تسهم بنصيب وافر فى المعرفة .

وفى الفصل الثامن يحدثنا عن القوائم الببليوجرافية القومية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وعن القوائم التى تسجل التراث القومى لهذه الدول ثم يعرض للقوائم الدورية الحديثة التى تعرض للكتب والمطبوعات وتعرف بها ، وهذه منها ما هو عام ، ومنها ما هو متخصص .

ذلك هو عرض سريع لأهم محتويات الكتاب القيم ، الذى قد يؤخذ عليه أنه يدرس المكتبات الأمريكية ويهتم بها أولا وبالذات ، ثم يلم الماما سريعا ببعض المراجع فى الدول الأوربية الكبرى . واذا ذكرنا هذا فيجب ان نذكر انه الف ليستخدم فى تلك المكتبات التى أهتم بها قبل كل شىء .

وقد يؤخذ على الكتاب أنه لرغبته مؤلفيه فى الالمام بمختلف الآراء فى فن اختيار الكتاب ، لم يعرض للأصول التاريخية لهذه المشكلة – أعنى مشكلة اختيار الكتاب – فى الغرب وهى مشكلة مرتبطة بانشاء المكتبات العامة فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ففى الأولى كان الدافع اليها مرتبطا بالثروات الفائضة والرغبة فى خدمة المجتمع ، وفى الثانية كان انشاء المكتبات مرتبطا بالحركة العمالية وقوانين العمل وتوفر وقت فراغ للعمال بعد أن تحددت ساعات العمل ، ومن المقارنة بين الوضعين ظهرت المشكلة وهى هل نحن نختار الكتب فى المكتبات العامة للترفيه وتزجية أوقات الفراغ أو نختارها من أجل التعليم عامة ، وتعليم الكبار خاصة ؟ وهو نوع من التعليم يتضمن ترقية العمال فى مهنهم أو فى مهن أخرى وذلك بمتابعة برامج منظمة من القراءة .

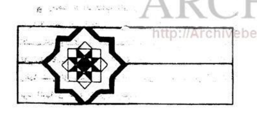
ومهما يكن من أمر فان هـذا الكتاب يوحى بالكثير من الأفكار والآراء فى مجال القراءة والثقافة، ونرجو أن نرى فى مكتبتنا العربية مثل هـذه البحوث التى تعرض لهـذه المشاكل الثقافية الحيوية فى بلادنا .

ويمكننا أن نفيـد من بعض المقاييس التى أوردها المؤلفـان فيما يتعلق بمقاييس اختيار الكتب ، ومن هذه المقاييس مثلا وجود الكشافات والفهارس التحليلية لمحتويات الكتب العربيـة الهـامة ، وتوفر البيانات والخرائط والملاحق بهـا .

وانا شخصيا استفيد من مثل هذه المقاييس بان أحكم على الكتاب حكميا نسبيا فأسال ما هو الهدف من وراء تأليف الكتاب ؟ وهل نجح المؤلف فى تحقيق هدفه ؟ وهـل هو صالح فى وضعه هـذا ؟ كما يذكرنا الكتاب بضرورة الاهتمام بالقوائم الدورية للمطبوعات التى تعرف بمطبوعاتنا تعريفا معتـدلا وتسجلها على نحو منظم يكفل الرجوع اليهـا والافادة منها . ويذكرنا كذلك بضرورة تخصيص ملاحق فى الصحف اليومية أو تخصيص صـفحة أو بعض صفحة للكتب الجديدة لتعريف عامـة الشعب بها ولتشجيع القراء على الاطلاع ، ولتقريب الكتب الى العقول والقلوب . ولا يفوتنـا أن ننـوه فى هـذا المجال بالنشرة المصرية للمطبوعات التى تعدها دار الكتب وبمجلة الكتاب العربى .

ولا ننسى أن مترجم الكتاب رجل له ثقافته الواسعة فقد مارس العمل المكتبى ودرس المكتبات والصحافة وغيرها مما مكنه من النهوض بعبء الترجمة لهـذا الكتاب القيم . وكم كنا نحب أن نرى قائمة بالاصطلاحات الفنية المترجمة فى نهاية الكتاب لتعين الدارسين .

عبد السلام شحاته



سطور من كتاب

خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى

«لقد نبعت الخدمة الاجتماعية والاشتراكية من أصول واحدة تلك هى الاتجاهات الانسانية ، فقد نشأت الاشتراكية كاحتجاج على الآثار الاجتماعية السيئة للنظام الرأسمالى ـ فقـد هاجم الاشتراكيون الأول أمثال « لويس بلان » و « سان سيمون » النظام الرأسمالى لأنه نظام لا أخلاقى ، جعل التنافس هو الطابع الأسـاسى للعلاقات الاجتماعية ، فأهمل الانسان أخاه الانسان ، بل تصارع معه وافترسه ، لذلك نادى الاشتراكيون الأول باشتراكية على أنها البديل الأخـلاقى للنظام الرأسـمالى حيث لا يستغل الانسان الانسان ، بل يتعاون معه .

والخدمة الاجتماعية نبعت هى الأخرى من نفس الاتجاهات الانسانية فقد تطورت كصيحة احتجاج ضد الفقر وضد نظام الاحسان بصـورته القـديمة والتى كانت تهدر الكرامة الانسانية ، كما أنها عملت منذ تطورها على اقامة علاقات أفضل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ـ علاقات تتسم بالتعاون واحترام الفرد ، والاشتراكية تتفق مع الخـدمة الاجتماعية فى الأهداف ، فالاشتراكية تدعو الى تكوين مجتمع الرفاهية ، والخدمة الاجتماعية تهدف الى نفس الغرض . فالاشتراكية والخدمة الاجتماعية اذن متفقتان فى الأصل وفى الغرض » .





يعتب القارىء أبو السعود محمد عبد اللطيف الطالب بكلية الحقوق بجامعة القاهرة على المجلة انها لم تنشر حتى الآن نقدا أو عرضا لما يظهر فى مجال القانون وفلسفاته من المؤلفات . ويقول ان نشاط المجلات الادبية فى مصر بعيد عن هذا المجال فى حين أنه لا شك أن الادب قوام القانون فهو لحمته وسداه وان شأن القانون فى ذلك شأن سائر العلوم الاجتماعية والطبيعية لا يجد القارىء متعة فى قراءتها الا اذا امتازت بطلاوة العبارة ومتانة الأسلوب وحسن انتقاء الالفاظ . ويطالب المجلة بنشر بحوث تقدم فيها ما أخرجته المطابع من مؤلفات علماء القانون .

● **ومجلة « الكتاب العربى » تطمئن القارىء العزيز بانها لا تقصر صفحاتها على لون أو الوان بذاتها من فنون الثقافة ولكن فى صفحاتها المتسع لكل ضروب الثقافة قانونية كانت أو علمية او فلسفية أو اجتماعية او أدبية وانها تنشر كل بحث او نقد او تحليل له قيمته عن اى كتاب يرد اليها فى هذه الفنون جميعها .**



ومن القارىء عفيف الدين الشريف باسيوط .

أكتب هذا لما أصابنا من حيرة عند قراءة ما كتب عن كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » ففى كتاب « تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر – وهو رسالة دكتوراه – للدكتورة نفوسة زكريا سعيد . نجد فى صفحة ٢٤٠ « فمن أوائل مؤلفاتنا التى وضعت بالعامية كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » » وهو من كتب المفاكهة والمسامرة بين الاصحاب **الف فى عهد الخديو سعيد » .**

وفى هامش نفس الصفحة ٢٤٠ تقول عن الكتاب « تاليف الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى طبع بالقاهرة ١٢٧٤ هـ – ١٨٥٧ م » .

وفى صفحة ٢٤٩ تقول الدكتورة « فلغة الكتاب العامية **تمثل مرحلة من أحط المراحل التى وصلت اليها العامية » .** وفى هامش نفس الصفحة ٢٤٩ نقرأ « انظر ادب تلك الفترة فى رسالة ماجستير » « للمؤلفة بعنوان البارودى – حياته وشعره فى فصل تحت عنوان « الشعر قبل البارودى » الرسالة » « مخطوطة فى مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية » .

اى ان كتاب هز القحوف هذا لم يكن مرجعا عاديا للدكتورة نفوسة بل كان أحد الموضوعات المدروسة فى رسالتيها الماجستير والدكتوراه ومعبرا فى رأيها عن أدب عصر سعيد .

ومن نفس الكتاب نقرأ للاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه الفلاح فى الأدب العربى ص ١٣٩ « ومن هنا نجد الفرق شاسعا جدا بين الفلاح الذى رسمه الزيات فى زماننا هذا وبين الفلاح الذى صوره الشيخ يوسف الشربينى فى **القرن الحادى عشر الهجرى أى منذ ثلاثة قرون » .**

ويقول الاستاذ فى صفحة ١٤٠ « لا بأس ان اقف معك لحظة أحدثك عن الشيخ الشربينى هذا فهو يوسف بن محمد ابن عبد الجواد بن خضر الشربينى ولا يعرف تاريخ مولده ولا يوم وفاته وان كان التحقيق على أنه كان **حيا حتى سنة ١٠٩٨ هـ – سنة ١٦٨٧ م** . أى بعد الفتح العثمانى لمصر بمائة وسبعين عاما » .

وبين المؤلفة والمؤلف توقفنا عن الميل الى اى منهما

لمكانتهما طالبين القول الفصل منسكم من الكاتب والكتاب وشكرا كثيرا والسلام .

● **مؤلف كتاب « هز القحوف » توفى فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى . وقد وصف فى كتابه حياة أهل الريف وما هم فيه من فقر وبؤس وجهل . وقد طبع هـذا الكتاب سنة ١٢٧٤ هـ بالقاهرة ثم طبع مرارا بالقاهرة والاسكندرية . وانظر بحثا تحليليا لهـذا الكتاب نشره الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى مجلة « الكاتب المصرى » (المجلد الرابع صفحة ٧٢٩ — ٧٣٤) .**



وفى رد على مقـال « الصهيونية فى الستينات » كتب القارىء محمود نعناعة يقول ..

قرات فى العـدد العاشر من مجلتكم الرفيعة انتقادا لكتابى « الصهيونية فى الستينات — الفاتيكان واليهود » بقلم السيد الدكتور سـيد نوفل الذى سأشير الى مقاله بكلمة الانتقاد .

وانى لعلى ثقة بأن صدر مجلتكم لن يبخل على ببضع ملاحظات ابديها على ما جاء فى الانتقاد الآنف ذكره .

الملاحظة الأولى :

اسم الكتاب كما نشرته الدار القومية هو « الصهيونية فى الستينات — الفاتيكان واليهود » . وليس من الانصاف ان يؤخذ من اسم الكتاب نصـفه ثم توجه اليه الطعنات على الشكل الذى صوره الانتقاد .

ولولا التقيد بسياسة النشر لدى القائمين عليها فى الدار القومية الزاهرة لـكان اسم الـكتاب حسب ما هو مدرج فى المخطوط هكذا :

الصهيونية فى الستينات .

(١)

الفاتيكان واليهود

واغفال الترقيم مسـألة فنية مهنية من حق الدار الناشرة أن تضعها موضع الاعتبار .

وقد شرحت فى مقدمة الكتاب علة الشروع فى هذا البحث دون غيره من دراسات الصهيونية ، وهى اسهامى المتواضع فى الحملة التى كان يجب شـنها لادحاض حجج المنظمات اليهودية والصهيونية جميعا فى محاولتها استصدار وثيقة التبرئة من المجمع المسكونى بروما .

وعلى هـذا فليس قصـد الـكتاب أن يكون دراسة للصهيونية بوجه عام ، بقدر ما هو — على التخصيص — دراسة لتحركات الصهيونية فى الستينات ، لا سيما صلة تلك التحركات بالفاتيكان وهذا — كما هو واضح — يلزمنا برحلات تاريخية لا محيص عنها .

الملاحظة الثانية :

اعتمادى على أقوال الصحف والاذاعات ووكالات الأنباء صحيح . ذلك بأنى اكتب عن تحركات الصهيونية فى الستينات . ثم ... اى ضير فى الاعتماد على هذه المصادر الحية ، دراسة وتمحيصا واستخلاصا لما نقتنع بأنه اقرب ما يكون الى الواقع ؟ وهل يتفضل من يدلنى على المصادر التى تعتمد عليها أكثر المنظمات العالمية والاقليمية فى اعداد تقاريرها الضخمة ودراستها الحية لهذا العهد الذى نعيش فيه ... ان لم تكن الصحف والاذاعات ووكالات الانباء من صميم تلك المصادر .

يقول الانتقاد أن اعتمادى على المصادر الصحفية والاذاعية اوقعنى فى بعض التناقض ، ويدلل على ذلك بأنى قلت فى الصفحة الأولى من الكتاب « ان الرباط الذى يجمع بين اسرائيل واليهودية العالمية تعرض لهزات عنيفة » ثم قلت فى الصفحة السابعة « أن التنظيم الذى هو أقوى مميزات الصهيونية واقـدر مقوماتها على الاطلاق جدير بأن يفسح المجال امامها للاحتفاظ بمواقع أقدامها والزحف نحو مواقع جديدة .. »

ولماذا العنت والقفز من **الصفحة الأولى الى الصفحة** السابعة ؟ ففى الصفحة السابعة نفسها **لا بل فى الفقرة** نفسها التى استشهد بها **الانتقاد على التناقض نقرا هـذه** الأسطر وتقع مباشرة قبل عبارة **فان التنظيم الذى هو أقوى** مميزات الصهيونية ..

لقد بدات الفقرة هـكذا : **ولا يعنى فتور الحماسة** اليهودية نحو تحقيق أهداف الصهيونية فى اسرائيل وما يتردد عن انقسام « الشعب » اليهودى وانحلاله ان الصهيونية باتت هينة عاجزة فان التنظيم الذى هو أقوى ... الخ » .

أين التناقض فى هذا ؟

قلت ان الرباط بين اسرائيل واليهودية العالمية تعرض لهزات عنيفة ، ولكنه لم ينقطع بفضل التنظيم الصهيونى الذى هو أقوى مميزات الصهيونية .

ثم ... لم يفزع بعضنا اذا أمرنا على أن نعرف عدونا بكل ما لديه من عوامل الضعف وعناصر القوة ، أليس ذلك أجدى ليعلمنا كيف نجابهه ونهزمه ؟ .

الملاحظة الثالثة :

اخذ على الانتقاد خلطى بين اليهودية والصهيونية . وكأن الصهيونية حركة سياسية قامت بين أخلاط من الأمم والطوائف ولم تنبثق عن اليهودية وتلمودها وبروتوكولات حكماء صهيون .

هذا وقد حاولت جهـد الطاقة أن أوفق بين مسئولية النشر العام ومسئولية اثبـات الحقائق التى لا سبيل الى التوهم باحتمال تجاهلها ، فتحدثت فى ثمانى صفحات كاملة

لكي أجيب على سؤال : هل اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر ؟

وفي الصفحة الخامسة والتسعين بعد المائة الثانية من الكتاب وردت هذه العبارة :

« ليس اليهود كلهم صهيونيين ، وليس كلهم موالين للصهيونية .. هذا صحيح .. ولكن .. أين هم أولئك اليهود الذين لا هم صهيونيون ولا هم موالون للصهيونية ؟ أين صوتهم ؟ أين أثرهم ؟ لا صوت ولا أثر . ان هي الا همسات واهنــة أعجز من ان تسمع وأضعف من ان تبين .. »

لم ... الا يرى معي الاخوة العاملون في حقل الدراسات الصهيونية ان الفصل الذي التزمت بين اليهودية والصهيونية يطلق يد عدونا في ميادين قد نتجنب نحن التصدي لها خشية الوقوع في مصيدة التفرقة العنصرية التي نصبتها الصهيونية في انحاء كثيرة في العالم ؟

هــذا ولا أدري كيف يستقيم لي أن أحمل على وثيقة تبرئة اليهود وأحذر من اقرارها دون أن أتحدث عن اليهود كيهود وعن الاســتغلال الصهيوني لــكل معطيات تاريخ السياسة والاجتماع ـ صحيحها وزائفها ـ لتحقيق مكسب وتنفيذ غرض .

الملاحظة الرابعة :

يحكم الانتقــاد بأني « التقي مع محاولات الصهيونية في اقناع اليهود بأن لا وجود لهم في غير اسرائيل » . اعوذ بالله .

الذي قلتــه ان الصهيونية تدعو في الظاهر الى الولاء المزدوج . وفي اعتقادي أن الولاء المزدوج لدى الصهيونية ليس أكثر من خرافة ، فولاء الصهيونية الصحيح والمطلق للدولة اليهودية وحدها .

ولا يخفى على المنصف أن في هــذا تنبيها للدول التي تسيطر الصهيونية على اليهود من مواطنيهــا ، لعلها تعالج بجد وحزم مسألة هــذا الولاء . اذا لا يعقل ان تقبل دولة ـ تحترم نفسها ـ من مواطنيها أن يتوجهوا بولائهم كله الى دولة أجنبية .

وفي يقيني ان من تنبه من الدول لهذا الولاء الشاذ لابد أن تتصرف ـ ان عاجلا أو آجلا ـ على ضوء مصالحها العليا لتضع حدا لهــذه المهزلة الصهيونية التي تقول بالولاء المزدوج ، ولتفرض ـ الدول ـ على مواطنيها جميعا ذلك الولاء القومي الطبيعي للدولة التي تضمهم وترعى شئونهم في اطار من المساواة العنصرية والحرية الاجتماعية .

اما اقناع اليهود بأن لا وجود لهم في غير اسرائيل فقد استقط في يدي وانا ابحث عن مظانها في الكتاب . وعسى ان يتكرم من يرشدني الى ما استند اليه الانتقاد في حكمه الجائر .

ولعلي لا أتجنى على الحق لو ادعيت أن عكس ذلك تماما واضح في أكثر من مناسبة . وليقرأ من يشاء موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين المغتصبة والهجرة المعكسية .

ومهما يكن من أمر فليس لنــا ان نتجاهل ان الكتاب وضع ليقول للمجمع المسكوني في روما ان الضــلالة التي يحاول ان يلقيها انصار الوثيقة على موضوعها ان هي الا غلالة ضــعيفة أعجز من ان تستر المآرب السياسية المختفية وراءها . ولن تكون الوثيقـــة في نظر العرب الا وســيلة استغلال جديدة في يد الصهيونية ، مهما تزين حواشيها بالدوافع الدينية والحوافز الانسانية .

والحق اني حائر في التوفيق بين الاستخفاف الواضح والاتهام الشنيع اللذين تعرض بهما الانتقاد لكتاب الصهيونية في الستينات ـ الفاتيكان واليهود وبين ما حظى به الكتاب من تقــدير المؤسسة المحترمة التي نشرته والقراء الكرام الذين شرفوني بتشجيعهم واذاعة صوت العرب الحرة التي قرظته ثم جامعة الدول العربيــة التي وزعت على وزارات الخارجية العربية ومكاتب الجامعة في الخارج ثلاثمائة نسخة منه يوم نشره .

وعلى اي حال فان شكري للانتقاد لا يقل عن تقديري لكل من وجد في كتابي شيئا يقرأ ويثني عليه ، لأن ذلك الانتقاد كان حقيقا بأن يحفزني لتسطير هذه الكلمة المنبهة ، ونحن على ابواب اجتماع رابع للمجمع المسكوني ـ سبتمبر سنة ١٩٦٥ ـ قد تقر فيه وثيقة تبرئة اليهود اذا لم تجد لاسقاطها امكانيات مؤثرة .



وجاءنا من الاســتاذ انس داود رد على ما نشره القارىء شوقي أحمد الغريب تعقيبا على مقال في نقد كتاب « خليل للنيل » للدكتور جمال الدين الرمادي ، ننشره فيما يلي .

واحدة من اثنتين .. اما ان يكون الدكتور جمال الدين الرمادي قد اختفى وراء اسم وهمي لينجو من التبعــات الادبية والأخلاقية لرده على نقدنا لكتابه عن خليل مطران ، واما ان يكون صاحب هذا الاسم النكرة « شوقي أحمـــد الغريب » قد بعث الله به من مقـــابر المجاهيل ليقرر ان الدكتور الرمادي :

« من الأدباء القلائل لا في الجمهورية العربية فحسب ، بل في الشرق العربي جميعه الذين يعرفون بالاخلاص في العمل ، واستقصاء الموضوع من شتى أطرافه » .

وليضيف الى معارفنــا هــذه المعلومة الصغيرة : ان الاستاذ العقاد رد على الدكتور الرمادي حين هنأه بجائزة الدولة التقديرية بقوله :

« بشارتكم منتظرة بأمثالهـــا .. فبشرى لكم وبشرى لهـــا » .

واياً كان أمر الكاتب .. فالحقيقة ان هذا الرد قد اضاف الى :

١ ـ فقدان المنهج العلمى فى البحث .

٢ ـ عدم الدقة فى التعبير .

وهما المعولان اللذان أشاعا فى كتاب الدكتور الرمادى عن مطران الاضطراب والسذاجة والخلط ؛ مما فصلناه فى مقالتنا بموضوعية تامة ، وبمعزل عن التناول الشخصى للدكتور .. نقول أضاف هذا الرد الى ما سبق :

١ ـ سبابا عقيما مردودا الى صاحبه .

٢ ـ ثم ـ وهـذا هو الأهم ـ افتراء قبيحا ، وتعمدا مفضوحا الى المغالطة والتهويش .. ولنفصل هذا الأمر من واقع الرد .

يقول الكاتب فى رده .

« والغريب ان السيد انس داود يتهم المؤلف بأنه تعرض للأعمال التجارية التى قام بها الشعراء . مع ان هذه الأعمال لابد ان ندرسها حتى نفهم المحيط النفسى الذى عاش فيه الشاعر » .

والذى يرجع الى مقالتنا يجد اننا نأخذ على السيد المؤلف قوله :

« ومن أرباب الأعمال الذين تثقفوا فى المهجـر جبران خليل جبران » ونقول له أن جبـران لم ينخرط فى سلك الأعمال التجارية كرفاقه من المهاجرين فقد عاش حياة لها ظروفها الخاصة التى ألمعنا اليها فى مقالتنا .. ويتضح من هذا اننا لم ننكر اثر حياة الأديب فى فهم أدبه كما ادعى السيد المعقب افتراء او عن غير معرفة أو هما معا ..

ويقول الكاتب فى رده :

« ولا يعقل ان يكتب أديب متخصص فى الأدب الحديث عن جبـران فيقول : انه لم يعرف الا بلوحاته فى المجتمع الامريكى .. فكأنما اراد السيد انس أن نلغى عقولنا الغاء »

وهذه مغالطة ثانية لا تقل عن سابقتها تضليلا .. فايراد هذا الكلام على هذه الصورة يوهم بأننى صاحب الرأى الذى يقول بأن جبران لم يعرف الا بلوحاته فى المجتمع الأمريكى .. بينما كان واضحا لكل من قرأ مقالتى اننى ارد على الدكتور الرمادى ، واننى اتهمه بالتعجل فى كتابته ، وعدم اصطناع الريث والأناة ، حتى انه قال فى كتابه هذه العبـارة عن جبران :

« ومن أرباب الأعمال الذين تثقفوا فى المهجـر جبران خليل جبران الذى عرفت لوحاته فى المجتمعات الأمريكية » ..

فكان قصور هذه العبارة الذى يزاحم ما اشرنا اليه من خطأ فى مطاعمها يفرض على الدكتور الرمادى كثيرا من وزن كلماته ووزن معلوماته قبل أن يصوغها كتبا ويدفعها للناس ..

وكان يفرض على كاتب الرد لو كان مخلصا حقا الا يزيف الموقف بينى وبين الدكتور الرمادى ، فيضعنى فى موقفـه المخطىء ، وكان أولى به ـ لو كان يريد الخير للدكتور ـ أن يسدى اليه النصح [illegible] كتاباته ومزيدا من الاحتياط [illegible] ولكن لما كان كاتب الرد [illegible] بالغرض [illegible] بالافتراء ، أضاف الى ما سبق موقفا [illegible] آراء الدكتور الرمادى التى نقدتها فى مقالتى [illegible] كاتب الرد .

« ويتهمنى السيد أنس بتواريخ صدور بعض الكتب التى ذكرها المؤلف [illegible] .. [illegible] صدور [illegible] والمثال [illegible] على هذه التواريخ [illegible] »

والذى يرجع الى مقالتى [illegible] أن [illegible] تاريخ صدور [illegible] من الدكتور الرمادى فى كتابه عن مطران ، والذى [illegible] التواريخ ، وتنبهه الى أهمية الرجوع اليها فى [illegible] لحركة التجديد فى الشعر ؛ حتى [illegible] فى صورة خليط من المعلومات [illegible] التى تشيع فى أرضها التخبط والاضطراب .. فمن [illegible] يا سيادة الكاتب ـ عافاك الله ـ اللوم والتقريع على [illegible] هذه التواريخ واهميتها ؟ .. الدكتور الذى [illegible] ، والذى استهان كل الاستهانة بتواريخ صدور هذه [illegible] ، ووقع فى أشنع الأخطاء ، أم كاتب هذه السطور الذى ارجى النصح ، وكتب نقده خالصا من كل هوى ؟ ..

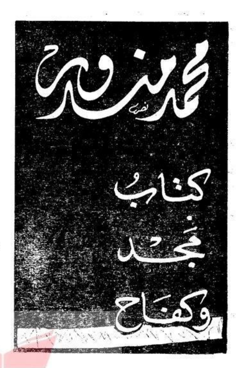
ولنذكر لك أيها السيد المعقب ثالثة الأثافى [illegible] أخذت فى مقالتى على الدكتور الرمادى أن يعتبر من التجـديد فى الوزن قصيدة « لو علمت » ومنها :

لو كنت تدرين الأسى	وبوجدتى لو قد علمت
لجرت دموعك رافة	وبقرب دارى قد مررت

وقلنا فى مقالتنا ان وزن هذه القصيدة ليس جديدا ولا شبه جديد لأنها من مجزوء الكامل .

وهـذه هى قضية هـذه القصيدة بينى وبين المؤلف ، وليقل لنا المؤلف او لتقل انت أين الجدة فى هذا الوزن ؟ ..

لقد كنت رفيقا بالدكتور اذ اعتبرت أمثال هذه الأخطاء مزلقا من مزالق « عدم الدقة فى التعبير » .. ولم أقل له ان مصدرها سوء الفهم للشعر ، والجهل بالعروض .. كنت رفيقا معه غاية الرفق .. وها أنت تجد أن ما أخذته على مقالتى ليست الا مجموعة من الافتراءات الضالة ، والأخطاء القبيحة المتبجحة ، مطرزة بطائفة من الشتائم لا تدل الا على افلاس مصدرها وانحطاطه .. فلتسامحنى أننى رفيق بك ـ أيضـا ـ كل الرفق حين أطلب لك الهداية ، وعدم التسرع فى المجاملة الرخيصة ، وركوب الهوى .





فى العشرين من مايو الماضى شيعنا الى عالم الخلود موكبا من المواهب اجتمع فى كيان رجل ، وودعنا مع هذا الموكب : أخا عزيزاً نقى القلب فى أخوته ، ومجاهداً فى سبيل قضايا أمته صادق النية فى وطنيته ، وعلما شامخا من أعلام الفكر له مكانة مرموقة فى كل مكان ، واستاذ جيل ممن يحملون الآن مشاعل النور فى كل ميـــدان : فى الثقافة والصحافة ، فى النقـــد والمسرح ، فى التوجيه والارشاد ، لأن ثقافته الرحبة المختلفة المواهب كانت تمد اشعاعها فى كل جانب . وناقداً احتل فى هذا الفن مكان الصدارة وتزعمه بأحقية وجدارة ، حين ودع المحاماة لينظر كقاض عادل نزيه فى حكمه برىء فى قصده ، الى قضايا الفكر ، فلم يترك كتابا يصدر الا كان له فيـــه رأى له قيمته ووجاهته ، وحكم له تقديره وقداسته .

ففى التاسع عشر من مايو خفت صـــوت الصديق العزيز والمجـــاهد الوطنى القـــدير ، والأديب المفكر الكبير ، والناقد الحكيم النزيه ، الأستاذ الدكتور محمـــد مندور ، وكان هـــذا الصوت ملء الأسماع ، كما كان صـــاحبه ملء القلوب والنواظر محبة وتقديرا . وفى ذلك اليوم وقفت الحركة الدءوب التى كانت تبعث من هذا الكيان المتعب المضنى النشـــاط فى كل جوانب الحياة الفكرية ، ليبقى محمد مندور بعـــد ذلك ذكرى فى قلوب أحبائه وعارفى فضـــله ، ولتبقى آثاره أمجاداً فكرية خالدة تعتز بها المكتبة العربية وتعوضنا بعض العوض عن الخسارة بفقـــده .

وليرحمه الله بقدر ما ضحى وجاهد ، وبقـــدر ما بذل وأسهم فى خدمة الوطن والعروبة والثقافة فى اخلاص وتفان أوسع الرحمات .

حسن كامل الصيرفى



يقدمه مدير التحرير

● لم يكد الجزء الأول من الطبعة الثالثة المزيدة من كتاب « المستشرقون » الذى ألفه الأستاذ نجيب العقيقى ــ وهو أديب واسع الثقافة رحب الجوانب الفكرية ــ يظهر حتى كان الجزء الثانى من هذه الموسوعة الضخمة التى تصدرها « دار المعارف » قد ظهر ، ولا يكاد هذا العدد من هذه المجلة يطلع على الناس حتى يكون الجزء الثالث ــ وهو الأخير فى هذه الموسوعة ــ قد طلع على الناس ايضا بعد أن بلغت صفحاته حوالى ١٢٠٠ صفحة على حين كانت الطبعة الثانية ٢٤٠ صفحة .

وفى الحق ان اهتمام المستشرقين فى شتى بقاع العالم بالتراث الشرقى بعامة ، والتراث العربى بخاصة ، ليستدعى تأليف موسوعة كهذه تسجل جهود هؤلاء العلماء وتطلعنا على مداها وتكشف لنا عن كنوزها التى تحتفظ دوائر الاستشراق وخزائن الكتب فى العالم بنوادرها والترجمة لهؤلاء العلماء لنعرف عنهم مثلما عرفوا عنا حتى لا نتنكر للأمانة العلمية التى دفعت كثيرا من هؤلاء المستشرقين الى نشر ما نشروا من ذخائر تراثنا الفكرى عن اخلاص نية واداء واجب علمى امام تراث بهرهم واستحوذ على اعجابهم وظفر بتقديرهم وافناء حياتهم فى نشره بعد تحقيق ودرس ، أو ترجمته والتصنيف فى نشأته وتأثره وتطوره وأثره ثم موازنته بغيره ، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم ، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات.

ولقد اضطلع بواجب العرفان لهذا الجميل والتقدير لهذا الصنيع الأستاذ نجيب العقيقى فهيأت له ثقافته الواسعة واطلاعه الجم وصلاته بالكثير من المستشرقين المعاصرين وبالدوائر العلمية فى أوروبا وامريكا أن يضفى على الطبعة الثالثة صفة الموسوعة التى تحيط بهذا الموضوع احاطة لا نبالغ اذا قلنا انها شاملة ، قضى فيها ست سنوات منقبا عن التراث الشرقى من فجر الحضارة الى اليوم ، محصيا نشاط المستشرقين فيه حتى فى مقالاتهم ، ولمعظمها قيمة دراسية فى ذاتها ، محاولا توسيع آفاقه التى خفى بعضها عنا .

وقد عالج الأستاذ العقيقى فى الفصول الأولى من الكتاب : مهد الحضارة ، والعرب قبل الاسلام ، وفتوح الاسلام ، وما استحدثه من فنون وآداب وعلوم أرست عليها أوروبا نهضتها الحديثة . ومن خلال ذلك عالج ثقافة البحر الأبيض المتوسط الانسانية ، واستيعاب اللغة العربية تراث الاسلام ، مما كان حلقة اتصال بين تراث اليونانية القديمة واللاتينية

الحديثة . واوضح كيف ظهر المستشرقون على طرق النهضتين وتناولهم تراثنا فى تأثره وتطوره وتأثيره بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة والدرس والتحقيق والترجمة والتصنيف .

وهو فى خلال هذا يترجم لهؤلاء المستشرقين ويجلو اعمالهم ، ويحدد زمان تلك الأعمال ومكانها ، ويذكر أسماءها ، ثم يشير الى كراسى الاستشراق فى الجامعات والى جمعيات المستشرقين ودوائرهم العلمية ومطابعهم ومكتباتهم ومتاحفهم ومجلاتهم ومجموعاتهم ومؤتمراتهم وآثارهم التى نشروها . وقد انتهى الجزء الأول بالكلام على الاستشراق الفرنسى والايطالى واثر الشرق فى ادبيهما .

اما الجزء الثانى فقد تناول فيه الاستشراق فى : انجلترا ، واسبانيا ، والبرتغال ، والنمسا ، وهولندا ، والمانيا ، وبولونيا ، والدانمرك .

واما الجزء الثالث فقد تناول هذا الموضوع فى : سويسرا ، والسويد ، والمجر ، وروسيا ، والولايات المتحدة الامريكية ، وبلجيكا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، ثم الرهبان واللبنانيين الذين قاموا بتدريس العربية فى تلك الدوائر . ثم موقف كتابنا من هؤلاء المستشرقين وجزاء مؤسساتنا العلمية لهم . واشتمل هذا الجزء على فهارس عامة لفصول الكتاب ، واعلام المستشرقين ، واسماء المؤلفين الذين نشرت آثارهم ، واسماء المؤلفات والآثار التى نشرها هؤلاء المستشرقون ، ثم فهرس النواحى والأغراض التى تخصص فيها هؤلاء العلماء ليكون مرجعا أمام الباحث يعرفه برواده وبمدى هذا التخصص .

● وبهذه المناسبة نذكر ان من اهم جهود هؤلاء المستشرقين **« دائرة المعارف الاسلامية »** وهى أوفى مرجع عن الحضارة الاسلامية وما يتصل بها من فنون وآداب وعلوم وتراجم لعظماء الاسلام والشرق .

وقد نبتت فكرة هذه الدائرة فى رؤوس بعض العلماء المستشرقين سنة ١٨٩٥ فدعوا اليها وما لبثت المجامع العلمية ومؤسسات النشر أن امدتهم بالمال ، فنهض بها : هوتسما ، وفنسنك ، وارنولد ، وهفنج ، وبروفنسال ، وباسيه ، وهارتمان ، وجب . فصدر الجزء الأول منها بالالمانية والفرنسية والانجليزية سنة ١٩١٣ وكان يشرف عليها الأستاذ هوتسما منذ سنة ١٩٠٦ حتى سنة ١٩٢٤ وهو مستشرق هولندى تلقى علوم العربية والفارسية والتركية من جامعة اوترخت ثم قام بتدريسها فى هذه الجامعة ثم فى جامعة ليدن . وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، وتوفى عام ١٩٤٣ بعد أن جاوز التسعين من حياته ، ثم اشرف عليها فى سنة ١٩٢٤ المستشرق الهولندى فنسنك الذى تخصص فى اديان الشرق وعنى بالحديث وصنف كتاب « مفتاح كنوز السنة » باللغة الانجليزية وترجمه الى العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، فأصدر ثلاثة اجزاء من هذه الدائرة وذيلا لها من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٣١ . ثم تألفت لجنة جديدة لنشر طبعة جديدة من هذه الدائرة بتحقيق لموادها واضافة مواد جديدة اليها ، وقد منحت مؤسسة روكفلر هذه اللجنة مبلغ ٤٥ الف دولار سنة ١٩٦٢ لتتم هذه المهمة .

وفى سنة ١٩٣٣ فكر فريق من شبابنا المثقف فى ترجمة هذه الدائرة ، وتغلبوا على صعابها ومشاقها وكونوا من انفسهم لجنة ترجمة تنهض بهذا العمل فى صمت ودأب ، وكانت تلك اللجنة مكونة فى مبدا امرها من الدكتور محمد ثابت الفندى والأستاذ ابراهيم زكى خورشيد والدكتور عبد الحميد يونس والأستاذ احمد الشنتناوى . واخرجوها فى اعداد دورية ظهر الجزء الأول منها فى اكتوبر سنة ١٩٣٣ . وقد صدر منها حتى الآن خمسة عشر مجلدا ، يضم كل مجلد منها اثنى عشر عددا . وقد ظهر اخيرا الجزء السادس من المجلد الخامس عشر الذى يضم من بين موضوعاته مادة (طلاق) .

وتمتاز الترجمة العربية بالتعليقات والشروح التى يقوم بها اعلام الفكر فى مصر والشرق العربى عما يكون فى بحوث المستشرقين

من نواح هى فى حاجة الى تفنيد رأى جامح أو تحقيق موضوع مال به كاتبه عن جانب الحق ، أو توضيح غامض أو بسط لمسألة أوجز فيها القول .

ومن حسن الحظ ان أكثر المواد التى أضيفت فى الطبعات الافرنجية الجديدة ستستوعبها الترجمة العربية لهذه الدائرة ، وبذلك تضم الى ميزتها التى أشرنا اليها ميزة الجمع بين الطبعة القديمة والطبعة الجديدة .

● فى سلسلة « روائع المسرح » التى تصدر عن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » تنشر مسرحية « **عرفوا مايريدون** » تأليف سدنى هوارد ، وهى المسرحية التى ظفرت بجائزة بولتزر للدراما . وقد قام بترجمتها الأستاذ عبد الله حسين ، وراجعها الأستاذ على جمال الدين عزت ، ثم كتب مقدمتها الأستاذ أنيس منصور .

وقد عهدت هذه الدار الى الأستاذ عبدالله حسين بترجمة كتاب « **السنوات الأخيرة فى حياة شكسبير وراسين وابسن** » تأليف «كنيث موير » استاذ الأدب الانجليزى بجامعة ليڤربول، وهو الى ذلك شاعر وناقد ومخرج، نشر خمسة كتب عن الدراسات الشيكسبيرية ، وترجم الى الانجليزية شعرا خمس مسرحيات لراسين ، واخرج مسرحيات لابسن .

وهو فى كتابه « **السنوات الأخيرة فى حياة شيكسبير وراسين وابسن** » يتناول بالدرس والتحليل الأعمال الأخيرة لهؤلاء الثلاثة من عمالقة المسرح ، ويدحض ـ خلال دراسته ـ الرأى القائل بأن الضعف والوهن يسريان من شيخوخة الفنانين الى آثارهم ، فيثبت أن الأمر على غير هذا الرأى ، وان آثار هؤلاء العمالقة فى أخريات حياتهم قوية ثابتة .

● لم يزل الدكتور محمد يوسف نجم منذ أعد رسالتيه الجامعيتين « القصة فى الأدب العربى الحديث » ثم « المسرحية فى الأدب العربى الحديث » يواصل البحث وراء المسرحيات التى ألفت أو ترجمت فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى حتى استطاع أن يحصل على مجموعة كبيرة من المسرحيات المطبوعة والمخطوطة التى ظهرت فى هذه الفترة .

ثم رأى أخيرا أن يعين الدارسين فى الأدب الحديث بعامة ، وفى أدب المسرح بخاصة ، فييسر لهم الرجوع الى هذه المصادر النادرة ، فرتبها فى حلقات تنتظمها سلسلة واحدة هى « **المسرح العربى ـ دراسات ونصوص** » تحتوى كل حلقة منها على ما تيسر له جمعه من مسرحيات مارون النقاش ، والشيخ أحمد أبو خليل القبانى ، ومحمد عثمان جلال ، ونجيب الحداد ، وسليم النقاش ، والشيخ عبد الله البستانى ، ويعقوب صنوع ، وفرح انطون ، وابراهيم رمزى وعباس علام وغيرهم ممن خدموا المسرحية العربية . ثم يقدم كل حلقة بدراسة يعتمد فيها فيما يعتمد على دراساته السابقة لهذا الموضوع .

وقد حرص فى نشر هذه المراجع على المحافظة على نصوصها دون تغيير أو تصحيح الا فيما يكون خطأ مطبعيا ، لتظل هذه المسرحيات وثائق اسلوبية ، فضلا عن انها وثائق أدبية ، ولتكون فى أسلوبها مادة للدارسين الذين يبحثون فى تطور الأسلوب العربى فى النهضة الحديثة .

وقد ظهر من هذه النصوص : « **مارون النقاش** » و « **الشيخ احمد أبو خليل القبانى** » و « **يعقوب صنوع (أبو نضارة)** » .

واضطلعت « دار الثقافة » ببيروت بأمر نشر هذه السلسلة من الدراسات والنصوص.

● اهتمت الدوائر العلمية فى السنوات الأخيرة بوضع طائفة من المعاجم ، منها ماهو شامل ، ومنها ماهو مقصور على فن من الفنون، وذلك للنهضة الثقافية الواسعة التى تشمل جوانب حياتنا ادبية وعلمية وفلسفية واقتصادية وصناعية . وقد أشرنا فى هذا الباب فى أعداد سابقة الى بعض الجهود التى تبذل فى هذا السبيل .

ونذكر هنا أن الأستاذ منير البعلبكى احد صاحبى « دار العلم للملايين » ببيروت قد انتهى من اعداد « **معجم انجليزى عربى** » يضم المصطلحات المختلفة التى انتهت من تعريبها

المجامع اللغوية فى البلاد العربية فى شتى فروع المعرفة ، وقدمه للطبع .

● انتهى الاديب السعودى الاستاذ سيف الدين عاشور رئيس تحرير مجلة « قافلة الزيت » من تأليف رواية عنوانها **((لا تقل وداعا))** يعالج فيها الحياة فى الجزيرة العربية منذ ربع قرن . وسيقدمها للطبع قريبا .

● ظهر فى سلسلة « تراثنا » التى تنشرها « الدار المصرية للتأليف والترجمة » الجزء الثالث والأخير من كتاب **((اعراب القرآن))** المنسوب للزجاج بتحقيق الاستاذ ابراهيم الأبيارى . وقد انتهى الأستاذ المحقق الى راى فى اسم مؤلف الكتاب حيث لم يذكر من ترجموا للزجاج كتابا له بهذا الاسم ولان فى الكتاب نقولا عن أعلام تأخرت وفاتهم عن وفاة الزجاج . وفى ضوء هذا الراى توصل الى ان مؤلفه مغربى لا مشرقى لتحامله على المشارقة ، وان هذا المؤلف هو ابو محمد مكى بن أبى طالب حموش الذى ولد بالقيروان سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٧ هـ . حيث ذكر فى كتابه بعض مؤلفاته التى وردت فى ترجمته .

● من اعلام المؤرخين المسلمين الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى المولود بدمشق سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٨ . وقد خدم فن التراجم فى تآليفه العديدة ، وكتابه **((تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام))** يعد فى مقدمة هذه التآليف . يتناول فيه التاريخ من اول الهجرة الى عام ٧٠٠ هـ ويجمع فيه بين الحوادث والوفيات ، وقد قسم هذه المدة الى سبعين طبقة كل طبقة لعشر سنين ، ورتب كل طبقة على المعجم .

ومنذ سنوات والأستاذ حسام الدين القدسى صاحب « مكتبة القدسى » يعمل جاهدا على نشر هذا الكتاب الموزعة اجزاء مخطوطاته على شتى المكتبات فى العالم . فنشر من قبل خمسة أجزاء ، ثم صدر أخيرا الجزء السادس وهو يبدأ بالطبقة الخامسة عشرة ، الى جانب ما نشره الأستاذ القدسى من ذخائر المكتبة العربية .

● ثلاثة دواوين جديدة من الشعر لثلاثة من شعراء جيل جديد يبشر بالخير تربط بينهم وشائج متينة : رهافة حس ، وحيوية شعور ، وجمال اداء ؛ وهم فى ادائهم لم يقطعوا ما يصل حاضر الشعر بماضيه . فاما الدواوين فهى : **((الأنداء المحترقة))** و **((وعلى الارض السلام))** و **((لك أغنى))** . واما الشعراء فهم : كمال النجدى ، ومحمد الجيار ، ومحمد حليم حامد غالى . سعدت بلقاء الثانى والثالث ولم أسعد بلقاء الأول .

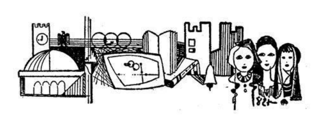
وصاحب **((الأنداء المحترقة))** كمال النجدى الذى لم التق معه وانما التقيت مع شعره يوم قرات له أول ما نشر منذ سنوات شاعر خطا فى رياض الشعر بقدمين ثابتين ، وحلق فأجواء الشعر بجناحين قويين ، يحمل معه ذخيرة من لغة الشعر ترده الى العصر العباسى لولا معان تربطه بعصرنا الحديث متجاوبة مع المدارس المعاصرة للشعر .

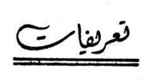
وصاحب **((وعلى الارض السلام))** محمد الجيار شاعر رفاف اللفظ اثيرى المعانى . موسيقى شعره حتى فيما حاول أن يخرج به عن قاعدة الشعر العربى ترده الى قاعدته فى سكينة لأنه فى ثورته شاعر حب وسلام قبل كل شىء ، ولذلك استطاع أن يوفق بين الفاظه ومعانيه توفيقا مبدعا .

وصاحب **((لك أغنى))** محمد حليم حامد غالى شاعر طوى غلاف هذا الديوان على قصائد تغنى فيها بأمجاد وطنه . وهو شاعر حب وسلام أيضا ، ثروته من متين اللفظ وجميله كبيرة مع معان أثيرية كذلك ، استطاع بها أن يجعل من هذه الأغنيات الوطنية اغانى بعيدة عن الافتعال ، لا تفقد جمالها بانقضاء مناسبتها .

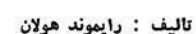
وبأمثال هؤلاء الشعراء الثلاثة نسعد بأن جيلا من الشعراء فى طريقه الى حمل راية الشعر عالية خفاقة .

حسن كامل الصيرفي









تاليف : رايموند هولان

ترجمة : الدكتور سيد رمضان هدارة .

الناشر : دار المعارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — ١٢٣ صفحة ١٧ × ٢٠ .

ث ٢٠ قرشا

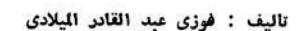
هذا الكتاب يبحث فى بعض الكشوف العلمية الشهيرة التى درجت على العالم منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الثلاثينات من هذا القرن . والمقصود من الكتاب شرح حال هؤلاء النفر من المغامرين والباحثين عن المعرفة فى أعماق البحار وعلى قنن الجبال وفى المقابر الفرعونية القديمة وفى الجزائر النائية وفى اغوار القطب الشمالى .

الكتاب اذن يهم المتخصصين فى فروع مختلفة من المعرفة ، ففيه حديث عن كرة الاعماق التى استطاعت ان تهبط بالانسان الى أعماق من المياه لم يكن قد وصل اليها من قبل ، وحديث آخر عن تسلق جبل ماكينلى فى آلاسكا الذى يعد من بعض النواحى أعلى من جبل افرست نفسه .

ولم يغفل المؤلف أن يروى قصة اكتشاف مقبرة مصرية مشهورة ، هى مقبرة توت عنخ آمون التى بهرت الدنيا ولا تزال . واذا كان التنين حيوانا خرافيا عاش فى أحقاب متباعدة او فى مخيلة الناس ، فان المؤلف أثبت انه موجود بقيد الحياة فى جزيرة قاصية من جزائر الهند الشرقية . كذلك هنــــاك حديث عن كيفية قهر القطب الشمالى فى السنوات الأولى من هذا القرن .

والكتاب الى هذا — كتاب أدبى يهم هؤلاء المغرمين بأدب الرحلات ، وما يصاحبه من خيال واسع ومغامرات جريئة وصور جميلة ممتعــــة . ولا عجب فصاحبه أديب شاعر وقصصى متمكن وكاتب سير الى جانب اهتماماته العلميـــة الحسنة .

جولة مع أدباء شمال أفريقيا



تاليف : فوزى عبد القادر الميلادى

الناشر : الدار القومية — مذاهب وشخصيات — ٧٣ صفحة ١٧ × ٢٤ .

ث ٢٠ قرشا

قليل منا من يعرف الملامح الادبية لدول المغرب العربى ، وقد كان هذا نتيجة للسيطرة الأجنبية على تلك البــلاد سنوات عــديدة من تاريخهــا ، وما قام به الاستعمار من محاولة صبغها بالصبغة الفرنسية فى ميادين الثقافة كافة وبخاصة فى الجزائر . غير أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير بعد النهضة القومية العملاقة هناك ، وبعد أن تنبه الشعب الى حقيقة وضــــعه العربى وانتمائه الى شعوب القومية العربية .

وقد بدأت ثمار هذه النهضة فى الوضـــوح مع سنى الجهاد التى تلت الحرب العالميـــة الثانية ، وحلت اللغة العربية محل اللغـــة الفرنسية كوسيلة فى التعبير عنــد الغالبية من الأدباء المغاربة . وهذا ما نستدل منه على أن اللغة العربية ما زالت بخير وسوف تكون دائما بخير .

وهذا الكتاب يعد فى الحقيقة دراسة نقدية جادة لخمسة نماذج من أدب المغرب العربى هى الاشعة السبعة لعبــد الحميد بن هدوقة والقلب الكبير لعبد العزيز السعداوى وفوارة الظمأ لمحمد الصباغ ودخان من قلبى للطاهر وطار وبرق الليـــل للبشير حزيف ، الأول والرابع من الجزائر والثانى والخامس من تونس والثالث من المغرب .

واذا كان الخط السياسى هو أوضح الخطوط الفكرية فى هذه الكتب الخمسة وبخاصة فى الاشعة السبعة ودخان من قلبى ، الا أن الخــط الاجتماعى وما يرتبط بالاسرة يتجلى فى قصة القلب الــكبير ، والخط التاريخى فى قصة

برق الليل ، بينما كانت فوارة الظمأ موضوعات متفرقة في ميادين شتى مكتوبة بأسلوب يتسم بالرشاقة والجزالة .

والأستاذ الناقد الى جانب توفيقه في عرض نماذج من ادب شمال أفريقيا عرضا طيبا أمينا ينبهنا الى مسألة هامة ، وهى انه كي نحقق اتصالا ثقافيا متينا بيننا وبين دول المغرب العربى من الضرورى بل من الضرورى جدا تشجيع حركة تبادل الكتب بين هذه الأقطار الشقيقة توطيدا لدعائم القومية العربية وتقوية لها .



العقاد في ندواته

بقلم : محمود صالح عثمان .

الناشر : دار الفكر الحديث . ٢٤٠ صفحة ١٧ × ٢٠ .

١٥ قرشا

من الشواهد الدالة على عظمة رائد كبير من رواد الفكر العربى الحديث تلك الدراسات التى توالت فى مدى عام بعد وفاته . وكثير من هؤلاء الذين كتبوا هذه الدراسات لم يكونوا من أنصار العقاد ومريديه ، لكنهم يشهدون جميعا بأصالة العقاد ومكانته المرموقة فى النهضة الثقافية المعاصرة .

وهذا الكتاب الفه احد مريدى العقاد ، عرفه منذ سنوات بعيدة ، ثم انقطع عنه سنوات أخرى ، لكنه ابتداء من عام ١٩٦١ لم يتخلف عن ندوة من ندواته التى كان يعقدها بمنزله صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يسجل ما يقوله العقاد فى هذه الندوات فى ميادين الأدب والحكمة والفلسفة والعلوم والتاريخ .

والقيمة الحقيقية للجهد الذى بذله الأستاذ محمود صالح عثمان تبدو أولا فى أن هذا الكتاب سجل جامع لكثير من الندوات العقادية ؛ وعلى هذا فان مادته جيدة ومن الممكن الرجوع اليها للكتابة عن العقاد ، وكان من الممكن أيضا أن يرتفع حظ المؤلف من التوفيق اذا هو رتب هذه الندوات ترتيبا زمنيا أو ترتيبا موضوعيا ، فانه كان بذلك يؤدى خدمة كبيرة للثقافة العربية وللثقافة الانسانية بوجه عام .



الفلاح في الأدب العربي

تاليف : محمد عبد الغنى حسن

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ المكتبة الثقافية ـ ١٥٦ صفحة قطع صغير

٥ قرشان

جميل أن نؤرخ للفلاح فى الأدب العربى ، وجميل أيضا أن يتصدى للكتابة فى هذا الموضوع اديب فلاح ، رأى فى امهات كتب الأدب وقديم مصادره « أن الفلاح مهمل الذكر مغفل الاشارة اليه متروك الحديث عنه » ، فكان هذا هو السبب الذى اداه الى التأريخ للفلاح فى الأدب العربى ، مع الاهتمام بالعصر الحديث اهتماما خاصا .

يبدأ الكتاب بالحديث عن لفظة الفلاح وتطورها على مر العصور ، ثم مكانه فى الشعر العربى وفى القصة العربية وفى أدب المقالة ، ثم أخيرا فى مجال الدراسة والبحث الاجتماعى .

واذا كان الكتاب يحكى قصة الفلاح فى الأدب العربى ، فان معنى هذا أن المؤلف لم يجعل الكتاب قصرا على قصة الفلاح فى الأدب المصرى فحسب ، انما أشار الى أدباء العراق والشام الى جانب اشارته الى الادباء المصريين .

ولكن المؤلف اذا كان قد اهتم بدراسة ما نقله الشعراء العرب فيما يتصل بموضوع الفلاح الا انه جعل اهتمامه الاساسى فى دراسة الفلاح فى القصة العربية فى الادباء المصريين وحدهم ، كذلك فيما يختص بأدب المقالة ومجال الدراسة والبحث الاجتماعى .

وهناك شيء آخر لاحظناه فى هذا الكتاب ، وهو ان المؤلف أغفل الحديث عن الفلاح فى أدب المسرح ، وهو حديث مهم . صحيح ان المسرحية الحديثة جاءت فى ذيل فنون الادب التى اخذناها عن الغرب ، لكن هذا لا يعنى ان مسرح الحكيم ويوسف ادريس وسعد وهبه لم يلتفت الى أهمية الفلاح فى المجتمع العربى .

ورغم هذا فان الكاتب أصاب توفيقا كبيرا فى كتابه هذا ، لأنه فتح الباب للكتابة فى موضوع الفلاح ، وهو كما نعرف موضوع جليل الشأن عظيم الخطر ، كما انه لم يتناول أعمال كبار الادباء وشعرائهم فحسب ، وانما أعطى اهتماما خاصا للأدباء المعاصرين والشبان منهم ، هذا الى أن المؤلف قد صاغ أفكاره الجديدة الجيدة فى أسلوب حسن وتسلسل ذهنى سليم .



كتب وردت للمجلة

● **مصر تحت ظلال الفراعنة**

تأليف محمد صابر ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٨٠١ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١٣٥ قرشا

● **الدين والميثاق**

تأليف أحمد الشرباصي ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

● **ركائز التدريب الرياضي**

تأليف عبد الفتاح لطفي ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١١٦ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٦ قروش

● **الخدمة الاجتماعية في المجالات**

تأليف عدلي سليمان وآخرين ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٨٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٦٠ قرشا

● **العالم والسوق الأوروبية المشتركة**

تأليف محمد عبد العزيز أحمد وآخر ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

● **التخطيط للتربية والتعليم**

تأليف محمد علي حافظ ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٤٥٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٦ قرشا

● **مقالات في النقد والأدب**

تأليف الدكتور لويس عوض ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٣٩٢ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٥٥ قرشا

● **اوندين**

تأليف جان جيرودو ، ترجمة دولت حسن ، مراجعة الدكتور محمد مندور ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٠٥ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **أزمة الشعر المعاصر**

تأليف الدكتور ماهر حسن ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٥٨ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٢٠ قرشا

● **جمهورية الجزائر**

تأليف الدكتور فيليب رفلة ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٤٠ قرشا

● **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس**

تأليف الدكتور محمد عبد الله عنان ، الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٨٠ ص ١٧ × ٢٤ سم (جزءان) .

الثمن ٣٠٠ قرشا

● **علم التاريخ عند المسلمين**

تأليف فرانز روزنتال ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، الناشر مكتبة المثنى ببغداد ، عدد الصفحات ٨٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٤٠ قرشا

● **جغرافية العالم**

تأليف ف . م . هيلير ، ترجمة عطا بكري ، الناشر مكتبة الوفاء بالموصل عدد الصفحات ٤٣٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٩٠ قرشا

● **الحرية المدنية في جنوب افريقيا**

تأليف ج . ب . ماكولي وآخر ، ترجمة محمود احمد حسين ، مراجعة الدكتور محمد محمود الصياد ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٦٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٢ قرشا

● **حضارة روما**

تأليف دونالد ر . ددلي ، ترجمة فاروق فريد وآخر ، مراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع دار نهضة مصر ، عدد الصفحات ٤٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٣ر٥ قرشا

● **رجال من افريقية**

تأليف عبده بدوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٩٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٠ قرشا

● **قيم ومعايير**

تأليف العوضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٠٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ٨ قروش

● **أبو العلاء المعرى**

تأليف الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٥١ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى**

تأليف انيس عبد الملك وآخرين ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٤٩٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٩٠ قرشا

● **بين أدبين**

تأليف الدكتورة فاطمة موسى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٨١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٥ قرشا

● **الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ــ ١٩١٤**

تأليف الدكتور محمد انيس ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عــــدد الصفحات ٣٠١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٦٠ قرشا

● **النظريات السياسية الاسلامية**

تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عــــدد الصفحات ٣٥١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٥٠ قرشا

● **نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى**

تأليف الدكتور محمود قاسم ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٨١ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٦٠ قرشا

● **ملك عجوز ومآسى أخرى**

تأليف شوقى عبد الحكيم ، تقديم يحيى حقى ، الناشر الدار القوميــــة للطباعة والنشر ، عــدد الصفحات ٢٥٦ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٤٥ قرشا

● **سجن املكه**

تأليف احسان كمال ، تقديم الدكتور عبد القـــادر القط ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٧٥ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٣٠ قرشا

● **حدث ذات ليلة**

تأليف محمود البــــدوى ، الناشر الدار القوميــــة للطباعة والنشر ، عددالصفحات ١١٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

● **عودة الفراشة**

تأليف سيد عويس ، الناشر دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، عدد الصفحات ١٣١ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١٥ قرشا

● **ربيع**

تأليف مصطفى عبد الرحمن ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمـــة ، عـــدد الصــفحات ١٧٥ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١١ قرشا

● **أغانى الشباب**

تأليف احمد أبو المجد عيسى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عــــــدد الصفحات ٨٧ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٦ قروش

● **الموسيقى والحضارة**

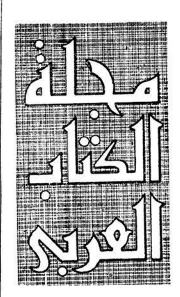
تأليف هوجو لايختنتريت ، ترجمـــة أحمـــد حمدى محمود ، مراجعـــة الدكتور حسين فوزى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمـــة ، عدد الصفحات ٤٩٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٨ قرشا

● **ميناڤون بارنهلم**

تأليف جوتهولد افرايم لسينج ، ترجمــــة وتقـــديم الدكتور مصطفى ماهر ، مراجعة الدكتور محمد محمد القصاص ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش



العدد الرابع عشر
١١ ربيع الأول ١٣٨٥
١٠ يوليو ١٩٦٥

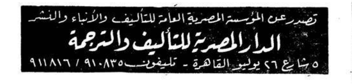
رئيس التحرير
علي أدهم

مدير التحرير
حسن كامل الصيرفي

سكرتير التحرير
جمال بدران

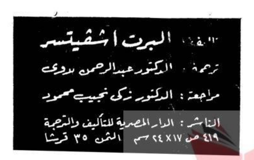
الاشتراك السنوى عن ١٢ عددا
بالجمهورية العربية المتحدة
٣٦ قرشا - الاشتراكات
عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة
٥ ميدان عرابي - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

فى هذا العدد



البــرت اشفيتســر

وفلسفة الحضارة



من الأقوال المأثورة أن بعض الناس يولدون عظماء وبعضهم يكتسبون العظمة وبعضهم الآخر تساق اليه العظمة ، ولست واثقا من معرفتى للطبقة التى يمكن أن ينتسب اليهـــا البرت اشفيتسر بين هذه الطبقات الثلاث ، فهو من الشخصيات المعاصرة ، والمعاصرة كثيرا ما تغرى بالمبالغة سواء فى المدح والقدح وتعوق صحة الحكم واستيفاء التقـــدير ، والذى يمكن أن يقرره الانسان مطمئنا فى صدد مثل هذا الرجل البـــارز الممتاز أنه اعجوبة من عجائب العصر فى تعدد مواهبه وسير حياته ، فهو يحمل اجازات الدكتوراه فى اللاهـــوت والفلســـفة والطب والموسيقى ، وله مؤلفات هامة فى اللاهـــوت والفلسفة والموسيقى، وقد يجد الفلاسفة ثغرات للنقد فى فلسفته ، وقد لا يقره أقطاب المسيحية فى بعض تفسيراته لحياة السيد المسيح وبولس الرسول ، وقد يخالفه الموسيقيون فى تقديره لمكانة الموسيقار باخ ، ولكن الجميع لا ينكرون عليه اقتداره وكفايته وأصالة تفكيره ونفـــاذ نظراته .

وقد ولد البرت اشفيتسر فى قرية كيسربرج، سنة ١٨٧٥ وهى احدى القرى الصغيرة بالألزاس العليا ، وكان الابن الثانى للويس اشفيتسر أحد القساوسة الكاثوليك ، وكان جده لوالدته كذلك من رجال الاكليروس ، وبعد مولـــده بأسابيع انتقل والده الى قرية جونز باخ الصغيرة وأقاما بها ، وقد مات لويس اشفيتسر سنة ١٩٢٥ وقد روى لنا البرت اشفيتسر فى ايجـــاز أليم أن والدته توفيت قتيلة تحت سنابك جياد الفرسان سنة ١٩١٦ .

وكان تفوقه فى الموسيقى أسبق آيات نبوغه، ففى التاسعة من عمره استطاع أن يجيد العزف على الأرغن ، ومما ساعده على اتساع نطـــاق التحصـــيل وكثرة التزود من ضروب المعرفة وثاقة بنيانه وفرط ابده الذى فاق المألوف ،



وقد روى اشفيتسر قصة حياته وجهاده فى كتابه « حياتى وفكرى » وقد مكنته قوته الخارقة وعزيمته الصارمة من القيام بالأعباء المضنية التى فرضها على نفسه وتحدى بها قدرته ، وقد ذاعت شهرته وهو يعمل طبيبا فى المستشفى الذى انشاه فى لامبرين بالكنغو الفرنسية ، **وكان الباعث على ذهابه الى هذه المنطقة الاستوائية شعوره بعظم المواهب التى اختص بها ، فقد كان موفقا فى حياته المنزلية وناجحا فى عمله ومتمتعا بصحة جيدة ، وقدر هـذه المنح ، ورأى أنه من الأنانية أن يستغلها جميعا لذاته ، وأطماعه ولباناته ، وعدها فريضة عليه وقفها على خدمة الانسانية** ، وحدد بلوغه الثلاثين من عمره للبدء بوفاء الدين ، وفكر فى بادىء الأمر أن يعمل على اصلاح حال المتشردين وطريدى السجون ، ولكنه آثر بعد ذلك الذهاب الى افريقية ليؤدى ضريبة الحضارة الأوربية فى اصلاح أحوال الأمم المتخلفة والأقوام البدائيين المستغرقين فى الجهالة والأوهام والخرافات وساء ذلك أصدقاءه ومريديه وعجبوا كيف يعرض مثل هذا الرجل عن المستقبل اللامع والحاضر الحافل بالجهود الموفقة ويذهب الى أعماق ما كانوا يسمونه بالقارة المظلمة ليرعى قوما لا ينتسبون الى اى سلالة من السلالات التى انحدر منها الأوربيون ولهم عاداتهم وتقاليدهم التى لا يسهل حملهم على تغييرها أو تعديلها وتلطيف حدتها ، ولم يكن اعتزامه القيام بهذه التضحية وتصميمه عليها من الأمور السهلة الهينة ، قال يصف حالته حينما نوى السفر .

« الامتناع عن الوعظ والقاء المحاضرات كان تضحية كبيرة منى ، وقد تحاشيت بقدر المستطاع قبل ذهابى الى افريقية أن أمر على كنيسة سانت نيقولاس أو على الجامعة لأن رؤية الأماكن التى عملت بها أعمالا لا أستطيع أن استانف القيام بها كانت تثير فى نفسى ألما بالغا ، وحتى اليوم لا أستطيع أن أحتمل النظر

الى نوافذ حجرة المحاضرات الواقعة فى شرق **مدخل بناء الجامعة الضخم لاننى كنت القى محاضراتى فى ذلك المكان »** .

والمبدا الذى منحه هذا الفيلسوف اللاهوتى كل ما فى نفسه من اخلاص وولاء هو ما اسماه « توفير الحياة » ، والحياة فى راى اشفايتزر مقدسة ، وهو لا يقر احتمال الشقاء ومعاناة الموت والاستهداف للتضحية الا اذا كان ذلك كله من اجل الحياة وفى سبيلها . .

(١) **« كلما اوذى حياة من اى نوع ينبغى ان اتبين بكل وضوح هل هذا امر لا مفر منه ، اذ يجب على ألا اتجاوز ما لا سبيل الى تجنبه ، حتى لو بدا امرا هين الشان ، فالفلاح الذى حسن آلاف الأزهار علفا لأبقاره يجب أن يحترس وهو عائد الى بيته فلا يقطع عنق زهرة واحدة على سبيل التسلية فى الطـريق ، لانه بذلك يرتكب اثما ضد الحياة دون أن تلجئه الضرورة الى ذلك »** .

ويقول فى الترفق بالحيوان (٢) **« فى كل مرة يرغم حيوان على خدمة الانسان ينبغى على كل منا ان يهتم بالآلام التى لابد ان يعانيها الحيوان فى هذا السبيل ، ويجب الا يسمح الانسـان بوجود آلام ليس مسؤولا عنها اذا كان يستطيع منعها على اى نحو ، وينبغى عليه ان يهـدىء ضميره بدعوى انه يتدخل فيما لا يعنيـه ، ولا ينبغى لأحد ان يغلق عينيه عن الآلام التى يشيح ببصره عنها ويحسبها غـير موجودة ، وما لأحد أن يعتقد أن عبء مسؤوليته عن هذا عبء خفيف ، اننا جميعا نشترك فى الذنب حينما نرى المعاملة المسيئة للحيوان تاخـذ مجراها ، وحينما لا نسمع لأنين الحيـوانات العطاش المحمولة على الطرق الحديدية ، وحينما نرى الحيوانات تعانى الآلام فى مطابخنا وهى تذبح بايد غير ماهرة : وحينما نرى الحيوانات تلقى معاملة قاسية من اناس لا قلوب لهم أو تترك للعب الأولاد القاسى وتسود الوحشية فى اماكن الذبح . .** (٣) **ان اخلاق توفير الحياة تزعنا من ان نعتقد بصمتنا اننا لا نعانى بعد كأناس يفكرون ما يجب ان نعانيه ، انها تحثنا على ان يدع بعضنا بعضا حساسا بالنسبة الى ما يضايقنا وان نتحدث ونعمل معا ، كما تدفعنا المسؤولية التى نشعر بها ودون ادنى شعور بالخجل ، وهى تجعلنا نشارك فى التطلع الى المناسبات والظروف التى تمكننا من تقديم العون الى الحيوان ، وأن نرتب ما يخفف الشقاء الذى يفرضه الناس على الحيوان ، وان نخرج بذلك لحظة من فزع الوجود الرهيب »** .

وفيما يتصل بعلاقة الانسان بالانسان يقول اشفايتزر (٤) **« فيما يتصـل بعلاقاتنا مع سائر الناس تلقى اخلاق توفير الحياة على عاتقنـا مسؤولية مروعة ، انها هنا ايضا لا تقدم لنـا قواعد عن المدى المسموح به للمحافظة على النفس، وتتطلب منا فى كل حالة ان ندرس المسـألة مع اخلاق التفانى المطلقة ، وعلى ان اقرر وفقـا للمسؤولية التى انا شاعر بها كم من حيـاتى وممتلكاتى وحقوقى وسعادتى ووقتى وراحتى ينبغى ان اكرسه للآخرين، وكم احتفظ به لنفسى، وفى مسالة الممتلكات تتخذ اخلاق توفير الحيـاة موقفا فردانيا واضحا ، بمعنى ان الثروة المكتسبة او الموروثة يجب ان توضع فى خدمة المجموع ، لا عن طريق اجراءات يتخذها المجتمع ، ولكن عن طريق قرار حر حرية مطلقة يتخذه الفرد بنفسه ، انها تنتظر كل شىء من ازدياد الشعور بالمسؤولية، وتنظر الى الثروة على انها ملك للمجتمع ترك تحت السيطرة المطلقة للفرد ، فبعض النـاس يخدم المجتمع عن طريق مشروع يكسب بواسطته عدد من المستخدمين عيشهم ، والبعض الآخـر يخدم المجتمع بان يتنازل عن ثروته لمعاونة اخوانه، وبين هذين الطرفين الأقصيين من الخدمة لندع لكل ان يقرر وفقا للمسؤولية التى تحددها له ظروف حياته . . والثروة يجب أن تصـل الى المجتمع بطرق متنـوعة كل التنوع اذا أريد أن ينتفع بها الجميع الى الحد الأقصى »** .

(١) صفحة ٣٨٩ من الترجمة العربية .

(٢) صفحة ٣٩٠ من الترجمة العربية .

(٣) صفحة ٣٩١ من الترجمة العربية .

(٤) صفحة ٣٩١ من الترجمة العربية .

وقد جعل اشفايتزر من سير حياته مثالا لما يدعو اليه، فذهب الى بلاد شقيت تحت وطأة حكم الرجل الأبيض وعنفه وقسوته وافتنانه فى أساليب الاستغلال ، ولم يعبأ بما كان يقوله دعاة الشعوبية المتطرفين وانكارهم على الافارقة القابلية للتقدم ورميهم بالارتكاس فى التخلف والهمجية ، وبحسبه ان قومه الأوربيين قد أساءوا اليهم وان التكفير عن هذه الاساءة دين لهم فى عنقه يطالبه ضميره بوفائه ، وقد أشار فى كتابه « على حافة الغابة البدائية » الى الأمراض التى تفتك بالناس فى تلك المنطقة التى ذهب اليها والى تبعة الأوربيين فى جلب الأمراض اليها ، وقد وصف اشفايتزر فى كتابه شدة البؤس الذى يعانيه سكان تلك المنطقة فهم يقضون أيامهم فى خوف دائم من معبوداتهم ومعتقداتهم الخرافية المزعجة ولا يخفون الى مباشرة اى عمل من الاعمال ، وقد اضطر ذلك اشفايتزر الى مضاعفة جهوده فى انشاء المستشفى الذى اقامه فى لامبرين ، فكان يشارك فى قطع الأخشاب ودق المسامير ويحمل الواح الخشب السميكة ، وقد روى انه لمح مرة وهو يقوم بذلك احد الزنوج مرتديا حلة بيضاء وجالسا الى جانب احد المرضى وقد جاء لزيارته ، فاستنجد به لمساعدته فى حمل الألواح الخشبية فقال له « انى رجل مثقف وليس من شأنى ان اجر الأخشاب » فأجابه اشفايتزر قائلا « **انك حسن الحظ ، لقد حاولت ان أكون مثلك مثقفا ولكنى لم انجح** » وبطبيعة الحال لم يكن بعض الناس قادرين على تقدير مدى التضحية التى قام بها هذا الرجل العظيم ، وقد عرف اشفايتزر الكثير من عيوب هؤلاء الناس الذين ضحى من أجلهم بالكثير واحتمل فى سبيل اصلاح أحوالهم والنهوض بمستواهم ما يعجز غيره عن احتماله ، ولكنه عرف كذلك مزيتهم الأخلاقية الكبرى وهى قوة الشعور بالعدالة التى لم تفسدها مجافاة الطبيعة وتقاليد الحضارة ، وقد جهد فى استصلاح الأرض المجاورة للمستشفى حتى نشأت الى جانبه قرية انموذجية بل بلدة صغيرة تدفع عادية المجاعة التى كانت ما تنفك تهدد نزلاء المستشفى والعاملين به .



ولم يصرفه عمله فى المستشفى عن موالاة الاطلاع ومتابعة التفكير فى مشكلات الحياة والمجتمع والتوفر على التأليف ، ومن اهم المؤلفات التى كتبها هذا الكتاب الذى أسدى الدكتور عبد الرحمن بدوى يدا غراء الى قراء اللغة العربية بنقله اليها ، والكتاب قسمان ، القسم الأول خاص « بانحلال الحضارة واعادة بنائها » والقسم الثانى عنوانه « الحضارة والأخلاق » وقد ذكر اشفايتزر فى المقدمة ان لهذا الكتاب قسما ثالثا يدعى « النظرة العالمية فى تمجيد الانسان » وقسما رابعا « يعنى بالدولة المتحضرة » ولا أعرف شيئا عن ظهور هذين القسمين ، ويقول اشفايتزر فى هذه المقدمة(1) « **لما بحثت فى ماهية الحضارة وطبيعتها تبين لى فى ختام المطاف أن الحضارة فى جوهرها اخلاقية ، وأنا أعلم أن تقرير الأمر على هذا النحو اعنى القول بان مشكلة الحضارة مشكلة اخلاقية سيثير الدهشة بل والاشمئزاز فى نفوس أبناء هذا العصر الذين اعتادوا التعلق بالاعتبارات التاريخية والمادية والجمالية ، ويخيل الى مع ذلك ان بى من النزعات الفنية والتاريخية ما يمكننى من تقدير العناصر التاريخية والجمالية فى الحضارة ، وانى بوصفى طبيبا وجراحا عندى من الروح العصرية ما يجعلنى قادرا على تقدير روعة ما بلغه هذا العصر من التقدم فى النواحى الصناعية والمادية ، ولكن برغم هذا كله فانى على يقين من ان العناصر الجمالية والتاريخية والاتساع الرائع فى معارفنا المادية وقوانا كل هذا لا يكون جوهر الحضارة ، وانما يتوقف هذا**

---

(1) راجع صفحة ٣ و ٤ و ٥ من الترجمة العربية .

الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة فى العالم ، وما عـــدا هذا فليس الا ظروفا مصاحبة للحضارة لا شان لها بجوهرها، والأعمال المبتكرة والفنية والفعلية والمـــادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقيـــة الا اذا استندت الحضارة فى بقائها ونمائها الى استعداد نفسى يكون اخلاقيا حقا ، ذلك ان الانسان لن تكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية انسانية الا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق وخلال حسنة ، وتحت تأثير المعتقدات الأخلاقية وحدها تكونت مختلف العلاقات فى المجتمع البشرى على نحـو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور بطريقة مثالية ، واذا أعوز الأساس الأخـــلاقى تداعت الحضارة ، حتى لو كانت العوامل العقلية والخلاقة أيا كانت قوة طبيعتها تعمل عملها فى اتجاهات أخرى ، وهذه النظرة الأخلاقية الى الحضارة وان جعلتنى كانى غريب وسط الحياة العقلية فى هذا العصر فانى اعلنها بوضوح ودون تردد كيما اثير فى نفوس أبناء هذا العصر التفكير فى حقيقة الحضارة ، ولن نفلح فى اعادة بناء حضارتنا على أساس ثابت وطيد الا اذا تخلصنا نهائيا من الفكرة السطحية عن الحضارة ــ هذه الفكرة التى نتشبث بها وتملك علينا انفسنا ثم تأخذ من جديد بالنظرة الأخلاقية التى سادت فى القرن الثامن عشر ، والأمر الثانى الذى أود أن يتداوله الناس هو أمر العلاقة بين الحضارة وبين نظريتنا فى الكون ، وهى علاقة لا يعيرها أحد التفاتا فى الوقت الحاضر ، فان العصر الذى نعيش فيه يعـوزه ادراك أهمية الظفر بنظرية فى الكون ، فان الاعتقاد العام فى هذه الأيام سواء لدى المتعلمين وغـــير المتعلمين هو أن الانسانية ستتقدم على نحـو مرضى تماما دون حاجة الى أية نظرية فى الكون على الاطلاق ، والواقع أن كل تقدم انسانى يتوقف على التقدم فى نظريته فى الكون ، وعلى العكس نجد أن كل انحلال سببه انحلال مماثل فى نظريته فى الكون ، وافتقارنا الى حضارة حقيقية مرجعه الى افتقارنا الى نظرية فى الكون ، وحينما يتهيأ لنا الوصول الى نظرية قوية ثمينة فى الكون نجد فيها اعتقادا قويا ثمينا ، هنالك فقط يكون فى وسعنا ايجاد حضارة جديدة ، وهذه الحقيقة التى قد تبدو مجردة ظاهرة المفارقة هى التى أومن بها وأناضل عنها وأرى نفسى بطلها » .

ويســــترسل اشفايتزر فى بيان ســـمات الحضارة فى تلك المقدمة النفيســـة فيقول (١) « ان الحضارة بكل بساطة معناها بذل المجهود ، بوصفنا كائنات انسانية ، من أجل تكميل النوع الانسانى وتحقيق التقدم ، من أى نوع كان ، فى أحوال الانسانية وأحوال العالم الواقعى ، وهذا الموقف العقلى يتضمن استعدادا مزدوجا ، فيجب أولا أن نكون متاهبين للعمل ايجابيا فى العـــالم والحياة ، ويجب ثانيا أن نكون اخلاقيين ، ولن نستطيع القيام بمثل هـــذا العمل بحيث ينتج نتائج ذوات قيمة حقيقية الا اذا كنا قادرين على أن نهب العالم والحياة معنى حقيقيـا ، وطالما نظرنا الى وجودنا فى العالم على أنه عديم المعنى فلا معنى أبدا للرغبة فى احداث أى أثر فى هـــذا العالم ، فنحن لا نعمل من أجل ذلك التقـــدم الروحى العام والمادى الذى نسميه الحضـــارة الا بالقدر الذى به نؤكد أن العالم والحياة كليهما ينطوى على نوع من المعنى ، وبعبارة أخـــرى الا بالقدر الذى نفكر به تفكيرا متفائلا » .

ويعلل ظهور الحضـــارة بقــوله (٢) « ان الحضارة تنشأ حينما يستلهم الناس عزما واضحا صادقا على بلوغ التقدم ويكرسون أنفسهم تبعا لذلك لخدمة الحياة وخدمة العالم ، وفى الأخلاق وحدها نجد الدافع القوى الى مثل هذا العمل، فنتجاوز حدود وجودنا ، ان شيئا ذا قيمة لم يتحقق فى هذه الدنيا الا بالحماسة والتضحية بالنفس ، ولكن لا سبيل الى اقناع الناس بحقيقة توكيد الحياة والدنيا وبالقيمة الصادقة للأخلاق ــ لا سبيل الى اقناعهم عن طـريق الدعـــوة والوعظ ، بل لابد أن تنشأ العقلية الايجابيـــة الأخلاقية التى تمتاز بها هذه المعتقدات ــ فى الانسان نفسه كنتيجة لصلة روحية باطنـــة بالعالم ، فحينئذ ، وحينئذ فقط تكون معتقدات

---

(١) المقدمة صفحة ٥ .

(٢) المقدمة صفحة ٥ .

قوية واضحة راسخة تكيف كل افكاره وافعاله، وبعبارة اخرى ان توكيد العالم والحياة يجب أن يكون ثمرة التفكير فى العالم والحياة ، ولن تتقدم الحضارة المستمرة الحقيقية الا اذا وصلت غالبية الأفراد الى هذه النتيجة فى الفكر واستمروا يعملون تحت تاثيرها ، أما اذا بدأ الاستعداد العقلى ــ فيما يختص بتوكيد الحياة والعالم وفيما يتصل بالأخلاق ــ نقول اذا ما بدأ فى الذبول أو اصبح غامضا مظلما فلن نكون قادرين على العمل من أجل الحضارة الحقيقية ، بل وأكثر من هذا لن نكون قادرين حتى على تكوين فكرة صحيحة عما ينبغى أن تكون عليه مثل هذه الحضارة ، وهذا هو المصير الذى انتهينا اليه ، لقد فقدنا كل نظرية فى الكون ، ولهذا فاننا ــ بدلا من ان تشبع فينا روح قوية عميقة لتوكيد الحياة والعالم ــ نقول فاننا نسمح لأنفسنا ، سواء بوصفنا أفرادا وأمما ، أن نساق ها هنا وها هناك بنوع من التوكيد مختلط وسطحى معا ، وبدلا من أن نتخذ موقفا أخلاقيا محددا نعيش فى جو مشحون بالجمل الأخلاقية أو نعد أنفسنا شكاكا أخلاقيين » .

ولكن كيف انساق العالم الى هذا المأزق ؟ يقول اشفايتزر ردا على هذا السؤال (١) « **السبب هو ان نظرية الكون المؤكدة للحياة والعالم الأخلاقية لم يكن لها أساس ثابت مقنع فى الفكر ، ولطالما حسبنا اننا وجدنا مثل هذا الأساس ولكنها فقدت قوتها دون أن تكون على علم بذلك ، حتى اضطررنا أخيرا منذ أكثر من جيل الى الاذعان الى نقص كامل وافتقار الى أية نظرية فى الكون على الاطلاق** » .

ويلخص فكرته الأساسية فى الابقاء على الحضارة بقوله (٢)**الفكرة الأساسية فى نظريتى فى الكون هى ان علاقتى بوجودى وبالعالم الموضوعى انما تتحدد بتمجيدى للحياة ، وهذا التمجيد للحياة ينظر اليه على أنه عنصر فى ارادتى للحياة،**



عنصر يصبح واعيا بنفسه كلما فكرت فى حياتى وفى العالم ، وفى الموقف العقلى الخاص بتمجيد الحياة ، والذى يجب أن يميز صلتى بكل اشكال الحياة تندرج الأخلاق وتوكيد العالم والحياة ، وما يحدد صلتى بوجودى وبالوجود الذى القاه فى العالم ليس أى نوع من أنواع النفوذ فى الطبيعة الحقيقية للعالم بل هى بالأحرى ارادتى للحياة التى نمت قوة التامل فى الذات وفى العالم » .

وفى ختام المقدمة يقول (٣) « **ليت شعرى كم** من الناس سيقتنعون أنفسهم بالسفر معى فى هذا الطريق ، لكن الأمر الذى أرجوه قبل كل شيء ــ **وهذا هو جوهر المسالة كلها ــ هو أنه ينبغى لنا ان نعترف بان افتقارنا الكامل الآن الى أية نظرية فى الكون هو المصدر الأخير لكل الكوارث وألوان الشقاء التى يعج بها العصر الحاضر ، ولهذا يجب أن نعمل معا من أجل ايجاد نظرية فى الكون وفى الحياة ، حتى نستطيع بذلك ان نصل الى مستوى عقلى يجعلنا متمدينين فعلا وحقا** ».

وواضح من هذه الأجزاء التى نقلتها من المقدمة ومن موقف أشفايتزر من مشكلة الحضارة بوجه عام ان **تصوره للحضارة تصور أخلاقى قبل كل شيء** ، والحضارة فى رأيه « **مزدوجة الطبيعة وتحقق نفسها فى سيادة العقل أولا على قوى الطبيعة وثانيا على نوازع الانسان** » .

والسيطرة الأخلاقية على النوازع الانسانية اجل شأنا من السيطرة على الطبيعة ، والسيطرة على النوازع الانسانية معناها السيطرة الأخلاقية

(١) المقدمة صفحة ٧ .

(٢) المقدمة صفحة ٧ .

(٣) المقدمة صفحة ٧ .

التي تحملنا على ان يزيد الخير المادي والروحي للانسانية ولكل فرد وحتى لكل كائن حي ، وتوفير الحياة هو جوهر هذه السيادة الأخلاقية، وهذه النزعة الأخلاقية القائمة على الرغبة في الحياة وتوفير الحياة هي جوهر الحضارة ، وتقدمها اهم من تقدم الانسانية المادى ، **والحضارة معناها خلاصة التقدم في ميادين الخلق البشرى المؤدى الى اكتمال الفرد والجماعة من الناحية الأخلاقية ، فالتسامى الأخلاقى له المكانة الأولى فى نظرية هذا المفكر الأخلاقى الكبير .**

والحضارة الأوربية المعاصرة فى رأيه تعانى اعراض التحلل والانهيار ، وقد بدأ هذا التدهور منذ منتصف القرن التاسع عشر وأخذ يغذ السير ، وانحلال الحضارة الأوربية فى هذا العصر أشد خطرا وافدح عاقبة من الانحلال الذى أصاب الحضارات السالفة ، (٤) « **لأن الأرض لم يعد لديها احتياطى من الشعوب الموهوبة التى لم تستخدم بعد ، والتى يمكنها أن تنهض بنا أو تاخذ مكاننا وتحل محلنا فى مستقبل بعيد كقادة للحياة الروحية ، اننا نعرف الآن كل ما لدى الأرض من شعوب ، وليس منها شعب لم يشارك بنصيب فى حضارتنا بحيث تحدد مصيره الروحى بمصيرنا ، الشعوب كلها الموهوبة وغير الموهوبة ، البعيدة والقريبة ، كلها شعرت بتأثير قوى الهمجية التى تعمل عملها بيننا ، وكلها مثلنا مصابة بالداء ، ولن تبرأ منه الا بمقدار برئنا نحن منه** » والأزمة الراهنة ليست أزمة حضارة قوم من الأقوام او سلالة من السلالات وانما هى أزمة الحضارة الانسانية بوجه عام ، والسبب الرئيسى فى ذلك ــ كما حدث فى انحلال الحضارات السابقة ــ سبب أخلاقى ، لأن الحضارة تنهار اذا أعوزها العامل الأخلاقى حتى حينما تكون العناصر الخلاقة الأخرى فى الحضارة مزدهرة ناشطة ، وتقوم الأخلاق على الرغبة فى الحياة باعتبارها المبدأ العام وعلى نظرة عامة للدنيا تؤكد هذه الرغبة فى الحياة وتفسر الوجود جميعه فى ضوء توفير الحياة فى مختلف مظاهرها ، وازدهار الحضارة يصحبه دائما آداب توقير الحياة ونظرة شاملة للكون تبرر هذا الاتجاه الأخلاقى وتعمل على الأخذ به فى النظم الاجتماعية وسلوك الأفراد وتفكيرهم ، وفى الأزمنة التى سادت فيها هذه النظرة الى الكون مصحوبة بهذا الاتجاه الاخلاقى ازدهرت الحضارة ونمت ، وفى الماضى استجابت التاوية الكنفوشيوسية والهندوسية والبوذية فى الشرق وبعض الفلسفات اليونانية والفلسفات الأوربية التى تلتها لمطالب وجهة النظر الأخلاقية للكون ، وكانت الفلسفة الرواقية وبخاصة الفلسفات التجريبية والعقلية فى عصر الاستنارة اكثر استجابة من غيرها لهذه النظرة الكونية الأخلاقية ولذلك كانت الحضارات الرومانية اليونانية والحضارات الأوربية مقبولة نسبيا ، وقد كانت أوروبا فى القرن الثامن عشر متشبعة بتلك النظرة الكونية الأخلاقية التى تؤكد الحياة ، وحوالى منتصف القرن التاسع عشر توقف فجأة هذا الدافع الحيوى ، وكان السبب فى ذلك الاعراض عن أخلاق تأكيد الحياة ، وقد الاحت فلسفة القرن الثامن عشر بمثل عليا أخلاقية وحاولت أن تجعلها عملية بتوجيه الفكر والحياة الى الأخذ بها بوجه عام ، ولكن برغم نجاح تلك الفلسفة الباهر فانها لم تستطع الثبات للنقد الشديد الذى وجه اليها لأنها كانت تحمل فى ثناياها بعض جرائيم الضعف ولم تكن تملك القدرة الكافية لمواجهة الموقف ، وقد حاول كانت وجيتى وشيلر وفختة وهيجل وغيرهم ترميم البناء المتصدع ووضع اساس جديد لنظرة شاملة للحياة سليمة من العيوب والاخطاء ولكنهم لم يوفقوا فى ذلك لأن مذاهبهم كانت عرضة للنقد ، ولذلك اصبحت وجهة النظر الأخلاقية للكون مسلوبة القوة ، ولذلك أخذ العالم يتخبط فى الظلام الدامس .

وجاءت عوامل ثانوية استمدت قوتها من ضعف النظرة الكونية الأخلاقية فآزرت الانحلال السائد وزادت فى خطورته ، وباعث هذه العوامل موقف الانسان الاقتصادى ، **فانسان العصر الحاضر مرهق بالعمل ، وهذا الارهاق**

(٤) الفصل الرابع صفحة ٥٥ .

يحول بينه وبين القدرة على التأمل وحصر الذهن في التفكير، **ومن ثم قلة التفكير الخلاق وزيادة التفكير السطحي وانتشار الفوضى الأخلاقية، والتصور اللا أخلاقي للحضارة ورجحان الجانب المادي على الجانب الروحي في حضارتنا وزيادة التقدم في المعرفة غير المكترثة والتكنية التي لا تقيم وزنا للنوازع الأخلاقية وذلك كله نتيجة محتومة للسبب الرئيسي للانحلال**، ولكن هذه العوامل بعد ظهورها تبدأ كذلك تلعب دورها وتؤثر تأثيرها في اضعاف الحضارة وهدم بنيانها.

ولكن الموقف مع ذلك لا يبعث على اليأس، ويمكن ايقاف عوامل الانحلال وأسباب الضعف عند حدها، ويقتضي ذلك العمل على وضع أساس اخلاقي فلسفي للحضارة يستطيع الثبات للنقد، ويعتقد اشفايتزر أن آراءه في الأخلاق وفلسفة الحياة جديرة بأن تكون هذا الأساس.

وفي عرض لتاريخ المذاهب الأخلاقية والفلسفية مبتدئا بالتائية والكنفوشيوسية والهندوسية والبوذية ومنتهيا بالفلسفات الأوربية والأمريكية الحديثة يوضح أن هذه المذاهب والنظرات الكونية متفاوتة الدرجات في الشمول والاستيفاء، ففيها جميعها نوع من الثنائية بين النظرة الكونية والنظرة الى الحياة، وبين المعرفة والارادة وبين النوازع الأخلاقية والعالم الطبيعي، وقد حاولت هذه المذاهب والنظرات أن تجعل أساس القيم الأخلاقية قائما على خواص العالم الخارجي وحركاته وعملياته التي يمثلها العلم، واخفقت هذه المذاهب والنظرات جميعها في هذه المحاولة «(١)**لأننا اذا أخذ العالم كما هو فمن المستحيل أن نعزو اليه معنى فيه أهداف الانسانية وغاياتها تجد أيضا معناها، فلا توكيد العالم والحياة ولا الأخلاق يمكن أن يقوما على ما تقدمه معرفتنا بالعالم من معلومات عن العالم، فاننا لن نجد في العالم شيئا ذا تطور هادف فيه يجد نشاطنا معنى، كذلك الجانب الأخلاقي لن نعثر عليه في عملية تطور العالم على أية صورة كانت، والتقدم الوحيد في المعرفة الذي يمكننا تحقيقه هو أن نصف بدقة متزايدة الظواهر التي**



تؤلف العالم وبيان مضموناتها، أما فهم الكل - وهذا ما تتطلبه النظرة الكونية - فهو أمر محال، والواقعة النهائية التي تستطيع المعرفة اكتشافها هي أن العالم مظهر، مظهر محير، تتجلى فيه الارادة العامة للحياة».

ويقول اشفايتزر في هذا الصدد «(٢)**أعتقد انني أول مفكر غربي تجاسر على الاعتراف بهذه النتيجة المدمرة من نتائج المعرفة، وأول من يشك شكا مطلقا في معرفتنا بالعالم دون أن اتخلى في الوقت نفسه عن الايمان بتوكيد الحياة والعالم** وبتوكيد الأخلاق، **والاستسلام فيما يتصل** بمعرفة العالم **ليس في نظري سقوطا في هاوية شك يتركنا نسبح في تيار الحياة كالسفينة** التائهة، **بل أرى فيه مجهودا في الأمانة لا بد أن نحاول القيام به ابتغاء الوصول الى نظرية في الكون مفيدة تتراءى في مدى النظرة وكل نظرة في الكون لاتفلح في الابتداء من الاستسلام فيما يتصل بمعرفة العالم هي نظرة مصطنعة ومجرد افتعال لأنها تقوم على تفسير للكون غير مقبول**».

وشفايتزر يبدأ من تلك الحقيقة الواضحة وهي «ارادة الحياة» وعنده أن هذه الرغبة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الشاهق الأخلاقي الفلسفي لتأكيد الحياة، والرغبة في الحياة تستطيع أن تغذي القوى الحيوية الكامنة في نفسها وهي أسبق وأوضح مما تضمنه قول ديكارت «أنا أفكر ولذا فأنا موجود» وعنده أن المعرفة المستمدة من الرغبة في الحياة أهم من المعرفة المستمدة من معرفة الدنيا، ومعرفتنا

(١) صفحة ٦٥/٦٤ من الترجمة العربية.

(٢) صفحة ٦٥ من الترجمة العربية.

الآتية من العالم الخارجى معرفة ناقصة وخارجية وغير مؤكدة ، والمعرفة المستمدة من ارادة الحياة معرفة مباشرة ، فاسمى ألوان المعرفة اذا هى ان أعرف أن على ان اظل وفيا لارادة الحياة ، وارادة الحياة ومعرفتها لا يعتمدان على أى شىء آخر خارجى عنهما ، بل أن ارادة الحياة اقدر على النفاذ الى أسرار الكون وكشف غوامضه من الملاحظة الخارجية ، وهى تقدم لنا معرفة مباشرة حدسية لحقيقة الوجود تقصر عنها المعرفة العلمية .

ولا يرضى اشفايتزر عن اخضاع الانسان للآلة كل الرضى بل يحذرنا عاقبته ويقول « اننا نخضع قوى الطبيعة لخدمتنا عن طريق الآلات » ويروى أقصوصة البستانى التى ذكرها اتشوانج تسيه فى احد مؤلفاته ، فقد رأى احد تلامذة كونفوشيوس بستانيا كان يتردد على عين من عيون الماء ومعه دلوه ليروى أزهاره ، فسأله الا يريد ان يقلل من مجهوده ؟ فأجابه البستانى « كيف أستطيع ذلك ؟ » فقال له تلميذ كونفوشيوس « خذ قطعة طويلة من الخشب واستعملها رافعة ، ولتكن ثقيلة الوزن من الخلف خفيفة من الأمام ، واغمسها فى الماء تصعد اليك بدون ادنى مجهود » ولكن البستانى وكان الى حد ما فيلسوفا أجاب « سمعت أستاذى يقول : اذا استعمل الانسان الآلات قام بكل أعماله كالآلة ، ومن سار فى اداء شؤونه كالآلة يصبح قلبه مثل الآلة ، ومتى صار قلب الانسان كالآلة فى صدره فقد البساطة الحقة » .

والبحوث الأخلاقية والبحوث الجمالية ليست بحوثا علمية فى رأى اشفايتزر وليس هناك مذهب علمى فى الأخلاق وانما يوجد مذهب فكرى ليس غير ، والوقائع الأخلاقية كلها وقائع ذاتية ولا تنتظر البحوث الأخلاقية شيئا من نظرية المعرفة .

ويتفق اشفاتيزر مع فريق من فلاسفة الحضارة فى اعلاء شأن المعرفة الحدسية المباشرة مثل اشبنجلر وشوبارت وبرديايف والى حد ما مع نورثروب ويستخلص من ارادة الحياة اخلاقيات تأكيد الحياة وتوقير الحياة والحب والتضحية وكل ما يدعو الى السلوك الأخلاقى والعلاقات الاجتماعية الحسنة ، ولا يتهاون فى تأكيد آداب حماية الحياة فى شتى مظاهرها ، فالأخلاق هى الوسيلة الأولى لتجديد حضارة الغرب وحضارة الانسانية ، والسبيل الى ذلك هو بث أفكار تأكيد الحياة والنظرة الى الكون المصاحبة لها فى عقول الافراد وسلوكهم ، واتباع ذلك بادماجها فى النظم الاجتماعية والثقافة العامة ، وهو لا يرينا الطرائق التى يمكن أن يتم بها ذلك ولكنه يؤكد لنا أنه لا سبيل بغير ذلك الى تقويم الجانب الأخلاقى للانسان وتجديد الحضارة ، فهو فى طليعة المدافعين عن الأخلاق والقائلين بأن القيم الأخلاقية لها المكان الأول فى الانسانية والحضارة ، وفلسفته من جميع نواحيها قائمة على ارادة الحياة ونستطيع أن نقول انها قائمة كذلك على ارادة الاعتقاد .

ويبدو من خلال حديث اشفايتزر عن العامل الأخلاقى فى الحضارة أن هذا العامل قائم بذاته وفى عزلة عن سائر العوامل التى تشترك فى تكوين الحضارة مثل الفنون الجميلة والقوانين والنظم الاقتصادية والسياسية ، ولكن الواقع أن العناصر المكونة للحضارة متصل بعضها ببعض ، والتغيير الذى يطرأ على أى عامل منها يؤثر فى العوامل الأخرى ، فانحلال الأخلاق فى الحضارة الغربية يصحبه انحلال فى العناصر الحضارية الأخرى ، وكذلك النظرة الكونية السائدة فى أى مجتمع تتأثر بالأحوال الثقافية الغالبة على هذا المجتمع **واختيار اشفايتزر لعامل واحد من عوامل الحضارة وتركيزه الاهتمام على هذا العامل جعله لا يقدر العوامل الأخرى التقدير الملائم** ، كما أن تفسيره للتائية والهندوسية والبوذية لقى معارضة من العلماء الذين تخصصوا فى دراستها وكذلك نقده لكثير من المذاهب الفلسفية لم يسلم من النقد والتجريح ، كما اخذ عليه اقلاله من شأن دور العلم فى التجديد الأخلاقى للحضارة ، ومهما يكن النقد الذى وجه الى آراء اشفايتزر فانه لا يمكن انكار قيمة آرائه والمثل الذى قدمه للانسانية بحياته واعماله كما أنه بتأكيده لأهمية الجانب الأخلاقى فى الحضارة قد وضع اصبعه على مطلب من أهم مطالب الانسانية فى العصر الحاضر وهو العناية بهذا الجانب بوجه خاص ، ولست اشك فى ان هذا الكتاب من خير الكتب التى زودت بها المكتبة العربية فى السنوات الأخيرة وقد نقل الى اللغة العربية نقلا جمع بين الدقة والأمانة ويستحق التقدير لما بذل فيه من جهد وما سيجده القارىء فى الاطلاع عليه من متعة وفائدة .

علي أدهم



هذه قوميتنا

في عالم أخذ يتحرر من وقر القومية وعنصريتها الجامحة ليعلي من شأن الأخاء العالمي والروح الانساني العام رحنا ننادي بالقومية العربية شعارا لوحدة العرب والأخاء العربي ووحدة العروبة فهل أخطأنا التعبير أو ضل بنا القصد، أم أننا نعني طرازا آخر من القومية التي تعلي من شأن الانسان وكرامة الأخاء العالمي، وان سقنا له هذا المدلول الذي حمل أوربا على النزعة العنصرية الحادة، والتعصب لما دعاه المستعمر الأوربي - رسالة الرجل الأبيض المقدسة - وطوح بها على متن العباب الى بلاد آمنة حرة لتجردها من حريتها وتفرض عليها سلطانها وتحكمها بالحديد والنار، ثم غاص بها في حماة التناحر الاستعماري ليجرها في مدى جيل واحد من الزمن الى حربين عالميتين جلبتا على الانسانية - كما يقول ميثاق الأمم المتحدة - من التعاسة ما يعجز عنه الوصف.

كانت تلك هي القومية التي عرفتها أوربا، يوم تحررت من ربقة الامبراطورية وسلطة الكنيسة وأقامت الدولة القومية الحديثة على أنقاض اقطاع العصر الوسيط، ولم يعرف العالم ذلك المدلول من قبل وان شهد التاريخ قيام دولة قديمة في مصر وبلاد الرافدين لها كل سمات الدولة القومية. أفنحن نحتذي هذا المدلول معناه الضيق الذي احتذته أوربا من قبل، وهل نخوض معركة الوحدة العربية كما خاضتها

تأليف: د. عبدالرحمن البزاز

الناشر: دار القلم ٤٤٧ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن ٦٠ قرشا

المانيا وايطاليا فى القرن التاسع عشر ومن قبلهما فرنسا وانجلترا وبلجيكا واسبانيا .

ان معركة الوحدة العربية تشترط السلم واجماع الارادة العربية عليها ومعنى ذلك أنها تقوم على الاقتناع واول مظاهر هذا الاقتناع وحدة الهدف .

والقومية العربية لا تقوم على العنصرية القبلية أو الشعوبية التى قامت عليها القوميات الأوربية ، ولا تعتنق الفكرة الامبراطورية التى تقوم على التوسع الاستعمارى ونهب المستعمرات لخير الدولة المتسلطة ، ولا تقيم وجودها وكيانها على التسلح والعدوان والمحافظة على التوازن الدولى حتى لا تطغى دولة على دولة أو تفوقها فى ميدان القتال والتسلط الاستعمارى واحتكار الأسواق التجارية والخامات الصناعية ، وانما تقوم القومية العربية على وحدة الأمة لا وحدة الشعب ، الأمة التى خاضت تاريخا مشتركا وتتكلم لغة واحدة وتربطها آمال مشتركة لمستقبل واحد ، وتتبنى دعوة السلام والتعاون الدولى من أجل الرخاء و « مقاومة الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعته ، ومحاربته فى كل أوكاره » ، وتدعو الى الاخاء العالمى ونبذ التفرقة العنصرية ، وهى قومية لها جذورها التاريخية البعيدة ، عاشت فى الاطار الاسلامى تعلى من أخوة الاسلام والسلام الذى نشرته الدولة الاسلامية فوق ربوعها وشادت حضارة تركت اشعاعة زاهية من وقدتها التى انارت العصور الوسطى ، ومن فكرها المبدع الخلاق الذى دفع بأشباه الهمج من أهل أوربا وهم يستقبلون مولد نهضتهم لأن يبحثوا تحت اقدام العرب طلبا للعلم والمعرفة ، واورثت الحضارة الأوربية خير ما فيها من اعلاء الروح وتمجيد العقل ، ويوم ضلتهما عادت تبحث عنهما فى روح الشرق وايمانه العظيم .

وكان العرب اصدق منا تعبيرا حين اطلقوا على هذا النوع من القومية الأوربية الضيقة لفظ « الشعوبية » نسبة الى « الشعوب » ونسبتها الى الجمع لأنها صارت علما كالأنصار وهو المعنى الدقيق لكلمة Nations فى الانجليزية والفرنسية أما القومية فنسبة الى القوم وهم الجماعة الانسانية المتشابهة التى ينتمى بعضها الى بعض . والقوم لغة الجماعة من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه فى جد واحد ، وقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازا للمجاورة ، وفى التنزيل « ياقوم اتبعوا المرسلين » وفيه أيضا ما يعنى الرجل والمرأة من معنى القوم ففى قوله تعالى « وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد » « وكذب به قومك » ، والواضح من الآيتين ان اللفظ يشمل الرجال والنساء على حد سواء ، وهو ما ذهب اليه مؤلف « هذه قوميتنا » .

أما الشعب فهو ما انقسمت فيه قبائل العرب والجمع شعوب ويقال الشعب الحى العظيم ويقال شعبت القوم شعبا من باب نفع جمعتهم وفرقتهم فهو من الفاظ الأضداد ، والشعوبية بالضم فرقة تفضل العجم على العرب ، فالشعب أقل من القوم ، وعلى هذا تكون القومية أفصح فى الدلالة على الأمة العربية وتكون الشعوبية أفصح فى الدلالة على الدول الأوروبية من القومية فالفرنسيون شعب ينتمى الى أمة اللاتين والانجليز شعب ينتمى الى الأقوام الجرمانية ولا نقول الأمة الجرمانية لأن هذه الأقوام لم تكن أمة موحدة كما كان اللاتين وكما كان العرب .

وغام تعريف القومية فى أذهان الأوربيين ، فالموسوعة البريطانية تعرفها بأنها « التعلق بأرض الوطن وتقاليد الأجداد والسلطات الاقليمية القائمة ، وهى عواطف شائعة منذ القدم ولكنها لم تصبح عاطفة مسلما بها ذات أثر فى الحياة الخاصة والعامة للأفراد الا فى القرن الثامن عشر » .

وقد اخذ الأستاذ البزاز بهذا التعريف أو سلم به على الأقل ، مع ما فيه من نقص وما يعتوره من اضطراب ، فان**القومية « كما نرى » هى الاحساس بالانتماء الى وطن معين والى أمة بعينها ، وادراك هذا الاحساس هو ما نسميه بالشعور القومى .**

والقومية غير الوطنية ، وان كنا نخلط



بينهما خلطا شديدا ، يقع فيه حتى أساتذة الجامعات المتخصصين ، مما أشار اليه المؤلف فى صدر كتابه ونشير الى مثله فى مقالنا هذا .

ويرى الأستاذ البزاز أن **الوطنية « هى ارتباط الفرد بقطعة أرض تعرف باسم الوطن ، وهى قد تعنى احيانا الاهتمام بشئون ذلك الوطن ، والتعلق به بالعواطف والأحاسيس باعتباره التربة التى تضم رفاة الأجداد والآباء . ان الكلمة الأجنبية للوطنية** Patriotism **تعنى هذا المعنى بجلاء ، بحيث يصح أن نقول بأن الوطنية هى حب أرض الآباء على حين أن القومية تعنى أولا وقبل كل شىء ارتباط الفرد بجماعة من الناس تعرف باسم الأمة ، والحرص على مصالح هذه الجماعة ، والعمل من أجلها ».**

ونتفق مع الأستاذ البزاز فيما يقوله ، فالوطنية هى حب الوطن ، وان كنا نختلف معه حين يجرد القومية من الوطن ولا يعتبر الأرض التى تقوم عليها الأمة وتملكها مقوما للقومية ، ويضرب لذلك مثلا « بالصهاينة قبل أن يقيموا فعلا وطنهم فى اسرائيل » كما يقول ، والصحيح ان القومية لا تنشأ الا فى رحاب الوطن فهو الذى يربط الجماعة الانسانية بعضها ببعض وفى رحابه تنشأ التقاليد والعادات والمأثورات ، وفى ظله تنصهر تلك التقاليد والعادات والمأثورات لتتشابه وتلبس اطارها المميز . ولا يمكن لأمة ان تتشابه اعرافها وتقاليدها بعيدا عن تراب الوطن ، فالعربى والانجليزى والأمريكى قد يعيش لجيل او جيلين واحساسه بالانتماء الى امة او وطن بعيد قائم باق ، ولكن سرعان ما تتمثل البيئة الجديدة أولاده وأحفاده ، وحتى هو نفسه اذا اكتسب جنسية الدولة التى يقيم فيها ، أصبح التزامه القومى نحوها التزاما يفرضه القانون وتفرضه المصلحة الجديدة ، وكل ما يبقى فى نفسه هو اعزاز وحب لوطنه القديم أقرب الى الوطنية منه الى القومية ، وهو اعزاز لا يتعدى نطاق العاطفة الى العمل القومى فالأمريكيون الالمان قد حاربوا فى صف امريكا بنى عشيرتهم الأقدمين .

فالقومية فضلا عن انها احساس بالانتماء

تقوية المصلحة المشتركة وتراث الماضي البعيد ، تنطوى على التزامات يفرضها قيام الدولة القومية على رعاياها ، والمعروف ان القومية فى فورتها ويقظتها تبغى تحقيق الكيان القومى الممثل فى قيام الدولة القومية .

لهذا اخطأ الأستاذ البزاز فى مجال التطبيق بين المذهب والعقيدة وبين القومية ، **فالصهيونية عقيدة أقرب الى المذاهب الدينية ادعت القومية مذهبا سياسيا لجماعة لا يربطها بعضها ببعض غير الدين ولا يجمعها غير تعاليم التوراة وفكرة العودة الى أرض لم تكن ملكا لهم فى يوم من الأيام .. وأن أقام العبرانيون على بعض أجزائها ولفترات قصيرة من التاريخ مجتمعا منظما لم يرق بعد الى كيان الدولة القومية الذى حققته مصر مثلا فى تاريخها القديم** . كما اخطأ أيضا حين ذكر ان « **القومية تنمى أحاسيس لولاءات متعددة أو متنافرة أحيانا ، فالقومى العربى فى العراق أو المغرب يحب العراق أو المغرب باعتبار أن الوطن العربى وطن كبير واحد ، واليهودى الصهيونى المقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية قد لا يحب الولايات المتحدة الأمريكية (وطنه الرسمى) وقد يشعر أن ولاءه الأول يجب أن يكون لاسرائيل وطنه القومى الذى يتعلق فيه بروحه وأحاسيسه ومشاعره** » . فاحساس العربى فى العراق أو المغرب ليس احساسا قوميا وما هو الا من قبيل التعلق بالأسرة أو القرية أو المدينة التى ينشأ فيها الانسان أكثر من تعلقه بأسرة مجاورة أو قرية قريبة ، وهو احساس يصور ساكن البصرة كما يصور ساكن قنا والشرقية ، وهو احساس بالحب فهو أقرب الى الوطنية منه الى القومية ، ودرجات الحب متفاوتة **أما الاحساس القومى فهو الاحساس بالانتماء الى الوطن الأم والى القوم الأكبر ، أما المشاعر المحلية الضيقة فهى مشاعر أسرية أو قبلية أو اجتماعية كمشاعر سكان الريف بالنسبة لبعضهم أو سكان المدن باعتبار أن حياتهم تختلف الى حد ما عن حياة سكان الريف، ولا يمكن لهذا النوع من المشاعر أن يعد احساسا قوميا أو يؤثر فى القومية بشكل ما** ، فالشعور القومى لا يتجزأ وهذه الأحاسيس المحلية غذاؤه وقوته . **أما الصهيونية فطراز شاذ لا يمكن أن يكون قاعدة لمدلول قومى ، وهو شعور عنصرى أكثر منه قومى ، ودينى أكثر منه تاريخى ، وليست الصهيونية قومية بل هى مذهب وعقيدة ، كعقيدة جماعة « الكوكلوكس كلان » فى محاربة الزنجى .**

ووقع الأستاذ البزاز فى الخطأ الذى انكره على غيره حين ظن اختلافا بين القومية والوطنية عند العرب ورد ذلك الى ان الوطن العربى لم يتحرر بعد وان بعض الاقطار العربية حريصة « اليوم على أوطانها الخاصة » وتعمل على « تأييد حدودها القائمة فى الوقت الحاضر » ، والواقع ان حب العراقى للعراق والمصرى لمصر كحب البغدادى لبغداد والقاهرى للقاهرة ، والآب لأسرته شعور آخر لا صلة له بالقومية والوطنية ، اما حرص الأقطار العربية على كيانها القائم فليس مرده الارادة الشعبية ، أو تفوق الوطنية على القومية وانما مرده حرص الحكام على امتيازاتهم وما يملكون ، فاذا ضربنا مثلا لاتساق القومية والوطنية « بالنسبة لكثير من الشعوب الأوروبية اليوم » كفرنسا وايطاليا والسويد وتعليل ذلك بأنها « اصبحت أمة واحدة منذ مدة طويلة » وانها قد حققت وحدتها فعلا . فان ذلك المثل لا ينطبق على الأمة العربية التى اصبحت امة منذ عهد أبعد بكثير من العهد الذى ظهرت فيه «الأمة الفرنسية أو الأمة السويدية» والفرنسيون ليسوا أمة بل هم شعب وكذلك أهل السويد واهل ايطاليا وغيرهم والشعب الفرنسى جزء من الامة اللاتينية ميزته لغة خاصة كانت هى اللغة الدارجة أو الخاصة لأبناء الغال وهكذا كانت الشعوب الأوربية الأخرى ، **أما الأمة العربية فقد صان القرآن لغتها وظلت تلك اللغة بتراثها الثقافى الباهر الرباط الأكبر للقومية العربية** ، ولو حدث ومرت الأمة العربية فى مثل ما مرت فيه امة اللاتين او الجرمان او القوط من سيادة اللهجات المحلية وتطورها الى لغات متميزة ، لفقدت الأمة العربية رباطها الأكبر ولتكونت فى كل قطر عربى قومية متميزة خاصة بها وكانت قومية أصلها الشعب لا القوم ولأصبحت قريبة الى طراز القوميات الأوربية

التي نشأت في القرن الثامن عشر ، وهو ما يجب أن نعيه تماما عند دراستنا للقومية العربية فانها طراز جد مختلف عن القوميات الأوربية أصلا ومنحى ومثلا واتجاهات .

ولا يقلل هذا من قيمة الكتاب فانه بحث أقول صادقا انه أوفى بحث وادقه صدر في هذا الموضوع ينم عن عمق في التفكير وسعة اطلاع ودقة ادراك للمعنى والمصطلح في اللغة والتعبير. وقد حملته دقته على التعرض لأخطاء وقع فيها أساتذة متخصصون حين تناولوا تلك المعاني وغام عليهم المعنى عند التعبير اللفظي او قصر ادراكهم عن دقة الفهم الذي يراه ، ففي كتاب « الايدلوجية العربية والمجتمع العربي » للدكتور عبد العزيز عزت ، اخذ على المؤلف عجمة العنوان والفصل بين مصر والمجتمع العربي والقومية العربية والاستعلاء الأقليمي بوصفه مصر الكريمة احيانا والعزيزة احيانا اخرى دون المجتمع العربي الذي يتركه « عائما دون أية صفة من الصفات » وقوله « مصر فوق الجميع » كما يأخذ عليه الخلط « بين مصطلحي شعب وأمة » والزعم بأن « مصر لم تكن عربية وانما تبنت القومية العربية سياسة بعد وحدتها مع سورية » فكأن القومية العربية فكرة طارئة وليست واقعا أصيلا .

ولعل أصل الخطأ ما وقع فيه « المعجم الوسيط » الذي أصدره « مجمع اللغة العربية » عام ١٩٦٠ ، ووضعه أربعة من فضلاء أعضائه ، واشرف على طبعه احد الأساتذة المختصين باللغة العربية تحت مادة (أمة) ما يأتي انقله بالحرف الواحد : (**الأمة الوالدة ــ جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، وتجمعهم صفات موروثة ، ومصالح وأماني واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان**) وبعد هذا التعريف العام الذي هو ليس بجامع ولا مانع جاءت الأمثلة : (يقال الأمة المصرية والأمة العربية) . ويرى الأستاذ البزاز ــ ولا نخالنا الا مؤيديه ــ أن هذا التعريف فضلا عن مجافاته للصواب العلمي بالاستناد « **الى نظرية الجنس أو الرس والتي لم تعد مقبولة في تحديد ماهية** الأمة » يناقض نفسه ، ويتساءل « **أليس هناك جامع يجمع بين المصريين والعراقيين بالقياس الذي أقره التعريف ، بحيث يصبح المصريون والعراقيون بالضرورة وحسب منطق الأشياء أبناء أمة واحدة ، ويجعل القول بوجود الأمة المصرية والأمة العراقية مناقضا للتعريف المسطور ذاته** » . ومصدر الخطأ كما يرى الاستاذ البزاز ــ ونتفق معه فيه ــ هو الخلط بين لفظي أمة وشعب ..

ويضرب مثلا آخر لمثل تلك الأخطاء بما وقع فيه الدكتور ابراهيم أنيس في محاضراته عن مستقبل اللغة العربية المشتركة بمعهد الدراسات العربية العالية ، فيأخذ عليه استعماله « عشرات المرات مثل هذا القول : الأمم العربية والأمم الشقيقة والأمم العربية الشقيقة ، فالعرب في رأيه أمم لا أمة واحدة » . ولا يقبل الأستاذ البزاز التعلل بأن لفظ أمم جائز لغويا ، ويرى أن المعنى الاصطلاحي للأمة هو ما يجب أن تأخذ به دون المعنى اللغوي ، ويقول ان الدكتور ابراهيم انيس قد وقع في الخطأ الذي وقع فيه واضعو « المجمع الوسيط » ، في الخلط بين مصطلحي شعب وأمة . وينقده في الترويج ولو بطريق خفي لعامية وادي النيل ويقول أين هي تلك اللغة المشتركة في وادي النيل غير العربية الفصحى واللغة الدارجة فيها لهجات لا تتفاوت بين مصر والسودان فحسب بل تتفاوت بين مكان وآخر من الوجه البحري الى الصعيد ومن القرية الى المدينة ، وينقد فيه أيضا موقفه السلبي حين « **جاز له أن ينهي بحثه الخطير بهذه السلبية المشينة وهذا القدر من عدم الاهتمام بحيث يترك القارىء وكأنه في الحقيقة أمام فرضية سليمة ونبوءة يمكن أن تتحقق في المستقبل على الرغم مما في تلك النبوءة من تهافت**

ظاهر ، ومعارضة لأوليات ما يفرضه علينا كوننا أمة عربية واحدة » .

ويمضى الأستاذ البزاز فى تقصى تلك الأخطاء فيأخذ على الأستاذ محمد بكير خليل فى تناوله للقومية العربية خلال محاضراته التى ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية ، الخلط أيضا بين مصطلحى أمة وشعب ، كما يأخذ عليه الاضطراب والتناقض الظاهر رغم جزالة أسلوبه وسعة علمه ، ويقول انه أخطأ فى ترجمة كلمة Nationality بالقومية « بينما الترجمة السليمة هى (تابعية) أو (جنسية) ، وانه « يثير الشكوك حول طبيعة القومية ويقول انها معقدة مركبة قلما تستطيع تعليلها أو تفسيرها مقاييس العلم » كما يقول : « ان الأمة والقومية Nation & Nationality من الكلمات الغامضة المدلول والتى تنطوى على شيء كثير من التعقيد بحيث يصبح من العسير تعليلها أو تحديدها ، ومن اليسير الخلط بينها وبين العناصر التى لا تمت اليها بصلة » .

ويرى الأستاذ البزاز ان المحاضر قد خلط بين القومية العربية والقوميات الأوربية بما لابسها من التعصب والاستعلاء ونظرية الجنس مما أشرنا اليه فى صدد هذا المقال ، والواقع أن القومية العربية طراز وحده لا يدركه الا من أوغل فى تاريخ الأمة العربية ونفذ الى شخصيتها ومقومات وجودها منذ البداية غير متأثر بمدلولها الأوربى أو بتياراتها التى نجمت عنها .

ويمضى الأستاذ البزاز فى كتابه فيضع لنفسه منهجا للبحث يقوم على تقسيم الكتاب الى أبواب يبدؤها بما دعاه تحرير القومية العربية من بعض القيود والأخطاء الشائعة ثم دراسة « النظريات المختلفة حول قوام القومية » وكان أحرى به ان يقول : النظرية العامة للقومية ؛ فهذا اقرب الى المنهج العلمى فى البحث من العنوان الذى ارتآه لهذا الباب . ويعالج فى الباب الثالث الخصائص الأساسية للقومية العربية ، ويؤكد فيها كما يقول « صفات (الكلية) ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، والتقدمية التى هى — فيما أرى — أهم تلك الصفات » . والباب الرابع عن أهداف القومية العربية وأقوم السبل لتحقيقها والباب الخامس فى تطور القومية العربية فى مختلف العصور حتى وقتنا الراهن وابراز دور الجامعة العربية — ما انجزته وما لم تنجزه — فى هذا الميدان ،ويعرض فى هذا الباب لتطور القومية العربية فى مصر حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، والباب السادس عن مستقبل القومية العربية وعوامل القوة فيها .

ويجرى الكتاب على أسلوب البحث العلمى فى القياس والاستدلال والاستناد الى المصادر العديدة والنظريات العلمية المختلفة والاستقراء العميق لوقائع التاريخ ، ولعله فى كل ما قرأت من الكتب العربية التى عرضت لهذا الموضوع أول من فرق بين القومية العربية والقوميات الأوربية ، فحررها مما لصق بالقوميات الأوربية من سيئات . ونبه الباحثين الى خطأ الخلط بين الاثنين . وان جاوزه التوفيق فى بعض ما جاء به حين شبه التبعية العثمانية بالاستعمار الفرنسى أو الانجليزى لبعض بلاد العرب متجاهلا ان التبعية العثمانية كانت تقوم على الولاء العربى والاسلامى لرباط الخلافة الذى جمع العرب تحت لواء واحد من الوحدة الدائمة وجب كل تفرقة وتمايز بين المسلمين ولعله لا ينكر أن الأمة العربية فى اطارها الكبير قد تكونت فى ظلال الاسلام وتحت لواء الخلافة الاسلامية العربية فى المدينة والكوفة ودمشق وبغداد ، وان

العثمانيين قد رفعوا لواء الاسلام فوق بقاع جديدة وانهم حتى فى ضعفهم وقفوا حاجزا امام الامتداد الاستعمارى الى قلب الوطن العربى ، حتى أن الاحتلال البريطانى فى مصر ظل يعترف بالسيادة العثمانية على مصر الى قيام الحرب العالمية الأولى .

واسرف المؤلف فى شرح ما سماه « قوام القومية واركانها » وتناول باسهاب وتفصيل يتسمان بالطابع العلمى مقومات القومية مؤيدا بعضها ومعارضا البعض الآخر دون أن يصل الى الأساس الحقيقى لنشأة القومية او وجودها الا من خلال التعرض للمعوقات التى تناولها وهى : وحدة الأصل ، ووحدة اللغة ، ووحدة الارض ، والوحدة الاقتصادية ، والوحدة الدينية، والوحدة الثقافية ، والوحدة التاريخية . وانكر أن تكون الوحدة الجغرافية أساسا او سببا فى نشأة القومية دون أن يفرق بين ضرورة وجود وطن للأمة تنشأ فى رحابه وبين نظرية التكامل الجغرافى والوحدة الجغرافية ، فالواقع أن التكامل الجغرافى والوحدة الجغرافية ليسا شرطا لنشأة القومية أو قيامها ولكن من الضرورى للأمة ان يكون لها وطن تنشأ فى رحابه وتنصهر تقاليدها فى بوتقته وليست الصهيونية قياسا على نشأة القومية دون وطن ، فقد ربطت التوراة بين اليهود برباط فكرى قوى عوضهم عن فقد الوطن ، ولا نستطيع ان نقول ان أمة ما يمكن ان تنشأ فى فراغ وتتكون دون وطن ، فالأمة توجد وتقوم فى رباط من وحدة الوطن الذى يربط افرادها وهذا الوطن هو البقعة التى يعيش عليها أفراد متشابهون وحين يربط التشابه بينهم يرون أن حدود وطنهم تمتد مع انتشار هذا التشابه الى أقصى حد يصل اليه من الأرض وينتهى بقيام قوم آخرين يجاورونهم وتتشابه — هم الآخرون — أعرافهم وتقاليدهم فى حدود الرقعة التى يعيشون عليها ، وليس شرطا أن يكون هذا الوطن متشابها فى المناخ او فى طبيعة الأرض .

ويرى الأستاذ البزاز أن قوام القومية هو اللغة والثقافة والتاريخ المشترك وكان أحرى به أن يجمل ذلك فى دعامتين هما الأساس فى كل قومية وهما : وحدة الثقافة ووحدة التاريخ فاللغة هى أداة التعبير عن الثقافة لذلك كانت الثقافة واللغة شيئا واحدا لا ينفصل وكان أحرى به أن يختم هذا الباب بتحديد هذين المقومين بدلا من أن يتركهما عائمين وسط المقومات التى ناقشها .

وتحدث فى الأبواب الباقية من الكتاب عن القومية العربية فى حاضرها من حيث الخصائص والأهداف والوسائل التى تتبع للوصول بها الى أهدافها هذه ، فوصفها بالكلية والديمقراطية والاشتراكية والتقدمية **ويبدو انه جاوز الخصائص الاجتماعية والسياسية الى وصفها بالكلية كناية عن انها عامة لكل العرب على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم ، ولعله قد تأثر فى ذلك بما أخذه على الشيوعية من انها حركة الكادحين فى كل بقاع العالم ليتحدوا فى سبيل غاية تحددها لهم وترسم خطواتها أمامهم ، وهذا قياس مع الفارق فالقومية احساس والشيوعية مذهب وعقيدة ، والقومية وجود قائم حى والشيوعية دعوة وفلسفة ، وليس ما يلزم أن نجعل الكلية من خصائص القومية العربية أو أية قومية أخرى فالقومية تتكون عن طريق الامتصاص شأنها فى ذلك شان العادات والتقاليد بل انها لتعد جزءا من تراث الأمة الاجتماعى والثقافى ، ولكن الشيوعية لا تقوم الا بالدعوة والتعليم وليست لها جذور عاطفية أو حسية**

فى وجدان الفرد كالقومية التى تقبع فى وجدانه وحنايا شعوره .

كما تناول تطور القومية العربية وظهور الوعى القومى فى مصر حتى ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ الى قيام الوحدة بين مصر وسورية . ويختم الكتاب بالحديث عن مستقبل القومية العربية ، فيذكر المراحل التى مرت بها واولها مرحلة المد الثورى الذى « أخذ شكله الواضح الجلى فى السنوات الأخيرة » (عام ١٩٥٥) ، وهو العام الذى تحررت مصر فيه « من سيطرة الغرب على تسليح المنطقة » ، ثم تأميم القناة والانتصار على العدوان الثلاثى فى خريف عام ١٩٥٦ ، ثم مرحلة الجزر الثورى بانحراف ثورة تموز عام ١٩٥٨ فى العراق عن اهدافها العربية وتحولها الى مجرد انقلاب عسكرى ، وانفصال سورية عن مصر ، وأخيرا مرحلة أخرى للمد الثورى تمثل فى نجاح الثورة الجزائرية واستقلال الجزائر وسيرها فى الركب العربى المتحرر .

ويختم الكتاب بعوامل القوة فى القومية العربية وهى : الوعى القومى المتزايد والموارد الطبيعية الهائلة والموقع الجغرافى والبيئة الطبيعية المتميزة ، وزعامة العرب الروحية للملايين من المسلمين فى العالم ، وسياسة الحياد الايجابى ونجاح التجربة الاشتراكية وما تتسم به القومية العربية من غيرية وحب للناس وتعاون للخير والسلام العام .

والكتاب موسوعة علمية حافلة بالآراء والمناقشات التى يسوقها المؤلف ويدلى فيها بفكرته مدعمة بالدليل العلمى والمنطق الواقعى لحقائق الأشياء ولعله خير ما كتب فى هذا الميدان .

د . حسين فوزى النجار

● ● ●

سطور من ديوان

« أيها العمال يا ذخر الوطن
أمكم نادت فلبوها كراما
واسبقوا فى سعيكم سعى الزمن
وادفعوها بيد العزم أماما
وثبة الجيل الجديد للحياة غاية النيل العريق
فابعثوا الماضى المجيد من ثراه انه نور الطريق
أتقنوا الصنعة فالمجد دعانا
فبها نسمو على الأيام شانا
وبها نعلو على الشمس مكانا
فهبوا للنيل روحا وجنانا
أنتم للشعب ذخر ودعام
فانهضوا اليوم وسيروا للامام

ربيع

كسبكم فى كريم السعى للمجد حلال
دأبكم فى حمى النيل جهاد ونضال
أيها العمال يا ذخر الوطن
أمكم نادت فلبوها كراما
واسبقوا فى سعيكم سعى الزمن
وادفعوها بيد العزم اماما »

تأليف : بول . م سويزى
ترجمة : الدكتور عمر مكاوى
مراجعة : الدكتور أحمد حسن أحمد

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣١١ ص ١٧×٢٤ الثمن ١٦ قرشا

الاشتراكية

فى المرحلة التى تمر بها بلادنا وهى تسير على طريق الاشتراكية نجد الحاجة ماسة الى مزيد من الدراسات العلمية العميقة فى هذا الموضوع : موضوع « الاشتراكية » . والكتاب الذى نعرض له اليوم يعد بغير شبهة احد هذه الدراسات العميقة التى دأبت الدار المصرية للتأليف والترجمة على تقديمها للقارىء العربى .

وبول سويزى ـ مؤلف الكتاب ـ ماركسى أمريكى وقد ظل عضوا فى هيئة التدريس فى قسم الدراسات الاقتصادية بجامعة هارفارد الى عام ١٩٤٢ عندما ترك الحياة الأكاديمية ودخل الجيش وبعد الحرب لم يعد سويزى الى هارفارد واتجه مع زميل له الى تأسيس « المجلة الشهرية » Monthly Review » التى تعتبر منبر الفكر الماركسى فى الولايات المتحدة الأمريكية .

والى جوار المقالات العديدة العميقة التى ينشرها سويزى فى مجلته فان له دراسات اقتصادية متعددة تدور جملتها حول نقد الاقتصاد الرأسمالى وبيان حتمية انهياره وحول الاشتراكية بطبيعة الحال .

وكتاب سويزى « الاشتراكية » هو الكتاب الخامس فى سلسلة كتب اقتصادية يصدرها سايمورهاريس بمساعدة مجموعة من أساتذة الاقتصاد فى جامعة هارفارد وتنشرها ماك جروهل Mc Grow-Hill وقد نشر كتاب سويزى فى يناير ١٩٤٩ واعيد طبعه بغير تغيير فى السنة نفسها .

والكتاب يضم أبوابا ثلاثة متصلة بعضها ببعض بحيث يعتبر الكتاب كله وحدة متكاملة واضحة وناضجة فى آن واحد .

وفى الباب الأول ـ أو الجزء الأول كما آثر المترجم أن يطلق عليه فى الفهرس ـ يتكلم سويزى عن التطبيقات الاشتراكية المختلفة . أى أنه فى هذا الباب يقدم لنا نوعا من الدراسة التطبيقية ويحرص سويزى قبل أن يدخل فى دراسة تلك التطبيقات المختلفة على أن يقدم لنا المعايير الأساسية التى تفرق بين النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى وأول هذه المعايير واكثرها حسما هو المعيار المتعلق بملكية وسائل الانتاج فهى فى النظام الرأسمالى الأصل فيها أن تكون فردية على حين أن هذه الملكية لوسائل الانتاج فى النظام الاشتراكى الأصل فيها أن تكون ملكية جماعية عامة . هذا وان اتفقت الرأسمالية والاشتراكية على اقرار الحق فى ملكية أدوات الاستهلاك . ويحرص سويزى بعد ذلك فى هذه المقدمة على توضيح الشيوعية ـ لدى الماركسيين ـ هى شكل المجتمع الذى يلى الشكل

الاشتراكى وأنها هى الشكل الذى سيبلغه الجنس البشرى بعد أن يتخلص نهائيا من رواسب الطبقات والصراع الطبقى .

وبعد هذه المقدمة الموجزة التى خصصها سويزى لبحث بعض المصطلحات وتحديد مضامينها التى آفرد لها الفصل الأول من الباب الأول ينتقل بعد ذلك الى التطبيقات الاشتراكية فيخصص الفصل الثانى للاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى والفصل الثالث للاشتراكية فى بريطانيا والفصل الرابع للاشتراكية فى أوربا الشرقية .

وغنى عن البيان أن سويزى وهو يتابع التطبيقات الاشتراكية المختلفة فى تلك الدول وقف عند نهاية عام ١٩٤٧ وأوائل عام ١٩٤٨ لأن الكتاب كما قدمت ظهر فى أول عام ١٩٤٩ والواقع أن كتابا يتابع تطور الأحداث الى بضعة شهور قليلة سابقة على ظهوره ليمثل جهدا رائعا .

وفى الفصل الخاص بالاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى يبدأ سويزى بعرض الأحوال فى السنوات القليلة السابقة على الثورة الروسية عام ١٩١٧ ثم يستعرض سريعا السنوات بين ١٩١٧ — ١٩٢١ وهى التى يطلق عليها فترة حرب التحرير أو الحرب الشيوعية الأهلية وكيف انتهت هذه السنوات الرهيبة الى ارهاق النظام الجديد ارهاقا عنيفا وكيف دفعت هذه الأوضاع الاقتصادية بلينين الى تطبيق سياسته الاقتصادية الجديدة التى يشار اليها عادة بلفظ (نيب N.E.p) (١) رمزا الى عبارة New Economic policy وكيف أن هذه السياسة فى جوهرها كانت نوعا من العدول عن التطبيق الحرفى للماركسية فى الالغاء الكامل للملكية الخاصة لوسائل الانتاج الى سياسة تكفل سيطرة الدولة وملكيتها للقمم الاقتصادية المسيطرة على وسائل الانتاج من بنوك ومؤسسات صناعية كبرى اما المؤسسات الصغرى فقد اعيدت لأصحابها بعد أن ألغى تأميمها مما دعا سويزى الى القول — بحق — أن الاتحاد السوفييتى فى تلك الفترة كان يعيش فى نوع من النظام المختلط بين الاشتراكية والراسمالية وقد ادى هذا النظام المختلط الذى اهتدت اليه عبقرية لينين وفرضته على الجامدين نظريا الى النهوض من التخريب والارهاق الذى اعقب فترتى الحرب العالمية والأهلية .

ويمكن القول أن الاتحاد السوفييتى بدأ يدخل مرحلة الاشتراكية شبه الكاملة منذ عام ١٩٢٨ الى ان تحققت بالفعل الملكية الجماعية لجميع وسائل الانتاج .

ويتحدث سويزى بعد ذلك عن التقدم الهائل الذى حققه التخطيط الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى ويبين هذا التقدم فى جداول علمية توضح بالأرقام التطور الهائل فى ذلك الاقتصاد . وقد يغنى مثل واحد من امثلة كثيرة ففى مجال الطاقة الكهربائية بلغت نسبة التقدم من عام ١٩١٣ الى ١٩٣٨ حدا لا يكاد يصدق اذ ان النسبة بين هذين العامين فى هذا المجال هى ١٠٠ الى ٢٠٨٤ اى انه فى ربع قرن تضاعفت القوة الكهربائية المولدة اكثر من عشرين مرة كذلك فقد استطاع تخطيط الاقتصاد الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى أن يقضى على مشكلة البطالة قضاء كاملا وهى المشكلة التى مازالت تعد احد المشاكل المستعصية فى النظم الراسمالية .

وفى الفصل الخاص بالاشتراكية فى بريطانيا يتحدث سويزى عن حزب العمال البريطانى وبرامجه وما استطاع تحقيقه فى الفترات التى تولى الحكم فيها وينتهى سويزى من تحليله لهيكل الاقتصاد البريطانى الى أنه « .. قد يكون من أسلم الطرق ان نقول ان بريطانيا مازالت دولة رأسمالية . وهذا القول فى الواقع ماهو الا تعبير آخر عن القول بأنه اذا لم تدعم الخطوة الاشتراكية الأولى بخطوات اخرى فى الوقت المناسب فان فى وسع الراسمالية البريطانية ان تبتلعها وتهضمها بدون صعوبة كبيرة » .

ويتساءل سويزى فى نهاية هذا الفصل عن مستقبل الاشتراكية فى بريطانيا — وقد كانت صناعة الحديد والصلب التى ركز اهمية كبيرة على تأميمها لم تؤمم بعد اذ انها اممت فى فبراير

(١) ننبه الى أنه فى ص ٢٨ من الترجمة العربية كتبت F بدلا من E .

١٩٥١ - ويجيب على تساؤله بعد تحليله لاتجاهات حزب العمال واجنحته المختلفة الى ان خطة السير نحو الاشتراكية قد توقفت بالفعل ، ويربط سويزى استنتاجه هذا بمسألة أساسية هى ارتباط بريطانيا بالولايات المتحدة واعتمادها اقتصاديا على ما تقدمه لها من معونات مؤثرة .

وفى الفصل الأخير من الباب الاول يتحدث المؤلف عن الاشتراكية فى أوربا الشرقية . وبعد تحليله لظروف هذه البلدان قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها ينتهى الى ان الخصائص الأساسية لاقتصاديات هذه البلاد بعد الحرب العالمية الثانية يمكن ان تجمل فى نقاط ثلاث :

١ - تحطيم سلطة طبقة كبار الملاك الزراعيين وتوزيع الأرض على الفلاحين .

٢ - تأميم المؤسسات الصناعية الكبرى كذلك البنوك ووسائل المواصلات .

٣ - الأخذ بطريق التخطيط كمبدأ أساسى للتنظيم الاقتصادى .

ولما كانت بولندا هى اكبر بلاد أوربا الشرقية مساحة وسكانا فقد أولى سويزى تجربتها الاشتراكية بعض العناية واذا قدرنا ان لجوء بولندا الى نظام خاص بالتخطيط الاقتصادى لم يقر فعلا الا فى سبتمبر عام ١٩٤٦ لتبين لنا أن سويزى عندما وضع كتابه لم يكن فى وضع يسمح له أن يرى التجربة الا فى بدايتها . وفى نهاية هذا الفصل يتساءل المؤلف عن مستقبل الاشتراكية فى بولندا ورغم محاولة تحاشى التكهنات الناطقة - آنذاك - فانه من الواضح انه كان يعتقد انه لا يوجد ما يعوق تقدم بولندا فى طريق الاشتراكية . وقد أوضح الواقع صدق استنتاج المؤلف فى هذا الأمر .

واذا كان القسم الاول او الجزء الاول - كما يسميه المترجم - من الكتاب ينصرف تماما الى عرض التجارب والتطبيقات الاشتراكية التى كانت موجودة وقت كتابته فان القسم الثانى من الكتاب يتجه أساسا الى دراسة ما يمكن ان نسميه تاريخ الفكر الاشتراكى او تطور الفكر الاشتراكى .

ويرى سويزى أن البداية الحقيقية للفكر الاشتراكى ترجع الى فترة الحرب الأهلية الانجليزية عندما ثار النزاع بين شارل الأول والبرلمان وقامت الحرب بين قوات الجانبين (١٦٤٢ - ١٦٥٢) وينبه المؤلف الى أن موضوع الاشتراكية لم يكن احد قضايا الحرب المشار اليها اطلاقا وانما انحصرت هذه البدايات الاشتراكية فى جماعة أسسها چيرارد وينستانلى وسميت جماعة العزاقين The Riggers . وقد اتجه وينستانلى الى أن أساس الظلم الاجتماعى القائم هو الملكية الخاصة للأرض . وقد أحسن المترجم بترجمة جماعة وينستانلى باسم « العزاقين » بدلا من «الحفارين »وهى الترجمة التى ترددت فى بعض الكتابات العربية قبل الآن اذ ان المعنى المقصود وراء الجماعة كان هو دعوة الفلاحين الى « عزق » الارض البور وفلاحتها .

وليس من الميسور فى هذا التقديم للكتاب أن نتتبع سويزى فى دراسته لتطور الاشتراكية أو تطور الفكر الاشتراكى مارين بتلك الجماعات التى اعقبت قيام الثورة الفرنسية او جماعة الميثاقيين ببريطانيا كذلك بسان سيمون وفورييه وروبرت أوين وان كان سويزى لم يكلف نفسه عناء الوقوف عند هؤلاء الثلاثة رغم ما يستحقه أولهما - سان سيمون - وثالثهما - أوين - من بعض العناية عند دراسة تطور الفكر الاشتراكى .

وتحت عنوان «الاشتراكية تشب عن الطوق» تكلم سويزى عن الاشتراكية الماركسية وبدأ بعرض موجز لتاريخ كارل ماركس ثم تحدث عن البيان الشيوعى محللا بعض فقراته الهامة .

وبعد ذلك خصص فصلا لدراسة الفكر الماركسى فى الفلسفة والتاريخ والسياسة وفى اختصار شديد - وواضح مع ذلك - يعرض سويزى الأساس المادى الجدلى للماركسية ثم ينتقل بعد ذلك الى المادية التاريخية باعتبارها تطبيقا لمبادىء المادية الجدلية على تفسير تطور المجتمع مبينا ان القاعدة الأولى للمادية التاريخية هى أن اسلوب الناس فى الحياة هو الذى يحدد اسلوبهم فى التفكير وليس يعنى ذلك عند سويزى

أن النشـاط الفكرى لا يلعب الا دورا سلبيا فى التطور التاريخى .

وعلى أى حال فان الأفكار الأساسية للمادية التاريخية تتمثل فى أن أساس كل مجتمع انما هو نظامه الاقتصادى وان لكل نظام اقتصادى تركيبه الطبقى المحدد الذى يقابله ولكل طبقة من طبقاته مصالحها الخاصة وهذه المصـــالح بالضرورة متعارضة متناقضة ومن ثم فان التاريخ فى حقيقته ليس الا تسجيلا لصراع الطبقـــات المتعارضـة أو المتناقضة .

وتحت عنوان جانبى « السياسة » يتحدث ســـويزى عن موقف الماركسية من الســـلطة السياسية والدولية – والدولة – من وجهة النظر الماركسية – منظمة عامة تملك حقا مشروعا فى استخدام القوة . وهذه القوة تستخدم اساسا لضمان بقاء النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم لمصلحة الطبقة المسيطرة اقتصاديا .

ويحاول سويزى ان يوضـح ان انتقـــال السلطة السياسية من طبقة مسيطرة الى طبقـة أخرى انما يتم عن طريق الثورة ولكن لا ضرورة لاقتران الثورة بالعنف فالثورة قد تكون سلمية وقد قال ماركس ان امكانية التحول السلمى الى الاشتراكية فى انجلترا وفى الولايات المتحدة هى امكانية موجودة . ولكن لينين عندما كتب كتابه الدولة والثورة عام ١٩١٧ قـرر ان احتمـــال الانتقال السلمى الى الاشتراكية اصبح احتمالا غير قائم ذلك على حين عاد ستالين بعـــد ذلك بسبع سنوات ليقول انه لا مانع من الانتقـــال السلمى الى الاشتراكية .

ويرى سويزى أن القول بامكانيـــة التحول السلمى الى الاشتراكية لا يتعارض مع النظـرية الماركسية التقليدية .

أما التحليل الاقتصادى الماركسى فان المؤلف يفرد له فصلا خاصا يبدؤه بالحديث عن طبيعة النظام الراسمالى وكيف أنه النظـام الذى يقوم على الانتاج من اجل السوق بهدف تحقيق اقصى ربح . وفى هذا النظام يتم الانتاج فى مشروعات خاصة بواسطة عمال يتقاضون أجرا . والربح الذى يحصل عليه أصحاب المشروعات الخاصة – طبقة الراسماليين – هو فى الواقع الفارق بين ما يستحقه العمل من مكافأة وما يحصل عليـه فعلا وهذا هو ما يسمى بفائض القيمة . والواقع أن تحليل سويزى لهذه المسألة التى هى فى غاية الأهمية بالنسبة للفكر الماركسى الاقتصادى هو تحليل واضح وبسيط يستطيع المثقف العادى أن يفهمه .

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى تناقضـــات الراسمالية الأخرى متحدثا عن الأزمات الدورية التى تجتاح النظام الراسمالى وصلتها بالتراكم الراسمالى وفوضى الانتـــاج ونقص الاستهلاك كذلك تحدث عما أسماه – ماركس – بقانون ميل معدل الربح نحو الهبوط فى النظـــام الراسمالى وما يؤدى اليه ذلك من انطفاء حيوية الراسمالية بالتدريج .

ويختم سويزى تحليله للاقتصاد الراسمالى بالحديث عن صلة الاستعمار بالراسمالية وكيف أدى الصراع الاستعمارى بين الدول الراسمالية الى الحربين العالميتين الأولى والثانيـــة . وانه لا مجال للانسانية الآن لتخلص من كل هـــذه التناقضات ولتقضى على الحرب الا بأن تأخذ بالنظام الاشتراكى . والخيـــار الآن ليس بين الاشتراكية والراسمالية وانما الخيار هو بين الاشتراكية الآن أو الاشتراكية فيما بعـد . ان الراسمالية – على حد التعبير الماركسى – قـــد أكملت مهمتها التاريخية فى بناء قوى الانســـان الانتاجية وهى تتسكع الآن فقط لكى تدمر – عن طريق الحروب – المنجزات التى حققتها بيديها .

وفى الفصلين الأخيرين من هذا القسم الثانى يتكلم سويزى عن تطور الحركة الماركسية منـذ الاعلان الشيوعى الى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ثم الى سنة ١٩٤٨ حيث كتب الكتاب منتقلا من الدولية الأولى الى فترة مابين الدولية الأولى والدولية الثانية ونشأة أحزاب وطنية اشتراكية فى تلك الفترة ثم قيام الدولة الثانية عام ١٨٨٩ واستمرار الدولية الثانية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى فى أغسطس عام ١٩١٤ .

وبعد الحرب العالمية الأولى تأسست الدولية الثالثة « الكومنترن » وفى اشارة سريعة مقتضبة

يشير سويزى الى الموقف الحرج الذى وجدت الدولية الثالثة نفسها فيه نتيجة العلاقات الودية التى قامت بين الاتحاد السوفييتى وألمانيا النازية قبيل الحرب ثم على اى حال ما تم فعلا عام ١٩٤٣ من حل الكومنترن وانتهاء الدولية الثالثة .

وبالرغم من انتهاء الدولية الثالثة وحلها رسميا فان سويزى يرى أنه مادامت الاشتراكية قائمة كحركة فلا بد من وجود دولية حقيقية ايا كان شكلها أو صورة تنظيمها اذ ان الدولية ابعد من ان تموت او تندثر على حد تعبير ماركس .

وفى القسم الثالث والأخير من الكتاب يتعرض سويزى لما يثور من جدل حول الاشتراكية وهل تستطيع ان تقدم حوافز العمل والكفاية بعد استبعاد حافز الربح الرأسمالى وبعد ان يؤكد المؤلف امكانية الاشتراكية على تقديم حوافز للعمل والكفاية ينتقل للاجابة على السؤال الثانى الذى يثيره خصوم الاشتراكية وهو هل تستطيع الاشتراكية استغلال الموارد استغلالا رشيدا ويفند فى هذا الفصل حجج المدارس الرأسمالية الحديثة مبينا اهمية دور التخطيط فى الاقتصاد الاشتراكى ومدى امكانية استغلال الموارد استغلالا رشيدا فى ظل التخطيط الاقتصادى الاشتراكى السليم .

وفى ختام الكتاب يتساءل سويزى هل تتفق الاشتراكية مع الحرية وينتهى سويزى الى القول بأن مبدأ المساواة بين الجميع عميق الجذور فى المجتمع الاشتراكى عمق مبدأ عدم المساواة فى المجتمع الرأسمالى .

هذه محاولة سريعة للالمام بالخطوط الرئيسية فى كتاب « الاشتراكية » لبول سويزى وهو فيما اعتقد أحد الكتب التى تستحق الدراسة والعناية . وقد كتبه بوضوح وبساطة وعمق فى آن واحد وترجمه مترجمه ترجمة بارعة امينة يستحق ان يشكر عليها من كل قارىء عربى ذلك بالرغم من وجود هنات هينات كان من الممكن تفاديها كتسمية اقسام الكتاب اجزاء على حين كان الأولى تسميتها اقساما أو ابوابا وكتقديم مقدمة المحرر على مقدمة المؤلف على خلاف الاصل الانجليزى أو غير ذلك مما لا يمس اطلاقا من ضخامة هذا الجهد المشكور .

اننى ادعو المثقفين العرب الى قراءة هذا الكتاب قراءة واعية لا تسرف فى القبول ولا تسرف فى الرفض وانما تفتح نفسها للفكر الانسانى والتجارب الانسانية تأخذ منها وتعطيها وتتجاوب معها وتتفاعل وتحتفظ مع ذلك كله بمقوماتها الاساسية لانها بدون هذه المقومات تصبح سلبا لا ايجاب فيه .

د . يحيى الجمل

سطور من ديوان

صدى ونور ودموع

يا صباحا آمن الناس به
حين جلاه لنا الفجر وجيها
كبت الأصنام فيه واختفى
فى غيابات الزوايا عابدوها
وتلفتنا حوالينا نرى
ظلمة تجرى ونورا يقتفيها
والخفافيش تولى هربا
تحتمى فى كل ركن يحتويها

ثورة هبت فهبت معها
امة سومها الخسف بنوها
أسفا ان حملت أرحامها
المسيئيها الأذى والخائنيها
نفخ الصور فقامت ثورة
تخلع الخالع والباغى السفيها
هللت للنور منا أعين
تجتلى مشرقه أو يجتليها
وسعت خفاقة أفئدة
أملت خيرا مع الصبح يجيها

قيصر الصغير



تأليف : ركس وارنر

هذا الكتاب يكشف عن مقدرة المؤلف فى دراسة سير عظماء التاريخ بل ويؤكد طول باعه كمؤرخ رصين يجمع بين الدقة فى التفاصيل والطلاوة فى العرض . وفيه يستعرض حياة قيصر منذ ميلاده فى عام ١٠١ حتى بلوغه سن الثانية والأربعين فى عام ٥٩ قبل المسيح ، وهو العام الذى تولى فيه قيصر منصب القنصلية اى رئاسة الجمهورية الرومانية لأول مرة بالاشتراك مع زميله بيبيلوس حيث ان نظام الحكم فى روما كان ثنائيا .

وتوافق هذه الحقبة النصف الأول من القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية ، وهو من أحفل القرون بالأحداث الجسيمة المثيرة . وفى الحق ان عنوان الكتاب لا يطابق مضمونه كل المطابقة وبالأحرى لا يكشف تماما عن هذا المضمون فهو لا يقتصر على ترجمة لحياة قيصر بل هو سجل حافل ايضا بأبرز أحداث الفترة وأبرز شخصياتها .

وقد اشتهر القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية بأنه عصر الشخصيات العظيمة التى ظهرت نتيجة للأخطار الجسيمة التى أحدقت بالدولة ونتيجة لتضاؤل سلطان هذه الدولة على المواطنين مما أتاح للأفراد فرصة اظهار قوتهم . وليس معنى هذا اغفال العوامل الأخرى الدافعة لتاريخ هذه الفترة او التقليل من شأنها ، بل سنجد هؤلاء الرجال العظام يكافحون الأخطار المدلهمة ويصارعون المشاكل القائمة ويتناحرون فيما بينهم وتتنازعهم فى ذلك كله المصالح القومية احيانا والأطماع الشخصية احيانا اخرى . **ومع هذا فلا جدال فى أن هذه الحقبة بخيرها وشرها لا مثيل لها فى التاريخ من ناحية تأثرها بالسلوك الفردى . ومن هنا تصبح الأخلاق الشخصية مثار الاهتمام الشديد بين الناس ، وتشيع كتب السير** وفى مقدمتها كتاب « سير القياصرة » لسويتونيوس و « السير المتقابلة لعظماء اليونان والرومان » لبلوتارخوس. وفى هذا ما يبرر كتابة التاريخ أحيانا فى شكل تراجم للعظماء من قادة وساسة ومصلحين وأدباء . فاذا كانت هناك حقبة تصلح أن يكتب تاريخها على هذا النحو فهى بلا مراء الحقبة الأخيرة من عصر الجمهورية الرومانية ، اذ تزخر بأسماء شهيرة الفنا سماع أسمائها كما ريوس وسلا وسرتوريوس وبومبى وكراسوس وشيشرون



وقيصر . ولامراء فى ان شخصية متعددة المواهب كقيصر هى اولى من سواها بالترجمة . لان قيصر لم يكن قائدا عسكريا وحسب بل كان ايضـــا سياسيا ومصلحا وكاتبا مرموقا .

وقد شاء المؤلف ان يجعل الحديث يدور على لسان قيصر وكانه ترجمة ذاتية ، تأثر فى ذلك بماكتبه قيصر نفسه من مذكرات عن الحرب الغالية « ومذكرات عن الحرب الأهلية » على سبيل الدعاية والدفاع عن نفسه ، وان كان قيصر يحرص فى هذه المذكرات على ان يتكلم عن نفسه بضمير الغائب فيقول على سبيل المثال «زحف قيصر او انسحب او انتصر او ما الى ذلك » ، وهو اسلوب يختلف الباحثون فى الحكم عليه .. وان كان الراى الغالب انه يكشف عن اعتداد شديد بالنفس بل عن كبرياء وغرور .

وايا كان الأمر فقد آثر ركس وارنر ان يدع قيصر يروى الأحداث بلسانه حتى يكون لكلامه وقع اشد فى نفس القارىء .

ولقد وفق المؤلف فى ذلك الى حد كبير .. لان دراسته العميقة لتاريخ هذه الفترة مكنته من ان يتصور احداثها تصورا قريبا من الحق ، وان يفهم شخصياتها فهما عميقا حتى ليبدو الكلام وكأنه كلام قيصر نفسه ، تبدو الآراء وكأنها آراء قيصر فى المشاكل والأشخاص . لكن

ترجمة : رشدى السيسى
مراجعة : د. صقر خفاجه
الناشر : مشروع الألف كتاب
بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب
٤٤٥ ص ١٧×٢٤ ث ٣٠ قرشا

يشوب هذه الطريقة عيب واضح وهو احتمال اختلاط الأمر على القارىء غير المتخصص .. فلا يدرى أيها ينسب للمؤلف الحـديث وايها ينسب لقيصر .

ويقسم المؤلف كتابه الى اربعة ابواب ... يشتمل كل باب منها على عدة فصول . ويتناول فى الأول أسرة قيصر ونشأته والشخصيات التى تأثر بها فى صباه .. وان الجوهر يدور حول الصراع بين سلا وماريوس ، وانتصار الأول وفرار قيصر من روما خوفا من بطشه . ويتابع فى الباب الثانى الكلام عن خدمة قيصر كضـابط صغير فى الجيش جاعلا قيصر يتحدث عن المهام التى وكلت اليه فى الشرق ســواء فى مدينـة ميليتيوس أو جزيرة لسبوس ، وغيرهمـا من الأماكن فى آسيا الصغرى حيث وقع بصره على مدينة الشرق اليونانى ، وتعرف على نظـــام الحكم الملكى ، وسمع عن فكرة تأليه الملوك .

ويمضى ليروى قصة اتصاله المريب بنيقو ميديس ملك بيثينيا ، وهو اتصال لاكته الألسنة وسببت له حرجا شديدا ، ثم وقوعه أسيرا فى يد القراصنة ، وتخلصه من الأسر وانتقامه من آسريه ، وعودته الى روما حيث رشح نفسه لمنصب الكويستور (أى المراقب المالى) وهو ادنى منصب فى سلك المناصب العليا الرومانية .. ولكنه كان يؤهله للدخول كعضو فى مجلس الشيوخ . على أن جوهر هذا الباب يدور فى الحقيقة حول ظهور بومبى وتعاونه مع كراسوس واعتلائهما القنصلية ، وهدم دستور سلا . ويتعرض لبعض الأحداث الهامة .. كحركة تمرد سرتوريوس فى اسبانيا ، وثورة العبيد بزعامة سبارتاكوس فى ايطاليا . ويستهل الباب الثالث برحيل قيصر عن روما ليخدم كمساعد (كويستور) لحكام اسبانيا .. حيث تتاح له فرصة التعرف على مدى اصطباغ تلك الولاية بالطابع الرومانى ، ويلمس التناقض بين حضارتها وحضارة الشرق الهللينستى .

ويشاهد ساجونتوم فتعود به الذاكرة الى حادثة حصار هانيبال لها مما أدى الى نشوب الحرب اليونية . ويزور قادس ويتعرف على بالبوس الذى صار من اخلص اصدقائه . كذلك يلمس فى اسبانيا آثار نفوذ سرتوريوس التى كانت فى نظره اشد امتاعا واكثر اهمية من هذا كله ، اذ تيسر له أن يتحدث مع بعض من عرفوه جيدا ، كأصدقاء وخصوم ، فكان أثر هذا الرجل



العظيم على نفسه قويا « ولو كانت العبقرية وحدها هى التى يعول عليها فى النجاح لكان هو من دون الناس جميعا أهلا للنجاح » . لكن جوهر هذا الباب يدور حول أحداث تاريخية هامة أخرى كصعود نجم بومبى وتوليه قيادة الحملة للقضاء على خطر القراصنة فى البحر الأبيض المتوسط ، وقيادة الحرب ضد مثراداتيس ملك بنطوس فى آسيا الصغرى ، وتحالف قيصر مع كراسوس وتدبير سلسلة من المؤامرات فى العاصمة أثناء غياب بومبى فى الشرق ، ومن بينها مؤامرة كاتيلينا الشهيرة ، ودور شيشرون فى اخمادها ، وما تلاها من مناقشات فى مجلس الشيوخ حول مصير المتآمرين وما اثارته المناقشات من خصومه بين الساسة الرومان .

ويمضى فى الباب الرابع فى سرد موقفه من محاكمة انصار كاتيلينا ، وتعاونه مع نيبوس ، ومخاصمته لكاتو ، وجفوته مع الشاعر الفربى الرقيق كاتوللوس ، عشيق كلوديا التى يشير اليها الشاعر باسم لسبيا ، وكذلك نفوره من جوبا ابن ملك نوميديا . ويروى بالتفصيل حادثة الحفل النسوى الدينى الذى تسلل اليه كلوديوس ، متخفيا فى زى فتاة ، ليتصل بزوجته بومبيا وارتياب قيصر فى سلوكها ، وما أثارته الحادثة من لفط فى روما ، ومحاكمة كلوديوس وتبرئته ، ثم طلاق قيصر لزوجته الثالثة « لأن زوجة قيصر ينبغى أن تكون فوق مستوى الشبهات » (١) . ويأتى بعد ذلك فوز قيصر بمنصب البريتور (أى قاضى القضاة) وتعيينه حاكما على اسبانيا ، حيث أظهر من ضروب الفروسيةوقوة الاحتمالوالشجاعةما اثار اعجاب الناس . وينوه بزيارته لقرطبة ثم يمضى متحدثا عن عودته الى روما وتقاربه من بومبى وكراسوس وتكوينهم الائتلاف الثلاثى ، وهو ائتلاف سرى غير رسمى القصد منه تحقيق اهداف كل منهم ولو عن طريق القوة العسكرية ويرشح قيصر نفسه للقنصلية ويفوز بها مع بيبيلوس ، وهو رجل لم يكن على وفاق معه لأنه كان فوق قرابته لكاتو ينتمى الى الحزب الارستقراطى المناهض للائتلاف الثلاثى . ويختم الباب بذكر استعداده فى آخر العام للرحيل الى غالة (فرنسا) حيث

(١) تزوج قيصر اربع مرات : كوسيتيا وكورنيليا وبومبيا وكالبرونيا . ولم ينجب سوى ابنة واحدة هى جوليا التى تزوجها بومبى ثم ماتت شابة دون ولد .

عين حاكمـــا بسلطات استثنائية لمـدة خمس سنوات .

ويحاول المؤلف ان يجعل السيرة أكثر حيوية وطرافة فيبث بين ثناياها قصصـا وحـكايات وشـائعات كانت تدور على السـنة الرومان ، ولا يتحرج عن ذكر بعض الخوارق والمعجـزات والأساطير فى بعض الأحيان . ويفعـل ذلك دون المساس بجوهر الوقائع التاريخية . ولعله يؤكد بذلك اهمية الأساطير فى دراسة التاريخ القـديم بوجه عام والتاريخ اليونانى ـ الرومانى بوجـه خاص . ففى معرض حديثه أو بالأحرى حديث قيصر عن نفسه يقول انه سليـل اسرة شريفة (بمفهوم الكلمة الرومانى) ، وهى أسرة يوليوس القديمة العريقة التى جاء فى الأساطير انها تنحدر من أفروديتى (فينوس) ربة الحب والجمال . ومن ثم نفهم لماذا عنى هذا العاهل بهـذه الربة فنصب لها التماثيل وبنى لها المعابد بوصفهـا « الربة الأم » التى ينحدر من نسلها روميلوس ، مؤسس روما ، بل والشعب الرومانى كافة . ولا مراء فى أن هـذا النسب كان من عوامل دعم نفوذ أسرة يوليوس ، ذلك النفوذ الذى تضـاءل على مر الأيام الى أن جاء قيصر ودعمه من جديد ورفع من شأن الأسرة .

ولعل الجديد فى كتاب وارنر هو عنـايته بموضوع الشخصيات التى كان لها تأثير فى سلوك قيصر واتجاهاته ، وهو شيء لا يطرق كثـيرا فى كتب التاريخ الرومانى أو لا يعالج فيها معالجـة وافية . وتبدأ سلسلة هـذه الشخصيات بأمه أوريليا التى غرست فى نفسه النزعة الواقعيـة وهى نزعة اتسم بها التفكير الرومانى عامة ، وان كان قيصر قد جمع الى ذلك نزعة علمية لا تتوافر لدى غيره من أقطـاب الرومان . ولا ينكر قيصر قيمة المبادىء والتمسك بها ، ولكنه يرى أنه لكى يتيسر الافادة منها لابد أن يكيفها المرء بقـدر ما وفق الأحداث. وتتركز مأساة عصره وهى ـ على حد قوله ـ فى بعض مغزاها مأساته فى أن الأدواء لم تستطع اللحاق بالداء ، اذ تعددت المشـاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم يجد الحكام لها حلولا او اغمضوا أعينهم عليهـا أو لم



يفطنوا اليهـا اطلاقا . ولم يتأثر قيصر بسلوك الطبقة الشريفة التى ينتمى لهـا ولم يرض عن مسلك الحزب الأرستقراطى الذى التف حـول السناتو وهو مجلس الشيوخ الرومانى ، بل تنبه منذ الصغر الى جمود تلك الطبقة وغبائها وأثرتها وعزوفها عن اصلاح الأوضاع . وتعلم منذ وقت مبكر حـرية التصرف وسرعة البت فى الأمور . ولذلك لم ينجز منها الا ما كان ضروريا لا ما كان جليل القدر . وقد اشتهر من ميدان الحـرب بسرعة زحفه التى صارت مضرب المثل ، واشتهر فى مجال الحكم بسرعة البت فى الأمور والثقـة بالنفس والحزم الشديد مما أثار اعجاب فريق من الناس به وأثار سخط فريق آخـر عليه . ويستبق الأحـداث فيقول **« انه لمن المحتمـل ـ والطبيعة البشرية على ما هى عليه ـ أن أحظى بالاعجاب وأكتوى بشواظ المقت سواء بسواء ، لأسباب يجافيها الصواب »** . وقد اختلف راى القدامى فى قيصر كما اختلف رأى المحـدثين ، ولكنه يندد بالمفرطين فى الاعجاب به والذين رفعوه الى مصاف الآلهة ، لأن مثل هؤلاء القوم لن ينوا عن تقديس الأقوياء حتى ولو استخدموا هـذه القوة ضـد مصالحهم بالذات ، وينبع ملقهم الرخيص من ذلتهم المتأصلة. ويندد ايضا بالمغالين فى مقته من الذين حقدوا عليه ، ووصموه بلقب « الملك » أو « الحـاكم المطلق » ، وحملوا لفظ « الحرية » من المعانى فوق ما يطيق ، واتهمـوه بحرمانهم من حقوقهم بدافع من الطموح الشخصى ،

واعتبروه ـ كما اعتبره «كاتو» خصمه اللدود ـ نكبة على الجمهورية . ومن ثم فان قيصر لا يحب ان يقحمه الناس فى زمرة الأخيار او الأشرار ، بل يؤثر ان يصفوه بالعبقرى أو الرجل الضرورى الذى لا غناء عنه .

وثمة حادثة كان لها أثر عميق فى نفس قيصر . وقعت هذه الحادثة لروتيليوس روفوس عم امه ، الذى اتهمه رجال طبقة الفرسان ، وهم أرباب الأعمال والتجارة وجباة الضرائب ، اتهموه بابتزاز الأموال من اهالى ولاية آسيا عندما كان مساعدا لواليها . وصدر الحكم بادانته ونفيه على الرغم من نزاهته واستقامته . وقد عرف قيصر منها جشع رجال هذه الطبقة الراسمالية التى بدأت تصطرع مع الطبقة الارستقراطية على توجيه السياسة وادارة دفة الحكم . وخرج قيصر من هذه الواقعة بدرسين احدهما هو أن الفضيلة اذا لم تدعمها قوة مادية فقدرتها على الصمود ازاء أى هجوم منظم محدودة أو معدومة، والآخر هو ضرورة استناد الشخص الى حزب خاص به يدين له بالولاء على أن يتألف ، اذا كانت تراد له السطوة حقا ، من عناصر طيبة ورديئة وغير مكترثة . وقد ساعده ذلك كله فى الوصول الى قرار وهو الا يسمح لنفسه ان يكون شهيدا ، وبينما يظل ثابتا على مبادئه وفيا لأصدقائه يسلم بقدر معين من المرونة فى الأولى ، ويتخير مجموعة ضخمة متباينة من الآخرين . وتعلم قيصر من خاله « كوتا » الاقبال بشغف على الأدب والفلسفة اليونانية فقرأ مؤلفات المفكرين الاغريق ونظرياتهم السياسية واستمع فى صباه الى مناقشات افراد اسرة امه المثقفة عن مزايا الديمقراطية والارستقراطية والملكية . واتضح له أن دستور الجمهورية الذى كان موضع اعجاب فى الماضى لم يعد صالحا لأحوال روما بعد توسعها وتعدد مشاكلها ، وصار يتسم بالقصور والتخلف والعطب . وهل كان فى وسع دستور وضع أصلا لمدينة واحدة على التيبر أن يظل ملائما لدولة كبيرة بل امبراطورية شاسعة ؟

لكن الشخصية التى تأثر بها قيصر أكثر من سواها هى بلا ريب شخصية ماريوس ، زوج عمته ، اذ سحرت سيرة هذا الرجل لب قيصر . وملكت عليه شغاف قلبه . وبدا له ماريوس كأنه أسطورة . ولم تبرح ذكراه مخيلته حتى آخر ايامه . كان ماريوس ضابطا صغيرا غير مثقف لا ينتمى الى طبقة الاشراف . وقد تمرد على قواد هذه الطبقة فى الميدان لارتشائهم وفساد ذمتهم وعدم كفايتهم . وقضى على يوجورثا ، أمير نوميديا ، وخصم الرومان ، ورشح نفسه للقنصلية وفاز بها سبع مرات ، ضاربا بالسوابق الدستورية عرض الحائط . وقد اكتسب شعبية كبيرة بفضل اصلاحاته العسكرية التى فتح بها باب التجنيد على مصراعيه لكافة الطبقات دون قيود أو شروط ، واحرز بالجيش الذى كونه واعاد تنظيمه وجدد تسليحه انتصارات رائعة انقذ بها روما من خطر القبائل الجرمانية والمتبربرة الزاحفة من الشمال ، واسهم فى اخماد ثورة الحلفاء الايطاليين الذين تمردوا على روما التى انكرت عليهم حقوق الجنسية الرومانية كاملة . هذا الرجل الذى ادى لوطنه هذه الخدمات الجليلة كقائد عسكرى ، اخفق كزعيم سياسى ، اذ أسلم قياده لزعماء الشعب المتطرفين والغوغاء المستهترين ، واستخدم الجيش الذى اصبح ولاؤه لقائده وليس للدولة ، استخدمه فى انتهاك الدستور والتنكيل بخصومه ، واصطرع مع قائد كفء آخر وهو سلا الذى ينتمى الى أسرة شريفة قليلة الثراء ، وكان صلفا قاسيا رجعى التفكير لا يعطف على الجماهير ولا يؤمن الا بالسناتو وهو مجلس الشيوخ الرومانى الذى احرز بفضل خبرته وحنكته وبعد نظره تلك الانتصارات التى دعمت صرح الجمهورية . ومن ثم راى سلا أن يدعم هذا المجلس ويجعله محورا لدستوره الذى وضعه بغية تقليم اظافر خصومه من زعماء الحزب الشعبى أو الديمقراطى ، وفى مقدمتهم ماريوس . وقد احتدم صراع بين الزعيمين حول قيادة الحزب ضد مثراداتيس ، ملك بنطوس . وفى غمرة هذا الصراع أهدرت المصالح القومية وضرب بالقيم الأخلاقية عرض الحائط . وتأرجحت العاصمة الرومانية بين ماريوس وسلا وصارت نهبا للتطاحن الحزبى والانتقام والقسوة البالغة وانتهكت الحرمات وصودرت الأملاك



وازهقت الأرواح وســالت الدماء غــزيرة في الشوارع . وقد انطبعت صور هــذه الوحشية في ذهن قيصر فلم يرض عن هذين الزعيمين وان لم ينكر مواهب كل منهما . ونلمس حيرته بين اعجابه بشخصية ماريوس الشعبية وبسـاطته وانطلاقه ونزوعه الى مشاركة الناس شـعورهم في غير كلفة وبين تبرمه به بعــد ان انحرف في شيخوخته عن جادة الصواب وطار صوابه وتحجر قلبه وانطلقت همجيته من عقالها . واذا كان سلا قد انار الطريق امام غيره من الزعمـــاء ـ ومن بينهم قيصر ـ لحل المشــاكل عن طريق القوة والانفراد بالسلطة ، فان ماريوس هــو أحـد الشخصيات الهــامة التى أثرت في تفكير قيصر وغرست في نفسه الميل نحو الحزب الشعبي أو الديمقراطى ، ذلك الحزب الذى انعقد له لواؤه في مستقبل أيامه وناضل به حزب الســناتو او الحزب الأرستقراطى . وقد بهرته سيرة رجل آخـر وهو سرتوريوس الذى عمل في الحــرب الايطالية تحت لواء سلا ثم أثارت انتصاراته غيرة الدكتاتور فنقم عليه . وقد دفعه ذلك الى مشايعة ماريوس ولكنه لم يرض ابداً عن أساليب العنف والارهاب والقتل التى انتهجها كل مــن الزعيمين ، ٦آثر الالتجــاء الى اسبانيـا حيث استمال الوطنيين الاسبان الى جانبه وجمـع جيشا وأعلن العصــيان . وبهذا الجيش ناوأ حكومة سلا والسناتو وتحداهما ودوخ قواد روما وكاد أن ينتصر علىبومبىنفسهلولا أنانقض بعض انصاره من حوله لصرامته فتآمروا عليه ودبراوا اغتياله . وقد عرف ببراعته العسكرية وبخاصة في تنظيم حرب العصابات ، وبكفاءته الادارية وبسالته ونزاهته . وعرف أيضا بنزعة خيالية لا نالفها بين بنى قـومه من الرومان .

ولعله اول رومانى حاول السيطرة على مقاليد الحكم في روما بدعم مركزه العسكرى أولا في الولايات ضاربا بذلك المثل الذى احتذاه يوليوس قيصرمن بعده . ويشيد قيصربعبقرية سرتوريوس الفذة ويرى انه كان الوحيد الذى يستطيع أن يكون ندآ لسلا . ويذكر بزهو انه قاد كسرتوريوس اول جيش كبير في أسبانيا ، وانه خاض فيها أولى معارك الحرب الأهلية العظيمة وآخـرها . ولا شك في أن قيصر قد سمع في صباه عــن الاخوين تيبريوس وجايوس جـراكوس اللذين لقيا حتفهما في سبيل دعوتهما لاصلاح الاحوال في روما قبل مولده بحوالى ثلاثين عاما . وقـد ظهـر أثنـــاء حيــاته مصلح آخر هو ليفيوس دروسوس الذى اغتاله نفر من أعوان السـناتو لمناداته باصلاح دور القضاء ومنح الجنسيـة الرومانية للايطاليين . ولم ينس قيصر هــذه الحادثة فظلت عالقة في ذهنه . ولما آن الأوان وآلت اليه السلطة منح الجنسية الرومانية لكل من لم يحصلوا عليها من الايطاليين وأصبحت ايطاليا المتحدة كلها رومانية ، أو على حد قول باحث آخـر ، أصبحت روما نفسها ايطالية . ولم يقف عند هذا الحد فتوسع في منح الرعوية الرومانية لكثير من سكان الولايات ، متخطيـــا الحاجز الذى وقف كالحجر العثرة في وجه نمو الدويلات الاغريقية وعجل بانهيــارها : وكاشفا بذلك عن روح تقدمية كبيرة وادراك سليم لمصالح روما الحقيقية .

ويمضى قيصر ليروى لنا كيف تقلد وهـو في سن مبكر أول منصب دينى ككاهن للاله چوپيتر ، منوها بأهمية الطقوس الدينية ، برغم تعقدها وابهامها ، كعامل من عوامل الاستقرار

والثبات فى الدولة لأن الصلوات والقرابين ، وان كانت عديمة المعنى فى تفاصيلها ، الا انه كان لها هدف عـام وأثر شعبى ويبدى قيصر نفوره مـن الديانات الشـرقية والعبـادات الأسيوية العاطفية التى بدأت تنتشر بين الشعب الرومانى وبخاصـة بين النســاء ، ذلك لأنه برغم منافعها النفسية الا انها ليست مأمونة العواقب تمـاما اذ تجنح الى تقويض العقيدة اللازمـة للتمسك بالواجبات نحو الدولة ، « لأن معالم الواجبات تطمس فى لحظات الانتشاء العاطفى او البدنى » . وقد ولى قيصر فيما بعد منصب « الكاهن الأعظم » ، وهو منصب رسمى شكلى بحت ، وكان يشغل كأى منصب سياسى آخر عن طريق الانتخاب . وقد لوحظ فى النقوش التى وصلتنا أنه كان يحرص دائما على لقبين أحدهما هو « القائد الأعلى » ، رمز السلطة العسكرية ، والثانى هو « الكاهن الاعظم » ، رمـز السلطة الدينية .

ويتابع قيصر الكلام عن انطباعاته السياسية فيحدثنا عن قواد من تلاميـذ سـلا كبومبى وكراسوس ولو كللوس . وقد بهرته ــ كمـا بهرت غيره من الرومان ــ أعمال بومبى الذى عاون سلا فى القضاء على فلول جيش أنصار ماريوس ، وأحرز عدة انتصارات ، وطالب بدخول روما فى موكب نصر ، ونودى من جنوده بالامبراطور اى « القائد الأعلى » ، وحصل على موافقة سلا بأن يلقب نفسه « بالكبير » أو « الأكبر » . ولم يلبث أن طالب باسناد قيادات غير عادية اليه فى حملات عسكرية خطيرة على الرغم من عـدم توافر الشروط اللازمة فيه ، وارتياب مجلس الشيوخ فى نواياه وأهدافه . وقد اسـتعان بنقباء العامة للظفر بهذه القيادات ، فخـرج بالجيش الى أسبانيا ليقمع ثورة سرتوريوس ، واشترك عند عودته فى اخمـاد ثورة العبيـد بزعامة سبارتاكوس فى ايطاليا ، واختير بمقتضى « قانـون جابينيوس » قائدا لاستئصـــال شأفة القراصنة فى البحر المتوسط ، وبمقتضى قانون مانيليوس قائدا للانهـاء الحــرب ضد مثراداتيس ملك بنطوس بآسيا الصـــغرى . وقد تولى القنصلية فى تلك الأثناء بالاشتراك مع كراسوس وتعاون معه على هدم دستور سـلا كسبا لتأييد الطبقات المناوئة لمجلس الشيوخ .

ويقتحم قيصر معترك السياسة الرومانية أثناء غياب بومبى فى الحملة الأسيوية فيجـد فى كراسوس حليفا له على تحقيق أهدافه ، وان كان كراســوس هو الآخــر قد اعتقد أنه فى اسـتطاعته أن يسـتخدم قيصر كأداة لبلوغ مآربه . ويتفق الاثنان على تكوين جبهة واحدة . لمناوأة بومبى والحد من شوكته بعد ايابه مـن الشرق . وكان كراسوس محاميا فاحش الثراء حتى انه لقب « بالثرى » بينما كان قيصر مفلساً بسبب اسرافه وتبذيره ، وفى أشد الحاجة الى المال حتى يضمن الفوز فى الانتخابات بمنصب « المحتسب » . وهو منصب كان يتيح لصاحبه فرصة التودد الى الجماهير باقامة الحفـلات والمآدب والمهرجانات الرياضية . وقد أحـــرز قيصر بفضل هذا المنصب شعبية كبيرة ولو ان الديون أثقلته ولم يستطع ازاحتها عـن كاهله الا بالأسلاب والمغانم التى آلت اليه أثناء الحروب الأهلية الأخيرة قبل مصرعه . وقد أخفقت كل المؤامرات التى دبرت ضد بومبى أثناء غيابه ، وكان من أخطرها « مؤامرة كاتيلينا » ، وهـو رجل من الأشراف كان قد أثرى على حسـاب ضحايا سلا ولكنه اضاع ثروته بطيشه وبذخه وفساد خلقه ، فشرع ينادى بضرورة الغـاء الديون جميعا ، وهى دعوة براقة فى ظاهرها ،

سطور من كتاب ...

« والتفتا ــ ذراعا فى ذراع ــ وعادا صوب الحجرة الفاصـلة بالأصدقاء المنتظرين . عادا يمشيان بخفة وابتهاج نصف متناوحين على ايقـاع الموسـيقى . هما الآن يعودان راقصين الى الحياة ، الحياة التلقائية ، الحياة الدافقة ، الحياة مفتوحة الذراعين .

لقد انتهى الأمر بالنسبة للآباء والأمهات . فهم وقوف فى شىء من الانكماش يرقبون اطفـالهم وهم يسـتديرون ليواجهوا طريق العودة . وكانوا عند ذهابهم كأنهم فى اطار من الوقار الرسمى فبـدوا أطول قامة . أما الآن فقد تجردوا فجأة من الاطار الشكلى فبدوا أميل للضآلة . لقد

ولكنها أثارت بتطرفها استياء العناصر المعتدلة الفاضلة فى حزبى السناتو والفرسان . وقد أوجس شيشرون ــ الذى شق طريقه فى المجتمع الرومانى بمواهبه الخطابية الفائقة ــ خيفة من حركة كاتيلينا واستطاع أن يؤلف بين هذه العناصر وأن يحقق سياسة « الوئام بين الطبقتين » حتى فاز بالقنصلية وخذل كاتيلينا وأخمدت مؤامرته الخطيرة التى كانت تهدف الى الاستيلاء على الحكم عنوة . ومع أن كراسوس وقيصر لم يحضا كاتيلينا على تدبير هذه المؤامرة الا انهما كانا يعطفان عليه ، ويتمنيان أن يستعينا به لولا أن تكشف لهما تهوره وحماقته وسوء تصرفه . وجدير بالذكر أن المناقشة التى دارت فى مجلس الشيوخ حول مصير المتآمرين هى التى اذكت نار الكراهية بين قيصر وكاتو الملقب « بالأوتيكى » ، ذلك الرجل الرواقى العنيد الذى وقف لقيصر بالمرصاد وناصبه العداء طوال حياته الى أن حوصر مع جيشه فى أوتيكا (بشمال افريقيا) فآثر الانتحار على الاستسلام لقيصر حتى لا يرى بعينيه الجمهورية وهى تلفظ أنفسها الأخيرة .

ويعود بومبى من الشرق وتتهيأ الظروف للتقارب بين الأقطاب الثلاثة الذين يجدون فى تحالفهم الوسيلة الوحيدة لتحقيق مآرب كل منهم . ويمد قيصر وكراسوس يد المعونة لبومبى الذى رفض مجلس الشيوخ المصادقة على تنظيماته فى الشرق جملة أو منح جنوده المسرحين اقطاعات زراعية مكافأة لهم على خدمتهم العسكرية الطويلة . ويستعين الأقطاب بهؤلاء الجنود على ارهاب مجلس الشيوخ . ويعقدون فيما بينهم « ائتلافا ثلاثيا » سريا غير رسمى، فيحصل بومبى بمقتضاه على وعد بقيادة غير عادية فى أسبانيا ، ويحصل كراسوس على مثلها فى سوريا ، ويخوض قيصر معركة القنصلية ويفوز بها بفضل تأييد زميليه ، ويشرع فى تنفيذ مطالبهما الأخرى ، ويضمن لنفسه فى آخر ذلك العام الفوز بقيادة طويلة الأمد فى بلاد الغال وهى فرنسا .

وبقنصلية قيصر الأولى عام ٥٩ قبل الميلاد يختتم ركس وارنر كتابه الطريف الذى لا يقل تعريبه طرافة عن الأصل الانجليزى . ولا تقلل الأخطاء المطبعية القليلة ولا الهفوات الطفيفة الأخرى من قيمته . ومن الواضح أن الكتاب لا يعالج سيرة قيصر حتى نهايتها ، ولكنه يتوقف عند نقطة هامة فى تاريخه السياسى . ونحن نترقب بتلهف الجزء الثانى الذى نرجو أن يعالج فيه المؤلف الحقبة الأخيرة المثيرة من حياة قيصر والتى هى أيضا الحقبة الأخيرة الحاسمة من حياة الجمهورية الرومانية .

د . عبداللطيف أحمد على

ارتدوا الى هياكلهم البشرية الصغيرة الواهنة ، فبدوا مسنين مجهدين دفعوا الى خارج الأعتاب ، ثم غودروا هناك .

وانتهى الأمر بالنسبة للمدعوين الى العرس . فسرى فى الحجرة حفيف من الاسترخاء بعد توتر . لقد انتهى الأمر أخيرا فيالها من راحة . واستدارت الرءوس ، واشرأبت الوجوه ، وتنقلت الأقدام وحالت الأجساد الى الأمام ، وتلاقت العيون وتعارفت وتبادلت الترحيب ، وتبودلت الابتسامات والايماءات . انهم لم يعودوا أرواحا متفرقة تعيش حيواتها فى عزلة فكرية ، بل هم أصدقاء وأقارب ، تربطهم أواصر زواج عائلى .

وتماوجت الصفوف المتراصة وتحطمت أشكالا متفرقة تبعثرت هنا وهناك فى نمط جديد . ثم احاطت فى زحام كثير الطنين حول العروسين .

... ابنتى الحبيبة

.. خواطر وتأملات

من وحي الإسكندرية



نظم عادل الغضبان

الناشر: دار المعارف ٥٦ ص ١٧×٢٤ سم

حينما فرغ الشاعر الاستاذ عادل الغضبان من عمل هذه القصيدة التاريخية الرائعة ، تواضع هو ــ كعادته فسماها باسمها الحقيقى : قصيدة عن الاسكندرية ، ثم زاد من الخيال الشعرى المحلق فى التسمية ، فأسماها : قصة عروس البحر ، من الاسكندر الى عبد الناصر . ولكن جماعة من المعجبين حملهم الاعجاب الى أن سموا هذه القصيدة الفاتنة « ملحمة » ، ولم ينظروا اذا كان تعريف الملاحم ينطبق عليها أم لا .

وفى غمرة هذا الاعجاب الذى لا ننكره ، نترك الشاعر عادل الغضبان يحدد لنا فى دقة واناقة تعبيره مكان هذه القصيدة الطويلة من فنون الأدب قائلا « ويوم تفضل المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فدعانى الى الاشتراك فى مهرجان الشعر الذى يعقده بمدينة الاسكندرية ، أثارت دعوتى فى نفسى حبا مبيتا فى الضلوع ، واعجابا انطوت عليه الجوانح ، فرأيتنى أبتسم للدعوة الكريمة والبيها ، ووجدتنى أصغى الى شعور صادق يجيش فى صدرى ، ويوحى الى بنظم قصيدة عن الاسكندرية . وما هى الا لحظات استخرت فيها عرائس الشعر ، حتى عرضن على الخاطر فى أسرع من الظن قصة عروس البحر من الاسكندر الى عبد الناصر ، كأنهم يرسمن لى هيكل القصيدة وموضوعاتها ، وكأنهن يقلن لى : سر فى هذا الطريق الى غايتك . فمشيت فى مناكب التاريخ تارة ، وفى مواكب الحسن تارة أخرى ، متنقلا على أجنحة الفكر من عصر الى عصر ، ومن حدث الى حدث ، ومن روعة سحر الى روعة سحر ، ومن مأثرة الى مأثرة ، حتى امتد بى نفس الكلام الى هذا القدر من القصيدة . وكان حقيقا ان يمتد الى أطول من ذلك توفية لموضوع جليل تنوء به كبريات الملاحم . وما هذه القصيدة التى بين يديك الا تحية عربية خالصة بثها الاسكندرية واهلها الكرام فى أبيات من الشعر ، اكتفت باللمحة الخاطفة عن النظرة العميقة الشاملة » .

فالشاعر عادل الغضبان يؤكد غير مرة فى هذه السطور من مقدمة كتابه انها « قصيدة »، وانه مشى فى مناكب التاريخ ومواكبه من عهد الأسكندر الى عهد جمال عبد الناصر ، فكان من هذه المواكب هذه القصيدة .

ومن هنا يتضح لنا أن تسمية هذه القصيدة الرائعة « بالملحمة » هو عمل فيه كثير من التساهل فى التعبير ، وفيه كثير من مجاوزة الحق الذى لا يرضى عنه عادل الغضبان نفسه . فلا اشك فى ان شاعرنا يعرف حدود « الملحمة » كما حددها أصحابها فى الآداب الأجنبية ، ويعرف صفات الملحمة وسماتها كما جاءت فى الياذة هوميروس التى ترجمها الى العربية شعرا المرحوم سليمان البستانى

فى احد عشر الف بيت ، ويعرف أكثر من هذا أن الملحمة ليست تحويل حوادث التاريخ الى شعر مهما يكن جميلا ورائعا ، وانها ليست نظم الأحداث التى مرت بشخص أو بأمة أو بمدينة من المدن ، وأنها ليست عملا آليا تحويليا ، يحول الحدث المنثور الى حدث منظوم .

وقد نظم الشاعر الرصين المرحوم أحمد محرم قصيدة تاريخية كبرى سماها « الالياذة الاسلامية » وقصد — رحمة الله — بهذه التسمية أن يجعلها « ملحمة » فى الشعر العربى الحديث ، ولكن الناس لم يرضوا عن هذه التسمية ، ولا اقتنعوا بها ، ولا آمنوا بمطابقتها على الواقع الفنى للقصيدة التاريخية ، فتصدى لها ناقدون ، وكان منهم الدكتور شوقى ضيف الذى انكر على « الالياذة الاسلامية » لأحمد محرم أن تكون الياذة ، أو أن تكون ملحمة ، أو أن تكون حتى شعرا قصصيا ، فقال : (وهل يمكن أن نعد ما قراناه لمحرم الياذة أو شعرا قصصيا ؟ انما هو قصائد جمع بعضها الى بعض ، وسميت الياذة ، ولن يغير الاسم من مدلولها الحقيقى شيئا . . . فهو اسم لا يطابق مسماه ، لا من حيث الشكل ، ولا من حيث الموضوع . . .) .

واذا كان الشاعر احمد محرم هو الذى اختار لشعره التاريخى الاسلامى هذه التسمية التى لم يرض عنها النقاد لمجافاتها سمات الملاحم وشروطها ، فأن الشاعر عادل الغضبان كان أحصف من أن يسمى قصيدته عن الاسكندرية « ملحمة » ، بل كان كما نعهده دائما من الدقة والتحرى والتبين (١) ، فاسماها على حقيقتها « قصيدة » .

وليس نظم الصديق القديم الشاعر عادل الغضبان اذا جعلنا قصيدته عن الاسكندرية لونا من الشعر التاريخى ، ففى الشعر التاريخى جفاف لا نجد فى قصيدة عادل ، بل نجد فيها النضرة والخيال ، وان كانت فى بعض المواقف تميل الى السرد التاريخى فى أسلوب جميل . نعم ! نظم الشاعر الغضبان ونظم رائعته عن الاسكندرية اذا عددناها شعرا تاريخيا ، والا كانت مثل القصيدة التاريخية — مثلا لمتنبى الأندلس : ابى طالب عبد الجبار من شعراء الأندلس وأدبائها فى القرن الخامس . فأن قصيدة عبد الجبار هذا — مهما بالغ ابن بسام صاحب الذخيرة فى وصفها — لا تعدو أن تكون نصا تاريخيا شعريا جافا على الرغم من اشتمال فصولها على علم جليل ، وباع فى الخبر طويل . . .) . والحق أن هذا العلم الجليل وهذا الباع الطويل فى الاخبار هو الذى جعل من قصيدة عبد الجبار التاريخية شيئا جافا لا يصح أن نلز معه قصيدة عادل الغضبان فى قرن . . .

ونأخذ هنا لقطة سريعة من أرجوزة أبى طالب عبد الجبار فى تصوير حروب الخليفة المعتمد مع الصفار والثوار ، ثم انتهائه الى الموت الذى يسلب الملوك ماملكوا . ونأخذ لقطة سريعة من قصيدة عادل الغضبان يصور فيها سلطان الأسكندر وانتصاراته وانتهاءه الى المنية التى لا يدفعها الصبا الفض ولا القنا السمر :

يقول عبد الجبار فى المعتمد

فولى المعتمد الخلافه
فآثرت اللذات والسلافه
وكان فى حرب مع الصفار
وغيره من سائر الثوار
حتى دهاه ما دهى البريه
فسلبته ملكه المنيه . . . .

ويقول عادل الغضبان فى الأسكندر :

أيها الفازى الذى دانت له
أمم الأرض ملوكا ورعيه
لا الصبا الفض ولا سمر القنا
دفعا عنك اظافير المنيه . . .
عدت للشاطىء .. لكن جسدا
كفنوه بالحواشى الذهبيه . . .

أرأيت كيف يكون الشعر وكيف يكون النظم ؟ أرأيت كيف تحس وأنت تقرأ

(١) التبين هو التثبت ، وقد جاءت فى القرآن الكريم : دستور الاسلام والمسلمين فى سورة الحجرات هكذا : « يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على مافعلتم نادمين » .

كلام عبد الجبار المنظوم أنك تقرأ نظما تعليميا جافا ، وكيف تحس وأنت تقرأ أبيات عادل الغضبان أنك تقرأ شعرا فيه الاحساس بعظمة الفازى ، ومن ورائها عظمة الموت الذى لا يرحم شبابا غضا ، ولا يرهب قنا سمهريا ؟ ! .

ولقد انتهز الشاعر عادل الغضبان كل فرصة فى مواكب الاسكندرية خلال العصور ليجعل منها لوحات رائعة متوالية ، كأنه يعرض أمام عينيك صندوق الدنيا فى تتابع لا يمل ... وكان البحر والرمل دائما وفى كل عصر هما المهاد الذى يمهد به ويفرش لكل صورة . ففى مطلع القصيدة صورة جميلة للسماء والخضم والرمال يقول فيها :

قبة من لا زورد ، وثرى
من عقيق ورمال عسجدية
وخضم يضحك الموج به
تخذته السحب مرآة وضية

وفى صفحة ٤٦ صورة فاتنة للشاطىء الاسكندرى فى الفجر حين توقظه قبلة الفجر ، ثم حين يصحو الشاطىء بعد هذا ، فتمس رماله نواعم الأجسام ! فيقول :

بأبى الشطان فى الفجر اذا
ايقظتها قبلة الفجر البريه
أشرقت وردية الخد ... كما
أشرقت وجنة حسناء حييه
وصحت ترشف صهباء الندى
حملتها السحب للريح الرخيه
تبث الشوق زوار النقا
تخذو منه وسادا وحشية
كلما لامس جسما ناعما
هزهزته رعشات كهربيه .. !

وفى صفحة ٥١ يعود الشاعر الى منظر البحر والسماء والرمل والشاطىء فى الغروب ، فيقول فى ابداع ما بعده ابداع :

هل شهدت الثغر والشمس به
غربت خلف الغيوم الأزليه ؟
قرض البحر حشاها .. فجرى
فى ثناياه خيوطا دمويه
وانحنى الأفق على نعش السنا
وهو يبكى بدموع قرمزيه

متعة للعين فى دنيا الورى
وأسى يغشى الديار الفلكيه ..

ولما كان الشاعر عادل الغضبان يستعرض موكبا طويلا حافلا من مواكب الأسكندرية فى التاريخ ، فهو بحكم هذا العرض الطويل تصادفه متناقضات ، ومعارضات ، وأضداد . وقد انعكس هذا على نظمه فى القصيدة ، فهو مولع بالطباق والمقابلة بين المعانى المتضادة فى كل لمحة ... كقوله فى صفحة ٢٣ :

وتصاوير وأوثان جلت
صور الدين بدنياها الوثنيه

وقوله فى ص ٣٩ عن جمال عبد الناصر :

شب يرعى سرها ، حتى اذا
حان وعد الله باتت علنيه

وقوله فى ص ٤٠

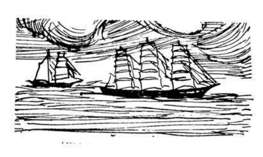
وانين البؤس فى مسمعه
عده رجع أناشيد شجيه
هجعت فيها المعالى حقبا
وصحت تبعث مجد التبعيه

وقوله فى ص ٥٤ :

فعلى تالدك الضخم رضا
وعلى طارفك الفخم تحيه

وفى خلال جولة الشاعر خلال تاريخ الاسكندرية الطويل تصادفه بطولات كثيرة : بطولات فى ساح القتال ، ومعترك النضال ، وبطولات فى العلم ، وفى الفن ، وفى التربية الرياضية ، والشاعر هنا مغرم بهذه البطولات وبأصحابها ، حتى ولو كان البطل فاتحا كالاسكندر ... فيقول عن أهل الاسكندرية :

وروت عنهم أحاديث الفدى
سور البذل ، وآى الوطنيه



ثم يشير الى بطولاتهم فى مقطع خاص عنوانه « منبت الأبطال » . ولكنــه لا ينسى أن يشيد ببطولةالاسكندر المقدونى ــ ولو كان غازيا فاتحا، بقوله :

فاتح كم دك مــن حصــن وكم
دق أعنــاق صــناديد كميه
قــاد للثـأر جيــوشـا حــرة
تمهر العــزة أرواحا زكيه ...

وحين تختلط البطولات فى الأعــداء بالمــعانى الوطنية الرائعة ، فأن الشاعر المنصف يجب أن يضع حــدا فاصــلا بين الأمور ، حتى لا تمجد بطولة الفاتحين ، وما هى الا عدوان على حريات الشعوب وعلى اقدس حقوقها فى الحياة ....
فقد انصف عــادل الفضبان حين صور الرومان على حقيقتهــم فى الســلب والنهــب والبغى قائلا :

نزلوا الثغر ، وعاشوا فى القرى
واستحلوا غلة الأرض السخيه
واذا مــا علقت أعينهــــم
بنفيس فى الكنـــوز الأثريــه
سرقوه ، واصطفوا « روما » به
فاستزادتهم غنى وهى ثريــه

ثم كان البيزنطيون مثل الرومان عسفا وبغيا ، فهم وارثوهم فى سوء الحكم وسوء الطوية :

ورثا الســدة « بيزنطا » فلــم
تك الا مثلهم ســــوء طويه
عسفت فى حكمها واضــطهدت
وأثارتهــا حــروبا مذهبيــه

وانصف عادل حين وصف جهالة الحكم التركى ووحشيته قائلا :

فمحاها الترك جهلا ومضــوا
يسحبون الخــزى أردانا زريه



رحــل الترك عن الثغــر وكم
خلف الترك وحوشــا آدميــة

وانصف عادل حين وصف جور الأنجليز وخبث نياتهم زمن الاحتلال قلائلا :

جــارح ولى ووافت بعــده
من بنى «التاميز» حيتانضرية
حمرة الفرصــاد فى ســحنتــها
والدبى لون العيون الخــرزيه
نسـلتهــا دولــة جــائرة
ونمــاها أخبث الأقــوام نيــه

ولكن شاعرنا كان مترفقا بنابليون ، فلم يشر الا الى عودته الشقية الى فرنسا :

بجناحــين مهيضــين مشى
بهمــا يعــرج فى كــل ثنيــه

ومن جمال الشعر فى هذه القصيدة أن ناظمها يحيل المعانى الوطنية ، بل المعانى الشريفة ، الى أبيات يجريها مجرى الحكمة والمثل . كقوله ــ ولو أنه مع الأسف عن الأسكندر :

وكذا الحــر اذا نادى الحمى
بالقومى ! وهب الروح ضحيه

وكقوله عن فتوحات الأسكندر أيضا ، ويبدو أنه شديد الاعجاب به :

شرف الفتــح اذا لم يحمــه
شرف الخلق محته الهمجيــه

وكقوله عن الحب المتبــادل بين كليوبترة وانطونيو :

تيمتــه ، مثلمــا تيمهــا
شرعة الحب منال وعطيه ..

وكقوله عن البطل المصرى الأسكندرى « محمد كريم » :

ميتة الحــر حيــاة للحمى
وانبعاث للمروءات الخبيــه



ويظهر أن طول الشوط التاريخى من عهــد الاسكندر الى يومنا هذا قد كاد يضيع من يدى الشاعر عادل الفضبــان ذلك السلك التاريخى

الذى لا يحسن فى الشعر التاريخى أن ينقطع . فنحن نراه فى المقطع الخاص بحديقة الخالدين يذكر امجاد الاسكندرية فى مقاومة الحملة الفرنسية ، وهذا لا غبار عليه ، ولكن كان من حق هذا الكلام أن يجىء قبل هذا فى موضعه الزمنى من القصيدة قبل الاحتلال الانجليزى وبعد رحيل الترك ، حتى يكون القصص التاريخى سائرا جنبا الى جنب مع الموكب الزمنى للتاريخ لا متخلفا ، ولا سابقا ...



بقيت لنا كلمة على نظم هذه القصيدة وأسلوبها ؛ والحق ان الزمن ، المغير المتغير ، لم يغير من عهدنا بشاعرية عادل الغضبان شيئا .. فهذه الأناقة فى اختيار اللفظة الشعرية الملائمة ، وهذه القافية أو الروى الواحد الرصين ، الذى يصيب مكانه تمام الاصابة ، ويأتى فى كمال موضعه ، وهذه الدقة اللغوية الناجمة من بصر وحذق باستعمال الألفاظ اللغوية — هى بعض خصائص الصفة الشعرية الأصيلة عند الشاعر .

لقد بلغت أبيات قصيدة « من وحى الاسكندرية » سبعة وثمانين ومائة بيت ، لم يكرر فيها الشاعر عادل الغضبان قافية واحدة ، وقد كان له فى هذا الروى الذى وفق فى اختياره — غنى أى غنى عن تكرار القوافى . وما لاحظنا عليه فى هذه القصيدة الطويلة العديدة الأبيات قافية قلقة ، أو نابية ، أو مقحمة ، الا فى بيت واحد : واحد فقط ، يسمح لنا الصديق القديم أن نذكره هنا ، وهو قوله :

يزحف النـــاس الى منبره
زحفهم عند الصلاة المسجديه

فما هذه المسجدية فى الصلاة ؟ اغلب الظن أنها من حكم القافية التى لا ترحم ، ولا تعذر ..!

أما الدقة اللغوية فحسبك أيها القارىء الكريم أن تعرف أن الشاعر استعمل « وريه » بدلا من « وارية » فى قوله :

كفلتـــه لك يا طير اذا
سكت المدفع ازناد وريه

وهو استعمال صحيح فصيح لا يعرفه الا البصير باللغة . وانه استعمل « انعمى علينا » بدلا من « قرى عينا » ، فى قوله عن جمال عبد الناصر :

فانعمى بابنك عينا وافخرى
أن بكفيه طردت الملكيـــه

وهو استعمال عربى صحيح فصيح لا يعرفه الا المتمكن من اللغة .

ومن توفيقات الشاعر فى قوافيه ورويه أنه استعمل لفظتى : عربية ، ويعربية فى مكانهما المناسب . فاستعمل « اليعربية » فى مقام الفنون ودور السيد درويش فيها قائلا :

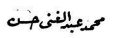
جدد الفن ، ولم يبعد به
عن مقامات الفنون اليعربيـة

وادخر لفظة « العربية » لمجال آخر اكثر ملاءمة ، وأحسن مناسبة ، حين قال :

جازه شرقا وغربا ، وأتى
يهب التيجان مصر العربيـة

فوصف مصر هنا بالعربية أحذق ، وأدل على مسارات العروبة واتجاهاتها ومسمياتها الحقيقية

هذه بعض خصائص الصفة الشعرية فى قصيدة «من وحى الاسكندرية» . أما شاعرية صاحبها فقضية مفروغ منها ، وحسبك أيها القارىء الكريم من هذا أن تقرأ المقدمة النثرية التى قدم بها الشاعر لقصيدته ، لتسلم معى بأن عادل الغضبان قدم لنا فى هذا الكتاب الممتع الأنيق قصيدتين شعريتين .. لا قصيدة واحدة .. !!





المسرح اليابانى

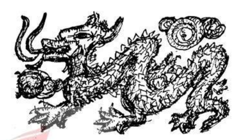
تأليف : فوبيون باورز
ترجمة : سعد زغلول نصار
مراجعة : سعيد خطاب
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٢٣ ص ١٧×٢٤ ث ١٧ قرشا

هذا الكتاب يفيدنا جدا لانه يقـدم لنـا معلومات كثيرة جدا ، ولكن هذه المعلومات على كثرتها لا تشبعنا ... والغريب اننا ـ أو على الأصح اننى ـ لم اشعر بحاجتى الى معلومات اكثر ، لكى اشبع ، وانما شعرت بالحاجة الى زيادة شرح وتحليل نفس المعلومات ... ومع ذلك فالكتاب بتقديمه هـذه المعلومات يعطى مادة غنية للتفكير المسرحى ، وطبعا تزداد غنى كلما تأملنا فيها وناقشناها ، وكنت أرجو ان يفعل ذلك الاسـتاذان المترجم والمراجـع ، ولكنهما اكتفيا بمقدمة (جو شوا لوجان) ، وهذا هو ما ادهشنى ... لماذا ؟ ! لانه مخرج امريكى ، بينما الكتاب من المسرح اليـابانى ، وايضا هو مخرج سينمائى ، بينما الكتـاب لا يتجاوز مادته المسرحية ... واذن كان ينبغى ان يحاولا تقريبا ما فى الكتاب من معلومات الى اذهاننا بالشرح والتحليل والنظرة المقارنة كلما امكن ذلك ... ملاحظة اخرى : كان ينبغى ان

يقدما لنا فكرة عن المؤلف لندرك شيئا من قيمته العلمية ، ولكنهما سكتا نهائيا من هذه الناحية ومن نواح أخرى كثيرة أرجىء الحــديث عنها لأتحدث عن الكتاب نفسه .

* * *

منهج المؤلف سليم ، ولكنه منهج تقليدى .. انه يبدأ بمقدمة تاريخيــة للمسرح اليابانى ، ويتدرج من الأصل الأسطورى لهذا المسرح الى ان يصل الى العصر الحديث أو (المسرح اليوم)،



ولو انك لا تستطيع تحديد هذا «اليوم » لأن المؤلف أغفل ذكر تاريخ تأليف كتابه ، لولا سطر واحد كتبه المترجم فى هامش صفحة ٢٦٢ وقــال فيه « هذا الكتاب صدر قبل عقد معاهدة الصلح مع اليابان» وأيضا لولا سطر واحد فى أول صفحة ٢٧١ ذكر فيه المؤلف (سنة ١٩٥٠) ، والمهـم أن تعرف أن منهج الكتاب تاريخى ، ولو ان ذلك لا يعنى انه تحقيق تاريخى مثلا ، أو مرجـع تاريخى للمسرح ، أو نحو ذلك ، ولكنــه نظرة للمسرح اليابانى من خلال تاريخه ، ومع انهـا نظرة سريعة الا انها شاملة ، واقل ما يقال فيها انها تعطيك بدايات تصـلح للمتابعة والتعميق والاستطراد وراءها كلما اردت زيادة التثبت والتحقيق .

فأنت تســمع فى رقصـة كاجورا مثلا ان او الى (الجيجاكو) أو الى (كاجورا) الخ ... الفاظ كثيرة جدا من هذا القبيل يذكرها المؤلف ، ومن سياق كلامه عنها تأخذ فكرة عنها ، ولكنك فى نفس الوقت تشــعر بأنك فى حاجـة الى الاستزادة .

فمثلا حين يتحدث عن (الكوجيكى) يعرفك بأنه سجل الاحوال القديمة ، وانه كتب عـام ٧١٢ م ، وبأنه يعتبر الأصل الروحى الطبيعى لكل انواع العروض المسرحية اليابانية ، وبانه يتحدث عن الشعب اليابانى فى عصور ما قبل التاريخ فى حكـايات كثيرة عن آلهة متعــددة فى سلسلة الميثولوجيا اليابانية ، وفعلا يروى لك حكاية بالذات وهذه الحكاية تتحدث عن آلهة الشمس (اما تيرازو أو ميكامى) ... الخ ...

ولقد كنت ارجو ان يحدثنا المترجم او المراجع عن اسباب اختيار هذه الحكاية ، والنص على انها اختيرت « بالذات » .. فان المؤلف يرويها فى سطور قليلة ، ثم يقول : (هذه الأسطورة لها دلالة عميقة ....) وانا شخصيا قراتها عـدة مرات ، ولـكن لم أستطع الوصــول الى عمق هــذه الدلالة ... أيضا يقول المؤلف انها تشمل ثلاث صـور رئيسـية من صـور فن المسرح اليابانى ، وهى العنصر العقائدى الخيـالى ، والعنصر السخرى ، وعنصر الرقص ... وانا شخصيا لم استطع رؤية هذه الصور من خلال الأسطورة التى رواها المؤلف ... فاما انه رواها بتفصيل وافاضة ثم اختصرها المترجم ، واما انها من الشهرة بحيث يعرفها الناس جميعا ما عدا انا !! وفى جميع الاحوال كنت افضل ان تشرح بحيث يمكن اللحاق بالمؤلف وهو يستطرد بعدها الى احكام فنية محدودة ، والى اصطلاحات فنية ذكرها واستند اليها فى ذكر هذه الأحكام .

بعد ذلك يتناول المؤلف انواع الرقصــات اليابانية القديمة ، لاعطاء فكرة عنها ، وطبعا من المهم فى دراسة المسرح اليابانى معــرفة هــذه الرقصات ولكن الملحوظ ان المؤلف انتقل اليهـا قافزا ، اى قبل ان يستوفى الكلام عن الأساطير .. وبديهى انه لا يكفى فى هذا المجال ذكر اسطورة واحدة ايا كانت قيمة هذه الأسطورة ، وكان من اللازم ان يستكمل المؤلف ، أو المراجع هــذه الفجوات التى تزداد اتساعا كلما سمعت تفاصيل كل رقصة ..

فأنت تسمع فى رقصة كاجورا مثــلا ان راقصيها يعتبرون من سلالة الآلهة (أوزومى) ويتمتعون بلقب (سارومى ــ نو ــ كيمى) ،



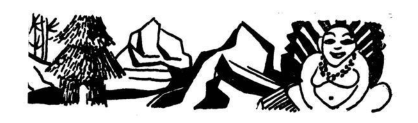
دون أن تسمع أى شرح لهذه الألفاظ ، وطبعا يستحيل أن تفهمها تلقائيا ... اذن فما جدوى ترجمة كتاب عن المسرح اليابانى بألفاظ لا يعرفها الا من يعرف اللغة اليابانية ؟ !

خذ مثلا آخر فى رقصة أخرى مثل (الجيجاكو) ... ان المؤلف يحدثك فيها عن عدة تشكيلات مرت بها ، ولكن يستحيل أن تتصور هذه التشكيلات ، لأنه يقول لك ـ مثلا ـ انها نوع من الرقص الدرامى خرج عن نوع من الرقصات التى تؤدى أمام تماثيل الآله (بوذا) فى الهند ، ثم اعيد تشكيلها فى صورة فنية أوسع نطاقا تعرف بال (جو) فى جنوب الصين، كما تعرف فى اليابانية باسم (كبور) ثم وصلت الى كوريا حيث تغير شكلها مرة أخرى .. الخ .

كل هذا طبعا دون أن تعرف ما مدى هذا التغير فى شكلها ، بل ما هو شكلها أصلا سواء فى الصين أو كوريا أو اليابان ... والطريف أن المؤلف يريد تقريب هذا الشكل الى ذهنك ، فيقول لك ان أجدر أشكال رقصة الجيجاكو بالاشارة هى رقصة (شيشى ماى) !! وبديهى أنه كان من اللازم الا يتركك المترجم أو المراجع حائرا بين جيجاكو وشيشى ماى .

ولا جدال فى أن المعلومات التى ذكرها المؤلف عن هذه الرقصات معلومات يندر أن يهتدى الى معرفتها ، وخاصة ان المؤلف لم يذكر فى كتابه أى مرجع من المراجع التى استعان بها ، ولكن رغم ذلك ـ بل من أجل ذلك ـ كان الأفضل استكمال الكتاب بهوامش تشرح ألفاظه الغريبة علينا ، سواء خلال الصفحات أو فى النهاية لتزداد الافادة ... أما أن يتركنا المؤلف حائرين بين الفاظ كالطلاسم ، ثم يتركنا المترجم والمراجع ، فهذا هو ما يثير الدهشة .

وتزداد الدهشة عندما يتعرض الكتاب لفن (النوه) ... انه يسميه (المسرح الغنائى الكلاسيكى فى اليابان) ، وكان يجب بهذا الوصف أن يزداد اهتماما بشرح تفاصيله ودقائقه ، لأنه اذا كان للرقصات السالفة الذكر قيمة تاريخية اكثر منها قيمة فنية ، فان للنوه قيمة كبيرة جدا بالنسبة لنا ، لأننا مهتمون بمحاولة انشاء



مسرح غنائى ، ويهمنا بالطبع ان تعرف كيف نشأ فى بلاد العالم ...

ومن حسن الحظ ان المؤلف افاض فى هذه الناحية وقدم لنا معلومات غزيرة عن (النوه) ، وكيف تطور ، وكيف انتشر ، وكيف يعتبر — الآن — اقدم العمد فى فنون المسرح ، لدرجة انه — كما قال المؤلف ص ٢٠ — يمثل بالنسبة لكثير من ابناء الغرب كل المسرح اليابانى او على الأقل أحسن ما فيه .

ولقد عنى المؤلف بشرح كلمة النوه ، وانواع مسرحيات النوه ، وتقسيماتها ، وكيفية عرضها ، وقواعد البناء الفنى فيها ، والخطوط الخارجية لها ، واسباب تشابه هذه الخطوط ، وما هو دور الممثل ، ومدى الارتباط بالوضع الدرامى ، ومعلومات كثيرة طريفة ومفيدة عن الكورس والديكور ... الخ .. وبعد ان يذكر ذلك كله يلخص التخطيط الأساسى المألوف لكل مسرحيات النوه ، ثم يذكر المدارس الفنية التى استقر فيها هذا الفن ، وهى خمس مدارس اساسية ، بالاضافة الى مدرسة سادسة نشأت فى آخر القرن الماضى وتضخمت ، ونتيجة لذلك اختفت المدارس الخمس الأخرى ، ثم عادت مرة اخرى الى الظهور ، ولا يزال الصراع بين هذه المدارس دائرا الى الآن .

واضح — مرة اخرى — ان الكتاب يقدم فى هذه النواحى معلومات فى غاية الفزارة ، ومع ذلك تشعر بأنه يحدثك عن شىء غريب من الجائز أن تعرفه أو الا تعرفه .. وهذا غير صحيح .. فان معرفة مثل هذه المعلومات ضرورة ، وكان من الممكن ان نشعر بهذه الضرورة لو ان المترجم أو المراجع او اى شخص آخر نظر الى الموضوع نظرة مقارنة او نظرة فيها قصد الاستفادة بها فى مسرحنا .

لم يحدث هذا ، وكل ما حدث هو تقديم كتاب عن مسرح فى بلد آخر .. وكان الأفضل لو اننا شعرنا بأنهذا الكتاب لا يساعدنافقط على معرفة ذلك المسرح ، بل يساعدنا ايضا على زيادة وتعميق معلوماتنا المسرحية عن مسرحنا ، اى عن التفكير المسرحى نفسه .

نفس الملاحظات توجه الى الفصل الذى تناول (الفواصل الفكاهية) ، بل ان لهذه الفواصل اهمية كبرى ، أولا لأن معظم مؤلفية كانوا من عامة الشعب الذين يكتبون للجمهور العادى ، وثانيا للأهمية التاريخية ، باعتبار انه اول شكل مسرحى فى اليابان ينقد المجتمع ، بعكس (النوه) المذعن المستسلم .

ان الكتاب ذكر هذه المعلومات ، ولكنه لم يقيمها فنيا ، ولم يستخدم فى ذكرها الأسلوب المقارن ... وكان من الضرورى استخدام هذا الاسلوب المفيد لنا فى كل هذه الأنواع الفنية بصفة عامة ، وبالتحديد عندما تناول الفنون التى لها أشباه عندنا ، كما هو الحال فى (الرواية القصصية الموسيقية) و (الجو رورى) ومسرح العرائس ... الخ .

والواقع ان المؤلف افاض فى الحديث عن مسرح العرائس واهتم اهتماما واضحا بالناحية التاريخية ، وقدم طرائف كثيرة خلال تاريخ هذا الفن ، وكيف ومتى تحركت العرائس ، بل كيف ومتى تحركت رموش عيونها ثم أصابعها .. الخ .

ولما كان تاريخ مسرح العرائس وتاريخ مسرح الكابوكى — كما يقول المؤلف — لا يكاد



احدهما ينفصل عن الآخر ، ولما كان مسرح الكابوكى قد انتحل لنفسه كل برامج العرائس ، فان المؤلف تناول بالتفصيل مسرحيات البونراكو باعتبارها جزءا من مسرح الكابوكى .

والمؤلف يهتم فعلا بشرح (كابوكى ــ مسرح اليابان الشعبى) اهتماما واضحا ، وهو عندما يفسر معنى كلمة كابوكى يقدم لتفسيراته بمقدمة تاريخية يذكر فيها المقاطع الصوتية للفظ ومعناه والتطورات التى مر بها وتغيرت مدلولاته بتغيرها ، ثم يتناول ارتباطه بالرقص ومعناه اللغوى ، ويخلص من ذلك الى ذكر المعانى المختلفة .

ثم يتحدث عن (كابوكى ــ أو كونى) ثم كابوكى المراة والمجتمع ، ويتناول أيضا المعانى المتدهورة التى وصف بها أحيانا ، وأسباب ذلك .. والمهم انه يشرح هذه المسائل شرحا تطبيقيا ، عن طريق التطبيق على مسرحيات معينة ، أو عن طريق استخلاص المدلولات من مسرحيات معينة .

ثم ينتقل الى كابوكى الرجال (يارو كابوكى) وهو ــ كما يقول المؤلف ــ الأصل الحقيقى لمسرح الكابوكى كما نراه فى هذه الايام ..

وكما رأينا المؤلف يستخدم الشرح التطبيقى فى معظم تفاصيل الفصل الماضى ، وهذه ناحية مهمة ، نراه يستخدم الشرح المرتبط بالحالة الاجتماعية فى الفصل الذى يتحدث فيه عن (كابوكى الجيزوكو) .. وهذا اتجاه مهم جدا فى التأليف .

انه يقدم لك تفسيرات واعية منذ ان ينحو هذا النحو ، ولهذا نلمس مدى تأثر الفن باختلاف الطبقات والاقتصاديات .. أيضا نراه يقارن بين عصر الجيزوكو وعصر النهضة فى أوروبا ، فهو مثلا يقول (ان الشبه الوحيد بينهما هو ارتفاع مستوى التعليم ، فقد بدأ عامة الشعب يدرسون الآداب الكلاسيكية للغتين الصينية واليابانية ، الجماهير لم تبحث الا عن أن تريح أحاسيسها وان كان انتشار البوذية والكونفو شيوسية فى اليابان ذلك الانتشار الكبير سببا فى أن الجماهير لم تخض فى مجالات بعيدة للمعرفة كما أنه لم يكن هناك تطور فى العلوم والفلسفة ، ولا حتى فى الروح الثورية لطرح القيود الموجودة) .

اننا نلمس هنا مدى وعى المؤلف وهو يربط بين الحركات الفنية والحركات الاقتصادية ومستوى الثقافة ، ولكنه مع ذلك يفاجئنا بتفسيرات عجيبة ... مثال ذلك انه يقول ان (الجيزوكو) كان عصرا عادت فيه مشاعر الجماهير اللاواعية العمياء الى الظهور فى النقلة الاقتصادية الجديدة للدولة ، وكان المواطنون يملكون قوة حقيقية ، ولكنهم كانوا بعدين عن التفكير فى الصراع الطبقى ، وبدلا من الثورة فان الجماهير لم تبحث الا عن أن تريح أحاسيسها ومشاعرها فى احياء المتعة ، وفى المسارح التى يصبح فيها العامة وطبقة الساموراى على مستوى واحد .



أن المؤلف يقدم لنا هذه الآراء التى لم يبرهن عليها ، والتى تحمل فى ذاتها مدى تناقضها ، لمجرد أن يصل الى وجه الاختلاف بين (الجيزوكو) وعصر النهضة فى أوروبا ، دون أى ضرورة ، ودون أى اقناع أيضا .

بل بالعكس انه حينما يذكر أن مولد « فن الشعب » هو المظهر الرائع الوحيد لعصر الجيزوكو فانما يؤكد تناقضه ، لأن فن الشعب ــ أى شعب ــ لا يمكن أن يولد اذا كانت الجماهير غير واعية بواقعها، أو اذاكانت لا تفكر الا فى اراحة أحاسيسها بالمتعة .

على أن المؤلف يعود فيتحدث عن يقظة الشعب ووعيه ومقاومته للطبقة الأرستقراطية المتمثلة فى « الساموراى » ، ولهذا وجهت الاتهامات الى كبار الأدباء والفنانين الذين كانوا يعبرون عن رغبة الشعب فى التحرر من العبودية ومن سيطرة الساموراى ، ولهذا اتخذت الطبقة الحاكمة الأرستقراطية اجراءات تعسفية ضد المسارح ، ومنها اجراءات تثير الضحك ، ومن أمثلة ذلك انها منعت المسارح من أن تكون لها سقوف تغطيها ، كما منعت اعداد الكبائن الخاصة على جانبى خشبة المسرح ، ومنعت الزبائن من مشاهدة الممثلين شخصيا ، وكانت هذه الاجراءات نتيجة مباشرة لحدوث فضيحة ، حدثت بسبب أن احدى سيدات البلاط عشقت ممثلا وسيما من ممثلى (الكابوكى) .

ومن نتائج النظرة المقارنة التى استخدمها المؤلف استطاع أن يلفت نظرنا الى مؤلف مسرحى لامع ، وهو (شيكاما تسومو نزايمون) الذى ولد عام ١٦٥٣ ومات عام ١٧٢٥ ، ويعتبر الع مؤلف فى عصر الجيزوكو ، بل يعتبر شكسبير اليابان .... ومن مزاياه الفنية انه اختار شخصياته المسرحية فى معظم رواياته من مختلف قطاعات الحياة ، ومن مزاياه أيضا أن مسرحياته تنتصر فيها شخصية الرجل العادى دائما على شخصيات الطبقة الأرستقراطية (الساموراى) وكما انه مجد الرجل العادى فقد خفض من القيم الانسانية للارستقراطيين ، بل انه اعتبر الامبراطور انسانا كسائر البشر ، بينما كانوا يعتبرون منزهين ومقدسين ... لقد كتب ٣٣ مسرحية ظهرت فى خلالها شخصية الامبراطور كرجل عادى يعانى ما يعانيه البشر ، ويواجه متاعب بنى البشر .

ومن مزاياه أيضا انه ــ كما يقول المؤلف ــ



أول كاتب مسرحى فى اليابان ينقل الأحداث الحقيقية للعصر الى المسرح ، حيث جعل منه نوعا من الصحافة الحية فى خدمة الجماهير الأمية .. وتعتبر مسرحياته العائلية صورا حية لليابان فى عصر الجيزوكو بكل مشاكله وافراحه وما كان يدور فيه .

والمؤلف يزيدنا معلومات وهو يتحدث عن هذا المؤلف ، بل انه يلقى الضوء على جوانب عظمته من خلال الحديث عن انتاجه ، وطبعا هذا من أفضل طرق التقييم .

ولكنه فى نفس الوقت يترك تشبيهه بشكسبير بلا أى تعليق ... هذه نقطة كان من المهم أن يشبعها بالبحث ، لأننا نجد من متابعة المسرحيات كما سردها أو على الأصح سرد موضوعاتها وافكارها ، أن هذا التشبيه فيه شىء من التسرع ، وربما كان المقصود هو انه افضل مؤلفى المسرح اليابانى ، ولهذا يسمى شكسبير اليابان قياسا على شكسبير ... ومع ذلك ، ومهما استطردت بنا التفسيرات فان هذه فرصة للبحث الفنى ، واذا كان المؤلف لم ينتهزها ، فقد كان الأحرى بالمترجم أو المراجع انتهازها ، لأن المقصود هو اغناء مكتبتنا العربية بالمواد الفنية .

والكتاب ملىء بفجوات كثيرة من هذا القبيل فيه فرص كثيرة للبحث والدراســـة والتحليل والمقارنة ، ولكنها مرت دون أن ينتهزها أحد .

والواقع انه فى مثل هــذه الكتب لا يكفى ان نترجمها ، وان نقدم لها بمقدمات مقتضبة ...
بل يجب ان نراعى تقريبهـــا الى الأذهان تقريبا منهجيا يزيد فائدة ترجمتهـــا ... فمثلا كتاب المسرح اليابانى هذا يفيدنا التعمق فيه فقط .. اى ان مجرد ترجمتــــه لا تفيـدنا الا اذا تأملنا



المعلومات التى جاءت فيه ، وبذلك تســتفيد فعلا .

انجوشوا لوجان المخرج السينمائى الأمريكى الذى كتب مقدمة هـــذا الكتاب أشار الى نقطة هامة جدا فى مقدمته الصغيرة حينما قال : ان هناك حوائط كثيرة تفصل بين الشرق والغرب ، لغاتنا ، موسيقانا ، وصورنا ، وسوف يتطلب منا الأمر عناية كبيرة ودراسة دقيقة لكى نجتاز هذه الحوائط .. »

والحقيقة اننا أحوج منهم الى هذه العناية والدراسة ... اننا نرى فى كتاب المسرح اليابانى ما يؤكد ان الشرق عرف منذ القدم تشكيلات وطقوسا وأساطير وأخيلة كانت كفيلة بخلق فن المسرح فى الشرق ، واذن فلماذا احتجب تفكيرنا المسرحى عن الظهور الفعلى الى ان نقلنا المسرح عن الغرب ؟ .

كنت أفضل لو أن المترجم او المراجع او اى شخص آخر اشترك فى تقديم هذا الكتاب على هذا الأساس ، اى على أساس دراسة علاقة مادته بمعرفة أسرار الفن المسرحى .

ان المؤلف أعطانا مادة غنية وصالحة جدا للبحث او لاستكمال البحث فهو لم يقف عند حـد سرد معلومات عن تاريخ المسرح اليابانى ، بل انه حاول أن يتتبع تأثير التفـكير المسرحى القديم فى المسرح الحديث ، وعلى الرغم من انه تمهل كثيرا عند التفصيلات الجزئية بلا مبرر ، فانه سار فى طريق منهجى حتى وصل الى العصر الحديث ... فمثلا نحن نراه يتمهل عند شرح الفلسفة الجمالية فى الكابوكى ، ويقف عنـــد اللون ، ويربط ذلك بغلبة التلوين والزخرفة فى عصر الجيزوكو ، ويســـتطرد الى ذكر الوان الســـتارة المسرحية وفخامة الملابس والمناظر والماكياج ، ثم بعد ذلك نراه يتمهل عند شرح الحركة وارتباطها بالرقص ، ولا بأس بذلك كله لولا انه فى تمهله وتوقفــه ينسى الربط بين اللون والحركة ، ويتعرض لكل منهما على حدة ولا يتعــرض لأثرهما فى تكييف النصــــوص المسرحية ، او بالأحـــرى لا يذكر أمثـــلة تطبيقية ...

ولقــد كنت اتوقع ان يناقش ذلك عندما تحـــدث عن التمثيل الصــامت فى الكابوكى والعرض الصامت ، ولكنه اكتفى بقوله ـ مثلا ـ ان العروض الصــامتة لا معنى لها اكثر من مجرد جمال حركاتهـــا وايماءاتهـــا ، مع انه تناقض مع نفسه حينما ذكر بعد ذلك مباشرة ان الممثلين يبقون ثابتين فى اوضاعهم بصورة تشبه



التابلوهات الحيـــة فى السيرك ، وحينما ذكر أيضا أن البعض يرى فى الاستحسان الخالص لهذا النوع من الكابوكى دليلا على خطأ الحكم عليـــه ، فالأوضـــاع الخيالية للممثلين خلال المسرحية تندرج تحت « الصور الحية » ورغم ان صلاتها بالدراما كما يراها الغربيون قد تبدو بعيـــدة تماما ، فان الهدف من ورائها بالنسبة لليابانيين على جانب كبير من الأهمية واللياقة كأسلوب ضرورى من أســاليب المسرح يضمه الأسلوب الأكبر لمسرح الكابوكى ككل .

هذه الأفكار التى ذكرها المؤلف جديرة بأن

تناقش لو شئنا الاستفادة الحقيقية من ترجمة مثل هذه الكتب ... وانا ارى أن يكلف واحد أو أكثر من المتخصصين بتحمل المسئولية عن ذلك فى كل كتاب من هذا النوع .. ان افتقار هذا الكتاب الى « شارح » يشرحه ويقربه الى الأذهان كما ينبغى ، قلل فرصة الانتفاع به ، وأشاع الغموض فى بعض أبوابه .

ومع ذلك كله فلا جدال فى أن هذا الكتاب ألقى أضواء كثيرة على مسرح كان مجهولا لدينا ، رغم قربه من بيئتنا الفكرية والوجدانية أحيانا .. وانى أتمنى أن يستكمل النقاد والمفكرون ما فات المترجم والمراجع .. فمن الواجب أن يتصدى له المتخصصون لمناقشة دقائقه وتحليلها بحيث تزداد الأضواء عليه ، وبحيث يزداد اقترابة الى الأذهان ، وبذلك تزداد فائدته .

مسألة أخرى : ان الكتاب قدم فى نهايته ثلاث مسرحيات من مسرحيات الكابوكى ، فما المانع من محاولة عرض هذه المسرحيات فى مسرح الجيب مثلا ؟! ان عرضها ربما يزيد فرصة فهمها فهما تطبيقيا يستفاد فيه بما جاء فى هذا الكتاب ... على العموم هو كتاب مفيد ، وهو زاد جديد يقدم الى المكتبة العربية الفقيرة جدا .

عبد الفتاح البارودى



سطور من كتاب

عهد ومنهاج

« ان الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال . ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك — فى كل وقت — جيل جديد على استعداد للقيادة ، ولحمل الأمانة ، ومواصلة التقدم بهـا ..

أكثر وعيا من جيل سبق ، أكثر صلابة من جيل سبق ، أكثر طموحا من جيل سبق .

وينبغى أن ندرك أن التمهيد لهـذا الجيل واجبنا ، واننا نستطيع — بالتعالى والجمود — أن نصده ونعقده . وبالتالى نعرقل تقدمه ، وتقدم أمتنا .

ان علينا — بالصبر — أن نستكشفه دون من عليـه ولا وصاية . وعلينا — بالفهم — أن نقدم له تجاربنا دون أن نقمع حقه فى تجربته الذاتية . وعلينا — فى رضا — أن نفسح الطريق له دون أنانية تتصور — غرورا — انها قادرة على شد وثاق المستقبل بأغلال الحاضر . وعلينا أن نتيح له بفكره الحر أن يستكشف عصره دون أن نفرض عليـه — قسرا — أن ينظر الى عالمه بعيون الماضى .

واذا تأخر وصول هـذا الجيل الجـديد الى موقع القيادة ، أو اذا وصل هـذا الجيل باقل من الاستعداد المطلوب للمهمة الكبرى ، فسوف تكون هـذه مسئولية جيلنا الذى يسجل على نفسه انه عرف كيف يبدأ ، ولم يعرف كيف ينتهى .

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الأول للمرحلة القادمة فلسوف يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أسـاهم بنصيبى فى تحقيقـه ، خصوصا وانى أرى — رأى العين — أن الجيل ، الذى نضج تحت نيران المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، يخطو الآن فى قرب مواقع قيادة النضال .

ولسوف يكون تقـدم هذا الجيل الى مكانه الطبيعى والشرعى تحقيقا لأكبر آمالى .

لقد كان شرفا لى أن أحمل العلم . لكنى ، أمامكم ، أؤكد أن الشرف الأكبر لى يكون يوم أسلم العلم الى طلائع جيلنا الجديد » .





قليل من الكتاب من حظوا بشهرة فى حياتهم تقربهم من قلوب الصغار خاصة والناس عموما كتلك الشـــهرة التى حظى بها روبرت لويس ستيفنسن .

ويزيد من جمـال هذه الحظوة ذلك الكفاح النبيل الذى اتسمت به حياة هذا الكاتب الشاعر ضد العلة الثقيلة التى منى بها منذ العام الثالث من عمره ، فكان لا يكاد يمر عليه شهر كامل من غير ان يلازم الفراش . ومع هذا ظلت روحه مرحة وثابة تفيض بحب الحياة ، وحب الناس ، والاقبال على المغامرة ، حتى لقد استطاع هذا العليل ان يقدم لابناء زمنه ومن بعدهم رصيدا ضخما من اعمال المغامرة والشجاعة وضروب الاقدام والبطولة يعجز عن بعضه أصح الاصحاء .

وقد يقال أنه منطق التعويض . ولكـن التعويض ليس لزاما ان يكون فى اتجاه محـدد مشرق انيس . فالمعول فى ذلك الاتجـاه على الروح الشـاعرة والاسـتعداد الفنى والموهبة الخلاقة . وتلك كانت سمات ستيفنسن .

ولد روبرت لويس ستيفنسن لأب كان مهندس موان ومنائر ، توارث هذه المهنة عن اسـلاف له فى سلسلة متصلة فى اسكتلندة . وكان مولد روبرت فى ادنبره فى اليوم الثالث عشر مـن نوفمبر سنة ١٨٥٠ . وهذا الشـهر أشـد شـهور السـنة كآبة فى ايقوسيا ، ولكن قلب الوليد الصـغير طبع على الاشراق والحنـان الدافىء ، كأنمـا حبته الطبيعـة فى فؤاده بكل ما حرمت منه يوم مولده

وتلقى روبرت عن أمه ميراث الرقة وعذوبة الطبع ورقة المشاعر والدماثة . اما عن ابيه المهندس فتلقى ميراث حب النظام وعشق الجمال

الناشر : مشروع الألف كتاب - بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب
٣٩٠ ص ١٧ × ٢٤ سم الثمن ٣٣٫٥ قرشا

تأليف : روبرت لويس ستيفنسن
ترجمة : مـراد الـزمـر
مراجعة : مصطفى حبيب

الفنى ومن المفارقات ان حب الفن الذى ورثه عن ابيه هو الذى افضى به فى النهاية الى الخروج على طاعة ابيه فنبذ حرفة اسرته وهى الهندسة ليكون مهندســـا بالكلمة المكتوبة : شـاعـرا وروائيا .

وفى باكورة العام الثالث من عمره اصيب روبرت الصغير بنازلة « خناق » — بعد عيد ميلاده الثـانى بأيام قلائل — ولم ينج منهـا الا بعد عناء اعقب سلسلة من العلل فى التنفس واجهزته ، فكتب عليه ان يقضى أياما كثيرة من كل سنة من سنوات عمره طريح الفراش لأقل نوبة برد تتحول الى نزلة شعبية أو التهـاب رئوى . ولم يكن الطب العلاجى فى النصـف الثانى من القرن التاسع عشر قد حقق نصيبا مذكورا من التقدم ازاء هذه الامراض التى كانت تودى بحياة الكثيرين ، لولا العناية المفرطة التى كان أهل روبرت يبذلونها لوقايته ونقاهته .

ولكن هذه المحن الجسدية لم تنل من عذوبة روح روبرت الصغير ، فظل على الدوام دمثـا باش المحيا رضى النفس . ولئن اعجزه ان يلهو ويشارك اترابه ولداته فى العابهم ، فقد اتخذ من عدة الخيال نظير ما اتخذه شاعر المعرة العظيم ابو العلاء حين استعاض عن قعود الدار برحلة لم تتسع لها الدنيا على رحبها ، فطوف بالحياة الأخرى على جناح من الخيال المتوقد الخلاق .

ولست أعنى هنا التشابه بين الرجلين فى القيمة الفنية — حاشاى ! — بل أعنى فحسب التشابه فى السلوك النفسى المعوض . فالصبى روبرت طريح الفراش وحبيس المخدع يبتدع فنونا جديدة من الألعاب التى يؤديها وحـده فى « دنيا اللحاف » كما كان يسميها ، وهى دنيا منبسطة البطاح والربى والغابات والبحـار فوق غطاء فراشه . وقد خلد — فيما بعد — دنياه تلك بهذا الاسم فى قصائد من أشهر أشعاره .

وكان اكبر التـأثير على تكوينـه الخلقى والعقلى والنفسى فى تلك الحقبة — بعد تأثير والدته — لمربيته اليسون كننجهام التى كانت تتخير له ما تطالعه له من الاقاصيص حريصة كل الحرص على تجنيبه ما من شأنه ان يفسد تفكيره المتطلع الشـــديد الاستيعاب المتوقـــد التصورات .

وقرب نهاية سنة ١٨٥٦ — اى وهو فى تمام السادسة — سنحت أول فرصة لروبرت كى يغدو مؤلفا ، وذلك حين وضع عم له جائزة لشباب الاسرة وايفاعها لأحســن تاريخ عــن النبى موسى . وكان روبرت مريضا فسمح له باملاء الموضوع على والدته ، وظفر بجـائزة خاصة لجهوده المضاعفة . فكانت هذه الجائزة المبكرة سببا فى الهاب طموحه الى التأليف ولم يكف بعدها عن محاولات الكتابة . ولما ذهب الى المدرسة اصدر فيها جملة صحف مدرسية ، وكلها تحمل طابع المغامرة الجريئة والخيـال الجـامح المطمح الجســور والمواقف الخطـرة المخيفة .

وفى سن السادسة عشرة طبع أول عمـل له ولكن اباه جمعه من المطبعة واحـرقه حتى لا ينصرف الفتى عن الدرس . وعنوان هـذا العمل « ثورة بنتلاند : صفحة من التـاريخ سنة ١٦٦٦ . » واصر أبوه على ان يتخـرج ابنه مهندســا للموانى والمنـائر فقضى روبرت مدة الدراسة فى جامعة ادنبرة ، حيث حصـل على درجة جامعية فى العلوم ، وطاف فى العطلات بالورش على طول الساحل للتدريب العملى . ولكنه فى سنة ١٨٦١ — بعيد تخرجه — اعلن لوالده عزمه على احتراف التأليف فوجهه ابوه الى حل وسط هو احتراف المحـاماة لتكون عمادا رسمياله الى جانب هذه المهنة الادبية المشكوك فى جدواها . وسلك روبرت هذا السبيل وعمل فى مكتب للمحاماة فترة كانت كافيـة لتبغيض الأعمال المكتبية اليه مدى العمر ، وهو الشغوف بحياة الخلاء .

وقضى روبرت بعض رحلاته فى المـانيـا حيث عبر الغابة السوداء على قدمية ، وخرج على الناس بعد ذلك بكتاب ممتع هو « رحـلات مع حمـار » ! . . .

وبعد برهة من المرض المضنى اعلن الاطباء قرارهم الخطير : انه يجب ان يتبع مدار الشمس ،

وان يتجه فى اسفاره ومقامه الى الجنوب ... جنوب فرنسا على الأقل . ومنذ ذلك الحين اضحى روبرت لويس ستيفنسن جوالة دائم الترحال عن موطنه ، وهكذا ظل حتى سنة ١٨٧٨ يتنقل بين فرنسا ولندن ، وشرع يكتب قصصه مسلسلات فى المجلات ، واهمها « الف ليلة وليلة جديدة » وسرعان ما ذاعت شهرته فى الاوساط الأدبية وتوطد مستقبله فى التأليف . وابحر فى اغسطس سنة ١٨٧٩ الى امريكا حيث اقام فى كاليفورنيا ذات الجو الدافىء الساحر ، وحيث التقى بسيدة أمريكية هى مسز ازبورن احبته اشد الحب وتزوجته ووقفت حياتها على رعاية صحته وانتاجه ، فوجد بذلك الصدر الحنون ، والملاذ العاطفى الذى باضت فيه موهبته وافرخت .

وخوفا على صدره الضعيف من خطر السل الداهم رحلا معا الى جزر الجنوب فى المحيط الهادى فى يونيه سنة ١٨٨٨ بعد رحلات الى الريفييرا وجبال الألب .

وفى هذه الجزر الجنوبية أقام له بيتا من الخشب على رابية وعاش بين الأهالى السمر فى حياة راضية قريرة ، يصلهم بحنانه ويصلونه بحبهم ، الى ان مات فجأة فى الثالث من ديسمبر سنة ١٨٩٤ ، وقد أتم من العمر اربعة واربعين عاما اسعد فيها كل من حوله بسجاياه العذاب ، واسعد ملايين القراء بقصصه الطريف الحافل بالخيال والمغامرة ، وبشعره السلس الرقراق .

وترجع قصته المختطف الى بداية عهده بالشهرة المستفيضة . تلك الشهرة التى امتدت بسرعة البرق على اثر قصته الشهيرة « جزيرة الكنز » فى سنة ١٨٨٣ ، فنشر بعدها قصة اخرى لم تزل شهرتها قائمة الى يومنا هذا ، وأخرجتها السينما فى فيلم من أشهر الأفلام ، وهى قصة « دكتور جيكل ومستر هايد » التى تقوم على ازدواج الشخصية ، وصارت مثلا يضرب بين سواء الناس لذلك الازدواج ، وقدظهرت من المطبعة فى سنة ١٨٨٦ ، وفى هذه السنة نفسها ظهرت قصته « المختطف » التى نحن بصددها اليوم ، ولها تتمة فى قصة أخرى بمثابة حلقة ثانية لها هى « كاتريونا » لم تظهر الا فى سنة ١٨٩٣ قبل وفاته بعام واحد تقريبا .

والسمة الغالبة على اسلوبه القصصى هى بعينها السمة الغالبة على سلوكه ومزاجه الشخصيين ، وهو الانسياق ــ بل الاندفاع المنطلق ــ مع احلامه وخيالاته بحيث تغدو وقائع الحياة الجارية ومسئولياتنا ضئيلة غاية الضآلة ، فيطغى عالم التصور والايهام على الواقع الملموس ايما طغيان .

« والمختطف » مروية على لسان الفتى دافيد بلفور الذى مات عنه ابوه وتركه بلا سند فى الحياة ، فحمل رسالة تركها له والده الى شخص « ابنيزر » غريب الاطوار شحيح اتضح انه عمه ، وانه اغتصب بغير وجه حق ميراثه عن جده وهو مزرعة كبيرة . ولكن الفتى كان يجهل فى ذلك الحين كل هذه التفصيلات الى ان اكتشف جانبا منها بالحيلة والجراة ، فاحتال عمه حتى دبر اختطافه على ظهر سفينة شراعية حملته قسرا صوب كارولينا بأمريكا . وفى طريقها الى هناك التقطت « الن بيك » من زورق غارق ، وكان الن هذا يعقوبيا من الثوار الهاربين من السلطان . وارتطمت السفينة بعد مغامرات محرجة ومؤامرت من الربان والبحارة على شاطىء صخرى ، ونجا الن والفتى دافيد معا وراحا يشقيان طريقهما فى المنطقة المخيفة بين الصخور ، واذا بهما يشهدان معا مصرع « كولن كامبل » الملقب بالثعلب الأحمر وهو شخصية لها وجود تاريخى حقيقى نسج المؤلف حول مصرعه هذه القصة المتشابكة . وانحصرت فيهما الشبهة فى مقتله ، وبعد مغامرات ومجاهدات رهيبة تمكنا من الفرار ممن يتعقبونهما للقصاص الظالم بين جبال اسكتلندا ، الى ان وصلا الى بر السلامة بعد اجتياز « الفورث » وتنتهى قصة المختطف بهزيمة ابنيزر واسترداد دافيد لحقوقه جميعا ،

وبذلك انتصرت الشجاعة وفاز الحق على الباطل وسوء التدبير ..

والسحر الخاص فى هذه الحكاية كلهـــا يكمن فى التفصيلات « المثيرة » للمغامرات والمآزق والاخطار بتلوين حى يستولى على المشــاعر . فهو اذن ادب اثارة وادب مغامرة فى الدرجـة الاولى . وهذه الخصائص تستلزم ســـمات خاصة فى اسلوب التعبير هى التى يتميز بهـا روح روبرت لويس ستيفنسن وسحره .

والواقع ان المترجم الفاضل اســتطاع فى نقله الدقيق الامين ان يبقى على الشيء الكثير من هذه السمــات الســاحرة التى كان يخشى عليها عند النقل من لغة الى لغة . وان كانت الامانة للحرفية ــ فى بعض الاحيان ــ تجـور على المعانى المقصودة من حيث الروح . فالكلمة التى تعنى عند السؤال «لماذا» قد تأتى للتعجب أو للحيرة لا للاستفسار فى اول الكلام ، فيكون معناها اقرب الى قولنا « عجبا » او « وى » . او ما الى ذلك ، واذا ترجمناها « لماذا » فى موضع لا ينطوى على الاستفهام استغلقت على القارىء العربى . والحرص على روح الكلمة هنا أولى واحجى .

وهنة اخرى فى التعبير العربى على المستوى الادبى من قبيل « فسألنى عما اذا كنت قـد تناولت طعام افطارى » وهى أسلوب أقرب الى تعبيرات الترجمة الصحفية وهو بها اشـبه . والافضل ان يقال « فسألنى هل تناولت طعام افطارى » فيكون التعبير اقــوم واسلس . ومن قبيل « الاسماك الصدفية التى عشت عليهــا اكثر اهمية لى « فأفعل التفضيل فى اللغة العربية يغنينا عن هــذه الصــيغة المركبة التى توشى بالعجمة : « اكثر أهمية » . وهى ليست بالشيء العارض فى اسلوب المترجم ، فما اكثر ما يقول « اكثر عمقــا » وكانت « أعمق » أوفى بالغاية واقــرب لروح اللغة العربية .

وبمناسبة « اكثر عمقــا » هذه نجـدها وردت فى قوله : « ولكن الســبب الآخر كان اكثر عمقــا » ... والعمق هنا ليس المقصود بصورته المادية ، وانما توصــف الاســباب بالجدوى او الوضوح او الخفاء او غير ذلك مما يوحى به سياق الكلام . ولعل المعنى الــذى يقتضيه هنا « أبعــد أثرا » لا « أعمق » .

وفيما عدا هذه الهنات التى كنا نود لمثل هذا الاثر الادبى ان يبرأ منها ، فالترجمة أمينة امانة متحــرجة اشد التحــرج ، ولا تخــلو مواضع كثيرة فيها من نصاعة واشراق ينبيان عن رغبة صادقة فى التجويد ، فنرى المترجم (فى ص ٣٥٤ مثلا) يقول :

ــ لو انبأتك بقصــتى كاملة فلا بد لى أن اضع حياة صديق لى فى طيات كتمانك ...

وهو تعبير بليغ الديباجة ، بيد انه يردفه فورا بقوله :

ــ .. « فأعطنى الوعــد » بأن امره سيكون موضع سرك .

فاذا « اعطنى الوعــد » هذه تهبط بمستوى التعبير البلاغى .

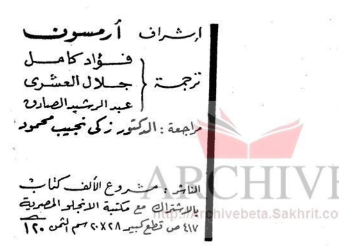
وما كان أغناه عن هذه الهجنة لو قــال على السياق العربى القديم : « فعدنى » لأن الفعل العربى « وعــد » ولا تقول العرب « اعطنى وعدا » كما يقول اصحاب بعض اللغات الاخرى .

ولكنها « مطبات » قليلة فى طريق معبــد بذل صاحبه جهدا مشكورا فى توطئته للقارئين ..

د . نظمى لوقا



الموسوعة الفلسفية المختصرة



ليس من شك في ان تزايد الاهتمام بالدراسات الفلسفية في مجتمعنا العربى هو الذى أوجد الحاجة الى معجم فلسفى شامل يحدد معانى المصطلحات الفلسفية ويعرف القارىء بأهم اعلام الفكر الفلسفى قديما وحديثا. وقد وقع اختيار السادة المترجمين على موسوعة فلسفية موجزة ظهرت باللغة الانجليزية منذ عدة سنوات، فقاموا - مشكورين - بترجمتها الى لغتنا العربية، وحاولوا سد ما فيها من نقص، فأضافوا الى موادها مقالات عديدة عن اشهر مفكرى العرب، كتبها خصيصا للترجمة العربية الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود. والموسوعة - بصورتها الحالية - تمثل جهداً علميا ضخما لا يملك المشتغلون بالدراسات الفلسفية عندنا سوى الاعتراف بقيمته والتنويه بفضل القائمين عليه، خصوصا وان الترجمة العربية قد جاءت واضحة، دقيقة، امينة كل الأمانة للأصل الانجليزى.

ولا بد لنا من ان نشير - بادىء ذى بدء - الى السمات الخاصة التى اتسمت بها هذه الموسوعة المختصرة. فهى أولا موسوعة موجزة اشد الايجاز، بدليل انها تغفل الكثير من المصطلحات الفنية التى قد يجدها القارىء المتخصص في المعاجم الفلسفية المعروفة كمعجم اندرية لالاند A Lalande (مثلا)، فضلا عن انها تستبعد من الفلاسفة من ليست اعمالهم ميسورة فى ترجمات انجليزية (حتى ولو كانوا

من المشهورين فى بلادهم) . ومحرر هذه الموسوعة يعترف بأنه يفهم « الفلسفة » بمعناها الغربى الكلاسيكى ، فهو يستبعد الفلسفة الشرقية التقليدية ، ويسقط من حسابه حكماء الهند والصين ومصر القديمة ومن اليهم . ثم هو يقرر أنه قد جعل الأولوية لحاجات القراء غير المتخصصين ، كما اقتصر على أقل عدد ممكن من المقالات عن كبار اعلام الفكر الفلسفى الغربى. والمحرر يفترض أيضا ان القارىء ليس لغويا خبيرا ، ولكنه يحاول أن يتجاوز حدود الاتجاهات الفلسفية البريطانية والأمريكية المعاصرة . واذن فان هذه الموسوعة لا تزعم أنها دليل شامل للفلسفة الحديثة ، ولكنها تحاول أن تعرفنا بأهم الأسماء اللامعة فى آفاق الفكر الغربى قديما وحديثا . وأما فيما يتعلق بالفلاسفة المعاصرين، فان الموسوعة لا تتناول من بينهم أولئك الذين ما زالت أعمالهم رهن التطور ، اللهم الا بصورة مختصرة لا تكشف عن كل ما لهم من قيمة (ص ٣) .

والسمة الثانية التى تتسم بها هذه الموسوعة أنها تتجنب المقالات التى تحاول الاجابة على مشكلات الفلسفة الكبرى بطريقة مباشرة ، لأنها تفترض أنه ليس فى ميدان الفلسفة اجابات متفق عليها ، وأن أية اجابة من هذا القبيل لا بد من أن تجىء متحيزة ، وبالتالى فانها لن تكون متلائمة مع محتويات الموسوعة .

ومن هنا فان كتاب المقالات المختلفة — فى هذه الموسوعة — قد قصروا اهتمامهم على شرح عدد غير قليل من المصطلحات الفنية التى يستخدمها الفلاسفة فى محاولاتهم الاجابة عن اهم المشكلات الفلسفية ، وعلى بسط الاجابات التى قدمها كبار الفلاسفة لأمثال تلك المسائل ، وعلى عرض بعض الطرق المتبعة فى محاولة الاجابة عنها . ومحرر الموسوعة يذكر القارىء فى المقدمة القيمة التى كتبها للموسوعة بأن عليه ان يزيد اطلاعه بنفسه ، وأن يبذل بنفسه مزيدا من التفكير « اذ لا يقتصر الأمر فى الفلسفة على أن ليس فيها اجابات متفق عليها ، بل ليس فيها أيضا من الأسناد ما يمكن أن يؤخذ مأخذ الفيصل الحاسم فى مواضع الخلاف . وعلى كل انسان فى نهاية الأمر أن يكون لنفسه رأيا فى مسائل الفلسفة حسب تقريرة لمختلف الحجج التى قد يصنعها له الآخرون لتكون منه موضع النظر . » (ص ٨) .

وأما السمة الثالثة التى تتميز بها هذه الموسوعة فهى أنها سهلة واضحة ، لأن معظم الذين قبلوا المشاركة فيها قد كتبوا مقالاتهم بأبسط وأوضح عبارة تسمح بها مقتضيات الدقة . وعلى الرغم من ان المحرر يعترف بأن الفلسفة لم تكن يوما سهلة واضحة ، فانه ينص صراحة على ان الموسوعة قد جعلت الاعتبار الأول دائما أبدا للقارىء العادى غير المتخصص ، ومن ثم فانها قد حاولت تحاشى المشكلات الصعبة الغامضة ، كما أنها قد راعت التزام السهولة والوضوح فى التعبير عن أعقد قضايا الفلسفة . ولكن المحرر يعود فيقرر أنه قد يكون من المحال ومن العبث أن نحاول كتابة مقالة عن أحد مناطقة العصور الوسطى مثلا ، بحيث تجىء فى بساطة المقالة الأساسية التى كتبت عن المنطق » (ص ٩) ... ومهما يكن من شىء ، فان من المؤكد أن « الموسوعة الفلسفية المختصرة » قد جاءت فى ترجمتها العربية مرجعا فلسفيا مفيدا للمتخصص وغير المتخصص ، خصوصا وأنها قد زودت القارىء بقائمة هامة يستطيع ان يجد فيها من الكتب ما يزيد به

اطلاعة فى معظم المسائل الفلسفية الرئيسية ؛ هذا علاوة على ملاحق الموسوعة الخاصة بأسماء الأعلام ، وأسماء المذاهب ، وأسماء المؤلفات وأسماء الأساتذة المشتركين فى الموسوعة .. الخ .

ولو اننا انتقلنا الآن الى دراسة أهم المقالات الواردة بالموسوعة ، لكان فى وسعنا أن نقول بصفة عامة ان مستوى المقالات مختلف باختلاف الكتاب وان كان الملاحظ عموما أن مستوى المقالات الخاصة بالفلسفة المعاصرة ادنى بكثير من مستوى المقالات الاخرى . وربما كان من خيرة المواد الواردة بالموسوعة مادة « كانت » ، ومادة « هيوم » ، ومادة « منطق » ، ومادة : « نظرية المعرفة » ، ومادة « الوضعية المنطقية » ... الخ ، بينما تبدو مواد أخرى مثل مادة : « كيركجارد » ، ومادة « هوسرل » ، ومادة : « علم الظواهر » ، ومادة : « بردیائیف » ، ومادة : « وجودية » ومادة : « مارسل » دون المستوى المطلوب . والظاهر ان معظم الأساتذة الذين اشتركوا فى تحرير الموسوعة هم من أبناء العالم الأنجلو ـ ساكسونى ، ولهذا فقد جاءت دراساتهم للفكر الفلسفى فى القارة الأوروبية (خصوصا الفكر الألمانى والفكر الفرنسى) مشوبة بشىء من التحيز . وآية ذلك القارىء العربى الذى يجد فى الموسوعة أسماء مفكرين انجليز وأمريكيين مثل أوستن Austin وأوربان Urbin وبرتشارد Prichard وبرايس Price وبلانشارد Blanshard ، ودوكاس Ducasse ، وروس Ross ، ورايل Ryle ، ولويس Lewis ، وموريس : Morris ، وولسون Wilson ، ووزدم Wisdom ، وهير Hare وغيرهم (من أساتذة الفلسفة بجامعات انجلترا وامريكا) ، لا يجد أية اشارة الى مفكرين أوروبيين اكثر منهم أهمية مثل ماكس شلر Max Scheler ومارتن بوبر Martin Buber ، وكيسر لينج : Keyssrling وغيرهم من الالمان ، أو مثل موريس بلوندل M. Blondel وادوار ليروا Le Roy ، وليون برنشفيك L, Brunschwicg ، ولويس لافل L. Lavelle ، ورينيه لوسن R. Le Senne ، وباشلار Bachlard وغيرهم من الفرنسيين ، أو مثل أونامونو Unamuno واورتيجا اى جاست Ortega y Gasset من الاسبان ، أو مثل ڤاريسكو Vatisco ، ومارتينتى Martintti ، واليوتا Aliotte وغيرهم من الايطاليين ... الخ . وقد كان من الممكن تلافى هذا النقص باشتراك بعض الأساتذة الاجانب فى تحرير الموسوعة ، بدلا من قصرها على الفكر البريطانى والأمريكى بهذه الصورة العنصرية المتحيزة . وعلى الرغم من أن محرر الموسوعة قد نص فى المقدمة على أن الموسوعة تحاول أن تتجاوز حدود الاتجاهات الفلسفية البريطانية والأمريكية المعاصرة ، فان القارىء يلاحظ أن تعاطف كتاب الموسوعة مع الحركات الفلسفية المعاصرة خارج حدود موطنهم الأصلى ضعيف الى أقصى حد . وحسب القارىء مثلا أن يعود الى مقالات كتاب الموسوعة عن فلاسفة مثل هيدجر ، أو يسبرز ، أو هوسرل ، لكى يتحقق بنفسه من عجز أصحاب هذه المقالات عن النفاذ الى باطن فكر أمثال هؤلاء الفلاسفة المتازين ممن كان لهم أعمق الأثر على معظم الحركات الفلسفية المعاصرة .

ولا بأس من أن نورد ــ فى هذا المقام ــ بعض ملاحظات عابرة عن بعض المواد التى اطلعنا عليها بالموسوعة ، خصوصا فيما يتعلق ببعض الفلاسفة المعاصرين من غير الأنجلو ــ ساكسونيين . ففى المقال المكتوب عن سارتر (مثلا) يشير الكاتب الى تحليل سارتر الممتاز للأخلاق الستالينية ، وينسب الى المفكر الفرنسى الكبير أنه صاحب كتاب « الانسانية والفزع » Humanisme et Terreu والصواب أن الكتاب للفيلسوف الفرنسى موريس ميرلو پونتى M. Merleau Ponty لا لسارتر كما ورد فى الموسوعة (انظر ص ١٧٧ ، ص ٤٤٢) . والمترجم العربى لمادة : « سارتر » يترجم اسم كتاب ألبير كامى L' Homme Révlote بكلمة : « الثائر » ، فى حين أن كامى يضع « التمرد » فى مقابل « الثورة » ، وبالتالى فان العنوان الحقيقى للكتاب هو « الانسان المتمرد » . وكاتب المقال المذكور يشير الى كتاب آخر لسارتر

بعنوان « الانســـان » على أنه وشيك الظهور ، وكان من الواجب على مترجم المقال الاشارة فى الهامش الى الكتاب الثانى الذى ظهر بالفعـــل لسارتر ، الا وهو كتاب « نقد العقل الجدلى » (الجزء الأول ، ١٩٦٠) ولسنا ندرى ما اذا كان سارتر لا زال يزمع اصدار كتاب عن «الانسان» أم لا ، وانما الذى نعلمه أن سارتر قد عدل من موقفه الوجودى السابق الذى كان قد عبر عنه فى كتاب « الوجود والعدم » ، فكان من الضرورى لمترجم مقال سارتر النص على هذا التحول الذى طرأ على التفكير السارترى . وقد أشار كاتب المقال الى تأثر سارتر بهيجل وكيركجارد ، ولم يشر الى تأثره بكل من هوسرل وهيدجر ، وكان من الواجب اظهار أهمية « المنهج الفنومنولوچى » فى تفكير سارتر ، خصوصا وأن سارتر نفسه قد أعلن بصراحة اعتناقه لهذا المنهج .

ولا يشير كاتب مادة : « مارسل » Gabriel Marcel الى أهميـــــة المنهـج الفنومنولوچى فى فلسفة هذا المفكر الفرنسى المسيحى ، بل يقتصر على القول بأن « تفكير مارسل مهلهل النسج، مشتت العرض » (ص ٢٨٨) . ولا يجد القارىء فى المقال المكتوب عن مارســـل أى عرض منظم لفلسفة مارسل ، سواء فيما يتعلق بمشـــكلة المعرفة والوجود ، أم فيما يتعلق بمشـكلة صلة الذات بمـــا عداها من ذوات ، أم فيما يتعلق بمســـألة « التجسد » incarnation ، بل يجد مجـــرد اشـــارات عابرة الى تأثر مارســـل برويس وبرجسون ... ولسنا ندرى ما الذى يعنيه كاتب المقال حين يذكر أن مارسل « قـــد اهتم فى أعوامه الأخيرة اهتماما جـــديا بنتائج الظواهر النفسية الشاذة ، وخاصة التخاطر حين يفهم على أنه طريقـة من طرائق الاتصـــال بين الناس » (ص ٢٨٧) ، فان المطلع على تطور فكر مارسل يعلم أن اهتمـــامه بمشكلة التلبـــاثى télépathie أو التراســـل الروحى يرجع الى الحرب العالميـة ، فلا معنى لقول الكاتب « فى أعوامه الأخيرة » ، خصوصا وأن مارسل ما زال على قيد الحياة . هذا الى أن مارســـل - فيما نعلم - لم يقدم رســـالة دكتوراه ، فى حين أن حديث صاحب المقال عن موضوع رسالة مارسل للدكتوراه قد يوقع فى روع القارىء أن للفيلسوف الفرنسى الكبير رسالة مطبوعة عن « تصورات كولردج الفلسفية ... الخ » .

ويطالع القارىء المقال المكتوب بالموسـوعة عن الفيلسوف الروسى برديائيف ، فيجد الكاتب يعد هذا المفكر الوجودى الكبير مجـــرد « مفكر دينى » أو داعيـــة من الدعـاة الاجتمـــاعيين والسياسيين ، دون أن يهتم بالاشارة الى أسس موقفه الفلسفى الوجودى ، ونوع الاعتراضـــات التى وجههـــا الى الثورة الروسية ، وطبيعـــة عـــلاقاته الروحيـــــة بكل من كيركجــــارد ودوستويفسكى وغيرهمـــا ... الخ . والكاتب ينص على أن بردیائيف يفرق بين «عالم الحرية» و « عالم المادة » ، دون أن يشير بكلمـة واحدة الى فهم بردیائيف للحرية ، أو تصوره للروح ، وكأن موقف بردیائيف مجرد تكرار لموقف كانت من « عالم الباطن » و « عالم الظاهر » . (انظـر الموسوعة : ص ٩١) .

أما المقال المكتوب عن «هوسرل» أكثر مقالات الموسوعة غموضا وبعدا عن الدقة ، فضلا عن أن الترجمة العربية قد زادته سوءا وذلك بسبب صعوبة العثور على مقابل عربى دقيق للكثير من مصطلحات هوسرل الدقيقة . وحين يقول كاتب المقال (مثلا) : « ... أن الفيلسوف الباحث فى علم الظواهر « يخنق » كل ضرب من العقيدة الواقعية لكى تصبح « المركبات » التى يخلقها وعيه مقطوعا بصوابها عند العقل المتأمل ... » (ص ٣٩٣) ، فان القارىء لا يسعه سوى الاعتراف بعجزه عن فهم أمثال هذه العبارات ! وحين يكتب صاحب المقال - فى موضوع آخر - « ان ثمة أشياء كثيرة جديرة بالأعجاب فى مؤلفـــات هوسرل الأخيرة ، ولكنها ليست كثيرة جداً » ! (ص ٣٩٣) ، فان المرء يشعر انه هنا بازاء حكم تعسفى قد أطلقه صاحبه اطلاقا ، دون أن يقدم لنا من المسوغات أو البراهين ما يسند اليه مثل هذا الحكم ! ولا يفوتنا أن نشير - فى هذا الصدد - الى أن مترجم مقال « هوسرل » قد استعمل فى ترجمته بعض المصطلحات العربية ، بينما استخدم

مترجم مقال « علم الظواهر » مصطلحات عربية مختلفة ، في حين ان الكلمات المترجمة واحدة في الأصل الانجليزي . وكان من الواجب توحيد المصطلحات العربية قبل الشروع في الترجمة ، حتى يعتاد القارىء استخدام ألفاظ واحدة بعينها للاشارة الى المعاني الفلسفية المشتركة .

ولسنا نريد أن نتوقف طويلا عند مقالات الموسوعة عن كل من هيدجر وياسبرز وهارتمان، فاننا نميل الى الظن بأن الباحث المنصف الذي قرأ لأمثال هؤلاء الفلاسفة في لغتهم الاصلية لن يجد في مقالات الموسوعة تضمينا صحيحا وعرضا أمينا لمذاهب هؤلاء الفلاسفة . ونحن على ثقة من أن القارىء العربي لن يفيد الكثير من قول الكاتب مثلا عن هيدجر انه « من الفلاسفة القلائل الذين تنطبق عليهم حكاية أندرسون الخرافية « ثياب الامبراطور » ! (ص ٤٠١) ، كما أنه لن يفهم الكثير عن فلسفة ياسبرز حين يجد الكاتب يقول : « ان استخفاف ياسبرز . . . بكل مضمون يضع المشكلة الخاصة بمضامين كتاباته الضخمة ، فهي مليئة في معظمها بتأويلات موغلة في الذاتية عن المواقف المزعومة للكتاب الآخرين . . . الخ » (ص ٤٢٣) .

ومن المقالات الجديرة بالمناقشة في الموسوعة المقال المكتوب عن « ماركس » . فكاتب هذا المقال يقول في بداية حديثه بالنص الواحد : « ولم يكن ماركس فيلسوفا في بداية الأمر » (ص ٢٨٨) ، ثم لا يلبث أن يقول بعد ذلك بثمانية أسطر : « ومع هذا كله فقد بدأ (ماركس) فيلسوفا » ! والتناقض في رأينا واضح ، اللهم الا أن تكون الترجمة هي المسئولة عن هذا اللبس. ثم يتحدث الكاتب عن مادية ماركس ، فيخلط بينها وبين المادية الفرنسية المتطرفة التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر ، وكأن ليس هناك أدنى فارق بين المادية الآلية الصرفة من جهة ، والمادية الجدلية أو الدياليكتيكية من جهة أخرى . والكاتب يشير الى تأثر ماركس بجدل هيجل ، ولكنه لا يتوقف طويلا عند شرح أصول الجدل الماركسي ، وأوجه الخلاف القائمة بينه وبين جدل هيجل . وحين يقول الكاتب « ان فكرة الصراع والأزمة بوصفهما السبب الوحيد للتقدم قديمة قدم هرقليطس » (ص٢٩٢) : فان من المؤكد انه عندئذ انما يعمد الى « تسطيح الجدل الماركسي لكي يجعل منه مجرد صورة من صور الدياليكتيك اليوناني القديم . ومترجم المقال يترجم كلمة aliénation بلفظ « الانسلاخ » وهي في رأينا ترجمة غير موفقة ، لأن اللفظ يشير الى اغتراب الانسان عن ذاته ، وانحطاطه الى مستوى « الشيء » وهو يترجم كلمة Idéologie بلفظ « التبرير العقلي » ، وكان الأفضل ترك الكلمة كما هي ، بدلا من ترجمتها بهذا اللفظ الذي لا يؤدي المعنى ، خصوصا واننا نراه يعود فيستخدم ترجمة أخرى هي « الأفكار المذهبية » (ص ٢٩٤) . . . وما دمنا بصدد الحديث عن ماركس ، فلنقل ان الموسوعة لم تخصص لانجلز (صديق ماركس وشريكه في المناداة بالأشتراكية العلمية) سوى ستة عشر سطرا ، وكان من الواجب شرح فكرة انجلز عن « دياليكتيك الطبيعة » والكشف عن الاضافات الجديدة التي قدمها هذا المفكر الاشتراكي الكبير لفلسفة « المادية التاريخية » .

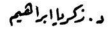
ولا يتسع المقام للاشارة الى الكثير من الملاحظات التي تعن للقارىء أثناء قراءته للكثير من مقالات الموسوعة . فقارىء مقال « القديس أوغسطين » يجد اشارة الى مذهب « الفلاغوسية » ، والذي نعلمه أن المذهب يسمى باسم « البلاجيّة » Pélagionisme نسبة الى Pélage الذي كان ينادي بالحرية البشرية ، وينكر دور « اللطف » grâce (أو « النعمة الالهية ») في تحقيق « نجاة » الانسان . وكاتب مقال « المادية » يتحدث عن « مادية طارئة » emergent materialism في حين ان المقصود بلفظ emergence عملية « الانبثاق » أو « الظهور » لا مجرد الاشارة الى الحدوث الطارىء . وكاتب مقال «برجسون» يقول ان الفيلسوف الفرنسي كان أستاذا للفلسفة بكلية « كليرمون ـ فران » ، والصحيح انه كان يدرس الفلسفة بليسية هذه المدنية

(لا بجامعتها) . وكاتب مقال « سارتر » يشير الى رواية سيمون دى بوفوار المسماة باسم Les Mandarins فيترجمها المترجم العربى باسم « حكام الصين » ، فى حين أن الرواية كلها لا تدور الا حول « المثقفين » ، أو ذوى النفوذ من أهل المعرفة les lettres infinents ... الخ . وكلمة pantheism تترجم فى الموسوعة بلفظ « حلول » ، فى حين أنها تعنى « وحدة الوجود » ، لأن حلول الله فى الانسان شيء ، ووحدة الطبيعة والله شيء آخر . وفى قائمة أسماء المذاهب ترد كلمة « مذهب الربوبية » لترجمة لفظين هما Deism Theismy (ص ٤٣٩) ، وكان من الواجب النص على الفارق بين الاصطلاحين على اعتبار أن الأول منهما يشير الى تأليه عقلى بينما الثانى يشير الى ضرب من التأليه الدينى ، فالأول منهما ينصب على تأليه « الديانة الطبيعية » ، فى حين ينصب الثانى على تأليه « الأديان المعروفة » . وقد فرق كانت بين اللفظين تفرقة واضحة فى كتابه المشهور : « نقد العقل الخالص » ، على اعتبار أن الأول منهما يشير الى مجرد وجود الله ، بينما ينسب اليه الثانى بعض الصفات بوصفه المبدأ الأول لسائر الأشياء ... الخ .

وأخيرا لابد لنا من أن نشير الى أن الأخطاء اللغوية والمطبعية فى الموسوعة ــ على الرغم من ضخامتها ــ قليلة جدا ، فلم نعثر فى الكتاب كله الا على بعض هنات هنيات نذكر منها العبارة الواردة بمقال « علم الظواهر » (ص ٢٠٦) حيث يقول الكاتب :

« فقد كان ينظر الى أتباع علم الظواهر ... على أنهم ميتافيزيقيين قطعيين .. » والصواب ــ كما هو واضح ــ « ميتافيزيقيون قطعيون » . وفى المقال المكتوب عن هيجل (ص ٣٩٥) ترد عبارة : « فان كتابه هذا ، وكثير من فلسفته المتأخرة ... » والصواب «وكثيرا» . وفى قائمة أسماء الكتب يرد أمام اسم كتاب كامى « الطاعون » Le Peste ، والصواب La Peste ... الخ .

ولكن هذه الملاحظات العابرة التى عنت لنا أثناء قراءتنا للموسوعة الفلسفية المختصرة لا تقدح بأى حال فى قيمة هذا العمل الفلسفى الضخم ، خصوصا اذا لاحظنا أن الأساتذة المترجمين قد بذلوا جهدا كبيرا فى نقل مواد الموسوعة الى لغتنا العربية بعبارة سليمة دقيقة ، فضلا عن أن الأستاذ المراجع قد قدم للقارىء العربى مواد كثيرة عن أهم الشخصيات الاسلامية . وقد كنا نود أن يضيف الأساتذة المترجمون الى العدد الكبير من ملاحق الموسوعة قائمة بأسماء المصطلحات الفلسفية ، دون الاقتصار على أسماء المذاهب وأسماء الأعلام . ولا شك أن القارىء العربى الذى يجد بين يديه اليوم مثل هذه الموسوعة الفلسفية الممتازة لن يسعه سوى أن يأمل من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية العمل على اصدار « معجم فلسفى » أوفى وأشمل ، يكون بمثابة مرجع أمين لسائر المشتغلين بالدراسات الفلسفية فى الشرق العربى . وربما كان من الأهمية بمكان ــ بالنسبة الى جماعة المتخصصين فى الفلسفة ــ أن تظهر عندنا ترجمة عربية دقيقة لمعجم من المعاجم الفلسفية الضخمة مثل « المعجم الاصطلاحى والنقدى » لأندريه لالاند (مثلا) أو لغيره من المعاجم الأوروبية الوافية .







لعل من أكثر الوان الثقافة العلمية مساسا بالانسان ، وأوثقها صلة به ، دراسته لذلك البنيان الذى تتردد فيه انفاسه ، فهو وسيلته التى يمارس بها حياته الدنيا بما فيها من صور الخير والشر والمتعة والشقاء ... وحتى رجل الروح الناسك لن يستطيع ان يبالغ فى تجاهل هذا الجسد الفانى الذى يسبح الله بلسانه ، ويناجيه بجنانه ، ويسخر جوارحه لما فيه ابتغاء رضوانه ...

ولا شك ، أن الباحث فى آيات الله فى خلقه لن يجد ماهو أقرب مثالا اليه مما يحتويه جسده ويدور فيه فى كل لحظة من حياته ، فهو أولى ما يستحق منه النظر عملا بقوله تعالى : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » ...

بهذه العبارات صدر المترجم كتاب « جسم الانسان » الذى قدم ترجمته الى المكتبة العربية منذ عدة أشهر ، والذى نجد فيه ــ مصداقا لهذه الكلمات ــ أكثر الحقائق العلمية دلالة على الاعجاز فى خلق الانسان ، ورقى تكوينه بما يتفق مع وضعه على قمة التطور بين غيره من المخلوقات ...

ومؤلفة الكتاب طبيبة وأستاذة جامعية تخرجت فى كلية كولومبيا للأطباء والجراحين Columbia College of Physicians and Surgeons حيث تأهلت لممارسة الطب وتدريسه ، ثم تخصصت بعد تخرجها فى فرع من أدق فروعه وأهمها هو علم التغيرات المرضية او الباثولوجية Pathology من ناحيتيه العملية والنظرية ، فمن الناحية

الأولى اشتغلت اخصائية لهذا الفرع بمستشفى فرانسيس ديلافيلد فى مدينة نيويورك لبضعة عشر عاما ، ومن الناحية الثانية اشتغلت بالبحوث العلمية والتدريس حتى أصبحت استاذة لهذا العلم فى جامعة كولومبيا التى تخرجت فيها ... ثم انتهى بها المطاف منذ عامين الى معهد روثوك بارك التذكارى فى بافالو حيث تعمل استاذة حتى يومنا هذا ...

وكتاب « جسم الانسان : اعضاؤة ووظائفهـا » ليس مؤلفـا جافـا فى علم التشريح ، بل هو يجمع بين وصف التركيب وشرح الوظائف جمعا بارعا تتضح للقارىء من خلاله علاقة كل منهما بالآخر ، ويفسر كثيرا من أسرار الملاءمة الوظيفية فى مختلف أعضاء جسم الأنسان الظاهرة والباطنة ... وقد طبع هذا الكتاب فى لغته الأصلية طبعتين : الأولى فى مايو عام ١٩٥٥ ، والثانية فى يوليو عام ١٩٦٣ ، فى المظهر اللائق بمادته العلمية ، والرسوم الجميلة بريشة المصورة كاترين الجين ، التى عرفت بقدرتها الفائقة على التعبير عن الموضوعات العلميـة بأوضح الخطوط واكثرها دلالة ، والأشكال التوضيحية التى قاربت المائه ، واللوحات التى اربت على الثلاثين عددا ...

ولقد كان من حظ المكتبة العربية أن قام بنقل هذا الكتاب الى لغتنا استاذ جامعى مصرى تزود أثناء دراسته بالمعلومات الأساسية فى علم الحيوان وبخاصة التشريح المقارن ، وعلم وظائف الأعضاء ، وأمضى فى لندن ثلاث سنوات (١٩٤٧ – ١٩٥٠) حصل خلالها على درجة الدكتوراه ، واتيحت له اثناءها فرصة التبحر فى مادة تخصصه واجادة اللغة الأنجليزية الراقية كتابة واطلاعا ومناقشة ... الى جانب شغفه الفطرى باللغة العربية ، فتوفرت له بذلك كل الوسائل التى كفلت له بلوغ ما أحرزه من توفيق فى هضم مادة الكتاب وتمثلها ، ثم نقلها الى العربية نقلا أمينا ، دون التقصير فى عرضها عرضا شائقا جذابا يسهل على القارىء العادى مهمة فهمه والافادة منه ...

ويتألف الكتاب من خمسة عشر فصلا ، تناولت المؤلفة فى عشرة منها أجهزة الجسم المختلفة ، وهى بترتيب ورودها فى الكتاب : الجهاز القلبى الوعائى ، جهاز التنفس ، جهاز الاغتذاء ، الجهاز البولى ، جهاز الافرازالداخلى ، جهاز التناسل فى الذكر ، جهاز التناسل فى الأنثى ، الجهاز العصبى ، الجهاز الهيكلى العضلى ، ثم اخيرا الجلد ... أما الفصول الخمسة الباقية فهى : فصل تمهيدى استهلت به المؤلفة الكتاب ، وفصل عن الدم واللمف ، وفصل ثالث عن الكبد ، ورابع عن الأيض ، وخامس عن الحمل ..

وفى الفصل التمهيدى قدمت المؤلفة للكتاب بشرح الأسس الأولية للموضوع ، فحددت المقصود بالجسم « السوى » ، ووصفت الخلية وانسجة الجسم ، وشرحت كيف تكون الأنسجة أعضاء ، وكيف تجتمع الأعضاء فى جهاز .. ومن خلال ذلك تعرضت المؤلفة لموضوع تجدد الأنسجة والتئام الجروح وتكوين الندوب ...

وفى الفصل الثانى « الجهاز القلبى الوعائى » تناولت المؤلفة تركيب ووظائف القلب بتفصيل ودقة غير معهودين فى كتاب من ذلك الطراز ، ومن مظاهر هذا كلامها عن الأساس العصبى لنبض القلب ، وعن وظائف صماماته المختلفة ، وعن الشريانين التاجيين وانتقلت المؤلفة من القلب الى أوعية الدم واللمف ، ثم الى دورة الدم فى الجسم ، ودنيامية هذه الدورة والقوى المؤثرة فيها ، وذكرت الحدود الطبيعية لضغط الدم ، وكيف انه يتفاوت فى الشخص الواحد تفاوتا قليلا ويتأثر بالتقلبات العاطفية تأثرا وقتيا ، ويميل الى الارتفاع بتقدم السن..

وفى الفصل الثالث : « الدم واللمف » وصفت المؤلفة تركيب الدم ، وكيف أنه يعكس كثيرا من مظاهر الأمراض ، ونبهت الى كثير من النذر التى قد تخفى علينا لولا ظهور آثارها فى دمائنا .. وشرحت دور خلايا الدم البيض فى مقاومة الأمراض ، وتغير النسبة المئوية لكل نوع منها فى حالة بعض الأمراض المعدية ، وشرحت كيفية تخثر الدم « وهو تكون ما يسمى عادة بالجلطة الدموية » والمواد الداخلة فى ذلك ، وتحدثت عن مجموعات الدم واهميتها فى اسعاف حالات النزيف الحادة والحوادث الخطيرة التى تستلزم نقل الدم الى مصاب ، وفى مصير بعض الصفات

الوراثية وحياة الجنين ... وعند الكلام عن اللمف أشارت المؤلفة الى العقد اللمفية « وهى ما تسمى تجاوزا بالغدد اللمفاوية » واهميتها فى مقاومة عدوى الأمراض عن طريق ما تحوية من الخلايا المحملة بالأجسام المضادة والخلايا البلعمية ...

وفى الفصل الرابع وصفت المؤلفة أعضاء التنفس وصفا تفصيليا : من أول فتحتى الأنف حتى حويصلات الرئتين ، وبينت انه لولا الاجراءات الوقائية التى تقوم بها المسالك التنفسية لتعرضت رئاتنا على الدوام لصور من الأذى كفيلة باخترام العمر .. وقد ابدت المؤلفة بعض الملاحظات المفيدة المتعلقة بوظائف أعضاء التنفس ، ومن ذلك تنبيهها الى خطورة تقديم السوائل للمرضى غير المستجمعين لوعيهم أو المتعرضين لفعل مادة مخدرة ، لكونهم فى هذه الأحوال غير قادرين على السعال الذى يطرد ما قد يتسلل من هذه السوائل الى الرئتين ، والى ضرر استخدام بعض مستحضرات الأنف المخدرة دون تبصر ، حيث ان هذه المستحضرات تقلل من نشاط الأهداب المبطنة لمسالك الأنف والطاردة للأجسام الغريبة بحركتها الدائبة .. كما أشارت الى ما تلعبه تجاويف الأنف والفم من دور فى تحديد مميزات الأصوات ... ومن ذلك ايضا ملاحظتها البارعة عن التقاط الطفل الوليد اول انفاسه ، وكيف أن الصيحة القوية التى يطلقها تساعد على انتشار رئتيه وابعاد جراثيم المرض عنهما فى أول عهدهما بالزفير .. وما اوضحته من أن غاز ثانى أوكسيد الكربون الناتج من عملية التنفس هو — لحسن الحظ — عامل منبه لمركز التنفس فى المخ ، بحيث تؤدى زيادة تركيزه فى الدم الى الاسراع فى التنفس وطرد هذا الغاز الضار مع هواء الزفير ..

وفى الفصل الخامس وصف مسهب لأعضاء جهاز الاغتذاء « وهو ما يسمى تسمية قاصرة بجهاز الهضم دون نظر الى وظيفته الثانية وهى الامتصاص » ، وملحقات هذا الجهاز كالبنكرياس والغدد اللعابية (ومن بينها الغدتان النكفيتان). وفى هذا الفصل شرح دقيق لعمليات الهضم ، ودور الخمائر المساعدة عليه ، وقد تخلل هذا الشرح بعض الملاحظات القيمة عن حموضة المعدة والقرح المترتبة عليها ، وعن أهمية وجود البكتريا فى الأمعاء ، وعن تأثر حركة الأمعاء بالمؤثرات العاطفية ، وبعض الطرائف مثل قدرة المرء على رفع الطعام فى طريقه الطبيعى الى المعدة حتى اذا تناولناه واقفين على رءوسنا !!.

ومع أن الكبد من ملحقات جهاز الاغتذاء الا أنها قد استقلت بالفصل السادس كله ، ولا غرابة فى هذا فان للكبد — فضلا عن اسهامها فى الهضم بافراز الصفراء — وظائف منوعة فى اختزان المواد الغذائية وتنظيم استخدامها ، كما انها تلعب دورا فى تخثر الدم — بل وفى منع هذا التخثر ايضا !! — وفى القضاء على السموم ، كما انها تؤثر فى مستوى بعض الهرمونات ... ولم يفت المؤلفة قبل ختام هذا الفصل أن تشير الى المظاهر المتنوعة المنعكسة عن قصور الكبد فى اداء وظيفتها ، وعن امكان اكتشاف هذه المظاهر بالاختبارات المعملية المناسبة ...

ومن الطبيعى أن يكون الكلام فى الفصل السابع — بعد التنفس والهضم — عن الاخراج والجهاز البولى ... وقد نالت الكليتان ما تستحقان من الاهتمام بوصفهما التشريحى والنسيجى ، وطريقة قيام النفرونات (وهى الوحدات الأساسية للكلية) باستخلاص البول من الدم ... كما أشارت المؤلفة الى ما يطرأ على الكليتين من تغيرات فى حالة مرض البول المائى (الديابيتس الكاذب) ... وفى الحديث عن عملية التبول وتنظيمها العضلى الارادى أشارت المؤلفة الى تأثر هذه العملية ، بالانفعالات « كالفزع الذى قد يكون وحده سببا فى فقد السيطرة على التبول » ، وما يمكن استنتاجه من تحليل البول كيماويا وفحصة مجهريا من وجود بعض الخلل فى وظائف الأجزاء المختلفة للكليتين ، او الاصابة بمرض السكر أو وجود نزيف فى المسالك البولية ...

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن يتوسط الكتاب الفصل الخاص بالأيض — وهو ميزان نشاط الكائن الحى كله — وقد بذلت المؤلفة جهدا موفقا فى تيسير فهم هذا الموضوع المعقد بطبيعته ، فبسطت الكلام عن الانزيمات وتوليد

الطاقة ، وبناء الزلاليات وهدمها لدى الأطفال والبالغين والناقهين ... وعند الكلام عن أيض الماء والاليكتروليتات أشارت المؤلفة الى اهمية هذا التوازن الدقيق بالنسبة الى الحياة ، وكيف أن ادنى تغير في مقدار الصوديوم أو البوتاسيوم يؤدى الى امراض خطيرة كعجز القلب عن الانقباض القوى السليم ، بل ان اى



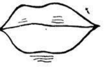
تحول طفيف في درجة حموضة الدم قد يؤدى الى الوفاة .

ولا شك في ان جهاز الافراز الداخلى (مجموعة الغدد الصم أو عديمة القنوات) خليق بما أولته المؤلفة من اهتمام خاص ، فان سيطرة ماتفرزه هذه الغدد من الهرمونات على مناشط الجسم المتعددة من الأهمية والوضوح بحيث لا يمكن تجاهلها ، في الوقت الذى تظل كيفية تخليق هذه الغدد لهرمونات سرا معجزا ... ولقد أفردت المؤلفة لهذا الجهاز فصلا مطولا تناولت فيه الغدة النخامية وهرموناتها المتعددة ، ودورها القيادى بين غيرها من الغدد الصم ، وما ينجم عن قصور هذه الغدة من مرض الديابيتس الكاذب ، وكيف ان جزءا معينا من افرازات النخامية هو البيتوسين يستعمل بدقة وعناية للمساعدة على بدء عمليات الولادة أو تقويتها في حالات معينة ... ثم تحدثت عن الكظرين وكيف يؤدى تلف قشرتيهما الى الوفاة في سحابة يوم واحد ، ثم عن البنكرياس ومرض البول السكرى (الديابيتس الحقيقى) الذى جاء ذكره في أوراق البردى المصرية القديمة .

وكان هذا من اول الكتابات في التاريخ عن هذا المرض الذى لازالت اسبابه وطريقة علاجه تحير الطب ... ثم تحدثت عن مناسل الذكور والاناث وهرموناتها ودورها في النضج الجنسى وظهور الصفات الثانوية المميزة بين الجنسين ، وكيف أن الاستيروجينات التى يفرزها المبيض

تعمل على تعجل نمو العظام ، ومن ثم تدفع الى توقف نموها مما يفسر السر في ان النساء اقصر قامة بصفة عامة من الرجال ... ثم أخيرا تحدثت عن الغدة الدرقية وتحكم افرازاتها في النمو والنشاط العقلى والجسمانى على السواء ، والغدد جارات الدرقية وأثرها في تحديد مقدار الكالسيوم والفوسفور اللازمين لبناء العظام وقيام الجهاز العصبى بوظائفه على الوجه الصحيح .

وفي الفصل العاشر وصف لجهاز التناسل في الذكر وشرح لوظائف مختلف أعضائه الداخلية والخارجية ، وتصحيح لبعض الأخطاء الشائعة عن العلاقة بين وجود الخصيتين وقيام الرغبة الجنسية في البالغين ، وبين الشيخوخة والحيوية الجنسية ، وفي الفصل الذى يليه شرح لتركيب جهاز التناسل في الأنثى ووظائفه ، وحديث عن بعض أسباب العقم في النساء (ومنها انسداد قناة فالوب نتيجة لالتهاب قديم) وعن دورة الطمث ودل الحيض الناتج عن تمزق بطانة الرحم نتيجة لتحلل البويضة اذا لم يتم تلقيحها ، وعن انتاج البويضات كل شهر (في أثناء النصف الأول من دورة الطمث) وغير ذلك من الحقائق مما تهم الكثيرين معرفته لتكون ثقافة جنسية سليمة ... وقد أحسنت المؤلفة بتخصيص الفصل التالى للحديث عن الحمل ، وعن مراحل نمو الجنين وتحديد جنسه (ذكر ام انثى) وتشكله ، وفي أثناء ذلك ذكرت بعض الاختبارات التى تجرى للتحقق من حدوث الحمل في مراحله الأولى ، وشرحت العلاقة بين الام والجنين

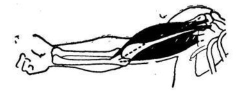


مبينة الا وسيلة لتأثره بأحوالها العصبية والعاطفية اللهم الا فيما تنتج عن آثار هذه الأحوال في صحتها العامة ، وصححت الخطأ الشائع في الاعتقاد بأن الحمل يسبب تسوس الأسنان ، وبينت أن الحمل ليست له آثار ضارة في الحامل اذا هى حرصت على ان تنال

كفايتها من الغذاء والراحة ، وقد تتبعت المؤلفة مراحل نمو الجنين المختلفة حتى ولادته ، وبينت كيف أن الطفل الذى يولد قبل شهره السابع يحتاج لكى يعيش الى عناية خاصة ، لعل أهم مظاهرها حفظه فى محضن خاص مضبوط الحرارة، وتغذيته تلقيما فى فمه لعدم قدرته على مص حلمة الثدى ... وقد أكملت المؤلفة الموضوع بالحديث عن تكوين الثديين وطريقة افراز اللبن لدى المرضع ، وأثر الارضاع فى موعد عودة دورة الطمث والاباضة .

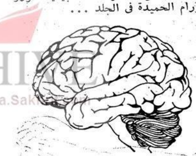
وقد انفرد الجهاز العصبى باهتمام ملحوظ، فالفصل الثالث عشر الخاص به هو أطول فصول الكتاب ، تناولت فيه المؤلفة أقسام الجهاز التشريحية والوظيفية قسما قسما ، ففى حديثها عن الجهاز العصبى المركزى أسهبت فى تتبع المسارات العصبية فى الحبل الشوكى حتى نهاياتها فى قشرة المخ حيث يتم ادراكها وتقويمها ، وفصلت الكلام عن نصفى كرة المخ وفصوصهما ووظائفها ، ولا سيما الفص الجبهى وهو الجزء الأكثر نموا فى الانسان منه فى سائر الحيوانات الرئيسية الأخرى ـ ولا عجب ـ فهو مركز الوظائف العقلية العليا كالحكم والتقدير والمنطق والتدبير، كما أنه موضع ادراك العواطف ... وكذلك شرحت عمل « مناطق الترابط » فى المخ ، وهى مهد الذاكرة والملكات التى هيأت للانسان أن ينفرد عن جدارة بمنزلته الرفيعة بين سائر أنواع الحيوان ... وقد ذيلت المؤلفة ذلك الفصل الطويل بقسم شائق عن الحواس الخاصة كان جديرا بأن يستقل بفصل خاص به .. وفى ذلك القسم تحدثت المؤلفة عن العين وحاسة الابصار ، وما فيها من الأعاجيب، وما يطرأ عليها من العلل ، وأهمية فحص قاع العين فى تشخيص بعض الأمراض كتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والبول السكرى وضعف الكليتين ، وذلك لما تعكسه هذه الأدواء من آثار على الشرايين الدقيقة فى نسيج الشبكية ... ثم انتقلت الى الأذن وحاستى السمع والاتزان ، واللسان وحاسة التذوق ، والأنف وحاسة الشم ، ومن خلال هذا نوهت بالفكرة فى عمل أجهزة السمع الصناعية ، وبالارتباط الوثيق بين حاستى الشم والذوق ، وبين تجاربنا الخاصة وبعض الروائح، حتى لقد تبقى بعض الذكريات فى نفوسنا سنين عديدة لارتباطها الدائم برائحة بعينها ...

ولقد جمعت المؤلفة بين الجهازين الهيكل العظمى والعضلى فى فصل واحد ، معتبرة اياهما جهازا واحدا ، وهى وجهة نظر مقبولة يتبعها بعض المؤلفين ، وقد استعرضت تركيب الهيكل العظمى استعراضا بارعا دون الاغراق فى احصاء العظام وسرد أسمائها العلمية المعقدة ، ولكنها شرحت أنواع المفاصل ووظائفها ، ومن أجمل ما أوردته من أمثلة على دقة الملاءمة الوظيفية للجهاز العظمى فى الانسان ، أن كثرة عظام راحة اليد والأصابع تتيح لها مرونة الحركة ودقتها الفائقتين واللازمتين لعازف البيانو مثلا ... ثم انتقلت الى الجهاز العضلى وتكلمت عن تدريب العضلات فى ضحايا شلل الأطفال لتقوم بوظائف العضلات المعطلة وما لهذا من أثر طيب فى تخفيف وطأة ذلك المرض ، ومن أطرف لفتاتها فى مقام الحديث عن العضلات ما ذكرته من تمتع عضلات الوجه بمقدرة فائقة على الحركة الارادية مما يمكننا من تغيير التعبيرات المرتسمة على وجوهنا ، وحديثها عن عضلة اللسان التى لا يعتريها الكلال مما يدعو الى الندم والأسف فى بعض الأحيان !!



أما الفصل الأخير من الكتاب فكان عن الجلد ، وهو وضع قد يبدو غريبا للوهلة الأولى ، اذ أن الجلد هو الغلاف الخارجى الذى يكسو ما عداه من أجهزة الجسم وأعضائه ، بيد أن الجلد هو مرآة الجسم ، وفيه تجتمع نهايات الأعصاب والشعيرات الدموية ، وتنتشر الغدد ، وينعكس كثير من أحوال الجسم ، فكان من الطبيعى اذن أن يكون الكلام عنه بعد الانتهاء من شرح هذا كله ... وقد وصفت المؤلفة التركيب المجهرى للجلد واختلاف خصائصه بين

الذكور والأناث ، وما ينتشر تحته من شعيرات دموية تلعب دورا كبيرا فى تكييف حرارة الجسم ونقل ما يحقن به الجسم من عقاقير تحت الجلد ، وما يحتويه من صبغـــة الميلانين التى تسبب الاختلاف الكبير فى لون البشرة ، والتى بفضلها يكون الأشخاص السمر أقل تعرضـا للفحـة الشمس من اخوانهم البيض .. وما يحتويه الجلد أيضا من غدد دهنيـة وعرقيـة ، وتحدثت عن طريقة افراز العرق وما يتعرض له بعض الأشخاص من جـــراء زيادته المفرطة من نقص ملحوظ فى محتوى الجسم من الأملاح ، لابد من تعويضه بتناول مقدار من ملح الطعام وبخاصة فى الحر الشديد ... وعن التئام الجروح وقدرة الجلد على التجديد وتعويض ما يبلى من اجزائه، وحماية الأجزاء المكشوفة المعرضـة للاحتكاك الدائم بطبقة من الخلايا القرنية المتصلة (وهو السر فى ظهور الكاللو المعروف) ... وأشارت الى بعض علامات الجلد المكروهة (كالنمش) والمرغوبة (كالخال أو الشـامة) التى ليست فى الحقيقة الا بعض التشوهات الطبيعية الموروثة أو الأورام الحميدة فى الجلد ...

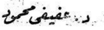


ولقد رأى المترجم ان يخلى متن الكتاب من المصطلحات الانجليزية واللاتينية حتى لا تعوق القارىء عن الانطلاق فى القـراءة ، ولهـذا ذيل الكتاب بمعجم عربى ـ انجليزى لاهم المصطلحات الواردة فيه ، كما حرص على تفسـير هـذه المصطلحات بالعربية تفسيرا موجزا دقيقا خصص له جزءا فى نهاية الكتاب ايضا ... ولا يفوتنـا أن نشير الى ما بذله المترجم من جهد فى اعادة ترقيم الرسـوم التوضيحية وعنونة اجزائهـا بالعربية ، وما أضافه الى مادة الكتاب مـن تعقيبات علمية ولغوية نافعة وطريفـة فى آن ، ضمنها حواشى الكتاب كلما دعت الى ذلك ضرورة ومن امتع التعقيبات العلميـة التى وردت فى حواشى الكتاب :



- ذكره لطريقة كتابة مقـدار ضغط الدم (ص ٣٠) .
- ايراده بعض المعلـومات عـن توزيـع مجموعات الدم فى المجتمع المصرى ، التى يستدل منها ان اغلب مواطنينا تنتمى دماؤهـم الى المجموعة « ا » ثم « ب » ، وقد سجل مصدر هذه المعلومات بدقة وامانة . (ص ٤٥) .
- ملاحظته عن خلو جلود الكلاب من الفدد العرقيـة ممـا يزيد حاجتهـا الى اللهـاث (ص ٦٤) .
- تعليله لقصر القامة فى النساء عنها فى الرجال بأن الفتيات يصلن الى سـن البلوغ عادة قبل الفتيان ، وما يصحب ذلك من التبكير فى اطلاق الهرمونات التى توقف نمو العظــام (ص ١٢٨) .
- ملاحظته عن العلاقة بين تقديم المضيفـات بعض الحلوى أو اللبان لركاب الطائرة عند بدء الرحلة ، وما يترتب على هذا من اعادة غشـاء الطبلة الى وضعـه الطبيعى بعـد انبعاجه الى الخارج بفضـل انخفاض الضغط الخارجى فى طبقات الجو العليا (ص ٢٠٢) .
- حكاية لسبب تسمية وتر العرقـوب باسم « وتر أخيل » نسبة الى هذا البطل الاغريقى وما ورد عنـه مـن أسـاطير فى الاليـاذة (ص ٢٢٦) .

ولا شك فى أن فى ذلك حرصـا محمودا من المترجم على تقديم اكبر قدر من الفائدة الى القارىء عن طريق ربط الحقـائق العلميـة بالمشاهدات اليومية أو المعارف العامة ، وهو ما نحبذه فى كل عمل تثقيفى لابد لنجـاحه من ان يخاطب اهتمامات الناس ويقرب العلم الى قلوبهم .



د. عفيفى محمود

دفاع عن الزنوج

تأليف: أحمد محمد عطية



الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر
٩٨ ص ١٧×٢٤سم الثمن ٢٠ قرشا

من الاهداء الذى صدر به « أحمد محمد عطية » كتابه « دفاع عن الزنوج »، نستطيع أن نعرف على الفور أنه يركز هـذا الدفاع فى الزنوج الأمريكيين .. الاهداء يقول :

« الى ريتشارد رايت ، ودكتور دوبوا ، وبول روبصـون الهاربين من جحيم التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية الى باريس واكرا ولندن ، أقدم صرخة أخرى ضد الاضطهاد العنصرى » .

والحق ، أن المؤلف كان موفقا فى اهدائه هـذا .. لانه اختـار بالذات ثلاثة من ابرز الشخصيات الزنجية الأمريكية ، والثلاثة اضطروا الى الهـرب من اضطهـاد البيض .. والثلاثة يمثلون أيضا نموذجا لما يمكن أن يكون عليه العقلية الزنجية التى يصر دعاة التفرقة العنصرية على أنها عقلية « متخلفة ، مترديه ، بدائية » وليست كعقلية السادة البيض ! ان « ريتشارد رايت » مثلا ـ الذى هرب فى سنة ١٩٤٦ الى باريس مع زوجته وابنته ـ يعتبر واحدا من

أعظم من انجبتهم أمريكا من الكتاب ، كما يمثل النقلة الرائعة للأدب الزنجي الامريكي في هذا القرن. ودكتور « دوبوا » يعتبر أكبر المفكرين والفلاسفة الزنوج ... وقد تتلمذ على يديه كثيرون من المفكرين والدارسين الزنوج حتى اعتبر بحق « معلم زنوج امريكا » في هذا القرن ، وكانت له نشاطات بالغة الأثر في ميدان الفكر الزنجي الثائر الحديث كذلك فان «پول روبصون» يعتبر قمة في عالم الغناء والموسيقى الامريكية ... وواحدا من قلائل « المثقفين في هذا الميدان » .

وكتاب « دفاع عن الزنوج » الذي أصدرته الدار القومية للطباعة والنشر في سلسلة كتب « من الشرق والغرب » هو محاولة طيبة لعرض قضية الزنوج في أمريكا (وان أفرد فصلا صغيرا من حوالي أربع صفحات للاشارة الى التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا وانجولا) .

وقد بدأ المؤلف كتابه بفصل عرض فيه للتطورات الأخيرة في قضية الزنوج الامريكيين .. التي بدأت مع بداية اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٩٦٣ حين بدأ اكبر زحف سلمي في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية تحت شعار « من أجل الحرية والعمل » .. وحين بدأ ربع مليون زنجي زحفهم من كل الولايات الامريكية الى العاصمة «واشنطن» بهدف التوصل الى حل لمشاكلهم المزمنة . وعملية الزحف هذه ، هي أسلوب من الأساليب السلمية التي تعود ان يلجأ اليها بعض زعماء الزنوج في أمريكا في مناسبات كثيرة وذلك للفت انظار الرأى العام العالمي الى مشكلتهم — أو قل مأساتهم — من جهة ، ومن جهة أخرى لاحراج السلطات الأمريكية وحملها على التسليم بمطالب الزنوج الأمريكيين .

وأول من ابتدأ فكرة الزحف هذه ، هو « فيليب راندولف » رئيس « المجلس الامريكي الأسود للعمل » الذي قاد في عام ١٩٤١ زحفا للاحتجاج على العمل في القوات المسلحة الامريكية ، وزحفا آخر في عام ١٩٥٧ الى واشنطن قاده الزعيم الزنجي القس الشاب « مارتن لوثر كنج » .. كذلك قاد زحفين للشباب الزنجي الى واشنطن في عامي ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ .

ولقد كان لزحف عام ١٩٦٣ دويه الكبير باعتباره اضخم زحف قام به الزنوج الأمريكيون وذلك بالرغم من أن « ثورة الزنوج » السلمية بدأت قبل ذلك بحوالي عشر سنوات مع احداث اغسطس سنة ١٩٥٥ في ولاية مونتجومري : تلك الأحداث التي يعتبرها الكاتب الزنجي الأمريكي « لويس لوماكس » الشرارة الأولى لهذه الثورة الزنجية والتي اعقبت امتناع السيدة الزنجية «روزا باركس» عن ترك مقعدها في الأوتوبيس لأحد البيض من الركاب . كان لهذا الزحف دويه الكبير لأن المتعصبين البيض اطلقوا العنان لحقدهم العنصري في بعض ولايات الجنوب (وخاصة ولايه « الاباما »وحاكمها هو « ادجار والاس » المشهور بتعصبه الأعمى ضد الزنوج) ولأن الزحف ضم أشهر الشخصيات الزنجية في عوالم الأدب والفن والرياضة ... الى جانب كثير من البيض ذوي الشخصيات البارزة ! .. وكذلك لأنه كان بالغ الدقة والنظام. ولانه سار بموافقة الرئيس الأمريكي الراحل « جون كنيدي » . وفي هذا الزحف وقف « مارتن لوثر كنج » يقول : « انى أحلم بيوم يجلس فيه ابناء العبيد في جورجيا وأبناء الذين كانوا سادة العبيد هناك ؛ جنبا الى جنب على مائدة الانسانية . انى أحلم بيوم تتطور فيه المسيسبي من ولاية ترزح تحت نير الاضطهاد ، الى واحة للحرية والعدالة والمساواة. انى أحلم بيوم يعيش فيه أبنائى الأربعة الصغار في دولة لا تزنهم بلون أجسامهم وانما تقدمهم بطابع شخصياتهم !! » .

وكان الهدف من وراء الزحف هو دعوة الكونجرس الأمريكي الى اقرار مشروع قانون الحقوق المدنية الذي قدمه الرئيس الراحل « جون كنيدي » والذي يحقق المساواة بين المواطنين الامريكيين : البيض والسود على السواء وذلك بمنح الزنوج حق التصويت وبتخفيف القيود التي تفرض على الزنوج وتعوقهم عن ممارسة حق التصويت ، واعتبار

المتعلم هو كل من اجتاز سنته السادسة من التعليم ، ومنح فرص التعليم المتكافئة ، ومنع التفرقة العنصرية فى المدارس والمعاهد العليا ، وتعزيز ذلك بمنح اعانات مالية للمدارس التى لا تطبق التفرقة العنصرية فى قاعاتها الدراسية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اتاحة مزيد من السلطة للمدعى العام تمكنه من اجبار المدارس التى تمنع السود من دخولها ، الى ادخالهم ، بناء على التماس من الطلبة الممنوعين من الدخول ، والسماح للزنوج بارتياد دور السينما والمسرح والفناء والمطاعم والملاهى وركوب عربات الاوتوبيس والقطار جنبا الى جنب مع البيض .

والواقع ان قانون الحقوق المدنية الذى قدمه « چون كنيدى » لم يكن شيئا جديدا ، فقد سبق أن قدم شبيها له اكثر الرؤساء الذين سبقوه .. ولكن الجديد فى مشروع « كنيدى » — الذى أقره الكونجرس منذ بضعة أشهر — أنه قدم وسط حملة عالمية ضد التفرقة العنصرية ، ووسط نمو هائل للكتلة الحيادية الأفروآسيوية الملونة ، ووسط هجوم عارم ضد سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا .. وبعد قرارات متتالية تشجب التفرقة العنصرية أصدرتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومؤتمرات باندونج والدار البيضاء وبلغراد



وأديس ابابا ، وكلها تندد بالتفرقة العنصرية أينما كانت ، هذا الى جانب المناقشات والجدل العنيف المحتدم بين أنصار التفرقة وانصار المساواة ... الأمر الذى هدد بقيام حرب أهلية أخرى بين هؤلاء وأولئك .

« ولقد دأبت الدعاية الامريكية على ان تكذب دائما وجود اية تفرقة عنصرية بسبب اللون فى الولايات المتحدة ... أو على الأقل كانت تتجاهلها وتسترها بنشر صور لأبطال الزنوج فى الرياضة والفنانين الزنوج فى أفلام السينما . الا ان زحف الزنوج على واشنطن وتحرر الشعوب الملونة فى افريقيا وآسيا ؛ كشف المستور . ومما هو معروف ان اضطهاد الملونين فى أمريكا ليس مقصورا على الزنوج الأمريكيين فحسب ، وانما تنطبق مواصفات اللون العنصرية ايضا على أبناء أمريكا اللاتينية وبورتوريكو وعلى دبلوماسيى آسيا وافريقيا . !!

وفى الفصل الثانى من الكتاب يعرض المؤلف لنشأة مأساة الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية .. وهى تعنى بالفعل .. تاريخهم فى هذه القارة منذ ان كان الأوروبيون « يحومون حول الشاطىء الافريقى كالطيور الجارحة ... وهم كهذه الطيور ، يعيشون على الدماء » . ومن هنا فان بداية مشكلة الزنوج مرتبطة أصلا ببداية الاستعمار الأوروبى للقارة الافريقية .. حين بدأ تجار العبيد من البيض فى اوروبا يسوقون الملايين من ابناء افريقيا الى « الدنيا الجديدة » مكبلين بالأغلال .. يستوى فى ذلك البيض البرتغاليون أو البريطانيون أو غيرهم من ابناء أوروبا .. بل والامريكيون البيض انفسهم ممن استقر المقام بهم فى أمريكا ، وممن بدءوا يستخدمون العبيد على نطاق واسع بعد التغير الهائل الذى حدث لأدوات الانتاج باختراع أول آلة لحلج القطن .. وبعد التطور الصناعى الذى أخذ يزحف على العالم الجديد .. وبعد ان أصبحت الحاجة ماسة الى مزيد من القطن .. ومن ثم مزيد من الأراضى المزروعة قطنا ، وبالتالى مزيد من العبيد ليزرعوا هذه الأرض ويجنوا القطن .

وعندما انهار الحكم الاقطاعى فى أمريكا .. وبدأ حكم البورجوازية الصناعية ، وظهرت اجيال جديدة من المثقفين الاحرار الذين راعهم ما يدور أمامهم من خطف بنى البشر وبيعهم كالسوائم ، .. عندما حدث ذلك .. كان لابد من حدوث الصدام بين الشمال الصناعى ، وبين الجنوب الاقطاعى فى أمريكا .. وكان أن نشبت حرب رهيبة بين الجانبين . الجنوب يريد استمرار استبعاد الزنوج ليستخدمهم فى أرضه المزروعة قطنا ، .. والشمال يريد تحريرهم ليظفر بهم كأيد عاملة حرة لمصانعه المتزايدة باستمرار .. ورغم أن الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب انتهت بانتصار الشمال ، الا أن العبودية ظلت قائمة رغم كل أسباب الحرب.. وظل الكونجرس الامريكى حريصا على الا يمنح الزنوج حرياتهم الكاملة .. وخاصة فى جحيم الجنوب ...

ان الجنوبيين ظلوا حتى اليوم على اصرارهم على أن يظل الزنوج عبيدا بصورة أو بأخرى .. وتحت ظل قوانين لا انسانية وجائرة ! .. كذلك فان رأسمالية الشمال كشفت عن نواياها ، فلم يكن الهدف الأساسى من تحرير العبيد هو منحهم الحرية ، انما كانت الغاية هى تغيير نوع المالك ، فالمصانع والشركات الكبرى والكتل والترسانات تريد عمالا بأجور زهيدة ، وقد أعقب الحرب الأهلية تعاون بين اقطاع الجنوب ورأس مال الشمال ، حين بدأ رأسماليو الشمال يسيطرون على مزارع الجنوب عن طريق منح ملاكها السلفيات وتبادل السلع بنتائج المزارع . وبمضى الوقت صارت العلاقة بين « وول ستريت » مقر المال فى الشمال وبين ملاك الأراضى فى الجنوب، اشبه بالعلاقة بين الاستعمار والاقطاعيين وكبار ملاك الأراضى فى المستعمرات كل منهم يكمل الآخر . وصارت الادارة والنصيب الأكبر فى مزارع الجنوب لرأسماليى الشمال .. وفى هذه الصلة يقف الزنوج موقف شعوب المستعمرات نفسها .. الضحية الواقعة بين شقى الرحى . وكما تفقد شعوب المستعمرات حرياتها من جراء تلك الصلة الملعونة بين الاستعمار وكبار الملاك ، كذلك أخذت كل المكاسب التى نالها الزنوج باعلان تحرير العبيد .. تتناقص حتى جاء عام ١٨٩٠ فوضعت الولايات دساتيرها وحرمتهم كل حقوقهم .. فلم يعد لهم مكان فى الكونجرس أو فى مجالس الولايات أو فى حكومات الولايات. وراحت جمعية « الكوكلوكس كلان » تمارس نشاطها الارهابى وتكاثفت الجمعيات الارهابية مع دساتير ولايات الجنوب فى الانتقام لملاك العبيد السابقين . وبدأت القوانين فى هذه الولايات تترى .. وكلها مليئة بأغرب ما يمكن أن يتصوره عقل ضد الزنوج .. وتمشيا مع نعرة التفرقة العنصرية البغيضة ... وفى ولاية « فلوريدا » مثلا قانون يقضى بأن يجرى تخزين الكتب المدرسية الخاصة بالطلبة البيض فى مكان بعيد عن الكتب المدرسية الخاصة بالطلبة الزنوج !!. وفى كل ولايات الجنوب قوانين تقضى بأشد العقوبة على كل من يدعو الى المساواة العنصرية ! وفى ولاية « أوكلاهوما » قانون ينص على تخصيص غرفة مستقلة فى مكاتب التليفون العمومية للزنوج !! وفى ولاية « تكساس » حيث قتل الرئيس « جون كنيدى » ... يمنع المصارعون والملاكمون البيض من أن ينازلوا المصارعين والملاكمين السود ! ..

ان كل شيء فى أمريكا ينقسم الى قسمين غير متساوين أو متكافئين ، الأفضل للأبيض والأسوأ للأسود . والاسود بوجه عام ممنوع من كل مشاركة للبيض فى الحقوق ، فى القطارات والاوتوبيسات والفنادق والملاهى والمطاعم والمدافن ! والمستشفيات والشواطىء والكنائس.. ففى كل هذه الأماكن تعلق لافتة تقول « ممنوع دخول الزنوج والكلاب » ... وهذه التفرقة العنصرية البغيضة تنسحب آثارها على الافريقيين والأسيويين وممثلى أمريكا اللاتينية الدبلوماسيين من الملونين الذين يمثلون بلادهم فى الولايات المتحدة الأمريكية والسينما الأمريكية.. التى تغزو أسواق العالم ، لا تصور الزنجى الا متخلفا منحطا .. تابعا ..

وفى نيويورك يتكدس أكثر من نصف مليون زنجى فى حى هارلم فى مبان تملكها شركات

التأمين الأمريكية وبايجار يزيد بمقدار ٢٠ ٪ عن الايجارات المنازل فى أحياء المدينة الأخرى التى يسكنها البيض . وفى حى « هارلم » هـذا لا تفتح شركات الأغذية الكبرى فروعا لها فيقع الزنوج المساكين تحت براثن التجار البيض (وخاصة اليهود) الذين يبيعونهم أردأ الأطعمة بأعلى الأسعار بنسبة تتردد بين ١٠ ٪ ، ٢٠ ٪ زيادة على الأسعار فى أحياء البيض . كذلك فان منازل الزنوج فى حى هارلم وشوارع الزنوج والمرافق العامة والمستشفيات تنعدم فيها الرعاية الصحيه ووسائل الخدمات الطبية والعناية بالمرافق العامة .. واية حجرة فى منازل الزنوج بحى هارلم لا يقل سكانها عن ستة اشخاص ، والايجار يحدد بعدد الرءوس الآدمية التى تحشر فى الحجرات ... كما ان البطالة تتفشى بنسبة بالغة بين الزنوج ، ويضطر الزنوج الى قبول أحط أنواع العمل فى منازل البيض بالساعة .. وتضطر الفتيات الزنجيات الى بيع أجسادهن ، والشباب الزنجى الى الانحراف وامتهان الجريمة ... فاذا تجرا زنجى فى الجنوب على أن يرفع صوته مطالبا بالعدالة والمساواة ، فان القانون يأخذ بتلابيبه .. وهناك ولايات (مثل ولاية جورجيا) تطبق حكم الاعدام على كل من يدعو الى المساواة بين السود والبيض ، بينما تسمح قوانينها للبيض بأن يفعلوا ما يشاءون بالزنوج .. كأن يقتل احدهم مثلا زنجيا لأنه أضاف كمية أكثر قليلا من كمية البنزين التى طلبها ... ثم تحكم المحكمة ببراءته !!

ورغم ان المحكمة العليا الأمريكية هى أعلى سلطة قضائية فى الولايات المتحدة فان حكام الولايات التى تمارس سياسة التفرقة العنصرية تعارض احكامها لأن هذه الاحكام غير ملزمة لهذه الولايات .. ومن ثم فان هذه الولايات تصر على أن تضع العقبات والعراقيل فى وجه شباب الزنوج الذين يطلبون العلم .. ويضطر كل واحد من هؤلاء الشباب ان يرفع الأمر الى المحكمة العليا الامريكية .

واذا تيسر العمل للزنجى فانه يتقاضى نصف الأجر الذى يتقاضاه الرجل الابيض مقابل نفس العمل .. هذا بالاضافة الى أن الاعمال الصعبة والمرهقة هى دائما من نصيب الزنوج والى أن العمال الزنوج ممنوعون من الانضمام الى التنظيمات النقابية العمالية .

والمصيبة بعد كل هذا ان بعض رجال الدين فى امريكا يسبغون حمايتهم على التمييز العنصرى تماما مثلما بارك زملاء لهم من قبل تجارة العبيد ونظام الرق ، فقد ابرق القس الدكتور « البرت جاردنر » مهددا الرئيس الراحل « كيندى » بأنه وكثير من أمثاله من أبناء الجنوب يعتقدون اعتقادا أدبيا ودينيا ! : بأن المساواة بين الأجناس خطيئة ! وبأنه يجب مقاومة كل محاولة للتسوية بينها ، وأن أهل الجنوب قد يقبلون المساواة العنصرية صامتين تحت ضغط الحكومة الفيدرالية ولكنهم سوف يعارضونها فى أثناء الانتخابات !

« ان فكر التفرقة العنصرية ــ كما يقول «بيلبو» عضو مجلس الشيوخ الامريكى ــ قد وجدت فى أمريكا قبل أن يوجد أدولف هتلر ! » .. هكذا يصدر المؤلف فصلا خاصا من كتابه جعل عنوانه « الأسود .. والقردة !! »

وفى هذا الفصل يعالج المؤلف فكرة التفاضل بين الأجناس كما يتبناها دعاة التفرقة بين الأجناس .. فيعرض لدعوى النازيين الذين نادوا بأفضلية الشعب الالمانى النقى من دماء الأجناس الأخرى والذى حافظ على جنسه الآرى دون اختلاط بغيره من الأجناس .. ذلك الاختلاط الذى يرى دعاة التفرقة العنصرية انه يهبط بنقاة الجنس وافضليته .. تماما مثلما يدعى اليهود أنهم شعب الله المختار لنقاوة جنسهم من الاختلاط .. والحق انه قبل ان تحتضن النازية النظرية العنصرية ، طبقها الأمريكيون البيض فى امريكا عندما شنوا حرب ابادة وحشية ضد الهنود الحمر سكان القارة الأصليين وحين زعموا ان الدم الانجلوسكسونى هو الدم الأرقى .. وأن هذا الجنس يجب ان يسود العالم لان الشعوب الملونة شعوب منحطة غير قادرة حتى على حماية نفسها من الغزاة .. وقد فعلوا نفس الشىء بالزنوج فى امريكا ..

وفى هذا الفصل يستطرد المؤلف فيناقش الفكرة العنصرية مناقشة علمية يثبت بها زيفها وبعدها عن كل منطق وعلم . الأمر الذى يؤكد ان الأبيض والأسود سواء فى القيمة البشرية . وهو اذ تحدث عن التفرقة العنصرية ، فقد رأى ان يفرد فصلا آخر يشير فيه الى الأوضاع العنصرية بالغة السوء التى يفرضها البيض الاستعماريون على الزنوج فى جنوب افريقيا وانجولا .. ثم يتبعه بفصل آخر يعرض فيه للدور الذى تلعبه الدول الافريقية والآسيوية وهى تعمل بكل ما تيسر لها من وسائل لتعرية دعاة التفرقة وفضحهم ... ويصدر هذا الفصل بكلمة للرئيس جمال عبد الناصر يقول فيها « والتمييز العنصرى والاضطهاد ، لن يكفى للقضاء عليهما انهما اهانة للانسانية كلها فى هذا العصر .. وفى كل عصر ، وانما لابد من مقاومة باسلة بكل الوسائل والطرق حتى الوصول الى سلاح المقاطعة الكاملة لتقلب بها دفة الأمور وتحول الذين ارادوا فرض العزل على شعوب افريقية فى أرضها .. الى جيوب معزولة عن الانسانية مطرودة خارج نطاق التعاون الدولى » .

ثم يعود الكاتب مرة أخرى الى الموضوع الأصلى .. أوضاع الزنوج فى أمريكا ، فيتساءل فى الفصل الأخير من الكتاب « قانون الحقوق المدنية !! .. هل يضع نهاية لمأساة الزنوج الأمريكيين ؟ » ... ان المؤلف يرى أن « هذا القانون لا يعد بمثابة حل سحرى لمأساة الزنوج الأمريكيين كما صورته أبواق الدعاية الامريكية ، ورغم انه ينبغى ان نسلم بأن هذا القانون خطوة فى سبيل القضاء على التفرقة العنصرية .. الا أن القانون لا يمكن أن يحل مسألة أيديولوجية لها رواسب عميقة فى نفسية الشعب الامريكى ... لأن الأمريكى الأبيض يشب منذ طفولته وهو منفصل عن الزنجى لا يسكن معه ولا يدخل معه المدرسة ، والسينما تصوره له دائما متخلفا منحطا تابعا . هذا بالاضافة الى أن القانون الجديد لا ينص على فرض عقوبات جنائية رادعة على مرتكبى جرائم التفرقة العنصرية .. على الأقل كتلك العقوبات التى تفرضها قوانين بعض الولايات الأمريكية على كل من يدعو الى المساواة بين البيض والسود .

من أجل هذا يرى المؤلف ان قانون الحقوق المدنية لن يضع حدا لمأساة الزنوج فى أمريكا .. وانا وان كنت معه فى أن نزعة التفرقة لدى المرء لا يمكن ان ينهيها قانون ، الا اننى أجزم بأن اقرار مثل هذا القانون سوف يغير مع الزمن نظرة البيض الى السود وخاصة عندما تشب الأجيال القادمة من الامريكيين البيض فى ظل قوانين تفرض عليهم احترام آدمية الرجل الأسود ... ومن ثم فان قانون الحقوق المدنية سيكون بلا شك أفضل من « لا قانون » .. الأمر الذى قد يشجع البيض على مزيد من التمادى فى امتهان آدمية الرجل الأسود ..

ان كتاب « دفاع عن الزنوج » عمل طيب استطاع به المؤلف أن يعرض فى أسلوب شائق مشكلة الزنوج فى أمريكا .. بل مأساتهم هناك .. وان كنت آخذ عليه انه أفرد فصلين عن التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وانجولا وعن موقف الدول الآسيوية والافريقية من مشكلة التفرقة .. ثم عاد مرة أخرى الى موضوع كتابه الأساسى .. وكان الأجدر به ـ حسبما أرى ـ أن يدمج موضوع هذين الفصلين ضمن فصول الكتاب .. حتى لا يحس القارىء ـ كما أحسست أنا ـ بأنه استطرد استطرادا نزعه بعض الوقت بعيدا بعض الشىء عن الموضوع الأصلى الذى من أجله وضع كتابه .. ذلك ان الكتاب ـ بالرغم من عنوانه ـ يوحى من أول صفحة ـ بل ومن واقع التقديم ـ أنه يركز على « زنوج أمريكا » ...

ومهما يكن ، فان الكتاب فى مجموعه : صرخة تدمغ دعاة التفرقة العنصرية .. وتفضح الرجل الأبيض .. وتعريه أمام المجتمع الانسانى : ظالما حقودا أبعد مايكون عن الانسان السوى الذى يعرف قدر نفسه .. وقدر سواه من بنى البشر .

سعد زغلول

الجوانية

أصول عقيدة وفلسفة ثورة



الكتاب يقع فى ٣٤٢ صفحة من الحجم الكبير . فهو أشبه بالرحلة الفلسفية الطويلة . وتخص القراءة «الجوانيين» الذين يفهمون مابين السطور . رحلة فلسفية طويلة قامت على خمسة فصول . قام بها المؤلف بعد ما أطال النظر فى أمور النفس والدنيا ، ومتابعة التأمل فى بطون الكتب ، مع مداومة التعرض لتجربة الوقائع ، والمعاناة لشئون الناس. وهىتجربة مفكر حاول، بصدق ، ان ينكشف لنا خلال تجاربه . كأى موجود ، كائنا ما كان . كما يقول برجسون . فهو يتعرى ، ويتعرض ، وتحاول تجاربه أن تتخذ من العيان والملامسة صورة لها ، ان كانت ازاء موضوعات خارجية . وتتخذ تجاربه صورة الحدس أو الرؤية ان كانت ازاء الروح أو الذهن وحده .

فهو يبدأ من قرية « مزغونة » احدى قرى مديرية الجيزة ؛ حيث ولد المؤلف . وولدت فى نفسه بوادر الجوانية . حيث بدأت بالانكار . كأى فلسفة تبدأ بالانكار . و « بدأت هذه المرحلة بالاحتجاج على « البرانية » المتمثلة فى فقدان الوعى ، وشيوع الآلية : برانية فقيه الكتاب الذى يرغم الصغار على الحفظ عن ظهر قلب ، دون فهم . وطريقة الأزهريين فى حفظ « المتون » و « الشروح » وبائع « الهريسة » ذى المسلك الخاضع للآلية والروتين ، الخالى من الوعى والتفكير » .

فيحس المؤلف ، منذ حداثة سنه أن له حياة داخلية نامية متغيرة على الدوام . فلا الناس ولا أهله يدرون من أمرها شيئا . فهم بحكم حياتهم اليومية « برانيون » . ينظرون

بعيون الجسم لا بعيون الروح . ويحكمون بحسب الظاهر لا بحسب الباطن .

والتأمل ، بعد الانكار أو السلب ، كثيرا ما يتبعه الايجاب . « وفى المدرسة السعيدية بدات المرحلة الايجابية من حياتى ، مرحلة البناء بعد الاحتجاج ، ومحاولة استشفاف الجوهر من وراء العرض .. ولقد خضت من غير قصد معركة من أجل غاندى ، وما لبثت ان عكفت على طلب الحقيقة ، من وراء « المظاهر » . وقد كانت تلك ، فيما يبدو لى ، بوادر تأملى فى الجوانية : مشكلة الحقيقة ، والواقع ، والجوهر والعرض » .

والتمس الجوهر فى الآداب العالمية . فيوما يتردد مع هاملت ، ويوما آخر يستميله دون كيشوت .. الخ .. وبهذه الروح دخل الجامعة . واصبر على قسم الفلسفة . رغم ما كان فى ذلك من جراة وتحد . وبدأ البحث فى الجامعة عن فلسفة حياة تجاوز الحدود الضيقة ، وحدود المذاهب المغلقة ، ويمتد أثرها الى الشعب ، فتوقظ الشعور الوطنى ، فيتحقق حياة الحرية والكرامة . وسقط امام عينيه كثير من الفلاسفة لانعزالهم عن الناس ، وعدم اجابتهم عما كان يتردد فى خاطره .

وارهق ، صاحب الجوانية ، فى البحث . وكان شتاء عام ١٩٢٨ ، حينما اخذ دراسة تاريخ الفلسفة الحديثة معتمدا على « هندنج » فاسترعى انتباهه فيشته . فاستخفه الطرب والابتهاج : : « لقد وجدت ضالتى بعد ان طال عنها بحثى . فهذا هو فيلسوف الوعى القومى الألمانى كما تراءى لى من قبل ان محمد عبده هو فيلسوف الوعى المصرى . ذلك أن فيشته كان فيلسوفا ، وكان عاملا فى آن واحد . واستطاع فيشته بفلسفته الحية ان يبعث أمته من رقادها ، وان ينفخ فيها روح الجهاد » . فرح وابتهج ، كانما وجد حياته مفردة نقية ، وسط ركام الفكر الفلسفى .

واذن ، لقد وجد « المؤلف » ، صاحب الجوانية ضالته . بمعنى آخر وجد ما كان يبحث عنه من القرية الى الجامعة ؛ البحث عن فيلسوف للوعى ، يدعم به رؤاه ، هو ، الجوانية . وكأنى به ، حينما ابتغى للجوانية مشابها الى حد ما فى الفكر الغربى ، فوق ما لها من التراث الاسلامى العربى ، وجد ذلك المشابه فى الفكر الألمانى فى مفتتح القرن التاسع عشر ، وعند فيشته على وجه خاص .

وباقى الباب الأول من الكتاب ، لا يخرج عن كونه تدعيما لبوادر الجوانية ؛ فى صورة يوميات وسوانح ، وان كانت مطوية . وهى على جانب كبير من الأهمية . فاذا صح لنا ان نقول : أن الترجمة الذاتية هى البعد الجوانى للانسان — ان جاءت صحيحة غير فاسدة بالأكاذيب — فاليوميات أو السوانح أو الاعترافات التى يكتبها المرء تحت ضوء هذا البعد ، لها بمثابة النقاب الذى يكشف عن ذات الانسان ، كاتبها ، يوما بعد يوم . ولهذا يقدم لنا المؤلف أخصب ما يقدم فى الفكر الحديث والمعاصر ، اذ يقدم لنا « اليوميات الجوانية » و « السوانح المطوية » للكشف عن ذات نفسه وللتجربة الروحية التى خاضها . وتدعيما لرؤاه الداخلية . ولا مفر من الاعتراف : ان الجوانية لو خلت يوما من تلك اليوميات أو التأملات أو الرؤيا الداخلية للتجربة الجوانية لخلت من أقدر ما فيها ، واخصبه ، وانقاه فهى فى صميمها روح مستنبطة من الداخل . ولا تظهر تلك الروح الا بالانعطاف الذاتى مع النفس وان بدا لنا وكأنه نوع من العزلة . وهكذا فعل سقراط ، وأفلاطون ، واغسطين ، وديكارت ، وكانط ، وهوسرل ، وغيرهم كثير .

والذى كان يشغل بال المفكر ، أو صاحب الجوانية فى تلك اليوميات ، هو ما كان يشغل شباب جيله . وذلك من روح الجهاد ، والمطالبة بالتعليم والثقافة ، ومحاولة تدعيم روح الاخاء . ولاشك ، أن صاحبنا قد تأثر اشد التأثر بالاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق — كغيره — لدرجة فيها كلما حاول ان يجد لشخصية صورة وصفه بصورة القديسين .

ولا نخرج من الباب الأول ، أو ما يحلو لى تسميتة « بالمدخل » الذى انصهرت فيه تجارب

المؤلف ، واعتورها الكثير ، الا ونحن وسط اذابة فيها الشرق والغرب ممتزجان . فحياة محمد عبده فكرية عريضة ، وحياة خصبة فكرية ايضا مع ديكارت .. وهكذا مع اكثر المفكرين . فاستطاع ان يوفق بينهما في تناسق عميق يدعم به ثياب الجوانية الجديد . او كانما الرحلة الفلسفية الطويلة ما كان لها ان تبدأ الا وفكر الشرق والغرب بين جنبيها . وهذا ما يمتاز به صاحب الجوانية ، بحق . في قدرة وذهن وقاد ، واسلوب رصين ناصع متين وفهم وفكر متأمل عميق . وما كانت الجوانية ، واى جوانية ، بمستطيعة ان تعبر عن نفسها لولا هذه الملكات .

— ٢ —

بعد المدخل الموضوع . والموضوع الذى يلف هذا الكتاب حوله هو : الجوانية . من حيث الاسم ، فلا غبار على لفظ « الجوانية » . فقد استعمل من قبل وان كان لم يقم عليه فلسفة مترامية الاطراف والابعاد ، كالجوانية الجديدة .

لكن : « ما الجوانية ؟ » .

الكتاب عبارة عن محاولة اجابة على هذا السؤال . قلت : الكتاب محاولة ، وليس بالاجابة الكاملة المغلقة والنهائية . حتى لا ندخل في اطار ونسق ومذهب . فهذا ماينفر منه صاحب الجوانية ، كما ينفر من المذاهب المغلقة والتى رسمت حدودها مرة واحدة . والجوانية ليست أيضا من صاحبات التساؤل ، ولا من هاويات الاجابة . فلا اجابة — في رأينا — نهائية أيضا ومطلقة . وعلى هذا ، فالجوانية « طريقة في التفلسف » . « تفلسف مفتوح على النفس والدنيا . متعرض لنفحات السماء في كل لحظة ، وطريق مبسوط أمام الوعى ينتظر السالكين الى يوم الدين . تحاول ان ترى الأشخاص والأشياء رؤية روحية . بمعنى ان تنظر الى المخبر ولا تقف عند المظهر . وان تلتمس الباطن دون أن تقنع بالظاهر . وان تبحث الداخل بعد ملاحظة الخارج . وان تلتفت دائما الى المعنى والكيف والى القيمة والى الماهية والى الروح من وراء اللفظ والكم والمشاهدة والعرض والعيان . » . وكل ذلك بقرب من الرؤية الروحية ، او الحدس القلبى ، أو الوعى الباطنى ، او الائتناس « الجوانى » .

وذلك هو الذى سيبقى للجوانية بحق : طريقتها في التفلسف أو المنهج الجوانى الخاص بها . والذى تتبعه لالتماس الحقيقة ، وبحوث الذهن . فكثير من الفلسفات قد تذهب مذاهبها او تنحل او تستجد ولا تبقى منها الا مناهجها . كذلك كان افلاطون وديكارت وكانط . فعماد الجوانية ، اذن ، في منهجها . ومنهجها لايلتمس الحقيقة الا وراء المظهر . فلا يستريح سقراط ، مثلا ، ان يرى رجلا وسيما بدينا دون أن يسأله : يا هذا ، كلمنى حتى اراك . فلا يستريح سقراط حتى يرى ما وراء هذا الرجل . ما وراء مظهره من عقل ، وقلب ، وذوق . وهكذا الجوانية . وقد ساقت هذا المثل دليلا على طريقتها او منهجها . وهى في هذا ، تستند على تزكية الوعى وممارسة الحرية النفسية . وتسعى الى تعميق فهمنا للمقاصد والمعانى والقيم . وهى ، بهذا الاعتبار ، فلسفة حياة تمارس الوظيفة الفلسفية على الاصالة . كما يقول المؤلف : « التماس اللب والمبدأ والكيف والحق . بيد انها لا تقيس حياة الانسان الفكرية والعاملة بالمقاييس البرانية ، والتى تفرقنا في المادية والحتمية . بل ان حياتنا الجوانية كالسيمفونية الموسيقية يلزمنا التعاطف معها . وعليه لا نستطيع سبر اغوار الحياة الجوانية . الا بأن نحياها بأنفسنا . وان نتحمل مسئولية معاناتها .

ولنا بطبيعة الحال ان نتساءل : هل الجوانية تدفعنا الى ان نمارس هذه الحياة الجوانية في عزلة عن العالم والآخرين ؟ وان كان ، الا ننطوى على انفسنا الى أبعد حد ؟ . بل اكثر ، الا نجد انفسنا ، بهذا ، نتجه الى عالم مغلق ؛ عالم الاجترار الذاتى . أو التفكير الاجترارى بتعبير مونيه ؟ . اقول ذلك ، لأن الانسان لا يعرف نفسه الا في لجة سقط فيها وسط الوعى الشامل ، حاضن للأنا ، والنحن ، والغير ، والعالم .

لهذا ، ترى الجوانية أنها : اذ تروم معرفة

الأشخاص والأفكار والأشياء ، انما تقوم بضرب من الائتناس ، والتعاطف والاتصال المباشر اى الجـواني ، وان تطلب ذلك كله بذل الجهـد والخلوة ، كما فعل الغزالي ، وديكارت ، وريلكة وياسيرز . وحتى تؤدى هذه الرؤية الى المعرفة . وهذه الرؤية الروحية الفريدة ، التى من شأنها أن تجتـاز مرحلة الظـواهر ، وتتخطى نطاق البرانيـة انما تكتسب جوانيـة هى جوهرها وماهيتهـا . وتلك هى أولى خطـوات الفكر الميتافيزيقى ، حينما يحاول مجاوزة « المظهر » الى ما وراءه . وليس ضروريا ـ فى نظرى ـ ان يكون اجتيازا راسـيا ، فكثيرا ما كان اجتيازا أفقيا . ينطوى على ضرب من الرؤية الواعية . وهكذا فعلت الجوانية ، وأن تميزت رؤياها«بعين البصيرة » كما يقول الغزالى ، الا انها رؤية فنية حدسية يلتقى فيها كانط ، وشلنج والعقاد .

وينتفض سؤال فى قلب الجوانية . هل تزعم الجوانية لنفسها امتلاك الحقيقة ، بهذا المنهج وبهذه الرؤية ؟ . لا الجوانية ولا صاحبها يزعمان ذلك الامتلاك . لأن الحقيقة متى امتلكناها ، أو خيل الينا أننا امتلكناها ، فقدت مشروعيتها فى أن تكون حقيقة ؛ اى ان تكون هى القوة الروحية التىتستحث الانسان على الابتكار المتجدد الواعى الموصول الى ما ينبغى ان يكون . هذا هو الذى تراه الجوانية . والحق يقال : ان محاولة امتلاك الحقيقة فيه مايفرى ، كامتلاك الأنا المطلق ، أو الروح ، أو الحرية المطلقة . وعبثا ما نحاول . وان كان فى المحاولة شرف . ولن نكف ، ولن نمتلك ؛ والا كف الكون عن الدوار الميتـافيزيقى الأبدى . ولهذا ، راى صاحب الجوانية أننـا ـ رغم ذلك ـ نمتلك امكانيـات ، وان كانت امكانيات لا محققة . بيـد أن بها كل القـوى والطـاقات . قد نحققها فى المستقبل . وقـد لا نحققهـا أبدا . والامكانيـات اللامحققة هى « ماهية الانسان » . ويتأزم حال الانسان حينما يدرك ان له عالمين : عالم المتحققات بالفعل ،وعالم الامكانيات التى لم يحققها بعد . فيتأرجح على حبال الغربة المروعة . وتشتد أزمة الانسان ، ويشتد تأزمة . فما الذى تقدمه الجوانية لهذا؟.

الجوانية ، فلسفة تفاؤل، وانتصار وخلاص. ولهذا نرى أن القوة الحقيقية فى العالم هى قوة الروح ، والنفس . وبالتالى تطالبنا بالسيطرة على انفسنا ، فهذه الســيطرة هى المرادف للحرية . « لأن الحرية عبارة عن وعى بصاحبه فهم . واذا اراد الانسان أن يطلب هذه الحرية فلن يجدها فى شىء من الأشياء الخارجية ، بل فى نفسه التى بين جنبيه ، وواجدها فى أمر مطلق مستقل عن كل ما عداه . وهو قدرته علىالحكم، اى استطاعته القبول أو الرفض أو التوقف عن اطلاق اى حكم » .

ومن هذا الطريق ، تعرج الجوانية ناحيـة المثالية ، والفلاسفة المثاليين . وذلك بايمانها أن القوة الحقيقية للانسان هى قوة الروح أو المثل الأعلى ، بمعنى أصح « المثالية الروحيـة » . وعليه أخذت الجوانية ، وصاحبها ، تعنى برسم الصورة الكاملة سعيا الى المثـــل الأعلى ، فى الفكر والحياة . بلا استقلال للفكر عن الحياة ، أو الأنا عن الآخرين . انما بزواج كليهما بالآخر . مثالية تسير فى الطـــريق الكانطى ، مصاحبة فيشته وديكارت .

ـ ٢ ـ

قال المؤلف فى تقديم الكتاب : « والجوانية أصول عقيدة ، وفلسفة ثورة . عقيدة مفتوحة تأبى الركون الى مذهب أو الوقوف عند واقع. وتتجه الى المعنى والقصد . وتدعو الى العمل البناء مؤسسا على النظر الواعى . وتلتفت الى الانسان فى جوهره وروحه وتدرسه فى حياته الداخلية لتنفذ الى ما هو فيه أصيل . وفلسفة ثورة : لأنها نابعة من أعماق هذه الأمة الثائرة ، لتحقق ايدلوجية تربط بين ماضينا ومستقبلنا والاعداد له . ومن ثم تنشـد المثـــل الأعلى بلا ترخص فى السعى اليه . وأن ارادة التغير والطموح هى القوى المحركة للتاريخ » .

ونتساءل نحن : من أين استقى أصـــول العقيدة ، وأبعادها ؟ الاجابة الواضـــحة : من الأخلاقية الاسلامية واللغة . الأخلاق الاسلامية المتمثلة فى دعوة الرسول من جهـــة الايمـان والاخلاص . وحضور القلب عند الغـــزالى .

والحب عند الصوفية وأصالة الرؤية والحرية عند العقاد . وأن الدين هو « البعد الجوانى للانسان » . أما اللغة ، واللغة العربية خاصة، فأصول العقيدة ، أيضا مستمدة منها . فقد تمثلت فى اللغة العربية خصائص الجوانية : مثالية ، حضور جوانى ، وعى ، فهم .. الخ. فاهتم بها . ولكنه ارتأى أن اللغة هى أقوى عوامل الوحدة . وهو رأى عميق دقيق ، لاشك، يأخذ بالنظرية الفشتية للغة . ونحن نقبله . لكن باضافة كلمة « من » . فاللغة « من » أقوى عوامل الوحدة . وليست أقواها . فهناك غيرها. وهى - أى اللغة - لغات اتفاقية . ودلالة تعبيرية عن الوجود ، وليست هى الوجود ذاته. وبالتالى يسبق اللغة الوجود . والوجود الحق - فى رأينا - الوجود الشعورى : الشعور المشترك بالوحدة . وحيث يكون هذا الشعور يكون من السهل خلق اللغة . وكلما عمق هذا الشعور عمقت اللغة . فتصبح اللغة دلالة على جوانية الأمة (الشعور بالوحدة) وليست على الكلمات التى تربطها. كما نقول أن وجود الجوهر أولا ، والمخبر والباطن ، ثم نحاول وصف هذا كله باللغة ثانيا . وبالتالى تصبح الأمة مجتمع نفوس ، وارواح وجوانيات قبلما تكون مجتمع كلمات .

والجوانية كما هى أصول عقيدة ، أيضا فلسفة ثورة . بناءة متفائلة . تغوص فى روح الاشتراكية العربية الجديدة بغرض استكشافها. لتحمل رسالة الخير والحق والسلام ، مزكية الشعور بالمثل الأعلى .

- ٤ -

حسنا : هاأنذا قد عرفت الكتاب والفلسفة. وقمت بضرب من التعاطف والاتصال فى هذه الرحلة الفلسفية الطويلة . لكن التعريف أتى ناقصا ، من وجهة نظرى . فالتعريف الكفيل بعدم النقص ، لهذه الفلسفة الجديدة ، يكون بالعرض الشامل المفصل لها . وشبكها بالتيار المتصل من محمد عبده وعباس العقاد فعثمان أمين . ثم بمعارضته بالمذاهب والتيارات الأخرى . حتى يكون الكل فى الاطار . فليس اكثر خيانة لفكرنا المصرى المعاصر من عدم فهم ودراسة التيارات الأساسية لهذا الفكر . التيار المتجسد « نحو فلسفة علمية » والآخر المعتبر ان « التصوف الثورة الروحية فى الاسلام » والثالث الآخذ العقل ، والمثال ، بالاعتدال فى « الفلسفة الخلقية » والفلسفة بوجه عام ثم « الجوانية » مع عدم اهمال المدارس والاتجاهات المنبثة فى ارضنا اليوم .

اعترف ، اذن ، بالتقصير . بيد أنى ادعو ان يدلى الكل برأيه . ويحزم جدله . حتى تتضح الجوانية ما لها ، وما عليها . وانا عليم بأن الحقيقة متناثرة . كما هى فى مصر متناثرة. وأنها لا يمكن أن تؤخذ مرة واحدة والى الأبد . فهى كالجمانة الطلقة التى تبهرك برؤياها من بعيد ، حتى تقترب ، فتنفلت من أى تعريف أو تجميع ، كما تتملص من أى تحديد . والجوانية كذلك منحيث كونها فلسفة مفتوحة. فهى لا تعرف بالمعنى المنطقى الجديد ، للحد والتعريف ، حتى لا تنغلق على نفسها ، أو يصيبها الجمود . فمصر الفكر قد ثارت على الجمود ، كما ثارت على القيود . وهى على الطريق دائما ، كما يقول صاحبها . فلا تعرف الوقوف أو الانغلاق ، بل هى محاولة للتعبير عن ايمانها العميق بضرورة الميتافيزيقا وكرامة الانسان وسلطان الأخلاق . وذلك بلا تنافر بين الفلسفة والعلم ، أو الفكر والواقع .

وعليه ، فالكتاب يحتاج منا للدراسة ، والفهم والتعاطف معه بالبساطة . والهدوء وتكاتف الجهود . وهو يحتاج لهذا كله . فهو دعوة بدات تنساب وتسرى فى نفوس الكثيرين. وربما هى حركة فكرية ، أصيلة ، ذات اتجاه متصل منذ الأستاذ الامام محمد عبده ، فالأستاذ العظيم العقاد ، فالأستاذ الدكتور عثمان أمين .

ولا شك ، أن فلسفة ، كهذه ستحتاج منا الى النظر الكثير . مع وضد. فليس بالشىء الهين

اكتمال نظرة فلسفية فى مصر . وطرح كتاب للمكتبة العربية يحمل هذه النظــرة بالفلسفة الجوانية .

وبعد ، فانى لعلى يقين من أن الجوانيــة ستلف حولها الآراء . ربما آراء يلفها الخطأ . أو يصونها الصواب . شأنها فى ذلك شأن مختلف الفلسفات . انما حينما نقترب منها واعين لها ولفكرنا ، نكون قد قطعنا الطريق اليها ، والنصف الآخر يهديه المحيط .

فتحى فوده

سطور من كتاب

أبو نواس

« وكان للامين كابيه الرشيد تولع بالغناء ، مع الفارق فى وقار الوالد ونزق ولده . وكان يهيــا له فى قصر الخلد مجالس غناء يتغنى فيها ، فيرفع له دكان عال يفرش له ويبسط عليه بساط زرعى ، وتطرح عليه نمارق وفرش فى لون البساط ، ويصفف له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم . وتكون ثيمة جواريه قد هيأت له مائة جارية صــانعة ، فيصعـــدن اليه عشرا عشرا بأيديهن العيدان يعزفن عليها وهن صاعدات اليه ، وحين يستوين على الدكان يندفعن فى غناء لحن من اللحون بصوت واحد ، ثم ينزلن وتتقدم عشر غيرهن ، وهكذا دواليك فى جو فاتن ساحر بما يتمايل فيه من القدود المليحة وما يتجاوب به من اللحون الفصيحة .

وكان يجزل العطاء لأســاطين الغناء فى عهده امثال اسحق الموصلى ومخارق وعلوية وغيرهم ، حتى ليروى انه استقدم ابراهيم بن المهدى عمه فانحــدر اليه فى زورق الى قصره ، وغناه صوتا طرب له الأمين فامر ان يوقروا له زورقه ذهبا .

وكان ابراهيم بن المهدى يغنى الأمين احيانا بشعر ابى نواس فى مدحه كقوله :

يا كثـير النوح فى الدمن
لا عليها ، بل على السكن

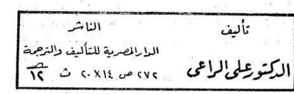
رشــأ لولا ملاحتـــه
خلت الدنيـــا من الفتن

كل يوم يســـترق له
حسنه عبـــدا بلا ثمن

يا أمين الله عش أبــدا
دم على الأيام والـزمن

ولقـد استخف الطرب الأمين حتى قام من مجلسه ، واكب على عمه يقبل راسه . فقام ابراهيم من مجلسه يقبل اسفل رجليه ، وما وطئنا من البساط . فامر الخليفة له بثلاثة آلاف درهم . فقـــال ابراهيم : « يا ســيدى قد اجزتنى الى هذه الغاية بعشرين الف الف درهم » . فقال الأمين : « وهل هى الاخراج بعض الكور ؟ »

دراسات فى الرواية المصرية



يتضمن كتاب « دراسات فى الرواية المصرية » عشر روايات هى حديث عيسى بن هشام للمويلحى ، وزينب لحسين هيكل ، وسارة لعباس العقاد ، وابراهيم الكاتب لعبد القادر المازنى ، وعودة الروح لتوفيق الحكيم ، ودعاء الكروان لطه حسين ، وقنديل أم هاشم ليحيى حقى ، وسلوى فى مهب الريح لمحمود تيمور ، ومليم الأكبر لعادل كامل ، وثلاثية نجيب محفوظ .

والخط الرئيسى الذى يجمع هذه الروايات هو المنهج النقدى الذى اتبعه المؤلف ومراعاته أن يمثل مراحل تطوير القصة .

ولقد اتبع الدكتور الراعى فى أغلب هذه الروايات العرض والتحليل ثم مناقشة الرواية من الناحية التكنيكية .. كما يلاحظ أيضا مقارنته هذه الأعمال بمثيلتها فى الأعمال الغربية . وسأكتفى الآن بعرض بعض من هذه الروايات التى تضمنها الكتاب لتبيين منهج المؤلف .

ففى حديث عيسى بن هشام يجيب على عدة أسئلة ما تلبث أن تقفز الى ذهن القارىء عند قراءة هذا الحديث .

ولقد أجاب على سؤال رئيسى يتردد دائما وهو هل الحديث رواية أو مقامة ؟ .

ولقد دلل على أن « الحديث » يتمتع بالصفات الروائية وانتهى أخيرا الى نتيجة نجملها فى قوله :

« ان هذا التطور الذى يحدث فى هذه الشخصيات هو أحد العناصر الهامة فى كل الفنون التى تقوم على القصة مثل الرواية والمسرحية .. وهذا العنصر ، الى جانب تكرار ظهور الشخصيات الأخرى فى أجزاء كثيرة من الكتاب بالاضافة الى ان الكتاب يعالج قصة واضحة المعالم تبدأ بقيام الباشا من الموت وتتطور من خلال حركة مادية فى أنحاء القاهرة وباريس وخلال حركة فكرية تتغير أثناءها نظرة الباشا الى الأشياء ، ثم تنتهى الحركتان المادية والفكرية بخاتمة مقنعة .. كل هذه العناصر تبرر أعتبار « حديث عيسى بن هشام » البداية الأولى للرواية المصرية » .

وفى قصة زينب يقدم عرضا لأحداثها محللا لها حتى يلم القارىء بالقصة ويستطيع الحكم على نقده .. كما يذكر أن فيها صراعا بين الرواية والفكر الفنى ويناقش هذه الظاهرة المسيطرة على القصة مناقشة نخرج منها وقد اقتنعنا بانتصار العنصر الروائى فيها .

فيقول معللا . وجود النثر الفنى :

« اذا فهمنا هذه الحقيقة وقدرنا أيضا أن « هيكل » لم يكن يبغى من عمله هذا مجرد التعبير الفنى عن نفسه ، بل كان أيضا تواقا الى تمجيد ريف بلاده ونصرة قضية الفلاحين فيها على البشوات والتنفيس عن حنين عارم شعر به نحو بلاده .. اذا فهمنا هذا كله وقدرناه استطعنا أن

نتبين لماذا تتواجد أشكال فنية كثيرة فى هذا العمل .. أكثرها يتنافر بعضه مع بعض ، وأن لم يخل الأمر من مواضع قليلة تتعايش فيها بعض هذه الألوان ، بل قد تنسجم أحيانا » .

ومن الملاحظ أنه حريص فى اصدار أحكامه حتى لنشعر بأنه لا يلقى الأحكام .. كما يعتمد على مناقشة الأمور مناقشة منطقية يخرج منها بتقرير النتيجة التى يريدها والقارىء مقتنع بها كذلك .

ويتمثل ذلك فى مناقشة عنصر الطبيعة فى قصة زينب ومدى نجاح هيكل فى استخدامها فنراه يقدم لنا دراسة عن دور الطبيعة عند الرومانسيين وينتهى أخيرا الى حكمه فيقول :

« ها هنا نجد عيب نظرة هيكل للطبيعة واضحا تماما لا يتركز هذا العيب فى أن المؤلف يعلى من شأن الطبيعة ، بل فى أنه ينظر اليها نظرة جامدة مفتعلة ، وينشىء بينهـا وبين شخوصه علاقة خطابية زائفة لا حس فيها ولا هى تسمح بوجود الفعل ورد الفعل اللازمين لكى تتخذ الطبيعة سمة الشخصية الفنية .. » .

وفى « سارة » يقوم بتحليل القصة ويناقش بناءها الفنى مركزا على شخصية سارة باعتبارها البطلة الرئيسية فى القصة والعمود الفقرى الذى يمسك القصة ويجعل لها أهمية كما يقول « الحق أننا لولا شخصية سارة والصورة الفاتنة التى يرسمها لها العقاد فى روايته لقل اهتمامنا بهذا العمل الى حد كبير .. » . كما يبرز رأيه فى سارة التى تمثل الشخصية الرئيسية لأنها « هى التى تنقذ العمل من أن يكون مجرد دراسة تقريرية جافة لموضوع الحب والغيرة والشك وهى وحدها التى تبقى فى ذاكرتنا بعد أن نقرأ الرواية وتمضى على قراءتنا لها أيام وسنون .. » .

ويقول فى « عودة الروح » بعد أن يقدم عدة أسئلة عن القرية التى يمكن أن يعيش أهلها وكأنهم يتعبدون ويتألمون وكأنما يقدمون قربانا لاله وعن الأسرة التى تنشغل بفتاة :

« والجواب على هذا كله هو أن هذا الذى يحدث ولا يلائم الواقع ، لم يقصد به أن يلائم فى المحل الأول ، انما أراد به المؤلف أن يجىء تعبيرا عن رؤيا رآها للمجتمع المصرى ، ولأفراد بعينهم من أفراده فى فترة حاسمة من فترات انتقالهم جميعا ، وهى رؤيا فيها الواقع وفيها الحلم ، فيهـا التصوير المباشر للمجتمع ، وفيها الخيال الصرف ، وفيها الواقع الذى تتحكم فيه فكرة كبيرة ، فتغيره أو تطوره أو تعيد تشكيله ، ليكون للفكرة اقرب مثالا وأكثر تمثيلا » .

وفى « دعاء الكروان » يناقشها من الجانب الأخلاقى والتعليمى باعتبار هذا الجانب الأساسى الذى ترتكز عليه الرواية ويعبر عن ذلك فى قوله :

« ناقشت دعاء الكروان حتى الآن على المستوى الأخلاقى التعليمى ، وقلت أن هذا المستوى هو أساس الرواية ، ولكنه ليس كل ما فيها ، فمما لا شـك فيـه أن للعمل معنى أنضج وأعمق مما قدمت » .

كما أنه يبرز العنصر الميلو درامى المتمثل فى صراع الفتاتين ضد المجتمع فكان الموت جزاء الأولى لأنها لم تتسلح فى صراعها بالعلم أما الثانية فتنتصر فى النهاية لأنها تسلحت بالمعـرفة وقوة العقل .

كما يبرز المنحى الذى أتبعـه المؤلف فى التأليف : « ولم يقل أحد أن « دعاء الكروان » تنحو منحى الواقعية ، وانما هى رواية شعرية خطابيـة لا تأبه كثيرا ان هى لم تشاكل الواقع ولا هى تصاب من جراء هذا بكبير ضرر .. ومن الواضح أن كاتبها قد قصـد أن يتناولها بهذا الأسلوب دون غيره ، فمن الشطط اذن أن نحاسبه فى غـير ميـدانه ، وان نطبق على عمله مقاييس لا يستدعيها هذا العمل استدعاء تلقائيا » .

من هذا نرى أنه يراعى الأسلوب الذى اتبعه المؤلف .. وعلى أساس أسلوبه وطريقته التى صب فيهـا عمله الفنى يحاسبه طبقا لقواعـد الأسلوب الذى سار عليه وبعد مناقشة الظاهرة الشعرية التى برزت فى قصة الدكتور طه حسين يخرج من هـذه المناقشة الى تقرير الحكم الذى يريد أن ينتهى اليه فيقول :

« علينا اذن أن نقرر منذ البداية أن « دعاء

الكروان » رواية شاعرية رومانتية وليست واقعية نثرية ، وانها تميل ميلا خاصا الى الخطابة وأحاديث النفس الطويلة الرنانة » .

وفى مليم الأكبر يكتفى بالعرض والتحليل فقط مقارنا بينها وبين بعض الأعمال الغربية مثل بيت الأرامل « لشو » ، وعدو الشعب « لهنريك أبسن » .. كما يربط بينها وبين الأعمال المصرية مثل « قنديل أم هاشم » و « زهرة العمر » .

واخيرا فمن هذا العرض السريع لبعض الروايات التى تضمنها الكتاب ندرك أن المؤلف قدم دراسته بدقة وأناة يدلان على دراسة واعية وثقافة واسعة ، قدمها بعيدة كل البعد عن الذاتية وقريبة كل القرب من الموضوعية المعتمدة على الأسس النقدية العلمية .. وذلك لأنه يقدم كتابا يضم مراحل تطور فن القصة تبدأ بحديث عيسى بن هشام وتنتهى بثلاثية نجيب محفوظ آثر فيها أن تمثل هذه المجموعة اتجاهات أدبية مختلفة فمن رومانسية فى « زينب » الى رمزية فى « قنديل أم هاشم » وواقعية فى « سلوى فى مهب الريح » الى ذهنية فى « عودة الروح » .

هذه الدقة جعلته شديد الحرص فى اصدار أحكامه ووزنها بميزان الناقد اليقظ الأمر الذى دفعه الى الاستدلال على كل حكم بشواهد تدعم حكمه .. ولقد أفصح المؤلف عن دقته هذه وحرصه فى معرض حديثه عن الثلاثية فنراه يعلن قائلا « وانا أحاول أن أزن كلامى بدقة قبل أن أخطه على الورق ، أعالج نفسى علاجا شديدا ، وأحذرها من الاندفاع وراء الحب والاعجاب اللذين أشعر بهما نحو هذا العمل » .

فمن هذه الكلمات نستشف منهجه الذى أتبعه فى دراسته كما ذكرت وهو الحرص وضبط النفس من الانسياق وراء الأعجاب والحب .

وهذا البعد عن التأثر الذاتى والقرب من الموضوعية جعله يقبل بعض الهفوات الفنية فى القصص الذهنية أى القصص التى يغلب عليها الفكر مثل قصة « ابراهيم الكاتب » ، و « عودة الروح » .

ورغم ما اتفق فيه مع الدكتور الراعى فى كثير من أحكامه فانى اختلف معه فى نقاط ثلاث أولها : تحليله لظهور الثورة فجأة فى « عودة الروح » وقبوله لها ، وثانيها : أعتباره قصة « قنديل أم هاشم » رواية .. وثالثها : عرضه لقصة « سلوى فى مهب الريح » وتقريره أن سلوى خاطئة وهذا الخطأ بإرادتها وليس نتيجة للظروف المحيطة بها .

ففى عودة الروح يأخذ على هؤلاء الذين ينكرون على توفيق الحكيم تفجيره الثورة فجأة دون تمهيد فنى سابق يهيىء ذهن القارىء لها ومن هؤلاء الأستاذ يحيى حقي الذى عبر عن ذلك قائلا فى « فجر القصة المصرية » : « وجاءت الخاتمة باردة تافهة ، ليس فيها حرارة الباطن ولا عظمته فصورة الثورة باهتة مقتضبة ، ويمكن أن يقال انها دخيلة على القصة وثانوية بالنسبة لموضوعها .. لم يقل لنا كيف اشتركت العائلة فيها » .

ويقول الدكتور الراعى ردا على مثل هذه الآراء بقوله « والذين رأوا فى عودة الروح جانبها الواقعى فقط .. قد ساءهم كثيرا أن تندلع نيران الثورة فجأة وبلامقدمات أو تحضير وساءهم كذلك ان الثورة ليست موجودة بالرواية من أولها الى آخرها وأن الأبطال لا يساهمون فى التحضير لها مساهمة خارجية فعالة ، بل يكتفون بالاشتراك فيها حينما تشب نارها .. ورد عودة الروح على هذا ، كما نستشفه من ثنايا العمل .. هو أن الثورة قد كانت موجودة فى أرواح المصريين جميعا ، وانها انما كانت تنتظر اللحظة المواتية لتنفجر ، انها موجودة فى أرواحهم كما توجد الحقائق الأزلية فى نفوسنا » .

وهذا التعليل الذى يذكره الدكتور الراعى تعليلا لا يتمشى مع طبيعة العمل الفنى ومتطلباته ولكنه ارتضاه من الناحية العلمية التى انتهجها فى تحليل هذه النقطة وهى أن الثورة موجودة فى أرواح المصريين وليست فى حاجة الى مقدمات فهذا التعليل نقبله فى واقع الحياة وأن كنا نعرف انه يسبق قيام الثورات ترتيبات خفية تتبلور أخيرا فى مجموعة من الناس تخرج الثورة الى عالم الوجود والحقيقة ..

وعلى هذا الأساس العلمى ارتضى الدكتور

ظهور الثورة فجأة وأرتضاها فى العمل الفنى على أساس ان الفكرة تسبق العمل كما يقول ، ولكن هذا التعليل لا ينطبق على الرواية من الناحية الفنية اذ أنها تعتمد على مقومات فنية يجب ان يتبعها القاص ، واذا خولفت هذه المقومات فان هذه المخالفة تعتبر عيبا فنيا .. فظهور الثورة فجأة هكذا دون تمهيد لتهيئة القارىء ذهنيا لما سيحدث فى المستقبل يعتبر ضعفا فنيا بصرف النظر عن ان الرواية يهتم صاحبها بفكرة معينة يريد أن يبرزها مما يجعله منصرفا اليها دون الاهتمام بالشكل العام للرواية .

كما نلمس أحيانا أن المؤلف يقف محايدا يلتزم العرض والتحليل دون ابداء الرأى .. ففى قصة « ابراهيم الكاتب » نراه يغفل التعليق على لغة الحوار التى اتبعها المازنى بل يكتفى بقوله « كذلك نراه فى بعض المواضع يجرى الحوار العامى على لسان أبناء الشعب بينما يبقى اللغة الفصحى للسادة » .

وموقفه الحيادى هذا من اللغة . يلتزمه فى جميع الروايات التى عرضها الا قصة زينب التى تحدث فيها عن أسلوب هيكل .

وأما فى « قنديل أم هاشم » فانه يعدها رواية وليسمح لى ان أوجه اليه سؤالا : كيف اعتبر هذه القصة رواية ؟ .

« فالرواية » يعالج فيها المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر .. زاخرا بحياة تامة واحدة او أكثر » . وليس لدى رد الا ان اقدم ما قاله الأستاذ يحيى حقى صاحب القصة نفسها فى مجلة الثقافة عدد ٧١ : « أحب أن اقول أولا أن قنديل أم هاشم ليست رواية وليست قصة قصيرة فهى بين هذه وتلك » .

فماذا اقول بعد هذا .. وصاحب القصة قد قال كلمته ..

وفى عرضه لقصة « سلوى فى مهب الريح » يبرز سلوى فى صورة الخاطئة المتعمدة ـ صورة الانسانة التى تسير فى طريق الشر بارادتها .

فلا تستحق الدفاع عنها .. ولكنى بعد قراءة القصة أحسست أن سلوى كان مجنيا عليها .. نتيجة للظروف التى تحيط بها فأم فاسقة وباشا يملك الذهب الذى يذهب بريقه بالعقول وتضعف أمامه الارادات وخصوصا فى ظروف الفقر والحاجة .. كما أن المؤلف الأستاذ محمود تيمور جردها من كل الأسلحة التى تحميها شر السقوط ، فالسلاح الأول وهو « حمدى » سلاح كليل لا يقطع عرقا ولا يسيل دما فهو انسان فقير مريض لا حول له ولا قوة ، والسلاح الثانى هو الدكتور فهيم سافر هو الآخر بعد تعرفه عليها الى الخارج . وهكذا بقيت سلوى وحيدة فى الميدان تواجه أمها وطعمها والباشا وجشعه . ورغم ذلك لقد قاومت مقاومة شديدة ، ونلمس هذه المقاومة فى ردها على أمها عندما جاءت تطلب منها مقابلة الباشا الذى حضر للزيارة فى المنزل فما كان منها الا أن قالت :

ـ أمى أضرع اليك .

ـ أنا التى أضرع اليك أن تكونى هادئة .

فقالت : انى هادئة .. هادئة .. لقد اكدت لك ذلك ولكنى لن القى الباشا . والموقف الثانى الذى يبرز قوة مقاومتها بعد كشفها لنوايا الباشا وهو عندما كانت سلوى فى القصر تمرض أبنته (سنية) صديقتها العزيزة وجاءت أمها بحجة زيارتها وقابلت الباشا فى الحجرة منفردين وسمعت سلوى حديثا بينهما ورأت الباشا يمد يده بمبلغ من المال ... فما كان من سلوى الا ان لحقت بأمها بعد انصرافها . ولنستمع الى ردها على أمها فى كلمات قوية واضحة :

ـ مهما يبذل الباشا من محاولات فان جهده ضائع .. لن يستطيع أن يشترينى بهذه المنحة التى منحك اياها صباح اليوم ..

كما أن صداقتها لسنية لم تكن هادفة الى رسم خطة الوصول الى المجتمع الأرستقراطى كما يقول الدكتور الراعى ولكنها كانت صداقة خالصة كما تقول سلوى نفسها « فما أسرع ان نبتت بيننا الألفة وما هو الا وقت قريب حتى اصبحت لى صديقة مخلصة أبادلها الصداقة والاخلاص » .

ولعـــل فى ذلك ما يقنع الدكتور الراعى ان سقوط سلوى كان نتيجة للظروف المحيطة بها كما ذكرت .. وبذلك يصل مؤلف القصة الأستاذ محمود تيمور الى غايته المنشودة وهى اشراك القراء مع سلوى وجدانيا وعطفهم عليها لأنهـــا مجنى عليها والجانى هو المجتمع . أما اذا كانت بهذا التصوير الذى قـــدمه الدكتور الراعى فأى عطف واى تجاوب يحس بهما القارىء نحوها .. وما يزيد فى الاحساس بالعطف هو ما كان يراود سـلوى بأن تصبح شريكة حيـاة الباشا ولكنها كشفت نواياه الخبيثة التى قاومتها بايجابية ولكن لم تستطع المقاومة بعـد موت أمها وزوجها وقد تلفتت فوجـدت ، نفسـها وحيـدة بلا مال ولا متاع ولا صديق نعتمد عليه .

وأخـيراً فالدكتور الراعى قـدم لنا دراسة نقدية تعتز بها المكتبة العربية .

ابراهيم عيسوى سعفان



سطور من كتاب

« ما الذى غير اتجاه العقل الانسانى فى القرن التاسع عشر ؟ .. الذى غيره هو العلم نفسه ، لأنه عرف حدوده وكفكف من غروره ، فهو اليوم يدعى ويتواضـع كثيرا فى دعواه : يدعى أنه يصف ما يحس ولا يزيد .

لا نريد ان نقول : ان العلم اخفق فى تعزية الانسان وتعمير قلبه وضميره ... كلا بل نريد اكثر من ذلك .. نريد انه اخفق فى دعواه الوحيدة التى كان خليقا أن ينجح فيها ، لأن اصحابه كانوا يسمونه بالعلم (المادى) وهو اليوم لا يعلم من المـادة الا أنها حركة مجهولة ، فى فضاء مجهول .

نعم كل مادة تتركب من ذرات ، وكل ذرة تنفلق فتصبح شـــعاعا ، وكل شـــعاع هو حركة فى (الأثير) ... وما (الأثير) ؟ .. شيء كلا شيء .. ليست له حــدود ولا اوصاف ، ولا مقادير يعرفها العلماء .

فالعلم المادى : لا يعرف المادة الا فى هذه الحدود ، ومن الأدب اذن : أن يتواضع كثيرا ، فلا يحتكر المعرفة ، ولا ينكر على غيره أن يحاولوها حيث استطاعوا .

وهذا هو الجديد على العلم الحديث ، انه لا يعلم كل شيء لأنه مقيد بالحواس . واذا كانت الحواس لا تعلم جميع الأشياء فهل يعلمها الفكر ؟ كلا ــ أيضا ــ لأن الفكر محدود ككل شيء فى الانسان .

فلابد للمعرفة من وسيلة أخرى مع وسائل الحس ، ووسائل : التفكير ، ولابد لهـــا من البصيرة ، أو من البديهية ، أو من الالهام .

وذلك هو مجال التصوف ، أو مجال الدين ، فهـــذه هى المعرفة التى يتعـــاون عليهـــا الحس ، والفـكر ، والالهام . »

... المنقذ من الضلال



● من بين المعاجم العربيـــة التى تنهض « الدار المصرية للتأليف والترجمـــة » بعبء تأليفها **معجمان** تلح الحاجة من زمن بعيد على وجودهما الى جانب المعاجم الأخرى التى تقوم مادتها على دلالة الألفاظ .

المعجـــم الأول يجمع بين **الترادف اللفظى والترادف الأســـلوبى** فهو فى الترادف اللفظى يضم تحت كل مـــادة من مواده ما يدور من الألفاظ حول مسمى واحد ، اى انه يجمع فى اطار واحد كل ما يتصل بمسمى معين **كالبطء** مثلا ، فيسلك معه كل الألفاظ التى تعبر عن **البطء** فيما تضم اللغـــة ، كالتراخى والريث والتخلف والدبيب والاتئاد وغير ذلك .

أما فى **الترادف الأســـلوبى** فانه يجمع العبارات والجمل التى تدور حول معنى واحد كذلك ، بحيث يمد الكاتب بالعبارات الصحيحة التى تؤدى هذا المعنى فى وضوح وبلاغة ودقة تعبير مما دار على ألسنة الأدباء فى أزهى عصور الأدب العربى ، فهو فى مادة **البطء** ايضا يقـــدم أمثلة فى الأسلوب مثل : « مشى الهوينا » ، « زحف زحف السلحفاة » ، « قريب الخطو » ، « رب عجلة تهب ريثا » ، « يمشى رويدا » ، « يمشى على رسله » ، « جاء دبريا » .

وهذا النـــوع من المعـــاجم كان الأقدمون يعرفون قدره ، ويعلمون فائدته ؛ فكان لهم فى هذا الميدان الترادفى نشاط ملحوظ لا يقل عن نشاطهم فى الميدان اللغوى . ولكن هذا النوع فقد العناية به على حين ظلت العناية بالميدان اللغوى موصولة . وكان نتيجة هـــذا التوقف جمود أقلام الكتاب عند جملة من الألفـــاظ والتراكيب محدودة لا تكاد تبلغ من مجموع اللغة الا القليل .

و **المعجـــم الثانى** تقـــوم مادته على **تداعى المعـــانى** . وهو **أول معجم** من نوعه يوضـــع فى اللغة العربية . ولقد كانت فرنسا هى السابقة الى وضع معجم فى هذا البـــاب : ثم تلتهـــا انجلترا ، وها هى مصر تأخذ دورها فى هـــذا الميدان بعد هاتين الدولتين .

وهذا المعجم يتناول موضوعات يدعو معناها الأول معنى آخر يتصل به ويرتبط . فهو حين يتناول ما يتصل بالمسرح من أماكن وادوات مثل القاعة والمقصورة والمدرج والأبهاء وغـــير ذلك ينتقل الى ما يتصل بالتأليف المسرحى كالمأساة الغنائية والمسلاة الغنائية والملهاة والحوار الى غير ذلك من المصطلحات ، ثم بالاخراج كالحركة والفصول والمشاهد والعقدة وحلهـــا ؛ ممـــا

يقدمه مدير التحرير

يتسلسل من ذلك كله من المعاني . وهكذا في كل فن ولون ، وبذلك يقدم للكتاب ذخيرة من المعاني المستحدثة .

وهذان المعجمان سيكونان زادين للكتاب والمنشئين يمدان الحياة الثقافية بالغذاء الحي ، ويبعثان في الألفاظ والأساليب والمعاني الحركة والحيوية ، وينهضان بالتأليف والترجمة الى القمة من الجمال والابداع .

● كتاب « الأغاني » الذي الفه أبو الفرج على بن الحسين المنتهى نسبه الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية ، والمعروف بالأصبهاني لأنه ولد ونشأ بأصبهان سنة ٢٨٤هـ . وتوفى ببغداد سنة ٣٥٦ هـ . قال فيه ابن خلدون في مقدمة تاريخه أن مؤلفه « جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه . ولعمرى انه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه . وهو الغاية التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها ، واني له بها ! » .

هذا الكتاب الذي يعد من أثمن ما ترك لنا الأقدمون من تراث خالد ، طبع لأول مرة بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٨٥ هـ في عشرين جزءا تنتهي بأخبار عمارة بن عقيل . ولكن المستشرق الأمريكي رودلف برونو قام بطبع جزء آخر سنة ١٨٨٨ م (١٣٠٥ هـ) جمع فيه عددا من الترجمات التي لم ترد في الأجزاء السابقة . وقام المستشرق الايطالي اغناطيوس جويدي بعمل فهرس أبجدي للشعراء والقوافي والأعلام والأمكنة واشارة الى كل خبر ورد في ترجمة الشعراء وغيرهم ممن وردت أسماؤهم في الكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٩٥ – ١٩٠٠ في جزءين . ثم تولى الحاج محمد الساسي طبع كتاب « الأغاني » مرة أخرى في ٢١ مجلدا ونشر معه فهرسا في جزءين بنى على فهرس جويدي وقد قام باعداده المرحوم الأستاذ محمد مسعود .

وفي سنة ١٩٢٧ بدأت « دار الكتب المصرية » في اعادة نشر هذا الكتاب محققا ومشروحا ومقابلا على عدد من المخطوطات » وقد أتمت طبع ١٦ جزءا منه تعادل أربعة عشر جزءا وقسما من الجزء الخامس عشر من الطبعتين السابقتين .

ثم أخذت «الدار المصرية للتأليف والترجمة» على عاتقها اتمام نشر الأجزاء الباقية منه وعهدت بأمر تحقيقها الى عدد من المحققين ، ورأت أن تيسر للناس هذا الكتاب بثمن زهيد – لا سيما وأن بعض أجزائه كان قد نفد من زمن بعيد وارتفع ثمنها ارتفاعا فاحشا – فأعادت في العالم الحالي طبع الأجزاء السابقة بطريقة «الأوفست» على طبعة دار الكتب . وظهرت له طبعة أخرى منذ أعوام نشرت في بيروت .

وللمكانة الرفيعة لهذا الكتاب الكبير فكر جماعة من الأدباء في اختصاره وتصدوا لهذا العمل الضخم ، وكانوا في ذلك فريقين ، سلك كل فريق مسلكا مختلفا عن مسلك الفريق الآخر ، وانتهج منهجا مغايرا ؛ فمنهم من حافظ على ترتيبه ، ومنهم من بدل هذا الترتيب .

وكان في مقدمة الذين اختصروه :

الوزير الحسين بن علي المعروف بابن المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ .

ثم القاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧هـ وسمى اختصاره « **تجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى** » . وقد حققه الأستاذ الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبيارى ، ونشرت منه مطبعة مصر خمسة أجزاء وسيظهر الجزء السادس ، ويلحق به السابع مشتملا الى جانب مادته على الفهارس .

وقد صدرت من هذا **التجريد** طبعة نشرتها « مطابع الشعب » باسم « الأغانى » فى حلقات متسلسلة مصورة بالأوفست عن طبعة مطبعة مصر .

واختصار ابن واصل يسير على ترتيب الكتاب الأم ، ولكنه يجمع أخبار كل من ترجم لهم الأصفهانى فى اطار واحد .

ومن بين من اختصروه أيضا معاصر لابن واصل هو الامام اللغوى جمال الدين محمد بن المكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى صاحب معجم « لسان العرب » أوسع المعاجم العربية مادة وذيوع صيت ، وهو المتوفى سنة ٧١١ هـ . وقد خالف معاصره فرتب أسماء الشعراء والمغنين على حروف الهجاء ، وسماه « **مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى** » .

واختصره قبل ابن واصل وابن منظور وبعدهما آخرون ، كما اختصره من المحدثين : الأب انطون صالحانى وسماه « **رنات المثالث والمثانى فى روايات الأغانى** » وذلك فى جزءين أولهما فى أخبار المغنين والشعراء ، والآخر فى أيام العرب فى الجاهلية والاسلام ، وقد طبع فى بيروت مرتين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٢٣ . ثم اختصره الأستاذ الشيخ محمد الخضرى فى ثمانية أجزاء وسماه « **مهذب الأغانى** » ، وقد حذف منه الأسانيد وروى الشعر كما قاله الشعراء لا كما غنى به المغنون ، وقسم الشعراء فيه الى ثلاث طبقات .

أما المختصر الذى وضعه ابن منظور صاحب « لسان العرب » باسم « **مختار الأغانى** » فكانت « المطبعة السلفية » قد فكرت فى طبعه ، فنشرت منه الجزء الأول سنة ١٩٢٧ وينتهى الى آخر أخبار اسحاق الموصلى ، ثم توقفت عن النشر .

ولكن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » قد نهضت بهذا العبء أيضا وعهدت أمر نشر « **مختار الأغانى** » محققا فى ثمانية أجزاء الى طائفة من الأساتذة المحققين لينشر فى سلسلة « **تراثنا** » التى تتولى نشرها . وسيظهر خلال هذا الشهر **الجزء الأول** الذى تم طبعه بتحقيق الأستاذ ابراهيم الأبيارى ، وهو ينطوى على اثنتين وخمسين ترجمة تبدأ من أبى العتاهية اسماعيل بن القاسم ، وتنتهى باسماعيل القراطيسى .

وتقوم المطبعة الآن بطبع **الجزء الثانى** منه بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فرج ، ويوشك هذا الجزء على اللحاق بسابقه فى الظهور قريبا .

وتمتاز الطبعة الجديدة بالرجوع الى نسخة كاملة من الكتاب موجودة بالخزانة التيمورية مع مقابلتها على ما ورد فى كتاب « الأغانى » نفسه وفى كتاب « تجريد الأغانى » .

● فى سلسلة « التراث العربى » التى تصدرها وزارة الارشاد والأنباء فى الكويت حقق الأستاذ عبد الستار احمد فراج كتاب « **خلق الانسان** » للعالم اللغوى ثابت بن أبى ثابت من علماء القرن الثالث الهجرى وتلميذ الأصمعى ومن أصحاب ابى عبيد القاسم بن سلام .

وهو يتناول فى هذا الكتاب الانسان وهو جنين الى أن يجنه القبر ، فيذكره من رأسه الى قدمه عضوا عضوا ، ويذكر ما يقال فى كل عضو من مدح أو ذم مع الاستشهاد لذلك بالشعر الذى قيل فيه .

وقد ذكر القفطى فى كتابه « انباه الرواة على أنباء النحاة » أنه « أجاد فيه حق الاجادة ، وأحسن فيه ما شاء ، وأربى على من تقدمه . وأحسن حالات المتأخرين الاخذ منه » . وفى مقدمة الذين اخذوا عنه ونقلوا منه العالم اللغوى أبو الحسن على بن اسماعيل الاندلسى المعروف

بابن سيده المتوفى سنة٤٥٨ هـ. صاحب « الكتاب المخصص » فقد نقل من كتاب ثابت الكثير في باب خلق الانسان ويقرن كل ما ينقل عنه بذكر اسم « ثابت » الى جانب نقله .

وقد صنف في هذا الضرب « خلق الانسان » — أي في أسماء اعضائه وصفاته — جماعة من الأدباء واللغويين منهم ، كما يقول حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » : ابن قتيبة وابن فارس والأصمعي — وقد طبع كتاب الأصمعي في بيروت سنة ١٩٠٣ — وابن الأعرابي والزجاجي وأبو بكر الانباري وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهم وأحصى منهم أكثر من عشرين عالما غير هؤلاء الذين ذكرناهم .

● نشرت « دار العلم للملايين » في بيروت كتاب « **اسرائيل : ذلك الدولار الزائف** » الذي الفه الفرد ليلنتال . وهو الكتاب الذي رفضت جميع دور النشر الأمريكية طبعه بالانجليزية أو القيام بتوزيعه ، فاضطر مؤلفه الى نشره باللغة العربية قبل أن ينشر الأصل الانجليزي .

والمؤلف — الفرد ليلنتال — أمريكي الجنسية ، عين بعد تخرجه من جامعة كولومبيا في وظيفة بوزارة الخارجية الأمريكية ، وشغل عدة مناصب دبلوماسية في الشرق الأوسط ، وكان مستشارا للوفد الأمريكي في مؤتمر سان فرنسسكو .

وهو يقوم — على الرغم من معتقده الديني — بمناصرة قضايا العرب ومناهضة اسرائيل . وقد نشر سنة ١٩٤٩ مقالا في مجلة « ريدرز دايجست » عنوانه « **راية اسرائيل ليست رايتي** » كان له صدى بعيد الأثر في جميع انحاء العالم .

وفي سنة ١٩٥٤ نشر له « المكتب التجاري » في بيروت كتابا عنوانه « **ثمن اسرائيل** » ، قام بترجمته الأستاذان حبيب ناحولي وياسر هوراي ، فنفذت طبعته الأولى ، واعيد طبعه مرة أخرى في مدى شهر واحد .

كما نشرت له « دار العلم للملايين » في سنة ١٩٥٧ كتابا آخر عنوانه « **هكذا يضيع الشرق الأوسط** » .

● صدر المجلد الثامن عشر من « **مجلة مجمع اللغة العربية** » وهو يضم طائفة من البحوث القيمة ، من بينها بحث للأستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور أمين سر المجمع عن « **المصطلحات العلمية المعاصرة** » ، وبحث للأستاذ محمد فريد أبو حديد عن « **الأسلوب في الأدب** » ، وآخر للأستاذ عبد الله كنون عن « **الكاتب الساخر لسان الدين بن الخطيب** » .

وثمة بحث للمستشرق الألماني الأستاذ الدكتور « يوهان فك » الأستاذ بجامعة « هاله » في ليبزج بألمانيا الشرقية سابقا ، وهو صاحب الكتاب القيم « العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأسلوب » وهو كتاب يشرح تطور الأساليب في لغتنا من أول الهجرة الى القرن الرابع ، وكان المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار قد قام بترجمته الى العربية ونشر في مصر عام ١٩٥١ . والدكتور فك من كبار المستشرقين الألمان الذين توفروا على خدمة الثقافة العربية ، وممن تخرجوا على الدكتور أوجست فيشر الذي كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونشر في ليدن سنة ١٩٥٤ بمعاونة بروكلمان وشبولير وهوفنر بحوثا عن « العربية فقها وأدبا » وعن « تاريخ هذه اللغة » . أما بحثه الذي نشر في « مجلة مجمع اللغة العربية » الذي نشير اليه فهو عن « **الأوزان العربية القديمة للشعر** » وقد قام بترجمته الى العربية مع التعليق عليه الأستاذ الدكتور مراد كامل عضو المجمع . وهذا البحث جدير بالنظر والمناقشة . فهو يقول ان أوزان البحور الخمسة عشر التي وضعها الخليل ابن احمد في دوائره الخمس هي في الحقيقة أقيسة لا تتفق معها أشعار القدامى تمام الاتفاق ، بل تخضع أشعارهم للزحافات والعلل .

ويقول ان نحاة العرب الذين درسوا اللغة لم يتحدثوا عن التنغيم ، لا في النثر ولا في الشعر ، ولكنهم عالجوا الظواهر اللغوية بعملها في صورتها الخطية .

وأورد مختارات من الشعر الذي تتفق أوزانه مع بحور الخليل ، وذكر أن طائفة من العلماء لم تتقبل بحوره ، وعارضت آراءه .

واختتم الدكتور فك بحثه بقوله : اننا اذا أردنا أن نفهم الأوزان العربية القديمة فهما صحيحا وجب علينا أن نبدأ من بقايا الأشعار العربية كما هى فنحللها بعناية حتى نصل الى فهم تصورها فهما تاريخيا . وبطبيعة الحال ان ما وضعه علماء العرب فى العصور الوسطى سيساعدنا فى ذلك ، ولكننا على أى حال لن نقف طويلا تحت حكم دوائر الخليل .

● لم تشغل مهنة الطب الدكتور عمر مكاوى عن متابعة الثقافة فى شتى ألوانها ، فهو كما يحمل الترمومتر ليتعرف درجة الحرارة وتطورات المرض ، يحمل القلم متتبعا التطورات الثقافية فى أعلى درجاتها ليتزود منها ولينقل عنها الى لفته ما يمدها بالغذاء الصحيح ، ويعالج فى خلال ذلك الجديد من المشكلات التى تشغل العالم فى هذا العصر .

وبهذا الطموح الثقافى وهذا الوعى لمشكلات العصر أقبل الدكتور عمر مكاوى على كتاب برناردشو « **دليل المرأة الذكية الى الاشتراكية والرأسمالية والسوفيتية والفاشية** » الذى ألفه برناردشو حين سألته احدى السيدات عن تعريف الاشتراكية ، فنقل الدكتور مكاوى هذا الكتاب الى العربية نقلا أمينا ودقيقا وواعيا ، وقد نشرته فى جزءين منذ قريب « الدار المصرية للتأليف والترجمة » بالاشتراك مع «دار القلم» .

ثم تابع النظر فى آثار شو التى لم تترجم بعد يقرؤها ليتخير منها ولينقل طائفة منوعة الألوان ، فمن كتابه« **جوهر الابسنية** » يقدم ثلاثة فصول عرض فيها شو لمسرحيات ابسن ، كما تناول مقال شو « **فاجنر الثورى** » الذى أضافه الى كتابه « **الفاجنرى الكامل** » وهو الذى ترجمه الدكتور ثروت عكاشه بعنوان « **مولع بفاجنر** » ، ثم يختار له أجزاء من **مقالات ومقدمات عن شكسبير** الذى كان يرى أنه لم تكن له فلسفة واضحة أو مفيدة لأنه كان يقف على رأس حقبة معينة من التاريخ ، ويعرض لنا نماذج من **حديثه عن داروين** . واختار من مقالاته السياسية اربعا هى : « **المساواة** » وهى مقالة كتبها سنة ١٩٤٤ يرى فيها أن مشكلة المساواة ليست مساواة فى الفرصة ولا هى مساواة رقمية فى الدخل بين الناس بل هى مشكلة الحد الأعلى للاجور وللدخل المسموح به فى مجتمع يبنى الاشتراكية . ومقال « **عن الفقر** » يأمل من وراء اختياره أن يصدر عندنا تشريع أو ما يقوم مقام التشريع يحرم الدعوة الى الفقر أو استحسانه أو الصبر عليه ، بل يضعها فى مرتبة الخيانة لقضية الاشتراكية والحضارة ، ومقال « **مشكلة الأرض** » يقول عنه انه مقال مفيد فى وقت يدور فيه سباق غير عادل بين مدينتنا وقريتنا وهو سباق سيظل فترة طويلة يمثل أخطر مشاكل تطورنا الاقتصادى والنفسى . أما المقال الرابع فهو « **الفساد فى الدولة** » وهو تنبيه وتحذير الى أن الايمان بالاشتراكية ضرورى لتطبيقها ، وأنه لا اشتراكية بدون اشتراكيين ، وأن التنظيم السياسى الذى عقدنا العزم على تشكيله ـ حكومة وشعبا ـ هو الضمان الحقيقى لتثبيت دعائم انتصاراتنا الاشتراكية .

كما اختار من آثاره قسما من خطابه الطويل فى أمريكا وفيه نقد لاذع للنظام الرأسمالى الاحتكارى هناك .

هذه المختارات وغيرها من آثار برنارد شو التى انتهى اليها الدكتور مكاوى بعد حيرة فيما يختار وفيما يدع ، هى من أمتع ما انضم عليه هذا الجزء الذى نشرته له « دار الهلال » فى سلسلة « كتاب الهلال » بعنوان « **مختارات من برنارد شو** » .

ولعل هذا الاختيار يكون حافزا للدكتور عمر مكاوى على نقل آثار برنارد شو الى العربية وحافزا لغيره ممن قدروا آثاره حتى تظفر المكتبة العربية بالكثير من مؤلفات هذا الرجل .

● وأعادت « دار الهلال » فى سلسلة « **كتاب الهلال** » أيضا نشر كتاب « **أساطير الحب والجمال عند الاغريق** » لفقيد الأدب والثقافة والفن المرحوم الأستاذ درينى خشبة ، الذى افتقدناه فى العاشر من شهر يولية من العام الماضى .

وكان الأستاذ درينى خشبة ـ رحمه الله ـ لقد عنى منذ أكثر من ربع قرن بتقديم الأدب اليونانى الى قراء العربية ليصل بجهوده جهود الأقدمين من العرب الذين عنوا بآثار اليونان فى الفلسفة والمنطق فترجموها الى لغتهم ، ومن ثم سلمت من الضياع ، وعرفها الغرب عن طريق العرب . ولكن الأقدمين من العرب لم يعنوا بنقل الأدب اليونانى وتوجسوا منه خيفة ، ولعل السبب فى ذلك الاحجام هو خوفهم على الدين الجديد من وثنية يفيض بها ذلك الأدب . ولكن هذا الدين الذى ثبتت عقيدته ورسخت على الزمن ثلاثة عشر قرنا وعرف العالم فى ظله أروع المبادىء الانسانية وأسماها وبهره بحضارته وثقافاته لم يعد يخشى عليه من شىء كهذا ، فلا عذر اذا فى الاحجام عن نقل تراث الأدب اليونانى الى لغتنا ، وهذه كانت رسالة درينى خشبة أثابه الله عن جهوده الأدبية خيرا ورحمة.

والكتاب الذى تعيد « دار الهلال » نشره بعد أن نفدت طبعته الأولى التى نشرت فى « مطبعة الرسالة » منذ أعوام طويلة ، يضم كل هذه الأساطير ، ويعرضها المؤلف بأسلوبه الشاعرى المشرق الذى يجمع بين دقة البحث وجمال الفن ، فهو لم ينقل ما نقل من آيات الأدب اليونانى نقل ترجمة ، ولكنه نقل رواية ؛ وهذه الطريقة هى التى آثرها شعراء أوروبا الحديثة حين قدموا لبلادهم ذلك التراث اليونانى التليد ، وهى كذلك الطريقة التى أقرها وجرى عليها الأستاذ توماس بلفنش المتوفى سنة ١٨٦٧ حينما نقل الى الانجليزية معظم الأساطير اليونانية عن أوفيد و فرجيل .

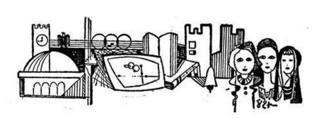
● صدرت أخيرا فى موسكو ترجمة باللغة الروسية لرواية « **الدروب الصاعدة** » للروائى الجزائرى « مولود فرعون » . وقد طبع من هذه الترجمة ٦٥ الف نسخة .

وجاء فى مقدمة الترجمة الروسية أن مولود فرعون يستحق لقب المتغنى بأمجاد وطنه ، وانه على الرغم من أنه حياته قد انتهت بميتة مفجعة فان أعماله ستظل خالدة لا تموت .

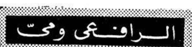
والرواية التى ترجمت الى الروسية وهى « **الدروب الصاعدة** » هى ثالث آثار هذا الأديب الجزائرى الذى جاهد فى سبيل تحرير وطنه . وقد أصدر قبلها روايته « **ابن الفقير** » التى يروى فيها أحداث حياته ، ثم « **الأرض والسلام** » . وقد اغتيل مولود فرعون برصاص الأعداء يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٢ فى ضاحية « البيار » احدى ضواحى مدينة الجزائر .

حسن كامل الصيرفى









تاليف : عبد السلام هاشم حافظ .

الناشر : الـدار المصرية للتاليف والترجمة ١٥٤ صفحة ١٧ × ٢٤ ث ٩ قروش

اديبان كبيران تناولهما هذا الكتاب ، عاشا فى عصر واحد وربطتهما وشائج أدبية واحدة ... الرافعى ومى .

والكتاب ينقسم الى قسمين ، ومن الأوفق أن نقول كتابين . الأول يتنـاول مصطفى صادق الرافعى الكاتب والشاعر . والثانى : يتناول الآنسة مى ، وهى على ما نعرف تقف فى طليعة الاديبات المعاصرات فى سجل النهضة النسائية .

واذا كان الكاتب قد وفق فى شىء فان أهم ما وفق فيه انه أعاد الى ذاكرة هذا الجيل قصة أديبين كبيرين ، وقصة المأساة التى عاشا فيها كلاهما ، أما ما عدا ذلك فلنا عليه تعليق .

اولا : بالغ الكاتب فى ابراز الصلة التى تربط بين الرافعى ومى ، هذه الصلة عنده صلة حب ، واذا نحن افترضنا وجود هذه الصلة ، فلابد أن نأتى بالشواهد والبراهين الدالة عليها والبعد كل البعد عن التعميمات .

ثانيا : ما كان يجب الجمع بين الرافعى ومى فى كتاب واحـد ، فكلاهما أديب جليل الشأن وله مكان معروف فى تاريخ النهضـة الأدبية المعاصرة ، وكان من الافضل أن يستقل كل منهما بكتاب واحد أو أكثر من كتاب أن شئنا الانصاف .

ثالثا : أن المؤلف كان يأتى بنصوص طويلة فى ثنـايا الكتاب كان من المكن الاستغناء عنهـا ، أو الاستغناء عن جزء منها ، لأن حجم الكتاب لا يتسع لهـذه النصوص جميعها ، أما اذا أصر المؤلف على الاتيان بها كاملة ، فمن الواجب عليه عندئذ أن يختص كل واحد منهمـا بكتاب .

رابعـا : أن المؤلف اعتمد فى كتـابه على الاقتباس مما كتبه الأستاذ محمد سعيد العريان والأسـتاذ محمد عبد الغنى حسن وما ورد فى رسائل الرافعى التى أعدها الأستاذ محمود أبو رية ، حتى أن الكتاب يبدو الى حد بعيد أنه خلاصة أو تلخيص لهذا الكتب الثلاثة .

على أن هذا كله لا يغمط حق المؤلف فى التقدير ، لانه جدد فى كتابه ذكرى مصطفى صادق الرافعى والآنسة مى ، وهذا جهد مشكور وفضل لا ينكر .



تاليف : و . ب كنج وآخرين

تقديم : الدكتور حسين سعيد

ترجمة : الدكتور محمود أبو العمايم وآخرين

مراجعة : الدكتور أحمد مصطفى

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرأنكلين ٢٥٢ صفحة ١٧ × ٢٤ ث ٨٧ قرشا

من المشـاريع الهـامة التى تضعها الدولة فى عهدها الحاضر موضع التنفيـذ مشروع تعريب المواد العلمية التى تدرس بكلياتها ، تيسرا للطلاب واخلاصا للقضية القومية وتوطيدا لها .

وهذا الكتاب ـ كما جاء فى المقدمة ـ « يحقق مطالب الطلاب المبتدئين فى دراسة الكيمياء بكليات العلوم والمعلمين ، وهو يكفى لتغطية برنامج عام كامل ، ولقد جاء هذا الكتاب نتيجة للرغبة فى اعطاء الطالب الذى يبدأ دراساته العالية فكرة عن اتجاهات الكيمياء النظرية الحديثة وما استحدث فى قوانينها وتراكيبها فى السنوات الأخيرة » .

وقد روعى عرض مادة الكتاب عرضا متسم بالبساطة والوضوح ، ويستهدف دفع الطالب الى التفكير فى تفسير وفهم الظواهر والنتـائج التى يحصل عليهـا بعد اجراء التجارب » .



نســاء خالدات

تاليف : أنور أحمد .
الناشر : الدار القومية ــ مذاهب وشخصيات ــ ١٢٦ صفحة ١٧ × ٢٤ . ث ٢٥ قرشا

المراة حين تعطى لها الفرصة تستطيع أن تلعب دورا هاما فى التاريخ .

هذا هو الغرض الاساسى من هــذا الكتاب ، أهداه المؤلف « الى المراة العربيــة المعاصرة التى حطمت أغلالها وانطلقت تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

والأستاذ أنور أحمــد له نشاط سينمائى معروف ، وقد اهتم فى السنوات الاخيرة بالكتابة عن المراة وعرض مشاكلها فى بعض المجلات النسائية ، الى جانب ما كتبه من مقالات متعددة رسم من خلالها . صورا تاريخية لمشاهير النساء ، ويبــدو أن هذا الكتاب هو تجميع لبعض هذه المقالات أو جلها .

والمؤلف فى عرضه لهــذه الصور التايخية لم يتقيد بحرفية الواقع كما هو موجود فى النصوص القديمة ، انما استمد من خيــال الاديب ومن لوازم الحبكة القصصية ما جعله يخرج كتابه فى شكل مشوق جذاب .

والشخصيات التى عرض لهــا المؤلف فى الكتاب ترتبط جميعها بتاريخنا العربى أو تاريخنا القديم والحديث بوجه عام ، فبــداه بالحــديث عن سميراميس البطلة الآشورية الشهيرة ، وتلاه حديث آخر عن بلقيس ثم زنوبيا وكليوباترة وأسماء بنت أبى بكر وخولة بنت الأزور وصبحة زوج الحكم المستنصر خليفة الأندلس وست الملك شقيقة الحاكم بأمر الله وشجرة الدر .

واذا كان ثمة خط فكرى عام يجمع هذه القصص فى اطار واحد ، فهو يتمثل فى رغبة الكاتب فى ابراز الدور الهام الذى لعبته المراة العربيــة فى العصور التاريخية المختلفة ، وهو دور يجب الا يغفل ، ويجب أن نجعله محل العناية والتقدير .

القصة العربية القديمة

تاليف : محمد مفيد الشوباشى .
الناشر : الدار المصرية للتــأليف والترجمة ــ المكتبة الثقافية ــ ١٢١ صفحة قطع صغير ث قرشان

القصة فن من الفنون التى تنتمى الى العصر الحديث أو تنتمى الى الآداب الأوربية بصفة خاصــة . هذا هو الاعتقاد الشائع عند بعض محبى هذا الفن والعاملين فيه ، وهذا أيضا ما تولى مؤلف هــذا الكتاب دحضه وتفنيده . فالقصة كغيرها من فنون الادب والوانه لها عهد طويل فى تاريخ الانســانية معرقة فى القــدم ، ولا يستقيم منطقيا أن ينشأ فن دون أن تكون له جذور وبذور .

ذلك هو الهدف الأول الذى توصل اليه الأستاذ المؤلف فى بحثه هــذا . والهدف الثانى انه أراد أن يبرز أهمية الدور الذى لعبــه العرب فى تاريخ القصة ، واستطاع أن يعطينا صورة طيبة عن هذا الفن وتطوره عند العرب منذ عهد ما قبل الاسلام حتى أفول نجم الحضارة العربية .

واذا كانت القصة الأوربية الحديثة تدين بالفضل الكبير لرواد من أمثال بوكاشيو وتشوسر وسرفنتس ، فان هؤلاء جميعا تأثروا بالقصة العربية بعد انتقالها الى أوربا عبر صــقلية وبلاد الاندلس ونتيجة للحروب الصــليبية مع فنون العرب الأخرى وعلومهم المجيدة المزدهرة .

وقد وفق المؤلف فى أشياء عديدة لحظناها من خلال الكتاب ، فلا يجب أن ننسى انه أعطانا تعريفــات مختصرة لبعض القصص العربيــة الشهيرة والتى لا تزال باقية فى ضمير هذا الشعب وفى تراثه الخالد مثل قصة الزير سالم وعنترة وديك الجن والبراق وألف ليلة وليلة .

ولكن لماذا لم يكتب للقصة العربية الحديثة أن تكون امتدادا لازما للقصة العربية القديمة ؟ .

ان المؤلف يتحمس فى رأيه الذى يقول أن القصــة العربية القديمة هى أساس القصــة الأوربية الحديثة ، ولا يخفى أنه على نهج هذه القصة الأخيرة سار القصصيون العرب المحدثون . وهــذا رأى نحترمه ونقدر لصاحبه انصافه وحسن تقديره للأمور ، لكنه أيضا راى لا يكفى لشرحه كتاب صغير .

التحمس للقضية شيء والتوفيق فى عرضها شيء آخر ، صحيح أنه لا يخفى أثر القصة العربية القديمة فى القصة الحديثة بوجه عام عربية وأوربية . لكن هذا ليس معناه امتداد هــذا التأثير من حيث فنية العرض وقواعده ورسم الأشخاص وتركيب البنية والحبكة ، لأن الفضل الاكبر فى هذا يرجع الى أوربا التى لم تكتف بالنقل عن العرب ، وانما نقلت أيضا من تراثها اليونانى واللاتينى والجرمانى ، وبعد ذلك من تراثها المسيحى ، وما جرى من نهضة العلوم والمعارف وارتياد آفاق جــديدة واتصال بشعوب أخرى والتزود من آدابها . وهذا كله مما مهد للقصة الحديثة .

واذا كان المؤلف قد قارن فى كتابه بين مضمون بعض القصص العربيــة ومضمون بعض القصص الأوربيــة الشهيرة ، واستنتج من هذا أن الأخيرة مستقاة من الأولى أو منقولة عنهـا ، الا أن هذا المضمون قد يكون فى بعض الأحيان مجرد نزعات فى النفس الانســانية وميول موجودة عند كل الشعوب ، أو بمعنى آخر ان هــذا المضمون الأوربى ربما كان يبقى دون حاجة الى تأثير عربى معين.

هذا تعليق مبسط على هذا الكتاب الذى الفه استاذ محيط بموضوعه ، وهو كما نعرفه أديب له عهــد طويل بكتابة القصة ، وما أخذناه على الكتاب لا ينقص من قدر صاحبه ، لانه استطاع أن يصل فيه الى توفيقات عديدة ، لا يتسع المجال لذكرها ، وان ذكرنا بعضها ، ومن اراد أن يتزود ويستفيد فليطالع الكتاب .

ابتسامات ودموع وظلمات وأشعة

ترجمة وتأليف : الآنسة مى
تقديم : طاهر أحمد الطناحى
الناشر : دار الهلال ـ كتاب الهلال ـ ٢٥٧ صفحة
١٤ × ٢٠ ث ١٠ قروش

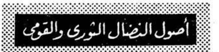
أديبة نجيبة ذكية ذات حياء وثقافة وعلم غزير واسلوب رقيق ... تلك هى الآنسة مى . وهذا الكتاب الذى بين أيدينا هو فى الحقيقة كتابان أولهما كتاب مترجم من تأليف العالم الالمـانى والمستشرق الأديب مكس موللر ، اسمه « الحب الألمانى » ، عبارة عن لوحات تحكى عذاب المحب الذى تفصله عن محبوبته فوارق من الصعب أن تزول ، وعندما يحس أنه قد ظفر بها أخيرا يكون الموت قد سبقه اليهـا .

وقد يكون من المستغرب أن تقوم الآنسـة مى بترجمة هذا العمل الأدبى الرائع الى اللغـة العربية ، مع قلة ما تعرفه من اللغة الألمانية . لكنها حين نشرت هذا الكتاب فى جريدة المحروسة التى كان يصدرها والدها سنة ١٩١١ قال لها أحد الادباء المعروفين : أسائل ذاتى ساعة أقرأ (ذيل) المحروسة أأنت ناقلة مكس موللر الى العربيـة أم هو ناقلك الى الألمانية .

والكتاب الثانى هو « ظلمات وأشعة » أصدرته الآنسة مى فيما بعد ، وهو تأليف مبتكر به ابداع وبه خطرات وتأملات فى الحياة ، تدل على حسن مرهف وذوق ، أدبى سليم ... هو شعر منثور كما يقول الاستاذ طاهر الطناحى أو نثر فنى بديع كما نقول نحن .

« بين شطى الماضى والمستقبل يجرى نهر الحياة ثملا بعقيقه الفخم ، ليصب فى بحر الأبدية حيث لا جـديد ولا قديم ، وخيـالات البشر تتهادى بين جماجم الموت وأغراس الحياة ، مخفية طى ضلوعها كثيرا من الآمال وكثيرا من الكلوم ..

فالى بحر الأبدية أيها العام الراحل ! .
وأنت أيها العام الجديد الينا ! »



تأليف : الدكتور عبد العزيز رفاعى .
الناشر : الدار القومية ـ كتب قومية ـ ١٥٨ صفحة
١٧ × ٢٠ ث ٥ قروش

هـــذا الكتاب يريد أن يقول ان تاريخ الشعب المصرى فى مرحلتـه المعاصرة يعبر أولا وقبل كل شىء عن روحـــه القومية العالية ، ووعيه السـياسى السليم ، بدأ هــذا مع الحملة الفرنسية التى هزت ضمير هذا الشعب هـزا عنيفا ، وخرجت به من ظلمات العصور الوسطى الى آفاق العالم الحديث ... وكانت ثوراته المتوالية ضد التسلط الأجنبى ابراز لروحه العظيمة هذه وتوطيدا لها .

وكان لابد لهـذا الشعب الملم أن يطرد نجاحه وينمو بصورة متزايدة فصمد أمـام الولاة العثمانيين الذين أرادوا أن يرجعوا به الى النظام القديم ، وولى محمد على قائد الجنود الألبان ، بعد أن اخـذ عليه العهد والميثاق بأن يحكم بالعدل ، وألا يبرم أمرا الا بمشورته ، وانه اذا اخل بما عاهد ووائق كان للشعب عليه حق الخلع .

وتوالى انتصار الشعب المصرى بمجىء الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ وظهر أنه باستطاعة شعب أعزل الا من الايمان أن يتغلب على قوى الغدر مهما كانت ، ولكن القدر كان يخبىء له أمرا ، لان الباشــا الطموح لم يكن يرضى بأن يشاركه الشعب ممثلا فى قادته وزعمائه حكم هـــذا البلد الناهض ، وحدث ما حدث من اخماد الروح النضالية ، ولكن الى حين .

واذا كانت الحملة الفرنسية هى المنبه الأول لهـــذا الشعب ، فان جمال الدين الأفغانى ودعوته الاصلاحية بعد المنبه الثانى الذى أيقظه من النكســة التى حلت به ابان حكم محمد على ، وكانت الأزمة المالية وما صحبها من التدخل الأجنبى عاملا آخر فى تنبيهه . ومن ثم فقد نشأت الحركة العرابية حركة دستورية من أجل منع الاستبداد ، وتمثيل الشعب تمثيلا صحيحا فى حكم بلاده .

وعلق الشعب آمالا كبارا على زعمائه من الفلاحين ، ولكن الثورة خابت لتحالف الرجعيـة والقصر والدول الأوربية عليها ، ومن ثم فلم يجد النضال الشعبى الا أن يتوجه الى بناء نفسه فى الداخل قبل أن يخوض المعركة الحاسمة مع الاحتلال . وبدأ يتعمق الأسباب التى ادت الى تحكم الأجنبى فيـه فلما وقف عليها ثار ثورته الكبرى عام ١٩١٩ التى شاركت فيها عناصر الأمة جميعها ، واستطاعت أن ترغم المحتل على أن يحترم ارادة الشعب ... ومن هنا بدأ عصر التنازلات .

ولكن هذه التنازلات التى تمثلها بوضوح معاهدة ١٩٣٦ لم تكن ترضى الشعب المصرى ، فقد كانت مخدرا استمر فترة وجيزة عاد بعـــدها النضال بصورة أقوى وأشد . وكانت مأساة عام ١٩٤٨ بداية عصر جديد هو عصر الثورة التحريرية الكبرى عام ١٩٥٢ .

وهكذا ... وبعد قرن ونصف القرن استطاع الشعب المصرى أن يصل الى قمة نضاله الثورى والقومى ، وأن يجنى هذا الجيل ثمرات كفاح أجيـال سبقته ، واستطاع اخيرا أن يرضى ويطمئن .



● **النقد العربى الحديث**

تأليف : الدكتور محمد زغلول سلام ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات : ٣٢٠ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن

● **مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا**

تأليف : ج بنروبى ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مراجعة الدكتور محمد ثابت الفندى ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٤٥٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٧٢,٥ قرشا

● **ديوان ملك غرناطة .. يوسف الثالث**

تأليف عبد الله كنون ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٠٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن

● **الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية**

تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٥٤٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٨٠ قرشا

● **المنقذ من الضلال لحجة الاسلام الغزالى**

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢١٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٣٥ قرشا

● **التفكير الفلسفى فى الاسلام**

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عددالصفحات ٤٣٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٩٠ قرشا

● **أزمة الشعر المعاصر**

تأليف الدكتور ماهر حسن ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٥٨ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٢٠ قرشا

● **قيم ومعايير**

تأليف : العوضى الوكيل ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٠٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ٨ قروش

● **الزهاوى**

تأليف الدكتور ماهر حسن فهمى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٦٣ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ٥ قروش

● **ملك عجوز ومآسى اخرى**

تأليف : شوقى عبد الحكيم ، تقديم يحيى حقى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٥٦ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٤٥ قرشا

● **حدث ذات ليلة**

تأليف محمود البدوى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١١٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٢٥ قرشا

● **عودة الفراشة**

تأليف سيد عويس ، الناشر دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، عدد الصفحات ١٣١ ص ١٤ × ٢٠ سم

الثمن ١٥ قرشا

● **ربيع**

نظم مصطفى عبد الرحمن ، الناشر الدار المصريه للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٧٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ١١ قرشا

● **الموسيقى والحضارة**

تأليف هوجو لايختنتريت ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، مراجعة الدكتور حسين فوزى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٤٩٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٢٨ قرشا

● **قاب قوسين**

نظم محمود حسن اسماعيل ، الناشر دار العروبة ، عدد الصفحات ٢٤٢ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ٨٠ قرشا

● **ابو نواس**

تأليف عبد الرحمن صدقى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٢٦٥ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٤٠ قرشا

● **علم الاقتصاد**

تأليف بومول وجاندلر ، ترجمة سعيد السامرائى وآخرين ، مراجعة الدكتور حميد القيسى ، الناشر مكتبة دار المتنبى ـ بغداد ـ بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٥٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ١٢٠ قرشا

● **المدخل الى علم الاقتصاد**

تأليف چون كامبس ، ترجمة الدكتور حميد القيسى ، الناشر مكتبة الوفاء ـ الموصل ـ بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٣٣٤ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٩٠ قرشا

● **القوس العذراء**

نظم محمد محمود شاكر ، الناشر مكتبة دار العروبة ، عدد الصفحات ٧٦ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٤٠ قرشا

● **أم الاشتراكية خديجة بنت خويلد**

تأليف الدكتور ابراهيم زكى الساعى ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ١٣٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٢٥ قرشا

● **دراسات فى الأدب العربى .. طه الراوى**

تأليف حارث طه الراوى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٤٤ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ١٥ قرشا

● **الأسطورة**

تأليف فتحى هاشم ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ١٥٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٧ قروش

● **القارب الأخير**

تأليف طه حواس ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ١١ قرشا

● **الصراع الأدبى بين القديم والجديد**

تأليف على العمارى ، الناشر دار الكتب الحديثة ، عدد الصفحات ٣١٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٣٠ قرشا

● **ابنتى الحبيبة .. خواطر وتأملات**

تأليف آن مورو لندبرج ، ترجمة صوفى عبد الله ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٣١٧ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٢٨ قرشا

● **السائرون وحدهم فى الحياة**

تأليف بيرى بيرجس ، ترجمة الدكتور سعيد عبده ، الناشر دار نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٢٨٨ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٣٢ قرشا

● **صدى الصوت من الخفاش الى الانسان**

تأليف دونالد جريفن ، ترجمة الدكتور محمد الشحات ، الناشر دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١٧٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ١٨ قرشا

● **الصخور المتغيرة**

تأليف آن تيرى هوايت ، ترجمة الدكتور محمد يوسف حسن ، الناشر دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١١٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٣٠ قرشا

● **محركات السيارة .. تكوينها وتشغيلها**

تأليف وليام كراوز ، ترجمة الدكتور محمود حسان سعداوى ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى العلايلى ، الناشر دار المعرفة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٢٩٢ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٥٥ قرشا

● **الأرض الآثمة**

تأليف باتريك ڤان رنزبورج ، ترجمة رياض عبد المجيد خليل ، مراجعة عثمان نوية ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة التضامن العربى ، عدد الصفحات ٣٧١ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٢٤٫٥ قرشا

● **كيف نساعد الآخرين**

تأليف رودلف ڤيتنبرج ، ترجمة فوزية محمد بدران ، مراجعة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط ، عدد الصفحات ٩٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٧ قروش

● **مدخل الى علم السياسة**

تأليف هارولد لاسكى ، ترجمة عز الدين محمد حسين ، مراجعة على أدهم ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ١٣٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٣٢ قرشا

● **عهد ومنهاج بين الشعب والقائد**

باشراف مؤتمر الاتحاد الاشتراكى بديوان وزارة التعليم العالى ، عدد الصفحات ٦٣ ص ١٧ × ٢٤ سم
الثمن

مجلة الكتاب العربي

العدد الخامس عشر
١٣ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ - ١٠ أغسطس ١٩٦٥

رئيس التحرير
علي أدهم

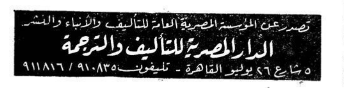
مدير التحرير
حسن كامل الصيرفي

سكرتير التحرير
جمال بدران

الاشتراك السنوي عن ١٢ عدداً
بالجمهورية العربية المتحدة
٣٦ قرشاً - الاشتراكات
عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة
٥ ميدان عرابي - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

في هذا العدد

صفحة







يقول الدكتور حسين فوزى النجار فى المقدمة الموجزة لكتابه القيم عن « التاريخ والسير » الذى ظهر فى مجموعة كتب المكتبة الثقافية « ولقد أخذت هذا الموضوع بالذات بعد أن نشطت لدينا كتابة السير والتراجم وأوفت على جهد المؤرخين فى كتابة التاريخ العام ، فما زال جهدنا فى هذا الميدان ضئيلا ، بل ان جهد الزملاء من المؤرخين فى كتابة السير التاريخية جهد ضئيل اذا قيس بجهد غيرهم من الأدباء والكتاب فى هذا الميدان ، فالىهؤلاء الأدباء والكتاب وغيرهم ممن استهوتهم كتابة السير التاريخية أسوق هذا البحث مؤملا أن يتقارب فى الكتابة عن الشخصيات التاريخية منهج المؤرخ العلمى ولمسة الأديب الفنان » وأوافق الدكتور النجار على أن جهد أدباء العروبة فى كتابة السير والتراجم قد أوفى على جهد المؤرخين المتخصصين فى كتابة التاريخ ، وأوفى كذلك على جهدهم فى كتابة التراجم ، **والواقع أن كتابة المؤرخين المتخصصين التاريخ عندنا لا تزال تنقصها النفحة الأدبية والروح الفلسفية ، وهى على قلتها لا تصلح فى أغلب الأوقات الا لأن تكون مراجع للطلبة لأداء الامتحانات !**

وقد بدا للدكتور النجار أن يتحدث عن التاريخ والسير فى كتيب لا تتجاوز صفحاته مائة صفحة وخمس صفحات من القطع الصغير ، وهو حافل بالمعلومات والآراء ، ولكنى كنت أفضل لو أنه قصر الكتاب على أحد الموضوعين ، اما الجمع بين هذين الموضوعين الهامين فى هذا المجال المحدود فهى محاولة أخشى أن تدل على أن الدكتور النجار لا يقدر ما ينطوى عليه الموضوعان من خطورة .

وقد ظهر كاتب التراجم والسير الى جانب

بقلم رئيس التحرير

جانب التاريخ ، وكتابة الترجمة فى حد ذاتها لون من الوان التاريخ ، ولكنها لا تتناول قوما من الأقوام أو أمة من الأمم ، وانما تتناول حياة رجل أو امرأة ، والتاريخ ذاته من بعض الوجوه مجموعة سير وتراجم ، ودراسة الماضى تستلزم قراءة التاريخ وقراءة السير والتراجم ، ولا يحسن ان تقوم احدى الدراستين على حساب الأخرى ، فكلتاهما تلقى ضوءا على الأخرى ، والنزعة التاريخية الكامنة فى الانسان وجدت اشباعا لها فى التاريخ وفى السير والتراجم ، وفى سياق الأخبار التاريخية الواردة فى الكتاب المقدس تروى قصة نوح وابراهيم واسحق وقصة يوسف ، والى جانب ما كتبه امثال هيرودوت وثيوسيديد ظهر كتاب زينوفون من سقراط وما كتبه فلوطارخس فى القرن الأول الميلادى من أعيان الرومان واليونان وما كتبه سيتونيوس من القياصرة الاثنى عشر .

وقد اشتد الميل الى قراءة السير والتراجم فى العصر الحديث ، وظهرت طبقة ممتازة من كتاب السير والتراجم لبوا هذه الرغبة وعملوا فى الوقت نفسه على تقويتها بما أوتوا من قدرة على التحليل البارع والعرض الشائق ، وفى طليعة امثال هؤلاء فى الغرب استيفان زفايج واميل لودفيج واندريه موروا وليتون ستراتشى وفى الشرق العربى امثال العقاد وهيكل وطه حسين وميخائيل نعيمة وعبد الرحمن صدقى وغيرهم .

وكتابة السير أكثر من أن تكون متحفا للصور وأهم من أن تكون مجرد تسلية ، انها توسع العطف والمشاركة فى العواطف والأحاسيس وتناول التاريخ من الناحية الشخصية يزيد فى جعل التاريخ انسانيا .

عظماء الرجال كانوا فى التاريخ قوة لا سبيل الى نكرانها ، ويروى عن موسولينى أنه كان يقول عن نفسه « لست مجرد رجل وانما أنا واقعة » وهذا القول يصدق على أكثر العظماء ، والرجال الأقل من ذلك قدرة قد يكونون أنموذجا لعصرهم .

وليست معرفة الشخصية حتى عندما تكون واضحة الخطوط والسمات وحتى عندما تكون المعلومات عنها وفيرة بالأمر الهين ، فادراك العوامل الرئيسية الغالبة على أى شخصية من الشخصيات الكبيرة تحتاج الى سمو فى المواهب ودقة فى الحس ولا تتم بطريقة مرضية الا بمساعفة من البداهة الموفقة ، وظلال الشخصية تنفلت وتفر الا من لمحات العيون الحادة الدقيقة الملاحظة ، فما روح الانسان وذوقه وطبيعته ؟ وكيف نستخلص دوافعه وبعضها قد يكون ملفوفا فى غياهب العقل الباطن ؟ وقد تصدر من الشجاع أعمال تدل على الجرأة والاقدام ويأتى الرعد يد الجبان بأعمال تدل على الجبن والنذالة ، ولكن كاتب السيرة عليه أن يعرف أن الشجاع قد تهن عزيمته وتخذله ارادته وأن الرجل الفظ الغليظ القلب قد يأتى بأعمال تدل على رقة العاطفة وطيبة النفس وعلى كاتب الترجمة أن يتحرى الحقائق عمن يؤثر الكتابة عنهم دون أن يتخذهم نماذج للفضائل ويجعلهم وسيلة للوعظ والارشاد ويتعمد أخفاء كل ما ينتقص من قدرهم ، ومن أهم مستلزمات الترجمة الجيدة وضع المترجم له فى المكان المناسب بين رجال عصره وفى تيار حوادثه ، وهى ناحية تهم المؤرخين لأنهم يستمدون بعض المواد اللازمة لبحوثهم من كتاب التراجم ومن التراجم الذاتية والرسائل والمدونات التى يتركها الرجال البارزون فى شتى العصور التاريخية ، ولا يوفق كاتب الترجمة فى عمله الا اذا أجاد اظهار العلاقة بين المترجم له وبين عصره والأجيال التالية ، والمثل الأعلى لكاتب التراجم هو الجمع بين الدراسة المستأنية والقدرة على التفسير وجمال العرض الأدبى .

واذا كانت كتب التراجم والسير من الأسس التى يقوم عليها البحث التاريخى فهى كذلك فى

وقد نرى أن العامل الشخصى فى التاريخ أقل أهمية من العامل الجماعى أو النزعات الثقافية الغالبة والقوى الاقتصادية ونظم الحكم والتقاليد الموروثة ، وان البناء الاجتماعى أقوى من أعمال أى فرد ، ولكن تأثير الشخصية فى التاريخ يعنينا الى حد كبير ، ويروقنا دائما أن نرى كيف صارع الفرد كل هذه العوامل ليؤثر تأثيره ويشق طريقه ويفرض ارادته وينتصر .

وقد يؤخذ على كاتب الترجمة أنه يتناول التاريخ من ناحية ذاتية ، وانه يتأثر فى ذلك بميوله واتجاهاته المذهبية ، فهو بدلا من أن ينظر الى الحوادث نظرة موضوعية ينظر اليها من ناحية شخصية محضة لأنه يراها ملونة بلون ميول المترجم له واتجاهاته ، ولكنه من ناحية أخرى يكون أقدر على توضيح الحوادث وتقريب المواقف التاريخية لأذهاننا واظهار خفاياها المستترة ، والتاريخ المجرد من العنصر الشخصى يكون عادة تاريخا غثا فاترا مملا لا لون له ولا حياة فيه .

وقراءة التراجم لازمة الى جانب قراءة التاريخ ، واذا كان التاريخ يساعدنا على فهم نفسية الجماعات فان التراجم تعيننا فى فهم نفسية الفرد وتكشف لنا علاقة ارادته بمجرى الحوادث وأثر البيئة فيه وتأثيره كذلك فى البيئة ، **ولا يمكن أن نحسن فهم الماضى دون أن نعرف أشياء عن الرجال الذين مثلوا اتجاهاته ، وأثروا فى تياراته الفكرية ونستدل على شخصيتهم من احاديثهم ورسائلهم وما يروى عنهم من النوادر والأخبار ، ولا شك فى أن بعض**

دورها متوقفة على معرفة عامة لتاريخ الفترة التى عاش فيها صاحب السيرة أو المترجم له ، **فكل انسان ابن عصره ويعمل فى مصاحبة غيره من النــاس ، ويتأثر بهم ، ولابد فى دراسته من معرفة العــالم الذى عاش فيه ، ومن ثم تتسع الترجمة حتى تشمل جانبا من التاريخ ، وبطبيعة الحال لابد أن تكون هناك حدود لرسم الخلفية التاريخية ، وتصوير هذه الخلفية متوقف على نموذج حيـــاة الانسان المترجم له ،** فربما كان متأثرا بسمات خاصة من سمات عصره يحسّن اظهارها وقد يشــــارك فى حركات معينة من حركات عصره واتجاهاته ، وفى هذه الحالة يكون لاستقصاء تاريخ هـــذه الحركات الأولوية فى الدراسة التاريخيــــة ، فحياة المصلح يعنى فيها باظهار طبيعة الأحوال الاجتماعية فى عصره وحياة الفنان لابد فيــها من ابراز أثر الحركات الفنية الغاليــة على عصره ، ولكى تكون الترجمة عملا فنيا يتخــذ الكاتب وجهــة نظر يطل منها على **الأفق التاريخى مع مراعاة جعل الفرد المترجم** له المحور الذى تدور حوله الأحداث ، وتظهر قدرة كاتب الترجمة فى المحافظة على التوازن بين تصوير الشخصية واظهار روح العصر .

ويقول الدكتور النجار فى هـــذا الصدد « قد تطغى السيرة على التاريخ وتحتل الجانب الأكبر من مدونته فمن فلاسفة التاريخ من يرى أن التاريخ ليس الا سيرة عظماء الرجال ، وهى نظرة قد بليت فى بوتقة التفكير العلمى الصحيح ، بل هناك من يراها احدى سمات التفكير التاريخى البدائى وان سادت حقبة من الزمن حين أورثها الفكر اليونانى عصر النهضة ... » وفى هـــذا الرأى جانب من الاسراف وقد لقيت فـــكرة كارلايل وأمثاله من القائلين بالدور الذى لعبه الأبطال والعظماء فى التــــاريخ الكثير من النقد وبخاصة من مفسرى التاريخ فى ضوء الفـــكر الشيوعى ولـكنها مع ذلك لا تزال لهـــا قيمتها واكتفى خشية الاطالة بأن أشير عليه بالرجوع الى الفصل الممتع الذى كتبــــه العالم النفسى الفيلسوف وليام جيمس فى الرد على سبنسر وعنوانه « الرجال العظماء وبيئتهم » .

وفى صـــفحة ٣٣ يقول الدكتور النجار عن ابن خلدون « ثم نجــــد شيخ مؤرخى العرب عبد الرحمن ابن خلدون التونسى قد كتب فيما كتب مقدمة لتاريخ عام بلغت من سعة الاحاطة وصحة النظر وعمق الفلسفة ما جعلها مصداقا لما قاله الأستاذ فلنت فى حق ذلك العالم التونسى الـكبير من انه « واضع علم التاريخ » ، وتحريا لدقة انقل للقــارىء عبارة العلامة روبرت فلنت كما وردت فى كتـــابه عن تاريخ فلسفة التاريخ وهى « أول كاتب تناول التاريخ باعتباره موضوعا مناسبا لعلم خاص كان محمد بن خلدون وسواء أكان من أجل هذا الاعتبار يعد موجد علم التاريخ أم لا مسألة يمكن أن تختلف فيها الآراء ، ولكن قارىء مقدمته غير المتحيز لا يتردد فى أن يسلم بانه أكثر استحقاقا لهذا الشرف من أى مؤلف آخر سابق لفيكو » ، أما مسألة كونه « شيخ مؤرخى العرب » فمسألة فيها نظر ، وقد لا يرضى ذلك أنصـــار الطبرى او المسعودى أو ابن الأثير وغيرهم من أعلام مؤرخى العرب .

ومن الشخصيات التاريخية الأدبية التى عنى بهـــا أدباء العروبة فى العصر الحديث شخصية الشاعر الكبير الفكه الحسن بن هانىء ، فكتب عنه الدكتور طه حسين فصولا شائقة فى كتابه حديث الأربعاء وتناوله الأستاذ العقاد فى كتابه « أبو نواس الحسن بن هانىء » وأفرد لـــه الأستاذ عبـــد الرحمن صـــدقى كتابا فى سلسلة « أعـــلام الاسلام » قال فى مقدمته ما معناه **أن مجموعة أعـــلام الاســـلام ليست وقفـــا على الترجمة للهـــداة المصلحين والفقهاء المجتهدين والأبطال المحاربين عن حوزة الدين وانها أوسع من ذلك مجالا وأرحب أفقـــا فهى تشمل على هؤلاء وغيــر هؤلاء** « ممن تفيد الترجمة لحياتهم فى تمثيل وجه من وجوه الحيـــاة الاجتماعية فى العالم الاســــلامى ، فى بداوته وحضارته ، وفى جده ولهوه وفى ايمانه وفلسفته ، حتى يخلص من ذلك كله صورة كاملة صادقة لما كانت عليه تلك العهود ، وما دخل عليها من آثار وما اختلف عليهـــا من أطوار ، فيتمثلها المطالع العصرى على جليتها وحقيقتها ويتعرف موجبات تقدمهـــا ورقيها ودواعى تدهورها وسقوطها » .

وقد أحسنت الدار القومية للطباعة والنشر في اعادة طبع هذا الكتاب القيم وتلك الدراسة الجدية البارعة بعد أن زادها الأستاذ صدقي بسطا وتنقيحا وتشذيبا وتهذيبا ، وذلك في سلسلة « مذاهب وشخصيات » ، وقد وصف لنا الأستاذ صدقي المنهج الذي سار عليه في توضيح شخصية أبي نواس بقوله « توخينا في وضع هذا الكتاب ورسم معالمه وسياق أجزائه منهج التراجم الحديثة من اظهار المترجم له شخصية حية موصولة الرحم بآبائه معقود الأسباب بعصره ، يستبان هنا وهناك في سماته ومتصرفاته عرق الوراثة وأثر البيئة ، ولقد أفرغنا وسعنا وبذلنا غاية جهدنا في الاستقراء والاستنتاج من شتات أخباره حينا ومن ديوان أشعاره في معظم الأحيان حتى تهيأ لنا في ترجمته ما تهيأ من تأسيس البنيان واقامة الأركان وملء الفجوات بما يتفق مع منطق الحياة ، دون أن يظفر قول من سند له – أو على الأقل – من مصداق على جواز صحته ، من سير الحوادث في التاريخ العام ، وخصائص الشعوب في شتى البلدان ، وطبائع الانسان من حيث هو انسان ، فجاءت الترجمة لأبي نواس مطردة السياق متصلة الحلقات ، تنتظم حياته من نشأته الى وفاته مرحلة بعد مرحلة مع قلة المراجع في هذا الشأن وانصراف الأقدمين الذين ترجموا له من هذا السنن ، كذلك كان همنا الأكبر – مع تصوير دنياه وحياته الخارجية – تجلية حياته الوجدانية وتطوراته النفسية . ليتم التركيب ونحصل على قدر توفيقنا المعجزة ، فيعود أبو نواس بعد نيف ومائة وألف سنة الى عالم الحياة بشرا سويا ، كما بقي في عالم الأدب شاعرا متدارس الشعر متعارف القدر عبقريا » .

وقد وفى الأستاذ صدقي لمنهجه فأعطانا صورة حية خلابة لحياة أبي نواس وعصره واستطاع بطريقة عرضه الساحر أن يجتلب العطف على هذه النفس الانسانية السادرة في الغواية الممعنة في المعاصي والموبقات ، ففي خاتمة الكتاب يرينا أن الرجل كان ناعما نحيل البدن تعوزه الصلابة ومتانة التركيب فلم يكن فرط اقباله على اللذات وانغماسه فيها بدافع من الحيوية الصارمة وغلبة الغريزة وانما كان ما أسماه الأستاذ صدقي « فجورا فنيا » أو فجورا بالقوة لا بالفعل حسب الاصطلاح الفلسفي ، ولم يكن أبو نواس أسوأ من أهل عصره وانما كان مولعا بالمجاهرة مع المبالغة والتهويل ، ولا يميل الأستاذ صدقي الى كثرة اقحام علم النفس الحديث في بحوثه الأدبية والتاريخية فان نظريات كبار المفكرين النفسيين لا تزال في مهب رياح الخلاف ومشتجر الآراء ، ولكنه مع ذلك رأى من المناسب أن يشير الى أن آفة المجاهرة بالخروج على الآداب والتقاليد قد تكون أحيانا من علامات عقدة النقص في الضعاف القاصرين من أهل الاباحة المستهترين ..

وقد استخلص الأستاذ صدقي من ذلك أن أبا نواس يعترف على نفسه بأكثر مما اقترف ، ذاهبا مع خياله المريض الى أبعد ما تذهب اليه نزوات الغريزة ، وكان النواسي صادقا في زهدياته ولكنه بعد ذلك عاجز عن كبح جماح نفسه ، ماض في ضلالته ، فهو مغلوب على أمره ، وأثرت هذه السيرة المنحرفة في بنيته فأصابه الوهن وأسرع اليه الشيب وضعف جسمه عن المقاومة ، واشتدت به العلة ، وأثقله المرض وعاقه عن الحركة ، وكان مع ذلك لا يكف عن انشاد عواده من الأصدقاء شعرا يظهر فيه التوبة ويطلب من الله الصفح والمغفرة .

وكتاب الأستاذ العقاد عن أبي نواس كما وصفه العقاد نفسه « دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي » وقد غاص الأستاذ العقاد في لجج البحوث النفسية ليثبت أن أبا نواس كان مصابا بالنرجسية وهي الولع بالنفس ، وقد حاول الأستاذ العقاد في الفصل الأول من الكتاب أن يدلنا على سر الشهرة التي تفرد بها أبو نواس فقال « سرها بالايجاز أن



أبا نواس قد أصبح عند عارفيه الأولين « شخصية نموذجية » أى شخصية تمثل نموذجا اجتماعيا يعيش فى كل زمن ، وسر رجحانه على الشخصيات النموذجية من قبيل عنترة ابن شداد أن وقائع الشجاعة أندر من وقائع « الحذاقة » فى المجتمع ، وأنها لا تصادف الناس فى كل زمن كما تصادفهم الوقائع التى تدخل فى مجال الشخصية النواسية ، وقد قيل أن الناس مولعون بالتحدث عن الشخصيات النموذجية يضيفون اليها كل خبر من جنس أخبارها ، وهذا صحيح ، فقد أضاف الناس كثيرا من أخبار الجود الى حاتم الطائى ، وهى لم تقع له ولا لأحد من الكرماء المعروفين ، وبعضها قد وقع لأناس آخرين على سبيل التحقيق ، وكذلك فعلوا بأخبار الحكمة مع لقمان ، وأخبار الشجاعة مع عنترة وأخبار الطب مع بقراط ، وأخبار كل شخصية نموذجية سمعوا بها فى زمن من الأزمان ، لكن الأصح أنهم يضيفون الى الشخصيات النموذجية ما هو من جنس أخبارها وما ليس من جنسها ، فاذا كان الأمر الأعم أنهم يراعون التناسب فى جنس الأخبار فلا يمتنع مع هذا أنهم يضيفون اليها أخبارا أخرى لا تناسب بينها وبين تلك الشخصيات ويكفيهم منها أنهم يعرفون علما مشهورا يتكلمون عنه كلما أرادوا التعالم بمعرفة المشهورين .

ويرى الأستاذ العقاد ان **أيسر ما يقال فى أبى نواس هو أنه اباحى متهتك ، ولكن الاباحية مع ذلك لا تفسر آفات أبى نواس جميعا ، وانما التى تفسرها ظاهرة نفسية أخرى هى النرجسية ، والنرجسية شذوذ دقيق يؤدى الى ضروب شتى من الشذوذ فى غرائب الجنس وبواعث الأخلاق** ، وقد تميل بصاحبها الى العلاقة الطبيعية بين الذكر والأنثى أو تميل به الى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد كما كان يحدث أحيانا من أبى نواس فى غزله بالمذكر تارة وغزله بالمؤنث تارة أخرى ، وفى الجمع أحيانا بين ما يزعمه عشقا لأكثر من فتاة واحدة وما يزعمه عشقا لأكثر من فتى واحد ، ولا أصل للعشقين فى نهاية المطاف غير النرجسية فى قرارها العميق ، ومعنى النرجسية أن يفتن المرء بنفسه ، ورأى الأستاذ العقاد أن لوازم النرجسية منطبقة على أبى نواس وانها تفسر جميع أحواله حيث لا يفسرها ضرب آخر من ضروب الشذوذ فى المسائل الجنسية ، وتتمثل نرجسية أبى نواس فى مظاهر شتى منها حب المخالفة والمغايظة والمجاهرة بالعصيان وارتكاب المحرمات وكذلك فى حبه للوجاهة والظهور ، ويستدل من حبه للخمر على حبه للتدليل فالخمر أداة صالحة له وحب التدليل يكمن فى أعماق النرجسية لأن طبيعة الافتتان بالذات لا تستغنى عنه ، وتحرص الشخصية النرجسية على استبقاء المحرمات لتنعم بالعصيان شأن الطفل المدلل الذى يعطى هواه ، وتقترن الاباحية النرجسية بما أسماه الاستاذ العقاد « توثين النفس » وتدليلها ، وقد تتبع شواهد ذلك كله فى أشعار أبى نواس ، ويلخص رأيه فى نرجسية أبى نواس بقوله « كان من الشواذ فى تكوينه الجنسى ودوافعه النفسية ، ولكن شذوذه غير الشذوذ الذى أشتهر به وهو ايثاره الذكران على الأناث ، ولابد من التفرقة بين الشذوذين لأن النرجسية تفسر أطوار أبى نواس جميعا والشذوذ الآخر لا يفسرها ، وهذا علة ضرورة التفرقة بين الشذوذين للكشف عن بواطن السريرة وفهم الأخلاق الخاصة والأخلاق الاجتماعية » .

وقد نعترض على الأستاذ العقاد قائلين أن النرجسية حالة غلبت على كثير من الشعراء والفنانين ، ودواوين أكثر الشعراء حافلة بالأشعار التى يمجدون فيها أنفسهم ويفخرون بها على اخوانهم البشر ، ولكن العقاد كان على ما يظهر مستعدا لمواجهة هذا الاعتراض فهو يقول **« النرجسية التى نتتبع اعراضها فى الحسن ابن هانىء ليست حالة طبيعية تلاحظ على أنداده وفى مثل عمره ولكنها حالة منحرفة ولد ببعض أعراضها وجاءته الأعراض الأخرى من البيت والمجتمع والعصر الذى نشأ فيه وعاش فيه سائر حياته** ، وهى حالة لا يشابهه فيها أحد من شعراء عصره ولم يخطىء معاشروه الذين أفردوه بها

واحسوا أنه هـو دون غـيره تلك الشـخصية النموذجية التى طبعت بطابع واحد لم يتعدد فى زمانه لم يتعـدد على هـذا النمط بعـد زمانه ، ولقد توافقت الدلالات والأعراض على تمييز هذه الشخصية النموذجيـة فاجتمعت فيها دلالات التكوين ودلالات النشأة البيتية ودلالات المجتمع ودلالات العصر بحذافيره حيث عاش بين البصرة والكوفة وبغداد أو حيث عاش فترة من عمره فى الديار المصرية » .

وموجز القول **أن كتـاب الأسـتاذ صـدقى دراسة أدبية تاريخية شائقة العرض بارعة السرد مستوفاة لشرائط الترجمة الفنيـة ، وكتاب الأستاذ العقـاد تحليل نفسى رائع لشخصية أبى نواس والاستدلال منها على اتجاه أدبه وطبيعة شـعره** ، والنرجسية هى مفتاح تلك الشخصية الفذة العجيبة ، والكتاب حافل بذخائر اطلاع العقاد على المذاهب الحديثة فى علم النفس وخفايا العقل الباطن .

وننتقل من تلك الشخصية العابثـة الماجنة والجديرة مع ذلك بالدراسة الى تلك الشخصية الجـادة الرهيبـة شـخصية أبى جعفر المنصور الخليفـة العباسى الثانى وموطد أساس الدولة العباسية الذى رأى الأستاذ عبد السلام رستم أن يتناول حياته بالدراسة والتحليل وقد استهل الأستاذ رستم كتابه بمقدمة اعتمد فيها على كتاب جوردن ايست « الجغرافيـا وراء التـاريخ » ليوضح ارتباط الدراسة التاريخية بالجغرافيا ، وقد رأى الأستاذ رستم فى كتاب جوردن ردا على تساؤله فى مطلع كتابه « كيف ندرس شخصيات التاريخ » والواقع أن كتاب البحاثة جوردن نافع فى دراسة تاريخ الأمم والحضارات أما كونه يعلمنا « كيف ندرس شخصيات التـاريخ » فمسالة اخالف فيهـا الأستاذ رستم ، وهناك فرق بين التاريخ للأمم والحضارات وكتابة السير والتراجم ، **وحينما يتصـدى باحث للكتابة عن تاريخ مصر لا معـدى له عن ذكر تاثير نهر النيل فى حياتها ، ولكن حينما يقصد كاتب أن يترجم لحياة عظيم من عظماء مصر هل من اللازم أن يذكر تاثير النيل والصحراء وأحوال الجو فى حياته ؟ أحسب ذلك يأتى عرضـا خلال الحديث عنـه فى المواقف الملائمة .**

وفى الفصول الثلاثة الأولى تتبع الأستاذ رستم حركة الانقلاب وسقوط الدولة الأموية واستيلاء العباسيين على الخلافة وأشار فى خلال ذلك الى مصرع أبى سلمة ومصرع سليمان بن كثير وكان يحسن تفصيل الأسباب التى حملت ابا مسلم على الموافقـة على قتل أبى سلمة واصراره على قتل سليمان بن كثير تمهيـدا لبيان موقف المنصور من أبى مسلم بعد ذلك .

وذكر فى الهامش عن شبيب بن شـيبة أنه خطيب البصرة فى زمانه وأنه امتاز بنبالة النفس وسخاء الكف ، وكان بودى أن يعرف الأسـتاذ عبد السلام رأى خالد بن صفوان فى شبيب وهو قوله عنه « ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية » وقد اشتهر الرجل بانه كان « اخباريا » قبل كل شىء .

وتحدث الأستاذ رستم فى الفصول التالية عن الصراع بين المنصور وأبى مسلم وموقف المنصور من العلويين وخروج الراوندية عليه وبناء بغداد وارغامه لابن عمه عيسى بن موسى على التنازل عن ولاية العهد للمهدى وعلاقة المنصور بالشـعراء والفقهاء والعلماء ونظام الدولة فى عهده ومكانتـه بين عظماء التاريخ ، وقد اجاد الأستاذ رسـتم استقصـاء اخبار المنصـور من شتى المراجع التاريخية والادبية ، ولكن الكتاب بوجـه عام ينقصه أحكام البناء والاجادة فى تنسيق الأخبار .

واختار الأستاذ محمد فرج للترجمة كتاب « البناة العظام » لكاتب التراجم النابغة القدير سـتيفان زفايج ، وقد أحسن بذلك صـنعا : فزفايج من أقدر كتاب التراجم فى العصر الحديث ، وقد تناول زفايج ، فى هذا الكتاب ثلاثة من أعلام الأدب الروائى ، وهم بلزاك وديكنز ودستوفسكى ، **وزفايج من الكتاب الذين لا يتناولون الكتابة فى أى موضوع الا بعد أن يوسعوه بحثا وتنقيبا ويسلط عليه بعد ذلك قدرته الفائقة على التحليل النفسى ويعرضه عرضا شائقا جذابا قويا نابضا بالحياة،** وقد كتب زفايج ثلاث ثلاثيات كانت أسبقها الى

الظهور البناة الثلاثة فقد ظهرت فى سنة ١٩١٩ وتلتها فى سنة ١٩٢٥ ثلاثية « الصراع مع الشيطان » وقد تناول فيها حياة هيلدرلن وكلايست ونيتشه وفى سنة ١٩٢٨ ظهرت ثلاثية « أساتذة تصوير الذات » وقد تحدث فيها عن كازانوفا وستندال وتولستوى وقد وطدت هذه الثلاثيات مكانته الأدبية ، وقد كتب ثلاثية أخرى أسماها « الأساة العقليين » تحدث فيها عن فرويد ــ وكان صديقا لزفايج وبينهما اعجاب متبادل ــ وايدى بيكر ومسمر الذى اشتهر فى عهد الثورة الفرنسية .

وقد حاول زفايج أن يضع الشخصيات التى وصفها فى ثلاثياته مواجهة بعضها لبعض لاظهار مميزاتها كما اكد علاقتها بأحوال عصرها ومشكلاته ، وقد عاش ديكنز فى العصر الفكتورى المعروف بشدة التحرج فعاقه ذلك عن الانطلاق الذى كانت تميل اليه طبيعته ، ويقول زفايج فى ذلك **« أن الفلسفة التى تقع تحت أعماله ، الفلسفة الراسية فى اساساته والتى تعتمد عليها قوة الهيكل الهندسى ليست فلسفة فنان حر ، ولكنها فلسفة مواطن انجليكى ، ويفرض ديكنز رقابة شديدة على العواطف بدلا من ان يترك لهـا مخرجا حرا ، فهو لا يفعل مثل بلزاك الذى يسمح لها بان تفرق الشاطئين ، ولكن ديكنز يقودها عبر قنوات وسدود وبوابات لكى تدير طواحين القانون الأخلاقى البورجوازى ، ويبدو وكان القساوسة والدعاة والفلاسفة المتزنين ونظار المدارس ينظرون من فوق كتفه وهو يؤلف »** .

ويقول عن شخصيات ديكنز التى تزحم رواياته وتعج بها مؤلفاته « انى لأعجب لقدرة هذا الرجل التى مكنته من جمع هذه الشخصيات التى تنحنى لنا فى تواضع من خلال سطور كتبه ، وما أعجبها من مجموعة مرحة معتدلة المزاج بشوشة مستعدة للضحك والتسلية دائما ، تربطهم نزواتهم وأوهامهم وغرائبهم بالحياة ، وكذلك حرفهم المختلفة ومغامراتهم الشهية ، وعلى الرغم من كونهم أفراد فرقة واحدة الا انه لا يشبه أحدهم الآخر ، ويمدنا ديكنز بادق التفاصيل عنهم ، فهم ليسوا مجرد خطوط ولكنهم أكثر المخلوقات نضجا ، احساساتهم متكاملة ، وهم



ليسوا مجرد تلفيق خيال خصب ولكنهم أحياء من لحم ودم ، خلقتهم وأنشأتهم بصيرة نافذة لهذا الشاعر » .

ويفترض زفايج فى قراء فصوله عن الكتاب الكبار الثلاثة انهم قد قرأوا مؤلفاتهم ، ولست أشك فى أن الذين اطلعوا على روايات بلزاك وديكنز ودستوفسكى سيزداد تقديرهم لهـا وفهمهم لمزاياها وخفاياها بعد قراءة ما كتبه زفايج ، والذين لم يقرأوا لهم سيجدون فى كتاباته حافزا للاطلاع على مؤلفاتهم وليس هذا بالشىء اليسير ولعله أهم مزايا الناقد الأدبى القدير .

وكتاب الأستاذ عبد العزيز حافظ دنيا عن « سليم الحجازى » من أعلام الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر يلقى ضوءا ساطعا على تاريخ مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهى فترة جديرة بأن نظفر بنصيبها من البحث الناقد ، وقد تتبع فيه حياة هذا القائد البارز خطوة بعد خطوة ومعركة بعد معركة والمناصب التى تولاها ، وقد حفز الأستاذ دنيا الى العناية باستقصاء أخباره وتدوين سيرته اعتقاده أن مؤرخى ذلك العصر سخروا أقلامهم لتمجيد أبناء محمد على وأقاربه ونسبوا اليهم وحدهم وضع خطط الحرب ، فى حين ان هذه الخطط كانت توضع بمعرفة هيئة ضباط القيادة العامة من

مصريين وفرنسيين وايطاليين وغيرهم ، وكان هؤلاء الأبناء والأقارب يشتركون معهم في الرأي ، **فلم يكن الانتصار الذي أحرزته الجيوش المصرية في صحراء نجد وسهول الشام مرجعه الى افراد اسرة محمد علي وحدهم ، وانما كان لهؤلاء الضباط الكبار ومنهم سليم الحجازي الاثر الأكبر في ذلك .**

ورأى الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ ان يجمع بين الرافعي ومي في كتاب واحد ، وقد اعتمد — كما ذكر في تقديم الكتاب — على مؤلفات الرافعي ومي ورسائلهما وعلى كتابي « حياة الرافعي » للأستاذ العريان « وحياة مي » للأستاذ عبد الغني حسن وبعض المقالات المنشورة عنهما في المجلات الأدبية مثل المقتطف والهلال والعالم العربي ، وقد أغفل الأستاذ الدراسة التي كتبتها السيدة نعمات احمد فؤاد عن أدب الرافعي وهي رسالة تمتاز بصراحة النقد ومجافاة المجاملة التي يلجأ اليها كثير من النقاد عندنا على حساب تحري الحقيقة وصحة التقدير .

ويقول الأستاذ عن الخصومة بين العقاد والرافعي والمعركة التي دارت بينهما « وما هي الاسنتان حتى تبدأ المعركة بينه وبين الأستاذ العقاد وما كان بينهما الا المودة والتقدير قبل ان تصدر الطبعة الثانية « لاعجاز القرآن » والواقع ان الخصومة بين الأديبين الكبيرين كانت اقدم عهدا من ذلك ، وقد نقد العقاد كتاب « اعجاز القرآن » في ديسمبر سنة ١٩٢٦ وكان قد كتب في الجزء الثاني من كتاب الديوان الذي ظهر سنة ١٩٢١ كلمة شديدة في نقد الرافعي عنوانها « ما هذا يا ابا عمرو » وأرجح ان هذه الكلمة كانت بدء الخصومة .

وقد نقل الأستاذ عبد السلام هاشم بعض التقاريظ التي كتبت حين ظهور كتاب « اعجاز القرآن » للرافعي ومنها قول الأستاذ البشرى « انه ابلغ ما كتب مخلوق في كلام الخالق ... » واتبع ذلك بقوله « وشذ عن هذا الاستحسان والتقدير لذلك العمل الجليل الأستاذ عباس محمود العقاد » وكنت افضل أن يرجع الأستاذ عبد السلام لمقال الأستاذ العقاد وهو في الجزء الأول من كتاب « ساعات بين الكتب » ولو انه فعل ذلك لوجد أن مقال العقاد أحكم وأرصن من هذا الاسراف السخيف في التقريظ الذي كتبه المرحوم صادق عنبر والمرحوم البشرى ، وقد اعتمد الأستاذ هاشم على ما كتبه الأستاذ سعيد العريان في تأكيد وجود علاقة غرامية بين الرافعي ومي ، وقال في ذلك « ان الأستاذ سعيد العريان يكاد يؤكد أن الحب بين الرافعي ومي كان متبادلا استنادا الى ما تحدث به الرافعي له ولغيره عن هذا الحب ..... » ... وربما كان هذا الاستنتاج منطويا على جانب من السذاجة وطيبة النفس سواء من المرحوم الرافعي ومن أشياعه .

علي أدهم

● ● ●

سطور من كتاب

« لا شك ان المجتمعات في الشرق العربي قد شاهدت كثيرا خلال القرن التاسع عشر ، نقلها من اوضاع الاقطاعية متخلفة الى مرحلة جديدة في اتجاه العلاقات الرأسمالية — ساهم في ذلك محمد علي وحكمه في بلاد الشام الى حد كبير . وساهمت كذلك حركة التنظيمات العثمانية التي رأينا انها تعني انتهاء الأنظمة العثمانية الاقطاعية المتبقية من العصر العثماني الأول ، كما ساهمت في هذا الموقف الجديد رؤوس الأموال الأجنبية المستقلة في الشرق العربي — وبالنسبة لقطاع المثقفين ساهمت الارساليات التبشيرية في تكوينه ولا سيما في بلاد الشام .

وقد قلنا ان ظهور الحركة القومية مرتبطة بهذه التغيرات التي لم يعرفها مجتمع الشرق العربي الا في أواخر القرن التاسع عشر — ومعنى هذا — في رأينا — ان الحركة القومية لم تظهر في هذه المجتمعات قبل ذلك التاريخ » .

... **الدولة العثمانية**
والشرق العربي
تأليف الدكتور محمد انيس

القوسُ العذراءُ

درة ساطعة هذه بين سائر الدرر ؛ و « آية هذه من الفن محكمة » بين آيات الفن المحكمات، وقعت عليها وأنا أدور بالبصر العجلان فى سوق الكتب الحديثة الصدور ، فكنت — حين وقع عليها البصر — كمن كان ينبش فى أديم الأرض بين المدر والحصى ، ثم لاحت له بغتة — لتخطف منه البصر ببريقها — لؤلؤة .

هو كتاب من ست وسبعين صفحة صغيرة ، رقمت أسطرها صفحة صفحة ، كما ترقم حبات الجوهر الحر يضعها الخازن فى صندوق الذخائر ، لكى لا تفلت منها عن الرائى جوهرة ؛ ولو قد كانت لى الكلمة عند طبع الكتاب ، لأمرت بترقيم محتواه لفظة لفظة ، لأن كل لفظة من كل سطر لؤلؤة .

وللكتاب قصـــة ترويها صفحاته ، فاذا هى قصـة الفن الخالد كيف تنبثق آثاره من ينبوع الفطرة الانسانية ، فيظل يتلقفه على مر العصور كل ذى فطرة سوية ، يتمــلاه ثم يضيف اليه ؛ ولقصة الكتاب ما يشبه التمهيد لها : لقاء ذات يوم بين رجلين اتفق فيهما الطبع الراسخ بجذوره على عقيدة مؤمنة بتجويد العمل كائنا ما كان ، وفى هذا التجويد « بلغنا رسول الله عن ربه بلاغا يضىء لكل حى نهج حياته ، ويمسك عليه هدى فطرته ، اذ قال : ان الله يحب اذا عمل أحـــدكم عملا أن يتقنه » ... وأما الرجلان اللذان التقيا ذات يوم عن طبع مشترك فى اتقـــان العمل ، فهما أديبنا الكاتب الشاعر الأســتاذ محمود محمد شاكر ، والأستاذ شفيق مترى صاحب دار المعارف — ولم يكونا قد التقيا من قبل (فيما يروى الأستاذ عادل الغضبان فى ضميمة قصيرة الحقها بالكتاب) —

نظم : محمود محمد شاكر

تقديم : محمود حسن إسماعيل
الناشر : مكتبة دار العروبة
٧٦ ص ١٤×٢٠ سم ث ٤٠ قرشا

« وتطرق الحديث بين الرجلين الى الكلام على العمل وتجويده ، والفن وسحر أواخيه ، فاذا بالرجلين روحان مؤتلفان متعارفان » وأراد الأستاذ شاكر أن يخلد هذا اللقاء وما دار فيه من حديث عن العمل المتقن وصلته بالفن ، فكيف خلده ؟.

دار فى نفسه أول ما دار أن **لا فرق بين العمل يتقنه صاحبه ويضع قلبه فيه ، وبين الفن المبدع الخلاق ؛ وليس نقاد الفن جميعا على رأى واحد فى ذلك ، فمنهم من يفرق بين العمل يراد لنفعه وثمرته ، والفن يراد لذاته ولنشوة النفس بما فيه ، وان هذا الفرق بين العمل الجيد والفن المبدع ليظل قائما ، مهما بلغ العمل من أبعاد الجودة والاتقان** ، وأما أديبنا شاكر فلا يميز بين عمل جاد وفن أبدع .

وعن هذه العقيدة عنده فى العمل والفن ، أمسك القلم ليكتب ــ بادىء ذى بدء ــ رائعة من روائع النثر ، يميز فيها الانسان من سائر الأحياء والأشياء ، فى أن هذه تسير على نهج لا يتغير ولا يتبدل : « تولد الذرة من النمال ، وتنمو ، وتبدأ سيرتها فى الحياة ، وتعمل فيها عملها الجد ، وتفرغ من حق وجودها ، حتى تقضى نحبها وتموت هكذا هى منذ كانت الأرض وكانت النمال : لا تتحول عن نهج ، ولا تمرق من هدى ؛ وتاريخ أحدثها ميلادا فى معمعة الحياة ، كتاريخ أعرق أسلافها هلاكا فى حومة الفناء ، لا هى تحدث لنفسها نهجا لم يكن ، ولا هى تبتدع لوارثها هديا لم يتقدم » .

ذلك شأن الحيوان يسلك المسالك بغريزته ، وشأن الجمال يسير على سنة الله فى خلقه ؛ يجىء عمل الحيوان وسير الجماد ، أتم ما يكون العمل واكمل ما يكون السير لكنهما يجيدان عن غير وعى ولا مشيئة ، وعن غير حب ــ ولا كراهية ــ لما يعملان ؛ وأما الانسان فشأنه آخر ، لا يجىء لاحقه على نهج سابقه ؛ فله مشيئة حرة ومن ثم كانت حيرته : « جار وعدل ، فعرف وجرب . أخطأ وأصاب ، ففكر وتدبر ...

جاشت نفسه حتى اندفقت صبابه منها فيما يعمل ، وتضرم قلبه ، حتى ترك ميسمه فيما أنشأ ، فتبدله بصنع يديه ، لأنه استودعه طائفة من نفسه ؛ وفتن بما استجاد منه ، لأنه أفنى فيه ضراما من قلبه ، واذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه وملك ، ويضنيه الأسى عليه اذا ضاع أو هلك » .

بهذه النغمة الشجية القوية طفق أديبنا شاكر يكتب بضع صفحات من النثر ، يبث فيها نظرته أن **الانسان ــ لا كسائر الأحياء والأشياء ــ تصله وشائج النفس والقلب بصنع يديه اذا هو استودعه طائفة من نفسه وضراما من قلبه ، فعندئذ يزهى بما صنع ويأسى له اذا ضاع ، ولعمرى تلك من خصائص الفن عند مبدعه ، واذن فلا فرق بين صناعة ــ هذا شأنها ــ وفن .**

ثم ماذا ؟ .

ثم يقع أديبنا شاكر بين ذخائر الأدب العربى القديم على ذخر نفيس ، تتأيد به نظرته الى العمل المتقن كيف تربطه الروابط بصانعه حتى لكأنه قطعة منه ، بل انه **لكذلك** ، لأنه بعض لحمه ودمه ، وزفرة من نفسه ونفثة من قلبه . وأما الذخر النفيس الذى وقع عليه أديبنا شاكر ، فقصيدة للشماخ ، وهو صحابى أدرك الجاهلية ثم أسلم ، يصف بها قواسا كيف صنع قوسا فأجاد ، فتعلق بها قلبه ؛ ولما باعها وذهب بها شاريها ، نظر الى المال فى يده ــ على كثرته ــ فاذا هو الهباءة التافهة قياسا الى قطعة الفن التى ضاعت .

وقصيدة الشماخ التى تروى قصة القواس وقوسه ، عدة أبياتها ثلاثة وعشرون ، تجىء فى أول الكتاب مشروحة ، لتأتى بعدها الرائعة النثرية التى حدثتك عنها ، كتبها أديبنا محمود شاكر بيانا لصلة القربى بين العمل والفن ، واعلانا بأن العمل الذى لا يبلغ مبلغ الفن ، يكون دليلا على فساد الفطرة عند صانعه .



ثم ماذا ؟ .

ثم يأتى قلب اللؤلؤة ولبابها ، اذ يلتقى فى أبدع الفن شاعران ، أحدهما هو الشماخ بقصيدته ، والثانى هو شاكر الشاعر ، فتلقاك ازاء نسج محبوك ، تتضافر فيه أبيات من قصيدة الشماخ مع أبيات من قصيدة شاكر ، فخمسة وأربعون بيتا يمهد بها شاكر ، تجيء بعدها ثلاثة أبيات من الشماخ ، فعشرة من عند شاكر ، فخمسة من الشماخ ، فسبعة عشر من هنا ، فاثنان من هناك ، وستة عشر من هنا ، وثلاثة من هناك ، وعشرون من شاكر ، واثنان من الشماخ ، وثمانية من شاكر فخمسة من الشماخ ، فسبعة وخمسون من شاكر يتلوها بيتان من الشماخ ، فستة وثلاثون من شاكر ، يجيء بعدها بيت واحد هو ختام قصيدة الشماخ ، ثم يختم شاكر قصته بخمسة وسبعين بيتا .

فما القواس وقوسه ، وماذا فيهما من عبرة لمن يعتبر ؟ .

كانت القوس فى ضمير الغيب ، حين كانت فى كنف منيع من شجر ، لينمو عودها فى مأمن وعلى مهل ، لكن عامرا القواس شقت عينه الحجب اليها ، وطفق يتغلغل فى غصون الشجر الملتفة المتشابكة النابت بعضها فى أصول بعض ، حتى بلغ مكمن العود ؛ فاستودعه الشمس عامين كاملين ، لا يرفع عينه عنه ، ولبث العود يمتص ماء لحائه ، وبعدئذ أخذ القواس فى مناجاة قوسه حتى لانت بين أصابعه ، فلواها ، وسواها ثم سواها ، فلما أن اكتملت قوسا ، اذا ما فارقها السهم رنت وأعولت ، وريع الوحش من هاتف السهم المنقض ؛ الا أن القوس — من كثرة ما عاناه باريها — لم تعد فى عينه قوسا ، بل تبدلت فى عينه غادة معشوقة حسناء ، يلفها فى الحرير ، وهو فى أسماله ؛ ووافى موسم الحج فاصطحب القواس معشوقته اليه ، فلمحها محب فانبرى كالصقر ينقض اليها ، وقدم لصاحبها أغلى الثمن ليشتريها ، اذ قدم الذهب والفضة وثياب الحرير ومقروظ الجلد ؛ ولو كان القواس يبتغى الثراء من قوسه لوجد بغيته ، ولكنه نظر الى المال والى القوس ، فوجد نفسه وقلبه وروحه فى هذه ، وأما ذاك فلم يجد فيه الا عرضا يزول ، لا تربطه بالنفس آصرة ، فأبى أن يبيع قوسه ، لكن غواية الناس من حوله مالت به حيث لم يكن هواه ، فباع القوس ، وأخذها الشارى وغاب بها عن مرمى النظر ، فالتفت الى المال فى كفه ، فاذا الكف كأنها خالية ، فبكى .

ولست أدرى كيف أقص عليك على أى صورة جاء حديث القواس وقوسه فى شعر الشماخ وفى شعر شاكر ، الا أن تقرأ شعرهما لتقف — كما وقفت — ذاهلا امام هذا البناء الفنى القوى المكين ؛ ثم لا تكاد تفرغ من تلاوة هذا الشعر الرائع حتى تراك منقادا بقوة الجذب الى قراءته من جديد ، لتنعم بعظمة النفس الانسانية حين تبلغ ذروة الاجادة ، وكم اجادة هنا ؟ اجادة القواس فى صناعة قوسه ، وهو الذى تدور حول اجادته الرواية ؛ واجادة الشماخ فى قصيدته الصلبة العبقرية التى تسير بين كلماتها وكأنك تسير فى مفاوز جبل أشم يروعك بشموخه ويقطع عليك الأنفاس بجبروته ؛ واجادة شاعرنا محمود شاكر ، الذى كدنا لا نعرفه شاعرا حتى أطل علينا بهذه الروعة الرائعة ، وفوق هذا وهذا وذاك اجادة شاعر ثالث هو محمود حسن اسماعيل الذى قدم للكتاب بقصيدة عن تلك القوس الموحية البليغة هى من غر القصيد .

نعم انني لا أدري كيف أقص عليك قصة القوس العذراء على أي صورة جاءت شعرا الا أن تقرأ الشعر نفسه ، وحسبي أن أقدم لك نتفا من فن شاكر في شعره ، فهو الذي تقمص روح القواس في عشقه لقوسه التي براها فاتقن تقمصه حتى لقد انقلبت القوس في فؤاده — فؤاد محمود شاكر — غادة يتعشقها ، تنصاع له فيهوى ، وتتمرد عليه فينالها تأديبا وتهذيبا :

عصته وساءته أخلاقها
نشوزا ... فلما التوت كالمدل
أعد الثقاف لها عاشق
يؤدبها أدب المتشل
وعض عليها فصاحت له
فأشفق اشفاقة وانجفل

ويمضى الشاعر فى وصفه لمعالجة القواس قوسه طيلة عامين كاملين ، حتى انتهى الأمر بان : اطاعته من بعد ان لوعته بالوجد عامين حتى نحل ولما اكتملت له صناعتها ، اهدى لها حلية صافها بكفيه ، حلية نحرها من حشا الذئاب ، وأعد لها وترا كالشعاع ؛ وبعدئذ ضم الى حضنها سهما مريشا كانه أخ لها صغير .

فضمت عليه الحشا رحمة
وكادت تكلمه ... لو عقل
فجن جنون المحب الغيور ...

فجذب المحب الغيران وتر القوس ، وأرسل السهم الذي ما كاد يضعه بيديه فى كفالة اخته الكبرى ، حتى اخذته منه الغيرة ؛ وبات الرجل وقوسه الجميلة ليلة مشعوقة كأنما هما الحبيبان يتغازلان . وما شهد قطرات الندى على جسدها الأملد ، حتى أسرع الى ثوب من الخمل يلفها به .

كساها حفى بها عاشق !
اذا أفرط الحب يوما قتل
فألبسها الدفء ضنابها..
وبات قريرا.. عليه سمل

ولبثت القوس فى صحبة باريها دهرا ، تمتع بأيامها وليلاتها ، ناعما برفقتها على بؤسه وفقره ، كأنما هى الجنة افاءت بظلها وتدلت بأثمارها ، فهى تصاحبه فى هجير القفار وفى ظلم الليل أنى نزل ، فيحرسها وهى فى أمنه ، وتحرسه هى أن أخذته غواشى الوجل ، فكنت تراه فى صحبة



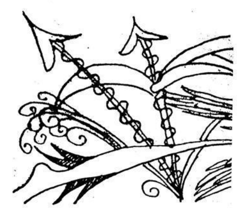
قوسه الحارسة يجوب الوهاد ، ويعلو النجاد ، ويأوى الكهوف ، ويرقى القلل ، ويغضى الى مستقر الختوف ، فهاهنا نمر وهاهنا ذئب وهنالك الحية الفاتكة ... وفيم الضرب فى تلك المجاهل التى لم يكن بها من أنيس ؟ انه أراد أن يعلم قوسه الحبيبة كيف كان الزمان وكيف كان مجد القديم ، وكيف كانت ضروف الدهر، وهكذا لبث الرفيقان ، حتى حان موسم الحج ، فلبيا .

وبين الحجيج رآها الخاطب الذي لم يزل يصاحبها اغراء بالمال حتى نالها منه ؛ لكن القوس كائن حى ينتزع من كائن حى ، فكانها كانت تحس ما يجرى فتنظر الى سيدها وباريها لتدعو : يا خليلى ! ماذا فعلت ؟ أأسلمتنى ؟! فتنهش الحسرة قلب الرجل نهشا ، ويتردد ويتراجع ، فيزيد الخاطب من مهر عروسه .

وحولهما زفرات الزحام ، وأذن تميل، ورأس تطل وغمغمة ، وحديث خفى ، ونغيه زار ، وآت سال وظل الرجل الحيران يحاور نفسه من داخل : أيبيع قوسه ؟ نعم ، لا ! وحوله أصوات الزحام : صوت أجش ، وصوت يصل ، وطنين ، وهمس ، وضوضاء وعوعة فى زجل (الزجل هو الجلبة كأصوات اللاعبين) فهذا يؤج .. وهذا يمج .. وهذا يخور ... وهذا صهل ، وماذا تقول هذه الأصوات الصاخبة هنا والهامة هناك ، تقول :

لقد باع ! بع ! باع ! لا لم يبع
غنى المال ! ويحك ! بع يا رجل !

وهكذا تقرأ لشاعرنا شاكر صفحتين كاملتين فيهما حركة وجلبة وأصوات ، وأخيرا يستسلم



الرجل ويبيع ، وهنا يجيء آخر بيت من قصيدة الشماخ كأنه الرتاج يخبط الخبطة الأخيرة ليقفل الباب ويبدأ الرجل في ذهوله لما أن رأى منكبه قد تعرت من قوسها ؛ يقول الشماخ في ختام قصيدته :

فلما شراها فاضت العين عبرة
وفي الصدر حزاز من الوجد حامز

نعم باع الصانع صنعته ، وضاع من الفنان فنه ، فأخذته الغاشية :

أجل .. لا .. أجل بعتها ! بعتها !
أجل بعتها ! بعتها .. لا .. أجل

وفي أذنيه ضجيج الزحا
م ، و « بع باع بع باع بع يا رجل »

أفق ! يا خليلي ! أفق لا تكن
حليف الهموم صريع العلل

بصنع يديك تراني لدي
ك في قداختي ! ونعم البدل

صدقت صدقت ! نعم قد صدق
ت ! وسر يديك كان لم يزل

حباك به فاطر النيرا
ت وباري النبات ومرسي الجبل

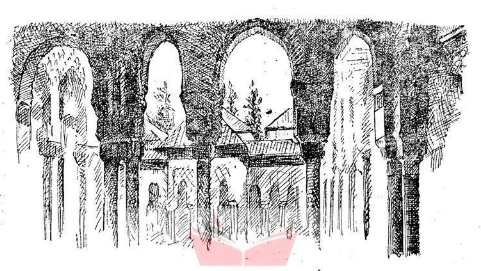
فقم ! واستهل وسبح له
ولب لرب تعالى وجل

وفاضت دموع كمثل الحميم ، للداعة ، نارها تستهل وحانقة ذبحت صوته ، وهيض اللسان لها واعتقل واغضى على ذلة مطرقا ، عليه من الهم مثل الجبل أقام .. وما أن به من حراك ، تخاذل أعضاؤه كالأشل وبعد أن مرت به ساعة الذهول التي قد صيرته وكأنه صخرة نبتت مكانه ، فبات تمثال حزن قد من صخر صلود ، وتركته وحيدا بعد ان خلا المكان من جموع الناس ، وسكن الصوت ومات الوغى ، اخذ الداهل يفيق ، ويستجمع نشاطه وقوته ، ويمشي ثقيلا ، والحسرة ما تزال ملء ضلوعه ، ينظر الى ما اخذه لقاء قوسه من مال وثياب ، فيزور لأنه أعطى النفيس ورضي بالخسيس ... وبينا هو يشق طريقه في متشابك الشجر ، لمح عودا كالعود الذي كان سواه قوسا وضاع ؛ انها عروس أخرى ، نادته من خدرها :

أفق ! يا خليلي ! أفق ! لا تكن حليف الهموم ، صريع العلل .
بصنع يديك تراني لديك : في قداختي ! ونعم البدل
صدقت صدقت !! .. نعم قد صدقت ! وسر يديك كان لم يزل .
حباك به فاطر النيرات ، وباري النبات ، ومرسي الجبل .
فقم ! واستهل ، وسبح له ، ولب لرب تعالى وجل .

أما بعد فهذه قصة شاعر من شاعر من قواس ماهر ؛ قصة تروي ان سعادة الانسان هي في ان يعمل ما يحب ، اما اذا عمل شيئا واحب شيئا آخر ، فقد أصبح العمل بهذا الفصام نقمة ابتلي بها البشر وما كان ينبغي له ؛ وفي هذا الصدد اذكر الأدباء الطوباويين ممن أعرف ، مثل صموئيل بتلر في كتابه « ارون » (أي اللامكان) حيث يقص علينا كيف زار بلد النعيم فاذا سر النعيم هو ان العمل فن وان الفن عمل ، فلكل انسان من العمل ما يحب ، وبهذا تنزاح الفواصل بين اللعب والجد ، وبين الوسيلة والغاية ... وهذه هي نفسها الرؤيا التي اختلج بها قلب شاعرين عربيين : الشماخ في صدر الاسلام ، ومحمود شاكر في دنيا اليوم ، وتوصل الشاعران حتى لكأنهما شاعر واحد انشد في أول الدهر نشيدا فرجعت اواسط الدهر أصداء النشيد واني لأستاذن اديبنا شاكر في ان اهدي آيته هذه الى شعراء اليوم ليروا بآذانهم وليسمعوا بعيونهم — اذا كانت للآذان رؤية واذا كان للعيون سمع — كيف يكون الفن الشعري صياغة وارتفاعا في دنيا القيم من حضيض الى أوج .

د . زكي نجيب محمود



رحلة الأندلس

رغم أن انسان القرن العشرين قد امتطى صهوة الفضاء والآفاق واتخذ منه موضوعا حيويا لتجاربه ودراساته وأبحاثه ... يبذل في سبيل ذلك كل جهده وطاقته ... محاولا أن يكتشف سر الغيب وما يخبئه ذلك المجهول. الا أن هذا الانسان الذي يرتاد طبقات الفضاء في رحلات رهيبة ومغامرات غير مأمونة العواقب يأبى الا أن يضفي على عصره من النعوت والألقاب ما يتفق مع جلال ما وصل اليه من رقي وتقدم فيسميه عصر الفضاء وعصر الكواكب والأقمار الصناعية .

هذا الانسان المغامر لا يزال الملايين من اخوانه .. من بني البشر يقفون وراءه ومن خلفه بأقدامهم صفوفا على الأرض ... على هذه الأم ... على هذا الكوكب الذي نعيش عليه وفوق ظهره ... يشدهم اليه ، ويجذبهم نحوه بقوا نينه المحكمة ... بل انه ليخشى عليهم خشية الأم الرءوم على وليدها .

الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر
٤٤٣ ص ١٧×٢٠ سم . الثمن ٨٠ قرشا

تأليف
الدكتور حسين مؤنس

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا ليس رحلة الى الفضاء ، ولا غزوة موجهة الى القمر أو المريخ ... كتلك الغزوات التى نفتح اعيننا عليها فى الصباح، او تنقلها الينا بقية وسائل الاعلام المختلفة ... ولكنه رحلة ممتعة الى فردوس من فراديس الارض ، وركن من اركان هذا الكوكب الذى قدر لبنى البشر ان يكونوا من طينته ، وان يكون ترابه واديمه من أبشاره ودمه .

انه رحلة فى ربوع الأندلس .

او على حد تسمية المؤلف : ((رحلة الأندلس)) أو ((الفردوس الموعود)) والأندلس الذى هو موضوع الكتاب .. له فى عصرنا الحاضر على لسان كل عربى ذكر ، وفى خاطره امنية ، وفى وجدانه روعة ، وفى تاريخه عبرة .

ان احساس أبناء العروبة بهذه الرقعة من الأرض جد عميق ، وشعورهم به يسرى منهم مسرى الدم فى الأوداج والعروق ... حتى لو اقترح انسان ((ما)) ـ كما يقول المؤلف ضمه للجامعة العربية لما شعر الناس بغرابة فى ذلك الاقتراح ، لأن الأندلس بالفعل عضو فى الجامعة العربية الكبرى ... عضو له صوت يتحدى الزمن ويتخطى القرون .

اما الكتاب فكما قرأته ، وكما عشت معه .. فى صحائفه التى تبلغ الأربعمائة صفحة أو تزيد .. فانى أرى أن المؤلف قد رزق فيه الموهبة والمثابرة لذلك جاء الكتاب روعة فى الفن وآية فى الابداع .. جمع فيه المؤلف بين ذوق الأديب وحصافة المؤرخ وبصيرة الناقد .

والكتاب ليس جمعا لشتيت من الأفكار ، أو حصيلة للقراءة والمطالعة فحسب ، ولكنه أثر رجل اختبر بنفسه وتحركت مشاعره ، فلمس وحقق بذاته فكان صادق الحس بارع التصوير .

يحس القارىء لهذا الكتاب ـ وهو جالس على أريكته ـ كأن المؤلف يأخذ بيده فى رحلة يبلغ عمرها نحوا من ثمانية قرون ، ويفسح له مكانا الى جواره داخل سيارته ، أو كأنه يردفه خلفه على حمار يسير به وسط المزارع والحقول أو يتأبط ذراعه ويسير معه جنبا الى جنب داخل المتنزهات والقصور ... يقطع معه داخل أرض الأندلس آلاف الأميال من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ... يصعد به الى شواهق الجبال وينحدر معه الى التلال والسهول الخضراء ، ويعبر بصحبته الجداول والانهار .. ويذكر له القلاع المشيدة والحصون المحكمة ، ويسمى له الدروب والقصبات والممرات ... ويشير بأصبعه الى مآذن المساجد وابراج الكنائس ... ويتحدث معه عن كل شىء ، لا يفوته منه شىء .

يذكر المؤلف فى رحلته الأندلسية اسماء المدن والأماكن والقرى بأسمائها الأصلية العربية أو الأفرنجية ، وما يكون عساه قد اعتور هذه التسمية أو تلك من تغير أو تحريف .

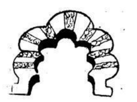
فاذا ذكر مثلا .. ((البوكيرك)) نبه على أنه قد حدث فى التسمية الغربية تحريف شنيع .. وان اصل هذه الكلمة ((أبو بكر)) .

واذا وصل الى «مدريد» ذكر اشتقاق الاسم وتطوره .. فيقول : هذا الاسم اتى من اللفظ العربى « مجرى » مضافا اليه اداة من اللغة الايبيرية القديمة « ايت » او « ايط » ويراد بها التكثير ... فيقال : البطريك ، من « بتر » أو « بطر » وهى الحجارة مضافا اليها « ايت » او « ايط » والمعنى : الموضع الكثير الحجارة .

ثم يسترسل فى توضيح المعنى وربط الاسم بالمسمى فيقول : واذن فمجريط معناه الموضع الكثير المجارى او الكثير الماء ... وهذا يطابق الحقيقة التاريخية ، فان مدريد القديمة كانت تقوم الى جنوب مدريد الحالية على مقربة من النهر الصغير الذى يسمى بـ « منثانارس » وعندما عمرها العرب ساقوا اليها المياه ونظموا جريها بواسطة قناطر وحنايا آثارها باقية الى اليوم .

يحس القارىء بأن المؤلف ينقله الى القرون الخوالى والأعصر الغوابر ، أو انه يشد اليه هذه القرون ويطوى له تلك الأيام ليعيش تاريخها ويحيا حياة اهلها . يشعر انه جندى فى جيش طارق ، أو فارس من فرسان بنى امية ، أو بطل من أبطال المنصور ، أو صنديد من صناديد الملثمين أو الموحدين .

أما اذا دخل بصاحبه قرطبة مثلا فان المؤلف يقول له : تأمل يا صديقى : هنا فى هذا المسجد كانت تقام حلقات الدروس ، وفى هذا المكان كان يقطن ابن طفيل ، وفى هذا الموضع كانت دار الوزير ابن عمار ... وفى ذلك المكان القصر كان مجلس الخليفة ... وفى هذا الركن كانت تقع صوامع النساك ومنازل العباد ... وهنا فى قرطبة جميعها كان الناس ... انظر اليهم تراهم جميعا بأبشارهم الملونة — البيضاء والسمراء — ولغاتهم



المتنوعة — العربية والرومانسية أو العجمية — فاذا ما احس بشىء من النصب مال به آخر النهار الى مجلس من مجالس السمر ليشنف آذانه بقطعة موسيقية زريابية ، أو انشودة تغنيها بعض المطربات العربيات أو الأوربيات الأندلسيات .

والمؤلف فى كل خطوة يخطوها يهتم بجليل الأمور وصغيرها لا تفارقه طبيعة الأديب ولا حصافة المؤرخ وبعد نظره ، لا تفوته آبدة ولا تستعصى أمامه شاردة .. ما نسيه الناس تجده حاضرا عنده كامنا فى وجدانه ... فاذا مر بنبات أو ثمار فاكهة أشار الى أن هذه الثمار أو ذاك النبات مما ادخله العرب الى هذه البلاد .

فاذا مر بقرية صغيرة قد لا ينم مظهرها عن شىء ذى بال ... ولكنه يقول لك : قف هنا لحظة .. فان هذه القرية التى تراها الآن انما هى سر كبير وشىء هائل فى التاريخ .. فيها هزم نابليون بونابرت لأول مرة فى التاريخ ، وتحررت أوربا كلها من عسفه وظلمه ولم يعد بعدها نابليون الذى لم يغلب ولكنه عاد نابليون المغلوب المقهور، بل من هذه القرية تحررت امريكا الجنوبية من سلطان الأسبان ، وانها كانت نقطة التحول الخطير فى حياة العرب والمسلمين .

فاذا ترك هذا الموضع الى موضع آخر قال له : هنا نشأ « كورتيس » قاهر امبراطورية « الازتيك » . ومنه خرج « نونيوس دى بالبو » فاتح « بنما » ومكتشف المحيط الهادى من ناحية أمريكا ، ومنه أيضا خرج « فرنشسكو بيثارو » فاتح « بيرو » ومحطم دولة « الأنكا » ومن هذا المكان خرج فاتحو « المكسيك » والأبطال الذين اقاموا لأسبانيا فيما وراء البحار ملكا يعدل فى مساحته مساحة اسبانيا عشرات المرات .

وهذا الاقليم اختاره « سرفانتس » ليكون مسرحا لبطل قصته الخالدة ... حتى ليجعلك تشاهد فصول القصة مع بطلها « دون كيخوت » وهو يصارع الطاحونة والدمى واعداءه من المردة والشياطين واذا وقف على مشارف قرطبة ، تردد فى خاطره قصيدة الشاعر الأندلسى الأصيل « فيدريكو جارثيا لوركا » وهو يقول :

قرطبة ...

بعيدة ووحيدة ...

انني أسير اليها على بغلة سوداء ، يطالعني من بعيد قمر كبير ... وتحتي خرج ملىء بالزيتون ...

ومع انني اعرف الطرق كلها ..

فانني لن أصل أبدا الى قرطبة ...

آه .. ما اطول هذا الطريق ...

يا لهذه البغلة الباسلة ... الخ .

فاذا ترك قرطبة ووصل الى آخر معاقل المسلمين بالأندلس .. تذكر أن في هذا المكان شبت آخر ثورة قامت بها البقية الباقية من المسلمين احتجاجا على قوانين التنصير وديوان التحقيق ... الأمر الذى جعل « فرناندو » يصدر مرسوما يخير المسلمين فيه بين التنصر ومفادرة البلاد .

والمؤلف لا ينسى في رحلته التى يبلغ عمرها نحوا من ثمانمائة عام أن يأوى بصاحبه بعد أن يدركهما الأين وينال منهما الكلال أن يأوى به الى واحة خضراء يتفيأ معه ظلال الكروم ، ويجلس معه تحت أشجار البرتقال وأغصان الزيتون .

ولست أعتقد أن المؤلف قد اراد أن يعجز بكتابه « رحلة الأندلس » من حوله من الكتاب والمؤلفين ... ولكنه أراد أن يعطى درسا نافعا لمن يريد الكتابة والتأليف .

وبعد : فهذه كلمة متواضعة ما أحسب أنها تبلغ ما يستحقه من الاعجاب والتقدير لكتابه « رحلة الأندلس » وحديثه عن الفردوس الموعود ... وان كنت اختاره حديثا عن الفردوس القائم الموجود .

د . جوده هلال

سطور من كتاب ...

السائرون نياما

تأليف : سعد مكاوى

« على وجه النيل أسرجة موقدة من قشور بيض عائمة تشتعل فيها فتايل بالزيت وتجوس خلال أضوائها المرتعشة مراكب مزينة بالالوان والخوص والأزهار وعامرة بالرجال والنساء والقناني والمناقد والجوز والشيش والدفوف والصاجات والطبول ، وخليج الزعفران يملأ ليل القاهرة صخبا وأنوار منذ افتتح واليها « بظلم » المهرجان الكبير تحية لشفاء السلطان بلباى من الوعكة التى دهمته قبل أن يملأ الأريكة شهرا ، والموج الهادىء عاجز عن ابتلاع الزغاريد والضحكات والأغانى ودفنها على طمى القاع ..

– يا رب اكتب لهما السلامة ! ..

وكان أيوب وعمر ينفضبان هموم النهار على عتبة الغيبوبة فى قارب صغير يعانى بحاره المسطول فى السيطرة على شراعه ويسهر على جمرات موقده غلام خفيف الحركة وثاب المهارشة كأن فى فمه سبعة ألسن ، عندما قطعت الطريق سفينة يضرب الهواء فى أشرعتها الكبيرة وعليها قطيع جن جنونه بعربدة الموسيقى والأنفاس والكئوس والليل الحر ، وامرأة فى قلب جمعهم السعيد على ردفيها حزام عريض من الشاهى الأخضر ، منكوشة الشعر فى رقصة عفريتية وهى بقميص أبيض تلعب به نسمات النيل ، لوحت بيدها للقارب الصغير البليد وصاحت بركابه صيحة منادية ضاعت فى عجيج السفينة العابرة ... »

الأديبُ وصناعته

مقالات عامة في الأدب
من تأليف جماعة من الأدباء

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : مكتبة منيمنة ببيروت

هـذا كتاب رائع في فن الأدب ، وتوجيه الأديب ... وبالرغم من أنه رائع ، لا أدرى بالضبط أين مواقع الروعة منه ؟ لعل روعته تعود الى انه يبحث بحثا جديا حديثا في فنون الأدب ، في الحدود التى وصلت اليها هذه الفنون في العصر الحديث ... ولا شك ان مفهوما جديدا طرأ على هذه الفنون الادبية ، تبعا لمقتضيات التطور ... ومن ذا الذى لا يخضع لسنة التطور ؟ والأدب ــ ككل طاقة ــ فى الحياة تتغير ، وتتطور ، مادام الانسان ، ومفهوم الانسان يتغير ويتطور .

لقد جرب الأقدمون ، وفى مقدمتهم صاحب المنطق : « أرسطو » ، أن يضعوا للأدب قواعد ، وأن يصنفوه ضمن هذه القواعد . كما جرب الأقدمون من ادبائنا أن يحيطوا الادب بقواعد .. لكن هذه القواعد لم تكن الا انعكاسات لمفهوم عصرهم عن الأدب ... فهى أدنى الى أن تكون مرآة عصرهم ، وأذواقهم من أن تكون مرآة العصور الآتية ، والأذواق المتبدلة ..

وتلك التجارب تشبه ــ فى جوهرها وغايتها ــ هذه التجارب الحديثة التى تطلع علينا بها ــ بين الحين والحين ــ هذه المذاهب الأدبية الحديثة ... وهى تتناول كل شيء من أسباب الحياة والفكر الواقع ولكنها لا تستطيع أن تفرض نفسها بصورة دائمة ... مثل **هذه القواعد الأدبية والفنية مثل القوانين العلمية التى تفرض نفسها فى لحظة من اللحظات ، ثم تنطوى فى تلافيف الدماغ البشرى العجيب الذى لا ينتهى بحثه ، ولا دورانه وراء الحقيقة .**

فاذا نحن ، من هذا الكتاب ، نشرف على المفاهيم الأدبية الجديدة التى تتصرف فى الأديب وادبه فى هذا العصر بالذات . وليس لنا أن نجعل منها مفاهيم خالدة ، لأن الخلود للفكر المتطور ، لا لآثاره المتحجرة .

وقد شئت أن ألخص أبرز ما ورد من أفكار ومذاهب فى الكتاب ، لكن الكتاب يأبى التلخيص ، وكم تمنيت لأدبائنا أن يقرءوه كله ، وكم تمنيت للمثقفين منا أن يطالعوه كله ، لأنهم سيجدون فيه مائدة غنية ، دسمة تغذى أرواحهم ، وأفكارهم .

« والمحدثون ــ هنا ــ كما جاء فى التقديم كتاب مبدعون عرفوا باهتمامهم بالأدباء الناشئين ، وقد اختار كل منهم موضوعا رأى فيه فائدة خاصة للمقبلين على صناعة الأدب ، ففى هذه الأحاديث آراء نقدية تتفاوت وتتباين ، وفيها أيضا كشف عن الطرق التى ينتهجها الأديب كما يفهمها الأدباء أنفسهم » .

وقد وصف بعض النقاد هذا الكتاب بأن أهم مجموعة من أحدث الأبحاث فى فن الكتابة وصناعة الأدب .

أما المباحث التى وردت فيه فهى :

- الأدب والايمان بالحياة .
- الأدب فى عصر العلم .
- الأدب والرأى .
- الشعر كلغة بدائية .
- الطريقة الحديثة فى الأدب .
- زيف الواقعية .
- مسئولية الأديب .

مسئوليات الناقد .

اهمية الشعر المكنة .

الفن الدرامي في الشعر ...

وكلها أسئلة – بعد الاطلاع على محتواها – تبين لنا ان الأبحاث ليست بأبحاث أدبية صرفة ، ولا بأبحاث نقدية صرفة ... وانما هي مواضيع تتصل بلبـــاب الحياة ، وتستعرض مشاكل الحياة ، وتدور كلها حول معنى الانسان ...

هنالك سؤال يدور حول « الأدب والايمان بالحياة » :

« هل يستطيع الفن أن يسعف عالما نال منه الأسى والكرب ؟ » في أواخر القرن التاسع عشر لم يكن لدى اصحاب الفنون والصناعات أي شك في الجواب . في أوائل القرن العشرين رأينـــا تأكيدا ايجابيا لدى الفلاسفة ، فاذا طرح هـــذا السؤال اليوم تطلعنا بشدة الى الأدب بحثا عن الجواب ، **لأن الأدب أكثـــر الفنون الجميـــلة ديموقراطية وأقلها اغترارا ، وأيسرها على ادراك الشعب لخلوه من عسر المصـــطلح والمعنى .** واذا كانت جهود رجال العلم ستخلق يوما ثورة مادية في أحوالنا فان الشاعر لن ينام عندها ، بل انه سيتهيأ لاقتفـــاء خطوات رجل العلم ، لا في تلك النتائج العامة فحسب ، بل سيمشي الى جانبه ، حاملا الحس والمشاعر الى وسط مادة العلم نفســـها . **والأدب مهيأ – بوجه خاص – للقيام بدور الوساطة بين الفنون الأخرى وفهم الانسان لها ، وادخالها على نطاق أوسع ضمن تجربتـــه ،** وذلك ، لأن الأدب مازال أوثق الفنون صلة بالملكة العقلية ، لأن الانسان حيوان مفكر ، وتطلبـــه للمعنى جـــزء من الطبيعـــة البشرية .

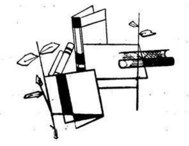
ومن ذا ينكر أن في وسع الفن والأدب أن يكون حلقـــة تصل بين الطبقات والأمم ، وحتى الأجناس ، ومن ذا ينكر على تولستوي تعريفه للفن اذ يقول ... **وليس الفن بانتـــاج الأشياء المفرحة ، ولا هـــو بالفرح دائما . انه وسيلة توحيـــد بين البشر . تجمع بينهم في المشـــاعر نفسها ، وليس عنها غنى للحياة والتقدم نحو خير الأفراد ، وخير البشرية » .**

« ان مادة الأدب تســـتمد من البشرية والتجربة الانسانية . ثم تعود ، اذ تعود منتعشة في ثوب جديد من التأويل ليتسلمها النـــاس من جديد ، فتصبح ، مرة اخرى ، جزءا من تجربتهم والفنان في هذه العملية هو الوسيط والوسيلة . **ويقيني أن الفن أو الفنـــان لن يجـــد فائدة في الانفصال عن المجتمع الأكبر . لأن هـــذا المجتمع هو مصدر الحياة وينبوعها .. » .**

وأما رسالة الشعر في هذا العصر فقد آن لها أن تتغير ، لأن وظيفة الشاعر لم تعد بتلك الوظيفة السـابقة التي كانت تنطوي على تأويل الأمور ، ونقد الحياة ... وهـــذه الوظيفة قد اغتصبها منها تقدم المعرفة العلمية ، وأصبح لهذه الوظيفة من علماء النفس اهل لها . والسبب المنطقي في أن الشعراء لا يعلموننا شيئا هو انهم قد احسوا بأنهم – كشـــعراء – لا يعرفون شيئا . فمعرفة الأشـــياء قد أصبحت – في هذا العصر – مهمة تخصصية يتعهد بها خبراء العلم . ولذلك **ليس من تعريف للشعر – مهما تكن الأغراض التي يسخر لهـا أحيانا – الا انه ايصـــال للتجربة ... فليس الشعر معـــرفة لا غير . ان الشعر حيـــاة . وهل نستهين بالحياة ؟ والحياة معا ؟ وبحرارة ؟ هذا هو الشعر ... انه الحياة معا وبحرارة .**

وفي بحث « الأدب والرأى » عـــرض دقيق لموقف الأدباء من الآراء والمذاهب – سياسية كانت أو اجتماعية – هل خلق الأدب للتعبير عن رأى ما ؟ وما هو هذا الرأى ؟ وما موقفه منه ؟ .

لا شك ان الأدب لم يعرف عصرا كهذا العصر ، يدعوه الى أن يخوض في مشاكله ، وان يلتزم منها موقفا معينا . وبعد أن كانت رسالة الأدب هواية نفسية اصبح هواية اجتماعية ، تستلزم منه ان يكون



فى قلب المجتمع ... ولكننا فى عصر تغيرت فيه موضوعات الخلاف، وتبدلت جوانب النزاع... وامتدت خطوط المعركة فيه امتدادا أصبح من المستحيل معه على المرء ان يميز بوضوح بين الجبهة الأدبية، والجبهة السياسية. ولم يعد هناك - فى النقد - الا أحكام بروليتارية، أو بورجوازية، أو فاشية، وأصبح الأدباء موضعا للمدح أو القدح تبعا لعقائدهم وميولهم السياسية أو الاقتصادية.

ولكن، هل هذا الموقف سليم؟ أو خالد؟ لقد كان الناقد « وليم هازلت » عنيفا، متصلبا فى عقيدته السياسية ... لقد كان مدافعا عن الثورة الفرنسية لا يكل ولا يخبو له لهيب، الا أن هذه الخلافات فى الرأى، بل والعداوات الشخصية الضارية، نادرا ما أخلت بأحكامه الادبية. لأنه يرى « أن مهمة النقد الأدبى الرئيسية ليست أن يقال فى وضع كهذا: ان هذا الجانب محق، وهذا الجانب مخطىء. بل أن يميز الكتاب الأصليون - مهما كان الجانب الذى انحازوا اليه - عن الكتاب الفارغين ».

وأين، اذا، تكمن عظمة « هاملت » لنا هنا ان شئنا أن نأتى بمقاييس أخرى ... لسنا أن نتحدث عن تصوير الشخصية. وتصوير الشخصية ليس بالمحتوى السياسى الاجتماعى. أو أن نتحدث عن الصور الشعرية الرائعة، مما قد يعد « أساوبا »، ولكنها تنطوى على أكثر من ذلك بكثير ... قد نتحدث عن الحقيقة او الحكمة التى تكشف عنها المناجاة المشهورة فيها .. ولكن مهما يكن تحليلنا المفصل فلن نرى محيصا عن القول فى النهاية، بأن الذى يجعل من « هاملت » مسرحية عظيمة هو ما اتصف به عقل مبدعها من مزية واتساع مدى، وروعة نسج.

وهذا، آخر المطاف، هو المهم فى الأدب - أعنى مزية عقل المؤلف، ونبله، لا براعته الفنية المجردة، ولا مشاعره السياسية أو الاجتماعية. ونحن لو حكمنا على المؤلفين بموجب موافقتنا أو مخالفتنا لعقائدهم الأساسية لكانت النتيجة ضربا غريبا جدا من النقد.

وماذا نقول عن واجب الأديب الخلاق المبدع؟ فهل نطلب اليه أن يكتب الشعر والروايات والمسرحيات التى تستهدف الدعاية؟ أيتحتم عليه أن يخوض الى القلب من المعركة؟ أم ان يقف « فوق الصراع »؟ ليس من السهل الجواب على هذه الأسئلة، فهناك أولا صعوبة تحديد ما هى « الدعاية » بالضبط. اذ الفنون كلها فى بعض المعانى ذات « دعوة » لأنها تعكس رؤية ما للعالم، وتنشرها بين الناس .. وهل كانت معظم مسرحيات « برنارد شو » والكثير من مسرحيات « ابسن » الا مؤسسة على الدعاية لفلسفة اجتماعية معينة، وضرورة تجديد مافى المجتمع؟

والحق، ليس هناك الا قاعدة واحدة: على الكاتب ان يكتب عما يهمه، وعلى النحو الذى يؤثره. فالأدب الصالح هو الأدب الذى يثير اهتمام أخيه الانسان ... قد يثير الأدب الدعاوى ذو الأفق الضيق أناسا أكثر اليوم، وأقل غدا. أما الأدب الذى يستهدف أغراضا أوسع وأعم، من غير دعاية متعمدة ويدور حول موضوعات قليلة الصلة بالاقتصاد والسياسة، فقد يهمل اليوم، ولكنه قد يغدو مقروءا على نطاق واسع فى الجيل القادم. ومهما يكن من أمر، **فان الأثر الأدبى ان ينقذه من غائلة الزمن، أو يجعله خليقا بالقراءة ما فيه من عقائد يتشبث بها المؤلف، بل ما فيه من ميزة العمق، وجودة النسج اللتين يتسم بهما خيال المؤلف وتفكيره.**

وفى معرض « زيف الواقعية » نجد هذا السؤال: هل الفن هو الحياة؟ هل الفن هو واقعية الحياة؟ فى الحق أن الفن ليس هو الحياة ... ولو كان الفن هو الحياة فقط لما كان ثمة مبرر لوجوده. ولكان عبثا لا حاجة بنا اليه، ومجرد تكرار لحكاية يحكيها معتوه .. **ان الفن انتقاء، وتركيز، واستهداف. يقوم به رجل مدرب، متسم منذ اللحظة الأولى بنشاط الملاحظة، ونشاط التحليل، ونشاط التمييز.**

وبعبارة أخرى: ليس لدى الفنان ما يدعى «استبقاء الشىء على حالة» وحالما يقبل به الفنان فانه فى تلك اللحظة لا يعود فنانا ...

اذا، ما هى وظيفة الفن الحقيقية؟ ما وظيفة الرسم، والكتابة، والموسيقى؟ هى محاكاة الحياة كما هى؟ أن تجعل الفن صورة فوتوغرافية؟ كلنا يعرف أن ذلك غير صحيح. فالصورة

الفوتوغرافية العادية بغير وقفة ، وغير تظليل ، وغير انتقاء ليست صادقة ، فلا هي صادقة مع الموضوع ، ولا هي صـــادقة أمينة للحظة التي التقطت فيها .

لابد للفــن من أن يعني شيئا ... ولا بد له من معنى لا للفنان وحده ، بل للآخرين أيضا . انه لا يؤدي وظيفته في الفراغ الذهني ، أو الأخلاقي ، او الروحي ، أو البدني . واذا فقدها لم يعد فنا ، بل جنونا وبلاهة .

ان من وراء كل فن جميـل باق مظهـرا من مظاهر الايمان ، الايمان بالحياة ، مهما تكن ظواهرها الآتيـة مروعة . الايمان بالبشرية ، مهما تسف احيانا بسلوكها ، ومهما يتوحش بعض أفرادها ، فالفن أيضا جوهر الأشياء التي نتطلع اليهـــا ، وشاهد على الأشياء التي لا تدركها عين .

وليس الأديب العظيم واعظـا أخلاقيا يتقصد الوعظ والاصلاح ، اذ كلمـا فعل ذلك ابتعد عن الفن . فالفنان هو هو ، يولد كذلك ، وهو بالطبع والسليقة في جانب الملائكة ، لأنه أرهف حسا من بقيـــة الناس ، وأصدق حدســـا وأكثر ادراكا للحقيقة والواقع ، بل **ان الفنان الذكي لا يثق في كلمة « الواقع » ... اذ الواقعية كلمة ليس لها مدلول ، لأن كل جيل وكل زمان يخلف غيره فيما يعتبره واقعيـــا . والعلم ليس أبدا كما هو . ولا انسان ، ولا الكون ... كل شيء في صيرورة ، كل شيء هو المستقبل ، حتى انا ، اذا أتكلم ، أصير في المستقبل .**

اذا ، فلعلنا نتعلم من جديد أن لا واقعية هناك سوى واقعية رؤيا الانسان وبصيرته وطموحه . يقول « سلفادور دي مادرياغا » : الفن نقل الروح عن طريق المادة . ويقول « سنتيانا » : ليست هنـــاك كآبة وافلاس ككآبة الفن وافلاسه حين ينهمك في نفسه لا في موضوعه .

ويقول « براوننغ » :

ما الفن الا الحيـــاة على نطـاق أوســع ، وأسمى .

حين يتدرج صعـدا في خط لولبي ، تتسع حلقاته دوما وتتعالى .

فيندفع نحو وهاج المعاني في كل شيء .

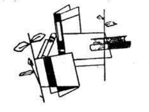
متعطشا ابدا الى اللا محدود اللا متناهي .. »

وفي معرض الحديث عن « مسئولية الأديب » في عصر مضطرب ، انبعثت فيـــه صيحـــات التحدي ... حتى اطلقوا بحق على هذا العصر « عصر الحيرة ، وقرن الخوف ، وعصر القلق . وكلنا يعلم أن هـــذه تسميات ملائمـــة . فالناس اليوم يعرفون من الخــوف ما لم يعــرفوه طوال التـــاريخ كله ، والمخاوف التي تكتنفهم ليست بالمخاوف الوهمية ، فانها حقيقية جدا .. نحس بها كل صباح وكل مساء .

في مثل هـــذا العصر القلق ، ما عسى تكون مسئولية الأديب ؟

انها مسئولية ذات أوجه متعـــددة : هناك مسئولية ازاء نفسه ، وازاء صنعته ، وازاء قرائه . والثالثة من هـــذه المسئوليات هي التي يجب أن نؤكد عليها ، لأن الأولى والثانية قد عرفتا دائما بما لهما من شأن وخطورة ، وبينما يلوح أن مسئولية الأديب ازاء جمهوره هي اليوم أعظم بكثير منها في أي وقت مضى ...

اننـــا نعيش في عالم مست الحاجة فيه الى اطمئنان ، والحت الرغبة عليه في استعادة الايمان بكرامة الانسان ، وقدرته على معاملة أخيه الانسان بالعدل والكرم . ولذا يخيل الي اننا لسنا في حاجة في هذا العصر الى ظهور أدب يكشف عن انحطاط الانسان ، لأننا نعرف عن انفسنا اسوأ ما يمكن معرفته ، وقـــد جعلتنا احداث السنين القلائل الأخيرة على وعي اليوم بدركات الدنيا من النفس التي يمكن أن تنحط اليهـــا . علينا أن ننساها لحظة واحـــدة ... ولكن ليس معنى ذلك أن يحذف الكاتب من الصورة التي يرسمها للعالم أغوار الحقـــارة والخســـة التي بوسع الانســـان



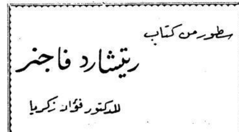
التدهور فيها . غير أننى أريد أيضا أن يذكرنا بانه مازال يهدهد فى نفسه طموحا وتطلعا الى السمو . **فالاديب هو الوحيد الذى يبدو قادرا على حفظ حق الانسان فى السير مفتوحا لكى يجرب ، ويستقصى امكانات الحياة ... وليس معنى هذا التراجع عن الموقف الواقعى ... بل معناه تبنى واقعية أعمق واشمل ، واقعية لا تكتفى بالناحية السلبية ، بل تدخل فى حسابها النواحى الايجابية من الشخصية الانســـانية كما تدخل النواحى الســلبية ، وبذلك ، نقع على محاولة أمينة ، نزيهة لايجـاد التوازن فى معالجة تعقيدات الكائن البشرى ...**

اننا جميعا خالقو عصرنا بقدر ما نحن نتاجه . وبوسع ادبائنا أن يلعبوا دورا هائلا فى تعيين مزاج الفترة التى يعيشون فيها ، ونفسيتها ... فقد خلقت الظروف الحاضرة جيـــلا شكاكا ، قلقا ، استخذى لمخاوفه . فلنحل دون ظهور جيل آخر مثله ... ومن لخلق هـــــذا الجيل المؤمن ، الايجـــابى الا الادباء الذين يعون مسئوليتهم الفردية ، ومسئوليتهم الاجتماعية ؟

الا أن شر الأدباء هم الذين ينقصهم الايمان ، وتنقصهم الشجاعة الفائقة فى قدرتهم على تغيير العالم . واعادة الطمانينـة اليه ، بعد أن أصبح فريســـة الخوف والقلق ... والذى يجب أن يعلموه ، ونعلمه أن العـــالم مكان قاس يعيش الانســـان فيه مهما كلف الأمر ، فلنجعله مكانا لائقا بحياة الانسان .

هذا مجمل استطعت أن أجمعه من ثنايا هذا الكتاب الرائع ... وهو ــ كمــا قلت ــ مائدة سخية غنية ، دسمة ... فهل يجد القارىء ــ بعد هذا ــ فى دعوتى اياه الى هذه المائدة غرابة ؟ مائدة زاخـرة بالأفكار ، والألوان ، والتحديات ... أحسن المترجم ترجمتها وعرضها ليفيد منهـــا القارىء العربى ، والاديب العربى .

خليل الهنداوى



« نستطيع أن نتفهم المعنى الحقيقى لحملة فاجنر على اليهودية : فلم تكن تلك الحملة راجعة الى عنصريته هو ، بل الى اعتقاده بأن اليهود ذاتهم عنصريون ومتعصبون : فطالما ظل اليهودى يقيم حاجزا بينه وبين الدولة التى يعيش فيها ، ويظل محتفظا بصفات « الأمة اليهودية » كان على الانسانية أن تحاربه لأنه خارج عليها ومنشق عنها . أما صلاح اليهود فلن يكون الا بعودتهم الى ركاب الانســـــانية وخلعهم رداء التعصب وهكذا كان هدف فاجنر من هذه الحملة انسانيا فى آخر الامر .

وليس أدل على تلك النزعة الانسانية الكامنة لديه من صـــداقته المتينـــة لكثير من اليهود ، كالموسيقى العازف روبنشتين ، وقائد الأوركسترا هرمان ليفى . بل ان أكثر أنصار دعوته الموسيقية الجديدة ، تلك الدعوة التى أطلق عليها اسم « موسيقى المستقبل » ، كانوا من اليهود ، كما كان اليهود فى أغلب الأحيـــان هم الذين يسمون أبناءهم « زيجفريد » و « زيجموند » بعد ظهور الدراما الرباعية . ولكن سخرية الأقدار تتم اذا تذكرنا ذلك الاحتمال القوى فى أن يكون أبو فاجنر الحقيقى هو لودفيج جاير : اذ كان أصل ذلك الرجل ، واسمه ، يهوديا ، وكان فى انحناء أنف فاجنر وتقوسه ما يبرر ذلك الرأى الى حد بعيد ! » .



من رواد الفن الحديث

تأليف : الدكتور نعيم عطية
تقديم : صلاح طاهر

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
١٧٤ ص ١٧×٢٤سم ث ٢٥ قرشا

— مشكلة الانطباعيين ان تأثير الاشياء عندهم ليس نابعا من الأشياء ذاتها ، بل من خارجها ، وليس لدى المصور الانطباعى سوى الألوان ، مجرد الألوان ، ومن هنا فالانطباعية صرخة قاصرة ، والفنان الانطباعى هو مجرد آلة تصوير بالألوان .

— يخيل الى يا ڤنسنت انك لا تريد الوقوف عند مجرد الانطباعية ، بل تريد أن تتعداها الى ما يمكن ان نسميه بالتعبيرية .

— أجل ياثيو . الفنان التعبيرى شاعر وفيلسوف .

— اذن فأنت تريد الرحيل عن باريس يا ڤنسنت ؟

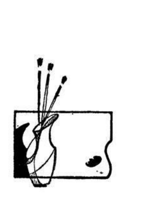
— نعم . اريد أن انطلق واتحرر من ربقة الانطباعيين ، أنت تعلم انى لست رسام مدنية ، عشت حياتى فى هولندا أرسم الحقول والفلاحين .

— لكن اين تريد الذهاب هذه المرة ياڤنسنت؟

— اننى اريد الشمس يا ثيو ، الشمس بوهجها وحرارتها والحياة المتدفقة من تحتها .

هنا يتضح لنا الطريق الذى انتهجه المؤلف فى كتابه سير ثلاثة من رواد الفن الحديث ، فرانسسكو جويا وڤانسنت ڤان جـوج وهنرى روسو . على انه مهما قيل فى أمر المنهج الـذى اختطه المؤلف من أن ما قام به هو عمل روائى موضوعه الفن أو فن صيغ فى شكل ادبى فان ثمة ضرورة دعته الى ذلك . ضرورة لم تأت عفوا ولم تكن بنت ساعتها وانما نبعت عن وعى وادراك لموضوع الكتاب . والمؤلف ليس غريبا عن ميدان الفنون التشكيلية فهو صاحب مقالات وبرامج اذاعية . وهو اذن من مثقفينا القلائل الذين آلوا على انفسهم وبجدارة أن يقتحموا ميدانا شاقا .

ومن هنا ، من هذا الفهم والادراك للموضوع كان المنهج الذى سار عليه . ولم يكن المؤلف بقادر حتى لو اراد أن يلج طريقا آخر ، ذلك انه لم يكن ممكنا بالنسبة له وهو يكتب عن ڤان جوج





أن يغفل دقائق حياته مع ثيو ، فثيو فضلا عن أنه كان أخاه كان أيضا عائله ومرشده ، ظل يمده بالمال ويتبادل معه الآراء والرسائل الى أن بلغه نبأ انتحاره فلم يستطع أن يعيش من بعده سوى شهور قلائل . كانت حياة فنسنت ڤان جوج غنية بالحركة رغم قصرها فكان لزاما على كاتب سيرته أن ينهج نفس النهج الحى الزاخر بالحركة . ولم يكن مجرد السرد ليصلح أن يلقى ضوءا على تلك الحياة ، كما أن الاشارة - مجرد الاشارة العابرة - لم تكن لتكفى أبدا لتمنحنا صورة حية ونابضة لحركة التأثريين الفرنسيين التى قدر لها فيما بعد أن تكون معينا لا ينضب لكل مدارس الفن المعاصرة . ولقد كان لجوجان بالذات شأن كبير مع ڤان جوج لا ينبغى اغفاله . تحداه فى فنه وطريقته فى الألوان فرفع ڤان جوج الموسى عليه . طلب منه جوجان أن يدع الانفعال الساخن وينقل من الطبيعة نقلا مباشرا ، لكنه صاح فيه .

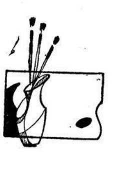
- اننى لم آت الى آرل الا لأصور فى انفعال ساخن

- هذا هراء يا ڤان جوج . لوحاتك تبدو كما لو كانت على وشك أن تنفجر .

وانفجر جوجان ، قرر الرحيل عن آرل ، وتوسل اليه ڤان جوج ثم سبه ولعنه وعاد من جديد يستعطفه ألا يفعل ، غير أن جوجان كان قد عزم ، فرحل ، وبدأت الوحدة مرة أخرى تلف حياة ڤان جوج فى قسوة .

هنا ربط الحدث بالمكان وبالزمن بالفكرة وبالانفعال ، فكان على الكاتب بعد ذلك كله أن يكون قصاصا . والكتاب بهذا الشكل لم يعد مجرد سيرة لڤان جورج أو جويا أو هنرى روسو بقدر ماهو عمل فنى فى ذاته أشبه باللوحة الشاملة تمتزج فيها اللمسات هنا وهناك ، على أن هذا المزج لم يقلل من قيمة الكتاب . النقيض هو الصحيح . فبصمات العالم المحقق واضحة فيه تذكرنا دائما بمحاولات العلماء الطبيعيين فى معاملهم عندما يريدون استخلاص الحقيقة من ملاحظة مادة تجاربهم ، غير أن العلماء الطبيعيين يستطيعون فى يسر وبشىء من الصبر ان يستخلصوا الحقيقة من خلال تجاربهم المعملية دون أن يتعرض اى منهم لاحتمال خطأ كبير ، تعينهم على ذلك مواد تجاربهم ، أما اذا كانت مادة التجربة هى الانسان بكل متناقضاته وبكل زحمه اقواله المتضاربة فهنا يكون المركب الصعب





واحتمال تبين وجه الصواب من وجه الخطأ احتمال ضعيف .

من هنا تنبع الصعوبة التي يواجهها دائماً كاتب السير والتراجم لا سيما اذا كانت سيراً وتراجم لفنانين .**فالحدث الصغير في حياة الفنان ضرورة نتبين منه الخيط الرفيع الذي يشدنا الى الحياة الفنية الرحبة العريضة بكل مآساتها وروعتها .**

ذلك هو منهج الكتاب ، أن ينفذ من خلال احداث صغيرة تبدو ذاتية ليصل بنا في نهاية مطافه الى ما هو أكثر رحابة من مجرد سرد هذه الأحداث ، ذلك أن التتبع المدرك الواعي ينفذ بنا من خلال هذا التحليل الى استنباط سمات حياة بأسرها .

اقول ذلك وصورة ڤان جوج ماثلة في ذهني وهو يطلب الرحيل عن باريس . لشد ما كان دائما يطلق العنان لوجدانه . ترك باريس الى الجنوب لمجرد احساسه برغبة دفينة في الشمس ، ومع أن مرحلة باريس التي عاشها مع الانطباعيين الفرنسيين زخرت بمناقشات حية وجولات مفيدة عبر المعارض ، الأمر الذي جعله من اشد المتحمسين لهم الا أنه مع مقدم الشتاء بدأ يفكر في الرحيل .

ـ ثيو انا اريد أن أتحرر وانطلق لأرسم .

ـ اجل يا ڤنسنت ، انت هنا اشبه بتلميذ ، لقد دعوتك الى باريس لتتعرف على فنانيها الثائرين لانني لمست أنك بدورك كنت ثائراً .

ـ معذرة يا ثيو انني اريد ان اغوص في الواقع ، أتغلغل الى ماوراء السطح ، استخلص جوهر الأشياء وأعبر عن هذا الجوهر في خطوطي والواني .

ثيو اذن أول من يتلقى نبأ الرحيل ، لا لأنه اخوه أو عائله بل لأنه أول من قاده من يده متجها به صوب باريس ليلتقي برواد التأثرية ، مونيه وديجا وجوجان ولوتريك ورينوا وسورا وروسو وسيزان .

ـ هم ثائرون مثلك يا ڤنسنت ، غير أنهم يستخدمون ألوانا فاتحة جدا ، لذلك يطلقون عليهم مدرسة الضياء والنور .

ــ لكننى استخدم الوانا قاتمة ياثيو ، أنت تعلم ذلك .

ــ تستطيع أن تتعلم الكثير اذا ما ذهبت معى والتقيت بهم .

ــ هل نجحوا فى بيع لوحاتهم يا ثيو ؟

ــ كلا

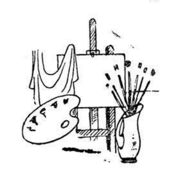
ــ اذن كيف يعيشون ؟

ــ روسو يعطى دروسا فى الكمان ، جوجان يقترض ، سورا تعوله أمه ، سيزان يعوله أبوه ، هم لا يأبهون الا بفنهم .

ــ هؤلاء هم الرفاق الذين يجب ان التقى بهــم .

ثيو اذن أول من القى بفنسنت فى احضان رفاق باريس الانطباعيين ، فهو اذن احق من غيره أن يتلقى منه تمرده عليهم . ولم يكن ثيو أنانيا ، كان يعلم أن الوحدة ستلفه من جديد ، ومع ذلك لم يطلب من ڤان جــوج البقاء رغمــا عنه ، فهو يدرك تماما انه لا ينبغى لأحد أن يقف أمام موهبة ڤنسنت ، فاستمر يمــده بالمال ويشجعه بالكلمة فى مقابل لوحات لم يشأ احد أن يشتريها طيلة حياته .

وفى آرل راح ڤان جــوج يحرك فرشاته مع ضوء الشمس المتوهج الساخن ، وكانت آرل هى أزهى مرحلة فى حياة ڤان جوج الفنية . لوحتان فى اليوم أو ثلاث ، مائتان من اللوحات فى مدة تقل عن أربعة شهور ، المنظر الواحد ينقله ثلاث مرات أو أربع أو خمس ، ولم يجد فى هذه المرة من يستخف به . كان ابوه قد مات ، وماتت معه سخرياته .



ــ لو كنت على قــدر من الموهبة يا ڤنسنت لأصبت رسم ما تريد من أول جرة قلم .

ــ الطبيعة تقاوم الفنان يا أبى ، على أن هذه المقاومة يجب الا تثنينى عن عزمى .

على الفنان الفاشـــل أن يكف عن المضى فى طريقه .

ــ اننى اجد سعادة فى ان احول الرســم الفاشل الى رسم ناجح يا أبى ، والأمر لا يحتاج الا الى وقت وصراع .

ــ واذا ظل انتاجك سيئا وحافلا بالاخطاء حتى النهاية .

ــ هى مخاطرة يا أبى على الفنان أن يأخذها على عاتقه .

ــ وماذا يلقى الفنان لقــاء هــذه المخاطرة .

هنا طرفا نقيض ، يستحيل عليهما ان يلتقيا معا ابدا . ڤان جوج يناقش اباه الفــن الجيد والفن الردىء والأب يسأل عن المكاسب . لشد ما هو شاسع وعميق الفــرق بين الأب والأخ ثيــــو .

ــ انك تقرأ كثيرا يا ڤنسنت ، على حين يجب عليك ان تعمل عملا شاقا لتبلغ هدفك .

ــ اننى اقرأ الأدب يا أبى ، بلزاك وديكنز وشكسبير .

ــ وما شأن الأدب بفنك الذى تقوم به .

ــ يربطهما معا نفس الرباط الذى يربط الفن بالحياة .

وظل ڤان جــوج دائمـــا يربط بين الفن والحياة ، يجعل من التصوير دائما وسيلته الى التعبير ، فلم تكن ضربة الفرشاة عنده غنيــة وقوية الا من أجل ان يحقق الاحساس بملمس الأشياء ، ومن هنا خرجت التعبيرية ليتلقفها الفن الحديث بكل مدارسه . هو فنان ولا شىء يشغله عن فنه ، اما أن يلقى من فنه شــيئا أو لا يلقى فذلك أمر لم يرهق ذهنه ابدا .

نفس منطق روسو وهو يستقيل من عمله .

ــ تــستقيل ؟ تستقيــل مــن وظيفتك يا روسو ؟

ـ انها ليست وظيفتى يا سيدى المدير ، لن اتوظف ابدا بعد اليوم ، لن ابدد لحظة من حياتى الباقية .

ـ لكنك ستجوع يا روسو .

ـ الجوع لا يعنينى يا سيدى المدير .

ـ اذن ما الذى يعنيك ايها الحالم .

ـ يعنينى ان امسك بالجمال ، اطل على الرؤى التى تبدو اكثر جلاء عندما اغمض عينى .

ـ انا لا افهمك يا روسو ، لا افهمك ابدا .

ومضى روسو دون ان يحدث بينه وبين المدير فهم متبادل ، فالمدير من نبع وروسو من نبع مختلف تماما ، لحظة من حياته الباقية لن يبددها بعد اليوم ، عليه اذن ان يكف عن عبثه ويهب نفسه لعالمه الذى خلق من اجله فهو واقعه وحلمه ورؤاه .

على أن الواقع عند الفنان هو نفس حلمه ، ورؤاه هى نفس واقعة ، ذلك ما يؤكده الكتاب بنفس المنهج الذى اختطه المؤلف لنفسه .

ـ النباتات عندى مجرد ستائر تنفرج لتسمح بمرور الأسود والضباع والنمور ، فهى مخلوقات مثلنا تماما ولها نفس حق الحياة الذى لنا تماما .

ـ لكن الانسان يختلف عن الحيوان ياروسو .

ـ تعنى ان نمط حياتنا اسمى من نمط حياتها .

ـ ان لنا مستوياتنا الأخلاقية .

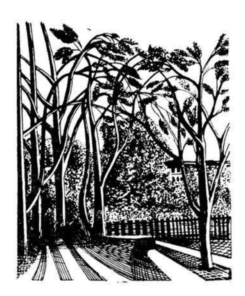
ـ علينا ان نتعداها تلك المستويات الاخلاقية ، نتعداها الى الطبيعة ، الى البدائية .

ـ انت تلقى الكلام على عواهنه .

ـ على الانسان الحديث أن يتخلص من الآلة .

ـ الآلة ؟ لكن الآلة مفيدة للانسان يا روسو .

ـ الآلة تؤدى الى آلية الاحساس ، وآلية الاحساس عندى تعنى تماما أن يصير الانسان نفسه آلة اخرى .



ومع أن الأمر يبدو للحظة أن روسو يلقى الكلام فعلا على عواهنه كما قيل له ، غير أن فى كلماته مذاقا غريبا هو مزيج من المنطق المباشر القوى والاندفاع الوحشى الساذج ، ومن ذلك المزيج تكونت رؤية للفن شاملة لتصبح فيما بعد منهجا قائما بذاته أطلقوا عليه الفن البدائى الحديث . أشجار متشابكة ثم ضباع ونمور تمر من خلالها . امرأة تجلس على أريكة مخملية بين نباتات ضخمة ذات أوراق عريضة من حولها زنابق وأسدان مختبئان بين الأغصان ثم شبح أسود يعزف الناى . لوحات غريبة تدعو الى الضحك لحظة التأمل الأولى غير أن احتفاظ الفنان فيها بصفائه ثم طريقته فى بعث الحياة فى السحاب والشجر والحيوان لهو أمر يدعو الى التأمل الطويل بعد ذلك .

على أن رؤى روسو فى هذه اللوحات ليست قط رؤى ساذجة ، كل ما فى الأمر أنها رؤى بكر لم تتمطى بعد ، ومهما قيل من أنها لا تعدو سوى أن تكون رؤى لطفل غرير ومن أن روسو ذاته لا يعدو أن يكون طفلا كبيرا فان ثمة مدرسة فى الفن قد قامت وأرست قواعدها ، تلك هى مدرسة الفن البدائى ، وهى مدرسة تتميز بأن نبعها يتدفق من مجرد الرؤية الفطرية

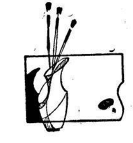
دون ان يكون للثقافة نصيب يسهم فيها بشيء .
ولسنا أبدا في حاجة الى القول بأن نبع الحس عند الفنان بصفة عامة خصب وعميق وأن نظرته الى الاشخاص والاشياء لا يدفعه اليها النظرة المتأنية الهادئة بقدر ما يدفعه اليها حميته واندفاعه المتسرع ، غير أنه في مجال الحديث عن روسو فان ثمة شيء ينبغي أن يشار اليه ، ذلك أن روسو لم يحصل على شيء من ثقافة فظل بعيــدا عن كل تيارات عصره الفكرية ، حتى المعلومات التشريحية لم يتلق قط بشأنها أية دراســة اكاديمية ، ومع ذلك فقد استطاع أن يتغلب على كل تلك الصعاب . واستطاعت بصيرته الفطرية أن تنفذ الى الاشياء والأشخاص فجاءت رسومه صادقة وان لم تخل من غرابة وخيال ، وبذلك أصبح روسو بحق الطفل الكبير شيخ البدائيين .

والكتاب في اكثر صفحاته يؤكد بطريق غير مباشر أن الحدث الصغير في حياة الفنان ليس مقصودا لذاته بقدر ما هو وسيلة يتضح منهـا كيف تخرج الاتجاهات الفنية من أعماق الفنانين، وربما من هنا جاءت حاجة المؤلف الماسة الى أن يتخذ القالب الروائي نموذجا له في كتابه سيرة الثلاث .

على أن الكتاب في غمرة ما عرضه من أحداث مثيرة لا سيما تلك التي جرت بين جوجان وفان جوج لم يلق ضوءا كافيا على حياة جوجان ، صحيح أن جوجان ليس واحدا من الثلاثة الذين قصدهم المؤلف في كتابه غير أن القارىء يحس وهو يقرأ سيرة فان جوج ان به رغبة في أن يتبين بنفس المنهج الملامح الفنية المميزة لجوجان واتجاهه الذى سار عليه الى آخـر الشوط ، خصوصا وأن جوجان وفان جـوج يكونان معا أوثق « اثنين » في عالم الفن الحديث . ولا يمكن أبدا لمن يكتب سيرة أحدهما أن يغفل سيرة الآخر . صحيح أن المؤلف كتب عنهمـا معـا صفحات مفعمة بالأحداث لكنه كان دائما يلقى الضـوء على فان جوج أما جوجان فلم نتبين ملامح فنه في وضـوح الا من خـلال الحديث عـن فان جوج . وربما كان مـرد ذلك الى أن الفنانين قد عاشـا معـا في باريس يظللهما اتجاه واحد هو التأثرية ثم عاشا معا بعد ذلك في آرل فترة من الوقت . على أنهما في مرحلة باريس لم يكونا وحدهما ، كانت المدرسة الانطباعية قد شدتهما اليها واذابت كل ما يمكن أن ينشأ بينهما من خلاف اما فترة آرل وهى الفترة التى عاشاها معـا في شـجار ونقاش دائمين فكان ينبغي على المؤلف أن يسلط اضواءه الكاشفة عليهـا بدرجة اكبر مما فعل . ولست أنكر أن الكاتب أشـار الى المزاج النفسي تجاه اللون عند كل من الفنانين ، وكيف أن هذا المزاج النفسي كان سببا في فهم أحدهما لوظيفة الفن بشكل مختلف عن فهم الآخر ، غير ان القـارىء لا يلبث أن يعجز عن أن يتبين هل كانت رسوم جوجان هي امتداد طبيعي لرؤية فنية شاملة عنده أو هي ثمرة خلافه الحاد المزمن مع فان جوج أو هي نظرة جديدة كل الجدة اكتسبها الفنان مـن رحلاته العديدة الى جزر المارتنيك وتاهيتي .

وأيا كان التفسير الذى يمكن أن يؤخذ به فان اغفال ذكره في الكتاب عن عمد أو عن غير عمد ليمنح القارىء فرصة التطلع الى المزيد ، ولعل كتابا جديدا يكتبه المؤلف عن حياة هــذين الفنانين العظيمين ليجد القـارىء فيه غليـلا يروى ظمأه الشـديد .

في كتاب « آفاق الفن » لألكسندر اليوت الذى ترجمه جبرا ابراهيم جبرا يقول المؤلف :
« كان الفكر الى ما قبل حوالى مائة سنة هو القوة المسيرة للفن وكانت الفكرة هى سـيدة الشكل ورؤية الذهن فوق رؤية العين ، وحين سئل بيكاسو كيف يرسم صورا تبدأ بالتصدع حالما تترك مسند الرسم أجاب ، الاسطورة هى التى





تعيش ، والذى عناه بيكاسو **بالاسطورة هو الفكر** » ويضيف الكتاب « على أن المتأمل لواقع تاريخ الفن يجد ان الفكر غادر الفن فى الفترة الواقعة بين جويا وبيكاسو » . أقول هذا لأمنح تفسيرا للخلاف بين ڤان جوج وجوجان وأشار اليه الكتاب اشارة عابرة غير مباشرة ، وهو تفسير فى تقديرى يعطى لهذا الخلاف بين الفنانين معنى آخر يتعدى مجرد اختلاف نظرة كل منهما الى اللون .

– الوانى يا جوجان ليست مجرد الوان ، بل هى أدوات للتعبير ، انظر الى لوحة الحانة الليلية ، لقد نحوت فى تصويرها منحى غير الذى نحاه الانطباعيون فى تصوير مثل هذه الأماكن . هم الفوا أن يصوروها على أنها أماكن للمتعة واللهو أما أنا فقد جعلت هذا المكان يعبر عن الشقاء الاجتماعى . الحانة الليلية عندى هى المكان الذى يلقى فيه المرء حتفه أو يفقد عقله أو يرتكب فيه الجرائم .

هنا فكر ، فكر مشوب بوجدان، غير أنه فكر على أية حال ، رؤية ذهنية لكنها ليست أبدا سيدة الشكل ومع ان ڤان جوج وجوجان فنانان عاشا خلال تلك الفترة التى يشير اليها كتاب « آفاق الفن » بأنها الفترة التى غادرها الفكر الا اننا لا بد من حين الى آخر واجدون فى أى عمل فنى ملمسا للفكر هنا أو هناك ليتأكد لنا فى نهاية الأمر حقيقة خالدة هى انه لا يمكن للفن ان يبقى الا بالفكر ، فالاسطورة هى التى تعيش كما قال بيكاسو ، ومهما صرخ التجريديون بانهم مجددون فى الشكل فسيبقى السؤال الخالد موجها اليهم ، ماذا يبقى من لوحاتكم ، ماذا سيبقى لكم ، والصور تبدأ بالتصدع حالما تترك مسند الرسم) .

وبالفكر وعبر كل العصور استطاع الفن أن يقف كالقلعة فى وجه قوى الشر أيا كانت الاقنعة التى تبدو بها . ها هو جويا يسخر من الدمى المتشحة بثياب الكهنوت فيرسم كردينالا استطالت أذناه كأذنى حمار ، ثم يرسم رداء قسيس ملقى على جذع شجرة والناس أمامه ساجدون يتعبدون ، وها هو كذلك يسخر من قيد الزواج فيرسم رجلا وامرأة موثوقين باحكام وقد بان على وجهيهما ضيق شديد ورغبة فى الانفصال .

والحروب أفظع ما رزىء به الجنس البشرى، لم يقف جويا تجاهها متخاذلا مترددا ، بل صورها فى شجاعة وبأبشع ما يمكن أن يصوره انسان ، فرسم خمسة وستين لوحة مفعمة بالأسى والغضب والاشمئزاز تجاه الغزاة الفرنسيين حين دخلوا ارض بلاده اسبانيا ولأول مرة فى تاريخ الفن ظهرت الحرب فى لوحات الفنانين كغول ينهش بينما كان المصورون قبل جويا يصورون الحروب على أنها أعلام خفاقة وقواد وبزات عسكرية مزركشة وسموات مجللة بدخان المدافع ، اما جويا فكان قد وضع فنه فى خدمة انبل قضايا الانسان فربط الفن بالفكر اسهاما منهما معا لخدمة الجنس البشرى بأسره .

ولئن كان الكتاب قد جاء ليؤكد هذه الحقيقة فى أكثر صفحاته فقد نجح ، ونجح أكثر فى أن يقدم لنا وجبة دسمة ليست عسرة الهضم فأحسسنا بعدها بحب كبير لهؤلاء الرواد ، أحببنا جويا ونزواته وامثاله وتصاويره السوداء،

وأحببنا روسو وهو يدفع الأذى عن وجهة نظره وأكبرنا فيه حبـــا كبيرا تجاه فتاته وحبا أكبر تجاه فنه ، ثم أحببنا ڤان جوج وآكلى البطاطس والحانة الليلية وعباد الشمس والقهوة الخالية ، وأحببناه وهو وحيـــد فى آرل ووحيد حتى مع جوجان يظللهما معا سقف البيت الأصفر ومحاولين أن يجدا ثمة نهاية لخلافهما المحتدم أبدا .

ومما أسهم فى نجاح الكتاب أنه وقف كثيرا امام اللوحات يصفها ويصف تفاصيلها بملاحظة دقيقة وتغلغل الى الروح الكامنة وراء الخط واللون وأعطانا كثيرا من الانطباعات والتفسيرات . حدث هـــذا بالنسبة للوحـــة جويا ، الساحرة الكبرى وبالنسبة لأمسية الكرنڤال لهنرى روسو ، وغير ذلك من اللوحات ، مما اكد قدرة المؤلف على مزج الكلمة باللون أو بالخط واكد اكثر ايمانه بقيام صداقة وطيدة بين الادب والتصوير . وما كان المؤلف بمســتطيع قط ان يوفق فى منهجه لو أنه فقد ايمانه بتلك الصداقة الوطيدة بين الأدب والتصوير ، غير أنه كان يؤمن أن معينا واحدا ينهل منه كل من الأدب والتصوير ، ذلك هو النفس الانسانية .

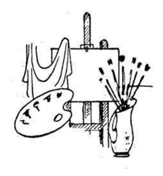
على أن الشىء الجدير بالذكر هو أن الكاتب قد التزم بالتاريخ . صحيح كان يطلق العنان لنفسه أن يتصور ، لكنه أبدا لم يتعد حـــدود التاريخ . وقف عند محاكمة جويا وأضاف وعند استقالة روسو وتصور ما يمكن أن يكون قد حدث بينه وبين رئيسه . هو اذن ساهم فى اثراء التاريخ مستمدا من نبعه ثم مضيفا اليه بعد ذلك .

حقا استطاع الدكتور نعيم عطية ان يقدم لنا ثلاثة من الأصدقاء ، احسوا تجاهنا بالحب فبذلوا نفوسهم سخية ، عرفوا أين يكمن الزيف فقاوموه ثم دفعونا الى ان نقف معهم نقاوم جمود حياتنا وتحجر احساسنا تحت طبقات درجاتنا ورتبنا ومناحينا .

ولئن كنت أغلقت آخر صفحة من صفحات الكتاب اكثر من مرة ، غير أنى كنت دائما اجد نفسى أعود لأفتحه من جديد وكل من ذهنى ووجدانى متفتح لمزيد من الرؤية .

الكتاب بحق اضافة ثرية الى المكتبة العربية ، خاصة وقد استخدم المؤلف اداة القصة ليعرض حياة ثلاثة مصورين تخطوا حـــدود زمانهـــم وأوطانهم ليصبح كل منهـــم صـــديقا للانسان فى كل زمان ومكان .

سمعان اسكندر



برامج التليفزيون



تأليف : ادوار ستاشيف
و رودى بريتز
ترجمة : أحمد طاهر
الناشر : مؤسسة سجل العرب
٧٥٢ ص ١٧×٢٤سم ت ٦٠ قرشا

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب فى المكتبة الأجنبية عن انتاج واخراج برامج التليفزيون، وهو أول كتاب جاد يترجم الى العربية ويمكن أن تتناوله المعاهد الدراسية بالشرح والتفصيل لمادتى الانتاج والاخراج فى مجال التلفزيون . والمؤلفان ادوارد ستاشيف ورودى بريتز ، كلاهما اشتغل فى حقل التلفزيون مدة لا تقل عن عشر سنوات ، وكان ادوارد ستاشيف المستشار الثقافى لمحطة اذاعة وتلفزيون كولومبيا ، كما كان مدير التخطيط التلفزيونى لمحطة مجلس مدينة نيويورك للبرامج التعليمية ومساعد مدير عام البرامج لمحطة W.P.I.X ، وهو الآن أستاذ مساعد مادة الخطابة بجامعة ميتشجان ويدرس بها فنون الكتابة والاخراج للاذاعة والتلفزيون

أما رودى بريتز فقد بدأ حياته مصورا ثم مخرجا بمحطة س . ب . س ثم مديرا للانتاج التلفزيونى بمحطة W.P.I.X ثم مدرس الفن التلفزيونى بمدارس مختلفة وأخيرا مستشار البرامج والاخراج ورئيس قسم البرامج الثقافية والتلفزيونية بجامعة كاليفورنيا . والمترجم هو الاستاذ أحمد طاهر مراقب البرامج الموجهة بالاذاعة العربية وقد قضى قبل ذلك اثنتى عشرة سنة فى لندن .

ويبدأ المؤلفان كتابهما بعرض لطبيعة التلفزيون ، وما اقتبسه هذا الفن الجديد من أسلافه المسرح والاذاعة والسينما ، والفروق التى بينه وبين كل منهم ، ثم يتناولان بالشرح وظائف التلفزيون واستوديوهاته وبرامجه ثم يبدأ الشرح الحقيقى لحرفية الاخراج بشرح لقطات وعدسات الكاميرا فى التلفزيون ، ويتساءلان ما هى **الوحدة الأساسية** التى يقوم عليها العمل فى *التلفزيون ؟ ان وحدة* المسرح هى المنظر ، ووحدة التمثيلية الاذاعية هى الجملة سواء كانت جملة مكتوبة أو جملة موسيقية أو مؤثرا صوتيا ، ووحدة الفيلم السينمائى هى اللقطة ، فالى أى وحدة من هؤلاء تنتمى وحدة العمل فى التلفزيون ؟ لا شك أن وحدة التلفزيون هى كذلك اللقطة ، **واللقطة هى فى عبارة**

عامة ما يظهر لنـــا على شاشة التلفزيون فى أية وهلة . هـــذا بالنسبة للمتفرج . أما بالنسبة للمخرج فاللقطة هى مايظهر علىشاشة التلفزيون فى اللحظة التى نقوم فيها بتشغيل كاميرا واحدة على الهواء حتى تشغيل كامـيرا أخرى بدلا من الكاميرا الأولى . وعلى ذلك فقد تتضمن اللقطة صورة واحدة أو سلسلة من الصور طالما أنهـــا سواء الواحدة أو السلسلة تظهرها كاميرا واحدة خلال فترة معينة من الزمن .

ثم يستطرد المؤلفان الى بيان أنواع اللقطات ومجال الرؤيا ومســاحة المناظر المرئيــة وحركة الكاميرا وأنواع حوامل الكاميرات ، والحركة فى الكاميرا من أهم ما يمكن أن يدرس فى فن التلفزيون ، واهم حركات الكاميرا اطلاقا هى الحركة العرضية ، وهى عبــارة عن حركة أفقية نصف دائرية تقوم بها الكاميرا وهى على حاملها ، وقد تكون الحركة من اليسار الى اليمين أو من اليمين الى اليسار . ويميـل بعض مخرجى الأفــلام الســينمائية والتلفزيونية الى ادراج الحركة الراسية وهى التى تتحرك فيها الكاميرا ارتفاعا وانخفاضا تحت اسم البـــان .

وقد يكون من المناسب هنا أن نوضح معنى يمين ويسار كما يستخدم فى التلفزيون ، فاليمين بالنسبة للتلفزيون هو يمين الكاميرا ، واليسار هو يسارها ، وفى هذه الحالة يكون يمين الكاميرا هو يمين المصور ويســار الكاميرا هو يســـار المصور ، وهـــذا هو عكس ما اصطلح عليـــه فى المسرح . ويمين المصور هو يمين المخـــرج أو المشاهد ، اما يمين المسرح فهو يسار المتفرج .

والمخرج وهو يختار الزاوية المعينة للكاميرا انما يفعل ذلك ليعرض وجهة نظره . مثال ذلك أن يظهر المنظر من خـلال شخص معين بالذات يمثله وضع الكاميرا فى مكان معين أو فى مكان هذا الشخص ، فاذا كان المشهد يتكون من رجـــل وطفل يتحدثان تدرك فى الحال أن الرجل ينظر للطفل من أعلى وأن الطفل ينظر للرجل من أسفل ، ومن ثم يمكن للكاميرا أن تخلق لنا شعور كل منهما نحو الآخر . فاذا ما كانت اللقطــة الثنائية قــد التقطت من مستوى النظر فان اللقطة المكبرة للرجل يمكن أن تتم من زاوية منخفضة أى بوضع الكاميرا بقرب الطفل . واذا ما اخذنا لقطة مكبرة للطفل فان ذلك يتم عن طريق تســليط الكاميرا من فوق كتف الرجل ، وكلما اقتربت الكاميرا من مكان أى منهما حصلنا على لقطة أكثر تعبيرا . واللقطة المعبرة تعبيرا كاملا هى تلك التى يتجه فيها الممثل بنظره الى عدسة الكاميرا ويقوم بدوره متخيــلا أن المشــاهد هو أحــد شـخصيات الرواية .

ومن الصعب للغاية مواصلة هـــذا النوع من اللقطات مدة طويلة لأن الكاميرا لابد أن تتحرك حركات متتابعة ومعقدة ، على أن من الممكن اظهار التعبيــر الدرامى باســتغلال فن التصـوير فى اللقطات القصيرة .



اختيار حركات الكاميرا

من السـهل اخراج رواية باستخدام كاميرات ثابتة أو كاميرات لا تتحرك الا بين اللقطات ، وكان ذلك هو المعمول به فى أول مراحل التلفزيون . والسؤال الآن هو : هل يجب تحريك الكاميرا ؟ الجواب على هـــذا الســـؤال يتعلق بالذوق والاحساس وهما شىء ينمو بسرعة مع بعض المخرجين بينما البعض الآخر قد يحتاج لفترة كبيرة من المران قبل أن تكتمل عنده هـــذه الموهبـــة . وبالاختصـــار تتحـــرك الكاميرا اذا كان فى هـــذه الحركة زيادة فى قيمة اللقطة بأن ترينا شـــيئا لا نستطيع رؤيته الا نتيجة هذه الحركة ، أو بأن تخلق أثرا عاطفيـــا يعزز تأثير النص أو اداء الممثل .

متى تتحرك الكاميرا ؟

والاجابة على هـذا السؤال تتوقف على الاجابة على السؤال السابق ، وعليه فان المخرج عليـه أن يحرك الكاميرا اذا كان يتوقع أن المشاهدين يرغبون فى رؤية قسم من المنظر أكبر ، أو عندما يحاول أن يقود المشاهد الى منطقة اخرى من المنظر أو الى شخص جـديد . وفى هـذه الحالة الأخيرة يجب على المخرج أن يجد سببا معقولا لتحريك الكاميرا مثل متابعة الممثل عبر المنظر .

لمن تتجه الكاميرا ؟

ويتعلق هذا السؤال بتفضيل المخرج لممثل على آخر ، وهو تفضيل يرجع الى طبيعة الرواية نفسها ، والواقع أن مخرجين كثيرين يفضلون تحريك الممثلين على تحريك الكاميرا . لكن مما لا شـك فيـه أن الكاميرا هى المعبرة عن الانفعـال الحركى والوجدانى للرواية ، ولذلك تعتبر جزءا من الرواية فهى تضع المشـاهد فى مكان الممثل . ومشـكلة الكاميرا هى طريقـة تحريكها موضوعيا لتظهر الانفعال أو رد الفعل بحيث تلتقط الأشياء التى يريدها المشاهد أو التى يرغب فى أن يقوم بهـا المشاهد لو كان فى نفس الموقف . وترتبط حركة الكاميرا اتصالا وثيقا بتكوين الـكادر ، ويتصـل التكوين بعلم الجمال .

وعنـدما نحلل جمال التصميم للصورة فى الكادر نجد أن البساطة هى الأساس دائما ، ويمكن القول بأن الخط البسيط أو الشكل البسيط أو التجميع البسـيط يعمل على زيادة فاعليـة الصورة . وتجميع الممثلين فى لقطة يجعل تركيب الصورة بسيطا لأن تجميع بعض النـاس وعدم تركهم منفصلين يبسط الصورة من عدة شخصيات كلها ذات حجم واحد الى كتلة بسيطة مكونة من عدد من الأشخاص مجتمعين معا . والعادة ان أى شكل أو أية كتلة مكونة من جماعة من الأشخاص أفضل بكثير من عدد من الأشخاص المتفرقين .

وقد يأتى هـذا التجميع عن طريق تقريب شخصين معا فيصبحا كتلة واحدة .

وهناك أنواع من التجمعات الجمالية فهناك التجميع المثلثى أو الهرمى فيه تحتل الشخصية الهامة رأس المثلث . ويمتـاز المثلث على المربع أو الدائرة اذ لا توجد فيهما مثل هذه النقطة التى تسيطر على بقية انحاء الجسم ، الا اذا اراد المخرج أن يجعل المربع يدور فيتكون لنـا الشـكل الدينارى . والمثلث المنفرج الزاوية لا توجد له رأس قوية متحكمة اذ أن كل نقطة على القاعدة او فى الوسط تنافس بقية النقط الأخرى فى جذب انتباه المشاهد .

ولا شـك أن المثلث كابتكار فى نظرية تركيب الصورة يجب أن يعطى الأهمية التى تناسبه ، لكن لا يعنى ذلك أن يقوم المخرج باجبار الممثلين على التحرك فى مجموعات على هيئـة مثلثات مضحيا بالحركة الطبيعيـة لهم ، وقد تغلب المخرجـون على ذلك للحصـول على مجموعات مثلثية بسيطة تبدو كأنها طبيعية فجعلوا المناظر على ارتفاعات مختلفة وجعلوا ارضيتها منحدرة او على درجات ، وراحـوا يتفننون فى ذلك بجعـل الممثلين يجلسون على أذرع الكراسى أو يستندون الى ظهر الكرسى او يجلسون على كراسى صغيرة منخفضة عن الكراسى العادية او بجعـل بعض الممثلين يجلسون بينما يقف الآخرون .



الإضاءة فى التكوين

وعندما نضىء مشهدا اضاءة صحيحة يمكننا أن نبسط التركيب الصورى ، وبذلك يمكن تقليل اهتمام المشاهد بالعناصر المشتتة لنظره فى خلفية الصورة ، بتقليل الاضاءة المسلطة عليها ومن ثم لا تتنافس فى الأهمية مع الشخصيات الأخرى . ويمكن للمخرج عن طريق الاضاءة أن يتحكم فى

فصل الشخصية عن الخلفية ، وهو ما يسمى بعملية الفصل . والاضاءات الخلفية التى يمكن استخدامها فى هـذا الغرض تتمثل فى تسليط كشافات على الشخصية بحيث تبدو حولها هالة منيرة . على أن شدة الأضواء الخلفية فى صناعة السينما تعتبر من المؤثرات غير الطبيعيـة التى لا تسـاعد على نقل شعور الحالية المطلوب فى التلفزيون الى المشاهد ، ومن ثم يستعيض عنها مخرجو التلفزيون بتسليط كشافات تغمر المشهد كله مع تسليط كشافات أقوى على الشخصية ، أو بجعل الخلفية أقل اضـاءة من الشخصية نفسها . والحالة الأخيرة تسـتخدم فى اخراج الاستعراضات الراقصة والأوبرات حيث يهتم جمهور المشاهدين بالرقص نفسه والراقص دون الخلفية . أما اذا كانت الأهميـة منصرفة الى التعبيرات على وجه الممثل فان تنويع الاضـاءة لا يساعد على اظهار هذه التعبيرات .

وفى بعض الأحيان يكون تدرج الاضاءة عبر الخلفية عنصرا من عناصر تركيب الصـورة بأن تسلط الأضواء على منطقة مظلمة فى الخلفية أو على حائط او ستارة بطريقـة متدرجة فتختلف الاضاءة من شديدة الى معتمة ومع ذلك تبقى الخلفية أو الحائط واضحة فى بساطة فلا يحدث تشتت حتى اذا أضفنا أشياء جديدة على المشهد قد تجذب الاهتمام من الشخص الموجود فى مقدمة المشهد . وفى صناعة السينما يقوم المصور باضاءة الخلفيات على هيئة دوائر صغيرة ويضفى الضوء جمالا على الألواح الخشبية التى تغطى الحائط . والغرض من الاضاءة الخلفية اظهار الأشياء غير الحقيقية عندما تكون داخلية المنظر مغمورة فى أضواء باهرة . ومع ذلك فالأضواء الداخلية تأتى من منابع قليلة . وهـذه المنابع توضع فى أمكنة منخفضة حتى تظهر الأجـزاء العليـا والأركان البعيدة للحوائط داكنة قليلا .

ولا يقتصر كتاب « برامج التلفزيون انتاجها واخراجهـا » على ذكر المواصفـات اللازمة فى الاخراج الدرامى بوصفه الميـدان الرئيسى من ميادين علم « اللقطة » التى قلنا سابقا انها وحدة العمل بالتلفزيون والسينما ولكنه يبحث اسرار المؤثرات الخاصة والموسيقى الخلفية ، ويتحدث باستفاضة عن خواص الـكاميرات والعدسات ، ويعرج على مختلف ألوان الاخراج غير الدرامى ، وهو ما يسمى بالاذاعات الخارجية وما يجب أن يتحلى به مخرجها ومذيعها وشرائطها . وفى الوقت الذى نجد فيه المكتبة العربية تعمر حاليا بالكتب التى تتحدث عن الاخراج المسرحى لا نجد كتبا تخوض فى الاخراج السينمائى أو التلفزيونى وهما لصيقان . غير أننا نحيل القارىء الذى يرغب فى الاستزادة الى كتاب آخر فى المكتبة العربية يفيد فى مجالى السينما والتلفزيون معا ، وهو كتاب « مذكرات مخرج سينمائى » من تأليف المخرج الروسى الأشهر سيرجى ايزنشتاين وترجمـة المرحـوم انور المشرى ونشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمـة والطباعة والنشر . وأهمية هذا الكتاب أنه استزادة فى موضوع هام تحدث عنه كتاب « برامج التلفزيون انتاجهـا واخراجها » وهو موضوع التكوين ، والحقيقة أن علم التكوين كما يقول الناقد العظيم لاجوس أيجرى علم من ألزم العلوم فى الفنون الدراميـة وخاصة تلك التى تعتمد على الكادر فى تشكيـل مشاهدها ، وهى المسرح والسينما والتلفزيون . وهو كما يقول علم قد يقضى الانسان عمره كله فيه دون أن يحيط بأسراره ومكنوناته . وعلى ذلك نعتبر نشر كتاب « برامج التلفزيون انتاجهـا واخراجهـا » وكذلك كتاب « مذكرات مخرج سينمائى » ظاهـرة تعلن عن بداية الاهتمـام بالفنون التشكيلية فى مجال الدراما فى بلدنا ، وهو أمر كاد يخلو منـه مجال المسرح والسـينما والتلفزيون، واتوقع له أثرا عظيما على مخرجينا .

عبد المنعم الحفنى

الناشر: الشركة العربية للطباعة والنشر ٣١٣ ص ١٤×٢٠ سم ث ٦٠ قرشا



الى وكـــرك يا قلبى
فان الليـــل خـــداع
ترى الأضواء ساحرة
وهـــذا السحر ايقاع
وهذى الفتنة الحيرى
غرايات وأطمـــــاع
وهـــذا الحب يا قلبى
مـــلذات وامتـــــاع
وهـــذى حية الجنات
تلهو بالألى انصـــاعوا
فعـــد للوكر يا قلبى
فلا تشـــقى ، وتلتاع

ومع هذا الخوف الشديد من الفتنة ، المستكن فى أعماق الصيرفى ترى قلبه على الدوام مفتوحا للافتتـــــان ، وما احباليه ــ لولا هذا الخوف ــ أن يفتتن . هكذا تقول الألحـــان التى ملأت أكثر القسم الأول من ديوانه ، وسجل فيها افتتانه بالصوت الساحر ينساب اليه عبر أسلاك المسرة ، أو دمعـــــة الحسناء التى لا يراها قطرات ماء ، ولكنها مسبحة الاله الأعظم لو فرطت منها حبة لاندكت الجبال ، وغلقت أبواب الجنـــة ، وجفت الأنهار ، وخرست أغاريد الطير .

واذا فعلت قطرات الدمع بشاعرنا كل ذلك أفلا يفتنه اللحظ وينسيه وجوده ؟ لقد لعب الورق ذات يوم مع حسناء ، وانصافا للواقع قال شاعرنا انهما لم يكونا يتبـــادلان اللعب ، ولكنها على الدوام كانت هى اللاعبة ، وبين يديها كان قلبه لعبتها . أما هو فقـــد كان على طول الخط رافعا راية التســـــليم مستعطفا هـــذه الفاتنة الآسرة منصرفا عن حظه فى اللعب الى حـــظ آخر أغلى وأحب .



ناولينى الحـــظ مرة
واغلبينى ألف مـــرة
سحر عينيـك هو الغا
لب لا غالب غـــيره
غلب الحسن اقتدارى
فهو للفتنـــة سخرة
كلما استوحيت نظرة
كانت النظرة «بصرة»
فامنحينى اليوم حظا
واستردى الحظ «بكرة»

وليست الدموع والنظرات وحـــدها التى استأثرت بقلب صاحبنا فى هذا القسم من الديوان وملأت بالافتتان احساسه ، ولكنه كذلك يفتتن بوقع قدميها ، ولا سيما ان كان وقعها عذبا كالنغم ينعش الحيـــاة فى قلب الزاهد ، ويلهب بالنار وجدان الشاعر . وتفتنه « الفتنة النائمة » على رمال الشاطىء ، ويكاد لو استطاع أن يجعل من نفسه ديدبانا يذود عنها رواد المصيف لعلها تنام وتنام ، وتسبح فى زوارق الأحلام :

نامى على الرمال
يا فتنة الجمال
نامى ولا تبالى
بأعين الرجال

وهكذا فى مختلف أجزاء الديوان نجد أنفسنا أمام شـــاعر مفتون بالجمال كل الفتنة يحبه ، ويقاربه ، ويتمنى لو يسعد به ، ولكن دون هذا الجمال سدا عاتيا ثقيل الوطأ على نفسى الشاعر واحساسه ، ومن عجب أن « الصيرفى » نفسه هو الذى صنع بيديه هذا الحاجز بينه وبين الفتنة خوفا على قلبه الذائب من الطوفان .

فلقد حدث ذات يوم أن وجد نفسه والفتنة التى تمناها وجها لوجه تهيب به ، ولكن وهذا عجب ينتفض قلب الشاعر من الخوف وتبرز على جبينه بعض حبات من عرق ، فيلملم ثيابه ويكاد يجرى من هـــذه الفتنـــة ، فاذا اعترضت طريقه وحالت دون خلاصه أصدر أوامره لقلبه أن يلزم وكره ، وأن يتجمد فى مستقره عصيا على الفتنة الدافئة .

ترى ماذا يريد الصيرفى من هذه القسوة على قلبـــه ، وهل لنفســـه يقول هـــذا الشعر أم للآخرين ؟ وهل هى لمحات صوفية تطوف بالأستاذ الصيرفى أحيانا فتبـــدو فى شعره هـــكذا دعوات لانتشال النفوس من خضم الجســـد والتسامى فوق جنون الشهوة الى معاقل الروح ؟ .

أيا كان مراده فقد أرانا فى بعض شعره كيف يكون سكر الروح ، وكيف يمارس الانسان الاسراء والعبـــادة فى لحظات ينم ظاهـــرها عن الهبوط تلك التجربة التى ضمنها قصيدته « اسراء » .

وذقت الخلد من شفتين ما أحلاهما طعما
ضممت العمـــر والآمال حين غمرتها ضما
وكانت نقـــلة بالروح أم بالجسم أم بهما
رأيت بهـــا جنان الله قد حلين لى رسما
نعمت بهن لو دامت لغـــاية هـــذه النعمى

أهى الصوفية كما يبدو ؟ أم هى ــ كما فى الحقيقة ــ رغبة من الشاعر بسيطة وصافية فى

تسجيل طبيعة الانسان فى حالتيه ، يضطرب فى بشريته العادية بين الأرض والسماء ، فيرتفع أحيانا ويرتفع حتى يكاد يرى فى مواكب النـور ، ثم تعاوده طينيته فيهوى ثانية إلى دنيا العطر والفتنة النائمة على رمال الشاطىء . ؟

ذلك ما أعتقد أن الصيرفى قد حاول تسجيله فى هذا القسم من ديوانه ، ولعل فى قوله عن البشر فى ديوانه « الألحان الضائعة »

تصوفهم من جمود الصخور
وشهوتهم من ضرام الجنون

تأييدا لما نرى ، واذا كان الأستاذ الصيرفى يحاول فى كل قصيد أن يختتمها بحمد الله وشكره على أن كل حالات الافتتـان تنتهى دائما على ، وأن اللعين ابليس قد جرع الهزيمة فهذا مالا نحب أن نناقشه سواء كان الأستاذ الصيرفى يقوله لنا أم يقوله للجيرة الأدنين الذين يقاسـمونه الحياة ويظاهرونه فى رحلة العمر ؟ .

ومهما يكن من شيء فشعر هـذا القسم من الديوان رقيق عذب لعـذوبة الموضوعات التى أثارها أو استجاب لاثارتها .

أما القسم الثـانى من الديون وهو قبسات النور التى أضاءها الأستاذ الصيرفى على طريقه ، وعلى طريقنا معه والتى أهداها الى « النور الذى تحترق من حوله الفراشات » هذا القسم أحفل أقسـام الديوان بالغنى الفنى والموضـوعى ، واكثرها كشفا لأعماق الشاعر اذا قيس بسابقه ولاحقه .

ففى هذا القسم يضى الصيرفى النور فيرينا اقدامه تسعى على درب المتأملين لموقف الانسان فى هذا الوجود ما هو ؟ . ولماذا هو ؟ .

واقتراب الصيرفى من هذا الموقف لا يختلف أبدا عن موقفه فى مقاربة الجمال الذى يعشـقه ويفتتن به ، فهو فى كليهما يخطو على استحياء ، فلا يكاد يثور لحيرة الانسـان وضياعه كما ثار الآخرون ، ولا يرفع صوته بالتمرد على الأسر كما تمردوا .. ولكنه فقط يقنع بأن يشكو .. يشكو انه محروم ، وان نفسه ظمأى ، وكل أمانيه ترتد الى صدره بلا استجابة وفوق هذا كله لا يلتفت المحبوب لعذاب المحب .

كل هذه المعانى يسوقها الصيرفى ، فى عذوبة هادئة ، وموسيقى صـافية ترتفع راية التسليم والاذعان من كل نغم فيها :

يا عـذابى من الظمأ
ظمـأ يذهب الرشاد
فى هيـام قضى به
قدر يملك القيـاد
مر عمرى به سـدى
والذى مر لا يعـاد
رحـلة دون ما مدى
وكفـاح بغـير زاد
كلمـا قلت للحجى
أوشك القرب أو يكاد
بعـدت شقة المنى
وتمادى بهـا البعاد

او ليست هـذه قصتنا مع الحياة ، وقصة الحياة معنـا نحن اللاهثين فى البحث عنها ؟ بل اليست هـذه ازمـة الانسان منذ أن حاول استشفاف سر الوجـود ، تخـدمه أوهامه حينا فيخيل اليـه أن السر قد عرف ، فاذا الحقيقة تفجـؤه بأنه لا يدرى ، وأن ما تراءى له سراب فى سراب ؟ .

تلك هى الحقيقة ، ذلك هو المرتقى الذى صعده الأستاذ الصيرفى وأصعدنا معه لنطل على الكون من أفق أعلى وأرحب من آفاق التجارب المحدودة والخاصة ، وتلك احدى سمات الصيرفى التى وضحت فى شعره منذ كان له « الشرق » و « الألحان الضائعة » .

بل أروع من هذا ، وأدل على تمكنه من دربه هذا قصيدته الرمزية البديعـة « غيرة » التى يحكى فيها حكاية طائر وزهرة كانا رفيقين عاشقين تلفهما الهناءة والحب على الغصن الرطيب ...



ومرة ــ ذات مساء رنت الزهرة للنجم وقالت فيــه مدحا ، هو نجم ، هو مشرق ، هو عال . قالت الحق ببساطة ، بصفاء ، ولكن العصفور غار ، ثم ثار .

وبدت غـيرته الحمقـاء في عينيــه نارا
هز جنحيــه على الغصن كاعصار .. أغارا
فهوت زهــرته عن غصـــنها ، ثم توارى
ولم يتوار الطائر خوفا من أحد ، ولكنه مضى لينتقم من النجم الذى فتن معشوقته وأفسد ولاءها عليــه ، فطار الى النجم وطار ، وفى قلبه اعصار .. وانصرم الليل واشرق عليه النهار :

واذا الطـائر فى الرحلة قد أعيا جهـودا
فهوى من عالم النجم على الأرض شهيدا
وهنا تنتهى الحكاية ومن نهايتها يبدأ الصيرفى هتافه ، معلنا موقف الانسان من هذا الذى جرى كيف جرى ؟! ولماذا جرى ؟!

ومن المسئول منهم يا ترى ؟!

الزهرة بريئة رأت الجمال فى النجم فقالت ـ ببساطة بصفاء ـ الحقيقة ، فلماذا يثور الطائر ؟ أليس ما قالته هو الحقيقة ؟ فلماذا يضيق الناس بالحقيقة ؟ لماذا يكونون حمقى فيضيقون بها ويرون فيها مرارة ؟ .

والنجم ؟ ما ذنبه فيما جرى ؟ لا ذنب له ، نعم لا ذنب له ، فهو لم يصنع جماله ليغرى به الزهرة ، ولكن هكذا وجــد نفسه جميلا ، واذا افتتنت به الزهرة فأى ذنب له ؟ والطــائر ؟ القاتل الشهيد .. فلماذا فعل ذلك ؟ أو لم يكن من الخــير له وللزهــرة أن يتعقــل ، لا يثور لا يغــار ؟ .

نعم لا حق له فيما فعل ولـكن من علمه أن يثور ، أن يغار ؟ لقد وجدها فى طبعه ، وتصرف على طبعه فلماذا تسألونه ؟ .

الكل اذن ابرياء .. الكل لا ذنب لهم .. لقد فصل الشاعر فى القضية وأشار الى المسئول :

عبث الأقــدار فى الدهر بألبــاب البرايا
كم وراء القــدر العـابث بالنـاس خفايا

ولا أستطيع هنا تحديد المورد الذى انسابت منه هـــذه اللمســة الى نفس شــاعرنا أهى استطلاعات فؤاد ظامىء الى معرفة السر . ضائق بقصوره عن تفسير ما يرى ؟ أم هى نزعة علائية تنطوى على ما يشبه التمرد والسخط ؟ .

مهما يكن فنظرة الصـيرفى الى الحياة لم يصبغها السواد ، ولم يســلم نفسه على طول الطريق لما قد يفاجأ به ، بل انه يرتدى عـدة الفارس ويتحدى كل مافى السـماء من غيوم ، وتطالعنا قصــيدته « تفاؤل » لتسجل تحولا واضحا فى موقف الشـــاعر الذهنى من أسرار الكون ، ومن كل مجهول فيــه ، فلا حيرة بعد اليوم ، ولا تشاؤم ، ولا سلبية . ولابد من اتخاذ موقف حاسم من أولئـك الذين يشوهون وجه الحياة ، ويمسخون بالشر صورتها :

سأضحك يا سـماء فلا تغيمى
وأهــزأ بالمتــاعب والهموم
مضى ليل الخطوب فلا تعيدى
الى ذكراك ايام الجســـوم
ولا تدعى الغيــوم مجمعـات
فقــد بددت من أفقى غيومى

ومن هــذا المنطلق صوب الايجابية والتفاؤل مضى الأســتاذ الصيرفى فى معظم هـــذا القسم الثــانى من ديوانه ليقول ما يجب أن يقول ، ولا تكاد تتاح له فرصة حتى يشرع قلمه كشواظ من نار يشوى به وجه أبالسة الشر الراقصين على أشلاء البشر .

فحين يشارك فى تكريم صديقه « أبو شادى » الذى هجر وطنه فرارا بفنه وقيمه من حماقات حكامها نراه يخز ادعياء المجد والسيادة والفن فى جنوبهم ، ويضعهم فى المكان الذى لا يصلحون لغيره .

أخى شــاعر النور ريح الظـــلا
م تحــاول تطفىء ما نشـــعل
أرى الشعر يغضو ويصحوا الضـــلا
ل ويعلوا على الفن من يهــــزل
ويشرى المعـانى مفاليكها
ويأملهـا المجدب المحل
وتلك البغاث بدت أنسرا
تتيــه وتزهو بما تنحل

وحين أقدم « أرسكين » على فعلته الشهيرة « كفر أحمد عبده » سأله الصيرفى فى سخرية رائعــة :



هذه البطولة .. أين كانت في الشدائد والخطوب ؟

ولكي يجيب استهلك من القصيدة سبعة وأربعين بيتا نشر فيها للانجليز كتاب مخازيهم بكل ما فيه .

انسيتم «دنكرك» ذات الهول في اليوم القطوب ؟
من أي ميدان جمعت كتائب الجيش الوثوب ؟
الهاجمين على «الخضار» الساقطين على «الحليب» ؟
بدلتم الأسد الهصور على شعاركم الخضيب
ذئبا يغير مع الظلام على النيام احط ذيب

ايجابية الصيرفي من الأوضاع الخاطئة في المجتمع تبدو حادة وثائرة حين تقع عينه على موكب من مواكب النفاق فتهيج في أعماقه كل مشاعر الازدراء والمقت ويثور كالنمر وكان الجرح اصاب كبرياءه .. وليست كبرياءهم ، وفي قصيدته « موكب البعث » يصب اكبر طاقة من سخطه على أولئك الذين زيفوا الحقائق ، وصنعوا الحاكم الفاسد موكب النفاق وأذلوا بهذا قداسة الكلمة وحطموا كبرياء الانسان

غمة طالت وطالت حقبة
زيف التاريخ فيها مفسدوها
أحمد الله على أن يدى
لم تخط الحمد والتمجيد فيها
عشت في معبدى الحرارى
ذل أقزام ارادت أن تتيها
من جباه مرغت في حمأة
وظهور لنفاق قوسوها
ووجوه لنفاق تطلى
صبغة ماكرة ، شاهت وجوها
زوروا الأنساب لما اجترءوا
ولو ازدادوا اجتراء ألهوها
ذمم تشرى وأخرى تكترى
ساء شارى ذميم أو مكتريها

وهكذا يمضي الأستاذ الصيرفي على دربه هذا مواكبا التيار الثورى أحيانا ، ومرتادا الطريق أمامه في بعض الأحيان . وهو في كل ذلك لا يتحرك من زاوية شخصية ولكن من المنطلق العظيم صوب الحق والخير ، وازاحة القذى والشوك من كل الطريق .

اما القسم الاخير من الديوان فهو بحق قسم حسن كامل الصيرفي الانسان الذى قال عنه عارفوه من قرب ان ميزة المزايا فيه أنه وفى .

في هذا القسم يتجلى وفاء الصيرفي الذى يرثى أحبابه وأصدقاءه فيشعرك معه باليتم والفجيعة ويعصر قلبك بنفس الألم الذى عصر قلبه وطحن أعصابه .

في هذا القسم ترى الرجل الذى لم يسر يوما في ركاب طاغية ، والذى رفض ذات يوم - وفي خطاب رسمى - أن يقول شعرا في أحدى مناسبات « الملك » .. تراه يذوب ويتلاشى كحبة الرمل في صحراء الألم ، ويقف بين يدى من ذهبوا من الرفاق والأحباب خاشعا كالراهب ، زائغ البصر كالغريب معصور القلب كاليتامى فيقدم لهم مراثيه على استحياء ، ويذرف دموعه على الأرواح التى غادرت عالمنا ، وعلى قبورها اللائذة بالسكون يضع أزهاره ، مبقيا لها في نفسه ما لا يجف مع الزمن ، وما لا يذبل مع الأيام .

ولو جلست الى الأستاذ الصيرفي لم تشبع من الحديث الحلو والدعابة الصافية حتى لتتوهم انك امام رجل كل حياته افراح ، ولكن عارفيه من قرب يقولون ان هذا كله تنفيس عن الجد الصارم وعن بؤرة الحزن الكامنة في أعماقه كمون الجوهرة في البحر .

ولست أعرف عن الصيرفي ما يسمح بنفى القول أو تأكيده ، ولكنى لمست منذ قراءتى الأولى لديوانه أن قصائد الرثاء ، وكل القصائد

المعبرة عن الضياع والفقد هي في الديوان أقوى وأحر ما فيه .

ولقد سمعت لبعض النقاد كلاما يذهبون فيه الى ان مرثيته لشقيقته أقوى مرثياته كلها ولست معهم ، ولعل موسيقاها الدافئة ذات النغم العالي قد صورت ذلك لهم .

والذي أراه أن أعظم مرثيات الصيرفي في هذا الديوان ثنتان :

أولاهما تلك التي ودع فيها الظل الذي انحسر عنه يوم ماتت أمه في ١٠ اغسطس سنة ١٩٥١ .

والثانية التي رثى فيها فقيد الوطن والشعر المرحوم عزيز فهمي في أول مايو سنة ١٩٥٢ .

ففي القصيدة الأولى تشعر على الفور أن فقد الصيرفي لوالدته قد اثار الجديد والقديم من أشجانه وأحزانه ، فيقف حين يرثيها ، وكانما يرثي الوجود كله ، فقد كانت عنده اقوى أسباب رضاه بالبقاء ، وحين يفقد الحي سبب بقائه فكم تساوى عنده الحياة ؟ .

لقد كان هكذا شاعرنا حين ودع أمه فأبصر الحيـاة وكانه يطالعها اول مرة صحراء مقفرة شوهاء الحقيقة لا تصلح للمستقر ، ولا تجدر حتى بالخطا الحيرى على ظهرها ، وساعتها يحس أنه غريب فيهتف من أعماقه .

رحلتي طـالت وطـالت غربتي
فمتى يا روح القى الوطنـا ؟

ومن أحزانه الشخصية على والدته يخرج الى أحزان الانسان عامة ، ونراه هنا ، وفي كل مراثية تقريبا يكفر بالحياة ويراها غير جديرة بما يبذل حولها من نضال ، وما يحتمل في سبيلها من نصب .

عبـد النـاس حياة ضلة
وانا اجحـد هـذا الوثنا
حـيرة طالت على أصحابها
كل من فيها ينادي : من أنا ؟
ذهب الآمل فيهـا يائسـا
وذوى المـأمول فيها وانحنى
يهـدم اليوم وفي سـخرية
ما أقام الأمس فيهـا وبنى

أما مرثيه عزيز فهمي ففيها بوضوح مشاعر التقدير القوية المتبادلة بين المرثي والرائي ، ويبدو ان الأستاذ الصيرفي كان شديد الاعجاب بالفقيد ، من اجل شمائله الكريمة وجوانب النبل التي يعرف الصيرفي منها ما قد لا يعرفه الكثيرون .

واذا كان مبعث القوة في مرثية الصيرفي لوالدته أنها قمة تصويره للحزن فمرثية عزيز فهمي تكسب قوتها من انها فجرت أحزان الشاعر على وطنه الذي لا يكاد يرى النور من شعلة حتى يغتالها القدر ويطفيء في أقسى الظروف قبسها :

خل العزاء فنحن في هول طغى
في كل أفق محنـة وبلاء
سبعون عاما لم يعظنا هولها
يوما ولم يتنبـه الحكماء
نحن الأسارى في القيود نظنها
حليـا فتأخذنا بهـا الخيلاء
ماذا كسبنا بعـد طول جهادنا
الكسب غرم والجهـاد هبـاء
حرية الوادي رواية سـاخر
كل الفصول شـبيهة وسواء

وبعد هاتين القصيدتين تجيء مرثية « رقدة الملاح » التي رثى فيها صديق عمره الشاعر علي محمود طه ، والتي جمعت من القوة والعذوبة ، والموسيقى الداخلية الموحية ما سجله مطلعها الذي يقول فيه :

لم يبق لي في طريق العمر أحباب
خلا الطريق وأحباب الرؤى غابوا
والمراثي بعد هذا سواء .

ونحب بعد هذا العرض السريع أن نقف قليلا أمام بعض جوانب فنه الشعري . أما شاعريته فليست بحاجة الى من يدل عليها في آخر الزمن ! .

فالصيرفي أحد الشعراء المتميزين في أدبنا

المعاصر تفجرت شاعريته في بكورة العمر ومع فجر النهضة الأدبية الحديثة .

وحينما كان يخطو ربيعه التاسع عشر كانت مختلف المجــلات والصحف في مصر وفي خارج الحدود تنشر له ، وتدل على المكانة التي يمكن للصيرفي أن يتبواها لو استمر بهذه الشــاعرية وهذا الصفاء واخذ حظه من العمق الذي تصنعه التجربة والزمن ..

وقد استمر الصيرفي ، ونما ، وازدادت أعماق شاعريته ، ومع هذا لم يتبوأ المكان الذي انتظره له !! ربما ــ وهذا ما أعتقد ــ أن شموخ الصيرفي ونأيه بجانبــه عن الســير في ركاب أي من ذوي السلطان قد حرمه من بريق الأضواء التي تسلطها الحيــاة دائما على المتصـــقين بذوي النفوذ والسلطان .

ومع أن شــاعرية الصيرفي ــ كما قلت ــ في غير حاجة الى بيان فســأحاول هنا أن أضع بين يدي القارىء بعض ملامحها المتميزة .

فالصيرفي يمتاز في عامة شعره بصفاء الزوايا التي يتناولهــا ، والتي لا يمكن أن تشــير غــير الشاعر ، فهو عابد للجمال مصل له دائما للحب، وشاعر هذه سمته لا يمكن أبدا أن يكون شاعر مناسبات ، ومن ثم يندر أن نجد في شعره هذا اللون ، وحتى القصائد التي يبدو أنها قيلت في مناسبة فقد صــدرت هي الأخرى من نفس المنطلق صوب الجمال والخير ، ودفع الأشرار من الطريق ، وفي هذا الاتجاه تجيء قصــائد عن « موكب البعث » وطرد « فاروق » و « شريعة الغاب » .

وموسيقى الصيرفي موسيقى الأداء الناضج المكتمل الذي تستبد فيــه التجربة بالشــاعر وتملأ عليه وجدانه كله حتى ليكاد ينفصل في لحظات الالهام عن دنيانا ، ثم .. يبدأ التعبير ، وســاعتها لا يكون بحاجــة الى الاختيــار والمفاضلة بين بحر وبحــر ، أو بين نغم ونغم ، وانما تفرض التجربة نفســها على اللفــظ والموسيقى ، وهو ما يسمونه الخلق الفني .

وفي أكثر شعر الصيرفي تقف اللفظــة أمامك راسخة في مكانها عصــية على التغيير حتى لو كانت وهي في المعجم مما يصك الأذن لأن تداول الصيرفي لها يكسبها حيــاة ونبضا لا يتوافران الا لساكني الأولمب .

وبعد هذا يجيء دور الصورة .

والصورة الشعرية عند الصيرفي رفافة ، مشرقة ، خالية من التهاويم وأعراض الاضطراب النفسي الذي أصيب به البعض حــين ضــلوا الطريق الى فهم معنى التجديد .

واذا تحــدثت عن الصورة فانمــا الخطوط والملامح التي ينثرها الشــاعر في مختلف أركان القصيد فتكون من تكاملها واتساق تلك الوحدة العضوية التي تصنع العمل الفني الرائع .

وكواحــدة من نماذج نطالع معا تصويره لمأساة الصياد المسكين الذي أوقعــه قدره بين أنياب موجتين حاقدتين حطمتا سفينته وألقتــا جثته الى الشاطىء .

تصوير الصيرفي للمأســاة تصوير المخرج الفنان الذي يوزع للأبطال أدوارهم كل بمــا يناسبه ، ثم ينشر الظلال والأضواء حولهم بدقة ومهارة ، فالضحية المسكين شيخ فانرزقه فوق راحة الغيب عاش عمره يقود سفينته ، ويصطفى من كرم البحر رزق البنين الجياع ، هــذا ركن من الصورة ، وفي الركن الآخر يستقر القضــاء الصارم مقررا نهاية الرجل ، أما ثالث الأركان فتكمن عنده الفاجعة .. فيهالموجتان الحاقدتان المتنافستان في اظهار ما لكل منهما من مقدرة على التدمير ، وحين يصل المسكين اليهما تحدث المأســاة . فيمزقان ســفينته ، ويقذفان الى الشاطىء جثته ، وحتى هنا وتكون ملامحالصورة كافية في ابراز معالمها ، ولكن الصيرفي لا يكتفي ، بل يسجل منتهى الحقد والشر في ضحكة شامتة مجنونة تصدر عن الموجتين القاتلتين ، ولضحكهما رهبة مفزعة .



بقى سؤال لابد من الاجابة عنه وهو : كيف كان موقف شاعرنا من مشاكل الجماهير وقضايا الحرية فى هذا البلد ؟ .

قال الصيرفى حين سألته : أحمد الله أنى لم اظاهر الأشرار ، ولم أمش يوما فى ركب أعداء الشعب . قلت ، ذلك لا يكفى . قال : قد وقفت شعرى على عبادة الجمال والخير والتسبيح بالحق وقيمة الانسان ، وفتح العيون على الخير اغلاق لها عن الشر .

قلت : قد لا يكفى أيضا ، وجحافل الفساد فى بلدنا كانت من العتو بحيث نحتاج فى مواجهتها الى الايجابية والمصارحة .

قال : الرمز كان مذهبى . أرأيت « السحابة المفترة » ؟ فى أول دواوينى سنة ١٩٣٤ ؟ .

قلت : قرأتها باعجاب ، وراعنى منها تصويرك البديع لما يعتمل فى نفوس الطغاة المغرورين من حقد على كل راس شامخ ، يتحرقون غيظا لسحقه وتحطيمه فاذا الطغاة وحدهم هم الحطام .

ومع هذا فلم لم تخلع فى وجه الفساد قناعك ، وترميه بشواظ من قلمك المشبوب ؟ .

قال : قد فعلت ألم تقرأ ؟ .

قلت : قرأت « عبادة الأصنام » و « شريعة الغاب » و « ميلاد أمة » و « موكب البعث » ومرثياتك لأبى شادى وعزيز فهمى واسماعيل أدهم والملاح التائه ، وكنت أسعد الناس أن أجدك بيننا مع مشكلات أهل الأرض بعد ما صحبتك فى أكثر الديوان متطلعا للسماء .

وبعد :

فالصيرفى شاعرا علامة من تلك العلامات الكبرى المضيئة على طريق تطورنا الأدبى المعاصر ، يأخذ مكانه على نفس الدرب الذى سار فيه العقاد والمازنى وشكرى وجماعة ابولو ، والمهجريون وغيرهم .

ولا تكفى هذه العجالة لتحديد مكانه من التاريخ الأدبى الحديث ، ولابد من دراسة مستأنية له تتابعه فى دواوينه كلها ، وتسجل مراحل التطور فى شعره وسمات كل مرحلة كما تحدد منزلته بين أقرانه ومعاصريه ، وتدل عليه ان كان رائدا ، أو كان من التابعين .

وحتى يتم ذلك أرجو من الأستاذ الصيرفى .

أولا : عند اعادة طبع الديوان أن يعيد ترتيب أقسامه موضوعيا وليس حسب تواريخ النظم ، لأن ذلك فوق معونته الكبرى لدارسى الصيرفى فانه يحقق من التناسق بين القصائد ما هى فى حاجة اليه .

ثانيا : أن يسقط من الديوان تلك المقطوعة التى جعل عنوانها « شعار » والتى تشعرك ساعة قراءتها بأن تخلخلا حدث فى المستوى الفنى ، لا يجب أن يحدث فى عمل شاعر فنان كالأستاذ الصيرفى .

ثالثا : هل يجمع الصيرفى شعره الضاحك الذى سخر به من الحياة وصور به أكثر من نموذج من نماذج البشر . ؟ انى لأرجو .

عبدالصبور مرزوق

متعة الرياضي

تأليف
و. و. سوير

ترجمة : الدكتور عطية عبد السلام عاشور
و الدكتور ادوارد ميخائيل

مراجعة : الدكتور محمد مرسى أحمد

الناشر : مشروع الألف كتاب - بالاشتراك مع دار سعد مصر ٤٢٤ ص ١٤×٢٠ سم ث ٢٧ قرشا

هــذا كتاب أود صــادقا لو قراه المعلمون والمتعلمون على السواء . ففيه من الفائدة ما قد يساعد على تحطيم الأغلال التى تقيد كثيرا من العقول الذكية والتى تستشعر نحو الرياضيات بالذات بعداء خاص وكراهة لا يضارعهما عداء أو كراهة لأى علم آخر من العلوم . ذلك أن الرياضة فى جوهرها موضوع حى ، وليس هو الذى يدرس فى كثير من المدارس بحيث يبدو وكأنه مصمم لينتزع كل حيوية واهتمــام من الموضوعات التى تدرس عنه .

ولقد أصبح الخوف من الرياضيــات من التقاليد التى ورثناها عن تلك الأيام التى لم يكن المعلم فيها يعرف الا القليل عن الطبيعة البشرية ، وبالتالى لم يكن يعرف شيئا بالمرة عن طبيعــة الرياضيات ذاتها ، وما كان يلقنه لتلاميذه انما هو شيء زائف ليس مــن الرياضيــات فى شيء .

ويكاد يكون من المحقق أن ســوء التدريس هــو السبب الأول فى كراهة الموضوعات ووصفها بأنها عالية أو صــعبة الفهم . ان النشء بطبيعتهم يتوقون الى تعلم الأشياء والى أداء الأعمــال ، ومهمــة المعلم ليست أن يبعث الحيــاة فيهم ، فالحياة موجــودة تنتظر المجال لتنشط ، وانما مهمته أن يحافظ على هذه الحيوية ويوجهها .

والهدف الرئيسى لهــذا الكتاب هو تبديد الخوف من الرياضيات ، اذ الرأى السائد عند الكثير أن الرياضيين سلالة من البشر خصها الله بقوى خارقة للطبيعة ، وعلى ذلك لا يستهدف الكتاب تفسير الطرق التى يمكن أن تحل بهــا المسائل ، وانما هدفه هو بيان ماهية المسائل الرياضية . والرياضيــات أداة لا فائدة من الاستحواذ عليها اذا لم يكن الفــرض من ذلك استخدامها . ولعل الأفضل فى هذه الحالة ـ كما يقول المؤلف ـ هو صرف الوقت والجهــد فى تمرينات الرياضة البدنية ففيهــا على الأقل فائدة لصحة الأجسام .

فالفزع من الرياضيات هو موضوع البــاب الأول من الجزء الأول من الكتاب . هــذا الفزع الذى نكاد نورثه لأبنائنا جيلا بعد جيل . وانه لممــا يبعث على الأسى أن نســمع بعض الآباء والأمهات يرددون على مسامع أبنائهم قدر كراهيتهم للرياضيات ، ثم يطالبونهم ملحين فى المطالبة أن يتفوقوا فيها أو أن يحفظوا على الأقل طرق الحل والمعادلات المكتظة بالرموز الغامضة والاشارات العويصة .

لمــاذا لا يحب النــاس الهندسة ؟ هذا هو موضوع الباب الثانى .

انهم لا يحبونهـا لأنها فى حكم السر المغلق بالنسبة لهم ، فهم لا يعرفون (ولم يعرفهم أحد) مدى التصاقها بحياتهم اليومية . وهم لا يحبونها كذلك لأنهم يفترضون فى الرياضـيين الكمال . ولا يوجد فى كتب الهندســة شيء عن أشكال هى « مثلثات تقريبية » أو أشكال « تكاد » تكون مستطيلات ، بينما من المألوف لهم أن يكون النضد أو الباب منحرفا قليلا عن أن يكون مستطيلا . هذا الكمال يجعل الناس يحجمون .

ولـكن الواقع غير ذلك . اذ يخبرنا تاريخ الرياضيات أن علماءه الأولين كانوا رجالا عمليين ، كانوا نجارين أو بنائين ، وان الحياة اليومية هى التى اسـتلزمت استنباط الحلول الهندسية للمشاكل التى تقابل الانسان كل يوم . ولقد كان (المهندسون) المصريون يجيبون الرحالة الاغريق اذا سألوهم عن بعض الخصائص الهندسية التى لا يعرفون سببها بقولهم : « فليرحمكم الله ، لقد كانت هذه هى الطريقة التى تجرى بها هـــذه العملية دائمـــا . هـــل لديكم طريقـــة بديلة لاجرائها ؟ » . ومن المعروف أن الهرم الأكبر قد بنى حوالى عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد وفق قواعد مبنيـــة على التجربة العملية ، ولم يظهر نظام اقليدس الا بعد قرون عديدة من ذلك التاريخ .

وعلى ذلك فان افضـــل طريقة لدراســـة الهندسة هى تتبع الطريق التى ســلكها الجنس البشرى : نفعـــل الأشياء ، نصنع الأشياء ، نلاحظ الأشياء ، ننظم الأشياء ، وعندئذ فقط نحاول تعليل هذه الأشياء ، أو بمعنى آخر نجرب قدرتنا على التدليل الرياضى .

لذلك كان من المنطقى أن يخصص المؤلف الباب الثالث لماهية طبيعـــة التدليل الرياضى . وهو يمهد لذلك بقوله انه من المؤكد أن ما من واحد فى كل الف من الناس يستغل القدرات العقلية التى يمتلكها استغلالا تاما ، أو يعمـــل على استغلال

قدراته بما يصل به الى الحـــد الطبيعى الذى يؤهله له ذكاؤه . ويقول انه من المؤكد كذلك اننا لا نستطيع أن نعزو الى تأثير (الغـــــدد) أن شخصا ما يكون لامعـــا ذا أفكار ايجابية خارج حجرةالدراسة بينهما يكونخاملا فى كل ما يتعلق بالمدرسة ــ ومنها الرياضيات .

ويسوق المؤلف اختبارا للقدرة على التدليل الرياضى بقوله : **يمكنك أن تدعى أنك رياضى اذا أنت بمفردك دون مساعدة شعرت بانك ستكون قادرا على حل لغز لم تدرســه ولم يدرسه أحد غيرك من قبل .**

ويفسر لنا علم الأحياء قدرات الانسان على التدليل بأننا نولد بغرائز اختبرت وتطورت خلال صراع طويل فى سبيل البقاء . وبالاضافة الى هذه الغرائز حصـلنا على تدريب أعطى لنـــا على الخصوص فىالسنوات الخمسالأولى من حياتنا . وهو مبنى على التقاليد التى يرجع بعضها الى خبرة اكتسبت من آلاف السنين ، فعـلى اقل تقدير يمكن القول بأن هذه الرغبة فى الانسان موجودة فيه اما لأنها ساعدته على البقاء واما لأنها أثبتت قيمتها فى عصور من الصراع مع العـــالم الواقعى .

فنحن مثـــلا لا يمكن أن نتصور أن ضعف الاثنين يساوىخمسة ، ووجد تفسيران محتملان لذلك : الأول ، أن لنا قدرة غامضة وهبت لنا فى حياة سالفة او منحناها بأية طريقة أخرى ؛ والثانى ، أننا لا يمكننا أن نتخيل ضعف الاثنين مساويا خمسة لأنه فى خلال تاريخ الانسان كله كانضعف الاثنين يساوى أربعة ، ولم توجد حاجة لـكى تتخيل عقولنـــا أية صـــورة أخرى لهذه المسألة .

والتدليل مرتبط بالتصـــور . وفى الواقع ليس التدليل أكثر أو أقل من تجربة تجرى فى التصور ، وان كان التصور لا يعطى دائما الجواب الصحيح . وفى امـكاننا أن ندلل تدليلا صحيحا علىالأشياء التى لنا بها سابقخبرة أو التى تشبه بدرجة معقولة الأشياء التى نعرفها جيدا . على أنه اذا أدى بنا تدليلنا الى نتيجة غير صحيحة ، فان الخطأ يقع فى هذا التدليل ، ومن ثم يجب أن نراجــع الصورة فى عقولنا ونتعلم تصور الأشياء كما هى .

وحين نجد أنفسنا عاجزين عن التدليل فان

السبب فى ذلك هو أن تصورنا لم ينشط أو يتحرك . فالانسان لا يستطيع البدء فى التدليل الا عندما تتكون صورة واضحة للمشكلة فى خياله . ومن المستحيل تصور حدث بتفصيلاته الكاملة ، ونحن حين نواجه أية مسألة نقوم بتبسيط الظروف لحد معين ولا نهتم بالحقائق التى تبدو غير مهمة . وبدون هذا التجريد يكون التفكير مستحيلا ، لأننا اذا حاولنا الحصول على الصورة كاملة لحدث ما حتى ولو كان بسيطا فاننا سنضطر الى اضاعة العمر فى جمع المعلومات عنه .

وبالاضافة الى ذلك ، فمن الاحتمال النادر أن تهبط عليك أو على أفكار مبتكرة فعلا لم يسبقنا أحد اليها ، والناس فيما يبدو ينتمون الى فصائل معينة . فاذا وجد الواحد منا ميلا الى موضوع معين ، فمن المرجح أنه سيجد شخصا ما آخر قد اهتم بالموضوع نفسه ، ودرس نفس وجهة نظره فى كتاباته .

ولدينا فى الوقت الحاضر عدد من الكتب يمكن أن نتعلم منها ونستفيد ، ومن الخير لنا أن نمضى الساعات فى البحث فى مكتبة كبيرة عن مثل هذه الكتب بدلا من قراءة مئات الكتب التى ألفها مؤلفون من الدرجة الثانية . وفى كثير من الأحيان قد يجد الانسان فى قراءة كتب ألفت عن موضوعات أخرى غير موضوع بحثه ما يعينه على دراسة أو تدريس موضوعه .

وينتهى المؤلف من ذلك الى أن النقطة الأساسية التى يجب استيعابها واستحضارها فى الذهن هى أن التدليل الرياضى لا يفترق عن قدرات العقل الأخرى ، وأن الرياضيات غير منفصلة عن باقى أمور الحياة ، بل هى قد نمت وتطورت عن ظروف الحياة ، كما أن التدليل الرياضى نما عن التجربة والتمرس والمحاولة .

فمن التعاريف والمبادىء الأولية قولنا ان النقطة الهندسية هى كل ما له وضع مجرد عن الطول والعرض والارتفاع ، ويعنى ذلك – فى علم الهندسة على الأقل – أن النقطة لا تقترن بشىء من الطول والعرض بل تقترن فقط بالموضع الذى تشغله . فاذا عينا نقطة بقلم الرصاص الدقيق على قطعة من الورق فهذه يمكن أن تدل بوجه التقريب على نقطة هندسية ، غير أنها لا تخلو من طول وعرض أبدا مهما صغرت فلا يمكن اعتبارها نقطة هندسية بالمعنى الصحيح وانما هى كلما صغرت كانت أقرب الى الدلالة على النقطة الهندسية . كذلك نقول ان الخط هو ماله طول وليس له عرض ، ويحدث من تحرك نقطة . فاذا تصورنا تحرك النقطة التى عيناها على الورقة فانها تحدث مايمثل الخط ، ولكن هذا مهما كان دقيقا فى الرسم لا يخلو من عرض فلا يمكن اعتباره خطا هندسيا بالمعنى الصحيح وكلما دق هذا الخط كان أقرب الى الخط الهندسى .

هذا مثال جيد بسيط عن الارتباك الذى قد يأتى عن سوء فهم طرق الفكرة المجردة . ولقد رأينا أن هندسة اقليدس قد تطورت من الطرق التى استخدمت فى البناء والمساحة والأعمال الأخرى فى مصر القديمة ، التى كانت تتم باستخدام الحبال والخيوط فعلا ، خيوط « كتان » حقيقية لها سمك فعلى . والذى كان يعنيه اقليدس عندما قال ان الخط لا سمك له ، رغم أنه استخدم النتائج التى نشأت عن استعمال الحبال السميكة ، هو : اذا وجد سمك للحبل الفعلى فاهمل هذا السمك لكى يظل الموضوع بسيطا لدرجة معقولة . وفى الواقع تمثل خطوط اقليدس صورة تقريبية للطريق المقصد الذى تسلكه الحبال الفعلية .

وهذه الفكرة التقريبية كافية لبعض الأغراض ، ولكنها لا تكفى لأغراض أخرى . وعلى ذلك **فالقوانين العلمية صحيحة فى حدود معينة ولأنواع معينة من الأشياء . أما بالنسبة للأنواع الأخرى فيصبح صدق هذه القوانين قابلا للشك ، وبعد حد معين يؤدى قطعا الى الخطأ .**

ويحدثنا المؤلف فى الباب الرابع عن رسم خطة دراسة الرياضيات . فالشرطان الأساسيان للنجاح فى هذا المجال – حكمه حكم أى نوع آخر من أنواع العمل – هما الاهتمام والثقة . وفى المعتاد لا يهتم الناس كثيرا بهذين العاملين لأنهم يشعرون بأنهم

لن يستطيعوا أن يولدوا في أنفسهم الثقة والاهتمام عن طريق الارادة . ولكن الحقيقة الواقعة هي امكان زيادة الثقة والاهتمام بالارادة والعزم على أن تتخذ الخطوات المناسبة . والخطوات المناسبة ليست هي الاسراف في العمل ، اذ أن ذلك قد يؤدي الى تحطيم العقل بدلا من تنميته ، بل هي المعالجة الصحيحة التي تؤدي الى حدوث التغيرات الحاسمة لاشعوريا بحيث يبدأ الطالب في فهم الأمور التي يشملها الموضوع ويشعر بثقة في أنه سيتمكن من السيطرة عليها ، وانه مسرور من عمله ، فيأخذ في التفكير في هذا الموضوع خارج ساعات العمل . ولا يمكن للعقل أن (يمسك) فعلا بالموضوع الا عندما يوجد مثل هذا الاتجاه . والدليل على ذلك أن الناس يظهرون درجة من الذكاء والمعرفة بالنسبة لهواياتهم أعلى منهما بالنسبة لأي جانب آخر من الحياة .

والخطوة الأولى لرسم خطة الدراسة هي تحويل الاهتمام الى العمل المطلوب . ويتوقف امكان تحويل الاهتمام الى هذا العمل على السبب الذي نشعر من أجله بعدم الاهتمام . وفي بعض الأحيان يرجع عدم الاهتمام الى الشخصية ، أي أن رغبات الفرد تكون من البعد عن الرياضة بحيث يستحيل عليه الاستفادة من الرياضة أو التمتع بها . ولكن الأغلبية العظمى من الناس يكرهون الرياضة لأسباب شتى أكثرها شيوعا هو الطريقة التي تقدم بها الرياضة اليهم . وما يدرس في مدارس كثيرة ليس من الرياضيات في شيء ، بل هو تدريب التلاميذ على اجراء حيل معينة (كما هي الحال مع الكلاب – على حد قول المؤلف) .

والخطوة الثانية هي التغلب على الخوف من الرياضيات . وليتوصل الفرد الى ذلك يجب أن يرجع في دراسته خطوة معينة الى الوراء ، ويبدأ بعمل يكون متأكدا تماما من انه يستطيع القيام به . فمن المستحيل عليه فهم الجبر اذا لم يكن متمكنا تماما من الحساب ، ويستحيل عليه فهم حساب التفاضل اذا لم يتمكن تماما من الجبر .

وفضلا عن هذه الصورة المنطقية يوجد أيضا سبب نفساني . من المرجح أن الفرد لا يزال يحتفظ بشعور الشك الذي كابده خلال جميع المراحل المختلفة لتعليمه ، فلا يزال يشعر مثلا بالعقبات التي قابلته عندما كان في الثامنة أو التاسعة من عمره . مثل هذا الشعور سيختفي على الفور اذا عاد الى الوراء وقرأ الكتب التي كانت مقررة عليه وقتئذ . وغالبا سيجد أن الصعوبات قد تلاشت دون أن يتحقق من ذلك. **ان العثور على ماهيــة الصعوبة هو في الواقع نصف الطريق نحو التغلب عليها .** فالمعتاد مثلا هو أنه اذا وجد شخص صعوبة في حساب التفاضل والتكامل أو حساب المثلثات فانه لا يكون مستعدا لأن يصدق ان المشكلة الحقيقية هي الجهل بالحساب أو الجبر . ومحاولة دراسة الرياضيات العالية دون التمكن التام من الجزء السابق لها مثل محاولة اختراع طائرة دون معرفة أي شيء عن محركات السيارات . لقد فشلت جميع محاولات صنع الطائرات فشلا ذريعا الى أن تطورت صناعة السيارات .

والخطوة الثالثة هي القراءة بهدف . فللتمكن مثلا من حساب التفاضل والتكامل يجب معرفة أجزاء الجبر المفيدة في هذا الحساب ، وبذلك لا يملأ المرء عقله بجميع المعلومات الموجودة عن الجبر ، بل انه يدرس فقط الأشياء التي يحتاج فعلا الى دراستها .

ومن المفيد في ذلك قراءة كتب عن الحياة الفعلية التي تمس الموضوع المراد دراسته ، وادراك كيف أصبح الانسان محتاجا الى هذا الموضوع . وقد يفيد في هذا المجال قراءة تاريخ الموضوع ، وحياة مكتشفه أو واضع نظريته ، لأن ذلك يساعد كثيرا في أغلب الأحيان ، كذلك فان المحاولات التي قام بها والتجارب التي أجراها قد تعطينا (المفتاح) .

ويخصص المؤلف أبواب الجزء الثاني من الكتاب لأجزاء معينة في الرياضة : في الحساب ، والجبر ، والأشكال البيانية ، وحساب المثلثات ، وحساب التفاضل ، والأساس ، والجزء التربيعي لناقص واحد . ويمكن اعتبار هذا الجزء تطبيقا مباشرا لخطة المؤلف في الجزء الأول . وهو هنا يأخذ بيد القارىء ويذكره بين الحين والحين بالمبادىء والأساليب التي رسمها له في الجزء

الأول . فيقول له **ان الحفظ الآلى قاتل بالنسبة لأى شخص يرغب فى الانتقال من فرع الى آخر من فروع الرياضة ، وان التفكير المنطقى السليم هو الذى يوضح له حساب اللوغاريتمات ،** وأمثلة المؤلف على ذلك جد مشوقة وواضحة). وأن الجبر يلعب دورا فى الرياضيات يمكن مقارنته بالكتابة أو بالاختزال فى الحياة العادية ، وأن فرع الرياضة المعروف بالهندسة التحليلية مبنى على فكرة وصف كل مستقيم أو منحن بالصيغة المناظرة له . وهو يتناول حساب التفاضل بشىء عظيم من الصبر والجلد ، مبتدئا بالبسائط الأولى الى أن يجد القارىء نفسه فاهما لمسائل كانت تبدو له عويصة ومعقدة من قبل .
وهو حين يقدم بين يديه المسائل يوصيه ويذكره بالا يحاول أن يناقش أية مسألة قبل ان تكون لديه صورة كاملة وواضحة عنها فى مخيلته ، وأن يكون قد أوجد طريقة ما يبرز بها اتصال المسألة بالحياة العملية حتى يتمكن من أن يرى ويلمس المعانى التى تنطق بها .

اذا كان لنا أن نقول شيئا عن هذا الكتاب ننقده فيه ، أو نشير الى ماقد يكون به من مواضع القصور ، فان أول ما نود الاشارة اليه هو عدم الترتيب المنطقى فى جزئه الثانى . فهو يقدم موضوعات ويؤخر أخرى ، وليس ذلك مما يتمشى بصورة عامة مع النظام التسلسلى للموضوعات ، مما اضطر المؤلف فى بعض الأحيان الى تقديم تطبيقات (ليست ضرورية لفهم بقية الكتاب) ــ الباب الحادى عشر ، أو قوله (يمكن لمن يجد صعوبة فى هذا الباب أن يتجاوز عنه) ــ الباب الثانى عشر . ونحن نعتقد أنه لو حاول المؤلف وضع مثل هذه الفصول فى مكانها المنطقى الصحيح لما أعوزه مثل هذا القول .

كذلك يتعرض المؤلف للرياضة البحتة ، فيعرفها بأنها دراسة الكيفية التى يجب ان يفكر بها الناس لكى يحصلوا على النتائج الصحيحة .

ويؤكد أن علماء الرياضة البحتة قد اضافوا اكتشافات مهمة للرياضة ، كما أنهم أوجدوا طرقا رياضية ذات قيمة كبيرة جدا للرجال العمليين . الا أنه يسوق دفاعا متهالكا عن هؤلاء العلماء فيقول : ان عدم تشجيع الأعمال التى ليس لها هدف عمل فورى لهو سياسة قصيرة النظر ، وأنه من المفيد للانسانية أن تشجع الفنان حتى ولو كان فنانا (لا يهتم على الاطلاق بالانسانية) .

ونحن نختلف معه فى هذا الرأى . اذ **كيف نستطيع انتصور فنانا يشتغل فى مجال لا تتضح فيه الانسانية بصورة من الصور . حتى الفنان التجريدى أو عالم الرياضة البحتة حين يعمل مستجيبا لدوافع ورغبات بشرية قد يصعب فى التو واللحظة تعريفها أو الاحاطة بها ، ولكن عمله صادر قطعا عن ادراك انسانى لابد وان يشاركه فيه جزء ولو ضئيل من البشر .** واذا كان الفنان التجريدى يتخذ اللون أساسه التعبيرى الأول ، كذلك فان عالم الرياضة البحتة يرتاد مجالات يستخدم فيها لغة الأرقام ويشعر بطريقة ان واضحة أو غامضة بلزومها للجنس البشرى ، وهو ما يؤكده بعد ذلك تقدم العلم وتطوره .

وهمسة أخيرة أحرص على الا تفوتنى ، وهى أننى كنت أود صادقا لو ظهر هذا الكتاب فى ترجمته العربية بصورة أكثر أناقة وتشويقا . ان الرياضيات فى حد ذاتها موضوع يحجم عنه كثير من الناس ، واذا أردنا أن نجذب اهتمامهم اليه ، فلا اقل من أن نقدمه لهم فى حلة قشيبة تريح النظر والفكر وتمتعهم بقراءته ولو الى حين ، ولكنها على أية حال همسة لا تتعلق بجوهر الكتاب ، وأكاد أقطع بأن من بين رجالنا من سيتناول موضوع اناقة الكتاب العربى ، وخاصة فى بعض سلاسل معينة ، بشىء من الحزم والنقد الهادف .

د . أنور عبد الواحد

(٤)

رسالة



ترجمة
د. ابراهيم حلمي عبد الرحمن
مراجعة
محمود علي فضلي
الناشر
دار الفكر العربي
٦١٠ ص ١٧×٢٤سم

هذا كتاب قيم من غير شك يضاف الى المكتبة العلمية ، وتأتى أهميته من أبواب شتى ـ تأتى أولا من موضوعه ـ فهو يتناول التفاعل بين العلم والتغيرات الاجتماعية ، ويدرس العوامل المؤثرة دراسة وافية مستفيضة ، وكيف يؤثر العلم فى المجتمع القائم فيغيره ، وكيف يتصل العلم بالمجتمع القائم فيقوى وينمو أو يضعف فيذوى وكيف يمكن ان يتقدم العلم تقدما تتم به الفائدة الاجتماعية كاملة ، وهذا موضوع حيوى خطير باعتبار العلم احد مناحى النشاط الانسانى الفكرى والمادى فى العصر الحديث .

وتأتى أهميته ثانيا من مؤلفه فهو الأستاذ برنال أستاذ الطبيعة بجامعة لندن ، وصاحب الأبحاث العلمية الكثيرة فى تركيب بعض الجزئيات والمركبات الكيماوية والحيوية ، وعضو الجمعية الملكية بلندن واحد الخريجين المتازين من كلية ايمانويل بجامعة كامبردج .

وتأتى أهميته ثالثا من منزلة مترجمه فى الوسط العلمى فهو الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن الذى قام بمجهود مشكور ، وعمل ضخم فى سبيل نقل هذا الكتاب الى العربية ، مما كان له أكبر الأثر فى تدعيم المكتبة العلمية ، وتزويدها بالآراء الجديدة والأفكار النيرة فى ميدان التخطيط القومى ومجال البحث العلمى ، وقام بمراجعة الكتاب الأستاذ محمود على فضلى .

وكتب المؤلف بنفسه مقدمة للطبعةالعربية ، تلقى اضواء على محتويات الكتاب وفكرته جاء فيها ، ان الدعوى القائلة بضرورة تنظيم العلم تنظيما واعيا لكى تكمل خدماته للانسانية قد اصبحت اليوم مقبولة ، وهى تكاد تكون محل الاجماع تقريبا من حيث المبدأ فى جميع الدول الصناعية ، وقد قبلت أيضا من الوجهة العملية الى حد كبير فبدت للعيان معالم خطة مشتركة لتقسيم العلم الى قسمين أحدهما علم اكاديمى يتصل عادة بالجامعات ، ويختص بالبحوث الأساسية الطويلة الآن غالبا والثانى علم عملى تشترك فيه الحكومة والصناعة بدرجات مختلفة .

العلم الاجتماعية

تأليف
د. برنال

وقد اعجبنى تواضع المؤلف تواضعا شديدا فى مقدمته ، واعترافه بالحقائق دون محاورة أو مداورة ، ودون تعصب او تشدد ، ورد الحقوق الى اصحابها حين زها بفضل علوم العرب على الانسانية فقال ، ونحن فى الغرب مدينون للعرب بكل علمنا ، وهم لم ينقلوا الينا تراث الاغريق فحسب ، بل أضفوا على هذا التراث احكاما ادق وروحا عملية ، لم تكن ظاهرة فى عمل الاغريق ، واضاف العرب فى الرياضيات والكيمياء اضافات لا تنكر فى تاريخ العلم ، ولم يكن العالم عند العرب يعتبر منفردا قط فعرف رجاله الفطاحل مثل جابر بن حيان والخوارزمى وابن سينا وابن رشد بالثقافة العامة واتساع الأفق الفكرى .

وقسم المؤلف الكتاب الى أبواب ففصول . وتكلم فى الباب الأول ، أو القسم الأول كما سماه عن العلم كما هو وتعرض للعلم كقوة ، واهمية العلم الاجتماعية ، والعلماء كعمال ، والعلم للربح ، والمؤسسة العلمية ، وقارن بين العام والتعلم والحرفة ، ونشأة العلم الحديث والتقدم التكنولوجى ، واثر العلم فى الصناعة ، والصناعات الكيماوية ، والتقدم الثورى فى الغازات ، والعلم والتوسع الامبراطورى ، والعلم والاشتراكية ، وتعرض للتنظيم الحالى للبحث العلمى فى بريطانيا والبحوث العلمية فى الجامعات ، ونوع الابحاث فى الهندسة ، والطبيعة والكيمياء والطب ، ومالية البحث العلمى من هبات واعانات حكومية ، وموارد اخرى ، ثم تكلم عن العلم والتربية ، وطرق تدريس العلم فى الجامعات ووسائل اعداد الباحث العلمى اعدادا صحيحا دون ان تقف العقبات المالية فى سبيله ، واتاحة شتى الفرص العلمية لانجاز عمله وهو فى جو هادىء مناسب ، واثر العلم فى الحياة العامة حتى يغدو علما شعبيا .

ثم استفاض المؤلف فى الحديث عن مدى نجاح البحوث العلمية وبين أهداف العلم الثلاثة وهى أ ـ الهدف السيكولوجى ب ـ الهدف العقلى جـ ـ الهدف الاجتماعى .

وتنقل بنا بين المعاهد العلمية المختلفة ، وصور لنا الاجهزة الحديثة المستخدمة فى كثير من العمليات العلمية ، وقلب امام أنظارنا صفحات المطبوعات العلمية المنشورة ، ثم تكلم عن تطبيقات العلم ، وتغلغل العلم فى الصناعة ، وشروط النجاح العملى ، ومشكلة مدى الانتاج والتطبيقات الانشائية والتطبيقات التعديلية وناقش فكرة الاحتكار الاقتصادية ، والبحوث ، وتشويه البحوث العلمية والبطالة التكنولوجية ، واستحالة الانتاج الوفير .

وخصص فصلا قائما بذاته عن العلم والحرب وتكلم عن البارود ، والمدفعية والنهضة الحديثة ، وأثر العلم فى الحرب العظمى وما هية البحوث الحربية ، والحرب الميكانيكية ، والعلم والتسلح واثره فى الصناعات الثقيلة ، وانتاج الطائرات والمفرقعات والغازات السامة ، وموارد الغذاء القومية ، ومدى تحويل البحوث العلمية الى الأغراض الدولية والعمل على الوقاية من نكبات الغارات الجوية ، ومدى مواجهة العلماء لشبح الحرب الرهيب حتى اذا ما انتهى فصل العلم والحرب طفق يتكلم عن العلم الدولى ومشكلة

اللغة ، ومميزات العلم القومية او العلم في الدولة الصناعية القديمة ، والولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي، ووضع الخطط العملية ، وطرق تنفيذ هذه الخطط .

وقد أثار المؤلف كثيرا من القضايا العلمية الكبيرة التي تحتاج الى دراسة مستفيضة في المجتمع المعاصر وتتصل من قريب أو بعيد بمشكلة السلام الدولي اذ برزت أهمية العلم اليوم بصورة ناطقة ليس فيها لبس او ابهام !

وهناك شواهد كثيرة من التاريخ الحديث ، فانه لما بدأت الحرب فعلا واشتد اوارها وجد ان الاستعداد الفني والصناعي الذي قد تم فعلا لم يعد كافيا لمواجهة مطالبها العاجلة ، ولذلك لزم ان يحدث تقدم جديد ، فاصبح العلماء ضرورة حربية لازمة للدولة بعد أن كانوا في الحروب السابقة على هامش الحرب .

وقد حدث اهمال شنيع قبل ذلك في جانب العلماء ، اذ ترك « موزلي » لينخرط في سلك الجندية ويلقى حتفه في معارك جاليبولي ، وكان متوقعا أن يكون من اكابر علماء الطبيعة التجريبيين في القرن العشرين ، كما حدث نفس الاهمال عندما رفض الجيش البريطاني اقتراح احد كبار علماء الارصاد الجوية تنظيم مصلحة لهذه الأرصاد تعاون الجيش ، اذ قيل ان الجندي البريطاني يحارب في كل طقس وجو ، ثم انشئت على اثر ذلك مصلحة الارصاد الجوية بعد ان أريقت دماء آلاف مؤلفة من الجنود في ساحات الفلاندر .

وفي المراحل التالية بدأت الحكومة تستفيد من خبرة العلماء في تحسين الآلات الحربية المعروفة وفي استنباط آلات جديدة ، ومقاومة اسلحة العدو المبتكرة .

وكان الاهتمام بالحرب الجوية والحرب الكيمائية دافعا عظيما لزيادة الاهتمام بالعلم وتطبيقاته ، وقد ادى ذلك الى ضياع أموال كثيرة ، وتلف مواد عديدة ، وخسارة فادحة في الأنفس ، وعندما استعمل الألمان الغازات السامة اسرع الحلفاء في الابحاث العلمية الخاصة بتأثيرها وصناعتها ومقاومتها ، وزهقت أرواح علماء كثيرين في هذا السبيل .

وقد كان العالم الطبيعي « لافوازيه » مؤسس الكيمياء الحديثة رئيسا لقسم المفرقعات في الترسانة الفرنسية Regie des Poudres

وكانت مدارس المدفعية الفرنسية خلال القرن الثامن عشر هي المراكز الوحيدة التي تعنى بدراسة العلم دراسة منسقة . وفي هذه المعاهد تعلم نابليون الذي يعتبر أول رجل عسكري عرف كيف يستفيد من الدراسة العلمية مما ساعده في انتصاراته الباهرة .

وقد استدعت الحروب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر توسعا كبيرا في المدفعية وصهر المعادن لصب المدافع ، وادى ذلك مباشرة الى عمليات صناعية كبرى مثل صهر الصلب بواسطة الفحم الحجري واستعمال الآلة البخارية وغيرها من مكونات الثورة الصناعية الكبرى .

وقد كان اكتشاف البارود على ايدي العلماء وادخاله في الحرب مرحلة هامة في تاريخ الصلة بين العلم والحرب ، وتم ذلك في اواخر القرون الوسطى ، ومعرفة البارود نفسها نشأت نتيجة لدراسة مخاليط الاملاح دراسة جمعت بين الصفات العلمية والفنية .

وكان لادخال البارود آثار بعيدة المدى في تحطيم بناء المجتمع الاقطاعي ، وتغيير نظم الحرب والاوضاع الاقتصادية التي كان يعتمد عليها ، فقد اصبحت الحرب اكثر نفقة ، وتتطلب خبرة فنية لم تكن متيسرة لأمراء الاقطاع الذين اصبحوا هدفا للقوى الجماهيرية المتكاتفة .

وكانت الآراء الجديدة عن الميكانيكا من أهم العوامل في تطوير اساليب الحرب الحديثة ، واستخدام العلم في هذا المضمار ، وهذه الآراء اوحى بها انطلاق قذيفة المدفع ، فلولا المدفعية لما نشأ علم « الديناميكا الحديث » اذ كان المفروض أن الجسم لا يتحرك الا اذا وجدت قوة تدفعه باستمرار ، أو كان يسقط سقوطا طبيعيا نحو الارض . ولكن القذيفة كانت ترى متحركة بعد تركها فوهة المدفع ، وانتهاء الدفع الذي اطلقها منه .

وقد خولف هذا الرأي عندما استخدمت المدافع لأول مرة ، فاقترح « بوريدان » ان القذيفة تنطوي على نوع جديد من القوة التي

تدفعها الى الحركة ، وتابع البحث فى أمر هذه القوة من جاء بعده من رجال المدفعية وعلماء الرياضيات ومنهم العالمان الشهيران ليوناردو دافنشي وجاليليو .

والطريف ان العالم الشهير ليوناردو دافنشى الذى اشتهر بفنه الرائع واتجاهاته الفنية المبرزة كتب رسالة الى « دوق ميلان » من اجل الحصول على وظيفة ، وقد تضمنت رسالته اهتماماته بالشئون الحربية فقال ان لديه طريقة لتركيب الجسور الخفيفة المتينة سهلة البناء التى يمكن بواسطتها مطاردة العدو وجعل الأعداء يلوذون بالفرار ، كما يمكنه بطريقة خاصة حرق وتدمير جسور الاعداء فى حالة اقامة المعسكرات فى مكان يمكنه من نزح المياه من الخنادق وتركيب السلالم وغيرها من الادوات ، كما يمكنه صنع المدافع الخفيفة سهلة الحمل التى تقذف المواد الملتهبة التى ينشأ عنها دخان يلقى الذعر فى قلوب الأعداء ، ويشتت صفوفهم .

كما وضح « ليوناردو دافنشى » أن فى امكانه فى اوقات السلم انشاء العمارات واقامة التماثيل العامة والخاصة وحفر القنوات كما ان فى امكانه صناعة تماثيل من الرخام او البرنز او الطين او الصلصال وان يرسم ويصور كأحسن ما يكون الرسم والتصوير .

ان اهتمام العلماء والفنانين بالحرب واستخدام العلم فى سبيل التفوق الحربى والقدرة العسكرية اسلوب خطير ينذر بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .

وقد دار فى مؤتمرات السلام الذى عقدت اخيرا مناقشات شتى حول مسئولية العلماء فى الحرب والاستعدادات التى يقومون بها .

وتشعبت الآراء شعبا ثلاثا ، فهناك راى يقول ان على العلماء أن يشتركوا اشتراكا فعليا كاملا فى الحرب والمجهود الحربى ، اما بسبب الدفاع عن مصالح الدولة العليا ، واما لاعتقادهم بأن ليس من شأن العلماء أن يشغلوا انفسهم بنتائج علمهم ، وراى آخر يقول انه ليس للعلماء أن يشتركوا فى الحرب مهما كانت ظروفها ودواعيها .

وأخيرا الراى الوسط بأن اشتراك العلماء بالمجهود الحربى يتوقف على ظروف الحرب ودواعيها وعلى نظرة العالم اليها ، وعما اذا كانت الحرب تساعد بشكل ما على استقرار السلام فى العالم او تدفع العدوان الغاشم .

غير اننا للأسف نجد الدول الكبرى تتسابق تسابقا رهيبا نحو التسلح كما تجند علماءها فى اختراع الأسلحة الفتاكة .

ونستطيع ان نضيف الى ماذكره برنال فى هذا الكتاب ما اشار اليه « فيليب توبل بيكر » فى كتابه عن تسابق التسلح الذى ظفر به بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ فقد ظهر عام ١٩٥٧ ان التكاليف الكلية للبحث وتطوير السلاح والتجارب الحربية قد بلغت فى الولايات المتحدة الامريكية رقما خياليا مثيرا هو ٥٣٠٠ مليون دولار .

وقد اعترفت بذلك جريدة نيويورك هيرالد تربيون فى عددها الصادر فى ١٠ مايو عام ١٩٥٧ ، وكان هذا المبلغ يتضمن زيادة تفوق مبلغ عام ١٩٥٦ المالى بمقدار ١٦٠٠ مليون دولار اى ما يعادل ٥٧٠ مليون جنيه .

بل اننا نستطيع ان نذكر المؤلف «برنال» بأن العلماء منذ عام ١٩٤٥ لم يشتغلوا بالعمل فى تطوير وانتاج طرق جديدة وتدريب المجندين على كيفية استعمالها فحسب ، بل امتد نشاطهم أيضا الى تحليل العمليات وتطوير التكتيكات وحتى تخطيط الحملات ، واستمر هذا الوضع فى السلم واصبح العلماء يساهمون فى جميع الأشغال الحربية ، ففى عام ١٩٥٦ كان فى بريطانيا نحو ١٠٫٠٠٠ عالم متخرج فى الجامعة وفنيين يقومون بأعمال البحث والتطوير .

وفى خلال الحرب الماضية كان عند الولايات المتحدة ٣٠ الف عالم يعملون فى تطوير السلاح بقيادة الدكتور « فانيفربوش » كما صرح بذلك فانيفربوش نفسه فى كتابه « الأسلحة الحديثة والرجال الأحرار ص ٧ »

وتقوم الحكومات بتقديم الاعتمادات المالية من أجل القيام بالبحث والتطوير الحربى على نطاق لا يمكن قبوله بالنسبة للأهداف والأغراض المدنية .

ويقول الدكتور « كوك بيرن » : « ان مؤسسات البحث الحكومية لها موارد لا يتسنى

ان تظفر بها اية شركة صناعية أو اية جامعة تنهال عليها الهبات »

وقد أطلق العنان للعلماء وتركت لهم الحرية المطلقة .

ولكن ترك الحبل على الغارب واستخدام العلم فى سبيل التدمير من شأنه ان يهدد الانسانية بالخراب العاجل .

اننا نفهم أن تبسط الدول يدها فى سبيل المشروعات العمرانية كما فعلت الولايات المتحدة فى مشروع محطة نهر السفانا ، ولكن لا نفهم أن تبسط الولايات المتحدة الامريكية او روسيا او غيرهما اليد فى سبيل المشروعات الذرية والنووية المدمرة ، بل اننا لندهش كل الدهشة عندما نجد السويد المحايدة قد زادت النفقات فيها بعد عام ١٩٤٥ فى سبيل التطوير الحربى والبحث العلمى بنحو احد عشر ضعفا بعد انتهاء الحرب كما اسفرت عن ذلك الاحصائيات العلمية الدقيقة .

وقد وصف المستر « جوردن دين » سخاء الولايات المتحدة فى سبيل البحث العلمى فقال انه قد طلبت منه لجنة « الكونجرس » عام ١٩٥٠ معرفة مدى تكاليف محطة نهر « السفانا » فقال :

« سوف تبلغ التكاليف نحو ٦٠٠ مليون دولار ولكنى اكره التقيد بهذا المبلغ » وبعد مرور اربعة أشهر ارتفع التقدير الى ٩٠٠مليون دولار ثم الى ١٢٠٠ مليون دولار واخيرا الى ١٥٠٠ دولار ، ولم يعترض الكونجرس على ذلك مطلقا .

وهذا شىء محمود بالنسبة الى المشروعات الاقتصادية النافعة التى تستهدف الخير للانسانية وبث المحبة والسلام ولكن جنون التسلح امر خطير يسوق الانسانية الى الهلاك .

وقد تعرض برنال فى كتابه للعلم وكيف ينبغى أن يكون وطرق اعداد العلماء ، وتعديل نظم تدريس العلوم فى الجامعات والمدارس ، واعادة تنظيم البحوث العلمية ، والعمل باعتباره مركزا للتدريب ، وتقسيم البحوث راسيا وأفقيا ، والأكاديميات والمعاهد العلمية وتطبيق العلم فى النظم الراسمالية .

وافاض فى الحديث عن الاتصالات العلمية والتبادل الثقافى ، ومشكلة التوزيع ، والطبع عن طريق « الفوتوستات » والوسائل السليمة لتنفيذ هذا المشروع وأثر العلم فى الشعب عن طريق وسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة والسينما ، ومالية العلم فى ظل نظام اقتصادى منظم ، وحرية العلم ، ومنزلة العلماء من الشعب ، وخطر التقدم العلمى ، ومدى خدمة العلم للانسان فى الطعام والكساء والمساكن واللهو والانتاج والتعدين وتوليد القوى ، والهندسة والنقل والمواصلات ، ثم اثر العلم فى التطور الاجتماعى وكيف يعمل على تغيير المجتمع بتأثيره فى طرق الانتاج وعن الوعى الاجتماعى واثر دخول السياسة فى العلم ، والأضرار التى يمكن تفاديها ، وتحقيق الحاجات الانسانية وكل هذه الموضوعات من مجالات العلم السليمة التى ترمى الى خير الانسانية وتأمين المجتمع الانسانى والعمل على خيره ورفاهيته ، واجتناب الأسباب الداعية الى تنغيصه والى أن تخيم عليه سحابة كثيفة قاتمة .

هذا وقد ناقش الكتاب موضوعات شتى تدور حول الصناعة وفيها اثر السريةفىالبحوث العلمية : وعزا ضعف التقدم العلمى فى هذا الميدان الى عاملين ، الأول السرية التى تغمر هذا الوسط كله ، والثانى عدم توفر الحرية للباحث العلمى ، فلابد من التشاور وتبادل الأفكار والمناقشة .

ويقول « برنال » ان هنالك بحوثا كثيرة تتم فى الخفاء ولا تعلن الا بعد ان تكون معدة للتسجيل الرسمى ، والاحتكار القانونى . وهناك ابحاث اخرى لا تعلن مطلقا ، ولا تسجل باسم الشركات بل تبقى سرا خاصا منأسرارها .

وتحرص بعض الشركات على الا تصل اى معلومات عن موضوعات بحوثها الى الشركات المنافسة لها ، ويطالب «برنال» بأن يتم التفاهم وتبادل الراى بين الشركات حتى يمكن أن يتقدم العلم الى الأمام .

ونحن نؤمن برأى « برنال » فى كثير من المشروعات الصناعية المحلية بين الشركات

وهو أننـــا لا يمكن أن نغفل عنصر المنافســة ، ولا سيما عندما يكون العلم او الاكتشاف باعثا على الربح المادى أو السيطرة على الأسواق .

ولكننا لا نقر هذا الرأى بالقيـــاس الى البحوث الأخـرى التى تتنـاول بعض المواد الصنـاعية التى يمكن استخدامهـــا فى وقت الحـرب ، والا كان من العبث كل العبث أن تنمحى السرية فى الأبحاث .

وهذا الصراع نجده اليوم قائما بين الدول حول العلماء المشتغلين بالأبحـــاث النووية فى المعامل والمؤسسات الذرية .

فبرنال يتحدث عن مجتمع مثالى يخلو من الأحقاد ، وتتلاشى فيــه الدوافع التى تبعث الانسان على الكيد لأخيه الانسان ، وهـــذا ما يثبتـــه لنا التاريخ ، وتؤيده الحـوادث ، ولا يمكن تطبيقه فى المجتمع الانسانى .

بيد أن « برنال » أصاب عين الحقيقـــة عندما ذكر أن من الأسباب التى تثبط همـــة الباحث العلمى عدم الاستفادة المناسبة بأبحاثه، وتركه فى جو خانق من السرية المطلقـــة وعدم الاستعانة به ، ولذلك كان الباحث يبدأ عمـــله بعزم وهمة ، ثم لا يلبث أن تفتر جهوده ، ويقل اقباله على البحث ، **ولا شك ان عـــدم توافر الحريات فى الأبحاث الصناعية من أهم الأسباب الداعية الى تأخر العلم لأن الباحث العلمى الذى يعمل فى شركة من الشركات أو مصنع من المصانع مقيد بخدمة الشركة ، وكل الاختراعات التى تسجل تكون باسم الشركة** ، ولا يكون نصيب البـــاحث العلمى منهـــــا أكثر من عشرة شلنات كل مرة ، بينما تستفيـد الشركة من الاختراع آلاف الجنيهات .

ولا بد أن يتلاشى التنـــافر بين مـديرى الشركات والباحثين فى العلم لأن اختيار المديرين من رجـال الادارة الذين لا يفهمون فى البحوث العلمية من شأنه أن يعوق العلم عن التقـــدم ويجعل الربح المادى هو الهدف الأول والأخير فى الصناعة .

ومن آراء برنال النيرة فى هـذا الكتاب ان الحرب تخلق العلم المنظم تنظيما حكوميا فقد بينت ظروف الحرب بجلاء ماقـد يترتب على عدم الاستفادة من الكشوف العلمية فى المجـال الصناعى ، وقد كانت اخطاء الحرب كما جاء فى نشرة مصلحة البحوث العلمية والصنـاعية فى بريطانيا سببا فى فتح العيون الى ما يجب عمله فى السلم .

ولذلك كثرت البحوث فى ميادين الصناعة الثقيلة والصناعات الكيماوية ، والصـــناعات الكهربائية .

وقد استطاع العلم التطور من استخـدام المفرقعات فى المناجم والمحاجر والغازات السامة فى محاربة الحشرات الضارة الى اختراع أشنع الوسائل الفتاكة بالانسان ، والبلاد من قنابل صاروخية وهيدروجينيـــة ، وذرية وما الى ذلك ، وانتعشت الصناعات الهندسية .

واشار « برنال » الى حقيقة علمية كبـيرة وهى أن نتيجة العلم هى زيادة المعرفة بالعـالم الطبيعى الذى يتمثل للانسان عن طريق حواسه زيادة مطردة ، والمعرفة تزداد عمقـا كما تزداد اتساعا .

فالمعرفة العلمية مهما كان عمقهـا واتساعها تنتهى عند مرحلة الحصول عليها ، والتأمل فى مجالها وجلالها ، بل ترجع ثانية الى المجتمـع لتكون قوة له فى تحقيق آماله والوصـول الى أهدافه .

هذا قليل من كثير مما حوى هذا الكتاب الضخم الثمين الذى ترجمه الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن ، واننا نشكره على ما بذله من جهد ظاهر ملموس فى الترجمة ، واسلوب جميل مشوق ، يبعد عن التكلف ، وينفر من الالتواء ، انما يسير هادئا رفيقا رقيقا من أول الكتاب الى آخره دون كلال ودون اخلال بالمعنى، ودون شحذ للألفاظ العلمية المتتابعة التى قد يضيق بها القارىء عند قراءة الكتاب ، فله منا أعظم الشكر والتقدير .

د. جمال الدين الرمادي



تاريخ الحضارة الهلينية

ترجمة : رمزى عبده جرجس
مراجعة : د . محمد صقر خفاجه

الناشر : مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع
مكتبة الأنجلو المصرية ٣١٠ ص ١٧×٢٤ سم ثمنه ١٩,٥

ان ظهور هذا الكتاب موضوع حديثى ضمن مطبوعات الالف كتاب ليدل دلالة قاطعة على أن حسن الاختيار ودسم ما تزوده بنـــا وزارة التعليم العـــالى أمران لا يرقى اليهما الشك وان كان قد دار حول هذا الموضوع فى وقت من الاوقات اكثر من حديث بل وأكثر من مقال منشور .

ان كتاب « تاريخ الحضارة الهلينية » لمن أجود الكتب التى تفخر بها المكتبة الكلاسيكية لا فى العالم العربى وحده بل وفى العالم الغربى برمته ... وهو ركيزة متينة لتدعيم الاطلاع على الدور الحضارى الذى لعبته بلاد اليونان فى بناء ركب الحضارة والدفع به الى الأمام قبسا تستضىء به العصور التالية فى غير ما غموض أو لبس ... كل ذلك بفضل من انجبتهم هيلاس Hellas من فطاحل الساسة والخطباء والادباء والشعراء والفلاسفة والفنانين فضلا عن القادة والحكام والأبطال الصناديد الذين أسهموا بدورهم بنصيب لا يمكن بحال من الاحوال اغفـــاله أو غض البصر منه .

وكنت أود أن أغوص كما يجب فى أعماق هذا الكتاب الجيد فاستعرضه لك فى اسهاب مستطاب غير اننى سأكتفى بأن أجمل لك مضمونه وأقدمه لك فى وجبة خفيفة محبوكة تغذيك ولا تضرك حتى اذا ما طابت لك هـــذه الوجبة واشتهيت مثيلتهـــا وجبات ما كان عليك الا أن تقتنى النسخة الاصلية التى فيهـــا الزاد كله والعلم كله ولك بعدئذ أن تلتهم منه ما طاب لك دون حسيب أو رقيب .

ان مؤلف كتاب « تاريخ الحضارة الهلينية » هو العالم المعاصر والمؤرخ العالمى الاستاذ أرنولد توينبى وهذا يكفى لكى تدرك قيمة هـــذا المؤلف الذى نحن بصدده وكم كان توينبى حصيفا كدابه فى جميع أعماله التأريخية فلم يقدم على معالجة موضوع الحضارة الهلينية الا بعد أن اكتملت له زيارة معظم البـــلاد والأقطار والبقاع التى استتبت فى أرجائهـــا الأساسات العميقة التى نهضت على دعائمها هذه الحضارة البـــاهرة الآفاق والتى كانت احدى الحضارات الأولى التى عرفتهـــا البشرية وأسهمت مع غـــيرها من الحضارات القديمة كالحضارة المينوية والحضارة البيزنطية والحضارة المصرية القديمة فى دفع ركب الحضارة البشرية خطوات ثابتة واسعة لا جـــدال فى أننا اليوم نجنى ثمارها ونلمس فضلها ونحس به عميق الاحساس .

وقد يدهشك أن تعلم أن المؤرخ توينبى بدأ فى كتابة مؤلفه هـــذا فى عام ١٩١٤ بايعـــاز من نابغة زمانه فى الدراســات القـــديمة الاستاذ الدكتور جلبرت مرى Gilbert Murray الذى اشـــتهر بمؤلفـــاته الفاصـــلة وتراجمه الصـــارخة الدقة فى كل ما يمت بآداب الاغريق وديانتهم الميثولوجية ومسرحياتهم التراجيـــدية بيد أنه لظروف لم يفصح عنها لم ينته من انجاز مؤلفه هـــذا الا فى الفترة ما بين شـــهر ابريل من عام ١٩٥٦ وشهر أكتوبر من عام ١٩٥٧ . ومنذ عام ١٩١٤ حتى دان له مؤلفه هـــذا طاف أرنولد هنا وهنـــاك فزار روما وهيسبيلوم



تأليف

أرنولد توينبي

وكابيتا وفارسالوس وخليج امبراك وجزيرة كريت والقسطنطينية والشواطىء الآسيوية والساحل الغربي للأناضول وتساليا الشمالية ومقدونيا الغربية وانقرة وانطاكية وسليوكيا بيريا والبصرة والبابان وتركيا وطرسوس وأدنة واريكاميدو بالساحل الجنوبي الشرقي للهند وتاكشاسيلا وبورو شابورا في جاندارا وبابل وبحر قزوين وبيروت وكربلاء والبتراء وتدمر ولاوديكية (اللاذقية) وارادوس وانتارادوس وسوريا وجبل الدروز وعمان والساحل الفينيقي وغزة ورفح على الساحل الفلسطيني وأخيرا مدينة أورشليم ... وهناك بقاع وبلدان لم يتمكن المؤلف من زيارتها ولذا نجده يبدي شديد أسفه على ذلك . ومن بين البلاد التي لم يزرها مصر ، هذا وان كنت أذكر جيدا أن الأستاذ العلامة توينبي قد زار مصر غير مرة في الأعوام الأخيرة وأمتعنا بمحاضراته الشيقة الواعية .

يقول المؤرخ توينبي أن الهدف من مؤلفه هذا مناقشة عدة مشكلات منها العلاقة بين عبادة الهلينيين للانسان وبين نشأة الحضارة الهلينية والأمجاد التي حققتها الى حين انكسارها ثم انهيارها في النهاية ... ثم الأسباب التي دعت الى أن تكون الحضارة الهلينية أولى الحضارات التي آمنت بالفلسفة الانسانية دون قيد أو شرط ومن هنا تتجلى لنا حقيقة سافرة قد لا يدركها الكثيرون الا وهي **أنه ما من حضارة أثبتت وجودها في تاريخ الحضارات الا وكان للفلسفة دورها الفعال في اكسابها الطابع المميز لها والذي يبيح لنا بعدئذ أن نخلع عليها اسم « حضارة »** .

وهناك حقيقة تتعلق بالحضارة الهلينية وهي أنه كان لزاما عليها أن تستهل حياتها بالعيش على ترائين خلفهما البرابرة ، هما الملاحم التي تنسب الى هوميروس والتي أصبحت بالنسبة للهلينيين كالانجيل بالنسبة للمسيحيين والقرآن بالنسبة للمسلمين ، ومجموعة من الآلهة التي لم تكن رموزا على تقلبات الطبيعة الغامضة ، بل صنعت على صورة الانسان وصورة الانسان البربري من دون سائر البشر .

ولعل هذا كان من الأسباب الجوهرية التي أدت الى انهيار الحضارة الهلينية انهيارا سريعا بعد أن أخذ الهلينيون يتأرجحون بين ضربين من ضروب عبادة الانسان كانا على درجة أقل من الزراية التي كانت تقابل بهما عبادة المحاربين والنسوة السليطات من البرابرة المؤهلين .

ومما هو جدير بالذكر أن **الهلينيين لم يشعروا بالاطمئنان قط لممارستهم عبادة الانسان حتى في أشكالها المبسطة التي لا تعد مجلبة للعار . وكان شاهد قلقهم ذلك الخوف الذي كان يسيطر عليهم من أن يرتكبوا جرم « الهوبريس Hubris » أي تلك الكبرياء والصلف اللذين يجلبان على الانسان حنق الآلهة وعقابهم .**

ولقد أدرك الهلينيون أنه ليس باستطاعة الانسان أن يؤله نفسه ويفلت من القصاص . واذ أدرك الهلينيون أن

ممارسة عبادة الانسان فى أى شكل من أشكالها مكروهة منبوذة ، نجدهم سلموا قيادهم لديانتين شرقيتين ظهرتا ، تحت تأثير الحضارة الهلينية ، فى مجتمعات آسيوية كان الهلينيون قد قهروها بحد السيف ، فاعتنق الهلينيون فى الهند ووسط آسيا الديانة البوذية فى صورتها الحديثة التى عرفت بين أتباعهـا باسم « السيرة العظمى » واعتنقوا فى حوض البحر المتوسط الديانة المسيحية . وكانت الديانة المسيحية التى استأثرت فى النهاية بنصف العالم الهلينى تعد صورة معدلة للديانة اليهودية ، وقد تم هذا التغيير عن طريق تطعيم الديانة اليهودية بفكرة هلينية تعد فى نظر اليهود على النقيض تماما من كل ما تمثله الديانة اليهودية ألا وهى فكرة التجسد ومن هذا يرتسم أمامنا الدور الذى أسهمت به الحضارة الهلينية فى غزو الديانات الشرقية لها وبالعكس .

ومما لا ريب فيه ان الحضارة الهلينية كانت وثيقة الارتباط بالأديان السماوية التى سادت وانتشرت فى كل من آسيا والشرق عامة ولا سـبيل الى الفصل بينهما بحال من الأحوال . ومن هنـا نستشف خطورة هـذه الحضارة وأهميتها لا فى وقتهـا فحسب بل وفى عصورنا الحاضرة أيضـا ... فقـد وجدت كل من المسيحية والبوذية فى فى الهند فى الفن الهلينى واسطة بصرية لعرض أفكارهما ومثلهما على الغالبيـة الأمية من أتباعهما ، كما وجدت المسيحية فى الفلسفة الهلينيـة واسـطة ذهنية لبسط العقائد المسيحية فى عبـارات اصطلاحية تقبلها الأقلية المثقفة تثقيفا هلينيا من بين أعضاء المجتمع . كما وجدت الكنيسـة المسيحية فى البنـاء الادارى للامبراطورية الرومانية — وهى دولة مسكونية بنيت من خلايا تتألف من مدن دول — نموذجا عمليا صـالحا تحتذيه فى منظمتها الخاصة بها .

وكتاب المؤرخ توينبى زاخر بالمعلومات الدقيقة الهامة التى تلقى ضوءا ساطعا على كثير من حقائق العالم الهلينى سـواء أكانت طبيعيـة أم بيئية وكفى أن تعلم أن العـالم الهلينى لم يتم الا حول ممر مائى صالح للمواصلات البحرية يربض فى حوض بحر ايجة وهـذه خاصية انفردت بها الحضارة الهلينية ذلك أن الممر المائى بها لم يكن نهرا بل بحرا بخلاف الحضارات المعاصرة التى قامت على ضفاف نهر النيل ودجلة والفرات ونهر الهند والنهر الأصفر .

ولقد ساعد الموقع الجغرافى لحوض بحر ايجـة الشعوب الهلينيـة على التوسع ونشر حضـارتها فأقام المستعمرون الهلينيون « هيـلاس العظمى » التى هى « اليونان الوسطى العظمى » كما أقاموا فى صـقلية مستعمرة على غرار البليبونيز وان كانت تبزها خصـوبة وثالثة شبيهة بكريت فى قيروان ورابعة تعد صورة مصغرة لأيونيا بعيـدا من شاطىء الريفييرا الفرنسية ولكن حركة التوسع فى العالم الهلينى هذه سرعان ما واجهتها العراقيل فى نهاية القرن السادس ق . م . الى أن دفع عجلتها من جديد الاسكندر الأكبر قبل نهاية القرن الرابع وواصلها الرومان قبل نهاية القرن الثالث .

ومن أمتع أبواب هذا الكتاب ما أورده المؤلف عن الدور الهـام الذى لعبتـه كل من الالياذة والأوديسة لهوميروس شاعر الاغريق الأكبر فى قيـام الحضارة الهلينية وكذا منظومات هسيود الشـاعر الهلينى كما أنه لم يغفل بحال الحقبة المظلمة التى ألمت بهذه الحضارة وكادت أن تقضى عليها قضاء مبرما قبل الأوان . ثم لا يلبث أن يستدرجك بالحجج والبراهين ليدلك كيف خلعت هذه الحضارة عن كاهلها غلالات الظلام التى كانت تلفها وتقيد حركاتها وتشل أركانها بصورة تدعو الى اليأس والقنوط . والمؤلف فى هذا الصدد يعالج موضوع سكان السهل وسكان الجبل وقيام نظام المدن الدول وحركة التوحيد السكنى فى العالم الهلينى والمعدات الحربية التى اخترعت فى هذه الحقبة ومركز كل من اسبرطة وأثينا والصراع المرير الذى نشبت أظفاره بينهما فضلا عن الصراع الاجتماعى الذى تلا ذلك وحركة الهجرة الجماعية والشعوب الهلينيـة التى قامت بتنظيمها واعدادها كجماعة الاخيين واللوكريين والكورنثيين والميجاريين والخلكيديين والايونيين .

أما بعض رجال الفكر والأدب والشعر المرموقين ممن قامت على أكتافهم صروح الحضارة الهلينية فهم على حد ما أورده المؤلف فى كتابه مجموعة لا يمكن الاستهانة بها نظرا لما تمتعوا به على مر الأحقـاب من صيت عريض واهتمام بالغ لازلنا نغمرهم به حتى يومنا هذا ... فهذا سوفوكليس بأوديبـه ومسرحياته الدراميـة وهـذا أيسخولوس بأوربستيته المرونة وهنـاك فى ميـدان الأدب والشعر كمنرموس وأرخيلوخوس والكايوس وسـافو وغيرهم ممن حرصوا جميعا على معالجة موضوعات تدور كلها حول تجارب الفرد عندما يبدأ فى الشعور بذاتيته وحول الولاء والأحقاد فى ميدان السياسة .

ومن الهزات العنيفـة التى تعرضت لهـا الحضارة الهلينية يوم كانت تشكو مشكلة زيادة عدد السكان داخل بلادها الاصلية ما أصـابها فى القرن السادس من وهن وضعف من جراء المنافسة التى نشبت أظفارها بينها وبين منافسين لها جدد من الفينيقيين والأترسكيين الذين حاولوا الفوز باستعمار شـواطىء البحر الأسـود وغربى البحر



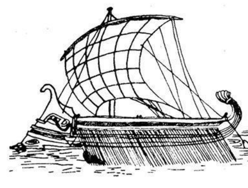
المتوسط مستغلين الضعف الذى كان يهد كيان سكان هذه المناطق من الوطنيين المتخلفين بيد أن النصر كان حليف الهلينيين فتغلبوا على خصومهم فى المراحل الأولى من مراحل المنافسة التى قامت بينهما لأسباب ثلاثة هى التفوق العددى وأرجحية الموقع الذى كانوا يعتصمون به ثم حصانتهم ضد الهجوم من جانب الدول الكبرى التى كانت تبرز الواحدة تلو الأخرى فى جنوب غرب آسيا ... وكان أبرز ما أصاب العالم الهلينى من جراء هذه المنافسة التغييرات الخطيرة التى ظهرت آثارها فى الثورة الاجتماعية والاقتصادية التى ألمت بحياة الفلاحين الملاك والعمال الزراعيين وغيرت كثيرا من تقاليدهم وعاداتهم وخلقت منهم عناصر منظمة بناءة تعمل على ما فيه زيادة الانتاج الزراعى بما يكفل زيادة رفاهية الشعب الهلينى ومضاعفة دخله .

ومن فضل المؤرخ توينبى على العلم فى مؤلفه هذا انه عالج الأخطار التى تعرضت لها الحضارة الهلينية تارة على أيدى الفينيقيين والأترسكيين وطورا على يد قورش امبراطور الفرس الاول الذى قام بغزوه المعروف وعدوانه الغاشم على العالم الهلينى فى عام ٥٤٧ ق . م وشكل له خطرا ليس من بعده خطر ... أقول عالجها بأسلوب فريد مدعم بالاسانيد ، دون أن يتحاشى التفاصيل الدقيقة التى كان فى مقدوره أن يتجاوز عنها ولكنه توخى منتهى الدقة فى ابراز أهمية هذه الأخطار الجسيمة التى اكتنفت العالم الهلينى والتى يرى المؤرخ توينبى أنها شكلت خطرا لا يمكن بحال اغفال معالمه أو دقائقه ومن هنا تعتبر أبواب كتابه عن هذه الأخطار من أمتع ما كتب ومن أغناها مضمونا فضلا عن أنها تكشف لنا ما عليه الاستاذ المؤلف من مقدرة خارقة على الغوص فى أعماق المشاكل الغامضة وابراز دقائقها المعقدة وذلك بمنتهى الثقة وكمال الادراك السليم وجلال الفهم البعيد الآفاق لمعالم هذه الحضارة القديمة وما أحاطها يوما من أزمات وغزوات وأخطار متشعبة متوالية نالت منها الكثير بل وعانت منها جميعا الأمرين .

وبالرغم من أن الهلينيين تمكنوا من الانتصار على الغزو الفارسى وبذا ثبتوا أركان حضارتهم وكتبوا لها الازدهار بعد أن أوشكت على الانهيار الا أن القدر كان يخفى لها عراكا آخر من طابع آخر نشب بين اسبرطة وأثينا وكانت كل واحدة منهما تنشد فى اصرار مرير أن تستأثر لنفسها بزعامة العالم الهلينى مما أدى الى قيام تطاحن سياسى طويل الامد له ضراوته بين المدينتين الكبيرتين الهامتين لم تسفر شتى محاولات القضاء عليه الى نتيجة مرضية أو ادنى نجح مرموق .

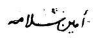
وبظهور فيليب المقدونى على مسرح السياسة فى العالم القديم ليضرب به المثل كأعظم رجل سياسى حربى أنجبته أوروبا حتى ذلك التاريخ وكداهية من الدهاة لم يسبق أن شاهدت البشرية ضريبا له فى المكر والخداع والنشاط وبعد النظر ... اضطر ديموستيبنس خطيب اليونان المفوه الى أن ينبرى له ويكرس جل خطبه الطنانة فى معاداته والحث العنيف على الوقوف فى وجه أطماعه ، كل ذلك من فرط الخوف الفظيع على العالم الهلينى من خطره المقدونى سواء بقيادته أم بقيادة ابنه الاسكندر ... ومع ذلك فلا يجب أن يغيب عن بالنا أن الاسكندر – بخلاف فيليب – كان يحلم بانشاء امبراطورية عالمية يحكمها الفرس والهلينيون متضامنين هادفا بذلك الى القضاء على المبدأ الذى كان سائدا وقتذاك والذى كان ينادى بأن للهلينيين السيادة على من عداهم من بنى البشر ولكن مما يدعو الى الأسى أن الاسكندر ما كاد يشرع فى تنفيذ خطط البناء التى كانت تراود خياله حتى عاجله الموت ليدب الفساد والفوضى لا فى مقدونيا وحدها بل فى هيلاس جميعها ... واذا بنظام المدينة الدولة ينهار للمرة الثانية وكانت المرة الاولى يوم أن قام صراع أدبى خلقى بين كل من سقراط وأثينا ضرب فيه سقراط أروع مثل فى التضحية فاذا به يأبى أن يروغ من توقيع حكم الاعدام عليه أو يتحاشى تنفيذه بالفرار من السجن ومغادرة البلاد وكان ذلك فى مقدوره . وهكذا أجبر أثينا على أن تختار أحد أمرين اما احترام ضميره واما ازهاق روحه وتسبب بموته فى هزيمة أثينا هزيمة أدبية أشد بلاء من الهزيمة التى منيت بها على يد اسبرطة منذ خمس سنوات .

ويمضى المؤلف المؤرخ فى سرد تفاصيل ما تعرضت له الحضارة الهلينية فى أعقاب موت الاسكندر وانتقال مقاليد الأمور الى خلفائه الذين كانوا يفتقرون الى ما كان يتمتع به الاسكندر من حصافة وبصيرة وايمان بأواصر الأخوة التى تربط بين أفراد الجنس البشرى .. ثم لا يلبث أن يعرج على روما وحروبها مع هاملكار وهانيبال وقيام امبراطوريتها الشاسعة الأطراف الى أن جاء يوم لم تعد هناك فيه أية دولة كبرى قائمة فى العالم الهلينى غير روما وحدها ... وبالتعرض لتاريخ روما لم يأل المؤلف جهدا فى تصوير الآلام والمحن الحربية والعسكرية والسياسية والاقتصادية التى رزئت بها فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الرومانية تقوم بمد سلطان الحضارة الهلينية على الاراضى الواقعة فيما وراء الحوض الغربى للبحر المتوسط فى أوروبا الغربية وشمال شرق افريقية والذى كان من عواقبه أن أصيبت ايطاليا بأضرار اجتماعية جسيمة



ضاعفت من آلامهـا ومتاعبها الى أن قيض الله لايطاليـا الملك أوغسطس فلعب دور القائد الحربى والزعيم السياسى واستطاع بشخصيته الفـذة أن يحـدث ثورة اصلاحية تشعبت أطرافها وامتدت فشملت الجيش والجهاز الادارى واللوائح والقوانين وضمان العدالة الاجتماعية والاهتمـام بتضميد الجراح التى كبدتها روما للعالم الهلينى فى عصر آلامه . ولعراقة الحضـارة الهلينية وعمق جذورها نجدها راحت تسعى بلا هوادة كى تنهض من كبوتها فانغمست فى رحلة روحية طويلة أنعشتها وأنعشت فلسفتها ومعالمهـا وتعاليمها ، وكان رائد هـذه الحملة الروحية فى الظروف المؤلمة التى احاطت بالعالم الهلينى هو الفيلسوف الرواقى بوسايدونيوس . وبظهور الديانة المسيحية ذات فكرة الاله الواحد الحق الكلى القدرة كتب لها النصر فى معركتها مع سائر الديانات المنافسة ولما كانت الديانة الهلينية تؤمن بتعـدد الآلهـة اذا بالمسيحية اكتسبت لدى الهلينيين سحرا طاغيا كان كفيلا بأن يأسر النفوس الهلينية ومع ذلك **فلم يكن فى وسـع الديانة المسيحية ذاتها أن تشق طريقها فى العالم الهلينى ، لو لم تتخذ لنفسها ثيابا هلينية مثلما فعلت الديانات التى تصدت لمنافستها . وجدير بالذكر بان** الكنيسـة المسيحية ابان نشـاطها المطرد النجاح فى تبشير الهلينيين كانت فى حرب لازبة مع العقيدة الهلينية التى كان من صورها عبادة الانسان وكانت الأخيرة من أعظمها بركة ومن ثم أقواها وأعنفهـا . ومـع ذلك فان الكنيسة المسيحية عنـدما اصطفت لنفسـها الفنون التشكيلية الهلينية ، واللغتين اليونانية واللاتينية والفلسفة الهلينية والأنظمة السياسية الرومانيةكى ترتقى بنفسها الى المستوى الذى يتفق والمهتدين الهلينيين الذين كانت تنشدهم ، لم تتمكن بذلك من أن تزود نفسـها بوسائل اتصال فعالة فحسب ، بل استطاعت أن تبعث الحياة فى هذه الوسائل بأن نفخت فيها من روحها المسـيحية الجديدة ، فردت الحياة الى العظام الهلينية الجافة .. **ولكن لم يلبث ان اندلع لهيب صراع طاحن مرير بين الحضـارة الهلينيـة والديانة المسيحية عندما ظهرت بوادر المحنة فى العـالم الهلينى واسفر هذا الصراع عن أن عبادة قيصر لم تعد هى الدين الرسمى للدولة العالمية وهكذا انهارت الحضارة الهلينية وماتت حتى قبل أن تصبح المسيحية ديانة رسمية للدولة العالميـة الهلينيـة وكانت علة موتهـا هى عجز الهلينيين انفسهم عن أن يحققـوا لأنفسهم الوحـدة السياسية** مما أشاع الخراب والدمار فى عالمهم خـلال حقبة تكاد تكون متصلة تقدر بأربعمائة سنة هذا فضلا عما ألم بحضارتهم من فوضى من جراء السياسة العقيمة التى انتهجها الساسة العسكريون الالليريون الذين أطالوا من عمر الدول العالمية الهلينية ووهبوها فرصة جديدة للحياة ، هذا عدا تلك المحاولة المتخاذلة العرجاء التى قام بها العالم الهلينى لكى يكافح الديانة المسيحية بأسـلحة الديانة المسيحية ذاتها .. وهـكذا حلت الديانة المسيحية محل الحضـارة الهلينيـة الا انهـا لم تبز ، كما لم يكن فى استطاعتها أن تبز ، عناصر الحضارة الهلينية التى كانت قد استعانت بها فى الماضى فى سبيل تحقيق مرماها الأصلى الا وهو هداية العالم الهلينى ...

أكتفى بهذا القدر المحدود فى تخطيط معالم الموضوع الحيوى الذى عالجـه مؤرخنـا المعاصر توينبى فى كتابه « تاريخ الحضارة الهلينية » وانى لأشيد بالمجهود الكبير الذى بذله السيد الأستاذ رمزى عبده جرجس فى ترجمة هذا السفر ، ومما لا شك فيه أنه عانى الكثير فى سبيل اكساب الترجمة ما هى عليه من طلاوة الأسلوب وسلاسته بالرغم من جفـاف المـادة التى تكبد مشـاق نقلها الى العربية . ولقد كان التوفيق حليف المترجم الذى لم يدخر وسعا فى أن يجعل من ترجمتـه نموذجا طيبـا للترجمة السليمة الدقيقة الواعية التى تقنعك بكفاءته الملموسـة فى مضمار آداب الدراسات القديمة وتاريخها المعقد المتعانق الحضارات المتضارب السياسـات والاتجاهات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والقانونية . هذا وان كنت قد لاحظت أن المترجم ومعه أيضا المراجع قد فاتهما أحيـانا ـ ولا أستطيع ان أقول كثـيرا ـ فاتهما الالتزام بالترجمة العربية للأعلام والأسماء الجغرافية كلما تكرر ذكرها مثـال ذلك نجـد أن نهـر مايانـدر Maeander (ص ٢) قد أصبح مندرس فى ص ٣٥ . وهنـاك أمثلة أخرى مشابهة كان فى المقـدور تلافيها ولست أدرى على ايهما يقع الوزر أهو المترجم أم المراجع وان كنت شخصيا أعتبر الأخير ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ مسئولا الى حد كبير فى اغفـال مثل هـذه الأخطاء التى أعتقد أنها جزء لا يتجزأ من مهمته ... هذا مع ايمانى بأن هذا الكتاب ما كان ليبلغ مدى الدقة التى هو عليها لو لم يكن للسيد المراجع اليد الطولى فى هذا الصدد .







تأليف
عزت عبد النبى

الناشر
مطبعة قاسم للطباعة
والنشر بالاسكندرية
٢٠٨ ص ١٤×٢٠ سم ث ١٥ قرشا

هـــذه الدراســة الممتازة التى كتبها أحد المتخصصين فى المجالات النقابية والعمالية تلقى الكثير من الضوء على الدور القيادى الذى ينبغى أن تضطلع به النقـابات فى مجتمعنا الديمقراطى الاشتراكى .

وقد يلاحظ القارىء أن الموضوع ليس جديدا أو مبتكرا فقد سبقته عدة دراسات وبحوث ومؤلفات نذكر منها على سبيل المثال : واجب النقابات فى مجتمعنا الجديد للأستاذ محمود فتحى عمر ، العمال فى مجتمعنا الاشتراكى للأستاذ عبد الرحمن بكر ، تطور الحركة النقابية فى مصر للأستاذ محمد فهيم أمين .. ولكن للواقع – وللانصاف – نقول ان مؤلف هـذا الكتاب الجديد قد تناول الموضوع القديم من زوايا جديدة لم يسبقه أحد اليها فهو يقدم تخطيطا شاملا ونهجا معينا ووسائل عملية فعالة لتقتدى بها النقابات فى عهدها الجديد ، وهو فى الوقت نفسه يعقد المقارنات – كلما وجد الى ذلك سبيلا – بين أنظمة النقابات فى الدول الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، وبين النظام الأمثل .

ويقسم المؤلف كتابه الى ثلاثة ابواب رئيسية وهى :

النقابات وأهدافها ، التنظيم النقابى وأشكاله والأحكام القانونية المنظمة للنقابات ، النقابات والعلاقات الصناعية .

وفى الباب الأول يقوم المؤلف بتعريف النقابة ومفهومها فى المجتمع الاشتراكى ... وهـذا التعريف يختلف فى مجتمع عنه فى آخر فالدول الرأسمالية ترى أنها تنظيم اختيارى دائم للعمال يتولى رعاية مصالحهم والدفاع عن شروط عملهم وتحسين أحوال معيشتهم ، أما الدول الشيوعية فترى أن مهمة النقابات تدعيم النشاط الشيوعى بتعبئة العمال وراء الحزب الشيوعى وحثهم على تنفيذ مخطط الدولة .

أما دور النقابات فى المجتمعات الاشتراكية فيستهدف تحقيق التقدم الاقتصادى ورعاية وتحسين ظروف العمالة والاهتمام بالخدمات الاجتماعية والمساهمة فى وضع وتنفيذ تشريعات العمل والتأمينات الاجتماعية والعمل على انجاح خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وبعد أن صدرت قوانين يوليو المجيدة كثر الجدل حول دور النقابات فى المجتمع الاشتراكى فالبعض يرى أنه لم يعد ثمة داع لقيامها بينما يذهب البعض الآخر الى ان مرحلة التحول الاشتراكى تفرض على النقابات العمالية العمل على الدفاع عن المصالح اليومية لأعضائها ولكن بأساليب جديدة تتفق مع التطبيق الاشتراكى ، واستمر هذا الجدل حول المفهوم الجديد الى أن صدر ميثاق العمل الوطنى فحدد دور النقابات العماليـة فى اربع مسئوليات رئيسية وهى : التوعية الفكرية ، زيادة الانتاج ، صيانة حقوق العمال ومصالحهم ، الاهتمام بالخدمات الاجتماعية .

وتطبيقا لذلك كان لزاما أن يعاد تنظيم النقابات فى مصر بما يتمشى مع الأهداف الجديدة التى حددها الميثاق ، ولهذا صدر القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، وحدد هذا القانون أهداف النقابات العمالية فى العمل رفع الكفاية الانتاجية للعمال وتمكينهم من الاسهام فى التطوير الصناعى وصيانة حقوق العمال ومصالحهم والعمل على رفع مستواهم المادى والثقافى . وبناء على هذا القانون أصبح لدينا ٢٧ نقابة عامة فقط بدلا من النقابات الضعيفة التى بلغ عددها فى عام ١٩٥٦ نحو ١٢٥٠ نقابة .

ونظرا لأن هذا القانون لا ينطبق الا على النقابات الصناعية ولم يتعرض للنقابات المهنية فاننا نرى أنه **لابد وأن تتحول هذه النقابات الى جمعيات لأنها استنفدت أغراضها فى الماضى كما أن القوانين الاشتراكية الجديدة قد كفلت للمنتمين الى هذه النقابات جميع** سبل **الرعاية الصحية والاجتماعية والمعيشية** .

وفى الفصل الثانى يتناول الأستاذ عزت عبد النبى الأحكام القانونية المنظمة للنقابات ويقوم بشرح مزايا وعيوب كل من القوانين التى صدرت تحقيقا لهذه الغاية وهى القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ، والقانون رقم ٣١٩ لسنة ١٩٥٢ ، والقانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ ، والقانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ .. ويستخلص من هذه القوانين طابع التنظيم النقابى الجديد فى مصر .

ويختم المؤلف كتابه بفصل عن التنظيم النقابى والكيان السياسى للمجتمع .. ويطرح عدة أسئلة على الرأى العام وأعضاء مجلس الأمة ورجال الفقه بالقانون الدستورى ، ولعل أهم سؤال فيها هو : « **ما هى الحكمة فى حرمان رؤساء الادارات فى الشركات والمنشآت من العضوية النقابية** وبالتالى من صفة العامل التى حددتها لجنة الميثاق ؟ » .. وقد اتفق أننى قبيل الانتهاء من كتابة هذا المقال التقيت بالسيد أنور سلامة وزير العمل وعرضت عليه السؤال وطلبت منه أن يجيب عليه فقال :

« انه قد يكون لهم تأثير على العمال فى اية انتخابات فى الوقت الحاضر على الأقل .. وهذا النص مرحلى ، وقد حاولنا ان نحمى العمال من تأثير الادارة عندما تدخل الانتخابات ، ولكنه تحفظ مرحلى سيزول بمضى الزمن كلما اندمجت الادارة فى التطور الاشتراكى » .

وقد عن لى بضعة ملاحظات يسيرة لا تقلل من اهمية الكتاب وبحثه القيم العميق فى هذا الموضوع الدقيق ، ونجملها فيما يلى :

أولا — أغفل المؤلف ذكر « الميثاق الوطنى » فى قائمة المراجع التى بلغت ٣٣ مرجعا رغم أنه استعان بكثير من فقراته ليؤيد وجهة نظره .

ثانيا — الاهداء الذى كتبه المؤلف بخط يده ونشر عن طريق صورة زنكوغرافية يحمل هذا التاريخ (١٩٦٠/٦/١) مما جعلنى أعتقد أن الكتاب قد تم تأليفه منذ أربع سنوات ، ولكن المؤلف يذكر فى المراجع أنه استعان ببيان السيد وزير العمل الصادر فى ١٩٦٤/٤/١٥ وهذا قد يوحى للقارىء بالتناقض .

ثالثا — رغم ان المؤلف خصص موضوع الجزء الأول من الكتاب لموضوع النقابات والعلاقات الصناعية الا أنه جعل هذا الموضوع أحد أبواب الكتاب وهو الباب الثالث .

ولكن هذه الملاحظات جميعها تدخل فى نطاق التبويب ولا دخل لها بطبيعة البحث والمعلومات القيمة التى يحويها ، وعلى هذا فاننا نعتبر هذا المؤلف الجديد مرجعا وافيا وشاملا ، ويحق للمكتبة العربية أن تفخر به .

سعد زغلول سراج



فصول فى النقد الأدبى الحديث

تأليف
عبد الحى دياب

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
١٦١ ص ١٧×٢٤ سم ثمن ٢٥ قرشا

فى الكتاب الثالث من جمهـــورية أفلاطون يقول سـقراط لتلميـــذه غلوكون متسائلا : « أفنحصر أنفسنا فى مراقبة شعرائنا فنوجب عليهم ان يطبعوا منظوماتهـم بطـــابع الخلق الحميد والا فلا ينظموا ، او نوسع نطاق مراقبتنا فتشمل أساتذة كل فن فنحظر عليهم أن يطبعوا اعمالهم بطـــابع الوهن والفساد والســـفالة والسماجة سواء فى ذلك رسوم المخلوقات الحية أو الأبنية أو أى نوع آخر من المصنوعات ، ومن لا يستطيع غير ذلك فننهاه عن العمل فى مدينتنا لكى لا ينشأ حكامنا فى وسط صور الرذيلة نشوء الماشـية فى مراع ردية فتتسرب الأضرار الى نفوسهم فتفسدها بما تلتهم يوما فيـوما من الأقوات من مختلف المواقع فيتجمع فى نفوسهم قدار وافر من الشر وهم لا يشعرون ؟

وعلى الضد من ذلك : اولا يجب علينا ان نستدعى فنيين من طراز آخر فيتمكنون بقوة عبقريتهم من اكتشـاف أثر الجودة والجمـــال فينشأ شبابنا بينهم كما فى موقع صحى يتشربون السـلاح من كل مربع تنبعث منه آى الفنون فتؤثر فى بصرهم وسمعهم كنسمات هابة من مناطق صحية فتحملهم منذ حداثتهم دون أن يشعروا على محبة جمال العقل الحقيقى والتمثل به ومطاوعة أحكامه ؟ » .

وحول الشعر والشعراء أيضا أخرجت لنا مطابع الدار القومية حديثا كتاب الأســـتاذ عبد الحى دياب « فصول فى النقـــد الأدبى الحديث » . وقبل أن أتعـــرض لبعض ما فى الكتاب من قضايا وأحكام نقدية اتسمت بالخفة والعجلة ، ومن هروب من مناقشة قضايا أخرى كانت اجدر واجدى أحب أن أعطى للقارىء فكرة عامة عن محتويات الكتاب :

يبدأ عبد الحى دياب كتابه بتمهيد يوضح اتجاهه وفهمه للشعر ثم يقول [illegible]

أنه لا يدعى أنه أتى بما لم يسبق به وأن كل ما يدعيـــه هـــو بذله الجهـــد فى توضيح بعض الأفكار التى كانت لا تزال غامضة وغير ناضجة. ثم يعرض فى التمهيد أيضـــا لثلاثة موضـــوعات هى : المجهول فى المضمون الشعرى ، ثم الوحدة العضوية ، ثم التصوير الشعرى .

فاذا ما تركنا هذا التمهيد وجدنا المؤلف يخص الوحـــدة العضوية بمقالين مبتسرين فى حوالى ٢٣ صفحة . ثم يتبع ذلك بعرض ونقد لما جاء بمهرجان الشعر الرابع من أبحاث وقصائد يتناول فيه قضية الشعر الجديد من خـــلال الأبحاث المقدمة من المرحوم العقاد ، والدكتورة سهير القلماوى ، والدكتور زكى نجيب محمود. ثم يمسك بلباب عدد من قصائد المهرجان شاهرا فى وجهها سيفا باترا يسمى « الوحدة العضوية » حينا و « عدم الصدق الفنى » حينا آخـــر ، وضحالة التصوير وتفاهة الخيال أحيانا .

أما ما عدا ذلك من الكتاب فهو عـــدد من المقالات النقدية التى ســـبق للمؤلف نشرها فى مجلتى الكاتب والمجلة يدور بعضها حول الشعر والبعض الآخر نقد لكتب أدبية ولغـــوية ، ثم حديث مع المرحوم العقاد حول النقد والنقاد .

ومن هذا يتبين أن حامل لواء الوحـــدة العضوية بعد المرحوم العقاد قد افتقد هـــذه الوحدة فى كتابه ، كما افتقد المنهج والخطـــة فانطبق عليه قوله سبحانه وتعـــالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » .

كذلك يتبين أن المؤلف قد احتمل وزر نشر هذا الكتاب الذى يبلغ عدد صفحاته ١٦٠ صفحة من الحجم المتوسط من أجل التمهيـــد والمقالين المبتسرين عن الوحدة العضوية .

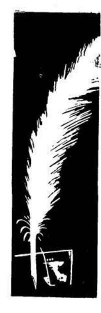
ولما كانت هذه الوحدة العضوية من الدعائم الأساسية التى قامت عليها مدرسة العقاد فى نقد الشعر ، ولم يثر حولها من المناقشات أو الجدال ما يستدعى اعادة التحدث عنها خاصة وأن عبد الحى دياب لم يخرج فى حديثه حولها عن المعروف والمفهوم عنها ومنها ، فاننى سأكتفى بمناقشة بعض القضايا والأحكام الخطيرة التى عرض لها فى التمهيد .

ويبدو جليا للناظر فى هذا التمهيد ، بل فى الكتاب برمته تأثر المؤلف لخطوات المرحـــوم العقاد ودورانه فى فلكه وترديده لآرائه وأفكاره، غير أنه قد غاب عن المؤلف أن آراء العقاد التى كانت تصلح منذ عشرات السنين لم تعد تصلح لوقتنا الحالى ولدولة فى مرحلة تعبئة الجهود لبناء كيانها السياسى والاقتصادى والاجتماعى بناء جديدا متينا .

فنحن قد نغتفر لناقد منذ نصف قـــرن أو ربع قرن مثلا ما لا نغتفره لعبد الحى دياب عندما يدعو الناقد بألا يقف عند الشعر « الا من حيث هو عنوان للنفس الصحيحة ولا يبحث بعد هذا عن موضوعه ولا منفعته ولا يتهمه بالتهاون اذا لم يحـــدثنا عن الاجتماعيات والحماسيات والحوادث التى تلهج بها الألسنة والصـــيحات التى تهتف بها الجماهير » ص ٦ .

كذلك لا يمكن أن نغتفر له الزعـــم بأن « الشعر ليس مكلفا أن يتحـــدث عن صراع الطبقات ولا عن النهضات الصناعية ، كما أنه ليس مكلفـــا ان يتحول الى خطب وعظيـــة عن الفضيلة والرذيلة ولا عن الكفـــاح الســـياسى والاجتماعى فى صور معينة من الصور الوقتية الزائلة » ص ٧ .

اننا لا نمارى فى أن يكون الشعر كما كان دائما وكما سيكون دواما تعبيرا وجدانيا منبعثا من داخل الذات الشاعرة ، ولكن المماراة فى أن يحبس عبد الحى دياب شعراءنا فى كهف سحيق فوق قمـــة البرناس ويردد لهم مع عبد الرحمن شكرى : «يا شاعر الفردوس ان الشعر وجدان» غافلا عن المرحلة التاريخية التى نعيشـــــها ومتطلبات أو مقتضيات هذه المرحلة . وناسيا ان كل تجربة ذاتية للشاعر يمكن ان تكون ناتجة أو متولدة أو ذات جذور بالأوضاع العـــامة وتجارب الجموع التى يعيش بينها ، وان الأمر لا يتطلب من الشاعر أكثر من عمق الرؤيا وسعة الأفق والشعور بالمسئولية .



حقيقة أن الذين يتحدثون عن الالتزام فى الأدب والفن قد تركوا ثغرة يخرج منها الشعر . ولكن لماذا لا يكون التزام الشعراء منبعثا عن انفعالهم الذاتى لمشاكل مجتمعهم ، وادراكهم لمسئولياتهم ورسالاتهم . ولماذا يحاول عبد الحى دياب أن يوسع الثغرة التى فتحها سارتر ، ويشجع عددا من المواطنين — ولا نقول الشعراء — على الهرب من المعركة من خلالها وعلى تبرير نكوصهم وتخاذلهم ؟

ان الشاعر الذى ينظم قصيدة يحبب بها الزهرة الى أمته لا يقدم لها — كما يرى المؤلف — « اكبر المنافع الوطنية وأصدق النهضات وأهنأ مسرات المعيشة ومباهج الحياة لأن أمته تحب الزهرة ، تحب الحدائق وتحب التنظيم والتنسيق وتحب النظافة والجمال وتحب العمارة والاصلاح ولا تطيق أن تعيش فى الفاقة والجهل والصفار » .

كذلك الشاعر الذى يعلمنا الغزل الجميل لا يعمل — كما يدعى المؤلف — « على خلق أمة من الرجال الكرماء والنساء الكرائم والأبناء النجباء يدرجون فى حجر العطف والذوق والصحة لأن الشاعر الذى ينظم الغزل يعرف كيف يقوم المرأة بقيمتها فى الأمة وكيف يهذب البيوت ويشترع القوانين والدساتير » .

وأيضا الشاعر الذى يعلمنا اللهو والطرب لا يهيىء — كما يزعم المؤلف — « للأمة أن تعيش عيش الآدميين ولا تسخر تسخير الأنعام وتعمل ليلها نهارها للقوت الحيوانى وضرورة الأجسام» ص ٨ .

لقد عرفت الأمة العربية منذ الجاهلية الشاعر الذى يجيد وصف الزهرة ولكنها لم تعرف مسرات المعيشة ومباهج الحياة ولم تنجح فى القضاء على الفاقة والجهل والصفار . كذلك عرفت الشاعر الذى يحسن الغزل منذ قال امرؤ القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل

دون أن تعرف من الرجال الكرماء والنساء الكرائم والأبناء النجباء الا ما ندر ، ولم تهذب بيوتا أو تقنن قوانين أو تشرع دساتير .

وأيضا عرفت الأمة العربية شاعر اللهو والطرب ، فهل هيأ لها هذا الشاعر أو سواه أن تعيش عيش الآدميين أو انقذها من أن تسخر تسخير الأنعام فى عصور الظلم والاقطاع ؟

أسئلة لا يستطيع عبد الحى دياب أن يجد لها جوابا .

اننا ندعو من رئيس جمهوريتنا الى تقويم الفكرة بالفكرة ونؤمن بشعار « دع مائة زهرة تتفتح ، ودع مائة مدرسة فكرية تتصارع » كما نؤمن بأن القسر فى شئون الفن والعلم والثقافة يضر ولا ينفع . غير أننا الى جانب هذا كله لا نرى بأسا فى تبصير الفنانين على اختلاف وسائلهم الفنية بواجبهم الوطنى والأخلاقى ازاء مرحلة معينة . ولكن يبدو أن الشعراء الذين يريدهم عبد الحى دياب يؤرقهم كما يؤرقه أمر الخلود والتعبير عن « واقع الانسانية كلها فى غير حدود ولا قيود » وفاتهم أن الخلود ليس معناه ولا ينبغى أن يكون الانعزال عن البيئة والعصر والمجتمع والتهويم فى متاهات « واقع الانسانية كلها فى غير حدود ولا قيود.» كما فاتهم أن أصحاب الفن

الخالد سواء أكان شعر ام نثر أم نحتا لم يشعروا بمثل هذا القلق على انتاجهم ولم يؤرقوا أنفسهم بحثا عن الاشتراطات التى تضمن لانتاجهم هذا الخلود المزعوم . بل ان الناظر فى الشعر الجاهلى نفسه يستطيع أن يكتشف أن الشاعر فى القبيلة كان لسانها والمتحدث باسمها : يتغنى بأمجادها ويترنم بانتصاراتها ويفخر بأعمالها . ولعل ذلك قد كان السبب فى احتفال القبيلة بميلاد الشاعر الفنى كاحتفال الأمم فى وقتنا الحالى بميلاد الزعماء .

كذلك يستطيع الناظر فى الفن والفكر اليونانيين أن يكتشف أن فلاسفة اليونان القدماء كانوا يربطون بين القيم الثلاث : الحق والخير والجمال برباط وثيق ويقولون بأن الشىء الجميل حق وخير وان كل حق ـ وكل خير أيضا ـ جميل ولا يمكن الا أن يكون كذلك .

ومن هذين المثلين نستطيع أن نقدم بعض الردع لأولئك الذين يرددون فى وقتنا الحالى وفى ظروفنا الحالية ما ذهب اليه الناقد فرانسيس سارسيه حين قال بأن الفن لا يرمى الى الاصلاح الخلقى وأن الغاية الأولى للفنانين جميعهم هى اخراج عمل فنى جميل ليس الا .

كما نستطيع أن نقدم بعضا آخر للذين يختفون وراء الكلمات الطنانة كحرية الأدب والفن وخلودهما من التصور العام لدى الاغريق عن مهمة الشاعر ودوره فى الحياة كنبى موكل اليه نقل رسالة ، لا كملك يتغنى وقت ما يشاء وكيف يشاء كما يرى الأستاذ عبد الحى دياب .

واذا كان ثمة ما يحمد للمؤلف فهو بلا شك اقدامه على الجهر بتلك الآراء والأحكام التى كنا نظن قد عفى عليها النسيان . وهذا ولا شك سيفتح مجالا واسعا لأن نقوم الفكرة بالفكرة ونقارع الراى بالراى ، ثم تحليله الرائع لعدد من قصائد مهرجان الشعر الرابع ، وديوان « ذكريات شباب » للدكتور عبد القادر القط .

وانى اذ اختتم هذه العجالة لأرجو أن يقف صديقنا عبد الحى دياب طويلا أمام هذه الأبيات من الديوان المذكور :

اسلمت للوهم أفكارى ووجدانى
وذقت فى هدر الأوهام سلوانى
أمضى مع الناس ، لاعينى مشاهدة
ما يشهدون ... ولا صوت بآذانى

عبدالفتاح سراج

سطور من كتاب

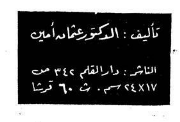
أضواء وآراء فى القومية والحرية والاشتراكية

تأليف الخيرى حماد

« تتطلب الثورة من الطلائع التى تخلقها ، أن تكون متصفة بالارادة والشجاعة ، ووضوح الهدف ، والتركيز المتعصب على القضايا الجوهرية ، أما الارادة والشجاعة فمن الصفات الانسانية ، ولعلها أقرب الى الغرائز منها الى التطبع والتكيف . وأما الصفتان الأخريان وهما وضوح الهدف والتركيز ، فمن المزايا الوضعية ، أى التى تخلقها الظروف الحياتية للشعب ، الذى تؤلف الطلائع انعكاسه القيادى . ومن هذا التقسيم بين صفات الثائرين ، تتبين الحقيقة التى أشرنا اليها قبل قليل ، وهى أن الثورات هى التى تخلق الثائرين . فالارادة تعنى التصميم ، والتصميم يعنى الاندفاع الثورى بحماسة وعزيمة ، وعدم القبول بالمهادنة ولعل هذه الصفة ، هى التى تخلق الفرق بين الثائر والسياسى ، وهو فرق يلعب دوره الأساسى فى تحديد معنى الثورة ، وتطابق الاسم أو الشعار ، مع الواقع والحقيقة . أما الشجاعة فصفة أخرى لابد منها لكل قائد ثورى من الطليعة ، سواء أكانت هذه الطليعة ، فردا أم مجموعة ، أم حزبا من الأحزاب .

الجوانية
أصول عقيدة وفلسفة ثورة





طلع علينا الدكتور عثمان أمين أخيرا بكتابه « الجوانية ، أصول عقيدة وفلسفة ثورة » والكتاب خلاصة تجارب صاحبه الروحية والعقلية ومداومة تقليبه النظر فى مختلف الفلسفات والمذاهب سنينا طويلة . ولكن المتتبع لكتابات الدكتور عثمان أمين فى الفلسفة ، قديمة أم وسيطة ، حديثة أم معاصرة ، يجد أن الجوانية منهجا ومذهبا ليست بالنسبة لصاحبها وليدة الأمس القريب أو اللحظة الحاضرة بل ان النظرة الجوانية كانت شائعة منتشرة فى تضاعيف مؤلفاته ، حتى جاء كتابه الأخير الموسوم « بالجوانية » فكان تقنينا لفكر صاحبه فى شكل عمل فلسفى أدبى ، فيه من الفلسفة القدرة على التحليل والتجريد مع احاطة شاملة بمختلف الفلسفات من القديمة الى المعاصرة ، وقدرة لا مزيد عليها على التبسيط عند عرض أو شرح مختلف المذاهب الفلسفية مهما كانت هذه المذاهب فى كتابات أصحابها الأصليين شديدة الغموض والتعقيد ؛ وفيه من الأدب اشراق العبارة ، واستقامة الأسلوب ، وصفاء الخيال . وظهور هذا الكتاب فى هذه الآونة بالذات يثير سؤالا له خطره وهو : الى متى سنظل

نعيش على الفلسفات الغربية دون أن تكون لنا فلسفتنا الشرقية الخاصة ؟ .

صحيح ان قضايا الفلسفة ومشكلاتها هى فى صميمها قضايا ومشكلات عالمية ، لان السؤال الذى يسأله الفيلسوف فى فرنسا مثلا هو نفسه السؤال الذى قد يستثير تأمل الفيلسوف فى مصر أو الصين ، ولكن لما كانت الفلسفة أولا وقبل كل شىء صدى للاطار الحضارى الذى تعيش فيه ، لما كان الأمر كذلك اختلفت بالتالى اجابات الفلاسفة على السؤال الواحد كل حسب اطاره الحضارى . ومن هنا تظهر الحاجة الى فلسفات تكون بمثابة الاطار العقلى لحضارتنا المعاصرة ، ولعل « الجوانية » ثمرة من الثمار المبكرة لهذه الفلسفات .

الجوانية أولا ليست مذهبا من مذاهب الفكر المغلق على نفسه والتى يدعى صاحبها أنه قد قال الكلمة الأخيرة حيث لا مجال بعد ذلك لاضافة أو تأويل ، **بل ان الجوانية منهج من مناهج الفلسفة يظل صاحبه دائما ابدا فى عداد القاصدين السالكين دون الوصول الى القطعية أو الحتمية .**

والجوانية عند أصحابها « طريقة فى التفلسف » بمعنى انها طريقة من طرق النظر الميتافيزيقى المؤسس على موقف سيكولوجى ألا وهو الشعور « بالوعى الانسانى وممارسة الحرية النفسية » ، وتسعى الى تعميق فهمنا للمقاصد والمعانى والقيم . وهى بهذا الاعتبار تمارس الوظيفة الفلسفية على الأصالة : التماس اللب والمبدأ والكيف والحق » (الجوانية ص ١٢٣) .

أما كون الجوانية « طريقة فى الحياة » فمعنى ذلك أنها منهج من مناهج الحياة تشيد عليه الأخلاق الانسانية ، الأخلاق الجوانية تستوحى أسسها من الضمير الانسانى بضرب من الحدس الميتافيزيقى الذى يستشف به الانسان السلوك الأخلاقى الذى يجب عليه التزامه بين مختلف أشكال السلوك البرانى ، وفى هذا الالتزام بما يوحى به الجوانى تكشف الأخلاق الجوانية عن كونها أخلاق ارادية أولا وقبل كل شىء ولا ضمان لتحقق هذه الأخلاق الجوانية الا بتحقق مقولتى الوعى الانسانى والحرية النفسية ، فبدون الوعى لا يشعر الموجود البشرى بضرورة تحقيقه لمثل أخلاقى أعلى ، وبعدم توافر الحرية النفسية لا يستطيع هذا الموجود البشرى أن يختار السلوك الذى يتفق مع جوانيته بين مختلف أشكال السلوك البرانية الاخرى .

وتعالج الجوانية مشكلة المعرفة معالجة أقرب ما تكون الى المثالية التصوفية ، فليست الحواس وحدها هى كل أدوات المعرفة ، التى زودبها الانسان ، بل هنا ما هو كائن وراء المعطيات الحسية المباشرة والذى لا يمكن الكشف عنه الا بضرب من الحـدس أو الذوق أو الرؤية « وبديهى أن هذه الرؤية ليست هى الرؤية الحسية الفزيولوجية ، بل هى رؤية روحية نفسية ، هى الرؤية بالعين « الداخلية » أو « عين البصيرة » كما يقول الغزالى أو « بعيون الروح » كما كان أفلاطون يقول » (الجوانية ص ١٢٧) .

هناك اذن ضربان من المعرفة ، أحدهما معرفة « من الداخل » وهى تلك المعرفة التى تتم بهذا الحدس التأليفى الجوانى الذى هو أقرب ما يكون الى التذوق الفنى حيث لا تقف العين المدركة عند مجرد الأشكال أو الألوان أو الشيات بل تتعدى ذلك كله الى صميم أو كنـه العمل الفنى نفسه ، تحاول أن تستنطقه ما لم يفصح عنه مظهره الخارجى أو ينم عنه تركيبه البرانى .

أما الضرب الثانى من المعرفة فهو المعرفة من الخارج وهو « طريق المشاهدة الحسية أو التحليل المنطقى المؤديين الى « التفرج » على الأشياء أو ملاحظتها من الخارج » (الجوانية ص ١٢٩) .

وهذا الضرب من المعرفة هو وسيلة العلم التجريبى الذى يقف عند حدود المعطيات الحسية المباشرة يتناولها بالوصف والتحليل .

وقد يتبادر الى الذهن أن الجوانية دعوة ضد العقل أو العلم ، وهذا خطأ من أساسه وانما الامر على حقيقته هو أن الجوانية فلسفة تقر العقل وتسلم بنتائج العلم وتأخذ بمشاهدات الحس ، ولكنها لا تريد أن تقف عند حدود هـذه المعرفة كلها ، بل هى تتجـاوزها وتتخطاها الى ما وراءها . وهذا الماوراء هو جوانية الادراك المباشر أو هو الميدان الميتافيزيقى العريض الذى يجب على كل فلسفة — تكون جديرة بهذا الاسم — أن تقتحمه دون ما حرج أو تثريب .

فالجوانية تذهب مع العقل والعلم الى منتهى أشواطهما وغاية آمادهما حتى اذا استنفدت كل ما استطاعا أن يقدما من معرفة ، لم تتوقف هى بل تتعداهما الى الذوق الصوفى لاستئناف الكشف عما ند عن العقل والعلم معـا ؛

وهنا نقول مع الأستاذ العقاد « قد يظن أن طبيعة التصوف وطبيعة الفلسفة لا تتلاقيان ، وقد يصح ذلك فى التصوف الذى يقوم على رياضة الأخلاق وتهذيب السلوك ولا يتجه الى البحث فى معضلات الطبيعة وما بعد الطبيعة ، الا أنه لا يصح فى التصوف الذى يقوم على التأمل الطويل والبحث العويص ويذهب بالفكر الى غاية أشواطه لكى يلاقى بعد ذلك بين حدود الفكر وحدود الالهام . فان هذا التصوف مدد للفلسفة يتمم لها أداتها ولا ينقصها » .

(العقاد : فلسفة الغزالى) .

وليست هذه الدعوة دعوة جديدة خرجت بها «الجوانية» لاول مرة بل لقد دعى نفس الدعوة الامام الغزالى وأستأنفها الامام محمد عبده وأكدها الاستاذ العقاد من بعد . وقد رأى البعض أن الفلسفة الجوانية « تحاول أن تعيد الى عرش الفلسفة مفهومات الثنائية عن الانقسام الوجـودى الى ظاهر وباطن . وهى محاولة غريبة تطل برأسها متجاهلة كل مساعى الفكر الحديث فى اهمال التعارض بين المظهر والحقيقة وفى العمل على وصل هذين العالمين بعد كانت » (عبد الفتاح الديدى ، مجلة الثقافة ، العدد ٨٣) .

وصاحب هذا الرأى يعترف ضمنا بوجود تعارض بين عالمى المظهر والحقيقة ، ويعترف صراحة بضرورة اهمال هـذا التعارض والعمل على وصل هذين العالمين .

ونحن نرى أن مثل هذا القول الذى يتضمن الفصل بين عالمى المظهر والحقيقة انما هو محض وهم سببه البعيد

هو ترتيب شراح أرسطو لكتب المعلم الأول بحيث جاء كتابه في الفلسفة الأولى بعد كتابه في الطبيعة ، فظن البعض أن مجال بحث الميتافيزيقا منفصل تمام الانفصال - بل ومتعال - عن مجال الفيزيقا وظل هذا الوهم شائعا ومنتشرا لفترة طويلة في تاريخ الفلسفة .

أما صاحب « الجوانية » فلم يقل ذلك - وما كان له أن يقوله - لانه ليس في الفلسفة الجوانية وجودان ، وجود للاشياء في ذاتها ، ووجود للفكر مستقل عن الاشياء . ان الفلسفة الجوانية أولا وقبل كل شيء فلسفة مثالية معتدلة « **وان من مآثر المثالية الحديثة انها قصرت نظرها على الافكار الانسانية ، وجعلت المثال كامنا في الاشياء الخارجية ، والتمست وحدة المعرفة في الوعي الانساني** » . (الجوانية ص ٢٥٩) .

ان الادراك المباشر ليطلعنا على ما في العالم من تناقضات تفضي بدورها الى عديد من الثنائيات المتضاربة ، ولكن العقلية الفلسفية المثالية تتسع لكل هذه الاقطاب المتضادة المتنافرة ، ولا ترى فيها الا الوحدة والاتساق بدلا من التعارض والانقسام ؛ ولعل هذا هو ما قصده هيجل عندما قال « الواقعي كله عقلي ، والعقلي كله واقعي » .

والفلسفة الجوانية ترى أن الدين هو البعد «الجواني» للانسان ، حيث ظل الوجود البشري طوال تاريخه مشغولا بمسألة الاعتقاد ، بل ان تاريخ الانسانية الروحي هو نفسه تاريخ « الاعتقاد » بأوسع معانيه وخاصة الاعتقاد الديني . ولا يستطيع الانسان مهما كان موقفه العقلي من الدين عموما أن يصرف نفسه عن التفكير في مسألة الاعتقاد ، وحتى غلاة الشكوكيين والمرتابين والمترددين هم أنفسهم منغمسون في المشكلة بدليل أن كلا منهم يتخذ من الاعتقاد الموقف الذي يناسبه ، وسواء هاجم الدين أو أحجم عن قبوله مترددا فهذا لا ينفي عدم اهتمامه بمشكلة العقيدة اهتماما قد يفوق اهتمام المؤمن نفسه .

ولقد أفرد الدكتور عثمان أمين بحثا وافيا عن فلسفة اللغة العربية في تضاعيف كتابه « الجوانية » ، فاذا كانت اللغة العربية كما قال عنها الأستاذ العقاد « في طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية والغربية ، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز » (العقاد : اللغة الشاعرة ص ٦٠ - ٦١)

فاذا أردنا دراسة مقومات العقلية العربية ومكوناتها الثقافية والخصائص النفسية لأصحاب تلك اللغة ، اذا أردنا ذلك كله من خلال دراستنا لفقه اللغة العربية ذاتها فلا أصلح من المنهج الجواني وسيلة لتلك الدراسة .

وأول ما تطلعنا عليه الدراسة الجوانية لتلك اللغة هو أن تلك اللغة لغة مثالية على الاصالة ، تتجلى مثاليتها في أن « لغتنا في طبيعة بنيتها وتركيبها لا تحتاج الجمل الخبرية فيها الى اثبات ما يسمى في اللغات الغربية فعل الكينونة » (الجوانية ص ١٥٣) .

فالاسناد في اللغة العربية قائم على وجود علاقة ذهنية بين الموضوع والمحمول وهذه العلاقة **الذهنية** كافية بذاتها ولا داعي لقيامها **ماديا** عن طريق اللفظ المكتوب أو المسموع هو الحال في اللغات الهندو أوربية ، « ولعل هذا الاضطرار في اللغات الغربية الحديثة سبب من أسباب ما أعتاده الناس في الغرب ، من التماس شهادة خارجية حسية لكل قضية عقلية تحتمل الصدق أو الكذب » (الجوانية ص ١٥٤ - ١٥٥) .

ويرى الدكتور عثمان أمين أن هذه المثالية الاصلية انما هي نفسها ما كان يقصده ديكارت « بالكوجيتو » الديكارتي وهي ما كان يعنيه كانط بما سماه « بالثورة الكوبرنيقية » حيث أبان كلا الفيلسوفين ان الفكر هو المقياس الذي تقاس به الاشياء وان عالم الاعيان مقدود على قد عالم الاذهان . ويستطرد فيلسوف الجوانية في بحثه عن فلسفة اللغة العربية فيجد أن الفعل في هذه اللغة « لا يستقل بالدلالة بدون الذات ؛ والذات متصلة بالفعل في نفس تركيبه الاصلي » فليس ثمة فعل مصدري في اللغة العربية مستقل عن ذات الفاعل كما هو الحال في اللغات الهندو أوربية ؛ كذلك فان علاقة الاضافة في اللغة العربية علاقة ذهنية جوانية دون حاجة الى وجود أداة مادية تربط بين المضاف والمضاف اليه كما هو الحال في اللغات الأوربية الحديثة .

ويلاحظ الدكتور عثمان أمين كذلك أن تعريف البلاغة عند علماء اللغة كاليمني والسكاكي والجرجاني ، هو في حقيقة الأمر تعريف جواني يستشف البلاغة من باطن الكلام أو من كنهه دون الوقوف عند ظاهره أو برانيته ؛ فالبلاغة عند عبد القاهر لا تعرف الا « من حيز المعاني دون الالفاظ » .

ولما كانت الصدارة في اللغة العربية للمعنى أولا وقبل كل شيء دون اللفظ ، اذن فقد اتفقت فلسفة اللغة العربية مع صميم الفلسفة الجوانية التي دائما أبدا تتعدى الظاهر الى الباطن ؛ « وبعبارة أخرى نقول ان اللغة العربية تفترض دائما أن شهادة الفكر أصدق من شهادة الحس . وبتعبير فلسفي شائع لدى فلاسفة العرب ومتكلميهم نقول ان العربية ، بطبيعة بنيتها وصياغتها ، تقرر أن الماهية متقدمة على الوجود » . (الجوانية ص ١٥٧) .

وفي رأي مؤلف « الجوانية » أنه لما كانت فلسفة اللغة العربية تفترض أولانيا أن كل قول اذا كان قولا جادا فينبغي له أن يكون بمنزلة الفعل أو أن يهيء قائله أو سامعه للفعل المرتقب - وبديهي أن الفعل يقتضي الحركة ويستلزم **الخفوف** - ولما كان الأمر كذلك فقد امتنع البدء في اللغة العربية بالحرف الساكن .

والآن وبعد أن حاولنا أن نجمع أطراف الفلسفة الجوانية وتطبيقات المنهج الجواني على مجالات الأخلاق وفلسفة اللغة ؛ نعيد ما سبق أن قلناه في مقدمة هذا المقال ألا وهو ؛ اننا لنحتفي بهذه الفلسفة الوليدة لانها صورة من صور اطارنا الحضاري الشرقي ومثل من امثلة الفكر الفلسفي المعبر تعبيرا « جوانيا » أصيلا عن روح هذه الامة وثقافتها .

حسام الخادم



● بدأ « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة يشق الطريق الذى شقه من قبل « المجمع العلمى العربى » بدمشق و « المجمع العلمى العراقى » ببغداد ، طريق نشر التراث العربى. وهذا جهد يقابل بالتقدير والشكر ، وتعاون جميل مع بقية الهيئات الثقافية فى مصر والأقطار العربية التى تبذل جهودا جبارة فى سبيل احياء هذا التراث العظيم ، فقد نشر هذا المجمع أخيرا كتابا حققه أحد أعضائه الموقرين وهو الأستاذ عبد الله كنون ، من علماء « المغرب » الأجلاء .

والكتاب هو « **عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب** » لأبى بكر محمد بن أبى عثمان موسى الحازمى ـ نسبة الى « حازم » جده ـ **الهمذانى** حيث ولد المؤلف بطريق همذان، وحمل اليها ، ونشأ بها سنة ٥٤٨ هـ أو ٥٤٩ هـ . ثم استوطن بعد ذلك بغداد ، ومات بها سنة ٥٨٤ وهو شاب . واهتم بالحديث وارتحل فى طلبه الى عدة بلاد من العراق ، ثم الى الشام والموصل وبلاد فارس واصبهان وهمذان وكثير من بلاد أذربيجان ، وصنف فيه وفى غيره كتبا مفيدة ، منها : «الناسخ والمنسوخ» فى الحديث ، وكتاب « الفيصل » فى مشتبه النسبة ، وكتاب « العجالة » فى النسبة ، وكتاب « ما اتفق لفظه وافترق معناه » فى الأماكن والبلدان المشتبهة فى الخط ، وغير ذلك من الكتب .

وهذا الكتاب الذى حققه الأستاذ عبد الله كنون وعلق عليه وفهرس له ، يتناول أصول الأنساب العربية وتفرعاتها ، وقد رتبه المؤلف على حروف المعجم ، وارجع كل نسب الى أصله ، وذكر فى كل نسب شخصا أو اكثر ممن ينتسبون اليه من الصحابة والتابعين والعلماء والشعراء والفرسان وغيرهم .

وهذا الكتاب ـ على اختصاره ـ يعتبر بمثابة المعجم الصغير ، أو المفتاح لمعرفة انساب المشاهير من الرجال مع ضبطها وتحريرها .

● يصدر عن « دار المكشوف » ببيروت كتاب « **لبنان : تاريخ شعب** » الذى وضعه بالفرنسية الدكتور عادل اسماعيل القنصل العام اللبنانى فى ميلانو ، واستعرض فيه تاريخ هذا القطر العربى الشقيق منذ أقدم العصور الى العهد الحاضر ، محلى بصور تمثل بعض الآثار القديمة والحديثة هناك ، وبرسوم للشخصيات البارزة من ابنائه ، وهذا الكتاب يعطى صورة واضحة وفكرة عامة للذين يفدون على هذا البلد من شتى أقطار العالم ، وليس لديهم صورة كاملة ومركزة وصادقة عنه غير مشوهة .

يقدمه مدير التحرير

وللدكتور عادل اسماعيل – وهو حائز على على دكتوراه الدولة من جامعة باريس – كتاب ضخم الفه بالفرنسية فى خمسة أجزاء عن **تاريخ لبنان** ظهر منه ثلاثة اجزاء ، وله كتاب **آخر بالعربية** اشترك فى تأليفه مع المرحوم الأستاذ أميل خورى الذى عاش فى مصر فترة من حياته وقد أخرجا منه ثلاثة اجزاء وهو يبحث فى السياسة الدولية فى العالم العربى من القرن الثامن عشر الى الآن ، ثم ظهر الجزء الرابع منه ، وقد تفرد الدكتور عادل بتأليفه بعد وفاة الأستاذ خورى . وهو يتناول الحياة السياسية فى هذه المنطقة من العالم العربى بدقائقها وبالوثائق التى تبودلت بشأن مصير هذه المنطقة ، وما كان يضمر لها من نوايا ، ويبيت لها من خبايا .

● وعلى ذكر « دار المكشوف » نذكر أن كثيرا ممن عرفوا صاحبها الأستاذ الشيخ **فؤاد** حبيش أديبا صحفيا حين كان يصدر مجلة « **المكشوف** » منبرا اسبوعيا لاقلام صفوة من ادباء الأقطار العربية من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٧ والتى أظهرت طائفة كبيرة من رواد القصة العربية بخاصة ونشرت مجموعات لهم – لم يعرفوا أن صاحبها كان جنديا ، وبهذه الصفة اشترك فى لجنة الفتها قيادة الجيش اللبنانى فى عهد اللواء الأمير شهاب الرئيس السابق للجمهورية اللبنانية ، وكانت هذه اللجنة تضم الشيخ فؤاد حبيش والشيخ عبد الله العلايلى العالم اللغوى وصاحب « المعجم » والأستاذ بطرس البستانى من كبار الأدباء فى لبنان ومؤلف كتاب « ادباء العرب » وعهد الى تلك اللجنة بوضع **معجم للمصطلحات العسكرية** اما بتعريبها من اللغات الأجنبية او وضع مقابل لها مما عرفه العرب أو اشتقاق الفاظ تؤدى معانيها . وقد استمر العمل فى هذا المعجم منذ عشر سنوات ، وأعدت تجاربه تمهيدا لاعادة النظر فيه وتنقيحه على ما جد واستوحى من معان حديثة واضافة كلمات جديدة اليه ، وهو يشمل مختلف فروع الجيش وأسلحته من رجالة الى مدرعات ، ومن بحرية الى طيران الى هندسة وغير ذلك . ومن المنتظر الا تقل مصطلحاته عن ٢٠ الف مصطلح او تعبير . ويؤمل أن تنشر اللفظة فى المعجم باللغة العربية ومقابلها بالفرنسية والانجليزية مع شرح للمعنى العربى من الوجهة العسكرية .

● وقد صدر فى بيروت عن « دار العلم للملايين » معجم جديد من تأليف الأستاذ جبران مسعود بعنوان « **الرائد** » وضع على الطريقة نفسها التى ذكرناها فى هذا الباب من العدد التاسع من هذه المجلة الصادر فى شهر فبراير سنة ١٩٥٦ حين أشرنا الى معجم « **الرائد الصغير** » الذى بدات « الدار المصرية للتأليف والترجمة » فى طبعه ، ورتبت مادته على حروف الهجاء دون نظر الى أصولها ، وهو فى طريقه الى الصدور .

● وفى مصر حيث يعيش احد علماء ليبيا وهو الأستاذ الشيخ الطاهر احمد الزاوى صاحب كتابى « تاريخ الفتح العربى فى ليبيا » الذى نشرته « دار المعارف » فى طبعتين ويعد من المراجع الهامة فى تاريخ هذا القطر الشقيق ، و « أعلام ليبيا » الذى نشرته « دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى » عكف هذا العالم على « **القاموس المحيط** » للفيروزابادى فقام بترتيبه على أوائل الكلمات لا على أواخرها

كما هو فى الأصل ليتيسر على الباحث الكشف عما يريد ، وأخرج هذا الترتيب الجديد فى أربعة أجـزاء .

وفكر خلال هذا العمل فى أن يخرج من هذا المعجم الكبير معجما صغيرا ييسر على الطلاب وجمهرة المتأدبين والباحثين الذين لا يملكون من الوقت ما يمكنهم من البحث فى المعاجم الكبيرة واكتفى فى هذا الاختصار من المواد الطويلة بالمتعارف فى الاستعمال ليفهم القارىء صحة أو خطأ ما يستعمله المجتمع من الفاظ ، مستغنيا عن كثير مما لم يألفه المجتمع العام ولا تدعو الحاجة الى استعماله ، وحذف أسماء الأشخاص والبلدان والأماكن والحيوانات وصفاتها مما ألف فيه كتب خاصة يمكن الرجوع اليها ، وراعى فى ذلك اختيار الكلمات القريبة الى فهم الطالب ومتناول المجتمع مما تكثر الحاجة اليه وتحديد ما تختلف لهجات الشعوب العربية فى مسمياته أو النطق به ، أو يوجد عند بعضها ولا يوجد عند البعض الآخر ، وحافظ فى هذا الاختيار على عبارة « القاموس المحيط » لتظل للمختار قوة الأصل ، ولم يزد عليها شيئا الا ما كان من تفسير ضمير أو ذكر معطوف فيه تقريب المعنى للقارىء . وجعله فى طريقته كطريقة ترتيب القاموس التى انتهجها ، أى على أوائل حروف الكلمات ، وسماه **« مختار القاموس »** وقد طبعه فى « مطبعة عيسى الحلبى » فى دقة وعناية فى مجلد كبير .

وللأستاذ الزاوى جهود فى نشر التراث العربى ، فقد نشرت له « دار احياء الكتب العربية » كتاب **« الكشكول »** للعاملى بعد أن قام بتحقيقه فى جزءين .

ويعمل الآن مع الأستاذ محمود الطناحى فى تحقيق كتاب **« النهاية فى غريب الحديث »** لمجد الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وهو أخو المؤرخ عز الدين صاحب « التاريخ الكامل » والأديب ضياء الدين صاحب « المثل السائر » . وقد نشرت منه «دار احياء الكتب العربية» ثلاثة أجزاء وبقى منه الجزء الأخير .

● ويشترك الأستاذ محمود الطناحى أيضا مع الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو ـ الذى قام منذ عامين بتحقيق **« ديوان ابن المقرب »** أحد أمراء البحرين فى القرن السادس الهجرى ـ بتحقيق كتاب **« طبقات الشافعية الكبرى »** تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين على السبكى الذى ولد فى القاهرة سنة ٧٢٧ هـ ثم رحل مع أبيه حين ولى منصب قاضى القضاة بالشام ، وخلف أباه بعد ذلك على القضاة وتوفى سنة ٧٧١ هـ .

وقد ألف السبكى فى هذه الطبقات ثلاثة كتب : « الطبقات الكبرى » و « الطبقات الوسطى » ثم « الطبقات الصغرى » . فأما « الطبقات الكبرى » التى تنشر محققة الآن فتشتمل على مقدمة ، وسبع طبقات ، يترجم فى كل طبقة منها لأعلام مائة سنة . وقد استوفى فى المقدمة مباحث عامة ، وناقش مسائل فى الحديث ، ونقد الرجال ، والنحو ، بل انه ليعرض لقضايا علم الكلام فيقدمها ويبين الآراء ، وذلك فى استقصاء شامل وسرد منهجى . وقد ناقش كذلك آراء العلماء فى رواية الشعر وانشاده وسماعه ، وما أنشد منه بين يدى الرسول الكريم وروى عن صحابته وعن العلماء وما روى منه عن الشافعى نفسه .

وكان هذا الكتاب قد نشر سنة ١٣٢٤ فى ستة اجزاء يشيع فيها التصحيف والتحريف . وقد رجع المحققان فى الطبعة الجديدة ـ التى تنشرها « دار احياء الكتب العربية » وظهر منها جزءان ويوشك الثالث على أن يلحق بهما ـ على نسخة محفوظة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كان ممن تملكوها الحافظ بن حجر وغيره من العلماء ، وكان لجهودهم فى تنقيحها أثر طيب وفائدة جليلة للمحققين ، كما رجعا الى نسخة اخرى فى دار الكتب والى « الطبقات الوسطى » المؤلف نفسه . واقتصر الجزء الأول من هذه الطبعة على مقدمة المؤلف ، واشتمل الثانى على الطبقتين الأولى والثانية ، ثم ينطوى كل جزء من الأجزاء الستة الباقية على طبقة من الطبقات السبع .

● ويقوم الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو — بعد أن نشر كتاب « **التمثيل والمحاضرة** » لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — بدراسة آثار هذا الرجل تمهيداً لتقديم رسالة الماجستير عنه . كما قام بتحقيق كتاب « **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا** » للشهاب الخفاجي ، وهو تراجم لشعراء عصره في الشام والمغرب ومكة واليمن ومصر .

● صدرت أخيرا للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله مجموعة أقاصيص عنوانها « **خيوط النور** » لتنضم الى الذخيرة التي قدمها هذا القاص الموهوب الذي احتل مكانة مرموقة في عالم القصة عن جدارة ، فهو الى جانب الجمال الفني الذي تمتاز به قصصه ، صاحب أسلوب ادبي رفيع . وقد صدرت له من قبل مجموعات عديدة منها : « لقيطة » ، « شجرة اللبلاب » ، « بعد الغروب » ، « سكون العاصفة » ، « الوان من السعادة » وغيرها .

● وتنشر « مكتبة مصر للطباعة والنشر » — التي أخرجت « **خيوط النور** » — لونا آخر من أدب الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، وهو كتاب يضم مجموعة من **الأحاديث** مع الأدباء الرواد أمثال : الدكتور طه حسين ، الأستاذ عباس محمود العقاد ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الدكتور حسين فوزى ، الأستاذ يحيى حقى ، الأستاذ محمود تيمور ، الدكتور محمد كامل حسين ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ؛ وذلك حول القصة والأدب ، مع مقدمة ضافية في هذا الموضوع .

● وفي أدب **الأحاديث** نشر في سلسلة « كتاب الهلال » خلال الشهر الماضي كتاب عنوانه « **عشرة أدباء يتحدثون** » للأستاذ فؤاد دوارة ، وهي احاديث اجراها الأستاذ دوارة مع عشرة من رواد الفكر والثقافة المعاصرين ، ومنهم ستة من الذين تحدث اليهم الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله وهم : الدكتور طه حسين والدكتور حسين فوزى والأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ محمود تيمور والأستاذ يحيى حقى والأستاذ محمد فريد ابو حديد ، وأربعة آخرون هم الأستاذ فتحى رضوان والأستاذ عزيز اباظه والأستاذ نجيب محفوظ وفقيد الفكر المرحوم الدكتور محمد مندور ، وحديثه معه هو المادة التي رجع ويرجع اليها الآن دارسو مندور ، وقد دار الحديث قبل وفاته بأشهر خمسة ، وما كنا نقدر أننا سنكسب بهذا الحديث شيئا ذا قيمة ونخسر بعده شيئا لا تقدر قيمته .

ويقول الأستاذ فؤاد دوارة : « انني لم أعن بمناقشة هذه الآراء وتحليلها لأني أعتقد أن ذلك خارج عن نطاق هذا الكتاب ومهمته . ان المنهج العلمي السليم يقضي بأن يبدأ الدارس بعرض وجهة نظر الاديب او المفكر بأمانة كاملة حتى ولو لم يكن يقرها ، فاذا تم له ذلك شرع في الدرس والتحليل والمناقشة . وقد حقق هذا الكتاب جانب العرض على خير وجه ، اذ قدمه على السنة الأدباء أنفسهم وبكلماتهم ، وترك جانب الدرس والتحليل والمناقشة لسواه ، أو لدراسات أخرى تستعين بهذه الأحاديث التي لم تخل مع ذلك من شيء من التحليل والمناقشة تمثلت في بعض الأسئلة التي وجهتها الى المتحدث لاستيضاح نقطة أو اعتراض على اخرى » .

● « من تجربة الريف تكون للشاعر موقف محدد من الحياة ومشاكل الانسان ، واصبح فنانا منتميا انتماء انسانيا — لا مذهبيا — فيه وعي ورحابة وعمق وايمان بالمثل العليا ، بالعدالة والاشتراكية» . هذه عبارة لخص بها الأستاذان احمد لطفى ومحمد البخارى شعر الأستاذ حسن فتح الباب الذى ظهر ديوانه الجديد يحمل عنوان « **فارس الأمل** » ، ويحمل في أولى قصائده التحية الى هذا الفارس رائد الاشتراكية العربية . ويصف مقدما الديوان في كلمتهما البناء الشعرى عند حسن فتح الباب بأنه يتميز بقسمات واضحة ، فهو دائما بناء درامى فيه تفاعل وحركة ونبض ، يأخذ طابع الملحمة العاصفة او القصة القصيرة الوادعة ، ويزخر بالحوار والترديدات وتقطيع المشاهد او المزج الانتقالى فيما بينها .

وانى لأستسمح صاحب هذا الديوان أن أتخذ من مناسبة ظهور ديوانه — وهو يحمل من عناصر

القوة فى التعبير وفى تطويع الموسيقى ، وفى انتقاء اللفظ ــ فرصة توجيه النظر الى أن كثيرا ممن استعصت عليهم دقة العبارة وجمال اللفظ وحلاوة الرنين قد اتخذوا من هذا الشكل الجديد للشعر ميدانا للسخف والهبوط بالشعر الى مرتبة اقل من مرتبة النثر البدائية ، وقد رأينا كتاب النثر فى العشرينات من هذا القرن يرتفعون بنثرهم الى سماء الشعر ، وستكون النتيجة هى أن يبتلى هذا الشكل الجديد بطائفة لا هى بالشاعرة ولا بالناثرة ، كما ابتلى الشعر فى بعض مراحله بطائفة النظامين الذين أفسدوا جمال الشعر فى شكله الباقى على الزمن ، وكلا الطائفتين خطر داهم ، ولكن اكتشاف الميكروب فى الشعر العمودى أيسر من اكتشافه فى الشكل الجديد الذى تسربوا اليه .

● يعنى المستشرق الفرنسى الأستاذ شارل بيلا Ch. Pellat أستاذ العربية فى السربون عناية خاصة **بآثار الجاحظ** فقد نشر فى « حوليات معهد الدراسات الشرقية » **وثيقة من الجاحظ لتاريخ الاسلام السياسى** ، ونشر فى مجلة «أرابيكا» كتاب « **التبصرة بالتجارة** » ، وكتاب « **التربيع والتدوير** » وقد نشره المعهد الفرنسى بدمشق ، وطبع له فى مصر كتاب « **القول فى البغال** » الذى قام بتحقيقه والتعليق عليه . ونشر فى مجلة « المشرق » « **لعبة أدبية منسوبة الى الجاحظ** ».

وتنشر له الآن « دار المكشوف » ببيروت **فصولا للجاحظ** لم تنشر من قبل .

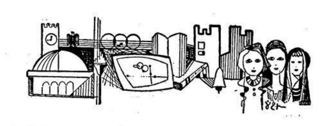
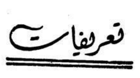
كما يقوم الآن بتحقيق كتاب « **الأمصار وعجائب البلدان** » للجاحظ .

● أما المستشرق الأمريكى الدكتور مارسدن جونس مدير معهد الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية فانه قد قام بتحقيق « **كتاب المغازى** » الذى الفه الواقدى أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وكان مقربا الى الخليفة المأمون ، وكان عالما بالحديث والمغازى والفتوح . وهذا الكتاب يروى غزوات الرسول الكريم .

وتطبع الآن الطبعة الجديدة المحققة ، بمطابع « دار المعارف » فى القاهرة ، فى ثلاثة مجلدات .

حسن كامل الصيرفى





تاليف : جوزيف جارلاند
ترجمة : عبد المنعم سلام
الناشر : دار نهضـة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٣١ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٥ قرشا

« ان المعرفة التى وصلنا اليها من أقدم الأزمان تكون جديدة لدى كل منا حينما ندركها لأول مرة ، وعلى أساس هـذه النظرة قد تكون المعلومات التى تضمها الصفحات التالية من هذا الكتاب جديدة فى نظر بعض القراء بنفس القدر الذى يجعلها معلومات قديمة عند البعض الآخر » .

هـذه العبارة التى وردت فى مقدمة الكتاب تعبر عن الخطة التى سار عليها المؤلف فيه . فعلم الحيوان وهو الفرع الآخر الكبير فى علم الأحياء العام ابتداء من الكائنات ذات الخلية الواحدة علم واسع المدى عميق ، يحتاج الى دراسات عديدة وشروح مستفيضة ، لبيان ما غمض فيه ولمعرفة حقائق تستجد بتوالى هذه الدراسات والشروح .

وهذا الكتاب يهم القارىء غير المتخصص أولا والعالم بعد ذلك ، لأن المؤلف عالج موضـوع الحيوان بأسلوب واضح يتفق مع الحقائق العلمية المعروفة ، فيبدأ بالحديث عن التطور ثم الحيوانات الأوليـة أو السفلى والديدان تليها الحيوانات ذات الجلود الصلبة والحيوانات المفصلية وفى الباب السابع يأتى الحديث عن الفقاريات الأولية خاصة ما يعيش منها فى البحر ثم البرمائيات وهى حلقة هامة فى سلسلة التطور اذ بعدها ظهرت الزواحف ثم الطيور ، وثمة شبه كبير بين الزواحف والطيور ، فالقشـور أو الحراشيف عند الأولى تحولت الى الريش عند الثانية .

وآخر مرحلة من مراحل التطور تمثل مرحلة الثدييات من ذوات الدم الحار والشـعر الذى يغطى اجسامها ، وأكثرها يلد صغاره . وتندرج تحت مجموعة الثدييات عدة قبـائل هى الثـدييات الكيسية والثـدييات المشيمية والثدييات آكلة اللحوم والثدييات الحافرية ، وأخيرا تأتى الرئيسيات وهى الليمور والقرود بأنواعهـا لتتصدرها الانسان ممثلا أعلى مراحل الكائنات الحيـة وأرقاها فى العالم .

« لقد كان للديناصورات فى تاريخ الحياة السيطرة على الأرض لمدة مليون عام ، والآن أصبحت السيطرة للانسان منذ بضـعة آلاف من السنين فقط . ولكن بقاء هذه السيطرة لا يتوقف كثيرا على قـدرات الانسـان على وضع مصادر قوة الطبيعة فى خدمته بقدر ما يتوقف على حكمته فى المحافظة عليها ، وعلى قدرته على أن يستمر فى الحياة الى الأمام متعاونا مع غيره من بنى جنسه » .



تاليف : الدكتور يحيى الجمل
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ المكتبة الثقافية ـ قطع صغير ١٠٥ صفحة
ث قرشان

يعد الاتجاه نحو العالمية احد السمات العامة للعصر الذى نعيشه الآن ، وتلاشى طابع العزلة الذى كان يميز بعض دول العالم فى العصور التى سلفت ، واضحى لزاما على الانسانية أن تبحث عن الوسائل اللازمة للوصول الى ما يعرف بالمجتمع العالمى من أجل تحقيق السعادة لأجيال الانسان .

يعالج هذا الكتاب اذن قضية هامة من قضايا العصر ، وهى قضية المجتمع الدولى ، منذ الارهاصات الأولى له ، حتى اتخذ أخيرا سماته الواضحة ، ممثلة فى هيئة الامم المتحدة واللجان المتفرعة منها .

فمتى نشأ المجتمع الدولى ؟ .

تختلف الآراء فى نشوئه ، والاتجاه السائد الآن أن المجتمع الدولى له جذوره المرقة فى القدم ، وهو الاتجاه الذى يميل اليه الأستاذ المؤلف ، وكل التطور الذى جد على المجتمع الدولى فى العصر الحاضر ما جرى به من التنظيم والتعقيد حتى أصبح عصرنا يعرف « بعصر التنظيم الدولى » .

واذا كان المؤلف قد استعان بالتاريخ فى دراسته لتطور المجتمع الدولى ، فان لنا عليه هنات لا يسلم منها غير المتخصص ، لكننا لا تهبط بالمستوى العام للكتاب وعدا هذا فان المؤلف أعطى لهيئة الأمم المتحدة اهتماما خاصا فى كتابه ، على أنهـا تمثل المرحلة الأخيرة فى مراحل تطور المجتمع الدولى ، وهذا أمر نحمده فيه ، كما انه بين ما لها وما عليها دون ما تحامل أو تعصب ، لكنه لم يهتم بعصبة الأمم الاهتمام الكافى خاصة وانها لعبت دورا كبيرا فى الحد من التوتر الدولى فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية .

ولكن ماذا تكون النهاية لهذا التطور ؟ .

هذا ما يجيب عليه المؤلف فى آخر كتابه ، يحدوه الأمل فى أن تنشأ حكومة عالمية ذات نظام واحد ، وتخضع بقانون واحد ، تعيش فى ظلها شعوب العالم كافة ، وقد تطهرت من نزعات الشر ومن أسباب العدوان .

الاستعمار والتحرير في العالم العربي

تأليف : الدكتور جمال حمدان

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ المكتبة الثقافية ـ ١١٠ صفحة قطع صغير .

ث قرشان

يتناول هـذا الكتاب قضية الاستعمار والتحرير فى العالم العربى تناولا جديدا ، يعد فريدا من نوعه بالنسبة للكتب الاخرى التى بحثت فى هذا الموضوع . ولعل السبب فى هذا أن المؤلف ـ وهـو أستاذ متخصص فى الجغرافية السياسية ـ قد طبق منهجه العلمى فى بحثه ، واستطاع من خلاله أن يأتى بجديد ، وأن يفلسف المادة التى يعطيها لنا ويبتكر مصطلحات جديدة ترتبط بها . ووصل بأفكاره المدونة الى مستوى احتياجات القارىء فى حياته اليومية ، والى المستوى الادبى الذى يمنح المتعـة ويهـذب الوجدان .

والاستعمار بمعنـاه العلمى المعروف بدأ منـذ عصر الكشوف الاوروبية ، وبلغ قمته فى القرن التاسع عشر ، وهو عصر التكالب الاستعمارى المعروف ، على انه كانت له ارهاصات بدأت مع الحروب الصليبية التى كانت ذات طابع اقتصادى الى جانب الطـابع الدينى لها ، ومع الاستعمار العثمانى الذى اتخذ الدين ستارا يخفى به نياته العدوانية السافرة .

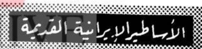
ويشرح المؤلف الأنماط العامة للاستعمار الحديث ، ويقسم القوى الاستعمارية الأوروبية الى قوى عتيقة تمثلها أسبانيا والبرتغال ، وقوى عتيدة تمثلها فرنسا وبريطانيا وقوى وليدة تمثلها ألمانيا وايطاليا ، وهذه القوى جميعها تمثل تطور الحركة الاستعمارية منذ القرن السادس عشر حتى الحرب العالميـة الاولى . وتأتى بعـد ذلك القوى الجديدة ممثلة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ولا يغفل المؤلف أن هذا الاتجاه الأخير قد صاحبه زمنيا اتجاه آخر وهو اتجاه القوى الشريدة ممثلة فى الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل المزعومة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن أنواع الاستعمار ، وهى عنـده الاستعمار الاستراتيجى والاستعمار الاستغـلالى والاستعمار السكنى ، وهى الوعاءات التى صبت فيهـا القوى الاستعمارية السـابقة مع تفاوت فى الكمية وفى الترتيب الزمنى ، وتتصل أساسا بنظرية الاستعمار كما تتصل بالعالم العربى من حيث التطبيق .

واذا كان الحـديث عن الاستعمار هو البـاب الأول من الكتاب فان الحديث عن التحرير يشمل الباب الثانى منه ... طبيعته وتوقيته الزمنى والمدى الجغرافى له ، مع شرح أسباب التداعى المبكر للاستعمار فى المنطقة العربية ، وزحف التحـرير . وقـد خلص المؤلف الى « أن تاريخ التحرير يكاد يتناسب عكسيا مع تاريخ الاستعمار فكلما بكر الأخير كلما تأخر الأول » . ونلاحظ أن السبب الأول

فى هذا هو الاستعمار السكنى الذى مكن الاحتلال الفرنسى من البقاء مائة وثلاثين عاما فى الجزائر . ولا يمكن أن نغفل أن البترول كان ولا يزال له دوره الهـــــام فى التمكين للاســـتعمار الامريكى أو الاســـتعمار الحديث Neo Imperialism فى البلدان العربية التى يتوافر فيها « الذهب الأســـود » . بيـــد أن عوامل البيئة الطبيعية والصراع الاستعمارى العـــالمى كانت من أهم العوامل على اجتثـاث جذور الاستعمار من الأرض العربية .

وفى الفصل الأخير يعالج المؤلف بعض المشكلات التى خلفها الاستعمار بعد خروجه من المنطقة العربية أو ما يعرف بالخـــروج الأبيض White Exodus وأهـم ما خلق[طفيليات الاستعمار التى يمثلها على وجه التحديد وجود دولة يهودية غاصبة فى فلسطين ووجود « جزر أوربية فى المحيط العربى » . ويعترف المؤلف بأن الخروج الأبيض أدى الى اهتزاز عارض فى الحياة العامة والحضارة بالدول الحديثـــة ، الا أن هذا الاهتزاز لا يبقى طويلا ، ويأتى العنصر الوطنى ليملأ الفراغ ويجمع أشتات جهده من أجل البنـــــاء .



تاليف : احسان يار شاطر

ترجمة : محمد صادق نشأت

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ١٨٦ صفحة ١٧ × ٢٠

ث ٣٠ قرشا

من الضرورى جـــــدا للتعرف على تاريخ شعب من الشعوب وعلى ملامحه الأدبية العامة دراسة الأساطير التى تبقت لنا من الأحقاب المتبـاعدة دراسة وافية ، وتبيان العلاقات التى تربطها بعضها ببعض ، والحقائق التى تدل عليها ، والفترة التاريخية التى ذاعت فيها ، وأثر هذه الأساطير على الدين والأخلاق والأحوال الخاصة بالشعب الذى ابتدعها .

ومع اعترافنا بأهمية هذه الدراسات الا أنها لا تغنى عن تسجيل هذه الأساطير تسجيلا أمينا دقيقا لا تشوبه شائبة ، وتلك مرحلة من اللازم أن تسبق مرحلة الدراسة . وهذا الكتاب جامع لبعض الأساطير الايرانية القديمة مستقاة فى أغلبها من الأبستاق وهو كتاب زرادشت وشاهنامة الفردوسى ، وبعض كتب العرب التى تنـــاولت التـــاريخ الأسطورى لايران . وهو الى جانب هـــذا أعطانا دراسة نقدية مختصرة لكل أسطورة على حدة ، وهذا كله مما يفتح الباب للاستفادة من التراث الأسطورى للشعب الايرانى القـــديم .

وقد لعبت الأســـاطير الايرانية دورا كبيرا فى الثقافة العربيـــة بعد الفتح العربى لبـلاد الفرس والالتقاء المعروف بين الثقافتين العربية والفارسية . وهذه الأساطير ترتبط أساسا بمحاولة تفســـير الوجود على نحو ما والبحث عن سر الخليقة ومشـــكلة الانسان والصراع المرير الدائم بين الخير والشر ، والأمل فى أن يتحقق الفوز فى النهاية لقوى الخير ، ولن يكون هذا الا فى آخر الزمان فترتد البشرية الى عصورها الذهبية الأولى وتتحقق السعادة للانسان .

والكتاب الى جانب هذا مزين بالصور ، وموضوعاته مبوبة تبويبا جميلا ، ومكتوب بأسلوب شائق ، وترجمته العربية سليمة ، مما يشجع على قراءته والاستفادة منه .



تاليف : أحمد محمود سليمان

الناشر : الدار القومية — من الشرق والغرب — ١٤٦ صفحة ١٧ × ٢٤ .

ث ٢٠ قرشا

جاء فى كتاب الله العزيز « اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » « انما يخشى الله من عباده العلماء » « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وفى السنة النبوية الشريفة « طلب العلم فريضة على كل مسلم » « العلماء ورثة الأنبياء » « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

التوفيق بين العلم والدين موضوع جدير بالبحث ، وجدير أيضا بالاحترام ، والكتابة فيه فرض واجب على كل مسلم عالم يهدى النـــاس فى أمور دينهم ودنياهم ، ويخرج بهم من عالم الشك الى عالم الايمان واليقين . واذا كان التوفيق بين العلم والدين فرضا واجبا ، فهو أيضا ضرورة واجبة خاصة بعد التطور الحديث الذى جرى

فى العلوم وما ابتكر من جديد فيها وعاه عقل الانسان .

ومؤلف هذا الكتاب من المهتمين بالدراسات الدينية والدراسات العلمية معا ، فأنت لا تلمح فيه شخصية رجل الدين المبتعد عن أحوال الناس فى دنياهم العملية ، وانما تلمح فيه شخصية العالم الذى يستقرىء الأشياء ويردها الى العلاقات الطبيعية مع الدين . وقد سبق له أن ألف كتابا بهذا العنوان قبل سبعة عشر عاما أوضح فيه العلاقة بين القرآن الكريم والعلم فى ميادين الفلك والجغرافية والتاريخ .

وفى هذا الكتاب يعالج المؤلف العلاقة بين ما جاء فى القرآن وفى حديث النبى وسنته وبين التقدم الحاصل فى العلوم الطبيعية والبيولوجية والطبية وغيرها .

المادة من الممكن تجزئتها والريح أداة لتكاثر الكائنات والجو له ضغط يقل كلما صعدنا حتى يتلاشى . ومستوى الماء واحد رغم اختلاف القيعان . أما الموت فمنه تخرج الحياة ومنها يخرج الموت . والتطور : ان كل الكائنات ترتد فى الأصل الى الماء ، ومادتها لا تفنى . والفضاء من الممكن غزوه ، ولكن من غير الممكن غزو عوالم أخرى غير الأرض . والصوت طاقة جبارة تستخدم فى الحرب كما تستخدم فى السلم ، أما التلفزة أو الرؤية عن بعد فظاهرة من قصة المعراج ، والتأريخ للمستقبل ظاهر فى أحاديث الرسول . والتلباثى نراه فى قصة سارية الجبل .

ومصير اليهود جاء فى القرآن وفى الأثر ، ونشاهده اليوم فى بعض فصوله ونشاهد بقيتها غدا .

والأمراض . لقد نهانا الدين عن مباشرة الحائض والشذوذ الجنسى والمحرمات العشر ، وقص علينا قصة الجنين فى بطن أمه . وهذا كله ثبتت صحته فى ضوء العلم الحديث .

وبعد . ان فى القرآن اعجازا وفيه برهان على خلوده وصلاحيته لأجيال الانسان ، مهما بعد العصر وتطاول الزمان وفيه عظة لأولى الألباب وفيه أيضا اقرار بعظمة الله وعلمه المطلق الذى لا يصل اليه علم هذا العصر وعلماؤه مهما كثر عددهم وكثر ما فى جعبتهم من معارف ، ومهما زاد ما عندهم من امكانيات . على أن ما وصلوا اليه فعلا وما يصلون اليه غدا هو جزء من علم الله ، سجل فى القرآن شاهد صدق وعدل وشاهد ايمان ويقين .



كتب وردت للمجلة

● **الأسطورة**

تأليف فتحى هاشم ، الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات : ١٥٩ ص ١٤ × ٤٠ سم .

ث ٧ قروش

● **القارب الأخير**

تأليف : طه حواس ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة : عدد الصفحات : ٢٣٥ ص ، ١٤ × ٢٠ سم

ث ١١ قرشا

● **صخرة الرعد**

تأليف : روبرت آردى ، ترجمة : مرسى سعد الدين مراجعة : حسن محمود ، الناشر : الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١١٥ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٥ قرشا

● **حصاد المحيط ... مستقبل علوم البحار**

تأليف هيلين ولف فوجل وأخرى ، ترجمة زكريا فهمى ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ١١٨ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٥ قرشا

● **جسمك هذا الفريد**

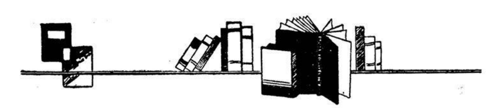
تأليف : روبرت فوليت ، ترجمة د . محمد خالد الشابندر ، الناشر : مكتبة الوفا بالموصل بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٣٤ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٥ قرشا

● **تقدم التلميذ فى المدرسة الابتدائية**

تأليف : ويلارد الزبرى ، ترجمة : د . محمد خليفة بركات ، مراجعة : محمد السيد روحه ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين عدد الصفحات : ١٩٤ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٦٫٥ قرشا



● **طفلك وسلامته**

تأليف : هارى ف . ديتريش ، ترجمة : د . معمر خالد الشابندر ، الناشر : مكتبة دار المتنبى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٦٠ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٥ قرشا

● **تدريس التاريخ**

تأليف : أبو الفتوح رضوان وآخر ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٦٠٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

● **فن الادارة والتوجيه فى ادارة الأعمال العامة**

تأليف : أردواى تيد ، ترجمة : محمد عبد الفتاح ابراهيم ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٢٦١ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٤٢ قرشا

● **الزمن وآل كونواى**

تأليف : ج بريستلى ، ترجمة : السيد حامد زعلوك مراجعة : د . عبد القادر القط ، الناشر : الألف كتاب بالاشتراك مع دار نهضة مصر ، عدد الصفحات : ١١٨ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٠ قروش

● **الأنداء المحترقة**

نظم : كمال النجمى ، الناشر : الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة التضامن العربى ، عدد الصفحات : ١٧٣ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٤ قرشا

● **أفريقيا أفريقيا قارة تقف على قدميها**

تأليف : درك كارتن ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع ، مراجعة : حسن لطفى المنفلوطى ، الناشر : الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات : ١٦٥ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ١٦ قرشا

● **الهند .. تاريخها .. تقاليدها .. جغرافيتها**

تأليف : محمد مرسى أبو الليل ، الناشر : الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب عدد الصفحات : ٢٨٧ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٣١ قرشا

● **عهد ومنهاج بين الشعب والقائد**

تأليف : مؤتمر الاتحاد الاشتراكى بديوان وزارة التعليم العالى ، عدد الصفحات ٦٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

● **فارس الأمل**

نظم : حسن فتح الباب ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات : ٢٦٩ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ٤٥ قرشا

● **الانسان فى المرآة**

تأليف : كلايد كلوكهون ، ترجمة : د . شاكر مصطفى سليم ، والناشر : المكتبة الأهلية . بغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٥٩٦ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ١٥٠ قرشا

● **سياسة الحكم (ج ١)**

تأليف : أوستن ترنى ، ترجمة : د . حسن على الذنون الناشر : المكتبة الأهلية . بغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٤٨٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ١٠٥ قروش

● **الشرق الأوسط فى الشئون العالمية**

تأليف : جورج لنشوفسكى ، ترجمة : جعفر خياط ، مراجعة : د . محمود الأمين ، الناشر : مكتبة دار المتنبى . بغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٤٨٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ١٤٤ قرشا

● **حكمة الأديان الحية**

تأليف : جوزيف كاير ، ترجمة : حسين الكيلانى ، مراجعة : محمود الملاح ، الناشر : دار مكتبة الحياة . بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات: ٣١٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٨٥ قرشا

● **ميدان بركلى**

تأليف : جون بولد وستون ، ترجمة : مرسى سعد الدين ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ١٥٤ ص ١٤ × ٢٠

ث ١٩ قرشا

● **الطفل الموهوب فى الفصل الدراسى العادى**

تأليف : ماريان شيفل ، ترجمة : د . محمد نسيم رأفت الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ١٧٠ ص ١٤ × ٢٠

ث ١٤٫٥ قرشا

● **ما وراء التاريخ**

تأليف وبليام هاولز ، ترجمة : د . أحمد أبوزيد ، الناشر : دار نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٥٦٢ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٧٥ قرشا

● **شجرة تنمو فى بروكلين (جـ ٢)**

تأليف : بيتى سميث ، ترجمة : د . نوال السعداوى الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين عدد الصفحات : ٧٤٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٥٠ قرشا

كل أبناء الله لهم أجنحة

تأليف : يوجين اونيل ، مراجعة : فايزه حكيم رزق مراجعة : حسن محمود ، الناشر : الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين عدد الصفحات ٩٠ ص ١٤ × ٢٠ سم

ث ١٢ قرشا

● **حقائق عن السرطان**

تأليف : دالاس جونسون ، ترجمة د . محمد سعد الدين الدرس ، الناشر : مؤسسة الخانجى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفات ٦٨ ص قطع صغير

ث ٦ قروش

● **علم نفسك الاعلان والنشر**

تأليف : بيتر شاندور ، ترجمة : رمزى يسى وعزت فهيم ، الناشر : دار الفكر العربى عدد الصفحات : ٢٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٣٥ قرشا

● **التوجيه فى المدرسة**

تأليف : دونالدج مورتنش وآخر ، ترجمة د . ابراهيم حافظ ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٥٤٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ١٢٢ قرشا

● **نشر الكتاب فن**

تأليف : تشاندلرب . جوانيس ، مراجعة : حبيب سلامه ، الناشر : النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات : ٥٢٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٦٠ قرشا

● **أرض الخطايا**

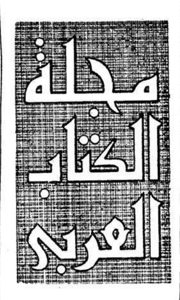
تأليف : أمين يوسف غراب الناشر : الدار القومية ، عدد الصفحات : ٢٠١ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٣٥ قرشا

● **المجانين**

تأليف : أحمد سعيد ، الناشر : الدار القومية عدد الصفحات : ٣١١ ص ١٧ × ٢٤ سم

ث ٤٠ قرشا



العدد السادس عشر
١٠ سبتمبر ١٩٦٥
١٤ جمادى الأولى ١٣٨٥

رئيس التحرير
على أدهم

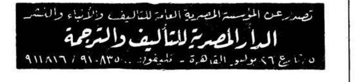
مدير التحرير
حسن كامل الصيرفى

سكرتير التحرير
جمال بدران

الاشتراك السنوى عن ١٢ عددا بالجمهورية العربية المتحدة
١٢٠ قرشا - الاشتراكات عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة
٥ ميدان عرابى - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

فى هذا العدد

صفحة

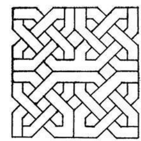


ديوان ابن دراج القسطلى

يتسم الشعر العربي في مختلف عصوره بسمة المحافظة والحرص على اتباع التقاليد المأثورة ، وقد أخذ عليه ذلك من بعض الوجوه ، وزين لبعض النقاد أن يتهموه بضيق المجال والجمود ، ولكن الواقع أن طبيعة المحافظة والاستمساك بالتقاليد البادية في الشعر العربي لا تفضمنه بوجه عام ، ولا تزرىبه ، وقدصانته من الامعان في الاسفاف والابتذال حينما عدت العوادى على العالم الاسلامى، وأصابه الضعف، ولفته غياهب الظلام ، **والمحافظة واحترام التقاليد في الشعر شيء ، والاتباع الأعمى وفقدان الشخصية شيء آخر ، والثورة على التقاليد في الأدب قد لا يكون مردها على الدوام الى حب الاستقلال ، والرغبة في اقتحام المجاهل ، وغزو العوالم الجديدة ، فقد يكون سببها العجز والتقصير ، وقلةالصبر علىالدرس والتحصيل، واليأس من الاتقان والتجويد** ، وقد كان أعلام المجددين في الأدب الغربى الذين استطاعوا أن يحدثوا حدثا ، ويأتوا بشيء ذى قيمة ممن حذقوا الأدب ، واتقنوا دراسته ، وتشبعوا بروحه في مختلف ادواره ومتباين عصوره .

والعناية بالتقاليد في الأدب مسألة هامة ، لأنها تتضمن تقوية الحاسة التاريخية ، وتوسيع حدود التجارب الانسانية ، ومحاولة ربط الحاضر بالماضى ، وهذا الاتصال بين حياة الغابرين السابقين وحياة المحدثين اللاحقين يمكننا الى حد ما من تحديد مكانة الشاعر أو الكاتب ، ووزنه وتقدير أدبه ، وفى التجاوب بين الماضى والحاضر مجال للجدة والطرافة ، فالحاضر يؤثر في نظرنا الى الماضى ، والماضى يؤثر كذلك في الحاضر وفهمنا له .

وقد لوحظ في الأدب الأندلسى بوجه عام أنه مر بمرحلتين بارزتين ، كان في المرحلة الأولى شديد المحافظة مسرفا في التعلق بالتقاليد ، وقد انتهت هذه المرحلة على وجه التقريب في القرن الخامس الهجرى بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس وبدأت المرحلة الثانية التى انتهت باجلاء المسلمين عن اسبانيا ، وفى خلال تلك المرحلة قويت ثقة الأدب الأندلسى بنفسه ، واعتز بشخصيته ، فأحدث ضروبا من التجديد في بحور الشعر وأوزانه وقوافيه وصوره وأشكاله ، ولكنه ظل مع ذلك محافظا على الكثير



حققه وعلق عليه :
الدكتور محمود علي مكي

طبع على نفقة :
صاحب السمو العالم الجليل الشيخ
علي بن عبد الله آل ثاني

منشورات المكتب الاسلامي بدمشق
٦٣٢ صفحة - ١٧×٢٤ سم

بقلم رئيس التحرير

من تقاليد الأدب العربي ، **ولا نزاع في أن الاتجاهات الأدبية تتأثر بالأحداث السياسية ، والأحوال الاجتماعية بوجه عام ، وقد كان العرب في بادىء أمرهم قلة في بلاد الأندلس بين عناصر متباينة ، وأخلاط شتى ، وفي مثل هذا الموقف المحفوف بالأخطار كانت ترغمهم غريزة حب البقاء على شدة المحافظة على لغتهم ، وسائر مقومات شخصيتهم ، ومن ثم شدة استمساكهم بالتقاليد وتشبثهم في المحافظة عليها** ، وفضلا عن ذلك فقد كانت الأسرة التي اضطلعت بأعباء الحكم وتوجيه السياسةفيالمرحلة الأولى هي الأسرة الأموية المعروفة بتعصبها للعرب ، ولكن حينما اقبل القرن الخامس كانت اللغة العربية قد ذاعت وتوطدت الى حد لا بأس به فيما أرجح باسبانيا ، وأخذت تظهر من ناحية أخرى نزعة تشبه النزعة القومية ، وربما كانت أقرب الى الوطنية المحلية ، فقلل ذلك من حدة سلطان التقاليد ، وان لم يفز بالخروج الصارخ عليها ، والانطلاق المسرف من قيودها .

وفي طليعة شعراء الأندلس الذين مثلوا المرحلة الأولى أقوى تمثيل الشاعر الأندلسي البارع القدير أبو عمر **أحمد بن محمد القسطلي** ، أحد شعراء الأندلس المعدودين ، والمحافظة على التقاليد ظاهرة في شعره القوى الآسر ، والذى يدل على تمكين من اللغة ، وتصرف في فنون البيان ، ومعرفة صميمة بماضي الأدب العربي الذى تقدمه قليلة النظير .

وقد أعجب به معاصروه ، والنقاد القدامى أيما أعجاب ، ووفوه حقه من التقدير ، فالشاعر الناقد ابن شهيدالذي عاصره يقول عنه « والفرق بين ابى عمر وغيره ان ابا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لأحرار الألفاظ ، وسعةصدره ، وجيشبحره ، وصحة قدرته على البديع ، وطول طلعته في الوصف ، وبغيته للمعنى وترديده ، وتلاعبه به وتكريره ، وراحته بما يتعب الناس ، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس »

وأبو حيان المؤرخ الأندلسي الكبير يقول عنه « ابو عمر القسطلي سباق حلبة الشعراء المعاصرين ، وخاتمة محسني اهل الأندلس

أجمعين ، وكان ممن طرحت به تلك الفتنة الشنعاء واضطرته الى النجعة فاستقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيرة الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى يهز كلا بمديحه ، ويستعينهم على نكبته وليس منهم من يصغى له ، ولا يحفظ ما أضيع من حقه » .

وقد ترامت شـــهرة القسطلى الى المشرق فذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ــ وكان معاصرا له ــ قائلا « كان بصقع الأندلس كالمتنبى بصقع الشام ، وهو أحد الفحول ، وكان يجيد ما ينظم ويقول » ، وقد نقل فى الجزء الثانى من اليتيمة بضع قصائد له : وابن خلكان يقول عنه فى وفيات الأعيان « وهو معدود فى تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين » .

وابن بسام يقول عنه فى الذخيرة « كان أبو عمر القسطلى وقته لسان الجزيرة شاعرا وأولا حين عد معاصريه من شعرائها المشهورة ، وآخر حاملى لوائها ، وبهجة أرضها وسمائها ، وأسوة كتابها وشعرائها ، له عقد فخرها المحمول وسهم ، وبه بدىء ذكرها الجميل وختم ، حل اسمه من الأمانى محـل الأنس ، وســار نظمه ونثره فى الأقاصى والأدانى مسير الشمس ، وكانت الشام والعراق أدنى خطى ذكره » .

وقد ذكره ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الذى عقده ليوضح ان أهل الأمصار قاصرون فى تحصيل الملكة اللسانية البيانية وعده أحد من قويت فيهم هذه الملكة بكثرة المعاناة والامتلاء من المحفوظات ، اللغوية نظما ونثرا ، مثل ابن حيان المؤرخ وأمام أهـل الصناعة فى رأى ابن خلدون ومثل ابن عبد ربه .

أما النقـاد المحدثون فانهم لم يقبلوا أحكام النقـــاد القدامى على أنها مسلمات ، فالدكتور أحمد ضيف يقول عن القسطلى « لم يكن شاعرا فطريا يقول الشعر عن شـعور صحيح أو دافع نفسى ، وانما هو مقلد بارع حتى فى المعانى التى لم يشعر بها نفسه ، وفى وصف الأمكنة التى لم يرها الا فى كلام الشعراء ، فهو من الذين اتخذوا الشعر صناعة لفظية وآلة من آلات الكلام ليمدح به من يريد » .

والدكتور أحمـــد أمين يقول عنـــه وعن ابن شـــهيد وابن هانىء « وفى الحقيقة أنك اذا قرأت شعر هؤلاء الثـلاثة ادركت أن شعرهم من رأسهم ، على حين أنك تشعر أن شعر الغزال وابن زيدون .. وأمثالهما من قلبهم لا من رأسهم وفرق بين الصوت القوى الأقرع الذى يخرج من الرأس ، وبين الصوت الحنون الذى يخرج من القلب » .

والتقديرات الأدبية من الأحكام القيمية التى قد تختلف فيها الآراء تبعا لاختلاف المشارب والأذواق ، وأرجح الرأى الذى ذهب اليه الدكتور أحمد هيكل فى كتابه القيم عن الأدب الأندلسى ، فهو يقول « والذى يدل عليـــه ما بقى من شعر القسطلى أنه كان شـاعرا يؤثر الاتجاه المحافظ الجديد الذى كان على رأسه فى المشرق أبو الطيب المتنبى ، على ان القســطلى لم يكن كالمتنبى فى حكمته وعمق معانيه ، وانما كان مثله فى التمسك بعمود الشعر العربى القـديم ، وايثـار المنهج التقليدى فى بنـاء القصيد ، وتفضيل الصور المنتزعة من البيئة العربية البدوية ، واختيار اللفظة الجزلة والعبارة الفخمة والأداء الرنان ، كل ذلك مع صقل الشعر بالثقـــافة ، واثرائه بالمعرفة ، وتهـذيبه بما وصـل اليه المجتمع الاسلامى من حضارة ، فالقسطلى كابن هانىء فى ايثـــاره الاتجاه المحافظ الجديد ، وتفضيل مدرسة المتنبى على ما سواها من مدارس ، غير أن القســطلى يخالف ابن هانىء أيضـا ، فهو معتدل الفكرة ، واضح العبارة ، قريب الخيال ، وليس كابن هانىء فى حـــدته الفنيـة ، ولا فى مذهبيته العقيدية » .

وقد ولد ابن دراج القســطلى فى سنة ٣٤٧ هجرية بقسـطلة أو قسطلة دراج التى نسب اليها ، وقد اختلفت اراء الباحثين حول تحديد موقعهـا ، فالحميرى فى الروض المعطار يقول عنها انها « قرية فى غرب الأندلس منها أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلى ، ودراج هو الذى تنسب اليه القرية فيقال قسطلة دراج ، وابن سعيد ــ كما ذكر الدكتور مكى فى المقدمة القيمة التى كتبها للديوان ــ يلح على كون قسطلة

من عمل جيان ـ وهى أقرب الى شرق الأندلس منها الى غربها ـ ولكن معظم الباحثين يرجحون ما ذكره الحميرى ، وهذه القرية فى هذا العصر داخلة فى حـدود البرتغال من أعمال منطقة الجرف المأخوذة من كلمة الغرب العربية وهى على شـاطىء المحيط الأطلسى ، ويميـل الدكتور مكى الى ترجيح رأى ابن سعيد ، وهو ان قسطلة دراج موطن أبى عمر من عمـل جيان وذلك لثقته من معرفة ابن سـعيد بجغرافية اقليم جيان والمناطق المجاورة لها فضـلا عن انه اقدم من الحميرى .

ولم تذكر المراجع العربيـة شيئا عن نشأة ابن دراج وأساتذته الذين أخذ عنهم ، والظـاهر انه لم يلتفت اليه ويعنى بذكره الا بعد اتصاله بالحاجب المنصور بن أبى عامر ، ومهما يكن من الأمر فان تلك الفترة التى ولد فيها القسطلى ونشأ كانت من خـير الفترات فى تاريخ الأدب الأندلسى ، فقد رافقت العهد الأخير من حكم الناصر وخلافة الحكم المستنصر وجانبا من خلافة هشام المؤيد ، وكانت الدولة الأموية الأندلسية قـد استقرت قواعدها ، وعظمت فى النفـوس هيبتها ، على أثر الجهود العظيمة التى بذلهـا الخليفة الناصر لفرض طاعته ، والقضاء على الثورات ، وتوطيد دولتـه ، وازدهرت الحياة الاقتصـادية تبعـا للاستقرار السياسى ، وغير عجيب أن يتبع ذلك تقـدم فى الحياة الأدبية وعالم الفكر ، واصبحت قرطبة فى ذلك العهد نجعة القصاد ، وموئل العلماء والأدباء والشعراء .

ويقول الدكتور مكى ان منطقة جيان بوجه خاص كانت تربة خصبة للشعر والشعراء ، فمنها نشأ اول شـاعر اندلسى تميز بالأصالة وقوة الشخصية ، وهو يحيى بن الحـكم الغزال ، وبطبيعة الحال كان ابن دراج فى مستهل حياته يتبع طريقة الدراسة التى كانت مألوفة فى ذلك العصر ، وهى حفظ القرآن ودراسـة مبادىء النحو والصرف واللغة والأدب والأخبار والأنساب والفقه فى حلقات الدرس التى كان يعقدها العلماء فى الجوامع ، وليس من المستبعد أنه كان فى عهد دراسـته وتكوينه الأدبى يتردد من الحين الى الحين على قرطبـة ليفيد علما وأدبا وتجربة فى تلك العاصمة الزاهرة الحافلة .

ويمكن أن نسـتدل من شعر ابن دراج على ان دراسته الأدبية كانت دراسة وافية شـاملة عميقة مستوعبة ، وبرغم أنه ينتسب الى أسرة منحـدرة من اصـل بربرى ينتمى الى قبيلة صنهاجة الشهيرة الا أن شعره يدل على سليقة عربيـة سليمة ، واستعداد ادبى صميم زادتها جدية الدراسـة والعكوف على الاطلاع ومعرفة اوابل اللغة وشواردها .

والظـاهر أن القسـطلى حينما نضجت شاعريته ، وقويت ثقته بنفسه ، رأى أن يقدم على اقتحام بلاط الحاجب المنصور بن أبى عامر ، وهو يعلم أن سـدة المنصور كانت مزدحمـة بالشعراء والنقاد واللغويين والنحـاة والفقهاء ، وكان المنصور بن أبى عامر على كثرة اشـتغاله بالغزوات الحربية والمشـكلات السياسية معنيا بالأدب والثقـافة ، محبا للعلم ميـالا الى تكريم الكتاب والشعراء والعطف عليهم ، ولكنه فى الوقت نفسه كان لا يسمح لشـاعر او عالم بالمثول بين يديه الا بعد أن تختبر موهبته ، ويثبت امتيازه وتفوقه ، وقد روى لنا صاحب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » الاختبار القاسى الذى أجرى على صاعد البغدادى حين قدومه الى قرطبة وغشيانه بلاط المنصور وحضوره مجلسه الأدبى العامر .

ويقول الدكتور مكى « **ان امتحان الشعراء بين يدى المنصور كان يتم على صور مختلفة ، اما ان يفاجأ الشاعر بالمنصور يقترح عليه ارتجال قطعـة فى موضوع يعن له ، وكثيرا ما كان الأمر يتعلق بوصف لشىء من اثاث أو زهر أو فاكهة ممـا يوجد فى مجلسه ، او وصفا لحادثة طارئة تقع تحت سمع المجتمعين وبصرهم ، واما ان يقترح على الشاعر أن يعارض قصيدة مشهورة لشاعر كبير من شعراء المشرق ، واما ان يعقد ندوة تضم الشاعر وبعض نقاده او المعترضـين عليه للجدل والمناظرة** » ، وقد كان للمنصور مجلس معروف فى يوم معين من كل أسبوع «يجتمـع فيه اهل العلوم للكلام فيه بحضرته ما كان مقيما بقرطبة » ، وكثيرا ما كان يتم اختبار الشعراء

فى أمثال هذه المجالس ، ويتوقف على هـــذه الامتحانات مصير الشاعر ، فاذا اثبتت التجربة قوة عارضته ، وحضور بديهته ، وذرابة لسانه فى الجواب ، ورسوخه فى علوم اللغة والأدب ، استحق ان يثبت فى « ديوان العطاء » ، وهكذا يصبح « شـاعرا رسـميا » يجرى عليه راتب منتظم ، وقد كان للشعراء المثبتين فى هـــذا الديوان « زمام » على ما يذكر الحميدى ، ويبدو أن هذه الكلمة يقصد بها ترتيب للشـعراء فى طبقات تتفاوت باختلاف مدى اجادتهم ، وقد كان زمام الشعر موكولا فى أيام المنصـور الى عبد الله بن مسلمة ، وكان رئيسا كاتبا جليـلا ناقدا للشعر ، وعلى يديه كانت تخرج صـلات الشعراء ورسومهم ، وعلى ترتيبه كانت تجرى أمورهم » .

وحينما اتصل ابن دراج بالمنصـور وضعت فى طريقه العقبات ، واستهدف لأمثال هـــذه الاختبارات ، وقد اقترح عليه مرة أن يرتجـل أبياتا فى وصف طبق تفاح أحيط بأزهار البهار فنظم على البديهة الأبيات الآتية :

يا حبذا خجل التفاح فى طبق
منضـد بجنى الزهر متسق
فيه عميون بهار قد أحطن به
نواظرا بجفون العاشق الأرق
كأن ما احمر من تفـاحه خجلا
بدر بدا قطعا من حمرة الشفق
فى مجلس الملك المنصور يانعة
كانما غذيت من جوده الفدق

والشعر المرتجل فى أغلب الأحيان ليس من جيد الشعر مهما كانت قدم الشاعر ، وقد كان المتنبى كثير الاستهداف لمثل هذه الاختبارات فى مجلس سيف الدولة وغيره من الأمراء والأعيان الذى كان يقصدهم قبل اتصاله بسيف الدولة وبعد اتصاله به ، ومعظم شعره المرتجل انزل منزلة من شـعره الذى كان يسـهر جفنه فى تجويده واحكامه .

وكانت أول قصيدة أنشدها ابن دراج فى حضرة المنصور قصيدته التى يقول فى مطلعهـا

اضاء لها فجر النهى فنهاها
عن الدنف المضنى بحر هواها

وقد استهلها بالغزل جريا على الطريقـة التقليدية فى البدء بالغزل والتخلص منـه الى المديح ، وقد اشار فى هذه القصيدة الى رحلته من بلده قاصدا المنصور وتركه زوجته وأسرته فقال

ولله عزمى يوم ودعت نحـوه
نفوسا شجانى بينها وشجاها
وربة خـدر كالجمان دموعها
عزيز على قلبى شطوط نواها
وبنت ثمـان ما يزال يروعنى
على النأى تذكارى خفوق حشاها
وموقفها والبين قد جد جده
منـوطا بحبـلى عاتقى يداها
تشكى جفاء الأقربين اذا النوى
ترامت برحلى فى البـلاد فتاها
واقسم جود العامرى لير جعن
حفيا بها من كان قبل جفـاها
ورامت ثـواء من أب وثواؤه
على الضيم برح من شمات عداها
وأنى لها مثوى أبيها وقد دعت
بوارق كف العـامرى أباهـا
ينى اليـك اليوم عنى فانهـا
عزائم كف العـامرى مداها

والظاهر انه بعد انشاد هذه القصيدة التى اعجب بها المنصور من غير شك حاول الحسـاد والمنتفعون من كرم المنصور ان يبعدوا هـــذا المنافس الجديد بالنيل من شاعريته ، والتشكيك فى قدرته ، وكان أقرب طريق الى ذلك اتهـامه بسرقة الشعر وانتحـاله ، وقـد اضطر ذلك القسطلى الى انشاء قصيدته البائية التى اشـار فيها الى ذلك ومطلعها :

حسبى رضاك من الدهر الذى عتبا
وجـود كفيك للحظ الذى انقلبا

وقد أشار الى هذا الاتهام ودافع عن نفسه بقوله :

حاشى لقدرك ان أزجى الثناء له
دعوى واهدى اليه الدر مفتصبا
لكنها همم انشأتها نعما
نشاكها بنفيس القدر فاصطحبا
ولست اول من اعيت بدائعه
فاستدعت القول ممن ظن أو حسبا
ان امرأ القيس فى بعض لمتهم
وفى يديه لواء الشعر ان ركبا
والشعر قد أسر الأعشى وقيده
خبرا وقد قيل «والأعشى اذا شربا»
وكيف اظما ــ وبحرى زاخر فطنا ــ
الى خيال من الضحضاح قد نضبا
فان نأى الشك عنى أو فهالنذا
مهيأ لجلى الخبر مرتقبا
عبد لنعماك فى كفيه نجم هدى
سار بمدحك يجلو الشك والريبا
ان شئت أملى بديع الشعر او كتبا
او شئت خاطب بالمنثور او خطبا
كروضة الحزن أهدى الوشى منظرها
والماء والزهر والأنوار والعشبا
أو سابق الخيل أعطى الحضر متئدا
والشد والكر والتقريب والخببا
سبكته عامرى السنخ منقطعا
اليك من سائر الآمال منقضبا
فحق للعلم ان يزهى به فرحا
وحق للشعر ان يشدو به طربا

وقد كانت قدرة ابن دراج فى النثر لا تقل عن قدرته فى الشعر ، والفصول التى اختارها ابن بسام فى الذخيرة من نثره تؤيد ذلك ، وقد استهلها ابن بسام بقوله « وقد أتيت من شعره بما يبهر نبرات الألباب ، ويظهر خفيات الأسباب ، ومن نثره ما يبهر العقول ، ويباهى الفرر والحجول ، ويسامى التيجان والأكاليل ، ويستأهل التقليد والتأويل » وقليل من الشعراء من استطاع أن يجمع بين التفوق فى كتابة النثر ونظم الشعر ، فالبحترى والمتنبى مثلا وهما فى طليعة شعراء الأدب العربى لا نكاد نعرف لهما نثرا ، وقد كان البحترى يرد على بعض الرسائل التى ترد اليه من اصدقائه بالشعر ، وقدرة ابن دراج فى النثر ساعدت على اتخاذه من كتاب الرسائل فى ديوان الانشاء .

وقد طلب اليه المنصور معارضته قصيدة ابى نواس فى مدح الخصيب حينما قصده فى مصر وكان المنصور شديد الاعجاب بها ، فنظم ابن دراج رائيته المشهورة وقد ارتفع فيها الى مستوى أبى نواس ولم يقصر عن مداه ، ومطلع قصيدته :

دعى عزمات المستضام تسير
فتنجد فى عرض الفلا وتغور

وقد ابدع فيها فى وصف وداعه لزوجته وطفله الذى كان فى المهد بقوله :

ولما تدانت للوداع وقد هفا
بصبرى منها انة وزفير
تناشد فى عهد المودة والهوى
وفى المهد مبغوم النداء صغير
عيى بمرجوع الخطاب ولفظه
بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت
له أذرع محفوفة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع
وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيها وقادنى
رواح لتد آب السرى وبكور
وطار جناح الشوق بى وهفت بها
جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيورا فاننى
على عزمتى من شجوها لغيور

ويمضى فى وصف رحلته قائلا :

ولو شاهدتني والصواخد تلتظى
على ورقراق السراب يمور
اسلط حر الهاجرات اذا سطا
على حر وجهى والأصيل هجير
واستنشق النكباء وهى بوارح
واستوطىء الرمضاء وهو تفور
وللموت فى عيش الجبان تلون
وللذعر فى سمع الجرىء صفير
لبان لها انى من الضيم جازع
وانى على مض الخطوب صبور

وقد قضى ابن دراج فى كنف المنصور وولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن قرابة سبعة عشر عاما ، وفى الديوان مجموعة من القصائد التى نظمها فى مدح المنصور والاشادة ببطولته ، ووصف المعارك التى خاض غمارها ، وعقد له فيها لواء النصر ، والحصون التى اقتحمها ولم تصده عنها مناعتها ، وهى تذكرنا بوصف المتنبى لجهاد سيف الدولة ومواقفه المأثورة فى صد عادية الروم ، وكان اعجاب ابن دراج بالمنصور وتقديره لشخصيته الفلاة المنيفة لا يقل عن حب المتنبى لسيف الدولة واكباره لشجاعته وحسن تدبيره وسداد رايه ، **والشعراء بحسهم المرهف مطبوعون على الاعجاب بالبطولة ، ونوادر الخلال الكريمة ، والشيم الغراء** ، ولا نزاع فى ان هذا الوصف الملحمى يلقى جانبا من الضوء على حياة المنصور وتاريخ عصره ، وقد صاحب المنصور فى الغزوة المشهورة التى وجهها الى شنتياقب فى سنة ٣٨٧ وقد وصف ابن دراج هذه الوقعة فى رسالة مشهورة كما سجل هذا الانتصار فى احدى قصائده العامرية .

وقد ظل ابن دراج على ولائه للبيت العامرى بعد وفاة المنصور فى سنة ٣٩٢ ومدح ابنيه بقصائد عدة حتى سقطت الدولة العامرية ، وقد مدح وزير عبد الملك بن المنصور المسمى عيسى ابن سعيد اليحصبى المعروف بابن القطاع ، وقد بدأ هذا الوزير حياته كاتبا للمنصور ، والظاهر ان ابن دراج لم يجد عنده ما كان يؤمله من حسن الرعاية وجميل التقدير ، وقد عاتبه ابن دراج فى قصيدته اللامية التى استهلها بقوله :

أفى مثلها تنبو أياديك عن مثلى؟
وهذى الأمانى فيك جامعة الشمل

ولما اتهم ابن القطاع بالسعى فى هدم الدولة العامرية ، والعمل على تنصيب الأموى هشام ابن عبد الجبار وبادر عبد الملك بالقضاء على الفتنة وقتل ابن سعيد لم يستطع ابن دراج اخفاء شماتته بمصرعه فهنأ المظفر بقصيدة مطلعها :

شكرا لمن أعطاك ما أعطاكا
رب اذل الملك الاملاكا

ومنها فى الاشارة الى مصرع ابن سعيد :

قل للمصرع لالما من صرعة
وافيتها بغيا على مولاكا
تبا لسعيك اذ تسل معاندا
لخلافة السيف الذى حلاكا
حببت لوتك انفس مظلومة
كانت منيتهن فى محياكا

وقد طغت الفوضى وتعاقبت الفتن بعد سقوط الدولة العامرية بمصرع عبد الرحمن بن المنصور سنة ٣٩٩ واضطربت الأمور اضطرابا شديدا ، وحار الشعراء والأدباء فى أمرهم ، واضطر ابن دراج الى الخضوع للأمر الواقع ومصانعة الظروف القاسية ، فلما أعلن المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار ثورته توجه اليه ابن دراج مادحا بقصيدة مطلعها :

قل للخلافة قد بلغت مناك
ورايت ما قرت به عيناك

وقد وصف سوء حالته وحرج موقفه فى هذه القصيدة بقوله :

وانا الشريد وظل عزك موئلى
وانا الأسير وفى يديك فكاكى
ادب اضاء المشرقين وتحته
حظ يئن اليك انة شاك

ولكن المهدى لم يلبث قليلا حتى ثار عليه سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين وانضم اليه البربر ، وانتصر المستعين على المهدى فى معركة فنتيش سنة ٤٠٠ وهرب المهدى الى طليطلة ، واستمر الصراع بينهما حتى قتل المهدى بتدبير انصاره ، واعتلى المستعين عرش الخلافة مرة ثانية فى سنة ٤٠٣ ، وكان ابن دراج فى خلال تلك الفتنة الهوجاء وهذا الصراع الدامى والفوضى المستحكمة الذى استمر ثلاث سنوات يرجو انفراج الأزمة وانقشاع الغمة ، وظل فى قرطبة ، فلما جاء المستعين الى قرطبة وقد ساءت حالة ابن دراج قصده مادحا فيمن قصده من الشعراء وانشده داليته التى يقول فى مطلعها :

شهدت لك الأيام أنك عيدها
بك حن موحشها وآب بعيدها

واتبعها بقصيدة ثانية وثالثة ولكنه لم يظفر من المستعين بطائل ، ومدحه بعد ذلك بأبيات بث فيها أله وشكواه ، وهى تبين لنا الى أى حد بلغت أحواله من السوء ، فهو يقول فى مطلعها :

بلغت عبدك الخطوب مداها
يوم تبليغك النفوس مناها

ولما يئس من سليمان قصد القاسم بن حمود أحد وزرائه واسناده فلم يجد لديه ما كان يؤمل، فقرر مغادرة قرطبة الى أخيه على بن حمود ، وانشده لاميته التى مطلعها :

لعلك يا شمس عند الأصيل
شجيت لشجو الغريب الذليل

وكان حينذاك قد قارب الستين ، وعاد من سبتة وقد انقطع رجاؤه من الحموديين ، ورأى أن يقصد الموالى العامريين من الصقالبة فى شرق الأندلس ، وتنقل فى تلك الفترة بين المرية وبلنسية وشاطبة وطرطوشة مسترفدا أمراء هذه المدن ، وقد مدح خيران العامرى الذى استولى على المرية من سنة ٤٠٥ الى سنة ٤١٩ بقصيدته النونية المشهورة ومطلعها :

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران
وبشراك قد آواك عز وسلطان

وقد صور فى هذه القصيدة الويلات التى حلت بالأندلس من جراء الفتنة ، وفيها يقول :

الأهل الى الدنيا معاد وهل لنا
سوى البحر قبر او سوى الماء اكفان
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا
من الأرض مأوى أو من الانس عرفان
وصرف الردى من دون أدنى منازل
تباهى الينا بالسرور وتزدان
تقسمهن السيف والحيف والبلى
وشطت بنا عنها عصور وازمان

وبعد أن خابت آماله فى الأمراء العامريين ولم يشفع له عندهم صلته القديمة بمولاهم المنصور اتجه الى سرقسطة لائذا بحمى منذر بن يحيى التجيبى القائم بالأمر فيها وذلك بعد أن ظل ثمانى سنوات مشردا يعانى الفاقة والحرمان ، وقضى عشر سنوات فى بلاط منذر وابنه يحيى ، ونعم خلال هذه المدة بشىء من الهدوء والاستقرار مكنه من أن ينظم الكثير من قصائده العصماء فى مدحهما ، وكان منذر وابنه يحيى يحسنان الى حد ما تذوق الشعر وتقديره ، ولم تخل قصائده فى تلك الفترة من الحنين الى أيامه الذوائب فى ظل رعاية المنصور ويصف ابن حيان مافعله اضطراب الأحوال بالأندلس بابن دراج بقوله « وكان ممن طرحت بتلك الفتنة الشنعاء واضطرته الى النجعة فاستقرى ملوكها أجمعين مابين الجزيرة الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى يهز كلا بمديحه ويستعينهم على نكبته ، وليس منهم من يصغى اليه ، لا يحفظ ما اضيع من حقه وارخص من علقه ، وهو يخبطهم خبط القضاة بمقولة ، فيصمون عنه ، الى أن مر بعقوة منذر ابن يحيى أمير سرقسطة ، فألقى عصا سيره عند من بوه ورحب به واوسع قراه ، فلم يزل عنده وعند ابنه بعده ، مادحا لهما ، مثنيا عليهما ... الى أن مضى لسبيله » ولا يستبعد الدكتور مكى أن تكون العلاقات قد ساءت بين ابن دراج وبين يحيى بن منذر ، وانه اضطر الى الاستجارة بمجاهد العامرى صاحب دانية ويرجح انه مات بها فى سنة ٤٢١ هجرية .

وقد خلف لنا ابن دراج فى ديوانه مجموعة من القصائد مفرغة فى قوالب متينة السبك قوية

البناء ، تدل على أصالة فى الشعر ، وسيطرة على اللفظ ، واطلاع واسع على شذور اللغة ، وهو أطول نفسا من المتنبى ، وان كان المتنبى أعمق منه حكمة ، وقد كان يجيد الوصف وبخاصة وصف الرحلات التى تجشم متاعبها وعانى صعابها ، وسعة اطلاعه على الشعر العربى كانت تجعله فى بعض الأحيان يقترب فى اللفظ والمعنى من الشعراء الذين تقدموا عصره مثل قوله :

ولئن جنيت عليك ترحة راحل
فأنا الزعيم لها بفرحة آيب

فهو قريب من قول أبى تمام :

وليست فرحة الأوبات الا
لموقوف على ترح الوداع

وقوله فى القصيدة التى عارض بها قصيدة المتنبى فى مدح ابن العميد :

يا من تكبر بالتكرم قدره
حتى تكرم أن يرى متكبرا

فقد نظر فيه الى قول أبى تمام :

فتى كان عذب الروح لا عن غضاضة
ولكن كبرا أن يقال به كبر

وشعره فضلا عن بلاغته له قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، فهو يصور الكثير من الأحداث التى وقعت بالأندلس فى حالتى القوة والتماسك وحالة الضعف والانحلال وابتداء السقوط والانحدار .

وقد كان أدباء العروبة يتساءلون كثيرا عن ديوان القسطلى ويأسفون على عدم قدرتهم على العثور عليه ، ويخشون أن يكون قد ضاع فى خلال الأحداث المحزنة التى أصابت الأندلس والمغرب ، ولا شك فى أن قراء العربية مدينون بالشكر والتقدير لصاحب السمو العالم الجليل الشيخ على عبد الله آل ثانى الذى طبع الديوان على نفقته وللأستاذ الفاضل الدكتور مكى الذى قام بتحقيق المخطوط وبذل فى ذلك وسعه وكتب للديوان مقدمة وافية تعد من خير المراجع لدارسى أدب القسطلى .

على أدهم

فضل العرب

تأليف : المؤرخة الألمانية المعاصرة :
الدكتورة سيجريد هونكه

ترجمة وتعليق :
الدكتور فؤاد حسنين على

الناشر : دار النهضة العربية بالقاهرة

هذا كتاب يجىء تأليفه وترجمته فى أحسن الأوقات ملاءمة للقومية العربية وصراعها ضد محاولات طمس فضلها فى حمل مشاعل الحضارة والثقافة فى الأدوار التاريخية المختلفة وخاصة تاريخ العصور الوسطى قبيل عصر النهضة الأوروبية التى قبست من تلك المشاعل ومضت بها حتى انتجت الحضارة الحالية التى تنسب الى الغرب ، وان كان قد اشترك فى انمائها وازدهارها أمم أخرى من غير الغرب .

وقد حفل هذا الكتاب بالدلائل والشواهد التاريخية البليغة التى تدحض كل ما حاول أعداء العرب والاسلام أن يروجوا له ويبثوه فى أذهان الناس ، من أن العرب والمسلمين ليس لهم دور فعال فى الحضارة والثقافة غير دور (ساعى البريد) ، فلم يضيفوا شيئا لما نقلوه عن الأمم السابقة ذات الحضارة كاليونان والرومان والهند والفرس .

والمادة الغزيرة التى يفيض بها الكتاب فى كل مقال ، لا شك أنها تأتى فى هذه الآونة مددا عظيما

شمس الله على الغرب

أو

شمس الله على الغرب

للدعاية العربية ودعمها لمواجهة الدعايةالصهيونية والاستعمارية التى تنشط أجهزتهـا فى بثهـا واذاعتها لتبرهن لدى الجاهلين والسطحيين على أن الصهيونية انما تقتحم فلسطين وما حولها من أرجاء الوطن العربى لتملأ فراغا حضـاريا كبيرا تزعم أن أهله لم يملئوه قديمـا وحديثا بالعلم والمدنية المادية والمعنوية والديمقراطية والعدالة ، وتسوق هـذه المزاعم لتدفع عن نفسها تهمـة الاغتصـاب والاقتحام والعدوان الوحشى على فلسطين وأهلها الآمنين ، ولتبرر هـذه الجرائم بانها تفعلهـا فى سبيل تحضير العرب وتعليمهم ونقلهم الى المدنية التى لم يعرفوها من قبل .

وفى الحق أن هـذا الكتاب من أعظم الردود على تلك المزاعم والأوهام التى شاعت فى الأوساط الغربية ، وحتى لدى بعض العرب المحدثين الذين قطعت الجهود والدسائس الاستعمارية والثقافات المزيفة صلتهم بحقـائق تاريخ أمتهم ودورها الطويل فى الحضارة والثقافة وخاصة فى العصور الوسطى ، حتى جعلت ذلك البعض العـربى يستسلم لتلك المزاعم والمفتريات ويرددها ويتركها دعوى مسلمة يبنى عليها أحكامه على تاريخ أمته ، ويشـارك فى حمـلة الازراء والغمط لجهودها وتأثيرها البالغ فى حمل أمانات الحضـارة المادية والمعنوية نحو الف سنة وتوسيعها وتعميقهـا وتسليمها الى الأيدى الفتية التى تلقفتها منهـا ابان عصر النهضة الأوروبية العالمية الحالية .

ومن الظواهر البارزة التى تستوقف النظـر فى هذا الكتاب ، قدرة المؤلفة على استيعاب دقائق الحضارة الاسلامية وتفصيلات تاريخها وتأثيرها فى حضارات الشعوب المختلفة وخاصة الشعوب الأوروبية ، وعمق تقصيها وتتبعها لسـير تلك الدقائق وتغلغلها فى الحياة الأوروبية منذ العصور الوسطى للآن ، مما يحمل القـارىء على تقدير ذكاء المؤلفة ورحابة ثقافتها التاريخية ودراساتها الاجتماعية والانسـانية وتجردها من التعصب والتحيز المقوت فى البحث عن الحق ، وحرصها على رد الفضل الى أهله ، وبراءة عقلها من تأثير الدعايات المضادة المغرضة ، وتمتعهـا بالروح العلمية والنظرة الانسانية الشاملة .

وقد استطاعت بفضل تلك الخلال الطيبـة التى تتحلى بها أن ترد كثيرا من مظاهر الحضارة الغربية الوسيـطة والمعاصرة الى مصـادرها وجذورها فى الشرق الأسلامى وتجلو الحقـائق التاريخية التى كانت قد أوشكت معالمها انتطمس حتى لدى كثير من أبنـاء الشرق والاسـلام والعروبة ، كما سبق القول ، مما عكس ذلك فى اعتقادنا نحن العرب المعاصرين ، اننا نعـد من الشعوب المتخلفة التى تفتح عيونها على الحضارة الحالية لأول مرة ، كأننا ليس لنا فى بعثها الفضل الأول ، وكأننا لم نقدم لهؤلاء الغربيين أصـولها واسسها وروافد نموها وقوانين حفظها واطرادها قبل أن يلحقنا داء الأقوام من الاختلاف والتفكك والضعف (تلك الأيام نداولها بين الناس) .

ومن المؤسف ان العرب المعاصرين يحتـاج أكثرهم ، وخاصة الشباب ، الى ان يقرءوا مثل هذا الكتاب ليستردوا ثقتهم بأمتهم واصـالة جهـودها وقوة فعاليتها فى سير الحضـارة الانسانية ، وليعرفوا تأثير آدابها ودينها وعلومها

وجهودها عامة في حياة الأمم والشعوب الشرقية والغربية .

وإذا كانت الشعوب التي لا عراقة لها تفتعل لنفسها أصالة وعراقة تضفي على تاريخها هالات وأمجادا لتغرس بها الثقة والإيمان في قلوب ناشئيها وشبابها ، فإن الأمة العربية لا تحتاج الى هذا الافتعال ، فقد اغنتها امجادها المعلومة والمجهولة عن أن تزعم لنفسها مزاعم باطلة ، وانما الجدير بها أن تنفض عن تلك الأمجاد غبار الغمط والنسيان ، وأن ترجع الى مصادر تاريخها ولا تسمع ما يقصه عليها أعداؤها وما اجتهدوا أن يزرعوه في أذهانها ويزيفوه ، مما أقام بينها وبين حقائق تاريخها فواصل وحواجز غيبتها عن نظارها دهرا طويلا ، وجعلتها تستسلم للأكاذيب والأوهام التي أرادوها أن تعيش بها لتفقد قوة المقاومة والدفع لمكايدهم ومكرهم السيء ، فتستسلم لهم وتعجز عن مواصلة عملها في البناء الحضاري العالمي الذي بداته وعاصرته في أدوار التاريخ القديم والوسيط .

وإن الباحث المنصف ليعجب : كيف يغفل المؤرخون الغربيون أثر قيام العالم الاسلامي على أيدي العرب بما فيه من ثقافات وحضارات .. ! وكيف يطمس هذا الأثر بعد أن استمر يؤثر في العالم أربعة عشر قرنا .. ! فبأى منطق ملتو وبأى قدرة على البجاحة يمكن طمس هذا الأثر ..؟ الم يتخيلوا : ماذا كان مصير العالم لو لم يقم العرب دولتهم وعالمهم الضخم الكبير .. ؟!

وإذا كانت قمة القمم في الحضارة هي اعلاء القيم الكونية والانسانية وانماء العلوم والثقافات الزمنية وانصاف الناس واحترام الحقوق الأساسية للجميع ، فالعرب هم الذين احتلوا وحدهم هذه القمة العليا .

ان سبب ذلك الاغفال من المؤرخين الغربيين هو أولا : تأثير الحروب الصليبية وما زرعته في قلوب الغربيين من تعصب وعمى عن رؤية فضائل العرب والمسلمين . ومن حرص على طمس معالم التأثير الاسلامي في التاريخ الحضاري ، وعن تلك النظرة الحاقدة المسمومة الى العرب ، وعن غمط حقوقهم وفضائلهم وعن النزعة الاستعمارية التي تستحل غصب حقوقهم وأخذ موارد رزقهم وحياتهم واهدار قيمهم ومكانتهم ، واجتياح ديارهم ، وغزوهم الفكري والخلقي .

والسبب الثاني لذلك الاغفال هو الكيد والدس الصهيوني الذي لم يجد أهله في التاريخ صدرا أوسع ولا أرحم من صدر العرب ، ومع ذلك لم يتورعوا عن الحقد عليهم والكيد لهم واشعال نار عداوة الصليبيين والمستعمرين لهم ، سعيا وراء تحطيم الكيان العربي القائم بفلسطين والمحيط بها والشاغل « لأرض الميعاد والأرض الموعودة » . تمهيدا لاقتحامهم لها كما وقع ذلك فيما بعد سنة ١٩٤٨ .

وقد وضحت معالم المعركة الدائرة بين العربية واليهودية على مستقبل هذه الأرض وانكشف الغطاء عن المطامع الصهيونية التي تحوم حول هذه الساحة العربية ، وعن الأسلحة المختلفة التي يستعملونها في حربهم الظاهرة والخفية ، بعد أن قامت اسرائيل في قلب البلاد العربية .

ومن أسلحتهم ، تلك الحرب الثقافية التي اشتركوا في شنها على تاريخ العرب ، وحاولوا بها طمس معالمه وتحقير تأثيره في سير الحضارة الانسانية ، وتشويه فضائله أو نسبتها الى غير العرب والمسلمين ، وذلك تمهيدا للطعن في سمعة القومية العربية المعاصرة وزعم تفاهة وجودها وخفة وزنها في الميزان الدولي .

ومن حسن التوفيق أن المترجم للكتاب من المتخصصين في التاريخ والدراسات العبرية والسامية بوجه عام ، مما أعانه في مقدمة ترجمته للكتاب وفي تعليقاته ، على ابراز الاشتراك اليهودي في الجناية على التاريخ العربي الحضاري بالتقليل من شأن الدور الذي أداه العرب والاسلام للحضارة الانسانية ، مع أن العرب كانوا قدوة لليهود في حفظ لغتهم وصيانة أسفار العهد القديم ونطقها نطقا صحيحا واعجامها وشكلها ، كما كانوا قدوة لهم في تنمية شعرهم ونثرهم ، وترجموا كثيرا من كتب الأدب العربي والفلسفة

والطب والرياضيات والقصص الشعبية الى العبرية ، وقد بين المترجم ذلك فى مقدمته .

وللمترجم مؤلفات عدة تتصل بهذا المجال ، منها (من الادب العبرى) و (التوراة : عرض وتحليل) و (التاريخ العربى القديم) – ترجمة واستكمال – و (التوطئة فى اللغة العربية) .

وبعد ، فهذا تقديم لابد منه لبيان صورة من تلقى القارىء العربى لهذا الكتاب ، ومن الخواطر التى تدور فى ذهنه عندما يتصفح أبوابه وفصوله الفياضة بالمعلومات الكثيرة عن تأثير الحضارة الاسلامية ودقائقها فى الحياةالأوروبية.

ولابد من التنويه قبل العرض المختصر لأبواب الكتاب بالأسلوب الأدبى الذى تتمتع به المؤلفة وبالترجمة المشرقة التى يتمتع بها المترجم ، وذلك برغم الجفاف فى طبيعة بعض الموضوعات التى عرضتها فصول الكتاب ، وبرغم بعض الهنات اللفظية فى التعريب والطبع .

وتتضح شاعرية المؤلفة فى اختيارها اسم الكتاب واسماء ابوابه وفصوله مثل (شمس الله على الغرب) و (البهار اليومى) و (العدد) و (السماء فوقنا) و (الأيدى الشافية) و (سيوف العقل) وغير أولئك من العنوانات الفرعية لأبحاث الكتاب ، مما يكشف عن عمق تذوق المؤلفة لصور الحضارة الاسلامية .

أما روح الانصاف التى تسود الكتاب فيكفى لبيانها أن ننقل من مقدمة المؤلفة تلك الفقرات التالية :

« من خطل الراى أن ننظر الى أوربا على أنها هى ، وهى فقط ، العالم الحديث ومن الحماقة أن نقول ان تاريخ أوربا هو تاريخ هذا العالم .. وذلك لأنه مما لا شك فيه ان سائر القارات التى يتكون منها عالمنا هذا ساهمت وتساهم فى تكييف الأحداث العالمية التى تخضع لها شعوب المعمورة ويكفى أن ننظر الى خريطة عالمنا هذا فى العصور الوسطى لنرى كيف يحاصر البحر المتوسط جنوب القارة الأوروبية ويخضعها للسلطان الثقافى لأثينا وروما . أما اليوم فقد شاء الله أن تزول هذه الغشاوة عن أعيننا وأن يتسع صدرنا للحقيقة فلا نغمط الشعوب الأخرى التى ساهمت فى ايقاظ الوعى الانسانى وبعث ثقافة انسانية رفيعة أثرت وتؤثر حتى يومنا هذا لا فى أوربا فقط بل فى مختلف أرجاء العالم المتحضر . وشاء الله أن يظهر من الأوربيين من يجرؤ وينادى بهذه الحقيقة فلا يغمط العرب حقهم فى أنهم حملوا رسالة عالمية وأدوا خدمة انسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا . ان هذا النفر من الأوربيين المنصفين لا يأبه يتحدى أولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصبهم الدينى فحاولوا جهد طاقاتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية أو التقليل من شأنها » .

« **ان أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وأن الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوربا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد . لكن التعصب الدينى واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة** حتى اننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلا نجد فيها اشارة لفضل العرب وما اسدوه الينا من علم ومعرفة ، اللهم الا هذه الاشارة العابرة الى أن دور العرب لا يتعدى دور (ساعى البريد) الذى نقل اليهم التراث اليونانى. أما العربى فلم يأت بجديد ولم يحقق رسالة » .

« ان موقف أوربا من العرب منذ نزول الوحى المحمدى موقف عدائى بعيد كل البعد عن الانصاف والعدالة ، والتاريخ وقتذاك كان يملى ويصنع ، والملى لم يكن الضمير بل التعصب الأعمى . ان مثل هذا الوضع كان مفهوما فى عصر كان فيه الشعور السائد هو غمط حق كل فرد يخالف الأوربيين عقائديا ، **ومما يؤسف له حقا أن هذه النظرة القديمة التى كان مبعثها الظن فى ان الاعتراف للعربى بالفضل خطر يهدد العقيدة المسيحية ، مازالت قائمة حتىاليوم ، والتعصب الدينى مازال جادا فى اقامة الحواجز بين الأوربيين والشعوب الأخرى ، اذ ينظر الغربى اليهم كما لو أنهم مجرمون وثنيون وسحرة .** ومن آثار هذه النظرة أيضا هذا النزاع الذى نشب ، وفىعصرنا ، هذا حولنشأة الغزلالغنائى .

فالمتعصبون من الأوربيين يشق عليهم الاعتراف بالفضل لصاحبه وأن يقولوا ان هذا الفن عربى الأصل . أليس من العجيب حقا أن تظهر هذه النعرة فى القرن العشرين ؟ » .

« ان هذه النظرة الأوروبية دليل على ضيق أفق الغربيين ، وخشيتهم قول الحق والاعتراف للعرب بفضلهم وبخاصة انهم قد غيروا وجه العالم الذى نعيش فيه » .

« ان هذا الكتاب يهدف أيضا الى تقديم شكر كان يجب أن يقدم الى العرب منذ عصور قديمة فالألمان يدينون للعرب بالشىء الكثير ، وليست اللغة الألمانية بمستثناة من هذا ، مع الاشارة الى أننا لا ننكر آثار الشعوب الأخرى كاليونان والرمان وكالصينيين والهنود . »

وأما فصول الكتاب فقد استعرضت فيها المؤلفة وجوه تأثير الحضارة العربية فى المجالات المختلفة للحياة الأوروبية متقصية ملامحها التى ما تزال باقية للآن تقصيا دقيقا ، وكاشفة عن أوليات استخدام أدوات الحضارة العربية وكلماتها ومواضعاتها فى الحياة البيتية الأوروبية وفى فنون عيشها وعلوم دراساتها وفى تجارتها وملاحتها وآدابها وحياتها الفنية .

ففى فصل (البهار اليومى) استعرضت أدوات الحضارة المادية العربية ذات اللمسات الفنية والمفردات العربية الكثيرة المنتشرة فى كل ناحية من نواحى اللغات الأوربية ، و « أسماء كثير من عناصر الحضارة والمدنية التى يستعملها الأوروبيون فى حياتهم اليومية ، وقد جاءتهم عن العرب . وقد جملت هذه الأشياء الدخيلة الحياة الأوروبية اليومية ، كما أضفت عليها جميع مظاهر البهجة والأبهة والحياة الرفيعة الراقية التى يحياها العالم المتمدن اليوم ، **واذا كان العالم الحديث يتمتع بقسط وافر من النظافة والقواعد الصحية فالفضل فى ذلك الى العرب ، وما أعاروه لأوروبا »** .

وفى هذا الفصل أيضا تتحدث المؤلفة حديثا قيما عن أثر العلاقات التجارية العربية فى أوروبا مبينة نتائج تذبذب تلك العلاقات فى التحولات الاجتماعية التى طرات على أوروبا فتقول فى صفحة ٢٠ « والآن يبدو لنا أن خيرات العرب كانت أساس الاثراء والرخاء لا فى الشرق فقط ، بل فى الغرب أيضا ، كما أن هذه التجارة العربية هى القوة الاقتصادية ذات الأثر الفعال فى أوروبا وأن رفع المستوى الاجتماعى فى الغرب انما مرجعه القفف العربية الملأى بالفلفل » وتقول فى ص ٢٣ « ثم نجد التجارة العربية تتخطى جبال الألب ، وكما كان الحال قديما فى ايطاليا كذلك هنا عبر الألب حيث نجد خامات الأقمشة العربية وعليها الطرز العربية وقد صنعت صناعة حديثة، فمثلا القطن الذى ادخل العرب زراعته الى أسبانيا وصقلية هو الذى يصنع منه هذا القماش الناعم الرقيق وتصدره سوريا وخراسان الى مختلف الأسواق العالمية » .

وتقول فى ص ٢٥ « وكان الشرق يزخر بالآيات الباهرة ثقافيا وصناعيا وكان كل مافيه يوحى لدعاة الاصلاح بادخال الشىء الكثير الى أوروبا رغبة فى الأخذ بيدها وتقدمها » .

وفى ص ٣٥ تقول « وفضل العرب على المرأة وزينتها وأناقتها يتجلى لنا أيضا فى غير ملابسها، يتجلى فى المساحيق والعطور .. » « وهناك عادة هامة بالنسبة للعربى احتفظ بها الأوربى ألا وهى عادة الاستحمام وخلع الملابس » « ولما زار الطرطوشى بلاد الفرنك لاحظ شيئا آخر فكان وهو المسلم الذى يتوضأ قبل كل فرض من فروض الصلاة الخمسة يستنكر حال القذارة التى يحياها الشعب ، لذلك صور هذه الحالة التى شاهدها بقوله : انه لم يشاهد فى حياته اقذر منهم ، لا يغتسلون الا مرة أو مرتين كل عام وبالماء البارد ، أما ملابسهم فلا يغسلونها بعد أن يلبسوها لكيلا تتمزق » وتقول فى ص ٣٦ « ثم اندلعت نيران الحروب الصليبية وأقبل الصليبيون على الشرق فشاهدوا الحمامات فى كل مكان .. وكان فى بغداد آلاف الحمامات الساخنة والحماميون والمدلكون والحلاقون للرجال والنساء للعناية بالجسد لا أسبوعيا فقط بل يوميا » .

وتقول فى نفس الصفحة « **وهكذا اخذت قلاع الدفاع التى شيدتها المسيحية فى وجه العرب**

والاسلام والحضارة العربية تستسلم الواحدة بعد الأخرى ، وذلك بفضل القنطرة التجارية التى أقامتها الجمهوريات الايطالية مع العرب وبفضل التجار والمسافرين والصليبيين » واندفع تيار الحضارة العربية يكتسح ما أمامه من عوائق ، فافاقت أوروبا من نعاسها وأدركت أثر الجهالة التى تغط فيها ونهضت بفضل العرب والحضارة العربية ») .

وقد بينت المؤلفة فى هذا الفصل ايضا نقل الأوروبيين لكثير من أدوات السلم والحرب عن العرب ، كالورق والبوصلة المغناطيسية والمفرقعات والصواريخ المتفجرة وأدوات الملاحة ودور الصناعة البحرية ، والحمام الزاجل وكثير من النباتات والخضر والفواكه والحدائق والزهور .

هذه مقتطفات مما أوردته المؤلفة فى فصل (البهار اليومى) الذى تناول الناحية المادية للحضارة العربية ولمساتها الفنية فى حياة الأوروبيين اليومية ، وقد رأيت الاكثار من تلك المقتطفات ، لأبين للمفتونين بحضارة الغرب المادية الحالية ، ان العرب هم أساتذة الأوربيين فى العناية بالجانب المادى ايضا من الحياة ، كما كانوا معنيين بالجانب الروحى .

وقد افاضت أبواب الكتاب وفصوله الأخرى فى بيان آثار العرب فى الرياضيات والفلك والطب والصيدلة والملاحة والفلسفة والمنطق والآداب ، والفروسية والألعاب والموسيقى والغناء والرسم ، كما افاضت فى التسامح العربى والنظرة الجديدة التى نظرها العرب للحياة والانسان وما كان لها من آثار فى التقريب بين الشرق والغرب .

ولا نرى داعيا الى سرد مقتطفات من تلك الأبواب والفصول ، كما اقتطفنا من الباب الأول ، لأن كل مافى تلك الفصول جدير بالاقتطاف يحار المرء فيما يؤثره منه بالاختيار ، لنفاسته وحسن دلالته على أن الروح العربية روح انسانية عالية متفتحة للخير ، لا تعرف التعصب ولا ضيق الأفق ولا اكراه المخالفين ولا غمط حقوق الناس ، ولا البخل بفضل الله ولا زعم احتكاره ، مما جعلها بحق فى خيال مؤلفة هذا الكتاب « شمس الله » التى تشرق بنعمته تعالى وبره على الناس جميعها فى الشرق والغرب وتمدهم بالنور والخصب والدفء والهدى على طريق الحياة .

« وبعد » **فما أجدر أجهزة الدعاية العربية ان تنتفع بنشر هذا الكتاب أو منتخبات منه وأن تنتفع كذلك بما فيه من حقائق ومعلومات وتضعها بين أيدى الناس جميعا وضعا فنيا مثيرا لانتباههم وأن تصنفها وتوزعها على كل فروع المعرفة لتبين أوليتها وريادتها على طريق الحضارة الانسانية ،** فتتيح بذلك للدارسين والمؤلفين فى تلك الفروع فرص الاطلاع على هذه الأوليات الحضارية العربية ليضعوها فى مواضعها من تواريخ تلك المعارف والعلوم .

كما يجدر بتلك الأجهزة ، وبالدوائر الجامعية العربية المعنية بهذه الدراسات ان تقص الآثار الكثيرة التى ذكرتها المؤلفة وتتبع خيوط البحث التى اهتدت الى اطرافها ، لموالاة استكشاف ما يكون مكنونا من تأثير الحضارة العربية فى الحياة الأوروبية والنهضة العالمية ، وهو لا شك كثير .

وشكرا للدكتور المترجم على مابذله من جهد فى الترجمة والتعليقات وشرح المفردات وردها الى أصولها فى اللغات الشرقية أو الغربية .

ونرجو ان تخلو الطبعة المقبلة من مثل هذه الأخطاء التالية :

يجرا : وصحتها : يجرؤ

(يأبه من تحدى) وصحتها : يأبه بتحدى أو لتحدى

(اتسمحى لى) : وصحتها : اتسمحين

(اغماط حق) : وصحتها : غمط حق

(وبخاصة فقد غيروا) : وصحتها : وبخاصة أنهم قد غيروا

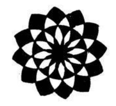
(يذخر) : وصحتها يزخر .

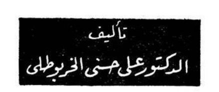
ففاقت أوروبا من نعاسها : وصحتها : فأفاقت ... »

عبدالمنعم خلاف



لقد اجتمع الفضـــل والشرف والسؤدد لعبدالله بن الزبير من جهات كثيرة .. فأبوه هو الزبير بن العوام الذى كان سيفه أول سيف سل فى سبيل الله ، وله فى المغازى والفتوح وقفـات بطولية رائعة ، ولا تنسى مصر ــ بخاصة ــ موقفه فى فتح حصـــن بابليون حينما لاذ الروم به ، فتسور المسلمون الحصن عليهم بفضـــل ذلك القائد الشجاع .. والزبير الأب ــ أبو صاحبنا عبد الله ــ هو ابن صفية بنت عبد المطلب عمـة النبى عليه السلام ، وكانت من أسبق النســاء اسلاما ، بل من أسبق الناس على الاطلاق . كما كانت من المهاجرات الى المدينة بعـد أن أسرف المشركون من قريش فى أذى الرسول ، فهاجـر مع صاحبه الصديق ليلة غار ثور ، فلما بلغ بهما المقام المدينة بدأت حركة الهجرة اليها تتتابع ، وآخى رســول الله بين المهاجرين والأنصار . وأم صاحبنا عبد الله بن الزبير هى السيدة أسـماء بنت أبى بكر الصديق ، وأخت السيدة عائشة أم المؤمنين وزوج محمد عليه السلام . ومصعب ابن الزبير ــ أخو عبد الله بن الزبير ــ هو قائد عربى آخر من طراز رفيع ، وقد نصبه أخـوه عبد الله قائدا وواليا على البصرة لمحاربة « المختار ابن أبى عبيد الثقفى » الذى دعا لنفسه بالخلافة الاسلامية ــ بعد أن طمع فيها كل طامع ــ وقد كان فى مصعب بن الزبير مضاء وكفاية وحـزم شديد . فلما ولى البصرة ليبدأ حركة المقاومة ضد « المختار » ، توجه الى مسجدها الجامع ،





فصعد المنبر ، وخطب خطبة وجيزة حكيمة ذات مغزى كبير ، قال فيها : (يا أهل البصرة ! بلغنى انكم تلقبون امراءكم ! وقد لقبت نفسى بالجزار!!) وليس بعد هذا تهديد للمخالفين ، وتخـويف للمناهضين ، فقد أعلن منذ هذه اللحظة ، وعلى أعتاب المنبر البصرى وأعواده ، سياسة تنطوى على الشدة والحزم والتهديد بالقتل لمن يناوىء حركة الزبيريين أتباع اخيه عبد الله بن الزبير ..

ونمضى فى عرض نمـــاذج من أسرة الزبير ابن العوام ، فيصادفنا حمزة بن عبـــد الله بن الزبير ، الذى ولاه أبوه بعد عزله أخاه مصـعبا سنة ٦٧ هـ . واذا صح ما رواه بعض المؤرخين كابن الأثير من ان حمزة هذا كان جوادا مخلطا ، يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه ، ويمنـع أحيانا ما لا يمنع مثله .. واذا صح أيضـــا ما رواه ابن الأثير من ان حمزة هذا ــ حين تخبطه الضعف فى سياسته بالبصرة والعراق قال له أبوه عبدالله : أبعده الله ! اردت ان اباهى به بنى مروان فنكس : اذا صح هذا ، وصح معه كذلك ان حمزة هذا خرج الى الحجاج ــ فى أثناء حصاره للكعبة طالبا رأس عبد الله بن الزبير ــ يطلب منه الأمان ، تخلفاعن ابيه الشجاع عبدالله بن الزبير ، فان « الزبير » ــ احـــد أولاد صاحبنا عبد الله ابن الزبير ــ ابى ان يصنع كما صنع اخوه حمزة ، ورفض أن يخرج فى طلب الأمان لنفســـه من الحجاج العنيد ، وصمم على ان يقف على حياض الموت ، مشاركا اباه عبد الله فيما ينتظره من مصير ..

وهذا الكتاب الذى نعرضه لك أيها القارىء الكريم هو سيرة تاريخية لعبد الله بن الزبير من اول حياته الى نهايتها فى مصرعه الأليم ، حيث لقى الموت على حال تخاذل فيها عنه أنصاره ، وانفض اعوانه ، واشتدت حملة جنود الشـام عليه ــ وهم جنود عبد الملك بن مروان وقائده الحجاج ــ فقابل حملتهم بحمـــلة قوية ، ولكن ما لبث أن أصابه حجر شج جبينه ، فاتجه الى الله ، وهو محطوم القلب والنفس والأعصاب ، يقول فى شعر رواه المسعودى المؤرخ صـــاحب « مروج الذهب » :

يا رب ! ان جنـــود الشام قد كثروا
وهتكوا من حجاب البيت أســـتارا

يا رب ! انى ضعيف الركن مضطهد
فابعث الى جنـــودا منك انصـــارا

ولكن شاءت ارادة الله أن لا تجاب لابن الزبير دعوة ، وأن تسقط حركته فى المطالبة بالخـلافة سقوطا لا قيام لها بعده ، وان يسقط فى الميدان صريعا بعد أن تكاثر عليه جنـــد الشام من كل جانب ، وفر انصاره من حوله يلتمسون الخلاص لأنفســـهم من مأزق حرج . فمات صريعا فى ١٤ من جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ .

ولقد كان لعبد الله بن الزبير ــ قبيل مصرعه بزمن يسير ــ لقاء مثير مع أمه « أســماء بنت أبى بكر » وهو لقاء اتخذت منه كتب التـاريخ والأدب موضعا لمشهد بطولى بين الولد الذى أظهر شيئا من الخوف ــ فى بعض المصادر ــ وكثيرا من الرأى والنضج السياسى فى مصادر أخـرى ، وبين الأم العربية التى ضربت مثـــلا رائعا فى الشجاعة والتجلد والشـهامة ، فى ساعة يخور فيها الشجاع ، ويوهى فيها الجلد !! فشجعته على المصابرة ، ومداومة القتل ، وزينت له القتل والشهادة فى سبيل الله والمبدأ والفـكرة التى يؤمن بها المرء عن اقتناع ، ودعت له ، لانه اذا قتل قتل على حق ..

وما نجد مقاما أحمد ، ولا معرضا أجمل من عرض هذا اللقاء بين الأم وولدها ، كما جاء فى أصلين كبيرين من أصول التـاريخ العـربى الاسلامى ، وهما : الطبرى ، وابن الأثير . فان مثل هذه المواقف البطولية النادرة الأمثال جديرة أن تبرز وتعلن فى كل مجال ..

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٢٨٨ ص ١٤×٢٠سم الثمن ٥ قروش

لما شعر عبد الله بن الزبير بقرب منيته ، دخل على امه اسماء بنت ابي بكر الصديق ، وقد بلغت من العمر مائة عام ، ولم يسقط لها سن ، ولا ابيض من راسها شعرة واحدة (وكان دخول عبد الله بن الزبير على امه فى الساعة التى أحس فيها ان انصاره خذلوه ، وان اتباعه اخذوا ينفضون عنه ، ويتخاذلون عن نصرته حين استمر القتل بهم من جيوش « الحجاج بن يوسف الثقفى » وجند الشام ، فقال لها : يا اماه ! لقد خذلنى الناس حتى ولدى واهلى . ولم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع اكثر من صبر ساعة . والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا . فما رأيك ؟؟

فقالت أسماء : انت والله يا بنى اعلم بنفسك ! **ان كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو ، فامض له ! فقد قتل عليه اصحابك ! ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بنى أمية . وان كنت انما اردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ! اهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك . وان قلت : كنت على حق ، فلما وهن اصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا اهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن !**

ودنا عبد الله بن الزبير من امه أسماء ، فقبل راسها ، وقال هذا والله رأيى ؛ والذى قمت به داعيا الى يومى هذا ، ما ركنت الى الدنيا ، ولا احببت الحياة فيها . وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمه . ولكنى احببت أن أعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة مع بصيرتى ... فانظرى يا اماه ! فانى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله ! فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ، ولا عملا بفاحشة .. ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به بل أنكرته . ولم يكن شىء احسن عندى من رضا ربى . **اللهم انى لا اقول** هذا تزكية منى لنفسى ! أنت أعلم بى ، ولكن اقوله تعزية لأمى ، لتسلو عنى !!

فقالت أسماء لابنها عبد الله : انى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا ان تقدمتنى ... وان تقدمتك ففى نفسى أخرج حتى أنظر الى ما يصير امرك .. فقال عبد الله : جزاك الله خيرا يا اماه ! فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد ! فقالت أسماء : لا أدعه أبدا ! فمن قتل على باطل ، فقد قتلت على حق .. ثم ختمت قائلة : اللهم ارحم طول ذلك القيام الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ! وارحم بره بأبيه وبى ! اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بماقضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين ..

ولقد عرض لنا المؤلف — الدكتور على حسنى الخربوطلى — حياة عبد الله بن الزبير عرضا تتجلى فيه روائع سيرة هذا البطل على اشدها . كما عرض لنا فترة دقيقة من فترات التاريخ العربى الاسلامى ، اشتد فيها الصراع بين الأحزاب ، وتقاتل فيها نفر من الصحابة والتابعين على الحكم ، ودخل الى الميدان جماعة من اصحاب المطامع والطموح وذوى الأهداف التى يبغون بها وجه مصلحتهم الذاتية ، ونحى عن الخلافة احق الناس بها ، وأجدرهم بتوليها ، وشهدت أرض العرب والاسلام مصارع كثير من الشهداء ؛ كعلى ابن أبى طالب ، والحسين بن على ، ومصعب ابن الزبير ، وغيرهم من مئات المجاهدين والداخلين فى المعارك والخصومات عن عقيدة واقناع ، والمقتحمين الميدان تحقيقا لرخيص الأطماع ...

واذا كنا ندع هنا مصرع الحسين جانبا لبعده عن ميدان حركة عبد الله بن الزبير فى المطالبة بالخلافة ، فلا أقل من أن تلم إلمامة سريعة بمصرع مصعب بن الزبير — أخى عبد الله — حيث نقل المؤلف عن ابن الأثير تصويره لخاتمة هذه الحياة المكافحة المصابرة قائلا : (وخذل الناس مصعبا ، وخذلوه حتى بقى فى سبعة انفس ، وأثخن مصعب بالرمى ، وكثرت الجراحات فيه ، فعاد الى عبيد الله بن ظبيان ، فضربه مصعب فلم يصنع شيئا لضعفه بكثرة الجراحات ، وضربه ابن ظبيان فقتله .

على أن مصرع عبد الله بن الزبير — وهو صاحب السيرة فى هذا الكتاب — كان أشد وآلم ،

وبعد رواه المؤلف عن مصادر مختلفة — كعادته دائما في النقل — فرواه عن المسعودي وابن عساكر والبن الأثير .

وبمناسبة الحديث عن المصادر نذكر للدكتور الخربوطلي أنه لا يدع مصدرا أن يفيد منه أو ينقل عنه ، حتى لقد تختلط بذلك العبارات المنقولة ، فلا تدري أهي لمؤلفنا الفاضل ام لمن نقل عنهم ؟ ! **والشرط في النقول والأخذ والاستشهاد والنصوص المروية أن توضع بين حواصر أو أقواس حتى تميزها من كلام المؤلف أو كلام غيره ، وحتى يمكن بذلك أن يرد كل قول لقائله ، وينسب كل فضل لصاحبه .** وقد التمست العذر للدكتور على الخربوطلي منذ أن سعدت بقراءة بضعة عشر كتابا من مؤلفاته ، ومترجماته . فهو كثير القراءة ، كثير النقل والاستشهاد ، كثير الاستعمال لنصوص غيره .. ولعل ذلك مما لا يحدد عنده مواطن النقول . وقد كان له عن ذلك كله مندوحة واسعة ، فإن علامات الترقيم والاقتباس والتنصيص لم تضع من اللغة العربية ..

ولا أدري وقد وسع المؤلف مجال المراجع بين يديه لم لم يضف اليها — من كتب القديم والحديث — ما تتضح به سيرة عبد الله بن الزبير على أجلى معارضها . فقد ترك — مثلا — من المصادر « الاستيعاب » لابن عبد البر ، كما ترك — مثلا — « تهذيب الأسماء واللغات » لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي — وهو على ايجاز التراجم فيه يأتي بأخبار قد لا ترد في غيره . كما ترك — مثلا — كتاب « سير أعلام النبلاء » للمؤرخ شمس الدين الذهبي ، وفيه فوائد كثيرة قد تزيد في تجلية الصورة واستكمال ملامحها عند عبد الله بن الزبير .

ومن هذه الملامح ما روى مثلا في الجزء الثالث من « سير أعلام النبلاء » من أن القوة التي كانت في عبد الله بن الزبير قد جاءته من حادثة معينة .. وهو خبر عجيب كان يصح أن يطلع عليه الدكتور الخربوطلي ، وأن لا يدعه يفلت منه ومن التعليق عليه .. فقد نقل المؤرخ الذهبي عن « التبوذكي » قوله : حدثنا هنيد بن القاسم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، سمعت أبي يقول : انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحتجم . فلما فرغ ، قال : يا عبد الله ! اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحدا ! فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمد الى الدم فشربه ! فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت الى أخفى موضع علمت فجعلته فيه . قال له النبي : لعلك شربته ! قال : نعم ! قال : ولم شربت الدم ؟ ويل للناس منك ! وويل لك من الناس !! قال موسى التبوذكي : فحدثت بهذا الخبر أبا عاصم فقال : كانوا يرون أن القوة التي في عبد الله بن الزبير هي من هذا الدم ...

ألست معي أن مثل هذا الخبر المروي باسناد كثيرة كان جديرا أن يهتدي اليه الدكتور الخربوطلي ، وأن يعلق عليه وهو يحدثنا في الصفحات الأولى من كتابه الممتع المفيد عن نشأة عبد الله بن الزبير ؟ لقد ذكر الدكتور على الخربوطلي بعض الشيء عن هذه النشأة ، فقد كان ابن الزبير يتردد على بيت النبي عليه السلام كثيرا ، ويطيل المكوث فيه عند خالته السيدة عائشة زوج النبي رضي الله عنها ، حتى لقد كان عبد الله ربيبا لخالته عائشة ، وذكر المؤلف هنا أن ابن الزبير كان أول طفل ولد في « المدينة » في الاسلام ، وقد كان مولده بالمدينة فرحا عظيما للمسلمين ، ولطمة كبيرة لليهود ، فقد كانوا زعموا أنهم سحروا المسلمين فلم يولد لهم ولد بعد مقدمهم الى المدينة ، فجاء مولد عبد الله بن الزبير مكذبا لهم ولدعواهم الباطلة المضحكة ! وكان سرور النبي بصفة خاصة عظيما بمولد عبد الله بن الزبير ، الى حد أنه قال لأمه أسماء : « أرضعيه ولو بماء عينيك ! » .

على أن اغفال بعض المصادر عند الدكتور الخربوطلي لا يمنعنا أن نشيد بفضله في ذكر مصدر انفرد وحده بذكر حادثة لابن الزبير في أثناء محاصرة « الحصين بن نمير » للكعبة ولعبد الله ابن الزبير ، في أثناء خلافة يزيد بن معاوية .

فقد ذكرت مصادر مختلفة خبر تتابع النجدات على ابن الزبير لمعاونته على فك الحصار عنه وعن الكعبة . فقد جاءه جند من مدينة الرسول عليه السلام — وهم الذين نجوا من قبضة مسلم ابن عقبة — لينجدوه — ثم جاءته نجدة من ارض اليمامة بزعامة ابن عامر الحنفى الذى ثار على الحكم الأموى فى شبه جزيرة العرب ، ثم قدم الأزارقة من الخوارج من ارض العراق يقدمون له مؤازرتهم ، ثم جاءه المختار بن أبى عبيد الثقفى يعرض عليه نجدته ضد الغزو الأموى نظير شروط اشترطها .. وقد كان المختار داهية بعيد الأطماع .. كل هذه النجدات تكرر ورود خبرها فى مصادر متنوعة من التاريخ الاسلامى ، الا النجدة التى قيل ان « النجاشى » ملك الحبشة قد أرسلها من افريقية عبر البحر الأحمر الى عبد الله بن الزبير لمساعدته فى حركة الدفاع عن الكعبة .. فقد انفرد المؤرخ « البلاذرى » بذكر هذه النجدة الحبشية فى الجزء الرابع من كتابه « انساب الأشراف » .

وخبر هذه النجدة مهم جدا ، حتى لقد أشار اليه الدكتور على الخربوطلى مرة قبل هذا فى كتابه « الدولة العربية الاسلامية » الذى نشرته دار احياء الكتب العربية — عيسى الحلبى — سنة ١٩٦٠ — ولكنا كنا ننتظر هنا فى كتاب « عبد الله بن الزبير » ، كما كنا انتظرنا فى كتاب « الدولة العربية الاسلامية » أن يكشف عن صحة هذا الخبر ، وان يحلل لنا أسبابه وبواعثه ؟ وأن يتتبع فى المظان الممكنة — ان صح هذا الخبر — ما اذا كانت هذه النجدة ابتداء من النجاشى ملك الأحباش ، أم بناء على دعوة واستنجاد من عبد الله ابن الزبير ؟ واذا صح الافتراض الثانى ، أفما يكون غريبا أن يلجأ ابن الزبير الى ارض خارج الجزيرة العربية ، والى ملك غير مسلم ليستنصر به على أقوامه العرب المسلمين ؟؟

دعك من هذا ! وأود ان أؤكد لك يا قارئى الكريم انك لا تكاد تقلب صفحة من صفحات هذا الكتاب الا وقعت عيناك على فائدة ، أو عبرة من عبر التاريخ ، أو موقف من المواقف التى يحمد فيها الرجال ، أو ناحية جميلة من نواحى المترجم له ، أو من نواحى غيره ، فلا يكتفى المؤلف بذكر هذا الموقف ، بل يشير اليه ، ويشيد به ، كما صنع مثلا فى الفقرة الخاصة باشتراك عبد الله ابن الزبير فى غزو القسطنطينية ، على الرغم من رأيه فى الخليفة معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى ، الذى قامت الغزوة فى عهد خلافته .

فان عبد الله بن الزبير على الرغم من عدائه لمعاوية ، وعلى الرغم من معارضته للدولة الأموية وللأسباب غير السليمة التى قامت عليها ، يكون اول المشتركين فى الجيش العربى الاسلامى الذى وجهه معاوية لغزو هذه العاصمة .

ولا بأس أن ننقل عنا كلام الدكتور الخربوطلى فى هذا حيث يقول : (مما يزيد اعجابنا بعبد الله ابن الزبير ، انه ما من حرب تهدف الى نشر الاسلام الا اشترك فيها ، وقد رأيناه يشترك فى موقعة اليرموك الى جانب أبيه الزبير بن العوام ، وكان عبد الله حينئذ فى الرابعة عشرة من عمره ، وذلك فى عهد أبى بكر . كما صحب عبد الله أباه الزبير فى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب . ثم رأينا ابن الزبير بطل المسلمين فى فتح افريقية فى عهد عثمان بن عفان .. **ورغم ما كان من عداء ابن الزبير لمعاوية ورغم معارضته للدولة الأموية ، فانه يتناسى دائما هذه الخصومة السياسية ليلبى دعوة الواجب ، ويستجيب لنداء الجهاد فى سبيل الاسلام ، ولذا نراه فى سنة ٥٠ هـ يشترك مع الجيش الاسلامى الذى وجهه معاوية لغزو القسطنطينية ، ورضى أن يعمل جنديا تحت قيادة يزيد بن معاوية) .**

وفى صفحة أخرى من الكتاب يكشف لنا المؤلف عن شجاعة ابن الزبير وصراحته فى ابداء الرأى الذى يراه ويؤمن به ، مهما كان الواقف أمامه ، المعارض له . فحين اراد معاوية بن أبى سفيان أن يأخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد — وهو حدث خطير لم يسبق اليه فى الاسلام — رأينا عبد الله بن الزبير يعلن معارضته الشديدة لهذه البيعة — وقد ذهب معاوية بنفسه الى ارض الحجاز — مركز ابن الزبير واتباعه — ودخل المدينة متظاهرا بأنه يؤدى فريضة الحج ، ودعا

معاوية الى لقائه زعماء الصحابة من أمثال عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن عمر — ابن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير . وتعمد معاوية أن يغفل دعوة الحسن بن على والحسين رضى الله عنهما . وتعرض معاوية لموضوع المبايعة بولاية العهد لابنه يزيد . وهنا هب الصحابة فى وجهه يستنكرون رأيه ، وينكرون عليه ما هو مقدم عليه . وتكلم عبد الله بن الزبير بلسان أبناء الصحابة كلاما جريئا صحيحا قال فيه : (أما بعد ! فان هذه الخلافة لقريش خاصة ، تتناولها بمآثرها السنية ، وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء ، وكرم الأبناء . فاتق الله يا معاوية ! وانصف من نفسك ! فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ، ابن عم رسول الله ، وانا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وعلى خلف الحسن والحسين .. وانت تعلم من هما ؟ وما هما ؟ فاتق الله يا معاوية ! وانت الحكم بيننا وبين نفسك !!) .

ولقد كرر معاوية المحاولة بعد وفاة الحسن ابن على كرم الله وجهه ، فكتب الى مروان بن الحكم — والى بنى أمية على المدينة المنورة — يطلب منه اخذ البيعة من أهلها ليزيد .. وهنا ثار الصحابة والقرشيون ثورة أخرى فى وجه رسول معاوية . لأن المسلمين لا يعرفون هذا النوع من الحكم الوراثى ، حتى لقد كان تعبير عبد الرحمن بن أبى بكر — نيابة عن أهل المدينة — دقيقا صريحا فى رده قائلا : (تريدون أن تجعلوها هرقلية ،كلما مات هرقل قام هرقل ؟؟) . وحين يجد مروان انه عاجز عن اقناع أهل المدينة بالبيعة ، يبعث الى معاوية يخبره بذلك ، فيعزله معاوية ، ويجعل سعيد بن العاص واليا بدله .. ولا يسكت المؤلف على هذا الكلام الذى لا يشفى غلة سائل عن السر فى تهاون مروان ، فيبادر الى القول : « وفى الحق أن مروان ابن الحكم قد تهاون فى حمل هؤلاء المعارضين على البيعة ليزيد ، فقد كان هو نفسه طامعا فى الخلافة كما سنبين ذلك فيما بعد » .

أرايت كيف تحمل الأغراض وأهواء النفوس الدفينة الناس على سلوك بعض التصرفات فى حياتهم ؟ ثم أرايت كيف يتولى مؤلفنا الحاذق الكشف عن هذه الأهواء وتجليها ؟؟

اللهم ان حركة عبد الله بن الزبير كانت فتنة بين المسلمين الأولين ، اضيفت الى ما أصابهم من فتن فى عهد عثمان وعلى بن أبى طالب . **وفى أمثال هذه الفتن ، تضيع القيم ، وقد تنفصم العهود بين من ليسوا مظنة لانفصامها بينهم .** فقد كان عبد الله بن الزبير فى جانب ، وأخوه عمرو بن الزبير فى جانب آخر .. وادرك الأمويون هذا الشقاق بين الأخوين فاستغلوه لمصلحتهم .. وقد حدث أن عمرو بن سعيد ابن العاص — الوالى الأموى الجديد لمدينة الرسول — راى أن يتبع سياسة الشدة مع أهل المدينة ، فاستعمل على الشرطة فيها : عمرو ابن الزبير ، لما كان يعلمه من عدائه وكراهيته لأخيه عبد الله ..

ولقد اقتضى تطور الحوادث أن تجيء الخلافة الى عبد الله بن الزبير يعرضها عليه قائد جيش الأمويين فى مؤتمر الأبطح بمكة فيرفضها ... وقد لام بعض المؤرخين صاحبنا ابن الزبير على هذا الرفض الذى فوت عليه — فى زعمهم — فرصة الخلافة .. ولكن الدكتور على حسنى الخربوطلى لا يمشى فى ركاب هؤلاء المؤرخين اللائمين .. فهو يؤيد ابن الزبير فى رفضه ، لأن أهل الشام لا يدينون بالولاء الا للأمويين ، ولأن ابن الزبير ليس له فى الشام عصبية تؤيده ، ولأن أهل الحجاز لم يكونوا يناصرون ابن الزبير ويتحملون معه مشقات الكفاح ضد الأمويين لكى يرحل عنهم مع الأمويين الى دمشق ، كما اقترح عليه ذلك حصين بن نمير قائد الجيش الأموى وأمير المدينة من قبل الأمويين ..

الحق ان بين دفتى هذا الكتاب سيرة بطل من أبطال الاسلام ، وقصة كفاح فاتح من كبار

الفاتحين المسلمين . **ولكن الكتاب حين يجلو لنا حياة رجل ، فانما يصور لنا تاريخا بما اكتنفته بها الأيام من خلافات ومطامع وعداوات امتحن بها كثير من الرجال وكل عبرة تبدو فى مزدحم هذا العراك والنضال الحامى يجليها لنا المؤلف مرة وغير مرة ..** وهذا التكرار ظاهرة تلفت النظر فى هذا الكتاب . كالتكرار بين صفحتى ٤ ، ٤٥ فى انضمام أم المؤمنين عائشة الى الزبير وطلحة . وكالتكرار بين صفحتى ١٨ ، ٤٥ فى الحديث عن كيف عهدت عائشة لعبد الله بن الزبير بالصلاة بشيوخ قريش يوم موقعة الجمل ، فصلى خلفه أبوه الصحابى الجليل الزبير بن العوام ، مما كان موضعا لانتقاد المسلمين ، وكالتكرار بين صفحات ٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، وكالتكرار بين صفحتى ٧٦ ، ٨٥ فى الحديث عن نشأة يزيد بن معاوية فى وسط مظاهر الملك ، بعيدا عن البادية والحجاز ، ونشأة عبد الله بن الزبير فى بيئة الحجاز التى اكسبته كثيرا من الصلاح والتقوى ..

وقد يتقارب التكرار بين الصفحات الى حد يأتى معه الخبر فى صفحة ، ثم يعاد بنص عبارته بعد صفحة تالية أو صفحتين لا تزيدان ! ففى صفحة ١٠٨ أن يزيد بن معاوية (قرأ رسالة الأمويين ، فثار غضبه ، وأيقن أن سياسة اللين والتسامح لم تعد تجدى مع أهل المدينة) وفى صفحة ١١٠ — أى بعد صفحة واحدة فقط — يقول مؤلفنا فى بداية فصل جديد : (رأى يزيد أن سياسة الحلم واللين لم تعد تجدى ، ورأى العودة الى سياسة العنف والشدة) وهذه الجملة الأخيرة قد نسيت أن أقول لك انها جاءت أيضا فى ص ١٠٨ هكذا : (ورأى أن يحيد عنها — أى سياسة اللين — الى سياسة الحزم والعنف ..) .

وعجيب جدا أن مؤلفا مؤرخا كالدكتور على حسنى الخربوطلى الذى يتعقب الأخبار والأحداث هنا وهناك ، ويستوفى بعض الحوادث حقها من التعليق عليها ، تفوته — بعض الحين — تعليقات وتحقيقات على بعض الأحداث أو بعض المواقف التى كانت تستحق الوقوف عندها ، ففى صفحة

١١٣ — وهو يتحدث عن واقعة الحرة — لم يذكر له حتى ولو بالاسم ، اسم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى بايعه أهل المدينة على زعامتهم فى حركة المقاومة ليزيد بن معاوية .. أما كان هذا الرجل جديرا أن يشار الى اسمه فى كتاب يتناول دراسة عن عبد الله بن الزبير ؟ ومن عجب أن المؤلف ذكر عبد الله بن حنظلة فى كتاب له عن « الدولة العربية الاسلامية » صفحة ٢٤ وذكر حركة مبايعة أهل مدينة الرسول إياه ، ثم أغفل الاشارة اليه فى كتابه هذا عن ابن الزبير ، مع ان هنا كان مكان ذكره ..

وفى صفحة ١١٥ من كتابنا هذا الذى نعرضه ، أغفل الدكتور الخربوطلى الاشارة الى وعد ابن الزبير للمختار الثقفى بتحقيق أطماعه ، مع انه ذكر ذلك فى كتابه عن « الدولة العربية الاسلامية » صفحة ٢٠٥ حيث يقول هناك : (كما انضم اليه — أى الى عبد الله بن الزبير — المختار بن أبى عبيد الثقفى ، بعد أن وعده الزبير — يريد ابن الزبير — بتحقيق بعض أطماعه) . وهذا الكلام كان أولى أن يذكر فى كتاب « عبد الله بن الزبير » فهو مكانه المناسب .. وقد عبر المؤرخ المسعودى فى الجزء الثالث من « مروج الذهب » عن هذه الوعود الزبيرية ، بأنها شرائط . وهذا تعبير دقيق ، على خلاف تعبير الدكتور الخربوطلى الذى لا يوحى بدقة ، فان عبارة المسعودى تدل على أن العرض كان من ناحية « المختار الثقفى » بشروط اشترطها ، وان عبد الله ابن الزبير لم يكن واعدا ابتداء .. ويجمل بنا أن ننقل هنا عبارة المسعودى المؤرخ حيث يقول : (.. وابن الزبير فى المسجد ، ومعه المختار بن أبى عبيد الثقفى : داخلا فى جملته ، منضافا الى بيعته ، منقادا الى امامته ، على شرائط شرطها عليه ، لا يخالف له رأيا ، ولا يعصى له أمرا ..) .

* * *

قلت لك — أيها القارئ الكريم — ان الدكتور على حسنى الخربوطلى يقرأ كثيرا ، وينقل من الكتب التى يقرؤها كثيرا . والقراءة مزية العلماء والباحثين والمؤرخين وفضيلتهم ، فان مؤرخا

لا يستطيع أن يكون كذلك ، الا اذا قرأ كل مصدر ، واستوفى كل مرجع . ومن حسن الحظ ان الدكتور الخربوطلى يحسن قراءة الكتب التاريخية القديمة ، بما فيها من علو طبقة البيان العربى أحيانا ، وبما فى بعضها من التواء الأساليب ، وضعف اللغة بعض الحين . وقد يكون هذا الالتواء المفضى الى غموض فى النص ، نتيجة لنقص ومسخ فى المخطوطات التى تطبع غير محققة ولا كاملة . كما نجده - مثلا - فى كتاب « فتوح البلدان » فى طبعتيه القديمة المصرية وطبعته الحديثة اللبنانية ، وكما نجده أيضا فى كتاب « الفخرى » لابن طباطبا العلوى ، وفى كتاب « تاريخ اليعقوبى » بما فيه من نقص ومسخ كبير فى طبعتيه : العراقية القديمة ، وطبعته اللبنانية الجديدة الأنيقة الجيدة الورق الجميلة الحروف المطبعية .. والتى لم يعن فيها ناشرها بضبط ولا تحقيق ..

ومع هذه القراءات الكثيرة من الدكتور على الخربوطلى ، كان أيسر الظن ان يفيد من قراءاته هذه ، وأن تستقيم لغته ونحوه العربى ، كما استقام له الأسلوب الواضح المعبر . ولا شك إن النحاة واللغويين سيغضبون عليه اشد الغضب حين يجدونه يستهين بالقواعد التى وضعوها واصلوا بها للغتنا العربية الشريفة بعد استظهار للقرآن الكريم ولغة الشعر والادب والنثر فى العصر الجاهلى ، وفى العصور الأولى للاسلام ..!

وغضب اللغة واللغويين اشد من غضب التاريخ والمؤرخين ! فان المؤرخ لا تكمل اداته مالم يكن لسانه وبيانه فى تعبيره وعباراته التاريخية قدر براعته ومقدرته فى التاريخ نفسه ..

والا فكيف تعلل ورود أمثال هذه الأخطاء والأوهام الشنيعة فى قول صديقنا المؤرخ الدكتور على حسنى الخربوطلى ؟ :

- صفحة ١٧ (فى الرابعة عشر من عمره) ، والصواب : فى الرابعة عشرة .
- صفحة ٦٨ (حتى لا ينقضونها) ، والصواب : حتى لا ينقضوها .
- صفحة ٦٩ (فكتب رسائلا) ، والصواب : رسائل ، لأنها ممنوعة من الصرف .
- صفحة ٨٤ (قاصدا اخيه) ، والصواب : أخاه ، لأنه مفعول به لاسم الفاعل .
- صفحة ٩٤ (على أن يكون الولاة الأموين) والصواب : الأمويون ، لأنها نعت للولاة .
- صفحة ٩٦ (لم يجد من يرسله لقتال ابن الزبير سوى اخاه) والصواب : أخيه لأنه من الأسماء الخمسة وهى تجر بالياء .
- ٩٧ (اذا علمنا ان البيئة الحجازية فقيرة لأدركنا) ، والصواب : أدركنا بغير لام فى الجواب ، لأن اذا الشرطية لا يقترن جوابها باللام .
- صفحة ١٠٤ (وان لم ينطوى) والصواب : حذف الياء من الفعل المنقوص المجزوم .
- ١٢٣ (فقد خرج هؤلاء الأمويين) والصواب : الأمويون لأنها فاعل .
- صفحة ١٢٨ (وكان ذو شخصية قوية) والصواب : ذا ، لأنه خبر كان منصوب بالألف .
- صفحة ١٩٦ (حتى لا يفرون) والصواب : حتى لا يفروا ..

وهناك عشرات وعشرات من امثال هذه الأخطاء النحوية واللغوية التى تفقأ العين ، وتذهل النفس ، وتجعل المرء يتساءل عن سر هذا الوهم الفظيع : أهو اهمال من المؤلف ؟ أم شىء آخر غير الاهمال لا نود أن نلصقه به ، او أن نضيفه اليه ؟!

وقد هممت ــ دفاعا عن صديقنا المؤلف ــ أن أعزو الأخطاء الى المطبعة ! فرأيت من الظلم ان تحتمل المطبعة ما ليس يحتمل ! وان ينسب اليها من الخطأ ما لا دخل لها فيه .. وان كنت اكاد اجزم بأن استعمال اسم الوليد بن عقبة بن أبى سـفيان ــ بدلا من عتيـبة بالتـاء ــ هو من الأخطــاء المطبعية التى فات المؤلف تصحيحها او استدراكها .. فالوليد بن عتبة بن أبى سفيان هو صحة الاسم كما ورد فى كتب التاريخ كلها وكتب التراجم كاليعقوبى ، والأعلام لخير الدين الزركلى ، وتاريخ الأمم الاسلامية للشيخ محمد الخضرى . وابن عتبة هذا هو صاحب الحوادث مع الحسن والحسين ابنى على رضى الله عنهما ، وعبد الله بن الزبير . أما الوليد بن عقبة ــ بالقاف بعد العين ــ فهو ابن ابى معيط ، اخو عثمان ابن عفان لأمه ، ولا شأن له مطلقا بأخبار عبد الله ابن الزبير ..

بقيت هناك بضعة اخطاء من المطبعة واضطراب فى تنفيذ الحــروف ادى الى اضطراب فى بعض العبــارات ، كما حدث فى العبارة التــالية صفحة ١٩٩ (وعلم عبد الله بن الزبير بســوء سياسة ابنه حمزة فعزله ، وأعاد أخاه مصعب الى ولاية العراق ، ولكن الفترة القصيرة التى شهدت حمزة فعزله ، واعاد اخاه مصعب الى ولاية العراق . ولكن الفترة حكم حمزة ادت الى تخلى بعض أنصار ابن الزبير عنه) وهى عبارة كما ترى مضطربة ، وقد جاء اضطرابها من الطابع لا من المؤلف ، ومن السهل ردها الى الصواب ..

وبعد ! فاننى على ثقة وأمل كبير ــ بعد هذا كله ــ أن نلقى صديقنا الكريم الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتاب تاريخى جديد له وقد احسن الى لغة العرب ، كما هو محسن دائما الى تاريخ العرب والمسلمين ..

محمد عبد الغني حسن



ذهب كثيرون من الادباء والنقـاد مذاهب شتى فى تعريف الشعر وتفسيره ولكنهم أجمعوا كلهم على أن تجربة شعورية تعبر عنها الفاظ منتقاة لاشعوريا ، لها تركيب خاص من ناحية الايقاع والترابط الصوتى ، تستطيع أن تنقل هذه التجربة الشعورية من نفس الشــاعر الى نفس المتلقى بكل ما تحمل هــذه الألفاظ من مدلولات وايقاعات وظلال . واذا كان هــذا التعريف ناقصا ــ شأن كل تعريف يمس جوهر الفنون ــ فانه على الأقل يقرب لنا أرضــية ثابتة نستطيع ــ استنادا اليها ــ أن نحــاول تحديد ماهية الشعر وخصائصه عــلى وجه التقريب .

ومن البدهي أن الشعراء يختلفون فى درجة الاقتراب من روح الشعر الحق ، والعمالقة هم الذين يحققون خصائصه المتكاملة فى انتاجهم .

واذا كان العقاد من عبقريات أدبنا الحديث ومن كبار أعلامه فانه كصاحب مدرسة شعرية لم يستطع أن يحقق لانتاجه الشــعرى روح التكامل الفنى ، فعلى الرغم من غنى شــعره الفكرى فان فقدان الموسقة الأسلوبية فى أغلب هذا الشعر اصابه بنقص خطير هو فى حد ذاته من اهم مكونات كل شعر متكامل .

تأليف

محمود عماد

الناشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

٢١٣ صفحة - ١٤×٢٠ سم - الجزء الثانى

واذا كان العقاد أيضا قد لعب دورا هاما فى حركة التطوير الشعرى بنماذجه الشعرية الرائدة التى اختطت دربا جديدا بعيدا عن الدروب المطروقة ، وبنقده النظرى والتطبيقى ، فاننا لا نرى أثرا لما حققه هو أو غيره من الرواد فى هذا الديوان ، على الرغم من أن صاحبه صديق قديم للعقاد .

ان محمود عماد واحد من أبناء مدرسة شعرية لها انتاجها الذى عرف بخصائص معينة تجاوزها الشعر العربى الحديث ان لم نقل اهملها . ومن هذه الخصائص روح التقرير والاهتمام بالفكرة الذهنية ، والحق يقال ان هاتين الخصيصتين طبعتا كثيرا من شعرنا القديم بطابعهما ، فقد كان ديدن الشاعر القديم تلخيص تجربته فى بيت او أبيات تقوم « الحكمة » فيها كغرض أساسى يسعى اليه ، والحكمة كما نعرفها تقرير وبلورة ذهنية للتجربة ، ولعلك ترى مصداق ذلك فى الأبيات التالية :

يا شباب العلم فى الوادى أحييكم عموما
وأحيى داركم اذ عيدت عيدا فخيما
عيدها الفضى نلقى فضلها فيه عميما
حبذا ذهبا قد كان أو ماسا كريما
ليت منها عشرات تدرأ الجهل الوخيما
ليس غير العلم من يرسم للدنيا الرسوما
ان يشأ كانت عذابا أو يشأ كانت نعيما
ان يشأ آوت عبيدا أو يشأ آوت قروما

فانك تحس - الى جانب روح التقرير التى جعلت هذه الأبيات مسرفة فى النثرية لعرضها الأفكار الذهنية - جو الافتعال السردى الذى تتناكر فيه الألفاظ وكأنها لبنات فى جدار غير متجانس ، كل لبنة منها تخالف الأخرى فى الشكل واللون والحجم . ولعلنا ندرك أيضا أن احساس الشاعر باللفظة وامكانياتها الموسيقية احساس ضئيل . وهى ظاهرة شائعة فى الديوان كله ، بل ان هذا الاحساس ينعدم تماما فى أبيات لا نعتبرها من الشعر ولا من النثر .. كقوله :

ان الضعيف يتيم عندهم وهمو
له — وان لم يكن من آلهم — آل

وقوله في نفس القصيدة :

ان الضعيف الأصيل الضعف ذو نشب
وغير ذى نشب فى الضعف محتال

وقوله :

او تكن جئتنا لتحمى فردا
فهو والله مات مذ نصف قرن

وقوله :

طبت اذ طابا فلما عطبا
ثم عنى وليا لم اطب

ان موسيقى الشعر علاقات صوتية بين الألفاظ ، ومن البدهى انها من اهم عناصره ان لم تكن اهمها جميعا ، وقد وصل الرمزيون الى انها جوهر الشعر الوحيد ، فحاول بعضهم الوصول بالقصيدة من ناحية ايقاعها اللفظى الى مستوى المقطوعة الموسيقية دون أن يقدم معنى واضحا او صورة متكاملة مدركة ، لأن غرضه هو الايقاع اللفظى الذى ينقل احساسه الغائم الى الآخرين كما تفعل المقطوعة الموسيقية .

الى هذا الحد بلغت أهمية الموسيقى فى الشعر ، وهى موسيقى أكثر خفاء وأعمق أبعادا من الموسيقى الخارجية المتمثلة فى ايقاع الوزن او تقسيم البيت الشعرى الى جمل متساوية أو فى الجناس بنوعيه كما هو معروف .

وافتقاد القصيدة — اية قصيدة — الى ايقاعها الخاص الملائم لنوعية التجربة الشعورية التى تعبر عنها بفقدها شاعريتها ، ذلك ان هذه الموسيقى مرتبطة باحساس الشاعر وانفعاله . **ومن البدهى أيضا أن عاطفة الشاعر لا تتمثل فى معانيه وصوره فحسب ، وانما تتمثل فى الدرجة الأولى فى ايقاعه الذى ينقل ذبذبة هذه العاطفة ودرجتها بل ومناخها العاطفى الى نفس المتلقى ، وهذا الايقاع يعطى أبعادا أعمق من مدلول الألفاظ المباشر .**

انظر الى أبيات أبى ماضى وهو يخاطب لبنان بعد هجرة طالت :

وطن النجوم أنا هنا
حدق .. اتذكر من انا ؟

المحت فى الماضى البعيد فتى غريرا ارعنا
المقتنى المملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الأشجار لا ضجرا يحس ولا ونى

فلن تجد فخامة فى التركيب أو ديباجة محبوكة — كما يتوقع البعض فى الشعر العظيم فى نظرهم — ولكن ستجد الفاظا عادية مما يستعمل كل يوم ، ولكن اى موسيقى اليفة صادقة بلورت انفعال الشاعر عن طريق هذه الالفاظ العادية ؟ وأى ايقاع حنون ودود يلائم عاطفة الشاعر العائد الى وطنه بعد غياب ؟ **ان ايقاع التعبير اللفظى ليس شيئا منفصلا عن معانى القصيدة وصورها وانما هو بلورة لكل مكوناتها من انفعال وصور وأفكار** ، ففى الشعر لا تقف الألفاظ كما تقف فى النثر عادة وحيدة منكمشة ، فان الترابط الصوتى بين حروفها يكون سبيكة نغمية هى أقرب الى السمفونية التى تصل نغمتها الى اذنك نغمة واحدة وهى فى نفس الوقت عطاء عشرات الآلات المختلفة تعزفها فى وقت واحد ، فتتشابك الأصوات بدرجات متفاوتة فى اطار هذه النغمة الواحدة .

فاذا كان الايقاع مهما الى هذا الحد ، فهل تستطيع أن تحس فى الأبيات التالية التى يتحدث فيها الشاعر عن فاروق ملك مصر السابق شيئا منه :

مضى ملك الغابة المستبد
يحل بها كل ما لا يحل
يدان البرىء ويعفى المسىء
ويغصب مال ويخلى محل
ومن قاد جيش رجال يذل
ومن قاد جيش نساء يجل
ويعطى الجنود سلاحا يصيبهم
هو ويقى من عليهم يسل
ويلقى بهم للعدو طعاما
وبالنصر بعدهمو يحتفل
ويقصى البعول لأمر صغير
وتغشى البيوت لأمر جلل

ولو عاد بعـــل الى البيت
يقتل ثم يثاب الذى قد قتـــل

وهل يعرف الوحش الا الفنا
د والا السفاد اذا ما انتقـــل

ان الأبيات ــ كما نرى ــ تسلك مسلك اخواتها السابقات فى عرضـــها التقريرى للأفكار ذهنية لا تسندها روح شعرية أو لمسة فنيـــة ترتفع بها من مستواها النثرى الى حرم الشعر . فاذا قلنا عن هذه الأبيات أنهـــا نثر تفسيرى ما عدونا وجه الصواب . وتجرنا هذه الظاهرة الى ظاهـــرة اخـــرى مكملة لها هى ايراد « الأكليشيه » التعبيرى القديم مثل حديث الشاعر عن « نار الغضا ــ ص ٤٠ » و « ويلمها تبعات ــ ص ٣٨ » و « وغيــر ذي نشب ــ ص ٣٩ » و « صـــال بالصمصامة الذكر ــ ص ٣٣ » و « الصبا والدبور ــ ص ١٩٠ » ، فان هذه التعابير فضلا عن ان أغلبها وليد البيئـــة الصحراوية فانها جميعا قد فقدت ايحاءها ــ ان كان لها ايحاء ــ لكثرة تداولها وجريانها على الألسنة عصورا طويلة .

ومن نافلة القول والحديث المعاد ان نقول ان لكل شاعر زوايا التقاطه ورؤيته الشعرية الخاصة التى بها يحقق ذاته فى شعره فيكسبه طـــابع شخصيته وبصمات نفسيته ، ومن مكونات هذا الطابع ابتداع التعبير الشخصى الدال الموحى ، **فاللغة الفاظ ميتة فى القاموس ، ولكن مفرداتها فى التعبير الشعرى تكتسب حياة ثرية عن طريق تركيبها الخاص الذى يقوم ــ عند كل شـــاعر موهوب ــ على الاحساس بكيمائية موسيقاها ، وعن طريق هذا التركيب الجديد للمفردات تولد الصور الجديدة الحية ، ومن هنا جـرت اعادة التعابير القديمة روح التقرير وبالعكس ، فهمـا مرتبطان ترابطا متكاملا ، فالتقرير بطبيعته يستلزم المنطقة العقلية ، وهذه تؤدى بدورها الى النثرية ،** والنثر هو القالب الذى يتسع للأفكار الذهنية والتفريعات والتفاصيل وكل هذا مناقض لجوهر الشعر الذى يقوم أصلا على اللمحة الـــدالة والاشارة الموحية أو بعبارة أخرى « التكثيف » الشعورى والتركيز فى الخطوط الأولى ، ومن هنا قوة تأثير الشعر فى النفوس ، **ولكن الروح التقريرية تستتبع الصور الثابتة ، تلك التى تتجمد فى أبعادها الحسية دون حياة ، بل انه يجر لا الى الصورة الثابتة فحسب ، ولكنه يستدعى الصور الطافية فى الذهن أو الصور المرئية الساذجة .**

ولعلنا نرى ذلك فى الأبيات التى وقف الشاعر فيها امام البحر متذكرا صلته به :

لم الكهذا كنت العالك فلا ابدى احتفـــالا
ها هو الشاطىء ميتـــا لا نبـــيها وامتثالا

فندق بغشيانه من يغشيه فلا يشـــكو الملالا
ها هو المـــاء المصفى كزجاج فيـــك سيالا

ظــاهر البـــاطن لا يرقب عن سر ســـؤالا
ها هى الأمـــواج لا تألو اتصـــالا وانفصـــالا

وعلى الرغم من عمق التجربة فانك لا تجـــد ابعادها فى الأبيات السابقة فلا زال الحديث الى البحر يأخذ شكل السرد الذي يتناول السطوح الخارجية .. حتى الصورة الخيالية التى ترسم عن طريق التشبيه صورة ساذجة ... فها هو الماء المصفى .. مثل ماذا ؟ مثل الزجاج السائل .. والأمواج .. إنها لا تألو انفصالا واتصالا .. وها هو الشاطىء ميتل الرمال .. فهل نرى فى هذه الأبيات رؤية شعرية خاصة ؟ وهـــل فيها ما يدل على عاطفة معينة يفصح عنها الشاعر ؟ يبد هنا سؤال واجب وهو :

هل عمل الشعر نقل الواقع المرئى كما هو بحيث ان العين تدرك عن طريق الرؤية المباشرة سواء أكانت عين شاعر او غير شاعر ان الأمواج تنفصل وتتصل وانها تبل الرمال .. فهل هذه حقائق كونية جـــديرة بالتسجيل ؟ وان كان لابد من تسجيل الواقع أيسجل بهذه المباشرة والتقريرية والتسجيل الفوتوغرافى ؟ ألما فضل الشاعر على عدسة الكاميرا ؟ .

ان المقارنة بين تجربة تعرض لها صاحب الديوان وشاعر آخر من شعراء النار تواطئ كلامنا السابق . فللشاعر قصيدة بعنوان « اسلوانا » وهى تتناول تجربة تعرض لها الشاعر الآخر هو ابراهيم

ناجى ، وان كان هناك خلاف ضئيل بن التجربتين فان جوهرهما واحد .

يقول صاحب الديوان :

سلوه لماذا يريد الفـــرارا
وليس يطيق لديها القـــرارا

بقاع من الأرض كانت لـــه
زمانا محجا وكانت مـــزارا

وكان يحب الرجـــوع اليهـا
ولو جاز بيـدا لهـا أو بحارا

تراءت له أمس جنـــة عـدن
فكيف تراءت له اليـــوم نارا

اذاك لأن بهـــا ذكـــريات
أثيرت كما هجت سربا فنـــارا

وان الألى ســـكنوها تولوا
فصارت خرابا وكانت عمـارا

خرابا وان سكنت بعـــدهم
ولم يهدم الدهر منها جـدارا

فالشاعر يتحدث عن مكان له فيه ذكريات ، هجره أهلوه فأصبح مزاره نارا فى نظره وان كان لا يزال ــ بعد الهجر ــ حيا بسكانه الجدد .

التجربة اذن تجربة واقعية لها أثرها فى نفس الشاعر ولكنه حينما عبر عنها لم يخـرج عن حدود اللمسة الخفيفة والتقرير الساذج ، بل انه ــ كعادته ــ ينظر اليها كقضـية تناقش فيدير الأسئلة والاستفسارات وبذلك ماتت التجـربة الحية الهازة للمشاعر ، فاذا نظرت فى الأبيات فلن ترى صورة موحية أو تعبيرا مكثفا لعاطفة .. بقاع من الأرض كان يزورها « انظر الى لفظـة « بقاع » وتأمل سماجتها .. ثم راجع التعبير كله « بقاع من الأرض » فى مجال التعبير عن منزل الأحباء ، هذا التعبير الذى لا يحدد مكانا معينا يضفى ظلا من واقعية التجربة .. » وامتنع عن زيارتها لأن ساكنيها تولوا عنها .

ولا شك أنك صدمت بهذا الســـؤال التفسيرى الذى يبعدك عن فنية الشعر ويبدهك بروح المنطق الغليظ حينما حاول الشاعر تعليل ابتعاده عن هذا المكان المحبوب فقال :

اذاك لأن بهـــا ذكريات
أثيرت كما هجت سربا فنـارا

ودعك من (اذاك) هذه وثقلها ولكن انظر الى (جنة عدن) التى جرت وراءها ــ عن طريق التداعى ــ لفظة النار لتتم المقابلة الساذجة بين النعيم والجحيم !

أما ناجى فهو يزور بيت الحبيب بعـد أن تركه الحبيب ، وانت منـذ اللحظة الشعورية الأولى فى قصيدته تحس انك أمام تجربة انسانية ذات أبعاد :

هذه الكعبة كنا طائفيهــــا
والمصـــلين صباحا ومساء

كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غربـــاء

دار أحلاى وحبى لقيتنـــا
فى جمود مثلما تلقى الجـديد

أنكرتنا وهى كانت ان رأتنـا
يضحك النور الينا من بعيـد

ها هنا تقف مبهورا بروعة المشـــهد ودقة الصورة وحلاوة الايقاع الملائم لمناخ هذه التجربة الشـعورية ، فاذا دققت النظر وأمعنت الذوق بدت لك دقة التعبير التى لا يمكن لشاعر عظيم ان يتخطاها ، **فليس الشعر كلاما يرص وقوالب لفظية تنثر وانما هو دقة فى التعبير بحيث انك لو رفعت لفظا واحدا ووضعت مكانه مرادفا له يؤدى نفس معناه اختل السياق وفقد البيت ركنا مهما من فنيته** ، فدقة العبير هذه تستلزم أن يقول ناجى « طائفيها » فى مجـال الحديث عن (الكعبة) ولو قال « زائريها » مثلا ما بلغ الأوج التصويرى المتكامل الذى بلغه . ثم انظر الى صورته الحية النامية (يضحك النور الينا من بعيد) بما تحمل من قوة الايحاء وتصوير الترحاب والبشر والألفة .

د . كمال نشأت

ديدري فتاة الأحزان

تأليف : جون ميلنجتون سينج

ترجمة : على جمال الدين عزت

مراجعة : الدكتور عبد الغنى خلف الله

تقديم : د. عبد الله عبد الحافظ متولى

تعتمد هذه المسرحية على احدى الملاحم الشعبية الايرلندية المعروفة . ولقد انعكست الأساطير والملاحم الشعبية ـ التى تشكل ميراثا غنيا فى المأثورات الشعبية الايرلندية ـ انعكست بصور مختلفة فى الادب الايرلندى الحديث .

كما تناول كتاب المسرح كثيرا منها فاستلهموها شعر ونثرا .

ان اغزر الوان الادب الملحمى الشعبى هو الملاحم البطولية التى تتعلق بفعال الأبطال الايرلنديين فى الماضى السحيق ، وقد حفظت المخطوطات اللاتينية ـ التى كتبت فى القرن الثانى عشر ـ ما عاش ، حتى ذلك الوقت ، من هذه الملاحم .

وتتمثل هذه الملاحم فى أربع حلقات أقدمها فى الزمن هى الحلقة الأسطورية ، وأحدثها هى الحلقة التاريخية المعروفة بحلقة الملوك ، وتتوسط هاتين الحلقتين حلقة « الفتوة » التى ترتبط باسم « الفينيين » The Fenian « ، وهم عصبة من المحاربين يظن انهم عاشوا فى ايرلندا فى الفترة من سنة ٣٠٠ ق م الى سنة ٢٨٤ م . وابتدعوا نظاما للفتوة كانت له تقاليده التى ارتبطت بهم .

أما أنبل الملاحم وأروعها فى الأدب الشعبى « فهى حلقة ألستر » Ulster « التى تتمركز حول شخصية « كوهلن Cuchalnin ، والملك كونور ماك نيسا Conor mac Nessa ومايفى maeve ملكة كونوت ، والزمن الذى يؤقت فيه هذا التراث هو القرن الأول الميلادى .

اما انبل الملاحم واردعها فى الأدب الشعبى الايرلندى فهى قصة « ديدرى وأبناء أوشنا » ، واقدم روايات هذه الملحمة ما عرف باسم « نفى ابناء أوشنا » ، وتبدأ بزيارة يقوم بها كونور ملك الستر وحاشيته لمنزل كبير قصاصى الملك



الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٣٥ ص ١٤×٢٠ الثمن ٥ قروش

الشعبيين ، ويتضح فى نهاية الزيارة أن زوجة القصاص فى حالة وضع ، وطرق الأسماع صراخ الوليد ، فيهاب رجال البلاط الرعب خوفا من أن يتسرب هذا النبأ الى كاهن الملك ، لأن هذا الكاهن كان قد تنبأ — فى منظومة مبهمة — بأن الوليد سيكون طفلة ، وأن اسمها سوف يكون « ديدرى » ، وسوف تكون جميلة جمالا لا يمكن وصفه ، وتكون سببا فى مذبحة عظيمة يذهب ضحيتها رجال « الستر » ، وتنتهى بدمار المملكة .

وتولد الطفلة ، ويذهب بعض المحاربين لقتلها وهى فى المهد ، ولكن الملك يقول : لا ، اننى سآخذها وأربيها ، وسوف أتزوجها .. وعلى ذلك فان رجال « الستر » لا يجرؤ أحد منهم على الوقوف فى وجه الملك ، تماما على حد تعبير سنج :

« فى النهاية لا يوجد انسان يستطيع أن يقف ضد « كونور » ! لأنه اذا وقف إنسان ضده ، فلسوف يجنى الندم ، وستقصر أيام حياته » .

وتدرج الطفلة فى قصر الملك وتنمو ، وتصبح أجمل امرأة شابة فى ايرلندا ، وفى أحد أيام الشتاء كان أبوها بالتبنى يقوم بسلخ عجل صغير ، وكان قد أضجعه على الثلج ، ويحط غراب يشرب من الدم ، فتقول « ديدرى » متسائلة : .. ألا يوجد انسان فيه هذه الألوان الثلاثة : شعر فى سواد الغراب ، ووجنة كالدم ، وجسد أبيض كالثلج ؟

وكان الملك يعرف هذا الرجل المختار ، انه « نايزى » أحد أبناء أوسنا ، وتحتال الفتاة للقائه ، بعد أن عرفت بخبره من مربيتها ، وأخيرا يأمر الملك بطرد أبناء « أوسنا » الثلاثة ومعهم « ديدرى » من ايرلندا ، فيذهبون الى « اسكتلندا » ، ويدخلون فى خدمة ملكها ، ومن ثم فانهم يخبئون الفتاة ، ولكن أمرها ينكشف فتبدأ متاعبهم من جديد ، اذ يرسل الملك اليها رسولا يخطبها الى نفسه سرا ، ولكنها تفضى بالأمر الى « نايزى » ويعلم الملك بذلك ، فيوفد الأخوة الثلاثة فى بعثة خطيرة .. لكنهم ينجون من الهلاك .

وفى النهاية يعودون مرة أخرى الى ايرلندا فى حماية « فيرجس » وبعض المحاربين الذين يضمنون سلامتهم ، ولكنهم عندما يبلغون « الستر » تصل النبوءة القديمة الى منتهاها ، اذ تنشب الخصومة بين « فيرجس » وبين الملك ، ويقتل فى الصراع كثير من الرجال .

أما سبب الخصومة فهو أن الملك كان قد أوعز الى أحد اتباعه بأن يقذف بحريته ترحيبا بعودة الاخوة الى الوطن ، على أن يتمثل فى نفس الوقت أن تصيب الحربة « نايزى » وتحطم ظهره .

وتنتهى الملحمة بأن تضرب « ديدرى » رأسها فى احدى الصخور حتى تتحطم حزنا على « نايزى » .

هذا هو موجز القصة التى اجتمعت فيها كل الفاجعة . والتى نجد فيها « ديدرى » تمثل شيئين فى نفس الوقت : البطلة ، وجالبة الشر على السلام ، فى البداية تجتمع لها المقدرة على السيطرة والتدبير ، ولكنها فى نهاية القصة عندما تنسى كل هذه الأشياء تصبح شخصية درامية تعبر عن قيمة فاجعة .

النص الايرلندى لهذه الملحمة ظهر فى ثلاث مخطوطات ، أقدمها وأكثرها ذيوعا هى مخطوطة القرن الثانى عشر التى حفظها كتاب « لينستر Leinster » ، الذى كتب حوالى سنة ١١٦٠ ، وان كانت الرواية التى لخصناها لهذه الملحمة تعتبر أقدم فى الزمن من المخطوطات التى وعتها ، فاللغة فى الأجزاء النثرية منها تشير — فى الحقيقة — الى القرن الثامن او التاسع كتاريخ للتأليف ، وبعض المنظومات أقدم من ذلك بقرن أو اثنين .

وكما نجد قصة «ديدرى» فى الحقبة المتأخرة من الأدب الايرلندى القديم نجدها كذلك فى فجر الأدب الحديث ، وفى الأدب المعاصر ، ونجدها أيضا فى أشكال مختلفة من الأدب الانجليزى ، وفى الأدب الاسكتلندى الكلتى .

ولقد نشرت هذه الملحمة أكثر من مـــرة ، وترجمت الى الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية . وتختلف روايات الملحمة العديدة فى التفاصيل ، وفى بعض هذه الروايات يقـــوم « كوهلن » بدور الأخ بثأر الأخوة الثلاثة الذين قتلهم « كونور » ، بعد أن قام كاهنه ــ بما يملك من قوى السحر ــ بتجريد الاخوة من قوتهم .

وقد مزجت « الليدى جريجورى » هـــاتين الروايتين فى كتابها الذى أصدرته عن كوهلن فى سنة ١٩٠٢ . وقد عالج الشـــاعر الايرلندى « ييتس » هذه القصة فى مسرحية من فصـــل واحد كتبها بالشعر المرسل .

« المسرحية »

أما « سنج » كما سوف نرى فقد عالجها فى مسرحية نثرية ذات ثلاثة فصول ، وتبدأ المسرحية بزيارة « كونور » لديدرى ، ويتضمن الفصـــل الأول ملابسات هذه الزيارة ، وهرب ديدرى مع « نايزى » .

أما الفصل الثانى فقد خصص للمحاجة التى دارت بين « ديدرى » ونايزى عندما كانا يناقشان فكرة مغادرة « اسكتلندا » . ويتضمن الفصل الأخير العـــودة الى الوطن ، كما يتضمن قصة القتل ، ويضيف «سنج» شيئا آخر غير متوقع ، هو حالة الخضوع التى تعترى « كونور » وهو يخطب « ديدرى » بعد أن قتل الأشقاء الثلاثة .

وقبل أن نتحدث عن الترجمة العربية التى قام بها الأستاذ على جمال الدين عزت ، ينبغى أن ننوه بالمقـــدمة الوافية المستفيضة التى كتبها الدكتور عبد الله عبد الحافظ لهـــذه الترجمة متحـــدثا فيها فى تحليـــل دقيق عن الكاتب الايرلندى سنج وفنه الدرامى ، ملقيا الضوء على جوانب هذه المسرحية الفذة .

ولد سنج فى ١٦ أبريل ســـنة ١٨٧١ فى « نيوتاون لتيـــل ــ New town little » ، وهى قرية قريبة من دبلن عاصمة ايرلندا الحرة . وقد التحـــق بكليــــــة « ترينتى ــ T.C.D » فى سنة ١٨٨٨ وحصل منها على درجة الليسانس فى سنة ١٨٩٣ . وبدأ فى هذه الفترة يميل الى الموسيقى .

ثم ذهب الى المانيا ، ومنها راح يتجول فى ربوع أوربا . وفى ســـنة ١٨٩٨ التقى فى باريس بالشـــــاعر الايرلنـــدى « وليم بتلر ييتس W.B. Yeats » الذى نصحه بالعـــودة الى ايرلندة ، ويستمد الوحى من جزر « آران ــ Aran » . ومنـــذ ذلك الوقت قضى ســـنج حياته متنقلا بين دبلن وبين جزر آران التى وجد فيها ضالته المنشودة . (ص ٣ ــ ٥) .

وفى وسط الموجة القوميةالتىسادتايرلندا فى هـــذه الحقبة ــ فى الأدب عامة ، وفى المسرح خاصة ــ كتب « سنج » مؤلفاته تجاوبا مـــع الحركة الايرلندية المسرحية . وكان فى مقدمة من تولوا ادارة مسرح « الأبى » الشهير الذى افتتح فى سنة ١٩٠٤ .

فى هذه الفترة كتب « سنج » أشـــــهر مسرحياته ومن بينها هذه المسرحية :

« ديدرى فتاة الأحزان » ، التى طبعت بعد وفاته فى سنة ١٩١٠ . (ص ٥ ــ ٧) .

كان من نتائج مقابلة ييتس لسنج ودعوته له أن يرحل الى جزر آران ، أن تأثر سنج تأثرا عميقا بالطبيعة التى الهبت خياله الحساس ، وبالفلاحين البسطاء الذين أثروا فيه بصـــدق احساسهم وبساطتهم .

وكان توجيه « ييتس » لسنج ينبع من اعتقاد « ييتس » بأن المسرحية الشعرية لابد أن تحد من غلواء المسرحية الواقعية الاجتماعية التى تزعمها « ابسن » ، و « شو » ، اما بتخطى حدودها الى معالجة موضوعات مستمدة من الريف الايرلندى بما يتسم به من بساطة وصـــدق احساس ، واما بالارتفاع عن مستوى الواقعيـــة الى مسرح الرمز والمثالية .

ولقد اختار ييتس الاتجاه الأخـــير ، ودفع سنج ، وليدى جريجورى الى الاتجاه الأول فى محاولته لتدعيم المسرحية الشعرية الحديثة .

ولقد صادف هذا الاتجاه هـــوى فى نفس « ســـنج » الشاعر المرهف الذى كان يرى أن الدراما كالسيمفونية لا تهدف الى أن تلقى درسا أو تبرهن على قضية من القضايا .

وهذا التجاوب العميق بين سنج وبين خبرات الحياة فى جزر آران وجد أصدق تعبير عنه فى علاقة الانسان بالطبيعة التى تتخذ فى مسرحيات سنج نغمة صوفية .

وفى مسرحية « ديدرى فتاة الأحزان » نجد الطبيعة تسيطر على الشخصيات وتلعب دورا ايجابيا فى سير الأحداث وتطور الشخصيات . ووراء هذا التفاعل العميق بين الانسان والطبيعة يكمن شعور قوى جارف بالجمال الزائل ، بقصر العمر والفناء . (ص ٨ – ١٤) .

لقد استخدم « سنج » فى التعبير عن موضوعاته التى استمدها من التراث الشعبى اسلوبا يعتمد على اللهجة الايرلندية التى يتخاطب بها سكان جزر آران ، وكما يقول « نيكول » : « بعد عودة سنج من باريس استمع الى لهجة الفلاحين الايرلنديين ، وفجأة اكتشف أن هذه اللهجة الانجليزية الغربية تزخر بالخيال الشاعرى الذى تتميز به العقلية الغيلية Gaelic ، اكتشف انها وسيلة جميلة مبتكرة للتعبير عن افكاره وعواطفه » . وهكذا لم يكتب سنج مسرحياته بالشعر ، بل بهذه اللهجة الشاعرية التى تتلاءم مع شخوصه ومواقفه .

فى هذه المسرحية سنجد أن سنج لم يركز على الأسطورة التى تعتمد على النبوءة القائلة بأن « ديدرى » ستجلب الحزن الى « الستر » ، بل سلط أضواءه على حب « كونشبور » (١) Conchuber ملك الستر السامى لديدرى ، وحب ديدرى لنايزى أى أنه بعبارة أخرى ركز على الجانب الانسانى من الأسطورة . (ص ١٨) .

وفيها أيضا نجد عمق التأثير والمزج الجميل بين العنصر الدرامى والعنصر الشعرى . وتظهر بوضوح الامكانيات المسرحية فى الحوار والموقف

(١) يفضل الكتاب الايرلنديون المحدثون نطق الاسم « كونور » كما أسلفنا . وأنظر على سبيل المثال

M. Dillon, I rish Sagas - 1959.
E. O' Faolain, Irish.
Folk-Tales-London 1960.

باثارته وسرعته التى تتجلى فى الجمل القصيرة اللاهثة المعبرة التى يصفها الناقد الايرلندى « دنيال كوركيرى » بقوله : انها معبرة للغاية لدرجة أننا نكاد نسمع الحوار عند قراءته . (ص ١٩ – ٢٠) .

ولا تكمن روعة مسرحية « ديدرى فتاة الأحزان » فيما تثيره من احاسيس وأفكار وايحاءات فحسب ، بل فى الجو والألوان والصور الطبيعية التى تضفى بريقا جميلا على الأشياء المألوفة . (ص ٢٧) .

اذا انتقلنا من ذلك الى الترجمة العربية فلا شك اننا سنلحظ الجهد الكبير الذى بذله الأستاذ على عزت ، وقد تبين لنا مما قدمناه مدى صعوبة النص نتيجة لمحاولة « سنج » أن يتخذ أسلوبا يعتمد على لهجة سكان جزر آران ، وهو اسلوب تجتمع فيه عدة أشياء فى وقت واحد منها غرابة تركيب العبارة وبساطتها الخادعة ، وشاعريتها ، ومن أجل ذلك فان صعوبة نقل مثل هذا النص الى لغة أخرى أمر لا سبيل الى انكاره . وهو يقتضى جهدا آخر غير الترجمة للمحافظة على خصائص التعبير البلاغية وعلى روحه الشاعرية الرقيقة .

ولقد حافظ المترجم فى أمانة على معنى التعبير ، وبذل جهدا كبيرا من أجل الاحتفاظ بروح النص فى العربية ، غير أننى أعتقد أنه لم يوفق فى بعض الأحيان ، فى رأيى أن السبب يعود الى امرين : أولهما هو أن رغبته فى مجاراة شاعرية النص قد جعلته أحيانا يعمد الى الكليشيهات الزخرفية فى اللغة العربية كوصف الشمس بأنها تمتطى عنان السماء (ص ٦٤) :

« .. لا اخشى الموت ما دمت أربح فى مقابله كنوزا خليقة بأن تجعل الشمس تحمر من فرط الحقد ، وهى تمتطى عنان السماء :

make the Sun red with envy and he going up the heavens.

فمن الممكن التعبير عن المعنى بصورة ابسط من ذلك مثل : « ولا يخيفنى الموت كثيرا ما دمت اربح ثراء يجعل الشمس تحمر حسدا وهى تصعد فى السماء » .

او وصف المطر بالغيث : « لقد جئت والغيث Shower ينهمر قبيل الفجر (ص ٧٠) » .
والغيث تعبير صحراوى كما هو معروف .
ومن ذلك ايضا وصف القمر بانه معقود اللواء : « فى وقت تتخذ فيه الشمس مكانا دانيا ، ويعقد فيه لواء القمر على سماء معتمة .. » (ص ٨٩) .
The moon has her mastery in a dark sky
وأبسط من ذلك فى رايى « وحيث يهيمن القمر فى السماء المظلمة » .
وهذه الرغبة فى مجاراة شاعرية النص قد دفعته أحيانا الى الاسهاب فى التعبير مثل :
« .. وكأننا نهاجر كطيور الدج القادمة من الشمال أو صغار الطيور الهائمة فوق بحر قد لفه الظلام » (ص ٨٩) .
and we jonrneying as the thrushes come from the north, or young birds fly out on a dark sea.
« .. ونحن مرتحلون مثل الدجاج البرى القادم من الشمال ، أو مثل أفراخ الطير وهى تخفق على البحر المظلم » .
ومثل ذلك ايضا : « .. وحيث تبدو حبات العليق وهى تتدلى على الأشواك فتنتظم سدا أحمر اللون : and the berries on the thorns are a red wall .. ومن الممكن الاقتصاد فى التعبير الى « .. وحيث ثمار التوت على الأشواك سياج أحمر » .

أما الأمر الثانى فيعود الى حرص المترجم على اداء المعنى ، وقد أدى هذا الحرص الى التحيف على شاعرية الأسلوب فى بعض الأحيان باستخدام تعبيرات حرفية او غريبة مثل « طيور الدج thrushes » التى أشرنا اليها ، والتى ترجمها فى مواضع أخرى « طيور السمان » (ص ٦٠) .
ومثل : « حيتان سليمان Sulmon » « سمك السلمون » (ص ٨٧) . ومثل : « الموت شىء ردىء قبيح » (ص ٩٨) .

ومثل : هذا التعبير الغريب « نتواجد » : أليس من دواعى الأسى أن نتواجد فى هذا المكان (ص ١١١) :
And isn' tita hard Hrat you and I are this place
« اليس قاسيا ان نجتمع معا فى هذا المكان » .

ومثل هذا التعبير : « لقد كان نصيبك موتا نظيفا Clean death ، ويمكن أن يقال : ميتة طاهرة » .

ولكن مهما يكن من امر فان هذه الملاحظات العابرة لا تعدو أن تكون وجهة نظر فى التذوق ، لا تمس بحال جوهر الموضوع ، ولا تنتقص من الجهد الفائق الذى قام به المترجم فى دقة وامانة رغم الصعوبات الكثيرة فى أسلوب سنج واللغة التى استخدمها فى حواره .

فوزى العنتيل

سطور من كتاب

مسكينة قلعة الجبل !

مسكينة أرض النيل وهى تشرب عرق البؤساء لتزدرد به عهد شراهة أسياد الأعنة والتيار المنقوع فى الدم ، كان اكثر من مائة سنة من عهد برقوق البعيد ليست كفاية عليها ! .. كأن لم تبتلع الحلقة المفرغة التى بترها عهد قايتباى آلاف النهازين من عتاة الخطف ، مارة بحجر الرحى الطاحن على يلبغا ومنطاش وفرج وخشقدم وبلباى وتمربغا وخير بك الذى أدام الله عزه ليلة واحدة ، وكأن تلك الحلقة الغاشمة كانت تنتظر طوال تلك السنوات التسع والعشرين نومة قايتباى الأخيرة لكى يطل خرتيتها الهمجى بقرنه فى سنة ١٤٩٦ ويبدأ من جديد دورانه الشنيع فى الحوش السلطانى .. »

السائرون نياما



« البيروقراطية فى مصر تمثل أقدم نظام حكومى عرفه التاريخ ؛ حيث تمتد جذورها عبر طبقات متراكمة من الماضى .. فقد ظهرت منذ القدم وعاشت عبر السنين واصبحت حديث الساعة وموضوع الحاضر والمستقبل .. على أنها لم تلق فى يوم من الأيام مثل الاهتمام الذى تحظى به الآن ، وهذا يلقى بها فى مفترق الطرق . فهى حينا تدرس كظاهرة ثم تهاجم كمرض ، ثم تساند كواقع لابد منه .. هى موضوع نقد وموضوع اهتمام ! » ..

بهذه السطور يبدا الدكتور عبد الكريم درويش مقدمته التى عقدها لكتابه القيم عن « البيروقراطية والاشتراكية » .. ومنذ أول وهلة يحس القارىء بأنه مقبل على دراسة شيقة .. خاصة عندما يقول المؤلف فى أول سطور هذه المقدمة « .. ثم تساند كواقع لابد منه » !! .. « البيروقراطية » .. التى نصبح ونمسى فى صحفنا ومجلاتنا ومختلف وسائل الأعلام لدينا ونحن نشن عليها الحملات الشعواء .. هل يمكن ان تجد — فى ظروف مجتمعنا الشورى — من « يساندها كواقع لابد منه » ؟ ! واذا كان هناك من « يساند البيروقراطية كواقع لابد منه » .. فعلى اى « مفهوم » للبيروقراطية يستند ؟ ...

أهو مفهومها الذى درج عليه أغلب من يهاجمونها ويضعون المرادف لها فى اللغة العربية كلمة « مكتبية » ؛ أم هو مفهوم أكثر اتساعا وعمقا

وأبعادا ؟ ! .. سؤال تثيره لدى القارىء هذه المقدمة التى يقول فيها المؤلف أيضا أن البيروقراطية « قطاع اجتماعى هام لتحقيق الأهداف الجديدة » وان .. « التغيير الاجتماعى المتطرف يستدعى تغييرا متطرفا فى البيروقراطية وفى نفس الوقت تعتبر البيروقراطية وسيلة أساسية لاحداث التغيير » .. فانه اذا كان التغيير الاجتماعى يتطلب بالضرورة أن « **تتغير** » البيروقراطية ؛ فكيف تكون هذه البيروقراطية نفسها وسيلة أساسية لاحداث التغيير ؟ ! ...
واذا كنا نستخدم عبارة « تغيير » البيروقراطية ؛ .. فهل يعنى ذلك أن البيروقراطية فى حد ذاتها — كقطاع اجتماعى — لابد أن تبقى ، وانه لن يلحقها سوى تغيير المفهوم ؟

هذه كلها أسئلة تثيرها المقدمة لدى القارىء الذى تعود أن يقرأ أو يسمع كل يوم شعار **القضاء** على البيروقراطية .. وهى أسئلة تجد اجابتها ولا شك فى فصول الكتاب الذى يعتبر بحق أوفى ما أصدرته المكتبة العربية فى هذا الموضوع الحيوى بالنسبة لمجتمعنا الثورى الذى تحقق وجوده فى أعقاب ثورة ٢٣ يوليو الخالدة ..
ولابد لنا ونحن نعرض لهذا الكتاب من أن ننقل بالنص جزءا من الباب الأول أراه ضروريا لفهم موضوع الكتاب والهدف منه .. حيث يقول المؤلف : —

« تقوم هذه الدراسة على افتراض أن التغيير الاجتماعى المتطرف يستدعى تغييرا متطرفا فى البيروقراطية ، وفى نفس الوقت تعتبر البيروقراطية وسيلة أساسية لاحداث التغيير .. ويأخذ تحليلنا لهذا الموضوع الفروض الآتية فى الاعتبار : —

١ — كان يوجد فى مصر — كما هى الحال فى سائر المجتمعات — فئتان من الناس ، فئة حاكمة وفئة محكومة . وتتركز ادارة شئون الدولة العامة فى يد الفئة الأولى التى تتكون فى العادة من عدد محدود من المشرعين والقادة السياسيين والاداريين تتجمع السلطة فى أيديهم ، وتقوم هذه الفئة بتحديد أهداف المجتمع . وتعتمد فى سبيل تحقيق الأهداف وتنفيذ سياستها على الجهاز البيروقراطى ... **أى ان البيروقراطية الحكومية تصبح أداة رئيسية لتحقيق الأهداف التى تسعى اليها الفئة الحاكمة .**

٢ — ان التغيير الثورى الذى يتناول الجماعة الحاكمة يتبعه حتما تغيير جذرى فى أهداف المجتمع ؛ وهذا يستتبع بالتالى اجراء تغييرات فى الجهاز البيروقراطى ويستدعى من جانب القادة الجدد محاولة للقضاء على الجهاز الحكومى القديم واقامة جهاز جديد بدلا منه .

٣ — ان التغيير الشامل للبيروقراطية الحكومية الذى يتبع التغيير الثورى يعد مستحيلا من الناحية العملية ؛ لأنه سيؤدى بالضرورة الى تعطيل سير الخدمات العامة الحيوية بالمجتمع ولذلك فان التغييرات التى تلحق البيروقراطية تهدف أساسا الى السيطرة على المراكز الهامة بها وعلى الوظائف التى تتصف بالصبغة السياسية والتى لها طبيعة الرقابة .. **وهذا يؤدى حتما الى زيادة مركزية السلطة البيروقراطية .**

٤ — طالما ان التغيير المتطرف بالجهاز البيروقراطى يقتصر عادة على المراكز الهامة ولا ينصرف الى التأثير الفعال فى القيم البيروقراطية أو الى صميم تكوينها فانه بذلك يصبح تغييرا سطحيا .. **ومن ثم فان محاولة توفير بيروقراطية على درجة عالية من الكفاية والصلاحية سيكون عملا محدود الأثر .**

من واقع السطور القليلة الأخيرة ؛ نستطيع ان نفهم أن البيروقراطية بمفهومها الأكاديمى ربما تختلف كثيرا عن مفهومها التقليدى العادى الذى يعنى الأمراض والعلل والتعقيد وعدم الكفاية والنزعة الى السيطرة والتزام حرفية القوانين والتعليمات التى يتصف بها الجهاز الادارى المكتبى .. ونستطيع أن نفهم أن البيروقراطية تعنى على وجه العموم « العمل الحكومى الوظيفى » .. وتعنى أيضا التنظيم أو الجهاز الحكومى الذى يوجد فى المجتمع السياسى المتحضر لتحقيق الأهداف القومية ولاخراج السياسة العامة الى حيز الواقع بوضعها موضع التنفيذ .. « والبيروقراطيون »

اذن هم الذين يختارون لشغل مناصب هذا الجهاز . ومن ثم فيمكن أن تكون هناك « بيروقراطية » رشيدة (اذا كان المجتمع نفسه رشيدا) ؛ وبيروقراطية فاسدة (اذا كان المجتمع فاسدا) . وبمعنى آخر **يمكن أن يكون هناك نظام ادارى حكومى يعادى فى مجموعه جماهير الشعب عندما ينفذ رغبات حكام يعادون الشعب ؛ .. وأن يكون هناك نظام ادارى حكومى يعمل فى خدمة هذه الجماهير اذا كان الحكام أنفسهم يعملون من أجلها . ولن تكون اذن لفظة « بيروقراطية » فى حد ذاتها لفظة بغيضة مكروهة .**

يتألف الكتاب من خمسة أبواب .. ويضم كل باب منها فصلا أو اكثر :

تحت عنوان

الباب الأول	« لماذا البيروقراطية ؟
والباب الثانى	« أبعاد المشكلة ..
والباب الثالث	« الثورة المصرية .
والباب الرابع	« التغيير البيروقراطى
والباب الخامس والأخير	« البيروقراطية والتطبيق الاشتراكى .

وفى الباب الأول يهتم المؤلف بأن يحدد نطاق دراسته فيشير الى ضرورة دراسة التغيير الاجتماعى الذى يؤثر بالضرورة على طبيعة البيروقراطية باعتبار ان جذور الحكومة كهيئة ونظام « مدفونة فى طبقات من التدرج التاريخى » .. والى أنه سيكتفى بالبدء فى هذه الدراسة مع بداية أسرة محمد على التى كانت تمثل حكم أسرة واحدة كان قائما قبل الثورة مباشرة ، ولأن النظام السياسى والاجتماعى قبل الثورة أخذ سماته ومميزاته خلال تلك الحقبة ؛ ولأن النظام الذى كان قائما خلالها هو الذى قامت الثورة للقضاء عليه .. وقضت فعلا على معظم معالمه ومقوماته وغيرت ما بقى منها . كل هذا بالطبع على أساس أن « البيروقراطية » تصبح دائما مرآة لطبيعة النظام السياسى والاجتماعى فى مجتمع بالذات ..

كذلك فان المؤلف يهتم فى هذا الباب بايراد أهم التعاريف للفظة « بيروقراطية » .. ونستطيع أن ندرك ان المؤلف يميل الى الأخذ بتعريف « ماكس ويبر Max Weber » المؤسس على دراسة الأنظمة البيروقراطية فى الحضارات القديمة (مصر ، الصين ، الهند ، روما) ... والذى يقدم أيضا على أساس الاهتمام الشديد بالتنظيم الرسمى بصرف النظر عن الجانب غير الرسمى فيه وعن السمات والاعتبارات الانسانية والقيم المتداخلة فى الموقف .. والنموذج البيروقراطى فى نظر « ماكس ويبر » هو : —

١ — تنظيم مستمر للوظائف التى تحكمها القواعد .

٢ — نطاق اختصاص معين لكل مكتب .

٣ — تنظيم المكاتب قائم على أساس التدرج الهرمى .

٤ — القواعد التى تحكم سلوك الكاتب هى قواعد وأنماط فنية .

٥ — فصل الادارة عن الملكية .. فالعاملون فى التنظيم البيروقراطى لا يمتلكون وسائل العمل والانتاج وانما يمدون بها فى شكل نقود وأدوات وهم مسئولون عن تعليل كيفية انفاقها أو استخدامها .

٦ — لا يوجد أى حق فى تملك المنصب الرسمى .. وتولى الوظائف ليس وراثيا أو انتخابيا .

٧ — جميع الاجراءات الادارية والقرارات والقواعد توضع وتثبت كتابة ..

٨ — السلطة القانونية يمكن ممارستها بطرق مختلفة .

وبعد تمهيد أشار فيه المؤلف الى منهج البحث وميدانه ؛ .. يجىء الباب الثانى من الكتاب تحت عنوان « أبعاد المشكلة » فيبدأ بأن يورد العلاقة بين العوامل الايكولوجية وبين التنظيم البيروقراطى ، باعتبار أن كل سلوك ادارى انما هو نتاج طبيعى لتفاعل القيم وأنماط السلوك بالمجتمع كله وبالحكومة التى هو جزء منها ..

فالعامل الجغرافي مثلا تأثيره في طبيعة التنظيم البيروقراطي .. فان طبيعة مصر الجغرافية الزراعية (رقعة زراعية محدودة تعتمد مباشرة على النيل) . وان الرغبة في تنظيم مياه النيل والسيطرة على الفيضان والاستفادة من المياه وتنسيق استخدامها ؛ .. كل هذا قد حتم ضرورة اقامة جهاز حكومي مركزي يضم عددا من الموظفين والعمال تتجمع في أيديهم مسئوليات التحكم في المياه .. وقد ترتب على هذا أن انتقلت القوى السياسية الى أيدى هؤلاء الذين بسطوا نفوذهم على نظام الرى والزراعة فمارسوا سلطات واسعة .. وهكذا فان العوامل الجغرافية اثرت في شكل الحكومة وطبيعة الادارة العامة في مصر من عدة نواح اجتماعية واقتصادية وسياسية .

واذا نحن استعرضنا **طبيعة المجتمع المصرى قبل الثورة** لادركنا ان هذا المجتمع كان له تأثيره المباشر في تشكيل البيروقراطية (الجهاز الحكومي الادارى) الأمر الذى يؤكد أن البيروقراطية في مجتمع انما هى نتاج مباشر لنوع هذا المجتمع .

● ان الاحصائيات تشير الى أن أكثر من ٦٥٪ من سكان مصر كانوا يعيشون قبل الثورة على الزراعة وهذا يعنى ان المجتمع المصرى ينتمى الى « النمط الزراعى » الذى يتميز فيه المجتمع عادة بالتماسك والقوة الاجتماعية .. وحيث نظم الحكم تقوم عادة على أسس دينية أو وراثية وحيث الأرض تصبح رمزا الثراء والموظفون من اقوى الطوائف الاجتماعية وهم يرون أن سلطتهم نابعة من اصل ملكى ويتعالون على الجمهور ويشعرون باختلافهم عنه .. وهذا على عكس النمط الصناعى حيث تبدو القوة في المجتمع مستمدة من الجماهير والموظف يدرك انه خادم عام ويتميز سلوكه بالديموقراطية واحترام الغير .

● كذلك فان مستوى المعيشة في مصر قبل الثورة كان ذا تأثير مباشر على البيروقراطية فالبيروقراطيون أساسا يخدمون الدولة .. وحين تكون « الدولة » مركزة في أيدى نسبة ضئيلة من المواطنين في مجتمع تبدو فيه فوارق مذهلة في مستويات الدخول ؛ .. يصبح هؤلاء البيروقراطيون (اى بمعنى آخر يصبح الجهاز الادارى) في الواقع خدما لهذه النسبة الضئيلة من المواطنين .

● وللأسرة أيضا تأثيرها المباشر على البيروقراطية ؛ .. فالأسرة تلعب دورها المؤثر على حياة الفرد .. تؤثر على نوع المهنة التى يتطلع اليها .. وعلى مركزه بالمجتمع .. وعلى طريقة اختياره لزوجته ونوع تعليمه .. وهذه كلها – في المجتمع المصرى الذى توجهه التقاليد – أمور تتقرر بمدى الثروة والجاه والسلطة التى تتمتع بها الأسرة . ومن ثم فانه ليس من المستغرب ان نرى الجهاز البيروقراطى يشبه الى حد بعيد التنظيم الأسرى او القبلى أو البناء الاجتماعى كله .. فغالبا ما نلاحظ في هذا الجهاز انواعا من السلوك أشبه ما تكون بالطقوس المتوارثة ، ونلاحظ ايضا وجود نمط منسق للاتصالات يهتم كثيرا بالمظاهر والشكليات وقبول وجهات نظر الرؤساء وعدم معارضتهم بصرف النظر عما اذا كان المرءوس مقتنعا تماما أو غير مقتنع ، ذلك (**لأن المصريين تعودوا على هذا النوع من الحياة الذى تمارس فيه السلطة بطريقة أوتوقراطية تعسفية ، سواء كانت سلطة رب الأسرة أو مالك الأرض أو سلطة الموظف الحكومى .. ولكثرة ما قاسوه على يد الحكومات السابقة فقد تعودوا أن يسيئوا الظن بها .. ولكنهم عادة كانوا يفوضون الأمر لله كلما خامرهم الشعور بالظلم مخافة بطشها وتعسفها**) .

● كما أن للتدرج الهرمى للبناء الاجتماعى تأثيره البالغ على البيروقراطية في مجتمع طبقى ان اتصف بشىء من المرونة الاجتماعية وعدم وجود فواصل طبقية منيعة ، الا أن الخطوط الفاصلة بين الطبقات كان من الممكن أن تميز بسهولة : طبقة الأثرياء من الاقطاعيين والطبقة المتوسطة التى قوامها موظفو الدولة والأطباء والمحامون والمهندسون والضباط والمثقفون والتجار .. وطبقة الفقراء من العمال والفلاحين .. ولقد كان البيروقراطيون بالضرورة أسخياء في تعاملهم مع ذوى السلطان والجاه وافراد الطبقة المحظوظة

بينما يتعنتون ويتعسفون ويستبدون بالطبقة الفقيرة من العمال والفلاحين .

والى جانب الاعتبارات الجغرافية .. واعتبارات أوضاع المجتمع المصرى قبل الثورة فهناك أيضا **الاعتبارات الديموقراطية** المؤثرة على طبيعة البيروقراطية وشكل الجهاز الادارى الوظيفى فى مصر .

● فالجنس مثلا (عالم الرجال والنساء) له أثره فى هذا الصدد حيث يصبح للمجتمع المصرى (وهو مجتمع ريفى زراعى فى مجموعه) أثره فى توجيه سلوك الأفراد الأمر الذى ينسحب تأثيره على حياته العامة .. سياسية كانت او اقتصادية أو اجتماعية .

● كذلك فان للدين أثره فى تشكيل الصورة البيروقراطية .. وفى مجتمع نجد فيه الحياة الاجتماعية مرتبطة الى حد كبير بالاعتبارات الدينية . وحيث يؤدى (عدم فهم البعض مقاصد بعض التعاليم الدينية فهما صحيحا من ناحية ، وترتيب معظم أوجه نشاطهم فى الحياة العملية على أساس الفهم الخاطىء من ناحية أخرى ؛ قد أدى أحيانا الى أنواع من الرضا بالقضاء والقدر والتواؤم مع ظروف الحياة وقبولها دون محاولة تشكيلها أو تطويعها لارادة الانسان .. واصبحت بعض العبارات التى لها صبغة دينية مثل « قضاء ومكتوب علينا » و « هذه ارادة ربنا » تعبر عن الاتجاهات التقليدية لدى بعض الأفراد نحو عدم محاولة التغلب على الصعاب والمشاكل والعزوف عن تطويع الأمور لارادتهم) .. هذه الاعتبارات وغيرها لها أثرها الملموس فى الادارة العامة بمصر .. (وليس بغريب أن نجد الحكومة تتوسل عن طريق الاقناع الدينى الى دعوة الجمهور لحل بعض مشاكله الهامة كتنظيم النسل أو قبول وفهم النظم الجديدة كالاشتراكية والقيادة الجماعية مثلا) .

● واذا نحن أشرنا الى التعليم ؛ .. فسوف نجد بصماته مطبوعة على الجهاز البيروقراطى للدولة .. فان هرم التعليم فى مصر قبل الثورة كان يمثل الى حد بعيد التدرج الاجتماعى والاقتصادى القائم .. وقد انعكس هذا الوضع تلقائيا وبوضوح فى الوظائف الحكومية .. ويبدو أثر هذه الاعتبارات فى الجهاز الحكومى ؛ فلم يشعر الموظفون بكيانهم كطبقة وظيفية واجتماعية فحسب ؛ وانما تملكتهم مختلف مشاعر التفوق والسيادة على زملائهم المواطنين مما بدا واضحا فى الطريقة التى كانوا يعاملون بها العمال والفلاحين .

الخلاصة اذن .. **أن الموظف من صنع مجتمعه ويتأثر به .. ولكنه أيضا يساهم بدور كبير فى تطوير المجتمع وتغييره .**

واذا نحن تركنا العوامل الايكولوجية وتأثيرها فى الإدارة العامة بمصر ؛ . وانتقلنا الى طبيعة العلاقة بين السياسة والادارة .. (اى بين السياسة والقطاع البيروقراطى) .. لوجدنا أن هذه العلاقة قوية وواضحة منذ بداية حكم اسرة محمد على مرورا بفترة الاحتلال البريطانى ثم بفترة الاستقلال الدستورى السابقة على الثورة ، حيث كانت كل القوانين فى خدمة الطبقة الحاكمة .. ومن ثم كان البيروقراطيون بالتالى فى خدمة هذه الطبقة .. وحيث تفشت الرشوة وتفشى الفساد .. وحيث كان للصراع السياسى اثره فى الجهاز الحكومى وفى مستوى كفايته والروح المعنوية بين أفراده ودرجة ولائهم ومدى انتاجهم .. كذلك لا يجب أن ننسى أن سياسة الأحزاب استدعت فى كثير من الأحوال تغييرات فى الوظائف الرئيسية بالتنظيم الحكومى .. وبالتالى كان هناك دائما فريق من الموظفين على استعداد للخروج وفريق آخر يترقب دخول المكاتب الحكومية مع كل تغيير وزارى ..

واذا نحن تتبعنا البيروقراطية قبل الثورة لاستطعنا أن نتعرف على بعض ملامحها الهامة التى تتلخص فيما يلى : —

(أ) المركزية .. حيث تجمعت فى العاصمة كل خيوط السلطة ووجد العاملون بالميدان أنفسهم مضطرين للرجوع الى رياستهم المركزية فى جميع الأمور .. وحيث تفنن الموظفون بالمستويات الادارية المختلفة فى تصميم عديد من التعليمات المسهبة التى تهدف فى النهاية الى اقامة صرح منيع من النظام المركزى .

(ب) التعقيـــد .. حيث اتصفت الادارة الحكومية بالتعقيد والتخلف والتقيد الشــديد بحرفية التعليمات .. وحيث نسى الرؤســاء عناصر الاقتصاد والكفاية .. وحيث صــارت بعض الشعارات الداعية الى الدعة والمسالمة تتردد كثيرا فى أوسـاط الموظفين ويرضى بهـا الرأى العام .. وأصبحت احد معايير التقدم الوظيفى والترقية فى بعض الأحيان .. وكانت مدة الخدمة فى ذاتها فى مقدمة هذه المعايير .

(ج) الروتينية .. حيث عزف الموظفون عن الالتجاء الى حسن التصرف أو الحيـــدة عن التقاليد الوظيفية المتبعة .. وحيث انعدمت روح النضال والمنافسة .

(د) المحسوبية .. حيث اصـــبح تعيين الاقارب والمحاسيب اقرب الى الأصول الوظيفية المتبعة .. حتى يقول سعد زغلول باشا نفسه : ــ « انى لآسف كل الأسف لأن أقاربى غير اكفاء .. والا لكنت عينت منهم فى كل مـكان .. ولكان عندنا حينئذ ادارة زغلولية بكل معنى الكلمة .. اسما ومعنى ودما !! » .

هكذا كان حال البيروقراطية قبل الثورة .. ثم تجىء الثورة ؛ ويعقد المؤلف الباب الثالث من كتابه للحديث عن ثلاث مراحل حيوية بالنسبة لموضوع دراسته تمثل فى حد ذاتها طبيعة التطور فى مواجهة الجهاز الحكومى .. أى فى مواجهـــة البيروقراطية ..

● المرحلة الأولى هى مرحلة الثـورة ذاتها حيث قام الجيش باعتباره قطاعا ممثلا للشعب بانطلاقته ليقيم من أجل هذا الشعب حيـــاة جديدة ، حدد معالمها فى ستة اهداف : ــ

القضاء على الاستعمار وأعوانه .

القضاء على الاقطاع .

القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

اقامة عدالة اجتماعية .

اقامة جيش وطنى قوى .

اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

ولم يكن هدف الثورة مجرد تغيير نظــام حكومى قديم .. ولكنه كان أساسا القضاء كلية على البناء الاجتماعى .. وفى هــذه المرحــلة الأولى .. ارهاصات الثورة ؛ فالثورة .. بدا واضحا مع أيام الثورة الأولى أن قائدها جمـال عبـــد الناصر كان صريحا فى أن الجيش لم يقم بمجرد انقلاب كما كان البعض يريدون .. وانما قام بثورة لابد أن يكون بعدها ما ينبغى أن يحقق مفاهيم الثورة الحقيقية .

● .. ومن ثم كان على الثوار فى سنى الثورة الأولى أن يحملوا مسئوليتهم فى الحـكم المباشر ضـــاربين عرض الحائط بهمســـات الطبقة البيروقراطية التى تحدثت عن « الخبرة » التى كانت هى دائما حجتها فى الاحتفـــاظ بمناصب الحكم ووظائف الحكومة **(ويبدو مؤكدا ان احدى المزايا العظيمة التى استمتع بهـا الثوار هى أنهم كانت تنقصهم الخبرة وكانوا يجهلون ادارة شئون الحكم بالطريقة التى تعارفت عليها الحـكومات السابقة وخبرتها .. وانهم تخلصوا بالفعل من الطبقة الفاسدة التى ادت مثل هذه الخبرة) ..** وهكذا بدا مجلس قيادة الثـورة يمارس سلطات الحكم الفعلية بعيدا عن دوافع الطموح السياسى الشخصى .. حتى انه ظل مؤمنا لفترة من الزمن بامكان اصلاح السياسيين القدامى ، وبالاحتفاظ بمجرد دور (الحارس على الثورة لا اكثر ولا أقل) **وحين التقت الثورة وجها لوجه مـع هــؤلاء السياسيين ومصالحهم وأطماعهم ونواياهم مع الفســاد وعدم الشعور بالمسئولية ، تأكد أن لاسلام بين الحاضر والماضى فلا يمكن بحال من أن يؤتمن القدامى على مقاليد الاصلاح وهم الذين أوجدوا الفساد وعاشوا فيه وضربوا بالصالح العام عرض الحائط .** ومن ثم بدأ المجلس يعمل بعيدا عن هذه الطبقة الفاسدة ، بدا بانشـــاء محكمة الغدر ، ومحكمة الثورة . واصبح مجلس قيادة الثورة اشـــبه ما يكون بمجلس تشريعى مصغر يتسم بسرعة الحركة والحسم .. ثم كانت عملية « عسكره » السلطة التنفيذية فى فجــر الثورة ضرورة حتمية لتأمين الثـــورة ودفع كل الضغوط والمؤامرات والتحـــديات الداخلية

والخارجية ولضمان سرعة التنفيـــــذ واتخاذ الاجراءات الثورية دون جـدل أو تعـويق .. وبمرور الزمن أخذت الثورة طريقها الى مرحلة الاتزان لتصبح نظاما للحكم راســخ الأقدام .. وبدأت المخاطر والضـغوط التى جعلت مجلس قيادة الثورة يعيش فى حالة تيقظ وانتباه وتوقع وحذر .. تقل وتختفى .

وفى مدى أربع سنوات تحمـل فيها مجلس قيادة الثورة مسئولية الحكم المباشر تحققت كل المبادىء الستة التى أعلنها فى اليوم الأول للثورة .. واستطاع المجلس أن يضع على رءوس الجهاز البيروقراطى ثوريين عسكريين من أهل الثقـة فرضوا تنفيذ هذه الأهداف ..

● وحين تحققت أهداف الثورة الستة ؛ .. واعلن حل مجلس قيادة الثورة بدأ العمل على اقامة حكومة دستورية فى سنة ١٩٥٦ .. فى ظل دستور جـديد وافق عليه الشعب فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٥٦ بالاجماع . **ولأول مرة يهتم الدستور الجديد بواجبات ومسئوليات الموظفين العموميين .. حيث نصت المـــادة ٢٨ على أن الموظفين العموميين يجب أن يهدفوا فى أداء أعمـالهم الى خدمة الشعب .. وأعطى المصريين حق الشكوى لسلطات الدولة فى الأحـوال التى يخالف فيها الموظفـــون القـــانون أو يهملوا مسئولياتهم (المادة ٦٣)** وبدا واضحا وجه جديد للقطـاع البيروقراطى .. فبينما كانت وزارات ما قبـل الثورة وقفا على فئة معينة تمثل المصــالح المشتركة للاقطاعيين والاستغلاليين من السياسيين القدامى ، نجد أن وزارات ما بعد الثورة تتميز بظهور عناصر جديدة تمثـل صـفوة الفنيين والمهنيين والمتعلمين وضباط القوات المسلحة .

ولكن .. كيف استطاعت الثورة أن تحدث « التغيير البيروقراطى » ؟ ! . كيف استطاعت أن تحدث التغيير فى القطـاع الوظيفى الادارى للدولة بما يوائم احتياجات مجتمع الثورة ؟ .. هذا ما يعرضه لنا المؤلف فى البـاب الرابع من الكتاب الذى يركز فيه بحثه على زاويتين : حتمية التغيير البيروقراطى ، واستراتيجية هذا التغيير .

● ان الحاجة لمواجهة مقاومة البيروقراطية التقليدية للتـلاؤم والتغيير وفقـا للأهداف الاجتماعية الجـديدة تبدو واضحة حينما يتولى الحكم حزب أو جماعة جديدة لها أهداف تختلف اختلافا واضحا عما قبلها أو لها أهداف ثورية .. ولقـــد وجدت الثورة فى مصر نفسها فى موقف متشابه .. وكان لابد لها من أن تواجه حتميـة تغيير القطاع البيروقراطى فى مصر .

وبالرغم من أن الثورة لم تكن راغبة فى خلق جو من الاضطراب فى ادارة أمور الدولة العامة ؛ واتجاهها نحو توسيع اختصـــاص الحـكومة المركزية وسلطتها ؛ فان هذا لم يحل بينها وبين محاولة الاصلاح والتطور الحكومى الشامل .. أى بينها وبين محاولة اختبار القطاع البيروقراطى .. وكان الاختبار أيضا طريقة لاستكشاف ما اذا كان موظفو ما قبل الثورة الذين يمثلون الى حد لا يمكن اغفاله الحضـارة الريفية والزراعية ، لديهم المهارات الفنية والعلميـة الضرورية التى تحتاج اليها الثورة فى مشاريع التنمية الضخمة . أو على الأقل يستطيعون تنمية هـــذه المهارات نفسهـا . **وكان الاختبار الذى تمر به البيروقراطية أيضا مهتما بمدى وطبيعة الحياد الوظيفى الذى يمكن أن يتحصن خلفه البيروقراطيون .** وهنـا يثور التساؤل : — (هل يمكن الابقاء على حيدة الجهاز الحكومى فى مثل هذا الموقف .. ؟ **هل يستطيع الموظف العام فى ظروف الثـــورات الاجتماعية أن يبقى محايدا بالنسبة للمسئوليات الموكولة اليه ؟ .. أو بمعنى أوسع ! هل يستطيع الموظف العام أن يبقى محايدا فيما يتعلق بالقيم الجديدة والأهداف الثورية التى ظهرت فى المجتمع الذى يخدمه الموظف ؟**

الرد على هذا السؤال : « لا » .. ومن ثم فان محك الاختبار الذى يتعرض له الجهـــاز الحكومى (البيروقراطية) هو مـــدى تجاوبه وقبوله للتغيير الاجتماعى الشـــامل والقيم الجديدة التى تأتى بها الثورة التحررية .. والتى تتعارض مع القيم السابقة أو تقضى كلية عليها .

● .. على أن « **الاختبار** » وحده لا يكفى .. فقد كانت رغبـــة الثـــورة منصرفة الى أن البيروقراطية الحكومية يجب أن تهز جيـــدا

بالطريقة التى تجعلها جهازا خادما للشعب .. ومن ثم كانت الحاجة الى **استراتيجية** معينة لاحداث هذا الأثر المطلوب .. ولقد سلكت الثورة فى هذا السبيل مسلكا متطورا يساير تطور الثورة ذاتها .. بدأت **بالرقابة العسكرية على الجهاز الحكومى** .. ثم انشأت **لجان التطهير لتبصد** القيادات الموجودة فى قمة الهرم التنفيذى بمختلف الوزارات والهيئات الحكومية .. ثم أخذت تجرى عملية **اختيار لقيادات جديدة** مع اعادة بناء القوى المعنوية لدى الموظفين وتعبئة مختلف امكانياتهم وتشجيعهم على الابتكار والخلق والتجديد .. الى جانب مجموعة هادفة من برامج التدريب لزيادة القدرات لدى الأفراد وبالتالى زيادة الانتاج وتحسين الخدمات .. ثم عملت جادة على انشاء مجموعة من **الأجهزة الثورية** المستقلة تماما عن المنظمات القائمة أو التى تقوم الى جوارها أو متصلة بها مثلما حدث مثلا بالنسبة لوزارة السد العالى وهيئة قناة السويس وغيرها .. وكان لابد أيضا من سلوك أسلوب فى **الترشيد البيروقراطى** فى صورة أجهزة للخدمات لها سلطة اتخاذ القرارات وتنفيذها مثل « المجلس الدائم للخدمات » و « المجلس الأعلى للتخطيط والتنسيق » و « لجنة التخطيط القومية » لدراسة مشروعات التنمية مستقلة عن الوزارات المسئولة عن التنفيذ (التى تحولت فى سنة ١٩٦١ الى أول وزارة للتخطيط عرفتها الدولة) و «لجنة الخطة » و «ديوان الموظفين» (الذى ألغى قانونه السابق واستعيض عنه بقانون ١٥٨ لعام ١٩٥٢) الذى عمل على أساس مركزى فيما يتعلق بنشاطه فى نواحى التشريع والاختيار وترتيب الوظائف و « الجهاز المركزى للتنظيم والادارة » الذى يشرف على عمليات الاشراف الفعلى على عمليات الادارة والتنظيم بالقطاع العام .. هذا الى جانب الاهتمام **بالتدريب والتعليم** حيث العلاقة وثيقة بين سياسة التعليم ونظمه فى بلد معين وبين طبيعة عمل الجهاز الحكومى به ومستواه ومن ثم بدأت سياسة التوسع فى التعليم الفنى والمهنى على أساس الوفاء باحتياجات القطاع الحكومى والقطاع الخاص ومقابلة الاحتياجات الاقليمية بالأعداد المناسبة من المتعلمين .. مع توجيه التعليم الجامعى بالذات الى الاسهام فى التنمية الاقتصادية وفى اعداد القوى البشرية المطلوبة فى مجال هذه التنمية .. مع انشاء معاهد « الادارة العامة » و « المعهد القومى للادارة العليا » و « معهد التخطيط القومى » وكلها تهدف الى تدريب الموظفين من الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة المتصلين بتخطيط عمليات التنمية .. وللدور الذى يؤديه فى نشر الوعى التخطيطى بين العاملين بالحكومة والقطاع العام .

ولقد كانت عملية التغيير البيروقراطى هذه ضرورة حتمية لمواجهة مرحلة التطبيق الاشتراكى التى اصبحنا نعيشها مع انطلاقنا لتحقيق المجتمع الاشتراكى ..

ولقد أفرد المؤلف الباب الأخير من كتابه ليتحدث عن « البيروقراطية والتطبيق الاشتراكى » من زوايا ثلاثة للبحث : —

● **فنحن منذ بداية الثورة .. نصر على تغيير وجه المجتمع .. ونحن مع كل خطوة جديدة على الطريق .. نواجه « تحديات مجتمع متغير »** .. نواجه **التخلف الحضارى** الذى تعانى منه البيروقراطية حيث تتضح الهوة السحيقة بين التقدم المادى الذى حققه الجهاز الحكومى ؛ وبين الأفكار والقيم والعادات والتقاليد التى تتحكم فى سلوك العاملين به .. ونواجه **تضخم الجهاز الحكومى** منذ صدور قوانين يوليو الاشتراكية الأمر الذى يؤدى بالضرورة الى تعدد التشريعات والى عموميتها والى زيادة الحاجة والرغبة فى السيطرة على الجهاز الحكومى واعادة تنظيمه واحكام الرقابة عليه (والميل لالتزام التعليمات والروتين والتمسك بالاتصالات المكتبية بما يؤدى فى النهاية الى المركزية والتعقيد) فى الوقت الذى لم تساير فيه التشريعات روح التطور الحادث .. **كذلك فنحن نواجه مشكلة الأهداف المتحركة التى تتغير كل يوم بتغير الحاجة الأمر الذى يتطلب من الجهاز الحكومى أن يكون مستعدا اللحاق بها**

دون التوقف أو الجمـود .. ونواجه **ثورة من الأماني والتوقعات** الشعبية ؛ حيث يتطلع كل مواطن الى مزيد من فرص العيش الطيب .. وعلى قدر كفاءة الجهاز الحكومي .. تكون ثقة المواطن بالجهاز الحكومي .. وبالنظام كله ... ونواجه أيضا **حاجـة ملحة الى الفنيين** والى **احتياجات التصنيع** التى تترتب عليها أكثر من مشـكلة ثقافية وصحية واجتماعية واسكانية ... الخ .

ونواجه شـهية زائدة للتنمية من مواطنين استبد بهم حرمان الماضي ، وانفجارا سكانيا يهدد بأن تصبح معظم انجازات الحكومة عملا يدور فى حلقة مفرغة أمام الأفواه الجـديدة المتطلعة الى الغذاء .. ، ونموا حضاريا سريعا يزيد الضغط على أجهزة الخدمات .. ويعرض (البيروقراطية) القائمة على هذه الاجهزة للنقد من المواطنين اذا لم تف باحتياجاتهم وتطلعاتهم المشروعة .. هذا الى جانب تحديات أخرى كثيرة يجد الجهـاز الحكومي نفسه هو العامل الأول فى احداث التغيير أو مواجهته نتيجة للضغط الداخلي الذى يفرضه التنظيم نفسه ، وبفعل الضغط الخارجي الذى تفرضه الجماهير وتفرضه الأحداث والتطـورات الدولية .

● فى مواجهة هـذه التحديات كلها لابد أن يكون هناك « تخطيط » . **وحين يقول جمـال عبد الناصر ان « الثورة هى علم تغيير المجتمع » ؛ فان هذا يعنى بالضرورة أن يكون هناك تخطيط لاحـداث هذا التغيير .. تخطيط اقتصادى** يتطلب أن يكون القطاع البيروقراطي قادرا على تحقيقه ، **وتخطيط اجتمـاعي** يتطلب أجهزة حساسة واعية لظروف وأحـوال التغـيير الاجتماعي الحـادث واتجاهه وسرعته وملما بالتجارب المماثلة وما صادفها من نجاح أو أخفاق وسريعا الى ملافاة الخطأ .. ويعنى بالضرورة أيضـا أن تكون هنـاك **مركزية فى التخطيط ولا مركزية فى التنفيذ** تحدد بالتالي مدى مسئولية الأجهزة الادارية .. وكل هذا يدعو الى ضرورة اعداد خطة ادارية شاملة متمشية مع خطـة التنمية ومع نتائجها المتوقعة **على أن تكون الخطة الادارية ذات برامج متنوعة تسمح بتغطية جميع أبعاد المشكلة الادارية والتحرك فى كل الاتجاهات لملاقاتها ..**

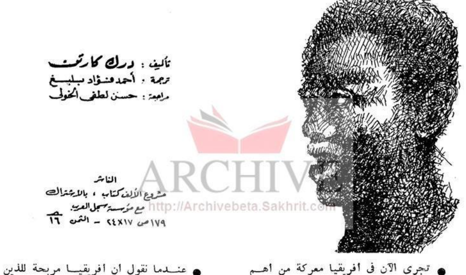
واخيرا فانه تبدو فى صدد العـلاقة بين البيروقراطية وبين التطبيق الاشتراكي ، أهميـة **دور القيادة الادارية** فى مرحلة تتطلب جيلا من القادة المنطلقين الذين يعملون فى داب لتطـوير الادارة واجعل غدها أفضل من يومها ، والمعبئين باليقين فى جدوى ما يفعلون والمستعدين لمواجهة المشـاكل وحلها لا التهرب منها ، وتتطلب ايضا تنقية جو السياسة والادارة من العناصر الرجعية والاستغلالية وتمكين العناصر القومية والثورية من تولى المناصب القيادية فى المجالين السياسى والادارى ، وتتطلب ايضا تحولا نحو **القيـادة التكنوقراطية** التى تعتمد على أصحاب الكفايات الفنية (وهذا ما نلاحظه بالفعـل فى مستويات القيادات الوظيفيـة العليا حيث تغلب نسـبة الحاصلين على درجات علميـة فى الهندسـة والاقتصاد) .

هذا عرض ارجو أن يكون وافيا ـ بقـدر ما سمحت به الصفحات المتاحة ـ لكتاب قيم .. ينبغى ان يقرأه كل قائد وظيفي ادارى .. حتى يستطيع بحق أن يعى حقيقة دوره فى مرحـلة الانطـلاق العظيم الذى تمر به بلادنا وهى تبنى مجتمعا اشتراكيا يوفر الكفاية والعـدل للمواطن العربي فى الجمهورية العربية المتحدة ... وحتى يتعرف على حدود مسئولية « البيروقراطية » فى هذا المجتمع الاشتراكي النابض بالحياة والتغيير الدائب المتصل .

سعد زغلول نصار

إفريقيا... إفريقيا...

قارة تقف على قدميها



تأليف : درك كارتث
ترجمة : أحمد فؤاد بليغ
مراجعة : حسن لطفي الخولي

الناشر
مشروع الألف كتاب ، بالاشتراك
مع مؤسسة سجل العرب
١٧٩ ص ١٧×٢٤ – الثمن ١٦

● تجرى الآن فى أفريقيا معركة من أهم معارك العصر الذى نعيش فيه ، وهى معركة معقدة لأن المتصارعين فيها ليسوا جانبين فقط ، ولكنهم ثلاثة جوانب . فتعد الشعوب الأفريقية التى صممت على التحرر جانبا ، وتعتبر الدول الاستعمارية التى تتزعمها بريطانيا وتحاول قدر طاقتها الاحتفاظ بما فى يدها جانبا ثانيا ، وتعد الولايات المتحدة الأمريكية التى تمهد الأمر لتخرج فائزة من هذا الصراع جانبا ثالثا .

● يستحيل الحديث عن أفريقيا دون الحديث عن الرق . كان الرق حقيقة سائدة فى أفريقيا .. فلقد قبض على عشرات الملايين وقيدوا وبيعوا للرجل الأبيض ، فأصبحوا رقيقا .

● عندما نقول ان أفريقيا مربحة للذين يستغلونها ، نقصد هؤلاء الذين يقومون بالأعمال المشينة التى تمكن ذلك الاستغلال من الاستمرار .

● ان الرضيع الأفريقى لا بد وان يجد غذاء مناسبا حتى ولو على حساب الأم . ولكن عندما يبدأ فى الاعتماد على مصادر الطعام فى بلده ، وعندما يصبح فردا مستقلا من أفراد الشعب ، يصبح ضحية من ضحايا الاستعمار . وهذا لا يحدث تدريجيا وجزئيا بل فجأة وبشكل مفجع .

● ان الجوع فى أفريقيا نتيجة مباشرة للاستغلال الاستعمارى ، وبدون ذلك الاستغلال تستطيع أفريقيا ان توفر لأبنائها وبناتها غذاء صحيا مناسبا .

● لا يمكن ان نتوقع من اى نقابى افريقى يكدح فى ظل ظروف الاستغلال الاستعمارى القاسية ، لا يمكن ان نتوقع منه ان يعتقد لحظة واحدة بأن من صالحه ان يدفع اشتراكا يكتسبه بجهد ومشقة لهيئة تنحصر مهمتها الأساسية فى تجنب كل عمل نضالى وفى زيادة مشقة عمله والمحافظة على مصالح صاحب العمل .

● من المؤكد كتعاقب الليل والنهار انه ستظهر اشكال جديدة للنضال فى هذه المنطقة ، وان الشعب الأفريقى سيواصل معارضته المنظمة الحازمة لسيادة البيض .

● لقد هبت اليوم شعوب افريقيا واخذت تطالب بايقاف المساوىء الاستعمارية ، انها تكافح فى ظل ظروف صعبة وفى ظل قوى متفوقة . انهم فى حاجة الى استخدام كل صبرهم وشجاعتهم وعزمهم وحكمتهم السياسية . لكنهم لا شك سوف يحققون اهدافهم تحت قيادة البروليتاريا الأفريقية النامية .

● « ان افظع شىء ان نرث انتصارات خاطئة » لورد سالسبرى .

معذرة ان سقت هذه الهتافات او هذه الصيحات فى بداية هذا المقال فهى آخر ما علق بذهنى من قراءة كتاب نابض بهذه الروح الصادقة .. معبر عما يعتمل داخل مؤلفه من مشاعر خالصة .. مما دفع به الى أن يطلق على كتابه هذا العنوان « افريقيا .. افريقيا قارة تقف على قدميها » ، ومما دفع بى بعدئذ الى محاولة التعرف بهذا الكاتب ، من يكون ؟ وهل مازال يتنفس هواء دنيانا ام كتمت انفاسه قبل ان تحل ساعته ؟ واين يقيم فى الأرض ان كان مازال فوق ظهرها ؟ . . . ظننته شابا يمتلىء حمية وحماسة ، وظننته من بنى جلدتنا التى شاءت ارادة الله لها الا تكون على غير ما يألف اخواننا البيض ، ثم تمنيت له أن يكون بيننا فى افريقيا او آسيا — لا لتعصب ملأ النفس فيشحنها بمشاعر الأنانية والغل — وانما رغبة فى ضمان حياته وصوته بعيدا عن اخطار الضغوط او التهديدات . وهأنذا اعثر على شخص درك كارتن .. فأجده انجليزيا خالصا ، لا هو بالشيخ فى وقاره الفكرى ، ولا هو بالشاب فى اندفاعه العقيدى .. وانما هو بينهما فى حيدة واعية ، فقد يتحفظ فى حكمه على أمر ما ، اذا ما اعتقد ان فى السكوت أو فى الهدهدة امل فى خير .. كما فعل فى كلامه عن مشكلة كينيا قبل تحررها ، وقد يصيح هاتفا بالحقيقة وبما يجب ان يكون ، اذا ما تأكد لديه أن لا فائدة ترجى من السكوت .. كما فعل خلال كلامه عن بتشوانالاند وما جره التعصب العنصرى من بلاء على زعيم اكبر قبائلها لما تزوج من فتاة بيضاء .

ومؤلف هذا الكتاب او كاتب تلك المقالات الصحفية المجموعة .. مخلص لا شك .. مخلص لفكرته — الا وهى تحرر مستعمرات بريطانيا فى افريقيا — وينبض كل سطر من هذا الكتاب بهذه الحماسة الفياضة التى تنم عن اخلاص حق ؛ وهو ايضا مخلص لوطنه وارومته .. فهو يعتقد ان الخير كل الخير فى أن يترك المستعمر ما استعمره ، لأنه نجح فى تحقيق النفع لنفسه فقط ، وان كان هناك بعض الخير قد عاد على احد افريقى .. فعلى طغمة من المثقفين تشربوا حضارة وافدة مصحوبة بالمصلحة والجاه ، انستهم المنبت والأصل فغرقوا فى خدمة الاستعمار واهدافه .. دون أن يدروا ، أو حتى ان دروا فلديهم من المبررات ما يكفى لطمس الانحراف .

والسيد درك كارتن مخلص عاقل .. فهو قد ادرك أن **من الأفضل لوطنه أن يخرج من المستعمرات كصديق قبل أن يطرد منها كعدو ، وأن من الأجدى أن يشاركها غلاتها على قدم المساواة بالرضا والوضوح قبل أن تفيق على هذا الامتصاص والنهب المستور .. فتطيح بكل ما لوطنه من محاسن ومساوىء ، وتقضى على كل أمل فى ود او ارتباط .**

« هذه هى النظرة البعيدة ، النظرة الوحيدة التى تحقق مصالح بريطانيا وافريقيا » . وهذا الرأى مستقيم مع اساس فكره تماما .. ونحن لا نريد منه أن يتخلى عن وطنيته ، وانما نريد أن تكون هذه الصداقة نابعة من الفهم السليم لموقف الطرفين ، والاحترام المتبادل لاستقلال كل من هذه الدول .. لا ان يفهمها المؤلف على انها

ضرورة تحتمها سياسة ملء الفراغات « وسوف يكون الدفاع عن هذه العلاقات الودية عاملا في حماية أصحابها من خطر السيطرة الاستعمارية الأمريكية .. » ؛ ان المؤلف يعتنق العقيدة الاشتراكية في اطار حزب العمال البريطاني ، بل انه يجنح الى الجناح اليساري لهذا الحزب .. فينتقد مواقف حزب العمال وهو في الحكم تجاه المستعمرات ، ويطالبه بضرورة منحها استقلالها للابقاء على علاقات الود معها .. **لكن مفهومه عن علاقات الود هذه لا تنتمي الى عقيدته الاشتراكية أبدا ، وانما تخضع لمحصلته عن العلاقات الدولية القائمة على حرب خفية حول الدول النامية كمناطق نفوذ .. لا بين المعسكرين الكبيرين فقط بل بين دول كل من هذين المعسكرين أيضا .**

ومن هنا نستطيع ان نقول ان هذه النداءات النابعة من قلب درك كارتن كانت تعوزها لحظة التأمل المتمهل حتى ولو انقلبت الصرخات الى تنهدات متأنية .. على أساس انه صادق في اشتراكيته ، مخلص لمبادئها .. فيسعى الى سيادتها وانتشارها .. فتصبح هذه العلاقات روابط تكامل وتكافؤ ومساواة .

ومن هنا نستطيع ان نقول **ان هذه البحوث لم تلتزم من المنهج العلمي الا بالسرد التاريخي السريع غير الشامل ، مما أدى بالمؤلف الى التساؤل في الباب الأخير من الكتاب « هل هناك طريق آخر ؟ » .. مع أن الطريق واحد لا ثاني له ، وواضح لا لبس فيه .. الا وهو التحرر الكامل .**

ان هذا الكتاب جولة تاريخية لاهثة .. تسيطر عليه طوال عدوه بين انحاء مستعمرات بريطانيا الافريقية فكرة واحدة .. هي شراء صداقة الشعوب الافريقية الصاعدة قبل ان تخضع هذه الصفقة للسعر المتعارف عليه عالميا !! ومعنى هذا ان السوق السوداء هي المكان الطبيعي لعقد مثل هذه الاتفاقات والمساومات . فالحرية التي يراها المؤلف مناسبة للمستعمرات البريطانية في افريقيا .. هي التي لابد وان ترتبط ارتباطا وثيقا بعجلة الاقتصاد البريطاني .. فهي أقدر — اي بريطانيا — من غيرها على الأخذ بيد هذه الشعوب الطموحة !! وهي أكثر اخلاصا — أي بريطانيا — عن غيرها لهذه الشعوب التي عاشرتها وتآلفت معها !! .. ولا أدرى ما نوع هذه القدرة وهذا الاخلاص اللذين ظلا مقبورين في مناجم أفريقيا منذ أن وطئت قدم أول مستعمر بريطاني ارض هذه القارة حتى الآن !! .

اننا لو تتبعنا النشاط الاستعماري في أول صوره على يد البرتغاليين .. لوجدنا أنهم منذ عام ١٤٨٣ ميلادية حتى يومنا هذا يعملون بقدرة واخلاص — ايضا — في انجولا وموزمبيق وحوض نهر الكنغو من قبل ، فيأخذون بأيدي شعوبها ليسلمونها الى تجار الرقيق ، ثم ينقضون على كل ما تتمتع به هذه البلاد من محاصيل لينفردوا باستغلالها .. واقرب دليل على هذا ان « نسبة الأمية بين اهل انجولا بعد خمسمائة عام من الاستعمار بلغت اكثر من ٩٩ ٪ ، وانهم لايجدون من الحرف الا ما يتلاءم منها مع خدمة الاقتصاد البرتغالي » .. كما يذكر انتونيودى فيجيريدو في كتابه « البرتغال وامبراطوريتها » . ولو تابعنا الصور الاستعمارية التي عاصرته او اعقبته مثل هولندا حول رأس الرجاء الصالح في البداية ثم في البرتغال بلدنذ ، ومثل بلجيكا وفرنسا وانجلترا ، ومثل ألمانيا وايطاليا منذعهد غيربعيد .. لوجدنا ان فظائع مخزية قد ارتكبوها لا لهدف الا لتحقيق ماجاءوا من اجله .. الا وهو الامتصاص الاقتصادي لموارد هذه البقاع وتفريغها في خزائن بنوك اوروبا .. حتى ولو لم يصل الى سن الخامسة من اطفال كينيا الا ٦١ ٪ منمجموع المواليد ، ولو لم يصل من هؤلاء الى سنالخامسة عشرة غير ٥٦ ٪ ..و السبب في هذا متروك لك أيها القارىء العزيز لتعرفه ان كان من الجوع أو من الاهمال الصحي لدى المستعمر ، وحتى لو سقط ٥٥ ٪ من عمال مناجم روديسيا الجنوبية صرعى أمراض الجوع في عام ١٩٣٥ ، وحتى لو غدر المستعمر الانجليزي الداهية سيسل رودس بصديقه لوبنجولا ملك قبائل المتابيلي لأن هذا من مقتضيات توسيع رقعة الاستعمار .. وفعلا قد استطاع رودس بعد هذا القدر ان يتغلغل فيأواسط افريقيا ، ويفصل

بين مستعمرتي البرتغال « انجولا وموزمبيق » ، وينشىء مستعمرات روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند التوابع للتاج البريطاني .

نخرج من هذه اللمحات التاريخية بأن لا أمان للاستعمار مهما تشكلت ألوانه .. بل اننا نلحظ أنه بالرغم من تنافس الأطماع الاستعمارية بين الدول المستعمرة ، استطاعت انجلترا أن تجمع علماء هذه الدول المستعمرة في مؤتمر استمر ثلاثة شهور بدعوة من رئيس وزرائها .. لا لشيء الا للبحث في أصلح الأساليب للابقاء على وضعها الاستعماري جميعها في أفريقيا .. دراسة علمية متكاملة لوضع أسس يستقر فوقها الاستعمار .. الأمر الذي خفف من حدة التنافس ، وكان من نتائجه مثلا الاتفاق بين انجلترا وفرنسا ، وكان من نتائجه ايضا العمل على عدم تمكين اية دولة افريقية من النمو او التحرر تحررا حقيقيا .. بشتى الوسائل المتطورة .

وهنا نستطيع ان نقول ان مقتضيات هذا العصر الذي نعيش فيه ، لم تعد تسمح بالأساليب التقليدية للاستعمار ان تنجح أو تبقى .. وأصبحت دول الاستعمار تدرك تماما هذه الحقيقة .. ومن ثم اخذت على عاتقها ان تسوق مبررات جديدة لبقائها وسياساتها .. فوجدناه يسلم لبعض مستعمراته بالاستقلال وما يلبث أن يتبعه بالدمج او الانتماء لحلقة أو رباط جديد .. قد يكون أوسع وأرحب لكنه هو ذاته الضيق الاستعماري على المدى البعيد . حتى التنافس فيما بينها ، لم يعد متخذا الشكل الهمجي الواضح ، وانما خضع لأصول منهجية مدروسة .. حتى لا ينكشف سترها ، ويفتضح أمر سرقات النصف الثاني من القرن العشرين على المستوى العالمي . **لهذا فان التنافس لم يعد مقصورا على المحترفين القدامى ، وانما دخل في الأمر هواة جدد** .. فنرى البرتغال بعد ان كانت تباهي المستعمرين الأخر بأن استعمارها يقوم على الدعوة الصادقة للمسيحية ، أصبحت تعتمد على نظام الامتصاص والمشاركة لمنح الافريقيين حقوق المواطنة .. والمقصود بالامتصاص هنا – من وجهة نظرهم – هو تثقيفهم دينيا .. أي ضرورة ادماجهم في الديانة المسيحية أولا ، ثم انتقاء من يتوسمون فيه الانتماء الخالص ، ويزودونه ببعض المؤهلات الدراسية التي تسمح له بمشاركة البرتغاليين في شغل الوظائف الحكومية بعدئذ .. أقول انهم يباهون المنافسين لهم بهذا الفضل المزعوم ، وأنهم لا يسمحون بتعصب عنصري أن يترعرع بينهم .. ومع ذلك يتحالفون مع أبشع قلاع العنصرية في العالم .. اقصد حكومة اتحاد جنوب افريقيا .. عندما احسوا بدائرة التحرر قد اخذت في الاتساع من الداخل وكادت أن تلقى بهم في المحيط .

كذلك نجد مجموعة الدول الافريقية التي كانت تابعة لفرنسا تستقل على أساس نظام الكومنولث البريطاني .. فترتبط بفرنسا في رابطة اقتصادية محكمة لا تسمح لها بالفكاك الا في الحدود التي لا تهدد فيها هذه الرابطة . كذلك الحال في المستعمرات البريطانية التي اقتصر عليها هذا الكتاب .. فقد ارتبطت معها انجلترا بالنظام الاقتصادي البريطاني المشهور باسم الكومنولث .

ثم نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي يخشاها مؤلف الكتاب كمنافس ، نجدها تسارع الى تأييد استقلال بعض الدول التي تنتظر من تحررها افساح مكان لأقدامها كي ترسخ .. على ألا تسمح لاقتصاد ما أيدته أن يزدهر كما فعلت في الكنغو البلجيكي ، وكما سكتت على المذابح التي حدثت في أنجولا .

أما بلجيكا – فكما يقول رونالد سيجال – « فقد خدعت نفسها بالنسبة لنجاح سياستها التقليدية .. اذ انها ألقت ستارا من الدخان كثيفا منع معرفة حقيقة الأوضاع المتناقضة بين ادعاءاتها وبين سياستها العملية .. خصوصا وأن ادارة الاعلام البلجيكية في الكنغو كانت من أكفأ أجهزة الدعاية في العالم .. ومع ذلك فان هذه الكفاءة صارت سلاحا ذا حدين ، فقد جاءت اليقظة كاسحة لكل أعمالهم – أي البلجيكيين – وأصابتهم بدهشة لم يفيقوا منها بسبب خداعهم لأنفسهم » .

وها هو الاتحاد السوفييتي أيضا يزيد اهتمامه بأفريقيا ، فأنشأ قسما لدراسة الشعوب الأفريقية في معهد الدراسات الاتنوجرافية في عام ١٩٥٥ ، وانشأ مجلة شهرية تخصصت في الشئون الافريقية تسمى East Contemporrry وأسس جمعية الصداقة السوفيتية الأفريقية وافتتحت فروعا لها في غينيا والسودان ومالي والسنغال وتوجو ، ثم أنشأ عام ١٩٥٩ معهدا جديدا للدراسات الأفريقية يضم خمسين من كبار الخبراء السوفييت لدراسة تاريخ أفريقيا وثقافتها ومشكلاتها الاقتصادية والسياسية المعاصرة .

كذلك الأمر بالنسبة للصين ، فاننا نلمس مدى التقارب الذي يقوى في هذه السنوات ، والعلاقات الدبلوماسية الجديدة بينها وبين الدول المستقلة حديثا مثل تانزانيا وغينيا ، وما قام به مبعوثو الصين من جولات صداقة في هذه الدول .

اما الصورة الأخيرة التي يحاول بها الشكل التقليدي للاستعمار أن يتقمصها .. فهي صورة اسرائيل ، صورة تبدو لأول وهلة انها صورة دولة صغيرة ناشئة ، ومن ثم فلا أطماع لها ، وانما تريد مجرد العيش بين أسواق هذه الدول ، وتمكنت في بعض الظروف من التغلغل داخل عدد من أسواق هذه الدول ، لكن يقظة جمهوريتنا العربية المتحدة قد نجحت في مطاردتها وطردها من بعضها ، وتواصل العمل على تخليص شعوب أفريقيا من هذا « الهاوى » الجديد ، واستطعنا ان نكشف لهذه الدول حقيقة الصلة الخفية بين اسرائيل ودول الاستعمار القديم والجديد ، وما هي الا مخلب تنهش به هذه الدول أرض أفريقيا وخيراتها عن طريق جديد غير مباشر .

نلمس من كل هذا أن التنافس لم يعد مقصورا على انجلترا والولايات المتحدة — كما يظن المؤلف — وانما جاء الى الحلبة نوع جديد من المتنافسين . ولهذا أستطيع أن أقول **ان المنهج التاريخي الذي سار عليه هذا الكتاب ناقص السرد .. فلو كان قد اقتصر على هذه المناطق التي ارتبطت ببريطانيا في زمن ما بقيد الاستعمار ، وقصر بحثه على هذه المنطقة دون سواها ، لما وجهنا اليه أي انتقاد .. لكنه خرج منها الى التعميم الى دول أفريقيا كافة .. من غير التفات لظروف وطبيعة وتاريخ كل منطقة على حدة .. وهنا موطن الخطأ .**

لكننا نتساءل .. ما السبب في اهتمام هذه الدول كلها بقارتنا السوداء ؟ أما هناك من قارات اخرى تغرى بمثل هذه المحاولات ؟ .. وهل تعتبر هذه القارة خلوا من دول أو دولة افريقية تجعل من نفسها المدافع الأول عن حقوق شعوبها ؟ .. وهل نستطيع التوصل الى مبدأ مونرو افريقي يحميها من كل تدخل او اعتداء ؟ .

ويكفي للاجابة على هذا ان نرجع الى مقال افتتاحي بجريدة « التايمز » عام ١٩٤٩ يقول **« ان أفريقيا هي القارة الجديدة ، وهي محور التنمية في القرن العشرين ، ومركز المشكلات الخاصة بالأجناس ، وحلقة الاتصال بين أوروبا وأمريكا من ناحية وبين أوروبا واستراليا ونيوزيلاندا والشرق الأقصى من ناحية أخرى » .**

ونلحظ من تاريخ نشر هذا المقال الافتتاحي انه قريب العهد بمأساة فلسطين ونشأة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ونطبقه على مقدار المحاولات التي تقوم بها هذه الدويلة بالنسبة لأفريقيا .. فندرك مدى الأهمية التي يعقدها الاستعمار التقليدي على هذا الوجود الاسرائيلي في هذه المنطقة .

ويلزم أيضا ان نقرن هذا بما سبق أن صرح به قديما السياسي النمسوي الداهية مترينخ حين قال « يوم توجد دولة افريقية كبيرة يوم أن ينتهي الاستعمار الأوربي من قارتها » .. فهل يحسن أن تكون هذه الدولة الأفريقية الكبيرة موجودة في مواجهة هذا المخلب الاستعماري الجديد — اسرائيل ؟ .. لكننا للرد على هذا السؤال **يجب علينا أن نعرف سلفا أن مبدأ مونرو الذي يطالب به بعض الدعاة في أفريقيا .. لم يثبت نجاحه في الأمريكتين ، ولم تعد الدول الصغيرة في حاجة الى حماية دولة كبيرة ولو كانت من بنات قارتها ..** فلم تعد دول أمريكا اللاتينية تعترف بوصاية أو حماية الولايات المتحدة الأمريكية لها .. مادام أن هناك هيئة أمم دولية ، مادام أن الوعي العالمي لم يعد ليسمح بمثل هذه

المحاولات القديمة ان تعود ، ومادام انه اصبح في امكان الدول الحديثة الاستقلال ، والمتشابهة في الظروف الاقتصادية ، ان تتفق وتتكامل .

لهـذا نقول .. **ان وجود الجمهورية العربية المتحدة كدولة أفريقية عربية كبيرة في مواجهة هذا الشكل العصرى للاستعمار الجديد .. ليس معناه أنها اتخذت من نفسها موقف الحامى للقارة من الأطماع الاستعمارية فى القرن العشرين .. وانما الاستعمار هو الذى ركز عليها هجومه الحديث .. لاعتقاده أنها هى الدولة ذات المقومات الكافية لايجاد مجتمع رائد ، تحتذيه بقية الدول النامية فى القارة** ، ومن ثم ينتهى من القارة كل استعمار .. لا الاستعمار الأوروبى فقط الذى أشفق عليه مترنيخ .

فلو كان الهدف الحقيقى من ايجاد اسرائيل فى هذه البقعة هو استنزاف قوة الجمهورية العربية المتحدة أولا بأول حتى لا تتمكن من استكمال بنائها ، فلا أقل من ان نفوت على الاستعمار تحقيق هذا الهدف ، ونتحكم نحن — كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر — فى تحديد وقت اللحظة الحاسمة ، التى نتأكد تماما انها لن تقوم له بعدها قائمة .

الا أن هذا ليس معناه أن نقتصر على بناء أنفسنا فقط ، وانما تحتم علينا وحدة المصير ، أن يكون التفاعل قائما ومتصلا بيننا وبين دول أفريقيا كافة .. فما هو نوع هذا التفاعل ؟ .. أو هل من طريق آخر كما يقول مؤلف الكتاب ؟

ولكى أجيب على هذا .. أمسك بالكتاب بين يدى متأملا .. فمع مافيه من اختلافات فى وجهات النظر ، وبالرغم مما فيه من شطط فى الرأى باعد بينه وبين الصواب .. أرى نفسى مضطرا لشكر هذا المؤلف الصديق ولا شك ، وغير العليم بدقائق الأحوال فى أفريقيا .. فأصبح من الواجب على القارىء لهذا الكتاب ان يطلع هذا الصديق البعيد على الحقائق .. اما عن طريق كتاب مماثل أو مقال كهذا أو اية وسيلة من وسائل الاعلام .

ونخرج من هذا بالاجابة عن تساؤلى السابق .. فأستطيع ان أقول **ان هذا التفاعل لابد وان يكون ثقافيا ، بكل ما تحتويه هذه اللفظة من معان .. يجب أن يجاهد أبناء افريقيا فى توسيع رقعة هذا التفاعل الثقافى حتى يشمل القارة كلها ، يجب أن يكون النمو الأفريقى الموحد معتمدا على ركيزة فكرية دارسة .. دارسة لتراثها ، منقبة عن كنوزها المعنوية والمادية ، واعية لكل التيارات العالمية المحيطة بها .. يجب أن يكتشف الأفريقيون قارتهم من جديد .. بلا عنصرية أو عقد ، بل بانسانية واعية .. وبدون حقد أو تجمد ، بل باشتراكية نامية** . فننقب عن الفنون الشعبية الأفريقية ، ونتناولها بالتحليل والتطوير ، ثم نتبادل مظاهرها فى شتى نواحيها . وندرس المعتقدات والعادات والتقاليد لمجتمعات القارة دراسة علمية خالصة ، لمعرفة المتشابه منها والمختلف . ونتناول اللغات المحلية السائدة والمنقرضة لمعرفة اسباب انقراضها أو بقائها ، ومدى استجابتها للغات العالمية المكتملة وكيفية تطويرها .. وغير هذا الكثير فى مجالات الثقافة .. ان صح العزم وصدقت النية . فان كان لابد من وجود زيادة تحمل المشعل وتنير الطريق .. فهاهى جمهوريتنا وهاهى غانا ومالى ونيجيريا والجزائر تشق الطريق لبقية الدول .. وهنا ترن نغمات الأنشودة الهندية القديمة للآلهة آلكالى السوداء فى أذنى .. عندما تقول « أنا لا أخاف الظلام .. بل أحبه ...

فلما أرى ظلمة تحيط بى أفكر فى « الله »

أفكر فى « أمى السوداء » .. فلربما تخفف من حدة مايحيط بى .

فلما أرى « شبح الخوف » يتبعنى فى الظلام أدعو أمى .. أمى السوداء .

فاننى بين الظلمة الحالكة .. أقدر على رؤية النور الذى تشعه قدما أمى .. أمى السوداء بلونهما الوردى الجميل » .

فهاهى قارتنا السوداء تنادى أبناءها أن يعيدوا اكتشافها على نورها الجديد .

جمال بدران

الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ٤٢٣ ص ١٧×٢٤ سم ث ٢٩ قرشا

مشكلات المستقبل

تأليف: هاريسون براون

يسود تنازع البقاء والكفاح من أجل الحصول على القوت والصراع ضد الفناء فى كل مكان على الأرض ، حتى ولو بدا هـذا المكان لأول وهلة كالجنة الدانية القطوف ! ولقد اتخذ المؤلف من جزيرة جاميكا صورة مصغرة للعالم ، وراح يفكر فى مصيره عندما أثارت مشاعره تلك الجـزيرة الجميلة بما حوت من متناقضات ، وحملته على بذل الجهد لاخراج هـذا الكتاب الذى يعتبر بمثابة دراسة قيمـة لماضى البشر وحاضرهم والتكهن بمستقبلهم على أساس الحلول المبنية على أسس قويمة تضع امامنا عـدة احتمالات يمكن أن يكون جانب منها أكثر توقعا من غيره ، رغم ان كل هـذه الاحتمالات جائزة فى ضـوء مايتوفر لدينا من معلومات فى الوقت الحـاضر . وفى مقدورنا ان نرسم على أية حال صورا لما قد يحدث تبعا لكل حالة من حالات سلوكنا .

ترجمة : محمود محمد موسى

مراجعة : د . عبد العزيز كامل

وأهم ما يتحدث عنـه المؤلف حرج مركز المدنية الآلية فى الوقت الحاضر ، تلك المدنية التى خلقت من المشكلات أكثر مما حلت ، رغم أنهـا جعلت بعض الأمم تعيش فى مرحلـة من مراحل الرخاء التى لم يسبق لها مثيل ولم يعهدها البشر من قبل . وهو يقرر أنها فى سبيلها الى الزوال الى غير رجعة مالم تتخذ من أجل بقائهـا بعض الاحتياطات الهامة ، وعندئذ اذا ماقدر لها البقاء

فى القرون المقبلة فان ذلك يعنى عدم وقوف احتمالات رخاء البشر وانتصاراتهم عند حد معين ، وهى نتيجة تعتمد فى أساسها على مقدرة الانسان على التعرف على المشكلات التى نشأت ، وتوقع ما سيجد منها فى المستقبل ، مع ابتكار الحلول التى تستطيع البشرية بأكملها أن تقرها. واننا لنجد أمامنا فى هذا العصر الكثير من المشكلات التى يمكن أن نتعرف عليها ، وهى تحتاج من أجل التغلب عليها الى قدر وفير من الذكاء والتبصر والشجاعة . وليس الحل من المستحيلات ، الا انه بعيد الاحتمال فى ضوء ما نلمس من طبيعة البشر ، ولهذا يرجو المؤلف أن يكون كتابه هذا عونا لنا على فهم وحسن ادراك المشكلات القائمة والعلاقة بين الانسان وبيئته الطبيعية ومقدرته الفنية .

وينقسم الكتاب الى سبعة فصول ، تعالج على الترتيب مواضيع ظهور الانسان ، فالموقف الحاضر ، ثم تعطى بعض الاحصائيات اللازمة من أجل تحديد مدى مشكلات القوت ، والطاقة ، والمواد ، ورسم صور بعض أنماط المستقبل .

وبطبيعة الحال الانسان هو آخر ما ظهر من كائنات على مسرح التطور ، ولقد ساد الأرض وتملكها بما تميز به من قوة التفكير ، تلك القوة التى كانت آثار ظهورها فوق مسرح التطور متعددة النواحى ، خصوصا عندما راح عدد البشر يتزايد من بضعة مئات الى البلايين خلال فترة من الزمن لا قيمة لها بالنسبة الى عمر الغلاف الجوى مثلا ! فوسط لجة هذا التكاثر البشرى يحق لنا أن نتساءل عن المدى الذى سوف يصل اليه تعداد سكان الأرض ، كما يحق لنا أن نتكهن بمصيرنا : فهل كتب الفناء علينا كما سبق أن كتب على مملكة الزواحف الكبرى من **قبلنا ؟ أم هل سنصل الى نوع جديد من التوازن يمكن الانسان من أن يعيش فى توافق مع بيئته ؟ ثم الى أى حد سوف يبقى الانسان محتفظا بالقدرة على تحديد مصيره ؟** وهل فى مقدوره أن يخلق علاقات مستقرة بينه وبين بيئته ، أم ان طبيعة حاجاته وعلاقاته بالعالم الخارجى هى من النوع الذى يدفعه فى قسوة الى الهلاك ؟ .

لقد سبق أن نادى فريق من الناس بأن الجماعات البشرية اذا لم يتوقف نموها بطريقة من الطرق فان عددها سوف يتزايد بسرعة تفوق الى حد كبير سرعة نمو موارد الغذاء . وخلال عصر التوسع الاستعمارى وزيادة التصنيع فى أوروبا كان يبدو أن موارد الأرض تستطيع أن تكفى اعدادا من البشر لا نهاية لها ، ولكن ظهرت أخيرا البحوث التى تحذر من احتمال وقوع الكوارث بسبب تزايد السكان وسوء استعمال الأرض الخ ...

فمثلا قذفت المانيا بنفسها الى أتون حربين بسبب حاجتها الى الأسواق وقلة مواردها وشهوة زعمائها الى السيطرة ، وراحت اليابان تتوسع جريا وراء المواد الأولية والغذائية ووراء الأسواق . وكافح الاسيويون والأفريقيون الاستعمار الغربى ، وصار الشعار عدم الاطمئنان الى الرجل الأبيض الذى حارب من أجل الاحتفاظ بأسواقه وموارده . وهاهو ذا الاتحاد السوفييتى يعمل على تأمين سلامته ونشر عقائده الاقتصادية والسياسية ... ولكن الخطر الأعظم من اندلاع نيران حرب عالمية مدمرة انما يأتى فى الأصل من خمس العالم الذى يشمل البلاد الصناعية التى قطعت شوطا بعيدا فى طريق التصنيع . **وليس فى الامكان فصل مشكلة تجنب الحرب عن مشكلة تجنب الجوع والحرمان ، فالتفكير فى ابعاد شبح الحرب لابد أن يتضمن كذلك التفكير فى تخفيف ويلات البشر المختلفة فى كافة أرجاء الأرض .**

ويبين الكاتب فى جلاء ووضوح أن زيادة انتاج العالم من الطعام انما تحتاج (بطبيعة الحال) الى المزيد من التصنيع ، وهذا بدوره يحتاج الى مزيد من استهلاك موارد الأرض من فحم وزيت وحديد وفوسفات وغيرها من المواد. ومن الضرورى أن نبحث من الآن عن المدى الذى عنده تقف صعوبة الحصول على هذه المواد فى سبيل التقدم البشرى . ولما كنا على بينة من أن

مواردنا من الفحم وزيت البترول سوف تنفد فى المستقبل القريب ، فان مستقبل الطاقة الذرية يبدو مشجعا اذا ما وجــه الى خير البشرية ، بصرف النظر عن الصعوبات الفنية البحتة .

وسوف يأتى فى النهاية يوم تعـمم فيــه استعمالات الطاقة الشمسية (التى لا تنفـد) بطريقة مباشرة ، الا ان التقدم فى استخــدام الطاقة الذرية انما يعمل على تأجيل اليوم الذى تعمل فيه الآلات بطاقة الشمس فى هذا العصر . وبطبيعة الحال عنــدما تنتهى موارد الأرض من الوقود الصــخرى ويتم استهـلاك اليورانيوم والثوريوم كافة ، سوف نتجه حتما الى اشعاع الشمس للحصول على ما يلزمنا من طاقات .

وتعليقنا على ذلك **ان فكرة استخدام الطاقة الشمسية فى الصناعة هى الى حد كبــير فكرة واهية نظرا لقلة كثافة هذه الطاقة التى تصــل سطح الأرض مالم تستخدم مجمعــات كبــيرة المساحة أو يجد ما ليس فى الحسبان !**

أما من حيث الموارد وانماط المستقبـــل فيذهب الكاتب بعد عمل احصائيات مطولة الى أنه سوف تصبح المواد الأولية الأساسية اللازمة للصناعة فى المستقبل هى ماء البحــر والهــواء والصخر العــادى ورواسب الحجــر الجيرى والصخور الفوسفاتية وضوء الشمس ، وذلك نظرا لنفاد مالدينا منها تدريجيا ولما سيجد من ظروف ، خصوصا وان صناعات المستقبل سوف تكون أكثر تكاملا وتعقيدا من الصناعات الحالية، وتلك مرحلة انتقالية هامة .

وقد يكون الموقف السياسى والاقتصــادى فى العالم آنئذ عاملا على تعويق هذه المرحلة ، كما أن احتمال النهوض بعد الانهيار هو احتمال بعيد، فان الفوائد التى يجنيهـــا الانســـان من وراء المعلومات التى توصل اليها مجتمع سابق قد تقلل من قيمتها ندرة المواد الأولية اللازمــة لقيــام مجتمع صناعى ناجح . وعلى أية حال فان كــل شىء يستطيع الانسان أن يتصــوره يمكن أن يحقق ، مالم يتعارض وهذا التحقيق معالقوانين الطبيعية والبيولوجية الأساسية .

وربمـــا تكون مســـالة تصنيع منــاطق العالم المتخلفة هى أصعب مهمة تواجــه الجنس البشرى فى الوقت الحاضر حتى يتحقق الاكتفاء الذاتى لكل اقليم ، وهو هدف يجب أن توجــه اليه جهود معظم أقاليم العــالم الكبرى بأقصى سرعة ، وذلك من وجهة نظر الاستقرار العــالمى الطويل المدى . ويتخيل الكاتب عالما يقـــوم كل اقليم فيه بكفاية نفسه ، ويكون للنــــاس مطلق الحرية فى حكم أنفسهم بالطريقة التى يرونها ، وفى خلق نظمهم الثقافية الخاصة ، ويكون لكل فرد صوت فى اختيار الحكومة ... وهــو عالم تمتزج فيه قوى الانسان الخلاقةونشاط الطبيعة الخلاق ... وهناك فرصة للنجاح فى خلق مثل هذا العالم اذا بذلت المحاولة وصدقت النيــة . ولقد صاغ المؤلف عباراته بطريقة علمية مقنعــة كما تمت الترجمة بأسلوب سهل اخاذ .

د . محمد جمال الدين الفندى





● لم تقف جهود « الدار المصرية للتأليف والترجمة » عند حد وضع معاجم عربية جديدة وقد أشرنا الى بعض تلك الجهود فى هذا الميدان ــ بل أخذت الدار على عاتقها أمانة نشر التراث العربى القديم فى هــذا الميــدان ليتضافر القديم والحديث على اقامة ثقــافة قوية الأســاس ، شامخة البنيــان ، عربية السمات ، فصيحة اللسان .

من اجل ذلك فكرت « الدار المصرية للتأليف والترجمة » فى نشر معجم **« لسان العرب »** الذى الفه الامام اللغوى جمال الدين محمد بن المكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى ، الذى خدم فى ديوان الانشاء بالقاهرة ، وولى القضاء فى طرابلس ، وتوفى بعــد ذلك فى القــاهرة سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) بعد أن ختم الأعــوام الثمانين من حياته ، وترك بخطه نحو خمسمائة مجلد ، من بينها كتاب « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » الذى اختصر فيه كتاب « الأغانى » ، وتقوم الآن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » بنشره محققا فى ثمانية اجزاء بعد أن عهدت الى طائفة من الأساتذة المحققين القيام بتحقيقه ، وظهر منه الجزء الأول بتحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى ، كما أشرت الى ذلك فى هذا الباب من العدد الرابع عشر من هذه المجلة . وكان ابن منظور ــ كما يقول ابن حجر العسقلانى ــ مغرى باختصار كتب الأدب . كما ذكر ابن أيبك الصفدى ذلك فقال : لا أعرف فى كتب الأدب شيئا الا وقد اختصره .

ومعجم **« لسان العرب »** هو أوسع المعاجم العربية مادة وذيوع صيت . جمــع فيه بين « التهذيب » للأزهرى (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) و « الصحاح » للجوهرى (المتوفى سنة ٣٩٣ هـ) و « المحكم » لابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) وحواشى العالم اللغوى عبد الله بن برى (المتوفى سنة ٥٨٢ هـ) وهى حواش عــلى صــحاح الجوهرى ، و « النهــاية فى غريب الحديث » لابن الأثير مجد الدين (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) . وقد ضم **« لسان العرب »** ثمانين الف مــادة ، وشرح فيه ابن منظور ما أتى به فى الشواهد من آيات وأحاديث وأشعار .

وقد رأت « الدار المصرية للتأليف والترجمة » أن تنشر هذا المعجم بطريقة « الأوفست » عــلى النسخة التى طبعت لأول مرة بالمطبعة الأميرية فى عشرين مجلدا من سنة ١٣٠٠ ــ ١٣٠٧ هـ ، لما لهذه الطبعة من قيمة علمية كسبتها على مدى الحقبة الطويلة من الزمن يشار خلالها الى أرقام صفحاتها وسطورها فيما نشر علماء العــرب

يقدمه مدير التحرير

والمستشرقون من آثار تراثنا الخالد في مصر والخارج .

وستنضم الى اجزائه العشرين اجزاء تحتوى على التصويبات التى قام بها بعض العلماء ، ثم فهارس تلم بالشواهد وأصحابها ، فتيسر على الباحثين الوصول الى بغيتهم فى أسرع وقت ، ومن أيسر طريق .

وكانت الطبعة ــ التى تنشر الطبعة الجديدة مصورة عنها ــ قد بلغت من الندرة مبلغا بعيدا ، وارتفع ثمنها الى الحد الذى لا يستطيع الكثيرون دفعه فيها ، على الرغم من اعادة طبعه فى طبعة جديدة فى بيروت مرتفعة الثمن أيضا وهى مجموعة بحروف جديدة ، ولا يؤمن فى اعادة طبع مثل هذه المعاجم وقوع أخطاء تزيد الطين بلة ، وهذا ما دعا « الدار المصرية للتأليف والترجمة » الى أن تتجنبه بتصوير الطبعة المعتمدة لدى العلماء ، ولتختصر الوقت على الذين يؤملون فى الحصول على هذا الكنز اللغوى الثمين .

● ومن أجل الغرض الذى فكرت فيه « الدار المصرية للتأليف والترجمة » فى نشر « لسان العرب » ، فكرت كذلك فى نشر معجم كبير يسبق « لسان العرب » بأكثر من ثلاثة قرون ؛ هو معجم « **تهذيب اللغة** » لأبى منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى المعروف بالأزهرى نسبة الى جده المذكور المتوفى سنة ٣٧٠ هـ .

وقد قرأ على طائفة من أئمة اللغة مثل ثعلب وابن دريد ونفطويه . ثم طوف فى الجزيرة العربية وراء اللغة ، وأقام دهرا طويلا بالبادية أسيرا فى يد قوم من البدو فأفاد من احاديثهم كثيرا من الألفاظ التى ادخلها فى معجمه ، ولذلك يقول فى مقدمته : « ولقد حرصت ألا اودعه من كلام العرب الا ما صح لى سماعا من اعرابى فصيح ، او محفوظ لامام ثقة ، حسن الضبط ، مأمون على ما أدى » . ويكرر ذلك فيقول : « ولم أودع كتابى هذا الا ما صح لى سماعا منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى » .

ومعجم « **تهذيب اللغة** » من بين الأسس التى قام عليها معجم « **لسان العرب** » فقد جمع ابن منظور فى **اللسان** مادة كثيرة من **التهذيب** ناسبا اليه كل ما نقله عنه .

وقد جرى الأزهرى فى ترتيب معجمه على حسب مخارج الحروف ، وهو الترتيب الذى جرى عليه من قبله الخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) فى معجمه المسمى « **كتاب العين** » . وهذا الترتيب يبدأ بحروف الحلق حتى ينتهى الى الشفة : وترتيبه هكذا : العين والحاء والهاء والخاء والغين ، والقاف والكاف ، والجيم والشين والضاد ، والصاد والسين والزاى ، والطاء والتاء والدال ، والظاء والذال والثاء ، والراء واللام والنون ، والفاء والباء والميم ، والواو والياء والألف . أى فى تسع مجموعات من الحروف . وهو ترتيب معجم « المحكم » لابن سيده الا أنه خالفه فرتب المجموعة التاسعة هكذا : الألف والياء والواو .

وكانت « الدار المصرية للتأليف والترجمة » قد عهدت أمر تحقيق هذا المعجم الى **الأساتذة** : الشيخ محمد على النجار ، الدكتور عبد الحليم النجار ــ رحمه الله ، عبد السلام هارون ، الدكتور عبد الله درويش ، عبد الكريم الغرباوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، على حسن هلالى ، محمود فرج العقدة ، محمد عبد المنعم خفاجى ،

عبد العظيم محمود ، أحمد عبد العليم البردونى ، عبد السلام سرحان ، يعقوب عبد النبى .

وسيظهر هذا المعجم فى اثنى عشر جزءا ، وقد تم طبع الجزء الأول منه .

● وفى هذا الميدان المعجمى يؤدى « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة فريضة واجبة عليه لأنها ألصق برسالته ، فقد نهض بنشر معجم « **التكملة والذيل والصلة** » للامام رضى الدين الحسن ابن محمد بن الحسن الصغانى ــ ويقال الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ . وقد جمع فيه ما فات الامام أبا نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ صاحب معجم « **الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية** » .

وقد ضم معجم « **التكملة** » للصغانى ستين الف مادة رجع فيها الى الف كتاب فى غريب الحديث واللغة والنحو والصرف وأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وحيوانهم وأسلحتهم الى غير ذلك من المواد . وصحح الصغانى للجوهرى ما غلط فيه أو وقع فى كتابه من تصحيف وتحريف فى الكلمات والأسماء ، وصحح نسبة الشواهد الى قائليها ، وغير ذلك من الفوائد ، مما يجعل نشره واجبا لا مفر منه ليكون الى جانب « الصحاح » .

لذلك كان عمل « مجمع اللغة العربية » فى نشر هذا الكتاب عملا يستحق التقدير ، كما يدعو أبناء العربية جميعا الى أن يطالبوا المجمع الموقر بالمزيد من هذا العمل فى سبيل نشر بقية المعاجم العربية جميعها نشرا محققا أتم تحقيق .

وقد عهد المجمع أمر تحقيق كتاب « **التكملة** » الى الأساتذة : عبد العليم الطحاوى ، عبد الكريم الغرباوى ، عبد الستار فراج ، مصطفى حجازى .

وينتظر أن يصدر فى ثمانية أجزاء .

وتم تحقيق الجزء الأول منه وهو يبدأ من باب الهمزة الى أول باب الجيم الذى حققه الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ، والجزء **الثالث** من باب العين فصل الدال الى باب الراء فصل الغين وحققه الأستاذ مصطفى حجازى . وسيتم اخراج باقى أجزائه التى يوشك تحقيقها على الانتهاء .

● وعلى ذكر المعاجم نذكر أن المتحف البريطانى بلندن قد حصل أخيرا على مخطوطة يرجع تاريخها الى الف عام من معجم « **المحيط فى اللغة** » للصاحب اسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . وولى الوزارة لمؤيد الدولة ابن بويه الديلمى ثم لأخيه فخر الدولة ، وكان سلطان البويهية قد شمل العراق وفارس وخراسان فى القرن الرابع حتى منتصف القرن الخامس ، وكان سلاطينهم لا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب ، فكان من وزرائهم وعمالهم وقضاتهم وكتابهم : ابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير والمهلبى .

ومعجم « **المحيط فى اللغة** » يقع فى سبعة مجلدات ، قال القفطى عنه فى كتابه « انباه الرواة على أنباه النحاة » انه : « كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد ، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وهو مرتب على الحروف ، وهذا الكتاب فى وقف بغداد ، وذكر لى ياقوت الرومى الناسخ انه نسخ منه نسخة بالأجرة فى سبعة مجلدات » .

وتوجد فى دار الكتب بالقاهرة نسخة من الجزء الثالث مخرومة منسوخة فى القرن السابع وتبتدىء بباب اللفيف من حرف الفاء وتنتهى الى أول حرف الزاى ، وهى فى ٢٧٤ ورقة .

أما النسخة التى اقتناها المتحف البريطانى فيعتقد أنها المخطوطة الوحيدة الكاملة ، وهى سليمة وقد كتبت عناوين الفصول بماء الذهب ، كما كتبت الكلمة الأولى من كلمات كل حرف بماء الذهب أيضا وبالخط الثالث ــ والكتابة المذهبة لا تزال تحتفظ بوضوحها وجمالها ورونقها .

● « **الباقلانى واعجاز القرآن** » رسالة نشرتها « دار المعارف » للأستاذ السيد أحمد صقر تناول فيها موضوع الاعجاز الذى كان من أبرز المسائل التى تعاورها العلماء بالبحث أثناء تفسيرهم للقرآن ، وردهم على منكرى النبوة ، وخوضهم فى علم الكلام ، وكان علماء الاعتزال أكثر المثيرين للكلام فى اعجاز القرآن . ثم تناول الأستاذ صقر الثلاثة الكتب التى بقيت مما الف

فى القرن الرابع عن الاعجاز فى القرآن ، فعرض لنا هذه الكتب الثلاثة بالبيان والتحليل ، وهى « اعجاز القــــرآن » للرمانى المعتزلى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، و « اعجاز القـرآن » للخطابى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ، ثم « اعجاز القـــرآن » للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

وكان الأستاذ السيد أحمـد صقر قد قام بتحقيق كتاب **« اعجاز القرآن »** لأبى بكر محمد ابن الطيب الباقلانى ، وهو أشـهر الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع . وقامت « دار المعارف » بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٥٥ فى سلسلة « ذخائر العرب » . ثم اعادت طبعه مرة أخرى أخيرا .

وقد عنى الأســـتاذ السيد صقر بما خلف الأقدمون من تراث حول القرآن فحقق كتابين جليلين لابن قتيبة هما : **« تأويل مشكل القرآن »** و **« تفسير غريب القرآن »** ، ثم كتاب **« أسباب نزول القرآن »** لأبى الحسن على بن أحمـــد الواحدى مؤلف شرح ديوان المتنبى .

● انتهى الأســتاذ الدكتور مراد كامل من وضـع كتاب سيقدمه للنشر عن أول أكاديمية للعلوم انشئت فى الاسلام ؛ وهى التى عرفت فى العصر العباسى باسم **« بيت الحكمة »** ببغداد ، وينسب انشاؤها الى الخليفة العباسى هارون الرشيد ، ولكن ازدهارها تم فى عهد ابنه المأمون .

وكان بيت الحكمة يضم مجموعة من الكتب بلغاتها الأصلية كاليـــــونانية والسريانية والهنــــدية والفارســــية ، ويتردد على مكتبته الضخمة المترجمون والنساخ . وكان يظن أن بيت الحكمة مكان مقصور على الترجمة ، فاثبت أن هذا البيت يعتبر أكاديمية للعلوم تشمل كل فروع العــلم المختلفة ، وتلقى فيه المحاضرات .

ويرى الدكتور مراد كامل أن لفظة **« بيت الحكمة »** تقابل أكاديمية الاسكندرية المعـــروفة باسم « الميوزيوم » أى مكان آلهة الحكمة .

● يقوم « معهد الدراسات الشرقية » فى « أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى » بموسكو بنشر طائفة من الكتب والدراسات فى اللغـــات الشرقية وآدابها ، يتولاها علماء متخصصون من الروس .

والى جانب ذلك يقوم هذا المعهد بنشر طائفة من الكتب العربية المخطوطة والمحفوظة بمكتبات الاتحاد السوفييتى ، وهو ينشر هـــذه الكتب بطبعها مصورة عن مخطوطتها الأصلية ، أى بخط الناسخ نفسه .

ومن بين الكتب التى تم نشرها بهذه الطريقة :

« كتاب المنازل والديار » تأليف مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكنانى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ . وهـو صاحب كتاب « لباب الآداب » الذى نشره المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد محمد شـاكر ، وكتاب « الاعتبار » الذى نشره فى ليدن سنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٦ لأستاذ هرتويغ درنبرغ ، ثم أعاد نشره فى مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحـــدة سنة ١٩٣٠ الأستاذ الدكتور فيليب حتى .

وقد عنى بنشر كتاب **« المنـــازل والديار »** ووضــــع فهارسه المستشرق الروسى أنس خالدوف .

وكتاب **« التاريخ المنصـــورى : تلخيص الكشف والبيـــان فى حوادث الزمان »** تأليف أبى الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن مزهر الحموى . وقد عنى بنشره ووضع فهارســـه المستشرق الروسى بطرس غريازنيويج .

● كذلك نشر « المعهد الفرنسى للدراســات العربية » بدمشق مجموعة من الكتب والنصوص محققة ومطبوعة أدق طباعة ، منها :

كتاب **« المعتمد فى أصول الفقه »** لأبى الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م) . وقد عنى بتهذيبه وتحقيقه الأستاذ محمد حميـــد الله بالتعاون مع الأستاذين محمد بكر وحسن حنفى ، وقد ظهر منه الجزء الأول .

وكتاب **« تعبير الرؤيا »** تأليف أرطاميدورس الأفسسى ، الذى نقله من اليونانية الى العربية حنين ابن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣م) . وقد قابل النص العربى على الأصـــل اليونانى وحققه وقدم له الأســتاذ توفيق فهد مدرس العلوم الاسلامية والآداب العربية فى كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة ستراسبورج .

● « خطوات على الشلال ومشاهد أخرى » :
لوحات رائعة رسمتها ريشة عملاق القصة العربية محمود تيمور ، فيها من رقة خلقه وعذوبة حديثه ، ومن شموخ ادبه وعلو أسلوبه ، ملامح جذابة لا تترك لك مجالا تفرغ منها اليه حتى تنتهى من مطالعتها ، وهو فى خلال تصويره يحدد الهدف الأصيل للأدب وهو الكشف عن الانسان « بمعناه الشامل فى خيره وشره ، فى سطوته وضعفه ، الانسان الذى حمل أمانة الحياة ، ليمارس بها ملكاته فى دنياه . والأدب الحق بما وهب من رهافة الحس ، وبما جبل عليه من فطرة الخير ، هو الذى يتخذ هذا الهدف ، واعيا أو غير واع ، سبيلا الى تطوير الانسان ، حتى يكون انسان عالم أفضل ، انسانا مثاليا فى مجتمع مثالى ، تسوده روح التعاون الصادق ، وتتحقق فيه المساواة الكاملة ، ويرفرف عليه الاخاء والرخاء » .

فهو خلال رحلته الى أسوان يطلعنا من خلال مشهد ضاحك رسمه لنا على جانب مأساة حيوان أعجم تلقى عليه أعباء وأحمال فوق طاقته فيعزيه بأننا « كلنا من حملة الأثقال ، والبطولة تتجلى فى شجاعة الصبر وقوة الاحتمال » .

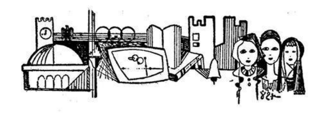
ويصور لنا العمل الضخم فى بناء « السد » وكيف يحنى الجبل الشامخ هامته « أمام قدرة الانسان ، ويخلى مكانه لعملاق جديد يتسامق ليسدى الخير والبركة للوادى الخصيب .. انه عملاق السد العظيم » .

وفى خلال رحلة له الى « المنصورة » يقف الانسان أمام مشهد العجول التى تربى فى بلدة « طنامل » ومن بينها عجل صغير يتواثب حول أمه وملء أوصاله فرحة ونشطة ومراح يجهل ما يخبؤه له القدر ، كما نحيا لاهين مستبشرين بالحياة ، والقدر منا بمرصد .

ثم يقف بنا وقفة المعتز بكرامته ، المفتخر بانتصاراته فى « دار ابن لقمان » حيث أسر لويس التاسع ملك فرنسا بعد ان دحر المصريون جيشه الغازى فى منتصف القرن السابع الهجرى . ويهتف بنداء التاريخ الخالد : الله أكبر .

حسن كامل الصيرفى





جولة بين الكتب

● **الانسان فى المرآة**

تأليف كلايد كلوكهون ، ترجمة الدكتور شاكر مصطفى سليم ، الناشر المكتبة الاهلية ـ بغداد ، عدد الصفحات ٥٩٦ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ١٥٠ قرشا

وهو كتاب يبحث فى علاقة عالم الاجناس بالحياة المعاصرة ، ومجال دراسته فيها ، وكيفية تحديد هذا المجال .. ان كانت قد اقتصرت حديثا على شخصية الانسان المتحضر أم ستظل ممتدة الى أصوله التاريخية البعيدة ، وطريقة الدراسة الحديثة فى هذا العلم وصلته بالعلوم الانسانية الاخرى .

● **محمد رسول الله**

تأليف احمد تيمور ، الناشر لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، عدد الصفحات ١٥٥ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن

وهو لمحات عميقة فى أنساب العرب وطبقاتهم وممالكهم وأخلاقهم وعاداتهم قبل الاسلام ، وما عاد به بزوغ فجر الرسالة المحمدية على هؤلاء من نور وتطوير ، ثم يتناول الكتاب نسب النبى وأدوار حياته من المولد الى النبوة ، ثم ما حفلت به هذه الحياة العظيمة من أعمال وبطولات خالدة .

● **المذاهب الفقهية الأربعة**

تأليف أحمد تيمور ، الناشر لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، عدد الصفحات ٨٦ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن

وهو نظرة تاريخية فى حدوث هذه المذاهب ، وفى مدى انتشارها فى الدول الاسلامية ، والأسباب التى ساعدت على هذا الانتشار دون غيرها من المذاهب الاخرى ، ومدى ما آلت اليه الآن من قيود نظرية كنتيجة للمؤثرات المنهجية فى كل اقليم ، ومبلغ ما تحتمه الضرورات الاقليمية من دراسة جديدة لهذه المذاهب .

● **البطل العربى الفاتح موسى بن نصير**

تأليف عبد العزيز حافظ دنيا ، الناشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، عدد الصفحات ٧٧ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن قرشان

وهو كتيب يتناول صفحة مضيئة من أمجاد العروبة وابطال الاسلام . فيحكى سيرة زعيم من زعماء الوحدة العربية ، ودوره الكبير فى نشر الدعوة وتثبيت دعائمها فى بلاد المغرب .. وذلك فى عرض سريع يبرز الحقائق التاريخية المؤكدة بأسلوب واضح وبسيط .

● **الدولة العثمانية والشرق العربى**

تأليف الدكتور محمد أنيس ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٣٠١ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٦٠ قرشا

كتاب بالرغم من تخصصه .. يعرض للعام والخاص مرحلة هامة فى تاريخ الشرق العربى .. فيحصرها بين عامى ١٥١٤ و ١٩١٤ ميلادية .. ويتناولها المؤلف بالتحليل والاستنتاج . فيتتبع بناء الدولة العثمانية ونظمها وفتوحاتها وحكمها للشرق العربى ، ثم يفسح شطرا كبيرا من الكتاب للحركات القومية فى الشرق الادنى وما وصلت اليه حتى قيام الحرب العالمية الاولى .

● **افريقيا .. أفريقيا .. قارة تقف على قدميها**

تأليف درك كارتن ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، مراجعة حسن لطفى المنفلوطى ، الناشر مشروع الالف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ١٧٩ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ١٦ قرشا

يلقى مؤلف الكتاب أضواء على حقيقة الأوضاع في مستعمرات بريطانيا في أفريقيا ، ويرى أنها كانت ضحية للاستغلال الاستعماري الذي امتص غالبية خيراتها في روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند وكينيا .. لكنه يرى الحل في منح هذه المستعمرات استقلالها على أن يكون مرتبطا بالنظام الاقتصادي الانجليزي .

● **التربية والصالح العام**

تأليف فيليب هـ . فينكس ، ترجمة محمد العزاوي وآخر ، مراجعة محمد سليمان شعلان ، تقديم السيد يوسف ، الناشر مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مركز كتب الشرق الأوسط ، عدد الصفحات ٣٧٥ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٥٦ قرشا

وهو كتاب يتسم بالطابع العلمي في حقل التربية ، فيوضح فلسفة خلقية للمنهج المدرسي من واقع ما يواجه الانسان من مشاكل في نضاله من أجل حياة أفضل .. لا في المدرسة وحدها وانما في سائر المؤسسات الاجتماعية الاخرى .. وذلك في أسلوب ميسور ومتعمق أدى بالمؤلف الى نتيجة هامة هي أن الاساليب العلمية أو الطرق الديمقراطية الجماعية لا تؤدى الى الشفاء من التمركز حول الذات الا باعادة استكشاف القيم العليا لخير الانسانية جميعها .

● **التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا**

تأليف ويلبور شيكرام وآخرين ، ترجمة زكريا سيد حسن ، مراجعة تماضر توفيق ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣٢٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ١٥ قرشا

يسير البحث في هذا الكتاب على نهج اجتماعي علمي ، أقرب الى المسح الاجتماعي لاطفال مدن أمريكية يتعرضون لتأثير برامج التليفزيون الامريكي ومقارنتهم بآخرين في مدن لا يصل اليها الارسال التليفزيوني ، ثم محاولة الوصول الى نتائج أشبه بالقوانين العلمية التي يجب أن يتقيد بها كل برنامج موجه لهذا الشيء .

● **فن القيادة والتوجيه في ادارة الاعمال العامة**

تأليف أردواى تيد ، ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم ، الناشر دار النهضة العربية ، عدد الصفحات ٢٦١ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٤٢ قرشا

وهو كتاب يرتبط بما نمر به الآن من مرحلة تنظيمية للانتاج في نواحيه كافة ، مما يتطلب دربة ومرانا على الأعمال التوجيهية والقيادية في سير عجلة الانتاج ، والكتاب بهذا الموضوع الحيوى يكتسب أهمية خاصة ، لانه يعالج المشاكل الادارية والفنية في كل ما يتصل بالجمهور العريض من زاوية الانتاج المنظم على أساس نفسي .

● **الهند .. تاريخها تقاليدها جغرافيتها**

تأليف محمد مرسى أبو الليل ، الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٢٨٧ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٣١ قرشا

يستهل هذا الكتاب بحثه بتحديد جغرافي لشبه الجزيرة الهندية من كل جهاتها ، ويعرض لطبيعة سطحها عرضا سريعا مبسطا ، ثم يبدأ في تناول تاريخها الشامل بالتفصيل والتحليل من القديم الى الحديث مارا بالوسيط وما فيه من عهد اسلامي ، ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن الهند في عصر الاستعمار وحكم الانجليز وعما وصلت اليه من استقلال وتقدم بفضل غاندى والحركات الوطنية التي سادتها .. حتى يصل بنا الى الهند الحديثة .

● **الغابة المنسية**

نظم أحمد مخيمر ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٣١٤ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ١٩ قرشا

انه ديوان شعر مليء بالانتفاضات الشاعرة والخلجات الهامسة المعبرة ، منها القصائد الوطنية الثائرة ، وفيها اللزوميات الحكيمة المتعمقة ، ولقد انطلق الشاعر في كل هذا وذاك من قالب الشكل ليصل الى قلب القارىء يسرله بمضمونه فيوصله ويدعمه ، وما وسيلته في ذلك الا موسيقية التعبير ورتابة الايقاع .

● **المدارس الفلسفية**

تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة . عدد الصفحات ١٤٩ ص قطع صغير .

الثمن قرشان

وهو كتيب متخم على صغره بكل راجح من الرأي ونفيسه من الفلسفات ، فيجول بنا في رحاب الفكر وآفاقه المتشعبة .. فمن فلسفة اغريقية لدى الفيثاغورية والأكاديمية والمشائية ، ومن فلسفة مجددة لدى مدارس الاسكندرية وافلوطين وجنديسابور .. الى الفلسفة الاسلامية لدى الكندى والفارابي وابن سينا ، وكل ذلك في رحلة سريعة تلائم عصر الصواريخ الذي نعيش فيه ...

● **الحياة في القرن الحادى والعشرين**

اعداد ميخائيل فاسيليف وآخر ، ترجمة أحمد محمود سليمان ، مراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٧٨ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ١٩ قرشا

كتاب يجمع بين طرافة الحلم ولذة الخيـــال وبين دقة العلم وتحكم قوانينه .. يأخذ كل حقيقة حية أو جامدة ، فيقلبها على شتى وجوهها تارة بالوصف وتارة بالتحليل ، ثم يقفز منهـــا الى مستقبلها ومستقبلنا نحن البشر معها .. لـكنها ليست قفزات أقرب الى شطحات جول فيرن أو هـ . ج ويلز ، بل تسير على نهج وتسلـــــل يؤكد الأمل في تحقيقها على المدى الحادى والعشرين من القرون .

● **السائرون نياما**

تأليف ســعد مكاوى ، الناشر الدار المصرية للتـأليف والترجمة ، عدد الصفحات ٢٨٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ١٤ قرشا

قصة تاريخية تدور احداثها فى عهد سلطنة المماليك من سنة ١٤٦٨ الى ١٤٩٩ ميلادية .. فتعرض لما كانت عليه مصر آنذاك من ظروف وأوضاع اجتماعية وسياسية ، ومن خلال الحبكة القصصية يبين لنا موقف السلاطين المماليك من الشعب المصرى ، وكيف ادت حركات شعبية متفردة من الوطنيين الى الحد من بطش هؤلاء الحكام .

● **معنى الوجودية**

تأليف عبد المنعم الحفنى ، الناشر مطبعة الدار المصرية ، عدد الصفحات ١٦٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٢٥ قرشا

محاولة لتقريب مفهوم الفلسفة الوجودية الى أذهان القراء ، فيبتعد المؤلف عن المصطلحات الفلسفية ليستعيض عنها بما تحتويه من تطبيقـــات أو امثلة لدى كل من هيـدجروكير كجورد وجان بول ســارتر وســيمون دى بوفوار ، ثم ينقلهـا الى بيئتنا الشرقية فيبحث لها عن مستقر يمكن أن تترعرع أو تندعم فيه .

● **المجانين**

تأليف أحمد ســعيد ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، عدد الصفحات ٣١١ ص ١٧ × ٢٤ سم .
الثمن ٤٠ قرشا

قصة مصرية طويلة تحكى عن فترة زمنية قريبة من تاريخ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فاختار لها المؤلف قرية اضمار التى عانى أهلها من ظلم الباشا وزبانيته ، ومن حماية رجال الحـكومة لهذا الباشا ومطاردتهم لاهل القرية الأباة .. حتى اضطر بعضهم الى ترك القرية ، ثم تنتهى القصة بعودة الاهل يهللون للانتصار الكبير .

● **البراجماتية**

تأليف وليم جيمس ، ترجمة الدكتور محمد على العريان ، الناشر دار النهضـــة العربية بالاشـتراك مع مؤسســة فرانكلين ، عدد الصفحات ٤٧٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٥٠ قرشا

يعرض هذا الكتاب لتلك النظرة المستقبلية المعروفة باسم البراجماتية والتى جعلت معيار صدق القول هو ما يترتب عليه من نتائج .. بغض النظر عما كان وعما هو كائن بالفعل .. لكن وليم جيمس مؤلف هذا الكتاب ينفرد عن مؤسسى البراجماتية تشارلز بيرس وجون ديوى بايمانه الدينى واعتقاده فى الله ، وبأن العالم متكثر متعدد الكائنات .

● **وراء الأخبار ليلا ونهارا**

تأليف فيليب اولت ، ترجمة أحمـــد قاسم جودة ، الناشر دار النهضـــة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، عدد الصفحات ٢٤٦ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ٢٠ قرشا

يتتبع هـــذا الكتاب الصراع الصحفى للوصول الى الخبر ، وتطور وسائل نقل الاخبار ، ونشأة وكالات اخبارية متخصصة لنقل الأنبـاء عبر القـارات منذ الثلث الثانى من القرن التاسع عشر ، وصلة الوكالات العالمية بالرسالة الوطنية لكل واحدة منها ، وما هى مهام الوكالة الاخبـــارية فى السلم والحرب وعلاقاتها بوسائل الاعلام كافة .

● **علم نفسك الاعلان والنشر**

تأليف بيتر شـــاندور ، ترجمة رمزى يسى وآخر ، الناشر دار الفكر العربى ، عدد الصفحات ٢٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٣٥ قرشا

ينظر مؤلف هذا الكتاب الى الاعلان والنشر باعتبارهما رسالة تنقل الى الجمهورية لاعطائه فكرة واضحة عن سلعة معينة ، ولهذا فهو يعدد أنواع الاعلان والعمليات الممهـــدة له ، ويحتم أن تختص وكالة للاعلان تجند مندوبين وأخصائيين فى هـــذا الفن .. تنظم الحملات الاعلانية العامة والخاصة .

● **التقويم فى التربية الحديثة**

تأليف ج . وابن رايتستون وآخرين ، ترجمة محمد محمد عاشور وآخرين ، مراجعة محمد السيد روحه ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ٧٤١ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ١٢٧ قرشا

وهو كتاب جامع لقيـاس النمو والعلاقات الاجتماعية والأهداف التربوية الكبرى فى طبيعة التقويم ومجالاته وعلاج أسلوبه ، وفى وسائل التقويم العلمية ، وفى تطبيق هذه الوسائل لتقويم أحداث التربية الكبرى ، وقد استخدم الكتاب فى هذا البحث وسائل السجل الاخبارى والملاحظـة والاستفتاء والطريقة الاسقاطية وطرق قيـــاس العلاقات ودراسة الحالات والبطاقات التراكمية .

● **كيف تكتشف أسرار الطبيعة ؟**
تأليف فنسون براون ، ترجمة الدكتور اميل شنودة دميان ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٦٢ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٢٠ قرشا

كتاب يجوب بنا العوالم الخفية متدرجا من البيت الى الريف والمدينة ثم الى الولايات والأقطار ، ثم ينزل بنا الى ما تحت الأرض والماء ، ويحلق بنا بعدئذ فى السماء والفضاء الخارجى .. وهو فى كل ذلك يقـدم لنـا الوسائل والأجهزة العلمية حتى لا ينحرف بنا الطريق أو يستولى علينا الارهاق ، ثم يقدم لنا جرعة من الأمل تدفعنا وتدفع عنا عوامل الفشل أو القنوط .

● **الفن القصصى فى القرآن الكريم**
تأليف الدكتور محمد أحمد خلف الله ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٣٤٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٥٥ قرشا

يصدر هـذا الكتاب فى طبعته الثالثة بعد أن أثار فى طبعتيه السابقتين جدلا عنيفا ، لكنه يحتوى على قضايا قد لا تحتمل الجـدل بقدر ما تثيره من استفسارات وتلهفات .. فهو موضوع رسالة حاز بها مؤلفها رسالة الدكتوراه .. اعتمدت على المنهج الأدبى فى فهم القرآن وتفسيره .. فحاول أن يستقرىء الصـور القصصية الرائعة الكامنة فى آياته الكريمة .

● **دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر**
تأليف الدكتور عبد المنعم ماجد ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عدد الصفحات ٢٠٣ ص ١٧ × ٢٤ سم .

الثمن ٦٥ قرشا

وهو دراسة للنظم السياسية التى سادت مصر فى تلك الفترة من عام ١٢٥٠ الى ١٥١٧ ميلادية .. اذ اعتبرها المؤلف مرحلة جديدة على مصر وقتذاك تتسم بالملكية وبالعسكرية المقتصرة على طبقة المماليك دون سواها .. لكنها كانت تلتزم بالشريعة الاسـلامية ضمانا لبقاء حكمها ، ومن ثم فانها اتسمت بطابع دفع بالمؤلف الى افراد هذا البحث لها .

● **فى الشعر الأوروبى المعاصر**
تأليف الدكتور عبـد الرحمن بدوى ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، عددالصفحات ٢١٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

الثمن ٤٠ قرشا

جولة فلسفية متعمقة فى سمات العصر من شعره .. بما فيه من قلق بالغ على مصير الانسان بعد ازدياد آلات الدمار الى درجة تهدد الوجود الانسانى بأسره ، فيسبر المؤلف غور الشاعر رلكه ولوركا وسانت جون برسى وجاه كوكتـو وكلوديل ، ثم يناقش هيجـل وشوبنهور ونيتشه واشبنجلر نقاش المشفق على هذه الانسانية .

● **الميثاق فى ضوء القرآن**
تأليف محمد مختار أمين مكرم ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، عدد الصفحات ١٤٩ ص ١٤ × ٢٠ سم .

الثمن ٢٠ قرشا

وهو دراسة للمدى العميق الذى يربط بين الميثاق كخطة لحياتنا الجديدة المنطلقة وبين الدين الحنيف كقاعدة للوجود الانسانى البنـاء الحر ، فهو محاولة لرد نواحى الميثـاق الى الأصول القرآنيـة والى الأحاديث النبوية .. وذلك فى أسلوب سـهل واضح يدعم الصلة فينير الافئدة والعقول .

سكرتير التحرير



إدارة إحياء التراث
بالدار المصرية للتأليف والترجمة



٣٧٠هـ - ٤١٨هـ

مـلاحق

ابتـــداء بهـــذا العـــدد ستخرج مجـلة الكتاب العـــربى ومعهـا هـــذا الملحق الذى يضم مخطوطة من المخطوطات العربية الصـغيرة الحجم ، أو جزءا من مخطوطة لا يتســـع لهـــا ملحق واحد .

وهـذه المخطوطات تحققها وتهيئها للنشر ادارة احيـــاء التراث بالدار المصرية للتـــأليف والترجمة ، وسوف تقدمها الى القراء فى صورة مجلوة مشروحة مقابلة على مخطوطاتها المختلفـة مزودة بالفهارس والتعريف بالمؤلف والكتاب .

والمجلة تأمل بهذا أن تقدم الى قراء العربية ــ الى جانب المقال الدارس الناقـــد ــ أصـــلا من أصـــول العربية لم يسبق نشره لتضم الى الفائدة الأولى فائدة ثانية .

.. المجـــلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

وينتظم شيئين :

١ - ترجمة للمؤلف

٢ - تعريفا بالكتاب

(١)

ترجمة المؤلف

هو : أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد بن يوسف بن بحر ، المعروف بالوزير المغربى .

وكان مولده بمصر — فيما نرجح — سنة سبعين وثلثمائة (٣٧٠ هـ) لا سنة (٣٩٠هـ) كما ذكر العسقلانى فى لسان الميزان . وكان أبوه من وزراءِ الحاكم العبيدى ، صاحب مصر ، فنشأ حافظا للقرآن وعدة من الكتب فى النحو واللغة ، وكثيراً من الشعر بلغ ، فيما ذكره أبوه ، خمسة عشر ألف بيت ، متقنا للحساب والجبر والمقابلة ، ولم يبلغ من العمر أربعة عشر عاما أو سبعة عشر . ويقتل الحاكم أباه وعمه وأخويه فى الثالث من ذى القعدة سنة أربعمائة ، كما ذكر ابن خلكان ، فيهرب أبو القاسم إلى الرملة وكانت سنُّه عندها قد بلغت الثلاثين ، وهناك استجار بصاحبها حسان بن الحسن بن مفرج الطائى ، فأجاره وأقام عنده مدة تركه بعدها إلى الحجاز ، ونزل مكة على صاحبها أبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى ، فأطمعه فى ملك مصر وأغراه

بالحاكم ، غير أن الحاكم أفسد عليه خطته فهرب إلى العراق ، وهناك انتهى به الأمر إلى أن تقلّد الكتابة لمعتمد الدولة أبي المنيع قرواش بالموصل بعد موت أبي الحسن بن أبيّ كاتبه ، ثم وزر لشرف الدولة ابن بويه مكان مؤيد الملك أبي علي ، ثم عاد إلى مخدومه الأول قرواش ، ثم ترك قرواش إلى ديار بكر فوزر فيها لسلطانها أحمد بن مروان ، فأقام عنده إلى أن أدركته منيّته فى الثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، على الأصح .

وحملت جثته بوصية منه إلى الكوفة فدفن بها إلى جوار مشهد عليّ ، كرّم الله وجهه . وفى نِسبته إلى المغرب خلاف ، فيقال إنه لم يكن مغربياً وإنما كانت لأحد أجداده ، وهو أبوالحسن على بن محمد ولاية فى الجانب الغربى ببغداد ، وكان يقال له المغربى أو ابن المغربى لذلك ، فأُطلقت عليهم هذه النسبة .

ويقول ابن خلكان : ورأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ، ثم بعد ذلك نظرت فى كتابه «أدب الخواص» فوجدت فى أوّله : «وقد قال المتنبي . وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبه» فهذا يدل على أنه مغربى حقيقة لا كما قالوا .

وقد ذكر الذين ترجموا له من مؤلفاته :

١ ــ مختصر إصلاح المنطق .

٢ ــ أدب الخواص ، ذكره حاجى خليفة .

٣ ــ المأثور فى ملح ربّات الخدور ، ذكره حاجى خليفة .

٤ ــ تفسير ، ذكره ابن حجر فى كتابه لسان الميزان ولم يبيّن اسمه .

٥ - ديوان نظم ذكره ابن حجر .

وقد أورد له ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء جملة من شعره .

٦ - الإيناس .. وهو هذا الكتاب .

(٢)

تعريف الكتاب

وقد ذكره ابن خلكان وقال : وهو على صغر حجمه كثير الفائدة ، ويدل على كثرة اطلاعه . وقال عنه ابن حجر : « فى النسب » .

وذكره حاجى خليفة ، وقال : فى المحاضرات ، وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة .

وقد وجدنا من هذا الكتاب مخطوطتين .

الأولى : بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وهى مصوّرة عن مخطوطة المتحف البريطانى ورقمها ٣٦٢٩ وقد رمزنا لها بالحرف م .

الثانية : بالمكتبة التيمورية ورقمها ٢٢٥٧ وقد رمزنا لها بالحرف ت .

وأولى هاتين المخطوطتين ، وهى مخطوطة المتحف البريطانى ، تقع فى ٢١٦ صفحة ، من القطع الصغير وأسطر كل صفحة اثنى عشر سطر ، وكلمات كل سطر نحو من ثمان كلمات

وهى مكتوبة بقلم النسخ ، وبها فراغ كثير ، كما أن بها زيادات كثيرة عن المخطوطة الثانية ، كما أن بها تصويبات بالقلم تدل على أنها روجعت على نسخة أولى يقال إنها بخط المؤلف .

وثانية هاتين المخطوطتين وهى مخطوطة تيمور ، تقع فى ١٢٠ صفحة ، وأسطر كل صفحة ٢٣ سطراً ، وكلمات كل سطر نحو

من عشر كلمات ، وهى مكتوبة بخط النسخ الردىء ، وبهامشها كثير من التعليقات التى هى فيما يظهر بخط بعض القراء ، كما أن بها طمساً كثيراً وبياضاً لا تكاد تخلو منه صفحة .

وسوف يكون فى آخر الكتاب فهرس جامع مفصّل .

وإنى إذ أقدِّم هذا الكتاب الأول من هذه السلسلة التى ستضطلع بها إدارة إحياء التراث بدار التأليف والترجمة أرجو أن يكتب لها التوفيق والسداد .

إبراهيم الأبيارى



بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على ......]

قال الوزير الإمام العالم الأَوحد أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد المعروف بابن المغربى رحمه الله تعالى[1] :

نكتب إن شاء الله فى هذا الكتاب ما يحضرنا ذكره من الأَسماء التى تشاكلت بعضَ التشاكل وبقى بينها من الفرق ما يرتفع الالتباس[2] بإيضاحنا إيَّاه ، مثل فَهْم وقَهْم .

ومن الأَسماء التى أَلفاظها لذاتٌ لا تختلف ، وأشكال لا تفترق ؛ فنعتمد بإيرادها الدلالة على اتفاقها ، وإيمان القارئ من ذعر الشك فيها ، مع ما نظنُّه من حسن موقع اجتماعها ، مثل : بكْرِ بن وائل من عدنان ، وبكر بن وائل من قحطان .

ومن الأَسماء الأَفراد التى وُضِعت وضعاً مشكلا ، فيُخاف على القارئ تصحيفها ؛ ما لم يكن فى علم النسب مبرِّزا ، مثل : شُمس ، ومثل : أَبى خَلْدة ، ومثل : شهل بن شيبان

ونورد ذلك على حروف المعجم ، ليقرب متناوله ، ويذل مجتناه ، ونحن نرى أن الأَديب [المموسِّط] [3] الرتبة فى الأَدب إذا صرف إلى هذا التعليق جانباً من عنايته أَمِن التصحيف فى جميع الأَنساب العربية بتوفيق الله .

ولم يَخْل مع ذلك من لُمعة ثاقبة ، وأَبيات شعر حسنة . نتصيد له ذكرها بالأَسماء المتصلة[4] بها ، وحملنا على إثبات هذا التعليق

(١) التكملة من ت .
(٢) فى م : اللبس .
(٣) هذه الكلمة غير واضحة فى نسخة ت » وقد أثبتناه عن م .
(٤) فى م : « المتعلقة » .

استحساننا صنيع أبى جعفر محمد بن حبيب فى كتابه المؤتلف والمختلف[1] ، فإنه لحَبَ [2] لنا هذه السبيل التى كان عليه استفتاحها ، وعلينا إكمالها وإيضاحها . وحسب المبتدئُ أن يستقصى مجهود رأيه فى استثارة ذلك الشىء المعدوم من مدافنه ، وفتق أكمام الفكر عنه ، وإبرازه لعيان طالبه ، ثم على المتعقب تتميم ما صنعه ، والاقتفاءُ به فيما ابتدعه ، والله الموفق المعين ، وله الحمد رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الهمزة

(الأَزْدُ) فى كهلان : الأَزْد ، ويقال الأَسْد ، بوزن العَقْل ، وهو الأفصح ، إلاَّ أن الأَول أكثر ، واسم الأَزْد : دِرَاءُ [3] بوزن فِعَال ، وهو دراءُ ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك [4] ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(الأَزَدُ) وفى هَمْدان : الأَزَد بوزن البَعَل مفتوح العين ، وهو الأَزَد بن عبد الله بن قادم بن زيد بن عريب بن جُشَم بن حاشد بن خيران [5] بن نوف بن همدان .

---

(١) فى كشف الظنون : المختلف والمؤتلف فى أسماء القبائل ، والنسخة المطبوعة فى أوروبا من هذا الكتاب تحمل هذا العنوان : « كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها » .

(٢) لحب السبيل : سلكها .

(٣) فيما نقله التاج (مادة أزد) : « درء » بكسر فسكون وآخره همزة ، وزاد انه « دراء » كتاب ، نقلا عن المؤلف هنا وأنه الصحيح ، وفى جمهرة أنساب العرب (ص ٣٣٠) « ادد » .

(٤) فى هامش ت : « ملكان » قاله الرشاطى

(٥) فى الأصل : « حيران » بالحاء المهملة وفى مختلف القبائل ومؤتلفها (ص ١٠ طبعة أوروبة) لابن حبيب : « خيوان » بالخاء المعجمة والواو . والتصويب عن القاموس (خير) والأصنام (ص ٥٧) ، ونهاية الأرب (ص ٣٢٠) والمقتضب : (ص ١١٥) .

وأكثر ما يقال فيه : أَزَد ، بغير ألف ولا لام [1] . هذا قول على بن محمد بن أحمد بن الحارث المُرْهِبِى فى كتابه الذى صنفه فى أخبار همدان وأشعارها ، وذكر أنه اتفق له على هذا النسب أبو بكر الحِميرىّ [2] ، قال : وكان عالماً حافظاً للنَّسب ، وابن الكلبى . فأما محمد بن موسى بن داود العَمّى فإنه روى عن محمد بن عبد المنعم ابن إدريس المُنبّهى عن أبى المُنذر هشام بن محمد : أَزِد ، بفتح الألف وكسر الزاى .

ومن أَزِدِ هؤلاء : أبو رَوْق المُفسِّر ، وهو عَطية بن الحارث بن عبد الرحمن .بن عمرو بن الحارث بن مالك بن خثامة بن ارد . ومنهم : سفيان بن لَيْلى . ورأيت أبا عبد الله الكُوفىّ قد ضَبطه [2] : سيفان بن لَيْل ، وكان من أصحاب المختار ، وهو الذى قال للحَسن عليه السلام لمَا سَلَّمَ إلى معاوية : يامُذِلَّ المؤمنين ، السلام عليك . الأُلَة : عبد الله اسم شائع كثير فى العرب ، وعبد اللات ، كما يقولون عبد العُزّى

ومن الغريب المُشكل أنَّ فى طيءٍ رجلاً يقال له : عبد مالك بن عَبد الأَلَة ، مثل العَلة مُخففاً ، قال النسابون : أرادوا بعبد الأُلَة : عبد الله . وهو عبد الأُلَة بن حارثة بن غَزيّة بن صَهْبان ، ويقولونه مَوصولاً بلفظ قد صوّرتُه لك . وهو عبد لُلَة ، بغير تحقيق للهمزة ، وعبد مالك هذا يقال له : ذو الحَصِيرَيْن ، لأنه كان له حَصِيران من جَريد مُقيَّران يجعل أحدهما بين يديه والآخر خَلفه ، ثم يُسد نَفْسه [3] بإزاء السَّلْف [4] إذا جاءهم عدو ، وهو الذى يقول فيه حاتم الطائى :

(١) ت : « بلا ألف ولا اجد » . وما اثبتناه من م .
(٢) فى هامش (م) خثامة بالخاء المعجمة والثاء بثلاث نقط .
(٣) عنى معهد المخطوطات ما بجامعة الدول العربية .
(٤) فى القاموس (حصر) : « ويسد بنفسه باب الطريق فى الجبل اذا جاءهم عدو » .
فى هامش ت : « من خط الحافظ الزكى الوزير : « السلف بتحريك اللام والسين . » وجدته بخطوط العلماء بسكونها : وفى رواية ابن الكلبى : ثم يسد بنفسه باب السلف اذ جاءهم العدو ، قال : والسلف طريق فى الجبل مستو .

وذو الحَصيرَيْنِ آمْرُؤٌ فى أُسْرَةٍ غُلْبِ السَّوَالِفِ من يُلاقُوا يَفْرِسُوا[1]
ومُوطَّأُ الأكنافِ غير مُلَعَّنٍ فى الحيّ[2] مَشَّاءٌ إليه المَجلِسُ
بالحى أراد فى الحي

ومن ولد ذى الحَصيرين : أُبَيَّةُ بنت عُقبة بن زَحْر بن ذى الحَصِيرين (القائلة لأبيها) زحرٍ[3] ، وكان زوّجها من رجل من هَمدان ، فقالت أبيّة :

فَقُلْ لِأَبِى زَحْرٍ إذَا ما لَقِيتَهُ فَفِيمَ المَوَالِي مِنْ رُكُوبِ النَّجَائِبِ

(الأَوس)

فى الأنصار : الأوس بن حارثة بن ثَعلبة العَنْقاء بن عمرو مُزيقياء ،
وفى خُزاعة : الأوس بن حارثة .
وفى رَبيعة : الأوس بن تغلب .

(أَسْلُم)

أسلُم بن الحافِ بن قُضاعة . وقيل : إن اسم قُضاعة : عمرو بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْير ، وفى قُضاعة كلام طويل ليس هذا موضعه

ومن أَسْلُم : عُذْرة المَعروفون بالعِشْق والرقة .

ومنه أيضا : بنو نهد (وسيرد لهاتين القبيلتين إن شاء الله ذكر مُستقصى فى مواضعه من هذا الكتاب ، فلذلك ذكرناه ههنا ذكراً مخففاً)[4] ، ورأيت بخط شبل النسّابة : قال أبو هُريرة : كان حَوْتكة بن سُود بن أَسْلُم ، صاحب فرعون بمصر[5] ، ولا أدرى ما صحة ذلك .

---

(١) رواية البيت فى شعراء النصرانية :
وذو الحصين وفارس ذو مرة بكتيبة من يدركوه بغرس
(٢) م فى شعراء النصرانية : « بالحى » . (٣) ساقطة من ت .
(٣) كذا فى م وفى ت : « تقول زحر : مجرور على البدل لا على أنه مضاف اليه » .
(٤) ساقطة من ت . (٥) الجمهرة (٤٤٣) : «وحوتكة بطن بمصر» .

أَسْلُم بن القياتة [1] بن غافِق بن الشَّاهد بن عَكٌّ ، وقيل : إن اسم عك : الحارث ، واختلفوا فى نسبه ، فقال قوم : هو عَك بن عدنان بن عبد الله بن الأَزْد بن الغوث . وقال آخرون ، وكأنه أثبت : هو عك بن الدِّيث بن عدنان بن أُدد .

[وفى ذلك يقول الكُميت بن زيد الأَسَدِى :

لِعَكٍّ فى مناسبها منار إلى عدنان واضحة السبيل] [2]

وقال عباس بن مِرداس السُّلمىّ :

وعَكُّ بنُ عَدْنانَ الَّذين تلَعَّبُوا بغَسَّان حَتَّى طُرِّدوا كُلَّ مَطْرَدِ

(وقال عباس هذا الشعرَ يفخر بغلَبة عَكٍّ على غسّان ، وذلك أن غسَّان مَاء باليمن ، فكان على هذا الماء بنو عامر [وأمرئ القيس ، وكُرز بنى ثعلبة بن مازن بن الأزر ، وكان عليه أيضاً غير هؤلاء] [1] من الأَزد ، وكانت [3] عك بن عدنان فى أسفل ذلك الماء ، وكانوا فيه زمناً ، ثم إن را كباً جاء حتى وقف على غَسّان ، فاستسقاهم فسقوه لبناً مُرْغياً . ثم أتى عَكًّا ، فَسقَوْه لبناً ضَيْحاً [أى رقيقاً ، فقال لهم مالى أرى لبن إخوتكم مُرغياً ولبنكم ضَحياً ؟] فقالوا : والله ما نعلم ، إنَّ شِرْبنا لواحد ، وإنَّ مَرعانا لواحد ، وإن مَنزلَنا لواحدٌ . إلاَّ أنهم فى عُلاَوته ونحن فى سُفَالته .

قال : فذلك الذى أرغَى لَبنهم ، وأَضاح لَبنكم ، وذاك أنهم يَشْربون صفو [4] الماء وتشربون كدره [4] ، ويَرعون أنف الرّعى ، وتَرعون غَدَرَه [5] وتسرح إبلهم مُستقبلةً الريحَ بأفئدتها ، مُستدبرة الشمسَ بضَرّاتها . فجاءت عَكٌّ يَطلبون من غَسان المُناقلة فى المنازل ، فغضبت غسان ،

(1) كذا فى م . وكتب عليه بعلامة الصحة ، وفى مختلف القبائل (ص ٥) : « القيانة » .
(2) ساقطة من ت .
(3) فى ت : فكانت .
(4) ت : « ندره » .
(5) الغدر : القطعة من الماء يغادرها السيل .

وقاتلوهم فهزموهم ، وأعطتهم عَكُّ الإتاوة تسعاً وعشرين[1] سنة أوكَوْها[2] .

ثم إنه نَشأَ فى عك غلامٌ مارد ، يقال له سَمَلَّقَة بن مُرة ابن الفجّاع[3] ، أحد بنى غافق بن الشاهد بن عَكٍّ ، فحمل قومه على قتال غسّان . فى حديث طويل ، فقاتلوهم فانهزمت غسّان يومئذ . [وفى هذا اليوم قيل :

غسّانُ غسّانٌ وعكٌّ عكٌّ والأشعريّون رجالٌ صُكُّ

سيعلمون اليوم من أركُّ .

يعنى بالأشعريين بنى الأشعر بن أدد ، إخوة عدنان بن أدد — وكان اسم الأشعر : نَبْتٌ ، ويقال والله أعلم إنهم انتسبوا فى اليمن فقالوا : الأشعر هو نَبْت بن أدد بن زيد بن يَشْجُبُ بن عَريب بن زيد بن كهلان ابن سَبأ بن يَشجب بن يَعْرب بن قحطان][4] .

وسملَّقة هذا أول من جَزَّ ناصية أسير وأطلقه ، ولم تكن إليه رياسة عَكٍّ يومئذ ، وإنما كان سَمَلَّقة صاحب الحرب ، وكان رئيسهم رجلا منهم يقال له : ربيعة بن عمرو ، ولما انفضَّت غسّان فى هذا اليوم مضت حتى هَبطت بطن مُرٍّ ، فتخزعت خُزاعة عنهم ، فأقامت بها ومكثت الأوس والخزرج بيثرب ، وخرجت قبائل غسّان إلى الشام يؤدون الجزية[5] إلى سَليح ، وكان لهم فى ذلك حديث طويل[6] .

وفى عكّ بن عدنان يقول سلمة بن قيس العكلى :

سيبلغُ قذفى نهشلا أن مجدها قصير وقولى شتمه وقصائدهْ

ويأتى على الفَوْرَين دون محجَّر ويصعد فى عك بن عدنان ناشده

أَسْلُمُ

وفى قُضاعة : أَسْلم بن تَدُول بن تيم اللات بن رُفَيْدَة [بن ثور ابن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة][7] .

(١) ت : « سبعا وغرس » .
(٢) أوكوها ، أى أتموها . وفى م «ونحوها».
(٣) ت : « الفجاج » وفى م : « بن مرئ » .
(٤) ساقطة من ت .
(٥) ت : « فوردت الحرب » .
(٦) م : « يطول » .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من ت .

منهم : الحسن بن داس بن مُرة بن حامية [بن غنم بن أسلم] ، قاتل غَنَمَة بن ثعلبة [بن تيم الله بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب ، وكان غنمة سيد كلب فى دهره ، وكان لاتمنع أبله عن ورود أى حوض أرادته ، فأقبل ذات يوم يطرد إبله إلى حياض بنى تيم الله رفيدة . فدافعها الحسن بن داس فلما بصر به غلام الحسن أعلم مولاه وكان فى القليب أفعمها سلحها ، فقال ارفعنى إليك ، فرفعه فأخذ سيفه فقتل غنمةوخرّج هو وقومه «هُرّابا» حتى وردوا على بنى كنانة بن خزيمة ، فسار بنو كنانة ابن عوف إلى بنى كنانة بن خزيمة ، وكانت أم كنانة بن عمرو عُذْرِيةُ بنت بكر بن عبد مَناة بن كنانة بن خَزيمة ، فناشدهم بالرحم إلاأخرجتم لنا قَتلتنا ، فأخرجوهم على أن لايضرُّوهم إلى أن يبلغوا حيث أحبوا فى الأَرض ، فخرجوا إلى بنى تميم ، فاستعاذوا بعوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وكانت أمه قضاعية من نهد ، فأجارهم وعقد من أجلهم حلف بين تميم وكلب ، ثم أقره فى الإسلام محمد بن عُمير ابن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدُس[1]

وجبلة بن الخَمَّة ابن إياس بن عبد الأَعلم بن برشم بن الأَسعد ابن حبيب بن عمرو بن كاهل بن أسلُم .

و [من أسلمُ من تدول هؤلاء][2] : المقطَّعُ بن سَنْبَر بن خالد بن مالك ابن سالم بن وَهْب بن حبيب بن جُشَم بن حُبَيب بن عمرو بن كاهل ابن أسْلُم ، الذى يقول فيه عدىّ بن الرِّقاع العامِلِىُّ :

عَلَى ذى مَنارٍ تعرف العيسُ مَتْنَه كما تعرِف الأَضيافُ دار المُقَطَّع

وكانت له خطَّة بالكُوفة ، وكان مِطْعاماً .

---

(١) فى نسخة ت : كاس وقد أشير فى نسخة م بعلامة الصحة .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ت .

هذه الثلاثةُ الأَسْماء تُقال بضم لامها ، وماعَداها فيُقال : أَسْلَم ، بفتح اللام .

(أَسلَم) :

فمن ذلك : أَسْلَمُ بن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء[1] وهو أسلم خُزاعة .

ومنهم : مالك ونعمان ، ابنا خَلَف بن عوف بن دارم بن عِتْر[2] ابن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سَلامان بن أَسْلَم ، كانا طَليعتَيْن لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ أُحد ، قُتلا فدُفنا فى قبر واحد .

ومنهم : جَرْهد بن رِزَاح بن عدىّ بن سَهم بن مازن ، كانشريفاً ، له وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، ورآه مكشوفَ الفخذين : «ياجَرهد ، إن الفَخذ من العَوْرة » .

. . ومنهم : الأَكْوع : واسمه سِنان [بن عبد الله بن قشير بن سنان][3] ابن خُزيمة بن مالك بن سَلامان بن أَسْلَم[4] .

وبنوه : أُهْبَان وسَلمة صحبا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم . وعامر الشاعر استشهد يوم خيبر .

(سلْم) :

فى عاملة : السَّلْم بن الطَّمَثان ، وفى قُضاعة : السَّلْم بن خُشين ابن وَبْرة بن تَغلب بن حُلوان .

(أَبَامَةُ) :

فى جُذام : أَبَامةُ بن غطفان بن سعد بن حرام بن جُذام [مفتوحة][5]

---

(١) فى الجمهرة (ص ٢٤٠) : « أسلم بن أفصى بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر » وحين عرض ابن حزم لولد افصى من حارثة بن عمرو مزيقياء (ص ٣٦٧) قال : » وقد قيل بل هم بنو أفصي بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر .

(٢) الجمهرة (ص ٢٤٠) : « عد » . الاصابة (ت : ٧٦١٤) : « عمير » .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ت .

(٤) أنظر الجمهرة (ص ٢٤٠ ــ ٢٤١) ففى سياق النسب خلاق .

(٥) ساقطة من ت .

وفى خثعم : أبامَة وهو الأسود بن وَهب الله بن شَهْران بن عِفْرس [مفتوحة] [1]

(أُبامة) :

وفى السّكون : أُبامة بن سَلمة بن شُكامة بن شبيب بن السكون [مضمومة] وفيه أيضاً : أُبامة بن ربيعة بن شكامة مضمومة [2] ،

وفى قضاعة : أُبامة بن جُشم بن مالك بن كعب بن القين بن جِسْر .

(أفصى) :

فى الأزد : أفصى بن حارثة بن عمرو مُزيقياء . وفى جذام : أفصى ابن سعد بن اياس بن حرام بن جُذام .

وفى ربيعة : أفصى بن عبد القيس بن أفصى . وفى إياد : أفصى ابن دُعْمِىّ بن إياد . وفى بجيلة : أفعى بن نَذير بن قَسْر بن عَبْقر.

(أعْور) :

فى شَنّ بن أفعى بن عبد القيس . واسم عبد القيس لُكيز بن أفصى ابن دُعمىٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [3] الأعور الشَّنّى ، كلهم على ذلك مجمعون . [قال أدهم بن عمران : واسمه الحارث [4] بن بشر ابن مُنْقِذ ، وهو القائل يمدح المثنى بن حارثة الشيبانى صاحب فتح العراق :

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل الأمير الذى من آل شَيبانَا

كان الأميرُ المُثنى يوم زَاحفَهُ مِهرانُ أشجعَ من ليث بخَفّانا

سَمَا لمهران والجند الذى معــه فقتَّل الجمع من فُرس وجيلانا

وفى أزد شنوءة : الأعور الشَّنّىُّ من أزد شنوءة [5]] ، واسمه جَهم بن الحارث [6] . رأيت ذلك بخط أبى عبد الله اليزيدى عن أشياخه وأنشد له :

---

(1) ساقطة من ت . والذى فى مختلف القبائل (ص ٢١) : « بالضم » .
(2) التكملة من م . (3) التكملة من م .
(4) السمط (ص ٨٢٧) . الشعراء (ص ٣٨) : « بشر ابن منقذ » .
(5) زيادة من م .
(6) فى السمط كان للأعور ولدان أحدهماجهم فلعله هو المذكور هنا .

لقد علمت عُمَيرة أن جــــارى
إذا ضَن المُثمِّرُ [(١)] مِن عيـــالِى

ولست بقـــائل قولًا لأَحظى
بقول لايُصــــدقه نَعَـــالِى

وأَكـــرَمُ ماتكــــون علىّ نفسى
إذا ماقلَّ فى اللَّزبات [(٢)] مــــالى

فتُشكر [(٣)] سيرتى وأصون عرضى
وتُحمد [(٤)] عند أهل الرأى حالى

وإن نلت الغِنى لم أُغْلِ فيــه
ولم أَخْصُص بجَفوتى الموالى

ولم أقطع أخاً لأخ طريف
ولم يُذْمَم لطُرفتــه وِصــالى

لقد أصبحتُ ما أحتاج فيما
بلوتُ من الأُمور إلى السُّؤال

وذلك أننى أدَّبت نفسى
ومَا حَلْتُ الرجالَ ذوى المِحَال

وقلَّبت الأُمــور فأَحْكَمتنى
وراع بمَفرقى الوضح الفوالى [(٥)]

الأَغْلَب :

فى عجل : الأَغْلب ، وهو الأَغلب بن عمر و بن عبدة بن حارثة ابن دُلَف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل.

وفى تميم : الأغلب بن سالم ، أحد بنى مالك بن سَعد بن زَيدمَنَاة ،

---

(١) الأمالى (٢ : ٢٠٨) : « المنمى » . (٢) الأمالى : « الأزمات » (٦٢١)
(٣) الأمالى : « فتحسن » . (٤) الأمالى : « وتجمل » .
(٥) هذا البيت ساقط من ت ولم يرد فى الأمالى .

ابن تميم [١] ، كان قائداً لأَبى جعفر على إفريقية ، وولى ابنُه ابراهيم ، افريقية لهارون ، ومن ولده آل الأَغلب الذين زالت دولتهم بـأَبى عبدِالله الحسين بن زكرياءَ الدَّاعى . [٢]

(أُدْعة) :

وفى بجيلة [٣] : أُدعة [٤] بن أَنمار بن إِراش .

(وَادِعة) :

وفى هَمْدان : وادِعَة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك [٥] ابن جُشم ابن حاشد بن جُشم بن خيران بن نوف بن همدان . منهم : الأَجدع بن مالك الوادعى [٦]

(إِياد) :

فى مَعد : إِياد بن نزار . وفى الأَزْد : إِياد بن سُود بن الحَجْر ، منهم : أَبو البهاءِ الإِيادى الشاعر ، كان يمدح المهالبة : ومن قوله :] [٧]

(أُسَيِّد) :

أُسيّد - بالضم - بن عمر بن تميم .

وفى قيس : أُسَيِّد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

(أَسيدُ) :

وكل شيءٍ بعد فى العرب فهو أَسِيدٌ ، على فَعيل .

(أَفرك) :

فى بجِيلة [٦] : أَفرك [٧] وهو غانم بن أَفصى [٨] بن نَذير بن قَسْر .

وفى بلى : أَفرك بن هَرِم بن هنىّ بن بَلىّ .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى م . (٢) ساقطة فى ت .

(٣) م : « جبلة » تحريف . وانظر الجمرة (ص ٣٨٧) الطبعة الثانية .

(٤) فى الأصلين : « أدعة » وما أثبت من المختلف (ص ١٠) . وفى الجمهرة .. وادعة ».

(٥) كذا فى ت وفى م : « مانع » . وفى الجمهرة (ص ٣٩٤ و ٤٧٥) : « ناشح بن واضع ابن مالك » . (٦) زيادة فى هامش م .

(٧) زيادة من م المكنية لم يذكر له شيئا من شعره ، .

(٨) فى الأصلين : « أفراى » . وما أثبتنا

(٩) فى المختلف . وفى الجمهرة : « أفرك بن نذير » .

(أَكْلَب) :

في حِمْيَر : أَكْلَب – مثل أفعل – بن سَهل بن عمرو بن قَيس .
وفي طيء : أَكْلَب بن عمرو بن عمرو [1] بن الصامت بن غَنْمْ بن مالك
ابن سعد بن نبهان ، وأَكْلَب هذا هو جد الحسن بن قَحْطبة .

أَكلُب :

وفي خثعم : أَكْلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف بن أَفْتَل [بضم
اللام] [2] . وفي ربيعة : أَكْلُب بن ربيعة .

إلاءة :

في الأَزد : إِلَاءة – مثل عِلَاقة – بن عمرو بن كعب بن الغِطْريف [3]
ابن عبد الله بن العِطْريف بن بكر بن يَشْكُر ابن مُبشّر .

إِلَةَ

وفي عَكّ : بنو إِلَةَ – بوزنِ دِيَة – مقصور [4] بن ساعدة بن الشاهد
ابن عك [5] .

أَلْيَهَةُ

وفي تميم : أَلْيَهةُ ، وهو القُلَيْب [6] بن عَمرو بن تميم .

إِلَةُ :

وفي طَيء : إِلَةُ – أيضاً [7] مثل عِلَة – بن عمرو بن ثُمامة بن
مالك بن جُدْعا ابن ذُهل بن دُومان بن جُنْدَب .

---

(١) وكذا في الجمهرة (ص ٤٠٤) والمختلف (ص ٣٨ – ٣٩)
(٢) ساقطة في ت .
(٣) بياض في ت .
(٤) المختلف « اله بن ساعدة » .
(٥) التكملة من م وهي في المختلف .
(٦) وكذا في الجمهرة (ص ٢٠٧) والمختلف (ص ٣٤) وفي م : « القليت » بالتاء المثناة .
(٧) ساقطة في م .

(أُلَةُ)

وفى طيءٍ أيضاً : عبد الأُلَةِ – مثل عُلَةَ – بن حارثة بن عُرْتة [1]

ابن صُهبان بن عَمَم بن عمرو بن سنبسٍ .

(بنو إل) :

وفى حمير : بنو إل [2] ذى قَتات بن مالك.

(إِلْيَهَة) :

وفى النَّخع : بنو إِلْيَهَة بن عَوف بن النَّخع بن جَلْد بن علة بن

مذحج] [3] .

(أصمع) :

فى باهلة : بنو أصمع بن مُظهِّر بن رِياح بن عبد شَمس بن أعْيا [4]

ابن سَعد بن عبد بن غَنْم [بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن

قيس بن عيلان] .

وفى طيءٍ : أصمع بن أبى عبيد بن رَبيعة بن نصر بن

سَعد بن نَبهان .

(أمية) :

فى قريش : أُميّة الأكبر ، وأُميّة الأصغر .

وفى الأنصار : بنو أُمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك

ابن الأوس بن حارثة .

وفى طيءٍ : بنو أُمية بن عَدِى بن كنانة بن مالك بن تابل بن

أَسْودان ، وهونَبهان بن العمرو بن الغوث بن طيءٍ .

---

(١) فى نسخة ت عرنة . (٢) كذا فى الأصلين .

(٣) التكملة من م .

(٤) م : « أهنا » . وانظر الجمهرة(ص٤٠٤)والمختلف (ص٤ ، ٣٣) ، وفى هامش م : « منهم الاصمعى عبد الله بن قريب واسمه عبد الله بن عبد الملك بن على بن اصمع » .

(الجمهرة (ص ٤٠٤) : « ابن ابى بن ربيعة » .

وفى قُضاعة : أُمَية بن غضيّة بن هُصَيص بن حَيٍّ بن وائل بن جُشَم ابن مالك بن كعب بن القَيْن [بن جَسْر] [(١)] .

وفى إياد : أمية بن حُذاقة بن زُهْر بن إياد .

(أَمَةُ) :

وفى الأَنصار : أَمَة بن ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عَوف بن عمرو ابن عَوف بن مالك بن الأَوس.

وفى قَيس : أَمَة بن بَجَالة بن مازن [(٢)] بن ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان ، وإياها [(٣)] عَنى الشَّمَّاخ بقوله [(٤)] :

أَلَا تلك ابنة الأَموى قالت ... أَراك اليومَ جسمَك كالرَّجيع

(أَسَد) :

فى مُضر : بنو أَسد بن خزيمة .

وفى مذحج : أَسد بن مُسْلية بن عمرو بن عامر .

وفى قَيس : أَسد بن عبد العُزَّى .

وفى مذحج أَسد بن عبد مَناة بن عائذ الله بن سعد العشيرة .

وفى مَذحج أَيضاً : أَسد بن مر بن صدّاً .

وفى الأَزد : أَسد بن الحارث بن العتيك .

(الأُقروع) :

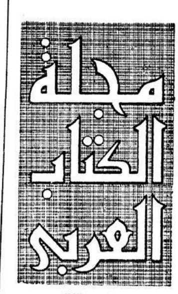
فى حمير : بنو الأُقروع ، وهم فى همدان .

(١) التكملة من م ، و فى هامش المخطوط : كذا بخط الحافظ زكى الدين المنذرى : غضبة ، بالغين والضاد المعجمتين وقيل هو عصية ، بالعين ، وقيل عصبة بالباء الموحدة .. وفى الجمهرة (ص ٤٥٤) : « عصية » ، وفى المختلف (ص ٣٣) : « عصبة » .

(٢) ساقطة من م .

ت : « واياه » .

(٤) ساقطة من م .



العدد السابع عشر
١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥
١٠ اكتوبر ١٩٦٥

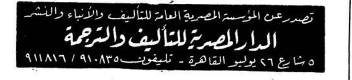
رئيس التحرير
على أدهم

مدير التحرير
حسن كامل الصيرفى

سكرتير التحرير
جمال بدران

الاشتراك السنوى عن ١٢ عددا بالجمهورية العربية المتحدة ١٢٠ قرشا - الاشتراكات عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

فى هذا العدد



علم التاريخ عند المسلمين

نص

تأليف : فرانز روزنتال

ترجمة : الدكتور صالح أحمد العلي

مراجعة : محمد توفيق حسين

الناشر : مكتبة المثنى ببغداد بالاشتراك

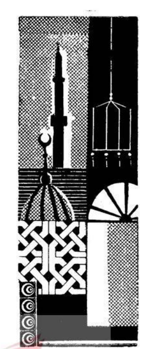
مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

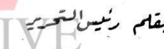
٨٦٠ ص ١٧×٢٤ سم ٣ دينار

يقول الدكتور صالح أحمد العلي في المقدمة التي صدر بها ترجمته لكتاب « علم التاريخ عند المسلمين » ان التاريخ من اهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب وتدارسوها وألفوا فيها ، ويرجع اهتمامهم بها الى ما قبل الاسلام ، حيث **كانوا يعتقدون باهمية الدم في تقرير خلق الانسان ، ويؤمنون بان أعمال الآباء والأجداد تسبغ على الأبناء مكانة في المجتمع ، وهذا ما دفعهم الى الاهتمام بالنسب وحفظ شجراته وتدارسها ، والاهتمام معها بالتاريخ »** .

والواقع ان التاريخ من الموضوعات الثقافية التي عنى بها العرب عناية كبيرة ، وبذلوا فيها جهودا ضخمة جبارة ، ولكن نشأة التاريخ عند العرب برغم كثرة ما كتب فيها لا تزال بحاجة الى المزيد من الضوء ، ولم تقل بعد فيها الكلمة الفاصلة (١) ، وحينما ظهر الاسلام كان للعرب نصيب من الأخبار التاريخية التي تختلط فيها الحقائق بالأساطير اختلاطا يجعل التمييز بينها من الأمور الشاقة ، وذلك لعدم وجود مدونات يرجع اليها عند المقابلة والتمحيص والوزن والتحقيق ، وكان اكثر هذه الأخبار يدور حول ما يسمى « أيام العرب » وحروبهم قبل الاسلام وانسابهم واخبار بعض القبائل البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس ، وشذرات مما سمعوه من أخبار التوراة والتلمود ، ولم يكن العرب في الجاهلية أمة بدائية كما قد يتبادر الى الذهن ، وقد كان العصر الجاهلي فترة طويلة الأمد بين حضارات العرب القديمة في اليمن وتدمر والحيرة وبين الحضارة الاسلامية ، ولم تكن الكتابة في العصر الجاهلي واسعة الانتشار ، ولكنها مع ذلك لم تكن مجهولة ، بل كانت شائعة الاستعمال في كتابة العهود والمواثيق والصكوك والرسائل ، ولكن العقلية الجاهلية كانت أقدر على قرض الشعر منها على معالجة كتابة التاريخ ، كانت عقلية شديدة التعصب للقبيلة نزاعة الى الأسطورة والخرافة ، قليلة الصبر على المراجعة

(١) راجع صفحة ٤ من كتاب « بعض مؤرخي الاسلام » لكاتب هذه السطور .





بقلم رئيس التحرير

والتحقيق ، متشبعة بروح عصرها وتقاليده ، معتزة بعروبتها ، محتقرة لغيرها من الأمم ، وهذه الحالة لا تعوق قرض الشعر ، بل قد تكون من بواعث نظمه لأن فيها ما يثير الخيال ويحرك العاطفة ، ولكنها عقبة فى طريق النضج الذى تستلزمه كتابة التاريخ .

ولما ظهر الاسلام شغل المسلمون بالفتوح والغزوات والحروب حتى توطدت مكانة الاسلام ورست قواعده وعلت كلمته واستوسق له الأمر ، ولما هدأت ثورة الفتوح وحدث نوع من الاستقرار النسبى بدأ المسلمون يتجهون الى اثبات الأخبار ، وتسجيل الحوادث ، واقبلوا على جمع الأحاديث النبوية وتفسير القرآن .

وكلمة تاريخ نفسها يدور حولها خلاف ، فهل هى عربية الأصل أو ليست عربية ؟ ويقول السخاوى فى كتاب « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » التاريخ فى اللغة الاعلام بالوقت ، يقال ارخت الكتاب وورخته أى بينت وقت كتابته ، قال الجوهرى « التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله ، يقال أرخت وورخت ، وقيل اشتقاقه من الأرخ يعنى بفتح الهمزة وكسرها وهو الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث ، وقد فرق الأصمعى بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا ، وقيس تقول أرخته تأريخا ، وهذا يؤيد كونه عربيا ، وقيل انه ليس بعربى محض بل هو معرب مأخوذ من ماه روز بالفارسية ماه القمر وروز اليوم ، وكان الليل والنهار طرفه ، قال ابو منصور الجواليقى فى كتابه المعرب من الكلام الأعجمى يقال ان التاريخ الذى يؤرخه النـاس ليس بعربى محض وانما اخذه المسلمون عن اهل الكتاب ، وتاريخ المسلمين ارخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر رضى الله عنه فصار تاريخا الى اليوم » .

وقد ذهب الأستاذ روزنتال فى استقصائه لمعنى كلمة التاريخ مذهبا آخر ، فقال « اما كلمة التاريخ التى يمكن اعتبارها منذ القرن التاسع تعبيرا فنيا خاصا مرادفا من حيث العموم لكلمة history الانكليزية فهى كلمـة مختلفة تماما ، اذ يبدو ان أصـول الكلمة مستمدة من الكلمة السامية التى تعنى القمر أو الشهر ، وهى فى الأكدية « ارخو » وفى العربية « يرخ » وهـذه الـكلمة لم تستعمل فى العربيـة على ما نعلم ، فأما استعارة العـربية لهذه الكلمة من الأكدية فبعيد الاحتمال ، كما وأنه ليس من المحتمـل الافتراض انها استعيرت مباشرة من العبـرية أو الآرامية وخاصة لوجود حرف (ى) فى الصورة العبرية والأرامية لهذه الكلمة ، لذا لم يبق بعد هذا الا العربيةالجنوبية والأثيوبية ، أو الافتراض بأن هذه الكلمة كانت مستعملة فى احدى اللهجات العربية الشمالية التى لا نعرفها الآن .. والى أن ترد ادلة جديدة **فان خير فرضية هو القول بان هذه الكلمة مشتقة من القمر أو الشـهر وبذلك تكون الترجمة الحرفية لكلمة تاريخ هى التوقيت حسب القمر ، وانتقـال المعنى من التوقيت بالقمر الى التاريخ أو الحقبة يمكن فى**

هذه الحالة أن نفترضه كنتيجة لاستعمال الكلمة للدلالة على اليوم والشهر فى الوثائق » .

ويلاحظ روزنتال ان كلمة تاريخ لا تظهر فى الأدب الجاهلى كما انها غير مذكورة فى القرآن ولا فى الأحاديث النبوية ، والحديث الوحيد الذى يشير الى ادخال التقويم الاسلامى فى صحيح البخارى يستعمل كلمة « عد » ولا يستعمل « ارخ » ، وكل الظواهر تدل على أن كلمة تاريخ استعملت لأول مرة فى الآداب العربية مع أخبار ادخال التقويم الهجرى .

ومن الآراء الحديثة الرائجة التى عبر عنها بعض الكتاب المحدثين انه كان لكتاب « الملوك » الفارسى تأثير حاسم فى نشأة الكتابة التاريخية ، ولكن الأرجح **ان نمو التاريخ الاسلامى كان نموا طبيعيا اقتضته حاجات المجتمع ، وقد تميز بصفات خاصة ومنهج غير مسبوق ، ولم يكن كتاب التاريخ فى الأعم الأغلب من المؤرخين الرسميين الذين تقوم مهمتهم على تسجيل ما تريده الدولة** ، وقد ذكر الطبرى وغيره من الكتاب حالات أمر فيها الخلفاء بوضع مصنفات ادبية مثل مجموعة الشعر القديم التى أمر المهدى بجمعها والرسائل التى جمعت عن المذاهب بأمر القادر ، ولم تذكر حالة واحدة أمر فيها خليفة من الخلفاء بكتابة تاريخ وقد ذكرت بعض حالات منع فيها أو حرم وضع مثل هذه التواريخ ، ومن الشواهد على التواريخ الأخبارية الرسمية كتاب « التاجى » نسبة الى تاج الملة وهو لقب من القاب عضد الدولة البويهى الفه له الوزير الشهير ابراهيم الصابىء ، وكان هذا الرجل كاتب عز الدولة بختيار الأمير البويهى الثانى الذى ولى الأمر فى بغداد قد كتب رسائل أغضبت ابن عمه عضد الدولة أشد الغضب ، فهاجمه بعد أن توفى أبوه وخلعه عن العرش ، ولم يكن ابراهيم الا كاتبا ، وطلب عضد الدولة التكفير عن هذه الرسائل ، واقترح أن يكون ذلك بكتابته تاريخا رسميا لدولة بنى بويه ، ويقال ان كثيرا من هذا الكتاب قد تضمنه تاريخ مسكويه ، وسئل ابراهيم وهو عاكف على تأليف الكتاب عما يفعل فقال « أباطيل انمقها وأكاذيب الفقها » وعلم عضد الدولة بقولته هذه وغضب غضبا شديدا ، وأفلت الصابىء من الموت بصعوبة ، وكذلك كتاب اليمينى للعتبى فقد كتب لتسجيل أعمال السلطان محمود الغزنوى ، وما كتبه عماد الدين الأصفهانى فى وصف استرداد صلاح الدين لبيت المقدس واسماه « الفتح القسى فى الفتح القدسى » .

ويرى المستشرق مرجليوث ان مؤرخى العرب فى معظم الأحيان كانوا يكتبون لتثقيف بنى وطنهم ، ومع انهم يتأثرون أحيانا بالنزعات الدينية او الوطنية الا اننا نستطيع بوجه عام ان نقول ان تنزههم عن الفرض سمة بارزة تتسم بها مؤلفاتهم ، وكانت كتابة التاريخ متروكة فى معظمها لجهود الأفراد الخاصة ، ويقول مرجليوث « **ان مؤرخى العرب ابتدعوا وسائل تكفل لهم الدقة فى تسجيل الأحداث ومن هذه الوسائل تاريخها بالشهر والسنة بل باليوم** وذهب المؤرخ البريطانى المعروف بكل فى كتابه عن تاريخ الحضارة فى بريطانيا ان هذا المنهج لم تعرفه اوروبا الا فى سنة ١٥٩٧ .

وقد عنى الأوربيون بدراسة الحضارة الاسلامية فى مختلف نواحيها منذ نهاية العصر الوسيط ، وكان احتكاكهم بالحضارة الاسلامية من أهم بواعث حركة الاحياء والنهضة الفكرية ، وفتر هذا الاهتمام حينا من الزمن ولكنه استعاد قوته واسترد مكانته فى خلال القرن التاسع عشر ، وظهرت فى ذلك القرن طائفة من المستشرقين عرف أفرادها بدقة البحث والتعمق فى الفهم ، وقد اظهروا براعة فى تطبيق مناهج البحث الحديثة عند الغربيين على الأدب العربى والتاريخ الاسلامى ، وقاموا بنشر الكثير من المخطوطات ، وجمعوا وثائق ومستندات بالغة الأهمية ، وقد أثرت جهودهم فى طريقة دراسة الأدب والتاريخ ، **واذا كان قد لوحظ على بعضهم**

انه كان متأثرا بالنزعة الاستعمارية التى كانت سائدة فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر وفى جزء من القرن الحالى أو تشوب أحكامه شوائب من التعصب والتحامل فانه مما لا يمكن انكاره ان الكثيرين منهم أخلصوا للعلم ، وأجادوا البحث ، وكانوا قدوة يقتدى بها فى سعة الاحاطة ، واستيفاء التحرى ، وحسن العرض للموضوعات التى يتناولونها ، وقد نوه الدكتور العلى فى مقدمته ببحوث المستشرق الألمانى فردناند وستنفلد وبما كتبه بروكلمان ومارجليوث وهاملتون جب عن التاريخ عند المسلمين .

وكتاب الأستاذ فرانز روزنتال الذى قام بترجمته الدكتور العلى مكون من ثلاثة اقسام ، وقد تناول القسم الأول — كما ذكر الدكتور العلى — بعض الملاحظات العامة عن طبيعة علم التاريخ ونطاقه وجذوره عند العرب وأشكاله المختلفة من خبر وترتيب على السنين ودول وطبقات وانساب ، ثم تصنيف كتب التاريخ حسب محتواها كالنسب والتراجم والجغرافيا والفلك والفلسفة والعلوم السياسية والاجتماعية والوثائق الأصلية ، والتواريخ العامة والمحلية والمذكرات ، ثم اشكال الكتابة التاريخية كاستخدام السجع والشعر والقصص ، ثم قيمة علم التاريخ الاسلامى ومكانته فى العالم .

والقسم الثانى من الكتاب ترجمة وتعليق على كتاب « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » ومقتطفات من الفصل الذى كتبه عن التاريخ طاشكيرى زاده فى كتابه « مفتاح السعادة » .

والقسم الثالث نصوص تختلف فى الطول وبعضها ينشر لأول مرة كاملا أو مقتطفات مأخوذة من جوامع العلوم لابن فرجون وحدائق الأنوار للفخر الرازى وبغية الطالب لابن العديم والشفاء لابن سينا وغيرهم من المؤرخين .

والنص الرئيسى فى الكتاب هو « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » للسخاوى وكان قد سبق نشره القدسى سنة ١٣٤٩ هجرية بدمشق ، ولكن الدكتور العلى يحدثنا « بأن النشرة الحالية تتميز على النشرة الأولى بميزات فهى قد قورنت بمخطوطة لندن التى لم يعتمد عليها الناشر الأول ، وثبتت فيها الاختلافات فى القراءات ، وضبطت أسماء الأعلام سواء أسماء الأشخاص أم الكتب ، ووضعت للنص الفوارز والنقاط مما جعلت النص أوضح وأقرب للفهم ، والأهم من كل هذا أن النشرة قد ارفقت بتعليقات ثمينة وهوامش وافرة ، ذكر فيها مظان ومواقع كثير من النصوص التى أوردها السخاوى ، وتراجم أشخاص المؤرخين الذين اشار اليهم والاقتباسات الكثيرة من الكتب التى ذكرها السخاوى ، وهذه الهوامش والتعليقات الكثيرة فى كل صفحة تقريبا تظهر الجهد الذى بذله المؤلف والاطلاع الواسع الذى تميز به وهى تضم معلومات كثيرة لا غنى عنها للباحث فى علم التاريخ عند المسلمين » .

والقسم الأول من الكتاب حافل بالآراء السديدة ، والنظرات النافذة ، من قبيل ذلك كلام المؤلف عن تأثير كتابة التراجم فى التاريخ الاسلامى ، فهو يقول (١) « **من الواضح ان التراجم اسهمت فى كتابة التاريخ الاسلامى منذ بدايته ، واستطاعت بمرور الزمن ان تظفر بمكانة رفيعة ، ويرجع هذا الى عدة اسباب خاصة منبعثة من المحيط الاسلامى ، فسيرة الرسول كانت منبعا أمدها بمادة لبناء صرح شامخ للاسلام ، وقد اعتمدت رواية تفاصيل حياة الرسول على افراد كان قبول رواياتهم يتوقف على ما يعرف من تاريخ حياتهم ، ثم ان النـزاع بين الفرق فى الاسلام نشب معظمه باسم الشخصيات والفضائل أو العيوب الشخصية ، وبذلك اصبحت التراجم موضوعا لازما للمتكلمين وعلماء الدين** ، وأعطت المؤرخين فرصة ليصبحوا مفيدين علميا ، وليجدوا لهم عملا فى المجتمع الاسلامى ، **ثم ان علاقات المؤرخين الدينوية دفعتهم بدورها الى الاهتمام بالتراجم ، فالخلفاء والولاة وكبار**

(١) صفحة ١٤٢ .

الموظفين وجمهرة المتعلمين وجدوا المثل الأعلى للخلق الفاضل في حياة السلف الصالح، لذلك فان تدوين سيرهم وجعل التاريخ يدور حول حياتهم من شأنه أن يرضي متطلبات هذه الجماعات المهمة من قراء كتب التاريخ **أضف الى ذلك ان المسلمين جميعا كانوا يعتقدون بان السياسة كانت كلها من عمل الأشخاص وانها لا تفهم الا على ضوء صفاتهم وخبراتهم ، وبذلك اصبح التاريخ في أذهان كثير من المسلمين مرادفا تقريبا للتراجم وسير الرجال ، ثم ان كثيرا من فروع المعرفة والعلوم أصبح تاريخها ، بتأثير علم الكلام ، يفهم على أنه مجموعة لتراجم كبار العلماء ،** ففي تواريخ بعض العلوم كالطب وتاريخ الاديان المقارن والطب الجاهلي أو الدين كانت تعطى لها الاسبقية في العرض ، ولكن فيما عدا هذا لم يكن يطبق عليها مبدأ تاريخي آخر ، لقد ساد الترتيب على أساس التراجم ، اما تاريخ الأديان المقارن فلم ينظم بحثه على نمط التراجم تماما ، بل سلك تنظيما يشبه دلك كثيرا ، وقد كانت معتقدات الفرق هي التي تسيطر على التنظيم ... ويمكن القول ان مبدأ التراجم لم يطبق الا في الرسائل الكبيرة التي تبحث في تاريخ العلوم والمعرفة ... **وكانت كتب التراجم ومحتوياتها متباينة جدا تبعا لموضوع البحث والناحيــة التي يعالجها المؤلف منه ، والعنصر المشترك الوحيد المنتظر وجوده في التراجم كافة ، ما عدا اقدمها ، هو تواريخ وفيات الأشخاص المترجمين التي كانت عادة معروفة أو يمكن استنتاجها ،** وتاريخ الوفاة هو التاريخ الثابت في حياة الشخص ، أما تاريخ الولادة فقلمــا كان يعرف الا في حالات بعض الشخصيات . بل أن كثيرا من هؤلاء لم يكن يعرف تاريخ ولادتهم ، وهذا التاريخ لا يعرف الا اذا اخبر به المترجم نفسه لذلك فان ذكرنا تاريخ الولادة لابد أن يكون بسبب وجود مصلحة خاصة هي بدورها ناتجة عن وجود تراجم راق جدا ، ولقد ظهر الاهتمام بالترجمة وتاريخ الولادة منذ بداية العلم الاسلامي غير أنه لم يصل الى ذلك

المستوى الراقي حتى القرن الثاني عشر الميلادي حينما استطاع الذهبي أن يبين في كتابه تاريخ الاسلام ، بشيء من الانتظام أسماء المواليد في كل سنة ، وتبدأ كتب التراجم عادة بذكر ولادة المترجم ونهيها بذكر وفاته ، وهذا هو النظام المألوف في التراجم الاسلامية ، كما نجده سائدا مثلا في التراجم التي أوردها الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغـداد » وهكذا يمضي المؤلف في بيان خصائص طريقة مؤرخي العرب في كتابة التراجم ويذهب الأســتاذ روزنتال الى ان أول مؤلف مسلم دون التاريخ على ترتيب السنين وبقي لنا كتابه هو الطبري ، ويرى انه من الممكن التثبت من ان التاريخ على السنين كان مستعملا في العراق في النصف الثاني من القــرن الثاني الهجري ، غير ان الدلالة لا تستلزم الافتراض بان الأصل الاسلامي للتاريخ على السنين نشأ في ذلك الأقليم وفي ذلك الزمن ، وانما يعني ذلك ان أول الكتب المنشورة والمعروفة من ذلك النوع ظهرت في العراق آنذاك ، **ومن المحتمل نظريا ان يكون العلماء المسلمون الذين ربما تعرفوا على استعمال المعلومات التاريخية منذ ادخال التقويم الهجري قد توصلوا بصـورة مستقلة الى الاستنتاج بان صورة التاريخ على السنين هي الوسيلة الملائمة للغرض التاريخي ، غير اننا عندما نجـد فكرة او صورة ادبية قديمة تظهر في مكان آخر لا يفصله عن الوطن الأصلي لتلك الفكرة أو الصورة الادبية اى حاجز منيع من المكان أو الزمان يحسن بنا ان نعتبرها قد اقتبست من موطنها الأصلي ولم تبتدع ابتداءا في هذا الوطن الجديد ،** ومن غير المعقول ان تتطلب وجود أدلة مادية على اقتباس شكل من اشكال علم التاريخ ، لأن ما استعير في هذه الحالة الخاصة اي التوقيت على السنين ليس مادة كتب التاريخ ، ولكن مجــرد فكرة التنظيم على السنين ونقل المادة التاريخية يتطلب وجود حركة ترجمــة أو على الأقل مجال للعلماء المسلمين للظفر بمعرفة واسعة بالكتب التاريخية الأجنبية ، وبامكان فكرة صــورة التاريخ على

السنين من جهة أخرى ان تنتقل بمجرد اطلاع سطحى على تاريخ مكتوب على السنين ، كما ان مناقشة عرضية مع عالم اجنبى يشير الى وجود كتب فى آداب لغته مرتبة مادتها على السنين قد تنير السبيل امام مؤرخ مسلم .

ويرد على الذين يرون تأثر نشأة التاريخ الاسلامى بكتابة التاريخ عند الفرس بقوله « ان الادلة المتوفرة عن صور التاريخ الايرانى فى القرن السابع ضئيلة جدا ، غير ان الشيء المؤكد هو ما يلى ! **ليس هناك ما يمكننا من الاقتناع بان الفرس استخدموا الترتيب على السنين ، وكل الأدلة تميل الى اظهار عدم استعمالهم اياه ، وهناك ملاحظة اضافية نظرية، هى ان عدم وجود حقبة مستمرة قد يؤدى الى صعوبة كتابة كتب تاريخية شاملة لفترات طويلة ، وجميع من فضلوا التأكيد على سيطرة الأثر الفارسى على اصول التاريخ الاسلامى لم ينجحوا فى ايراد الأدلة على ان صورة الترتيب على السنين دخلت بتأثير الفرس فى الوقت نفسه مع التاريخ المرتب حسب الدول ، والواقع ان هذا الأمر لم يكن ممكنا »** .

ويميل الاستاذ روزنتال الى ترجيح أن التاريخ الحولى الاسلامى قد تأثر بالنماذج الافريقية والسريانية ويقول فى ذلك « وبالاجمال فان قليلا من الاعتراض يمكن توجيهه الى الافتراض ان التاريخ الحولى الاسلامى كان مدينا فى بداية أيامه الى النماذج الاغريقية والسريانية ، ولم يكن هناك كتاب معين الهم المؤلفين المسلمين ، ولكن **فكرة الترتيب على السنين جاءت الى العلماء المسلمين الأول عن طريق الاتصال بالنصارى المتعلمين »** .

ويؤكد الاستاذ روزنتال ما تراءى له بقوله « اما الاتصال الوثيق بين المسلمين والنصارى فى ميدان التاريخ حتى فى مناطق الاطراف البعيدة عن بيزنطة ومركز الاسلام فيبدو جليا فى تاريخ الحوليات المسيحية اللاتينية الأولى فى أسبانيا حيث يعرف وجود مؤرخين لهم بعض المزايا منذ زمن الفتح العربى ، ولا شك فى أن **التبادل الثقافى فى مثل هذه الأمور كان أعظم فى سوريا حيث كان المسلمون والنصارى يعيشون معا مرتبطين بصلات وثيقة ، واذا كان المسلمون قد استوحوا طريقة التاريخ على السنين من المؤرخين الاغريق والسريان فانهم قد حسنوا هذه الطريقة تحسينا عظيما ، فقد كان المؤرخون المسلمون أمامهم عهود مستمرة مما ساعد على استمرار عرض المادة التاريخية »** .

ويقول الاستاذ روزنتال حينما عرض لطريقة ابن خلدون فى تناول التاريخ « قد باءت بالفشل حتى اليوم بكل محاولة لمعرفة المثال الذى احتذاه ابن خلدون فى تفكيره ؛ ومن المحتمل انه كانت فى بيئته شمالى افريقية وفى اسبانيا أفكار تناقش بشكل أولى ، غير انه لا جدال فى ابداعه الأساس، وقد ذكر ابداعه بقوة اذ قال « ونحن الهمنا الى ذلك الهاما واعثرنا على علم جعلنا رسن بكره وجهينه خبره فان كنت قد استوفيت مسائله ، وميزت عن سائر الصنائع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فاتنى شيء من احصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق اصلاحه، ولى الفضل لأنى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق ، والله يهدى بنوره من يشاء » ويؤيد صدق قوله تواضعه الواضح ، وليس هناك مبرر للريبة بابن خلدون عندما يقول ان مصادر الهامه هى أصول الفقه وكتب الاداب فهو يقول « **وهذا الفن الذى لاح لنا النظر فيه نجد مسائل تجرى** بالعرض لأهل العلوم فى براهين علومهم من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء فى اثبات النبوة من ان البشر يتعاونون فى وجودهم فيحتاجون فيه الحاكم والوازع ، ومثلما يذكر فى أصول الفقه فى باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون

والاجتماع » **والانسان والبيئة والجهود الفردية والتنظيمات الاجتماعية كلها مادة أولية للتاريخ حسب تحليل ابن خلدون العميق رغم تعسفه احيانا ، وتحليل ابن خلدون هذا رغـم امكان تفسيره على ضوء أسسه الاسلامية الا أنه اقرب الى التوقف الفذ منه الى مجرد وقفة عادية فى مجرى علم التاريخ الاسلامى » .**

وينقد طريقة كتابة المسلمين للتاريخ العام بقوله « ان طريقة المسلمين فى كتابة التاريخ العام كثيرا ما كانت تدفعهـم ليكونوا سطحيين ، ولينقلوا من مصادرهم بصـورة ميكانيكية ، وليفضلوا الكمية على النوعية ، غير أنها تمثـل نوعا من الاحساس التاريخى الذى هو أحـد المراحل الضرورية الأولى فى سبيل الوصول الى فكرة انسانية حقة عن العالم » .

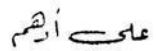
ويعبر عن رأيه فى العلاقة بين التاريخ والادب بقـوله « **نجحت الكتابات التاريخية من حيث العموم فى الوقوف بوجه هوس السجع الذى اضر بالآداب الاسلامية أكثر مما نفعها** ، وقد ساهم فى هذا الوضع الطيب عدة عوامل منها أن التاريخ لم يكن ابدا فرع من الآداب ، بل كان محاولة علمية من عدة نواح ، وبذلك استطاع مقاومة الأساليب الأدبية ، انه يهتم بمسالك واضحة وملاحظات للحياة اليومية جلبت تعبيرا لغويا صورته واضحة معتمدة على الحقائق ، وكان المؤرخ ملزما بذكر النصوص التى ينقلهـا عن مصـادره حرفيا ، ويتجنب اية محاولة للتصرف بها ، مما ادى الى أن يكتب تأريخ الماضى عادة بأسـلوب المؤلفين الأولين الرصين ، ومن الطبيعى أن يلتزم السجع فى مقدمة التواريخ ، كما استخدم كوسـيلة لتجنب العرض الواضح للمادة ، وخاصة عندما تتدخل عواطف الكاتب فى الموضوع ، والسجع سيطر على الكتابة التاريخية خلال تراجم الاطراء التى دونها الموظفون لأسيادهم ، ففى هذه الكتب شعروا أن من واجبهم استخدام مواهبهـم فى أساليب السجع التى كانت شائعة عند كتـاب الديوان ، وفى بداية الأمر كانت مهـارة الكتاب وفنونهم الأدبية وفهمهم العميق لخصائص اللغة العربية قد جعلت كتبهم روائع ، عوضت روعة اسلوبها عن المصاعب التى يواجهها القارىء لفهم معانيها ، غير أن المهارة والفن والقدرة اللغوية هى مواهب نادرة خاصة فى الكتب الفارسية والتركية المتأخرة ، وقد كان ابراهيم بن هلال الصابىء يملكها الى اقصى حد ، واسـتخدمها فى كتاب « التاج » الذى مدح به عضد الدولة والبويهيين، ولعل استخدامه السجع فى هذا الكتاب كان أقل مما عند العتبى الذى الف كتابه « اليمينى » فى مدح يمين الدولة محمود الغزنوى ، وحذا فيه حذو الصابىء » .

وقد حاول الأستاذ روزنتال فى الفصل الثامن من القسم الأول من كتابه أن يتحدث عن تقدير قيمة علم التاريخ الاسلامى وتأثيره فى حيـاة المسلمين الفكرية فقال فى مستهل هذا الفصـل « تكون الكتب التاريخية نسبة عالية من مؤلفات الشعوب الاسلامية المختلفة ، والسؤال الذى يفرض نفسه هو فيما اذا كان للتاريخ على حياة المسلمين الفكرية أثر يوازى اهميتـه الكمية ، او بعبارة أخرى ما هى المكانة التى احتلها التاريخ الاسلامى فى الحضارة الاسلامية اجمالا ، ولنعترف **أن التاريخ لم يكن من العوامل المؤثرة فى تيارات الحياة الفكرية الاسلامية ، فقـد بدا حوالى سنة ٧٠٠ ميلادية ، وكان شأنه شأن بقية فروع العلوم لا يزال يحترم الدين والقانون الاسلاميين،** وقد امتص انذاك المؤثرات البيزنطية والايرانية ، وحاول ان يصبح بسرعة موضوعا تربويا سياسيا عالميا ، فلقى بعض النجاح ، لقد أصبحت كتب التاريخ فى عصر العباسيين الذهبى مرآة لأعظم نواحى النهضة الاسلامية تقدما ، والميدان الذى ظلت تجرب عليه طرق جديدة لتقديم اكبر ما يمكن من نتائج العلوم والمعرفة لذوى الثقافة العـامة بطريقة يستطيعون فهمها ، أما فى زمن الصليبيين وفى عهد ازدهار الفكر الاسلامى فى الأندلس فيما يظهر فقد تقدم التاريخ مترددا لخدمة القوى

الموجودة فى الانسان والتى تريد اعلان اهميــة الأحوال القائمة .. وقد تعــرض فى مصر ابان القرنين الرابع والخامس عشر الى نقد فاحص لطرق البحث الاجتماعية والفقهيــة ، وكانت الكتب التاريخية اهم نتاج للحركة الفكرية لدى الشعوب الأعجمية المسلمة كالفــرس والترك وسكان بعض مناطق العالم العربى .. ومع هذا لا يمكن القول أن التاريخ خلق حركة فكرية فى الاسلام والتعبير عنها لأنه كان دائما يحتل مركزا اكثر تواضعا كوسيلة لحفظ منجــزات الفكر الاسلامى ، وبهذا الاعتبار قام التاريخ بعدد من الواجبات المهمة ، فكان وسيلة لغرس مثل الاسلام وآماله فى قلوب عدد كبير من المسلمين ؛ ولم يتفوق عليه فى هذا المضمار سوى تقاليد الحياة الدينية واعمالها ، والاسلام دين تاريخى بارز فى اصوله وتطوراته الأخيرة ، ثم أن التاريخ كان يساعد ايضا على ابقاء حيوية ذكريات مختلف الشعوب الاسلامية عن أهميــة تراثها القومى البــارز » .

ويعرض الاستاذ روزنتال فى خاتمة هــذا القسم لمسألة أخرى جديرة بالبحث وهى مكانة التاريخ الاسلامى فى تاريخ المدينة الغربيــة والمساهمة التى قدمها للتاريخ الغربى الحديث ان كانت له مســاهمة ، وهو يجيب على ذلك بقوله « من المؤكد انه يكون لسؤالنا اهمية اساسية لو كنا نبحث فى الطب او الفلسفة ، اما فى حالة التاريخ الخاصة فان لها معنى ضئيلا نسبيا ، **فان الأبحاث فى المستقبل لن تكشف ان التاريخ الاسلامى قد وصل فى عمق التحليل وجمــال التعبير الى الدرجة التى وصلها التاريخ الاغريقى الكلاسيكى والرومانى ، وان كان قد فاق بالتأكيد ما وصلته الكتابات التاريخية السابقة فى الفهــم الاجتمــاعى للتاريخ او التنظيم العلمى للمادة التاريخية** ، ولا شك ان كمية المؤلفات التاريخية الاسلامية كبيرة وان الحوليات البيزانطية وثيقة الصـــلة بالحوليات الاسلامية ، غيران التاريخ الاسلامى تميز عنها بتنوعه الكبير وكميته الهائلة ، والواقع اننا نشك فى وجود أى مكان فى التاريخ الأول كانت فيه المؤلفات التاريخية تعادل فى كثرتها ما كان للمسلمين ، **ان مؤلفات المسلمين التاريخية قد تعادل فى العدد المؤلفات الاغريقية واللاتينية ، ولكنها بالتأكيد تفوق فى العــدد مؤلفات أوروبا والشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ولا شك انه لم يكن بالامكان اخفاء مكانتها المتمــازة فى الحركة الأدبية الاسلامية عمن اتصل بالعرب من علماء الغرب** ، غير أن هؤلاء العلماء اهتموا بالعلوم والفلسفة واللاهوت ، وهم كأقرانهم من المسلمين الاعتياديين لم يسيغوا الرضوخ الى درجة الاقرار بأية معرفة عن وجود مؤلفات تأريخية ، ومهما كان مقدار معرفتهم عن التاريخ الاسلامى فانهم لم ينشروا هذه المعرفة بين عدد كبير من الناس ، والأوضاع السياسية لأســبانيا المسيحية ابان القرن الثالث عشر أثارت بعض الاهتمام بالتاريخ الاسلامى ، غير انه يمكن القول باطمئنان ان اخبار التاريخ الاسلامى كانت فى الواقع غير موجودة فى الغرب او مشوهة بشكل فاضح كما أنه لا توجد دلائل على اى اثر لصور التاريخ الاســلامى او محتوياته فى الكتــابة التاريخيــة فى أوربا الوسطى » .

والقارىء جدير بأن يتبين من آراء المؤلف التى عرضتها والمقتطفات التى نقلتها اهمية بحثه القيم وما يلقيه من ضوء على دراسة التــاريخ الاســلامى والمؤرخين المســلمين ، وقد ادى السيدان الدكتور صالح أحمد العلى والأستاذ محمد توفيق حسين بنقل هذا الكتاب النفيس الى اللغة العربية ومراجعة ترجمته خدمة جليلة للمعنيين بالدراسات التاريخيــة الاســلامية والمهتمين بالتاريخ بوجه عام ، وقد امتازت ترجمة الكتاب بالوضوح وحسن الأداء وسلاسة التعبير .



الحلة السيراء

كلما انعمنا النظر فيما سلم لنا من التراث الذى خلفه الأندلسيون فى ميدان الثقافة العربية ـ ازداد اقتنـــاعنا بأن الأندلس كانت غرة بلاد العروبة والاسلام فى العصور الوسطى ، وتبين لنا عظم الفجيعة فى هذا البلد الذى لم يقم بحقـــه زعماؤه وساسته ، ولا نصرته أمم الاسلام المجاورة له ، فظــل يتمزق ويحتضر قليلا قليلا الى ان وقعت الواقعة ، وحل عليه المصير الذى لم يكن الى رده من سبيل .

وانما نقول ذلك لأننــا لم نجد ميدانا من ميادين الفكر لم يكن فيه للأندلسيين فضــل السـبق والتفوق ، حتى ان المرء ليعجب كيف استطاع هذا الشعب البعيد عن مركز الاســلام المحصور بين البحــر المحيط وقوى المسيحية المتوثبة عليه من مختلف بلاد أوربا ان يخرج لنـا ذلك العدد الهائل من أعلام الفكر العربى وحملة لواء الحضارة الاسلامية ممن لا نجد لهم نظيرا فى كثير من سائر بلاد المسلمين .

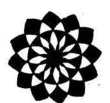
والذى نذهب اليه هو ان العــرب الذين فتحوا الأندلس كانوا من الفحولة والقوة بحيث انتج التمازج بينهم وبين الشعب الاسبانى امة جديدة حملت خير مافى العناصر العربية والأوربية على السواء .

ومن هنا رأينا أن الحــكم العربى لم تكد تتوطد أقدامه فى شبه جزيرة ايبريا حتى يبرز الى الوجود ذلك المجتمع الجديد المولد من عناصر مختلفة : هو مجتمع مسلم العقيــدة ، عربى اللغــة وان كان يتحدث مع العربية بلاتينيــة دارجة ، طموح الى اللحاق بركب الحضــارة المشرقية ، حريص على العلم والثقافة ، دءوب

تحقيق
الدكتور حسين مؤنس

الناشر
الشركة العربية للطباعة والنشر
طبعة القاهرة : ١٩٦٣ - ١٩٦٤
فى مجلدين ٣١٢ ، ٤٨٠ صفحة
+ ٥٨ مقدمة .

لابن الأبار البلنسي



على العمل والكفاح ، مغامر لا تحول بينه وبين الانطلاق معوقات الطبيعة ، ولا غرابة البيئة ، ولا البعد الشاسع عن مراكز حضارة الاسلام . ولا يكاد يأتي القرن الرابع الهجري حتى نرى أن كل مقومات الأمة القوية والدولة الراسخة قد اكتملت وتوفرت للأندلس في ظل الخلافة الأموية: حكومة صالحة حازمة مستنيرة ، ومجتمع متجانس ذابت فيه العناصر المختلفة والفت كلا واحدا متسقا ، واقتصاد سليم متين ، وجيش قوي قادر على حماية رقعة الوطن ، واخيرا شعب طلعة بدأ يكتشف نفسه ، فأقبل على كل لون من الوان الثقافة ينهل منه ويثبت فيه شخصيته الأصيلة المستقلة . ولعل هذه الظروف لم تتأت مثلها لكثير من بلاد الاسلام في المشرق ، ولكن الجدير بالتسجيل **أن الأندلس عاشت بعد ذلك قرونا اربعة تجتر هذا التراث الثقافي والحضاري الذي استطاع تغذيتها حتى بعد أن بدأ الضعف السياسي والتفكك الاجتماعي ينخران في جسد هذه الأمة منذ أوائل القرن الخامس الهجري .**

لقد ضرب الأندلسيون ــ منذ أن اصبحت بلادهم جزءا من عالم الاسلام ــ بأوفر نصيب من مختلف الوان الفكر والثقافة العربية : كان لديهم شعراء من أمثال يحيى الغزال وابن دراج وابن زيدون والمعتمد بن عباد وابن عمار وابن قزمان وابن خفاجة وابن زمرك ، ولغويون من امثال القالي والأعلم الشنتمري وابن سيدة ، ونحاة كابن القوطية والزبيدي وابن مضاء اللخمي وابن مالك والشلوبين ، وفلاسفة من أمثال ابن مسرة وابن حزم وابن باجة وابن السيد وابن طفيل وابن رشد ، ومتصوفة من طبقة ابن العريف ومحيي الدين بن عربي وابن سبعين وابن عباد الرندي ، ومحدثون كابن عبد البر والشاطبي ، وفقهاء من أمثال ابن حبيب والعتبي والباجي والقاضي عياض وابن رشد ، ومفسرون كبقي ابن مخلد وابن عطية والقرطبي وأبي حيان الغرناطي ، وأطباء وعلماء مثل مسلمة المجريطي وأبي القاسم الزهراوي وبني زهر وابن البيطار وابن العوام ، وجغرافيون ورحالة من أمثال الوراق والبكري والادريسي وأبي حامد الغرناطي وابن جبير ، ومؤرخون من طراز بني الرازي وعريب ابن سعد وابن حيان وبني سعيد وابن صاحب الصلاة وعبد الواحد المراكشي وابن الابار وابن عذاري وابن الخطيب . والحق أن هذا العدد من الاعلام كثير على الاندلس لو اننا قارناه بمن نبغ في مختلف بلاد العالم العربي في العصور الوسطى ، ولكنها كما قلنا فحولة هذا الشعب وطاقاته الهائلة جعلت منه مفخرة للأمة العربية كلها ، وذلك على الرغم من الظروف السيئة التي ظل يجتازها تاريخه الطويل الذي هو اشبه ما يكون بمأساة بطيئة حزينة مثيرة .

وهذا الطابع « المأساوي » ــ اذا جاز لنا هذا التعبير ــ هو الذي ينعكس بصورة مصغرة كأنه قدر مكتوب على حياة معظم هؤلاء الاعلام الأندلسيين ، فلم ينعموا في حياتهم براحة ولا سكينة ، وان كانت عبقريتهم قد ضمنت لهم بعد ذلك الخلود .

ولعل من أجلى الأمثلة على هذه المآسي الصغيرة من حيوات أولئك الأعلام الذين أخرجتهم ارض الأندلس ابن الأبار القضاعي البلنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر) الذي ولد في سنة ٥٩٥ (١١٩٩ م) ، فقد عاش الرجل حياة مضطربة قلقة انتهت المرحلة الأولى منها في سنة ٦٣٦ (١٢٣٨) وهو يرى سقوط

بلدة بلنسية فى أيدى النصارى ، ثم هاجر الى أفريقية (تونس) حيث قضى بقية عمره يقربه السلطان طورا ويقصيه طورا حتى انتهى الأمر بضربه بالسياط وقتله بالرماح واحراق جسده وكتبه ، وكان ذلك فى سنة ٦٥٨ (١٢٦٠) . ولسنا نريد أن نطيل الحديث عن حياة ابن الأبار ونهايته الفاجعة ، فقد تكفل بذلك الكثيرون ممن اختصوه بالبحث ، وقد عد منهم الدكتور حسين مؤنس فى مقدمة نشرته لكتاب « **الحلة السيراء** » تسعة عشر من رجال العلم ، فضلا عن تلك فضلا عن تلك الصفحات البديعة التى كتبها نفسه فى مقدمة الكتاب .

ولكن الذى ينبغى علينا أن نسجله هو أن هذه واحدة من الجرائم الكثيرة التى ارتكبها اولئك السلاطين والملوك فى حق أهل العلم ، ومثلها كثير نراه يلطخ صفحات تاريخ الوسطى عند الحديث عن أمثال هذا المستنصر الحفصى أمير تونس ممن قصروا فى حقوق اممهم ، فلم يعرفوا كيف يحمونها من اى عدوان خارجي ولا من أى فوضى داخلية ، اذ لم يكن لهم هم الا المحافظة على عروشهم ، لا تكاد تصل الى أسماعهم وشاية بأحد رجال الدولة حتى لا يتورعوا عن مصادرة او تحريق ، دون أن يزعهم عن ذلك وازع من تقوى ولا مسكة من ضمير .

على انه ينبغى أن نكون منصفين ، **فالحق أن ابن الأبار لم يكن — على علمه وسمو مكانته — بحيث يجب أن يكون ، والواقع انها كانت أزمة خلقية شديدة تجتازها الثقافة ورجالها فى ذلك العصر الذى اختلت فيه الموازين واختلطت القيم فى سائر ميادين الحياة ، وكان من آثار تلك الأزمة أن تتابعت الكوارث على الأندلس والشمال الافريقى كله .**

لم يكن ابن الأبار من المستوى الخلقى بحيث كان شيوخه من العلماء من امثال أبى الربيع سليمان بن سالم الكلاعى الذى استشهد فى سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) فى معركة انيشة الناشبة بين المسلمين والنصارى فى الأندلس بعد حياة بذلها لخدمة الجماعة الاسلامية كلها ، والحق ان ابن الأبار كان قد بدأ ينتهج تلك الطريق التى رسمها شيوخه ، ولكن سرعان ما أغراه بريق الجاه والسلطان ، فاقبل يزاحم الوزراء والكتاب على المناصب ، ويشترك فى المؤامرات والدسائس ، ويتعرض بالأذى للناس بقلمه ولسانه . وهانت عليه كرامته وكرامة علمه بين ترام على سدة السلطان ، وطرد له عن أعتاب الوزراء ، وهو مع ذلك يتشدق بمثل قوله :

اطلب العز فى لظى وذر الذل (م)
ولو كان جنان الخلود

ولو كان صادقا لبقى فى اندلسه التى كانت تتقلب فى لظى المحنة ولجاهد عن أهل بلده كما جاهد شيخه أبو الربيع بن سالم ، ولكنه هجر بلده وفر من الميدان باحثا عن الذل على أبواب الملوك .



وانما اشرنا الى محنة ابن الأبار لأن ما أوقعه بنفسه هو الذى حرم التراث الفكرى العربى من اكثر انتاجه ، فالتحريق الذى جرى على كتبه لم يستثن منها الا نحو خمسة كتب او ستة كلها تدل على مكانة من العلم وتثير الأسف على أن هذا الرجل لم يفرغ لعلمه بدلا من أن يزج بنفسه فى مجاهل السياسة ومزالقها الوعرة الخطرة .

والكتاب الذى نقدم له بهذا الحديث مما سلم لنا من آثار ابن الأبار هو « الحلة السيراء » الذى قام بتحقيقه ونشره الدكتور حسين مؤنس فى سنة ١٩٦٣ وان كان لم يخرج الى القراء الا فى أواخر السنة الماضية .

ولهذا الكتاب مناسبة جديرة بالذكر ، فهو لم يؤلف لوجه العلم خاصة ، وان كان العلم قد افاد منه فائدة محققة ، وذلك أن ابن الأبار قد قصد به التزلف الى سلطان افريقية أبى زكريا يحيى الحفصى وولى عهده أبى يحيى وكان كلاهما يقرض الشعر ، فأراد المؤلف ان يثبت ان قول

الشعر كان من خصال الخلفاء والسلاطين والأمراء ، ولهذا فقد ألف هذا الكتاب واختار له عنوان « الحلة السيراء » أى الوشاة بخيوط الذهب اشارة الى ما تضمنه من شعر . واقتصر المؤلف على الخلفاء والسلاطين ورجال الدولة والوزراء ممن عاشوا فى المغرب بمعناه الكبير أى افريقية (تونس) وما يليها غربا الى الأندلس ، ومضى يعدد من عرف بقول الشعر من هؤلاء منذ القرن الهجرى الأول حتى عصره ، أى القرن السابع ، ثم ذيل المؤلف هذا القسم بعدد من الخلفاء والكبراء لم يعثر لهم على شعر ، فأفرد لهم تراجم فى آخر الكتاب .

الحجة فى تأليف الكتاب اذن واهية فى الحقيقة ، فهو مجموعة فى التراجم الطويلة والمختارات الشعرية ـ ان وجدت ـ لبعض رجالات المغرب والأندلس ، ولو ان المؤلف اعتبر كتابه على هذا الأساس ـ كما فعل أبو منصور الثعالبى فى « يتيمة الدهر » او ابن بسام فى « الذخيرة » ـ لوفر عليه ذلك كثيرا من التكلف فى المنهج والالتواء فى طريقة التأليف ، ولكنه اراد أن يهدى كتابه الى سلطان شاعر يتقرب به اليه ، فلم يكن له بد مما فعل ، ثم انه تعمد ان يخرج من كتابه كل من عرفوا بأدب او شعر ممن كانوا أعداء للدولة الحفصية : « ولم اعرض لمن أعرضت عنهم الدولة الحفصية بالخلعان ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثا لها من الملك والسلطان » ، (1) فأضاع علينا تراجم كثيرة كان من الممكن أن يضيف بها مادة طيبة أدبية وتاريخية الى كتابه ، وهذا مظهر آخر من مظاهر جناية ذلك الطابع « البلاطى » المتزلف الى اعتاب السلاطين على الأدب والتاريخ . **والواقع أن شر ما أصاب التأليف العربى فى العصور الوسطى ولاسيما فى فترات ركوده هو تطويعه لرغبات الملوك ، والقصد به الى خدمة القصور ؛ وربما كان من القسوة أن نخص ابن الأبار بالنقد من أجل ذلك ، فهو لم يكن بدعا فيما فعل ، اذ كانت هذه « البلاطية » محنة اصابت الفكر لم يسلم منها الا من عصمهم الله ، وهم قليلون ، وليت ابن الأبار سلم بعد ذلك مما أصابه من سوء المصير على يدى هذا الملك الذى أسرف فى الترامى على أقدامه على حساب كرامته !**



الكتاب اذن ـ بغض النظر عن الهدف من تأليفه ـ من طراز كتب التراجم ، جمع فيه المؤلف ٢١٦ ترجمة من بينها ١٧٠ لمن حفظت عنهم اشعار ، والباقية (٤٦) لمن « لم يعثر المؤلف على أشعارهم ، فاقتصر على نكت من أخبارهم » . وقد قسم ابن الأبار هذه التراجم كلها تقسيما زمنيا ، فنحن نجدها موزعة على قرون الهجرة :

القرن الأول : فيه تراجم ٦ من الشعراء ، و ١٠ من غيرهم .

القرن الثانى : فيه ٣٤ من الشعراء ، و ١٥ لم يعرفوا بشعر .

القرن الثالث : فيه ٣٥ من الشعراء ، و ١٩ من غيرهم .

القرن الرابع : فيه ٣٦ من الشعراء ، واثنان لم يعرفا الشعر .

القرن الخامس : فيه ٢٨ من الشعراء .

القرن السادس : فيه ١٩ من الشعراء .

القرن السابع (وهو عصر المؤلف) : فيه ١٢ من الشعراء .

والمنهج كما نرى بيِّن التعسف ، يظهر تكلفه فى هذا التقسيم الذى صنف فيه المؤلف من ترجم لهم بشعراء وغير شعراء ، فكثير من هؤلاء « الشعراء » ما كانوا ليعتبروا كذلك ، والا فهل يكفى البيتان او القطعتان لعمرو بن العاص اولابى جعفر المنصور أو لعبد الرحمن الناصر أو للمنصور بن أبيعامر لكىنعدهم منالشعراء ؟

ونحن نعرف من الكتب الأندلسية المؤلفة فى ميدان التراجم سلسلة طويلة بدأت بـ « تاريخ

(1) الحلة السيراء ١/١١ .

علماء الأندلس» لابن الفرضي (٣٥١ - ٤٠٣هـ) ، ثم واصلها ابن بشكوال (٤٩٤ - ٥٧٨) بكتاب « الصلة » ، وبعده ابن الأبار نفسه بكتاب « التكملة » ، ثم ابن الزبير (٦٢٧ - ٧٠٨) بكتاب « صلة الصلة » ، وابن عبد الملك المراكشي (٦٣٤- ٧٠٣) بكتاب « الذيل والتكملة » ، واخيرا اختتمت السلسلة بابن الخطيب الغرناطي (٧١٣ - ٧٧٦) بكتابية « عائد الصلة » و « الاحاطة في اخبار غرناطة » . ويمكن أن تلحق بهذه المجموعة بعض كتب التراجم الأخرى التي كانت أميل الى المنتخبات الادبية مثل كتاب « جذوة المقتبس » للحميدي (٤١٩ - ٤٨٨) و « بغية الملتمس » للضبي (ت٥٩٩) و « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد (٦١٠ - ٦٧٣) .

وقد ذكرنا من بين كتب التراجم التي تكون حلقة في هذه السلسلة الطويلة التي تبدأ بابن الفرضي وتنتهي بابن الخطيب كتابا آخر لابن الأبار هو كتاب « التكملة » الذي يعتبر أضخمها واحفلها بالمادة . ولكنه يسير على نفس المنهج التقليدي المتبع في سائرها وهو الاجتزاء بذكر اسم المترجم له وكنيته ونسبته وبلده وشيوخه وتلاميذه وكتبه وسنتي مولده ووفاته ، اما عن حياة المترجم له او اخباره فلا تتضمن هذه الكتب في الغالب الا مادة بالغة القلة ، فهي من هذه الناحية لا تشفي الغلة ولا تفيد الا في تسجيل السنوات وبيان سلاسل الأسانيد من خلال ذكر اسماء الشيوخ والتلاميذ . وهذا الحكم يمكن اطلاقه على جميع الكتب التي أشرنا اليها من قبل ، بما فيها كتاب « التكملة » لابن الأبار نفسه ، لا نكاد نستثنى منها الا كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي وكتاب « الاحاطة » لابن الخطيب ، فقد اختط الأول منهما منهجاجديدااازال به عن كتب التراجم ماكان يغلب على مادتها من جفاف وثقل ، اذ انه قصد الى الاسهاب في اخبار المترجم لهم ، ثم انه أتبع ذلك في كثير من الأحيان بايراد نصوص أدبية طويلة ، ولم يكتف بتصحيح الأسماء والأنساب وتواريخ الوفاة ، بل تجاوز ذلك الى اصدار احكام نقدية على آثار العلماء الذين ترجم لهم(١)، وقد اتبع ابن الخطيب في « الاحاطة » هذا المنهج ، مما جعل كتابه - مثله في ذلك كمثل كتاب ابن عبد الملك - وسطا بين كتب التراجم وكتب المختارات الادبية التي رأينا لها بداية متواضعة من قبل في كتاب « جذوة المقتبس » للحميدي ، ثم خلف لنا ابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢) في ميدانها كتابا رائعا جليلا هو « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » .

اما كتاب « الحلة السيراء » فانه - في الحدود الضيقة التي الزم بها المؤلف نفسه ، من ترجمة لمن عرف بقول الشعر من السلاطين والملوك والوزراء - اقرب الى الانتماء الى هذه الطريقة الثانية ، ولو أنه يتميز على كتاب ابن بسام بالتحقيق العلمي والاشارات الكثيرة التي تدل على رسوخ قدمه في ميدان التاريخ .

ويشتمل الكتاب كما ذكرنا على ٢١٦ ترجمة من بينها ٨٥ لشخصيات من المشرق أو من شمال افريقية ، **وقد تحرى ابن الأبار أن يكون المشارقة ممن اتصلوا بافريقية من قريب أو من بعيد ، وقد يكون في اعتبار بعض هؤلاء أفارقه كثير من التكلف كما نرى في تراجمة لعمرو بن العاص وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وأبي جعفر المنصور ، فهؤلاء لم يتصلوا بافريقية الا من قبل كونهم قد اشتركوا في الحملات الموجهة لفتحها أو مروا بها مرورا عابرا . ومع ذلك فان جميع هذه التراجم في مستوى واحد من الجودة ، وقد استوفى فيها المؤلف المراجع واستقرأ ما فيها وقارن بينها ، وله في ذلك ملاحظات قيمة تدل على حاسة تاريخية دقيقة** ، ونضرب على ذلك مثلا من بحثه لمسألة اشتراك عبدالله بن عمرو بن العاص في معركة صفين واختلاف المؤرخين حوله .

(١) في الكلام عن كتاب « الذيل والتكملة » انظر الملاحظات القيمة التي أوردها الدكتور عبد العزيز الاهواني في مقاله « صلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة لابن عبد الملك » في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثالث ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١ - ١٦ ؛ هذا وقد قام الدكتور احسان عباس بنشر ما بقي من كتاب ابن عبد الملك في بيروت .

وأما التراجم الباقية وتبلغ ١٣١ ترجمة فكلها لشخصيات أندلسية ، وهذا الاهتمام بالأندلسيين بحيث يفرد لهم المؤلف الجزء الأكبر من الكتاب أمر طبيعي في مؤلف مثل ابن الأبار لم يكن بدعا في اعتزازه بوطنه وقوميته ، شأنه في ذلك شأن جميع الأندلسيين المهاجرين الى بلاد المشرق أو الشمال الافريقي ، فنحن نرى مثل هذه النزعة في كل ما كتب أمثاله من المؤلفين كالحميدي في « الجذوة » وابن سعيد في «المغرب» وابن دحية في « المطرب » وغيرهم . بل اننا نلمس فيما كتبه ابن الأبار ما يوحي بتعالي هؤلاء الأندلسيين المهاجرين على البلاد التي آوتهم ، فقد كانوا دائما يشعرون بأنهم أعلم من أهل البلاد وأقدر ، ولم يخل أحد منهم فيما كتب — حتى وان كان كتابه مهدى الى أمير مشرقي أو افريقي أو مغربي — من فلتات لسان تنم عن الاستعلاء والعصبية . ولننظر مثلا الى ما كتبه ابن الأبار في ترجمته للمعتمد بن عباد :

« ومما يؤثر من فضائله ويعد في زهر مناقبه استعانته على الروم بملك المغرب حينئذ — وهو يوسف بن تاشفين — وسعيه في استقدامه ، وجده في ملاقاة الطاغية ملك النصارى والايقاع به في الموضع المعروف بالزلاقة في رجب سنة ٤٧٩ ، وبدخول اللمتونيين اذ ذاك الأندلس تسببوا الى خلعه ، مع معرفته بحسدهم له وانعكاس نصرهم اياه خذلانا وقهرا ، وتنبيه وزرائه على ما كان منهم قبل استجاشتهم والاستنصار بهم ، فآثر الدين على الدنيا ، وأنف للاسلام من الاصطلام ، وتم فيه قضاء الله ، فخلعوه بعد حصاره مدة .. واحتملوه وأهله الى المغرب ، وأسكنوه أغمات ، وبهامات — والمقدور كائن — ... على حال يوحش سماعها فضلا عن مشاهدتها ، وهذا بعد أن خلع عن ثمانمائة امرأة أمهات أولاد ، وجواري متعة ، واماء تصرف . ورزق من الناس حبا ورحمة فهم يبكونه الى اليوم » (١) .

وانما نقلنا هذا النص ، اذ نرى فيه مثل هذه الغمزات والوخزات التي درج الأندلسيون في مهاجرهم على أن يوجهوها الى البلاد التي آوتهم في شمال افريقية والمغرب ، فابن الأبار لا يرى من ابن عباد الا أنه استعان بالمرابطين « ايثارا للدين على الدنيا ، وانفه للاسلام من الاصطلام » ، وهو يعرض بهؤلاء المرابطين موحيا بأنهم أدنى منزلة من الأندلسيين في مضمار الحضارة ، اذ يشير الى أن المعتمد حينما استجاش اللمتونيين واستنصر بهم انما فعل وهو يعرف حسدهم له ومع أن وزراءه نبهوه على نيتهم نحوه ، وهكذا يبدو المعتمد بطلا شهيدا ضحى بعرشه وملكه من أجل الاسلام . غير أن ابن الأبار يحرص على الا يشير بكلمة الى ما كان من المعتمد بعد ذلك من غدر بالمرابطين حينما استجاش بملك النصارى ألفونس السادس صاحب قشتالة محاولا اخراج المرابطين من الأندلس مع علمه بأن هؤلاء الاخوة في الاسلام كانوا الضمان الوحيد ضد أطماع الملك النصراني .

وقضية المعتمد بن عباد كانت دائما مما أسرف الكتاب الأندلسيون في الحديث عنه لالشيء الا باعتبارها منفذا للتنفيس عن كراهيتهم لاخوانهم المغاربة واستعلائهم عليهم ، تدفعهم الى ذلك قومية متعصبة قصيرة النظر ، مع أن الحقيقة هي أن المعتمد — وان كانت منزلته في الشعر منزلته — لا يمكن أن يعد في نظر التاريخ الاسلامي الا واحدا من جملة الخونة لقضية الاسلام المتآمرين عليه . وقد تحدثنا عن ذلك في بحث آخر لنا عرضنا فيه وجهة نظرنا في تلك القضية . (٢)

على انه كثيرا ماتند من أولئك المؤلفين الأندلسيين بلا قصد عبارات لا تعين الا على ادانة المعتمد بن عباد وأمثاله وبيان استهتارهم بالاسلام وتفريطهم في حقوق وطنهم ، فنحن نرى ابن الأبار في هذا النص — وهو في معرض الحملة على المرابطين وذكر اساءتهم معاملة المعتمد — يقول انهم خلعوه عن ثمانمائة امرأة بين أمهات أولاد وجواري متعة واماء تصرف ، وكأن قضية

(١) الحلة ٢/٥٤ — ٥٥ .

(٢) انظر بحثنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلدين السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ص ١٢١ — ١٢٣ .

الاسلام وعدالة الحكم ماكانتا لتتما الا بأن يحافظ المرابطون لهذا الملك المرفه المترف الخليع على نسائه الثمانمائة ! ... وكأن واجب المرابطين كان ينحصر فى أن يردوا على المعتمد غائلةالمتوثبين عليه من نصارى ومسلمين وأن يحموا عرشه حتى يفرغ هو لمتعه ومباذله على حساب الشعب الاندلسى المسكين ! ...

ومثل هذه العبارات التى تشتمل على التعريض بأهل المغرب وافريقية هى التى كانت فى الحقيقة السبب فى ضيق أهل البلاد الاسلامية بالمهاجرين الاندلسيين وبكبريائهم الجارحة ، وكثيرا ما كانت الكأس تطفح والصبر ينفد ، فيقع على هؤلاء الأندلسيين من قسوة الانتقام وشدة البطش ما رأينا له مثلا حيا فى النهاية الفاجعة التى أوقعها المستنصر الحفصى بابن الأبار نفسه ، رحمه الله .



ومع ذلك فاننا لو غضضنا النظر عن هذه العصبية الأندلسية التى يمكن أن نرى على كل حال ما يفسرها وان لم يكن فى ذلك تبرير لها — فان ابن الأبار مؤرخ نزيه محقق واسع الاطلاع، وتراجمه تعتبر بوجه عام نماذج للدقة والضبط ، سواء ما اعتمد فى كتابته منها على من تقدمه من المؤرخين — ولا سيما فى تراجم المتقدمين من القرن الثانى الى القرن السادس الهجريين ، أو ما كتبه هو بنفسه عن أحداث عصره فى أثناء تراجم القرن السابع .

أما ما رجع فيه ابن الأبار الى سابقية من المؤرخين فان لهذا المؤلف أولا فضل الاحتفاظ به ،فمعظم الكتب التى نقل عنها تعتبر فى حكم المفقودة ، نذكر منها فيما يتعلق بتاريخ الأندلس تواريخ احمد بن عبد البر وبنى الرازى (احمد ابن محمد وابنه عيسى) وأبى بكر محمد بن عيسى ابن مزين وابن الامام وابن قاسم الشلبى وأبى عامر السالمى وابن صاحب الصلاة .

بل اننا نراه يرجع الى تواريخ لافريقية والمغرب والشرق لا نكاد نعرف اليوم الا اسماءها مثل تاريخ مصر لأبى سعيد ابن يونس ، وتاريخ ملوك العبيدية لابن أبى السرور الروحى الاسكندرانى ، وتواريخ افريقية التى كتبها عتيق ابن خلف القيروانى ، وابراهيم بن القاسم الرقيق ، ومحمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب (أحد أفراد الأغالبة) ، وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الدانى الاندلسى ، والحسين بن عبد الرحمن بن عبيد القيروانى المعروف بالوكيل ، وكتاب « سمط اللآلى فى فتوح الأمر العالى » فى تاريخ الموحدين لأبى على الأشيرى .

وابن الأبار اذا نقل عن غيره فانه لا يكتفى بالنقل ، بل نرى أن ملكته التاريخية كانت دائما تحمله على المقارنة والتحليل والتصحيح والاستدراك ، والأمثلة على ذلك كثيرة نجدها على طول صفحات الكتاب ، ويكفى أن نشير الى بعضها مما يؤيد ما نقول :

— الذى يقارن نسب ادريس بن يحيى العلوى الحمودى الملقب بالعالى كما ورد فى الحلة (٢ / ٢٦) بالنسب الذى يورده ابن بسام نقلا عن ابن حيان (الذخيرة ، القسم الأول ١ / ٧٨) يرى أن ما جاء به ابن الأبار أوفى وأكمل مما أثبته فحل المؤرخين الأندلسيين .

— ومن ذلك تصحيحه لأخبار بعض من سبقه من المؤرخين مثل ابن بسام كما نرى عند حديثه عن ابن طاهر المرسى اذ يقول :

« وشهد (أى ابن طاهر) محنة المسلمين ببلنسيه على يدى الطاغية الذى كان يدعى الكنبيطور ، وحصل لديه أسيرا سنة ٨٨ — يعنى وأربعمائة — ، كذا قال ابن بسام ، وانما دخل الكنبيطور بلنسيه سنة ٨٧ » . (الحلة ٢ / ١٢٥) .

— ومنه تصحيحه لما اتى به الفتح بن خاقان فى كتاب « مطمح الأنفس » من اخبار تاريخية اظهر ابن الأبار فيها تخليطة وتناقضة (الحلة ١ / ٢٥٠ — ٢٥١ ، ٢ / ٣٣) .

ونحن نرى له ملاحظات تدل على ارهاف حاسته التاريخية وعلى الابلاغ فى الاستقراء والاستقصاءمثل قوله :

« لم يتقلد سلطانهم (يعنى سلطان الفاطميين فى مصر) من أول قيام المهدى عبيد الله الى حين

انقراضه من أبوه غير خليفة الا الحافظ والعاضد» (الحلة ٢ / ٣٩٢)

ومثل قوله :

« وفي ذلك اليوم (الذى قتل فيه على بن حمود سليمان بن الحكم المستعين ، وكان يوم الأحد يوم لثمان بقين من المحرم سنة٤٠٧) انقرض ملك بنى مروان بالأندلس على رأس مائتى سنة وثمان وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما محصاة من عيد الأضحى الذى تقدم فيه عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الى مقتل سليمان هذا » (الحلة ٢ / ٨) .

والصفحات التى كتبهـا ابن الأبار فى تاريخ الأندلس على عصره من محصوله ومما رآه وسجله تعتبر من أوفر ما وصل الينا مادة وأكثر دقة وضبطا ، ويكفى أن نتصفح لتبين ذلك ما كتبه عن سقوط بلده بلنسية فى يد جاقم البرشلونى (خايمه الفاتح ملك أرغون) فى صفر سنة ٦٣٦ (الحلة ٢ / ١٢٥ — ١٢٧) فنحن نرى هنا من التدقيق فى ذكر الأحداث والوقائع والتواريخ مالا مزيد عليه ، ومثـل ذلك نلاحظه فى سائر تراجم المائتين السادسة والسابعة فى الجـزء الثانى من الكتاب ، فهى حافلة بالمادة التاريخية الفريدة التى لا غنى عنها لمؤرخ الدولة الاسلامية فى الأندلس ، بل لمؤرخ اسبانيا المسيحية لذلك.

ومن ملاحظاته الدقيقة الصائبة ما كتبه فى الكلام عن أحوال الأندلس فى مطلع المائة الخامسة من الهجرة ، حيث يقول :

« وافترقت الجماعة بالأندلس على رأسها الى وقتنا هذا ، وتسلط العـدو أثناء ذلك فتحيفها ، ثم والى مغاره وخساره حتى أتلفها ، ونظمها فى هـذه الفترة ملك المغرب أحيانا ، وانفردت بالثائرين فيها أحيانا . وفى كل ذلك لم تقم لها قائمة ، ولا أغنت عنها واردة ولا حائمة ، وما برحت تخل بها وتؤذن بعطبها فاتحـة من فتنتها وخاتمة » .

(الحلة ٢ / ٢٩ — ٣٠) .

وربما لم يكن هناك أصدق فى تصوير أحوال الأندلس فى ذلك الوقت من هذه العبارة الموجزة المركزة التى تكاد تنطق بأن فاجعة الأندلس كانت قدرا مكتوبا ينبغى أن يحل ، وان كانت النهاية الأخيرة قد تأخرت عن أيام ابن الأبار نحو قرنين ونصف قرن .

وهو اذ يتأمل أحوال الأندلس فى عصره يدرك ما هى مقبلة عليه ، فيعبر عن ذلك فى مـرارة قاسـية ، ولا يفوته أن يسـجل حـكمه على ما سينتهى اليه‌مصير بلاده ، بل اننا نرى فى حديثه عن أحوال اشبيلية التى كانت لا تزال فى حـكم المسلمين عندما ألف كتابه ما يمكن أن يعد نبوءة بمصيرها المحتوم :

« ولكن فى هذه المـائة الأخيرة ، ادرك مرامهم الروم فى الجزيرة ، واستحكمت ابارتهم لها بحكم الفتنة المبيرة ، حتى ملكوها وجزائرها بين الصلح والعنوة ، وغاية أهلها الى هذه الغاية أن يتساقطوا على العدوة ، وكل منهم مفلت بجريعة الذقن ، ومسلم لعدوه الكافر محبوب الوطن .

كم تركوا من جنات يدوسون غلالها ، وديار يجوسون خلالها ، وعيون يفجر تفويرها العيون دما ، وزروع ما عدا وجودها أن عاد عدما ، ثم لا انتصار بغير العبرات ، ولا اقتصار الا على الزفرات والحسرات ، ولم يبق الآن الا اشبيلية أم القواعد والمدائن ، ومأم الركائب والسـفائن. وقـد أشـفت على الذهاب ، واستـوفت على الخراب ... ورزؤها خاتم الأرزاء ، وثكلهـا الدافع فى صدر العزاء ، نعوذ بالله من بأسـه وتنكيله » . (الحلة ٢/٢٩٢) .

وكان ما قاله ابـن الأبار ، اذ لـم تلبث اشبيلية أن سـقطت بعد قليل فى سـنة ٦٤٦ (١٢٤٨) قبل وفاة ابن الأبار باثنتى عشرة سنة .



وابن الأبار — الى جانب كونه مؤرخا جامعا حصيف النظرة دقيق الملاحظة سديد الحكم على الأمور — أديب ذواقة غزير الحفظ واسع الاطلاع على الأدب العربى كله مشرقيه ومغربيه وأندلسيه وله تحقيقات كثيرة وآراء نقدية فى الأدب واللغة

والبلاغة والعروض تكشف عن جودة ذوقه (١) ، ولا يعيبه الا التزام السجع فى مواضع من الكتاب اذ ان ذلك كان يخرج به الى الاغماض والاغراب ، على أن ذلك كان من عيوب العصر كله لا عيب ابن الأبار وحده .

***

وبعد ، فان « الحلة السيراء » أثر من أجل الآثار الاندلسية ، وقد فطن لذلك من حاولوا نشره من قبل ، وأولهم المستشرق الهولندى العظيم اب الدراسات الأندلسية راينهارت دوزى الذى اقتطع منه تراجم الأندلسيين فنشرها فى ليدن بين سنتى ١٨٤٧ و ١٨٥١ ، ثم أتبع ذلك بنشر قطع أخرى من الكتاب فى غضون ترجمته اللاتينية للنصوص المتعلقة ببنى عباد أصحاب اشبيلية ، وكان لدوزى بذلك فضل توجيه الأنظار الى هذا النص والتنبيه على قيمته وخطره فشجع بعمله مستشرقا آخر هو جوزيف ماركوس موللر على نشر قطعة ثانية منه خاصة بتراجم أهل افريقية والمغرب ، ونشر هذا الجزء ضمن منتخبات من النصوص المتصلة بالغرب الاسلامى فى ميونيخ سنة ١٨٦٦ .

غير أن ما فعله المستشرقان ـ وان كان خدمة مشكورة للكتاب اذ عرفا به على الأقل ـ انما كان تمزيقا للنص وافتياتا على منهج مؤلفه فى كتابته ، هذا فضلا عن الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى هاتين النشرتين الجزئيتين ، وللعالمين الكبيرين عذرهما فيما قاما به من عمل قد مضى عليه نحو قرن من الزمان فى وقت لم يكن الناس يعرفون فيه من النصوص الأندلسية والمغربية الا ما يعد على الأصابع ، ويكفيهما فضلا انهما يسرا للباحثين سبل الانتفاع من هذا الكتاب ، غير أن تقدم الدراسات الأندلسية وتعذر الوصول الى هاتين الطبعتين اللتين بعد بهما العهد جعلا الكتاب فى أمس الحاجة الى النشر من جديد .

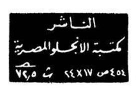
وهذه هى المهمة التى اضطلع بها الدكتور حسين مؤنس أخيرا ، مسديا بذلك يدا جديدة لا يفى بحقها الشكر الى المشتغلين بدراسات المغرب والأندلس .

والدكتور مؤنس يعتبر اليوم من أعظم المؤرخين الحجج الثقات فى كل ما يكتب سواء عن المشرق أو المغرب أو الأندلس ، وقد عكف فى السنوات الأخيرة على التاريخ الأندلسى ، فأخرج فيه كتبا وأبحاثا كثيرة ما بين تأليف وترجمة وتحقيق نصوص ، وهى أعمال جعلته فى طليعة المتخصصين فى هذا الميدان . وأما فى تحقيق النصوص فقد قدم لنا فى السنوات الأخيرة منها عددا كبيرا يشهد بتضلعه فى هذا الباب .

والحقيقة أن هذه النشرة الجديدة التى قدمها لنا لكتاب « الحلة السيراء » تعتبر نموذجا للتحقيق العلمى السليم ، فقد أخرج لنا النص طبقا للمخطوطة الوحيدة التى بقيت منه فى مكتبة دير الاسكوريال بعد أن تقصى خدمته وتصحيحه ومقابلته على مختلف المصادر . ثم ذيل عليه بتعليقات ضافية لا تقل قيمة عن النص نفسه. وأتبع الكتاب بفهارس متقنة محكمة جعلت مادة الكتاب فى متناول القارىء بعد أن كان الانتفاع بها ـ وهو موزع ممزق بين طبعتى دوزى وموللر من الصعوبة بمكان كبير . ولهذا فاننا نعتبر الكتاب كما قدمه لنا الدكتور حسين مؤنس من أعظم ما رأى النور من جديد من تراث الأندلسيين وذخائر علمهم . والدكتور حسين مؤنس يستحق من أجل ذلك كل تقدير وثناء واعتراف بالجميل ، ونرجو أن يعينه الله على أن يقدم لنا أمثال هذا النص من أمهات التاريخ الأندلسى .

ولعل فى نشر ما بقى لنا من كتب ابن الأبار تخليدا لذكرى هذا الكاتب الكبير الذى كانت حياته ـ على حد قول محقق الكتاب ـ « استشهادا طويلا على يد الأيام » . رحم الله ابن الأبار وأسكنه فسيح جناته .

الدكتور محمود علي مكي



مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة
في فرنســـــا

تاليف : ج . منروبي

ترجمة : د . عبد الرحمن بدوي

مراجعة : د . محمد ثابت الفندي

هذا كتاب في تيـــــارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة . وكلمة « المعاصرة » من الكلمات التي تثير كثيرا من اللبس ويصعب تحديد معناها ، لأنها قد تدل في ذهن من يستعملها ، متحدثا كان أو كاتبا ، على غير ما توحى به عنـــد المستمع أو القارىء . فقد تدل على التيارات الفكرية التي ظهرت في القرن العشرين ، أو ـ في معنى أخص ـ على آخر تطورات هذه التيــارات أي تلك التي ظهرت ابتداء من الأربعينات في هذا القرن (بعد الحرب العالمية الثانية) ، وقد يستعملها الكاتب ليدل بها على التيارات الفكرية المعاصرة له هو . وفي هذه الحالة الأخـــيرة أحسب أن من حق القارىء أن يعرف شيئا عن تاريخ وفاة الكاتب ، أو عن السنة التي طبع فيها الكتاب ، ليستطيع على ضوء هذا أن يقف على ما يقصـده الكاتب بكلمة «معاصرة» وأن يعرف مقدما اذا كان معاصرا له هو كقارىء أو غير معاصر .

والنسخة الفرنسـية التي تحت يدي لهذا الكتاب تشير الى انه طبع عام ١٩٣٣ . وهـــو مالم توضحه لنا النسخة العربية . وتضم قبل المقـدمة تصديرا يقع في صفحة ونصف صفحة لم تنقله لنا مع الأسف النسخة العربية . وفي هذا التصدير يشير المؤلف الى انه من معاصري برجسون ودركهايم وفكتور دلبوس وليـــون برنشفيج وادوار لى روا ولوســيان ليفى بريل واميل بوترو وغيرهم . وينبهنا الى انه في الوقت الذي كان يؤلف فيـــه هـــذا الكتـــاب ، كان « باترودي » يؤلف كتــابه عـن « الفلســـفة المعاصرة في فرنســـا » الذي نشره « ألكان » عام ١٩١٩ . ويحكى لنا أنهما ، المؤلف وبارودي ، كانا على علم تام بما يقوم به كل منهما لأن الفكرة في اخراج كتاب عن الفلسفة الفرنسية المعاصرة قد راودتهما في آن واحد . ثم يوضح لنا المؤلف في هذا التصدير أن البحث عن مصادر الفلسفة الفرنسية المعاصرة ـ أي المعاصرة له هو ـ جعله يبدأ بحثه في الفلسفة الفرنسية من النصف الأول من القرن التاسع عشر .

والآن وقد الم القارىء العربي بما كان يحسن أن يلم به في صلب النسخة العربية لهذا الكتاب، خصوصا وان ما أوردته هنا قد ورد في التصدير

الذى كتبه المؤلف لكتابه والذى جاءت النسخة العربية خلوا منه ، يجمل بنا أن نسوق بعض الملاحظات الخاصة بعرض محتويات الكتاب ثم نتبعها بملاحظات أخرى — تهمنا بصفة أخص — حول الترجمة العربية .

فالمؤلف يستعمل الفلسفة فى معناها العام الذى يتسع عنده فيشمل ميدانى علم النفس وعلم الاجتماع . ولهذا احتل الحديث عن هذين الميدانين وعن التيارات والمدارس الفرنسية التى ظهرت فيهما ، أكثر من نصف صفحات الكتاب . فبلغت ٢٤٥ صفحة (فى النسخة العربية) من صفحات الكتاب وقدرها ٤٥٤ صفحة . ومعنى هذا أن أكثر من نصف الكتاب لا يمس الفلسفة فى معناها الدقيق بل الأولى أن يضاف نصفه الى كتب علم النفس ونصفه الآخر الى كتب علم الاجتماع، خاصة بعد استقلال هذين العلمين عن الفلسفة وعلومها استقلالا يكاد يكون تاما .

لكن بوسعنا أن نقول من هذه الناحية ان الفائدة التى عادت على القارىء العربى من نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية لن تقتصر على طلاب الدراسات الفلسفية المتخصصين بل ستعم كذلك طلاب الدراسات النفسية والدراسات الاجتماعية . فسيجد القارىء العربى المتخصص فى علم النفس فى هذا الكتاب أسماء مألوفة له مثل ريبو وشارل ريشيه والفرد بينيه وادوار كلاباريد وجان بياجيه وبيير جانيه وجورج ديما وهنرى ديلاكروا وهنرى فالون وغيرهم كثيرين . كما سيلتقى المتخصص فى علم الاجتماع بأسماء معروفة له مثل أسماء دوركهايم وبوجليه وليفى بريل وبول فوكونيه وموريس هليفاكس وبول لاكومب والفرد اسبيناس وغيرهم كثيرين .

ويحدد المؤلف فى مقدمة الكتاب التيارات السائدة فى الحركة الفلسفية المعاصرة له هو فى فرنسا فيحصرها فى ثلاثة تيارات : الوضعية التجريبية العلمية — المثالية النقدية المعرفية أو الابستمولوجية — الوضعية الميتافيزيقية الروحية .

ولا أدرى ما الذى يقصده المؤلف على وجه الدقة من التيار الثالث وهو تيار الوضعية الميتافيزيقية الروحية . فلم يظهر فى الكتاب كله عنوان (ولو عنوان فرعى) لهذا التيار . وأغلب الظن أن المؤلف لم يعالجه فى هذا الجزء من الكتاب . اذ أن الكتاب — فيما يبدو — له أكثر من جزء واحد . والترجمة العربية التى بأيدينا ترجمة للجزء الأول فقط من الكتاب . أما الجزء أو الأجزاء الأخرى فلا أدرى اذا كان قد رأى أو رأت النور . وكل هذه أمور كان ينتظر القارىء العربى ايضاحا لها فى مقدمة الترجمة العربية التى ظهرت بدون مقدمة وخالية من التعليقات .

واذا كان المؤلف يقصد بالوضعية الميتافيزيقية الروحية فلسفة برجسون والبرجسونيين وبعض الفلسفات المسيحية التى ظهرت فى فرنسا كفلسفة موريس بلوندل وفلسفة جان ماريتان مثلا ، فانه لم يشر الى هذا من قريب أو بعيد . ولم تشر الترجمة العربية الى شىء منه . وأصبحنا فى نهاية الأمر أمام كتاب فى تيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، مع أنه يخلو تماما من الحديث عن فلسفة برجسون !!

ونعود الى تيار الوضعية الميتافيزيقية الروحية فنقول ان بعض من نعدهم نحن ممثلين لهذا التيار قد ورد ذكرهم فى هذا الجزء من الكتاب تحت عنوان « الفرقة الثانية من التيار الثانى » وهو تيار المثالية النقدية المعرفية . وذلك من أمثال أوكتاف هاملان ورينيه لوسن ولوى لافل وجيل لانيو . ولكن لكل من هؤلاء الفلاسفة اتجاهه الخاص . وبقى أن نعرف اذا كان هؤلاء الفلاسفة يوافقون على أنهم أصحاب نزعة وضعية ميتافيزيقية روحية . وأيا ما يكون الأمر فانى أخالف المؤلف فى وضع أسماء هؤلاء الفلاسفة جنبا الى جنب مع اسم « ليون برنشفيك » باعتبار أنهم يمثلون جميعا تيارا فلسفيا واحدا . **فالمعروف أن فلسفة برنشفيك تعد ثورة على المذهبية العقلية التى قدمها لنا أوكتاف هاملان ونقدا لكل المقولات الذهنية الجافة التى صاغها لنا فى نسق تركيبى صارم يخالف تماما الاتجاه التحليلى الرياضى الذى سار فيه برنشفيك . أما اتجاهات رينية لوسن ولوى لافل ، وهى اتجاهات ميتافيزيقية روحية**

ـ ولا اقول وضعية ـ فانها لا تستقيم أبدا مع الخط المميز لفلسفة برنشفيك .

من هذا ترى أننا لا نوافق المؤلف على بعض تقسيماته التى أوردها فى الكتاب بطريقة تعسفية تثير كثيرا من الاشكالات .

هذا والكتاب (الجزء الذى نقل الى العربية) يقف بالقارىء عند ليون برنشفيك . ولا ندرى كيف يقف كتاب فى تيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة عند ليون برنشفيك . اذ من الجائز أن يعالج كاتب آخر موضوع التيارات الفلسفية الفرنسية المعاصرة متخذا نقطة بدئه من ليون برنشفيك الذى يعد عند الكثيرين نقطة انطلاق (لا نقطة انتهاء) حقيقية لكل التيارات الفلسفية المعاصرة فى فرنسا من وجودية وفلسفة للظاهرات .

على أى حال ، فالكتاب فى جوهره عرض للوضعية التجريبية كما ظهرت عند أوجست كونت وهيبوليت تين وارنست رينان ، ثم بحث فى امتداد هذه الوضعية التجريبية عند مؤسسى علم النفس التجريبى فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وعند بعض ممثلى التيار الوضعى فى المدرسة الاجتماعية الفرنسية وعلى رأسهم ليفى بريل ، ثم هو بعد هذا (وهذا هو التيار الثانى من تيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة كما حددها الكتاب) بحث فى مقاومة هذه الوضعية التجريبية فى ميدان الدراسات الاجتماعية أولا على يد دوركهايم وتلامذته وفى ميدان الدراسات الفلسفية المعرفية أو الابستمولوجية عند ممثلى النزعة العقلية النقدية . وقد قسم المؤلف هؤلاء الممثلين للنزعة العقلية النقدية الى مجموعتين : المجموعة الأولى نقده العلم : من أمثال كلود برنار وكورنو وبوانكاريه وبورل وتانرى وبوترو ومليو مايرسون وفيبير وهانكان وجوبلو وباشلار (وفيما يتعلق بهذا الفيلسوف الأخير فان المؤلف قد اورد اسمه دون ان يذكر سنتى ميلاده ووفاته وأضافت النسخة العربية سنة مولده وهى سنة ١٨٨٤ دون أن تضيف سنة وفاته وهى ١٩٦٢ . ولم يكن بنا حاجة الى هذا لولا أن النسخة العربية قد فعلت هذا مع كثير من أسماء فلاسفة آخرين مثل لوش وبارودى ولاڤيل وغيرهم) . والمجموعة الثانية هى تلك المجموعة التى أطلق عليها المؤلف اسم « مجموعة النزعة العقلية النقدية » . وهى تضم بروشار ولوى ليار واوكتاف هاملان ورينيه لوش ودومينيك بارودى ورينيه هوبير وآلان شارتيير ولوى راڤل وكوتيرا وبرنشفيج وغيرهم .

غير أن الفروق بين هاتين المجموعتين ليست واضحة . وقد وعد المؤلف (ص ٢٧٣ من النسخة العربية) بتحديد خصائص المجموعة الأولى ولكنه لم يفعل . ووضع المؤلف مثلا هانكان من بين أفراد المجموعة الأولى وكوتيرا من بين أفراد الطائفة الثانية ، الا أننا نستطيع أن نجعلهما ممثلين لاتجاه واحد هو اتجاه النسبية المثالية ، كما فعل ذلك المؤرخ المعروف ابل رى (انظر كتاب جانيه وسياى « تاريخ الفلسفة » الذى ترجمه كاتب هذه السطور وظهرت الترجمة العربية له بعنوان « مشكلات ما بعد الطبيعة » ص ٢٤٧) . كما اننا لا نوافق المؤلف فى وضع جاستون باشلار من بين افراد المجموعة الأولى ولا فى الفصل بينه وبين ليون برنشفيج . ولا نوافقه كذلك فى وضع اسماء فلاسفة مثل رينيه لوش ولوى لاڤل وجول لانيو ودومينيك بارودى من بين افراد المجموعة الثانية على نحو ما اشرنا الى ذلك سابقا . ولا نوافقه ـ قبل هذا أو ذاك ـ على أن يؤلف كتابا فى تيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، ولا يشير فيه ـ ولو مجرد اشارة ـ الى برجسون .

ولننتقل بعد هذا الى بعض الملاحظات التى عنت لى حول الترجمة العربية للكتاب :

أولى هذه الملاحظات تتعلق بعدم ثبات المصطلح . **فقد كنا وما زلنا نشكو فى ترجمة المصطلحات الفلسفية من عدم ثبات المترجمين على تعريب واحد للمصطلحات الفلسفية ، الأمر الذى يؤدى الى تشويش ذهن طلاب الدراسات الفلسفية وعدم استقرار المصطلح ، ويتطلب حلا على يد المشتغلين بالدراسات الفلسفية فى**

بلادنا . غير أننا هنا فى الترجمة العربية لكتاب « مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا » نواجه مشكلة من نوع جديد ، هى مشكلة عدم ثبات المترجم الواحد على ترجمة واحدة للمصطلح الواحد . واليك بعض الأمثلة :

١ ــ كلمة intuition التى كاد العرف الفلسفى العربى ان يستقر حول ترجمتها بكلمة « الحدس » (وجمعها حدوس) وهو مصطلح استعمله الفلاسفة الاسلاميون ولا غبار عليه ، نجده قد ترجم مرة ــ فى صيغة الجمع ــ بكلمة « الوجدانات » (ص ١٨٣) ، ومرة أخرى ــ فى صيغة المفرد ــ بكلمة « العيان » (ص ٣٠٦) . وهذه الترجمة الأخيرة هى التى تتكرر فى معظم صفحات الكتاب . أما كلمة الوجدانات فقد وردت فى الكتاب (ص ٣٥) كترجمة لكلمة فرنسية أخرى هى كلمة passions . وافضل من جانبى ان تترجم هذه الكلمة الأخيرة بكلمة « شهوات » .

٢ ــ كلمة rigorisme : ترجمت مرة (ص ٢٥٠) بالصلابة ، ومرة أخرى (ص ٤١٠) بكلمة الشدة . وانا اميل الى ترجمتها بكلمة « الصرامة » .

٣ ــ كلمة eclectisme : ترجمت مرة (ص ٢٨١) بالانتقائية ومرة أخرى (ص ٤٠٦) بالتلفيقية . وانا اميل الى هذه الترجمة الأخيرة .

٤ ــ كلمة empirisme : ترجمت فى كل صفحات الكتاب بكلمة التجريبية ، وهى الترجمة المعروفة الشائعة لها . ولكنها ترجمت فى (ص ١٢٤) بكلمة جديدة هى كلمة « الروزية » (من راز الشىء اى جربه) وهى من الكلمات الحوشية الغريبة .

٥ ــ كلمة moeurs : ترجمت فى معظم صفحات الكتاب بكلمة « الآيين » (ص ٣٦ ، ١٧٤ مثلا) وترجمت فى (ص ١٢ سطر ١٤) بكلمة الآداب . وانا اوثر ترجمتها بكلمة العرف أو العادات الحتمية .

٦ ــ affective ترجمت مرة (ص ٦٥) بكلمة « انفعالية » (الحياة الانفعالية) ومرة اخرى (ص ٤٠٥) بكلمة عاطفية (الحياة العاطفية) . وانا أوثر ترجمتها بكلمة وجدانية (الحياة الوجدانية) .

٧ ــ كلمة relation : ترجمت مرات كثيرة فى الكتاب بكلمة « نسبه » ومرات أخرى بكلمة اضافة (ص ٢٥٧ مثلا) . وافضل عدم ترجمتها بكلمة « اضافة » لأن اضافة هى ترجمة الكلمة الفرنسية او الانجليزية contribution . اما ترجمتها بكلمة « النسبة » فلا اعتراض عليها الا عندما تشتق من كلمة relation كلمة relationisme وتترجم تبعا لهذا هذه الكلمة الأخيرة على نحو ما ترجمت (ص ٢٤٩) بكلمة « النسبية » وكلمة النسبية ترجمة لكلمة relativité ، كما هو معروف . ولهذا اقترح ترجمة كلمة relation بكلمة علاقة وكلمة relationisme بالبحث فى العلاقات (عندكنت) .

٨ ــ كلمة noumène : ترجمت مرة (ص ٢٤٩) بالحقيقة الباطنة للظواهر . ومرة أخرى (ص ٣٩٦) بالأشياء فى ذاتها . ولعل ترجمتها « بحقيقة الأشياء فى ذاتها » أوفق .

٩ ــ كلمة epiphènomenale : ترجمت مرة (ص ٥٤) بالظاهرة السطحية ومرة اخرى (ص ٢٨٨ ، ص ٣١٣) بالظاهرة الفضولية . واوثر ترجمتها بالظاهرة الهامشية .

١٠ ــ كلمة fètichisme : ترجمت (ص ١٧٨) بالتعاويذية نسبة الى « تعويذة » . وترجمت (ص٣٥٧) بكلمة «التمائمية» نسبة الى تميمة . وأنا أميل الى الترجمة الأولى . كما أوثر أن نحتفظ بكلمة التمائم او بكلمة « الأحجبة » للكلمة الفرنسية amulettes التى وردت فى (ص ١٩١) مترجمة بنفس الكلمة التى ترجمت بها كلمة fètiches من قبل اى بالتعاويذ .

١١ ــ كلمة conventions : ترجمت مرة (ص ٢٤٣) بكلمة « اصطلاحات » ومرة أخرى (ص ٢٩٨) بكلمة « مواصفات » . وافضل الترجمة الأخيرة او كلمة « توقيفات » .

١٢ ــ كلمة Traité : ترجمت مرة (ص ٣٨) بكلمة بحث (بحث فى علم النفس)

ومرة أخـــرى (ص ٩٧ ، ص ١٠٤) بكلمة « مبحث » (مبحث فى علم النفس) . والفارق ليس كبيرا بين كلمتى بحث ومبحث . الا اننا لاحظنا أن كلمة « بحث » (بحث فى علم النفس العام) قد وردت فى حاشية (ص ٥٤) على انهـا ترجمـة لكلمـة أخـرى وهى كلمـة Essai التى نفضل ان تترجم بكلمة رسالة .

١٣ — كلمـــة deuxième groupe : ترجمت مرة (ص ٢٧٣) بالطائفة الثانية ومرة أخـرى (ص ٣٨١) بالفرقة الثانية وفى فهرس الكتـاب بالطائفة الثانية . ولعـــل ترجمتهـــا بكلمة « مجموعة » أوفق .

تلك هى بعض الأمثلة التى التقطتها عـلى عجل من الترجمة العربية التى أمامنا ، اسوقها هنا للقارىء العربى ليتبين منها عـــدم ثبات المصطلح .

وبالاضافة الى هـــذا فانى اخالف الدكتور المترجم فى بعض الترجمات واليك بعض الأمثلة :

كلمـــة mutualités : وردت فى (ص ٢١٠) وترجمت « بجمعيات التبادلية » . وصحتها « جمعيـــات التأمينات الاجتماعية » . وهى منتشرة انتشارا واسعا فى أوروبا .

كلمـــة représentation : ترجمت فى مواضع متفرقة من الكتـــاب بالامتثال .. وأرى ترجمتها بالتمثيل .

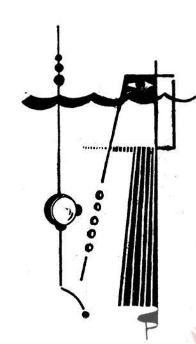
كلمـــة brut : ترجمت بكلمـة غليظة — كما ورد ذلك فى (ص ٢٤٧) عند الحديث عن «التجربة الغليظة» وفى (ص ٢٧٦) عند الحديث عن « الواقعة الغليظة » . وأوثر عليها « التجربة الغفل » أو « الواقعة الغفل » .

كلمـــة interiorité : ترجمت (ص ٢٥١ ص ٣٢٥) وفى مواضع اخرى بكلمة «البطونية» ولعل كلمة « المباطنة » أوفق .

كلمـــة entités : ترجمت (ص ١٥٩) بكلمة « تهاويل » فى حين أنها تعنى « جواهر » .

ولكن هذه الملاحظات ومثيلاتها لا تنقص من قيمة الترجمة الجيدة للكتاب والتى تشـــهد بالجهد العظيم الذى بذله الأســـتاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى فى نقله هـــذا الكتاب الى العربية ، وقدم لنا به نموذجا طيبا للعزيمـــة الصادقة وللعمل المنتج فى ميدان هو فيه رائد وأستاذ ، فضلا عن انه من أوائل المشتغلين فيه وأكثرهم انتاجا . وانى لأشهد أن الترجمـــة العربية قـد اشتملت على بعض المصطلحـات المفيدة كمصطلح « المحايثة » ترجمة لكلمـــة immanence ، وكمصطلح « قيـاس النظـير » ترجمة لكلمـــة analogie وغيرهما من المصطلحات القيمة .

الدكتور يحيى هويدى



بلياس وميليزاند

ينبغى اولا ان نحمد لسلسلة « روائع المسرح العالمى » جهدها - وان تفاوت - فى تعريف القراء عندنا بأعمال جيدة من ادب المسرح فى الخارج . وقد روعى بوجه عام فى تخير النصوص التى تقدمها هذه السلسلة شهرا بعد شهر أن تسد نقص المكتبة العربية فى ترجمة المسرحيات من ناحية ، وأن تقديم المجموعة من ناحية اخرى صورة شاملة لاتجاهات المسرح وألوانه فى مختلف العصور والأجواء . واذا افتقد المثقفون اليوم - فى غمرة النشاط المسرحى المتزايد - حكمة التخطيط والتنسيق والتوازن فى برامج الأجهزة المتوازية التى اخذت تحشد طاقات المترجمين والمطابع « لتموين » فرق المسرح النامية لدينا ، فاننا نقتصر هنا - والحديث عن « بلياس وميليزاند » التى صدرت فى العدد ٤٣ - على تسجيل حسن اختيار هذه المسرحية .

ذلك أن « بلياس وميليزاند » عمل شهير ، هبط على المسرح الحديث من سماء الشعر الحديث ، ثم تجاوز أبعاد التمثيل الى رحاب الموسيقى فخلف فيها الحانا ساحرة . **على ان الشهرة وحدها - ولو طبقت آفاق ثلاثة فنون انسانية - ليست مبررا كافيا لاهتمام الدارس باثر قد لا يدين حقا بذيوع صيته فى فترة معينة الا لبدعة عابرة سرت بين الناس ، أو لنزوة طاغية سيطرت فجاة على الأذواق والحواس ولم تلبث أن انقشعت** . بلى ان « بلياس وميليزاند » - التى ظهرت سنة ١٨٩٢ - تنتمى الى المذهب الرمزى الذى انقضى الآن عهده فى تاريخ الادب الفرنسى من حيث هو مذهب ، ولكن هيهات ان تفنى الرموز ذوات الدلالة أو تفنى المعانى العميقة المحتجبة التى تومىء اليها الرموز . **وجدير بجمهورنا على كل حال ان يتجنب السطحية ، وان يتفهم الرمزية ، وان يستطلع مكانها فى المسرح ، لا سيما من خلال عمل نموذجى يحمل طابعها الى أبعد الحدود** . واننا لا نكاد نقرأ اسم مؤلف المسرحية ، وهو الشاعر البلجيكى الفحل « موريس ميترلنك » المتوفى سنة ١٩٤٩ عن سبعة وثمانين عاما ، واسم الموسيقار الفرنسى

ترجمة : الدكتور محمد غنيمي هلال
مراجعة : يحيى حقي
تقديم : الدكتور محمد مندور

الناشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩ ص ١٤×٢٠ سم ثمن ١٠

تأليف موريس ميترلنك

« كلود ديبوسى » الذى كتب ألحانهـا ، حتى نرى أنفسنا فى حضرة فنانين أصليين ، من أعلام الفن الحديث ، قلما يجود بلقاء مثليهما الزمن .

وفضل « موريس ميترلنك » على المسرح المعاصر غير مجحود . فقد انتزعه فى أواخر القرن الماضى من براثن واقعية محدودة مباشرة كانت تستنفد طاقتها كلها فى رواية حدث من الأحداث الجارية ، وأخرج هذا الفن الحبيس من قيود تلك المادية الضيقة ليطلقه على أجنحة الشعر المحلقة فى مجالات النفس وما وراء الطبيعة .

لقد بدأ ميترلنك بنظم الشعر الرقيق الرامز ثم عمد فى التأليف المسرحى الى تحميل الشخصيات المنظورة والحوار المسموع رسالة ذلك الشعر ، الا وهى الكشف عن غير المنظور والهمس بغير المسموع . وكان شباب الأدب والفن قد مجوا « المذهب الطبيعى » المغرق فى تحرى الأعراض والظواهر وجنايات المجتمع ، وتاقوا الى قيم روحية وجمالية تعوضهم بريحيقها الكامن ونفحاتها المنعشة عما أصاب حياتهم من جفاف ، فرحبوا بأعمال ميترلنك وتحمسوا لها .

وتتلخص قصة « بلياس وميليزاند » فى وقائع قليلة :

الأمير «جولو » رجل وخط الشيب رأسه ، وماتت زوجته بعد أن رزقته غلاما يدعى « اينولد » . ذات يوم يخرج للصيد ، ويمعن فى مطاردة حيوان بين أشجار الغابة حتى يضل طريقه . وبالقرب من ينبوع لم يره من قبل ، يجد فتاة طويلة الشعر ، لا يكاد يدنو منها حتى تخاف وتنفر . هى أيضا هائمة ، لم تولد بهذه الأرض ، وانما هربت اليها من شر الناس ، وألقت فى الماء تاجا ذهبيا — ما زال يلمع — قد منحها اياه أحدهم . وتنخرط « ميليزاند » فى البكاء ، فيرق الأمير لحزنها ولحسنها . ويتكفل بحمايتها ثم يتزوجها .

وتعيش معه فى قصر جده الملك « اركل» ،

ملك بلاد « الموند » العجوز . انه قصر عتيق ، تخيم عليه الوحشة والكآبة ، وتكتنف الظلمات بعض جوانبه . وفجأة يطلع على « ميليزاند » — في هالة من جمال الشباب — الفتى « بلياس » اخو زوجهـا . فتحبه دون ان تدرى فى اول الأمر مدى غرامها به وغرامه بها . وذات ليلة ، يفاجىء « جولو » أخاه الأصغر تحت نافـذة « ميليزاند » وهو يناجيها ، فتثور غيرته . وفى وهجهذه الغيرة التىتضطرم فى قلبالزوج يتعرف العاشقان حقيقة عاطفتهما ، وقوتها . ويقـرر « بليـاس » أن يرحل عن القصر الى الأبد ، فيودع « ميليزاند » فى الحديقة ، واذا بجولو يهاجمهمـا فيجـرح زوجته ويصرع اخاه . ثم يستولى عليه الأسى ، وينهشه الندم كما تنهشه الغيرة ، فيسأل ميليزاند الجريحة أن تعفو عنه . غير انه يلاحقها بشكوكه ويريد أن يعلم أهى آثمة أم بريئة ، فيقضى عليها بهذا الالحاح .

وما أعظم الغابة ، وما أضخم أبواب القصر وأركانه ، بالقياس الى أحجام اولئك الأشخاص جميعا ! ان الانسان صغير فى مجاهل الطبيعة ، صغير فى أغوار الكون وحبائل القدر . ولا تنتمى أحداث المسرحية الى مكان واقعى معين أو زمان تاريخى محدد ، بل اننا نسمع الملوك والأمـراء يتحدثون فيها حديث أبسط البشر ، ونلتقى بأطوار الحياة من الطفولة والصبا الى الشيخوخة وأعتاب الموت . . .

وفى كل ما يجرى أو يلوح اشارة الى أبعد مما يجرى أو يلوح . لذا لا ينحصر الحوار بين ما يدور أمامنا من عبارات متبادلة ، وانما يسرى كذلك فى الحديث المضمر ، بين الكلمات المنطوقة وبين لحظات الصمت . وهذا ما يعنى الشاعر برصده . **ان من حقائق الحيـاة ، الأبدية ، ما يغيب عنا فى اضطراب المعيشة اليومية ، فلا نفطن اليه دون ارهاف البصيرة .**

من تكون « ميليزاند » ؟ أهى تجسيد للنفس الانسانية عامة ؟ أم هى رمز للجمال الذى يسلط سحره فى براءة ، ويمد شراكا خفية — كما تمد هذه الحسناء شعرها الناعم الطويل — ثم يقع فى النهاية المحتومة ضحية لتلك الفتنة ذاتها ؟ قد تكون « ميليزاند » أيضا صورة لتعطشنـا الدائم الى السعادة ، وقد تكون مثلا للحب الذى يقتل الحب فى مأساة الحياة الدنيا . . .

هذه بعض الوجوه التى يمكن أن تسفر عنها المسرحية . ولكل تأويل منطقة وروعته ، مما يشهد بغزارة حدس الشاعر وتفتحه على عوالم من الأسرار .

ولقد صاغ « ميترلنك » مسرحيته هذه العامرة بالايحاءات والرموز لا فى أبيات من الشعر الموزون المقفى ، ولا فى أبيـات من الشعر الحر ، بل فى نثر رقراق عذب ، خلب صفاؤه الموسيقار الذواقة « ديبوسى » وأغراه بتلحين النص راسا ، دون أن يسأل المؤلف — الخبير مع ذلك بصنعة العروض — أن يعيد صياغة المسرحية نظما . وأصاب الدكتور محمد مندور عندما نبه القراء — فى تقديمه للترجمة العربية — الى شاعرية أسلوب المسرحية الأصلى قائلا :

« . . . وان يكن قد كتبها نثرا ، الا أنهـا أقرب ما تكون الى القصيدة الشعرية لرهافة احساسها وشاعرية أسلوبها وقوة ايحائهـا ، وشفافية رموزها حتى رأيناها تغنى نثرا عندما لحنها أوبرا الموسيقى الفرنسى الكبير كلود ديبوسى سنة ١٩٠٢ وذلك بالرغم من أن الأوبرات لا بد أن تكتب شعرا موزونا صالحا للغناء والتلحين . »

وهنا تكمن صعوبة الترجمة . فلا يكفى أن ينقل لنا المترجم هذا النص العديد الأصداء نقلا حرفيا ، وانما عليه أن يخترق الحجاب المسـدل فى كل لغة دون التعبير ، وهو حجاب لن يستطيع أن يثقبه وأن ينفذ الى ما وراءه الا الفنان الصادق الحس ، المرهف البصيرة . لا بد لترجمة شاعر من شاعر يتجاوب معه .

عند هذه الملاحظة ، البديهية ، على جوهر الترجمة المنشودة ، نقف أولا . فقارىء هـذا الكتاب لا تهب عليه مثل أنفاس الشعر التى تسحر قارىء النص الفرنسى . لقد تحولت النبرات الهامسـة حينـا واللماحة حينـا آخر الى نثر

تقريري . **ولعل ما يعمد الأستاذ المترجم الى استخدامه من لوازم الرصانة القديمة ومصطلحات البلاغة المأثورة ــ بقصد تحلية الجمل ــ يؤدى فى آخر الأمر الى الثقل وكثافة الحشو اى الى نقيض شعر « ميترلنك » المجنح** . وما حاجتنا اليوم ــ بصدد الحديث عن شيخ مريض ــ الى هذه العبارة المتحفية : « لم يعد السؤال الا عن حينه حين يحين » ؟ (ص ٨١) . ان التكرار اللفظى خليق بأن يشل حركة الانطلاق التى تميز هـذا الشعر ، لأن تكرار اللفظ الواحد ينطوى على ثبات شكلى أى جمود . ومن هذا القبيل أيضا قول المترجم : « قد فعلت فعلتى بالرغم منى » . وفى صفحة ٩٧ تتكرر كلمة « براءة » ثلاث مرات على الأقل دون أن ترد فى الأصـل مرة واحدة ..

وما احـرى المترجـم الذى تتوفر لديه المترادفات بانتقاء أجملها جرسا ، كأن يقـول « اغصان » شجرة الصفصاف بدلا من « فروع » شجرة الصفصاف ، وان يقول عن عاشقين انهما « يتشــاجران » أو « يتخاصـمان » بدلا من « يتعاركان » (ص ٧٢) ... الخ .

واذا ضربنــا صفحــا عن علامات الترقيم (وما اهمها مع ذلك فى نص شعرى ولدى كاتب يعبر بالصمت كمـا يعبر بالكلام !) صـــادفنا مواضع غير قليلة تختلف فيها الترجمة العربيــة عن الأصل الفرنسى ، نذكر منها :

ص ٦٩ هواء رطب ثقيل مثل الرصــاص : مثل ندى من رصاص

ص ٧١ هذه اول مرة : ليست هذه اول مرة

ص ٧٥ (سطر ٤) وأنت : وانتم

ص ٧٨ هى اعلى من ان احمل اليهــا : هى اعلى مما استطيع ان ابلغه

ص ٨٦ يا سيدى : يا مولاى

ص ١٠٢ سيذبحنا : سيقتلنا

وهناك غموض فى قول المترجم «طائر غريب» بينما يقول المؤلف « طائر ليس من هنــــا » اى «مغترب» (ص ٦٠) . وكذلك فى عبارتين وردتا فى صفحة ٦٩ :

« والآن كل الهواء فى البحر جميعا »

بدلا من « كل هواء البحــر بأسره »

« ارواء الزهور على الحافة دون الشرفة»

بدلا من « ... الزهور فى اسفل الشرفة»

وفى صفحة ٦٥ نقرأ « اتعلمـــان » بدلا من « الا تعلمان »

وفى صفحة ٦٢ : « فينهدل شعرها فجأة ، ويجلس بلياس » بدلا من «... ويغمر بلياس» .

وقد يرجع بعض هـذا الغموض الى اغلاط مطبعية ــ وهى اغلاط كثيرة جــدا ، يعيينـا احصاؤها ، وحسبنا ان نشير الى جانب منها :

ص ٨٠ : هنا نذهب : هيا نذهب

ص ٣٢ : فالضوء هنا أغزر من اى مكـان آخر : فالضوء هنا اغزر منه فى اى مكان اخر .

ص ٩٥ : انظره تراه ممزقا : تره ممزقا .

وفى المثل الأخير ادت غلطة مطبعية الى غلطة لغوية ، لا تظن انها صدرت عن استاذ راسخ العلم بنحو اللغــة العربية وصرفها . والحق ان أخطاء المطبعة قد افسدت النص فسادا خطيرا فى الصفحات ٦٠ ــ ٦٣ : ففى صفحتى ٦٠ ، ٦١ خلط بين كلام بلياس وكلام ميليزاند بحيث ينسب كلام بلياس الى ميليزاند ونسمعها تقول (بدلا من صاحبها) « لا تبقى فى الظلام يا ميليزاند ، جبذا لو ملت حتى أرى شعرك المتهدل » . وسـقط جـواب ميليزاند على هـذا الطلب ، ونصه :

ميليزاند ــ اننى مخيفة هكذا .

وفى صفحة ٦١ تسـأل ميليزاند : « اذن فلست براجل ؟ » ، وقد سقط جواب بلياس ، وهو : « سأنتظر ، سأنتظر » .

وفى صفحة ٦٣ سقطت من حديث بلياس عبارة : « انى اعقد شعرك ، اعقده حول اغصان الصفصاف » بعد استهلاله بـ « لن تنصرفى عنى هذه الليلة » ، ولولا هذه العبارة ــ المحذوفة ــ لمـا فهمنا كيف يفتح يديه ــ كمـا يقول بعـد

ذلك ــ دون أن تستطيع ميليزاند الافلات مــن قبضته (ص ٦٤) . وسقط أيضا من رد ميليزاند التالى ــ قبل استفهامها عن طيران الحمام ــ قولها : « أوه أوه لقد المتنى ... » .

بل واســقطت المطبعة من قائمة اشــخاص المسرحية شخصية « الطبيب » الذى يظهــر فى الفصل الخامس ...

كل هذا يدعونا التساؤل ، ما واجب المترجم؟ وما واجب المراجع ؟ وما واجب الناشر ؟ ... ان « بلياس وميليزاند » ــ من حيث الحجم ــ عمل صغير ، لا يحتمل هذا الاسراف .

لعل واجب المترجم يبدأ بالتالى فى اختيار النص ، وبالتأكد من عاطفته نحو المؤلف ، ومن مشاطرته العمل وجدانيا ، حتى يتسنى له ان ينقل الينا جوهر الأثر الفنى قبل كل شىء . ان الترجمة ظاهرة انسانية اشبه بتناسخ الأرواح .

وقد بذل الدكتور محمد غنيمى هلال جهدا طيبا ، ولا يضيره ألا يكون شاعرا وهو الدارس المحقق والناقد المعروف واستاذ مادتى النقد والأدب المقارن . لقد فتح فى الدراسات العربية ميادين جديدة ، واثرى المكتبة العربية بعدد كبير مــن المؤلفات والمترجمات . ولا شك فى انه أقدر على ترجمة النظريات والآراء ، ومناقشة الافكار ، والتأريخ للأدب ــ وهذا ما يعجز عنه الشــعراء فى اغلب الأحيان .

ولقد أصاب المسئولون عن هذه السلســلة باسناد مراجعة الترجمة الى فنان مرهف الحس ، غواص فى اعماق اللغة وراء ادق الوان التعبير ، هو الأستاذ يحيى حقى . ولكن **ما وظيفة المراجع ؟ انما عليه أن يضمن سلامة المعانى ، وليس لنا ان نطالبه باستلهام شاعرية الأصل وصياغتها باسلوبه الأنيق أى أن يحتل مكان المترجم .**

واضعف الايمان ان نطالب المشرفين على نشر هذه السلسلة القيمة بتدارك ما يشوبها من اخطـاء الطبــاعة ، وبالتيقظ فى تصــــحيح التجارب .

الدكتور أنور لوقا

سطور من كتاب

« ان الاساس الذى يحسن بنا أن نسير عليه فى فهم الوحدة للقصة القرآنية انما هو الأساس الذى جعله القرآن نفسه أساسا للمجموعات القصصية التى جمع بينها فى الصورة الواحدة وجد فيها بين البناء والتركيب . هو المقاصــد والأغراض والموضوعات الدينيــة لا الاسماء ولا الاشخاص .

ان المشكلة التى تعالجها القصة هى الوحدة التى يقوم عليها فن التركيب والبناء .

ان ذلك الفهم للوحــدة القصصية هو الذى يتفق وقواعد الاصوليين ويجرى وصنيع القرآن ، ثم هو الذى لعله يفتح الطريق لادراك معنى لهـذا التشابه فى قصص القرآن . ولعله يرد عن القــرآن مطــاعن الطــاعنين من ملاحدة ومستشرقين .

اما انه يتفق وقواعد الاصوليين فلانهم يجعلون مدار البحث فى الآية القرآنيــة ما تصوره من حكم شرعى او عقيدة دينية ولا يجعلونه الاشخاص الذين يدور حولهم هذه الاحكام ومن هنا توزع الحديث على الأزواج فى مواطن كثيرة ، فجاء بعضه فى آيات النكاح وبعضه فى آيات الطلاق وبعضه فيما يقوم بين الزوجين من خصومات . كما جاء بعضه فى آيات النفقة وبعضه فى آيات الميراث . وهكذا . ولا يستطيع باحث أن يجمع بين آيات الطــلاق وآيات الميراث اذ هذه توضع فى باب الميراث وتلك فى باب الطلاق وهكذا ..

واما أنه يجرى وصنيع القرآن فلانه الأساس الذى قام عليه الجمع فى الاقاصيص المختلفة من حيث الاسماء الواردة فى سورة واحدة من سور القرآن وذلك هو الامر الواضح من مجموعات القصص الواردة فى كل من ســـور القمر والأعراف وهود والشعراء وغيرها من السور التى وردت فيها أمثال هذه المجموعات . »

الفن القصصى
فى القرآن الكريم

الفنون والإنسان

نقد

تأليف : أروين إدمان

ترجمة : حمزة محمد الشيخ

الناشر : دار النهضة العربية
١٠٠ ص ٢٤×١٧ سم الثمن ٢٥



هذا الكتاب خادع في بساطته ، وفي مظهره المتواضع . ان عدد صفحاته ، في طبعته الانجليزية ، حوالى مائة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، وليس له فهرس للأعلام ولا للموضوعات ، ولا يوجد في صفحاته هذه هامش واحد ، أو اسم لأى مرجع . ومع ذلك فالكتاب على قدر لا يستهان به من العمق . والمؤلف حين يعرض ، بأسلوب مسترسل أخاذ ، تجربة الانسان في عالم الفنون ، انما يعرض في واقع الأمر تجارب شخصية عميقة له . فمن المحال أن تسطر هذه الصفحات الرائعة الا يد فنان أصيل ، لا يتعين أن يكون خلاقا ، بل يكفيه أن يكون متذوقا للفن بعمق وفهم وتعاطف . وفي كل سطر من سطور الكتاب يلمس المرء اخلاص المؤلف للفن وحسن تقديره لروائعه ، ويدرك أن كاتبه لابد قد تمرس بتجربة الفن طويلا حتى استطاع أن يعبر لنا عن ماهية الفن عامة ، وعن لب الخبرة الجمالية في كل فن رئيسى على حدة ، بمثل هذا العمق والجمال .

ويبدأ الكتاب بفصل عنوانه «الفن والتجربة». في هذا الفصل يعرض المؤلف للصلة بين تجربة الفن وتجربة الحياة : فالحياة كلها تجربة ، قد تكون بسيطة أو معقدة ، لها هدف أو بلا غرض. ومهمة الفن هي تكثيف تجربة الحياة والقاء الضوء عليها . « **فالفن أبعد ما يكون عن أن يتعلق بالتماثيل والصور والسيمفونيات ، وانما هو اسم لعملية الفهم الكاملة التى تقوم فيها الحياة بفهم ظروفها الخاصة ، وتحولها الى أطرف وأبهى صورة .** »

والفن هو الذى يضفى على الحياة شكلها وصورتها ، بل ان الحضارة ذاتها ليست الا نوعا من الفن . ومن هنا كانت نظرة المؤلف الى الفن أوسع بكثير من تلك النظرة المتخصصة التى تقيد نطاقه الى حد بعيد . « فقد كان من محض المصادفة أن اختصت الفنون الجميلة وحدها بحيث أصبحت تعد هى ذاتها الفن بمعناه العام تقريبا ... ولكن حيثما تضفى صور على المواد ، وحيثما يكون للحركة اتجاه ، وحيثما يكون الحياة خط وتكوين ، هناك يكون ثمة فهم ، ويوجد ذلك التحوير للاضطراب الموجود الى نظام مرغوب فيه ومطلوب ، وهو الذى نطلق عليه اسم الفن . **فالتجربة دون الفن والفهم هوجاء بلا نظام . وهى مادة بلا صورة ، وحركة بلا هدف .** »

ومن المهام الرئيسية للفنان أن يتناول التجربة اليومية ، التى تمر بنا دون أن نتنبه اليها ، ولا نستبقى منها الا ما يفيدنا فى أغراضنا العملية ، فيجعلها حية مشوقة جذابة ، تتوقف عندها العين فتتأملها فى شغف ، وتتطلع اليها ناسية منفعتها العملية فى الحياة . **ففى الفن تتحول الأشياء من أدوات عابرة الى موضوعات للاهتمام والتطلع ، ومن وسائل الى غايات .**

والذى يحدث أن الفنان يلجأ الى الفنون الجميلة ، بدلا من أن يجعل فنه شاملا ينتظم الحياة بأسرها ، لأن فى الحياة المحيطة به عناصر متعددة تستعصى على التشكيل الفنى : فمادتها عصية على التهذيب ، لا تستجيب فى يسر لما فى نفس الفنان من أفكار ومشاعر . وفى الحياة قبح كثير ، ومقاومة عنيدة تواجه بها الفنان . ومن هنا كان التجاؤه الى الفنون الجميلة هروبا الى مجال طيع يستطيع أن يشكل مادته كما يشاء ، ويجرب فيه قدرته على حل المشكلات دون مقاومة من عناصر تأبى التشكل وتستعصى على التحرير .

كذلك فان الفن مهرب من عناء الحياة الصماء القاسية ، لا بالنسبة الى الفنان وحده ، بل بالنسبة الى متذوق الفن أيضا . ففيه نتخلص من ضغط الحياة ومتاعب الصحة والمال ، ونحلق فى الخيال الى أعلى مدى نقدر عليه . وعندما تحل النظرة الجمالية محل النظرة النفعية أو العملية — أى بلغة شوبنهور ، **عندما تحل المعرفة محل الارادة نتحرر — من عاداتنا اليومية المألوفة ، وندخل عالما أكثر تحررا وانطلاقا ، بل عالما من المتعة الأزلية .**

على أن هذه النظرة الى الفن بوصفه مهربا انما تسود بين من يقترن لديهم رفاه الحس بالشعور بخيبة الأمل فى الحياة . فهى لا تشيع الا بين المتشائمين ، ومن هنا كانت لا تقدم الينا صورة كاملة عن الفن وطبيعته . وذلك لأن **الفن أكثر من أن يكون مجرد وسيلة للهروب من الحياة . فالفنان والمتذوق معا يقبلون على الفن من حيث هم أناس لهم مشاغلهم فى الحياة ، يجلبون معهم تجربتهم الكاملة عند ممارستهم للفن .** أى أن الفن يقوم لديهم بعملية « تكثيف » للحياة ، بحيث أن حواسنا ، بدلا من أن تقتصر على الادراك العملى ، تتعلم الادراك الجمالى وتزداد دقة وارهافا . كذلك يكشف الفن مشاعرنا التى تبلدها الحياة اليومية ، فاذا بالقصة أو القصيدة تثيرها على نحو يبلغ من العنف ومن العمق ما يستحيل أن نجده فى التجربة المعتادة .

ويقوم الفن أيضا بمهمة « ايضاح » التجربة: اذ أن تلك المشاعر التى تمر بنا فى تجربتنا المألوفة عابرة سريعة غامضة مختلطة ، تكتسب بفضل الفن وضوحا وتحددا ، ويلقى عليها ضوء باهر ، وتصبح لنا بها بصيرة نفاذة ، كل ذلك فى نظام وترتيب متكامل .

وأخيرا ففى الفن « تفسير » للتجربة ، لأنه

يضفى معنى ودلالة على التجارب المبعثرة التى قد لا نكشف لها معنى فى حياتنا اليومية . فكل الفنون تفسر الحياة : فقد لا تفسر منها الا جوانب محدودة ، أو قد تفسر دلالتها العامة وتكشف عن حركة الوجود ومصيره فى عمل واحد . وليست سيمفونية بيتهوفن الا ايضاحا لرأى روح عظيمة فى العالم الذى تحيا فيه . وقل مثل هذا عن كل عمل فن أصيل . « فهذه الأعمال هى لغة أشخاص لم يقتصروا على الابصار والسمع بالعين والأذن الظاهرتين ، وانما عبروا بالصوت تعبيرا سمعيا عن المعنى الأساسى للحياة كما يرونه ، وباللوحة تعبيرا بصريا عن هذا المعنى ذاته . »

ان الفنون ، بوظائفها الثلاث هذه ــ أعنى تكثيف التجربة وايضاحها وتفسيرها ــ انما هى استباق للعالم المثالى كما ينبغى أن يكون ، ولكن فى لحظات خاطفة من الغبطة والسعادة . انها هى العالم المنظم كما يمكن أن يرعاه العقل لو قدر له أن يرعى جميع شئون الانسان ، وإن يكن يقتصر حتى الآن على تلك الأعمال المتناثرة التى نسميها بالفنون الجميلة ، وتلك اللحظات الخاطفة السعيدة التى نسميها بالمتعة الفنية .

ويعالج الفصل الثانى من الكتاب موضوع « الفن والحضارة » . وفيه يرى المؤلف أنه اذا كان الفن هو العقل البشرى فى ممارسته لقواه على الطبيعة كيما يطوعها لخدمة غايات الانسان ، فان الحضارة الكاملة ، بهذا المعنى ، انما هى تلك التى يصبح فيها الفن والحياة شيئا واحدا ، أعنى تلك التى ينظم فيها العقل كل نواحى الحياة تنظيما كاملا . غير أن الحضارة مازالت تتضمن قدرا غير قليل من الاضطراب والخلط ، وبهذا القدر يكون هناك انفصال بين الفن والحياة الفعلية .

ويتفق المؤلف مع أرسطو فى استخدامه للفظ الفن بمعنى مقابل للطبيعة ، أى بمعنى قدرة الانسان على التحكم فى الطبيعة . فكل نشاط بشرى يتدخل فيه الانسان فى مجرى الطبيعة يمكن بهذا المعنى أن يعد فنا . « فالأمثلة الرئيسية للفن ، بمعناه الواسع ، لا توجد فى قاعة الموسيقى أو المتحف ، وانما فى الحقل والمرعى والمحراث .



وحتى فى اكثر المراحل بدائية ، لم تكن الضرورة وحدها هى التى تحكم عمل الانسان ، بل كان الانسان يجمل حياته فى نفس الوقت الذى كان فيه يبحث عن ضروراته ، ولم يكن من الممكن تمييز الصانع artisan من الفنان artist . »

على أن عصرنا الحالى انما هو عصر تمييز واضح بين النافع والجميل : فالنافع ماله فائدة تستخلص منه مباشرة ، أما الجميل فلا تستخلص منه فائدة كهذه ، وانما هو يتامل ويستمتع به دون أى سؤال عما سيجنى منه من نفع . ومع ذلك فقد أتت على البشرية عصور سابقة لم يكن يوجد فيها مثل هذا الانفصال القاطع بين النافع والجميل . فالأدوات اليومية ذات النفع المباشر ، عند اليونانيين القدماء ، تبدو فى أعيننا اليوم ذات قيمة جمالية . كذلك فان كثيرا من الكنائس والمبانى التى قصد بها النفع العملى فى عصر النهضة كانت فى الوقت ذاته أعمالا فنية رائعة . ومن هنا كان الانفصال بين الجمال والمنفعة ، أو بين الغاية والوسيلة ، فى عصرنا الحالى ، من علامات النقص فى الحياة المعاصرة . ولقد كان رد الفعل الذى أثاره هذا النقص ، يمثل نقصا بدوره : فقد ظهر **اتجاه « الفن للفن » بوصفه ثورة على النزعة الصناعية المتطرفة بما فيها من تجاهل للجمال . « فعبادة الجمال بلا مسئولية انما هى رد فعل على حياة حافلة بالمسئولية ولكنها خالية من الجمال . »**

ولقد اتهم الفن ، عند الأخلاقيين القدامى ، ولا سيما أفلاطون ، وكذلك عند ذوى النزعات

الدينية المتطرفة ، بأنه يوقظ حس الانسان أكثر مما ينبغي ، ويصرفه بالتالي عن الروحانيات . ولكن الرد البسيط على هذا الاتهام هو ان ايقاظ الحس قد يكون في بعض الأحيان أول مدخل الى ايقاظ الروح. ولا جدال في اننا نستطيع ان ننتظر ابداعا في مجال الروح من شخص مرهف الحس يقظ الوعي ، أكثر مما ننتظره من شخص متبلد الحس لا يدرك من الجمال المحيط به شيئا .

ويؤكد المؤلف ان التمييز بين العمل واللعب، وتأكيد أن الفنون انما هي نوع من اللهو غير العملي ، هو حكم على انفسنا بأننا أصحاب حضارة عجفاء خلت من عنصر الجمال ، وليس حكما على طبيعة الأشياء نفسها . ففي حضارة تستمتع بالجمال يغدو العمل ذاته فنا ، ويزول التعارض بين النافع والجميل ، ويمتزج العمل باللعب ، وان لم يعد اللعب تافها عقيما . كذلك لا يعود الفن ، في مثل هذه الحضارة ، مقتصرا على اقلية محظوظة ، بل يغدو متعة شاملة للجميع ، بعد أن يزاح عن هؤلاء عناء العمل الممل وارهاقه ، فيزداد حسهم لطفا وارهافا . **وعلى قدر ما تصبح أوجه النشاط الرئيسية ، في حضارة معينة ، متسمة بطابع الفن ، يمكننا الحكم على مستوى تقدم هذه الحضارة . ومن هنا كانت أعلى مراحل التقدم هي تلك التي تعد فيها حرية الفن مقياسا للأخلاق وللعمل الجاد . وفي مجتمع كهذا يصبح الساسة هم كبار الفنانين .**

وتتناول الفصول الثلاثة التالية فنون الشعر والقصة ، والفنون التشكيلية ، والموسيقى على التوالي ، لكي تطبق عليها الآراء العامة السابقة . ولن ندخل هنا في تفاصيل معالجة المؤلف لهذه الموضوعات ، بل يكفينا أن نشير الى أن المؤلف يعبر في بحثه لكل فن على حدة عن نفس الروح التي املت عليه بحثه منذ البداية : وهي روح المتذوق الحساس للفن ، المتمرس بشتى التجارب الجمالية .

اما الفصل الأخير من الكتاب فيعالج موضوع « الفن والفلسفة » . وحين يبحث المؤلف عن مواضع الالتقاء بين الفن والفلسفة ، يؤكد أن كل فنان أصيل يقدم الينا في أعماله نظرة الى العالم وفهما للحياة لا يصح أن يتجاهلهما الفيلسوف . ومن جهة أخرى فان كل فيلسوف متعمق يرسم لوحة أو يؤلف سيمفونية أو قصيدة عن الكون ينبغي أن يتأثر بها الفنان الصادق .

ومع ذلك فقد اشتبك الفنانون والفلاسفة في بعض المعارك ، كان معظمها يدور رحاه في مجال الأخلاق . فقد اتهم الفلاسفة الفن بأنه يحض على نوع من التهاون الأخلاقي : اذ ان **كل فلسفة روحانية تخشى الفنون بطبيعتها لأن هذه الأخيرة تتعلق بالجسد وتثير العواطف وتلهب الاحساس وتوثق روابطنا بعالم الظواهر . وفضلا عن ذلك فان الفن يتعلق أساسا بالحاضر ، ويركز اهتمام الانسان على اللحظة الراهنة ، لحظة المتعة الجمالية ، على حين أن الفلاسفة ينظرون دائما الى الغاية الأخلاقية على أنها مرتبطة بالمستقبل ،** ويحتقرون كل دعوة الى التمسك بالحاضر وحده على حساب المستقبل . وفضلا عن ذلك فالفنان يهتم بالتجربة ذاتها ، بغض النظر عن ثمارها ، بينما يعد اتخاذ التجربة غاية في ذاتها خطرا من وجهة النظر الأخلاقية .

ومع ذلك فان الفلاسفة كانوا يعودون ، بطريقة ما ، الى الاعتراف بالفنون حتى بعد تنديدهم بها . ذلك لأن الفنون تجربة بشرية أصيلة ، لا يستطيع الفيلسوف استبعادها حتى لو لم يكن يوافق على نتائجها . ولم يعدم الفلاسفة تبريرات لاعترافهم بالفنون : « **فالحس هو المدخل الذي يوصل ، عن طريق صور منظورة ، الى الجمال الرائع غير المنظور للصورة الخالصة ، وبالتالي لله نفسه .** » **وفضلا عن ذلك فان التمرس بالفن يعودنا ذلك الانتظام والترتيب الذي هو أول الغايات التي تسعى اليها الأخلاق ،** ويعلمنا ما تستهدف الأخلاق الى غرسه في النفوس من اخلاص وتفان ومثابرة .

ومن الممكن القول ان العلاقة بين الفنان والفيلسوف الأخلاقي قد تحولت في عصرنا الحاضر الى الاتجاه العكسي : ففي الماضي كان الأخلاقي هو الذي يفرض على الفنان قواعد يلتزمها ، اما الآن **فمن الممكن أن يستمد الأخلاقي أفكاره وقيمه من الفنان . ذلك لأن الفنان يقدم الينا نماذج للخير المتحقق بالفعل ،** في اطار لا صلة له بالوعظ أو الارشاد .

ومن جهة أخرى فللفن «حقيقته» الخاصة. وهي قد تكون حقيقة مرنة تفتقر الى الدقة والتحدد، ولكنها مع ذلك أقرب بكثير الى العينية وانفذ الى الذهن والقلب. انها هي ذاتها حقيقة الأشياء، وليست مجرد حقيقة «عن» الأشياء. ومع ذلك فلا جدوى من السؤال عن «معنى» هذه الحقيقة باللغة العادية او المنطق المألوف، اذ انها حقيقة تجرب وتمارس وتعاش، ولا توصف الا باللغة الخاصة بكل فن. **وربما كانت أعمق معرفة نصل اليها عن الواقع هي تلك التي نعيش فيها هذا الواقع، ولا جدال في أن الفن من أهم وسائل هذه التجربة المباشرة لعالم الواقع.**

هذا العرض الموجز الذي قدمت به آراء مؤلف هذا الكتاب العميق، مستمد من الأصل الانجليزي للكتاب، ولم يكن ذلك عن زهد مني في مطالعة الترجمة العربية، بل لأن هذه الترجمة كانت، للأسف الشديد، عاجزة في كثير من الأحيان عن أن تنقل الى القارىء معاني المؤلف وطريقة تسلسل أفكاره. ولقد ذكرت من قبل ان للكتاب مظهرا بسيطا يخفي وراءه معاني شديدة التعقيد. ومثل هذا الكتاب كان في حاجة الى مترجم متمرس بصناعة الترجمة أولا، وذي ثقافة فنية وفلسفية واسعة ثانيا. واخشى أن أقول ان الباحث عن هاتين الصفتين في الترجمة العربية الموجودة بين أيدينا سيعجز عن العثور على أي منهما.

فالقصور في عملية الترجمة يبدأ منذ الصفحة الأولى، حين يقدم المترجم تعريفا بالمؤلف فيقول انه «ولد ونشأ في كولومبيا، حيث حصل من جامعتها على اجازة الدكتوراه.» فليس في أمريكا مكان اسمه كولومبيا به جامعة بهذا الاسم، بل ان جامعة كولومبيا في قلب مدينة نيويورك!

ثم ينتقل المترجم الى مقدمة الكتاب فيجري فيها ما شاء من الاختصارات، ويحذف اشارات المؤلف الى كتاب سابق له كان كتابه هذا توسيعا له، دون ان ينبه القراء الى انه قام بأي حذف. ولكي يكون القارىء فكرة عن مستوى الترجمة في هذا الكتاب، سأقدم اليه نموذجا



لما ورد من الأخطاء في الصفحات الأولى من الكتاب وحدها.

في الجملة الأولى من الفصل الأول نقرأ «ليست الحياة سوى تجربة، وأيما كانت التجربة، فانما هي أحداث تترى خلال الزمن، أي انها مرحلة استغراقية ...» والترجمة الصحيحة لهذه الجملة هي: «أيا ما كانت الحياة، فهي تجربة؛ وأيا ماكانت التجربة، فهي انسياب خلال الزمان، وديمومة ...»

(في الانجليزية:

"Whatever life may be, it is an experience, whatever experience may be, it is a flow through time, a duration ...

ـ وفي نفس الصفحة الأولى من الكتاب (ص ٣) يقول المترجم «ولكن هذا المزيد من التجارب ينبغي أن يصطبغ بالحياة، فانما هي انبعاث عن الجسم الحي واستجابة له ...» والترجمة الصحيحة هي: «ولكن فيما بين الميلاد والممات، يمكننا أن نجزم بأمر واحد عن الحياة، هو أنها تنبيه جسم حي واستجابته..»

"But between birth and death, this much may be tiverred of life, it is the stimulation and response of a living body ..."

ـ وفي نفس الصفحة ايضا نقرأ، «أو قد تكون رغبة جامحة مسيطرة فحسب ...» والصحيح هو «وقد تكون وهما عابرا منظما فحسب»

'It may be merely a systematic transient delusion

— وفى الصفحة التالية (ص ٤) تترجم كلمة intensification « بالترسيخ » ، وصحتها « التكثيف » . كما تترجم كلمة intelligence « بالقوة المدركة » (وهكذا وردت فى الكتاب كله) وصحتها « العقل أو الذكاء » .

— وفى صفحة ٤ ايضا ترد الجملة الآتية : « والسياسة ، كما أوضح ارسطو ، انما هى فن من الاهمية بمكان . » والجملة فى حقيقتها ذات صيغة فرضية ، ويمكن ترجمتها كما يلى : « ولو اعطى الفن ما يستحقه من الاهمية لكان ، كما قال أرسطو ، هو ذاته السياسة » .

(فى الأصل :

"An art, properly important, would be as Aristotle pointed out, politics,"

— وفى نفس الصفحة : « وما زال مثل هذا الفن الشاسع حلم الرجل من رجالات الدولة . » والأصح أن نقول : « وما زال مثل هذا الفن الشامل حلم رجل الدولة » .

(Such a comprehensive art is still the statesman's dream.)

— والجملة التالية مباشرة هى : « وظروف الحياة ، وعلى الأخص الحياة ككل ، انما هى ظروف مركبة بقدر خضوعها للصدفة . » والأصح : « ذلك لأن ظروف الحياة ، ولا سيما حياة الناس معا ، هى معقدة بقدر ماهى غير مأمونة . »

("The conditions of life, especially of life together, are as complex as they are precarious.")

— وفى نفس الصفحة نقرأ : « فالفنان ينبغى عليه فعلا أن يعالج شذرات من التجربة ، وان جاز له أن يوحى بها جميعا أو ينطوى عليها . » والأصح أن نقول : « ولكن الذى حدث فعلا هو أن الفنان كان يجد لزاما أن يتعامل مع قطاعات من التجربة ، وان جاز له أن يوحى بالتجربة كلها أو يشير اليها ضمنا . »

(The artist de facto has had to deal with segments of experience, though he may suggest or impl it all.)

— وفى نفس الصفحة : « فهى مادة بغير شكل » ، والصحيح « فهى مادة بغير صورة . » (حيث يستخدم التقابل الفلسفى المعروف بين المادة والصورة (it is matter without form))

— وفى نفس الصفحة « فالأصوات المنطلقة » والصحيح « فالأصوات العابرة »

the passing Sounds)

— ومن الجمل الأخيرة فى صفحة ٤ ايضا « والكلمات المنسابة الى سمعنا هى شارات للتوجيه نحو العمل ، وحينئذ تصطبغ الحياة ، الى حد ما بشكل من الأشكال . »

وهذه الجملة ناقصة، والمعنى فيها مضطرب، والأصح أن نقول :

« والكلمات التى نسمعها هى اشارات الى العمل ، هذا اذا كانت كذلك . على ان الحياة قد اكتسبت صورة الى حد معين . »

The words we hear are signals to action, if they are that. Now to a certain extent life has achieved form.)

هذه هى الأخطاء الرئيسية فى **الصفحتين الأوليين** من الكتاب فقط — واقول الرئيسية لأن هناك غيرها فى نفس الصفحتين . ويستطيع القارىء أن يحكم على مدى قيمة هذه الترجمة من الأنموذج الذى قدمناه . ولما كان من العبث أن اتتبع كل اخطاء الكتاب ، فانى سأكتفى بالقول ان الكتاب حافل بالأخطاء فى الأسلوب وفى فهم النص ، وكثيرا ما يتخلص المترجم من الصعوبات التى تواجهه بحذف اجزاء من الجمل . وفضلا عن ذلك فالمترجم يفتقر الى المعرفة والثقافة فى الميادين التى يعالجها الكتاب ، وهاك شواهد بسيطة تثبت ذلك :

ففى ميدان الرسم يتحدث المؤلف عن« الفنان Florentine » (ص ٥٨) مع أن المقصود هو « مدرسة فلورنسه فى الرسم »

Some painting, notably the Florediine

وفى ميدان الموسيقى يتحدث المؤلف عن « جارحة اللون » (ص ٥٦) حيث يكون المقصود هو « الأرغن اللونى the colour organ » (وهو الآلة الموسيقية المعروفة ، ولكنها نقلت فى احدى التجارب الى ميدان الرسم حيث كان يرمز لكل صوت بلون معين) .

— وتترجم كلمة musical composition بالتركيب

الموسيقى (ص ٧٠) مع أن المقصود هو « القطعة الموسيقية أو العمل الموسيقى » .

— وتترجم كلمة harmonic relations بالعلاقات المنسقة (ص ٧٠) والصحيح أنها « العلاقات الانسجامية أو التوافقية أو الهارمونية » .

وفي **ميدان الفلسفة** : تترجم الصفة immediate « باللاواسطية » (ص ٩٢) بدلا من « المباشرة » .

— ويترجم التعبير : a means of catharsis بأنه « وسيلة لتسلية المستمع » (ص ٧٦) مع أنه « وسيلة للتطهر » .

— وكلمة asceticism تترجم بالتصوف (ص ٨٤) ، وصحتها الزهد أو التقشف .

— ويرد في صفحة ١٠٠ اسم « پلوتينوس » دون أن يعلم المترجم ان صيغته العربية ، منذ قديم الزمان ، هي « أفلوطين » .

— واخيرا ، وليس آخرا ، يترجم تعبير اسبينوزا اللاتيني المشهور amor dei intellectualis « بحب المثقفين » (!) (ص ٩٩) والصحيح أنه « الحب العقلى لله » !!

هذه بضعة نماذج تدل على افتقار المؤلف الى العتاد الأساسى اللازم لترجمة كتاب كهذا . ولكن مهما قيل فى وصف أخطائه التفصيلية ، فان النقد لايمكن أن يتسع لذلك الخطأ الأساسى، الذى هو أكبر عيوب الترجمة السيئة ، وهو **العجز عن الربط بين الجمل على النحو الكفيل بايضاح تسلسل المعنى من الواحدة الى الأخرى — وتلك فى الحق هى أصعب مهام المترجم ،** ولا سيما المترجم العربى الذى يتعين عليه أن يضيف الروابط من ذهنه ، لأن الأصل الأوروبى لا يتضمنها ، بينما تحتمها طبيعة لغتنا . واخشى ان أقول ان عمل مترجم الكتاب فى هذا الصدد لم يكن الا جهدا ضائعا .

الدكتور فؤاد زكريا



سطور من كتاب ...

« ان عدم ارتباط التنمية فى أفريقيا بالخبرات الحالية للدول الخارجية الى حد بعيد قد يفيد فى اختزال هذه الفترة الى النصف أو أقل وبسبب وجود مقومات أساسية اقتصادية متوافرة لدى الدول الافريقية تستطيع أن تستكملها عن طريق سياسة مشتركة لاكتساب الخبرة الصناعية وتوفير العدد اللازم من العمال المهرة ، وهى الأمور التى استغلت الدول الاستعمارية نقصنا فيها فسيطرت على مقدراتنا .

ويمكن أن يساعد الاستيراد فى زيادة امكانيات الصناعة الأفريقية على أنه يجب أن يتجه التوسع فى الاستيراد وبصفة مستمرة الى المعدات الانتاجية التى تلزم لاقامة صناعات ثقيلة تقوم على تصنيع الخامات الافريقية .

ومما يساعد على اختزال الفترة اللازمة للقارة كى تستكمل نهضتها أن التقدم العالمى التكنولوجى قد بلغ مرتبة عالية من التفوق اذا أحسنا الاستفادة منها .. فسيكون قد بدانا صناعتنا ايضا من مركز أحسن مما كانت عليه أوروبا وقت ان بدات نهضتها الصناعية » .

السوق الافريقية المشتركة
بين السياسة والاقتصاد

أعلام العرب

سيد درويش



تأليف : الدكتور محمود أحمد الحفنى
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٢٤٠ ص ١٤×٢٠ - الثمن ٥ قروش

١ - تقديم :

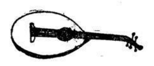
تمضى السنون وتكر الأيام وينسى الناس من يوارونهم الثرى ، الا سيد درويش . فان ذكراه لا تزال حية ، واسمه مابرح يتردد ، والحديث عنه لا ينفد منذ وفاته المفاجئة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ .

والحق ، اذا ذكر سيد درويش ، فانما يذكر المجدد الأول فى الموسيقى العربية والمنشىء الفرد للموسيقى المسرحية . واذا قلنا منشىء الموسيقى المسرحية العربية ، فانما نذهب الى أبعد حدود معنى هذه العبارة . فالواقع ، أن سيد درويش - فى هذا المضمار - لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق .

ولقد اقتصر الحديث عن سيد درويش وفنه ، فى طائفة من المقالات والدراسات والأنباء تظهر فى المناسبات ، سيما فى ذكرى وفاته أو عند تقديم عمل من أعماله المسرحية الخالدة . ثم تبلور الاهتمام به - أخيرا - فى اتجاه الكتاب الى تأليف الكتب عنه .

وبين يدى كتاب عن سيد درويش للصديق الدكتور محمود أحمد الحفنى ، نشرته له المؤسسة المصرية العامة للتأليف فى سلسلة أعلام العرب . والدكتور الحفنى من أصلح من يكتب عن سيد درويش ، اذ توفر على دراسة الموسيقى علميا وشغل أرفع المناصب الموسيقية فى بلادنا . كما أنه تعرف الى الفنان العظيم وهو

فى صدر شبابه ، وقد كتب عنه الشىء الكثير فى المجلات الثلاث التى اصدرها وهى «الموسيقى» و « المجلة الموسيقية » و « الموسيقى والمسرح ». وبحكم مجال عمل الدكتور الحفنى الطبيعى فى الاشراف على التوجيه الموسيقى ، تيسر له مخالطة من عاصروا الفنان واشتركوا معه فى اجوائه الفنية .



٢ ـ عرض عام للكتاب :

بدأ الدكتور الحفنى بحثه عن سيد درويش بتقرير ان الفنان امتداد للفنان . وعلى ضوء هذه النظرية ، نرى فناننا قادما الى دنيا الناس فى تعبئة حاشدة تحمل الكثير من مخلفات الماضى الموسيقى كله ، ابتداء من السيد محمد شهاب الدين المتوفى عام ١٨٥٧ والذى جمع فى مصنفه « سفينة شهاب » ما يقرب من ثلثمائة وخمسين موشحا منوعا فى مقاماتها وأوزانها العروضية وقوافيها وأساليب التعبير فيها . ثم يأتى بعد ذلك عبده الحمولى (١٨٤٥ ـ ١٩٠١) ومحمد عثمان (١٨٥٥ ـ ١٩٠٠) ثم الشيخ سلامة حجازى ثم سيد درويش .

واننى اذا كنت أوافق الدكتور الحفنى على فكرة التطور السالفة الذكر فى جانب من جوانب حياة سيد درويش الفنية ـ هى جانب التخت من موشحات وادوار وطقاطيق (أى الغناء الفردى) ـ الا انها لا تصدق على الجانب الأهم والأعظم ـ بما لا يقاس ـ من حياته الفنية وهى الموسيقى المسرحية التى لم يسبقه اليها سابق ولما يلحقه لاحق . ولو قيس فن سيد درويش بانتاجه فى الموسيقى الفردية لما استحق هذا المجد الفنى العظيم الذى يسبغه عليه النقاد والباحثون ولضاع معظم هذا الانتاج فى غمار تطور الغناء الفردى . **فان سيد درويش هو بلا جدال خالق الموسيقى المسرحية بمعناها الفنى والعلمى وقد طبعها بطابع خاص اصبح يستحيل معه على أى موسيقى ـ منذ وفاته حتى الآن ـ أن ينتج انتاجا مسرحيا لا نجد عليه بصمات سيد درويش .**

ثم تكلم الدكتور الحفنى عن طفولة سيد درويش القلقة وعما لاقاه من فشل متصل ، الى عام ١٩١٤ وقتما عاد من رحلته الثانية الى الشام . فلقد بدأت عبقريته تؤتى ثمارها فى الغناء الفردى فأنتج موشحات وأدوار وطقاطيق بزت جميع انتاج معاصريه . واتسم انتاجه ـ بصفة خاصة ـ باتجاه الفنان نحو ابراز المعنى مع الاعجاز الفنى . وتعتبر أدواره العشرة ـ بصفة خاصة ـ تحفا فنية رائعة وستظل مقياسا ونموذجا للفن الذى يجمع بين المتانة فى تركيب النغم وبين جمال السبك والتنسيق .

وعرض الدكتور الحفنى لانتاج الفنان المسرحى ، عرضا اقتصر فيه ـ تقريبا ـ على سرد الانتاج .

ثم تكلم عنه كرائد موسيقى فى مجال الوطنية الغنائية الثائرة ، فذكر طائفة من الالحان الحماسية التى صاغها رحمه الله ، وكان آخرها انشودة « مصرنا وطننا سعدها أملنا » وكان يعتزم القاءها بين يدى سعد زغلول عند عودته الى الوطن سنة ١٩٢٣ . لكن سعدا استقبل بالنشيد بعد وفاة سيد درويش بيومين .

وفى آخر الكتاب تسجيل للكلمات والقصائد التى قيلت فى سيد درويش وجهود الدولة لتخليد ذكراه . ثم بيان بالأسطوانات المسجلة من الحان الفنان .

فكتاب الدكتور الحفنى ـ والحالة هذه يتجه بصفة خاصة ـ نحو سرد حياة سيد درويش وتسجيل مخلفاته الفنية أكثر بكثير مما يعنى بتحليل فنه . كما لم يعرض لتاثير منحاه الفنى على الموسيقى المعاصرة .

٣ ـ خواطر عن تأثير البيئة فى فن سيد درويش :

للبيئة تأثير عظيم فى تشكيل الفكر ولها دورها العجيب فى الاتجاهات الثقافية . ولقد

عرض الدكتور الحفنى لبيئة سيد درويش من ناحيتين :

الأولى ــ نشأة سيد درويش فى حى من الأحياء الشعبية الأصيلة بمعانيهـا ولغتهـا ومظاهرها اليومية ومناظرها المتكررة . وقد تسربت الخصائص الشعبية فى أعماق نفسية الفنان فاختزلها وعيه الباطن ثم انعكس بعد ذلك على فنه .

الثانية ــ تربية الفنان فى الأسكندرية التى تتلقى أوائل الضربات وتعـانى أشـد أنواع المقاومة ، مما جعل الاسـكندرية منبرا يرتفع منه نداء الوطن المتطلع الى الحرية .

على أن الدكتور الحفنى قد مس بيئة سيد درويش مسا خفيفا على الرغم من تأثيرها الحاسم فى صياغة فنه وفى وضع عبقريته فى هذا القالب الفـذ . فان ما ذكره الدكتور الحفنى ينطبق على كثير من الفنانين ، ولكن لفن سيد درويش خصائص مميزة .

ومن رأيى أن لسيد درويش ــ كما لكل انسان ــ جانبين :

الأول ــ جانب ذاتى ، أى داخلى أو بعبارة ادق شخصى .

الثانى ــ جانب موضوعى أى خـارجى .

فالجانب الذاتى من بيئة سيد درويش ، يتصل بشخصيته أى محيطه الداخلى . ونعنى به تكوينه الجثمانى ونشأته ووسطه الخاص .

والجانب الموضوعى نقصد به بيئته الخارجية والعصر الذى ظهر فيه .

ولقد تفاعل الجانبان مع عبقرية سيد درويش الفطرية فنتجت هـذه الثمار الفنية الدانية القطوف . فكان سيد درويش ضخم الجسم ، أجش الصوت . ويخالف هذا ما كان مألوفا فى المغنين والمطربين من طراوة الصوت وضـآلة الجسم . فكان فناننا أقرب الى الفتوة منه الى مطرب . **وكان المطرب ــ بل كان من فى البلاد ــ يلوذ بصاحب جاه أو سطوة . فما كانت حالة سيد درويش لتسمح بان يستظل فى حمى وعطف أحد الكبراء أو الوجهاء . وانبنى على هذا عدة نتائج :**

الأولى ــ تعويض سيد درويش عن عـدم طراوة صـوته بابراز المعـانى وربط اللفظ بالموسيقى . وكان هذا أول درجة فى سلم النجاح فى الموسيقى المسرحية .

الثانية ــ اجادة الاداء الفنى اجادة أوصلته الى الذروة فى هذا المجـال .

الثالثة ــ اتجاهه الى الشـعب . وقـاده سعيه الى ترضيـة مستمعيه ــ وكان جلهم من أفراد الطبقة الفقيرة الكادحة ــ الى استيعابه النغمات الشعبية الأصيلة ليجعل منها مصدر اغانيه واهازيجه . وكانت ينابيع النغـم التى يستقى منها الملحنون تركية فى الغالب لأن قوام المجتمع المصرى قبـل ثورة ١٩١٩ طبقة مـن الباشوات الأتراك الأصل لحقت بهم فئة مـن الباشوات المصريين الذين خلقهم الاحتلال خلقا . ولم يكن للجماهير اعتبار ذو شأن فى اتجاهات البلاد الاجتماعية والسياسية .

وكراهية سيد درويش المتاصلة للطبقـة الأرستقراطية ، تتبين لنا بجلاء فى الحانه . فاعظم الحانه المسرحية نجـدها فى : العشرة الطيبـة ، وشهر زاد ، والباروكة ، وهى قمم ما وصل اليه فن ، سيد درويش. وجميع الحانه هذه الأوبريتات تسخر بالطبقة الأرستقراطية وتندد بها وحسبك لحن الوصوليين من حاشية القصر (فى أوبريت العشرة الطيبة) ومطلعه « علشان مانعـلا ونعلا ونعلا ــ لازم نطاطى نطاطى نطاطى » وفى دستور حاشية الملك « مهما نسمع تهجيص نعمل روحنا بلاليص » . أما فى المسرحيات الفنائية الأخـرى مثل مسرحية « الدرة اليتيمة » و «عبد الرحمن الناصر » حيث لا تتصل الموضـوعات بالتنديد بالطبقة الحاكمة فلم يبلغ سيد درويش فى فنه الا مستوى يقرب من العادى .

وحيث تتصل موضوعات الروايات الفنائية بالشعب وبالثورة ، تتجلى طبيعة سيد درويش

ويتألق فنه . وحسبى الاشــارة الى الحان مسرحية ((كلهـا يومين)) . فالألحان الفردية أضعف كثيرا من الألحان الجماعية ، وفى الألحان الوطنية يبلغ سيد درويش قمة الاجادة .

وأما تأثير الجانب الموضوعى من بيئــة سيد درويش ، فجدير بالذكر :

أولا ــ نشأ سيد درويش فى حى كوم الدكة الذى يلاصق حصن كوم الدكة . فكان يرى منذ ولادته العــلم الانجليزى يرفرف على الحصن يتحدى عواطف الشعب . وكان الجنــد الانجليز يقتحمون الحى بين الحين والحين وهم سكارى، فتنشب المعارك بينهم وبين شباب الحى .

ثانيا ــ ولد الفنان بعد عشر سنوات من ثورة عرابى فكانت ذكرى الثورة الأليمة ماتزال تعتمل فى نفوس اهله وجيرانه .

ثالثا ــ تشتهر الأسكندرية التى ولد بهــا سيد درويش ــ بروح الكفاح والنضال وكراهية الأجانب . فان الاسكندرية هى أول بلد يقتحمه المغير ويتطفل عليه الأجنبى . والأجانب ينازعون الوطنيين لقمة العيش حتى فى أحقر الحرف . فثمة احتكاك وتصــادم دائمـــان بين المصرى السكندرى والأجنبى . وهى حالة ندر أن نجدها فى بلد مصرى خلاف الأسكندرية . **وجدير بالذكر ما خلفه سيد درويش من ألحان تندد بالأجانب وتسخر باليونانيين بصفة خاصة ، فانها تعبير عن شعور السكندريين بمرارة الحقد على الأجنبى ــ واليونانى خاصــــة ــ الذى يحرمه من العيش الكريم . وثمة ظاهرة فى مقــــاومة السكندريين الأجانب ، فانها قد اتخذت دائما صــفة العنف والبطش اذا ما واتتهم الأحوال .**

رابعا ــ ثورة عام ١٩١٩ . فقـــد أخرجت السياسة والاجتماع من نطاق الندوات الخاصة الى الجماهير التى أصبحت تملك زمام الموقف . وتمتاز ثورة ١٩١٩ بأنهــا أول اتجــاه قام به المصريون لتوكيد الشخصية المصرية فى جميــع جوانب الحياة . فكان أن تفجرت ــ لأول مرة فى التاريخ بعد العصر الفرعونى ــ الطاقات المصرية الأصيلة فى السياسة والاقتصـــاد والاجتمــاع والنحت والرسم والموسيقى .

وتلاقت ثورة ١٩١٩ مع فن سيد درويش :

فأولا ــ لنزوع هذا الفن الى التعبير عن الروح المصرية الأصيلة .

ثانيا ــ تعبير عن روح الفنان النضالية ، بحكم نشأته الخاصة وبيئته فى الحى والمدينة ، كمــا قدمنا .

ثالثا ــ انتزاع الفن من الصـــالونات حيث الجمود والتراخى ــ البيئة الارستقراطية ــ الى الجماهير ، الى الشـــارع حيث الديناميكية والانطلاق ، سمة الثورة عامــة وسيد درويش خاصة .

رابعا ــ كانت الموسيقى قبل سيد درويش تعبر عن معنى واحد يدور حول الحبيب وهجره وصده وتمنى وصاله والعزول . فلمــا اندلعت الثورة اندفع الشعراء وكاتبو الأغانى الى التلاؤم مع الثورة فانبعثت الأزجال والأشعار والمقطوعات الغنائية معبرة عن الوان جديدة تتلاءم مع النضال والكفاح وتنسجم مع الاتجاهات الشعبية .

٤ ــ مكانة سيد درويش الفنية :

التنويع ومراعاة المعنى والوسط ، والتطابق مع الروح الشعبية المصرية والروح النضـــالية الموسيقية هى طابع فن سيد درويش . وبفضل توافر هذه العناصر ، انبثــق المسرح الغنـــائى المصرى .

وان مراعاة المعنى والوسط لتعتبر اهم ميزات فن سيد درويش وأروعهــا . وهى التى أثارت اهتمام الجمهور وتقدير النقاد ، وجعلته بحق خالق الموسيقى المسرحية المصرية . وان سماعنا الحان سيد درويش ، تجعلنا ندرك الى أى حد بعيد وصل هذا الفن الخالد الى جعل المعنى والموسيقى متلازمين متآلفين والى ربط الموسيقى باللفظ ، حتى كأن الموسيقى خلقت له وكأنه خلق لها . وقد كان سيد درويش يبذل فى ســبيل

اخراج المعنى اللفظى فى ثوب موسيقى ، جهدا جبارا . وكان يرتاد ـ لهذا الفرض ـ الاماكن التى يرتادها أرباب الحرف المختلفة ويختلط بالطوائف على تباينها فيتعرف الى لهجاتها واصطلاحاتها لوضع الحان تناسبها . وبعبارة شاملة ، **كان يعيش ـ قبل التلحين ـ فى البيئة التى تطابق الوصف اللفظى ولم يكن يتعمل التطريب ، بل كان مقصده الأسمى ابراز المعنى فى حلة موسيقية ، اما الطرب فيأتى متى ساير روح الموسيقى والشعر .**

وحسب سيد درويش فضلا فى هذا المقام ، ان انسجام اللحن واللفظ ، ما يزال امنية يتطلع اليها ملحنونا ، ومرتبة ما برح الموسيقيون المحدثون يتطلعون لبلوغها . بيد أن للموسيقين المحدثين بعض العذر فى هذا التكرار الذى هو طابع موسيقانا ، والرتابة المملة التى تنيخ بكلكلها على فننا الموسيقى ، الأمر الذى يجعل المفكرين والمثقفين يضيقون ذرعا بأغانينا ، فيلتمسون غذاءهم الروحى فى الاستماع الى الموسيقى الكلاسيكية الغربية . ذلك لان موسيقانا تعبر عن لون واحد من المعانى هو . المحب الذليل الفاشل . أو بالحرى انها موسيقى تعبر عن الصادية والماسوشية (اى الرضا بتعذيب النفس وتعذيب الغير) ، ولا تمثل اطلاقا المجتمع المصرى المتحرر . فلا بدع والحالة هذه أن تتشابه النغمات وتتشاكل الجمل الموسيقية وتضيع هباء الطاقات اللحنية لفنانينا .

وفى اعتقادى أن لا امل فى نهضة موسيقية حقيقية تتفق مع نهضتنا فى فروع الحياة الأخرى من اقتصادية وسياسية واجتماعية ، الا باستكمال الصرح الفنى الذى شيد اسسه سيد درويش العظيم . ويتأتى ذلك بانزال الأغنية الفردية عن سلطانها وفتح المجال امام التطور الموسيقى نحو الأوبرا والأوبريت والسيمفونى ... الخ . وهنا نحس بأن هناك نهضة فنية سليمة تتفق مع واقعنا الديناميكى المتحرر . فالحق أن موسيقانا لا تعبر اطلاقا عن منحانا التفكيرى ولا اتجاهنا الحضارى . بل انها تجافى العصر بتعبيرها عن معان مستهلكة عفى عليها الدهر منذ خمسين سنة .

اما مكانة سيد درويش بين موسيقى العالم ، فانه يجب النظر الى الموضوع من زاويتين :

الاولى ـ الصورة

الثانية ـ الاطار

فبالنسبة للصورة فلا شك أن سيد درويش يقف ندا لاى موسيقى فى صدق التعبير سواء عن خلجات نفسه ، أو عن التعبيرات اللفظية التى تولى وضع موسيقى لها .

واما الاطار ، ونعنى بذلك الصناعة .. فها هنا وجه الاختلاف . ولو قيض لسيد درويش ان ينال حظا من الثقافة الموسيقية العلمية ، لتيسر أن تتفاعل عبقريته ودقة حسه مع الأساليب الفنية فينتج هذا فنانا يربط الموسيقى العربية بركب الحضارة الفنية ، عوضا عن تخلف موسيقانا ، كما بينا .

وبعد ، تلك خواطر ساقتها الى ذهنى قراءتى كتاب سيد درويش لصديقى الدكتور محمود أحمد الحفنى ، راجيا أن يكون بداية لدراسات علمية عن هذه الشخصية الفنية الجبارة التى ما يزال فنها يسبق عصرنا » .

فؤاد محمد شبل



مصطفى محمود امكانية فنية هائلة جمع بين احساس الأديب وادراك الفيلسوف ومزج هذين البعدين بأسلوب لذيذ مرح فيه عمق الفكرة ودفء العبارة ، فهو يتعاطى الأشــياء بعقله ثم يعيها بوجدانه ثم يجســدها بقلمه فاذا هى مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة . واذا هى لا أقـول بناء دراميا ولا نسقا روائيا ولكنها قطعــة من الواقع وشريحة من الحياة ، أو هى بنية حية فيها دسم الواقع وفيها نبض الحياة .. انها كلوحـة الفنان التعبيرى يستمد الوانها من الأنبــوبة مباشرة .

ومن هنا كان فنه غير قابل للتمذهب ، أعنى أننا لا نستطيع ان ندرجه تحت مذهب أدبى معين أو نطلقه وراء فيلسوف بالذات . فهو ابن حياة استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته ، وان يتخذ من أزماته النفسية الحادة وزلازله الباطنية العنيفة فضلا عن تجاربه الحيــــاة وخبراته الوجودية ، استطاع أن يتخذ منها جميعا مــادة لكتاباته .. « **فكتاباته صدى مباشر لاحساسه بالحياة .. وفلسفته نابعة من التساؤل الذى تطرحه هذه الحياة** » .

ومن هنا أيضا كان مصطفى محمود من أعدى اعداء « المذهبية » فهو لا يطيق الصيغ الجامدة ولا التصورات الجاهزة التى من شأنها اطفاء ما فى أدبه من فكر واخماد ما فى فلسفته من نبض ، وأعشق ما يعشقه أن يترك نفسه روحـــا مرنة تعانق الحقيقة وذاتا حية تلتقى بالوجود ! وعـلى ذلك **فاذا وجدنا أن كتاباته لا تخلو من تناقض ،**

فهو التناقض الحي الذي يعبر عن تلك العملية الروحية الشاقة التي يبذلها الفنان لكي يستجلي معنى الوجود ويعبر عنه في لمحات وومضات، فضلا عن أنه التناقض الواعي الذي يتجانس مع الحياة نفسها لأنه يستمد منها مباشرة. وهذا هو معنى قوله انه: « لا يعتقد أن الحياة يمكن اخضاعها لمذهب أو نظرية .. فهي فوق كل المذاهب .. واصل لها جميعا ».

وبقدر ما ينفر مصطفى محمود من القوالب الجامدة والصيغ المجردة، بقدر ما يرفض كل الزام خلقي وكل قسر اجتماعي، فعنده أن اللقطة الفنية كالحدس الفلسفي على الكاتب أن « يتوجدن » معها وأن يخرجها الفاظا تتنفس بلا خجل وأفكارا تتحرك بلا نفاق. وهذا هو سر جراته في التعبير عن الأفكار: « كل منا يشبه نعشا يدب على ساقين .. كل منا يحمل جثته على كتفيه » وسر جراته في استخدام الألفاظ: « بشرة ملساء فيها ملاسة حيوانية كأنها جسم « العرسة » »، صوتها المبلل وهو يحادثني فيه لزوجة تلتصق بالأذن والأعصاب ». وسر استخفافه اخيرا بمسالة الاطار الفني فهو لا يهمه أن تكون احدى قصص « أكل عيش » اقرب الى المقال الفلسفي. او احدى مقالات « الله والانسان » أقرب الى القصة القصيرة. بل ان الرؤية الفنية عنده كثيرا ما تكون قابلة للتناول على مستويين، فقصة « شلة الأنس » مثلا يمكن تحويلها بمجهود يسير الى عمل درامي.

الواقع الوجداني والواقع الذهني

واذا كان مصطفى محمود في قصته الطويلة « المستحيل » قد قدم لأدبنا العربي لونا جديدا من القصة هو ما يمكن تسميته « بقصة الواقع الوجداني » وهو ما حاوله من قبل جيمس جويس في الأدب الانجليزي ومارسيل بروست في الأدب الفرنسي ووليم فوكنر في الأدب الأمريكي، فانه في روايته الجديدة « الأفيون » يقدم لنا لونا آخر هو ما يمكن تسميته « بقصة الواقع الذهني ».

فهو في روايته الأولى استطاع أن يحطم العلاقات المألوفة بين الأشخاص، ويلغى التتابع الزمني بين الأحداث، ويصور لا العالم الخارجي بل الواقع الداخلي كما ينساب في مجرى الشعور وتيار الوعي. أما في روايته الأخيرة فانه يقدم الفكرة على الشخصية ويهتم بطرح القضية أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر .. **فالفكرة هي البطل الرئيسي الذي نراه من خلال الشخصيات وندركه من وراء المواقف بحيث لا تصبح الشخصية ولا الموقف الا بمثابة الجناحين اللذين تحلق بهما الفكرة.**

والواقع ان مصطفى محمود لم يتجه الى تصوير نماذج كلاسيكية كما يفعل الآخرون، لم يتجه الى تصوير نموذج البخيل او الجشع أو المراهق أو العاهر وانما اتجه الى تصوير أفكار في موقف، أفكار تحس وتتحرك وتتطور من خلال تطور الشخصيات نفسها. فالشخصية وعاء للفكرة والقضية في قلب الموقف، **والقيمة الفنية اذ تنطوي على القيمة الفكرية انما تصل بالعمل الروائي الى أقصى مداه.** وهكذا نجد ان مصطفى محمود لا يضحي بالقيمة الفنية من أجل القيمة الفكرية بحيث يجف العمل الادبي في يده ويستحيل الى اثارة فكرية أو توجيه مباشر كما هو الحال عند كاتب مثل سارتر. ولا يخاطر بالقيمة الفكرية لحساب القيمة الفنية فيقدم عملا « هلاميا » أقرب الى المناجاة البحتة أو الخيال الخالص كما هو الحال عند كاتب مثل تنيسي وليامز، وانما هو يحافظ على القيمتين معا ويحاول أن ينطلق بهما في وقت واحد فهو مفكر من حيث هو فنان أو هو مفكر بما هو فنان أو ان المفكر والفنان فيه هما شيء واحد.



العرض الذاتي والتناول الموضوعي

و « الأفيون » اذ تجيء بعد « المستحيل » تمثل مرحلة جديدة في تطور مصطفى الفني ، هي مرحلة الانتقـــال من أدب « الذات » الى ادب « الموضوع » ، أعنى من أسلوب العرض الذاتي للرواية الى أسلوب التناول الموضوعي ، فالرواية الأولى هي رواية « الذات » التي يعبر بها الكاتب عن ذات نفسه ، ويمارس فيها تجربة وجوده ، ويعتمد على المونولوج الداخلي فاذا الأفكار تنسال والخواطر تتداعى والوصف الوجداني يحل محل الوصف الحسي : « هذا أول يوم اجلس فيه مع نفسي .. وانظر وجها لوجه في حياتي وأتأملها .. اى حياة !! انى لم أعش ابدا .. ليس في حياتي يوم واحد استطيع ان اقول انه كان يومي .. » . ويزداد الكاتب انعطافا على نفسه ورجوعا اليها فاذا به يئن من الداخل : « خمس وعشرون عاما مرت من عمـــري كأنها لا شيء .. ازددت في الوزن .. في الطـول .. في العرض .. ولكنى لم ازدد في الحياة » .

اما الرواية الثانية فهي رواية « الموضوع » حيث يتعاطى الكاتب قضايا العـــالم الخارجي فيلونها بقيمه الفنية الخاصـــة ويكسبها دلالات وجودية معينة ويضمها في مدرك فلسفي واحـد يحدد به جهاته الأصلية وعلاقته بما في العالم من ذوات وأشياء : « هناك مليون شيء وشيء في هذه الدنيا لا نعلمه .. ولكن جهلنا لا يمكن أن يكون عذرا لنمشي في الشـــوارع نهذي ذلك الهـذيان المتاث .. لابد من عمل .. لابد من عمـــل .. لا يمكن أن تتوقف الدنيا لمجرد أن هناك أشـياء نجهلها .. مثل هؤلاء المبروكين لابد أن تحـــدد اقامتهم في تكايا حتى لا ينطلقوا هكذا يبلبلـــون العقول .. لابد من خطة لتنظيم هذا الفيض من البركة قبل ان يغرقنا طوفانه » .

وهكذا استطاع مصطفى محمود أن ينتقل من الانفعال الجزئي الخاص الى الحـــكم الكلي العام ، وأن يتجاوز الذات المفـــردة الى ذات المجموع ، وأن يخرج من ضميره هو لكي يصل أخيرا الى ضمان الانسان . فبكل صدق ووضوح وبكل جراة وشجاعة طرح مصطفى محمـود في روايته الأخيرة قضية من اخطر القضايا في تاريخ الانسان وأشدها الحاحا في العصر الحاضر ... قضية الصراع بين قوى المادة وقوى الروح ، بين دائرة المعلوم ودائرة المجهول ، بين نتائج المعرفة العلمية ورؤى الكشف الصوفي . وانتهى الى ان ما نجهله لا ينبغي أن يلغي ما نعلمه ، وانه اذا كان هناك مجال للمعرفة الصوفية فان المعـرفة العلمية هي سبيلنا الى العمل ، واذا كان العلم وحده لا يكفي في الوصول الى اليقين فانه يكفي لكي تسير الحياة . **فالسماء داخل العالم وليست خارجه وكل ما هو غير انساني أو كل ما لا يضاف الى الانسان فهو غير موجود على الأقل بالنسبة الى الانسان .**

واخيرا استطاع مصطفى محمود أن يجيب على السؤالين اللذين ظلا يؤرقانه طوال حياته الأدبية .. فاذا كان الايمـــان ضروريا ، وكان لابد من السؤال : وبأى الأشياء نؤمن ؟ فالاجابة : نؤمن بالانسان . واذا كانت الحـــرية شيئا ضروريا ، وكان لابد من السؤال : وماذا نصـنع بالحرية ؟ فالاجابة : نصنع الحياة .

المعايشة داخل المضمون !

ونعود الى رواية « الأفيـــون » لنرى كيف استطاع مصطفى محمود أن يقول فيها هـــذا كله ، فنجدها رواية تستعصى على العرض وتتأبى على التلخيص ، فكل تلخيص لها لابد وأن يجيء على حساب طرافتها ، وعلى حساب ما فيها من دفء ورحيق ، صحيح أنها رواية قضية وموضوع ولكنها أيضا رواية جو ومناخ والجـو لا يعرف وانما يعاش والمناخ لا يفهم وانما نتأقلم فيه . لهذا كان لابد من المعايشة داخـــل مضمون الرواية ، فاذا قدمنا خطوط العرض فيها فبشيء من التنازل وبقصد استيفاء الحديث .

و « الأفيون » قصة درامية عنيفة رغم جو الفولكلور الديني الذي يكتنفها ورغم الهـــدوء الظاهري الذي يخيم عليها ؛ انها كما جاء في عبارة مكبث « حكاية يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب

والعنف ، ولا تدل على شيء » أو هى تدل على أشياء وأشياء ؛ عالم يمضي وعالم يجيء ، ناس يعيشون فى عالم اللاواقعى أو اللامنظور ، ناس فقدوا القدرة على التعامل مع واقعهم فهجروه الى عالم آخر .. طريف وان كنا لا نعرفه غريب وان كنا لا نحياه ، عالم كتبه صفراء ، ودخانه بخور ، وأغنياته تواشيح ، عالم فى لون التوتيا الحمراء ، تعداده ٢١ قمحة من الصابون النابلسى ، كتبت على بابه عبارة كهيعنصاد ، انه عالم محمد الهادى المهدى . ليس شيخا كما يتبادر الى الذهن ولكنه أفندى ، باشكاتب فى أرشيف وزارة الأوقاف .

سنه ٤٥ عاما ومع ذلك فهو يبدو فى السبعين ربما بسبب شعر لحيته الذى ينمو مرسلا بغير نظام ، وربما بسبب الهم والفقر وكثرة العيال ، وربما بسبب أبيه الذى سقط مشلولا وترك له مكتبة فى زقاق الصنادقية بالأزهر ، فاضطر أن يجمع بين «الدوسيهات المغبرة التى يكدسها كل يوم على مكتبه . وبين عشرات الكتب الصفراء أمثال « تسخير الشياطين فى وصال العاشقين » « وسحر الكهان فى تحضير الجان » . وهى كتب فتحت له عالما آخر من وراء هذا العالم .. وحركت فى نفسه أشواقا أخرى غير أشواق هذه الدنيا » .

نحن اذن أمام شخصية فيها كل امكانيات التشكيل الدرامى ، شخصية هشة قابلة للتحطم والانكسار ، شخصية هامشية لا تعيش داخل العالم ولا خارجه .. لا تعيش داخله لأن سبل الاتصال بالآخر وهنت وعلاها الصدا ، ولا تعيش خارجه لأنها لا تزال عالقة بوشائج الماضى .

ووشائج الماضى يجسدها الكاتب فى شخصية أبيه الذى لا يزال بقيد الحياة وان يكن مشلولا ، ولا يزال يسير حاضره كما كان قدره فى الأيام التى مضت . فعندما ألقى اليه بخبر الحلم الغريب الذى رآه .. تهلل وجه أبيه العجوز واتسع فمه الخالى من الأسنان وقال ان الدم فى الحلم خير .. ورؤية الشمس نصرة كبرى .. « فما بالك وقد احتفنت حفنة من أشعتها ووضعتها فى جيبك .. هذا والله شيء عظيم لم نسمع بمثله » . وهكذا جاء كلام العجوز موافقا لكلام ابن الهيثم فى كتابه « صحيح الكلام فى تفسير الأحلام » .

يالها من وشائج بالية تلك التى تربطه بعجلة الحياة ، حقا انها وشائج الماضى التى لن تصمد طويلا أمام أعاصير الحاضر . وأعاصير الحاضر يجسدها الكاتب فى متوازيات ثلاثة تندفع جميعا من داخل بيته ولا تهب عليه من الخارج علامة على انها هواجس من صنعه هو وليست وقائع من صنع الآخرين ، أول هذه الأعاصير زوجته زينب ، زينب التى تغرى كل من يراها بأن يقف عندها ويتفحصها ويدور حولها ، ويؤكد الكاتب قوله يدور حولها .. « لأن من يرى زينب من الخلف فى العادة يدور حولها ليراها مرة أخرى من الخلف أيضا . فهى تحرص فى تفصيلها لفساتينها دائما على أن تكون مقمطة من الخلف » . وشيء آخر تتميز به زينب هو ذلك الذيل من العطر البلدى الذى تجره وراءها والذى « يعطعط فى الأنف والخياشيم ويدغدغ الحواس » .

ويظهر أن زينب كانت زوجة وفية لزوجها على الرغم من هذا كله وعلى الرغم أيضا من الوسواس الذى ركب الرجل وجعله يشك فى اخيه وبخاصة عندما كثرت زياراته فى الأيام الأخيرة .. « حاشا لله .. هذه فعلة لا تفعلها زينب ، أى امرأة تفعلها الا زينب ، زينب امراتى .. هذا غير معقول .. هذا شك اليم لا يليق برجل دين » .

ومع أن الشك لم يثبت باليقين الا انه ظل شكا ينهش فى قلبه وينخر فى عظامه ويحيل شيئا فيه الى جثة ، ساعد على ذلك ما يشكوه الرجل من فقر وضعف جنسى بينما أخوه « رجل مبسوط



عنده مربة وتجرى الفلوس فى يديه مثل الرز ..
وهو يسكر .. ويقامر ويصاحب الأرتيستات ..
وهو محدث لبق خفيف الدم » .

أخوه اذن هو الاعصار الثانى الذى يهب على سراج حياته ، أما اشد هـذه الأعاصير وأعنفها فهو الاعصار الثالث أو ابنه الأكبر الطـــالب بالجامعة وهو « ولد فحل خشن الصوت فى طبعه صرامة وجفوة .. دخل السجن عـدة مرات فى قضايا سياسية .. ويعيش منفصلا عن بقيـة البيت عاكفا على كتبه .. وهى دائما كتب كبيرة أجنبية » . أجنبية فى مواجهة الكتب الصفراء ، كتب الوالد . فالكاتب هنا يضع القديم فى مواجهة الجـديد ، يواجه التصوف بالعلم وابن الهيثم بسيجموند فرويد . فالوالد عندما نزل عليه ذلك الحلم العجيب لم يستطع ان يعمل بنصيحة أبيه فى تكتم أمر هـــذا الحلم المبارك ومضى يحكى لامرأته على مسمع من الأولاد ما رأى من أمـر ذلك الحلم الغريب ، وما قاله أبوه فى تفسيره ، وما ذكره ابن الهيثم فى كتابه . وكان ابنه الاكبر جالسا يقاوم الابتسام طوال الوقت ، ويحاول ان يستعيد ما قاله فرويد فى كتابه « تفســـير الأحلام » .. وأخيرا انفجر ضاحكا وأخذ يفسر الحلم تفسيرا فرويديا .. فالعـــوم فى البحر رمز جنسى ، والشمس التى لم يستطع اللحاق بها هى أمه الحلوة « وما دمت ماعرفتش تعوم فى الحلم يبقى المعنى واضح » .

ومع أن والده غضب وثار وأقسم أن يطرده من البيت الا أن الحكاية لم تمر بســلام ، ظلت كلمات ابنه تدوى فى أعماقه وتعتمل فى نفسه ، تؤرقه طول الليل ولا ترحمه طوال النهار ، وظلت أموره تمشى من سيىء الى أسوأ .. العالم كله يجرى ويتركه وحيــدا ، حتى الشيخ بويحى سيده ومولاه ، والذى كان يقصده فيجد عنـده لكل سؤال جوابا تركه هو الآخر وعـــاد الى بلاده ، غطس فجأة كأنمـــا ابتلعته الأرض : « يا شيخ بويحى .. يا قاضى القضاة .. لمـــاذا لا تحكم لصـــالحى ؟ ألم تقتنع بكلام المحامى . المحامى هو الله . والعالم كله يتهمنى . أنا متهم بتهمة لم أرتكبها . أنا برىء » .

اكتمال الدائرة

وأخيرا تكتمل دائرة المأساة فيصل بها الكاتب الى الذروة ويلقى ببطله على باب سيدنا الحسين لا يبرحه ولا يغادره بعد أن طالت لحيته وتمزقت ثيابه واتسخت هيئته وأصبح نحيلا ضامرا تلمع عيناه فى جحوظ غريب . « أولاده .. امرأته .. بيته .. كل هذا العالم أصبح ضبابا فى ضباب بالنسبة له .. فهو ينظر فى وجـــوه أولاده ولا يعرفهم .. وهو يحملق فى وجه امرأته ولا تبدو عليه بادرة فهم أو ادراك » . ويمضى الكاتب فى الوصف حتى يصل به الى أقصى مداه عندما يصف الحال الذى انتهى اليه بكله فاذا هو « حـــال » الصوفى الذى يتخلص من شـــوائب الحس حتى تصفو منه النفس فيصل الى « مقام » الحب الذى هو أسمى المقامات : « وهو يحتضن كل طفل فى الطريق ويقول له .. يا ولدى .. ويحتضن كل شيخ عجوز ويقول له يا أبتى .. ويربت على ظهر كل امرأة مسنة ويقول لها .. يا امى .. ويستوقف كل شاب ويقول له .. يا أخى » .

وعبثا يحاول أولاده أن يردوه الى صوابه ، وعبثا تحاول زوجته أن تعيده الى بيته ، وينجح أخوه فى اقناع أولاده وزوجته بأن أخاه قد انتهى ، وأصبح مكانه مستشفى المجاذيب . وفى مستشفى المجاذيب يوضع الشيخ الهادى المهدى مريضا مع المرضى أو مجنونا مع بقية المجانين . وفى نهاية الرواية يظهر الشيخ بويحى ، يظهر فجـأة كأنه الغيب ، كأنه اللاشعور ، كأنه الخرافة ، أو كأنه صوت كل معجزة لا صوت لها . فهو يغمغم كأنما ينوح على الحياة وهى تتدهور : « أبوك ودته رجليه يا عبد الصمد .. حبه فى الدنيـــا هو اللى وداه .. أبوك عمره ما مشى ورايا ابدا » .

النسق الهندسى

هكذا انتهت حيـــاة البطل وهو الركيزة المحورية فى أحداث الرواية لأن الأشخاص جميعا عناصر مكملة لشخصيته،موضوعة أصلا لتصوير حركة فكره .. فهم مرآيا عاكسة لمجرى وعيـه واضواء كاشفة لتيار شعوره.غير أن هذهالعناصر الثلاثة التى هبت على سراج حياة الرجـــل

فأطفأته ، والتي جسدها الكاتب في شخصيات زوجته وأخيه وابنه انما هي دلالات على قوى ثلاث هي : الجنس والمال والعلم ، فالكاتب عندما اراد ان يجسم احساس البطل ويجد ما يعادله معادلة موضوعية كاملة ، أخذت روايته شكل التصميم الهندسي وجاءت على هيئة مثلث .. قاعدته لوحة الجنس وتمثلها زوجته واحد ضلعيه لوحة المال ويمثلها أخوه والضلع الأخير هو لوحة العلم التي يمثلها ابنه .

وعلى الرغم من اسلوب الكاتب الذى أشاع الدفء في أرجاء الرواية **فقد وقع من جراء هذا التصميم الهندسى في خطأين : أحدهما خطأ « اللاتجانس » بين طبيعة احساس البطل وما يعادل هذا الاحساس في الواقع الخارجي ،** بين النفس التي تترنح بالانفعال الصوفي وتستمد مباشرة من وهج الروح أو ضراوة اللاشعور ، وبين التصميم الهندسى الذى ينقل التجربة الشعورية الى شكل قياسي ويحول الانفعال الوجداني الى معادلة رياضية . ومن شأن هذا « اللاتجانس » ان يعوق الاحالة المتبادلة بين الذات والموضوع او بين الاحساس من الداخل والتعبير من الخارج لأن الكاتب وضع بينهما وسطا ذهنيا فشق مجرى عميقا بين الضفتين ، وجعل المناخ الفني في احدى الضفتين مغايرا للمناخ في الضفة الأخرى .

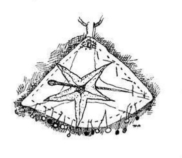
ومن جراء هذا التصميم الهندسى أيضا أيقاع الكاتب في خطأ « الاستاتيكية » أو اللاتفاعل بين قطبى الرواية فضلا عن اللاتفاعل بين أضلاع المثلث ، فالكاتب عندما لجأ الى التصميم الهندسي وتخيل اطار روايته على هيئة لوحة كبيرة عمد الى الألوان الصارخة والمساحات السيمترية فوضع بطله في جهة ولونه باللون الأبيض ، ووضع المثلث في الجهة المقابلة ولون ارضيته باللون الأسود ثم عاد فلون كل ضلع من اضلاعه بلون خاص .. فالبطل لونه أبيض فاقع لأنه الروح ، والمثلث ارضيته سوداء لأنه المادة ، وأضلاعه الثلاثة مختلفة الألوان لأن المادة تعبر عن نفسها اما في الجنس أو في المال أو في العلم .

وهكذا خفت حدة التفاعل الديناميكى بين أشخاص الرواية واقتربت من العرض الاستاتيكي لصور الأشخاص ، لأن **من طبيعة الفن التشكيلي تجميد اللحظة الزمنية المعينة في مكان واحد ثابت بعكس الفن التعبيرى الذى يعتمد على الفعل والحركة ويستلزم طولا زمنيا تنساب فيه لحظاته وتتطور فيه أجزاؤه .**

أقول أنه **على الرغم من استعانة الكاتب بأسلوبه في اشاعة الدفء في أرجاء الرواية بدلا من اعتماده على الحدث نفسه في توليد الحركة والايحاء فقد وقع في خطأ ثالث هو « وحدة الاطار » أو عدم المحافظة على وحدة الاطار ...** لأن التركيز على شخصية البطل ثم الانتقال منها الى أشخاص الثالوث كل على حدة بلا تفاعل ديناميكي بين الأشخاص جميعا من شأنه أن يجىء على حساب التجربة المركبة التي ينطوى فيها الحدث وتتفرع منها خيوط الرواية ، ومن شأنه ايضا ان يفتت التجربة الكلية المركبة ويحيلها الى تجارب جزئية أو تجارب بسيطة يعيشها القارىء واحدة بعد أخرى وكأنه بازاء مجموعة من القصص القصيرة .

الصراع بين العلم والتصوف

واذا كان أسلوب مصطفى محمود هو البطل الحقيقي في شكل روايته ، فان الفكرة هي البطل الحقيقي في مضمون هذه الرواية ، لأن الفكرة كما قلنا هي التي تطالعنا من خلال المواقف وتطل علينا من وراء الشخصيات بحيث لا تصبح الشخصية ولا الموقف الا بمثابة الجناحين اللذين تحلق بهما الفكرة . والفكرة التي يلف الكاتب ويدور حولها هي قضية الصراع بين العلم والتصوف او بين نتائج المعرفة العلمية ورؤى الكشف الصوفي . على ان القضية لم تأخذ شكل



الصراع بين العلم والتصوف الا في آخر الرواية لأنها في مطلع الرواية أخذت شكل صراع بين الخرافة والعلم او بين « الدجل » والتصوف ، وتلك كانت ضرورة فنية اقتضاها تصميم المثلث الذى وضعه الكاتب في ناحية الشكل وبحث له عن مقابلات موضوعية في ناحية المضمون .. فالجنس والمال والعلم هى القوى الثلاث التى كان على البطل أن يواجهها فلم يجد سوى القصور والفقر والتصوف مما الجاه الى سلسلة من المحاولات الفاشلة كالاستعانة بتحويجة الشيخ معروف ليواجه عرامة الجنس ، وتحويل المواد الأولية الى ذهب ليواجه اغراء المال ، والتنبؤ بالغيب عن طريق الحلم ليواجه تحدى العلم ؛ أقول ان القضية وان أخذت في مطلع الرواية شكل صراع بين الخرافة والعلم او بين الدجل والتصوف ، فقد عادت في آخر الرواية لتأخذ شكلها الحقيقى .. شكل الصراع بين العلم والتصوف ، وهو الشكل الذى اكسبها أبعادا أعمق بكثير وجعلها بحق القضية الملحة على وجدان الانسان المعاصر .

وصحيح أن مصطفى محمود لا ينكر التصوف كل الانكار ولا يؤمن بالعلم كل الايمان ، ولكن الصحيح ايضا انه يجد الخلاص في العلم أكثر مما يجده في التصوف ، ويرى انه اذا كان هناك مجال للمعرفة الصوفية فان المعرفة العلمية هى سبيلنا الى العمل . وهذا ما عبر عنه بقوله : « ربما كان شيخ بويحى رجلا مبروكا .. لا أحد يعلم .. ولكن جهلنا لا يمكن أن يكون عذرا لنمشى في الشوارع نهذى ذلك الهذيان المتاث .. لابد من عمل » .

والواقع أن مصطفى محمود وفق في طرح القضية أكثر من توفيقه في مناقشتها ، فكلامه كلام من يبحث عن الحل لا من يبحث عن الحقيقة . أو من يحل المشكلة بالقضاء عليها أصلا .. فليس التصوف مما يعوق الانسان من العمل كما انه ليس بالعلم وحده يعمل الانسان ، وهؤلاء هم فلاسفة العلم الحديث يعلنون قصور المعرفة العلمية عن أن تحيط بحقائق الكون ، لأن المنهج العلمى له حدوده التى تحتم عليه أن يصل بالمعرفة الى أقصى مداها ثم يترك المجال مفتوحا لمنهج آخر يصل الى معرفة من نوع آخر . فضلا عن أن التصوف الحقيقى ليس نوعا من « الهذيان المتاث » ولا هو مما يعوق الانسان عن العمل وانما هو معرفة حقيقية يمتزج فيها النظر بالعمل ، أو هو فعل ارادى يؤدى الى تفجير طاقات الانسان الخلاقة . والتاريخ شاهد على أن المتصوفة الحقيقيين كانوا رجال عمل .. هكذا كان القديس أوغسطين وكان القديس دلاكروا وكانت القديسة تريزا داڤيلا وكان الامام الغزالى وهو من أكبر الشخصيات الصوفية التى عرفها التاريخ .

اليوجا والأفيون

وعلى كل حال فان مصطفى محمود يعود في ختام روايته ليؤكد حاجتنا الى كلا النوعين من المعرفة ما دامت تؤدى الى العمل ، فالعمل عنده هو المحك الحقيقى لمشروعية المعرفة .. علمية كانت أو صوفية ، وكل فكرة لا تؤدى الى عمل ليست فكرة مشروعة او ليست فكرة على الاطلاق . لأن الذات لابد وان تكون عاملة ، وهى ذات عاملة بما هى عارفة أو هى ذات عاملة لأنها أصلا عارفة .

وهكذا ينتهى مصطفى في رواية الأفيون الى ما سبق أن انتهى اليه هكسلى في رواية « الجزيرة » من أن المادية المجردة لا تقل سوءا عن المثالية المجردة اذا كانت لا تؤدى الى عمل . **فالمادية مهما تكن محسوسة لا ترتفع بنا كثيرا الا اذا كنا على وعى كامل بما نعمل ، لأن المادية المحسوسة ليست سوى المادة الخام للحياة الانسانية العاملة ، وهذه الحياة لا تتحول الى روحانية محسوسة الا عن طريق الوعى ...** « فاذا كان المرء على وعى كامل بما يعمل ، أصبح العمل بمثابة اليوجا للعمل ، واللعب بمثابة اليوجا للعب ، والحياة اليومية بمثابة اليوجا للحياة اليومية . وممارسة الحب كاليوجا لممارسة الحب » .

جلال العشرى

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف
سلامه موسى

الناشر: دار سلامه موسى للنشر والتوزيع ١٩٠ص ٢٥ ق

ان السمة الأساسية التى تلاحظ على الكتاب ، هى أنه يستهدف غرضا ، وهو يتجه الى غرضه هذا مباشرة ، فى التزام واضح وينسج طريقه الى صحيفة من بعد صحيفة وفصلا من بعد فصل .

وهذا الغرض هو أن **اللغة العربية ((لا ترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر اذ هى لا تخدم الأمة ولا ترقيها)) وأنه ((لن يمكن التأليف العلمى باللغة العربية بحروفها الحاضرة)) وان اقتراح الغاء الخط العربى وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ((هى وثبة الى المستقبل لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى قيام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها)) .**

واذا كان هذا المضمون اليوم مرفوضا من أساسه عند كل من يفكر فى أمر اللغة العربية فلقد كان اقتراحا قابلا للمناقشة وقت صدور الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٤٥ فقد كانت مصر فى ذلك الحين لم تزل تحاول أن تعثر على نفسها وأن تحدد معالم شخصيتها الحديثة ، وظهرت وقتذاك اتجاهات حاولت أن تجد الطريق فى احيـاء التراث الذى طمست معالمه ظلمات الحكم العثمانى والاستعمار الأوروبى ، كما ظهرت اتجاهات أخرى كانت ترى أن هذا التراث قد عفى وانتهى ولم يبق منه ما يصلح للتمسك به ومن ثم اتجهت الى الغرب تحاول ــ بتقليده ــ أن تعثر على معالم الطريق .

غير أن مصر اليوم قد وجـدت طريقها ، واستطاعت أن تحدد معالم شخصيتها الحديثة ، ولما كنا لم نأخذ فى هذا الصدد بالاتجاهات التى حاول الكتاب أن يلتمس الطريق عنـدها فان الكتاب من ثم أصبح فاقد المضمون ، وتحولت الأفكار التى يروج المؤلف لها من دعـوة كانت جديرة بالمناقشة فى سنة ١٩٤٥ الى مجرد أثر من آثار سلامة موسى يتناوله القارىء على هذا النحو ، وبهذا المعنى دون غيره .

ومتى كان المضمون فاقد الأهمية مرفوضا من أساسه على النحو المتقدم فانه من ثم يخرج حتما من نطاق البحث ، ولا يبقى بعد ذلك فى الكتاب سوى أسلوب العرض ، باعتباره الشىء الوحيد الذى يمكن أن يسترعى النظر .

غير أن أسلوب المعالجة ، أو ((التكنيك)) الذى اتبعه المؤلف لم يخل هو الآخـر من المثالب ، فدعوة لها مثل هذه الخطورة كان ينبغى أن تبحث على مستوى أعلى بكثير من مستوى الكتاب بصفة عامة .

فقد كان من واجب المؤلف ـ مثلا ـ أن يعرض لنا كلا من وجهتى النظر المتعارضتين بشأن الفاء الخط العربى أو الابقاء عليه ، وهو فى الواقع الفاء أو ابقاء على اللغة العربية نفسها ، وأن يناقش كلا منها بأمانة علمية ، غير أن الكتاب لم يفعل ، بل اقتصر على عرض وجهة نظره المنفردة وحدها ، أما مؤيدى الابقاء على اللغة العربية فلم يذكرهم فى أكثر من بضعة أسطر ، ولقد سماهم فى هذه الاسطر « بالمعاكسين » وهى تسمية لا شك انها اختيرت بعناية ، والكتاب من بعد يضم فصلا كاملا عن الأثار السيكولوجية للغة يتلخص مضمونه فى العبارة التى ينتهى بها من انه « اذا شئنا أن نعمم رأيا او عقيدة فلنتخذ لها اسما مغناطيسيا جذابا » ، ثم اضافت السطور القليلة بعد ذلك أن « هؤلاء المعاكسين هم الذين تخصصوا فى درس اللغة العربية مثل خريجى دار العلوم فان تخصصهم هذا قد حال بينهم وبين دراسات بشرية عديدة فضاقت آفاقهم » كما أنهم « قد أصبحوا طبقة لها وضع اقتصادى ووجدان طبقى ينهضان على استبقاء اللغة العربية فى جمودها الحاضر ولذلك يخشون التغيير ويرون فيه هجوما على مصالحهم الاقتصادية » .

كما أن المؤلف ، فى زحفه السريع نحو الفرض الذى استهدفه بوضوح منذ الصحيفة الأولى لم يعد أن ارتكب مغالطة منطقية هنا وأخرى هناك كما أنه لم يحفل كثيرا بالتزام قواعد البحث العلمى السليم ، **فاخذ يصدر الاحكام العامة وسينتج المبادىء الشاملة بالتأسيس على مشاهدات ليست فى الواقع سوى مجرد حالات فردية نادرة لا يمكن اعتبارها من قبيل الظواهر التى تستنتج منها المبادىء والأحكام** ، ومن ثم فان النتائج التى انتهى الكتاب اليها ينبغى فى كثير من الأحيان أن تؤخذ بغير قليل من الحذر .

فالكتاب يحاول أن يقنعك طول الوقت بأنه يعالج قضية علمية وأن يتعمق فى بحثها الى مستوى بعيد ، فهو يحدثك عن اللغة ودورها فى التطور البشرى وعن سيكولوجية اللفظ وانثروبولوجيا اللغة ، وعلاقتها بالمجتمع وبالجنون والاجرام وعن صلتها بالاخلاق وبالاقطاع وبانماط السلوك .... الخ لكى ينتهى بك الى استنتاج علمى محصلة ان اللغة العربية بألفاظها الحالية وأساليبها البلاغية المتوارثة مقضى عليها حتما بالفناء ، وأن أحرف الكتابة العربية ليست سوى الاغلال التى تقيد انطلاق اللغة وتطورها لينتهى بعد ذلك الى ضرورة استبدال الحروف اللاتينية بهذه الحروف ، وقد كان يمكن أن تكون خطة البحث هذه بالغة الروعة لو أن الكتاب التزم منهجا علميا صحيحا فى دراسة الموضوع وهو ما لم يفعله المؤلف .

ففى مبحث بعنوان « حين تربى الذئبة الانسان » يحدثنا المؤلف عن طفلة هندية اختطفتها ذئبة وهى لم تزل بعد رضيعة ،وعاشت فى حجر الذئبة اعواما حتى شبت وقد اعتادت عادات الذئاب ، وظلت ، حتى بعد أن نقلت الى احد الملاجىء وعاشت به اعواما ، تمشى على اربع وتأكل الرمم وتخشى الأدميين وتعوى بالليل عواء متصلا ، وفشلت محاولة تعليمها اللغة فلم تتعلم أكثر من ٤٥ كلمة كما فشلت محاولة تعليمها انماط السلوك البشرى وماتت قبل أن تتعود القليل منها . وينتهى المؤلف بعد ذلك الى اصدار حكم عام هو أن « اللغة هى التى تعين لنا السلوك والتصرف البشريين » ومن ثم فان السبب فى ان الطفلة لم تتعلم كيف تحيا كانسانة يرجع الى فشل محاولة تعليمها اللغة .

مثل هذه النتيجة قد تكون صحيحة علميا ، وقد لا تكون ، ولكن الذى لاجدال فيه هو أن استنتاجها ، كقاعدة عامة ، من مجرد دراسة حالة فردية فى بضعة صفحات ليس من أساليب البحث العلمى فى شىء .

وفى صحيفة ٥٩ وما بعدها يسارع المؤلف فينبه القارىء بداءة الى انه سيعالج موضوعا « على ما يبدو عليه من اللون الفلسفى وعلى ما سيجد القارىء فيه من عمق سيرتاح فى النهاية الى الاستنتاجات التى سنصل اليها » ويعتذر

لتقديمه هذا البحث الفلسفي بأن « في عصرنا الديمقراطي يجب أن يكون الأدب والفن والفلسفة للشعب ، بل لعامة الشعب التي على كل منا أن يعلمها ويرفعها ، وقد قال سارتر زعيم الوجودية ان الفلسفة يجب أن تنزل عن أريكتها وتدخل السوق » . ثم اذا بهذا البحث الفلسفي الذي يقصده المؤلف من تقديمه وينبهنا الى صعوبته في صحيفة كاملة يتمخض عن أنه لا يكاد يقرأ جريدة الصباح حتى يجد جريمة أو جريمتين مرجعهما الى اللغة ، فان كلمات مثل « الثأر » و « الانتقام » و « الدم » و « العرض » و « الشرف » تدفع الناس في صعيد مصر الى القتل ، وأن كلمتي « الحسد » و « الشهامة » تبعثان في النفس أسوأ الاحساسات « وكنا نكون أطيب قلوبا لو اننا لم نتعلمها » ومن ثم فانه **« على قدر كلمات الفضائل في لغتنا نكون فضلاء وعلى قدر كلمات الرذائل في لغتنا نكون ارذالا »** .

ولا شك أن المغالطة المنطقية واضحة في هذا الكلام ، فالكلمات لا تخلق السلوك ولكنها تصفه وتسميه ، لأن السلوك سابق في الوجود على اللغة ، فكلمة « الثأر » مثلا لا تدفع الناس للقتل ولكن الناس يقتلون انتقاما لذويهم منذ بدء الخليقة ثم وجدت الكلمة بعد ذلك لتعطى اسما لهذا الباعث من بواعث القتل يميزه عن غيره من البواعث المختلفة ، وهكذا أيضا شأن سائر الكلمات كالشرف والدم والحسد والشهامة فان معانى هذه الالفاظ موجودة من قبل ان يوجد اللفظ نفسه ، وما وجد اللفظ الا لتسميتها والدلالة عليها والتعبير عنها ، **وقد يتغير مفهوم اللفظ بمرور الزمن أو باختلاف المكان أو بتغير الناس الذين يستعملونه وقد يعطى بتغيره هذا معنى جديدا شريفا أو وضيعا ولكن السلوك الانسانى الذى كان اللفظ يعبر عنه يبقى خالدا لا يتغير وقد يبحث لنفسه عن لفظ آخر في اللغة أو من خارج اللغة لتسميته والدلالة عليه ؛** ولفظ « الدم » مثلا موجود في كتب الطب كما انه موجود في صعيد مصر ، وهو في هذه الكتب يعنى محلولا مكونا من عدة عناصر يجرى في العروق ، ولا يمكن القول بأن وجوده في هذه الكتب يدفع الأطباء للقتل ، والثأر ، من ناحية أخرى ظاهرة منتشرة في جنوب ايطاليا كما هي منتشرة في صعيد مصر ، ولكن أحدا لم يقل بالغاء استعمال كلمة « الدم » أو كلمة « الثأر » من اللغة الايطالية تلافيا لمثل هذه الحوادث .

والكتاب من بعد حافل بعديد من هذه المغالطات بحيث تبدو سمة أساسية فيه وبحيث يحتاج الأمر الى كتاب آخر للرد عليه ، ولكنا نتركها لنستعرض لونا آخر من الوان الزلات التى تردى فيها أسلوب المعالجة ، هو التناقض ، **فالمؤلف يتناقض مع نفسه في أكثر من موضع ، يسوق القول في صحيفة ثم يعدل عنه الى عكسه تماما في صحيفة أخرى ، ولعل السبب في ذلك هو نفس السبب الذى جعله يلجأ الى المغالطات المنطقية والى استنتاج القرائن العامة من الحالات الفردية** . ذلك أنه لو كان التزم بمنهج علمى سليم لما كان يمكن ان ينتهى به البحث الى النتيجة التى وصل اليها في النهاية والتى وضح أنه استهدفها منذ الصحيفة الأولى .

ومن أمثلة تناقض المؤلف مع نفسه ما جاء في هجومه على اللغة العربية (ص ١٤٧ وما بعدها) **فهو يأخذ عليها انها ذات قواعد كثيرة تستعصى على الدرس ، فنحن لكى نكتب العربية يجب أن نفرق بين المؤنث والمذكر ، وأن نعرف أن بين المفرد والجمع صيغة أخرى هي صيغة المثنى وان لدينا قواعد لا تحصى لجمع التكسير . وللتنوين والتصغير** وكل هذه الصعوبات لا نجدها مثلا في اللغة الانجليزية التى يعتبرها المؤلف لغة مثالية ويبشر بأنها ستسود العالم كله قريبا ، وقد فات المؤلف ، في تعداد هذه « العيوب » للغة العربية ، انها فضائل في الواقع وليست عيوبا ، لأن من شأنها أن تعطى مزيدا من الدقة في المعنى والاثراء في القدرة على التعبير وهو نفس ما أراده المؤلف ذاته (ص ٧) « واللغة المثلى هي التى لا تلتبس كلماتها ولا تنساح معانيها ولا تتشابه عن بعد أو قرب ، بل هي التى تؤدى المعانى في فروق واضحة كالفرق بين رقمى ٥ و ٦ » وص ١٤ **«ان الرقى**

فى اللغة يعنى الدقة ، وهو يقاس بها فما دامت للكلمة مسببة فى المعنى تحتمل هذا المعنى ونصفه فضلا عن معنيين مشتبهين فانها تضر التفكير » .
كما فات المؤلف أيضا ، ان لغة مثل اللغة الفرنسية حافلة بكل ما عدده من « عيـوب » فى العربية كوجـود صيغة المثنى وتعدد الاستثناءات فى القـواعد قد أنتجت آدابا وفنونا وعلوما تكاد تكون حضارة كاملة وانها لم تؤد الى تأخر فرنسا أو تدهورها وانحطاطها .

وفى الكتاب ، بعد ذلك آراء وعبارات تبعث حقا على الغيظ ، حتى اننا تمنينا ، من أجلها وحـدها وبغض النظر عن المضمون المرفوض أساسا ، لو لم يكن هذا الكتاب قد اعيد طبعه ، ففى ص ١٧٠ يترحم المؤلف عـلى دنلوب « ما أهنـاك يا دنلوب وأنت فى قبرك تضحك منا لأننا حاربناك لكى تجعل التدريس للعلوم باللغة العربية ، ولكن ها نحن ، بعـد موتك بثلاثين سنة ، وبعد استقلالنا ما زلنا نعجز عن التعلم باللغة العربية ، ما أهنأك وما أتعسنا » .

وفى ص ١٨٨ يقول « اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الأمة الى الأمام مئات السنين ويكسبها عقلية المتمدنين » .
وفى ص ١٦٢ يذهب الى أننا « نحن فى مصر نحيا فى حلكة من الجهل لا يكاد ينفذ اليها شعاع من العلم » .

وفى ص ١٢١ وفى عشرات غيرها يصر المؤلف على أننا لسنا متمدنين واننا لن نكون كذلك مالم نكتب بالحروف اللاتينية « ان هـذه الحروف قد تضمنا الى مجموعة الأمم المتمدنة وتكسبنا عقلية المتمدنين » الى آخر المئات من امثال هـذه العبارات ، التى لا تمثل حقيقة ، ولا تعكس سوى رغبة دؤوب فى اقناعنا بتأخرنا وانحطاطنا وبأن خلاصنا الوحيد ، هو فى طمس ماضينا والغاء لغتنا والتعلق بأذيال الغرب عامة ، والانجليز ولغتهم الانجليزية خاصة حتى يمكن ان نرتفع الى « مقام » تركيا وأن ننضم الى مجموعة المتمدنين ..

فلا القضية التى يدعو اليها الكتاب مقبولة ، ولا هى جديرة بالمناقشة .
ولا منهج البحث فيه علمى وسليم ، ولا هو خال من الفرض .
ولم يكن هناك شىء فى الوجود ، يمكن ان يسىء الى ذكرى سلامة موسى ، كما أسـاءت اليها اعادة طبع هذا الكتاب .

شريف المنياوى




سطور من كتاب ...

« ان الظروف الجائرة التى كانت تحد من تقدم المدن فى جميع مراحل التاريخ ، بدأت فى الزوال ، فالممتلكات والطبقات الوراثيـة ، وحتى التخصص المهنى ، فقدت أغلب ما فيها من صفات الرسوخ والاستقرار ـ عن طريق ضريبة الدخل التصاعدية ، والانقلاب فى النظم الادارية للأعمال ، فما لاحظه أليكسيس دوتو كفيل منذ قرن من الزمان أكثر انطباقا على الحالة اليوم منه فى أى وقت مضى حيث قال :

(ان تاريخ الثمانمائة السنة الأخيرة ما هو الا تحقيق المساواة تدريجا بين الطبقات) . وهذا التغيير ينطبق على حالتى النظـامين الرأسـمالى والشيوعى على السواء ، بصورة من المحتمل أنها كانت تصدم كارل ماركس ولكنها ما كانت لتدهش جون ستيوارت ميل ، فقـد تنبأ هذا الأخير بظروف الاندفاع الدينـامى نحو التوازن ، التى قد يتسنى فى كنفها أخيرا تحويل تقدم اقتصاديات المكنات الى ما فيه فائدة ايجابية للانسان . وعلى ذلك فانه حتى الأمس القريب ، كان يبدو أن حالة التكافل السلبى التى صحبت ظهور المدينة مقضى عليها بالزوال ، فكان واجب المدينة الآخـذة فى الظهور أن تهيىء وضعا مثاليا لهذه الظروف الأفضل جوهريا . »

المدينة على مر العصور



● أشرنا في هذا الباب في الأعداد السابقة الى الجهود الكبيرة التي تبذلها هيئات علمية في مختلف البلاد العربية في سبيل نشر المعاجم المحقق منها والمؤلف ، ونشير هنا الى جهد آخر كريم يبذله وطن عربي ناهض ، هو ((**الكويت**)) ، فقد بدات ((دائرة المطبوعات والنشر)) هناك في اخراج معجم ((**تاج العروس في شرح جواهر القاموس**)) مضبوطا بالشكل ، وعهدت أمر تحقيقه الى طائفة من المشتغلين بعلوم اللغة في مصر وغيرها من البلدان العربية .

وقد وضع هذا المعجم السيد مرتضى الزبيدي الذي ولد باليمن سنة ١١٥٤ ه ثم جاء الى مصر وهو في الثالثة عشرة من عمره في طلب العلم ، فبرع وذاع صيته حين أتم تعليمه ، وعكف على ((**القاموس المحيط**)) الذي ألفه الفيروزابادي يشرحه معتمدا على ((لسان العرب)) وكتب اللغة والأدب والتراجم ، وانتهى منه سنة ١١٨١ ه . وتوفي الزبيدي سنة ١٢٠٥ ه .

وقد طبع قسم من هذا المعجم في مصر سنة ١٢٨٦ - ١٢٨٧ في خمسة مجلدات بالمطبعة الوهبية بمصر ، وهي تنتهي الى آخر حرف العين . ثم أعيد طبعه كاملا مرة أخرى من سنة ١٣١٦ - ١٣١٧ في عشرة أجزاء بالمطبعة الخيرية بمصر . ولم تضبط حروف الطبعتين بالشكل .

ونشر هذا المعجم خدمة جليلة تقدمها ((دائرة المطبوعات والنشر)) في الكويت الى جانب ما نشرته من ذخائر التراث العربي منذ سنوات وما تزال تنشره .

● وقد أعادت مكتبة ((دار الفكر العربي)) بالقاهرة طبع كتاب ((**الافصاح في فقه اللغة**)) وهو معجم قام بوضعه الأستاذان عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى حين لمسا حاجة الكتاب والمنشئين والمترجمين وغيرهم الى معجم يسعفهم باللفظ حين يحضرهم المعنى . وقد لاحظا عدم غناء المعاجم المتداولة لأن مفاتيحها الألفاظ فهي لا تسعف من يبحث عن لفظ لمعنى . واعتمدا في وضع هذا المعجم على كتاب ((المخصص)) لابن سيده ((وفقه اللغة)) الثعالبي، الى جانب معاجم اللغة الأخرى .

وقد تم طبع الجزء الأول منه ، ويطبع الجزء الثاني والأخير الآن . وكانت الطبعة الأولى لهذا المعجم قد ظهرت سنة ١٩٢٩ وقدم لها المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد .

● ستنشر ((الدار المصرية للتأليف والترجمة)) الموسوعة التاريخية الكبيرة التي وضعها المؤرخ

يقدمه مدير التحرير

بدر الدين العينى ــ الذى سمى باسمه شارع قصر العينى بالقاهرة ــ وكان معاصرا للمؤرخ تقى الدين المقريزى ، فقد توفى العينى سنة ٨٥٥ هـ . وتوفى المقريزى قبله بعشر سنوات .

وكتابه الذى ستنشره هذه الدار هو « **عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان** » . وهو تاريخ عام يبدأ من الخليقة الى سنة ٨٥٠ هـ أى قبل وفاة المؤلف بخمس سنوات .

وسينشر منه هذا العام جزءان .

● يقوم الدكتور جمال الدين الشيال الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية بتحقيق قطعة مخطوطة من كتاب قديم الف فى تاريخ تنيس اسمه « انيس الجليس فى تاريخ تنيس » . وذلك بعد ان نشرت له دار المعارف أخيرا كتابه « **أعلام الأسكندرية فى العصر الاسلامى** » .

و « **تنيس** » ــ كما يقول المرحوم محمد رمزى العالم المؤرخ ــ « من المدن المصرية القديمة التى اندثرت » . وقد ذكرها ياقوت فى « معجم البلدان » فقال انها « جزيرة فى بر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش الأبوقامون ، وبحيرتها التى هى عليها مقدار اقلاع يوم فى عرض نصف يوم » . وقد بنى لها أحمد بن طولون سورا ودخلها سنة ٢٦٩ هـ وبنى بها عدة صهاريج وحوانيت فى السوق كثيرة تعرف بصهاريج الأمير .

وقد حقق المرحوم محمد رمزى موضعها فقال انه تبين لى بالبحث ان الجزيرة التى كانت بها مدينة تنيس لاتزال موجودة الى اليوم ببحيرة المنزلة ومعروفة بجزيرة تنيس ، وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة . وان هذه الجزيرة واقعة فى الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد ، وعلى بعد تسعة كيلو مترات منها .

● تتولى مكتبة «دار الفكر العربى» بالقاهرة **كتاب « دمية القصر وعصرة أهل العصر »** تأليف أبى الحسن على بن الحسن الباخرزى ــ نسبة الى باخرز وهى بلد فى افغانستان تقع على نهر هراة ما بين هراة ونيسابور ــ والمتوفى سنة ٤٦٧ هـ . وقد اشتغل فى شبابه بالفقه الشافعى ، ثم غلب أدبه على فقهه .

وقد ترجم الباخرزى فى كتابه هذا لشعراء عصره ، ورتب ذلك على سبعة أقسام . الأول فى محاسن شعراء البدو والحجاز ، والثانى فى طبقات شعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة وبلاد المغرب ، والثالث فى فضلاء العراق ، والرابع فى شعراء الرى والجبال ، والخامس فى فضلاء جرجان واستراباد ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر ، والسادس فى شعراء خراسان وقهستان وسجستان وغزنة ، والسابع فى طبقات من أئمة الأدب لم يجر لهم فى الشعر رسم .

ويقول صاحب « كشف الظنون » أن الباخرزى جعل كتابه ذيلا لكتاب « يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر » لأبى منصور الثعالبى .

وقد قام بتحقيق الكتاب الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو ، على خمس مخطوطات ، وسيظهر فى جزء واحد .

● أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بمدينة شاطبة من شرق الأندلس امام المحدثين فى المغرب

ومن اكابر حفاظه حتى ليقال له حافظ المغرب وصاحب كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» الذى ترجم فيه لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم رجالا ونساء ممن روى أو جاءت عنه رواية ، له كتاب عنوانه « **بهجة المجالس وانس المجالس** » وهو محاضرات في الأدب أختار فيه طائفة من الشعر والنثر والأمثال السائرة ،ورتبه على ١١٦ بابا .

وقد حققه الأستاذ محمد الخولى « للدار المصرية للتأليف والنشر » التى ستقوم بنشره .

● تم طبع الجزء الثانى من كتاب « **تاريخ الأدب الجغرافى عند العرب** » الذى ألفه المستشرق الروسى اغناطيوس كراتشكوفسكى وترجمه من الروسية بتكليف من الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية الدكتور صلاح الدين هاشم ، سفير جمهورية السودان بدار السلام . وقد نشرت هذه المجلة فى عددها الخاص الصادر فى شهر اكتوبر من العام الماضى دراسة نقدية لهذا الكتاب بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوى .

وكانت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) قد نشرت بجريدة « الأهرام » عدة مقالات للرد على ما جاء من آراء فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

● وقد انتهى الدكتور صلاح الدين هاشم ايضا من تعريب كتاب « **تاريخ تركستان من الفتح العربى الى الفتح المغولى** » الذى الفه المستشرق الروسى بارتولد .

● فى سنة ١٩٥٥ حصل الدكتور ناصر الدين الأسد على درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز على البحث القيم الذى تقدم به عن « **مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية** » . وكان من حظ الأدباء أن أسرعت « دار المعارف » فنشرت هذا البحث الذى تجاوز ٧٠٠ صفحة فى سنة ١٩٥٦ ونال من التقدير ما دعا الى اعادة طبعه أخيرا .

وكانت دراسة الدكتور ناصر الدين الأسد العميقة والواعية للشعر الجاهلى مصدرا لكتاب جديد نشرته له أخيرا « دار بيروت » عن « **القيان والغناء فى العصر الجاهلى** » ، وكان مصدره فى هذا الكتاب الشعر الجاهلى الذى استبان له ــ من دراسته لمصادره ــ ثلاثة أمور : كثرة القيان فى العصر الجاهلى كثرة واضحة وانتشارها انتشارا واسعا ، رقى الغناء فى هذا العصر وترف القيان فى الملبس والزينة وازدهار غنائهن بألوان من مظاهر الحضارة المترفة ، ثم أثر القيان والغناء فى الشعر والشعراء الجاهليين عامة وتطبيق ذلك على الأعشى خاصة .

وقد وجد الدكتور ناصر أن أبا الفرج الأصفهانى لم يعن فى كتابه « الأغانى » بهذا الجانب فى العصر الجاهلى ولم ينهل منه الا كحسو الطير، فقرأ هو لذلك تاريخ ذلك العصر عامة ليجمع منه أخبار القيان والغناء ، وليستبين حياة القوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وكان ان وفق فى كتابه الثانى توفيقه فى كتابه الأول ، وظفرت المكتبة العربية . بدراسة واعية فى هذا الباب .

● « **الأدب وفنونه** » : طبعة جديدة لكتاب الدكتور عز الدين اسماعيل ، نشرتها « دار الفكر العربى » تناول فيه النظريات الخاصة فى الأدب وفنونه المختلفة ، ثم ضم الى هذه الدراسة النظرية دراسة تطبيقية عملية ؛ وعرضا جيدا لنظرية الأدب ومناهج دراسته ، ولنظرية النقد وأسسه ، وللفنون الأدبية كالشعر والفن القصصى والفن المسرحى وترجمة الحياة والمقالة وغير ذلك .

ثم تناول بالدراسة التطبيقية العملية طائفة من الآثار الأدبية الحديثة فى فنونها المختلفة .

وكانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قد ظهرت منذ عشر سنوات ، أى فى سنة ١٩٥٥ .

وللدكتور عز الدين اسماعيل جهود موفقه فى ميدان النقد الأدبى وتطبيق نظرياته الحديثة ، وله كتاب له إقيمته فى هذا الباب ، نشره ايضا سنة ١٩٥٥ ، هو كتاب « **الأسس الجمالية فى النقد العربى** » . كما نشرت له « دار الفكر العربى » بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب كتابا آخر عنوانه « قضايا الانسان فى الادب المسرحى المعاصر » .

● نشرت « دار المعارف » بالاشتراك مع « مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر » كتاب « **الحقيقة والخيال** » الذى ألفه اسحاق اسيموف ، أحد علماء الكمياء الحيوية ، ومن أشهر كتاب القصص العلمي في أمريكا .

وقد حاول المؤلف استلهام الحقائق العلمية البحتة دون التقيد بأى من القيود العلمية الجامدة ، وهو يطلق العنان لخياله الخصب حتى يصل الى مواقف وأفكار افتراضية هى فى الحقيقة خيال ، ولكنها معقولة جدا ويستطيع العلم تحقيقها .

وقام بتعريب هذا الكتاب الدكتور محمد جمال الدين الفندى أستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم فى جامعة القاهرة والدكتور جابر عبد الحميد جابر المدرس بكلية التربية فى جامعة عين شمس .

● ونشرت «الشركة العربية للطباعة والنشر» بالقاهرة بالاشتراك مع « مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر » أيضا كتاب « **قصة مكتب المباحث الفيدرالى** » تأليف دون هوايتهد ، وهو يروى مجموعة من قصص الحوادث التى خاض غمارها مكتب المباحث الفيدرالى ونجاحه فى كشف غوامض الجريمة ، ويشرح تلك المغامرات وبخاصة ما يتعلق منها بمكافحة الجاسوسية وأعمال التخريب . وهو يعد دراسة موضوعية لهذا المكتب تتناول تاريخه وتنظيمه ؛ كما ينطوى على دراسة واسعة للجريمة وأنواعها وتعرف أسبابها وعواملها .

وقد ترجمه اللواء عبد المنصف محمود ، وقام بمراجعته اللواء محمود السباعى . رئيس تحرير مجلة « الأمن العام » .

● قدم الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل الى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دراسة مستفيضة عن « **الأوزاعى ، فقيه أهل الشام** » ليتولى المجلس نشرها .

والأوزاعى هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو ، يرجع نسبه الى قبيلة الأوزاع . ولد فى بعلبك عام ٨٨ هـ ونشأ فى البقاع ، وسكن بيروت حيث توفى بها عام ١٥٧ هـ . وكان امام الفقه فى الشام حتى قيل عنه انه كان « عظيم الشأن بالشام ، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان » .

● نشأ بالبصرة أبو عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه — ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح — وأخذ النحو واللغة عن أئمة عصره كالخليل بن أحمد وعيسى بن عمر الثقفى وأبى الخطاب الأخفش الكبير . وغيرهم . ثم ألف « **الكتاب** » المنسوب اليه فى النحو ، وهو مما لم يسبقه اليه أحد . ولقدر هذا الكتاب كان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه « **كتاب سيبويه** » : هل ركبت البحر ؟ تعظيما له . وكان أحد علماء اللغة يقول : من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستح .

ولقد ظل هذا الكتاب الذى جمع كل مايحتاج اليه طالب النحو موضع التقدير على مر الأعصر ، وعنى به الى جانب عناية أبناء العربية علماء الاستشراق فطبع فى باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية ديرنبورج فى مجلدين ، ونقله الى الألمانية الدكتور ياهن وطبع فى برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ . ثم طبع فى مصر بالمطبعة الأميرية فى مجلدين سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) وكان قد طبع فى كلكتا سنة ١٨٨٧ . ولكن هذه الطبعات كانت فى حاجة الى فهارس تيسر على الباحثين سبيل البحث ، علاوة على ندرة تلك الطبعات وارتفاع ثمنها .

وقد قام الأستاذ عبد السلام هارون بتحقيق هذا « **الكتاب** » وأعد له فهارس بالمسائل النحوية المشتقة فيه وبالشواهد وأسماء الشعراء والقبائل والألفاظ اللغوية ، وستظهر هذه الطبعة المحققة فى أربعة مجلدات ، بدات « دار القلم » التى تتولى نشره فى طبع المجلد الأول منه .

● كما استأنفت « دار المعارف » اتمام طبع الأجزاء الباقية من كتاب « **الألف المختارة** » من صحيح البخارى الذى قام الأستاذ عبدالسلام هارون باختيار احاديثه وتخريجها وشرحها ، وصدر منها ستة أجزاء ، والباقى أربعة ستختم بفهارس تفصيلية .

● منذ سنوات و « **مجلة معهد المخطوطات العربية** » بجامعة الدول العربية تعمل فى صمت رزين مفصح على خدمة التراث العربى واذاعة اخباره والكشف عن مخبآته ونشر طرف منه ونقد ما ينشره فى البلاد العربية ودوائر الاستشراق والتعريف به .

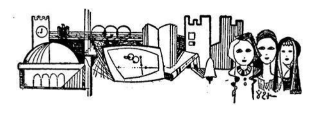
وقد ظهر **المجلد التاسع** منها **بعدديه** ، حيث ضم **الأول** منهما هذه المقالات :

« المخطوطات العربية فى دار الكتب القطرية » للأستاذين عبد البديع صقر ومحمد مصطفى الأعظم ، « أربع خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر الهجرى » للأستاذ عبد الله كنون ، « كتاب العين » للخليل بن أحمد ومقدمته للدكتور عبد الله درويش ، « طرائف وتصويبات لبعض المخطوطات » للأستاذ أحمد خيرى ، ثم « معجم ما نشر من المخطوطات العربية والنصوص الفارسية المترجمة الى العربية والوثائق العربية وفهارس وقوائم المخطوطات فى عام ١٩٦٢ » وقد أعده الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب .

وضم العدد **الثانى** هذه المقالات : « خزانة المخطوطات العربية فى خزانة سعيد الديوه جى فى الموصل » بقلم صاحب هذه الخزانة ، « مخطوطات مكتبة روضة خيرى باشا » للأستاذ عبد السلام النجار ، « نصير الدين الطوسى وكتابه تحرير الخاطر لأوقليدس » تحقيق الأستاذ احمد سعيد الدمرداش ، « طرائف الحساب لأبى كامل شجاع بن أسلم المصرى » تحقيق الأستاذ أحمد سليم سعيدان ، « نقد مذكرات الأمير عبد الله » للدكتور طه الحاجرى ، ثم « تصحيح نهايات الأماكن للبيرونى » بقلم المستشرق الروسى ب . بلجاكوف .

حسن كامل الصيرفى





جولة بين الكتب

أعلام من الأدب التركي

تاليف : وحيد الدين بهاء الدين

الناشر : دار الزمان . بغداد . ٩٨ ص ١٧ × ٢٤ .
ث ٢٠٠ فلس

يبحث هذا الكتاب فى شعراء تركيا منذ أدب الديوان فى عهد قوة الدولة العثمانية ، وأغلب هؤلاء الشعراء الذين تناولهم هذا الكتاب ينتمون الى المسائة عام الأخيرة ، وهم محمود عبد الباقى أمير الغزل والرثاء وابراهيم شناسى رائد أدب التنظيمات ونامق كمال شهيد الوطنية والحرية وتوفيق فكرت داعيـة الحرية والأدب الجديد ومحمد عاكف شاعر الاسلام والوطن وحسين جاهد رسول الحرية الفكرية وباعث نهضة الأدب والترجمة ويحيى كمال الشاعر الفنان واحمد هاشم شاعر الطبيعة والرمزية وجاهد صدقى المتشائم الذى عشق الظلام وتغنى بالموت .

لألاء القمر

شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي .

الناشر : دار ومطابع الشعب ٧٧ ص قطع صغير .
ث

الديوان الأخير للشاعرة العراقيـة المعروفة الدكتورة عاتكة الخزرجي ، قدم له الاستاذ أحمد حسن الزيات ، هو فى أغلبه شعر صوفى ، وقصائده الغزلية عذرية ، وتتضح فى الديوان مأساة الانسان المعاصر ، والعلاج كما يظهر من خلاله هو الرجوع الى الله .

البترول فى خدمة العالم

تأليف : ستيوارت شاكلى ، ن . دارسى دربك .

ترجمة : دكتور حسن حسنى أبو السعود .

الناشر : مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٣٩ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٢٣ قرشا

يضم هـذا الكتاب شرحا وافيا لجميع العمليات التى تتصل بصناعة البترول ، من حفر الآبار واستخراج الخام ، وطرق نقله وتكريره ، ويتناول بالبحث البتروكيماويات ، والبحوث التى أدت الى تحسين البنزين وزيت الوقـود وزيوت التشحيم . كما يعرض لجميع المراحل الهامة لهذه الصناعة ، مفصلا ذلك بالصـور التوضيحية والخرائط والرسوم البيانية .

التقويم فى التربية الحديثة

تاليف : ج . واين رايستون وآخرين .

ترجمة : محمد محمد عاشور وآخرين .

مراجعة وتقديم : محمد السيد روحة .

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . ٧٠٣ ص ١٧ × ٢٤ .

ث ١٢٧ قرشا

يعالج هـذا الكتاب طبيعـة التقويم ومجالاته ونشأته والاتجاهات المعروفة فى القياس والتقويم ، وأسس التقويم وأنماطه العامة وصفاته . كما يعالج وسائل التقويم بأنواعها . ثم يستعرض تطبيق الوسائل اللازمة لتقويم أحداث التربية الكبرى.

مشكلات القوام والشخصية عنـد الشابات وطرق علاجها

تاليف : روحية محمد حسونة .

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمـة ١٧٥ ص ١٧ × ٢٤ .

ث ١٣ قرشا

يتحدث الكتاب عن مشـكلات القوام وطرق علاجها ، ومشكلات الشخصية ، وما يرتبط بها من علاقات الفتـاة ببنى جنسـها وبالجماعة والأسرة ، ثم حسن التعرف فى المواقف الاجتماعية المختلفة .

تصنيع العراق

تاليف : كاثلين م . لانكلى .

ترجمة : دكتور محمد الطائى ودكتور خطاب العانى .

مراجعة : دكتور محمد عزيز وعدنان القصير .

الناشر : دار المتنبى . بغداد . بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٤٥٦ ص قطع كبير .

ث ٧٠٠ فلس

يتناول القسم الاول من الكتاب توسع السوق العراقى وظهور أصحاب الاعمال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم ما جرى من تطور جديد وفرص . ويتناول القسم الثانى الدوافع الاقتصادية ، خاصة ما ظهر منها بعد الحرب كرأس المال الاجتماعى الثابت ، ونمو المصرف الصناعى ، وما ترتب على عوائد النفط ، والخطط والاجراءات التى اتخذتها الحكومة فى هذا الشأن ، ومستقبل التصنيع فى العراق .

رحلات الحيوان والطيور

تاليف : دكتور مريد يني حنا .

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ المكتبة الثقافية ــ ١٠٣ ص قطع صغير .

ث قرشان

يتناول هذا الكتاب مجموعات الحيوان والطيور والحشرات والاسماك التى تقوم برحلات على مدار السنة ، تبحث عن مكان للتزواج والتكاثر أو سعيا وراء غذاء جديد أو لأسباب اخرى غير معروفة ، وذلك تبعا لاختلاف الظروف الطبيعية وظروف الحياة نفسها . وقد صيغ الكتاب بأسلوب علمى مبسط يهدف الى خدمة العام والخاص .

من التحول الى الانطلاق

تاليف : العميد سيد عبد الحميد مرسى والمقدم رشدى ابراهيم حسان والأستاذ محمد محمود مكرم .

الناشر : دار النهضة العربية ٥٠٨ ص ١٧ × ٢٤ .

ث ١٠٠ قرش

الكتاب شرح للميثاق الوطنى ومدى تطبيقه فى حياتنا الراهنة . فالباب الاول يتحدث فى الجانب السياسى من اقرار للديموقراطية ودعم للسلام . والباب الثانى يتناول الاشتراكية كحل من أجل سعادة الانسان . والباب الثالث يؤرخ للثورة الثقافية والاجتماعية فى جميع المجالات .

كيف تساعد الآخرين

تاليف : رودلف م . فيتنبرج .

ترجمة : فوزية محمد بدران .

مراجعة : دكتور محمد عماد الدين اسماعيل .

الناشر : مركز كتب الشرق الأوسط بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب . ٩٩ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٧ قروش

يعالج هذا الكتاب موضوع مساعدة الآخرين ، وبخاصة فيما يتصل بالعلاقات بين القائد وزملائه من الشباب . وتناول الأهداف التى من الممكن أن يقيم عليها القائد برامجه ، والاخطاء التى قد يقع فيها ، ومشكلات المراهقين الجنسية ومشكلات الاختلاط . هذا مع تقديم مادة غزيرة من الأمثلة العملية على تطبيق هذه النظريات .

توحيد الأمة العربية بتطوير شرائعها وفقا للميثاق

تاليف : عبد الحليم الجندى .

الناشر : الدار القومية ــ كتب قومية ــ ٢٤٦ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٥ قروش

يحدثنا الكتاب عن مصادر القوة فى المجتمع العربى ممثلة فى تماسك هذا المجتمع وحضارته العلمية ، ثم يتحدث عن حضارته التشريعية . ويتناول ايضا نظام هذا المجتمع قواعده وتقاليده واسسه التشريعية . وأثر الشرائع العربية فى القوانين الحديثة ، ويناقش مسألة انقضاء عصر النظرية العامة للقانون المدنى الحالى وصياغة نظرية عامة جديدة ، وأخيرا يتقدم المؤلف باقتراحات لاصلاح النظم القضائية على جميع المستويات .

تاريخ اندونيسيا الأدبى والتحريرى والاسلامى

تاليف : دكتور فؤاد محمد فخر الدين .

الناشر : الدار القومية ــ من الشرق والغرب ــ ١٢٣ ص ١٧ × ٢٤ .

ث ٢٥ قرشا

فى القرن الخامس عشر الميلادى دخل الاسلام جزائر الهند الشرقية ، فاكتسب الأندونيسيون وحدة فى الثقافة وفى اسلوب الحياة ، رغم اختلاف دول الاستعمار عليهم . وأضحت للغة العربية مكانة مرموقة ، نلاحظها فى الباب الاخير من نظم بعض الاندونيسيين شعرهم بهذه اللغة . الكتاب اذن عرض لتاريخ اندونيسيا الثقافى اكثر منه عرضا لتاريخها السياسى والاجتماعى . هذا مع ملاحظة أن المؤلف كتب كتابه بأسلوب لا يتفق وروح العصر الذى نعيش فيه بسبب ألوان البديع المتكلف الذى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتاب .

تحالف الصهيونية والاستعمار ...
مقدماته ونتائجه

تاليف : دكتور محمد عبد الرحمن برج .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٨٧ ص .
ث ٩ قروش

ينفرد هذا الكتاب بمعالجة المسألة الفلسطينية ، من حيث العلاقة الوطيدة التى ربطت بين الصهيونية والاستعمار منذ السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر ، فبين المؤلف مقدمات هذا التحالف ونتائجه ، وذلك بأسلوب يتسم بالتحليل والغوص الى ما وراء الأحداث ، ومحاولة توضيح الدور الدرامى الذى قام به الاستعمار لتعضيد الصهيونية .

تجارب شعرية من روائع التراث العربى

تاليف : كيلانى حسن سند .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ٩٥ ص ١٤ × ٢٠ .
ث ١٢ قرشا

تجارب شعرية استوحاها المؤلف من روائع التراث القديم فى عصوره المختلفة ، وذلك لتيسير الاطلاع عليها والاستفادة منها ، ولبيان فضل العرب القدامى على الأدب بعامة ، وكيف أن هذه التجارب الشعرية تعبر عن احساس صادق وعن أصالة فى التفكير سبقوا بها شعراء آخرين من أبناء الأمم الغربية . وقد راعى المؤلف فى اختيار هذه النماذج الصدق فى التعبير عن خلجات الوجدان ، فهو فى رأيه لابد من توافره فى الفن الخالد ، وهى تعبر عن تجربة نفسية باقية مع الزمن ، وتعبر عن ذات الانسان وموقفه من الوجود .

عبد الله فكرى

تاليف : محمد عبد الغنى حسن .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ اعلام العرب ـ ٢١٦ ص ١٤ × ٢٠ .
ث ٥ قروش

يبحث الكتاب فى شخصية هامة من الشخصيات التى درجت على مصر فى القرن الماضى ، وهى شخصية عبد الله فكرى وتاريخه الحافل ودوره الكبير فى حياتنا الثقافية والفكرية فى ميادين التعليم والأدب والعلوم الحديثة ، وموقفه من الثورة العرابية ومن الاستشراق والحضارة الغربية ، وحلل هذه الشخصية مع بيان ماذا تبقى منها للتاريخ .

اغانى الشباب

نظم : احمد أبو المجد عيسى .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ٨٧ ص ١٤ × ٢٠ .
ث ٦ قروش

الطابع العام لهذا الديوان قديم فى الشكل والمضمون معا ، فالشاعر قد التزم عمود الشعر الأصيل ، ولم يخرج فى نظمه عن المعانى القديمة ، كما أن كثيرا من هذه القصائد ترتبط بالمناسبات . وكان لانتداب الشاعر للعمل فى البلاد العربية تأثير كبير فى شعره خاصة فى باب الوطنيات ، على أن التأثير الهام فى قصائد الديوان يرجع أساسا الى ثقافة الشاعر وهى ثقافة اسلامية فى جملتها . وخير ما كتبه الشاعر هو ما نظمه فى غير المناسبات مثله حنينه الى بلاده فى قصيدته « ذكرتك يا مصر » وهى من باب الحنين ، وقصيدته فى وصف القاهرة فى عيد الثورة ، وان لم تكن معانيها جديدة الا أن النسق العام جيد .

التليفزيون

تاليف : ادوارد مستادرد .
ترجمة : دكتور محمد صابر سليم .
الناشر : دار المعارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٦٤ ص ١٧ × ٢٠ .
ث ٢٥ قرشا

يحوى الكتاب كل ما يهم الجمهور عن صناعة التليفزيون ، وتطور هذه الصناعة والفوائد المستمدة منه وسيلة مع ابراز أهم الابتكارات الحديثة فى عالم التليفزيون ، وبخاصة التليفزيون الملون ، ثم كيفية التسجيل وما كان منه على الهواء . وبالكتاب صور توضيحية لاعطاء القارىء فكرة طيبة عن التليفزيون .

الآلات البسيطة وكيف تعمل

تاليف : اليزابث ن . شارب .
ترجمة وتقديم : دكتور أنو عبد الواحد .
الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٨٧ ص ١٧ × ٢٤ .
ث ٢٢ قرشا

تمثل الآلات البسيطة الخطوات الأولى فى تاريخ العلم القديم ، وقد أسدت خدمات جليلة فى العلم الحديث ، على أن الآلة الكبيرة أو المركبة هى بوجه عام مؤلفة من عدد كبير من الآلات البسيطة . والآلات التى ورد ذكرها فى هذا الكتاب ألصق بحياتنا اليومية سهلة الادراك بالنسبة للنشىء وجاء هذا الكتاب يزيد من معارفهم ويمهد الطريق أمامهم .

تدريس المواد الاجتماعية

تاليف : جوناثون ش . ماكلندون .
ترجمة : دكتور يوسف خليل يوسف .
مراجعة : محمد سليمان شعلان .
اشراف وتقديم : محمد على حافظ .
الناشر : دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٧٣ ص ١٤ × ٢٠ .
ث ٨ قروش

المقصود بالمواد الاجتماعية هنا مواد التاريخ والجغرافية والاقتصاد ونظم الحكومة والاجتماع وثقافات الشعوب والقانون

وعلم النفس الاجتماعى ، ولا تزال هذه المواد فى ازدياد وتفرع مع التطور المتوالى فى الحضارة الانسانية . ويتناول هذا الكتاب طبيعة وأهمية هذه المواد والآراء المختلفة ازاءها ، والغرض منهـا ومحتواها العـام ، وكيف يتحقق التعلم الاجتماعى ، وطرائقه المختلفة وتقويمه وعرض لبعض المشكلات الخاصة به .

الماركسية والغزو الفكرى

تأليف : محمد جلال كشك .

الناشر : مطبعة المدنى ــ ١٩٠ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٢٠ قرشا

الغزو الفكرى هو الحرب الصليبية الثالثة التى شنها الغرب المسيحى علينا خلال القرن الأخير ، سلاحها الرمى بالتعصب وهدم اللغة وطعن الدين والتبشير والدعوة الى الحضارة العالمية والأممية والشعوبية وتشويه القومية ، أما الماركسية وهى لون من ألوان الغزو الفكرى ، فهى نتاج من نتاجات الثقافة الغربية تختص بها وحدها ولا تنتمى الى غيرها من الثقافات ، والحل الذى تقدم به ماركس لانقاذ هذه الحضارة هو الملكية العامة لوسائل الانتاج . وعلى هذا فنحن نرفض الماركسية ، ولا نتخذها اداة للعمل الثورى ، ولا غاية نطمح اليها ، وانما نكتفى بالدراسة ولا نتجاوز هذا بالعمل .

الغريب فى عالم الحيوان

تأليف : روبرت لون .

ترجمة : دكتور محمد كامل عطا .

الناشر : دار المعـارف بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١١٩ ص ١٧ × ٢٠ .

ث ٣٠ قرشا

الغرض من هـذا الكتاب أن يعطينا المؤلف لمحات من الحيـاة التى تعيشها ضروب من الحيوان ، قد لا يتصور القارىء أنها تعيش بيننا . كتبه المؤلف بأسلوب سهل ينقل به حقائق علمية سليمة عن هـذه الحيوانات التى تختلف فيما بينها اختلافا بينا فى الوزن والهيئة والحجم واختيارها لمساكنها ورحلاتها الغريبة فى بقاع شتى .

فارس الامل

نظم : حسن فتح الباب .

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ٢٦٩ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٤٥ قرشا

فارس الأمل هو عنوان القصـيدة الأولى من ديوان الشاعر ، وهو عنوان الديوان أيضا ، نظمه الشاعر ــ وهو ضابط من ضباط الشرطة ــ يبث فى الجانب المهم منه انطباعاته عن مأساة الفلاح فى العهود الماضية والآثار التى تخلفت عن هذه العصور ، الى جانب هذا تحس فى الديوان باشراقة الامل فى أن يتحقق التغيير ، كما أن للشاعر قصائد عديدة عن أحداث العصر ، وما يموج فيه من تيارات ، تفاعل الشاعر بها ، وأضفى عليها من ذاته فى قالب من الشعر الجديد .

خيوط النور

تأليف : محمد عبد الحليم عبد الله .

الناشر : مكتبة مصر ٢١٠ ص ١٤ × ٢٠ .

ث ٢٥ قرشا

مشاكل الطبقة البرجوازية هى المظهر العام لهذا الكتاب الذى يضم مجموعة من القصص ، الخط الرئيسى لهـا عاطفى ، وهو الرباط الذى يربط هذه المجموعة بعضها ببعض . من هـذه القصص الوديعة وخيوط النور وسلوان والوجه الطيب والحفيد الصغير وغيرها .

ميكانيكا السيارات

تأليف : ويليام هـ . كراوس .

ترجمة : دكتور أحمد عباس الشربينى .

مراجعة وتقديم : دكتور على شعيب .

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . ٩٣٢ ص ١٧ × ٢٤ .

ث ١٦٧ قرشا

يعتبر كتاب « ميكانيكا السيارات » كتابا كاملا من حيث كونه شـاملا لفروع هـذا العلم المختلفة كالاداء ووصف التركيب والصيانة والخـدمة والاصلاح والفك والضبط لجميع الأجزاء المكونة للسيارة وهو دليل يهم صاحب السيارة والعامل فى الورشـة ويحوى المعلومات اللازمة للمبتدىء ليصبح خبيرا بميكانيكا السيارات .

وحدة الثقافة والتاريخ فى الشعر الحديث

تأليف : دكتور احمد محمد الحوفى .

الناشر : لجنة البيان العربى ٦٣ ص ١٧ × ٢٤ .

ث

يبحث الكتاب فى دور الشعر الحديث فى حركة القومية العربية من حيث مساهمته فى انماء الوعى بالثقافة الواحدة والتاريخ المشترك مع دراسة هاتين الظاهرتين الهامتين بالنسبة للقومية وايراد النماذج الدالة على فضل الشعر الحديث فى هذا المجال .

نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب

تأليف : محمد بن عبدوس الجهشيارى .

جمع وتعليق : ميخائيل عواد .

الناشر : دار الكتاب اللبنانى . بيروت ٩٤ ص ١٧ × ٢٤

ث

يتضمن الكتاب نصوصا ضائعة من هذا الكتاب الهام ، جمعها المحقق من كتب أخرى ، وضمها فى كتـاب واحد ، وهذه النصوص تنتهى بأيام المعتضد بالله الخليفة العباسى .

أيمن :

وفى حمير : بنو أَيْمن بن الهَمَيْسَع .

أَبْيَن :

وفى حمير : بنو أَبْيَن بن زُهير ، وبه سُميت : عَدَنُ أَبْيَن .

أَلْحج :

وفى حمير : بنو أَلْحَج [1] .

أمين :

وفى حِمْير : بنو أمين بن عمرو .

الأَوْزَاع :

وفى حمير : بنو الأَوْزاع بن زَيد .

الأُكْلوب :

وفى حِمير : بنو الأُكلوب بن عمرو .

الأُشروع :

وفى حمير : بنو الأُشروع بن سعد ، وقد تكلَّعوا .

أذرح :

وفى حمير : الأَذرح بن شَدَد ، والرواية : سَدَد ، غير معجمة .

أَسَد :

فى مضر : بنو أَسد بن خُزيمة

وفى مذحج : أَسد بن مُسْلِية [2] بن عامر بن عمرو بن عُلة بن جَلَد بن مالك بن أُدد .

---

(١) كذا فى الأصلين ، وفى هامش م : « غريب » .

(٢) ت : « مسيلة » ، م : « مسلمة » . وما اثبتنا من الجمهـرة (ص ٤١٤) والمختلف (ص ٣٠) .

وفى قيس : أسد بن عبد العُزى .
[وفى مَذحج : أسد بن عبد مناة بن عائذ الله [1] بن سعد العشيرة] .
[وفى مذحج أيضاً : أسد بن مُرّ بن صُدًا [2]] .
[وفى الأزد : أسد بن الحارث بن العتيك] .

أجـرم :

وفى خَثْعم : أَجْرَم ، بالجيم والراء ، وهو مَعْوِية بن ناهس بن عِفرِس.

أخزم :

وفى طَيِّئ : أخزم بن أبى أَخْزم - بالخاء المعجمة والزاى فيهما - بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعَل .

أيثع :

فى بَجيلة : أَيْثَع بن نَذِير بن قَسْر .

أحْرَم :

وفى هَمْدان : أَحْرَمُ - بالحاء غير معجمة والراء - بن هَبْرة بن مَذْكَر ابن يَام بن أَصْبَى بن دافع . قال [3] أبو جعفر محمد بن حَبيب عن أبى المُنذر : لما ضَرب المخاض أُمَّ بنى عامر بهلال بعثت إلى الحازيَة [4] ، فأتتها فقالت : ماتَرين ؟ قالت : أرى له حَظًّا فى أعجاز النِّساء ، فلما مَخضت بسواءة ، قالت : ماترين ؟ قالت : هَبَّة ولانَبَّة ، أى لاشىء عنده . فلمَّا مَخضت بنُمَيْر ، قالت : أرى شَبْراً [5] لاخيرَ معه ، وعصياناً لاطاعة معه .

---

(١) وكذا فى الجمهـرة (ص ٤٠٨) وفى المختلف (ص ٣٠) : « عيذ الله » .
(٢) التكملة من م .
(٣) كذا ورد هذا الخبر هنا فى الأصلين .
(٤) الحازية : المتكهنة .
(٥) الشبر : البطر .

البـاء

بكر :

بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد ابن رَبيعة بن نِزار .

القَبيل الكُبر الذى منه : شَيبان ، ويَشْكُر ، وحَنيفة ، وعِجْل :

بكر بن وائل بن مَرّان بن جُعفِيّ بن سَعد العَشيرة بن مالك بن أُدد ابن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زَيد بن كَهلان بن سَبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قحطان .

وولد بكر بن وائل هذا مَرَّان المُخلَّق ، وهم بطن نصارى ، كانوا بالحيرة ، منهم : الحارث بن عُمير ، صاحب يوسف بن عُمر .

بولان :

وفى طيء : بَوْلان بن عَمرو بن الغَوث .

وفى عك : بَوْلان بن صُحار بن [عكّ][1] ، ومنهم : مُقاتل بن حَكيم [ابن عبد الرحمن][2] الخُراسانى ، من رجال دولة بنى العبّاس .

بُحَيْر :

وفى طيء : البُحَيْر ، واسمه : عمرو بن طَريف بن عمرو بن ثُمامة ابن مالك بن جَدْعاء بن ذُهْل بن رُومان بن جُنْدَب[3] بن خارجة ابن سعد بن فُطرة بن طَيِّىء ، وسُمِّى البُحَيْر لجوده ، وكان شريفاً ، وهو الذى نافر عامر بن جُوَين[4] الطائى ، فنُفِّر عليه البُحير .

(١) التكملة من م .
(٢) التكملة من م .
(٣) فى الأصلين : « حزان » تحريف . وانظر الجمهرة (ص ٣٩٩) .
(٤) ت « جـوير » ، و م : « حـويز » وهوتحريف . انظر الاشتقاق .

بُجَيْر

وفى مُزينة : بُجير بن زُهَير

بَحير :[1]

بَجير :

بِشْر :

فى قُريش : بِشر بن مروان ، من ولده جماعة.

بُسْر :

فى قُريش : بُسْر بن أَبى أَرطأَة ، أَبو عبد الرحمن ، ومن قال « ٱبن أَرطأَة » فقد وهم ، يُنسب إِليه جماعة .

[وفى خثعم : بُسر بن وَهْب بن شَهْران بن عِفْرس بن حُلْف[2] ابن أَفْتل[3] ، وهو خثعم]

[وفى هوازن : بُسر بن مالك بن هُريرة بن رَباح بن هلال بن عامر ٱبن صَعصعة بن بكر بن هوازن][4]

بَلِىّ :

وفى قُضاعة : بَلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، منهم جماعة من الصحابة ، وفيها يقول النابغة :

— إحدى بَلِىٍّ وماهَام الفؤاد بها[5]

بَلِىّ :

---

(١) كذا فى الأصلين دون ذكر أسماء ، وقدسمى بهذا الاسم غير واحد من الصحابة والتابعين (انظر تاج العروس « بحر » والاشتقاق ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٩١) .

(٢) يقال فيه : حلف ، بضم الحاء المهملة وسكون اللام ، وحلف ، بفتح الحاء وكسر اللام . (الجمهرة : ٣٩٠) .

(٣) الجمهرة (ص ٣٩٠) : « اقيل » تصحيف ، صوابه كما هنا والاشتقاق (ص ٥٢٠) .

(٤) التكملة من م .

(٥) البيت للنابغة الذبيانى ، وعجزه : الا السفاه والا ذكرة حلما .

وفى أسد : أَبو بُلَىّ ، واسمه عُبيد بن ثعلبة بن رُوَيْبة بن مالك
أبن الحارث بن سَعد بن ثَعلبة بن دُودَان بن أَسد بن خُزيمة .
وأبنه عَمرو بن شأس بن أَبى بُلْى ، الشاعر المعروف .

بَثِيرَة :

فى بَلِيٍّ : بَثِيرَةُ [1] بن مَشْنُوء بن القُشَر [2]] بن تميم بن عَوْذمَنَاةَ
ابن ناج بن تميم بن أَرَاشَة بن عامر بن عُبيلة بن ـقِسْميل بن فَرَّان [3]
أبن بَلِيّ بن عمرو .

بَسِيل :

وفى تميم : بَسيل بن مَحكان بن جروة بن قَبيصة بن سجد بن أُبى
ابن الحارث بن حنجود بن .... [4] ، وأبنه طَيْسَلَةُ بن بَسِيل ، شاعر .
وجدت له بخط يعقوب بن السكيت فى أنساب بنى حنجود يرقص
ابنه مقلدًا :

مقــــلّد يحبــــه فـــؤادى ... حب المُنَّى الماءَ وهو صادى
بغــدوات نـــازح البــلاد ... حيث يضل الشَّمَّرى الهادى [5]

ومن قوله يرثى زوجه ربحلة بنت جميل بن جروة :

لقد نزعت ربحلة من حبالى ... بأَسباب وكنت بها ضنينا
وكانت لا يهـال الجار منها ... ولا تلحَى على العُدْم القَرينا

وقال لابنه قُرَيط ، وافترض [6] :

غزا لم يؤامرنى قُرَيط ولم يكن ... لينهاه أمر للصرامة عن أمرى

---

(1) الجمهرة (٤٤٢) : «بثيرة بن القشر».
(2) التكملة من م . وكذا فى المختلف (ص ٤٣) .
(3) م : « فران ، بالتحفيف » وكذا ضبط بالقلم فى الجمهرة . وعبارة القاموس (فرن) : « وفران ، كشداد ، بن بلى فى قضاعة » .
(4) بياض بالأصلين .
(5) الشمرى : الجمل السريع .
(6) افترض الجندى : اخذ عطيته

يقول له الأعداءُ إذ يُزعجونه ... بِفَيءٍ الرُّدينيَّاتُ خيرٌ من الفقر[1]
وما في اجتلاد الأزرقية[2] راحة ... ومطر ودة الأعراض جائرة الهَبْر

بُتَيْرة :

وفى نَهْد : بُتَيْرة ، بضم الباء وبالتاء ، وهو الحارث بن مالك ابن نَهد .

بَتِيرَة :

وفى قريش : بَتِيرة بن الحارث بن فِهْر ، [لاعقب له[3]] .

بِرْبَاط :

وفى أسد : بِرْباط [4] بن بَهد بن سعد بن الحارث بن ثعلبة ابن دُودان .

[وفى اليمن : نَهدٌ ، وهذا بَهد [3]] .

بَرْبَط :

[وفى القَين : بَربط [5] بن حَبيب بن زيد بن عوف بن حَيّ بن وائل بن جُشَم بن مالك بن كعب بن القَين] .[3]

بِجَاد :

وفى عبس : بِجَاد بن عَبد بن مالك بن غالب بن قُطَيْعة .

وفى شَيبان : بِجَاد بن قَيس بن مسعود .

وفى همدان : بِجاد بن رَبيعة بن الحارث بن مُرْهِبَة .

بِدَا

(١) الفيء : العطاء . والردينيات : الرماح .
(٢) الأزرقية : النصال . والاجتلاد : التضارب بهـا .
(٣) التكملة من م .
(٤) ضبط ابن حبيب فى المختلف (ص : ٤٣) بالعبارة فقال : « بالباء الموحدة » . وفى الأصلين « نهد » بالنون .
(٥) فى المختلف (ص ٤١) : « شربط » .

وفى كِنْدَةَ : بَدَا [1] بن الحارث بن ثور .

بَدَّاء :

وفى جُعْفِىّ : بَدَّاء بن سَعد بن عمرو بن ذُهْل بن مَرّان بن جُعْفِىّ .

وفى بَجِيلة :[بَدَّاء بن فِتْيان بن ثَعلبة بن مُعاوية بن زَيد بن الغَوث][2] .

بِدَا :

وفى مُراد : بِدَا [3] بن عامر بن عَوْبثان بن زاهر .

أَبْذِى :

فى السكون : أَبْذى [4] ، بالذال مكسورة ، بن عَدِىّ بن أَشْرس بن شَبيب بن السَّكون

بَكيل :

فى هَمَدْان : بَكِيلُ بن جُشَم بن خَيْران [5]

وفى أَلْهان بن مالك ، إخوة هَمدان : بَكيل بن أَلْهان ، وأَلْهان ، مثل عَلْهان .

بُذَيْل :

وفى جُهينة : بُذَيْل بن سعد بن عَدِىّ بن كاهِل بن نَصر بن مالك ابن غَطفان بن قَيس بن جُهينة .

---

(١) ضبطه ابن حبيب فى المختلف (ص٢٦) بالعبارة وقال : « بدا ، غير مهموز » . وفى الجمهرة (ص ٤٢٥ ، ٤٧٧) : «بداء» بالهمز والتضعيف .

(٢) التكملة من م ، وفيها « قبتان » مكان« فتيان » .

(٣) ضـــبط فى هامش المختلف (ص ٢٦)بالعبارة : « بكسر الباء » .

(٤) فى المختلف (ص ٢٦) : « ابذا » . وفىالجمهرة (ص ٤٧٧) : « بداء » بالدال المهملة المشددة . وفى هامش ت : « هو فى غير موضعمن تاريخ ابن يونس بخط المـرزوقى : ابذا بالألف ، والظـــاهر انه أبذا بالألف فيحقق » . ومكانه كما ترى فى حرف الألف لافى حرف البـــاء .

(٥) وكذا فى المقتضب (ص ١١٥) والأصنام (ص ٥٧) ونهـــاية الأرب (٢ : ٣٢٠) والقاموس « خير » . وفى المختلف (ص ١٧) : « خيوان » .

بَهْد :

فى أسد : بَهْدُ بن سَعد بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان . ونَهْد ، بالنون . فى قُضاعة ، وفى هَمدان .

التـــاءُ

تِقْن :

فى عاد : تِقْن

وفى تميم : امرأة اسمها : تِقْن بنت شريق بن غَنْم ، من بنى جُشَم ابن سعد بن زَيد مَناة ، كانت تحت رجل من قومها ، وكان أخوها الرَّيب بن شريق من فُرسان بنى سعد وأشرافهم ، وكانت لها ضَرَّة ، ولضرتها ابن يقال له الحِمَيت ، فوقع بين تِقْن وضرتها شرّ فاسْتَبّتا فغلبتها تِقْن ، فلما سمع ذلك الحميت ، أحَدَّ الرُّمح فطعن به فى فخذ تِقْن فأنفذ فَخذها ، فلما رأى ذلك أبوه كره أن يبلُغ أخاها ذلك ، فاستكتمها إياه عنه ، على أن يعطيها ثلاثين من الإبل ، فرضيت ، وأخذت الإبل فوسمتْها بمِيسَم أخيها الرَّيب ، وألحقتها بإبله . فكانت فى إبله ما شاءَ الله ، ثم إن سفيان بن شريق ، أخا الرَّيب ، ورد الماءَ بإبله فكان بينه وبين الحَميت كلامٌ ، فضربه الحميت فأدماه ، فأتى سفيان أخاه الريبَ فأعلمه ، فركب فرسًا له يقال له : هَدّاج ، ثم لحق الحىَّ وهم سائرون ، فقال : من أحَسّ لى من بكْرٍ أورقَ ضَلّ من إبلى ؟ فيقولون : ما رأيناه ، فمضى حتى لحق الحَميت وهو يَسير خَلف الحَىّ ، فقال : هل أحسست من بَكْرٍ أورقَ ضَلّ من إبلى ؟ قال : مارأيته . ثم إن الرَّيب ألقى سوطه كأنه وقع منه ، وقال للحَميت : ناولْنى سَوطى ، فأكبّ ليُناوله السوطَ ، فقال الرَّيب : « أعكرتنى بالضَّفير » ثم ضربه بالسيف على مجامع

كتفيه ضربةً كادت تقع فى جوفه ، ثم مضى على فرسه ، وذهب قوله « أعكرتنى بالضفير » مثلا .

والضفير : حبل مضفور ، يقول أَتَعْكُرُ عَلَىَّ عَكْرَتين ، أى تعطف علىّ مرتين ، تَضربنى بالحبل . والعَكْر . الرُّجوع .

وقال الرَّيب فى هذه القصة :

بكتْ تِقْنٌ فأَوْجَعَنى بُكَاهَـا وَعَزَّ عَلَىَّ أن وَجعت نسَاهَـا

دَلفتُ له بأَبيض مَشْـــرفىٍّ أَلَمَّ على الجوانح فاختلاها

[وكنت مُجرِّبًا[1]] سَيفى صنيعًا فيالكِ نَبـوةً سَيفى نَباها

(فى أبيات) .

تدِيلُ :

فى جُذَام : تَدِيل بن حِشْم بن جُذام .

تُوَيل :

فى قضاعة : تُوَيل ، بالتاء والواو، بن طُفيل بن عَمرو الأَصم ، وكان تُوَيل فارسًا ، قَتلتْه بنو عِجل بجُدير بن نُعيم العِجْلى[2] .

تَزِيد :

فى قُضاعة : تَزيد بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

وفى الأَنصار : تَزيد بن جُشم بن الخزرج بن حارثة ،

وسائر العرب غير هذين « يزيد » بالياء ، منقوطة من أسفل .

تيم الله :

فى ربيعة بن نِزَار : تَيم الله بن ثعلبة .

وفى خَثْعَم : تَيْمُ الله بن مُبَشِّر بن أَكْلُب .

وفى الأَنصار : تيم الله ، وهو النَّجَّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

---

(١) التكملة من م .

الجيم[1]

جَدّان :

فى رَبيعة : جَدَّان[2] بن جَديلة ، واسم جَديلة كبش[3] بن أسد ابن ربيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان ، وكان جدَّان بطنا عظيما فافترقوا فى ربيعة .

الجُلاَح :

(و) فى كلب : الجُلاَح ، بحاءٍ مهملة .

الجُلاخ :

وفى ضبة : الجُلاَخ ، بجيم أُولى وخاءٍ معجمة ، ابن عوف .

وقال البلاذرى : كان بين مالك بن المُنتفق الضبيّ بن مَعْقِل بن صُباح بن طَريف بن زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة ابن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وبين رجلين من بنى هلال — فى ضبة يقال لهما : أبو اللَّيل والجُلاَخ — شَيءٌ فَصَلاه ، ثم هربا فأُتبعوهما ، فأُدرك أبو اللَّيل بالحرم فقُتل ، وأُدرك الجُلاخ بمصر .

قال الفرزدق ، بسبب خُئُولته من ضَبَّة :

فلا يُبعد اللهُ اليمينَ التى سَمت أبا الليل تحت الليل سَجْلاً من الدَّم[4]

همُ فَرّقوا قَبْرَيهما بعد مالكٍ ومَن يحتمل ضِغْن العَشيرة يَنْدم[5]

جَلْد :

فى مذحج : جَلْد بن عُلَة .

منهم : جَعْوَل الذى يُقول فيه النابغة :

(١) جاء فى ت قبل هذا : « الثـاء » وأوردمعها « ثجيرى » ، ولم ينسبه ، ثم « ثمارة » وقال : ثمارة بن اياد » . والمعروف أنه نمارة ، بالنون. (٢) ضبطه ابن حبيب فى المختلف (ص ٣) بالعبارة وقال : « بفتح الجيم ودال مشددة » . (٣) ت : « بكدش » .

(٤) ت : فلا يصرم الله .. البيت .

(٥) الديوان (ص ٧٦٠) : ومن يحتمل داءالعشيرة ... البيت .

يالهف نفسى بعدضربة جَعْوَلٍ ألا ألاقيهـا ورهـط عِرّار

جَذْرَة :

فى ربيعة : جَذْرة [بالجَيم والذال منقوطة] [1] ، هو عمرو بن ذُهْل بن شَيبان بن ثعلبة .

جِذْرة :

وفى القَين : جِذْرة بن لِخْوة بن جُشم بن مالك بن كعب بن القين .

جسّان :

فى تميم : جَسّانُ بالجيم ، قال أبو الحسن المدائنى : قال الفرزدق لجسّان بن جِرّى التميمى ، وكان بجسّان سَلْعة [2] ، فقال : ماهذه ياجَسّان؟ فقال : أير المنقرى : يريد قول جرير :

والمِنْقَرِىُّ يَدُوسُها بالفَيْشَل [3]

كذا وجدته بخط السكرى مضبوطاً ، وقد كتب فوق جَسّان جيم ليرفع الالتباس .

جِلْس :

فى السكون : جِلْس [بالجيم] [1] وهم عِبَادٌ دخلوا فى لخم ، وهو جِلْس [4] ابن عامر بن ربيعة بن تَدُول بن الحارث بن بكر بن ثعلبة بن عُقبة بن السَّكُون .

جَلٌّ :

فى مُضَر : جَلٌّ [مفتوحة الجيم] [1] بن عدىّ بن عبد مناة بن أُدّ .

وفى طيء : جُلّ [مضمومة الجيم] [1] بن حق .

جَرْم

(١) التكملة من م .
(٢) السلعة : الغدة فى الجسد .
(٣) صـــدر البيت : أساءت جعثن اذ تجز برجالها . ويروى « بالمنشل » وهى حديدة ينشل بها اللحم من القدر ، والمنقرى : هو عمران بن مرة . (الديوان ص ٤٤٥) .
(٤) ضـــبطه فى المختلف (ص ٤١) بجيم مكسورة .

في قُضاعة : جَرْم بن رَبَّان [١]

وفي بجيلة : جَرْم بن عَلَقَة [٢] بن أنمار .

وفي عاملة : جَرْم بن شَعْل بن معاوية بن عاملة .

وفي طيء : جَرْم ، وهو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيء .

قال ابن حبيب : ليس في غير هؤلاء الجُروم الأربعة .

جُرْوة :

في عَبْس بن بغيض : جُرْوة [٣] بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبس .

وفي تميم : جُرْوَة [٤] بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم .

جِروَة :

في حُمَيْس بن أُد : جِرْوَة [٥] بن نَضلة بن مالك بن زيد بن عَتّاب بن عامر ابن ثبير بن حَرْب بن حُمَيْس .

جَديلة :

في قيس : جَديلة ، وهم فَهْم وعَدْوان .

وفي طيء : جديلة بنت سُبيْع بن عمرو بن حمير [٦] . وهي أم جندب [وروح] أُبنى خارجة بن سعد بن قُطْرة بن طيء ، إليها يُنسبون .

---

(١) ضبطه ابن حبيب في المختلف (ص ٢٥) (جرم بن ربان) بالراء المهملة والباء الموحدة . وقد كتب فوق ربان في نسخة المتحف كلمة « زاى » .
(٢) وانظر المختلف (ص ٢٥ و ٤٥) .
(٣) ضبطه ابن حبيب في المختلف (ص ٨) بالعبارة التالية : « بالضم » ورسم في نسخة م : « جرأة » .
(٤) ضبطه ابن حبيب في المختلف (ص ٨) بالعبارة التالية : « بالكسر » .
(٥) في المختلف (ص ١٤) : « من حمير » .
(٦) في المختلف (ص ١٤) « وحور » .

وفى الأَزْد . جَديلةُ بنمعاوية بن عمرو بن عدى بن مازن بن الأَزد .

جَزٌّ[١] :

من جززت الشعر : مَحمِيّة بن جزْ بن عبد يغوث الزُّبيدى . هاجر فى المرة الثانية إلى الحبشة ، وكان أول مشاهده المُر يسيع ، فى قول الواقدى .

جِسَاسٌ :

فى تيم الرِّباب : جِسَاس[٢] بالتخفيف ، بن نُشْبةُ بن رَبيع بن عمرو ابن عبد الله بن لُوَىّ بن عَمرو بن الحارث بن تَيم بن عبد مناة [بن أُد][٣] .

وكل شيء فى العرب مُشدّد [إلا فى تَيم الرباب فإنه جِسَاس خفيف][٣]

جَمَل :

فى مذحج : جَمَل بن كِنانة بن ناجية بن مُراد [بن مالك بن أُدد] .

وجَمَل بن كنانة رهط سِيفُويَة القاصّ ينزلون بنهر الملك[٤] .

[و] فى بنى الحارث بن لُؤَى : جَمَل[٥] بن عُقَيدة بن وهب بن الحارث ابن لُؤَى بن هريرة .

جَوْبٌ :

فى همدان : جَوْب [بالجيم والباء الموحَّدة][٣] بن شهاب بن معاوية ابن دُومَان بن بَكيل بن جُشَم .

جُمَّان :

---

(١) الجمهرة (ص ٤١١) والاصابة (ت ٧٨٢٥) « جزء » .
(٢) ضبطه ابن حبيب فى المختلف (ص ٢١)بالعبارة التالية : « خفيف مكسور » .
(٣) التكملة من م .
(٤) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد .
(٥) المختلف (ص ٤٦) : « حمـل » بالحاءالمهملة .

في الأزد : جُمّانُ [1] بن هَدَاد بن زيد مناة بن الحَجْر [بن عمران] [2]

جَلْوانُ :

في تغلب : جَلْوان لما هَربَ مَصْقلة بن هُبيرة من عليّ عليه السلام بقي معه أخ له يقال له : نعيم بن هُبيرة ، فكتب مصقلة إلى أخيه مع رَجُلٍ من بني تغلب نصراني [اسمه جَلوان يدعوه إلى] [3] معاوية ، فظهر على عليه السلام على جَلْوَان ورُفع إليه أنه يتجسَّس ، فأمر به فقطعت يده فمات ، فقال نعيم ابن هُبَيرة :

لا تأمننَّ - هَدَاكَ اللهُ - عَنْ ثقة ... رَيْبَ الزمان ولا تبعَثْ كَجَلْوانَا

مَاذا أَرَدْتَ إلى إرساله سَفَهاً ... يَرْجُو سِقاطَ امْرِىءٍ ما كان خَوَّانا

عَرَّضتَهُ لِعَلِيٍّ ، إنَّهُ [أَسَدٌ] ... يَمْشي العِرَضْنَةَ من آسادِ خَفَّانَا

[فالآن] يكثرُ قَرْعُ السِّنِّ [من نَدَمٍ] ... ماذا تقولُ ، وقد كانَ الّذي كانا !

وظلْتَ يُبْغِضُكَ الأحياءُ قاطبةً ... لم يرفعِ اللهُ بالبَغْضاءِ إنسانا

وقالتْ بنو تَغْلِب لمصْقَلة حين بلغه فعل على عليه السلام بجَلْوان : عرّضت صاحبنا للقتل ، فَوَداهُ .

ثم إن معاوية [بعدذلك] [4] ولى مَصْقلة طبرستان ، وبعثه في جيش عظيم فأخذ عليه العَدُو المضايق ، فهلك هو وجيشه ، فقيلُ في المثل : « حتى يرجع مصقلة من طبرستان . »

جَارِيَة :

[كل شيء في العرب حارثة بالحاء والثاء إلا جارية بن سليط بن يربوع] [5]

(١) ضبطه في المختلف (ص ٢٦) جمان : بضم الجيم وتشديد الميم .
(٢) زيادة عن المختلف .
(٣) التكملة من م ، وهي مطموسة في ت .
(٤) التكملة من م .
(٥) زيادة عن المختلف لابن حبيب (ص ٤٨) .

وفى سُليم [بن منصور] [1] جَارِيَةُ بن عَبْد بن عَبْس بن رفاعه بن الحارث ابن بُهثه بن سُليم .

وفى الأنصارِ : جَارية بن عامر بن مجمّع بن عَطّاف [2] بن ضُبَيْعةَ بن زيد ابن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس [بن حارثة] . [1]

جَمْرَةُ :

فى تميم : جَمْرَةُ بن شدّاد بن عُبَيد بن ثعلبة بن يربوع [بن حنظلة] [3]

جَرْس :

فى مزينة جَرْس [4] بن لاطم بن عثمان بن مزينة .

جُرَش :

فى حمير : جُرَشُ [5] وهو منبّه بن أسلَم بن زيد بن الغوث .

جُشَيش :

فى تميم : جُشَيشُ [بالجيم] [6] بن مالك بن حنظلة .

وفى كنانة [بن خزيمة] [7] : جُشَيْش [بالجيم] [6] بن عوف ابن جُنْدع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وفى مذحج : جُشَيش [بالجيم] [6] بن مرّ بن صَداء .

---

(1) زيادة عن المختلف (ص ٤٩) .
(2) فى المختلف (ص ٤٩) : ابن العطاف) .
(3) زيادة من ابن حبيب فى المختلف (ص) .
(4) نص ابن حبيب (ص ٣٣) فى ضبطه :« جرس ، بالجيم » .
(5) ضبطه ابن حبيب (ص ٣٤) جرش ، مثل فعل .
(6) زيادة عن م .
(7) زيادة عن ابن حبيب (ص ٢٩) .

فأما حشيش بالحاءِ المهملة فجماعة أتوا فى باب الحاء ، وليس فى العرب خُشَيْشٌ بالخاءِ المعجمة ، ولا تسمى به .

الحـاء

حُدَّانٌ :

فى تميم : حُدَّانُ بن قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، منهم فارِسُ هَبُّود [1] وهو بُرْثُن بن شهاب ابن النعمان بن جبيل بن حُدّان بن قريع ، وكان شريفاً قائد بنى سعد ورئيسهم فى الجاهلية . ومنهم علقمة بن سَبَّاح بن جبيل ابن حدّان بن قريع . كان فى فرسان بنى سعد ، ومدحه أوس ابن حجر التميمى ، [أنشدنى أبو مسلم : قال أنشدنى أبو بكر ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء ، وعن أبى حاتم عن أبى عبيدة الأوس بن حجر فى جملة ديوانه يمدح علقمة هذا :

وَدِّع لَمِيسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللّاحى ... إذْ أفْنَكَتْ فى فسادٍ بعد إصلاحِ [2]

وَاتَلَهَا اللهُ تَلْحانِى وقدْ علمتْ ... أَنِّى لنفسِىَ إفسادِى وإصْلاحِى

إنْ أشْرَبِ الخمرَ أو أُرزأْ لها ثمناً ... فلاَ محالة يوماً أنَّنى صاحِى

ولا محالَةَ من قبرٍ بَمحنيـةٍ ... أوفى مَليـعٍ كظَهْرِ التُّرسِ وضّاحِ

وقدْ لهوتُ بمثلِ الرِّئمِ ، آنسةٍ ... تصبى الحليمَ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلاحِ

---

(١) فى التاج : مادة هـبـد : هبود كتنوراسم فرس سابق لعمرو بن الجعيد المرادى .

(٢) فى هامش المخطوطـة : بخط ابن المغربى‌جاشـية : أفنكت : اتت بالفنـك ، بوزن الفعل وهو العجب . قلت فى شعر اوس ابن حجـر روايتى بخط الحامض : اذ فنكت . وقال المفسر: فنكت : لجت وتمادت ، ويقال اعتمدت ، وهذه‌القصيدة تجىء فى شعر عبيد بن الأبرص ، وفى روايتى فى تصحيح نسختى بخط ابن السكيت‌هى : اذ أفندت ، وقال أفندت أخذت فى الكذب ، وقال وروى اذ فنكت .

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت مِنْ ماءِ أَدْكَنَ فى الحانوت نضّاحِ
أَوْ مِنْ مشعشعةٍ وَرْهاءَ نَشْوتُها أَوْ من أَنابيب رُمَّانٍ وتُفَّاحِ
ياهَلْ تَرَى البَرْقَ لما نِمتُ أَرَّقنى فى عارض مستطير البرق لمّاحِ
دانٍ مُسِفٌّ فُوَيق الأَرْض هَيْدَبُه يَكادُ يدفَعُهُ من قامَ بالرَّاحِ
يَنْفِى الحَصَا عن حديد الأَرض مُتَّرِكاً كأَنَّهُ فاحِصٌ أَو لاعِبٌ داحِ
فمَـنْ بنجوته كمَنْ بمَحْفِله والمُستَـكِنُّ كمَنْ يَمْشِى بقَرْوَاحِ
سَقَى دِيار بنى عَوْفٍ ومسكنَهم ودارَ عَلقمة الخيرِ ابنِ سبَّاحِ

وقال أبواليقظان : ومن حُدان هؤلاء أَبو دَهْلَب الرّاجز [١] وهو القائل – وكان يزيد بن معاوية أَمره أَن يرجز بالأَزد :

حَنَّتْ قَلُوصى أَمس بالأُرْدُنِّ حِنِّى فما ظَلَمْتِ أَن تَحِنِّى
حَنَّتْ بأَعْلَى صَوْتِها المُرِنِّ

والأُردن ، عند أَهل اللغة ، ثقل النعاس .

ذوحَدَّان :

وفى همدان : ذو حَدَّان بن شُراحيل بن ربيعة بن جُشم بن حاشد ابن جشم [٢] بن خَيْرَان بن نَوْف بن أَوسَلة وهو ، همدان .

حِلْس :

فى كنانة : حِلْسُ بن نفاثة بن عدى بن الدِّيل .

حَمَل :

[و] [٢] فى بنى كِلاب : حَمَل بن خالد بن عمرو بن الضِّباب ابن كلاب [بالحاءِ غير معجمة] [٢]

(١) انظر القاموس وشرحه « دَهلب » . وقد كتب فى هامش النسختين ذهلب ، خطأ .
(٢) التكملة من م .

وفى أسد : حَملُ بن مالك بن جُنَادة بن سفيان بن وهب بن كعب ابن مالك بن ذُؤَيب بن والبة بن الحارث [بن ثعلبة بن دودان ابن أسد بن خزيمة] . شهد هو وأخواه الأخثم وزياد القادسيّة ؛ وقُتِل حَمَل بنهاوَندَ مع النعمان بن مقرّن .

حَلْف :

فى اليمن : حَلْفُ بن خثعم [وهو أفتل بن أنمار] [1] .

حَوْب :

فى كِنْدة : بنوحَوب [2] وهو الحارث بن الحارث بن معاوية ابن ثور [وهوكندة] [3] بن مرّ .

حُوث :

وفى هَمَدان : بنوحُوث ــ بالثاء ــ بن سُبيع [4] بن صَعْب بن معاوية ابن كَثير بن مالك بن جشم .

حِمَّان :

فى تميم : حِمّان [5] بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة .

حَدَاد :

فى مُحارب [بن خصفة بن] [6] قيس [عيلان] [6] : حَدَادُ [7]

---

(١) زيادة عن المختلف (ص ٢٨) وضبطه فقال : حلف بالحاء المهملة وسكون اللام .
(٢) ضبط فى ت : حوب بالحاء المفتوحة واسكان الواو والباء الموحدة . وفى المختلف (ص ٢٨) حوث بالثاء غير مثلثة وقال : هو الحارث وكتب عليه كلمة (صح) ليرفع الالتباس.
(٣) زيادة عن المختلف (٢٨) . (٤) فى م : سبع .
(٥) ضبطه فى المختلف حمان وقال : بحاء مكسورة (ص ٣١) الهامش .
(٦) التكملة من المختلف (ص ٢٥)
(٧) ضبطه فى المختلف (ص ٢٥) بالحركات بفتح الحاء وكسرها . ونص على ذلك بالعبارة فى هامش الصفحة .

ابن بَدَّاوة [1] بن ذهل بن طريف بن خلف بن محارب ، ابن أم الحَدادِية ، الخزاعى منهم .

حُدَاد :

وفى كنانة [بن خزيمة] [2] حُدَاد بن مالك بن كنانة .

وفى طيء : حُدَاد بن سعد بن نَبْهان .

وفى الأزد : حُداد بن معن بن مالك بن فهر [3] .

وفى عبد القيس : حُداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو ابن وديعة [بن لكيز] .

حُلْمَة :

فى أسد : حُلْمَة بن أسد [بن خُزَيْمة] [4] .

وفى الأزد : حُلْمَة بن سَليمة بن مالك بن فِهر [5] بن غَنْم بن دَوْس .

[وفى الأَزْد] : حُلْمَة بن مازن بن الدُّول بن سَعْد مناة بن غامد [بن عَبد الله] [6] .

وفى الهَون بن خُزَيمة : حُلْمَة بن مُحلِّم بن غالب بن عائذة بن يُثَيْع [7] ابن مُلَيح بن الهَون .

حُرفة :

فى تَغْلب : حُرْفَة ، بالفاء ، بن ثَعْلبة بن بَكْر بن حُبَيِّب .

---

(١) فى المختلف (ص ٢٥) بدواة ، بالباء الموحدة والدال المهملة .

(٢) زيادة عن المختلف (ص ٢٥) .

(٣) فى المختلف (ص ٢٥) .. « فهم » .

(٤) التكملة من م .

(٥) فى المختلف (ص ٢٤) : « فهم » .

(٦) التكملة من المختلف (ص ٢٤) .

(٧) وكذا فى الجمهرة (ص : ١٩٠) والقاموس « يثع » . وفى المختلف (ص ٢٤) : « ينيع » .

وفى يَشْكُر . حُرْفة مثله بن مالك بن ثَعلبة بن غَنْم [بن حُبَيِّب] (١) ابن كَعْب بن يَشْكُر .

وفى قُضَاعة : حُرْفة [بالفاء] (٢) بن حَزِيمَة بن نَهْد .

وفى تميم . حُرفة [بالفاء] (٢) بن زيد بن مالك بن حَنْظلة .

حزيمة :

فى قُضَاعة . حَزِيمة بن نَهْد بن زَيد بن لَيْث بن سُود بن أَسْلمُ بن الحاف ابن قُضاعة .

وفى أمر حَزِيمة وقعت الحرب والفُرقة فى بنى معَدّ .

وفى ربيعة : حزيمة بن طارق بن شَراحيل بن [خِرَاش] (٢) بن عِتْبان ابن سَعد بن زُهير .

وفى بَجيلة : حَزِيمة بن سَعد بن نذير بن قَسْر (٣)

وفى قَيْس : حَزِيمة بن رِزام بن مازن بن ثَعْلبة بن سَعْد بن ذُبيان .

حِشْم :

فى جُذام : حِشْم بن جُذام .

حَيْشَم :

فى كَلْب : حَيْشَم (بالحاء) (٤) بن عَبد مناة بن هُبَل ، وسائر العرب جُشَم ، بالجيم .

---

(١) التكملة من م . وانظر المختلف (ص ٢٠) .
(٢) التكملة من المختلف (ص : ٢٠) .
(٣) فى الأصلين : « قيس » والتصويب عن الجمهرة (ص : ٣٨٧) والمختلف (ص ٢٠) .
(٤) التكملة من م . وانظر المختلف (ص ١٩) .

مجلة الكتاب العربي

العدد الثامن عشر
١٧ رجب ١٣٨٥
١٠ نوفمبر ١٩٦٥

رئيس التحرير
على أدهم

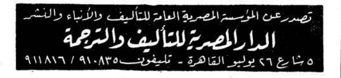
مدير التحرير
حسن كامل الصيرفى

سكرتير التحرير
جمال بدران

الاشتراك السنوى عن ١٢ عدداً بالجمهورية العربية المتحدة ١٢٠ قرشا - الاشتراكات عن طريق مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى - القاهرة
تليفون : ٤٦٣٨٣

فى هذا العدد

صفحة



حول المنهج التاريخي

بقلم
رئيس التحرير

يقول المؤرخ البريطاني المعاصر راوز فى كتابه القيم عن « فائدة التاريخ » « شهد القرن التاسع عشر ثورة فكرية عميقة لم تظهر آثارها كاملة الا فى عصرنا ، وقد كانت هذه الثـورة متصلة اتصالا وثيقا بالتاريخ ، وفى الحق أنها كانت فى جوهرها معنية بالتاريخ ويمكن القول انها كانت بطبيعتها تاريخية ، فقد جاءت بنظرة جديدة للأشياء ، وكانت هذه النظرة بطبيعتها تطورية ، اى انها كانت تنظر الى الأشياء فى نموها وترقيها وحركة تغيرها غير المنقطع ، ولم تفهـم حركة التغير الواقعى فهما كاملا ، وكانت نظرية دارون الخاصة بالتطور عن طريق الانتخـاب الطبيعى احد الفروض عن كيفية حدوث التغير فى عـالم العلوم الطبيعية ، ولكن التقـدم العظيم كان فى النظر الى الأشياء فى حدود التغير على الاطلاق ، وليس هذا فحسب ، بل التفكير فى أن هذا التغير له اسبابه ، ومنذ ذلك الوقت كانت محـاولة استقصاء أسباب هذا التحول الهدف الرئيسى فى العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية » .

وقد أصاب الأسـتاذ راوز فيما قرره ، فالواقع أن العناية بالتـاريخ والتفكير التاريخى من السمات التى امتاز بها القرن التاسع عشر ، وقد استلزم ذلك البحث فى طرائق كتابة التاريخ، والنظر فى مناهج البحث التاريخى ، وظهـرت مذاهب كثيرة فى فلسفة التاريخ تحاول تفسـير معناه ، واستنباط القوانين المسيطرة عليه ، وكان المفكرون الألمانيون سباقين فى هذا المجـال ، وآثارهم فيه بارزة معروفة .

وتتضمن كتابة التاريخ ثلاثة عناصر هامة ، أولا بحث الأحداث التاريخية وتحقيقها للوثوق من صحة وقوعها ، والخطوة التالية تفسير هذه الوقائع وتقدير قيمتها ومحاولة ايجاد الرابطـة المنطقية التى تربط بعضها ببعض ، ويتبع ذلك الشروع فى تنسيق هذه المادة وسردها فى أسلوب واضح وعرض شائق .

النقد التاريخي

ويشمل :

- المدخل إلى الدراسات التاريخية : للأنجلو سنيوبوس
- نقد النص : لبول ماس
- التاريخ العام : لأمانويل كانت

ترجمها عن الفرنسية والألمانية : الدكتور عبد الرحمن بدوي

الناشر : دار النهضة العربية - ٣٠٨ ص ٢٤×١٧ - الثمن : ٤٠

والعنصران الخاصان بجمع الأحداث وتحقيقها ومحاولة تفسيرها وكشف أسبابها لابد فيهما من اتباع المنهج العلمى فى البحث والتحرى والتحقيق، أما كتابة المادة التاريخية وعرضها على القارىء فلا تكفى فيها الروح العلمية ودقة البحث والتحرى ، ولتصبح الكتابة التاريخية من طرائف التاريخ لابد من توفر الملكات الأدبية ، ويظهر من ذلك أن كتابة التاريخ ليست بالأمر الهين ، فهى فى حاجة ماسة الى اقتران الملكات العلمية بالمواهب الأدبية ، وكبار المؤرخين عرفوا بالقدرة على البحث والتنقيب ، والموازنة والتحقيق ، مع قوة البيان ، وبلاغة الأداء ، واجادة العرض .

ومن أشهر الكتب التى ظهرت عن المنهج التاريخى كتاب المؤرخ الألمانى ارنست برنهايم واسمه « البحث التاريخى وفلسفة التاريخ » وقد ظهر سنة ١٨٨٠ وقد شكا فيه من التباعد غير الطبيعى بين البحث التاريخى وفلسفة التاريخ، وحاول التقريب بينهما وجعلهما يتعاونان ، واستعان على ذلك بنقد طرز فلسفة التاريخ السائدة ، وبيان كيف تقام فلسفة التاريخ على أساس البحث التاريخى وطرائقه ، وصنف فلسفات التاريخ السابقة لعهده الى مجموعتين، فلسفات التاريخ المثالية وفلسفات التاريخ الطبيعية العلمية ، وأظهر أن كلا الصنفين ينظر الى التاريخ من ناحية واحدة ، وانه مقصر فى المبدأ والطريقة ، ورحب بفلسفة جديدة للتاريخ تتناول المشكلة بحذافيرها من ناحية علاقتها بالبحث التاريخى التجريبى .

فالتاريخ ليس مجرد سرد ، وانما هو علم له **خصائصه وطرائقه ، وليس هو لمجرد بيان الفذ الذى لا نظير له (مثل الأحداث أو الأشخاص أو الجماعات أو العصور) وانما هو بحث عن علاقات الذى لا نظير له فى حدود مجموعات كاملة هى فى نفسها لا نظير لها .**

وقبل انتهاء القرن التاسع عشر ، فى

سنة ١٨٩٨ . ظهر كتاب « المدخل الى الدراسات التاريخية » الذى اشترك فى تأليفه المؤرخان الفرنسيان شارل سنيوبوس وشارل لانجلوا ، وقام بنقله الى اللغة العربية الدكتور عبد الرحمن بدوى .

وبرغم مضى سنوات طوال على تأليف هذا الكتاب تطورت فيها مناهج البحث التاريخى واستجدت فيها آراء ومذاهب فى التاريخ وبحوثه وفلسفته الا ان هذا الكتاب لا يزال فيما أعلم محتفظا بقيمته ، ولا يزال من المراجع التى يفيد منها الباحث المتخصص والقارىء العادى الذى يلتمس المتعة والتسلية ، وهو يحذر البادئين فى الدراسات التاريخية من صعوبة التاريخ وكثرة مزالقه ، ويبين لهم الصعوبات التى تعترض طريقه ، ويكاد يضل فى متاهاتها لو لم يرزق الصبر والجلد على البحث والقدرة على صدق النظر ، واجادة الحكم على الأشياء ، وقد يكون الكتاب التاريخى رائق الأسلوب شائق العرض ، ولكنه ليس من التاريخ فى شيىء ، اذ لا يمكن الاعتماد على صحة المعلومات والأخبار الواردة به ، لأن مؤلفه لم يتبع المنهج السليم فى الرجوع الى الوثائق ، ومناقشة النقول ، ولم يدرب التدريب الكافى على أساليب بحث النصوص وتحقيقها والموازنة بينها .

وفى التصدير العام الذى استهل به الدكتور عبد الرحمن بدوى الكتاب قدم لنا المؤلفين ، فشارل لانجلوا المؤرخ والباحث فى المنهج التاريخى ولد سنة ١٨٦٣ ودرس فى مدرسة الوثائق ومدرسة الحقوق وبكلية الآداب بجامعة باريس ، وحصل على الاجازات العلمية ، والقى محاضرات فى العلوم المساعدة للتاريخ ومحاضرات فى علم الوثائق والمراجع ونشأ على يديه جيل من المؤرخين وامناء المحفوظات والمكتبات ، واهتم بتاريخ فرنسا فى العصر الوسيط وله فيه مؤلفات ممتازة كما كتب فصولا فى « المجلة التاريخية » وبمجلة « مكتبة مدرسة الوثائق » جمعها فى مجلدين بعنوان « مسائل فى التاريخ والتعليم » وقد توفى سنة ١٩٢٩ .

وشارل سنيوبوس ولد فى سنة ١٨٥٤ ودخل مدرسة المعلمين العليا فى باريس ، وحصل على الليسانس من كلية الآداب ، وعين مدرسا فى كلية الآداب بجامعة ديجون ، ثم أستاذا حرا فى السوربون ، ثم مدرسا فى كلية الآداب بجامعة باريس وتوفى سنة ١٩٤٢ ، ومن مؤلفاته فى التاريخ « تاريخ الحضارة » و « تاريخ شعوب الشرق » و « التاريخ السياسى لأوروبا المعاصرة » وقد ترجم له كتاب الى اللغة العربية باسم « تاريخ التمدن الحديث » بقلم « الكاتب المحجوب » وطبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٩ وفى هذا الكتاب فصول عن دول أوروبا الجديدة فى القرن الثامن عشر ، ونظام الاستعمار ، والصراع بين الانجليز والفرنسيين ، والثورة الفرنسية وحروب نابليون ، ومؤتمر فينا ، وما الى ذلك من الفصول والموضوعات .

أما كتاب المدخل الذى اشتركا فى تأليفه فقد كتب لانجلوا الكتاب الأول ثم الكتاب الثانى حتى الفصل السادس والتنبيه ، وكتب سنيوبوس بقية الكتاب الثانى (أى الفصل السابع والفصل الثامن) ثم الكتاب الثالث ، أما الفصل الأول من الكتاب الثانى والفصل الخامس من الكتاب الثالث والخاتمة فقد كتباها معا .

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوى « أما الغرض من الكتاب فقد بينه لانجلوا فى التنبيه الذى صدر به الكتاب ، فقال انهما قصدا من هذا الكتاب أن يبحثا فى شروط المعرفة فى التاريخ وعلاماتها وخصائصها وحدودها ، ما هى الوثيقة؟ وكيف تعالج الوثائق من أجل الافادة منها فى التاريخ ؟ وما هى الوقائع التاريخية ؟ وكيف تجمع لتشييد العمل التاريخى ؟ تلك هى المسائل التى يتناولانها فى هذا الكتاب ، والذى دفعهما الى كتابته أنهما وجدا الكتب المتصلة بالمنهج التاريخى على كثرتها سيئة غامضة سطحية لا تقبل القراءة، وأحيانا مضحكة ، فالتى كتبت قبل القرن التاسع عشر تكاد كلها أن تكون مجرد رسائل خطابية عفى على خطابتها الزمن ، والحديثة منها لم تسلم من آفتين الغموض والتفاهة ، لكنهما يعترفان مع ذلك أنه ليست كل الكتب التى كتبت عن المنهج التاريخى عديمة القيمة ، فقد تكون شيئا فشيئا كنز من الملاحظات الدقيقة والقواعد الصحيحة التى أوحت بها الممارسة العملية للتاريخ ، ومنذ

خمسين عاما (قبل تاريخ كتابتهما لهذا الكتاب في سنة ١٨٩٧) قام رعيل ضخم من الأذكياء الأمناء بالتأمل في منهج العلوم التاريخية ، منهم المؤرخون والمناطقة ، وكان من المفيد جمع خلاصة ملاحظاتهم وتجاربهم وأبحاثهم ، وقد قام بذلك أولا ارنست برنهايم الأستاذ آنذاك في جامعة جريفسفلد (ألمانيا) فاستقصى كل كتابات المحدثين في المنهج التاريخي ، واستخلص من ذلك قواعد وضعها في اطارات ميسورة ، وأودع ذلك في كتابه الممتاز « متن في المنهج التاريخي » ولم يشأ لانجلوا وسنيوبوس أن يبدآ مما بدأ به برنهايم ، لكنهما لاحظا انه لم يقل كل شيء في الموضوع رغم ما جمعه باجتهاد بالغ وعقل حصيف ، ذلك انه توسع في مسائل ميتافيزيقية اعتقداهما انه لا فائدة فيها ، ومن ناحية اخرى لم ينظر الى المسائل أحيانا بالنظرة النقدية العملية التي يريان أهميتها البالغة ، وفضلا عن ذلك فان كتاب برنهايم لا يتوجه الا الى المختصين ، لهذا كتبا هذا «المدخل الى الدراسات التاريخية» ولم يقصدا من ورائه ان يكون مبحثا شاملا في المناهج التاريخية ، انه مجمل موجز ، وقد قصدا به الى تنبيه الطلبة الجدد في السوربون الى ما ينبغي ان تكون عليه الدراسات التاريخية وما هي عليه في الواقع ، وقد قصدا من هذا الكتاب أن يتوجه ليس فقط الى دارسي التاريخ الناشئين ، بل وايضا الى عامة الناس المثقفين ، لهذا حرصا على ان يكون دقيقا وواضحا وقليل الاصطلاح الفني الى أقصى درجة مستطاعة » .

ولاحظ الدكتور بدوي أن كتابهما لم يتوسع التوسع الكافي في نقد النصوص ، وهو من أهم نواحي النقد التاريخي ، لذلك قام بترجمة متن خاص بهذا الباب وهو كتاب پول ماس وعنوانه « نقد النص » .

وقد الحق بالكتاب نصوصا مختارة من آراء الفلاسفة في التاريخ منها نص لامانول كنت عنوانه « نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي » ونص لديكارت من « مقال في المنهج » ونص لپول ڤالري عنوانه « خطبة في التاريخ » .

واذكر انه ظهر في سنة ١٩٤٣ كتاب قيم للبحاثة المؤرخ الدكتور حسن عثمان وعنوانه « منهج البحث التاريخي » ، قال الدكتور عثمان في مقدمته « واننى أقدم هذا الكتاب – الذى سبق أن نشرت بعض فصول منه في مجلة الرسالة – خلاصة لبعض المؤلفات الأوربية مثل كتابات لانجلوا وسنيوبوس وفلنج وڤنسنت وكروتشه .. مع الاسترشاد ببعض ما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث ، كما أضفت بعض الأمثلة التي عرضت لي في أثناء البحوث التاريخية التي قمت بها » .

وقد نوه الدكتور حسن عثمان في مقدمة كتابه بالجهود التي بذلها بعض المشتغلين بالتاريخ لدراسة منهج البحث التاريخي ، وأشار الى كتاب الدكتور أسد رستم « مصطلح التاريخ » وذكر انه أول كتاب في اللغة العربية عن منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي الحديث .

وليس عجيبا أن يحظى التاريخ بعناية الباحثين واهتمام الناس عامة بل العجيب اغفاله واهماله وافتقاد الاحساس به والعناية بأمره .

والانسان مطبوع على النظر الى الأمام ومحاولة كشف حجب المستقبل والنظر الى الوراء ومحاولة معرفة الماضي ، وهو حريص على أن يتبين علاقته **بالاثنين ، ومن ثم يحرص على نقل الأخبار التي سمعها ، ويحب ان يروى تجاربه ، ويعمل على ابقاء ذكرى منجزاته ، ومعظم احاديث الناس تدور حول رواية حوادث حياتهم واخبار تجاربهم، ولكن برغم الصلة الشديدة بين التاريخ والطبيعة الانسانية فان دراسة التاريخ وتحقيق حوادثه ومحاولة كتابته في حاجة الى ممارسة خاصة من الناحية الفكرية والناحية التجريبية بل ومن الناحية الأخلاقية كذلك .**

وليست كتابة التاريخ فنا فحسب تكفى فيه البديهة اللماحة والخيال العاطف والأداء البارع، بل هي في حاجة الى ألوان من التفكير العلمي ، فكيف ندرس الوثائق ونطمئن الى صدقها واصالتها ؟ وكيف تفيد من فحص النقوش والنقود والمسكوكات ؟ وكيف نتتبع مختلف المصادر التاريخية والمراجع الهامة ونقبل ما بها أو نرفضه ولا نعول عليه ؟ وما هي طرائق البحث التاريخي؟ وكيف نزن الأحداث ونميز ما له أهمية خاصة فنقف عنده ونتمهل في دراسته وما ليس بذي

بال فنهمله ولا نبدد جهدنا باطالة النظر اليـــه والتفكير فيه ؟ وما هو الأسلوب المناسب فى كتابة التاريخ والمزايا الأخلاقية التى يحسن توفرها فى المؤرخ مثل الموضوعية والنزاهة والأمانة الفكرية والصراحة ومجافاة التحيز والتعصب ؟

ويرى سينوبوس ولانجلوا أنه يحسن فصل البحث والتنقيب عن كتابه التاريخ ، وان يعتمد المؤرخون فى كتابتهم التاريخية على ما يقدمه لهم العلماء الباحثون من المعلومات المحققة ، والوثائق المدروسة المحصة ، ومتى وجد المؤرخ الوثائق والمستندات التى يرجـــع اليهـــا ويعتمد عليها مصححة مدروسة فانه يتيسر له أن يكتب التاريخ فى ثقة واطمئنان ، ولا نزاع فى أن المؤرخ الكامل هو الذى يستطيع الجمع بين القدرة على البحث والتنقيب واستشارة المراجع المختلفة والقدرة على السرد الجذاب ، والعرض الشائق ، وقد أسرف بعض انصار النزعة العلمية فى كتابة التاريخ الى حد تحبيذ عدم العناية ببلاغة الاداء وحسن البيان، والتاريخ الحق عندهم هو التاريخ المثقل بالوثائق والمستندات والنصوص ، كما أسرف بعض انصار النزعة الادبية فى كتابة التـــاريخ فاستباحوا لانفسهم الامعان فى التلوين الصـــارخ ، وخلق الأحاديث الوهمية ، واقحام المواقف الدرامية المستوحاة من الخيال ، فى حين أن ما يبـــاح للروائى فى كتابة الروايات التاريخية لا يبـــاح للمؤرخ فى كتابة التاريخ ، كما أنه مما يعاب على المؤرخ أن يحمل النصوص ما يتجاوز طاقتها او ان يذهب فى تفسير محتوياتها مـــذاهب ملتـــوية لا يؤيدها المنطق ولا تتفق مع طبيعة الأحـــداث المروية ، وميلاد التاريخ الحق يقتضى وجود المادة المحققة والأسلوب الناقد فى ابراز هذه المادة ، وكل منا يعرف صعوبة الوصول الى الحقيقة فى المسائل الدنيوية العادية ، واذا كان اختـــلاف اقوال الشهود لحادثة معينة قريبة العهـــد كثير الحدوث فكيف يمكن الوصول الى الحقيقـــة فى الأحداث البعيدة العهد ؟

فتوفر العقلية الناضجة والروح الناقدة التى تطلب الدليل والبرهان ولا تخدع بالمظاهر الزائفة من الأمور اللازمة للمؤرخ ، والمؤرخ الحق هو الذى يعرف عندما تعرض عليه الوقائع التاريخية كيف يميز الأخبار الصحيحة من الأخبار التى يحيط بها الشك ، ولم تتقدم كتابة التـــاريخ الا بعد ظهور هذا الطراز من المؤرخين .

وقد كان هيرودوت راوية للتـــاريخ بارعا ، ولكن مما يؤخذ عليه ان الحقيقة تمتزج بالأسطورة فى كتاباته امتزاجا يجعل فى بعض الأحيان من الصعب التفريق بينهما ، ولكن روح الشـــك والميل الى التحقيق ومناقشة الوثائق ومراجعة الشـــهود تبـــدو فى كتاباته ، أما فى كتـــابات توكوتيدس فتبدو روح الشك قوية قاهرة مما جعل كتابه مرجعا هاما ونموذجـــا فى كتـــابة التـــاريخ .

والمؤرخ الحق لا يكتفى بمعرفة ما حدث فى الماضى ، فهو يحاول أن يعرف الملابسات التى أدت الى حدوث ما حدث ، ولما كانت الاحداث التاريخية تتضمن ما قام به النـــاس فى الماضى وكان ما قام به الناس نتيجة لما جال فى خواطرهم وعقدوا على القيام به عزائمهم وارادتهم لذلك كان على المؤرخ أن يتحرى معرفة الدوافع الكامنة وراء الأعمال ، ومن ثم عناية المؤرخ بالمعتقدات والآراء والاتجاهات الفكرية الســائدة فى العصر الذى يعنى بدراسته ، ومن التبعات الملقاة على عاتق المؤرخ ان يبرىء التـــاريخ من النزعات الحزبية ، والتعصب الطائفى ، وان يظهر الجوانب المختلفة للمذاهب والأحزاب ، واتبـــاع المنهج القويم فى دراسة التاريخ وكتابته تنزه العقل من سرعة التصـــديق وتجنبـــه الى حـــد كبير سهولة الانخداع بالمظاهر والتعلق بالقشور .

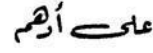
ومن النصائح القيمة التى قدمها المؤلفان فى آخر الفصل الخاص بالبحث عن الوثائق قولهما « ان اختيار موضوع للدراسة دون تقدير لطبيعة الأبحاث التمهيدية التى يقتضيها ودون تقدير لمداها كما يحدث غالبا لهو أمر ينطوى على خطر، وكم نفر غرقوا طوال سنوات فى أمثال هـــذه البحوث وكانوا اقدر على الافادة لو انهم اشتغلوا بأعمال من نوع آخر ، ودرءا لهذا الخطر الأبلغ ضررا بالنسبة الى الناشئة بقدر ما هم أوفـــر نشاطا وأشد حماسة ، فانه لاشك فى أن الفحص عن الأحوال الراهنة للهورسطيقا عامـــة ، وعن المعانى الايجابية فى علم المراجع التاريخية هو أمر يعود بالفائدة الصالحة » .

ويشير المؤلفان فى الفصل الخاص « بالعلوم المساعدة » على البحث التاريخى الى مسألة طالما اختلفت فيها الآراء على غير جدوى وهى مسألة « ما اذا كان التاريخ من بين تلك الدراسات التى نعتها القدماء بعلوم الخلوة ، وهى التى لا تحتاج الا الى هدوء العقل والجد ، أو كان من النافع للمؤرخ أن يكون قد شارك فى الحياة العملية وان يكون قد ساهم فى صنع تاريخ عصره قبل أن يكتب تاريخ الماضى — وكم من مسائل أثاروها ! وكم من بحار من المداد أريقت حول هذه المسائل التى أسىء وضعها وانتفت فائدتها ولا حل لها ، وطالما ثار الجدل حولها دون جـدوى مما أدى كثيرا الى احتقار الكتب التى كتبت فى علم المناهج ولا شىء ناجعا يمكن أن يقال فى هذا البـــاب مما ليس من شأن الذوق السليم فيما يتصـــل بتعلم فن كتابة التاريخ ، اللهم الا ان هذا التعلم يجب أن يكون بوجه خاص دراسة مبادىء المنهج التاريخى ، وهى دراسة ظلت مهملة بوجه عام حتى اليوم » .

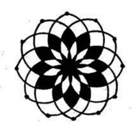
ولا نزاع فى ان المؤرخ الحق عليه ان يلتزم الحذر ويصطنع الشك ازاء الكثير من الأخبـار والمعلومات التى تعرض له ، ولكن الاسراف فى الشك قد لا يقـــل ضررا عن الاسراف فى سرعة التصديق .

ويقول المؤلفان فى هذا الصدد « ان الافراط فى الشك والاتهام فى هذه الأمور يكاد ان يكون له نفس النتائج الضارة التى للافراط فى الثقـــة والاعتقاد والاب هاردوان الذى نسب الى رهبان فى العصور الوسطى مؤلفات فرجيل وهوراس ليس أقل مدعاة للسخرية من ضحية فران لوكا، وانه لمن سوء استعمال عمليات نقد المصدر ان نطبقها كما حدث احيانا — لمجرد اللذة وحيثما اتفق ، والاغبياء الذين اســـتغلوها لادعاء زيف وثائق ممتازة .. من شأنهم أن يزعزعوا الثقة بها لو كان ذلك مستطاعا » .

ولم تفت المؤلفين الاشارة الى خليقـــة من الخلائق البغيضة التى تبدو احيانا فى نقد العلماء المتخصصين وانحرافهم عن الجادة فى تقديرهم لأعمال بعضهم البعض ، فهما يقولان « رأينا أنه يؤخذ على العلماء المحصلين غرورهم وعنفهـــم الشديد فى الأحكام التى يصدرونها على أعمال زملائهم ، وان ذلك مرده الى اهتمامهم المفرط « بالأمور الصغيرة » ويأخذ عليهم ذلك خصوصا أولئك الذين نقدوا نقدا قاسيا ، والحق أن من العلماء المحصلين من هم متواضعون رحمـــاء ، والأمر أمر خلق وطباع و « الاهتمـام » المهنى «بالأمور الصغيرة» لا يكفى هنا لتغيير الاستعدادات الطبيعية ، فالرجـــل الطيب دى كانج .. كان متواضعا للغاية ، وكان يقول عن أعماله « تكفى العيون والأصابع لعمل مثلها وأكثر » وكان من مبدئه الا يلوم أحدا « اذا كنت أدرس فما ذلك الا للذة الدراسة لا ايلام الآخرين ولا ايلام نفسى » لكن من المؤكد مع ذلك أن معظم العلماء المحصلين يفضحون علنا أقل هنات تصدر من بعضهم بعضا دون أدنى شفقة ، وأحيانا بلهجة فظة غليظة ، ويبدون غيرة مرة ، فاذا أطرحنا المرارة والقسوة جانبا فليسوا مخطئين فى سلوكهم هذا المسلك ، ذلك أن لديهم شعورا مرهفا بالحقيقة العلمية — شأنهم شأن العلماء بالمعنى الحقيقى أى الفزيائيين والكيميائيين الخ حتى تعـــودوا على هتك كل اعتداء على المنهج ، وبهذا يصلون الى تحـــريم الدخول فى مهنتهم على العاجزين والعابثين الذين كانوا فى الماضى كثيرين » ويعد هـــذا الكتاب من المراجع الهامة فى دراسة المنهج التاريخى منـــذ ظهوره ، ويشير اليه معظـــم المؤرخين اشارات تنطوى على حسن التقدير ، ولست أشك فى انه جزيل النفع للبادئين فى الدراسات التاريخيـــة والمؤرخين المدربين على السواء ، وقد أحسن الدكتور عبد الرحمن بدوى الاختيار بنقله الى اللغة العربية كما أحسن فى نقل الاضافات التى الحقها به ، ولم يتح لى الاطلاع على الأصـــل الفرنسى للكتاب وانما اطلعت على الترجمـــة الانجليزية وبمقابلة أجزاء منها على الترجمـــة العربية تبين لى ما بذل الدكتور عبد الرحمن بدوى من جهد فى جعل الترجمة العربية تجمع بين الوضوح ومراعاة الدقة والأمانة .



النظريات السياسية الإسلامية



تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس

١ ـ لكل دولة ذات حضارة نظم فى الحكم اتبعتها بعد أن سنتها ، وقد تكون سنة التدرج هى التى سيرتها ، فاخذت تتكون على مر العصور وعبر التاريخ حتى استوت نظاما قائما . كما كان الشأن عند الرومان ، وعند اليونان فى القديم وعند الفرنجة فى العصور الحديثة .

وقد تكون تلك النظم قد نشأت فى ظل وحى أوحى به ، أو ثورة فى الأخلاق والاجتماع والاقتصاد ، وفى الحال الأخيرة لا تخلو من أن تكون ذات صلة بسابق لحقته ، فهى فى الحقيقة مزيج من الابتداع والاتباع ، أما ما يكون من نظم ناشئا فى ظل دين، فانه يكون طريقا مستقيما هدى الله تعالى اليه ، وقد يكون ذا صلة بالباقى من غير تحريف فى الديانات السماوية السابقة ، ولكنه فى هذا الجزء يكون تجديدا لما اندثر ، واحياء لما درس ، ولا يكون وليدا لما سبق ، بل يكون انشاء جديدا ، أو بعثا لقبور فى زوايا التاريخ .

٢ ـ والأمم القوية ذات الشخصية المستقلة غير المندمجة فى غيرها . ولا المضطربة فى كيانها ـ لا يشغلها حاضرها عن ماضيها بل انها تصل بينهما برباط وثيق ، ان لم يكن بالعمل من كل الوجوه، فانه يكون بالدرس والفحص لتتخير خير ما فيه ، وتتبعه ، وقوة الأمم تكون من صدر تاريخها ، كما هو فى قابل أمرها ، ومهما يحاول بعض المنحرفين من تقويض للماضى ، فان الجماعات تهدم ما يفعلون وتصل ما يقطعون ، وان حياة الأمم كمجرى الأنهار ، تتصل دائما بمنبعها ، وتأخذه الى مصبه ، حيث نهاية هذه الحياة الدنيا .

ولهذه المعانى عنيت الأمم الحية بدراسة نظمها القديمة ، فان لم يكن لها قديم تعتز به ، درست ما يتصل بجماعاتها منذ نشأتها ، ولذلك عنى الأوربيون بدراسة نظم اليونان، فهم يدرسون نظم أثينا ونظم اسبرطة ، ويدرسون ماكتبه الفلاسفة والحكماء ، فيدرسون وينشرون نظم سولون ، ونظم ليكورغ ، والسياسة لأرسطو ، والجمهورية لأفلاطون ، بل انهم يربطون نظمهم الديمقراطية بنظم اليونان ، وعلماء القانون فى أوربا يدرسون القانون الرومانى ، ويعتبرونه أصلا لشرائعهم ، ويتفاخرون به ويعتزون ، ولقد وصلت العدوى الينا ، فصار مادة تدرس فى معاهد القانون عندنا ، وفى كل باب من أبوابه يصلون سلسلة الفكرة القانونية فى أى جزء من الأجزاء بذلك القانون ، كأنه واجب التقديس .

٣ ـ وكان حقا علينا أن نعرف نظم الحكم فى الاسلام ، وسياسة الدولة فيه ، وأن يكون ذلك موضع دراسة فى كليات القانون عندنا ، ولكن

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - ٣٥١ صفحة
١٧ × ٢٤ سم - الثمن ٣٥

لم يكن مع الأسى والألم موضع دراسة عميقة ، ولا سطحية فى أى كليـــة من كليـات الأدب او الاجتماع أو القانون ، اللهم الا انه فى السنين الأخيرة أدخلت تلك المادة فى دبلوم الشريعـــة بالدراسة العليا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ولكنها دخلت على استحياء ، كأنها تدخل عند غير أهلها ، ولا من تستأنس بهم ، ولذلك كانت مادة اختيارية ، يختارها من يشاء من الطلبـــة او يختار غيرها .

وكانت تدرس فى التاريخ الاسلامى فى أجزاء متناثرةموجزة غير مجموعة ولا مضبوطة ولعـل أول من عنى بالكلام فى نظم الحكم فى الاسلام — ولو بشكل موجز ، ولكنه محكم دقيق — استاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى رضى الله عنه فى كتابه تاريخ الأمم الاسلامية .

ولقد وجدنا من بعده كتبا تأخذ عنوان تاريخ الاسلام السياسى ، وكانت تعنى بالفتوح الاسلامية ، وذكر بعض الفرق وكانت عنايتها قليلة بأصـل نظام الحكم فى الاسلام ، والنظريات التى قام عليها .

٤ — ولقد جاء فى وسط ذلك كتاب الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم ، ليملأ ذلك الفراغ ، وانه لجدير بأن يملأ ، وهو محاولة مسددة جيدة لذلك العمل الجليل الذى كدنا أن نهمله من قبل ، أو أهملناه .

والدكتور ضياء جدير بأن يحمل عبء ذلك العمل الجليل ، فانه ممن تربوا تربية اسلامية عربية ، فليس دخيلا فى هذه الدراسة ، وفوق ذلك قد تزود بزاد من الدراسات الأوروبيـــة ، فكان فى بعثة علمية بضع سنين قضـــاها فى انجلترا ، فعلم دراسة المستشرقين للقضـــايا الاسلامية ، ومناهجهم ، وتحيف الكثيرين منهم على الاسلام ، وسطحية الكثيرين ، علم منهـــم ما يمكن ان يؤخذ ، وما يرد ، وانه لكثير ، ولذلك اعتمد فى كتابه على الكتب العربية الأصـــيلة ، وما اخذ من مستشرق رايا الا اذا كان له أصل عربى اسلامى ، وكان مارد أكثر مما اخذ ما دام قد اتجه الى المعين الأصلى يأخذ عنـــه ، والى المورد الأصيل يرد اليه .

وفى الدكتور ضياء قوة خلق ، وقوة دين ، واخلاص فى طلب الحق ، واستقلال فكرى فى دراسته ، وما يصل اليه من نتائج ، أن اتفق مع غيره فى رأى ، فلا يكون عن تقليد أو اتباع مجرد ، بل عن بينة واستدلال ، وقد قوى تلك الصفات الخلقيـــة والفكرية فيه مثابرة وحبر وجلد على العمل .

عرفت ذلك فيه منذ صباه طالبا يتلقى على، الى أن صار استاذا عالما سويا ، وأعلم ما لاقى فى سبيل استقلال فكره ، وحرصه على دينـــه فى انجلترا ، وما لاقى فى سبيل ذلك فى مصر ، حتى اذا حال التعصب بينه وبين لقبة العلمى فى انجلترا ، لم يمتنع عن أن يعمل لنيله فى مصر ، وبين الشقتين كان العناء ، وكانت المثابرة ، وكان الصبر الجميل .

٥ — والـكتاب بلا شك جديد فى بابه دسم فى مادته ، مستقيم فى منهاجه ، وله مقدمة موجزة وان كانت مبينة فى الجملة ، ثم بعدها يدخل فى سبعة فصول .

يتكلم فى الفصـــل الأول عن تكون الدولة الاسلامية ، وأشار الى ان النظريات التى قامت عليها السياسة الاسلامية مرتبطة بالأحـــداث التاريخية ، وان كانت محكومة بالاسلام .

ويبتدىء فى الأدوار التاريخية بعصر النبوة

الذى انشطر الى شطرين متكاملين احدهما قبل الهجرة ، والآخر بعدها ، ويبين أن كل شطر يكمل الآخر ، أو أن احدهما مقدمة ، والآخر نتيجتها .

ويبين أن السياسة فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه الذى يعتبر الدعامة لما جاء بعده من عصور ــ أساسها الدين : لأن الاسلام دين ودنيا، فهو ينظم العلاقة بين العبد وربه ، وينظم علاقات الناس بعضهم مع بعض ، ويحكم على الأفعال بالخير والشر على أساس الأحكام التكليفية ، ويؤيد ما يقول بالوقائع ، والأحداث التاريخية ، ويزكى كلامه بأقوال المستشرقين ، وما كنا نرضى له بعد أن يثبت بالبرهان ، أن يأتى بشهادات هؤلاء المستشرقين ، فان من يحتاج الى شهادتهم ويقبلها فى الاثبات لما يدعيه ، يوجب عليه المنطق أن تكون فى مرتبة القبول لما يعارضه .

ويتكلم فى مقام اقامة خليفة وأنظار علماء المسلمين اليه ، من حيث أنه من قبيل الأحكام التكليفية أو من قبيل العقيدة ، ويفيض فى ذلك ، ويتحدث عن الاجتماع الأول لانتخاب خليفة للمسلمين ، ونشأة الخلافة بعد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويناقش فى ذلك أقوال المستشرقين .

٦ ــ ويجىء من بعد ذلك الفصل الثانى وفيه يتكلم عن نشأة الفرق السياسية الاسلامية ، ويسميها النظريات الإسلامية ، وفى هذا الفصل يشير الى أن **عهد النبى فى الحكم وعهد الراشدين الذى اتبعه وحاكاه هو العهود المثالية ويقول فى ذلك كلمة حكيمة وهى أن العهود المثالية قصيرة الأمد يعرف ذلك كل من يدرس تواريخ الأمم ، ولا سيما تاريخ حركات الاصلاح والانقلابات والثورات فى مختلف العصور .**

ولقد كان عصر النبى والراشدين بعد الهجرة نحو أربعين سنة ، منها ثلاثون بعد وفاة النبى ، ثم كان من بعد ذلك دخول النزعة الملكية فى الحكم الاسلامى .

وقد نبتت منابت الفرق الاسلامية فى عهد عثمان ، واستفلظ سوقها من بعد عهد على رضى الله عنه آخر الراشدين الأربعة ، وهو فى ذلك يشير الى مواطن الخلاف الذى ابتدأ فى سقيفة بنى ساعدة بين قريش وغيرهم .

وفى هذا الفصل يتكلم عن نشأة الحكومة الوراثية فى الاسلام ، وكيف استقبلها المسلمون كارهين لها ، ولكنها مضت والقلوب غير راضية ، والنفوس متململة ، ولكن كان للدعاية لجاجتها ، وان لم ترض عنها القلوب .

ويذكر نشأة الشيعة والخوارج ، ونظريات هاتين الفرقتين المتناقضتين .

وبجوار الفرق السياسية التى نشأت كانت الفرقة التى كان لها أثر واضح فى تفسير النصوص التى تتعلق بالعقائد على ضوء العقل والمنطق ، وهى فرقة المعتزلة ، وذكرها ، لأنها كانت فى زعم بعض العلماء سياسية ، وما هى كذلك ، ويتكلم عن مقام أهل الفقه والحديث فى وسط هذه الآراء المتنازعة ، وانهم كروضة يأوى اليها طالب الهدى الاسلامى ، كما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويتكلم عن المرجئة بكلام فيه ايجاز .

٧ ــ ويجىء من بعد هذا الفصل الثالث ، فيتكلم فيه عن الامامة الكبرى ، ودراستها دراسة علمية ، وأول من اتجه الى ذلك ، ويشير الى من تكلموا من الفرق المختلفة ، فيتكلم عن الخوارج ، ومن تكلم منهم فيها ، والمعتزلة ، ويزعم انهم كانوا خصوم الشيعة ، وسنشير الى وجه الحق فى ذلك ، ويستطرد الى الكلام فى الشافعى ورأيه فى الاجماع ، ووضع علم أصول الفقه ولا يضن على القرطاس ببيان خطأ بعض المستشرقين وأوجه الخطأ .

ثم يتكلم فى هذا الفصل عن الفرق بين الامامة والخلافة والملك ، ويشير الى الفرق بين الامامة الاسلامية ، وما كان سائدا قبل الاسلام من حكم استبدادى يمثله حكم قيصر وكسرى .

ويبين الفرق عند الشيعة بين الامام والخليفة ، وكيف كانوا لا يضنون على الحكام من مخالفيهم بوصف الخليفة ويضنون عليهم بوصف الامام ، ثم يبين أدوار الخلافة .

٨ ــ وينتهى من بحثه الى أن الامامة هى الحكومة التى يكون أساس الحكم فيها هو الشرع

الاسلامي ، ثم يتكلم في الفصل الرابع عن الحكم التكليفي للامامة ، أهي واجبة بمعنى أن اقامة امام واجب وجوبا كفائيا على المسلمين ، ويبين الرأي الذي يقرر ذلك الوجوب ، وسنده من الشرع ، من الاجماع وأقوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما شرعه الاسلام من وجوب دفع الضرر وجلب الصالح ، وينقل عن الماوردي في الأحكام السلطانية قوله : **مما تصلح به الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة وامورها ملتئمة سلطان قاهر تتالف برهبته الأهواء المختلفة ، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة ، وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة** » ويذكر في هذا الفصل أن من أسانيد الوجوب تنفيذ الواجبات الدينية وتحقيق العدل بين الناس .

ويذكر أن أقلية من المسلمين قالوا ان اقامة امام من الأمور الجائزة ، لا من الأمور الواجبة ، ويذكر أدلتهم . وانه لا يكتفي في هذا الفصل بذكر الأدلة النظرية ، بل يسرد الوقائع التاريخية ، وما وجهت به الآراء ، فقد رأى الناس أن الخلافة تتدلى الى الملك ، ويتسمى الملوك باسم الخلفاء ، بل باسم الأئمة ، ثم يتدلى الأمر حتى صارت حكومات تحكم باسم الاسلام ، وهو منه براء .

وقد بين انه خلف من بعد هؤلاء وأولئك خلف غير صالح اخذ يقرر أن الاسلام عقيدة وعبادة فقط وانه لم ينظم الحكم ، وليس له فيه سياسة ، وقد بين الكاتب بطلان ذلك القول فأبطل أساسه ، وأبطل ما قام عليه ، وقد أجاد كل الاجادة فيما قال من ردود قوية .

٩ — وفي الفصل الخامس تكلم في عقد البيعة للامام أو الخليفة ، وقد تعرض له من قبل بالاشارة ، وبين انه حقيقة واقعة قد تخيلها الكتاب في أوروبا في القرن السابع عشر ، فتخيلوا نظرية العقد الاجتماعي ، واتجهوا فيها الى مذاهب شتى ، فسلك في تصويرها جان جاك روسو مسلكا ، وسلك كل من هوبز ولوك الانجليزيان مسلكا آخر ، وكل هؤلاء كانوا يتصورون عقدا بين الأمة وحاكمها ، وقد أشار الكاتب الى أن ما تصوره هؤلاء ، قد حققه الراشدون حقيقة واقعة بالاختيار ، وحاول تحقيقها من جاء بعدهم .

وقد تصدى لبيان مقدار قوة عقد البيعة وآثاره ، ووجوب احترامه والوفاء به على أساس انه عقد من العقود التي يجب الوفاء بها ، ولا يجوز للحاكم أن يخيس في وعده ، فيقيم العدل ، وينفذ أحكام الدين ، ويلتزم شورى المؤمنين ولا يجوز لأحد من الأمة — ما دام الحاكم قائما بحق العقد ، بقيامه بالقسط ، وتنفيذه احكام القرآن والسنة ، وهما دستور الأمة وقانونها الأساسي — أن يخرج عليه ، أو لا ينفذ ما يأمر به في دائرة امر الله ونهيه ، والا كان باغيا يجب قتاله .

وان العقد لا يكون واجب التنفيذ الا اذا تحققت حرية التعاقد فيه ، فيكون بالاختيار والرضا الذي لا اكراه فيه ، فليس لمستكره عقد ولا يمين .

وقد تناول في تكوين العقد ، ومن يتكون منهم الكلام بالتفصيل الوافي ، والبيان الواضح ، وسرد الأقوال في بيان محكم جيد ، قد ميز بعضها عن بعض ، وساق ادلة كل فريق .

ثم تكلم من بعد ذلك على ولاية العهد ، وأنواعها ، وما يجب أن يتوافر من شروط لسلامتها ، وأوجب معها عقد البيعة الذي هو مناط الولاية وتنفيذ الأحكام .

وبين في استفاضة أن **الامامة لا تورث ، وان وراثتها لا تجوز عند جمهور المسلمين** .

وتكلم عن وحدة الامامة ، وجواز تعددها عند بعض الفرق الاسلامية ، وبين أن وحدة الامامة هي الأساس ، ثم تكلم من بعد ذلك على وحدة الأمة الاسلامية ، وتكلم في واقع الأمة الآن ، وما يجب اتخاذه لتنفيذ أمر الاسلام من غير خروج على حكم الواقع الذي جعل المسلمين متفرقين في مشارق الأرض ومغاربها .

١٠ — ولقد كانت الفصول السابقة في الامامة الكبرى ، وابتدأ في الفصل السادس في الولايات التي دونها ، وقد قسم الولاية الى :

ولاية تفويض تكون بعقد بين الامام ومن يوليه ،وهو في عقده يتولى عهد الأمة ، والى ولاية تنفيذ ، وهو يتولى ذلك من غير عقد ، لان المنفذ يتولى التنفيذ باذن منه ، وكانه شخصه ،

وهو فى هذا التقسيم ينقل ما جــاء فى الأحكام السلطانية للماوردى .

وللحاكم الأعلى أن يعزل والى التنفيذ فى أى وقت ، أما والى التفويض فقد اختلف فيه الفقهاء، فقيل بالمنع الا لسبب ؛ لأنه فيه نائب عن الأمة ، والأمة ترجع اليها آثار العقد ، وقيل بالجواز ، لأن الامام هو المســئول الأول فى كل الأحوال والصور ، ولكى تستقيم الأمور ، ولا تتعقد .

ويفيض الكاتب فى بيان واجبات الامام والولاة، ثم يقسم الولايات كتقسيم الماوردى فى الأحكام السلطانية .

١١ — وفى الفصل السابع يتكلم عن عــلاقة الأمة بالحاكم فى الفقة الاسلامى فيذكران أول واجب هو العدل ، ويسوق الآيات والأحاديث والأخبار الدالة على أن أساس الحكم فى الاسلام هو العدل .

وأساس العــدالة المساواة المطلقة ، أمــام القانون .

ويذكر أن الواجب مع العدل هو العمران ، أو ما يسمى فى لغة العصر بالتنظيم الاقتصادى ، ويجب أن يكون ذلك الاقتصاد قائما على العدل.

والواجب الثانى — هو الشورى ، وهى القاعدة الثانية التى تلى العدل فى ميزان الحكم ، وصلة الراعى بالرعية ، ويســـوق الأدلة الكثيرة التى تثبت أن الشورى أصل الحكم الاسلامى ، وانه لا يبيح الاستبداد .

والقاعدة الثالثة التى يقوم عليهم الحكم اعتبار الحكم تبعات ومسئوليات ، وليس متعة وشهرة، ويعتمد فى ذلك على أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى ما كان يفعــله الراشدون ، وما قرروه ، وما التزموه ، وان ذلك بلا ريب ثمرة لعقد المبايعة الذى التزم بمقتضاه القيام بالعدل ، ورعاية المصلحة ورفع الفساد ، والأخذ بالشورى فى عامة الأمور وجلائلها .

واذا لم يقم بحق العهد الذى التزمه بأن ظلم وبغى ، أو فسق عن أمر ربه وطغى ، فانه يكون مستحقا للخلع ، ويجب العمل على خلعه من غير فتنة ، ومن الفقهاء من يقول انه يصير مخلوعا بمجرد خروجه عما يوجبه العقد الذى عقده .

ويسوق كلام الفقهاء الدال على ذلك من غير تزيد فيه ، أو حمل له على غير معانيه .

وانه لا يكتفى بما يستشهد من نصوص ، بل أنه يبين بطلان من يزعم انه لا تبعات على الحاكم ، ويتتبع أقوال المستشرقين فينقضها قولا قولا .

١٢ — وقد ختم كتابه بخاتمة ، ولم تكن هذه الخاتمة نتيجة كلامه وثمرته أو فذلكتــه ، كما ينبغى أن يكون ، بل ان هذه الخاتمة كانت تتبعا لأقوال المستشرقين ، وردها ، وبيان مخالفتها للمصادر العلمية الاسلامية .

وقد ضمن هذه الخاتمة الفوارق الواضحة بين خواص الدولة فى الاسلام ، وخواصــها فى العصور الحديثة ، وينتهى من هذا الجزء من البيان بقوله :

« فالدولة الاسلامية اذن ، على هذه الصورة نظام فريد خاص بالاسلام ، لا يصح القول بانه يتطابق مع أى من النظم المعروفة » .

١٣ — وفى الحق أن الكاتب قد استولى فيما كتب على موضوعه تفكيرا وتعبيرا ، ودقة وعمقا ، واحكام عرض ، وحسن تأت لدقائق المسائل ، ومختلف الأقوال .

وانه لمن غمط الكاتب والكتاب حقه أن نقول أننا لم نلاحظ عليه شيئا ، فانه قلما يخلو كتاب عميق قيم من بعض الملاحظات وبمقدار عمقــه ودسمه تكون الملاحظة عليه .

وقد لاحظنا عليه ملاحظات فى تقسيماته ، وموضوعاته يصل بعضها الى درجــة الخطأ ، وبعضها الى درجة القصور ، ولنذكر بعضها من غير احصاء لها .

١٤ — ومن ذلك ما يأتى :

(أ) انه قال ان السلف سموا المعتزلة بهذا الاسم ، لأن **الحسن البصرى قال لواصل بعد أن** سمع رأيه فى مرتكب الكبيرة اعتزل مجلسنــا ، فاتخذ له مجلســا . وان ذلك الكلام يوهـــم القطيعة بين الحسن وواصل ، والواقع انهمـا كان على صلة أدبية وثيقة الى ان مات الحسن ، **وفوق ذلك فان صاحب المنية والأمل وهو المرتضى** قرر أن الحسن كان من المعتزلة ، ومع ذلك

أيضا فان الحسن لم يكن قوله فى مرتكب الكبيرة خيرا من قول واصل ، بل انه قرر أنه منافق يظهر الاسلام ويبطن غيره ، ويتخذ من اعلان الكبيرة والاصرار عليها دليلا على النفاق ، وقد ادعى الكاتب ان الحسن كان على راس المحدثين فى عصره ، وكنت أود أن يشير الى عدم قبول بعض المحدثين ، كالبخارى وغيره الرواية عنه ، لاتهامه بالقول فى القدر ، ولو قال كبير الواعظين لكان أصدق : والا فاين هو من سعيد بن المسيب، والشعبى وغيرهم من محدثى التابعين ، ولم يثبت انه رجع عن كلامه فى القدر .

(ب) انه لم يفصل القول فى الشيعة ، فلم يميز فرقها ، وكان حقا عليه أن يبين الذين انتسبوا الى الشيعة وقد خرجوا على الاسلام كالسبئية ، والغرابية ، ويبين الذين لم يخرجوا عن الاسلام كالزيدية ، والاثنا عشرية ، والاسماعيلية الذين لم يخرجوا عن الاسلام ، وهم الذين لم يقولوا بالحلول .

ولعل الشيعة أشد من تكلموا فى الامامة ، وسلطان الامامة ، وكيف يكون الامام ، والفرق بين اقوالهم ، ومن يقولون بوراثة الامامة .

(ج) وقد جاء فى ص ٨٣ ما نصه : « اما المعتزلة فكانوا خصوم الشيعة المقابلين لهم فى كل شيء ، وقد عارضوهم فى مسائل الامامة كما عارضوهم فى مسائل التشبيه وغيرها .. » .

وان فى هذا الكلام حقا ، وفيه خطأ ، وخطؤه فى التعميم ، وهو أن المعتزلة قد عارضوا الشيعة فى كل شيء .

والحق أن المعتزلة قاوموا الذين تسموا باسم الشيعة وهم خارجون على الاسلام كالذين قالوا بالحلول والتشبيه والتجسيم ، وهم الذين قاومهم واصل بن عطاء والنظام والجاحظ ، وغيرهم من ائمة المعتزلة ، وأما ما يتعلق بالعقائد وتفسيرهم لها ، فانهم يتلاقون مع الشيعة غير الخارجة عن الاسلام ويبدو ذلك فيما يأتى :

١ — ان صاحب المنية والأمل وهو المرتضى من الشيعة ، ويجعل آل البيت جميعا على منهاج المعتزلة .

٢ — أن واصل بن عطاء كان ممن لازموا زيد ابن على ، وقالوا ان زيدا رضى الله عنه أخذ عنه عقائد المعتزلة .

٣ — أن كثيرين من كتاب الشيعة يصرحون بأن آراءهم فى تفسير العقيدة تتفق مع آراء المعتزلة ، وقد قرر ذلك ابن ابى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة للامام على كرم الله وجهه .

٤ — ان آراء الشيعة من زيدية واثنا عشرية وغيرهم لو درستها فى كتبهم لوجدتها فى جلها متفقة مع آراء المعتزلة فيما يتعلق بالعقيدة .

(ج) وقد تكلم الكاتب الباحث فى مسئولية الامام أو الحاكم بكلام قيم ممتاز ، ولقد كان كلامه يبلغ حد الكمال لو بين أن الفقهاء اجمعوا على أن الامام لو ارتكب جريمة توجب القصاص لوجب القصاص منه ، وأنه لو ارتكب جريمة توجب الحد ، قررت الكثرة العظمى انه تجب اقامة الحد عليه، ولم يخالف فى ذلك الا أبو حنيفة.

ولقد قرروا انه فى حال وجوب القصاص يجب على جماهير المسلمين ان يعينوا المجنى عليه حتى يقتص له .

١٥ — هذه بعض ملاحظات أوجب التحقيق العلمى ذكرها ، وهى لا تغض من قيمة الكتاب ، وقيمة كاتبه ، فهو من عمل البشر ولا يوجد كتاب كامل الا كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد قال تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » : صدق الله العظيم .

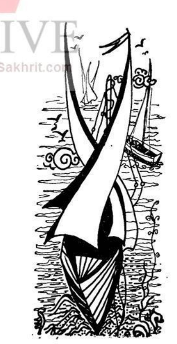
محمد أبو زهرة

ديوان إبراهيم طوقان

يدفعني للكتابة عن هذا الديوان أنه لم يكتب عنه من قبل ، وأن صاحبه شاعر فلسطين غير مدافع ، وأن مؤرخي الأدب ونقاده في مصر لم يترجموا له ، ولم يقـدموا نماذج من شعره فيما ألفوا ، وأن جمهور القراء في مصر لم يطلع على شعره كمـا أشرت الى ذلك في الصفحة الثامنة والعشرين بعد المائة من كتابي « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » عنـدما تناولت الحياة الفكرية والادبية في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني وقد أطل شـاعرنا على رحاب الوجود سنة ١٩٠٥ ورحـل عن دنيانا سنة ١٩٤١ ولم تتح له حياته القصـيرة نشر ديوانه وبعد أربعة عشر عاما وفي سـنة ١٩٥٥ تولت دار الشرق الجديد في بيروت نشر الديوان في حلة قشيبة من الطباعة والاخراج ورصعته باللوحات والرسوم .

ويبدأ الديوان بقصيـدة رثاء للشـاعر رثاه بها صديقه الأستاذ جـلال أمين زريق فكلمة لشقيق الشاعر الأستاذ أحمد طوقان أبان فيها الأسباب التي أخرت نشر الديوان ومن أهمها وقوع مأساة فلسطين كمـا أوضح أن الديوان ــ على الصورة التي ظهر فيها ــ من عمل الشاعر قبل موته فهو الذي أختار القصائد ورتبها بعد أن حذف وعدل ونقح فيها .

يلي ذلك مقدمة لشقيقه الشـاعر فدوى





الناشر : دار الشرق الجديد - بيروت - ٢٢٤ ص ١٧×٢٤ سم

طوقان وهى مقدمة طويلة استغرقت اثنتين وعشرين صفحة والواقع انها ليست مقدمة بالمعنى المفهوم لانها لم تتناول مادة الديوان الشعرية بقدر ماتناولت حياة الشاعر ومراحل تطورها ، وميادين العمل التى خاضها . وقد كانت هذه المقدمة فى الأصل بحثا نشرته الشاعرة عن اخيها فى كتيب صغير من سلسلة الثقافة العامة التى اصدرت المكتبة العصرية فى يافا اعدادا منها قبل المأساة وعنوان البحث « أخى ابراهيم » وتاريخ نشره سنة ١٩٤٦ .

وابتداء من الصفحة الخامسة والثلاثين تطالعنا المادة الشعرية فى الديوان موزعة على ثمانية اقسام بالترتيب الآتى : الوطنيات ، السياسيات ، الغزليات ، المتفرقات ، المراثى ، مصرع بلبل ، الأناشيد ، مرابع الخلود وقد اضاف الاستاذ احمد طوقان اليها قسما تاسعا بعنوان قطع مبعثرة ومصرع بلبل قصيدة رمزية تمثل الواقع فى حياة المدينة الكبرى حين يدخل غمارها الشاب القادم من البلدة الصغيرة أو القرية البسيطة فتخلبه بفنون لهوها والوان عبثها ، وتجذبه فيرتمى بين أحضانها وتودى به الضلال ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح هنالك افلاس اما فى المال واما فى الصحة فى المستقبل واما فى الثلاثة جميعا حيث

تمثل الفاجعة الأبدية ، أما البلبل فرمز الشاب المخدوع واما الوردة فرمز بائعة اللهو والعبث ، وأما الروض فرمز الحانة أو الملهى . وتقع القصيدة فى حوالى ثمانين بيتا واما مرابع الخلود فقصيدة القاها الشاعر فى حفل الذكرى الألفية للمتنبى سنة ١٩٣٥ .

وشعر الوطن فى ديوان ابراهيم يشمل الوطنيات والسياسيات والمراثى والأناشيد لان الشاعر كان يخص المرثى بأبيات قليلة ينتقل بعدها الى قضية الوطن المنكوب وبحسبنا ان نقدم مثالا على ذلك قصيدته فى رثاء المرحوم موسى كاظم الحسينى التى نال المرثى منها تسعة أبيات فقط وكانت البقية فى قضية الوطن ومنها يقول :

وطنى أخاف عليك قوما أصبحوا
يتساءلون من الزعيم الأليق
لا تفتحوا باب الشقاق فانه
باب على سود العواقب مغلق
والله لا يرجى الخلاص وأمركم
فوضى ، وشمل العاملين ممزق
أما الزعامة فالحوادث امها
تعطى على قدر الفداء وترزق

وكما تعتبر المراثى قصائد وطنية تعتبر اناشيد الشاعر كلها اناشيد وطنية .

وشعر ابراهيم فى وطنياته وسياسياته ومراثيه واناشيده صورة صادقة لحبه لوطنه، وتفانيه فى خدمته، واشفاقه عليه من دسائس الاستعمار والصهيونية، ومرآة انعكست عليها حالة فلسطين السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى ظل الانتداب البريطانى الذى فرضته بريطانيا لتحقيق وعد بلفور، وتجعل من فلسطين دولة يهودية بعد اجلاء أهلها عنها أو ابادتهم بشتى الوسائل والسبل لنستمع اليه من مقطوعة عنوانها أيها الأقوياء ص ٧٦ نظمها سنة ١٩٣٥ موجهة الى حكومة الانتداب تصور حالة شعب فلسطين تحت نار الانتداب وتغيض بالسخرية من الدولة المنتدبة .

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة
وختمنا لجندكم بالبساله

وعرفنا بكم صديقا وفيا
كيف ننسى انتدابه واحتلاله

وخجلنا من لطفكم يوم قلتم
وعد بلفور نافذ لا محاله

ولئن ساء حالنا فكفانا
أنكم عندنا بأحسن حالة

غير أن الطريق طالت علينا
وعليكم فمالنا والاطالة

اجلاء عن البلاد تريدون
فنجلو أم محقنا والازالة

ويقول من مقطوعة عنوانها «١٠٠٠» ص ٧٩ نظمها سنة ١٩٣٥ أيضا ورقم الالف هو وحدة الهجرة اليهودية التى فتحت حكومة الانتداب لها أبواب فلسطين .

أرى عددا فى الشؤم لا كثلاثة
وعشر ، ولكن فاقه فى المصائب

هو الالف لم تعرف فلسطين ضربة
أشد وانكى منه يوما لضارب

يهاجر الف ثم الف مهربا
ويدخل الف سائحا غير آيب

والف جواز ثم الف وسيلة
لتسهيل ما يلقونه من مصاعب

وفى البحر آلاف كأن عبابه
وأمواجه مشحونة فى المراكب

بنى وطنى هل يقظة بعد رقدة
وهل من شعاع بين تلك الغياهب ؟

لقد استلهم ابراهيم طوقان فى شعره كل جانب من جوانب محنة فلسطين واستوحى كل حادثة ، ووقف عند كل مظهر فكان شعره ثورة على بلفور ووعده والانتداب وجناياته والصهيونية واهدافها . **كما أيقظ هذا الشعر وعى عرب فلسطين وبصرهم بما يراد بهم ، وألهب مشاعرهم ومجد البذل وقدس التضحية، وكرم البطولة وخلد الأبطال والشهداء وصورهم فى أزهى الصور . ودعا قومه الى وحدة الصف والمحافظة على الأرض وصيانتها ولقد غدا هذا الشعر سلاحا فتاكا فى المعركة التى خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية جعل حكومة الانتداب تطارد الشعراء وتسن قانونا ينص على ان جريمة التحريض على الثورة باللسان أو بالقلم جناية عقابها السجن لمدة سنوات** . ويطول بى المقام اذا سقت النصوص الشعرية فى الديوان والجوانب التى استلهمتها ولكنى أقف عند نص واحد تنبأ فيه الشاعر بمأساة بلاده قبل وقوعها بثلاثة عشر عاما اذ نجد فى الصفحة السابعة والثمانين من ديوانه قصيدة عنوانها « مناهج » يرجع تاريخ نظمها الى سنة ١٩٣٥ وقد كانت هذه السنة فى فلسطين مليئة بالأحداث والخطوب وفيها يقول :

امامك أيها العربى يوم
تشيب لهوله سود النواصى

مصيرك بات يلمسه الأدانى
وسار حديثه بين الأقاصى

فلا رحب القصور غدا بباق
لساكنها ولا ضيق الخصاص

لنا خصمان ذو حول وطول
وآخر ذو احتيال واقتناص

تواصوا بينهم فأتى وبالا
واذلالا لنا هذا التواصى

مشــاهج للابادة واضحيـــات
وبالحسنى تنفذ والرصـــاص

وقد صدقت نبوءة الشاعر فى سنة ١٩٤٨ واقبل اليوم الرهيب الذى اشـــاب النواصى السود ، واضاع الدور والقصــور على ان اروع شـعر ابراهيم الوطنى هو ذلك الشعر الذى خلد به شهداء فلسطين وقصيــدتاه الشهيد ص ٣٦ والفدائى ص ٦٥ من أعلى طراز فى الشعر المعاصر دقة وصف وروعة تصــوير وفيهمـا يصور لنا ما يجول فى نفس الشهيد من عواطف وما يتقد فيها من حب للتضحية لا يبغى من وراء ذلك خلود اسم أو اكتساب شهرة ، وقد ارتفع فيهما الى النطاق العام وابتعد عن الجو الخاص والمناسبة الخاصة وقد وفق السادة الأساتذة الاجلاء محمد خلف الله احمد وعمر الدسـوقى وزملاؤهما فى اختيار قصيـــدة الشهيد كنص مقرر على طلبة الثانوية العامة وطالباتها فى العام الدراسى الحالى . وهـــذه اول مرة فيما أعلم يختار فيها واضــعو نصوص الثانوية العامة شعرا لشاعر من فلسطين ولقد اثلج هذا الاختيار صــدرى لانه سيتيح لعـــدد كبير من المثقفين الاطلاع على شعر الشاعر . ومن اعماقى اشكر للســادة المؤلفين حسن اختيارهم .

ويقــــول ابراهيم طوقان من قصـــــيدة « الشـــهيد » .

عبس الخطب فابتسـم
وطغى الهــــول فاقتحم
رابط الجــاش والنهى
ثابت القلب والقـــدم
نفســـــــه طوع همة
وجمت دونهــــا الهمـم
تلتقى فى مزاجهــــــــا
بالأعاصير والحمــم
وهى من عنصر الفـداء
ومن جوهـــر الكرم
ومن الحق جـــــذوة
لفحها حــــرر الأمم

وكما ابدع الشاعر فى شعره الوطنى ابدع واجاد فى شـعره الغزلى فصــور فنون هواه



وسعادة وصله ، ولوعة الهجران أجمل تصوير لنستمع اليه فى مقطع من قصيدته « حملتنى نحو الحمى أشجانى » ص ٩٨

ذاكر انت عهــدنا ياغـــدير
يوم كنا والعيش غصن نضـير
وعلى ضفتيـــك كنا نســير

فرويت الحــديث عنا شـجونا
واخــذنا عليــك الا تخــونا

فاعد لى ذاك الحــديث فانى
اذهلتنى النــوى عن التــذكار

ويقول من قصيدة عنوانها «حيرة» ص ١٠٢

ما كنت أرغب أن أسمى قاسـيا
فانفر الأحــــلام من عينيها
والشـــــوق يدفعنى الى ايقاظها
ويدى تحـــاذر أن تمـد اليها
وكانما شـــعر الرقاد بنعمـــة
فاقام غـير مفـــارق جفنيها
ويل لقلبى كيف لم يفتـــك به
مـــــــرأى تقلبها على جنبيها
وتنهـــــدت مما تكن ضـلوعها
يا شـــوق ويحك لا ترع نهديها
حسبى جوى انى نظرت لشعرها
ينكب مرتشـــفا ندى خـديها

وأغار منه اذا اطمأن بها الكرى
ويثيرني متوســـدا زنديهـــا

***

ارنو بلهفة عاشــق لم يبق من
صبر لدى وقد حنــوت عليها
فيصـــدنى ادبى فابعد هيبــة
واود لو اجثـــو على قدميها
فالنفس بين تهيب ممـــا ترى
وتلهب فاحترت فى امريهـــا

اما المتفرقات فهى قصـــائد تناولت كل قصيدة منها موضـــوعا واحـــدا وتضم ستة قصـــائد ملائكة الرحمـة وهى وصف جميل للممرضـــات . والحبشى الذبيح وهى وصف للديوك الحبشية التى تذبح فى أفراح المعيـــدين لتكون (عروس الموائد) وتشبهها فى ذلك الأمم المغلوبة على أمرها .

ونعمة العافية والدم الخفيف ومناجاة وردة والشـاعر المعلم وقد شاء القـدر لابراهيم ان يمارس مهنــة التعليم ويلقى فيها الأهـــوال والصعاب فيدفعه ما لقى الى معارضـــة قصيدة شوقى ـ يقـــول ابراهيم طوقان فى معارضـــة لشوقى فى الوان من الدعابة ص ١٤٤ .

شوقى يقول وما درى بمصيبتى
« قم للمعلم وفــه التبجيلا »
اقعـــد فديتك هل يكون مبجلا
من كان للشيء الصـــغار خليلا
ويكاد (يفلقنى) الأمـــير بقـــوله
« كاد المعلم ان يكون رسولا »
لو جرب التعليم شوقى ســـاعة
لقضى الحيـــاة شقاوة وخمولا

***

حسب المعـــلم غمـــة وكآبة
مرأى الدفاتر بكـــرة واصيـــلا
مئة على مئة اذا هى (صلحت)
وجـــد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان فى (التصليح) نفعا يرتجى
وأبيـــك لم آك بالعيون بخيـــلا



لكن أصـــلح غلطة نحـــــوية
مثلا واتخـــذ الكتـــاب دليلا
مسترشـــدا بالغـــر من آياته
أو بالحـــديث مفصـــلا تفصيلا
واغوص فى الشعر القديم فانتقى
ما ليس ملتبســـا ولا مبـــذولا
واكاد أبعث (سيبويه) من البلى
وذويه من أهـــل القرون الاولى
فارى ... بعـــــد هذا كله
رفع المضـــاف اليـــه والمفعولا

***

لا تعجبوا ان صحت يوما صيحة
ووقفت ما بين (البنوك) قتيلا
يا من يريد الانتحـــار وجـــدته
ان المعلـــم لا يعيش طـــويلا

اما القطع المبعثرة التى اضـــافها الأستاذ احمد طوقان فتضم ثمانى مقطوعات فى الغزل .

وتبدو خصائص الشاعر الفنية فيما قدمنا له من نماذج قليلة فهو شاعر موهوب نمى موهبته الشعرية بالادمان فى قراءة عيون الأدب العربى ، وكان كتاب الأغانى أحب الكتب الى نفسه . وقد اتسعت ثروته اللغوية ، وسما ذوقه الأدبى فأحسن اختيار الفاظه ، ووفق فى صياغة عباراته لم يستعص عليه لفظ ، ولم يتأبى عليه تركيب .

وموسيقاه الشعرية شجية النغم حلوة الرنين تتلون بلون عاطفته ويبدو هذا التلوين فى تعدد نظام قصائده فتارة تكون القصائد من وزن واحد وقافية واحدة ، وتارة ثانية تكون من وزن واحد وقافية متعددة ، وتارة ثالثة تسلك نهج الموشحات .

وصوره الحسية والمعنوية ناطقة بانطلاق خياله وقوته وقدرته على الخلق والابداع . وبحسبنا ان نشير الى الصور الرائعة التى تضمنتها قصيدته الشهيد .

فالشهيد يبتسم اذا عبس الخطب ، وينتقم اذا طغى الهول ، ونفسه طوع همته التى ضعفت الهمم دونها وهى ليست من نفوس البشر ولكنها من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم وهى جذوة من الحق حرر لفحها الأمم . والى ما احتوت عليه قصيدته حيرة من صور بديعة تغير الأحلام من العينين ــ شعور الوفاء بالنعمة ــ الشعر الذى يرتشف ندى الخدين .

والعاطفة عند الشاعر متوهجة تحس ضرامها فى كل قصيدة ومقطوعة وتتلك هذه العاطفة الى جو الشاعر فتعيش معه فى فرحه وحزنه وسعادته وشقائه وفى الله وامله .

وقد جمع الشاعر فى شعره بين الصدق الفنى والشعورى وزاد من قيمة شعره تفاعله مع محنة بلاده واستجابته لنداء وطنه . ودعوته لتحرير امته العربية .

واذا كان لنا من ملاحظات على الديوان فاننا نوجزها فى ثلاث :

الأولى : ان الديوان لم يضم كل ما قال الشاعر فهناك عدد من القصائد لم تنشر فى الديوان اطلعنا على قسم منها فى مخطوطة الشاعر نفسه ، وورد قسم ثان منها فى كتاب شاعران معاصران ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابى للدكتور عمر فروخ زميل الشاعر فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وقسم ثالث فى كتاب ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب للدكتور زكى المحاسنى وقسم رابع فى كتاب الوطن فى شعر ابراهيم طوقان للبدوى الملثم ومن هذه القصائد قصيدة طويلة فى تحية مصر يقول منها

اليك يا مصر ايمائى وملتفتى
ونور نهضتك الفراء يهدينى

ولى أواصر قربى فيك ما برحت
لها مضى ذات توثيق وتمكين

شقوا القناة عساها عنك تبعدنى
انى ؟ ومن لفتى جسر سيدنينى

الملاحظة الثانية : اننا كنا نؤثر رد الأقسام الثمانية التى وزعت المادة الشعرية عليها الى اربعة هى أولا الوطنيات وتشمل السياسيات والأناشيد . وقد قررت قبل قليل ان جميع اناشيد الشاعر وطنية . ثانيا الوجدانيات ونعنى بها قصائد الغزل بنوعيه الحسى والمعنوى ثالثا الوصف ونعنى به المتفرقات رابعا المراثى .

الملاحظة الثالثة : اننا كنا نود ان تقدم كل قصيدة من قصائد الديوان بكلمة توضح الجو الذى قيلت فيه على نمط ما اتبع فى قصائد حطين ، ومرابع الخلود ، والحبشى الذبيح .

وسلام على ابراهيم طوقان شاعر فلسطين فى الخالدين .

كامل السوافيرى

تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي

ان الكتاب الذى يحمل عنوانا هاما ، يدفع الدارس الى تمحيص أبوابه ووصوله لكى يفيد من اضافة مبتكرة أو جهة نظر شخصية تثرى وتعمق من ثقافتنا . فماذا نجد فى هذا الكتاب اذا أردنا تقييمه ؟ حاول المؤلف أن يعطى القارىء فكرة عامة عن موضوع خطـــير هو الحضارة الاسلامية . ولذلك تعرض لمعظم جوانب هـــذه الحضارة موفقا فيما يتعلق بتخصصه وهو تاريخ الفقه الاسلامى وان لم يوفق فى الجوانب التى لم يتعمق دراستها .

ففى الفصل الأول يعرض لمفهوم نظـــرية الحضارة عموما ويحاول أن يعرفها ويتطرق الى نشأتها وتطورها من خـــلال عناصرها وعوامل تكوينها ويحاول تطبيق هذه النظرية على الحضارة الاسلامية بالذات . لذلك يستعرض أحـــوال العالم والعرب قبل الاسلام .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن جيران العرب من الفرس والروم ويصف طبيعة جزيرة العرب واوضاعها السياسية .

وفى الفصل الثالث يتكلم عن أصول الحضارة الاسلامية فيبدأ بالقرآن الكريم والسنة النبوية . ثم يقدم لنا التشريع الاسلامى فى نواحيه المتعددة من معاملات وحدود وآداب واذ يعرض لموضوع الجانب الاقتصادى فى التشريع يوضح لماذا حرم الاسلام الربا وكيف ينهى عن تكديس المال لكيلا يكون دولة بين الأغنياء .

وفى الفصـــل الرابع عرض لنظـــم الحكم وديمقراطية الاســـلام فى انتخاب رأس الدولة وناقش قضية تخصيص الخلافة بقريش ، وهى قضية قديمة شغلت المسلمين .

ثم عقد دراسة مقارنة موجزة بين الخلافة الملتزمة بالشورى ونظم الحكم الأخرى واذ ينتهى من عرض الأساس الدستورى الذى يقوم عليه رأس الدولة الاسلامية يوضح أسلوب ممارسته للادارة ويخلص الى موضـــوع الوزارة فيوقف القارىء على الأصول اللغوية لكلمة وزر . ثم يبين الصفات اللازمة فى الوزير . ونرى كيف اعتبر أبو بكر وزيرا للنبى وكيف لم يكن للخلفــــاء الراشدين وزير معين . أما عن الأمويين فلقد ظهر من يقوم بمهام المنصب دون اطلاق اللقب عليه وفى عهد العباسيين ظهر من يجمع بين مهام المنصب واللقب . وظل الوزراء يمارسون مهام منصبهم حتى تلاشى نفوذهم فى أواخر الدولة العباسية وظهر بدله منصب أمير الأمراء الذى تمتع به بنو بويه ثم انتقل الى السلاجقة واستمر هذا اللقب حتى سقط بسقوط بغداد .

أما فى الأندلس فوجد ما يعـــرف بالوزير المخصص فى المالية أو العدل وارفعهـــم شـــأنا ما يباشر السلطان فى كل وقت واسمه الحاجب .

والوزارة نوعان تنفيذ وتفـــويض ، والأولى محدودة السلطة بعكس الثانية . ولقد ظهـــر منصب الحجابة فى النظم الاسلامية على عهـــد الأمويين بعد أن كان النبى والخلفاء الراشدون لا يحجبون أحدا . والعباسيون هم الذين عددوا من الحجاب خصوصا فى العصر المتأخر . اما فى الأندلس فلا ينس أحد سلطان الحاجب الخطير المنصور بن أبى عامر .

ومن وظيفة الحاجب الاشراف على أمـــور الكتابة للخليفة أو الامام . وهذه الوظيفة قد تطورت من البســـاطة الى التخصص فى العصر الأموى فظهر كاتب للرسائل وآخر للخراج وثالث للجنـــد ورابع للشرطة وخامس للقاضى . وفى

تأليف : أبو زيد شلبي

الناشر : مكتبة وهبه
٣٨٧ صفحة ٢٤×١٧ سم

العصر العباسي ظهر كتاب مبرزون مثل يحيى والفضل وجعفر من البرامكة والفضل بن الربيع والحسن بن سهل واحمد بن يوسف . ثم **استقلت الكتابة عن الوزارة وظهر ما نسميه برئيس ديوان الانشاء** . وكلمة ديوان فارسية . ولم يوجد الديوان فى عهدى النبى وابى بكر . وفى عهد عمر اتسعت البلاد فدونت الدواوين . أما فى العصر الأموى فصار هناك ديوان الجند وآخر للخراج وثالث للرسائل ورابع للخاتم وخامس للبريد . واهم حدث فى تاريخ الادارة الاسلامية تعريب الدواوين على يد عبد الملك ابن مروان . والعباسيون استحدثوا :

١ ـ ديوان الزمام (المحاسبة) .
٢ ـ ديوان الأكريه (أشغال الري) .
٣ ـ ديوان الأحداث .
٤ ـ ديوان البريد (رسائل ومخابرات) .

ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن النبى قاضيا والقيمة الفقهية الكبرى لا قضية رسول الله . ثم يستطرد الى القضاء فى عهد الراشدين واهم وثائقه ما سنه عمر دستورا للقضاء من خلال رسالة بعث بها الى القاضي أبى موسى الأشعرى . ولما لم تكن المذاهب الأربعة قد ظهرت فى عصر الأمويين ، اجتهد القضاة فيما لا نص فيه بعيدا عن التأثر بالسياسة . وكانت السياسة تطل برأسها فى قضاء العصر العباسى وضعف روح الاجتهاد عند القضاة وأصبحوا يحكمون وفقا لمذهب من المذاهب الأربعة . وهنا لأول مرة يظهر منصب قاضى القضاة ، وأما قاضى المظالم فكان يختص بما يختص به اليوم مجلس الدولة ومحكمة النقض .

واقتضت ضرورة التصرف السريع فى قضايا الحياة اليوميةظهور نظام الحسبه . واختصاصات والى الحسبة يقوم بها اليوم هيئات مثل النيابة الادارية ـ مصلحة التنظيم ـ مصلحة الدمغة ـ مراقبة الصيدليات بوزارة الصحة ـ مصلحة الطرق والكبارى ـ وزارة الأوقاف ـ ووزارة الاسكان .

ولقد توسل امام المسلمين الى حماية الأمن الداخلى بنظام الشرطة وأول من استنه عمر بن الخطاب . وسمى صاحب الشرطة عند الأمويين باسم صاحب الأحداث . وفى الأندلس قسمت الى شرطتين : كبرى تختص بجنايات اهل المراتب السلطانية وصغرى للعامة . ولابد لصاحب الشرطة من الاتصال بولى الأمر من المدن المختلفة وكان ذلك يتم بطريق البريد . **والعباسيون هم الذين استخدموا البريد لمثل ما تقوم به هيئة المخابرات اليوم** . وكان الحمام الزاجل يوفر لصاحب البريد عنصر السرعة وبلغ ثمن الطائر سبعمائة دينار . وهناك وسيلة أسرع من الحمام وهى بناء الأبراج على المرتفعات ونقل الاشارات الهامة عليها باشعال النار فيها على التوالى فكانت الرسالة تصل من الاسكندرية الى سبته فى ليلة واحدة . والرسائل الحربية اهم ما كانت تشغل رأس الدولة الاسلامية وهذا ينقلنا الى الحرب فى الاسلام . والمؤلف يقدم للموضوع بمقدمة فقهية طويلة عن مشروعية الحرب الدفاعية وموقف الاسلام ومعاملته لمخالفيه اذا صارعوه بالقوة ، وما ينبغى للقائد فى تسيير دفة الحرب البرية . اما الحرب البحرية فقد توجس منها عمر خيفة ، وتردد عثمان كثيرا فى اجابة معاوية لقتال الروم بحرا واخيرا هاجم الروم البرلس سنة ٥٣ هـ فاهتم أمراء مصر ببناء السفن وبدأت الدولة الاسلامية تنمو كقوة بحرية ضاربة فى

البحر المتوسط تنتهى الى احتلال صقلية أيام الأغالبة . ويتصل الاهتمام بالأساطيل فى عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك .

ويختتم المؤلف الفصل الرابع بالحديث عن حكومة الاقاليم . ونرى أن النبى ولى عماله على الطائف والبحرين وحضرموت وصنعاء . وكلما اتسعت اقاليم الدولة الاسلامية كثر ولاتها الذين كانوا من العرب فى عهد الأمويين . وظل الحال كذلك حتى المعتصم فظهر الولاة الأتراك . والامارة ضربان : امارة استكفاء وامارة استيلاء . الأولى بالتفويض والثانية اشبه بانقلاب يرغم السلطة المركزية على الاعتراف بالأمر الواقع . واهم ولاة الاستكفاء عمرو بن العاص ـ الحجاج ـ خالد القسرى . واذا آنس الوالى المحلى من السلطة المركزية ضعفا استقل كالأغالبة فى افريقية وابن طاهر فى خراسان وابن طولون فى مصر .

فى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن نشأة العلوم الاسلامية فيفرد للحديث جانبا يحدد فيه منزلته من القرآن ومراحل العناية بالرواية وكيف قلت فى عهد الراشدين تحرزا من الكذب على رسول الله . ثم ظهرت فى أفق الحياة الاسلامية فرق سياسية وفكرية تراشقت بالجدل وظهر الكذب فى الحديث . وهنا اجمع علماء الأمصار على تسويغ تدوين الحديث . واول من امر بذلك عمر بن عبد العزيز مخافة الضياع ولوت الحفاظ وكثرة الابتداع .

واختلفت طرائق المحدثين فى التدوين فهناك من يجمعون احاديث كل باب على حدة وقام آخرون بتدوين احاديث الأحكام فقط . اما الطريقة الثالثة فتجمع الأحاديث التى يرويها كل صحابى على حدة باسم المسند مثل (مسند ابن حنبل) . والطريقة الرابعة هى جمع الصحيح من المرويات (صحيح البخارى وصحيح مسلم). ولما كان الحديث يبين ويفسر القرآن فلقد انفتح الباب لعرض موضوع التفسير . والتفسير اقسام ثلاثة ١ ـ بالمأثور ـ ٢ ـ بالرأى ـ ٣ ـ بالاشارة. والمأثور هو بيان المعنى بما جاء فى القرآن نفسه أو السنة أو كلام الصحابة . ثم تجىء طبقة التابعين وينقسمون بحكم المواطن وهم : (أ) المكيون (ب) المدنيون (ج) العراقيون والطبقة الثالثة طبقة جمعت اقوال الصحابة والتابعين مثل سفيان بن عيينه . والطبقة الرابعة تتكون من مفسرين اعلام كالطبرى وابن ماجه وابن مردوية والطبقة الخامسة طبقة اختصرت الأسانيد منها الزجاج النحوى والطبقة السادسة هم البارعون فى علم من العلوم مثل الفخر الرازى (فلسفة) والقرطبى (فقه) .

هذا هو التفسير بالمأثور واعلامه .

اما اشهر المفسرين بالراى فهم :

١ ـ الامامان الجلالان .

٢ ـ البيضاوى .

٣ ـ النسفى .

٤ ـ الالوسى .

اما رجال التفسير الاشارى فمنهم متصوفة كابن العربى والتسترى والألوسى والنيسابورى، ومنهم أهل الكلام من السنة والمعتزلة والباطنية والشيعة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن **الفقه** : وله اربعة اطوار :

(أ) النشأة فى عهد النبى .

(ب) الشباب ـ وفيه ظهرت نزعتا أهل الحديث واهل الراى .

(ج) الكمال وهو عصر المذاهب الاربعة الكبرى وبجوارها تظهر الشيعة .

(د) الشيخوخة وهو طور التقليد الذى يتمرد عليه ابن تيمية وابن القيم .

اما **النحو** : فواضع أساسه الأول أبو الأسود الدؤلى وله اربعة اطوار :

١ ـ طور التكوين فى البصرة .

٢ ـ طور النمو على يد الخليل بن احمد ومدرسته .

٣ ـ طور الكمال على يد ابن السكيت وزملائه .

٤ ـ طور الترجيح وهو طور يشترك النحاة العراقيون مع المصريين والشاميين والأندلسيين

فى اثرائه . واكبر مدرستين عموما هما مدرسة البصرة (الخليل بن احمد – سيبويه – المبرد) ومدرسة الكوفة (الرؤاس – الكسائى – الفراء) .

اما الفصل السادس فيخصص لمظاهر العمران . ومن الواضح أن الحضارة الاسلامية ابدعت اطارا ماديا معماريا تدفقت فيه حياتها فظهرت مدن جديدة كالبصرة والكوفة والفسطاط وبغداد . وفى داخل كل مدينة ازدهرت طرز معمارية اسلامية . والقارىء سيجد فى هذا الموضوع نقصا فى المراجع والنتائج الفنية سببه عدم رجوع المؤلف الى اهم المراجع التى كتبها أساتذة هذا الفن مثل كريزويل وجاستون ڤيت و د. كمال سامح و د. جمال محرز وكثير من تلك المراجع لم تترجم للغة العربية .

والطرق التجارية خصص لها المؤلف صفحة واحدة ٢٥١ ونرجو من الكاتب فى الطبعة التالية أن يفيد من ابحاث أساتذة قسم الجغرافيا الاسلامية بمعهد الدراسات العليا الاسلامية فى القاهرة ليكتسب موضوعه عمقا . أما فنون الاسلام فى الشعر والخطابة والموسيقى والغناء والخط والزخرفة فقد خص كل موضوع بثلاث صفحات فأجهض المادة العلمية اجهاضا لا مزيد عليه لانه انساق انسياقا وراء العموميات فى كتاب جامعى موجه لطلبة الدراسات التاريخية .

وفى الفصل السابع تحدث عن تكوين المجتمع العربى وانتقل الى الأسرة ومركز المراة واحوال الرقيق الذين فتح أمامهم باب الحرية من ادنى سبيل . وعن اشتراكية الاسلام انتهى الى أن النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى أمثل الأنظمة فى دولة اسلامية . ولقد اغفل المؤلف واحدا من أهم المراجع العلمية فى الموضوع كتبه د. عبد الله العربى عميد معهد الدراسات العليا الاسلامية بعنوان الملكية الاقتصادية فى الاسلام .

أما الفصل الثامن فخصصه للحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وميزانية بيت المال ايرادا ومنصرفا .

وفى الفصل التاسع ناقش الحركة الفكرية فتكلم عن الشيعة والخوارج وأهل السنة واكتفى فى ذلك بالتعريفات الموجزة واخذ يسرد تراجم مضغوطة لخمسة من فلاسفة الاسلام (الكندى – الفارابى – ابن سينا – الغزالى – ابن رشد) وبنفس الأسلوب الموجز جدا أشار الى أهم انجازات المسلمين فى العلوم الطبيعية والاجتماعية .

وختم المؤلف كتابه بفصل عاشر عن أثر الحضارة الاسلامية فى الحضارة الأوروبية فى سبع صفحات ملأها بالتعميمات والقضايا التى لا يمكن أن تتسع لها تلك الصفحات لتمحيصها وافادة القارىء بنتائج ذات بال لأنه (شأنه فى كثير من فصول الكتاب البعيدة عن مجال تخصصه فى تاريخ الفقه الاسلامى) يعالج موضوعاته بطريقة من كل بستان زهرة ومن كل بحر قطرة وهذه طريقة لا مجال لها اليوم فى كتاب موجه الى الدارسين فى الجامعة .

النقـــد

١ – ان أحسن فصول الكتاب هو الفصل الخامس (نشأة العلوم الاسلامية) هناك يحس القارىء أنه يعاين سلاسل الذهب أما باقى الفصول فأنت بازاء معادن أخرى فيها النحاس والرصاص وحينما يتكلم عن نظرية الحضارة والموسيقى والغناء والطرق التجارية مثلا تجده يورد المعلومات على طريقة الجرائد اليومية القديمة : الايجاز المخل .

٢ – لم يواكب الكتاب أحدث ما نشر عن مباحثه . فالمراجع قاصرة على ما نشر باللغة العربية ومن يتصدى لاثارة قضايا خطيرة فى الحضارة الاسلامية لابد له من غوص فى الأبحاث الفرنسية والانجليزية على الأقل ليعرف آخر ما وصل اليه العلم لا ان ينتظر الترجمة العربية بعد سنين فتكون النتائج قد أصبحت قديمة وظهر ما هو أحدث – فالكتاب بادى القصور فى الموضوعات التالية :

(أ) نظرية الحضارة الاسلامية وهل هى رد على تحدى الحضارتين الفارسية واليونانية حسب رأى توينبى ؟ أم هى خاصة للنظرية العضوية عند شبنجلر مثلا ؟ .

(ب) الموسيقى والغناء وكان هم المؤلف هو سرد بعض المعلومات العامة واغفل واحدا من اهم المراجع عن الموسيقى العربية كتبه فارمر .

(جـ) التصوف الاسلامى ـ لم يتعرض الكتاب المخصص للفكر الاسلامى لجانب خصب من جوانبه ولا يكفى أن يتكلم عن الغزالى الفيلسوف فى صفحتين . وليس من المعقول ان تظهر عشرات المراجع الهامة عن التصوف ثم تظهر فصول فى الكتاب عن الزخرفة والخط والغناء ولا شيء عن التصوف . ما قيمة النتائج التى وصل اليها فى الموضوع امثال ماسنيون ونيكلسون وجولدزيهر وأبو العلا عفيفي ومصطفى حلمى والغندى وبدوى ان لم يشر اليها كتاب يتحدث عن تاريخ الفكر الاسلامى .

(د) **التجارة** ـ أغفل الكتاب النتائج التى وصل اليها الدكتور سليمان حزين فى ابحاثه عن العلاقة التجارية بين العرب والشرق الأقصى . ووقع فى نفس الخطأ حين اهمل الرجوع الى دراسات د . حسين فوزى عن البصرة وسيراف وتحقيق معلومات التجارة البحرية عند المسلمين .

ان ضخامة الموضوع الذى عالجه الكتاب واتساعه الهائل يعجز المؤلف وتكون النتيجة أن يصبح الكتاب سردا لمعلومات عامة ولا جديد فيه يشد اهتمام الدارسين المعنيين بتاريخ الحضارة ومسائلها . لقد كان نصيب الحضارتين اليونانية والرومانية صفحة واحدة ٦٩ وكان اعتماد المؤلف على مثل جوستاف لوبون أشبه بمن يقف فى دراسة علم الأجناس عند فريزر والغصن الذهبى مغفلا ما بعد هؤلاء القدماء من دراسات حديثة استجدت فى الموضوع . وكل من قرأ كتب الدكتور حسن ابراهيم عن النظم الاسلامية وفى تاريخ الاسلام السياسى يكتشف ان المؤلف اعاد تلخيص مواضيعها الهامة فأين الابتكار والاضافة؟ هل سنعود لما كانت عليه كتب الأزهر فى العصر العثمانى يؤلف أحدهم المتن ويجيء آخر بشرح المتن ثم ثالث بحاشية ورابع بتلخيص ؟ **يجب أن يكون الهدف من التاليف اضافة جديدة للمعرفة .**

وهكذا يستحيل الكتاب الى مرجع فى التاريخ الاسلامى للطالب الثانوى . لقد ختم المؤلف كتابه بفصل عن علاقة أوربا بحضارة الاسلام فى سبع صفحات وسرد ما وصل اليه المستشرقون من نصف قرن فى هذا الموضوع . اين النتائج التى وصل اليها العقاد وعنان وآسين بالاسيوس ومحمود قاسم وارنولد توينبى حديثا ، وهكذا قصر الكتاب عن ان يطلعنا على وجهة نظر شخصية مبتكرة فى الموضوع .

اما اهم المراجع التى ارتكز عليها المؤلف فالنقد الذى يوجه اليها لكى يقيمها فهو قصورها الواضح فى باب المراجع الانجليزية والفرنسية . ولكن المؤلف ينتظر تلك المراجع الأجنبية حتى تترجم الى العربية فيستفيد منها وبهذه الطريقة فاته الكثير جدا من المراجع الأجنبية التى لم تترجم الى العربية بعد ، والتى ناقشت كثيرا من قضايا ومشاكل الحضارة الاسلامية . **لكن الجدير** بالثناء هو استيعابه لأمهات المراجع العربية التى مكنته من ان يكتب الفصل الخاص بالعلوم الاسلامية كتابة دقيقة محكمة (الفصل الخامس) .

ونحن ننتظر الطبعة التالية منقحة ومزيدة وجديرة بما لموضوع الحضارة الاسلامية فى قلوبنا من اعزاز .

محمد الشرقاوى



الأغانى والموسيقى الشرقية

بين القديم والجديد

تأليف : أحمد ابو الخضر منسى
الناشر : دار العرب للبستانى
٢٠٨ صفحة ١٤×٢٠ سم - الثمن ٢٤

اقدم لك هذا الكتاب رغم اختلافى الشديد مع مؤلفه الاستاذ احمد ابو الخضر منسى .. ولكن لماذا اقدمه اذا كنت اختلف مع مؤلفه اختلافا يكاد يشمل كل آرائه !؟

الواقع أن المؤلف ـ أولا ـ مخلص فى التعبير عن وجهات نظره .

وهو ـ ثانيا ـ أستاذ دارس لمادته .. فهو قد تعلم عزف العود من أحد العازفين المشهورين، ودرس بعض اصول الموسيقى فى احد المعاهد .. الخ .. واقل ما يقال فيه انه ـ كما وصف نفسه ـ ليس من الادعياء او الفضوليين الدخلاء ، او الجاهلين ..

وهو فوق هذا كله أرهق نفسه فى تقصى المعلومات التى احتشد بها كتابه ، سواء فيما يتعلق بتراثنا أو فنانينا .

اذن لماذا اخالفه !؟

لانه وهو يدافع عما سماه « بالموسيقى الشرقية » بانها موسيقى قابلة للتطور ، لم يذكر

لنا لماذا لم تتطور الى المستويات العالية ، وايضا لم يذكر وسائل وامكانيات تطويرها ، بل بالعكس يكاد يكون قد حبذ تخلفها لمجرد تفضيلها على الموسيقى التي سماها « بالموسيقى الغربية » ، ولمجرد تفضيل الحاننا القديمة على الحاننا الحديثة .

ان المؤلف بذلك وضعنا امام مشكلات كثيرة تبعدنا عن بحث المشكلات الحقيقية لموسيقانا .

فهو يعارض خلط الموسيقى الشرقية بالموسيقى الغربية ، وهذه معارضة أؤيده فيها ، ولكنه يتجاهل أسباب هذا الخلط .. ان الذين حاولوا ذلك قصدوا الى تجديد الحاننا لولا انهم اخطئوا الوسيلة .. **واذن فالخطأ هو الخطأ ، بينما التجديد ضرورة** ، ولكن المؤلف الذى اصاب في معارضة الخطأ أخطأ في معارضة التجديد .

انه يصف الألحان الحديثة وملحنيها بانهم (ان اسمعوك غناء شرقيا وموسيقى عربية مطهرة من الخلط الذميم لم تجد لها طعما ولا طربا مما اتسم به القديم بسحره وجلاله واحكامه ، وانما هو – الا ما ندر منه – تلحين غث هزيل) .

هذه أحكام عامة وليس فيها تخصيص ولا تعليل .

ومع ذلك فانني افضل أن نتصفح الكتاب معا ونناقش مؤلفه في بعض قضاياه معا .

الكتاب مكون من ثلاثة أبواب ، وفى كل باب عدة فصول بعضها قصير جدا ، وكانه كلمات فقط .. ومع ذلك فالمؤلف يبدو متحمسا لرايه في كل سطر ، وهذا التحمس يشدك اليه لولا التعبيرات (الفصحى جدا) التي يعبر بها عن آرائه ، وهذه الفصاحة – بهذا الاغراق – تستوقفك احيانا عند الالفاظ فلا تتجاوزها الى معانيها .

انه – مثلا – في أول جملة في الكتاب يصف الموسيقى بانها (حورية من عليين هبطت على ارض الأناسي) .. وهو في نفس الجملة يتحفك بالسجع ، من نحو (تهتز من طرب – وتترنح من رحيق بنت العنب – له بين الأبدان دبيب عجب) .. وهو في آخر جملة في الكتاب يصف أحد الموسيقيين – وكان قد ادمن شرب الخمر – بانه (يغادى الصهباء ويراوحها صبوحا وغبوقا)!! وهكذا .

اى انه من اول الكتاب الى آخره يتحدث بهذا الاسلوب .. **وانا لا اكره قراءة كتاب – اى كتاب – يعبر مؤلفه عن آرائه باللغة الفصحى ، وانما اكره افتعال الفصاحة ، وخاصة في كتب الموسيقى وما اليها من فنون نحن في حاجة الى تعريف الناس بها وتقريبها اليهم بلغة ميسورة الفهم دون الحاجة الى الرجوع الى القواميس ، او دون التوقف عند غرابة الألفاظ او التراكيب.**

والحقيقة انى توقفت كثيرا عندما قرأت – مثلا – (فاذا هم بنا يستسخرون) ص ١٠١ – او (ارعووا يا هؤلاء) – او (الناس شهاوى الى سماعه) .. الخ .. الفاظ وتراكيب كثيرة كان يمكن أن تستبدل بها الفاظ وتراكيب أسهل واقرب الى اللغة المالوفة ، وأقصد الفصحى المالوفة .

ننتقل بعد ذلك الى احكامه الفنية :

نترك الأوصاف اللفظية ، مثل وصفه للموسيقى بانها (نعم الآسى والطبيب النطاسى .. الخ) ، ونتناول آراءه في الموسيقى نفسها .

وقبل كل شيء الاحظ اضطراب السياق بالنسبة للموضوعات الرئيسية .. فهو مثلا في الباب الأول يتحدث عن القديم في موسيقانا واغانينا ، وهو موضوع واضح الحدود ، ولكنه احيانا يتجاوز هذه الحدود ويخرج عن الموضوع ليتحدث عن علاقة الفنان بالمال مثلا .. وهو احيانا يتذكر موضوعه فيعود اليه كما حدث في الفصل السابع الذى سماه (عودة الى القديم) .

وهو – مثلا – في حديثه عن الشخصيات الفنية في الباب الثالث يذكر بين المغنين القدامى مغنين من المعاصرين ، وبعضهم لا يزالون أحياء.. فهو لا يضع حدا فاصلا يفرق فيه بين القديم والجديد ، وهو لا يلتزم حتى بالترتيب التاريخى .. الخ .

احب أن اتجاوز عن ذلك كله ، واتابع آراءه واحكامه فقط .

ان ابرز آرائه ، او رايه الرئيسى ، هو أن موسيقانا « القديمة » تراث عزيز وثروة زاخرة..

الخ .. وهو لذلك يعتب على الاذاعة لأنها لا تكاد تقدم للمستمعين غير الأغاني التي « نعتوها بالجديد » .. وهو يضرب لذلك أمثلة عملية ، فيتساءل : اين صالح عبد الحي ؟ وأين ابراهيم عثمان ؟! وهو لا يصف هذين المطربين او غيرهما بأوصاف فنية تعطي فكرة عن المواهب الفنية او الامكانيات او نواحي المقدرة ، وانما يطلق أوصافا لفظية متضخمة ، مثل قوله عن صالح عبد الحي (انه صداح بالطرب البالغ ، وفارس من صناديد فرسانه ، يحال بينه وبين أن يصول ويجول) .. أظن ان مثل هذه الأوصاف لا يمكن ان يوصف بها مطرب ، الا اذا كنا لا نزال نتصور ان للموسيقى مكانا في ساحات الوغى !!

وكذلك حينما يتحدث عن المطرب ابراهيم عثمان ، يقول عنه في نشأة الاذاعة غنى الدور الجركا (تيهك على اليوم) .. ولا أدري ماذا يمكن أن يفهمه القارىء العادي من « الجركا » !!. ان المؤلف بذلك يريد ان يقول للقارىء انه يعرف أسماء مقامات الموسيقى وأنغامها !! فمن البديهي انه لا يشترط ان يغني المطرب « جركا » لكي يجيد ، فان الاجادة شيء ، وأسماء المقامات شيء آخر ، والمجيد يجيد في أي مقام موسيقي .

ما علينا .. نستطرد مع المؤلف لنرى ماذا يريد ان يقوله في تفضيل القديم على الجديد ، فاذا بنا نسمعه يقول (من لا قديم له فما له من جديد) ؟! فعلا ، ولكن كيف نستفيد بالقديم لنخلق الفن الجديد ؟! هذه هي المشكلة ، وكنت انتظر أن يتعرض لها المؤلف ، ولكنه انهال على الجديد بالشتائم ، وايد القديم بأبيات من الشعر !! ثم خيل اليه انه — بذلك — استوفى البراهين المقنعة ، فقال : (أجل !! ان السبق للقدماء الى كل احسان ، والفضل كل الفضل لمن تقدمونا !!) .

الحقيقة انه خلال ذلك كله ينساق الى مشكلات فنية مهمة ، ثم يتركها بدون تناول لها .. فهو مثلا في الحديث عن افضلية القديم على الجديد يذكر الموشحات ، وكيف تعرضت للضياع لأننا لم نسجلها ممن يحفظونها : ويستشهد بأحد أعلام حفظ الموشحات ورواتها وهو الشيخ درويش الحريري ، ثم بعد ذلك يعود مرة أخرى الى مهاجمة الجديد وتأييد القديم دون ان يذكر أي حجة جديدة ، ودون أن يستوفي هذه النقطة الهامة ، وهي كيفية حفظ الموشحات من الضياع عن طريق تسجيلها ، وكيفية تسجيلها ، وما هي الأسس الفنية المثلى التي يتحقق بها ذلك دون تحريف لهذا النوع العريق من تراثنا الموسيقي .

والغريب بعد ذلك انه يستشهد بآراء غيره لتأييد آرائه رغم الاختلاف الجوهري بينهما .

فهو يستشهد مثلا برأي الدكتورة سمحة الخولي ، فينقل عنها كلاما كتبته عن زكريا أحمد عقب وفاته ، وقالت فيه ان موسيقانا العربية فن له قيمته ومقاييسه الجمالية الخاصة ، واذا لم يكن هذا الفن قادرا بصورته الراهنة على ارضاء كل احتياجات الجيل العربي الجديد ، فليس ذلك عن ضعف في جوهره ، ولكن لأننا تركناه نهبا لعوامل الركود والتجمد على مر السنين ، فحجبت جوهره النقي ، وخلفت منه صورة باهتة ..

ان المؤلف ينقل رأيها هذا أو كلامها هذا ويوهم نفسه بأنها أصبحت من رأيه في الدفاع عن الموسيقى القديمة ، بينما من الواضح أن هناك فرقا كبيرا جدا بين من يدافع عن موسيقانا القديمة كتراث فني ، وبين من يدعو الى التوقف عند تلك الموسيقى بدون تطوير .

ان المؤلف يتوهم انها من أنصار القديم ، ولهذا يقول عن كلامها انه (اعتراف صريح كريم من راجع تائب أبصر فتبصر ، نزع الى الجديد الهزيل واستهوته الموسيقى الفرنجية فنزع عن ذلك عادلا الى عشق القديم غنائه وموسيقاه ..) .. انه يتوهم أن الدكتورة بعد أن سافرت الى الخارج ودرست الموسيقى العالمية وعادت الى بلادها تعلن أن الموسيقى العالمية ارفع مستوى من موسيقانا ... بعد أن فعلت ذلك رجعت في كلامها !!

(والحقيقة الواضحة جدا انها ذكرت أن موسيقانا فن له قيمته ، ولكننا نحن المسئولون عن عدم تطويره ووضعه في القوالب الفنية

القائمة على أسس علمية .. وطبعا هذا صحيح، ولا احد يجادل اطلاقا فى قيمة موسيقانا ، وانما نحن نختلف مع الذين يقولون بانها ليست فى حاجة الى تطوير ... فانها فى حاجة الى دراسات عميقة لنعرف كيف يمكن تطويرها مع الاحتفاظ بجوهرها وخصائصها وطابعها وشخصيتها بصفة عامة .

(والمؤلف يتحدث بعد ذلك عن مؤتمر الموسيقى الشرقية الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٣٢ ..) ان هذا المؤتمر هام جدا ، ولكن المؤلف نظر اليه كفرصة لترديد الآراء التى تمجد الموسيقى الشرقية .. ومن حقنا ان نمجد موسيقانا ، بشرط ان ننظر أيضا الى نقائصها وعوامل الضعف فيها واسباب تخلفها عن الموسيقى العالمية وكيفية معالجة ذلك كله .



فالمؤلف بعد ان يذكر بل قبل ان يذكر آراء الموسيقيين الأجانب الذين حضروا هذا المؤتمر يقول أجمعوا على أن الموسيقى الشرقية لها طابعها الخاص وجوهرها الممتاز وآلاتها ، وليس من الخير ادماجها فى الموسيقى الغربية .

هـذه بديهية ، ولكنه يذكرها كبرهان على ضرورة بقاء موسيقانا كما هى !! ومن قال ان الطريق الى تطوير موسيقانا هو « ادماجها » فى غيرها ؟! لا يقول بهذا غير انصاف المثقفين والأدعياء ... لاننا **اننا كنا نعتبر ان الفنون لها شخصيتها الخاصة بها ، فمن المستحيل عقلا مزج شخصية باخرى ، أو ادماج شخصية فى اخرى .**

وصحيح أن مزج أو ادماج موسيقانا فى الموسيقى الغربية كان فى وقت من الأوقات بدعة منتشرة ، الا انه كان من اللازم أن يهاجم المؤلف هذه البدعة ومبتدعيها دون ان ينساق الى مهاجمة الموسيقى العالمية أو الى الدفاع عن تجمد موسيقانا دون محاولة انهاضها أو تطويرها أو افادتها بوسائل تطوير الموسيقى العالمية .

ان المؤلف يستشهد برأى المستشرق البارون كارادى عضو المؤتمر الذى يقول ان الموسيقى الشرقية علم عظيم ... وان الموسيقى الشرقية اثرت فى الموسيقى الغربية خلال القرون الوسطى .

ويستشهد برأى الدكتور هنرى فارمر الذى يقول فيه بضرورة الحرص على ان نسلك طريقا يحفظ للموسيقى العربية روحها الوطنية وطابعها .

وواضح أن هذه الآراء وما اليها لا يمكن ان تعنى تجميد الموسيقى الشرقية ، بل بالعكس انها دعوة الى تجديدها ، بشرط المحافظة على طابعها وشخصيتها .

ولكن مؤلفنا يختتم هذه الآراء بقوله (فماذا ياقوم بعد هذا ؟) .. ويقصد بذلك ماذا يريده دعاة التجديد ؟!

فى الفصل الخامس نصل مع المؤلف الى المشكلة الحاسمة .. انه ـ كما يفهم من آرائه ـ يتصور ان الموسيقى « طرب » ، ولذلك نجده يمتدح الطرب القديم ، وكيف كان يملأ الأفراح والسوامر والسرادقات ، والحانات والملاهى ، كما نجده يهتم بوصف الليالى التى كان يشدو فيها المطربون والمنشدون .. ثم نجده يتحدث عن بعض مآثر فرسان الطرب ، فيقول ـ مثلا ـ ان داود حسنى عبقرى ، لانه صنع صوتا من نغمة العجم ، مع ان أسباب عبقرية داود حسنى انه حاول تلحين الأوبرا ولحن فعلا أوبريتات كثيرة .. أى ان عبقريته فى الأعمال المتطورة ، وليست فى الأغانى الفردية .

وكذلك يصف عبقرية محمد عثمان بانه (كان يأخذ بالنواصى ويطرب فيسحر) ... ويصف ادواره القديمة بأنه كان يكسوها من بديع الصنعة وعجيب الدملجة (!!) وجمال الطرب .. ثم يقول بالحرف الواحد (وكل القديم ذلك الشأن وعلى هذا المنوال) .

بل انه يتحدث عن أم كلثوم فى هذا المجال فلا يجد ما يستشهد به من اغانيها غير قصيدة (وحقك أنت المنى والطلب) .

ثم انه يقحم المقاييس غير الفنية فى الفن .

فهو يفرد فصلا كاملا للحكم على الفنانين بمقياس عجيب خلاصته ان الفنان الحقيقى يعمل لفنه لا للمال ، وان الفنان العبقرى الملهم أن أنقره الفن علقة ، وان أشقاه لهج به ، وان ابتلاه صابره ولزمه ... الخ ... هل هذه مقاييس فنية ؟ !

وهو أيضا يتجه الى قياس الفن بمقاييس اسطورية ، فيروى ان عبده الحمولي كان ذات ليلة يغنى ، وفجأة جاء عندليب جميل فوق التخت !!

انه بذلك يتصور ان العندليب أيضا يحب موسيقانا الشرقية !!

ندخل بعد ذلك مع المؤلف فى فنون الغناء القديم ... انه يخصص فصلا كاملا يتحدث فيه عن الموشحات والأدوار والطقاطيق ... الخ .. فماذا يقول !!

انه يصفها أيضا بأوصاف لفظية ، كان يقول مثلا ان البشرف تسميته تركية (بشرو) ... ولكنه حين يريد التحديد العلمي يقول ان البشرف قطعة موسيقية بارعة السبك والحبك ، وتتألف من اربعة اجزاء يسمى كل جزء منها خانة او بدنية ... ثم بعد ذلك الكلام غير المحدد فنيا يقول (فأين ذهب هذا الفن البديع) ؟!

أيضا يتحدث عن الموشحات بنفس الاسلوب فيقول ان لها مع التطريب العجيب عمل التحضير ، أى تهيئة النغمة التى سيغنى منها المغنى !! وهكذا .

وحينما يتحدث عن الأدوار يقول ان الدور هو قطب الليلة الساهرة وعمدة الغناء والطرب .. والدور فن رصين وصنعة عجيبة وطرب حاشد متين .

وحينما يتحدث عن المواويل يقول ان الموال هو ما يوطىء به المغنى للدور ، وفيه يصول ويجول .. الخ .

واما الطقاطيق فيصفها بانها اسم على مسمى .. فهى قطع لطيفة رشيقة منظومة .

وهكذا نجد انه يتحدث عن قوالب فنية متعددة دون اعطاء المميزات الحقيقية لكل منها.

وصحيح أن القدامى لم يجددوا هذه المميزات ، ولكن الواجب على من يريد دراستها فى العصر الحديث ان يصل ـ بالاستقراء العلمى ـ الى هذا التحديد .

نترك هذا كله ، وندخل مجالا آخر .. ان المؤلف انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الجديد فى موسيقانا واغانينا .. فماذا قال ؟



كما أنه تحمس فى امتداح القديم ، كذلك تحمس فى مهاجمة الجديد .. وهو حر فى تحمسه ، ولكن الشىء الذى اعارضه فيه أنه لم يحاول استخدام المنهج العلمى ... فهو مثلا يقول أن الجديد جلجلة وطنين !! ويقول أن المجددين عاثوا فى الموسيقى الشرقية فسادا بهذا الذى اشاعوه فى المذياع من اغان والحان ما أنزل الله بها من سلطان !!

وكذلك يقول : الجديد جنون وخبال وعجز وصغار وشر مستطير !!

ومن طرائف المؤلف انه يعيب على الموسيقيين أنهم يخلطون الموسيقى الشرقية بموسيقى غربية ، فاذا به هو حينما يستشهد على خطأ ذلك ، يحاول أن يقنعنا بحجة عجيبة ، وهو انه يقتبس كلاما قالته (مدام دوستال) وجاء فى كلامها (القوة الحقيقية لشعب ما ، كامنة فى فطرته) .. وهذا صحيح ، ولكن الطريف هو استشهاد المؤلف بكاتبة اجنبية !!

والحق اننا مع المؤلف فى مهاجمته للخلط الموسيقى ، ولكن هناك فرق بين تجديد الموسيقى الشرقية بخلطها بالموسيقى الغربية ، وبين تجديدها عن طريق الاستفادة بتجارب الموسيقيين العالميين وفهم أسرار تأليفهم .

وكنت أريد للمؤلف الفاضل ان يدعو الى التجديد الحقيقى ، وذلك بفهم المراحل التى تتطور فيها الموسيقى ـ شرقية او غربية ـ ومحاولة سلوك هذه المراحل بالعلم والوعى والفهم ... وهذا التجديد طبعا لا يعنى الغاء طابع موسيقانا .

ثم انه بعد ذلك يحاول تطبيق آرائه على الأشخاص فيتناول محمد عبد الوهاب ، ويهاجمه لأنه يخلط موسيقاه بالموسيقى الغربية .. وبديهى أن هذا ليس هو الطريق نحو التجديد .

ولكن المؤلف نسى أو تناسى الخطوات الحقيقية التى مرت بها موسيقانا نحو التجديد .

فأولا ظهرت محاولات لتجديد موسيقانا عن طريق كتابتها بالأساوب السيمفونى وعن طريق تأليف مؤلفات سيمفونية .

وثانيا ظهرت محاولات لتجديد الحان قديمة باعادة صياغتها صياغة علمية ، على نحو ما فعل المرحوم أبو بكر خيرت .

وثالثا ظهرت منذ ٤٥ سنة محاولات للاتجاه بالالحان نحو المسرح ، وهذا هو من اهم مجالات تجديد الموسيقى .

ورابعا ظهرت فى الأغانى نفسها محاولات للتجديد على نحو ما فعله سيد درويش عندما اتجه من التطريب الى التعبير ، وعندما حاول أن يغنى للناس ولمختلف طوائفهم ، وعندما حاول أن يغنى أغانى جماعية ، وعندما حاول أن يربط بين الأغانى والحياة .. ثم فى التكنيك الفنى حاول أن يستخدم الأنغام بأسلوب حيوى بدلا من استخدام الأنغام المتجاورة .

وبالنسبة الى محمد عبد الوهاب أيضا نجد انه فى بعض الأحيان حاول أن يستخدم الموسيقى مع الغناء استخداما رئيسيا ، وحاول احيانا متابعة تجديدات سيد درويش .. الخ .. ثم ان فى اغانيه الأخيرة حاول أن يطهر الأغانى من الأنغام والجمل الغربية . واستخدم ايقاعات وانغاما شرقية بحتة .

كل هذه تجديدات حقيقية ولا ينقصها غير استكمالها بالمنهج العلمى .

وعلى العموم فان محاولة ارشاد المجددين الى الحقائق الجوهرية أفضل من مهاجمتهم بلا أسانيد علمية .

والعجيب جدا أن المؤلف يعقد فصلا للموسيقى الغربية ، ثم يقول فيه ان موسيقانا أرحب مجالا !! من أين جاءتها هذه الرحابة ؟! لا دليل .

بل أكثر من هذا أنه يعارض تدريس النوتة الموسيقية .. بل انه يقول بالحرف الواحد ان تعليم العزف بالنوتة ليس بالرأى الصواب ولا هو بالطريقة المثلى ، وانما العزف — فى رايه — يستقيم ويحلو بالسماع لا بواسطة الرموز .

واظن انه لا داعى للتحدث عن أهمية النوتة الموسيقية . فان الموسيقى لم تدخل المرحلة العلمية فى العالم كله الا بسبب النوتة الموسيقية ، وكانت قبل ذلك فى مرحلة الارتجال .. فهل يريد المؤلف الفاضل أن يعود بنا الى مرحلة الارتجال ؟! وهل هذا هو طريقه الأفضل نحو التجديد كما يفهمه .

ننتقل مع المؤلف بعد ذلك الى باب جديد يتحدث فيه عن فنانين من القدامى .. وكان المتوقع انه يذكر تاريخهم وأحداثهم بما يغرى بالاهتمام بهم ، ولكنه يعود الى اوصافه اللفظية ، أو اوصافه العابرة فتقل الافادة .. انه — مثلا — يتحدث عن عبده الحمولى حديثا من النوع « العمومى » الذى لا يبرز أسباب عظمته كفنان بل انه يتحدث عن النوادر التى حدثت له اكثر مما يتحدث عن الحانه واسلوبه الفنى .. وحينما يتحدث عن فنه يتحول كلامه الى (موضوع انشاء) .. فمثلا يقول : (وعبده هو الذى أبدع الغناء الشرقى الصميم ، وجعل له ملاكا وقواما رصينا) !!

كذلك يتحدث عن المظ وساكنه .

وعندما يتحدث عن يوسف المنيلاوى يقول (هذا واحد دهره فى أرباب الغناء) !!

وهكذا فى كل أحاديثه عن الفنانين . أحاديث متشابهة فيما عدا الطول والقصر بحيث لو وضعت وصفه لأحد الفنانين تحت عنوان فنان آخر لما اختلف الأمر كثيرا .

وهو فى منهج أحاديثه لا يتناول الفنانين تناولا علميا ، لأنه ينظر اليهم من زاوية «الطرب» فقط .

ومع ذلك ، ومع اختلافى الشديد مع المؤلف فان قراءة كتابه ضرورة ومتعة .. اقراه واختلف معه فستجد متعة فى الاختلاف معه . لأنه مخلص لآرائه ولو انه لم يشبعها اشباعا علميا .

عبد الفتاح البارودى



لا يخفى علينا ما للنقد والناقد من رسالة أساسية فى المجتمعات المتحضرة ، والنقد النزيه يهيىء التربة الصالحة لبذر أجل الأفكار ونشرها، وخلق اتجاه عقلى تستطيع القوى الفنية الخلاقة أن تستفيد منه فائدة كبرى ، وإعداد جو اجتماعى صالح يستحث طاقات الفنان وينتشر فى أرجائه خير ما أنتجه العقل الانساني . والناقد الحقيقى الذى ننشده هو الذى يسعى لخلق قيم حقيقية نافعة تسود المجتمع البشرى وتطرد القيم الزائفة المضللة التى تعتمد على الأهواء الشخصية والعصبيات المقيتة والتحزب من أى نوع كان ، فتمهد لخلق مجتمع أفضل عن طريق خلق فن أصيل . وسبيل الناقد الى ذلك الجهد الدائب المنزه عن الغرض ، والنظرة الموضوعية النابعة من ضمير الناقد ومن وحى تلك القيم الرفيعة .

ونحن على أبواب نهضتنا الأدبية ، ووسط ذلك الخضم من التجارب الفنية الضخمة التى تزخر بها مصر الثورة لفى أمس الحاجة الى هذا الجو الذى يهيئه النقد حتى نمكن كل فن أصيل من الرسوخ والوقوف على قدميه ونطرد كل فن زائف مضلل فتتطاير كل فقاعات لا تستند على أساس متين من الموهبة والجدارة ، وبذا نساعد على تثبيت قيم حقيقية توجه الأدب والفن فى مراحلهما المقبلة وطريقهما الطويل الذى ينتظرهما، ونعين على خلق وعى فنى متكامل لدى الجماهير حتى تستطيع التمييز بين الغث والثمين

تأليف
الدكتور فائق متى

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
٢٨٩ ص ١٤×٢٠سم حزيران

وتتذوق الأعمال الفنية وتنفعل بها فتعود عليها بالفائدة المرجوة منها .

ولعل هذا الغرض هو الذى اقتضى اصدار مكتبة النقد الأدبى الذى يشرف عليها الاستاذ الدكتور رشاد رشدى الذى يقول فى تصديره لهذه السلسلة : « وفى هذه المرحلة الهامة من حياتنا التى نجتازها اليوم نحن فى أشد الحاجة الى تبنى النظرة الموضوعية لا فى الفنون والآداب فحسب بل فى جميع أوجه النشاط الأخرى . ولذلك فنحن نعتبر هذه المساهمة المتواضعة من جانبنا فى خلق وعى موضوعى فى الفن والنقـــد واجبا يحتمه علينا اعتبار خاص وهو اننا ننتمى الى الجامعة ونقوم بالتدريس فيها .. » .

وفى هذا الكتاب الذى نحن بصدده ــ وهو احدث ما صدر فى هذه السلسلة ــ يعطينا المؤلف من خلال دراسة الاتجاهات النقدية التى سادت انجلترا على مدى تاريخها ، فكرة واضحة عن الاتجاهات الأدبية فى الشعر والنثر والمسرحية ، ودور النقد فى خلق الاتجاهات . وهو يتعرض فى الفصول الثلاثة الأولى من الجـــزء الأول لنظريات النقد عند الاغريق ، ثم نظريات النقــد واتجاهاته ومميزات الأدب عامـــة فى العصر السكسونى والدنماركى وابان الغزو النورماندى، وارتبـــاط الثقافة الانجليزية حينذاك بالتيارات الفكرية فى أوروبا ، ثم يتناول تيارات الأدب والنقد فى الفترة ما بين القرون الأولى الى نهاية العصور الوسطى ، وفى هـــذه الفترة يظهـــر تشوسر ابو الشعراء الانجليز فيطلعنا المؤلف على ما أسهم به تشوسر فى مجال التعبير اللغوى والفن القصصى فى-(حكايات كنتربرى) وما حفلت به هـــذه القصص من البراعة فى تصوير الشخوص والمواقف الهزلية فى أسلوب يتميز بالتنوع والسلاسة .

ولعل أهم ما يستوقفنا فى الفصـــل الرابع هو ابراز الأثر الذى تركته الثقافة العربية وجهود العلماء والأدباء العرب فى الفكر الأوروبى بفضل حركة الترجمة التى كرس لها العرب جهودهم فنقلوا فلسفة الاغريق وآدابهم مثل (جمهورية أفلاطون وفلسفة أرسطو والعلوم الطبيعية بشتى فروعها وألوانها) والطب والجغرافيا والرياضة وغيرها . زد على ذلك تلك الاضافات التى أسهم بها الفارهون من علماء العرب وفلاسفتهم أمثال الفارابى والغزالى وابن سينا وابن رشد فى توجيه الفكر الأوروبى . وفى هذا يقول المؤلف :

« يرجع الفضل للعرب فى هذا المضمار فى القيام بحركة شاملة نحو تنسيق الاتجـــاهات الفكرية السائدة حينذاك فاصبح للمعرفة بشتى نواحيها هدف معين واطار محكم الأوصـــال ومنهاج قويم نسج على منواله علماء الغـــرب وفلاسفتهم حينما انتقـل الفكر العـــربى الى أوروبا بعد فتح العرب للأندلس ســـنة ٧١٠ ميلادية » . (ص ٨٢ ج ١) .

ونرى فى فصل (النقد فى عصر الملكة اليزابيث) كيف يقوم النقد بدوره البناء فى توجيه الحياة الأدبية ، وهو فى الواقع ما نحتاج اليه حاليا فى نهضتنا الأدبية ، ذلك أن النقاد أمثال سير فيليب سدنى وتوماس ناش وهارنجتون وبن چونسون اتخذوا موقفا ايجابيا ازاء دراسة فنون الشعر والنثر فبدأ الاهتمام مثلا بقيمة الشعر فى الحياة الاجتماعية والفكرية ، فأصدر فيليب ســـدنى عام ١٥٨٠ بحثه المعروف بعنوان (دفاع عن الشـــعر Apologie for Poetrie) فيصـــفه بأنه المحاكاة المثالية للطبيعة وأنه أسمى ضروب الأدب عامة اذ يلقن الناس أهم الحقائق وأصدقها فى الحياة من خلال الانفعالات السارة التى هى غاية كل فن ، ثم يعيب على شعراء عصره ويتهمهم بالوهن والذوق السقيم والأسلوب الفث ويلفت نظرهم الى نظم فحول الشعراء أمثال تشوسر وساكفيل وسبنسر وما يضمه شـــعرهم من خصائص فنية أصيلة ، وكذلك كان لآراء سدنى فى المسرح اثرها الفعال فى توجيه المسرح فى العصر الاليزابيثى ، فلم يتقيد بناقد واحد أو فيلسوف واحد بل أخذ يبين ما فى نظريات أرسطو وسنيكا من محاسن ومثالب من حيث الهدف من الفن الدرامى وبخاصة المأساة والقوانين التى تتحكم فيهـــا ، ويبـــدى رأيه فى عـــدم تناول المواد الهزلية بين ثنـــايا المآسى . ويمكن القـــول ان مثـــل هذه الاتجاهات النقدية والفورات الفكرية هى التى توجه الأدب وتأخذ بيده الى مدارج الرقى وتمهد بالتالى لعصور النهضة الأدبية كما رأينا

فى هذا العصر الاليزابيثى الذى أنتج شوامخ الأدب الانجليزى .

وفى اعتقادى أن العصور السابقة للنهضات الأدبية تتميز بوجود تيارات نقدية قوية تمهد التربة الصالحة لنمو أدب قوى سرعان ما ينمو ويترعرع . ولكن النقد ينبغى ألا يخفت صوته حين تينع الثمار التى اشتهاها بل ينبغى أن يظل يرعاها دائما على أداء رسالته حتى لا تنتكس الثورة التى صنعتها يداه .

وتشعب النقد بعد ذلك وتفرقت به السبل فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فتمايزت مدرستان للنقد كل مدرسة لها خصائصها ومقوماتها وهما المدرسة التأثيرية أو الرومانسية والمدرسة الكلاسيكية . والمدرسة الأولى تعتمد فى احكامها النقدية على تلك الانطباعات الشخصية التى يتلقاها الناقد نتيجة لانفعاله بالعمل الأدبى، أو بتعبير آخر تتناول العمل الفنى بطريقة شخصية بحتة ، على حين تتميز المدرسة الثانية بتطبيق قواعد معينة ــ وبخاصة فى الشكل والاطار العام ــ فى حكمها على العمل الفنى سواء اكان قصة أو مسرحية أو قصيدة شعرية ، فعند تناول قصيدة معينة مثلا يصدر الناقد الكلاسيكى حكمه فى ضوء أسلوب القصيدة وما فيها من محسنات بديعية وتناسب شكلها مع الأمثلة والنماذج المعروفة لفحول الشعراء الكلاسيكيين، كما يطالب العمل الفنى بمستويات معينة من التصور والعاطفة والذوق والأسلوب الرفيع .. الخ .

والواقع أن كلا من المدرستين تبعدنا عن العمل الفنى الأصلى وعن قواعده التى تنبع من داخله ، اذ أن كل عمل فنى يحمل بين ثناياه قواعده الخاصة به ، وكل قاعدة تفرض عليه من الخارج هى تعسف مجحف بالأدب والنقد على السواء .

فالمهمة الأساسية للناقد ــ شأن الفنان تماما ــ هى ان يتمثل الخبرة الفنية التى امامه فى صدق واخلاص دون الالتزام بأى هدف خارج عن نطاق هذه الخبرة ، ومن ثم يحاول أن يضع نفسه مكان الفنان ويتقمص وجهة نظره ، ويرى العمل الفنى من الداخل والخارج مثلما تراءى للفنان أو أقرب ما يكون لرؤيته له ، ومن ثم يبين لنا الى أى مدى استطاع الفنان ان يحقق الفرض الذى وضعه نصب عينيه وبأى الوسائل استطاع ان يحقق هذا الفرض .

ومهما يكن من امر فقد شاعت الى جوار هاتين المدرستين مدارس أخرى نذكر من بينها المدرسة التاريخية التى تحاول أن تفسر العمل الفنى فى ضوء الاطار التاريخى الذى وضع فيه هذا العمل ، وتولى أهمية خاصة لتاريخ حياة الفنان نفسه ، كما تقارن بين العمل الفنى وبين الأعمال الفنية الأخرى ، وبخاصة المشابهة لها فى العصور المختلفة .

وحينما جاء ماثيو ارنولد (١٨٢٢ ــ ١٨٨٨) ووجد هذه التيارات النقدية المتباينة وما فيها من زيف وتضليل فى بعض الأحيان اراد أن يطهر النقد من شوائب الأهواء والميول والاهتمامات الشخصية ومن شوائب التقدير التاريخى للعمل الفنى ، ذلك التقدير الذى يجعل الناقد يبالغ أحيانا فى تقييم هذا العمل على انه يمثل مرحلة من مراحل التطور فى تاريخ أمة من الأمم بدلا من أن ينظر اليه فى حد ذاته ويقيمه على اساس مكانته الحقيقية دون مراعاة لأيةاعتبارات اخرى . وهكذا تعرض ارنولد فى مقاله عن دراسة الشعر ، الذى نشر عام ١٨٨٨ كمقدمة عامة لكتاب (الشعراء الانجليز) لما اسماه (التقدير الحقيقى) وهو فى نظره سبيل الناقد النابه فى حكمه على العمل الفنى ، اذ يقول فى صدد نقد الشعر : « ثمة وسيلة مثلى تعيننا على اكتشاف اى أنواع الشعر تندرج تحت طبقة الشعر الممتازة حقا ، وبالتالى يمكن أن تفيدنا فائدة كبيرة . هذه الوسيلة هى أن تتمثل فى اذهاننا دائما بضعة أبيات وتعبيرات لفحول الشعراء ونستخدمها كمحك لقياس قوة الشعر الآخر . » (١) والى جانب هذا كان أرنولد يرى ان الشعر نقد للحياة ، وأن الأدب الجيد يتضمن مستويات خلقية معينة ، ولذا فان الشعر سوف

---

(١) انظر Matthew Arnold, Essays in Criticism, Second Series, London, 1958, p. 10.

يحل يوما ما محل الدين ، اذ أن الدين فى رايه عبارة عن « ضرب من ضروب الأخلاق ولون من الوان الفلسفة الخلقية » (١) كما يرى أن «الأدب فى استطاعته أن ينهض بالبشرية والحياةالانسانية الى مستوى رفيـــع . » (٢) وعلى كل ، مهما اتسمت آراء ارنولد النقـــدية بضيق الأفق والشطط أحيانا فان الفضـــل يرجـــع اليه فى تنقية مجال النقد من الزيف والخداع والسوقية والشعوذة التى كانت سائدة فى عصره .

وجدير بالذكر ان المؤلف ينتهج سبيلا قويما فى دراسته للنقد فهـــو لا يقتصر فى حديثه على تيارات النقـــد فحسب بل يربطها أوثق رباط بالاتجاهات الأدبية التى كانت غالبة فى عصر من العصور ثم يبين بعـــد ذلك المنهاج الذى كان يسلكه النقد : ويوضح أهـــم الواجبات المنوط بها النقاد فى هذا العصر ، ففى حديثه مثلا عن الاتجاه الميتافيزيقى فى الأدب عامة والشعر خاصة الذى ساد فى القرن السابع عشر فى انجلترا يعطى القارىء فكـــرة جلية موجزة عن خصائص هذا الاتجاه ، ثم يقول « لهذا يجدر بنا أن نشير فى هذا المضمار الى تلك الحقيقة التى تنادى برفع راية الحذر حينما يتعرض الناقد لبحث هـــذا النوع من الشعر ، فمن الواجب عليه ألا يطلق العنان للجرى وراء المجردات والمفاهيم فيخرج عن جوهر القصيدة التى هو بصـــدد نقدها ، ويبعد عن محورها ولبها ، فالشعر الميتافيزيقى يجمع بين الجسد والروح والعاطفة والفكر ، والاحساس والتأمل . والواجب الحقيقى للناقد (هو) أن يزيح الستار عن كل هذه العناصروبيين مواطن الضعف والقـــوة فيها ، ونعنى بذلك تماسكها او انحلالها وتفككها » (ص ٧٣ ج ٢) . كما يقول فى مجال الحديث عن الاتجاه الاجتماعى فى الشعر المعاصر أن مهمة الناقد هى أن « يبرز لنا الخيوط التى تكون فى مجموعها ذلك النسيج الاجتماعى الذى نسج الشاعر على منـــواله ، فيوضح لنا اتجاهه ، ويشير اشارات واضحة الى الخبرات الاجتماعية التى تتضمنهاالقصيدة، ثم يحدد لنا تلك الصلة او الصلات الوثيقة التى تربط القصـــيدة بالمجتمـــع الذى عاش فيه الشاعر . » (ص ٧٨ ج ٢) .

اما فى العصر الحاضر فقد وصل النقـــد فى انجلترا الى علم له أصوله ومبادئه ، ولعل ابرز حاملى لواء هذا الاتجاه الجديد فى النقد هـــو ت . س . اليوت و ا . ا . رتشاردز . وعلى الرغم من صعوبة هذا الاتجـــاه فقد استطاع المؤلف أن يعرض لنا آراء هذين الكاتبين العظيمين فى شيء من الوضوح والتبسيط مما لا يغلق فهمه على القارىء العادى والمتخصص على السواء . وهو يتحدث عن ت . س . اليـــوت فى حماس ولهفة شديدين ، ولا غـــرو فقـــد ارتفع اليوت بالنقد الى مستوى علمى جـــدير بمهمة الناقد السامية فى توجيه الأدب وخلق قيم حقيقية ، فلفت الأنظار الى أهمية الحكم على العمل الفنى فى حد ذاته دون مراعاة ذاتية الشاعر وشخصيته والأمور التى تتعلق بفرديته ، وذلك عن طريق تحليل العمل الأدبى تحليـــلا يعتمد على تنبيـــه القارىء الى مواضع الحسن والقبح فى هـــذا العمل ، وعن طريق ابراز شواهد يدلل بها الناقد على تلك الحقائق التى يشير اليها من واقع العمل نفســه ، ومن خلال عقد موازنات بين أجزاءالعمل نفسه وبين العمل من جهة والأعمال الأخرى التى تكون جزءا من التراث الفكرى فى الماضى من جهة أخرى . والناقد فى هذا الوضع يتخلى عن آرائه الشخصية ويتجرد من أهوائه الذاتية فى سبيل « دعم الأسس الموضوعية التى يرتكز عليها النقد الحديث » كما يقول المؤلف .

وعلى ذلك تصبح مهمة الناقد محصورة فى نطـــاق تفسير العمل الفنى « وتوضيح أسراره الخفية التى ترمز اليها الأعمال الفنية » وابراز مواطن المتعة الفنية (الناحية الجمالية) ومواطن الناحية الانفعالية والشعورية الى جانب الناحية الادراكية عملا على تقويم ذوق القارىء وتزويده بالحقائق الموضوعية .

هذا وبالكتاب بعض الهنات أعرض لهـــا فيما يلى :

اولا : يحمل الجزء الأول من الكتاب عنوانا جانبيا هو « أصول النقد ومبادئه عند الاغريق

---

(١) ص ٤٦ ، مذاهب النقد ونظرياته ، الجزء الثانى .

والرومان ؛ خصـــائصه أبان عصـــور أوروبا الوسيطة .. الخ » ويصرف النظر عن أن موضوع الكتاب هو مذاهب النقد ونظرياته في انجلترا ، وبهذا يكون النقد عند الاغريق والرومان خارجا عن نطاق الكتاب ، فمادام الكاتب تعرض للنقد عند الاغريق وتناول بالتفصيل أنواعه من شعر غنائي وشعر ملحمي وفن مسرحي ، كما تعرض لفحول الأدباء والنقاد الاغريق امثالهوميروس ويوربيديس وارستوفان وافلاطون وارسطو ، وافرد لهذا الغرض الفصل الأول برمته الذي يستغرق حوالي ثلاثين صفحة كان من المتوقع أن يتناول النقد عند الرومان ولو في شيء من الايجاز في نفس الفصل ، ويوازن بين نظرية الاغريق عن الأدب ونظرية الرومان .

فاذا كان الاغريق قد اعتبروا الأدب محاكاة الطبيعة تتحكم فيها عقولنا وتعيد تصويرها لنا من واقع مادة الحياة ، فان الرومان اعتبروا الأدب رفيعا يهدف الى بث الأفكار السامية في نفوس الناس ويلقنهم القيم الأخلاقية الرفيعة مثـــل ضبط النفس وقوة العزيمة .

وهو اتجاه كان له أكبر الأثر في أدب القرن الثالث الى السابع الميلادي ، كما يقول المؤلف بعد ذلك ، وكذا في أدب القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولكن المؤلف لا يشير الى هـــذه النظرية الا لماما في غضون الصفحات التاليـــة للفصل الأول .

ثانيا : أما حديثه عن يوربيديس فينقصه شيء من الترابط والمنطق اذ يقول ان يوربيديس تأثر عموما بالمدرسة السوفسطائية التي تسببت في احداث **اتجاه عام حيال الأدب** ظهـرت آثاره واضحة في الفن المسرحي وبخاصة عند يوربيديس (ص ١٨ ج ١) ثم يعود فيقول في نفس الصفحة « نجد ان هذا الكاتب **تنقصه الوحدة في التفكير ، والفلسفة التي تتميز بطـابع معين** ، فيوربيديس شاعر مسرحي **متقلب** يقبل اتجاها فكريا معينا تارة ثم يدحضه تارة أخرى » . ثم يعود في ختام حديثه عن يوربيديس فيقول : « وقبل أن أختتم الحديث عن هذا الكاتب المسرحي أود أن أشير الى بعض خصائصه وهي **قدرته على خلق وحـــدة فكرية متكاملة** لهـــا بالطبع عناصرها وخيوطها المتشعبة » . (ص ٢٠ ج ١) .

ثالثا : يذكر المؤلف في معرض الحديث عن ارسطو وتربية الذوق الفني في دراسة الأدب ان ارسطو يشير الى « اهمية الوحدة والتماسك في الانتاج الفني ، كما يشير الى ناحيتي التوانق والتناسب بين الأجزاء المكونة له . ولهذا فانه نادى **بوحدة الزمان والمكان** في المأساة » . ص٢٩ــ ٣٠ ج ١) واني اختلف تماما مع السيد المؤلف في هذا القول اذ انه من خلال دراســـتنا لكتاب « الشعر » لأرسطو نستطيع القول بأن ارسطو لم يؤكد سوى **وحدة الحدث** كقاعدة في العمـــل الفني . أما فيما يتعلق بوحدة الزمان فقد ذكر في مجال حديثه عن المأساة انها « تحاول ، على قدر الامكان ، أن تحصر حدثها في حدود دورة واحدة للشمس ، أو نحو ذلك » (١) وهو يعني بذلك أن الكتـــاب المسرحيين اليونانيين كانوا يحاولون أن يجعلوا الحدث الدرامي يســـتغرق حوالي أربعا وعشرين ساعة ، وارسطو بهذا يثبت حقيقة تاريخية لا رأيا شخصيا نسجله عليه ، كما انه لم يشر من قريب أو بعيد الى وحـــدة المكان . ولكن المعروف ان النقاد الايطاليين في القرن السادس عشر استنبطوا خطأ من كتاب (الشعر) لأرسطو هذا المبدأ المشهور ، مبدأ وحدة الحدث ووحدة الزمان ووحدة المكان . وقد جاء ذكر هذه الوحدات الثلاثة أول ما جاء على لسان كاستلفترو Castelvetro في طبعته لكتاب (الشعر) عام ١٥٧٠ ، ثم نقله عنه السير فيليب سدني في كتاب (دفاع عن الشـــعر) حوالي عام ١٥٨٠ .

رابعا : والى جانب هذا هناك بعض هفوات في الأسلوب كنت أود أن يبرأ منها الكتاب حتى تتسق مع أسـلوبه الرشيق وعباراته الرصينة السلسة وتشبيهاته الشفافة :

(١) يقول عن اوديب انه (**طعن خنجرا في** عينيه) ص ١٥ ج ١ ، **واعتقد أن صحتها (طعن**

(١) انظر Airstotle, Poetics, Everyman's Edition, London, 1949, p. 13.

عينيه بخنجر) اذ أن طعن فى (شخص مثلا) تأتى بمعنى ثلبه وعابه واعترض عليه .

(ب) يقول فى الملهاة عند اليونان أنها كانت تعتمد فى بنائها الفنى على الغـريب من الأفكار او كل ما هو بعيد عن المألوف مثل « صعود بطل المسرحية الى طبقات الجو العليا » (ص ٢٢ ج ١) وهذا التعبير يبدو كأنه فى كتاب للطبيعة أو للكيمياء لا فى كتاب عن النقد الأدبى ، ولعل المؤلف يقصد (صعود بطل المسرحية الى العالم العلوى) أو (الى السماء) .

(ج) كما يقول عن الأدب الانجليزى فى العهد الدنماركى : « ولما جاء الغزو الدينماركى على انجلترا فى القرن العاشر الميلادى ص ٦٣ ج ١ . وأظن هذا التعبير اقرب الى الانجليزية منه الى العربية وكان الأنسب لو قال مثلا « ولما تعرضت انجلترا للغزو الدينماركى .. الخ » .

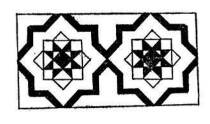
(د) يتحدث عن المدرسة المعاصرة فى الشعر فيقول ان بعض المعاصرين من الشعراء « يرون فى بعدنا عن الحقيقة **انهدارا** للقيم » (ص ٧٤ج٢) وصحتها (اهدار) من اهدر الشىء أى أبطله . وكذلك يقول فى نفس الموضع « ومن ثم يجدر بنا أن نشير الى ان **اهمية** الناقد الذى يعالج هـذه الناحية هى أن يبرز لنا الخيوط .. الخ » (ص ٧٨) ولعله يقصد **مهمة** الناقد فهى اقرب الى سياق الحديث من لفظ (اهمية) . أو كان من الممكن على الأقل أن يقول أن « اهمية الناقد .. ترجع الى ابراز الخيوط .. » .

(هـ) يتحدث عن ت . س . اليوت فيقول « يتطلع اليه الكتاب على أنه من أعظم شعراء انجلترا فى العصر الحديث اذ **لم يفوقهم** جميعا فى كتاباته القوية وحجته الراسخة وفكره العميق » (ص ٨٣ ج ٢) وأعتقد أن هذا خطأ مطبعى أو من قبيل السهو اذ يقصد الكاتب أن يقول (اذ يفوقهم جميعا) . ويقول فى نفس المكان « وشرب من هذه المناهل العذبة ما طاب له منها ، وارتوى من خضم المعرفة العميقة المدى ما شاء له . (ص ٨٣ ج ٢) ولو قال « اغترف من خضم المعرفة » ، لكان اقرب الى الصواب فلست أدرى كيف يرتوى الانسان من ماء البحر والمعروف انه ملح اجاج .

(و) يكرر فى أكثر من موضع اسم الشاعر الأيرلندى المعاصر Louis Mac Neice فيكتبه (لويس ماكنيس) (ص ٧٤ ، ١٢٤ ج ٢) وصحة نطقه (لوى ماكنيس) .

وبعد فمهما كان من أمر هذه الهنات الهينات فانها لا تنتقص من قدر هذا المجهود الشاق الذى بذله المؤلف فى هذا الكتاب وجمع فيه بين دقة العرض وطلاوة الأسلوب ووضوح الفكرة وتبسيطها ، اذ ليس من اليسير أن نجمع تاريخ النقد ومذاهبه ونظرياته فى هذه الحقبة الطويلة فى مثل هذا العمل الذى جاء وافيا بالغرض الذى وضع من أجله .

على جمال الدين عزت



مطالعات في علم النفس

تأليف الدكتور مصطفى سويف
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية
١٩٠ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن : ٤٥

● في أواخر النصف الأول من القرن العشرين قامت في مصر نهضة علمية وثقافية في ميادين علم النفس وصدر عن الباحثين فيها الكثير من الكتب والمراجع المؤلفة منها والمترجمة. وهذا النشاط مرده الى التوسع الرأسي والأفقي في مجالات البحث والتجارب التي تعمقت في الوصول الى اغوار النفس البشرية ومعرفة نوازعها ودوافعها وأبعادها — فضلا عن رسوخ قدم علم النفس بين سائر العلوم الانسانية والاجتماعية . وضبط المقاييس وتقنين الأبحاث التي أجريت في شتى فروعه .

● ورغم انتشار المؤلفات في علم النفس وكثرة الأبحاث والتجارب التي أجريت على نماذج مختلفة بميادينه المتباينة — فالعالم ما زال حديث عهد بمعرفته كعلم له قواعده وقوانينه ونظمه بعد أن كان فرعا من فروع المعرفة الفلسفية . ونظرياته كثيرا ما تثير ألوانا من الجدل وصنوفا من النقد وان كان هذا النقد وذاك الجدل يعمقان في النهاية آراء العلماء وأبحاث الباحثين ويخدمان العلم والمنتفعين به .

● ولم تنفرد للنفس دراسات مستقلة — تقومها كعلم قائم بذاته بين سائر العلوم الانسانية — الا منذ قرن من الزمان حينما قام علماء الغرب بالتقنين للأبحاث والتجارب التي ألقيت عليها . وتداول علماء العرب هذا اللون من المعرفة منذ أوائل القرن العشرين ودخلت دراساته بيوت العلم وتكونت ببعض الاقطار العربية هيئات وجماعات تحمل اسمه وترعاه وتسعى لتعميق البحث فيه ونشره بين ارجائها والاستفادة منه في ميادين التربية والتعليم والصناعة والاجتماع والطب والعلاج وما الى ذلك .

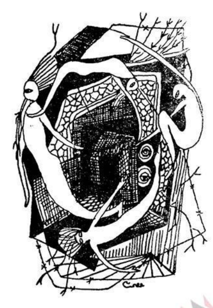
● ومن الجماعات ذات الأثر الفعال في بث النشاط العلمي ونشر الثقافة النفسية جماعة علم النفس التكاملي التي بدأت نشاطها في القاهرة عام ١٩٤٥ باصدار «مجلة علم النفس» مستوحية الحقائق السيكلوجية في معالجة الموضوعات العلمية ناشرة بجانب المقالات العربية ابحاثا ومقالات لعلماء من الغرب بلغتهم الأصلية من انجليزية وفرنسية مع ترجمتها أو تلخيصها باللغة العربية . وكان القائمون على المجلة يتبادلون المطبوعات النفسية مع الجامعات ودور النشر الأجنبية التي تصدر مجلات في علم النفس . وكان لهذا التبادل الثقافي الدولي أثر كبير في رفع شأن الدراسات السيكلوجية العربية في الأوساط العلمية العالمية وتسابق المجلات الأمريكية والانجليزية والفرنسية على نشر الكثير من مقالات مجلة علم النفس المصرية — اذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر مجلة Psychological Abstracts الأمريكية، British Journal of Psychology Science News الانجليزية .

● وفى عام ١٩٤٨ أنشئت الجمعية المصرية للصحة العقلية وكان فى مقدمة اهدافها رفع مستوى الوعى بالصحة النفسية بمختلف الوسائل ـ من عقد الندوات والقاء المحاضرات الى اصدار النشرات وتشجيع البحث العلمى فى ميدان الطب النفسى والعلوم النفسية . واهتمت الجمعية بأن تصدر مجلة الصحة النفسية وقد صدر العدد الأول منها فى أبريل سنة ١٩٥٨ وكان لها اثر قوى فى نفوس المشتغلين بعلم النفس خاصة بعد احتجاب مجلة علم النفس ـ واصبحت منبرا لاصحاب البحوث النفسية ومسرحا لابراز نشاطهم العلمى والثقافى .

● وهذه العجالة الموجزة عن النشاط الثقافى النفسى ، والهيئتين الرائدتين فى هذا المجال القصد منها الوصول الى أن كتاب مطالعات فى علم النفس هو امتداد فردى للمجهود الجماعى الذى قام على يد جماعة علم النفس التكاملى عام ١٩٤٥ ونشر مقالاتهم وابحاثهم فى مجلة علم النفس وكتابها السنوى والجمعية المصرية للصحة العقلية باصدارها مجلة الصحة النفسية .

● والدكتور مصطفى سويف من الأساتذة المصريين الذين لاقوا الكثير فى سبيل الوصول الى نتائجهم المثمرة فى ميدان علم النفس وبذلوا مجهودا يستحق التقدير فى ميادين البحوث النفسية والتربوية ، وهو لا يكف عن مداومة ربط كل حديث من المعرفة السيكلوجية بالقديم من النظريات والآراء . وكتابه مطالعات فى علم النفس قسمه الى اربعة أبواب الأول فى علم النفس الاجتماعى . والثانى فى التحليل النفسى والثالث فى الاطار العلمى لعلم النفس . والرابع فى رسالة علم النفس الاجتماعية .. ولو انصف الدكتور سويف لقسمه الى ثلاثة فقط موزعا الباب الرابع على الثلاثة الأول اذ ان عرض تقرير « المؤتمر الدولى للصحة العقلية » كان الأولى به أن يضيفه الى باب « الاطار العلمى لعلم النفس » لانه تقرير يفيد القارىء من الناحية العلمية



ويضيف اليه جديدا من المعلومات والآراء والأبحاث التى القيت فى المؤتمر ، وان كان من بين الموضوعات التى يحويها الكتاب آراء تستحق أن يفرد لها مجلدات مستفيضة لما لها من صلة قوية بالحرب والسلام والتعايش السلمى ودراسة النفس البشرية من الناحية القومية الاقليمية والعالمية .

فالأستاذ بتلر رئيس الجمعية الأهلية للصحة النفسية بانجلترا الذى استهل كلمته (ص ١٧٤ ـ ١٧٥) فى المؤتمر بالاشارة الى ضرورة تعاون القوى الاجتماعية بما فيها جهود العلماء للعمل فى سبيل توفير الشروط النفسية الملائمة لانتشار التفاهم الدولى والثقة بين الأمم ـ والارتباط الوثيق بين التربية والصحة النفسية والحياة الاجتماعية والحياة الدولية ارتباطا من شأنه مواجهة المشاكل الحاضرة التى خلفتها الحرب الأخيرة وتوجيه النفوس للايمان بالقيم الجديدة التى تتلاءم والأحداث والتغيرات التى طرأت على مجتمعات ما بعد الحرب .

هذه الكلمة من جانب عالم نفسى فى موضوع حيوى يستحق أن يطرح على بساط البحث مفردا له كتابا مستقلا .

● هذا ولا يقل عن ذلك الرأى خطرا وشأنا رأى الأستاذ هنريك روكسو . H.Roxo. رئيس وفد البرازيل فى ذلك المؤتمر ص ١٧٥ الذى نادى بضرورة فهم الجانب النفسى من الموقف العالمى الحاضر كشرط للتقدم نحو عمل حاسم فى سبيل السلام . وذلك لأن سلوك الناس بعد الحرب قد تغير عما كان من قبل . وهم الآن أكثر قابلية للتهيج واستعدادا للانهيار العصبى وازدادت نسبة الاصابة بالأفكار المتسلطة والمخاوف المرضية التى لا مبرر لها . ومن ثم فان واجب الهيئات الصحية أن تتعاون مع الحكومات فى سبيل تدعيم الفكرة والعناية بالذهانيين والعصابيين .

● ولو اقتصرت محاولات علماء النفس على العمل فى سبيل تدعيم السلام ونشر التفاهم الدولى لكفاهم هذا مئونة البحث فى علاج كثير من امراض الحروب والقلق الذى يساور المجتمعات والأفكار التسلطية والمخاوف المرضية التى تنتهى ابان الحرب الباردة والحرب الساخنة وما بعدهما .

والدكتور مصطفى سويف ذكر فى المقدمة أن مقال « ديناميات الجماعة » (ص ١٨ — الى ص ٤١) من الميسور ادراجه فى الجزء الخاص « بالمطالعات فى الاطار العلمى لعلم النفس » وأنا اخالفه الرأى فى ذلك مؤيدا وضعه فى اطاره الحالى بالكتاب وهو « مطالعات فى علم النفس الاجتماعى » وذلك لما للمقال من صلة وثيقة بعلم النفس الاجتماعى . ولما للظواهر الاجتماعية التى أوردها من ارتباط بمفهوم الجماعات ومدلولاتها النفسية ، وأن تجارب مورينو J. L. moreno. ، نيوكوم T.m. Newcomb تراشر F. m. Thrasher خير دليل مؤيد لذلك .

● وعرض الدكتور سويف كتاب Uses and Abuses of Psycolsgy (من ص ١٨٤ — ١٩٠) للأستاذ ايزنك استاذ علم النفس فى جامعة لندن . فى الصورة التى نشر بها كمحاضرة أو مقال ألقى بالاذاعة كان يقتضى أن يجهد نفسه قليلا فى اخراجه مبعدا عنه الاستهلال بكلمتى « سيداتى سادتى » . ويصوغه فى قالب كتابى لا اذاعى حتى يشعر القارىء أن الكتاب لم يكن جله على هذه الصورة نتيجة تجميع مقالات سبق عرضها فى اكثر من مجال .

هذا وقد غلب على الدكتور فى عرض هذا الكتاب الأسلوب الاذاعى المشوب بالرأى الذاتى لا رأى المؤلف نفسه وهذا ما يبعدنا كثيرا عن فكرة « عرض الكتاب » .

● وفى عرضى لجوانب كتاب « مطالعات فى علم النفس » . انما اتناول الناحية التاريخية للنشاط الثقافى النفسى الذى ظهر قرينا لهذا الكتاب ثم الناحية الشكلية للكتاب . ثم الموضوعية منه .

وفى الباب الخاص بمطالعات فى التحليل النفسى عرض الدكتور سويف « التحليل النفسى والدراسات الاجتماعية » (من ص ٨١—٩٢) عرضا شائقا منمقا ولكنه مختصر اختصارا يكاد يكون مخلا اخلالا أفقد بعض النقاط الرئيسية قيمتها ففى :

« الطوطمية والطابو » ذكر الدكتور الدعائم الأربع التى شيد عليها فرويد بحثه وهى المقدس والمدنس — والخوف الذى يبديه البدائيون من الاتصال الجنسى بالمحارم — ومعاقبة المنتحبين على الميت لأنفسهم جزاء ما حملوا للميت من رغبات شريرة — وان العلاقات الانسانية تحمل التناقض فى نفسها .

ذكر هذه الدعائم والرموز فى نظرية الطوطم ولم يورد من قريب أو من بعيد عقدة أوديب وأهميتها باعتبارها المفتاح الأول لفهم الجوانب النفسية فى الحياة الاجتماعية . علما بأن حولية التحليل النفسى والعلوم الاجتماعية Psychoanalysis and the Social Sciences ضغطت كثيرا على هذه العقدة وآثارتها فى أكثر من موضوع .

● هذا وقد مر الدكتور سويف فى عرضه لهذا الكتاب على النرجسية (ص ٨٧ — ٨٨) مرورا خفيفا يبعدنا عن عميق الأسطورة ودلالتها النفسية وما للأنا من علاقة بالليبيدو وعمليات الاسقاط .

● وانه وان كان قد أوجز فيما سبق فانه قد حلل تحليلا جميلا القسم الخاص بالأدب فى (ص ٩٠ — ٩١) من هذا الكتاب فاشارته الى

مقـــال كل من ادموند برجلر E. Bergler ، كلارنس أوبرندورف C. P. Oberendorf اشــارة تستحق التوقف للاشادة بما يحتويانه من معان قيمة وعبارات نفسية عميقة ذات صلة بالأديب وعمله ونفسيته وانطباعاتها ـ واجمل ما فيهـا قول برجلر أن « الأديب لا يكشف فى ادبه عن رغباته اللاشعورية التى تســبب له الحصر بل الواقع انه يكشف عن وسائله فى الدفاع ضد هذه الرغبات .

« الأديب يجد فى التأليف الأدبى فرصة طيبة للكشف عن بعض الجوانب لعقدة اوديب » .

● وكذا عرض أوبرندورف للرأى الشائع عن أن الأديب يستطيع أن يتخذ من التأليف الأدبى وسيلة لشفاء نفسه من ضروب العصاب وأن سومرست موم وادجار آلان بو الشاعر الأمريكى وبودلير ، الشاعر الفرنسى وغيرهم من مشاهير الكتاب حاولوا ذلك كثيرا ولكنهم فشـــلوا فى العلاج . لأنه قلما وجد المحلل الذى يهتم بأثر التأليف الأدبى فى الحـــالة النفســية للمؤلف والتنبيه الى الحوافز اللاشعورية التى تكمن وراء الاشارة او الرمز الذى يعبر عنه الروائى او الأديب .

● وخلاصة القول أن الموضـــوعات التى تضمنها الكتاب هى من الأهمية بمكان يستحق التنويه به والاشادة به ولكنه يعوزها الافاضة وعدم البخل فى الشرح والاطناب عند النقـــاط التى تحتاج الى ايضاح لا سيما وأن عنوان الكتاب « مطالعات » وهذا العنوان يحتاج ممن يطالع أن يطلع القراء على كل جديد وأن يضغط بفكره الثاقب على كل هام من الموضوعات ولا يمر مرور الكرام عند النظريات والآراء التى يعوزها البسط فى العرض . كما وان الملخص عليه أن يضع نفسه موضع القارىء سائلا نفسه هل هذا التلخيص واف ام غير واف .. !!

● وان الدكتور مصطفى سويف قد جمع فى كتاب واحد ترجمة وتلخيصا لعشر مقالات وعرضا لخمس كتب تناولت موضوعات مختلفة تدور فى ذهن كل دارس للثقافة النفسية وباحث عنها . وهذا المجهـــود بحق يستحق الشكر والتقدير من رواد علم النفس والمهتمين به .

محمد مراد السبطاسى





تأليف توفيق الحكيم

الناشر: مكتبة الآداب
٢٩٤ ص ١٤×٢٠ سم ٣٥

يعتبر « توفيق الحكيم » فى أدبنا المعاصر ظاهرة أدبية لها كل التقدير وهى جديرة بالبحث والدراسة .. ولما كان الحكيم يتمتع فى نفوسنا بمكانة عزيزة اثيرة لهذا يدفعنا الشوق دائما والاحساس بالفضول الى تقصى الحقائق التى تحيط بهذه الشخصية التى يدين لها أدبنا بالفضل الأكبر .. فلا جدال فى أن هذا الأدب الممثل فى « القصة ، والمسرحية » قد خرج بحق من اعماق ذلك الكاتب الفذ الفريد . فقد ادرك بادىء الامر ، بحاسته الفنية ان تطور مجتمعه يحتاج الى تطور فى الأسلوب الادبى لا يعتمد على الأنغام اللفظية بقدر ما يعتمد على قوة تشكيلية معمارية .

وقد كانت « القصة والمسرحية » ، فى ذلك الوقت تعد ابلغ تعبير عن طبيعة تطورنا .. وكانت اذواقنا لا تستجيب لهذا اللون من الأدب وتنظر

اليه نظرة استنكار .. كان هـذا الصنف من الادب يعـد بدعة يجب تجنبهـا والبعـد عنها .. شأنه شأن « التمثيل » و « الموسيقى » و « التصوير » و « النحت » .. تلك الفنون التي كان لا يقر بها الا المغامرون المقامرون بسمعتهم .. فـلا يستغرب اذن أن تبقى رواية « زينب » للمرحوم « هيكل » متدثرة بالظلام لايجرؤ مؤلفها على اعلان اسمه اعواما عديدة .. اى الى ان اعاد طبعها باسمه الحقيقى مرة ثانية ... ولايستغرب أن يقف الحكيم وقفة المتردد أمام كتاب « عودة الروح » بعد أن كتب منه مائة صفحة .. فقـد كان يسأل نفسه هل يمضى فى كتابتها ؟ أو يكف ويمزق ما كتب ؟ .. لكنه سرعان ما تابع كتابتها رغبة فى خلق شكل أدبى جديد .

والحق أن «الحكيم» عانى كثيرا ولقى اضطهادا وتعنيفا من جراء هوايته الأدبية .. فقد كان والده يقـاوم هذه النزعة الأدبية التي تثور فى نفسه منذ الصغر .. وكان له بالمرصاد خشية ان يحيد عن الطريق الذى رسمه له .. اذ كان يريد منه ان يتأثر خطـوه حتى يصير قاضيا مثله .. وبالفعل استطاع « الحكيم » أن يحقق رغبة والده فنجح فى دراسته الثانوية والجامعية لكنه على الرغم من ذلك فان والده لم يستطع ان يخلق منه رجلا يعمل بالقانون وينجح فى ذلك العمل .. ذلك لانه كان يندفع دائما الى منابع الفن لينهل منها ويعمل جاهدا من اجل انضاج هذه الموهبة التى يتمتع بها .

نعود فنقول انه لما كانت لشخصية «الحكيم» تقديرها ومكانتها فى ادبنا المعاصر .. فاننا نجـد فينا شغفا دائما الى مزيد من التعرف عليها والى مزيد من الاطـلاع على الملابسات التى أحاطت بها .. ولذلك نتقبل الآن كتابه الجـديد **سجن العمر** بكل حفاوة ونرحب به ايما ترحاب .. فقد اراد « الحكيم » بهذا الكتاب الجديد أن يكشف النقاب عن طبيعته وان يطلعنا على أسرار هـذه الطبيعة التى تتـدخل فى توجيه ميوله وأفكاره وأحاسيسه وتفرض عليه الطريق الذى يسير فيه .

وقد سبق ان قـدم الينا « الحكيم » كتابا يتضمن تجربته الفكرية والفنية فى الادب ، وهو عبارة عن مجموعة رسائل كان يكتبها لصـديق فرنسى يحكى فيها مدى معاناته من أجل البحث عن ذاته والبحث عن الأسلوب الادبى اللائق الذى يعبر به عن هذه الذات .

ولم تكن تلك الرسائل كافية لمعرفة كل شيء عن « الحكيم » فقد كان مايزال هناك بعض الجوانب المجهـولة عن شخصيته والتى تحتاج الى القاء الضوء عليها .. فقد كان يشوقنا حقا أن نعرف عن طفولته شيئا وكان من الممتع أن نرقبه وهـو ينمو شيئا فشيئا حتى يصبح بهذه الصـورة التى نعرفها عنه .. وكثيرا ماكنا نسأل : ما هى الخبرات والمؤثرات التى ألمت بهذه الشخصية ؟ وما هى التجارب التى خاضها وكانت سببا فى تشكيله بهذا التكوين الذى هـو عليه الآن ؟ .. ومن همـا أبواه ؟ .. وما هى طبيعة ملامحهما النفسية والاجتماعية ؟ ... كانت هناك أسئلة كثيرة لانجد لها جوابا .. وكأن « الحكيم » قـد تعمد أن يطرح جانبا هذا الجزء من حياته وأن يعطينا نصف الحقيقة عن شخصه ، الممثلة فى **زهرة العمـر** .. ليثير فينا احساس الشغف والشوق لمعرفة الحقيقة كاملة عن شخصه .

وقد اراد بكتاب **سجن العمر** أن يجيب عن كل هذه الأسئلة محاولا أن يرفع الغطاء — على حد قوله — عن جهازه الآدمى ليفحص تركيب ذلك « المحرك » الذى نسميه الطبيعة أو الطبع .. هذا المحرك المتحكم فى قدرته ، الموجه لمصيره : من اجل هذا يسأل « توفيق الحكيم » هـذا السؤال :

« من اى شيء صنع ؟ .. من اى الأجـزاء شكل وركب ؟ » .

ذلك هو موضوع الكتاب الذى سنتناوله الآن بالبحث والتحليل .. ففى هـذا الكتاب يحـدثنا « الحكيم » عن هذا الطبع الذى يعيش أسيرا له طول العمر .. وهذا الطبع الذى يقصده لا يخرج عن مجموع الخصائص التي ورثها عن

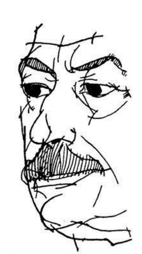
والديه ، وهى التى يسعى جاهدا للخلاص منها . .
فهو لم يختر هذه الخصائص المتناقضة المعقدة ولهذا فهو لا يريد أن يخضع لهذا الطبع الذى فرض عليه فرضا . .

لم يرتض لنفسه أن يكون عبارة عن خلاصة خصائص الأب والأم فقط . . فانه بذلك يفقد ذاتيته ولا يصبح سوى صورة مصغرة معادة غير اصيلة . . ولهذا يقف ناحصا مدققا لعناصر هذا التكوين الذى ورثه عن والديه .

لقد اراد ان ينتقى من عناصر والديه كل ما يفيده لكى يكون شيئا جديدا . . رافضا منها كل ما يعطل حركته ونموه وانتاجه الفنى . . وقد رأى فى مجال الفكر والفن الملاذ الوحيد الذى ينشد فيه الحرية والانطلاق من قيد هذا السجن الذى ورثه عن والديه . . لكن الحكيم سرعان ما يكتشف ان هذه النزعة الدفينة التى تحثه على السعى وراء الفكر والفن لم تكن نزعته هو شخصيا ولم يكن له فيها حرية الاختيار وانما كانت نزعة والده المكبوتة الذى كان يود فى دخيلة نفسه أن تتاح له الفرصة والانطلاق على سجيته واتخاذ الشعر والأدب مجاله وميدانه . . لكن المجتمع المتزمت من جهة وضيق ظروفه من جهة أخرى حالا دون تحقيق ذلك . . ولهذا وجد « الحكيم » نفسه يرث عنه هذه النزعة الدفينة المكبوته لكى يقوم هو بدور تحقيقها فى عالم الواقع . . والحكيم ينوء بهذا الثقل الذى ورثه عن والده وهو يشكو من أنه يكلفه أكثر مما فى طوقه وكم كان يود لو أن والده قد تمكن من افراغ كل ما فى نفسه من رغبات وميول أدبية حتى يعفيه هو من هذا الداء الذى أصابه ، وهو الأدب . . حينئذ كان فى امكانه ان ينصرف عنه الى شىء آخر قد لا يرهقه كل هذا الارهاق .

كان يود لو يحدث له ذلك مثلما حدث لأبناء رجال مثل « لطفى السيد » أو «أحمد شوقى» . . فأبناؤهم لم ينزعوا الى الأدب لأن آباءهم لم يكبتوا تلك النزعة بل أفرغوها وأطلقوها بكل طاقاتها وقوتها فى حياتهم . .

لقد اكتشف « الحكيم » اذن انه لم يخرج من هذا السجن عن طريق نزعته الفنية والأدبية



فما هو الا سجين نزعة والده . . ومع انه حاول كثيرا أن يفلت كما يحاول كل سجين الا انه كان يشعر دائما كمن يتحرك فى اغلال ابدية .

لم يستطع اذن الافلات من سجن والديه وبمعنى آخر لم يستطع أن يتخلص من قانون الوراثة الذى يتحكم فى جميع عناصر تكوينه ويحرك ميوله وأحاسيسه التى لاتعدو أن تكون قبسا من طبع والديه . . فما هو الا عجينة من العناصر المتناقضة التى ورثها عنهما . . كل ما استطاع أن يضيفه الى تكوينه انما هو ذلك الدافع الذى جعله عصيا لرغبة والده . . فقد كان يريد منه ان يقتفى أثره وأن يبتعد قدر الامكان عن نزعته الفنية والأدبية التى قد تفسد عليه مستقبله . .

لكن « الحكيم » يشعرنا بالأسى حين يذكر الجهد الذى بذله فى الكفاح والصراع ضد العوائق التى وضعها اهله فى طريقه ومن خلفهم المجتمع كله فى ذلك الوقت . . فوالده الذى أورثه حب الأدب هو نفسه الذى يصده عن الأدب ، ووالدته التى أورثته الارادة تقف بارادتها دون رغباته الفنية . . لقد كانت حريته الباقية اذن هى فرصته الوحيدة وسلاحه الوحيد فى مقاومة كل تلك العقبات . . . صحيح انه سجين هذه النزعة التى لقفها من والده لكنه حر فيما اكتسبه من ثقافة . . فكل ما شيده بنفسه من فكر وأدب وفن انما يعد ملكه الخاص

لا يشاركه فيه أحد .. ذلك هو الجانب الذى كان موضع الصراع والخلاف بينه وبين اهله وهو الجانب القوى الذى يستوحى منه كل قوته.. وعن طريقه استطاع أن يحقق حريته وانسانيته .

لكن علينا الآن أن نسأل هذا السؤال :

ما هى هذه النزعة الفنية الدفينة التى سيطرت على وجوده وتطلبت لتحقيقها من المواهب أكثر مما عنده (على حد قوله) واقتضت من الجهود ما كاد ينوء به ؟

لقد حاول الحكيم أن يتقصى جذور هذه النزعة الغامضة ويتابع نموها فى أعماقه وكيف عبرت عن نفسها فى مظاهر فنية عديدة ؟

ولعل أول مظهر من مظاهر انفعاله بالجمال الفنى قد اتخذ صورة التلاوة القرآنية الجميلة فيوم كان فى الريف أحضروا له شيخا يحفظه القرآن ويعلمه مبادىء القراءة والكتابة وقد كان ذلك الشيخ جميل الصوت .. فهو يعلمه ويحفظه ثم يقوم ليؤذن للصلاة فى المصلى القائمة على حافة الترعة .. كان الاعجاب بصوت هذا الشيخ حافزا له على محاكاته فكان يحفظ مايلقنه أباه من الآيات ليتلوها مثله بصوت جميل وقد شعر لأول مرة فى قرارة نفسه بما يشبه الشعور باللذة الفنية .. ذلك الذى يمكن أن يوصف اليوم باحساس الفنان وهو يقوم بعمل فنى .

وكانت هناك صورة أخرى يشعر نحوها بالفن وهى الممثلة فى مولد « سيدى ابراهيم الدسوقى » « والموكب الذى كان يمر من تحت نوافذ منزله حيث يركب الخليفة على حصانه شاهرا سيفه تحف به البيارق والأعلام والبنادير والرايات بمختلف الألوان والطبول الكبيرة والمزامير بمختلف الأحجام ثم عربات النقل الكثيرة يتلو بعضها البعض فى صف طويل لا ينتهى تجرها كل أنواع الدواب من خيول وبغال وحمير وبقر وجواميس وثيران .. » .

على أن بدء اهتمام «الحكيم» بالفن الحقيقى كان يبدو فى صورته المباشرة يوم هبطت وقتئذ بمدينة « دسوق » « جوقة » الشيخ سلامة حجازى .. ويقول « الحكيم » فى هذا الصدد أن أهل البلد قد نصبوا لهذه الجوقة مسرحا من الخشب فى احدى رحبات البلد وغطوه بقماش الصواوين وقد رفعت عليه الزينات وتدلت (كلوبات) الغاز وارتدى أفراد « الجوقة » ملابس (شهداء الغرام) اى « روميو وجولييت » « لشكسبير » وقد راحوا يطوفون بشوارع البلد فى ملابس التمثيل المزركشة وقد تدلت شعورهم الشقراء المستعارة على الاكتاف تعلوها قبعات القرون الغابرة المحلاة بالريش الطويل ، والخناجر والسيوف تبرز من أحزمتهم .

ولقد تفتق خيال الحكيم منذ الصغر حين سماعه القصص التى كانت تحكى على لسان والدته فقد كانت طريحة الفراش بسبب ما أصابها من مرض وكانت تشغل وقتها بقراءة قصص « الف ليلة وليلة » وعنترة وحمزة البهلوان وسيف بن ذى يزن ونحوها وكان الحكيم يشعر بمتعة بالغة فى الانصات الى مثل هذه القصص وقد كان هذا بمثابة الدافع الذى جعله يسرع فى تعلم القراءة .. ولقد صار يبحث عن تلك القصص التى كان يراها فى يد والدته حتى عثر عليها فى صناديق الأمتعة القديمة فانكب عليها وراح يلتهمها التهاما » ..

على أن موهبة « الحكيم » لم تتفتح بشكل واضح الا فى مجال المسرحية .. ويعلل «الحكيم» تفضيله كتابة المسرحية عن القصة بأن القصة تحتاج الى تحليل وتفاصيل وهذا ما لا يتفق مع طبعه أما المسرحية فهى تعتمد على الجدل والمنطق والتركيز ووضع الكلمة فى موضعها وحوار النفس .. وكل هذا يتمثل فى طبيعة القاضى .. تلك الطبيعة التى ورثها عن والده الذى كان كل شىء عنده يخضع لميزان عقله وفحصه الدقيق .. فهو دائما رجل متزن معتدل لا يعرف الافراط أو التفريط .. وانما يلتزم دائما بالوسط الذهبى الأرسطى .. ولهذا فقد ورث « الحكيم » عن والده طبع الاقتصاد وعدم الاسراف سواء فى نقود أو كلمات .. ولعل هذا من أسباب تفضيله المسرحية فهى فن اقتصادى بخيل .. الكلمات فيها محسوبة بدقة والوقت مقيد والحيز محدود . لا محل فيها للاسراف والانفلات .



وهناك تعليل آخر يفسر به « الحكيم » سبب تفضيله « المسرحية » ذلك التعليل الذى يتمثل فى طبيعة ميراثنا الأدبى نفسه .. فقد لاحظ أن طبيعة التركيب والتركيز عند العرب يمكن ملاحظتها فى الشعر والفكر والأدب والبلاغة .. هذه الطبيعة انما هى جوهر الفن المسرحى . ولهذا فهو يعتقد أن السليقة العربية انما هى سليقة مسرحية .. واذا كانت الظروف المختلفة قد حالت دون تجسيم هذه السليقة بالطريقة المعروفة عند اليونان فان ذلك لم يمنع من ظهور بوادرها فى أشكال أخرى تتمثل فى مشاهد من رسالة الغفران للمعرى أو قطع من حوار فى « الأغانى » أو صفحات من كتاب « للجاحظ » حيث يتضح ذلك البناء المحكم للصورة والعبارة والاصابة المباشرة بلا لغو ولا فضول . فهناك تلوين سريع مركز للشخصية أو العاطفة أو الفكاهة أو الشعر .

كل هذه الأسباب جعلت « الحكيم » يشعر بجذور عميقة خفية لهذا الميل الذى يدفعه دائما نحو الفن المسرحى والذى لازمه وسار معه فى كل خطوة من خطوات حياته ودراسته . ولقد كان انتقال « الحكيم » من الريف الى القاهرة له من الرحابة والحرية ما جعله يتنفس بعمق .. فقد اتجه الى المسرح بكل ما يحتمله وقته وجيبه وكان « جورج أبيض » قد انفصل عن جوقة الشيخ « سلامة حجازى » واستقل بفرقة خاصة تمثل التراجيديا بغير قصائد ولا الحان .. اى التمثيل من أجل التمثيل .. لا التمثيل من أجل الغناء .. وكان هذا شيئا جديدا لم يجرؤ عليه الا « جورج أبيض » وحده .

وما من شك فى أن تأثير « جورج أبيض » على الشباب المثقف كان قويا وقد كان قوام عمل جورج أبيض وفنه يتمثل فى التراجيديا فى أرقى أنواعها : « أوديب الملك » و «هاملت» و «عطيل» وغيرهم .. وكان « الحكيم » شديد الاعجاب بجورج ابيض يحفظ صفحات بأكملها من «عطيل» و « أوديب » و « لويس الحادى عشر » .. وكان يلقيها بطريقته مع بعض الهواة من زملائه فى أوقات الفراغ . ولم يكن يعوقه من حضور

حفلاته بدار الأوبرا الا النقود .. فما أن يعثر على خمسة قروش فى جيبه حتى يسابق الريح الى هناك .. فى أعلى «التياترو» ثم يعود فى منتصف الليل ماشيا من الأوبرا الى شارع سلامة « بالبغالة » .. ولم تكن عودته المتأخرة تستلفت النظر فى بيت أعمامه الشبان .

وهكذا عاش « الحكيم » فى القاهرة فى حرية تامة ما كان يمكن ان تتاح له فى كنف والديه وتحت ضغطهما المستمر الذى كان سيحول حتما دون ارتياده المسارح والانغماس فى الحياة التى يريدها .. على ان هذه الحرية كان من الممكن أن تفسد عليه حياته الدراسية .. لكن توازن « الحكيم » الغريزى الذى ورثه عن والده لم يجعل هوايته تطغى على دروسه المدرسية . وقد اخذ « الحكيم » يمارس الكتابة للمسرح حتى استطاع ان يقدم له اول مسرحية وهى التى اسماها (الضيف الثقيل) .. وقد كتب هذه المسرحية فيما يبدو فى أواخر سنة ١٩١٩ وكانت من وحى الاحتلال البريطانى وكانت ترمز الى اقامة ذلك الضيف الثقيل فى بلادنا بدون دعوة منا وبدون رغبة فى الانصراف عنا .. ويحدثنا « الحكيم » عن مرحلة التأليف المسرحى فيقرر أنه لم يبدأ الكتابة للمسرح على نحو جاد الا بعد سفره الى أوربا والارتشاف من منابع الثقافة الحقيقية والتكوين الحقيقى لبنيته الفكرية .. وقد أراد الحكيم أن يسير فى الطريق الصعب الذى يتعذر معه النجاح وهو الذى يسير فيه « ابسن » و « وبيراندللو » و « برنارد شو » .. فهؤلاء الكتاب قد وجدوا العسر كل العسر فى الظفر بجمهور واسع وقتئذ .. ذلك لأنهم قد نبذوا وسائل التصفيق المعتادة ليشقوا طرقا جديدة .. وكان المسرح المصرى فى تلك الفترة يخضع لتيارين اثنين : التيار الاضحاكى والتيار الابكائى .. وكان لابد اذن من تيار ثالث هو التيار الثقافى .. لذلك انشئت الفرقة القومية عام ١٩٣٥ واسندت ادارتها الى الشاعر خليل مطران « وعهد بمسئولياتها الى المخرج زكى طليمات بعد عودته من بعثته فى باريس .. فافتتحت بمسرحية « أهل الكهف » ثم أعقب ذلك تاجر البندقية » ترجمة خليل مطران و « انتيجون » ترجمة الدكتور طه حسين و « الملك لير » ترجمة ابراهيم رمزى .. لكن هذه المسرحيات سرعان ماهوجمت بحجة مستواها الثقافى الرفيع .. وقد كان بالفعل ظهور مثل هذه المسرحيات دفعة واحدة وعلى مسرح كبير وفى ذلك الاطار الفنى الجاد الجاف شيئا قد هز الناس وصدمهم .

لقد أتيحت الفرصة لتوفيق الحكيم كى يحقق ذاته ويثبت وجوده الانسانى فى مجال الخلق الفنى وهو الآن بعد ان بلغ شوطا كبيرا فى هذا المجال يتساءل :

هل كان من الممكن ان يكون افضل مما هو عليه ؟

انه لا يدرى .. تلك هى اجابته .. فكل الذى يدريه انه سيموت وهو يتساءل :

لماذا لم يكن افضل مما كان ؟

من هذا التساؤل الأخير يمكن أن ندرك أن الحكيم لم يداخله شعور الارتياح ازاء ما حقق من أعمال فى مجال الأدب .. فهو ما يزال يشعر بالقلق لأنه لم يحقق كل ما كان يطمح اليه .. وهذا أمر طبيعى .. فالكلمة الأخيرة فى الفن ، لن تقال وانما سيبقى الخلق الفنى مستمرا أبدا الآبدين . وبعد فالحكيم يخاطبنا من خلال سجن العمر بلهجة مؤسية حزينة ذلك لأنه قد عانى كثيرا وتألم كثيرا .. لكنه يعود فيلتمس لنفسه العزاء والسلوان .. فكل الذى بذله وكل الذى دفعه انما يهون فى سبيل الفن .. ذلك لأنه يجد فى رحابه كل ثراء واكتفاء .. ولهذا فهو يقول : « اننى أشعر نحو الفن بحب منذ فجر الطفولة .. ان كل انسان يولد وهو محب للفن فى صورة من صوره .. فالانسان انسان لأنه يحب أن يتأمل ذاته ويعجب بها أو يضحك منها او يفكر فيها .. ان الفن هو اداة الانسانية لتأمل ملامحها ومعرفة نفسها وهذا ما دفعها الى التفكير والتطور .. ولو أن الحيوان تأمل ذاته وعرفها وحللها لانقلب انسانا فى التو واللحظة » .

سعد عبد العزيز

حول مقال عبد الله بن الزبير

بقلم : الدكتور علي حسني الخربوطلي

نشر الأستاذ محمد عبد الغني حسن مقالا في العدد ١٦ من مجلة الكاتب العربي ناقدا كتابي عن (عبد الله بن الزبير) الذي صدر في سلسلة أعلام العرب (العدد ٤٣) وقد شغل المقال اكثر من ثمان صفحات واستطيع ان اقسم هذا المقال من الناحية الموضوعية الى ثلاث موضوعات :

أولا : قام الأستاذ عبد الغني بعرض لفصول الكتاب ، واعتمد في عرضه على عبارات المؤلف وافكاره ، ولذا لم يأت بجديد ، بل استفاد من الكتاب في بعث الحياة في مقالة وزيادة عدد صفحاته وسطوره حتى يبدو المقال طويلا ومجزيا .

ثانيا : ساق الناقد في مقاله عبارات المديح والثناء للمؤلف فكان مما قال :

١ — ولقد عرض لنا المؤلف حياة عبد الله بن الزبير عرضا تتجلى فيه روائع سيرة هذا البطل على أشدها (*)

٢ — نذكر للدكتور الخربوطلي انه لا يدع مصدرا أن يفيد منه ..

٣ — سعدت بقراءة بضعة عشر كتابا من مؤلفاته ..

٤ — نشيد بفضله في ذكر مصدر الفرد وحده بذكر حادثة لابن الزبير ..

٥ — واود أن أؤكد لك يا قارئي الكريم انك لا تكاد تقلب صفحة من صفحات هذا الكتاب الا ووقعت عيناك على فائدة او عبرة من عبر التاريخ ، أو موقف من المواقف التي يحمد فيها الرجال ، أو ناحية جميلة من نواحي المترجم له ، أو من نواحي غيره ، فلا يكتفي المؤلف بذكر هذا الموقف ، بل يشير اليه ويشيد به .

٦ — ومن حسن الحظ ان الدكتور الخربوطلي يحسن قراءة الكتب التاريخية القديمة ، بما فيها من علو طبقة البيان العربي أحيانا ، وبما في بعضها من التواء الأساليب ..

وقد رأيت أن أذكر هذه العبارات لأنها ستكون وسيلتي في الرد على السيد الناقد . واني أشكر لسيادته هذه الكلمات الطيبة ، ولكني ارى ان الناقد لم يهتم — رغم ذلك — بابراز المجهود الضخم الذي بذله المؤلف في كتابه ، ولم يتحدث عن المصادر العديدة التي استمد المؤلف منها الحقائق التاريخية ، والمخطوطات القديمة التي توصل المؤلف اليها مثل كتاب (الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام) للبياس و (قيد الشديد من اخبار يزيد) لابن طولون ، وغيرها .

ثالثا : عاب الناقد على المؤلف بعض أمور من اليسير الرد عليها ، بل لقد كفانا السيد الناقد مئونة الرد عليها ، فقد ساق عبارات في مقاله فرد بها على نقده .

أ - يرى السيد الناقد انه كان على المؤلف الرجوع الى كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر وكتاب (تهذيب الأسماء واللغات) للنووى و (سيرة أعلام النبلاء) للذهبى . ولو رجع الناقد الى الكتاب لوجد فى قائمة المصادر ١٣٨ كتابا تشمل جميع المصادر الكبرى القديمة والحديثة، باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، . وقد اعتمد المؤلف عليها جميعا وذكرها فى حواشى الكتاب . كما اعتمد المؤلف على كثير من المخطوطات ، واعداد المجلة الأسيوية باللغة الفرنسية الصادرة فى سنة ١٨٣٢ . بينما لم يزد عدد مصادر كتاب الناقد الصادر فى سلسلة أعلام العرب بعنوان (عبد الله فكرى) عن ٤٦ مصدرا ، ولم يهتم سيادته بذكر مصادره فى حواشى كتابه وهو ما تحتمه الدراسة العلمية المنهجية . كما ان السيد الناقد يذكر فى مقاله فى آخر صفحة ١٧ ان كتب الطبرى وابن الأثير هما ابرز اصول التاريخ العربى الاسلامى ، وهذه الأصول يتضاءل امامها كتب (الاستيعاب) و (تهذيب الأسماء واللغات) التى تعتمد على الروايات والأساطير . كما أن هذه المصادر التى اشار الناقد اليها قد نقلت عن المصادر القديمة الأصلية مثل كتب الطبرى وابن الأثير أو كتب اليعقوبى والمسعودى وغيرهم ، مما يحتم الاعتماد على هذه المصادر الأصلية .

والأستاذ الناقد يناقض نفسه ، فهو يقول عن المؤلف فى مكان آخر من مقاله (انه لا يدع مصدرا أن يفيد منه) كما يعترف الناقد ان المؤلف كثير القراءة وانه يجيد قراءة الكتب القديمة . فهل كان المؤلف يعجز عن قراءة (الاستيعاب) و (تهذيب الأسماء) ؟!

٢ - ذهب الناقد الى أن المؤلف كرر عبارة واحدة تتألف من سطر ونصف سطر فى صفحتين من صفحات الكتاب . واحمد الله ان السيد الناقد قد اهتم بنشر هذه العبارة كما جاءت فى الصفحتين . فقد وجد قراء مجلة الكتاب العربى أنفسهم امام عبارتين مختلفتين تماما فى اللفظ، وان اتفقتا فى المعنى . وقد كان من المحتم على المؤلف أن يعيد معانى هذه العبارة فى ألفاظ جديدة، ، لأن المؤلف اتبع فى تأليف كتابه المنهج الموضوعى ولم يقسم فصول كتابه تقسيما زمنيا. ولذا كان لابد من ذكر هذه العبارة مرة أخرى للربط بين المواضيع المختلفة ، وقد ذكرها المؤلف فى مقدمة احد الفصول ليربط بينه وبين الفصل السابق له .

واريد أن أسأل السيد الناقد : هل من الخطورة بمكان أن يعيد مؤلف احدى عباراته بألفاظ اخرى وقد شعر بحاجته الى تكرارها ؟ أم ان الناقد لم يجد فى الكتاب من الهنات سوى هذه الأمور اليسيرة ليشغل بها قراء مجلة الكتاب العربى ؟ أم هى دعابة كما وصفها الناقد فى محادثة تليفونية مع المؤلف يوم ظهور المقال ؟

٣ - يقول السيد الناقد (أغفل الدكتور الخربوطلى الاشارة الى وعد ابن الزبير للمختار الثقفى بتحقيق أطماعه) . ويبدو أن سيادته لم يقرأ الكتاب جميعه . اذ بالكتاب فصل طويل ، وهو الفصل الثامن (ص ١٥٣ - ص ١٩١) وقد تحدثت بالتفصيل عن موقف حزب المختار من ابن الزبير . كما يبدو أن السيد الناقد لا يتابع سلسلة أعلام العرب ، فقد نشرت لى هذه السلسلة كتابا ضخما يتألف من ٣٦٥ صفحة بعنوان (المختار الثقفى) فى ابريل ١٩٦٣ . وقد تعمدت الا اكرر ما ذكرته فى هذا الكتاب فى كتابى عن (عبد الله بن الزبير) .

٤ - اهتم الأستاذ الناقد بتعداد واحصاء الأخطاء النحوية ، فأحصى عدة اخطاء لغوية .

وكنت أرجو أن ينسى الناقد وهو يقرأ كتاباً فى التاريخ انه اديب كبير ولغوى عظيم ، وان يحاول الاستمتاع بهذه الدراسة التاريخية الجديدة ، وأن يبحث عن الجوهر ولا يهتم بالشكل . وكنت افضل أن يهتم الناقد بنقد منهج البحث أو مناقشة الحقائق التاريخية بدلا من أن يتلمس زلات الآخرين ، ويشوه مجهودهم .

وانى اطمئن السيد الناقد انى لست مسئولا عن هذه الأخطاء النحوية . بل ان هذه الأخطاء القليلة ـ بالنسبة لصفحات الكتاب التى بلغت ٢٨٧ صفحة ـ نتيجة تعدد المصححين ، فقد قام بمراجعة الكتاب مصححون فى الدار الناشرة للكتاب ، كما قام بمراجعتها مصححون آخرون فى المطبعة ، وتفاوتت قدراتهم ودرجات علمهم .

والسيد الناقد يناقض نفسه أيضا فهو لا يقول عن المؤلف فى صفحة ٢٣ انه (يحسن قراءة الكتب التاريخية القديمة ، بما فيها من علو طبقة البيان العربى) كما يقول الناقد عن المؤلف أيضا (استقام له الأسلوب الواضح المعبر) .

وانى اعد السيد الناقد أن أعرض كتبى القادمة عليه قبل ارسالها الى المطبعة ليقوم بتصحيح الاخطاء النحوية ـ ان وجدت ـ حتى اوفر على مجلة (الكتاب العربى) استنفاذ صفحات كثيرة فى نشر مقال آخر للناقد عن كتاب قادم وبه احصائية اخرى بالأخطاء النحوية ، فى وقت ارتفع فيه ثمن الورق ، وحتى أكون عند حسن ظن الأستاذ الناقد بى ، ولا أتعرض لدعابة اخرى من دعاباته ، اذ هو يصور المقال بانه دعابة .

وختاما اريد أن اهمس فى اذنى الصديق الكريم والشاعر الكبير أن يقتصر فى نقده على كتب اللغة والأدب ويدع نقد كتب التاريخ للمؤرخين المتخصصين واساتذة التاريخ بالجامعات .

دكتور علي حسني الخربوطلي





● صدر أخيرا الجزء السادس من مجموعة « **البحوث والمحاضرات** » التى بدأ « **مجمع اللغة العربية** » بالقاهرة فى اصدارها منذ عام ١٩٦٠ لتضم البحوث والمحاضرات التى تلقى فى مؤتمراته السنوية ، وليضيف بهذا وشيجة من وشائج الصلة بينه وبين رجال اللغة والأدب ، فتتفتح من وراء ذلك ابواب البحوث ودراسات تفيد منها لغتنا فى نموها المطرد ونهضتها الشاملة .

وهذه الأجزاء الستة تصور ما يدور فى كل مؤتمر يعقد ، وتسجل ما يلقى فيه أو يقدم اليه من البحوث ، وهى الى جانب ما ينهض به المجمع من وضع مصطلحات ، تكمل الصورة الشاملة لجهود هذا المجمع الموقر منذ انشائه .

وقد ضم الجزء الأخير حديثا عن **المصطلح العلمى** فى وضعه ، وتخير اللفظ الملائم له ، ومدى الأخذ فيه بالتعريب . وتوجيه النظر الى البعد عن الألفاظ الغريبة والثقيلة النطق ، وأن نتحرى فى مستحدثات الحضارة خاصة الاستعمال الشائع فى البلاد العربية عامة ، وانه لا مناص من التعريب ، وبخاصة فى تلك المصطلحات التى اضحت شبه عالمية أو التى استمدت من أصول يونانية او لاتينية ، وانه يحسن التزام الأصل المنقول عنه ، وفى النحت والتركيب المزجى ما قد يخرج بالكلمة عن صورتها الحقيقية ، فتصبح لا هى بالعربية ولا هى بالافرنجية ، ومن الخير ضبط المصطلح المعرب أسوة بضبط الأعلام الأجنبية .

وقد حفل مؤتمر الدورة الثلاثين التى عقدها المجمع لعام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ بطائفة من البحوث والدراسات للأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ، جديرة بأن يتدارسها العلماء ، وأن يفيد منها أبناء العروبة .

وانتهى المجمع فى هذا المؤتمر الى مبدأين هامين بشأن **كتابة الأعلام الأجنبية** التى عنى بها فى مؤتمراته السابقة . **وأول** هذين المبدأين : ان يكتب العلم الأجنبى كما ينطق فى لغته الأصلية ، اللهم الا ان اشتهر بنطق عربى خاص ؛ **وثانى** المبدأين : ان الحروف العربية كافية لأداء الأصوات الأجنبية ، ولا يضاف اليها الا حرفان ، هما : پ لأداء P ، ڤ لأداء V .

● أشرت فى العدد الرابع عشر من هذه المجلة الى قيام « الدار المصرية للتأليف والترجمة » بنشر كتاب « **مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى** » الذى اختصر فيه الامام اللغوى جمال الدين محمد بن المكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى .

يقدمه مدير التحرير

ونضيف هنا أن « **معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** » قد تعاون على نشر هذا الكتاب بمكافأة محققيه ، وعهد الى هـذه الدار امر اخراجه فى سلسلة « تراثنا » .

وليس هذا اول جهد ـ فى هذا الباب ـ يقوم به « معهد المخطوطات » فى نشر التراث العربى ، فقد نهض منذ سنوات بنشر كتاب « **انساب الأشراف** » للمؤرخ والجغرافى احمد بن يحيى البلاذرى ، صاحب كتاب « فتوح البلدان » ، والمتوفى سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) وقد ظهر الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ويعد هذا الكتاب من اهم مصادر التاريخ العربى فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ويحفظ نصوصا انفرد بها ؛ وكتاب « **سير أعلام النبلاء** » للمؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) ويعد هذا الكتاب مرجعا من المراجع الوثيقة التى يحتاج اليها المؤرخون والأدباء والشعراء والمشتغلون بالطبقات والسير والأنساب ، وظهر منه ثلاثة أجزاء حقق **الأول** الدكتور صلاح الدين المنجد **والثانى** الأستاذ ابراهيم الابيارى **والثالث** الدكتور محمد اسعد طلس ، ونشرت الكتابين « دار المعارف » ونأمل أن ينهض المعهد بنشر باقى أجزائهما .

كما نشر ثلاثة أجزاء من معجم « **المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة** » الذى ألفه الامام اللغوى على بن اسماعيل بن سيده صاحب « المخصص » والمتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) وقد ظهر منه ثلاثة اجزاء ، **الأول** حققه الاستاذ مصطفى السقا والدكتور حسين نصار ، **والثانى** حققه الأستاذ عبد الستار احمد فراج ، **والثالث** حققته الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » ونشرته مكتبة مصطفى البابى الحلبى . وينتظر العالم اتمام هذا العمل الجليل .

هذا الى جانب الرسالة الثقافية الجليلة التى يقوم بها « معهد المخطوطات » منذ انشائه سنة ١٩٤٦ فى جمع شتات التراث العربى وتصويره من شتى أنحاء العالم وتيسيره على الباحثين والمحققين ، وذلك بايفاد بعوث من المتخصصين الى كثير من بلاد العالم كالهند وايران وتركيا والمانيا واسبانيا وانجلترا واليمن والسعودية وشمال افريقية غير ما صوره من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين حتى اجتمع له حوالى عشرين الف كتاب ورسالة ، وقام باعداد الفهارس التفصيلية لها . وقد اشرنا فى العدد السابق الى صدور المجلد التاسع من المجلة التى يصدرها هذا المعهد .

● اتمت « دار المعارف » نشر الموسوعة التى الفها الأستاذ نجيب العقيقى باسم « **المستشرقون** » فى ثلاثة أجزاء ، وننتهز هذه الفرصة فنشير الى أن الجزء الثالث قد ضم ٢٣٨ صفحة للفهارس العامة تبدأ من صفحة ١١٧٧ وتنتهى بصفحة ١٤١٤ ، وان عدد الذين ترجم لهم من المستشرقين فى هذه الموسوعة حوالى ٢٠٦٠ من اعلام الاستشراق ، وعدد فروع المعرفة التى اشتغلوا بها عشرون فرعا هى : علوم الاسلام ، التشريع ، الأديان ، الفلسفة ، اللغة ، المعاجم ، الأدب ، التاريخ ، الجغرافيا ، الفلك ، الكيمياء ، الرياضة ، الطبيعة ، الطب ، الزراعة ، الخطوط ، المخطوطات ، الفنون ، الآثار ، اللغات السامية . وقد ذكر المؤلف تحت كل فرع من هذه الفروع فى هذا الفهرس أسماء المشتغلين بها علاوة على

الفهرس العام . ثم خصص قسما من الفهرس ببيان الكتب والدراسات التى نشرها هؤلاء العلماء فبلغ عددها قرابة ٥٣٠٠ .

ومثل هذه الفهارس ضرورة بل واجب علمى على كل مؤلف أن يلحق كتبه بها ، لأن هـــذه الفهارس تيسر على الباحثين سبيلهم وتهديهم فى أيسر وقت الى ضالتهم . وهى عمل يستحق التقدير الذى يناله الكتاب نفسه لأنه جهد مضن كجهد التأليف نفسه .

● يقوم الآن العالم التركى الدكتور محمـــد فؤاد سزكين الأستاذ بجامعة فرانكفورت باعادة النظر فى كتاب « **تاريخ الأدب العـــربى** » الذى صنفه الدكتور المستشرق الألمانى الدكتور كارل بروكلمان ، ويقوم الدكتور فؤاد بمراجعة ما أشار اليه بروكلمان على المخطوطات نفسها فلا يكتفى بذكر ارقامها فى فهارس المكتبات بل يذكر عـــدد صفحاتها بعد الاطـــلاع عليها — وهو ما فات بروكلمان ذكره — ثم يضيف اليها ما يكون قد اكتشف من مخطوطات جديدة للمؤلفات الواردة عند بروكلمان .

وقد استطاع الأستاذ فؤاد سزكين أن يذكر مئات من المؤلفين ممن لم يذكرهم بروكلمان فى كتابه . وقد أشار سزكين الى مؤلفاتهم التى عثر على مخطوطات منها وبيان اماكنها وارقامها وعدد أوراقها وتاريخ نسخها .

وهو يضيف الى كل ذلك الاشارة الى ما تم طبعه من هذه الآثار . وسيطبع هـــذا الكتاب بالألمانية . والذى نأمله أن تعمل الهيئات الثقافية فى البلاد العربية على ترجمة الكتاب الجديد الى العربية ، بعد أن قامت « الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية » بترجمة ثلاثة أجزاء من كتاب بروكلمان ثم توقف الأمر بوفاة المترجم المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار .

هذا ، وكان الدكتور محمد فؤاد سزكين قد حقق منذ سنوات كتاب « **مجاز القرآن** » الذى الفه أبو عبيدة معمر أبو المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ فى مجلدين كبيرين ظهر الأول منهما سنة ١٩٥٤ والثانى ١٩٦٢ بعد أن عارضه بأصوله وعلق عليه .

● صدرت فى بيروت عن «دار العلم للملايين» الطبعة الثانية من ديوان « **أحلام الراعى** » للشاعر العربى المهجرى الكبير الأستاذ الياس فرحات ، وكانت طبعته الأولى قد ظهـرت فى سان باولو بالبرازيل عام ١٩٥٣ .

ويطبـــع له الآن فى بيروت ديـوان « **فواكه رجعية** » وهو شعر غزلى قديم ، وقد اطلق عليه هذا الاسم اشارة الى فوات أوان هـــذا الشعر الغزلى . وكتب الأستاذ وديع فلسطين مقدمة لهذا الديوان .

وستقوم وزارة الثقافة والارشاد القومى فى دمشق بطبع كتاب جديد له عنـــوانه « **قال الراوى** » .

وللشاعر فرحات كتب اخـــرى مخطوطة سيقـــدمها للنشر هى : ديوان « **موشـــحات مهجرية** » ، وديوان « **طليعة الشتاء** » و « **رحلة صيد** » ثم كتاب يتناول ذكرياته فى المهجر .

وقد صدر له فى العام الماضى فى لبنان كتاب « **عودة الغائب** » وهو تســـجيل لمشـــاهداته وخواطره عند عودته الى الوطن بعد غيبة بلغت نصف قرن . وكان قد زار مصر خلال هـــذه العودة فى سنة ١٩٦١ واحتفلت به الأوســـاط الأدبية فيها .

وقد نشر فرحات ديوانه المسمى باســـمه سنة ١٩٣٢ ثم نشر « **الرباعيات** » ســـنة ١٩٢٥ فى سان باولو وأعيد طبعها سنة ١٩٥٤ ، وثلاثة دواوين أخرى هى : « **الربيـــع** » و « **الصيف** » و « **الخريف** » وقد ظهرت سنة ١٩٥٤ .

● أتم الأستاذ عبد العليم الطحاوى تحقيق كتاب طريف فى موضوعه وطريف فى بابه هو كتاب « **الملمع** » الذى صنفه عالم من علماء البصرة فى الأدب والشعر كان يعيش فيها فى الثلث الأخير من القرن الرابع الهجرى هو أبو عبد الله الحسين ابن على النمرى ، تناول فيه الالوان فذكر أن الله قسم الالوان الى خمسة : البياض والســـواد

والحمرة والصفرة والخضرة ، فجعل منها أربعة فى بنى آدم ، هى الأربعة الأولى ، فخص العرب والحبشة والزنج بالسواد ، وخص الفرس والروم والنبط بالبياض والحمرة والصفرة ، ويستشهد المؤلف على ذلك بما ورد فى ذلك من الشعر . وللمؤلف كتب أخرى منها : « أسماء الفضة والذهب » ويسمى « كتاب الحلى » ، و « معانى الحماسة » .

وقد نشرت وزارة الثقافة (الادارة العامة للثقافة) منذ سنوات كتاب **« الفاخر »** فى الأمثال للمفضل بن سلمة الذى حققه الأستاذ الطحاوى فى سلسلة « تراثنا » .

● نشر الأستاذ مصطفى حجازى كتاب **« تاريخ اليمن »** المسمى **« بهجة الزمن فى تاريخ اليمن »** تأليف تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٣ م) ونقله عن النويرى صاحب كتاب « نهاية الأرب » . وقد عرض فيه تاريخ اليمن ، والدول التى قامت فيه ، والأسرات التى حكمته ، ويصور هذا الكتاب فى هذا العرض التاريخى المأساة التى عاشها اليمن عبر الأجيال ، وتتجلى هذه المأساة فى الصراع العنيد بين اليمنيين أنفسهم تارة وبينهم وبين من وفد عليهم ــ كما يقول الأستاذ ابراهيم الحضرانى فى تقديمه للكتاب . ويقول انه اذا كانت أحداث هذا التاريخ قد وقفت عند الربع الأول من القرن الثامن الهجرى ، فان ماتلاها بعد ذلك من أحداث الى يومنا هذا انما هو امتداد لها .

وقد قام الأستاذ مصطفى حجازى بتحقيق كتاب **« المنازل والديار »** لأسامة بن منقذ الذى اشرنا فى العدد السادس عشر من المجلة الى قيام المستشرق الروسى انس خالدروف بنشر نصه مصورا بخط ناسخه . وقدمه الأستاذ حجازى الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لنشره .

● وأتم الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بالقاهرة والدكتور حامد عبد المجيد المراقب بوزارة الثقافة تحقيق كتاب **« المشكل من شعر أبى الطيب المتنبى »** لابن سيده ، وهو يعرض لجميع المشكلات فى جميع قصائد المتنبى فيشرحها شرحا وافيا . وقد اتما تحقيقه على عشر مخطوطات وقدماه للمجلس الأعلى للفنون والآداب لنشره فى « المكتبة العربية » .

● جمع الأستاذ أحمد هيكل المحامى مجموعة من مقالات والده المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم أخرجها فى كتابين : أحدهما عنوانه **« الشرق الجديد »** ، يتناول فيها الدكتور هيكل ما كان بين الشرق والغرب من صلات تعددت وتنوعت خلال القرون ، وازدهرت حينا ، وتضاءلت حينا آخر . وهو يعرض لهذه الصلات خلال العصور ابتداء من العصور الوسطى حتى العصر الحديث .

والآخر عنوانه **« الايمان والمعرفة والفلسفة »** . وقد أثار الدكتور هيكل فى مقالات هذا الكتاب الجدل التقليدى بين الدين والعلم والفلسفة ، وأوضح أن المعرفة هى أساس ايمان المستقبل ، ودرس أفكار القدرية والجبرية ، وتحسس مزالق الخطأ التى أدت الى أن يستعر هذا الصراع بين فكرتى الجبر والاختيار فى التفكير الاسلامى .

وقد نشرت « مكتبة النهضة » هذين الكتابين الى جانب ما نشرته من آثار المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

● كما نشرت هذه المكتبة أيضا كتابا ألفه الأستاذان الدكتور عبد العزيز رفاعى وعبد العال ابراهيم عنوانه **« دراسات فى الشرق الأوسط »** تناولا فيه أهم المسائل التى شغلت وما زالت تشغل أذهان الشعوب التى تعيش فى منطقة الشرق الأوسط ، وأثرت وما زالت تؤثر فى تطورها ومصيرها .

ويولى المؤلفان فكرة القومية العربية ، وثورة ٢٣ يولية ، واليمن والجنوب العربى ، والصهيونية وفلسطين ، وسياسة الأحلاف والحياد الايجابى ، وقناة السويس ــ اهتماما خاصا فى هذا الكتاب .

● نشرت « دار الكتب الحديثة » كتابا قام بتأليفه الدكتور على حسن عبد القادر عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، هو كتاب **« نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى »** . وقد عرض فيه

الى تاريخ هذا الفقه منذ الدور التمهيدي الذي يشمل حياة الرسول وخلفائه الراشدين ، ثم الدور التأسيسي في عهد بني أمية ، ثم النهضة الفقهية ابان الخلافة العباسية .

● من الرسائل التي يجب أن تذاع بشتى وسائل الاعلام والنشر : « **رسالة المعاش والمعاد** » أو « الاخلاق المحمودة والمذمومة » التي كتب بها الجاحظ الى أبي الوليد محمد بن احمد بن ابي دؤاد ، فهي رسالة تصف الطبائع التي ركب عليها الخلق ، وفطرت عليها البرايا كلهم . رسم فيها الجاحظ اصول هذه الطبائع ، وبين مع كل أصل منها علته وسببه . ثم قدم وصاياه ، ورسم منهج السلامة للنفوس البشرية في كل سبيل .

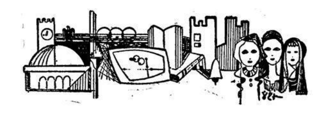
وهذه الرسالة كان قد نشرها سنة ١٩٤٣ الأستاذ باول كراوس والدكتور محمد طه الحاجري مع ثلاث رسائل اخرى للجاحظ في كتاب بعنوان « **مجموع رسائل الجاحظ** » نشرته « لجنة التأليف والترجمة والنشر » عن مجموعة خطية في مكتبة « داماد ابراهيم » بتركيا .

وقد أعاد الأستاذ عبد السلام هارون نشر هذه الرسالة اخيرا في كتاب « **رسائل الجاحظ** » الذي نشرته « مكتبة الخانجي » في جزءين ضما سبع عشرة رسالة تحتويها مجموعة مكتبة داماد . وقد قام بتحقيقها وتخريج أشعارها والترجمة للأعلام الواردة فيها .

● من أمتع الكتب التربوية التي ظهرت أخيرا كتاب عنوانه « **لماذا نعلم ؟** » نشرته مكتبة « عالم الكتب » بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . وهو كتاب قامت بتحريره لويز شارب عميدة كلية البنات في متشيجان وأستاذة علم النفس والتربية بها ، وقد رأى الأستاذ حسن جلال العروسي أن هذا الكتاب المفيد من نواح عدة ، فهو الى جانب تحبيب القارىء في مهنة التعليم ويفتح باب الأمل أمام المعلمين ، فيه توجيه قيم للعاملين في هذه المهنة الكريمة الجليلة — جدير بأن يضاف الى طبعته الأمريكية المترجمة — والتي تضم مختارات من احسن ما كتب عن المعلم ورسالته بأقلام شخصيات بارزة لأن هذه المختارات قد لا تحمل كثير معنى للقارىء العربي لعدم معرفته كل أصحاب هذه الأسماء — قسم من اللون المحلي ، فاستكتب طائفة من علمائنا العرب عن كبار المعلمين في الشرق والغرب ممن كان لهم دور في تطور التربية ، وممن كانت لهم مدارس في التربية والتعليم ، من هؤلاء سقراط المربي ، وتوماس جيفرسون معلم الثورة الأمريكية ، وعلي مبارك ، ورفاعة الطهطاوي ، والامام محمد عبده ، ومحمد شفيق غربال ، واسماعيل القباني ، وغاندي ، وجون ديوي ، ووليم جيمس ، وقد كتب هذا القسم الجديد الدكتور زكي نجيب محمود والأستاذان محمد خيري حربي وعبد العزيز أحمد سلامة والدكتور محمد علي العريان — الذي قام بترجمة الأصل والتقديم له — والدكاترة محمد الهادي عفيفي وأحمد عزت عبد الكريم وصلاح الدين قطب .

وكانت فكرة صائبة من الأستاذ حسن جلال العروسي اذ بعث في هذا الكتاب روحا قويا ، وبعث أمجادا لمعلمين عظماء كان يجب علينا أن نخلد ذكراهم ، ونتذكر في كل آن أعمالهم .

حسن كامل الصيرفي



جولة بين الكتب

الفلسفة فى الميثاق :

تاليف : الدكتور يحيى هويدى .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة
١٤١ ص قطع صغير

ث قرشان

الكتاب محاولة لابراز الجوانب الفلسفية فى الميثاق ، ومدى مطابقة هذه الجوانب لحياتنا الراهنة ومستقبلنا الآتى ، فهو يتحدث عن العلاقة بين الفكر والتجربة فى الميثاق والدور الفلسفى للانسان العربى وفلسفة الحرية وفلسفة التاريخ وفلسفة الصراع بين الطبقات وفلسفة الوحدة العربية وفلسفة الاشتراكية العربية وفلسفة القيم واشتراكيتنا الروحية وفلسفة الثقافة الاشتراكية .

اومن بالانسان :

تاليف : عبد المنعم محمد خلاف
الناشر : دار ومطابع الشعب ٢٤٦ ص ١٧×٢٤

مؤلف هذا الكتاب مؤمن بالانسان ، فهو أشرف الكائنات ، وعن طريقه يتم ادراك وجود الله والايمان به . وقد أجمل المؤلف ايمانه هذا بالانسان فى أربعة فصول هى « عقدة الثمرة الفكرية من هذا الكتاب » و « فى أصول الاجتماع والسياسة والاقتصاد » و « نحو أساس روحى للحضارة المادية » و « أما بعد » . الكتاب اذن محاولة فلسفية تنتظر النضج والكمال .

قناة السويس والقنوات البحرية العالمية :

تاليف : جورج حليم كيرلس
الناشر : دار الفكر العربى ١٧٢ ص ١٤×٢٠

ث ٢٠ قرش

يؤرخ الكتاب للقنوات العالمية ، فيبدأ بالحديث عن الملاحة عند قدماء المصريين وعند العرب وبعد ثورة ٢٣ يوليو ، والباب الثانى عن الأساطيل التجارية وأساطيل البترول ، والباب الثالث عن القنوات البحرية العالمية ، والباب الرابع عن قناة السويس وما يتصل بها ، والأبواب الخامس والسادس والسابع عن قنوات بنما وكيل وكورينثيا ، والباب الثامن عن المصطلحات البحرية .

أم الاشتراكية خديجة بنت خويلد :

تاليف : دكتور ابراهيم زكى الساعى .
الناشر : الدار القومية ــ مذاهب وشخصيات
١٣٨ ص ١٧×٢٤

ث ٢٥ قرشا

يترجم الكتاب لحياة السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم من زاوية جديدة ، فقد اكتشف المؤلف فى حياتها بذورا اشتراكية اثرت فى جيلها وفى الأجيال التى أتت بعدها ، وقد استخلص المؤلف هذه الأخبار من بطون الكتب ، بعضها مشهور وبعضها الآخر غير مشهور ، الا أنه استنتج من خلال هذا كله أن الاشتراكية ليست حديثة العهد كما يتوهم البعض ، وانما لها أسس ترجع الى عصر صدر الاسلام نفسه .

دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر : (١)

تاليف : دكتور عبد المنعم ماجد .

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩ ص ١٧×٢٤

ث ٦٥ قرشا

ينفرد عصر سلطنة المماليك فى مصر بخصائص معينة تميزه عن غيره من العصور الاسلامية ، ويتناول الكتاب هذا العصر من زاوية معينة ، فيشرح نظام السلطنة والوزارة ، ثم النظم الديوانية والدينية والحربية .

ارضنا القلقة :

تاليف : روز وايلر وجيرالد ايمر :

ترجمة : دكتور رشدى سعيد .

الناشر : دار نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٤١ ص ١٤×٢٠

ث ١٧ قرشا

يناقش الكتاب الظواهر الخاصة بعدم استقرار القشرة الأرضية ، نتيجة الزلازل والبراكين ، والأسباب الكامنة وراء هذه الظواهر ، واختلاف سطح الأرض وتكون الصخور والجبال ، وذلك فى اسلوب علمى مبسط .

من الشاطىء :

تاليف : مجموعة من ادباء الاسكندرية .

تصدير : محمد حمدى عاشور .

تقديم : دكتور محمد ثابت الفندى .

الناشر : الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ٢٣٥ ص١٧×٢٤

مجموعة من القصص القصيرة لأدباء من الثغر ، بينها مختارات من مهرجان القصة لسنة ١٩٦٥ ، من هذه القصص . الدوامة لحسن فتحى خليل ، وموعد مع الموت للعقيد شريف اباظه ، وحضرة الأستاذ لصديق شيبوب ، والمفتاح لفتحى الابيارى ، وزهور الفل لفوزى عبد القادر الميلادى ، وسر الحياة للدكتور يوسف عز الدين عيسى .

كيف تكتشف أسرار الطبيعة :

تاليف : فنسون براون .

ترجمة : دكتور أميل شنودة دميان .

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ١٥٣ ص ١٧×٢٤

ث ٢٠ قرشا

العوالم الخفية للطبيعة هو الاسم الأصلى لهذا الكتاب الذى يعالج فيه المؤلف الأشياء الصغيرة من حولنا والتى تكمن من ورائها حقائق علمية غريبة قد لا نتنبه اليها فى أول الأمر ، هذه العوالم ، بعضها فى المنزل والحديقة ، وبعضها الآخر فى المدينة ومتنزهاتها ، والبعض فى الريف او فى اقطار أخرى ، ومنها ما هو تحت الأرض أو تحت الماء أو فى السماء والفضاء الخارجى .

عودة الفراشة :

تاليف : سيد عويس .

تقديم : عاشور عليش .

الناشر : دار الفكر الحديث ١٣١ ص١٤×١٧

ث ١٥ قرشا

مجموعة من القصص القصيرة تتحدث عن مأساة الانسان بينها قصة عودة الفراشة وقصة انا والكلب والطريق وقصة اين انا وقصة العناق الطويل وغيرها .

الرسول . لمحات من حياته ونفحات من هديه :

تاليف : دكتور عبد الحليم محمود .

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ المكتبة الثقافية ـ ١٧٦ ص . قطع صغير .

ث قرشان

يتناول الكتاب لمحات من حياة الرسول وسيرته العطرة تعرض فيه لما جاء به من مبادىء جليلة نراها فى السنة كما انه تعرض لبعض ما جاء فى كتاب الله الكريم ، تفيد من يريد أن يطلع على بعض الجوانب العظيمة فى شخصية الرسول .

الايام الميتة :

تاليف : احمد أبو رحاب .
الناشر : المطبعة الفخرية ١٩٨ ص قطع صغير
ث ٢٠ قرشا

لوحات ادبية يغلب عليها طابع الانشاء ، الحوار فيها قليل وجوها العام يغلب عليه التشاؤم والقصة تحكى مأساة الانسان وهو يصارع الموت فى ايامه الأخيرة مع تصوير نكبات القدر وهى تطارده حتى نهاية حياته . كل ذلك فى أسلوب رومانسى صارخ .

قصة الالومنيوم :

تاليف : دكتور أنور محمود عبد الواحد .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ــ المكتبة الثقافية ــ ١٣٠ ص . قطع صغير
ث قرشان

يتناول الكتاب قصة الألومنيوم قبل استغلاله اقتصاديا ، وما جرى بعد ذلك من اهتمام عظيم به فى مجالات الصناعة على اختلافها ، فاستخدم الألومنيوم فى صناعة الطائرات والسفن والسكك الحديدية وغيرها من وسائل المواصلات ، كما استخدم فى الصناعات الكهربية والكيموية وفى المنشآت كما أن هناك استعمالات أخرى للألومنيوم، وفى آخر الكتاب فصل عن الألومنيوم فى الجمهورية العربية المتحدة وفصل آخر عن طرائف الألومنيوم.

نسيج الحياة . قصة حياتنا المتطورة :

تاليف : جوزيف وودكراتشن .
ترجمة : دكتور . مصطفى عبد العزيز
مراجعة : دكتور . حسين سعيد .
الناشر : دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٢٧٤ ص ١٧ × ٢٠
ث ٣٨ قرشا

الانسان هو أرقى الكائنات ، ومع هذا فانه يتبع الشطر الآخر من هذه الكائنات ، وهو الحيوان . ويجب عليه الا يتنكر لهذه النسبة لأنها موجودة ، ومن الواجب أن ينظر اليها نظرة ملؤها التقدير لان حيوات الأنواع الأخرى من نفس جنسه تشبه حياته من وجوه كثيرة ، وتشترك معه فى أحاسيس وعواطف واحدة . اذن فان دراسة علم الحيوان واجب عليه كى يعرف حياته الأولى ومصيره .

مفاهيم علم الأحياء :

تاليف : جون تايلر بونر .
ترجمة : دكتور يحيى مصطفى دسوقى .
الناشر : دار نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٢٦٨ ص ١٤ × ١٧
ث ٢٩ قرشا

كتاب مدرسى يهتم بالقوانين العامة لعلم الأحياء دون أن يبحث فى التفاصيل ، وهو مقسم الى ستة أقسام ، الجانب المهم منه خاص بالتطور . وينتهى الكتاب كما هى العادة بفصل عن الانسان .

الطفل الموهوب فى الفصل الدراسى العادى :

تاليف : ماريان شيفل .
ترجمة : دكتور محمد نسيم رافت .
مراجعة وتقديم : محمد السيد روحة .
الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٧٠ ص ١٤ × ١٧
ث ١٤,٥ قرشا

يهدف الكتاب الى مساعدة المعلم فى كشف الموهبة لدى التلميذ فى الفصول الدراسية الأولى، ثم تنمية هذه الموهبة ، وهو لا يقتصر على عرض النظريات الخاصة بذلك ، بل هو مزود بالتجارب العملية التى تدعم هذه النظريات .

الفن الاسلامى تاريخه وخصائصه :

تاليف : دكتور محمد عبد العزيز مرزوق .
الناشر : مطبعة أسعد . بغداد ــ ٢١٦ ص ــ قطع كبير
ث ٨٠٠ فلسا

كتاب علمى يبحث فى كل ما يتصل بالفن الاسلامى ، ويضعه فى المكان اللائق به ، فيتناول كيفية مولده ، ثم العمائر الاسلامية القائمة فى مختلف البلدان الإسلامية من الأندلس الى الصين،

وفى الباب الثالث يتحـــدث عن متاحف الفن الاسلامى فى أوربا ، أما الباب الرابع فهو يختص بالفنون الزخرفية الاسلامية وهى تجمـع بين الصنعة والجمال ، والباب الخامس يتناول عوامل نضج الفن الاسلامى ، أما الباب الأخير فيتحدث عن اثر الفن الاسلامى فى أوربا .

مختصر دراسة للتاريخ :

تاليف : أرنولد توينبى .
ترجمة : فؤاد محمد شبل .
مراجعة : أحمد عزت عبد الكريم .
الناشر : لجنة التاليف والترجمة والنشر .
٣١٩ ص قطع كبير

الأستاذ فؤاد شبل مهتم منذ بعيد بدراسة توينبى فى كتابه الرئيسى « دراســـــة للتاريخ » وهذا الكتاب هو الجزء الرابع وبه تتم هـــذه الدراسة ، ويضم اربعة أبواب . العاشر وهو الاتصال بين الحضارات فى الزمن ، والحادى عشر وهو القانون والحرية فى التاريخ ، والثانى عشر طوالع الحضارة الغربية ، والثالث عشر الخاتمة .

كرنفال الاشباح :

تاليف : موريس دوكوبرا .
ترجمة : أحمد محمد رضا .
مراجعة وتقديم : دكتور محمد مندور .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ روائع المسرح العالمى ـ ١٦٩ ص ١٤×٢٠
ث ٥ قروش

مسرحية تحكى مأســـاة الانسان . انسان القرن العشرين الذى جرى على يديه تقـدم تكنولوجى كبير ، ولم يواكب هذا التقدم تقـدم اخلاقى يوازيه . فالمأساة هنـــا مأساة قيم ، لا تعايش عصرنا هذا ولا تتناسب واياه . مما زاد فى هذا الضياع ما نشب من حروب تضاعف من تعاسة الانسان ، وهـــذا يتبين اذا عرفنا أن شخصيتين من الشـــخصيات الرئيســـية فى المسرحية ذاقت مرارة الحرب .. أما النهاية فان المؤلف يطلب الرحمة والرثاء للبشرية البائسة .

النافذة المغلقة . وقصص اخرى :

تاليف : يوسف جاد الحق .
تقديم : وداد سكاكينى .
الناشر : سوريا .   ١٧٤ ص ١٤×١٧
ث ٢٠٠ ق.س.

مجموعة قصص قصـــيرة ، كتبها المؤلف بأسلوب توخى فيه السهولة ، من هذه القصص « النافذة المغلقة » ، وهى تصور أحاسيس فتاة تنتظر حبيبها المسافر ، ولكن الاقدار تصدمها فى اللحظات الأخيرة . ومن القصص الأخرى فى هذه المجموعة الأستاذ شاكر ، وليلة فى هامبورغ ، ولقـاء مع عزرائيل ، وندوة ادبيـة ، والرحلة الموعودة .

التوجيه فى المدرسة :

تاليف : دونالـد ج. مورتنسن و الن م . شمولر .
ترجمة : دكتور ابراهيم حـافظ وابراهيم خليل .
مراجعة وتقديم : محمد على حافظ .
الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . ٢١٨ ص ١٧×٢٤
ث ١٢٢ قرشا

يتكون هذا الكتاب من خمسة أبواب ، يعرض فيها الجوانب الضرورية للتوجيه وأسسه وطرق تنظيمه وادارته ، كما يبين أهمية فهـــم الفرد لنفسه وللآخرين ، والأساليب الفنية لتحقيق هذا الفرض ، وكيفية مواجهة حاجـات التلاميذ فى البرنامج المدرسى ومساعدتهم على النمو والتكيف . وفى الفصل الأخير يقوم بعرض أساليب تقويم خدمات التوجيه والنهوض بها .

ثورة رائدة :

تاليف : المستشار محمد أحمد رجب .
الناشر : دار التحرير للطبع والنشر ٢٨٧ ص قطع كبير

يبحث الكتاب فى ثورة ٢٣ يوليو بوصفها ثورة رائدة بين الثورات العالمية ، فيتناول الفصـل الأول الثورة أصولها وجذورها والثانى ثورات

وشعارات متباينة والثالث التفجير الثورى موعده وامتداده والرابع ايجابية الثورة .

تاريخ المذاهب الاسلامية . جزءان :
تاليف : محمد ابو زهرة .
الناشر : دار الفكر العربى ٨٥٥ ص ١٧ × ٢٤
ث ١٥٠ قرشا

كتاب علمى اصيل مكتوب بأسلوب ادبى سهل وجميل ، يشرح فيه المؤلف طبيعة المذاهب السياسية والفقهية فى الاسلام ، شرحا موضوعيا لا ميل فيه ، باعتبار هذه المذاهب جميعها لم تخرج عن الاسلام فى جوهره ، وان وجدت مذاهب قليلة ذات نزعات واهواء لا تعد من الاسلام فى شىء ، واتباعها قليلون فى البلاد الاسلامية . فهو كتاب يهم العام والخاص ، ويفيد المسلمين فى شتى اقطارهم .

معالم واعلام فى بلاد العرب :
(القسم الأول ــ القطر السورى)
تاليف : احمد قدامة .
الناشر : مطابع ألف باء الأديب ــ دمشق .
عدد الصفحات ٣٨٨ ص حجم كبير .

والكتاب وضعه مؤلفه كلبنة اولى تلبى حاجة المواطن العربى الى معجم تاريخى ، جغرافى ، أثرى ، طبوغرافى واعلامى ، فيقدم على صفحاته معلومات موجزة للقراء عن بلادهم ، وتعريفات بالمعالم والأشخاص ، وشروحا لاصطلاحات وتعابير تتناقل بين أفواه الناس أو بين الكتب المتداولة .. ولقد استعان المؤلف على انجاز هذا المعجم القيم بمجموعة كبيرة من مراجع واضابير . منها حديث التأليف ومنها العريق من التراث ، ولم يكتف بهذا وذاك وانما نقل عن المخطوطات التركية ما يزيد المعلومة وضوحا ، كذلك اخذ المؤلف عن المصادر الفرنسية والانجليزية والألمانية ما يخدم بحوثه .. فخرج الكتاب جامعا لحدود بحثه ، مستكملا لعناصره .. الأمر الذى يجعل القارىء متشبعا بما قرأ متحفزا لما سوف يقرأ فى أجزاء تالية .

الأراضى والمجتمع :
تاليف : الدكتور محمود يوسف الشواربى .
الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة ،
عدد الصفحات ١٧٤ ص قطع صغير .
الثمن ٥ قروش

يحدد المؤلف موضوع كتابه فى مقدمته فيقول « لم نعمد الى معالجة المواضيع الفنية معالجة قد تند عن فهم القارىء العادى . كما أن المعلومات الأساسية التى لابد من الاشارة اليها قد ذكرت بصورة مبسطة واضحة . لذلك فانه قد تناول الأراضى الزراعية ومنشأها فى العالم ، وكيف تكونت وما هى مكوناتها ، ثم تناول طرق خدمتها وتنميتها .. فتحدث عن البحوث العلمية والرى الصناعى والصرف وكيفية معالجة الأراضى كيميائيا ، وتناول بالدرس المجاعات التى اجتاحت العالم ودور الانتاج الزراعى واقتصادياته ، والصلة بين الأراضى والصحة العامة .. واخيرا تناول المؤلف قانون الاصلاح الزراعى فى مصر وتوزيع الأراضى فيها بالبحث والتحليل ، ولهذا فان هذا الكتاب ــ مع صغر حجمه ــ يعتبر دعامة من دعامات الثقافة الزراعية .

المجهول :
تاليف : عيد الصيفى .
الناشر : دار الفكر الحديث للطبع والنشر .
عدد الصفحات ١٣٥ ص ١٤ × ٢٠ سم .
الثمن ١٠ قروش

وهو كتاب يتناول فيه مؤلفه موقف أهل كل من القرية والمدينة أمام طوفان بحر اغرقهما ، فيبرز روح التعاون والمشاركة امام الخطر الجارف ، ويميز بين طبيعة كل من أهل البيئتين ازاء هذا الموقف الواحد ، وقد اتخذ المؤلف قالب المسرحية ذات الفصل الواحد للتعبير عن محاولته هذه .. لكنه لم يقيد نفسه بمقتضيات البناء المسرحى المطلوب فى مثل هذه الأمور .. الا انها تعتبر محاولة صادقة للتعبير عن الأساس الفكرى العميق الذى يقوم عليه التيار الثقافى الآن .


كتاب
الأنيس بعلم الأنساب
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حَبْشِيَّة :

فى خُزاعة : حَبْشِيَة ، مفتوح الحاء مُسَكّن الباء مكسور الشين مُخفّف الياء[1].

وقد قال آخرون : إنه حَبَشِيَّة ، مُشَدَّدًا مُحَرّكاً ، والأول أثبتها ، وهو الصحيح .

والحبشية[2] عند أبي بكر بن دُرَيد : النَّملة الكَبيرة . وهو حَبْشِيَة بن سَلُول ابن كَعْب بن عَمرو بن عامر[3] بن لُحَيّ[4] واسم لُحَيّ : ربيعة بن حارثة بن عمرو مُزَيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن أمرىء القَيْس (بن ثَعلبة) بن مازن بن (الأَزْد)[5].

فمن بُطون حَبْشِيَة : بنو قُمير بن حَبْشِية ، منهم قَبيصَة بن ذؤيب بن حَلْحَلة بن عَمرو بن كُلَيب بن أصْرم بن عبد الله بن قُمَير[6] ، كان على خاتَم

---

(١) فى المختلف (ص ٤) : « بفتح الحاء والباء » وضبط فيه بتشديد الياء وضبط فى الجمهرة (ص : ٢٣٦ و ٢٣٧) بالقلم بضم الحاء وسكون الباء وكسر الشين وتشديد الياء .
وفى هامش م : « حاشية بخط ابن المغربى : وقد قال آخرون : انه حبشية ، مشددا محركا ، والأول اثبتها . كذا هو بخط ابن حبيب ، قلت انا : وقد صحح عليه » .

(٢) الاشتقاق (ص : ٤٦٨) مضبوطة بالضم بالقلم . وضبطها الفيروزابادى فى القاموس « حبش » بالعبارة فقال : « بالضم » . وهذا الضبط الأخير المنسوب الى ابن دريد ماسبق، وقد ذكر ابن حبيب « حبشية » آخر بهذا الضبط : أعنى بضم الحاء وسكون الباء وتشديد الياء ورفعه الى مزينة .

(٣) التكملة من الجمهرة (ص : ٢٣٦) .

(٤) سياق النسب كما فى المختلف (ص : ٤) : «حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء » . وهو ما يتفق مع ما ساقه المؤلف بعد هذا من الكلام على اسم « لحى » . وفرق بين هذين السياقين وسياق الجمهرة ، ففى الجمهرة يرفع « لحى » الى قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والسياقان هنا ، أعنى سياق المؤلف وسياق ابن حبيب يرفعانه الى الأزد .

(٥) التكملة من ت .

(٦) فى هامش ت : « قال ابن حبان فى الثقات : قبيصة بن ذؤيب ، مولده عام الفتح مات بالشام سنة ... قال : وقد قيل انه قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة . وذكره ابن سعد فى الطبقات فقال : سمع عثمان وكان ثقة وكان مأمونا ، كتب الحديث له ولأبيه صحبة وتوفى .. أو سبع ومائة » .

عبد الملك بن مَروان ، وكان كالوزير له ، وشديدَ الخُصوص به ، وكان يُكنى أبا إسحاق .

ومات فى أيّام عبد الملك. وقد أنكر بعض أهل السِّير ذلك وقالوا: إنه خَدَم الوليدأيضاً ، وقَبِيصة كان قد بلغ من لطافة مَحَله عند عبدالملك أنه كان يَفُض الكُتُب ويقرؤها قبل وقوف عبد الملك عليها . وكان مروان قد عَهد إلى ابْنه عبد العزيز بعد عبد الملك ، فلما تمكّن عبدُ الملك همّ بخلعه والعَقد لأبْنَيه الوليد وسُليمان . فنهاه عن ذلك قبيصةُ وقال: لعل الموت يأتى عليه فتَستريح منه[1] .

(وفى جمادى الأُولى سنة خمس وثمانين أتى كتاب إلى عبد الملك من مصر) بمَوْته[2] ، ففضّه قبيصةُ وقرأه ودَخل إلى عبد الملك فعزاه بأخيه عبد العزيز فولّى (عبدُ الملك)[3] ابنه عبدَ الله بن عبد الملك مصرَ ، وعقد لابنَيْه . الوليدِ وسُليمانَ العهدَ .

ومن بطون حَبْشية . ضاطرُ بن حَبْشيَة ، منهم قَيس بن عمرو بن منقذ ابن عُبيد بن ضاطر ، الشاعر المعروف بقَيس بن الحُدادية الخُزاعى . ويُنسَبُ إلى أمه . وهى الحُدادية . من حُدَاد (بالحاء)[4] ، واسم حداد : ربيعة ابن مُعاوية بن بَداوة (بن ذُهل بن طَريف بن خلف بن مُحارب بن خَصفة)[5] ابن قَيس عيلان .

وقد قيل : إن أُمه من حُدَاد (بالحاء)[5] بن مالك بن كنانة . والأَول أثْبت عند ابن حبيب ، ومن قول قَيس هذا :

وما زلْتُ تحت السِّتْر حتى كأنَّنى ... من الظّل ذو طِمْرَيْن فى البَحر شارعُ

(١) بياض بالأصلين : استكملناه استئناسا بما فى الكامل لابن الأثير (٢ : ١١ – ١٥) .
(٢) أى بموت عبد العزيز وكان واليا على مصر .
(٣) التكملة من م .
(٤) تكملة من م . وقد ضبطه ابن حبيب بفتح الحاء وكسرها .
(٥) التكملة من م . وانظر المختلف (ص ٢٥) .

وإنى لأُغْضِى الطَّرْفَ عنها تحمُّلاً ... وقلبى إلى أسماء عَطشانُ جائع
تقول وعيناها تَفيضـان عَبرةً ... « الأبيات المعروفة » .

ومن قوله :

فأطْيِبْ بهـا لمن تكون ضَجيعَه ... إذا ما الثريّا ذَبْذبت كُلَّ كوكبِ
مُتبّـلة هَيفـاء تُؤتيك شيمـةً ... على حَصَـرٍ فى صـدرها وتهيُّب

ومن قوله :

وإنّ ضَعيف الرّأى مَن هاج شوقه ... خِيـامٌ على مُرّان بادٍ ثُمـامُها
مررتُ بقَلْت والبحـورُ كأنها ... قلادة جَـزْعٍ سُلَّ منهـا نِظامُها
إذا سُمْتُها التَّقبيلَ صَدَّت وأعْرضت ... صُدود شَمُوس الخَيـل ضلّ لجامُها
وعَضّت على إبهامها ثم واءَلَت [1] ... حِذارَ البُيوتِ أن يَهُبَّ نِيـامُها

ومن قوله :

فيومَان يومٌ فى الحـديد مُسَرْبَلاً ... ويومٌ مع البِيض الكواعب لاهيَـا
إذا ماطوالِكِ البُعْـدِ يابنَةَ مالك ... فشأنُ المنايا القاضِـيات وشانيا

وابن أخى قيس هو : الجون بن عبد العُزّى بن مُنقذ الشاعر القائل :

فنحن خَلطنا الحَرب بالسّلْم فاستَوتْ ... وأمَّ هواهُ كلُّ حـافٍ وناعِل

ومن بُطون حَبْشِية [2] حُلَيْل بن حَبْشِية . منهم أبو غُبْشان ، وهو المُحْتَرِش بن حُلَيل ، وأُخته : حُبّى بنت حُلَيل ، أُمّ عبد مناف بن قُصَىّ .

حدثنى إبراهيم بن على الذُّهلى ، عن ابن أبى شَيخ القَنَوى ، عن عبد الله ابن المُعتز ، عن أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذرى ، عن عَيّاش ابن هشام بن محمد الكلبى ، وغيره من أشياخه .

(١) واءلت : طلبت النجاة .
(٢) ضبطه الزبيـدى فى كتابه « ايضاح المدارك من العواتك » بضم الحاء وسكون الباء وكسر الشين وتشديد الياء .

وحدثنى الحسنُ بن عبد الصمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن أحمد ابن إبراهيم الأُشنانى ، عن أحمد عُبيد النحوى ، عن الواقدى ، عن رجاله .

وأُخبرت أيضا عن محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة ، ومعنى الحديث كله متفق إلاّ أن ألفاظه والزيادات فى شروحه تختلف ، فقصدت عمود . . .[1] وزدْت ونَقصت ليطَّرد نَسق الحديث على غاية الاختصار .

قالوا : كان قد تزوج كِلابُ بن مُرّة فاطمة بنت سَعد بن سَيَل الأزدية، كما قد شَرحناه فى غير هذا الموضع ، فولدت له زُهْرة وزيْدا ، ومات عنها فقدم حاجٌّ من قُضاعة . فتزوج رَبيعةُ بن حَرام بن ضِنَّةَ العُذرى فاطمةَ وأراد إخراجها ، فرامت أخذ ولديها ،فمنعتْها قُريش ، فتركت زُهرةَ وأخذت زيدا لأنه كان صغيراً ، فسُمِّى زيد قصيّا لذلك ، وقد ذُكر لها شعر قالته كَتبناه فى مَوضعه ، من كتاب أشعار النساء . ثم إن ابن لجأ أجرى بين زيد وبين رجل من بنى عُذرة ، يقال له رفيع، فقال له رفيع : الحق بقَومك فلستَ منا . فرجع إلى أمه فأخبرها وسألها ، فقالت : إنك من قوم أشرفَ حسباً وأعزَّ منزلا وأظهر فضلاً ، وقد قالت لى كاهنةٌ رأتك : إنك تَلى أمراً جليلا ،فطِبْ نفسًا ، وارتحل إلى أرض قومك حول الحَرم. ثم جَهّزته فأحسنت جهازه وأخرجته فى الشهر الحرام ، فلما وصل عَرفوه وأكرموه وأعظموه وغَلب على رياستهم وتزوّج حُبىَّ بنت حُليل بن حَبَشية ، وكانت خُزاعة إذ ذاك غالبة على ولاية البيت بعد جُرهم ، ومات حُليل وجعل المفتاح فى يد ابنه المحترش أبى غُبشان . فيقول المتعصبون على اليمانية إن قُصيّا اشترى المفتاح وولاية البيت بناقة كانت له ناجية ،وزاده زِق خَمرٍ فصيَّرها إليه ، وكان المحترش مَضْعوفاً ، وقال آخرون . بل أوصى حُليلٌ بذلك لقصىّ إكراما لبِنته .

---

(١) بياض بالأصلين .

فأما روايتنا عن الواقدىّ وابن إسحاق جميعاً : فهو أن قُصيًّا رأى بعد حُليل أنه أحقُّ بالبيت وولايته لشَرف نَسبه ، فجمع لذلك رجالا من قُريش وكنانة ، وكاتَب أخاه من أُمّه رِزَاح بن ربيعة ، فأنجده رزاحٌ واقتتلوا ، فغلب قُصى على الأمر غلبةً ، وقال فى ذلك ولدُ قُصَىّ :

ونَحن العاصمون بنو لؤىّ ... بمكةَ مَنْصِبي وبها ربيتُ
لنا البطحاءُ قد عَلمت معدٌّ ... وَمرْوَتُها ، رضيتُ بها رَضيتُ
فلستُ لغالب إن لم تأثَّلْ ... بها أولاد قيذةَ والنَّبيت
قضاعة ناصرى وبِهِمْ أُسامى ... فَلست أخافُ ضَيماً ما حَيِيتُ[1]

فأجابه رزاح ، أو قال على وزن شعره :

وإنى فى الحياة أخو قُصىّ ... إذا ما مَسّه ضيم أَبَيْتُ
إذا يَحنى علىّ بذلت نَصرى ... ويبذل مثل ذلك إن جَنيْتُ
نَفَيْنَا عن منازلها عَليًّا ... فما منها بذى الأطواء بَيْتُ

يُريد : علىّ بن مسعود بن مازن الغسانى ، لأنه كان أخَا كنانة لأمه ، وكفل ولده من بعده ، فنسبوا إليه[2] .

وكان قال رزاح فى ذلك أيضاً :

أَجَبْنا قُصيًّا على نَأْيِــــه ... عَلَى الجُرْدِ تَرْدى رَعِيلًا رَعِيلَا
نَهَضْنَا إليه نَقودُ الجيَــا ... دَ ونَطرح عنّا المَلُولَ الثَّقيلَا
ونُدْمِى من الخَيْل أفلاءها ... مَخافةَ أن يَسْتَرِقن الصَّــهيلا

والشِّعر طويل ، وإنما نكتب ما لعله أن يُحفظ منه .

(١) فى هامش م : « ما بقيت ، رواية » .

(٢) انظر الطبرى (٢ : ١٤ — ١٩) طبعةمطبعة الاســتقامة . والسيرة لابن هشــام (١ : ١٠٩ و ١٢٣ — ١٢٤) طبعـــة الحلبى ، والروض الأنف للسهيلى ، والأوائل لأبى هلال العسكرى ، والكامل لابن الأثير (٢ : ١١ — ١٥)طبعة المنيرية .

(٥)

وحَبْشِيَّةُ نفسه ، الذى سُقنا هذا القولَ كُلَّه من أجله ، كان شاعراً .

وقال بكرُ بن غالب بن عامر بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهمىّ ، بعد أن نَفَتهم خُزاعة عن مَكّة :

ألا ليْتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلة وأهلى مَعًا بالمأزَمَيْن حُـلولُ

وهَلْ أُبصِرنَّ العِيَس تنفُخ فى البَرَى لها فى مِنًى بالمَحْرمين ذَميل (١)

فأجابه حَبْشِية :

تَمنَّى أمَانىَّ الضَّلال وإنَّمـا نَفتْكَ رجالٌ ذَادةٌ وخيولُ

تمنَّيتَ أن تَلْقَى خُزاعة بَرْحـةً فَقَدْ مَعَجَتْ منها عليك سُيول (٢)

وبكر هو القائل يُخاطب شاعراً من خُزاعة ، يقال له : عمرو ابن الحارث بن عمرو :

يا عمرو لا تَفْخَـرْ بمـكَّة إنها بـلدٌ حَـرَامْ

واسْـأَلْ بعادٍ أين هُمْ أم كيف تُخْتَرَمُ الأنام

أو بالعَمـاليق الذيـن لهم بها كان السَّـوَام

وحُلَيْل بن حَبْشِيَة حَمُو قُصَىّ يقول الشعر أيضاً ، وأنشدونا له :

حُمْسًا ولسنا نُهْزَةً للمَحْضر

الحُمْس ، من قُريش وخُزاعة وكِنانة ، سُمّوا بذلك لتَنزيههم أنْفُسَهم عن مهنة الأغمار ، وشرح خبرهم طويل) (٣)

---

(١) البرى : التراب . والذميل : السيراللين .

(٢) البرحة : السكرة . ومعجت : اضطربت. (٣) التكملة من م .

(حُبْشِيَّة) وفى مُزَينة : حُبْشِيّة[1] بن كعب[2] بن عَبْد بن ثَوْربن هُذْمَة بن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة ، وأُم عثمان ابن عمرو ، وأَوْس بن عمرو : مُزينة بنت كاب بن وَبَرة ، فبها يُعْرَفون .

ومن حُبْشيّةَ هؤلاء : النعمانُ بن عمرو[3] بن مُقَرّن بن عائذ[4] بن مِيْجَا بن هُجَيْر بن نَصْر بن حُبْشيّة ، كانت له صُحبة ، ولّاه عمر رضى الله عنه كَسْكَر وجُوخَى[5] ، ثم ولّاه قتال الفُرس بنَهاوند (وكان على المُسلمين ممّن غزاها)[6] ، وبها آستشهدَ فبكى عليه عُمر رضى الله عنهما ، وإليه تُنسبُ قُناطر النُّعمان بالجَبَل[7] ، وكان يُكنى : أَبا عمرو . وأخوه : سُوَيدٌ قُتل معَه ، ويُكنى أَبا عَدِيّ .

(حُبَيْب) فى رَبِيعة : حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب ، واسمُ تَغْلِب : دِثَار .

منهم : الملقب أُفنون[8] وهو صُرَيم بن مَعْشر بن ذُهْل

---

(١) ضـــبطه ابن حبيب فى كتابه المختلف(ص : ٤) بالعبارة فقال : بضم الحاء وسكون البـــاء .

(٢) كذا فى م والمختلف والجمهرة (ص : ٢٠٢)وفى ت : « وهب » .

(٣) وكذا فى احدى روايتى الاستيعاب . قال ابن عبد البر : « ويقال النعمان بن عمرو بن مقرن » . وفى الجمهرة (ص : ٢٠٢) والاصابةوالرواية الأخرى من الاستيعاب « النعمان بن مقرن » .

(٤) وكذا فى الاصابة والاســـتيعاب . وفى الجمهرة (ص : ٢٠٢) : « عامر » .

(٥) ضبطه ياقوت فى كتابه معجـم البلدان بالعبارة فقال : « بالضم والقصر ، وقد يفتح » .

(٦) التكملة من م .

(٧) ذكر ياقوت فى كتـابه معجم البـلدان« قناطر النعمان » وقال « بناها النعمـــان بن المنـذر » .

(٨) فى هامش ت . « أفنون لقب غلب عليه ، والأفنون : الحية المسنة » . وقال ابن دريد « وهو : جمع فن » (انظر الاشتقاق ص : ٣٣٦

ابن تَيم بن عَمرو بن مالك بن حُبَيْب القائل :

أَلا لَسْتُ فى شَىْءٍ فُروحاً مُعاوِيَا ولا المُشْفِقاتُ إِذْ تَبِعْنَ الحوازِيَا [١]

فَطَأْ مُعْرِضًا إن الحتُوفَ كثيرةٌ وإنك لاتَبْقِى بنفسك [٢] باقيَا

ولَا خيرَ فيما يكذبُ المرءُ نَفْسَه وتَقْوالِهِ للشَّىءِ ياليت ذا لِيَـــا

لعمرك مايَدرِى أمرؤٌ كيف يتَّقى إذا هو لم يَجعل له اللهُ واقيا

كفى حَزَناً أنْ يَرْحَلَ الركبُ [٣] غدوةً وأُصْبِحَ فى أعلى إلاهَةَ ثاويَا [٤]

وإلى حُبَيْب بن عمرو هذا جماعُ أكثر نَسَب تَغْلب . ، (وإنما أوردنا هذه الأَبيات لاعتمادنا ألا نُخلى فصلًا من معلوم غير الأَسماء ، وبالله التوفيق) [٥] .

وفى النَّمر : حُبَيْب [٦] بن الجَهْم [٧] .

وفى قُرَيش : حُبَيْب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل (بن عامر ابن لُؤَىّ) [٨] قال ابن حَبيب : إلا أَن حَسَّانَ ثَقَّلَها فى الشِّعر فقال : (من معشر لا يَخفِرون بذمة [٩] للحارث بن حُبَيِّب بن شُحام قال : وأَبو عُبيدة وعَوانة يقولان : سُحَام ، بالسين غير معجمة [١٠].

---

(١) الحوازى : الكواهن ، الواحـدة : حازية .

(٢) المفضليات : « بمالك » . (٣) المفضليات : « الحى » .

(٤) الاهة : قارة بسماوة كلب . (٥) التكملة من م .

(٦) ضبط ابن حبيب « حبيب » هذا أو الذى بعده بتشديد الياء .

(٧) المختلف (ص : ٦) : « عامر » . (٨) بياض فى م . والتكملة من المخلف .

(٩) السيرة لابن هشام (٢ : ٢١) طبعـــةالحلبى : « بجارهم » .

(١٠) قال السهيلى فى كتابه «الروض الانف» عند التعليق على هذا البيت : « وقوله سحام هو اسم امه : واكثر أهــــل النسب يقولون فيه : شحام : بشين معجمة . والفيت فى حاشية كتاب الشيخ ان ابا عبيدة النسابة وعوانة يقولان فيه : سحام بسين وحاء مهملتين ». والذى فى الأصل من قول ابن هشام « سخام » بسين مهملة وخاءمعجمة . ولفظ شخام من : شخم الطعام : اذا تغيرت رائحته .)

(حُبَيِّب) وفى يَشْكُرَ : حُبَيِّب (بالتّشديد) [1] بن كعب بن يَشكُر ابن بكر بن وائل . منهم : باعث بن صُريم بن أَسَد بن تَيم ابن ثعلبة بن غُبَر بن غَنم بن حُبَيِّب ، وإنما سُمِّى غُبَرٌ غُبراً لأَن غَنْماً تَزوج أُمه وهى عجوز ، فقيل له : ماأردتَ إليها ؟ فقال : لعلِّى أتغبّرها غُلاماً ، فولدت غُلاماً فسماهُ غُبَر ، وأصل ذلك من تَغبّر الحالب الضَّرع إذا طَلبَ غُبَر اللبن ، أى بقاياه ، (وكان وائلُ بن صُريم ذا مَنزلة عند المُلوك ، وكان مفتوق اللسان حُلوَه جميلًا ، فبعثه عمرو ابن هند ساعيا على تميم ، فأَخذ الإتاوة منهم جميعاً ، فلم يَبق غَير بنى أُسيِّد بن عمرو بن تَميم ، فأَتاهم لجمع النَّعم والشاء ، وأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعد على بئر إذ أتاه شيخ منهم واغْتفلَهُ فدفعَه فى البئر ، واجتمعوا فرموهبالحجارة حتى قَتلوه . وتزعُم بنو أُسيِّد أنهم رَمَوْا معه كلباً ورَجموهما حتى هلكا ، وهم يرتجزون :

يأَيُّها المَاتِحُ دَلوِىَ دُونكَا ... إنى رأيتُ الناسَ يَحْمدُونكَا

وبلغ الخبر أخاه باعثاً (فعَقد لواءًا ونادى فى [1]) بنى غُبَر وسار وآلَى أن يقتُلَهم حتى تمتلىءَ الدَّلوْ عند (إدلائها فى تلك البئر) [1] دماً فوقع بهم ، فلم يزل يقتُل حتى أدْلى أَحَدُهم دلوًا فرفعَها وقد مُلئت دماً ، (وقال باعثٌ فى ذلك :

سـائلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثـأَرتُ بوائل ... أَمْ هَلْ شَفيتُ النفسَ من بَلْبَالِها

---

(١) التكملة من م .

إذ أَرْسَلُونى ماتِحاً بدمائهم [1] ... فملأْتُها عَلَقًا إلى أَسْبالها [2]
وخِمارِ غانية عقدتُ برأسها ... أُصُلًا وكان مُنَشَّراً بشمالها
وعقيلةٍ يسعى عليها قائمٌ [3] ... مُتَغَطرس أبديتُ عن خَلخالها
وفوارس [4] سُفعِ الوُجوه بواسِر [5] ... كالأُسْدِ حين تذبُّ عن أشبالها
قد قُدت أوَّلَ عُنفوانِ رَعِيلها ... فَلَفَفْتُها بكتيبة أمثالها

وقال فى ذلك أُبَىّ بن مسعود اليشكرى، المعروف بالمُنَخَّل:

قد فَرَ باعث أُسَيِّدَ حَرْباً ... فى النواحى يشُبّ فيها الضِّرامَا
جَرَّدَ السيف ثائراً بأَخيه ... يقتُل الكهل منهم والغلامَا
وَمَلأْنا الرَّكىَّ حتى عُراهَا ... عَلَقاً يُبْرِد القُلُوبَ السِّقَامَا

وفى ثَقيف: حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط ابن جُشَم بن ثَقيف.

(حَرَام) فى جُذام: حَرَام بن جُذام.

وفى تَميم: حَرَام بن كَعب بن سَعد.

وفى خُزاعة: حَرام بن حَبَشِيَّة بن كَعب بن سَلُول.

وفى عُذْرة: حرام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كَبِير بن عُذْرة.

وفى بَلِىّ: حَرَام بن جُعَل بن عمرو بن جُشَم بن وَدْم [6].

(١) الحماسة (٢ : ١٠٩) والسمط (ص : ٤٧٦) : « لدلائهم ».
(٢) الى اسبالها، أى الى اعاليها.
(٣) الحماسة والسمط : « قيم ».
(٤) الحماسة والسمط : « وكتيبة ».
(٥) الحماسة والسمط : « بواسل ».
(٦) كذا فى الأصلين والمختلف (ص : ١٢) والقاموس (ودم) وضبطه الفيروز آبادى بالعبارة فقال : « ودم، بالفتح علم أو بطن من كلب فى تغلب، وجشم بن ودم بن بلى فى قضاعة ». والذى فى الجمهرة (ص : ٤٤٣) : « وذم » وكذا ذكرها ابن دريد فى الاشتقاق (ص : ٥٤٢) وقال : « بنو وذم، وهم فى بنى تغلب الى اليوم » ثم اكد انه بالذال المعجمة فقال : والوذمة : كل سير مستطيل او قطعة ادم مستطيلة ».

(حِزَام) (وفى قَيس)[1] : حِزَام بن هلال بن خَلَاوة بن بَكْر بن أَشْجع[2] .

(حَبْتَر) فى خُزَاعة : حَبْتَر[3] بن عدِىّ بن سَلُول .

(حَنْثَر) وفى تميم : حَنْثَر[4] بن غُوَىّ بن سلامة بن غزَىّ[5] ابن جُرْأة[6] ، بن أُسَيِّد بن عَمرو بن تَميم .

وفى أَسَد : حَنْثَر[4] بن كاهل بن أَسَد .

وفى قَيس : حَنْثَر[4] بن وَهب بن وَبْر بن الأَضْبط بن كلاب .

(الحرْمز) فى خزاعة : الحِرْمِزُ بن سَلُول بن كَعب .

وفى طَيِّىء : الحِرْمز[7] بن أَخْزَم بن أبي أَخْزم .

وفى أَسَد : الحِرْمز[8] بن كاهل بن أَسَد .

(حَزِيمة) فى قُضاعة : حَزِيمة بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود ابن أَسْلم بن الحافِ بن قُضاعة ، وفى أَمر حَزِيمة وقعت الحرب والفُرقة فى بنى مَعدّ .

---

(١) التكملة من م .

(٢) وانظر الجمهرة (ص : ٢٤٩ و ٢٥٠) ففيها : خلاوة بن سبيع بن اشجع » .

(٣) ضبطه ابن حبيب بالعبارة فقال : « بالياء والتاء باثنتين » . (المختلف ص : ١١) .

(٤) وكذا فى المختلف (ص : ١١) . والذى فى القاموس (ختنر) : « وختنتر : فى نسب تميم وفى أسد بن خزيمة وفى قيس عيلان » .

(٥) فى المختلف (ص : ١١) : « عـدى » بالعين المهملة .

(٦) فى المختلف : « جروة » . وفى الجمهرة (ص : ٢١٠) : « جردة » .

(٧) وكذا فى الجمهرة (ص : ٢٣٥) . والذى فى المختلف (ص : ١١) : « الحزمر ، بزاى بعد الحاء » وكذا فى الاشتقاق (ص : ٤٦٨) .

(٨) انظر الحاشية السابقة ، وقد أضاف ابن حبيب كلمة : « مثله » يعنى انه «الحزمر» بزاى بعد الحاء ، مثل الذى سبقه .

وفى رَبيعة : حَزيمة بن طارق بن شَراحيل بن عتْبان بن سَعد
ابن زُهير .
وفى بَجيلة : حَزيمة[1] بن حَرب بن علىّ بن مالك
ابن سعد بن نَذير بن قَسر
وفى قيس : حَزِيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثَعلبة بن سَعد
ابن ذُبْيان .

(حِشْم ، فى جُذام : حِشْم بن جُذَام .
(حَيْشَم) وفى كَلب : حَيْشَم بن عبد مَناة بن هُبَل . وسائر العرب
جُشَم ، بالجيم .

(حُلْوَان) وفى قُضاعة : حُلْوَان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .

(أَبو حُرَّة) فى حَنيفة : أَبو حُرّة الحنفى ، وهو الذى أَنفذه علىٌّ عليه
السلام إلى مَصْقلة بن هُبيرة يُطالبه بأَثمان أَسْرَى بنى سامة ،
ويأْمُره إن لم يؤدِّ المالَ أَن يُشْخِصَه إلى ابن عبّاس ، وكان
عامَلَه على البَصرة والأَهواز وفارس ، فأَوصل أَبو حُرة
الكِتَابَ ، فلم يُؤدِّ مَصقلةُ من المال شيئاً ، فأَشْخصه إلى
البصرة وذلك فى (خبر طويل قد كتبناه)[2] فى باب
السين فى « سامة » .

(الحَلّاف) فى بنى أُسَد : الحَلّافُ ، وهو الحارث بن سَعْد بن ثَعلبة
ابن دُودان بن أَسد .

---

(١) الجمهرة (ص : ٣٨٧) والاصابة (ت : ١١٣٢) : « خزيمة » .
(٢) التكملة من م .
(٣) زادت م بعد هذا فى الهامش « أبو حنة »ولم تذكر معه شيئا .

وفى عَاملة : الحَلَّافُ بن عامر مازن بن مُرّ بن أَبى عَزْم ابن عَوْكَلان .

(حُدَيْلَة) وفى الأَنصار : حُدَيْلة ، مضموم الحاء مفتوح الدال . وهم بنو معُاوية بن عَمرو بن مالك بن النَّجار . وحُديلة أمهم . وهى حُديلة بنت مالك بن زَيد مَناة بن حبيب بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخَزْرج ، وأُبى ابن كَعب ، من حُدَيلة .

(حَسِين) فى طَيِّىء : حَسِين ، بفتح الحاء ، بوزن فَعِيل مثل غَريم ، حَسَن ، وحَسِين ابنا عَمرو بن الغَوث بن طَيِّىء . ولم أر حَسِينا غيره ، والباقى كله حُسَين .

(حُرَب) فى مَذْحج : حُرَبُ من مَظَّة بن سَلْهَم [1] بن الحكم ابن سَعد العَشِيرة .

وفى قُضاعة : حُرَب بن قاسط بن بَهْراء . وكل شيء ... العرب : حَرْب ، بفتح الحاء وسكون الراء ، سوى هذين الإسمَيْن .

(حُدَال) فى مُضَر : حُدال بن كنانة بن خُزيمة ، هم باليمن فى غير قَومهم .

(حِرْبِش) فى أَسَد : حِرْبِش ، بالباء مكسورة [2] بن نُمير بن والبة ابن الحارث (بن ثَعلبة بن دُودان) [3] .

(حَرِيش) وفى قيس : الحَرِيش بن كَعب .

---

(١) ضبط فى الجمهرة (ص : ٤٠٩) والمختلف (ص : ٤٨) بالقلم بالكسر ، مثـل : زبرج . وضبطه صاحب القاموس بالعبارة فقال : سلهم ، كجعفر .. حى من مذحج ، وكزبرج : رجل » .

(٢) وكذا فى القاموس « حربش » . (٣) التكملة من م .

وفى الأَزْد : الحرِيشُ بن جَذِيمة بن زَهْران بن الحَجْر
ابن عِمْران .

(حُذَاقَة) فى إيَاد بن نزَار : حُذاقة ، بقاف .
وفى كَلب : بنو الحذَاقيّة ، يقال للرجل منهم : حُذاقِى ،
وهم ولدُ بَكْر بن عامِر الأكبر ، أُمُّهم : هِند بنت أنْمار
ابن حُذَاقة بن زُهْر بن إيَاد .

(حُذَافة) فى قُريش : حُذَافة ، بفاء ابن جُمَح بن عمرو [1] .
وفى رَبيعة : حُذَافة ، بفاء أيضاً ، ابن سَعدبن قَيس بن ثعلبة .

(حُمَيْس) فى طابِخه : حُمَيْس بن أُدّ بن طابِخة .
وفى كِندة : حُمَيْس بن سَكْسَك بن أشْرس ، (مثلها) [2] .
وفى كنانة بن خُزَيمة : حُمَيْس بن سَعْد بن لَيث ، وفيها
حُميس بن جُدَىّ بن سَعد بن ليث .

(جَمْرة) فى الأَزْد : حَمْرة ، بالراء وفتح الحاء ، ابن عُبَيد بن عُبْرَة
ابن زَهران .

وفى همدان : حُمْرة ، بضم الحاء ، ابن مالك بن مُنَبِّه
ابن (سَلَمة) [3] .
وفى تَميم : حُمرة ، أيضاً بالضم والحاء ، ابن جعفر بن ثعلبة
ابن يَربوع .

---

(١) وكذا فى الجمهرة (ص : ١٥٩) . وفى م : « عمرو بن جمع » .
(٢) التكملة من م .
(٣) فى الأصلين : « عنزة » وما اثبتنا من الجمهرة (ص : ٣٧٩) والاشتقاق (ص : ٢٩١)
ومختلف القبائل (ص : ٣٥) .

(حَرَس) في طَيِّء: حَرس[1] بن جُنْدب بن خارجة بن سَعد ابن فُطْرَة بن طَيِّء (بالحاءِ غير معجمة)[2].

(حَدَس) وفي لَخْم: حَدَس (بالدال)[2] بن (أُرَيْش بن)[3] إِرَاس بن جَزِيلة بن لَخْم.

(الحِدأ) في مذحج: الحِدَأ[4]، بطن بالكوفة، ابن نَمِرة بن سعد العَشيرة بن مالك بن أُدَد.

(الحَدّاء) في جُعْفيّ: الحَدَّاء، ممدود، ابن ذُهْل بن مَرَّان بن جُعْفِي.

(حِسْل) في قريش: حِسْل بن عامر بن لُؤَي.

وفي طيِّء: حِسْل بن زيد بن عمرو بن ثُمامة بن مالك ابن جَدْعاء.

(حَسَن) وحَسِين: ابنا عمرو بن الغَوث بن طيِّء، ولم أر حَسينا غيره[5].

(حُشَيش) في تَميم: حُشَيْش بن نَمْران بن سَيْف بن حِمْيَرِيّ بن رِيَاح ابن يَرْبوع بن حَنْظلة؛ وحُشَيش (بالحاء)[2] ابن حُرْقُوص ابن مازِن بن مالك بن عَمْرو بن تَميم.

وفي بَجيلة: حُشَيش (بالحاءِ)[2] بن هِلال بن الحارث ابن رِزاح[6].

وفي كِنانة: حُشَيش، بالحاء غير مُعْجمة، ابن عَدِي،

---

(١) قال ابن حبيب في المختلف (ص ٣٣): «بجزم الراء وفتحها».

(٢) التكملة من م.

(٣) التكملة من المختلف (ص: ٣٣) والجمهرة (ص: ٤٢٣).

(٤) وانظر الجمهرة (ص: ٤٠٨) والاشتقاق (ص: ٤٠٩).

(٥) انظر «حسين» (ص ٥٣) من هذا الكتاب.

(٦) قال الفيروزآبادي في القاموس «رزح»: «ورزاح بن عدى بن كعب بالفتح، وابن عدى ابن سهم، وابن ربيعة بن حـزام بالكسر». و «رزاح» المذكور هنا هو ابن ربيعة بن حرام.

ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة . وليس في العرب ، خُشيش ، بالخاء ، ولا تُسمِّى به .

(أبوحَنَش) في تَغلب : هو أبوحَنَش عُصْم بن النُّعمان بن مالك بن عتَّاب ابن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب ، قاتل شُرَحْبِيل ، وهو الذى يقول له سَلمة :

ألا أبلغ أبا حَنش رسولًا   فما لك لاتجيءُ إلى الثواب[1]

(أبو حُبَيْش) في زُهْرة : أبو حُبَيْش بن عبد عوف بن الحارث بن زُهرة. وفي بني أسد بن عبد العُزّى : أبو حُبَيش بن المُطَّلب ابن أسد بن عبد العُزى ، وكان أبو حُبَيش مُلازماً للحِجْر ، وكان يقال له : خَيمة أبي حُبَيش ، وقال عُمر (ابن الخطاب)[2] رضى الله عنه : ما أحدٌ إلا وفي نسبه وَصْمة غير السَّائب بن أبي حُبيش ، وكان السَّائب عالي السنِّ يَرْوى عن عُمر ، وتَزوَّج مُصعَبٌ ابنةً له على مائة ألف درهم .

(أبوحازم) في الأَزْد : أبوحَازم القاصّ ، في خَثْعم بن أنمار .

(حُلَيْف) حُلَيْف بن مازن بن (جُشَم بن)[2] حارثة بن سَعد بن عامر ابن تَيم الله بن مُبَشِّر ، وكل شيء في العرب : خُليف ، بالخاء المعجمة إلّا حُلَيف بن مازن هذا ، فإنه بالحاء المهملة .

(حَطْمَةُ) وفي عبد القَيْس : حَطْمة بن مُحَارب بن (عمروبن)[3]

(١) في هامش م : « قلت : والأبيات في يوم الكلاب . وانما زدت أنا في البيان في اسم أبي حنشن الذى ذكره ابن المغربي في هذا الباب فاعلمه » .

(٢) التكملة من المختلف (ص : ٤٨) .   (٣) التكملة من الجمهرة (ص : ٣٩٧) .

وَديعة بن لُكَيْز[1] ، بفتح الحاء وتسكين الطاء.[2].
وفى جُذام : حَطْمَة[3] بن عَوف بن السَّلْم بن مالك
ابن سُود بن تَدِيل بن جُشم[4] بن جُذام .

(حِشان) فى تميم : حِشَّان[5] ، وهم زَبينة بن مازن بن مالك ، وقبائل
من عمرو[6] يقال لهم : الحِشَّان .
وفى مَذحج : الحِشَّان بن عمرو بن صُدَاء ، شُبِّهوا فى
اجتماعهم بالحُشِّ والنَّخل[7] .

الخاء

(خَدان) فى أسد بن خُزَيمة : خَدَّان بن عامر بن هِرّ بن مالك
ابن الحارث بن سعد بن ثَعلبة بن دُودان بن أَسَد .
ومن ولد خَدّان : معاوية ، وشَبيب ، ورقَبَة ، بنو خَدَّان
وعن أحمد بن جابر البَلاذُرى ، قال : بنو خَدَّان هم الذين
أَكَبُّوا على حجر بن الحارث ليمنعوه من القَتل.

(خَلْدَة) فى الأَنصار : خَلْدة بن مَخْلَد بن عامر بن زُريق بن عامر

---

(١) فى الأصلين : « بكير » وما أثبتنا من الجمهرة .
(٢) ضبطه ابن حبيب فى المختلف (ص : ٣٩) بالعبارة « بحاء وطاء مهملتين مفتوحتين ». ووافقه السمعانى فى الأنساب (ص : ١٥٨) . والذى فى القاموس (حطم) و « حطمة » بضم ففتح ، ضبط قلم .
(٣) فى المختلف : « خطمة مثله » يعنى مثل الذى قبله .
(٤) وكذا فى الجمهرة (ص : ٤٢٠) . والذى فى المختلف (ص : ١٩ و ٤٠) : « حشم » بالحاء المهملة المكسورة وسكون الشين المعجمة .
(٥) فى ت : « حشيان » تحريف . وضبطه المختلف (ص : ٢٩) بالعبارة « بكسر الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة » .
(٦) هم : غيلان بن مالك ، وعبد الله بن مالك ، وغسان والجرماز ، بنو مالك بن عمرو بن تميم أو كعب بن عمرو بن تميم الحش ، (المختلف ص : ٣٠) .
(٧) الحش بالضم : البستان ، وبالفتح : النخل الناقص القصير ليس بمسقى ولا معمور.

ابن زُرَيق بن عبد حَارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخَزْرج بن حَارِثة ، منهم جماعة شَهِدوا بدراً .

وفى يَشْكُر : أبو خَلْدَة اليَشْكُرِىّ . رأيت بخط أبى بكر ابن دُرَيد – رحمه الله – : أبو خَلْدَة . بالخاء ، ومن قال بالجيم فقد أخطأ . ورأيت بخط اليَزيدىّ ، وخط أبى عبد الله بن مُقْلة ، مما ذكر أنه نقله من خط ثَعلب : أبو جلدة ، بالجيم . وقال إلى الذُّهلى : أنه سمعه من البادية اليَشْكُريِّين : أبو جِلدة ، بالجيم ، وأنا أرى لُزوم ... أبى بكر ابن دُريد ، وقوله بالخاء.

(خُدْرَة) فى الأنصار : خُدْرة بن عَوْف من الخزرج .

وفى بلىّ : خُدْرة ، ملثها ، ابن كاهِل بن أَرْشَد [1] بن أفْرَك ابن هِرم بن هَنىّ بن بلىّ.

(خمْل) فى كنانة : خُمْل ، بالخاء ، ابن شِقّ بن رَقَبة بن مُخْدِج ابن عامر بن ثَعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة .

(أبوخازِم) فى أسد : أبو خازم بن بجيلة ، وابنه : [2] قيس بن أبى خازم ، الفَقِيه : وأخوه خازم بن أبى خازم [3] ، قتل يوم صِفين ، مع علىّ عليه السلام .

وفى أَسَد : أبو خازم بن بِشْر [4] ، أبو خازم القاضى

(١) فى المختلف (ص : ٤٣) « رشد » .

(٢) ضبطه ابن الأثر فى كتابه الكامل (ج : ٣ ص : ١٦٥) طبعة مصر بالعبارة فقال : « حازم ابن أبى حازم » بالحاء المهملة .

(٣) يريد أنه قتل فى هذه الوقعة التى كان فيها مع على عليه السلام .

(٤) فى م : « فى أسد : أبو بشر بن أبى خازم » .

المُتَّاجِر (بضم الميم وتاء مفتوحة مشددة وحاء مكسورة بَيْنهما ألف)[١]

(الخَزْج) في كَلْب : الخَزْج[٢] ، وهو زَيْد مَناة بن عامر بن بَكر ابن عامر الأكبر ، منهم : دِحْيَة بن خَلِيفة بن فَرْوة ابن فَضَالة بن زَيد بن امْرِئ القَيْس بن الخَزْج .

ومنهم : حارثة بن زيد بن امرئ القيس ، وكان شريفاً ، وله يقول الأَعْشَى :

ولَا مِن رَهْط جَبَّار بن قُرْط ... ولا مِن رَهْط حارثة بن زَيْد[٣]

(الخَزْرَجُ) وفي يَشكُر : الخَزْرج .

وفي الأَنصار : الخَزْرَج .

وفي تَغلب : الخَزْرَج .

(خَمة) في كَلْب : خَمَّة بن......[٤] .

في تَمِيم : خَمَّة بن ...[٤]

(خُشَيْن) في قُضاعة : خُشَين بن التِّمر بن وَبْرَة[٥] .

(خَطْمَة) في الأَنصَار : خَطْمَة بن جُشَم بن مالك بن الأَوْس.

وفي طَيِّئ : خطْمَة وخُطَيمة، ابنا سَعْد بن ثَعلبة بن نصر ابن (سَعْد بن)[٦] نَبْهان .

(١) التكملة من م .
(٢) ضبطه ابن حجر في الاصابة (ج ١٠ :ص ٤٦٣) طبعة مصر بالعبارة فقال : « بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاى ثم جيم » . وقال الفيروزآبادى (خزج) : « الخزج بن عامر فى نسب دحية بن خليفة ، وسمى به لعظم جثته » . وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: « الخزج النظير هو زيد مناة بن عامر » وقد جاء محرفا فى الجمهرة (ص : ٤٥٨) : « الخزرج » .
(٣) ديوان الأعشى (ص : ١٧٩) طبعة مصر. (٤) بياض بالأصلين لم نوفق الى استكماله.
(٥) زاد المختلف (ص : ٤٧) : « خشين بن عصيم بن لأى شمخ بن فزارة » .
(٦) التكملة من المختلف (ص : ٤٠) .

(خَشَّان) في قيس عَيلان : خَشَّان ، بالخاء [1] ابن لأْى بن عُصَيم ابن شَمْخ بن فَزارة .

(خُزَيمة) في قريش : خُزيمة بن لُؤيّ بن غالب .
(وفي مُضَر) [2] : خُزيمة بن مُدْرِكة .

(خُلَيف) كل شيء في العرب «خليف» فهو بالخاء ، إلا في خثْعم ابن أنمار ، فإنه حُلَيْف بالحاء ، ابن مازن بن جُشَمبن حارثة ابن سَعد بن عامر بن تَيم الله بن مُبَشِّر .

الدال

(دِحْيَة) في كَلب . دِحْيه بن خَلِيفة بن فَروة بن فَضالة بن زَيد ابن امرئِ القيس بن الخَزْرج [3] .

(دُكَيْن) في بني فُقَيْم بن تَميم : دُكَيْن .

(دُهْن) في عَبد القيس : دُهْن بن عُذْرة بن مُنَبِّه بن نُكْرة [4] ابن لُكَيْز .
وفي بَجِيلة : دُهْن بن مُعاوية بن أَسْلَم بن أَحْمَس بن الغَوْث بن أنمار .

(دَهْي) في مَذْحج : دَهْيُ بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْدْ بن مالك بن أدد [5] .

---

(١) التكملة من م . وفي المختلف (ص : ٢٩): « بالخاء والشين المعجمتين مع تشديد الشين » .
(٢) التكملة من المختلف (ص : ١٩) .
(٣) مر الكلام عنه في حرف الخاء عند الكلام على « الخزج » .
(٤) في الأصلين : « ذكرة » . وما أثبتنا من المختلف (ص : ٤٩) والجمهرة (ص : ٢٩٥) .
(٥) في الأصلين : « جلد بن مذحج . وما أثبتنا من المختلف (ص : ٤٩) والجمهرة (ص : ٤١٢) وجلد بن مذحج هذا الذي ذكره المؤلف ليس هو المعنى هنا (انظر الجمهرة ص : ٤٠٥) .

(دَأْلان) في هَمْدان : دأْلان بن سابقة بن ناشج بن دافع .
وفي تميم : رَأْلان ، بالراء ، ابن مازن بن مالك[1]

(الدِّيل) في ربيعة : الدِّيلُ بن حَنيفة بن لُجَيْم (بضم الدال ، وكسرها)[2] .
وفي الأَزد : الدَّيلُ بن هَدّاد بن زَيْد مناة بن الحجَر .
وفي تَغلب : الدِّيلُ بن زيد مَناة بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب .
وفي إياد : الدِّيلُ بن (أُمية)[3] بن حُذَاقة بن زُهْر .
وفي عبد القيس : الدِّيل بن عمرو بن وَديعة ، منهم الصَّلتان ، ثم أحد بني عامر بن طفر بن الديل ، ثم من بني هجرس : رأيته بخط ابن سعدان في كتاب إسلام عبد القيس عن أبي غسان .
وفي عَبْد القيس أيضاً : الدِّيل بن شَنّ بن أفْصى بن عبد القيس ، منهم : عبد الرحمن بن أُذينة بن سلمة ، وهو من بني بُهثة بن جذيمة بن الدِّيل ، وكان قاضي الحجاج على البصرة ، وأخوه عبد الله - عامل مُصعب على فَسَا ودَرَابْجِرْد[4] ، وهو الذي سَفر بين الأَزد وتميم حين قتل مسعود بن عمر في الصباح .
ومنهم : الأَعور الشَّني[5] ، من بني عائذة بن صَبرة بن

---

(١) حق هذه الترجمة أن توضع في حرف الزاء . ولكنها وردت هنا في النسختين .
(٢) التكملة من م . والذي في المختلف (ص : ١٧) : « الدول بن حنيفة .. » قال ابن دريد في كتابه « الاشتقاق » (ص : ٣٢٥) « وفي العرب : الديل والدول والدئل ، والدول من حنيفة . والدئل من بني بكر بن كنانة » .
(٣) التكملة من م .
(٤) فسا ودرابجرد : مدينتان بفارس . (معجم البلدان) .
(٥) وانظر (ص ..) من هذا الكتاب .

أبي عمرو بن الدِّيل . كذا قال أبو عُبيدة فى كتاب : مبتدأ إسلام عبد القيس ، نقلته من خَطّ المُبارك بن سعدان .

الدُّئِل فى ضبّة : الدُّئِل(١) بن سَعْد بن ضَبَّة .

وفى الهُون بن خُزيمة : الدُّئِل ، مثل دُعِل مَهموز ، ابن مُحلِّم بن غالب بن يَثْيِـع(٢) بن الهُون بن خُزيمة .

وفى كنانة : الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ، رهط أبي الأَسود ، ظالم بن عمرو بن سُفيان (ابن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفَاثَة بن عَدى بن الدُّئِل ، ويقال : اسمه عثمان بن عمرو . قال أبو العبّاس محمود بن محمد ، (قال محمد بن سلام الجُمحى : هو الدُّئل . (مضموم الدال مكسورُ الياء ، قال العَبْدِىُّ مثل ذلك ، أخبرنى عنهما العَمِّىُّ)(٣) .

(الدُّول) وفى عَنزة : الدُّول بن صُباح بن عُتَيك بن أَسْلَم بن يَذْكُر ابن عَنَزة .

وفى الأَزْد : الدُّول بن سَعد مَناة بن غامِد .

وفى الرَّبَاب : الدُّولُ بن جَلّ بن عَدِىّ بن زَيد مَناة بن أُدّبن طابخة .

(دِجَاجَة) الدّجاج لهذا الطائر المعروف تقوله العرب بالفَتح ، وهو الأَفصح ،

---

(١) فى المختلف (ص : ١٧) : « الدول » .

(٢) ضبط فى القاموس « يثيع » بالعبارة : « يثيع : كيضرب « ابن الهون بن خزيمة » . وجاء فى المختلف (ص : ١٨) : « يبثع » بباءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة ثم تاء .

(٣) التكملة من م .

وقد يقال بالكَسْر ، وليس بفصاحة الأَول ، فأَما الأَسماءُ فكلها دجاجَة ، بكسر الدال ، فمن ذلك : دِجَاجَة بن أَهْوَى ابن عَلْقمة بن مَوْهُوب[1] بن هاجِر بن كعب بن بَجَالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبَّة ، وهو حسَنُ الشِّعر ، ومن قوله يمدح رجلَيْن :

فَكَرَّا ولو شاءَ لنجَّاهما معاً ... من المَوْتِ جَيَّاشا الضُّحى رَبذَان[2]

هُما تركا دارَ الهَوانِ لأَهلِها ... وغُودِرَ قَيْسىٌّ بها ويَمَانِ

وفى تَيم بن عبد مناة بن أُد بن طابِخة : دِجاجَة بن عَبد قَيْس بن امرىءِ القَيْس بن علْبَاء بن رَبيع بن عَمرو بن عَبد الله بن لُوَىّ بن عمرو بن الحارث بنتَيم بن عَبد مَناة ابن أُدّ بن طابِخة ، شاعرجاهلى ، وهو القائل :

تعجَّبُ مِمَّا قد علا الرأْس جارتى ... وقد شَمِطَتْ قَبلى فلم أَتعجبِ

وَلَسْتُ بفَحَّاشٍ ولا ذى نَميمة ... يُزَجِّى إِليهم كُلَّ أَفعَى وعَقْرَب

وإِيَّاه عَنَى ذُبَابُ بن مُعَاوِيَة (العُكلى ، إذ يقول)[3]

أَلا أَبلغَا تَيماً فإِنِّى مُكلِّمٌ ... دِجَاجَتِكُمْ هذا الذى لا يُكَلَّمُ

سَتُقْصِر أَو تَنهاكَ عنِّى عظيمةٌ ... من الأَمر تَعْيَاها القوابلُ مُتْئِمُ

ودِجاجة : اسم مُشترك بين الرجال والنِّساء .

فمن النساءِ اللواتى تَسمَّين بهذا الاسم :

دِجَاجَة بنت صَفوان بن حُصَيْن بن مُوَيْلِكِ بن أَبى مُلَيك ،

---

(١) معجم الشعراء للمرزبانى (ص : ١١٥) : « مرهوب » بالراء .

(٢) ربذان : أى خفيفان سريعان .

(٣) التكملة من م .

وكانت شاعرة ، وهى القائلة تنصر أُمها فى مفاخرة كانت بينها وبين بعض نساء قومها :

(تَقُولُ ما قالت لهم قَطَامْ)[1] وكُلُّ قــوم لهمُ إمــامْ
(أولاد سَعْدٍ عزُّها اللُّهام)[1] وذَادَةٌ إذ وقف الخُصَّــامُ

وأُمّها قَطام بنت حَنَش بن مُوَيلك ، ابنة عم أبيها ، شاعرة أيضاً مُحْسنة ، وهى القائلة :

فذرْ ذَا ولكنْ ما ترى ضَوْءَ بارقٍ يُضِيءُ سَنَاهُ الماءَ باللَّيل أكْدَرَا
تَحدَّر من غَوْرَيْه وانتحبت به صُدُورُ غمام فاستهَلَّ فَأمطرا
كأَن خُزَامَاهُ إذا اعْتَمَّ نَبْتُه وسَاوَى بِأَطرافِ العِضَاهِ ونَوَّرَا
نُطُوعُ رِحَالٍ أو زَرابىُّ تاجرٍ على حِين أنْ بَثَّ العِيَابَ ونشَّرا

ومن قولها لعَوْف بن الأحوص الكِلابى ، واسم الأحوص : ربيعةُ بن (جَعْفرين)[2] كِلَاب ، وكان عوف يُهاجيها ، فقالت له :

أعيَّرتنى داءً بِأُمِّك مِثلُه وذلك داءٌ ظَاهِرٌ لا يَضيرُهَا
بَنُو غَنَوِيَّات كرام مَوَاجِد أَعَاشَكَ ما ضمَّتْ عليك حُجُورُها[3]

فى أبيات طويلة ، وقصص ممْتدَّة .

الذال

(أبو ذُؤَيب) فى هُذَيل : أبو ذُؤَيب الهُذلى ، معروف .

(قلت : واسمه خُويلد بن خالد بن مُحرِّثٍ بن زُبَيْد بن

---

(١) التكملة من م .
(٢) مكان ما بين القوسين بياض بالأصلين ، والتكملة من الجمهرة (ص : ٢٨٤) .
(٣) غنويات : نسبة الى غنى ، وهى قبيلة منها أمها بنت رياح بن الأشل الغنوى .

مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعد ابن مُدركة بن إلياس بن مُضَر)[١] .

(أبوذِئْب) أبو ذِئب : هشام بن شُعبة بن عبد الملك بن أبي قيس ابن عَبدوُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ ، كان من أشراف قريش ، وهو الذى حَبسه ملك الروم فمات فى حبسه . وخبر ذلك مكتوب فى باب «أروى بنت الحارث بن عبد المطلب» من كتاب النساء . ومن ولده : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، وكان محمد يُكنى : أبا الحارث . مات بالكوفة سنة (تسع وخمسين ومائة)[١] وهو ابن تسع وتسعين سنةً[٢] ، وهو الذى يقال له : ابن أبي ذِئب ، وله مع (أبي جعفر)[١] المنصور وَغيره أخبار مذكورة ، رحمه الله .

(ذُبيان) فى قيس : ذُبْيان[٣] بن بَغِيض بن ريث بن غَطَفان ابن سَعد بن قيس عيلان .

وفى الأَزْد : ذُبْيان بن ثعلبة بن الدول بن سعد مناة ابن غامد .

وفى بَجيلة : ذُبْيان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث ابن أنمار .

---

(١) التكملة من م .

(٢) فى الجمهرة (ص : ٣ ، ١٦) : « ولد سنة ٨١ ومات بالكوفة سنة ١٥٩ » وعلى هذه الرواية فيكون عمره نحوا من تسع وسبعين سنة .

(٣) ضبط بالقلم فى الأصلين بالضم والكسر . ونقل ابن حبيب عن ابن الاعرابى فى (المختلف ص : ٢٤) : « قال : « ذبيان وذبيان واحد ، يعنى بالضم والكسر . قال ابن الأعرابى : رأيت الفصحاء يختارون الخفض » .

وفى ربيعة : ذُبيان بن كِنانة بن يَشْكُر .

وفى همدان : ذُبْيان بن مالك بن معاوية بن صَعْب بن دُومَان

وفيها أيضاً : ذُبيان بن عَلَيَانَ بن (أرحب) [1] بن دُعام ابن مالك بن مُعاوية بن صَعْب بن دُومَان .

الراء

(رَيْث) في قَيس عَيْلان : رَيْثُ بن غَطفان بن سَعْد.

(رُبَث) وفى قُضاعة : رُبَث[2] بن قاسط بن بَهْرَاء .

(رَواحَة) في عَبس : رَوَاحَةُ بن رَبيعة بن (مازن بن) [3] الحارث ابن قُطَيْعة .

وفى طَيئ : رَواحة بن جُلّ بن حِقّ بن رَبِيعة (بن عَبْد (رُضَا بن وَدّ بن مَعْن بن عَتُود بن عُنَيْن بن سَلامان ابن ثُعَل) [1] .

(رِبِّيل) فى إياد : رِبِّيل بن عمرو بن الطَّمَثان (بن عَوْذِ مَناة ابن يَقْدُم) [1] .

وفى جُذام : رِبِّيل بن إيَاس بن حَرام بن جُذَام .

(رَسْن) فى طيئ : رَسْن [4] بن عَمرو بن عمر بن الصَّامت .

وفى الأَزْد : رَسْن بن عامر بن عمرو بن كعب بن الغِطريف

---

(١) التكملة من م .

(٢) فى الأصلين : « ريث » بالياء المثناة . وما أثبتنا مو القـاموس . (ربث) والمختلف (ص : ٤٢) . وقد ضبطه صاحب القاموس بالعبارة فقـال كزفر » وضبطه ابن حبيب هو الآخر بالعبارة فقال : « بكسر الراء ، وقال بضم الراء » .

(٣) التكملة من الجمهـرة (ص : ٢٥١) والمختلف (ص : ٣٢) .

(٤) قال صاحب القـاموس (رسن) : « ورسن بن عمرو وابن عامر ، بالفتح » .

(حارثة بن امرىء القَيْسِ بن ثعلبة بن مازن بن الأَزد)[1]

(رَاسب) في الأَزد : رَاسِبُ بن مالك بن مَيْدَعَان بن مالك بن نصر ابن الأَزد .

وفي قُضاعة : رَاسِبُ بن الخَزْرج بن جُدَّة بن جَرْم ابن رَيَّان (بن حُلْوان) [1] .

(رَبَّان) في علكّ : الرَّبَّان [2] بن أَكْرَم بن لِعْسَان بن غافِق بن الشاهد بن عَكّ .

وفي بني ذُهْل بن ثعلبة : ريَّان [3] بن الحارث بن مالك ابن شيبانَ سَدوس بن ذُهْل بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

(ريان) في قُضاعة : رَيَّان (بالرَّاءِ غير معجمة) [2] ابن حُلوان ابن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وَرَيَّانُ هذا هو علَاف ، كان أَوَّلَ من نَحتَ رحْلًا فرَكِبه فنُسبت الرِّحَالُ إليه ، فقيل : العِلَافيّة [4] .

(رَمَّانُ) في مذحج : رَمَّانُ بن كعب بن أَوْد بن صَعب بن سَعْد العشيرة ، (بالراءِ مفتوحة) [2]

وفي السَّكون : رَمَّان ، أَيضا (براءٍ مفتوحة ، ابن مُعاوية بن ثعلبة بن عُقْبة بن السُّكُون مثلها) [1] .

---

(١) التكملة من م .

(٢) ضبطه ابن حبيب في كتـــابه المختلف (ص : ٧) العبارة فقال : « بالراء والياء مفتوح مشدد » .

(٣) وكذا في الجمهرة (ص : ١٧) . وفي المختلف (ص : ٧) : « الزبان » .

(٤) في القاموس (علف) : « وككتاب : ابن طوار ، اليه تنسب الرحال العلافية ، لانه اول من عملها » .

زمّانُ ، جماعة ، يأتون فى باب الزاى .

(رُزَيْق) فى طيئ : رُزَيْق [1] بن عَبْـد بن جَذيمـة بن وَهْب [2] ابن ثعلبة بن سلاَمان . وقيل : زُرَيْق ، بنقلهم الزاى .
وفى الأنصـار : رُزَيق بن عبـد حارِثة بن بن (عَقْب) [3] ابن جُشَم بن الخزرج . وقيل : زُريق أيضاً .

الـزَّاى

(زِبّان) فى غَنِيٍّ : زِبّان [4] بن كعب بن جِـلّان [5] بن غَنْم بن غَنِيّ ابن أَعصُر ، وهو مُنَبِّهُ بن سـعد بن قيس عَيْلان) [3] .
منهم : عُصَيّمةُ بن وهب الزِبّانى ، الذى أَسَر مَعْبد بن زُراة يوم رَحْرَحان .
(وكان سبب هذا اليوم : أن الحارث بن ظالم المُرِّىّ لمَّا قَتل خالد بن جعفر بن جعفر بن كلاب جاء فلجأ إلى بنى زُراة ، فكان المتولى لإيوائه منهم مَعْبَد بن زُراة ، فلما علم الأَحوص بن جعفر بذلك ثار للطلب بدَم أخيه ، والتَقْوا برَحرحان ، وطُعن مَعبد بن زُراة طَعنةً أثْختته فسَنَد هضبة ، فأبصره عُصيمة بن وَهْب ، فأخذه وحَدره ، فاحذه منه عامر والطفيل ، ابنا ملك بن جعفر بن كلاب ، وأثابا الغَنوى عشرين بعيراً .

(١) المختلف (ص : ٤١) هذا وما بعده : « زريق » .
(٢) فى المختلف (ص : ٤١) : « زهير » .
(٣) التكملة من م .
(٤) ضبط الجمهرة (ص : ٢٤٩) بالقلم بالتشديد . وقال ابن حبيب فى المختلف (ص :٧ مكسور الزاى خفيف » .
(٥) وكذا فى الجمهرة (ص : ٢٤٨) . وفىالمختلف : « حِلاِن » بالحاء المهملة .

وأتت بنو عامر بن صَعْصعة بمعبد فوضعته بالطائف عند أبي عَقيل جدّ الحجّاج ، فكان يوافى به الموسم فى كل سنة ليُفدى ، وطلبوا فداءَه ألفَ بعير ، فقال لقيط : صبراً أبا القعقاع ، فإنّا لانقدر على هذا . فقال معبد : ما كان ليلقانى أحدٌ من إخوتى أشد بُغضًا لى منك ، فمات هَزْلا وضعفاً . وكانوا يأتونه باللّبن فيقول : كيف أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ ، إنى إذن لمَهْياف ، أى عطشان ، وكانوا يعمدون إلى شِظَاظٍ فيجعلونه بين أسنانه ويُوجرونه[١] لئلا يموت . ثم إنه هلك عندهم ، وقال عوف بن الخرِع التَّيْمِىّ يُعَيِّر لقيطاً بذلك :

هَلَّا كَرَرْتَ على أُخَيِّـك مَعْبَد والعـامِرىُّ يَقُـوده بصفَاد[٢]
وَذَكَرْتَ من لَبن المُحلّق شَرْبَةً والخيل تَعْـدُ بالكُماة بَـدَادِ
هلَّا فَوَارِس رَحْرَحَان هَجَوْتَهم عُشَرًا تَنَـاوح فى سَرَارةِ وادِ
لَا تَأْكُلُ الإبلُ الغرَاثُ نَبـاتَه كلا ، وليس عمادُه بِعمَاد[٣]

وكان عُصَيْمة هذا شاعراً ، ومن قوله :

سَـأُثْنى عَلَيْكُمْ صادِقاً آل حَابِسٍ ثَنَاءًا كَرِيح الجَوْرَب الْمُتَخَرِّق
فَلَوْ شِئتُمُ آذَنْتُمُونى وَصَاحِبى جميعَيْن لَم نَعْطَبْ ولم نَتفرَّق

بنو حَابِس من غَنِى ، ثم من عُبيد ، وقد أدرك الإسلام وهاجر . وٱستشهد له أولاد)[٤]

---

(١) يوجرونه ، أى يضعون الطعام والشراب فى فمه .
(٢) انظر النقـــائض (ص : ٢٢٨) والأغانى (١١ : ١٢٩) وطبقات ابن سلام (ص١٣٨-١٣٩) .
(٣) فى الأصلين : « ولا تقوم غضونه بعماد » وهو غير مستقيم ، وما أثبتنا عن ابن سلام .
(٤) التكملة من م .

وفى القَين بن جَسْر مثلُها : زَبَانُ بن امرىء القيس ابن ثَعلبة بن مالك بن كنانة بن القَين . سُمى القَيْن لأنه حَضنه عبدٌ يقال له : القَين . فغلب عليه ، واسمه : النُّعمان بن جَسْر (بن شَيْع الله بن أَسَد بن وَبرة[1]) .

ومن زِبَان هؤلاء : الإِطْنابَة بنت قَيس بن شهاب بن الحارث ابن سعد بن زِبَانٌ ، أم عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، المعروف بعَمرو ابن الإطنانة . الشاعر القديم الجاهلى.

وفى الأَزد (مثلها) [2] : زِبَان بن مُرة بن قَيس بن ثَوْبان بن شِهْمِيل بن العتيلك بن الأَسد بن عمران بن عمرو مُزَيقيآء بن عامر ماءِ السماء .

(زَبَّان) وفى كلب : زبَّانُ بن [2] الأَصْبغ بن عمرو بن ثعلبة ابن الحارث ، وهو الحَرْشاء بن الحِصْن بن ضَمضم بن عَدِى (بن جَنَاب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بَكر بن عَوف ابن عُذرة بن زَيد اللات بن رُفَيْدَة بن ثَوْر بن كَلب ابن وَبرة)[1]. وهو جَد عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وأُمُّه ، ليلى بنت الرَّباب ، وإِياها عَنى ابن قيس الرقيات بقوله :

أَعِني ابنَ لَيْلَى عبد العزيز ببابلـيُون تـأْتى حفَانُه رُذمـا
الواهبَ البُخْتَ والوصائِفَ والْـ ـغِزْلَانَ والخَيْلَ تعلُك اللُّجُما

(١) التكملة من م .
(٢) قال ابن حبيب في المختلف (ص : ٧) : « بالزاى مفتوح مشدد » .

وعَناها أيضاً فقال يرثيه :

أَبَعْدَ ابن لَيْلَى يأْمُل الخُلدَ واحدٌ   من النَّاس أويرجو الثَّراءَ مُثَمِّرُ

وإياه عنى كُثَيِّر بقوله :

ومات ابن ليلى فما أرغَبُ

وقد كان لعبد العزيز ولد يقال له : أبو زَبَّان (وَهوالأَصْبَغُ)[1] ،
وإياه عنى أبو بكر بن أبي الجَهم بن حُذيفة العَدوى بقوله :

(أَبَعْدَكَ يا عبد العزيز لحاجة)[1]   وبعد أبي الزَّبَّان يُسْتَعتب الدَّهْرُ

فلا صلحت مصر لحيٍّ سِواكُما   ولا سُقِيت بالماء بعدَكما مِصْرُ

وَلَا زالَ مَجْرَى النِّيل بعدك يابسًا   يموت به العُصْفور واستبطىء القطر

والأَصبغ هذا هو الذى رأى شجةً فى رأس أخيه عمر ابن عبد العزيز فقال : هذا واللهِ أَشجُّ بنى أُمية يملأُ الأَرضَ عَدْلًا . وذاك أن عمر رضى اللهُ عنه كان ضَربه حِمارُهو بمصر فشجَّه ، أو رَمى به حِمار ، ولم يكن عُمر أخاالأصبغ : كانا لعَلَّات ، لأن أُم الأَصبغ كانت أم ولد ، وأُم عُمر وإخوةٍ له : أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان خطبها وتزوجها ؛ فحُمِلت إليه فمرت فى أَيلة بمجنون يقال له : شِرْشِيرٌ ، فأَهْدَى إليها هَدِيَّةً فأَثابته وكسته ، ووصلت إلى عبد العزيز فولدت له ، وماتت عنده بعد مدة ، فتزوّج أُختها حَفصة بنت عاصم ، وكانت عَوَاناً فحمُلت إليه ، فمرت فى أَيلة بذلك المجنون ، فأَهدى إليها هدية ، فأَغفلت أمرَه فقال :

(١) التكملة من م .

ليس حفصة من رجال أم عاصم . فشاع ذلك وَطار فى الآفاق ، وَصَار مثلا .

وفى فَزارة : زَبَّانُ (أيضاً) [١] ابن سَيَّار بن عمرو ، وعمرو هو العُشَراء ، سُمى بذلك لِضخَم بطنه ، ابن جابر بن عَقيل ابن هِلال بن سُمَىّ بن مازن بن فزارة بن ذُبيان .

وفيها أيضاً : زَبَّان بن بدر . أخو حُذيفة بن بَدر ، وليس له كثير ذكر .

(الزُّبيرُ) فى قريش : الزَّبيرُ . مفتوح الزاى . فى قول أحمد بن يحيى البلاذرى ، والباقون كلهم على ضمها ، ابن عبد المطلب ابن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات وهو ابن تسع وثلاثين سنةً ، وقد قيل ؛ إنه مات أيام المبعث ، وهو كان المتكلم فى عقد حلف الفُضول الذى تعاقد فيه بنو هاشم ، وبنو المُطلب بن عبد مناف ، وبنو أسد ابن عبد العُزى بن قُصى ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كلاب ، فى دار أبى زُهَيْر عبد الله ابن جُدعان التيمى ، على مَنع الظلم .

وفى هذا الحلف يقول نُبَيه بن الحجّاج السَّهمى ، وكان أراد أن يغصب رجلا من خثعم بنتاً له ، يقال لها القَتُول ، فمنعه هؤلاء الأَحلاف :

زَارَ صَحْبِى ولَمْ أُحَىِّ القَتُولَا ... أو أُوَدِّعْهُمُ وداعاً جَمِيلَا

(١) التكملة من م .

لَا تَخـالِى أنِّى، عشـيَّة راحَ الـ رَّكْبُ هُنتُمْ عَـلَىَّ ألَّا أقولا

بل خَشِيتُ الفُضُول فيكِ وقِدْماً قد أرانى ولا أخاف الفُضُـولا

وقال نُبَيْهُ أيضاً :

حىِّ المليحـةَ إذ نـأت مِنـا علَى عُدَوَائِهـا

لَا بالفـراقِ تُنِيلُنـا شَـيئاً ولا بلقائهـا

لَوْلَا الفُضُـول وإنـه لَا أمْن مِنْ غُلَوَائهـا

لنَبَوْتُ مِن أبْياتِهـا ولَطُفْتُ حَـوْلَ خبـائها

وَلَجئتُهـا أمْشِى بـلا هَـادٍ عَلَى ظلمَـائِها

فَشَرِبْتُ فَضْـلَة كَأْسِها وَلَبِثْتُ فِى أحشَـائِها [١]

وكان الزَّبير شاعراً ، وأنا لا أفضل عليه من شعراء قُريش إلا القليلَ ، ومن قوله :

وَلستُ كمن يُميتُ الغَيْظَ عجزاً ولكنِّى أُجيبُ إذا دُعيتُ

(وينْهَى عَنِّى المُختـالَ صَدْقٌ رقيقُ الحدِّ ضَرْبَتُه صَمُوتُ) [٢]

بكَفَّىْ ماجـدٍ لَمْ يَرْضَ ضَيماً إذا يَلْقَى الكتيبةَ يَسْتَمِيتُ

وَلَوْلَا نَحْنُ لَمْ تلبَسْ رجـالٌ ثيـابَ أعزَّةٍ حتى يَمُـوتوا

وقال (الزَّبير) [٢] أيضاً :

تَرْمِى بنو عبد مَنَـافٍ إذا أظلم من دُونِى بالجَنْـدَلِ

لَا أَسَـدٌ تُسْلِمنِى لا ولَا تَيْمٌ ولا زُهرةُ للنَّيْطَـلِ [٣]

---

(١) انظر حماسة ابن الشجرى (ص : ٥١)وطبقات ابن سلام (ص ٢٠٥) ومعجم الشعراء للمرزبانى (ص١٩١) وأنساب الأشراف للبلاذرى.

(٢) التكملة من م .

(٣) النيطل : الداهية .

ومن قوله :

إنِّى إذا مرّ مَالِى لَا أُكلِّفُـه | إلَّا الغزاةَ وإلَّا الرَّكْضَ فى السُّرب[1]
وَلَنْ أُقيمَ بأَرْضٍ لا أُشـدُّ بهـا | صَوْتِى إذَا مااَعْترتنى سَوْرَةُ الغَضَب

ومن قول الزُّبير :

تَذَكَّرتُ مَا شَفَّنى إنما | يُهيِّجُ ما شَفَّهُ الذَّاكِرُ
ويمنعُه النَّوْمَ حتى يُقالَ | بِهِ سَقَمٌ بَاطنٌ ظاهِرُ
فَلَوْ أنَّ حَجْلًا وَأَعمامَه | شُهُودٌ وقُرَّةُ والطَّـاهِرُ

حَجْلٌ ، وقُرَّةُ ، والطاهر : بنو الزبير ، وقد كان له أخ يقال له عجل أيضاً .

ولكِنَّ غُولًا أَهَابَتْ بِهِمْ | وفيهمْ لمضطهـدٍ ناصِرُ
فلا يَبْعِدِ القومُ إذْوَدَّعُوا | وأَسْقى قُبُورَهُمُ المَاطِرُ
نَجاءٌ رَبيعٌ له وَابِـلٌ | لَهُ خُضَرٌ وله زاهر[2]

وكانت للزبير بنت يقال لها : ضُباعة ، تَزَوَّجها المِقداد ابن عمرو ، المعروف بالمقداد بن الأَسود ، والأسود بن الأَسود بن عبد يغوث زوج أُمه ، وهذا يَدُلُّ على جواز النكاح فى المسلمين غيرَ الأَكفاءِ فى النَّسب.

(الزَّبير) وفى أَسْلم : الزَّبِيرُ[3] والد عبد الله بن الزَّبِير بن الأَشيم ابن الأَغشى بن بُجْرَةَ بن قيس بن مُنْقِذ (بن طَريف

---

(١) المال : يعنى : الابل والخيل . والسرب : جمع سربة ، وهى جماعة الخيل .
(٢) هذه الزيادة عن نسخة ٣
(٣) أنظر : الخزانة (١ : ٣٤٤) .

ٱبن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد
ابن خُزيمة)[1] .كذا هو بخط أبي المدَّود (في شعر الزُّبير
أنا ألحقته ها هنا)[1] الشاعر القائل :

أَبَى اللَّيْلُ يَا عِمْرانُ أَنْ يَتَصَرَّمَا كَأَنِّى أَسومُ العينَ نوما محرّما

(وذكره مستقصى في كتاب بنى أسد، إن شاء الله) [1]في قريظة :
الزَّبيربن باطَا بن وَهب ،أَحدُ بنى قُريظة(ابن الخَزرج بن الصَّريح بن التَّوْمَان
ابن السِّبْط بن اليَسَع بن سعد بن لاوىّ بن خَير بن النحّام بن تَخْوم بن عازَر
ابن عِزْرى بن هارون بن عمران بنَ يَصهر بن قاهث) [2] ، وكان
الزبير هذا شيخ بنى قريظة . فحدثنى الحسن بن عبد الصمد بن الحُسين
ابن يوسف عن أبيه ، عن أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، وهو
أبو الطيب الأُشْنَانى ، عن الواقدى عن رجاله ، قال [3] . كان الزُّبيرُ
بن باطا قدمَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك يومَ بُعاث.
فأَتى ثابتٌ الزَّبيرَ عند ظَفَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة
وقتله من قتل منهم فقال : يا أبا عبد الرحمن : هل تعرفنى ؟ قال : وهل
يجهل مثلى مثلك ؟ . قال ثابت : إن لك عندى يداً ، وقد أردت أن
أجزيك بها ، قال : إن الكريم يجزى الكريم . فأتى ثابت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنه قد كان للزبير عندى يد ؛
جَزّ ناصيتى يوم بُعاث ،وقال : اذكر هذه النِّعمة عندك ، وقد أردت أن
أَجْزيه بها ، فهَبْه لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هولك. فأتاه

---

(١) التكملة من م .
(٢) التكملة من م . وانظر السيرة لابن هشام(١ : ٢٢) .
(٣) انظر : السيرة لابن هشام (٣ : ٢٥٣ –

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَهبك لى . فقال الزُّبير : شيخ كبير لا أهلَ لى ولا ولد ، ماأصنع بالحياة . فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بهم إلى الزَّبير ، فقال الزبير : وما حياة أهل بيت بالحجاز لا مالَ لهم ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله : فأعطاه مالَهم . فلما اجتمع إليه أهله وماله قال لثابت : يا ثابت : ما فعل الذى كان وجهه مرآةً صِينيَّة تتراءى عذارى الحىّ فى وجهه ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى ، سيد الحيين كليهمـــا يحملهم فى الحرب ويطعمهم فى المحل : حُيىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال . فما فعل أوّل عادية يَهُودًا إذا حَملوا ، وحاميتُهم إذا ولّوا : عَزَّال بن سموأل ؟ قال : قتـــل ، قال : فما فعل الحُوَّل القُلَّبُ ، الذى لا يَؤم جماعة إلَّا فَضَّهَا ، ولا عُقْدَةً إلا حَلَّها ، نَبَّاشُ بن قيس؟ قال : قُتل . قال : فما فعل صاحب لواء يهود فى الزُّحوف وهب بن زيد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل العُمران اللذان كانا يلتقيان بدراسة التوراة ؟ قال : قُتلا . قال : فما فعـــل وَلىّ رِفادة يهود وأبوالأَيتـــام والأَرامـــل فى يهود عُقبـــة بن زيد . وعن ابن اسحاق : قال : فما فعـــل المجلســـان ، يعنى كعب بن قريظـــة وبنى عمرو بن قريظة ؟ ـــ قال : قُتلوا ، قال : يا ثابت ، فلا خير فى العيش بعـــد هؤلاءِ ، لا أرجـــع إلى دارٍ كانوا فيها حُلولًا ، فأَخْلُد فيهـــا بعدهم ، لاحاجةَ لى فى ذلك يا ثابت ، وإنى أسألك بيدى عنـــدك إلَّا قدَّمتنى إلى هذا القَتَّال الذى يَقتُل سراةَ بنى قُريظة ، ثم قدمتنى إلى مصارع قومى ، ثم حُدَّ سيفى فاضربنى به ضربةً وارفع يدك عن العظام وألصق بالرأس واخفض